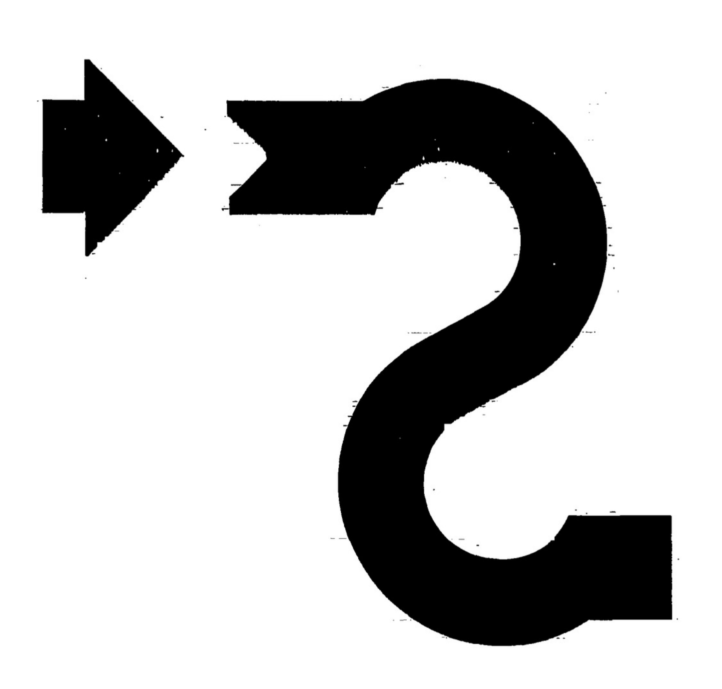
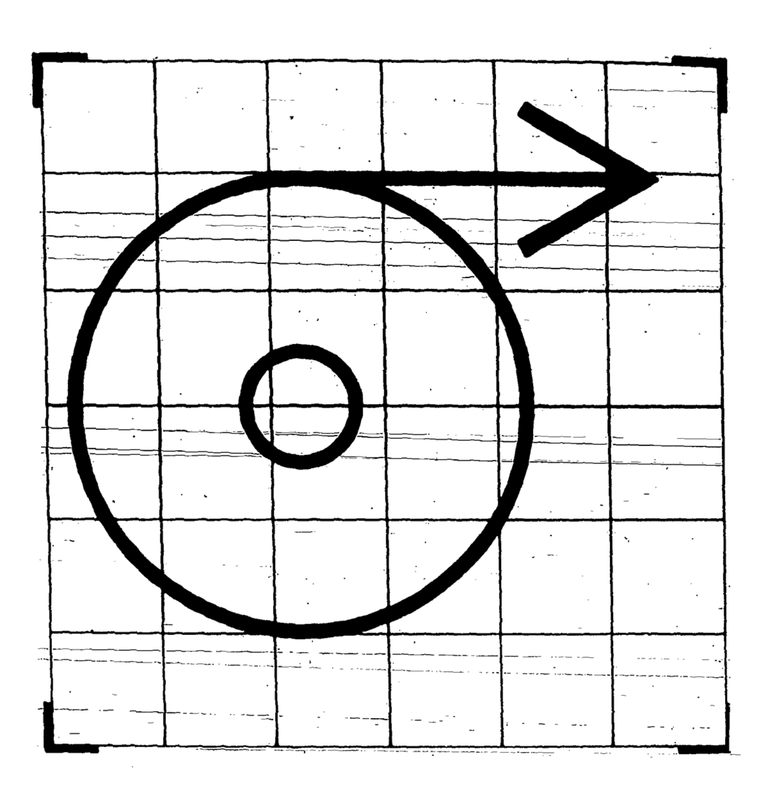


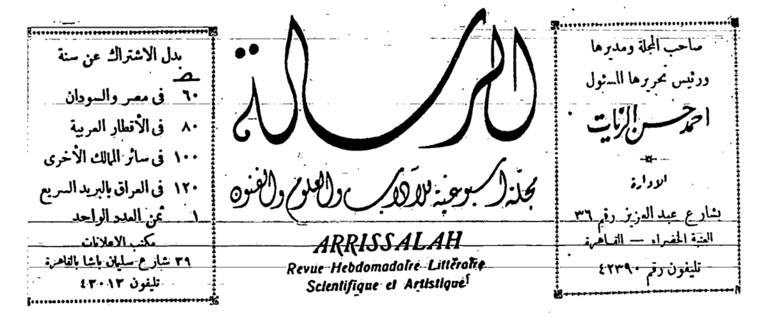
Suite d'une autre bobine

NF Z 43-120-7



Début de bobine

NF Z 43-120 1

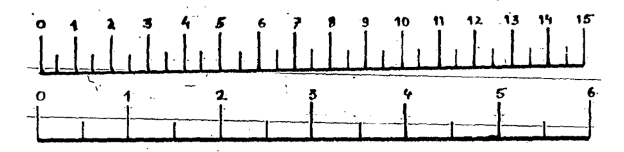



# 1936

## 6 janvier - 29 juin

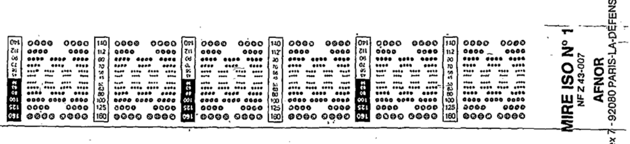
## (n° 131 - 156)

# ECHELLE DE PRISE DE VUE




Rx11

A.C.R.P.P




4me Année, No. 131. — Lundi 6-1-1936

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع البدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الاعلانات يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ١٣١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ شوال سنة ١٣٥٤ — ٦ يناير سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــدد



# الرسالة

## فى عامها الرابع

تُحَيِّي الرسالة عامها الرابع بوجه مشرق بالرضى ، وثغر مُفْتَرٍّ عن الأمل ، ولسان رطيب بالحمد ؛ وتسأل الله سبحانه أن يزيدها نَفَسا فى الأجل ، وثباتا فى العمل ، وإخلاصا فى النية ؛ ثم تقف على رأس هذه الرحلة الجديدة وقفة المستجم الذاكر ، تستمد القوة من الايمان ، وتستروح النشاط من الصبر ، وتستخرج الصواب من الخطأ ، ثم تبادل أصدقاءها الخلص ولاء بولاء ووفاء بوفاء وتحية بتحية

تعالوا يارفاق الروح وإخوان الفكرة نتناقل شجون الحديث فى هذه البرهة التى ينسدل فيها ستار ويرتفع ستار ، وينتهى من رواية الحياة فصل ويبتدئ فصل . ماذا سجل العام المنصرم فى صفحته المطوية عن حياتنا العقلية ؟ هل استقر لنا أدب خاص ؟ هل صدر عنا انتاج مستقل ؟ هل ظهر فينا زعيم موهوب ؟ هل غلبت علينا ثقافة واحدة ؟ هل تسايرت أفكارنا إلى غاية معينة ؟ هـل اتصل أدبنا بالأدب العالمى المشترك ؟ هـل اتسع نطاق الأدب العربى فشمل نواحى الفن ؟ تلك أسئلة يتشقق فى أجوبتها الرأى ، ثم لايجتمع لشمنها ماوضح مبهما ويحدد فكرة . وحسبك



من ضعف الشيء أن تتعارض الأقوال في وجوده .

مما لا ريب فيه أن هناك أدباً تميز بفنه عن كل عصر ، وانتاجا استقل بإصالته عن كل نقل ، وأسلوبا انفرد بخصائصه عن كل مذهب ، واتجاها تنزه بمراميه عن كل عبث ؛ ولكن هنالك أيضا تنوعا في مصادر الثقافة يباعد وجوه الرأي ، وضلالا في فهم الأدب يزيف حقائق الفن ، وإمعانا في استيحاء الغرب يفسد روح القومية . فأحمد أمين ، والرافعي ، وطه حسين ، والعقاد ، والمازني ، وهيكل (١) لا تكاد تجد لهم في الأدب الموروث أشباها في سلامة المنطق وعمق التفكير وصدق الأداء وأصالة الانتاج . وهم على اختلاف ثقافتهم متفقون على بناء الجديد على أساس القديم ، وإذكاء الفكر الشرقي بالفكر الغربي ، وتلقيح الروحية العربية بالمادية الأوربية ، وايثار الأسلوب البليغ المشرق في حدود الفن البارع السليم ؛ وقد ظهر اتحاد وجهتهم جليا فيما نشروه هذا العام من مقالات ومحاضرات وكتب ، وسينتهون متى استقرت أمور البلد ، واستقلت إرادة الشعب ، وهدأت ثائرة النفوس ، إلى أدب واضح المعالم ، مرسوم الحدود ، تحرك جسمه روح ، وتجمع أجزاءه وحدة ، وتوجه أهواءه غرض

* * *

وعلى هذه الخطة المثلى سارت الرسالة ثلاث سنين كاملة ، قطعت فيها ولله الحمد مراحل مطموسة وعرة ، ولولا عناية الله لأبدعت المطيّ وحار الدليل

لقد كان على الرسالة أن تجاهد خصوماً ثلاثة تجمعهم عليها دفاع الطفيلي عن وجوده : زهادة الشباب في القراءة وبخاصة ما كان جدّياً منها ؛ وتلك العلة التي جرها عليهم سوء التعليم وفساد العيش هي سبب ما نشكوه من بطء الثقافة وضعف الصحافة وقلة الانتاج . وطغيان الأدب اللاهي على الأذواق الناشئة ، فأصاب الأذهان بالكسل العقلي حتى برمت بالدرس وضاقت بالتفكير وعزفت عن الجد . ثم نفور طائفة من الأدباء لأسباب مرضية من هذه اللغة التي تقرأ ، ومن هذا الأدب الذي تَذوق ؛ فهم يجلبون الأدب الأوربي بمعانيه ومراميه ووحيه ، ثم يلبسونه طربوشاً أو عمامة ويقولون له تكلم ، فيتكلم على الرضى أو على الكره ، ولكنك لا تسمع بالطبع إلا عربية كعربية الرومي في البار ، أو الايطالي في المتجر !

قالت الرسالة لهؤلاء : ما دمتم تكتبون بالعربية فلا بد من فهمها وأدبها ؛ وما دمتم تعيشون في الشرق فلا بد من الهامه وطابعه . أما أن تحاولوا طمس حدود الأرض ، ونسخ قوانين الطبيعة ، وقطع سلسلة الزمن ، فذلك مجهود لا يضمه الناس إلا في قرارة الحمق

فقالوا إننا ننشر ثقافة العصور المظلمة ، ونجدد أساليب البيان القديم ! يريدون بالعصور المظلمة عصر الرشيد وابنه المأمون في آسيا ، وعصر الناصر وابنه الحكم في أوروبا ، وعصر العزيز بالله وابنه الحاكم في أفريقيا ! وهي العصور الثلاثة التي جلت عن الأرض دياجير القرون فكشفت الأفق للانسان ، وهيأت العقل للعلم ، وراضت البربر على الحضارة ! وهم في ذلك أيضاً يقلدون الكتاب الأوربيين في نعتهم عصور الجرمان بالظلام ، كأنما ظنوا قبائل البربر من جزيرة العرب ! !

ثم يريدون بأساليب البيان القديم تلك الأساليب التي تجري على قواعد الفن فلا يشوهها لحن ولا تتعاورها ركاكة ؛ قطعوا أنفسهم عن الموارد الروحية لهذه اللغة فصاغوها من حروف الهجاء ، لا من الاعصاب والدماء ؛ ثم آذوا فطرة الانسان فجعلوا قوة الأسلوب عيبا ، وجمال الصياغة نقيصة

ليس في أسلوب الرسالة ما يشبه القديم إلا في الصحة . إنما هو اختيار اللفظ الجميل القوي للمعنى الجديد القوي ليس غير . أما اطراد النسق ، وحلاوة الجرس ، ونبض الحياة في الكلمة ، وإشراق الدلالة في اللفظ ، وامتزاج الكاتب بالجملة ، وبراءة الأسلوب من اللغو ، فذلك هو الفن الذي يعيش ما عاش الناس ، ويُعجب ما سلمت الفطرة

* * *

فالرسالة بين هؤلاء الخصوم الثلاثة إنما تنحت في الصخر طريقها الطويل ! تسير ببطء ولكنها لا تقف ، وتعالج برفق ولكنها لا تهن ، وتصطدم بالاحداث ولكنها لا تحيد

على ذلك تجدد لأصدقائها وقرائها العهد والعزم معتمدة على فضل الله ، مطمئنة إلى عطف الأمة ، متكئة على عزن الشباب ، معتمدة بإيمان القلب ، معولة على اتقان العمل ؛ وفي بعض ذلك الضمان الأوفى والسند الأقوى والمرفأ الأمين

احمد حسن الزيات

(١) الترتيب على حروف الهجاء

# اجتلاء العيـــد

## للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

جاء يومُ العيد ؛ يومُ الخروج من الزمن إلى زمنٍ وحدَهُ لا يستمرُّ أكثر من يوم

زمن قصير ظريفٌ ضاحك ، تفرضُه الأديان على الناس ، ليكون لهم بين الحين والحين يومٌ طبيعيٌّ فى هـذه الحياة التى انتقلت عن طبيعتها

يومُ السلام ، والبِشْر ، والضحك ، والوفاء ، والاخاء ، وقول الانسان للانسان : وأنتم بخير.

يومُ الثيابِ الجديدة على الـكل إشعـاراً لهم بأن الوجه الانسانىّ جديدٌ فى هذا اليوم

يومُ الزينـة التى لا يراد منها إلا إظهارُ أثرها على النفس ليكون الناس جميعاً فى يوم حب

يومُ العيد ؛ يوم تقديم الحَـلوى إلى كل فم لتحلوَ الـكلمات فيه . . . .

يوم تعمُّ فيـه الناسَ ألفاظُ الدعاء والتهنئة مرتفعةً بقوةٍ إلٰهية فوق منازعات الحياة

ذلك اليومُ الذى ينظر فيـه الانسانُ إلى نفسه نظرةً تلمحُ السعادة ، وإلى أهله نظرةً تبصر الاعزاز ، وإلى داره نظرةً تدرك الجمال ، وإلى الناس نظرةً ترى الصداقة

ومن كل هذه النظرات تستوى له النظرة الجميلة إلى الحياة والعالم ؛ فتبتهج نفسُه بالعالم والحياة

وما أسماها نظرة تكشف للانسان أن الـكل جمالُه فى الـكل !

وخرجتُ أجتلى العيـدَ فى مظهره الحقيقىّ على هؤلاء الأطفال السعداء

على هذه الوجوه النَّضرة التى كبرتْ فيها ابتساماتُ الرضاع فصارت ضحكات

وهذه العيون الحالمة التى إذا بكت بكت بدموع لا ثقل لها ؛

وهذه الأفواه الصـغيرة التى تنطق بأصوات لا تزال فيها نبراتُ الحنان من تقليد لغة الأم ؛

وهذه الأجسام الغضة القريبـة العهد بالضمات والقُبلات فلا يزال حولها جوٌّ القلب

على هؤلاء الأطفال السعداء الذين لا يعرفون قياساً للزمن إلا بالسرور

وكلٌّ منهم ملكٌ فى مملكة ؛ وظرفهم هو أمرهم الملوكى

هؤلاء المجتمعين فى ثيابهم الجديدة المصبَّغة اجتماعَ قوسِ قُـزَح فى ألوانه

ثيابٌ عملت فيها المصانع والقلوب ، فلا يتم جمالها إلا بأن يراها الأبُ والأمُّ على أطفالها

ثيابٌ جديدة يلبسونها فيكونون هم أنفسهم ثوباً جديداً على الدنيا

هؤلاء السَّحرةُ الصغار الذين يخرجون لأنفسهم معنى الـكنز الثمين من قرشين . . .

ويسحرون العيد فاذا هو يومٌ صغير مثلهم جاء يدعوهم إلى اللعب

وينتبهون فى هذا اليوم مع الفجر ، فيبقى الفجرُ على قلوبهم إلى غروب الشمس

ويُلْقُـون أنفسهم على العالَم المنظور فيبنون كلَّ شىء على أحد المعنيين الثابتين فى نفس الطفل : الحبّ الخالص ، واللهو الخالص

ويبتعدون بطبيعتهم عن أكاذيب الحياة ، فيكون هذا بعينه هو قربهم من حقيقتها السعيدة

هؤلاء الأطفال الذين هم السهولة قبل أن تتعقد

والذين يرون العالَم فى أول ما ينمو الخيالُ ويتجاوزُ ويمتدّ

يفتِّشون الأقدارَ من ظاهرها ؛ ولا يَستَبْطِنون كيلا يتألموا بلا طائل

ويأخذون من الأشياء لأنفسهم فيفرحون بها ، ولا يأخذون من أنفسهم للأشياء كيلا يوجدوا لها الهمّ

قانعون ، يكتفون بالتمرة ؛ ولا يحاولون اقتلاع الشجرة التى تحملها

ويعرفون كُنه الحقيقة ، وهى أن العبرة بِرُوح النعمة لا بمقدارها . . . .

فيجدون من الفرح فى تغيير ثوبٍ للجسم ، أكثر مما يجده القائدُ الفاتحُ فى تغيير ثوبَ للمملكة

هؤلاء الحكماءُ الذين يشبه كلٌّ منهم آدمَ أولَ مجيئه الى الدنيا

حين لم تكن بين الأرض والسماء خليقةٌ ثالثة معقدة من صنع الانسان المتحضِّر

حكمتهم العليا : أن الفكر السامىَ هو جعلُ السرور فكرا وإظهارُه فى العمل

وشعرهم البديعُ : أن الجمالَ والحبَّ ليسا فى شىء إلا فى تجميل النفس وإظهارها عاشقة للفرح

هؤلاء الفلاسفةُ الذين تقوم فلسفتهم على قاعدة عملية ، وهى أن الأشياء الكثيرة لا تكثر فى النفس المطمئنة

وبذلك تعيش النفسُ هادئةً مستريحةً كأن ليس فى الدنيا إلا أشياؤها الميسرة

أما النفوسُ المضطربةُ بأطماعها وشهواتها فهى التى تبتلى بهموم الكثرة الخيالية

ومثلُها فى الهمِّ مَثَلُ طفليٌّ مغفَّلٍ يحزن لأنه لا يأكل فى بطنين ....

وإذا لم تكثر الأشياءُ الكثيرةُ فى النفس ، كثرت السعادة ولو من قلة

فالطفلُ يقلِّب عينيه فى نساءٍ كثيرات ، ولكن أمَّه هى أجملهن وإن كانت شوهاء

فأمه وحدها هى أمُّ قلبه ، ثم لا معنى للكثرة فى هذا القلب

هذا هو السرُّ ؛ خذوه أيها الحكماءُ عن الطفل الصغير !

وتأملت الأطفال وأثر العيد على نفوسهم التى وسعت من البشاشة فوق ملئها

فاذا لسانُ حالهم يقول للكبار : أيتها البهائم اخلعى أرسانك ولو يوماً . . . . . . . . . .

أيها الناسُ انطلقوا فى الدنيا انطلاقَ الأطفال يُوجدون حقيقتهم البريئة الضاحكة

لا كما تصنعون إذ تنطلقون انطلاقَ الوحش يُوجد حقيقتَه المفترسة

أحرارٌ حرية نشاط الكون ينبعث كالفوضى ولكن فى أدقّ النواميس

يثيرون السخط بالضجيج والحركة ، فيكونون مع الناس على خلاف لأنهم على وفاق مع الطبيعة

وتحتدم بينهم المعارك ولكن لا تتحطم فيها إلا اللعب ....

أما الكبارُ فيصنعون المدفعَ الضخمَ من الحديد للجسم الليّن من العظم

أيتها البهائمُ اخلعى أرسانك ولو يوماً . .

لا يفرح أطفال الدار كفرحهم بطفل يُولد ؛ فهم يستقبلونه كأنه محتاجٌ إلى عقولهم الصغيرة

ويملؤهم الشعور بالفرح الحقيقى الكامن فى سر الخلق لقربهم من هذا السر

وكذلك تحمل السنة ثم تلد للأطفال يوم العيد ؛ فيستقبلونه كأنه محتاج إلى لهوهم الطبيعى

ويملؤهم الشعور بالفرح الحقيقى الكامن فى سر العالم ، لقربهم من هذا السر

فيا أسَفَا علينا نحن الكبار ! ما أبعدَنا عن سرِّ الخلق بآثام العمر !

وما أبعدنا عن سر العالم بهذه الشهوات الكافرة التى لا تؤمن إلا بالمادة !

يا أسفَا علينا نحن الكبار ! ما أبعدنا عن حقيقة الفرح !

تكاد آثامنا والله تجعل لنا فى كل فَرْحَة خَجْلَة . . . .

أيتها الرياض المنوَّرةُ بأزهارها !

أيتها الطيور المغرِّدة بألحانها !

أيتها الأشجار المصفّقة بأغصانها !

أيتها النجومُ المتلألئة بالنور الدائم !

أنتِ شتَّى ؛ ولكنك جميعاً فى هؤلاء الأطفال يوم العيد !

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

الى م . ح . ط . فى بغداد : لو أعان الله على وضع الكتاب الذى سألتم عنه لجاء الكتاب ، وهو بعد فى النية ولكن الأمر كما قال الشاعر :
فأين الشباب وأين الزمان ؟
والفصل الذى أشرتم إليه هو فصل منه ؛ وقد نتبع هذه الطريقة فنجعل الكتاب فصولا ننشرها فى « الرسالة » إن شاء الله وسلامه عليكم.
الرافعى

# الرمز فى الأدب الصوفى

## للأستاذ أحمد أمين

تدور العقيدة الصوفية على فكرة « وحدة الوجود » ، فليس العالم والله شيئين منفصلين ، وليس الله فى السماء وحدها ولا فى الأرض وحدها ، بل هو فى كل شىء ، بل هو كل شىء ؛ وليس هناك محب ومحبوب ، وعاشق ومعشوق ، بل المحب والمحبوب واحد ، يختلفان فى الظاهر والأحوال ويتحدان فى الحقيقة ؛ وكل شىء فى العالم له مظهر فان متغير متقلب ، وله مخبر دائم باق لا يتغير ؛ ونفس الانسان كذلك : نفس ناقصة فانية ظاهرة ، ونفس كاملة باقية باطنة ؛ والنفس الأولى تشق الطريق لتحقق نفسها الثانية فتتحد بالحقيقة وتتشربها وتفنى فيها . وسمى الصوفى هذا المسلك « طريقاً » أو « طريقة » ، وسمى نفسه « سالكاً » ، وسمى المسافات التى يقطعها فيقف عندها للاستجمام « مقامات » ، وسمى الغرض الذى يقصده من سلوكه وهو اتحاد نفسه بالحقيقة ، وبعبارة أخرى اتحاد ذاته بالله « الفناء فى الحق » . وقد رسموا « خُطَطاً » لهذا الطريق ، وتعددت « خرطهم » بتعدد أنظارهم ، وسموا كل مرحلة وكل مقام باسم ، فهى عند بعضهم مقام التوبة ، ثم مقام الورع ، ثم مقام الزهد ، ثم مقام الفقر ، ثم مقام الصبر ، ثم مقام التوكل ، ثم مقام الرضا ؛ وفى كل مقام من هذه المقامات يقف السالك فيشعر بمشاعر نفسية خاصة سموها « الأحوال » ، كحال الخوف ، وحال الرجا ، وحال الشوق ، وحال الانس ، وحال الطمأنينة ، وحال المشاهدة ، وحال اليقين الخ ؛ ولابد للسالك أن يستوعب كل مرحلة من هذه المراحل ويؤقلم نفسه بها ليستعد للمرحلة التى تليها ، حتى يصل فى النهاية إلى حالة اتحاد بالعالم وبالله فيستحق بذلك أن يسمى « عارفاً » . ولا بد للسالك أن يقوده « شيخ » فى هذه الطريقة الوعرة حتى لا يضل السالك

وليس المقام مقام تفصيل لتعاليمهم وعقائدهم وإنما نريد أن نقول إنهم بتعمقهم فى هذا المبدأ الذى ألممنا به إلماماً بسيطاً قد أقاموا أنفسهم فى عالم غير العالم المادى الذى يعيش فيه غيرهم ؛ فلهم لغة خاصة بهم ومسميات لا يعرفها إلا هم — ولكنهم فعلوا فى اللغة كما فعل كل العلماء فى اللغة العربيـة ، فأخذوا الألفاظ العربية وأطلقوها على مدلولات خاصة كما فعل النحاة بالفاعل والمفعول والمبتدأ والخبر والجار والمجرور ونحو ذلك من ألفاظ كان يستعملها العرب فى مدلولات عامة فأخذها النحاة ووضعوها لمصطلحات خاصة ، حتى أن العربى القح لم يكن يفهمها فى معانى النحاة . وهكذا الشأن فى البلاغة والعروض والفلسفة ـ غير أن هناك فرقاً كبيراً بين المتصوفة وغيرهم ، فالأوضاع النحوية والصرفية والبلاغية لها مدلولات ترجع إلى العقل فى تفهمها ؛ أما المصطلحات الصوفية فلا ترجع إلى العقل ، وإنما ترجع إلى الذوق ، ولهذا لا يفهمها أحد بعقله فهماً صحيحاً ؛ إنما يفهمها من تذوقها ووقف فى المقام الذى يقف فيه المتصوف ؛ والفرق بين العاقل والمتذوق كالفرق بين شخصين أحدهما لم يذق الكمثرى قط فوصفت له وصفاً لفظياً علمياً ، وشخص ذاقها وعرف الفروق الدقيقـة بين مذاقها ومذاق الموز والتفاح ؛ فاستعمل شعراء الصوفية ألفاظ الشعراء الغزليين من « ليلى » و « الخمر » والوصل والعناق والهجر والعذال ، واتخذوها رموزاً لأحوالهم ومقاماتهم ؛ وكان لهم من ذلك كله أدب رمزى بديع غريب يمتاز عن غيره من الأدب بروحانيته وصفائه ، كما يمتاز بغموضه وخفائه .

والسبب فى الغموض والخفاء أن الشاعر المادى إذا وصف خمراً أو لوعة حب أو هجراً أو وصالا ، فانما يصف عواطف يدركها الناس وهى فى متناولهم ، أو بعبارة أخرى هى قدر مشترك بينهم ؛ فكل الناس أحب ، وكل ذاق لذة الوصـل وألم الهجر ؛ أما الصوفى فيعبر عن مقام يقفه وحال غلبت عليه ، فوصف مقامه وحاله بحيث لا يفهمه إلا من كان فى موقفه وحاله ، أو كان قد قطع هذه المرحلة إلى مرحلة أبعد منها مدى . ومن أجل هذا لا يفهم الصوفى إلا الصوفى ، بل قد لا يفهم الصوفى الصوفى إذا سلك كل منهما مسلكا خاصاً ، أو كان الصوفى الشاعر فى مقام بعيد عن مقام الأول ؛ ومن أجل هذا شرح بعضهم قصائد لبعض المتصوفة ، فكان الشرح غامضاً كالأصل . وصاحب القصيدة معذور كل العذر ، لأنه فى حال لا يجد فيها ألفاظاً تعبر عما فى نفسه فى وضوح وجلاء ؛ وهناك سبب آخر قد يدعو إلى الغموض ، وهو أنه فى حال لو أوضح ما فى نفسه لرماه من لم يفهمه بالكفر والالحاد

على كل حال يمتاز الأدب الصوفى بأنه أدب رموز من

ناحيتيه القابلة والفاعلة ، فهو يفهم مظاهر العالم على أنها رمز ؛ والعالم عنده لا يختلف عن أحلام النائم ؛ فكما أن الحلم يعرض حوادثه عرضاً رمزياً فكذلك العالم كل ما فيه رمز ، فكل ما يقع تحت عينه وما يسمع بأذنه ، وما يتصل بجميع حواسه رموز يستنتج منها ما يغذي عواطفه ومشاعره ، وبذلك انفتح أمامه عالم غريب الأطوار مملوء بالجمال ، مفعم بالتخيلات ، حتى كأن كل شيء – ولو كان صغيراً – كتاب ملئ علماً أو لسان ينطق دائماً بالحكمة ، هو في العالم دائماً يقرأ ولا مقروء ، ويسمع ولا مسموع ، ويستخرج من الحبة قبة ، ومن القطرة بحراً خضماً . يقرأ في كل حادثة نفسه وعالمه وربه ؛ ويفسرها تفسيراً يتفق ومزاجه وخياله

وهذا الأدب الرمزي والدين الرمزي والحكمة الرمزية نزعة كانت في الانسان منذ القدم ، فالديانة المصرية القديمة مملوءة بالرموز الدينية ، وكذلك ديانة الهنود والفرس الأقدمين ، رمز إلى الحقيقة في بعد وخفاء ؛ والميثولوجيا اليونانية ليست إلا رموزاً لما كانوا يرون من حقائق ؛ وكثير من شعائر الأديان إنما وضعها فلاسفة متصوفون رمزوا بها إلى بعض الحقائق . فأتى العامة الجهلة ، وظنوا نفس الرموز حقائق ؛ فما الأصنام ولا النجوم ولا نقوش المصريين في عباداتهم ولا كثير غيرها إلا رموز أتى عليها الزمن فنسى أصلها وعبدت ذواتها ، وجرى كثير من الفلاسفة على هذا النحو فيحكى عن فيثاغورس اليوناني أنه كان يكثر من الكلام الرمزي ليدل به على الحقيقة ، وكذلك كان من بعده أفلاطون

ولهذا الأدب الرمزي جماله ، فهو يمتاز بأنه جمال مقنع تدركه ولا تلمسه ، وتتخيله ولا يسمح لك أن تحدق فيه ، فهو جمال تنظره وكأنك لا تنظره ، وتسمعه وكأنك لا تسمعه ، وتعرفه وكأنك لا تعرفه ، قد خلع عليه الخفاء جلالاً فكان جميلاً جليلاً معاً – تسمعه فتلتذ له وتترنم به ، فاذا أردت أن تقبض عليه قبضت على هواء ؛ ليس لكلماته مدلول محدود ، ولا لمعانيه حدود ، وإنما هو إمعان في اللانهاية ، وسبح ولا غاية

يرى الصوفي أن لكل ظاهر باطناً ، وفي كل شيء إشارة ، وفوق السطح عمقاً ، ووراء القناع جمالاً فاتناً ؛ وبنيه عجباً على الناس إذفهم ولم يفهموا ، وغنى لهم ولم يطربوا ، ويرى أن العقل محجاب يحجب النفس عن إدراك الجمال ، وأن كشف هذا القناع إنما هو بالذوق والالهام ، لا بالمنطق والقضايا والأحكام

وبهذا النظر نظر الصوفي إلى العالم فسمى الحقيقة ليلى وسعدى ، وأعجب بالخمر وتغنى بها ، ورأى في الخمر معاني ليست في غيرها . فهي رمز إلى رقي النفس وتساميها ، فالنفس ترقى بالفناء في الحقيقة كما تنشأ الخمر بإفناء العنب ، فيكون شيء من شيء ، ويختلف الشيئان والأصل واحد ؛ وإذا خرجت الخمر من العنب بقيت إلى الأبد وصلحت بمرور الزمان ، على حين أن العنب نفسه لا يصلح للبقاء ، فكذلك النفس إذا تجردت من مادتها الفاسدة ونزعت إلى الكمال صلحت للبقاء ، ولم يعتورها فناء ، وكلما مرت عليها السنون والأعوام زادت نقاء ، ورقت صفاء

وهكذا ولد الصوفية من كل شيء أشياء ، ورأوا في كل مادة رمزاً لمعان لا عداد لها وبنى آخرهم على ما أتى به أولهم

ونظروا إلى الدين نظرهم إلى كل ما في العالم ، فكل آية في القرآن رمز ، وكل حديث له تأويل . فليسوا يفهمون من الآيات ما يفهم الناس ، ولا من الأحداث ما يفهم الناس .

إن شئت مثلاً لذلك فخذ ما فهموا من حادثة شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم ، فعلماء السيرة يروون أنه (ص) شق قلبه وهو مع رابته ومرضعته في بني سعد ، وأنه جيء بطست من ذهب فيه ثلج فغسل به قلبه إلى آخر ما رووا ؛ والصوفية لا يفهمون هذا إلا على أنه رمز ، فقلب الانسان قد ران عليه الخوف والشهوة والطمع وغير ذلك من السيئات ، فأراد الله أن يذهب عنه الرجس ويطهره تطهيراً ، فأبعد عنه ما غشى قلوب الناس ، وفتح قلبه ونقاه من كل سوء حتى يستعد للنبوة – فرويت هذه القصة وفهمها العامة حقيقة ، وفهمها الخاصة رمزاً

وهكذا كان شأنهم فيما عرض عليهم من العالم ومن الدين ومن الأدب ؛ وهكذا كان شأنهم فيما انتجوا من دين وأدب – عاشوا في حلم لذيذ من حب وتضحية ، ونعموا بما قرءوا في العالم من رموز ، وأخذوا أدب الأدباء وشعر الشعراء فنقلوه إلى أحوالهم ومقاماتهم ، فطربوا لشعر مجنون ليلى وأبي نواس وفسروه بليلاهم وخمرهم ، فلما شعروا هم أسبغوا على شعرهم من معانيهم ورموزهم ، فكان لنا من ذلك كله نوع من الأدب طريف . أرجو أن أعرض لتفصيله في مقال تال .

أحمد أمين

قضية دولية استعمارية

# عصبة الأمم
## بين المد والجزر
### بقلم باحث دبلوماسي كبير

كانت عصبة الأمم في نظرنا دائماً أداة دولية مريبة ، لا تتفق أعمالها وجهودها مع المثل والغايات السامية التي ادمجت في دستورها ، ولم نستطع يوماً مدى الخمسة عشر عاما التي قطعتها العصبة من حياتها أن نحمل على الثقة بها أو الاطمئنان لاستقلالها أو نزاهة وسائلها وغاياتها ؛ وإنما رأينا العصبة دائماً أداة مسيرة في يد الدول الغربية القوية توجهها حيثما شاءت لتحقيق مشروعاتها وغاياتها على حساب الأمم الضعيفة ، ورأيناها بالأخص سوط استعمار بالنسبة لبعض الأمم الشرقية ، تفرض عليها نير الانتداب وتنظمه لمصلحة الدول الكبرى التي توجهها ؛ ولم تقدم العصبة يوماً أي دليل على أنها تعمل لانصاف دولة ضعيفة أو أمة شرقية ، خصوصاً إذا ما تعلق الأمر بمصلحة دولة قوية أو أمة غربيـة ، ولم تنل العصبة توفيقاً في أي ميدان من الميادين العامة أو الانسانية التي تزعم أنها تعمل في سبيلها ، فلم يحقق مشروع نزع السلاح أو تحديده ، ولم يوضع نظام ثابت للسلامة العامة أو عدم الاعتداء ، ولم تكفل حقوق الأقليات أو الأمم الضعيفة بصورة مستقرة عادلة

ولكنا رأينا عصبة الأمم تتخذ فجأة لمناسبة النزاع الايطالي الحبشي صورة أخرى ، فتبعث دستورها من قبره وتطبقه بروح جديدة ؛ رأيناها تحل السيادة والحقوق القومية مكانتها ، وتعمل لاحترام استقلال الأمم الضعيفة ، فتصم إيطاليا بما تستحق من وصمات الاعتداء المنكر ، وتحرك من نصوص دستورها ما تراه كفيلاً بوقف الاعتداء ورد المعتدي إلى صوابه ؛ وتستجمع شجاعتها لتطبيق العقوبات الاقتصادية والمالية التي فرضت على المتعدي ، وتطبقها بالفعل على إيطاليا المتعدية ، فتحظر تصدير السلاح وجميع المواد الأولية إلى إيطاليا وتبيحه للحبشة ، وتطالب إلى أعضائها أن يقطعوا كل العلائق الاقتصادية والمبادلات التجارية مع إيطاليا ؛ فيلبي دعوتها نحو خمسين دولة أو ما يشبه الاجماع ؛ وهكذا رأينا عصبة الأمم تفتتح عهداً جديداً في سياستها وفي فهم مهمتها الدوليـة ، واستبشرنا بأن يكون العهد الجديد مفتتح الآمال بالنسبة للأمم الضعيفـة ، فتستطيع أن تطالب بحقوقها وحرياتها ، وتستطيع أن تعتمد على ذلك التعضيد الدولي الذي يحمل لواءه عصبة الأمم

ولم يغب عن العالم مع ذلك ما هنالك من وراء ستار ، فقد فطن العالم إلى أن عصبة الأمم لم تكن في عملها مستقلة ولا مختارة ، وأنها كانت مسيرة موجهة فيما اتخذت من قرارات جريئة ؛ ولم يغب عن العالم أن السياسة البريطانية هي مبعث التوجيه والوحي الأول ، وأنها اتخذت هذه الخطة لأن الاعتـداء الايطالي على الحبشة ، وتوسيع النفوذ الايطالي في شرق إفريقية ، وما يترتب على ذلك من إذكاء الروح الحربي الفاشستي ، يعرض الأمبراطورية البريطانية وسلامة مواصلاتها في البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط وسيادتها في وادي النيل وشرق إفريقية إلى أخطار جسيمة ، وأن انكلترا لم تحرك أساطيلها الضخمة ، وتتخذ هذه الأهبات الحربية الواسعة النطاق في مصر وعدن وشرق إفريقية انتصاراً لقضية الحبشـة أو دفاعاً عنها ، ولـكن رداً للخطر الفاشستي الذي ظهر في الأفق فجأة ، وأخـذ يزعجها بمطامعه وتحديه . بيد أن وقوف العالم على هذه العوامل المستترة الظاهرة معاً ، لم يثنه عن التصفيق لعصبـة الأمم والاعجاب بموقفها وتصرفاتها في هـذا المأزق العصيب ؛ ذلك أن الوسائل لا تهم دائماً ؛ وكفى أن عصبـة الأمم قد انتهت إلى الغاية المقصودة ، وسـيقت إلى العمل لصون الحريات والحقوق القومية ، وإلى الحكم على الاعتداء المنظم بأقسى الأحكام

ولهذا دهش العالم أيما دهشـة حينما أذيعت شروط هذا المشروع الشائن الذي أسفرت عنه المفاوضات الفرنسـية البريطانية الأخيرة كتسوية سلمية للمسألة الحبشية ، والذي أريد أن يقدم إلى إيطاليا هدية سابغة على اعتدائها المثير لـكي تكف عن المضي في أعمالها ومشاريعها الحربية . وقد وقف القراء على هذا المشروع وتطوراته فلا حاجة بنا إلى الافاضة فيه ، ويكفي أن نذكر أنه كان يقوم على تمزيق الحبشة تمزيقاً شائناً ، وينص

على منح أكثر من نصفها لإيطاليا ، ويحيط سيادة الحبشة على الأراضي الباقية بقيود خطرة أو هو بعبارة أخرى يقضي بشقيه على الحبشة كأمة مستقلة ذات وجود ، ويمهد لاستعبادها النهائي في أعوام قليلة ؛ نقول ثار العالم كله لهذا المشروع الشائن الذي يتوج اعتداء ايطاليا بغار ظفر لم تحرزه ، ويحقق لها حلماً ما زالت تتخبط في غمر الصعاب لتحقق شطراً منه ؛ وأشد ما كانت دهشة العالم لأن السياسة البريطانية التي ثارت من قبل لاعتداء ايطاليا وألبت عليها أمم العالم بواسطة عصبة الأمم وحملت العصبة على أن تقرر العقوبات الاقتصادية ، قد اشتركت في وضع هذا المشروع الشائن الذي يقضي فجأة على آمال أمة مستقلة ما زالت تناضل عن حريتها نضالاً يثير الاعجاب والاكبار ؛ على أن الصدى العنيف الذي أحدثه المشروع في العالم كله ، وفي الرأي العام البريطاني بنوع خاص ، كان كافياً لأن يحدث أثره بسرعة في استنكار هذه السياسة الاستعمارية الصارخة ، واستنكار المشروع برمته ، وكان من جراء ذلك أن استقال السير صمويل هور وزير الخارجية البريطانية الذي اشترك في وضع المشروع ، وكان لاستقالته أعظم وقع كما شهدنا ، واضطرت الحكومة البريطانية أن تتراجع بسرعة ، وأن تعلن أنها لا تؤيد المشروع وأنها تعتبره قد مات ؛ هذا بينما كان المشروع مطروحاً أمام عصبة الأمم ، يلقى الضربة الأخيرة على يد مجلس العصبة ، ويرجأ النظر فيه إلى أجل غير مسمى

وهكذا مات مشروع تمزيق الحبشة في أيام قلائل تحت ضغط الرأي العالمي واستنكاره ، ولم يسمح لايطاليا أن تجني ثمرة اعتدائها الشائن وأن تحقق بالدجل السياسي ما لم تستطع أن تحققه على يد جنودها في ميدان القتال . أما الحبشة فقد رفضت مشروع تمزيقها لأول وهلة ، ورفضته بمنتهى الأباء والقوة ، بل واستطاعت أن تقرن رفضها الأبي بانتصارات محلية أحرزتها الجيوش الحبشية في مختلف الميادين في نفس الوقت الذي طرح فيه المشروع أمام عصبة الأمم . ومع أن العوامل الحقيقية التي أملت بوضع هذا المشروع ، وحملت السياسة الانكليزية على اقراره ، في الوقت الذي ذهبت فيه إلى هذا المدى البعيد في مخاصمة ايطاليا ومقاومتها ، لم تتضح إلى الآن وضوحاً كافياً ، فانه يمكن فهمها على ضوء بعض الحوادث والظروف الأخيرة ؛ وأخصها تفاقم الخطر

الياباني في الشرق الأقصى ، وانتعاش الحركة الوطنية في مصر ، وما يذاع من وجود تذمر في الأسطول البريطاني ، وما يبدو من تحرك ألمانيا وتربصها ؛ هذا إلى بعض الاعتبارات الأوربية والاستعمارية العامة ، وهو أنه ليس من حسن السياسة أن تشجع أمة إفريقية سوداء على مقاومة أمة أوربية كبرى ، وأن تترك إيطاليا لتعاوح على هذه الصورة بشطر كبير من قواها الحيوية في شرق إفريقية ، في حين أن هذه القوى ذاتها ضرورية لحفظ التوازن الأوربي ومقاومة مطامع ألمانيا في النمسا ؛ ومن جهة أخرى فان هذه الصعاب والمتاعب الفادحة التي تتخبط فيها إيطاليا قد تدفع بها إلى غمار اليأس فيسقط النظام الفاشستي ، وسقوطه في هذا المأزق الدقيق قد يضعف إيطاليا ويصيب التوازن الأوربي بضربة شديدة : فالى هذه العوامل يمكن أن نرجع تطور السياسة الانكليزية الفجائي . بيد أن هنالك حقيقة لا شك فيها هي أن أكبر الفضل في هذا التطور يرجع إلى تذبذب السياسة الفرنسية وترددها ، وإلى ما تبديه من تحيز ظاهر للاعتداء الايطالي ، وما تبديه من فتور ظاهر في تأييد سياسة العقوبات الدولية التي تعتمد عليها انكلترا في تحطيم مشاريع ايطاليا . وتذبذب السياسة الفرنسية وتحيزها يرجعان إلى عوامل أنانية محضة ، فالحكومة الفرنسية الحاضرة تريد أن تحرص على الصداقة الايطالية بأي ثمن ، وأن تحافظ بكل الوسائل على أن تتقاضى تعاون إيطاليا في أوربا ضد ألمانيا وبالأخص في المسألة النمسوية ، ثمناً لما بذلته فرنسا لايطاليا في الاتفاق الفرنسي الايطالي الأخير (يناير الماضي) من المنح والمزايا السياسية والاستعمارية ؛ وهي تحاول في نفس الوقت أن تحتفظ بصداقة انكلترا ومعاونتها

على أن هذه السياسة التي انكشفت عواملها الأنانية بسرعة لقيت حتفها في الحال في انكلترا وفي الحبشة وفي جنيف ؛ ومع أن السياسة البريطانية استطاعت بسرعة مدهشة أن تستدرك الخطأ الذي وقع فيه السير هور وزير الخارجية البريطانية باقراره لمشروع الصلح ، واستقال الوزير في الحال ليخلفه مستر إيدن بطل سياسة السلامة الاجتماعية والعقوبات الدولية على يد عصبة الأمم ، أو بعبارة أخرى بطل سياسة التشديد على إيطاليا ، فان هيبة بريطانيا السياسية قد أصيبت بشيء من التصدع والريب ؛ ذلك لأنه لم يكن خافياً ما ينطوي عليه مشروع الصلح المقدم إلى جنيف

من معنى مستتر ، هو تقسيم الحبشة بين إيطاليا وانكلترا ، واختصاص إيطاليا بالقسم الشرقي الذي تحتل قسماً منه ، واختصاص انكلترا (فيما بعد) بالقسم الغربي الذي تقع فيه منابع النيل الأزرق ، والذي تحرص كل الحرص على استخلاصه من يد أية دولة أوربية أخرى ؛ بيد أن هذا الرجوع السريع الحازم من جانب السياسة البريطانية إلى خطتها الأولى ، أعني خطة الوقوف في وجه إيطاليا ومقاومتها عن طريق العمل الدولي ، قد رد إليها كثيراً مما كادت تخسر من هيبة ونفوذ

على أننا نستطيع أن نستخلص من هذه المأساة الدولية درساً بليغاً يؤيد ماذهبنا إليه في صدر مقالنا بشأن عصبة الأمم ؛ فما كانت العصبة يوما ملاذاً للعدالة الدولية وحقوق الأمم الضعيفة ، ولاسيا الأمم الشرقية ، ولن تكون العصبة يوما ملاذا حقيقيا لهذه المثل العليا . وإذا كان موقف العصبة في المسألة الحبشية قد أسبغ عليها هيبة لم تتمتع بها منذ نشأتها ، فان الفضل في ذلك لا يرجع إلى إرادة العصبة ذاتها أو إلى استقلالها ونزاهتها بقدر ما يرجع إلى العوامل السياسية والاستعمارية الخارجية التي شرحناها ؛ وكون العصبة تعمل في مثل هذه الظروف أداة مسيرة ، لا يؤكد الآمال التي يمكن أن تثيرها نصوص دستورها الخلاب ، بل كل ما هنالك يثير الريب دائماً في وسائلها وغاياتها . ومع ذلك فان عصبة الأمم يمكن أن تكون أداة حقيقية لتأييد السلام العالمي والعدالة الدولية ، ولكنها يجب قبل كل شيء أن تحرر من ذلك النفوذ الذي يوجهها وينحرف بها عن العمل للغاية الحقيقية التي انشئت لها إلى العمل لغايات السياسة القومية والاستعمارية . وقد رأينا في مثل إيطاليا وما نالها من أثر العقوبات الاقتصادية ، قوة العمل الاجماعي وتأثيره الفعال في كبح جماح الشهوات القومية ؛ فاذا صلح دستور العصبة ليلائم الظروف الدولية الحاضرة ، وإذا استطاعت الأمم أن تضع ثقتها في سياسة الضمان المشترك والسلامة المشتركة ، فان العالم يستطيع أن يتجنب كثيراً من الحروب الاعتدائية المخربة . ولكن هل تستطيع الدول الاستعمارية الكبرى أن تتجرد عن غايات الأثرة القومية ، أو تعدل عن الالتجاء إلى القوة الهمجية التي تمكنها من أعناق الفرائس الضعيفة المغصوبة ؟

(***)

شهيد مع شهداء أحد

# أنس بن النضر

## للأستاذ خليل هنداوي

كتب الله النصر للمسلمين في غزوة « بدر الكبرى » ؛ وكان نصراً رائعاً للدعوة الاسلامية ، فانصرف المشركون وفي كل عضو من أعضائهم جراحة من أثر بدر ، وفي كل بيت من بيوتهم مناحة لفقد عزيز من أعزائهم يوم بدر ؛ وقد تبرأ هذه الكلوم ، وتهدأ هذه المناحات ، ولكن الضغن كامن في صدور كأنها الدروع المنطوية في النار

— ألا يعود يوم كيوم بدر نثأر فيه لشرفائنا ، ونلوك أكباد أعدائنا ! إنه إن يعد — وهبل — نشف منهم النفوس أو تضمنا الرموس ...........

والمسلمون خلال ذلك تحقق ألوية النصر عليهم ، وأصحاب بدر يخطرون طربين بما أوتوا ، يجلسون حلقات ، هذا يتحدث عن بلائه ، وذلك عن بطشه بأحد رؤوس قريش ، وقد يسمع النبي الحديث من أحاديثهم فيغلب الاشفاق على قلبه ويود لو أن دماء قومه لم تهدر ، ولكن الدعوة تفتقر إلى ضحايا ! وقد يغادر المتحدثون هذه الأصناف من الحديث ، لا لأن بدراً يفرغ حديثها ... وإنما يعودون إلى التحدث بينهم : كيف ألقى الله الرعب في قلوب أعدائهم ، وثبت منهم الأقدام ، وزلزل أقدامهم ، ويشكرون الله على صدق وعده لهم ، فما أخف نفوس هؤلاء البدريين الذين قاتلت جنود الله معهم ! ويكفي أحدهم إذا أراد أن يفتخر أن يقول : « أنا بدري » ! وما أشد أسى الذين لم يكتب لهم أن يكونوا من جنود هذه الغزوة المباركة !

كيف عشى هؤلاء الذين لم يحضروا غزوة بدر ، وكيف تطمئن لهم جنوب أو تسكن قلوب ، وقد رأوا أن رفاقهم سبقوا بالأجر : أجر بدر ؟ وكيف يخالطون أصحابهم الغزاة ، وكيف يكلمون الرسول ، وهم يرون في أنفسهم منقصة تؤخرهم عن مجالس هؤلاء الغزاة ، أنهم ليسوا ببدريين !

حاور أنس بن النضر نفسه فلم يقنعه منها عذر ؛ فآثر أن

يتوارى عن قومه ، وأن يعتزل مجالسهم ، مقسماً أنه لن يغفر هذه الحوبة لنفسه حتى يلاق غزوة كغزوة بدر ، يحملها ما لم تحمل ، ويحمل منها فوق ما حمل أصحابه ، فاذا سمع « ببدر » رأيت وجهه اكتأب وأساريره انقبضت ، لأن حديث بدر — عنده — حديث ذو شجون ، فيسأل نفسه إذا اشتد به الأمر :

— أعهد بدر الثانية عنك بعيد ؟ ربّ أقرب بدراً

وقد عجب أصحابه لوجومه وانصرافه عن مجالسهم ، ولم يروا منه إلا كل خلة حميدة ، وعقيدة صلبة ؛ يرونه يمشي كمن يلوذ بجدار ، ويرتاح إلى الليل الأسود كمن يتخذه لباساً ، ويجنح إلى العزلة كمن هو على موعد من ربه ... وتحدث القوم بينهم : ما بال أنس لا يطأ مجالسنا ؟ أأذىً به أم عارض ؟ وكان الرسول لا يلمحه إلا معتزلاً في زاوية وحده ، لا يسمعه سامع إلا هاجساً ببدر ، مستغفراً عن بدر ؛ وقد أقلق الرسول حاله ، فسأله :

— ما خطبك يا أنس ؟

فقال أنس :

— « يا رسول الله غبتُ عن أول قتال قاتلت المشركين ، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ! »

ففهم الرسول أمره ، وبارك عزمته وقال :

— أما وقد نويت :

ولم يقف الرسول على شيء من أمره بعد مقابلته . وهاهي القادر جاءت تنتقم « لأنس » ، وتكتب اسمه في سجل الغزاة الثابتين ، وهاهي الأيام كرت تجدد « بدراً » ثانية ، ليس موعدها بدراً ، لكن أُحُداً ! فهب البدريون إلى شحذ سيوفهم البدرية ولا تزال أغرتها مكتسية دماً ، ورماحهم ولا تزال ثعالبها حمراء ، ونشط من لم يحضروا بدراً لينالوا من الأجر ما لم ينالوه ، فكان الأولون يمشون ثابتي الأقدام ، مستخفين بأعدائهم عند الروع ؛ وكان الآخرون يمشون خفافاً كمن أزيح عن صدره ثقل الجبال ، وقد ارتاحت من أنس نفسه ، ودنا يحدث صحبه كأن لم يكن له عهد بتلك الوحشة

بزغ الفجر من وراء أحد ، وأفاقت قعقعة الرجال ، وتيقظ كل ثأر قديم وكل خصومة قديمة ، فلم يمهل بعضهم بعضاً بالبراز وأنهم لا يملكون أنفسهم في مثل هذا اليوم ، وقد ود « أنس » قبل زحفه إلى الشهادة أن يكلم الرسول فيكتسب منه دعوة صالحة أو يراه فيذكر الرسول وجومه فيقول له :

— إيه يا أنس ! اليوم بدر !

ولكن الزحام شديد والقتام ساطع والعدو راصد ، والنبي قد وزع عقله هنا وقلبه هناك ، يهدي ويوصي ويرشد وقد ذهب أمامه أقرباؤه قروم الحرب وأبطال الشدائد ، فأقلع أنس عن رغبته وأدرك أنه لم يكتب له الحظ أن يمس جلده جلد رسول الله قبل آخر العهد (١) ، فانطلق زاحفاً إلى صفوف المشركين يضرب بيديه وبسيفه ورمحه وفرسه ، وكأن القادر أرادت أن تنتقم له انتقاماً حسناً فلم تظهر ثباته وصدقه في جمع ظفر ، لكن في جمع تفرق وانكسر ، ولم يثبت فيه إلا كل أروع صنديد ؛ فكرام من الصحابة يذودون عن النبي بأرواحهم وأجسادهم ! وكرام من الصحابة شدوا على العدو المحيط بهم وقد أبت لهم عقيدتهم أن ينهزموا ويستسلموا ! وهـذا أنس لا يزال يجول وما زادته جراحه الكثيرة إلا زيادة في الثبات . وهل أكرم من الثابتين عند الله ؟ وما زادته شراويله الحر إلا استقتالاً وطمعاً في ذلك الأجر الذي تلوّح له به بدر ، لكن يوم بدر كان يوم ظفر ، ويوم أحد أسود الجلباب ! خيّماً يطأ بجسد صحابياً جريحاً يئن ، وأيان توجه ير قتيلا تزفه الحور العين

— بدر يا أنس ! فهذا هو يوم الأجر الأكبر ، وهذا هو يوم الرضوان ، ما ينفع تأجيل الموت وفي الشهادة حياة ؟

وإنه ليحدث نفسه بهذا الحديث فيستقبله سعد بن معاذ فيقول له :

— « يا سعد ! الجنة ورب النضر ، انى لأجد ريحها من دون أحد ... »

فيتركه سعد ويود لو يصنع ما يصنع ، ولكن رجال الله رجال ، فيلتفت أنس إلى قومه فيقول :

— اللهم إني أعتذر اليك مما صنع هؤلاء !

ويلتفت إلى المشركين فيقول :

— وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء !

(١) مر الرسول في غزوة بدر بسواد بن غزية وهو خارج من الصف فضربه بالقضيب في بطنه وقال استقم يا سواد ! فقال أوجعتني يارسول الله ! فأقدني من نفسك . فكشف الرسول عن بطنه وقال استقد ، فاعتنقه سواد وقبل بطنه ، فقال الرسول ماحملك على ذلك ؟ فقال : قد حضر ما ترى يارسول الله فأردت أن يكون آخر العهد أن يمس جلدي جلدك

ثم يحمل مقتحماً صفاً من المشركين المفرجة سيوفهم ونصالهم بدماء أصحابه فلا يزال مقتحماً في حملته وقد أعجز المشركين رده وأحزن قومه فقده. وإن المعركة لتنتهي وقد بذل فيها الفريقان من فلذات الأكباد والأولاد لها طعاماً، وهيهات أن تشبع! فيقوم أبو سفيان يقول:

— أفي القوم محمد؟ فلا يجيبه أحد. أفي القوم ابن أبي قحافة؟ فلا يجيبه أحد. أفي القوم ابن الخطاب؟ فلا يجيبه أحد

فيقول:

— أما هؤلاء فقد قتلوا

فلا علك عمر نفسه فقال:

ـ كذبت والله يا عدو الله ـ إن الذين عددت لأحياء كلهم! إنهم لأحياء، وإن الحياة هي التي أنطقت عمر بالرغم من نهي الرسول، وهل يخنق للحياة صوت؟

إن هؤلاء أحياء، والذين استشهدوا منهم أحياء!

فيجيب أبو سفيان:

يوم بيوم بدر، والحرب سجال! إنكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني: أعل هبل، أعل هبل!

فيجيبه أصحاب الرسول:

— الله أعلى وأجل!

فيقول: إن لنا العزى ولا عزى لكم

فيجيبونه: الله مولانا ولا مولى لكم

***

تنتهي هذه المحاورة ويؤوب أبو سفيان إلى قومه وقد شفوا قلوبهم وغسلوا عار يوم بدر، وهب المسلمون إلى تلمس قتلاهم واستنقاذ جرحاهم وقد راعهم أن يمثل المشركون بالشهداء منهم وهم لو أرادوا تمثيلاً بهم لمثلوا. ولبث النبي في مكانه يعالج أصحابه نزيفاً منه كاد يودي به، وهو يرتقب جثة عمه حمزة وقد أشجاه ما أشجاه، فجاءت الجثة بغير كبد والوجه مبعوث علائمه. فناب الصمت عن البيان، وحجبت هذه الداهية غيرها من دواهي أحد؛ فجمع المسلمون جثث قتلاهم يدفنونها متراكمة في موضع المعركة وقد أساهم في مصابهم ما أصاب الرسول في عمه. فكان ينظر إلى الذين يغيبهم التراب إلى الأبد نظرة صامتة، وعينه لا تتمثل إلا مصرع حمزة

لم يعد أنس جريحاً ولم يبن قتيلاً في المعركة، وقد ذهبت أخته تتحرى عنه بين القتلى فيمن تحرى، حتى وقعت على قتيل خفيت تقاسيم وجهه، وذهب جلده قدداً، في بدنه بضع وثمانون من ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم. أهذا هو أنس صريعاً؟ لكن وجهه لا يفصح، وبدنه لا يبين عنه. لكن هذه بنانه قد أبقى عليها المشركون ولم يمسوها بسوء. مثلوا بجسده ما شاءوا أن يمثلوا بعد أن ملأهم ضربه غيظاً وقتاله حقداً، وذهلوا عن بنانه

— رحمك الله يا أنس! لقد بررت بعهدك الذي عاهدت، وأدركت الأجر الذي طلبت. أليس فضل الثابتين في أحد كفضل أصحاب بدر؟

قضى أنس ولم يذكر مصرعه القوم، لأن مصارع أذهلت عن مصارع. والرسول لم تندمل كلومه، ولم يبرح مصرع حمزة قلبه.

لم يقتل حمزة وحده ولم يقتل أنس وحده، بل قتل معهما «رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه [1]» وهؤلاء هم الذين قتلوا في سبيل ما عاهدوا الله عليه

***

خمدت وقعة أحد، وكان الرسول كلما مر بأحد استشعر خشية، والتفت إلى أصحابه كأنما يلتمس في هذا الجبل شيئاً قدسيا يهبط على نفسه. التفت يقول لهم:

— «إن أحداً يحبنا ونحبه!»

وكيف لا يحبونه وقد أطافت به أرواح الأعزاء وثوت فيه أجساد الشهداء وكيف لا يهتز الرسول لأحد وفيه قد أدوا ثمن العقيدة والصدق والاخلاص من دمائهم وقلوبهم

أما إن لكل أمة «أحداً» تذكره وتهتز بذكره لأنه رمز ضحاياها الغالية التي عملت لها. وهذه الأمة المشتتة تحت كل كوكب، المعتزة بإيمانها وعقيدتها تقيم في كل زاوية «أحداً جديداً» تقدم له كل يوم ضحايا عزيزة من دمائها وقلوبها! حتى غدت مواطنها: «كل موطن أحد» وشهداؤها: «كل شهيد أنس».

**خليل هنداوي**

(١) ذكر المفسرون أن هذه الآية الكريمة نزلت في «أنس بن النضر» وأصحابه

# نظرية النسبية الخصوصية

## المقال الثاني

### وحدة قوانين الطبيعة والبعد الرابع في النسبية

للدكتور إسماعيل احمد أدهم
عضو أكاديمية العلوم الروسية

عناصر البحث

(١) الحد الرابع للمادة في النسبية
(٢) ثبات النور ووحدة قوانين الطبيعة
(٣) النظام الغاليلي وقوانين التحويل اللورانتزية

تصور سطحاً في حيز منه نقطة مثل « ن » ؛ وأنك تريد تحديد مكانها ، فلا شك أنك ستقيس بعدها عن الحافة اليمنى للسطح أو اليسرى ، ثم بعدها عن حافة السطح الأمامي أو الخلفي ، وبواسطة خطين تحدد مركز النقطة على السطح . أما إذا كانت النقطة المرغوب تحديدها في حجم فلا بد من خطوط ثلاثة تنتهي عندها لتحدد مكانها بالضبط .

لنتصور مكعباً ضلعه ١٠ أمتار ، ولنفرض به نقطة مادية مثل (ن) في المكان « م » ، ولنشرع في تحديد مكان هذه النقطة المادية ، فلا بد من أن نقيس الخط العمودي الساقط على هذه النقطة من السطح السفلي للمكعب ، ولنفرض أنه كان مترين ، فهذا الخط بمفرده لا يصح أن يكون محدداً لمكان النقطة إذ في الامكان تحريك هذه النقطة حركة أفقية ويبقى الخط الممتد من السطح السفلي للمكعب حتى النقطة « ن » مترين بدون أن يلحقها أي تغيير ؛ فلا بد من حد ثان يخط ممتد من السطح الأيمن أو الأيسر إلى النقطة « ن » . فلنفرض أنه كان ستة أمتار ، فلنا أن نتساءل : هل في الامكان الاكتفاء بهذين الخطين لتحديد موضع النقطة ؟

إن من السهل تحريك النقطة المذكورة في خط مواز للسطح الأيمن أو الأيسر بحالة لا يختل معها طول الخطين ، فلابد من حد ثالث ، هو بعد النقطة عن السطح العامد للجدار الأيمن والأيسر ، ولنفرض أننا ألفيناه ثلاثة أمتار ؛ فعليه يمكن تحديد أية نقطة في حجم بثلاثة أبعاد تتعامد على بعضها في النقطة المرغوب تحديد مكانها ، وهذا النظام يعرف بنظام التعامدات الديكارتية[1]

إن الشاهد الذي يقوم بعملية القياس سيلجأ إلى قواعد فيثاغورس في الهندسة ليحدد أبعاد الخطوط الثلاثة المحددة من مكان النقطة . وقاعدة فيثاغورس التي ترجع اليها هذه المسألة نظريتان :

الأولى : أن مربع الوتر في المثلث القائم الزاوية يساوي مجموع مربع الساقين

الثانية : أن مربع الوتر في مكعب يساوي حاصل جمع مربع خطوط الطول والعرض والعمق

فتكون المسافة من الشاهد إلى النقطة « ن »

$$\sqrt{٢^{٢} + ٣^{٢} + ٦^{٢}}$$

— ٢ —

لنفرض أن النقطة المادية « ن » تحركت من وضعها الأول في (م) إلى وضع آخر ، وليكن (م١) بمعدل سرعة متر واحد في الدقيقة الواحدة ؛ ثم لنفرض أنها بلغت وضعها الجديد بعد دقيقتين من تحركها ، فالمسافة « م — م١ » يستغرق قطعها زمناً . وهذا بلا شك[2] يثبت أن الزمان يتداخل في المكان ويندمج به ليكونا البعد الرابع للمادة

هذه قضية البعد الرابع في النسبية الخصوصية في أبسط صورها ، ولكنها ليست كل شيء كما سنرى

— ٣ —

لا يمكن فصل الزمان عن المكان ولا المكان عن الزمان ، لأنك لا تتصور حادثة إلا وتتصور آوان حدوثها ، ولا تتمثل في ذهنك حركة إلا ويتطرق إلى وعيك الزمن الذي استغرقه الجسم في الحركة

إنه لا يمكن تصور شيء في الوجود لا يشغل مكاناً ولا يحدث في زمن . فالبعد الرابع في النسبية ليس إلا إدماج الحركة في المسافة ، إذ نعبر عن المسافة بحاصل ضرب معدل السرعة في وحدة زمانية بوحدة زمانية أخرى

(1) Edhem (O. K.) : Mathematik und Physik., P. 139.
(2) Weyl (Hermann) ; Raum, Zeit, Materie. Berlin 1921 P. 129.

هذه العملية نظرية لأننا لم نعمل حساب الزمن الذى تستغرقه شعاعة النور فى التحرك لقطع المسافة من مكان وقوع الحادثة إلى المشاهد ؛ ذلك لأن المسافات على سطح كرتنا الأرضية قصيرة ، ولا يحس فرق زمنى إذا ما انسابت فى فضائها موجات النور . أما فى المسافات السحيقة بين الأجرام فالأمر يحتاج إلى حساب الزمن الذى تستغرقه شعاعة النور فى الوصول إلينا ، لأن هذا الزمن يتضخم حتى يبلغ ملايين السنين فى المسافات السحيقة . فمن المعلوم أن شعاعة النور تستغرق نحو ٩ دقائق للوصول إلى أرضنا من الشمس ، كما أن شعاعة تصدر من السدم اللولبية تحتاج الى مليون عام لتصل الينا ، وقد تحتاج أحيانا الى مائة مليون عام ؛ فهذا النجم يبعد عنا بنحو ١٢٤,٢٦٤,٨٠١,٦٢٥,٠٠٠ ميل . فاحسب كم عاما تحتاج له شعاعة الضوء لقطعه مع أنه قريب إلى أرضنا بالنسبة للسدم والمجرات

لا شك أننا لا نجد الشمس إذا نظرنا إليها إلا كما كانت قبل دقائق ؛ فلو فرضنا أن الشمس انكسفت فجأة فانها تنير لنا نحو تسع دقائق بعد كسوفها تكون خلالها الشعاعة الأخيرة التى صدرت من الشمس قد وصلت إلينا . فكأن المسافة قد تحددت بالنسبة لنا واندمج الزمان فى المكان

— ٤ —

إن قانون ثبات سرعة النور الذى هو نتيجة لتجربة « ميكلسون — مورلى » يقضى بأن قوانين الطبيعة الشاملة للحادثات ثابتة . لأن هذه القوانين قائمة على انتشار النور بسرعة ثابتة فى كل الاتجاهات . وما دامت سرعة النور ثابتة والنور يحدد من حدوث الحوادث فقوانين هذه الحوادث ثابتة . هذا المبدأ الذى استخلصه ألبرت اينشتين فى تيه من المعادلات الرياضية الفائقة[1] طبقه العالم مينقوفسكى Minkouvski على حادثات الكون والظاهرات الضوئية والالكترو مغناطيسية . وقد كان هذا المبدأ فى صورة أخرى ذائعاً فى علم الطبيعة الكلاسيكى إذ كانت تفرض أن الحوادث تحدث فى العالم بالنسبة للأثير دون أن تتأثر بحالات الأكوان التى تحدث خلالها من حركة أو سكون . هذا المبدأ المطلق كان موضوعاً جوهرياً فى علم الطبيعة الكلاسيكى .

(1) Einstein (Albert) : Ueber die spezielle und die allgemein Relativitaetstheorie., Braunschweig., 1933. P. 93-97

غير أن هنرى بوانكاريه[1] العالم الرياضى الفرنسى الشهير عدل عن هذا المبدأ وقرر أنه من المحال الاستناد إلى التجارب التى تجرى داخل عالم متحرك فى استخراج حركته المطلقة استناداً على تجربة « ميكلسون — مورلى » كما سبق

لقد عمل ألبرت اينشتين على أن يلائم بين سنة ثبات النور فى سرعتها ومبدأ ثبات قوانين الحادثات ، فقرر أن الضوء يتصف بسرعة ثابتة فى انتشاره فى جميع الجهات أياً كان الكون الذى ينتشر خلاله . ولتوضيح هذا القانون نفرض عالماً متحركاً مثل « ع » وعالماً آخر مثل « ع١ » ، ولنفرض أن سرعة الضوء فى العالم الأول « ص » وفى الثانية « ص١ » ، ولنفرض أن السرعة « ص » أكبر من السرعة « ص١ » ، فستكون سرعة النور فى العالم الأول أكبر منها فى العالم الثانى . فتكون السرعة النسبية إذن غير ثابتة فى كل الاتجاهات ، إذ تتأثر بحركات العوالم المنسوبة إليها والتى تنتشر خلالها . ولما كانت تجربة « ميكلسون — مورلى » قد أثبتت أن السرعة « ص » هى عين السرعة « ص١ » فاستناداً إلى قانون لورانتز فى التقلص ونتيجته فى استحالة استخراج الحركة المطلقة وثبات سرعة الضوء نقرر ثبات قوانين الحادثات ووحدتها

وهنا قد يتبادر إلى ذهننا سؤال : هل فى إمكاننا أن نؤلف بين سنة ثبات سرعة الضوء ومبدأ النسبية ؟

مبدأ النسبية الكلاسيكية يقرر أن الحادثات الكونية التى تحدث فى كون متحرك لا تتبع حركة الكون الذى تحدث فيه ، فكأنها تحدث فى عالم ساكن غير متحرك . فهل فى الامكان التوفيق بين هذا المبدأ النيوتونى وسنة ثبات انتشار الضوء فى الفضاء ؟

إن الاجابة على هذا السؤال ترجع بنا إلى مسألة التواقت التى توحى إلينا أن الزمان ليس بفكرة إنية a priori كما تقرر علوم الطبيعة الكلاسيكية ، وأن مفهوم السرعة مشتق منه ، بل إن سرعة النور وثبات هذه السرعة يجب أن يعدا من المبادىء الأولية ومنها يشتق مفهوم الزمان . فكأننا براصد الحادثات مقيد بالآنات يقرر حسبما تتراءى له الحادثات ، والزمان بالنسبة للمكان وليس هو بالشىء الوهمى الذى تصوره لورانتز بل له حقيقة موضوعية طبيعية Odgective

اسماعيل أحمد أدهم

(1) Henri Poincaré : Science et l' hypotheses, paris 1913 P. 93 et Dernieres Pensees, paris 1909. P. 139 — 143.

# في ليلة العيد* ...

## للأستاذ علي الطنطاوي

يأيها الغافلون ... إن هذا العيد ليس لنا .
إن أعيادنا مخبوءة في ثنايا الماضي
الفخم ، ومطاوي المستقبل المنتظر .
« علي »

مشيت ليلة العيد في حاجٍ للعيال ، فتأخرت في السوق ، فركبت (الترام رقم ١) لأروح الى الدار ، فكان مجلسي فيه قبالة شيخ سام رازم ، عظيم اللحية ، كأن رأسه ولحيته ثغامة بيضاء ، زريّ الهيئة ، رثّ الثياب .... فأشرت إليه بالتحية وابتسمت له ، فلا والله ما طرف ولا تحرك ولا ألقى إليّ بالاً ، فجعلت أعجب منه ، وأحاول أن أذكر من هو ، وأين رأيت هذا الوجه ، فلا أدري أين لقيته ولا أعرف من هو . ولا أستطيع أن أميز هذه الصورة من بين الثلاث من الصور التي اختلطت في نفسي وانطمست وضلّت عن أصحابها ، ولكني كنت على مثل اليقين بأن لي بهذه الصورة عهداً ... فلما بلغنا الدرويشية رأيت الشيخ يتحسس عصاه وبصره عالق بي ، فأدركت أنه أعمى وانه ينظر بعين قائمة ، (١) وعلمت سرّ امتناعه عن ردّ السلام . فرثيت له واشفقت عليه ، فلما سقط على العصا اعتمد عليها ، فقام يتلمس الطريق ، فهاجني الفضول وأثارتني الشفقة فقمت أتبعه ، فاذا هو ينزل من الترام فيميل عن الجادّة ، ويتجنب هذه البنى الجديدة ويتغلغل في تيك الخرائب ، يضرب فيها على غير هدى ، وأنا أتبعه متنبا متألما ، أكره هذه الظلمة الداجية ، وهذه الخرائب الموحشة ، وأزمع العودة فلا تطيب نفسي بفراق هذا الشيخ وتركه يتخبط وحيداً في هذه المجاهل ، فتعوذت بالله « من شرّ غاسق إذا وقب » ودنوت منه فحيّيته وسألته :

ـ أتريد مساعدة يا عمّ ؟

ـ قال : جزاك الله خيراً يا بني ... فمن أنت ؟

ـ قلت : عابر سبيل رآك فأحبّ مساعدتك

قال : أحسن الله اليك ... قل لي : أين نحن ؟

ـ قلت : في خرائب الدرويشية

قال : أعرف ذلك ... هل وازينا القلعة ؟

ـ قلت : نعم

قال : هل ترى قوسين كبيرين قائمين وسط هذه الأطلال ؟

ـ قلت : نعم .. هذه دار آل ه ...

ـ قال : أتعرفها ؟ (وبكى)

قلت : نعم أعرفها . فمالك تبكي يا عمّ ؟

قال : تلك والله داري يا بني

فلما قالها صعقت وذكرت أين لقيت هذا الرجل ، وعرفت من هو . ولكن ما بال هذه الشيبة ، ما هذه العصا ، ما هذه الثياب ؟ ما الذي أناخ عليه فهدّ شبابه ؟ أيّ سهم من سهام الدهر أصمى بصره ؟ حرت وحزنت ولكني تجاهلت وقلت :

ـ دارك أنت يا عمّ ؟

ـ قال : إي والله يا بني ... ألم تسمع بها ؟ لقد كانت من أجمل دور دمشق . لقد كان من تحت هاتين القوسين قاعة من أفخم القاعات ، يؤمها السيّاح من أوربا وأمريكا ليروها ويعجبوا بما فيها . لقد كان فيها بركة مصنوعة من ألف وثلثمائة قطعة صغيرة من الأحجار الملوّنة ... لقد دفعوا لي في سقفها الخشبي ثمانية آلاف دينار ... ولكن ما فائدة الكلام ؟ لقد خسرت ما هو أعزّ عليّ منها : زوجتي وأولادي ...

(وانطلق يبكي بكاء موجعاً)

لقد كان ذلك ليلة العيد ، في مثل هذه الليلة ... وكنا قد ذقنا في رمضان الأمرّين من الخوف والرعب ، وكنا كأننا في ساحة حرب : بينا نحن جالسون آمنون ، إذا بالرصاص يصفر ، وإذا هي المعركة : يهجم عشرون من الثوار ، فيطردون جيشاً فيلجئونه الى القلعة ويضطرونه الى الاعتصام بجدُرها ، ويؤوبون وقد غنموا ما شاءوا من مجد ومال وعتاد ، فيخرج أولئك ، فيتبخترون بالساحة (بطلبون الحرب وحدهم والنزال) ، وتنطلق أفواه المدافع تلقي خطب البطولة على النساء والأطفال :

أسد عليّ وفي الحروب نعامة     فتخاء تنفر من صفير الصافر
هلاّ برزت الى غزالة في الوغى     بل كان قلبك في جناحي طائر

* * *

آه يا بني . لا تلمني إذا بكيت وأذهب البكاء بصري ، فقد سحقت المصيبة قلبي ... كان ذلك ليلة العيد ، وكانت الدار

(*) لا يظنن في وهم أحد من القراء انني أصف شخصاً بعينه ، أو أسرة بذاتها ، فلست أكتب تاريخاً ، ولكني أكتب قصة

(١) العين القائمة هي التي ذهب بصرها ، وبقيت حدقتها سالمة .

تضحك سروراً ، وترقص بهجة ؛ وكان الأطفال ينتظرون مدافع العيد ، ليفرحوا ويمرحوا ، ويأخذوا عيديّاتهم . . . فلما انطلقت هتف الأطفال ، وصاح النساء ، وابتسم الرجال ، ولـكن . . .

آه من لـكن . . . لقد هدّت ( لـكن ) كيانى ؛ لقد طمست بصرى ؛ لقد جعلتنى قبراً يمشى ، ولـكن هذا السرور لم يدم ؛ ولم تكن إلا لحظة حتى استحال الهُتاف بكاء ، والصياح ولولة ، والابتسام حيرة وجزعاً . لم تكن مدافع العيد ، بل كانت مدافع الموت نزلت على أجمل دار فى دمشق ، وأهنأ أسرة فيها ، فجعلت هذه الأسرة موزّعة بين الموت والشـقاء ، وهذه الدار مقسّمة بين النار والدماء ، ثم انجلت العاصفة ، فاذا هذه الدنيا الناعمة العريضة تلّ من التراب . . .

لقد حزنا وجزعنا ، ولم ندر ماذا نصنع ، فحملت الأم طفلها الرضيع ، وأمسكت بطفلها الآخر ، وكادت تنجو لولا أن عاطفة الأمومة قد عادت بها لتنقذ سائر أولادها ، فسدت النار سبيلها فابتغت سبيلاً غيره ، فاستقبلها اللهب ، فماتت هى وأولادها ، يلفهم كفن من لسان النار الأحمر . . .

أما أنا وولدى الشاب — رحمة الله على شبابه ... آه ! — أما نحن فما زلنا نجىء ونذهب ، نحاول أن ننقذ هـذا ونخلص هذه ، حتى حملنا الجميع وكدنا ننجو ، بل لقد نجوت أنا ، وتلفت لأراه فحال بيننا اللهب ، ورأيته يشير إلىّ بسـلام الوداع ثم يسقط صريعاً . . .

لم ينج إلا أنا وولدى الصغير ، وليته لم ينجُ ، ولكن ماذنبه هو ؟ إنه برىء ، إنه نشأ على الفضيلة والعفاف ، وربى على الاستقامة والشرف ، فـكان أكمل التلاميذ خلقاً وأجملهم خلقاً ، وأقومهم سيرة ، وأكثرهم اجتهاداً ؛ لم يعرف قط إلا طريق المدرسة ، حتى إذا وقعت الواقعة لم يع على نفسه إلا وهو يدور فى الأسواق ليلاً بإزار النوم ، فاستحيا وجزع وعاد إلى الدار . . . فلم يجد داراً ، وجد بقعـة من جهنم وقودها الناس والحجارة ، فارتد هائماً على وجهه ، وكان ذلك آخر عهدى به

لقد نسى من بعد هذه الفترة من حياته ، نسى أباه المفجوع وأمه الشهيد ، وأخاه القتيل ، وأهله الصرعى ، واستقر فى نفسه أنه مخلوق نبت من الأرض ، بين سوق على باشا ، والسوق العتيق ، وشارع النصر ، وميدان المرجة ، ثم قادوه بعد إلى معابد الرذيلة ، الى مذابح الأخلاق ، إلى هـذه المزابل القذرة ، إلى العباسية وأولمبيا وتاجادا فقتلوه . . . آه يا بنى إنهم لا يقتلون بالقنابل والرصاص والسـيوف والخناجر إلا قليلاً ، ولـكنهم يقتلون دائماً ، يقتلون الأمم بالحانات والقينات ( الأرتستات ) والأزياء والمدارس والقوانين . . .

وأدرك الشـيخ العجزُ فهوى إلى الأرض وهو يبكى ويشهق ، وأن نفسه لتكاد تخرج فى شهقة من شهقاته

* * *

كانت الأنوار تشع من العباسـية ، وأولمبيا ، وتاجادا ، والأمبير ، ورادبو ، وروكسى ، وهذه الملاعب الخشبية التى أقاموها على أطلال الدرويشية والسـنجقدار احتفالاً بالعيد ، وكانت أصوات الموسـيقى ، ورنات الضحك ، وصيحات الفرح تشق سكون هذا الليل . . .

وكان الشيخ يجود بنفسه على أنقاض دمشق لا يدرى به أحد

* * *

أما الشعب الثاكل فـكان يرقص على رفات الشهداء ، أما الشعب فقد كان يفرح بالعيد . . . . . . . .

على الطنطاوى

# أيها الشبان !

## لبول بورجيه

بمناسبة وفاته في ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٥ (١)

ترجمة الأستاذ عبد الحليم الجندي

اليكم هذا الكتاب يا شباب الوطن ، الذين تتراوح أعماركم بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين ، والذين تبحثون في مؤلفاتنا عن جواب عن المسائل الآخذة عليكم مذاهب التفكير ، أما الجواب فيعتمد قليلا على حياتكم المتوية ، حياة فرنسا ذاتها ، فلسوف تسيطرون في العشرين سنة المقبلة على مصاير هذه الأمة العجوز ...... أمنا جميعا

ماذا حصلتم من مؤلفاتنا ؟ هذا سؤال يخاف الكتاب النزيهون من تبعاته .

في كتاب « التلميذ »(٢) بحث لهذه التبعات ، وفيه دليل على أن الصديق الذي يطالعك وأنت تطالعه إنما عاؤه إيمان عميق بسلطان الأدب ، ودليل آخر على أنه يفكر فيك أيام درجت تتعلم الهجاء ، أيام كنا نحن كاسفي البال نوقع ألحان قريضنا الناشئ على رنين المدافع الفاغرة أفواهها على باريس ، أيام كان كبارنا في صفوف المركة ، وكنا نحن الصغار في صفوف الجامعة ، نزج ضمائرنا تحت عبء فادح هو إحياء فرنسا .

كنا نناجيك يا شباب اليوم بما ناجاك به باتفيل : « أقبلوا أيها الفيلق المبارك ، يا شباب الأيام التي لم تنفرط من عقد الزمان بعد ، أقبلوا كالفجر الطالع ، واملأوا آفاق الورى بالنور .... »

كنا نتمنى أن يشرق فجركم وضاء يغمر الورى إشراقا ، فلقد كان فجرنا يختنق ببخار الدم الذي يسمم الأفق ، وكنا نعرف أن علينا أن نعيد لكم فرنسا سيرتها الأولى ؛ ولئن كنا صغارا فلقد كنا نعلم أن أفضل ما علمنا أساتذتنا هو « أن الظفر أو الخذلان في الخارج إنما هما مظهر المنعة أو الانحلال الداخلي »

كنا نعلم أن نهضة ألمانيا في فاتحة القرن لم تكن إلا عملا من أعمال ( النفس ) ، وكنا نعلم أن النفس الفرنسية هي التي انكسرت في حرب السبعين ، وأن الأزمة الفرنسية إنما هي أزمة نفسية عبر عنها دعاس حينما قال : « ... حذار ... حذار ... إنها برهة يجلى ما أسرع أن تفوت ... تلك البرهة التي يمكن أن يكون فيها الفتى حساسا كله عواطف ، أو متشككا أو ساخرا أو مهذارا . أما الله وأما الطبيعة أما العمل والزواج والحب والبنون ، فأولئك أمامك دائما ... أولئك يجب أن يحيوا أو أن تموت ... »

بلى : هذا الجيل الذي أنا منه والذي زخرت نفسه بالآمال الجسام ، كم جاهد لمجد فرنسا ! . إن نفسي لتذوب حسرات كلما تذكرت أن رجال السلطة قد تخلوا عنا في غضون هذا الجهاد العاصف ، وأن الطبقة الوسطى هي التي غذت فرنسا في العشرين عاما الماضية بالقادة والساسة والفنانين العباقرة حتى ليتساءل المرء : « ما أقدر هذا الفلك الفرنسي السيار ! ما أكبر حيوية هذه الأمة الفرنسية ! إن خطاها لاتني حيث كانت تهلك أية أمة أخرى ! »

هذه الطبقة الوسطى التي شهدت بعض الزعماء يضحون بالعزيز عليها من العقائد باسم الحرية ، ودجاجلة سياسيين يلعبون على الاقتراع العام فيسمو التدجيل بكفاياتهم المتواضعة إلى أسمى الدرجات .. كم تحملت لتبعث فرنسا في العوالم من جديد .. ! ولئن خطر الجند الفرنسيون ذهابا وجيئة ، أو أضمرت الحكومات لنا الاحترام ، أو تقدم التعليم العالي ، أو كانت الآداب الفرنسية ما برحت تحمل لفرنسا لواء العبقرية والمجد ، فلهذه الطبقة الوسطى تلك اليد العليا ...

كيف تحيا بك فرنسا وتنهض ؟ هذه مسألة الساعة

إنك لا تتذكر صور أولئك الخيالة البروسيين وهم يتبخترون على أرض فرنسا ، يهزون أعطافهم كبرياء ، ويصمرون خدودهم صلفا ؛ أما نحن فكم غصصنا بهذه الرؤى .. وما كنا نحسب أن الصلح بجوها من الأحلام ، أو أنه سيسوى أسباب الخصام والسلام

إنني أعلم أنك على استعداد لتهب في سبيل الوطن روحك ، لكن ليس هذا الفخر ، ولا يكفي أن تعلم كيف تموت ، بل يجب أن تعلم كيف تحيا ...

هل لك مثل أعلى من أمثالنا العليا ؟ أفيك إيمان أقوى مما تنطوي عليه أضالعنا ؟ هل لك آمال دونها آمالنا ؟ ...

ان كان الجواب نعم ، فشكرا

(١) انظر البريد الأدبي في هذا العدد (٢) أحد كتب بول بورجيه

وان كان الجواب لا . . .

ان كان الجواب لا . . .

ان كان الجواب لا : فان من شباب هذا الجيل طرازين كلاهما نرى وكلاهما مشئوم

أما الأول فهو ذلك المرح المستهتر بالأشياء ، الذى همه وكبر مناه فى الدنيا أن يستمتع ، وعلى الأصح أن يصل وأن ينجح ، فاذا كان سياسيا أورجل أعمال أو أديبا أو محاميا أو فنانا أو ضابطا فانما « . . ذاته » هى الأمل المشتهى ، وهى المبدأ والمنتهى ؛ يندفع فى تطبيق قانون تنازع البقاء على اساليب عيشه وكفاحه اندفاعا بربريا ؛ هو لا يهوى من الحياة الا النجاح ، ولا من النجاح الا المال ؛ ولقد يقرأ ما أكتب كما يقرأ كل شىء ليكون فقط « . . مع الدنيا . . » ؛ ولقد يرميني بأنى أهزأ بالجمهور وما أنا الا صورة منه ؛ طراز إباحى فى كل شىء ؛ ليس المثل العالى لديه الا فكاهة ؛ فاذا مارس الدمقراطية مثلا فليتبوأ مقعده فى مجلس النواب . . . أو ليس ذلك الشيطان الرجيم ؟ . . هذا الذى لم يقطع من مراحل الحياة خمسا وعشرين مرحلة وليست نفسه الا « عدادا » لحساب اللذات

ثم أرأيت إلى ذلك الآخر الأخلق بالزراية والمقت ، هذا طراز قد اجتمعت له أرستقراطية الأعصاب والصلف ، أبيقوزى مهذب على نقيض الأول ؛ فذلك أبيقورى متوحش ، وهذا الأرستقراطى إباحىّ لبق ؛ طافت كل الأفكار برأسه ، فلا تحدثه عن التجديف أو عرف المادية ، فان للمادة عنده معنى غير ذى حدود . . . هو أنفذ بصيرة من أن يجهل أن كل دين دانت له الدنيا فى إبانه . . . هو لا يدين إلا « لذاته » . . ليس الخير ولا الشر ، ولا الجمال ولا القبح أموراً ذات بال تعنيه ، وإنما نفسه (أداة) متعلمة يلتذ بتجريدها وتعطيل مزاياها كأنها موضوع تجارب ، لا يفقه فى الحق ولا فى الباطل ولا فى الانسانية ولا فى البهيمية ، بل كما قال (بارس) تناهت به شهواته إلى عبادة ذاته أو لذاته . . . . .

لا تكونوا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء أيها الفتيان . . . .

لا إلى الواقعيين المفرطين فى عالم الحس ، ولا إلى المتفيهقين المستهترين فى عالم المعقول ؛ ولا يركبنكم شيطان الغرور فيذلنكم للكبرياء والشعوذة ، بل عليكم أن تجعلوا شعاركم : « إنما يحكم على الشجرة بما تؤتى من ثمار »

إن ثمة حقيقة لا مراء فيها لأنها بين الضلوع ، تبصرونها وتحسون بها : تلك هى النفس . وإن من الفكر التى تسيطر على أذهانكم لأفكاراً تضعف من قوى الارادة والمحبة ، فاعلموا أنها أفكار زيوف مهما طلاها السحر بالألوان . وزيدوا « المحبة والارادة » نماء فليس سواهما إلا عار دائم وعذاب مقيم

واعلموا أن العلم الصحيح اليوم يعرف أن حدود « العالم المجهول » تتاخم حدوده ـ وكما قال لتريه : هذا بحر غامض تلاطم شواطئنا لجانه ، تشهده نواظرنا والهة ، لا زورق يسبح بنا فيه ولا شراع . . . . فقولوا للأولى زعموا أن عنده الظلمات والهاوية : « إنكم لا تعرفونه »

وما دامت فى جنوبكم هذه النفس فتعهدوها .

إن فرنسا تريد من كل فرنسى أن يفكر فيها ! »

باريس فى ٥ يونيو سنة ١٨٨٩

---

قيمة الاشتراك فى كتاب :

# وحى القلم

فتحنا باب الاشتراك فى هذا الكتاب ولم نعلن عنه إلا فى « الرسالة » وحدها إذ الغرض منه إكرام قرائها ، وخصوصاً الطلبة منهم ، وعلى الأخص طلبة الأزهر ودار العلوم ، ليتمكن هؤلاء وهؤلاء من اقتناء الكتاب بثمن بخس

وقد سألنا جماعة من حضرات الطلبة مد الاشتراك إذ كان الأزهر معطلاً فى شهر رمضان وكانت المدارس معطلة بالاضطراب السياسى . فاجابة لطلبهم سيكون الاشتراك إلى منتصف هذا الشهر (يناير) بعشرين قرشاً غير أجرة البريد ، وهى ثلاثة لداخل القطر

ومن منتصف يناير إلى آخر الشهر يكون الاشتراك بثلاثين قرشاً . ثم لا يقبل اشتراك بعد ذلك البتة

والكتاب جزءان فى نحو ٨٠٠ صفحة ؛ ويرسل الاشتراك إلى طنطا باسمنا ؛ والمقيمون فى القاهرة يشتركون من إدارة (الرسالة) مصطفى صادق الرافعى

# قصـــة المكروب

## كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور احمد زكى

وكيل كلية العلوم

### كوخ KOCH رابع غزاة المكروب

### يكتشف مكروب الكوليرا فى مصر

— ٧ —

وفى الرابع والعشرين من مارس عام ١٨٨٢ اجتمعت الجمعية الفسلجية Physiological فى برلين فى حجرة صغيرة حقيرة بحجمها ، كبيرة عظيمة بمن اجتمعوا فيها من أعلام رجال العلم فى ألمانيا . فكان فى الحاضرين بول ارليس Paul Ehrlich وكان فيهم علامتنا الجهبذ الكبير الأستاذ الشهير روداف فرشو Rudolph Virchow ، الذى ذكرنا قدماً ما كان من استهانته لكوخ المأفون ودعواه الزعومة فى بشلات الأدواء . وكان فى الحاضرين كل مقاتل للأمراض له اسم يذكر فى ألمانيا

ولما اكتمل الجمع ، قام فيهم رجل صغير ، جعد الأسارير ، على عينيه نظارتان ، وفى يديه أوراق أخذ يقلبها فى خجلة ظاهرة وهى لا نفتأ ترتعد بين أنامله . وأخذ يتكلم فاضطرب صوته اضطراباً خفيفاً . هذا كوخ قام يخبر الجماعة فى تواضع رفيع كيف تأتى له أن يكشف عن مكروب هذا الداء الذى يحظى بنصيب الأسد من الأدواء فيفوز برجل من كل سبعة يموتون . وأخبرهم دون أن يجلجل بصوته ، رفعل مصاقع الخطباء ، أن أطباء العالم يستطيعون اليوم التعرف إلى بشيلة السل ودرس عاداتها وخصائصها . وأخذ كوخ فى الحديث عن هذه البشلة ، أصغر أعداء الانسان وأكبرها به فتكا ، فعرفهم بمكامنها ومراصدها ومظاهر ضعفها ومظاهر قوتها ، وأراهم طرائق لو أنهم سلكوها فلعلهم ماحون هذا المكروب القتال من على ظاهر البسيطة

وجلس كوخ ، وانتظر النقاش والحجاج والمعارضة التى لابد منها عندما يختم باحث عرض بحث ثورى كالذى نحن بصدده . ولكن لم يقف رجل على قدم ، ولم تنفرج بكلمة واحدة شفتان . وأخيرا اتجهت الأنظار إلى فرشو ، سلطان دولة العلم الألمانية ، ومهبط وحى الآلهة ، والرجل الرقاد الذى كان يعبس للنظرية الجديدة تهم بالظهور فى تفسير الأدواء فيقضى عليها قبل ولادتها

اتجهت الأنظار إلى هذا الداهية ، فانتصب قائماً ، ووضع قبعته على رأسه ، وغادر المكان — فلم يكن عنده ما يقول !

لو أن لوفن هوك كشف هذا الكشف الخطير فى قرنه السابع عشر ، أى قبل أيام كوخ بمائتى عام ، لا ستغرق انتشار خبر ذلك فى أوربا أشهرا عديدة طويلة ؛ أما فى عام ١٨٨٢ ، فلم ينفض اجتماع الجمعية الفسلجية حتى شاع خبر هذا الكشف فى الناس ، وحمله البرق فى نفس الليلة الى أقاصى اليابان شرقا ، الى أقاصى أمريكا غربا . وأصبح الصباح فكنت تراه فى جرائد الأمم كالقنبلة انفجرت على صفحاتها الاولى . وهاجت الدنيا وماجت لاكتشاف كوخ ، وجاءه الأطباء زرافات فى السفن وعلى القطر تسأله تعليمهم كيف يطبخ الفالوذج اللحم ، وكيف تضرب المحاقن مليئة بالجراثيم فى أجسام الخنازير وهى تختلج وتضطرب

كشف بستور ما اكتشف ، فأثار فرنسا من جرانه الى التشاحن والتطاحن . أما كوخ فكشف عن مكروبة السل الخطيرة فهز بها الدنيا هزا . وكلما اجتمع حوله المعجبون صرفهم بتلويحة من يده وهو يقول : « ليس لبكشفى كل هذا الخطر الذى تزعمون » . وتهرب منهم ، وتهرب من تلاميذه يتفرغ ما استطاع لأبحاثه الجديدة . وكان مثل لوفن هوك يكره التدريس ، ولكنه غصب عليه فكان يأتيه كاظما كرهه ، إلا غتمة وراء شفتيه ، فدرس ليابانيين يتكلمون الألمانية سقيا ، وكلامهم بها أيسر عليهم من فهمهم اياها . ودرس لبرتغاليين كانوا قوما يستحيل عليهم صيد المكروب ولو تعلموه على كوخ مائة عام . وخاصم بستور خصومة كبرى سنأتى عليها فى الباب القادم . وقام بين الفينة والفينة بتعليمه عونه القديم جفكى كيف يتصيد مكروب التيفود . واضطر اضطرارا الى حضور استقبالات .

وتقبّل الشارات ، فاذا فرغ من هذه عاد الى عونه الآخر لُفلار وكان من ذوى الشوارب الكبيرة الرائمة فأعانه فيما هو فيه ، وكان قد أخذ في سبيل اقتناص ذلك المكروب الذي يَقْطُر سمّاً في حلوق الاطفال الرضّع فيميتهم اختناقا ، واعني به مكروب الدفتريا

اكتشف كوخ طريقته لتكثير المكروب على سطوح الاطعمة الجامدة ، وهي طريقة مُغرقة في البساطة ، إلا أنها على بساطتها فتحت له ابوابا شتى إلى كشوف شتى . ووصفها جَفْسكي بعد ذلك بزمن فقال إنها كانت كالشجرة المباركة ، كثُر طرحها ، وثقلت به فروعها ، فما كان على كوخ إلا أن يهز بجذع فتساقط في حجره بكل جَنيّ من ثمرها

ولقد قرأت جميع ما كتب كوخ فلم أجد في شيء منها قرينة تدل على أنه عدّ نفسه يوماً كشافاً كبيراً ومبتكراً ذا بال . وهو لم يستشعر يوماً — كما استشعر بستور — أنه كان بحق قائداً عظيما في حربه التي أثارها على المكروب ، وقد كانت من أشد الحروب التي أثيرت عليه ، ومن أجل الوقائع التي دبّرها الإنسان لصدّ غارات الطبيعة ودفع قساواتها . كان هذا الرجل القصير القليل الملتحى لا يطلب الى الشهرة سبيلا ، ولا يمثل من أجلها في الناس تمثيلا . ولكنه مع هذا رفع على مسرح الكون ستارا عن درامة أخذت فصولها تتكشف عن معارك حامية أثارها اللاحقون من العلماء على رسل الموت مترسمين فيها خُطى هذا السبّاق الأول ، مخاطرين بأرواحهم الى حد النزق ، وبأرواح سواهم الى حد الاجرام ، كل هذا ليثبتوا أن المكروبات أسباب الأدواء

ولنضرب مثلا لهؤلاء رجلا يدعى الدكتور فيلَيسِن Fehleisen ، خرج من معمل كوخ ، فوجد مكروبا مستديراً كالكرة ، وقد تشبث بعضه ببعض فأصبح كحبات السُّبحة ، فأخذ هذا المكروب من جلد انتزعه تقويراً من مرضى بداء الحمرة [1] ، ثم ربّاه ، وبناء على نظرية حمقاء تقول إن اصابة من داء الحمرة قد تذهب بداء السّرطان ، أطلق صاحبنا البلايين من هذه المكروبات في مرضى مسروطين قلّ الرجاء فيهم ، وبعد أيام قلائل

الْتهبت جلود هذه الحيونات التجريبيّة من بنى الانسان بداء الحمرة وكاد يقضى عليهم قضاء مبرماً ، وفاز صاحبنا الأرعن ببرهانه: إن هذه الحبّات السُّبحية Streptococcus سبب داء الحمرة

ولنضرب مثلاً آخر تلميذاً من تلاميذ كوخ ، وبطلا من الأبطال الذين ذهب بأسمائهم الزمان ، وعفى عليها كرامُ النسيان ، ذلك الدكتور جاريه Garré بمدينة بازل Basel ، فهذا الرجل سمع بستور يدّعى أن نوعاً آخر خاصاً من المكروب هو سبب الدمامل التي تصيب الانسان ، فما كان منه إلا أن قام إلى أنابيب اختبار ملأى بهذا المكروب فدعك بها ذراعه ، فكان جزاءه خُراجٌ كبير وعشرون دُمّلاً ؛ وكان من الجائز أن يذهب ضحية جسارته ، ولكنه احتمل أوجاعه بسن ضاحكة ، ووصف ما أتى بأنها تجربة « غير لطيفة » ، وصاح اغتباطا بفوزه قال : أنا الآن أعلم أن هذه الحبوب العنقودية Staplylooccus هي سبب الدمامل والخراجات

وجاء عام ١٨٨٢ وقارب الختام ، وانتهى بانتهائه الخصام الشديد الذي قام بين بستور وكوخ ؛ وهو خصام على شدته لم يخل مما يضحك . أما بستور فانفض يتفرغ بكل حوله إلى غياث الشياه والأبقار الفرنسية مما أصابها . وأما كوخ فانفض يتشمم كالكلب في آثار مكروب جديد ، هو في ذاته سهل القتل سريع الفناء ، إلا أنه مع هذا شر المكروبات افتراساً للناس ؛ ذلك مكروب الكوليرا . ففي عام ١٨٨٣ جاءت الكوليرا من آسيا تطرق باب أوربا . فرّت من مخابئها في الهند وتسلّلت في خفاء عَبْر البحار ، وجازت الصحراء والرمال إلى مصر ، ثم انبثّت بعدواها المخيفة في الاسكندرية ، وبقيت أوربا تنظر اليها من وراء البحر الأبيض وَجِلة مرتاعة . خيّمت هذه الوافدة المُنكَرة على ميناء مصر الحيّة نخفّ نبض الحياة فيها ، وعمّ السكون شوارعها اكتئابا لفواجع النهار الحاضرة ، وارتقابا لفواجع الليل التي هي لا بد آتية ؛ ولم يكن يدرى الناس من أمر هذه الوافدة شيئاً ، إلا أنها وباء يسترق طريقه خُفية إلى جسم الرجل السليم في الصباح ، فاذا أتى العصر التوى تشنجاً وانطوى ألماً ، فاذا ختم الليل تباعد إلى الأبد ما بينه وبين الآلام

وتنافس كوخ وبستور في كشف مكروب هذه الوافدة التي طلعت نُذُرها حمراء في الأفق البعيد . وما التنافس بين كوخ

(١) ويسمى كذلك بالنار الفارسية وبالرشكين . وهو مرض وبائى ينتج من دخول المكروب المذكور في الجسم فيحدث فيه فوق الاختلال الباطنى اختلالا ظاهراً يبدو على الجلد في صورة انتفاخات مستديرة حمراء ؛ وهو داء شديد الوطأة لاسيا على الأطفال والعجائز والكبرين

وبستور إلا تنافس بين ألمانيا وفرنسا . فقام كوخ وصاحبه جَفْسكي عن برلين قاصدين إلى مصر ، وحملا معهما مكرسكوبات وحيوانات ؛ وكان بستور في شُغْل شاغل يبحث مكروب الكَلَب ، فأوفد عنه أميل رُو Emile Roux ، والصموتَ السَّكوت توِّيِيه Thuillier وكان أصغر بحّاث المكروب في أوربا . وعمل كوخ وصاحبه الليل والنهار ، فنسيا النوم والطعام ، وقاما في حجرات موحشة يقطّعون جثث الموتى من المصريين . وقاما في معمل شديد الحر شديد الرطوبة حتى كاد جوه يتقطر ماء ، كما تقطرت أنفاهما عرقاً على مكرسكوباتهما – قاما يحقنان قردة وكلابا وقططا ودجاجا وفئراناً بالمواد الوبيئة التي استخلصاها من جثث الاسكندريين الذين ماتوا من الوافدة قريباً . ولكن بينما الفريقان الألمانيُّ والفرنسي يستميتان في طلب هذا المكروب الجديد ، إذا بالوافدة تتزايل لغير ما سبب ظاهر ، كما كانت جاءت لغير علة معروفة . ولم يكن منهم من تمكن من معرفة شيء عن المكروب المنظور ، فنظروا إلى الموت المتراجع نظرة الآسف على فرصة أمكنت ثم أفلتت

وهمّ كوخ وجَفْسكي بالرجوع إلى برلين ، وبينما هما يتأهبان للرحيل جاءهم رسول ينتفض ارتعادا ، فقال لهم : إن الدكتور تويّيه الباحث الفرنسي مات ، ومات بالكوليرا

كره بستور كوخ كرهاً شديداً ، وأخلص له الكره بقدر ما يكره الفرنسي الضخم ؛ وكره كوخ بستور كرهاً شديداً ، وأخلص له الكره بقدر ما يكره الألماني الضخم . ومع كل فما علم الألمانيان بالخبر حتى خفّا إلى رُو Roux يقدمان عزاءها ويبذلان عونهما . وصحب كوخُ رفات تويّيه إلى مقره الأخير ، وقد حملوه في صندوق بسيط عار من الزخرف . ولدى قبره وضع كوخ على تابوته الأكاليل وقال « إنها غاية في البساطة ، إلا أنها من الغار . العرف يجرى بأن الغار هدية الأبطال » . مات هذا الشاب الجسور ، أماتته تلك المكروبات الضعيفة التي جاء يتقفاها اقتناصاً ، فاقتنصته في الطِّراد من حيث لا يدرى

وانتهت جنازة هذه الضحية الأولى ، فعاد كوخ إلى برلين ومعه صناديق بها عيّنات كان صبغها بصبغات قوية فتراءت فيها مكروبة على صورة الواو . فكتب تقريره إلى وزير الدولة ، وقال فيه : « لقد وجدت جرثومة واحدة في كل حالات الكوليرا التي بحثتها .... ولكني لم أثبت أنها سبب هذا الداء ، فابعث بي إلى الهند حيث توجد الكوليرا دائماً . . . فني الذي وجدته ما يكفي لتبرير إرسالي إليها »

وغادر كوخ برلين قاصدا كلكتا تصحبه ذكرى (تويّيه) وذكرى فاجعته التي كانت . وصحبه خمسون فأراً قام عليها وصياً راعياً . وزاد دوار البحر في عنته . فكثيراً ما تصورت ما خاله ركاب السفينة من أمره ، لعلهم ظنوه مبشراً حملة تحمسه على ما هو فيه ؛ أولعلهم حسبوه أستاذاً همه التنقيب عن تراث الهند القديم

ووجد كوخ تلك المكروبة الواوية في كل جثة من الجثث الأربعين التي فحصها . ووجدها كذلك في مَعَى المرضى عند أول إصابتهم بالكوليرا . ولم يجد أثراً لها في مئات الهنود الأصحاء الذين امتحنهم . ولم يجدها في أي حيوان سليم ، من الفأر الصغير إلى الفيل العظيم

وسرعان ما تعلّم كوخ تربية هذه البشلات الواوية نقية على فالوذج حساء لحم الأبقار ، وما استطاع القبض عليها في أنابيب اختباره حتى درس عادات هذه المخلوقات النباتية الصغيرة الشريرة فعرف أنها تموت سريعاً إذا هي جففت ولو تجفيفاً طفيفاً ، وعرف كيف تتسلل إلى الرجال الأصحاء من ثياب الموتى وأفرشتهم بعد أن تتلوّث بأقذارهم ؛ واستخرج هذه الواوات عينها من صهاريج الماء الآسن التي اجتمع الهندوس حولها في أكواخ حقيرة ، بل زرائب بائسة ، تخرج منها توجعات المرضى يستعدون على الموت وليس من يعدى ولا من يعين

وركب كوخ البحر عائداً إلى بلده ، فاستقبله الألمان استقبالهم قائداً عاد منتصراً ، واجتمع له العلماء الأطباء فقال فيهم : « إن الكوليرا لا تنشأ من ذات نفسها ، فلا بد للمكاور من ابتلاع بَشِلّتها الواوية ، وهذه البشلة لا يمكن أن تنشأ إلا من بشلة مثلها ، وهي لا تنشأ من شيء آخر غير هذه البشلة ، وهي لا تنشأ من العدم ، وهي لا تنمو وتتكاثر إلا في أمعاء الانسان ، وإلا في الماء إذا زاد قذره كماء الهند »

ألا حمداً لكوخ ولأبحاث كوخ وشجاعته ، فهي التي أمّنت أوروبا وأمريكا من غارات هذه الوافدة الشرقية ؛ ولم يبق لتلمين

العالم منها إلا تمدين الهند ونشر الأنظمة الصحية فيها

— ٨ —

ومن يد الامبراطور نفسه تسلم كوخ وسام التاج بنجمته ؛ ومع هذا ظلت قبعته الريفية مطمئنة على رأسه الأكيس ؛ وكلما أعجب به المعجبون وأثنى عليه المادحون قال : « أنا إنما أفرغت كل وسعي ، فان كنت نجحت فوق نجاح غيري ، فما هذا إلا لأني وقعت اتفاقاً من مجاهل العلوم الطبية على أصقاع بكر بها التبر كثير مركوم . فليس لي في الذي وجدت فضل كبير »

كان البحاث الذين اعتقدوا أن المكروبات أسباب الأدواء وأعداء الانسان رجالاً شجعاناً ، ولكن هذه الشجاعة لم تفت خصومهم من الأطباء الأقدمين وعلماء الصحة المحافظين الذين هزءوا بالأحاديث الجديدة عن المكروبات المزعومة وظنوها ضلالة وخرفاً ، ومن هؤلاء الخوارج الأستاذ الشيخ بيتنكوفر Pettenkofr ، أستاذ ميونيخ Munich ، وزعيم الشكاكين الذين لم تقنعهم تجارب كوخ على بساطتها ووضوحها . فلما عاد كوخ من الهند ومعه هذه المكروبات الواوية التي آمن بأنها أسباب الكوليرا ، كتب له بيتنكوفر ما معناه : « أرسل إلي شيئاً من جراثيم الكوليرا المزعومة ، وأنا أثبت لك أن لا ضرر فيها »

وبعث كوخ إليه بأنبوبة تمج بهذه الجراثيم القتالة ، فما كان من صاحبنا إلا أن رفعها إلى فمه وابتلعها ابتلاعاً . فارتاع كل صياد يؤمن بالمكروب ، فقد كان في هذه الأنبوبة بلايين من هذه الواوات تكفي لعدوى جيش ؛ ولكن الأستاذ تمطى بعد ما شربها استخفافاً وصاح يتحدى من خلل لحيته الكثة : « والآن فلنصبر وننتظر هل تجيئني الكوليرا كما تزعمون » ، وانتظروا ولكن الكوليرا لم تأت لهذا الأستاذ المجنون ، ولأي سبب تخلفت ؟ لم يعلم أحد عندئذ ولا يعلم أحد إلى الآن من سر هذا شيئاً

بلغ النزق الجسور بيتنكوفر أن قام بتجربة جاز أن يكون بها قضاؤه ، وبلغ كذلك به اليقين بعدها أن زعم أنها قضت له فيما بينه وبين خصومه . فصاح فيهم : « ليس للمكروب شأن في الكوليرا ، إنما الشأن لاستعداد الشخص المصاب » ، والاستعداد كلمة مبهمة لا مفهوم لمناها

فصاح كوخ يجيبه : « لا كوليرا إلا بالبشلات الواوية »

فرد عليه بيتنكوفر : « ولكني بلعت الملايين من بشلاتك القاتلة في زعمك ولم يصبني حتى وجع في بطني »

كان في هذا الحوار ، وا أسفاه ، ما يكون بكل حوار علمي شديد : كلا الطرفين مصيب بعض الاصابة ، وكلاهما مخطئ بعض الخطأ . فقد توالت الأربعون عاماً التي جاءت من بعد كوخ بحوادث كلها تؤيده في قوله إن الناس لا تأتيهم الكوليرا إلا إذا هم بلعوا بشلته الواوية ؛ وكل السنين التي توالت علمتنا أن تجربة بيتنكوفر ما هي إلا مثل غامض من كثير أبت حجب المجهول أن تكشف لنا عن تفسيره ، حتى في هذا العصر الحاضر الذي نحن فيه تعجز بحاث المكروب عن رفع طرف واحد من تلك الحجب الكثيفة ، فالمكروبات الفاتكة تملأ الكون ، وتتسلل إلى كل مكان ، وهي مع ذلك لا تقتل منا إلا بعضنا ؛ أما بعضنا الآخر فانه يقاوم مقاومة تحير عقولنا اليوم كما حيرت عقول الجيل الصاخب في العقد الخامس من القرن الماضي ، حين الرجال لا يبالون بالموت في سبيل اثبات ما يدعون أنه الحق ؛ فما كان بيتنكوفر هازلاً فيما صنع . وكيف يهزل من مشى الى الموت حتى صار منه على مدى شبر واحد . وقد بلغ غيره من البحاث على غير عمد مثل الذي بلع من مكروب الكوليرا وماتوا على أثر ذلك شر ميتة

وما قاربت أيام كوخ العظيمة تمامها حتى أخذ بستور وأعماله الكبرى تتراءى مرة أخرى ضخمة هائلة ، فتلفت الناس والدنيا وتزحزح بكوخ وبغيره من البحاث الى الوراء في رقعة الحوادث الخطيرة . فلندع الآن كوخ ، ولنتركه إلى مواطنيه الطماحين ينصبون له غير عامدين شركاً ، بل داهية عظمى ومأساة كبرى طمست قليلا من وهج هذا الأسم الكبير ، اسم الرجل الذي اقتنص من اعداء الانسان والحيوان مكروب الجمرة ومكروب الكوليرا ومكروب السل . وقبل أن أعود الى بستور فأكشف عن الصفحة الأخيرة الناصعة من سفر حياته الخالد ، دعوني أرفع قبعتي وأنحني احتراما لكوخ — هذا الرجل الذي أثبت يقينا أن المكروب ألد أعدائنا ؛ هذا الرجل الذي نظم بحث المكروب لجمل منه علماء ؛ هذا الربان الذي قاد السفائن في عصر من بطولة وأبطال عفى الآن عليه النسيان بعض العفاء

( انتهى كوخ )

أحمد زكي

**من روائع الشعر الاندلسي**

# رثاء الأندلس

## لشاعر أندلسي مجهول

..... قصيدة بليغة من الأدب الأندلسي الرائع تصف أحسن وصف المأساة الأندلسية لم نعثر على قائلها ، وقد طبعها لأول مرة على ما يظهر الأستاذ الدكتور صوالح محمد بالجزائر سنة ١٩١٤ مع ترجمة فرنسية وبعض تعليقات بالفرنسية ذكر فيها أن هذه القصيدة من جملة قصائد بعثت إلى السلطان بايزيد العثماني بقصد الاستغاثة ، وأشار إلى أن صحيفة الزهرة التونسية نشرت نتفاً منها منذ سنوات وطلبت من الأدباء أن يعلنوا عن صاحبها إذا عرفوه ، ولكن لم يجب الصحيفة أحد : فبقي صاحبها مجهولا ؛ وقد عرضتها على المؤرخ المغربي الكبير السيد محمد بن على الدكالي السلوي فذكر لي أن صاحبها كما يفهم من القصيدة من مدينة المرية ، ولعله أبو جعفر بن خاتمة ، وقد تكون مذكورة في كتاب له يسمى مزية المرية الموجود منه نسخة خطية بمكتبة الاسكوريال

ولقد احببت أن أرسل اليكم نصها لكي تنشروه في مجلتكم الحافلة إذا راقكم لعل بين المشتغلين بالأدب الأندلسي من له معرفة بقائلها فيعلنه

سلا — مراكش　　　　عبد الرحمن حجى

| | |
|---|---|
| أحقاً خبا من جو رندة نورها | وقد كسفت بعد الشموس بدورها |
| وقد أظلمت أرجاؤها وتزلزلت | منازهها ذات العلا وقصورها |
| أحقاً خليلي أن رندة أقفرت | وأزعج عنها أهلها وعشيرها |
| وهُدّت مبانيها وثلت عروشها | ودارت على قطب التفرق دورها |
| وكانت عقاباً لا يُنال مطارُها | ومعقل عن زاحم النسر صُورُها |
| هوت رندة الغراء ثم حصونها | وأنظارها شنماء (كذا) عن نظيرها |
| وقد كن عقدا زين القطر نظمها | فقد فتح الآن البلاد نثيرها |
| وفرق شمل المؤمنين لهيبها | وقطع من أرحامهم زمهريرها |
| تسلمها حزبُ الصليب وقادَها | وكانت شروداً لا يقاد نَفورُها |
| وقد ذهبت أديانها ونفوسها | وقد دثرت تحت السباء دثورها |
| فباد بها الاسلام حتى تقطعت | مناسبها واستأصل الحق زورها |
| وأصبحت الصلبان قد عبدت بها | تماثيلها دون الاله وصورها |
| لقرع النواقيس اعتلى بمنارها | كرائه أصوات يروع صريرها |
| فيا ساكني تلك الديار كريمة | سقى عهدكم مزن يصوب نميرها |
| أحقاً أخلائي القضاء أبادكم | ودارت عليكم بالصروف دهورها |
| فقتل وأسر لا يفادى وفرقة | لدى عرصات الحشر يأتي سفيرها |
| لعمر الهدى ما بالحشا لفراقكم | سوى حُرَق سُحم تلظى سعيرها |
| ولوعة ثكل ليس يذهب روعها | ولا تنقضي أشجانها وزفيرها |
| ونفس على هذا المصاب حزينة | يذوب كما ذاب الرصاص صبورها |
| وقلب صديع ماج فيه بلاؤه | سويداؤه سوداء جمٌ ثبورها |
| سأبكي وما يجدى على الفائت البكى | بعبرة حزن ليس يرقا عبورها |
| شآبيب دمع بالدماء مشوبة | يساجل قطر الغاديات درورها |
| عويلا يوافي الشرقين بريحه | وثكلا بأقمار قد أطفئ نورها |
| فواحسرتا كم من مساجد حولت | وكانت إلى البيت الحرام شطورها |
| ووا أسفا كم من صوامع أوحشت | وقد كان معتاد الأذان يزورها |
| فمحرابها يشكو لمنبرها الجوى | وآياتها تشكو الفراق وسورها |
| وكم من لسان كان فيها مرتل | وحفل بختم الذكر تمضي شهورها |
| وكم من فتى ثبت الجنان مهذب | يود المنايا وهو كان يديرها |
| يصول على الأبطال صولة ضيغم | فيرهبه شبل الشرى وهصورها |
| له في سبيل الله خير نقيبة | تزان لها عين الجنان وحورها |
| له في جناب الكفر أجدى نكاية | وشعواء غارات يثاب مغيرها |
| يُراع لها دين الصليب وحزبه | ويخزى بها غُنصالها وزُرَيرُها |
| وكم أنفس كانت لديه أسيرة | فأضحى لعمر الله وهو أسيرها |
| يحكم فيه الشرك وهو موحد | كما قد قضى جبارها ونذيرها |
| وكم طفلة حسناء فيها مصونة | إذا سفرت يسبي العقول سفورها |
| تميل كغصن البان مالت به الصبا | وقد زانها ديباجها وحريرها |
| فأضحت بأيدي الكافرين رهينة | وقد هتكت بالرغم منها ستورها |
| وقد لطمت وَاَحمرَّ قاني خدودها | وقد أسبلت وادمع عيني شعورها |
| وإن تستغث بالله والدين لا تغث | وإن تستجر ذا رحمة لا يجيرها |
| وقد حيل ما بين الشفيق وبينها | وأسلمها آباؤها وعشيرها |
| وكم من عجوز يحرم الماء ظمؤها | على الذل يطوى لبثها ومسيرها |
| وشيخ على الاسلام شابت شيوبه | يعزق من بعد الوقار قتيرها |
| وكم فيهم مُن مهجة ذات ضجة | تود لو انضمت عليها قبورها |
| لها روعة من وقعة البين دائم | أساها وعين لا يكف هديرها |
| وكم من صغير حيز من حجر أمه | فأكبادها حراء لفحٌ هجيرها |
| وكم من صغير بدل الدهر دينه | وهل يتبع الشيطان إلا صغيرها |
| وكم من شقيّ يسرت هذه له | سبيلاً إلى العسرى يحيف كفورها |

كروب وأحزان يلين لها الصفا ... عواقبها محذورة وشرورها
فيا فرحة القلب الذى عاش بعدها ... ويا لعمى عين رآها بصيرها
ويا غربة الاسلام بين خلالها ... ويا عثرة أنّى يقال عثورها
ويا ليت أمى لم تلدنى وليتنى ... بليت ولم يلفح فؤادى حرورها
وما الخير عيش يعذب الموت دونه ... ويغبط قل الأهل فيه كثيرها
فيا ليت شعرى بعد ما صبح موتها ... أيرجى على رغم العداة نشورها
ويا ملة الاسلام هل لك عودة ... لأرجائها يشفى الصدور صدورها
وهل تسمع الآذان صوت الأذان فى ... معالمها تعلو بذاك عقيرها
ويا لعزاء المؤمنين لفاقة ... على الرغم أغنى من لديها فقيرها
لأندلس ارتجت لها وتضعضعت ... وحق لديها محوها ودثورها
منازلها مصدورة وبطاحها ... مدائنها موتورة وثغورها
تهائمها مفجوعة ونجودها ... وأحجارها مصدوعة وصخورها
وقد لبست ثوب الحداد ومزقت ... ملابس حسن كان يزهو حبورها
فاحياؤها تبدى الأسى وجمادها ... يكاد لفرط الحزن يبدو ضميرها
فلو ان ذا الف من البين هالك ... لذابت رواسيها وغاضت بحورها
على فرقة الدين الذى جاءها به ... بشير الأنام المصطفى ونذيرها
فمالقة الحسناء ثكلى أسيفة ... قد استفرغت ذبحاً وقتلاً حجورها
وجزت نواصيها وشلت يمينها ... وبدل بالويل المبين سرورها
وقد كانت الغربية الجُنن التى ... تقيها فأضحى جنة الحرب سورها
وبلّش قطت رجلها بيمينها ... ومن سريان الداء بان قطورها
وضحّت على تلك الثنيات حجرها ... فأقفر مغناها وطاشت حجورها
وبالله إن جئت المنكب فاعتبر ... فقد خف ناديها وجف نضيرها
وسكّرها قد بدل اليوم علقما ... لها رجة نار الهيام تثيرها
وعرج على الاقليم فابك ربوعها ... بسحب يضاهى المعصرات خريرها
وودع بها وفد النعيم فانها ... لها أدمع فين الدموع غزيرها
ألا ولتقف ركب الأسى بمعالم ... قد ارتج باديها وضج حضورها
بدار العلى حيث الصفات كأنها ... من الخلد والمأوى غدت تستطيرها
محل قرار الملك غرناطة التى ... هى الحضرة العليا زهتها زهورها
فما فى المراقين المنيفين مثلها ... ولا فى بلاد الله طراً نظيرها
ترى الأسى أعلامها وهى خشع ... ومنبرها مستعبر وسريرها
ومأمومها ساهى الحجى وإمامها ... وزائرها فى مأتم ومزورها
لها حال نفس قد أصيب فؤادها ... وبتت لها اليمنى وحم تبورها
فأنفسها فى الصعق دون افاقة ... كنفس كليم الله إذ دك طورها

وقد ذعرت تلك البنيّات حولها ... فهن بواكى الأعين الرمد سورها
وقد رجفت وادى الأشى فبقاعها ... سكارى وما استاكت بخمر ثغورها
لقد اظلمت حتى لفرط حدادها ... سواء بها نجل العيون وعورها
وبسطة ذات البسط ما شمرت بما ... دهاها وأنى يستقيم شمورها
على عظم بلواها وطول وبالها ... وما كابدت من ذا المصاب نحورها
وما أنس لا أنس المرية إنها ... قتيلة أوجال أزيل عذارها
فلو أحرق الثكل المصابين أصبحت ... تأجج من حر الوجيف بحورها
فيا أصدقائى ودعوها كريمة ... أو استودعوها من اليه أمورها
منازل آبائى الكرام ومنشئى ... وأول أوطان غذانى خيرها
وأقروا عليها من سلامى تحية ... تجددها آصالها وبكورها
أمانانها ضاعت فضاعت رقابها ... لقد عميت عين تبدد نورها
أضعنا حقوق الرب حتى أضاعنا ... وقضت عرى الاسلام إلا يسيرها
وملتنا لم نعرف الدهر عرفها ... من النكر فانظر كيف كان نكيرها
بما قد كسبنا نالنا ما أنالنا ... كذا السيرة السوأى لدى من يسيرها
بشقوتنا الخذلان صاحب جمعنا ... ويؤنا بأحوال ذميم حضورها
بعصياننا استولى علينا عدونا ... وعاثت بنا أسد العدا ونمورها
نعم سلبوا أوطاننا ونفوسنا ... وأموالنا فينا أبيحت وفورها
علوها بلا مهر وما غمزت لهم ... قناة ولا غارت عليهم ذكورها
وقد عوت الافرنج من كل شاهق ... علينا فوفّت للصليب نذورها
وقد كثرت ذؤبانها وكلابها ... وقد كسرت عقبانها ونسورها
وجاءت إلى استئصال شأفة ديننا ... جيوش كموج البحر هبت دبورها
علامات أخذ مالنا قبل بها ... جنايات أخذ قد جناها مثيرها
فلا تمتحى إلا بمحو أصولها ... ولا تنجلى حتى تحط أصورها
معاشر أهل الدين هبوا لصعقة ... وصاعقة وارى الجسوم ظهورها
أصابت منار الدين فانهد ركنه ... وزعزع من أكنافه مستطيرها
أدارت على غربية الدهر أكؤساً ... فظاعا بسكر الدهر تقضى خمورها
ودبت أفاعيها إلى كل مؤمن ... وعض بأكباد التقاة عقورها
أنادى لها عجم الرجال وعربها ... نداء سراة القفر إذ ضل عيرها
وأستنفر الأدنى فالادنى فريضة ... على زمن الاسلام جلت أجورها
على كل محتاج لفضل دفاعها ... فليس يؤدى الفرض إلا نفيرها
ألا وارجعوا يا آل دين محمد ... إلى الله يغفر ما اجترحتم غفورها
أنيبوا وتوبوا واصبروا وتصدقوا ... وردوا ظلامات بيبد نقيرها
ومن كل ما يردى النفوس تطهروا ... فليس يزكى النفس إلا طهورها

لا واستمدوا للجهاد عزائماً ... يلوح على ليل الوغى مستنيرها
بأسد على جرد من الخيل سبق ... يدع الأعادى سبقها وزئيرها
بأنفس صدق موقنات بأنها ... إلى الله من تحت السيوف مصيرها
تروم إلى دار السلام عرائساً ... على الله فى ذاك النعيم مهورها
وضرب كأن الهام تحت ظلالها ... حثالة نور الورد ذر ذرورها
وطعن يرى الخطّى فى مهج العدا ... كأقلام ذات الخط خطت سطورها
يمين هدى إن تتقوا الله تنصروا ... وتحظوا بآمال يشوق غريرها
فلا يخذل الرب المهيمن أمة ... تدين بدين الحق وهو نصيرها
وان أنتم لم تفعلوا فترقبوا ... بوادر سخط ليس يرجى فتورها
وأيام ذل واهتضام وفرقة ... يطاول آناء الزمان قصيرها
وأهدوا لدين الشرك كل خريدة ... خبتها على طول الليالى خدورها
وكل نفيس من نفوس كريمة ... وأعلاق أموال خطير بخطيرها
وحق العظيم الشان لا عيش بعدها ... بلايا يمر الطيبات مرورها
فنرفع شكواها لعالم سرها ... فليس لها فى الخبر الاخبيرها
عدا كف الذل فى باب عزه ... بأفئدة خوف الفراق يطيرها
فان لم يقل رب العباد عثارنا ... فهذا العدو الضخم حتما يبيرها
اله الورى ندعوك ياخير مرتجى ... لكالحة هز الصليب سرورها
وشقت جيوب المؤمنين وأسخنت ... عيونهم والكفر ظل قريرها
وليس لها ياكاشف الكرب ملجأ ... إذا لم يكن منك التلافى ظهيرها
أغث دعوات المستغيثين انهم ... ببابك موقوفو الحشاشات بورها
وليس لهم إلا الرسول وسيلة ... شفيع الورى يوم التنادى بشيرها
امام الهدى بحر الندى قامع العدا ... وأول رسل الله فضلا أخيرها
محمد المختار من آل هاشم ... سراج السموات العلى ومنيرها
دعوناك أملناك جئناك خشعا ... بأنفس أستولى عليها قصورها
بجاه العظيم الجاه أدرك ذماءنا ... برحمى يحلى المؤمنين شذورها
وعفو وتأييد ونصر مؤزر ... وعزة سلطان يروق طريرها
ولطف وتسديد وجبر لما مضى ... يدال به من كل عاد كسيرها
وأرسل على هذا العدو رزية ... يروح ويغدو بالبوار مبيرها
يشتت شمل الكفر تشتيت نقمة ... وينظم شمل المؤمنين حصيرها
وصل على خير البرية أحمد ... وأكرم من قد أنجبته ظهورها
وأصحابه الشهب الهداة وآله ... صلاة مع الآناء تزكو عبيرها

تنبيه — قد وضعت لفظة ( كذا ) على بعض الكلمات فى القصيدة اشارة لعدم ملاءمة اللفظة للمعنى أو لاضطراب فى الوزن

# ٢ ـ سكان أعالى النيل

بقلم رشوان احمد صادق

كذلك تستعمل الماشية فى القرابين ، ليكون هناك اتصال بين النورى والآلهة وأرواح أجداده ، فمثلا فى أوقات الشدائد مثل المرض والموت والتشليخ (تشريط الوجه) والزواج يجب أن يحوز النورى رضاء الأرواح الطيبة ، وذلك بأن يُستحضر عجل أو كبش ، ثم يوضع على ظهره مسحوق من الرماد ، ثم يقول له صاحبه ما يريده من الأرواح ، ثم يطلق إلى حال سبيله لكى يخبر الأرواح عما يريده سيده

والنورى يرى دائماً أنه لا بد أن توجد علاقة بينه وبين الأرواح ، وذلك يكون بإهدائها بقرة ، وهذه البقرة تترك فى النزل ولا يحل له ذبحها أو استعمالها لأى غرض من الأغراض ما دام قد وهبها للأرواح . فاذا ماتت فان أحد أولادها يحل محلها كلقة اتصال بين النورى والأرواح . والقطيع من الماشية تتعهده مجموعة من الأفراد تجتمع لهذا الغرض ، إذ لا يمكن أن يتعهده فرد واحد . ومن ذلك يتبين الى أى حد بلغت علاقة النور بالماشية خصوصاً إذا ما علمنا أن أى فرد من هذه المجموعة لا يمكن أن ينفصل عنها ، لأن طعامه اليومى وزواجه ونجاته من شر الانتقام متوقف على بقائه داخلها . وهكذا يظل النورى طول يومه يرعى ماشيته ولا حديث له سواها ، ولذا قلما ينادى رجل من النور باسمه ، بل يعرف باسم أحد (عجوله أو ثيرانه) ، فمثلا بدل أن ينادى رجل باسمه ينادى بهذه العبارة : (أيها الثور أو العجل الأسود الأبيض ذو القرنين)

والنور ينقسمون إلى عدة قبائل كل منها مستقل سياسياً ، ولكل منها مقاطعة تتمتع بكل مواردها الاقتصادية ، وكل واحد منهم يعرف حدود مقاطعته ، وإذا حدث أن أحد أفراد قبيلة استغل موارد مقاطعة أخرى غير مقاطعته فان ذلك يعتبر اعتداء يثير الحرب على الأثر ، فاذا قامت الحرب فانها لا تقف إلا إذا تساوى عدد القتلى فى الطرفين

والأستاذ الدكتور ايفانز بريتشارد يشرح النظام الحربى كما يأتى :

تنقسم القبيلة إلى قسمين ا ، ب ، وكل قسم من هذين ينقسم إلى قسمين ، فـ ا تنقسم إلى حـ ، د ، ب تنقسم إلى هـ ، و . وهذه الأقسام الصغيرة تنقسم إلى أصغر منها وهكذا

فاذا نشبت الحرب بين ل ، ع لا يتدخل أحد ، وإذا نشبت بين ل ، م تدخل ع فى صف ل ، وإذا نشبت بين ل وأى فرع من فروع ع فان جميع الأجزاء التى تتفرع من حـ ، د تشترك مع ل فى الحرب

وإذا كان هناك حرب بين هذه القبيلة وقبيلة أخرى فان جميع فروع هذه القبيلة المكونة ا ، ب تنضم ضد القبيلة الأخرى

وعلى العموم فما دامت الحرب بين أجزاء القبيلة فان القبيلة تتحد ضد أى عدو خارجى

والنور عبارة عن عدة قبائل تربطها الحفلات العامة والظروف الحربية والدينية والقصص القديمة ، هذا علاوة على الروابط الجنسية كرابطة الدم مثلا . والعادة المتبعة أن الرجل لا بد أن يتزوج من قبيلة غير قبيلته

ومن أهم المظاهر الاجتماعية بين النور مسألة التشليخ (تشريط الجبهة) فكل ولد يبلغ من العمر أربع عشرة سنة لا بد أن تعمل له ستة شروط (أو خطوط) على جبهته من الأذن إلى الأذن الأخرى ، وبذلك يعتبر أنه أصبح رجلا ، فتتغير حياته الاجتماعية ، ويصبح عليه بعض الواجبات نحو المجتمع الذى يعيش فيه . ومن أمثلة هذا التغير أنه لا يقوم بتربية الماشية ، وعليه ألا يحلبها إذ يقال إن البقرة إذا حلبها شخص مشلخ فانها تموت ، وعملية التشليخ هذه أدت إلى ظهور الحلقات الاجتماعية المختلفة ، فمثلا كل الصبية الذين يشلخون فى سنة واحدة يكونون حلقة واحدة وعليهم واجبات نحو بعضهم وأخرى نحو الرجال المحترمين فى مجتمع النور . وهذه العملية تعمل كل أربع سنوات ؛ فمثلا إذا أقيمت عملية التشليخ سنة ١٩٣٠ فان عملية التشليخ الثانية تكون سنة ١٩٣٤ ، وبذلك يمكن تقسيم النور من الوجهة الاجتماعية إلى قسمين : (١) الرجال الشاخون (٢) الأولاد غير المشلخين . والنور ليس عندهم رجال شرطة أو حاكم أو نظم

حكومية ، وإنما يعتمدون على بعض الرجال الروحانيين أو رجال الدين ، وأهم هؤلاء (اللوبارد) ، ويقوم بحل الخصومات وارغام الخصم على قبول التعويضات ، ومع ذلك فسلطته غير عملية ، فليس لديه من وسائل العقاب إلا أن يلعن الشخص غير المطيع لأوامره . وهذا قلما يحدث لأن النويري يخاف سلطة هذا الرجل كذلك يوجد عدد كبير من الرؤساء المختلفين مثل رئيس الماشية ورئيس الأسماك وغيرها

الشلك

وهم المجموعة الثانية من الزنوج النيليين ويشبهون النوير في الأحوال الاجتماعية والاقتصادية ، ولكنهم يمتازون بنظام حكومتهم ، فهم يكونون وحدة متينة برآسة ملك مطلق التصرف من حيث السلطة الروحانية والزمنية

ولدراسة مركز هذا الملك من الوجهة الروحانية يحسن أن نرجع إلى القصة التي يذكرونها عن منشئهم ، فهم يذكرون أن (نيا كنج) أخذ أتباعه وسار من موطنه الأصلي شمالاً إلى منطقة شرق بحر الغزال ، واستمر في الفتح والغزو حتى كون أمة وأسرة مالكة . (ويعتبر هذا الرجل بطل الشلك وربما كان ذلك في أوائل القرن السابع عشر) وأنه لم يمت بل تلاشى في الرياح . وبذلك أصبح موضع احترامهم منذ اختفائه . ويعتقدون أن روحه تنتقل إلى كل ملك يحكمهم ، وهذا هو السبب في المركز الروحاني للك الشلك . ولذلك فهم يعتقدون بأن الملك مسئول عن سعادة شعبه ، ولا بد لكي يكون ذلك ممكناً أن تنتقل روح نيا كنج إلى ملك قوي صحيح الجسم ، ونتج عن ذلك الاعتقاد أن الملك إذا أظهر ضعفاً بأي شكل كان لا بد من أن يذبحوه لأنهم كانوا يظنون أن ضعف الملك الجسماني يضعف روح نيا كنج وبذلك تمرض الماشية ويقل نتاجها ويموت كثير من المرضى ويضعف نتاج الأرض وربما يخيب المحصول

وتدخل روح نيا كنج جسم الملك أثناء حفلة التتويج . وحسب تقاليد الشلك القديمة كان أي فرد من العائلة المالكة يتمكن من قتل الملك كان يحل محله ولذلك أصبح من المفروض أن الملك ينام نهاراً ويستيقظ ليلا كيما ينجو من الفتك به على انفراد . ومن المتبع أن الملك لا يطلب المعونة أثناء الاعتداء عليه كذلك القاتل . فكلا الاثنين يرى أنها مسألة كفاح ومن الشرف أن يفوز أحدهما على الآخر . هذه هي الطريقة القديمة لقتل الملك وتنصيب غيره وحديثاً تغيرت تلك العملية إلى حد ما فيقوم بقتل الملك جماعة يسمون (أورورو) وينتخبون من بعض العائلات التي يقال إنها من سلالة الملك الثالث للشلك . ومنذ قرون كانت تعلق جثة الملك على عمود كوخ حتى يفنى

وتعقب قتل الملك عادة فترة يكون العرش فيها خالياً لمدة أشهر وفي هذه المدة يحضرون تمثالا للبطل نيا كنج من مكان مقدس بجهة أكروا يحملونه إلى فاشودة حيث مقر الملك . ويحضرون معهم أيضاً مقعداً ذا أربعة أرجل يزعمون أنه من بقايا أمتعة نيا كنج ويجري عملية التتويج وأبدع ما فيها أن يوضع التمثال على الكرسي قليلاً ثم يرفع ويجلس الملك الجديد مكان التمثال تواً . والغرض من هذه المسألة هو نقل روح نيا كنج إلى جسم الملك الجديد . وملك الشلك يعتبر مسئولا عن حفلة نزول المطر إذ يطلب من الملك نيا كنج الذي يعيش في الفلك أن ينزل المطر . وهذه الحفلة تقام في فاشودة وفي نفس الوقت يقوم بهذه الحفلة ممثلوه في أجزاء مملكته المختلفة

الدنكا

ويشبهون كلا من النوير والشلك في كثير من الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية وهم المجموعة الثالثة من الزنوج النيليين . ويحاكون الشلك في مسألة الرئيس الذي يقوم بحفلة المطر فهو ملك مقدس أيضاً . غير أنهم يخالفون الشلك في مسألة قتل هذا الرئيس ، فهم لا يقتلونه بل يتركونه حتى يصبح هرماً ويطلب القتل ، إذ يرى أنه أصبح غير كفء لقيادة قومه وإرشادهم . وعملية القتل تنفذ كما يأتي : ينام هذا الرجل على لوح من الخشب على شكل (نقالة) ويوضع في قبر أعد له حيث يبقى نحو أربع وعشرين ساعة يتلو في خلالها ملخصاً لأعماله وينصح للجمع المحتشد حول القبر حتى إذا ما خارت قواه وأصبح غير قادر على متابعة الكلام طلب من أتباعه اغلاق القبر فيختنق ويموت . وهو يفضل هذا النوع من الموت على الموت الطبيعي لأنه يرى أنه إذا ترك حتى يموت موتاً طبيعياً فان ابنه لا يمكنه أن يخلفه وعند ذلك تصبح القبيلة في حاجة الى رئيس روحاني يقوم بعملية جلب المطر

(يتبع)

رشوان أحمد صادق

# الشك لا يهدى

## للشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى

— ١ —

رأيتُ الهدى فى الشكّ والشك لا يهدى
كأنىَ بالظلماء قد كنتُ أستهدى

فطوراً أقول الروح كالجسم هالك     وطوراً أقول الهُلكُ عنه على بعد
فيالَكَ من شك يبرّح بى ولا     يبارحنى حتى أُوسَّدَ فى لحدى
و إنىَ لا أدرى أرشدىَ كان فى     ضلالىَ هذا أمْ ضلالىَ فى رشدى
أأفقد جسمى وحده عند ميتتى     أم الروح مثل الجسم يشمله فقدى
أروحٌ وجسمٌ أم هو الجسم وحده     يحرّكني فيما يضلّل أو يهدى
أعذّب حوبائى بما أنا فاكرٌ     كأنىَ من أعداء حوبائىَ اللُدّ

— ٢ —

إذا كان روحى مثل جسمىَ يهلك     فانى لأبكى فى مصابى وأضحك
ولو خيرونى بين تركى لواحد     فانى لجسمى دون روحىَ أترك
يحرّك روحى الجسمَ وهو يحله     فمن ذا لهذا الروح فىّ يحرّك
وقبل وجودى أين كان مكانه     فهذا هو الشىء الذى لستُ أدرك

وقد يستطيع الروحُ حلاً لمشكلى
ولكن مجالُ الروح فى الجسم يضنك

وأطلب من عقلى الهدى فى ضلالتى
ومن أين يعطى العقلُ ماليس يملك

دع الموتَ يأتى فتكه بهما معاً     كما كان هذا الموت بالناس يفتك

— ٣ —

عهدتك يا روحى إلى الحق تجنح     فهل بجواب إن سألتك تسمح
تقول سأبقى بعد موتك خالداً     أأنت تريد الجدَّ أم أنت تمزح
فان كان جداً ما تقول فما الذى     ستصنع بعدى يومَ منى تبرح
تجيب وقد يُغرى جوابك قائلاً     سألحق أرواحَ الذين تطوحوا
وإن الفضاء الرحبَ ما زال طافحاً     بأرواح موتى فى السموات تسبح
فقلت له مر فى سبيلك راشداً     ولا تنس جسما ليس بعدك يصلح
فيا روح قبّلنى وصافح مُودّعاً     فانىَ لا أدرى متى لك ألمح

— ٤ —

نهارٌ لسيل النور فيه دفوق     وليلٌ كأن النجم فيه خروق
ألوفٌ من الأكوان تقصو كأنها     تريد اتساعاً بالفضاء يليق
وعند افتكارى فى الوجود كأننى     أخوض خِضماً والخِضمُ عميق
طريقى لإدراك الشؤون معبّدٌ     ومالى لإدراك الوجود طريق
فيا نفس سيرى فى الفضاء طليقةً     فلا شىء فيه للنفوس يعوق
لأنتِ شعاع طار من مستقرّه     وكلُّ شعاع بالبقاء خليق
تحيق المنايا بالجسوم كثيفة     وأما بأرواحٍ فليس تحيق

— ٥ —

يقولون إن النفس حقٌ وجودُها     فلا ينبغى إنكارها وجحودها
و بعد الردى تطوى السماء خفيفةً     و إن بعدت فى اللاتناهى حدودها
وما الجسم إلاّ دولة مستقلة     لها حكمُها فى أهلها وجنودها
وما أهلها إلا خلايا صغيرة     وما النفس ذات الحول إلا عميدها
وما هى إلاّ ومضةٌ من شعاعة     فان خلدت ما كان بدعاً خلودها
فقلتُ لهم هذا جميلٌ وعله     خيالاتُ عقلٍ شاردٍ لا أريدها
ولم يكن الانسان إلاّ ابن غابةٍ     على فُجاءةٍ قد أنجبته قرودها

— ٦ —

سيطفئ يأسى فى المشيب حياتى     واذهب من نور إلى ظلمات
ويحملنى صحبى إلى القبر إننى     به بعد حين لست غيرَ رفات
تقطَّعُ أوصالى وتبلىٰ جوانحى     وليس بوسعى أن أبثّ شكاتى
وأجملْ بأيام الصبا فهى لم تكن     على الفم من دهرى سوى بسمات
ولكن أيام الصبا قد تصرّمت     ولم تبقِ ذكراها سوى الحسرات
وفارقتُ أيامَ الشباب حميدةً     وإن كثرت فى عهده عثراتى
قضيت شبابى مُطمئناً وبعده     أتى الشيب منهوكاً من الشبهات

— ٧ —

من الموت مهما مضّ لستُ بخائف     ولكن وراء الموت ماذا مصادفى
خضعتُ لعقلى فى حياتىَ كلها     وما كنت يوماً خاضعاً لعواطفى
وكنت إلى لمس الحقائق نازعاً     أنزهُ سمعى من سماع السفاسف
تعذّبتُ عمراً من مخالفة الورى     فياليتنى قد كنت غيرَ مخالف

عجبت لجذعى كيف ظلّ مقاوماً
فقد كان معروضاً لضرب العواصف

لقد قذفتنى بالمسبات ثلة ولم أتجنب شرَّ تلك القذائف

وكم شنّ ذو جهل على العلم غارة وكم كان ذنّى صادقاً فى مواقفى

— ٨ —

تجمّع يرمينى خميس عرمرم أأنكص كالمغلوب أم أتقدم

ولكننى اخترتُ التقدّمَ إنه لمن كان يستبقى الحياةَ لأسلم

وللعلم أنصارٌ وللجهل مثلُها ولكن أنصار الجهالة أعظم

لقد حاربونى بالمتبّة والخنا وحاربتُهم بالعلم والعلمُ مخذم

إذا كان ليلى قد تجهّم وجهُه فان صباحى بعده يتبسّم

يقصّ عليك الشيخُ منهم خرافةً فتحسب أن الشيخ فى النوم يحلم

تصرّم عهدُ الجهل فى الغرب كله ولكنه فى الشرق لا يتصرّم

(بغداد) جميل صدقى الزهاوى

# الحق هو القوة

## للأستاذ ابراهيم ابراهيم على

ذهب السكوت فلا سكوت (شعبٌ ينام ولا يموت)

إن كنتَ من ذهب فانـك من نسيج العنكبوت

الصمت يطلب عن خناً لا عن صلاة أو قنوت

والصمت يحسن فى التفا خر بالخزائن والبيوت

والصمت يُحمد فى التكا ثر بالكراسى والدسوت

وعن الأكاذيب المشا عة فى جهار أو خفوت

والصمت أجمل فى المقا بر وهى واعظةٌ صموت

أما عن الحق المضا ع فليس يحتمل السكوت

لم تكتمون الحق عن أوقاته حتى تفوت ؟

لم تحبسون الحق فى أعماقكم كيما يموت ؟

* * *

الحق حر مطلقٌ مهما تعثّر فى القيودْ

الحق صوت صائحٌ فى صرخةٍ أو فى هجود

الحق ضوء نافذٌ مهما تكاثفت البرود

مهما تعددت السدود عليه فاخترق السدود

* * *

الحق ينطق (فتنةً) فى اللحظ حيناً والخدود

فى الشمس تشرق من أعا ليها على هذا الوجود

فى البدر . فى زهر الكوا كب . فى الرشاقة والقدود

فى البحر مضطرباً وفى أمواجه بعد الركود

فى الغصن كلل بالزهو ر وبالبنفسج والورود

فى الروض أيقظه الندى فى الصدر زانته النهود

* * *

الحق ينطق (قوةً) والحق أقوى ، لا مراء

فى البحر يضرب موجُه حتى ليرتعب الفضاء

فى الرعد . فى السيل المحطم . فى العواصف والبلاء

فى النار تفتك بالحديـ ـد ، كأنه النسج الهواء

فى ثورة البركان فى غضب الزلازل وهى ماء

فى سطوة الأيام تقـ ـهر بالمقادر والقضاء

فاذا الملوك أذلةٌ وإذا الممالك : لا وقاء

* * *

الحق ينصر نفسه إن خلقته الأنبياء

وهو المظفّر دائماً فى الأرض (حقاً) والسماء

إن تنصروه فقد نصر تم أنفساً لكمو هباء

أو تخذلوه فقد خذلـ ـتم هذه الروح الغباء

ولقد يصول الحق بالضّعفى فيردى الأقوياء

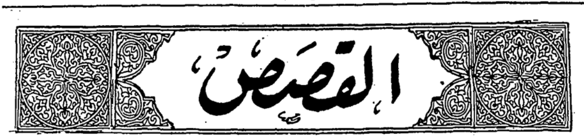
ولقد يثير الحق شاةً تملأ الدنيا مضاء

فاذا الذئاب وهم حيا رى هاربون ، ولا نجاء

* * *

الحق حقٌّ فانطقوا أو فاسكتوا فيها : سواء ! !

قليوب ابراهيم ابراهيم على



صور من هوميروس

# ١٩ - حروب طروادة

## بعد مصرع هكتور . . .

للأستاذ دريني خشبة

انتصر أخيل !

وغاد بجثة هكتور ليجد أمه ما تزال تسقى بتروكاوس خمراً ! وما تزال تدفع عن القتيل المسجى فوق سرير الموت أسراب الذباب ! وما تزال تذرف الدموع الغوالي !

ويهرول زعيم الميرميدون ، ويهرول معه جنوده حول جثة صديقه ثلاثاً ، ثم يقف فوق الرأس المتشح بجلال الفناء . ويقول :

« السلام عليك يا بتروكاوس فلقد ثأرت لك ! السلام عليك فأنت خير حياة من كثيرين ممن ينعمون بالحياة ، وإن تكن تسبح في لا نهاية هيدز !

هاك غريمك هكتور سأتركه جزر السباع وكواسر الطير ، وسأضحي لك باثنى عشر من خير شباب إليوم . . . . أذبحهم عند قدميك بيدي !

« إبكوا بتروكاوس يارفاق ! . . . . »

فيبكي الميرميدون على بطل أبطالهم ، ويعولون حتى تخفق السماء بأنّاتهم ، وتضطرب الأرض بزفراتهم ، ويمتلئ الهواء من حولهم أسى وشجونا ! .

ويقبل الهيلانيون من كل فج يهنئون ويعزون : يهنئون بقتل هكتور ، ويعزون ، وياحرّ ما عزوا ، في بتروكاوس !

ويمتلئ بهم شاطئ الهلسبنت [1] ؛ ويأمر أخيل رجاله فيؤتى بالشاء والظباء ، وبكل عجل جسد وخنزير سمين ؛ وتؤجج النيران ، ويسطع الشواء حتى ينضج ، وتكون وليمة يقبل عليها القوم أيما اقبال . . . إلا أخيل . . . المنعكف وحده يذرف الدموع على بتروكاوس . . .

وأمر أجاممنون بماء ساخن يغسل به أخيل ما عليه من نضح الدم وغبار المعركة ، ولكن أخيل يأبى إلا أن يظل النضح ويبقى الغبار حتى يتم تحريق بتروكاوس ، وحتى تنتهى المراسيم الدينية التي تقتضيها السماء . . . ويفرضها بلوتو على موتاه !

وتفرّق الهيلانيون بعد أ كل شهى ورى ، ونهض الميرميدون إلى خيامهم يخلمون عددهم ويستجمون من عناء اليوم الحافل ، ولبث أخيل وحده على الشاطئ الشاحب يرقب أواذيه الصاخبة ، ويرى إلى أعراف الموج تنتطح هنا وهناك ، وترتد وترتد حتى تغيب في لا نهاية الماء !

ثم غفا إغفاءة فتمدد على العشب ، وأسلم جفنيه لنوم عميق ورأى ظلا حزيناً يطيف به ولا يكاد يبين ، فتقذب ذات اليمين وذات الشمال مما تأخذه الرؤيا به ، ولكن الشبح ما يفتأ يهوّم ويهوم ، ويقترب ويقترب ، حتى يكون عند رأسه ، وحتى يقر النائم فما تبدو منه حركة ، ولكن فما يتردد فيه نفس ، ويحسر الزائر لثامه ، فاذا هو . . بتروكاوس !!

لقد أقبل روحه الكبير يتحدث إلى مولاه ، فيقول :

« أخيل ! أهكذا تنام ملء عينيك وتدع صديقك يهيم في مملكة الظلمات دون أن يؤذن له بعبور ستيكس الفائض بالجحيم ، ليقر في عدوته الأخرى مع المؤمنين ! إنني ياصديق سأبقى طريداً شريداً مادمت متوانياً عن تأدية الطقوس التي يتطلبها بلوتو وتفرضها السماء !

ماذا تبتغي بعد أن ثأرت لي يا أخيل ! ألا يشجيك أن أظل معذباً في هذا التيه الذي لا نهاية له ، كاسف البال مسبوه اللب ، لأنك تأبى أن تؤدي لي فرائض الآخرة !

أتحسب أنا ملتقيان في دنياك كرة ثانية يا أخيل ، فأنت تنتظر هذا اللقاء ؟ لا ، لا ، ياصديق ؛ نحن لا نلتقي إلا هنا ! في هذه الدار الجميلة الهادئة التي لا صخب فيها ولا ضجيج . .

[1] الدردنيل

سنلتقي هنا .... وسنلتقي سريعاً .... ولن أزعجك إذا أخبرتك بما علمته هنا ! ... إنك ملاق حتفك تحت أسوار طروادة ... لا تنزعج يا أخيل ، فأنت بطل ، والأبطال أمثالك لا يرهبون الموت ، والبطل الذي لا يجرع الكأس طافحة في حومة الوغى يموت موتة لا تشرفه .... فاطمئن ! إنما ذكرت لك ذلك لأن لي رجية عندك أتمنى لو أديتها لي ... ذلك أن توصي أن تدفن رفاتك في نفس الرمس الذي يضم رفاتي ، لنظل آخر الدهر متقاربين ، كما كنا أول الدهر متقاربين ، ولنقضي أحقاب الموت في مربع معاً ، كما قضينا شرخ الشباب في ملعب معاً ...

إيه يا ذكريات الماضي السعيد !

أبداً لن أنسى يوم حملني مولاي الأمين أمفيداماس من مجاد أوبوس إلى بلاط بليوس ، حيث نشأت وترعرعت في نفس الكنف الذي ترعرعت فيه يا أخيل ... وأبداً لن أنسى هذا الحنان الذي كانت تغمرني به ذيتيس ، أمك الرؤوم ، حتى اشتد ساعدانا ، وسار الركبان باسمينا في كل نا ...

هلم يا أخيل ... انهض يا زعيم الميرميدون ... واذكر ما قلته لك ... »

ويذرف أخيل عبرة غالية ، ويجيب بتروكلوس فيقول :

« بتروكلوس ! إلي يا أعز الناس علي ! سأفعل كل ما تريد ، ولكن ... اقترب ... اقترب قليلا ... لنسر من أحزاننا يا أخي ! هب لي أن أعانقك فأنا مشوق اليك ! »

وهب من نومة مذعوراً مادّاً ذراعيه لعناق بتروكلوس ثم ضمهما فجأة .... ولكن !

وا أسفاه ! ... لقد ضم أخيل اليه الهواء .... ! لأن الشبح العزيز قد ولى بعيداً عنه ... هناك ... هناك ... في ظلمات الشفيل ... في ديجور الدار الآخرة ... في مملكة بلوتو الجبار .... حيث الأرواح والأشباح .... وحيث العذاب والنعيم ...

وصرخ الزعيم المفئود صرخة زلزلت عماد المعسكر ، واجتمع لها القادة مشدوهين مروّعين ، وروّعهم أكثر هذا الحديث الطويل عن الرؤيا الشجية ، فأنفذ أجاممنون الملك عصبة قوية إلى غابات الصنوبر والشاهبلوط القريبة ، فجمعت أحمالاً ثقالاً من جذوع الأيك وحطام الدوح اليابس ، وأقيمت فكومت ماجمت كومة واحدة عالية ؛ ثم أمر أخيل جنوده فاصطفوا حول الكومة بمددهم وخيولهم وعرباتهم ، وأقبل فوج منهم يحمل جثمان بتروكلوس ، مواري في شعر كثير انتزعه الفرسان من رؤوسهم حزناً على قائدهم بالأمس ؛ وكان أخيل يتعثر خلف القتيل وقد حطمه الحزن ورأزته المصيبة في أعز أصدقائه ، وغشيه من الهم ما لو كان بعضه بوضح الضحى لأحاله ليلاً من الوجد مظلماً ... ونزع شعر رأسه هو الآخر فغطى به وجه صاحبه ، ومد ذراعيه المرتجفتين فرفع الجثمان الطاهر ، يعاونه نفر من الميرميدون ، ووضعوه فوق الكومة التي تسامت وسمقت حتى غدا ارتفاعها مائة قدم أو تزيد . وأمر أخيل فذبحت ألوف من العجول والخنازير والنعم ، ونزعت عنها شحومها جميعاً ، فوضعها بيده على الكومة من حول بتروكلوس ، ثم أشار إلى حملة الزقاق فطفقوا يصبون الزيت والعسل المصفى ليزيدا في ضرام الوقود

وارتفع ضجيج بعيد وضوضاء ، فتلفت القوم ، وإذا فريق من الميرميدون يسوقون الشبان الطرواديين الاثني عشر ، الذين أسرهم أخيل في ملحمة الأمس ، وقد كبلوا في الأصفاد ورهقتهم قترة مظلمة من الروع والحزن ؛ فلما شارفوا ، تقدم أخيل المغضب الحنق ، فاستل خنجره ، وشرع يمسح بأعناقهم ويبقر بطونهم ، ويروي سنانه من قلوبهم ..... والبشرية البائسة تتلفت يمنة ويسرة .... وتتعذب .... وتبكي ! !

وأمر الزعيم فصفت الضحايا الاثنتا عشرة من حول الكومة

أما هكتور ! فقد خدجه أخيل بنظرة ساحرة ، وأقسم ألا يحرق جثمانه فينفذ روحه إلى هيدز ، بل يتركه ثمة حتى تنوشه الطير ، وتأكله كلاب البرية ، وتلقي عظامه في اليم ، غير كريمة ولا مرجوة !

بيد أن منظراً عجيباً خلب ألباب القوم ، وأذهلهم عن أنفسهم .... ذلك أنهم رأوا إلى شبح جميل أبيض ، يصب دهن الورد فيجمل منه حنوطاً مباركا لجثمان هكتور ، ورأوا كذلك إلى ضبابة ذات أفياء وظلال باردة تقف من فوقه فتذود عنه أشعة الشمس المحرقة حتى لا يتن أو يتعفن ... !

ماذا ؟ ؟ ! آه ! إنها ڤينوس الوفية التي تصب دهن الورد فوق هكتور ، وإنه أبوللو المحزون الذي ينشر الضبابة من فوقه تحميه من الشمس وتذود عنه حرارتها !!

وصلى أخيل صلاة قصيرة ، ونذر لآلهة الريح ، إذا هي أقبلت تروّح على النيران حتى تذكو ، أن يذبح لها ويقرب لها القرابين ! وما كاد يفرغ من صلاته ، حتى تقلب البحر واضطرب ،

ومار اليم واصطخب ، وثارت العاصفة الهوجاء في بطن الدأماء وأقبل زفيروس وإخوته آلهة الريح فحاصروا الكومة ، وما هي إلا لمحات حتى كانت ضراما في ضرام ، ولظًى يتأجج في لظى

وسكنت اللهب ، وخفت أوار النار ، وتقدم أخيل وحملة الزقاق فصبوا على الجمر خمرا حتى خبا

وتقدم نفر فرفعوا رفات بتروكلوس وهم يبكون ، وأقدم أخيل فوضعها بيديه في إران من الذهب ، وأشار إلى بعض أصحابه فحفروا في الأرض حفرة كبيرة عميقة ، فأسرع هو فوضع الاران فيها ، بين أنين الجند ، وبكاء القادة ، وزلزلة الأرض والسماء ... !!

وهيل التراب على الميت ، وعمل الكل في ذلك حتى كانت كومة عالية من الردم ، ستظل آخر الدهر رمز البطولة الخالدة ، وتحية الدار الآخرة لهذه الدنيا المشحونة بالأشجان !!

***

وكان من دأب الهيلانيين إذا مات أحد أبطالهم أن يحرّقوه كما حرّقوا بتروكلوس ، ثم تتلو ذلك حفلة ألعاب يشترك فيها أبطالهم ، ويساهم فيها الجندي الصغير إلى جانب القائد العظيم ، وقد يفوز عليه فينال الجائزة من دونه ، وكانوا يعدون هذه الحفلة تتمة للجناز لا يكمل إلا بها ؛ فلما انتهوا من إقامة الشعائر الدينية للشهيد الكبير نهض أخيل فأعلن القوم ببدء حفلة الألعاب ، ثم دعا للمشاركة في سباق العربات الحربية ، وعدّد الجوائز فذكر أن للفائز الأول ثمانية من أبرع غانيات طروادة جمالا ، وأوفرهن حسناً ، وأنبغهن في القيام بشؤون المنزل ، ثم آنية عظيمة من الذهب الخالص ، غالية الثمن ، عالية القيمة ، لا تقدر بمال لما بذل في زخرفتها ونقشها من فن ، وما أضفي عليها من عبقرية . وأن للفائز الثاني مهرة صافنا تسبق الريح وتلحق البرق ؛ وللثالث كوباً من الفضة الناصعة ، عظيم القدر ، غالي الثمن . وللرابع بدرتين من الذهب الأبريز . وللخامس إبريقاً فضياً للخمر ، وكأسين للشراب ....

واشترك في هذا السباق لهاذم أبطال الأغريق ، وصناديدهم الصيد ؛ وكان أول من نزل إلى الحلبة يوميلوس الملك ابن أدميتوس العظيم ، وتلاه ديوميد الجحاجح ابن تيديوس ؛ ثم منالايوس سليل السماء ، وفرع الآلهة بن أتريوس الكبير ؛ وكان رابعهم أنتيلوخوس المشهور بن نسطور الحكيم ، الذي أخذ أعين القوم بقامته السامقة ، وعوده اللدن ، وقوامه الأهيف السمهري المشوق ، والذي تقدم اليه أبوه فقبّله في حر الجبين ، وزوده بنصائحه الغوالي ؛ وكان خامسهم مريونيس الهائل ، صاحب الذكر البعيد والشأو الرفيع في كل مثار نقع وفي كل ميدان

وكان على الفارس العظيم فونيكس أن يلاحظ السباق ، فكان في مركزه هذا حكما عدلاً وقاضياً ماهراً ....

وأعطى أخيل الأشارة ... فانطلقت الجياد تزلزل الأرض ، وتثير عجاجة قاتمة من ثرى الميدان ، وتضرب الصخر بحوافرها فينقدح الشرر ، ويعيد جانب الجبل ، وتتصل أبصار القوم بالريح الذي يتعثر في أدبار الخيل ، ويتحسس كل منهم قلبه ، متمنياً قصب السبق لصاحبه الذي هو من شيعته ... ثم ... تتدخل الآلهة في هذا اللهو البريء فتغير دفة المقادير ، وتتحمس مينرفا للبطل العظيم ديوميد ، حينما ينتزع أبوللو السوط من يده ويلقي به إلى الأرض ، فتعيده إليه ؛ وتلحظ أن أبوللو يصنع هذا ليظفر يوميلوس ويفوز بالسبق ، فتذهب من فورها إلى ابن أدميتوس وتنزع إحدى عجلتي عربته ، فيهوي البطل ويوشك رأسه أن يتحطم على الجلاميد المتراكمة على جانبي الطريق ...

وتعدو الخيل ...

وتخفق قلوب القوم ... ثم ينظرون فيرون إلى ديوميد قد أنهى الشوط ، ونزل من عربته فصافح فونيكس ، واستحق بذلك الجائزة الأولى

وتلاه أنتيلوخوس ، ثم منالايوس الملك ، ثم مريونيس ، وكان أبطأهم

وسكن القوم قليلاً ، وإذا هم يبصرون يوميلوس المقدام يسوق جياده ، وخلفها عربته التي حطمتها مينرفا ، فيثير مرآه قهقهة عالية وصخباً ؛ لا يقطعهما إلا أخيل بصيحة داوية تعيد إلى الملأ وقارهم ، ويقضي ليوميلوس بالجائزة الرابعة لأنه لولا الحظ العاثر كان صاحب الجائزة الأولى !! »

واشرأبت الأعناق حين أعلن أخيل عن دورة الملاكمة

وشارك فيها من الأبطال إبيوس بن بنوبيوس ؛ فتى مفتول السواعد مكتنز العضل ، رحب الصدر ، له قبضتان كأنهما حراشف جذور بارزة من جذع شجرة ، ألقت بها الريح في يوم عاصف ، ونهض إلى جانبه شاب قوي بادي البأس ، لم يلبث القوم أن عرفوا فيه يوريالوس بن مسيتوس ، الذي طالما شارك في أولمبيات الملك أوديبوس وكان أبداً فتاها وفارس حلبتها

وأعطيت الأشارة فانقض الأسد على الأسد ، وارتطم الجبل

بالجبل ، ولبث البطلان يكيل أحدهما للآخر لكمات كانت تقشعر لها أبدان الآلهة ، وتنتفض من هولها أفئدة الرجال ، ثم لاحت فرصة للبطل إبيوس كال فيها لخصمه لكمة في ذقنه (١) ألقته فوق أديم الأرض بين هتاف الجند وضجيج القادة ، وبذا استحق إبيوس الجائزة الأولى ، وهي بغل أشهب مسرج ، في شدقيه لجام من الحديد ، يتصل به عنان من الفضة . أما يوريالوس فقد أفاق من اللكمة القاسية لينال كأسين جميلتين أعدتا للفائز الثاني ... !

وأرهفت الأسماع حين نهض أخيل يعلن عن دورة المصارعة التي لم يجرؤ أحد أن يتقدم إليها حتى أوشك زعيم الميرميدون أن يلغيها لو لم ينهض أوليسيز ويتبعه أجاكس متثاقلين ! !

وأهطعت الرقاب ذاهلة نحو الزعيمين المولتين ، وشخصت الأبصار ترى إلى الجبل يأخذ بتلاليب الجبل ، والبحر ذي العباب يصاول البحر ذا العباب ، والشهاب الراصد ينقض على الشهاب الراصد ! لا هذا ينال فرصة من ذاك ، ولا ذاك يرى ثغرة ينفذ منها إلى هذا ، والقلوب أثناء ذلك تخفق وتخفق ، والقشعريرة الباردة تشيع في أصلاب هؤلاء وهؤلاء ، كل يتمنى أن يفوز زجله . . . . . . حتى ثارت عجاجة حول البطلين انجلت عنهما صريعين فوق الأرض ، لم ينل أحدهما من الآخر ! ! فكان القضاء العادل من السماء !

وحاولا أن يعودا إلى صراعهما الأول ، فحال بينهما أخيل . . . لأن الدورة كانت لا تنتهي إذن . . . فكان بحسبهما أن ينالا جائزتين متساويتين ! !

وبدأ سباق العدائين ، واشترك فيه أوليسيز وأجاكس أيضاً ، ثم أنتيلوخوس الذي استطاع أن يفوز بالجائزة الأولى ، لما كان يبدو على منافسيه من نصب ، من جراء صراعهما السابق .

وتبع ذلك سباق المبارزة ، وشارك فيه أجاكس أيضاً ثم ديوميد المظيم ، الذي استطاع بعد لأي أن يجرح خصمه في عنقه ، فينبثق الدم من الجرح ، فينال الحزام اللفي بذلك !

ثم كان حمل الأثقال وهو سباق محبوب من الاغريق كثيراً ، وقد شارك فيه بوليبوتيس وإبيوس وليونتيوس . . . ثم . . . أجاكس . . . ! وفاز أولهم بالجائزة الأولى . . .

وتلا ذلك سباق الرماية ، واشترك فيه البطلان تيوسير ومريونيس ، وفاز الأخير بأسنى الجائزتين للبراعة الفائقة التي أبداها في إصابة الغرض ( وكان حمامة تنطلق وتنطلق . . . حتى تكون خلف السحب . . . ! ! )

وكان السباق . . . وهو سباق إصابة الغرض بقذف الرمح ، وقد تقدم إليه قائد الحملة العظيم . . . أجاممنون الملك . . . ثم . . . مريونيس الشجاع وأحد أتباع الملك إيدومنيوس . . . . . وقد هال أخيل أن ينافس أحد قائد الحملة ، فتقدم إليه معترفاً بتفوقه على الجميع في كل شيء ، وقدم له الجائزة الأولى . . . ثم قدم الرمح لمريونيس . . . وكانت مجاملة طيبة من أخيل تقبلها الجميع بشور باسمة

( لها بقية ) دريني خشبة

(١) Upper — cut ???

# البريد الأدبي

## وفاة بول بورجيه

نعت الينا الأنباء الأخيرة قطباً من اقطاب الأدب الفرنسي وكاتباً من أعظم كتاب العصر ، هو بول بورجيه ؛ توفى فى الخامس والعشرين من ديسمبر فى الثالثة والثمانين من عمره ، بعد أن قضى حياة حافلة ، وبلغ الذروة فى عالم الشعر والأدب والنقد . كان بول بورجيه عميد الأدب الفرنسي المعاصر بعد أناتول فرانس ، وكان يتبوأ مكانه فى الطليعة منذ خمسين عاما ؛ ولم يعرف الأدب الفرنسي المعاصر ، كاتباً قصصياً — إذا استثنينا أناتول فرانس — فى قوة بورجيه وعمق تفكيره وتحليله ، أو فى بعد آفاقه ووفرة انتاجه . وكان مولد بورجيه فى سنة ١٨٥٢ بمدينة اميان من أب رومى وأم انجليزية ؛ فنشأ نشأة حسنة وتلقى دراسة عالية وثقافة متينة ؛ وبدأ ينظم الشعر منذ حداثته ، ثم اشتغل بالصحافة ؛ وفى سنة ١٨٨٤ أخرج أولى رواياته القوية l'irreparable فظهرت فيها براعة الكاتب والقاص ، وتجلت فيها مقدرته الفذة على تفهم العواطف البشرية وتحليلها ، وهى مقدرة ترجع إلى ذلك المزيج فى السلالة الذى كان له أكبر الأثر فى تكوين عقلية الكاتب . ثم كتب بورجيه روايتين أخريين هما : Cruelle Enigme, André Cornelius والأخيرة من أعظم رواياته وأقواها ، بيد أن بورجيه يبلغ ذروة القوة والطرافة فى قصته الشهيرة : « التلميذ » Le Disciple ، وهى فى رأى النقدة أعظم قصصه وأقواها ، وأكثرها تمثيلا لمواهبه وخلاله وفنه ؛ ولم يلبث بورجيه أن تبوأ مكانته بين أقطاب الكتاب فى هذا العصر : بين زولا ، وفرانس ، وكوبيه ، ودوذيه ، ورشبان ، وغيرهم ؛ ثم لم يلبث أن احتل مكانه بين الخالدين فى الأكاديمية الفرنسية ( سنة ١٨٩٤ )

ولبورجيه تراث حافل من كتب الشعر والقصص والنقد والسياحة نذكر منها :

Terre Promise, Un Difvorce, Le antôme, Mensonges Aramēs de Famille ومن القصص الصغيرة Un Crime D'amour و Le Coeur el la métier , Conflits intimes ؛ وله ديوان شعر كبير ، وقطع مسرحية عديدة ، ، وله كتب فى الوصف والنقد والسياحة

وبورجيه كاتب خصب متعدد النواحى والآفاق ؛ بيد أنه على العموم كاتب ارستقراطى يكتب للخاصة قبل كل شىء ، ويصور مجتمع الخاصة ، وما يتصل بحياته من بذخ وأناقة ، وما يتخللها من نواحى الجمال والرشاقة والفن ، وما يغشاها من عوامل الفساد والوهن ، وهو من هذه الناحية نقيض قرينه ومعاصره فرانسوا كوبيه كاتب البؤس والطبقات البائسة . وأعظم ما تبدو مقدرة بورجيه ومواهبه فى المواقف النفسية وفى تحليل القلب البشرى ونزعاته ، وفى تصوير مختلف العواطف الانسانية ، فهو عندئذ لا يجارى ، بل هو أستاذ هذه المدرسة الفذ ؛ وهى مدرسة نلمس فيها الأدب الرومى . ويكتب بورجيه بلغة قوية ، وقد تبدو أحياناً عسيرة الفهم ، ولكنه يحمل قارئه بقوته ، ويأخذ لبه بسحر عرضه ، وروعة بيانه وفنه ؛ ومع أنه يميل الى المفاجآت العنيفة فى قصصه ، فانه مع ذلك يجنح الى الحقيقة ويجانب الاغراق ؛ وأكثر ما يميل بورجيه الى التشاؤم ، وقلما يميل الى الجانب المرح من الحياة والصور ؛ ويطبع الجد أسلوبه وتفكيره دائماً ؛ بيد أنه يجنح أحياناً الى السخرية اللاذعة ؛ وهو فوق ذلك فيلسوف عميق الفكرة دقيق الملاحظة بعيد الغور والمغزى ، وناقد قوى الجدل والحجة ، وفنان من الطراز الأول يعشق الفن ورعاه ؛ وكان حتى آخر أيامه مدراً لتحف شائقة

ويتبوأ بورجيه كرسيه بين الخالدين فى الاكاديمية الفرنسية منذ اثنين وأربعين عاماً ؛ وكان الى ما قبيل وفاته يوالى الكتابة فى كثير من الصحف والمجلات الكبرى ، ويكتب منذ أعوام فى جريدة « الفيجارو » كلمات فى السياسة والاجتماع تلفت النظر بقوتها وطرافتها ، وبوفاته ينهار ركن عظيم فى صرح الأدب الفرنسي المعاصر

« ع »

## الأستاذ أحمد أمين يحاضر في بيت المقدس

نظمت جمعية الشبان المسيحيين في فلسطين سلسلة محاضرات في « المدنية العربية » ، واختارت لها جماعة من صفوة العلماء ، منهم الأستاذ أحمد أمين ، والأستاذ جيب ، والأستاذ مارهوف

وسيلقي الأستاذ أحمد أمين محاضرته في ( الاسلام كعامل في المدنية ) ببيت القدس في يوم الأربعاء ٢٢ يناير سنة ١٩٣٦

## حول الاحتفال بذكرى المتنبي

لامنا الأديب السيد فاضل سعيد عقل في شيء من الاسراف على أننا أغفلنا حفلة لبنان حين أشرنا إلى بعض تلك الحفلات في مقالنا عن المتنبي ، وعزا ذلك إلى أن المصريين يتعمدون أن يسخفوا حق لبنان ! ولو تذكر الأديب ساعة كان يكتب أن الحفلة الرائعة التي أقيمت في ( سان باولو ) انما أقامها لبنان ، وأن الحفلة العتيدة التي ستقام في دمشق انما تقيمها سورية ، وأن الاسكندرية أقامت حفلة كحفلة بيروت لم نشر اليها ؛ لو تذكر ذلك كله ساعة كان يكتب رسالته لما سمح له ضميره أن يصطنع هذه العصبية الاقليمية المفرقة في عصر يدعونا فيه الجهاد المشترك إلى أن نمحو كل الفروق العارضة أمام الجوار والقرابة والجنس

## جواب عن سؤال

سألنا ( قارئ ) من قراء الرسالة عن الحكمة في كتابة اسمها وتاريخ يومها ورقم عددها بالفرنسية ، وخشي أن يكون في الأمر تقليد أو حذلقة . والواقع أن ذلك احتياط بريدي اقتضاه انتشار ( الرسالة ) في البلاد الأجنبية ، وعمل اقتصادي استدعته علاقة مكتب الاعلان في المجلة بالشركات التجارية الأوربية ، وإذا لم تفعل الصحف الغربية ذلك فلأن لغاتها مقروءة في كل بلد

## مؤتمر الجراحة الدولي العاشر

في منتصف الساعة الثانية عشرة من يوم الثلاثاء الماضي افتتح مؤتمر الجراحة الدولي العاشر في قاعة المحاضرات بالجامعة المصرية بحضور سمو النائب عن جلالة الملك ووزراء الدولة وأساتذة الجامعة وأعيان الحكومة ورجال الصحافة وطلاب العلم ، فكان يوماً مشهوداً من أيام الانسانية الفكرة العاملة ، أزال الفروق بين الناس ، ومحا الحدود بين البلاد وجمع بين الأمم المتباعدة المختلفة على فكرة نبيلة هي تسخير الجهود العلمية المشتركة لتخفيف آلام الانسان

افتتحه صاحب السعادة وزير المعارف بخطاب عربي جاء فيه « إن الميلد المصري الذي توالت عليه آلاف السنين ليشعر بشرف وسرور حق ، إذ يرى في هذا الاجتماع ثقات الممثلين للجراحة العامة في العالم أجمع ، والأعضاء البرزين لأشهر المعاهد الطبية والعلمية ، يستعرضون في هذا الاجتماع الحافل كل ما أمكن تحقيقه في جميع أنحاء العالم من التقدم في فروع الجراحة ، ويتجهون نحو ترقية فن من أعز الفنون الانسانية في جو من السباق النبيل المثمر »

ثم ألقى بعده الدكتور علي ابراهيم باشا عميد كلية الطب خطابا بالانجليزية عرض فيه جهود مصر القديمة والحديثة في فنون الطب . ثم قفاه الدكتور فرهوجن رئيس اللجنة الدولية فخطب بالفرنسية شاكراً لنائب جلالة الملك ولجنة تنظيم المؤتمر هاتفاً بآثار مصر في عالم الجراحة

ثم قام من بعده الدكتور كرفان فأثنى وشكر ثم قال :

« لقد رحبت أغلبية أعضاء اللجنة الدولية بدعوة مصر منذ ثلاث سنوات ، فهل ذلك لأن مصر والاسكندرية خاصة ، كانتا منذ ألفين من السنين واسطة العقد في العالم الطبي ، أو لأن ورق البردي يعد أقدم الوثائق لشفاء المرضى ؟

قد يكون هذا ، ولكن ثمة أمراً آخر ، هو أن مصر ظلت منذ أكثر من ألفي سنة بلد الأسرار الذي تتجه إليه أذهان الانسانية ؛ ولأنها من ناحية أخرى وطن الفن الذي يجمع بين القوة والعظمة والدقة

ثم قال : إن تاريخ الانسانية يفتح هنا ، كأنه كتاب نستطيع تقليب صفحاته واحدة واحدة ، وهو إذ نقرأه ، يبعث فينا شعور التواضع ، وينزل عملنا المنزلة الصحيحة

ولقد وجدنا جامات برغم السحب التي تظلل سماء العالم بأسره ، ونحن على يقين أن عملنا — بفضل النظام الذي وضعه زملاؤنا في كلية الطب ، وعميدها خاصة — سيتم على أحسن صورة . »

ثم خطب بعده الدكتور ماير سكرتير الجمعية الجراحية الدولية خطبة بالفرنسية جاء فيها :

« وبهذه المناسبة أشيد بالجهود العلمية والمادية التي بذلت لجعل هذا المؤتمر يتمشى مع مبادئ جمعيتنا وهي العمل على اتساع العلوم الجراحيـة ، ولا أريد أن أتكلم عن الشخصيات . غير أني لا أستطيع أن أمنع نفسي عن التكلم عن الأعمال التي قام بها على ابراهيم باشا والدكتور نجيب مقار وغيرهما من الجراحين الأجانب . فقد أوضح كل منهم تجاربه الشخصية بصور مختلفة ، وكانت كلها بمثابة أبحاث في المسائل التي اختلفت فيها آراء الجراحين ، وأعتبر أن هـذه الأعمال إنما هي آثار خالدة خلود الأهرام »

وختم الاحتفال الدكتور شوماكر رئيس المؤتمر بخطبة ضافية في أغراض المؤتمر والتنويه بذكر مصر والجامعة

ولا يزال أساطين الجراحة وأساتذة الطب يوالون أبحاثهم العلمية فجعلوا من القاهرة كما قال أحدهم ميداناً للمناقشة في أحدث ما بلغه الطب من الآراء ، وأعوص ما عرفه العلم من مشكلات الجراحة . ومما تناقش فيـه الأعضاء ( جراحة عصب القطن السمبتاوي ) ، وجراحة ( القولون ) عدا السرطان ، والأحوال الجراحية للبلهارسيا ، وقد ألقى الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك تمهيداً لذلك محاضرة عن ( تاريخ حياة البلهارسيا ) عرض صورها على شريط سينمائي

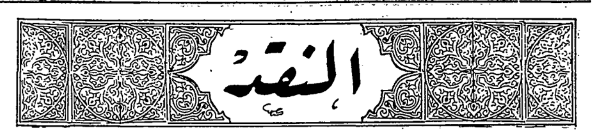
## جوائز أدبية مصرية

بارك الله في بنك مصر ، وفي قادة بنك مصر ، وفي مشروعات بنك مصر ؛ فانها أسطع درة في جبين هذا الوطن الذي يسمو دائماً إلى الطليعة . ولقد شاء بنك مصر بعد أن وضع الأسس الثابتة لنهضة مصر المالية ، ونهضتها الصناعية ، أن ينزل إلى ميدان الفن والأدب ، فأنشأ شركة مصرية للتمثيل والسينما ، ورأى أن يقرن الفن بالأدب ، وأن يغـذي الشرائط المصورة بموضوعات وقصص مصرية محضة ، فأذاع أنه يخصص لكتاب القصص المصريين جوائز تبلغ قيمتها ألف جنيـه منها أربعمائة لجائزة ممتازة ، واربعمائة لأربع جوائز من الدرجة الأولى ، ومائتان لخمس جوائز من الدرجة الثانية ، وأنه يترك لهم الحرية في اختيار نوع القصة . وتقول شركتنا المصرية في بيانها : « فهذا باب جديد يفتح أمام المجيدين من الكتاب لينالوا نصراً عزيزاً يرفع هاماتهم وهامة بلادهم » . وفي الحق أنه باب تجديد يفتح لكتابنا ، بل هو فتح جديد في ميدان الرعاية الأدبية التي ليس لها في بلادنا أثر ، والتي تخلت عنها جميع الهيئات الرسمية وغير الرسمية ، ونحن نقص في هذا الباب دائماً أنباء الجوائز الأدبيـة العديدة التي تخصص في جميع البلاد المتمدنة لتشجيع الحركة الأدبيـة ، وتشجيع الكتاب الناشئين بوجه خاص ؛ ولكنا لم نجد من قبل ما نذكره عن أية جائزة أدبية مصرية ذات شأن . فالآن يتقدم بنك مصر على يد شركته للتمثيل والسينما لسد هذا الفراغ ؛ وهو يتقدم بثقة وكرامة شأنه في كل مشروعاته ، فيقدم إلى كتابنا جوائز من الطراز الأول ؛ وإذا كان لنا ما نتمناه في هذا الميدان فهو أن يعمل البنك على التوسع في تشجيع الحركة الأدبية ورعايتها من طريق نشر المؤلفات العلمية والأدبية النافعة . وللبنك مطبعة كبيرة مجهزة بأحدث الأدوات والآلات الفنية ، ففي وسعه أن يجعل منها في نفس الوقت داراً كبرى للنشر واحياء الآداب العربية ؛ وهو بذلك يسدي إلى الحركة الأدبية وإلى الثقافة العربية خدمة جليلة

## تأبين فقيد التعليم المغفور له محمد أمين لطفي

قرر مجلس ادارة جمعية خريجي المعلمين العليا بجلسته المنعقدة بتاريخ أول يناير سنة ١٩٣٦ اقامة حفلة تأبين لفقيد التعليم المغفور له الأستاذ محمد أمين لطفي عضو الجمعية ، وقد تألفت لجنـة من أعضاء المجلس لتنظيم الحفلة . وسيعلن عن موعدها ومكانها قريباً

وترجو اللجنة كل من يريد المساهمة في التـأبين أن يتصل بها بنادي خريجي المعلمين العليا رقم ١ شارع فؤاد الأول بالقاهرة



رد على نقد

## كتاب تاريخ الاسلام السياسي

للدكتور حسن ابراهيم حسن

مؤلف الكتاب

الآن وقد انتهى ناقد هذا الكتاب من الكلام عما سماه مآخذ تاريخية ، فيحق لي — إنصافاً للحق وتمحيصاً للتاريخ — أن أرد عليه بإيجاز حتى يكون القراء على علم بالحقيقة . ولا يفوتني قبل أن أرد على بعض هذه المآخذ — أن أشير إلى فكرة جالت في خاطري : هي إهمال الرد ، اتكالاً على أن المطلع على الكتاب يتولى بنفسه تفنيد هذه المزاعم ، لولا أن كثيراً من زملائي ألحّ عليّ أن أرد بايجاز واضحاً لأضع الحق في نصابه

يقول حضرة الناقد : « إنه عمد إلى نشر ما تيسر له نشره من الاستدراك خدمة لمادة ناشئة في معاهدنا العلمية واستحثاثاً للمؤلف على تدارك أمره في مادة هو متخصص فيها ، وضناً بما لمصر من حسن السمعة العلمية في الأقطار الشرقية أن يتطرق إليه ضعف أو وهن »

وقبل أن أستدرك على هذا الاستدراك وأبين أن ما سماه الناقد مآخذ تاريخية وجغرافية ، قد بالغ في بعضها كل المبالغة ، وجانب الانصاف في غالبها ؛ ألفت نظر حضرته إلى أنه كان يستطيع أن يجتنب نقده بعض عبارات نابية يستغنى عنها الموضوع الذي هو بصدده . وما أدرى ما شأن تلك المآخذ بنحو هذه الألفاظ : « الألقاب الضخمة ، الآثار العلمية المؤلفة والمترجمة ، إن المؤلف شغل بنقل شرح التبريزي على القصيدة عن تفهمها وتبيين من قيلت فيه ، الأغلاط والتورط ، الخلط القبيح .. » ولعل الأستاذ المستدرك غاب عنه أن مآخذه التاريخية والجغرافية على فرض صحتها — وسيرى القارئ مبلغ صحتها — لا تقدح في كتاب أربى على ستمائة وخمسين من الصفحات ، ولا تدعو إلى كل هذا الأشفاق على حسن سمعة مصر في الأقطار الشرقية أن يتطرق إليه ضعف أو وهن ، وغاب عنه أيضاً أن إيراد مثل هذه الألفاظ الشديدة التي لا تتعلق بموضوعه ألبتة تعكس الغرض من النقد الذي اشترطوا له أن يقوم على ركن ركين من النزاهة الكافية والخبرة التامة ، حتى لا يجد فيه الحاطبون أو ذوو المآرب مجالاً لبث كيدهم أو شفاء حك حزازاتهم . وشتان بين تجريح عنيف وبين نقد سائغ يراد به الاصلاح ، قد أسس على الصدق والحق وتقدم به الناقد في هدوء وسلامة ذوق ، فما جرح من عاطفة ولامس من كرامة ، ولا كان رغبة في تشهير أو إلصاق عيب . ومن هنا قالوا إن النقد صعب مرتقاه . ذلك لأن الناقد حكم أو شبيه به ، ولا يتسنى له ذلك إلا بالقدرة على ضبط النفس وتجنب مواضع الزلل

ص ٣٤ — أخذ الناقد على الكتاب اطلاق كلمة «أقيال» على ملوك العرب وساداتهم ، مع أن هذا اللقب — على رأيه — خاص بملوك اليمن أو من دونهم من أمراء المخاليف اليمنية . والحق أن هذا التخصيص لا محل له . جاء في القاموس أنه يطلق على الملك ، أو هو دون الملك الأعلى

ص ٣٦ — أخذ الناقد على الكتاب في قوله : « وكان للعرب نظام ثابت للزواج ؛ فكان جمهورهم يقترن بالزوجة بعد رضاء أهلها ، كما كان كثير منهم يستشيرون البنات في أمر زواجهن . . . الخ » ، أنه لم يقصر هذه الحال على الحجاز بل عممها في شبه الجزيرة

وإذا لاحظ القارئ أن الحجاز هو قلب بلاد العرب ، تحج اليه من قديم الأزمان للعبادة والتجارة والمباراة في الشعر ، وأقامت فيه الأسواق لذلك ، ومنه تصدر التقاليد والعادات اجتماعية وخلقية ، وعلى قالبه يضع القاطنون في أنحاء الجزيرة




الضعيف .. لم يبق لى فى هذه الحياة مطمع بعد !

المكتئب .. ولا يسعنا الآن نحسد الآخرين على نضارتهم وفتوتهم !

متجدد الشباب .. ماذا تعنيان بذلك ؟ ان عمرى الآن ٥٧ سنة ومع ذلك فأنى أصبى من بعض الشبان

الضعيف .. ان حالتك حالة استثنائية لا يقاس عليها

متجدد الشباب .. هذا هراء ، فليس فى الأمر استثناء ولا شذوذ ، ويمكنكم جميعاً أن تصبحوا مثلى لو ساعدتم طبيعتكم بتعاطى . لوكوتيطس .

ان العلم الحديث يدلنا على ان فى الاستطاعة حث غدد الجهاز التناسلى على انتاج هرموناتها ، وذلك بتعاطى الهرمونات النقية المتعادلة التركيب كما فى مستحضر لوكوتيطس الذى قام بتحضيره معهد التناسليات الحكومى المشهور ببرلين بعد ابحاث عدة سنين . فأن فيه لهذا المستحضر الفنية وقوة مفعوله الممتازة حتى فى معالجة الحالات التى تخيب فيها الأدوية الأخرى قد أقرها العالم الطبى . مثل جامعة فينا وغيرها . ان مطالعة كتيبنا الفنى « الحياة الجديدة » تحيطك علماً بكثير من أسرار الحياة التناسلية التى تجهلها ، وتصويرسل نظيره ٥ قروش للنسخة الفرنسية أو الانجليزية . مزينة برسوم ذات صحة ألوان ، و ٣ قروش للنسخة العربية .

أرسل المبلغ طوابع بريد الى : جلاندوميل ، صندوق بوستة رقم ٢١٠٥ مصر

ارفضوا كل علبة غير مكتوب عليها باللغة العربية : معبئة خاصة للشرق . جرعة قوية

مجانا اقطع هذا الكبون وارسله إلى صندوق بوستة ٢١٠٥ بمصر مرفقاً بطابع بريد من فئة الخمسة مليمات فترسل لك نسخة مجاناً من كتاب الحياة الجديدة X مجانا

---

فى يوم الاثنين ١٣ يناير سنة ١٩٣٦ من الساعه ٨ صباحا بناحية الحجر سيباع علنا منقولات ومحصولات مبينة بمحضر الحجز ١١ نوفبر سنة ١٩٣٥ ملك خليفة محمد سمده بناحية الحجر نفاذا لحكم محكمة المحله الأهليه نمرة ٤٥١٧ سنة ١٩٣٢ وفاء لمبلغ ١٥ جنيـــه و٧٤٠ مليما بخلاف رسم هـذا ورسم النشر كطلب الخواجه فيتا حكيم تاجر بالمحله الكبرى

فعلى من يرغب الشراء الحضور

---

# قلم الحبر الوحيد

## المجهز بريشة (رليف) المذهب

## قلم حبر رليف

ماركة مسجلة

من جملة سنوات ، يطلب إلينا الذين يستعملون ريشة « رليف » . الذائعة الشهرة فى سائر أنحاء العالم ، أن نصنع لهم نوعاً من هـذه الريشة ، يكون بالذهب ويتركب على قلم حبر ، لتسهيل أعمالهم ، ولذلك بذلنا جهدنا فى تحقيق رغباتهم وأخرجنا من مصانعنا نماذج جديدة من ريشة « رليف » بسن من المعدن الأصفر الصقيل الذى ينزلق على الورق بالراحة والسهولة وهى تتركب على قلم حبر فى غاية الجمال . وهـذا القلم من ماركة « رليف » يحتوى على مميزات الأقلام الأغلى ثمنا وبفوقها جميعاً بسن ريشته المضمونة ضمانة تامة بواسطة أسم ماركتها الشهيرة « رليف » .

وهذا القلم مصنوع على ثلاثة أشكال ، ومن كافة الألوان لارضاء كل ذوق ، وهو غير قابل للاحتراق ومضمون ضمانة تامة . أدخل أى مكتبة أو أى مخزن يبيع الادوات الكتابية واطلب هذا القلم البديع بريشته الجميلة . . . وأنت تخرج فى جيبك واحد منه

للوزعون الوحيدون : هارل ، وطسون ، وفينى ليمتد رقم ١٦٠ شارع شانستبورى لندن . الوكيل بمصر : دينو جودا ناحوم صندوق بريد رقم ٩٤٠ بالقاهرة الاسكندرية : مكتبة ومطبعة فكتوريا سيرو جريفاس هـ . ا . مان . بورسعيد : محلات سيمون ارزت ستور مطبعة م جوروفتش مكتبة اخوان هورن . المنيا : مطبعة صادق . بنى سويف : مكتبة عريان يعقوب غالى . طنطا : مكتبة توفيق فركوح . أسيوط : المطبعة الأهلية ومكتبتها . الفيوم : مكتبة حسن شفنى . دمنهور : محمد الموفى . المنصورة : مطبعة سركيس . دمياط : مطبعة خضير . اصوان : ماك جبليفرى .

العربية ويعتصمون بخواطره ، وأن الحجاز هو موطن الحركة الدينية والسياسية اللتين يؤرخ لها المؤرخون ، إذا لاحظ القارئ هذا ، أدرك لأول وهلة أن الناقد لم ينصف في مأخذه ولم يوفق فيما استدل به من حديث عائشة في هذا المقام

ص ٤٥ ـ يقول الناقد إن الفرس لم يزهدوا في بلاد اليمن و « أنهم كانوا حراصاً عليه ليحدوا من نفوذ خصومهم الروم والأحباش في تلك البلاد » ـ ولو أنه اطلع على ما ذكره الطبري الذي أخذ عنه براون في كتابه « تاريخ الفرس الأدبي » (E. G. Browne, Literary History of Persia, vol, I. p. 178) وهو — كما لا يخفى — حجة دامغة في تاريخ الفرس ، لعلم أن الفرس كانوا حقيقة زاهدين في غزو بلاد اليمن . ولا أدل على ذلك من رد كسرى على سيف بن ذي يزن الحميري عند ما طلب منه مساعدته لاسترداد بلاده من الأحباش إذ يقول له : « بعدت أرضك عن أرضنا ، وهي أرض قليلة الخير . إنما بها الشاء والبعير وذلك مما لا حاجة لنا به » .

ولعل من العجب أن يقيم حضرة الناقد عاصفة حول اختلاف المؤرخين في وصف « وهرز » قائد الحملة الفارسية على اليمن ، وهل حاجباه هما اللذان سقطا من الكبر أو أن جفنيه انطبقا أحدهما على الآخر من الكبر !! فالمسألة ـ كما يرى القارئ ـ مسألة شكلية خلافية بين المؤرخين ، ومؤداها ـ على كل حال ـ أنه بلغ من الكبر عتياً ، فلا تستحق كل هذا الجهد

ص ٦١ ـ ٦٢ ـ يأخذ الناقد علينا أننا استعملنا لفظاً أجنبياً لنظام عربي ، وأن التنظير بين بلاد العرب وبين شبه جزيرة قرشقة يبدو غريباً ونابياً . والنصف يقدر لنا رغبتنا في عدم ايقاع القارئ في لبس ، خصوصاً إذا لم يكن قد قرأ شيئاً عن هذا النظام الذي كان سائداً في جزيرة قرشقة منذ مئات السنين ؛ وقد سلكنا هذا المسلك عينه في كتابنا « الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص » (ص ٢٣) الذي قامت وزارة المعارف بطبع ترجمته العربية على نفقتها سنة ١٩٣٢

ص ٦٨ ـ هوّل الأستاذ الناقد تهويلا عظيما فيما جاء بسياق كلامنا عن قريش « أنهم اتخذوا جزءا من الأرض أولوه احترامهم وبنوا به بيتاً حراماً لا يحل فيه القتال وأخذوا على عاتقهم حمايته » ، مستنداً في مأخذه على أن ابراهيم الخليل هو باني الكعبة ، وأن قريشاً كانت تحتمي بالبيت الحرام

ويقيننا أن حضرة الناقد ، إذا رجع إلى كتب التاريخ والسير والحديث ، عثر على ما يناقض استناده ـ ولو إلى حد كبير . فكما أنه لا يشك مسلم في أن ابراهيم هو أول من بني الكعبة بنص الكتاب الكريم ، كذلك لا يشك مؤرخ في أن الكعبة قد هدمت بعد هذا مرات بفعل السيول أو النار ، وأنها بنيت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم حين كانت سنه خمسة وثلاثين ، وأنه هو الذي وضع بيده الكريمة الحجر الأسود وفض بذلك النزاع بين المتزاحمين ؛ ولا يشك محدث أن الرسول قال لعائشة : « لولا أن قومك حديثو عهد بالكفر لبنيت الكعبة على قواعد ابراهيم » ، وأن عبد الله بن الزبير هدمها ابان خلافته وبناها على أساس قواعد ابراهيم ، مستندا إلى الحديث السابق ، فأتى الحجاج بعد هذا وأعادها إلى ما كانت عليه في عهد الرسول

أما مسألة الاحتماء بالبيت الحرام أو حمايته ، فليس فيها فارق كبير إذا اعتبرنا الاحتماء للأفراد والحماية للجماعات . وقد حصل في قصة أبرهة الحبشي ما يؤيد ذلك ، على أننا قد ذكرنا في كتابنا هذا (ص ٦٦ ، ٦٨ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٤٥٠) ما يثبت ذلك كله

ص ٨٧ لا أدري وجه النصح من حضرة الناقد لنا في أن نبرأ من الذهاب إلى أن معنى التحنف التوبة والاعتراف . فليس بخاف أن التوبة هي ميل من حال إلى حال . ومعنى « حنيفاً » مائلاً عن الباطل إلى الدين الحق . راجع تفسير البيضاوي وغيره

الحق أن هذا النصح لا يبعد عنه في الغرابة إلا دعوى أن الرسول صلى الله عليه وسلم تأثر تأثراً بريئاً بالجمال حين تزوج صفية بنت حيي !! وليسمح لنا الأستاذ الناقد أن نستعير عبارته « لست أدري ما الذي أبقاه بعد هذا القول لجهلة المبشرين ومتعسفي المستشرقين »

نعم ! أيها الأستاذ . إن الرسول — كما قلنا في كتابنا — كان مضطلعاً بمهمة عظيمة تسمو عن الجمال وعن خلجات الفكر ، ولعلك تراجع كتب التاريخ الاسلامي لترى أن السبب الوحيد في هذا الزواج هو تأليف قلوب قومها وإسلامهم ، ولتكون

سبباً في عتقهم ليشتد بهم أزر المسلمين . فهذه هي عائشة أم المؤمنين تقول : « لم أر امرأة أكثر بركة ومنة على قومها من صفية . أسلم بزواجها قومها وأعتقوا ؛ فقد أطلق الصحابة أسراهم من قومها وقالوا إنهم أصهار الرسول » . ثم كيف تستبعد أن يطمع الرسول في إسلام اليهود مع ما جرى منهم ، وهو الذي أنزل عليه القرآن محذراً من القنوط لأنه علامة الكفر ، وحاثاً على التواصي بالحق والتواصي بالصبر ؟ لعل الناقد أولى بأن يبرأ من هذا القول الجريء وإلقاء تبعته على سبق القلم

ص ١٣١ — أخطأ الناقد في تفهم قولنا إن الاسلام أحل الوحدة الدينية محل الوحدة القومية ، وذكر أننا أوردنا عبارة « الدعوة الدينية » مع أنها « الوحدة الدينية ! ! » ، وقد ضم حضرته هذا الخطأ الذي وقع فيه إلى المآخذ التاريخية التي عابها على الكتاب . وأما عن قوله : « إن المراد بالوحدة القومية والجنس هو القبيلة » فهو كلام غير مفهوم بدليل قوله تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ، وقوله عليه الصلاة والسلام « لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » . فالمقصود هنا الموازنة بين أمة وأمة لا بين قبيلة وأمة ، ولعل الناقد يريد بذلك أن يقيس مع الفارق على رأيهم

ص ٢١١ — ثم ما ندري عدم اللياقة في التعبير عن نابليون بالفتى التلياني ، مع أن المعنى اللغوي والاطلاق العربي يجيزان ذلك بتوسع . إن نابليون كان فتى ، لأنه رجل عظيم أتى بصنوف من العبقرية والمواهب في الحرب والسياسة ، وكان العرب يطلقون لفظ الفتى على من امتاز بموهبة تبعث الإعجاب والثناء ، ولقد قالوا قديماً : « لا فتى إلا علي » ، ونابليون كان فتى بالمعنى اللغوي لأنه حين بزغ نجمه لما يكتمل العقد الثالث من عمره ؛ ثم كان تليانياً (بياء النسبة) من جزيرة قرشقة . لعل لهذه النعرة النابليونية سبباً تكشفه لنا الأيام

ص ٢٤٠ — ٢٤١ — رمينا الناقد بالتقصير في تفهم قصيدة « تأبط شراً » ويأخذ علينا نقل شرحها عن التبريزي ، وأننا ذكرنا في التعليق عليها لفظ عمه بدل خاله ، وقد فات الناقد أننا ذكرنا لفظ خاله مرة قبل ذلك ، ثم ذكرنا لفظ عمه سهواً وعن غير قصد : أما نقلنا شرح التبريزي ، فمع إشارتنا إلى المصدر الأصلي — وهو ما يعبر عنه المؤرخون بالأمانة في النقل — فاننا لم ننقل هذا الشرح على القصيدة برمته ، وإنما نقلناه بتصرف ومع مراجعة القاموس وكتب اللغة . فما ندري أن الخطأ غير المقصود في ذكر لفظ العم بدل الخال في قصيدة يكون معناه أننا لم نتفهم معنى القصيدة برمتها . وهكذا يكون الانصاف وإلا فلا ! !

كم أعجبني قول الأستاذ الكبير والمؤرخ المشهور بآثاره العلمية محمد بك كرد علي في تحقيقاته على كتاب : « ذكر الملق على الكتاب أنه وقعت في طبعته هذه بعض أغلاط مع كل ما عاني في تصحيحه جاء بعضها سهواً منه ، وبعضها من خطأ النظر ، وبعضها من الأغلاط الطبيعية التي لا يتنزه عنها كتاب . ونحن نقيم من كلامه هذا عذراً لكل من أحيا كتاباً للقدامى . وليس من الانصاف أن يحمل على كل من ارتكب خطأ من هذا القبيل بعد بذل الجهد »

ص ٣٣٠ — على الرغم مما ورد في كتب التاريخ بأن عثمان كان يصوم الدهر وأنه قتل صائماً ، فان الناقد يحاول بجرة قلم أن يرفض هذا القول لسبب واحد : هو أن العقل يرفضه ! ! كأن حوادث التاريخ أصبحت تجري وراء عقل بعض الناس ؛ فما رفضه يجب أن يمحى من كتب التاريخ ولو بلغ حد التواتر أو قام عليه ألف دليل ودليل . ألسنا في حل من أن نقول إن الذي جعل العقل يرفض هذا القول هو أننا نريد أن نثقل كفة السيئات والمآخذ ؟

ص ٣٦٥ ينفي الناقد ما ذكرناه من أن عثمان انتخب بمقتضى قانون الشورى الذي سنه عمر . ولم يكلف حضرته في ذلك أن عمر سن نظاماً شورياً مناسباً جداً لعصره بتعيينه ستة يختار من بينهم خليفة ، وجعل ابنه عبد الله أحد من يختارون على ألا ينتخب . فهل كان يريد الناقد لتحقيق هذه التسمية أن يعد عمر دفاتر الانتخاب ويرجع إلى دستور سنة ١٩٢٣ ؟ ألا إن هذا المبدأ الذي سنه عمر كان حجر الزاوية في قانون الشورى ، إن لم يكن هو القانون بأكمله . ولو أخذ المسلمون به لما بزغت قرون الفتن ، ولما زلزلوا زلزالا شديداً صدع بنيانهم ، وأسرع في انحلالهم

(يتبع)

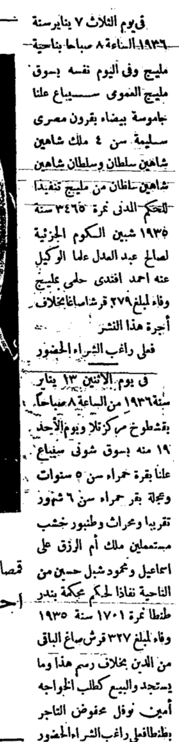
حسن ابراهيم حسن

---

فى يوم ٧ يناير سنة ١٩٣٦ الساعة ٨ صباحا بجهة شركس قسم بولاق سيباع بالمزاد العمومى منقولات منزلية مملوكة الى ابراهيم عليان وآخرين وذلك البيع بناء على طلب حضرة صاحب المعالى عبد العزيز محمد بك بصفته وزيراً للأوقاف وناظر على وقف احمد بك عصمت شركس وحرمه ومتخذا له محلا مختارا قسم قضايا الوزارة بمركزها الكائن بباب اللوق بمصر تنفيذا للحكم الصادر بتاريخ ١ / ١ / ٣٥ من محكمة بولاق الأهلية ووفاء لمبلغ ٥ ج و٨٧٩ م بخلاف ما يستجد فعلى من يرغب الشراء الحضور

---

فى يوم الثلاث ٧ يناير سنة ١٩٣٦ بناحية المنيرة مركز قليوب وفى يوم الثلاث ١٤ يناير سنة ١٩٣٦ بسوق القناطر الخيرية من الساعة ٨ صباحا لآخر النهار والأيام التالية إذا لزم الحال سيباع علنا أردبين أذرة بكيزانه مقشر داخل كبس وزكيبة ملك احمد القماش من المنيرة مركز قليوب نفاذا لحكم محكمة الأزبكية الأهلية فى القضية نمرة ٣٢٥٦ سنة ١٩٣٥ وفاء لمبلغ ١٤٤ قرش صاغ بخلاف رسم النشر ومايستجد وهذا البيع كطلب حضرة على افندى موافى التاجر بسوق الخضار الجديد بمصر فعلى راغب الشراء الحضور



في يوم الثلاث ٧ يناير سنة
١٩٣٦ الساعة ٨ صباحا بناحية
مليج وفي اليوم نفسه بسوق
مليج العمومي سيباع علنا
جاموسة بيضاء بقرون مصري
سليمة سن ٤ ملك شاهين
شاهين سلطان وسلطان شاهين
شاهين سلطان من مليج تنفيذا
للحكم المدني نمرة ٣٤٦٥ سنة
١٩٣٥ شبين الكوم الجزئية
لصالح عبد العدل علما الوكيل
عنه احمد افندي حلمي عليج
وفاء لمبلغ ٢٧٩ قرشا صاغا بخلاف
أجرة هذا النشر
فعلى راغب الشراء الحضور

في يوم الاثنين ١٣ يناير
سنة ١٩٣٦ من الساعة ٨ صباحا
بقشطوخ مركز تلا ويوم الأحد
١٩ منه بسوق شوني سيباع
علنا بقرة حمراء سن ٥ سنوات
وعجلة بقر حمراء سن ٦ شهور
تقريبا ومحراث وطنبور خشب
مستعملين ملك أم الرزق علي
اسماعيل ومحمود شبل حسين من
الناحية نفاذا لحكم محكمة بندر
طنطا نمرة ١٧٠١ سنة ١٩٣٥
وفاء لمبلغ ٣٢٧ قرش صاغ الباقي
من الدين بخلاف رسم هذا وما
يستجد والبيع كطلب الخواجه
أمين نوفل محفوض التاجر
بطنطا فعلى راغب الشراء الحضور



في يوم السبت ١٨ يناير سنة ١٩٣٦ من الساعة ٨ صباحا
وما بعدها بشارع الكرماني نمرة ٧ شياخة محمد حسن حبيب
قدم محرم بك سيباع علنا منقولات منزلية مثل طاقم فرش وأشياء
أخرى مبينة بمحضر الحجز بتاريخ ٤/٣/١٩٣٥ ملك احمد
افندي رجب الصباغ الرعية والقيم بالجهة المذكورة نفاذا للحكم
٢٠٧٦ سنة ١٩٣٥ عطارين وفاء لمبلغ ٣٢٤ قرش صاغ بخلاف رسم
هذا النشر ما يستجد والبيع كطلب عبد الحميد افندي محمود القيم
بمحله بشارع القطاعي نمرة ٣٦ ومحله المختار مكتب الأستاذ علي
الحلواني المحامي باسكندرية فعلى راغب الشراء الحضور



# كتاب الأوراق

للصولي

للأستاذ محمد بك كرد علي

كان أبو بكر محمد بن يحيى الصولي من الأدباء الظرفاء والندماء العلماء . نادم الراضي بالله وكان أولاً مؤدباً له . ونادم المكتفي ثم المقتدر . وكان من ألعب أهل زمانه بالشطرنج مات مستتراً بالبصرة في سنة ٣٣٥ هـ على أصح الروايات ، لأنه روى خبراً في علي بن أبي طالب فطلبته الخاصة والعامة لتقتله . وله كتب كثيرة في الأخبار وتراجم الرجال ، ولا سيما الخلفاء والأمراء والشعراء . والغالب عليه « أخبار الناس ، وله رواية واسعة ، ومحفوظات كثيرة . وكان حسن الاعتقاد جميل الطريقة . مقبول القول » وتآليفه : كتاب الأوراق هذا الذي قال فيه المسعودي « إن الصولي في كتاب الأوراق ذكر غرائب لم تقع إلى غيره ، وأشياء تفرد بها ، لأنه شاهدها بنفسه . وكان محظوظاً من العلم ، مجدوداً من المعرفة مرزوقاً من التصنيف ، وحسن التأليف » والأوراق هو الذي أحياه بالطبع جزءين لطيفين أحد المستعربين من الانجليز السير هودث دن . وكان طبع له كتابه « أدب الكتاب » أحد أدباء بغداد الشيخ محمد بهجة الأثري

بدئ الجزء الأول من الأوراق أو القسم الذي عثر عليه الناشر بترجمة أبان اللاحقي وأخباره مع الرشيد ومع جماعة من الشعراء وأجزاء من نظمه كتاب كليلة ودمنة وبدأه بقوله :

هذا كتاب كذب ومحنة     وهو الذي يدعى كليلة دمنة
فيه دلالات وفيه رشد     وهو كتاب وضعته الهند
فوصفوا آداب كل عالم     حكاية عن ألسن البهائم
فالحكماء يعرفون فضله     والسخفاء يشتهون هزله ...

وفيه ترجمة ثلاثة شعراء وأدباء ظهروا من بيت اللاحق ، وترجمة أشجع السلمي ومختار شعره في المديح وغزله ومراثيه ، وأشعار أشجع نحو ربع هذا الجزء . وترجم الصولي لأحمد أخي أشجع كما ذكر أخبار أحمد بن يوسف الكاتب وأسرته ولا سيما أخوه القاسم ، لأن الأخوين اقتسما نثر الكلام ونظمه فتقدم أحمد بن يوسف في النثر وأخوه القاسم في النظم . وبنو أحمد بن يوسف من أصل قبطي مصري ، أسر جدهم فنشأوا في العراق وما زالوا يعلون وتنبه أقدارهم حتى وزر أحمد بن يوسف للمأمون . وللقاسم في الشيب والزهد من قصيدة :

ودع شبابك قد علاك مشيب     وكذاك كل معمر سيشيب
جازت سنوك الأربعين فأزعجت     منك الشباب تجارب وخطوب
ودعاك داع للرشاد أجبته     وبما راك الغي ليس يجيب
فابك الشباب وما خلا من عهده     أيام أنت إلى الحسان طروب
يسبين لبك بالدلال وتستبي     ألبابهن فسالب وسليب
طوراً يساعن الهوى ويطمنه     ويصبن قلبك بالجوى وتصيب
خلطن معصية بحسن إجابة     فلهن عندك أنعم وذنوب ...

ولهذا الشاعر قصائد جميلة قالها في أغراض شتى مثل قصيدة يشكو فيها البق والبراغيث والبرغش ، وأخرى في رثاء هرة ، وثالثة في الشكوى من النمل والفار ، ورابعة في رثاء الشاهمرج (الشاهمرد) ، وخامسة في رثاء القمري إلى غير ذلك ( راجع ما كتبناه في درس هذا الجزء في المجلد السادس من مجلة المجمع العلمي العربي )

وفي الجزء الثاني من الكتاب أخبار الراضي والمتقي وتاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢ إلى سنة ٣٣٣ وفيه تجليات نفسية الصولي ، وكان في الجزء الأول ينقل أخبار غيره فيجيد النقل ويحسن الاختيار ؛ أما في هذا الجزء فتكلم فيه عن نفسه ، وذكر أحاديثه مع الراضي وقصائده فيه ، ومنادمته في عامته وعطاياه له ، فظهر الاسفاف عليه بالحافه في الاستجداء من الخليفة

وشكوى الزمان من الحرمان ، وقول فلان منحنى وفلان حرمنى ، مما لا يتناسب مع جلالة قدر من يدعى أن أهله كانوا من نسل ملوك جرجان ، وهو يعاشر الخلفاء والأمراء ، وهذا القسم مهم فى تاريخ الخليفتين الراضى والمتقى ، يتجلى فيه انحطاط الملك العباسى ، وما كان يحاك حول الخلفاء من دسائس ، وكيف تنزع السلطة من الخوالف شيئاً فشيئاً

والثالث أن بعض المؤرخين اعتمدوا على نصوص الصولى فى أكثر المسائل التى ذكرها واقتبسوا عباراته بحروفها ، وشعر الصولى الذى شغل به صفحات طويلة من هذا الجزء ممجون بالمصانعة ، وعلى جانب من التكلف حاول أن يأتى بقصائد ذات قواف مستغربة ، فأبهم وعمى ، وحاد عن قانون السلاسة . ومما ذكره من شعر تلميذه الخليفة الراضى يفتخر :

لو أن ذا حسب نال السماء به    نلت السماء بلا كد ولا تعب
منا النبى رسول الله ليس له    شبه يقاس به فى العجم والعرب
فان صدقتم فأعلى الخلق نحن وإن    [illegible] ملتم عن الصدق اعنقتم إلى الكذب

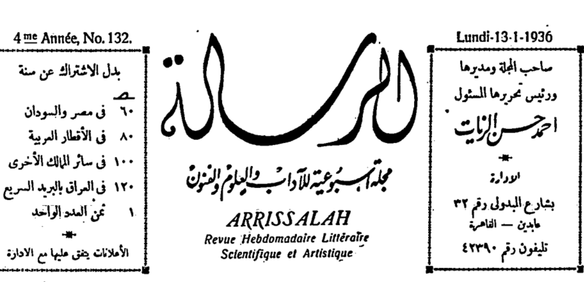
وله من قصيدة :

إنى امرؤ تصفو موارد رأفتى    وتخرب سطواتى العدو المخربا
إذا عدت الأبيات أبصرت بيتنا    كأن الثريا بالنبى مطنبا
رويدك إن النار تظهر تارة    ويكمن فى الأحجار منها تنيبا

وذكر له صفحات من شعره فى الفخر والغزل والتشبيب

وما أخلى الصولى الخليفة المتقى من تهكم وتعريض ، ولعله قال ما رأى فى هذا ، وأغمض عن أمور رآها فى سلفه الراضى ، لأنه لم يكن له القبول الذى يحاوله فى أيام المتقى ، (ذكر ص ٢٤٩) صورة أمر عن المتقى لما غادر بغداد إلى بعض أرجاء العراق وهو خائف من الناس قال : وكتب الخليفة الى صاحب الشرقية أحمد ابن جعفر الرطى بكتاب يأمره أن ينادى بما فيه فنادى « أمر أمير المؤمنين أطال الله بقاءه بالنداء ببراءة الذمة ممن فتح من العمال والتصرفين شيئاً من الدواوين ، أو نظر فى الأعمال ، أو طالب بخراج ، أو تصرف فى عمل من الأعمال السلطانية بعد شخوص أمير المؤمنين ، فقد أحل بنفسه العقوبة الموجعة وهجم (داره) وإباحة ماله ، فقد أحب أمير المؤمنين ترفيه رعيته والاحتياط لهم ، وترك إعناتهم ، فليحذر المخالفون لذلك ، وليلحق بأمير المؤمنين سائر عماله وأوليائه ، ولا يتأخروا عن معسكره ، وليبلغ سامع هذا النداء الغائب عنه » أى أن الخليفة عطل كل شىء فى بغداد لئلا يشغب العامة مدة غيابه عنها . وذكر المؤلف قصة تأديب الراضى وأخيه هارون وكيف أرسلت القهرمانة ريدان الى المؤدب تقول (ص ٢٦) « إن هذه المحاسن من هذا الرجل عند السيدة ومن يخدمها مساوىء ، فقل له عنى يا هذا ما تريد أن يكون أولادنا أدباء ولا علماء ، وهذا أبوهم (المقتدر) قد رأينا كل ما نحب فيه ، وليس بعالم فاعمل على ذلك » قال المؤدب فأتيت نصرا الحاجب فأخبرته بذلك فبكى وقال : كيف نفلح مع قوم هذه نياتهم . قلنا ولما اكتفى العباسيون بالجهل لأولادهم تداعت دولتهم شأن كل دولة جاهلة فى القديم . وعهد المقتدر وتسلط النساء فى القصر العباسى من أغرب أيام بنى العباس . ومن هذه الأمور صور صالحة فى كتاب الأوراق وصفحات ينبغى لها أن تقرأ بتدبير

**محمد كرد على**



4 me Année, No. 132.

بدل الاشتراك عن سنة

صـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

Lundi-13-1-1936

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع البدولى رقم ٣٢ عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الرابعة « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ شوال سنة ١٣٥٤ — ١٣ يناير سنة ١٩٣٦ » العـــدد ١٣٢


فهرس العـــدد



# من أحاديث النيروز

كنا ليلة النيروز المسيحى[1] نَسْمُر فى دار صديق؛ ولهذا الصديق زوجة من لوزان، دقيقة الفهم، رقيقة الشمائل، لطيفة التكوين؛ أُغرمت بمصر وأخلاق أهلها اغراماً شديداً، فهى تحاول أن تتكلم العربية، وتؤثر أن تعيش على الأوضاع المصرية، وتتابع بالنظر المعطوف نهضتنا المجاهدة، وتدافع بالحجة القارعة ما تفتريه علينا الألسن الأوربية الجاحدة، وتحب كلما حضرتُ مجلسها أن تناقلنى الأحاديث فى مصر والعرب والاسلام والشرق، وهى فى كل ذلك واسعة الاطلاع من طول ما تسافر ومن كثرة ما تقرأ

كان زوجها وفريق من المدعوين يلعبون الورق على المائدة الفرعية، وكان فريق آخر يستمع إلى (الراديو) وهو يذيع الأناشيد الكنسية المهللة، وأنا وهى على كرسيين متقابلين أمام المدفأة، نتجاذب على عادتنا أطراف الحديث المشقق، ونتصفح على طريقتنا أوجه الرأى المختلف، فأجد فى حديثها الشهى الممتع ما يجده ذلك الذى يلعب، وذاك الذى يشرب، وهذا الذى يسمع!

* * *

(١) النيروز هو اليوم الأول من السنة الشمسية

تناهزت النفوس الحبيبة لذة الصفو فى الساعات المودعة : وتجاوبت فى البِيَع القريبة أصوات النواقيس المُرِنّة ، وتلاقت الحياة والموت فى قلب الليلة المخضرمة [1] ، وتهتكت سدول المهد المحجب عن العام الوليد ؛ فقالت لى ساعتئذ والرفاق يتبادلون المودة بالعيون ، ويتناقلون التهنئة بالشفاه :

انظر كيف يولد العام المسيحى فى بقاع الأرض ! ! إنه يولد كما يولد الأمل المعسول فى النفوس المرحة النضة ، فالكنائس تعج بالصلوات المستبشرة ، والمنازل تفيض بالمسرات المتجددة ؛ والعالم الغربى كله لا يذكر فى هذه اللحظة عاماً دفن مع الأمس ، ذوت فيه نواضر المنى ، وذهب معه بعض العمر ، وإنما يذكرون عاماً يولد مع اليوم ، فتستأنف نشاطها فيه ، وتستمد رجاءها منه ، وتستقبل حدثان الغد بالثغر الباسم والعزم الصارم والنظر الرغيب . وما أدرى — وقد نشأت فى ربوع الغرب وطوّفت فى بعض أنحاء الشرق — لماذا كان المسلمون وحدهم اليوم رماد الموقد المصطرم : يتحرك بهم الفلك وهم ساكنون ، وتتفجر عليهم الأحداث وهم غافلون ، ويُلقون فى مراغة الذل وهم راضون ، وتؤكل بهم أرزاق الأرض وهم قانعون ، ويجادل عنهم خصومهم وهم ساكتون ؟ أيرجع ذلك إلى العقيدة أم إلى الطبيعة ؟

فأجبتها والخجل يكسر من طرفى ويعقد من لسانى : ربما كان مرجعه إلى الاثنتين معاً !

وكانت تنظر إلى لهب النار يرقص وأرياً بين وقود المدفأة ، فحولت فى دهشة وسرعة وجهها إلىّ وثبّتت نظرها فىّ ، وقالت : كيف ؟! ألم تكن عقيدتهم اليوم هى العقيدة التى ألّفت من شتات البدو دولة ، وبعثت من جوف الصحارى حضارة ، ونفخت فى قلوب الصعاليك من روح الله فطمحوا إلى ملك كسرى وهم جياع ، وسموا إلى عرش قيصر وهم عراة ، وصمدوا إلى حكم العالم وهم سذّج ؟

ألم تكن طبيعتهم اليوم هى الطبيعة التى تكرمت عن الدون ، وتجافت عن الهُون ، وتسامت إلى القدْر الخطير ، وتمردت على الطغيان المستبد ، وجعلتهم يضعون أنفسهم فى كفة ، والعالم كله فى كفة ، فسموا — كما علمتُ منك — من عدّاهم بالعجم ، كما سمى الرومان من عداهم بالبربر ؟

قلت لها : كلا وا أسفاه ! ليست العقيدة هى العقيدة ، ولا الطبيعة هى الطبيعة ! كانت عقيدتهم كما قلتِ سامية تبعث الطموح ، صافية تكسب الخلوص ، بسيطة تنتج الوفاق ، جامعة توجب الوحدة ؛ توفق بين الدين والدنيا من غير كلفة ، وتصل بين الله والانسان من غير واسطة ، فاختلط بها فى القرون الأخيرة شعوذة الهنود وأساطير اليهود وصوفية الفرس ولاهوتية اليونان ، فأصيبت بالخَدَر الذاهل ، والتواضع الجبان ، والزهد الكسول ، والاتكال المخلف ، والجدل العقيم ، والاختلاف المفرق ؛ ثم تبخر من هذا الخليط المشوه أكسير الحياة فلم يبق إلا الرواسب الغريبة ، وتصعّد منه عبير الروح فلم يبق إلا الأوراق الجفيفة ؛ فالدين اليوم شعائر من غير شعور ، وتقليد من غير فهم ، واعتقاد من غير تطبيق ، وشعوذة من غير حقيقة ، وأحكام من غير حكم

* * *

وكانت طبيعتهم كما قلتِ أبية تأنف الضراعة ، طامحة تكره القناعة ، وثابة تحاول التفوق ، طلاعة تحب المغامرة ؛ فامتزجت بها من بعد الفتوح دماء الأجناس المملوكة ، وأدواء الأمم المنهوكة ، وأوباء الأقاليم القصية ؛ ثم قرت فيها صبابة الأحقاب ، وانتهت إليها نفاية الأعقاب ، وناءت بها أعباء التقاليد . فالعقلية الاسلامية اليوم مشوبة غير صريحة ، معقدة غير واضحة ؛ وهى من عبث الأحداث متنافرة لا تلتئم ، متخاذلة لا تقاوم

إنما العقيدة الخالصة والطبيعة السليمة لا تزالان فى بوادى الحجاز وهضبات نجد ؛ ولكن العالم غير العالم ، والوسيلة غير الوسيلة ، والغاية غير الغاية !

فاذا لم نجلُ عن عقيدتنا هذا الصدأ العارض ، وننفُ عن ثقافتنا هذا الهراء الغث ، ونجُدّ من خلفنا ذيل التقاليد الفاسدة ، ظل سيرنا يا سيدتى بطيئاً لا يلحق ، وجهدنا باطلا لا يفيد

* * *

وكانت فورة اللعب والطرب قد قرّت فى نفوس القوم ، فخلت المائدة ، وسكت الراديو ، وفتر الحديث ، وتهيأ السامرون للخروج ، فلم تستطع السيدة أن تعقب على هذا الكلام

أحمد حسن الزيات

---

(١) لأنها أخذت شطراً من العام الماضى وشطراً من العام الجديد

# فى الحب والمرأة

## للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

أنا — كما لا يعرف القارئ وإن كان لاشك لبيباً -- أكره أن أحِب أو أن أحَب. ولهذا النفور من الحب أسبابٌ شتى، منها أنه لا يد لى فى الأمر، ولا سلطان لى عليه، والمرء يصاب بالحب كما يصاب بالزكام — بكرهه وعلى الرغم منه — ولو خيّر لاختار السلامة وآثر النجاة، ومن ذا الذى يطيب له أن يتوعك؟ والحب حين يغمر النفس يذهلها عن لذته وحلاوته، ويشغلها بالوجيب والقلق والخوف والرغبة والغيرة، ولهذا كان أمتع ما فيه ذكراه — أى بعد أن تفتر الحرارة وتسكن النفس ويزول الاضطراب والقلق — أو تنتفى دواعيهما بفتور الرغبة — وقد يكون البحر الجائش العباب رائعا ولكن ركوبه لا يحلو، واعتسافه لا يؤمن، والنفس مثله. وقد يسمو بها اضطرام الحب فيها إلى الجلال، ولكن الاحاطة بما تضطرب به والغوص عليه لا يتسنيان إلا بعد الهدوء؛ وقد يلهم المرء شيئاً وهو هائج، ولكن النظرة المباركة هى التى تدور بها العين فى أنحاء النفس بعد أن تعود اليها سكينتها وصفوها ويتيسر الوصول إلى أغوارها والنفاذ إلى زواياها والتغلغل فى سراديبها.

ومن الأسباب المزهدة أنى رجل عادل منصف، أو دع الانصاف وقل إن الله خلق لى فى وجهى عينين، فما خيرهما إذا أنا لم أنظر بهما؟؟ والمرأة مستبدة، ومن استبدادها أنها تغضب وتثور وتسوّد عيشك اذا نظرت إلى سواها. وعبثٌ أن تحاول أن تفهمها أن الأغضاء عن كل هذا الجمال الذى فى الناس، قلة عقل، وقصر نظر — بل عمى — ؛ وماذا تصنع العينان إذا لم تبصرا؟ وأى عمل آخر لهما هناك؟ وكون المرأة التى يُبتلى الانسان بحبها جميلة ليس معناه أن النساء غيرها دميات؛ وحبك إياها لا ينبغى أن يتقاضاك مقت النساء الأخريات وتنقصهن؛ والاعجاب بهن لا يعد ثلباً لحبيبتك، وفى وسعها هى أيضاً — إذا شاءت وكان هذا مما تستطيع — أن تعجب مثلك بهن.

والرجل الذى يفقده الحب القدرة على الاعجاب بالجمال فى صوره المختلفة يكون فاسد الذوق، ولو عقلت المرأة لكان هذا كافياً لتشكيكها فى رأيه فيها

ويزهدنى فى الحب أيضاً أن مناظر العشاق مضحكة، وأحوالهم سخيفة، ومبالغاتهم شديدة، ودعواهم عريضة، وعمى قلوبهم وأبصارهم تام عن كل ما يحيط بهم. وأى عاشق لم يقطع ألف وعد بالوفاء المستحيل؟ بل أى محب لم ينس طربوشه مرة، أو لم يلبس طربوشين واحدا فوق الآخر (ومع ذلك تراه لذهوله يدور باحثاً عن طربوشة لظنه أن رأسه عار!) أو لم يبد للناس فى الطريق أو الترام ملتاث العقل مخبولا، يضحك ويقطب بلا سبب ظاهر، ويشير بأصابعه أو يلوح بيده، أو يكلم نفسه؟ والأرق؟ لا أدرى لماذا لا ينام العشاق ملء جفونهم كما ينام عبادُ الله الآخرون؟ ولكن الذى أدريه أن النوم المزعج قلما يؤاتيهم أو يسعفهم بسكينته، وتالله إن العاشق لمسكين! لا نوم الليلة يا صاحبي لأنك حين ذهبت الى بيت حبيبتك رأيتها مطلةً من النافذة وناظرةً الى جهة غير التى تعرف أنك آتٍ منها! فهل كانت يا ترى تنتظر سواك؟ وعليك أن تذرع أرض الغرفة مائة ألف مرة هذه الليلة وتقطع خمسمائة فرسخ — جيئة وذهوبا — لأنك وأنت معها جعلت ذراعك حولها وهممت بضمها وتقبيلها فجنحت الى الدلال ونفرت من العناق، وكانت تبتسم، ولكنها قالت «من فضلك!» من فضلك؟، وهل بيننا «من فضلك؟». هذا كلام يقال للأغراب، وتكلف فى التعبير لا يكون بين المحبين! ويظل طول الليل يدب على رؤوس النيام تحته. وفى ليلة يسير على وجهه فى الشوارع كالمتشردين، ويحدث نفسه بالانتحار، ويجتاز جسر اسماعيل، وعينه الى الماء الذى يتدافع بين قواعده، وقد يسأم التدخين فيلقى بعلبة السجاير فى الماء ويغرقها فيه بدلا منه وفداء له، وبعد خمس دقائق يشترى غيرها. ولا يزال يتمشى حتى يرتاب فى أمره الشرطة، ويرى منهم ما يرد اليه بعض ما عزب من عقله، فيرجع إلى البيت مضعضعاً مهدوداً... إلى آخره، إلى آخره

ثم إن الحب إذعانٌ، ومن أحب امرأة فقد أسلم أمره — إلى حد ما — لأهواء لا ضابط لها ولا كابح، ولا تمييز فيها بين الممكن والمتعذر، أو اللائق وغير اللائق؛ وقد يطير الحب عقل الرجل — بل هو يفعل ذلك على التحقيق — ولكنه لا يستطيع أن يغير أسلوب تفكيره ولا أن يجعله كأسلوب المرأة فى تفكيرها. وعسيرٌ أن يظل الحب قادرا على إخفاء الفوارق بين أسلوبى

الرجل والمرأة في التفكير. وهب وقدته تبقى زمناً طويلا – وهو ما أشك فيه ولا أومن به – فان توالى اصطدام العقليتين خليق أن ينبه الى هذه الفوارق وأن يزعج الرجل ويحيره، وقد يفضي به الى السآمة

والمرأة التي ترى نفسها محبوبة تتوهم أن الرجل أباحها ظهره فهي تركبه وتركضه كيف شاءت والى حيث ينزو برأسها أن تذهب، ولا تبالي ما يصيبه من الارهاق والجهد والاعياء والكلل، ولا يخطر لها أن كده على هذا النحو ولجاجتها في ذلك خليقان أن يخمدا وقدة الحب

والدلال، ماذا نقول فيه؟ إنه مصيبة كبيرة وبلاء عظيم، ولكن المرأة تحسبه وقود الحب، فلا سبيل إلى شيء إلا بعذاب غليظ من هذا الدلال الثقيل، إذ كانت المرأة تسيء الظن بقيمة الاستجابة السريعة، ولا تؤمن إلا بقول القائل — قاتله الله كائناً من كان، فقد نسيت من هو — : «وحبب شيء إلى الانسان ما منعا»

قلت مرة لامرأة وقفت بينها وبين حبيبها نبوة من جراء دلالها وإبائها عليه قبلة اشتهاها: «يا ستي أنت تحبينه، وهو يحبك — أليس كذلك؟»

فألقت إليّ نظرة خبيثة، فهززت رأسي وقلت: «نعم أو لا؟ أيهما؟ قولي بلسانك»

فقالت: «لكأني في مدرسة!»

قلت: «ومن الذي غشك وأوهمك أنك استغنيت عنها؟؟ إنك لم تشبي عن الطوق إلى الآن، ومازلت إلى هذه الساعة بنتاً صغيرة جاهلة، أجدر بك أن تخرجي إلى الشارع، فتلعبي فيه بالحبل ...»

فلم يسؤها مني هذا الطعن لأنها كانت تعرف عطفي عليها، وحبي لخيرها، فأعدت عليها السؤال، فقالت: «نعم»

فقلت: «أشهد ألا إله إلا الله! وقد اشتهى منك قبلة، فهل كنت تأنسين من نفسك استعدادا للاجابة ورغبة فيها؟»

فضحكت وقالت: «هذا أشبه بالتحقيق ...... شيء جميل والله!»

قلت: «هو تحقيق ... فأجيبي»

فصاحت: «ولماذا لم يقبلني؟ ماذا منعه؟»

فصحت بدوري: «إيه؟ ماذا تقولين؟»

قالت: «أقول إن روحي كانت على شفتي .... وكنت أتلهف على قبلته، ولكنه لم يفعل وذهب يتكلم ... سخيف!»

قلت: «ليس هو وحده السخيف»

فرفعت وجهها إليّ، وزوت ما بين عينيها، فقلت: «أنا أيضاً مثله ..... فقد كنت أحسبه مؤدباً، وأعده مهذباً، فاذا به مغفل!»

فضحكت ... وهكذا المرأة أبداً ... ومن هذا الذي يجرؤ أن يزعم أنه يعرفها معرفتها؟ يفعل الرجل الشيء يطلب به رضاها، فاذا هي ساخطة ضجرة؛ ويتقي الشيء يخشى أن يغضبها بفعله، فاذا هي تلومه وتؤنبه وتعد ذلك من ذنوبه؛ وتختصر الطريق وتمشي إلى غايتك مباشرة، فتراها تؤثر اللف والمحاورة، فتروح تدور فتجدها قد تغير مزاجها، واختلفت رغبتها وانقلبت تؤمن بأن الخط المستقيم أقرب ما بين نقطتين؛ وتهدى اليها تحفة تتعب في انتقائها، وتغرم في سبيلها نصف دخلك، فتقول: «هلا استشرتني قبل أن تشتريها؟»؛ وتستشيرها في مرة أخرى فتقول: «لو فاجأتني بالهدية لكان ذلك أحلى وأوقع» فأنت معها أبداً على كف عفريت سكران

وعقول الرجال في رؤوسهم، أما عقل المرأة فقد يكون في حذائها – ولكنه على التحقيق – ليس في رأسها. وضائع، ضائع، من يجادلها بمنطق الرجال، أو يكلمها كلام العقل، فما عرفت ذلك يجدي معها. ولو أن رجلا أثنى على عقل امرأة بكتاب في ثلاثين جزءاً لما بلغ من نفسها ما هو خليق أن يبلغ بكلمة ثناء مفردة على جمالها — ولو كذبا — أو نظرة اعجاب واحدة الى حذائها وإن كان أضخم من الباخرة نورماندي، أو مسحة بكفه – في حنو – ولو متكلفا – على شعرها وإن كان كضوء القمر

ولست أذم المرأة، وكيف أجرؤ، وهي زينة الحياة وسر سحرها؟ ولكني أقول إنها مخلوق آخر، غير الرجل، وهو قول ليس فيه جديد، ولا شك أن الرجل يبدو للمرأة – كما تبدو هي له – مستغرب الأطوار شاذا في أسلوب تفكيره، وطريقة تناوله للأمور

ابراهيم عبد القادر المازني

# ٢ ــ المشكلة (١)

## للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

لما فرغتُ من مقالات (المجنون) وأرسلتُ الأخيرة منها، قلتُ في نفسي هذا الآخِر هو الآخر من المجنون وجنونه، ومن الفكر في تخليطه ونوادره؛ غير أنه عاد إليّ أخلاطاً وأضغاثاً فكأني رأيته في النوم يقول لي: اكتب مقالا في السياسة. قلت: مالي وللسياسة، وأنا «موظف» في الحكومة، وقد أخذت الحكومة ميثاق الموظفين لمّا عرفوا من نقدٍ أو غميزةٍ ليكتُمُنَّه ولا يُبيِّنونه. فقال: هذه ليست مشكلة، وليس هذا يصلح عذرا، والمخرجُ سهلٌ والتدبير يسيرٌ والحلُّ ممكن. قلت: فما هو؟

قال: اكتب ما شئت في سياسة الحكومة، ثم اجعل توقيعك في آخر المقال هكذا: «مصطفى صادق الرافعي؛ غير موظف بالحكومة» . . . . .

فهذه طريقة من طرق المجانين في حل المشاكل المعقَّدة، لا يكون الحل إلا عقدةً جديدةً يتم بها اليأس ويتعذَّر الامكان، وهي بعينها طريقةُ ذلك الطائر الأبله الذي يرى الصائد فيُغمِّض عينه ويلوي عنقه ويخبأ رأسه في جناحه ظناً عند نفسه أنه إذا لم يرَ الصائد لم يره الصائد، وإذا توهم أنه اختفى تحقق أنه اختفى؛ وما عمله ذلك إلا كقوله للصياد: إني غير موجود هنا . . . على قياس «غير موظف»

***

وقد كنت استفتيتُ القراء في (المشكلة) وكيف يتقي صاحبُها على نفسه وكيف تصنع صاحبتُها؛ فتلقيتُ كتباً كثيرة أهدت إليّ عقولا مختلفة؛ وكان من عجائب المقادير أن أول كتاب أُلقي إليّ منها — كتابُ «نابغة» كنابغة القرن العشرين، بعث به من القاهرة، وسمى نفسه فيه (المصلح المنتظر)؛ وهذه عبارته بحرفها ورسمها كما كُتبت وكما تُقرأ؛ قال:

نشر هذا النص كما هو، يكون أيضاً نصاً على ذلك العقل كيف هو . . . .

قال: «إن هذا الكون تمبت فيه آراء المصلحين، وكتب الأنبياء زهاء قرون عديدة، ودائماً نرى الطبيعة تنتصر. ولقد نرى الحيوان يعلم كيف يعيش بجوار أليفه، والطير كيف يركن إلى عش حبيبته، إلا الانسانُ. ولقد تفنن المشرعون في أسماء العادات والتقاليد والحيــة والشرف والعرض، وإن جميع هذه الأشياء تزول أمام سلطان المادة فما بالكم بسلطان الروح؟

ورأيي لهذا الشاب ألا يطيع أباه ولو ذهب إلى ما يسموه الجحيم (كذا) إذا كان بعد أن يعيش الحياة الواحدة التي يحياها ويتمتع بالحب الواحد المقدر له، مادام قلبه اصطفاها وروحه تهواها؛ ولو تركته بعد سنين قليلة لأي داع من دواع الانفصال. (كذا)

وهذا ليس مجرد رأي مجرب، وإنما هو رأي أكبر عقل أنجبته الطبيعة حتى الآن، وسينتصر على جميع من يقفون أمامه، والدليل أن هذا المقال سيشار اليه في مجلة (الرسالة)، وهذا الرأي سيعمل به، وصاحب هذا الرأي سيخلد في الدنيا، وسيضع الأسس والقوانين التي تصلح لبني الانسان مع سمو الروح بعد أن أفسدت أخلاقه عبادة المال

إن الانسان يحيا حياة واحدة فليجملها بأحسن ما تكون، وليمتع روحه بما تمتع به جميع المخلوقات سواه. وإلى الملتقى في ميدان الجهاد» (المصلح المنتظر) انتهى

وهذا الكتاب يحل (المشكلة) على طريقة غير «موظف» ... فليعتقد العاشق أنه غير متزوج فاذا هو غير متزوج، وإذا هو يتقلب فيما شاء؛ وتسأل الكاتب ثم ماذا؟ فيقول لك: ثم الجحيم ...

وإنما أوردنا الكتاب بطوله وعرضه لأننا قرأناه على وجهين، فقد نبهتنا عبارة «أكبر عقل أنجبته الطبيعة حتى الآن» إلى أن في الكلام إشارةً من قوة خفية في الغيب، فقرأناه على وحي هذه الإشارة وهديها فاذا ترجمةُ لغة الغيب فيه: «ويحك يا صاحب المشكلة، إذا أردت أن تكون مجنوناً أو كافراً بالله وباليوم الآخرة فهذا هو الرأي. كن حيواناً تنتصرُ فيه الطبيعة والسلام

***

(١) انظر المقال الأول في العدد ١٢٣ من الرسالة. والمشكلة هي قصة عاشق أكره على الزواج من امرأة وهو يحب أخرى فكيف يصنع

تلك إحدى عجائب المقادير فى أول كتاب ألقى إلى ؛

أما العجيبة الثانية فان آخر كتاب تلقيته كان من صاحبة المشكلة نفسها . وهو كتاب آية فى الظرف وجمال التعبير وإشراق النفس فى أسرارها يَمُور مَوْر الضباب الرقيق من ورائه الأشعة ، فهو يحجب جمالاً ليظهر منه جمالاً آخر ؛ وكأنه يعرض بذلك رأياً للنظر ورأياً للتصوُّر ، ويأتى بكلام يقرأ بالعين قراءة وبالفكر قراءة غيرها . ولفظها سهلٌ سهل ، قريبٌ قريب ، حتى كأن وجهها هو يحدثك لا لفظها ، ومادة معانيها من قلبها لا من فكرها ، وهو قلبٌ سليمٌ مُتْقَفِّلٌ على خواطره وأحزانه مُسترسِلٌ إلى الايمان بما كُتب عليه استرساله إلى الايمان بما كُتب له ، فما به غرور ولا كبرياء ولا حقد ولا غضب ولا يُكرِه ما هو فيه

ومن نكد الدنيا أن مثل هـذا القلب لا يُخلَق بفضائله إلا ليُماقَب على فضائله ؛ فغِلظةُ الناس عقابٌ لرقته ، وغدرهم نكاية لوفائه ، وتهوُّرهم ردٌّ على أناته ، وحمقهم تكدير لسكونه ، وكذبهم تكذيبٌ للصدق فيه

وما أرى هذا القلب مأخوذا بحب ذلك الشاب ولا متَيَّماً به لذاته ، وإنما هو يتعلق صُوراً عقلية جميلة كان من عجائب الاتفاق أن عرضت له فى هذا الشاب أول ما عرضت على مقدار ما ؛ وسيكون من عجائب الاتفاق أيضاً أن يزول هذا الحب زوال الواحد إذا وُجدت العشرة ، وزوال العشرة إذا وُجدت المائة ، وزوال المائة إذا وُجد الألف

وبعد هذا كله فصاحبة المشكلة فى كتابها كأنما تكتب فى نقد الحكومة على طريقة جمل التوقيع : « فلان غير موظف بالحكومة » ... وهى فيما كتبت كالنهر الذى يتحدَّر بين شاطئيه مدَّعياً أنه هارب من الشاطئين مع أنه بينهما يجرى . تحبُّ صاحبها وتلقاه ؛ ثم هى عند نفسها غير جانية عليه ولا على زوجته ... فليت شعرى عنها ماعسى أن تكون الجناية بعد زواج الرجل غير هذا الحب وهذا اللقاء ؟

ونحن معها كأرسطاطاليس مع صديقه الظالم حين قال له : هَبْنا نقدر على محاباتك فى ألا نقول إنك ظالم ؛ هل تقدر أنت على ألا تعلم أنك ظالم ؟

ورأيها فى ( المشكلة ) أن ليس من أحد يستطيع حلَّها إلا صاحبها ، ثم هو لا يستطيع ذلك إلا بطريقة من طريقتين : فاما أن تكون ضحيةُ أبيها وأبيه ( تعنى زوجته ) ضحيته هو أيضاً ويستهدفَ لما يناله من أهله وأهلها فيكون البلاء عن يمينه وشماله ، ويكابد من نفسه ومنهم ما إنَّ أقلَّه ليذهبُ براحته وينغِّص عليه الحبَّ والعيش ، ( قالت ) : وإما أن يضحى بقلبه وعقله وبى ... ... .

وهذا كلام كأنها تقول فيه : إن أحداً لا يستطيع حل هذه المشكلة إلا صاحبها ، وأن صاحبها غير مستطيع حلها إلا بجناية يذهب فيها نعيمه ، أو بجنون يذهب فيه عقله . فان حلها بعد ذلك فهو أحد اثنين : إما أحمق أو مجنون ما منهما بد . . .

ولسان الغيب ناطق فى كلامها بأن أحسن حل للمشكلة هو أن تبقى بلا حل ، فان بعض الشر أهون من بعض

***

والعجيبة الثالثة أن « نابغة القرن العشرين » جاء زائراً بعد أن قرأ مقالات ( المجنون ) فرأى بين يدىَّ هذه الكتبَ التى تلقيتها وأنا أعرضها وأنظر فيها لأتخير منها ، فسأل بخبرته الخبر ؛ فقال : إن صاحب هذه المشكلة مجنون لو امتحنوه فى الجغرافيا وقالوا له ما هى أشهر صناعة فى باريس لأجابهم : أشهر ما تعرف به باريس أنها تصنع ( البودرة ) لوجه حبيبتى . . .

قلت : فكيف يرتد هذا المجنون عاقلاً ؟ وما علاجه عندك ؟

قال : وَجِّهْ فى طلب ا . ش ليجيء ، فلما جاء قال له ا كتب : جلس « نابغة القرن العشرين » مجلسه للافتاء فى حل المشكلة فأفتى مرتجلاً :

إن منطق الأشياء وعقلية الأشياء صريحان فى أن مشكلة الحب التى يعسر حلُّها ويتعذَّر مجازُ العقل فيها ، ليست هى مشكلة هذا العاشق أكرهوه على الزواج بامرأة يحملها القلب أولا يحملها ، وإنما تلك هى مشكلة أمبراطور الحبشة يريدون إرغامه أن يتزوج إيطاليا ، ويذهبون يزفونها إليه بالدبابات والرشاشات والغازات السامة

ولو لم يكن رأس هذا العاشق المجنون فارغاً من العقل الذى يعمل عمل العقل ، إذن لكانت مجارى عقله مطردة فى رأسه فانحلّت مشكلته بأسباب تأتى من ذات نفسها أو ذات نفسه ، غير أن فى رأسه عقلَ بطنه لا عقل الرأس ، كذلك الشره البخيل

الذى طبخ قِدْراً وقعد هو وامرأته يأكلان . فقال ما أطيبَ هذه القِدْرَ لولا الزحام . . . قالت امرأته : أى زحام ههنا ؟ إنما أنا وأنت . قال : كنت أحب أن أكون أنا والقدر فقط . . .

فعقلُ النهم فى رأس هذا كعقل الشهوة فى رأس ذاك ؛ كلاهما فاسدُ التقدير لا يعمل أعمال العقول السليمة ؛ ويريد أحدهما أن تبطل الزوجة من أجل رطل من اللحم ، ويريد الآخر مثل ذلك فى رطل من الحب . . .

وإذا فسد العقل هذا الفساد ابتلى صاحبَه بالمشاكل الصبيانية المضحكة لا تكون من شىء كبير ، ولا يكون منها شىء كبير ؛ وهى عند صاحبها لو وُزنت كانت قناطير من التعقيد ؛ ولو كِيلتْ بلغت أرادب من الحيرة ؛ ولو قيست امتدت إلى فراسخ من الغموض

هاتان المرأتانْ : ( الحبيبة والزوجة ) ، اما أن تكونا جميعاً امرأتين فالمعنى واحد فلا مشكلة ؛ وإما ألا تكونا امرأتين فالمعنى كذلك واحد فلا مشكلة ؛ وإما أن تكون إحداهما امرأة والأخرى قردة أو هِرْدة وههنا المشكلة . ( حاشية : الهردة من أوضاع نابغة القرن العشرين فى اللغة ومعناها الأنثى ليست من إناث الأناسىّ ولا البهائم . . . )

فان زعم العاشق أن زوجته قردة فهو كاذب ، وإن زعم أنها الهردة فهو أكذب . والمشكلة هنا مشكلة كل المجانين ، فى مخه موضع أفرط عليه الشعورُ فأفسده ، وأوقع بفساده الخطأ فى الرأى ، وابتلاه من هذا الخطأ بالعمى عن الحقيقة ، وجعل زوجته المسكينة هى ممرض هذا العمى وهذا الخطأ وهذا الفساد ؛ ولا عيب فيها ، لأنها من زوجها كالحقيقة التى يتخبط فيها المجنون مدةَ جنونه فتكون مَجلَى هَذَيانه وممرضَ حماقاته ، وهى الحقيقة غير أنه هو المجنون

فان كانت هذه الحقيقة مسئلةً حسابيةً استمر المجنون مدة جنونه يقول للناس : خمسون وخمسون ثلاثة عشر ، ولا يصدق أبداً أنها مائة كاملة ؛ وإن كانت مسئلةً علميةً قضى المجنون أيامه يُشعِل التراب ليجعله باروداً ينفجر ويتفرقع ، ولا يدخل فى عقله أبداً أن هذا تراب منطقىٌ بالطبيعة ؛ وإن كانت مسئلةً قلبية استمر المجنون يزعم أن زوجته قردة أو هِردة ولا يشعر أبداً أنها امرأة

فان صح أن هذا الرجل مجنون فعلاجه أن يُربط فى المارستان ثم يجىء أهله كل يوم بزوجته فيسألونه : أهذه امرأة أم قردة أم هردة ؟ ثم لا يزالون ولا يزال حتى يراها امرأة ويعرفها امرأته فيقال له حينئذ : إن كنت رجلاً فتخلق بأخلاق الرجال

أما إن كان الرجل عاقلاً مميزاً صحيح التفكير ولكنه مريض مرض الحب ، فلا يرى ( النابغة ) أشفى لدائه ولا أنجع فيه من أن يستطبّ بهذه الأشفية واحداً بعد واحد حتى يذهب سقامه بواحد منها أو بها كلها :

الدواء الأول : أن يجمع فكره قبل نومه فيحضره فى زوجته ثم لا يزال يقول زوجتى ، زوجتى ، حتى ينام . فان لم يذهب ما به فى أيام قليلة فالدواء الثانى

الدواء الثانى : أن يتجرع شربة من زيت الخروع كل أسبوع . . . ويتوهم كل مرة أنه يتجرعها من يد حبيبته ، فان لم يشفه هذا فالدواء الثالث

الدواء الثالث : أن يذهب فيبيت ليلة فى المقابر ، ثم ينظر نظره فى أى المرأتين يريد أن يلقى الله بها ورضاها عنه وبثوابه فيها ؛ وأيتهما هى موضع ذلك عند الله تعالى ، فان لم يُبصر رشده بعد هذا فالدواء الرابع .

الدواء الرابع : أن يخرج فى ( مظاهرة ) . . . فاذا فقئت له عين أو كسرت له يد أو رجل ثم لم تحلّ حبيبته المشكلة بنفسها . . . فالدواء الخامس

الدواء الخامس : أن يصنع صنيع المبتلى بالحشيش والكوكايين ، فيذهب فيُسلم نفسه إلى السجن ليأخذوا على يده فينسى هذا الترف العقلى ، ثم ليعرف من أعمال السجن جدّ الحياة وهزلها ، فان لم ينزع عن جهله بعد ذلك فالدواء السادس

الدواء السادس : أنه كلما تحرك دمه وشاعت فيه حرارةُ الحب ، لا يذهب إلى من يحبها ولا يتوخى ناحيتها ، بل يذهب من فوره إلى حجّام يحجمه . . . ليطفئُ عنه الدم بإخراج الدم ؛ وهذه هى الطريقة التى يصلح بها مجانين العشاق ، ولو تبدلوا بها من الانتحار لماشوا هم وانتحر الحب

قال « نابغة القرن العشرين » : فان بطلت هذه الأشفيةُ الستة وبقى الرجلُ جَمُوحاً لا يُردُّ عن هواه فلم يبق إلا الدواء السابع

# سفارة أندلسية

## إلى ملك النورمانيين

### في القرن الثالث الهجري

للأستاذ محمد عبد الله عنان

لبث عرب الأندلس منذ الفتح زهاء قرنين في مأمن من الغزوات الخارجية، لا تزعجهم سوى الحروب والمعارك الداخلية، ولم تشعر الأندلس المسلمة بخطر الغزو الخارجي في تلك الفترة إلا من ناحية واحدة، هي ناحية مملكة الفرنج التي بلغت ذروة القوة والبأس في عصر عاهلها كارل الأكبر (شارلمان)، والتي استطاعت من قبل أن تستخلص من يد العرب رباط الثغر وكل أملاكهم في لانجدوك وما وراء جبال البرنيه، وأن تغزو اسبانيا المسلمة من الشمال أكثر من مرة؛ ولكن هذا الخطر الداهم لم يلبث أن خبا عقب انحلال المملكة الفرنجية وتوطد الدولة الأموية في الأندلس

بيد أن الأندلس لم تلبث أن عرفت خطراً آخر لم تكن لتفطن إليه أو تتحوط لرده؛ ذلك هو خطر الغزوات البحرية النورمانية؛ وقد ظهر هذا الخطر فجأة حينما ظهرت سفن النورمانيين في مياه الأندلس لأول مرة في سنة ٢٣٠ هـ (٨٤٣ م) في عصر أمير الأندلس عبد الرحمن بن الحكم، وعاثت في ثغور الأندلس، ووصلت إلى أشبيلية، واقتحم الغزاة بسائطها بالنار والسيف؛ ولم يك لعرب الأندلس يومئذ معرفة بتلك الأمة البحرية التي جاءت من أقاصي الشمال غازية في أقاصي الجنوب، فعرفوها وآنسوا خطرها ومنعتها؛ وعرفوها عندئذ باسم «المجوس»؛ ذلك لأن النورمانيين كانوا يومئذ أمة وثنية تعبد النار والكواكب والعناصر، ثم عرفوها فيما بعد باسم «المجوس الأردمانيين»، أعني النورمانيين؛ وكانت الأندلس حتى ذلك الحين تعنى بأسباب الدفاع الداخلية والبرية، ولا تعنى كثيراً بأمر الأسطول أو التحصينات البحرية؛ فلما شهدت جرأة أولئك الغزاة المجهولين، وشدة عيثهم بشواطئها وثغورها، عنيت بأمر الأسطول والثغور، ولم يأت عصر عبد الرحمن الناصر حتى كان للأندلس أسطول فخم يسيطر على تلك المياه، ويحمي ثغور الأندلس من كل غزو واعتداء

وقد ترددت حملات النورمانيين على شواطئ الأندلس مراراً، في عصر عبد الرحمن بن الحكم، كما قدمنا، ثم في عصر ولده محمد (٢٤٥ هـ - ٨٥٩ م)، ثم بعد ذلك بنحو قرن في عصر الحكم المستنصر (٣٥٥ هـ - ٩٦٦ م)، ثم في عهد الطوائف (٤٥٧ هـ - ١٠٦٥ م)، وكانت في كل مرة تبث الذعر والروع والخراب أينما حلت، بيد أنها كانت ترد على أعقابها بعد معارك برية وبحرية طاحنة؛ وكانت تقنع دائماً بما تحصل من الغنائم والسبي، ولا تمكن من البقاء أو الاستقرار وسير هذه الغزوات البحرية مشهورة في الروايات الاسلامية والنصرانية، وليس من موضوعنا أن نعنى بتفاصيلها، وإنما نعنى هنا بحادث دبلوماسي شهير، كان من بعض آثار هذه الغزوات، وهو من الحوادث الدبلوماسية الفريدة في علائق الشرق والغرب والاسلام والنصرانية.

---

الدواء السابع: أن يضربَ صاحبُ المشكلة خمسين قناةً يصكُّ بها[1] واقعةً منه حيث تقع من رأسه وصدره وظهره وأطرافه، حتى يتهشم عظمه، وينقصف صلبه، وينشدخ رأسه وينفرى جلده؛ ثم تُطلى جراحُه وكُسوره بالأطلية والمراهم وتوضع له الأضمدة والعصائب، ويترك حتى يبرأ على ذلك أعوج متخلعاً مبعثرَ الخلْق مكسورَ الأعلى والأسفل، فان في ذلك شفاءَه التام من داء الحب إن شاء الله

قلنا: فان لم يشفه ذلك ولم يصرف عنه غائلة الحب؟

قال: إن لم يشفه ذلك فالدواءُ الثامن

الدواء الثامن: أن يعاد علاجه بالدواء السابع ......

(لها بقية) مصطفى صادق الرافعي

---

(١) القناة هي العصا الغليظة التي يقال لها «النبوت». والصك خاص في ضرب الرأس، ولكن لما كانت عظام صاحب المشكلة مقصودة في هذا العلاج ... فقد جاز استعمال الصك في الجسم كله كما رأيت

إلى الفاضل البري بصور: لا وقت لي فأبحث وأجيبك عن كل هذه المسائل، ولكني سأعهد في ذلك إلى بعض أصحابنا ممن أكلوا الكتب وأكلتهم، وقد انتظرت فانتظر أيضاً الرافعي

قام النورمانيون بغزوتهم البحرية الأولى لشواطئ الأندلس في سنة ٢٣٠ هـ (٨٤٣ م) في عهد عبد الرحمن بن الحكم ، وعاثوا في بسائط أشبونه وأشبيلية ولبلة ؛ ولم يستطع الأندلسيون رد أولئك الغزاة الشقر إلا بعد جهود جهيدة ومعارك طاحنة ، وبعد أن رأوا من جرأتهم وشجاعتهم وشدة فتكهم ما يؤذن بانتمائهم لأمة قوية عظيمة ؛ عندئذ رأى أمير الأندلس عبد الرحمن ابن الحكم أن يسبر غور هذه الأمة المجهولة ، وأن يسعى إلى مهادنتها وعقد أواصر الصداقة معها ، في نفس الوقت الذي يعنى فيه بتقوية الأسطول وتحصين الثغور ، فانتهز فرصة مقدم الرسل النورمانيين إلى قرطبة لعقد الصلح بعد هزيمة الغزاة وجلائهم عن الثغور الأندلسية ، وقرر أن يوفد معهم إلى ملك النورمانيين سفارة يؤكد بها الودة والصداقة

واختار أمير الأندلس لسفارته رجلا جعلته صفاته الخاصة خير من يستطيع الاضطلاع بتلك المهمة هو يحيى بن الحكم المعروف بالغزال ؛ وكان الغزال شاعراً رقيقاً من أهل جيان ، وكان يومئذ من أكابر رجال الدولة والبلاط ، يصطفيه عبد الرحمن ويؤثره برعايته وتقديره لما كان يتمتع به من خلال وكفايات خاصة في الادارة والسياسة . وكان عبد الرحمن قد اختاره قبل ذلك ببضعة أعوام ليكون سفيره لدى قيصر قسطنطينية الامبراطور نيوفيلوس ؛ وكان الامبراطور قد بعث اليه سفارة وهدية فخمة ليخطب وده ومحالفته ويرغبه في ملك أجداده في المشرق حقداً منه على المأمون والمعتصم؛ فرحب عبد الرحمن برسل الامبراطور ، وبعث إليه يحيى الغزال بهدية فخمة ( ٢٢٥ هـ — ٨٣٦ م ) فأدى الغزال سفارته ببراعة ، واستطاع أن يخلب الباب الإمبراطور وبطانته بذلاقته وحسن بيانه ورقة شمائله ؛ واستمر عبد الرحمن بعد ذلك يسند اليه مختلف المهام الدقيقة فيؤديها بكياسة وبراعة ؛ وكان الغزال في الواقع رجلا خلابا وسيم الطلعة — ومن ثم سمي بالغزال — يتمتع بصفات السياسي البارع وخلاله ومؤثراته ، ويستخدمها دائما بفطنة ونجاح

وقد انتهت الينا عن هذه السفارة الفريدة رواية اسلامية ضافية لكاتب أندلسي عاش في القرن الثاني عشر الميلادي وهو أبو الخطاب بن دحية البلنسي في كتاب له يسمى « المطرب في أشعار أهل المغرب » [1] ؛ وفيه يسرد تفاصيل رحلة الغزال إلى بلاد النورمانيين ، ويورد لنا طرفا من خلاله وشيئاً من نظامه ؛ بيد أن هذه الرواية الضافية تعنى بالناحية الشخصية والأدبية أكثر مما تعنى بالتحقيق التاريخي ، ومن ثم فان كثيراً من الغموض يحيق بالمكان وبالظروف التي وقعت فيها هذه السفارة ويترك المجال واسعاً لمختلف الفروض

تقول الرواية إن يحيى الغزال ومساعده يحيى بن حبيب خرجا من مياه الأندلس الجنوبية في سفينة أندلسية خاصة أعدت لهما ، وسارت بهما إلى جانب سفينة الرسل النورمانيين ؛ واتجهت السفينتان نحو الغرب حتى خرجتا إلى المحيط ؛ وشهد السفير المسلم من عصف الرياح وروعة الموج أهوالاً ؛ وقد ترك لنا الغزال في وصفها شعراً يقول فيه :

قال لي يحيى وصرنا ... بين موج كالجبال
وتولتنا رياح ... من دبور وشمال
شقت القلعين وانبتـ ... ـت عرى تلك الحبال
وتمطى ملك المو ... ت الينا عن حيال
فرأينا الموت رأى العيـ ... ـن تحالا بعد حال

ولكن الركب وصل سالما إلى « بلاد المجوس » بعد رحلة شاقة مروعة ؛ وسار الغزال وزميله إلى مستقر ملك النورمانيين . أما عن مستقر مملكة النورمانيين ( المجوس ) فتقول لنا الرواية ما يأتي : « وهي جزيرة عظيمة في البحر المحيط فيها مياه مطردة ، وجنات ، وبينها وبين البر ثلث مجار ، وهي ثلثمائة ميل ، وفيها من المجوس ما لا يحصى عددهم ؛ وتقرب من تلك الجزيرة جزائر كثيرة منها صغار وكبار أهلها كلهم مجوس ، وما يليهم من البر أيضاً لهم مسيرة أيام ، وهم مجوس ، وهم اليوم على دين النصرانية[2] »

وهنا موضع الغموض والحدس . إذ ما هو ذلك القطر الذي تعنيه الرواية الاسلامية ، والذي كان مستقرا لملك النورمانيين وقت مقدم الغزال ؟ لقد كان للفيكنج أو النورمانيين

(١) مازال هذا الكتاب مخطوطا ، وتوجد منه نسخة في المتحف البريطاني وقد نقل الينا دوزي رواية ابن دحية عن سفارة الغزال في كتابه Recherches, II. App. XXX IV

(٢) راجع رواية ابن دحية في كتاب دوزي المشار اليه

يومئذ ملك فى الشمال ، فى دانماركه ، وكان سلطانهم منذ أوائل القرن الثامن يشمل دانماركه وقسما من اسكندناوه ، وألمانيا الشمالية حتى فرزيا ؛ ويلوح لنا من تأمل الوصف الذى تقدمه لنا الرواية الاسلامية عن رحلة الغزال فى بحار خطرة مروعة ، وعن طبيعة القطر الجزرية ، أن هذا القطر هو الدانماركه ، فهو شبه جزيرة يحيط بها عدد كبير من الجزائر ؛ ومن هذه الجزائر كانت تخرج حملات النورمانيين الغازية الى البحار الغربية والجنوبية . وكان يجلس على عرش النورمانيين فى ذلك الوقت ( نحو سنة ٨٤٤ أو ٨٤٥ م ) ملك يسمى « هوريك » ، وكان النورمانيون يومئذ أحداثا فى النصرانية ، حسبما تقول الرواية الاسلامية ، لأنهم بدأوا باعتناقها قبل ذلك بنحو عشرين عاما فقط . بيد أن هناك احتمالاً آخر يمكن الأخذ به ، وهو أن القطر الذى زاره السفير الاسلامى ليؤدى رسالته الى زعيم الفيكنج ربما كان جزيرة ارلندة التى تنطبق طبيعتها وموقعها على أوصاف الرواية الاسلامية ، وكان الفيكنج قد فتحوها قبل ذلك بأعوام ( ٨٤٠ م ) واستقروا فى شمالها ، واتخذها زعيمهم « تورجيس » أو « ترجستر » قاعدة لملكه

وعلى أى حال فقد لقى السفير المسلم من ملك النورمانيين كل ترحاب وعطف ، وأفرد لاقامته وزملائه منزلاً حسناً ؛ وتصف لنا الرواية بعد ذلك كيف استقبل الملك الغزال ، وكيف أعجب بجرأته وذلاقته ولباقتــه ، وكيف قدم اليه الغزال كتاب الأمير عبد الرحمن وهديته من الثياب والآنية ، فوقعت لديه أحسن موقع . ولقى الغزال مثــل هذا الاعجاب والعطف فى البلاط النورمانى كله . ثم تقدم لنا الرواية تفاصيل شائقة عن صلات الغزال بملكة النورمانيين « نود » ومواقفــه منها ، وقد رآها الغزال لأول مرة فراعه حسنها ، وصرح أمامها بأنه لم ير فى حياته مثل هذا الحسن الشعرى الفائق مع كثرة ما شاهد من النساء الحسان فى مختلف القصور ؛ وكان الغزال يومئذ قد جاوز الخمسين من عمره ولـكنه كان لا يزال جذاباً وسيم الطلعة ؛ فأعجبت الأميرة بروائه وظرفه وحسن بيانه ، وكثيراً ما كانت تستدعيه للتمتع بحديثه الساحر ؛ وكان الغزال من جانبه يهرع الى مجلسها ويكثر من زيارتها حتى حذره أصحابه من ذلك ، ولـكنه لم يعبأ بذلك لما يلقاه منها من التشجيع والعطف ؛ وتقص الرواية علينا بعض مواقفه ومداعباته مع تلك الأميرة الحسناء ؛ ومن ذلك قوله ذات يوم فى مجلسها يتغنى بحسنها :

كلفت يا قلبى هوى متعباً ... غالبت فيه الضيغم الأغلبا
انى تعلقت مجوســية ... تأبى لشمس الحسن أن تغربا
أقصى بلاد الله فى حيث لا ... يلقى إليـه ذاهب مذهبا
يا نود يا رود الشباب التى ... تطلع من أزرارها الـكوكبا

وقوله ذات يوم وقد أمرته الأميرة بأن يخضب شعره الأشيب ففعل ، واستحسنت خضابه :

بكرت تحسن لى سواد خضابى ... فكأن ذاك أعادنى لشـــبابى
ما الشيب عندى والخضاب لواصف
إلا كشمس جللت بضـــباب
تخفى قليلاً ثم يقشعها الصبا ... فيصير ما سترت به لذهاب
لا تنكرى وضح المشيب فانما ... هو زهرة الأفهام والألباب
فلدى ما تهوين ، ماشأن الصبى ... وطلاقة الأخلاق والآداب

وعاد الغزال الى الأندلس بعد رحلة دامت عشرين شهراً ومعه كتاب من ملك النورمانيين الى عبد الرحمن بن الحكم ؛ وكان عوده عن طريق شنت ياقوب ثغر جليقية . وقد أدى الغزال سفارته خير الأداء بلا ريب ، ولـكن ماذا كان موضوع هذه السفارة وغايتها الحقيقية ؟ هذا ما لم تفصح عنــه الرواية ، وإن كنا نعتقد أنها كانت سفارة مودة وصداقة فقط

وعاش الغزال بعد ذلك أعواماً طويلة ، وتوفى بعد الخمسين ومائتين فى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن ، وقد أربى على الثمانين ؛ وكان مدى نصف قرن يتبوأ الزعامة فى ميدان الشعر والأدب والحكمة ، ويتبوأ فى بلاط قرطبة أسمى مقام من النفوذ والثقة والتقدير (١)

محمد عبد الله عنان

(١) راجع رواية ابن دحية المتقدمة الذكر فى دوزى Recherches, II, App. 34 — وراجع أيضاً نفح الطيب للمقرى حيث ورد ترجمة الغزال وطرفا من شعره ( مصر ) ج ١ ص ٤٤١ وما بعدها

# تاريخ الأدب النسوى
## فى فرنسا

للأستاذ محمد بك كرد على

Jean Larnac : Histoire de la littérature féminine en France

بينا نرى تركيا تفوز بمساواة المرأة بالرجل ، وتعترف لها بحقوقها السياسية فى المجتمع ، غير ناظرة إلى ماضيها وحاضرها ، ولا لاستعدادها المطبوع والمكسوب ، ولا إلى قلة عدد المتعلمات من بنات جنسها فى بلادها ، يخيل اليها أن تجعل منهن أو أن ترتجل منهن عالمات مفكرات ناخبات منتخبات — بينا نرى هذا فى الشرق وتركيا تضع تشريعاً جديداً تجرى أحكامه فى أمة تغرق كثرتها الغامرة فى بحر لجى من الجهالة والأمية ، نرى رجال الغرب على كثرة ما بلغته المرأة عندهم من درجات النشوء والرقى ، يحاذرون أن تساوى الرجل عندهم فى كل الحالات ، ناظرين فى ذلك إلى عدة اعتبارات نفسية وجسمية وعلمية وأدبية وتاريخية

جزأة مستغربة من الترك فى محاولة أمر لم تتم أسبابه ، ولا بعضها ، وتأن لا غرابة فيه من الغربيين ممن بنوا مدنيتهم على العقل ، وساروا بسنة التطور الطبيعى فى كل مظاهرهم ، فأحدثوا هذه الحضارة القائمة على أساس راسخ من العمل والنظر ، ولو نسج الغرب خيوط مدنيته بالخيال ، تمليها العواطف ، ولا يدعمها العقل المولد ، ولا التجارب المسددة ، لما شهدنا هذه المدنية تتفوق على غيرها ، وتكسف شمس المدنيات القديمة التى كان من أعظم ما منيت به عصور جهالات كانت سود لياليها ، ونظريات خيالية ، فقد فيها التسلسل ، ومات منها الابداع

حقا إن أهل البصيرة لا يفهمون سراً لهذه المغامرة فى جمهورية الترك ، إلا إذا غالطوا حسهم . أليس من أعاجيب الدهر أن ينام الأتراك قروناً عن الأخذ بمذاهب الحضارة ، ويهبوا اليوم دفعة واحدة يحاولون أن ينفذوا قوانين الجمهورية السويسرية فى سكان آسيا الصغرى . ولا يختلف اثنان أن السويسريين أصحاب هذا القانون وصلوا اليه فى عدة قرون ، فاستووا أرقى شعب فى الأرض ، أو أول شعب يجىء فى الصف الأول بين الأمم المتفوقة ، والترك بلا جدال مهما غرت ظواهرهم ، متأخرون فى معظم مظاهرهم فى سلم المدنية ، على ما عرفناهم وعرفهم غيرنا من الباحثين من أهل الشرق والغرب

وأعجب من هذا كله أن تحرم المرأة السويسرية الراقية من حق الانتخاب وترزقه المرأة التركية

أمامى الآن «تاريخ الأدب النسوى فى فرنسا» لجان لارنكان ، قرأته مرتين فما بلغت حظ النفس فى تلاوته ، لما ضم من الفوائد الأثيرة ، وليت العاملين والعاملات لانهاض الشرق القريب يتدبرون بعض ما فيه . وطبقات البشر تكاد تكون واحدة إذا تساوى أهلها فى شروط العيش والبيئة والثقافة . وإن ما يحاوله القدمون علينا فى سلم الحضارة والنشوء الانسانى حرى بالمتأخرين عنهم فى معظم مقومات الحياة أن يحتذوا مثاله ، ويتأدبوا بأدبه ، ويأخذوا من مضامينه عبرة وعظة . والمدنية مذ كانت ينقل فيها المتأخر عن المتقدم ، ولا ضير فى ذلك ولا غضاضة

قلت يوماً لأحد علماء الترك المتنورين : أما بلغك أن دمشق ستنار بعد قليل بالكهرباء ، وتسير فيها الحوافل الكهربائية ؟ فضحك وأجاب : إن حالكم بهذه الزينة الجديدة تقام بأيدى الغرباء ، أشبه بامبراطور كوريا لبس على رأسه تاجاً من ذهب ، ولا سراويلات له تستر عورته . وكان الأولى يا صاح أن تكون للبلدة طرق معبدة ، وترزق حظاً من التنظيم قبل الكهرباء . وأنا أقرر الآن أنه كان الأولى قبل أن تمنح المرأة الشرقية حق التشريع فى مجالس النواب أن تتعلم وتتربى ، حتى إذا استوفت حظها على النحو الذى وصلت اليه المرأة الغربية ، ومتى تملت القروية كالبلدية كل ما يلزمها فى صراع الحياة تتمتع بالحقوق السياسية كالمرأة الانجليزية

جملة معترضة ساقت إليها المناسبة . والآن نرجع إلى تحليل الكتاب الجديد فنقول : عالج المؤلف هذا الموضوع أعواماً طويلة فى الصحف والمجلات وفى أسناد له ورسائل ، وكتابه هذا زبدة تجاربه وعصارة علمه وعمله . بدأه بفصل فى تاريخ المرأة فى القديم . فقال إن الرجل بينا كان فى العصور الخوالى صياداً محارباً عرافاً يسير فى العالم على هواه ، ويظفر طفراته فى سبيل المعرفة كانت المرأة ثابتة فى دارها ، خاضعة خانعة لا يتسع نظرها لأكثر من أعمال بيتها ، وتلقين بنيها التربية الأولى . وكان

النساء في يونان القديمة لا معرفة لهن بغير غزل الصوف يتممدن القناعة لا يسألن أزواجهن غير هذا . ولذلك قال أفلاطون : إن القرد قرد مهما كان ، والمرأة مهما كان عملها تظل امرأة أي غبية مجنونة . يريد المزؤ بها . وقد بقي هذا المزؤ بالنساء قروناً في الأرض حتى كانت النصرانية ، ورأى رجال الكنيسة أن يحولوا دون زواج القائمين بأمر الدين فيها ، فصوروا المرأة بصورة بشعة تزهيداً منهم فيها ، حتى تساءل أحدهم أن كان للنساء نفس

وجاء القرن الثاني عشر ، والنساء مأخوذات بعوامل كثيرة في نهضتهن ، ليس لهن من الحرية ما يتسع لكثير من أسبابها ، ولئن أخذ كثير من الأساودة أو الفرسان وخدام الملوك يرون من الشرف رعاية السيدات ، ومعاملتهن بقواعد اللياقة والظرف ، فإن كثيرين من المحافظين في الغاليين ( الغول ) كانوا يبالغون في وصف النساء بما لا يليق ، ويحرمونهن كل حرية . أما النساء فكن يصبرن على هذه المعاملة ويحاولن الخروج من حالتهن السيئة ، ويقين بين عوامل الحرمة وعوامل الاحتقار مدداً متطاولة ، ولا يمددن مع هذا أناساً من طبقات مختلفة يحمونهن وبفضلهم يتصدرن ويظهرن ، وأما القاعدة العامة فالتشديد عليهن والمبالغة في الاحتفاظ بالتقاليد الموروثة . وقل فيهن من كن يستطعن أن يكتبن كتابة بسيطة ، أو ينظمن ولو نظماً سخيفاً

وأصبحت إيطاليا في القرن السادس عشر مصدر الآداب والفنون الأدبية ؛ وسرى الفرنسيس على مثال الطليان ، بأن جعلوا المرأة موضع إعجابهم ، فأخذ بعض الكاتبين في فرنسا يضعون رسائل وكتباً في تاريخ المرأة ، وكان أكثر ما وضع بإيعاز الملكات ، فكان هذا القرن قرن رفعة المرأة ، جسر فيه كستكليون في إيطاليا أن يقول . لولا النساء لتعذر كل شيء ، ولولا هن لما كانت الشجاعة العسكرية ولا الفنون ولا الشعر ولا الموسيقى ولا الفلسفة بل ولا الدين ، وما عرفنا المولى في الحقيقة إلا بهديهن

وبدأ النساء يستعملن قرائحهن ، فنشأ بينهن بعض القصصيات وواصفات الحكايات والشاعرات ، وقل فيهن من كان لها قريحة يعتد بها . ولم يكن الماهرات منهن أكثر من هواة يتفنن ويتنشن من الآداب . وأنشأت مدينة ليون لقربها من إيطاليا ، وكانت تدعى « فلورنسة فرنسا » تتذوق الآداب والفنون ، وظهرت فيها المطبعة قبل أن تؤسس في باريز ، وجعل فرنسوا الأول من مدينة ليون مضم جيوشه خلال حرب إيطاليا فنشأت فيها حركة فكرية ندر وقوع مثلها في مدن الولايات ، فكانت منازلها مواطن الظرف واللطف والنساء يصطنعن فيها كل ما يعجب به الرجال . ومنهن من كانت تجيب على ما يوجه إليها من كلمات المديح بأبيات من الشعر ، وتجرأ على نقد ذوق الباريزيات ، فأصبحن بذلك ملكات الذوق والأناقة والجمال ، وفتح كثير من نبيلاتهن قاعاتهن لانشاء قصائد كان ناظموها يجوزون لأنفسهم تمجيد جسم الحبيبة والتغزل بكل ما فيه ، فاتقى الأشراف من الأزواج عنتاً من هذا التمجيد ، ولطالما احمرت الوجوه بما يقال ، وكان يومئذ للحياء سلطان على النفوس

ففي القرن السادس عشر إذاً أحرز النساء مقاماً محموداً في المجتمع بفضل الشعراء والنبلاء ، وبقي عليهن أن يطالبن بحقهن في التعليم وحقهن في النبوغ . واشتد الجدال فيما إذا كان للمرأة الحق في التعليم لتكون عالمة . ومن النبلاء من قضى للأميرات والنبيلات بتلقف مبادىء العلم ليستطعن إدارة أرضهن ويحكمن رجالهن ، ويدرن شؤونهن ، واقتصر الأمر على هذه الطبقة فقط . وبذلك أرجعوا البنات الطامحات من سائر الطبقات إلى عمل المنازل ، ونشأ من ذلك حوار طويل دعوه خصام الآباء ، والنساء مع هذا لم يداخلهن اليأس . ولم يقعدهن عن المضي في سبيلهن عائق . وما طلع القرن التاسع عشر حتى دخل النساء في طور العمل بالمطالبة بحقوقهن في التربية ، ولم يكن لنساء الشعب معرفة بشيء : أما العقائل فكن يجلبن لبناتهن معلمين أو يبعثن بهن إلى الأديار ، وكانت بعض الراهبات تعلم الناس منذ القرن السادس عشر مسائل بسيطة لا يستطيع بها المتعلمات تصحيح الاملاء ، ولاحذق شيء من صرف اللغة ونحوها . وقام في ذهن بعضهم أن الواجب إدخال تعديل على هذه الحالة . وقال العالم مالبرانش ، بعد أن درس دماغ الرجل ودماغ المرأة : إن الواجب تعليم النساء تعليما صحيحاً . وارتأت مدام دى سيفينيه ، فيما كتبت به إلى ابنتها من الرسائل أن تلقن أولادها قليلاً من العلم تلقيناً حسناً ، وأن يلقن الفتيات الأدب خاصة

وقل أن جسرت امرأة في القرن الذي نشأت فيه مدام

دى سيفنيه ومدام دى لافاييت أن توقع كتابتها أو تأليفها ، مخافة أن تستهدف للسخرية . وما كان حول لويز الرابع عشر الملك العظيم سوى كاتبات يصرفن أوقات فراغهن فى الكتابة ، وما اقتدرت واحدة أن تكتب رواية تمثيلية ؛ وكان تأليف هذه الروايات وقفاً على الرجال . وعانى النساء فن الرسائل والشعر فى قلة . ودعى هذا القرن قرن المجتمعات والمحادثات . ومن هذا القرن خاف الكاتبات رسائل تجلت فيها مواهبهن فى الكتابة . ذلك لأن الرسائل غير محدودة الحدود ولا تربكها القواعد ، ولا تستلزم أكثر من ذهن وقاد ، وتفكير ذاتى ، وإرادة فى الاعجاب ، وحاجة يأمن معها المراسل صاحبه ، وهى صفات تفرد بها النساء . وما برّز فى هذا الباب أكثر من مدام دى سيفنيه ، ولا كُتب لامرأة أن دانتها فى هذا الباب . كانت تمشق المجد ؛ ولا نعلم لو رأت من زوجها عطفاً — وكان زير نساء فسِّيقا — هل كانت تبرز هذا التبرز ؟ ومع هذا كانت تهوى من ترى ذات اليمين وذات الشمال على مثال أعظم كبريات السيدات فى عصرها . وهكذا يقال فيمن أحرز شهرة مثلها ، وإن كن أقل منها مكانة . كانت دى سيفنيه أماً عاشقة مولهة ، وكاتبة متفردة بهذرها ، وهذرها عبارة عن شعور قوى فيها تحاول بثه ولا تحتاج فى ذلك إلى تأمل كثير . ورسائلها ملأى بالجذل والسرور والتنويع والبديهة ، وهى مرآة عصر القرن العظيم . والنساء فى هذا الجنس من الكتابة يبرزن ويتفوقن

أما مدام لافاييت فالناس على أنه كان لها مؤازرون من الرجال يصقلون ما تنسخ قريحتها ، أو يضعون لها الخطط التى تسير عليها . وأصبح من المألوف أن يكتب الرجال ما ينشر من الآثار باسم النساء ؛ وكان موليير ووالو يهزآن بالنساء الكاتبات المؤلفات ، ولطالما سلقاهن بألسنة حداد . وكان جمهور النساء فى ذلك العصر على غاية الجهل ، ما خلا بعض العلية والطبقات المختارة ؛ ويختلف عدد الأميات بين سبعين وأربعة وتسعين فى المائة بحسب الأقاليم ، ومنهن من لا يحسن توقيع أسمائهن ؛ وأخذ بعضهن يحضرن بعض دروس الرجال ويتعلمن شيئاً من الرياضيات ، وظل أناس من أرباب المكانة ينعون على النساء ذكاءهن ويغنونهن من كل ثقافة . ورأى جمهور من الكاتبين أنه لا يليق المزؤ بالنساء إلى هذا الحد ، وأنشأوا يكبرونهن ويودون من الناس إجلالهن ، يقدمون النساء على الرجال فى الموائد والحفلات ؛ وإذا أحرز النساء هذا المقام الاجتماعى فى القرن الثامن عشر : فذلك بفضل ظهورهن فى الأندية الخاصة ؛ وكان البلاط الملكى فى مقدمة هذه المجالس ، وكانت كل امرأة تحررت فى الولايات أو العاصمة من بعض القيود تقيم لها ردهة استقبال ، يكون فيها دار ندوة للسياسة ومثابة للأدب . وكثرت هذه الأندية حتى حار الكتاب فى أيها يختارون . ومنها قامات بعض نساء أعضاء المجامع العلمية . وعلى هذا أصبح النساء يقدن بأيديهن الملكتين ويحكمن المجتمع ، عليهن عليه قواعد الحشمة ، ويأخذن بزمام الآداب ، ويحكمن الأحابيل لا ليجعلن من يحمونهن من الرجال فى جلة أعضاء المجمع العلمى ، حيث كانت لهن الكلمة المسموعة ، بل ليسمح لهن بنشر آراء شديدة اللهجة . ولم يكتفين بهذا ، بل كن يطمحن إلى المجد الأدبى فينشرن فى الصحف والمجلات ، ويقرأن ما يكتبن على من يختلف إلى مجالسهن . وغدا الولوع بالآداب من أمارات الظارف فى النساء . وكثر عديد النساء اللاتى تعلقن من الأدب بسبب ، وبلغ عددهن ثلثمائة مؤلفة فى الولايات والعاصمة ، وما فيهن واحدة تستهل المقابلة بينها وبين العقيلتين : سفنيه ولا فاييت . وصح بهذا أن يقال إن القرن الثامن عشر أمسى فى تاريخ فرنسا قرن نهضة المرأة . وما سبق لهن فى العصور الخالية أن يتملق لهن الناس ويُستمع لكلامهن ويتمتعن بحرياتهن

كل هذا وجوزيف دى مستر يقول فى كتاب له إلى إحدى بناته : إن فولتير ادعى أن النساء قادرات على أن يعملن كل ما يعمله الرجال ، وما هذا إلا للتقرب من قلوب بعض الغوانى الجميلات ، ولم يأت النساء بأثر يذكر فى ضروب الآداب ، فالنساء لم يؤلفن « الالياذة » ولا « الانياذ » ولا « القدس المنقذة » ولا « فيدر » ولا « أتالى » ولا « رودكون » ولا « الميزانتروب » ولا « تارتوف » ولا « زهرة دى ميديسيس » ولا « أبولون دى بلفيدر » ولا « البرسة » ولا « كتاب الأصول » ولا « خطاب التاريخ العام » ولا « تلياك » ، ولم يخترعن الجبر ولا المجاهر ولا المناظر ، ولا مضخة النار ولا صناعة الجوارب الخ ، وما قامت امرأة عالة جديرة أن تعد بين العلماء . فالمرأة ليست فى حال تستطيع أن تفوق فيها الرجل إلا بأنوثتها ، وليست سوى قردة إذا أرادت مساواة الرجل

(البقية فى العدد القادم) محمد كرد على

للتاريخ السياسي

# عشرة أيام بئيسة

## مشروع لافال - هور والرأى العام

### دواعى هذه الخطة الوخيمة العواقب

### للدكتور يوسف هيكل

شهد العالم خلال الثلث الثاني من شهر ديسمبر الماضى اضطراباً شديداً فى السياسة الدولية ، وقلقاً عظيما فى الدوائر السياسية ، نجما عن الانقلاب الفجائى فى سياسة بريطانيا الخارجية بموافقة وزير خارجيتها السير صمويل هور على سياسة مسيو لافال ، رئيس الوزارة الفرنسية ووزير الخارجية ، وتوقيعه المشروع الذى وضعه لافال لحل المشكلة الحبشية عن طريق سلمية . ويعرف هذا المشروع بمشروع الصلح ، أو خطة السلام ، أو اقتراح لافال - هور ، أو اتفاق باريس

## فحوى مشروع الصلح

فى يوم الثلاثاء الموافق ١٠ ديسمبر أبرق السير هور بمشروع الصلح إلى سفيرى بريطانيا فى روما وفى أديس أبابا طالباً منهما أن يذهبا مع زميليهما الفرنسيين ليطلعا السنيور موسوليني والامبراطور على ما تم الاتفاق عليه بين حكومة جلالته والحكومة الفرنسية . وفحوى البرقية أن الحكومتين اتفقتا على أن يطلبا من الامبراطور قبول التغيرات التالية فى الحدود الايطالية الحبشية

١ - التيكرى - إعطاء ايطاليا التيكرى الشرقية ، وحدودها جنوباً نهر « خيطا » ، وغرباً خط يمتد من الشمال إلى الجنوب ماراً بين اكسوم ( فى الجانب الحبشى ) ، وعدوه ( فى الجانب الايطالى )

٢ - إعطاء ايطاليا مقاطعة « أجادن » وجعل الحدود خطا مبتدئاً من نقطة (ثلا) فى الحدود الحبشية والايطالية والصومال البريطانية ، وممتداً شمالا شرقياً قاطعاً « كوراهى » فى الشرق ، و « وارانادب » فى الغرب ، وملاقيا حدود الصومال البريطانية حيث يقطعها خط الطول ٤٥

٣ - إعطاء ايطاليا امتيازا اقتصادياً خاصا فى جنوب الحبشة يضع موارد هذا الاقليم فى قبضة ايطاليا ويسمح للايطاليين بالاقامة فيه . وتكون الأراضى غير المملوكة ملكا للشركات الايطالية ، على أن تبقى السيادة فى هذا الاقليم للامبراطور

وحدود هذا الاقليم هى : الحدود الجديدة بين الحبشة والصومال الايطالى شرقاً ، وخط العرض ٨ شمالا ، وخط الطول ٣٥ غرباً ، والحدود بين الحبشة وكينيا جنوباً

٤ - إعطاء الحبشة مرفأ « أساب » وممرا اليه على طول حدود الصومال الفرنسى

وفى ذلك التاريخ أرسل وزير خارجية بريطانيا برقية إلى السفير الانكليزى فى اديس أبابا طالباً منه فيه أن يبذل كل نفوذه فى اقناع الامبراطور على قبول « المشروع » وألا يرفضه دون أن يتأمله جلياً (١)

## تطور الحوادث السياسية على المسارح الثلاثة

ذلك فحوى مشروع هور - لافال . وحين وقف الرأى العام الدولى عليه انثالت الاحتجاجات عليه إلى عصبة الأمم من جهات الدنيا الأربع ، وأخذت الحوادث تتطور ، واشتدت الأزمات السياسية ، وعلى الأخص فى باريس وجنيف ولندن

### على مسرح باريس

غادر السير هور لندن إلى باريس يوم السبت الموافق ٧ ديسمبر . وفى منتصف الساعة الثامنة عشرة وصل « كى دورسى » ومعه المستر « كارك » لمقابلة مسيو لافال . وفى الساعة التاسعة عشرة والدقيقة ٤٥ خرج من عنده . وعندها أنبأ لافال الصحافة أن الحكومتين على اتفاق ، تعملان معاً للوصول إلى خطة تحل بموجبها المشكلة الحبشية عن طريق سلمية

وقد تقابل الوزيران فى اليوم التالى ، ووصلا بعد المناقشة إلى اتفاق وقعاه عن حكومتيهما . وفى صباح الاثنين الموافق ٩ ديسمبر تلقى مستر بلدوين رئيس الوزارة الانكليزية كتاباً من السير هور ، طالباً فيه موافقة الحكومة على اتفاق باريس . وقد رأى بلدوين أن من الواجب عليه تأييد زميله الغائب ، فوافقت

الحكومة على مشروع هور — لافال [1] . وبهذه الموافقة تحملت حكومة بلدوين المسؤولية ، وابتدأت إذ ذاك عشرة الأيام البئيسة .....

فى الأيام التالية نشرت الصحف الباريسية مضمون الاتفاق بصورة غير رسمية ، فانقسم الرأى العام الفرنسى إلى فريقين : فريق يعضد الحكومة ويدافع عن « المشروع » واجداً فيه خير حل للمعضلة الحبشية ، وكثرة هذا الفريق من أحزاب اليمين والوسط ؛ وفريق آخر ينقم على اقتراح لافال — هور ، ويرى فيه الضربة القاضية لعصبة الأمم ؛ وللبقية الباقية من الثقة فى سياسة « السلام المشترك » . والناقمون هم أحزاب اليسار من اشتراكيين وكومنيست . وأخذ كل فريق يدعم رأيه ببراهينه وحججه ، ويدحض أقوال الآخرين على صفحات جرائده ؛ ومما لا شك فيه أن حجج المدافعين عن سياسة لافال الخارجية كانت واهنة لا تقوم على أساس قانونى . أما نظريات الناقمين على « اتفاق باريس » فكانت مبنية على دعائم قانونية وسياسية متينة ؛ وبخاصة ما كتبه الزعيم الاشتراكى مسيو بلوم فى جريدته « البيبولير » Populaire

أما موقف الحزب الراديكالى الاشتراكى فكان حرجاً لاسيما موقف زعيمه « هريو » Herriot

والحزب الراديكالى أقوى حزب فى مجلس النواب وهو مشترك فى حكومة لافال ؛ ورئيسه «هريو» وزير دون وزارة ، وقد فقد هذا الحزب شهرته فى البلاد بعد فضيحة ستافسكى وتخليه عن مسيو دومرج . والحزب يعلم أنه لا يستطيع فى ظروف مجلس النواب الحالية أن يؤلف وزارة ذات أكثرية . ورئيسه هريو لا يود أن يكون على رأس وزارة والانتخابات العامة على الأبواب . . . لهذه الأسباب يتحاشى مسيو هريو حدوث أزمة وزارية فى البلاد . ويجد نفسه مضطراً إلى معاضدة مسيو لافال ، على رغم مخالفته لسياسته الخارجية . وقد أفضى إلى حزبه بذلك قبل اجتماع مجلس النواب لمناقشة سياسة لافال الخارجية . فانقسم الحزب إلى فريقين ؛ فريق معه ، وفريق يرى من الضرورى تغيير سياسة لافال وإسقاطه بعدم الموافقة على مشروعه لحل المشكلة الحبشية . وكان من بين هؤلاء مسيو « كت » Cott

وفى صباح الثلاثاء الموافق ١٧ ديسمبر كان اجتماع مجلس النواب . وكان اجتماعاً صاخباً مضطرباً شديد الجدل . وكان أهم المتكلمين فى تلك الجلسة ثلاثة : لافال وكُتْ وبلوم

نهض لافال وألقى خطابه فى جأش رابط متزن ؛ ودافع عن سياسته الخارجية ولا سيما « مشروع الصلح » . وأقوى حججه أن سياسة العقوبات ليست الطريق الوحيدة لحل المشكلة الحبشية ، وأن حصر إيطاليا اقتصاديا وعلى الأخص منع البترول عنها مما يقود أوربا إلى حرب لا تعرف نتائجها ، وأن روح مبادىء عصبة الأمم توجب حل كل خلاف عن طريق سلمى إن أمكن ، وأن الخطة التى وضعها لايقاف الحرب فى الحبشة تتمشى مع مبادىء عصبة الأمم ( ! ) ...

ومسيو كت يرى غير ما يراه مسيو لافال : يرى فى اتفاق باريس هدم مبادىء العصبة ، إذ هى تقدم إلى المتعدى مكافأة على تعديه ومخالفته واجباته الدولية . ومسيو لافال بعمله هذا يقدم سابقة إلى عصبة الأمم لتحل بموجبها التعدى الذى سيحصل على شرق أوربا الوسطى . وبذلك يكون لافال قد ساعد الهرهتلر وجرأه على أن يحذو حذو موسولينى ! . وقد هاجم مسيو كت لافال وقال إن عمله هذا ليس إلا تقسيما للحبشة وجعلها فريسة المتعدى ، وهذا العمل يخجل افرنسا ...

وقد لاحظ لافال أن الجو مكفهر وأن النقاش إن دام ربما أدى إلى سحب الثقة منه ؛ فطلب تأجيل النقاش على سياسته الخارجية إلى يوم الجمعة الموافق ٢٧ منه . ولافال ماهر فى أصول المراوغات البرلمانية ؛ يعرف كيف يتخلص من المآزق الحرجة ؛ فانه بطلبه هذا قد حول المناقشة من مهاجمة سياسته إلى البحث فيما إذا كان من الصواب تأجيل المناقشة كما يطلب أو المضى فيها ؛ وكان على رأس القائلين بوجوب المضى فى المناقشة مسيو بلوم الزعيم الاشتراكى . ورغم فصاحته وقوة حجته وافق المجلس على تأخير المناقشة بأكثرية ٥٢ صوتاً . ومما تجدر ملاحظته أن الكثرة التى كانت فى جانب الحكومة هبطت إلى ما يقرب من مائة نائب بانضمام كثير من الراديكاليين إلى فريق المعارضة

(١) تايمس ٢٠ ديسمبر . من خطاب بلدوين

ومجمل القول أن مسيو هريو الزعيم الراديكالي لم يشترك في المناقشة، ولم يبد حركة ما تدل على أنه يؤيد فريقا على آخر[1] ... ...

وفى اليوم التالى ذهب لافال إلى جنيف ...

## على مسرح جنيف

فى يوم الأربعاء الموافق ١٨ ديسمبر كان اجتماع مجلس عصبة الأمم : فقام مستر إيدن ولم يدافع عن مشروع لافال - هور ... بل قال إن الحكومتين وضعتا هذا المشروع وللمجلس أن يرفضه أو يقبله ؛ والحكومة البريطانية ليست مرتبطة به ...

ثم نهض مسيو لافال وقال إن عمله هو وزميله السير هور كان بموجب السلطة التى أعطيت للحكومتين لايجاد حل سلمى للمعضلة الحبشية ... وللمجلس أن يقول الكلمة الأخيرة فى الاقتراح ...

وقبل فض الاجتماع العام قام سكرتير المجلس وألقى تصريح حكومة الحبشة وهو مؤلف من «٥٠٠٠» كلمة ويبنى على نقط قانونية ترمى إلى أن اقتراح باريس يخالف كل المخالفة لمبدأ العصبة

وقد قابل الأعضاء المشروع بمعارضة شديدة ... وجاء فى المناقشة أن السلطة التى خولت إلى بريطانيا وفرنسا لايجاد حل سلمى قد انتهت، وكل عمل من هذا القبيل يعود إلى مجلس العصبة أو إلى هيأتها العامة - وكان هذا ردا على ادعاء لافال -

وفى اليوم التالى قرر المجلس بأسلوب - دبلوماسى دولى - رفض المشروع .

## على مسرح لندن

أخذت الصحف الانكليزية تنقل أخبار اتفاق باريس ومحتوياته عن الجرائد الفرنسية ، وأخذت الجرائد التى كانت تناصر الحكومة وعلى رأسها التيمس تعارضها وتظهر سخطها على المشروع ، وأخذت جرائد المعارضة تهاجم الحكومة مهاجمة عنيفة وتصفها بأوصاف قاسية منها الجبن وخيانة الشعب وعصبة الأمم والحبشة ...

وفى اجتماع مجلس النواب الذى عقد فى العاشر من ديسمبر دافع مستر بلدوين عن خطة باريس وقال : لو كنت أستطيع أن أميط اللثام عن المشاكل التى تعترضنا ، لما كان هناك رجل من أى هيئة ومن أى حزب يعارضنا ...

ومع ذلك أخذ يزداد عدد الثائرين من حزب الحكومة ، مظهرين سخطهم على سياسة الحكومة الجديدة ؛ وأخذ آخرون يبدون قلقهم من موقف الحكومة الشاذ . فحدث من جراء ذلك انشقاق عظيم فى حزب الحكومة . وانقسم أعضاء الوزارة إلى قسمين : قسم مع بلدوين وقسم غير راض عن « اتفاق باريس » ومن بينهم مستر إيدن الوزير لدى عصبة الأمم إذ ذاك ، وقد صرح بذلك فى جنيف فى الثالث عشر من ديسمبر

ومن الرجالات البارزين الذين عارضوا المشروع فى حزب الحكومة السير أوستن تشمبرلين : فقد اجتمعت لجنة الشؤون الخارجية التى يرأسها هو فى ١٧ منه لدرس « اتفاق باريس » وإبداء رأيها فيه . وصرح السير أوستن أنه غير راض عن « الاتفاق » ولا يقبله مهما كان تشبث الحكومة به ... فتبعه أعضاء اللجنة ... وكان ذلك صدمة عنيفة لمستر بلدوين .

أما الصحافة فقد أخذ يشتد نقدها للحكومة ، طالبة منها بلهجة عنيفة التخلى عن « المشروع » والعودة إلى السياسة السابقة ، سياسة جنيف والسلام المشترك :

أمام ثورة الرأى العام العالمى على اقتراح هور - لافال ، وأمام رفض الامبراطور « المشروع » وتردد موسوليني فى قبوله ؛ وأمام هجمات الحزب المعارض العنيفة وأمام انقسام حزبه عليه ؛ أمام امتعاض الرأى الانكليزى من تخليه عن العصبة وسياسة السلام المشترك ، وأمام ثبات العصبة ورفضها « الاقتراح » ؛ أمام كل هذه الصعوبات رأى مستر بلدوين أنه لا يستطيع أن يسير خطوة إلى الأمام بسياسته الجديدة ؛ فقرر أن يكون على رأس القائلين بعدم قبول الاقتراح !. فدعا السير صموئيل هور من سويسرا . وجمع أعضاء وزارته فى ١٨ ديسمبر وقرر التخلى عن هور ورفض اتفاق « باريس »

وفى هذا التاريخ قدم السير هور استقالته فقبلها مستر بلدوين

وفى يوم الجمعة الموافق ١٩ ديسمبر كان موعد اجتماع مجلس اللوردات ومجلس النواب لمناقشة اقتراح هور - لافال ، وكان الجميع متفقين على التخلى عن « اتفاق باريس »

كان اجتماع مجلس النواب غير عادى : فقد حضره البرنس

(١) فى مساء ١٨ ديسمبر استقال مسيو هريو من رئاسة الحزب الراديكالي الاشتراكى

أوف ويلز وحضره السفراء . . . وبعد إلقاء الأسئلة والاجابة عليها قام السير صمويل هور مبيناً الأسباب التى قادته إلى توقيع الاقتراح ، ومما قاله إنه كان أمام عينيه هدفان :

« اتقاء حرب أوروبية والحيلولة دون نشوب حرب منفردة بين إيطاليا وبريطانيا

« إن منع البترول عن إيطاليا ربما يؤدى إلى هزيمة إيطاليا وخسرانها الحرب الحبشية ، وعند ما تجد نفسها فى هذا الوضع الذليل تقوم بمهاجمتنا ، وعندئذ تنشب الحرب بينها وبيننا دون أن ينهض لمساعدتنا أحد ، إذ لم تقدم دولة ما الى الآن باخرة واحدة ولا جندى واحد فى سبيل الأمن المشترك ؛ والرأى الفرنسى ضد الحرب ولا يريد أن يتورط فى مشاكل جديدة ...

« لهذا اضطررت وأنا فى باريس إلى أخذ قرار عاجل لأن مسألة البترول لا يمكن تأجيلها إلى تاريخ آخر

ثم أخذ يدافع عن مواد الاتفاق بحجج واهية . . .

أما مستر أتلى « Attlee » رئيس حزب العمال فقد طلب رفض « اتفاق باريس » ، وأثبت أن مسؤولية الحكومة لا تزول باستقالة السير هور . ثم أخذ يسائل الحكومة :

ما فائدة الابتداء فى العقوبات إذا كان أمرها سيهمل عند مجابهة أى خطر ؟ ! . لماذا صرح فى شهر أكتوبر بأن العمل المشترك مفيد وفى شهر ديسمبر أنه غير مفيد ؟ ! إذا كان يوجد الآن خطر عظيم فخير من الوقوف بجانب التعدى أن يقال بأن العصبة قد فشلت . . .

ثم ألقى مستر بلدوين كلمة طويلة شديدة ، صرح فيها بأن اتفاق باريس قد قضى عليه تماماً ، وطلب من حزب الحكومة معاضدته ، وأعلن بأن الحكومة عائدة إلى العمل المشترك ضمن مبادىء جنيف . . .

وقال اللورد هارتنكتن « Harlington » : إن « عشرة الأيام البئيسة » قد انتهت

وقد ختم النقاش فى كلا المجلسين بقبول وجهة النظر القائلة بأن الحكومة قد ارتكبت غلطة فادحة فى توقيعها « مشروع الصلح » . وأنها بعملها هذا تقضى على النية الخالصة والأمل القوى فى نظام السلام المشترك

وقد جاء خطاب السير نفيل شمبرلين الذى ألقاه فى برمنجهام مساء ٢٠ ديسمبر مؤيداً لتصريح الحكومة ، ومما قاله :

« . . . هذه الاقتراحات قد ماتت إلى غير بعث ؛ وإننى أعتقد الآن بأن كل سعى للوصول إلى حل سلمى فاشل »

« فيجب أن نعود إلى سياسة العقوبات . . . »

وإن تعيين مستر إيدن وزيراً للخارجية لدليل ساطع على أن الحكومة عائدة إلى السياسة التى تحدث عنها السير شمبرلين على أن الحكومة البريطانية لا تود العمل منفردة ، ولذلك أخذت تفاوض أعضاء عصبة الأمم الذين على البحر الأبيض المتوسط ، ولقد أجاب حتى الآن كل من تركيا واليونان ويوجوسلافيا بأنهم على استعداد لمساعدة بريطانيا والعمل على مبدأ عصبة الأمم . . .

( البقية فى العدد القادم )

يوسف هيكل
دكتور فى الحقوق من ( حكومة فرنسا )

# فى ميـــــدان الاجتهاد

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

أستاذ الأدب العربى بكلية اللغة العربية بالأزهر

— ١ —

## كيف منع الاجتهاد

ينشد المسلمون الاصلاح فى هذا العصر ، وتنشده جامعتهم الأزهرية الكبرى فى مصر ، ويعالجون فى سبيل ذلك طرقاً ملتوية يعشون فيها إلى أن تنتهى بهم إلى أسوأ مما كانوا فيه ، فتعلو كلة الجامدين بالرجوع إلى قديمهم المقوت ، ويوافقهم على ذلك بعض من يتظاهر بحب الإصلاح إذا أقبل عهده ، ويخفى فى قلبه كرهه وبغضه . ولو أنعم هؤلاء الناس النظر لرأوا الذنب فى ذلك يرجع إلى تلك الطرق الملتوية ، لا إلى الاصلاح المنشود الذى دعا إليه جمال الدين الأفغانى والأستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وغيرهما من كبار المصلحين فى هذا العصر

وهذا الاصلاح المنشود يتلخص فى كلمتين : فتح باب الاجتهاد فى علومنا عامة والعلوم الدينية منها خاصة ، وتأليف كتب جديدة فى هذه العلوم تسرى فيها روح الاجتهاد بدل تلك الكتب الميتة الجامدة ؛ أما ما عدا ذلك من أمور الاصلاح فمن الأمور الكمالية التى ضرنا الاهتمام بها أكثر من هذه الأمور الأساسية

ولست بسبيل الكلام فى هذا الاصلاح فقد قطعت شوطاً من حياتى فى الجهاد فيه ، حتى آل الأمر بنا إلى تلك الطرق الملتوية ، ووجدت فى ذلك غرائب وعجائب صرفتنى عن القناية بذلك الأمر إلى أمور أخرى من العلم والأدب ؛ وقد حاورت فيها أناساً آخرين وحاورونى ، فوجدت علماء الأدب أكرم الناس أخلاقاً ، وأسلمهم طوايا ، وأطهرهم أقلاماً ، ووجدت الخير فيهم مرجواً ، والشر منهم مأموناً ؛ ولست أدرى وقد تركتهم إلى هذا الموضوع الدينى الخطير أأجد أقلاماً مثل أقلامهم ، ونفوساً سمحة مثل نفوسهم ، أم أجد النفوس لا تزال على عهدى بها ، وإن تظاهرت بحب الاصلاح والانتصار له ؟ وقد أكون مخطئاً فى ظنى ، وأرجو من الله أن أكون مخطئاً فيه ، وأن تكون قد بدلنا نفوساً أخرى تبحث مثل هذه الأمور المهمة فى هدوء ،

وتعرف الصواب للمصيب فلا تحسده عليه أو تتعامى عنه ، وتحسن الظن بمن يطلب الصواب فيخطئه طريقه ، فتأخذه بالتى هى أحسن ، حتى يعرف خطأه واضحاً فيرجع عنه ، ويشكر للذى دله عليه

وهكذا كان حال سلفنا الصالح رضوان الله عليهم . كان باب الاجتهاد بينهم مفتوحاً على مصراعيه لا يحمل أحد منهم بسببه ضغينة على أخيه ، ولا يحاول قهره على موافقته فى رأى خالفه فيه ، إلى أن نبتت فتنة الخوارج المعروفة ، ولعبت السياسة بعقول الناس فيها ، فكانوا أول من سن فى الاسلام أخذ المخالف فى الرأى بوسائل القهر ؛ ثم تتابعت الحوادث وأتى عصر بنى العباس فرأوا من الأئمة المجتهدين فى عصرهم انكماشاً عن سلطانهم فأخذوا ذلك عليهم ، وجعلوا يصطنعون الوسائل لايذائهم ، فآذوا فى ذلك أبا حنيفة ومالكا والشافعى وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة الجماعة ، وصاروا ينصرون عليهم خصومهم من المعتزلة ، واستباحوا فى ذلك ما استباحوا من الحجر على حرية الرأى ، وتعذيب المخالف لهم فيه بالسجن والضرب والقتل ، وبلغ ذلك شدته فى مسألة خلق القرآن المعروفة

وكان التعليم من أول الاسلام يتخذ المساجد دوراً له ، فتتولاه الرعية بعيدة عن الحكومة ، كما تتولاه الأمم الآن فى الشعوب الراقية فى أوربا وأمريكا . وينشأ التعليم فى كنفها حراً لا يتأثر بهوى حاكم ، وينشأ رجاله أحراراً لا تلين قناتهم لظالم

وقد أخذ حكام المسلمين فى آخر الدولة العباسية يدخلون فى أمور التعليم ليكون لهم نفوذ عليه ، وسلطان على رجاله ، فأنشأوا له المدارس الخاصة به ، وحبسوا عليها من الأوقاف الكثيرة ما رغب العلماء والمتعلمين فيها ، وجعلهم يتنافسون على أبواب الملوك والحكام من أجلها ، فضاعت كرامة العلم والعلماء ، وخضع أهله لمن بيدهم أمر تلك المدارس والأوقاف

ومن أقدم ما بنى فى الاسلام من المدارس المدرسة البيهقية المنسوبة إلى البيهقى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ ، والمدرسة السعيدية بنيسابور بناها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود حين كان والياً بها ، والمدرسة النظامية التى بناها الوزير نظام الملك وزير السلطان ألب أرسلان وابنه ملكشاه ببغداد سنة ٤٥٩هـ واحتفل بافتتاحها يوم السبت عاشر ذى القعدة من هذه السنة ، وجمع الناس على طبقاتهم ليحضروا دروس الشيخ أبى إسحاق

الشيرازى ، فجاء الشيخ ليحضر فلقيه صبى فى الطريق ، فقال ياشيخ كيف تدرس فى مكان مغصوب ؟ فرجع الشيخ واختفى . فلما يئسوا منه ذكر الدرس بها أبو نصر الصباغ

ولما ملك السلطان صلاح الدين بن أيوب مصر لم يكن بها شىء من المدارس ، فبنى بها المدرسة الناصرية لتعليم المذهب الشافعى سنة ٥٦٦ هـ ثم بنى المدرسة الصلاحية بالقرافة الصغرى سنة ٥٧٢ هـ مجاورة للامام الشافعى رضى الله عنه ، وجعل لناظرها أربعين دينارا فى كل شهر ؛ ورتب له فى كل يوم ستين رطلا من الخبز ، وراويتين من ماء النيل ؛ ثم بنى أخرى مجاورة للمشهد الحسينى ، وجعل دار عباس الوزير العبيدى مدرسة للحنفية

وكان من دواعى إنشاء هذه المدارس تأييد المذاهب التى كان السلاطين يشتدون فى نصرتها ، كما فعل صلاح الدين حين استولى على مصر ، فقد حارب فيها مذهب الشيعة الفاطميين الذين حكموا مصر قبله ، وكانت دروس هذا المذهب تلقى فى الأزهر وغيره من مساجدهم ، فأبطل هذه الدروس ، وأحيا مذهبى الشافعى ومالك وبنى لهما كثيراً من المدارس

وفى هذه المدارس أقفل باب الاجتهاد ، وقبرت المذاهب الفقهية عدا هذه المذاهب الأربعة الباقية ؛ وقد كانت هناك مذاهب كثيرة لأهل السنة والجماعة بقى بعضها إلى القرنين السابع والثامن الهجريين ؛ ومن هذه المذاهب مذهب البصرى والثورى ولم يطل العمل بهما لقلة اتباعهما ؛ ومنها مذهب الأوزاعى ، وقد بطل العمل به بعد القرن الثانى للهجرة ؛ ومنها مذهب أبى ثور ، وقد بطل العمل به بعد القرن الثالث ؛ ومنها مذهب ابن جرير الطبرى ، وقد بطل العمل به بعد القرن الرابع ؛ ومنها مذهب الظاهرى ، وقد طالت مدته وزاحم المذاهب الأربعة حتى جعله المقدسى فى أحسن التقاسيم رابع المذاهب فى زمنه (القرن الرابع) بدل الحنبلى ، وذكر الحنبلية فى أصحاب الحديث ، وعده ابن فرحون فى الديباج الخامس من المذاهب المعمول بها فى زمنه (القرن الثامن) ؛ ثم درس بعد ذلك ولم يبق لأهل السنة والجماعة إلا المذاهب الأربعة . وذكر ابن خلدون أن الظاهرى درس بدروس أئمته ، وإنكار الجمهور على منتحله ، ولم يبق إلا فى الكتب ، وربما يعكف متكلفو انتحاله عليها لأخذ فقههم منها ؛ فلا يحلون بطائل ، ويصيرون إلى إنكار الجمهور عليهم

وهكذا أخذت المذاهب الأربعة تتغلب مع الزمن على غيرها من هذه المذاهب حتى تم لها التغلب عليها فى القرن السابع الهجرى . وأخذ فقهاء هذه المدارس تبعاً لهوى أصحابها من الأمراء يتعصبون لها ، ويفتون بوجوب اتباعها ، قال المقريزى فى خططه : « فلما كانت سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ولى بمصر والقاهرة أربعة قضاة ، وهم شافعى وحنفى ومالكى وحنبلى ، فاستمر ذلك من سنة ٦٦٥ هـ حتى لم يبق فى مجموع أمصار الاسلام مذهب يعرف من مذاهب أهل الاسلام سوى هذه المذاهب الأربعة ، وعقيدة الأشعرى ، وعملت لأهلها المدارس والخوانك والزوايا والربط فى سائر ممالك الاسلام ، وعودى من تمذهب بغيرها وأنكر عليه ؛ ولم يول قاض ، ولا قبلت شهادة أحد ، ولا قدم للخطابة والإمامة والتدريس أحد ما لم يكن مقلدا لأحد هذه المذاهب . وأفتى فقهاء هذه الأمصار بوجوب اتباع هذه المذاهب وتحريم ماعداها ، والعمل على هذا إلى اليوم »

وإذا لم يكف هذا الاجمال فى بيان ما أتت به يد السياسة من وسائل القهر والاغراء فى احياء بعض هذه المذاهب وامانة بعضها ، ومحاربة الاجتهاد إلى حد القضاء عليه فى تلك المدارس ، فانا نسوق مثلاً من ذلك فى المدرسة المستنصرية التى أمر بانشائها المستنصر بالله العباسى ، وشرع فى ذلك سنة ٦٢٥ هـ وقد تكامل بناؤها سنة ٦٣١ هـ وأنفق عليها أموالاً كثيرة ، واحتفل بافتتاحها فى تلك السنة احتفالاً عظيماً حضره بنفسه ، وحضره نائب الوزارة وسائر الولاة والحجاب والقضاة والمدرسون والفقهاء ومشايخ الربط والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء وجماعة من أعيان التجار الغرباء ، واختير لكل مذهب من المدارس وغيرها اثنان وستون نفساً ، ورتب لها مدرسان ونائبا تدريس ؛ وكان المدرسان محيى الدين محمد بن يحيى بن فضلان الشافعى ، ورشيد الدين عمر بن محمد الفرغانى الحنفى ؛ وكان نائباها جمال الدين عبد الرحمن بن يوسف بن الجوزى الحنبلى ، وأبا الحسن علياً المغربى ؛ وجعل لها معيدون لكل مذهب أربعة ، وقسمت إلى أرباع ، فجعل ربع القبلة الأيمن للشافعية ، وجعل ربع القبلة الأيسر للحنفية ، وجعل الربع الذى على يمين الداخل للحنابلة ، وجعل الربع الذى على يساره المالكية . وقد شرط المستنصر فى وقفه عليها أن يكون عدة فقهائها ثمانية وأربعين

ومائتي فقيه ، من كل طائفة اثنان وستون ، بالمشاهرة الوافرة ، والجراية الدارة ، واللحم الراتب ، إلى غير ذلك من وسائل الاغراء التي لم تتح لغير هذه المذاهب . وقد كان قبر الاجتهاد في هذه المدرسة ، وحجر النظر فيها على العلماء بهذا الشكل

في سنة ٦٤٥ هـ أحضر مدرسوها إلى دار الوزير ، فتقدم اليهم ألا يذكروا شيئاً من تصانيفهم ، وألا يلزموا الفقهاء بحفظ شيء منها ، بل يذكروا كلام المشايخ تأدباً معهم ، وتبركا بهم . فأجاب جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي مدرس الحنابلة بالسمع والطاعة . وقال سراج الدين عبد الله الشرمساحي مدرس المالكية : « ليس لأصحابنا تعليقة ، فأما النقط من مسائل الاختلاف لما أرتبه » . وقال شهاب الدين الزنجاني مدرس الشافعية ، وأقضى القضاة عبد الرحمن بن اللمغاني مدرس الحنفية : « إن المشايخ كانوا رجالاً ونحن رجال » . فكانا أفضل القوم إجابة . ثم أوصل الوزير أمر ذلك إلى المعتصم بالله ، وكان قد ولي أمر الدولة بعد أبيه المستنصر ، فتقدم اليهم أن يلزموا بذكر كلام المشايخ واحترامهم فأجابوه بالسمع والطاعة . وذهب إماما مدرسي الشافعية والحنفية في الهواء . ولو أنهما استمرا على إبائهما لكان جزاؤهما القتل أو نحوه

ونستطيع بعد هذا أن نحكم بأن منع الاجتهاد لم يتم إلا في عصور الظلم ، وبأن قصر الناس على هذه المذاهب الأربعة حصل بوسائل غير مقبولة من القهر والاغراء . وفي يقيننا أنه لو أتيح لغير هذه المذاهب ما أتيح لها من تلك الأوقاف والرواتب لكان حظها من البقاء مثل حظها ، ولبقيت معروفة مقبولة ممن يجهلها اليوم أو ينكرها

وقد حوولت هذه الوسائل لالزام الناس بهذه المذاهب قبل هذه العصور فلم يرض بهذا المسلمون حتى أصحاب هذه المذاهب . روى أبو نعيم في الحلية عن مالك بن أنس أنه قال : شاورني هارون الرشيد في أن يعلق الموطأ في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه ؛ فقلت لا تفعل ، فان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في الفروع ، وتفرقوا في البلدان ، وكل مصيب . فقال وفقك الله تعالى يا أبا عبد الله

وروى ابن سعد في الطبقات عن مالك بن أنس قال : لما حج المنصور قال لي قد عزمت على أن آمر بكتبك هذه التي وضعتها فتنسخ ، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين منها نسخة ، وآمرهم أن يعملوا بما فيها ولا يتعدوه إلى غيره ، فقلت يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا ، فان الناس قد سبقت اليهم أقاويل ، وسمعوا أحاديث ، ورووا روايات ، وأخذ كل قوم بما سبق اليهم ودانوا به ، فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم

فنحن إذن في حل من أمر هذه المذاهب التي فرضت علينا فرضاً ، وفي حل من ذلك الحظر على الاجتهاد في أحكام ديننا ، لأنه أتى بطريق القهر ، ولم يتم برضا المسلمين وتشاورهم ، وإنما أمر المسلمين كما حكم الله تعالى شورى بينهم

عبد المتعال الصعيدي

---

# ٨ – معركة عدوى

## للأستاذ الفريق طه باشا الهاشمي

رئيس أركان حرب الجيش العراقي

تتمة

وأراد الجنرال «باراتيري» أن ينسحب الى «أديكايه» ليقصر خط المواصلات إلا أنه لم يجسر على ذلك خوفاً من تأنيب رومة فقرر القيام باستطلاع تعرضي في اتجاه نهر مارب شأن كل قائد متردد. وكان يرمي بذلك الى وقف حركات الأحباش في اتجاه غوندت وأسمره، وبعد أن تأهبت الفصائل للحركة سحب أمره. ولا شك في أن هذه الأوامر المتناقضة مما أزال اطمئنان الفصائل وجعلها تخشى العاقبة

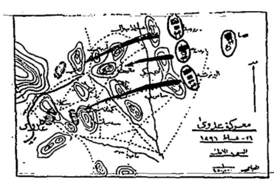
ومما زاد الموقف حروجة قلة الأرزاق. وكلف مدير الميرة والتموين الجنرال بتقليل مقدار الأرزاق اليومى للجنود لأن مواد التموين لا تكفى وأن القوافل أخذت تتأخر والكثير منها يقع فى أيدى الثوار، فاضطرت القيادة إلى تقليل أرزاق الجندى اليومى، وكان الجندى الأهلى يأخذ قليلا من الشعير، ويقبض الدراهم مقابل الأرزاق الباقية، الا أن الأرزاق كانت مفقودة. وتناول الضباط الأرزاق كالجنود. وأخيراً أضاف القائد العام خطيئة إلى خطيآته السابقة فكانت نذير الخذلان. فانه عقد مجلساً حربياً واستشار القواد فيما يعمل، ومعنى ذلك أنه أراد أن يلقى تبعة الحركات عن عاتقه وكان هو المسؤول الوحيد عنها

والظاهر أن القائد العام كان يخشى حساب رومة بعد أن تلقى تلك البرقيات المرة منها. وكان قرار أعضاء أكثرية المجلس القيام بالهجوم وعدم الانسحاب لأن البقاء فى ادجرات يسبب مجاعة الجيش، ولأن الأرزاق كانت على وشك النفاد برغم تقليل مقاديرها اليومية، لأن القوافل أمست لا تصل بانتظام. أما الانسحاب إلى الوراء فلم يكن من شك فى أنه أحسن تدبير لتقصير خط المواصلات وتموين الجيش بصورة منتظمة، وبعد أن يتقوى بالنجدات المرسلة من ايطاليا وتكمل التدابير الادارية وينتظم سوق التموين والذخيرة يتقدم للهجوم بخطوات ثابتة متينة، بيد أن القائد العام والقواد الآخرين لم يكن لديهم من حب التبعة (المسؤولية) ما يجعلهم يتخذون هذه الخطة

وفى الوقت الذى قرر المجلس الحربى فيه القيام بالهجوم وردت البرقية التالية من رومة إلى القائد العام:

«رتب الجيش بحيث يقوم بالهجوم ويقاوم هجوم العدو»

ومعنى ذلك أن الحكومة الطليانية لم توافق على الانسحاب وأنها تريد المقاتلة مهما كانت النتيجة




### نشوب المعركة

يظهر لنا مما تقدم أن أحد الفريقين المتحاربين شعب متوحش ملتف حول ملكه ومتعطش للقتال، ويعرف بلاده، ومستعد للاستفادة من جميع ظاهراتها للضربة القاضية على عدوه، وعلى رأسه ملك يعرف كيف يستفيد من رجاله، فاستطاع بدهائه وحنكته أن يحصل على العدد الكافى من السلاح، ويجمع الأحباش حوله ويقودهم الى ميادين القتال

أما الفريق الآخر فيجهل أحوال البلاد، وهو غير قادر على تحمل مناخها، وقد أساء قواده قيادته، فلم يضمنوا له ما يحتاج اليه من مواد التموين وأسباب الراحة التى تمكنه من القتال فى هذه البلاد القاسية. وقد أدى التردد فى التنفيذ الى زوال اعتماد الجنود على ضباطهم والضباط على رؤسائهم

والواضح من هذا أن المعركة سوف تنشب فى ظروف غير متعادلة، وقد لا يفيد التدريب المتقن والأسلحة الحديثة فى التغلب على كثرة الأحباش المتشوقين الى القتال

والغريب فى أمر هذه الحركات أن القيادة العامة كانت لا تملك خريطة صالحة تساعدها على وضع الخطط العاجلة. ومن

الضرورى معرفة حالة الأرض لتسيير القوات عليها . فالخطيئة التى ارتكبت فى الحركات السوقية سوف يزداد شمولها بالخطأ فى التعبئة ، وهذا النقص مما سبب تسيير الأرتال فى ميدان المعركة بحيث لا يستطيع بعضها مساعدة بعض ، وذلك مما جعل القيادة الحبشية تغتنم الفرصة وتنقض برجالها على الأرتال وتقضى عليها على التعاقب

عسكرت القوات الطليانية فى ٢٩ فبراير سنة ١٨٩٦ فى « صورية » وكانت القوات كما نعلم مؤلفة من أربعة ألوية بقيادة حاكم المستعمرة العام الجنرال « بارانيرى » ، وكان قواد الألوية الجنرال البرتونه والجنرال دابورميدا والجنرال أرعوندى والجنرال اللانا

وكانت الأوامر الصادرة من معسكر « صورية » ترمى إلى تحريك القوات فى الساعة التاسعة على ضوء القمر فى اتجاه « عدوى »

وكان يؤدى إلى عدوى طريقان ، وهما طريق شمالى وطريق جنوبى ، وكلاهما يمتد فى منطقة وعرة فيمر الطريق الشمالى بمضيق ( رابى أريان ) ، والطريق الجنوبى بمضيق « شدان موت » قبل وصولهما إلى عدوى ، وبين الطريقين جبل « راجو » الوعر الذى لا يمكن تسلقه لشدة انحداره وللصخور المكدسة فيه . وتبلغ المسافة بين المضيقين أكثر من خمسة عشر كيلو متراً . فالتقدم على هذين المضيقين يجعل الأرتال الطليانية معرضة لهجمات القوة الحبشية المتمركزة حيث تتحرك على الخطوط الداخلية ، وبلغ الجنرال « بارانيرى » أوامره مقتنعاً بأن الأرتال بعد اجتياز المضايق يجتمع بعضها ببعض وتتقدم نحو العدو . إلا أن هذا الاقتناع لم يصح ، وقد يأمل هذا القائد النصر إذا جمع الرتلين فى شرق جبل ( راجو ) واستفاد بعد ذلك من كثرة الدافع

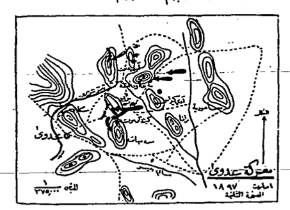
وبدلاً من تقسيم الألوية على الرتلين وتسيير لوائين فى كل رتل لكى يكون لكل منها القوة الكافية لمقابلة العدو تقدمت الألوية على الترتيب التالى :

لواء البرتونة فى الجنوب نحو مضيق « شدان موت » ، ولواء « دابورميدا » فى الشمال نحو مضيق « رابى أريان » أما لواء « أرعوندى » ففى القلب ، وبقى لواء اللانا فى الاحتياط إلى الوراء ، ولما وصل لواء « أرعوندى » إلى سفح الجبل رأى أن لا طريق له . فوجه الجنرال « بارانيرى » إلى الشمال وراء لواء « البرتونة » أما لواء « اللانا » فسار فى المؤخرة وراء « البرتونة » . وهكذا تكدست ثلاثة ألوية على طريق واحد بينما بقى لواء فى الجنوب

والحقيقة ان مضيق « رابى اريان » لم يكن فيه مجال لانفتاح لواء واحد ، وكان اللواءان يتقدمان بصعوبة نحو المضيق ، وذلك يجعل لواء « اللانا » يتأخر فى الوراء بطبيعة الحال

وكان القسم الأكبر من لواء «البرتونة» من الأهلين ، وتقدم اللواء ليلا على ضوء القمر ، وكان الجنود يسيرون بنشاط ، بينما كان الأحباش يترقبون اقترابهم بفارغ الصبر ، وكانت طلائعهم تنسحب أمام هذا اللواء دون أن تحرك ساكناً

وعلى ما يظهر كان النجاشى ينتظر مرور هذا اللواء من المضيق وابتعاده عن الرتل الشمالى لينقض عليه ملتفاً حوله من كل جهة . واعتمد قائد اللواء على الخريطة غير الصحيحة فأراد أن يريح لواءه فى رابية بعد اجتياز المضيق ظناً منه أن الرابية تسيطر على الأرض فى شرق المضيق . ولما وصل الى الرابية باغت الأحباش لواءه من كل جانب وهاجوه بحرابهم وخناجرهم




وفى الساعة السابعة صباحاً سمع الجنرال «بارانيرى» صوت النار من الجنوب فكلف لواء « دابورميدا » بنجدة « البرتونة » عندما يجتاز المضيق ، بيد أن الأحباش كانوا قد احتلوا الوديان والروابى فى جنوبى مضيق « رابى اريان » فاضطر « دابورميدا » الى مقاتلتهم ، الا أنه بعد مدة قصيرة رأى نفسه أمام قوة فائقة من الأحباش أحاطت بجانبه فألجأته الى الوقوف للدفاع

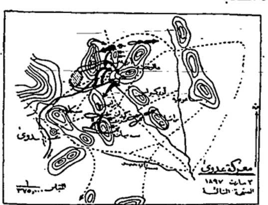
ولما علم « بارانيرى » أن لواء « دابورميدا » أيضاً اشترك

فى القتال وتأكد أنه لا يستطيع نجدة « البرتونة » أمر لواء « أرعوندى » بألا يعقب لواء « دابورميدا » بل يتوجه رأساً إلى الجنوب لمساعدة « البرتونة »

ولما اجتاز هذا اللواء الضيق وتوجه إلى الجنوب وصل المنهزمون من لواء البرتونة إلى رأس الرتل فعلم منهم أن الأحباش قضوا على اللواء بالاحاطة به من كل جانب وأن قائده قتل فى المركة، فتقدم اللواء فى الاتجاه الجنوبى الغربى ، وكان لواء « اللانا » يسير وراءه ، إلا أن وعورة الأرض وكثرة الوديان والأخاديد فيها عرقلت السير

وكان الأحباش قد كمنوا لهذا اللواء مستفيدين من الوديان والأخاديد ، فلما اقترب اللواء منهم باغتوه من كل جانب ، ثم أعادوا الكرة على لواء « اللانا » فكانت مباغتة هائلة ، وكان قتال وجهاً لوجه ، فلم تستطع المدفعية مساعدة المشاة لاختلاط الحابل بالنابل . وكان بعض المدافع فى المؤخرة فلم تستطع تلك المدافع أن تسلك الروابى لدخول الوضع . وكلما تقدمت قوات الاحتياط لنجدة الخط الأول كان الأحباش يحيطون بها ويشتتون شملها . وعقب هذا القتال الشديد انسحاب ، ولكن لا على الصورة المعروفة بل كان أشبه بالهزيمة . فترك المشاة المدافع وولوا هاربين فى طلب النجاة ، فتكدسوا على الطرق وفى المضايق وفى الوديان فلم يسلم منهم إلا القليل

أما لواء « دابرميدا » فبقى وحده يقاتل الأحباش ويظهر أن القوة التى هاجمته لم تكن كبيرة فقاتل إلى المساء بعد أن فقد قائده وانسحب بصعوبة فى اتجاه آخر . أما القائد العام فلما رأى النكبة التى حلت بجيشه أصدر أمر الانسحاب فى الساعة الحادية عشرة وأسرع مع أركان حربه منسحباً إلى موقع « عدى كيه » البعيد عن ميدان القتال مسافة ٧٠ كيلو متراً فكان ذلك فراراً لا انسحاباً




وبلغت خسائر الجيش الطليانى فى هذه المعركة مايلى :

جنرالان مقتولان وهما « دابورميدا » و « إرعوندى »
وأخذ الجنرال « البرتونة » أسيرا
زعيمان من سبعة زعماء مقتولان وزعيم فى الأسر
خمسة عشر قائد فوج ( من أربعة وعشرين ) قتلى
والخلاصة أن مجموع الخسائر من قتيل وجريح وأسير بلغ ٢٨٤ ضابطا و ١٥٫٤٠٠ جندى . أما الذين نجوا فكانوا ٢٦٢ ضابطاً و ٤٣٦٩ جندياً منهم ٢٧٦ جريحاً

انتهى

طه الهاشمى

علماؤنا المجهولون

# عبد الرءوف المناوى

٩٥٢ — ١٠٣١ هـ

للأستاذ محمد ابراهيم العفيفى

للسائر فى شارع باب البحر بالقاهرة أن يعرج على حارة سيدى مدين ليرى بناء متهدماً درست معالمه إلا من جدران قائمة حول مقام وزاوية ومدرسة أهملتها جميعاً وزارة الأوقاف كأنها لا تدرى أنه لفخر العلماء وإمام المحدثين ومن تصدى للافتاء يوما ما، ومن أكب على الدرس والتأليف حتى قاربت تآليفه المائة : ذلك مقام سيدى عبد الرءوف المناوى

## عصره :

انتهى القرن العاشر الهجرى والدولة العثمانية تبسط سلطانها على كثير من البلاد الشرقية ، فكان لزاما أن تكون الطبقة الحاكمة فى مصر عثمانية ، وأن تكون اللغة المتداولة بين الأوساط الراقية تركية ، يشجعها الحكام ويساعدون على انتشارها بشتى الأساليب ؛ فاللغة الدواوين ولغةا لمجالس ولغة التهانى والتناظر والمديح كلها تركيـة ؛ أضف إلى ذلك ما يترتب عليه من ذيوع التآليف ودواوين الشعر بتلك اللغة ؛ وأهملت اللغة العربيـة فى شتى الأبحاث ، وأقفرت تلك الحقبة من ذيوع لغة القرآن ؛ جفت أقلام المفسرين والمحدثين والمؤرخين والشعراء إلا من نفر قليل قيضهم الله للاحتفاظ بالبقية الباقية من مجدها الأثيل

## مولده

أنجبت القاهرة سنة ٩٥٢ هـ فخر العلم والأدب : زين الدين محمد الدعو عبد الرءوف بن تاج الدين بن على بن زين العابدين ( أو العارفين ) الحدادى المعروف بالمناوى (١)

(١) نسبة الى منيـة السيرج من ضواحى القاهرة ، اذ يذكر ذلك على باشا مبارك فى خططه جزء ١٦ صفحة ٥٠ : « المنيا (منية السيرج ) قرية من قرى القليوبية بمركز شبرى ، موضوعة على الشاطئ القبلى لترعة القلج وشرق الخليج المصرى بنحو ميل ، وفى شمال قرية المطصوص وبها جامع عامر ... وهى وان كانت قرية صغيرة لكنها حلاة بالفضائل حيث نشأ منها من أكابر الأفاضل الامام الكبير والعالم الشهير الشيخ عبد الرءوف المناوى

## نشأته

أكب على الدرس منذ حداثته ، « وحفظ القرآن قبل بلوغه ، ثم حفظ البهجة وغيرها من متون الشافعية ، وألفية ابن مالك ، وألفية الحديث للعراقى ، وعرض ذلك على مشايخ عصره فى حياة والده ، ثم أقبل على الاشتغال فقرأ على والده العلوم العربية ، وتفقه بالشمس الرملى ، وأخذ التفسير والحديث والأدب على النور على بن غانم المقدسى ، وحضر دروس الأستاذ محمد البكرى ، والتفسير والتصوف ، وأخذ الحديث عن النجم الغيطى والشيخ قاسم والشيخ حمدان الفقيه والشيخ الطبلاوى ؛ لكن كان أكثر اختصاصه بالشمس الرملى وبه برع ، وأخذ التصوف عن جمع ، وتلقن الذكر من قطب زمانه الشيخ عبد الوهاب الشعراوى ، ثم أخذ طريق الخلوتية عن الشيخ المناخلى أخى عبد الله ، وأخلاه مرارا ، ثم عن الشيخ محرم الرومى حين قدم مصر بقصد الحج ، وطريق البيرامية عن الشيخ حسين الرومى المنتشوى ، وطريق الشـــاذلية عن الشيخ منصور الغيطى ، وطريق النقشبندية عن السيد الحسيب النسيب مسعود الطاشكندى ، وغيرهم من مشايخ عصره ، وتقلد النيابة الشافعية ببعض المجالس ، فسلك فيها الطريقة الحميدة ، وكان لا يتناول منها شيئاً (١) »

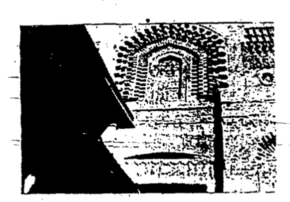
* * *

أكب على الدرس منذ حداثته ؛ وكان يقتصر يومه وليلته على أكلة واحدة من الطعام زهداً فى الدنيا واستجماماً للدرس والتحصيل ، يميل إلى العزلة .

ثم على النقول والمعقول ، واستهوته العلوم العويصة كالفلسفة والتصوف حتى أصاب منها بغيته ، ثم التفت إلى التاريخ فألف فيه المطولات لمن يريد الاستيعاب ، ثم المختصرات لمن يبغى الاطلاع ، كما ضرب بسهم فى السياسة والاجتماع . ثم واصل الدرس فتعمق فى فقه اللغة وعالج الكتابة غير أنه كان يميل إلى السجع والمحسنات اللفظية مما كان يعجب به أهل زمانه ؛ وتعرض للتاريخ الطبيعى حسبما مكنه الأوان ، ثم كان محدث عصره فجلس إلى الناس يحدثهم .

(١) خلاصة الأثر للمحبى ج ٢ ص ٤١٢

ثم ولى التدريس بالمدرسة الصالحية [١] فحسده أهل عصره ؛ وكانوا لا يعرفون مزية علمه لانزوائه عنهم



مدخل المدرسة الصالحية

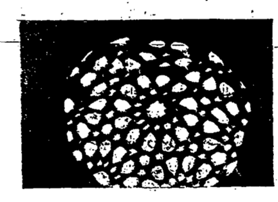
ولما حضر الدرس فيها ورد عليه من كل مذهب فضلاؤه منتقدين عليه ، وشرع في اقراء مختصر المزني ، ونصب الجدل في المذاهب ، وأتى في تقريره بما لم يسمع من غيره فأذعنوا لفضله ، وصار أجلاء العلماء يبادرون لحضور مجلسه ، وأخذ عنه منهم خلق كثير منهم الشيخ سليمان البابلي ، والسيد ابراهيم الطاشكندي ، والشيخ علي الأجهوري ، والولي المعتقد الشيخ أحمد الكلبي [٢] ، وولده الشيخ محمد ؛ وغيرهم

## تصدره للافتاء

أما ما قيل من أنه تصدر الافتاء فذلك يرجع إلى أنه ذكر في مقدمة زائفة لسيرة نسبت اليه : « قال شيخ الاسلام ومفتي الأنام الشيخ عبد الرءوف المناوي » ونحن نشك في ذلك ، وربما كان ذلك يرجع إلى أن جده [٣] الشيخ شرف الدين يحيى تولى مشيخة الأزهر وأن له مجموعة فتاوى

## وفاته

ومع ذلك لم يخل من طاعن وحاسد حتى دس عليه السم فتوالى عليه بسبب ذلك نقص في أطرافه وبدنه من كثرة التداوي ؛ ولما عجز صار ولده تاج الدين [١] محمد يستملي منه التآليف ويسطرها . ولا ننسى أنه كثيراً ما اعتزل الناس وامتنع من مخالطتهم ، وأنه كان إلى أواخر حياته بحراً فياضاً ومعيناً لا ينضب . ووافاه قدره في صبيحة الخميس في الثالث والعشرين من شهر صفر سنة ١٠٣١ هـ ودفن بجانب زاويته التي أنشأها بين زاويتي الشيخين احمد الزاهد ومدين الأشموني بعد أن ترك للأجيال ما يفخر به عصره



نقش بقبة مقام المناوي

## تآليفه

١ — كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق : يشتمل على ١٠٠٠٠٠ حديث استخرجها من ٤٤ كتابا ما بين مغاز ومسانيد وسير بينها الكتب الستة راجزاً للأسانيد . فرغ من تأليفه سنة ١٠٢٦ هـ وطبع بمصر سنة ١٢٨٦ هـ ، سنة ١٣٠٥ هـ

٢ — الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية : يبدأ بمقدمة في التصوف رداً على آراء المعتزلة ، ثم يتبعها بثمانية أبواب

(١) « هذه الدرسة بخط بين القصرين من القاهرة كان موضعها من جملة القصر الكبير الشرقي فبنى فيه الملك الصالح نجم الدين أيوب ... ورتب بها دروساً أربعة للفقهاء المنتمين الى المذاهب الأربعة في سنة احدى وأربعين وستمائة » هجرية . المقريزي في خططه ج ٢ ص ٣٧٤

(٢) له زاوية ومقام بالقرب من ضريحه

(٣) الشيخ شرف الدين يحيى بن محمد المناوي ... تولى مشيخة الجامع الأزهر ولقب بشيخ الاسلام ، وكان يحضر مجالس مولانا الحنفي ، فأخذ عنه وانقطع اليه ... توفي في ١٢ جمادى الآخرة سنة ٨٧١ هـ » (طبقات الشاذلية للحسن بن محمد الكوهن ) وللشيخ شرف الدين حاشية على شرح البهجة للعراقي . ( خلاصة الأثر )

(١) هذا غير ابنه الآخر زين العابدين الذي له عدة رسائل منها : شرح تائية ابن الفارض ، وشرح الشاهد لابن العربي ، وحاشية على شرح المنهاج للجلال المحلي ، وشرح على الأزهرية ؛ ثم جمع فتاوى جده شيخ الاسلام يحيى المناوي ، وحاشية على الروض الأنف للسهيلي ، وتوفي صبيحة الثلاثاء رابع ذي القعدة سنة ١٠٢٢ هـ ودفن الاثنان مع والدهما

في سيرة الرسول ثم بالخلفاء الراشدين ، ويلي ذلك تراجم الصوفية مفرداً طبقات كل قرن على حدة حسب سني وفياتهم ، مرتباً إياهم أبجدياً ؛ فكانت إحدى عشرة طبقة ينتهي الجزء الأول بانتهاء الطبقة السادسة والباقي في الجزء الثاني ، فرغ من تأليفه سنة ١٠١١ هـ في ٨٨٠ صفحة ولم يطبع

٣ — الطبقات الصغرى أو إرغام أولياء الشيطان : جمع فيه تراجم صوفية العجم والروم والحجاز واليمن والشام ومصر ، وصدره بمقدمة مرتبة على خمسة أبواب : في التنبيه على جلال كرم الأولياء ، والرد على منكري كراماتهم بالأدلة النقلية والعقلية ، وبيان منازلهم ومقاماتهم والحكمة في ظهور الكرامات على أيديهم ، والترغيب في مجالستهم ، والأخذ عنهم ، وبيان طبقاتهم وأحوالهم ومكان أصحاب الوظائف منهم ، وفي ذكر شيء من أصول علم التصوف المهمة التي لا يستغني عنها ، ثم ذكر التراجم مرتبة أبجدياً . مخطوط في ٢٧٦ صفحة ألفه بعد سابقه

٤ — آداب الأكل والشرب : في آداب اللياقة يناسب أهل ذلك الزمن . مخطوط في ٨٠ صفحة

٥ — شرح خطبة القاموس : في صفحات قلائل

٦ — الدر المنضود في ذم البخل ومدح الجود : من الأدب الرائع رغم ما به من سجع . مخطوط في ١١٢ صفحة

٧ — اتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب والفضائل للمناوي[1] مخطوط ضمن المكتبة التيمورية في مناقب السيدة فاطمة الزهراء في خمسة أبواب :

الباب الأول : ولدت سنة ٤١ من مولد الرسول صلى الله عليه وسلم . وقيل قبل الرسالة بخمس سنين

الباب الثاني : تزوجت علياً في ( خلاف من الخامسة عشرة من عمرها إلى الحادية والعشرين ) وعمره إحدى وعشرون سنة في رمضان سنة ٢ هـ وبنى بها بعد العقد بنحو أربعة أشهر ولم يتزوج قبلها ولا عليها ، وأولدها حسناً وحسيناً ومحسناً ( مات صغيراً ) وأم كلثوم الكبرى التي تزوجت عمر فعون بن جعفر فمحمد فعبد الله أخويه وأمهرها درعاً باعها بمبلغ ٤٨٠ درهماً وكان جهازها : سرير مشرط بالشريط ، وإهاب كبش ، ووسادة من أدم حشوها ليف ، وقربة ، ومنخل ، ومنشفة ، وقدح

الباب الثالث : الأحاديث الواردة فيها : ٥٢ حديثاً

الباب الرابع : مناقبها ومزاياها

الباب الخامس : عشرة أحاديث روتها ثم أشعار بين فاطمة وعلي ضعيفة التأليف

٨ — غاية الإرشاد في معرفة أحكام الحيوان والنبات والجماد لم أره ولعله يشبه حياة الحيوان للدميري أو الحيوان للجاحظ أو عجائب المخلوقات للقزويني

٩ — الجواهر المضيئة في الأحكام السلطانية : في آداب السلطان وعلم الاجتماع .

١٠ — سيرة عمر بن عبد العزيز[1] —

١١ — التوقيف على مهمات التعريف : مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس

وهو ذيل لكتاب التعريف للشريف الجرجاني ويشمل الاصطلاحات العلمية العربية في عهدهما أفاض فيه المناوي في ذكر المسميات الفنية التي تساعدنا الآن في تسمية أجزاء الآلات وغيرها مما له مساس بأغراض المجمع اللغوي الملكي

١٢ — فيض القدير : طبع في مصر :

وهو شرح كبير مستفيض لكتاب الجامع الصغير للحافظ جلال الدين السيوطي في علم الحديث

١٣ — ٨٠ مؤلفات تامة ذكرها المحبي في خلاصة الأثر فليراجعها من أراد

٨١ — ٩٣ مؤلفات لم تتم

ونحن نرجو من يعثر على مؤلفات لعبد الرءوف المناوي غير ما ذكرت أن يتفضل بذكر مكان وجودها خدمة للرجل وفضله

( الزقازيق ) محمد إبراهيم العفيفي

(١) كتب المرحوم أحمد تيمور باشا على الصفحة الأولى منه ما يلي : « في خلاصة الأثر صفحة ١٧٦ أنه للشيخ محمد حجازي بن محمد بن عبد الله الشهير بالواعظ المتوفى سنة ١٠٣٥ هـ فيجوز أن تكون نسبته للعلامة المناوي خطأ أو يكون للواعظ كتاب آخر توافق اسمه مع المناوي ؟ تيمور »

(١) مخطوطة بالمكتبة العامة ببرلين تنسب إليه والحقيقة أنها لابن الجوزي ( تراجع لذلك مقالة لكاتب السطور نشرت في جريدة الأهرام بتاريخ ٤ سبتمبر سنة ١٩٣٤ )

# الكذب والصدق

## للشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى

الكذب أسعدنى والصدق أشقانى
والكذب أضحكنى والصدق أبكانى
الكذب صيّر أعدائى ذوى مِقةٍ … والصدق أبعد عنى كل أخدانى
كم ورطة كاد فيها الصدق يوقعنى … وبعد ذلك منها الكذب نجّانى
حرمتُ أكثر ما عيشى يطيب به
والصدق قد كان من أسباب حرمانى
ما كنتُ أرعى نجومَ الليل فى سهرى
بل كان فيه نجومُ الليل ترعانى
لولا أكاذيبُ آمالٍ تخادعنى … من كان يذهب أشجانى وأحزانى
إن الأمانىّ تسلى وهى كاذبة
وليس فى الصدق من سلوى لأسوان
الصدق مستنقعٌ فى مائه أسَنٌ … فليس يملك إرواء لظمآن
والكذب بحر خضمٌّ لا قرار له … يحوى جواهر من درّ ومرجان
الصدق يلقاك بالأشواك جارحةً … والكذب يبسم عن وردٍ وريحان
وقد يفوز أخو صدق بمأربه … وقد يؤوب أخو كذب بخسران
لكن هذا قليلٌ غير مطرّد … فليس يبنى عليه رأيه البانى
إن الحياة بدنيانا لقائمة … على الأكاذيب من زور وبهتان
الصادق الحرّ ذو فقر ومسكنة … والكاذب الفرد ذو مال وسلطان
إذا كذبتَ فقد أصبحتَ ربّ تقى … وإن صدقتَ فأنت الملحد الجانى
ما كنت تلعننى لو كنت تفهمنى … أو كان عندك وجدانٌ كوجدانى
وربّ أحدوثةٍ فى صدقها سببٌ … إلى إثارة أحقادٍ وأضغان
وربّ أكذوبةٍ أدّت بحكمتها … إلى زوال حزازات وعدوان
الصدق فى بثه نارٌ مؤججة … فليس يطفئها إلا الدمُ القانى

* * *

كم دولةٍ أنشأتها ساسةٌ كذبوا … فأصبحت ذات أبراج وأركان
ودولةٍ بعد كذب صان بيضتَها
أضاعها الصدق، صدقُ الجاهل الوانى
لا تنكروا ما به قد جئتُ أخبركم … إنى إذا قلتُ فالتاريخُ برهانى
هل السياسة إلا الكذبُ باقيةً … على جماهير من بُلهٍ وعميان
هل الحياة وإن كانت منمّقةً … سوى نفاقٍ وتدليس وإدهان
إن الحياة لسرٌّ ظلّ مختفياً … والروح أكبر من عقلى وعرفانى
هل كان فى الأولين السابقين لنا … حقاً عبادةُ أصنامٍ وأوثان
الكذب بالحور والغلمان ذو هبةٍ … والصدق يقصيك عن حور وغلمان
نزلتُ فى ليلةٍ مقرورةٍ بهما
فالصدق عبّس لى والكذب حيّانى

* * *

الكذبُ كان بما فيه الرغادة لى … فى العيش يأمرنى والصدق ينهانى
إذا صدقتُ فإن الناس تمقتنى … وإن كذبت فإن الناس تهوانى
يصحّح الكذبُ ما للصدق من خطأ
والكذب والصدق فى الإنسان صنوان
وأعذب الشعر ما قد كان أكذبه … قد قال هذا قديماً كل إنسان
وطالب المثل الأعلى وإن عجزت … منه اليراع على هذا هو البانى

* * *

للنابغين شياطينٌ تساعدهم … وما شياطينهم أشباه شيطانى
إبليس أنجبَ شيطانى وأدّبه … وبالأكاذيب أوصاه وأوصانى
جميع ما فىّ أمسى تحت سلطته … إلا ضميرى وأخلاقى وإيمانى
أما مفارقةُ الشيطان لى فكما … يفارق الروحُ عند الموت جثمانى
ولا يفارقنى إلا غداة يرى … سيرى إلى العالم الباقى من الفانى
الشعرُ أنشده كالشعر يقرضه … على لسانى فأنا فيه سيان
يبكى ويضحك شعرى حين أرسله … إلى الجماهير من أنسٍ وجنّان
لقد جرى الشعر شوطاً فى تطوّره … وظل يُبدل ألواناً بألوان
لم يكبر الشعرُ معتزاً بقوته … حتى تربيتُه طفلاً بأحضانى
ولست أرضى بسلطانٍ على أدبى … إن لم يكن ذلك السلطان سلطانى
وربّ شعرٍ جميل بعد قائله … يشدو به الناس من قاصٍ ومن دان
الشعر باللفظ والمعنى يفوق كما … يطير بالطير فى الجوّ الجناحان
وأفتنُ الشعر ما قد هز سامعَهُ … بما به بثّ من وجد وأشجان
وسوف يبقى جديداً فى رسالته … إلى الجماعات ما كرّ الجديدان

بغداد — **جميل صدقى الزهاوى**

# أختي

للأستاذ أحمد رامي

رزئ الشاعر الوجداني الرقيق الأستاذ رامي في أخته منذ أسابيع فبكاها بهذه العبرات المنظومة :

أنا للحزن وما يبعثــــه    في خيالي من تهاويل الشجن
كلما صرت بنفسي خالياً    يتبدى من غيابات الزمن
يعرض المـاضي فيسقيني الذي    ذقت فيـه من أفانين المحن
ثم يدعوني إلى مجلسـه    بين أوّاهٍ وباكٍ من حزن
يشتكي ذو الوجـد ما يعتاده    ويغني فيـه مسلوب الوسن

***

هي أختي درجت في كنفي    ثم أمست وهي للروح سكن
علتُها طفلاً على بُعـد أبي    وهو نائي الدار عني والوطن
ثم دلّت صباها فنمت    كالنبات الغض في ظلّ الفنن
شربت طبعي وحاكت خلقي    ثم كانت هي سرّي المؤتمن
إن شكوت الدهر مما نالني    سكن القلب إليها واطمأنّ

***

هي أختي صبّرت نفسي على    فقد أهلي كلما ضمّ كفن
لو تذاكرنا أبي أو إخوتي    ساجلتني دمع عيني ما هتن
قلت ترعاني وترعى ولدي    وتربيـه على قصد السنن
وتواسي علّتي في وحـدتي    وتناجيني إذا الليـل سكن
فطواها الموت عني بغتـة    في الشباب الغضّ والوجه الحسن

***

تركت لي مَلَكاً في صورة    من جبين واضح النور فتن
وعيون تسحر اللبّ بما    أرسلته من ذكاء وفطن
وفم حـلو اللمى مبتسم    فرّ عن درّ توارى واستكن
فيـه منها ما يعزيني عن    بعـدها إما هفا قلبي وحنّ
وابن أختي قطعـة من كبدي    أفتـديه العمر روحاً وبدن

أحمد رامي

# صمت الشك

علم أم ضعف

للأستاذ عبد الرحمن شكري

ألا لا أبيح العيش مدحاً ولا ذما    سكتُّ فلا عذراً نطقت ولا لوما
ولا يستقيم القول إلا لمُنتَشٍ    من العيش والآمال لا من صحا غما
ملأت أساطير الحياة فإن أُفِقْ    فمن لي بحلم قد حلمت به قِدْما
حلمت بحسن العيش والصدق والنهى
أمانيَّ لا صُمًّا تبدت ولا بُكما
وإنْ لم يكن عيش الفتى حلم حالم
فما عذر قولي إن حسبت الدُّنى حلما
فإن شئت كان الشك ضعفاً وخيبة
وإن شئت كان الشك منطقه علما
وإن كان أصل الوحش والناس واحداً
فلِمْ فقدوا ظلفاً وقد كسبوا لؤما
وكيف أرى في مقبل الدهر للورى
عـــلاء ومحييً يجمع الخلق والفهما
إذا كان صدق الناس كذباً وفضاهم
رياء وود منهم الغـــدر والسما
صحوت كصحو الَميْت من نوم عيشة
أترجعني للعيش ألعقـــه رغما
كما يلعق الآسي العليل دواءه    وإن مج منه علقما قد نبا طعما
وهل ثقة بالعيش والناس تشترى    لِأنثرها نثراً وأنظمها نظما
وإن كان مدح المرء للعيش خشية
من اليأس كان المدح من وجل ذما
يسوغ بيان السخط إن كان من هوى الـ
ـحياة وإن أغرى بك الأمل الجما
وإلاّ فإن الصمت أولى بقائل    إذا قال قولاً جدد اليأس والهما
على تافه لا ينقع الدهر غلة    ولم يك بين الناس ربحاً ولا غُنْما
رأيت زوال الكائنات فلا أسًى    إذا لم أُخلِّدْ لي مقالا ولا نظما

# القصص

صور من هوميروس

## ٢٠ — حروب طروادة

### بريام الحزين . . .

للأستاذ دريني خشبة

تفرق القوم إلا أخيل . . .

لقد أوهنه الحزن ، وشف قلبه الأسى ؛ وكأن قتله هكتور لم يشف ما في نفسه من شجو ، ولم يخفف عنه ما يلقاه من عذاب البعد عن أعز أصدقائه . . . . الفقيد بتروكلوس !

---

سيحدث بعد القول قول يُذيلهُ ... وإن زال أقوام تجد بعدهم قوما

وما الخلد إلا غرة وطماعة ... وأنبل كِذب يخدع اللب والفهما

يكون الفتى في اليأس دهراً وفي المنى ... (كأرجوحة بين الشقاوة والنعمى)

وقد حل بي دهر إذا ما مدحته ... أظل كحاسي المر يفتعل البسما

وإن لم يُنِلك القول إلا مذلة ... فمن بر نفسي أن ترى تركه حزما

فمن شاء فلينطق ومن شاء فليكن ... صموتاً فحسبي أن أرى الحق والحلما

مللت نضال الناس في غير طائل ... وإن كان شراً يصقل الذهن والفهما

وكم شبهوا فهما بسهم ومورد ... ويا طالما أشوى الصواب وكم أظما

فياليت هذا العيش يبدو كصورة ... لعينيَّ أو خطا على الطرس أو رسما

كما تهدأ الهيجاء في رسم راسم ... تراها فلا قتلا تراها ولا كَلْما

ترى حسن إحسان وتجويد صانع ... وقدرة فنانٍ وجهداً له تما

عبد الرحمن شكري

---

وخرج لبعض شأنه فرأى جثة عدوه في طريقه ، فتثير في نفسه الكوامن الشواجن ، فينقض عليها كالمجنون ، ويشبعها ركلا بقدمه ، وكلوماً بخنجره ، ويربط القدمين في عربته ، ثم يلهب جياده بسوط نقمته ، فتعدو كالريح حول قبر بتروكلوس ، جارة وراءها جثمان هكتور ، تقلبه في الأديم المُنْبَدَّى ، وتلتّه في التراب الهامد . . . . .

ويكون أبولو مطلا من سحابة سارية ، فينتابه من الهم على صديقه ما يثير في قلبه الحنان المقدس ، ويُلقي درعه الذهبي على القتيل المهين ، فتقيه الدرع من الصخر والحصى . . . .

أما فينوس ! فإنها ترف هي الأخرى فوق الجثة ، وما تنفك تصب عليها من خمر الأولمب ما تنضح به من دمائها . . . . وطُلائها (1) . . . .

وتطلع الآلهة من ذروة جبل إيدا ، فترثى لما يحل بالميت المسكين من هوان ، ويلحظ أبولو ما ينقدح من عيني سيد الأولمب من شر ، فيجد فرصته ، وينهض خطيباً مصقعاً كيما يثير زيوس على أخيل . . . . عسى أن يحل عليه غضبه . . . . بعد إذ حماه طويلا . . . .

وينجح أبولو في إثارة رحمة الآلهة ، وتأليبهم على زعيم الميرميدون ، وجعلهم إلباً عليه واحداً ؛ لولا أن نهضت حيرا مغضبة ، فانطلقت تدفع عن أخيل ، وتذكّر سادة الأولمب بهذا المهرجان الفخم الذي أقامه بليوس ، أخوهم ونجيهم ، هناك ... هناك ، في أعماق المحيط إحتفاء بقدومهم للمشاركة في عرسه ، وبنائه على ذيتيس المسكينة . . . التي يعلم الجميع أنها ثكلى ... وإن لم تفقد بعد أخيل ! !

وتذكرهم حيرا بالوثق الحرام الذي قطعوه على أنفسهم أن يباركوا نسل بليوس ، وأن يدفعوا عنه الضر . . . . حتى تنفذ مشيئة ربات الأقدار

ويحار زيوس بين سخط الآلهة ، ودفاع حيرا ... ثم يبدو

---

(1) الطلاء دم القتيل

له أن ينفذ رسوله الأمين (إريس) إلى ذيتيس الحالة في أعماق البحر ، فتوقظها ، وتأتي اليها برسالة السماء ...

« ... أن هلمي من فورك هذا إلى سيد الأولمب ... فانه يأمرك أن تسمى إليه في مهمة تعرفينها فيما بعد ... »

وتنتفض الأعماق بالأوسيانيد والنريد وسائر عرائس البحر وعذارى الماء ... يسمين خبباً في إثر ذيتيس ... حتى تكون في أفق جبل إيدا ... فينثنين ... تاركات مولاتهن في ثوبها الحريري الأسود ، وزنارها القاتم الحزين ، تسمى وحدها حتى تكون فوق الشبج ، ومن ثمة تبرج في الأديم الأزرق حتى تلج أبواب السماء .

وألفت حشد الآلهة ما يزال يتحاور ، وما يزال أبوللو يحاج حيرا وحيرا تقرعه ، حتى نظر زيوس فرأى ذيتيس تتهادى في طيلسانها الأسود ، ووجهها المشرق الترع بالفاتن يزينه الحزن روعة ، ويضفي عليه الأسى جلالا ... فتبسم سيد الأولمب ، واهتز فوق العرش ، ثم قال : « مرحباً ذيتيس ! فيم هذا الأسى يا فتاة ! آه ... مسكينة ... ! ولكن اصغي إلي : لقد دعوتك إلى الأولمب لتذهبي برسالتي إلى أخيل العزيز ، فتوصيه بجثة هكتور ؛ لقد أثار بما ينزله بها من هوان غضب الآلهة جميعاً ... بل قد أثار غضبي أنا أيضاً ... أنا ... حاميه ومنقذه ومرشده في كل مثار نقع ... إذهبي اليه فأمريه أن يقلع عن هذه المثلة ، فانه لا شيء يحنق الآلهة مثلها ... وليُسَلِّم القتيل لأهله ، فهذا خير له ، وليقبل القَوَدَ العظيم الذي يقدمه اليه بريام الملك الشيخ الحزين .. الذي حطمه الرزء ، وعظمت عليه البلية ، وصدعت قلبه المصائب ... أما نحن ... فسننفذ إريس إلى طروادة تأمر الملك باعداد القَوَدَ والتجهز للقاء أخيل في معسكره ... وسنرسل ولدنا هرمز إلى بريام يحدو ركبه إلى معسكر أخيل ، ويُعَمِّي أبصار الميرميدون حتى لا يثوروا به ، وحتى يكون أمام زعيمهم وجهاً لوجه ... »

« ذيتيس ! حسب أخيل ما حل بابن بريام ... »

وهمت ذيتيس فانطلقت إلى ولدها ، حيث ألفتـه يتناول وجبة الصباح ، فأبلغت اليه الرسالة الأولمبية وعيناها تفيضان بالدمع ، وقلبها يخفق ويضطرب ، ونفسها تذوب على شبابه الغض حسرات ...

وهش أخيل لأمه ، وتقبل رسالة الالـه الأكبر قبولاً حسناً ، فنهضت ذيتيس وعادت أدراجها ، بعد إذ طبعت على جبين ولدها قبلة خاطفة ، كانت ... وا أسفاه ... آخر وداع منها له في الحياة ...

* * *

وانطلقت إريس إلى بريام الملك ، فوجدته ما يفتأ يبكي هكتور ، ومن حوله أبناؤه التسعة ، خُضُراً كأفراخ القطا ، نضراً كأكمام الزهر ، والرجل مع ذلك يقلب فيهم عينين تفيضان حسرة ، ووجهاً يتشح باليأس والهم ... وإلى جانبه جلست هكيوبا المرزأة تئن وتتفجع ، وترسل من أعماقها زفرات الهم والأسى ...

وبلغته إريس رسالة ربه ، وعادت أدراجها إلى الأولمب ؛ وما كاد الملك يخبر زوجه بما أوحى إليه من ربه ، حتى اضطربت هكيوبا وأعولت ، وطفقت تضرب صدرها المتهدم بيديها الوانيتين لما اعتزم زوجها من تنفيذ ما أشارت به السماء ، والذهاب إلى أخيل ، رجوة أن يهب له جثمان هكتور ، خشية أن يأسره زعيم الميرميدون ويستبقيه عنده رهينة حتى يسلم الطرواديون ... !

ولكن الرجل كان مؤمناً حتى لا يتسرب إلى قلبه الشك بما رسمت له الآلهة ، أو يساوره ريب في أي مما تشير به أربابه ؛ فزجر الملكة ، ونهض إلى خزائنه العامرة بالتحف فتخير اثني عشر قرطقا من أغلى ما نسجت مصر ، ومثلها من المعاطف المصنوعة من القاقم والسنجاب ، وعدداً كبيراً من الوسائد الرائعة والطنافس ذات التصاوير ؛ ثم أمر بعشر بدّر فأحضرت من بيت المال ، وبدستين كبيرين من الذهب ، ذَوَيْ قوائم من الفضة ، وأيد من الجوهر ؛ وبأربعة قدور مهداة من ملوك الشرق ، أحدها يزن ما علا خزائن بن بليوس ذهباً .. وبكأس من الأبرز الخالص بها من النقوش والصنعة ما يعجز عن مثله عباقرة الجن ... ...

أمر بريام بكل أولئك فوضعت في صناديق كانت هي الأخرى تحفاً من صناعات مصر والشام والهند ... تهيم فوقها تصاوير فارس ... ...

وصاح بأبنائه التسعة فهرعوا من كل مكان ... باريس المشئوم وهيلانوس وأجاثون ؛ وبامون وأنتيفون وبوليت ؛ ثم ديفوبوس وهبوثوس وديوس ... كلاب الأزقة كما كان يدعوهم أبوهم ... « ليت المنية التي تخطفت هكتور تلقفتكم وخلت

سبيل هكتور ... أوليتها أصابت ألف ألف من أمثالكم وعميت عن ليكاون وپوليدور ... ؟ »

وأمرهم فرتبوا الهدايا ورفعوها فوق ظهور البغال . . . وما ثقل منها وضعوه فى عربة كبيرة يجرها بهيان ؛ وتقدمت هكيوبا فصبت على يدىْ زوجها خمراً يتّطهر بها ، وأخذ هو فى صلاة طويلة لزيوس ... أن يحميه ويوقيه ... ويُرشده فى طريقه إلى أخيل ؛ ويرسل إليه الرسول الذى وعد ، يقوده إلى فسطاط زعيم الميرميدون !!

ولم يكد ينهض من صلاته ، ويختم توسلاته ؛ حتى رف فوقه طائر ظل يضرب الهواء بخافيتيه ، ويهوِّم ويدوم ، ويرنق فى سماء الهيكل تارة ، ثم يستقر عند المذبح أخرى ، حتى أيقن الملك وملأوه أنه الرسول المنتظر ، والقائد المنشود فخفقت قلوبهم ، وفرحوا واستبشروا

وتقدم إيديوس الحكيم فألجم البغال ، وأسرج الخيل ، وشد البهائم إلى عربة الملك ، وأقبل پريام فركب ، وأصدر أمره إلى حكيم طروادة وفيلسوفها فسار بين يدى الركب ، يحدوه ويباركه ويضمن له رعاية السماء .

أما الطائر الميمون فقد انتفض انتفاضةً هائلة ، وراح يحلق فوق طروادة ، ... ثم غاب عن الأبصار ... إلى أين ... ؟ إلى حيث لا يدرى أحد !!

وتهادى الركب . وانطلق إيديوس يحدوه ، حتى كان عند مقبرة إليوس الأكبر ، وحتى كانت طروادة الخالدة وراءهم ، حالمةً فى غبشة المساء ساهمةً مستسلمة ، كالفكرة الشاردة فى دماغ الشاعر الغرير

وغابت الشمس فى مياه الهلسپنت ، واختلط البنفسج الشاحب بسواد الليل ، ونقت ضفادع الأبالسة فى فضاء البرية ، فملأت القلوب وحشة ، وأرسلت فى المفاصل رعدة ، فلم يكن بد من أن ينيخ القوم حتى يأذن القضاء بالرحيل

وفيما كان إيديوس يسقى الدواب من الغدير النائم فى كِلَّة الغسق ، إذا شاب يافع يقبل نحوه ويسأل عن الملك ... ويكون بين يديه بعد لحظات ...

ويسأله الملك عن شأنه فيُحدِّث أنه جندى آبق من جنود أخيل ، وأنه ينصح للملك ألا يجازف بنفسه وبما يحمل من اللُّهى والعطايا فى هذه الرحلة المهلكة ، التى قد تنتهى بما لا يدور للملك فى خلد ، أو يقع له بحسبان ؛ ولكن الملك يبدى تصميمه ويلح فى سؤال الشاب عن هكتور ... « أما زال مُسجًّى بين يدى أخيل يشفى بمرآه حَرَّدَه ، أم هو قد أسلمه للسباع وجوارح الطير تنوشه وتتغذى به ؟ ... » ويطمئنه الشاب اللَّماب الداهية ثم يرثى له فيمده أن يكون قائده إلى فسطاط أخيل ... « لأن أحداً من الناس لا يستطيع أن يخترق صفوف الميرميدون الدواهى ما لم يكن مخاطراً بنفسه ، أو ملقياً بيديه إلى التهلكة ... »

ويتسلم الملك الشيخ ، ويلقى فى يدى الجندى الشاب بزمامه ، ويأذن له فيمتطى الجواد الأمامى الذى يتقدم سائر الدواب .... وتبدأ الرحلة إلى مرابض الميرميدون ...

ويتحدث الشاب إلى الملك ، ويتحدث الملك إلى الشاب ... حتى إذا كانا قيد خطوات من معسكر أخيل ، مد الشاب ذراعيه المفتولين ، ولفهما حول جذع الملك ، ثم رقاه رقيةً قصيرة ، وإذا سأله الملك عما يتمتم بها أنبأه ... « كى لا تقع عليك عين ولا يلمحك أحد ، ولا يحس بمَسْراكما أىٌّ من أولئك الميرميدون ... » فيسكن جاش پريام الشيخ ، ويطمئن قلبه ، وتتضاعف ثقته فى الجندى الشاب ...

ويكون فسطاط أخيل تلقاءهما !

فينهض الشاب من جانب الملك ، ثم ينتفض انتفاضة تكشف عن حقيقة ، ويقول ضاحكا : « أيها الملك أنت الآن فى جوار أخيل ، وعليك أن تلقاه فى غير هيبة ولا وجل ، فادخل غير مستأذن ، ولتكن رابط الجأش ساكن الروع ، واركع بين يديه ثم ازرف أغلى دموعك حتى تُلين ما قسا من قلبه ، وتحجر من مشاعره ، واذكر له حاجتك فإنه رادٌ عليك جثمان هكتور ... وثق أن السماء قد قضت بذلك ، ولا مَرَدَّ لقضائها ... أما أنا ... فلا تنتظر أن أسعى بك الى زعيم الميرميدون ... وليس سراً أن أذكر لك أننى ... هرمز ... أرسلنى أبى اليك لأجىء بك إلى هذا المكان ... انهض ... انهض ... ماذا أخافك منى ؟ ... أجل ... أناريك ... ولكن لتقصر صلاتك هذه ، فالفرصة تكاد تفلت ... تشجع ياپريام ... قف ... آمرك ... »

وينهض الملك من غشيته التى كادت تذهب به حين ذكر له الشاب أنه هو هرمز . . . هرمز نفسه الذى ذكرت له إيريس أنه سيقوده إلى فسطاط أخيل . . .

وينظر پريام فيرى إلى . . . الجندى الشاب . . . يرف فى

الهواء الندي ، ثم يرتفع ويرتفع ، حتى يكون في السماء التي تتفتح له أبوابها ! ؟ . . .

ويصلح الملك من شأنه ، ثم يتقدم بخطى وئيدة إلى فسطاط أخيل ، ويدخله ... ويرى زعيم الميرميدون في الصدر ، وبين يديه وزيراه العظيمان أوتوميدون وألكيموس ، ثم قادة الجند منتثرين ههنا وههنا . . . يهمسون ولا يكادون يبينون ...

وكان السماط ما يزال أمام الزعيم ، وزقاق الخمر ما تزال تقبل الكؤوس المترعة ، والشواء العظيم يملأ الخياشيم بقتاره ... فلم يبال بريام ... بل تقدم وتقدم ... حتى كان أمام أخيل ... فركع ذاهلاً عن نفسه ، ولف ذراعيه حول ساق الزعيم ، وراح يوسعهما لثماً وتقبيلاً ، ويعطرها بأحر العبرات ! ...

وشُده أخيل ! ...

بيد أنه كان يعلم من أمر هذه المفاجأة كل شيء ، فلم يزد أن قال : « بريام ! ؟ »

— « أجل يا بني أنا بريام ! ! ... »

وبهت القادة مما رأوا ، وأذهلهم ما سمعوا ! ...

أهذا حقاً هو بريام ملك طروادة يبكي بين يدي أخيل وينتحب ؟ ... إذن ... فيم هذه الحرب ؟ ... وحتام ذاك الصراع ؟ ... وإلام تذهب هذه المهج ؟ ...

— « أجل يا بني ... أنا هو ... أنا الرجل المرزأ المحزون الذي قتلت أبناءه ، وهرقت دماءهم لأنهم يحاربون من أجل وطنهم ، ويذودون عن بلادهم ... سعيت إليك ... إليك يا أخيل العظيم ، لأمطر هذه اليد التي ذبحتهم بدموعي ، ولأوسعها لثماً وتقبيلاً ؟ !

أتمنى يا بني أن تعود قريباً إلى أبويك سالماً ، فيهش أبوك للقائك ، وتبش أمك لعناقك ، ويفرح ذووك بك ، لأنك عدت إليهم بالنصر والفخر ... أستغفر الآلهة ، بل عدت إليهم سالماً من نكبات الحرب وكوارثها ... فهل أكون قاسياً أن أرجوك ... حين تعود إلى ديارك وتلقى فيها أحباءك ... أن تذكر أن أبوين آخرين قد خلفتهما وراءك يشقيان ويبكيان ، ويلبسان السواد أبد الدهر ، لأن أبناءهما لم يعودوا من ساحة الحرب كما عدت أنت ، بل هم قد سقطوا فوق أديمها ، مضرجين بدمائهم ، شاكين إلى أربابهم ما حل فيها بهم ، تاركين آباء شيوخاً فانين ، وأمهات ضعيفات معولات ، وقلوباً تتفجر أسى عليهم ، وعيوناً تخلط دموعها بدمائها من أجلهم ، وأرامل يلطمن الخدود ويشققن الجيوب ، ويتامى لا حول لهم ولا قوة على الزمان الغادر ، والحظ العاثر ، والصبر الجميل ... ؟ ...

هل أكون قاسياً يا بني إذا رجوتك أن تذكر ذلك أو بعض ذلك ، حين تعود إلى ديارك وتلقى أبويك الفرحين بك ؟ ...

أخيل ! لم أسع إليك يا بني إلا بأمر الآلهة ، ووحي سيد الأولمب ... أرجوك في هكتور ... ! ..

واحر قلباه يا هكتور ... ! وا أسفاه عليك يا ولدي ! ...

صدرت إليك يا أخيل عن أمر السماء أرجوك في هكتور أن تسلمه إلى حتى نؤدي له فرائض الآلهة ، وطقوس الموت ، وما أحسبك إلا ملبياً ندائي الحزين ، حتى تتيح للآلاف المؤلفة من جنوده وذويه وزوجه وابنه ان يبكوا جميعاً عليه ، وأن يشيعوه إلى الدار الآخرة بما رضيت أن تؤديه لبعض أصحابك ، حتى تقر روحه ، ويؤذن لها فتلج إلى هيدز ...

أخيل ... لبِّ ندائي أيها الزعيم الباسل ... لبِّ نداء هذا الشيخ الضعيف ... وارحم فيه هذا الذل الذي حمله إليك ... وأسعده بتقبل هذه الهدية التي أمرت بها السماء ... وإن تكن يا أشجع المحاربين في غَناء عنها ، ولا حاجة بك إليها ... »

وأحس أخيل كأنما تخاطبه السماء كلها بلسان هذا الشيخ المتهدم ، وكأنما الآلهة جميعاً تنطلق من فمه لتكون بياناً ورحمة في قلبه ، فأنهضه من بين يديه ، وأجلسه إلى جانبه فوق أريكته ثم أخذا معاً في بكاء حار طويل

وتقبل أخيل هدايا الملك ، وأشار إلى اوتوميدون وزميله فأخذاها إلى الأسطول ، ثم أمر الخادمات فغسلن هكتور بالماء الساخن المعطر بدهن الورد ، ولففنه في مدارج بأكملها من كتان مصر ، وتقدم هو فوضعه على وسادة الموت ، وأشار إلى جنوده فرفعوه إلى إرانه ، ثم أخذ يهوّن على بريام وبواسيه ، ودعاه إلى تناول العشاء معه ، فلبى الشيخ وهو يعول ويبكي ... بكاء يفتت الأكباد ويذيب نياط القلوب . . .

وكان الليل قد انتصف أو كاد ، وكان بريام الملك قد لبث الليالي الطوال يتفجع على ولده ، ولا يذوق جفنه طعم الكرى فأحس بعد العشاء باعياء وجهد ، وميل شديد إلى النوم ، فصُففت له ولرجاله وسائد فاخرة ، عليها طنافس وملاءات من الهند ، واستأذن أخيل واستلقى على متكئه . . . وقبل أن

يسلم عينيه للكرى ، سأله أخيل أن تكون هدنة بين الجيشين المتحاربين حتى تؤدى كل الطقوس اللازمة لتحريق هكتور ؛ واتفقا على أن تكون هذه الهدنة لمدة أحد عشر يوماً

* * *

وفى الهزيع الأخير من الليل ، أقبل هرمز الكريم فأيقظ بريام الملك ، ونبهه إلى الخطر الذى يحيق به إذا أشرقت الشمس وأقبل أجا ممنون وسائر القادة الهيلانيين ورأوا كبير أعدائهم ، وصاحب إليوم ، فى معسكر أخيل . . . هنالك يحجزونه لديهم رهينة حتى تسلم مدينته . . . « فهلم أيها الملك وانج بنفسك ، وسأقودك إلى طروادة بحيث لا يشعر بك أحد ، ولا يحس الميرميدون لركبك ركزاً . . . »

ويسير الركب فى هدأة الفجر ، ويحدو هرمز القافلة حتى تكون لدى البوابة الاسكائية الكبرى ، فيسلم على الملك ويبارك الميت . . . ويعرج فى السماء . . .

وتكون كاسندرا ، ابنة بريام الكبرى ، أول من يلمح الركب مقبلا ، فتبشر الأهالى المحزونين ، ويرتفع اللغط ، وتشتد الضوضاء ، ويتكبكب الواطنون حول العربة التى تحمل الأران حتى ليتعذر السير ، ويبطئ السعى ، فيصيح الملك بالملأ ، فتنفرج الطريق ، ويعم الصمت ، ولا يحس إلا وجيب القلوب وخفقانها

وتقبل أندروماك فتذرى دموعها ، وتندب حظها ، وتبكى زوجها ، وتمزق قلوب الطرواديين بما يبدو عليها من أسى وحزن ووجد وكمد ...

وأم هكتور ! ... ويا لمصاب الأمهات فى فلذات أكبادهن ، وأعز الأبناء عليهن ! ! ...

وهيلين ! ! والعجيب أن تبكى هيلين هى الأخرى !! هلين الآبقة ... هيلين الأثيمة .... ! !

* * *

ويأمر الملك فينتشر الجند يجمعون الوقود من كل فج ، حتى تكون كومة عالية ؛ ويوضع الجثمان المبكى فوقها ، وتصب الخر تحية لاله الموت وتكرمة ، وتشتعل النار فتكون ضراما . .

* * *

أنشــــد يا هوميروس !
يا شاعر الأحقاب الخالية !
يا صَدَى الزمان القـديم :
أيها القيثـــارة المرنّة فى أنامل الأيام !
أرسل من الأزل أنشودتك تملأ الأسماع فى الأبد !
واعصف مع الريح ....
واهتف مع البلابل ....
وتقبل تحيات المعجبين .

(تمت الألياذة)

( بقية الحروب فى العدد القادم )

دريني خشبة

# البريد الأدبي

## زعيم العمال كير هاردي

منذ أكثر من قرنين يتناوب الحكم في بريطانيا العظمى حزبان عظيمان هما حزب المحافظين وحزب الأحرار؛ ولكل من الحزبين في ميدان الكفاح السياسي مواقف وتقاليد عريقة؛ ولكن حزباً ثالثاً ظهر فجأة في ميدان السياسة الانكليزية هو حزب العمال؛ وكان ظهوره إيذاناً بوقوع الثورة الاجتماعية التي لبثت أسبابها تجتمع طوال القرن التاسع عشر؛ وظهر حزب العمال ونما بسرعة مدهشة، ولم يمض على قيامه نحو ثلاثين عاماً حتى استطاع أن ينتزع مقاليد الحكم من الحزبين القديمين الكبيرين (سنة ١٩٢٤) ، ثم تولاها مرة أخرى في سنة ١٩٢٩

وقد كان كير هاردي من أقطاب مؤسسي هذا الحزب الجديد ومن أعظم الزعماء الذين أمدوه بأسباب الحياة والقوة؛ وحياة هذا الزعيم المجاهد هي موضوع مؤلف جديد صدر أخيراً بالانكليزية بقلم هاملتون فايف، وهي مثل رائع من صور الكفاح الخالد بين الطبقات. كان كير هاردي عاملاً منذ نعومة أظفاره، وقد نشأ في بيت فقر وبؤس، وذاق مرارة الكفاح الشاق منذ طفولته، ولم يتلق تعليماً ولا ثقافة، ولكنه تعلم القراءة في منزله، وصقل ذهنه بالدرس المتواضع، ودرس الحياة بصورة عملية، وظهر في مجتمع العمال منذ حداثته، واشتهر بكفاحه في سبيل قضية العمال. وفي سنة ١٨٩٢ أسس كير هاردي مع نفر من صحبه الحزب الذي قدر له أن يتبوأ بعد قليل مركزاً خطيراً في السياسة البريطانية وهو حزب العمال المستقل؛ وكان هو أول رئيس لهذا الحزب؛ وفي نفس العام دخل البرلمان نائباً عن إحدى المناطق الصناعية، وكان دخوله في هذا المجلس العريق في مظاهرة اشتهر ذكرها في هذا العصر؛ ولبث كير هاردي يسهر على مصاير حزبه وعلى مصاير قضية العمال، ويبث روح الكفاح والقوة في الحزب الجديد، تارة بقلمه وتارة بخطبه، حتى أصبح حزب العمال قوة يخشى بأسها. وفي سنة ١٩٠٦ كان لحزب العمال في مجلس النواب زهاء ثلاثين مقعداً؛ وبدأ الكفاح الحقيقي بينه وبين الأحرار والمحافظين، وبدأت الحكومات البريطانية المتعاقبة تحسب حسابه، وتنزل عند بعض رغباته، وما زال سائراً في طريق الكفاح الاجتماعي حتى وصل إلى ما وصل اليه اليوم من القوة والنفوذ.

على أن الكفاح السياسي ليس أغرب صفحة في حياة كير هاردي، ولعل أغرب ما في هذه الحياة هو ما تميزت به حياة هذا المجاهد من بسالة ومقدرة على مغالبة الشقاء والفاقة، وما بذله من عزم وجلد. هنا تبدو حياة كير هاردي بديعة مؤثرة؛ ولعل أحداً من الناس لم يصف لنا هذه الحياة المؤثرة بقدر ما وصفها كير هاردي نفسه، فقد كتب كثيراً في متاعب هذه الحياة وشقائها. ومما يذكر أنه في صباه تأخر ذات يوم بعض الوقت عن عمله، فطرده صاحب العمل، وكان أبوه عاطلاً وأخوه يعاني الحمى، ولم يكن لأسرته عائل غيره. وقد وصف لنا كير هاردي فيما بعد هذا المنظر المحزن فيما يأتي:

« لبثت مدى حين أتجول في الشوارع تحت وابل المطر المنهمل، خجلاً من أن أعود إلى بيت لا طعام فيه ولا وقود؛ وأسائل نفسي دهشاً أليس أفضل شيء أن ألقي بنفسي في نهر « كلايد » وأنتهي من حياة كهذه ليس فيها ما يرغب؛ وأخيراً ذهبت إلى الدكان، وقابلت صاحبه وأوضحت له سبب تأخري، ولكني لم أظفر منه بطائل، ولم يدفع لي أجري؛ وإني لأرتجف الآن ويتفطر قلبي كلما ذكرت الحادث؛ وما زلت أرتد إليه وأرتد على أجنحة الخيال، وأتصور أنه في نفس الليلة كان ثمة آلاف من التعساء يعانون مثل هذا العذاب؛ وهي فكرة لا يطيق الانسان احتمالها »

ويصف لنا مستر هاملتون فايف حياة كير هاردي المؤثرة في جميع أطوارها؛ وإنها لقطعة مؤثرة مبكية من الكفاح في هذه الحياة الشاقة؛ ثم هي في نفس الوقت صورة رائعة من البسالة وقوة النفس، والصبر على المكاره، وعظمة البؤس التي تحمل على الاحترام والاكبار

وكان كير هاردى صحفياً وكاتباً ، وقد كتب كثيراً عن الاشتراكية وتحرير الطبقات العاملة ، وتوفى فى سنة ١٩١٥ دون الستين من عمره ، بعد أن نفث فى حزب العمال كثيراً من روحه القوى الوثاب

### وثائق هامة عن حياة زعيم مسلم

من أنباء موسكو أن بعض الباحثين فى محفوظات الدولة قد عثروا أخيراً على طائفة من الوثائق والرسائل الهامة التى تلقى أقوى الضياء على سياسة القياصرة نحو مسلمى القوقاز فى أواخر القرن الماضى ، وعلى حياة شاميل الزعيم القوقازى المسلم الشهير ، وعلى علاقات مسلمى القوقاز باخوانهم فى تركيا وبلاد العرب وفارس . ويرجع الفضل فى اكتشاف هذه الوثائق إلى جهود المعهد الشرقى الروسى ؛ وقد كتبت كلها فى عصر شاميل واليه بالعربية ؛ ومعظمها رسائل أصلية وجدت فى بعض محفوظات تفليس وجروزنى ، وعددها خمس عشرة وثيقة ؛ وينتظر أن تنشر بنصها الأصلى خلال انعقاد المؤتمر القادم للمباحث الشرقية

وقد وجدت إلى جانب هذه الوثائق طائفة من المخطوطات والكتب الأدبية ترجع أيضاً إلى عصر شاميل ؛ ومنها مؤلف تاريخى وضعه الزعيم شاميل نفسه بالاشتراك مع صديقه وزميله محمد طاهر ؛ وهو الآن فى المعهد الشرقى قيد البحث والاعداد للنشر . واكتشاف هذه الوثائق والمؤلفات يعدل كثيراً من الوقائع والآراء التى جرت حتى اليوم فى شأن علائق القوقاز المسلمة بحكومة القياصرة ، وكفاحها ضد مظالمهم ، والتى استقيت معظمها من أقوال ووثائق رسمية مغرضة ، ويلقى فى نفس الوقت ضياء كبيرا على حياة شاميل زعيم القوقاز المجاهد وعلى حسن بلائه فى مقاومة سياسة القياصرة ، وفى بث روح الوطنية والعزة القومية والدينية فى بنى وطنه ودينه

### حول كتاب ( الاسلام الصحيح )

ألف هذا الكتاب الأستاذ اسعاف النشاشيبى منذ أشهر ، وكتب عنه فى ( الرسالة ) الاستاذ محمد كرد على منذ أشهر ؛ ثم درجت عليه الأيام دون أن تتاح لنا الفرصة لقراءته ؛ ومنذ أسابيع أخذت مجلة ( العروبة ) تنشر منه فقرات تتصل بالشيعة أخطأ التوفيق فيها المؤلف ، فثار على الكتاب والكاتب النقد العنيف من النبطية والنجف ، وعاتب بعض فضلاء الشيعة ( الرسالة ) على قبولها تقريظ هذا الكتاب . والرسالة التى تدعو الى اتحاد الأمة العربية وائتلاف الملة الاسلامية تبرأ الى الله من سوء النية فيما نشرت ، إنما هو رأى أستاذ كبير فى كتاب قرأه ولم تقرأه ؛ وكل مقال تنشره بامضاء كاتبه إنما تكون تبعته عليه لا عليها

### ضريح ابن الأثير فى الموصل

يشغل ضريح العلامة ابن الأثير بقعة صغيرة من الأرض خارج الموصل على شارع الحزامية المؤدى إلى المستشفى الملكى ؛ وقد راع بعض الأفاضل حالة السيئة ففكر فى تشييد ضريح غيره يليق بشهرة صاحبه ومكانته فى التاريخ العربى ؛ وهو عمل جليل نرجو أن تساهم فيه إدارة الأوقاف وإدارة الآثار فى العراق ؛ فان من حق الذين أولونا الفضل فى الحياة ، أن نوليهم الاجلال فى الموت

### الدكتور الرافعى

عاد من أوروبا منذ قريب ، الدكتور محمد الرافعى ، نجل صديقنا الأديب الكبير الأستاذ مصطفى صادق الرافعى ، بعد أن أتم دراسة الطب بجامعة ليون ، وكان مبعوثاً إليها على نفقة جلالة الملك ، تقديراً لنبوغه وكفايته

وقد كان الدكتور الرافعى فى دراسته ، وفى رسالته لنيل الدكتوراه ، وفى درجاته العلمية التى حصل عليها ، مفخرة مصرية ودعاية ناطقة للشباب المصرى فى أوروبا

وحسبه أن يعلن رئيس جامعة ليون فى اجتماع لجنة القضاة المحكمين لمناقشة رسالة الدكتور الرافعى : أن هذه الرسالة تعتبر أماً لجميع الرسائل والكتب والمؤلفات التى وضعت فى بابها من سنة ١٩١٠ إلى الآن ، وأنها جاءت بالحل الأخير لمناقشات كادت لا تنتهى . وكان الدكتور الرافعى قد اكتشف مرضاً مما يصيب الأطفال لم يتنبه إليه أحد ، ووضع له اسماً خاصاً به

وقد منحته الجامعة درجة ( جيد جداً ) ، مع ( درجة تقدير القضاة ) ؛ و( مبادلة الرسالة لجميع الجامعات الأجنبية ) . وهى درجات رفيعة حقيقة منا بأن نتقدم اليه وإلى والده الكريم بالتهنئة نخوزين معجبين

### بعض آراء الزملاء فى الرسالة

لا تزال تنثال على ( الرسالة ) تهنئات الأصدقاء من مصر وسائر الأقطار العربية على دخولها فى عامها الرابع ؛ وهى تشكر لهم هذا العطف الجميل ، وترجو أن تظل من توفيق الله على الحال

التي يرتضيها الحق والجمال والخير ؛ ثم تثبت هنا بعض آراء الزملاء الفضلاء فيها تسجيلا للوفاء منهم ولاشكر منها :

قالت الجهاد الغراء في عددها الصادر في ٨ يناير سنة ١٩٣٦ :

دخلت زميلتنا «الرسالة» الغراء في عامها الرابع ، فحق لصاحبها الأديب الضليع الأستاذ أحمد حسن الزيات أن يغتبط بما أصاب في رسالته من نجاح ، وما كتب لجهوده الصادقة من توفيق

ونحن إذ نقول التوفيق لا نشير فقط إلى ما لقيت «الرسالة» من ذيوع في مصر وفي سائر الأقطار العربية ، وإنما نشير إلى السبيل التي سلكها الأستاذ الزيات بمجلته ، حتى بلغ بها هذا النجاح الذي يغتبط به كل ذي غيرة على الأدب العربي ، فهو لم يسلك إلى النجاح واجتذاب الجمهور تلك السبيل الممهدة الرخيصة وهي النزول إلى مستوى السامة واقتناص الربح منهم بأرخص المغريات ، ولكنه تطلع في عزم وإيمان وهمة لا تحد نحو غاية أسمى ، وتصدى لمهمة أنبل وأكرم ، فراح يرفع الجمهور إلى المستوى الذي يحبب إليه الأدب الصافي القويم

وقد سلخت (الرسالة) ثلاثة أعوام لم تنثن فيها عن تحقيق هذه الغاية ، بل لقيت من النجاح ما حفزها إلى المثابرة والمضي فيما سلكت من سواء السبيل

فللصديق القدير تهنئتنا الخالصة ولمجلته اطراد التوفيق والنجاح

وقالت «البلاغ» الغراء في عدد ٨ يناير سنة ١٩٣٦ :

أتمت مجلة الرسالة لصاحبها ومحررها الأديب الكبير الأستاذ أحمد حسن الزيات سنتها الثالثة ، ودخلت بالعدد الأخير منها في عامها الرابع من عمرها الطويل المبارك إن شاء الله . والرسالة تؤدي مهمة ثقافية سامية ، وتصل ما بين الأقطار العربية ، وتسمو بالأدب عن التجارة ، وتحرص على الرفعة والجد ، وهي تمثل في الأدب المذهب السديد الذي يزاوج بين القديم والجديد ، فلا يهمل القديم من كنوز الآداب ولا سيما العربية لقدمها ، ولا يفتتن بالحديث لطرافته ؛ ومن هنا كانت «الرسالة» كاسمها «رسالة» حقيقية إلى أمم العرب قاطبة ، ولهذا فازت بحظها في كل قطر من الأقطار العربية من التقدير والاكبار . فنهنئها بعامها الجديد ، ونشكر لزميلنا وصديقنا جهده الصادق المخلص في خدمة العربية والأدب الرصين

وقالت روز اليوسف اليومية في عددها الصادر في ٧ يناير سنة ١٩٣٦ :

دخلت زميلتنا «الرسالة» الغراء في عامها الرابع مزودة بما قدمت لقرائها بل الأدب العربي من خدمات سيرويها التاريخ فخوراً بها وسترى فيها الأجيال القادمة مرآة صادقة للمثل الأعلى في ثقافة هذا الجيل وأدبه

وإذا كانت «الرسالة» باعتراف قادة الفكر رسول العلم والأدب إلى العقول ، فهي باعتراف قرائها الذين أقبلوا عليها طوال هذه السنين رسول الروح المهذبة والعقلية المؤدبة والعاطفة الملهمة ، تحمل إلى رواد الأدب والعلم والشعر كل رائع وكل بديع

وإذا كان واجباً علينا أن نهنيء حضرة الزميل الكبير الأستاذ أحمد حسن الزيات بدخول الرسالة في عامها الرابع فأوجب من هذا أن نهنيء القراء بما سيقرأونه في العام الجديد بين صفحات الرسالة في عامها الجديد

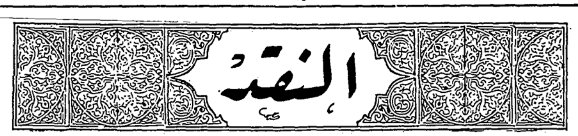
فهنيئاً لزميلنا الكبير رسالته النبيلة ، وهنيئاً لقرائه ما سيقرأون

وقالت المقطم في عدد ٨ يناير سنة ١٩٣٦ :

دخلت مجلة الرسالة الغراء في عامها الرابع بعددها الأخير وقد حفلت مجموعات سنواتها الثلاث بطائفة طيبة من الأدب العربي الصافي المورد ، فكانت مسرحاً لأقلام فحول أدباء هذا العصر من المحافظين على متانة الأدب العربي القديم ، والناهلين من أدب الغرب الحديث ، من أدباء مصر وسورية والعراق وغيرها ، فنهنيء حضرة الزميل الفاضل الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة الغراء ونتمنى لرسالته ذيوعاً وانتشاراً حتى يشمل نفعها أكبر عدد من أدباء العرب الذين قدروها قدرها وعرفوا لها منزلتها

وقالت الأهرام في عدد ٨ يناير سنة ١٩٣٦ :

دخلت مجلة «الرسالة» الغراء في عامها الرابع وهي المجلة الأسبوعية للآداب والعلوم والفنون لصاحبها ومديرها ورئيس تحريرها الأديب المعروف الأستاذ أحمد حسن الزيات . وقد برز العدد الجديد في صدر هذا العام بحلة قشيبة تدل على ازدياد العناية بها . وهو يضم مقالات طريفة وقصائد متينة السبك لبلغاء الكتاب وفطاحل الشعراء في موضوعات متنوعة لا تخرج عن الخطة التي نهجتها منذ إنشائها وتنطبق على الحاجة التي تشعر بها الأمة في موقفها الحاضر : فنهنئها ونتمنى لها اطراد التقدم




رد على نقد

## ٢ - كتاب تاريخ الاسلام السياسي

للدكتور حسن ابراهيم حسن

مؤلف الكتاب

ص ٣٩٨ - يزعم حضرة الناقد أننا قد اتبعنا رأى نيكلسون فى أمر انتصار معاوية ، وفى أن المسلمين اعتبروه انتصارا للارستقراطية الوثنية التى ناصبت الاسلام العداء

وهذا الزعم غير صحيح ، فاننا بنينا هذا الرأى على مقدمات صحيحة رواها ثقاة المؤرخين عن جمهرة المسلمين فى القرن الأول الهجرى . وهذا على بن أبى طالب يقول فى معاوية مخاطباً أصحابه : « أنظروا إلى من يقول كذب الله ورسوله . إنما تقاتلون ابن رأس الأحزاب وابن آكلة الأكباد من قتلى أحد . وإنما تقاتلون الطلقاء وأبناء الطلقاء ممن أسلم كرها وكان للرسول حربا وكان عن الدين منحرفاً » . ربما تقول إن كلام على لا ينهض حجة فى رأى جمهور المسلمين حيال معاوية وشيعته ، وإن التنافس فى الحكم يدعو إلى أكثر من ذلك ، فان هذا القول فى معاوية لم ينفرد به علىّ ، فهؤلاء كبار الصحابة والتابعين يرددون هذا القول بل أشد منه . وهذا قيس بن سعد يقول للنعمان بن بشير « انظر يانعمان هل ترى مع معاوية إلا طليقاً أعرابياً أو يمانياً مستدرجاً . وانظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون باحسان الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك وغير صويحبك ولستما والله بدريين ولا عقبيين ولا لكما سابقة فى الاسلام ولا آية فى القرآن » ، وقول ابن عباس : « هذه الحرب بدأها علىّ بالحق وانتهى فيها إلى العذر ؛ وبدأها معاوية بالبغى ، وانتهى فيها إلى السَّرف » ، وهذا أبو حمزة الخارجى يقول فى خطبته : « معاوية لَعين الرسول وابن لعينه ، وجلف من الأعراب ، وبقية من الأحزاب ، مؤتاف طليق ، فسفك الدم الحرام ، واتخذ عباد الله خولا ، ومال الله دولا ، وبغى دينه عوجاً ودغلا ... الخ . »

لم نذكر هذه الأقوال معتقدين بصحتها كلها فى معاوية ، إذ رأينا الشخصى أنه مسلم عظيم خدم الاسلام خدمات جليلة ، ولكنا اضطررنا إلى ذكرها لنبرهن على أن من استندوا إلى رأى نيكلسون وجدوا فى هذه الأقوال بعض المبررات لما ذهبوا اليه وليت الناقد راجع تلك الأقوال التى تفيض بها المصادر التاريخية ليعرف أننا نعنى بقولنا جمهور المسلمين ، فيريح نفسه ويريحنا أيضاً من هذا التعليق الطويل

ص ٣٤٠ - كان خيراً للناقد ألا يرجع إلى هذه الصفحة بعد أن تركها عمداً أو سهوا - لا أدرى - ويظهر أن شغفه بالتنقيب وتحميل اللفظ فوق ما يحتمل ، واستخراج ما توهمه مؤاخذة ، هو الذى حمله على عكس الدورة ومعاودة المراجعة لهذه الصفحة بعد أن تركها فى أول مرة . ولينظر القارىء إلى ما قال عنها بعد أن أرجع البصر كرتين : إنه لم يرضه إلا أن رمينا بالخطأ لأننا وقعنا فى أمر جسيم حيث تابعنا المصادر العربية التى تعين موقعة « ذات السوارى » زمانها ومكانها ، وبريد أن يقسرنا على متابعة المصادر اليونانية فى أن تاريخ الوقعة كان سنة ٣٤ هـ لا سنة ٣١ كما تثبته المصادر العربية ، وأن مكان الوقعة كان قريباً من ساحل آسيا الصغرى الجنوبى لا قريباً من الاسكندرية

ولحين اطلاعنا على السبب فى ولع الناقد بتفضيل المصدر اليونانى على العربى ، نقول له إن رأيك هذا فيه تحكم وترجيح بلا مرجح ؛ على أن حضرته لم يذكر لنا ولو مصدراً واحداً من هذه المصادر اليونانية لنقف منها على مبلغ صحة اعتماده وأسباب ترجيحه ، اللهم إلا كتاب العصور الوسطى لكمبردج ، وهو

عبارة عن سلسلة مقالات بالانجليزية ، كما أن حكمه علينا بأننا نتابع السير وليام ميور الذى يأخذ عن جيبون هو من قبيل الرجم بالغيب ، وأن قوله : « كلا هذين المؤرخين أصبح قديماً ولا يصح التعويل عليه بصفة مطلقة » يحتاج إلى فك رموزه وأحاجيه ...

ص ٤٥٠ – يظهر أن الناقد سريع النسيان . فبينا هو يأخذنا بلاذع اللوم والتعنيف إذا روينا آراء جمهور المسلمين فى الأمويين ، نجــده هنا لا يعجبه أن دافعنا بحق عن أحد خلفائهم بأنه لم يرد أن يحط من شأن الكعبة ، وأن رميها بالمجانيق أحدث فيها من غير قصـد ما أحدث ، وأن الحجاج لما نصب المجانيق على الكعبة جعل هذه الزيادة التى زادها ابن الزبير فى الكعبة هدفاً ، إذ كان الأمويون يعتبرونها بدعاً فى الدين » . وما أسرع هـذا الناقد فى سحب ثقتـه من هؤلاء المساكين ، فيقول عنهم : « وبنو أمية كانوا إذا تعارضت المصلحة السياسية مع أى اعتبار آخر رجحوا جانب المصلحة السياسية كائناً ما كان ذلك الاعتبار الآخر . وتاريخهم يشهد بذلك ! ! » ثم ما أدرى وجه الضحك من قولنا إن الحجاج جعل الزيادة التى زادها ابن الزبير فى الكعبة هدفاً لمجانيقه ، وإنه كان من الممكن الانتظار حتى تضع الحرب أوزارها ثم تنقض الكعبة وتبنى على أسسها القديمة . فالواقع يقرر ما قلناه والتقرير غير الرد ، والتفسير غير النقد ، وأما هذه الزيادة فقد كانت متميزة عن سائر بنية الكعبة يمكن نقضها دون هدم الكعبة ، بدليل أن الحجاج بعـد أن قتل ابن الزبير عمد إلى تلك الزيادة فأزالها وأعاد الكعبة إلى ما كانت عليـه زمن الرسول ، وليس من الصعب على العرب ، وهم مشهورون بتسديد الرماية ، أن يجعلوا الزيادة هدفهم بدون أن يلحقوا بسواها ضرراً ؛ وقد فصلنا الكلام فى ذلك فى مقالنا الأول . أما قول الناقد إن الهدف الحقيقى للمجانيق هو ابن الزبير نفسه ولما جعل الكعبة حائلاً بينه وبين المجانيق ضربت الكعبة ، فقول لم يأت الناقد فيـه بجديد عن قولنا ولا يتنافى مع ما قررناه

ص ٤٧١ – يقول علماء الأصول والتشريع إن الحكم على المجموع لا على الجميع . فاذا حكمنا على الخوارج بأنهم اشـتطوا بالحكم على مخالفيهم حتى ساووا بينهم وبين الكفار عبدة الأوثان ، فلا يضرنا أن تشذ فرقة كالاباضية عن هذا الحكم ، ولا يخفى أن هـذه الفرقة لم تشترك مع الخوارج بظفر ولا بناب فيما ألحقوا بالأمة الاسلامية ، فليست مقصودة فى كلامنا لأنها غير معتبرة من الخوارج ذوى البأس الشديد

ويصدق هذا أيضاً على ما نقلناه عن « السيد أمير على » على نظام الامارة على البلدان فى العصر الأموى ، وبعد أن كان يفرض على ولاة الأقاليم الاقامة فى حواضر ولاياتهم أصبحت الولاية فى عهد الأمويين تسند إلى بعض أفراد البيت المالك وإلى كبار رجال البلاط ، فكانوا يبقون فى دمشق ويعينون من قبلهم رجالاً يقومون بحكم الولايات نيابةً « عنهم » . وإذا رجع القارىء إلى كلامنا يلاحظ أننا نقرر ذلك نظراً لما حدث أثناء حكم هذه الدولة ، وأننا لم نجعـل تطرق النقص منسحباً على العصر الأموى كله بدليل قولنا إن هناك نقصاً قد تطرق إلى النظام الادارى فى عهـد بنى أمية ، وجرّ إلى أسوأ العواقب فيما بعد ، إذ لا يخفى أن التطرق أمر عارض لم يكن موجوداً ثم وجد ، فـكيف يحمل على التعميم والاستفاضة ؟ . . .

ص ٥٧٦ – من المحسنات البديعية أن يذكر الانسان شيئاً أجنبياً عن موضوعه لمناسـبة وفائدة . فاذا كنا تكلمنا عن نظام العدول فى معرض الكلام على نظام القضاء فى عصر الخلفاء الراشدين والأمويين ، وقلنا إن سُنَّة التقدم والارتقاء دعت إلى اتخاذ الشهود المحلفين حين فشت شهادة الزور ، فقضى النظام الجديد بتعيين شهود عدول عرفوا بحسن السمعة والفقه فصاروا من هيئة المحكمة يعمل برأيهم القاضى فيما له علاقة بالمتقاضين ، إذا ذكرنا هذا فليس معناه أننا نجهل تاريخ هذا النظام ونجهل أنه كان فى الدولة العباسية لا الأموية . والمنصف يرى أن مثل هذا الاستطراد له شواهد كثيرة من كتاب الله وكلام رسوله وكلام العرب . وقد لاحظ العلماء فيه أنه يكسب الكلام رونقاً وجدة ويذهب بالسآمة التى يشـعر بها القارىء أحياناً من موضوع استطال الكلام فيه

يخيل الينا أن الناقد أحس بتهافت ملحوظته هذه فعمد إلى ستر الوقف وتدعيم المآخذ بكلام أرسله إرسالا وكال فيه التهم

جزافا ، فأيرم حكما مقضياً بأن كلامنا لا يحلو هـذا النظام على حقيقته وفيـه تخليط كثير !! ويا للعجب ! هولم يقبل منا أن نستطرد بذكر نظام المدول موجزين ويريدنا أن نفصل الـكلام عنه . ولا بأس أن نترك الـكلام عن موضوع الـكتاب بالمرة لنفسح له فى الميـدان ليصول ويجول ويكون لنقده حينئـذ بعض القوة !

ص ٦٢٧ — كنا نتفكه بحكاية ذلك التركى الذى كان مغرماً بأن يأمر فيجد مأموراً ، وينهى فيجد منهياً ، ولما كانت مؤهلاته لم تسعفه بإشباع رغبته اقتعد غارب الطريق ووضع أمامه بعض أباريق مملوءة بالماء ، حتى إذا ما أجهد أحد المارين العطاش وأراد تناول إحداها ليشرب نهره ذلك التركى قائلا : دع هذا واشرب من ذاك ! فاذا ذهب حضرة الناقد فى غالب كلامه يلومنا بأننا نقلنا كذا عن فلان ، وكان أولى بنا أن ننقله عن سواه ، فانه — ولا شك — يذكرنا بهذه الحكاية المضحكة . ولقد رأينا حضرة الناقد يسلك هذا الطريق معنا فى أمر موقعـة ذات السوارى ونفقات المسجد الأموى

وبعد ، فمن شيم العلماء وكرام النقاد ألا يلجأوا إلى التمويه والابهام عما ينقدون ويمحصون ، وإنما عملهم هو قرن الدعوة بالدليل ، ووضع الصحيح إزاء العليل ، وبذلك يُخدم العلم ، وتشكر الحقيقة مجليها . أما إذا لجأ الناقد إلى التعميم ، وعبارات التفخيم ، واعتذر عن الادلاء بالحجج والبينات بقصر الوقت وبكثرة السيئات ، فليس معنى هذا فى نظر الناس إلا الرغبة فى الهدم ، وعدم القدرة على البناء

(يتبع) حسن ابراهيم حسن

# نوادر الـكتب

الكتب

# المقتطف والمتنبي

المقتطف شيخ مجلاتنا ؛ كأسن أولادُه وأحفادُه . وهو كالجد الأكبر ، زمنٌ يجتمع ، وتاريخ يتراكم ، وانفرادٌ لا يُلحق ، وعلم يزيد على العلم بأنه فى الذات التى تفرض إجلالها فرضاً ، وتجب لها الحرمةُ وجوباً ، ويتضاعف منها الاستحقاق فيتضاعف لها الحق.

وهل الجد إلا أبوّة فيها أبوّة أخرى ، وهل هو إلا عرشٌ حيٌّ درجاته الجيل تحت الجيل ، وهل هو إلا امتداد مسافاته العصر فوق العصر ؟

والمقتطف يكبر ولا يهرم ، ويتقدم فى الزمن تقدم المخترعات ماضيةً بالنواميس إلى النواميس ، مقيدةً بالمبدأ إلى الغاية . فلقد أُنشيء هذا المقتطف وما فى المجلات العربية ما يغني عنه ، ثم أسمعت الدنيا حوله بأخلاقها وطباعها ، وتحولت مجلات كثيرة إلى مثل الراقصات والمغنيات والممثلات . . . وبقي هو على وفائه لمبدئه العلمى والسمو فيه والسمو به ، كأنما أُخذ عليه فى العلم والأدب ميثاقٌ كميثاق النبيين فى الدين والفضيلة ؛ فبين يديه الواجبُ لا الفرض ، وهمُّه الابداعُ بقُوى العقل لا الاحتيال بها ، وهَدْيُه الحقيقة الثابتة فى الدنيا لا الأحلام المتقلبة بهذه الدنيا ؛ وطريقه فى كل ذلك طريق الفيلسوف من هدوء نفسه لا من أحوال الدهر ، فهو ماضٍ على اليقين ، نافذ إلى الثقة ، متنقل فى منزلة منزلة من يقينه إلى ثقته ، ومن ثقته إلى يقينه

وقد بدأ المقتطف مجلده الثامن والثمانين بعدد ضخم أفرده للمتنبي . ولئن كانت الأندية والمجلات قد احتفلت بهذا الشاعر العظيم ، فما أحسبُ إلا أن روح الشاعر العظيم قد احتفلت بهذا العدد من المقتطف

ولست أغلو إذا قلت إن هذه الروح المتكبرة قد أظهرت كبرياءها مرة أخرى ، فاعتزلت المشهورين من الكتاب والأدباء ولزمت صديقنا المتواضع الأستاذ محمود شاكر مدة كتابته هذا البحث النفيس الذى أخرجه المقتطف فى زهاء ستين ومائة صفحة تدلُّه فى تفكيره ، وتوحى اليه فى استنباطه ، وتنبهه فى شعوره ، وتبصره أشياء كانت خافية وكان الصدق فيها ، ليردَّ بها على أشياء كانت معروفة وكان فيها الكذب ، ثم تعينه بكل ذلك على أن يكتب الحياة التى جاءت من تلك النفس ذاتها ، لا الحياة التى جاءت من نفوس أعدائها وحسادها

ولقد كان أول ما خطر لى بعد أن مضيت فى قراءة هذا العدد — أن المؤلف جاء بما يصح القول فيه إنه كتَب تاريخ المتنبي ولم ينقله ؛ ثم لم أكد أمعن فى القراءة حتى خيل إليَّ أنه قد وضع لشعر المتنبي بعد تفسير الشرّاح المتقدمين والمتأخرين تفسيراً جديداً من المتنبي نفسه ؛ وما الكلمة الجديدة فى تاريخ هذا الشاعر الغامض إلا الكلمة التى نشرها المقتطف اليوم

إن هذا المتنبي لا يفرغ ولا ينتهى ، فان الاعجاب بشعره لا ينتهى ولا يفرغ . وقد كان نفساً عظيمة خلقها الله كما أراد ، وخلق لها مادتها العظيمة على غير ما أرادت . فكأنما جعلها بذلك زمناً يمتد فى الزمن

وكان الرجل مطوياً على سر ألقى الغموض فيه من أول تاريخه ، وهو سر نفسه ، وسر شعره ، وسر قوته ؛ وبهذا السر كان المتنبي كالملك المغصوب الذى يرى التاج والسيف ينتظران رأسه جميعاً ، فهو يتقى السيف بالحذر والتلفف والغموض ، ويطلب التاج بالكتمان والحيلة والأمل

ومن هذا السر بدأ كاتب المقتطف فجاء بحثه يتحدَّر فى نسق عجيب متسلسلا بالتاريخ كأنه ولادة ونموٌ وشباب ، وعرض بين ذلك شعر أبى الطيب عرضاً خيل إليَّ أن هذا الشعر قد قيل مرة أخرى من فم شاعره على حوادث نفسه وأحوالها . وبذلك انكشف السر الذى كان مادة التهويل فى ذلك الشعر الفخم إذ كانت فى واعية الرجل دولة أضخم دولة تعجز عن خلقها وإيجادها فخلقها شعراً أضخم شعر ، وجاءت مبالغاته كأنها أكاذيب آماله البعيدة متحققة فى صورة من صور الامكان اللغوى

ومن أعجب ما كشفه من أسرار المتنبي سرُّ حبه ؛ فقال : إنه كان يحب خولة أخت الأمير سيف الدولة ، وكتب فى ذلك خمس عشرة صفحة كبيرة ، وكأنها لم ترضه فقال إنه كان يؤمل أن يكتب هذا الفصل فى خمسين وجهاً من المقتطف . وهذا الباب من غرائب هذا البحث ، فليس من أحد فى الدنيا المكتوبة ( أى التاريخ ) يعلم هذا السر أو يظنه . والأدلة التى جاء بها المؤلف تقف الباحث المدقق بين الاثبات والنفى ؛ ومتى لم يستطع المرء نفياً ولا إثباتاً فى خبر جديد يكشفه الباحث ولم يهتد اليه غيره ، فهذا حسبك اعجاباً بذكره ، وهذا حسبه فوزاً يُعدّ

ولعمرى لو كنت أنا فى مكان المتنبي من سيف الدولة لقلت إن المؤلف قد صدق ... فهناك موضع لابد أن يبحث فيه القلب الشاعر الذى وضعت فى الدنيا حكمتها ، وطوت فيه القوة سرها ، وبث فيه الجمال وحيه ، وأصغر هذه الثلاث أكبر من الملوك والممالك ، ولكن الحبيبة أكبر منها كلها . . . . . . . . ؟

مصطفى صادق الرافعي




العـــدد ١٣٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ شوال سنة ١٣٥٤ — ٢٠ يناير سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

## فهرس العـــدد



# مجمع اللغة العربية الملـكى

## يفتتح دورته الثالثة

فى الضحى الأكبر من يوم الخميس الماضى افتتح مجمع اللغة العربية الملـكى دورته الثالثة فى حفل متواضع من رجال العلم والأدب ؛ فألقى الأستاذ الرئيس خطبة مُجْمَعة ، أجمل فيها ما عالج المجمع من المسائل اللغوية فى دورته الثانية ، وأشار إلى وفوده عن المجمع العربى إلى عيد المجمع الفرنسى ، وإلقائه أول الناس خطاب التهنئة « باسم أحدث المجامع نشأة فى أقدم بلاد العالم حضارة » ؛ ونوه بهدية الأستاذ فيشر إلى المجمع وهى جزازات جمع فيها جمهرة الموثوق بصحته من متداول الكلمات فى القرن الأخير للجاهلية ، والقرون الثلاثة الأولى فى الاسلام ، واستهلك فى جمعها وترتيبها نيفا وأربعين عاماً ؛ ثم ألم إلمامة يسيرة ببعض ما وُجه من نقد إلى خطة المجمع

وقام من بعده الأستاذ حسين والى فألقى محاضرة سابغة سائغة أدلى فيها بحجج المجمع فى القرارات السبعة التى أصدرها فى عامه الثانى . ثم نهض على أثره الأستاذ محمد كرد على بك فدافع عن حداثة المجمع وأشاد بفضل جلالة المليك . وجاء دور الأستاذ رجب فعقب على بعض ما قال الخطباء بكلمة بارعة أداها عن ظهر قلبه .

ثم ختم الأستاذ الجارم هذا الحفل الوقور بقصيدة من حر الكلام سلسل فيها أطوار العرب وأدوار اللغة ، وأهاب ( بعصبة الخير ) أن ينشطوا لتجديد الفصحى :

فالدهر يسرع والأيام معجلة ونحن لم ندر غير الوخد والخبب

* * *

كانت حفلة افتتاح هذه الدورة نفثة من روح المجمع ، شاع فيها سره ، وسطع في فورتها ريحه ؛ فكان اهتمامها برضى القاموس أبلغ من اهتمامها بذوق السامع ؛ وكأني رأيت يومئذ في بعض العيون بوادر الدمع رأفة بأولئك السيدات اللائي تظاهرن بالاصغاء إلى حقائق اللغة ودقائق الصرف وهن من الضجر على حال لا تسر ! وهذه الحال نفسها ملحوظة بين المجمع والمجتمع في وضع الكلمات للشؤون العامة ، فإن من الأعضاء من يسرف في بعث الحوشي المات ، أو الغريب المتنافر ، ليحل من لغة الجمهور محل الدخيل الذي لا يثقل في الآذان ولا يعسر على اللسان ولا ينبو على أوزان اللغة ، فيضع الجاز للترام ، والمهوع لليخت ، والمنقاش للبائع الجوال ، والكشاءة للكماشة ، والضريم للبنزين ، والطربال للعمارة ! وليس من شك في أن هذه الكلمات المرغوب عنها وأمثالها مما يحاول المجمع طرده من الاستعمال أدق في الدلالة ، وأقوى على الحياة ، وأسهل على الطبع ، من تلك الألفاظ الجافية التي نقضها الدهر عن وجه البيان العربي لأسباب طبيعية منذ عمره الأول ... ما للترام واليخت والفلم والبنزين والكنبة مادامت سائغة في النطق جارية على سنن الفصيح واردة على أسلوب المعرب ؟ إن الشاكوش أدل من الحصين ، والريال أجمل من الرقين ، والفسيخ أدنى من القريب ، والبشكير أولى من النشير ، والمندالة أخف من المبطدة . لقد افتن الظرفاء طول العام في الاضحاك مما أشبه الأرزيز والجاز حتى استراب الناس في ذوق المجمع

والواقع أن الصفة الغالبة على أكثر الأعضاء هي الضلاعة القاموسية المحافظة ، فهم يريدون أن يتجاهلوا الاصطلاح والعرف ، ويتناسوا الكتاب والعامة ، ويفرضوا على الأذواق الفنانة كلمات لا تقطر من جوزها على قلم ، وعلى الطبقات العاملة لغات لا ينطبق مدلولها على عمل

إن اللغة العربية لا يبيت مرافق العصر الحديث قبل أن ينشأ المجمع بقرن ونيف ، فاستحدثت الضرورة في مدى هذا الزمن ألفاظاً بالاشتقاق والتعريب والترجمة ، ربطت اللغة بأسباب المدنية ، ووصلت الأدب بمعاني الحياة . ووظيفة المجامع أن تقر ما وُجد وتنشيء ما لم يوجد ؛ والاستعمال الذي لا يقف ولا ينتهي ، يتمم القاموس الذي انتهى ووقف . أما اطلاق العربي المهجور على المعرب المشهور مخافة أن تطغى العجمة « ويصبح الفصيح بين لغتنا أقل من القلة ، بحيث لا يصح لنا وقتئذ أن نزعم أننا نتحدث بلسان العرب » كما قال الأستاذ الرئيس ، فلا يستقيم في منطق اللغات ، ولا يجري في نظام الطبيعة ؛ لأن عربية القاموس لا تكاد تجاوز منتصف القرن الثاني ، وما اقتبسته اللغة بعد ذلك من حضارة الفرس ومدنية الروم أوشك أن يؤلف قاموساً آخر ، ومع ذلك لم تستعجم الفصحى ولم يَنْبُهم بيان العرب ! ويخيل إلي أن الاستاذ جب كان يرد على معالي الرئيس حين قال في خطبته : « ويل للغة مصادرها معجماتها دون الشعور الحي للناطقين بها ! وويل كذلك للغة ينطق الناطقون بها ويكتب الكاتبون فيها طوع أهوائهم ويضربون بمعجماتها عرض الحائط ! »

* * *

إن ما أخذناه وأخذه الناس على ما وضع أعضاء المجمع من الألفاظ إنما ينحصر في شؤون الحياة العامة ؛ أما ما وضعوه أو أقروه لعلوم الأحياء والطب فلا وجه فيه لآخذ ، ولا سبيل عليه لمنكر ، لأنه يتعلق بالعلم ويتصل بالتعليم ويجري بين الخاصة ، ومن السهل أن تراض عليه الألسنة في المدارس ، وتؤخذ به الأقلام في المعاجم ، ويُجمع اليه الناس في الكتب ... كذلك كانت قراراته الأربعة التي تعلقت بالتوسع في طرق القياس صادرة عن رأي حصيف ودرس ناضج . وسيكون لها كما رجا الرئيس أثرها البعيد في التيسير على أهل العلم ومن يعالجون الصناعة ويزاولون الترجمة

إن في إقرار المجمع عرض ما يضعه من الكلم على الجمهور قبولاً سابقاً للنقد النزيه والقول الأسد ؛ وإن فيما كتب الكاتبون عن خطة المجمع وزانة يجب أن يُرَوِّيء فيها طويلا قبل أن يمضي على نيته ؛ وإن فيما تبيناه من مضامين الخطب في الاحتفال دليلا على استصغار المجمع لما عمل واستعظامه لما سيعمل ؛ والشعور بالنقص مبدأ الكمال ، والنفور من العجز سبيل القدرة ، والركون إلى الأمل الحافز دليل الفوز ! أيد الله المجاهدين الصادقين بروح من عنده ، وسدد خطى العاملين المخلصين في الطريق القاصد

احمد حسن الزيات

# سلطة الآباء

## للأستاذ أحمد أمين

رحم الله زماناً كان الأب فى بيته الآمر الناهى ، والحاكم المطلق ، والملك غير المتوج ؛ ينادى فيتسابق من فى البيت إلى ندائه ، ويشير فاشارته أمر ، وطاعته غنم ؛ تحدثه الزوجة فى خفر وحياء ، ويحدثه الابن فى إكبار واجلال ؛ من سوء الأدب أن يرفع اليه بصره ، أو يرد عليه قوله ، أو يراجعه فى رأى ، أو يجادله فى أمر . أما البنت ، فاذا حدثها لف الحياء رأسها ، وغض الخجل طرفها ؛ قليلة الكلام ، متحفظة الضحك ، خافضة الصوت ؛ تتوهم أنها أخطأت فى التافه من الأمر فيندى جبينها ، ويصبغ الخجل وجهها ، وتنكس بصرها ؛ وإذا جاء حديث الزوج والزواج فالى أمها الحديث لا إلى أبيها ، وبالتلويح والتلميح لا بالتصريح ؛ والأمر إلى الأب فيما يقبل وفيما يرفض ، وفيما يحدث وما لا يحدث

فى جملة الأمر أن البيت ينقسم إلى قسمين : حاكم وهو الأب ، ومحكوم عليه وهو سائر الأسرة ؛ منه الأمر ومنهم الطاعة ، له السيادة ولهم الخضوع ، يرسم الخطط وهم ينفذونها ، يجلب الرزق ويتولى الانفاق وهم يسيرون على ما رسم ؛ وويل لمن تبرم أو عارض ؛ فان أحس الابن حاجة ملحة إلى مال ، أوشعر بضرورة ملجئة إلى أكثر مما أخذ ، لم يجرؤ أن يجابه بالطلب ؛ إنما يحاور ويداور ، ويلمح ويرمز ؛ فان أعياه الأمر وسّط الأم لعلها تستطيع أن تعبر تعبيراً أوضح وأصرح ، وقل أن تنجح

وبجانب سلطة الأب الدنيوية كانت سلطته الدينية . فهو يوقظهم قبل الشمس ليصلوا الصبح أداء لا قضاء ، ويسائلهم فى أكثر الأوقات عن صلاتهم كيف صلوا ، وعن وضوئهم كيف توضأوا ؛ يعلم الجاهل ويؤم المتعلم ، ويجمعهم حوله من آن لآن يصلى بهم ، ويذكرهم ويعظهم ، ويقص عليهم قصص الأنبياء ، وحكايات الأولياء والصلحاء ـ وإن أنس لا أنس جمال المواسم الدينية ـ كيوم نصف شعبان ، إذ تشمر فى البيت من الصباح بحركة غير عادية : هذا ينظف ، وهذه تمد الأكل الحافل ، ويتهيأ الجميع قبل الغروب استعدادا لصلاة المغرب ، قد لبس النساء البياض ، وتقنعن بالشاش الأبيض ، وإذا رب البيت يؤم جميع من فى البيت ، ثم يخرج دعاء نصف شعبان من جيبه ويتلوه عليهم ، يقول جملة فيرددونها ، ويبتهل معهم إلى الله أن يسعده ويسعدهم ، ويصلحه ويصلحهم ، ويبارك له فى ماله وفى نفسه وفى ذريته ، ثم يأخذون حظهم لبطونهم ، كما أخذوا حظهم لأرواحهم ، وشملتهم السعادة وعمهم اللطف والهناءة

* * *

لقد ودعنا ذاك الزمان بخيره وشره ، وحلوه ومره ، واستقبلنا زماناً صار فيه الأبناء آباء ، وأرادوا أن تكون لهم السلطة كآبائهم فأبى عليهم الزمان

قالت الزوجة لزوجها : الناس أحرار ، وأنا انسان وأنت انسان ، فان اعتززت بالكسب اعتززت أنا بالانفاق ، وان اعتززت بالرجولة اعتززت بالأنوثة ، وان اعتززت بأى شىء فأنا اعتز بمثله وبخير منه ؛ فأنا وأنت شريكان ، لا سيد وأمة ، ولا مالك ومملوك ؛ لى كل الحقوق التى لك ، وقد يكون علىّ بعض الواجبات التى عليك ، فان سفرتَ سفرتُ ، وان غشيت دور اللاهى غشيتها ؛ عليك أن تحصل المال وعلىّ الانفاق ، ولك السلطان التام فى اختيار طرق التحصيل ، ولى الخيار التام فى وجوه التبديد . أنت للبيت والبيت لى . إن كان لك أم فقد شبعتْ سلطة فى الماضى أيام كانت زوجة ، فلا حق لها أن تنعم بسلطانها وسلطان غيرها ، فليس لها الحق إلا أن تأكل ، كما ليس لك الحق فى حبها ؛ فالحب كله للزوجة ، إنما لك أن ترحمها ؛ والدين لا شأن لك فيه بتاتاً فهو علاقة بين العبد وربه ، وكل انسان حر أن يحدد هذه العلاقة كما يوحى إليه قلبه ؛ فان شئت أنت أن تتدين فتدين ، على شرط ألا تقلب نظام البيت ، وتقلق راحتى وراحة الخدم ، بأعداد ماء ساخن فى الشتاء وما إلى ذلك

ورأى الزوج أن الأحكام قاسية ، والشروط فادحة ، وهام

يبحث بين المتعددات عمن يرضى به زوجاً على الشروط القدعة فأعياه البحث

وأخيراً نزل على حكم القضاء، وأسلم نفسه لسلطان الزمان وقدم الطاعة للزوجة، بعد أن كانت هي تقدم الطاعة له؛ ولا نزال في دار الآثار في المحاكم الشرعية قضايا اسمها قضايا الطاعة، يحكم فيها للأزواج على الزوجات؛ حفظ شكلها، وبطل روحها؛ ولو كانت المحاكم محاكم عصرية لحكمت بالطاعة على الزوج لزوجته، وحكمت بالنفقة على الزوجة لزوجها

وتم الزواج، وفرحت الزوجة بالظفر فغالت في المطالب، وابتدعت كل يوم مطلباً جديداً، وأرادت أن تنتقم لأمهاتها من آبائه في شخصه، فطالما أطعن، وطالما خضعن! فليطع هو دائماً وليخضع دائماً، جزاء وفاقاً على ما جنى آباؤه وأجداده

قالت: إن رقصت رقصتُ، فذلك حقك وحق؛ قال نعم. قالت بل إن لم ترقص رقصت لأنك إن أضعت حقك لم أضع حق؛ وإن خالت خالتُ، فالجزاء من جنس العمل، بل إن لم تخالل ربما خالت، لأن حياة الزوجية البحت قد يعتريها الركود والسأم والملل. فصرخ ولف الغضب وجهه، وحاول أن ينكل بها فتراجعت، وسحبت مطلبها الأخير ورأت الحكمة أن تتريث بعض الشيء حتى يبلع ريقه من أثر الصدمة الأولى، ويستعد للصدمة الثانية، فإن لم يسعفها الزمان أوصت بناتها بشروطها الجديدة

قالت وسيكون من أول ما أوصى به ابنتي أن تتخذ قياس خطيبها، ثم يكون من أول جهازها أن تفصل له برذعة ولجاماً على قدره، فتضع البرذعة عليه وتركبه إذا شاءت، وتشكمه باللجام إذا حاول أن يتحرك يميناً أو شمالاً على غير رغبتها

* * *

وشاء الله أن يرزقا بنين وبنات

وقد رأوا أن الأم لا تجل الأب فلم يجلوه، ولم تعره كبير التفات فلم يعيروه؛ ورأوها تبذر في مال الأب فبذروا، ورأوها حرة التصرف فتحرروا، ورأوها تخرج من البيت من غير إذن الأب فخرجوا خروجها، وتعود متى شاءت ففعلوا فعلها، ورأوها لا تدين فلم يتدينوا، ورأوها تطالب الأب ألا يفتح رسائلها فطالبوا، ورأوها تتكلم في المسائل الدقيقة أمام أبنائها وبناتها في صراحة فتفتحت شهواتهم، وتحركت رغباتهم، وغذتها تخيلاتهم

وقال الأبناء لأبيهم: إنا مخلوقون لزمان غير زمانك فاخضع لحكم الزمان؛ وقد نشأنا في زمن حرية في الآراء، وحرية في الأعمال، وحرية في التصرف، لا كما نشأتَ في جو من الطاعة والقيد والأسر والتقاليد، فحال أن يسع ثيابك الضيق أبداننا، وتقاليدك العتيقة البالية نفوسنا، فإن حاولت ذلك فإنما تحاول ادخال الثور في قارورة، أو لف القصر الكبير بمنديل صغير! قال نعم. قالوا وأنت الذي سمح لنا بادئ ذي بدء أن نغشى دور السينما والتمثيل، وأن نسمع الأغاني البلدية، ونشاهد المراقص الأوربية، فإذا أقررت المقدمة فلا تهرب من النتيجة. وأنت الذي عودنا ألا نضع للبيت « ميزانية »، فأنت تعطي « ماهيتك » لأمنا تنفق من غير حساب، فإن انتهت في نصف الشهر طلبت منك أن تقترض فاقترضت، وأن تشتري ما لا حاجة لنا به فاشتريت، وأن تقدم الكمالي على الضروري فأطعت؛ فليس لك أن تطالبنا بالاقتصاد في الجدول الصغير، والنهر الكبير ليس له ضابط. وخُرقٌ أن تحاول أن تضع ميزانية لمقاطعة، وميزانية الدولة مبعثرة! قال نعم. قالوا وقد أضعت سيادتك على أمنا فلم تفرض سيادتك علينا؟ ورضيت بالخضوع لها فلم تأباه علينا، وهي أم الحاضر وأنت أبو الماضي ونحن رجال المستقبل؟ قال نعم. قالوا وأنت نشأت في زمن خضوع تام: خضعت لأبيك في المهد صبياً، وخضعت للفقيه في المكتب، وللمدرس في المدرسة؛ فإذا قلت برأسك هكذا، قال الأستاذ بعصاه هكذا، فنكست رأسك، وغضضت بصرك، وأسعفتك عينك بالبكاء، ولم يسعفك لسانك بالقول؛ فلما صرت « موظفاً » وقفت من رئيسك موقفك من أبيك وأستاذك، تنفذ دائماً وتطيع دائماً — ولم يجر على ذهنك يوماً تفكير في استقلال، ولا على لسانك نداء بحرية؛ أما نحن فربيتنا في بيتنا، حررتنا على أساتذتنا، فملك كرهاً على تملقنا؛ وناديتنا بالحرية فتمتعونا في شيء من الرياء،

تظهرون الطاعة لرؤسائكم وتبطنون الرضا عن حركاتنا ، وتريدون أن تجمعوا بين الحرص على ماهيتكم والحرص على وطنيتكم المكبوتة . قال نعم . قالوا : فلما قدناك وقدنا رجالنا في السياسة فلنقدكم جميعاً في كل شيء : في البيت وفي المال وفي العلم وفي رسم الخطط : ولنقلب الوضع فنكون قادة وتكونوا جنوداً وإلا لم نرض عنكم جنوداً ولا قادة

وقالت البنات لأبيهن :

يا أبانا الذي ليس في السماء ! رقصتْ أمنا فرقصْنا ، وشربت أمنا فشربنا ، وشربت سراً فلتسمح لنا بحكم تقدم الزمان أن نشرب جهراً ، ورأينا في روايات السينما والتمثيل حبا فأحببنا ، ورأينا عريا على الشواطئ فتعرينا ، وتزوجت أمنا بإذن أبيها فلنتزوج نحن بإذننا . قال نعم . قلن وقد أوصتنا أمنا أن نركب الزوج ، ولكننا أمام مشكلة يشغلنا حلها . فانا نرى شبان اليوم ـ كاخوتنا ـ متمردين لا يخضعون خضوعك ولا يستسلمون استسلامك ، فارادتهم قوية كارادتنا ، وهم يحبون السلطة حبنا ؛ فهم أحرار ونحن أحرار ، وهم مستبدون ونحن مستبدات ، فكيف نتفق ؟ هل يمكن أن يبقى البيت بعدة استبدادات ؟ ولكن لا بأس يا أبانا ! هل البيت ضرورة من ضرورات الحياة ؟ أوليس نظام الأسرة نظاما عتيقاً من آثار القرون الوسطى ؟ قال نعم . قلن على كل حال فيصح أن يجرب جيل النساء الجديد مع جيل الرجال الجديد ، فان وقع ما خشينا عشنا أحرارا وعاشوا أحرارا ، وطالبنا بتسهيل الطلاق وبهدم المحاكم الشرعية على رؤوس أصحابها ، وتعاقدنا تعاقدا مدنياً . قال الأب : وماذا تفعلن عما ترزقن من أبناء وبنات ؟ قلن لك الله يا أبانا ! إنك لا تزال تفكر بعقل جدنا وجدتنا ! لقد كنت أنت وأبوك وجدك تحملون أنفسكم عناء كبيرا في التفكير في الأولاد ، وتضحون بأنفسكم وأموالكم في سبيلهم ، وتعيشون لهم لا لكم . أما عقليتنا نحن أهل الجيل الحاضر فأن نعيش لأنفسنا لا لغيرنا . لقد ضحك عليكم الدين والأخلاق ففهمتم أن الواجب كل شيء ، وكشفنا اللعبة ففهمنا أن اللذة كل شيء ، فنحن نمنع النسل ، فاذا جاء قسرا فليعش كما يشاء القدر ؛ ولنقدم حظنا على حظه ، وسعادتنا على سعادته ، ولا نفكر فيه طويلا ، ولا يتدخل في شؤوننا كثيراً ولا قليلا

قال الأب : وأمر المال كيف يدبر ؟ كيف تمشن أنتن وأولادكن إذا كان طلاق وكان فراق ؟ قلن هذا ظل آخر ظريف من ظلال تفكيرك ، دع هذا يا أبانا والبركة أخيراً فيك

* * *

أما بعد فقد خلا الأب يوماً الى نفسه ، وأجال النظر في يومه وأمسه ، فبكى على أطلال سلطته النهارة ، وعزته الزائلة ، ورأى أنهم خدعوه بنظرياتهم الحديثة ، وتعاليمهم الجديدة — قال : لقد قالوا إن زمان الاستبداد قد فات ومات ، فلا استبداد في الحكومة ، ولا استبداد في المدرسة ، فيجب ألا يكون استبداد في البيت ؛ إنما هناك ديمقراطية في كل شيء ، فيجب أن يكون البيت برلماناً صغيراً يسمع فيه الأب رأي ابنه ورأي بنته ورأي زوجه ، وتؤخذ الأصوات بالأغلبية في العمل وفي المال وفي كل شيء ؛ وقالوا تنازل عن سلطانك طوعاً ، وإلا تنازلت عنها كرها ، وقالوا إن هذا أسعد للبيت ، وأبعث للراحة والطمأنينة ، وقالوا إن هذا يخفف العبء عنك ، فنحن نقسم البيت إلى مناطق نفوذ ، فمنطقة نفوذ للمرأة ، وأخرى للرجل ، وثالثة للأولاد ، وكلهم يتعاونون في الرأي ويتبادلون المشورة . سمعت وأطعت فماذا رأيت ؟ رأيت كل انسان في البيت له منطقة نفوذ إلا إياي ؛ ولم أر البيت برلمانا ، بل رأيته حماما بلا ماء ، وسوقا بلا نظام ، إن حصلت على مال أرادته المرأة فستانا ، وأرادته البنت بيانو ، وأراده الابن سيارة ؛ ولا تسل عما يحدث بعد ذلك من نزاع وخصام . وإن أردنا راحة في الصيف أردت رأس البر لأستريح ، وأرادت الأم والبنت الاسكندرية قريبا من ستانلي باي ، وأراد الابن أوربا ؛ وإن ، وإن ، وإن ، إلى ما لا يحصى ، ولا يمكن أن يستقصى ؛ وأخيراً يتفقون على كل شيء إلا على رأيي . فوالله لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما تزوجت ، فان كان ولابد ففلاحة صعيدية ، لم تسمع يوما بمدنية ، ولم تركب يوما قطارا الى القاهرة والاسكندرية ، لها يد صناع في عمل « الأقراص » ، ورأس صناع في حمل « البلاص »

أيتها الزوجة ! ويا أيها الأبناء والبنات ! ارحموا عزيز قوم ذل !

أحمد أمين

# ٣ - المشكلة

## للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

أما البقية من هذه الآراء التي تلقيتها فكل أصحابها متوافقون على مثل الرأي الواحد من وجوب إمساك الزوجة والاقبال عليها ، وإرسال « تلك » والانصراف عنها ، وأن يكون للرجل في ذلك عزمٌ لا يتقلقل ومضاء لا ينثني ، وأن يصبر للنفرة حتى يستأنس منها فانها ستتحول ، ويجعلَ الأناةَ بإزاء الضجر فانها تصلحه ، والمروءةَ بإزاء الكره فانها تحمله ، وليترك الأيام تعمل عملها فانه الآن يعترضُ هذا العمل ويبطله ، وإن الأيام إذا عملت فستغير وتبدّل ، ولا يُستقَلُّ القليلُ تكونُ الأيامُ معه ولا يُستكثر الكثيرُ تكون الأيامُ عليه

والعددُ الأكبر ممن كتبوا إليّ يحفظون على صاحب المشكلة ذلك البيانَ الذي وضعناه على لسانه في المقال الأول ويحاسبونه به ويقيمون منه الحجةَ عليه ، ويقولون له أنت اعترفت ، وأنت أنكرت ، وأنت رددت على نفسك ، وأنت نصبتَ الميزان فكيف لا تقبل الوزن به ؟ وقد غفلوا عن أن المقال من كلامنا نحن وأن ذلك أسلوبٌ من القول أدرناه ونحلناه ذلك الشابَّ ليكون فيه الاعتراضُ وجوابُه ، والخطأ والرد عليه ، ولنُظهر به الرجلَ كالأبله في حيرته ومشكلته تنفيراً لغيره عن مثل موقفه ، ثم لنحرك به العللَ الباطنةَ في نفسه هو فتصرفه عن الهوى شيئاً فشيئاً إلى الرأي شيئاً فشيئاً ، حتى إذا قرأ قصةَ نفسه قرأها بتعبير من قلبه وتعبير آخر من العقل ، ولمح ما خفي عليه فيما ظهر له ، واهتدى من التقييد إلى سبيل الاطلاق ، وعرف كيف يخلّص بين الواجب والحب اللذين اختلطا عليه وامتزجا له امتزاج الماء والخمر . وبذلك الأسلوب جاءت المشكلة معقدةً منحلّةً في لسان صاحبها ، وبقي أن يُدفع صاحبها بكلام آخر إلى موضع الرأي

وكثير من الكتاب لم يزيدوا على أن نبهوا الرجل إلى حق زوجته ثم يدعون الله أن يرزقه عقلاً . . . وقد أصاب هؤلاء أحسن التوفيق فيما ألهموا من هذه الدعوة ، فانما جاءت المشكلة من أن الرجل قد فقد التمييز وجُنَّ بجنونين : أحدهما في الداخل من عقله والثاني في الخارج منه ، فأصبح لا يبالي الاثمَ والبغض عند زوجته إذا هو أصاب الحظوةَ والسرور عند الأخرى ؛ فتعدَّى طوره مع المرأتين جميعاً ، وظلم الزوجة بأن استلب حقها فيه ، وظلم الأخرى بأن زادها ذلك الحق فجعلها كالسارقة والمتدية

وقد تمنى أحد القراء من فلسطين [1] أن يرزقه الله مثل هذه الزوجة المكروهة كراهة حب ، ويضعَه موضعَ صاحب المشكلة ليثبت أنه رجل يحكم الكره ويصرّفه على ما يشاء ولا يرضى أن يحكمه الحب وإن كان هو الحب . وهذا رأي حصيف جيد فان العاشق الذي يتلصّص الحب به ويصده عن زوجته لا يكون رجلا صحيح الرجولة ، بل هو أسخف الأمثلة في الأزواج ، بل هو مجرم أخلاقي ينصب لزوجته من نفسه مثالَ الماهر الفاسق ليدفعها إلى الدعارة والفسق من حيث يدري أو لا يدري ؛ بل هو غبيٌّ إذ لا يعرف أن انفراد زوجته وتراجُعَها إلى نفسها الحزينة ينشيء في نفسها الحنين إلى رجل آخر ؛ بل هو مغفل إذ لا يدرك أن شريعة السن بالسن والعين بالعين ، هي بنفسها عند المرأة شريعة الرجل بالرجل . . . . . .

والمرأة التي تجد من زوجها الكراهيةَ لا تعرفها أنها الكراهةُ إلا أوّلَ أول ؛ ثم تنظر فاذا الكراهة هي احتقارُها واهانتها في أخص خصائصها النسوية ، ثم تنظر فاذا هي إثارة كبريائها وتحديها ، ثم تنظر فاذا هي دفعُ غريزتها أن تعمل على اثبات أنها جديرة بالحب ، وأنها قادرة على النقمة والمجازاة ، ثم تنظر فاذا برهان كل ذلك لا يجيء من عقل ولا منطق ولا فضيلة ، وانما يأتي من رجل . . . . . رجل يحقق لها هي أن زوجها مغفل وأنها جديرة بالحب

* * *

وكأن هذا المعنى هو الذي أشارت اليه الأديبة ف . ز . وإن كانت لم تبسطه ، فقد قالت : وإن صاحب هذه المشكلة غبي ، ولا يكون إلا رجلا مريض النفس مريض الخُلُق ، وما رأيت مثله رجلا أبعد من الرجل . . . ومثلُ هذا هو في نفسه مشكلة

(١) هذه الآراء التي سننقلها قد تصرفنا في جميعها بالعبارة ، ولكنا لم نخرج عما يرمي اليه صاحب الرأي وما أقام رأيه عليه

فكيف تُحل مشكلته ؟ إنه من ناحية زوجته مغفل لا وصف له عندها إلا هذا ؛ ومن جهة حبيبته خائن والخيانة أول أوصافه عندها

وهذا الزوج يسمم الآن أخلاق زوجته ويفسد طباعها ، وينشئ لها قصة في أولها غباوته وإثمه ، وسيتركها تتم الرواية فلا يعلم إلا الله ما يكون آخرها . ومثل هذا الرجل أصبح المتعلمات يعتقدن أن أكثر الشبان إن لم يكونوا جميعاً — هم كاذبون في ادعاء الحب ، فليس منهم إلا الغواية ؛ أو هم محبون يكذب الأمل بهم على النساء ، فليس منهم إلا الخيبة

قالت : وخير ما تفعله صاحبةُ المشكلة أن تصنع ما صنعته أخرى لها مثلُ قصتها ، فهذه حين علمت بزواج صاحبها قذفت به من طريق آمالها الى الطريق الذى جاء منه ، وأنزلته من درجة أنه كلُّ الناس إلى منزلة أنه كَكل الناس ، ونبهت حزنها وعزتها وكبرياءها فرأته بعد ذلك أهون على نفسها من أن يكون سبباً لشقاء أو حسرة أو هم ، وابتعدت بفضائلها عن طريق الحب الذى تعرف أنه لا يستقيم إلا لزوجة وزوجها ؛ فاذا مشت فيه امرأة إلى غير زواج ، انحرف بها من هنا ، واعوجَّ لها من هنا ، فلم ينته بها فى الغاية إلا أن تعود إلى نفسها وعليها غبارُه ، وما غبار هذا الطريق إلا سواد وجه المرأة .....

وقد جهد الرجل بصاحبته أن تتخذه صديقاً ، فأبت أن تتقبل منه برهان خيبتها . . . وأظهرت له جفوة فيها احتقار ، وأعلمته أن نكث العهد لا يخرج منه عهده ، وأن الصداقة إذا بدأت من آخر الحب تغير اسمها وروحها ومعناها ، فاما أن تكون حينئذ أسقط ما فى الحب ، أو أكذب ما فى الصداقة

ثم قالت الأديبة : وهى كانت تحبه ، بل كانت مستهامة به ، غير أنها كانت أيضاً طاهرة القلب ، لا ترى فى الحبيب رجلا هو رجل الحيلة عليها فتُخدع به ، ولا رجل العار فتسبُّ به ، وفى طهارة المرأة جزاء نفسها من قوة الثقة والاطمئنان وحسن التمكن ؛ وهذا القلب الطاهر إذا فقد الحب لم يفقد الطمأنينة ، كالتاجر الحاذق إن خسر الربح لم يفلس ، لأن مهارته من بعض خصائصها القدرة على الاحتمال والصبرُ للمجاهدة

قالت : فعلى صاحبة المشكلة التى عرفت كيف تحب وتجلُّ أن تعرف الآن كيف تحتقر وتزدرى

* * *

وللأديبة ف . ع رأى جزلٌ مسدَّد ؛ قالت : إنها هى قد كانت يوما بالوضع الذى فيه صاحبة المشكلة ، فلما وقعت الواقعة أ نفت أن تكون امصة قلوب ، وقالت فى نفسها : إذا لم يُقدر لى ، فان الله هو الذى أراد ، وإنى أستحى من الله أن أحاربه فى هذه الزوجة المسكينة ، ولئن كنت قادرة على الفوز إن انتصارى عليها عند حبيبى هو انتصارها على عند ربى ، فلأخسر هذا الحب لأرابحَ الله برأس مال عزيز خسرته من أجله ، ولأبْقِ على أخلاق الرجل ليبقى رجلاً لامرأته فما يسرنى أن أنال الدنيا كلها وأهدم بيتاً على قلب ، ولا معنى لحب سيكون فيه الاثم بل سيكون ألأم اللؤم .

قالت : وعلمتُ أن الله تعالى قد جعلنى أنا السعادة والشقاء فى هذا الوضع ليرى كيف أصنع ، وأيقنت أن ليس بين هذين الضدين إلا حكمتى أو حمقى ، وصحَّ عندى أن حسن المداخلة فى هذه المشكلة هو الحل الحقيق للمشكلة

قالت : فتغيرت لصاحبى تغيراً صناعياً ، وكانت نيتى له هى أ كبر أعوانى عليه ، فما لبث هذا الانقلابُ أن صار طبيعياً بعد قليل . وكنت أستمد من قلب امرأته إذا اختاننى الضعف أو نالنى الجزع فأشعر أن لى قوة قلبين . وزدت على ذلك النصح لصاحبى نصحاً مُيسَّراً قائماً على الاقناع وإثارة النخوة فيه وتبصيره بواجبات الرجل ، وترفقتُ فى التوصل إلى ضميره لأثبت له أن عزة الوفاء لا تكون بالخيانة ، وبينت له أنه إذا طلّق زوجته من أجلى فما يصنع أ كثر من أن يقيم البرهان على أنه لا يصلح لى زوجاً . ثم دللتهُ برفق على أن خير مايصنع وخير ما هو صانع لارضائى أن يقلدنى فى الايثار وكرم النفس ويحتذينى فى الخير والفضيلة ، وأن يعتقد أن دموع المظلومين هى فى أعينهم دموع ، ولكنها فى يد الله صواعق يضرب بها الظالم

قالت : وبهذا وبعد هذا انقلب حبه لى إ كباراً وإعظاما وبما فوق أن يكون حباً كالحب ؛ وصار يجدنى فى ذات نفسه وفى ضميره كالتوبيخ له كلما أراد بامرأته سوءا أو حاول أن ينغص منها فى نفسه . واعتاد أن يكرمها فأ كرمها ، وصلحت لها نيته فاتصل بينهما

السبب ، وكبرت هذه النية الطيبة فصارت ودا ، وكبر هذا الود فعاد حباً ، وقامت حياتهما على الأساس الذى وضعته أنا بيدى ، أنا بيدى .....

أما أنا ... ؟

* * *

وكتب فاضل من حلوان : إن له صديقا ابتلى بمثل هـذه المشكلة فركب رأسه فما ردّه شىء . عمد الزواج بحبيبته ، وزُفّ اليها كأنه ملك يدخل إلى قصر خياله ، وكان أهله يعذلونه ويلومونه ويُخلصون له النُّصح ويجتهدون فى أمره جهدهم ، إذ يرون بأعينهم مالا يرى بعينه ، فكان النصح ينتهى اليه فيظنه غشاً وتلبيساً ، وكان اللوم يبلغه فيراه ظلماً وتحاملاً ؛ وكان قلبه يترجم له كل كلمة فى حبيبته بمعنى منها هى لا من الحقائق ، إذ غلبت على عقله فما يعقل ، وذهبت بقلبه فما يحس ، واستبدت بإرادته فما ينقاد ؛ وعادت خواطره وأفكاره تدور عليها كالحواشى على العبارة المغلقة فى كتاب ؛ واستقرّت له فيها قوة من الحب أمرها إذا أرادت شيئاً أن تقول له كن

ثم مضت الليلة بعد الليلة وجاء اليوم بعد اليوم والموج يأخذ من الساحل الذرّة بعد الذرة والساحل لا يشعر ، إلى أن تصرمت أشهر قليلة فلم تلبث الطبيعة التى ألفت الرواية وجملتها قبل الزواج رواية الملك والملكة ، وقصة التاج والعرش ، وحديث الدنيا وملك الدنيا — لم تلبث أن انتقلت على فجأة فأدارت الرواية إلى فصل السخرية ومنظر التهكم ، وكشفت عن غرضها الخفى وحلت العقدة

قال : ففرغ قلبُ المرأة من الحب وظمئ إلى السُّكر والنشوة مرة أخرى من غير هذه الزجاجة الفارغة .... وتَرَدّ قلب الرجل وكان الشيطان الذى يتسعّر فيه ناراً ، شيطاناً خبيثاً فتحول إلى لوح من الثلج له طول وعرض . . . .

وَجدّت الحياة وهَزَل الشيطان ، فاستحمق الرجلُ نفسه أن يكون اختار هذه المرأة له زوجة ، واستجهلت المرأةُ عقلَها أن تكون قد رضيت هذا الرجل زوجاً ، وأنكرها إنكارا أوله الملالة ، وأنكرته إنكارا آخر أوله التبرّم ؛ وعاد كلاهما من صاحبه كإنسان يكاف إنساناً أن يخلق له الأمس الذى مضى

وضربت الحياةُ ضربةً أو ضربتين فاذا أبنيةُ الخيال كلها هَدْمٌ هَدْم ، واذا الطبيعة مؤلِّفةُ الرواية . . . . قد ختمت روايتها وقوضت المسرح ، واذا الأحلام مفسرة بالعكس ، فالحب تأويله البغض ، واللذة تفسيرها الألم ، و « البودرة » معناها الجير . . . . وتغير كل ما بينهما إلا الشيطان الذى بينهما ، فهو الذى زوّج وهو بعينه الذى طلّق . . . .

* * *

وكتب أديب من بغداد يقول : إنه كان فى هذا الوضع القلق موضع صاحب المشكلة ، وأن ذات قرباه التى سميت عليه كانت ملفّقة له فى حُجُب عدة لا فى حجاب واحد ، وقد وصفتْ له باللغة . . . . وفى اللغة ما أحسنَ وما أجمل وما أظرف ، وكأنها ظبى يتلفت ، وكأنها غصن يميل ، وكأن سنّةَ وجهها البدر !

قال : وشبهت له بكل أدوات التشبيه وجاءوا فى أوصافها بمذاهب الاستعارة والمجاز ، فأخذها قصيدة قبل أن يأخذها امرأة . . وكان لم يرمنها شيئاً وكانت لغة ذوى قرابته وقرابتها كلغة التجارة فى ألسنة حذّاق السماسرة ، ما بهم إلا تَنفيقُ السِّلعة ثم يُخلون بين المشترى وحظّه

قال : فرسخ كلامهم فى قلبى ، فعقدت عليها ، ثم أعرست بها ونظرت فاذا هى ليست فى الكلمة الأولى ولا الأخيرة مما قالوا ولا فيما بينهما . . . . ثم تعرفت فاذا هى تكبرنى بخمس عشرة سنة . . . . ورأيت اتضاع جالها عندى فأشفقت عليها ، وبت الليلة الأولى مقبلا على نفسى أؤامرها وأناجيها وأنظر فى أى موضع رأيى أنا . وتأملت القصة فاذا امرأة بين رحمة الله ورحمتى ، فقلت إن أنا نزعت رحمتى عنها ليُوشكنّ الله أن ينزع رحمته عنى ، وما بينى وبينه إلا أعمالى ؛ وقلت يانفسى : « إنها إن تكُ مِثقالَ حبةٍ من خَرْدَلٍ فتكنْ فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأتِ بها الله » . وإنما أتقدم إلى عفو الله بآثام وذنوب وغلطات ، فلأجعل هذه المرأةُ حسنتى عنده ، وما علىّ من عمر سيمضى وتبقى منه هذه الحسنةُ خالدةً مخلّدة

إنها كانت حاجةَ النفس إلى المتاع فانقلبت حاجةً إلى الثواب ، وكانت شهوةً فرجعت حكمة ، وكنت أريد أن أبلغ

ما أحب فسأبلغ ما يجب . ثم قلت : اللهمّ إن هذه امرأة تنتظرها ألسنةُ الناس إما بالخير إذا أمسكتها ، وإما بالشر إذا طلقتها ، وقد احتمتْ بي ؛ اللهمّ سأكفيها كلّ هذا لوجهك الكريم

قال : رأيتني أكون ألأمَ الناس لو أني كشفتُها للناس وقلت انظروا . . . فكأنما كنت أسأتُ اليها فأقبلت أترضّاها ، وجعلتُ أمامسحها وألاينُها في القول وعدلتُ عن حظ نفسي إلى حظ نفسها[1] ، واستظهرتُ بقوله تعالى: «وعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » ؛ واعتقدتُ الآيةَ الكريمةَ أصحّ اعتقادٍ وأتمه ، وقلت اللهمّ اجعلها من تفسيرها

قال : فلم تمض أشهر حتى ظهر الحملُ عليها ، فألقى الله في نفسي من الفرح ما لا تعدله الدنيا بحذافيرها ، وأحسستُ لها الحبّ الذي لا يقال فيه جميل ولا قبيح لأنه من ناحية النفس الجديدة التي في نفسها ( الطفل ) . وجعلتُ أرى لها في قلبي كل يوم مداخلَ ومخارج دونها العشقُ في كل مداخله ومخارجه ؛ وصار الجنين الذي في بطنها يتلألأ نورُه عليها قبل أن يخرج إلى النور ، وأصبحت الأيام معها بحراً من الزمن فيه الأمل الحلوُ المنتظر

قال : وجاءها المخاض ، وطرّقتْ بغلام ؛ وسمعتُ الأصوات ترتفع من حجرتها : ولد ! ولد ! فبشّروا أباه . فوالله لكأنْ ساعةً من ساعات الخلد وقعت في زمني أنا من دون الخلق جميعاً وجاءتني بكل نعيم الجنة . وما كان تملك العالم — لو ملكته — مستطيعاً أن يهبني ما وهبتني امرأتي من فرح تلك الساعة . إنه فرح إلهي أحسستُ بقلبي أن فيه سلام الله ورحمته وبركته . ومن يومئذ نطق لسانُ جمالها في صوت هذا الطفل . ثم جاء أخوه في العام الثاني ، ثم جاء أخوهما في العام الثالث ؛ وعرفتُ بركةَ الاحسان من اللطف الربّاني في حوادث كثيرة وتنفستْ على أنفاس الجنة وفسرت الآية الكريمة نفسها بهؤلاء الأولاد ، فكان تفسيرها الأفراح ، والأفراح ، والأفراح

* * *

ويرى صديقنا الأستاذ محمد حسين جيره ، أن صاحب المشكلة في مشكلة من رجولته لا من حبه ؛ فلو أن له ألف روح لما استطاع أن يباشر زوجته بواحدة منها إذ هي كلها أرواح صبيانية تبكي على قطعة من الحلوى ممثلة في الحبيبة . . . . ولو عرف هذا الرجل فلسفة الحب والكره لعرف أنه يصنع دموعه باحساسه الطّفلي في هذه المشكلة ؛ ولو أدرك شيئاً لأدرك أن الفاصل بين الحبّ والكره منزوع من نفسه ، إذ الفاصل في الرجل هو الحزم الذي توضع بين ما يجب وما لا يجب

إنه ما دام بهذه النفس الصغيرة فكل حل لمشكلته هو مشكلة جديدة ، ومثله بلاء على الزوجة والحبيبة معاً ، وكلتاهما بلاء عليه ؛ وهو بهذه وهذه كمحكوم عليه أن يشنق بامرأة لا بمشنقة . . .

هذا عندي ليس بالرجل ولا بالطفل إلى أن يثبتَ أنه أحدهما ، فان كان طفلا فمن السخرية به أن يكون متزوجاً ، وإن كان رجلا فليحل هو المشكلة بنفسه ؛ وحلُّها أيسر شيء : حلها تغييرُ حالته العقلية

* * *

ونحن نعتذر للباقين من الأدباء والفضلاء الذين لم نذكر آراءهم ، إذ كان الغرض من الاستفتاء أن نظفر بالأحوال التي تشبه هذه الحادثة لا بالآراء والمواعظ والنصائح . أما رأينا ففي البقية الآتية

(طنطا) مصطفى صادق الرافعي

(حاشية) : تمثل في نفسي وأنا أبيض هذه المقالة أنها ستثير في نفس إحدى قارئاتها موضعاً ذا شأن وخطر ، وأن هذه القارئة ستتردد في الكتابة إلى والافضاء بمعناها . وقوى ذلك في الخاطر حتى كأنه واقع فما هو ذلك الشأن يا ترى ؟ إن سطراً صغيراً فيه شيء من حكمة الدنيا قد تكون فيه مقالات فلا يبخلن أحد على أحد الرافعي



(١) استوفينا بيان هذه المعاني في مقالة ( قبح جميل ) من مقالاتنا في ( الرسالة )

الشاعر الأندلسي المجهول

# رثاء الأندلس

## وما يحتويه من العناصر واللمحات التاريخية

للأستاذ محمد عبد الله عنان

نشرت (الرسالة) في الأسبوع الماضي قصيدة رائعة هي رثاء مؤثر للأندلس بقلم شاعر أندلسي مجهول؛ ومهد لها الأديب المغربي الذي بعث بنصها إلى الرسالة بكلمة ذكر فيها أن هذه القصيدة نشرت بنصها الكامل في الجزائر لأول مرة سنة ١٩١٤، وأن صحيفة الزهرة التونسية نشرت منذ أعوام بعض مقاطيعها وطلبت إلى الأدباء أن يدلوا على ناظمها إذا استطاع أحدهم إلى ذلك سبيلا، ولكن أحداً منهم لم يظفر بالجواب؛ وأنه عرضها على مؤرخ المغرب الكبير السيد الدكالي السلاوي، فذكر أن ناظمها ربما كان أبا جعفر بن خاتمة وهو من أدباء المرية كما يستدل من بعض أبياتها، وأنها ربما كانت من محتويات كتابه المسمى « مزية المرية » الذي توجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة الاسكوريال؛ ويرجو الأديب المغربي في خاتمة كلمته أن يوفق أحد الأدباء المشتغلين بالأدب الأندلسي إلى معرفة ذلك الشاعر المجهول فيعلن اسمه.

والحق أن القصيدة رائعة مبكية، وليس من ريب في أن ناظمها أديب كبير وشاعر بارع؛ ومن حق الأدب أن يعرف هذا الشاعر المبدع وأن تحقق سيرته؛ بيد أننا نترك هذا البحث لمؤرخ الأدب الأندلسي في عصر السقوط؛ وفي رأينا أن أهمية القصيدة ليست في قيمتها الأدبية، بل إن أهميتها ترجع بوجه خاص إلى ما تضمنته من الاشارات واللمحات التاريخية لحوادث المأساة الأندلسية؛ وهي بهذا الاعتبار وثيقة تاريخية لها قيمتها؛ ولهذا رأينا أن نؤثرها بتحليل عناصرها الواقعية، وإيضاح ما فيها من الاشارات واللمحات التاريخية

وأول ما يجب تحقيقه هو الفترة التي وضعت فيها القصيدة؛ وفي تعيين هذه الفترة تحقيق للعصر الذي عاش فيه الشاعر، وللظروف والملابسات التي أحاطت به؛ وهذه الفترة على ما يبدو من كثير من مقطوعات القصيدة هي الفترة التي تلت سقوط غرناطة مباشرة؛ ونحن نعرف أن غرناطة سقطت في أيدي النصارى في صفر سنة ٨٩٧ هـ (ديسمبر سنة ١٤٩١) ودخلتها جنود فرديناند الكاثوليكي في الثاني من ربيع الأول (٢ يناير سنة ١٤٩٢)؛ وكانت قواعد الأندلس قد سقطت قبل ذلك كلها تباعاً في أيدي النصارى؛ فسقطت مالقة في شعبان سنة ٨٩٢ هـ (١٤٨٧ م)، ووادي آش والمنكب والمرية في أواخر سنة ٨٩٤ هـ (١٤٨٩ م)، وبسطة في المحرم سنة ٨٩٥ (ديسمبر سنة ١٤٨٩)، وهي آخر قاعدة أندلسية سقطت قبل غرناطة؛ أما رندة التي يستهل الشاعر قصيدته بالاشارة اليها فقد سقطت في يد النصارى في سنة ١٤٨٥ (٨٩٠ هـ)؛ ويبدو من أقوال الشاعر المؤسية عن رندة أنه ربما شهد سقوطها، وأن هذا الحادث قد ترك في نفسه أثراً عميقاً يتردد بقوة في روعة استهلاله، وهو أبدع مقطوعة في القصيدة:

أحقاً خبا من جو رندة نورها ... وقد كسفت بعد الشموس بدورها
وقد أظلمت أرجاؤها وتزلزلت ... منازلها ذات العلا وقصورها
أحقاً خليلي أن رندة أقفرت ... وأزعج عنها أهلها وعشيرها
وهدت مبانيها وثلت عروشها ... ودارت على قطب التفرق دورها

بل يلوح لنا أن الشاعر ربما كان من أهل رندة وقت سقوطها، وأن اشارته فيما بعد إلى المرية بقوله:

منازل آبائي الكرام ومنشئي ... وأول أوطان غذاني خيرها

لا يذهب إلى أكثر من أن المرية كانت موطن أسرته ومسقط رأسه، وأنه قضى بها حداثته الأولى، وربما كان ذلك حوالي سنة ٨٦٠ هـ، وأنه وقت سقوط رندة كان رجلا ناضجاً يقف على مجرى الحوادث العامة وقوفاً تاماً

ولنرجع إلى الفترة التي وضعت فيها القصيدة، فنقول إنه من المحقق مبدئياً أنها كتبت بعد سقوط غرناطة؛ وليس هناك ما يدل على أنها كتبت لترسل إلى السلطان بايزيد الثاني العثماني كما يظن الأديب المغربي الذي تولى نشرها. ذلك أن رسائل الاستغاثة التي وجهها زعماء الأندلس إلى السلطان بايزيد الثاني، وإلى الأشرف قايتباي ملك مصر، وجهت منذ بدء الصراع

الأخير ، أعني منذ حصار مالقة وقبل سقوطها فى سنة ٨٩٢ ﻫ (١٤٨٧ م) ؛ ولكن الاستغاثة لم تغن شيئاً ، وسقطت قواعد الأندلس تباعاً فى يد النصارى على النحو الذى فصلنا [١] ولما اشتد النصارى فى معاملة المسلمين بعد سقوط غرناطة ؛ وأرغموهم على التنصر ، وعصفت بهم محاكم التحقيق ( محاكم التفتيش ) ، كتب بعض كبرائهم إلى بايزيد الثانى فى أواخر عهده يستغيث به ، وذلك حوالى سنة ١٥٠٥ م ؛ أعنى بعد سقوط غرناطة بنحو أربعة عشر عاماً ، وقد استطال عهد بايزيد الثانى حتى وفاته فى سنة ١٥١٢ م ؛ وقد نقل الينا المقرى هذه الرسالة فى كتابه « أزهار الرياض [٢] » ونقل الينا معها شعرا مؤثراً يصف به صاحب الرسالة عسف محاكم التحقيق ، ويبدو من أسلوب هذه الرسالة والشعر كيف انحدرت اللغة العربيـة وآدابها فى الأندلس فى تلك الفترة بسرعة مدهشـة ، وكيف استطاعت السياسة الاسبانية فى مدى قصير أن تخمد جذوة الشعر والأدب

أما القصيدة التى نحن بشأنها فيبدو أنها كتبت قبـل ذلك بحين ، والمرجح أنها كتبت فى سنة ٩٠٤ أو ٩٠٥ ﻫ ( سـنة ١٥٠٠ م) . ولنا على ذلك أدلة عديدة ، منها قوة القصيدة وروعتها مما يدل على أنها كتبت عقب الفاجعـة بأعوام قلائل قبل أن يخف وقعها فى النفوس ، وقبل أن تحدث السياسة الاسبانية أثرها فى قتل اللغة العربية ؛ ومنها الترتيب التاريخى الذى اتبعه الشاعر ، فهو يورد الحوادث تباعا بترتيبها التاريخى ، إذا استثنينا اشارته إلى غرناطة ؛ وبيان ذلك أنه يبدأ بالاشارة إلى سقوط رندة ، وقد كانت أول قاعدة سقطت فى أيدى النصارى سـنة ٨٩٠ ﻫ (١٤٨٥م) كما قدمنا ؛ ثم يتبعها بالاشارة إلى سقوط مالقة فى قوله

فمالقة الحسناء ثكلى أسيفة ... قد استفرغت ذبحاوقتلا حجورها
وجزت نواصيها وشلت يمينها ... وبدل بالويل المبين سرورها
وقد كانت الغربيـة الجنن التى ... تقيها فأضحى جنة الحرب سورها

وفى هذا البيت الأخير إشارة فطنة إلى موقع مالقة ومناعتها وكونها كانت حصن الأندلس من الغرب ، فلما سقطت سقطت قواعدها فى يد العدو تباعا ؛ ويشير الشاعر بعد ذلك إلى سقوط بلش مالقة (Velez Malaga) فى قوله :

وبلّش قطت رجلها بيمينها ... ومن سريان الداء بان قطورها
وضحّت على تلك الثنيات جحرها
فأقفر مغناها وطاشـت حجورها

وكانت سقوط بلش وهى حصن مالقة من الشمال الشرقى فى جمادى الأولى سنة ٨٩٢ ﻫ ( ابريل سنة ١٤٨٧ م ) وعلى أثر سقوطها حاصر النصارى مالقة واستولوا عليها فى شعبان من هذه السنة ( أغسطس سنة ١٤٨٧ )

ولما استولى النصارى على مالقـة أخذت ثغور الأندلس وقواعدها الباقية تسقط تباعا فى يد النصارى فسقطت المرية والمنكب فى أواخر ( سنة ٨٩٤ ﻫ — ١٤٨٩ م ) ، وسقطت بسطة فى المحرم سنة ٨٩٥ ﻫ ( ديسمبر ١٤٨٩ م ) ؛ ثم استولى النصارى على وادى آش قاعدة مولاى عبد الله ( الزغل ) فى صفر من تلك السنة ( يناير ١٤٩٠ م ) ؛ ويشير الشاعر إلى هـذه الوقائع بعد ذلك فى قوله :

وبالله إن جئت المنكب فاعتبر ... فقد خف ناديها وجف نضيرها
وقد رجفت وادى الأشى فبقاعها
سكارى وما استاكت بخمر ثغورها

. . . . . . . . . . . .

وبسطة ذات البسط ما شعرت بما
دهاها وأنى يسـتقيم شعورها

. . . . . . . . . . . .

وما أنس لا أنس المرية إنها ... قتيلة أوجال أزيل عذارها

ولم يبق بعد سقوط هـذه القواعد فى يد المسلمين سوى غرناطة ، وقد سقطت فى يد العدو فى صفر سنة ٨٩٧ ﻫ ( ديسمبر سنة ١٤٩١ م ) ؛ وإلى ذلك يشير الشاعر خلال ما تقدم :

ألا ولتقف ركب الأسى بمعالم ... قد ارتج باديها وضج حضورها
بدار العـلى حيث الصفات كأنها
من الخلد والمأوى غدت تستطيرها
على قرار الملك غرناطة التى ... هى الحضرة العليا زهتها زهورها

(١) راجع تفاصيل هذه الحوادث والمراسلات المؤثرة فى كتابى «مصر الاسلامية» ص ١٣٤ وما بعدها والمراجع

(٢) أزهار الرياض ( طبع تونس ) ص ٥٩ — ٦١

ترى الأسى أعلامها وهى خشع    ومنبرها مستعبر وسريرها
ومأمومها ساهى الحجى وإمامها    وزائرها فى مأتم ومزورها

فهذا الترتيب التاريخى الدقيق الذى اتبعه الشاعر فى قصيدته ، وروعة نظمه ، وما يبدو خلال قصيدته من عميق تأثره بالحوادث التى يصفها ، مما يدلى بحداثة عهده بالمأساة حين وضع رثاءه الفجع ؛ بيد أن هنالك أيضاً فى قصيدته ما يكاد يعين هذا العهد فى نظرنا وهو قوله :

وجاءت الى استئصال شأفة ديننا    جيوش كموج البحر هبت دبورها
علامات أخذ مالنا قبل بها    جنايات أخذ قد جناها مثيرها
فلا تمحى إلا بمحو أصولها    ولا تنجلى حتى تحط أمورها
مناشير أهل الدين هبوا لصعقة    وصاعقة وارى الجسوم ظهورها
أصابت منار الدين فانهد ركنه    وزعزع من أكنافه مستطيرها

فهذه الاشارات تنصرف فى نظرنا إلى أول محاولة قام بها الاسبان لتنصير المسلمين ، ونقض عهودهم التى قطعوها لهم عند تسليم غرناطة باحترام دينهم وشرائعهم ، وتأمين أشخاصهم وأعراضهم وأموالهم وحرياتهم . وكان ذلك سنة ٩٠٤ هـ (١٤٩٩ م) حينما قرر مجلس الدولة أن يفرض التنصير على المسلمين ، وذلك لأعوام قلائل فقط من سقوط غرناطة . بل يلوح لنا أن الشاعر يشير بقوله :

ألا واستعدوا للجهاد عزائماً    يلوح على ليل الوغى مستنيرها
بأسد على جرد من الخيل سبق    يدع الأعادى سبقها وزئيرها
بأنفس صدق موقنات بأنها    إلى الله من تحت السيوف مصيرها

إلى الثورة التى حاولت بعض المناطق الاسلامية أن تقوم بها مقاومة لقرار التنصير ؛ ويلاحظ هنا أن الشاعر يقف عند هذه الواقعة فى الاشارة إلى الحوادث التاريخية مما يدل على أنها آخر حادث أدركه وقت نظم مرثيته ؛ فاذا صح الاستنتاج الذى سقناه على النحو المتقدم ، فانا نستطيع أن نقول إن الشاعر وضع مرثيته كما قدمنا خوالى سنة ٩٠٤ أو ٩٠٥ هـ ( نحو سنة ١٥٠٠ م )

هذا ومما يلاحظ أيضاً أن الشاعر قد تأثر فى مواطن كثيرة من قصيدته بالقصيدة الطائرة الصيت التى نظمها سلفه ومواطنه أبو البقاء الرندى فى رثاء الأندلس ، وأنه استمد منه بعض الوحى والمعنى ؛ فقوله مثلاً :

فوا حسرتا كم من مساجد حولت    وكانت الى البيت الحرام شطورها
ووا أسفا كم من صوامع أوحشت    وقد كان معتاد الأذان يزورها
فمحرابها يشكو لمنبرها الجوى    وآياتها تشكو الفراق وسورها

مستمد من قول أبى البقاء فى مرثيته :

حيث المساجد قد صارت كنائس ما    فيهن إلا نواقيس وصلبان
حتى المحاريب تبكى وهى جامدة    حتى المنابر ترثى وهى عيدان

وقوله :

وكم طفلة حسناء فيها مصونة    إذا أسفرت يسبى العقول سفورها
تميل كغصن البان مالت به الصبا    وقد زانها ديباجها وحريرها
فأضحت بأيدى الكافرين رهينة    وقد هتكت بالرغم منها ستورها

مستمد من قول أبى البقاء :

وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت    كأنما هى ياقوت ومرجان
يقودها العلج للمكروه مكرهة    والعين باكية والقلب حيران

وهكذا فى مواطن أخرى . بيد أن شاعرنا يفيض فى نظمه وفى تصويره قوة وطرافة ، وليس من ريب أن مرثيته الفجعة من أبلغ وأروع ما رثيت به دولة الاسلام فى الأندلس

محمد عبد الله عنان

# قصة المكروب
## كيف كشفه رجاله
### ترجمة الدكتور احمد زكى
وكيل كلية العلوم

## بستور Pasteur والكلب المسعور

— ١ —

لن يدور بخلدك أيها القارىء أن بستور ترك اسمه للنسيان ، وشهرته للنقصان ، أثناء الزوابع التى أثارها كوخ فى الدنيا وهو يثبت أن المكروب يقتل الناس . وكيف يجوز هذا على بستور وفى عوده ما نعلم من صلابة ، وفى أنفه لتصيّد المكروب ما فى أنف الكلب ، وفى نفسه ما فى نفس الشاعر من الحس والخيال ؟ وهو فوق ذلك ربّ الدعاية الذى يعرف كيف يأتى الجماهير فيشدههم فيتركهم صرعى حيارى مما رأوا أو سمعوا ؟

فى أواخر العقد الثامن من القرن الماضى — وكان كوخ قد اكتشف بذور داء الجمرة فأدهش الأطباء وأفزع وأبدع — قام بستور ينفى بهزة من كتفه ، وكلمة من أنفه ، وتلويحة من يده ، ما تمخضت عنه تجارب الأطباء ألوف السنين . يالها صفاقة من كيميائى ! وحكاية ذلك أنه جاءت فترة من الزمان صارت فيها مستشفيات الولادة بباريس مخابىء للوباء ، تدخلها الأمهات ملؤهن الأمل ويحدوهن الرجاء ، ولكن القدر الصائد الخبىء فيها كان يختطف منهن أما من كل تسع عشرة ، تذهب بها حُمّى النفاس تاركة ولدها يلقى الحياة بغير حب الوالدات . وماتت عشر نسوة متتابعات فى مستشفى واحد فأسماه الناس « بيت الاجرام » ، وارتاع النساء فلم يثقن بالأطباء حتى أغلاهم أجوراً ، وبلغت بهن الريبة فأخذن يقاطعن المستشفيات ، وخشى كثيرات منهن مواجهة مخاطر الحمل فرغبن بحق عن النسل ، والأطباء أنفسهم فزعوا وافتضحوا بمرأى رُسل الموت قائمة هكذا على أبواب الحياة وهى تولد . وذات يوم اجتمعت أكاديمية الطب بباريس ، وقام فيها طبيب شهير يخطب ويجلجل فى أسباب حمى النفاس — وهو وا أسفاه يجهلها كل الجهل — وامتلأ خطابه الرنان بكثير من الكلمات الأغريقية الطويلة ، وكثير من الألفاظ اللاتينية الفخمة ، وبينا هو فى إحدى جمله الطنانة قاطعه صوت كالرعد جاء من مقاعد البهو الأخيرة . قال صاحب الصوت : « إن الذى يقتل النساء بحمى النفاس ليس الذى تقول ، ولا شيئاً يشبه الذى تقول . إن الذى يقتلهن أنتم أيها الأطباء ، فأنتم الذين تحملون المكروبات القتالة من المرأة المريضة إلى الأخرى الصحيحة ... ! » وما كان صاحب الصوت إلا بستور ، وكان قد قام عن مقعده ، وكانت عيناه تتطاير شرراً

قال الخطيب : « قد تكون على صواب ، ولكن أكبر ظنى أنك لن تجد هذا المكروب ابداً . . . » وأراد أن يعاود خطابته المقطوعة ، ولكن بستور كان فى هذه اللحظة قد اخترق الصفوف ومشى إلى المنبر يجر وراءه رجله ، وقد كانت شُلّت بعض الشلل . ولما بلغ السبورة أمسك بعنف قطعة من الطباشير وصاح فى الخطيب وهو فى ضيقه ، وفى أعضاء المجمع وهم فى دهشة مما جرى ، قال : « أنت تقول إنى لن أجد هذا المكروب . أيها الرجل ، إنى وجدته ، وشكله هكذا ! » ورسم بستور على السبورة سلسلة من دوائر صغيرة ، فانفض الاجتماع فى اختلاط كالعقد انقطع نظامه

كان بستور قارب الستين من عمره ، ولكن كان لا يزال به عنف الخامسة والعشرين وتهوّرها ، وكان كيميائياً ، واختص فى تخمير سكر البنجر ، وعلّم الخمارين كيف يدفعون الفساد عن خمورهم ، وترك هذا العمل فجأة وأخذ فى تخليص دودة القز مما اعتراها ، وقام فى فرنسا بالدعاية إلى تحسين البيرة الفرنسية وفعلاً تحسنت عما كانت ، وقضى تلك السنين الطويلة يشتد على نفسه فى العمل فأنجز فيها ما يستنفد أعمار عشرة رجال ، ولكنه ظل يحلم دائماً طوال هذه السنين بالمكروبات وبأمل اصطيادها ، لأنه علم علم اليقين أنها سبب مصائب الانسان ومنشأ أمراضه الخبيثة

ولكنه استيقظ يوماً فوجد كوخا سبقه إلى ما أمّل حلّ العقدة التى رجا هو أن يحُلّها . وإذن تحتم عليه أن ينهض لكوخ هذا وأن يلحق به . وكأنى به يتمتم لنفسه فيقول : « وعلى كل حال فالمكروبات من بعض الوجهات من متاعى وحقى ،

وأنا أول من أبان خطرها منذ عشرين عاماً لما كان كوخ طفلاً صغيراً . . . . »

على أن الحاق بستور بكوخ قامت دونه عقبات . منها أن بستور لم يجس نبضاً قط ، ولم يقل قط لرجل مصفور(١) أخرج لسانك . ولقد يشك في قدرته على تمييز الرئة من الكبد . ومن المؤكد أن يده لم تكن تعرف كيف تأخذ بالمشرط . أما تلك المستشفيات القاسيات فبعداً لها وسحقاً ، فقد كانت زواياها تبعث الألم في قرارة معدته ، وكانت أصوات مرضاها وأناتهم تخرج من حجراتها إلى دهاليزها القذرة فيألم لها صاحبنا فيهم بسد أذنيه ويفر منها هارباً . على أن بستور لم يلبث أن تخطى هذه العقبات وذلل هذه الصعوبات . فهذا كان دائماً دأب هذا الرجل الذي لا يغلب ، إذا قامت في سبيله صخرة فلم يستطع أن يقفز من فوقها دار من حولها . فاتخذ لنفسه أعواناً ثلاثة من الأطباء فبدأ أولاً بالطبيب جوبرت Joubert ثم بالطبيبين رو Roux وشمبرلاند Chamberland وكانوا أحداثاً صغاراً . وكانوا في آرائهم أحراراً ، بل بلاشفة ثائرين على الطب القديم وتعاليمه السخيفة . وجلسوا في المجمع الطبي يستمعون لمحاضرات بستور ، وكانت مما زهد عامة الأطباء فيه ، ولكن هؤلاء الثلاثة كانوا ينصتون ويغتبطون معجبين ببستور عابدين مؤمنين بكل نبوءة يتنبأ بها من كل وباء فتاك يثيره كل خبيث دقيق يخفى على البصر من الأحياء . تفضل بستور ففتح لهذا الثالوث أبواب معمله ، فعلموه عوضاً من هذا تركيب جسم الحيوانات وكيف تعمل وتحيا ، وعرفوه الحقن فأبانوا له الفرق بين إبرته وكابسته ، وأقنعوه بأن الحيوانات مثل الأرانب والخنازير الغينية لا تكاد تحس إبرة الحقن وهي تضرب في جلدها ، وكان رجلا يسوؤه أن يرى الألم أو أن يفعله . وعقدوا الخناصر فيما بينهم على أن يكونوا لوليهم هذا عبيداً طائعين ، وأن يكونوا لهذا العلم الجديد رسلاً مبشرين

إن صيد المكروب ليس له سبيل واحدة يقال لها هذه ، وهذه فحسب . وتلك حقيقة لا مراء فيها . ودليلنا عليها السبيلان اللتان اتخذهما كوخ وبستور لنفسيهما ، فقد اختلفا اختلافاً بيناً على الرغم من اتفاق الغاية التي قصدا إليها . أما كوخ فكان يطبق المنطق في برود قاتل ، حتى لكأنه كتاب هندسة في يد طالب ـ فقد بحث بشلة السل بتجاريب غاية في التنظيم ، وخال عنها كل الاعتراضات التي يخالها الشكاكون الناقدون ، وذلك قبل أن يعلم هؤلاء بوجود شيء ينقد . وكان كوخ ينشط إلى ذكر خيباته كما ينشط إلى ذكر فوزاته ، وبمقدار واحد لا يزيد في هذه على تلك أبداً . فقـد كان له إحساس بالعدل غير إنسي . وكان ينظر إلى كشوفه نظرة الناقد المتغالي حتى لكأنها لغيره . أما بستور فقد كانت في قلبه شهوة على البحث متقدة ، فكانت تخرج من رأسه النظريات الصائبة تتلوها أخواتها الخاطئة في تتابع سريع كأنها صوارخ النيران انطلقت في مهرجان ، ولكن في قرية ، فخرجت على غير عمد وفي غير نظام

بدأ بستور يبحث عن مكروبات الأمراض فثقب دملا في عنق أحد أعوانه وربى مما أخرج منه جرثومة ؛ وما أسرع ما أيقن أنها أصل الدمامل وسببها . وبغتة ترك ما هو قائم فيه من ذلك وهرع إلى مستشفى فوجد مكروبه المتسلسل في أجسام النسوة وهي تموت ، فما أسرع ما قال إنه مكروب حمى النفاس ! ومن المستشفى طار الى الريف ليكتشف أن دود الأرض يحمل بشلة داء الجمرة من جثث الأبقار الوبيئة المدفونة في باطن الأرض ويخرج بها إلى ظاهرها ، ثم هو لا يثبت كشفه هذا إثباتاً كاملا . كان بستور عبقرياً في العباقرة ، غريباً يحس بحاجة دفاعة إلى القيام بعشرة الأمور في آن واحد ، ولا يحتفل بمقدار الدقة التي ينجزها بها فهي قد تنقص وقد تزيد ، كل هذا ليكشف عن تلك الذرة من الحقيقة التي تتراءى في أكثر أعماله

خبط بستور في كل أرض ، وهب مع كل ريح ، وليس بعسير عليك أن تدرك في كثرة خبطاته وتنوع هباته أنه كان يتلمس طريقاً تؤدي به إلى سبق كوخ والتفوق عليه . أثبت كوخ في وضوح جميل أن الجراثيم تحدث الأمراض ؛ لا شك في هذا . ولكن ليس هذا كل شيء . ليس هذا الاثبات أهم شيء . فأهم منه اكتشاف طريقة تمنع هذه الجراثيم من قتل الناس ؛ أهم منه حماية الانسان من الموت . وفي سبيل هذا ظل بستور يخبط طويلا على غير هدى . قال رو Roux يصف تلك الفترة من حياة بستور بعد أن فاتت بزمان طويل : « أي تجربة سخيفة لم نبتكر !

(١) صفر الرجل بالبناء للمجهول اجتمع في بطنه الصفار أي الصفراء فهو مصفور

أى تجربة مستحيلة لم نتخيل ! ثم يصبح الصباح فنضحك من أنفسنا من جرائها ملء أفواهنا طويلا . »

لابد لفهم بستور من تفهم أخطائه وانهزاماته بمثل ما تفهم إصاباته وانتصاراته . لم يكن لبستور صبر كوخ ولم تكن له دقته ، فلم يهتد إلى ما اهتدى إليه كوخ من تربيـة الميكروبات نقية . فذات يوم أغلى بستور بولا فى قبابة وزرع فيها بشلات الجمرة ثم نظر اليه بعد ذلك فساءه وغاظه أن وجد به ميكروبات دخيـلة جاءته من الهواء . وفى الصباح التالى نظر إليه مرة أخرى فلم يجد به من مكروبات الجمرة شيئاً . لقد ذهبت بها جميعاً مكروبات الهواء ! وعندئذ يقفز بستور قفزة بارعة إلى الفكرة الآتية : «حيث أن مكروبات الهواء المسالة استطاعت أن تخنق بشلات الجمرة التى فى القبابة فلا شك أنها فاعلة ذلك فى الأجسام . والظاهرة واضحة : مكروب يأ كل مكروبا » . وما أسرع ما صاح بذلك فى الناس ! وما أسرع ما كلف عونيـه رو Roux وشمبرلاند Chamberland باجراء تجربة بديعة فى الخيال مؤداها حقن مكروب الجمرة فى خنازير غينية ثم إتباعها بحقن مكروبات هادئة مسالة رجاء أن تطارد فى الدم تلك المكروبات الثائرة اللعينة فتقتلها وتزدردها ازدراداً . وأعلن بستور فى جِدّ عابس قال : « إن هذه التجربة قد يكون من ورائها انفتاح الأبواب لعلاج الأمراض وشفائها » . وهذا آخر ما تسمع منه عن هـذه التجربة التى أثارت كل هذا الأمل الهائل . فهكذا كان بستور يخفى إخفاقاته عن العلماء فيحرمهم من درسها ، وقد يكون فى درسهم إياها الاصلاح والنجاح

غير أنه لم يمض قليل من الزمن حتى كلفته أكاديمية العلوم أمراً غريباً وبعثته إنابة عنها رسولا ، وفى أداء هذا الأمر وإنجاز هذه الرسالة عثر بستور غير عامد على حقيـقة أنارت له السبيل فاهتدى على نورها إلى طريقة يؤنس بها شوارد الميكروبات فتنقلب من بعد عدائها للانسان أمناً عليـه وسلاماً . نعم وقع على هذه الحقيقة فأخذ بناء عليها يخط الخطط ويحلم الأحلام ، فيجد نفسه قد أثار المكروب الحىّ بعضه على بعضه ، وبث فيه الخصام فأباد نفسه بنفسه ، فنجا الحيوان والانسان من الموت ، وكفى الله المؤمنين القتال . وقصة ذلك أنه شاع فى ذلك الوقت أن بيطريا اسمه لوفرييه Louvrire اكتشف علاجاً لداء الجمرة ، وذلك فى جبال الجور Jura بشرق فرنسا . وذاع أمر هذا العلاج واشتهر . وشهد أعيان الناحية بأن مئات الأبقار شُفيت به وهى على باب الموت ، وإذن آن أوان العلم أن يقرّ هذا العلاج الجديد

— ٢ —

وبلغ بستور تلك الناحية من جبال الجورا ، وصحبه أعوانه الشباب فوجدوا أن هذا العلاج المعجز يتلخص أولا فى أن يقوم نفر من الفلاحين بدعك البقرة المريضـة دعكا شديدا لتحتر ما استطاعت إلى الاحترار سبيلا ، ثم يشرط جلد البهيمة المسكينة شرطا ، ويُصب زيت التربنتينة على هذه الشروط صبّا . وبعد التمثيل بها هذا التمثيل الشنيع يُغطَّى جسمها إلى رأسها بطبقة سميكة من مادة لا نذكرها تأدباً ، وذلك بعـد نقيعها فى الخل الساخن ، وتظل البقرة تصعق بالخوار شديداً من الألم ولا سامع ولا راحم . أما وقد تم كل هـذا ، وقد ودّت البائسة المعذبة لو تموت ، فيغطى جسمها أجمع بثوب شامل ليستبقى هذا المرهم الغريب عليها زمناً مقدوراً

قال بستور للوفرييه : « إن البقر الذى تصيبه الجمرة لا يموت كله بل يُشفى بعضه من ذات نفسه . وعندى تجربة لا أرى عدلا لها ترينا هل حقا علاجك هو سبب خلاص هذه الأبقار . فهيّا بنا يا عزيزى نجرّب »

وأحضر لها أربع بقرات ، وقام بستور فى حضرة لوفرييه وبشهود وفد عليـه سيما الجد من المزارعين ، فطعن الأبقار فى أكتافها أربع طعنات من محقنه بعد أن ملأه بزريعة من مكروبات الجمرة ، فانساب فى أجسامها مقدار يقتل الشاة الواحدة بالتحقيق ويقتل من الخنازير الغينيـة عشرات . وفى الغد عاد بستور ولوفرييه ووفد المزارعين فوجدوا الأبقار جميعاً قد علت أكتافها أورام حادة محمومة ، وهى تتنفس شخيراً . فلم يعد شك فى أنها فى إبان مرضها

قال بستور لصاحبـه : « والآن يا دكتور ، تقدم فاختر بنفسك بقرتين من هذه الأربع المريضة . ولنسمهما ا ، ب نأخذها وعالجهما على نحو ما تفعل . أما هاتان البقرتان الأخريان حـ ، ى فدعهما بلا علاج » وقام لوفرييه على البقرتين البائستين يصب عليهما النقمة التى تدعى علاجا . فـكانت النتيجة ضربة قاضية

على الفلاج وعلى صاحبه الذى أحسن النيــة وقصد الخير ـ ذلك إن إحدى البقرتين اللتين عولجتا ماتت وسلمت الأخرى ، وإحدى البقرتين اللتين لم تعالجا ماتت وسلمت الأخرى

قال بستور لصاحبه : « حتى هذه التجربة كان فى إمكانها أن تخدعنا ، فلو أنك أعطيت دواءك للبقرتين ا 6 بدلا من ا 6 ب وحدث الذى حدث ، إذن لظننا أنك وقعت للجمرة على خير علاج »

مات فى التجربة بقرتان ، وسلمت فيها بقرتان وشُفيتا لكن بعد أن عانت من الداء الأمرّ . ففكر بستور فيما هو صانع بهما ، قال : « أظن أنه لا بأس من حقنهما مرة أخرى بنسل من مكروب الجمرة أخبث من الأول . إن عندى فى باريس نسلا شديد الفتك لو أنه حقن فى كَرْكَدَّن Rhinoceros لسود ليلته وأفسد عليه نومته » وبعث بستور فى طلبه من باريس فلما جاء حقن منه قطرات فى كتف البقرتين ، واصطبر ينتظر مرضهما فلم يمرضا ، حتى الورم لم يحصل حيث ضرب بإبرة المحقن من كتفيهما . وبقيت البقرتان سليمتين هنيئتين ولم تحفلا بالذى كان !

فقفز بستور إلى إحدى استنتاجاته السريعة ، قال : « إن البقرة التى تُصاب بالجمرة ثم تُشفى لا تأتيها الجمرة مرة أخرى ولو حقنت بما على ظهر البسيطة من مكروب هذا الداء ـ إنها إذن تصبح حصينة » . وأخذت هذه الفكرة تدور بفكره ثم تدور ، يلعب بها وتلعب به فلم تسمع أذنه ما ألفت زوجه عليه من سؤال ، ولم تر عينه ما وقعت عليه من الأشياء .

« كيف أستطيع أن أعطى الحيوان شيئاً قليلا من مرض الجمرة ، شيئاً يعطيه الداء ولا يقتله ، ولكن يتركه من بعد ذلك حصينا ... كيف السبيل إلى ذلك ... لا بد من سبيل ... لا بد أنى واجده »

ومضت أشهر وبستور على هذه الحال . وكان يقول لرو ولشمبرلاند « أى سر فى الدنيا أشد خفاء من أن المرض الخبيث إذا زار مرة وارتحـل ، فلن يعود مرة أخرى » وبقى يردد بين شفتيه : « لا بد من الحصانة لا بد أن نحصن من المكروب ... لا بد ... لابد . »

(يتبع) أحمد زكى

# نظرية النسبية الخصوصية

## المقال الثانى

### وحدة قوانين الطبيعة والبعد الرابع فى النسبية

للدكتور اسماعيل احمد أدهم

عضو أكاديمية العلوم الروسية

— ٥ —

إنه من غير الممكن التوفيق فى نظام غاليلى [1] « نسبة لغاليليو العالم الفلكى الايطالى » بين سنة النسبية الكلاسيكية ومبدأ انتشار النور بسرعة ثابتة إلا برد مبدأى إطلاق الزمان والمكان والرجوع بهما إلى هيئات القياس، أعنى إلى مبدأ نسبتهما إلى الهيئة التى تقاسان بالنسبة لها . فاذا فرضنا نظاماً مادياً مثل « ع » ومن نقطة مثل « م » فيها لنفرض أن شماعة ضوئية مثل « ص » صدرت، فستكون سرعة هذه الاشارة الضوئية واحدة فى كل الاتجاهات . فاذا فرضنا أن هذه الاشارة الضوئية حدث فى زمان مثل « ت » وكان مرموزاً لسرعة الضوء بالرمز « ح » فهذه الشماعة ستتبع القانون الآتى :

$$\text{ك}^{2} + \text{ى}^{2} + \text{ز}^{2} - \text{ح}^{2}\,\text{ت}^{2} = \text{م}$$

لننتقل إلى نهاية امتداد نظامها، وهنا الرموز ك، ى، ز تمثل ثلاث حوادث حدثت فى الكون « ع » فاذا فرضنا نظاماً مادياً آخر مثل « $\text{ع}_{1}$ » متعامدة على النظام الأول وتتحرك حركة نسبية إزاءها فان الدستور أو القانون الدال على الحادثات يتغير من الأول إلى آخر هو :

$$\text{ك}_{1}^{2} + \text{ى}_{1}^{2} + \text{ز}_{1}^{2} - \text{ح}^{2}\,\text{ت}_{1}^{2} = \text{م}$$

وفى هذا القانون يكون الرمز « $\text{ت}_{1}$ » لأوان الزمن الذى بدا فيه انتشار الشماعة الضوئية والقادير

ك، ى، ز، ت؛ $\text{ك}_{1}$، $\text{ى}_{1}$، $\text{ز}_{1}$، $\text{ت}_{1}$

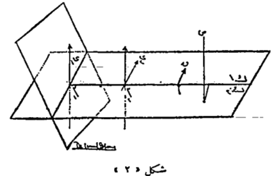
لما كانت ظواهر مستمدة من الاشارات الضوئية حدثت فى الكون « ع » كان ممنا المادلة :

$$\text{ك}^{2} + \text{ى}^{2} + \text{ز}^{2} - \text{ن}_{2}\,\text{ت}_{2} = \text{ا}(\text{ك}_{1}^{2} + \text{ى}_{1}^{2} + \text{ز}_{1}^{2} - \text{ح}^{2}\,\text{ت}_{1}^{2}) = \text{م}$$

وهنا « ا » رمز لسنة التقلص، ولما كان خط الانتقال من النظام « ع » إلى « $\text{ع}_{1}$ » لا يؤثر فى الحادثات لثبوت قوانين الطبيعة كانت القوانين الطبيمية فى النظام « ع » هى القوانين التى بالنظام « $\text{ع}_{1}$ »؛ واستناداً الى ما تقدم نقرر أن : ا = ١ فيكون القانون الدال على حركة انتقال الشماعة من « م » إلى نهاية امتداد حد النظام بالنسبة للنظام المادى « ع » هو نفس القانون الدال على الانتقال بالنسبة للنظام المادى « $\text{ع}_{1}$ » وينشأ بذلك ممنا المادلة الآتية :

$$\text{ك}^{2} + \text{ى}^{2} + \text{ز}^{2} - \text{ن}^{2}\,\text{ت}^{2} = \text{ك}_{1}^{2} + \text{ى}_{1}^{2} + \text{ز}_{1}^{2} - \text{ن}^{2}\,\text{ت}_{1}^{2}$$

لأن سرعة النور تنتشر بسرعة ثابتة فى جميع الاتجاهات



شكل « ٢ »

النظام الغاليلى ودساتير لورانتز

Grossmann « Marcel » und Einstein « Acbert ». (Kovarianzeigens-chaften der Feldgleichungen der Graixtationsthearie ) Zeitchrift für Mathematik und Pheyeik. 63 (1914), p. 215.

und.

Edham « I. K. » Mathematik und Phyeik. , Leipzig. 1934. p. 123.

(١) النظام الغاليلى هو النظام الذى تسيطر عليه معادلات التحويل الغاليلية، فاذا فرضنا الحادثات « ك، ى، ز » حدثت فى عالم مثل « ع » وحادثات تقابلها « $\text{ك}_{1}$، $\text{ى}_{1}$، $\text{ز}_{1}$ » حدثت فى عالم آخر مثل « $\text{ع}_{1}$ » ثم إذا فرضنا أن خط الانتقال منطبق على محور العالم وأن الحادثات أخذت تنتقل من عالمها إلى الآخر فى الأوان « ت » بسرعة معينة لنرمز لها بالرمز « س » كان

$\text{ز}_{1} = \text{ز}$ ؛ $\text{ى}_{1} = \text{ى}$ ؛ $\text{ك}_{1} = \text{ز}_{1} - \text{س}\,\text{ت}$ ( راجع Eneyklopaedie der Mathematik und Physik. vôl 13. P. 66. 1922 — 1929

وإذا ما فرضنا أن في النظام « ع » المبادى المجاور :

$\text{م}_1\text{ل}_1$ ، $\text{م}_1\text{ى}_1$ ، $\text{م}_1\text{ز}_1$

موازية للمحاور $\text{م}_2\text{ل}_2$ ، $\text{م}_2\text{ى}_2$ ، $\text{م}_2\text{ز}_2$ في النظام « $\text{ع}_1$ » وفرضنا أن المحورين « $\text{م}_1\text{ل}_1$ » و « $\text{م}_2\text{ل}_2$ » موازيان لاستقامة السرعة النسبية « س » فبالنسبة لراصدمثل « ص » يرصد الحادثات ل ، ى ، ز في النظام « ع » والحادثات $\text{ل}_1$ ، $\text{ى}_1$ ، $\text{ز}_1$ في النظام « $\text{ع}_1$ » إن حدثت في الزمان « $\text{ت}_2$ » حوادث النظام « $\text{ع}_1$ » وفي الزمان « $\text{ت}_1$ » حوادث النظام « ع » فلتحقيق المساواة العليا يجب أن يتحقق أن :

$$\text{ل}_2 = \text{ف}\,(\text{ل}_1 - \text{س}\,\text{ت}_1)$$

$$\text{ى}_2 = \text{ى}_1$$

$$\text{ز}_2 = \text{ز}_1$$

$$\text{ت}_2 = \text{ف}\,(\text{ت}_1 - \frac{\text{س}\,\text{ل}_1}{\text{ض}^2})$$

و

$$\text{ل}_1 = \text{ف}\,(\text{ل}_2 + \text{س}\,\text{ت}_2)$$

$$\text{ى}_1 = \text{ى}_2$$

$$\text{ز}_1 = \text{ز}_2$$

$$\text{ت}_1 = \text{ف}\,(\text{ت}_2 + \frac{\text{س}\,\text{ل}_2}{\text{ض}^2})$$

حيث كان فيها ف رمزاً لقانون التقلص أعني أن

$$\text{ف} = \text{ا} = \sqrt{\frac{1}{1 - \frac{\text{س}^2}{\text{ض}^2}}}$$

هذه المقادير الرياضية شهيرة بقوانين التحويل اللورانتزي نسبة إلى كاشفها العلامة لورانتز الهولندي ، وهذه المقادير مادامت قد استخرجت مرة واحدة فيجب قبول مبادئ الميكانيكا التي أذاعها لورانتز كنتيجة مسلسلة من نظرية النسبية الخصوصية

— ٦ —

أوضحنا فيما سبق أن أفكار اينشتين في النسبية الخصوصية تقوم على أساسين :

الأول : انتشار الضوء بسرعة ثابتة في الأكوان المختلفة أعني أن الأمواج النورية ليست تتبع مصادرها من حيث الحركة والسرعة ، فبمجرد انطلاق موجة نور من منبعها تستقل عن مصدرها وتنتشر خلال الفضاء وفي رحاب المكان بحركة منظمة ذات سرعة ثابتة

الثاني : الحوادث التي تقع داخل أكوان تتحرك بإزاء بعضها تنظم من حدوثها قوانين طبيعية تكون في جميع أطوارها ثابتة لا تتغير

والمبدأ الثاني نتيجة للأول . ومن هذين المبدأين يستنتج أينشتين القاعدتين الآتيتين :

الأولى : أن سرعة النور لها مقدار ثابت لا يتغير

الثانية : ينظم من حدوث الحوادث التي تقع في أكوان تتحرك بإزاء بعضها حين انتقالها من كون إلى آخر قوانين التحويل التي كشف عنها العلامة لورانتز Lorentz

وبذلك تحافظ معادلات المجال الالكترومغناطيسي على صيغتها التقديمية بينما قوانين غاليليو [1] تغير من هذه الصيغة إن قوانين [2] لورانتز لا تتفق مع قوانين غاليليو ، ذلك لأن الثانية تقوم على مبدأ اطلاق الزمان في الوقت الذي تقوم فيه قوانين لورانتز على مبدأ نسبية الزمان ، ومن بين قوانين لورانتز وغاليليو تكونت تجربة « ميكلصون — مورلي »

كان من المنتظر أن تعطي تجربة « ميكلصون — مورلي » نتيجة ايجابية بالنسبة لجاميع غاليليو التحويلية بينما كانت ترجع لها نتيجة سلبية بالنسبة لجاميع لورانتز التحويلية من حيث كونها تتضمن مفهوم كل من الزمان والمكان نسبياً

لقد تأيدت معادلات التحويل التي أذاعها العلامة لورانتز بنتيجة تجربة « ميكلصون — مورلي » السلبية وكانت نتيجة هذا التأييد أن رجعت بالميكانيكا الكلاسيكية إلى مبادئ الالكتروديناميكا [3]

وعلى وجه عام فقوانين المجال الالكترومغناطيسي صحيحة إلا أن قوانين ومبادئ الميكانيكا الكلاسيكية يمكن تطبيقها على السرعات العادية التي هي كسر ضئيل من سرعة الضوء . وفي السرعات الكبيرة يلزم الرجوع لقوانين المجال الالكترومغناطيسي . وفي حالة تطبيق المبادئ الميكانيكية الكلاسيكية للسرعات البسيطة

(1) H. A. Lorentz : Principals of the new - mechanics oxford. 1905. P. 125 — 126

(2) David Hilbert : Die Grundlanger der Physik. P. 135

(3) Adam Angersbach : Des Relativitaetsprinzip. Leipzig 1920. P. 139. und Leon Block : L'espace et le temps dans la Physique moderne"
Revue Scientifique (1920) P. 333-341

# تاريخ الأدب النسوى
## فى فرنسا
للأستاذ محمد بك كرد على

بقية ما نشر فى العدد الماضى

Jean Larnac : Histoire de la littérature féminine en France

وما ظهرت تباشير القرن التاسع عشر ، حتى صحت العزائم على تعليم المرأة تعليماً رسمياً ، فى سنة ١٨٣٦ منحت حق التعليم الابتدائى العالى ، وفى سنة ١٨٥٠ نشر قانون يقضى بإنشاء مدرسة فى كل كورة يتجاوز سكانها ثمانمائة إنسان ، وبعد سبع عشرة سنة عم هذا القانون الأقاليم بأسرها ولا سيما ما يجاوز سكانه الخمسمائة . وفى سنة ١٨٧٨ نشر أحد عظماء الكتاب كتاباً أسماه « الجوارب الزرقاء » أورد فيه عدة مقالات فى المتأدبات والكاتبات ، وقال إن هذا الجنس من النساء الكاتبات قد خرجن عن الأنوثة ، وما هن إلا الرجال ، بيد أنهن لم يبلغن مبالغهم ؛ يريد بقوله صاحبات الجوارب الزرقاء النساء اللائى كن لكثرة ما صرفن من همتهن العقلية قد بلغت حالهن أن يذهبن فى التجمل ويلبسن جوارب زرقاء مثل المعجبات بأنفسهن فى انجلترا

واستطاعت المرأة بعد هذه الحقبة من الزمن أن تظهر بظهور مدام كورى تلقى درساً فى « كوليج دى فرانس » ، وما بقيت قلعة للذكور إلا وتخطاها النساء ، حتى ولا مدرسة المعلمين العليا ولا منابر الجامعات ، ولم يبق أمامهن عائق يعوقهن عن التعلم ، ونشر ما يستهوى قلوبهن ، ويرضى نفوسهن ، وأصبحن فى حل من أن يتعلمن كما شاء لهن الهوى ؛ وغدا منهن الأساتيذ والصحافيات ومديرات دور الطباعة ، وأخذن ينافسن الرجال فى جوائز الأدب والمجامع الأدبية العامة والخاصة ، فتمت لهن كل أدوات الثقافة فى بيوت العلم ، ولكن القرائح تخلق خارج المدارس ، وللنساء أن يتوسعن ما شئن ، وليس فى مقدورهن أن ينبهن إلى الحد الذى يطمحن إليه ، ولا يسرح النساء ويمرحن إلا فى ظل الحرية ، فاذا أخذن من عنان قرائحهن يفقدن أجنحتهن . ولذا بقين إلى أول القرن العشرين يمشين على أثر الرجال ، ولم يتحررن التحرر المطلوب إلا فى هذا القرن . حتى لقد قال ستندال إن قلة استعداد المرأة لبلوغ مراتب الكمال فى تأليف النساء منبعث من كونهن ما جسرن ذات يوم أن يتحللن من قيودهن إلا نصف تحلل ، ومتى حاولن الحرية المطلقة فكأنهن يخرجن بلا خمار ؛ على أنهن بعد هذا القول خرجن بلا براقع ، وأحياناً بدون دثار ولا شعار ؛ والسعادة لم تحالف العاملات من هذا الطراز ، فانهن إذا أغلقن أبواب غرفهن وصرن إلى خلوة لا يسعهن العزاء بعملهن العقلى ، على حين يحاولن أن يجدن لأنفسهن عزاء ، فيأتى الشيطان يعبث بأهوائهن ، وقل فيهن من تنسى الحب والغرام ، فاذا اشتد إغواؤهن أصبح عسرهن إلى مياسرة ، وتداعت كل قوة كن يعتصمن بها

والواقع أن النساء بأسرهن عبيدات حواسهن وأعصابهن وقلوبهن ، لا ينجع فيهن اعتراض إذا خالف قانون الطبيعة وأعنى الحب . وكان الأديبات منهن إذا مجدن الحب بالمعنى الوجيز يجهلن حب الأمومة على ما تجلى ذلك فى مكتوباتهن ؛ ومع هذا تراهن يتكلفن فيما يكتبن ويتطلبن إلى حواسهن وقلوبهن أن تعطى أكثر مما لها ، وما كتب لهن إلا أن يكن أدوات تحس وتهتز ، وأن يجعلن من العالم مجموعة أحاسيس . وإذا خصت الأدب النسوى المعاصر من حيث الانشاء تسقط فيه على قرائح عظيمة وعلى نبوغ أيضاً ، ولكن قل أن تقع فيه على شيء اسمه فن . ويقال إن النساء ما عدا اثنتين أو ثلاثاً منهن لا يحسن التفريق بين المواد

---

يجب أن توفق مع قوانين لورانتز التحويلية

إن نظرية كلارك ما كسويل فى الكهرب مغناطيسية تقوم على أساس ثبات سرعة الضوء ، وعلى التأثير القربى فى انتشاره ، وبذا تتحقق دساتير وقوانين التحويل التى أذاعها لورانتز ويتقرر مبدأ نسبية الزمان وينتفى امكان وجود أية علاقة تربط أثراً ذا سرعة لا متناهية كالضوء بالمؤثر ، أعنى منبع الضوء

وخلاصة القول أن علم الحركات الذى كشف عنه اينشتين هو علم الحركات التجريبى ، وهو يستند على دساتير لورانتز التحويلية وتومىء إلى وحدة قوانين علم الحركات

(تم المقال الثانى) اسماعيل أحمد أدهم

التى تتطلبها الحياة ، فمنهن من تجتهد اجتهاداً ينتجن به آثارا طيبة ، وكثيرات يرسلن أقلامهن على فيضها كما يشاء الهوى ، لا يحفلن التنقيح ولا سلامة التراكيب . وفيهن من اتخذت الأدب للسياسة ، ومنهن من عانين فلسفة الأخلاق ، ومنهن من مارسن فن التربية وظللن فيها متوسطات لم يأتين بابداع ، ونقد فى أدبهن التجدد على حين رأينا الأدباء والكتاب بعد الحرب أحدثوا طرائق لهم جديدة خالفوا فيها طرائق الآداب قبل الحرب العامة

لا جرم أنهن لم يكتب لهن التفوق على الرجال لأن التدقيق يصعب عليهن ، حتى أن القصصيات منهن لم يتوخين إلا وصف الحب فى كل مظاهره ، جعلنه موضوع قصصهن ؛ وكذلك كان القصصيون ، ولهؤلاء قدرة على معرفة الداخل والخارج فى أقاصيصهم ، يتبعون العقل ، ويحسنون تطبيق الأصول اللازمة ، ولم يعهد لامرأة أن برزت ، فكانت مؤلفة فى الدرامة ، وما جاء منهن مؤرخة ، فالمرأة تحسن أن تضحك من مثيلاتها ، ولكنها لا تحسن الاضحاك . أما الرجل فيحسن نقد نفسه ، كما يحسن أن ينتقد غيره ؛ والنساء يحاذرن كثيراً من المزاح الذى يأتى على الاعتبار والحرمة والحب . وهن مجموعة عواطف تحس بالخاتمة كل الاحساس وتخشى أن تقع فيها ، حتى لتضرب بالابتسامة صادرة عن امرأة لا تنافسها ، وكذلك حالها فى التاريخ ، فقد نشأ فى النساء مدونات مذكرات بكثرة ، وقصصيات ، ومنهن اليوم أستاذات فى التاريخ وأستاذات فى استخراج المكتوبات والمخطوطات ، يستطعن بما ثقفن من معارف أن يعملن عملا علمياً وما كان منهن إلى اليوم مؤرخة من عيار « أوغستين تيرى » ، ولا « ميشليه » ، لأن اللازم للتبرز فى هذا الشأن معلومات كثيرة ليس فى مكنة النساء احرازها ، بل الواجب أن يكون لها مع ذلك فكر نقاد عار من كل هوى للتمييز بين الحقائق والظنون ، وعقل مجرب لادراك ألوف من الروابط تجمع الحوادث بعضها إلى بعض ، ورأى أكيد قادر خال من التفصيل فى العواطف ، وقدرة على النظر إلى عصر واحد نظرة واحدة ؛ ولهذا لم ينشأ من النساء امرأة عظيمة واحدة فى باب النقد الأدبى والفنى ، ولا كان منهن فيلسوفة تلفت النظر . ومن النساء من كانت لهن مقدرة على الاستفادة من دروس أساتيذهن ، وليس فيهن واحدة ابتدعت مذهباً ، وما قام منهن واحدة استطاعت أن تنتج مثل « خطاب فى التاريخ » ولا « الأفكار لباسكال » فهن قاصرات فى جميع الفروع التى تستلزم من المؤلف التجرد المطلق من نفسيته ، وما امت أعمالهن إلا فى موضوعات لا فن فيها ؛ وقلائل منهن من كتب لهن التفوق فى الانشاء والكتابة ، إلا من قادهن الرجال فى عملهن ، فان « مدام دى لا فاييت » أشرف عليها «سكرى» و«لاروشفوكولد» ، و«مدام دى ستال» سارت بسير أصحابها العديدين ، و«جورج ساند» قادها عشاقها ، و « مدام كوليت » راقب أعمالها « فنيلى »

فاذا لم تتح مواهب النساء الطموح لهن إلى منزلة فى الأدب المجرد ، فقد شهدنا فى آثارهن أحياناً أنها خالية من الصنعة ، فصح أن يقال أن ليس لهن قدرة على التفكير الصحيح ، والتوسع اللازم لوضع الفكر المجرد والانشاء الفنى ؛ ولذلك تساءل « بول فاليرى » عما إذا كانت المرأة ستظل إلى الأبد ظاهرة التوسط فى معاناة الأعمال الفكرية ، ناقصة فى معانى الابداع والحرية ، وعما إذا كان هذا الضعف اللازم هو ثمرة استعبادها زمناً طويلاً . قال : وأنا أود أن يكون الأمر كذلك ، ففى الحالة الأولى تكون قد عبثت بها الأقدار الفسيولوجية ، وفى الحالة الثانية يحكم عليها بأن انحطاطها ناتج من أخلاقها . قال ولا يخفى ما تؤثره الأخلاق التى تخلق البشر بها والقوانين التى ساروا عليها قروناً فى مجموعة التركيب البشرى

ولم يكتب للنساء درجة عالية حتى فى فن الطهى ، ورأينا كبار الطهاة من الرجال لا من النساء ، وتراهن فى باب الأزياء ، والأزياء من أخص خصائصهن ، ينثنين على أنفسهن ليتجملن ، فهن فى هذا الباب أيضاً مقودات بأيدى الرجال ، بل إن النساء الملكات كما لا حظ « باربيه دوزفيلى » قد فقدن البداهة والعمل الذاتى وما ساعد الملكة « اليزابت » الانجليزية الاورليبخ ، وإذا ذكرت « كاترين » الروسية ذكرت معها بطرس الأكبر

وقد ظهر من أبحاث العلماء فى جميع الأمم أن الطبيعتين الأنوثة والذكورة متخالفتان ، لا فى ظواهرهما بل فى أعمق تراكيبهما ؛ والأطباء يقولون إن كلا من الفتى والفتاة ينشأ نشأة طبيعية متخالفة ، ويكثر الموت والضعف فى الصبيان ، ويتجلى الذكاء والاحساس والحكمة فى الطفلة ، قبل تجليه فى الطفل ؛

ولا تزال الفروق بينهما تتزايد من الثانية عشرة الى الرابعة عشرة ؛ ويبدو فى الصبيان الاستعداد لتعلم الحساب والعلوم المقررة كما يبدو للفتيات بفضل خصوبة إحساسهن ، جمال انشائهن ورقة نشوئهن بالقياس إلى خشونة كتابة الصبيان ؛ وبعد اجتياز هذه السن الصعبة يرتقى الصبيان ارتقاء دائماً ، أما الصبايا فيقفن فجأة مأخوذات بحالة جديدة ، وهى حالة المرأة ؛ وكثيرات فيهن من يتركن عندئذ كل عمل . وادعى بعضهم أن ذكاءهن يضمحل فى ذاك الدور ليقوم مقامه حس ينصرف إلى الدَّل ، والغزل ، والموسيقى ، والقراءة ، وأعمال الاحسان ؛ وكثيراً ما يكون أحسن التلميذات فى سن الخامسة عشرة إلى السابعة عشرة ممن تأخر نموهن ؛ وبينا يكون البلوغ فى الصبى داعياً إلى توسع فكره ، وحاملاً له على معاناة المسائل الكبرى فوق الطبيعة ، تنثني الفتاة على نفسها ، وتمشي مع إحساسها ، ثم تمانى مشاكل الحب والأمومة ، خلافاً لما ادعته « مدام دي ستال » من أن الأرواح ليس لها جنس معين

وقد قرر العلماء أن تشريح الجنسين متخالف كل التخالف ، فالقامة وثقل الجسم أقل فى النساء منهما فى الرجال ؛ وقوة الأعصاب فى الفتيات أقل مما هى فى الرجال بنحو الثلث ؛ وجماجم البنات أقل استعداداً للنمو وأدمغتهن أقل وزناً ، حتى بالقياس إلى الوزن العادى . وقرر العلماء أن حاسة الشم والذوق فى النساء أقل مما هى فى الرجال ؛ ولذلك قل أن استخدم أرباب المعامل النساء فى الأعمال التى تتطلب التمييز بين الألوان والأذواق ، مثل التفريق بين الخمور والشاى ، ومراقبة الصوت وإصلاح « البيان » . قالت « مدام دى رموزا » : إن الحس أكثر ملازمة لنا معاشر النساء من الملاحظة . واستنتج من هذا أن ذاكرة النساء أقل اضطلاعاً بالمسائل من كل وجه من ذاكرة الرجل ، واضطراب المرأة أعظم بكثير من اضطراب الرجل . وتزيد فى بعض أدوار حياتهن اضطراباً حتى تكون مرضاً وحرضاً تبعث على الغضب ، وتصبح مدة الحمل أحياناً فى مثل جنون عارض . وهكذا انفرد الرجل بالذكاء والمرأة بالشعور ؛ والرجل فى كل حين يفكر ويقدر ، والمرأة تشعر وتحس . فالشعور فيهن هو كل ما لهن من آيات النبوغ . قالوا إن الولى أبى أن يرزق النساء قرائح لتتجمع كل جذوتهن فى القلب

قال وقد يعترضنى أماس أن كثيراً من الفتيات أحرزن المقام الأول فى السابقات العلمية والأدبية الصعبة ، ولكن «خير كوف» بحث فى فتيات الجامعات فانتهى به البحث إلى أن الطالبات قد أعين بالحافظة والمعلومات الجدية التامة الدقيقة أكثر من الطلاب ؛ فالطالبات ينقصهن الاستقلال والتعمق فى الفكر . فهن آخذات غير موجدات . وقارن المؤلف بين ثلاثة من الكتاب : « بوسويه » و« فلوبير » و«بول فاليرى» ، وبين ثلاث كاتبات : « مدام دي سيفنيه » و « جورج ساند » و« مدام كوليت » ، فثبت له أن فى إنشاء الرجال منطقاً سليماً ، وفكراً مستقياً ، كانت فيه متانة جملهم ، ورنة أصواتهم الموسيقية وتساوق المجموع من أقوالهم ، على خلاف كتابة أولئك الكاتبات المظيمات

قال ولا سبيل إلى إنكار تأثيرات العرف من القرون فى تربية المرأة . ولعل أوربا تشهد فى مستقبل الأيام حالة تشبه ما نراه من مثلها فى الولايات المتحدة اليوم ، وهى أن الرجل يشتد فى اقتناص المال عاملاً له كل ساعة ، والمرأة مستغرقة أبداً فى تثقيف نفسها ، وعندئذ ينشأ من النساء الهواة المنورات ، والكاتبات البارعات ، والمغنيات الباهرات ، يكن مناراً يهتدى به السارى فى هذه الحياة . أما الآن فالنساء ينقلن عن الرجل ، والناقل بنقله معترف ضمناً بتفوق من ينقل عنه

**محمد كرد علي**

للتاريخ السياسي

# عشرة أيام بثيسة

## مشروع لافال - هور والرأي العام

دواعي هذه الخطة الوخيمة العواقب

للدكتور يوسف هيكل

بقية ما نشر في العدد الماضي

### موقف كل من الامبراطور وموسوليني :

في ١٦ ديسمبر أبدت الحكومة في ديس رأيها في اقتراح باريس ، وهي تعتبر أن إعطاء إيطاليا المتعدية قسما من الحبشة يكون مشجعاً لها أن تعمل على اكتساح الحبشة مرة ثالثة ، وأن الاقتراح القائل باعطاء إيطاليا امتيازاً اقتصادياً في جزء كبير من الحبشة لأشد ضرراً من الانتداب ، وأن حكومة الامبراطور موقنة بأن مجلس العصبة سوف يرفض الاقتراح عند اجتماعه في ١٨ من ديسمبر

وبهذا التصريح أظهر الامبراطور مهارة دبلوماسية لا تقل عن مهارة كبار السياسيين اليوم . إذ رفض « الاتفاق » بصورة غير مباشرة ؛ ووضع عصبة الأمم أمام حقائق قانونية لا يمكن أن تحيد عنها دون أن تحيد عن مبدئها الأساسي

وقد أجاب الامبراطور أحد الصحافيين عندما سأله رأيه في « الاتفاق » قائلاً : « إن جنودي لم تقهر بعد » !

أما السنيور موسوليني فقد أخذ يماطل في الاجابة . لقد طلب من باريس ولندن إيضاحاً عن بعض النقط في « الاقتراح » وأجل الجواب إلى ما بعد انعقاد المجلس الفاشستي الكبير في ٢٠ ديسمبر

وفي خلال ذلك أخذت الصحافة الايطالية تعلن أن « الاقتراح » لا يسد حاجة إيطاليا ! . . .

اختط موسوليني هذه السياسة اعتقاداً منه بأنه يستطيع بذلك أن ينال زيادة على ما جاء في « الاقتراح » . وقد فقد بذلك بعض أصدقائه في فرنسا ، وأخذ كثير من الصحافيين الذين كانوا يمجدون اسمه ويدافعون عنه ينتقدون سياسته ويلقون عليه تبعة الأزمة الدبلوماسية الحالية

ولما رأى موسوليني أن الرأي العام العالمي ضد الاقتراح وضد أي اعتراف له بحق في الحبشة ، عاد إلى سياسته الكلامية التهديدية ، فألقى خطاباً في يوم الأربعاء الموافق ١٨ ديسمبر وصرح فيه بأن إيطاليا ستستمر في سياستها الحبشية الى أن تخرج منها ظافرة

ومما جاء في قرار المجلس الفاشستي الأكبر الذي انتهى انعقاده صباح السبت الموافق ٢١ ديسمبر : إن المجلس يثبت بأن عمل إيطاليا سيستمر ، وأن القرار لقاطع للوصول إلى الهدف الذي اختطه الدوتشي.

ولما رأى موسوليني أن مجلس النواب في لندن قد رفض « الاقتراح » وأن جمعية الأمم لم تقبله ، طلب من سفيريه في باريس ولندن إخبار الحكومتين بأن روما سوف لا ترسل جواباً على « اتفاق باريس » نظراً لموته

### الأسباب الحقيقية التي دعت مسيو لافال الى وضع « المشروع » :

منذ أن وضع مسيو لافال يده على زمام سياسة فرنسا الخارجية بعد وفاة مسيو برتو في فاجعة مرسيليا وهو يتبع سياسة مسيو « دلكاسيه » المؤدية إلى حصر ألمانيا

لهذا قام بتصفية الخلاف مع إيطاليا ، وبعقد معاهدة مع الروسيا ، وقد حاول أن يحتفظ بصداقة بريطانيا ولكن دون أن يثق بها كل الوثوق ؛ ويمكن القول بأن هذه المحاولة كانت ظاهرية ، إذ أن لافال يكن ضغينة في نفسه لحكومة لندن ، وذلك من جراء عقدها المعاهدة البحرية مع برلين دون أخذ رأي باريس في ذلك

ومن المؤكد أن لافال قد أكد لموسوليني بأنه سوف لا يقف ضد مناهجه في شرق افريقيا ، وأن السياسة التي اتبعها لافال في المسألة الحبشية تثبت لنا ذلك

لقد حاول لافال قبل اعلان الحرب أن يتوصل إلى إقناع

موسوليني امتيازات كبيرة في الحبشة عن طريق سلمية ففشل في ذلك . ثم أخذ يحاول تخفيف شدة العقوبات الاقتصادية التي وضعتها العصبة على إيطاليا فأخفق سعيه . وأخيراً بذل جهده في تأجيل عقوبة البترول فوفق ؛ ولما رأى أنه لا يستطيع تأجيلها مرة ثانية وإن لجنة العصبة ستبحثها في الاجتماع الذي حدد لها وذلك في ١٢ ديسمبر ، وضع « الشروع » وورط هور في توقيعه ؛ وذلك بإظهاره له أن إيطاليا ستعتبر حظر البترول عملاً حربياً وتهاجم البواخر الانكليزية . وإذ ذاك تتحول الحرب إلى حرب إيطالية انكليزية فقط . إذ أن فرنسا لا تستطيع مساعدة بريطانيا فوراً ، كما أنه لا توجد دولة من أعضاء العصبة مستعدة لذلك . أمام هذا التحذير وأمام الصعوبات التي تجابهها حكومة لندن في هذه الأيام من أحزاب عمال مناجم الفحم ، ومن الصعوبة التي تجدها في المؤتمر البحري المنعقد في لندن ؛ ومن اضطرابات مصر . . . أمام هذه العقبات خشي هور الحرب مع إيطاليا فوقع « الشروع » . وبذلك تمكن لافال من تأجيل مسألة الحصر البترولي بصورة غير مباشرة إن لم يكن قد قتلها

ولكن لماذا يبذل لافال هذه الجهود الجبارة في مساعدة موسوليني ؟ .

إن سياسة وزارة خارجية فرنسا كانت منذ حرب السبعين تعمل على توطيد العلاقات مع كبرى الدول الأوربية بعقد معاهدات معها . . . لتكون في مأمن من الخطر الجرماني . ولما وضعت الحرب أوزارها وأنشئت عصبة الأمم ، رأت وزارة الخارجية الفرنسية أن تستغل هذه الوسعة وتستعيض بها وبسياسة السلام المشترك عن سياسة المعاهدات . وقد بذل مسيو بريان في سبيل ذلك جهوداً جبارة . . .

غير أن لافال حاد عن سياسة فرنسا الجديدة وعاد إلى سياسة ما قبل الحرب : سياسة المعاهدات . . . وحصر ألمانيا وتكوين جبهة قوية ضدها . فتمكن من إيجاد تحالف بين فرنسا وإيطاليا من جهة ، وبين فرنسا والروسيا من جهة ثانية . . .

وهو في سبيل المحافظة على صداقة إيطاليا والعمل معها ضد ألمانيا قد ضحى بمبدأ عصبة الأمم وسياسة السلام المشترك — ضحى بذلك برغم تصريحاته العديدة بأنه لا يزال يعمل ضمن سياسة جنيف

ومن أجل المحافظة على صداقة إيطاليا يبذل لافال جهده في تثبيت مركز موسوليني الدولي — إذ هو يعتقد أن زوال حكم موسوليني في روما أو زوال نفوذه ربما يغير مجرى السياسة الايطالية ، فلا تستفيد فرنسا من المعاهدة التي عقدتها مع موسوليني ، هذا إذا لم تتقرب إيطاليا من ألمانيا وتكونا جبهة قوية . . . خطرة على فرنسا . وفي سبيل ذلك قد وتر علائقه مع بريطانيا ، إذ من المحال الاحتفاظ بمحالفة موسوليني وصداقة بريطانيا معاً في الظروف الحالية

فهل أصاب لافال بسياسته هذه ؟ وهل مكن مركز فرنسا الدولي وأبعد عنها كل خطر جرماني ؟

إن ألمانيا تتسلح الآن بكل ما لديها من قوة ، وأنها ستضع قوتها يوماً ما في حيز العمل ، غير أنها قد أخذت درساً كبيراً في الحرب العالمية ؛ وهو أنها لا تستطيع قط محاربة العالم ، وأن أي حرب تكون فيها فرنسا وبريطانيا في صف واحد خطرة عليها . لهذا يبذل ساسة ألمانيا جهدهم في تفريق وحدة دول جنيف وإضعاف سياسة الأمن المشترك من جهة ، وفي التقرب من بريطانيا وإبعادها عن فرنسا من جهة ثانية ، وهم ان تمكنوا من ذلك اتسع المجال لعملهم وتنفيذ منهاجهم

ومن الغريب أن نرى أن سياسة لافال الحالية ، تعمل بصورة غير مباشرة على تطبيق المنهاج الألماني ؛ وفي تطبيقه زوال مركز فرنسا الدولي ، وهو رفيع ، وإضعاف سلطانها

وإننا نعتقد أنه لا أضمن لسلامة فرنسا واستمرار عظمة نفوذها الدولي من تقوية جنيف وتثبيت سياسة الأمن المشترك ؛ وبتثبيت هذه السياسة وبالمحافظة على الصداقة البريطانية يزول عن فرنسا كل خطر جرماني

ومن هنا نرى أن لافال قد أخطأ كثيراً في تضحية هذه القوى الجسيمة في سبيل المحافظة على موسوليني وكيانه ، وأن مشروعه كان غلطة فادحة تجر على فرنسا ضرراً جسيماً لو نفذ ، ناهيك بالأضرار الجسيمة الأخرى التي تنال السلم العام وحقوق الدول الصغرى

(لندن) يوسف هيكل

دكتور في الحقوق من حكومة فرنسا

# ٣ ـ سكان أعالى النيل

بقلم رشوان احمد صادق

## المجموعة الحامية النيلية

**البارى**

يسكن جنوبى منطقة الدنكا أى (فى أعالى بحر الجبل) عدة قبائل تتكلم اللهجة البارية نسبة إلى شعب البارى ، وبهم بعض الشبه من شعب الدنكا ، ولا بد أنه حصل اختلاط فى المنطقة التى يسهل أن يحتك فيها الدنكا بالقبائل البارية خصوصاً فى المجموعة المسماة الشير ، ومع ذلك فهم ليسوا زنوجاً نيليين ، وهم وإن كانوا ثقافة ولغة وجنساً يتبعون النصف حاميين فى شرق افريقا لتغلب العنصر الحامى فى تكوينهم إلا أنهم يعتبرون ضمن مجموعة قائمة بنفسها وهى (المجموعة الحامية النيلية).

ويمكن تمييز نوعين من الجماعات التى تتكلم اللهجة البارية : جماعة شرق بحر الجبل ، وجماعة غربه . والمجموعة الشرقية تنقسم إلى عدة قبائل ، ويظهر أنهم كانوا يتبعون النظام الطوطمى لوجود بقاياه فى بعض القبائل ، إذ يعتقدون بانتقال روح الميت إلى حيوان مخصوص عندهم .

والرجل الذى يقوم بعملية استنزال المطر هو رئيس القبيلة ، ومركزه يختلف عن مركز الرئيس الروحانى عند الزنوج النيليين ، فاذا أخفق فى استنزال المطر فانه يذبح فى الحال ، ويدور البحث عن غيره ليحل محله . كذلك يوجد عدة رؤساء يطلق على كل منهم اسم (صاحب الأرض أو الأب) ، وهو اسم يعطى لكل من جهز قطعة أرض وزرعها ، وكذلك يمنح هذا الاسم لخلفه ؛ وينحصر عمل هذا الرئيس فى القيام ببعض التعاويذ والسحر عند بذر الحبوب وأثناء نمو النبات وقبل عملية الصيد ؛ ولهذا الرئيس مقام محترم بين البارى إذ بدونه يفشل الصيد والزرع

وحفلة استنزال المطر تعتبر من المظاهر الممتازة بين البارى ؛ وتجرى هذه الحفلة على النحو الآتى : يحضر الرئيس قطعاً من حجر الكوارتز بعضها أبيض اللون والبعض الآخر أخضره ، ثم يضعها فى إناء ، وبعد غسلها يضعها على صخر كبير يسمى صخر المطر Rain Store وهو بقايا آلة قديمة لطحن الحبوب . ثم يلطخ الحجر بزيت السمسم ، ثم يذبح عنز أسود بجوار هذا الحجر ، ويأكل الرئيس ومساعدوه وبعض الشيوخ من لحمه ، ثم تؤخذ بقايا الغذاء الذى فى معدة العنز وتوضع أيضاً على هذا الحجر ، ثم يأتى المطر بعد ذلك . وكثيراً ما تجرى هذه الحفلة بجوار مقبرة شيخ مطر قديم أو بعض الأماكن المقدسة التى تنتمى اليه

**اللوتوكو**

ولهجة اللوتوكو تتكلمها القبائل الآتية : (١) اللوتوكو (٢) الكويا (٣) اللنجو . ويلاحظ فى هذه القبائل الثلاث أن الرأس طويل ، أما القامة فقامة اللوتوكو أطول منها فى القبائل الأخرى بمقدار بوصتين . وهم ينقسمون إلى قبائل طوطمية ، وأهم مظهر للطوطمية عندهم هو أن كل فرد بعد موته تنتقل روحه إلى الحيوان الذى تقدسه القبيلة ؛ فهناك قبيلة تقدس التمساح ، وأخرى تقدس القرد ، وثالثة تقدس الفيل ، ورابعة تقدس النمل الأبيض ، وخامسة تقدس الثعبان وهلم جرا ؛ وأقوى هذه القبائل هى التى تقدس التمساح ، ومنها ينتخب الرؤساء الذين يقومون بحفلة استنزال المطر ، ويستعملون فى هذه الحفلات حجر المطر السابق ذكره Rain Stone ؛ كذلك يستعملون بعض الخرائب المقدسة كمساعد ، والمياه التى توضع فيها هذه الخراب تحضر من بركة مقدسة يعيش فيها التماسيح التى تنتقل اليها أرواح أجدادهم رؤساء المطر

ومن عاداتهم اخراج عظام الميت بعد دفنه بثلاثة أشهر ، وأحياناً من ثلاثة إلى ستة عند اللوتوكو ، ويعتقدون أن فى ذلك سعادتهم ورفعتهم . كذلك عند موت الميت يسرعون إلى دفنه ، ثم بعد ذلك يقيمون له تذكاراً Nametere ينوب عن الميت حيث يقيمون له المراسم الجنائزية المختلفة

## المجموعة الزنجية

**الأزندى**

رؤوسهم متوسطة ، وقاماتهم أقصر من قامة الزنوج النيليين ، ولونهم أفتح من لونهم ، إذ يختلف ما بين لون (الشكلاته) ، ولون بشرة سكان البحر الأبيض المتوسط . وبعض العلماء يعلل ذلك باختلاطهم مع البربر والحامى ، وربما كان هذا الاختلاط مع جماعة الفولانى . ويمكن اعتبار الأزندى من زنوج غرب افريقا ، إذ تظهر عليهم جميع المميزات التى تميز زنوج غرب افريقا

من غيرهم . ومن الصعب التفرقة بين رجل من الأزندي وآخر من سكان افريقا الاستوائية الفرنسية أو نيجريا . كما أن لغة الأزندي خالية من الأثر الحامي على حين أنه توجد بها آثار من لغة البانتو، وهذا يتمم وجوده في لغة الزنوج النيليين السابق الكلام عليهم . والأزندي من جهة الثقافة يتبعون غرب افريقيا بعكس الزنوج النيليين الذين يتبعون في ثقافتهم شرق افريقيا . وهذا يتضح تماما من نظام بناء كوخ الأزندي ومساكنهم وآلاتهم الحربية والموسيقية مثلا

والأزندي عبارة عن عدة قبائل ولهم حكومة مركزية عليا . وهم ينقسمون إلى ولايات مستقلة عن بعضها ، وهي في حرب دائمة مع جيرانها ، ولكنها جميعها تخضع لملك واحد من أسرة أرستقراطية مالكة ينتخب دائما منها الملوك ، وهذه العائلة المالكة تسمى (الافنجارا) ومنها ينتخب أيضاً رؤساء الادارة والحكومة الذين يساعدون الملك ؛ والملك هو الذي ينتخبهم ويوزع عليهم العمل . والملك وهؤلاء الرؤساء لا يشتركون في الحروب

ويتلخص النظام الاداري فيما يأتي :

١ — الملك وهو الرئيس العام ويحكم في العاصمة وهو المرجع الأعلى ويحرم عليه أن يدخل الحرب بنفسه

٢ — مقاطعات أو مديريات يديرها أبناء الملك أو إخوته أو غيرهم من العائلة المالكة ، وكل من هؤلاء مطلق السلطة إلا أنهم مسئولون أمام الملك مباشرة عن حفظ الأمن والعدل كما أن عليهم واجبات نحو الملك ؛ مثلا إذا أراد الملك عملا لبناء منازله أو جندا للحرب فعلى هؤلاء المديرين أن يقوموا بجمع العدد اللازم حسب طلب الملك ، وهؤلاء المديرون لا يدخلون الحرب

٣ — تنقسم كل من هذه المديريات إلى عدة أحياء أو مناطق على كل منها نائب أو وكيل ، وهذا النائب يباشر الأمور المختصة بالعدل بواسطة عقد مجلس يكون هو عضوا فيه يساعده الرجال المعترف بكفاءتهم في حيه أو منطقته . فاذا ظهر نزاع بين فردين وجب أن تعرض المسألة على نائب الحي أولاً ، فان كان موضوع النزاع بسيطاً حله النائب ، ولكن إذا كانت المسألة معقدة مهمة فان النائب يحولها مباشرة إلى المدير الذي يحكم المديرية ، وهو طبعاً أحد أفراد العائلة المالكة ؛ ولا يمكن عمل استئناف من المدير إلى الملك ، لأن المدير مستقل بشؤون مديريته فاذا أراد الملك أن يعلن حرباً أو يقوم بعمل اقتصادي مهم فانه يرسل في الحال إلى المديرين يخبرهم بالعدد اللازم ، وعند ذلك يقوم كل مدير بعقد مجلس برياسته يدعو اليه جميع النواب الذين يحكمون الأحياء التي تنقسم اليها مديريته ، ويشاورهم في العدد الذي يمكن أن يقدمه كل منهم ؛ وهؤلاء النواب يقومون بعد ذلك بجمع العدد اللازم من كل منهم بواسطة قرع الطبول . وبذلك يمكن إرسال العدد المطلوب من العمال والجنود الى الملك . والملك نفسه يدير مقاطعة في وسط بلاده وهي عبارة العاصمة وضواحيها ، ولكنه يستعين بالمديرين في المسائل القومية المهمة

( البقية في العدد القادم ) رشوان أحمد صادق

## القهوة الجيدة

ليس البن مادة من مواد الترف ، ولا صنفا من الأصناف الكمالية الزائدة على الحاجة ، وإنما هو شيء من الأشياء الضرورية التي لا يجد الانسان عنها محيصا ، واذا كان الافراط في تعاطي القهوة يؤثر تأثيرا سيئا على ذوي البنية الضعيفة ، فان الاعتدال فيها هو على عكس ذلك لازم لسلامة المزاج وصحة الجسم

إنك حين تتعاطى فنجالا من القهوة تحس كأنك ولدت من جديد ، تشعر أن طاقتك التي زادت أضعافاً مضاعفة تستطيع أن تتغلب على كل متاعبك ، وأن تذهب عنك الضجر فلا تفكر إلا في مسرات الحياة وملذات العيش

إن فنجالا ساخناً من هذا الشراب المفيد إذا أعد اعدادا متقنا يريح البصر ويقوي الشهية ويبعث في الجسم شعورا بالغبطة يقدره الغني كما يقدره الفقير ، ولكن القهوة لا تقدم اليك هذه المنافع إلا إذا كانت من بن جيد النوع غير مخلوط بالحمص المقلي والقش المحمص ، وأشهر أنواع البن في العالم من غير نزاع هو بن البرازيل ، لأنه مزروع على القواعد العلمية ، وتحميصه وطحنه في القاهرة يجري على أحدث الطرق الفنية في مخازن البن البرازيلي في شارع فؤاد الأول ، ففي هذه المخازن الوحيدة تجد في كل وقت البن البرازيلي الحقيقي محمصا ومطحونا من أجود نوع وبأسعار معقولة جدا

بمناسبة أربعين الزعيم الخالد

# يوم هنانو

## للأستاذ أمجد الطرابلسي

صُعق الناسُ حَسرةً فأهابوا     مَنْ صَريعُ الحِمى فقيل الشِّهابُ
ضربوا في الدُّجى البهيمِ سُكارى     أين منهمْ هُداهمُ والصواب
وسَرَوا خُشَّعَ النواظِرِ يَغْشا     هُمْ من الليلِ والدموعِ حِجاب
يتناجَوْن باللِّحاظِ من الهو     لِ ؛ أصدقٌ ما قدرَوْا أم كذاب
شرِقوا بالدموع إذ هَتف النَّا     عى مُهيباً ، ومادتِ الألباب
هَتفاتٌ فوق المآذِنِ تعلو     فيضجُّ الباكونَ والندَّاب
ورنينُ الناقوس من كلِّ فجٍ     تتفرَّى له القلوبُ الصِّلاب
زفراتٌ هي الكبودُ تَلظَّى     ودموعٌ هي النُّفوسُ تُذاب
هاهُنا لِلِّبى عويلٌ مُرِنٌّ     وهنا ثَمَّ لِلشِّبالِ انتحاب
من يواسيهمُ وكلٌّ طعينٌ !     من يُعزيهمُ وكلٌّ مصاب !
لا تلُمْهُمْ ! خلا العرينُ ، فمن يد     فعُ عنهمُ إذا استُبيح الغاب

* * *

زُلزلت دارةُ الوليدِ ومادت     تحت عِبْءِ المُصابِ فيها الهِضاب
فعليها من الهُزالِ شُفوفٌ     وعليها من الشُّحوبِ نِقاب
لَبِستْ في نهارِها الأَيلَ وجداً     وتوارى السُّمَّارُ والأصحاب
وتباكت حمائمُ النَّيْرَبِ السا     جي وأَوْدى غِرِّيدُهُ المِطراب
ليت شعري أذاك (مروانُ) أَوْدى     فأهَلَّ الورى وَسَحَّ السحاب
أم تداعى عرشُ (الوليدِ) غَداةً     فتداعت منابرٌ وقِباب

* * *

يا لِسُوريةَ الشَّهيدةِ كم ذا     تتهاوى أبناؤها الأنجاب
يهبِطُ الكوكبُ المُحجَّلُ منهم     أو يُقَدُّ المهنَّدُ القِرْضاب
فإلى صدرِها تَضُمُّ الضحايا     وعلى صدرِها يُهال التراب
ملأوا قلبَها نُدوباً وشجواً     ليس يخبو وقودُه اللهَّاب
أبداً للدموع فيها انسكابٌ     أبداً للدماءِ فيها انصِباب
رَوِيَتْ مِنْ دِماءِ أبنائِها الغُرِّ     م وفاضت رِباعُها والرِّحاب
أمسِ في الغوطةِ الرَّؤومِ تهاوت     شُهُبٌ كلها مُنًى وَشباب

وعلى ميسلونَ سالت دِماءُ     علَّمتنا أنى يكونُ الغِلاب
شهداءُ أعزةٌ عَدَدَ الزهْـ     ـرِ أيُحصى زَهْرَ الشآم كِتاب !

* * *

يا هنانو أثرْتَها ذِكرياتٍ     ضَمَدَتها السنونَ والأحقاب
فليالِيَّ بعدَ منعاك سُهدٌ     وشرابي قذىً وَشَهْدِيَ صاب
كنتُ في قريتي الوديعةِ سهوا     نَ فلا غُصةٌ ولا أوْصاب (١)
تستبيني مِن الرُّعاةِ لحون     وأغانٍ عُلويَّةٌ ، ورَباب
وَمِنَ الطَّيرِ في الرُّبى نغماتٌ     هُنَّ لِلُّبِّ مِزْهَرٌ وشراب
أذْنِنُ الهمَّ في ظِلالِ التمنِّي     والأعاليلُ مورِقاتٌ رِطابُ
وَأُغنى مع الطفولةِ لحناً     ذِكَرٌ كله وشهد مذاب
وحواليَّ صِبيةٌ كالعصافـ     ـير مِراحٌ ، أهِلَّةٌ ، أتراب
يتبارَوْنَ عابثين فما يد     رون ما الهمُّ ، ما الأسى ، ما العذاب
كِدْتُ أسلو لَذْعَ الحنينِ وأنسى     بينهم ما يهيجُهُ الاغتراب
فأتاني الناعي يُجَمْجِمُ في القو     لِ فما إنْ يبينُ منه الخطاب
قالَ : ماتَ الزعيمُ ، قلتُ : هوى العَرْ     شُ رُكاماً وَقُوِّضَ المحراب

* * *

يا إلهي أكلما سُدَّ باب     من شَقاءِ الشآمِ حُطِّم باب !

* * *

يافقيدَ الآمالِ قُم فتأملْ     كيف تبكي آمالُنا والرِّغاب
رَزَحَ الموْطنُ الجريحُ وناءت     أمةٌ لم يذلَّها الإرهاب
كنتَ في السَّاحِ والنَّديِّ زعيماً     ما دَعَوْتَ الشِّبالَ إلاَّ أجابوا
ومشوا خلفَ ضيغمِ الغابِ صفاً     ليس يخشى الردى وليس يهاب
كلهم باسمون خلفَكَ للمو     تِ ، سِراعٌ إلى الطِّعانِ طِراب
كنتَ حِصْناً فدتكَ ذَيَّالك الحِصْـ     ـنُ وَحِرْزاً قُدَّت الأطناب
وشِهاباً يفترُّ في أُفُقِ المجـ     ـدِ بهِيّاً لا يعتريه غياب
شَعَّ دهراً فأُرشِدَ ابن الدياجي     وأُنيرت مسالكٌ وشِعاب
ثم غشَّاهُ من سكون المنايا     سُحُبٌ مُكفهِرَّةٌ وضبابُ

* * *

وطنٌ سار خلف نعشِكَ يبكي     يا لهُ اللهُ صارخاً لا يجاب

---

(١) كنتُ في مدرستي القروية حين أتاني نعي الزعيم الغالي

كان يرنو إليكَ كالطفل إما … عَضَّهُ من أراقم الظلم ناب
موكب كالخضمِّ سارَ خشوعاً … جلَّ ذا موكباً وجلَّ الركاب
مَن رأى محشراً يموجُ زحاماً … وعُباباً يبكى عليه عُباب !
ولواء قد كنتَ تفديه إمّا … روّع الغابَ عاصفٌ صخّاب
ضمّك اليومَ لوعةً وحناناً … أنت منه الشبّةُ وهوَ القراب
من لهُ اليومَ إن أناخ عليه … مُستبيح أو راعه غصّاب !

***

إيه (شهباء) أىُّ سِفرِ جهادٍ … غالهُ فيكِ غائل ريّاب
وخفوق يغلى مُنىً وإباء … وفتًى لا تغرّه الألقاب
كان تاجاً فى مفرقيكِ ودرعاً … لكِ تنبو عنه القنا والحراب
وأباً بالبنينَ براً شفيقاً … كلهم فى فنائه أحباب
هزهُم للعلى فكانوا صفوفاً … وهوَ ليث بين الصفوف مهاب
لهف نفسى أن غاض فيك غدير … كان بالنور والهدى ينساب
تنتوى ساحَهُ الحيارى وتهفو … حول شطيْهِ عُطّشٌ وسِغاب

***

جسد هدّه الكفاحُ فأبلا … هُ وقلب على المدى وثّاب
كلما هاجه الإسارُ تنزّى … فتنزّى فيه الصبى والشباب
إن مشى للأمام هانَ عصيب … وتوارت عن الطريق صعاب
حمل السيف طاوياً فى الصحارى … عادةُ الليث عِزة وضراب
يرشف الموت بالرماح ولا ير … ضيه هَضم لحقّه واغتصاب
ذاب فى حومة النضال شهيداً … ذا كمُ المجدُ ساطعاً لا السراب
إنما المجدُ ثورة وجهاد … لا كلام مُنمّق وخطاب

***

يا جيوش الشبابِ، يا أُسْدَ الغا … بِ، ويا أيها الشبالُ الغضاب
قد مضى القائدُ العظيمُ إلى الخُلْـ … ـدِ وقد عاجلَ الرئيس التباب
فارقأوا هذه الدموع الجوارى … ليسَ فى الدمع للفقيد مآب
واسكبوا خلفَهُ الدماء الغوالى … إنما الدمع هيّنٌ مِخصاب
وصليل السيوف أجملُ لحنٍ … لبكاء الشهيدِ لا التنحاب
لا تخوروا فإنّ معركةَ النّصـ … ـرِ بدا فجرُها الضحوكُ العُجاب !

أحمد الطرابلسي

## سحر الطبيعة

### للأستاذ عبد الرحمن شكرى

كؤوس من النور هذى الزهو … ر أم هى أخيلة الشاعر
وليست بحُلم ولكنها … أجل من الحُلُم الباهر
وما خلقت لفنون الخيا … ل فتنة حسن لدى الخابر
وماء الحيـاة ونبع الخلو … د فى مائها السلسل الماثر
وعشب قشيب وظل ظليل … أدنيا أرى أم مُنى الساحر
ومما يزيد رواء الزهور … أذى العيش والقدر الجائر
لقد خفت أن تنطوى مثلما … يزول الخيال عن الناظر
فاسلمت نفسى لسحر الخيال … لأخلد فى حسنها الزاهر
وغبت عن الحِسّ حِس الوجود … كأنىَ روح لدى العابر
كأنى نقلت إلى عالم … سينشأ فى الدهر أو غابر
كأنى نقلت إلى جنة … نأت عن سطا القدر الدائر
ومما يزيد رواء الزهور … أذى العيش والقدر الجائر

عبد الرحمن شكرى

## قبلة الحب

### بقلم فريد عين شوكه

هاتها هاتها فإنىَ ظمآ … نٌ إلى وردك العفيف الطهور
هاتها قُبلةً تُهدهدُ أحشا … ئى، وتشفى من الجنون شعورى
عطشت مهجتى إليك وضاقت … جنَباتى بما بها من سعير
فارْوِ ما جفّ من حشاى ورفّهْ … عن فؤادى وخاطرى وضميرى

ويك يا قلبُ! ما لخفقك يشتد (م) وما للحشا يلجُّ وثوبا؟
إنها خمرة الهوى فارتشفها … لهباً فى الضلوع حتى تذوبا
ضلّةً للفؤاد! رفّ على النا … رِ ولم يخش جرحها المشبوبا
كلما ذاق حرّها عاد لهفا … نَ إليها حتى استحال لهيبا

يا لها قبلةً أحرَّ من الجمـ … ـرِ على قلبىَ اللهيف المعذّب
رشفة كالندى الندىّ استحالت … شعلة فى الدماء أيان تذهب
هيه يا ثغره الحبيب! أتانى … منك ما يشعل الضلوع ويلهب
قُبلةُ الحب لفحةٌ من جحيم … هى أشهى من النعيم وأعذب

فريد عين شوكه

فصول ملخصة في الفلسفة الألمانية

# ٣٦ – تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا

## الناحية السلبية من مذهب نيتشه

## الانسان

للأستاذ خليل هنداوي

لكل فلسفة أجل موقوت ، تظهر فيه حجتها على الناس . وكل فيلسوف يضم شتات فلسفته ويحبسها ضمن نظام منطق كأنها عمل عقلي محض ، ألا إن هذا باطل ، فان الحياة الواعية في كل انسان لها جذور تمتص من الحياة غير الواعية فيه ؛ وإن حبه لمعرفة الحقيقة يعود إلى غريزة فيه قوية خفية . عد إلى المذهب الفلسفي المبدئي المجرد من كل شخصية ومن كل هوى تجـد شيئاً ينزل منزلة الايمان فيه ؛ وما نظريات الفيلسوف في الحقيقة إلا بنات مذكراته واعترافاته . إن هـذا الفيلسوف ليس في الحقيقة – كما يخيل الينا – مفكراً خالصاً ، ولكنه محام خبيث يذب عن اعتقاداته الوهمية ولا سيما الأدبيـة منها . يجرب أن يجعل من اعتقاداته حقائق ثابتة ودساتير نافذة . على أن هذه الاعتقادات التي تنطوي عليها المذاهب الفلسفية التي تريد أن توجه الحياة في سبيلها ، إنما هي اعتقادات مستمدة من المثل الذي يبشر بالزهد والمسكنة . . . وهكذا لم يكن الكاهن والفيلسوف بخصمين – كما يبدو ظاهر الأمر – وإنما صاحبان وإن كانا لا يدريان

هذا هو ( كانت ) أبو الفلسفة الألمانية لا يرى فيه نيتشه إلا كاهناً مسيحياً تطور في بعض حالاته ، وخلاصة فلسفته أنها تضع « شعبتين » من شعبها خارج القوة العقلية ؛ في الأولى تلهج بعالم حقيقي مباين لهذا العالم المبني على الظواهر والحوادث ، وفي الثانية تؤمن بالشريعة الأدبية الخلقية انها مقدرة تقديراً . وإذا جرد المحقق هاتين الشعبتين وجد أنهما وليدتا نظريات الشريعة المسيحية ذاتها . اذ ما هو الايمان بعالم حقيقي غير هذا العالم ؟

أليست هذه الفلسـفة تنطوي على الفكرة التي يبشر بها علم اللاهوت ، فالآلـه هو العلة الأولى للوجود الذي تتلقفه الحواس ، وحياة الانسان الحقيقية هي الحياة في الله ، وهكذا أخذ النظريون فـكرة القول بالـه صالح ، بالـه للمتألين ، ودققوها وسموا بها وبدلوا لونها حتى أحالوها عنكبوتاً ضخماً ينسج الوجود من خيوطه . فـكان منه « المثل الأعلى » والعقل الخالص ، والواحد المطلق ، والشيء القائم بذاته ؛ على أن هذا الشيء القائم بذاته ، وهذا العالم الحقيقي إن هما – اذا تجردا – إلا العدم الخالص

ان الـه المسيحيين – كما يراه نيتشه – هو الـه كل ما يتألم ، وكل ما يجنح الى الموت ؛ وهو بدلا من أن يبشر كالآلهة الوثنية بما يفيض على الحياة من بهجة ونعيم ، ويبث الارادة القوية التي تقول للحياة : « بلى » ، ولـكل ما تحمله « بلى » ؛ تراه يحمل الناظر الى كل منحط خسيس في فؤاد الانسان ، يكره الحياة الحقيقية ولا يحمل لها إلا مقتاً ؛ ويجعل رجاءه في حياة وهمية ثانية . إن عالم النظريين عائل في حقيقته هذا العالم المسيحي . إنه كلمة فارغة من كل حقيقة ؛ إن الآلـه المسيحي هو علامة « سلب الحياة » ، وإلـه الفلاسفة هو العدم الخالص

وتلك الارادة التي تمثل هـذا الآلـه إن هي إلا الجنوح الى الفناء . وإن أبرز هؤلاء الفلاسفة الذين يعتقدون بأنهم مارقون من كل دين وكل إيمان هم في الحقيقة رجال إيمان لا يتزعزع . إن هؤلاء العلماء والفلاسفة اللادينيين أثواباً مختلفة إنما لباسهم لباس واحد يلفهم ويضم بينهم ، هو لباس الزهد

لنحلل مُعتَقَدهم : أن إرادة إدراك الحقيقة – مهما كان ثمنها – تهيأ في طريقين مختلفين : تقول « لا أريد أن أخدع ! » أو تقول « لا أريد أن أخدع نفسي ولا أخدع أحداً » أما القول الأول فهو بعيد عن الحقيقة ، لأن الانسان ليقدر على أن يسمو إلى الحقيقة بفطنة منه أو خشية إذا كان يثق في نفع هذه الحقيقة السامي اليها . ولـكن الحقيقة هي أنه إذا كانت هنالك حقيقة بدأت تتجلى شيئاً فشيئاً للعقول المستنيرة فهي أن الوهم ذو فائدة للوجود وضروري له كالحقيقة . وفي اعتقاد نيتشه أن الوهم والـكذب هما من الجواهر اللازمة للحياة

إن مسألتنا التى نبتغى حلها ليست بجملة اعتراضات ، ولا فوز فى النطق ، وإنما مسألتنا هذه : « ما هو الأجدى نفعاً لحفظ الحياة وصيانة النوع ووقاية الحيوان ؟ » وإنا لنستطيع أن نقول بدون تردد : إن الأفكار والأحكام الأكثر بعداً عن الحقيقة هى عندنا من الأشياء التى لا منصرف عنها : ولو أن البشرية استغنت عنها لما استطاعت الحياة ، إذ كان الجحود جحوداً بالحياة نفسها وإعداماً لها

ولكن لو فرضنا أن الكذب أكثر عماً والحقيقة أكثر شؤماً ، فان رجل العلم لا يجنح - إذ ذاك - الى الحقيقة طمعاً فى فائدة أو رهبة من شىء ، وإنما يجنح اليها ويتواقع عليها لأنه نشأ على ألا يخدع نفسه ولا غيره مهما كلفه ذلك . تراه يضحى بسعادته وبالبشرية فى سبيل الحقيقة ، هذه الحقيقة القدسة التى راح يسميها المسيحى إلهاً

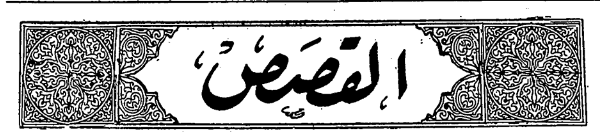
ومما لا ريب فيه أن ناشد الحقيقة يضع إيمانه فى وجود غير هذا الوجود ، وحياة غير هذه الحياة . فماذا تراه يضع فى وجودنا هذا بعد انصرافه عنه ؟ هل يجد غير الجحود به ؟ ولكن رويداً ! أريد أن أقول : إن اعتقادنا العلمى مبنى على اعتقادنا النظرى . وإننا نحن مفكرى اليوم ، الجاحدين الناكرين نستمد النار التى تحرضنا وتثيرنا من الجمرة التى أضرمتها نار العقائد كثيراً ، ومن ذلك الايمان المسيحى الذى شابه الايمان الأفلاطونى القائل بأن الله هو الحقيقة وأن الحقيقة هى إلهيته

إن رسول الجيل الحاضر لم يجرؤ على أن يشك فى القيم الحالية الموروثة ، لم يجرؤ على القول : ما هى قيمة الحقيقة وما هى قيمة ذلك الأمر المطلق للفضيلة التى تأمرنا بسلوك طريق الحقيقة ؟ إنه وقف مكتوف اليدين إزاء مسألة الحقيقة والفضيلة . إنه لم يقل لماذا وجب على الانسان أن يعرف كنه هذه الطبيعة التى نحسها اليوم كقوة عمياء ، غير عاقلة لا تعبأ بالخير ولا بالشر ، فيها قوة الخصب والتوليد ؛ تنجب دائماً مخلوقات جديدة لتضحى بها لغايات لا معنى لها ، ولا عاطفة فى صدرها ... وإذا كانت هذه حالها فلماذا كتب الانسان على نفسه التضحية بها فى سبيل مثل هذه الألوهية ؟

يرى نيتشه أن الرغبة فى الحقيقة مثلها مثل الصبغة المصرية لصرامة التنسك والزهد التى دفعت الانسان إلى أن يضحى - فى سبيل إلهه - بكل ما يملك بداءه ، فكان الانسان يقرب له الضحايا البشرية ، يضحى بأول غلام يأتيه ، حتى إذا جاء العهد المسيحى أصبح الزاهد يضحى للآلهة بكل غرائزه وميوله الطبيعية

والآن ماذا يملك عليه ليضحى به ؟ ألم ينته دور التضحية له بكل عزيز ؟ أليس الأجدر الآن تضحية الآلهة نفسه ؟ وعبادة الحجر والمبهم والثقل والحظ والعدم إمعاناً فى مجافاته ؟ وهكذا نجد رسول المعرفة الذى لم يهو فى مهواة الشك ، المؤمن بالحقيقة ، الجرىء على خلق مثل أعلى ، الشديد إيمانه بالعقل السامى والفضيلة ، نجده - إذا نزعت رداءه - زاهداً ينكر الوجود ، ومتشائماً يفر من الحياة ، لأنه يأبى أن يستسلم إلى الوهم ، إلى الكذب اللازم للحياة ، انه عدى كالمسيحى يعمل على أن يقذف بالانسانية فى هاوية العدم

(يتبع) عقيل هنداوى



صور من هوميروس

# ٢١ - حروب طروادة

١ - مصرع أخيل ٢ - انتحار بوليكسينا
٣ - سهام هرقل ٤ - مقتل باريس
٥ - نهاية إيونونيه

للأستاذ دريني خشبه

انتهت الهدنة ، واندلعت نيران الحرب كرة ثانية ، والتحم الجمعان تؤجج العداوة بينهما ثارات وثارات ؛ ولم يُجدِ الطرواديين أن تنضم إليهم مليكة الأمازون تحارب بفصائلها في صفوفهم وتشد بمجموعها أزرهم ، فإن أخيل هو هو لم ينقص ولم يزد . . . بل هو يزيد كل يوم ظمأ إلى دماء قاتلي صديقه وأحب الناس إليه ... بتروكلوس الشهيد ...

لقد انقض أخيل على مليكة الأمازون التي انقضت بدورها على جحافل الميلانيين فأوقعت الروع في نفوسهم ، وقذفت الرعب في قلوبهم ... فلم يزل بها يصاولها ويطاولها حتى هز منها نهزة أنفذ بها رمحه في صدرها ، وعفر جبينها التراب بثرى المعمعة ، وجردها من سلاحها إذ هي جثة هامدة ، وانكفأ أتباعها وبهن من الحزن على صاحبة الأمر فيهن ... ما صرفهن عن طروادة والطرواديين

وإن أخيل ليصول في الميدان ويجول ، وإنه ليرتفع ببصره عفواً ، وعن غير قصد ، إلى البرج الشاهق من أبراج اليوم ، فوق البوابة الاسكائية ، إذا به يلمح قمراً مطلاً من شرفة البرج يرنو بعيني ظبي ، ويهطع بجيد رئم ، ويشرق بخدين ناضجين من خدود ربات الخدور ، يرسلان على الساحة كلها سناءً ورُواءً ...

من هي ؟ ...

من هذه العذراء البارعة التي تشرف هكذا على الساحة الحمراء فتطفىء جذوات الغل المتقدة بين أضلاع أخيل ، وتضع حداً لهذه الثورة التي ظلت إلى تلك اللمحة تعصف بنفسه الغضبى ، وتحز في قلبه المحزون ؟ ...

أوه ...!! إنها الأميرة الفتانة بوليكسينا ، صغرى بنات الملك الشيخ ... بريام البائس الباكي الحزين ...

لقد أرسلتها العناية لتشرف على الساحة الصاخبة ، ولتنظر إلى هذا البطل الخارق الجبار الذي لم يعد بيت في طروادة كلها إلا وفيه لسان يلهج بذكره ، ويتحدث عن شجاعته ، ويخوض في جبروته .... ثم لم يعد بيت في طروادة كذلك ، إلا وفيه عين مؤرقة تبكي على عزيزها الذي قتله هذا البطل ، أو الذي سيقتله ، أو الذي يخشى منه عليه أن يقتله ... كأنه أصبح سفير هيدز إلى اليوم ، أو وزير بلوتو العظيم !!

وأبصر أخيل بها ... ويا لها من نظرة أنبتت في قلبه دوحة من الحب وارفة ، ذات ظلال وذات أفياء ...

وظل الرمح يهتز في يده ... ولا يصيب أحداً ... وظل هو يسارق قمر البرج المطل نظرة فنظرة ، وظل مشدوهاً مسبوهاً ... لا يعرف لم شُبّت هذه الحرب ، ولم يقتتل هذان الجمعان ؟! ...

وانثنى من الميدان ينظر في هذا الغرام الجديد ...

ولم يجد بداً من العمل لإحلال السلم محل تلك الحرب التي طالت وتتابعت عليها السنون ، من غير أن يظفر الميلانيون بالطرواديين ، أو الطرواديون بالميلانيين ، ومن غير أن يفكر أحد في هذه الجزرة الشائنة التي تقتدى كل يوم بقطوف الشباب من زهرات الأمتين على السواء

فيا له من حب مهد السلم ، لولا قساوة في القلوب زادتها الثارات عنفواناً ، ولولا شرف أمة بأسرها تعبث به امرأة ، ولولا الأحن التي ذهبت بأبناء الملوك الصيد !

واستطاع أخيل أن ينفذ رسله إلى بريام يستعتبه ، ثم استطاع الرسل أن يخاطبوا الملك في بوليكسينا على أن تكون أحب أزواج أخيل وآثرهن إلى قلبه ، فوعدهم الملك ، بعد إذ لحظ من افتتان ابنته هي الأخرى بزعيم الميرميدون ، أن تتم مراسيم الزواج حين تضع الحرب أوزارها ، وحين تنكشف هذه الغمة القاسية عن طروادة ...

بيد أن الهوى المبرح قد ألح على قلب أخيل ، والصبابة العاتية قد جمعت أفانين من السهاد في عينيه ، وطيف بوليكسينا يراوحه ويغاديه ، ويملأ عليه أخيلته ، ويتهادى أمامه في كل نظرة ينفرج عنها هدبه ، أو غمضة يتناعس بها جفناه ! فلم يطق إلى صبر من سبيل !

وأنفذ رسله كرة أخرى فاتفقوا مع الملك على إجراء مراسم الخطبة ، عسى أن تفل من غرب هذه الحرب القاسية ، أو تبزغ منها تباشير السلام المنشود !

وأعلنت هدنة ليوم أو بعض يوم ؛ وأقيم المهرجان الفخم في صميم الحومة الرائعة ، وتقدم أخيل فصافح الملك ، وأعلنت الخطبة ، وانثنى الزعيم المظفر وقلبه يطفر من الفرح ، أن أصبحت له بوليكسينا ...

وما كاد البطل ينقلب إلى جنده ، حتى كانت ڤينوس توسوس إلى باريس أن ينتهز الفرصة العزيزة النادرة ، ويريش سهماً من سهامه المسمومة إلى عقب أخيل التي لم تغمرها مياه ستيكس فيصميه ... فيرديه !!

ووتر باريس قوسه ، وأرسل السهم المسموم إلى عقب أخيل فنفذ فيه ، وأنفذ فيه قضاء ربات القضاء ... اللائى فرغن الساعة فقط من غزل خيط حياته ، وقطعته أتروپوس[1] المائلة بمقصها الجبار الفظيع

(١) أشرنا إلى ربات القضاء سالفا — وهن ثلاث — ١ — كلوتو وتنسج خيوط الحياة — ٢ — لاخيزز وتبرمها حتى تحتمل عاديات الزمان — ٣ — وأتروپوس وتقطعها فتنتهي الحياة !

وهكذا أنهى باريس الخائن تلك الحياة الحافلة بغدرة سافلة من غدراته التي توشك أن تنتهي !

***

واستطير الميرميدون ! وانقض أوليسيز كالعاصفة ينافح عن جثمان صاحبه ، واستطاع أن يستنقذ القتيل العزيز من أيدي أعدائه الجبناء ؛ وكان أجاكس العظيم يعاونه في دفع الجموع الحاشدة التي تكاثرت حول الجثة تطمع في عدة الكان .

وانصرف الجيش الحزين يذرف دموعه على أخيل !!

واجتمعوا حول الجثة المضمخة بالطيب وحنوط المسك يحرقونها !

ووقفت ذيتيس تلقي على ابنها نظرة الوداع ... وتذرف عليه عبرة الوداع !!

وكانت ثيابها السود تبكي معها ...

وكانت السماء كلها تذرف شئونها على أخيل ...

وعرائس البحر ساهمات على شواطئ الهلسپنت الفائض بالدم !

وپليوس المحزون يضطرب في الأعماق فيجعلها ضراما !

والأولمب كله ، ما عدا عصابة ڤينوس يعزي بعضه بعضاً !!

وليس أولئك جميعاً شيئاً إلى ما حدث من بعد ، قبيل أن تخمد النيران فوق أخيل ... فقد ضج المكان الصامت بصيحات مفاجئة ، نبهت ما سكن من هول هذا المحشر الرهيب ... وتلفت القوم ، فاذا أجاكس العظيم قد أصابه طائف من المس ، وإذا به يرغي ويزبد ، ويعول وينشج ، ثم يقذف من فمه صبيباً من الدم ، يتلوه شوب من العلق ، وينبطح على الأرض ثم يثب على قدميه ؛ ويروح ويغدو دون أن يلوي على شيء ... ثم يستل جرازه ويركزه فوق الأرض ، ويتكئ بصدره على سنانه ، فينفذ السنان من ظهر أجاكس ، ضحية جديدة لهذه الحرب التي لا تشبع ، وخيط حياة حافلة يمر وشيكا بين الشفرتين من مقص أتروپوس ! . . .

ويحك أجاكس ! والله ما وفيت لأخيل يا بطل الأبطال !

***

وذهل القوم لانتحار أجاكس ، ولم يفيقوا من ذهولهم إلا ليروا إلى مأساة ضعضعت ما أبقى عليه الحزن من ألبابهم ،

وأطاشت ما بقى من عقولهم ، وتركتهم سكارى وما هم بسكارى

هذه بوليكسينا ! !

إنها تقبل من طروادة كأنما بها مس ....

وهى تطوى الساحة المزدحمة بالأشلاء ... المضرجة بالدماء ، بقدمين عاريتين ، لا يقيهما حذاء ... وإن الدم ليتفجر منهما ...

وهى تصرخ ... وتلطم خديها الشاحبين ، بكفيها الواهيتين

وهى تجفل كالظبية المراغة ، وتدور حول نفسها ... ثم تقف لحظة ... وتنطلق ....

وهى تفعل هذا حتى تكون أمام البركان الخافت ، المشتمل على رفات أخيل ...

وإنها لتقف تلقاءه جامدة كأنها دمية ..... ذاهلة كأنها تمثال ......

يا للهول ! !

لقد انطلقت الفتاة بخاصت النيران .... ودست رأسها فى جمرات الغضى تبحث عن حبيبها الرجو ........ عن أخيل ........ ! ! [1]

أخيل الجبار ... قاتل ليكاون وبوليدور ... وهكتور ! !

***

ويجزع الميلانيون بما ألم بهم من مقتل أخيل ، وانتحار أجاكس حزناً عليه ، فينصرفون عن الحرب إلى استبحاء آلهتهم ؛ وينفرد كالخاس يرسل نظرة فى النجوم ، ويناجى سكان السماء ، ثم يقبل على القادة وقد فرغت قلوبهم من الصبر ، وتبلبلت أفكارهم من طول الانتظار .... فيقول : « سهام هرقل ! ! لابد من سهام هرقل ! ! لن يفتح عليكم طروادة إلا سهام هرقل ... ! ! »

سهام هرقل ؟ ؟ وما سهام هرقل هذه ؟ ؟ »

آه ! لعلها هذه السهام التى غمسها هرقل فى دم هيدرا [2] فتسممت به ، وادخرت من الموت ما يكفى لابادة الطرواديين جميعاً ...

(١) اختلفت المصادر فى انتحار بوليكسينا ، فبعضها يرويه كما أثبتنا ، وبعضها يزعم أنها انتحرت على قبر أخيل — والبعض يروى أن بيروس ابن أخيل ، قد انتزعها من حضن أمها هكيوبا وجعل منها قرباناً على قبر أبيه عقب فتح طروادة

(٢) نشرنا هذه الأسطورة فى الرسالة فى « مجازفات هرقل »

ولكن أين هى هذه السهام اليوم ! وأنى للميلانيين أن يهتدوا اليها ؟ !

جلس القادة يفكرون ...

وذهب العرافون يقلبون صحف الغيب ....

وطفق مشايخ الجند يفتشون فى زوايا أدمغتهم ...

ثم اذكر أوليسيز ، بعد لأى ، أن هذه السهام المنشودة قد تركت مع الجندى القديم فيلوكتتيس [1] الذى غادره الجيش فوق جزيرة لمنوس ، فى طريقه إلى طروادة ... فجر الحملة ... منذ عشر سنوات !

ولقد كان فيلوكتتيس قد أصيب بجرح كبير فى قدمه جعل اصطحاب الحملة له من المحال ، لما كان يلقى أوانئذ من الآلام البرحة ، وما كان يملأ به آذان الجند من الصراخ والأنين ... فاضطر أوليسيز الى تركه فى جزيرة لمنوس ، حيث أوى الجندى المسكين الى كهف منعزل عكف فيه على جرحه يعالجه ... دون جدوى !

واتفق القادة على أن يذهب أوليسيز ، مصطحباً معه بيروس ابن أخيل ؛ ( أونيوبتلموس كما كانوا يسمونه أحياناً ) الى جزيرة لمنوس ليريا هل الجندى الجريح ما زال يحيا هنالك ، وقد بحثا عنه فى أنحاء الجزيرة حتى عثرا به يئن فى كهفه ويتوجع ، ويشكو إلى غير سميع ، فعرضا عليه أن يصحبهما إلى طروادة فأبى . وجعله يشتد فى الأباء تذكره هذا اليوم الأغبر الذى آثروا فيه تركه فوق تلك الجزيرة القاحلة لا أنيس له ولا سمير ، ولا لسان رفه عنه وحشية الألم ووحشة النفى الذى لا يدله فيه ؛ وكبر عليه أن ينطلق مع هذا الجيش الذى جحده وغمطه حق الجهاد فى سبيل الوطن ، والذود عن شرف هيلاس وأسمها المقدس ...

وتركه أوليسيز لبيروس يأخذه بالحيلة والرفق ... ولكن بيروس ما يستطيع قط أن يقنع فيلوكتتيس ... فيكاد يدعه برما متسخطاً .. لولا أن يظهر طيف هرقل فجأة مرفرفاً فى العلو ثم يأمر فيلوكتتيس ، بعد تهويمة هنا وتهويمة هناك ، أن

(١) اعتمدنا فى تلخيص هذا الجزء من ذاك الفصل على درامة سوفوكليس الخالدة Philoctetes ترجمة لويس كامبل طبعة اكسفورد

يتصايح بما يأمره أوليسيز به [1]

ولا يسع الجندى الكريم إلا أن ينطلق مع أوليسيز . . .

فيركب الجميع فى السفينة إلى طروادة ، ويلقاهم العسكر المشتاق بالبشر ، ويهزع اليهم بالابتسام !

أليس فى سهام هذا القادم الأعرج ... النصر كل النصر ؟ !

***

ونفخ فى صور الحرب ، واشتجرت الأسنة ، واستحر القتال ، وتبوأ فيلوكتتيس مقعداً للرماية لا يبصره فيه أحد ؛ فى حين يبصر هو منه كل ما فى الميدان ! وراش سهامه !

وتطايرت المنايا عن قوسه المرنان ! وسعت إلى الطرواديين مصارعهم تهددها سهام هرقل ، وتمهد لها عين فيلوكتتيس !

ومرق سهم منها إلى باريس ! ...

وكان يشرف على المعركة من أسوار إليوم ! ... فوقع يتشحط فى دمه ، وينفس بريقه ، ويصرخ من الألم الذى يسرى فى عروقه مع الدم ... والسم ! !

واجتمع حول باريس أبوه وذووه وعشيرته ... وهيلين !...

وطفق الجميع يبكون فى باريس إخوته ، والذكريات السود التى أقبلت من كل صوب ترف فوقه وترنق على جبينه ...

وأخذ الألم من باريس مأخذه ... وراح المسكين يصرخ ويتلوى ... غير آبه لما تغرقه به هيلين من قبلات دنسة ، ودموع مسمومة ، كانت الويل كل الويل على طروادة والطرواديين

وذكر ، وهو يتجرع غصص العذاب ، أن حبيبته الأولى وزهرة صباه ، ووردة حبه القديم ، أيونونيه ، كانت قد ذكرت له أنها تعرف من خواص الأعشاب المختلفة ما يشفى أقله أشد أوجاع الجروح وأنكاها وصباً ... فأشار إلى بعض أهله ، وطلب إليه أن يذهب إلى سيف البحر علّه يجد إيونونيه ... فاذا لقيها فليخبرها عما انتهى إليه ( حبيبها ! ) باريس ، والآلام التى تعذبه وتشقيه ، من جراء جرح هذا السهم المسموم ... ... بيد أن إيونونيه التاعسة ... إيونونيه المعذبة ... إيونونيه التى أخلصت لباريس الحب حتى عبدته ... ذكرت ما كان من هجر هذا الحبيب وقلاه ؛ وذكرت دموعها التى ذرفتها مرة تحت قدميه ضارعة متوسلة ... وتلك القساوة التى كافأها هو بها لما أن خدعته فينوس ... رأوقعته فى أحبولة هيلين ... ... فرفضت أبية شماء أن تذهب اليه ... ؛ والآلهة وحدها تعلم مقدار ما كانت تكنه له برغم هذا الرفض من الحب النقى ... والصبابة الحزينة ... والهوى المتأجج المشبوب !!!

وقضى باريس ! ! ...

وأعدت النيران الضخمة لتحريقه ، فما هو إلا أن أشعلت من حوله حتى شوهدت إيونونيه الذبولة تخرج من لجة الملبنت وتعدو ، كأن قد أصابها مس ، حتى تكون تلقاء النار .. فتقف باهتة ... وتتنهد طويلا ... وتقذف بجسمها الجميل الرمرى المشوق فى اللهب ... وتصرخ صرخة مشجية ... و ... وتنتهى قصة حبها الباكى ...

وتخط بيدها آخر سطر فى كتاب باريس ...

( البقية فى العدد المقبل ) دريني خشبة

(1) هذه رواية سوفوكليس ويقول هوميروس إن هرقل زار فيلوكتتيس فى النام وألقى اليه هذا الأمر

# البريد الأدبي

## الأدب قبل هوميروس

يقدرون أن هوميروس عميد الشعر اليوناني وصاحب الالياذة الشهيرة قد عاش قبل المسيح بنحو ألف عام؛ والمعروف أن هيرودوت (أو هرشيوش) أبا التاريخ قد عاش في القرن الخامس قبل الميلاد؛ ولكن انتهى الينا نص كامل من الالياذة، وانتهى الينا نص كامل لتاريخ هيرودوت مع أن الأثرين الخالدين وضعا في عصور لم تعرف الكتب، فكيف كانت حال الأدب والتاريخ، وكيف كانت تتناقل الآثار الأدبية في هاتيك العصور؟ كانت الرواية السماعية ولا ريب هي أنجع الوسائل لتوارث التفكير والأدب، وان كانت الآثار والنقوش والكتابات البردية أيضاً من وسائل تدوينها، وهذا ما تناوله العلامة الانكليزي الأستاذ طومسون في كتاب ظهر حديثاً عنوانه «فن الرواية» The art of Logos؛ وكلمة «لوجوس» رومية معناها «مايقال» والأستاذ طومسون حجة الادب اليوناني القديم، وهو يتناول في بحثه العلمي القيم فن الرواية في عصور ما قبل التاريخ وكيف كان هذا الفن يشمل التاريخ والشعر والقصص، وكيف أنها جميعاً تكاد تمتزج بعضها ببعض. ويعني الأستاذ طومسون بوجه خاص بتحليل رواية هيرودوت وما فيها من الحقائق التاريخية الخالدة؛ ثم يعني ببحث الأساطير اليونانية الكبرى وأصولها ومراميها، وأصل الالياذة، والأوذيسة؛ وتأثير الرواية في تطور العقلية الشعبية خلال هذه العصور، كل ذلك بأسلوب علمي محقق، ممتع في وقت معاً

وما يتناوله الأستاذ طومسون في كتابه هو نفس الحالة التي كان عليها الأدب العربي قبل الاسلام، فالشعر الجاهلي الذي ورثه الأدب الاسلامي، ووقائع العرب وأيامها، وما يتخلل ذلك كله من القصص والأساطير، والمنثور والمنظوم، انما انتقل خلال العصور بالرواية والسماع؛ وقد كانت الرواية في الجزيرة العربية بلا ريب أقوى وأنفذ، وكان أثرها بلا ريب أقوى في تكوين الأدب الجاهلي؛ وتقدم الينا كتب الأدب الكبرى مثل الأغاني، والعقد الفريد صوراً بديعة مما كان عليه أدب الرواية في عصور قد ترجع إلى ما قبل الاسلام عدة قرون

## من كنوز البردي المصرية

يذكر القراء تلك الضجة التي قامت منذ أشهر حول تسرب الآثار المصرية القديمة خارج القطر ومنها مجموعات ثمينة من أوراق البردي التي ترجع إلى العصر الروماني؛ وقد ظهرت فداحة الخسارة الأثرية والعلمية التي أصيبت بها مصر من جراء تسرب آثارها على هذا النحو في حادثين: الأول ظهور مجموعة ثمينة من أوراق البردي المصرية في برلين، وهي باقرار الخبراء أثمن مجموعة من نوعها لأنها تحتوي على نصوص عدة كتب كاملة من كتب ماني الفيلسوف الفارسي وصاحب المذهب المشهور؛ والثاني ظهور بعض قطع وشذور من أقدم انجيل معروف، وقد كتب باليونانية على ورق البردي الذي تسرب من مصر أيضاً

وقد اقتنت مكتبة رايلاندس الانكليزية الشهيرة بمنشستر طائفة من هذه الأوراق الثمينة منذ أعوام، وبدأت بنشرها، فأصدرت مجلداً يحتوي على نصوص طائفة من أوراق البردي المصرية منذ العصر اليوناني؛ وأصدرت أخيراً مجلداً جديداً يحتوي على نصوص طائفة من أوراق البردي المصرية منذ العصر الروماني؛ وأهمية هذا الجزء الأخير هي أنه يحتوي على مقتطفات من الانجيل الرابع (انجيل يوحنا) هي أقدم نصوص من نوعها؛ وهي باللغة اليونانية، ولكنها كتبت بمصر في عصر يقدره العلماء والخبراء بالنصف الأول من القرن الثاني للميلاد؛ وقد كان المظنون حتى اليوم أن انجيل يوحنا يرجع إلى عصر متأخر نوعاً، يقدر بأواخر القرن الثاني؛ ولكن ظهور هذه القطع من انجيله، وما اقترنت به من شواهد في الكتابة والحبر والهجاء

تدل على أنها كتبت بمصر فى عصر الأمبراطور هادريان ، مما يحمل العلماء على تغيير نظريتهم ، والرجوع بانجيل يوحنا إلى أوائل القرن الثانى أعنى إلى نحو سنة ١٢٠ ميلادية

أما مجموعة برلين من أوراق البردى المصرية التى تحتوى على كتب مانى الفيلسوف فيجرى بحثها اليوم بمعرفة العلماء الاخصائيين تمهيداً لنشرها والتعريف عنها

وهكذا يتسرب تراثنا الأثرى والعلمى على هذا النحو ، ونحن شهود نرمق هذه الاختلاسات المتوالية باسم العلم والبحث

## مذكرات صحافى شهير

هنرى نفنتون من أشهر الصحافيين الانكليز الذين جابوا أنحاء العالم وشهدوا عظائم الحوادث فى مختلف الأقطار والمناسبات ، وقد عرف خلال حياته الطويلة الحافلة مختلف الشخصيات فى ميادين الحرب والسياسة والأعمال ؛ واتصل بالعظماء والأقوياء وزعماء الثورات ، وتجار الرقيق وبالشعراء والأدباء ، والقتلة واللصوص ؛ وشهد بنفسه كثيراً من الحوادث والانقلابات التى وقعت فى أنحاء العالم منذ أواخر القرن الماضى ؛ ففى سنة ١٨٩٧ شهد الثورة اليونانية فى كريت ضد الترك ، ودرس الفظائع التركية فى البلقان كما درس تجارة الرقيق فى أفريقية وشهد فى سنة ١٩٠٥ مؤتمر الشباب الروسى لالغاء عقوبة الاعدام ، ورأى فلول الجيش الروسى المنهزم أمام اليابان ؛ وعرف تولوستوى وتحدث اليه فى منزله الريفى فذكر له أن ما يراه ليس ثورة وليس انقلابا ، ولكنه يرى خاتمة عهد مضى ؛ وشهد فى سنة ١٩٠٧ جهود آنى بيزانت ودعايتها فى الهند ؛ وتجول فى ميادين الحرب أثناء الحرب الكبرى ، وشهد وقائع الدردنيل ، وانسحاب الانكليز من غاليبولى ؛ ثم شهد بعد ذلك الثورة الأرلندية الوطنية ، ومؤتمرات الصلح ، وشهد احتلال الجنود السود لمناطق الرور فى ألمانيا سنة ١٩٢٣ ، وتجول فى بيت المقدس وبغداد ، وكتب عن دراساته ومشاهداته مقالات ومذكرات لا نهاية لها

وقد أخرج مستر نفنتون أخيراً كتاباً ضخماً ضمنه كل هذه المشاهدات والذكريات بعنوان « نار الحياة » Fire of Life ؛ وكتبه بأسلوب قوى شائق يمتزج فيه صدق المؤرخ وخيال القصصى ، ويمتاز الكتاب بما يطبعه من روح إنسانى قوى ؛ ذلك أن مستر نفنتون رجل يضطرم فؤاده إنسانية ورحمة ، ويجيش ذهنه بأشرف المثل ، فهو يطرى الثورات الوطنية أنى وقعت ، ويحمل على سياسة العنف والغصب أيا كانت ، وينوه بالحقوق حيثما استحقت ، ويندد بكل ما فيه قسوة أو تحامل ، وينصر المثل السلمية والانسانية أيا كان مصدرها ، ويعتبر كتابه سجلا بديعاً لحوادث نصف القرن الماضى

## الاذاعة المدرسية

كان يوم الاثنين الماضى بدء الاذاعة المدرسية التى شرعتها وزارة المعارف فى عهد سعادة وزيرها الحالى ــ لفائدة تلاميذ المدارس . والمشروع جليل يستحق الاحتفال والثناء والشكر لوزير المعارف

وكانت أولى المحاضرات بعد كلمة سعادة وزير المعارف فى مفتتح الاذاعة ، كلمة الأستاذ مهدى علام فى : « عتاب بين الأدب العربى والانجليزى ! » ماذا يوحى هذا العنوان ؟ أما عندنا ، فكنا ننتظر أن نسمع حواراً بديعاً طريفاً بين العربية وأختها ، وما أكثر ما يقتضى العتاب بين اللغتين ! ولكنا . . . ولكنا لم نسمع إلا قطعتين من نماذج العتاب فى الأدبين ، نشرهما المحاضر من محفوظاته ، ثم ربط بينهما بهذا العنوان . . . !

قد يكون اختياره حسناً ، ولكن لغة الكتابة غير لغة الاذاعة ، وهذا مشروع جديد فى وسائل التربية ، فما كان أحوجه إلى الجديد من أقلام أهل التربية . . . !

ثم جاء دور المدارس الابتدائية ، فأرهفنا السمع على شوق وأمل . . . وكانت تلاوة شعرية فى ( عمرية حافظ ) ، وعمرية حافظ لون من الشعر التاريخى ، حبيبة إلى نفوسنا ، يسرنا ورضينا كل الرضى أن يفهمها ويعيها أولادنا ؛ ولكن هل كانت الاذاعة المدرسية من أجل ذاك ؟ فماذا يعمل مدرس المحفوظات . . . ! وهنا أيضاً كما هناك ، كان أدب ولغة ، وخطابة وشعر ؛ ولكن للكتاب لا للمذياع . . . !

واسألوا التلاميذ بعد ذلك ماذا سمعوا مما كانوا يترقبون أن يسمعوا ؟

إن مئات من المدرسين فى الوزارة يحسنون التحدث إلى التلاميذ بأحسن مما سمعوا يوم الاثنين ؛ لا لأنهم خير من الذين

أذاعوا ، أو أفهم لروح الطفل ؛ ولكن لأنهم قد يكونون أقدر على خلع شخصياتهم حين يتحدثون إلى الطفل

ما نريد من هذه الاذاعة أن نجتلى علم فلان وفلان فما نشك فى ذلك ، وإنما نريد أن نعرف كيف يتجاهل العلماء حين يريدون الحديث مع هؤلاء العقول الصغيرة الفارغة ، حتى يعيش الأطفال فى دنياهم على حقيقتها .

إن فى الأدب القديم وفى الأدب الجديد كثيراً مما يروق التلاميذ صغاراً وكباراً أن يسمعوه ، أكثر مما يروقهم أن يقرأوه ، وما نرى التلاميذ يؤثرون أن يسمعوا شيئاً أكثر مما يؤثرون القصص . وفى ثنايا القصص يقال كل شيء ؛ وهذا رأى لا نحسبه غريباً عن المكتب الفني فى وزارة المعارف ، وإن كان غريباً عن هذه الاذاعة المدرسية

وللمعلمين أيضاً إذاعة ، كما للتلاميذ ، وكانت الاذاعة لهم (فى الخاتمة) محاضرة قيمة فى شؤون التربية والتعليم ، ألقاها الأستاذ أمين مرسى قنديل . وليس فى المحاضرة مما ينقد إلا شيئاً واحداً ، هو أن أستاذاً فى التربية يحاضر المعلمين عامة فى القطر ثم لا يصحح نطق الجمل ولا إعراب الكلام .

يا معلمينا الأجلاء . افهموا تلاميذكم قبل أن تحاولوا تفهيمهم ....! معلم

## أشعة الاخفاء

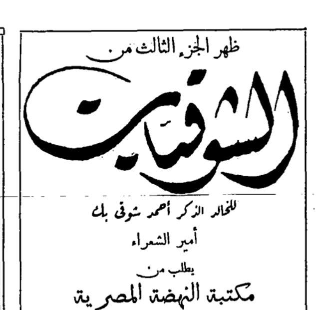
من أنباء بودابست أن كيميائياً مجرياً فتى يدعى ستيفان بريبل أذاع أنه قد اكتشف نوعا جديداً من الأشعة يخفى الأشياء إذا سلط عليها ، وأنه اخترع فى نفس الوقت مادة تحول دون اختفاء الأشياء إذا سلطت عليها هذه الأشعة ؛ وأنها إذا سلطت أخيراً على باب أو جدار أمكن رؤية ما وراءه . وقد أثارت هذه الدعوى فى المجر دهشة واهتماما عظيمين ، ولكن المخترع الشاب لم يجد كالعادة ما يطمح اليه من التشجيع الجدى ؛ ولذلك يمم شطر لندن ليقوم هنالك بعرض اختراعه ؛ وقد صرح الى الصحف الانكليزية بأن الأشعة التى اخترعها إذا سلطت على سيارة اختفت فى الحال عن الأنظار ؛ وأنها إذا سلطت على غرفة تضم عدة أشخاص ، فان أولئك الأشخاص يتوارون عن العيان ولا يبدو منهم سوى أشباح كالظل ؛ وهنالك أشياء عجيبة أخرى يحققها هذا الاختراع المدهش ، فمثلا يمكن استعمال هذه الأشعة فى المسرح وفى السينما ، فتأتى بنتائج عجيبة فى تسهيل المناظر وتغييرها

ومع أن ماهية هذا الاختراع لم تثبت بصفة قاطعة ، فانه يذكرنا بأى حال بما نقرأه فى كتب القصص القديم من طلاسم كانت تستعمل للاختفاء عن الأنظار ، وليس بعيداً بعد الذى نشاهده اليوم من أعاجيب العلم أن يتحقق اختراع الفنى المجرى وغيره من الأمور التى كانت تبدو فيما مضى مستحيلة ، فاذا هى اليوم موضع المحاولة والبحث الجدى

## زينة المرأة الحديثة

هل يسير الجمال النسوى بما تختاره المرأة اليوم لنفسها من صنوف الزينة والتجميل إلى الكمال ؟ أم أن المرأة أسرفت فى الالتجاء إلى الصناعة حتى أصابت من جمالها الطبيعى ؟ يقول الأستاذ أولان دى لو رئيس قسم الفنون الجميلة بأكاديمية روكبل فى محاضرة له عن « أحوال الجمال فى عصرنا » إن المرأة الحديثة تؤذى نفسها وجمالها من حيث لا تريد ، وانها تبدو اليوم شاحبة سقيمة ، وأن الأصباغ والمساحيق المختلفة تجعل من وجهها « قناعاً من الورق المقوى » . أما تجميل الأظافر واحمرارها فما يجعل المرأة الأنيقة تبدو كأنها وصيفة أو طاهية عاطلة

بيد أنه يلاحظ من جهة أخرى أن الحكم المطلق على وسائل التجميل والزينة فيه تحامل على المرأة ؛ فما لا ريب فيه أن المرأة فى حاجة إلى التجميل ، فقد نستطيع مثلا بالقلم الأسود أن نصحح عيباً فى الحاجب ، وليست وسائل التجميل كلها مفرقة أو مضحكة ، والمرأة الفنانة ذات الذوق الحسن تستطيع أن تسبغ على وجهها من حسن الصنعة جمالاً لم تمنحه إياها الطبيعة ، وفى وسعها أن تعتدل فى استعمال الدهان أو التلوين ؛ أما الحكم فيجب أن ينصب على التجميل المفرق وعلى الاسراف فى وسائله ؛ والزينة هى بلا ريب ضرورة للمرأة الحسناء لا تستطيع عنها غنى ، كما أنها لا تستطيع دون إضرار بجمالها وذاتها أن تهمل فى زينة ثوبها أو شعرها أو قبعتها ؛ ولو أن النساء الأنيقات عملن بنصح الأستاذ أولان وتركن ما يلجأن إليه من وسائل الزينة لفقدن كثيراً من اناقتهن وجمالهن




فى يوم الاثنين ٢٧ يناير سنة ٩٣٦ من الساعة ٨ صباحا وما بعدها إذا لزم الحال بجهة شارع جوده نمرة ٤٩ قسم الجمرك .

سيباع علنا ماهو موضح بمحضر الحجز التنفيذى المؤرخ ١٥ مايو سنة ٩٣٥ وهى سرير حديد أسود بوصه وربع وصندوق خشب ودولاب خشب جوزى وأشياء موضحة بالمحضر آنفا ملك الست نظيره حسن شحاته المقيمة بالجهة المذكورة بناء على طلب حضرة صاحب العزة باشكاتب محكمة اسكندرية الأهلية بصفته مديراً لادارة خزانتها القضائية تنفيذاً لقائمة الرسوم فى القضية رقم ٥١١ سنة ٩٢٨ وفاء لمبلغ ١٨ جنيه و ٧٩٥ مليم قيمة المحجوز من أجله والنشر السابق خلاف ما يستجد وأجرة هذا فعلى راغب الشراء الحضور

---

فى يوم الأحد ٢ فبراير سنة ١٩٣٦ الساعة ٨ صباحا بناحية الميانم وبيوم الثلاث ٤ فبراير سنة ١٩٣٦ بسوق المحلة بناء على طلب نجيب أفندى تادرس صراف كفر المرازقه سيباع علنا مواشى وحاصلات مبينة بالمحضر ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٣٥ ملك السيد على النجار من الناحية نفاذا للحكم نمرة ٣٩٩٩ سنة ١٩٣٥ كفر الشيخ فعلى راغب الشراء الحضور



فى يوم ١٠ فبراير سنة ١٩٣٦ من الساعة ٦ صباحا بناحية الحورانى وفى يوم ١٦ منه بسوق فارسكور سيباع علنا بقرة حمراء بقرون علباوى سن ٦ سنوات تقريباً وتتاجها عجلة بقر حمراء وصفراء سنها سنة ونصف تقريباً ملك أحمد محمد أبو حمد من الحورانى والبيع كطلب قلم كتاب محكمة المنصورة الابتدائية الأهلية ونفاذا لقائمة الرسوم فى القضية المدنية نمرة ٢٠٤ سنة ٩٣٢ مستأنف ووفاء لمبلغ ١ ج و ٧٨٠ م ومائة مليم رسم التنفيذ وما يستجد فعلى راغب الشراء الحضور

---

فى يوم ٨ فبراير سنة ٩٣٦ الساعة ٦ صباحا بناحية الشيخ سليمان تبع شملان مركز ابشواى وفى يوم ١٥ فبراير سنة ١٩٣٦ الساعة ٦ صباحا بسوق النزلة سيباع علنا حمارة زرقاء سليمة قوية وحمارة زرقاء سوداء سليمة قوية سن ٧ سنوات ملك صديق وعلى محمد يوسف وجوده احمد يوسف وفاء لمبلغ ٢ ج و ٦٠ م بخلاف ما يستجد من المصاريف نفاذا للقائمة الصادرة من محكمة ابشواى الأهلية بتاريخ ٣ ـ ١١ ـ ١٩٣٥ فى القضية نمرة ١٥٢٨ سنة ١٩٣٥ والبيع كطلب قلم كتاب محكمة ابشواى الأهلية فعلى المشترى الحضور للمزايدة




أذكر فى طلبك اسم (الرسالة) تحصل على تخفيض عظيم وشروط مناسبة

## قسم البلديات ـ قلم التنظيم

تقبل العطاءات بقسم البلديات بوزارة الداخلية حتى ظهر يوم ٢ فبراير سنة ١٩٣٦ عن انشاء أربع مجموعات مباول ومراحيض عمومية اثنين منها ببندر سوهاج والأخرتين ببندر طهطا

وتطلب الشروط والمواصفات من قسم البلديات بوزارة الداخلية مقابل ٥٠٠ مليم وتقدم العطاءات داخل مظاريف مختومة بالجمع الأحمر ومصحوبة بتأمين ابتدائى قدره ٢ ٪ من قيمتها . وكل عطاء يرسل بطريق البريد ويصل متأخراً لا يلتفت اليه

## محكمة تلا الجزئية الأهلية

### اعلان بيع

### فى القضية المدنية نمرة ٣٢٠٣ سنة ١٩٣٣

انه فى يوم الأحد ١٦ نوفمبر سنة ١٩٣٦ الساعة ٨ ونصف افرنكى صباحا بسراى المحكمة سيباع بالمزاد العلنى الأطيان الموضحة بعد المملوكة الى حسن موسى الرحوى المقيم بناحية صفط جدام مركز تلا

### وهذا بيان الأطيان

١١ ط و ١٨ س بزمام الناحية قطعة نمرة ٥٧ بحوض داير الناحية نمرة ١ الحد البحرى أطيان مرسى موسى الرحوى ـ الشرقى أطيان محمد سليم والقبلى أطيان محمد الرحوى والغربى مسقة خصوصية مناصفة بين الأطيان وحسن أبو العينين

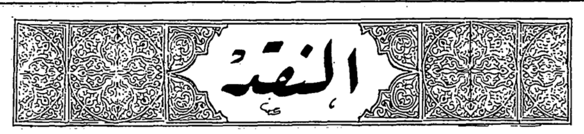
وهذا البيع بناء على طلب حضرة صاحب المعالى وزير الحقانية بصفته نائبا عن نيابة شبين الكوم الكلية الأهلية ومحله المختار قسم القضايا الأهلية بعمارة عدس بشارع عماد الدين وعند الاقتضاء سراى النيابة أو المحكمة الأهلية وبناء على حكم نزع الملكية الصادر بتاريخ ٣ مايو سنة ١٩٣٣ والمسجل بمحكمة شبين الكوم الابتدائية الأهلية بتاريخ ٦ مايو سنة ١٩٣٣ نمرة ٥١٨ صحيفة ـ وهذا البيع وفاء لمبلغ ٢٣ ج و٦٩٦ م والمصاريف بثمن أساسى قدره ١٦ جنيه بعد تنقيص الخمس وشروط البيع مودعة بدوسيه القضية لمن يريد الاطلاع عليها

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان الموضحين أعلاه

كاتب البيوع

فى يوم الأربعاء ٢٩ يناير سنة ١٩٣٦ من الساعة ٨ صباحاً بالاسماعيلية سيباع علنا منقولات منزلية مبينة بمحضر الحجز بتاريخ ١٧ يوليو سنة ١٩٣٥ تعلق حافظ السيد أحمد المقيم بملك الحاج عبد القادر ابراهيم بشارع محمد على سابقا نفاذاً للحكم نمرة ١٢٣٠ سنة ١٩٣٥ الاسماعيلية وفاء لمبلغ ٦٦٦ قرشا صاغ بخلاف رسم النشر وما يستجد والبيع كطلب الحاج عبد القادر ابراهيم التاجر ومقيم بشارع سعد بالاسماعيلية

فعلى راغب الشراء الحضور




رد على نقد

## ٣ - كتاب تاريخ الاسلام السياسي

### للدكتور حسن ابراهيم حسن

مؤلف الكتاب

لاحظ القارئ في مقالينا السابقين مبلغ تلك المآخذ التي أوردها الناقد من الصواب وأنها لا تغني من قيمة كتابنا شيئاً. فأي تجنٍّ وأي ظلم إذا ذهب هذا الأستاذ، بعد أن شغل قراء «الرسالة» بمقالين طويلين يزهو مقسماً بعمره - وليس بهين - أن هذه الأغلاط التي كشفها يذهب بعضها بمحاسن أي كتاب ترد فيه، فكيف بها كلها؟

نترك حضرة الناقد يزهو في غير عجب، ويتملق بلا سبب؛ ونهمس في أذنه بأن إيراد تلك العبارة التي قدم بها كلمته الثالثة تذكرنا بالحكمة العربية «كاد المريب أن يقول خذوني». ثم نكير على بعض تلك العيوب التي لحظها على طريقتنا في الأخذ من المصادر التاريخية لنتبين أن حظه فيها ليس بأحسن من حظه فيما سماه «مآخذ تاريخية وجغرافية». وإذا كان يقول إن سوء حظه أبي عليه أن يقدم الثناء للمؤلف، فهناك من اطلعوا على كتابنا - وهم كثيرون - قد شاء حسن حظنا أن ننال تقديرهم ونُغمر بفضلهم وتشجيعهم. ولا أدل على هذا مما نشر في الصحف والمجلات في مصر والشام والعراق وغيرها، ومن أن الطبعة الأولى من الكتاب كادت أن تنفد؛ ولا يعدم الحق مؤيداً وظهيراً

* * *

يتهمنا حضرة الناقد بأننا حملنا متن الكتاب من الشروح والحواشي حملاً ثقيلاً، وكلفنا نفسنا شططاً وقراءنا مشقة وعنتاً، حيث أننا راعينا الأمانة في النقل، فنسبنا كل قول لقائله، وأسندنا كل رأي الى مرجعه. ويرى حضرته أننا لم نقصد بذلك إلا ابتغاء السمعة، وأن نلقي في روع القارئ أننا في التاريخ واسعو الاطلاع طويلو الباع قدوعينا ما كتبه الأوائل والأواخر!

لندع هذا الكلام الذي ينم عن الغرض من نقده، ونناقشه بكل هدوء في هذه العيوب التي حالت بينه وبين كلمة ثناء يكيلها لنا جزافا

كل من اطلع على كتابنا يدرك لأول وهلة أننا أردنا أن يكون مرجعاً علمياً تاريخياً لمن يريدون التوسع في التاريخ الاسلامي

وليس من المعقول أن كتابا سيقع في ستة مجلدات لا ينقص أحدها عن ستمائة صفحة - قد قصد في وضعه أن يكون في متناول الطلاب الذين لم يتموا الدراسة الثانوية - فاذا أكثرنا من ذكر المصادر، والاحالة من يريد التوسع عليها، فليس الغرض أننا نبغي السمعة عند الناس كما يتهمنا الناقد - سامحه الله - وانما هو انتهاج الطريقة الحديثة، مراعاة للأمانة، وكشفاً للطريق لمن يريد زيادة التحصيل، وتبرؤاً من قول قد لا يتفق ورأينا الشخصي. أما الزعم بأن كتابنا من الكتب المدرسية التي جرى العرف بأن يقتصر فيها من ذكر المراجع في صلب الفصول على الضروري، فزعم لا يتفق ووضع الكتاب وطريقة البحث فيه، ويدرك ذلك من عنده أدنى تأمل؛ وإذا كان حضرة الناقد كلف نفسه بعض المشقة لوجد أننا عمدنا إلى الطريقة الثانية المختصرة في كتابنا «تاريخ العصور الوسطى في الشرق والغرب» للسنة الثانية الثانوية

وليت شعري كيف يحكم حضرة الناقد بأن كثرة المراجع التي اعتمدنا عليها صورية لا حقيقية، وكيف يدعي بأن حرصنا على التكثر والتزيد قد حملنا في كثير من الأحيان على أن ندلل

على ما لا يحتاج إلى دليـل ، وأن تعدد المراجع ولو كانت في مرد أمرها ترجع إلى مصدر واحد ؟ أليس أحق بالغرابة والاشفاق أن يتخذ من إحالتنا القارئ لخطبة أبي بكر على أربعة كتب قديمة اختلفت رواياتها بعض الاختلاف ، سبباً في أننا نُدلل فيما لا يحتاج إلى دليل ؟ إننا لا نشك في أن البحث التاريخي الحديث يوافقنا ، بل يطالب أن نعدد المراجع ما استطعنا ، ولو لم تختلف الروايات من تقديم أو تأخير ، أو إبدال لفظ بلفظ ، فما بالك وتلك المصادر الأربعة قد ذكرت في كل منها الخطبة مختلفة عن زميلاتها بعض الاختلاف ؟ على أننا لم ندر ما هو الضرر الذي يلحق بالكتاب ويصيبه في نظر الناقد من ذكر المصادر ، أربعة أو أكثر أو أقل ، حتى عن خطبة قيمة يعرفها طلاب المدارس وينكرها بعض الأساتذة

ولقد طوح القلم بحضرة الناقد ، ودفعه الحرص على إلصاق العيوب إلى التهجم على كتاب يعتبر أصح الكتب بعد كتاب الله بإجماع المسلمين ، ذلك هو صحيح الامام أبي عبد الله البخاري ؛ وإننا بدورنا نبادر ونطلب من الناقد أن يستغفر من ذنبه ، فان إمام المحدثين البخاري هو الذي روى ذلك الحديث الذي جرى بين أبي سفيان وبين هرقل قيصر الروم في الشام ( راجع باب بدء الوحي في البخاري ) ؛ كما أن هـذا الحديث ، وقد أجمع على صحته المحدثون ، لم يحمل في ثناياه أدلة ضعفه وانتحاله — كما يقول الناقد — وأنه ذو خطر عظيم ؛ فانه يوضح بأجلى بيان كيف كان المشركون وعظماء قريش ينظرون إلى الرسول قبـل إسلامه ، وكيف كانوا يعرفون صدقه وأمانته كما يعرفون آباءهم وأبناءهم . فكيف لا يقدم هـذا الحديث الصحيح في فهم سيرة الرسول ولا يؤخر ؟ وقد كان أيضاً سبباً مباشراً فيما عرضه هرقل على بطارقته من الاسلام لو لا أن جاءوا يحيصة حُمُر الوحش إلى الأبواب ( راجع هذا الباب في البخاري )

أما أننا لم نقصـد إلى مناقشة هذه النصوص التي وردت في شرح البخاري ومقارنة رواياتها المختلفة بعضها عن بعض ، وأننا لم نبين ما اتفقت فيه وما اختلفت من حيث اللفظ والمعنى الخ ، فان هذا ليس بذي خطر ؛ فضلاً عن أنه يخرج بنا عن المقام . وما لا يدرك كله لا يترك كله

ولعل من الغرابة أن يجعل الناقد من أسباب الخطر على مقدرتنا في نقد المراجع وتنوعها أننا وافقنا على نسبة كتاب « فتوح الشام » للواقدي ، وأننا استعنا به في الفصل الذي عقدناه لفتح العرب الشام ، ثم انبرينا لمناقشته ومجادلته ، وأننا كذلك اعتمدنا في عدة مواضع على كتاب « الامامة والسياسة » المنسوب لابن قتيبة . ويقول الناقد إن الكتاب ليس للواقدي ، وإن كل شيء في الكتاب الثاني يدل على أنه ليس لابن قتيبة ، وإنما هو لكاتب أندلسي

أما إن نسـبة هذين الكتابين لهذين المؤرخين أو غيرهما فلا يقدم ولا يؤخر في الموضوع ، فالكتابان — على كل حال — يوضحان الحياة العامة السياسـية في العصور التي تناولناها في كتابنا . وقد تضافرت المصادر الأخرى على صحة القدر الغالب مما ورد فيهما . على أن مجرد إنكار نسبة الكتابين للواقدي وابن قتيبة لا يكفي ، بل يدعو إلى الابتسام ، اللهم إلا إذا اعتمد المنكر على غير « غالب الظن » ، و « الاعتماد على بعض ما كتبه الافرنج » ، مما لا يعتد به المنطق التاريخي ولا يدعمه دليل مبين . وإذا كان الظن في كل المسائل لا يغني من الحق شيئاً ، ففي المسائل التاريخية خصوصاً يكون أبعـد من الحق منالا وأدنى للباطل مجالا

( يتبع ) حسن ابراهيم حسن




١ — الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير :

لابن الساعي

٢ — الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة :

لابن الفوطي

للأستاذ محمد بك كرد علي

— ١ —

كتبت في مجلة المقتبس ( م ٣ ص ٩٣ — ١٣٢٦ — ١٩٠٨ ) مبحثاً لفت فيه أنظار المشتغلين بالتاريخ إلى جزء من « الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير » لابن الساعي البغدادي ( ٦٧٤ ) كان عثر عليه العلامة أحمد تيمور باشا في دشت وضمه إلى خزائنه رحمه الله . واليوم نشر الأستاذ مصطفى جواد بمعونة الأب انستاس ماري الكرملي هذا الجزء بعينه وهو التاسع من كتاب طويل . وللمؤلف أكثر من ثلاثين تأليفاً منها ما يدخل في بضعة مجلدات ، وأكثرها في التاريخ والتراجم ، ساعده على الاستكثار من التأليف كونه كان خازن كتب المدرسة المستنصرية ببغداد ، إلى ما خص به من الدؤوب وثقوب الذهن ووفرة العلم . ولابن الساعي وهو علي بن أنجب كتاب صغير طبع في المطبعة الأميرية بمصر سنة ١٣٠٩ وهو مختصر أخبار الخلفاء ، يبدأ بظهور الدولة العباسية وينتهي بانقضائها

وفي هذا الجزء التاسع من الجامع المختصر حوادث سنة ٥٩٥ إلى ٦٠٦ هـ يذكرها مجملة ثم يترحم لمن ماتوا في تلك السنة من الأعلام ، وفيه كثير من الفوائد التاريخية . ومعلوم عند الباحثين أن هذا العصر أحط عصور بني العباس ، ولا ندري كيف يثبت ناشر الكتاب أن « العصر الذي تناول حوادثه هذا التاريخ من أزهر عصور بني العباس وأعظمها قوة ونظاماً » ، وعصر الناصر على غلو المؤرخين من الشيعة فيه — لأنه تشيع — كان في الواقع عصر تراجع سلطان العباسيين ، فاكتفوا ممن سلبوهم حكم بلادهم بالسكة والخطبة ، وما كان يخطر ببالهم أن يتكرموا به على الخليفة من إتاوة ، والخلفاء يكيلون لكل متغلب ما شاء الله من الألقاب ويطلقون على أحد العلماء (ص ٢٣٤) : « الأجل السيد الأوحد العالم ضياء الدين شمس الإسلام رضي الدولة عز الشريعة علم الهدى رئيس الفريقين تاج العلماء . . . . » ويكتبون عن أنفسهم : « المواقف الشريفة المقدسة النبوية الأمامية الطاهرة الزكية المعظمة المكرمة المجدة الناصرة لدين الله تعالى . . . . »

وفي الكتاب تراجم بعض المشاهير في تلك الحقبة وعهود وتقاليد صدرت عن خليفة الوقت بأقلام المنشئين في ديوانه . وقد وقعت للناشر هفوات لغوية وتحريف بعض آيات الكتاب العزيز منها (ص ١٩٦) (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك الظالمون) وصحة الآية (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) . وغلط (ص٨٧) بأن حرف الآية هكذا (الذين كفروا بعضهم أولياء لبعض) وصحة الآية الكريمة (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) إلى غير ذلك

— ٢ —

طبع الجامع المختصر في بغداد وقبله طبع فيها كتاب الحوادث الجامعة لابن الفوطي ( بالفاء ) البغدادي المتوفى سنة ٧٢٣ بدأه بحوادث سنة ٦٢٦ وانتهى بأخبار سنة ٧٠٠ . وللمؤلف يد طولى في التاريخ ووقوف تام على سياسة عصره ، أورد في تاريخه الممتع من الحوادث ما كملت به سلسلة التاريخ في العراق على عهد الانحطاط العباسي . ومن أهم فصول الكتاب وصف المؤلف فاجعة هولاكو التتري سنة ٦٥٦ وقضائه على الخليفة المستعصم وعلى جميع آل العباس مع ذراريهم وحرمهم وتخريبه بغداد ووضعه السيف في أهلها . وقد قدر القتلى منهم بأكثر من ثمانمائة ألف في مدينة بغداد فقط « عدا من ألقى من الأطفال في الوحول ، أو من هلك في القني والآبار وسراديب الموتى جوعاً وخوفاً » « وأحرق معظم البلد وجامع الخليفة وما يجاوره واستولى الخراب على البلد » وصف ذلك وصفاً ممتعاً لا إفراط فيه ولا تفريط

وقد ساعد المؤلف على هذا التوسع والتبسط فى الحوادث التى عرض لها أنه كان كأستاذه ابن الساعى أيضاً خازن كتب المدرسة المستنصرية . وذكر فى حوادث سنة ٦٣١ ترجمة محمد بن يحيى بن فضلان ، وفتح المدرسة المستنصرية ، وابن فضلان هذا كان من العلماء درس فى النظامية والمستنصرية « وولى النظر بديوان الجوالى — أى جزية أهل الذمة . حكى عنه أنه كتب للخليفة الناصر لدين الله لما كان يتولى ديوان الجوالى رقعة طويلة يقول فيها إن أجرة سكنى أهل الذمة فى دار السلام والارتفاق بمرافقها لا يتقدر فى الشرع بمقدار معين ، فى طرف الزيادة ، ويتقدر فى طرف النقصان بدينار ؛ وطلب الى الخليفة أن يتضاعف على كل شخص منهم ما يؤخذ منه . وقال إنهم ضروب وأقسام ، منهم من هو فى خدمة الديوان وله المعيشة السنية غير بركة يده الممتدة الى أموال السلطان والرعية من الرُّشا والبراطيل ؛ ولعل الواحد منهم ينفق فى يومه القدر المأخوذ منه فى السنة ؛ هذا مع ما لهم من الحرية الزائدة والجاه القاطع والترقى على رقاب خواص المسلمين ... ثم ليس لهم فى بلد من الحرمة والجاه والمكانة ما لهم فى مدينة السلام ، فلو تضاعف المأخوذ منهم مهما تضاعف كان لهم الربح الكثير ؛ ومنهم الأطباء أصحاب المكاسب الجزيلة بترددهم إلى منازل الأعيان وأرباب الأموال ودخولهم على المتوجهين فى الدولة ؛ والناس يتحملون فيما يعطون الطبيب زائداً على القدر المستحق ، وهو أمر من قبل المروءات ، فلا ينفكون عن الخلع السنية والدنانير الكثيرة ، والطرف فى المواسم والفصـــول ، مع ما يخطئون فى المعالجات ويفسدون الأمزجة والأبدان ، ويخرج الصبى منهم ولم يقرأ غير عشر مسائل حنين ، وخمس قوائم من تذكرة الكحالين ، وقد تقمص ولبس العمامة الكبيرة ، وجلس فى مقاعد الأسواق والشوارع على دكة حتى يعرف ، وبيده المكحلة واللحدان ، يؤذى هذا فى بدنه ، ويجرب على ذا فى عينه ؛ فيفتك من أول النهار إلى آخره ، ويمضى آخر النهار إلى منزله ومكحلته مملوءة قراضة ، فاذا عرف بقعوده على الدكة وصار له الزبون قام بدور ، ويدخل الدور . ثم ذكر أصناف الحرف التى كان يحترفها أهل الذمة فى ذاك العهد ويغشون فيها . وهذه الرقعة أو التقرير على ما يلمح فيه من التعصب يحمل حقائق من وصف المجتمع البغدادى فى القرن السابع . وهذا التاريخ مجموعة حوادث وأفكار مهمة جداً . وقد قدم له العلامة رضا الشبيبى من علماء العراق مقدمة ذكر فوائده ، ونظر فيه وعلق عليه الأستاذ مصطفى جواد

محمد كرد على

# رسالة العلم

## صحيفة علمية ، تصدرها جمعية خريجى كلية العلوم

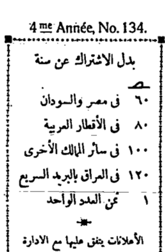
تستقبل ( رسالة العلم ) عامها الثالث بالعدد الخامس الذى صدر فى هذا الشهر محرراً بأقلام قوية من خريجى كلية العلوم ؛ ومَن للعلم يؤدى رسالته غير كلية العلوم ؟

ونحن إذ نهنئ رسالة العلم بعامها الثالث ، لا يسعنا إلا التنويه بمجهودها الموفق فى نشر الثقافة العلمية الخالصة باللغة العربية وعما أجدت على العلم وعلى اللغة ، فزادت فى محصول الأول وأضافت إلى تراث الثانية ما عرَّبت من مصطلحات العلم ، وما استحدثت من ألفاظه

وإن من يعرف أين كانت لغة العلم من لغة الأدب منذ قريب حتى أوشك العلم أن يصير احتكاراً لطائفة من دون سائر المتعلمين ، ثم يعرف المحاولات الجدية التى حاولتها هذه الصحيفة للتوفيق بين لغة العلم وهذه اللغة — ليشكر لجمعية خريجى كلية العلوم وللقائمين على صحيفتها هذه المحاولات وهذا الجهد المشكور . وإن ( الرسالة ) التى تفخر بحرصها على العربية والحفاظ لمهدها ليسرها أن تباهى بهذا الجهد وتدعو له وللقائمين عليه بالتوفيق ؟

4 me Année, No. 134.

Lundi-27-1-1936







ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٣٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ ذو القعدة سنة ١٣٥٤ — ٢٧ ينـاير سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــدد



# ملك وشـــاعر

حل أصدق المواعيد فى يومين متعاقبين بالملك جورج الخامس، وبالشاعر رديارد كبلنج، فارفضّ لخطبهما الصبر الانجليزى الذى يتماسك بطبعه على مض النوازل، وتجاوبت بأصداء الأسى الوقور أقطارُ المُلْكِ البريطانى الشامل، وشعر القلب الامبراطورى برجفة صماء لموت الملك، وأحس اللسان الاستعمارى بعقدة بكماء لموت الشاعر؛ ذلك لأن صاحب الجلالة كان يمثل شعبه فى نبله وديمقراطيته، وصاحب العبقرية كان يمثله فى طموحه ووطنيته؛ فأولهما كان رمز السمو الخلقى فى طبع السياسة، وثانيهما كان لحنَ الغرور القومى فى معنى الأدب!

* * *

كان الملك جورج معنى جديداً من معانى الملكية الجديدة؛ وفق بين غطرفة الملك وتواضع الديمقراطية، وألف بين قيود الحكم ونوازع الحرية، وصالح بين حِفاظ التقاليد وطبيعة التطور، ولاءم بين إرادة العاهل وسلطة الدستور، ووائم بين سياسة الدولة ورغبة الأمة، واستبدل بالسلطة الزمنية التى أماتها

فيه الزمان ، وورثها عنه البرلمان ، سلطةً روحية أحلته من شعبه محل القَداسة ، ورفعته في أفقه مكان العَلَم ، وجعلته في حكمه سلامَ الحزبية إذا احتدمت ، وقرار السياسة إذا اضطربت ، وصلة الامبراطورية إذا تقاطعت ، ومواساة المرضى من بَرْح الألم ، وتعزية البؤس[1] من مس الحاجة ؛ ثم تكرم عن أثرة الملوك وتميُّز السادة ، فكان في الحرب يأكل ما يأكل الناس ، وفي الأزمة ينفق ما ينفق الأوساط ، وفي المحنة يكابد ما يكابد الشعب ، وفي الرخاء يكاد الاحسان العام لا يترك في يديه من مخصصاته النصف مليون إلا قرابةَ الألفين

كانت ملكية الملك جورج كما رأيت لفظاً معناه الحب والخير والواجب ؛ ومن هنا وجدت الأحزاب على اختلافها مضامينها فيه ؛ فهي تثور فيما بينها وتسكن إليه ، وتختلف في رأيها وتتفق عليه ، وتفترق في طرقها وتلتقي عنده ، حتى قال زعيم من زعماء الأحرار هو مستر اسكويث : « إن العروش تتهاوى حولنا ، لأن بعضها قائم على أساس من الظلم ، وبعضها مرفوع على غثاء من التقاليد ، ولكن عرش هذه البلاد محمول على مشيئة الشعب البريطاني ، فهو مستقر لا يتزعزع ، راسخ لا يميد » ، وحتى قال زعيم من زعماء العمال هو مستر استافورد : « إن الملكية الدستورية ستظل طويلا في هذه الأمة خير أداة لاختيار رأس الدولة »

من أجل ذلك الخلق الأقوم كان حزن الإنكليز على مليكهم خالصا من الرياء الرسمي ، صادرا عن الشعور الصادق بالحب لرجل غلّب الأبوة على المُلك ، واستغنى بالطيبة عن البراعة ، وسد بكمال الخلق نقص القدرة

***

وكان الشاعر كبلنج مفتونا بعظمة الإمبراطورية ؛ صاغ من نسيجها النضار شعره ، وألّف من لجبها المتناسق أغاريده ؛ ثم شدا بالمجد الطوّاف على أثباج الماء ، وهتف بالنصر الرفاف على وجوه الأرض ، وجعل من شعره الجواب نشيدا قوميا تردده الآفاق البريطانية كما تردد نشيد الملك !

ولد كبلنج في بلاد قال فيها : « إنها أعجب بلاد خضعت للمخلوق وفُتحت للخالق » : ولد في الهند ببمباي كما يولد الهنود ، ولكنه وعى فوجد نفسه سيدا ، ووجد الهندي الذي ولد معه عبدا ، يعيش على كده وهو ناعم بين وِشْكِه وحسانه ، ويرقى على ظهره إذا همَّ بركوب حِصانه ! الخلفة هي الخالقة ، والبيئة هي البيئة ، والطبقة هي الطبقة ، ولكن كبلنج رأى بشرته ودمه من لون العلم الخفاق ، ورأى بشرة الهندي ودمه من لون الأرض المستَغَلة ، فأدرك علة الامتياز وسر التفوق : عرف أن البريطاني بحكم الجنس قد يدعى ذكيا وهو فَدْم ، وكيّسا وهو أخرق ، وكافيا وهو عاجز ، وسابقا وهو متخلف ، فاستهام بهذه القوة التي تشع مع الشمس في كل أفق ، وتنتشر مع الحياة في كل قطر ، وتنبسط على حواشي البر والبحر أمناً وحماية ، فحبس على إعلان مفاخرها لسانه ، ووقف على تسويغ عدوانها عقله ؛ فموه حجج الاستعمار بالشعر ، وألهب سُعار العصبية بالحماسة ، وشوه جمال الوطنية بالأثرة ، وجعل الأدب وهو شعاع الروح دليلا لبغى القوى ولؤمه ، ومهد لأساطيل الطغيان ، استعباد الانسان للانسان ، بحجة « أن الشرق شرق والغرب غرب فلا يلتقيان » إلا على شر ، ولا يفترقان إلا على ثأر !

من أجل ذلك الاخلاص اللهَم كان مرض كبلنج تحت الرعاية الملكية ، وكانت جنازة كبلنج جنازة « شبه رسمية » !

***

إن في مثل سياسة الملك جورج لأماناً من طغيان الرءوس وثوران النفوس ، وقيام الدعوات الباطلة ، وشيوع المذاهب الجريئة ، وانقلاب الحكم في الدولة ، واضطراب السلم في الأمة ، واغبرار العيش في أوجه العامة . و إن في مثل أدب الشاعر كبلنج لروحاً مزهوّة تمتلج بالشعور الوطني ، وتختلج بالغرور القومي ، وتدفع بالهمم الوانية إلى اللحاق ، وتنزع بالنفوس الضارعة عن الذلة ، وتكشف للقلوب المنخوبة عن معاني الرجولة !

إن في كل حادث ذكرى ؛ وإن في كل حديث بلاغا !

**احمد حسن الزيات**

(١) البؤس : جمع بائس

# ٤ - المشكلة

## تتمة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

صاحبُ هذه المشكلة رجلٌ أعورُ العقل .... يرى عقلُه من ناحية واحدة ، فقد غاب عنه نصفُ الوجود في مشكلته ؛ ولو أن عقله أبصر من الناحيتين لما رأى المشكلة خالصةً في إشكالها ، ولوجد في ناحيتها الأخرى حظًّا لنفسه قد أصابه ، ومذهباً في السلامة لم يخطئه ؛ وكان في هذه الناحية عذابُ الجنون لو عذبه الله به ، وكان يصبح أشقى الخلق لو رماه الله في الجهة التي أنقذه منها ، فتهيأت له المشكلة على وجهها الثاني

ماذا أنت قائلٌ يا صاحب المشكلة لو أن زوجتك هذه المسكينة المظلومة التي بنيتَ بها ، كانت هي التي أُكرهت على الرضى بك ، وحُملت على ذلك من أبيها ، ثم كنت أنت لها عاشقاً ، وبها صبًّا ، وفيها مُتَدلهاً ؛ ثم كانت هي تحب رجلا غيرك ، وتصبو اليه ، وتفتتن به ، وقد احترقت عشقاً له ؛ فاذا جَلَوها عليك رأتك البغيضَ المَقيت ، ورأتك الدميمَ الكريه ، وفزعت منك فزعها من اللص والقاتل ؛ وتمدُّ لها يدك فتتحاماها تحاميها المجذوم أو الأبرص ، وتكلمها فتُحجَمُ رداً من ثقل كلامك ، وتفتح لها ذراعيك فتحسبهما حبلين من مشنقتين ، وتتحبَّب اليها فاذا أنت أسمجُ خلق الله عندها ، إذ تحاول في نذالة أن تحل منها محل حبيبها ، وتُقبل عليها بوجهك فتراه من تقذُّرها إياك واشمئزازها منك وجه الذبابة مكبراً بفظاعة وشناعة في قدر صورة وجه الرجل ليتجاوز حدَّ القبح إلى حدِّ الفثاثة ، إلى حد انقلاب النفس من رؤيته ، إلى حد القيء إذا دنا وجهك من وجهها .... ؟ !

ماذا أنت قائلٌ يا صاحب المشكلة لو أن مشكلتك هذه جاءت من أن بينك وبين زوجتك الرجلَ الثاني لا المرأة الثانية ؟ ألست الآن في رحمة من الله بك ، وفي نعمة كُفيت عنك مصيبة ، وفي موقف بين الرحمة والنعمة يقتضيك أن ترقب في حكمك على هذه الزوجة المسكينة حكمَ الله عليك ؟

* * *

تقول : الحب والخيال والفن ، وتذهب في مذاهبها ؛ غير أن « المشكلة » قد دلت على أنك بعيدٌ من فهم هذه الحقائق ، ولو أنت فهمتها لما كانت لك مشكلة ولا حسبت نفسك منحوس الحظ محروماً ، ولا جهلت أن في داخل العين من كل ذي فنٍّ عيناً خاصةً بالأحلام كيلا تعمى عينُه عن الحقائق

الحب لفظ وهميٌّ موضوع على أضداد مختلفة : على بركان وروضة ، وعلى سماء وأرض ، وعلى بكاء وضحك ، وعلى هموم كثيرة كلها هموم ، وعلى أفراح قليلة ليست كلها أفراحاً ؛ وهو خداعٌ من النفس يضع كل ذكائه في المحبوب ، ويجعل كل بلاهته في المحب ، فلا يكون المحبوب عند محبه إلا شخصاً خيالياً ذا صفة واحدة هي الكمال المطلق ، فكأنه فوق البشرية في وجود تام الجمال ولا عيب فيه ، والناس من بعده موجودون في العيوب والمحاسن

وذلك وهم لا تقوم عليه الحياة ولا تصلح به ، فانما تقوم الحياة على الروح العملية التي تضع في كل شيء معناه الصحيح الثابت . فالحب على هذا شيء غير الزواج ، وبينهما مثل ما بين الاضطراب والنظام ؛ ويجب أن يُفهم هذا الحبُّ على النحو الذي يجعله حباً لا غير ، فقد يكون أقوى حب بين اثنين إذا تحابا هو أسخف زواج بينهما إذا تزوجا

وذو الفن لا يفيد من هذا الحب فائدتَه الصحيحةَ إلا إذا جعله تحت عقله لا فوق عقله فيكون في حبه عاقلاً يجنون لطيف ... ويترك العاطفة تدخل في التفكير وتضع فيه جمالها وثورتها وقوتها ؛ ومن ثم يرى مجاهَدةَ اللذة في الحب هي أسمى لذاته الفكرية ، ويعرف بها في نفسه ضرباً إلهياً من السكينة يوليه القدرةَ على أن يقهر الطبيعةَ الانسانية ويصرِّفها ويُبدعَ منها عمَله الفنيَّ العجيب

وهذا الضربُ من السموِّ لا يبلغه إلا الفكرُ القويُّ الذي فاز على شهواته وكبَحها وتحملها تغلي فيه غليانَ الماء في المِرْجل ليخرج منها ألطف ما فيها ويحوِّلها حركة في الروح تنشأ منها حياةُ هذه المعاني الفنية ؛ وما أشبه ذا الفن بالشجرة الحية ، إن

لم تنضبط ما في داخلها أصح الضبط لم يكن في ظاهرها إلا أضعف عملها

ومثل هذا الفكر العاشق يحتاج إلى الزوجة حاجته إلى الحبيبة ، وهو في قوته يجمع بين كرامة هذه وقدسية هذه لأن إحداهما توازن الأخرى ، وتمد لها في الطبع ، وتخفف من طغيانها على الغريزة ، وتمسك القلب أن يتبدد في جوه الخيالي

***

والرجل الكامل الفكر المتخيل إذا كان زوجاً وعشق ، أو كان عاشقاً وتزوج بغير من يهواها استطاع أن يبتدع لنفسه فناً جيلاً من مسرات الفكر لا يجده العاشق ولا يناله المتزوج ، وإنه ليرى زوجته من الحبيبة كالتمثال جمد على هيئة واحدة ، غير أنه لا يغفل أن هذا هو سر من أسرار الابداع في التمثال إذ تلك هيئة استقرار الأسمى في سموه ؛ فان الزوجة أمومة على قاعدتها وحياة على قاعدتها ؛ أما الحبيبة فلا قاعدة لها ، وهي معان شاردة لا تستقر وزائلة لا تثبت ، وفنها كله في أن تبقى حيث هي كما هي ، فجالها يحيا كل يوم حياة جديدة ما دامت فناً محضاً وما دام سر أنوثتها في حجابه

ومتى تزوج الرجل بمن يحبها انهتك له حجاب أنوثتها فبطل أن يكون فيها سر ، وعادت له غير من كانت ، وعاد لها غير من كان ؛ وهذا التحول في كل منهما هو زوال كل منهما من خيال صاحبه ؛ فليس يصلح الحب أساساً للسعادة في الزواج ، بل أحذر به إذا كان وجداً واحتراقاً أن يكون أساساً للشؤم فيه ، إذ كان قد وضع بين الزوجين حداً يعين لها درجة من درجة في الشغف والصبابة والخيال ، وهما بعد الزواج متراجعان وراء هذا الحد ما من ذلك بد ، فان لم يكن الزوج في هذه الحالة رجلاً تام الرجولة — أفسدت الحياة عليه وعلى زوجته صبيانية روحه فالتمس في الزوجة ما لم يعد فيها ، فاذا انكشف له فراغها ذهب يلتمسه في غيرها وكان بلاء عليها وعلى نفسه وعلى أولاده قبل أن يولدوا ، إذ يضع أمام هذه المرأة أسوأ الأمثلة لأبي أولادها ويفسد إحساسها فيفسد تكوينها النفسي ؛ وما المرأة إلا حسها وشعورها [1]

***

فالشأن في تمام الرجولة وقوتها وشهامتها وخلولها إن كان الرجل عاشقاً أولم يكنه . وما من رجل قوي الرجولة إلا وأساسه ديانته وكرامته ؛ وما من ذي دين أو كرامة يقع في مثل هذه المشكلة ثم تظلم به الزوجة أو يحيف عليها أو يفسد ما بينه وبينها من الداخلة وحسن العشرة ، بله أن يراها كما يقول صاحب المشكلة (مصيبة) فيجافيها ويبالغ في إعناتها ويشفي غيظه بإذلالها واحتقارها

وأي ذي دين يأمن على دينه أن يهلك في بعض ذلك فضلا عن كل ذلك ؟ وأي ذي كرامة يرضى لكرامته أن تنقلب خسة ودناءة ونذالة في معاملة امرأة هو لا غيره ذنبها ؟ إن أساس الدين والكرامة ألا يخرج إنسان عن قاعدة الفضيلة الاجتماعية في حل مشكلته إن تورط في مشكلة ؛ فمن كان فقيراً لا يسرق بحجة أنه فقير ، بل يكد ويعمل ويصبر على ما يعانيه من ذلك ؛ ومن كان محباً لا يسترذل المرأة فيسقطها بحجة أنه عاشق ؛ ومن كان كصاحب المشكلة لا يظلم امرأته فيمقتها بحجة أنه يعشق غيرها ؛ وإنما الانسان من أظهر في كل ذلك ونحو ذلك أثره الانساني لا أثره الوحشي ، واعتبر أموره الخاصة بقاعدة الجماعة لا بقاعدة الفرد . وإنما الدين في السمو على أهواء النفس ؛ ولا يتسامى امرؤ على نفسه وأهواء نفسه إلا بانزالها على حكم القاعدة العامة ، فمن هناك يتسامى ، ومن هناك يبدو علوه فيما يبلغ إليه .... ...

وإذا حل اللص مشكلته على قاعدته هو فقد حلها ، ولكنه حل يجعله هو بجملته مشكلة للناس جميعاً حتى ليرى الشرع في نظرته إلى إنسانية هذا اللص أنه غير حقيق باليد العاملة التي خلقت له فيأمر بقطعها .

وعلى هذه القاعدة فالجنس البشري كله ينزل منزلة الأب في مناصرته لزوجة صاحب المشكلة والاستظهار لها والدفاع عنها ما دام قد وقع عليها الظلم من صاحبها ، وهذا هو حكمها في الضمير الانساني الأكبر وإن خالف ضمير زوجها العدو الثائر الذي قطعها من مصادر نفسه ومواردها . أما حكم الحبيبة في هذا الضمير الانساني فهو أنها في هذا الموضع ليست

(١) هذا كله من بعض الحكمة في أن الاسلام لا يبيح اختلاط الزوجين قبل العقد إذ لا يعرف الدين الاسلامي من الزوجين إلا أسرة يجب أن تبقى بما يبنيها ، وتصان بما يصونها ، وقد أشرنا إلى حكمة أخرى في المقالة الأولى من المشكلة

حبيبة ولكنها شحّاذة رجال ... ... ...

* * *

لسنا ننكر أن صاحب هذه المشكلة يتألم منها ويتلذع بها من الوقدة التي في قلبه ؛ بيد أننا نعرف أن ألم العاقل غير ألم المجنون وحزن الحكيم غير حزن الطائش ؛ والقلب الانساني يكاد يكون آلةً مخلوقةً مع الانسان لاصلاح دنياه أو إفسادها ، فالحكيم من عرف كيف يتصرف بهذا القلب في آلامه وأوجاعه ، فلا يصنع من ألمه ألماً جديداً يزيده فيه ، ولا يُخرج من الشر شراً آخر يجعله أسوأ مما كان . وإذا لم يجد الحكيم ما يشتهي أو أصاب مالا يشتهي استطاع أن يخلق من قلبه خلقاً معنوياً يُوجدُه الغنى عن ذلك المحبوب المعدوم ، أو يوجده الصبر عن هذا الوجود المكروه ، فتتوازن الأحوال في نفسه وتعتدل المعاني على فكره وقلبه . وبهذا الخلق المعنوي يستطيع ذو الفن أن يجعل آلامه كلها بدائع فن [1] وما هو فكر الحكماء إلا أن يكون مصنعاً ترسل اليه المعاني بصورة فيها الفوضى والنقصُ والألمُ ، لتخرج منه في صورة فيها النظام والحكمة واللذة الروحية

يعشق الرجلُ العامي المتزوج ، فاذا الساعة التي أوبقَتْه في المشكلة قد جاءته معها بطريقة حلها ؛ فاما ضرَب امرأته بالطلاق ، وإما أهلكها باتخاذ الضرة عليها ، وإما عذبها بالخيانة والفجور ، لأن بعض العبث من الطبيعة في نفس هذا الجاهل هو بعينه عبثُ الطبيعة بهذا الجاهل في غيره ، كأن هذه الطبيعة تطلق مدافعَها الضخمة على الانسانية من هذه النفوس الفارغة . . .

وليس أسهل على الذكر من الحيوان أن يحل مشكلة الأنثى حلاً حيوانياً كحل هذا العامي ، فهو ظافر بالأنثى أومقتول دونها مادام مطلقاً مخلّى بينه وبينها . والحقيقة هنا حقيقته هو والكون كله ليس إلا منفعة شهوانية ؛ وأسمى فضائله ألا يعجز عن نيل هذه المنفعة

ثم يعشق الرجل الحكيم المتزوج فاذا لمشكلته وجهٌ آخر ، إذ كان من أصعب الصعب وجود رجل يحل هذه المشكلة برجولة ، فان فيها كرامة الزوجة وواجب الدين وفيها حق المروءة ، وفيها مع ذلك عبثُ الطبيعة وخداعها وهزلها الذي هو أشدُّ الجِد بينها وبين الغريزة . وبهذا كله تنقلب المشكلةُ الى معركة نفسية لا يحسمها إلا الظفر ولا يعين عليها إلا الصبر ، ولا يفلح في سياستها إلا محملُ آلامها ، فاذا رُزق العاشق صبراً وقوة على الاحتمال فقد هان الباقي ؛ وتيسرت لذةُ الظفر الحاسم ، وإن لم يكن هو الظفر بالحبيبة ، فان في نفس الانسان مواقع مختلفة وآثاراً متباينة للذة الواحدة ، وموقع أرفع من موقع ، وأثرٌ أبهج من أثر ؛ وألذُّ من الظفر بالحبيبة نفسها عند الرجل الحكيم الظفر بمعانيها ، وأكرم منها على نفسه كرامة نفسه . وإذا انتصر الدين والفضيلة والكرامة والعقل والفن ، لم يبق لخيبة الحب كبيرُ معنى ولا عظيم أثر ، ويتوغّل العاشقُ في حبه وقد لبسَتْه حالة أخرى كما يكظم الرجلُ الحليم على الغيظ ، فذلك يحب ولا يطيش ، وهذا يغتاظ ولا يغضب . والبطل الشديدُ البأس لا ينبغ إلا من الشدائد القوية ، والداهية الأريب لا يخرج إلا من المشكلات المعقدة ، والتقيّ الفاضل لا يعرف إلا بين الأهواء المستحكمة . ولعمري إذا لم يستطع الحكيم أن ينتصر على شهوة من شهوات نفسه أو يُبطل حاجةً من حاجاتها فماذا فيه من الحكمة وماذا فيه من النفس ؟

* * *

وما عقّد ( المشكلة ) على صاحبها بين زوجته وحبيبته إلا أنه بخياله الفاسد قد أفسد القوةَ الصالحةَ فيه ، فهو لم يتزوج امرأته كلها ... وكأنه لا يراها أنثى كالنساء ، ولا يبصر عندها إلا فروقاً بين امرأتين : محبوبة ومكروهة ، وبهذا أفسد عينَه كما أفسد خياله ؛ فلو تعلم كيف يراها لرآها ، ولو تعوّدها لأحبها إنه من وهمه كالجواد الذي يشعر بالمقادة في عنقه ؛ فشعوره بمعنى الحبل وإن كان معنى ضئيلا عطّل فيه كل معاني قوته ، وإن كانت معانيَ كثيرة . وما أقدرَك أيها الحب على وضع حبال الخيل والبغال والحمير في أعناق الناس . ! .

* * *

وقد بقي أن نذكر توفية للفائدة أنه قد يقع في مثل هذه المشكلة من نقصت فحولتُه من الرجال فيدلس على نفسه بمثل هذا الحب ويبالغ فيه ويتجرّم على زوجته المسكينة التي ابتليت به ،

(1) استوفينا هذه المعاني في كثير مما كتبنا وبعضها في مقالات ( الجمال البائس ) ... ... ...

# ريح التعصب الجنسي

## تهب على أوربا

### بقلم باحث دبلوماسي كبير

مضى الآن أربعة أشهر على نشوب تلك الحرب البربرية التي تضرم إيطاليا نارها في الحبشة باسم الاستعمار والمدنية ؛ والحبشة ترد هجمات المتدين عليها بشجاعة وجلد يثيران اعجاب العالم وعطفه ؛ والعدو المغير يتخبط في غمر فادحة من الصعاب والخيبة واليأس ، ويرتد شيئاً فشيئاً عن الأرض التي احتلها في البداية دون مقاومة ، وظن أن احتلالها مقدمة الظفر الشامل

وقد سنحت لايطاليا المتدية أكثر من فرصة للفوز بقسط معقول من أسلاب الفريسة ، قبل أن تصطدم بأية مقاومة حقيقية ، وقبل أن ينكشف ضعفها وعجزها عن تحقيق أطماعها الفادحة بالقوة القاهرة ؛ ولكنها لم تحسن انتهاز الفرصة وذهبت بعيداً في غلوائها وتحديها ، ولم تحسن تقدير المقاومة السلبية الدولية التي استطاعت السياسة البريطانية أن تنظمها ضدها على يد عصبة الأمم ، والتي أملت تنظيمها على السياسة البريطانية بواعث حيوية خطيرة تتعلق بسلامة الامبراطورية وتأييد سيادتها في البحر الأبيض المتوسط ، وفي وادي النيل وشرق أفريقية ؛ بيد أن إيطاليا استطاعت بسياستها المنيفة وما تحمل في ثنيها من احتمال اضرام نار حرب أوربية ، أن تحمل السياستين الفرنسية والبريطانية على وضع مشروع للصلح ، يقضي في الواقع على الحبشة بالاعدام كأمة مستقلة ، ويحقق لايطاليا السيادة الفعلية على معظم أراضيها ، ويتوج حملتها الاستعمارية بظفر شامل لم تستطع أن تنال منه شيئاً بالحرب ؛ ولكن المقاومة الحبشية كانت قد بدأت عندئذ تحدث أثرها في وقف الزحف الايطالي ، وظهر عجز إيطاليا وضعفها جلياً ، واستقبل العالم مشروع الصلح بالاستنكار والسخط ، ورفضته الحبشة بتاتاً ، فلم يلبث أن قضي عليه في مهده ؛ وكانت فضيحة دولية حقيقية أصابت هيبة السياسة البريطانية ، واضطرت أن تتراجع أمامها بسرعة وأن تعود إلى موقفها الأول

وقد عرضنا من قبل إلى ذلك التطور المدهش في سير الحرب الحبشية ، وأشرنا إلى بعض العوامل التي يظن أنها كانت سبباً في تحول السياسة البريطانية ؛ ومنها ما يقال من أن مسيو لافال رئيس الوزارة الفرنسية استطاع أن يقنع السير صمويل هور وزير الخارجية البريطانية المستقيل بأن تعريض الحملة الايطالية للفشل ، وتمكن الأحباش من احراز نصر حاسم على البيض مما يعرض سيادة الدول الأوربية في أفريقية للخطر ، ويصدع من صرح أوربا الاستعماري كله ، ويبعث في الشعوب السوداء أو الملونة رغبة الانتقاض والمقاومة ، وذلك ليس من مصلحة بريطانيا التي تحكم مئات الملايين من الشعوب الملونة في أفريقية وآسيا

ومما يلاحظ أن هذه النغمة الجنسية تقوى وتشتد في أوربا يوما عن يوم ، وأن الدوائر والصحف الاستعمارية أخذت تضرب عليها بطريقة منظمة ، وخصوصاً بعد الانتصارات المتوالية التي أحرزها الأحباش على الايطاليين في الأسابيع الأخيرة ، مما يدل على أنها قد أخذت تحدث أثرها في تكييف السياسة الاستعمارية الأوربية : بيد أنه مما يلاحظ أيضا أن هذه النغمة التي بعثتها الحرب الحبشية من رقادها ليست سوى ناحية واحدة من نواحي الفورة الجنسية العامة التي اشتدت بوادرها في أوربا في الأعوام

---

ويختلق لها العلل الواهية المكذوبة ويبغضها كأنه هو الذي ابتلي بها وكأن المصيبة من قبلها لا من قبله ؛ وكل ذلك لأن عزيزته تحولت إلى فكرة فلم تعد إلا صوراً خيالية لا تعرف إلا الكذب . وقد قرر علماء النفس أن من الرجال من يكره زوجته أشد الكره إذا شعر في نفسه بالمهانة والنقص من عجزه عنها ، فهذا لا يكون رجلا لامرأته إلا في العداوة والنقمة والكراهية وما كان من باب شفاء الغيظ ، وامرأته معه كالمعاهدة السياسية من طرف واحد ... لا قيمة ولا حرمة ؛ وإذا أحب هذا كان حبه خيالياً شديداً لأنه من جهة يكون كالتعزية لنفسه ، ومن جهة أخرى يكون غيظاً لزوجته ورداً بامرأة على امرأة ......

(طنطا) مصطفى صادق الرافعي

الأخيرة ، والتى ظهرت بصورة جلية فى كثير من المناسبات السياسية والدولية

وقد نرجع إلى الوراء قرونا إذا حاولنا أن ندرس كل التطورات التى مرت بها تلك النزعة الجنسية الأوربية ؛ فتاريخ هذه النزعة هو تاريخ الصراع بين الشرق والغرب وبين الاسلام والنصرانية ؛ ولكننا نكتفى بأن نعرض إلى أحدث طور من أطوارها ، وهو الذى نرى اليوم آثاره ماثلة فى سياسة أوربا العامة ، وفى السياسة المحلية لبعض الدول الأوربية . وفى وسعنا أن نقول إن هذا الطور الحديث من هذا الصراع الجنسى يرجع إلى الحرب الروسية اليابانية فى سنة ١٩٠٤ ، فقد كانت الفكرة الجنسية تجثم قوية وراء هذا الصراع بين دولة أوربية عظمى وبين دولة أسيوية استطاعت أن تنفض عنها غبار الماضى بسرعة وأن تتبوأ مكانها بين الدول القوية ؛ ومع أن أوربا كانت تسئ الظن بمقدرة روسيا القيصرية واستعدادها ، فانها لم تكن تتوقع أن تصاب الجيوش والأساطيل الروسية بمثل ما أصيبت به من الهزائم الساحقة ، وأن تحرز اليابان ما أحرزت من نصر باهر

ولكن اليابان خرجت من تلك الحرب ظافرة قوية ، وكان من نتائجها أن بسطت سيادتها على أقاليم شاسعة من الصين ؛ وحدث لأول مرة فى التاريخ أن انتصرت دولة أسيوية على دولة أوربية عظمى ؛ ولهذا استقبلت أوربا انتصار اليابان فى دهشة وروع ، واستقبلته مقرونا بصيحة الخطر الأصفر ؛ ولما سما شأن اليابان بعد الحرب الكبرى وضاعفت جهودها فى سبيل التوسع الاستعمارى فى الصين ، وكشفت عن نيتها فى مقاومة النفوذ الأوربى فى الشرق الأقصى ، مستترة بشعار الجامعة الاسيوية ، واستطاعت فى الأعوام الأخيرة أن تبسط سيادتها تباعا على منشوريا وأقاليم أخرى من الصين ؛ زادت أوربا شعوراً بما تسميه الخطر الاسيوى ، أو الخطر الأصفر إشارة إلى تفوق اليابان أو الجنس الأصفر ؛ وما ينذر به من تحطيم النفوذ الأوربى فى الشرق الأقصى ، والحلول مكان الدول الأوربية فى استعمار الشعوب الاسيوية التى وقعت تحت سيادتها .

وهذه النعرة الجنسية تشتد اليوم فى أوربا وتتخذ صورا محلية إلى جانب صورتها العامة . ففى ألمانيا الهتلرية مثلا تتخذ نظريات الجنس والسلالة أهمية خاصة ، وترتب عليها مزاعم مدهشة ، ويبدو أثرها جلياً فى اضطهاد اليهود ومطاردتهم بأساليب عنيفة منظمة ، وفى الدعوة القوية إلى بغض الأجناس السامية والشرقية واحتقارها واعتبارها أجناساً منحطة لا يليق أن تتبوأ مكانها مستقلة أو حرة ، ووجوب اخضاعها واستغلالها بواسطة الشعوب الآرية الأوربية ؛ ويزعم هتلر ودعاته أن الجنس الجرمانى هو أشرف أجناس الخليقة ، وأعظمها فى الخواص والخلال ، وينكرون على الشعوب السامية والشرقية بوجه عام أنها ساهمت أو تستطيع أن تساهم فى إنشاء الحضارة ؛ بل يذهبون فى غلوهم إلى إعتبار أن اليابان أمة مقلدة لا يصح أن توضع فى مصاف الشعوب العظيمة المبتكرة ، الى غير ذلك من المزاعم التى تنم عن تعصب جنسى عميق ؛ ونرى مثل هذه الريح الجنسية تعصف بأمم ثانوية مثل بولونيا والمجر ورومانيا ، وتتخذ صورتها فى اضطهاد اليهود ومطاردتهم . أما الصورة العامة التى تتخذها النعرة الجنسية اليوم فى أوربا ، فتظهر جلياً فى أمرين : الأول صيحة الخطر الأصفر ، وذلك لمناسبة توغل اليابان فى الصين وتوجس الدول الأوربية من مطامع اليابان وخوفها من انهيار سيادتها الاستعمارية فى الشرق الأقصى ، وقد أخذت تنهار فعلا بتخلى روسيا عن مصالحها القديمة فى منشوريا ؛ والثانى فى صيحة البيض والسود التى ذاعت لمناسبة الحرب الحبشية الايطالية ، وقصور إيطاليا فى إدراك غاياتها الاستعمارية بعد أن لبثت طويلا تنظم قواها وبعد أن جردت على الحبشة نحو ثلث مليون جندى مجهزين بأحدث الأسلحة والمخترعات المهلكة ؛ وهذه الصيحة تشتد اليوم فى البيئات والدوائر الاستعمارية كلما اشتدت مقاومة الأحباش وزاد عجز إيطاليا وضوحا ، وبدا إزاء مايحرزه الأحباش من انتصارات متوالية أن مغامرة إيطاليا الاستعمارية ستمنى بالفشل الذريع . وهذه النغمة هى التى يضرب عليها اليوم غلاة الاستعماريين الذين يشيدون بأزر إيطاليا تحقيقاً لغايات السياسة القومية ، مثل مسيو لافال رئيس الوزارة الفرنسية الذى يحاول أن يستبقى الصداقة الايطالية بأى الأثمان ويخشى أن يؤدى انتصار الأحباش أعنى السود على الايطاليين الى كارثة استعمارية تهز الأمم السوداء والملونة الى الأعماق ، وتعصف بنير الاستعمار الأوربى

فى إفريقية ، ولفرنسا فى افريقيا الشمالية والغربية والوسطى امبراطورية استعمارية ضخمة ؛ ومثل زعماء ألمانيا الهتلرية الذين يرون فى سياسة ايطاليا الاستعمارية ، وفى تحقيق غايات الاستعمار الايطالى سنداً جديداً لمطامع المانيا الاستعمارية فى استرداد بعض مستعمراتها القديمة تحقيقاً لنفس الغايات الاقتصادية التى يزعم موسولينى أنه يعمل لتحقيقها بالقضاء على حريات الحبشة واستقلالها

وهذه النعرة الجنسية حرية بأن تحدث أثرها فى السياسة الانكليزية ؛ فانكلترا كفرنسا تسيطر على أمبراطورية شاسعة من الشعوب الملونة ولا سيما فى شرق أفريقية حيث تضطرم الحرب الحبشية ، وسحق إيطاليا فى الحبشة يحدث بلا ريب أثراً عميقاً فى عقلية هذه الشعوب ويذكى فيها روح التمرد والمقاومة للنير الأجنبى ؛ ولكن الظاهر أن انكلترا مع تقديرها لهذا العامل ترى أن تضعه فى المحل الثانى بالنسبة لعوامل جوهرية أخرى تضطرها أن تعمل فى وجهة أخرى . ذلك أن انكلترا ترى فى العسكرية الفاشستية خطراً داهماً على سيادتها فى البحر الأبيض ، وترى فى ظفر إيطاليا باجتياح الحبشة خطراً داهماً على أملاكها فى شرق أفريقية وعلى سيادتها فى وادى النيل ؛ وترى على الجملة فى استمرار هذه الفاشستية الطامحة التجنية المشبعة بروح الاعتداء والتحدى ، خطراً على سلامة أمبراطوريتها وسلامة مواصلاتها الأمبراطورية ، وخطراً على السلم الأوربى بوجه عام ؛ والمسألة الحبشية ثانوية فى نظر السياسة الانكليزية كما بينا أكثر من مرة ، ولكنها تغدو فى يد انكلترا وسيلة ناجعة لمحاربة الفاشستية وتقويض دعامتها العسكرية والسياسية

على أن الذى نريد أن نلفت النظر إليه هو أن هذه النعرة الجنسية التى تهب ريحها اليوم على أوربا وتوجهها الدوائر الاستعمارية ، ليست جديدة ولا حادثة فى أوربا ، إنما هى نزعة أصيلة فى هذه الشعوب الأوربية التى استطاعت بأساليب العنف والغدر والخديعة أن تفرض سيادتها على معظم الأمم الافريقية والاسيوية ، والتى تحرص كل الحرص على استغلال هذه الأمم واستصفاء ثرواتها لكى تزيد بها فى قوتها وفى نمائها ورخاء بنيها على حساب هذه الأمم المهيضة ؛ وأوربا اليوم هى كما كانت بالأمس ، وكما كانت منذ العصور الوسطى مهد التعصب الجنسى والدينى ؛ وليس من الضرورى أن نعود إلى أيام الحروب الصليبية لكى نصور أوربا المتعصبة على حقيقتها ، وإنما يكفى أن نذكر أن الاستعمار العسكرى والسياسى الذى تفرضه أوربا على الشعوب الشرقية باسم المدنيـــة والتهذيب والتفوق الجنسى والثقافى والاجتماعى ، تؤيده فى نفس الوقت حملات البعثات التبشيرية ، وتمهد له بالعمل على تقويض العقائد الدينية الشرقية ؛ فاذا كنا نسمع فى أوربا اليوم صيحة الخطر الأصفر لمناسبة التقدم اليابانى فى الصين ؛ وصيحة البيض والسود لمناسبة انهيار مشروع إيطاليا الاستعمارى فى الحبشة ، فانما ذلك يتفق تمام الاتفاق مع ماضى أوربا وتقاليدها فى الاضطرام بنزعات التعصب الجنسى والدينى وخصوصاً كلما خشيت على صرحها الاستعمارى من الانهيار ؟

(***)

# فى الحب أيضا

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

كتبت إلىّ سيدة أعرفها فاضلة لبيبة تسألنى عن الحب كيف أقول فيه ما قلت؟ وعن المرأة كيف أبسط لسانى فيها كل هذا البسط؟ وعن الحب الافلاطونى ماذا ترى رأيى فيه؟ وختمت كتابها باتهام الرجال بقلة الوفاء، وبالغدر وكثرة التقلب

وقد استخلصت من كتابها أن مقالى الذى تفضلت بنشره «الرسالة» لم يصادف منها ارتياحاً ولم يلق قبولاً. ولست أستغرب هذا، أو أنكر عليها امتعاضها، فانى أعرف أن كل رأى فيه من الهوى أثر؛ والمرء يميل بمزاجه إلى ما هو أحب اليه من الآراء وأكثر موافقة أو مجاراة لهذا المزاج؛ وما يزال الانسان يوحى إلى نفسه حتى يصير الأمر عنده عقيدة راسخة لا تتزعزع ولا يسهل زحزحته عنها؛ ولو أن انساناً استطاع أن يتبين مبلغ أثر الايحاء الذاتى فى آرائه لهاله ذلك، ولذهب إيمانه بالعقل وقدرته على النظر المجرد، ولأيقن أنه ما من رأى إلا وهو وليد عاطفة، فوليد عاطفة؛ والانسان يعيش بالطبع أكثر مما يعيش بالعقل. وأحسبنى لا أخطىء جداً حين أقول إن عقل كل فرد يصب فى قالب من طباعه، فلينت هذه التى نفكر بها «عقولاً»، وإنما هى طباع وأمزجة اتخذت صوراً مزوّرة؛ وأصل الخطأ أنا سميناها «عقولاً» فصار لها فى وهمنا، على الأيام، استقلال لا وجود له

وليس الذى نشرته لى «الرسالة» رأياً فى الحب، وإنما هو بيان لحالات يجر اليها، ومواقف يستدعيها، ولا أرى لى صبراً عليها؛ أما الحب فليس لغزا، وما على من يريد فهمه على الوجه الصحيح إلا أن ينضو عنه كل ما خلع عليه الشعراء ولفوه فيه، حتى أخفوه وحجبوه؛ وليس هذا كل ما جنى الشعر، وما هو إلا بعض ما مسخ من حقائق الحياة. والشعراء كالكهان الأقدمين — دأبهم التهويل على الناس وإيهامهم أنهم وحدهم دون خلق الله أهل العلم والاحاطة والبصر والاتصال بالحقائق العليا والأسرار المحجوبة — لا، بل الشعر ضرب من الكهانة، ومظهر من مظاهرها — أى نوع من الدجل. ولا نكران أن الشاعر والكاهن يبدآن مخلصين صادق السريرة — وكذلك كل غرير قبل أن يجرب — ولكن الأمر يتحول شيئاً فشيئاً إلى صناعة، فلا تصدق من يقول لك إن الشاعر يظل عمره — إلى آخره — طفلا كبيراً، فان هذا ليس إلا بعض دجل الشعراء — أو هو بعض ما يوحون إلى نفوسهم ويلحون به عليها ليكونوا أقدر على الدجل، والدجال يحتاج إلى اكتساب «مظهر» الاخلاص ليستطيع إقناع الناس. وقد رأيت فى زمنى دجالين كثيرين كان أبرز صفاتهم قدرتهم على مغالطة أنفسهم بالايحاء اليها؛ والشعراء أبرعهم جميعاً لأنهم ألح على نفوسهم، وأكثر استلهاماً منها، وسبباً للتأثير فيها، ودؤوباً على مناجاتها

أعود إلى هـذا الحب فأقول إنه ليس فيه سر، فهو ضرب من الجوع، أو هو إذا شئت نوع من التنبيه تلجأ اليه الطبيعة لتغرينا بما يكفل المحافظة على النوع كما تنبهنا بالجوع، فنبغى ما نحافظ به على ذواتنا. وعلى ذكر الجوع أقول إنى أذكر أنى أيام كنت أقول الشعر نظمت قصيدة نشرت فى الجزء الاول من ديوانى وفيها أن الحب أصاب منى «شبعه» فاستبشعها صديق لى أكبر رأيه وذوقه، وأنكر علىّ أن أذكر «الشبع» فى معرض كلام على الحب، فوافقته على رأيه، ولكنى تركت البيت على حاله، عجزاً عن تنقيحه، أو إهمالاً؛ ولولا أنى أرفض شعرى كله لقلت إنى الآن أرانى أحسنت

فالحب — كالجوع — اشتهاء، أى إيذان بأن الجسم يطلب أن تسد له حاجة، وليس الطعام هو الغاية من الأكل، بل ما يفيده من الصحة والقوة واستمرار الحياة؛ كذلك ليست المرأة هى الغاية من الحب، بل ما تعين عليه من بقاء النوع بالانتاج؛ وكما أن المرء يغلط فيأكل ما لا خير فيه ولا صحة تستفاد منه ولا قوة، بل ما لعله يضر ويورث المرض، كذلك يغلط الانسان فيحب ما لا يحقق الغاية التى ترمى اليها الطبيعة. والمرء يكون مترفا فى حبه كما يكون مترفا فى طعامه وملبسه وما الى ذلك؛ ومن الناس من يأكل طعامه جرفا، والبطان الذى لا ينتهى منه، والمخلّط من صنوفه والمستقصى لها، والقرِفون الذى يأكل

لقمتين لقمتين ، والذى يكره معدته على الزيادة بعد الشبع ، والذى يسرع فى الأكل كراهة لطول الجلوس له ، والذى يضع يده على ما أمامه لئلا يتناوله الغير ، والذى يجيل اللقم ولا يمضغها ، والذى يلوك ، والذى يأكل نصف اللقمة ويرد نصفها ، والزهيد القليل الأكل ، والمريض ، والضعيف الاشتهاء ، والمتعجّف .

وكذلك أرى الناس يكونون فى حبهم ، بل الانسان الواحد يكون مرة هكذا ، ومرة هكذا ؛ والتوابل وما اليها لازمة للحب أحياناً لزومها للطعام ؛ واللحم هو هو كيفما طبخته ، ولكنه تارة يكون أشهى مشوياً ، وتارة أخرى يكون ألذ وهو مسلوق ، أو مقدد أو مشرح أو مملق فى السفود ، أو مخلوط بالرز أو البيض أو الخضر أو غير ذلك ؛ وقل مثل ذلك فى غير اللحم من الآكال فما أردنا إلا التمثيل ؛ وكذلك المرأة ، فمن كانت يعنيها أن يبقى حب الرجل لها أطول زمن ممكن ، فلتكن على كل لون وعلى كل صورة تُشتهى

ولا احتاج بعد هذا أن أقول : إنى لا أومن لا بالحب الأفلاطونى ولا بالوفاء ، ولست أعنى أنى أستهجنهما أو أعيبهما ، فليس الأمر أمر استهجان أو عيب ، وإنما أعنى أنهما لا وجدان مع الصحة والسلامة ؛ وإذا كان من الممكن أن يشبع الجائع بالنظر إلى الطعام فى أطباقه على السفرة ، وأن يحيا المرء بأن يأكل بعينه أو خياله ، فانه يكون من الممكن أيضاً إرضاء عاطفة الحب عند الرجل السليم المعافى بالنظر إلى المرأة والاستماع إلى حديثها والتمتع بابتسامتها ورشاقة وقفتها أو حسن جلستها . والذى يقنع من المرأة بذلك يكون أحوج إلى الطبيب المداوى منه إلى المرأة .

أما الوفاء فأكرم به وأنعم ! ولكن أين فى دنيانا من يصبر على طعام واحد وفى وسعه ألا يفعل ؟ وأقول « من يسعه ألا يفعل » وأنا أعنى ما أقول ، فما يلتزم الوفاء إلا من يعجز — بسبب ما — عن خلافه . وأسأل القارىء وأعفيه من الجواب العلنى : أى رجل لم ينقض عهداً بالوفاء بالفعل أو بالنية أو بالخاطر أو بالخيال — على حسب الاحوال ؟ والمرأة كالرجل وشأنها كشأنه . وكذاب من يقول — وكذابة من تدعى — غير ذلك . ولست أدعو إلى شىء — وحاشا أن أفعل — ولكنى أصف واقعاً ، وأقر حقا لا يكابر فيه إلا منافق يريد أن ينتحل فضلا على حسابى وحساب الحقيقة . والذى يجعل الوفاء مستحيلاً فى الواقع أن الحياة قائمة على التحول لا على الثبات ، والمرء يتغير حتى ليمكن أن يقال إنه يخلق كل يوم خلقاً جديداً مولداً من الخلق السابق أو أنه يموت ويجىء غيره باسمه ؛ وكل يوم يحياه هو يوم ماته ، وبعث بعده كرّة أخرى فى صورة تخالف الأصل من بعض الوجوه . وقد شرحت هذا من قبل فى مقالات شتى فى « البلاغ » « والأهرام » ولا أذكر أين أيضاً ، فلا أعيد هنا ما قلت . . . .

وليس هذا رأياً جديداً لى ، فقد نظمت فيه شعراً كثيراً نشر بعضه ، ولن ينشر البعض الآخر ؛ وأذكر مما نشر هذه الأبيات :

أكلما عشــت يوما أحســـت أنىَ متُّه

( من قصيدة الملل من الحياة )

* * *

إنى أرانى قد حلتُ وانتسخت مع الصبى سورة من السور
وصرت غيرى فليس يعرفنى — إذا رآنى — صباى ذو الطرر
ولو بدا لى لبت أنكره كأننى لم أكنه فى عمرى
كأننا اثنان ليس يجمعنا فى العيش إلا تشبث الذكر
مات الفتى المازنى ثم أتى من مازنٍ غيرُه على الأثر

( من قصيدة كأس النسيان )

* * *

هذه كفى على خون العهود لا على الرعى — فهذا لا يكون
إنها دنيا — كذاب وجحود — ولصدق النفس أولى — لو يهون
هذه كفى على وشك الملال كل نار سوف يعلوها رماد
أو لو أسطيع تصديق الخيال ! أو يكون الجهل شيئاً يستفاد

* * *

ياعقيدى طامن الله حشاك ! لن ترانى شاكيا وهىَ حبالك
أين من طينتنا — أين — الفكاك ؟ أنت انسان على فرط جمالك

( من قصيدة معاهدة غرامية )

* * *

وحسبى هذا القدر ، وعسى أن يكون كافياً فى جواب السؤال .

ابراهيم عبد القادر المازنى

# رفعـــة المرأة

للأستاذ محمد بك كرد علي

تحارب فرنسا فكرة إعطاء الحقوق السياسيـــة للنساء ومساواتهن بالرجال ؛ وقد جعلت ألمانيا وإيطاليا في جملة نظامها الجديدة أن تعود بالمرأة إلى سالف عهدها من التزام البيوت والقيام على تربيـة الأطفال ومنعهن ما أمكن من معاطاة أعمال الرجال ؛ وتكتب في هذا الشأن كتب ورسائل ، وتنشر صحف ومجلات . ومن الكتب التي ظهرت مؤخراً في فرنسا فأحدثت دوياً في الأوساط المعتدلة وأظهرت المرأة بمظهرها الحقيقي كتاب (رفعة المرأة) للدكتور روبرتوتش Dr. Robert Teutsch : Le féminisme بدأه بكلام لثلاثة من مشاهير الكتاب أحدهم تيودور جوران قال : إن رفعة المرأة بلية صدرت إلينا من البلاد الأجنبية ولاسيما من أمريكا وجرمانيا وبلاد الشمال . وكان هذا النفوذ المتألف من كل غريب يكفي أن يكون منـه نتاج قد لا يتلاءم كثيراً مع تركيبنا الفرنسي . وقال روبر كيبو : من السهل الدلالة على أن دعوى رفع شأن المرأة كانت أبداً وليدة المذهب الاشتراكي ، فانا نراها نسقط فيها على أفكار اشتراكية بعينها ، وعلى معان لهم وتعبيرات وعلى كلمات مابرح الاشتراكيون يرددونها مع سفسطات كانت ولا تزال مألوفة لهم ؛ وما المرأة إلا أعدى عدو لرفعة شأنها ، فهي موقنة بأنها تخسر من نفوذها الخاص أربعة أضعاف ما تربحه من نفوذها العام ، ولا يتأتى مما ترمي إليـه إدخال أدنى إصلاح على النظام الاجتماعي . وقال الثالث مارسـل تينابر : إن حقوق النساء وتحررهن الأدبي وطموحهن إلى الحياة السياسية ، كل هذا حسن وجميل ، ولـكن ياسيداتي حررن أنفسكن أولاً من الخياط ، فان لم تكن لـكن هـذه الشجاعة فلا تتطاللن إلى أن تحصلن على ما بقي

قال المؤلف : إن مسألة إعطاء المرأة حقوقها ما زالت منـذ ثلاثين سنة من الموضوعات الطريفة ، ولو كان الأمر يقف على إعطاء المرأة جميع حقوقها ولا سيما السياسـية التي لم تهيئها لها لاطبيعتها ولاعملها الخلق لهان الأمر ، ولـكنهن يرمين من المطالبة بذلك إلى التفلت من كل قيودهن ولا سيما قيود البيت والأمومة .

تريد إنقاص شأن الرجل وتطمح إلى الاستيلاء على كل عمل لم تخلق هي له . تريد الابتعاد عن المنزل وعدم المبالاة بأعماله والاقلال من الأولاد والقضاء على الأسرة وينتهي ذلك بانقراض العنصر والجنس . وبتأثير الاضطرابات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية التي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر في معظم البلاد المدنة ولا سيما في فرنسا ، راجت دعاية المفرطين ثم دعاية الرجال والنساء في هذه الحرب الحديثة ، فكان من تلك الدعاية إخراج المرأة عن طورها وحملها على أن تتناسى أو تستنكر عملها ، فصبغت المرأة بصبغة بشمة من محاكاة الرجل ليكون منها شريكة مبغضة له أحياناً ، ومنافسة وخصيمة يخشى بأسها . ومن العدل ألا نغفل عن التصريح بأن أسباب حياة المرأة بعد الحرب الـكبرى قد تبدلت تبدلا خاصاً فيـه كثير من القسوة ، لأن أجور كثير من الرجال لم تعـد كافية لأعاشة البيوت فاضطرت المرأة بكسل الرجل أن تدخل أحياناً لتعمل في البيوت التجارية والمعامل والمصانع لتكتسب ما تستلزمه حاجتها أو حاجة ذويها ، مما لم تحتج إليه فيما سبق من الأيام ، اللهم إلا إذا كان زوجها مصاباً بعـلة طال أمرها ، أو بعاهة في جسمه تمنعه العمل ؛ وعلى ذلك كثر عدد العزبات المتجردات ، والعوزات والأيامى المطلقات ، ممن لا معرفة لهن بصناعة ؛ وكثيراً ما يكون لهن أولاد يضطررن لاعالتهن . وإذا لم ترغب فيهن النفوس أو كن بشمات ممسوخات يمشن خليلات للرجال أو يتدهورن في المهوى السافل . ولطالما كان من الفتيات من جمعن شيئاً من المال ، وانتظرن السنين خاطباً أو راغباً ؛ ومن هـذه الطبقة أيضاً عوانس خرجن عن طبائعهن ، وحاولن أن يمشن عيشة جديدة ، ويخرجن من أفقهن الضيق فاستلزم ذلك اختلاطهن بكثيرات من بنات جنسهن وغير أبناء جنسهن ، فتيسر لهن إيجاد علائق كان من أثرها زواجهن ؛ وشق على كثيرات منهن لما أخفقن في الحصول على عروس لهن أن يبقين بلا حب ، فاخترن خليلهن بحسب أذواقهن ، وكل أولئك كان يحسن ويحب لو وقف الأمر عنده ، ولـكن هناك نساء سطا عليهن الكبر والحقد ، فاحتقرن الرجل والزواج والولد ، وهن قادرات على أن يكن طاهيات ووصيفات وسـاعورات ودلاكات ومنظفات أيد (Nanicures) ومنظفات أرجـــل (Pédicures) وحاسبات وخازنات وكاتبات ومدرسات وبائعات

ومحامارات بل وقصصيات وعاميات وطبيبات ، ويتوهمن أنهن أسمى من الرجل أو على الأقل مساويات له ، ويحاولن أن يقمن مقامه فى معاناة سائر الأعمال مما لسن له خليقات

بهذه الصفحة وصف المؤلف ما تحاول المرأة بلوغه فى بلاده ، أو تنزعه من قيودها الطبيعيــة لتتلبس طبائع غير جنسها . وقد قال فى وظيفة الحيض : ما برح دعاة تحرير المرأة منادين صاخبين أن المرأة مساوية للرجل ، وما كان تشريح الجنسين وتفسيرهما وطبيعتهما متشابهة قط ؛ وإذا كان الحال كما يدعون ، فلماذا نرى البقرة غير الثور ، والنعجة غير الخروف ، واللبوة غير الأســد ؟ ولماذا يتناسى دعاة هذا التحرير العمل المظيم الذى يؤثر فى طبيعة المرأة وعقليتها وما كتب عليها من الحيض فيخرجها إلى طور غريب ، وتفعل أيام الحيض فى خلقها ، وبعض الصحيحات منهن أو المريضات تعاودهن العادة مرتين فى الشهر ، فيدفق الدم منهن فى الشهر الواحد مرتين ، وينقطع مرتين ، فيتأثر المجموع العصبى فيهن من هــذه الوجبات الدموية . وأسهب فى شرح هذه الحال على ما يجوزه لسان الطب ، ولا يجوز نقله لسان الأدب الحديث فى صحيفة سيارة ، مستشهداً بآراء أعاظم الحكماء والأطباء ؛ ونقل عبارة أحدهم من أن المرأة لا تشعر بالحرارة ولا بالبرودة ، والدليل أنها تتدثر بالفرو فى الصيف ؛ وإذا قيل إن ذلك من جملة الأزياء الحديثة ، فإنا نشهدها تتعرى فى الشتاء إلى خاصرتيها ، دون أن تحس بما يضرها ؛ فالمرأة ما بردت قط ، وإن أظهرت أنها صردة تتأثر من البرد ، وأنها تضع الفرو عليها فذلك لأن هذه الحركة هى من الحركات الجميلة فيها . وعرض لغرامهن بالأزياء من كشف الأيدى والأرجل والسوق والصدور والظهور على ما تأباه قواعد الحشمة ، قال : ولو عقلن لسترنها ، لأن فى سترها مصلحة لهن على خلاف ما يعتقدن ، وبذلك إغواء الشباب إلى ما يحمل ذلك من الموبقات المخجلة

إن إعطاء الحقوق السياسية لم ينتج منه الاصلاح المدهش فى شمالى أوربا وفى أمريكا وأوستراليا ، حيث أخذن يتمتعن بحقوق الناخب والمنتخب ؛ ففى الدانمرك لم يأت النساء بشىء أحسن مما كان للبلاد يوم كان نساؤها يسلمن للرجال الأعمال ، ولم يقض على القول ( أو الـكحول ) فى بلاد السويد والنرويج وفنلندا وأوستراليا والولايات المتحدة ؛ أما الفحش فكثير جداً فى هاتيك الممالك ، وهو مشوب برياء وتصنع

خرج المتعلمات فى الجامعات الأمريكية من البيوت الفقيرة ؛ وأظهر الفتيات فى فرنسا وغيرها اجتهاداً فى طلب العلم ؛ وقد يتعلمن بدعة وسرعة كل ما يتطلب اجهاد الذاكرة ؛ وقد يبرزن فى المسابقات ، ولسن كذلك عندما يخرجن إلى الحياة ، عندما يضطررن إلى القيام بمسألة تحتاج إلى تفكير وشخصية وحكم ؛ وقل فيهن من ينجحن فى المحاماة والطب ، وقل أن يقبل أرباب المصالح على توكيلهن فى القضايا أو استشارتهن فى الأمراض ؛ ومن تزوج منهن من رجال لهم مثل صنعتهن ، كأن تتزوج الطبيبة بطبيب ، والمحامية بمحام ، لم يحمدن غب زواجهن ، لأن التفاوت فى قرمحتى الزوجين يؤدى إلى أن تحسد الزوجة زوجها على توفيقه فى عمله ، فتبغضه وتشنأه ؛ وثلث المتعلمات فى أمريكا لا يظفرن بأزواج ، وكلما أحرزن شهادات تخوف الرجل الاقدام على التأهل بهن ، ولذلك يحببن الانطلاق بأفكارهن أن أسفن لما صارت إليه حالتهن ؛ وثبت أن من تزوجن فى فرنسا لم يقدمن على الزواج إلا بعد الثلاثين ، وأحياناً فى الأربعين ، وكان معدل العقم من هذا الزواج تسعة وثلاثين فى المائة لاتنسل فيه صاحبته ولا تلد

فتحت فى الحرب معظم الأعمال فى فرنسا أمام النســاء ، فأثبت لهن الاختبار أن من الأعمال ما هو من شأن الرجال كقيادة الترام ، وسوق السيارات ، والمحاماة ، والطب ؛ فأخذ يرجع بعضهن عن تعاطى هاتين الصناعتين ؛ وأثبت النساء الموظفات فى الادارات الحكومية والخصوصية أن امرأة عندما تجلس من وراء كوة أو نافذة للقيام بعملها ، تصبح أشــبه بالحيوانات المفترسة ، وكانت خارج عملها من الساحرات الفاتنات بلطفها وظرفها . قالوا إن النساء إذا شاركن فى السياسة يدمثن الأخلاق ، ويبطلن الحروب ، ويشرعن تشريعاً انسانياً أكثر من تشريع الرجل ، والواقع خلاف ذلك ، لأن من الموظفات من إذا رضخ لهن بشىء من المال يبسمن ويغيرن معاملتهن ، فما بالك بهن إذا قبضت الواحدة المئات ؟ ومن تولين أعمالاً لا شأن لها كثيراً لم ينجحن النجاح المطلوب ؛ ومن نجحن كن بتراكيبهن الجسمية أشبه بتراكيب الرجال ، من حيث العضلات والقوى . وما نجح النساء فى تولى الحكومات لو لم يكن لهن مؤازرون عظماء من الرجال يعملون كل شىء وينسبون ما عملوا للملكات ،

وإذا رجعنا إلى تراجم الملكات والأميرات نجد كثيرات منهن على جانب من التهتك والخلاعة ، وما تعففن عن غمس أيديهن بالدماء - ويكون ذلك أحياناً لمآرب لهن - أو للتخلص من رجال تعتمن بهن ، ثم أردن اطفاء ذكرهم . وإذا أردنا أن نذكر شهيرات النساء في الأدب لا نرى غير الرجال يملاون لهن من وراء ستار على الأكثر ، وما تركت فيه المرأة وشأنها من الآثار الأدبية كان إلى التفاهة والفهاهة

وعدد المؤلف المساوىء التي تنتج للمجتمع من إعطاء النساء حق الانتخاب وما يتبع ذلك من شرور تنبعث من الناخبات ، وفسوقهن وفجورهن كثير . وعقد فصلاً طويلاً في آراء عظماء الرجال منذ القديم في النساء ورفعة شأنهن ، وفي الأبناء والشباب . قال بركليس : إن خير النساء من لا يتحدث الناس في أمرها . وقال موليير : إن النساء أتين العالم لعمل الحساء وإنسال الأولاد ، وما عدا ذلك فانهن يظهرن بمظهر مزعج خطر . وقالت مدام دي منتنون : ما عرف النساء قط إلا نصف معرفة ، والقليل الذي يكتب لهن معرفة يصبحن به متعجرفات هزءاءات مهذارات بعيدات عن الرصانة والرزانة . وقالت الآنسة دي سكودري : إن فتاة تنسى النظر إلى السماء لا تحسن شيئاً على الأرض . وقالت مدام دي دوفان : إن النساء يحرصن على الاضطرابات حتى أن معظمهن يؤثرن البؤس على الراحة . وقالت الآنسة دي لسيناس : متى تعلمت المرأة الاملاء يأخذها العُجب ، فالواجب تعليم النساء لا تخريجهن عالمات . وقالت العقيلة دي بوز بولكس : مهما بلغ من خبث الرجل لا يقل في النساء من المقابح أكثر مما يتصورون بأنفسهن . وقالت مدام دي ستال : لما لم يكن في النساء تعمق في نظرهن ولا تسلسل في أفكارهن ، كان النبوغ متعذراً عليهن وإذا كتب للنساء أن اتسعت أفكارهن فلا يتم لهن ذلك إلا بألم شديد . وقالت إن مجد المرأة حداد ظاهر على سعادتها

وقال رودون : إن المرأة التي تبتعد عن جنسها تسقط الى مستوى أنثى مهذارة وقحة كسلانة قذرة خائنة قوادة مسممة ، هي طاعون أسرتها والمجتمع . وقال لوكو فيه : إن المرأة الظنية يتقزز منها ، والمرأة التي تتولى كتابة الصكوك يضحك منها ، والمرأة الحامية يفزع منها . قال : كان أوجست كونت يعرف النساء كثيرا ويغرم بهن كثيرا ، ويخالف في تحريرهن ، ويعرف أنهن ما عدا القليل منهن جداً لم يخلقن للعمل ولا للحرية ولا لتحمل التبعات

« البقية في العدد القادم »

محمد كرد علي

# في مقـــــبرة جنوى

## حيث تتجاور الحياة والموت

### للأستاذ فتحي رضوان

الساعة العاشرة في الصباح .........

وجنوى تشملها شمس ايطاليا الهادئة ، ونحن على أبواب مقبرة جنوى

يا عجبي ! لم أسمع من قبل أن أجمل ما في مدينة مقبرتها ، وأن السياح والراغبين في التفريج عن النفس ، والجادين وراء لذائذ العقل والفكر ، يهبطون جنوى ، فلا يطلبون حدائقها ، ولا يقصدون متاحفها ، ولا يسألون عن حماماتها أو أسواقها ، بل يستحثون الخطى وغايتهم « المقبرة » !!

فأي مقبرة هذه التي يهواها الناس ؟ أليست مكاناً اضطجع فيه الناس بعد هذه الرحلة الطويلة التي يقطعونها في الدنيا ، بحثاً عن المال ، أو هياماً بالجمال ، أو عدواً وراء جاه المنصب . . . ؟ أما تضم الرفات بعد أن ذاب عنها اللحم الوردي ؟ أما تجمع العظام بعد أن تشتتت وانتثرت وانحلت روابطها ؟ أما تفوح منها رائحة الذكريات الحزينة : ذكريات الحبيب الذي ترك وراءه قلباً دامياً وعيناً دامعة ، وذكريات الولد الذي خلف الأم الولهى ، وذكريات الزوج الذي من ورائه أرملة ثكلى . . . ؟

أتكون مقبرة جنوى شيئاً يمحو من صدور اليتامى والأيامى والبؤساء والحزانى أحزانهم ويهدئ آلامهم ؟ إن تكن كذلك فهي أعجوبة أحرى بالناس أن يقصدوها لا ليفرجوا عن أنفسهم برؤيتها ، بل ليحملوا اليها كل من فارقهم وكان عندهم عزيزاً ، ليشعروا ببرد العزاء وحلاوة السلوان

ولفنا نحو المقبرة ؛ ولست أعرف احساسي وقت أن دنونا من بابها ، فقد وقفت بنا السيارة أمام باب ضخم مفتوح على المصاريع ، وإلى جانبه حارس ؛ فلما اقتربت من الباب نظرت إلى الحارس ، وقد حسبت أن طول اقترابه من قبور الموتى جعل له مظهراً خاصاً به ، فاذا هو رجل عادي ، يرى كل يوم النعوش الرخيصة تتبعها أسر فقيرة ، والنعوش الغالية الثمينة ، ووراءها الأغنياء الذين يتأنقون في الموت كما يتأنقون في الحياة ، والموت يهزأ بهم ، وإن كانت الحياة تدللهم !

لقد تعود حارس المقبرة أن يرى أحزان الناس وصور شقائهم ، فبردت أعصابه ، وتفهت مآسي الناس عنده ، إذ رأى المتباكين الذين لا يحسون بألم ، والمفجوعين الذين لا يجدون دمعة يلطفون بها نار صدورهم ...

ولكن يا ترى ماذا يفعل الحارس إذا أصابه القدر في ابنه أو زوجته أو أمه أو حبيبته ؟ أتبقى أعصابه في برودتها ، ونفسه في شدتها ، ودموعه في محجرها ؟ أم أنه سيفهم آلام الناس من جديد على ضوء النيران المشبوبة في صدره ، الملتهبة في قلبه ؟

تركنا حارس المقبرة ، ورأينا في طريقنا عشرات من الحراس يلبسون على أكتافهم مآزر زرقاً من الصوف ، تقيهم برد الشتاء ، وتكسبهم وجاهة القواد والوجهاء ، وهم يتبخترون في مشية عسكرية وخيلاء ، وقد جلوا شواربهم ورفعوها ، وحلقوا لحاهم وعطروها ، فما عاد هيناً أن تعرف إذا كان هؤلاء حكاماً جاءوا يتنزهون ، أم هم أشباح موتى ثقلت عليهم رقدة الموت ، فخرجوا يتمشون ويتنفسون ... إي وربي إنهم أشباح ! فالواحد منهم على جلال مظهره ، وجمال ملبسه ، لا يعدو أن يكون تمثالاً ؛ فالأيام تذوب وتدور ، وهم في مماشي المقبرة واقفون ، يرفعون رءوسهم إلى السماء ، ويخفضونها إلى الأرض ، ويضمون خناصرهم وبناصرهم في خواصرهم ، لا يشغلهم شاغل ! حسبهم من الحياة أنهم وقفوا على أبواب الموت ، تاركين وراءهم ضجات الناس وصيحاتهم ... بل حسبهم من الحياة أنهم يحملون أثقل أعبائها ، ويرون أصدق حقائقها ، فاذا جاءهم بعد ذلك الموت ، وجدهم كالموتى ، لا أوزار ولا أطماع ، ولا ماض يحاسبون عليه ؛ ثم وجدهم في المقبرة ، يعرفون لحودها ويحفظون حدودها ، ويدركون مكانهم اللائق بهم فيها

لقد قسوت على حراس المقبرة ! وأحسب أن مظهرهم قد غرني وخدعني .. فكم تخفي الوجوه الهادئة نفوساً ثائرة ! وكم يحترق الذين يحسبهم الناس كسالى ونائمين ! ومن يدري ؟ فلعل أحد هؤلاء الحراس شاب مغامر طاف بالأرض وجازف

بالمال القليل الذى كان بين يديه ، وبالحياة الفانية التى بين جنبيه ، ثم قذف به القدر حارساً لمقبرة ، وهو أبعد الناس عن الموت وفكرته ، مشغولا بالحياة ولذتها . . ولكنه يسير كما يسير بقية الحراس ، مطرقاً متأملاً ، شاخصاً ، متألماً ، وهو مستغرق فى أفكار نفسه وبوده لو يواتيه القدر فينطلق من جديد . . .

لقد طالت وقفتى بحراس المقبرة . . .

هذه هي المقبرة ، وقد لاحت من بعيد شواهد القبور ، فأفلتت منى ضحكة أعرفها من نفسى كلما جاشت فيها خواطر ، واحتدمت ضحكة يحسبها الذين معى أنها استخفاف بالذى أرى أو انصراف عما أرى ، وهى ضحكة النفس التى أسأمتها صور الحياة المتشابهة ، وقد أفرحها أن ترى الحياة والموت متجاورين ، فلا الموت جمل مظهر الحياة عابساً ، ولا الحياة جملت مظهر الموت تافهاً ... ضحكة الذى رأى الحياة وقد حنت على الموتى ، فجملت لهم مساكنهم ، وزينت لهم حدائقهم ، بل ضحكة الذى سره أن يرى مظاهر الحب الانسانى وقد تجسدت تماثيل وشواهد . . بل وقد تضوعت زهوراً وعطورا . . .

هـذه هى مقبرة جنوى . فأى فرحة شملت نفسى ! ومابالى أرى الدنيا من حولى ضاحكة ؟ هل أستخف أمام الموت بالموت الذى جم فى هـذا المكان مئات الألوف من الموتى : صبياناً لم يتجاوزوا العقد الأول من أعمارهم ، وفتيات صبايا أرى صورهن على قبورهن فأرى وجوهاً تترقرق بماء الحياة وتفيض بفتنة الأنوثة . . . ورجالاً قصف القدر عمرهم وعلى أكتافهم عبء عمل ناضج ؟ . . .

الشمس فى السماء شمس رحيمة لا تحرق البدن ، ولا تلفح الوجه ؛ تحفها السحب ، والمكان هادىء لا جلبة وحتى لا بكاء . . وأنا مستغرق فى تأملاتى ، وإخوانى قد سبقونى وأصواتهم تصل إلى من بعيد ! لقد هدأت نفسى ، وذابت فى أعماقها الضحكة التى كنت أسمعها بأذنى صوتاً ، وأراها صحبى بشرا . . . مابال الدموع قد ملأت عينى ؟ مابالى لا أرى شيئاً ، ولا أسمع شيئاً . . ؟

لقد أفقت على وقع أقدام من بعيد : أقدام تطرق الأرض طرقاً حاداً ، ولكنه رفيق . . . عالياً ، ولكنه موزون . . فما تحركت ولا تركت مكانى ، بل بقيت مسترسلاً فى هـذه الخواطر التى لم أكن أعرف لونها ولا سرها ، لأنها كانت تبدو لتختفى ، وتتعارض وتتقابل ، وتجتمع وتفترق ، وتهدأ وتشتد . . خواطر أشبه بهواجس النائم الذى شغلت ذهنه قبل نومه ألف فكرة ، فتحركت جميعاً حينما أغفى

لعلى لمت نفسى وأنا مطرق على قسوتها على الذين أحبونى وأخلصوا الحب ، فشغلتنى عنهم شواغل الحياة . فتألموا صامتين ، وودعونى عند السفر باكين ، بل صابرين ... أو لعلى لمت نفسى إذ رسمت لنفسي طريقاً محفوفاً بالصعاب ، فوهنت حيناً ، وأغفيت حيناً ، وجدفت وتشككت أحياناً . . ولعلى لمت نفسى لأنى أحببت ألوان الجمال جميعاً ، فما تغذيت بلون منها ، ولا شبعت بها جميعاً . . .

لعلى لم ألم نفسى . . .

اقتربت الأقدام منى ، فاذا بشبح أسود يمر سريعاً دون أن أراه . . ولكنى أفيق فأتبين فى الشبح فتاة تلبس الرداء الأسود الحزين وفى يدها طاقة ورد ، وعلى وجهها مسحة ألم ، وهى فى مشيتها لا تلقى بالا لما حولها

هذه الفتاة ليست إلا قصة حزن من قصص الحزن التى سجلها الحفار تمثالاً ، والتى سجلها الزمن أجساداً تسير فى الدنيا بلا أرواح ، مشغولة بالذين راحوا ، ولا عودة لهم بعد الرواح . .

تبعتها ، ولم أر بعدُ وجهها ، وقد أحسست أن نصف حزنها قد خف ولطف ، فقد قاسمتها الهم الذى تنوء من تحته ، والألم الذى تشكو من وخزه ، والحرمان الذى تبكى لطوله وعنفه . لقد بدتْ لى هذه الفتاة فى ثوبها الأسود ، ووشاحها المسدل ، وإطراقتها الطويلة ، الانسانية التى تنبعث آلامها من آمالها ، فقد تكون هـذه الفتاة قد أقبلت لتضع على قبر حبيبها طاقة زهر ، أو تنثر فوقه دموع عينيها ، وقد كانت بالأمس تمنى نفسها أن تكون له ويكون لها . . .

انطلقت الفتاة وكأنها تعدو ، واخترقت الدهاليز ، واجتازت الأبهاء ؛ وبعدت عن صحبى ، ولعلى بعدت عن نفسى ، وخيل إلى أن الفتاة لا تقصد قبرا ، وأن القبور تساوت أمامها فكلها من الحجر الغالى ، وكلها منقوش ومصور ، وكلها أصم أبكم ، بارد جامد لا يلين تحت يد ، ولا يلتهب لوقع قبلات المحزونين المكروبين .

أتقودنى هذه الفتاة إلى مجهول ، أم أن دنيا الأحزان هكذا

متسمة ، والطريق إليها يطول ويطول ... ؟ ولكن الفتاة لم تلبث أن انحرفت إلى دهليز ضيق ، ثم خطت خطوتين ، وركعت أمام قبر من الرخام الأسود ، ورسمت الصليب ، وأغمضت عينيها ... كان النور ضعيفاً ، باهتاً ، وكان المكان ساكناً ساكناً ، فابتعدت عنها خطوتين ووقفت أتأملها ، ولكن الشمس لم تلبث أن خطت في السماء خطوتين ، ثم سقط نورها من نافذة من الزجاج زرقاء ، فرأيت هذه الفتاة تمثالا افتنت فيه يد صانع الطبيعة ، فاجتمع فيه ألف معنى ، فلو سألتني أهذه الفتاة طفلة تتشبث بصدر أمها ، ولم تتجاوز بعد الأعوام الأولى من عمرها ، لقلت « نعم ! » . ثم لو عدت وسألتني : أهذه الفتاة صبية لاهية تائهة في الدنيا ساهية ، لقلت « نعم ! » . ثم لو رجعت إلى السؤال فقلت : أهذه الفتاة شابة اكتملت أنوثتها ، ونضجت فتنتها ، لقلت « نعم ! » ثم لو ألححت في السؤال فقلت : أهذه الفتاة امرأة أثارت الدنيا شهواتها ، ولم تضعف الأيام نزواتها ، لقلت « نعم ! » . ثم لو كان بعد ذلك في مكنتك أن تسأل فقلت : أهذه عجوز شيبت السنون رأسها ، وهدت البأساء نفسها ، لقلت « نعم ! » . لقد أطلت النظر إلى وجهها ، فرأيت الرجاء والتوسل ، والبكاء والتهدم ، والاطمئنان والاستسلام ، والثورة الجامحة ، والشك في رحمة الرحمن ...

لمست القبر وقبلته ، واقتربت منه وعانقته ، وأسلمت رأسها وقد انسدل وشاحها على ظهرها ، وبدا لي أنها شرق تطلب ماء لغصة في حلقها ، ولكنها رنت إلى السماء بوجهها ، فرأيت أنها تطلب من الله ماء العيون .. فلقد تحجرت عيناها فلا بكاء ولا دموع ...

انتصبت الفتاة واقفة ، ثم رفعت من فوق القبر قنديلا صغيراً كادت تخبو شمعته إذ أوشك زيته على النفاد ، وملأت القنديل بزيت من زجاجة كانت معها فاشتعل القنديل وتوهج ، ثم ذهبت إلى الناحية الأخرى من القبر وملأت القنديل الموجود هناك ، ثم رفعت طاقة الزهر التي كانت معها فوضعتها على القبر وتمتمت ثم رسمت الصليب وانطلقت وقد زاد وجهها شحوباً ، ووقفت حيث كنت متأملا في نور هذا القنديل ، مشفقاً على هذه الانسانية التي لا تدري كيف تعبر عن حزنها ولا عن ألمها . . . ماذا يفعل هذا النور الخافت في هذا الدهليز الضيق ؟ وما الذي يفيده الفقيد الراحل من الزهر المنثور على القبر ومن القنديل ومن تجديد الفتيل . . . إنه ذهب ولن يعود ... ولكن الحياة لا تعترف بأنها فقدت من الموتى كل شيء ، فهي تحدثهم بلغة الأنوار والأزهار ، وهي تناجيهم بالتماثيل والتهاويل ، وهي تسمعهم الأغاني والتراتيل . . . أهي تفعل ذلك كله من أجل الموتى ؟ أومن أجل نفسها ؟ أهي تتشبث بالذين ذهبوا أم تتعلق بالدنيا التي تتجدد وتتطور وتزداد كل يوم جمالا وافتتانا ؟ . . . ما أقوى الحياة في بدايتها ! وما أقواها في نهايتها !

لكن هذه الخواطر الغامضة لا تنتهي ، لأن كل شيء في المقبرة يفجر في النفس ينابيع التأمل والاستذكار ، فلا بد لزائر المقبرة من شيء أو شخص ينتزعه من هواجس نفسه وخواطرها . وقد كان الذي انتزعني دليلا من أدلاء المقبرة ، تقدم إليّ وعلى عينيه مناظر لامعة ، وسألني كم من الوقت أريد أن أقضي في المقبرة . قلت لأصرفه عني : « دقائق قليلة » ؛ فقال حسنا . اتبعني . فتبعته وأنا أسائل نفسي ماذا يستطيع أن يقول هذا الدليل وقد تكلمت التماثيل والأحجار ، ونطقت القبور والأنوار ، وسالت الفجيعة من كل ركن من أركان المقبرة ؟ ولكنه قادني إلى تمثال أنيق لراهب وانطلق يذكر صانع التمثال وشهرته ، وتاريخه وبداءه ؛ فأحسست أن الجو الشعري الذي اشتملني قد تبدد أريجه وعطره ، وشعرت أنني خرجت إلى دنيا التوافه . . . دنيا الأرقام والاحصاء ، الدنيا التي لا ترى فيها إلا مكافحاً في سبيل الرزق ، أو مدجلا من أجل الشهرة ، أو مغلوباً على أمره ، يبغي البقاء ويخشى أن يدهمه الفناء . . .

قل أيها الدليل كل الذي في جعبتك فانك لا تهوى الفن ولا تعشقه ، وليست هذه التماثيل في حسابك إلا بقدر ما تدخل الجثة المسجاة في سرير في حساب « النادبة » التي تؤجج نيران الأسى في قلوب ذوي الفقيد وهي لا تحس ألما ، بل تنتظر لعويلها ثمناً . مرّ بي على تمثال الجندي الشاب الذي صرع في ميدان القتال فأقامت له أمه نصبا خلدت به ابنها ، فأبرز المثال صورته ، وقد أصابته الرصاصة في صدره ، فوضع يده حيث اخترقته القذيفة ووقفت أمه من ورائه تحنو عليه . . .

مر بي أيها الدليل على تمثال الفتاة التي زفت الى خطيبها ،

فماتت فى شهر عسلها ؛ وعلى تمثال الغواص الذى هبط إلى أعماق البحر ولم يخرج ...

مر بى أيها الدليل فى الدهاليز... وأشر بأصبعك إلى القطع البارعة التى احرقت أعصاب أصحاب الفن قبل أن تبرز إلى الوجود . . . لخص أيها الدليل أجمل معانى الدنيا فى عباراتك الباهتة وقل هنا « قبور الأغنياء » ، وهنا قبور القرن الماضى ، وهنا قبور المتوسطين من الناس ... كأنى جئت هنا لأضع الموتى فى مراتبهم الاجتماعية ، ولأسأل عن وظائفهم ومقادير ثرواتهم وما حصلوا من مجد ، وما لاقوا من عنت .... قف أيها الدليل أمام أجمل فتنة فنيـة ؛ ثم لا تدعنى أتأملها لأنك تحسب أنك قلت لى عنها كل شىء إذ تقول إنها تكلفت أموالا كثيرة ..

ولندخل بى أيها الدليل إلى دهليز طويل ، لأرى فى جداريه ادراجاً فأحسب أنها أدراج مكتبة وقفها بعض ذوى الثراء على الراغبين فى العلم الباحثين عن المعرفة حتى فى المقبرة ، ثم قل لى إن فى كل درج جثماناً ... وأن الادراج امتلأت بالموتى ولم يبق إلا اثنان ينتظران ميتين ...

إنها لمكتبة حافلة ! ولـكن من يستطيع فك مغاليقها وفض أختامها ؟ واخرج بى أيها الدليـل الى مقبرة الفقراء والمساكين الذين لا يقيمون لموتاهم نصباً ولا تماثيل . ولا تقل لى عدد الموتى ولا أعمارهم ... فانى هنا فى حديقة جميلة غناء ، بودى أن أقف فيها والشمس الهادئة تغمرنى ، والجبل الأشم يطالعنى ، والموتى الساكنون يغسلون بسذاجة قبورهم نفسى . . .

ولـكن قل لى أيها الدليل ما بال هذا القبر يبدو عاطلا من كل حلية . ؟ « نعم ياسيدى لأنه قبر رجل غريب ! »

أيتها الانسانية المسكينة ! تشبثى بالفروق ، وتأنقى فى الموت ، وتأنقى فى الحياة ، وأقيمى لموتى الأغنياء قبابا ، واحفرى لموتى الفقراء لحودا ، ثم انظرى آخر الأمر ماذا بقى لديك فى يديك ؟ الموتى جميعاً أصبحوا ( معروضات ) فى متحف ، يرتزق بالتحدث عنهم دليل جاهل ، ويتسلى بالنظر إلى صورهم زائر عابر ، ولا تبقى وراءهم إلا عبرة فى عين ، وحسرة فى قلب ، وعبرة لمن أراد أن يعتبر !

(جنوى) فهمى رضوان المحامى

# قصـــة المكروب

## كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور احمد زكى

وكيل كلية العلوم

## بستور Pasteur والكلب المسعور

وأخذ بستور ورجاله الخلصاء يصوبون مجاهرهم على مواد يستخرجونها من أجسام موتى من الانسان والحيوان . ماتت بأمراض مختلفة الأجناس بلغت المشرات عداً ، وقضوا فى هذا ما بين عام ١٨٧٨ وعام ١٨٨٠ . كان بحثهم فى هذه الفترة به شىء من التخليط ، وتحسسهم فيها على غير هدى . ثم شاء القدر أو إرادة الله أن تضع تحت أنف بستور طريقة رائعة للتحصين من الأدواء ، ذلك التحصين الذى حلم به طويلاً . ليس فى استطاعتى أن أؤدى قصة ما جرى فى ذلك بالضبط ، لأن الذين كتبوا عن بستور اختلفت رواياتهم فيها ، ولأن بستور نفسـه لم يشر فى كتاباته العلميـة إلى الذى حدث ، ولم يقل قط إن الذى جرى له فى ذلك كان حظاً واتفاقاً . ومع هذا فأنا أقصها على أحسن ما أستطيع ، وأسد خللها على قدر الامكان

ففى عام ١٨٨٠ كان بستور يلهو بتلك المكروبة الصـغيرة البالغة الصغر التى تصيب الدجاج فتميته بالداء المعروف بكوليرا الدجاج ، وكان الدكتور پيرُونسيتو Peroncito اكتشفها فوجدها ضئيلة بالغة فى الضآلة فلا تُرى بالمكرسكوب منها غير نقطة صغيرة ترتعد تحت أقوى العدسات ، وكان بستور أول باحث استطاع تربيتها نقية ، وذلك فى حساء صنعه لها من لحم الدجاج ، وبعد أن راقب هذه النقطة الراقصة ، وهى تتكاثر فى هذا الحساء فتبلغ الملايين الـكثيرة فى الساعات القليلة ، قام فأخذ من الحساء قُطيرة فأسقطها على فُتيتة خبز ألقمها دجاجة ، فلم تمض ساعات حتى انقطعتْ وَقْوقة هذا الطائر النكود ورفض الطعام وانتاش ريشه واستدار فكان كـكرة من الصوف . فلما أصبح الصباح جاءه بستور فألفاه يترنح على رجلين ضعيفتين ، وعيناه فى اغماض من نوم غامض انقلب سريعاً إلى نوم أبدىّ عميق

وقام روRoux وشمبرلاند Chamberland على هذه الكروبات الصغيرة يربيانها ويرعيانها تربية الحاضن ورعايتها . فكانا يغمسان عودا من البلاتين فى حساء يعجّ بها ، ثم يغمسانه بما حمل من البلل ويحرّكانه فى حساء جديد خال من الأحياء ، فلا يلبث أن يعجّ هذا بالخلائق الجديدة من ذلك الكروب . وقاما على هذا يوما من بعد يوم ، ويكثرون من القليل الذى على العود البليل المدد الهائل الكبير من هذه الكروبات ، حتى ازدحمت مناضد المعمل بزريبات متروكة قديمة بلغت أعمار بعضها أسابيع كثيرة ، وتفكر بستور فيها فقال : « غدا نُنَحّى كل هذا الركام وننظف المناضد »

وهنا جاء الحظ يهمس فى أذن بستور ، فما كان من صاحبنا أن غيّر رأيه ، فقال لرو : « نحن نعرف أن مكروب كوليرا الدجاج لا يزال حيّا فى هذه القبابة ... نعم إنه قديم ، فقد تركناه فى مكانه بضعة أسابيع ... . ولكن برغم هذا أرى أن تحقن قطرات قليلة منه فى بعض الدجاج ... »

وأنفذ رو ماسأله بستور ، وإذا بالدجاجات يجيئها المرض فيذهب عنها المرح والخفة والنشاط ، وتهوّم كأنها تطلب النعاس . وأصبح الصباح فأتى بستور يطلبها فى المعمل لتشريحها وفحصها موقنا أنها لا شك ماتت كالعادة ، فاذا بها تجرى على عينه هنيئة سعيدة . قال بستور : « هذا عجيب ! إن الكروب من زريباتنا كان قبل الآن يُحقن فى العشرين دجاجة فتموت العشرون كلها ، أما هذه ... ! » على أنه لم يكن مُقدَّراً لبستور فى هذا اليوم أن يكشف كشفه الخطير المنظور ؛ ففى الغد قام هو وأسرته ورو وشمبرلاند لقضاء عطلة الصيف ، وقبل سفره أودع الدجاجات التى برئت ذمة حارس المعمل ونسى أمرها

وعاد بستور من سفره . وذات يوم طلب إلى خادم المعمل أن يحمل اليه بعض الدجاج الصحيح الجديد ، وأن يجهزه للحقن ، قال الخادم : « ولكن ياسيد بستور لم يبق من دجاجنا الجديد الذى لم يحقن غيرُ زوج أو زوجين ، أما البقية فأنت تذكر أنك حقنتها قبل سفرك بكروب من زريبات قديمة فمرضت ولكنها لم تمت » . فتسخط بستور على الخدم الذين يهملون فلا يحتفظون بوفرة من الدجاج لتكون دائما كافية حاضرة ، ثم قال : « إذن فأحضر ما عندك من دجاج جديد ، وزوّدنا كذلك بزوج أو اثنين من الذى حقناه فأبى أن يموت ... »

وأحضرت الدجاجات وهى تملأ الجو صياحا ، فضرب أحد الأعوان حقنه فى عضلات صدورها بملايين الكروب فى صدور تلك التى كانت حقنت من قبل ، وكذلك فى صدور الجديدات ، ومضى النهار ؛ وأصبح صباح الغد ، فأقبل رو وشمبرلاند إلى المعمل ، وبينما هما يدخلان سمعا صوت بستور خافتا يأتى من تحت السلم من بيت الدجاج وهو يصيح بهما : « رو ! شمبرلاند ! إنزلا إلىّ وأسرعا ! » وكان بستور يسبقهما دائما إلى المعمل بساعة أو نحوها

ونزلا اليه فوجداه أمام الأقفاص يذرع الأرض بخطواته . فقال لهما : انظرا ! ان الدجاج الجديد الذى حقناه أمس مات . وكان يجب أن يموت . ثم انظرا إلى هذا الدجاج القديم الذى كنا حقناه من شهر مضى ، فمرض ثم طاب ، هذا الدجاج أخذ بالأمس نفس الحقنة القاتلة التى أخذها ذلك الدجاج الجديد ، ولكنه لم يمت ... لقد قاوم فعل الحقنة أتم مقاومة ، انه فرح مرح ... انه يأكل ! »

فاختبل رو وشمبرلاند ، وانبهم عليهما الأمر حينا . فقال بستور : « ألا تدركان مغزى هذا ؟ مغزاه أنى وجدت كلّ ما أردت ! لقد وجدت الآن كيف أعطى الداء قليلا الى الحيوان — قليلا بحيث يُمرضه ولا يميته فيُشفى وشيكا .. وكل الذى علينا أن نعمله هو أن ندع هذه الكروبات الحادة القاسية تشيخ فى زجاجاتها . بدل أن نستخرج منها بالزرع أنسالا كل يوم ... ان الكروبات تَقْدُم فتشيخ فتهدأ حدتها ، وتضعف ثورتها ، فاذا أنت حقنتها فى الحيوان أعطته مرض الكوليرا ، ولكن بعضا قليلا منه لا كلّه ، فاذا طاب استطاع بعد ذلك أن يصمد لأخبث مكروب فى العالم ... فأنتما تريان أن فرصتنا فى هذا عظيمة ؛ وأن هذا أخطرا كتشافاتى ، هذا اللقاح الذى كشفت ، وهو أكثر تأكدا من لقاح Vaccine الجُدرىّ وأكثر منه حظا من العلم ، فالجدرىّ لم ير أحدٌ له جرثومة ... فهيّا بنا نطبق هذا على داء الجمرة ... وعلى كل الأدواء الخبيثة ... ونخلّص حياة الانسان والحيوان ! »

— ٣ —

لقد كان الذى وجده بستور مصادفة واتفاقا ، فلم يكن من تدبير

العقل الانسانى . ومع هذا فلو أن رجلا دون بستور قدرا وقع على الذى وقع عليه لقضى السنين الطويلة يحاول تفسير هذه الظاهرة الخفية لنفسه دون أن يأتى أمرا مذكورا ، أما بستور فما كاد يقع اتفاقا على حماية دجاجتين حقيرتين من جرثومة قتالة حتى رأى فى هذا فرصة سانحة عظمى لحماية بنى الانسان من الموت ، فابتدع عقله الوثاب طريقة جديدة يختلُ بها الطبيعة التى شاءت أن يستسلم بنو الناس كلما هبت عليهم تلك بالعداء أحياؤها الصغيرة

كان بستور بلغ الثامنة والخمسين من عمره ، فلم يبق فيه من الشباب بقية . ولكن هذا اللقاح الجديد الذى اكتشفه بغير قصد فنجا به الدجاج من الكوليرا ، هذا اللقاح نفخ فى جمرة حياته فاستعرت ، فعاش من بعد ذلك ستّ سنوات هى أملأ سنواته بالحركة وأشدها احتداماً بالحياة ، سنوات امتلأت بحجاج شنيع ، وانخذال فظيع ، ونصر غير منظور . فى هذه السنوات الست صب بستور من الطاقة ما يصبه مائة رجل ، وأحدث فيها من الحوادث ما يحدثه هذا العدد من الرجال متظاهرين

وقام بستور وصاحباه يؤكدون أمر هذا اللقاح ، فتركوا مكروباً للكوليرا يقدُم فى حسائه وزجاجته ، فلما ضعفت شرته حقنوه فى عشرات من الدجاج الصحيح ، فمرضت مرضاً سريعاً ، واشتفت سريعاً ؛ وبعد أيام قلائل حقنوها بذريعة خبيثة من المكروب نفسه تكفى لقتل العدد الوفير من الدجاج الصحيح الذى لم يحقن بعد ، وأخذ ثلاثتهم يرقبون هذا الدجاج تياهين معجبين باحتماله تلك الملايين من المكروبات وصموده الغريب لها

هكذا أغرى بستور بذكائه مكروباً بمكروب . بدأ بتأنيسه ، فلما تم له ذلك حشده وسلطه بأسلوبه الغريب على مكروب من جنسه

ولو أنه لم يكن عندئذ فعل ذلك فى غير مكروب كوليرا الدجاج ، فقد اندفع على عهده فى غطرسته وتمجرفه على الأطباء ، وفى حملته على آرائهم العتيقة ، وهزىء برطانتهم اللاتينية ، وسخر بوصفات جرّت بها أقلامهم على الورق سريعة كالبرق الخاطف ، وانعقدت الجمعية الطبية فقام يخبر الأطباء فى أدب جم أن لقاح الدجاج الذى كشفه يفوق كثيراً لقاح الجدرىّ الخالد الذى كشفه يننار Ienner قال لهم : « ما الآن قد دللت على ما لم يكن يننار ليستطيع التدليل عليه ، وذلك أن المكروب الذى يقتل الحيوان هو نفسه الذى يقيه من الموت ! »

وثجر الأطباء ذوو الآراء القديمة والأزرّة الزرقاء ببستور أن نصّب نفسه إماما ليننار العظيم . وقام الدكتور جول جيران Jules Guérin يسخر من بستور أن أثار هذه الثائرة كلها من أجل تخبيص فى دجاج — واستمرت الحرب فى استعارها .

وقام بستور فى غضبة ثائرة ، وأعلن على رؤوس الأشهاد رأيه فى سخافة إحدى العمليات الجراحية التى يقوم بها جيران ويُعجب ويُغرم بها . فتلا ذلك منظر من أقبح المناظر وأفضحها يسوؤنى أن أصفه وتضيق نفسى لاضطرارى لذكره . نهض جيران من مقعده ، وكان شيخاً فى الثمانين من عمره ، وأراد أن ينقض على بستور ذى الستين ، وما كاد يفعل حتى صوب إليه لكمة ، ولكن تدخل بينهما الأصحاب فمنعوا اشتباك هذين الشيخين اللذين حسبا أن الحقيقة تظهر باللكم والرفس وبكسر العظام وخمش الوجوه

وفى الغد أرسل جيران العتيق شاهديه إلى بستور يتحداه إلى المبارزة . ولكن يظهر أن بستور لم يشأ أن يخاطر بحياته وأن يموت على هذا النحو ، فأعطى صديقى جيران رسالة يحملانها إلى كاتب الأكاديمية ، وقال فيها : « لم يبق لى الواجب من سبيل أسلكها إلا أن أعرب عن استعدادى إلى تغيير كل ماقلته فيما يرى المحرّرون أنى خرجت به عن حدود النقد المباح والدفاع المقبول عن النفس » . وبذلك هرب بستور من النزال فأثبت مرة أخرى أنه انسان ولو فاته أن يكون ما نسميه فى العادة رجلا

(يتبع) **أحمد زكى**

# الأشباح (١)

Fantômes

لفكتور هوجو

ترجمة السيد فؤاد نور الدين

واحسرتاه ! ما أكثر ما رأيتُ من غادات هصرتهن يد المنون !

هذه سنة القدر ! الفريسة ينتظرها الهلاك ،

والعشب تنتظره المناجل المشحوذة القاطعة ،

والزهور توطأ تحت أقدام الراقصين الناعمين في الحفلات ،

والماء ينفد من وديانه ، والبرق لا يومض إلا قليلاً ،

وأبريل (٢) الحسود يحرق بصقيعه أشجار التفاح المزهوة ذات الأزاهير الفواحة ، التي تتساقط كأنها ثلجُ الربيع .

ثم ، هذه سنة الحياة . يعقب الليلُ الشاحبُ النهارَ الضاحك .

وتعقب اليقظةُ كل شيء ، إما في النعيم وإما في الجحيم .

ويأنف المدعوون الجَشِمونَ حولَ المائدة الكبيرة ،

إلا أن كثيراً منهم يهجرونها قبل نهاية الطعام

— ٢ —

ما أكثر ما رأيت من غادات يَمُتن ! إحداهن وردية اللون بيضاء البشرة ؛ وأخرى كأنها لم تنصت إلا للألحان السماوية ؛ وأخرى ناحلة قد أسندت جبينها المحنيّ على ذراعها ؛ ثم فارقتها الروح كما يفارق العصفورُ غصن الدَّوْح وفنن الروض

إحداهن شاحبة ضالة ، استولى عليها الهذيان فما تنطق إلا اسما لا يذّكره أحد ، وثانية تغني كما يغني النشيد على الأوتار ، وثالثة كانت تحتفظ بابتسامة الملاك الجميـــل الرحيم ، لما لفظت نَفَسها الأخير

فما أشبههن جميعاً بالزهور المرتجفة التي أعجلها القدر إلى الموت !

وبالطيور الجائعة التي غمرتها الأمواه مع أعشاشها الطافية !

وبالحمائم الوديعة اللطيفة التي وهبها الله العالم !

فوالهف نفسي عليهن ! طواهن الثرى في غياهبه ، وما قضين بعدُ من العمر لبانة !

* * *

دعوني أتيه في ظلمات الغاب الدامسة ، وأطأ بأقدامي أوراق الشجر اليابسة ، فأنا لا أصدق أن جميع هؤلاء الفتيات الساحرات قد متن ، وذوت نضرتهن وخمدت أصواتهن ؛ ولا أكاد أصدق أن هذه المشاعل البراقة قد خبت أنوارها ، وتلك الورود الزاهية قد هصرت أعوادها

ما نفسي إلا أخت لهذه الطيوف الجميلة ، أما الحياة والموت فلا يفصلهما فاصل ولا قانون

فأنا طوراً أساعد خطواتهن وطوراً آخذ أجنحتهن فأموت مثلهن أو يعشن مثلي في رؤى عجيبة لا توصف

وتلبس أفكاري أشكالهن وصورهن ويخاطبنني قائلات : تعال !

ثم يتراقصن متشابكات مترابطات حول رموسهن

ويتوارين عن عياني بهوادة ، لا يخلفن لي غير الحلم والذكرى

— ٣ —

إنما أذكر منهن واحدة اسبانية : ملاك غض الصبي ؛ أبيض اليدين . قد رفعت النهدين وعقدتهما زفرات بريئة . العين حوراء تلمع فيها نظرات فتنة وسحر

والجمال مجهول أمره ، هذا الجمال الذي يتوج بهالة من النور والضياء جبين من بلغت الخامسَ عشر ربيعاً .

لم يقض الحب عليها ، فالحب لم تخطر بعدُ لذائذه ومعاركه في فؤادها العاصي بالرغم من هتاف الناس عند مرورها : ما أجملها ! كانت تهوى الرقص وهذا الرقص قضى عليها

فرقاتها لا يزال يرتعش رعشة الهدوء والسكون كلما رقصت حول كوكب السماء في الليلة الصحية غيمة بيضاء

كانت تعشق الرقص أشد العشق ، وكانت تظل قبل كل حفلة ثلاثة أيام ولياليها تفكر فيه وترى من أجله أحلاماً زاهية ، وترى نسوة وعازفين وراقصين كلهم يحفون بها

وترى الحلي اللامعة ، والعقود الساطعة ، وهذه النسائج الرقيقة الناعمة ، وتلك النفائس البراقة المتلألئة ، وهذه الشرائط الخفيفة التي تشبه أجنحة النحل اللطيفة : كلها وزهور وورود كانت تملأ في الحلم عينيها وتسحر نفسها

* * *

فإذا كانت الحفلة ، ألفيتها لاهية ضاحكة مع رفيقاتها ، تقبل حيناً وتدبر حيناً في المخامل الحريرية

(١) نقلت عن كتاب Oeuvres choisies illustrées (V. hugo.)

(٢) نيسان

والروحة بين أصابعها تضغط عليها والألحان المرحة تنتشر من حنجرتها

فتوافقت الموسيقى الصادحة ونغمات البيانة السابحة

لله ما أبهج النفس التي تتمتع برؤية هذه الكاعب ترقص وتزهو!

ثوبها يهتز بنجومه المتلألئـــة اللازوردية ، وعيناها السوداوان النجلاوان تلمعان تحت خمارها الحريري الرقيق لمعان نجمتين تضيئان على جبين الليل من خلف سحابة مظلمة

كل ما كان يكمن فيها كان رقصاً محوكا ومرحاً متوثباً

ما أشبهها بالطفل! — كنا نبتهج بالنظر إليها في دعتنا الكئيبة؛ لأن القلب لا يجد متعة في الرقص فحسب، فالرماد يعلو حول الألبسة الحريرية

والسأم يظهر وسط اللذائذ الساوية

***

أما هي فكان الرقص يهيجها ويثيرها، وكانت تحلق – وهي نشوى بنفحات القيثارة الفجور – في فضاء من الحبور، وفي جو من السرور

وكانت الزهور الجميلة ، ومصابيح الذهب المتوهجة ، وجلبة الأصوات المرتفعة ، وضجيج الخطوات المتنقلة ، تسمّوبها وتلذها

ما أسعدها وهي تثب وسط الجمع، كأن مشاعرها تضاعفت وازدادت ونمت!

فلا تدري حينذاك أتتدحرج خلال السحب ، أم تصطاد خلال الغاب ، أم تطأ بأقدامها أمواج البحار؟

***

واحسرتاه! إذا ما قرب انبثاق الفجر وجبت العودة إلى القصر

وهنا تضطر الراقصة الساذجة إلى الوقوف على عتبة الباب منتظرة المعطف

وهنا تحس وهي ترتجف أن نسيم الصباح الندي يلامس كتفها العاري الفضي

فيعقب الغد الحزين واليوم الكئيب ليلة الرقص المائجة!

وداعاً أيتها الرقصات الصبيانية، وداعاً أيتها الزينة!

أيتها الحفلات الجميلة، أيتها الأغاني العذبة، واللذائذ الحلوة، والعيون المشرقة!

فلقد خلفتكن جميعاً عيون منطفئة، وأدواء معضلة

— ٤ —

ماتت فتاتنا — وما جاوزت ربيع الخامسة عشرة من عمرها!

ماتت في وفرة شبابها، وروعة جمالها، بين نظرات تعبدها، وعيون تقدسها

ماتت على أثر خروجها من حفلة راقصة، فتفتتت أكبادنا حسرة عليها؛ ولبسنا لباس الحداد من أجلها

ماتت وا أسفاه! بين ذراعي أم ضاع صوابها وغاب رشادها،

لم يرحمها الموت فانتزعها انتزاعاً بيديه الباردتين لكي يضمها في القبر، وهي ما تزال في أهبة لحضور حفلات تالية

لله ما أسرع الموت في اختطاف تماثيل الجمال!

أما تلك الزهور التي كانت تزين بالأمس رأسها، وتتفتح أكمامها على صدرها، فلقد ذبلت في الرمس، قبل أن تنشد فتاتنا نشيد الهوى والعرس

— ٥ —

وارحمة لأمها التاعسة! إنها تجهل حظها العاثر

تلك الأم التي أضمرت لابنتها من الحب والحنان شيئاً عظيما؛

ألم ترع طفولتها الشاكية الحزينة؟

ألم تقض لياليها ساهرة تهدهد لها المهد لتغفو وتنام؟

رحماك رب! لم يفدها ذلك.

فالفتاة ماتت، وهي ترقد الآن في تابوتها القاتم شاحبة اللون، كاسفة الوجه، فريسة للحشرات والديدان

***

فإذا ما أيقظها في ليـــلة جميلة من ليالي الشتاء حفلة خاصة بالموتى، تقدم إليها – ليتولى أمر زينتها – شبح رهيب ذو ضحكة مروعة

فيقول لها: هلمي حان وقت الرقص!

ويطبع على شفتها البنفسجية قبلة باردة جليدية، ويمر أصابعه العقداء، أصابع هيكل عظمي، على خصلات شعرها الطويلة المتموجة، ثم يسوقها مرتجفة مهتزة، إلى الرقص النادب المشؤوم، إلى تلك الموسيقى الجوية المتصاعدة في الظلام، حيث يكون القمر في الأفق القاتم شاحباً عريضاً، وقوس قزح مصبوغاً

(البقية في أسفل الصفحة التالية)

فصول ملخصة فى الفلسفة الألمانية

# ٢٧ – تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

الناحية الإيجابية من مذهب نيتشه

## السوبرمان

أو الانسان الأعلى

للأستاذ خليل هنداوى

– ١ –

إن أوربا الحاضرة قد انسل إليها الداء ، ترى فيها حيث نظرت مظاهر العلة والانحطاط . فكأن نصباً بالغاً حل على الانسان فكبل قواه وأضوى عزمه . وهو بعد أن قطع سبيله من دودة أرضية إلى قرد ، ومن قرد إلى انسان أصبح يجنح فى هذه الساعة إلى راحة بعد هذا التطور الذى شق فيه . لا يحفل إذا كانت الراحة فى الوقوف أو فى الموت ، وهنالك مذاهب كثيرة تتعلق بأطراف ثوبه تغريه بعوامل جميلة وآفاق مطرزة . هذا يعده بالمساواة المطلقة ، وهذا يعده بحياة ما أجمل أفقها ! المذهب الديموقراطى مذهب منحط فى الجماعات ، ومذهب ديانة الألم هو مذهب الضعفاء . وأولئك الشكوكيون الدهقون المارقون الذين ألقوا « مثوى » لهم عند زرادشت ، هم منحطون يتألمون من وجودهم ، ويكادون يختنقون سأماً من أنفسهم واحتقاراً لها كلما وقعت أنظارهم على الانسان الحاضر

أليس هذا هو الانسان المتشائم الآلهى الذى ينطق بمواعظ الموت قائلاً : « كل شىء باطل الأباطيل » « لا شىء يجدى ! السعى باطل » . « لا جزائر سعيدة وراء المحيط » ! . هنالك متشائمون كثيرون أووا إلى كهف زرادشت ، منهم الملكان اللذان هجرا مملكتهما لأنهما لم يخلقا أول الرجال ، والآن يريدان ألا يأمرا ولا ينهيا أحداً . وهنالك العالم الذى يعكس صور الأشياء ، ويضحى بحياته ابتغاء أن يدرس دماغ علقة . وهنالك الساحر المشعوذ الذى يعبث كثيراً بحقائق الأشياء ويخدع كل الناس دون أن تجوز عليه خدعة . ثم يتحرى — وقلبه مفعم سأماً وكآبة — عن مجد مشروع صحيح . وهنالك «البابا الأخير» من لم يستطع أن يجد لنفسه عزاء عن موت الآله . وهنالك أقبح الرجال ، قاتل الآله ، لأن الآله خنق اشفاقه على بؤس الناس وشقائهم . وهنالك السائل الذى مقت الانسان المتمدن ، يتحرى إزاء قطعان البقر السارحة فى المروج ، يتحرى عن السعادة . وهنالك الشكوكى الذى قذف به جوح عقله إلى إضاعة نفسه ، فضل وغوى وانطلق — بدون أمل — يسبح فى أرجاء الوجود . كل هؤلاء يئنون من داء عميق يحز فى قلوبهم حزاً . فهم يطوفون فى الآفاق وقد أخذ القلق منهم كل مأخذ . فالناس وكل ما يؤمن به الناس من السعادة لا يزيدهم إلا سأماً . فهم أمسوا ولا إيمان لهم بكل الرموز التى يقدس الشعب ألفاظها ومعانيها . فلا ما وصلت إليه المادة يغنيهم نفعاً ، ولا الايمان بالمثل الأعلى يغمر قلوبهم ، فماذا يجب على الانسانية إذاً أمام هذه الهاوية ؟ فهل تقف مشيها وتطلب نفى الحياة وتنشد العدمية ؟

يجيب نيتشه : لا ! لأن الانحطاط لا يؤول إلى العدم ، بل

---

بيريق الياقوت والعسجد ، وتكون الغيوم ذوات أهداب من لجين

– ٦ –

يا أيتها الفتيات اللواتى تشوقهن ملاهى الرقص الضاحك !

لا تنسين تلك البنت الاسبانية التى انطفأت شعلتها إلى غير عودة ! ولا تنسين أنها كانت تنتقل من حفلة إلى حفلة باشة فرحة ، فتقتطف بيد مسحورة ، أزاهير العمر العبقة ، وتكسب روحها لذائذ الحياة الطاهرة ، وتملأ عينيها بزاهى الألوان الساحرة

على أنها مضت إلى عتبات الموت سريعاً ، فقضت كما قضت أوفيليا [1] التى جرفها السيل وهى تقطف الورد والزهور ، فراحت غريضة الشباب والجمال فى ظلمات القبور

حلب فؤاد نور الدين

معلم الترجمة بمدرسة الزهراء النسائية

---

(١) Ophélie أحد أشخاص المأساة (هملت) وهو أروع شخص ابتكره شكسبير . أوفيليا جنت من اليأس ، فأخذت تقطف الزهور على شاطىء النهر فسقطت فى الماء ولاقت حتفها . ( لاروس )

قد يكون الانحطاط بشائر حياة جديدة وعافية قوية ، وأن مما لا ريب فيه أنه لا يمكن الرجوع بالانسانية إلى الوراء . « يجب الاقدام ، الاقدام إلى الأمام ... تقدموا رويداً رويداً في الانحطاط ، وكما أن أوراق الأشجار تصفر في الخريف وتتناثر على الحضيض ، كذلك الانحطاط قد يكون طليعة سلالة جديدة ، والانسانية تهب باحتضارها حياة سامية ، إن الانسانية تتمخض وتتألم من أوجاع الولادة ؛ ولذلك لم يحمل زرادشت تعاسة الرجال السامين إذ يعتقد بأن الانسان ينبغي له أن يتألم كثيراً ليستطيع الوثوب على القمم العالية . إن شقاء الرجال السامين وسأمهم من الناس ومن أنفسهم ضروريان ، ليصر فاهم إلى المواطن العالية ولتزيدهم جرأة واقداماً على الوثوب . وإذا كان هؤلاء الرجال السامون هم بأنفسهم نماذج ناقصة للانسانية فما همّ ذلك ؟ يجب أن يكون هنالك انحطاط ونقص حتى يجيء النموذج كاملا من كل وجه .

إن الانسان السامي هو كالإناء ، يتهيأ فيه مستقبل الانسانية ، وفيه تتألف وتتجاذب وتعمل كل الجذور التي ستظهر يوماً لمعانقة أشعة الشمس ، على أن أكثر من إناء واحد ووعاء واحد بين هذه الأوعية سيتصدع وسيتحطم ! ولكن ما هم ذلك ؟ أإذا ساءت ولادة فرد ما فهل ساءت الانسانية كلها ؟ وإذا ساءت ولادة الانسانية كلها فما هم ذلك ؟ إن الانسان خاضع لهذا التشبيه الذي فرضه نيتشه . « إن الانسان هو حبل ممدود بين الحيوان والسوبرمان ، ليس الانسان بغاية ، إنما الانسان مجاز وممر ، وليفن الانسان في سبيل حياة السوبرمان . يقول زرادشت للشعب الحاشد حوله :

« إني أعلمكم السوبرمان ؛ الانسان يجب أن يفوق الانسان ! ماذا فعلتم لتفوقوا الانسان ؟

كل الكائنات سارت في طريق الابداع إلى ما هو أسمى : وأنتم يا بني الانسان شئتم أن تكونوا من الموجة جزرها لا مدها ، بل آثرتم العودة إلى الانسانية على السمو فوق الانسانية

ماهو القرد في عين الانسان ؟ إنه خزي وعار . وهذا ما يجب أن يكون الانسان في عين السوبرمان : خزي وعار . ها إنني أعلمكم السوبرمان : إنه هو ابن الأرض ، فلتقل إرادتكم ، بلى . ليكن السوبرمان ابن الأرض » !

— ٢ —

من هو السوبرمان ؟ وكيف يستطيع الانسان أن يكونه ؟ يمكننا تحديد السوبرمان بأنه هو الانسان الذي يصرف عن نفسه كل التقاليد الموروثة من مذاهب وشرائع سارية في جسد أوروبا . يصرفها عن نفسه ليعود إلى تقاليد وضعها رجال نبلاء وأسياد خلقوا بأنفسهم هذه القيم ولم يقتبسوها من غير أنفسهم . وليس معنى ذلك أن نعود بالانسان إلى الوراء — إلى عصر الوحشية — وإنما نريد من الانسان أن يبقى محتفظاً بمعارفه وبتجاربه التي شق فيها أدهاراً طويلة . . . ولكنه يجب عليه أن يحطم مجموعة التقاليد والشرائع التي تعوق سيره وتحول بينه وبين التقدم المنشود

إن الانسان بذهابه من الوجود يفتح الطريق للسوبرمان . وما أشبه هذا الاجتياز بالحركة التي تولد الرجل الزاهد عند « شوبنهاور » . يعتقد المتشائم الكبير بأن الألم قد يقود الانسان إلى الانعتاق من إرادته الشخصية ، ويسير به إلى الانتحار في النهاية . ولكن هذا لا يغني وحده في نقله ، وإنما لا ينبغي له إذا أراد الخلاص أن يقنع بالتنازل عن حياته الخاصة التي يحرزها ، بل أن يتنازل عن الحياة عامة ، وبهذا الثمن يستطيع أن يحس بالهدوء . أما عند نيتشه فان الألم هو الواخز الذي يخز الانسان فيقوده إلى السلام . إن الانسان يتألم من كل شيء ذاتي ، فيدرك السآمة الحادة الفاشية في نفسه ، وهذه السآمة هي التي تسوقه إلى طلب الزهد والتشاؤم . وهذه هي حالة الرجال السامين الذين جمع بينهم « زرادشت » في كهفه . ولكن النبي يعظهم قائلا لهم « إنكم لم تبلغوا في الألم الدرجة التي أريدها . لأنكم مازلتم تتألمون من حالتكم ومما أنتم عليه . إنكم لم تتألموا من حالة الانسان الحاضر ! » فاذا بلغ الانسان هذه الدرجة البالغة من الشقاء والسأم توارى وأباد نفسه تاركا الأرض للسوبرمان . إن التشاؤم الحاد العنيف هو الذي سيولد التفاؤل الظافر

( يتبع ) خليل هنداوي

# أشبعوا غيرهم وباتوا جياعا !

## للشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى

إن مَن كدّوا يزرعون البقاعا     أشبعوا غيرهم وباتوا جياعا
ربحَ المالكون للأرض غصباً     ومضى كدُّ الزارعين ضَياعا
يُفقِرُ الدهرُ ألفَ بيتٍ ليغنى     واحداً من أفراده جمّاعا
لا ترى بين أوّليهم ثرياً     كانزاً للأموال أو منّاعا
ومن العدل أن يكون نتاج الـ     أرض بين المستثمرين مشاعا
إن بين الحق المحصحصِ والبا     طل منذ النهر القديم نزاعا
والالىٰ قد حسبتَهم بَشَراً إن     ظفروا كانوا أذؤباً وضباعا
عرفتكم عيونُ من أبصروكم     لو رفعتم عن الوجوه القناعا
وعسى أن يغير الله ربُّ النـ     ـاس فى القوم الظالمين الطبّاعا
رضى العاملون بالوهد مأوىً     وأبى المالكون إلا اليفاعا
أفريقٌ يفور بالعيش رغداً     وفريقٌ يكابد الأوجاعا
إنما الدين وهو أكبر هادٍ     لا يراعى الألوانَ والأوضاعا
وكتاب الله العظيم يساوى     بين من كانوا سادة ورعاعا

* * *

ما بكم من جبن ولكنكم لم     تستطيعوا عن الحقوق الدفاعا
مشهد يملأ العيونَ دموعا     وأحاديث تجرح الأسماعا
إن للباطل الذميم لأشيا     عا وللحق لا ترى أشياعا
يتنزى قلبى الجريح بصدرى     موشِكا أن يحطم الأضلاعا
وإذا الأرض زُلزلت فترقَّب     أن تكون الوهاد منها تِلاعا
إنما الآمر الذى يُلزم الأحـ     ـرارَ بالإثم لا يكون مطاعا
أيها العدل أنت شمسٌ فأرسل     لعيونٍ تبغى الضياء شعاعا
لقد امتاز بالشجاعة ناس     ضارعوا الفقرَ يحسنون الصراعا
والذى كان فى الحياة قوياً     كال للمعتدين بالصاع صاعا
وإذا لم ترهف حسامك للذو     د فأرهف إذا استطعت اليراعا
أيها المبتغى انتحاراً تأخر     فمن الجبنِ أن تكون شجاعا
بئس قلباً ما كان بالصادق الودّ     وعقلا ما إن يجيد الخداعا

* * *

وإذا ما أنت صروف الليالى     فهى تأتى بالرغم عنك تباعا
أيها القوم إن أردتم لحاقا     بالالىٰ أبعَدُوا فكونوا سراعا
إننى قد دعوتكم للذى فيـ     ـه لكم خيرٌ إن أردتم سماعا
فسلاماً إذا رضيتم سلاما     ووداعاً إذا أبيتم وداعا
لا يرى مشرق السعادة رحباً     غيرُ من كان للعُلا طلاّعا
رُبّ أرضٍ تشكو الصدى وسماه     لا ترى فيها كوكباً لمّاعا

* * *

كبرت جرأتى فجئت بشعرٍ     أنا فيه أخالف الاجماعا
حاسباً أن ما بنيتُ جدار     ليس فى الظن أنه يتداعى

(بغداد)     **جميل صدقى الزهاوى**

# الغابة

## للاستاذ عبد الرحمن شكرى

قد حكيت الآباد كالبحر والصحـ     ـراء من طول أرضك الشجراء
وحجبت الأفق البعيد عن الطر     ف فأنسيت منتهى الأشياء
فكأن لا مَدَى لدوحك يرجى     حين تُدْحَى مطارح الغبراء
ورياح تشدو على ورق الدو     ح بألحانِ شدة أو رخاء
منطق لم يدع لنفس شجوناً     لا يُحاكى صفاتها فى الغناء
ثم تبدو الغصون فى هدأة الريـ     ـح كنايٍ معلق بالهواء
وكأنى أصغى إلى غابر الدهـ     ـر وما كان فيك من أرزاء
وكأن المساء ظلّل دوحاً     يتسامى ولات حين مساء
وكأن الظلام دس كميناً     رابضاً فى آجامك الدكناء
خطرت فى ظلام دوحك أروا     ح وناجت مسامع القدماء
لبث القوم فيك دهراً فناجا     هم سِرارُ الفنون بالإيحاء
عُمُداً شيّدوا وسقفاً كبَهوٍ     واستمدوا من غابة وسماء
حين شادوا للدين بيعة إيما     نٍ تبدت كالغابة الفيحاء
صرتِ ملهى وكنت غيلا مخوفا     وملاذ اللصوص والطرداء
وارتضيت الأمان من بعد ذعر     لم يزل فى المدينة الشماء
غابة شادها ابن آدم نزلا     دوحها من قصورها الزهراء
ربما عرّشت وضاقت فلا شمـ     ـس لديها ولا مراح الهواء
ومَخُوفٍ من الفجاءة فيها     كمخوف فى الغابة القمراء
واحتيال ليُقتَنصَ الرزقُ والصيـ     ـدُ ببواء فى مكرة كسواء

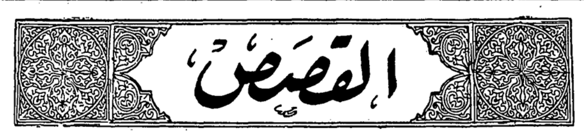
كم وحيد لا يعرف الأنس فيها ... أصبحت نفسه كقفر خلاء
ضاق ذرعاً بنفسه فغدا ينـ ... ـشد طباً فى معرض الأحياء
عذبته لواحظ الشمس حتى ... أخـذته لواعج الظلماء
وأفاعٍ فى دورها وقرود ... ووحوش من نامها بالعراء
وغريب ومعدم وطريد ... قد عداه حتى خداع الرجاء
فكأنّ الاقوام لم يخرجوا منـ ... ـك ولا زال عهدك المتنائى
سُنّةٌ قد سننتها فى نفوس ... إنْ دعتها كانت جوابَ النداء

عبد الرحمن شكرى

# تحية يا شباب !

## للاستاذ ابراهيم ابراهيم على

دعنا نحييكَ يا شبابْ ! ... تحيـةَ المعجب الفخورْ
ونجمع الأهل والصحاب ... نطرب فى غمرة الشعور
أنت حبيبٌ ومستجاب ... وأنت نار بها ونور
دعنا نحييك يا شباب
تحية العاجز المدين ... لآخذى النصر باليمين
تحيةً يا شبابَ مصرا ... يا فتيةَ النيل يا جنود
وذخرنا أن عدمتِ ذخراً ... يا مصر فى ذلك الوجود
يا فيضة النيل بعد أخرى ... تمضى ، ولكنها تعود
دعنا نحييك يا شباب
تحية العُرف للأمين ... وفاتحى فتحها المبين
تحيةً للدم الصبيبِ ... إلى الردى . أو إلى الحياه
يجرى هنا من فتىً حبيبِ ... أو يخضب الوجه من فتاه
فى ساحة الملتقى العصيبِ ... شاث من المعتدى يداه !!
دعنا نحييك يا شباب
يا ضاربَ الشك باليقين ... وقاطعاً ذلك الوتين
وفادياً مصر بالغوالى ... وبالأمانىّ ، والرجاء
وخائض النار والعوالى ... لتستوى مصر فى العلاء
لا بغيةَ الجاه ، أو لمال ... لكنها نفحة السماء
دعنا نحييك يا شباب
يا فاتح الصدر للمنون ... وباذلاً كل ما يكون
المجد ! يا غبطةَ الضمير ... والحمدُ لله والبلاد
وشعلةَ الروح فى الصدور ... ورفعةَ الرأس بالجهاد
ونشوةَ الدمع الغزير ... وغرةَ الحق والجلاد
دعنا نحييك يا شباب
قولوا هنا : مصرُ لا تلينى ... فلعنة الذل أن تلين
تحيةً ! صخرةَ الأساسِ ... مصر على الرأس واليدين !!
تجهل ما الحكم والكراسى ... وتذكر الدين أىَّ دَيْنْ
وتبتغى شدة الراس ... فما سبيل الهوى بِهَيّنْ
دعنا نحييك يا شباب
تحية الليث للعرين ... لا يُظلم القلب أو يرين
نحب مصراً ومن عليها ... وإنما مصر فى بنيها
صعيدَها قبل شاطئيها ... قبطيَّها قبل مسلميها
ومن أعزُّ الورى لديها ... إلا الشباب الأعزُّ فيها
دعنا نحييك يا شباب
ابن بلادى هو ابن دينى ... وإنما بالهوى أدين
جهدك يا جندُ لا يُجارى ... مجدك يا جندُ لا يرام
خصمك يا جند لا يجارى ... فى سطوة الحرب والسلام
لكنها مصر ! من أغارا ... على حمى مصر لن ينام
دعنا نحييك يا شباب
الله . فى ركنها الركين ... وحصنها الراسخ المكين
الحق والنصر صاحبانِ ... وما من الحق أن نذلا
وليس فى الخلق من توانٍ ... ولا على الحق أن نضلا
ان لم أصنْ مصر عن هوان ... وأبذل الأعظمَ الأجلا
نعم وحاشاك يا شباب
خسئتُ من كاذبٍ مهينِ ... أعرف ما الكاذب المهين
أجل ، وحاشاك يا شباب ... يا نجدةَ الحق يا نصير
حييتمو أيها الصحاب ... جهادكم ههنا كبير
(القوم) دعواهمو اغتصاب ... وأمرهم فى الهوى غرور
أجل ! وحاشاك يا شباب
فاضرب به فى سره الدفين ... فكم له ثمّ من كمين




*تمزج منه فرجيل ولمعة منه يوربيدز*

# ٢٢ ـ حروب طروادة

١ — الحصان الخشبي
٢ — سينون
٣ — مصير لاوكون
٤ — رؤيا إيناس
٥ — نهاية بريام
٦ — أنخيسز
٧ — العاصفة

## سقوط إليوم (١)

### للأستاذ دريني خشبه

لم يبرح فيلوكتيتس يرسل سهامه على الطرواديين ، ولم تبرح المنايا تتخطفهم ... ولكن المدينة ذات الكبرياء ما برحت أمنع من عقاب الجو على الغزاة الجبارين ...

وذهب كالخاس عراف الحملة ، إلى آلهته يستوحيها ، ثم هرع إلى سادته قادة الجيش فذكر لهم أنه مادام تمثال مينرفا القدس ـ البالاديوم المشهور ـ فى طروادة فلن يفتحها على أهلها فاتح ، ولو عاونته الأرباب جميعاً !

وانطلق أوليسيز ، وانطلق معه ديوميديز ، فتنكرا واحتالا على حارس البوابة الاسكائية الكبرى ففتحها لهما ، وذهبا قدما إلى هيكل مينرفا ، وسرقا البالاديوم القدس ، وعادا به ، وكل همهما أن تبطل نبوءات العم كالخاس التى أخذت تترى ، ويأخذ بعضها برقاب بعض .... وكرت الأيام .... ومع ذلك لم تفتح طروادة ! ؟

ثم بدا لأوليسيز أن يصطنع الحيلة ...

فعرض على زعماء الحملة أن يُدعى مهرة النجارين والمثالين فيصنعوا حصاناً هُولةً كبير الحجم ... خاوى الجسم ، فيكون بداخله جمهرة من أقوى شجعان الهيلانيين وأبطالهم ، ثم يوهم الأسطول أنه أبحر بجنود الحملة ، فاذا مضى شطر من الليل ، وأقبل الطرواديون على الحصان فأدخلوه مدينتهم تذكاراً لهذه الحرب الضروس التى أكلت أخضرهم ، وأحرقت يابسهم ، وذهبت بالزهرة اليانعة من شبابهم ... ثم إذا كان الهزيع الأخير من الليل ... خرج الأبطال المختبئون ففتحوا أبواب إليوم ، وينقض الجيش المرابط ، فيحتل المدينة العاتية التى رغمت تحت أسوارها أنوف ، وذلت جباه ، وذابت أنفس ، وذهبت أرواح ، دون أن ينال منها أحد ....

وطرب القادة لهذه الحيلة التى بدههم بها أوليسيز .....

وانصرفوا عن القتال وهم له كارهون ... وانصرف الطرواديون فاعتصموا بأسوارهم ، ورابطوا داخل صياصيهم ، ومهرة النجارين

---

(١) اعتمدنا فى تلخيص هذا الفصل على ملحمة فرجيل الخالد The Aeneid ترجمة ثيودور كس تالر ( طبعة دانت ) — ورجعنا كذلك إلى درامة يوريبيدز الممتعة (The Trojan Women) ترجمة جلبرت مورى النثرية وترجمة ر — بوتر الشعرية مع ما بين الملحمة والدرامة من فروق محتفظين بروح الأسطورة

---

كن واحداً يا شباب مصرا وادع إلى وحدة اللواء
ولا تكن للذئاب صخراً ولا تكن سلماً لشاء
يا جند فى مصر : لن تقرَّا حتى يقروك فى السماء
دعنا نحييكَ يا شباب
فى صرخة الدهش والسكون أوْ لا ! فمن ذا إذن نكون
يا باذلَ للهيجاء احتساباً والرأسَ . والعينَ . والشبابا
وحامياً ذلك الجنابا
وفاعلا ههنا العجابا
دعنا نحييك يا شباب

ابراهيم ابراهيم على
المحامى

وكبار الثائرين دائبون على حصانهم المولة حتى فرغوا منه ..
وأقلع الأسطول ...
وانكشفت الساحة من هذا الجراد المنتشر الذى لبث ينوء فوقها عشر سنين ...
واختبأ أوليسز داخل الحصان ومعه نخبة من شياطين الميرميدون ، وعلى رأسهم بيروس النجيب ، ابن أخيل الخالد ، وعصبة قوية من فرسان الأغريق البواسل ...
ودق الطرواديون البشائر ...
وجاءوا يُهرعون إلى الساحة ، ويتكبكبون حول الحصان المولة ، ويكلمون سينون الذى تركه الميلانيون عند الحصان ليخدع الطرواديين ولينصح لهم بنقله إلى المدينة ليكون آخر الدهر تذكارا لهذه الحرب التى شنها قومه على طروادة ظلماً ، فباءوا منها بالبوار ...

« ... هؤلاء الميلانيون الأؤماء ، الذين انصبت عليهم أحقاد الآلهة ، وثار بهم كبير الأولمب وسيده الأعظم ، وسلطت عليهم الزوابع والأنواء حتى كادت تفنيهم ، لولا أن أمروا بتضحية قربان بشرى ينجيهم من غضب السماء ... ولكن ؟ ... من منهم أصاخ إلى الأمر المقدس ؟ ومن منهم سمع إلى هتاف الأولب ؟ لقد جبنوا جميعاً ، ولم يشأ واحد منهم أن يضحى بنفسه لينقذ الجميع ، حتى أوليسز ! أوليسز نفسه ؟ هذا الداهية المتفل ! لقد جبن هو أيضاً ! وفى الوقت نفسه حاول أن يرغمنى أنا ! أنا سينون المسكين ، على أن أقبل التضحية ، وأن أهب دمى للآلهة لتهدأ ثورتها ...
ولكنى رفضت فى شمم ، وامتنعت فى إباء ... لا خوفاً من الذبح ؛ ولكن ضناً بدمى النقى الطاهر عن أن يهرق فى سبيل هؤلاء الجبناء ... الذين تكأكأوا وفزعت نفوسهم من صيحة السماء ... !
وهربت يا مولاى ! يا مولاى بريام المعظم ... ولذت بظلال طروادة الخالدة ، طروادة المنيفة القوية ، وجعلت أصلى لأربابى حتى استجابت لى ، وأرسلت اليهم من أنذرهم بسوء المنقلب إذا هم لم يقلعوا هذا السناء ... ! قاتلهم الله السند ! وقاتلهم الآلهة جميعاً ! ! ...

والآن ! ... ها هم أولاء قد تركوا هذا التمثال الرائع الذى أعدوه ليوم نصرهم ، فجعلته الآلهة آية فشلهم ! ... انقلوه يا مولاى إلى المدينة ، واجعلوه تذكار هذه النوبة الجنونية التى شنوها عليكم ، فحاق بهم سوء ما كانوا يمكرون ... ألا فليكن قربة لميزفا ... !
ولقد سمعت هاتفاً فى صلاتى يقول : « ... الويل لمن يصيب هذا التمثال بشر ! تنقض عليه رجوم السماء ، وتنخسف من تحته الأرض ، وتميد من فوقه الجبال ! ... وطوبى لمن احتفظ إلى الأبد به ! . . . إذن يحميه شر حدثان الزمان وعوادى الأيام ... »
وكان سينون يمزج كلماته بدموع الصلاح والورع ، ويشمل فيها جرات الاخلاص والصدق ... وكان يرسل آهاته من الأعماق ... ! حتى استطاع أن ينفذ إلى سويداء الملك ، ويستولى على مشاعر الطرواديين ؛ وحتى ثار الطرواديون أنفسهم على قديسهم الوقور لاوكون ، راهب نبتيون الأكبر حين نصح ألا تجوز عليهم هذه الكلمات المسولة ، والنفثات السحرية التى يتلجلج بها لسان سينون ، وأن يدعوا الحصان مكانه « فانه إن دخل طروادة جلب عليها الشر وكان فأل السوء للضحايا والشهداء ... ولا تصدقوا أن الميلانيين قد تركوا هذا الحصان تكرمةً لنبتيون كما يدعى هذا الأفاق المأفون ، بل هم قد صنعوه حيلة منهم لغرض سىء ... وها هى ذى ابنتك أيها الملك ... كاسندرا العزيزة فاسألها ... فان لديها سر السماء ... »
وسأل الملك كاسندرا فأفتت بما أفتى به لاوكون ...
ولكن ... من يصدق كاسندرا وما تزال نقمة أبوللو تنصب فوق رأسها ... وقد جعلها إله الشمس عرضة لكل مستهزئ وضحكة كل ساخر لعاب !
وزاد الناس استهزاء بالقديس لاوكون ، حين رأوا اليه تفترسه حيتان عظيمتان على رصيف الملسبنت إذ هو يقدم قربانه لربه نبتيون فتقتلانه وولديه ، عقب تحذيره الطرواديين ألا يقربوا الحصان المشؤوم وألا يدخلوه مدينتهم ! !
وتعاون الطرواديون جميعاً فجروا الحصان المولة ، وهدموا بأيديهم جزءاً كبيراً من سور إليوم المنيع لتتسع البوابة للتمثال الماثل فكانوا كالتى نقضت غزلها أنكاثاً ! ! ...

***

وكان الأسطول قد اختبأ في ظلال الأيك النامي فوق جزيرة تندوس ، فلما كان النصف الثاني من تلك الليلة الخرافية الحالكة ، وكانت طروادة كلها قد استسلمت للنوم العميق الذي يسبق القضاء الصارم عادة في مثل هذه الأحوال ، هب سينون الخبيث ففتح الباب السري الذي لا يعرف إلا هو مكانه من الحصان ، وخرج الأبطال فقتلوا الحراس النائمين لدى الأبواب ، وأشعلوا النيران فرآها الجنود الذين عاد بهم الأسطول في دجى الليل ، فانطلقوا سراعا إلى إليوم الخالدة . . . المستسلمة ... فدخلوها ... وأعملوا السيف ، وشرعوا الرماح ، واستباحوا المدينة ، وهتكوا الأعراض النقية ، وأحلوا حرمة الهياكل ، وأضرموا النيران في القصور ، وأتلفوا الحدائق الفينانة ، وهشموا تماثيل الآلهة في الميادين العامة ، وقتلوا الصبية والأطفال ، وجعلوا المدينة أطلالاً في أطلال !!

وهكذا !! وفي سكرة الليل ، وهدأة الظلام ، تم للميلانيين الاستيلاء على تلك المدينة التيدة وهبت من تحت الثرى عشرة أعوام طوال مضرجة بالدم ، ملطخة بالإثم ، حافلة بالذكريات ، غارقة في الدموع ... تشهد إلى الفتح المجرم ، وترى إلى المأساة الطائلة في آخر فصولها !!

وكان إيناس اليافع بن فينوس الملوك من أنخيسيز ، فتى طروادة وأميرها الجيل ذا القسمات ، يغط في نومه العميق ، ملء سريره الذهبي الوثير ... مطمئنا آمنا ... لا يدور بخلده أن تحل تلك الكارثة بإليوم في هذه الغفوة من الفجر ..

وكان إيناس محبباً إلى الآلهة ... ولم يكن قد جاء أجله بعد ... فسخرت إليه ربات الأقدار طيف هكتور يزوره في نومه ، ويريه حلماً مفزعا ... وينذره ... « أن هب إيناس فقد سقطت طروادة ، وانج بنفسك وبأهلك فالأسطول ينتظرك ، واستنقذ التحف المقدسة والآثار العلوية ... فقد دنسها الفاتحون !! »

وذعر إيناس ، وهب من نومه لهفان صعقا ... وفزع إلى سلاحه ثم أشرف على المدينة الروعة فشهد المأساة تحل بها ...

وهاله أن يرى الوحوش الضواري من بغاة اليرميدون ، وغزاة الميلانيين ، يسوقون أتراب طروادة وبيض خدورها المكنون ... عاريات أو نصف عاريات ... إلى الأسطول ...

لِيكنّ إماء في بيوت هيلاس ... ورقيقاً في أسواقها !! ؟

وكاسندرا ؟ ! كاسندرا نفسها !! ابنة بريام الملك ... حبيبة السماء وصفية الآلهة !! التي حذرت أباها يوماً من قبول باريس ... أن يحل البلاء بالمملكة وينزل الشؤم بالناس !! ها هي ذي مسوقة في قبضة أجا ممنون نفسه ... أجا ممنون سيد القوم وقائدهم العام ... إلى ... سفينته !!

وفكر إيناس ، فلم يجد لإنقاذ المدينة وأهلها من سبيل ... فأشار إلى بعض رجال قصره فقتلوا نفرا من جند الاغريق المتخلفين عن الجيش الغازي ، كانوا مشغولين بالسلب والنهب في متجر قريب ، ثم نزعوا عنهم ثيابهم فلبسها إيناس وصحبه ليستخفوا بها عن أعين المغيرين ؛ وانطلقوا إلى القصر الملكي ، ويودهم لو استطاعوا أن يحموا الملك في هذا الروع الأكبر ... ولكن وا أسفاه !! لقد كان بيروس بن أخيل قد سبقهم إليه في عسكر مجر من أبالسة اليرميدون ؛ وكان بوليتيس بن بريام ، وآخر فرع من دوحته الباسقة أبقا أمامه ، مكروبا مفزعا ، فاراً إلى ذراعي أبيه الضعيف الشيخ ، يلتمس الحماية في أوهى حمى ... فلم يزل بيروس ينهب الأرض في إثره ... حتى قتله بين يدي أبيه ، وانقض على الملك التاعس فوضع حدا لهذه الحياة الطويلة المملولة الشقية التي لطخها الدم البريء وصهرتها جحيم الشدة ... ولم يغن عن بريام المسكين توسلات هذه الزوجة المعذبة التي وقفت بينه وبين بيروس ... هكيـــوبا !! الملكة المرزأة ! التي بقيت وحدها لتجرع الثمالة الباقية في كأس الحياة ... مراً وعلقما ...

وهكذا صعدت روح الملك إلى سماء طروادة
تتلفت حولها ؛ ترى إلى المدينة الخالدة تضطرم
النيران في جنباتها ... وتندك صروحها العزيزة
في الرغام ... وتتهــــاوى أبراجها المنيفة التي
كانت تسجد تحتها آسيا الجبارة ... والآن !
ها هو ذا على ثرى إليوم لقيّ لا نفس فيه !
وجثة هامدة لا تحمل اسمها بعد ... ورأساً
معفراً .... من غير جســـد !! (١)

(١) من فرجيل

وزاغ بصر إيناس حين شهد هـذا المنظر الرهيب ، ووقر في نفسه أن مثل هـذه النهاية المحزنة قد تحل بأبيه الشيخ ، أنخيسيز ؛ وبزوجته الهيفاء كروزا ، وبطفله المعبود إيولوس ... فلم يبال أن يقتحم صفوف الأعداء إلى قصره الذي خلا غابه اليوم من أسده ، وبُدل الشوك من ورده ، وعاث فيه جنود الميلانيين فأصبح قاعا صفصفاً ... كأن لم يَشْدُ في دوحه بلبل ... ولم يحن فيه فؤاد إلى فؤاد !

وهناك ... في إحدى الردهات المنعزلة ... وجد هيلين !! نعم ، هيلين ! سبب هذه الكوارث المتلاحقة التي حلت بطروادة والطرواديين ... هيلين التي لم تبال أن تتزوج ديفبوس — أخا باريس — عقب مقتل حبيبها بأيام معدودة !!

وجدها هنالك ... تنقـدح المصائب شرراً من عينيها ، وتتدجى غواشي الكروب فوق هامتها ، وتتعقـد ظلمات الكوارث على جبينها المغضن الكريه ... ... الجميل !!

وهم إيناس أن يفتك بها ، لما ذكر من الأرزاء التي حاقت بطروادة من جرائها ... لولا أن بدت له أمه ... فينوس ! ... فأنذرته ألا يفعل ... ثم كشفت له حجاب الغيب المحرم على أعين البشر ، فرأى إلى الآلهة أنفسهم يعملون بأيديهم في تخريب طروادة ، وتدمير الطرواديين ، وعلى رأسهم شيخ الأولب وسيده ... زيوس ... كبير الأرباب !!

« ... فانج بنفسك يا بني ... ولذ بالبحر ... ولتنزح عن هذه الديار ... »

وانطلق إلى أبيه فنصح له أن يهرب معه ... ولكن أباه استكبر وأبى ... بحجة أنه ينتظر نبوءة من السماء توحي اليه بما توحي ... فغيظ إيناس وأغلظ لوالده القول ؛ ثم أمره أن يقبض بيديه اللاريتس والبينيتس [1] ، وأن يركب كاهلي ابنه وإلا قتلوا في الحال !

فلم يسع أنخيسيز إلا أن يطيع ... فسار ابنه يحمله ، وسار ولده الصغير أيولوس بجانبه ، وتبعتهم زوجه الجميلة كروزا ...

وكان قد اتفق مع أتباعه ، قبل أن يقصد إلى قصر الملك ، أن ينتظروه في هيكل خرب قريب من مياه الهلسبنت ... فلما أقبل نحوهم يحمل أباه اتفقوا على أن يبحروا في الحال ... ولكنه ... وا أسفاه ! افتقد زوجه فلم يجدها ... زوجه كروزا التي كانت الساعة فقط تتبعه !! لقـد قتلها كلب من شياطين الميرميدون ... ! ولما رجع إيناس ليبحث عنها لقيه طيفها الجميل .. عند تمثال مينرڤا ... فخاطبه قائلا ... « هلم يا إيناس ! غادر هذه الديار في الحال ... واذهب إلى شطآن التيبر ، فان الآلهة قضت أن تبني بيديك ... رومة أم القرى !! » وأبحر إيناس ... وأبحرت فلول الطرواديين معه

وفي غبشة الصبح المضطرب ، كان صوت الطبل الكبير يقصف كالرعد في خرائب طراودة . وكانت الجموع الحاشدة تهرول نحو الأسطول ، وكان السبي الكثير عذارى من طراودة وسائر نسائها يهرولن هن الأخريات نحو البحر ... فكنت ترى هكيوبا الملكة .. واندروماك الحزينة التي اغتصبها پيروس لنفسه ... وكاسندرا ... تلك النبية التي أحبتها السماء ... فأصبحت في جملة السبي من سريات أجا ممنون وغانياته ... وكنت ترى غيرهن يهرولن في الصباح الباكي إلى شاطىء الهلسبنت ، ليركبن البحر فينفين عن أرض الوطن إلى الأبد ...

وكانت كاسندرا تنظر إلى المأساة وتبتسم ...

وكانت أمها ترمقها بعينين دامعتين ... وتسألها عن سبب ابتساماتها ... فتفتر كاسندرا وتقول ... « أماه ليس حظ هؤلاء الغزاة المنتصرين بخير من حظ أبطالنا ... هأنذي أقرأ ألواح القضاء ... أنظري ... ها هو ذا مصرع أجا ممنون بيد زوجته كليتمنسترا العاشقة ... إنها تفضل اليوم حضن عاشقها الآثم على جنة يكون فيها زوجها ... إنها ستقتله ، ستذبحه بيديها ... حينما تطأ قدماه أرض الوطن ... !

وانظري يا أماه ... ها هو ذا أوليسيز تعصف به الريح ... ويلعب به الموج ... ويؤرجحه البحر اللجي ... عشر سنين يا أماه يقضيها ملك إيثاكا في تيه هذا الماء ... والعشاق يتقاتلون من حول زوجه ... وتليماك المسكين يضطرم غيرة ولا يستطيع أن يفعل شيئاً ...

وانظري يا أماه ... ها هو ذا منالايوس ... بائس ... كم أنت بائس يا منالايوس ... لقد ظن المسكين أن هيلين نقية كما

(١) Lares & Penates تماثيل صغيرة للآلهة تحفظ في المنزل لتباركها (وهي من طقوس الرومان فقط)

هي ! ... لقد نسى التاعس أنها تقلبت في أحضان أزواج غيره !... أنظري إليه يقذفه البحر إلى شطئان مصر ... وانظري إليه ذليلا بين يدي هيابن يتوسل إليها وكان أحرى لو أنه قتلها ... ... ...

* * *

ونسى الميلانيون في نشوة النصر أن يقربوا القرابين للآلهة التي نصرتهم وأيدتهم وأظفرتهم بأعدائهم ؛ قبل أن يبحروا ... فأثاروا غضب الأولب ... واستنزلوا لعنة السماء واستحقوا حنق حيرا ونبتيون ومينرفا ... ونقمة زيوس ! !

لقد ثارت ثائرة مينرفا ... فانطلقت إلى أبيها وشكت إليه ما فرط هؤلاء الجاحدون في جنبها وجنب الآلهة ... واتفق الجميع على أن يسخر نبتيون الجبار ... إله البحر ... أرياحه العاتية على أساطيلهم فتمزقها ... وتضلها تضليلا ...

فما كادت الأساطيل تمخر عباب الماء . . وما كادت تبتعد عن شواطئ إليوم .. حتى بدأت العاصفة تدوم . . وحتى أخذت الأمواج ترسل أعرافها حول السفائن ، وحتى تثج الثبج حبابه فوقها ... وحتى ارتعدت فرائص القوم ... ونظر بعضهم إلى بعض ... كأنهم في يوم حشر ... ولا يتساءلون

ولقد صدقت كاسندرا !

فها هي ذي الأساطيل الكثيفة تتمزق فوق سطح البحر ... وها هي ذي جواري منالايوس المنتشات تدفعها العاصفة في طريقها إلى . . . مصر . . . وها هي ذي مراكب أخيا ممنون تتكسر على الصخور الناتئة في عرض اليم ... وما يكاد يصل هو إلى مملكته أرجوس حتى تقتله زوجه العاشقة . . . مؤثرة عليه أحضان عاشقها الأثيم إيجستوس ... وها هي ذي سفين أوليسيز تضل في البحر الشاسع ، وتتكسر عاليها من سافل ، . . ويظل البطل النوار في نقلة وترحل . . . عشر سنوات . . . وتظل زوجه بنلوب تنتظره . . . وعشاقها يقتتلون حول قصرها . . . وتلبث البائس ابنها ينتظر أوبة أبيه . . . حتى يعود بعد شدة وبعد لأي فيدمر العشاق الآثمين . . .

وهاك بيروس بن أخيل يعود ومعه أندروماك التي تظهر له الحب ، عاملة بنصيحة هكيوبا لها ... حتى تنشئ ابنها .. وكانت تمتزم مضايقة بيروس ومناوأته ليقتلها .... ولتستريح بالقتل من عذاب العيش بعد هكتور .... (١)

دريني خشبة

(١) يعتبر هذا الفصل الأخير من حروب طروادة النبع العذب الذي استمد منه اسخيلوس وسوفوكليس ويوربيدز أكثر دراماتهم الخالدة التي أربت على المائتين ، والتي لم يبق منها إلى اليوم أكثر من ست وعشرين . سبع لكل من اسخيلوس وسوفوكليس والباقي ليوربيدز ... وسنحاول أن نعطي القارئ صوراً منها على صفحات الرسالة ، ثم نعقب بملاهي أرستوفان التي يعتبر أكثرها نقدا ليوربيدز

قصة :

# الرجـــوع

إن ما ندعوه «قضاء» ليس إلا ما تفشيه على أنفسنا « ميخائيل نعيمة »

## بقلم الأديب عبد الوهاب الأمين

لم يكن صبياً غِراً عندما فتنته تلك الغادة ، بل لقد حاول جهده أن يسيطر بعقله على جوح تلك العاطفة ، فغره لأول وهلة شيء من النسيان أحس به ، وظن أن الوقت قمين باستئصال ذلك الحب الفاسق ، وطاوعته نفسه بعد أسابيع أن يمزق صورتها ليلقيها فى الموقد أمامه ، وقد عاوده طيف « العائلة » والزوج الحنون ، وأطفاله فى الغيب ، وبسمة السعادة التى ستشيع على الوجوه ، فتنهد !

وكان دائم اللجاجة فى « التحليل » ، فخيل اليه أن الأمر بلغ نهايته ، وأن جذوة الشباب فيه قد قرت ، وما عليه إلا أن يحنو على زوجته فتحنو عليه ، فيثمر ذلك الحنو حباً شريفاً . . . لا ذلك الحب المجهد ، حب الوسس الذى تثيره غلمة وتقتله كظة ! وأنه بعد هذه السنين الثلاثين جدير به الاقلاع عن اجهاد نفسه وعاطفته الجامحة بالتطوح فى مثل هذه المجازفات !

وماله قد فتنه تصوير ! ألا يجوز أن يكون ليد المصور الفنانة فضل هذه الفتنة وهذا السحر ؟ بل هذا هو المنطق المعقول ، فليس لانسانة أن تمتلك مثل هذه النظرة المغرية ، وهذا السحر الفاتن ! إنها ولا شك فعلة الرسام !

وأطل عليه وجه زوجته فى تلك اللحظة ، فتمثل فيه الطهارة والاخلاص ، وابتسم على رغمه لأن روحه الشابة المرحة لم تطق أن تقاوم البشر المنطلق من عينيها ، والطرب الشائع فى نظرتها ! ورمته بقشر وهربت ! وانهزم ممها فرحها الحى الطروب ! فتمثل لخياله الفرق بين هدوء حياته هذه التى سيقبل عليها ، وجوح تلك التى عزم على فراقها ، فاستشعر شيئاً من الحزن طاف به على هذا الفراق ، ومرت فى ذهنه صور سريعة من ساعات اللذة واللهو يكاد ينسخها مر الأيام ... غير أنه عاوده شعوره بقوة عزمه السابق ومسؤولية الرجل الرزين الذى سيكونه عما قريب ، فمزق بقايا الصورة ورماها فى الوقد ونظر إلى اللهب الصغير المتصاعد منه ، وشرد ذهنه

* * *

تقدمهم الصبى بخفة إلى باب المقصورة وفتحها بتؤدة وعلى فمه ابتسامة متكلفة . وأخذ يفرك يده متظاهراً بالبشر لقدوم « سيده » الذى طالما نفحه بالعطايا الصغيرة التى كانت تتسع وتكبر حسب ما يقوم به من خدمة ! وكان يبتهج كلما أبصر « سيده » بصحبة امرأة ، فان وجودها معه يعنى ضرورة الحاجة إلى خدمته ورعايته اللتين يستدرهما عند ارفضاض السينما نقودا يطبق عليها أنامله بخفة ، وعلى وجهه تلك الابتسامة التى لقيه مساء اليوم بها ، والتى يكرهها « سيده » منه فلا يرفع بصره اليه !

وكان «العرض» مهما ، والقاصير كلها ملأى بالمخلوقات الجميلة ، وكانت عين الناظر تلقف بين كل ثانية وأخرى عضواً بارزاً ~~تسوياً جميلاً بين تلك المناظر السينمائية الخلابة والاعلانات اللاصقة~~ على الجدران ، وتملو بين تلك الضجات المختلطة بضمة أصوات ناعمة تتطور بعض الأحيان إلى قهقهات صافية الجرس ، تعلوها رنة النعيم !

وكان وهو ينزع عن كتفيه معطفه الثقيل ويدير عينيه بين القاعد يلحظ أن صوتاً فى المقصورة إلى جانبه يرن فى أذنه فيترك صدى غير اعتيادى ... جذاب ! ساحر ! غير أن انتقاء المقعد شغله وصرف ذهنه هنيهة عن تتبع أثر ذلك الصوت فى روحه ، ولما جلس أخيراً لم يكن فى ذهنه غير ذلك الصوت وصاحبته اللعوب ! وبدرت منه — من غير قصد — التفاتة إلى المقصورة فاصطدم نظره المستريح بها ... ! نعم هى ! وقد ظهرت فى ثوبها البهيج أشد فتنة من صورتها ، وزاد فى جمالها الأخاذ سحر التجمل ، فأدرك أن قوته تخونه ، وأنه أمام شخص يملك سحراً يزيد على سحر المرأة ، فعادت اليه فجأة وبسرعة كل خيالاته التى نسختها عزيمته أولاً ، واستعادت مخيلته أويقات التأمل التى كان يقضيها فى مناجاة تلك الصورة على أشد وأقوى حالاتها ، وأحس وهو يدير نظره عن وجهها الذى بدت عليه البغتة أنه يقتلعه اقتلاعاً ، وأن شيئاً من قلبه وحسه قد تعلق بتلك الأهداب السحرية التى زاد جمالها الطبيعى الأخاذ اعتناء خاص بتنسيقها

وتجميلها ، وأدرك في قرارة نفسه أن سيطرة هـذه المرأة عليه أمر محتوم وقضاء لا يرد !

وانتهز فرصة « الفاصلة » فاحتج برغبته في التدخين وأصر عليها ، ثم حسم المشكلة بخروجه من المقصورة ، وكان شيء في رأسه يدور ويدور ! وهو عراك نفسي بين عاطفتين قويتين لا يكاد يركن لاحداهما حتى تبرز نتائجها ملموسة لعينيه ! أيحب هـذه المومس وهو يعلم أن حبها يفقده أشياء كثيرة وعزيزة عليه ؟ أيتركها ولا يلتفت إلى تلك النظرة الصارخة في عينيها ، وقد بدت الليلة بوضوح في ملامح وجهها وشفتيها ، ولم تستطع البنتة أن تخفيها من عينيها الأخاذتين ! وهل هو قادر على أن يهمل اهتمامها الظاهر به ، وهو الذي كان يقضي الساعات في مناجاة صورتها ؟ وما يدريه ! لعلها تصطنع كل ذلك لاستمالته ! إنها خبيرة ولا شك بفعل هذه النظرات في القلوب ! إنها تاجرة تريد أن تغبنه بصفقة خاسرة ، تريد منه قلباً بروح ، لتعطيه قلباً بلا روح ! كلا إن ذلك لن يكون !

ووقف ذهنه عند هذا الحد ، فقد بدت من مقصورتها ومشت إلى ناحيته بتؤدة ، ولما وصلت إليه أسرت قائلة :

— كازينو أنترناسيونال ، منتصف الليل

ومنحته فوق ذلك ابتسامة !

* * *

عاد بسيارته بعد أن أخبر زوجته أنه سيقضي السهرة مع صديق له ، وأنه سيتأخر عن وقت قدومه المتاد ، وانطلق كالسهم بها على غير قصد ، ثم خطر له أن يشرب فوقف عند أول حانة !

وبعد الكأس السادسة نظر إلى الساعة فوجد أن بينه وبين الموعد ما يقارب الساعة ، فخطر له أن يقضيها متجولا لأنه شعر بالاكتفاء من الشرب وقام

ولم يكن « التجول » في مخيلته غير السير إلى طريق الكازينو ! فوقف على بابه وفي صدره عراك ، وفي خطواته تردد وإحجام ، وألقى نظرة تائهة على الوجوه فلم يجد بينها غادته ، فساقته قدماه إلى الباب وعاد إلى مقعده في السيارة وقد خطر له أن موقفه ناطق بالذل والعبودية ، وأنه يسيء إلى نفسه بذلك العمل ، وأن شعوره بكرامته وكبريائه قد ثلم ، وبدت على وجهه غضون وغيوم !

وفي تلك اللحظة فقط شعر أنه تعب منهوك ، وأن حاجته إلى النوم شديدة ، فقبض على محرك السيارة وأداره بخفة ولباقة ، وشعر أن كل ما فيه في تلك اللحظة عزيمة قوية ! وأن في تلك العزيمة قضاء لا يرد !

واختلطت في ذهنه الأفكار والصور وعجز عن متابعة نتيجة عمله ، وشعر بشيء من الكلال والفتور والأعياء ، وكانت ابتسامته لزوجته جامدة ، وكان على غير عادته في النوم السريع بدون مزاح ولا دعابة

ولما سيطر سلطان الكرى على جفنيه كانت الساعة تؤذن بانتصاف الليل ، وكان ذهنه الكليل يدرك أن في دقاتها أمراً ! غير أنه لم يدرك دقاتها الأخيرة !

عبد الوهاب الامين

# البريد الأدبي

## وفاة روديارد كبلنج عميد الشعر الانكليزي

منذ أسابيع قلائل كان عميد الشعر الانكليزي المعاصر روديارد كبلنج يحتفل ببلوغه السبعين من عمره؛ ولكن الشاعر الأشهر لم يلبث أن مرض بعد ذلك بقليل، ثم توفي في الثامن عشر من يناير الجاري

وقد ولد روديارد كبلنج في الهند بمدينة بومباي سنة ١٨٦٥ وكان أبوه جون كبلنج فناناً أديباً؛ وكان وقت مولده يشغل منصباً في مدرسة الفنون الجميلة ببومباي؛ وتلقى كبلنج تربيته في انكلترا في كلية ديفون؛ ثم عاد إلى الهند في سن السابعة عشرة؛ واشترك في تحرير صحيفة انكليزية تصدر في لاهور. وفي سنة ٨٦ أخرج كبلنج أول آثاره الشعرية في مجموعة سماها «الأغاني الاقليمية»؛ وأعقبها بمجموعة قصصية عنوانها «قصص من التلال» وتوالت آثاره القصصية بعد ذلك فأخرج منها «الأبيض والأسود» و«الشبح ركشو» و«وي ولي ونكي» وغيرها؛ فذاعت هذه القصص في الهند والصين واليابان، وطارت شهرة كبلنج إلى ما وراء البحر، واستقبل كبار النقدة فيه قوة أدبية جديدة، وتجول كبلنج في بضعة الأعوام التالية في الهند والصين واليابان وأمريكا، ثم عرج على انكلترا حيث سبقه صيته، واستقبل بما يليق بأدبه وشعره من التجلة والتكريم؛ وتجول بعد ذلك حيناً في إفريقية، ونشر عن سياحاته المديدة كتاباً سماه «من بحر إلى بحر»، وفي سنة ١٨٩٠ أخرج كبلنج مجموعة قصصية عنوانها «نضال الحياة»، وأتبعها بأخرى اسمها «النور الذي خبا» بيد أن عبقرية كبلنج الأدبية تصل الذروة في كتابيه الشهيرين: «كتاب الغابة The Jungle Book» وكتاب «الغابة الجديد»، وهما كتابان قصصيان عن حياة الحيوان في الغابة على مثل كتاب «كليلة ودمنة» في أدبنا العربي، وعلى مثل بعض قصص الحيوانات والطيور التي وردت في ألف ليلة وليلة؛ وفيهما يعرض كبلنج بعض خواص الحيوان الطبيعية والنفسية عرضاً رائعاً ساحراً؛ وكان ظهور هذين الكتابين الأول في سنة ١٨٩٥ والثاني في سنة ١٨٩٦، أعني حينما بلغ كبلنج الثلاثين من عمره. ويعتبر النقدة كتابي «الغابة» أروع ما في أدب كبلنج وانتاجه.

واستمر كبلنج في انتاجه الأدبي يخرج المجموعات القصصية والشعرية تباعاً، ويرتفع باستمرار في سماء المجد والشهرة. ومن مجموعاته الشعرية الشهيرة غير ما تقدم «الأمم الخمس» (سنة ١٩٠٣) و«أناشيد من الكتب» (سنة ١٩١٣) و«الديوان الشامل»، وفيه يجمع طائفة كبيرة من شعره المتفرق. وكتب كبلنج أيضاً «تاريخ انكلترا» بالاشتراك مع صديقه فلتشر؛ وفقد كبلنج ولده في الحرب الكبرى، فرأى أن يخلد ذكرى الفرقة التي حارب معها في كتاب عنوانه «الحرس الأولندي في الحرب الكبرى» (سنة ١٩٢٣)؛ وكتب كبلنج غير ذلك كتباً أخرى من القصص والشعر يضيق المقام عن ذكرها

ويلقب كبلنج في الأدب الانكليزي بأنه «شاعر الأمبراطورية»؛ وهذه في الواقع أبرز خواص الشاعر الأكبر؛ وربما كان في هذه الخاصة ما يباعد بين أدبه وبين العقلية الشرقية؛ فقد كرس كبلنج كثيراً من نظمه ونثره للاشادة بعظمة الأمبراطورية البريطانية وما أحرزت من سيادة واسعة على كثير من الشعوب، وما أصابت من النماء والغنى، وما يجب عليها أن تتذرع به لاستمرار هذه السيادة الشاملة على الشعوب المحكومة؛ وفي هذه المواطن يبدو كبلنج استعمارياً مغرقاً في القومية. بيد أن كبلنج، فيما عدا ذلك، يتمتع بخواص أدبية وشعرية باهرة؛ وأسلوبه قوي ساحر يفيض بياناً وبلاغة؛ وقد انقسم النقدة في شأنه إلى فريقين، فريق يرتفع بأدبه إلى الذروة، ويرى فيه المثل الأعلى للشعر المعاصر، ومن هؤلاء روبرت لند الذي قال عن كبلنج «إن عبقريته تشرق على جيله في البلاغة

والفكاهة » وفريق وهو الاقلية ينتقص من مكانة كبلنج ، ويرميه بأنه سطحي في شعره وفي نثره ، وأنه يكتب بأسلوب راق يرضى الجماهير فقط . وزعيم هذا الفريق جورج مور . بيد أنه مهما قيل عن كبلنج وعن مواهبه وخلاله ، فلا ريب أنه يتبوأ أرفع مقام في الأدب الفيكتوري

وقد نال كبلنج طائفة كبيرة من الجوائز والأوسمة الأدبية الرفيعة ، فنال جائزة نوبل للآداب في سنة ١٩٠٧ ، ونال الوسام الذهبي لجمعية الآداب الملكية ، ومنح عدة أجازات فخرية من الجامعات الكبرى ، ولبث مدى أعوام مديراً لجامعة سنت أندروز

## قضايا التاريخ العظمى

أصدر الأستاذ هنري روبير المحامي الفرنسي الكبير جزءاً جديداً من كتابه الشهير « قضايا التاريخ العظمى » Les grand Procès de l'Histoire ، وهو الجزء العاشر من ذلك الأثر الحافل الممتع ؛ ويعرف عشاق الأدب الفرنسي كتاب الأستاذ هنري روبير حق المعرفة ويقرأون أجزاءه المتوالية بشغف ولذة، وهو كتاب يفيض في الواقع طرافة وقوة وسحرا ، وفيه يتناول المحامي الأشهر طائفة كبيرة من أشهر القضايا التاريخية والجنائية المروعة ، ومعظم هذه القضايا والحوادث معروف للقارئ المثقف ، ولكن الجديد فيها حقاً هو الأسلوب الرائع الذي يعرضها به الأستاذ هنري روبير على قارئه ؛ فهو عالم بارع تخرج على يد الأعلام من أقرانه السابقين مثل لاشو وديمانج ولابورى أعلام البيان والدفاع في القرن الماضي ، ثم هو كاتب من الطراز الأول يتشرف بالانتماء إلى الأكاديمية الفرنسية والانخراط في سلك الخالدين ؛ وهو بهاتين الصفتين يقدم إلى القارئ تحفة قضائية وأدبية رائعة ، عرضت في أسلوب قضائي وتاريخي واضح ، وتظمت فيه الأدلة والفروض القضائية إلى جانب التعليلات التاريخية والاجتماعية البارعة . وربما كان عيبا في هذا الأثر الحافل أن يخصصه هنري روبير كله تقريباً لاستعراض قضايا التاريخ الفرنسية ( وإن كان يقص فيه قليلاً جداً من القضايا الأخرى ) ولكن ربما كان ذلك أيضاً من عوامل قوته ودقة معلوماته ووثائقه

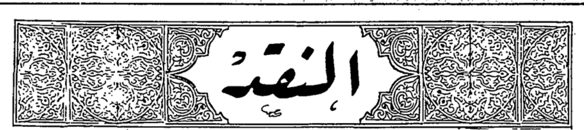
ويتناول الجزء الجديد الذي أصدره هنري روبير عدة فصول أولها فصل خصص لحوادث السموم والنسوة السمات في القرن السابع عشر ، وهي حوادث تناولها من قبل المؤرخ البارع فونك برنتانو في كتاب قوي ساحر ؛ وفصل خصص لفضيحة بناما الشهيرة التي انتهت بافلاس الألوف وضياع مئات الملايين ، ومحاكمة نفر من كبار المولين والساسة يومئذ والحكم على بعضهم بالسجن ؛ ثم فصل خصص لحياة كاترين دي مديتشي ملكة فرنسا ووالدة هنري الثالث وفرانسوا الثاني وشارل التاسع ملوك فرنسا ، وهي امرأة رائعة وافرة الدهاء والخبث ؛ ولكن الأستاذ هنري روبير يحاول أن يخفف عنها حكم التاريخ القاسي ، ويلتمس لها أعذار السياسة والملك

والأستاذ هنري روبير يخرج فصوله الساحرة دون نظام معين ، ففي كل جزء من كتابه أربعة فصول أو خمسة لا تجمعها رابطة العصر أو النوع ؛ ولهذا لا يعتبر الجزء الجديد خاتمة الكتاب ، وليس يعرف من جهة أخرى أين يقف الكتاب وأيان ينتهي

## شكسبير والسينما

سنرى قريباً أول رواية لشكسبير على ستار السينما ؛ وهي فكرة جريئة للفنان المشهور مكس رينهارت ، فهو يعمل الآن لاخراج شريط مصور من رواية شكسبير الساة : « حلم ليلة صيف » ؛ وقد سبق أن عمل رينهارت لاخراج روايات شكسبير الكبرى على المسرح ، ونجح في ذلك نجاحاً عظيما ؛ فهو الآن يعالج إخراجها على ستار السينما ؛ وكذلك عمل رينهارت لاخراج روايات أعظم كتاب المسرح مثل موليير، وابسن ، وبرناردشو ، وشترندبرج وغيرهم ؛ وكان مكس رينهارت أول فنان وأول مخرج مسرحي في ألمانيا حتى جاء الهتلريون في الحكم فلم يشفقوا على علم ولا فن ، وأطلقوا العنان لتعصبهم الجنسي الشنيع ، وشردوا أقطاب الفن لأنهم يهود ؛ وكان رينهارت في مقدمة أولئك الذين رفضوا البقاء في ظل هذا النظام البربري ؛ وهو يتجول الآن في مواصم القارة فيلقى فيها أعظم حفاوة وتقدير

ومكس رينهارت نمسوي الأصل ؛ وقد ولد في سالزبورج سنة ١٨٧٣ ، فهو الآن في نحو الثانية والستين من عمره ؛ وقد شاءت بلدية مدينة سالزبورج أخيراً أن تكرمه وأن تخلد ذكراه فأطلقت اسمه على شارع من أهم شوارعها ، وسالزبورج هي مدينة الفن والموسيقى



رد على نقد

# ٤ - كتاب تاريخ الاسلام السياسى

## للدكتور حسن ابراهيم حسن

تتمة

ومن الغرابة أيضاً أن يجد الناقد يأخذ علينا أننا كثيراً ما نستمد ونقتبس من كتاب «تاريخ العرب» لسديو، و «موجز تاريخ العرب» للسيد أمير علي، و «الحضارة العربية» لجوستاف لي بون، و «أتباع محمد» لواشنجتن أرفنج، لأنها فى نظره أصبحت قديمة قاصرة من حيث المستوى العلمى فى الوقت الذى نراه فيه يشيد بمدح المستشرق مرجليوث، ويستدل به فى نفى الكتاب عن ابن قتيبة. وقد يدعوه الاعجاب بمرجليوث فيدافع عنه ضمناً بأننا لم نحسن الرد عليه حين قال: «فى صدد الرجلين اللذين أرسلهما عامل كسرى على اليمن ليأتياه بالرسول، فلما قدم الرجلان على الرسول (صلى الله عليه وسلم) أخبرهما بأن كسرى قتل وأن ابنه هو الذى قتله»؛ أن الرسول كان له من يأتيه بالأخبار!! أما والله لولا أن الناقد مسلم كما نعتقد!! لظننا أنه يردد صدى هذا المستشرق الذى ينكر كل معجزة للرسول ويذهب فى التأويل بعيداً بحجة المعقول وغير المعقول، ولو كان حصوله أوضح من الشمس فى وضح النهار

انظر الى هذا الناقد يجعل من عيوب كتابنا أننا لم نبطل هذه الرواية الدالة على المعجزة أو نتأولها على الرغم من تعرض كتب السنة الصحيحة لها وإثباتها، وعلى الرغم من أنه يعلم كيف يتغلب التعصب الدينى أحياناً على روح العلم والبحث عند بعض المستشرقين، فينظرون إلى ما ورد عن الرسول من خلال مذاهبهم الدينية لا أبحاثهم التاريخية، ولسنا فى حاجة لايراد الأمثلة والشواهد على ذلك، فهى فى متناول كثير من الناس

ولشد ما أعجب من حضرة الناقد حين يأبى أن يكيل لنا المدح جزافاً، ولكنه لا يأبى أن يكيل الذم كذلك ويخطئنا تخطئة لا حق له فيها، من ذلك أننا لما روينا قول بعض المؤرخين إن بعض الخوارج كانت تصدر منهم أمور متناقضة تدل على أنهم يخبطون خبط عشواء، كلومهم آكل الرطبة بدون دفع ثمنها، واسترضائهم ذمياً بدفع ثمن خنزير له قتلوه، وقتلهم عبد الله ابن خباب وزوجه وبعض النساء — علقنا على ذلك فقلنا إن هذا ليس من التناقض فى شىء، وإنما هو أقرب إلى أن يكون غلواً فى تطبيق مذهبهم، وحجتنا فى هذا أن الخوارج يرون وجوب قتل المسلم الذى لا يدين برأيهم لأنهم يعتبرونه مرتداً؛ وحروبهم المتعددة مع على بن أبى طالب ومع الأمويين، بل وأشعارهم وأراجيزهم تنطق بذلك. أما الذمى فلا سلطان لمذهبهم عليه، كما أنهم كانوا لا يستحلون أكل المغصوب أياً كان صاحبه، ولو أنهم يستحلون قتل النفس التى حرم الله قتلها. فمن أين يأتى التناقض يا ترى؟ حبذا لو أرشدنا الناقد إلى وجه آخر فى هذه المسألة خلاف ما ذهبنا إليه! فليس إلقاء الكلام على عواهنه مما يخدم به «المادة الناشئة فى معاهدنا العلمية أو يحفظ لمصر سمعتها فى الأقطار الشرقية!»

لا يقل خطأ الناقد فى هذا عن خطئه فى دعواه، بأننا مع استشهادنا ومباهاتنا بتلمذتنا لبعض المستشرقين ننسى ما ننقله عنهم أحياناً وننسبه لنفسنا، وأننا جرينا على ذلك فى الفصل الذى عقدناه لمكتبة الاسكندرية، ويكفى فى الرد على هذه الدعوى الجريئة أن يرجع القارىء إلى كتابنا عمرو بن العاص فيجد أننا ذكرنا هناك رأى «بطلر» مفصلاً فى إحراق هذه

الكتبة ، وعلقنا عليه بما يستحق من تقدير . فاذا أحلنا القارىء إلى كتابنا المذكور ، فذلك لأنه يعتبر خاصاً بهذه المواضيع مدوناً فيه آراء بعض العلماء منسوبة اليهم عن هذه الحادثة العظيمة الشأن

ولقد كنا نربأ ببعض الأقلام أن تنزلق عن منهج النقد الخالص إلى إلقاء التهم والظنون بين الناس وغرس ما لا يستحسن غرسه بين التلميذ وأستاذه أو بين المؤرخ والمؤرخ . وحاشا لله أن ندعى ما ليس لنا أو أن نجهل فضل من جلسنا أمامه مجلس التلميذ ، فاذا رغبت بعض الأقلام فى أن تتهمنا بالتدليس مع بعض الأساتذة المستشرقين ، أو بالعقوق مع أستاذنا المرحوم الشيخ محمد الخضرى بك الذى نقدره ونجله ، فانما تحاول عبثاً هذه الأقلام وتمكن من نفسها وتدل على مصرعها . إن المتصلين بنا يعرفون أن ليس من خلقنا إنكار الجميل . ونحمد الله أنه فى الوقت الذى كان الناقد يفكر فى هذه الوقيعة بيننا وبين استاذنا المرحوم الشيخ محمد الخضرى بك كان أحد أفراد أسرته يتكرم بزيارتنا ويعرض علينا أن نشرف على نشر ما خلفه المرحوم من الكتب التى لم تنشر فى حياته . ويا للعجب إذا كانت الجرأة والضمير يطوحان ببعض الناس إلى إثارة الضغينة بين الحى والميت ، فكم تبلغ عفتها فى أن توقع بين الحى والحى ! ! ألا فليرح الناقد باله من هذه الناحية فلن يجد غرسه أرضاً خصبة ولا يشقى به غيظاً

***

كيف يمكن أن يوفق القارىء بين قول الناقد إن هذا الكتاب عرض لنواح شتى من الحياة الاسلامية القديمة : عرض لنواحى الدين ، والسياسة ، والاجتماع ، والعقل ، والأدب ، وبين قوله — عفا الله عنه — « إن المؤلف غير موفور الثقافة الاسلامية وقد أداه تفريطه فى جانب الثقافة الاسلامية إلى الافراط فى الأخذ عن المصادر الأجنبية » ، ومن يدرى ؟ فلعل هذا تفريظ قامت عيناه فأبصر

جرت العادة أن يسمى الكتاب بأبرز نواحى موضوعاته ، واللبيب يدرك بداهة أن فتح عمرو بن العاص مصر مما ينطبق عليه انطباقاً كلياً لفظ السياسة ومعنى السياسة ، ويدرك كذلك أنه كان لعقائد الفرق الاسلامية ومذاهبها المكان الأول فى إحلال دول مكان دول ، وتقويض عروش وتدعيم عروش . فهذه الدولة العباسية استطالت أغالها بسبب انتشار العقائد الشيعية وتغلبها ؛ وتلك دولة الفاطميين خلقتها المذاهب الدينية أيضاً . ودع عنك القرامطة ، والباطنية ، والخوارج وغيرهم ؛ فتلك أمور يطول شرحها . فأنت ترى مبلغ تأثير تلك العقائد فى الاتجاهات السياسية ركوداً وهبوباً ، وماذا تكون السياسة إذا لم تكن هى خلق منشآت جديدة ، وتنظيم أمور الناس وفق مشارب ملوكها وأمرائها ، وطبع المجتمع على غرار ما يراه الحاكمون سواء بسواء ؟ لكن ناقدنا يأبى مع هذا ممعناً بأن عنوان الكتاب قاصر لا يجمع مثل هذه البحوث ، فما كانت تصح نسبتها اليه ولا وضعها فيه ، ويتعطف فيرشدنا إلى أنه ينبغى — إذا لم تكن مندوحة عن ذكر هذه الأبحاث — أن نصوغ عنوان كتابنا بما يدل على الشمول ، ويزداد تعطفاً فيذكرنا بكتاب « موجز تاريخ العرب » للسيد أمير على الهندى الذى نعرفه حق المعرفة !

ولقد كان بودنا أن نتبع نصحه — ولو مرة واحدة — تشجيعاً للنقد ، وثقة بنية صاحبه ، لولا أنه سها عن أننا بسبيل وضع جملة أجزاء لكل جزء عصر خاص به . فاذا اقتدينا بمن ذكره لحق علينا قوله ليس لدينا غرض واحد محدود نرمى اليه ونسير على هديه ، ولعله تذكر أخيراً أن هناك خمسة أجزاء باقية ستصدر بعد هذا الجزء — إن شاء الله — فلم يشأ إلا أن يزودنا — كعادته — بنصحه ، وبأن نكون فى وضعها أشد تحفظاً وأكثر تثبتاً

على أننا نضحك أشد الضحك حيث يرشدنا الناقد إلى الاقتداء بوضع السيد أمير على لاسم كتابه « موجز تاريخ العرب » ذلك الكتاب الذى وصف مؤلفه بأنه «متوسط المكانة التاريخية» كما وصف أيضاً المؤرخ المشهور السير وليام ميور الذى خلف لنا كتابه فى سيرة النبى وكتابه الآخر فى الخلافة بأنهما قدعان . ونحب — قبل أن نترك هذه النقطة — أن نهمس فى أذن الناقد بأن المؤلف الأول السيد أمير على ، الذى لم يرق فى نظره أن أخذنا عنه بعض ما أخذنا ، يقول عنه الأستاذ ادوارد براون فى كتابه تاريخ الفرس الأدبى (E. G. Browne, Literary History of Persia, 4 vols. I. P. 188) فى سياق كلامه على مبدأ ظهور الاسلام ما نصه :

« هذه المسائل قد ناقشها فى مؤلفاتهم بكفاءة ولباقة كل من سيل ، وسبرنجر ، وميور ، وكرهل ، ونلدكه ، وبوزول سميث ، والسيد أمير على

والسيد أمير على هو ذلك المسلم المصرى الواسع الفكر والاطلاع ، جمع بين الثقافتين الشرقيـة والغربية ، وهو حقيق بأن يطلع على كتابه كل من يرغب فى تفهم ذلك النفوذ القوى الذى لا يزال يتمتع به الاسلام ونبيـه ، حتى فى نفوس هؤلاء الذين أشربوا روح الثقافة الأوربية »

ونعود إلى بعض ما أورده حضرة الناقد — أستغفر الله ! بل إلى الارشاد إلى ما نقده — ليعدل فى المستقبل عن تكلف ما لا يحسن — على رأيه فينا — وليستوعب ما يقرأ ويصرف نشاطه فى مدارستها ، فما يكون الانسان كاتباً إلا بعد أن يكون قارئاً ، وإنها لـكبيرة أن يعمد واحد إلى كيل التهم والتشكيك غير مراع للتاريخ حرمته ، ولا للقارئ عقليته ، ولا للحق كلمته

يقول : « إن تشريع القبلة وحكمته يظفران فى كتابنا بثلاث صفحات ، فى حين أن غزوة بدر التى تعتبر بحق أهم وقائع الاسلام ، ومن وقائع التاريخ الفاصلة لا تكاد تظفر بصفحة واحدة ؛ وأم البنين زوجة الوليد بن عبد الملك تختص بصفحتين ، فى حين أن الأحداث الجسام التى وقعت زمن الخليفة يزيد ابن الوليد بن عبد الملك تركز وتضغط فى أسطر قلائل »

ويحسبنا أن يرجع القارئ إلى كتابنا ليرى كيف تفتل بعض الأقلام من الهواء حبالاً ، وتخلق من الواقع محالاً . إن غزوة بدر ومقدماتها ظفرا وحدها من صفحات الكتاب بنحو الثلاث عشرة صفحة ( صفحة ١٣٦ — ١٤٨ ) ، وإلا فهل كان الناقد يظن الكلام فى الجهاد وأسبابه والغنائم وشرعيتها ، وهل الدعاية إلى الدين كانت من طريق السلام أو الحسام — كل هذا يظنه بمنأى عن غزوة بدر ولا يتعلق بها ، وأننا لم نفصل الكلام على هذه المواضيع بمناسبة تخالف تلك الغزوة الخالدة ؟ وهل كان يريد أن نستبدل هـذه الأحداث الهامة بذكر ما قيل فى رثاء قتلى المشركين ، وما تقدمت به قتيلة تعاتب الرسول لقتل أخيها النضر ، وما وقع فى قتل أبى جهل مما تختص به كتب السير ؟ أما إن الاحداث الجسام التى وقعت زمن يزيد ابن الوليد ركزت وضغطت فى أسطر قلائل فدعوى غريبة ، يكفى لوأدها صفحات الـكتاب من ٥٢٣ إلى ٥٥٠ ، وفيها أسباب سقوط الدولة الأموية ، والتعرض بالتفصيل لهذه الأحداث الجسام التى وقعت أيام يزيد وغيره

إنما اللوم على من يحسبها ظلمة من بعد ما يبصرها

* * *

فى الأمثال « لا يشكر الله من لا يشكر المحسن من الناس » وإذا كنا فى كلمتنا السابقة أخذنا على بعض المستشرقين أنهم أحياناً ينظرون إلى تاريخ الاسلام من خلال مذاهبهم الدينية ، لا أبحاثهم التاريخيـة ، فاننا لا نكتمهم حق الشكر على أنهم عاونوا فى رفع الحجب التى أسدلتها العصور المظلمة على تاريخنا ، وسلكوه فى سلسلة تصل أوله بآخره ، وتمد القابض عليها السائر حذاءها بما يمكنه من إدراك ما فيه من قوة وضعف واعتلاء وابتلاء . هذا ما كتبه فون كريمر ، وبروان ، وكرهل ، والسير توماس أرنولد ، وأميل درمنجم وغيرهم ، يدل على توفيق كبير فى استخراج الوقائع والعبر التاريخية واضحة جلية بعد أن اختلطت أحداثها وتعددت نظمها وآراؤها ، وبعد أن كان التاريخ سيرا يتفكه بها الخالون ويحتقرها المالون ، صار بفضل تلك الأبحاث العلمية الحديثة فناً كريماً تقرن فيه الوقعة بالموعظة ، وتلحق فيه البينات والشواهد آثار رجالاته وبيئاته ، حتى غدت منابعه عذبة للواردين وطرقه معبدة للمدلجين . فليس من الانصاف ما ذهب اليه الناقد من أن التاريخ الاسلامى لم ينهض بعد فى الشرق نهضته المستقلة المنشودة ، وأنه لا يزال قصصاً يقص وسيراً ساذجة تتلى . أجل ! كان من حسن الحظ — أو من سوئه — أن الناقد بعد أن نعى علينا ما نعى ، وبعد أن ملأ مقالاته الأربع بما يسترهب بعض الألباب حتى ظنته إمام هذه الصناعة ، ذهب بعيدا جدا فى الاعتداد والارشاد ، وعمم بعد تخصيص ، وألقاها كلمة داوية بأن التاريخ الاسلامى فى الشرق لم ينهض نهضته ولمـا يجد من يقيل عثرته ، وأن روح الجماعات وأثر البيئة والتقاليد وعمل البادئ والعقائد ، والقوى الاجتماعية والاقتصادية لا تزال فى العربية أسرارا لم ترفع عنها الحجب . فهذا الـكاتب يرى أن كل ما ألف أو درس فى التاريخ الاسلامى من

أصول وفروع وبيئات وتقاليد لغو وباطل ، سواء أكان الدارسون شرقيين أو مستشرقين

كان الظن بمن ينقد شيئاً أن يرينا مثلا أعلى لما ينبغي أن يكون عليه طريق البحث ويدلنا عما صنع هو للاحتذاء والأسوة ، فالنفس دائماً مولعة بأن تتبع ذا الفعال ، وقلما تفيدها الأقوال « ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالاجلال والتعظيم من معلم الناس ومؤدبهم » . ويظهر أن الناقد استشعر هذا الاشكال الجديد ، فهو يحاول النجاة بأن الذي يحول دون نمو الروح التاريخي الصحيح في الشرق هو ما يعترض الباحث من وعورة المسلك وبعد الشقة وصعوبة المنال . مرحى مرحى !! كأنه يعتذر عن عدم إخراجه ولو مؤلفا واحدا بما ذكر ، ويتهم كل المؤرخين بأن التاريخ في كتبهم لا يزال قصصاً يقص وسيراً ساذجة تتلى ، ويكتب أربع مقالات ينقدنا فيها نقداً لاذعاً ، ويدعونا إلى الأخذ من هذا وترك الأخذ من ذاك . وما عهدنا واعظا حكيما يهدي إلى طرق لم يسلكها ، ويكلف الناس بواجبات لم يتذوقها ، أو يثقل عاتق الناس بما يعجز عن حمله ، أو يسهو عن أن الحكم عن الشيء فرع عن تصوره . عفا الله عن ابن المقفع ، فقد ذكر في ترجمة « كليلة ودمنة » أمثالا صالحة لمن يغشى حلبة السباق وهو مقعد ، أو يتولى سدة الوعظ وهو محتاج إلى الرشد

وبعد فما كان أغنى قراء « الرسالة » عن هذا كله ، وما كان أحق النقاد ألا يشرعوا قلمهم إلا لله والمصلحة العامة ، لا تنزو بهم نازية من خوف أو طمع . ولكن هكذا تدر ( ولو شاء ربك ما فعلوه )

ولقد رأى حضرات القراء أن هذه الزوبعة التي هول في أمرها وأطال في ذكرها لم تكن بذات خطر تمد له في تجريحه مداً . ولله الحمد قد آن لنا بعد أن حصحص الحق أن نمسك القلم شاكرين « للرسالة » والقراء ، معتذرين — بدورنا — عما عسى أن يكون بدر به القلم — فالبادئ أظلم . ومن لا يغار على الحق وكرامته يتهم في رجولته . ( فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض )

انتهى

حسن ابراهيم حسن



# مفتاح كنوز السنة

من عمل الأستاذ ا . ى . فنسنك

ترجمة الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي

بقلم الأستاذ محمد حامد الفقي

مطبعة مصر : ثمنه ستون قرشاً مصرياً

---

كان الباحث الذى تتوجه نفسه إلى معرفة علم الحديث والاشتغال به يجد نفسه أمام كنوز ملأى بالجواهر النفيسة ، فاذا ما حاول فتح مغلقها أخذه من العناء والمشقة الشيء الكثير المضني ، لأنها جمعت على طرق من التأليف كانت آخر ما وصل اليه تفكير المتقدمين حين لم تكن مطابع ، ولم تخرج العقول هذه الفنون المدهشة من الفهارس ، والمفاتيح التى وصل اليها عقل العلماء اليوم بكثرة المران

كان يجد أمامه هذه الصعاب ، فيضرع إلى الله تعالى أن ييسر بفهرس يكون مفتاحا لهذه الكنوز ، يهون عليه الوصول إلى بغيته ؛ ولقد طال أمد هذه الضراعة حتى خرج علينا الأخ الفاضل محمد فؤاد عبد الباقي بهذا المفتاح المبارك الذى ما ترك كنزا مغلقاً إلا فتحه على مصراعيه ، ونثر دره بين يدى الطالب يأخذ منها حاجته التى يبتغيها

فالكاتب ، والخطيب ، والمدرس ، والفقيه ، والمحدث ، وكل من تعوزه صنعته ، أو تقواه وعبادته ، إلى شيء من هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يفزع إلى هذا المفتاح فيضع فى يده بسخاء كل ما يبتغى ويريد . وقد قدم له الامام الكبير محدث عصره السيد رشيد رحمه الله ، والمحدث الفاضل الشيخ أحمد شاكر بمقدمتين ، نقتطف منهما جملاً تنبي القارئ الكريم عن عظيم الحاجة إلى هذا المفتاح إذ قال السيد رشيد رحمة الله عليه ورضوانه :

« ولو وجد بين يدى مثل هذا المفتاح لسائر كتب الحديث لوفر على أكثر من نصف عمرى الذى أنفقته فى المراجعة . ولكنه لم يكن ليغنيني عن هذا الكتاب ( مفتاح كنوز السنة ) فان ذاك إنما يهديك إلى مواضع الأحاديث القولية التى تعرف أوائلها ، وهذا يهديك إلى جميع السنن القولية والعملية ، وما فى معناها ، كالشمائل والتقريرات والمناقب والمغازى وغيرها ؛ فلو كان بيدى هو أو مثله من أول عهدى بالاشتغال بكتب السنة لوفر على ثلاثة أرباع عمرى الذى صرفته فيها »

وقال الأستاذ الشيخ احمد شاكر « وقد عنى الصديق فؤاد افندى بالدقة فى الترجمة أتم عناية ، فانه لم يترجم معنى من المعانى حتى رجع إلى الأحاديث فى مصادرها التى أشار إليها المؤلف وعبر عنها بالعبارة الصحيحة التى تدل عليها الأحاديث . ولذلك مكث فى ترجمته أربع سنين ثم لم يضن على طبعه بالمال ، فاختار أرقى المطابع فى القاهرة وانتقى له أجود أنواع الورق ، فأبرز الكتاب كاملا ... »

« هذا الكتاب جمله مؤلفه فهرسا لثلاثة عشر كتابا من أمهات كتب الحديث . وهى : مسند الامام احمد بن حنبل . صحيح البخارى . صحيح مسلم . سنن الدارمى . سنن أبى داود سنن الترمذى . سنن النسائى . سنن ابن ماجه . وهذه الثمانية هى أصول السنة ومصادرها الصحيحة الموثوق بها . ويندر أن يكون حديث صحيح خارجا عنها . ثم موطأ الامام مالك . ومسند أبى داود الطيالسى ... ثم سيرة ابن هشام . ثم كتاب المغازى للامام محمد بن عمر الواقدى ... ثم أعظم كتاب جمع سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وتراجم الصحابة والتابعين فمن بعدهم وهو كتاب الطبقات الكبير لابن سعد . والكتاب الرابع عشر المسند المنسوب إلى زيد بن على بن الحسين ... وقد رتب الأستاذ فنسنك كتابه على المعانى والمسائل العلمية ، والأعلام التاريخية ،

وقسم كل معنى أو ترجمة إلى الموضوعات التفصيلية المتعلقة بذلك ، ثم رتب عناوين الكتاب على حروف المعجم ، واجتهد فى جمع ما يتعلق بكل مسألة من الأحاديث والآثار الواردة فى هذه الكتب ..... ولعل نشر هذا الكتاب بلغتنا العربية الشريفة يكون سبباً فى اقبال المتعلمين من جميع الطبقات على الاشتغال بالسنة النبوية ، وعلى الاستفادة من كتب الحديث التى هى كنوز العلم والحكمة التى أعرض عنها أكثر الناس ، إما جهلا بفائدتها ، أو عجزاً عن المراجعة فيها عند الحاجة »

وقد وضع الأستاذ فؤاد عبد الباقى لهذا المفتاح فهارس أخرى تيسيراً للمنفعة به وبالمعجم المفهرس لألفاظ الأحاديث النبوى ، صدر منها فهرس البخارى ومسلم والترمذى . ولعلنا نتكلم عنها وعن المعجم المفهرس فى فرصة أخرى

محمد حامد الفقى

## القصص المدرسية (1)

يصدرها الأساتذة

سعيد العريان — أمين دويدار — محمود زهران

المدرسون بالمدارس الأميرية

ماذا يقرأ الطفل فى وقت فراغه ؟

بل ماذا يقرأ الطفل فى مدرسته ؟

ولماذا ينقطع أكثر شبابنا الذين أتموا دراستهم ، عن المطالعة والدرس فلا يتذوقون لذة القراءة ، ولا يلتمسون متاع الروح ورياضة العقل بالاطلاع والنظر فى الكتب ؟

هذه أسئلة تعرض لكل ذى رأى فى هذا البلد ، فيذهب يلتمس الجواب ، ويعرض الرأى ، ويناقش الفكرة ، فلا يهتدى الا إلى رأى واحد : هو أن الطفل العربىّ لا يجد ما يقرأه فيلذه ويفيده فى وقت معاً ؛ فما بين يديه من الكتب واحدٌ من ثلاثة : كتاب مدرسىٌّ يراه همّ النهار والليل ، وكتاب فى مكتبة أبيه يعيا من دونه فكره ويقصر ادراكه ، وصحيفةٌ بين هذين أو فى مذهب ثالث ، ليس من الحكمة أن تصل اليها يده . والطفل بين ذلك كله لا يجد ما يجذبه إلى القراءة أو يحببه الى الاطلاع فينشأ نشأته كما نرى أكثر شباب هذا الجيل

ومن هنا بدأ تفكير بعض أدباء العربية فى تلافى هذا النقص فاتجهوا بعنايتهم إلى محاولة إيجاد « أدب الطفل » ، ويعنون بأدب الطفل ، ذلك الأدب السهل الذى يلذّ الطفل ويشوقه ، ويحمله — بالرغبة والميل الطبيعى — على المطالعة وحب الكتب ، منبثاً فى تثنايه ما يُراد أن يزوّد به الطفل من علم وفن ومعرفة وبيان ، فيتناوله مقبلا عليه بقلبه وعقله وطبيعته ؛ وكانت محاولات مجدية ، أضافت الى العربية فناً جديداً ، وأوجدت بينها وبين نفس المتعلم سبباً وثيقاً

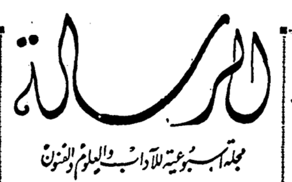
على أن هذه « القصص المدرسية » التى نتكلم عنها اليوم — اتجاه جديد فى هذا الباب من الأدب ؛ فلم يقتصر مؤلفوها على الترجمة من أدب الغرب ، أو النقل من كتب الأدب القديم ، كما فعل من سبقهم إلى هذا الباب ؛ بل تراهم يحاولون أن ينشئوا « أدب الطفل » أصيلاً فى العربيـة ، مصوّراً من هذا الجوّ الذى يعيش فيه طفل اليوم ؛ وبذلك أوجدوا الصلة بين الطفل ولغته ، وبينه وبين أهله ، وبينه وبين الجو الذى يعيش فيه ، فلا يعييه بعدئذ أن يتابع القصة بخياله ، كأنه بطل فيها ، مؤثر فى حوادثها ؛ وهذا — لعمرى — نهج سديد ، خليق بأن ينشىء من أطفالنا جيلاً جديداً ، له مُثُله العليا على مقداره ، وله رأيه فيما يحيط به

وقد استقبلنا هذه القصص لأول ظهورها منذ عام ، فرحين آملين ، مشفقين على مثل هذا المشروع أن يقف فى طريقه بعض ما يقف فى سبيل أكثر الجهود النافعة فى بلدنا فيحول دونها أن تبلغ التمام . ولكنا اليوم إذ تطالعنا القصة الخامسة من هذه القصص الدورية — نستبشر ويزايلنا الاشفاق على مصير هذا العمل النافع . على أن جهداً كهذا الجهد الذى يبذله مؤلفو القصص المدرسية صامتين — جدير بأن يلقى ما يستحق من عناية الآباء والمعلمين ليدلوا تلاميذهم عليه ، ويرشدوهم إلى سبيل الانتفاع به . لينجح المشروع ويؤتى ثمرته فى أولادهم وتلاميذهم

وما نحاول أن نصف هذه القصص بأكثر مما وصفها الأستاذ الرافعى فى رسالة كتبها إلى المؤلفين بخطه يقول فيها : « إنها رجولة عالية تساق إلى التلميذ فى أسلوب التلميذ ! » (م)

(1) صدر منها « مدرس أكسفورد » ، « الصياد التائه » ، « عروس البيداء » ، « النهر الذهبى » ، « الزعيم الصغير »

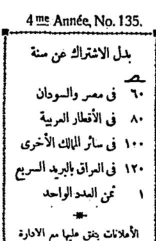
4 me Année, No. 135. — Lundi 3-2-1936




ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع البدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠


بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ١٣٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ ذو القعدة سنة ١٣٥٤ — ٣ فبراير سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

## فهرس العـــدد



وهـذا كتاب ... جح
الأحلام على اجتلاء ... بناه
سيرة جلت بقداسته ... يم
وسيرته أصبحتا ا ... س
المفصل ، وموضع التا ... زك
مالا يحد ؟ وللبصيرة المتناهية أن تبلغ مالا يتناهى ؟!

* * *

حاول هيكل تعريف هـذا الاشراق الإلهى من طريق العقل فاتخذ الدليل ، وحاول طه حسين أن يصوره من طريق القلب فاصطنع الأسطورة ، وحاول توفيق الحكيم أن يمثله من طريق الغريزة فاستعمل الحوار ؛ والحوار ولاشك غريزة الحياة وأسلوب المجتمع ، تجرى به الحوادث ، وتتنقل عليه الأحاديث ، وتتردد فيه المآرب ، وتوشك لغة الخطاب لا تعرف من ضروب الكلام غيره . هو لسان الوجود اليومى ، يترجم عن رغائب النفس فى غير كلفة ، وينقل عن سوانح الذهن من غير إجالة ، ويتم

على مرامى الهوى فى نبرات الصوت ، ويكشف عن طوايا الصدر فى لحن الكلام ، ويشف عن أحاسيس الروح فى لهجات الحديث ، ثم يصطبغ بصبغة الزمان والمكان والموقف والمناسبة ؛ فاذا أنت سجلته بالحق أو مثلته بالصدق ، فقد صورت الوجود المعدوم أكمل صورة ، وجلوت الماضى المبهم أتم جلاء ؛ ولكن تسجيل الحوار على عمومه عمل من وراء الإمكان ومن فوق القدرة ، فقصارى جهد الانسان أن يروى معناه بالسند فيكون التاريخ ، أو يموهه بالخيال فتكون القصة ، أو يزخرفه بالوهم فتكون الأسطورة . أما تمثيله على النمط الذى جرى عليه فهو الفن المبدع الذى يمده الإلهام وتهديه الطبيعة . يجرد الحادث من فضول الرواية ونافلة الحديث فيرده إلى جوهره ويحيله إلى بساطته ، ثم يبعث الأشخاص ، ويجدد الأمكنة ، ويعيد الملابسات ، ويحيى البيئة ، ويرجع بالقارىء إلى عصره ، فيحيا حياته ، ويعايش أهله ، فيرى بعينه ما يعملون ، ويسمع بأذنه ما يقولون ، ويدرك بنفسه موانع الحال ودوافع الموقف ؛ وذلك ما عمله توفيق الحكيم فى كتابه الجديد « محمد » : عمد إلى المواقف الخطيرة فى حياة الرسول ، والمواقع العظيمة فى تاريخ الرسالة ، فمثلها على الوضع الذى كانت عليه ، بالعمل الذى حدث ، وبالحوار الذى جرى ، وبالروح الذى انتشر ، ثم صور البواعث النفسية التى أغفلها المؤرخ ، وأظهر الألوان المحلية التى أحالها الزمن ، فاتصلت الأسباب ، واستبانت العلل ، وتحددت الفروق ، ووقع الأمر من حسك موقع المألوف من غير التواء ولا فلسفة . اقرأ فى كتاب توفيق الحكيم موقعة بدر أو حديث الأفك أو وفاة الرسول ، ثم اقرأها فى كتاب من كتب التاريخ تجد ما قلته لك قد صار أوضح فى المثال وأوكد بالموازنة



لم يرد توفيق الحكيم أن يجعل من سيرة الرسول رواية ؛ فإنه لو أراد ذلك لما سلم من لوم رجل الدين ، ولا برىء من نقد رجل الفن ؛ إنما هى مناظر مجازة على أسلوب الحوار لا يجمعها قانون الوحدة ، ولا يربطها تسلسل الزمن . ولقد ظهر هذا النوع أول ما ظهر فى ( الرسالة ) حين اقترحتُ على الأستاذ الحكيم أن يكتب على طريقته هجرة الرسول فى أول عدد من أعدادها الممتازة ؛ فتهيّب الأمر بادىء ذى بدء ، ثم تخوف المتزمتين أن ينكروا عليه فدله ، ثم أقدم فعالج الموضوع فى حذر وحيطة ، ثم ترقب ما يكون من رأى الناس ، فإذا هم يقرأون فى لذة ويحكمون فى نزاهة ، فمضى يعرض جوانب السيرة هذا العرض الواضح فى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة طوى عليها هذا الكتاب . والأرجح أن هذا الأسلوب سيجد مكانه فى تاريخ الأدب المعاصر ، فإن شاعراً من شعراء مصر نحا نحوه فى مقتل حمزة ، وكاتباً من كتاب الشام حذا حذوه فى موقعة بدر

***

هذه كلمة عجلى كتبناها عن طريقة الكتاب على قدر ما اتسع المكان والوقت ؛ وفى أكثر المناظر منه مواقف للإعجاب وفى أقلها مواقف للمؤاخذة ، وسيقف الناقد النزيه منها موقف العاذر أو العاذل على حسب رأيه فى الفن وحريته . ولست اليوم بسبيل الكشف عن سر الكتاب وفنه ؛ إنما هى تقدمة وتحية ؛ وستقرأ عنه ثم تقرأ فى باب النقد أو فى باب الكتب .

وبعد فإن للرسالة أن تغتبط بتوفيق الله فيما تجاهد له ، فلقد كان لها نصيب منتج فى توجيه الأدب العربى الحديث فى مصر وفى غير مصر إلى هذه الغاية العليا . كان أدبنا منذ قليل يتخلق بغير خُلقه ، ويتزيا بغير زيه ؛ يرد المنابع البعيدة ونهره قريب ، ويستجدى الأنامل الكزّة وخيره عَمَم ، حتى جفّ ما بينه وبين أصله ، وانقطعت الأسباب بينه وبين أهله ، فأصبح اليوم بفضل هذا التوجيه الحميد موصول الحبل بماضيه ، معقود الرجاء بمستقبله ، مطوى الفؤاد على قصده . وما دام على الدرب الأمين القاصد فهو لا بدّ فى القريب أو فى البعيد واصل

**احمد حسن الزيات**

# ٧ ـ كلمة وكليمة

## للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

ليس فى الشرف كأداء الواجب بشرف

الوعدُ السياسيُّ جريءٌ فى الكذب ، جريءٌ فى الاعتذار ، حتى إنه ليَعِدُ باحضار القمر حين يستغنى عنه الليلُ فى آخر الشهر ... فاذا لم يجيئوا به قالوا : سيتركه الليل فى الشهر القادم ..

الزمن ضعيفٌ فى نُصْرة الضعيف ؛ فاذا قالت دولة أوربية لدولة شرقية : سأدَعُكِ فى سنة ( كذا ) ، فمناها فى سنة ( دائماً ) التى لا أعرفها لا أنا ولا أنت ولا الزمن ...

كما تضربُ السياسة بقنابل حشوها البارود والرصاص ؛ تضربُ بقنابل حشوها المطامع والمناصب ....

لا يجيءُ الاتحادُ القويُّ من وحدة الأحزاب المختلفة ، ولكن من وحدة الحالة الواحدة فى الأحزاب المختلفة

للسياسة أحياناً أسلوب كأسلوب المرأة ذات العشاق ؛ إذا وافق بعضُهم بعضاً على النكاية بها ، فرّقتْ بين حظوظهم منها ، فما أسرع ما يختلفون

قال ذئبٌ سياسيٌّ لخروف سياسى : أريد الاتفاق معك ( حالاً ) . فقال الخروف : ويلك ! إذا كنت أنت ذئباً لتَسْحني ، فهل تكونُ ( حالا ) هذه إلا ذئباً آخر لعمرى ؟

لم يضيّع الشرقيين ضعفُ القوة أكثرَ مما ضيّعهم ضعفُ البصيرة

تالله ما أذلَّ الشرقَ إلا هذا التصوفُ ، وتالله ما يُعزُّ الشرق إلا هذا التصوف بعينه ، إذا انتقل عن رجاله إلى رجال المال والحكم والسياسة

كنتُ مرة فى ضيافة رجل من أهل القرى مع أحد علماء الفقه ، وذهبنا مع القَرَوىّ إلى أرضه وفيها نخلةٌ مَتهافتةٌ ليس أهون منها على صاحبها . فقال له الفقيه : أحب أن تهب لى هذه النخلة فى مغرِسها بحدودها الأربعة . قال قد وهبتُها لك . قال الفقيه بحدودها الأربعة ؟ قال الرجل الطيب : نعم .

فقال له الفقيه : الآن وهبت لى أرضك كلها وخرجت منها شرعاً ... فهذا فضاءٌ ولا حدود للنخلة إلا آخر ما تملك منه فى الجهات الأربع . هكذا يملك دهاةُ الفقه السياسى البلاد المريضة إذا ملكوا ولو نخلة فيها ، غير أنهم يسمون حدود النخلة « محفظات » النخلة ...

يكاد يقال اليوم إذا عُدّت العناصرُ الأرضية : إنها النارُ والماء والهواء والتراب والأسطول الانجليزى ...

كل ما استمتعتَ به على الحبيب المَلول ، أهان المال فى نفسه

لا تعاتب حبيبك الذى ملّ ، فاذا مرض الحب مات العتاب

أكثر صبر العشاق من قلة الحيلة ...

كذبُ الحبيب كذبٌ مرٌّ ، لأنه خرج من الفم الحلو

جمالُ التواضع فى الصديق أن يستمرَّ دائماً فى شكل تواضع ، وجمالُ الخضوع فى الحبيب ألاّ يستمرَّ دائماً فى شكل خضوع

تنظر المرأةُ بقلبها إلى أشياء لا تراها بعينها

احترس فى العداوة مما تبدأ به العداوة ؛ واحترس فى الحب مما ينتهى به الحب

لا تنسى الاساءة امرأة لأنها قليلاً ما تذكر الحسنة

كيف تتحرر المرأةُ إذا كان حكم الطبيعة أن أفضل ما تحرر به نفسها أن تجد من تقيد به نفسها ؟

يا ويل المرأة من قلبها حين يكون محروما ! ياويل المرأة من قلبها حين يكون فيها كالنفى فى غربة !

أبت الدنيا أن تفسّر كل عجيبة إلا بما هو أعجب منها . وهذه هى العجيبة

لو كانت اللذة في اللذة نفسها لما شقي أحد ، ولتيسرت لكل الناس كما تيسرت لكل البهائم ؛ ولكن أكثر اللذات لا يلذ إلا في التركيب الوهمي الذي أكثره في الخيال وأقله في الواقع

ما دامت أخلاق البهائم في الناس ، فصلاحُ الانسانية سيبقى دائماً في هذه المعاني الثلاثة : الراعي ، والحبل ، والعصا ...

من لؤم الكذب وشره أنك لو صدقتَ بكلمتين وكذبت بثالثة ، كنتَ كأنك صدقت باثنتين وكذبت بثلاث

كيف تصلح الدنيا وفي كل أرض يعمل على عكس قوانينها — قانونُ الجوّ وقانونُ الأرض ؟

شقاءُ العبقريّ من نفسه ؛ فان ظلّ يعمل تعبتْ به ، وإن ترك العمل تعب بها

أين الحقيقةُ الكاملة من العقل الانساني ونحن نرى كلّ عقل لا يُعطَى منها إلا قدرَ ما يسعُ منها ؟

أُسكتْ عن السفيه فان ذلك إلاّ يجعلْه كريماً مثلك لا يجعلك لئيماً مثلَه

قيل لمغرور متكبّر يُخَنْخِنُ في خَيَاشيمه(١) إذا تكلم : لماذا تتكلم من أنفك ؟ قال . لأني لا أجد في العالم من أكلمه بفمي . . . . . .

لو رد العالم على هذا المغرور لقال له : كلُّ الحمير تنهق بملء أفواهها إلا أنت ....

إذا صغرت النفس من لؤم صاحبها ، كبرت بلسان صاحبها

الصورة الثانيةُ للرجل المضحك جداً ، هي أن يظهر نفسَه عظيماً جداً

(طنطا) [illegible]

(١) يخرج الكلام من أنفه أخن فلا يبين فيه

إلى الآنسة ا . . م كيف أصرخ « بما هو غامض » وأين تكمن « ما هو غامض ؟ » . . . . . . إن كنت قرأت (المساكين) سبع مرات كما قلت ، فدعينا نخرج من مشكلتك أنت ما يقرأ أكثر من سبع مرات . الرافعي

# السياحة في مصر

## ومتى تغدو مورداً قومياً ؟

### بقلم سائح

مصر بلد الآثار الباقيـة والذكريات الخالدة ؛ آثارها وذكرياتها ترجع إلى أقدم عصور الخليقة ، وتراثها الأثري والفني منوع في عظمته ، ممتد على كر العصور والدنيات ؛ فمنذ عصر الفراعنة ، حيث يغيض التاريخ في ظلمات المجهول ، ومنذ الحضارة المصرية اليونانية ، والحضارة المصرية الرومانية ، إلى الحضارة المصرية الاسلامية ، تتكدس الآثار والذكريات الخالدة في أرض مصر صنوفاً متعاقبة ، حتى غدا تراث مصر الأثري والفني في روعته وفي عراقته وتباين أعصره وصنوفه ، أغنى وأغنى ما عرف من بقايا الحضارات الذاهبة القديمة والوسطى

وقد كان حرياً ببلد كمصر يتمتع بمثل هذا التراث الأثري الباهر إلى جانب ما يتمتع به أثناء الشتاء من طبيعة ساحرة وشمس وضاءة ودفء لذيذ ، أن يغدو كعبة حقيقية للسياحة والسياح من سائر أنحاء الأرض ، وأن يجعل من السياحة مورداً قومياً لا بأس به ، وأن يستغل هذا المورد بوسائل وأساليب جذابة مجدية ، وأن يسيطر على مرافقه ونواحيه بمشاريع عملية شاملة ، وألا يدخر وسعاً في الحرص عليه كمورد قومي ثابت ، أو في السعي إلى تنميته بجميع الوسائل والنظم

ولقد غدت السياحة في كثير من البلاد مورداً قومياً للكسب ، وأضحت وسائل استغلاله وتنميته في بلاد كثيرة لا تتمتع بمثل تراثنا الأثري ، ولا مثل جونا الساحر ، صناعة حقيقية ؛ ولكن مصر ما زالت في المؤخرة من حيث دراسة هذه الصناعة الحديثة وفهمها والانتفاع بوسائلها . نعم إن في مصر موسماً للسياحة ، وما زالت مقصد ألوف من السياح من مختلف البلاد في كل شتاء ، ولكن هذا الموسم لا يقوم على أسس ثابتة ، بل يترك أمره للظروف والمصادفات الخارجية ، وتكاد مصر تقف منه موقفاً سلبياً محضاً ؛ فاذا كان الموسم حسناً

مزدهراً ، فان ذلك يرجع عادة إلى ظروف خارجية لا دخل لمصر فيها ، وإذا كان الموسم سيئاً مجدباً ، كما هو الشأن منذ أعوام ، فان مصر لا تبذل من جانبها أية جهود عملية مجدية لاجتذاب السياح ، والعمل على مقاومة العوامل والأسباب التي يمكن أن يرجع اليها مثل هذا الكساد

على أن موسم السياحة المصرى ليس فى الواقع مصرياً إلا بالاسم ، ومن الظلم أن يحسب على مصر بصورته الحالية ، فليست مصر أو الهيئات المصرية هى التى تجنى ثماره ، وتستغل موارده بقدر ما يجنيها ويستثمرها الأجانب والهيئات الأجنبية ؛ ذلك أن كل ما تجنيه مصر من هذا الموسم يكاد ينحصر فى أجور السكك الحديدية ورسوم المتاحف والآثار وأجور التراجمة وأثمان بعض السلع والمنتوجات القليلة التى تعرض للبيع أثناء الموسم ، وهذا كله قليل بالنسبة إلى ما تجنيه الوكالات والفنادق والمتاجر الأجنبية من الأرباح الطائلة ؛ وهكذا يستغل موسم السياحة المصرى باسم مصر ، ومصر تقنع منه بالفتات الضئيل

وهذه حقيقة مؤلمة ؛ بيد أن أشد ما يؤلم فيها هو أن هذا الغبن الفادح الذى يلحق مصر فى مورد من مواردها المشروعة ترجع التبعة فيه إلى مصر ذاتها ، وإلى ما تبديه هيئاتنا الرسمية وغير الرسمية من قصور وتقصير فى تنظيم الدعاية لمصر فى الخارج ، وفى تنظيم شؤون السياحة الداخلية بوسائل مجدية وطرق جذابة ، وفى توفير أسباب اليسر والراحة للسائحين ؛ ومن الحقائق المعروفة فى أوساط السياحة الخارجية أن نفقات السياحة فى مصر تصل إلى حدود مرهقة ، ولا يكاد يتحملها سوى كبار الأغنياء والموسرين ؛ وأن السياح المتوسطى الحال يقاسون فيها من فداحة الأجور وعدم توفر أسباب الراحة ؛ وهذه الحقيقة وحدها تبعد عن مصر عشرات الألوف من السياح الذين تسرهم زيارتها لو توفرت فيها أسباب الاقامة المعتدلة ، كما هو الشأن فى معظم مراكز السياحة فى أنحاء العالم

ولنبدأ بمسألة الدعاية ، فنقول إن مصر ما زالت متأخرة فى هذا الميدان بصورة يرثى لها ؛ وما تنفقه مصر فى هذا السبيل من الألوف العديدة يذهب هباء ؛ إذ يندفق معظمه على بعض الصحف الأجنبية التى لا تفيد فى الدعاية الحقيقية ؛ والدعوة المنظمة هى روح السياحة الحديثة ، ومصر مشهورة فى الخارج بتراثها الفنى ومزاياها الاقليمية ، وميدان الدعوة إلى زيارتها خصب ممهد ؛ على أن مما يؤسف له أن مصر لم تقم حتى اليوم بتنظيم هذه الدعاية بطرق عملية ناجعة ، فليس لنا فى الخارج مكاتب ولا وكالات مصرية للسياحة ، وقنصلياتنا لا تبذل أى جهد فى هذا السبيل ؛ على حين أن جميع الأمم التى بها مراكز للسياحة تنظم دعايتها فى جميع أنحاء العالم تنظيما عملياً واسع النطاق ، فتنشئ لها مكاتب للسياحة فى الداخل والخارج ، وتذيع عن آثارها ومزايا السياحة فيها كتباً ونشرات بديعة جذابة توزعها بالألوف من مكاتبها وقنصلياتها ، ولا تدخر فى ذلك مالا ولا جهدا

ولكن مصر تقنع فى هذا الميدان بنشرات قليلة تذيعها فى بعض الصحف الأجنبية ، وبعض لوحات تعلقها فى عربات السكك الحديدية ؛ هذا إلى أن هنالك دعايات مغرضة تنظم ضد مصر من منافسيها فى ميدان السياحة ، ومصر لا تبذل أى جهد لدحض هذه الدعاية السيئة

ولقد انشئ بمصر أخيراً مكتب رسمى للسياحة ، وبدأ أعماله فى ظروف سيئة عاقته عن القيام بالجهود الذى تقتضيه هذه الحالة ؛ وإنا نؤيد الفكرة فى ذاتها ، ونرجو أن تتاح الفرص اللائمة ليقوم هذا المكتب الجديد بمهمته فى بث الدعاية لمصر وفى العمل على اجتذاب السياح إليها . بيد أن مهمة المكتب لا تقف عند هذه المهمة ؛ وفى رأينا أن مهمة المكتب الحقيقية هى وجوب العمل على تمصير موسم السياحة وجعله جهد الاستطاعة مورداً قومياً يتاح للهيئات المصرية ولأبناء البلاد قبل غيرهم اجتناء فوائده وثماره ؛ وهذا يتطلب من مكتب السياحة أن يعمل فى دائرة واسعة متعددة النواحى

وإذا كانت السياحة قد أضحت كما قدمنا فى بلاد السياحة صناعة وفنا ، فانه يجب علينا فى مصر أن نفهمها بهذا المعنى ؛ وعلينا إذا شئنا أن نجتنى مغانم هذا الموسم أن نعنى بانشاء الفنادق الفخمة والمتوسطة ، وإنشاء المطاعم والابهاء الأنيقة ،

وتنظيم السياحة الداخلية ، وترقية طائفة التراجمة والمرشدين ، وتخفيض أجور السكك الحديدية ورسوم الآثار والمتاحف .

وإذا أريد حقا أن يكون موسم السياحة في مصر مورداً قومياً ، فعلى هيئاتنا الرسمية وغير الرسمية أن تبادر قبل كل شيء إلى العناية بصناعة الفنادق ، فهي عماد الموسم في جميع مراكز السياحة ؛ ولا ندري لماذا لا يفكر الممولون المصريون في النزول إلى هذا الميدان الذي ما زال يستأثر به الأجانب في جميع عواصم القطر ؟ ولماذا لا يتجه الشباب المصري إلى المساهمة في هذه الصناعة وهي لا تحتاج إلى مجهودات فنية صعبة ؟ ولا ريب أن عدم توفر الفنادق الأنيقة المعتدلة الأجور من أهم عوامل الضعف في موسم السياحة المصري ، لأن الفنادق الأجنبية الفخمة التي تستأثر الآن باستقبال السياح ترهقهم بفداحة أجورها ونفقاتها ؛ وإذا تذكرنا الأرباح الطائلة التي توزعها شركة الفنادق المعروفة على حاملي أسهمها كل عام استطعنا أن نقدر إلى أي حد يرهق السياح النازلون في فنادقها ؛ وهو إرهاق يترك أثراً سيئاً في نفوس ضيوفنا الأجانب حتى الأغنياء منهم

ولا يسد هذا النقص سوى إنشاء فنادق مصرية أنيقة معتدلة الأجور ؛ وهي صناعة رابحة يجب ألا يتوانى المصريون عن النزول إلى ميدانها . ولا ريب أن بنك مصر هو أقدر الهيئات المصرية الاقتصادية على فتح هذا الباب خصوصاً وهو يضم بعض الشركات والمرافق التي يتصل عملها بشؤون السياحة كشركة الملاحة وشركة الطيران ومكتب مصر للسياحة ؛ وغزو هذه الصناعة التي يستأثر بها الأجانب ويجانبها المصريون بغير حق ، يحقق لمصر غايتين : الأولى تمصير صناعة الفنادق واجتناء أرباحها ، والثانية تيسير أسباب الاقامة للضيوف الأجانب وتشجيعهم بذلك على زيارة القطر المصري

ونعتقد أن مكتب السياحة المصري يجد مجالا طيباً للعمل في هذا الباب من الناحية الحكومية ؛ ذلك أن الحكومة المصرية لا يفوتها ما يترتب على إحياء صناعة الفنادق الأنيقة المعتدلة من توفير أسباب الراحة للسياح وتشجيعهم لا على زيارة القطر فقط ، بل على إطالة مكثهم به أيضا ؛ ولا بأس من أن تتولى الحكومة نفسها أو إدارة السكة الحديدية ، وهي من أوثق الادارات الحكومية اتصالا بشؤون السياحة ، القيام بأول خطوة في هذا السبيل ، وإنشاء فندق أو أكثر من طراز نموذجي يجمع بين الفخامة واعتدال الأجور

بقيت مسألة نرجو أن يعني بها مكتب السياحة عناية خاصة ، وهي مسألة التأشيرات التي تمنحها القنصليات المصرية في الخارج لراغبي زيارة القطر . ومن المعروف أن نظام التأشيرات الحالي يكاد يقضي على كل اختصاص حقيقي لقناصلنا في هذا الشأن ، ويجعل الاختصاص الحقيقي في منح التأشيرات ورفضها لقلم الجوازات التابع لادارة الأمن العام ( ورئيسه انكليزي ) وفي معظم الأحوال يضطر القناصل المصريون إلى مراجعة إدارة الأمن العام قبل المنح أو الرفض ، وتستغرق هذه المخاطبات وقتاً ليس بالقصير ، وإذا كانت تلغرافية فانها تجري على حساب الطالب . وبذلك تمضي أسابيع وربما مضت أشهر قبل أن يبت في طلب الطالب ؛ ولا تستطيع القنصليات أن تمنح تأشيرة دخول القطر من تلقاء نفسها إلا للكبراء والأشخاص المعروفين . فهذا النظام المعقد يزهد الكثيرين في زيارة مصر . ولا ريب أنه يحق للسلطات المصرية في الداخل أو الخارج أن تعمل لمنع العناصر الأجنبية السيئة وغير المرغوب فيها من دخول القطر ، ولكن الحرص على هذه الغاية يجب ألا يكون عقبة في سبيل العناصر الشعبية الطيبة التي ترغب في الزيارة البريئة . وأملنا أن يوفق ولاة الأمر إلى وضع نظام جديد للتأشيرات يسهل مهمة القناصل المصريين ويذلل العقبات الحالية

هذه خواطر وملاحظات في شؤون السياحة أملت بها أزمة الموسم الحالي ، وما نقرأ من آن لآخر عن الدعايات المغرضة التي تذاع ضد مصر وأحوالها في الخارج تنفيراً للسياح من زيارتها ؛ فاذا أرادت مصر أن يكون لها موسم للسياحة يتناسب مع مكانتها الأثرية والاقليمية ، وإذا أرادت أن تجتني كسبه وثماره ، فعليها أن تعنى قبل كل شيء بجعله موسماً قومياً يكون لمصر والمصريين في استغلاله أوفر نصيب

( سائح )

# رفعة المرأة

## للأستاذ محمد بك كرد علي

بقية ما نشر في العدد الماضي

وعاد المؤلف فعقد فصلا في الأعمال التي تبرز فيها المرأة على الرجل، وهي الاحسان وتمهد المرضى وتربية اليتامى إلى غير ذلك من أنواع البر. ومما نقله لمديرة عصبة الخير أن الناس يتوخون أن يعرفوا ما نشكو منه من الأوجاع، وما تشكو منه كل الأمم، ومنشؤه افلاس تربية القلوب، فقد وسع القائمون بالتربية درجات الذكاء بالتأديب الذي أدبوا الناس به، وشددوا في تلقين التربية الجسمية، وظنوا في ذلك الكفاية وهو دون حدها. فقد رأينا في العهد الأخير أن خمسمائة مليون طن من الحنطة جعلت وقوداً، أو ألقيت الى البهائم تقضمها، على حين يجهد ملايين من البشر في الصين يموتون جوعاً. وألقوا في البرازيل ٤٩٥٠٠ كيس من البن في البحر، ثم ٦٠٠٠٠ ألفاً جعلوها سماداً للأرض. وأبادوا في ألمانيا مقادير من السكر. ودفنوا في أوستراليا مليون خروف في الأرض لئلا يستفاد منها؛ وفي كل مكان يطرحون الأثمار والبقول والأسماك التي لم تنفق، أو التي زادت على الحاجة، ولا ينكرون في أن بيوتا كثيرة تشكو العوز وتصاب بالمخمصة. وتزيد هذا الانحطاط في الأخلاق كل يوم، وتزيد معه وياللأسف هذه الأنانية كثيرها من النقائص التي تئن منها الانسانية، وتردها الى أرذل أطوارها. فالشعور بالاحسان والأخاء سواء في الحكومات أو في الشعوب لم يستثمر ولم يرب. وعصبة الاحسان تعاون على تربية عقلية الأطفال في المدارس التي تربى على حب الفضائل. وتعلم الاحسان ضروري في الحياة الاجتماعية كتعلم الصناعات والأعمال

وأفاض في وصف عقليات الأمم التي تخالف العقلية الفرنسية؛ فما قال في وصف عقلية الأمريكان في الولايات المتحدة إنها مخالفة كل المخالفة لعقلية الفرنسيس في مسائل الزواج، فالزواج عند الفرنسيس بالنسبة إلى العزب نوع حديث من الحياة يتحتم أن يكون ثابتاً يسبقه على الأكثر شعور صادق عميق، اللهم إلا عند بعض شباننا في السنين الأخيرة. وأغلب الأمريكيين والأمريكيات (ما خلا الفلاحين والعملة في المدن وجمهور الفقراء) يعتبرون الزواج فقط حادثاً يبقى ما تيسر له البقاء، ويمكن حله لأسباب تافهة، أو لأنه فقد فيه الرضا، كأن الزواج عندهم بحسب ماعرف شامنور الحب تعريفاً فيه سخرية بقوله إنه «تبادل هويتين واحتكاك بشرتين». وليس من النادر في الولايات المتحدة أن امرأة ورجلا كانا بالأمس لا يعرف أحدهما الآخر أن يتلاقيا ذات صباح ويتأهلا في نفس ظهر ذاك اليوم بمعرفة القس الذي يجمع وظيفة ضابط الأحوال الشخصية إلى وظيفته

ووضع فصلاً عنون له «كلمات للتأمل» جاء فيه أن مدام ماكدلين شوميون قالت في جملة مقالات لها في جريدة النهار الباريزية: إن الفتاة عندما تبدأ في فهم الحياة تتمثل أن تدخل في ميدانها وحيدة بدون معين ولا استنصاح أحد. فيقال إنها تريد أن تعيش مستقلة وأنها تتجافى عن قبول آراء غيرها وتوبيخ أهلها، وأنها تود أن تعمل لتربح مالا وتنفق على هواها، وأن تبدو للناس، وتسيح إذا اقتضت الحال، وهذا غاية أمانيها. وهذا الجمهور الذي لا يحصى من الفتيات والنساء ممن يخرجن عن أطوارهن هو الذي يدعونا إلى الأنفة والأسف. ولقد رأينا محاميات انقلبن خادمات في البيوت، ولدينا براهين كثيرة على أنه خير للمرء أن يحسن صناعة من أن يحمل شهادات حسنة. ولقد نال كثير من النساء لقب دكتورات في الحقوق فأصبحن كاتبات بسيطات على الآلة الكاتبة. يتعلمن علما كثيراً ولا يعرفن احتياجهن على كسب قوتهن. وذكر المؤلف ما تحمله السينما من المفاسد، ولا سيما للفتيات والصبيان، وقبح الأبوين اللذين يستصحبان أولادهما لمشاهدة هذه المناظر التي لا تعلم في الأكثر إلا القبائح والمفاسد

وروى ما قاله اميل بيكارد العالم الطبيعي الرياضي أن مستوى الأخلاق في الجنس البشري يسفل بمقياس واسع، ولعلهم يقولون إن ذلك نشأ من الحرب العظمى؛ والحقيقة أن هذه الحرب لم تعمل غير تعجيل هذا الفساد كما عجلت في مسائل أخرى. وانتهى الحال ببعضهم أن ادعوا أن ذلك نشأ من العلم، وهذه الدعوى تصدق ببعض الشيء، ذلك لأن الآلة قد أحدثت جنوناً في الانتاج الصناعي، فان السرعة التي تمت في المسائل الفنية لم تسمح للزمن أن يعمل عمله. والزمن يهزأ بشيء يعمل دون تدخله؛ بل ينتقم من صاحبه. ولم تكتف الآلة باغراق العالم في الرفاهية

بل قامت مقام الانسان المنتج القوى ، وأبطلت فى الانسان اعتياد العمل الشاق العميق الطويل ، فأصبح سطحياً واستغرقته السهولة ، وما نمت فيه القدرة المادية بل قل فيه العنصر الأخلاق ، والجسم إذا اتسع توقع أن يكون له ملحق من الروح كما قال برجسون . وقد احتقرت الوطنية والتجارب وفقدت الحرمة الناجمة من الصبر والسن واختلاط العبقرية المريضة بالعبقرية السليمة وهى وليدة القوة

ونقل أقوالاً لعظماء من علماء العصر الحاضر تأييداً لقضيته ؛ ومنها أن نصف علم يحرزه المرء يتولد منه من الأوهام ما يكون أضر على صاحبه من الجهل ، لأن صاحبه يكلب على العمل فلا يأتى بكبير أمر ، وتزداد عاقبته الشؤمى بالضرورة لامتزاجها بالمصالح الشخصية والشهوات والأهواء الرائجة فى سوء الجدال الاجتماعى ، وما يتبعه من عبث العابثين بالسياسة المتجرين بها . وحمل على الاشتراكية التى تحارب المثمرين والمتمولين ، وتحاول القضاء على الطبقات الإجتماعية ، وعلى رؤوس الأموال ، وعلى النفرة من الحرب ؛ ونقل أن رؤوس الأموال إذا انعدمت تموت الاشتراكية ، لأنها لا تجد ما تحاربه فلا يبقى لها ما تقتسمه من المال بين الاشتراكيين ؛ والاشتراكية تؤدى إلى « البلشفة » البشعة . ومن المتعذر قيام الدعوة الاشتراكية إذا فقد المال ، ولا شىء يعمل بلا مال . وما البلشفة إلا وضع حياة البشر فى يد عصابة تزعم أنها تمثل الدولة . ومعنى ذلك بسط السلطة العامة على الناس فى كل أمر يصدر من مصادر خفية . وقال هذا جنون شرقى ينساب على التدريج فى عقل الغرب

وختم كتابه بفصل فى انتشار المهر والأسباب الداعية إليه فى الغرب . وقال فى الخاتمة إن الفرنسيس ما خلا أربعة أو خمسة آلاف امرأة ومثلهن من الرجال يطمعون فى إعطاء حق التصويت للنساء لا يهتمون بتة فى منح الحقوق المزعومة للمرأة لادخالها فى الحياة السياسية . ويخشى اذا تمتع النساء بحقوق الرجال أن يقلبن أوضاع الأمة إلى التى لا تريدها ، شأن كثير من المتغلبين على الحكم فى الأمم يعملون ما تزين لهم أهواؤهم ، ويعلون إرادتهم على من يتعذر عليهم طاعتهم . وكان على هؤلاء الدعاة أن يبدأوا أولاً باقناع ملايين من النساء لا يريحه رأيهن فى الاشتراك فى الحياة السياسية . هذا والأفكار تسير سيرها ؛ ولعله يأتى اليوم الذى تستعد فيه المرأة الفرنسية للاشتراك مع الرجل فى الحياة العامة حذو القذة بالقذة . ويقضى على القائمين بهذه الدعوة ريثما تتحقق أمنيتهم أن يبدأوا باصلاح أخلاق المرأة الحاضرة وتهذيبها على أسلوب لا يقبل كل رأى يدلى به إليها ، ويحرورها على الأقل من سلطان أزيائها وتبرجها ، وأن يجهد الحاكمون أن يسيروا هذه الدعوة فى المجرى الصالح لخير المرأة والرجل والحب والسلام الاجتماعى ، ومستقبل العنصر ، والأخذ بأسباب الارتقاء الحق . والمرأة مهما حاولنا وصفها بالرقى الآن لا تخرج عن كونها تطمح فى استقرار حياتها وفى الخلوة إلى دارها ، وإن ألبسوها اليوم لباساً غير لباسها من النزوع الى الاستقلال . وقد أخذ كثير من الشبان يحولون اليوم وجههم متقززين من النساء المولعات بالألعاب الرياضية والمدخنات والشريبات والراقصات والساهرات أى من طبقة النساء ممن قد يكون فيهن العفيفات وظاهرهن أنهن بنات سرور ومرح ؛ ومن الطبقة التى يقول فيها الانجليز إنهن لسن نساء ولم يبلغن مبلغ الرجال

قال : أيتها المرأة إنك مهما قلت مسوقة بتابل من الكبرياء وبعوامل أكرهتك على خوض غمار أزمة هذه الأيام لتخرجى عن حظيرة جنسك وتقطعى صلتك بعملك الأبدى السامى ، لن تكونى إلا محبة وزوجة وأماً . وإذا أنسيت رسالتك فان الطبيعة ستتولى عاجلاً أو آجلاً تذكيرك أن الأقدار ما خرجت بك إلا لتكونى شريكة الرجل ، وأم أولاده ، وجزؤه المتمم ، ونصفه ، وأحياناً الموحية اليه والمنقذة له . أنت أبداً مهد الآلام البشرية وستظلين على ذلك إلى يوم البعث والنشور ؟

محمد كرد على

# قصة المكروب

## كيف كشفه رجاله

### ترجمة الدكتور احمد زكى

وكيل كلية العلوم

## بستور Pasteur والكلب المسعور

**وصل الفائت**

حقن بستور فى دجاج مكروبا قديماً ضعيفاً لداء كوليرا الدجاج ، فرض الدجاج ولكن لم يمت . وكان ذلك مصادفة . ثم حقن فيه مكروبا جديداً فتاكا فلم يمت . فتوصل بذلك إلى طريقة لتحصين الدجاج ضد الكوليرا ، إلى طريقة اللقاح أو الفكسين المعروفة اليوم

قلت فيما مضى إن بستور يضمر فى نفسه عبادة هذا الشيء العظيم الرائع الخفىّ فى هذا العالم المجهول ، وكثيراً ما ركع وسجد لهذه اللانهائية المستورة . ولكن أحياناً كان يأتيه الأمل فيطلب القمر وينسى رب السماء . وكلما رفعت إحدى تجاربه الجميلة ستاراً عن خفيّة من خفايا ذلك المجهول الضخم الرائع بأسراره ، ظن أن كل الخفايا انكشفت ، وأن كل العُقد انحلت . هكذا كان حاله ومزاجه فى هذه الساعة التى نحن فيها . إنه استطاع حقاً أن يحمى الدجاج حماية تامة من داء مميت بأن احتال له تلك الحيلة الجميلة فحقن فى الدجاج شيئاً من المكروب القتّال بعد تأنيسه وإضعاف شرّه ، ولكنه ما كاد يستيقن من نجاح حيلته حتى قال لنفسه : « وما يدريني ؟ فلعل مكروب هذه الكوليرا يحمى الدجاج من كل داء خبيث آخر » . وما عتم أن حقن عددا من الدجاج بمكروب الكوليرا بعد إضعافه ، ثم أتبع ذلك بحقنة من مكروب الجمرة الخبيث ، واصطبر فلم يمت الدجاج !

فهاج وماج وكتب إلى أستاذه القديم دوماس ، ولمح له أن مكروب كوليرا الدجاج قد يكون لقاحا عاما يُحصِّنُ من كل الأدواء . وكتب اليه يقول : « فاذا تأكد هذا ، جاز لنا أن نأمل من النتائج أخطرها ، حتى فيما يتعلق بأدواء الانسان »

وفرح دوماس الشيخ بالذى قرأ ، فنشر الخطاب فى التقارير الرسمية لأكاديمية العلوم ، وها هو ذا إلى اليوم ماثل فى صفحاتها ، يشهد باندفاع بستور وتسرّعه ، ويكذّب من يقول إن بستور لا يقول دائماً إلا حقاً . ولقد بحثت ما استطعت فلم أجد أن بستور استردّ الذى قال ، ونفى الأمل الخادع الذى أحيا فى الناس . وبستور لم يطل به الزمن بعد ذلك طويلا حتى عرف خطأ هذا الرأى ، واستيقن من أن النوع الواحد من البشلات لا يحصّن من كل الأمراض على نحو ما كان ادّعى ، وإنما يحصّن من المرض الواحد الذى هو سببه ، وحتى هذا قد لا يدفعه أحياناً

ولكن كان من خصائص بستور المحمودة أنه كان كلما انهدم له أمل ، قام على أنقاضه له أمل جديد ؛ وإذا احترق له رجاء ، انبعث له من رماده رجاء طريف . يحلّق به الخيال الوثاب حتى يصل به إلى السحاب ، ثم يخونه جناحاه ، فيهوى كالقنبلة على الأرض ، فتحسب هذا الدوىّ هو آخر ما تسمع منه ، ثم لا تلبث أن تراه قائماً من تلك الأنقاض على رجليه ، يجرى التجارب البارعة ، ويبحث بجد عن كل حقيقة صلبة صماء . لذلك لا تستغرب أن تسمع أنه فى عام ١٨٨١ كان يعمل مع عونيه رو وشمبرلاند ليكشف عن طريقة جميلة لتأنيس مكروب الجمرة وتحضير لقاح منه . فبمجيء هذا العام اشتد البحث وراء الألقحة اشتداداً لم يدع لرو وصاحبه وقتاً لراحة . حتى الآحاد اشتغلاها ، وأيام العطلة لم يتعطلاها ، والأجازات تجنباها ، وناما فى المعمل إلى جانب الأنابيب والمجاهر والميكروبات . وهنا ، وبارشاد بستور ، أضعفا بشلة داء الجمرة إضعافاً متدرّجاً . فمن الضعيف ما قتل الخنازير الغينية وأبقى على الأرانب ، ومن الأضعف ما قتل الفئران وأبقى على الخنازير الغينية . وحقنا الميكروب الأضعف فى الخراف ، وأتبعاه بالأقل ضعفاً ، فمرضت الخراف ولكنها شفيت ، وبعد ذلك صمدت على ما يظهر لميكروب الجمرة القوى الذى يقتل الأبقار

وما لبث بستور أن أذاع نصره الجديد فى أكاديمية العلوم — وكان قد ترك أكاديمية الطب بعد عراكه الذى كان مع الدكتور جيران — وبشر لهم بلقاحات يرجو استحداثها قريباً تمحو كل الأدواء ، من التُّكاف إلى الملاريا . وصاح فيهم : « وهل أيسر من لقاح الجمرة هذا ؟ سموم نُضْعِف بالتدريج من شرّتها

فتعطى الخراف والأبقار والخيول بعض الداء دون أن تقتلها ، ثم تتعافى ، فتمنعى من الداء أبداً ! » وظن بعض زملاء بستور أنه يبالغ فى يقينه ، ويغلو فى ثقته بهذا اللقاح ، وتجاسروا على الجهر برأيهم ، فانتفخت أوردة بستور فى جبهته ، ولكنه كظم غضبه هذه المرة واستطاع أن يحبس لسانه حتى خرج هو وورو وسارا فى الطريق إلى منزليهما ، وعندئذ انفجر بستور على هؤلاء وعلى أمثالهم ممن يعجزون عن الاعان بالحق المحض الذى احتوته فكرته قال : « أنا لا أعجب إن أنت ذهبت إلى منازل أمثال هؤلاء فوجدتهم يضربون أزواجهن ضرباً »

صدقنى ، ما كان العلم لدى بستور جمع الحقائق بنفس مطمئنة باردة ، فقد أثار فيه نفس الشىء الذى يثير الحيوان الآدمى إلى البكاء عند موت طفله ، أو إلى الفرح والغناء عند نعى عم أو خال قد ترك له من بعد موته نصف مليون دولار

وأخذ أعداء بستور يتبعون أثره ليثأروا منه شر ثأرة .

ولم يكن أعداؤه من الأطباء فحسب ، بل كذلك كان البيطريون وهم رجال لهم مقام فى الناس ونفع لهم . أساء بستور إلى هؤلاء وهؤلاء فتصدى له بيطرى فنصب فى طريقه فخا عظيما وأغراه بالوقوع فيه . وكان اسم هذا البيطار روسنيول Rossignol . قام ذات يوم فى الجمعية الزراعيــة بميلان Melan يغرى بستور بإجراء تجربة عامة ، يجريها على الملأ فى سبيل العدالة العلمية ظاهرا ، وفى سبيل القضاء على بستور وأم بستور باطنا . قال للجمعية : « إن بستور يقول إن أسهل شىء فى الدنيا صنع لقاح يحصن الشياه والأبقار من داء الجمرة تحصينا كاملا . فان صح هذا القول عاد على زراع فرنسا بالنفع العظيم ، ووفر عليهم عشرين مليون فرنك يخسرونها كل عام بسبب هذا الداء . إن بستور لو كان يستطيع حقا إخراج هذا اللقاح العجيب ، لما وجد على نفسه غضاضة أن يثبت لنا أنه يستطيعه . فهيا بنا ندعوه إلى تجربة عامة يجريها فى الجمهور ، فان أصاب كان لنا الغنم نحن معشر الزارعين والبيطريين ، وإن خاب سكت عن هذه الثرثرة الكاذبة ودعاويه الباطلة عن كشوفات هائلة تنجيى من كل شىء ، من ديدان الأرض إلى حيتان الماء » . هكذا نطق هذا البيطار الماكر .

وسرعان ما جمعت الجمعية مالا كثيراً اشراء ثمان وأربعين شاة ، وعدد من الأبقار ، وجديين ، واختارت البارون دى لا روشت de la Rochette لمكانته وشهرته ، فبعثت به إلى بستور ليدخل اليه من محبه ليوقعه فى هذه التجربة وفيها من الخطورة ما فيها

ولم يشعر بستور أبداً بالذى يراد به ، فقال للبارون : « بالطبع أنا راض بالذهاب إلى جمعيتكم لأريكم أن لقاحى ينقذ الحياة — إن علاج أربع عشرة شاة فى معملى لا يفترق عن علاج ستين فى ميلان ! »

هذا هو الشىء الغريب العظيم فى بستور : يريد أن يخرج البيضة من الديك ، والأرنب من القبعة ، ويدهش العالم ، فيقوم بكل هذا فى اخلاص عظيم وإيمان بما يصنع كبير ، كان عرّافاً كبيرا بارعاً ، وكان يجوز عليه أن ينزل فى سبيل ذلك أحيانا إلى ملاعيب بهلوانية يسيرة ، ولكنه لم يكن يعمد إلى التدبير والتخطيط لشىء من هذا أبداً . وتعيّن موعد امتحانه فى الملأ ، فكان مايو ويونيه من ذلك العام

وكان رو وشمبرلاند قد تعبا من العمل المتواصل تعباً كبيراً أثر فى أعصابهما ، فأخذا يريان رؤى مفزعة ، فتارة تفلت فى النوم إلى الأرض من أيديهما قبابة خطيرة بالذى فيها ، وتارة يجدان نفسيهما ينظران إلى حيوانات غريبة نصفها دجاجة ونصفها الآخر خنزير . أو لا يأتيهما النوم فيأخذان فى حقن اللايين من الأرانب وهم فى الفراش راقدون ، فلما ساء حالهم إلى هذا الحدّ طلبا الراحة فى الريف ، وما كادا يستقران فيــه حتى جاءها التلغراف الآتى :

« أرجعا إلى باريس حالا . على وشك تجربة عامة أن لقاحنا يحمى الشياه من الجمرة — ل . بستور »

فرجعا مسرعين . فقال بستور للقوم : « فى مزرعة بوييلوفرت Pouilly-le-fort ، وفى حضرة الجمعية الزراعية بميلان ، سألقح أربعاً وعشرين شاة وبضع بقرات وعنزة واحدة . وسأدع بدون لقاح مثلها فى العدد عنزة وشياها وأبقارا ، فاذا جاء الوقت الموعود سأقوم وأحقن كل هذه الحيوانات بأخبث زريعة لدينا من بشلة الجمرة ، أما الملقّحات فسيكونون فى حمى من الداء ، وأما الأخرى فستموت طبعاً فى يومين أو ثلاثة . » تحدّث بستور

كالفلكيّ يتنبأ بكسوف الشمس

قال صاحباه : « ولكن يا أستاذنا إنك تعلم أن عملا هذا كالمشى على الصراط ، فنحن لا يمكننا أبداً أن نأمن أمناً تاماً إلى ألقحتنا ، فهى قد تقتل الشياه التى نريد أن نحميها . . . »

فزعق بستور فيهما : « إن اللقاح الذى يعمل بنجاح فى أربع عشرة شاة فى معملنا لا شك ناجح فى خمسين شاة فى ميلان » . فانه عندئذ لم يرد أن يسمع بالخيبة ، أو يذكر أن الطبيعة لها سرٌّ لا يُفشى وخدعات لا تؤتمن ، أو أن الغيب قد يخبئ كثيراً من العثرات ويأتى بكل غريب لا يُحتسب . بل لقد تراءى هذا الغيب فى عينيه رائقاً كالماء ، شفافاً كالهواء ، سهل القراءة كما تقول اثنان فى اثنين ينتجان أربعة . فلم يكن لرو وشمبرلاند بدٌّ من رفع الأكمام وكشف السواعد والأخذ فى تجهيز الألقحة

وجاء يوم الامتحان الأكبر ، فكانت المحاقن جاهزة ، والقبابات حاضرة ، وكل قبابة عليها اسمها . وصاح بستور فيهما وقد همّوا جميعاً بركوب القطار : « إياكما ياولدىّ أن تخلطا بين الألقحة » . وكان قلبه مليئاً بالثقة ووجهه يطفح بشرا . ولما بلغوا بويى لوفرت Pouilly-le-Fort ، وصلوا إلى الحقل الموعود حيث الثمانى والأربعون شاة وبضع الأبقار والمعزتان ؛ تقدم بستور إلى إلى الميدان ، فدخله دخول مصارع الثيران ، وانحنى وطيئاً للجمهور المحشود ، وكان فيه أعضاء من مجلس شيوخ الجمهورية ، وكان فيه علماء وبيطريون وكثير من ذوى الأحساب ومئات المزارعين . فسار بستور بين صفوفهم بعرج قليلا – عرجة العظم والوجاهة لا عرجة الضعف والاستعطاف – فحيوه تحية صارخة ، وتسخّر به قليل

وحضر جماعة من رجال الصحافة ، وكان من بينهم رسول جريدة التيمس السيد دى بلاوتز Blowitz ، هذا الرجل المعروف الذى أصبح اليوم فى التاريخ كأنه شخص خرافىّ مما يحكى عنه من الأعاجيب

وسيقت الأغنام إلى فرجة من الحقل ، وقام رو وشمبرلاند إلى مصابيح الكحول فأشعلاها ، وإلى المحاقن الزجاجية فأخرجاها بحذر من لفائفها ، وجاءا بلقاح الجرة الضعيف الأول الذى يقتل الفئران ويُبقى على الخنازير الغينية ، فحقنا منه خمس قطرات فى أفخاذ أربع وعشرين شاة وفى عنزة وفى نصف البقر . ونهضت البهائم وهزّت رؤوسها ، وأعلمت بثقب فى آذانها . ثم قاد بستور جموع الناس إلى إحدى الزرائب ، وخطبهم نصف ساعة خطبة فخمة فى هذه الألقحة الجديدة ، وبشر فيهم بالرحمات التى تحملها الانسانية المذّبة

ومر اثنا عشر يوماً ، وجاء الناس مرة أخرى إلى الحقل واحتشدوا فيه ، فقام أعوان بستور إلى اللقاح الثانى الأقوى الذى يقتل الخنازير الغينية ولا يقتل الأرانب(١) ، وحقنوا منه الوائمى مرة ثانية ، ونهضت بعد الحقن نشيطة كما يجب أن تكون الشياه والماعز والأبقار السليمة الصحيحة ، واقترب الموعد الخطير للحقنة الثالثة ، وهى أقوى الثلاثة فتحرج جوّ المعمل ، وثقل هواؤه ، واشتد العمل على رجاله ، فجرى الحديث بينهم اقتضاباً من وراء المصابيح . وصمت بستور صمتاً مخيفاً لم يُعهد فيه أبداً ، وكان يطلب ما يريد آمرا صارخاً يكاد ينط له صبية المعمل فى انفاذه نطاً . وكان انضم إلى أعوان بستور عون جديد يسمى تويبيه Thuillier ؛ كان أصغرهم سناً ، فهذا كان يخرج إلى الحقل ليضع مقياس الحرارة تحت أذيال البهائم يرقب سير الحقنة فيها ، ولكن حمداً لله لم يجد بها حُمى ، وكانت جميعاً قائمة على خير حال ، صامدة للقاح الشديد صمودا عجيباً

وبينما قلقَ رو وشمبرلاند وشاب رأساهما همّا وحذراً وانتظاراً ، احتفظ بستور بثقته بنفسه . كتب يتحدث برأيه القديم الصريح الجميل عن نفسه قال : « لو تم النجاح الذى أرجوه ، فسيكون هذا مثلا من أروع الأمثلة لتطبيق العلم على الحياة فى هذه البلاد ، وسيسجله التاريخ كشفاً من أخطر الكشوفات وأكثرها ثمراً »

قال أصدقاؤه همهمة ، وهم يهزون الرؤوس ويرفعون الأكتاف : « نابليونيّاتٌ رائعة أيها العزيز بستور ! »

قال بستور : « نابليونياتٌ ولا نكران يا أعزائى الأصدقاء »

( تتبع بنتيجة هذه التجربة فى العدد القادم ) أحمد زكى

(١) ربما احتجنا إلى تذكير القارئ بأن الخنازير الغينية أكبر من الفئران وأصغر من الأرانب

على هامش حوادث دمشق

# أطفـــــال دمشق

بقلم الأستاذ «ع»

---

لمن هذه الرشاشات منصوبة فى الميادين والطرقات؟ لمن هذه المصفحات وهذه الدبابات، تروح وتغدو فى الشوارع والساحات؟ لم تحوّم فى الجو هذه الطيارات؟

لماذا يساق هؤلاء الجنود من كل جنس وكل لون، فمن الشقر الفرنسيين الذين علموا أمم الأرض كيف تكون الثورة على الظالمين، وكيف تنتزع الحرية من بين أنياب الأقوياء المستبدين؛ إلى السمر المغاربة المسلمين، الذين جاءوا راغبين أو راهبين، ليحاربوا اخوانهم المسلمين؛ إلى السود السينغاليين، من كل أشمط تدنى الموت ظلامته ينساب فى لهوات الليل ثعبانا زعانف وعبـادید برابرة لا يعرفون لهذا الكون ديانا

إلى الصفر المجندين الصينيين؛ إلى هؤلاء (المتطوعة) أنصار الباطل، جزاة الخير بالشر، الذين أكلوا خبزنا وحاربونا! أكل ذلك لأن هذا الشعب الأعزل تحرك؟ أكل ذلك لأن دمشق غضبت؟

تيهى إذن يا دمشق واعتزى، فما أنت بالضعيفة ولا بالهينة، وقد حشدوا لك مالا يحشدون أكثر منه لقوم هتلر، وشيعة ستالين!

***

كانت دمشق يوم الجمعة صابرة تتجرع حزنها على (ابراهيم) فى صمت رهيب، وسكوت هائل، فلم تحرك ساكناً، وما دمشق بالتى تعرف أنة المكلوم، أو استغاثة العاجز، ولكنها تعرف الصبر الذى لا يصبر عليه الدهر، أو الصرخة التى تصدع الصخر، وتخرج الميت من القبر؛ وما دمشق بالتى تعرف هذا الاحتجاج الضعيف، احتجاج «أوسعته شتما وأودى بالابل»... ولكنها تتلق الضربات بصدر كأنه الجلمود لا يشقق ولا يرفضّ ولا يلين

وباتت دمشق على هذا الصمت، فلم يمض هزيع من الليل حتى سمعت الصريخ، فأفاقت فزعة، تسأل:

— ما الخبر؟

— قيل: اختطفوا (فخرى البارودى)

ابن دمشق يختطف من حضن أمه وهى نائمة؟... يا للهول الأكبر! يا لهيبة دمشق! يا لغضبة البطل الغشمشم!

***

أقبل أبناء دمشق بأيديهم، وأقبلت هذه الجيوش بحديدها ونارها، وكانت المعارك... التى يصطرع فيها الحق والقوة، والدم والنار، والصدور والحديد، فبينما معركة من هذه المعارك على أشدّ ما تكون عليه وإذا...

وإذا ماذا؟ ليس على وجه الأرض من يستطيع أن يقدر ماذا كان، إلا هؤلاء الشاميون، وهؤلاء الفرنسيون الذين أكبروا جميعاً هذه البطولة التى لم يرو مثلها التاريخ...

وإذا خمسون من الأطفال الذين لا تتجاوز سنّ أكبرهم التاسعة، ينبعون من بين الناس، يخرجون من بين الأرجل، منهم التلميذ ذو الصدرية السوداء والأزرار اللامعة، قد فرّ من مدرسته وقمطره لا يزال معلقا فى عنقه، وحمل مسطرته بيده... ومنهم صبيّ اللحام، وأجير الخباز، قد اتحدوا جميعاً، وأقبلوا يهجمون بالمساطر على الدبابة وهى تطلق النار، وهم يطلقون من حناجرهم الرقيقة بأصواتهم الناعمة، التى تشبه الآلة السحرية التى غنّى عليها الفارابى، فأضحك وأبكى... هذه الأنشودة البلدية المعروفة:

وصغارنا تحمل خناجر وكبارنا عالحرب واصل

يا بالوطن يا بالكفن

فوقف الناس ينظرون اليهم، وقد عراهم ذهول عجيب. فارتخت أيديهم بالحجارة التى كانوا يقاومون بها الرصاص... حتى رأوا الأطفال قد تسلقوا الدبابة وركبوها فاشتعل الدم فى عروقهم، وفى أقفاء رؤوسهم، فأنشدوا أنشودة الموت:

« يا سباع البر حومى ... ... ... »

وهم يرعدون بها. فتهتز من جهجهتها الغوطة، ويرتجف قاسيون. وأقبلوا كالسيل الدفّاع...

ولكنهم رأوا الدبابة قد كفت عن الضرب، ثم انفتح برجها، وخرج منها شاب فرنسى يبسم للأطفال، وإن فى عينيه

لأثر الدمع من التأثر ، ويداعبهم ، ويقدم لهم كفاً من الشكولاته ، ثم يعود إلى مخبئه !

إنسانية قد توجد حتى في الدبابات !

* * *

ورأيت في هؤلاء الصبية تلميذاً في شعبة الأطفال من مدرستنا ، وكان صغيراً جداً ما أظنه قد أكمل عامه السابع ، فدعوته فأقبل حتى أخذ بيدي ، وجعل يرفع رأسه إلى يحاول أن يتثبت من وجهي ، فقلت :

— لماذا عملتم هذا العمل يا بابا ؟

— فقال : أخذوا تخي الباغودي ( يريد تخرى البارودي )

— قلت : ومن قال لك ذلك ؟

— قال : أمي . وقالت لي هلّي يموت بالقصاص بنوح عالجنة ( يريد : من يموت بالرصاص يذهب إلى الجنة )

— قلت : وإذا أرجعوا تخرى البارودي ، هل ترضى ؟

— قال : لأ . خلي ينوحوا ( يروحوا ) هدول كان ما بدنايام ! ( يريد فليذهب هؤلاء أيضاً ، لا نريدهم )

فسكتُّ . فقال :

— أستاذ ، ليش الاسلام مالهم عسكغ ( عسكر ) ؟

فأصابتني كلمته في القلب ، ووجدت كأن شيئاً جاشت به نفسي ، ثم صعد إلى رأسي ، ثم وجدته في قصبة أنفي ، وآماق عيني ، ودق قلبي دقاً شديداً ، فتجلدت ومسحت عيني ، وحككت أنفي ، وقلت له :

— أنتم يا بابا عسكر الاسلام .

— قال : نحن صغار !

— قلت : ستكبرون يا بابا ، انتم أحسن منا ، نحن لما كنا صغاراً كنا نخاف من البعبع ، ونخشى القط الأسود ، وأنتم تهجمون على الدبابة ، فالمستقبل لكم لا ( لهم ) ... !

* * *

وبعد ، فلمن هذه الرشاشات ؟ ولمن هذه المصفحات وهذه الدبابات ؟ ولمن هذه الجنود وهذه الطيارات ؟ إنها لم تصنع شيئاً ، ففتشوا عن شيء أكبر من الموت ، لتفزعوا . . . ( أطفال دمشق ) ! . . .

« ع »

# علم غير مفيـــــد

## للأستاذ قدرى حافظ طوقان

في النشرة الأخيرة للجامعة الأمريكية في بيروت مقال افتتاحي عنوانه « علم الفلك — علم غير مفيـــد » وقد أوحت إليّ قراءته أن أكتب هذه المجالة في الفوائد التي جناها الانسان من علم الفلك . ويلاحظ أن المتعلمين وطلاب المدارس العالية والكليات والجامعات يختلفون في نظرهم الى هذا الفرع من المعرفة اختلافا بيّنا ، فمنهم من يقول بوجوب تدريسه والاعتناء به ، إذ فيه فوائد ومنافع عادت على البشرية بأطيب الثمار ، ولولاه لما شعر الانسان باللذة الروحية شعوره الحالي ، ولبقى نظرنا إلى الكون في نطاق محدود ، وفي محيط ضيق ؛ وفريق آخر يقول بعدم فائدة علم الفلك ، وبأن في تدريسه إضاعة للوقت فيما ليس فيه غناء ، وأن الأولى لنا أن نهتم بشيء يعود على المدنية بالمتاع والنفع . ولا يقف هذا الفريق عند هذا الحد ، بل يتمادى إلى الجهر بأن الاعتناء بعلم الفلك وإنفاق الأموال الطائلة على مراصده وآلاته ضرب من الهوس والسخف ؛ ويتساءل هذا الفريق قائلا : ماذا يستفيد الانسان من معرفته أن الأرض كوكب من كواكب أخرى تدور حول الشمس ، وأن لهذا الكوكب تابعاً — القمر — يدور حولها ؟ وهل يزيد في سعادة البشر ورفاهيتهم إذا عرفوا أن لبعض الكواكب توابع كما للأرض ؟ وهل في القول بأن في السماء نجوما لا عديد لها بعضها أكبر من الشمس وبعضها أصغر ، وأن هناك أنظمة أخرى وسدماً ومجرات وعوالم ، هل في كل ذلك ما يعود علينا بالتقدم ؟ هذه بعض أسئلة الفريق الذي لا يؤمن بأهمية علم الفلك ومنافعه . ويسرني ألا أكون من هذا الفريق وأنني أخالفه وأنا أكون من الفريق الأول القائل بسمو علم الفلك وبأثره الفعال في تطور نظر الانسان الى الكون وما يحويه من أعاجيب

وفي رأيي أن علم الفلك من العلوم الواجب تدريس مبادئها لطلاب المدارس العالية والكليات والجامعات وجعله اجباريا ، حتى يخرج الطالب وقد جمع الى العلوم العملية والفنون النافعة علماً ومعلومات عامة هي أسمى أنواع المعلومات ، توسع أفق التفكير

وتنير العقل ، وتزيد فى الاعتقاد بقدرة الخالق وعظمته المبدعة . وأرجو ألا يُساء فهم القصد من تدريس مبادىء علم الفلك لطلاب التعليم العالى ، فقد يُظن أنى أطلب تدريس الفلك على وجه مفصل حيث المعادلات العويصة والأرقام المخيفة والعمليات المرعبة . . . ! أنا لا أطلب هذا ، إذ لا يتيسر الوقوف على كل ذلك إلا لمن كان له ميل الى الرياضيات ورغبة فى الطبيعيات وولع فى علم السموات . ولكن أقول إن علم الفلك برغم دقة بحوثه وما يحويه من عويص الموضوعات فيه كثير من البسائط سهلة التناول قريبة المأخذ تسهل الاحاطة بها وفهمها بدون تكلف أو صعوبة فنية . وهذه هى التى أدعو الى إدخالها فى مناهج التعليم العالى حتى يخرج الطالب ولديه فكرة عن هذا الفرع السامى مما يعود عليه بأجل الفوائد من الناحية الروحية والمعنوية فيرفعه إلى الى ما هو أسمى من عالمه وأعلى من محيطه المادى

ولعلم الفلك فوائد عدة جليلة أهمها أنه وسّع نظر الانسان وأفق تفكيره فى الكون ، وجعله يدرك بوضوح وجلاء أن الكون وما يحويه من أجرام تسير على أنظمة ثابتة لا تتغير وأن الظواهر الجوية والطبيعية لا تحدث عفواً واتفاقاً ، بل إنها سائرة حسب قوانين ونواميس لا فوضى فيها ولا شذوذ ، عرف الانسان بعضها ولا يزال يجاهد فى معرفة البعض الآخر ، وأصبح فى استطاعة الفلكى أن يتنبأ عن الخسوف والكسوف وغيرها من ظواهر الطبيعة قبل حدوثها ووقوعها بعشرات السنين

لقد كان العلماء فى القرون الماضية يعتقدون أن أكثر ما يجرى فى هذا العالم هو من قبيل المصادفة وأن ليس هناك نظام شامل أو ناموس مسيطر ، ولكن بحوث علم الفلك أفسدت هذا الاعتقاد وأقامت الأدلة على بطلانه ، فثبت أن كل ما يجرى حولنا سائر على أنظمة خاصة وسنن ثابتة ، وأن ما يسيطر على أصغر أجزاء المادة يسيطر على أكبرها ؛ فالنظام الذى تسير عليه الذرة بألكتروناتها ونواياها هو النظام بعينه الذى يسير بموجبه النظام الشمسى والنظم الأخرى بكواكبها ونجومها وشهبها ونيازكها ، وهذه الفائدة هى من أجلّ الفوائد التى جناها العالم من علم الفلك ، فكانت سبباً فى تقوية إيمانه بوجود قوة خارقة منظمة مبدعة عن طريق البحث والاستقصاء والتفكير العميق

وكيف لا يكون علم الفلك علماً مفيداً وقد حذر الانسان من الانخداع بالظواهر وعدم الاعتماد عليها فى كثير من الأحيان وعلمه كيف يعمل العقل والفكر فى اكتناه حقيقة هذه الظواهر والوقوف على أسباب حدوثها . ألم يعتقد الانسان فى العصور الأولى والمتوسطة بأن الأرض هى محور هذا الوجود ، وأن الشمس وغيرها تدور حولها ، وأن كل شىء فى هذا الكون تابع للأرض ، فهى مركز دائرة هذا العالم والعنصر الأساسى فيه ؟ كان هذا الاعتقاد سائداً يدين به كثير من نوابغ العلماء وفحول رجال الفكر ، وبقى الأمر على هذه الحال إلى أن تقدم علم الفلك فرمى بهذه الأوهام عرض الحائط وبيّن للناس أن الأرض ليست إلاّ ذرة تدور فى فضاء الله الواسع ، وأن الشمس وكواكبها وتوابعها ليست إلا جزءاً يسيراً جداً من هذا الكون الذى لا يعلم مداه إلا العليم القدير . لقد بيّن لنا علم الفلك أن الانسان جرم متوسط بين الكوكب والذرة ، وأنه يستطيع بفضل ذلك وبفضل ما وهبه الله من قوى روحية ومعنوية أن يدرك حقيقة الأشياء الصغيرة من جهة والكبيرة من جهة أخرى ، واستطاع فوق ذلك أن يعرف الشىء الكثير عن حركات النجوم وطبائعها والعناصر التى تتكون منها ، وثبت له أن النجوم ليست إلا معامل كيمياوية وبوادق هائلة ذات حرارة عظيمة جداً من الصعب تصورها ؛ وقد يأتى يوم يستطيع فيه الفلكى أن يكشف أسراراً متعلقة عن كيفية تفاعلات عناصرها بعضها مع بعض ، وسيجدون فى هذه الاكتشافات ما يعود على البشرية بخير عميم . وما يدرينا لعلهم يستطيعون من دراسة النجوم وكشف غوامضها أن يقفوا على سر الحياة وهو ما يصبو إلى الوصول إليه كبار العلماء وعباقرة الفلاسفة ونوابغ المفكرين

والذى لا أشك فيه أن فى إدراك الانسان لبعض هذه الحقائق وفى وقوفه على النواميس والأنظمة المسيرة لهذا الكون فى صغار محتوياته وكبارها لمن العوامل الرئيسية التى جعلته يسيطر على كثير من عناصر الطبيعة وأفعالها ، ومن هنا نتجت فوائد مادية عجيبة لم تكن فى الحسبان ولا خطرت على قلب إنسان . وزيادة على ذلك استطاع الفلكيون أن يصلوا إلى نتائج باهرة فى تاريخ الكون وعمره فثبت لهم أن الانسان لا يزال عند مبدأ حياة جنسه ، وأنه لا يزال عند فجر يقظته العقلية ، وأن تاريخه كله ليس إلا طرفة عين إذا قيس بأعمار النجوم ، وأنه ليس فى استطاعته أن يتفهم كل عجائب الأكوان وغرائب الوجود ، ولما يمض على ظهور عقله إلا دقة واحدة من دقات ساعة الفلك ، وأنه كلما تقدم

في الزمن وقف على مدهشات وعجائب تحير العقل ، وتخلب اللب ، وتثير الدهش ، وتزيد في العبر

والآن ... وبعد أن ظهر لك بعض الفوائد التي جنتها البشرية من هذا العلم السامي المبني على أدق القوانين الرياضية والطبيعية ، وبعد أن تبين لك أثر بحوثه على عقلية الانسان ، بعد كل ذلك هل من الانصاف أن يقال إنه علم غير مفيد ؟

أوليس الانصاف والتدل يقضيان على الانسان أن يعترف بسموه وسحره الحلال الأخاذ ؟

أليس الوقوف على أسراره ومحاولة كشف غوامضه مما يزيد المرء اعتقاداً بضآلته وشعوراً بأن الواجب عليه أن يكون كثير التواضع وفي الذروة العليا من سمو الخلق ؟

ثم أليس هذا التواضع وذاك الخلق السامي من العوامل الأساسية في سعادة البشر وطمأنينتهم ؟

وأخيراً أليست السعادة والطمأنينة هما الغاية التي يصبو اليها الانسان على سطح هذه الكرة العجيبة ...... ؟؟

( نابلس ) قدري حافظ طوقان

# بيوولف

# BEOWULF

## أقدم ملاحم الانجليز الشعرية

## للأستاذ حسن عبد الحليم اليماني

### تمهيد تاريخي :

يرجع أصل الانجليز إلى قبائل الانجلو سكسون التي كانت تنزل الأراضي المنخفضة الألمانية في الجزء الممتد من مصب نهر الالب إلى شاطئ البلطيق ، وذلك قبل أن يدعوهم البريتون سكان الجزر البريطانية الأصليون في عام ٤٤٩ م لطرد قبائل الغال التي وفدت على بلادهم مستعمرة . وحلا لهم بعدها البقاء ، وتكاثروا حتى غلبوا أهل البلاد على أمرهم ؛ فبرزت إلى الوجود ثلاث ممالك انجليزية ضمت تلك القبائل المتفرقة ؛ وهي ممالك : نورثمبريا ، ومرشيا ، ووسكس Northumbria, Mercia and Wessex ، وذلك في أواخر القرن السادس الميلادي . وكان الانجليز قد حملوا معهم نصيباً من الأدب المتوارث تواتراً عن موطنهم الأول . ولم تكن لهم حروف صالحة لتدوينه ؛ حتى إذا اعتنقوا المسيحية ، عرفتهم إلى حروف الرومان الهجائية ، فسجلوا بها ما وعته حوافظهم من ذلك التراث . وقامت في هذا الصدد محاولات ناجحة ، ازدهر بها سوق الأدب ونفق ، وخصوصاً على يد أهل نورثمبريا التي قامت على رعاية الأدب وحفظه ، فدونوا الملحمة الشعرية « بيوولف » التي سنتكلم عنها كما سجلوا غيرها من آدابهم وتواريخهم . ونمت تلك الحركة إلى أن صدمها الغزو الدانماركي الذي عاود البلاد مرتين ؛ ثم شلها بعده الغزو النورماندي عام ١٠٦٦ م ، فأوقف نماءها قرابة قرن ونصف قرن . فالذي خلص لنا من تراث ذلك العهد إنما يمثل لنا في صدق صميم الروح الانجليزية ، قبل أن تسمها مياسم جديدة من أثر الاختلاط بين الانجليز والبريتون ثم بينهم وبين الدانماركيين والنورماند اجتماعياً وسياسياً ؛ وقبل أن تطبعهم المسيحية بطابعها . كما أنها ترسم لنا تلك المحاولات الأولى التي قام بها الانجليز في سبيل تدوين أدبهم والتعبير عنه ؛ وتوقفنا على التدرج الطبيعي الذي لازم تلك الجهود من دور إلى دور

### بيوولف

بيوولف ملحمة شعرية طويلة فيما يزيد على ثلاثة آلاف بيت نظمت - على الأرجح - في مستهل القرن الخامس الميلادي ، قبل أن يزايل الانجليز موطنهم الأول إلى بريطانيا . وطابعها المميز لا يقوم على أنها أقدم قصائد الانجليز عهداً ، بل على أنها أصدق صورة للمجتمع الانجلوسكسوني القديم ، توضح لنا في جلاء حياة القوم في وطنهم الأول ، وترسم لنا أخلاقهم وعاداتهم ؛ وتنفذ إلى أكواخهم ودخائل معايشهم ، وتسجل تاريخهم وأيامهم . فقيمتها لهذا لا ترتكز على الناحية الفنية فحسب . أما عبارتها فأنيقة موجزة ، تطرد كل الاطراد مع الوضوع الذي تؤرخه وتروي حوادثه الحربية ، في سرعة وتسلسل لا يفقدانها توازنها ، أو يبعثان إلى سطورها مللا وسآمة . وهي وإن كادت تخلو من التشبيهات التي لا تعدو خمسة ، فيها كثير من الاستعارات الجميلة البسيطة . والشعر السكسوني لا يأبه للوزن والقافية ، وإنما يعتمد كل الاعتماد على النبرات والمقاطع المشددة ، يكاد يلتزمها في كل جزء من أجزاء البيت ، فلا يكاد يخلو جزء من ثلاث كلمات مشددة ، تتشابه كلها في حرفها الأول غالبا

وبيوولف قطعة رائعة نادرة من الأدب القديم، ظلت حبيبة إلى قلوب الانجليز ومشاعرهم خلال عدة قرون، وإن كادت تختفي اليوم وتنسى إلا من كتب الأدب. وكثيرا ما أوحت إلى الشعراء وأمدتهم ببضاعة حية زاخرة، وآخر من نلمس أثرها فيه منهم شاعر اسكتلندا الكبير وليام دنبر William Dunbar (من حوالى سنة ١٤٦٠ إلى سنة ١٥١٣ م). وهي إلى هذا لا تخلو من سطوة الخرافة عليها، شأن الملاحم القديمة، تلك الخرافة التي أنتجها الخيال الآرى الخصب، والتي تظهر لنا واضحة جلية في آداب الاغريق والرومان والتيوتون (آباء الأنجلوسكسون)، والتي نراها تتسلل إلى أساطير الفراعنة أيضاً. وهي في كل حالاتها تحاول أن تمجد الانسان وترفعه — على صور عدة — إلى مصاف الآلهة وأنصاف الآلهة، وحتى تنتظمه وإياها في وشائج وأنساب متشابكة متداخلة؛ على أن أسطورتنا هذه لا تسمو ببطلها إلى حيث يختصم الآلهة وينتضل الأرباب، بل تقنع بتوجيهه إلى أغوار الجن والمردة، يصارعها وتصارعه، حتى يغلب أشدها مراسا وأقواها أيداً

ولغة القصيدة لا تكاد تفهم اليوم، فقد نبتت واستوحشت. وحوادثها تدور حول البطولة الوثنية وحول حياة قبائل البلطيق فتتخذ لها مسرحا أرض زيلند وجوتلند وخليج البلطيق الذي يفصلهما.

حكم زيلند (١) — في الماضي السحيق — الملك روثجار Hrothgar وكان أبدا مظفراً في حروبه، ظاهرا في غزواته، تضفى عليه تلك إسماً عريضاً، وتدر عليه هذه أسلاباً وغنائم، حتى إذا أتخمه الخير، وفاضت خزائنه غنى، ابتنى له ولفرسانه قصرا منيفاً Heorot جميل الأبهاء فسيح الأرجاء، موشى الجوانب مستفيض الرونق، يقيمون فيه نهارهم لاهين فرحين، وليلهم قاصفين ثملين — وإلا فمن أولى من الأبطال الميامين بساعات تروح عنهم أكلاف الحرب وأثقال النزال؟

قام القصر على أرباض شاطئ رملي، ينداح حتى ينتهي إلى مجاهل موحشة، تتاخم أغوار الماء حيث يقيم المارد جرندل Grendel المخيف في رفقة أمه، وكان الفرح والنور أعدى أعداء ذلك المارد؛ جرى في دمه بغض متأصل لهما، ما يكاد ينفذ إلى حواسه منهما دبيب أو بريق، حتى يثور داؤه، وحتى يود لو التهم هذا القصر الذي ما عرفت حياته غير الفرح والنور، وبعث به إلى فيه لقمة تنساغ بالبرد والراحة إلى جوفه. وبيّت أمراً ما زال يتربص له الفرص متلصصاً حول القصر، حتى إذا آنس من أهله غفلة ران بها عليهم كرى ثقيل، وذبلت الأضواء وخرس الصخب، انساب إلى القصر خفياً، ثم كرّ عنه وفي قبضته ثلاثون فارسا. حتى إذا تنفس الصبح ألهب القصر شجيّ وأقام بأرجائه مناحة!

وتمضي اثنا عشر عاما قاسية مريرة، يفجع فيها المارد قصر هيوروت Heorot في كل ليلة، وينقلب سالما في كل مرة بضحاياه لا تطفأ له حفيظة أو يرد سغب، حتى أوشك القصر أن يقفر من رجاله، وحتى تهاوى الملك روثجار منحدرا إلى الضعف والهرم، يثقله الحزن وتتلقفه الفواجع وترامت الأنباء وملك الأسى كل قلب، حزناً على ذلك الملك المجيد، وعلى ما ألم به من مصائب لا تكاد تبين!

وفي قصر هايجلاك Hygelac ملك جوتلند، حيث يعيش قريبه الفتى بيوولف Beowulf ترددت أنباء الفجيعة، فدلفت من أسماع الفتى إلى قلبه، وحركت فيه توقاً إلى ملابسة هذا المشهد، وإلى الاستمتاع بمصارعة ذلك المارد، الذي طغى وطمى حتى لا مزيد على طغيانه. كان فتى خارق القوة، يختزن كفه بأس ثلاثين رجلا، علك على نفسه حب المخاطرة سمياً وراء الاسم ونشوة النصر، وفي خمسة عشر من صفوة رجاله احتواه السفين جرا، ميمما مملكة زيلند، حتى طالعتهم صخورها تلمع في أضواء الغسق الخفيفة في فجر اليوم التالي. وقابلهم حارس الشاطئ في شك، وما عتم أن صحبهم إلى القصر كما طلبوا. وهنالك على الأبواب ألقوا بتروسهم ومزاريقهم، وخفوا إلى لقاء الملك في خوذاتهم الذهبية، وقد زادتهم بهاء وروعة « ودب إلى روثجار عزائمه دبيب الصبا وعاودته أحلام الفتوة » وأفضى إليه بيوولف أنه جاء في طلب المارد، علّه يريح الشعب الصديق من شره وأذاه. ورحب الملك بمعونته شاكرا. ودوّت أبهاء القصر مرحبة بالضيوف البواسل، ومضى النهار وشطر من الليل في قصف وشراب وغناء ورقص. حتى إذا دنا موعد قدوم المارد تسلل كلٌّ إلى فراشه وخلا البهو لبيوولف، يلتفع الظلال ويتخفى بها متحفزاً للقاء معداً له عدته.

برز المارد من مكمنه فما هي إلا أن ولج باب القصر، حتى

(١) عربت هذا الملخص في قليل من التصرف عن السير . ج لوجي روبرتسون .

احتواه بهوه ، تومض عيناه شررا ، وتنطلق ضحكاته عريضة ، وقد وجد سبيله ممهدا ؛ فالكل غاف مستغرق . وتناول أقرب النوّام إليه فعبّ دمه ثم التهمه ، ودار إلى فريسة أخرى ، وإذا بقبضة بيوولف الجبارة تشل ساعده . أذهلته الفجاءة ، ولكنه ما لبث أن أفاق إلى صراع عنيف مع بيوولف – واهتز القصر تحت أقدامهما ، وتهاوت السرر ، وتحطمت المقاعد ، وذعر النوّام على ذلك المشهد المروع . وجاهد المارد طويلا واستجمع بطشه ، لا ليحطم بيوولف كمهده ببني البشر ، وإنما ليقنع بالافلات تاركا لقبضته كتفاً مخلوعا وذراعاً مفصولا !

وجاء الفجر ، فخرج بيوولف برجاله في أثر دمائه المنزوفة ، وهنالك على الشاطئ طالعهم الماء أحمر قانيا وقد صبغه الدم المسفوك ، فأيقنوا أن المارد قد ودّع الحياة إلى القاع قبرا يطويه ، فلا نشور له ولا رجعى . فيا للفرح يثير البلاد وعلك عليها المشاعر ! ويا لبيوولف يخب في الخلع ، وتثقله الجوائز !

استطاعت الأجفان أن تطعم النوم في ليلتها تلك ، ولكنها نامت عن أم ثكلى ، قرّح الدمع أجفانها ، وتحلبت شفتاها قرماً ، وعصف بها طلب الثأر . وفي هدأة الليل هاجت أم المارد القصر ، وأهله تستغرقهم أحلام النصر ، ومضت عنه ومعها ذراع ابنها وأحد النبلاء انتقاماً للقتيل ، وإرواء لهامته ! وهب الغافلون فزعاً فاذا بها تمضي إلى وكرها كالريح الخاطف ، الأمر الذي أحنق بيوولف فأقسم ليلحقنها بابنها وشيكا

خرج بيوولف برجاله صباحاً يقتصون أثرها ، ويذرعون تلك المجاهل الموحشة ، فاذا بها أرض عذراء تكتنفها الخوانق ، وتقطعها الأخاديد ، وترقشها برك ومستنقعات آسنة ، تعج بحياتها وثعابينها ، يتحدر عليها الماء من شعب خفية في الصخور ، فكأنه ينضح عن مزن ملئ وسحاب عاص ، ثم تغوص هذه البرك مدومة إلى كهوف غائرة ، بينا تلتهب هنا وهنالك – على سطح الماء – نيران خاطفة غريبة . « فلو أن قنيصة أنهكها الطراد ، وحوم على عنقها الشرك ، رأت في أكنافها خلاصاً من موت محقق ، لآثرت عليها ذلك الموت ، ولوجدت في ورده مشرعاً أعذب من وردها ! » وإذ وصلوا في تطوافهم إلى حيث صرع جرندل المارد بالأمس تخضب الماء بدمه ، رأوا الصخور تمور أحجارها بنفر من الجن ، وخف بيوولف إلى قوسه فأردى بسهم منها واحدا من هذا النفر – ثم استل سيفه الماضي Hrunting وغاص بعيدا بعيدا إلى الأعماق في أثر الجن الغائص هرباً . ظل بيوولف على غوصه يوماً كاملا ، حتى إذا قارب القاع أطبقت عليه أم المارد – وكان خلقها وسطاً بين الانسان والذئب – ثم حملته إلى كهفها ، حيث ثار بينهما نضال لم يغن فيه سيفه ولم ينل من لحمها الصفيق المعضب ، وإنما أجدى عليه كفه الجبار يمسك الجنية فلا تحير منه خلاصاً ، وواتته الفرصة فلمح سيفاً حديدا من سيوف الردة ، سرعان ما خطفه وأهوى به على رأسها فمزله . وأدار بيوولف بصره فاذا جثة المارد صريع الأمس – اني لا روح فيها ، وبالسيف الذي أودى بالأم فصل به رأس الابن ، وسبح بيوولف بالرأسين – مخلفاً وراءه كنوزا لم يلهه لألاؤها – وما زال يعلو إلى السطح ورأس المارد ينزف دماً ، حتى صبغ الماء ، وملأ قلوب رفاقه عليه فزعاً ، وقد طاف بهم أن دمه هو ذاك الذي خالط الماء ومازجه . وما كان أروع اللقاء وقد برز اليم سالماً صحيحاً ! وحمل الرفاق رأس المارد ورأس أمه وألقوا بهما تحت أقدام الملك ، واستأذنه بيوولف في الرحيل قائلا : « آن لك أيها الملك أن تهدأ بالا ، وأن يعرف النوم سبيله إلى عيون فرسانك » وانقلبت البلاد إلى شعلة من الفرح ، وأقلع بيوولف في عصبته إلى جوتلند ، تنوء رحالهم بالهدايا ، وتسير بذكرهم الركبان

وأتى حين بعد ذلك سعى فيه عرش جوتلند إلى بيوولف ، واعتلى تاجها رأسه ، فحكم شعبه خمسين عاما عادلا شجاعا ، لا يعل الغزو والجلاد . وكان آخر عهده بهما خروجه لقتال مارد مخيف أقام في كهف من الكهوف يحرس فيه كنزا نادراً . ونملت قبضة بيوولف فعلها في المارد فأوردته الردى ، إلا أن حرّ أنفاس الجني أتلفت جسمه ، ونفذت إلى دمه فسممته ، نتيجة لاشتباكهما في صراع عنيف طويل ، واحتواه بعدها فراش السقم حيث غلبه الداء ومات . وعلى صخرة عالية يستشرفها البحر ، وتشرئب إليها المروج الخضراء ، أقام أهل جوتلند نصباً من خشب الصنوبر الثمين ، علقت عليه الدروع ، ورفت عليه السيوف ، مثوى لجثمان مليكهم العزيز . وتنفيذاً لوصية بيوولف أضرموا النار تلتهم النصب ووديعته ، وتلاشت من أمام أعينهم رويدا رويدا صورة مليكهم الدنيوية ، حيث وجدت طريقها إلى السماء على ألسنة اللهب الصاعدة مع الهواء !

حسن عبد الحليم اليماني

# مكانة مصر في المغرب العربي

للأستاذ محمد السعيد الزاهري

يشاع اليوم في الجزائر أن الآنسة أم كلثوم قد أزمعت أن تقوم بسياحة في بلاد المغرب وأن حكومة مراكش قد رفضت أن تسمح لها بدخول المغرب الأقصى . قالوا ولذلك عدلت الآنسة عن زيارة المغربين الآخرين (الجزائر وتونس) وهذه هي المرة الرابعة التي نسمع فيها هذه الاشاعة تتردد في أرجاء المغرب العربي وتكون مشغلة الرأي العام فيه ويهتم لها الناس ويتندرون في شرحها والتعليق عليها بمختلف الآراء والأقوال : فهذا يقول لقد أحسنت السلطات بذلك إلى أهل مراكش ووفرت عليهم أعراضهم وأموالهم بمنع المطربة المصرية من دخول هذه البلاد ، إذ لو أن هذه الآنسة زارت مراكش لملكت على أهلها قلوبهم وأهواءهم ، ولذهبت بعقولهم وألبابهم ، واستولت على أموالهم وعلى ما كسبت أيديهم ، ولكانت عليهم في الآخر نكبة مالية كبرى لا تقل في فداحتها وقسوتها عن هذه الضائقة المالية التي أهلكت الزرع والضرع وأخذت بمخانق الدنيا كلها ؛ وذلك يقول لقد ضيقت السلطة بذلك على المغاربة حريتهم الشخصية ومنعتهم مما تهوى إليه أفئدتهم وحالت بينهم وبين ما يشتهون ؛ وهنالك آخر يقول غير هذا

ومهما اختلف الناس في تفسير هذه الإشاعة وفي تأويلها فانها تدل على شيء واحد وهو أن هذه الآنسة قد غزت بصوتها اللائكي الطروب قلوب هؤلاء الناس ، وأن منزلتها في بلاد المغرب العربي لا تقل عنها في مصر ، وأن المغاربة يتذوقون فيها وغناءها كما يتذوقهما المصريون

قالت مجلة «السلام» الغراء التي كانت تصدر في مدينة تطوان في بعض أعدادها إن المغاربة مولعون بالموسيقى المصرية وبالتلحين المصري إلى حد الهيام ، حتى أن البوانق في خدورهن ليهتفن بأم كلثوم ويترنمن بألحانها وأغانيها . ولقد رأينا بعض الراكشيين المشهورين بالتدين والصلاح قد طرب وانشرح ونسى أنه من أهل الورع والتقوى ، ولم يزل به الطرب والانشراح حتى خرج عن رزانته ووقاره إلى حالة من العبث والطيش تشبه أن تكون جنوناً ، وذلك حين سمع في « الفونوغراف » صوتاً للأستاذ محمد عبد الوهاب . ولا تجد في المغرب الأقصى داراً فيها « فنوغراف » إلا وتجد كل اسطواناتها أو جلها مصرية لأم كلثوم وعبد الوهاب وسامى الشوا ومن إلى هؤلاء . وتباع الاسطوانات المصرية هنا بثمن مرتفع قد يفوق ثمنها الأصلي أضعافاً مضاعفة . ولقد مرت علينا أيام رأينا فيها أسطوانات أم كلثوم وعبد الوهاب تباع الواحدة منها بثلاثة جنيهات انكليزية قبل هبوط الاسترليني

والواقع أن الألحان والأغاني المغربية التي كانت إلى عهد قريب منتشرة شائعة في المغرب العربي قد اختفت اليوم من الميدان ، وتخلت عن مكانتها من الذوق المغربي العام لألحان مصر وأغانيها ، ولا نستثنى هذا التراث الذي بقى بأيدينا من فن الأندلس وغنائها فقد تزحزح هو الآخر عن مكانه للغناء المصري وترك له المجال واسعاً فسيحاً

ولما اعلنت الحكومة المصرية أنها ستفتح في القاهرة محطة للاذاعة اللاسلكية تهالك الناس في الجزائر وتونس ومراكش على أجهزة المذياع (الراديو) يشترونها ويقتنونها رجاء أن يستمتعوا بسماع ما تذيعه مصر من الأغاني والمحاضرات ، ولكنهم عادوا فجعلوا يبيعون أجهزتهم ببعض قيمتها عند ما تبين لهم أن المحطة المصرية لم تكن محطة عالية يمكنهم سماعها

كل هذا دليل على أن الذوق العام في بلاد المغرب العربي هو نفس الذوق العام في مصر ليس بينهما شديد خلاف . ولعل تونس ومراكش هما أرق من هذه الناحية ، فالحياة فيهما مترفة ناعمة تؤثر الطرب والسماع ، وتميل إلى اللهو والاستمتاع ، بخلاف الجزائر فانها عريقة في البداوة ، مطبقة الجهل والأمية ، لا تزال تغلب عليها حياة العشائر الأولى ، تشعر القبيلة فيها بأنها قبيلة وكفى ، وقلما تشعر بأنها شعبة من الجزائر فضلا عن أن تشعر بأنها من الأمة المغربية أو الأمة العربية الكبرى . ولعل مدينة وهران قد ضربت الرقم القياسي في البداوة والأمية وفي البعد عن العالم العربي دون أنحاء الجزائر كلها ، ومع ذلك فكل مقهى من مقاهيها ، وكل بيت عربي فيها ، فيه « فونوغراف » لا يخلو من الاسطوانات المصرية ، وإننا لنسمع فيها الأنغام الساذجة البسيطة التي تحاكى رسيم

النجائب وخيّبَ الجياد إلى جانب الفن والابداع فى أنغام أمّ كلثوم وعبد الوهاب

ولما عرض فيها المرة الأولى الشريط المصرى « أنشودة الفؤاد » أقبل عليه هذا الجمهور العربى فى وهران إقبالاً منقطع النظير طيلة ثلاثة أسابيع ، وبعد بضعة أشهر عُرِضَ المرة الثانية واستمر عرضه ثلاثة أسابيع أخرى فكان الناس إلى الحفلة الأخيرة يتدافعون إليه بحماسة وشوق لا نظير لها حتى أن منهم من شاهده عشر مرات !

وعند ما أزمعت فرقة مصرية للتمثيل الهزلى أن تقوم برحلة فى بلاد المغرب قالت عنها جريدة مصرية محترمة إنها ستبوء بالفشل الذريع ، وستقنع من الغنيمة بالاياب ، أو أنها على الأقل ستكابد فى مهمتها ألوانا من المشقة والعناء ما لم تترجم مسرحياتها من اللغة المصرية إلى اللغات المغربية . وقامت هذه الفرقة برحلتها ونجحت فى مهمتها نجاحا باهرا لم يكن يخطر لها على بال ، وتذوّق المغاربة رواياتها وفكاهاتها وأدركوا مغزى « النكتة » المصرية من ملهياتها من غير أن تضطر إلى ترجمة كلمة مصرية واحدة إلى اللغات المغربيـة ؛ وبعبارة أخرى إن هذه الفرقة وجدت نفسها فى بيئة عربية مغربية لا تختلف عن مصر إلاّ كما تختلف البيئة المصرية نفسها باختلاف المديريات والأقاليم ، ووجدت أن كل ما يقال من وجود لغة مصرية ولغات مغربيـة هو من الأوهام الباطلة التى لا أصل لها ، وإنما يوجد لسان عربى واحد تتكلمه الشعوب العربيـة ( مصر وأخواتها ) بلهجات تختلف اختلافا لا يحول دون التفاهم بين الناطقين بالضاد ، ولا توجد فى الدنيا لغة إلا ولها لهجات تختلف فيما بينها اختلافا كثيرا أو قليلا

وكثير من الغربيين من يعتقدون أن الشعوب العربية تتكلم اليوم لغات مختلفة متباعدة فيما بينها ، وبعيدة كل البعد عن العربية الفصحى التى أصبحت فى نظرهم لغة مواتا . كما أن الشعوب اللاتينية تتكلم اليوم لغات متباعدة فيما بينها جدا حتى لا يمكن للفرنسى أن يفهم الاسبانية أو الايطالية دون أن يتعلمها ، وهذه اللغات هى الآن بعيدة عن اللغة اللاتينية التى هى أصلها

وفى هذه الأيام نشرت صحيفة فرنسية تصدر بالجزائر مقالا عن الحج إلى بيت الله الحرام عنوانه : « اللغة الفرنسية فى مؤتمر مكة » زعم فيه كاتبه أن حجاج الجزائر ومراكش وتونس وطرابلس ومصر وسوريا ولبنان وفلسطين والعراق سيتفاهمون فى « مؤتمر مكة » لهذا العام باللغة الفرنسية ، لأن لكل فئة من هؤلاء الحجاج لغة قومية لا يفهمها الآخرون ، ولأن الفرنسية منتشرة بين جميع الطبقات فى هذه الأقطار . وأبى أن يرجع إلى الصواب إلا بعد أن رأى بعينيه وسمع بأذنيه بحارة مصريين يتجادلون مع بعض العملة الجزائريين والمراكشين من غير أن يكون بينهم ترجمان !

وكان عالم فرنسى من علماء المشرقيات جاء بلاد المغرب مندوباً من وزارة المعارف الفرنسية لدرس اللهجات العاميـة المغربية ، فلبث فى هذه البلاد يبحث ويدرس ويستقرئ ، ثم رفع إلى الوزارة تقريرا بالنتائج التى انتهى اليها فى دراسته وأبحاثه ، ونشر هـذا التقرير واطلعنا عليـه فاذا هو مملوء بالأغاليط والأضاحيك ، فقد زعم فيه أن عربياً تونسياً تزوج فتاة عربية من بجاية ( الجزائر ) فلم يستطع الزوجان أن يتفاهما — لتباعد لغتيهما القوميتين — إلا بالفرنسية التى لم تكن تلم بها الزوجة إلا إلماماً قليلا . والحق أن هذا التقرير هو دعوة صريحة إلى إيجاد فروق بين اللهجات المغربيـة وإلى تجسيم ما يكون منها موجودا بالفعل

وحدثنى ذات يوم فنان فرنسى قال : « كنت أعتقد أنه لا بد أن يأتى يوم على المغاربة يصيرون فيه فرنسيساً خُلَّصاً من حيث تذوق الفن والشعور بالجمال ، غير أنى رجعت الآن عن اعتقادى هذا ، فقد مضى على فرنسا فى الجزائر مائة وبضع سنين لم تستطع أثناءها أن تجعل العرب الجزائريين يقبلون على الأفلام الفرنسية ، أو يطربون لسماع عازف فرنسى مهما كان محسناً بارعاً ، أو يتذوقون غناء فرنسياً مهما كان منسجماً ساحرا يستهوى القلوب ويأسر الألباب ، على حين نرى المغاربة جميعاً يقبلون الاقبال الذى لا نظير له على الأفلام المصرية وتستهويهم مصر بأنغامها وأغانيها ، ويعجبون الاعجاب كله بالفنانين المصريين » . ثم قال : « ولقد راعنى اقبال هؤلاء الناس على شريط الوردة البيضاء وتهالكهم على مشاهدته ، فشاهدته أنا أيضاً ، ولكننى لم أجد فى هذا الشريط ما يعجبنى ، على أن جميع من فى المسرح كانوا

يشاهدون عبد الوهاب وكأنما هو ملك كريم قد هبط اليوم من السماء ، وينصتون لصوته وكأنما هو نغم إلـهي يتنزل عليهم من الملأ الأعلى »

وما من شيء له أثر في حياة المغرب العقلية أو الاجتماعية إلا وهو مصري غالباً ، فمثلا كتاب « مختصر خليل » في الفقه الإسلامي على مذهب الامام مالك بن أنس هو كتاب مصري قد جعل أفئدة من الناس في المغرب تهوى إلى مصر ، له منزلة سامية في قلوب المغاربة يخصونه بكثير من التقديس والاحترام ، ومنهم من يتعبدون بتلاوته كما يتعبدون بتلاوة القرآن الكريم ؛ ولم يعد خافياً أمر ذلك الفقيه المرحوم الذي كان يصلي « النافلة » بهذا الكتاب ويقوم به الليل عابدا متهجداً ؛ ولا أذيع سرا حين أقول إن هذا « المختصر » لا يزال له إلى الآن في كلية القرويين بفاس « حزّابة » كما للقرآن « حزابة » ، وهم يتقاضون أجوراً أوفر وأسنى مما يتقضاه « حزابة » القرآن العظيم ؛ ولتلاوته هذه الراتبة أوقاف كما لتلاوة القرآن أوقاف . وفي بلاد المغرب طبقة من المحافظين يقولون عن أنفسهم إنهم « خليليون » ، وأهل المغرب جميعاً هم مالكية ما عدا وادي ميزاب بالجنوب الجزائري وجربة بالقطر التونسي ، فإن أكثر أهلهما أباضية ، ولكنهم قليلون جدا فعددهم لا يتجاوز الخمسين ألفا ، بينما تضم الجزائر وتونس ومراكش من الأنفس خمسة عشر مليوناً يجلون هذا الكتاب ويرفعونه إلى أعلى مقام ، حتى النساء في خدورهن لا يفصل الخصومات التي تثور بينهن إلا الحلف بهذا الكتاب !

ولا تزال المغاربة ينظرون بعين الاعتبار إلى كل من طلب العلم بالأزهر الشريف ، ولو أنه كان قليل التحصيل ، ويعترفون بالفضل لكل من أقام في مصر أو رآها

وفي بلاد المغرب طرق صوفية منتشرة بين سائر الطبقات لها أكبر الأثر في العقائد والأخلاق ، وأكثر هـذه الطرق مستمد من الشيخ البكري المصري ، فأتباع هذه الطرق ومريدوها يحبون البكري ويرون لهم فيـه « الشيخ المدد » فيرفعونه فوق كل الاعتبارات

وما أنت بواجد ولا مغربياً واحدا إلا وهو يحفظ كثيرا أو قليلا من شعر ابن الفارض الصوفي المصري المشهور

وكل حركة دينيـة أو أدبية في مصر لها صداها القوي في هذا المغرب العربي ، فللأستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده المصري أنصار ومريدون . وفكرة الاصلاح الاسلامي التي كان يدعو اليها أصبحت اليوم في الجزائر مذهباً اجتماعياً تعتنقه الكثرة الكثيفة من الناس وتقوده « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين » . وكل أديب كبير في مصر له أنصار وأشياع في بلاد المغرب ، فللأديب الامام الأستاذ مصطفى صادق الرافعي أنصار ومعجبون وهو أكثر الأدباء المصريين تلامذة وقراء في هذه البلاد . وللمرحوم قاسم أمين أنصار يدعون المغربيات إلى السفور وترك الحجاب ، غير أن دعوتهم لم تجد ملبّياً ولا مجيبا فأخفقت إخفاقا شديدا . وللزعماء المصريين منازلهم من قلوب الناس هنا . والمطبوعات المصرية تحتل المقام الأول عندنا ، سواء في ذلك الصحف والكتب والمجلات .

والصحف المغربيـة لكثرة ما تروي عن مصر وما تنشر من أخبارها تكاد تكون طبعات مغربية لزميلاتها المصريات . على أن هذه الصحف المصرية الكبرى لا تهتم لبلاد المغرب إلا قليلا ، ولا تتكلم عنها إلا كما تتكلم عن مجهل من المجاهل التي لم تطأها قدم إنسان ، فمن خلط في أسماء المدن المشهورة بالمغرب وفي أسماء الأشخاص البارزين إلى حوادث تحوكها عن المغرب وتخبط فيها خبط عشواء

ويقول الشبان المغاربة الذين يطلبون العلم في جامعات فرنسا إنهم تعرفوا الى الطلبة السوريين فعرفوا فيهم العروبة والاعتزاز بها ووجدوا منهم إخوانهم وذوي قرباهم ، وتعرفوا الى الطلبـة المصريين فعرفوا فيهم رقة الشمائل ودماثة الأخلاق وما شئت من لطف وأدب ، وأنكروا منهم هذه « الفرعونية » الجافية التي تجهلنا وإياهم كما قال شاعر العروبة الأستاذ ابراهيم طوقان :

أحب مصر ولكن مصر راغبة    عني فتعرض من حين إلى حين

إن تاريخ هذه البلاد حافل بالشواهد والبينات على أن المغرب يرتبط بمصر منـذ العصر الحجري بكثير من روابط النسب والحضارة والدين

وإن الذي هو ما بيننـــا    وما بين مصر لمحض النسب
رباط العروبة يجمعـــنا    ويجمعنا ديننا والحسب

ولكن هل يمكن أن يبعث من جديد ما كان بين المغرب ومصر من الروابط وصلات القربى ؟

وهران ( الجزائر )    محمد السعيد الزاهري

رسائل حاج

# من ربوع الغرب إلى بلاد العرب

للمستشرق المجرى
الدكتور عبد الكريم جرمانوس
أستاذ التاريخ بجامعة بودابست

لثلاثين عاماً خلت وأمنيتي الوحيدة الاشتراك فى موكب الحجيج والذهاب إلى مكة ، حيث بزغ فجر الاسلام ، وانتشرت دعوة النبي الكريم وتعاليمه المقدسة . وقد انبثق فى نفسى هذا الشعور إثر مشاهدتى رسوماً فوتوغرافية نشرت فى إحدى الصحف الأوربية الكبرى عن سياحة قام بها أحد الرحالين وتحدث فيها عن عجائب الشرق حيث تسطع الشمس طول النهار ، وبريق القمر أشعته الفضية فوق رمال الصحراء فى الليل


الدكتور جرمانوس فى لباس عربي

وكان الأثر الذى تركته هذه الرسوم والمناظر الفتانة عميقاً فى نفسى ، وباعثاً لاقبالى على تعلم اللغة التركية ، وعلى زيارة الشرق مهد الديانات الحديثة ومهبط الوحى المقدس

ولكن الأمور جرت فى شىء من البطء ، أى أكثر مما تخيلته فى البدء ، فمشاغل الحياة والواجبات اليومية الملقاة على عاتق وقفت عقبة فى سبيل تحقيق تلك الأحلام الذهبية التى تطوف بذهنى وتجذبنى نحو الاسلام . . . وأخيراً دعيت إلى زيارة الهند حيث قضيت بين ربوعها سنوات ثلاثاً لالقاء محاضرات عن التاريخ فى جامعاتها ، وهناك اعتنقت الدين الاسلامى فى مسجد دلهى العظيم ، ومن تلك الساعة أحسست من أعماق روحى بأننى أقترب من الغاية التى أرنو اليها بحيث يصبح فى مكنتى الطواف بالبقاع الاسلامية المقدسة فى مكة ، والتعريج على المدينة مقر القبر النبوى الطاهر ومثوى سيد الخلق . . . .

ولكن كيف أذهب إلى الحج وأنا لا أعرف من العربية حرفاً واحداً ؟ .... كيف أدرس « أم اللغات » وأنا فى أوربا وبالأخص فى بلاد نائية كالمجر لا يوجد بها من يتكلم بهذه اللغة التى هى فى نظرى أصعب من تعلم أربع لغات أوربية معاً ! ! ؟ وتلك لعمرى كانت من أقوى العقبات التى وقفت حائلا بينى وبين تنفيذ رغبتى أو تحقيق أمنيتى فى حينها

على أنه كان لى من قوة الايمان وثبات اليقين ما دفعنى إلى الاقبال على تعلم هذه اللغة مهما بلغت العقبات وقامت الصعاب ، فبدأت أولا أدرس العربية بدون معلم وبواسطة كتب حصلت عليها من المكتبات الأوربية ، ثم عكفت على قراءة القرآن الشريف بمساعدة المعاجم اللغوية ، وحفظت عن ظهر قلب معانى الكلمات المبهمة والألفاظ المعقدة ، وتابعت السير على هذه الخطة عدة شهور إلى أن أصبحت بفضل الله ورعايته ملماً بأصولها . وفى خلال شهور الصيف أخذت أطالع قصص « ألف ليلة وليلة » والمعجم إلى جانبى ، وكثيراً ما لاقيت صعابا كادت تفت فى عضدى وتوهن من قواى ، كالشعر الجاهلى الذى كان يبدو على الرغم من جماله وموسيقاه مبهما معقدا ، فكنت من حين لآخر أقذف بالكتاب جانبا وقد قر فى عزمى ألا أعود اليه مرة أخرى ليأسى من التقدم

وبمرور الزمان انتصرت على جميع الصعاب ، ورحت أتفهم العربية فى شىء من السهولة واليسر ، مع أننى لم أسمع فى حياتى صوت متكلم بها ؛ ولما أيقنت مقدار ما تبطنه الظروف وأن هناك بعض النقص فى إلمامى بالأدب العربى والشريعة السمحاء صممت قبل الشروع فى زيارة البقاع الاسلامية المقدسة على أن أقيم فترة طويلة من الزمن فى مصر حيث الأزهر الشريف مركز الثقافة الاسلامية ومحط العلماء

وفى الواقع كنت أسعد مخلوق فى العالم عند ما ألفيت نفسى أدخر مبلغا من المال يساعدنى على أن أطيل إقامتى على ضفاف النيل السعيد مهد المدنية والسلام

وعندما وطئت قدماى أرض القاهرة قوبلت بحفاوة عظيمة

من جانب أدباء مصر وصحفييها وغيرهم ممن مهدوا السبيل أمامى لاستكمال نواحى دراستى فى الأدب العربى ، والتعمق فى شعاب الدين الحنيف ، بحيث أصبحت قادراً على صد هجمات كل من تسول له نفسه الافتراء أو التشويه من عظمة الاسلام فى أوربا

وكانت فكرتى مقترنة دائماً بأن أدرس العربية دراسة جامعية لا دراسة هواية ، شأن كثير من الترفين ممن يعكفون على تعلم اللغات لغرض السياحة أو بقصد القراءة الخفيفة السلية ؛ وكنت أرى من وراء دراستى الى القيام بخدمة الاسلام والمسلمين الذين وقعوا تحت نير الاستعمار الأوربى منذ قرون ؛ وقد كانت هذه الغاية من أقوى العوامل التى دفعتنى للتقرب من المسلمين فى الهند وتركيا ومصر . وإن أنس لا أنس الظروف التى لاقيت فيها كثيراً من فقراء المسلمين الهنود ، وهم يعيشون فى بطونا كواخهم الشيدة من القش ، ويستضيئون بأنوار الاسلام فتتحول تلك الأكواخ فى أنظارهم إلى قصور وجنات بحيث يحتقرون مظاهر الجاه والثروة ويطأونها تحت أقدامهم .

فالقرآن هو المثل الأعلى لتوجيه الانسان إلى الطريق السوى الذى يحتم على كل مسلم غيور ألا يحيد عنه قيد شعرة ؛ والمسلم الذى لم تعم بصيرته عن تلك الحقائق وتفقه تعاليم دينه فقهاً صحيحاً يرى أن القبس الروحى يتأجج فى قلوب المسلمين جميعاً ممن لا ينكصون عن التضحية وبذل الواجب ، والذين يفنون ذواتهم فى ذات الغرض الاسمى ، ويأخذون على عواتقهم التغلب على كل أمر والتجول فى أنحاء العالم لنشر الدعوة وإظهار فضائل دينهم ومحاسنه

والواقع أننا قد نجد بعض مظاهر هذه القوة فى الإيمان عند بعض الأمم الأجنبية الأخرى ، لكننى ألفيت فى قلوب إخوانى المسلمين كنوزا تفوق فى قيمتها الذهب والأحجار الكريمة ؛ ولقد عاشرت مسلمين فقراء كانوا لا يحجمون عن أن يقاسموا رفاقهم آخر كسرة عالكونها من الخبز . . . كم استضافونى فى بيوتهم المتواضعة وأعطونى أعظم شىء فى الوجود ! . . إنهم منحونى إحساس الحب والتآخى ، ولقنونى عمل الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعند ما أطلقونى من ضيافتهم فاهوا بحكمة نبيهم الكريم : « اطلبوا العلم ولو فى الصين »

***

وعقب وصولى القاهرة قصدت فوراً للاقامة فى الحى الوطنى المعروف « بسيدنا الحسين » ، لكننى لم أوفق للحصول على سكن ملائم

لقد كنت فى خلال إقامتى الطويلة بتركيا أقطن فى غرفة رحبة مؤثثة بالطنافس الوثيرة والرياش الفخم ، وكنت أتناول أفخر ألمآ كل الشرقية وأشهاها ؛ فمن مظاهر الحياة الاسلامية فن الطهى ، إذ يؤثر عن النبى الكريم أنه كان يحث الناس على العناية بمسائل الطعام وبالذبيح المحلل ، ولا تخفى الفائدة من وراء ذلك ، فاتباع الطرق الصحية ووسائل النظافة والعناية باللحم مما يزيد فى صحة الأجسام ومناعتها

كانت آمالى إذن قبل القدوم الى القاهرة أن أقيم فى بيت من تلك البيوت العربية الطراز ، وبين قوم يرتدون اللباس الشرقى الفضفاض ويتناولون الطعام بأيديهم ، ولكن ليس كل ما يتمنى المرء يدركه ، فانني لم أوفق فى الحصول على سكن ملائم ، فاضطررت الى الاقامة فى نزل أوربى

ولكم تألمت إذ ألفيت أهل القاهرة لا يلبسون الثياب الشرقية المزركشة ، ويستبدلون بالقفطان والعمامة شعار الاسلام — الأزياء الأوربية ، كما راعنى فى البيوت المصرية التى زرتها خلوها من الأثاث الشرقى ، وأن أحد الشباب المصرى يوجه عناية خاصة للالمام بأنواع الثقافات الأوربية المتعددة ، ويفرطون فى جانب لغتهم وقوميتهم ودينهم ! !

ولقد قال أحد أصدقائى المصريين فى معرض حديث له معى : « يستحيل علينا أن نعود الى تلك الأثواب الطويلة المهلهلة عند ما نبغى الصعود الى المركبات أو عربات الترام »

ولكنى رأيت كثيراً من الناس يرتدون تلك الأثواب وما كان أجملهم فى نظرى وهم يتسلقون الترام أو السيارة بكل خفة ورشاقة

والواقع أن تلك الملابس أفضل بكثير من الأثواب الأوربية الضيقة ، ولاسيما القبعات التى نضطر إلى أن نحملها بين أيدينا عند ما نجلس أو نزور أو نحيى أحداً

ومن رأيى أن الحصول على الأثاث الشرقى واللباس العربى والتطبع بالعادات الشرقية أمور يسهل اتباعها فى القرن العشرين من غير أن يفقد المصريون خصائصهم ومميزاتهم ، أضف إلى ذلك أن إحياء الصناعات القومية وإنعاش حال الأسواق الشرقية

# ٤ – سكان أعالي النيل

بقلم رشوان احمد صادق

وكان أهم ما يميز الملك والمدير أن كلا منهما قادر على التكهن في الفصل في الخصومات oracles وكذلك في الأمور القانونية ، فكل الأمور التي تؤدي الى المنازعات مثل القتل والموت كل هذه كان يفصل فيها بواسطة التنجيم والتنبؤ ، وكانت هذه مصدر ربح عظيم للأسرة المالكة

والملك هو مصدر القانون وهو مطلق التصرف ، فله الحق أن يقتل من شاء حسب إرادته ، فسلطته استبدادية . وجماعة الأزندي يكونون وحدة سياسية ، ومركز الفرد وسلامته واستغلاله لموارد بلاده الاقتصادية كل ذلك متوقف على قيامه بالواجب عليه نحو النائب والمدير والملك

وكل قبيلة تعرف باسم عميدها ، فمتى مات أو قتل تشتت أفرادها . والقبائل هنا ليس لها أي صبغة سياسية ولا اقتصادية ولكنها ذات صبغة دينية . فنظام القبائل مؤسس على النظام الطوطمي ، إذ لكل قبيلة حيوان تقدسه وتحرم على أفرادها أكل لحمه ، إذ يعتقدون أن أرواح موتاهم تنتقل إليه . والرجل واخوته وأنجالهم يسكنون سويا على ضفة مجرى مائي ، ويعملون معاً في الزراعة والصيد وغير ذلك من شؤون الحياة . ويهتمون بشؤون كل فرد منهم كما يشتركون في الدفاع عن أي فرد يصيبه أذى منهم ؛ وأكبرهم سناً يقوم بالقاء الوعظ والأرشاد على الصغار .

أما من حيث الزواج ، فاذا أراد الرجل أن يتزوج فعليه أن يعطي أقارب زوجته من عشرين الى أربعين حربة ، وهذه الحراب لا تشترى عاله الخاص ، بل يهديها إليه والده وأعمامه ، وهذا قد أدى الى توثيق صلة الابن بالأب والأعمام

ومن أهم الظاهر الاجتماعية الشائعة بين الأزندي ، والتي يهتم بها كل فرد في مجتمع الأزندي سواء في ذلك الملك والصعلوك هي مسألة الحسد ، تلك المسألة التي تلعب دوراً هاماً في حياة الأزندي الاجتماعية ، فهم يعتقدون أن أناسا كثيرين يحملون في معدتهم الحسد ، وهذا الداء ينتقل من شخص إلى آخر بواسطة الوراثة ، فالرجل الحسود أبناؤه الذكور حسودون ، وأما بناته فليس كذلك ؛ والمرأة الحسود بناتها حاسدات وأبناؤها بعكس ذلك ؛ وكانوا يشقون بطون موتاهم لمعرفة ما إذا كانوا حسدة أم لا

وفي اعتقاد الأزندي أن السبب في سوء الحظ هو الحسد ، فالمرض والموت وفشل الصيد وقلة المحصول كل ذلك سببه الحسد ، ولذلك عند حدوث شيء من هذا القبيل يبحثون عن الحاسد الذي سبب المرض أو غيره ، وبعد معرفته يخبرون الرئيس عنه وهذا يستدعيه إليه ويأمره أن يكف حسده وأذاه عنهم

والطريقة التي يستعملها الأزندي لمعرفة الحاسد هي طريقة التكهن أو التنجيم oracle . وأهم طريقة يستعملونها للتكهن هي الطريقة التي يسميها الأستاذ ريتشارد ( بنج Benge ) والتي يسميها الأستاذ سلجمان Poison - wood ordeal . وهذه تتلخص فيما يأتي : يحضرون بعض أنواع السم ويعطونه لدجاجة ويسألونها عند إعطائها هذه المادة عن الرجل الذي يشتبهون في أنه هو الحاسد ، هل هو متهم أو بريء ؟ فان ماتت الدجاجة التي أكلت هذه المادة السامة فمعنى ذلك أن الرجل متهم ، وأنه هو الحاسد ، وأما اذا لم تمت فان الرجل بريء . فان أعيدت العملية مرات وكانت النتيجة ثابتة كان ذلك زيادة في التأكيد ، فاذا مات رجل فان اسرته تبحث عن الحاسد الذي كان سبب موته فان عرفوه بطريقة التكهن السابقة الذكر فانهم يقتلونه أو يدفع

---

متوقف على اقبال المصريين على عاداتهم الأصلية ، أما التقليد الأعمى والاتجاه شطر أوربا وترك الثقافة والتراث القوى جانباً فصفات يجب التخلي عنها

وليت الأمر وقف عند الحد الذي شرحته ، بل ان آمالي انهارت دفعة واحدة بمجرد أن زرت الأزهر وتفقدت الأروقة التي كثيراً ما قرأت عنها في شبابي وتخيلتها في أحلامي . . .

فقاعد التدريس لا تزال كما كانت منذ ألف سنة ، وبرامج التعليم ناقصة وغير مستوفاة لشروط الثقافة الحق ؛ ولم أر في الأزهر سوى خلية للحكمة وبث التعاليم الاسلامية وقشور من العلوم الحديثة ؛ أما المعاهد الدينية فهي نماذج مصغرة لجامعاتنا إذ أن هذا النوع من التعليم يقود الطلاب في سبيل البحث والاستقصاء والتعلم

عبد الكريم جرمانوس

( يتبع )

غرامة ، وهذه الغرامة تقدر بامرأة وعشرين حربة

وإذا قتل رجل فانه يحنط ، والمدير مسئول عن البحث عن الحاسد الذي تسبب في قتله وذلك بواسطة التكهن ( Oracle ) ولا يقوم بهذا العمل غيره

وأما في الأحوال الأخرى التي تدل على سوء الحظ من مرض وغيره كما سبق شرحه فانهم يقومون بالبحث لمعرفة الحاسد بواسطة هذا النوع من التكهن ، فان عرف فانهم يخبرون النائب عنه حيث يستدعيه ويأمره بأن يكف أذاه وحسده عنهم

وهكذا يفصل في كل الأمور القانونيـــة والمشاكل الاجتماعية بواسطة التكهن ، والحكم الأوروبي الآن يرفض الاعتراف بمسألة التكهن الذي شرحناه على الوجه السالف . ولكن الأزندي تمكن من إيجاد مفر من تشديدات الأحكام الجديدة فلجأ إلى السحر ، فاذا مات شخص فان ذويه يحضرون ساحرا ليقوم بعمل السحر والتعاويذ اللازمة لهلاك من تسبب في موته بواسطة الحسد . ثم ينتظرون أياما وأشهرا ليروا النتيجة ، فاذا سمعوا بموت أحد من جيرانهم أو من أعدائهم أو ممن يشتبهون فيهم فانهم يقومون بعمل التكهن بواسطة الدجاجة كما سبق ذكره ويسألونها فيما إذا كان هذا الشخص الذي مات هو الحاسد الذي أهلكه السحر أم لا

وهذه طريقة أخرى للتخلص من النظام الأوربي الجديد للانتقام من الشخص الذي يتخذ الحسد حرفة له

وللأزندي اهتمام كبير بزراعة الأرض بعكس (الزنوج النيليين أو الحامي النيلي الكثيري الاهتمام بتربية الماشية) . فهم يهتمون بتنسيق حدائقهم ومزارعهم بشكل يستحق الاعجاب . وتبدأ الزراعة في شهر مارس إذ يعدون الأرض فيزيلون بقايا الحشائش ويقومون ببعض الأعمال لتطهير الأرض . وأهم المحاصيل التي تزرع عندهم هي :

١) الذرة — تزرع في مارس وتحصد في يوليو

٢) الحبوب الزيتية (Grounb Nut ، Grounb dean ، Pea-Nut) — تزرع في ابريل ومايو وتحصد في أغسطس وسبتمبر

٣) الذرة الرفيعـة Millet (المويجة) تزرع في يوليو وتحصد في أكتوبر ونوفمبر وديسمبر

وعنـدهم نوعان من الدورة الزراعية : (١) الدورة الخماسية (٢) الدورة السنوية والأحادية . فأما الدورة الخماسية ، وتكون لمدة خمس سنوات ، فهي كما يأتي :

| | | |
|---|---|---|
| السنة | الأولى | تزرع ذرة رفيعة وحبوبا زيتية |
| » | الثانية | » » » |
| » | الثالثة | » » » |
| » | الرابعة | » حبوبا زيتية فقط |
| » | الخامسة | تترك الأرض للراحة (شراقى) |

وأما الدورة السنوية أو الأحادية فهي في سنة واحدة حيث تزرع محصولان في سنة واحدة : الذرة والبطاطة

ويلاحظ أن البطاطة تزرع كسياج وتترك في الأرض بعض الأحيان .

والدورة الخماسية هي الدورة التي يتبعها الأزندي في حديقة منزله أيضاً ، كما أن الذرة تزرع كسياج يحيط بمنزل الأزندي ويقوم مقام السياج الحديدي حول حدائقنا

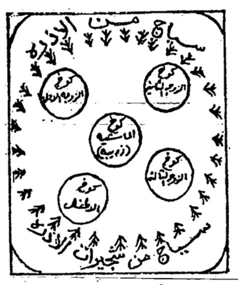



«صورة تخطيطية لمنزل الأزندي»

والأستاذ سلجمان يقول إن الأزندي يعتقدون في مخلوق عظيم يسمونه (مبول) ولكنهم لا يدعونه إلا عند الجفاف والقحط ويقول إنهم يعتقدون أن الانسان بعد موته تخرج منه روحان : إحداهما تذهب إلى الحيوان الذي تقدسه القبيلة (الطوطم)

والروح الأخرى تذهب إلى القبر فتبقى فيه إلى حين ، ثم بعد ذلك تغادره إلى رأس مجرى مائي حيث تبقى مع أرواح أجدادها

وهم الآن يقومون بعملية الختان




« صورة تخطيطية لمنزل الزنوج النيليين »

## الفروق في الحياة الاجتماعية

لكل من الزنوج النيليين وأصحاب الرؤوس المتوسطة

### الزنوج النيليون

رعاة

الماشية عماد الحياة

يزرعون الحبوب

ليس عندهم ضحايا بشرية

لا يأكلون لحوم البشر

الرجال عراة الأجسام وأحياناً يلبسون جلوداً على الكتف

يزينون الشعر بأشكال مختلفة

النساء يرتدين نصف جلباب ( ملكوف petticoat ) من الجلد يغطي النصف الأسفل من الجسم من الوسط حتى الركبة ويلبسن أساور من العاج في أعلى العضد

بعضهم يخلع أسنانه الأمامية مثل النوير

ليس عندهم رؤساء لحكومات وهم ديمقراطيون يحترمون السحرة والمشعوذين ويأخذون رأيهم في بعض الأمور والرابطة الاجتماعية والدينية والاقتصادية والسياسية مبنية على القرابة والجنسية

### أصحاب الرؤوس المتوسطة ( الأزندا )

زراع ويربون الدجاج

ليس عندهم ماشية

الزراعة هي أهم ما يحترفه السكان وكذلك الصيد

عندهم تضحيات بشرية } قلت الآن بعد الحكم الأوربي
كذلك أكل لحم البشر }

الرجال يرتدون جلد الأسد أو قميصاً من الخيش أو الخوص أو سراويل . يضفرون شعورهم من منبت الشعر إلى الكتف ، ويلبسون قلنسوات من الخوص محلاة بريش الديكة

النساء يستترن بشبكة من ورق الشجر من الأمام والخلف تربط بحزام حول الوسط وأحياناً يرتدين (مريلة) ولا يستعملن الأساور المصنوعة من العاج إلا نادراً

لا يخلعون أسنانهم

حكومتهم منتظمة لها صبغة سياسية ورؤساء سياسيون ، والرابطة العائلية قوية بينهم

رشوان أحمد صادق

# سليل القرد

## للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

---

عاش في الغاب القرد دهراً طويلا ... قبل أن يلتقي للرقيّ سبيلا
وُلد القردُ قبل مليون عام ... بشراً فارتقى قليلاً قليلا
إنما هذه الطبيعة في تجـ ... ـديدها للحياة ليست عجولا
أيّ شيءٍ ألمّ بالقرد حتى ... هجر الغابَ نجله والقبيلا
إنه لولا العقل كان ضعيفاً ... وعليه الحياةُ عبئاً ثقيلا
واقتنى فطنةً وكان غبيًا ... وابتنى عزّةً وكان ذليلا
وعلى رجليه مشى بعد أن سا ... ر على أربعٍ زماناً طويلا
تخذ الصخرَ بعد نحتٍ سلاحاً ... يتّقي الوحش ضارياً أن يغولا
حادثٌ لم ير الزمانُ على الأر ... ض له في كل الدهور مثيلا
ليس انسانُ اليوم في كل أرض ... غيرَ قرد في وسعه أن يقولا
منح الدهرُ الأرضَ خيرَ وليّ ... وبه كان في القديم بخيلا
إنه في لقائه للضواري ... لم يكن خوّاراً ولا إجفيلا
إن عقل الانسان خيرُ سلاحٍ ... ولقد تفضل العقولُ العقولا
يا له من تطوّرٍ حوّل القر ... دَ لانسانٍ يحسنُ التخييلا
سنةُ الله في النشوء على الأر ... ض فما إن ترى لها تبديلا
ليس من قدره يحط فيخزى ... إنه كان للقرود سليلا
ولقد فارق القبيلةَ إلاّ ... أنه ظلّ حبلُهُ موصولا
قبلَ إخلاده لعائلة لم ... يك إلاّ عن نفسه مسؤولا
ولدته عروسة الغاب من قر ... دٍ جميل فكان قرداً جميلا
عاش أبناؤه دهوراً وما إن ... عرفوا تحريماً ولا تحليلا
بعد فجر الانسان كان غدوٌّ ... وأرى أن للغدوّ أصيلا
إن للشمس بعد كل شروق ... يملأ الأرضَ بالضياء أفولا
دُوَلٌ فوق الأرض ذات احتشام ... غير أني في خشية أن تدولا
إنني أخشى للنشوء انقلابا ... فيعود الانسانُ قرداً كسولا
وإذا ما خلا من الناس وجهُ الـ ... أرض كان الخلوُّ خطباً جليلا
وإذا ما بالعكس عاشوا وجدّوا ... فسيمحون للموت حتى يزولا
وليأتي باسم السبرمان نسلٌ ... هو أرقى منهم وأهدى سبيلا
يتقصى كنه الطبيعة حتى ... ليس يبقى شيءٌ له مجهولا
انما في حياته الصدقُ دينٌ ... لا خداعاً يأتي ولا تضليلا
وترى فوق المنكبين له رأ ... ساً كبيراً وساعداً مفتولا
وعلى رأسه الكبير ترى شعـ ... ـراً أثيثاً تخاله إكليلا
وإذا ما أبصرت عند اللقاء الـ ... ـعينَ منه حسبتها قنديلا
وإذا ما تكاثروا حكموا الأر ... ض بعدل جبالَها والسهولا
أخضعوا أصناف الأشعة حتى ... جعلوا منها للسماء رسولا

(بغداد) جميل صدقي الزهاوي

---

# البعث!

## للشاعر الحضرمي علي أحمد باكثير

مات الغرام وقد بكيته ... ورثيته ما قد رثيته
كفنته ودفنته ... وبدمعيَ القاني سقيته
وأبى الزمان يصوّرني ... عن ذكره حتى سلوته
يا ليت شعري، كيف عا ... دَ إلى الحياة اليوم ميْته؟

***

أحببته عفّ اللحا ... ظ سمعت عنه وما رأيته
كالخلد يرجوها أخو الـ ... ـتقوى ولم يرها رجوته!
فكرت فيه فشاقني ... ونوى الفؤاد وما دعوته
وطفقت أعبد طيفه ... وأنا الذي بيدي بريته!
بفمي اسمه، أروي به ... ظمأ الفؤاد وما شفيته!
كالثلج فيه، وكلما ... أمسسته قلبي كويته!
بيني الزمان وبينه! ... وتجاورا بيتي وبيته!!
سميته (لولا) مخا ... فة أن يساء وما كنيته

***

أوحى إلي وما درى! ... وكتبت عنه وما نويته!
ماذا عليه لو صفا ... وكتبت عنه وما نويته!
وهمى على عيني سنا ... ه، وسال في أذني صوته!

علي أحمد باكثير

# الحرمان !

## بقلم محمود حسن اسماعيل

أسدلت سترها ! وقالت: رويدا  عابد الحسن ، واتئد فى صلاتك
غب قليلا عن العيون وأنشد  خفقات الغرام فى خلواتك
إن همساً يرفُّ فى ساحة المَعْـــبد أخشى ذيوعه من وشاتك !
غب قليلا وفى دمى لك عَهْدٌ  أنا والحبُّ .. والمنى .. لحياتك
خمرتى شعرك العفيف ، ويا طُـــهرى إذا ما انتشيت من ( كاساتك )
وجلالُ الهوى وقُدْسُ جمالى  صبَوات نفحن من أغنياتك
رىُّ روحى إذا ظمئتُ خيالٌ  مستطار يرنُّ من أبياتك
فترنم ! فإن روحىَ تصغى  خلف أستارها الى نغماتك !

قلت : والنار فى دمى كيف تهدا  إن حجبتِ الضياء من قسماتك
إن زادى من الحياة وميض  رشفته العيون من بسماتك
فتنتى إن رنوت موجة نور  أشرقت فى الجنان من نظراتك
كم طغى البؤس عابثاً بشبابى  فقبست النعيم من وجناتك
وتوجعتُ فانتحبت لشجوى  وسكبت الهناء من قبلاتك
كيف أحيا وفى دمى تُقلق الرو  ح نواز مفجعاتٌ فواتك !
أنا لهفــــان والنعيم بكفيه  لك دعينى أمت على عتباتك !
قالت : اهدأ ! فما عهدتك يوماً  تستثير النوى دفين شكاتك
كم غزانا البين قربنا فتصـــبر
ت ، ورمت السلوان من ذكرياتك
قلت : يالوعتا لظمآن جنت  روحه لهفة على رشفاتك !
كم وقفنا حيال قصركِ نبكى  وخلسنا الغرام من شرفاتك !
وشدونا الهوى ملاحن سحر  رقرق النور طيفها من سماتك
وشكونا النوى فكاد يطير الحســـن فرط الحنان من غرفاتك !

آه يا زهرتى ! لقد شفَّ روحى  ظمأ محرق إلى نفحـــاتك
فارفعى الستر بيننا ، ودعينى  أتحسى الضياء من هالاتك
رب ومض من لحظ عينيك ساج  فجر السحر من سنا لحاتك
نهلته عيناى فانساب شعرا  عبقرياً يفيض من نظراتك
وهنا .. أسدل الستار ! ورنت  خفقة : لهفنا على أمنياتك !

(دار العلوم) محمود حسن اسماعيل

# نسيم الفجر

## بقلم وهيب رشيد

( عن الشاعر الانجليزى Henry W. Songbellaut )

هب عند الفجر يجتاز البحار  قائلا للسحب خلى الطرقا
هاتفاً بالسفن قد جاء النهار  بزغ الفجر جميــــلا عبقاً
أيها الملاح قم شُدَّ القلوع
وسرى فى الأفق حراً جذلا  مرَّ بالناس جميعاً نائمين
ســــيطر النوم عليهم فجلا  سلطة النوم ببرهان مبين
صائحاً قد آن للشمس طلوع
مرَّ بالزهر مكباً نائماً  فى ربى الغابة وسنان العيون
فجرى فيهـا نشيطاً باسماً  يوقظ الزهر بتلويح الغصون
ومضى والغاب بالعطر يضوع
دخل العش على الطير الجميل  راقداً يحلم أحلام المنى
فأحس الطير بالريح العليل  هز برديه سروراً ورنا
لحقول القمح بالعين الولوع
وغدا يقطع أرجاء الحقول  قاصداً ديك الصباح الغَرِدا
فتلقاه بلطف وقبول  وبلحن ساحر جذل شدا
مرحباً بالصبح ، بالفجر الوديع
وأتى المعبـد قفراً موحشاً  ما به غير سكون مطبق
أيقظ الحارس فيـه فمشى  يقرع الناقوس قرع المحنق
يا نسيم الفجر أحييت الربوع

فصول ملخصة فى الفلسفة الألمانية

# ٢٨ – تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

## الناحية الايجابية من مذهب نيتشه

## السوبرمان

## أو الانسان الأعلى

للأستاذ خليل هنداوى

وهذه هى الميزات التى يراها نيتشه تميز السوبرمان من الانسان ، يرى أن فضيلة الانسان فضيلة تحمّل إلى الناس جميعهم بدون فرق ولا استثناء ، بينا يرى أن فضيلة السوبرمان لا تعنى إلا فريقاً منتخباً ضئيلا سامياً . ألا ترى أوروبا اليوم جميعها تؤمن بديمقراطية تساوى بين طبقات الناس مهما اختلفت أصولا وفروعاً . ونيتشه لا يرى فى هذه الديمقراطية شيئاً طبيعياً ، هو يؤمن « باللامادة » ويريد أن يخلق طبقة ارستقراطية تتألف من أنواع محدودة ، لكل نوع تعاليمه وأعماله وواجباته المكتوبة عليه ، وأسفل هذه الأنواع هو مجموع الفئات المتوسطة التى تدور بأيديها دولاب المجتمع . فالنقش والتجارة والصناعة والعلم والفن تحتاج إلى عمال يخدمون برضاهم هذه الصناعات . يطيعون مختارين ويعملون صابرين . هؤلاء هم عبيد لأنهم ينفذون إرادة من هم اسمى منهم . وحق لهم أن تكون منهم الطاعة ، وأن يحتملوا من الألم كثيراً لأن الحقيقة قاسية على أن هؤلاء يجب ان تضمن لهم أسباب حياتهم فيكونون أكثر هناء واطمئناناً وسعادة من رؤسائهم ، لا شغل لهم إلا أن يواصلوا دورة الحياة ... أما الايمان الدينى عندهم فهو نعمة لا تثمن ، لأنه يذهّب كأشعة الشمس فاقة وجودهم المظلم ، يلهمهم القناعة والسكينة ويجعل واجباً عليهم احتمال إرادة غيرهم . وهو الذى يبث فى أرواحهم هذا الوهم الجميل القائل بأن هنالك نظاماً للأشياء . وأنهم هم أنفسهم لهم مكان نافع فى نظام الكائنات والأشياء . هؤلاء يقول لهم زرادشت : « لكم لكم العبودية والايمان ! » . وفوق هذا الفريق فريق المدبرين وحامى الشريعة والذائدين عن النظام والبلاد والمقاتلين وأمير البلاد . إن هؤلاء يديرون الأمر ويسوسون الملك بسلطهم . إن هؤلاء هم الذين تخضع لهم إرادة العبيد حين يريدون . أما الفريق الأول فهو فريق السادة والعقلاء وخالقى « القيم الاجتماعية » . هؤلاء يجب أن ينفذ تأثيرهم فى قلب المجتمع ، هؤلاء يجب أن يهبطوا إلى الأرض ينزلون فيها بين الناس منزلة الاله الذى يقدسه النصارى . هؤلاء هم السادة ولهم وحدهم صنعت فضيلة السوبرمان

وهذه الفضيلة لا تتميز من غيرها بأنها فضيلة ارستقراطية فحسب ، ولكنها تخالفها فى المثل الأعلى الذى ضربته ، أما الانسان الفاضل فى الشريعة المسيحية أو شريعة الزهاد فهو الذى يخضع حياته لمثل أعلى ، ويضحى بميوله ورغائبه فى سبيل عبادة الخير والحق . أما العاقل فى شريعة نيتشه فهو غير ذلك . العاقل هو خالق « القيم » وليست مهنته إلا خلقها ! لا شىء فى الطبيعة له قيمة بنفسه ، إن عالم الحقيقة هو مادة واحدة لا معنى لها ولا غاية إلا المعنى أو الغاية التى نراها نحن فيها ونعطيها إياها . الفيلسوف الحقيقى هو الرجل الذى ينطوى على شخصية قادرة على خلق الوجود ، ويبعث فى الناس الرغبة ويسمو بهم ، هو الشاعر العبقرى الذى تتألف فى نفسه « القيم الاجتماعية » التى يؤمن بها رجال عصر ! هو مفكر فى الاشياء ، لكن تفكيره ليس إلا الشريعة السامية التى تهتز لها أمم ! يبدع بحرية ما يشاء مستقل الفكر سائماً من الخير والشر ، من الحقيقة وغير الحقيقة . هو يبدع حقيقته ، ويخلق شريعته وفضيلته . إنه رجل مجرب لا يفتأ يتحرى عن صور لعوالم جديدة . تراه يضحى بحياته وبسعادته ، ويفادى بحياة الآخرين الذين يجرون فى مضماره وبسعادتهم دون أن يتزعزع . إنه لاعب جرىء يتحدى الحظ ، لا يحفل إذا كانت لعبته الحياة أو الموت

إن العاقل عند نيتشه ليس بذى الروح الهادىء المسالم . هو من لا يمد الناس بالسلام وبالفرح الهادىء باقتطاف ثمرات عملهم . ولكنه يدفعهم إلى الحرب يلمع بين عيونهم الرجاء بالنصر والأمل بالظفر يقول زرادشت :

« إنكم ستتحررون عن أعدائكم ، إنكم ستقاتلون وستحاربون من أجل فكرتكم ، فاذا غلبت فكرتكم فليدفعكم إخلاصكم إلى السرور بهزيمتها . إنكم تحاربون السلم كوسيلة لحروب جديدة ، على أن السلم الصغير هو خير من السلم الكبير

أنا لا أنصح لكم بالعمل ، ولا أنصح لكم بالسلم ، ولكن أوصيكم بالظفر . ليكن عملكم حرباً وسلمكم ظفراً

يقولون : إن السبب الشريف يقدس الحرب . وأنا أقول لكم : إن الحرب الشريفة هي التي تقدس كل سبب

لا يجب أن يكون لكم من الأعداء إلا المبغضون لا الحقيرون ، وإذ ذاك تكونون أولى زهو وكبرياء بأعدائكم ، حتى ليغدو ظفرهم عليكم ظفراً لكم . »

إن القتال عند نيتشه هو خير سبب يعمل على التقدم ، لأنه يُري مواضع الضعف ومواضع القوة . يرى الصحة والمرض في المادة والأخلاق . وقد يكون القتال تجربة خطرة يريده العاقل لزيد في حيوية الحياة وزيد آفاقها سعة . وليدرك قيمة فكرة ما وقدرتها على الاحاطة بمعاني الحياة . الحرب نعمة حسنة في ذاتها وتنبأ نيتشه بأن أوربا ستدخل في عصر قتال تتطاحن فيه شعوبها في سبيل سيادة العالم

وبينما كانت « القيم الاجتماعية » الأولى تضع الشفقة في رأس هذه القيم ، كان زرادشت يعلم رفاقه بأن الارادة هي الفضيلة العليا « هذه هي الشريعة الجديدة التي أوصيكم بها ، كونوا قساة أشداء » إذ يجب في الحقيقة على المبدع بأن يكون قاسياً عنيفاً إذا أراد أن يخضع الحظ ، أو أراد أن يوحي بتعاليم جديدة . إن الشفقة ليست عنده بفضيلة ، ولكنها خطر من أكبر الأخطار التي تلاقيه .

ألم يسمع « زرادشت » حول كهفه أصوات اليأس يرددها الرجال الذين يدعونه « تعال ! تعال ! قد حان الوقت » فلو أن الشفقة عليهم استهوته اليهم لكتبت عليه الغلبة . إنه يحتاج إلى قوة قاسية تصرف عنه تأثير هذا الدعاء الباكي .

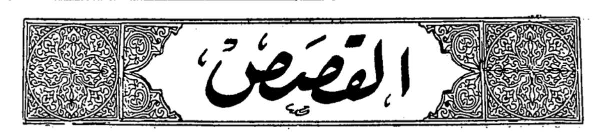
بينما كان زرادشت يغادر بيته لاحقاً اليائسين الذين يجأرون له ، نزل مكاناً موحشاً خُيِّل اليه أنه مدينة الموتى . هنالك الصخور البارزة السوداء والشماريخ الحمراء ، حيث لا تنبت عشبة ولا ينجم كوكب ولا يزقزق عصفور . هذا هو واد ينفر منه الحيوان ، لا يأوي اليه إلا الأفاعي العظيمة الزرقاء ، تأتيه في كهولتها لتعانق الموت فيه . في هذا المكان الروع أبصر « زرادشت » هيكل إنسان قبيح ، فلم يشأ أن يتأمله ، وهم بأن يركض ما استطاع فراراً من هذا المسخ . ولكن صوتاً أهاب به كأنه غرغرة محتضر أو بقية ماء في منحدر

— زرادشت ، زرادشت ! نبئني بسرى ! ما هو الانتقام من الشاهد ؟

وفجأة استولت على زرادشت شفقة غريبة ، ولكنه سرعان ما استعاد قسوته وصرامته ، فأجابه

— أنا أعرفك ... أنت قاتل الآله ، دعني أمر في طريق ؛ أنت لم تحتمل من كان يراك ويطلع عليك في كل ارتماشك وشناعتك واشمئزازك أنت يا أقبح الرجال ! فأخذت ثأرك من هذا الشاهد » خرج زرادشت ظافراً من هذه التجربة التي هلك فيها الآله . إن إله المحبة قد مات وقد خنقته شفقته باطلاعه على كل نقائص الانسانية وشناعاتها الخفية . إن شفقته لا تعرف حداً . إنه وطأ الأماكن الأكثر عمقاً والأسحق بعداً من النفوس البشرية . ولهذا مات ، لأن الانسان لم يعد يقادر أن يحتمل شاهداً يقظ العين على خزيه وعيوبه . أحس زرادشت عوجة الحياة تغمر نفسه إزاء هذا المشهد ، فنفض من طرفه وهم بأن يتابع سبيله ، معتقداً بأن متابعته للطريق أجدى عليه من أن يهدر أيام عمره هدراً في سبيل الجلوس إلى « جسد » لا ينفع فيه دواء . وفي صنعه هذا لم ينج من الموت وحده فحسب ، بل اكتسب مع نجاته حب هذا الانسان الكريه . أما الانسان الكريه الذي كان يبغض الاله والرحماء فانه انحنى خضوعاً إزاء صرامة زرادشت وقبل أن يكون أحد الطارقين باب مثواه

( يتبع ) خليل هنداوي



من صور الحياة

# الآباء البيض

بقلم حبيب الزحلاوي

عرفته في المدرسة فتى وسيم الطلعة ، صبوح الوجه ، حيّ الطبع ، هادئ النفس ، فتوددت إليه وا كتسبت صداقته عرفت من خصاله العبوسة والخشونة والتجهم والغضب كما عرفت منها الطيبة والسلاسة والصدق والوفاء

كان تارة عنيف الحركة حتى الجنون ، وطوراً ساكناً كأنه غارق فيها !

عرف معلموه فيه الاقدام بدون تردد ، والاحجام بغير سبب ، وعرفوا فيه الاندفاع نحو تحقيق رغباته وإرضاء ميوله وبداواته ، كما عرفوا فيه الانصراف عنها كأن ليس له رغبات ولا ميول وبداوات !

تسرعوا فسموه « المتناقض » ثم اعتدلوا فأطلقوا عليه اسم « ذي الحدين » الأقصى والأدنى

كان انكبابه على الدرس ، ودقته في المحافظة على الواجب يثيران إعجاب المعلمين به وغيرة رفاقه منه ، كما كان توقفه عن الدرس ، واضرابه عن تلقيه بدون سبب ، وانتقاضه على الواجب ، وتمرده على العلم ، وقيامه على النظام ، مدعاة للدهشة والاستغراب

كنا تلميذين متلازمين متجاورين ، يفضي كل منا لصاحبه بطوية نفسه ودخيلة أمره ، إلا أني كنت ألح فيه حرصاً على دفن سر شاغل خطير يكتمه عني في أعماق نفسه تفضحه نظراته الحزينة الباكية الذابلة

كان « ذو الحدين » خشناً في لعبه ، ربما في تعبيره عن خواطره كالأطفال ، صدوفاً عن المعاشرة ، مستغرقاً في الوحدة والانفراد كالنساك ، وكانت بسماته النادرة حلوة كالجمال الصامت في مظهر عروس ترملت بعيد الزواج

ما كان أقرب نفسه إلى الرضا والطمأنينة والبشر عندما يكون في المدرسة بين دروسه وفروضه ورفاقه ، وكم كان يفارقه مرح النفس وغبطة الروح عند ما يعود إلى البيت إذ كان تلازمه فيه الوحشة والكآبة والحزن ! !

كانت ثياب « ذو الحدين » تختلف عن ثياب وهندام التلاميذ ، وكان لأمه شغف في ابراز وحيدها بثياب مخلية ليكون بين رفاقه — على حد تعبيرها — كالكوكب بين النجوم ، ولعل ولع أمه به وعنايتها بلبسه واهتمامها ببزته هي التي نمت فيه خاصية التأنق والملاحظة والانتقاد ، وصيرت لكلامه أداء فريداً ووقعاً خاصاً في النفوس ، ولكن أنى الخلاص لفتى مثله حسن البزة ، صبوح الوجه ، لامع الذهن : غريب الأطوار ، عريق المحتد ، صدوفاً عن المعاشرة ، عزوفاً عن مخالطة الناس ، أنى له الخلاص من مخالب فتيان تتوثب فيهم غرائز القوة البكر وإبراز قدرتها وسلطانها على الاقران ، وتتمطى فيهم الغيرة الآكالة لفقدهم أكثر الصفات والمزايا المتوفرة لهذا الفتى الرقيق ؟ ! ! !

ولكن صاحبي كان يتخطى هذه البواعث الشائكة على قنطرة من تبين الفتوة وتعمل الكبرياء واصطناع الترفع عن الاختلاط بتلاميذ في غير ترتيبه ! بذلك نمت فيه ملكة المنجهية والتسامي

كانت ظاهرة الكبرياء عنده دخيلة على طبعه الرضي ، غير أنه توسل بها لدرء عوارض طارئة لا شأن له في وجودها ، فكان يداريها بالعطف الأخوى ، والاحسان الانسانى ، والشفقة التي كان يشمل بها كل محتاج من إخوانه التلاميذ ، وما أكثر المعوزين في تلك المدرسة التي كانت تضم جميع أبناء العمال في ذلك الحي

* * *

جاءني مرة بثغر باسم ووجه متهلل متلألئ يقص على خبر اعتزامه على الالتحاق ببعثة « الآباء البيض » ليتلقى العلم في

مدرستهم « الصلاحية » في القدس ويقول : إن الآباء رضوا أن يلحقوه بها ، وأنه دفع لهم مبلغاً من المال كان يدخره ، وأن رئيس البعثة وعده بأن يصطحبه معه وينتزعه من أهله إذا مانعوا ، وأنه سيتعلم علوم القساوسة ويعود فيرغم جميع الناس على تقبيل يده باحترام ، والاستماع إلى أقواله والانصات إلى عظاته بخشوع !

لم يكن اهتمامي بالخبر ليوازي فضولي الحافز إلى معرفة العامل الذي جعل صاحبي يطرب للرحيل عن أهله كطرب عصفور في قفص يتقشق ويصفق بجناحيه ، وأنت في الحقيقة لا تدري إذا كان طربه للطعام المقدم أو للانطلاق الموموق

لم يكن الخبر هاماً في ذاته ، إنما كانت الأهمية عندي في اكتشاف الدوافع التي جعلت هذا الفتى دائم التأرجح بين كفتي الفرحة القصوى والحزن الأقصى ، فتوهمت الفرصة موانية تدنيني من مكمن السر ! !

رفيق هذا الذي يحدثني عن سفره بطرب ، وعن اعتزام رئيس البعثة انتزاعه من أهله بسهولة ، هو وحيد لوالديه ، محبوب منهما حتى العبادة

ما الذي في نفسه يا ترى من البيت ومن أبويه حتى يؤثر المدرسة والتلاميذ عليهم ؟

ما الذي في نفسه منهم وهو يفزع إلى الآباء البيض هرباً من والديه مفضلاً الرحيل على البقاء معهما ؟

لم يكن في وسعي تحويل الأمر آنذاك وقد كنت فتى أملك قوة اختزان الحوادث لا تحليلها ، أدخر عوارض الأشياء لا أنقدها ، أنظر إلى كليات المسائل لا جزئياتها ، وهكذا صرفت برهة في استقبال خبر السفر كأنها كانت برهة الاستجمام لأعود بعدها إلى صاحبي بنفس قوية ، وعزم قاطع ، أصرف بهما ذهنه عن هذا الخاطر الطارئ المستحيل التحقيق

داورت صاحبي بحجة معرفة بواعث هذا السفر الفاجئ ، لحت بالكلام إلى أمر حسبت أنه يكون بمثابة مفتاح للسر ، فانقبض مكتئباً وأشاح بوجهه عني كأنه ندم على ما قال ؛ لم يمهلني لأعتذر عن سوء تصرفي وتوضيح قصدي وانصرف ، أسقط في يدي وأضاع الفضول الفرصة المواتية ... ... ولكني صممت على عمل شيء

نجحت أولاً في إبلاغ والده خبر سفره سراً مع الآباء البيض وحاولت إقناع صاحبي بأني لم أكن واشياً تماماً بل كنت المحب صادق المودة ، أوثر صداقته وأرعى اطراد تقدمنا معاً في مسالك الدراسة ...

لم ينصت إلى أقوالي ؛ غضب مني وبكى من والديه ؛ قاطعني وانقطع عن الايواء إلى البيت ، وصار كـكوك الحائك ينصرف من بيت عمته الأرملة وليس فيه رفيق أو صديق ، إلى المدرسة التي لم يبق له فيها سوى الوحـــدة والانفراد ورفقة الكتب وحفظ الدروس

عبثاً حاولت استرضاءه واسترداد وداده . قطع الرأي على قطيعتي ، وثبت على عناده ، وهكذا صرنا صديقين متباعدين

جزنا الامتحان سوية ، انتقلنا معاً من مدرسة إلى أخرى ، زودتنا الكلية البطريركية بشهادتها العليا ، طوحت بنا الأقدار فألقت بواحدنا في مصر وبالثاني في أمريكا لا يعرف الواحد عن صاحبه شيئاً

***

في شارع تتماوج فيه عشرات الألوف من نساء مستهترات وسيدات فضوليات من كل جنس متفرجات ، يعج بأضعاف الآلاف برجال من كل سن وعمر وقطر ومصر ، فيهم العابث المتهتك ، وفيهم من هو غير متهتك ولا عابث

في هذا الشارع الذي لا تهدأ فيه حركة ، لا في الليل النار مصابيح أضواؤها الجمال والحسن والفتنة ، ولا في النهار الذي ينزع فيه الانسان الدرهم من بين فكي أخيه الانسان لينفقها في الليل على مباذل المرأة

في هذا الشارع المكتظ بخلائق كأنها في مهرجان ؛ في هذا الشارع تطلق البسمات من الشفاه والغمزات من العيون ، وترشق القلوب بسهام النظرات الساحرات ؛ فيه يطلق الرجل أعنة الحياء وينضو ثياب الخجل ؛ فيه تخلع المرأة العذار وتتشح بالفتنة والشهوة ؛ فيه يرتجل الأكمه أبرع عبارات الاطراء الغزلي ، وتفتن المرأة في ابتداع شباك الاصطياد ؛ في هذا الشارع أنقذني خاتم في أصبع يدي اليسرى من إغراء حسناء لعوب من بائعات البدن ؛ في هذا الشارع تصطدم البريئات والبريئين من الفضوليين الأغراب عن لا براءة عندهم ولا فضول ، فيحسب المصطدمون والمصطدمين الانزلاق حرية ، والاستهتار مدنية ، والفجور طابع الأمة

هذه سيدة قلقة تنتظر المتخلف عن الميعاد ! هذا رجل

واقف مطمئن إلى لقاء من وعدته . هذا يعانق تلك ، وهذه تقبل هذا قبلات مسكرات ، وهذا غريب مشدوه يرى ويبصر وكأنه لا يرى ولا يبصر

في هذا الشارع البهيج الذي يجمع قلب باريس في قبضة الحياة سمعت من يذكر اسمي ولقبي بصوت أيقظ في حاسة غريبة مدفونة في الأعماق منذ أيام الحداثة ، فاتجهت صوب رفيق المدرسة الذي لقيني هنا فعرفني ، فناداني فاستجبت

مشينا على غير هدى ، تبادلنا ألف تحية وأشواق ، يممنا مقهى أعرفه ، ولما جلسنا في زاوية منفردة فيه تأملت صاحبي فاذا بالأعوام بدلت من ملامحه وتركت في وجهه بعض التغضن حول العينين ، وثنيات واضحة في الجبين ، وشعرات رمادية ظاهرة في السالفين ، قرأت في نظراته معاني التوطد والثقة بالنفس ، ولمحت فيها بقية من آثار الذبول والحزن

أخذنا نتكلم ونعيد تلاوة صحائف الماضي ونستعرض ذكريات المدرسة بلذة وفرح ، ونسرد فصول رواية الحياة الكبرى بين مآسي المرأة وفواجع كسب المال

انبلج الصبح وانطفأت مصابيح الكهرباء ، تبدلت وجوه رواد القهوة ، وقد أورمها السهر وخنقتها الخمر ، بوجوه نضرة فياضة بقوة الراحة المستمدة من النوم تستقبل النهار لتستأنف الجهاد في ميادين العمل ، بقيت وصاحبي وحدنا الجالسين الهائمين بذكر حوادث الماضي ثم افترقنا على موعد للتلاق

كان الليل يجمعني وصاحبي في باريس على مائدة طعام أو شراب ، وكان لنا في كل جلسة جولة أو جولات في معترك الحياة ، غير أن جلسة الليلة اختلفت عن سابقاتها في الجو الذي هيأه وجود كاهن شرقي أعرفه بصحبة سيدة في المطعم

جال خاطر مفاجئ في ضميري فابتسمت ، استطلعني صاحبي معنى الابتسامة فرغبت اليه أن يقرع بكأسه كأسي فنشرب النبيذ البكر على ذكر صداقتنا البكر ! !

نظر إلي متعجباً وقال : هل من طارئ جديد ؟

قلت : بلى

قال ما هو ؟

قلت : هل في وسعك الآن وقد طويت مرحلة من الشباب واكتملت رجولتك أن توضح لي أسباب حزنك في حداثتك ونفورك من والديك ، وتوقك إلى البعد عنهما ، وقطيعتك إياي وقد أفسدت عليك تدبير التحاقك بالآباء البيض ؟

ابتسم صاحبي فذكرني بسمة العروس الأرملة وقال : أحسب وجود الكاهن في المطعم بثوبه الأسود الفضفاض ولحيته المسبلة على صدره هو الذي نبه ذهنك إلى هذا الموضوع

قلت : هو ذاك

سكن صاحبي هادئاً كأنه يفيض ذهنه في قلبه ، وأطبق أو كاد يطبق أجفانه كمن يقرأ سطور الضمير في سفر الغيب ، وطفق يقول :

أشكر لك هذا السؤال ، لأن في الاجابة عليه تفريجاً عن كرب مستعص آن أوان البرء منه

كانت عقدة نفسية عقدتها الحساسية المرهفة والشعور الوجداني فحللتها لوحدي على مهل

أكرهت والدتي على الزواج من والدي الأرمل ولما يكن له من العمر تسعة عشر عاما بعد ، فكان جمالها ، ووجاهة أهلها ، وزواجها من فتى أرمل ، علة جرحت كبرياءها بين أترابها الفتيات ، وبترت تكاتف النكد الأليم والنفور التواصل وترق الشباب ، فكنت أستشعر أني الجسر الذي يربط قلبين متنافرين

كنت ثمرة زواج أنضجتها عناصر الجسد ولم تشملها موجات الروح بوحدات من الحنان والعطف الوالدي إلا بمقدار ما كانت الوسيلة تمهد للغاية ! !

وددت لو أكون الوسيلة لاقرار الغاية المثلى من الزواج ، إلا أن الغاية كأنها تكونت للاتصال الوقتي الذي يعقبه النفور ، فكنت أتمنى لو يتهدم الجسر فيبقى كل قلب على ضفة يشطرها عن أختها نهر الحياة ! !

آثرت الصدوف عن مرأى زهرة نبتت عفوا في أرض رملية ، وعزفت عن تربة لا حياة فيها ولا رجاء ، فلذلك كنت أنكر نفسي وأشفق على الناس يلم بهم حزني ، وأبكي لشقاء والدي

كان يعرف والدي في حدة الاحساس والشعور المرهف فاستبدل أبوته لي بأخوة

أقنعني ، لما أبلغته أنت خبر اعتزامي على الالتحاق بالآباء البيض ، بان في ابتعادي عنه مهدمة عاجلة لحياة تنهار من نفسها ببطء ، ويتمنى ألا أتعجل انهيارها فيبلغ القبر قبل أن أشب وأقوى ، وقال دع البيت يحترق بنار هادئة ثم اعمل أنت على بنائه من مواد لا تقبل الاحتراق

ثم قال لي : لا فائدة من علوم الكهنوت للذين يتهيأون لأن

يطلوا على أرجاء الحياة السحيقة من كوات الدين الضيقة ، وإن علوم الدين على وجاهتها وقداستها ، تفل العقول ، وتضيق الأذهان ، وتبلد طبيعة الرجولة فى الانسان ، وإن الـكهنوت صناعة يحترفها الـكسالى والبلداء ، وإن الرجل الذى يمارك الدهر ويظفر منه بسلاح من الخلق السامى ونبالة القصد ، والذى ينصر الانسانية بروح منبعث من فيض انسانيتـه هو ، لا من تعاليم تحورت فصيرت جماعات الانسان عبيداً للأفراد من بنى الانسان

رأيت دموعاً جالت فى عينى صاحبى وتحدرت كالبرد على خديه ، ولمحت صور نفسه تشرق وتتجلى فى صفحة جبينـه وتقاطيع وجهه ، وتـكور جفونه ، وانقباضات حاجبيه وشفتيه

تناولنا كأسينا فأفرغنا ما بقى فيهما ، أترعناها بالرحيق من جديد ، زودت غليونى بالتبغ ، وقبيل إشعاله سألت صاحبى : ماذا كان مصيرك لو ذهبت صحبة الآباء البيض وتعلمت تعاليمهم ، وتلفحت عباءتهم ، ونذرت الطاعة والعفة والفقر مرضاة لله وطمعاً فى الآخرة ؟

لا ، لا ، قال صاحبى : هـذا سؤال لى أطرحه عليك ، هذا عبء ألقيته عن ضميرى منذ اتجهت صوب المادة أعالج شؤونها معالجة عامل عقله فى ساعديه وذهنه بين ساقيه ، وقلبه فى « كرشه » ، أجب أنت يا صديقى على هذا السؤال لأنى آليت منذ هجرت الأهل والوطن أن ألتزم الآلة فأكون مثلها ، تحركها القوة الدافعة ، يغذيها الحريص على بقائها بالزيت والشحم ! ! قل ، أجب ، اشرح ، لأنى أتوق إلى معرفة ذلك المصير ، مصيرى لو صرت كاهناً ، لأنه كثيرا ما أقض هذا الخاطر مضجعى ، وعكر راحتى ، وسلب الرقاد من جفونى على كره منى

أشعلت غليونى ، أخذت أنظر الدخان يعقد حلقات تتمدد وتتبخر كخواطر الانسان ، وأرى النار تتأجج وتهمد فى قلبه كالرغبات فى ضمير الرجل ، ثم سمعت نفسى تناجينى وضميرى يسارنى فقلت :

ماذا ترانى كنت أكون لو فعلت تلك الفعلة ؟ هل كانت تتبلد مشاعرى ، ويتحجر احساسى ، وتتـكور نظراتى ، ولا تعود آرائى تدور إلا حول نقطة مجهولة فى مصير مزعوم طمعاً فى وهم ملفق ؟

هل كنت أتعامى عن الدنيا وما فيها من بدائع صنعها الانسان بقدرته فصيرها جنة لمن يطيب له النعيم فى الجنات ، وجهنم لمن يرتاح إلى الشقاء فى الجحيم ؟

هل كنت أنطوى على جوفى الخالى ورأسى القحل كما تنطوى الحية على نفسها فى الرمال تلمظ السم من أنيابها فى انتظار حياة رغدة فى فصل الربيع الذى لا شك فى اقباله بالخيرات ؟

هل كنت أتوسد فراشاً حشوا بشوك الحرمان ، ألتحف الـكبت ، أتقلب على جمرات من عذاب الجسد ، ليس لى من مجير سوى حقنات الـكافور تخمد إلى حين ثورة الأعصاب المتشنجة ، والنفس المحمومة ، والروح الحائر ؟

هل ترانى كنت أتوجه صوب السماء الصامتة أطلب الغوث من سكانها الصامتين ؟

ماذا ترانى كنت أكون لو فعلت تلك الفعلة ؟

هل كنت ألبس المسوح وأسكن الأديار النائية ، أعد دقائق العمر بين السأم والملل ، والرجاء والخيبة ، والشكوك والريب ، والاستسلام والجمود ؟

هل كنت أعزف عن الدير ومناجياته ، والزهد وقتلاه ، وأطمئن إلى سكنى المدن حيث الزلفى إلى الأغنياء ، والسلطان على الفقراء ، والراحة للجسد ، والشبع للمعدة ؟

هل ترانى كنت أنطوى مع من انطوى قبلى من الأغنياء ، أو أتمرد وأتآمر فأصل ذروة العرش فأحمل صولجانه ، وألبس تاجه وأتدثر طيالسة القياصرة ، وأترك الصليب الثقيل للمتجردين ، وأرغم الضعفاء على طاعتى باسم الصليب المقدس ؟

صمت قليلاً وكان صديقى يصغى إلى ، تجرعت جرعة من الشراب هـدأت بها نفسى مما ساورها وباعدت بها عنى حمم التصورات والتخيلات ، وقد ازدحمت فى الذهن وأخذت تتدفق كسوائل صهرها البركان لتصل إلى العقل الذى يوازن ويقارن ويفاضل وإذا بى أسألها من جديد أسئلة عالجها لويجى بيرانديللو من قبل ، وهى :

« أية سيادة لنا على عواطفنا وأفكارنا وإراداتنا وشخصياتنا ؟ ألسنا كنا خاضعين لضروب التأثيرات النفسية والجسدية وأن ليس لنا وجود شخصى معين ؟ ألسنا وجدنا لنكون تبعاً لأعمال الآخرين ؟ ألسنا نلعب الدور الذى يفرضه علينا مجتمعنا وبيئتنا وضعتنا ، وإننا ننتهى إلى حيث لا نعرف أين نحن ، وإننا لا ندرى ما إذا كانت شخصيتنا الحقيقية هى التى نحلم بها ، وهى التى نحياها ، أو هى التى نتظاهر بها أمام الناس »

اسمع ياصاحبي واصغ إلى ، إن انساناً واحداً في هذا الوجود له السيادة المطلقة على الفكر والعاطفة والارادة الشخصية ، وأنه وحده غير الخاضع لتأثيرات النفس على الجسد ، هو وحده المتمرد على البيئة والمجتمع والعرف والقانون ، هو الفريد في هذا الوجود ، له وجود شخصي معين يعرف البداية كما يعرف النهاية ، هو صاحب الرسالة ، الرسالة التي يضمها الانسان لأخيه الانسان ، رسالة غير منزلة على القلب ، ولا مكتوبة على الحجر ، ولا مبعوث بها مع رسول ، إنما هي أنات المجاميع ، وتوجعات العبيد ، وعويل الاجراء ، يصورها بالقلم ضمير إنسان مثلي ومثلك يشعر بالأنين والوجع والعويل أكثر مما يشعر بها أولئك الصادرة عنهم أنفسهم ، ويحس بالظلم والجبروت والطغيان والقهر الصادرة عن أفراد أشرار يعبثون بالمجاميع ، يلهون ويلغون في جسومهم وأبدانهم ودمائهم كما لو أنها نازلة فيه ومنصبة عليه ، هذا الانسان من الفلائل الذين يحملون رسالة مساواة الانسان بأخيه ، هذا الرسول الذي تتمخض الانسانية فتلده ، لا يمكن مطلقاً أن تقيده قيود إكليريكية ، أو علمانية ، أو تغله سلاسل الملكية أو الاقطاعية ، أو تعوقه البورجوازية أو الرأسمالية لأنه خلق في الأصل لأن يكون صاحب رسالة ! !

شتان ياصاحبي بين رجل روحاني تطوح به الأقدار والمصادفات فتقلبه بين مخالب المادة فتكتنفه من كل جانب فتغرقه بين طيات لذاذاتها ، وبين رجل موهوب لو اجتمعت عناصر الطبيعة ، وأتمر الوجود على طمسه والطغيان على وجوده لسخر من الطبيعة والوجود وبرز كالظاهرة الكوكبية في أجواء الفضاء يلمع ويسطع بين عناصر الكون ليتمها وجوده ! !

شتان بين البارقة من الروح واشعاعاتها كلها ، في كل إنسان نسمة من هذا الروح . أما صاحب الرسالة فهو روح بذاته

ستعود إلى أمريكا وأرجع أنا إلى مصر ، وقد نتلاقى ثانية ، وقد لا نتلاقى لا في هذا العالم ولا في العالم المجهول ، وستبقى أنت كما كنت مجداً في تنظيم مشاريعك الاقتصادية تموه بها على نزعة النسمة من روحك التي أكسدها الاستغراق في المادة ، وسأرجع أنا إلى مثل ما كنت عليه في تصوير الجمال بالألفاظ المتناسقة إرضاء لنسمة الروح المصقولة بانتمائي فيها ، وستلد الأمهات الآلاف مثلك ومثلي ، وسيكون لكل منهم اتجاهه الخاص . نعم ، قد تعوق اتجاهه بعض العوامل الخارجية وتمرغه في إظهار ما في وسع نسمة الروح إظهاره من رسالة ، ولكنها لن تصده عن إتمامها على الوجه المتقن في خصائصها وعناصرها المقننة ! !

كلنا أبناء الطبيعة الهوجاء ، والقدر الأرعن ، والدهر العابث ، كلنا صرعى الفوضى وضحايا التشتت ، إنما الرسول الملهم هو الذي يستجمع من الهوج والرعن والعبث ألواناً زاهية يرسم فيها للحياة صوراً جميلة فاتنة مغرية تجتذب الجماعات المغمورة بالجهالة صوب الغاية من وجود الحياة ! !

* * *

باخرتان : اتجهت الواحدة صوب الغرب تحمل رجلاً ينزف دمه في عبادة المال حيث أربابه هناك ، وألقت الثانية مراسيها في ميناء شرق تعيد إليه عابداً من عباد الحب والجمال والفن حيث آلهتها هنا !

**حبيب الزحلاوي**

# البريد الأدبي

## التعصب اللغوي بعد التعصب الجنسي

ظهرت في إيطاليا أخيراً حركة للعمل على تطهير اللغة الايطالية من العبارات والكلمات الأجنبية ؛ وبطل هذه الحركة كاتب معروف هو السنيور باولو مونيلي ، وقد أذاع دعوته في كتاب شديد اللهجة يدعو فيه إلى تحرير اللغة القومية العريقة من ذلك السيل من الكلمات والعبارات الأجنبية « البربرية » ويعترف السنيور مونيلي بأن هناك كلمات أجنبية في دوائر الأعمال والرياضة يصعب الاستغناء عنها ، ولكنه يرى أنه يمكن الاستغناء عن الكثرة الساحقة من الكلمات والعبارات الدخيلة التي تشوه جمال اللغة الايطالية وتظهرها بمظهر القصور والفقر في حين أنها من أعرق لغات الأرض وأغناها

وهذه الحركة التي يدعو إليها الكاتب الايطالي بالنسبة للغة الايطالية ليست إلا طرفا من الحركة العامة التي ظهرت من قبل في تركيا الكمالية وفي ألمانيا ، ثم ظهرت أخيراً في إيران ؛ ومما يلاحظ بنوع خاص أنها من آثار النظم الطاغية التي تسيطر على هذه الأمم وتمعن في فهم النزعة القومية وتدفعها إلى حدود التعصب الجنسي والعلمي . ففي تركيا تضطرم الحكومة الكمالية بنزعة تعصب عميق نحو الاسلام ونحو اللغة العربية التي هي من أبرز مظاهره ، وتبذل منذ بضعة أعوام مجهوداً عنيفا لاستبعاد الألفاظ العربية من اللغة التركية مع أنها تكاد تتفوق فيها على العناصر التركية الأصلية ، وإحياء الألفاظ التركية القديمة ؛ بيد أنها مع ذلك تضطر إلى الاشتقاق من اللغات الأوربية بكثرة ظاهرة ، مما يدل على أن الغاية الحقيقية ليست تحرير اللغة التركية من الألفاظ الأجنبية ، بل قتل العناصر العربية فيها تحقيقا لبرنامج الكماليين في محو كل آثار للاسلام والعربية من الحياة التركية الجديدة . وفي ألمانيا المتلربة تجرى حركة لاستبعاد الألفاظ الأجنبية وتطهير الجرمانية منها ، وهذه حركة نستطيع فهمها في أمة عظيمة كألمانيا ذات لغة عريقة محدثة ، وإن كانت فكرة المتلربين لا تخلو مع ذلك من عناصر التعصب القومي والجنسي .

كذلك أخذت إيران أخيراً تحذو حذو تركيا في حذف الألفاظ العربية من اللغة الفارسية ؛ بيد أن حكومة الشاه تجرى في ذلك في هوادة واعتدال ، وتؤكد للعالم العربي أنها لا تبغي سوى غاية لغوية ثقافية ترى تحقيقها باحياء مجد اللغة الفارسية القديمة

## كتاب عن ضحايا الثورة الفرنسية

صدر أخيراً بالانكليزية كتاب جديد عن الثورة الفرنسية بقلم دونالد جرير ؛ وعنوانه « حوادث عهد الارهاب » Incidents of the Terror ، فهو إذن يتناول هذه الناحية من حوادث الثورة فقط ، وهي بلا ريب من أخصب نواحي الثورة وأحفلها بالحوادث الرائعة

وقد ظهرت عن الثورة الفرنسية في معظم الآداب الحية كتب ومؤلفات لا حصر لها ، ومنها آثار جليلة شاملة ؛ ولكن الثورة الفرنسية تبقى أبداً موضوعاً للتأمل والدرس ، ولا ينضب معين الطرافة والجدة في حوادثها وأسرارها الدفينة . ومؤلف اليوم ليس قصة ، وإن كان ما يورد من الحوادث يفوق القصص في غرابته وروعته ، بل هو تاريخ محقق من الوثائق والسجلات والمراجع المحترمة ؛ وفيه يقص المؤلف حوادث عهد الارهاب الذي أزهقت فيه عشرات الألوف ، ويصور لنا حالة الفرائس السوقة من الكبراء والنبلاء ، ويسرد حوادث محاكمهم وإعدامهم في روية واعتدال ، وقد انتهى المؤلف إلى القول بأن من أعدموا خلال هذا العهد بواسطة المقصلة يبلغون ١٦٫٥٩٤ نفساً ، وأن هناك عدداً أكبر يقدر بين ثلاثين وأربعين ألفاً هلكوا في السجون من المرض والبرد والمعاملة النفسية ؛ وتقديره النهائي هو أن خمسة وخمسين ألفاً هلكوا ضحية الثورة الفرنسية ، هذا بينما يقدر بعض الباحثين من هلكوا في الثورة الروسية الأخيرة ( الثورة البلشفية ) بخمسين ألفاً فقط ، ويعرض لنا الكاتب في أسلوب قوى شائق العوامل والأسباب التي يعتقد أنها مبعث هذا العنف والسفك المنظم

## مشروع علمي جليل : سلسلة المعارف العامة

اعتزمت لجنة التأليف والترجمة والنشر اخراج كتب لطيفة الحجم يتناول كل كتاب منها موضوعاً خاصاً علمياً أو أدبياً ؛ وترمي بذلك إلى تكوين سلسلة تشمل جميع النظريات الحديثة في الجغرافيا والتاريخ والفلسفة والتربية والطبيعة والكيمياء وغير ذلك ؛ وقد سلكت في ذلك طرقاً مختلفة ، فأحياناً تترجم كتباً أجنبية إذا رأتها صالحة كل الصلاحية ، وأحياناً تؤلف في الموضوع بما يتفق وذوق الجمهور العربي

وقد بدأت هذا الشهر في اخراج ثلاثة كتب

(الأول) عرض تاريخي للفلسفة والعلم تأليف ا . وولف وترجمة الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف ، وهو كما يدل عليه اسمه نظرة عابرة في تاريخ الفلسفة والعلم من بدء نشأتهما إلى الآن

(الثاني) الآراء الحديثة في علم الجغرافيا تأليف ل . ددلى ستامب وتعريب الأستاذ أحمد محمد العدوى مدرس الجغرافيا بالجامعة المصرية

(الثالث) سكان هذا الكوكب تأليف الدكتور محمد عوض أستاذ الجغرافيا في الجامعة المصرية يبحث في سكان الكرة الأرضية من بنى الانسان من حيث نشأة النوع البشرى وتعدد الأجناس ونمو السكان وتوزيعهم على سطح الأرض مع دراسة تفصيلية لحالة السكان ومشاكلهم في مختلف الأقطار

وستخرج اللجنة في شهر فبراير سنة ١٩٣٦

(١) كتاب « البراجماتزم » أو الفلسفة الأمريكية تأليف الأستاذ يعقوب فام

(٢) كتاب « النقد الأدبي » تأليف لاسل أبر كرومبي وترجمة الدكتور محمد عوض

(٣) كتاب « علم التاريخ » وهو بحث في النظريات الحديثة لعلم التاريخ ترجمة الأستاذ عبد الحميد العبادى

وهكذا ستسير اللجنة على هذا النمط في اخراج أجزاء السلسلة تباعاً في فروع العلم المختلفة

وقد شجعت وزارة المعارف العمومية اللجنة على هذا العمل بمساعدتها المالية والأدبية

وترجو اللجنة باستمرارها في هذا العمل أن تكون منه دائرة معارف عامة تشمل كل الموضوعات العلمية والأدبية

رئيس لجنة التأليف والترجمة

أحمد أمين

## تجربة لاختبار الذكاء

قامت بعض دوائر التربية في اليابان بتجارب عقلية لاختبار ذكاء التلاميذ في المدارس الابتدائية ، وجعلت الحد الأعلى لقدرة التلاميذ ١٥٠ درجة واختبرت بهذه الطريقة سبعة آلاف تلميذ فلم ينل منهم الحد الأعلى أعني ١٥٠ درجة سوى ١٦٥ تلميذاً فقط وظهر من التجربة أن اختلاف السن بين الوالدين لا يؤثر تأثيراً سيئاً على الصفات العقلية للنسل ؛ ذلك لأنه وجد بين هؤلاء المائة وخمسة وستين تلميذاً النابغين عدد كبير من الأبناء الذين ولدوا من آباء سنهم بين الثالثة والأربعين والخامسة والأربعين ، وأمهات بين الخامسة والعشرين والسابعة والعشرين . بيد أنه وجد في معظم الحالات أن هؤلاء التلاميذ ولدوا من آباء في نحو الثلاثين وأمهات في نحو الرابعة والعشرين

وقد ظهر أيضاً أن الوالدين الفتيان لم ينجبوا أبناء في منتهى الذكاء ، وأن الزواج الباكر جداً ينتج أبناء لا تتفتح مواهبهم العقلية تفتحاً تاماً ؛ هذا وقد لوحظ مع الدهشة أن الوظفين والمستخدمين الصغار هم آباء أذكى التلاميذ ، ثم يأتي بعدهم التجار ، ثم أرباب الصناعات فالمربون فالأطباء فالعمال

ومما أظهرته التجربة أيضاً أن أذكى التلاميذ هم كذلك أصحهم بنية وجسما

## آثار العمالقة

يقدم إلينا القصص القديم كثيراً من سير العمالقة والمخلوقات الضخمة التي لم تعرفها عصور التاريخ المدون ؛ والظاهر أن أولئك « العمالقة » لم يكونوا مجرد خيال فقط صوره القصص القديم ؛ ففي الأنباء الأخيرة أنه اكتشفت في منطقة مانيتوبا في كندا (أمريكا الشمالية) هياكل بشرية ضخمة يبلغ طولها نحو ثمانية أقدام (نحو مترين وثلاثة أرباع المتر) ، واحدها في حالة جيدة من الحفظ ، وكان اكتشافها على عمق أربعة أقدام في أحد المحاجر التي تستغل في تلك المنطقة

وقد استدعيت بعثة من الاخصائيين من علماء التشريح وعلم طبقات الأرض برآسة الأستاذ ديلورى أستاذ علم طبقات الأرض بجامعة وينبج ، فصرح بعد بحث المها كل أنها ترجع إلى عدة آلاف من السنين ، وأنها تنتمى إلى جنس من الماهقة كان يسكن غرب كندا قبل مجيء الهنود الحمر بأحقاب بعيدة

هذا عن الماهقة من بنى الانسان . أما المخلوقات الضخمة التى يذكرها القصص القديم ، فتدل الابحاث العلمية الحديثة على أنها كانت توجد فى غابر الأزمان فى بعض جهات الصين وأفريقية الجنوبية كما تدل على ذلك بقايا العظام والمها كل الضخمة التى اكتشفت فى تلك الأنحاء . وأما الأحياء المائية الضخمة فما زالت توجد حية فى بعض البحار وإن كانت قد غدت نادرة بحالة تؤذن أنها أضحت على وشك الانقراض

**أثر خطى نفيس**

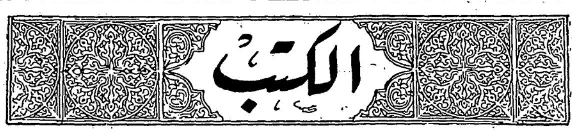
لا تزال الأديرة القديمة فى مختلف أنحاء أوربا تحتفظ بكنوز من الآثار الخطية القديمة ؛ ومن هذه الأديرة دير كرمز منستر بالنمسا ، فهو يحتفظ بطائفة من مخطوطات العصور الوسطى ؛ وفى الأنباء الأخيرة أن مكتبة الدولة فى باڤاريا قد حصلت من هذا الدير على مخطوط أثرى نفيس للشاعر الألمانى هينريخ فون منخن وهو مخطوط يرجع إلى القرن الرابع عشر ، وفيه قصص شعرية رائعة مأخوذة من التوراة ، وقصص أخرى من العصر القديم حتى عصر كارل الأكبر ، وقد تولى شراءه لحساب مكتبة باڤاريا الهير فون بابن سفير ألمانيا فى النمسا

**وفاة مؤلف موسيقى**

من أنباء فينا (النمسا) أن المؤلف الموسيقى الشهير البان برج قد توفى ، وكان مولده فى فينا منذ خمسين عاماً ، ومع أنه من تلاميذ المدرسة الأمبراطورية القديمة ، فانه نحا فى التأليف الموسيقى نحواً جديداً ، وله مقطوعات موسيقية كبيرة ، وقطعة «أوبرا» تسمى «فوتسك» نالت نجاحاً عظيما ، وكان إلى ماقبل وفاته بأيام قلائل يقود حفلاً موسيقياً عظيما فى أحد مسارح فينا الكبرى ، فأثارت طريقته الجديدة استحساناً عظيما كما أثارت نقداً عظيما ، ويرى النقدة أنه لم يبلغ ذروة قوته وفنه ، وأن الموت عاجله ، فأصابت الموسيقى النمسوية بفقده خسارة لا تعوض

**جوائز أدبية نمسوية**

ومن أنباء النمسا أيضا أن جائزة الدولة النمسوية عن الأدب لسنة ١٩٣٥ قد منحت إلى الأستاذ بركونج ، ومنحت جائزة الدولة للموسيقى إلى الأستاذ يوسف مسنر رئيس فرقة سالزبورج الموسيقية ؛ ونال جائزة التأليف الموسيقى المؤلف الموسيقى الشهير الدكتور فريدريخ ريدنجر



# كتاب اللآلي*

## شرح أمالي القالي

للأستاذ أحمد أمين

أخرجت المطابع الشرقية، آلاف الكتب العربية، ولكن — مع الأسف — لم يكن الاخراج في أكثر الأحيان على نمط علمي ولا قريب منه؛ فكثير من الناشرين تجار لا علماء، يهمهم الربح أكثر مما تهمهم الدقة والضبط، فهم يعهدون في تصحيح كتبهم إلى من ليسوا محل ثقة، ولا أمانة، فلا يكلفون أنفسهم عناء جمع النسخ من الكتاب ليستعينوا بها، بل يعتمدون على نسخة واحدة وقد يكون غيرها خيراً منها، ثم لا يرعون الأمانة فيما بين أيديهم. فقد لا يفهمون جملة فيغيرونها أو يحذفونها، وقد لا يستطيعون قراءة كلمة فيضعون كلمة أخرى من عندهم محلها، من غير إشارة ولا تنبيه، فخرج كثير من الكتب وعدمها خير من وجودها، والنار أولى بها من المكتبات. وأمامي الآن وأنا أكتب هذه السطور كتاب الحيوان للجاحظ فلا أستطيع أن أقرأ صفحة منه من غير أن أعثر فيها على عدة عثرات، من نقص، إلى تصحيف، إلى زيادة حرف، إلى لحن، إلى ما شئت من كل ضروب الخطأ — مع أن في مكاتب العالم نسخاً يمكن بموازنتها اخراج نسخة أقرب إلى الضبط وأدنى إلى الكمال. ومثل كتاب الحيوان غيره من الكتب الأخرى يطول القول بتعدادها، فنحن إذا عددنا الكتب الصحيحة أو القريبة من الصحة سهل علينا عدها، وإذا عددنا السيئة المغلوطة أعيانا العد، وقد أعرنا بعض العناية لكتب الحديث كالبخاري ومسلم، وكتب اللغة كالقاموس واللسان. فأما غير هذين النوعين فقد كان مجال الخطأ فيه فسيحاً وفي ميدانه متسع للجميع

وقد سبقنا المستشرقون في النشر وطرقه بمراحل ووضعوا له قواعد وأصولا؛ ولست أنسى المحاضرات القيمة التي ألقاها في سنة المرحوم «برجستراسر» في كلية الآداب بالجامعة المصرية في كيفية معارضة النسخ القديمة بعضها ببعض وكيفية النشر وما يجوز للناشر وما لا يجوز ... الخ

وكان كثير من الكتب التي أخرجها المستشرقون مثالا صالحاً، لأنهم يعدون نشر الكتاب من الناحية العلمية لا يقل قيمة عن التأليف، فالعالم كما يعد من مفاخره أنه ألف كتاباً، يعد من مفاخره كذلك أنه نشر كتاباً؛ وكما لا يضن بجهده ووقته فيما ألف، لا يضن بهما في ما ينشر. ومن الأوليات عندهم أن يجمعوا كل النسخ من الكتاب الذي يريدون نشره من مكاتب العالم ما استطاعوا، ويصرفوا الزمن الطويل في مقابلة بعضها ببعض والتعليق عليها وضبط أعلامها وغريبها، ولا يألوا جهداً في إيضاح الغامض وتبيين المشكل، ووضع الفهارس للأعلام والبلدان وما إلى ذلك. فلا عجب أن يصرف الأستاذ «ريت» عشر سنوات في تصحيح كتاب الكامل للمبرد ونشره لأول مرة؛ وفضله وجهده ظاهران في الطبعات المصرية التي نشرت بعد، حتى سهل على العالم أن يدفع الثمن الغالي لكتاب طبع طبعة أوربية ولا يدفع الثمن البخس في طبعة له مصرية. إن شئت فوازن بين كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة المطبوع في أوربا والمطبوع في مصر، فهو في مصر ناقص أكثر من نصفه، ومحرف تحريفاً شنيعاً، وهو في أوربا كامل مضبوط صحيح بقدر الامكان

ومما نغتبط له أن نرى من أهل اللغة العربية أنفسهم من حذا حذو المستشرقين في نشر الكتب، بل فاق بعضهم أحياناً، فبذل الجهد في التصحيح والتعليق ومعارضة النسخ وعمل الفهارس،

* هذا الكتاب يقع في ثلاثة أجزاء وستصدره لجنة التأليف والترجمة والنشر في ١٠ فبراير سنة ١٩٣٦

وهذه طليعة حسنة نرجو أن تستمر وترقى . فرأينا مثلا من ذلك فيما تنشره دار الكتب من كتاب الأغاني ونهاية الأرب وغيرهما ، وفيما تنشره لجنة التأليف من كتاب السلوك للمقريزي

ولعل من أجل الأعمال في هذا الباب ما فعله صديقنا الأستاذ عبد العزيز الميمني في نشر كتاب اللآلي في شرح أمالي القالي للوزير أبي عبيد البكري ، فقد اختار كتاباً للنشر فأحسن الاختيار ، لأن كتاب الأمالي عدّ — من قديم — أصلا من أصول الأدب التي اعتمد عليها الأدباء في العصور المختلفة إلى الآن ، وقد كان النواة الأدبية الأولى التي بذرها أبو علي في بلاد الأندلس من علوم الشرق فنمت وأثمرت ونضجت وآتت أكلها كل حين بإذن ربها . وقد كانت أماليه المدرسة التي تخرج عليها مشهورو الأدباء في الأندلس ولقيت منهم من العناية ما هي جديرة بها . وكان للأمالي طابع خاص غير الطابع الذي غلب على أمثالها من كتب الأدب كالبيان والتبيين للجاحظ ، والكامل للمبرد ؛ فكتاب البيان والتبيين طابعه مختار من الأدب صبغ بصبغة الجاحظ من ميل للاستطراد الكثير وتحدث في الشؤون الاجتماعية ، واقتباس من الثقافات الأجنبية ، كالثقافة الفارسية والهندية واليونانية ، وميل إلى الفكاهة والاحماض ؛ وكتاب الكامل غلبت عليه طبيعة المبرد من ميل إلى النحو والصرف ، لأن المبرد كان أديباً نحوياً فأحسن ما يعجبه من الأدب ما استطاع أن يخرج منه إلى مسألة نحوية أو صرفية ، ثم يطيل النفس في ذلك حتى كان الكتاب كتاب نحو ؛ وهو لا يستطرد في الشؤون الاجتماعية كما يفعل الجاحظ ، ولكنه يعني بالثقافة العربية مصبوغة بالصبغة النحوية ؛ فمظهر الجاحظ مظهر المتكلمين من سعة الاطلاع وتفتيق الموضوع ، ومظهر المبرد مظهر النحو بين الأدباء من تشقيق اللفظ وتخريجه واعرابه واستعراض معاني الكلمات في أوضاعها المختلفة

أما القالي فقد غلب عليه الأدب واللغة أكثر من غلبة النحو والحديث ؛ وأكثر ما ألف في اللغة والأدب ، فقد ألف البارع في اللغة ، وشرح المعلقات ، وكتب في الابل ونتاجها ، والخيل وشياتها الخ . فثقافته ثقافة عربية لغوية ؛ ثم هو ليس عربياً كالجاحظ والمبرد بل هو مولى للأمويين : كان جده سلمان مولى لعبد الملك بن مروان ، ولعل هذا ما حدا به إلى أن يرحل من الشرق إلى دولة مواليه الأمويين في الأندلس ؛ وهذا يميزه عن الجاحظ والمبرد بأن علمه كان علم حفظ وجمع ورواية لا تعتمد على السليقة كما يعتمدان . فهو إذا أراد أن يخطب أرتج عليه ، ولكنه في درسه واسع العلم غزير الرواية ، وكان كتابه الأمالي مظهراً لذلك ، ينقل القطعة المختارة من العرب في شعرهم ونثرهم وحكمهم وخطبهم ووصاياهم — وأكثر ما ينقل عن أستاذه أبي بكر بن دريد — ثم يتبع نقله بتفسيره لما ورد في القطعة الأدبية من ألفاظ لغوية ، ويشتق الكلمة اللغوية ويبين معانيها ، وكثيراً ما يستشهد على معنى الكلمة ببيت من شعر قديم أو مثل سائر أو نحو ذلك

وكتابه يمتاز بأنه يروي كثيراً من القصص العربية الأدبية ، وهي نزعة أتت له من ابن دريد ، فقد كان على ما يظهر محباً لهذا النوع من القصص اللطيف . فأكثر ما يرويه القالي في أماليه من هذا القبيل : فأعرابيات يصفن آباءهن ، ومحاورة للفرزدق مع بعض الأعراب ، ووصف أعرابي للدنيا وقد سئل عنها ، ووصايا رجل لبنيه ، وامرأة لبناتها الخ ؛ فمختاراته ليست جافة جفاف « الكامل » ، ولا أدباً بحتاً كأدب « الكامل » ، إنما هو أدب فرش له فرش جميل وأعد له إعداد أنيق . لم يجرد فيه الظروف من ظرفه ، ولم تسلب فيه الحسناء حليها ؛ وقلّ أن يتعرض فيه للنحو والصرف الثقيلين كما يفعل المبرد ، ولا للاستطراد الخفيف الروح كما يفعل الجاحظ . إنما خفة روح الأمالي من نمط آخر غير نمط البيان والتبيين ، نمط فيه التاريخ والقصص والأساطير أحياناً ممزوجة بالأدب ، ثم تفسير لما ورد فيها من غريب اللغة

ولكن أخذ عليه بعض أشياء في تأليفه ، فجاء أحد مواطنيه وهو أبو عبيد البكري الأندلسي أمير لَبْلة وصاحب جزيرة شاطيش ، فأراد أن يخدم الأمالي بتكميل نقصها ، وتحلية عاطلها ، فألف في ذلك « كتاب اللآلي في شرح أمالي القالي » وأجمل غرضه فيما قدم بين يدي كتابه فقال : « هذا كتاب شرحت فيه من النوادر التي أملاها أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي ما أغفل ، وبينت من معاني منظومها ومنثورها ما أشكل ، ووصلت من شواهدها وسائر أشعارها ما قطع ، ونسبت من ذلك إلى قائليه ما أهمل ... وذكرت اختلاف الروايات فيما نقله ذكر مرجح

ناقد ، ونبهت على ما وهم فيه تنبيه منصف لا متعسف ولا معاند ، محتج على جميع ذلك بالدليل والشاهد ، والمستعان الله »

ثم جاء الأستاذ عبد العزيز الميمني الهندي أستاذ اللغة العربية بجامعة عليكره فقام في هذا الكتاب مقاما يستحق الاعجاب حقا ، ويستحق التقدير حقا ، وقد دلنا منه على علم غزير واطلاع واسع وإن لم يكن ذلك خافياً علينا من قبل

فقد أخرج كتاب « اللآلى في شرح أمالى القالى » اخراجاً علميا على النمط الذى ننشده ، فعارض بين نسخه المختلفة من مكية وألمانية ؛ وبذل أقصى الجهد في تصحيحها ، ولاقى عرق القربة في ضبط أعلامها وبلدانها وأشعارها وغريبها ، ووقف في كثير من المواضع موقف الحكم بين أبي على وأبي عبيد ، ينتصر لهذا حيناً وذاك حيناً بالدليل والبرهان ؛ ورأى أن أبا عبيد البكرى اقتصر في شرحه ونقده على كتاب الامالى دون الذيل فوقف الميمني موقف البكرى في ذلك ، وشرح الذيل ونقده — وراجع في كل ذلك مئات من أمهات الكتب . وسيعجب القارئ كيف وقف على الأبيات المختلفة المنتثرة في هذه الكتب العديدة وعرف مواضعها ، ووفق إلى استخدامها ، ثم ختم ذلك بتصحيح أغلاط وضبط روايات ، وتقييد زيادات ، لكتاب الأمالى وذيله المطبوع في مطبعة دار الكتب ؛ فأوفى في ذلك كله على الغاية

ومنطقه في أحكامه على القالى والبكرى منطق صحيح غالباً ، وإن أخذ عليه شيء فاستعماله أحياناً عبارات قاسية في النقد مثل « أغلاط مستنكرة » و « متناهية في الاستبشاع » ونحو ذلك مما كنا نود أن يرقى فيه قلمه

وعلى كل حال فقد أسدى « الميمنى » إلى اللغة العربية خدمة لا تنكر ، وقدم مثلا للنشر يجب أن يحتذى

وكان من فضل كتابه أنه « عصبة أمم » في كتاب ، فأبو على القالى شرقى استوطن قرطبة ، والبكرى أندلسى الأصل والنشأة ، و « الميمنى » هندى ، ولجنة التأليف ناشرة الكتاب مصرية . فأنعم بهذه الرابطة بين القديم والحديث ، وبين المحدثين في أوطانهم المتنائية وأرواحهم المتقاربة !

أحمد أمين




4 me Année, No. 136.

Lundi-10-2-1936

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات

٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة

تليفون ٤٣٠١٣

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع المبدولى رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٣٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ ذو القعدة سنة ١٣٥٤ — ١٠ فبراير سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة


## فهرس العـــدد



على ذكر حوادث دمشق

# تاريخ يثـــور ...

على ضفاف الوادى ، وهضاب فلسطين ، ورياض سورية ، يثور تاريخ ، ويغضب مجد ، ويستغيث مظلوم ... ! !

على الوطن الذى ورفت على نيله أول حضارة ، والبلد الذى هبط على طُوره أول دين ، والقُطر الذى انبثقت من ساحله أول ثقافة ، تُمتحن الحرية بمن فرضوا على الملك أول دستور ، وتُمتهن العدالة ممن حملوا لله أول كتاب ، وتُبتلى الانسانية بمن أعلنوا للانسان أول حق ... ! !

على هذه الأقطار الثلاثة التى شع منها السلام والاسلام والخير ، يستكلب الطمع ، ويشتجر الهوى ، وينفجر البغى ؛ فالمفاوضات وعيد ، والاحتجاجات حديد ، والمواعيد مراوغة ، كأنما عيَّ المنطق من طول ما مارس العلم ! ومات الضمير من كثرة ما دارس الخُلق ! وزهق العدل من شدة ما زاول القانون ! !

فى القاهرة وأورشليم ودمشق ، شباب يحمىَ على لذع البنادق ، ودم يفور على مسِّ الأسنة ، وأمل يشرق فى الوجوه الوضيئة ،

وطموحٌ يومض فى العيون الرغيبة ، وماضٍ تميز فى إبهام الدهر ، يتمثل فى الأذهان الصافية ، ومجدٌ تأثّل فى أربعة عشر قرناً يعصف بالنفوس الفتيّة ! فماذا تصنع مُدية اللص فى قلب تدرَّع بالايمان ؟ وماذا تبلغ سطوة الباطل من حق تسجَّل فى لوح الزمان ؟!

* * *

يا لله ! ألم يأن لدعاة المدنية ... وحماة الحرية ... ورسل السلم .. أن يروضوا عقولهم على الحقيقة ، ويفتحوا عيونهم على الواقع ؟! إن هذا الشعب الذى تتحلب أفواههم قَرَماً لأكله ، لا يزال يعيش فى ملك آبائه الفاتحين ، ولا يزال مطوىّ الحنايا على العزيمة التى قبض بها من قبل على زمام الدنيا ، وشارك فى تصريف الأقدار ، وأملى إرادته على سجل الزمن ! إن حلمه لثقيل ، ولكن غضبته مفزعة ؛ وإن نومه لطويل ، ولكن يقظته مروّعة ! إنه على اختلاف أقطاره لا يزال يحمل فى نفسه سر (الجزيرة) التى يعيش فيها الجمل الوقور الصابر ، والأسد الهصور المتوثب !!

إن فى كبد أوروبا جمرة من العرب منذ غزتها بالدين والمدنية والعلم سفائنُ طارق ! ولقد انطفأت البراكين ولما تنطفئ هذه الجمرة ! أجلت العرب عن أرضها بالبربرية الهوجاء ، والتعصب الحاقد والقسوة الجامحة ، ثم كتّبت الكتائب الخائنة وغزتهم فى عقر بلادهم باسم الدين المظلوم فى عهد (صلاح الدين) ، ثم بالعلم المسموم فى عصر (عبد الحميد) ، ثم بالمدنية المغشوشة فى عهد (عصبة الأمم) ! فما كان الدين والعلم والتمدن إلا ألفاظاً حُملت بالكره على معانى الثأر والاستعمار والغصب ! ثم أغروا بنا الجهالة والمجاعة والفوضى ، ومضوا فى ظلال الأمن ، يعقدون من دمائنا الذهب ، ويتخذون من لحومنا القوت ، حاسبين أننا مخدَّرون بالأباطيل فلا نفيق ، مُثقلون بالتقاليد فلا ننهض ؛ ولكن المدن يا غُلفَ القلوب كريم ! وهذا الذى يعلوه غبار لا صدأ ! وهاهى ذى سياسة الارهاب والاغتصاب تجلوه عن شباب عرفوا كيف يموتون ، أكثر مما عرفوا كيف يعيشون ! ! وهاهم أولاء يمشون على ما بلى من هياكل الشيوخ ، كما يمشى المَرحون على ما جف من سَقَير الشجر ! ! إنهم يسرعون الخطى إلى الربيع الباسم والجو الطليق ، وفى أسماعهم المرهفة دوىٌّ لا ينقطع بهذا الهتاف : « لقد فتح آباؤكم ثلاث قارات فى ربع قرن ، أفتعجزون عن تحرير ثلاثة بلاد فى نصف قرن ؟! »

* * *

إن شباب العرب مصريين وسوريين قد أخذوا موثقهم من الدم الشهيد أن يعيشوا أعزة أو يموتوا كراماً ! فلا تتحدَّوا بالعذاب السفيه جنساً برمته وتاريخاً بأسره ، ولا تعبثوا بالمعاجم التى تعب فيها اللغويون والمجامع فتسموا النهب تنظيما والقتل تعليما والغزو صداقة ! جربوا الصداقة بمعناها اللغوى الصحيح تَفِرُوا المال والرجال والسمعة ، فأن هذا الشعب الذى وقعتم فى صفوه ، وتعبتم من غزوه ، ويئستم من خداعه ؛ كان له فى السياسة العالمية شأن ، وفى اللغة الدولية اصطلاح ، وفى قيادة الانسانية محل ، ومن اصلاح المجتمع نصيب ! فهو يفهم الصداقة ، ويَقدِر المعاونة ، ويكبر التضامن ، ويعقد صلاته بالناس على ضوء شريعته وقرآنه !

إن سلام الشرق منوط بسلام العرب ؛ وإن السلام والاسلام لفظان مترادفان على معنى واحد ؛ وليس من معانى السلام المهانة ، ولا من دلالات الاسلام الاستكانة ! إنما هما الحياة القائمة على الحرية والإخاء والمساواة ، وهى الأقانيم الثلاثة التى رسمتها الثورة على علَمكم المثلث !

بغير هذا لا يرضى العرب ! وبدون هذا لا يحيا العرب ! فراجعوا فى سياستكم العقل السالم من الهوى ، والضمير الخالص من الرِّيبة ، وحكموا بينكم وبينهم مبادئ الناس ، فانهم — كما تحسون وتلمسون — من الناس ! !

أحمد حسن الزيات

# في وقع المـــوت

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

ضمني مجلس قال أحد من فيه -- وقد ذكر بعضنا وفاة الملك جورج الخامس ، وقول الأطباء إنهم لم يشهدوا أعراض مرض معين ، وأن قواه كانت تهبط شيئاً فشيئاً — : « إن من الصعب على الانسان أن يواجه الموت وهو محتفظ بعقله » ، فقال آخر إن الذي يخفف عنه في هذه الساعة أنه يستسلم للموت ولقضاء الله فيه ، فسألته : « هل معنى هذا أنه يقبل على الموت راضياً ويتلقاه مغتبطا ؟

فكان جوابه : « نعم . . . . يستسلم فيفقد الموت لذعه ورهبته » . . . ولست طبيباً ولا شبهه ، ولكني لا أرى هذا ولا أستطيع أن أقتنع به ؛ وعندي أن الانسان لا يزال إلى آخر عمره يثور على الموت ويجاهد أن يدفعه عنه ويقي نفسه منه ؛ ولكن جسمه يفقد الحيوية فتذهب معها الارادة — لا ارادة الحياة ، فانها لا تفارقه أبداً ، بل ارادة المقاومة والكفاح بعد استنزاف القوة ، ويظل المرء كارهاً للموت مشتهياً للحياة متعلقاً بها ، ولكنه يعرف من نفسه أنه لم يعد قادرا على المجاهدة ، ويخطئه العون اللازم من الجسم فيكون كالذي فقد في المعركة سلاحه ، أو فرغت ذخيرته والأعداء مطبقون عليه ، فيوطن نفسه على الموت يأساً من النجاة

والمرء إنما يقاوم الموت بجسمه ، وقد يستطيع بقوة الارادة أن يطيل أمد المقاومة ؛ ولكن استمرار المقاومة معناه أن جسمه لا يزال محتفظاً ببقية من القوة مذخورة — بالغة ما بلغت من الضآلة — وبهذه البقية يستطيع أن يجعل لارادته أثراً ولمقاومته لعدوان الموت مظهراً ، فاذا زالت هذه البقية ونضب المعين ، لم يبق للارادة عمل ، لأن الأداة التي تعمل بها الارادة تكون قد فنيت وذهبت

ولا فرق هنالك بين من يكافح الموت — في الأحوال العادية الطبيعية — وبين من يقاتل مع جيش . فكما أن الجندي يثبت ويصمد ويتسنى له أن يكر ويفر ، ويهاجم ويدافع ما بقي معه سلاحه وعدته ، حتى إذا فقد ذلك لم يبق له عمل ، كذلك يكون المرء حيال الموت الذي يدلف إليه ويدنو منه على الأيام ليثبت عليه آخر الأمر . وكل ما هنالك من الفرق أن الموت كامن فينا ، وأن أداته الضعف الذي يصيبنا ، والهرم الذي يدركنا ، والعجز الذي يستولي علينا في النهاية ، فهو ليس عدواً يهجم علينا ، بل حالة نصير إليها حينما تنفد الحيوية لسبب من الأسباب

وقد راقبت الموت أكثر من مرة ، وشهدت كثيرين وهم في سياقه ، ثم ماتوا بين يدي ، وكان الموت في هذه الحالات كلها على أثر نضوب الحيوية ونفاد القدرة على المقاومة . وكانت إحدى الميتات بسبب النزف ، فظل العقل حاضراً لا يغيب ولا تغيم سماؤه ، ولا يتعكر صفوه ؛ وكان الاحساس بدنو الأجل قوياً ، ولا شك أن الرغبة في الحياة كانت عظيمة ، والجزع من الفناء كان شديداً ، ولكن الجسم لم تكن له قوة تستخدمها الارادة ، فخرج النفس الأخير في سلام ومن غير أن يبدو للناظر أثر للصراع . وبأي شيء يكون الصراع ؟ ؟

وميتة أخرى شهدتها ، كان الصراع فيها كأعنف ما يمكن أن يكون ، لأن الجسم بوغت بعدوان المرض المنذر ، فتنبه فيه كل كامن من قوته ، وهبت إرادة الحياة تدفع هذه الغائلة ، وكان يخيل إلي وأنا أنظر ، كأن انساناً ألقي به في الماء وهو لا يعرف من السباحة إلا لفظها ، وكما يفعل المرء حين يلقي نفسه في الماء ويخشى عليها الغرق ، فتراه يضرب بيديه ورجليه بغير حساب أو تفكير ويهز رأسه هزاً عنيفاً ، وينفخ ويرغي ، كذلك كنت أرى أمي لما أصابتها الذبحة ؛ وسكنت الآلام بفضل العلاج يومين ، وبدأنا نستبشر ، ولكن النكسة جاءت ، أو لا أدري ماذا حدث ، فجعلت نوبات من الاختناق تعتريها ، وبينها في أول الأمر فترات طويلة جعلت تقصر شيئاً فشيئاً حتى صارت دقائق . وكانت أول الأمر تقاوم الاختناق بشدة ، وتعالج التنفس بجهد عنيف ، يظهر أثره في كل عضلة من عضلات الوجه والعنق ، وفي اضطراب الصدر وخفق القلب ، وفي دفع اليدين والرجلين ؛ وكان همي أن أقوي إرادة الحياة في نفسها وأن أمدها بما يكفي من الأمل والثقة والشجاعة ، ولكن كرات الاختناق أوهت قوتها واستنفدت مجهودها ، ولم يفارقها الحرص على الحياة ، والنفور من الموت ، وإنما خذلتها قواها ؛ ولم يذهب عقلها ولا ضعف أو كل ، ولكن ما خير العقل وما غناؤه وحده ؟ ؟

وبأى شيء يشتد أزره؟ فلما جاءت آخر النوبات كان كل ماوسع الجسم أن يكافح به هذه التارة أن الشفة السفلى اختلجت مرة أو مرتين ، فهمد الجسم وكف القلب عن النبضان وانقطعت الأنفاس

وقد سقت هذه الأمثلة لأقول إن الانسان لا يستسلم ولا يزهد فى الحياة ، ولا تفتر رغبته فيها ، ولا يضعف كرهه للموت واستهواله للفناء ، ولكنه لا يجد مؤازراً من جسمه فييأس ؛ وليس هذا استسلاما وإنما هو إدراك لحقيقة بغيضة لا يبقى مفر من مواجهتها وتوطين النفس عليها ، والاذعان لها كرها . وخليق بهذا أن يكون مؤلما ، ولكن فترته أقصر من أن يكون للألم فيها قيمة أو حساب ، وعلى أن عجز الجسم عن المقاومة ، يذهب فى رأيى بالألم ، لأن الألم فيما أعرف نوع من الاستجابة لوقع الشيء أو الحالة ، ومتى فقد الجسم القدرة على الاستجابة للمؤثرات فانه يفقد أيضاً قدرته على الاحساس بالألم أو الحزن أو الجزع أو الفزع ، لأن شعوره بذلك يقتضى أن تكون هناك بقية من الحيوية ، ولو كانت هناك بقية ، لاستمرت المقاومة ولظلت رحى الكفاح بين الحياة والموت دائرة

فلست أوافق الذين يستهولون أن يكون المرء مدركا لمجيء الأجل ، لأن إدراك المرء لذلك ، معناه أنه يدرك أن جهده نفد ، وأن معين حيويته نضب وجف ، وهذا الادراك وحده وبمجرده ، رياضة سريعة للنفس على السكون الى المصير المحتوم ، لأنه إشاعة للموت فى الجسم قبل تجربة وقعه ، فكأن الانسان يوحى إلى نفسه الموت — بفضل هذا الادراك وبقوته — قبل أن ينزل به ، فاذا زاره الفاه مستعدا له ، مهيأ لتلقيه ؛ والادراك تهيؤ ، والتهيؤ ينفى الألم ويسل اللذع

ومن هنا كانت الشيخوخة — أى الضعف — والمرض الطويل أو المضنى ، بمثابة التدريب على الموت . وكل امرىء يقرن الشيخوخة أو المرض بالموت ، ولا يستغربه حين يحل بالهرم أو الذى خامره الداء ، ولكن موت الشاب يصدم النفس ويرجها ، لأن الشباب — وهو أوان الحيوية الزاخرة — لا يقترن فى الأذهان بفكرة الموت . أما الشيخ الهم فان كل من يراه يجرى بخاطره أنه هامة اليوم أو غد ، وأخلق أن يكون الموت أقرب الى خاطره وأجرى بباله ، وأشد مثولا وأكثر حضوراً ، لأنه أحس بنفسه وأدق ادراكا لما خسر من قوته ، وعلما بما صار اليه من الوهن والفتور بالقياس الى ما كان عليه من المنة والنشاط والخفة والمرونة . ويألف المرء الضعف واليبس فيألف المصير الذى يرى نفسه ينحدر اليه بسرعة أو على مهل ، فيكون هذا كالرياضة له على السكون الى المآل المحتوم ، وهذا هو معنى قولى إن الشيخوخة أو المرض تدريب على الموت

وهذه الرياضة النفسية — أو التدريب الذاتى — على الموت أفعل وأوقع من كل ما يشاهده الانسان من عدوان الفناء على الحياة فى مظاهرها المختلفة . وأحسب أن المرء حين يرى غيره يموت ، أو يسمع بذلك ، يستثنى نفسه من هذا المصير وإن كان على يقين جازم من أنه حتم لا رادّ له ولا حيلة فيه ؛ ولعله فى ضمير الفؤاد يهنىء نفسه بالنجاة ويشكر الله على أن الموت لم يخطفه هو ، وعسى أن يكون الأمل المستمد من غريزة المحافظة على الذات هو الذى يغريه بالتعلق بوهم الاستثناء المستحيل ، وهو على كل حال يخفف وقع الخبر ، ويجعله محتملا ، ويذهب ببواعث الجزع على النفس قياساً على المشهود

ولكن قدرة المرء على مغالطة نفسه تضعف أمام دبيب الموت اليه على الأيام . ذلك شيء يحسه فى نفسه فلا سبيل إلى تجاهله والاغضاء عنه . وكيف يسعه أن يتجاهل اليبس الذى فى أعضائه ، والتصلب الذى فى شرايينه ، والفتور الذى يجدوه ، والضعف الذى يعتريه حين يهم بأيسر الأشياء ، والعجز عن احتمال ما كان يمر به فلا يعيره لفتة ، الى آخر ذلك؟ ؟ وكل يوم يمضى به يزيده وهنا على وهن ، ويدنيه من القرار الذى يأتى نفسه هابطا اليه ، فلا يبقى سبيل الى مغالطة النفس . وكل ما يقدر عليه أملا هو أن يرجو أن ينسىء الله فى أجله ، على الرغم مما يكابد من ذلة الشيخوخة ومهانة الضعف والحاجة المتفاقمة إلى الاسناد . فهو مضطر أن يوطن نفسه على الموت ، وأن يقصر الأمل على طول المهلة ، وليس أجدى عليه ولا أفعل فى تخفيف وطأة الموت من هذه الرياضة البطيئة . ومن هنا كان موت الفجاءة مزعجاً لنفوس الأحياء ، لأن صدمته لما تجيء على غير انتظار . والله أعلم ، فما جربّ الموت أحد وعاد الينا ليقول لنا كيف كان وقعه — هذا طريق لا يحمل المسافر فيه « تذكرة » ذهاب وإياب ، كما يقول ويندل هولمز

ابراهيم عبد القادر المازنى

# الوزير ابن كلس

## واضع الحجر الأول في صرح الجامعة الأزهرية

للأستاذ محمد عبد الله عنان

سألني سائل كيف نشأت صفة الأزهر الجامعية، ومن صاحب الفضل الأول في اسباغها عليه؟ فرأيت أن أنتهز هذه الفرصة لأعرض في هذا الموضوع شيئاً من الشرح والتفصيل

ويجب أولا أن ننفي فكرة ذائعة، هي أن الجامع الأزهر أنشيء ليكون جامعة أو معهداً للدرس، فليس ثمة في ظروف انشائه ما يدل على أنه أنشيء لمثل هذه الغاية، وإنما أنشيء الجامع الأزهر ليكون مسجداً رسمياً للدولة الفاطمية في حاضرتها الجديدة، ومنبراً لدعوتها، ورمزاً لسيادتها الروحية. أما فكرة الدراسة بالأزهر فقد كانت حدثاً عارضاً ترتب على فكرة الدعوة المذهبية الجديدة؛ ففي صفر سنة ٣٦٥ هـ، في أواخر عهد المعز لدين الله منشيء الأزهر، ولنحو أربعة أعوام من انشائه، جلس كبير القضاة علي بن النعمان القيرواني بالجامع الأزهر وقرأ مختصر أبيه في فقه الشيعة في جمع حافل من العلماء والكبراء، فكانت هذه أول حلقة للدرس عقدت بالجامع الأزهر؛ ثم توالت حلقات بني النعمان بالأزهر بعد ذلك؛ وكان بنو النعمان من أكابر علماء المغرب الذين اصطفتهم الخلافة الفاطمية وجعلتهم دعاتها وألسنتها الروحية، فلحقوا بها إلى مصر، واستأثروا في ظلها برياسة القضاء زهاء نصف قرن؛ وكانت الخلافة الفاطمية تعتمد في توطيد سلطانها بمصر على عصبيتها المغربية، ثم على صحبها وخاصتها من الموالي الأجانب وجماهير من الصقالبة؛ وكانت حلقات أولئك العلماء المغاربة بالأزهر حلقات دعاية روحية وسياسية، تعقد في الغالب للأكابر والخاصة، ولم تكن لها في البداية صفة الدرس العام

كانت هذه بداية جامعية في معنى من المعاني، بيد أنها لم تكن عامة ولا مستقرة؛ ولكن حدث في عهد العزيز بالله حدث جامعي آخر؛ ففي رمضان سنة ٣٦٩ هـ جلس يعقوب بن كلس وزير المعز لدين الله، ثم وزير ولده العزيز من بعده بالجامع الأزهر، وقرأ على الناس كتاباً ألفه في الفقه الشيعي؛ وكان ابن كلس كما سنرى شخصية ممتازة، تجمع بين السياسة والعلم، وكان نصيراً كبيراً للعلماء والأدباء؛ وكان يعقد مجالسه الفقهية والأدبية تارة بالأزهر وتارة بداره فيهرع اليها العلماء والطلاب من كل صوب، وكانت في الواقع أول مجالس جامعية حقة عقدت بالجامع الأزهر

والظاهر أن ابن كلس كان أول من فكر في جعل الجامع الأزهر معهداً للدراسة المنظمة المستقرة؛ وعلى أي حال فهو أول من فكر في تنفيذ هذا المشروع الجامعي؛ ففي سنة ٣٧٨ هـ استأذن ابن كلس العزيز بالله في أن يعين بالازهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس يحضرون مجلسه ويلازمونه، ويعقدون مجالسهم بالأزهر في كل جمعة من بعد الصلاة حتى العصر؛ وكان عددهم خمسة وثلاثين؛ وقد رتب لهم العزيز أرزاقاً وجرايات شهرية وأنشأ لهم داراً للسكنى بجوار الأزهر، وخلع عليهم في يوم الفطر، وأجرى عليهم ابن كلس أيضاً رزقاً من ماله الخاص

وهنا نجد أنفسنا أمام حدث جامع حقيقي، فقد كان أولئك الفقهاء الذين رتبهم ابن كلس للقراءة والدرس بالأزهر، وأقرهم العزيز بالله، أول الأساتذة الرسميين الذين عينوا بالجامع الأزهر، وأجرت عليهم الدولة أرزاقاً ثابتة وباشروا مهمتهم العلمية تحت رعاية الدولة بطريقة منظمة مستقرة؛ وإذن فهنا نستطيع أن نقول إن الأزهر يكتسب لأول مرة صفته الجامعية الحقيقية كمعهد للدراسة المنظمة، وأنه يبدأ هنا حياته الجامعية الحافلة المديدة

— ٢ —

وإذا ما تقررت هذه الحقيقة، فانا نستطيع أيضاً أن نقول إن أكبر الفضل في تتويج الجامع الأزهر بهذه الصفة الجامعية الجليلة يعود إلى الوزير ابن كلس الذي أسبغ عليه لأول مرة صفة المعاهد الدراسية العامة، ورتب له أول فريق من الأساتذة الرسميين.

ولقد كان ابن كلس وزيراً عظيما وعالماً جليلا؛ بل كان عبقرية سياسية حقيقية؛ وهو أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس؛ واسمه يدل على أصله الذمي؛ أجل، فقد كان ابن كلس يهوديا، نشأ ببغداد، وغادرها في شبابه إلى الشام واشتغل هنالك حينا

بالتجارة ، وأثقلتــه ديون عجز عن أدائها ففر إلى مصر فى عهد كافور الأخشيدى ؛ واتصل به وقام له ببعض الأعمال والمهام المالية فأبدى فى أدائها خبرة وبراعة ، وطاف بريف مصر يحصل الأموال ويعقد الصفقات ، حتى تمكنت منزلتــه لدى كافور ، وأثرى وكثرت أمواله وأملاكه ؛ ثم ثابت له فكرة فى الأخذ بنصيب من السلطة والولاية ، ورأى الإسلام خير طريق لتحقيق هذه الغاية ، وكان قد بلغه أن كافورا قال فى حقه لو كان هذا مسلماً لصلح أن يكون وزيراً ، فدرس قواعد الاسلام وشرائعه سراً ؛ وفى شعبان سنة ٣٥٦ هـ ، دخل جامع مصر (جامع عمرو) وصلى به الصبح فى موكب حافل ؛ ثم ركب فى موكبه إلى كافور ، فخلع عليــه ، واشتهر أمره ، وعلت منزله ، وقوى نفوذه ؛ فتوجس وزير مصر جعفر بن الفرات من تقــدمه وتمكن نفوذه شراً ؛ وأخذ يدس له الدسائس ، ويوغر عليه الصدور ؛ فخشى ابن كلس العاقبة ، وفر إلى المغرب فى شوال سنة ٣٥٧ هـ ، ولحق بالمعز لدين الله الخليفة الفاطمى ، وهو يومئذ ينظم مشروعه لغزو مصر ، فقدر المعز مواهبه وكفاياته ، ووقف منــه على أحوال مصر ومواطن القوة والضعف فيها ؛ ولبث ابن كلس فى خدمته حتى تم فتح مصر على يد جوهر الصقلى . ولما قدم المعز إلى مصر بأهله وأمواله وجيوشه فى رمضان سنة ٣٦٢ هـ ، قدم معه ابن كلس ، وقلده المعز شؤون الخراج والأموال والحسبة والأحباس وسائر الشؤون المالية الأخرى ، فأبدى فى إدارتها وتنظيمها براعة وزاد الدخل زيادة واضحة ، ثم عهد اليه المعز بشؤون الخاص ؛ ولما توفى المعز بعد ذلك بقليل فى ربيع الآخر سنة ٣٦٥ هـ فوض العزيز بالله ولد المعز وخليفته إلى ابن كلس النظر فى سائر أموره ثم لقبه بالوزير الأجل ؛ ووقعت فى حقه وشايات من بعض خصومه فاعتقله العزيز بالقصر بضعة أشهر ، ثم أطلقه ورده إلى مناصبه ؛ وتضاعفت منزلته لدى العزيز وغدا أقوى رجل فى الدولة ؛ وبذل ابن كلس جهوداً عظيمة فى تنظيم الادارة والدواوين ، وكان من أكبر بناة الدولة الفاطمية بمصر وموطدى دعائمها ونفوذها .

وليس غريباً أن يحرز رجل مثل ابن كلس تلك المكانة الرفيعة فى ظل الدولة الفاطمية مع أنه يهودى الأصل والنشأة ؛ فقد كانت الخلافة الفاطمية تصطنع الذميين والصقالبة ، وتوليهم ثقتها ؛ وقد ولى وزارتها فيما بعد ، فى عصر الحاكم بأمر الله ، وزراء يهود ونصارى خلص مثل ابن رسون ، وابن فهد ، وعيسى ابن نسطورس ، وابن عبدون ؛ وتولى بعد هؤلاء كثيرون فى عهود مختلفة ؛ ونستطيع أن نفهم سر ما كانت توليه الخلافة الفاطمية لوزرائها الذميين من العطف والثقة إذا ذكرنا أنها تتهم من بعض خصومها بالانتماء إلى أصل يهودى ، وأنها كانت تتهم فى عقائدها

ولم يكن ابن كلس وزيراً وسياسياً عظيما فقط ، بل كان عالما وأديبا كبيراً أيضاً ، وكان يعقد بداره مجالس علميــة وأدبية دورية ينتظم فى سلكها أكابر الفقهاء والأدباء والشعراء ؛ وكان يشرف بنفسه على هذه المجالس ، ويشترك فى أعمالها ، ويغدق العطاء على روادها . وقد أخذ ابن كلس بقسط حسن فى التأليف والكتابة ، فوضع كتابا فى القراءات ، وكتابا فى الفقه ، وكتابا فى آداب رسول الله ، وكتابا فى علم الأبدان والصحة ، ومختصرا فى فقه الشيعة مما سمعه من المعز لدين الله ، وهو المعروف بالرسالة الوزيرية . وكان يقرأ كتبه على الناس تارة بالجامع الأزهر وتارة بداره ، ويجتمع لديه الكتاب والنحاة والشعراء فيناظرهم ويصلهم ؛ وكانت موائده دائماً منصوبة ممدة للوافدين ؛ وكان كثير الصلات والاحسان ، وبالجملة فقد كان هذا الوزير والعالم الأديب مفخرة فى جبين عصره ، وقد أشاد شعراء العصر بجلاله وجوده ، ومن ذلك ما قاله أحدهم حين أصابت الوزير علة فى يده :

يد الوزير هى الدنيا فان ألمت  رأيت فى كل شىء ذلك الألما  
تأمل الملك وانظر فرط علته  من أجله واسأل القرطاس والقلما

ومرض ابن كلس فى شوال سنة ٣٨٠ هـ ، فجزع عليه العزيز أيما جزع ، ولبث يعوده ويرعاه ، حتى توفى فى الخامس من ذى الحجة ؛ فحزن عليه حزناً شديدا ، وأمر بتجهيزه بجهيز الأمراء والملوك ، وخرج من القصر إلى داره فى موكب صامت محزن ، وشهد تجهيزه وصلى عليه بنفسه ، ووقف حتى تم دفنه وهو يبكى بدمع غزير ، واحتجب فى داره ثلاثاً لا يأكل على مائدته والحزن يشمل الخاص والقصر كله ؛ وأفاض الشعراء فى رثاء الوزير الراحل ومديحه ، فوصلهم العزيز جميعاً ؛ وعلى الجملة فقد سما ابن كلس فى ظل الدولة الفاطمية الى أرفع مكانة ، وترك

بوفاته فيها أعظم فراغ ، وكان له أعظم الأثر في توطيد حكمها وإدارتها بمصر

— ٣ —

هكذا كانت حياة ذلك الوزير الخطير الذي يدين إليه الأزهر بأول خطوة عملية حقيقية في سبيل الحياة الجامعية ؛ ومن المحقق أن تلك الخطوة الأولى في ترتيب الأساتذة والدروس بالأزهر بطريقة منظمة مستقرة ، كان لها أثر كبير في تطور الغاية التي علقتها الخلافة الفاطمية بادىء ذي بدء على إنشاء الجامع الأزهر ؛ فقد كانت هذه الغاية كما رأينا أن يكون المسجد الجامع الجديد رمز الخلافة الجديدة ومنبراً لدعوتها ؛ ولكن يلوح لنا أن الخلافة الفاطمية لم تكن ترمي في المبدأ إلى توجيه الأزهر إلى تلك الناحية الجامعية ؛ ذلك لأن الجامعة الفاطمية الحقيقية أقيمت بعد ذلك في عصر الحاكم بأمر الله باسم دار الحكمة أو دار العلم الشهيرة في سنة ٣٩٥ هـ ( سنة ١٠٠٥ م ) ؛ ولكن الأزهر كان يومئذ بفعل الظروف والتطورات التي أشرنا إليها قد بدأ حياته الجامعية ؛ ومع أن دار الحكمة لبثت مدى حين تنافس الأزهر وتستأثر دونه بالدراسة المتصلة المنظمة ، فإنها لم تثبت لصرامة نظمها وإغراق برامجها في الشؤون المذهبية ، أن اضطربت أحوالها وضعف نفوذها العلمي ؛ هذا بينما كان الأزهر يسير في سبيل حياته الجامعية الوليدة بخطى بطيئة ولكن محققة ، ويسير في نفس الوقت إلى التحرر من أغلال تلك الصبغة المذهبية العميقة التي كادت في البداية أن تقضي على مصايره الجامعية الصحيحة

ونحن نعرف أن هناك مشروعاً للاحتفال بالعيد الألفي للأزهر — وهو عيد يقع بعد نحو أربعة أعوام — ونعرف أن من مظاهر ذلك الاحتفاء بتلك الذكرى الجليلة أن يكتب تاريخ حافل للجامع الأزهر منذ إنشائه إلى يومنا ؛ فمن حق الوزير العالم ابن كلس أن يتبوأ في ذلك التاريخ مقاماً يجدر بفضله في وضع الحجر الأول في صرح تلك الجامعة الكبرى [1]

محمد عبد الله عنان

---

(١) راجع في هذا البحث وما يتعلق به : خطط المقريزي ( الطبعة الأهلية ) ج ٤ ص ٤٩ و١٥٦ و ١٥٧ و ج ٣ ص ٧ — ١٠ ؛ وابن خلكان ج ٢ ص ٤٤١ ؛ والاشارة إلى من نال الوزارة لابن الصيرفي ص ٢٣

# الفلم المصري

## بمناسبة فلم دموع الحب

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

---

لا يسع المصري إلا أن يغتبط أعظم الاغتباط عندما يرى تلك الأفلام المصرية الجديدة التي أقدم أبناء مصر على إخراجها بين حين وحين ؛ ولا شك في أنها فتح جديد يجب أن نفخر به ، ونحرص على المزيد منه ؛ وإذا كان الجمهور المصري قد أقبل على رؤيتها ذلك الاقبال الباهر فان في ذلك دليلاً قوياً على مقدار تطلعه إلى أن يرى تلك الصناعة تنمو وتنجح . فالشعب يؤدي واجبه في تشجيع أبنائه من أهل الفن ويجيب مجهود المقدمين منهم إجابة كريمة مستنيرة

والفلم المصري له مكان لا يستطيع فلم آخر أن يحل محله . فانه يشبع من عواطف المصريين مالا يشبعه خير الأفلام العالمية الأخرى ، وذلك أثر من آثار النهضة المباركة التي نحسها في كل ناحية من النواحي . فالشعب المصري يحس بنفسه ويريد أن يرى تلك النفس مصورة أمامه تصويراً فنياً كما يحتاج الانسان إلى أن ينظر في مرآة ليرى صورة وجهه أو هندامه ، وكما يرتاح إلى أن يسمع ترديد آماله ونزعات نفسه ومثله العليا

فكل فلم من تلك الأفلام حديث نفسي يتحدث به الفنان إلى بني قومه . فهي ليست قطعة من الفن فحسب . بل هي رسالة عاطفية يرسلها الفنان من نفسه إلى نفوس الجماهير المتعطشة إلى الحياة والعلو والقوة ، ولهذا فنحن إذا ذهبنا لاجابة الداعي إلى فلم مصري كانت إجابتنا أولاً قومية وثانياً فنية

ومن هذا الاعتبار لا يسع المصري أن يقارن أو يوازن بين الأفلام المصرية ، وبين ما تخرجه الشركات العالمية من آيات الفن . لأن الأفلام العالمية إنما تؤدي رسالة واحدة وتشبع ناحية واحدة هي رسالة الفن المحض والناحية الأدبية الصرف ، ومهما كانت تلك الناحية الفنية فهي في المحل الثاني من نفوسنا ، ولا يمكن بأي حال أن تحل المحل الأول الذي

استولت عليه الآمال والأماني ، والرغبة القوية في الحياة ، والسمو والاعتزاز بالنفس

غير أنا نطلب من النفس المصرية أكثر مما تستطيع بذله إذا نحن وقفنا عند حد الأماني القومية ؛ بل إن تلك الأماني نفسها قد تخيب ولا تجد ما يستثيرها ، أو يعبر عنها إذا لم تتقدم الناحية الفنية وتعلو إلى المستوى الذي تتطلبه النفوس من الجمال والقوة ؛ ولهذا نجد من أنفسنا جرأة على أن نتناول ما يظهر من الأفلام المصرية بالتحليل والنقد حتى نشير إلى ما كنا ننتظر ، وما كانت نفوسنا تصبو إليه ؛ ولهذا نرجو أن يدرك قراء هذه الكلمة قصدنا منها ، وهو أن نشير إلى أمور نحب أن تراعى في الأفلام التي يقدمها المخرج المصري . فإذا ظهر أننا على حق فيما نذهب إليه كان مخرج الفلم المقبل على هدى فيما يتطلبه الجمهور المصري منه فيعمل على تحقيقه ، وبذلك يكون الغد أقرب إلى الكمال من اليوم . إننا لا نستطيع أن ننكر فضل أولئك الرواد الذين قد فتحوا باب ذلك الفن ، ولا نستطيع أن ننكر ما مهدوا من العقبات ، ولا ما عانوا من المشقة في سبيل عملهم المجيد ، وإنما ندعو بهذه الكلمة إلى التطلع إلى العلا ، وبلوغ درجات جديدة من الاتقان . فإذا تكلمنا هنا عن فلم دموع الحب فلسنا نريد أن نخصه بالنقد ، بل إنا نتخذه مثلاً في النقد لأنه أحدث الأفلام وأقربها مثولاً في الأذهان

إن الفلم لا يكون ذا أثر بالغ في النفس إلا إذا كان يخدع الناظر عن المقصد المباشر الذي يرمى إليه الفنان . فإن الناظر إذا استغرق في تأمل القصة التي أمامه كان ميالاً إلى نسيان الحقيقة وأنه إنما ينظر إلى قصة — بل يخال أنه يعيش ويتأمل منظراً من مناظر الحياة ؛ وتبلغ مقدرة الفنان ذروتها إذا استطاع أن يخدع الناظر فيجعله لا ينتبه إلى أنه إنما يطالع صفحة صور متحركة بل ينظر منظراً من مناظر الحياة الحقيقية ، ويكون هذا الخداع ممكناً إذا عمل الفنان على أن تكون كل الوقائع المعروضة تسير سيراً طبيعياً لا تكلف فيه ، وتتابع تتابعاً طبيعياً من غير تعسف ولا شطط . فإذا شعر الناظر أن هناك قفزة في الوقائع ، أو أن هناك ثغرة في التسلسل ، انتبه إلى نفسه وصحا من سحر المنظر ، وفسدت عليه الغاية التي يقصدها الفنان

وإذا أردنا أن نضرب أمثلة من فلم دموع الحب على تقصير الفنان في هذا الجانب النفسي لم يصعب علينا الأمر . فإن تصور أية حادثة من الحوادث في تلك القصة يتيح لنا فرصة للتمثيل .

فلنأخذ الموقف الأول الذي ظهر فيه فكري افندي (عبد الوهاب) في حديقة المنزل وقابل الفتاة ابنة صاحب المنزل ، فإن النظر لم يزد على مقابلة جاءت عفواً ، ولم يطل أكثر من مدة صب الشاي . ثم استأذن فكري افندي في الخروج لمقابلة صديق ، ومع ذلك قد كانت هذه اللمحة الوجيزة كافية لأن تجعل الشاب فكري افندي يهوى الفتاة ، ولأن تجعل الفتاة تحب ذلك الشاب ، كأنما قد عزم كل منهما ابتداء على أن يحب الآخر إذا رآه ! حقاً إن هناك نوعاً من الحب ينشأ للنظرة الأولى ، ولكن ذلك الحب لا يستطيع أن يكون من نظرة عابرة جاءت عفواً ؛ ولئن كانت النظرة السريعة تعقب الحب فلا بد أن يكون هناك عامل قد ساعد عليها ، وأنه من حق النظارة أن يروا ما هو ذلك العامل الذي أسرع بالحب إلى هذا الحد

على أننا إذا سلمنا أن الحب قد ينشأ من النظرة العجلى ، فإنا لا نستطيع أن نسلم أن تبادل ذلك الحب يكون بغير تدرج ولا تقديم ، وذلك على الأقل بين أصحاب النفوس المثقفة المهذبة ، فكان لا بد للمخرج أن يدبر من الحوادث ما يساعد على إتاحة الفرص لتبادل ذلك الحب وإنمائه ، ولكن فلم دموع الحب سار من المقابلة القصيرة الأولى إلى نزهة في الفجر في الحديقة يلتقي فيها الشاب بالفتاة ويبادلها أول ألفاظ التعارف فلا يكادان يسيران معاً دقائق قليلة حتى ترتفع الكلفة ، وحتى يندفع الاثنان في تصريحات ودية ، وحتى تبادلا الحب تصريحاً . ثم يسير الفلم بعد ذلك إلى نزهة لا مناسبة لها ، ولا تفسير يعلل حدوثها ، وفيها يتبادل الحبان العهود والمواثيق على أقدس أنواع الارتباط

ومثل آخر لا يستطيع الناظر إلا أن يصطدم به وهو عند ما عاد فكري افندي من السفر بعد أن تبسم له الحظ ليحمل إلى حبيبته بشرى تحقيق الأمل في الزواج فيجد حبيبته في الحديقة إلى جوار حلمي صديقه ، ولم يكن يعرف أن ذلك الصديق له أية علاقة بحبيبته وكذلك لم يكن ينتظر أن يجد تلك الحبيبة في مثل تلك الجلسة الخاصة مع شاب آخر . ومع ذلك فإنه لم يفعل شيئاً

أكثر من أن وقف وجعل يتكلم عما جاء له ، وكأنه لم يلاحظ شيئاً في وجود حبيبته في الحديقة منفردة مع شاب يناجيها وحيداً . ألم يكن من حق الناظر أن يرى علامة من علامات الاستياء على وجه المحب المتيم ؟ ألم يكن على الأقل من حقه أن يرى علامة من علامات الدهشة أو الارتياع على وجه الشاب الذي أتى يحمل كل آماله إلى حبيبته فلا يجدها تطير نحوه كما كان ينتظر ؟ وأين كرامته المجروحة ؟ وأين حبه الثائر ؟ وأين غيرته ونيران حقده ؟ ثم ذلك الصديق الذي خانه مع سابق إخلاصه إليه وآثر على سعادته مع ما قدمه له في الأيام الماضية من وده وإخائه . ألا يستحق منه غير ذلك الموقف الفاتر الخامد ؟

ويعود فكري افندي بعد ذلك إلى الدار التي كان قد بناها لتكون داره مع زوجته المنشودة فيبكي ويتضاءل حتى يبلغ مكان صورة تلك الحبيبة الغادرة — ولكنه يقف فيطيل البكاء إلى جانبها ولا تحدثه نفسه بثورة ما — أحقا هكذا يفعل المحب الثائر الحب ؟

إننا نخطئ كثيرا لو زعمنا أن الفلم يستطيع أن يبلغ المستوى المطلوب بالغناء وحده ، فاذا شئنا الغناء فليكن الفلم صورة لعرض غنائي لا محاولة فيه للتمثيل . فاذا كان ولا بد من المزج بين الغناء والتمثيل فليكن الدور الأكبر مسنداً إلى من يستطيع أداءه ، وليختر موضوع الفلم اختيارا يسمح بأن يكون للمغني دور لا يحتاج إلى كبير دراية في فن التمثيل . فالحق أن الأدوار الثانوية في فلم دموع الحب كانت لا نسبة بين أدائها وبين أداء الدور الأكبر . فلقد أتقن المعلم حنفي ( عبد القدوس ) ما شاء له الفن وكذلك أتقن حلمي افندي ( سليمان نجيب ) دور الصديق الغادر والفتى المستهتر اتقانا يستحق كل الاعجاب ، ولو كان هذان الفاضلان هما بطلا القصة لكان الاخراج الفني أروع وأبدع

وأما عن الغناء فلست أدري ماذا يرى كل من شهد الفلم فيه ، لأن الغناء مرجعه إلى الذوق ولا يستطاع فيه النقد المنطقي الذي يصح في التمثيل ، على أني لا أستطيع أن أكتم ما أحسست به ، وذلك أنني لم أسمع إلا تلك الأغاني التي اعتدنا سماعها في الصالات ، وفي ليالي الغناء المتادة ، وفي أسطوانات الأدوار الشائعة . وبعد فإنا نتساءل : أهذا هو الغناء المقصود في روايات الأوبرا أو الأوبريت ؟ إننا لم نشهد بعد من تقدم الغناء ما كنا شهدنا بوادره في روايات السيدة منيرة المهدية أمثال كرمن وروزينا وتاييس وغيرها مما عرضته تلك الفنانة الماهرة في وقت ما منذ عشرات السنين ، وقد كنا ننتظر أن يسمو الغناء المسرحي بعد ذلك إلى درجة أعلى من تلك ، فاذا بنا نعود إلى تلك الأغاني الساذجة المكررة التي اعتدنا سماعها على التخوت أو في الصالات . وإنا لا نشك في أن تلك الأغاني لها جالها الخاص ، ولا سيما عند بعض الأذواق التي يجب أن تخرج عن قيود المألوف إلى التعبير عن عواطف النفوس ، وتستدرج السامعين إلى أنواع منوعة بدل تلك الآهات المكررة والأنغام الواحدة المتادة . وإنه لمن العجيب أن نسمع صوت العود والكمان ، بل نقر الدف لحفظ الوحدة في تلك الأغاني كأنما نحن نستمع إلى تخت لا إلى شخص حي يفيض بعواطفه ويترجم عن وجدانه ! والحق أن تلك الآلات الموسيقية وذلك النقر الناشز كان له أثر عظيم في تحويل العقل عن الاستغراق في القصة ، وإلى إزالة غشاء الخيال عن جو القصة وإعادتها إلى جو آخر تنبه فيه العقل إلى أن الصور التي أمامه إن هي إلا صور متحركة وليست قصة حياة

ولقد جرى مخرجو الأفلام المصرية إلى الآن على عادة لا نظنها تؤدي بهم أبداً إلى التفوق المنشود ، وذلك أنهم يحاولون الاستغناء عن المؤلف الأديب . ولو كان المؤلف الأديب غير ضروري لكان لهم العذر فيما يذهبون إليه ، ولكانت رغبتهم في الاقتصاد مفهومة واضحة ، إذ لا نستطيع أن نلومهم على اقتصاد مبلغ من المال بدل أن يبذلوه للأديب الذي لا فائدة منه ، ولكن الأمر على غير ذلك ، فان أول أساس لنجاح القصة أن تكون قصة صالحة مكتوبة كانت أو مترجمة . ولقد رأينا فيما مضى أن أقوى مهارة في التمثيل تضمحل وتنتهي إلى الفشل التام إذا لم يكن دعامة ذلك التمثيل موضوعاً سامياً وقصة رائعة ذات جمال وفن وأدب ؛ ونحن إذا استعرضنا المحاولات التي حاولها المخرجون إلى الآن لم نجد أنهم خصصوا لناحية القصة عناية تذكر . وقد يشكو المخرجون من أن الأدباء لا يوافونهم بالمؤلفات اللائقة كما أنهم قد يشكون من أن الأدباء يظهرون لهم من صعوبة المراس ما يجعلهم ييأسون من تعاونهم ، ولكننا مع ذلك نريد أن نذكرهم ببعض أرقام قد تكون لها دلالة كبرى فان متوسط ما يناله الأديب الانجليزي نظير قصة من قصص الأفلام يتراوح بين خمسمائة جنيه

# قصة المكروب

## كيف كشفه رجاله

### ترجمة الدكتور احمد زكي

وكيل كلية العلوم

## بستور Pasteur والكلب المسعور

وصل الفائت

نصب أعداء بستور له فخاً فدعوه الى أن يجرى تجربته من اللقاح الذى اكتشفه فى جمع عام. فأجابهم الى ذلك ، وحقن البهائم على رؤوس الأشهاد بالمكروب الأضعف ، وبعد أيام حقنها بالضعيف ثم بعد أيام بالأقل ضعفا . واصطبر الى اليوم الذى يحقنها فيه بالمكروب الحى القتال

— ٤ —

وجاء اليوم الكبير الموعود ، اليوم الحادى والثلاثون من مايو ، فحقنت المواشى جميعها — ما حُصّن منها باللقاح وما لم يحصن — بحقنة قاتلة لا شك فيها من مكروب الجمرة ، وقام بحقنها رو ، فنزل فى الوحل إلى ركبتيه ، ومن حوله مصابيح الكحول وقوارير المكروب ، فأدهش النظارة بحسن ضربه الابرة فى جلود الحيوانات ، وبهدوئه ورزانته وبروده وهو يضربها

أودع بستور كل سمعته العلمية هذه التجربةَ الدقيقة التى لا تؤتمن ، وما فرغ منها حتى أدرك حقيقة الموقف ، وأيقن أنه أجاب داعى الرجولة والشجاعة برضائه إجراءها ، ولكنه أيقن إلى جانب ذلك أنه أذن للجمهور ، وهو المتلوّن المتذبذب ، فى تقدير علمه والحكم عليه . فلم يطب له نوم تلك الليلة ، وقضاها يتلوى ويتقلب على فراشه ، وكلما عزه النوم قام عن سريره يطلب الراحة فى القيام ، ثم هو لا يجده فيعود إلى النوم ، وهكذا دواليك ، وأوصته زوجه بالصبر ومنّته خيراً فصمت عنها ، ودخل معمله وخرج منه مُقطّب الجبين عابساً ، ولا شك عندي أنه هرع إلى الله فصلى ورجا وابتهل ، ولو أنى لم أقرأ شيئاً من ذلك فى الأوراق

كره بستور الصعود فى البالونات ، وخشى دائماً عواقب الخصومات فى البارزات ، ولكنه لم يجبن ولم يتردد لما دعاه هؤلاء البيطريون إلى هذه التجربة وساقوه عامدين إلى هذا المأزق الخطير

وجاء اليوم الأكبر الموعود ، يوم الثانى من يونيو عام ١٨٨١ ، فجاء الناس من كل حدب وصوب لحضور اليوم المشهود ، يوم يحكمون فى أمر بستور ، فان خيراً فله ، وإن شراً فعليه ، وكثر عددهم حتى ضاق بهم المكان الرحيب ، وتضاءل إلى جانب هذا الاجتماع كل اجتماع سبقه ، وكان فى الحاضرين نواب الأمة وشيوخ من شيوخها ، وكان فيهم عظماء ، وكان فيهم كبراء ، ومن كل حسب ونسب لا يظهر فى الناس إلا فى أعراس الأمراء وجنائز الملوك ، وكان فيهم الصحافى الشهير دى بلوفتس de Blowitz فاجتمعت حوله جمهرة من رجال الصحافة ومكاتبيها

ودقّت الساعة الثانية ، فخرج بستور إلى الميدان يصحبه رجاله ، وفى هذه المرة لم يكن له ولهم من الجمهور إلا الترحيب الصارخ والهتاف المتعالى . فأما الشياه الأربعة والعشرون التى كانت لُقّحت ثم حُقنت فيها الملايين من المكروبات القاتلة فقد وجدوها قائمة تأكل وتجرى فرحة مرحة هانئة بالحياة ، ولم يجدوا بواحدة منها أثراً من الحمّى ، فكأن مكروب الجمرة لم يخالط دمها ، وكأنما كان بينه وبينها ما بين الأرض والسماء

---

وألف جنيه ، فى حين أن متوسط ما يناله الأديب من هوليوود أكثر من ألف جنيه بلا نزاع ؛ وليس من العجيب ولا المحرم أن يفوز الفنى بآلاف الجنيهات ؛ وكذلك ليس من العجب ولا المحرم أن يفوز المخرج أو الممثل أو عارض الأفلام بآلاف مثلها ، ولكنا نضيف إلى ذلك أنه ليس من العجيب ولا من المحرم أن يفوز الأديب ببعض تلك الألوف ، لأنه شريك أساسى فى المجهود الفنى . ولهذا نرجو أن يعنى المخرجون باختيار الموضوعات وألا يضنوا على الأدباء بما يشجع البرز منهم على التخصص فى إخراج ما تحتاج اليه الأفلام المصرية من القصص

هذه كلمة لا نقصد بها إلا خدمة ذلك الفن الوليد ونحن على يقين من أن القراء مدركون قصدنا منها ، وكذلك نرجو أن يحملها المخرجون والفنانون على القصد السامى الذى نرمى اليه .

محمد فريد أبو حديد

أما الشياه الأربعة والعشرون الأخرى التي لم تلقح ، تلك الأربعة والعشرون التي حقن الكروب القتال تحت جلدها من غير أن تُحمى منه وتُحصّن ، فقد وجدوا اثنين وعشرين منها راقدة على جنوبها في خط واحد رقدة تبعث الأسى والحزن . أما الاثنتان الأخريان فكانتا لا تزالان قائمتين على أرجلهما ولكن في غير اتزان ، تجاهدان في سبيل العيش هذا العدو الأخفى الذي ما غالب الحياة إلا غلبها ، وكان دم أسود ينضح من أنفيهما ومن بين شفتيهما ينذر بقرب لحاقهما بالشياه المنبطحة الصريعة من أخواتها .

صاح بَيْطار لأخيه البيطار : « انظر ، انظر ، فهذه أخرى من التي لم يلقحها بستور قد سقطت إلى الأرض ! »

— ٥ —

حضر عيسى المسيح عرس ( كانا ) الشهير ، فلما نفد الخمر وكاد يتعرض أهل العرس للفضيحة شاء يسوع أن يستحيل الماء خمراً فاستحال ، ولم يذكر لنا الانجيل تفصيل ما ظن الناس بصاحب هذه المعجزة ، ولا ما فعلوا به عندها . وهذا بستور في الثاني من يونيو عام ١٨٨١ يأتي في هذا العصر الحديث بمعجزة لا تقل إعجازاً عن تلك التي وقعت في ذلك العصر القدس العتيق فيقوم هذا الجمع الحاشد ، على الرغم مما كان من اختلاف أهوائه يحنون رؤوسهم لهذا الرجل القليل ، المشلول بعضه ، الذي حمى مواشيهم تلك الحماية التامة الرائعة من قرصات هذه الخلائق الصغيرة التي تقرص فتقتل في الظلام قتلاً مؤكداً . إن هذه التجربة الجليلة التي أجراها بستور على الملأ في بحبوحة هذا الحقل تقع في نفسي موقعاً شاذاً غريباً ، لأنها قصة شاذة غريبة في تاريخ الانسان وجهاده هذه الطبيعة القاسية . أما شذوذها ففي هذا التهليل والتكبير الذي صحبها ، وهذا الترحيب الصاخب الذي ناله بستور من أجلها . فعهدنا بكشوف العلم ألا تقدّر في حينها ، وعهدنا بها أن ينال صاحبها الأذى من أجلها . ألم يودع جاليليو السجن من أجل أبحاثه التي تسببت أكثر من غيرها في الانقلاب الهائل الذي أدى بالدنيا إلى حالها الحاضرة ؟ وكم لجاليليو من أشباه وأمثال . كذلك عهدنا بصاحب الفكرة أن تبقى فكرته ويزول فلا يَنْعم حتى بالذكر طيباً كان أو خبيثاً .

وإلا فما العباقرة الأولون الذين اخترعوا النار واصطنعوا العجلات وابتدعوا الشراع وأنَّسوا الخيل ؟

— ٦ —

أما بستور فحظه غير حظ هؤلاء جميعاً . فهذا هو قائم في هذا الحقل ومن حوله الأغنام الأربعة والعشرون تشطح وتمرح بين جُثث أربع وعشرين لأخوات لها ماتت شر ميتة . رجلٌ قدير في تمثيله ، ومسرحٌ فخم في بشاعته ، ورواية خالدة على الدهور ، وقد اجتمعت الدنيا اليه تسمع وتنصت ، وتُثبت ما تسمع ، ثم تدخل في دينه أفواجاً تحارب معه الموت لما بان لها أن النصر قريب أكيد

وأحدثت هذه التجربة في الناس تحوّلا كبيرا . مثال ذلك رجل يدعى الدكتور بيُوت Biot كانت صناعته علاج الخيل والسخرية ببستور سخريةً مُرّة . فلما رأى أخيرة الشياه تموت جرى مندفعاً إلى بستور يصيح به : « بالله عليك يا سيدي إلا ما حصّنتني بهذا اللقاح كما حصّنت هذه الشياه ، ثم حقنتني بذلك الكروب القاتل كما حقنتها فنجّيتها ، فالعالم لابد أن يقتنع بصدق هذا الكشف العجيب ! »

وجاءه خصيم آخر مخفوض الجناح يقول : « حقاً إني قصفت بالنكات الكثيرات عن هذه الكروبات ، أما اليوم فأنا عاصٍ توّاب ! » . فأجابه بستور مقتبساً من الانجيل : « سيكون الفرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر منه لتسعة وتسعين من العُدول الذين لا يحتاجون إلى التوبة »

أما الصحفيّ الكبير دي بلوفتس فهتف لبستور وهرع يرسل تلغرافه إلى جريدة التيمس والى جرائد الدنيا . قال فيه : « إن تجربة قرية پوبى لوفرت Pouilly-le-Fort نجحت نجاحا كاملا لم يسبق له مثيل

وتلقت الدنيا هذا الخبر ، وأخذت تنتظر ما بعده ، فكأنما حسبت في شيء من التخابط أن بستور بعض الأنبياء أرسله الله رحمة بالناس ، يحمل عنهم الأثقال ويدفع عنهم الآلام . وخرجت فرنسا عن وعيها فيه فنادت به أعظم أبنائها ومنحته وسام الكردون الأكبر لليجيون دونير Grand Cordon of the Legion of Honour وبعثت اليه الجمعيات الزراعية والبياطرة وفقراء

الفلاحين ممن حلّ بحقولهم داء الجمرة اللعين ، بعثوا أجمعين إلى بستور برقيات عديدة يسألونه ألوف الحقن من لقاحه الشافي ، وأجاب بستور وأعوانه الثلاثة رجاء هؤلاء في نخوة جيدة أنستهم صحتهم – والدم كذلك . وكان بستور شاعرا ، فأثارت شاعريته في قلبه إيمانا بتجربته ، التي كانت ، زاد حتى أربى على إيمان من دخلوا في دينه حديثا

ثم أجاب بستور السائلين ، فقلب معمله الصغير بشارع أُلْم Ulm إلى مصنع للقاح ، فكنت ترى الأوعية الكبيرة بأحسيتها على النار تغلى وتتفقع ليُزرع فيها مكروب الجمرة بعد إضافته وتأنيسه . وكنت ترى رو وشمبرلاند يقومان على إضعاف البشلة القوية والتخفيف من عنفها لتعطى شياه فرنسا بعض المرض دون أن تقتلها ، وتوخيا الدقة فيما يعملان ، ولكن أين الدقة من السرع الهالع ؛ وتهيأ اللقاح ، فقام الأعوان جميعا والعرق يتصبب منهم بتعبئة الجالونات الكبيرة منه في زجاجات صغيرة تسع الأونيات القليلة . وكان لابد أن تكون الزجاجات طاهرة من المكروب كل الطهارة فطهروها ؛ كل هذا دون أن يكون لديهم كل الأجهزة اللازمة لضمان العاقبة ، يا عجبا لبستور ! كيف قام بذلك كله ؟ بل هي تجربة واحدة واضحة ابتدعها – أم هو القدر أعثره بها ؟ – ملأته ثقة عمياء ليس عهدي بالتجارب الفرادى الواحدة أن تملأ رجلا بمثلها

وفي أثناء تحضير هذه الألقحة كان الأعوان الثلاثة يتحينون الفرص فيفلتون منها ليلقحوا البهائم في شمال فرنسا وفي جنوبها ، وأدى بهم المطاف يوما إلى هنغاريا . لقحوا مائتي شاة هنا ، ولقحوا خمسمائة وستا وسبعين شاة هنالك ، حتى بلغ ما لقحوه في دون العام مئات الألوف منها ؛ ثم يعود هؤلاء اللقاحون الأفاقون يجرون أرجلهم من التعب إلى باريس ، وفي حلوقهم عطشة إلى شراب يسوغ ، وفي قلوبهم عطفة إلى حُبٍّ يطيب ، أو لعلهم كانوا يتوقون إلى ساعة هادئة يقتلونها على دخان الطُّبَّاق : ولكن أين لهم ذلك وبستور كان يكره رائحة الطباق ، أما الحب والشراب فكيف يجوزان عنده وشياه فرنسا تثغو ثغاء عاليا تطالب الخلاص ممن عنده الخلاص ، فلا يكون لهؤلاء الثلاثة الأرقاء رغم شبابهم مندوحة من إطاعة هذا المجاهد الجرون الذي تعبّدوا له اختيارا ، هذا المأفون الذي يجمع فكره ويركز كيانه وأحشد عزمه على إيجاد هذا المكروب الذي يقتل بعضه بعضا . فيقومون بالتخفف من ملابسهم والتشمير عن سواعدهم ثم يقضون الساعات الطويلة إلى جانب مجاهرهم يُحملقون فيها حتى تحمرّ جفونهم وتتساقط رموشهم . وفي أثناء ذلك يزداد الفلاحون صياحا طلبا للقاح ، ويزداد أصحابنا انهماكا في تجهيزه فيقعون أثناء ذلك ومن جرائه في متاعب غريبة لم تكن في الحسبان : دخلت بعض الجراثيم الغريبة إلى الأحسية مع مكروب الجمرة ، وإذا باللقاح الضعيف الذي يكفي لقتل الفأر صار يقتل الأرنب الكبير . فقام هؤلاء الأبالسة يتعرفون أصل الخطأ حتى عرفوه ، ويتعقبون مدخل هذا المكروب الضال فسدوه ، فأنبهم بستور بعد هذا كله ساخطا صاخبا . ولم ذا ؟ لأنهم أضاعوا في هذه التجارب وقتا طويلا ثمينا !

وأراد بستور أن يكشف عن جرثومة داء الكَلَب

كان ليل المعمل هادئا إلا من صوت الخنازير وعراك الأرانب ، أما الآن فقد غطى على هذا وهذا نباح الكلاب المسعورة ، وهي تعوي عواء يملأ الآذان وقرا والقلوب رعبا ، ويطير بالنوم عن أعين الأعوان الثلاثة رو وشمبرلاند وتوييه ... لهم الله من ثلاثة ! ليت شعري ما كان يصنع بستور في حربه رسلَ الموت لولا هؤلاء الثلاثة

ومضى عام أو دون عام على المعجزة التي جرت على يدي بستور في قرية بويلوفرت Pouilly-le-Fort ، حتى أخذ يتضح للناس أن بستور ، هذا الصياد الماهر في صيد الميكروب ، ليس إلها معصوما بل بشرا مخلوقا يخطئ ويصيب . وجاءته كتب عدة تراكمت على مكتبه من مونت بلييه Montpothier وعشر مدن أخرى في فرنسا ، وكذلك من هنغاريا ، وكلها تشكو أن الشياه تموت من الجمرة ، لا الجمرة الطبيعية المألوفة ، ولكن جمرة جاءتها من هذا اللقاح الذي قصد إلى خلاصها ، وأتت الأنباء بالسوء من أصقاع أخرى تقص حكايات أخرى عن خيبة هذا اللقاح . ففي بقعة من تلك البقاع اشترى الفلاحون هذا اللقاح ، ودفعوا ثمنه نقدا ، ولقحوا به قطعانا كاملة من الأغنام ، ولما جاء المساء عادوا إلى منازلهم وأراحوا جنوبهم في مضاجعهم وهم يقولون حمدا لله الذي منّ علينا رجلنا العظيم بستور ، ثم طلع الصباح عليهم ، فما انفتحت عيونهم حتى وجدوا الحقول

قد غطتها جثث الشياه النافقة — تلك الشياه التي زعموها حصينة قد ماتت من بزور الجمرة التي تخبأت في ثرى هذه الحقول

وأخذ بستور يكره كل صباح أن يفض الكتب التي تأتيه إشفاقاً على نفسه مما كتب كاتبوها ، وود لو سد أذنيه فلم يسمع بسخرية الساخر وضحكة الهازىء يأتيه صداها من وراء الأركان . وأخيرا حدث شر ما يحدث له : تقرير خرج من معمل كوخ ، تقرير محكم في بروده ، دقيق في فظاعته ، كتبه ذلك الرجل الألماني القصير الجسيس ، وفيه نفى أن يكون للقاح الجمرة لدى التطبيق نفع أبداً . وزاد هم بستور علمه أن كوخ أدق صياد للمكروب في الدنيا

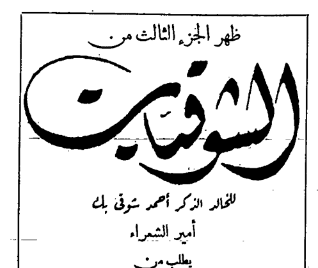
قطف بستور القطفة الأولى من ثمار تجربته فكانت حلوة طيبة ، ثم أتى يقطف القطفة الثانية فأجزعته مرارتها يقينا . ولكنه ، طيب الله ثراه ، كان شهما لا يثنيه الحدث الجليل . فلم يكن في جبلته أن يعترف للناس أو لنفسه بأن دعاواه العريضة الطويلة ليس لها هذا العرض ولا هذا الطول الذي ادعاه . وكأني بك تسمعه يتمتم لنفسه : « ألم أقل إن هذه الألقحة تمرض الشياه قليلا ولا تقتلها ، ثم هي بعد ذلك تحصنها من الداء تحصيناً تاماً كاملا . فهو ذاك ، فلألزم ما قلت فليس عنه من محيد »

يا له من باحث عظيم ! ومع هذا فما أقل حظه من تلك الصراحة النبيلة التي نسي فيها سقراط نفسه ورابلاس Rabelais ذاته ، فلم تخدعهما عن الحق المظاهر ، ولم تستهوهما عنه المنافع . على أن بستور لا يلام هذا اللوم كله ، ففرق ما بينهما واسع واضح ، فهذان إنما طلبا الحق على الأسلوب الذي ارتآياه ولم يتطلبا شيئاً سواه ، أما بستور فقد ساقه بحثه رويداً رويداً إلى حيث يفقد المرء لبه ويضيع رشده ، إلى صناعة تخليص الأرواح من براثن الموت ، وهي صناعة ليس الحق بأهم ما فيها

وفي عام ، ١٨٨٢ بينا التقارير مكدسة على مكتبه تحمل أنباء المصائب الكثيرة من هنا وهنا ، قام بستور وسافر إلى جنيف وألقى على الزبدة المختارة من مجاهدي الأدواء في العالم خطبة رنانة موضوعها : « كيف نخلص الأحياء من خبيث الأدواء بحقنها بالمكروبات بعد إضعافها » . وفيها أكد لهم بستور : « أن المبادىء العامة قد وجدناها فلا يستطيع المرء أن ينكر أن المستقبل ملىء بآمال عظام . وصاح فيهم : « إننا جميعاً مدفوعون بعاطفة قوية نبيلة ، هي حب الحق وحب التقدم بالانسانية إلى خير مما هي فيه » . ولكنه وا أسفاه لم يذكر في هذا الخطاب البديع شيئاً عن الشياه الكثيرة التي ذهب لقاحه بها وقد كان لحفظها وتحصينها

وكان كوخ حاضرا في هذا الاجتماع ، وظل يطرف إلى بستور بعينه من وراء نظارته الذهبية ويبتسم في لحيته الكثة كلما سمع بستور يقصف بالجمل الرنانة ، قد عمرت باللفظ البديع وأقفرت من العلم الصحيح . وكان بستور يخطب وهو يحس كأن سيفاً خفياً مصلتا فوق رأسه . ولما فرغ من خطابه تحدى كوخ أن يجادله على رؤوس الاشهاد علماً منه أن كوخ في تضيد المكروب خير منه في الحجاج . فقام كوخ فقال : « سأقنع نفسي بالرد كتابة على السيد بستور ، وسيكون هذا قريباً » . وكح ، ثم جلس

( يتبع ) أحمد زكي



# الحياة الأدبية في دمشق

للأستاذ علي الطنطاوي

لا شك أن (الرسالة) بسموها عن الفكرة الاقليمية الضيقة، وفتحها أبوابها لأبناء العربية جميعاً، ودعوتها إلى الاجتماع على التوحيد في الدين، والفضيلة في الأخلاق، والوحدة في السياسة، والصحة في اللغة، والجمال في الأسلوب، والتجديد في الأدب.. سيكون لها أثر كبير في تاريخ الصحافة العربية بما سنت من هذه السنة الحسنة التي لم تعرفها من قبل كبريات مجلات مصر إلا قليلا، وبما بلغته من الجمال والاتقان، في الشكل والموضوع؛ وسيكون لها أثر كبير في تاريخ الأدب العربي، بما وضعت للأدب من منهج مستقيم، وما أحيت من الأسلوب العربي، وما قبست من روائع الآداب الأجنبية؛ وسيكون لها أثر كبير في التاريخ العربي العام، بما دعت إليه من الوحدة العربية، وما نشرت من أمجاد السلف، وما وضعت في نفوس الناشئة من قرائها، من العمل للجامعة العربية الواسعة، لا للاقليمية الضيقة . . .

ولا شك أن «الرسالة» اليوم للأقطار العربيـة كلها، لا لمصر وحدها؛ فكما تفتح «الرسالة» أبوابها للمقالات الوصفية والقصصية، وللقصائد والبحوث التي يبعث بها إليها أدباء الشام والعراق وغيرها، فلتفتح أبوابها للفصول النقدية، والبحوث المستفيضة عن الحركة الأدبية في هذه البلاد، ولو كانت قاسية شديدة على النفوس، ولو كشفت عن حقائق يحب بعض الناس ألا يتكشف عنها الستار؛ وليس من مصلحة الأدب في شيء أن يظل أدباء مصر والعراق جاهلين مدى الحركة الأدبية في الشام — مغترين بها — وليس من المصلحة أن يبقى أدباء الشام ومصر جاهلين مدى الحركة الأدبيـة في العراق، بل يجب أن يصف أدباء كل قطر من الأقطار الحياة الأدبية في قطرهم، ومبلغ قوتها أو ضعفها، وسبب تقدمها أو علة تصورها، وأن يحللوا أدواءها وأمراضها، لنتعاون جميعاً على علاجها ومداواتها، وتقويتها وشد أزرها؛ والحياة الأدبية في الشام أحوج شيء إلى المداواة والعلاج، إذا كان في الشام حياة أدبيـة، لها وجود، ولها آثار يستطيع الناقد أن يصفها ويتحدث عنها؛ وأنا أشك في وجود هـذه الحياة، فلا أستطيع أن أجزم بوجودها لأني لا أرى علامة من علامات الحياة في أدباء دمشق وأدبها، ولا أستطيع أن أنفيها، لأن في دمشق أدباء كباراً معروفين، ولأن دمشق — كما يعلم الناس جميعاً — عاصمـة من عواصم البيان العربي . . . .

ولقد رجعت أعرض تاريخ الأدب في دمشق منذ عهـد الاحتلال إلى اليوم، وأنظر الآثار الأدبية الخالصة التي أخرجها أدباء دمشق في هذه الخمسة عشر عاماً، فلا أجد إذا استثنيت مجلتي الرابطة الأدبية والميزان، ورواية سيد قريش لمعروف الأرناؤط، وكتابي المتنبي والجاحظ لشفيق جبري، ورسـائل أئمة الأدب لخليل مردم بك، إذا استثنيت هذه الكتب، وكتابين آخرين أو ثلاثة قد أكون نسيتها، لا أجد أثراً أدبياً له قيمة. وهناك كتب محمد بك كرد علي: خطط الشام، والاسلام والحضارة، وغيرها، ولكنها ليست من الكتب الأدبية الخالصة، وإنما هي كتب تاريخ لا تدخل في موضوع مقالي

على أن هذه الكتب التي استثنيتها ليست في درجة واحدة من حيث قيمتها الأدبية، فبينا نعد (سيد قريش) عملاً فنياً كبيراً على ما فيها من ضعف العقدة الروائية، وتشابه المناظر، وتكرار الأوصاف، وغلبة النصرانية على أجل صفحاتها، نعد رسائل (أئمة الأدب) لخليل مردم بك، كتباً مدرسية، موضوعة لطلاب البكالوريا لا تبلغ أن تمـد في الدراسات القوية التي تستند إلى طريقة في البحث معروفة، وتكشف عن نواح مجهولة من حياة الأديب الذي تبحث عنه ومن أدبه؛ ثم إن هذه الكتب نفسها إذا قيست بمدينة كدمشق، في مدة طويلة كهذه المدة، لا تعدو أن تكون أثراً ضئيلا لا يدل على حياة .... وهذا الأثر على ما فيه من ضعف ينحصر في فنين من فنون الأدب هما: القصة التاريخية، والدراسة التحليلية؛ أما سائر فنون الأدب كالقصـة التمثيلية، والأقصوصة القصيرة، والصورة الوصفية، والمذكرات الأدبية، والتأملات الفلسفيـة والشعرية، والدواوين القيمة، والخطب البليغة، وغيرها من فنون الأدب، فلا نكاد نجد لأدباء دمشق فيها أثراً يذكر

من أجل ذلك لم أقل إن في دمشق حياة أدبية، لأن ما نحن فيه ليس بالحياة، ولا يشبه الحياة، ولم أنف هذه الحياة لأن في

دمشق أدباء ينتجون ، أو يستطيعون أن ينتجوا شيئاً ، وإنما أقول إن أدباء دمشق فى منزلة بين الموت الكامل ، والحياة الصحيحة ، هى السبات العميق ، والنوم الطويل الذى يشبه نوم الضفادع طول الشتاء ، إذ تدخل فى ثقب من الثقوب ، فتلبث الفصل كله كأنها قطع الحجارة ، لا تأكل ولا تشرب ، ولا تنق ولا تتحرك ...

وإلا فما يصنع كتاب دمشق وشعراؤها ؟ وأين هى منتجاتهم الأدبية ؟ وهل يكفى الشاعر أن يقول كل خمسة أعوام قصيدة واحدة تضطره اليها المناسبات اضطراراً ، ثم لا يكون فيها أثر من نفسه ، ولا تصف شيئاً من عواطفه ؟ وهل يكفى الكاتب أن ينشر كل عامين مقالة تطلب منه ، أو مقدمة كتاب يسأل كتابتها ؟ بل هل يستطيع أن يملك لسانه الشاعر فلا يقول شيئاً وهو يرى كل يوم ما ينطق الصخر بالشعر من مصائب الأمة ونكباتها ، بل وهمومه هو ومصائبه وما يشاهده فى حياته فى بيته ، وحياته فى عمله ؟ . . أليس فى حياته سرور وألم ، وأمل وقنوط ، وضحك وبكاء ؟ أفيضحك الشاعر فلا يغنى ، ويبكى فلا ينوح ، وتهز قلبه الحادثات فلا يقول شيئاً ؟ أنا لا أستطيع أن أتصور كاتباً أو شاعراً ، لا يكتب ولا ينظم ، وكل ما حوله يهيج نفسه ، ويثير عاطفته ...

إن أدباءنا يحتجون بأنهم لا يجدون مكاناً ينشرون فيه ، وإذا لم يجد الأديب سبيلاً إلى النشر ضعفت همته ، وانكسر نشاطه ، ولم يجد حافزاً إلى العمل ، لأن فقد عنصر النشر من أكبر الأسباب فى هذا الركود الأدبى ... وهذا صحيح لا غبار عليه

وليس فى دمشق مجلات أدبية ، إلا مجلة صغيرة اسمها ( الطليعة ) يصدرها نفر من الشباب المثقفين الذين يحملون الشهادات العالية من أكبر معاهد أوربا ، ولكن لها منحى خاصاً لا يرضى عنه الناس كلهم ، وهى تمشى بخطى مضطربة . وربما اضطر أصحابها إلى إغلاقها كما اضطر من قبل أصحاب (الثقافة) إلى إغلاقها ، برغم أن أصحابها من صفوة أدبائنا ومفكرينا ، كخليل مردم بك وجميل صليبا وكاظم الداغستانى ؛ ثم إن الجرائد اليومية لا تعنى بالأدب عناية كبيرة ، ولا تخصص له صفحات دائمة تنفق عليها بسخاء ، وإن هذه الصفحات الأدبية التى تزين بها صدور بعض جرائدنا اليومية صفحات فارغة ، لا أظن أن أحداً ممن له صلة بالذوق الأدبى يرضى عنها ، وما أظن أن أصحاب الجرائد والقائمين عليها يرضون عنها ، أو يجدون فيها وفاء مما يؤملون . وإذا ألف الأديب كتابا أو قصة لم يجد الناشر ، وإذا أنفق عليها من ماله لم يشترها أحد ، لأن دمشق بلد تقرأ كثيرا ولكنها لا تشترى ؛ وهذه مجلة (الرسالة) ، لا تجد فى دمشق أديباً أو متأدباً إلا اعترف لك بأنها خير مجلة أخرجت للناس ، وأن العالم العربى لم يعرف مجلة مثلها منذ أنشئت أول مطبعة فى مصر ، ولا تجد أديباً أو متأدبا إلا وهو ينتظر يوم الثلاثاء ليقرأ الرسالة ، وبعد ذلك كله يباع من أعداد الرسالة فى دمشق كلها أقل من خمسمائة عدد ...

هذه حجة الأدباء فى تقاعسهم عن النشر ، وهى كما ترى حجة مقبولة ، ولكنك إذا سألت القراء لم لا يشترون ، احتجوا بأن الأدباء لا ينشرون ، وإن تقاعسهم وكسلهم علم القراء الزهد فى الآثار القيمة والانصراف عن شرائها ، وأنه لا بد من أن يضحى الأدباء بقسط من أموالهم وشهرتهم حتى يستعيدوا القراء الذين فقدوهم . على أن الذنب فى رأيى ذنب المدارس والمدرسين ، لا ذنب الأدباء ولا ذنب القراء ، فليس فى الشام اليوم من دروس الأدب إلا هذا المقدار القليل الذى يتعلمه الطالب فى مقرر البكالوريا . وهذا المقدار لا يحق حقاً ، ولا يبطل باطلاً ، ولا يصنع شيئاً أكثر من تبغيض الطلاب فى الأدب ، وتسويده فى أعينهم ، ذلك لأن شعب الأدب فى صفوف البكالوريا تسير فى طريق عوجاء أبعد ما تكون عن بث الملكة الأدبية فى نفس الطالب . وكيف تكون الملكة الأدبية طائفة من أخبار الشاعر وأشعاره يستظهرها الطالب من غير أن يفهمها غالباً ، ويحتفظ بها فى دماغه إلى يوم الامتحان ، فاذا أداه ونال الشهادة أهملها ، أو دخله الغرور فظن أن معنى ( بكالوريوس فى الآداب ) كاتب أو أديب ، فزهد فى المطالعة ، وانصرف عنها أو طالع ما يقع تحت يده من الكتب والمجلات حتى ابتلى بسوء الهضم ، وأصيب بالتخمة العقلية ... فترك القراءة وذهب إلى الندى ( القهوة ) يقطع عمره فى النرد والشطرنج ثم يعمد إلى الكتابة فى موضوع علمى أو فلسفى دونت فيه عشرات المجلدات من غير أن يقرأ منها شيئاً ...

ثم إن طلاب شعب الأدب فى صفوف البكالوريا لا يستطيعون

أن يستعينوا بالثقافة العامة التي يتلقونها في المدرسة ، ولا يعرفون كيف يستفيدون من علم الفريزة (الفسلجة) أو علم النفس أو التاريخ في بحوثهم الأدبية ولا يعرفون شيئاً من مناهج النقد ، وقواعد التحليل الأدبي ، لا لأن الطلاب كسالى أو بلداء ، فالطلاب يدرسون الأدب الفرنسي فيسيغونه ، ويدرسون الرياضة فيفهمونها ، ويدرسون أشياء كثيرة غير هذه يضيقون ببعضها ويتبرمون به ، ويقبلون على بعضها ويحبونه ، ويجدون لذلك كله أثراً في نفوسهم ، فاذا جاء الأدب العربي وجدت أكثر الطلاب لم يلذّوه ولم يبق في نفوسهم أثراً

وسبب ذلك أن أكثر المدرسين عاجزون عن أداء هذه المهمة التي انتدبوا أنفسهم لها ، أو انتدبهم لها من بيدهم مقاليد الأمور ، لشهرتهم الأدبية أو لشهاداتهم العالية ، أو لشيء غير ذلك له صلة ضعيفة ، أو لا صلة له بالأدب قط . وأكثر المدرسين اليوم بين رجلين : رجل ثقف الأدب العربي القديم ثقافة حسنة ، وضرب بالسهم الوافر في علوم العربية نحوها وصرفها ، وبلاغتها وعروضها ، ونقدها ورواياتها ، وحفظ أيام العرب وأمثالهم واستطاع أن يفهمها حق فهمها ، وينقدها نقد بصير بها ، ولكنه عجز عن أن يدرسها ويدرس رجالها دراسة تحليلية صحيحة لجهله الآداب الأجنبية ، وجهله قواعد النقد الحديث

ورجل درس الآداب الأجنبية أو واحداً منها دراسة عميقة ، وعرف مناهج البحث ، ومذاهب النقاد ، وأحسن نقلها إلى الأدب العربي ، ولكنه عجز عن فهم الشعر العربي ، وجهل علوم العربية ، فغدا لا يستطيع إدراك معنى النص العربي فضلا عن نقده أو الحكم عليه

ثم إن أكثر المدرسين من غير رجال الأدب ؛ وإن فيهم من لم يعرفه الناس شاعراً مطبوعاً ، ولا كاتباً مجيداً ، ولا ناقداً بصيراً ، ولا أكثر من ذلك ولا أقلّ . فكيف لعمري نطلب منه غرس الملكة الأدبية في نفوس الطلاب ؟ إن مثل هذا الطالب هدم للمنطق الذي يقرر أن فاقد الشيء لا يعطيه

***

هذه قيمة الحياة الأدبية في الشام ؛ وهذا موطن الضعف فيها ؛ فلا صلاح لها إلا بتقويته ، ولا نجاح لأمة لا تسخر أدبها لخدمة قضيتها . فهل يبدأ في حياتنا الأدبية « عهد الاصلاح » المنتظر ؟

**علي الطنطاوي**

# أزمة أوربا الدينية في العصر الحاضر

بقلم محمد جلال

---

يخيل الينا – كما يرى الكثيرون – أن التصوف هو أظهر حالات النفس وأقدرها على محاسبة الضمير وكشف حقيقته . قال ابن خلدون : « وأصله – أي التصوف – . . . . طريقة الحق والهداية[١] » وقال أيضا : « ويتم ( بالمجاهدة ) وجود النفس الذي لها من ذاتها وهو عين الادراك[٢] » وقال الأستاذ لالاند :

« Le mysticisme est : .., croyance à la possibilité d'une union intime et directe de l'esprit humain en principe fondamental de l,étre [٣]

أي أن التصوف هو اعتقاد في امكان حصول اتحاد تام مباشر بين الروح وحقيقة الانسان . وقال الفيلسوف برجسون :

« Le grand mystique serait une individnalité qui franchirait les limites assignées à l'espèce par sa matérialité,qui continuerait et prolongerait ainsi l'action divine [٤]

ومعناه أن الصوفي الحقيقي هو الذي يتخطى حجاب الحس الذي وضعته الطبيعة البشرية ليواصل بذلك العمل الالهي .

يتضح من ذلك أن التصوف يحقق شرطي الدين وهما الاعتقاد والعمل . فتلاحظ إذاً أن معظم المتصوفة قد نشأوا في بيئة دينية إلا القليل منهم من ظل يعمل بعيداً عنه في الظاهر . ولما كان للروح العلمية اتجاه يختلف عن الاتجاه الديني في كثير من أغراضه وميوله ، مال العلماء إلى التخلي عن الدين ورميه بالنقص . لهذا سنقصر بحثنا الآن على حقيقة الايمان مع اتصاله بالعلم والفلسفة والتاريخ

---

(١) مقدمة ابن خلدون — طبعة القاهرة ص ٤٠٨

(٢) مقدمة ص ٤١٠

(٣) Lalande : Vocabulaire de la philosophie-P. 496. Paris 1932

(٤) Bergson : Lea deux Sources de la morale etc ... — P. 215.Paris 1912

١ — العلم :

أحدث تقدم العلم فى القرن التاسع عشر اضطرابا فى الحياة الدينية أفضى الى تمحيص الدين على ضوء القوانين العلمية . من ذلك لوحظ أن نظرية خلق العالم فى سبعة أيام — كما هو وارد فى معظم الكتب المقدسة — لم تتفق وقوانين العلم الكونى . فان اليهودية والمسيحية والاسلام ومعظم الأديان الأخرى نشأت كلها فى الشرق فمن المحتمل إذاً أنها تكاد تتحد فى فكرة علمية واحدة . فى فلسطين مثلا ساد الاعتقاد قديما أن الأرض محاطة بطبقة صلبة معلقة فيها الكواكب يعلوها عرش الله الذى يثبت الأرض وما عليها وهو منفصل عنها ؛ ولكن علم الفلك أثبت أن العالم لا نهاية له ، فيكون عرش الله واقعا فى حيز العالم تجرى عليه سنة هذا الوجود من حركة وسكون . أدى هذا الخلاف الى رأيين : الأول اتحاد العلم والدين ، والثانى انفصالهما

أما الرأى الأول فانه يقرر — على رغم ظواهر الأشياء وما فى الكتب المقدسة من اختلاف — أن هناك صلة بين العلم والدين يسهل تحديدها إذا اتفق العلم والدين على معانى الكلمات ؛ فى المثال السابق مثلاً جاء فى التوراة أن معنى كلمة يوم : مدة مقدارها عصر لا أربعا وعشرين ساعة كما نعتقد نحن اليوم ؛ على هذا الاعتبار تكون الأرض قد تم تكوينها فى ستة عصور — وهذا هو رأى علماء الجيولوجيا

ويقول الرأى الثانى إن للعلم والدين أسباباً ودواعى خاصة بكل منهما ، وقد يتفاوت محيط أحدهما بالنسبة لمحيط الآخر دون أن يتعارضا فى شىء . فمقتضى الدين اعتقاد وأمر ثم عمل ؛ وأما مقتضى العلم فكشف قوانين هذا الوجود — بما فى ذلك الانسان — وتحقيقها بالطرق التجريبية . وليس من العلم فى شىء أن تحمل الجماعة على اتباع هذا النظام أو التخلى عن هذا العرف . يستوى عنده البار والفاجر ؛ وبعكس ذلك الدين ، فانه حب وعاطفة ومفاضلة بين بار وفاجر ؛ فهو لذلك ضرورة للنظام الاجتماعى ، وهذا رأى برجسون فى كتابه المشار إليه آنفاً

أفى ذلك طمأنينة للنفوس ؟ قد يكون ذلك . . ولكن ظاهر الشىء غير حقيقته ؛ إذ النفس لا تعرف السكون الذى يزيّن لها التخير بين طريق وطريق ؛ فهى إن خضعت للدين بالأمس فذلك من طبيعتها ، وإذا خضعت للعلم اليوم فذلك أيضاً من طبيعتها . وقد لا تخضع غداً لا لهذا ولا لذاك ، وعليه فان هذا التقسيم لم يحقق مأرباً

٢ — الفلسفة :

أما فى الفلسفة فالنزاع قائم بين أنصار مذهب الفكر (١) « Intellectualisme » وبين أنصار مذهب العمل (٢) « Pragmatisme ». يقرر الفكريون أن الذكاء هو خير وسيلة لفهم الحقيقة الواقعة ، وفى رأى العمليين أنه وسيلة لتكوين صور لأعمالنا نستعين بها على فهم الأشياء

فعند الفكريين ( أى معظم فلاسفة الغرب والفرنسيين منهم خصوصاً يتقدمهم ديكارت ) تتعين الحقيقة بنفسها ؛ وليس فى مستطاع الفرد — مهما كانت قدرته — أن يحددها دفعة واحدة ، ولكننا نقرب منها شيئاً فشيئاً مع وفرة مجهودنا الفكرى خلال العصور المتطاولة . كان العلم عند اليونان مثلاً مبادىء وأوليات ، وقد ترقى بعض الشىء عند العرب ، وفى عصر النهضة بأوربا ، ومازال يرتقى ويستخلص أسسه من شوائب كانت سبباً فى تغيير معالم الحقيقة التى لم تغير جوهرها بالنسبة لحاجة الانسان

ويرى آخرون أن ليس للحقيقة وجود ذاتى ، فهى محض فكرة دعت اليها حاجة الانسان . فعند اليونان تدل كلمة حقيقة على شىء نسبى — أى أن حاجة الانسان الفكرية تتطلب حقائق مختلفة حسب الزمان والمكان ، وهى بدورها تحقق رغبة علمية واحدة ؛ وبما أن حاجة الانسان غير ثابتة فتكون تلك الحقيقة أيضاً غير ثابتة ، وذلك لاختلاف وسائل تحقيقها . فمطرقة الحداد مثلاً كانت حقيقة فى الماضى — كذلك مطرقة النجار هى حقيقة اليوم ، ورغم ما أثبته العلم والعمل حتى عهد قريب من صحة نظرية نيوتن الخاصة بتجاذب الأجسام ، فان أبحاث اينشتين تثبت حقيقة أخرى بعد ما هدمت الأولى ؛ أعنى أن هناك تناسباً خاصاً فى الحياة الفكرية لكل عصر ؛ ولا غضاضة

(١) مقابلة لكلمة روحيين « Spiritualisles » كما جاء فى مقدمة ابن خلدون — ص ٣٥٣

(٢) استعملناه مؤقتاً إذ لم نعثر بعد على اصطلاحه فى المراجع العربية

إذا أقبلنا بجميع جهودنا على تلك الحقيقة المتغيرة فهي لم تتخذد بغير منفعتها

مثل وليم جيمس(١) هذا الرأي في أمريكا – وأخذ برجسن ببعض منه ، أي الجزء الخاص بتطور الفكر (٢) ، وتبع المسيو ادوار لروا أستاذه برجسون في ذلك إذ رأى أنه يصعب على الرجل العملي فهم الدين من الوجهة المنطقية . وعليه فان عبارة « الأب والابن وروح القدس » معناها تصور حقيقة واهمة تنشأ عن ارتباط الفرد بغيره . ويقال مثل ذلك في تفسير وجود عبادة الله وحده – أي كونه ماثلا حقيقة روحاً ودماً ( عقيدة سر القربان عند المسيحيين ) ؛ ويراها آخرون أنها صيغة أمر ، أي وجوب تصور حالة العبد أمام ربه كما يجب أن يكون عليها أمام انسان يرى فيه أصل الحب والتقديس . هو أصل اليقين والشعور الطاهر ، وقال بمثل ذلك الأب سرتلانج Sertillanges الأستاذ بالمعهد الكاثوليكي بفرنسا في إحدى جلسات مجمع باريس الديني الأخير إذ رأى أن أوضاع الدين لم تكن غير نواميس للحياة

٣ – التاريخ

شك علماء التاريخ في مصادر التوراة ، لأن فيها أجزاء وضعها قديسون ، وقد نقحت من بعدهم . وللآن لم يستقر الأمر على معرفة كيفية حصول ذلك لعدم توفر الوثائق التاريخية الكافية ؛ فلا يبعد إذن أن يكون قد وقع فيها بعض التغيير أو الحذف . مثال ذلك أسفار موسى الخمسة فانه لم تزل أمرها غامضاً حتى اليوم . يوجد عدا هذا بعض تناقض في الآيات من حيث الصورة والمعنى . آمن(٣) عيسى عليه السلام في عودته ثانية إلى الأرض ، وإن الساعة آتية قبل أن ينقضي العهد الذي نزل هو فيه

يلاحظ هنا تباين نشأ عما رمز اليه في التوراة من أعمال دنيوية ، إذ انقضى عهده وانتهى النظام الوراثي للملك وهو لم يعد بعد . أدى هذا الاعتراض إلى احداث انشقاق في الكنيسة الكاثوليكية في أواخر القرن التاسع عشر . أخذ رجال الكنيسة من جديد يدرسون الانجيل من حيث التاريخ والجغرافيا والتشريع ، وقد قضى الأب لوازى Loisy حياته في التوفيق بين الدين والتاريخ

نشأ عن تلك الحركة اتجاه جديد في الرأي سمي بمذهب « المثل الاعتقادي Symbolofidéisme » يرى أخذ الأشياء على أنها أمثلة بسيطة شأنها أن تحدث معتقدات تتناسب مع قوة إيمان الفرد ؛ فيكون مرمى نظرية نزول المسيح تحديد قيمة مثلى

على رغم كل ذلك ما زال في النفس بقية تدعوها إلى كشف معتقد جديد وحقيقة أخرى ، فيرى برجسن وهنري بوانكاريه H. Poincaré أن العقل غير كاف وحده لكشف الحقيقة التي دأب وراءها الانسان منذ نشأته . فلا بد له أن يتبع هدى روحه كما فعل أفلاطون وغيره

ويرى أوجست كنت وأتباعه أن الدين نظام اجتماعي قابل للتطور مثل الجماعة في تاريخها من تشريع وأخلاق . ويرى الأستاذ شارل مورا Charles Maurras ضرورة الدين الكاثوليكي لاصلاح النظم الاجتماعية في فرنسا لما فيه من عناصر السلام

ماهي حالة الفرد النفسية إزاء ذلك الانقسام ؟

***

عبر علماء النفس عن ذلك بأنه شعور جديد بشخصية الفرد يدعوه إلى تحديدها من حيث اتصاله بالجماعة ، ومن حيث اتصاله بنفسه ، مما أدى إلى ترك بعض المعتقدات والتمسك بأخرى . ولما كانت الجماعة تحمل في ماضيها عناصر مدنيات مختلفة فهي إذاً الدافع إلى هذا الشعور في الفرد . ويختلف الأفراد في قبول ذلك حسب استعدادهم النفسي ، وهذا ما نشاهده في القديس بولس إذ اضطربت نفسه متأثراً بعصره ، فخرج على الدين ثم عاد اليه متحمساً لتجديده ، وذلك بالدرس والمجاهدة النفسية

يرى بعض رجال الدين أن مثل هذا النوع من المجاهدة محاولة من العبد أن يتصل بالله ليظفر بالغفران . ولكن بعض أتباع لوثر ليسوا في حاجة إلى ذلك ، إذ الغفران في رأيهم ملك للجميع ، وثقتهم بالله عظيمة لتوزيع هذا الغفران ، فلم يكن عندهم إذاً هذا النوع من المجاهدة

وهناك فريق آخر يقال لهم الوسوليون Méthodistes وقانهم فعل الخير لأنهم مجبرون عليه ، وهذا عمل خاو من الشعور

(١) William James : La Philosophie de l'experience. Tr. fr. 1910

(٢) H. Bergson : L'Evolution Créatrice. Ch. 3. Paris 1928

(٣) انظر العهد الجديد – أعمال القديسين – اصحاح ١ – طبعة كمبردج سنة ١٩٢٨

# بين الماضي والآتي

للاستاذ أديب عباسي

« وصلنا عدد (الرسالة) المائة والسادس والعشرون ، وقد انتهينا إلى جزء هذه المقالة الأخير . وكم كانت دهشة المفاجأة إذ فضضت غلاف الرسالة ووجدت بين بحوثها مقال الأستاذ الكبير أحمد أمين (أمس وغداً) . وكانت بادرة الفكر التي تلت دهشة المفاجأة أن أهمل الموضوع وأوفر على نفسي عناء المراجعة والتنقيح . ولكنني عدت وقلت قد أكون طرقت الموضوع من ناحية غير التي طرقها الأستاذ ، وقد أكون على خلاف معه في الرأي أو بعضه . وقرأت المقال فوجدت أننا نسير والأستاذ بعض الطريق ونفترق في بعضه الآخر . ومن أجل هذا الافتراق أبعث بمقالي هذا إلى (الرسالة) العزيزة »

تمرُّ بزمرة من الشيوخ خلوا الى أنفسهم وأرسلوا أحاديثهم ارسالاً لا تحده موضوعية البحث الجدي ، ولا اندفاع العاطفة الثائرة ، ولا عصبية الجدل ؛ فتكاد لا تحسُّ في حديثهم إلا اللهفة العميقة ، والالتياع الشديد على الزمن الفائت ، حيث اللذة لا يكدرها ألم ، والصفو لا يرنقه كدر ، وحيث النعيم أبداً مقيم ، والمنى أبداً حُفَّل دانية ! وينبثُّ اليك من صدق اللهجة واجتماع الرأي وخلوص النية في حديثهم ما يوحي بأن أعصر السعادة المطلقة قد تلكأت عند شبابهم ، وترخَّصت فقط لماضيهم ، فأقامت ثمَّ لا تبرح ولا تريم ؛ لهذا أمحل الحاضر ، وعقم المستقبل ، وغادر الناس طيب العيش وبشاشة الأمل !

تسمع هذا وخلافه مما تفيض به بقايا العمر وأعقاب السنين من الشيخوخة ، فتتدسَّس اليك الحسرة ويغمرك الألم إن تأخر بك الزمن ، ولم يحشرك في زمرة الشيوخ هذه ، ويجعلك في حشدهم ، فيكون لك من السعادة مثل ما يتحدثون ويصفون.

وتقودك رجلاك من حيث أنت الى زمر أخرى وأفراد آخرين ، بعضهم ما يزال – في رأي نفسه – يستعدُّ لخوض معركة الحياة ، وبعضهم الآخر – كذلك في رأي نفسه – قد أعدَّ لها العدَّة ، وهيأ السلاح ، فهو الآن يخوض غمارها ليصطلي بنارها ، أو يستاف العطر الذكي عن أزهارها

وتقف تتبسم ، فما يروعك من هذه الزمر مثلُ انشغالها بمستقبلها عن حاضرها ، وغفلتها عما في اليد الى ما يعتبها به الغد ، كأن حياة اليوم ليست في العمر ولا في تقدير الزمن ، وعضون هذا المضي ، الغفلةُ عن حاضر الحياة غريبة مدهشة ، والثقة في المستقبل قوية آسرة ، ويظلُّ هذا دأبهم الى أن يؤذن بركود الشباب ، ووشك الانخراط في سلك الشيخوخة المهدمة . عندها – وعندها فقط – يصحون ، ولكن لات ساعة صحو

وهنا ينقلب الوضع وينكفئ الاتجاه ، فتحل الذكرى القريبة أو البعيدة محل العزم ، والركود محل النشاط ، والعجز محل القدرة ؛ وهكذا بين ماضي الحياة وآتيها ، يُسقط الناس كل رصيدهم فيها ، ويجعلون منها – على حد تعبير الرياضيين – الكمية المهملة

وليست هذه الصور التي رسمنا بالصور الخاصة أو الطارئة طروءاً زائلاً ، إنما هي صور لها من طبيعة الشعور وخصائص الاحساس ما يجعلها من ألزم الصور للحياة وأكثرها لصوقاً بها وشيوعاً فيها . فالشيخ ، أو من كان في حكمه من شبان السنين ، يتَّجه إلى الماضي ليلطف عنده مرارة الحاضر ، وليتعوض بذكراه عما يفيته العجز وضعف المُنة من لذائذ راهنة يراها ولا يرى السبيل إليها كيف يكون . وقد تقول : لم يؤثر الشيخ أن يرتد بخياله إلى ماضي العمر ولا يرى أن يرسله في مطاوي المستقبل ليلتمس عنده القرار وينشد السلوان ؟ والجواب سهل هين إذا علمنا أن خيال الشيخ يخونه هنا ، كما يخونه كذلك منطق الواقع ومنطق الاحتمال . فالشيخ يدرك أن سبيله من بقية العمر هي سبيل نازلة لا صاعدة ، وأن كل يوم يمضي يدنيه من النهاية ويقلص لديه بقايا الأمل وأصداء السعادة ؛ وإذاً فالحاضر فسحة مسدودة ، والآتي سبيل مظلم مخيف ؛ أما الماضي فهو السبيل الوحيد الذي يستطيع أن ينساب فيه الخيال دون أن يشله برد الواقع أو تروِّعه بشاعة الحاضر

---

بالاتجاه نحو الله كما رأى ذلك رينان Renan

عرضنا في تلك الكلمة الوجيزة نشوء بعض تطورات الدين بأوربا ، مما يدعونا الى الاعتقاد أن هناك عوامل أخرى أدت الى تلك الاختلافات الطائفية غفل عنها رجال الدين والفلاسفة ، وهي التي دعت علماء الاجتماع للتعبير عنها بطريقة أخرى غير ما سبق . وذلك موضوع كلمتنا القادمة

(باريس) محمد جلال

بجامعة باريس

٦٠٥١

وقد تسأل : ألم يكن فى ماضى الشيخ الألم كاللذة ، والنعيم كالشقاء ، والحرمان كالأثالة ؟ فكيف يؤثر أن يعيش فى ماضيه دون حاضره وآتيه ؟ وهنا نرجع إلى حقائق الشعور الراهنة ، فيستبين لنا أن الألم الفائت يفقد قيمته مع الزمن حتى لا يبقى منه إلا ذكراه وصداه . وهذه الذكرى — إذا لم يصحب أسباب الألم عند نشوئه حالات ملازمة — تضحى باعثاً على الاطمئنان والراحة . فأنت إذ تفقد كل ما تملك أو تصاب إصابة جائرة فى سمعتك أو تجلس إلى حبيب إليك علّقه المرض بين فكّى الفناء والبقاء ، تشعر بالغبطة وانفراج الشعور بزوال الخطر ، حينما يعوض عليك السعى بديلاً من مالك ، وحينما يردّ إليك الوضع العادل سمعتك ، وحينما يتخطى غول الفناء حبيبك فيرده إليك سالماً معافى تنعم بلقائه نعمتك بكل عزيز عليك . وعليه فتلك الأحداث التى كانت يوماً ناراً يقلب عليها الاحساس ويضرّم الشعور أضحت بعد زوالها مجلبة للراحة والاطمئنان ، فلا عجب إذاً من ارتداد الخيال إلى الماضى وعكوفه عليه

بيد أننا لا ننكر أن ثمة عللاً أخرى غير ما أسلفنا لهـذا العكوف من الشيخ على ماضيه وانصرافه اليه عن آتيه وحاضره : منها أن الشيخ إذ يرتدّ إلى ماضيه يُسيِّر الشعور فى مسارب أضحت بتكرار الحدوث ممهدة لا تعترضه فيها عقبة ولا تتصدى له عثرة . ومن هنا فكرة « الماضى السعيد » عند الشيوخ ، ومن هنا أيضاً ميلهم الميل الشديد إلى المحافظة وإبقاء القديم على قدمه وتجنب كل جديد يصدم الشعور ويدعو إلى تحويله من مجراه المعتاد

ومن هذه العلل أيضاً ذهاب الرفقة وتخطّف الموت أبناء الجيل الواحد ، بحيث يجىء اليوم الذى يشعر فيه الشيخ انه غريب فى بيئة غريبة ، فيزداد حنينه إلى ذلك الرهط الذاهب من جيله ، فيستعيد بخياله ذكراهم المحبّبة وأيامه وأيامهم الحافلة

يضاف إلى هـذا لون معهود من ألوان الدفاع عن النفس بتهوين الحرمان عليها وطلب العزاء لما عنه فى الماضى ؛ وهو نوع من أنواع تخدير الاحساس ينشأ أول الأمر فى دائرة الوعى ، ولكنه مع الزمن وتوالى الحدوث والتأثير يتسرب إلى دائرة العقل الباطن ويتخفى فى تيه اللاشعور . وعندها يصدر ذمّ الحاضر عن عقيدة وينطلق عن يقين . وهذه الظاهرة تبدو أجلى وأوضح فى حياة الجماعات منها فى حياة الأفراد . ومن هنا أن الأمم كلما أهمل حاضرها وازداد تخلفها عن غيرها من الأمم ازدادت حفولاً بالماضى وتفطناً اليه وعكوفاً عليه . ولعل عبادة السلف عند بعض الشعوب ترجع فى معظم الأمر إلى هذا الميل النفسى العميق

* * *

ونعود إلى صورة الشعور كما يرسمها طماح الشباب ويحددها أمله ، فنجد أن الشاب إذ يتجه فى أمانيه وأخيلته وعمله إلى المستقبل ، إنما يجرى على طبيعة الشعور وبموجب قواعده . فالحاضر لدى الشاب الذى لم يحدد الضعف وقصر المجال وضيق المضطرب أمله فيه وحدود مسعاه ، هو مرقاة منها يرقى إلى غيرها . واذاً فحاضر الحياة من الشاب هو الدرب ، والمستقبل الافق ، ما يفتأ متجدداً مغرياً بالسعى والسير ما بقيت فى النفس حوافز السعى والسير . ثم ان حاضر الحياة مزيج من الخير والشر واللذة والألم والنجاح والفشل . أما آتيها فهو كما يرسمه الخيال ويحدده الأمل ، خير ونعيم ونجاح . أما الماضى فقد كان يكون من خياله ما يكون من خيال الشيخ لولا أن صورة المستقبل صورة قوية رائعة لا تدع للتفكير فى الماضى الا ما يدعه القوى للضعيف . وعلى كل فقد ترى من الشباب من ينزوى عن مستقبله ويتجه الى ماضيه ، إن يكن له ماض ، فعل الشيوخ الذين غادرهم الأمل وأحالهم الـكبر

هـذا تحليل مجمل لصور الشعور فى ثلاثة أطوار الحياة وفى أزمنتها الثلاثة ، لا نعتقد أننا نتحكم فيه أو نفرضه فرضاً على القارىء ، لا سيما اذا أزلنا من الصورة جانبى المبالغة والاغراق من تفاؤل رخيص يجعل الحياة ابتسامة طويلة كاذبة ، وتشاؤم عبوس دائم التقطيب ، كما يتمثلان فى حياة نفر من الناس ، شأنهم الحقيق من الحياة شأن الهامش من الصحيفة ، فيها وليسوا فيها

مما وصفنا ترى جلياً ان حاضر الحياة — وهو كل حقنا فيها — لاينال من فطنة الشعور إلاّ قدراً ضئيلاً عابراً إذا قيس بما يملأ أخيلتنا ويكظها من صور الماضى والآتى

وقد تقول : ماذا علينا — إذا كان هذا هو الحال — لنخلّص الحياة من هذا العبث الذى يضيع فيه العمر بين لهفة على الماضى وغفلة عن الحاضر واستشراف المستقبل ؟ وجوابنا ان من طبيعة

الحياة أن يتمازج فيها الخير والشر وتساير اللذة الألم ، وانه يستحيل أن تكون الحياة خيراً كلها أو شراً كلها ، وانه لهذا أضحى واجباً أن يقبل عليها الناس اقبالاً لا يُفيتهم ما يتيسّر لهم من نعيمها ، ولا يفيتهم - كذلك - النظر إلى المستقبل والسعي في سبيله ؛ ولن ينقص نظر الناس إلى المستقبل من استمتاعهم بلذات الحاضر إذا عرفوا كيف يحسنون السير في سبيله سيراً معتدلاً حتى لا يضحى مشغلة لهم تزحم حاضر الحياة على نصيبها الذي يجب أن يكون لها من وعي الشعور ، بل نحن نعتقد أن المرء يتيسّر له من سعادة الواقع ، مع السعي السليم والتطلع إلى المستقبل الذي لا يقطعُ المرء من حياته الحاضرة ، أكثر مما يتيسّر له حينما ينقطع عن ماضيه وآتيه ليكبّ على الحاضر وحده يرضع فيه اللذة ويترشف النعيم على الطريقة الخيّامية

وهذه الحالة السليمة من الشعور لا تحلُّ حلولا مفاجئاً ، كما يحلُّ الوحي ، ولا تجيء بالسعي الهين أو المتـدل ، انما هي حالة تقتضي السعي الأكيد ، والتعاون الشديد ، من جميع مصادر التوجيه النفسي . ولعل البيت والمدرسة يفوقان في هذا الشأن جميع مصادر التوجيه الأخرى في طول مدى التأثير وعمقه ، فالبيت والمدرسة يستطيعان أن ينشئا الجيل الذي لا يقتله الفشل فيرتد الى الماضي يخدّر فيه الشعور ، ولا يستخفه النجاح ، فيستعبده المستقبل ويستذله . ويكون ذلك بأن يتعاون البيت والمدرسة على تعويد الطفل بالتلقين والايحاء تلقي مؤثرات الحياة برحابة في الصدر ، وتوطين للنفس على خير الحيـاة وشرها على السواء

ويساعد على تكوين هذه الحالة السليمة من التصور مثل التربية الاستقلاليـة التي يُربّاها أبناء الأمم السكسونية ، حيث يتخذ الألم معنى الواقع الذي لا بدّ منه ، واللذة معنى الخير يجيء بالسعي ، فلابدّ من تذوّقه واستمتاعه إلى أقصى حدود الاستمتاع

ويجب كذلك أن يتعاون البيت والمدرسة تعاوناً حكيما في الحد من أنانية الصغار الصارخة ، وإفهامهم أن فرص النجاح ليست وقفاً عليهم وحدهم ، وأن غيرهم لهم من حق النجاح مثل حقهم ؛ فلا تمضي حياتهم آمالاً مخيّبة ، وآلاماً موصولة

كذلك على المدرسة والبيت أن يعوّدا الناشئ كيف يقف من حوادث الحياة موقف الحياد والاستقلال في التقدير ، ومن نفسه موقف المحاسبة والتحليل الدقيق للأوضاع التي تسوقه اليها ماجريات الحياة . بذلك يكتسب ثقة في النفس وتقديراً عادلاً للأوضاع ، ويجانبه من خصومة النفس وغربة الوضع وغرابة الاحساس ...

ومن واجب البيت والمدرسة - كذلك - أن يعتاد الصغار تقدير آلام الغير ويستيقنوا أن الناس يتألمون كما هم يتألمون ، وأن ما نشاهده من ظاهر السعادة عندهم هو في أغلب الأحيان دون ما نقدّر ونتوهم

ومن أولَ واجبات البيت والمدرسة أن ينشئا الصغار على التفطن إلى جميع مظاهر الجمال وتذوقه في الطبيعة والحياة والفن ، فان في ذلك توسيعاً لمدى اللذة وتغليباً لأسباب السعادة على أسباب الشقاء

وأخيرا يجب على البيت والمدرسة أن يفقها أن عملية التربية ليست إعداد المرء للحياة كما تصر نظم التربية القديمة ، إنما هي - كما يقول جون ديوي - فيلسوف النزعة الحديثة في التربية : « الحياة » بذاتها ؟

أديب عباسي

# الرابطة الثقافية
## بين مصر والشرق العربي
### دعوة الى توثيقها
للأستاذ رفيق اللبابيدى

أحب أن أقرر أولاً أن الأمة العربية مهما تكن شتى فى نوازعها السياسية ، هى أمة متماسكة ذات وحدة أو كيان واحد فى ثقافتها وفى تفكيرها

وقد اختلفت على هذه الأمة أدوار من الزمن ، كما اختلفت فيها أطوار من التاريخ ، وكانت تجتمع كلما حزبها أمر من الأمور عند هذه الوحدة الفكرية فى قوالب شتى ، فالدين كان ولا يزال واحداً ، واللغة كانت ولا تزال لغة واحدة ، والخوالج النفسية العامة واحدة ، والأدب فى مقاييسه ونوازعه كان واحداً ؛ ولو عدنا رجعنا إلى التاريخ وقلبنا صفحاته ، لوجدنا أن الأقطار العربية كانت تجتمع عند الاحتفال بالشاعر النابه والأديب مهما يكن موطنه ومهما تكن نزعته ؛ وقد كان الشعر أو الأدب يطوفان فى أرجائها يحملان اسم الشاعر أو الأديب طواف الفكرة الدينية أو المذاهب الفقهية ، أو النحل الشتى من بلد إلى آخر ، أو من قطر إلى قطر

وبينما كانت هذه الأقطار تسودها النزعات السياسية المتباينة كانت تفسح صدورها للآراء الدينية والمذاهب الكلامية ، والاستنباطات التشريعية ، تتسرب اليها عن طريق السفارات العلمية بارتحال العلماء فى مختلف العصور

وفى بغداد ، وفى دمشق ، ثم فى القاهرة ، وبين هذه العواصم التاريخية العريقة فى تاريخنا الواحد وماضينا أمثلة صادقة تسجل هذا الاتحاد الثقافى أو هذه الرابطة العلمية ، وإن تكن فى غير ما نألفه الآن من وسائل يسرتها عوامل الرقى ، وسنن التطور ولقد كانت رحلات الفقهاء ، وجماعات الأدباء ، ورحلات التاريخ من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب توثق من عرى هذه الروابط فاجتمع للعرب من هذا تراث واحد يمثل ذلك الاتجاه الفكرى ، وإن تكن قد اختلفت طرقه إلى النتائج ، وتباينت وسائله فيها ؛ ومذاهب الفقه ، والنحل المبسوطة فى المدونات والمظان التى تسربت إلى المغرب الأقصى والأندلس فى أيام ازدهارها ومن هذه إلى الشرق - لون من ألوان هذا الاتجاه كما كان من قبل ذلك للأدب سفاراته فى طواف الشعراء والكتاب من دولة إلى دولة ، ومن أقليم إلى آخر ، ولم تستطع الأحداث السياسية أن توهن من هذه الروابط أو تفل منها ، وإن استطاعت بعض الاستطاعة أن تعوق وسائلها ، وتقف تقدمها ؛ على أنى لا أزعم أن أثر هذه الأحداث لم يكن قوياً ، ولكنى أجيز لنفسى أن أقول إن هذه الرابطة لم تضعف بالرغم من هذه الحوائل ، بل صمدت لها حتى اجتاحها الزمن ، وانطلقت الأقطار العربية من عقالها فعادت إلى طريقها الأولى ماضية فيها تساير أطوار التاريخ رفعة وضعة ، سنة الله فى الكائنات جميعها

***

ولمصر فى نهضتها العلمية والأدبية الآن يد لا تجحد على الشرق العربى ؛ ففى صحافتها روح قوية توحى بهذه الرابطة التى لم تنهزم أمام أحداث الزمن ، وفى نتاج بنيها النابهين ، وعلمائها ومعاهدها وما تخرجه المطابع من مختلف الكتب والمؤلفات ، وما يظفر به القراء فى الأقطار العربية من ثمرات هذه الجهود المشكورة — ما يحل مصر الكريمة محل الزعامة المختارة المصطفاة ؛ والشرق العربى أحوج ما يكون اليوم إلى توثيق الروابط بمختلف ألوانها وأشكالها منه فى آونة أخرى ؛ فقد تدافعت هجمات الأحداث عليه من كل جانب ، وما أشده حين يكون كتلة واحدة على دفعها ، وما أهونه عليها حين تتسع شقة البين فى روحه وفى تفكيره بين بعضه وبعضه الآخر ؛ وأقول فى كثير من الاطمئنان إن دعامة هذه الجبهة الشرقية القوية لا تقوم إلا على وحدة فى الثقافة ترتكز على رابطة متينة بين الأقطار العربية وبين مصر الزعيمة

وبعد ، فلست أقترح رأياً فطيرا لا يدعمه البحث أو الأخذ والرد بين الأدباء والقائمة على هذه الرابطة ؛ ولكنى أقدم

بين يدى هذه العجالة كلاماً يصح أن يكون دعوة الى خطوات تمهيدية لمعالجة هـذا الغرض المنشود ، ويشجعنى على القول أن الأستاذ الزيات فى زيارتى الأخيرة له فى دار (الرسالة) ، قد ارتاح الى ما بسطته من رغبة فى توثيق هذه العُرَى الثقافية ، وتعهد أن تقوم الرسالة بالسفارة الأدبية بين أشياع هذه الرابطة

وإنما ازداد رسوخا بنجاح هذه الفكرة أو هذه الدعوة ، حين تحدثت بها إلى أكثر من أخ من إخواننا هنا فى مصر ، وهناك فى سوريا وفى فلسطين ؛ وأعتقد أن الحاجة ماسـة الى زورات علمية يقوم بها شباب مثقفون مؤمنون بفكرة هذه الرابطة الثقافية بين الآونة والأخرى ، لا يكون الغرض منها متعة النفس فحسب ، بل يكون مع هذا اتصال وثيق بين البيئات العلمية والأدبية هنا وهنالك باعداد بحوث تبسط فيها الأحاديث فى الشؤون الاجتماعية والأدبية والعلمية ، وأن تكون من ثم حلقاتٌ فى كل بلد من البلدان العربية تضع لها ميثاقا واحدا ينتظم الجهود الثقافية فيها ، مع الحرص على ما للشرق من تقاليد تفرضها أو تحتمها أوضاع الكيان القومى ، فقد أخذ الشرق كثيرا هـذا الاقتباس المشوه عن الغرب فى أكثر من ناحية من النواحى التى لا تتفق مع تقاليده وروحه ، وحالت دون أن يكون له لون من ألوان الامتياز الاجتماعى والأدبى والاستقلال العلمى الى حد ما يحفظ كرامته . واتجاه الشباب المثقف فى مختلف الأقطار العربيـة يكاد يكون متأثرا بأوضاع شتى ونواح كثيرة متباينة ، وهـذا يوسع من شقة الخلاف ، ويباعد على الزمن بين ماورثناه من هذه الروابط ؛ ذلك لاختلاف الثقافات ، واختلاف المناهج التى تفرضها هذه الثقافات ؛ وقد يجوز أن يكون مثل هذا فى الشرق العربى لو كانت اللغة غير واحدة ، أو لو كان التاريخ غير واحد ؛ ولـكن الأمة العربية مهما تباعدت سياسياً ، أمةٌ تراثها واحد روحا وتقاليد ؛ فيجب أن يكون اتجاهها واحداً فى الثقافة حتى يظل لها هذا التماسك القوى المتين

فتنظيم هذه الرحلات بين الشباب المثقف وسيلة من الوسائل لتكوين هذه الحلقات الثقافية فى الشرق العربى أو خطوة أولى الى توحيد الاتجاه الثقافى فيه ، وتلى هذه الخطوة مرحلة أخرى تكون بعقد المؤتمرات الأدبية وتناول ما تقترحه هذه الحلقات من اتجاهات قوية فى النهضة الأدبية والاجتماعية ، ووراء هاتين المرحلتين مراحل تقترح ليس هـذا مجال بسطها ؛ وبين يدى الأستاذ الزيات صاحب الرسالة وشباب مصر المثقف هذه الدعوة ، ولعلنا الى تحقيق هذه الأمنية واصلون

القاهرة رفيق اللبابيدى

## مشروع علمى جليل : سلسلة المعارف العامة

اعتزمت لجنـة التأليف والترجمة والنشر اخراج كتب لطيفة الحجم يتناول كل كتاب منها موضوعاً خاصاً علمياً أو أدبياً ؛ وترمى بذلك الى تكوين سلسلة تشمل جميع النظريات الحديثة فى الجغرافيا والتاريخ والفلسفة والتربيـة والطبيعة والـكيمياء وغير ذلك ؛ وقد سلـكت فى ذلك طرقاً مختلفة ، فأحياناً تترجم كتباً أجنبية إذا رأتها صالحة كل الصلاحية ، وأحياناً تؤلف فى الموضوع بما يتفق وذوق الجمهور العربى

وقد بدأت هذا الشهر فى اخراج أربعة كتب :

(الأول) عرض تاريخى للفلسفة والعلم تأليف ا . وولف وترجمة الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف ، وهو كما يدل عليه اسمه نظرة عامة فى تاريخ الفلسفة والعلم من بدء نشأتهما إلى الآن . وثمنه ٦ قروش صاغ

(الثانى) الآراء الحديثـة فى علم الجغرافيا تأليف ل . ددلى ستامب وتعريب الأسـتاذ أحمد محمد العدوى مدرس الجغرافيا بالجامعة المصرية . وثمنه ٦ قروش صاغ

(الثالث) سكان هـــذا الـكوكب تأليف الدكتور محمد عوض أستاذ الجغرافيا فى الجامعة المصرية يبحث فى سكان الـكرة الأرضية من بنى الانسان من حيث نشأة النوع البشرى وتعدد الأجناس ونمو السكان وتوزيعهم على سطح الأرض مع دراسة تفصيلية لحالة السكان ومشاكلهم فى مختلف الأقطار . وثمنه ١٢ قرشاً صاغاً

(الرابع) كتاب « البراجماتزم » أو الفلسفة الأمريكية تأليف الأستاذ يعقوب فام . وثمنه ١٥ قرشاً صاغاً

رسائل حاج

# ٢ - من ربوع الغرب

## إلى بلاد العرب

للمستشرق المجرى

الدكتور عبد الكريم جرمانوس

أستاذ التاريخ بجامعة بودابست

وشعرت وأنا أجتاز دهاليز الأزهر، وأستقبل لأول مرة أروقته وحلقات دروسه بنوع من الرهبة والخشوع والتسليم. فهذا المعهد العظيم موئل الاسلام ومعقـــله ، ومنبع الثقافة الدينية ، وحامى حمى اللغة العربية . كان من أسمى أمانى أن أندمج فى سلك طلابه . وكم كنت فى شوق لاهف إلى أن أنهل من ينبوعه الفياض روح الاسلام الحق ، وأضيء شمعة معرفتى الخافتة بحيث تتحول إلى شعلة وقادة ، وإلى حماسة فائقة داخل جوانحى ، وأتعرف إلى شـيوخه الذين يقودون العالم الاسلامى بآرائهم وأفكارهم ، كما كنت على يقين وثقة أننى بمعاونة هؤلاء العلماء الفطاحل سأمضى فى ترجمتى للقرآن الكريم إلى اللغة المجرية بحيث أجعلها فى متناول آلاف المسلمين من مواطنى

ومع أن هذه الترجمة كانت عملاً شاقاً مضنياً ، فانى كنت أحس من أعماق روحى أنها فرض واجب على كمسلم مخلص يريد أن يعلى منار الاسلام ويطمح فى أن يضيف لبنة صغيرة إلى صرحه العظيم

وخيل إلىّ وأنا فى نشوة روحيـة عميقة أننى بدأت أظفر ببغيتى وأجزى خير الجزاء عن تلك الليالى الطويلة التى لم أذق فيها طعم الكرى ، بل أمضيتها منكباً على دراسة الاسلام وتفهم قواعده وأصوله ، وأن كل ما حاق بى من مصاعب سيتبدد ، وفشلى سيتحول إلى فوز عظيم وانتصار رائع بمعاونة شيوخ الأزهر ومدهم يد المساعدة إلى عملى المتواضع

ولـكننى رأيت والأسف يملأ جوانحى أن آمالى تنهار دفعة واحدة بحيث أصبحت عاجزاً عن خدمة الغرض الأسمى الذى خصصت حياتى له . علمت بأن هناك وشاة أوعزوا إلى الشيخ الظواهرى بأننى دخيل أرمى إلى الوقوف على أسرار الاسلام وإذاعتها فى البيئات العلميـة فى أوربا ! وعلى الرغم من الظنون والشبهات السيئة التى حامت حولى بذلت جهداً عظيماً لمقاومتها ؛ وكان رائدى فى تلك المقاومة أن الحق على الدوام فى جانبى ، وقد كانت سيرة المرحوم الامام الشيخ محمد عبده وما لقيه من خصومة صماء خفية ، وانتصاره على خصومه أكبر مشجع لى فى الثبات أمام حجة خصومى . وقلت لنفسى : أين أنت أيها المصلح العظيم لترى كيف ابتعد الأزهر عن مبادئك العالية ، وتجاوز عن رسالتك الرفيعـة التى سموت بها فوق الأغراض الوضيعة والمطامع الدنيوية والمنافع المادية

وعلى الرغم من جهادى الضعيف فى مقاومة خصومى ، ما كنت لأستطيع أن أبرهن لفضيلة الشيخ الظواهرى على اخلاصى وحبى للدين الحنيف ، وأنى لست دخيلاً ، ولـكننى رجل يؤمن من أعماق روحه بالرسالة المحمدية النبيلة ، وأريد أن أحصل على معاونة رجال الأزهر للوقوف على تعاليم الاسلام ، مع علمى بأن هذه الشريعة السمحاء ليس بها أسرار يمكن اذاعتها فى البيئات العلمية ، لأنها ديانة مؤسسة على ثقافة ثابتة مكشوفة للعالم لا تميز فيها بين الأجناس والألوان . وليس الأزهر سوى الجامعة الاسلامية الحق التى تضيء شعلة الحق ، فلا أسرار فى جوانبها يمكن اخفاؤها عن رجل أجنبى مهما كانت صفته . ألا يعاقب الله كل مسلم يرمى أخاه بالشرك والـكفر والتشكك فى عقيدته المقدسة ؟ ألا يعاقب أيضاً أولئك الذين لا يقومون بواجب الدعاية والارشاد للاسلام ، والذين يخفون أسرارا فى قلوبهم ؟ يشهد الله أننى لا أرمى من وراء ذلك أن أوجه التهم جزافاً ، لأنى لا أملك هذا الحق ، ولـكنها صرخة ضعيفة أردت أن أنفس بها عن صدرى

إن الأزهر بحسب نظامه الحالى لا يستطيع أن يؤدى رسالة الاسلام كما يجب . فالنظام الحديث الذى أدخل عليه ، والحيلولة دون اجتماع الطلاب فى حلقات الدرس كما كانوا قبلا حول شيوخهم ، مسخ الأزهر وشوهه ، وأفسد ما كان قد بقى له من جمال وجلال وحرمة ، وأفقده سيطرته الدينية والاجتماعية فى العالم الاسلامى ،

تلك السيطرة التي ظل متمتعاً بها قروناً عدة . ويلوح لي أن البرامج الحديثة لم تقدم الأزهر خطوة واحدة ، لأن المشرفين على تنفيذها جعلوا هدفهم الأسمى فتح أبواب العمل في وجوه الطلاب ، وتمكينهم من احتلال الوظائف الدينية دون أن يفكروا في تحميلهم ثقافة الاسلام على وجهها الصحيح وارشاد المسلمين الى الخير وتفقيههم ، ودعوة غير المسلمين الى الدخول في دين الله كما نص على ذلك القرآن الكريم . يجب إذن أن يترك الأزهر ليكون جامعة الاسلام الحق ، وأن يعد طلابه لحمل رسالة الحق ، وتهيئتهم للوعظ والارشاد ؛ أما فتح أبواب العمل واحتلال الوظائف الدينية فأشياء ثانوية قد تصرف الأزهر عن الغاية التي أنشىء من أجلها

وعلى الرغم من وجود عدد كبير من العلماء الجهابذة في هذا المعهد الاسلامي العظيم فان الضغط أطفأ في قلوبهم روح المرفة والتعطش اليها . على أن الاسلام في عرفي يحتاج إلى حرية كاملة في البحث والتنقيب والفكر . ولقد ولد الاسلام في مهد الحريات فيجب أن يظل كذلك ، لأنه يحث على حب الحقائق والصدق والتغلغل في أعماق المعرفة . وتقدم الأزهر لا يتم بتشييد العمارات المهيبة العظيمة ، وإقامة عمد من الرخام والمرمر ، وصنع مقاعد الدراسة من الاخشاب الثمينة ، وانما يتم بالتمسك بالعروة الوثقى ، وإزالة الصدأ الذي ران على القلوب من التمسك ببعض التقاليد والعقائد الزيفة ، وفي الاجماع على توحيد كلمة الحق ووضع الأنظمة الالهية في المكان اللائق بها . ألم يقل الله عز وجل : « خلق لكم ما في الأرض جميعاً » أو كما قال الرسول الكريم « تفكروا في خلق الله ، ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا »

***

ولما يئست من معاونة رجال الأزهر قر في عزمي أن أقوم بدراستي وحدي مستعيناً بمسلم خاص تكرم بتضحية جزء من وقته لتعليمي ، كما ألفيت مساعدة عظيمة من بعض أصدقائي بالقاهرة ، كالأستاذ محمود تيمور الذي يجمع بين ظرف الشباب وطهارة الشيوخ ، والشاب النابه محمد أمين حسونه الذي عرفني إلى طائفة من أدباء مصر وصحفييها ، وأعارني مكتبته طيلة إقامتي في مصر ، والباحث محمد عبد الله عنان الذي يعد حجة في التاريخ الاسلامي ، والشيخ الوقور عبد الوهاب النجار الذي له أتباع وتلاميذ منتشرون في أنحاء الأرض ، وقد كان سبباً في تعرفي بكثير من اخواني المسلمين ، وكانت كتب توصيته بمثابة مفتاح يفتح أمامي كل باب

***

وفي أواخر فبراير زودني الأستاذ النجار بكتب توصية بمناسبة عزمي على أداء فريضة الحج ؛ وكان له الفضل الأكبر في تقديمي إلى « بنك مصر » ، ذلك الصرح المالي العظيم الذي يتناول من جملة مشروعاته الاقتصادية تنظيم سبل السفر إلى الأقطار الاسلامية المقدسة . ومما يذكر مع الأسف العميق أن أعمال الحج كانت تقوم بها قبل ذلك شركات ملاحة أوربية لاعلم لها بما تتطلبه حاجات الحجاج المسلمين ، فكانت بواخرها تحمل المشروبات الروحية ، وتقدم إلى الركاب الطعام الأوربي ، ولا تكترث بأن تهيء لهم الماء الكافي للوضوء ولا إقامة مصلى يؤدون فيه الفرائض الشرعية

أما « بنك مصر » فقد نظم للحج باخرتين كبيرتين تعدان من أكبر البواخر ، وزودها بكل ما يحتاج اليه الحجاج من وسائل الراحة والمأكل بحيث يشعر المسافر أنه لم يفارق بلاده . وقد كانت بغيتي أن أستقل إحدى هاتين الباخرتين ، لأنني عددت نفسي مصريا بعد أن شربت من ماء النيل ، ولكني لم أتمكن وا أسفاه من نيل بغيتي ، فان قانون شركة ملاحة مصر يمنع من نقل الحجاج الأجانب على هذه البواخر ، وعلى الرغم من الجهود الذي قمت به وتوسط الهلباوي بك لم أوفق ، واضطررت إلى السفر على إحدى بواخر الشركة الخديوية

وقامت بنا الباخرة باسم الله مجراها تشق برزخ السويس ، فرحت أفكر في تاريخ ذلك المضيق الذي كان سبباً في فصل افريقيا عن آسيا ، بل كان فاصلا بين حقبتين من أحقاب التاريخ ؛ ومع أنه قرب مصر من أوربا فقد جعل لمصر مركزا سياسياً ممتازاً بحيث أصبحت جزءا من أوربا . وبينما أنا غارق في غمار تلك الأفكار إذ اقترب مني فريق من الحجاج وبدأ التعارف بيننا بسرعة . كان بينهم طبيب هندي تصحبه كريمته ، ولكن لسوء الحظ لم يكن هذا الطبيب يعرف من اللغة العربية حرفا واحدا ، فاضطررنا أثناء السفر إلى التحدث باللغة الانجليزية . وفي

ذات يوم نظر إلى نسخة من القرآن الكريم فى يدى ، وهى الطبعة التى تولتها المطبعة الأميرية ، فأعجب بها أيما إعجاب ، وطلب إلىّ أن أبتاع لحسابه ألف نسخة من هذه الطبعة ليبعث بها إلى الهند إذ لا توجد هناك مصاحف جيلة من هذا النوع

وكان بالباخرة أيضاً حاج مراكشى ، يشغل وظيفة قاض فى فاس ، وكان صبوح الوجه ، وقورا ، أميل إلى التزام الصمت ، لكنه ما كاد يسمعنى أتحدث بالعربية مع أحد الحجاج الأتراك حتى أقبل إلينا واشترك فى الحديث . ولشد ما أعجبت بتبحر الرجل فى العلوم الاسلامية والفقه ، كما أن لباسه الشرقى الفضفاض كان يخلع عليه طابعاً من الرزانة والوقار ؛ أما صاحبنا التركى فكان أحد ضباط الشرطة فى دمشق ، وبعد اعتزاله الخدمة آثر أن يبقى فى سورية حيث تعلم اللغة العربية ؛ وكان طيلة السفر يشكو مر الشكوى من الأنظمة الحديثة فى تركيا وبالأخص ترجمة القرآن وتشويه هذه الترجمة بحيث لا تؤدى المعانى المقصودة ، ويظهر سخطه وتبرمه بالغازى الذى يحول دائما بين المسلمين الأتراك وبين أداء فريضة الحج ، ويرهق كل من أراد الحج بالضرائب الفادحة

من ذلك ترى أننا كنا على ظهر الباخرة من بلاد متباينة ، ولكن تجمعنا جامعة الاسلام ، وتؤلف بين قلوبنا وتجعلنا نعيش كأفراد أسرة واحدة . فلما اقترب موعد العشاء أخذنا أماكننا على المائدة ، وكان يخيل الى كل من يرانا أننا فى برج بابل ، فكل منا يتكلم بلغة لا يفهمها الآخر ، بيد أننا سوف نصل بعد بضعة أيام إلى جدة وتطأ أقدامنا الأرض المقدسة فنخلع عن أنفسنا تلك الملابس التى تفرق بيننا لنستبدل بها لباس الاحرام الفضفاض بحيث لا يصبح أى فارق بيننا بل نكون سواسية فى حضرة رب البيت الكريم

وبعد انتهاء طعام العشاء بقليل صفرت الباخرة صفيراً عالياً فغادرنا المائدة وتهيأنا للوضوء ، ثم صلى كل منا ركعتين قرأ فيهما سورة الاخلاص وقل يا أيها الكافرون

وكان البحر هادئاً والهواء نديا والنجوم تتألق فى القبة الزرقاء ، وراحت الباخرة التى كانت تحمل على ظهرها أكثر من ٧٠٠ حاج تلقى مراسيها بين هتاف الحجاج ودعواتهم الحارة وهكذا ظل الحجاج فى هرج ومرج ، فكنت ترى البعض يهتف بقوله : لبيك اللهم لبيك ، والبعض الآخر مستغرقا فى صلاته ، وآخرين صامتين لا يبدون حراكا ، شاخصين بأبصارهم فى ذهول نحو الأرض المقدسة التى خرج منها سيد الخلق ورسول رب العالمين

وما كنت بأقل من هؤلاء الحجاج شعوراً بالغبطة والابتهاج ، ولزمت مكانى خاشعاً راكعاً لا تقوى قدماى على الحركة ، ودقات قلبى تثب فى قوة وعنف بينما يردد لسانى فى خفوت : لبيك اللهم لبيك . ثم انهمرت الدموع من مآقى ولم أملك أن أمنع نفسى من الاسترسال فى البكاء . أجل ! أدركت الحق الصحيح ولمست عظمة هذا الدين الحنيف ، وعبثاً حاولت النوم فى تلك الليلة ، بل شرد عقلى واتجهت بتفكيرى إلى أعمال الخلفاء ، رضوان الله عليهم ، وإلى رعايتهم الأمم الاسلامية ، وتوزيع أسباب العدالة عليها طبقاً لأصول الشريعة السمحاء

(يتبع) عبد الكريم جرمانوس

# رثاء

محمود چلبي الشهبندر أحد سراة العراق

## للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

— ١ —

تحطمت الآمال من بعد محمود ... فيا سلوتى شحّى ويا عبرتى جودى
قد اجتثّ روحٌ كان قبل اجتثاثه ... يزين بأثمار له ألفَ أملود
خلا القصرُ ممن كان للقصر مالئاً ... كأن لم يكن فى رُدهتيه بموجود
لقد غمدوا السيفَ الصقيلَ بحفرة ... ويا ليت ذاك السيف ليس بمغمود
تجرّد من جسم تضيق حدودُه ... يجوب فضاء واسعاً غير محدود
نعاه لىَ الناعى فكان نعيُّه ... كصاعقة أو مثل صدمة جلمود
فادركنى يومٌ من الدهر أسودٌ ... فكان لحزنى شرَّ أيامىَ السود

— ٢ —

لقد غاب محمودٌ عن الصحب مضطراً ... ولم يبق منه للصديق سوى الذكرى
كأن لم يكن قد سُرّ أصحابُه به ... ولا هو فى يوم بأصحابه سُرّا
بربك لا تلحَ الحزينَ على البكا ... فإنك لا تدرى بما فيه قد أورى
تقول عيونى للسحابة أقلعى ... فإنك لا تبكين من كبدٍ حَرّى
على كل قبر مقلةٌ ذات عبرة ... وماذا انتفاع القبر بالمقلة العَبرى
قسمتُ بكاء الشعر بينى وبينه ... فأعطيته شطراً وأبقيتُ لى شطرا
ولا تقترح قولاً على الشعر إنه ... بموقفه فى يوم محنته أدرى

— ٣ —

لقد ظلّ للموت الزؤام يجاذب ... إلى أن علاه الموتُ والموتُ غالب
أطال الردى همساً بأذن مريضة ... كأن له ديناً لجاء يطالب
ولو حزتُ علماً بالمقادير جئتُها ... أؤنّبها فيما أتت وأعاتب
يقولون أمراض به أغرت الردى ... وما هى أمراضٌ ولكن نوائب
فيا دمعُ أنت اليوم كالقلب نابضٌ ... ويا قلب أنت اليوم كالدمع ذائب
لقد ندبته نسوةٌ حول نعشه ... وأشجى بما كانت تقول النوادب
إذا انطفأ النجمُ الذى كان ساطعاً ... فليس ببدع أن تسود الغياهب

— ٤ —

أمحمودُ كنتَ الراجحَ العقلِ والخلق ... من الباطل الخداع تفزع للحق
وكنتَ كنجم لا قرار لسيره ... فتطلع من أفق وتغرب فى أفق
وكان لموتٍ قد أصابك سهمُه ... دوىٌّ بغرب الأرض أجمعَ والشرق
ولا رُزء إلاّ كان رتقٌ لشقه ... وليس لشق يفتق الموت من رتق
مضى بصديقى الحرّ يستعجل الردى ... فليت الردى للحر قد كان يستبقى
بكتك عيون العارفيك بأدمع ... تفيض وللأرض التى ظمئت تسقى
تجنبتَ ضوضاء السياسة آخذاً ... بأيديك أسبابَ التجارة فى حذق

— ٥ —

حياةٌ ومن بعد الحياة مماتُ ... وجمعٌ على الأعقاب منه شتات
وهل تغسل القلبَ الحزين من الأسى
إذا العين منها انصبّت العبرات
وإن أثقلت نفسَ الوفىّ فجيعةٌ ... فلا النورُ يُسليها ولا الظلمات
أقول لقومى إن يكن عندكم لمن ... تَفَجّعَ سلوىً فى المصاب فهاتوا
وما أجملَ الأيامَ إمّا لنا وفت ... ولكنما الأيامُ متنقلات
لقد حملوا نعشَ الفقيد لقبره ... فساروا وسارت خلفه السروات
فما كنت من تلك الجماهير سامعاً ... سوى صرخات بينها شهقات

— ٦ —

على الأرض أمجادٌ كثير قصورُها ... وأكثر منها فى العراء قبورها
وما من بقاع ليس يهلك أهلُها ... ولا من سماء ليس تردى نسورها
وما خيرُ دنيا بالزلازل أرضُها ... تميد وبالأمواج تغلى بحورها
إن الجسمُ أودى فالبوارُ نصيبُه ... ولكنما الأرواح ماذا مصيرها
إذا ما حياةُ المرء للمرء فارقت ... فهل من حياة غيرها يستعيرها
وليس لنفسٍ أن تخيّرَ حمامَها ... ولا هو إمّا زارها يستشيرها
إذا النفس دبّ الداء فيها فعالجت ... منيتها ماذا يكون شعورها

— ٧ —

هل الحزنُ إلاّ مقلةٌ تتفجّر ... وإلاّ قلوبٌ نارُها تتسعّر
تبعثر شمل البيت بعد اجتماعه ... وأىّ جميع عوضُ لا يتبعثر
وأجساد موتى فى القبور تأسّرت ... وأرواح موتى للبقاء تحرّر
على أن موتى السابقين إلى الردى ... حياةٌ لأبناء لهم قد تأخّروا
ولم يك يوماً للطبيعة غايةٌ ... سوى النوع إن النوع أبقى وأثمر
لقد عرف الإنسانُ منها ظواهراً ... ولم يدرِ ماذا فى البواطن مُضمر

إذا مات طفل البيت فالخطبُ فادح
وإن مات ربُّ البيت فالخطب أكبر

— ٨ —

لقد جاء ماقد كان يبنيه ذا حسن … فما تمّ حتى قام يهدم ما يبنى
حزنتُ وماحزنى سوى ابن رزيئةٍ … وما دمعتى فى العين إلاّ ابنة الحزن
وما أحدٌ فى الناس يدرى مصيرَه … ومن كان لا يدرى فيفزع للظن
لقد زيّنت بالزهر قبرَك صحبةٌ … وعن كل هذا الزهر قبرك مستغن
يخال الفتى علماً له بحقائق … ولم ينتبه أن الحقائق فى الذهن
وليست حياة المرء بعد مشيبه
وإن قل شكواه سوى التعب المُضنى
سمعتُ أحاديثاً وإنى لمبدلٌ … لما نظرت عينى بما سمعت أذنى

(بغداد) … جميل صدقى الزهاوى

---

# نذالة التعاسة

## للأستاذ عبد الرحمن شكرى

كدت أنسى دواعىَ الرفق مما … قد أرتنى نذالة التعساء
يقضمون اليد التى تنتحيهم … بسخاء ونجدة وإخاء
ويكيدون فى الخفاء أو الجهـ … ـرة ألأمْ بجهرهم والخفاء
عشش اللؤم حيثما عشش البؤ … س سوى فى القليل من كرماء
ليس بِدْعاً أليس ما نغص العيـ … ـشَ من البؤس باعث الشحناء
كل قلب يبيت من حسك البؤ … س ملئ بخسة الأدنياء
يتلظى شراً ويرشح غدراً … ويداجى خوناً بثوب رياء
يلؤم المرء وهو غير شقى … كيف ينأى عن لؤمه فى الشقاء
ليزيدنّهُ اغتيالا وحقداً … واقتراساً على حطام الرخاء
وسُعاراً لو أنه نال من أر … ض لَجَنّتْ زلازل الغبراء
وهو غلٌ لو حاق بالشمس أمسى … مثل ذر الرماد وجه ذُكاء
ليس شر البأساء قصراً على النحـ … ـس ولكن كم أشعلت من عداء
وحقود وخسة وسعار … واغتيال ومكرة ورياء
تفسد الأنفس الكرائم حتى … تقتدى مثل أنفس اللؤماء
ضاع عطف الرحيم إذ ضاع حسن الـ … ـخلق فى خيم أنفس التعساء
وعظيمٌ ما أفسد النحس من خلا … ق هضيم ورحمة الرحماء
كم شقاء يمضى وفى النفس منه … أثر واضح لغير فناء
من عوادى سخائم لست تدرى … هى بالمرء علة الأدواء
أم هى النفس سقمها مثل سقم الـ … ـجسم من إحنة ومن شحناء
مثل ذل الشعوب خَلّف لؤما … بعد فوت من عهده وانتهاء
وصفات الشعب الضعيف لَتُلْفَى … فى جسوم صحيحة أقوياء
من رياء وإحنة واحتيال … وتعادى تخاذل وافتراء
شيم يدرأ الذليل بها من … عجزه سطوة من الأعداء
أصبحت شيمة النفوس وإن لم … يك ذل ولم يكن من عداء
فمتى يلبس الخلائق طرا … طيب نفس فى شملة النعماء
ليس إلا بها نجاء نفوس الـ … ـناس طرا من خسة الغبراء
فاطلبنهْ فيها وإلا فدع نشـ … ـدان أمر بغير داعى الرجاء

عبد الرحمن شكرى

---

# الأمة العربية

## بقلم حبيب عوض الفيومى

قد أصبحت وطعامها جِرّاتُها … وتعرّفَتْ لِعَليمها نَكِراتُها
مبسذولةً حُرُماتُها مفتوحةً … أسدادها ملحوظةً غِرّاتها
غلبت مطامعها على أخلاقها … فهوت بها أحقادها وتِرَاتها
فتخالفت من حقدها غاياتها … وتشابهت من موتها فتراتها
فكأن خالد لم يَغُزْ بدِمَشقِها … يوماً ولا خَدَمَ الرشيدَ فُراتها
يا مُخفِقَ الأسفارِ طيّاراً بها … قد أنجحت بك آنفاً بَكَرَاتُها
نَهَضَت بنفسِكَ فارساً أخلاقُها … وهَوَت بنفسك طائراً عَرّاتُها
انظر لنفسك أين موضع فضلها … لا تلفحنّك جامحاً جمراتها
ما بالغِنَى فتح البلادَ محمدٌ … بل بالهدَى دانت له داراتُها
ينجو الكريم مَعَ القليل صيانةً
وتُميتُ صاحبَ حاجةٍ حسَرَاتُها
وكأنّ ذلكم البريقَ غِشاوةٌ … للنفس تَكْمُنُ تحته عثراتها
ومن الدليل على شقاوة أمّةٍ … أن يستنيم إلى النعيم سَرَاتُها
والأرضُ دارٌ إن تفاضل أهلُها … بغنى البطون فخيرُهم حشراتُها

الفيوم … حبيب عوض الفيومى

فصول ملخصة فى الفلسفة الألمانية

# ٢٩ – تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

## الناحية الإيجابية من مذهب نيتشه

## السوبرمان

## أو الانسان الأعلى

للأستاذ خليل هنداوى

لا ينبغى للعاقل أن يكون قاسياً على نفسه فحسب ، ليكن قاسياً على الآخرين أيضاً لا يحفل بهدوء ولا بسلام ؛ هو يدرك أن الانسانية لا تنشط نحو غاية معينة معلومة ؛ ولكنه يرى كل شىء فى استحالة وتطور ؛ يرى من واجب الحياة نفسها أن تعمل على أن تفوق نفسها ، ويدرك أن الانسان ليس من حقه أن يملل نفسه بأنه بلغ المرفأ سالماً . ليكن كل سلام عنده ذريعة لحرب جديدة ، ولتكن حياته طافحة بالحوادث العظام ؛ هو لا يتحرى عن السعادة ولا يجهل أن الفرح والحزن هما توأمان متقارنان . وفى استطاعة الانسان أن يجوز الحياة بدون فرح كبير يمروه ، أو شقاء كبير يغزوه ، على أن ينقص من قوة حيويته . أما الذى يريد أن يتذوق الأفراح الكبيرة فمن واجبه أن يعرف الأحزان الكبيرة ، إذ كل ارتجاج فى ناحية يقابله ارتجاج فى ناحية أخرى . « أما خالق الفهم المؤمن بالحياة ، من يريد الحياة عنيفة قوية ما شاءت القوة ، فهو يريد أن تكون الارتجاجات واسعة حول نقطة الموازنة ؛ يريد أن يعرف القمم العالية للسعادة والشقاء . يريد أن يعرف الانتصارات المسكرة والهزائم الشنيعة . يجب عليه أن يمشى فى وقت واحد إلى النصر وإلى الاندحار . وزرادشت ذاته قد هلك حين بلغ « قمة » وجوده . والسوبرمان هو – فى وقت واحد – الظفر اللامع والاندحار القوى للانسان

وبينا ينبغى للعاقل أن يكون قاسياً على نفسه ، لا يلتوى إزاء الألم ، ينبغى له كذلك أن يكون قاسياً على الآخرين ؛ هنالك مصائب وآلام يعد خنقها فاقداً للانسانية ، وهنالك منحطون ناقصون ، جاءوا الحياة اختلاساً ، فلا يجوز تأخير فنائهم !

يقول زرادشت : « فى كل مكان ترن أصوات الذين يعظون بالموت ، والأرض مفعمة بالذين يجب أن يوعظوا بالموت ، أو « بالحياة الأبدية » حتى يقلعوا عن الحياة سراعاً . وللمتشائمين والشكوكيين والمنحطين الذين يئنون ويقولون « ما الحياة إلا شقاء » ، لهؤلاء يجب أن يقول العاقل « إذن ! ضعوا لحياتكم وآلامكم حداً تنتهى عنده حياتكم وآلامكم ، ولتكن شريعتكم مبنية على هذه الكلمة . « الانتحار واجب ، والانهزام من الحياة واجب » ، إذ لا ينبغى للأرض أن تغدو داراً آهلة بالمرضى والبائسين ، حيث يفنى الانسان الخالص الجوهر سأماً وشفقة . إذا أردنا أن نستنقذ السلالات الآتية من مشاهد الفاقة والشناعة فلنترك الموت ينزل بمن هو ناضج للموت . ولتكن فينا جرأة على ألا نصرف الساقطين عن السقوط ؛ لندفعهم ولنقذف بهم قذفاً حتى يهووا سريعاً . ينبغى للعاقل أن يعرف كيف يتحمل مشهد الألم عند الآخرين ، وأن يعرف كيف « يؤلم » ويبث الألم دون أن تجد الشفقة إلى قلبه سبيلا

هذا هو ما تطلبه النفس العظيمة . يقول زرادشت : « أبالغ أنت شيئاً عظيماً إذا لم تشعر بقوتك وارادتك التى تعاقب بآلام كبيرة . عرفانك أن تتألم ، هذا شىء حقير ؛ فالنساء الضعيفات والعبيد يصبحون أسياداً فى فن الألم . ولكن ثبات جأشك وعدم انحنائك أمام المصائب المؤلمة والصيحات المؤلمة ، هذان هما مظهر العظمة وسرها الضريح »

ينبغى للعاقل أن يتصف – فى كل فصول حياته – بطهارة الطفل اللاعب ، وصفاء الراقص الباسم ، وهناء اللاعب المجدود ، وفى مثل « الاستحالات الثلاثة للروح » ينبئ زرادشت بأن النفس الانسانية يجب أن تكون فى استحالتها الأولى « بعيراً » يحتمل بصبر أثقل الأعباء على ظهره ، حتى يستطيع أن يجمع الشىء الكثير من التجارب ، ثم يستحيل « البعير أسداً » يجأر قائلا : « أنا أريد ! » ويتوعد بمخالبه الحادة كل من يحاول العبث بحريته . يجب عليه أن ينتصر على تنين الشريعة المكتوب على كل جزء من جسده بأحرف ملتهبة « يجب عليك ! » ثم يسرع فى نزع أثقال المثل الأعلى والحقيقة والخير عن ظهره

مما كان يظن حمله خيراً له ، وأخيراً ، لكي يستطيع أن يدخل في دور « الانتاج والابداع للقيم الجديدة » بعد تهديم القيم القديمة ، يجب عليه أن يستحيل طفلا يلهو ويلعب ؛ « إن الطفل هو صفاء ونسيان ، هو ابتداء ، هو لعبة ، هو دولاب يدور بنفسه حول نفسه » . وهكذا يجب على النفس التي تتوق إلى الصعود فوق قمم الحكمة أن تتعلم أن تلعب ، وأن تفرح وتمرح طاهرة صافية ، يجب أن تكون خفيفة غير واعية تنعتق من التشاؤم والكآبة ، ومن كل ما يجعل حياتها سحابة دكناء

تقول الشريعة القديمة : « ويل لمن يضحك » ! وهذا القول عند زرادشت منكر قبيح . أما العاقل فيجب عليه أن يضحك الضحكة الآلهية ؛ يجب أن يدنو من محجته وغايته بخطوات خفيفة راقصة طائرة ، لا بليدة نادمة ؛ إنه يتعزى بالضحك عن نقصه ؛ إنه بالرقص والطيران يجوز مستنقعات الكآبة كالرياح العاصفة . يجب على الانسان أن يتعلم الرقص بنفسه والضحك بنفسه وأن يرتفع وأن يسمو فوق نفسه ، وأن تفوق نفسه نفسه على أجنحة الضحك والرقص

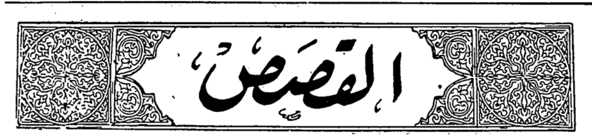
يقول زرادشت : « إن إكليل الضحك ، هذا الاكليل من الورد ، ضفرته أنا على رأسي ، وأنا قدست ضحكتي المرحة . إن إكليل الضحك ، هذا الاكليل من الورد ، ألقي به إليكم يا إخوتي . أنا أقدس الضحك أيها الرجال السامون ، فتعلموا أن تضحكوا »

— ٣ —

« إن من كان مثلي مدفوعاً بشوق غريب للتأمل في مذهب التشاؤم إلى أقصى حد ، قد يكون — من حيث لا يريد بذاته — فاتحاً عينيه على المثل الأعلى للرجل الحي الطروب المبتهج بالحياة الذي لم يتعلم أن يتحمل الماضي والحاضر فحسب ، بل يعمل على إحيائهما معاً ، مهما كان الماضي ومهما ذهب المستقبل . » ولعل هذا التشاؤم البطن عمقه بالتفاؤل هو الذي حدا بنيتشه إلى أن يطلب الحياة لنفسه ، ولهذه الرواية الانسانية الشاملة الكاملة ، وللوجود الذي يقوم بتمثيل هذه الرواية

في شهر أغسطس من عام ١٨٨١ هبت في رأس نيتشه فكرة القول بالرجعة الخالدة التي أصبحت أساس فلسفة السوبرمان ، وما لبثت هذه الفكرة أن ملكت عليه مشاعره كلها . وقد تتلخص هذه الفكرة في هذه الكلمة : إن شحنة القوى التي تهيمن على العالم تتراءى لنا ثابتة سرمدية ؛ لا نقدر على أن نفترض لها نقصاً لأنها لو كانت كذلك لوجب زوالها في هذا الدهر الطويل ، ولا نقدر على أن نفترض لها نمواً — كالنمو العضوي الذي نعرفه — إذ لو كانت كذلك لافتقر نموها إلى غذاء ؛ وما هو هذا الغذاء أو هذا الوقود ؟ وعلى هذا لم يبق لدينا إلا الاعتقاد برسوخ هذه القوى وثباتها

(يتبع) خليل هنداوي



مأساة من اسخيلوس

# أجاممنـــــون

للأستاذ دريني خشبة

---

« ولد اسخيلوس سنة ٥٢٥ ق . م . وعاش سبعاً وستين سنة ، وحارب في موقعة ماراثون ، وكتب تسعين درامة لم يبق منها غير سبع . وكان يكتب درامات ثلاثية Trilogy أي تتركب الواحدة منها من ثلاث درامات — أو قل فصول — تستقل كل منها بنفسها ، وتكون مع الأخريين وحدة رائعة . وكانت مآسي أسخيلوس غرة في جبين عصر بركلس ، أزهى عصور الأدب في التاريخ القديم ؛ ودرامة اليوم ( أجاممنون ) هي الحلقة الأولى — أو الفصل الأول — من إحدى ثلاثيات إسخيلوس ( الأورستية ) نسبة إلى بطل المأساتين الأخريين ( أورست ) (١) بن أجاممنون وضحية الأمومة الأثيمة ، ويعدها نقاد الأدب الكلاسيكي أروع طرف الأدب اليوناني

« وإسخيلوس هو أول من سار بتقاليد المسرح القديمة ، بل ربما كان واضع أول لبنة في المسرح القديم . وقد كانت الدرامة — أو المأساة — قبله غير معروفة ، وكانت المعامة (Cantata) هي المتداولة ، وكان القصاصون يقومون بتأدية الأدوار جميعاً . فلما كان اسخيلوس حتم أن يخصص لكل دور ممثل بعينه ، والمنشدون أو ( الخورس ) لهم مكانة رفيعة في درامتي اسخيلوس وسوفوكليس ، وأناشيدهم هي شرح للاحداث التي تمهد للدرامة أو تتصل بها . »

— ١ —

نحن في الـ ( بلوبيديه ) ، ذلك القصر العتيق الشاهق ، الذي تكتنفه الأسرار ، وتهوم في أبهائه وردهاته الألغاز . . .

ومن الـ ( بيلوبيديه ) تصدر الأوامر ، فتصدع بها مملكة آرجوس . . . وتجيش الجيوش ، وتتحرك الأساطيل . . . وتسيل الدماء أنهاراً !

ومن هـذا القصر ، يحكم الملكان الشقيقان أجاممنون ، ومنالايوس . . . أما أولهما فقد تزوج من الفتاة الكاسرة ، ذات الصولة ، كليتمنسترا ، بطلة المأساة التي نحن بصددها الآن . . . وأما ثانيهما ، فقد تزوج من الفتاة اللينة الغضة ؛ المترعة بالمفاتن ، هيلين ! التي فرت مع عشيقها المجرم باريس . . إلى . . طروادة !.. والتي شبت بسببها تلك الحروب الطويلة المروعة فذهبت بالنخبة الناضرة من شباب هيلاس وإليوم . . .

والفتاتان شقيقتان ، وقد تبناهما تنداريوس العظيم ، وزوجهما من هـذين الملكين الشقيين ، ليزيدا في شقائهما ، وليكونا حرباً عليهما وعلى شعبهما البائس لا تنتهي ! وليكونا كذلك ، ليلاً على هذا القصر العتيق الشاهق — الـ ( بيلوبيديه ) مظلماً . . . لا تنجاب غواشيه . . . ولا تنقشع دياجيره !!

— ٢ —

وفرت هيلين الآبقة ، مع باريس الآثم ؟ . . . فهاجت هيلاس ، وهبت ريح الحرب ، وتدفقت الجيوش إلى أولس حيث الأساطيل في انتظارها ، لتمخر بها البحر الإيجي إلى مدينة بريام . . .

وودع أجاممنون زوجته . . . وذرفا ، وهما يتعانقان ، دموعاً حارة سخينة ! وانطلق مع شقيقه الملك البائس المفضوح في عرضه ، منالايوس ، إلى أوليس . . . ليركبا مع بقية الجند . . . وليبحرا إلى إليوم . . .

بيد أن البحر المضطرب كان ينذر بتحطيم الأسطول إذا هم أن يقلع

والعاصفة التي أطلق بوسيدون(١) عنانها كانت تثير في اليم موجاً كالجبال . . . وكانت تراوح الشاطئ المرتجف وتغاديه ، فتهيل التراب وتسفيه ، وتحط صخره من علٍ وتغرق به ما تهاوى عليه من أسطول هيلاس . . .

وانتظروا طويلا حتى تسكن العاصفة ، ويهدأ البحر

(١) آثرنا هذه التسمية لسهولتها ولأننا مضطرون لتكرارها كثيراً في الدرامتين التاليتين والاسم الحقيقي هو ( أورستيس )

(١) إله البحر

المصطخب ... ولكن ... بلا جدوى !

ثم قيل لهم إن الآلهة عطشى ، وأرباب الأولمب ظماء ، وإنها لا يرويها إلا دم عزيز غال يسفح ، ومهجة شابة غيداء تطل ، وإن الآلهة لا ترضى بإحدى ابنتى أجاممنون بديلا !!

لا ترضى الآلهة أن يسفك دم إلا دم إفجنيا العذراء ، أو أختها الكاعب إفيانامسا ، فإذا لم ترو الآلهة فلن تهدأ العاصفة ، ولن يسكن العباب ، ولن يفتأ البحر يضطرب ، ولن يقلع هذا الأسطول اللجب

وتردد أجاممنون ! واضطرم قلبه بحنان الأبوة ! ولكن القادة تكبكبوا حوله يلحفون عليه أن يصتى إلى وحى السماء ، ويستجيب لأمر الآلهة ... فقبل ... وبكى ...

— ٣ —

وجىء بالعذراء البريئة إفجنيا ، ليحتفل بخطبتها إلى أخيل فيما ادعى الوالد المحزون فى رسالته إلى زوجه ...

ولكن الزوجة تكتشف أن لا خطبة هناك ... بل هناك قتلة بشيعة تنتظر ابنتها ... لا لشىء ... إلا أن تروى الآلهة ... كما أرجف المرجفون !

وتصبح أضواء الحياة كلها ظلمات فى عينى الأم ... وتحاول إنقاذ الفتاة ... ولكن ... عبثاً : ... لقد تقدمت إفجنيا الى الكاهن الجلاد بقدم ثابتة ، وجأش رابط ، ونفس مطمئنة ... وأعلنت أنها تهب نفسها للوطن ... ! ودمها للآلهة ... وأنها تستودع الأولمب أباها ... وأمها ! ...

وأهوى الجلاد ... الكاهن ... بسكينه ... فهريق الدم العزيز الغالى !!

— ٤ —

وعادت الأم الضعضعة إلى القصر الشاهق العتيق ... الى « بلوبيــديه » ... تجتر هذه المصيبة الدامية ، وتنغص بتلك الداهية الحمراء !

وتحزن أياما ...

ويشمل السواد كل شىء ... حتى أضواء الشمس ، وأفواف الزهر ، وآراد القمر !!

كل شىء أسود حالك ... لا سيما ... قلب الملكة ... !

لقد انفردت فى هذا القصر العتيق ، فهى صاحبة الأمر والنهى فيه ، وكل شىء يصدر عن إذنها ويقضى بأمرها ...

والملكة بأمرها بيدها ... ومع ذلك ... ومع كل ذلك ... فليس فى الدنيا المريضة ما ينسيها إفجنيا ! أو يبعد عن عينيها ذلك المنظر الرائع الرهيب ... منظر السكين اللامعة تهوى على عنق الفتاة ... !

إنها أمامها أنى ذهبت وأيان وجهت . . .

ها هى ذى تمرح فى هذه الغيضة من حدائق القصر . . . وتلعب فى تلك الردهة من الطابق العلوى . . . وتغرق فى هذه اللجة من ديباج السرير . . . وتداعب الظباء فى الحظيرة . . . وتضفر أعواد الزنبق للتماثيل . . . وتنثر الورود والرياحين تحت أقدام الدمى ... ثم ... ثم ...

ثم ها هى مسجاة فوق المذبح يتفجر من غلاصمها الدم !!

— ٥ —

وسكنت العاصفة ، وهدأ البحر الجياش ، وأقلع الأسطول عن عليه ... وحوصرت طروادة ... وقتل الأبطال الصناديد من الفريقين ...

وكرت أعوام عشرة . . .

— ٦ —

« كيف يقتل ابنتى هذا الملك الذى قد قلبه من صخر ؟ كيف سولت له نفسه أن يأذن لجلاديه بذبحها ؟ أين حنان الوالد ؟ قربان للسماء ؟ أى سماء هذه التى تشره لدماء العذارى ؟ لا ظفر أجاممنون بأعدائه ! ولا حمله البحر إلى آرجوس كرة أخرى ! وروى ثرى طروادة من دمه ، كما رويت آلهته من دم ابنتى !! »

ووقر فى قلب كليتمنسترا أن تثأر لابنتها ... ولكن .. ممن ؟ من أجاممنون ... من أبيها أجاممنون ... ! إذن ... فلتدبر غيلته فى هذه السنين العشر ، ولتحشد حولها أعداء هذا القصر العتيق الباذخ ... ولتمشمش الأحقاد القديمة ، والترات التى تتقاب فى أحشاء الماضى ... ولتجتمع عصابة الشرور فتدبر وتأتمر ...

— ٧ —

ترك أتريوس ملك أرجوليس المتيد لولديه ، أجاممنون وأخيه ، وترك لهما كذلك إرثاً عتيداً من الدم لم يسمع الناس بمثله ... لن يسمعوا بمثله ... لأنه دم أعز الأبناء ... وشواء لعين أبيهما شواء ...

ذلك أنه كان للملك أتريوس أخ يناوئه من أجل عرش أرجوليس وما يتاخمها من الاقطاعات ... وكان هـذا الأخ ( ثيذتيس ) يحاول أن يجعل الملك في أبنائه ... من دون أبناء أخيه ... ولـكن أتريوس وقف على التدبير السيئ الذي يرسم خططه أخوه في الظلام ؛ فما كان من أتريوس إلا ان دبر هو تدبيرا دموياً هائلاً ... قضى به على أخيه وعلى أبناء أخيه ... إلا واحداً !

تودد إلى أخيه أياما ، وغابنه في هذه الجفوة التي لا يكون مثلها بين أخوين ، فأعتبه ... ثم دعاه الى وليمة فاخرة يقيمها له في الـ( بلوبيديه ) ... فقبل ثيذتيس !

وفي اليوم المحدد ... وبعد تدبير أحكمت حلقاته ... أقبل ثيذتيس ليؤاكل أخاه ، وليتصافح القلبان اللذان ينطوي كل منهما لصاحبه على الحب ... وأصرم الغل والحقد ...

وحان موعد الغداء ...

فنهضا الى خوان عامر مجلل بما لذ وطاب من لحم عجلا قتاره الخياشيم الجائعة ، ويسيل لعاب الأفواه المتلمظة ...

وجلس ثيذتيس المنهوم فأكل حتى امتلأ ... وما كاد ينتهي حتى كشف له الغطاء عن تلك الغيلة القاسية ، التي يتنزه عنها أضرى الوحوش ! !

لقد أكل ثيذتيس حتى امتلأ من الشواء الفاخر الذي أعد له من لحم أبنائه ... وأكبادهم وقلوبهم ... وها هي الأصابع والأيدي والرؤوس والأقدام في سفط كبير على مقربة من الوالد البائس ... شهيد على ذلك ! !

وجن جنون الأب المسكين !

ولـكنه عوجل هو الآخر بقاصمة الظهر ... فذهبت روحه تتردى في ظلمات هيدز !

فيا للوحشية ... وويل للمتوحشين ! ! !

— ٨ —

وكان إيجستوس يتقلب على وجهه في البلاد

فلما علم بالمأساة التي ذهبت بأخوته ، وبأبيه ... شرد في الأدغال ، ونفر في التيه الذي لا أول له ولا آخر من غاب هيلاس وأنس الى الوحشة ، وسمر الى الذئاب ، وصحب اللصوص وقطاع الطرق ... وتلبث حتى اشتد ساعده ، واشتد عوده ... وعاد مستخفياً يدبر أمر هذا الثأر الثقيل ، ويرسم الخطط لهذا الدم المطلول ...

ولـكن ... لقد مات أتريوس ... وحكم من بعده ابناه أجاممنون ومنالايوس ... وها اليوم تحت أسوار طروادة يصطرعان مع الطروادين

فهل تزر وازرة وزر أخرى ؟

أجل ! ! ( وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم ... فليتقوا الله ! ! )

إيجستوس ! ! هذه فرصتك فلا تفلتها ! ! !

— ٩ —

واتصل إيجستوس بالقصر ، وتأكدت بينه وبين كليتمنسترا أواصر الود أولا ؛ ثم انقلب الود واتحاد القصد وبغض أجاممنون وأسرة الـ( أتريه ) فصارت غراما أثيما وعشقا فاسقاً ولذاذة مجرمة

وعمي قلب الأم ... وحجبت الغواية بصيرتها ؛ فنفت ولديها(١) : أورست الغلام الحدث ، وإفياناسا الفتاة الناعمة بعيـدا عنها ، لتزداد إغراقا في اللذة ، ولينام ضميرها الميت فلا يوقظه هذا النسل البريء من صلب أجاممنون ! !

— ١٠ —

العاصفة تهب بشـدة(٢) ، والحارس التعب يلفحه البرد القارس فوق سطح القصر الملكي العتيق ، الـ( بلوبيديه ) ، والليل الرهيب ينظر الى القصر الفائض بالأسرار بعين قلقة من تلك النجوم الحملقة ؛ وسنوات عشر قد تصرمت ، وهذا الحارس المسكين في مكانه من هذا الميدان المعلق بين الأرض والسماء ... أجل عشر سنين طوال كأنها عشر أحقاب كاملة ، وهو يروح ويجيء كأنه آلة الزمن ، أو قوس من دائرة الفلك .. وهو يشـكو ، ويحاول أن يتسلى بأغنية أو صفير ، ولـكن الأسرار الهائلة التي يعج بها القصر من تحته تفزعه ، فيعزف عن الغناء وعن الصفير ... ويصل شكواه ، ويرسل بثه

وهو هناك فوق سطح القصر الملكي منذ قيام تلك الحملة المشئومة الى طروادة ... وهو الى هذه الليلة يرقب النيران التي إذا تأججت في رؤوس الجبال كانت بشرى سقوط طروادة !

وأومض البرق في الظلماء فجأة ! ... واندلعت النيران المنشودة ! واستطار الحارس من الفرح ! وفرك عينيه ليستيقن

(١) يتناول سوفوكليس هذا الحدث من وجهة نظر ثانية ورأي آخر سنعرض لهما في حينهما إن شاء الله

(٢) من هنا تبتدئ درامة اسخيلوس

أنه ليس في حلم . . . ولكن النار تندلع وتندلع . . . إذن انتصرت جيوش هيلاس ... وسقطت مدينة بريام !

وأي بأس في أن ينطلق هذا الحارس المسكين فيزف البشرى إلى الملكة ... لا بأس ! ولكنه ما يكاد يخطو خطوة واحدة ، مفترا في ظلمات الليل البهيم عن ابتسامة الجذل ، حتى يذكر الأسرار الهائلة التي نسجتها عناكب القدر في القصر ... فتنقلب ابتسامته الجذلة إلى عبوسة قاتمة ... فيقف مكانه ويصمت ! !

— ١١ —

ويدخل المنشدون حديقة القصر ، ويهزجون بنشيد طويل حلو[1] ثم تقبل الملكة فيتقدم إليها رئيس الخورس محييا ويتساءل : « هل من نبأ عن الجلة يثلج الصدر المكروب ويبهج النفس المحروبة ؟ » وتبتسم الملكة ابتسامة خبيثة صفراء ، ثم تزف بشرى انتصار الهيلانيين

— « وكيف ؟ لا نصدق ! ولكن تكلمي ... تكلمي أيتها الملكة ! »

— « اليوم في قبضة رجالنا ! هل أراك فهمت ؟ »

— « إنها مفاجأة تملأ أعيننا دموعاً ... »

— « وإنها دموع تؤكد إخلاصكم وطهارة قلوبكم »

— « ولكن هل من برهان أيتها الملكة ؟ »

— « ما لم يكن بعض الآلهة يخدعني ! »

— « ألا تكونين قد استسلمت لغفوة لذيذة فشهدت رؤيا طارئة ؟ »

— « إن أوهام النيام لم تخدعني قط ! »

— « إذن منذ كم سقطت طروادة ؟ »

— « في نفس هذه الليلة التي كاد صبحها يتنفس ! »

— « وأي رسول حمل إليك النبأ في مثل هذه السرعة ؟ »

— « النار الآتية ألمت به إلى هنا من ذروة جبل إيدا ... وهشيم الحاسج المتأجج في شعاف الجبال ورؤوس الآكام ... »

واستطردت كليتمنسترا فذكرت كيف أشعل الهيلانيون النيران في قُلَل الشاطئ الأسيوى ، ثم كيف تنقل الوميض في السموات حتى عكسه أفق أرجوليس ... وطفقت تحشد الكذابات في حديثها ، وتنثر الألغاز في ثناياه ... صادرةً عن غلها القيم وحقدها القديم على أجا ممنون !

— « بالطنين النصر في طروادة اليوم ؟ ... ... أحسب ألا يستطيع أحد أن يميز صيحات السادة الظافرين من صيحات العبيد المقهورين بين جدرانها ! إنهم سواء منكودو الحظ ، سود الجدود ، حقيقون بالرثاء ! ومن يدري ؟ فلعل الآلهة تغضب فتنتقم ممن دنس هياكلها ، وسطا على طُرَفها وتحفها بجملتها في جلة المغانم والأسلاب ! ... ولعل أرواح الضحايا (؟) والشهداء تهب من مراقدها مغضبةً حانقة فتقف في سبيل الأبطال الظافرين فلا يعودون إلى أوطانهم ! ... ولكن فلما سادوا حق ... دون أن ترتكب ألف مذمة باسمه ! ... »

— ١٢ —

ويفطن الخورس إلى ما كان يتناثر في حديث الملكة من ألغاز ، ويفطنون إلى هذا الفتور وذاك الضيق اللذين كانت تزف في ظلالهما بشرى سقوط طروادة ... فيعزونه إلى أسبابه التي باتت لا تخفى على أحد في المملكة ... ثم يتشككون في كل ما انطلق به لسانها ويحسبونه هذياناً في هذيان !

وما يكادون يفرغون من نشيد طويل رائع حتى يحضر البشير فيزف إليهم النبأ الصادق ويبشرهم بأوبة الملك ، ثم يصف لهم شطراً مما لقيه الجنود تحت أسوار إليوم : « بل ما لقيه الطروادون ومنذ من مصائب الحصار وكوارث القتال ، ثم هذه الهزيمة التي أبادت درائهم وقوضت بنيانهم ... »

بيد أنه سرعان ما يفطن البشير إلى تلك الكآبة التي تغشى نفوس القوم ، فيسائلهم ، ويجيبه رئيس الخورس :

— « لقد كان الصمت . وسيظل ... ملاذنا أيها البشير ! »

— « وكيف ؟ أترهبون أحداً في هـــذا القصر غير مولاكم ؟ »

— « ... ؟ ... ! ... »

— « أسرار ... أسرار ... »

— ١٣ —

وتقبل الملكة كرة ثانية فتلمح تلجلج مشاعر المنشدين وتحاول أن تخدعهم عن خابية نفسها فتقول : « هل صدقتم الآن أن إليوم قد سقطت ؟ ! لقد كنتم في مرية من بشراي التي زففتها إليكم لأنكم لم تروا أمامكم تلك الفتاة المزهوة التي تكاد تجن من الفرح

(١) نأسف جدا لاضطرارنا إلى حذف الأناشيد برغم أهميتها مكتفين بما قدمنا للدراسة من شرح مسهب ، وذلك لأننا نحاول إعطاء القارئ صورة دقيقة قريبة بقدر المستطاع إلى الأصل على ألا تمل . وربما عرضنا للأناشيد في بحث خاص

لهذا النصر الفاجئ الذي إنتظرناه طويلا ... يالكم أيها الرجال !
وأنت أيها البشير ! أترى إلى قربانى الجسد ذى الخوار الذى أعددته أضحية لما بشرتنا به ؟ ... وسترى كيف ينتشر البخور من مجامر الند ومخارق العنبر فيؤرج أجواء آرجوس تحية لملك.

تعال ... تعال أيها البشير فقص على كيف سقطت طروادة وكيف رغم أنف ملكها ! ... ولكن ... لا ... ليست لى بيك حاجة ... اذهب ... فلن أسمع قصة ذلك إلا من رجلى ... أجاممنون ... ملك أرجوليس ومعقد آمالها ! ... أى فخار لمرأة أكبر من أن تستقبل فيض النور السماوى يتنزل عليها من العلو ... حين يعود إليها بعلها وعلى رأسه إكليل من غار النصر ؟ وأى فخار للرجل أكبر من أن يعود من حلبة الحرب فيجد زوجه وفيئته كما تركها مخلصة كما حرعهده بها ! ؟ حريصة على أسراره ... قائمة على بيته ... ساهرة على أبنائه كلكلبه الأمين !! مازال تحمل ذكرى عناقه الأخير ، وتشدو آخر قبلاته كأحسن أغاريد الحياة !

بالفخر ... بالفخر ... »

وتخرج الملكة ... ولا يتعالى بما زخرفت من قول على أحد !

ـ « ها قد سمعت مقالة الملكة ، فلتكن أذناك ترجمانك الأمين ! ... ولكن ... حدثنا بأربابك عن أمير هذه البلاد المحبوب ، جليل المقام منالايوس ... هل قدم معكم فى أمان إلى أرض الوطن ! ...

ويربد وجه البشير ، ثم يمهد لحديثه بمقدمة مجلوة ، ويذكر كيف ثارت العاصفة فبعثرت الأسطول المتصر ... « وفصلت سفائن منالايوس عن سائر الأسطول ، فلا يعلم أحد أين رست به إن كانت قد سلمت من غضبة البحر الذى طفق يتدجى فوقنا كأنه الليل ...

... ولم نصدق أننا نجونا من فورة هذا العباب حتى انبلج الصبح ، فصلينا للآلهة ، وشكرنا للسماء ... وابتهلنا إلى الآلهة أن يحفظ منالايوس ، وأن يرده سالماً إلى أرض الوطن ... »

ويأخذ الخورس فى نشيد بعضه شدو وبعضه شجو ... وبعضه سخط على هيلين ... التى فاز بها من فاز بالحرب ... وتزوج منها من تزوج بالحرب ... والتى كانت على جميع من اتصل بها حرباً أى حرب ! »

— ١٥ —

وبينا المنشدون يتغنون بألحانهم ، إذا عربة مطهمة ، تجرها صافنات جياد ، تدخل فجأة فتكون تلقاء القوم ...

ويكون فى العربة أجاممنون الظافر المنتصر ، قاهر طروادة ؛ وإلى جانبه تلك النبية المباركة ... حبيبة الآلهة ... الفتاة العذراء .. كاسندرا ابنة بريام العظيم ملك إليوم المقتول ... عاد بها أجاممنون من جملة السبى لتكون خليلة له ...

ويحيى الخورس مليكهم بلحن حلو من موسيقى السماء ، يبللونه بدموعهم ويصهرونه بحرارة قلوبهم ، فيشكر لهم ويثنى عليهم ، ويقول :

(البقية فى العدد القادم) دريني خشبة

# البريد الأدبي

## حلم ليلة صيف

ظهرت أخيراً أول قطعة من مسرحيات شكسبير الخالدة على ستار السينما ؛ وهو بلا ريب حادث عظيم فى تاريخ الاخراج السينمائى ؛ وقد كان رأى النقدة والفنانين أن مسرحيات شكسبير إنما خلقت للمسرح ، ومن الصعب ان لم يكن من المستحيل إخراجها بنجاح على ستار السينما ؛ ذلك أن مناظرها وخيالاتها لاتسمح رغم روعتها بذلك السبك الذى يطالب فى الشرائط المصورة ، ولأنها ترتفع أحياناً فوق الوسائل الفنية التى يسمح بها الاخراج السينمائى ؛ ولكن فناناً عظيما هو ماكس رينهارت رأى فى مسرحيات شكسبير رأياً آخر ، وجالت بذهنه فكرة جريئة هى الاقدام على إخراج بعض هذه القطع الخالدة على لوحة السينما ؛ وقد تم إخراج المسرحية الأولى وعرضها ، وهى « حلم ليلة صيف » ، وقد أتيح لنا أن نشهد هذا الشريط الرائع أخيراً فى احدى دور السينما بالقاهرة ، فألفينا فيه عبقرية المخرج العظيم تتجلى إلى جانب عبقرية الشاعر الخالد ، ورأينا خيال الشاعر المبدع يبدو على صفحات الواقع الملموس فى أروع ثوب ؛ ولم يحل دون تحقيق هذه الأمنية . أن القصة كلها أحلام فى أحلام ، وأن هذه الأحلام تبلغ ذروة الخيال المغرق ، وتفيض فى عالم الأرواح والأشباح والعالم الآخر

وسر هذا الابداع المدهش فى إخراج هذه القطعة الخالدة هو بلا ريب فى عبقرية المخرج ؛ والواقع أن ماكس رينهارت قد بلغ الذروة من قبل فى إخراج المسرحيات الخالدة : مسرحيات شكسبير ، وجيتى ، وشيللر ، ولسنج وغيرهم ، على المسرح ؛ وماكس رينهارت نمسوى يهودى ، ولد فى مدينة سالزبورج ، موطن الفن والموسيقى الخالدة ؛ وتلقى تربيته وخبرته الفنية فى مدينة فينا أعظم موطن للثقافة الفنية والموسيقية ، وظهر قبل الحرب بجهوده المسرحية فى أعظم مسارح فينا وبرلين ، ثم استقر فى برلين بعد ذلك ، وهنالك تبوأ ذروة الفن ، وأضحى مرجع المسرح فى ألمانيا وكوكبه الساطع ؛ ولكن حكومة هتلر جاءت منذ ثلاثة أعوام لتسحق العلوم والفنون والآداب فى ألمانيا بكل ما وسعت من شهوات التعصب الجنسى والسياسى ، فلم يطق الفنان العظيم - وهو يهودى غير مرغوب فيه - أن يعيش فى هذا الجو الكدر ، فغادر ألمانيا حيث سطع مجده ، ليعمل حيثما تزدهر الأفكار والحريات الفنية ؛ وطاف بفينا وباريس ولندن وغيرها ، ومن منذ شهر بمدينة سالزبورج مسقط رأسه ، فلقى فيها أعظم مظاهر الحفاوة والتكريم ، وأطلقت البلدية اسمه على شارع من أشهر شوارعها

وفى « حلم ليلة صيف » تتجلى عبقرية شكسبير الرائعة فى مزج البكى بالضحك ، وإبراز المأساة والمدهشات فى ثوب يأخذ باللب ، ويذكى العواطف إلى الذروة ؛ ومع أن القطعة كانت فى بعض تفاصيلها مسهبة ، فان الموسيقى الرائعة التى اقترنت بمناظرها ، وهى من مقاطيع مندلزون وفاجنر ، كانت ترفع بجمالها وسحرها كل ميل إلى السأم

والمفهوم أن ماكس رينهارت سيمضى فى إخراج قطع أخرى من مسرحيات شكسبير ؛ وربما رأينا قريباً هملت أو مكبث ، أو تاجر البندقية أو يوليوس قيصر أو غيرها من آثاره الخالدة على مسرح السينما بفضل عبقرية ماكس رينهارت

## بيير دى نولهاك

فى الأنباء البرقية الأخيرة أن الكاتب والمؤرخ الفرنسى الكبير بيير دى نولهاك قد توفى فى السادسة والسبعين من عمره .

وكان دى نولهاك عضواً بارزاً من أعضاء تلك المدرسة التاريخية الباهرة التى استطاعت أن تجمع بين التحقيق التاريخى والعرض الساحر ، والتى تزعمها كتاب ومؤرخون ممتازون بالقوة والطرافة مثل فرانز فونك برنتانو ، ولينوتر ، ودى نولهاك ، وقد كان لهذه

المدرسة أكبر الفضل فى الكشف عن طائفة من الوثائق والمخطوطات الشهيرة ، ودرس دى نولهاك الفلسفة والأدب القديم ، وتفقه فى الدراسات اليونانية واللاتينية ، وعنى منذ فتوته بالتنقيب فى أقبية المكاتب العامة ؛ ودرس مدى حين فى مدرسة الآثار الفرنسية برومة ، وعثر فى مكتبة الفاتيكان على طائفة من الوثائق التاريخية النفيسة ، ونشر عن مباحثه عدة مؤلفات منها « مكتبة زعيم انسانى فى القرن السادس عشر » و « ثبت المخطوطات اليونانية لجان لسكاريس » و « مباحث عن رفيق بومبونيوس لاكتوس » وغيرها ، ووقع دى نولهاك أثناء هذه الفترة على نسخة خطية من كتاب « كانزونير » للشاعر الأشهر بترارك وبخطه أيضاً ، وقدمها لأكاديمية الآثار ، فكانت نقطة باهرة ؛ وأثار هذا الاكتشاف اهتمام دى نولهاك بدراسة بترارك ، فقدم عنه رسالته الشهيرة عنوان « بترارك والانسانية » فى سنة ١٨٩٢

والتحق دى نولهاك منذ سنة ١٨٨٦ بوظيفة فى المكتبة الأهلية ، وانتدب للتدريس فى نفس الوقت بمدرسة الدراسات العليا ؛ ثم عين بعد ذلك مديراً لها واستمر فى هذا المذهب حتى سنة ١٩٠٠ ، وعين أيضاً أميناً لمتحف فرساى واستمر فى هذا المنصب حقبة طويلة ؛ وفى أقبية المكتبة والمتحف بدأت مباحث دى نولهاك المؤرخ ، وهى مباحث دلت فيما بعد على أنه فى هذا الميدان عبقرية بارزة ، ووقع فى الأقبية على طائفة من الوثائق والمخطوطات التاريخية النادرة ، واستطاع أن يستخرج منها مادة بديعة لكتبه ، وأشهر مؤلفات دى نولهاك التاريخية : « فرساى فى القرن الثامن عشر » و « الملكة مارى انتوانيت » و « لويس الخامس عشر ومدام دى بومبادور » وغيرها ، وفيها تبدو عبقرية نولهاك كمؤرخ وكاتب ، ذلك أن حقائق التاريخ تمرض فيها فى أثواب ساحرة كأنها الخيال المرسل ، وتسطع فيها الصور حتى يخيل اليك أنها حية تغدو وتروح وكأنك تعيش معها وفى عصرها

وكتب دى نولهاك عدة كتب أخرى ارتفعت باسمه إلى مصاف أقطاب النقد والتفكير الفلسفى منها : « رونسار والانسانية » ، ومنها « قصائد ايطاليا وفرنسا » . وانتخب نولهاك عضواً بالأكاديمية الفرنسية وانتظم فى سلك الخالدين قبل وفاته بأعوام طويلة

## كتاب عن ذكرى ابن ميمون

احتفلت الطوائف اليهودية فى مصر وفى سائر أنحاء العالم ، وكذلك احتفلت معظم الهيئات العلمية فى مختلف الأقطار بذكرى العلامة والفيلسوف والطبيب اليهودى العربى الأندلسى موسى ابن ميمون ، وكان الاحتفال فى ابريل من العام الماضى ، وذلك لمناسبة انقضاء ثمانمائة عام كاملة على مولد الطبيب الأشهر ؛ ولابن ميمون فى مصر ذكريات خاصة ، فقد كتب فيها معظم مؤلفاته ، وتوفى فيها ، وكان كبير الربانيين بالقاهرة ، وكان طبيبا للسلطان صلاح الدين الأيوبى ؛ وكان مولد ابن ميمون فى قرطبة فى ٣٠ مارس سنة ١١٣٥ م ، فى عهد المرابطين ، ثم نزح مع أسرته إلى المغرب فالقاهرة حيث اتصل بالسلطان صلاح الدين وعينه طبيبه الخاص . وعكف ابن ميمون على دراسة التلمود وكل ما يتعلق بالقصائد والفلسفة اليهودية ، وألف فيها بالعربية ، ولكن بحروف عبرية ، طائفة من الكتب الفلسفية والدينية مازالت تتبوأ المقام الأول بين تراث اليهودية

وقد عنيت الحاخامية اليهودية بالأسكندرية باصدار مجلد ضخم عن هذا العيد العلمى بالفرنسية بعنوان : « الذكرى المئوية الثامنة لابن ميمون » وضمنته ترجمة وافية للطبيب الفيلسوف ، وشرحاً قيما لأهم نظرياته ونصوصه ، وشذوراً من مصنفاته بالعربية والعبرية والفرنسية والايطالية ، وأشرف على وضعه وإخراجه الأستاذ دافيد براتو حاخام الطائفة اليهودية بالاسكندرية ، ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة أن لابن ميمون بين مفكرى اليهود وفلاسفتهم المقام الأول ، حتى لقد اعتبره بعضهم الرجل الثانى فى اليهودية بعد موسى . ولابن ميمون نظريات فلسفية ودينية عويصة ، وله شرح نفيس للتلمود ما زال هو الحجة فى موضوعه

## القصة فى التعليم

فى وزارة المعارف اليوم حركة تجديد تسير إلى غايتها بنشاط وقوة ، نؤمل من ورائها انقلابا فى وسائلنا التعليمية يدنينا من الهدف الذى نقصد اليه من تعليم أبنائنا

وقد كان آخر هذه المحاولات ، هذا المشروع الذى أشارت اليه الصحف فى الأسبوع الماضى ، بأن الوزارة تفكر فى تدريس كثير من المواد بالمدارس الابتدائية عن طريق القصة . وهو

مشروع جدير بأن يثمر ثمرة طيبة لو حَسُنَتْ القوامة عليه ؛ فما نعرف شيئاً يروق الصغار ويجذب انتباههم مثل القصة ، وما نعرف باباً من أبواب الأدب يتسع لكل شيء كما تتسع القصة ، فالقصة عند الطفل لون من ألوان اللعب يقبل عليه بشوق ولذة ، ولكنه عند أهل التربية فن من فنونهم يبلغون به مالا يبلغون بسواه من أساليب العلم

وإذا كان لنا أن نغتبط بهذا المشروع ، فاننا نخشى أن تؤدى طريقة تنفيذه إلى ما لا نرجو من جدواه ، فان القصة فن واستعداد لا يتوفران لكل شخص ، ولا يحسنهما إلا الموهوب ؛ فلو أن وزارة المعارف وكلت أمر انشاء هذه القصص إلى غير القادرين عليه لقضت على الفكرة بالموت قبل أن تظهر لها ثمرة ؛ وفى وزارة المعارف رجال درسوا القصة وعالجوها فنجحوا فيما عالجوا إلى حد كبير ، وإن لم يكونوا من رجال التعليم . وفى مختلف مدارس الوزارة مدرسون حاولوا القصة ووُفِّقوا فى كثير مما حاولوا ، فلعل الوزارة تنتفع برأى هؤلاء وهؤلاء

## الاسلام فى اليابان

كتبت مجلة (آسيا) فى عددها الأخير أنه لن تنقضى أعوام حتى تصبح اليابان كلها اسلامية

وقد أشارت المجلة إلى الدعاية الاسلامية القائمة بين الشعب اليابانى وقالت إن ٣٢ ألفاً من اليابانيين اعتنقوا الديانة الاسلامية منذ ثلاثة أعوام ، وإن الاقبال على الاسلام لا يزال مستمراً

وقد تم انشاء مسجد (باب الله) فى الأسبوع الماضى واحتفل اليابانيون بافتتاحه احتفالاً عظيما

ويتألف هذا المسجد من ثلاثة طوابق ، ويمتاز بمآذنه الشائقة المزدانة بأجمل النقوش كما يمتاز بأبهائه وحدائقه والنقوش العربية التى تزين جدرانه

وقد رأس حفلة الافتتاح مياه عبد العزيز ، وكان يرتدى العباءة والكوفية والعقال ؛ وقد ألقى خطاباً شكر فيه لجنة المسجد ثم قال :

« إنه ليسرنى أن أرأس هذه الحفلة فى اليابان أمبراطورية الشرق الكبرى ، وأعتقد أن « باب الله » سيجد كثيراً من اليابانيين الذين يرغبون فى دخوله . . »

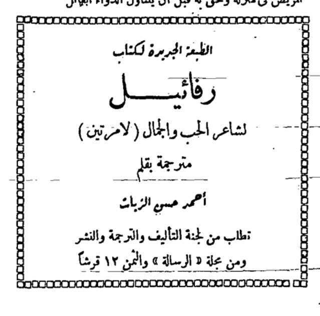
وبعد أن أشار الخطيب إلى موقف الحكومة اليابانية من الديانة الاسلامية وتنشيط القائمين بالدعوة اليها شرح للحاضرين التعاليم الاسلامية ومبادىء المسلمين السامية وقال :

« إن الديانة الاسلامية التى أجمع العالم على أنها أفضل الديانات لا بد أن تنتشر فى جميع أنحاء العالم وخاصة فى اليابان ، ولا بد أن نجد من الأنصار ما يجعلها سيدة العالم »

وأشار الخطيب إلى اعجاب العرب المسلمين بالشعب اليابانى ، وقال إن اليابان تسير فى طريق الأمبراطورية الاسيوية الكبرى ، وإن الاسلام سيكون فى أول هذا الطريق

## من أعاجيب الراديو

أضحى « الراديو » أعجوبة الأعاجيب فى عصرنا ، يستعمل فى كل مالا يمكن أن يخطر فى البال من عظائم الأمور وصغائرها ؛ وسنرى فى الأعوام القادمة إلى أى حد يمكن أن تقف أعاجيب هذا الاختراع المدهش ؛ ومما قرأناه أخيراً فى صحف فيينا أن الراديو كان وسيلة مدهشة لنجاة مريض من تناول دواء خاطىء ؛ فقد وفد مريض على صيدلى وقدم إليه تذكرة دوائه ليعدها ، ثم أخذ المريض الدواء وانصرف ، وبعد قليل تذكر الصيدلى أنه ارتكب فى صنع الدواء خطأ قد يودى بحياة المريض ، ولم يكن يعرف عن المريض أو اسمه أو طبيبه شيئاً ؛ فهرع إلى شركة للاذاعة اللاسلكية ، وفى الحال أذاعت الشركة خلال برنامجها نبأ هذا الخطأ فى جميع أرجاء النمسا ؛ ووقف الطبيب المعالج مصادفة على هذا النبأ حين كان يستمع إلى الاذاعة ، فهرول إلى المريض فى منزله ولحق به قبل أن يتناول الدواء القاتل






## « محمـــد »

## كتاب توفيق الحكيم

### للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

عملُ الأستاذ توفيق الحكيم في تصنيف هذا الكتاب أشبهُ شيء بعمل « كريستوف كولب » في الكشف عن أمريكا وإظهارها من الدنيا للدنيا ؛ لم يخلق وجودها ولكنه أوجدها في التاريخ البشرى ، وذهب اليها فقيل جاء بها إلى العالم ، وكانت معجزته أنه رآها بالدين التي في عقله ، ثم وضع بينه وبينها الصبرَ والمثابرةَ والحذق والعلم حتى انتهى اليها حقيقة ماثلة

قرأ الأستاذ كتب السيرة وما تناولها من كتب التاريخ والطبقات والحديث والشمائل ، بقريحة غير قريحة المؤرخ ، وفكرة غير فكرة الفقيه ، وطريقة غير طريقة المحدِّث ، وخيال غير خيال القاصّ ، وعقل غير عقل الزندقة ، وطبيعة غير طبيعة الرأي ، وقصد غير قصد الجدَل ؛ فخلص له الفن الجميل الذي فيها إذ قرأها بقريحته الفنية الشبوبة ، وأمرَّها على إحساسه الشاعر التوثب ، واستلّها من التاريخ بهذه القريحة وهذا الاحساس كما هي في طبيعتها السامية متجهةً إلى غرضها الالٓهي محققةً عجائبها الروحانية المعجزة

وقد أمدته السيرة بكل ما أراد ، وتطاوعت له على ما اشتهى ، ولانت في يده كما يلين الذهب في يد صائغه ؛ فجاء بها من جوهرها وطبيعتها ليس له فيها خيال ولا رأي ولا تعبير ، وجاءت مع ذلك في تصنيفه حافلة بأبدع الخيال ، وأسمى الرأي ، وأبلغ العبارة ؛ إذ أدرك بنظرته الفنية تلك الأحوال النفسية البليغة ، فنظمها على قانونها في الحياة ، وجمع حوادثها المدوَّنة فصوَّرها في هيئة وقوعها كما وقعت ، واستخرج القصص المرسَلَة فأدارها حواراً كما جاءت في ألسنة أهلها ؛ وبهذه الطريقة أعاد التاريخ حياً يتكلم وفيه الفكرة وملائكتها وشياطينها ، وكشف ذلك الجمال الروحاني فكان هو الفن ، وجلا تلك النفوس العالية فكانت هي الفلسفة ، وأبقى على تلك البلاغة فكانت هي البيان . كانت السيرة كاللؤلؤة في الصدفة ، فاستخرجها فجملها اللؤلؤة وحدها

* * *

إن هذا الكتاب يفرض نفسه بهذه الطريقة الفنية البديعة ، فليس يمكن أن يقال إنه لا ضرورة لوجوده ، إذ هو الضروري من السيرة في زمننا هذا ، ولا يُشمَئَزّ فيه أنه تحريف وتزوير وتلفيق ، إذ ليس فيه حرف من ذلك ؛ ولا يردُّ بأنه آراء يخطئ المخطئ منها ويصيب المصيب ، إذ هو على نص التاريخ كما حفظته الأسانيد ؛ ولا يُرمى بالتفاهة والركاكة وضعف النسق ، إذ هو فصاحة العرب الفصحاء الخُلَّص كما رُويت بألفاظها ؛ فقد حصنه المؤلف تحصيناً لا يُقتحم ، وكان في عمله مخلصاً أتم الاخلاص ، أميناً بأوفى الأمانة ، دقيقاً كل الدقة ، حَذِراً بغاية الحذر

ومن فوائد هذه الطريقة أنها هيأت السيرة للترجمة إلى اللغات الأخرى في شكل من أحسن أشكالها برغم هذا الزمن على أن يقرأ بالاعجاب تلك الحكاية المنفردة في التاريخ الانساني ؛ كما أنها قرّبت وسهلت فجعلت السيرة في نصها العربي كتاباً مدرسياً بليغاً ، بلاغة القلب واللسان ، مربياً للروح ، مرهفاً للذوق ، مصححاً للملكة البيانية

وحسبُ المؤلف أن يقال بعد اليوم في تاريخ الأدب العربي : إن ابن هشام كان أول من هذَّب السيرة تهذيباً تاريخياً على نظم التاريخ ، وأن توفيق الحكيم كان أول من هذبها تهذيباً فنياً على نسق الفن

مصطفى صادق الرافعي

١ — علم تكوين الجنين (طبع دمشق)
للدكتور شوكت موفق الشطى

٢ — دليل الحج والسياحة (طبع الرباط)
للأستاذ أحمد الهوارى

للأستاذ محمد بك كرد على

— ١ —

أصدر الدكتور الشطى فى دمشق الجزء الأول من هذا الكتاب، وهو «يبحث فى التناسل والجهاز التناسلى فى الذكور والأناث، والالقاح والذكورة والانوثة والوراثة»، وقد تقدم للمؤلف أن نشر كثيراً من الأبحاث الطبية فى كتب ورسائل ومقالات. والذى يعنينا هنا أن نقوله إن هذا الكتاب وبعض الكتب الطبية والعلمية التى ظهرت فى العهد الحديث فى جمهورية سورية تدل على اضطلاع المؤلفين الجدد بعلمهم، مضافاً اليه تمكنهم من العربية. وقد رأينا مصنف هذا الكتاب المفيد يضع ألفاظاً لبعض الكلمات الطبية والعلمية، هذا إلى ما فى مجموع كلامه من الرشاقة والجزالة. أما البحث فى موضوع الكتاب ودرجته من العلم فهو من شأن الأطباء

— ٢ —

جاءت رحلة الأستاذ الهوارى الفاسى من الغرب الأقصى إلى الديار الحجازية المباركة فى ٣١٠ صفحات محلاة بالرسوم البديعة. وقد قال فى وصف كاتبها الأستاذ السيد عبد الحى الكتانى عالم فاس إنه رحل «ونقب، وسأل وكتب، وجمع وحطب، وإن كانت وجهة قلمه غلبت عليها نشوة الوظيف والاحتيال بالموظفين، والادارات والمديرين، ولكن إذا عُلم أنه يكتب لأبناء هذا العصر زال العجب». ووصفه بأنه «صاحب القلمين واللسانين»، يعني العربية والفرنسية. وقد أورد الأستاذ الكتانى ثبتاً بديعاً بأسماء من رحلوا من القديم إلى اليوم، إلى الحجاز من بلاد الغرب والأندلس، ودل على أماكنها، ومنها المخطوط المحفوظ فى الخزانة الكتانية بفاس. ولاحظنا أن المؤلف عني عناية خاصة بذكر أصحاب القبور أكثر من التنويه بأعمال الاحياء فى مصر والشام. والقبوريون يظفرون متى شاءوا بما يحبون من الزيارات فى كل بلد من بلاد الاسلام، ولكن ما يحفظ على هذه الأمة دينها ودنياها هو اليوم الاستمداد من الأحياء، ولذا كان على المؤلف أن ينوه بما يجب أن يقتبسه بنو قومه من جلائل أعمال الحياة فى البلاد التى زارها. وقد قدم صاحب الجلالة سيدى محمد سلطان المغرب الأقصى تقريظاً للكتاب على سبيل التنشيط. وعبارة المؤلف تدل على أنه عانى صناعة الكتابة فى بلاده، بيد أنه جرى فى تدوين رحلته على ما يرضى العامة وأرباب السلطان ....

محمد كرد على

4 me Année, No. 137.

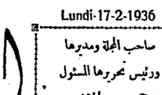
Lundi-17-2-1936

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول




الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٣٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ ذو القعدة سنة ١٣٥٤ — ١٧ فبراير سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــدد



## العـــزة

### للأستاذ أحمد أمين

استعملت العرب كلمة « العزة » فى مقابل « الذلة » ، فقالوا رجل عزيز ورجل ذليل . وجاء استعمال « العزيز والذليل » فى القرآن متقابلتين ، فقال تعالى : « أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين » . وحكى عن المنافقين أنهم قالوا فى حرب الغزوات : « لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » ، وهى كلمة قالها ابن أبىّ ، ويريد بالأعزة نفسه وصحبه ، وبالأذلة محمدا (ص) وصحبه ، فرد عليهم الله بقوله : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » . وقد تصدى بعض المسلمين لابن أبىّ وسل سيفه عليه ومنعه من دخول المدينة ، وقال : والله لا أغمده حتى تقول : « محمد الأعز وأنا الأذل » فقالها . والسبب فى كل هذا أن العرب فى الجاهلية كانوا يفهمون العزة فى المال والجاه والرياسة والولد ونحو ذلك ، فجعلها الاسلام فى الدين الحق ، وأداء الواجب للناس ولله

وأكثرَ العرب من استعمال هذه الكلمة فى الجاهلية والاسلام ، فكان أبو جهل يقول : « أنا أعز أهل هذا الوادى وأمنعهم » ، وقال الشاعر :

بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابهم     في كل نائبةٍ عزازُ الآنُفِ

وفسر الراغب الأصفهاني « العزة » بأنها حالة مانعة للانسان من أن يُغلَب ، وجعل اشتقاقها من قولهم أرض عَزَاز أى صلبة ، وتعزز لحم الناقة اشتد وصلب

والحق أن تحديد معنى العزة في منتهى الصعوبة ، وأصعب ما في ذلك رسم الحد الفاصل بين العزة والكبر ، وبين الذل والتواضع ؛ وقديماً حاول الناس أن يفرقوا بينهما ، فقد روي أن رجلا قال للحسن بن على : « إن الناس يزعمون أن فيك تيهاً » فقال : « ليس بتيه ولكنه عزة » . وروى عن عمر ابن الخطاب أنه قال : « اخشوشنوا وتمعززوا » كأنه خشى إذا أمر الناس بتعود الخشونة أن يلجئهم ذلك إلى احتقار النفس وذلها فاستدرك ذلك بطلب المحافظة على العزة

وحاول السهروردي أن يفرق بين العزة والكبر فقال : « العزة غير الكبر لأن العزة معرفة الانسان بحقيقة نفسه وإكرامها ، كما أن الكبر جهل الانسان بنفسه وإنزالها فوق منزلتها »

ولست أدرى لم أهمل علماء الأخلاق من المسلمين هذا الخلق فلم يكثروا الكلام فيه إكثارهم في غيره من الصدق والعدل والكرم والتواضع

ولو وضعت أنا « قائمة » الأخلاق مرتبة حسب أهميتها للمسلمين لوضعت في أعلاها « العزة » ، ولاخترت من الأخلاق ما يبعث القوة والاعتداد بالنفس والرجولة والأنفة والحمية ، ولأقللت جداً من الكلام في التواضع والزهد والخوف ونحو ذلك ، لأن قائمة الأخلاق يجب أن تخضع في ترتيبها وتنويعها لعاملين : روح العصر ، وموقف الأمة إزاء بقية الشعوب ؛ بل أحياناً تنقلب الفضيلة إلى رذيلة ، ويكون الحث على هذا النوع من الفضائل داعية إلى الاجرام . فاذا أفرطت أمة في التواضع كانت الدعوة اليه إجراماً ، وإذا أفرطت أمة في الزهد كانت دعوة الأخلاقيين اليه دعوة إلى الموت والفناء

كنت زمناً قاضياً في « الواحات الخارجة » وهى بلاد في منتهى الفقر والبؤس ، أغنامهم من ملك نُخَيلات وسُوَيعات في عين من عيون الماء ، بؤس شامل ، وجهل شائع ، وضنك يستذرف الدمع ، ويستوجب الرحمة . ذهبت يوماً إلى صلاة الجمعة في مسجدها البائس الفقير أيضاً .. فما كان أشد عجبى من خطيب يخطب من ديوان مطبوع يستحث الناس على ألا يقضوا صيفهم في أوربا ، وأنا على يقين أن الخطيب والسامعين لم يعرفوا أوروبا ، ولم يفهموا لها إلا معنى غامضاً ، ولم تحدث أحداً منهم نفسه بالسفر إلى مصر فضلاً عن أوروبا ، ولكنها قلة ذوق الخطيب وسماجته ، وجهله التام بالواقع

وأؤكد أن أكثر المتكلمين في الأخلاق من المسلمين في مثل حال هذا الخطيب ، لا يعرفون زمانهم ، ولا يعرفون أمتهم ، ولا يعرفون موقف أمتهم من زمانهم . يرونهم أذلة فيدعون إلى الذلة ، ويرونهم متواضعين فيلحون في طلب التواضع ، ويرونهم زهاداً بالطبيعة لا يجدون الكفاف من العيش فيمعنون في طلب الزهد . فان هم تلطفوا قليلاً طلبوا منهم الرضا بالبؤس والصقوه بالقدر ، وجعلوا ذلك كله ضرباً من التقوى والايمان ، وهم بذلك يداوون جوعاً بجوع ، وجرحاً بجرح ، وسما بسم ؛ وكان يجب أن يداووا جوعاً بشبع ، وجرحاً بضماد ، وسما بترياق

تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا ندعو إلى خلق يزيد الأمة ضعفا ، فلا ندعوها إلى الرضا بالقليل وفى إمكانها الكثير ، ولا ندعوها إلى الاستسلام للقدر وفى وسعها مكافحة الصعاب ومواجهة الشدائد ، ولا ندعوها إلى الذلة وفى استطاعتها أن تعز .

والواقع أن أبيات العزة وأدب العزة وأمثال العزة وقصص العزة إنما تكثر في الأمة أيام عزتها وتختفي أيام بؤسها ، فلما كان العالم الاسلامى عزيزاً أنطقتهم بالعزة رماحهم ، ثم غلبوا على أمرهم فنطقوا بالتواضع ، وتواصوا بالاستكانة ، وألفت الكتب والخطب من ذلك الحين تروح على البائسين حتى لا يشعروا ببؤسهم ولا عِلوا شقاءهم ، وما زال الحال على هذا المنوال حتى صار الداء صحة والدواء مرضا

وليس غريبا أن يسير الناس على هذه الخطة ، ولكن غريباً أن يسير القادة عليها ، وكان المفروض أن يكونوا أبعد نظراً ، وأطهر قلباً ، وأعرف بحقائق الأمور

***

أريد بالعزة أن يشعر كل انسان بكرامة نفسه ويشعر بما لها من حقوق ، فلا يسمح لمخلوق كائنا من كان أن ينال منها مثقال ذرة ، كما يشعر بما عليه من واجبات فلا يسمح

لنفسه أن يعتدي على حقوق الناس مثقال ذرة أيضاً

وللعزة مظاهر متعددة ووسائل مختلفة ، فالناس كثيراً ما يتطلبون الغنى وسيلة من وسائل العزة ، وآخرون يطلبون المنصب الحكومي أو العضوية البرلمانية أو العضوية في الجمعيات الراقيـة أو صداقة العظماء أو حسن الملبس على أنها وسائل للعزة ؛ والمتعلمون يطلبون العزة من طريق الشهادات من ليسانس ودكتوراه ودبلوم ونحو ذلك ، وهـذه كلها عزة شخصية ؛ وهناك عزة أخرى قومية وهي اعتزاز الفرد بنسبته إلى أمته كاعتزاز الانجليزي بانجليزيتـه والفرنسوي بفرنسيته والألماني بألمانيته ، ولهذه كذلك مظاهر متعددة كاحترام كل أمة أعلامها والمحافظة على بعض تقاليدها والافتخار بلغاتها والفخر بآثارها ونحو ذلك ؛ وليس يهمني الآن هـذا ولا ذاك ، إنما يهمني نوع من الشعور يتملك المرء ويشعر منه بأنه إنسان في الحياة لا يمتاز عنه أحد في الوجود في انسانيته . قد يمتاز الناس عنه في المال أو في الجاه أو في المنصب ولـكن لا يمتاز عليه أحد في أنه انسان ، فسائق السيارة وصاحب السيارة سيان في احترامهما أنفسهما وشعورهما بحقوقهما وواجباتهما

ويسوءني أن أرى الشرق لا يشعر بالعزة الشعور الواجب ، ولا ينزل هذه الفضيلة من نفسه المنزلة التي تستحقها ، وأكبر ما يؤلمني في ذلك مظهران :

الأول : استخذاء الشرقي أمام الأجنبي الأوربي وشعوره في أعماق نفسه كأنه خلق من طينة غير طينته ، وكأن الطبيعة جعلت أحدهما سيداً والآخر عبداً ، ترى هذا الشعور في المصالح الحكومية وفي الحوانيت التجارية وفي المجتمعات وفي الشوارع ، وفي كل معاملة وفي كل خطوة . بالأمس كنت في محطة السكة الحديدية فذهبت الى شباك التذاكر وسألت الموظف — في أدب — هل هنا محل صرف التذاكر الى بلدة كذا ؟ فلم يجب ، وأعدت السؤال فلم يجب ، فتولاني شعور ممتزج من غضب وخجل واحتمال لبرودة السؤال وغير ذلك ، وما لبث أن جاء أجنبي فسأل مثل هذا السؤال بلغته الأجنبية ، فترك الموظف ما في يده وأقبل عليه بكله ، وأجابه إجابة فيها كل معنى التبجيل والتعظيم ، واختتم كل جملة من جمله بكلمة « سيدي » ! فدهشت من هذا الحال وثارت نفسي ، وتجمع الدم في وجهي ، ونلت من الموظف بقـدر ما نال مني ، ولم أكسب من ذلك كله إلا أن أكتب هذا المقال

وموقف هـذا الموظف تقفه كل الأوساط على اختلاف في مقدار اللباقة والكياسة ولـكن الجوهر واحد ، فذلك هو الشأن في الأوساط العلمية والتجارية والسياسية ، يتكلم الأجنبي كلمة عادية فتكون المثل ، وتكون الحـكمة ، وتكون القول الفصل ؛ ويبدي الرأي فيكون الرأي الناضج والقول الحـكيم والغاية التي ليس وراءها غاية ؛ ويطلب الطلب فلا بد أن يجاب ، وإذا لم يمكن فالاعتذار الحار والوعد باجابته في ظرف آخر ؛ ويدخل المحل التجاري أو يركب القطار أو يدخل النادي فوضع رعاية خاصة ؛ ويعمل العمل فيقدر التقدير الغالي في قيمته الأدبية ومكافأته المادية إلى ما يطول شرحه

وفي هذا من غير شك مذلة للشعور وكبت للنفس واستعباد للمواطن ، ومع هذا يطالبنا السادة الأخلاقيون بالتواضع ! لابد أن يفهم الناس في كل مناسبة وفي كل ظرف أن القوم أناس مثلنا لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، وأن هؤلاء القوم على أحسن تقدير ضيوفنا لا سادتنا ، ومن لحم ودم كلحمنا ودمنا ، ولهم عقل ولـكن كعقلنا ، وسلوك في الأخلاق كسلوكنا ، وتصدر منهم الفضيلة والرذيلة كما تصدر عنا ، وأنهم ككل البشر يستذلون من أذل نفسه ، وأن واجبنا أن نحترمهم في غير مذلة ، ونحترمهم لا على حساب احتقار المواطن ، وأننا نبادلهم احتراماً باحترام واحتقاراً باحتقار ، وأنه إذا حدثتهم أنفسهم بالاعتداء علينا لم نمكنهم ، وأن الحـكم بيننا وبينهم دائماً أن لنا حقوقاً وعلينا واجبات كحقوقهم وواجباتهم ، فإذا طلبوا المساواة فالسمع والطاعة ، وإذا طلبوا الاذلال قلنا « لا » بملء أفواهنا

والأمر الثاني من مظاهر الذلة الذي لا يقل خطراً عن هذا ، فهمُ الرئيس لمعنى الرياسة ؛ فهو يفهمها على أنها غطرسة من جانبه ، وذلة من جانب مرءوسه ، وإلا لم يكن المرءوس مؤدباً . فرئيس المصلحة ليس لأحد رأي بجانب رأيه ، لا لوكيله ولا لمديري إدارته ، عليهم أن يسمعوا في ذلة والعزة له وحده ، ثم يتكرر تمثيل هذا الدور من أعلى فنازلا ، فكل من بعد الرئيس الأعلى رئيس من جانب ومرءوس من جانب ، فهو كمرءوس حاله ما بيّنا ، وهو كرئيس يقلد تقليداً تاماً رئيسه في اعتزازه وإذلاله ، وهكذا دواليك ، حتى يصل الأمر إلى ما نرى من الباعة في الشارع والجندي ، فمثلهم كالقاطرة تصدم العربة التي تقابلها

# السمكة

## للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

حدَّثَ أحمدُ بن مسكين الفقيهُ البغدادي قال: حصلتُ في مدينة (بَلْخ) سنة ثلاثين ومائتين، وعالمُها يومئذ شيخُ خراسان أبو عبد الرحمن[1] الزاهد صاحبُ المواعظ والحِكَم، وهو رجل قلبُه من وراء لسانه، ونفسُه من وراء قلبه، والفلكُ الأعلى من وراء نفسه، كأنه يُلقَى عليه فيما زعموا؛ وكان يقال له عندهم (لُقمانُ هذه الأمّة) لِمَا يجمعون من حِكَمه في الزهد والموعظة. وقد حضرتُ مجالسه وحفظتُ من كلامه شيئاً كثيراً كقوله: من دخل في مذهبنا هذا، (يعني الطريق) فليجعلْ على نفسه أربعَ خصال من الموت: موتٌ أبيض، وموتٌ أسود، وموتٌ أحمر، وموتٌ أخضر؛ فالموت الأبيض الجوع، والموت الأسود احتمال الأذى، والموت الأحمر مخالفةُ النفس، والموت الأخضر طرحُ الرِّقاع بعضها على بعض (يعني لبس الرقعة والخَلَق من الثياب)

وقلت يوماً لصاحبه وتلميذه (أبي تراب) وجارَيْتُه في تأويل هذا الكلام: قد فهمنا وجهَ التسمية في الموت الأخضر ما دامت الرقعةُ خضراء، فما الوجهُ في الأبيض والأسود والأحمر؟ فجاء بقول لم أرضه، وليس معه دليل، ثم قال: فما عندك أنت؟ قلت: أما الجوع فيُميت النفس عن شهواتها ويتركها بيضاء نقية، فذلك الموت الأبيض؛ وأما احتمال الأذى فهو احتمال سواد الوجه عند الناس فهو الموتُ الأسود؛ وأما مخالفة النفس فهي كاضطرام النار فيها، فذلك الموت الأحمر

قال أحمد بن مسكين: وكنت ذات نهارٍ في مسجد (بلخ) والناس متوافرون ينتظرون (لقمانَ الأمة) ليسمعوه، وشغله بعضُ الأمر فراث عليهم، فقالوا: من يعظنا إلى أن يجيء الشيخ؟ فالتفت إليّ أبو تراب وقال: أنت رأيت الامام أحمد ابن حنبل، ورأيتَ بِشرا الحافي وفلاناً وفلاناً، فقم فحدِّث الناسَ عنهم، فانما هؤلاء وأمثالهم هم بقايا النبوّة؛ ثم أخذ بيدي إلى الاسطوانة التي يجلس اليها إمامُ خراسان فأجلسني ثَمّة وقعد بين يديّ

وتطاولت الأعناق، ورماني الناس بأبصارهم، وقالوا: البغدادي! البغدادي! وكأنما ضوعفتُ عندهم بمجلسي مرةً وبنسبتي مرةً أخرى، فقلت في نفسي: والله ما في الموت الأحمر ولا الأخضر ولا الأسود موعظة، ولو لبس عزرائيل قوس قُزح

(1) هو حاتم بن يوسف شيخ خراسان وواعظها توفي سنة ٢٣٧ للهجرة

---

ثم كل عربة تصدم ما بعدها الى آخر القطار

* * *

ليس لهذا من علاج إلا فهم العزة بمعناها الدقيق، وهو احترام نفسك في غير احتقار أحد، وأن تقف موقفاً له جانبان، فان نظرت الى من هو أعلى منك في المنصب والجاه والجنسية فلا تمكنه أن ينال من نفسك ولو ذرة، ولا أن يتعدى حدوده ولو شعرة؛ وإذا نظرت الى من هو أسفل منك فلا تتعد حدودك، وإذا شعرت باستخذائه وذلته فارفع مستواه ما استطعت حتى يصل الى الحدود

على أنه ليس هناك أسفل ولا أعلى إلا في مواضعات سخيفة، فمن الذي قال إن كناس الشارع وضيع وفراش المصلحة وضيع، والخادم في المنزل وضيع؟ نعم إن الحالة الاجتماعية فرقت بين الناس في الرتب ونحوه، ولكن القيمة الحقيقية للانسان وهي ما له من حقوق وواجبات قدر مشترك بين الجميع

فليس من حقك أن تنادي بائع الجرائد «يولد» ولا خادمك بأحقر الأسماء، ولا فراش المصلحة بما يشعر باحتقاره، وهو مطالب بالأدب معك، وأنت مطالب بالأدب معه، وليس للجندي حق أن يرفع عصاه على بائع لم يتجاوز حدوده، ولا لأي رئيس أن يخرج عن الأوضاع الأدبية في مخاطبته مرءوسه

فاذا فرغ الرئيس والمرءوس من العمل، وفرغ سائق السيارة ومالكها، وفرغ الضابط والجندي والمعلم والتلميذ فكلهم سواء في الحياة الاجتماعية، وكلهم سواء في الحقوق، لا ذلة لأحد على أحد، ولا اعتزاز من أحد على أحد

«متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟!»

أحمد أمين

لأفسد شعرُ هذه الألوان معناه ، وإنما يجب أن يكون كما يجب أن يكون . ولا موعظة فى كلام لم يمتلئ من نفس قائله ليكون عملاً فيتحول فى النفوس الأخرى عملاً ، ولا يبقى كلاماً ؛ وإنه ليس الوعظُ تأليفَ القول للسامع يسمعُه ، لكنه تأليفُ النفس لنفسٍ أخرى تراها فى كلامها ، فيكون هذا الكلام كأنه قرابةٌ بين النفسين ، حتى لكأن الدمَ المتجاذبَ يجرى فيه ويدور فى ألفاظه

* * *

وكنت رأيتُ رؤيا ( بيلخ ) تتصل بقصة قديمة فى بغداد ، فقصصتها عليهم ، فكانت القصة كما حكيتُها أنى امتُحِنتُ بالفقر فى سنة تسع عشرة ومائتين ؛ وانحسمت مادتى وقُحِطَ منزلى قحطاً شديداً جمع علىَّ الحاجة والضرَّ والمسكنة ؛ فلو انكمشت الصحراءُ المجدبةُ فصغرت ثم صغرت حتى ترجعَ أذرُعاً فى أذرع لكانت هى دارى يومئذ فى محلة باب البصرة من بغداد . وجاء يومٌ صحراوىٌّ كأنما طلعت شمسُه من بين الرمل لا من بين السُّحُب ، ومرّت الشمس على دارى فى بغداد مرورها على الورقة الجافة الملقاة فى الشجرة الخضراء ؛ فلم يكن عندنا شىء يُسيغه حلقُ آدمىّ إذ لم يكن فى الدار إلا ترابُها وحجارتُها وأجذاعها ؛ ولى امرأة ولى منها طفل صغير وقد طوينا على جوع يخسِفُ بالجوف خسفاً كما تهبط الأرض ؛ فتمنيتُ حينئذ لو كنا جرذاناً فنقرضَ الخشب ؛ وكان جوعُ الصبى يزيد المرأة ألماً إلى جوعها ، وكنت بهما كالجائع بثلاثة بطون خاوية ، فقلت فى نفسى : إذا لم نأكل الخشب والحجارة فلنأكل بثمنها ؛ وجمعتُ نيتى على بيع الدار والتحول عنها وإن كان خروجى منها كالخروج من جلدى لا يسمى إلا سلخاً وموتاً ؛ وبت ليلتى وأنا كالمُثْخَن حُمل من معركةٍ فما ينقلب إلا على جراحٍ تعمل فيه عملَ السيوف والأسنّة التى عملت فيها

ثم خرجتُ بغَلَسٍ لصلاة الصبح ؛ والمسجد يكون فى الأرض ولكن السماء تكون فيه ، فرأيتنى عند نفسى كأنى خرجت من الأرض ساعة . ولما قُضيت الصلاةُ رفع الناسُ أكفَّهم يدعون الله تعالى وجرى لسانى بهذا الدعاء : اللهمَّ بك أعوذ أن يكون فقرى فى دينى ، أسألك النفعَ الذى يُصلحنى بطاعتك ، وأسألك بركةَ الرضى بقضائك ، وأسألك القوةَ على الطاعة والرضى يا أرحم الراحمين

ثم جلستُ أتأمل شأنى وأطلتُ الجلوسَ فى المسجد كأنى لم أعد من أهل الزمن فلا تجرى علىَّ أحكامه ، حتى إذا ارتفع الضُّحى وابيضَّت الشمس جاءت حقيقة الحياة فخرجتُ أتسبب لبيع الدار وانبعثتُ وما أدرى أين أذهب ، فما سرت غير بعيد حتى لقينى أبو نصر الصياد وكنت أعرفه قديماً ، فقلت : يا أبا نصر ! أنا على بيع الدار فقد ساءت الحال وأحوجَتْ الخصاصة ، فأقرضنى شيئاً يُمسكنى على يومى هذا بالقوام من العيش حتى أبيع الدار وأوفّيك

فقال : يا سيدى ! خذ هذا المنديل إلى عيالك وأنا على أثرك لاحق بك إلى المنزل . ثم ناولنى منديلا فيه رقاقتان بينهما حلوى وقال : إنهما والله بركةُ الشيخ

قلت : من الشيخ وما القصة ؟

قال : وقفتُ أمس على باب هذا المسجد وقد انصرف الناس من صلاة الجمعة فمر بى أبو نصر بشر الحافى(1) فقال : مالى أراك فى هذا الوقت ؟ قلت : ما فى البيت دقيق ولا خبز ولا درهم ولا شىء يباع . فقال : اللهُ المستعان ؛ إحمل شبكتك وتعال إلى الخندق ؛ فحملتها وذهبتُ معه ، فلما انتهينا إلى الخندق قال لى : توضأ وصلِّ ركعتين ، ففعلت ، فقال : سَمِّ الله تعالى وألقِ الشبكة ؛ فسميت وألقيتها ، فوقع فيها شىء ثقيل فجعلت أجره فشقَّ علىّ ؛ فقلت له ساعدنى فإنى أخاف أن تنقطع الشبكة ، فجاء وجرها معى فخرجت سمكة عظيمة لم أر مثلها سِمَناً وعِظَماً وفراهة . فقال : خذها وبعها واشتر بثمنها ما يصلح عيالك . فحملتها فاستقبلنى رجل اشتراها ، فابتعت لأهلى ما يحتاجون إليه ، فلما أكلتُ وأكلوا ذكرتُ الشيخ فقلت أهدى له شيئاً ، فأخذتُ هاتين الرقاقتين وجعلت بينهما هذه الحلوى وأتيت إليه فطرقت الباب فقال : من ؟ قلت : أبو نصر ! قال : افتح وضع ما معك فى الدهليز وادخل ، فدخلت وحدثته عما صنعت فقال : الحمد لله على ذلك . فقلت : إنى هيأت للبيت

(1) هو الزاهد المعظم بشر بن الحارث المعروف بالحافى ، توفى سنة ٢٢٧ للهجرة وكان واحد الدنيا فى ورعه وتقواه ؛ وقيل له الحافى لأنه كان فى حداثته يمشى الى طلب العلم حافياً إجلالا لحديث النبى صلى الله عليه وسلم

شيئاً وقد أكلوا وأكلتُ ومعي رقاقتان فيهما حلوى

قال : يا أبا نصر ! لو أطعمنا أنفسنا هذا ماخرجت السمكة ! اذهب كله أنت وعيالك

* * *

قال أحمد بن مسكين : وكنت من الجوع بحيث لو أصبتُ رغيفاً لحسبته مائدة أنزلت من السماء ، ولكن كلة الشيخ عن السمكة أشبعتني بمعانيها شبَعاً ليس من هذه الدنيا كأنما طعمت منها ثمرة من ثمار الجنة . وطفقتُ أرددها لنفسي وأتأمل ما تفتُقُ الشهواتُ على الناس ، فأيقنتُ أن البلاء إنما يصيبنا من أننا نفسر الدنيا على طولها وعرضها بكلمات معدودة ، فاذا استقر في أنفسنا لفظ من ألفاظ هذه الشهوات ، استقرت به في النفس كل معانيه من المعاصي والذنوب ، وأخذت شياطين هذه المعاني تحوم على قلوبنا فنُصبح مُهيِّئين لهذه الشياطين عاملين لها ثم عاملين معها ، فتدخلنا مداخلَ السوء في هذه الحياة وتُقحِمنا في الورطة بعد الورطة وفي الهلكة بعد الهلكة . وما هذه الشياطين إلا كالذباب والبعوض والهوام ، لا تحوم إلا على رائحة تجذبها فان لم تجد في النفس ما تجتمع عليه تفرقت ولم تجتمع ، وإذا ألمَّت الواحدة بعد الواحدة لم تثبت . فلو أننا طردنا من أنفسنا الكلمات التي أفسدت علينا رؤيةَ الدنيا كما خلقت ، لكان للدنيا في أنفسنا شكل آخر أحسن وأجمل من شكلها ؛ ولكانت لنا أعمال أخرى أحسن وأطهر من أعمالنا

فالشيخ لم يكن في نفسه معنى لكلمة ( التلذذ ) ، وبطرده من نفسه هذا اللفظ الواحد ، طرد معاني الشر كلها وصلُح له دينُه وخلَصت نفسه للخير ومعاني الخير . ولو أن رجلاً وضع في نفسه امرأةً يعشقها لصارت الدنيا كلها في نفسه كالمخدع ما فيه إلا المرأة وحدها بأسبابها اليه وأسبابه اليها

وقد كنتُ سمعتُ في درس شيخنا أحمد بن حنبل هذا الحديث : لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات ؛ فما فهمت والله معناه إلا من كلة الشيخ في السمكة وقد علَّمنيها هذا الصياد الفاني . فالشياطين تتجذب إلى المعاني ، والمعاني يوجدها اللفظ المستقر في القلب استقرارَ غرض أو شهوة أو طمع ؛ فاذا خلا القلب من هذه المعاني فقد أمن منازعتها له وشغلها إياه فيصبح فوقها لا بينها ؛ ومتى صار القلب فوق الشهوات ولم يجد من ألفاظها ما يُعميه ويعترضُ نظرَه إلى الحقائق ، انكشفت له هذه الحقائق فانكشف له الملكوت . فاذا وقع بعدُ في واحدة من اللذات ولو (كالرقاقتين والحلوى ) استعلت الأشياء عليه فحجبته ، وعاد بينها أو تحتها ، وعمِيَ عمى اللذة ؛ والحجابُ على البصر كأنه تعليقُ العمى على البصر

وكنت لا أزال أعجب من صبر شيخنا أحمد بن حنبل وقد ضرب بين يدي المعتصم بالسياط حتى غُشي عليه [1] فلم يتحول عن رأيه ، فعلمت الآن من كلة السمكة أنه لم يجعل في نفسه للضرب معنى الضرب ، ولا عرف للصبر معنى الصبر الآدمي ؛ ولو هو صبر على هذا صبر الانسان لجزع وتحول ، ولو ضرب ضرب الانسان لتألم وتغير ؛ ولكنه وضع في نفسه معنى ثبات السنة وبقاء الدين وأنه هو الأمةُ كلُّها لا أحمد بن حنبل ، فلو تحوَّل لتحول الناس ولو ابتدع لابتدعوا ؛ فكان صبره صبر أمة كاملة لا صبر رجل فرد ، وكان يُضرَب بالسياط ونفسُه فوق معنى الضرب ، فلو قرضوه بالمقاريض ونشروه بالمناشير لما نالوا منه شيئاً إذ لم يكن جسمه إلا ثوباً عليه ، وكان الرجل هو الفكر ليس غير

هؤلاء قوم لا يرون فضائلهم فضائل ولكنهم يرونها أمانات قد ائتُمِنوا عليها من الله لتبقى بهم معانيها في هذه الدنيا ؛ فهم يُزرعون في الأمم زرعاً بيد الله ولا يملك الزرع غير طبيعته ، وما كان المعتصم وهو يريد شيخنا على غير رأيه وعقيدته إلا كالأحمق يقول لشجرة التفاح : أثمري غير التفاح

* * *

قال أحمد بن مسكين : أخذتُ الرقاقتين وأنا أقول في نفسي : لمن الله هذه الدنيا ! إن من هوانها على الله أن الانسان فيها يلبس وجهَه كما يلبسُ نعله . فلو أن انساناً كانت له نظرةٌ ملائكية ثم اعترض الخلقَ ينظر في وجوههم لرأى عليها وحولاً وأقذاراً كالتي في نعالهم أو أقذر أو أقبح ، ولعله كان لا يرى أجلَّ

(١) كان هذا في سنة ٢١٩ وقد أرادوا الامام العظيم على القول بخلق القرآن فلم يقل به فأفتى القاضي ابن أبي دؤاد بقتله وشغب عليه . ثم ضرب بين يدي المعتصم ، فلما صمم ولم يجب أطلقه المعتصم وندم على ضربه

الوجوه التي تسهم الناسَ وتتصبّاها من الرجال والنساء إلا كالأحذية العتيقة . . .

ولكني أحسست أن في هاتين الرقاقتين سرّ الشيخ ورأيتهما في يدي كالوثيقتين بخير كثير ، فقلت على بركة الله ومضيتُ إلى داري ؛ فلما كنت في الطريق لقيتني امرأةٌ معها صبي فنظرت إلى المنديل وقالت : ياسيدي هذا طفل يتيم جائع ولا صبر له على الجوع فأطعمه شيئاً يرحمك الله ؛ ونظر إليَّ الطفل نظرةً لا أنساها حسبتُ فيها خشوعَ ألفِ عابد يعبدون الله تعالى منقطعين عن الدنيا ، بل ما أظن ألفَ عابد يستطيعون أن يُروا الناس نظرةً واحدة كالتي تكون في عين صبي يتيم جائع يسأل الرحمة . إن شدة الهمّ لتجمل وجوه الأطفال كوجوه القديسين في عين من يراها من الآباء والأمهات ، لعجز هؤلاء الصغار عن الشر الآدميّ وانقطاعهم إلا من الله والقلب الانسانيّ ، فيظهر وجهُ أحدهم وكأنه يصرخ بمعانيه يقول : يا رباه يا رباه !

* * *

قال أحمد بن مسكين : وخيل إلى حينئذ أن الجنة نزلت إلى الأرض تعرض نفسها على من يُشبعُ هذا الطفلَ وأمه ، والناس عميٌ لا يبصرونها ، وكأنهم يمرون بها في هـذا الوطن مرورَ الحمير بقصر الملك ، لو سئلت فضلت عليـه الاصطبل الذي هي فيه . . .

وذكرتُ امرأتي وابنها وهما جائعان منذ أمس ، غير أني لم أجد لهما في قلبي معنى الزوجة والولد ؛ بل معنى هذه المرأة المحتاجة وطفلها ، فأسقطتهما عن قلبي ودفعت ما في يدي المرأة وقلت لها : خذي وأطعمي ابنـــك ، ووالله ما أملك بيضاء ولا صفراء وإن في داري لمن هو أحوج إلى هذا الطعام ؛ ولولا هذه الحالةُ بي لتقدمت فيما يصلحك . فدمعت عيناها وأشرق وجه الصبي ؛ ولكن طمَّ على قلبي ما أنا فيه فلم أجد الدمعة معنى الدمعة ولا للبسمة معنى البسمة

وقلت في نفسي : أما أنا فأطوى إن لم أصب طعاما ، فقد كان أبو بكر الصديق يطوى ستة أيام ، وكان ابن عمر يطوى ، وكان فلان وفلان ممن حفظنا أسماءهم وروينا أخبارهم ؛ ولكن من المرأة وابنها بمثل عقدي ونيتي ؟ وكيف لي بهما ؟

ومشيتُ وأنا مُنكَسِر منقبض وكأني كنت نسيت كلمة الشيخ « لو أطعمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة » فذكرتها وصرفتُ خاطري إليها وشغلتُ نفسي بتدبرها وقلتُ : لو أني أشبعتُ ثلاثة بجوع اثنين لحُرمت خمس فضائل [1] وهـذه الدنيا محتاجة إلى الفضيلة ، وهذه الفضيلة محتاجة إلى مثل هـذا العمل ، وهذا العمل محتاج إلى أن يكون هكذا ، فما يستقيم الأمر إلا كما صنعت

وكانت الشمس قد انبسطت في السماء وذلك وقتُ الضحى الأعلى ، فملت ناحيةً وجلستُ إلى حائط أفكر في بيع الدار ومن يبتاعها ؛ فأنا كذلك إذ مرّ أبو نصر الصياد وكأنه مُستَطار فرحاً فقال : يا أبا محمد ما يجلسك ههنا وفي دارك الخير والغنى ؟ قلت : سبحان الله ! من أين خرجت السمكة يا أبا نصر ؟

قال : إني لفي الطريق إلى منزلك ومعي ضرورةٌ من القُوت أخذتها لعيالك ودراهمُ استَدنتُها لك ، إذا رجلٌ يستدلُّ الناس على أبيك أو أحدٍ من أهله ، ومعه أثقال وأحمال ، فقلت له أنا أدلك ومشيت معه أسأله عن خبره وشأنه عند أبيك . فقال : إنه تاجر من البصرة وقد كان أبوك أودعه مالاً من ثلاثين سنة فأفلس وانكسر المال ، ثم ترك البصرة إلى خراسان فصلُح أمره على التجارة هناك وأيسرَ بعد المحنَة ، واستظهر بعد الخذلان ، وأقبل جَدُّه بالثراء والغنى فعاد إلى البصرة ، وأراد أن يتحلل فجاءك بالمال وعليه ما كان يربحه في هذه الثلاثين سنة وإلى ذلك طرائف وهدايا

* * *

قال أحمد بن مسكين : وأنقلبُ إلى داري فإذا مالٌ جمٌ وحال جميلة ؛ فقلت : صدق الشيخ : « لو أطعمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة » ؛ فلو أن هذا الرجل لم يلق في وجهه أبا نصر في هـذه الطريق في هذا اليوم في هذه الساعة لما اهتدى إلي ، فقد كان أبي مغمورا لا يعرفه أحد وهو حي ؛ فكيف به ميتاً من وراء عشرين سنة ؟

وآليت ليَعلمَنّ اللهُ شكرى هذه النعمة ؛ فلم تكن لي همةٌ

(١) يريد جوعه وجوع امرأته وجوع ابنه ، ثم شبع هـذه المرأة وشبع ابنها . فهذه خمس فضائل

الا البحث عن المرأة المحتاجة وابنها فكفيتُهما وأجريت عليهما رزقاً ، ثم اتجرت فى المال وجعلت أرْبَه بالمعروف والصنيعة والاحسان وهومقبل يزداد ولا ينقص حتى عوَّات وتأثَّات

وكأنى قد أعجبتني نفسي وسرَّنى أنى قد ملأت سجلات الملائكة بحسناتى ، ورجوت أن أكون قد كُتبت عند الله فى الصالحين ، فنمتُ ليلة فرأيتني فى يوم القيامة والخَلْق يموج بعضهم فى بعض ، والهولُ هولُ الكون الأعظم على الانسان الضعيف يُسأل عن كل ما مسَّه من هذا الكون . وسمعتُ لصائح يقول : يا معشر بني آدم ! سَجَدَت البهائم شكراً لله أنه لم يجعلها من آدم . ورأيتُ الناس وقد وُسِّعت أبدانهم فهم يحملون أوزارهم على ظهورهم مخلوقةً مجسَّمة ، حتى لكأن الفاسق على ظهره مدينة كلها مُخزيات !

وقيل : وُضعت الموازين وجئ بى لوزن أعمالى . فجُعلت سيئاتى فى كفة وألقيت سجلات حسناتى فى الأخرى ، فطاشت السجلات ورجحت السيئات ، كأنما وزنوا الجبل الصخرى العظيم الضخم بلُفافة من القطن . .

ثم جعلوا يلقون الحسنة بعد الحسنة مما كنت أصنعه فاذا تحت كل حسنة شهوةٌ خفيةٌ من شهوات النفس كالرياء والغرور وحب المَحْمَدَة عند الناس وغيرها فلم يسلم لى شىء ، وهلكتْ عني حجتى ، إذ الحجة ما يُبينه الميزان ، والميزان لم يدلَّ إلا على أنى فارغ

وسمعت الصوت : ألم يبق له شىء ؟ فقيل : بقى هذا

وأنظر لأرى ما هذا الذى بقى ، فاذا الرقاقتان اللتان احسنتُ بهما على المرأة وابنها ! فأيقنتُ أنى هالك ؛ فلقد كنت أحسن بمائة دينار ضربةً واحدة فما أغنت عني ورأيتها فى الميزان مع غيرها شيئاً معلّقاً كالغمام حين يكون ساقطا بين السماء والأرض لا هو فى هذه ولا هو فى تلك

ووُضعت الرقاقتان وسمعتُ القائل : لقد طار نصفُ ثوابهما فى ميزان أبى نصر الصياد . فانخذلتُ انخذالاً شديداً حتى لو كُسرت نصفين لكان أخفَّ علىَّ وأهون . بيد أنى نظرت فرأيت كفة الحسنات قد نزلت منزلةً ورجحت بعض الرجحان

وسمعت الصوت : ألم يبق له شىء ؟ فقيل : بقى هذا

وأنظر ما هذا الذى بقى ، فاذا جوع امرأتى وولدى فى ذلك اليوم ! وإذا هو شىء يوضع فى الميزان ، وإذا هو ينزل بكفة ويرتفع بالأخرى حتى اعتدلتا بالسَّوِيَّة . وثبت الميزانُ على ذلك فكنت بين الهلاك والنجاة

وأسمع الصوت : ألم يبق له شىء ؟ فقيل بقى هذا

ونظرت فاذا دموع تلك المرأة المسكينة حين بكت من أثر المعروف فى نفسها ومن إيثارى إياها وابنها على أهلى . ووُضعت فإذا عَرْ غَرَةٌ عينيها فى الميزان ففارت فطمَّت كأنها لجَّةٌ من تحت اللجة بحر . وإذا سمكةٌ هائلة قد خرجت من اللجة وقع فى نفسى أنها روح تلك الدموع ، فجعلت تعظم ولا تزال تعظم ، والكفة ترجح ولا تزال ترجح ، حتى سمعتُ الصوت يقول : قد نجا !

وصحت صيحةً انتبهتُ لها فاذا أنا أقول : لوأطعمنا أنفسَنا هذا ما خرجت السمكة !

(طنطا) مصطفى صادق الرافعي

# أساليب الكفاح الدولى

## بين الأمس واليوم

### بقلم باحث دبلوماسى كبير

تثير المشاكل العسكرية والسياسية العالمية الحاضرة كثيراً من التأملات؛ وأول ما يلاحظ فيها أن أساليب الحرب والكفاح المادية بين الدول قد طرأ عليها تغيير جوهرى حاسم، هذا بينما نرى أساليب الكفاح السياسى تقوم فى جوهرها على نفس الأسس التى قامت عليها منذ قرون، ويكفى أن نرجع إلى عشرين عاما فقط، أعنى إلى الحرب الكبرى، لنرى إلى أى مدى هائل تطورت أساليب الحرب؛ ففى أثناء الحرب الكبرى كانت الحرب الجوية لا تزال فى بدايتها، وكانت المخترعات والأسلحة الجديدة المهلكة مثل الغازات السامة والدبابات لا تزال فى دور التجربة، ولم يعلم يومئذ مبلغ فعلها أو أثرها فى تطور أساليب الحرب. أما اليوم فقد غدت الأساطيل الجوية أروع وأفعل وسائل الحرب السريعة المهلكة، وغدت الغازات السامة سلاحاً يعتمد عليه ويحسب حسابه ويتحوط لدرئه والوقاية منه فى جميع الأمم المتمدنة؛ وغدت الدبابات الضخمة وحدة فنية ثابتة فى معظم الجيوش الكبرى؛ وهذه أمثال فقط مما ذاع وعرف من أسلحة الحرب المعاصرة، ولكن لا ريب أن هنالك أسلحة ووسائل مهلكة أخرى لم تعرف ولم تذع بعد، وإن كنا نسمع عنها بعض الروايات الغريبة المدهشة، ومن المحقق أنها يوم تنشب حرب عالمية جديدة، أو حرب طاحنة بين دولتين عظيمتين، ستقع على العالم وقع الصواعق، وتحدث ثورة جديدة هائلة فى أساليب الحرب والقتال

ونرى من الجهة الأخرى منظراً غريباً من مناظر الكفاح الدولى الحديث هو العقوبات الدولية، فهنالك اليوم زهاء خمسين دولة من دول العالم، وبينها عدة من الدول العظمى، تبحث فى جنيف فى فرض عقوبة جديدة على ايطاليا تكون حاسمة فى وقف اعتدائها على الحبشة، وذلك بعد أن فرضت عليها العقوبات الاقتصادية الاجماعية وأحدثت فى شؤونها الداخلية والاقتصادية أزمات ومتاعب شديدة؛ وهذه العقوبة الجديدة تنحصر فى حظر تصدير البترول والحديد والفحم إلى ايطاليا، والمقدر أن تنفيذ هذه العقوبة يكون ضربة قاضية على المغامرة الايطالية فى الحبشة، وأنه يؤدى سريعاً إلى شل الحركات العسكرية الايطالية، لأن ايطاليا تعتمد على الخارج فى استيراد هذه المواد الحيوية اللازمة لتموين أسطولها وطياراتها ودباباتها، وكل حركاتها ومشاريعها العسكرية؛ وحرمانها من هذه المواد يقضى على كل هذه المشاريع والحركات، ويجعل من أساطيلها وطياراتها ودباباتها قطعاً من الحديد والصلب لا حياة فيها؛ ثم نرى الدول تذهب فى تفكيرها إلى أبعد من ذلك، فتقدر أن ايطاليا قد استوردت من هذه المواد ما يكفيها زمناً، أو أنها ستظفر على أى حال باستيراد البترول من إحدى الدول التى لا توافق على حظره، فتفكر فى وسيلة أخرى هى حظر نقل البترول إلى ايطاليا على سفن الدول المشتركة فى توقيع العقوبات، وهذه الدول محدودة معروفة، وايطاليا لا تملك من سفن نقل البترول ما يكفى لاستيراد ماتبغيه

فهذه وسائل جديدة مبتكرة فى ميدان الكفاح الدولى؛ ولكنها لا تخلو من روح القدم أيضاً، بل لا تخلو من وسائله، فهى فى الواقع نوع من الحصار السلمى العام، وهى تؤدى إلى نفس النتائج التى يؤدى اليها الحصار العسكرى أو البحرى، وكل ما هنالك أنه قد أسبغ عليها تأييد دولى عام يجعلها بعيدة عن صفة النضال الشخصى أو المباشر؛ ويقدم الينا التاريخ الحديث مثلا من هذا الحصار العام الذى يراد به إذلال دولة أو سحقها بالوسائل الاقتصادية، وهو القرار الشهير الذى أصدره نابوليون فى سنة ١٨٠٦ والذى يعرف بقرار برلين نسبة إلى البلد الذى صدر فيه؛ فهذا القرار يقضى بوضع الجزائر البريطانية فى حالة حصار تام، وبان تقطع فرنسا وجميع الأمم التابعة لها جميع علائقها الاقتصادية والمالية مع انكلترا، وأن تقفل جميع الثغور الفرنسية وثغور الأمم التابعة لها فى وجه السفن البريطانية؛ وكان نابوليون يرمى بتنظيم هذا الحصار الاقتصادى المطبق إلى سحق تجارة انكلترا التى هى سر عظمتها وغناها بعد أن عجز عن مكافحتها بالوسائل العسكرية؛ ولكن انكلترا أجابت

على هـذا الحصار بتنظيم المقاطعة التجارية والبحرية ضد فرنسا واتخاذ الاجراءات الانتقامية المائلة ؛ وقد عانت انكلترا مدى حين آثار هذا الحصار المرهق ، ولـكن فرنسا عانت أيضا من آثاره ؛ ولم يوفق نابوليون إلى تحقيق غايته ، إذ كانت سياسته قائمة على الغايات والاعتبارات الشخصية ، ولم تفز بنوع من التأييد الدولى العام ؛ ومن الواضح أن العقوبات الاقتصادية التى توقعها الآن عصبة الأمم على ايطاليا تقوم على فكرة مماثلة فى القصد إلى اضعاف الدول المعتدية (ايطاليا) وإخضاعها بالوسائل الاقتصادية ، وهى وسائل فعالة فى عصرنا ، ولـكن الفرق بين قرار برلين، وقرار عصبة الأمم أن قرار العصبة يفوز بما يشبه الاجماع الدولى ، وبذلك يتخذ طابعاً دولياً عاما بدلا من أن يتخذ طابع الـكفاح الشخصى بين دولتين ، ويبدو أثره أشد وقعاً وفعلا .

أما وسائل الـكفاح السياسى الذى يضطرم اليوم فى أوربا ، والذى يراد أن يمهد به للصراع الحربى المقبل ، فما زالت تقوم على نفس الأسس التى عرفتها أوربا منذ قرون . وقد مرت عقب انتهاء الحرب الـكبرى فترة لاح للعالم فيها أن وسائل الـكفاح الدولى القديمة قد عفت ، وأن العالم سوف يستقبل عهد جديدا من الوئام والتفاهم الدولى ، وأن المنازعات الدولية يمكن أن تسوى بالوسائل السلمية مثل التحكيم أو الالتجاء لمحكمة دولية عليا ؛ وكان للعالم عذره فى هذا الاعتقاد وهو يرى عصبة الأمم ومثلها العليا ، ومواثيق السلام وعدم الاعتداء يتوالى عقدها منذ ميثاق لوكارنو ، ثم يرى ميثاقا يعقد بتحريم الحرب ونبذها كأداة للسياسة القومية وتنضم اليه أسرة الدول الـكبرى كلها ؛ ولكن سرعان ما تبدد هـذا الحلم ، وارتفع الطلاء الخلب الذى كان يغشى هذه المظاهر والدعاوى ، وبدت السياسة الدولية فى ثوبها الحقيق القديم ، قائمة على نفس الأسس القديمة التى تدفع أوربا ما بين آونة وأخرى إلى معترك الحروب القومية الـكبرى

أما هذه الأسس التى يقوم عليها معترك السياسة الدولية اليوم . فهى اعتبارات السياسة والخصومات والمطامع القومية القديمة ، والتوازن الأوروبى القـديم ، الذى يقسم القارة الى كتل سياسية وعسكرية متشادة متكافئة ، لا تكاد تهم احداها بالتفوق حتى تناهضها أخرى أقوى وأ كثر تحفزا ؛ وقد كانت السياسة القومية القديمة تلعب دورها من وراء الستار دائما حتى إبان ازدهار الدعوة الى السلام والتفاهم الدولى ؛ أما اليوم وقد اضمحلت هـذه الدعوة وانهارت المواثيق السلمية التى عقدت باسمها وفى ظلها ، فان السياسة القومية تسيطر فى ميدان النضال الدولى بصورة ظاهرة غـير منكورة ؛ وأوربا القديمة تتجاذبها اليوم عدة جباه سياسية وعسكرية خصيمة ؛ وإذا كانت هذه الجباه قد تغيرت أوضاعها عما كانت عليه قبل الحرب الـكبرى لتغير فى الأوضاع السياسية والجغرافية التى ترتبت على الحرب ، فانها ما زالت تحتفظ فى جوهرها بهيكلها القـديم ؛ فالخصومة الفرنسية الألمانية مازالت محور التجاذب السياسى والعسكرى فى أوربا ، وحول هذه الخصومة تجتمع القوى المختلفة ؛ فروسيا الشيوعية لأنها تخشى ألمانيا المتـسلرية تجنح اليوم الى الجبهة الفرنسية ، بعد أن كانت تجنح من قبل الى الجبهة الألمانية ؛ وفرنسا تحاول أن تستبقى الى جانبها جميع حلفائها بالأمس ؛ أعنى بريطانيا العظمى وبلجيكا وايطاليا ؛ وهى تبـذل فى سبيل استبقاء صـداقة ايطاليا جهودا واضحة ، ولا ترى بأساً من أن تمالئها فى مشروع اعتـدائها على الحبشة لأنها تخشى إن هى سلـكت سبيلا آخر أن تلقى بايطاليا فى أحضان المانيا ، والمانيا رابضة متربصة تحاول أن تحدث هذه الثغرة فى الجبهة الخصيمة ؛ ثم إن فرنسا من جهة أخرى تبذل نفوذها فى تسيير دول الاتفاق الصغير — يوجوسلافيا ، ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا — نحو الغاية التى تعمل لها دائما ، وهى احاطة المانيا بسياج قوى من الدول الخصيمة ؛ والواقع أن المانيا ما زالت تشعر أنها بإزاء هذه الحركة تقع فى نوع من العزلة السياسية والعسكرية يدفعها إلى البحث عن أنصار وحلفاء ، وهى قد استطاعت أن تسلخ بولونيا من أحضان فرنسا ، ولـكن بولونيا ليست قوة كبرى يعتد بها ؛ أما بريطانيا العظمى ، فهى تشق سـبيلها فى هذا المعترك ، إلى جانب فرنسا فى الغالب ، ولـكن دون خصومة ظاهرة لألمانيا ؛ وهى تخاصم اليوم ايطاليا من أجل المسألة الحبشية ومطامعها الاستعمارية فى شرق أفريقيا ، ولـكنها تحاول أن تجتذب فرنسا الى جانبها فى هذه الخصومة ، وقد استطاعت أن تحرز بعض النجاح فى هذا السبيل

والخلاصة أن المترك الدولى فى أوربا يقوم اليوم على نفس الأسس القديمة التى كان يقوم عليها قبل الحرب الكبرى : السياسة القومية ، والتوازن الأوروبى السياسى والعسكرى ؛ وإذا لم يكن هذا التوازن قد استقر الآن بصورة فعلية فانه يسير فى سبيل الاستقرار ، ومتى تم هذا الاستقرار استطعنا أن نعين المعسكرات الخصيمة التى تشترك فى الحرب الأوروبية القادمة ؛ وإذا قلنا الحرب الأوروبيـة فانما نعنى الحرب العالمية ، لأن التوازن الأوربى هو أساس التوازن العالمى ؛ وليس فى العالم بعد أوربا قوة يمتد بقوتها السياسية والعسكرية غير اليابان وأمريكا ؛ فأما اليابان فانها تتخذ لنفسها موقفا خاصا ، ولا يمكن تصورها متحدة مع أية دولة أوربية فى ميدان غير الشرق الأقصى ، وأما أمريكا فانه يصعب تصورها ملقية بنفسها فى غمر المعركة الأوربية مرة أخرى ، ومن المحقق أيضا أن الذى يقود أوربا الى ميادين الحرب أو السلام هى نفس الدول التى قادتها إلى الحرب الكبرى وهى ألمانيا وفرنسا وروسيا وبريطانيا العظمى وإيطاليا

وهنالك عنصر لا يمكن اغفاله فى تطور هذا المترك ، هو عنصر الدبلوماسيـة السرية ؛ وقد بلغت الدبلوماسية السرية ذروتها قبيل الحرب الكبرى وفى خلالها ، وكانت مبعث طائفة من الفاجآت والتطورات الخطيرة التى غيرت مصاير الحرب ، ولم ينقطع هذا العنصر السرى فى الدبلوماسية الأوربية عن العمل فى أى وقت ، ولكنه هدأ قليـلا عقب الحرب ، أمام اضطرام صيحات السلام والتفاهم الدولى ؛ بيـد أنه يسـتعيد الآن كل أهميتـه القديمة ، وإذا لم يكن من المستطاع أن نتلمس آثاره الآن فى المترك الأوربى ، فانه بلا ريب سـيحدث أثره فى الوقت المناسب ، وعلى أى حال فان السياسة الصريحة لم تكن يوما عماد دول عسكرية استعمارية مثل فرنسا وإيطاليا وألمانيا وروسيا ؛ وقد رأينا كيف لعبت المساعى السرية دورها فى سلخ إيطاليا عن التحالف الثلاثى أثناء الحرب الكبرى فمثل هـذه المساعى يبذل اليوم من جميع النواحى ، وإيطاليا ما زالت تقف بين الخصمين القديمين — ألمانيا وفرنسا — فى مفترق الطريق ؛ ولا ريب أن المستقبل فياض بمختلف التطورات والفاجآت

(***)

# الاستعمار والتعليم*

## للأستاذ ساطع بك الحصرى

مدير التعليم العام بوزارة المعارف العراقية

عند ما طلب إلىّ نادى المعلمين إلقاء محاضرة عامة فى هذه القاعة خطرت على بالى موضوعات عديدة ، اخترت منها موضوع « الاستعمار والتعليم » ولما ذكرت هذا الموضوع فى حـديث لأحد أصدقائى اعترضنى بقوله : « لم اخترت هـذا الموضوع وقد تخلصنا من شبح الاستعمار ؟ » فقلت له حقاً لقد تخلصنا من الاستعمار ولكن بلادنا فى اتصال ببلاد لا تزال تلعب فيها أيدى الاستعمار . ولا يسوغ لنا وهذه هى الحال أن نتغاضى عما يضمره الاستعمار من الكيد للأمم المستضعفة ؛ زد على ذلك أن للاستعمار أساليب خداعة ، فقد عرف المستعمرون كيف يدسون أساليبهم هذه تحت أستار جذابة قد تفوت المرء لأول مرة قبل أن ينفذ إلى دقائقها . وأخشى أن بعض هذه الأساليب قد يصل إلينا ويتسرب إلى أذهاننا وينخر فى جسمنا من غير أن نشعر به ونتنبه إلى منابعه . لذلك وجب علينا كأمة فتحت عينيها للحياة أن تهتم بهذه المباحث وتمعن فى درسها

لقد أخذ الأوربيون بعد الحرب العظمى يهتمون بسياسـة التعليم تنفيذاً لأغراض الاستعمار . وقد عقدوا مؤتمرات عديدة — بعضها قومية وبعضها أممية — للمداولة فى هذه الشؤون ؛ وخليق بنا أن ندرس سياسة الاستعمار من حيث علاقتها بالتعليم ؛ ولهذه الملاحظات جئت أتحدث إليكم هذا المساء عن « الاستعمار والتعليم »

***

تعلمون أيها السادة أن كل نظام تعليمى يتكيف عادة بمطالب السياسة العامة ، لذلك لابد لنا ونحن نبحث هذا الموضوع أن نعرف أهداف الاستعمار لنصل إلى أهداف السياسـة التعليمية فيه . فلننظر ما هى غاية الاستعمار

لقد اعتاد علماء الاجتماع أن يقسموا المستعمرات إلى ثلاثة

* نص المحاضرة القيمة التى ألقاها الأستاذ ساطع بك الحصرى ببغداد فى الأسبوع الماضى

أصناف أساسية من حيث الغايات المتوخاة من الاستعمار وهي : (١) مستعمرات الاتجار (٢) مستعمرات الاستغلال (٣) مستعمرات الاستيطان

يبدأ المستعمرون عادة بالاستعمار التجاري ، فيختارون ميناء أو نقطة جغرافية مهمة في بلاد ما ، فيؤسسون فيها مستعمرة صغيرة يتخذونها مركزاً للاتجار ، ومن هذا المركز يعقدون صلاتهم مع داخل البلاد ، فيعملون بذلك على احتكار تجارتها ، دون أن يستولوا على داخليتها . فغايتهم من هذه المستعمرة تنحصر في « الاتجار » ، غير أنهم كثيراً ما لا يقفون عند هذا الحد بل يتغلغلون في داخلية البلاد ، ويستولون على جميع منابع الثروة الموجودة فيها ، وهم في هذا السبيل لا يكتفون بتأسيس ما تحتاج إليه التجارة من مؤسسات ، بل يتوسعون في مؤسساتهم داخل البلاد ويستولون على كل ما يجب الاستيلاء عليه لاستغلال مرافقها . فالغاية الأصلية من مثل هذه المستعمرات تكون « الاستغلال »

غير أن بعض المستعمرين لا يكتفون بذلك أيضاً ، فانهم لا يقصرون حظهم على استغلال المرافق الاقتصادية والثروة ، وإنما يرمون أحياناً إلى تركيز سياسة الاستيطان جاعلين من البلاد التي يستعمرونها وطناً جديداً لأبناء جلدتهم . وهذا أهم أنواع الاستعمار وأشدها خطرا

وهذه الأنواع لا يختلف بعضها عن بعض اختلافاً كلياً لأن كثيرا ما يحول جشع المستعمرين البلاد التي يستعمرونها من شكل الى شكل آخر من الأشكال الثلاثة التي ذكرناها

ان أبرز الأمثلة على « مستعمرات الاتجار » هي المستعمرات التي أحدثها الأوربيون في سواحل الصين . أما أحسن الأمثلة على « مستعمرات الاستغلال » فهي الهند حيث تغلغل الانكليز وكانت أغراضهم الأولية استنزاف المنافع الاقتصادية من تلك البلاد الغنية المترامية الأطراف . وأما أوضح النماذج لمستعمرات الاستيطان فنجده ماثلا في كندا وأوستراليا حيث اتخذ المهاجرون من الانكليز وغيرهم وطناً جديداً لهم فيها

وقد يتطور الاستعمار في بعض المستعمرات من طور الى آخر ، مثال ذلك تحول الاستعمار في الهند من شكل الاتجار الى شكل الاستغلال ، وتطور الاستعمار في كندا وأوستراليا من الاستغلال الى الاستيطان ، ونجد بعض المستعمرات ينفذ الاستعمار فيها بشكلين في وقت واحد . فقد حل الفرنسيون الجزائر مستعمرين لاستغلالها ، ثم ما لبثوا أن أخذوا يرمون الى سياسة الاستيطان في بعض أقسام الجزائر كما هو واقع

ان الغايات الثلاث التي ذكرناها هي الغايات الأساسية التي عملت عملها في تأسيس المستعمرات . غير أن المستعمرين أخذوا يتوخون من الاستعمار غايات أخرى لا تقل أهمية عنها . منها الغاية العسكرية ، فبعض الدول تقصد من وراء استعمارها بلدا ما ايجاد قواعد ارتكاز وحركة لجيشها وأسطولها ، وبعض الدول لا تكتفي بذلك بل تعمل على ايجاد جنود من أهل البلاد المستعمرة تضيفه الى جيشها معززة به قواتها المحاربة ؛ وقد تجلت هذه المطامع في الحرب الكبرى ، اذ حاولت كل دولة من الدول الاستفادة الى أقصى حد ممكن من مستعمراتها ، فلم تكتف باستنزاف الثروة منها واستغلال خيراتها لمعيشة جنودها ، بل عملت على أخذ أفراد من أهالي المستعمرات زادت بهم جيشها

واني لأذكر المارشال « ليوتي » الذي يعتبره الفرنسيون مؤسساً للامبراطورية في إفريقية الشمالية ، وقد أسهب هذا القائد الكبير في الخطبة التي ألقاها عند دخوله عضواً في الأكاديمية الفرنسية في وصف « فوائد المستعمرات للجيش » واعترف بأن أبناء المستعمرات الذين جندوا في خلال الحرب العالمية قد وفروا على فرنسا بما قدموه من تضحيات بأرواحهم ملايين من الأنفس الفرنسية »

وزيادة على ذلك فقد بين المرشال ليوتي في خطبته أن فرنسا استفادت من مدرسة المستعمرات استفادة كبيرة من جهة « تكوين الضباط والقواد » أيضاً ، لأن جل قوادها الذين بلغوا بها إلى النصر الأخير قد نشأوا في بيئة المستعمرات ، وشب كبار رجالها على العيشة في البلاد المستعمرة فنشأوا خير نشأة لأن حياة المستعمرات تربي في المستعمر الناشئ القوة المعنوية التي هي دعامة من دعامات الجيش . فالقادة المستعمرون في بلاد الاستعمار يضطرون إلى التذرع بالحزم والتدرب على اتخاذ القرارات الآنية وهم بذلك يتكونون رجالا أشداء في عقولهم وأخلاقهم

ان الـكتاب والفكرين من رجال الاستعمار لا يقفون عند هذا الحد فى تعداد فوائد المستعمرات ، بل يسترسلون فى شرح فوائدها المنوية أيضا ، فيقولون إن المستعمرات لا تـكون للدولة المستعمرة مناجم ثروة مادية فحسب ، بل هى مباءة استغلال للقوة المنوية أيضا ، إذ تجد هذه الأمم فى المستعمرات مجالا واسعا للجد والنشاط والاقدام فيزدهر أملها المرجو فى المستقبل . فان الأمم القانعة بحـدودها تمتاد التراخى والكسل ، بينما تغير المستعمرات نفسية الأمة وتخلق فيها نشاطا حيا وآمالا جديدة ؛ ويمكننا أن نشبه تأثير المستعمرات فى نفسية الأمم بتأثير الأولاد فى نفسية العائلات ، فالولد ينشئ للعائلة أمل المستقبل ويحملها على العمل ، وكذلك المستعمرة تقدم للأمم المستعمِرة دافما جديدا للحياة والكفاح

* * *

بعد أن ألقينا هذه النظرة العامة على غايات الاستعمار ومراميها نستطيع أن ننتقل الى بحث « سياسة التعليم » فى الاستعمار

إن هذه السياسة تنجلى فى ثلاثة أنواع من المعاهد التعليمية

أولا — المعاهد التى يؤسسها المستعمِر فى وطنه الأصلى لخدمة الاستعمار

ثانيا — المعاهد التى يؤسسها المستعمر فى المستعمرات لتربية أبنائه

ثالثا — المعاهد التى يؤسسها فى المستعمرات لتربية أولاد الأهلين فى القطر المستعمَر

فالنوع الأول من المعاهد التعليمية الاستعمارية سيبقى خارجاً عن نطاق بحثنا هـذا ، أما النوع الثانى من المعاهد التعليمية التى ينشئها المستعمر فى المستعمرات لتربية أولاده فهى أيضاً لا تستدعى اهتمامنا كثيراً لأنها تشبه بوجه عام المعاهد التعليمية التى تنشأ فى الوطن الأصلى ولا تختلف عنها إلا من حيث زيادة بعض الدروس لاعداد أولاد المستعمرين للقيام بأعمال استعمارية

والمهم أن ندقق فى النظم التى رسمها المستعمر لتعليم أولاد الأهلين فى المستعمرات وأن نستعرض السياسات المختلفة التى ابتدعت فى ذلك . إن أقدم هذه السياسات كانت السياسة السلبية فى التعليم ، وهى تتلخص فى عدم تعليم أحد من أبناء الأهلين ، وقد ترمى إلى بذل الجهد فى محو المتعلمين ، وهذه سياسة تجلت بوضوح تام فى أوائل القرن التاسع عشر فى أمريكا

ففى أمريكا الجنوبية عنـد ما ثار الأهلون على المستعمرين الاسبانيين كتب القائد العام إلى مليكه يبشره بانتصار جيشه فى إحدى المعارك ، وكان مما قال فى تلك الرسالة التاريخية : « إنه عامل المتعلمين من أبناء البلاد معاملة العصاة وقضى عليهم قضاء وعاجم محوا ، وإنه استأصل بهذه الصورة فكرة التمرد والعصيان من جذورها استئصالا تاماً » . وحتى فى أمريكا الشمالية مثلا كان يحظر فى الولايات المتحدة الأمريكية تعليم الزنوج القراءة والكتابة ؛ وكان كل أبيض يعلم زنجياً يعاقب بالحبس والجلد . وعلى هذا المنوال كانت سياسة الاستعمار فى التعليم بادىء ذى بدء فى موقف عدائى مطلق تسعى إلى عدم التعليم ، وتعمل على محو المتعلمين

غير أن سياسة الاستعمار لم تستطع الاستمرار على هذه الخطة السلبية ولا سيما فى المستعمرات الاستغلالية ؛ لأن المستعمرين وجدوا أنفسهم فى تلك المستعمرات فى حاجة شديدة إلى الاستعانة بأهالى البلاد لاستغلال المرافق الاقتصادية والثروة الطبيعية ، وشعروا بضرورة تعليمهم لاعدادهم لتلك الأعمال ؛ ولذلك أخـذوا يؤسسون معاهد التعليم فى المستعمرات ؛ وكان العامل الأساسى لتأسيس هـذه المعاهد تخريج طائفة من أهالى المستعمرات يخدمون المستعمر فى مصالح الحكومة والشركات ؛ وفى المشروعات المختلفة التى تتطلبها مقاصد الاستغلال والاستعمار ، هذا من جهة ، ومن الجهة الأخرى فكر بعض المستعمرين فى مسألة التعليم تفكيرا آخر فذهبوا إلى أنه يجب أن يرافق الفتح السياسى فتح معنوى ، بحيث يتقرب أهالى المستعمرات من المستعمرين إلى أن يندمجوا فيهم اندماجاً ، وقد فكروا فى سبيل تحقيق هذا الغرض أولا بنشر لغة المستعمر ، وثانياً بتعليم أهالى المستعمرات تعليما ينشىء فى نفوسهم حب المستعمر فيستسلمون له عن طواعية

وقد برز النوع الأول من سياسة الاستعمار أكثر وضوحاً فى الهنـد فى ظل الاستعمار الانكليزى ، كما تجلى النوع الثانى فى الجزائر بالاستعمار الفرنسى

وكان الفرنسيون يأملون من سياستهم هذه تقريب المستعمرين اليهم ، وظنوا أنهم بنشرهم لغتهم بينهم واشرابهم ثقافتهم يغرسون حبهم فى قلوب الأهلين ، لذلك جعلوا اللغة الفرنسية محوراً لكل درس فى مناهجهم ، وقالوا بصراحة إن المدرسة يجب أن تكون قبل كل شيء معهداً لتعليم اللغة الفرنسية ؛ وكذلك اهتموا بمناهج الأخلاق فى المدارس لتعليم أولاد المستعمرات كل ما يحبب الأهلين فى الفرنسيين ، فنجد فى مناهج الأخلاق فى مدارس الجزائر مثلا قسما خاصاً فى واجبات الأهلين نحو فرنسا ، يشغل حيزاً مهماً بين الواجبات الأساسية كالواجبات نحو الله ، والواجبات نحو الناس . ومما جاء فى هذا المنهج « ما يترتب على أهل الجزائر من الواجبات نحو فرنسا ، مقابل الحماية التى تسديها اليهم والعدل الذى أدخلته الى بلادهم ، والأمن الذى نشرته فى ربوعهم ، ونعم التعليم والحضارة التى أغدقتها عليهم . . . الاحترام الذى يجب أن يشعروا به نحو من يدير البلاد باسم فرنسا ، والاحترام الذى يجب أن يظهروه نحو العلم الفرنسى »

وهكذا نجد الاستعمار بعد أن ترك السياسة السلبية فى التعليم التى وصفناها سلك طريقاً آخر يمكننا أن نسميه : « التعليم لتسهيل عمل الاستعمار »

* * *

على أن التجارب القاسية لقصر التعليم على خدمة الاستعمار وحده قد أسفرت عن نتائج سيئة إذ ما عتمت أن أحدثت رد فعل عند أولاد المستعمرات فقد تغيرت أحوالهم بعد مدة قليلة أو كثيرة من تخرجهم من المدارس ، وبدلاً من أن يكونوا مطبوعين على حب المستعمر يتفانون فى سبيل خدمته وفق الثمرة التى كانت مرجوة من التعليم الاستعمارى ، أصبحوا على نقيض ذلك يكرهونه ويكافحونه . فأسقط فى أيدى المستعمرين وطفق ساستهم وعلماؤهم يفكرون فى الموضوع ويدرسونه فيجدون أنفسهم كلما أمعنوا فى تعليم أولاد المستعمرات بطرائق تضمن محبة الأهلين لهم ، تذهب الجهود سدى ، إذ لا يلبث أكثر هؤلاء الأولاد بعد تخرجهم أن يقلبوا للمستعمر ظهر المجن ، ففكر علماء المستعمرين فى هذه المعضلة فوجدوا أن هذه نتيجة طبيعية ، لأن ابن المستعمرات إذا ما قرأ تاريخ الأمة المستعمرة ودرس الثورات وقف على مطالب الشعب من الحكومة يتحمس بهذا الحس برغم أنف المستعمر فيشب راغبا فى تطبيق مادرسه . وهكذا تطورت آراء المستعمرين فى سياسة التعليم ووقعوا فى حيرة مربكة لا يدرون ماذا يفعلون

هل يركنون فى المستعمرات إلى عدم التعليم ؟ ولكنهم يعلمون أن عدم التعليم لا يمكنهم من استغلال البلاد المستعمرة ، إذ يجبر المستعمر فى تلك الحالة على ممارسة الاستغلال فى المستعمرات بقواه الذاتية فيضطر الى الاتيان بالعمال من وطنه الأصلى وهو لا يجد فى أمته العدد الكافى منهم ، وإذا وُجد فاستقدامهم إلى المستعمرات وتشغيلهم فيها يكلفه كثيراً فيغدو للمنتوج الاقتصادى أغلى سعراً بحيث لا يستطيع أن ينافس منتوجات غيره فى الأسواق العالمية ، ومن ناحية أخرى لا يمكن أن يكون العامل مفيداً فى أى عمل ما لم يكن قد أخذ بنصيب من التعليم فى عصر الصناعة الذى نعيش فيه

وقد ظل المستعمرون فى حيرة من هذه المشكلة : التعليم فى المستعمرات يؤدى الى ثورة الأهلين عليهم ، وعدم التعليم فى المستعمرات يعيقهم عن الاستغلال ! ففكروا كثيراً وأخيراً وجدوا ضالتهم بطريقة مبتكرة فى سياسة التعليم وهى : « التعليم بغير تثقيف » . فقالوا نعلم أولاد المستعمرات من غير أن نثقفهم . نعلمهم تعليما ضيقاً جداً يجعلهم آلات صماء فى أيدى الاستعمار . وقد بذلت الدول المستعمرة جهودها فى وضع نظام للتعليم على هذا الأساس ، بجعل التعليم وسيلة ميكانيكية بحتاً إذ يكون لغايات محدودة معينة بدون أن يدخل على هذا التعليم أى عنصر من عناصر الثقافة العامة . وقد تفننوا فى إيجاد هذه الأساليب وابتكار طريقة خبيثة لتدريب أبناء المستعمرات على أن يكونوا مسامير فى صفحة خشبية أو عجلات فى آلة ميكانيكية ، محرومين من أى لون من ألوان الثقافة العامة

وهكذا اتفقت سياسة الاستعمار التعليمية على وجوب الأخذ بالتعليم بدون تثقيف ، وهذا آخر ما وصلوا اليه لحل معضلة التعليم فى المستعمرات . وقد بدأ المستعمرون من يوم تفتحت قرائحهم بهذا الابتكار يجاهدون فى تحقيق غاياتهم ، وقد أرادوا أن يموهوا على الناس ويستروا مقاصدهم الملومة تحت أستار حيل مختلفة ، فقالوا بأن هذا النوع من التعليم الابتدائى والعملى

هو الذي يفيد أولاد المستعمرات أنفسهم ؛ وادعوا بأن التعليم الثانوي والعالي وكل نوع من أنواع التعليم الأوربي يضير الأهلين ؛ وقد بذلوا جهوداً عظيمة ليقنعوا الأهلين بذلك ، وقاموا بدعايات كثيرة نشروها لبث هذه الفكرة وتوجيه الأمم المستعمرة الى هذا الضرب من التعليم

مع هذا جابه المستعمرون مشاكل كبيرة : جوبهوا بحقيقة مرة وهي تعذر السيطرة التامة على التعليم في المستعمرات ، اذ في وسع ابن المستعمرات الذي يرغب في التعليم ولا يجد في بلاده العلم الذي يريده أن يقصد الى بلد آخر في طلب العلم

ويجدر بنا أن نذكر في هذا الصدد المناقشات التي جرت في ايطاليا لمعالجة مسألة التعليم في طرابلس الغرب ، فعند ما أقدموا على الغاء المدارس الثانوية والعالية والدينية قال أحد رجال التربية في روما خلال مناقشة لهذا الموضوع : إنني لا أوافق على الغاء هذه المدارس ، اذ يجب أن نعلم أننا اذا ألغينا هذه المدارس لا نستطيع أن نمنع الذين يريدون الذهاب من أبناء طرابلس الغرب الى الجامعة الزيتونية في تونس أو الجامع الأزهر في مصر ، وهؤلاء الشبان يحتكون هناك بشبان من أمم مختلفة ويتلقون ثقافات واردة من أنحاء العالم ويرجعون بأفكار أشد وبالا على سياستنا الاستعمارية . فخير من إلغاء هذه المدارس إذاً أن نجدد التعليم في داخل طرابلس الغرب لنؤسس مدرسة عالية نجدد تعليمها ونجعل النشء مرتبطين بها فلا يضطرون الى السفر الى الخارج في طلب العلم ويعودون الى بلادهم وقد تسممت أفكارهم كما قلت

ان الخطط التي وضعها المستعمرون في هـذا الباب مختلفة باعتبار المشاكل المعقدة التي يريدون حسمها فيعمدون لتحقيق كل مأرب من مآربهم بخطة منها . ومما يلفت النظر انتباههم الى أمر انتقال الطلاب من أبناء المستعمرات من بلد الى آخر حيث يقتبسون آراء جديدة ويستلهمون نزعات حديثة ، لذلك عمدوا الى تدابير يقدرون من ورائها فصل الأقطار عن بعضها لجعلها مختلفة اللغة

فقد أخذ الفرنسيون في المغرب يفرقون بين البربر والعرب وغيرهم بحرمان البربر من تعلم اللغة العربية حتى يجعلوهم بعيدين عن التأثر بالمدارس التي تدرس العربية أو ما يكتب بهذه اللغة في الأقطار الأخرى

وهناك فكرة أحيت بعض الأمل في نفوس المستعمرين وهي السعي لنشر اللغة العامية ، وهذه الوسيلة تباعد بين الأقطار العربية وتسهل على المستعمرين أغراضهم . وقد بثوا لهذه الفكرة دعايات متنوعة : دعايات بدأها المستعمرون فانطلت مع الأسف على بعض أبناء البلاد المستعمرة إذ أن بعضهم خدعوا بها وروجوا لها ، وقد طلا المستعمرون هذه المكيدة تحت عنوان نشر التعليم بين طبقات الشعب وقالوا ( مادام الجمهور في الأقطار العربيـة لا يعرف اللغة الفصحى غالباً ، فيجب تعليمه بلغته المحلية العامية . ولماذا نضيع عليه الوقت في تعليم الفصحى وقواعدها الكثيرة وأساليبها العويصة ؟ ) وقد وجدت هذه الفكرة بعض الأنصار ولا تزال لها مؤيدون في بعض الأقطار العربية مع أنها وليـدة الاستعمار !

ومن حسن حظ الأمة العربية أن هذه الفكرة لم تعمر كثيراً في حينها . مع هذا نجد بعض الأوربيين قد أخذوا يعودون إلى هذه الفكرة وصاروا يعتقدون بأن السينما الناطقـة والراديو من المسائل التي ستجبر البلاد العربية على أن تفسح مجالا أوسع للغة العامية لأن التمثيل والكلام باللغة العامية يرضي الدهماء أكثر من الفصحى ، فيجب علينا نحن أن ننتبه إلى هـذا الخطر الأخير خطر انتشار اللغة العامية كما يشتهيه المستعمرون ، وهذا الخطر الذي يتمثل أمامنا ربما كان خطراً كبيراً لأن الموضوع يخالطه شيء كثير من النفعة المادية : لأن التمثيل باللغة العامية يكسب الممثلين أكبر عدد من النظارة ، ولا ريب في أن على كل مفكر عربي أن يحارب هذا السلاح الأخير الذي يرجو منه المستعمرون خيرا عظيما لمقاصدهم على حساب الضرر البليغ بالبلاد العربية ؟

# قصـــة المكروب

## كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور احمد زكى

وكيل كلية العلوم

## بستور Pasteur والكلب المسعور

وصل الفائت

اكتشف بستور لقاحا يحصن الشياه من داء الجمرة ، وذلك باضعاف مكروبها ثم حقنه فى الشياه ، فتقوى بعد ذلك على مقاومة الداء . ونجح اللقاح واهتزت الدنيا له . وبعد زمن أخذت ألقحة بستور تقتل بعض الشياه بدل تحصينها وكثرت الشكوى . فألقى بستور محاضرة فى اللقاح ولم يذكر تلك الشكاوى ، وتحدى كوخ وكان حاضرا إلى الحجاج فقام وقال إنه يجيبه بالقلم لا باللسان

ولم يمض زمن طويل على هذا حتى جاء كوخ بجوابه الموعود ، فكان جواباً بين الجد والهزل ، شديداً فظيماً ؛ بدأ كوخ بقوله إنه أتى من بعض وكلاء بستور بشيء من هذه المادة الثمينة الغالية التى يقال لها لقاح الجمرة ، ثم استطرد يسلقه بلسان سليط :

أحقاً قال بستور إن اللقاح الأول يقتل الفئران ويُعفي الخنازير الغينية ؟ إذن لقد قام كوخ بتجربته فوجده لا يقتل حتى الفئران . وبعض عينات غريبة منه قتلت الشياه !

وهل حقاً قال بستور إن لقاحه الثانى يقتل الخنازير الغينية ويُعفي الأرانب ؟ إذن لقد قام كوخ بتجربة هذا اللقاح أيضاً فى دقة وعناية فوجده يقتل الأرانب ، ويقتلها فى الأغلب قتلاً مريعاً . ووجد أنه يقتل الشياه أحياناً ، تلك الشياه التى أراد بستور من هذا كله أن يحصنها من الموت

ثم أحقاً يعتقد بستور أن هذه اللقاحات لقاحات من مكروب الجمرة ، ومن مكروب الجمرة وحده ؟ إذن فقد قام كوخ على حذر بامتحانها ، فوجدها تعج بمختلف الأحياء ، فمن كل كُروية ومن كل عُصَيّة دخلت اليها دخول الضيف الثقيل لا أهلاً به ولا سهلا

وأخيراً ، أحقاً إن بستور يتحرّق تحرقاً إلى كشف الحقيقة خالصة ؟ إذن فلِمَ لم يخبر الناس بجميع النتائج التى جاءت من لقاحه بعد أن شاع استخدامه وذاع ؟ لِمَ لم يخبرهم بالحالات الفاشلة الخائبة كما أخبرهم بالحالات الناجحة الصائبة ؟

ثم ختم جوابه بقاصمة الظهر ، قال : « إن هذا مسلك قد يُستساغ فى الدعاية لبيت من بيوت التجارة ، أما العلم فيجب أن يقيه قيناً »

فأجاب بستور على هذا النقد بنشرة تضمنت حجاجاً غريباً لا يجوز حتى على محكّين فى مناظرة بقرية فى الريف . استكبر على كوخ أن يدّعى أن ألقحته تحوى أخلاطا من مكروبات . قال : « لقد كانت صناعتى من قديم فصل المكروب وتربيته خالصا من كل شائبة . صناعة اصطنعتها عشرين عاماً قبل ميلاد كوخ فى عالم العلم سنة ١٨٧٦ ، فدعواه أنى لا أعرف كيف أربى المكروب نقياً لا يمكن أن تكون إلا هزلا وهذراً »

وأبت الأمة الفرنسية بوطنية صادقة أن تؤمن بأن كوخ استطاع أن يزحزح بطلها العظيم عن عرشه العالى ، وأن يبطل ربابته للعلم ، وشرك سفراء الأمة فى ذلك كبراؤها ، وعلى كل حال فما كان ينتظر الناس من ألمانى غير هذا ؟ ! وما أسرع ما انتخبوا بستور عضوا فى المجمع الفرنسى Académie Française فمنحوه كبرى المِنَح التى يطمع فرنسى فيها ، وفى يوم جلوسه بين أعضاء المجمع الأربعين الذين يسمونهم بالخالدين قام أرنست رينان Ernest Renan بالترحيب به ، وهو العبقرى الزنديق الذى جعل من يسوع الرب بشرا رجلا غفر كل شىء لأنه فقه كل شىء ؛ عرف رينان أن بستور لو كان ستر الحق لما ذهب هذا بكل فضله ، ولم يكن رينان عالما ، ولكن كان له من الحكمة والفطنة ما يدرك به أن بستور أتى بشىء فخم عظيم لما أثبت أن الجراثيم الضعيفة تمنع الأجسام فلا تنالها الجراثيم القوية ، حتى ولو لم تبلغ هذه المناعة مائة فى المائة

التقى هذان الرجلان فى هذا اليوم المهيب ، فالتقى منهما نقيضان : بستورُ الناصر المحارب الوثّاب الذى ُ بشتيت من عقائد هوّشت عليه أحياناً وجه الحق ، ورينان فى ضخامته كالجبل يخاطبه جالساً من علٍ بنفس ساكنة مطمئنة لا تهزها الرياح الهُوج ، وكيف يهتز جسمه لشىء أو تتحرك نفسه لأمر ،

وهو قد بلغ به الشك أن ارتاب في وجود نفسه ، وارتاب في رقيم الأعمال فلم يقم لعمل فصيّره طول القعود من أسمن رجال فرنسا

رحّب رينان بستور إلى المجمع فأسماه عبقريا ، وقرن اسمه بأسماء أكبر من عُرف من العباقرة ، ثم عرج يُقرّع صياد المكروب الشيخ الشاول المضطرب تقريعاً خافتاً خافياً ، قال : « إن الحقيقة يا سيدى كالمرأة الغَنِجَة اللعوب ، لا تملك بالعاطفة الكثيرة تُبذل لها ، وكثيراً ما تأتيك منصاعة بإعراضك عنها . وقد تسلم اليك قيادها فتظن أنك مَلَكْتها فاذا بها تُفلت من قبضتك ، فاذا أنت اصطبرت عليها عادت فوضعت عنقها في يدك . ولا عنها وداع وما سقط فيه من دموع أن تعود إلى الظهور ، ولكنك إذا أحببتها فناوت لم يكن لك منها غير البين والقطيعة »

لا أظن أن رينان ، وهو الحكيم ، خال أن كلماته الجيلات هذه سيكون لها أثر ولو قليلا في إصلاح المعوجّ من بستور ، ولكنها كلمات ترينا في اختصار علة ما لاقى بستور في حياته من فواجع ، وهي تعلمنا مايجر الرجل المجنون على نفسه من المآسى والأحزان إذ هو خال أنه يستطيع قلب العالم في السبعين عاما التي أذن الله له أن يحياها

— ٧ —

بعدئذ أخذ بستور يضع أنابيب من الزجاج في حلوق الكلاب وهي تتلوى وتتضوّر من داء الكَلَب . وكيف استطاع أن يضع هذه الأنابيب في هذه الحلوق لهذه الضاريات ؟ لا يعلم هذا غير الله . هذان خادمان قائمان على فكيّ كلب قوى عصيّ يفتحان فاه كرْهاً واغتصابا . وهذا بستور قائما في وجه هذا الكلب تكاد لحيته تمس هذه الأنياب وفيها الموت المرير . وهذا هو يمص في أنبوبته من حلق الكلب بعض رُغائه ، ليأتى منه بعيّنة يبحث فيها عن مكروب الداء . وأحيانا يناله الرشاش من هذا الرغاء فلا يأبه له وقد جاز أن يكون فيه القضاء

أريد الآن أن أنسى ماقلته عن حب بستور للدعاية ، فتصوّرى عينيه الزرقاوين وهما تحدقان في حلق هذا الكلب المائج المسعور لا يتفق مع هذه الذكرى

ليت شعرى ما الذي وجه بستور إلى صيد مكروب الكَلَب ؟ لقد كان في الوجود عشرات من الأدواء يجهلها العلماء ، أدواء قتلت من الناس أضعاف ما قتل داء الكَلَب ، ولم يكن بها من الخطر على بحّاثة مُغامر مثلُ الذي كان بهذا الداء اللعين الذي لا ينجو صاحبه أبداً ، فما هو إلا أن ينفك الكلب من قيده فتقع الواقعة التي لا مردّ لها

يترجّح عندى أن شاعريته ، والفنّ الخفيّ في نفسه ، هما اللذان دفعاه إلى اختيار هذا الداء على الأدواء جميعا . قال بستور : « لطال ما ساورتني صرخات ضحايا هذا الذئب المجنون الذي كان يهبط على الناس في شوارع اربوا Arbois لمّا كنت طفلا ... » عرف بستور من صباه كيف كانت دماء الناس تبرد لصوت كلب مسعور . وذكر أنه قبل مائة عام أو دونها كان الفرنسيون يشتمون في الرجل يحسبونه مصابا بالكَلَب فيُذْعرون فيقومون عليه فيَسُمّونه أو يخنقونه أو يطلقون عليه الرصاص . وشاع هذا حتى سُنّت القوانين لحماية هؤلاء المساكين . ذكر بستور كل هذا فاعتزم أن يعيد في الناس السلام ، ويمنع عنهم هذه الآلام والآثام

بدأ بستور هذا البحث الذي انتهى بأن كان أبدع أبحاثه وأصدقها ، فاذا به يبدؤه على عادته بالأخطاء . جاء إلى طفل يموت من داء الكَلَب فأخذ بعض ريقه وامتحنه فوجد فيه جرثومة غريبة ساكنة فأسماها اسماً لا يتصل بالعلم كثيراً ، أسماها « مكروبة الثمانية [1] » ، وما أسرع ما حاضر أعضاء الأكادمية وأشار إلى هذه المكروبة بأن لها صلة بالسبب الخافي لداء الكَلَب ، واستقر على هذا الرأى ، واستمر يجرى في اطمئنان وراء هذا المكروب ، ولكنه لم يلبث غير قليل حتى اتضح له أنه إنما جرى وراء برق خُلّب . فانه بمعونة عَوْنيه وجد هذا المكروب في أفواه أناس أصحاء كثيرين لم يقتربوا من كلب مكلوب أبداً

على أن هذا الضلال لم يدم طويلا حتى حملت بستور قدماه إلى الطريق الهادى إلى مخابئ هذه الأحياء ، قال لنفسه : « لقد قلّت الكلاب المسعورة في هذه الأيام ، والشيخ البيطار بوريل Bourrel لا يبعث الآن لى منها إلا عددا يسيرا ، والمكلوبون من الناس أشد نُدرة من الكلاب ؛ فلا بد لنا من إحداث داء الكَلَب في حيوانات في معاملنا كىّ نستطيع دراسته في تواصل واستمرار »

(١) أراد أنها تشبه رقم ٨ الأفرنجية أى 8

وكان بستور فات الستين ، وكان متعبا مجهودا

وذات يوما جاءوا إلى المعمل بكلب سعران اصطادوه بالوهق ضربوه فى عنقه ثم شدوا عليه ، فأمرهم بستور فأدخلوه وهو ينذر بالشر إلى قفص به كلاب أخرى كى يعضها ويعطيها من الداء مثل الذى به ، وجاء رو وشمبرلاند فأخذا من رُغاء فمه بعض الشيء ومصاه فى محقن وحقنا به من الخنازير الغينية ومن الأرانب ، واصطبرا ينتظران ظهور الداء فيها ، فكان يظهر فى بعضها أحيانا ويتخلف عن بعضها أحيانا أخرى فساءهما تخلفه ، وعض الكلب المجنون أربعة من الكلاب ، ومضت ستة أسابيع فاذا كلبان منها هائجان يضربان فى جوانب القفص ويموتان ، أما الآخران فمضت أشهر لم يظهر فيها عليهما من الجنون شيء . أمر يحير الباحث ويغيظه ، فهو دائما ينتظر النتائج الواحدة تأتى من المقدمات الواحدة ، وقد اتحدت المقدمات هنا فكيف اختلفت نتائجها ؟ لقد ضاع اتساق العلم وانسجامه ، لا فى هذه الكلاب وحدها ، بل فى الخنازير والأرانب كذلك ، فقد يصاب من الستة الأرانب المحقونة اثنان ، عدا ان برجليهما الخلفيتين إلى الوراء من الشلل ، ثم يموتان بعد ارتجاجات من الصرع عنيفة ، أما الأربعة الباقية فتظل قائمة تقضم الحشيش قضما ، فكأنما جرثومة الكلب لم تخالط دمها أبدا

وذات يوم خطرت فكرة على بال بستور ، فأسرع إلى رو يحدثه بها ، قال : « إن جرثومة الكلب تدخل أجسام الناس بالعض عن طريق الجلد ، ثم هى تستقر بعد ذلك فى أمخاخهم وفقار ظهورهم ..... إن كل الأعراض تدل على أن هذه الجراثيم التى لا نراها ولا نستطيع كشفها تُغير دائما على الجهاز العصبى . فى هذا الجهاز العصبى إذن يجب أن نبحث عن هذه الجرثومة .. ومن هذا الجهاز قد نستطيع توريمها وتربيتها حتى ولو لم نرها . . . . ولعلنا نستطيع أن نتخذ من مخ الحيوان طعاما لها فننميها فى جمجمته بدلا من قبابة الحساء . أن نتخذ من الجمجمة والمخ قبابة وحساء أمر غريب ، ولكن من يدرى ؟ . . ثم إننا اعتدنا أن نحقن الرُّغاء الخبيث تحت جلد هذه الأرانب والخنازير ، فما أدرانا أن الجرثومات التى به لا تضيع فى أجسام هذه الحيوانات قبل وصولها الى أمخاخها ، لوددت والله أن أرشق هذه الجراثيم مباشرة فى هذه الأمخاخ رشقا »

أنصت رو لهذه الأحلام ، وانفتحت عيناه وسعهما ولمتا لهذه الخيالات ... لو أن رجلا غير رو سمعها لظن بستور أصابه مس من جنون . يريد أن يتخذ من مخ الكلاب والأرانب بديلا من الأحسية ! ويريد أن يتخذ من جماجمها بديلا من القبابات ! أى عبث هذا وأية خرافة تلك ! أما رو فكان أفهم لبستور من أن يظن به خبالا . قال : « وما عنعك من وضع المكروب فى مخ الكلاب مباشرة يا سيدى الأستاذ ؟ أنا أستطيع أن أثقب لك به ثقبا صغيرا لا يؤلم الكلب ولا يفسد مخه . وهذا أمر على يسير . . . »

فصرخ بستور فى وجه رو حتى أخرسه . ولم يكن بستور طبيبا ، فلم يدر أن الطبيب يستطيع أن يفعل هذا حتى فى الانسان وهو آمن . لهذا أجزعته الفكرة جزعا كبيرا . « ثقب يخترق جمجمة الكلب الى مخه ! يالفظاعة ! والكلب كيف يكون ألمه ؟ والمخ بعد هذا كيف يكون صلاحه ، إن الكلب يشل حتما ؟ لا ، لا آذن بهذا ؟ »

حنان قلب بستور كاد يفقده أكبر كشف أتاه ، ويضيع عليه بل على الانسان أثمن تحفة أهداها اياه . وأمام هذه التجربة القاسية الغريبة خارت من بستور قواه ، ولكن رو ، رو الأمين لسيده ، رو الذى نسيه اليوم الناس أو كادوا ، رو هذا قام يحمى سيده من خور نفسه ، فنجاه بأن عصاه . ذلك انه اصطبر أياما قلائل حتى غادر بستور المعمل لبعض حاجته ، وعندئذ قام إلى كلب سليم فشممه قليلا من الكلوروفورم حتى أفقده الاحساس ، ثم ثقب رأسه ثقبا كشف عن مخه الحى ، فكان يدق بالنبض دقا بينا ، ثم أتى بقليل من مخ كلب كان قد مات مكلوبا فسحقه وحقن سحيقه فى مخ الكلب النائم برفق شديد وهو يقول لنفسه : « لا شك أن سحيق هذا المخ ملىء بمكروب الكلب ، فلعله مكروب دق فلم يكن فى استطاعتنا أن نراه »

واصبح الصباح فأخبر بستور بالذى كان . فصاح بستور فيه : « ويلك ماذا صنعت بالكلب المسكين ! أين المخلوق التعيس ... لا شك أنه شُل ... لا شك أنه يموت ... »

ولكن رو كان سبق فنزل بسرعة على السلم ، وفى لحظة عاد والكلب ينط أمامه ، وإذا بالكلب يتمسح بساقى بستور ، ثم يدور يتشمم بين قبابات الأحسية القديمة تحت مناضد المعمل . عندئذ أدرك بستور قدر رو ومبلغ ذكائه . وأدرك كذلك أن

طريقاً جديداً للتجربة انفتح أمامه . ولم يكن بستور يغرم بالكلاب ، ومع هذا فان اغتباطه بالذى سمع ورأى أغراه بملاعبة هذا الكلب خاصة . قال لسانه : « أهلا بكلبي العزيز ! أهلا بسيد الكلاب » . وقالت أحلامه : « ان هذا الكلب سيثبت أن فكرتى عن هذا الداء صائبة »

ولم يمض أسبوعان حتى تحققت أحلامه ، فسيد الكلاب أخذ يعوى عواء أليا حزيناً ، وصار يمزق فراشه ويمض قفصه ، ثم مات بعد أيام ، نعم مات هذه الميتة القاسية ، ولكنه ماتها ليحيا من بعده على نحو ما ستعلم ألوف من الناس كانت تموت مثل ميتته

بهذه الطريقة اهتدى بستور ورو وشمبرلاند أخيرا إلى نقل هذا الداء إلى الحيوانات نقلا أكيدا ؛ أعني أنهم إذا حقنوا المكروب فى مائة كلب أو خنزير أو أرنب أصاب الداء المائة كلها ، وكأنى بك تستمع لبستور يقول لصاحبيه : « إنّا لا نستطيع أن نرى المكروب ولا بأقوى المدسات ، فلا بد أن هذا يرجع إلى شدة صغره . ولسنا نعرف طريقة واحدة لتربيته فى الأحسية بالقبابات ، ولكن فى استطاعتنا أن نبقيه حيّاً فى مخ الأرنب ، فهذه هى الطريقة الوحيدة لحفظه ونمائه »

أوُجِد أو يوجد أعجب من هذه التجربة فى كل الذى كان ويكون من صيادة المكروب ، أو فى أى علم آخر من العلوم ! أم هل مارست تلك العلوم أمرا أبعد ما يكون عن المألوف فيها مثل الذى مارسه بستور وصاحباه : مكروبةٌ غير منظورة ، كل الذى يعلمونه عن وجودها أنهم يستطيعون نقلها فى الأمخاخ والحبال الفقرية فى سلسلة طويلة من الأرانب والخنازير والكلاب ، وكل برهانهم على كونها ، وأن للكلب مكروبا هى مكروبته ، موتُ تلك الأرانب المحقونة فى تشنّج وارتماص ، والعُواء المجزع لتلك الكلاب التى أعملوا فى رءوسها المِثقاب ثم أخذ بستور وأعوانه يحاولون أمراً عجبا لا يقول عاقل بامكانه ، ذلك تأنيس تلك المكروبة الفتّاكة التى لا تُرى . وتمطّلوا فى محاولتهم هذه بعض التعطل ، فذهب رو Roux وتوبييه Thuillier إلى مصر يدافعون مرض الكوليرا ومات توبييه فى سبيل ذلك على ما علمت ، وذهب بستور إلى بعض زرائب الخنازير فى الريف يبحث عن مكروب داء كان تفشّى فيها ويطلب لها لقاحا منه ، ولم يطل هذا التعطّل طويلا . واجتنب بستور تلك المنازعات والحجاجات الوضيعة التى كانت تنتهى على الأغاب بذمه والنيل من اسمه وكرامته . وحبس نفسه مع عونَيْه والحيوانات الشلاء الخطيرة فى معملهم بشاوع ألْم Ulm وفى هذه الحبسة أتوا على عدد لا حصر له من التجارب

ووضع بستور رقباء على مساعِدَيْه الشابَّين وألزمهما العمل على منضدتيهما فكنت تراهما مكبّين عليهما صباح مساء كأنهما بعض الأرقّاء . وكان ينظر ما يصنعانه باحدى عينيه ، وينظر بالأخرى الباب الزجاجىَّ للغرفة التى كانا يعملان فيها ، فاذا هو رأى أحدا من أصحابهما جاء يدعوهما إلى كأس بيرة فى شُرْفة مقهى قريب ، أسرع فخرج إلى الدخيل فقال له : « لا ، لا ، ليس هذا وقته . ألا ترى أنهما مشتغلان ؟ إنها تجربة فى غاية الخطر ليس فى الامكان أن يقطعاها ! »

ومضت على هذه الحال أشهر غير حسبوا جميعاً عند ختامها أنه لا سبيل إلى اضعاف هذه الجرثومة التى لا ترى ، فالمائة من الحيوانات التى يحقنونها بالمكروب بعد محاولة إضعافه كانت تموت كلها ، ومن ترى كان أقرب إلى اليأس فى ختام هذه الأشهر ؟ أظنك تقول الشيخ العجوز بستور ، وأن عونيه الشابين ، وقد ملأهما دم الشباب الحار ، كانا أعصى من أن يثنيهما هذا الخذلان . إذن لقد أخطأت الحسبان يا سيدى ، فالأمر كان على نقيض ذلك

( يتبع ) أحمد زكى

# فى ميدان الاجتهاد

## للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

— ٢ —

### كيف يعود الاجتهاد

ولا بد من عودة إلى ذكر نصوص أخرى فيما كان للسياسة من أثر فى نصرة بعض هذه المذاهب على بعض، ولتلك المدارس وأوقافها من أثر فى القضاء على الاجتهاد فى نفوس العلماء؛ قال الشيخ أبو زرعة فى شرح جمع الجوامع: قلت مرة لشيخنا البلقينى: ما يقصر بالشيخ تقى الدين بن السبكى عن رتبة الاجتهاد وقد استكمل الآلة؟ وكيف يقلد؟ ولم أذكره هو استحياء منه لما أريد أن أرتب على ذلك، فسكت عنى، ثم قلت ما عندى أن الامتناع من ذلك إلا للوظائف التى قررت للفقهاء على المذاهب الأربعة، وأن من خرج عن ذلك واجتهد لم ينله شىء، وحرم ولاية القضاء، وامتنع الناس من استفتائه، ونسب إلى البدعة، فتبسم ووافقنى على ذلك

وقال الحافظ الذهبى فى كتابه « بيان زغل العلم والطلب » عند الكلام على علم أصول الفقه: « أصول الفقه لا حاجة لك به يا مقلد، ويا من يزعم أن الاجتهاد قد انقطع وما بقى مجتهد، ولا فائدة فى أصول الفقه إلا أن يصير محصله مجتهداً، فاذا عرفه ولم يفك تقليد إمامه لم يصنع شيئاً، بل أتعب نفسه، وركب على نفسه الحجة فى مسائل، وإن كان يقرؤه لتحصيل الوظائف وليقال، فهذا من الوبال، وهو ضرب من الخيال »

وجاء فى نيل الابتهاج أن أهل الأندلس التزموا مذهب الأوزاعى حتى قدم عليهم الطبقة الأولى ممن لقى الامام مالكا، كزياد بن عبد الرحمن، والغازى بن قيس، وقرعوس ونحوهم، فنشروا مذهبه، وأخذ الأمير هشام الناس به، فالتزموه وحملوا عليه بالسيف إلا من لا يؤبه له

وجاء فى نفح الطيب أن سبب حمل ملك الأندلس الناس على هذا المذهب فى بعض الأقوال أن الامام مالكا سأل عن سيرته بعض الأندلسيين فذكروا له عنها ما أعجبه، فقال نسأل الله تعالى أن يزين حرمنا بملككم، أو كلاماً هذا معناه، لأن سيرة بنى العباس لم تكن مرضية عنده، وقد لقى منهم ما لقى مما هو مشهور، فلما بلغ قوله ملك الأندلس مع ما علم من جلالة مالك ودينه، حمل الناس على مذهبه وترك مذهب الأوزاعى

والآن فلنشرع فى بيان الطريق إلى عود الاجتهاد، وإنه ليس هناك فرصة تنتهز لهذا أقرب من هذه الفرصة التى يتولى فيها أمر الأزهر شيخ من أنصار الاجتهاد، هو الأستاذ الكبير محمد مصطفى المراغى، ولا ننكر أنه يحيط به هذه المرة عوامل من جهات كثيرة جملته يصير إلى أمور لم يكن يصير إليها فى المرة الأولى، وقد كان يأخذ بالاصلاح فيها غير متأثر بتلك العوامل، ومن هذه الأمور محاولة القضاء على العلوم الرياضية فى الأقسام الثانوية بالمعاهد الدينية لتحشر حشراً فى الأقسام الأولية، فلا يكون هناك فائدة من دراستها فيها، وكثير منها ليس فى نفس طالب القسم الأولى الاستعداد لدراسته. ويقال إن الغرض من هذا تفريغ طلاب الأقسام الثانوية لدراسة الكتب الأزهرية كما كانت تدرس قديماً فى الأزهر، ولا شك أن ستتبع هذه الخطوة خطوة أخرى فى القضاء على هذه العلوم فى الأقسام الأولية لتفريغ طلابها أيضاً لدراسة الكتب الأزهرية على تلك الطريقة التى كانت تدرس بها، لأنه لا فرق عند علماء التربية بين هذين القسمين فى حياة الطالب، وكلاهما فى حياته طور ثقافة عامة لا طور تخصيص لناحية من النواحى العلمية، فما يجرى عندنا على أحد القسمين لتلك العلة السابقة لا بد أن يجرى على القسم الآخر من أجلها أيضا، وهنالك نعود كما كنا قبل أن نقطع فى الاصلاح هذه الأشواط، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وإنه إذا كانت العلوم الرياضية قد زاحمت حقا العلوم الأزهرية فى الأقسام الثانوية، فطريق ذلك أن تختصر دراسة هذه العلوم فيها، لا أن يقضى عليها فيها لتحشر حشراً فى الأقسام الأولية

ومن هذه الأمور ما نحن الآن بسبيله من أمر الاجتهاد والعمل على فتح بابه، إذ يخطو الأستاذ المراغى فى ذلك خطوة لا يرضاها منه أنصار الاجتهاد، ويجعل دستور « لجنة الفتاوى »

التي ألفها من علماء المذاهب الأربعة على هذا النحو ( أن تجيب الطالب على المذهب أو المذاهب التي يريد الاجابة على مقتضاها ، فاذا لم يعين المستفتى مذهبا أجابته بحكم الله المؤيد بالأدلة من غير تقييد بمذهب من المذاهب الشرعية ) فلست أدرى معنى لهذا التفريق بين المستفتين ، وقصر الاجابة بحكم الله على من يريده منهم ، وإنه ليجب أن تخضع لحكم الله مذاهب الفقهاء لا أن يخضع هو لها ، فلا يجاب به المستفتى إلا إذا لم يطالب الفتوى على مذهب من مذاهب الفقهاء ، فاذا طلب الفتوى عليها أفتى له بها ولو كان حكم الله المؤيد بالأدلة على خلافها ، وإنا لننزلها بهذا منزلة لم يردها لها أصحابها ، ونجعل حكمها فوق حكم الله الذي كانوا يطلبونه فيها ، وهم بشر يصيبون ويخطئون ، ولم يدع العصمة أحد منهم في اجتهاده . وقد حكى ابن عبد البر عن معن بن عيسى باسناد متصل به قال سمعت مالكا يقول : إنما أنا بشر أخطئ وأصيب ، فانظروا في رأيي ، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه

وحكى ابن القيم عن أبي حنيفة وأبي يوسف أنهما قالا : لا يحل لأحد يقول بقولنا حتى يعلم من أين قلناه . وذكر صاحب الهداية في كتابه « روضة العلماء » أنه قيل لأبي حنيفة : إذا قلت قولا وكتاب الله يخالفه ؟ قال اتركوا قولي بكتاب الله ؛ فقيل إذا كان خبر الرسول يخالفه ؟ قال اتركوا قولي بخبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : إذا كان قول الصحابي يخالفه ؟ قال : اتركوا قولي بقول الصحابي

وروى البيهقي عن الشافعي أنه قال : إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا ما قلت

وذكر الشعراني في كتابه « الميزان » أن الأئمة كلهم قالوا : إذا صح الحديث فهو مذهبنا وليس لأحد قياس ولا حجة

فاذا ثبت لنا الآن حكم مؤيد بالأدلة فهو حكم الله الذي يقول به أبو حنيفة ومالك والشافعي وغيرهم ، ولو كانت أقوالهم في حياتهم على خلافه ، ولا شك أنا إذا أفتينا في ذلك على المذهب الذي يريد المستفتى الاجابة على مقتضاه نكون بذلك قد خالفنا حكم ذلك المذهب الذي جعل صاحبه حكم الله رائده ، وتبرأ من قوله إذا صح حكم الله بخلافه ؛ وقد كان من الواجب على الأقل أن يكون دستور هذه « اللجنة » ما ذكره الامام الشوكاني ، فانه بعد أن ذكر أن المقلد لا يصلح للقضاء وأنه لا يحل له أن يفتى من يسأله عن حكم الله في أمر من الأمور قال : فان قلت هل يجوز للمجتهد أن يفتى من سأله عن مذهب رجل معين وينقله له ؟ قلت يجوز ذلك بشرط أن يقول بعد نقل ذلك الرأى أو المذهب إذا كانا على غير الصواب مقالا يصرح به أو يلوح أن الحق خلاف ذلك ، فان الله أخذ على العلماء البيان للناس ، وهذا منه ، لاسيما إذا كان يعرف أن السائل سيعتقد ذلك الرأى أو المذهب المخالف للصواب

ومن المهم في ذلك أن الامام الشوكاني لم يبح للمفتى المقلد أن يفتى إلا من يسأله عن قول فلان أو رأى فلان ، ولم يبح له أن يفتى من يسأله عن الله أو حكم رسوله أو عن الحق أو عن الثابت في الشريعة أو عما يحل له أو يحرم عليه ، لأن المقلد لا يدرى واحدا من هذه الأمور على التحقيق ، بل لا يعرفها إلا المجتهد ؛ وهكذا إن سأله السائل سؤالا مطلقا من غير أن يقيده بأحد الأمور المتقدمة ، فلا يحل للمقلد أن يفتيه بشيء من ذلك لأن السؤال المطلق ينصرف الى الشريعة المطهرة ، لا الى قول قائل أو رأى صاحب رأى . وهذه « اللجنة » قد ألفت من علماء المذاهب الأربعة ، فهم مقلدون لا مجتهدون ؛ وقد أبيح لهم أن يفتوا من لم يعين مذهباً في فتواه بحكم الله المؤيد بالأدلة ، من غير تقيد بمذهب من المذاهب الشرعية ولا يمكن لهم أن يفتوا بهذا إلا إذا خلعوا عن أنفسهم صفة التقليد ، وادعوا لأنفسهم صفة الاجتهاد ، ولا شك أن أكثر هؤلاء الأعضاء إن لم يكونوا كلهم لا يدعون لأنفسهم هذه الصفة وإنه ليسرنا أن يدعوها لأنفسهم . ولكنه يحول دون ذلك قبولهم أن يفتوا بحكم المذاهب الفقهية من يسألهم عنها وألا يبينوا حكم الله إلا لمن لا يعين في فتواه مذهباً من هذه المذاهب ، اللهم إلا أن يدعوا لأنفسهم الجمع بين الصفتين ، ويكون هذا من غرائب دستور « لجنتهم » ولكنا نجل إخواننا من أعضاء « اللجنة » عن هذه الدعوى ، ونعتقد أنهم سيعملون على إصلاح وجهتها ، وصرفها إما إلى الاجتهاد الخالص أو التقليد الخالص ، ليكونوا إما مجتهدين بحق وإما مقلدين

فتلك الخطوة التي خطاها الأستاذ المراغي إلى الاجتهاد خطوة ضئيلة جدا ، ولا يصح أبدا أن تكون نتيجة لذلك الجهاد الطويل

الذي قام به الداعون إلى الاصلاح وفتح باب الاجتهاد من عهد جمال الدين الأفغاني إلى الآن ، وهي خطوة من السهل أن ينظر اليها أنصار التقليد إذا آل الأمر اليهم وكأنها لم تكن ، ونحن نريد أن نفتح باب الاجتهاد فتحا صريحا يكون في المستقبل حجة لأنصاره ، وتكأة يعتمدون عليها ، وحجة على أنصار التقليد يؤخذون بها ، والفرصة الآن سانحة بالتفاف رجال الأزهر حول الأستاذ المراغي ، واختيارهم له جميعاً على أنه رجل الاصلاح وخليفة الامامين المصلحين : محمد عبده ، وجمال الدين

فلنبادر من الآن بالدعوة إلى عقد مؤتمر يجمع علماء الدين الاسلامي في سائر البلاد الاسلامية على اختلاف مذاهبهم ، من رجال المذاهب الأربعة ، إلى رجال الشيعة الزيدية ، إلى رجال الشيعة الامامية ، إلى رجال الأباضية الباقين من فرق الخوارج ، إلى أنصار الاجتهاد الذين لا يأخذون بمذهب من هذه المذاهب ليكون فتح باب الاجتهاد في هذا المؤتمر أمراً حاسماً لا يمكن أن يجادل فيه بعد هذا أنصار التقليد ، وينظم فيه أمر الاجتهاد تنظيما يفتح بابه لأهله ، ويغلقه دون من ليس أهلا له ، ويخط له الطريق إلى معالجة المسائل المهمة التي أدت إلى جمود الفقه الاسلامي ، وعدم تمشيه مع حاجة المسلمين ، ويعلو به عما نشتغل به الآن من الخلاف في أمور لا أهمية لها ، من قراءة سورة الكهف يوم الجمعة ، والزيادة المعروفة في الأذان ، وما إلى ذلك من الأمور التي نضيع وقتنا سدى في الخلاف فيها

ولقد أراني أبعدت في الأمل بعد أن سكنت من زمن بعيد إلى اليأس ، ومضيت في سبيلي لا ألوى على أحد ؛ على أني سأمضي في هذا السبيل الجديد بعد أن فتحت بابه على نفسي ؛ وأنا امرؤ لا يعرف الاحجام ، ولم يعود نفسه إلا الاقدام؟

عبد المتعال الصعيدي

---

رسائل حاج

# ٣ - من ربوع الغــــرب إلى بلاد العرب

للمستشرق المجرى

الدكتور عبد الكريم جرمانوس

أستاذ التاريخ بجامعة بودابست

وكنت لا أزال منزوياً فى مقدم الباخرة ، حينما أسفرت أضواء الفجر الشاحبة عن هذه البقاع الاسلامية المقدسة ، فاذا « بجدة » تسمو فى السماء اللازوردية ، بينما تترامى أمواج البحر على أقدامها ، تشقه عشرات البواخر والزوارق فى حركة متواصلة ، يتصاعد منها صخب داو اختلطت فيه كافة لغات الشرق ، فأعادت إلى ذهنى المكدود بابل بأسواقها وشعوبها ، إلا أن المدينة الخالدة كانت تبدو فوق هذه الحياة اللاغطة ، كأنما تسمو خلوداً فوق مظاهر مدنيتنا الحديثة الزائلة وقد برزت منها مآذن فى دقة الحراب وقباب كانت شاحبة البياض قبل أن يدنسها دخان بواخر الغرب فكانت ترسو فى ظلها المراكب الشراعية حاملة طوائف المسلمين من الهنــد وجاوة وسومطرا والصين وشواطىء أفريقيا

واقترب الصباح فاستعد الركاب للنزول وبدأوا يستقلون الزوارق الخفيفة ، وكان النساء يرتدين تلك الملابس البيضاء ، سافرات الوجوه ، لا يجرؤ أحد على أن يتطلع اليهن بنـظرة ، ومن ذا الذى فى قلبه مرض فينظر اليهن فى هذه الساعة الرهيبة نظرة اشتهاء ؟ وفى الواقع أن الجاذبية الجنسية كانت منعدمة تماماً ؟ وقد أبعد الحجاج عن خواطرهم شتى صور الحياة حتى لا يحول شىء بينهم وبين الوصول بقلوبهم إلى نور الله الواحد القهار

وكان على الشاطىء حشـد من الحمالين والمطوفين ومراقبى جوازات السفر وفريق من موظفى الحـكومة لجباية الضرائب وهم جميعاً يتكلمون لغات شتى . فما إن يهبط عليهم أحد الحجاج حتى يلتقطه المطوف ويقوده إلى الموظفين المختصين وبعـد إتمام الاجراءات الرسمية يصحبه إلى المسكن المعد لاقامته

وجاءدورى ، فلما مثلت أمام مراقب الجوازات تطلع إلىّ وسألنى عن جنسيتى فأجبته : من بلاد المجر ... عند ذلك أظهر ارتباكا ، إذ لم يسبق له أن سمع قبل اليوم ببلادنا ؛ وأخيراً أسر إلىّ بأن مسألتى من المسائل التى يبت الأمير فيها بنفسه . وأشار إلى أحد رجال الشرطة وأمره بأن يقودنى إلى دار الأمير لأنه هو الذى بيده سلطة التصريح لى بالسفر إلى مكة . وكانت دار الأمير تبعد عن الميناء مسافة لا تقل عن نصف ساعة سيراً على الأقدام . ولبّيت الأمر فسرت مع ذلك الشرطى نتجاذب أطـراف الحديث فى طرق معبدة ملساء ، غير أنه كان من سوء حظى أن أحد مسامير الخف الذى كنت أنتعله ، برز من موضعه ودخل فى قدمى فأحدث لى ألماً شديداً ظل أثره أياماً طوالا

وما إن انتهت مقابلتى للأمير ، وقد استغرقت نحو ساعة ، حتى عدت إلى الباخرة ، وكنت قد نسيت أنى تركت أمتعتى فى الزورق البخارى ، ولقد كان أسفى لضياعها عظيما ، وكم عنفت نفسى لوقوعى فى مثل هذا الاهمال الذى كانت نتيجته ضياع الأمتعة بما فيها الـكتب ! وكدت أقطع الأمل من العثور عليها ، ولـكن الله سلم ، فان النظام المحكم الذى يقوم به رجال الشرطة فى الحكومة السعودية أتاح لى أن أعثر عليها بسهولة فى إحدى قاعات الجمرك وعليها بطاقة بأسمى . وبعد ساعة قادنى المطوف إلى دار الأستاذ محمد ناصيف الذى كنت أحمل اليه كتاب توصية ، وما كاد يتلوه حتى رحب بى على طريقة العرب فى شوق وترحاب ، وغمرنى بكل صنوف الكرم التى لن أنساها ؛ وتلك لعمري إحدى مفاخر الاسلام التى تتجلى عظمتها فى كل مناحى الحياة

والأستاذ محمد ناصيف فوق أنه من سراة الحجاز رجل مثقف ثقافة عربية ناضجة ، وتضم داره مكتبة زاخرة لا يكاد الانسان يرى مثيلها فى بعض الأقطار الأوربية أو الأسيوية ، وله رفاق يلتفون حوله كأسراب الطيور ، ليلتقطوا من حديثه الشهى الحكم البالغة والآيات البينات

* * *

تبعد جدة عن مكة بمسافة ٧٩ كيلو متراً ، وتشبه مبانيها الاستحكامات العسكرية ، ودورها مرتفعة ارتفاعاً شاهقاً ، وهى

مكونة من جملة أدوار ، بينما تتوج جدة قباب المساجد المقدسة ، واسمة إياها بذلك الطابع الفريد الذى يميزها دون سائر مدن العالم

ومن الغريب أن قناصل الدول والوزراء المفوضين يقيمون فى جدة دون أن يتخطوها إلى داخل الأراضى المقدسة ؛ ويستحضر رجال الهيئة السياسية طعامهم من الخارج ، حتى الماء يجلبونه من مصر ، لأن مياه جدة أجاجية غير صالحة للشرب

وتستقبل أسواق جدة عادة زبائن من كافة بقاع العالم ، ولا يفتأ تجارها يستحضرون أنواعاً من السلع لا تناسب بينها مطلقاً ، بل هى خليط من أذواق مختلفة ومشارب متباينة

وبعد أن قضيت فى ضيافة الأستاذ محمد ناصيف بضعة أيام صدرت الأوامر بالسماح لنا بالسفر إلى مكة . والواقع أن الفترة التى قضيتها فى دار ذلك الشيخ الجليل دفعتنى إلى الايمان الشديد بأن الفوارق الجنسية لا أثر لها مطلقاً فى الاسلام ، بعكس ما نشاهده فى الحضارة الأوربية من الاشادة بالقوميات والعصبيات وغيرها من المشكلات الاجتماعية التى تثيرها روح التعصب الأعمى .

وصادف أن رافقنى فى السيارة إلى مكة خمسة عشر زنجياً من أهالى الصومال ، وكنا فى خلال الطريق لا ننقطع عن أن نهتف : لبيك اللهم لبيك ! وهنا يجدر بى أن أنوه للمرة الثانية بعظمة الاسلام التى تتجلى فى عدم التفرقة بين الكبير والصغير والرئيس والمرءوس ، فالكل سواسية ؛ وقد شعرت بتلك الحقيقة وأنا بصحبة هؤلاء العبيد الفقراء ، وقارنت بين ذلك وبين الفروق الشاسعة فى أوربا الموجهة نحو احتقار العناصر الضعيفة والتفرقة بين الألوان

كانت السيارة تنطلق بنا فى طريق ممهد لا يمل النظر فى كل جزء من أجزائه ، طريق سلكه قبلنا ملوك وعظماء وأنبياء منذ مئات السنين ، وكانت السيارة كلما مرت بقافلة من القوافل نظر الأعراب إلى تلك الآلة الجهنمية التى تنبعث منها أصوات منفرة وروائح كريهة ، فى شىء من الحنق والغيظ . فقد أصبح النقل اليوم فى أكثر طرق الحجاز بالسيارات تمشياً مع مقتضيات الحضارة الحديثة ، مع أن البدو كانوا يربحون الشىء الكثير من نقل الحجاج بالابل ، وكانت النقود التى تدفع إليهم تبقى فى حوزتهم ، أما السيارة فان ثمنها وأثمان وقودها وقطع تغييرها تتسرب الآن إلى خارج البلاد ، فلا عجب إذا نظر إليها البدو فى شىء من الحنق ونقموا على من كانوا سبباً فى إدخال تلك « الآلة الجهنمية » إلى الصحراء ، وهم يقولون إن الانسان يجب أن يركب فى سبيل الحج أشق الأمور ، فلا يخال نفسه ذاهباً إلى سياحة هادئة ، ويتذرع بوسائل الراحة والرفاهية مما يلقاه فى السيارة ؛ وبمقارنة الابل بالسيارة ، نجد أن للأولى قوة احتمال على الجوع والعطش ، بعكس السيارة التى تحتاج إلى تجديد الماء كل أربع ساعات ، والوقود كلما نفد ، فضلاً عن جهل السائق بميكانيكيتها مما يسبب عطلها فى الطريق وترك الحجاج فى العراء إلى أن تقدم سيارة أخرى

أجل ! لقد أزعجت السيارة ذلك الهدوء الشامل فى الصحراء وأقضت مضاجع الأعراب وحولت طمأنينتهم إلى نوع من الثورة على الحضارة الأوربية وما تقدمه إليهم من كهرباء وطيارات ولاسلكى

دخلت سيارتنا مكة فى منتصف الليل تقريباً فراعنى أن أرى الناس فى الشوارع ، يغطون فى نومهم ويحلمون بالجنة التى هم بها موعودون ، لاسيا وأنهم أصبحوا على قاب قوسين منها . أهاج هذا المنظر خاطرى فانبثق فى نفسى شعور خفى وأنا أستقبل تلك الأرض المقدسة التى وطئتها قدما الرسول وكانت خير منارة للحق ، فهدت الناس إلى السبيل القويم

وقصدت لساعتى إلى دار مطوفى ، وهى دار رحبة عالية البنيان ، بها غرف فى الدور الأسفل أعدت لاستقبال الحجاج الجدد عند وصولهم إلى مكة . وبعد أن رحب بى المطوف سألنى عما إذا كنت فى حاجة إلى طعام أو شراب فأجبته بالنفى ، إذ كنت لا أزال غارقاً فى تيار من الأحاسيس الخفية مملاً النفس بقرب بزوغ النهار للطواف بالكعبة المقدسة

وما إن غشيت غرفتى واستلقيت على البساط حتى أغمضت عينى واستولى على النعاس ، فتخيلت الرسول الكريم وقد بدا أمامى فى شكل نورانى ، يكاد يخطف الأبصار ، وكأنما هو ينشر كلمة الله فيضىء بها العالم يدعو الخلق إلى كلمة الحق ، ورأيت الخلفاء الأربعة يتوسطون حلقات من الناس طبقاً لقواعد الدين الحنيف ، ويسودون العالم بالحكمة والمحبة لا بالعنف والشدة ،

ثم تخيلت هارون الرشيد وهو يجول آناء الليل فى شوارع بغداد ويجوس فى خلال أزقتها ودروبها ، فيكافئ الأتقياء وينزل عقوبته بالمجرمين ، وانبسطت أمامى بلاد الأندلس الزاهرة وقد سادها حكم العرب ، فنشروا بين ربوعها العلم والحكمة والفلسفة والفلك والفقه حتى أصبحت هـــذه العلوم كشجرة مباركة فرعها فى السماء ، وأظلت بأوراقها اليانعة الخضراء نجاد مكة المكرمة والكعبة الشريفة ؛ ولا يظن أحد أن ما شهدته كان من قبيل الرؤيا أو أضغاث أحلام ، بل هى أشباح خالدة تطوف بذهن كل مسلم صادق العقيدة متوجه إلى الله بقلب نقى طاهر

وعند انبثاق الفجر نهضنا من النوم على أصوات ملائكية ، كأنها هابطة من السماء ، تلك هى أصوات المؤذنين يدعون المؤمنين إلى صلاة الفجر التى هى خير من النوم ، فقمت مهرولا ، وبعد أن توضأت يممت شطر المسجد الحرام ومعى مطوفى ، وكنت أؤدى الصلاة المفروضة طبقاً لارشاده ، ثم بدأت أطوف بالكعبة فسرنى أن رأيت الوفا من الحجاج ، من كافة الألوان والأجناس ، يقبلون فى لهفة على لثم الحجر الأسود ، وهو رمز تاريخى للاسلام ، كان الرسول الكريم يتبرك به ويقبله ؛ وتبعه فى ذلك الخلفاء الراشدون ، وظلت تلك العادة متبعة للآن ؛ ولقد حاولت مرارا أن أقترب منه فكان يصدنى عن بلوغه كثرة الزحام ، وبعد مشقة لمست بيدى سطحه الرمادى الأملس ، ولكن ما كدت ألثمه حتى رأيت سيدة من أهالى فرجانة تقع على الأرض إثر صدمات عنيفة من الخلف ، وكانت تحمل على ظهرها طفلتها المسكينة التى ستصبح حاجة بعد حين ، ولقد قدمت هذه المرأة التقية إلى الحج ممتطية صهوة جواد مع بقية أفراد أسرتها ، من بلدها فى أواســط آسيا فاستغرق سفرهم أربعة أشهر ؛ ولقد أخبرتنى هذه الحاجة أنها كانت تدخر لهذه الزيارة المقدسة من سنوات بعيدة ، وأخيراً حققت حلمها وكانت مبتهجة أشد الابتهاج

وتمت بعد ذلك السعى بين الصفا والمروة ، وهناك نالنى كثير من المشقة والعناء ، فجلست بجوار حلاق أخذ يقص خصلة من شعرى المبعثر عملا بالسنة الشريفة ، ولبثت فى انتظار مطوفى ليأخذنى إلى جبل عرفات

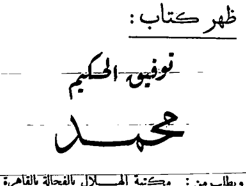
إن اللقاء على جبل عرفات لهو الفرض الأساسى تقريباً للحج ، فالحجاج الذين يفدون إلى جدة متفرقين ، يجتمعون كلهم فى يوم واحد ويحشرون فى صعيد واحد ، وهنا تظهر عظمة الدين الحنيف وحكمته ، فقد كان مجموع الحجاج فوق عرفات لا يقل عن خمسين ألفاً ، مع أن مكة بمساحتها الشاسعة لا تستطيع أن تأوى مثل هذا العدد الوافر

وجبل عرفات من أجمل جبال العالم ، يصل الماء اليه من « عين زبيدة » فى أنابيب ، وهو عمل عظيم فى ذاته ، لأنه يخفف من متاعب الحجاج للحصول على الماء . وهناك تل يطلقون عليه « جبل الرحمة » به مصلى كان النبى عليه الصلاة والسلام يصلى فيه

ولقد رأيت الحرس الوهابى يقيم على تلك البقعة ليمنع الحجاج من اقامة الصلاة بالقرب منها ، كما أنهم يحرمون على الحجاج السجود أمام العمد الحجرية المسندة اليها

والوهابيون يمارضون أشد المعارضة فى تدخين التبغ ، ولكنى رأيت أن هذه العادة تكاد تتلاشى ، وألفيت كثيراً من الناس يدخنون فى الطرق العامة حتى فى الجبل وبجوار المصلى ، كما أبطلوا عادة الخطابة التى كانت تلقى على ظهر البعير

( يتبع ) عبد الكريم جرمانوس



# بين الثريا والثرى

## للأستاذ عبد الرحمن شكرى

الحمل والجدى والسرطان : هى الأبراج المعروفة بهذه الأسماء ، والمعنى هو أن الشباب لا يهتم بما يخبئ له القدر ، كما يهتم من يرصد الأفلاك والأبراج ليعرف منها ما يخبئه له القدر . (الناظم)

### الشباب

تذكرنى الشباب ، وقد علونا ... به فوق المجرة والنجوم
ونحن الخالدون ، وكان حقاً ... خلوّ الخالدين من الهموم
سوى الحزن الذى عقباه ضِحكٌ ... يرن صداه فى ضحك الهزيم (١)
وطئنا فوق أظلال الدرارى ... وأشرفنا على بيد السديم
فلا حمل ولا جدى رقبنا ... ولا السرطان ذو البرج العظيم
وما من صولة الأقدار خفنا ... ولا لاحت لنا مثل الغيوم
بأرواح لنا فى الأفق مَشى ... وتحليق على العيش البهيم
ركضنا فى السماء لكل نجم ... حُنُوّ الطير للزهر العميم
وحولنا وجوه الكون كأساً ... حسوناها ولم تكُ من كروم
ولم نعبأ بما تُخفِى الليالى ... ولم نَخْشَ المنية فى الهجوم
وأسلفنا الزمان نعيم عيش ... ولم نحذر مقاضاة الغريم
وكنا فى ائتلاف الشمل نحكى ... نظام الشهب والدر النظيم

### المشيب

سكنا الأرض بعد الأفق داراً ... وأنزلنا إلى بطن الأديم
وأفهمنا القضاء ، وما فهمنا ... وقل ما شئتَ فى لغو العليم
وكُسِّرَت القوادم والخوافى ... وهيض العظم فى الجسم الكليم
صحونا للحياة ، وما تراه ... من الخُلُقِ المُقبَّحِ والنميم
فمن حذر إلى بخل وذل ... وسوء الظن بالخل الحميم
أطلّ الموت من كَثَبٍ علينا ... وظل الموت أصبح كالنديم
تُرَوِّعُنا الصروف بكل خطب ... وخطب الموت أهون للفهيم
وضاعت جِدّةُ الدنيا وصارت ... كأطمار على جسم العديم

(١) ضحك الهزيم : يراد به صوت الرعد

يحاربنا التذكر والتمنى ... كلا الأمرين يُفْضِى للهموم
وقدما قد نعمنا بالتمنى ... وأمَّلْنا الخلود على النعيم
وليت الذكر ، وهو نذير شجو ... يدوم بروقة العهد القديم
سننسى أننا كنا قديماً ... على هام الثريا والنجوم

عبد الرحمن شكرى

---

# الليلة الثانية عشرة

## للشاعر الحضرمى على احمد با كثير

إحدى روايات شكسبير الخالدة يترجمها إلى العربية شعراً الشاعر الحضرمى على أحمد با كثير ، وقد تصرف تصرفاً لا يضير بجمال الأصل ، بل يزيده أحياناً وضوحاً وحسناً ؛ كما فعل فى التورية اللفظية التى قصد إليها شكسبير فى كلمتى HART ( الوعل ) و HEART ( القلب ) فقد نقل المترجم الصيد من البر إلى البحر ليتسنى له الاتيان بمثل هذه التورية فى اللغة العربية ، وإلى القارئ المشهد الأول من الرواية :

**المشهد الأول — فى قصر الدوق**

يدخل الدوق و ( كريو ) وأشراف آخرون ، حيث فرقة الموسيقى على استعداد

الدوق :

هات ألحانك ياعازف إن ... تكن الألحان للحب غذاء !
هاتها ! زدنىَ منها فعسى ... أن يلاقى حتفَه منها امتلاء !
أعِدِ اللحن الذى غنّيتَه ! ... إنه طاب علىّ السمع غناء
كاد من رقته يفنى ! فلم ... يَدَعِ الشجو له الاذماء !
رفّ بالسمع حَنوناً عَطِراً ... مسرق الروض شذاه ثم جاء
قَدْكَ ! قف لحنك هذا لم يَعُدْ ... عندىَ الآن وما قبلُ سَواء
آهِ رُوحَ الحب ! ما ألطف مسـ ... ـراكِ فى النفس وأقواكِ مضاء
قوةٌ هائلة أنت ، فقد ... كدت تطغين على ماضى القضاء
قوة حُوّلةٌ قُلّبة ... أبداً تبدين فى ألف رواء
أين منك البحر عُظْماً وقُوًى ؟ ... إنه ماء وأنتِ الكهرباء !
تسقط الأنهارُ فى البحر فلا ... تعدم التأثير فيه والثواء
وهمومُ النفس مهما عظُمت ... وسمت أوجاً ، وشطّت فى غلاء
دون أمواجكِ فى ثانيةٍ ... تتلاشى كالتماعٍ من ضياء !

فاذا الغالى رخيصٌ، و إذا الـ    أوجقعر، و إذا الأمْرعياء.(1)

كريو:

مولاى! هـل لك فى صيـ    ـد البال؟ فالجو حالى (2)

الدوق :

ويلاك ! هــل أنا إلاَّ    فى الصيد! والبال بالى !
أعــزُّ شىء بجسمى    قــدراً. وأنفَسُ غالِ
أوّلَ ما زلزلتــنى    بطرْفها القتّــــال
( أوليڤيا ) ، وهدتنى    للحبِّ بعـد الضلال
هناك صُـيِّرْتُ بالآ    مضرَّمــاً بالنكال
مطارَدًا طـول أيّا    مه وطول الليـالى !
اكتنفَتْه شِـباكٌ    من كل وجه وحال
خيوطها من همومى    ونسجها من خيالى ! !

« يدخل ڤالنتين »

ب ـ هات عنها ! ماذا وراءك ؟

ب ـ ما يُرْ    ضيكَ مولاى ! لو رُزِقتُ القبولا
سلّمتنى عنها الوصيفةُ هذا الـ    ـردَّ منها ـ وما أراه جميلا ـ :
لن يرى الكونُ نفسُه وجهها السّا    فرَ سبعاً كسبع يوسف طولا !
نذرَت أن تبقى كراهبة الدَّيْـ    ـر عليها نقابُها مسـدولا
كل يوم تطوف بالبيت بالدمـ    ـع يبلّ الثّرى ويُخفى المسيلا
كل هذا من أجل موت أخٍ كا    ن إليها المحبَّب المأمولا
رُزِئَتْه فأقسمتْ لتُديمَنَّ (م) أساها عليه دهراً طويلا

الدوق :

زه ! ضمَّتْ إذاً ـ إلهى لك الحمـ    ـدُ ! ـ إلى حسنها الشعورَ النبيلا !
كان هـذا وفاءها لأخيها    كيف بالله لو أحبّت خليلا !
لَوْ إليها ( كوبيد ) سدّد يوماً    سهمه المُذْهَب اللطيف القتولا !
فغدا فى فؤادها كلُّ همٍّ    شاغلٍ ـ دونه صريعاً قتيلا
واعتلى عرشَ قلبها مَلِكٌ فرْ    دٌ كفرعونِ مصرَ دانَ النيلا !
سِرْ أمامى إلى أريكٍ من الزّهـ    ـر أهدهِدْ بها الفؤادَ قليلا !
حيث تُلْفى خواطرُ الحب فى أكـ    ـنافها مرتعاً خصيباً ظليلا ! !

علي أحمد باكثير

(1) الأمر : القوة    (2) البال : نوع معروف من الحيتان والبال أيضا القلب

# الشاعر

## للسيد رياض معلوف

من كتابه « الأوتار المتقطعة » الذى صدر حديثا

شاعر فى شـفتيه    كلمات مُنْزَلَهْ !
ضاقت الأرض عليه لطموحهْ
وخيالهْ
جـذوة فى مقلتيه    رُوحـه المشتعلهْ
قطرة من مجمر الله ورُوحِـه
وجمالهْ

شاعر إن شـدا وردّدا شعرا    فنياط القلوب من أوتارهْ
ما ابتسام الربيع ألطف ثغرا    منـه حتى لو كان فى نَوّارهْ
ودموع الصباح أطهر دمعا    منه فوق الخدود من أزهارِه
أين شدْو الهزار فى الروض منه    لا يجازيه روضـه بهزاره
هو (موسّيه) هل سمعت نواحا    فى الليالى أرق من أشعاره
وهو (دَنتِى) هلا رأيت جحيما    بكتاب حروفُه جمرُ ناره
والمعرى ، رغم العمى (ضوء سقط)    يهتدى التائهون من أنواره

رياض معلوف

# يد الأيام

## للسيد الياس قنصل

لو كانت الأيام تقضى مرةً    للمرءِ ما يصبو إليـه ، معجبا
لخلعتُ عن نفسى ثيابَ رزانتى    ورجعتُ مسروراً إلى عهد الصّبى
هى حقبةٌ فى العمر يحرس صفوَها    ظلٌّ من الطهر الصميم ظليلُ
وكأنها لخلوِّها من كلِّ ما    يثْذُ العواطفَ للكمال سبيلُ
يسخو الزمان بما لديه على الذى    رضىَ الوجودُ بأن يريه ضياءهُ
لكنّ حُمّاه ترافق جودَه    سراً ، وتتلف ما يفوق عطاءهُ

(البقية فى ذيل الصفحة التالية)

فصول ملخصة في الفلسفة الألمانية

# ٣٠ – تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا

## الناحية الإيجابية من مذهب نيتشه

## السوپرمان

### أو الإنسان الأعلى

للأستاذ خليل هنداوي

لنفترض أن هذه القوى يتفاعل بعضها ببعض تبعاً لقانون المصادفة والتدابير المتعاقبة، وأن الترتيب اللاحق مؤثر في الترتيب السابق، فما عسى يقوم في أزلية الزمان؟ أرانا إذ ذاك مضطرين إلى القول بأن هذه القوى لم تبلغ بعد نقطة التوازن ولن تبلغها أبداً، إذ لو كان هذا الترتيب في استطاعته أن يظهر يوما ما، لاستطاع إذاً أن يظهر لتطاول الزمن النابر. والعالم – عند ذلك – يصبح جامداً ساكناً لا يتحرك، لأن من المحال أن تضل هذه القوى عن «نقطة التوازن والاستواء» بعد أن أدركتها ووصلت إليها. فنحن إذاً أمام القول بأن شحنة من القوى الثابتة المعينة تولد – في هذه الآماد – تدابير لا تنتهي وحالات لا تتناهى. وبما أن الزمان لا نهاية له، وبما أن هذه الشحنة من القوى هي معينة محدودة، فسوف تأتي لحظة – مهما كانت هذه القوى عظيمة ومهما كانت آثارها الناشئة عنها كثيرة – نرى فيها هذه اللعبة الطبيعية غير العاقلة تولد «تدبيراً» أو تهتدي إلى حالة تستقر عندها وتقف عليها

ولكن هذه الحالة أو هذا الانتقال سيجر وراءه سلسلة تامة من الحالات المتسببة عنه، من حيث أن الحركة العالية تولد ذات الأشياء وتمشي باستمرار على دائرة واسعة. كل حياة خاصة هي جزء من هذا الدور الكلي. وكل فرد قد عاش الحياة ذاتها مرات لا تحصى وسيعيشها إلى الأبد. كل الحالات التي يمكن للوجود أن يبلغها قد بلغها في الماضي مرات متعددة. قد كان مرة، ومرات عديدة سيكون وسيعود. وكل القوى السابقة متوزعة اليوم توزعها بالأمس

أيها الإنسان! إن الحياة كلها كرملة ترش دائماً وتجمع دائماً. وكل خليقة من هذه الخلائق لا تنفصل عن الأخرى إلا بقدر تلك اللحظة الطويلة الضرورية لها حتى تعود تلك الضرورات التي كانت سبب ولادتها، فتعود إلى الظهور. والولادة حالة عملها في «الدور العالي» وعند ذلك ستجد كل شقاء وكل غبطة، وكل صديق وكل عدو، وكل أمل وكل ضلال، وكل غرسة وكل شعاعة من الشمس، وكل نظام الأشياء، وهذا الدور الذي أنت فيه مثله مثل الحبة سينبثق من جديد

في كل دور من أدوار الوجود الانساني، لكل إنسان – على الأغلب – ساعة تظهر فيها الفكرة القوية القائلة «بالرجعة الدائمة» لسائر الأشياء. وهذه الساعة التي تبلغها الانسانية هي ساعة «الهاجرة»

وما إن بدا لنيتشه هذا المذهب حتى سرى في روحه، وغمر فكره، وغلب على قلبه؛ وقد عزم على أن يغامر بعشرة أعوام من عمره، يدرس التاريخ الطبيعي لكي يستطيع أن يبني مذهبه هذا على قواعد علمية ثابتة، ولكنه لاذ بالصمت وأدرك خيبته في زعمه هذا. ولكن فكرة الرجعة الدائمة ظلت تتجاذب فكره، وظل يدور حولها. وهذه الفكرة كانت احدى هبات «زرادشت» الكبرى إلى رجاله

وقد وضح جلياً تأثير هذه الغمة التي غشيت نيتشه يوم أصبح يؤمن بهذه الرجعة الدائمة. ولن نستطيع أن نتخيل حلا لمسألة الوجود أظلم وأبهم من هذا الحل، فالوجود لا يعني شيئاً، إنه وليد مقادير عمياء، ينتج من وراء مصادفاته الخالية من الشعور قوى يمتزج بعضها ببعض، فيخلق بعض النماذج على

إني بلغتُ إلى الشباب مضيّعا ... من حيث لا أدري جمالَ هنائي
في كل يوم كان يهلك بعضُها ... زخرتْ به نفسي من الآراءِ
فإذا التفتُّ إلى الوراء رأيتني ... أشلاء ضمّتها الليالي الماضيهْ
ووجدتُ حولي مايماثل غربةً ... تغشى بلاقعها الأماني الذاويهْ
والحق أني قد غُبنتُ ولم أفزْ ... إلا بساعات من الآلامِ
ما خبرني إلا شعور طارقٌ ... خنقتْه في صدري يدُ الأيامِ

(عاصمة الأرجنتين) — الياس قنصل

حسب المصادفات . أما الحركة الشاملة للوجود فهي لا تقود جزءاً منه ولا قسماً . وإنما هي تدور حول نفسها بدون انقطاع في نفس الدائرة ، وهذه الحياة التي نحياها سنكررها إلى مالا نهاية ، دون أن يكون هنالك رجاء في التغير . وكل لحظة مشحونة بالكآبة والشقاء والسأم سنحياها مرات لا تحصى . فهل في الامكان أن نتخيل ما يصنع هـذا الافتراض في جماعات المتحطين والرضى والمتشائمين ، وفي كل من ترجح كفة شقائهم على كفة فرحهم ؟ إن عند أغلب الناس — كما يبدو — فكرة تشبه فكرة العودة الدائمة ؛ تظل وإن لم تكن مبنية على مبدأ معين — غير مؤذية ولا ضارة ، لأنها تبنى فكرة مجردة خارجة عن الادراك ، لأن مخيلتنا غير قادرة على اخراج هذه الفكرة إلى حيز الحقيقة ، ولأن المعارف التي يتلقاها عقلنا لا تمين إلا قليلا من قوتنا الحاسة . ولكن نيتشه هو الذي يهب الحياة لتعاليمه ، وهو يتغلف بكل وجوده

وقد يشاهد أن الرجعة الدائمة أخـذت تظهر في بعض اللحظات ككابوس شيطاني يملأ قلبك رعباً ويقف دقات قلبك ، وقسوته على المتحطين والأشقياء بدأت الآن ترتدي غير رداء ، وقد وضح ما يريد في صيحته هذه « ليموتوا سريعاً . ليقتلوا أنفسهم ، أو ليقتلوا ، هؤلاء المتحطون . . . . . ! ! من قبل أن يتمكنوا من قياس أعماق هاوية الآلام التي غرقوا فيها ، وقبل أن يفقهوا معنى القدر الوحشي الذي يقضي عليهم بأن يجرجروا صلبانهم بدون أمل في نجاة ، وإذ ذاك تفهم إذا كانت الانسانية في استطاعتها أن تتحمل هذا المذهب دون أن تزل سريعاً في هاوية اليأس والخوف ، أو أن تعتبر فكرة العودة الدائمة كابتلاء يهوى به من لا تصلح حيويتهم

لابد من قوة نفسية خارقة لاحتمال فكرة العودة الدائمة وهذا هو صاحب هذه القوة النفسية يستطيع أن يقول « إذا لم يكن للحياة معنى بذاتها فأنا أعطيها معنى . إنما أنا قطعة من الطبيعة تريد أن تكون دائماً جديدة ، تسمى بدون سأم ولا نصب إلى ما لا نهاية في الحلقة ذاتها . إنني سأرتفع وأصعد حتى يتسنى لي أن أتأمل كفنان روعة الحياة الخصبة التي لا تفهم . وسأهتز طرباً إلى لعبة هـذه القوى التي أنتجت وحصلت كثيراً من الآثار اللطيفة الرائعة . والتي ولدت الانسان وستلد السوبرمان . سأتمنى بكل قلبي وإيماني من القوة العمياء أن تبدع شيئاً لامعاً ساطعاً يسمو على الانسان . وسأحيا ، راودني هذا الأمل ، وسأجمل وجودي كله وعاء لهذه الفكرة . أريد أن الدائرة التي تتحرك فيها الحياة تحور إكليلا باهراً زاهراً . سأقضي حياتي فرحاً مرحاً ، راجياً أن يؤول دوري الذي أمثله إلى نتيجة حسنة . وإذا خسرتُ — في هذا الدور — فلي رجاء كبير فيمن يليني ويأتي بعدي . وهكذا لا يتلاشى من الوجود ضياء الحياة ولا يكفهر . وهكذا الانسان المأخوذ بهذه الفكرة التي تزيده نشوة ، يصبح في حالة يبصر فيها هزائمه وانكساراته كفدية يسيرة لأفراحه وانتصاراته . يجدها كالمنجس الذي يدفعه دائماً إلى التعالي والتسامي ، إلى تفوقه على نفسه . وهكذا إذا رجع إلى محاسبة نفسه يرى أن مقدار سروره كان أرجح من مقدار ألمه وإذ ذاك يرضى بكل حمية وشوق فكرة الحياة الخالدة ، وفكرة القبول بالحياة التي يكررها إلى الأبد

ولهذه النتيجة تسامى أولئك الرجال السامون الذين جمعهم زرادشت في مغارته . فحين عرض عليهم تعاليمه الجديدة وفضائله الجديدة ، وفتح عيونهم على جمال الحياة وروعة الحياة ، وحين شفاهم من تشاؤمهم ورفع نفوسهم التي أوشكت أن تنحني تحت أثقال الكآبة والسآمة ، جمعهم تحت جنح الظلام أمام المغارة تحت قبة السماء

« جلسوا صامتين متهيبين . كلهم في سن الكهولة ولكن قلوبهم تفيض قوة وحياة ، وكل منهم راض بنفسه عن نفسه إذ غدا شيئاً صالحاً على الأرض ، وكان سكون الليل المفعم بالأسرار يناجي قلوبهم عند ذلك تحت الجوبة الأعاجيب . فالانسان الأكثر قبحاً جلس ينفخ للمرة الأخيرة ، وحين دعاه داعي الكلام قال : هذا السؤال الذي خرج من فمه طاهراً نقياً عميقاً ، وجميع من كانوا حوله يصغون إليه أحسوا أن قلوبهم تهتز وتخفق طرباً

قال : « هأنا — لأول مرة — غدوت راضياً عن حياتي

جميلة الحياة على الأرض . ان يوماً واحداً ، ان عيداً واحداً مع زرادشت علماني بأن أحب الأرض

سألت الموت : هل — هنالك — الحياة ؟

ألا لتأت مرة أخرى

أصحابي ! ألا تريدون أن تقولوا للموت مثلي : هل هنالك الحياة ؟ وفي سبيل محبة زرادشت لتكن مرة أخرى »

أفلح إذ ذاك زرادشت . فان الرجل الأكثر قبحاً ، والمسخ الذي قتل بمضه الآله ، الذي يتمثل فيه كل قبح وشر وسوء في الانسانية قد تلقى الآن جمال الحياة ، وأدرك أن الألم هو ندبة لامندوحة منها للسعادة . فقال : — بلى للوجود . وبينما كان النبي محاطاً بأتباعه ، يتذوق خمرة هذا النصر كان يتهادى ناقوس قديم ذو رنين حاد يعان ببطء — مجيء نصف الليل — أن نصف الليل هو الساعة الواحدة التي يلتقي فيها النهار الذي انتهى بالنهار الذي سيبتدئ ، حيث يصافح الموت الحياة . نصف الليل هو ساعة الصمت الأكبر ، حيث النفس المتأملة تتفتح لها التأملات والأسرار الخفية . وبينما كان الناقوس القديم ، الرسول الذي يقرع لأفراح الانسانية وأوجاعها ، يعلن بدقاته الاثنتي عشرة عن تلك اللحظة التي يجوز فيها الموت الى الحياة ؛ نرى زرادشت يترك رجاله السامين يلحون الفكرة الكبرى للرجمة الدائمة غارقة في الألغاز كأنها مزمور رمزي معطر بالنشوة الدينية

١ : ألا احترس أيها الانسان !

٢ : ماذا يقول منتصف الليل العميق ؟

٣ : كنت أنام ، كنت أنام

٤ : هأنا قد تيقظت من حلم عميق

٥ : الوجود هو عميق

٦ : أعمق مما يفكر فيه النهار

٧ : وعميق شقاؤه

٨ : وفرحه أعمق من ألمه

٩ : الشقاء يقول لك : اهلك

١٠ : ولكن كل فرح يبتغي الخلود

١١ : يبتغي الخلود ، الخلود العميق

« انتهى البحث في فلسفة نيتشه (*) »

« خليل هنداوي »

(*) يطبع قريباً كتاب « فلسفة نيتشه » وهو أول كتاب في العربية يبحث فلسفة هذا الفيلسوف الصارم ، وسيكون مذيلا ببعض آثار نيتشه الأدبية

وزارة المعارف العمومية

## اعلان مسابقة

عن الحاجة إلى كتب دراسية

تعلن الوزارة عن حاجتها إلى كتاب في الجغرافية باللغة العربية لكل سنة من السنتين الأولى والثانية بمدارس التجارة المتوسطة وكتاب في التاريخ باللغة العربية أيضاً للسنة الأولى بهذه المدارس ، على أن توضع هذه الكتب وفقاً للمنهج الجديد لهذه المدارس ، وطبقاً للتوجيهات الموضوعة والموجودة منها صور بادارة المخازن تحت طلب المؤلفين — وأن تقدم للوزارة في ميعاد غايته آخر مايو سنة ١٩٣٦

والكتب التي يقع عليها الاختيار ستشترى الوزارة حق تأليفها وفقاً للقرار الوزاري رقم ٣٧٥١ الذي يمكن طلبه من ادارة المخازن أو الاطلاع عليه بها

وكل كتاب تقرره الوزارة وتشتري حق تأليفه بعد أن تعدله لجنة الفحص تعديلا ذا شأن سيخصم من مبلغ شراء حق تأليفه عشرون في المائة تمنحها الوزارة مكافأة للجنة على عملها — أما الكتاب الذي يتقرر بغير تعديل أو بتعديل غير ذي شأن فلا تمنح اللجنة مكافأة عنه



# القصص

مأساة من اسخيلوس

## ٢ - أجاممنون

الأستاذ دريني خشبه

« آرجوس ! »

« وطني العزيز ! »

« أربابي ! ... »

« لكم في عنقي دين أبدي من الشكر ، وفي في لسان رطب لا يفتر عن ثناء ؛ فلولا كم ما نسمت هذا العبق الحلو الذي يتأرج به هواء هذا البلد ، ولا ظفرت باليوم الخالدة ، دولة بريام ، ودرة هذا الزمان ! أجل ! فلقد بدء الآلهة ما ألم بشرفنا القوى ، وحاق بعزتنا الوطنية ، فقضت أن تكون طروادة نهباً مقسماً لا يحل إلا للميلانيين ، فلا تزال ألسن النيران تعلن في الخافقين حكمة السماء من أبراجها الشاهقة ، وصياصيها السامقة ، وقصورها الشماء ... وغداً تصبح صعيداً جرزاً وطللا بالياً ... من أجل من ؟ من أجل امرأة ! ...

أما أنتم يا رعاياي فأشكر لكم إخلاصكم ووفاءكم وتعلقكم بهذا العرش الذي يستمد قوته منكم وما يزال يرتقي بتأييدكم ... وسننظر فيما تم إذ نحن نازحون عن الديار فنجزي كلا بما عمل ، ولا نغضي عن إساءة المسيء ، ولا نتسامح في تألب المتألبين ...

يا آلهة النصر ... لك الحمد ولك الثناء ... لا زلت تباركين آرجوس ، ولا برحت أياديك تنتصر هذا الوطن »

— ١٦ —

وما يكاد الملك ينتهي من كلمته حتى تدخل الملكة ... الملكة كليتمنسترا ... أو الحية الرقطاء ! ... التي لا تفتأ تتحدث إلى الملأ عن حبها للملك ، وعن الآلام المبرحة التي عصفت بقلبها أثناء غيابه ، والوحشة التي ظلت تخيم على الـ ( بليبوديه ) العتيق الشاهق طيلة هذه السنين العشر ... وتتحدث عن الاشاعات المحزنة التي تناقلتها الألسن عن الملك المفدى في ميدان اليوم ... ثم .. ترى ألا بد من كلمة عن هذا الأمير الصغير النئ ... أورست ... الذي هو « ثمرة حبنا وواسطة عقدنا ، والنور الالهي الذي يغمر قلبينا ويؤلف بين روحينا ... إنه ينشأ ويشب ويترعرع في كنف صديقنا وحليفنا ، وحافظ ودنا ، الأمير ستروفيوس ، صاحب فوسيز ، الذي تفضل فحمانى في غيبتك ، وذاد عن قصرك المنيف تكالب الأوجيف[1] ... ... ولقد كنت أتقلب على إبر الشوك حنيناً إليك ، وشوقاً إلى لقائك ... وكنت أبداً حزينة كاسفة لأن النيران لم تشتعل مؤذنة بأوبتك ... ولكن ... ها أنت تعود فتعيد الآمال إلى القلوب الواجفة ، والاعان إلى النفوس التي نكأها اليأس ، والرجاء إلى كل من عزه الرجاء ... ... ... »

ثم تختل الملك وتخدعه ، عسى أن تنطلي عليه تدبيراتها السود فيلج معها في القصر ، وتنفذ فيه الفيلة الرائعة الرهيبة التي رسمتها له ، والتي آلت إلا أن تكون بيدها ... وبسلاح عاشقها الآثم إيجستوس ...

« ... والآن هلم يا ملكي ... يا رجاء آرجوس وفخر هيلاس كلها ... هلم فترجل من تلك العربة الفخمة الفاخرة ذات الأوشية ، وطأ أرض القصر العتيد بقدميك الراسختين ، كما وطأت بها عز طروادة ومنعتها . »

وتكون الملكة قد أعدت بساطاً كبيراً من الخز الأحمر الأرجواني ليمشي عليه الملك ، فتأمر قيانها وجواريها أن يبسطنه على المرمر الناصع ... « ليخطر عليه ملكي ، وليتم بهاء اليوم

(١) أهالي أرجوليس

... وأبهة النصر ... بما عاد رب البلاد ظافراً ! »

— ١٧ —

وتصدح الجواري فيسقطنه

ولكن أجاممنون ، الذى كان الوسواس يملأ قلبه ، والشك يذوب فى كل قطرة من دمه ، وسرطان الهم ينهش نفسه الحائرة ... ظل فى عربته متردداً ...

ذلك أن كاسندرا ، تلك النبية الجالسة بجانبه ، ابنة بريام التى جلبها معه لتكون خليلة له فى الـ — (بلبيوديه) — كانت قد تحدثت إلى الملك ، فكشفت له أستار الغيب ، وتنبأت عما ينتظره من دم ... وغدر ... وما ينتظرها هى أيضاً من مثل هذا المصير الأحمر ... والقدر المخبوء ...

وكانت أصداء النبوءة التى ملأت بها كاسندرا رَوْع الملك ، ما تزال تتجاوب أصداؤها فى قلبه ، وتهتف به بألف لسان أن ... يحترس ! فقال للملكة :

« إيه يا ابنة ليداء ، وحارسة عرشى وحامية صولجانى ! لقد استطالت تهنئاتك بقدر ما استطال نأيى وشط نزوحى عن آرجوس ! بيد أننى كنت أوثر الثناء الوشى من غيرك ، وكنت أوثر ألا أرى فيك تلك العادة اللعوب من عادات الشرق السخرى ... تتحوى وتتلوى ... وتلقى رجلها بكل مصنوع ومجلوب ! ثم ما هذا البساط الأحمر الحريرى ؟ هل أصبح أجاممنون إلهاً ؟ إن البسط الحمراء لا يخطر عليها غير الآلهة ... فهى حق مقدس لهم ... أما بنو الموتى ، فليس أجلب للذعر ، وأدنى للرهبة ، من أن يتطاولوا على حقوق الأولمب ، ويؤثروا أنفسهم عما ينبغى أن يبقى للسماء !... والمجد ... بعد كل ذلك ... لا يعوزه أن يسير على مهاد من المخمل ، أو أن يهز أعطافه فى حلل الدمقس ... إيه ! الخلود والمجد لمن تنتهى حياته الحافلة فى أمان وسلام ! »

— « ماذا أيها الملك ؟ هلم خدثنى ... واجل لى خافيتك ؛ ماذا تريد أن تقول ؟ »

— « سأجلو لك كل شيء حتى لا يكون خفاء بيننا : »

— « قد تكون نذرت هذا فى ملمة نزلت بك ! »

— « بديهة حاضرة يا ابنة ليدا ؟ »

— « وما كان من أمر بريام ؟ وبم استحق هذه النهاية إذن ؟ »

— « أغلب ظنى أنه فرش طريقه بالخز والديباج ... ؟

خفقت عليه الآلهة ؟ »

— « أنت تأبه كثيراً لما عسى أن يتقول الغوغاء ! »

— « وأى شيء هو أعنف من تقولات الغوغاء ؟ »

— « من لا حسود له ، لا معجبَ به ! »

— « آفة المرأة أنها أبداً تثير الشغب والاضطراب ! »

— « حاشاى ! بيد أنه من العظمة للمرأة أن تخضع فاتحاً عظيماً ( كفاتح طروادة ! ) »

— « أفنحن إذن فى معركة حتى يشتد حرصك على الغلبة فيها ؟ »

— « هلم . . ترجل . . دعنى أنتصر على قاهر طروادة ! »

— « إذا كان لا بد من هذا ، فمرى أحداً ينزع حذائى ، فقد يطلع أحد الآلهة من ذروة الأولمب فيرى إلى أطأ الخز الأحمر الأرجوانى بهما ، فينقم على ويثور بى . . . كم أضطرب حين أخطو خطوةً واحدة على هذا الديباج ؟ . . . »

( تتقدم جارية من جوارى الملكة فتنزع حذاءه )

— « إيه ... قُضى الأمر ... ولكنى أرجوك أن تتقبلى هذه الغريبة النازحة فى حنان وفى حب ... فما تزال السموات يتبسمن كلما أطلعن فشهدننا نتلطف فى استعمال جبروتنا ! ... لقد منحنى الجيش إياها من سَبْى اليوم ... ( يترجَّل وتظل كاسندرا بمكانها من العربة ) ... فأما وقد ظفرت بطلبتك ، فانى أمشى على هذا الأرجوان إلى قاعة العرش »

وتتملقه الملكة بكلمات فيدخل إلى قاعة العرش ، وتتضرع كليتمنسترا إلى سيد الأولمب أن يحرس ما دبرت ، وأن يتولى الفيلة التى أعدت للملك ببركاته !!

— ١٨ —

ويترنم الخورس بأنشودة شفافة ، ينعكس فى صفائها غدر المرأة وشدة مكرها ...

ثم تحضر الملكة فتشير إلى كاسندرا قائلة : « ... هلمى فادخلى أنت أيضاً يا كاسندرا ... أدخلى ... ما دامت السموات قد ساقتك إلى هنا لتتقاسمى أمواه هذا المطهر القربانى ... هلمى ... انزلى من هذه العربة الطهمة التى يبدو أنها نفخت أوداجك بريح الكبرياء ! ... إنزلى ولا يؤلمك ما أنت فيه من أسر وذلة ونفى ... فما أنت بخير من ابن ألكمين [(١)] العظيم الذى قضى

(١) هى طبعاً تريد هرقل وما قاسى من ذلك المنفى عند الملك يوريثوز ملك أرجوس

ردحاً طويلاً فى ربقة الأسار ... عند ملك جبار ... هنا ... فى نفس هذا القصر ! إنه لشرف أى شرف أن تخدمى فى آل ( بيلوبيدبه ) ، مادمت قد استسلمت لنزوة أحلامك حتى فقت بها حدودك يا فتاة ! إنزلى ... فان لك أن تشمخى بأنفك ، وتتيهى على أندادك ، لأنك ستكونين جارية من جوارى ملكة آرجوس ! »

رئيس المنشدين : « لقد قالت وقد سمعت ! وكلاهما بين ... أوه ! مالك مكدودة هكذا ؟ ... قد تفكرين فى الطاعة ... ولكن ... قد ينجلى اشمئزازك بعد حين ! »

كليتمنسترا — « رضخت أو لم ترضخ ... لابد من أن تصغى لى ! »

رئيس الخورس — « أطيعى يا فتاة ... قد يكون هذا اصلاحك ... إنزلى ! »

كليتمنسترا — « إن النيران المتأججة تنتظر بفارغ الصبر أن تلتهم فرائس الذبحة ، وقد نضب معين الرحمة ، وغاض ماء الجنان ، وليس هناك وقت نضجى به من أجل بكبك أيها الفتاة ، فاذا لم تستطيعى التكلم بلساننا فلتؤد يداك ما تريدين أن تجيبى به ... تكلمى ! »

ولكن كاسندرا ما تزداد إلا صمتاً ، وما تزداد إلا سكوناً ، فيقول رئيس الخورس :

— « يبدو أنها فى حاجة إلى ترجمان ... ... »

وتتميز الملكة من الغيظ ، فتحدج الفتاة بعينين تقدحان الشرر ... وتنطلق داخل القصر ...

—١٩—

ويرثى الخورس للفتاة المنكودة ، ويروعه هذا الأسى الذى يتشح به وجهها ، وتلك الكآبة التى تجلل جبينها ، فيعطف عليها ، ويدعوها لتنزل من العربة ... فاسمع إذن إلى هذا الحديث الشجى :

— « إنزلى ... أصيخى للقضاء ، وسلمى للقدر ... إنزلى ! »

— « آى ... آى ... أوه ... أبوللو ... أبوللو ! »

— « فيم هتافك الباكى بأبوللو ... ؟ »

— « آى ... أبوللو .. أبوللو ... آى ، آى ، أوه أبوللو ... ؟ »

— « ما تنفكين تهتفين بالإله الذى أصم أذنيه عنك ؟ »

— « آه ياأبوللو ياإلهى ! أيها البانى المظلم والمخرب المظلم ! بنيت طروادة ... وحطمتنى ! وهاهى يدك تمتد فى غير رفق مرة أخرى فتعبث بى ! »

— « اسمعوا يا رفاق ! إنها تتنبأ عما يخبىء لها القضاء ... كأن فيها جذوة من السماء [1] ! »

— « أبوللو ... أبوللو ... ياإلى طروادة ... ياهادم بنيانى .. ماذا هنا ؟ أى سماء ؟ فيم جئت بى هنا ؟ »

— « هذا قصر الأتريديه [2] إن لم تكونى تعرفينه بعد ! »

— « آه ! ... حاشا ! بل هو كهف رهيب رائع ! ممقوت من السماء ! ملطخ بدماء الأثم ، مضرج بأرواح الشهداء تجثم الجريمة فى كل ركن من أرجائه ! »

— يا للآلهة ! إنها تشم رائحة الدماء ... وكأنها قريبة منها بل هى بين ناظريها لا شك ! »

— « أجل ! ... أجل ... هناك . هناك . هناك . وهاكم برهان قاطع ... تشمموا معى ... ولكن ... لا ... إنى أرى ... إنى أنظر ... الأطفال الأطهار الذين ذبحوا ... هاهم يتصايحون بقاتلهم وهاهى لحومهم ... الشواء ! ... مسكين أبوهم ! لقد أكل ...! لقد قرت لحومهم فى بطنه ! »

— « أيتها الفتاة ! لقد طبقت شهرتك الآفاق كنبية تكشف الغيب ما كان منه وما يكون ! ولكنك هنا...ولا حاجة لهذا المكان المرعب بأنبياء ! »

— « آه ! ... وما ذاك أيضاً ؟ ويلى ! جريمة جديدة وحزن جديد ! ثمرة مرة من ثمرات الطغيان ! إنها تدبر الآن ... تحت سقفك أيها القصر المائل ! طاعون ! طاعون مهلك لا سبيل إلى الفرار منه ! من عمل البغضاء العمياء للمحبة المبصرة ! الغوث ! ويلاه لاغوث ! »

— « لا أكاد أستبين هذه النبوءة ! لقد كانت الأولى جلية واضحة ! وكل مدينتنا ما تزال تتحدث حديث الوليمة المجرمة ! »

— « ياشقية ! زوجك ياشقية ! كيف تجسرين ؟ هاهى ! إنها تمد يدها الأثيمة ! إن الضربة المائلة تتلو الضربة المائلة ! ... »

— « ولم أفهم بعد ! إن نبيتنا تلغز ... إن نبوءاتها طلسمات »

(١) النار السماوية هى القضاء والقدر واستطاعة كشف الغيب فى الميثولوجية اليونانية (٢) أسرة أجا ممنون

— « يا للشبح ! ويلاه ! ما عساه أن يكون ؟ شراك من الموت ... ومن الجحيم ! بل هو شرك الغرفة السوداء ... غرفة الشريك المجرم ! هلمى يا غربان الويل ... يا أبابيل الإثم ! هوى فوق هذا القصر ... أو إن استطعت فارجميها ... أرجميها ... ! »

— « أية أبابيل تستنزلين رجومها على القصر ؟ إن دعاءك يذهلني ! إن قطرات الموت المسمومة تتسرب إلى شغاف قلبي ؛ حينما تتسرب لُمَعَ الحياة من جراح القتلى ... ! أوه ... ما أسرع الحزن انحداراً فى القلوب ؟ ... »

— « ماذا أرى ؟ آه ... أسرعوا ... أسرعوا فاحجزوا البقرة واحموا العجل ! أنظروا ! أنظروا ! إنها تأخذ بتلابيبه ... وتخوض فى لبته بسلاحها ... آه ... لقد سقط السكين يتشحط فى دمه الغزير ... ! »

— « لقد كنت أتخر عما أقدر عليه من كشف للغيب ، أحدس الآن أن هذا الهذيان لا يدل على خير !! يا للآلهة ؟ أبداً لم يكن الترجيم جلياً بيناً ! وأبداً لم يصف الأنبياء أمارة حبور على هذا الكون ! إن الأشجان بضاعتهم دائماً ، وإن اللغو من القول آلتهم إلى أذهان الناس ، وهم لا يضربون إلا على أوتار الذعر ليصلوا إلى غور قلوبنا ! »

— « ويلى ! بالحظى العاثر ! لقد أترعت الكأس بما رويت من قصتى السادرة ! لم جئت بى إلى هذا القصر معك أيها التعس ؟ ألأموت معك ؟ وماذا أيضاً ؟ لأموت ؟ لأموت ؟ »

— « ما تزدادين إلا هذياناً وهذراً !؟ وما بك إلا مس ؟ وإنا لا ندرى : هل حملك إلّه إلى هذا القصر لتتغنى حظك العاثر ، كما تغنت أختك البابلة [1] الحزينة من قبل ... ... »

— « ياويح لى ! ومن لى بنصيب مثل نصيبها ! الحورية الجميلة التى منحتها الآلهة ريشاً وأجنحة ؟ لقد سلمت وودعت وفازت بحياة طيبة ... ... أما أنا ... فقريباً أشق بنصل حاد فأكون شطرين ! ... »

— « ياعجباً ! أنى لك هذا ؟ ... من بذر فيك هذه البذرة السوداء ؟ أنى لك تلك الأغنية الكئيبة ، وهذا اللحن الحزين ؟ من أين تنزل عليك موسيقاك الباكية ؟ من أوحى اليك بهذا الوسواس الخبيث ؟ ... »

« البقية فى العدد القادم » دريني خشبة

(١) أسطورة البلبل الحزين تقول بأن احدى الأميرات ألمت بها ملمة فا برحت تشجى وتحزن حتى رثت لها الآلهة وحولتها إلى بلبل غرد ...

# القفــــاز

## بقلم حسين شوقى

(س) عنده الصفات التى تكفل عادة للمرء النجاح فى ميدان الحياة : الذكاء والشباب وحسن النظر .. ولكنه خجول لسوء الحظ إلى حد بعيد ، وقد أفسد عليه خجله أموراً كثيرة وعاق مستقبله ، إذ أن س لا يعمل غير عمل متواضع ، فى محل تجارى متواضع ..

ماذا يفعل (س) فى خجله ؟ ماذا ؟ لماذا عالج هؤلاء الأغريق الحكماء الفهاهة بوضع قطع من الحجر فى الفم ولم يفكروا فى معالجة الخجل ؟ ..

وإذا كان خجل (س) عاق مستقبله المادى ، فانه كان أشد عليه ضرراً فى ميدان العاطفة .. إذ أنه برغم كونه فى ريعان الصبا لم يعرف الحب بعد .. أو على الأصح لم يتصل بفتاة ما .. مع أنه كان تواقاً بشـــدة إلى الحب .. كم خفق قلبه فى « السينما » عند ما يتلاق المحبان على الشاشة بعد فراق طويل !. وكان إذا عاد إلى منزله بعد مشاهدة مثل هذه المناظر الغرامية ، يرتمى على المخدة ليدفن فيها حزنه وألمه ، ويأخذ فى البكاء الشديد .. لم يجد (س) فى حياته الجرأة لمغازلة الفتيات ، حقيقة أن بعضهن غازلنه ، ولكن س لم يكترث لهن، لأنهن كن يتفاوتن فى الدمامة ، و (س) لا ينظر إلا إلى الجمال ، لأن الحب فى نظره أمر سماوى مقدس .. وكثيراً ما كان يذهب إلى المتنزه العمومى ، حيث كان يأمل التعرف بسهولة إلى حبيبة القلب المرتقبة .. فهناك ربما تنسى فتاة منديلها ، (أو حقيبة يدها) على أحد المقاعد ، فيلتقطه ويقدمه لها ، فتتم بهذه السهولة المعرفة بينهما ..

يا للعجب ! ها هى أمنية (س) تتحقق ، لأن المقادير التى تضن علينا بكسب سباق (الدربى) ، لا تضن علينا بتحقيق أمانينا المتواضعة ...

إليك كيف تحققت أمنية (س) :

شاهد (س) ذات يوم سيدة رائعة الجمال (كما تخيلها فى أحلامه) تجلس فى المتنزه على أحد المقاعد وهى تقرأ كتاباً فى يدها باهتمام شديد ، فجلس (س) حيالها على مقعد يترقب فرصة

التعرف اليها . . ثم لم يمض زمن طويل على هذا ، حتى نهضت السيدة من مكانها ونسيت حقيبة يدها على المقعد ( كما تمنى س ) فنهض من فوره ليلتقط الحقيبة ويقدمها اليها ، ولكن قدوم شرطيّ فى هذه الأثناء أفسد عليه الأمر إذ خشى س أن يحسبه الشرطيّ لصاً . . وكان من حظ الشرطيّ تقديم الحقيبة لها ، وقد شكرته السيدة عليها بابتسامة ساحرة وانصرفت . .

مسكين ( س ) ، كم كان متبنا لخروجه من التنزه فى ذلك اليوم ! . .

ولكنه لم ييأس ، فعاد فى اليوم التالى إلى الحديقة فى المكان نفسه ، عساه يجدها هناك مرة أخرى ، فاذا بالسيدة الحسناء جالسة على المقعد نفسه تقرأ ! . . وكان من حسن حظه أن السيدة نسيت فى هذه المرة أيضا حقيبتها على المقعد ، لدى انصرافها ، فالتقطها وهرع فقدمها اليها ، قائلا فى تردد شديد :

— إنها المرة الثانية التى تنسين فيها حقيبتك ياسيدتى !

— هذا حقيبتى ! ولكن كيف عرفت ذلك ؟

— كنت هنا بالأمس عند ما فقدتها ، لقد هممتُ وقتئذ بالتقاطها وإعادتها إليك ، ولكن قدوم الشرطيّ أفسد علىّ الأمر فقد خشيتُ أن يظننى سارقاً . .

فضحكت السيدة عندئذ ضحكة عالية لسذاجة الشاب وبساطته . . ثم أذنت له فى مرافقتها فى السير ، كما تولت إدارة الحديث بعد ما رأته على هذه الحال من الخجل :

— إنى لا بد أن أنسى شيئاً عند ما أقرأ كتاباً . .

— إن ما تقرأينه لابد أن يكون ممتعاً جداً حتى انه ينسيك حقيبتك يومين متواليين

— هى رواية بوليسية .. إنى شديدة التعلق بالروايات البوليسية لأن حَبْك الدسائس الجنائية يتطلب ذكاء نادراً ..

كم أسف (س) عندئذ لعدم قراءته قصصاً بوليسية ، ولقد بدا عليه الأسف واضحاً .

قالت — ربما كان المشى يتعبك ؟

— أبداً !

يا لسذاجتها ! إن ( س ) ليصعد معها جبال الهملايا عن طيب خاطر !

— إنى مضطرة إلى المشى كل يوم . . لمعالجة الأملاح . . .

تذكر ( س ) عندئذ اسم دواء للأملاح كان أوصى به طبيب لأخته ، فصاح قائلا :

— هناك دواء نافع للأملاح اسمه . . .

ولكنها قاطعته فى سخرية :

— دواء ؟ صدقنى ليس هناك ما هو خير من المشى . . .

وبعد أن تنزها نصف ساعة وصلا إلى باب الخروج فأستأذنت وانصرفت بعد أن وعدته بالحضور إلى الحديقة فى اليوم التالى للتريض . . .

كم كان سعيداً فى ذلك اليوم ! ها هى ذى أحلامه تتحقق ! إن جمال هذه السيدة هو أسمى ما يطمح اليه ! أما هى ، فقد شعرت من فورها « باستلطاف » زائد نحو هذا الشاب الساذج الخجول ، لأنها لم تشاهد حولها فى وسطها الراقى ( إذ كانت من طبقة الأشراف ) غير رجال أشبه بالطيور الجارحة . .

وفى اليوم التالى بكر فى الذهاب إلى الحديقة ، حيث التقى بسيدة أحلامه ، وقد تروضا هذه المرة ساعة بدلا من نصف ساعة . . .

ثم تقابلا فى الأيام التالية . . .

وكانت هذه السيدة الحسناء تلبس دائماً قفازاً أسود طويلا ، ودّ س . لو نزعته حتى يستطيع أن يطبع قبلة على يديها المحبوبتين . . .

وكان كلما طلب منها ذلك رفضت فى لطف . .

وقد ألحّ يوماً عليها فقالت :

— سوف تندم يا عزيزى لو نزعتُ قفازى . . .

هل تمنين أن يدك غير جميلة ؟

— أجل ، إن يدى اليمنى بها ست أصابع . . .

— إذن ألثم اليد اليسرى

— اليد اليسرى ينقصها أصبع . . .

— فليكن ذلك

— أقول لك إنك سوف تندم .

ولكنه ألح الحاحاً شديدا اضطرت السيدة إزاءه أن تخلع القفاز ، ولكنه بدلا من أن يلثم يدها التى نزعت عنها القفاز ، صرخ صرخة مؤلمة ثم سقط مغشياً عليه ، إذ لمح فى يدها خاتم الخطوبة . . .

حسين شوقى

# البريد الأدبي

## كتاب لزعيم الاشتراكية الفرنسية

منذ بضعة أشهر توفي القريد دريفوس الضابط اليهودي الفرنسي وبطل القضية الشهيرة التي هزت فرنسا منذ ثلاثين عاماً وكادت تدفعها إلى غمر الحرب الأهلية ؛ وقد صدرت عن هذه المأساة القضائية الشهيرة أثناء وقوعها وبعده عشرات من الكتب بمختلف اللغات ، وصدرت بمناسبة وفاة بطلها عدة كتب ورسائل جديدة ؛ ومن ذلك كتاب صدر أخيراً بقلم الزعيم الاشتراكي الفرنسي ليون بلوم وعنوانه « ذكريات عن القضية souvenirs sus l'Affaire » ، أعني قضية دريفوس ؛ ومسيو بلوم رئيس الحزب الاشتراكي الفرنسي ، وله ولحزبه مكانة قوية في الحياة السياسية والبرلمانية الفرنسية ؛ وقد كان لموقفه أثر فعال في التطورات السياسية الأخيرة وفي سقوط وزارة مسيو لافال ، ومسيو بلوم فضلا عن كونه سياسيا وخطيبا كبيرا ؛ كاتب كبير أيضاً ، وهو يتولى تحرير المقالات السياسية في جريدة « بوبلير » الاشتراكية ، وله فيها جولات رنانة ؛ وقد كان مسيو بلوم وقت وقوع مأساة دريفوس فتى في عنفوانه ولكنه كان قد شق طريقه السياسي ، وخاض غمار الحوادث السياسية والحزبية التي أثارتها القضية الشهيرة ؛ ونحن نعرف الآثار السياسية والاجتماعية والعقلية العميقة التي أحدثها النضال بين أنصار دريفوس وبين خصومه ، وكيف انشطرت الحياة العقلية الفرنسية يومئذ إلى شطرين : أحدهما يتجه إلى تأييد ما يسميه « الحقيقة والعدالة » بتأييد دريفوس ، والآخر يتجه إلى تأييد النزعات القومية والعسكرية المغرقة التي أثارت هذه المأساة الشهيرة ، ويصور مسيو بلوم في كتابه هذه الحوادث والتطورات تصويراً قوياً ، ويشرح لنا البواعث النفسية والعقلية التي كانت تدفع أنصار دريفوس إلى العمل لنصرته وتبرئته ، فهؤلاء كما يقول مسيو بلوم كانت تربطهم عواطف قوية هي الثقة في « قوة الحقيقة » ، وتدفعهم حماسة مضطرمة إلى ما فوق أنفسهم ؛ ويرى مسيو بلوم شبهاً قوياً بين حادث انهيار شركة بناما ومأساة دريفوس وهي أعظم حوادث هذا العصر ، وبين نكبة استافسكي الأخيرة وما تلاها من الحوادث الدموية في فبراير سنة ١٩٣٤ ؛ فقد كان من ورائها العسكريون والوطنيون دائما يثأرون لهزيمتهم في انتخابات سنة ١٩٣٢ ؛ وقد كانت دسائس العسكريين والوطنيين مثار قضية دريفوس ، والخلاصة أن مسيو بلوم يقدم الينا صورة قوية خلابة عن الأوضاع السياسية والفكرية أيام دريفوس . ومع أنه يقدمها الينا في أثواب اشتراكية واضحة ، فانه مع ذلك يسبغ عليها بقلمه وبيانه كثيرا من الأناقة والطرافة . وكتابه جدير باهتمام أولئك الذين تذكي خيالهم وتشجيهم حوادث المأساة الشهيرة . .

## وفاة مؤرخ وصحفي كبير

نعت الينا الأنباء الأخيرة مؤرخاً وصحفياً فرنسياً كبيرا هو فرانسوا جاك بانفيل ؛ توفي في نحو الخمسين من عمره ، وفي ذروة حياته الأدبية وكان بانفيل كاتبا وصحفيا كبيرا ، يحرر القسم السياسي في جريدة « لاكسيون فرانسيز » لسان الحركة الملوكية بفرنسا وكانت مقالاته وبحوثه يطبعها دائما نفس الطابع الذي عرفت به هذه الجريدة المجاهدة والذي يسبغه عليها كتاب عظام ملكيون مثل شارل موراس وبانفيل . بيد أن بانفيل كان يحرر في صحف أخرى مثل « بتي برزيان » و « لاليبرتيه » ليس لها مثل هذا الطابع . ومع أن بانفيل كان صحفياً بارزا يدفعه التيار الصحفي دائماً إلى المعترك ، فانه لم ينس نزعته الحقيقية ، وهي نزعة المؤرخ الذي ينظر إلى الحوادث بروح علمي مستقل ؛ وقد ترك لنا عدة كتب تاريخية تشهد ببراعته النقدية وحسن تقديره للحوادث والأشخاص منها تاريخ لفرنسا ، وتاريخ للجمهورية الثالثة ، ومنها تاريخ لألمانيا المعاصرة حتى قيام هتلر ، وتاريخ للطغاة المعاصرين مثل ستالين وموسوليني وغيرها ؛ وتمتاز كتبه وبحوثه بقوة التصوير ، وسلامة العرض ، والبحث العميق

## علم المثلثات والعرب

تعليق على مقال في مجلة نايتشر (١)

في الشهر الماضي ظهر في مجلة نايتشر الانكليزية مقال من قلم أدجرسمث Edgar C. Smith تناول فيه البحث عن نوابغ العلماء والأدباء الذين ولدوا في الأعوام ١٥٣٦ ، ١٦٣٦ ، ١٧٣٧ ، ١٨٣٦ بمناسبة حلول العام الميلادي الجديد ١٩٣٦ ، وقد جاء في هذا المقال أن ريجيو مونتانوس كان من أعظم رياضيي زمانه ، ومن رجالات العلم البارزين في عصره ، وأنه كان أيضاً موضع إعجاب وتقدير من ذوي السلطات الزمنية والروحية ، وإليه يرجع الفضل في نقل بعض علوم اليونان والمسلمين إلى الغرب ، وفي تعريف الأوروبيين اليها – كل هذا صحيح لا سبيل إلى نكرانه ولا يختلف فيه باحثان . . . ولكن هناك شيئاً واحداً أحببت التعليق عليه وهو القول : « بأن ريجيو مونتانوس ألف في الرياضيات وأن كتاب المثلثات ( De Triangulis ) هو أول ثمرة من ثمار ريجيو مونتانوس ، ومجهوداته في المثلثات على نوعيها المستوية الكروية ، كما أنه أول كتاب بحث فيها بصورة منظمة علمية . . . »

اختلف العلماء في محتويات كتاب De Triangulis لذي وضعه ريجيو مونتانوس ، وفي نسبتها اليه ، فبعضهم يدعي أن كل محتويات الكتاب هي من وضع ريجيو مونتانوس وأنه لم يستعن في ذلك بأحد ، وبعضهم يقول خلاف ذلك ، وبقي هذا الاختلاف زمناً طويلا إلى أن ثبت حديثاً أن ريجيو مونتانوس اعتمد في بحوثه في هذا الكتاب على مؤلفات العرب والمسلمين . ولا عجب في هذا فاليهم يرجع الفضل الأكبر في وضع كثير من نظريات علم المثلثات وموضوعاته ، واليهم لا إلى غيرهم يرجع الفضل أيضاً في تقدمه ورقيه ، ولولاهم لما وصل الغربيون فيه إلى ما وصلوا اليه

وينقسم كتاب ريجيو مونتانوس إلى خمسة فصول كبيرة منها ما يبحث في المثلثات المستوية ، ومنها ما يبحث في المثلثات الكروية ، وقد ثبت لدى الباحثين أن الأصول التي اتبعها ريجيو في الفصل الخامس هي بعينها الأصول التي اتبعها العرب في الموضوع نفسه في القرن الرابع للهجرة – هذا ما توصل اليه العالم المحقق التركي صالح زكي بعد دراسة مؤلفات ريجيو مونتانوس وأبي الوفاء البوزجاني ، ومما يزيد المرء اعتقاداً بهذا كله اعتراف كاجوري بأن هناك أموراً كثيرة وبحوثاً عديدة في علم المثلثات كانت منسوبة إلى ريجيو مونتانوس ثم ثبت حديثاً أنها من وضع المسلمين والعرب ، ويوجد غير كاجوري أمثال سمث وسارطون وسيديو وغيرهم من اعترف بأن بعضاً من النظريات والبحوث نسبت في أول الأمر الى ريجيو مونتانوس وغيره ثم ظهر بعد الاستقصاء خلاف ذلك

نابلس قدري حافظ طوقان

## كتاب جديد لبول موران

بول موران من أعظم كتاب فرنسا المعاصرين ، وهو بلا ريب أحدثهم نزعة ، وأوفرهم طرافة ؛ وربما كان ذلك يرجع إلى تكوينه وظروف حياته ؛ فقد درس في باريس ، واكسفورد ، وأدنبورج ، ودرس الأدب والقانون ، وهيأت له حياته كموظف في السلك السياسي فرصة واسعة للسياحة والدرس ؛ واتخذت أشعاره وقصصه الأولى أحدث طابع ؛ وظهرت كتبه الأولى ومنها مجموعة القصص المسماة « مفتوح بالليل » و « مغلق بالليل » فكانت نمطاً بديعاً جديداً في الأدب الفرنسي ؛ وأشد ما تبدو قوة بول موران وطرافته في تصوير حياة المدينة ، وقد اشتهر بكتابيه عن لندن ونيويورك حيث يصور فيهما الحياة الظاهرة والخفية في تينك العاصمتين الكبيرتين أقوى تصوير وأبدعه ؛ وبول موران سائح لا تخمد له رغبة أو هوى ، يضرب في أنحاء العواصم الكبرى وينفذ إلى أعماقها وخفاياها ، وقد أصدر أخيراً كتاباً عن عاصمة جديدة هي « بوخارست » وذلك بعد أن أقام في رومانيا ردحاً من الزمن ؛ وعنوان الكتاب الجديد لا يثير لأول وهلة اهتماماً كبيراً لأن بوخارست ليست من العواصم الكبرى ذات الشهرة الرنانة ، ولكن بول موران يسبغ عليها بكتابه سحراً وروعة ؛ وهو يرى أن يثير بهذه المناسبة ذكرى بيزنطية وذكرى روسيا القيصرية ؛ بيد أنه يتناول المدينة الحديثة وحياتها . ويرى

(١) مجلة Nature عدد ٣٤٥٣

فيها مفترق المدنية الأوربية ، وبدء انسيابها إلى الحياة الاسيوية ؛ ويصف المجتمع الرومانى وخلاله ، وميله إلى الطرب والاستهتار ، وما يمتاز به من الدعابة والنكتة ؛ ثم يصف مجتمع الريف فى صور ساحرة ، ونرى فى خلاله وعاداته طرافة ليست لمجتمع المدينة ؛ ويخصص موران فصولا ونبذاً عديدة لحياة « النور » الذين يكثرون فى رومانيا وخلالهم وفنونهم ، ويقدم الينا عن مختلف طبقات الشعب الرومانى كثيراً من المعلومات والحقائق المفيدة الطريفة معاً .

وبول موران لا يجاوز اليوم الثامنة والأربعين من عمره ، ومع ذلك فهو يتبوأ منذ أعوام طويلة المقام الأول فى ثبت الكتاب المحدثين

## ذكرى مخترع القاطرة

احتفل أخيراً فى انكلترا بالذكرى المئوية الثانية لمولد جيمس واط مخترع القاطرة البخارية ؛ واتخذ الاحتفال صبغة رسمية ، فأقيمت صلاة على روحه فى « وستمنستر ابى » ، ورفع الستار عن لوحة تذكارية أقيمت فى بلدته ( جرنيوك ) من أعمال اسكتلنده ، ونثرت زهور كثيرة على أثره التذكارى ببلدة برمنجهام أعظم مصنع لصناعة القاطرات فى انكلترا ؛ وأقيم فى لندن معرض على عرضت فيه نماذج من الآلات والقاطرات البخارية منذ إختراعها إلى اليوم ؛ وقد خصص المعهد الميكانيكى الانكليزى بهذه المناسبة جائزة تمطى لمن يقوم بأفضل اختراع فى ميدان الهندسة الميكانيكية ، سواء فى انكلترا أو فى غيرها من البلاد

وقصة واط شهيرة فى تاريخ الاختراع ، فقد ولد فى سنة ١٧٣٦ وكان طفلاً سقيما فلم يتلق تربيته قبل الثالثة عشرة ؛ ودرس الهندسة العملية ، واشترك فى أعمال وتجارب هندسية خطيرة ؛ وفى سنة ١٧٦٤ توصل إلى الوقوف على سر البخار كقوة محركة ، وذلك أثناء إصلاحه لآلة بخارية وضع تصميمها جون نيوكمن ؛ وفى العام التالى استطاع أن يصنع جهازاً لحفظ قوة البخار ، ثم وضع تصميما لآلة بخارية جديدة صنعت فى معامل سوهو بالقرب من برمنجهام ، وكان هذا مولد القاطرة الحديثة



# الفن الاسلامى فى مصر

للدكتور زكى محمد حسن
المساعد العلمى بدار الآثار العربية

هذا الكتاب الثمين ليس سوى الجزء الأول من ثلاثة أجزاء وعد المؤلف بإصدارها . إذ رأى أن لتاريخ الفن الاسلامى فى مصر حلقات ثلاثا : تبدأ الأولى بالفتح العربى وتنتهى بسقوط الدولة الطولونية ، وتشمل الثانية عصر الفاطميين ، وتحتوى الثالثة على عصر المماليك . وخص هذا الجزء بالحلقة الأولى وكشف فى مستهله عن سر النزعات فى هذا الفن بإيراده مقدمة تاريخية سياسية تفصح للقارىء عن أثر كل تطور خاص بسياسة الدولة المصرية فى الفن الاسلامى

وطبيعى أن يعنى المؤلف الفاضل بناحية البحث فى تاريخ فن العمارة وزخرفة البناء الاسلامية عناية خاصة . وليس ذلك لمجرد مطابقة هذه الناحية من الفن لطابع العرب الدينى ، بل ولأنه أيضاً استرعى أنظارهم وهم البدو ومساكنهم الشعر ، ولاءم مزاجهم الرياضى الفنى ، واتفق وغرضهم من التعمير — على حد ما نعتقد

ولم يستكمل الفن الاسلامى فى مصر وضوحه إلا فى عصر الطولونيين . وكان فناً مستقلا عن الفن الذى ازدهر فى سامرا مدينة المعتصم

واستعرض المؤلف تاريخ تلك المدنية منذ نشأتها ، ثم واصل عرض آراء العلماء فى شأن فنها ، وأخذ يوازن بين الخطأ فى تلك الآراء والصحيح منها

ومن أهم النظريات التى أثبتها اعتبار زخارف سامرا غير متأثرة بأساليب الفن السيتى إلى حد كبير ، كذلك اعتبار أن الجند الترك لم يكن لهم فى الناحية الفنية شىء يذكر فى عهد الخلفاء العباسيين ، وأن الفرس عاشهم الفنى المجيد أكثر استعداداً من الترك للتأثير فى الفنون الاسلامية ، ولو أن ذلك الرأى قال به غيره ، إلا أنه عززه بأدلة مما عثر عليه من صور فى سامرا ، ولم يفت المؤلف ذكر توافد مهرة الصناع العراقيين والفارسيين والاغريق وغيرهم على سامرا ، فأصبح الفن هناك خليطا

وتكلم المؤلف فى الفصل الثانى من الكتاب عن العمارة الدينية ، ولا شك أن العمارة بلغ بها المسلمون شأوا بعيداً ، إذ هى عندهم أجل الفنون ، فابتدعوا فيها وأبدعوا ؛ ويعد جامع احمد ابن طولون أم الآثار العربية فى مصر وأقدم شاهد على المدنية الاسلامية فيها . ودحض المؤلف فكرة أن هذا الجامع كان من مساجد المعسكرات . وهى فكرة رائجة بين عدد من علماء الفرنجة

ثم جاء فى الفصل الثالث على ذكر العمارة الحربية والمدنية التى لم يبق منها لعهد الأسرة الطولونية سوى قناطر ابن طولون . إلا أن مؤرخى العرب ومؤلفى الخطط أفاضوا فى وصف مدينة القطائع والبيمارستان وكذا القناطر . وذكر المؤلف بعض تفاصيل شائقة عن تأسيس مدينة القطائع وعن قصر ابن طولون بها الذى حاكى به قصور الخلفاء فى سامرا . وجاء بوصف ممتع للقصر وما حوى وما أضافه ابنه خمارويه عليه من أبنية وحدائق . وكان لتنقيب دار الآثار العربية وعثورها فى صيف سنة ١٩٣٢ على أطلال منزل طولونى بالتلال المجاورة لأبى السعود الفضل فى الاستدلال على بعض قواعد وأصول العمارة المدنية الخاصة بالعصر الطولونى . وذكر المؤلف أن قناطر ابن طولون شيدت فى الجهة الجنوبية الشرقية من مدينة القطائع . ولا زالت بعض عقود القناطر قائمة حتى اليوم ومنها يستدل على متانتها وبديع الصناعة فيها ؛ والمعروف أن المهندس النصرانى الذى تولى لابن طولون بناء هذه العيون هو نفس المهندس الذى شيد له فيما بعد المسجد الجامع

أما زخرفة المبانى للعهد الطولونى التى وردت فى الفصل الرابع من الكتاب ، فهى أكثر الفنون التى تأثرت بالصناعة العراقية والفن الذى ازدهر فى سامرا . وعالج فيها المؤلف مشكلة اختلف فيها العلماء وهى هل كان موطن هذه الزخارف ومكان نشأتها البلاد المصرية ، أم أن الزخارف الطولونية مأخوذة عن

الزخارف العراقية في سامرا ؟ ورأى المؤلف في الجمع بين الرأيين حلا لمشكلة ؛ وقد حاول الدكتور محمد حسن الزخارف إجلاء تحليلا دقيقاً ، لا نستطيع الا أن نحيل القارئ إلى ما كتبه عنها

ثم انتقل في كتابه إلى الفنون القديمة ، ومهد لها بكلمة جامعة قيمة . وأتى في الفصل الأول على تاريخ صناعة النسج في مصر وتطورها ، فاستعنى شيئاً فشيئاً عن الرسوم الآدمية والحيوانية التي كانت في الفن القبطي ، وقوى الميل إلى الزخارف المندسية ، كما لبثت الكتابة دوراً هاماً في هذه الصناعة . وكانت صناعة الحرير والقطن والكتان من الجودة بدرجة أن البابارة بين الكنائس والمساجد والأسواق الخارجية كانت تتزاحم للحصول على منسوجات مصر . ومع كل لم يطبع النسج بطابع إسلامي إلا ابتداء من العصر الفاطمي

ثم تكلم المؤلف عن الحفر على الخشب ، وأبواب استعماله في مختلف أنواع المباني والزخرف . ويمكن اعتبار أن هذا الفن بقي حافظاً للتقاليد القبطية زمناً طويلاً ، بدليل ما كان بعصر ابن طولون ، وأبان المؤلف ذلك كما أبان النزعة إلى الكتابة على الخشب في عهد ابن طولون . ثم عالج في اقتضاب تطور الخط العربي ، ورأى أن المناسبة حسنة لذلك

وانتهى من ذلك إلى الكلام عن الخزف ، ولو أن دراسة الخزف الاسلامي لا زالت صعبة المنال ، ولكن مما لا جدال فيه أن الخزف الاسلامي يمتاز بالجودة عن الخزف المصري في العهد القبطي فكان الخزف للعهد الطولوني يصنع من طينة رقيقة . ويمتاز بزخارف ذات بريق معدني ، ذي لون أصفر أو زيتوني على أرض بيضاء أو بيضاء مشوبة بالصفرة . وهذه الميزات نفسها نجدها في الخزف الذي عثر عليه في سامرا

ثم ختم أبحاثه ببحث عن التصوير طريف ، وفيه ذكر أن التصوير الذي ينسب إلى مدرسة بغداد كانت تمد سورية أو العراق أو إيران مصدره ، وان فن التصوير لم يزدهر إلا في تلك الأقاليم متأثراً بالتعاليم الفنية التي أخذها العرب عن المانويين واليعاقبة والصينيين . وظلوا لا يفكرون في مصر كمهد لمدرسة من مدارس التصوير الاسلامي حتى كان الاكتشاف المشهور في الفيوم ، ذلك الاكتشاف الذي أثبت وجود صور مصغرة إسلامية ترجع الى القرن التاسع والعاشر والحادي عشر . ولم يترك المؤلف هذا الفصل دون أن يعالج ما يسمونه تحريم التصوير في الاسلام ، وقد أجمل القول بأن نظرة في الكتاب الكريم ، وفي كتب التفسير ، وفي أسباب النزول كافية لأن تثبت أن هذا الزعم باطل لا أساس له وان كان مكروها

وعقد المؤلف للكتاب خاتمة ألم فيها بالصناعات التي عرفتها مصر في فجر الفنون الاسلامية ، وذكر في لمحات سريعة تطورها حتى نهاية العصر الطولوني ، وأشار الى أن رجال الفنون والصناعات في القرنين الأول والثاني بعد الهجرة ، كانوا من المصريين ، سواء في ذلك من اعتنق منهم الاسلام ومن ثبت على المسيحية

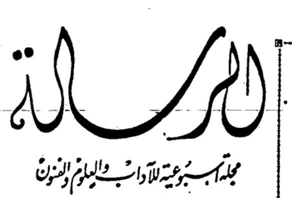
ولا شك في أن الدكتور زكي محمد حسن قد أحسن دراسة موضوعه وسار ببحثه سيراً هادئاً ؛ وكان قديراً في مناقشة حجج علماء الفنون الاسلامية ، وفي تدعيم آرائه بالبينة ، وليس ذلك بالأمر الصعب على مثله ، وقد راجع عشرات الكتب ، ومحص عديد التحف قبل أن يستقر على رأي يبديه في جملة متواضعة ، وفي أسلوب سهل رصين ، وكان موفقاً في تنسيق بحثه تنسيقاً محكماً حتى كاد يبدو تحفة في ذاته ، وساعده جمال الطبع والورق والتجليد على زيادة بهائه ورونقه ، وقد يهم القارئ أن يعرف أن المؤلف لم يترك كتاباً قرأه في ذلك البحث إلا وذكره ضمن مراجعه ، كما ذيل الكتاب بتراجم أهم الأسماء الواردة في الكتاب وكذلك ذيله بلوحات فتوغرافية غاية في الاتقان لايضاح ما تكلم عنه

ولسنا وحدنا الذين نثني على حضرة الدكتور زكي محمد حسن وعلى عمله وجهده هذا ، ولا عيب عليه سوى انه يتركك بعد قراءة هذا الكتاب ، أو قل دراسته ، تتلهف لقراءة المطولات من قلمه ؟

Lundi 24 2-1936

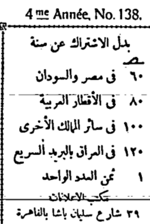
صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع البدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠




ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

4 me Année, No. 138.


بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العــــدد ١٣٨ « القاهرة فى يوم الاثنين أول ذى الحجة سنة ١٣٥٤ — ٢٤ فبراير سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــــدد



# مصر فى المعرض !

— ١ —

أليس من حسن توفيق الله أن يجلس المفاوض المصرى فى قصر الزعفران ، ومن ورائه مصر العالمة العاملة محشودة كلها بسودانها وصعيدها وريفها فى المعرض ! تشدد قوته بروح النهضة ، وتؤيد حجته بدليل الحس ، وتسند هيبته بروعة الواقع ؟

أليس من جميل عون الله أن يتألف من ذات مصر ومعناها على هذا النحو الذى تراه فى المعرض قياس عجيب الإنتاج ، وقصيد قدسى الإلهام ، وخطاب سحرى البيانِ ، ودفاع قوى الأثر ، فى الوقت الذى يرشّ فيه اللورد لويد عقاربه هنا وهناك ، يلسعون بالنمائم ، ويدبون بالأراجيف ، ويُقسّمون رأيهم فى الأمر على أن مصر بطبيعة ضعفها متخلفة لا تلحق وتابعة لا تستقل ؟ !

تعالوا يا طلائع الاستعمار ، وصنائع الامتيازات ، وثعالب الكرمة ! هــذه هى مصر الحقيقية قد عرضت عقلها ويدها فى ستين فداناً من الأرض لتيسّر لكم وسيلة الحكم ، وتقصّر عليكم مدى النظر ؛ فلطالما خدعكم عن حقيقتها مغرورٌ يريد الحكم ،

أو منهوم يرغب المال، أو محروم يطلب الوظيفة.

زوروا المعرض الزراعي الصناعي تجدوا مصر التي لا تقرأونها في صحيفة، ولا تسمعونها في خطبة، ولا تبصرونها في مظاهرة، ولا تقابلونها في ملهى، ولا تحادثونها في حزب! هي تجري مع الزمن في سكون، وتعمل مع الطبيعة في صمت، وتتشقق عن ثمار النبوغ كما تتشقق الأكمام عن أريج العطر في هدوء الفسق!

زوروا أيها المفاوضون عن الحليفة المتجنية معرض الجزيرة قبل أن تدخلوا سراي العباسية، تلمسوا في كل ناحية من نواحي النشاط الصناعي ألف دليل ودليلا على نضوجنا المدني؛ لأن الإنتاج الزراعي إذا رجع إلى عمل الله وفطرته، فإن الإنتاج الصناعي مرجعه إلى فكرة الإنسان وقدرته؛ وقد عدَوْنا ذلك الطور منذ سنين، وأصبحنا نتبرّق على الطبيعة، ونستخدم ثروة الارض، ونساهم بحذق في ترفيه الإنسان

***

بين الهرم والنيل شاهدي القرون وعيني الاسلاف، احتشدت مصر الحديثة حكومةً وأمة، تقدّم إلى أمسها الحساب الذي يبرئ الذمة، وإلى يومها العمل الذي يجدد الطريق، وإلى غدها الأمل الذي يحدد الغاية!

الزارع والصانع والتاجر والعالم والأديب والموظف قد أثبتوا بهذا العرض الموفق في إخلاص غير غالٍ ولا مفتعل، أن مصر التي تسير في مؤخرة الدول بسياسة الكلام، تجري في مقدمة الشعوب بسياسة العمل!

وذلالة ذلك أن بين الأمة وقادتها حجاباً من الجهل والعزلة لا ينفذ منه الشعاع، ولا تنعكس عليه الروح، ولا ترتسم فيه مقاييس التقدم! على أن أكثرنا لا يزيد علمه بهذا البلد المظلوم على علم هؤلاء القادة؛ فقد كنا نرى في المعروضات الأهلية والحكومية نفائس الصناعة ودقائق الفن، من ضروب اللباس والأثاث والآنية والزينة، فيداخلنا الشك في أنها مصرية! ولكنا نرى بجانبها الآلة تدور، والصانع يعمل، والمنتوج يخرج كالمعروض في دقته وأناقته، فيستولي على المرء شعور قوي غريب، فيه الخجل من سوء الظن، وفيه اللذة من دهشة المفاجأة، وفيه الاقتناع بصحة النهضة، وفيه الاطمئنان على سلامة الوطن. هذا الانتاج الفاخر هو الذي يقدمه إليك التاجر الأوربي في بيوت البيع الكبيرة بلسانه المعسول وغلافه المقبول وكذبه الواحدة وسِمَته المزورة، فتشتريه بالثمن الغالي على أنه وارد من وراء البحر، قد تجشم أكلاف النقل، وتكلف رسوم الجمرك، وتكبد أضرار الخسارة، وهو مصري اشتراه الأوربي بالذهن وباعه بالخديعة، وحرم الصانع المصري المسكين أجر العمل بسرقته القيمة، ومجد الصنعة بسرقته النسبة. وعلة ذلك كله أن المنتج المصري قد جعل الكذب جزءاً من رأس المال، وأن المستهلك المصري قد جعل المساومة شطراً من الثمن، فكان لابد من هذا الوسيط الأجنبي بينهما ليستر بخداعه كذب المنتج، ويبطل بمهارته مساومة المستهلك!

***

معرض هذا العام قطعة من الفن العجيب عملت فيها يدٌ صَناعٌ وفكرةٌ فنّانة؛ فالوزارات والمصالح تتقدمها وزارة المعارف ووزارة الزراعة من جهة، والشركات والجمعيات تتزعمها شركات بنك مصر والجمعية الزراعية من جهة أخرى، تضافرت كفاياتها وتسايرت رغباتها على تمثيل النشاط المصري هذا التمثيل الناطق الصادق المعبر، فلا تجد عملاً من أعمال اليد، ولا أثراً من آثار الذهن، إلا منظوماً بفن، ومعروضاً بذوق، ومشروحاً بخبرة، حتى أخلاق الموظفين والمنظمين والعارضين والمتفرجين — إذا استثنيت جزءاً من إدارة المعرض — تجري على هذا النسق البديع من الجمال والنظام والدقة! وسنقف بعد هذه النظرة الخاطفة والكلمة العجلى على كل قسم من أقسام المعرض فنستنبئه عن أمره، ونستكشفه عن سره، ثم نطالعك بما نلاحظ من أسبوع لأسبوع...

احمد حسن الزيات

# ٢ ـ الزاهـــدان

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

قال أحمد بن مسكين : وانتشر حديثُ السمكة فى أهل (بلخ) ، واستفاض بينهم ، وكنتُ قَصَصْتُه عليهم يوم السبت . فلما دار السبتُ من أسبوعه لقينى شيخهم حاتم ابن يوسف (لقمان الأمة) ومعه صاحبُه أبو تراب ، فقال : يا أحمد ! لكأنك فى هذه المدينة قمرٌ طالع ببلخ ، فلا يعظ الناسَ فى يوم السبت غيرك ؛ ومن سمع فكأنه عايَن ، وليس على ألسنة أهل بلخ منذ تحدثتَ إلا بِشْرٌ وابنُ حنبل ، ولا على بال أحد منهم إلا موعظتك وحديثك . والكلامُ عن الصالحين فى مثل ما وصفتَ وحكيتَ قُربٌ من حقائقهم ، وسموٌّ إلى معانيهم ؛ وليس فى القول بابٌ له موقع كموقع القصة عن هؤلاء الذين يخلقهم الله فى البشرية خلقَ النور ، يضيء ما حوله من حيث يُرى ، ويعمل فيما حوله من حيث لا يُرى ، وفى ظاهره الجمال والنعمة ، وفى باطنه القوةُ والحياة . ولست أقول لك اذهب فحدِّث الناس ، ولكنى أقول اذهب فأعط الناسَ عقلا من الحديث

قال ابن مسكين : فلما صلينا العصر قدمنى أبو تراب فجلست فى مجلسى ذاك ، وهتف بى الناسُ يريدون الحديث عن بشر الحافى وما سقط لى من أخباره على الطريقة التى حدثتهم بها من قبل ، فابتدأتُ بذكر موته رحمه الله وأن يومه كأنما اجتمع له أهل خمسٍ وسبعين سنة [1] ، إذ خرجت جنازته بعد صلاة الصبح فلم يحصل فى قبره إلا فى الليل مما احتشد فى طريقه من الخلق ، حتى لكأن فى نعشه سرا من أسرار الجنة فى هذا ، فخرجوا ينظرون اليه ، وكانوا يصيحون فى جنازته : هذا والله شرفُ الدنيا قبل شرف الآخرة

ثم قلت : حدثنى حسين المغازلى [2] أن بشراً رحمه الله كان لا يأكل إلا الخبز تورعاً عن الشبهات واكتفاء لضرورة الحياة بالأقل الأيسر ، وكان يقول فى ذلك : يدٌ أقصر من يد ، ولقمة أصغر من لقمة . وسئل مرة : بأىّ شىء تأكل الخبز ؟ فقال : أذكر العافيةَ فأجعلها إداماً . وقد أعانه على ذلك أنه لم يتزوج ، وكان يرى هذا نقصاً فى نفسه حتى فضّل الامام أحمد بن حنبل بأشياء منها أن له أهلا ؛ غير أنه قيل له ذات يوم : لو تزوجت تمّ نُسُكك ؛ فقال : أخاف أن تقوم الزوجةُ بحقى ولا أقوم بحقها ، فكانت هذه النية فى نفسه أفضل من زواجه

وكان مع هذا لا يؤاكل أحدا ولا يسعى إلى لقاء أحد حتى إنه لما رغب فى مؤاخاة الزاهد العظيم معروف الكرخى أرسل اليه الأسودَ بن سالم وكان صديقا لهما ، فقال لمعروف : إن بشر بن الحارث يريد مؤاخاتك وهو يستحى أن يشافهك بذلك ، وقد أرسلنى اليك يسألك أن تعقد له فيما بينه وبينك أخوة يحتسبها ويعتد بها ، إلا أنه يشترط فيها شروطاً : أولها أنه لا يحب أن يشتهر ذلك ، وثانيها ألا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقاة ؛ فقال معروف : أما أنا فاذا أحببتُ أحداً لم أحب أن أفارقه ليلا ولا نهاراً ، وأزوره فى كل وقت ، وأوثره على نفسى فى كل حال ؛ وأنا أعقد لبشر أخوةً بينى وبينه ولكنى أزوره متى أحببت ، وآمره بلقائى فى مواضع نلتقى فيها إذا هو كره زيارتى

قال حسين المغازلى : وكان هذا كله من أمر بشر معروفاً فى بغداد لا يجهله أحد من أهلها إذ لم يكن لبغداد إمام غيره وغير ابن حنبل ؛ فما كان أكثر عجبى حين كنت عنده يوماً وقد زاره فتح الموصلى ، فقام فجاء بدراهم ملء كفه ودفعها إلى وقال : اشترلنا أطيب ما تجد من الطعام ، وأطيب ما تجد من الحلوى ، وأطيب ما تجد من الطيب ؛ وما قال لى مثل ذلك قط ، وهو الذى رأى الفاكهة يوماً فقال : تركُ هذه عبادة ! وهو القائل لأبى نصر الصياد : لو أطعمنا أنفسَنا هذا ما خرجت السمكة [1]

---

(١) مات رحمه الله عن خمس وسبعين سنة

(٢) نسبة الى عمل المغازل ، وكان حسين هذا صديقاً لبشر ، وكان — بشر يعمل المغازل ويعيش من ثمنها ، ومن كلامه لابن أخته عمر : يا بنى اعمل بيدك فان أثره فى الكفين أحسن من أثر السجدة بين العينين . هكذا كانوا

(١) مر هذا فى مقال (السمكة) فى العدد الماضى من الرسالة

فذهبت فاشتريت وانتقيت وتخيّرت ، ثم وضعت الطعام بين أيديهما فرأيته يأكل معه وما رأيته أكل مع غيره ، ورأيته منبسطاً إليه وما لي عهد كان بانبساطه إلى أحد . وقد كنت أخبرته في ذلك النهار بخبر أحمد بن حنبل علمتُه من أدريس الحداد ؛ فإنه لما زالت المحنةُ بعد أن ضُرب بين يدي المعتصم وصُرف إلى بيته ، حُمل إليه مال كثير من سَرَوات بغداد وأهل الخير فيها ، فردَّ جميع ذلك ولم يقبل منه قليلا ولا كثيراً ، وهو محتاج إلى أيسره ، وإلى الأقل من أيسره ، وإلى الشيء من أقله ؛ فجعل عمُّه اسحق يحسبُ ما ورد في ذلك اليوم فكان خمسين ألف دينار ، فقال له الامام : يا عم أراك مشغولا بحساب ملا يفيدك . قال : قد رددت اليوم كذا وكذا ألفاً وأنت محتاج إلى حبة من دانق . فقال الامام : يا عم لو طلبناه لم يأتنا ، وإنما أتانا لما تركناه

***

قال المغَازلي : فنمت تلك الليلة وأنا أفكر في صنع الشيخ وقد تعلق خاطري به كيف انقلبت الحال معه ، وأيّ شيء هذه الحال ، وجعلت أكدُّ ذهني لأعرف الحقيقة العقلية التي سلّطت عليه هذه الضرورة فتسلط النعيم على نفسه ، وأنا أعلم أن للقوم علوماً روحانية ليست في الكتب ، فمنها ما لا يتعلمونه إلا من الفقر ، ومنها ما لا يتعلمونه إلا من البلاء ، ومنها ومنها ، ولكن ليس منها ما يتعلمونه من اللذات والشهوات ؛ وذهب قلبي إلى أوهام كثيرة ليس في جميعها طائل ولا بها معرفة ، حتى غلبتني عيناي وأنا من وهج الفكر نائمٌ كالمريض وقد ثقل رأسي واختلط فيه ما يُعقل بما لا يُعقل

فرأيت أول ما رأيت ملكا جباراً يحكم مدينة عظيمة وقد أطلق المنادي في جمع كل أطفال مدينته فجيء بهم من كل دار ، ثم رأيته قد جلس على سريره وفي يده مقراض عظيم قد اتخذه على هيئة نصلين عريضين لو وضعت بينهما رقبة لفصلاها عن جسمها ؛ فكان هذا الجبار يتناول الطفل من أولئك فيضع أصابع إحدى قدميه في شقّي المقراض فيقرضها فاذا هي تتناثر أسرع مما يقرض القَصُّ الخيط ، ثم يرمي بالطفل مغشياً عليه ويتناول غيره فيبتر أصابعه والأطفال يصرخون ؛ وأنا أرى كل ذلك ولا أملك إلا غيظي على هذا الجبار من حيث لا أستطيع أن أُمضيَ فيه هذا الغيظ فأقرضَ عنقه بمقراضه

ثم رأيته يأخذ طفلا صغيراً ، فلما جاءت قدم الطفل بين شقي المقراض صاح : يارب ، يا رب ! فاذا المقراض يلتوي فلا يصنع شيئاً وكأن فيه حجراً صَلداً لا قدماً رَخْصَة . فتميز الجبار من الغيظ وقال من هذا الطفل ؟ فسمعت هاتفاً يهتف : هذا بشر الحافي ! لا يبلغ تاج ملك في الأرض أن يكون لقدمه الحافية نعلا عند الله !

وكان إلى جنبي رجل يتنضو وجهه صلاحاً وتقوى ، فقلت له : من هذا الطاغية ؟ ولم اتخذ المقراض لأقدام الأطفال خاصة ؟

فقال : يا حسين ! ان هذا الجبار هو ذل العيش ، وهذا وسمُه لأهل الحياة على الأرض يحقق به في الانسان معنى البهيمة أولَ ما يدب على الأرض حتى كأنه ذو حافر لا ذو قدم

قلت : فما بال هذا الطفل لم يعمل فيه المقراض ؟

قال : إن لله عباداً استخصهم لنفسه ، أول علامته فيهم أن الذل تحت أقدامهم ، وهم يجيئون في هذه الحياة لاثبات القدرة الانسانية على حكم طبيعة الشهوات التي هي نفسها طبيعة الذل ؛ فاذا اطرح أحدهم الشهوات وزهد فيها ، واستقام على ذلك في عقد نية وقوة ارادة ، فليس ذلك بالزاهد كما يصفه الناس ، ولكنه رجل قوي اختارته القدرة ليحمل أسلحة النفس في معاركها الطاحنة ، كما يحمل البطل الأروع أسلحة الجسم في معاركه الدامية . هذا يُتعلم منه فن وذاك يُتعلم منه فن آخر ، وكلاهما يرمى به على الموت لايجاد النوع المستمر من الحياة ، فأول فضائله الشعورُ بالقوة ، وآخر فضائله ايجاد القوة

***

قال المغازلي : وضرب النوم على رأسي ضربة أخرى فاذا أنا في أرض خبيثة داخنة قد ارتفع لها دخان كثيف أسود يضطرب بعضه في بعض ، وجعلت أرى شعلاً حمراً تذهب وتجيء كأنها أجسام حية ، فوقع في وهمي أن هؤلاء هم الشياطينُ : ابليسُ

وجنودُه وسمعتُ صارخاً يقول : يا بشرى ! فلتبك السماءُ على الأرض ، لقد أكل بشر الحافى من أطيب الطعام وأطيب الحلوى بعد أن استوى عنده حجرها ومدَرُها ، وذهبُها وفضتها ! فعارضه صائح أسمع صوته ولا أرى شخصه : ويلك يازَلَنْبور (١) ! إن هذا شر علينا من عامة نُسكه وعبادته .

فهذا ويحك هو الزهدُ الأعلى الذى كان لا يطيقه بشر ؛ إنه إعناتٌ سلَّطه على نفسه ، فانى دقمتُ هـذا (المازنىّ) الأعمى القلب ليزين له ما فعل أحمد بن حنبل من رده خمسين ألف دينار على حاجته ، زهداً وورعاً وقوةَ عزم ونفاذَ إرادة ؛ وقلت عسى أن تتحرك فى نفسه شهوةُ الزهد فيحسدَ أو يغار ، أو تعجبه نفسه فيكون لى من ذلك لَمَّةٌ بقلبه فأوسوس له فانا نأتى هؤلاء من أبواب الثواب كما نأتى غيرهم من أبواب المعاصى ، ونتورَّع مع أهل الورع كما نتسخّف مع أهل السخف ؛ ولكن الرجل رجل وفيه حقيقةُ الزاهد ، فقد أعطى القوة على جعل شهوات نفسه أشخاصاً حية يعاديها ويقاتلها ، فاذا أنا جعلت شهوته فى اللذة قتل اللذة ، وإذا جعلتها فى الكآبة قتل الكآبة ، وليس الزاهد العابد هو الذى يتقشف ويتعفف ، ويتخفف ويتلفف ؛ فان كثيراً ما تكون هـذه هى أوصاف الذل والحمق ويكون لها عمل العبادة وفيها إثم المعصية ، ولكن الزاهد حقُّ الزاهد من أدار فى الأشياء عيناً قد تملت النظر بحقه والاغضاءَ بحقه ؛ فهذا لا يخطىء معنى الشر إن ألبسناه عليه فى صورة الخير ، ولا معنى الخير إن زوَّرناه فى صورة الشر ، وبذلك يضع نفســه فى حيث شاء من المنزلة ، لا فى حيث شاءت الدنيا أن تضعه من منازلها الدنيئة

وما أكلَ بشرٌ هـذه الطيبات إلا ليبادر بها وسوستى ويردّنى عن نفسه وعن اللّمة بقلبه ، فلو أنه أعجبه زهد ابن حنبل ونظر من ذلك إلى زهد نفسه لحبط أجره . فبهذه الطيبات عالج نفسه علاج مريض ، وقد غير على جوفه طعاما بطعام ، كما يبدّل على جلده ثوباً بثوب ، ولا شهوة للجلد فى أحدهما

* * *

قال المازنى : وثقل النوم علىّ ثَقلةً أخرى فرأيتنى فى واد عظيم وفى وسطه مثل الطَّود من الحجارة قد ركم بعضُها على بعض . ورأيتنى مع بشر أقصُّ عليه خبر احمد بن حنبل ؛ فقال انظر ويحك ؛ إن الناس يسمونها خمسين ألف دينار وهى هنا فى وادى الحقائق خمسون ألف حجر لو أصابت أحمد لقتلته ولكانت قبره آخرَ الدهر

إن المال يا بنى هو ما يعمله المال لا جوهره من الذهب والفضة ، فاذا كنت بمفازة ليس فيها من يبيعك شيئاً بذهبك فالتراب والذهب هناك سواء . والفضائل هى ذهب الآخرة ؛ فهنا تجدد بالمال دنياك التى لا تدق أكثر من بقائك ، وهناك تجدد بالفضائل نفسك التى تخلد بخلودها

ومعنى الغنى بمعنى ملتبسٌ على العقول الآدمية لاجتماع الشهوات فيه ، فحين ردّ احمد بن حنبل خمسين ألفاً ، يكون هذا الغنى قد صحح نفسه فى هذا العمل وجهاً من التصحيح

* * *

قال حسين المازنى : وغطّنى النوم فى أعماقه غطّةً أخرى فاذا أنا فى المسجد فى درس الامام احمد وهو يحدث بحديث النبي صلى الله عليه وسلم : إذا عظّمت أمتى الدينار والدرهم نُزع منها هيبةُ الاسلام ؛ وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حُرموا بركة الوحى . وهم أن يتكلم فى تفسيره (١) ولكنه رآنى فأمسك عنه وأقبل علىّ فقال : ياحسين ! إذا اجتزأ شيخك بالرغيف فهذا عنده هو قدر الضرورة ، فان أكل الطيبات فقد عرفت حالٌ جملت هذه الطيبات عنده هى قدر الضرورة . وفى هـذه النفوس السماوية لا يكون الجزء الأرضىُّ إلا محدودا ، فلا يكون محصوله إلا ما تُرى من قدر الضرورة

ولما صغُر الجزء الأرضى فى نفوس المسلمين الأولين ملكوا الأرض كلها بقوة الجزء السماوى فيها ، إذ كانت إرادتهم فوق الأطماع والشهوات ، وكانت بذلك لا تذل ولا تضعف ولا تنكسر ؛ فالآدمية كلها تنتهى إلى بعض صورهم هؤلاء الذين علَّمهم فى أعلاها

(١) هذا اسم بعض ولد ابليس فيما يروى ، وفى بعض النسخ التى بأيدينا انه خنزب لا زلنبور ... ...

(١) سيأتى تفسيره فى مجلس آخر من مجالس ابن مسكين

# أثر الحضارة الاسلامية
## فى الاحياء الأوربى
للأستاذ محمد عبد الله عنان

عصر الاحياء أو إحياء العلوم (١) من أعظم عصور التاريخ الأوربى ؛ وهو بلا ريب مطلع النور والعظمة فى حياة أوربا الحديثة وفى تكوينها السياسى والفكرى والاجتماعى ؛ وفى معترك الاحياء الساطع تذوب ظلمات العصور الوسطى التى خيمت على أوربا منذ سقوط الدولة الرومانية ، ويفتر ليلها الطويل عن حياة جديدة تسرى إلى جنبات القارة القديمة ، فتاتى من حولها غمر الماضى بقوة ، وتستقبل عصوراً جديدة من القوة والعظمة والسيادة فى جميع مناحى الحياة

وإنا لنشعر ونحن نستعرض تاريخ الأحياء أننا لا نتلو تاريخ أمم أو شعوب معينة ، وإنما نتلو صفحة من أنبل صفحات الانسانية تبهرنا بما حوت من المظاهر والمعانى السامية للعبقرية البشرية . ولقد كان تراث الأحياء وما زال تراث الانسانية كلها ، ذلك أن ثمرات التفكير البشرى هى ملك الانسانية فى كل زمان ومكان ؛ ولم يكن تاريخ الاحياء مدى قرن ونصف فى معظم الدول الأوربية سوى تاريخ العلوم والفنون والآداب التى تفتحت فى ذلك العصر كما تتفتح الأزهار ، والتى بثتها إلى ظلمات العصور الوسطى أرواح وأذهان وعقول ارتفعت فوق العصور والمجتمعات التى ازدهرت بها ، وسمت مبادئها ومثلها كما سمت بعبقريتها

ولقد كتب تاريخ الأحياء مدى القرون وما زال يكتب فى كل عصر ؛ ولكنه يتخذ دائماً طابعه القومى أو المحلى ، وقلما يكتب من الناحية الانسانية المحضة ؛ وإنك لتشعر حتى فيما يكتب عنه من الناحية الانسانية أن العوامل القومية والمحلية تتبوأ دائماً مكانها وتفشى فيه كل نزعة أخرى ؛ وكثيراً ما تساءلت وأنا أستعرض هذه الصفحة الباهرة من تاريخ الانسانية ، كيف يغفل مؤرخو الغرب حين يكتبون تاريخ الأحياء عن استعراض صفحة أخرى من تاريخ الانسانية لا تقل عن صفحة الأحياء قوة وجمالاً وروعة هى صفحة الحضارة العربية الاسلامية ، وما كان لها من أثر بارز فى بعث عصر الاحياء الأوربى ؟

والحقيقة أن هذه الناحية من تاريخ عصر الإحياء كثيراً ما تغمط حقها وتنكر علائقها وآثارها فى بعثه وتكوينه . بيد أنها تستحق منا نحن الذين يفهمونها ويقدرونها عناية خاصة ؛ وليس يكفى أن نكتب تاريخ الحضارة الاسلامية ، بل يجب أن نعالج آثارها فى تكوين مختلف المدنيات والحركات العقلية الأخرى ؛ ولقد كان الاحياء الأوربى حركة عقلية عظيمة ومطلع حضارة جديدة رائعة ، وكان لحضارة الغرب الاسلامى أثرها فى بعث هذه الحركة ، فمن واجبنا أن نستقصى هذا الأثر وأن نعرضه إلى جانب ما يعرض لنا من تطور حركة الاحياء الأوربى

ومن الصعب أن نحاول استعراض هذا الأثر فى مقال أو فصل ، ولكنا نحاول فقط أن نلم ببعض أطرافه العامة ؛ وأخص ما يبدو هذا الأثر فى النواحى الفكرية والاجتماعية من

(١) الرنيصانس Renaiseance

---

يا حسين ! ألا وإن ردَّ خمسين ألف دينار هو كذلك قدرُ الضرورة .

قال حسين : وذهبت أعترض على الامام بما كان فى نفسى من أن هذا المال وإن لم يكن من كسبه ، فقد كان يتحول فى يده عملا من أعمال الخير ؛ وأنسيتُ أن هذه الصدقات هى أوساخ الناس وأقذار نفوسهم ، فلم أكد أفتح فمى حتى رأيت الكلام يتحول طيناً فى فمى ليذكرنى بهذا المعنى ؛ وكدت أختنق فانتفضتُ أنتفس فطار النومُ والحلمُ

( طنطا ) مصطفى صادق الرافعى

الى التلميذ العاشق : يابنى ان التلميذ الذى يعشق ويذهب يسأل عن الحب — إما أن يكون فاجرا فهو فى لعنة الله والملائكة ؛ وإما أن يكون خائبا فهو فى لعنة أبيه وأمه ، وإما أن يكون مهملا فهو فى لعنة الكتب والكراريس ...... وان استشارنى زدته لعنتى أنا أيضا

الرافعى

عصر الأحياء ؛ ونلاحظ أن طوالع الأحياء ظهرت بادىء بدء في إيطاليا وبدت في الشعر بوجه خاص، وحمل لواءها الأول شعراء عظام مثل دانتي وبترارك، حاولوا أن يعيدوا مجد الشعر الروماني القديم؛ ولم تكن هذه النهضة الشعرية الرائعة رغم اتجاهها إلى مثل ڤرجيل عميد الشعر الروماني خالية من تأثير المثل الشعرية في غرب أوربا. ذلك أن النهضة الشعرية التي أزهرت قبل ذلك بنحو قرن في بروڤانس (جنوب فرنسا) والتي كانت حركة «التروبادور» الأدبية في الشعر والقصص من أقوى مظاهرها، كانت قد أحدثت آثارها في الحركة الأدبية في شمال إيطاليا حيث بزغ فجر الأحياء؛ ولم يكن شعر دانتي بعيداً عن التأثر بعوامل الشعر البروڤنسي ووحيه، بل لم يكن أسلوب دانتي نفسه بعيداً عن التأثر بالأساليب البروڤنسية؛ ويرى علماء اللغة فوق ذلك أن اللغة الإيطالية الحديثة والتي وضعت أسسها في عصر الاحياء قد تأثرت في تكوينها إلى حد كبير بالروح والتراكيب البروڤنسية القديمة؛ ويشيد دانتي نفسه في بعض قصائده الكبرى بعبقرية زعماء الشعر البروڤنسي ومثلهم الشعرية، ويرى في تيبول ملك ناڤار مثلا أعلى للشاعر؛ فهذه الظواهر والعوامل كلها تدلل على آثار النهضة الشعرية الغربية في شعر الأحياء

هذا ومن جهة أخرى فقد كان الشعر البروڤنسي ذاته عرضة لمؤثرات قوية، من الجنوب فيما وراء البرنيه. وكانت الحضارة الاسلامية في الأندلس تنفث آثارها منذ القرن التاسع في شمال اسبانيا وفي غاليس (جنوب فرنسا)، وكان أثرها بالأخص قوياً واضحاً في بروڤانس التي كانت مركز الحركة الأدبية في الجنوب منذ القرن العاشر؛ وكانت بروڤانس ذاتها مدى حين مستقراً لبعض المستعمرات العربية الغازية التي حملت إلى تلك الأنحاء كثيراً من التقاليد والمؤثرات الاسلامية، ولا سيا في شعر الفروسة، بل لقد سرت هذه التقاليد والمؤثرات إلى الحركات الفكرية والأدبية في أنكبرديه (لومباردي)؛ فليس غريباً أن نستخلص من تفاعل هذه المؤثرات والعوامل كلها أن شعر الأحياء لم يكن في بدايته بعيداً عن التأثر بمؤثرات الحضارة الاسلامية ومؤثرات الشعر الأندلسي عن طريق الشعر البروڤنسي

ومما يبعث حقاً الى الدهشة أن نجد شبهاً عجيباً في الموضوع والخيال والتصوير بين «جحيم دانتي» وهي أعظم وأروع آثاره وبين أثر عربي أقدم هو رسالة الغفران للشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعري، مما قد يحمل البعض على الظن بأن دانتي قد وقف بطريقة من الطرق على موضوع رسالة الغفران، وقد كتبت قبل عصره بأكثر من قرنين، ومع أن هذا الرأي لم يؤيد بصفة علمية واضحة، الا أنه مما يلاحظ في تأييده أن كثيراً من علوم العرب وآثارهم العلمية والعربية كانت معروفة في شمال إيطاليا عن طريق البندقية منذ القرن العاشر الميلادي

هذا ونستطيع من الناحية العلمية العامة أن نقول أيضاً إن بعث الأحياء الأوربي لم يكن بعيداً عن التأثر بمؤثرات العلوم الاسلامية؛ فنحن نعرف أن الأندلس كانت منذ القرن التاسع الميلادي نبراس الغرب كله في العلوم، ونعرف أن مدارس قرطبة واشبيلية وغرناطة كانت فيما بعد كعبة الطلاب من سائر أنحاء أوربا، وأن النهضة العلمية في أوربا بدأت قبل عصر الاحياء على يد جماعة من الرهبان النصارى الذين تلقوا العلوم في مدارس الأندلس مثل جربرت الراهب الفرنسي الذي ارتقى عرش البابوية فيما بعد باسم سلڤستر الثاني (سنة ٩٩٩ م) وآبيار وهو أيضاً راهب فرنسي تفقه في الفلسفة والعلوم المعاصرة وطار صيته في أوائل القرن الثاني عشر؛ وكان أعظم ما يتلقى الرهبان العلماء – وهم يومئذ دعاة العلم في الغرب الأوربي – الفلسفة اليونانية عن طريق العلماء والفلاسفة المسلمين، ولاسيما ابن رشد الأندلسي الذي كان أول من عرف العالم الغربي بالفلسفة الارسطوطالية، وقد ترجمت شروحه المعتمدة من الفلسفة الارسطوطالية في المنطق وما وراء الطبيعة الى اللاتينية منذ القرن الثاني عشر، وكانت أساساً لكثير من المباحث الفلسفية التي ازدهرت أيام الأحياء الأوربي في شمال ايطاليا، بل يرى مؤرخو الفلسفة أن الفلسفة الجدلية الأوربية استمدت من العرب والفلسفة العربية أكثر مما استمدت من قسطنطينية التي كانت مستودعاً لتراث المدنية اليونانية؛ وليس من ريب في أن جهود العرب في ميدان الكيمياء والطب كانت أكبر مستقى للغرب في هذا الميدان؛

فقد كانت الكيمياء العلمية علما عربيا محضا ، وقد بلغت ذروة ازدهارها في العصور الوسطى في معامل قرطبة واشبيلية وغرناطة ، وكان أطباء الأندلس أساتذة الطب في أوربا كلها ، واليهم كان يهرع الطلاب من سائر الأمم الشمالية ؛ وكانت مدرسة سالرنو الطبية في جنوب ايطاليا تقوم على تراث الحضارة الاسلامية التي سادت صقلية وجنوب إيطاليا زهاء قرنين ؛ وكانت آثار الطب العربي تبدو في هذا الميدان بصورة قوية بارزة ؛ ويمكن أن يقال مثل ذلك عن بعض العلوم الأخرى مثل الفلك والرياضيات ، وقد بلغت أيضا في الأندلس شأوا عظيما

والخلاصة أن آثار الحضارة والعلوم الاسلامية في بناء النهضة العلمية الأوربية واضحة لا يمكن انكارها ؛ واذا استثنينا ميدان الفنون في نهضة الأحياء ، فانه يصعب علينا أن نتصور ناحية من نواحي هذه النهضة الفكرية الرائعة ؛ سواء في العلوم أو الآداب تبعد كل البعد عن التأثر بعبقرية التفكير الاسلامي ، سواء مباشرة أو بواسطة عوامل أخرى . بيد أنه مما يؤسف له أن هذه الناحية لا تلقى في المباحث الغربية ما يجدر بها من الشرح والتقدير ؛ ويلاحظ أن مؤرخ الاحياء الأوربي يكاد يغفلها بصفة مطلقة ، هذا في حين أن مؤرخ العصور الوسطى لا يستطيع أن يغفلها

ولكن معظم مفكري الغرب ومؤرخيه ما زالوا ينظرون الى تاريخ العرب والاسلام والحضارة الاسلامية ومؤثراتها نظرة خاصة قلما تنجو من مؤثرات الدين والقومية ، بل لقد درج فريق منهم على اعتبار العرب ضمن القبائل والأجناس البربرية التي حطمت صرح الدولة الرومانية ، واعتبار الغزوات الاسلامية لجنوب أوربا كوارث دينية وقومية ؛ ومازالت المباحث التاريخية تبالغ في تقدير مؤثرات الحضارة الرومانية في أمم العصور الوسطى وتنثرها دائما عاملا حاسما في كل تطور فكري أو اجتماعي ، هذا بينا نراها تغفل تقدير الحضارة الاسلامية ومؤثراتها ؛ ويلوح لنا أن الوقت قد حان لنعمل من جانبنا على تصحيح هذا الموقف ، ورفع هذا الاجحاف الذي يلحق بتراث المدنية الاسلامية في أوربا ، والتنويه بما لهذا التراث من الآثار الخاصة في المدنية الأوربية بوجه عام ، وبما له من آثار خاصة في معظم الحركات الفكرية التي قامت في أوربا خلال العصور الوسطى

بيد أنه من الانصاف أيضا أن نقول إننا نلمح في بعض المباحث الغربية المستنيرة أثر هذا التطور في فهم المهام الانسانية التي أدتها الفتوحات الاسلامية في العصور الوسطى ، وفي تقدير التراث العظيم الذي خلفته الحضارة الاسلامية ، وما كان لها من آثار خطيرة حاسمة في تطور الحركات العقلية والاجتماعية في تلك العصور ؛ ومن الحق أن نقول إن بحوث أولئك العلماء المستنيرين قد رفعت كثيرا من الحيف والاجحاف والريب التي لحقت ذكريات العرب والاسلام في أوربا من جراء الصور والروايات الخاطئة المغرضة التي ما زالت تقدم منذ أحقاب عن العرب والاسلام الى المجتمع الأوربي الحديث

محمد عبد الله عنان

الفردوس الإسلامي المفقود

# تحت قناطر جامع قرطبة

للشاعر الألماني هنري هين

( مهداة إلى الأستاذ الزيات )

ترجمة الأستاذ معروف الأرناءوط

محرر فتى العرب ومؤلف سيد قريش

« . . . أيتها القبة الرفيعة المنار ، لقد ظللت في الماضي بيت الله . . . » « هنري هين »

أرأيت يا سيدي السائح إلى مسجد قرطبة الجامع ! أرأيت إلى تلك العُمُدِ المرمرية وقد نهضت على قبابٍ فيحاءَ واسعة الأرجاء ؟

أرأيت إلى مغاني الفنّ العربيّ وقد راحت تطفو على القباب والحنايا والقناطر ؟ أرأيت إلى سُوَرٍ من القرآن كيف أذابها الذكاء في شتى الألوان ؟

في سبيل الله ، وفي سبيل مجده الذي لا يَبْلَى قام هذا الصرحُ المُشمَخِرّ ثم تَنَكَّرَ الزمن وجَهُمَتْ نواحيه ، فتنكرت الأشياء وجهمت المشاهد ، وأرعد في الأفق الذي تسرب إليه صوت المؤذن حلواً صافياً ، صوتُ النواقيس ، وقام الرهبان يدعون في أغانيهم الشجية الكئيبة إلى المسيح في محراب كان إلى الأمس مزهواً بالمؤمنين ، وامتلأت السُّوح بالدُّمى والتماثيل ، وتقاصرت ظلال الشمس أمام أنوار شاحبة تريقها الشموع والمصابيح !

***

وقف « المنصور بن أبي عبد الله » في مسجد قرطبة تحت القبة المرمرية وهو يحدّق في العُمُد والحنايا هادئاً ناعم الجأش ، ثم مضى يتخافت بصوته :

« أيتها القبة الرفيعة المنار ، لقد ظللت في الماضي بيت الله ، ثم عدت اليك فرأيتك تظللين بيتاً غريباً ، ثم أصغيت اليك ، فاذا بك ترددين صلاة ما كانت لتُنَاسِبك الأوان !

لقد هَدْهَدَ الزمن حماسك ، وأطفأ كبرياءك ، فجمدت على خطبك الكريه ، وصبرت لبؤسك الأليم ، ولكن نفسي وقد صاغها الله من معْدِنٍ ضعيف ما زالت — وارحمتاه لها — ملتاعةً أسوانة حتى أعجزها اليأس عن الصبر فما عادت تطيق شجنها الجاهد ! »

***

وانثني الفتى العربيُّ إلى الماء المقدّس يمسح به رأسه ويغسل جبينه ، ثم جفا المسجد وراح إلى فرسه فنهض على ذؤابته فانطلق به يعدُو في الطريق ، وأخذ الهواء المستفيض في الأفق يعبَثُ بغدائره المُرْسَلة ويلاعب ريش قبعته المطرَّزة !

أشرف الفارس العربيُّ على طريق القلعة حيث تجرى أمواه الوادي الكبير متطامنةً هادئةً ، فبدت له الخضرة والرياحين والأعناب وشجر اللوز الباسق المهدّل وأزهار البرتقال الكاسية الضافية فلذّ الغناء فغنّى ، وراجت نغماته العذاب تختلط بأغاني الطيور !

وإنه لكذلك إذا قصر القلعة يلوح له عن بعد ، فطفر إليه مستروحاً إلى غناء رقيق يستفيض من حواشيه !

في هذا القصر عزلات هانئة آوت إليها « كلارا الفاريس » وهي فتاة طفّارة وثّابة فارق أبوها مَنْفاه إلى أرض « النافار » فاستَنْدَى الفَرَحَ في المرح والأهواء خلال غيبته عن القصر !

وقف المنصور بن أبي عبد الله في ناحيةٍ دانيةٍ من القصر وطفق يُصْغِي إلى عَزيفٍ لذّ هادئ ، وقد بَهَرَتْهُ الأنوار وأشجته الأعراف ، فَتَمايَدَ من الطرب ، وأمّ ناحية القصر يريد التوغّل في جَنّته بين ورده وأقحوانه !

وكان القصر يمج بالحسان والفرسان ، فزرف المنصور إليه فاذا هو بين الراقصين والراقصات والمغنّين والمغنيات ، ثم عاد ينظر إلى نفسه فاذا هو أملح فرسان هذه الليلة الساهرة شباباً وأعذبهم حديثاً ، بل لقد كان أمضاهم في الاغراء والاستهواء !

ولما استوثق من فتون عينيه ، مضى إلى هذه الأسراب الناعمة الطفّارة ، يحدث غانية عن حُبٍّ أجَنّهُ في قلبه وحَرَصَ الأيذيعه إلاّ على مِسْمع منها ، حتى إذا أمله العبث والمجون ، طفر إلى غانية أخرى فاحتبسها بين ذراعين محمومتين مشبوبتين ، ثم شمر بالليل فارتدّ عنها إلى ثالثة يعانقها ويخاصرها تحت قباب من المرمر ، ثم جفاها إلى أختها ملولا من هوى شديد التقلب !

وكان يمضي إلى حسناء من حسان القصر فيسألها إن كانت

عنه راضية ، وبه ناعمة ، ثم يومض بيديه وعينيه إلى صليب من الذهب يخطف بريقه على صدره ، ويقسم للكاعب اللعوب أن مكانها من صدره مكان هذا الصليب ! وأنه لنصرانيتـه على وفاء غريب !

* * *

سكن القصر ، فسكنت فيه اللذات والأهواء ، وانطفأت تحت قبابه الأنوار والأضواء ، وانقلب الفرسان إلى مضاجعهم صرعى هوى وصهباء ، وخلا القصر إلا من ربته الحسناء ، وفارسها العربي ذى البهاء ، وإلا من شموع ضعيفة السنا والسناء !

جلست الحسناء الاسبانية إلى فراش ناعم وثير ، والفتى العربي جاثم على ركبتى الحبيبة ، صريع سهد وأرق ، يريد عينيه على إغفاءة لذيذة فتملس هـــذه الاغفاءة اللذيذة من عينيه الضحوكين !

وإنه لسادر فى حمى شديدة من أرق شديد ، إذا تلك الحسناء اللعوب تريق على غدائره ماء الورد من قوارير حفت بالعجب ، وازينت بالذهب ، وهى بعد منزوفة سكرى من الحب والطرب ، لقد كانت تفعل ذلك سادرة حيرى ، والفتى العربي غريق هواجس وأحلام ، وشهيد ذكريات وأوهام ، وكان صدره يلوح لها معتدماً مشبوباً تمزقه الزفرات ، وتقطعه الآهات !

ثم ابتعث الحب فى قلبها سكراً فسلبها صحواً ، فأقبلت إلى فتاها تسى ، وراحت تلثم شفتيه وقد عادتا كاللظى ، وهو فى سبحه غريق حب وهوى

وحدقت إليـه مبهوتة واجمة ، فرأت على جبينه وقد عاد مسفوعاً مقروراً غمامة بلون الدجى ! فشجيت حتى لقد هدها الشجى ، وبكت وانصب دمعها على جفنيه فاستفاق راعشاً من هذا الندى !

لقد هزته وهو يحلم ! بل لقد كان يحلم ! وقد رأى فى حلمه القصير كأنه لا يزال فى مسجد قرطبة الجامع ، وخيل إليـه أنه لا يبرح يطوف بالماء المقدس يغسل به جبينه كأنه عريق فى النصرانية وأشجاه هذا الذى تمثل ورأى ، وشعر بأن جوانب المعبد تميد ميداً ، وأن ألوف الأصوات أخذت تطفو على نفسه فلا يستطيع لها رداً !

ثم خيل إليه أنه يسمع قعقعة العمد ، وصليل القباب وهى تنهار ، كأن مسجد قرطبة الجامع قد عاف عيشه الخابى ، فتداعى مغيظاً محنقاً

وتمثل الناس والرهبان وآلهة النصرانيـة وقد طوتهم الأنقاض ، فاستفاق راعشاً ، وانطلق يعدو فى القفر البعيـد النواحى شاجناً ناشجاً ، وقد خلف حبه فى القصر يائساً

معروف الأرناؤوط

## مشروع علمى جليل : سلسلة المعارف العامة

اعتزمت لجنـة التأليف والترجمة والنشر اخراج كتب لطيفة الحجم يتناول كل كتاب منها موضوعاً خاصاً علمياً أو أدبياً ؛ وترمى بذلك إلى تكوين سلسلة تشمل جميع النظريات الحديثة فى الجغرافيا والتاريخ والفلسفة والتربيـة والطبيعة والـكيمياء وغير ذلك ؛ وقد سلكت فى ذلك طرقاً مختلفة ، فأحياناً تترجم كتباً أجنبية إذا رأتها صالحة كل الصلاحية ، وأحياناً تؤلف فى الموضوع بما يتفق وذوق الجمهور العربي

وقد بدأت هذا الشهر فى اخراج أربعة كتب :

(الأول) عرض تاريخى للفلسفة والعلم تأليف ا . وولف وترجمة الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف ، وهو كما يدل عليه اسمه نظرة عامة فى تاريخ الفلسفة والعلم من بدء نشأتهما إلى الآن . وثمنه ٦ قروش صاغ

(الثانى) الآراء الحديثـة فى علم الجغرافيا تأليف ل . ددلى ستامب وتعريب الأستاذ أحمد محمد العدوى مدرس الجغرافيا بالجامعة المصرية . وثمنه ٦ قروش صاغ

(الثالث) سكان هـــذا الـكوكب تأليف الدكتور محمد عوض أستاذ الجغرافيا فى الجامعة المصرية يبحث فى سكان الـكرة الأرضية من بنى الانسان من حيث نشأة النوع البشرى وتعدد الأجناس ونمو السكان وتوزيعهم على سطح الأرض مع دراسة تفصيلية لحالة السكان ومشاكلهم فى مختلف الأقطار . وثمنه ١٢ قرشاً صاغاً

(الرابع) كتاب « البراجماتزم » أو الفلسفة الأمريكية تأليف الأستاذ يعقوب فام . وثمنه ١٢ قرشاً صاغاً

# قصة المكروب

## كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكى
وكيل كلية العلوم

## بستور Pasteur والكلب المسعور

### وصل الفائت

لم يستطع بستور رؤية مكروب داء الكلب لصغره. ومع هذا رباه فى مخ الأرانب فتربى . وذلك بأن حقن لعاب كلب مسعور فى أرنب ، ثم أخذ نخاع هذا الأرنب فحقنه فى مخ كلب فمات . فعلم بذلك أن مخ الأرنب ونخاعه غذاء طيب يتربى المكروب عليه . واتجه مع أعوانه الشباب إلى تأنيس المكروب ليصنعوا منه لقاحاً ففشلوا ، ويئس الأعوان الشباب ، أما بستور الشيخ العاجز فلم تضعف عزيمته ولا قل رجاؤه

قال الشابان : « إنه يا أستاذنا لا فائدة من كل هذا » ، وأشارا بأيديهما فى تخاذل إلى الأقفاص بحيواناتها الشلاء ، وإلى ركام الأنابيب والقوارير

فصوّب الشيخ عينه فيهما تصويباً شديداً ، وعلته جهمة خالا معها أن شعره الأشيب المخيف تصلّب واستقام ، وصاح فيهما : « أعيدا هذه التجربة نفسها مرة أخرى ، ولو أنها خابت آخر مرة . قد تتراءى لكما الحماقة فى الذى أقول ، ولكن الشيء المهمّ الآن أن تظلا غامرين أيديكما فى الموضوع الذى أنتما فيه فلا تنسلاها منه فتنفضّاعنه » . هكذا أنّب بستور تلميذيه اللذين أسلما له من أمرهما المقاد ، وهكذا ظل ينخّسهما حتى يعيدا مرة بعد أخرى تجارب لا أمل فيها ولا رجاء . فهذا كان دأبه دائماً : تُعْوِزه الحجةُ ، ويصرخ المنطق والحقائق غاضبة فى وجهه ، ومع هذا يتشبّث بالتجربة المقيمة ، ويتغافل جنوناً عن وحى الرأى العادىّ السليم ، ولكنه تشبثٌ وتغافلٌ يُفضيان أحياناً من طريق الخيبة إلى النجاح المأمول

لكأنى بك تسألنى لِمَ كان عقيماً محاولةُ تأنيس مكروب الكَلَب هذا ؟ ولِمَ وجبت إضاعة الرجاء فى ترويضه ؟ أوَجَبَ ذلك يا سيدى أن تاريخ الانسان كله لم يذكر حالة واحدة أصيب فيها انسان أو حيوان بهذا الداء ثم اشتفى . إن هى إلا أعراضه تظهر على المريض ، وتبلغ جرثومة الداء إلى نخاعه ومخه ، حتى يضيع فيه الرجاء . وأىّ جرثومة فتاكة فتالة ! وهذه الجرثومة يا سيدى هى التى حملها بستور وأصحابه عارية على أطراف مشارطهم تكاد تهمّ أن تسقط بالبلاء عليهم . هذه الجرثومة هى التى مصّها بستور وأعوانه فى أنابيب الزجاج حتى بلغت إلى شفاههم إلاّ بوصةً واحدة ، وإلاّ قطعة من القطن فصلت بينها وبين أفواههم

وفى ظلمة اليأس الذى هم فيه أشرقت بارقة من الأمل ؛ وفى صموت الكآبة التى هم فيها سمعوا نغمة موسيقية حلوة بعثت فيهم الرجاء . ذلك أنهم ذات يوم وجدوا كلباً من الكلاب التى حُقنت بالمادة الوبيئة شُفى بأعجوبة بعد أن ظهرت عليه أعراض الداء من ارتماد وعواء ، وبعد أسابيع قاموا فى لهفة إلى هذا الكلب ، وهو أول مشتف من هذا الداء ، فحقنوا الوباء فى مخه حقناً ، ولكن ما أسرع ما اندمل جرح رأسه ! وتربّص بستور به الموت ، ولكن الموت لم يأته ، وظل أشهراً يلعب ناشطاً فى قفصه وقد تمّت حصانته كل التمام

قال بستور لرجاله : « الآن انفتح لنا ما استغلق ، وعلمنا أن لنا أملاً فى النجاح . . . إن الحيوان إذا جاءه داء الكَلَب ثم اشتفى منه فلن يعود اليه هذا الداء من بعد ذلك . . . فلم يبق علينا إلا أن نجد طريقة لاضعاف الجرثومة وتأنيسها » . وأمّن رجاله على ما يقول وفى قلوبهم أن لا سبيل إلى تأنيس هذه الجرثومة أبداً

وأخذ بستور فى اختراع تجارب مما لا يستطيعها الجنّ بَلْهَ البشر ، وانتثرت على مكتبه تخطيطات عدّة منها كأنها الخط الهيروغليفى ، وكانت تجتمع عنده فى صباح اليوم نتائج تجارب الأمس فيدعو اليه فى الساعة الحادية عشرة صباحاً عَوْنيه رو وشمبرلاند ، فيقرأ عليهما خطة جامعة أخرى يختطّها ليصل بها تحسّساً فى الظلام إلى هذه الجرثومة التى لا تُرى ولا تُنال رجاء أن يُضعفها ـ خطةً تأخذ بأصبعه إلى باطن الأرض فتحط به على رأس الجرثومة حطاً

كان يقول لهما بستور : « جرّبا هذه التجربة اليوم »
فيقولان له فى اعتراض : « ولكن هذا غير ممكن عملاً »
فيقول بستور : « ومع ذلك أجْرياها ، أجرياها بالطريقة

التي تتراءى لكما بشريطة أن تخفساها »

كان مَثَل بستور في ذلك مثل بيتهوفن Beethoven ، يضمّن سمفونيّاته الموسيقية دوراً لا يلعبه إلا البوق وهو ليس عنده ، ولكنه لا يلبث بعد خلق الدور أن يخلق بوّاقاً . كذلك كان بستور في تلك الأيام يَفتنّ في التجارب افتناناً ، ثم بعد ذلك يجد من ذكاء هونيه وحرصهما ضميناً لإنجاحها

وأخيراً اهتدوا إلى طريقة لتأنيس جرثومة الكَلَب ، وذلك بأن استخرجوا قطعة من نخاع أرنب مات من الداء ، ثم علقوها مدة أربعة عشر يوماً في قارورة لا تدخلها جراثيم الهواء ، فلما جفّت وانضمرت حقنوها في أمخاخ كلاب سليمة فإذا هذه الكلاب لا تموت !

قال بستور : « مات الجرثوم ! أو خير من ذلك أضعف إضعافاً كبيراً » ، وتلك النتيجة الأخيرة نطّ إليها بستور نطاً بلا سبب مقبول ولا مبرر معقول . قال : « والآن فلنجفّف قطعاً أخرى من النخاع الوبيء اثني عشر يوماً ، ثم أخرى عشرة أيام ، فأخرى ثمانية ثم ستة ، ثم نرى أنستطيع بهذه القطع أن نعطي كلابنا قليلاً من الدّاء . . . إذن والله لتحصّنتْ منه »

وأخذوا جميعاً في سبيل هذه التجربة الخالبة ، ومضت أربعة عشر يوماً ذرَع فيها بستور أرضَ المعمل رائحاً غادياً بين القوارير والجامات والأقفاص المنثورة فيه ، وعبّس وتسخّط ، وخطّ في كراسته الشهيرة ماشاء له الخاطران يخُطّ ؛ وفي اليوم الأول حُقنت كلابٌ بالنخاع الوبيء الذي جُفف أربعة عشر يوماً ، وفي اليوم الثاني حُقنت بالنخاع الأقوى وباء ، ذلك الذي جُفف في القارورة ثلاثة عشر يوماً ، وهكذا إلى اليوم الرابع عشر وفيه حقنت الكلاب بالنخاع الذي جُفّف يوماً واحداً ، وبه وباء لا شك يقتل الكلاب لو أنها فوجئت به لأول مرة

وظلوا جميعاً يتنظّرون هذه الكلاب أياما شابت فيها رؤوسهم ، ولكنّ شيئاً من داء الكلب لم يظهر عليها أبداً . فانبسطت أسارير هذه الأغوال الثلاثة التي قامت تحارب الموت فتكشر له كما كشر . حقنوا في الكلاب أربع عشرة حقنة وبيئة فلم يصبها من الضرر قليل أو كثير . ولكن هل هي حقاً تحصّنت من الداء ؟

وخشي بستور ألا تكون ، فأجفل من ذكرى ضياع كل هذه الأعوام في عمل غير نافع . ولكأنّي بك تسمعه يقول لنفسه : « أنا اليوم شيخ عاجز ، والأيام تجيء فلا تزيدني إلا عجزا ... » ، وكان لابد من إجراء التجربة الفاصلة الأخيرة . وكان لابد لبستور أن يتجلّد على إجرائها مهما كانت عاقبتها . كان لابد له أن يعلم أتحتمل هذه الكلاب بعد كل الذي جرى لها حقنة قوية غير مُضعَفة من التي تحقن في الكلاب المائة السليمة فتقتل منها المائة

وذات يوم ثقب رو في رأس كلبين من هذه الكلاب ثقباً حقن فيه وباء قوياً لم يُضعف . وفعل مثل ذلك في كلبين سليمين لم يُحقنا بحقنة أبدا

وبعد شهر أيقن بستور وأصحابه أن النصر أتاهم أخيرا بعد عمل ثلاث سنين . فالكلبان اللذان كانا حقنا أربع عشرة مرة ظلا يجريان في قفصهما ويلعبان ولم يتوعكا أصلا ، أما الكلبان الآخران اللذان لم يتحصّنا فنبحا آخر نباح وماتا من الداء

إن بستور له شخصيتان ، فهو مخلّص الأرواح ومحيّاتها في آن ، وهما شخصيتان دائما متنازعتان ، ودائما تجور أولاهما على أخراهما . لذلك ما كاد يطمئن إلى النتيجة العلمية التي خرج عليها من هذه الكلاب ، حتى دارت رأسه بالخطط الكثيرة يرسمها ليمحو بها داء الكلب من على ظهر هذه البسيطة . فكانت له في ذلك مئات المشروعات كلها سخيفة ، دار منها في عالم أدكن من الخيال ، وسلك فيها من الفكر سُبُلا كثر ضبابها واشتد ، فلم يستطع رو وشمبرلاند أن يخترقاه فضلا فيه وضلّت فيه زوجه كذلك . وكان ذلك عام ١٨٨٤ ، وفي هذا العام نسي بستور مما هو فيه عيد زواجه ، فأساء هذا النسيان إلى زوجه ، وهي التي عانت في حياتها ما عانت ، فكتبت إلى ابنتها تشكو : « إن أباك غارق في أفكاره ؛ وهو قليل الكلام ، قليل النوم ، وهو يستيقظ مع الفجر ؛ واختصارا هو يجري في هذا اليوم على نفس الأسلوب الذي جرى عليه منذ التقت حياتانا من خمس وثلاثين سنة كاملة »

ومن تلك الخطط الجامعة أنه رأى أن يحقن هذا المكروب المُضعَف في كل كلاب فرنسا في دفعة نابليونيّة واحدة . قال للبيطار الشهير نوكار Nocard : « يجب أن نذكر أن الانسان لا يصاب بداء الكلب أبدا إلا إذا هو عضّه كلب مكلوب

فاذا نحن محونا هذا الداء من الكلاب محوا كاملا . . . » فضحك توكار من قوله وهزّ رأسه إنكارا ، ثم قال له : « إن في باريس وحدها مائة ألف من كلاب وجراء . وفي فرنسا مليونان ونصف مليون منها ، فاذا أنت أردت أن تحقنها كلها دفعة واحدة ، وأن تحقن كلا منها أربع عشرة حقنة في أربعة عشر يوما ، فمن أين لك بالرجال ؟ ومن أين لك بالزمان ؟ ومن أين لك يا عزيزي الأفخم بهذا العدد من الأرانب ؟ بل من أين نأتي بأمخمة وبيئة تصنع منها ألف لماح فحسب ؟

وأخيراً حالت على بستور فكرة بسيطة أخرجته من ورطته . قال لنفسه : « ليست الكلاب هي التي نعطيها الألقحة ، بل الرجال التي عضتها الكلاب . ألا ما أحصرني ! ألا ما أيسر ! يعض الكلب المسعور رجلا فلايختمر الداء فيه ولا تظهر أعراضه عليه إلا بعد أسابيع . . . إن الجرثومة إذن تستغرق كل هذه الأسابيع لتصل من مكان العضة الى مخ الرجل . . . إذن نحن نستطيع في هذه الفترة أن نحقن في الرجل حقناتنا الأربع عشرة وبذلك نحميه من المرض قبل اختماره . » وما أسرع ما دعا اليه رو وشمبرلاند وقاموا بتجربة هذا الرأي في الكلاب أولا

فوضعوا كلابا مريضة في أقفاص واحدة مع أخرى سليمة فعضتها . كذلك جاء رو بكلاب أخرى سليمة وحقنها بحقنة قاتلة من نخاع أرنب وبيء ، ثم جاءوا بجميع هذه الكلاب ، المعضوضة والمحقونة بالوباء ، تلك الكلاب التي لاشك هي لاقية حتفها إذا تُركت لشأنها ، فحقنوها جميعاً بالألقحة المحصّنة الضعيفة فالأقل ضعفا حتى استتمت أربع عشرة لكل منها ، فما الذي كان ؟ كان الفوز كل الفوز ، فكل مخلوق من تلك الخلائق صدّ عن نفسه في استكمال وخفاء هجمة هذا الوباء . وبستور الذي عانى من ألقحة الجرة الذي عانى ، صاح يدعو الى تأليف لجنة من خير رجال الطب في فرنسا تقوم بامتحان تجاربه والحكم لها أو عليها . وجاء حكم اللجنة فاذا به يقول : « إن الكلب إذا حُصّن بأمخمة الأرانب الوبيئة التي ماتت من هذا الداء ، بأن يحقن بالتدرج بضعيف الوباء فالأقل منه ضعفا ، فهذا الكلب لا يأتيه الكَلَب أبدا »

فتساقطت الرسائل على بستور من كل صوب ، رسائل هالعة من كتب وتلغرافات جاءت تنصب عليه انصبابا من أطباء مداوين ، ومن آباء جازعين ، وأمهات راجفات يطلبن الغياث لأطفال لهن عضتها كلاب مسعورة . حتى امبراطور البرازيل العظيم تنازل من عليائه فكتب الى بستور سائلا راجيا

ولن أحدثك كثيرا عن همّ بستور في تلك الأيام ، وزاد همّه ذكرُ ما كان قاساه من لماح الجدرة . وشتان ما بين الجدرة والكَلَب . ففي الجدرة إذا زادت قوة اللقاح عن القدر المقدور ماتت شياه من جراء ذلك . أما هنا في الكَلَب فخطأ في التقدير يفضي الى ضياع أرواح البرايا من رجال وأطفال . . . لم يقع أحد من صيادي المكروبات في حيرة مثل هذه ، ولم تقع عليه مسئولية كتلك . . قال بستور لنفسه : « لم يمت كلب من كلابي بسبب لقاحي أبدا . والذي عضّ منها حُقن بهذا اللقاح احتمى من الداء احتماء كاملا . فلا شك أن الذي حدث في الكلاب يحدث في الانسان .... ولكن .... »

ومرة أخرى عاود الأرق هذا البحّاثة المسكين من أجل أنه كشف كشفاً بلغ من الابداع مبلغا بعيدا . فكان يرقد على ظهره في سريره وينظر في كُتَل الظلام التي فوقه فيرى فيها خيالات من أطفال تصرخ في طلب الماء لحلوق جافة مختنقة بالداء ، أول شيء يأباه وتخافه هو هذا الماء ، ويخال أنه هو الذي جاءها بداء الكَلَب بسبب خطأ في لقاحه فيُجفل من تلك الخيالات إجفالا

ومرّت به ساعة عاوده فيها حب البالغات على نحو ما يجرى على المسارح من المفاجآت ، فأراد أن يكون بطل الدرامة ، فكتب الى صديقه القديم فرسيل Jules Vercel يقول : « أميل كثيراً إلى أن أبدأ بنفسي فأحقنها بهذا المكروب القاتل ثم أدعه فله بلقاحي ، فقد والله بدأت أحس في قلبي الثقة بنتائجه »

ولكن رحمة الله به ساقت اليه أخيراً من حلّ في التجربة محلّه فوقته شر ما اعتزم عليه في أمر نفسه : جاءته امرأة من الألزاس تسعى اليه دامعة العين ، ودخلت معمله تجر وراءها ولداً لها اسمه يوسف في التاسعة من عمره جرحه كلب مسعور في أمسه الأول أربعة عشر جرحاً ، وكان ينشج بالبكاء ، وقد ملأه الرعب وارتعدت فرائصه فلم يكد يستطيع سيراً

صاحت الأم راجية : « سيدي بستور ، أنقذ ولدي ! »

فسألها بستور أن تعود اليه في مساء اليوم ، وقام هو لزيارة طبيبين يدعى أحدهما فلبيان Vulpian ويدعى الآخر جرانشيه

Grancher ، وكانا من أحبابه ونُصرائه ، وكانا في معمله فرأيا فيه كيف استطاع أن يخلص الكلاب من بلواها بعد أن عضتها كلاب مسعورة عضاً شديداً ، وفي المساء ذهبا معه إلى الطفل فلما رأى فلبيان جروحه غائرة متقيحة ألحّ على بستور أن يقوم بتلقيحه توا . قال : « قم يا رجل وابدأ علاجك ، فإنك إن لم تفعل مات هذا الغلام لا محالة »

وفي هذه الليلة ، الليلة السادسة من يوليو عام ١٨٨٥ ، حُقنت أول حقنة من لقاح الكَلَب في آدمي ، وقضى الطفل أربعة عشر يوماً أخذ فيها أربع عشرة حقنة من إبرة تحت الجلد فلم يصبه سوء ، ثم عاد إلى الالزاس فلم يأته بعد ذلك عرض من أعراض هذا الداء المخوف أبداً

في العدد القادم : آخر مقال عن بستور

أحمد زكي

أندلسيات :

# ابن بسام صاحب الذخيرة والشاعر أبو مروان الطُّبْني

للأستاذ عبد الرحمن البرقوقي

وما دمنا قد ترجمنا للفتح بن خاقان صاحب مطمح الأنفس وقلائد العقيان ، وقد بان لك من هذه الترجمة أن ابن بسام كان معاصراً للفتح ، وأنهما يتشابهان من وجوه شتى إن لم يكن منها إلا أنهما كليهما تصديا للكلام على أدباء عصرهما وشعرائه لكفى ؛ نقول ما دام الأمر كذلك كان جميلا بنا أن نردف ترجمة الفتح بترجمة ضريبه ابن بسام ....

وسيمر بك قريباً ما نتعرف به سبب ذكرنا الشاعر أبا مروان الطُّبْني مع ابن بسام في ترجمة واحدة ....

« ثم وأما بعد » فإنا إلى هذه اللحظة التي نترجم فيها لابن بسام لم نعثر لأحد على ترجمة قد عقدها له وأفردها للقول عليه ، وإن كان مؤرخو الأندلس وغير مؤرخي الأندلس كثيراً ما ينقلون عن هذا الأديب كعمدة لهم ، وثبت فيما يعالجون من تاريخ أدباء الأندلس ، حتى أن المقري ذكره في نحو من أربعين موضعاً من نفح الطيب ولم يفرد له على ذلك ترجمة ، وكذلك كثيراً ما ينقل عنه ابن خلكان وغير ابن خلكان ....

ومن غريب الأمر في هذا الباب ، ومن سوء حظ هذا الأديب ، بل من تخبط الناس في أمره ، أنك ترى النسخ المخطوطة للذخيرة في دار الكتب سواء أكانت المكتوبة بخط مغربي أم المنقولة عنها بخط مصري قد غُمّ على نساخها وشبه لهم ، واختلط الليل بالنهار ، فظنوا أن صاحب الذخيرة هو ابن بسام المعروف بالبَسَّامي الشاعر الهجاء البغدادي المتوفى سنة ثلاث وثلثمائة ، ونقلوا ترجمة هذا الشاعر من ابن خلكان كما هي وألصقوها بصاحب الذخيرة ، وصدق فيهم بهذا التخبط الغريب قول عمر بن أبي ربيعة :

أيها المنكح الثريا سهيلاً    عَمْرَكَ الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت    وسهيل إذا استقل يمان

وأقْعَدُ من هذا في باب التخبط والتخليط أن خطبة الذخيرة الحقيقية كما سيمر بك (١) . . وقد مر على واضعي فهرس دار الكتب هذا التخليط فلم يتفطنوا إليه ، وظنوه صحيحاً ، وقالوا إن الذخيرة هي لابن بسام المعروف بالبسامي الشاعر الخ الخ ونقلوا نتفاً من هذه الخطبة المفتعلة ، وإن كان لهم في هذا الصنيع كلّ المعذرة . . . « وبعد » فإنا على هذا كله سنقدم إليك صورة وإن مُصَغَّرةً لهذا الأديب الأندلسي العظيم لقد التقطنا أجزاءها من ههنا وههنا

***

أزلفنا في ترجمة الفتح أن أبا الحسن علي بن بسام صاحب الذخيرة كان في زمن الملثمين — يوسف بن تاشفين وأولاده — وزيدنا أن حياته امتدت إلى أيام أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي رأس دولة الموحدين الذين أديل لهم من الملثمين وآضوا بذلك ملوك المغرب والأندلس ، إذ جاء في نفح الطيب (٢) ما نصه : « وتأخرت وفاته — أي وفاة ابن بسام — إلى سنة ٥٤٢ » ويبدو من هذا أن ابن بسام عاش بعد الفتح بن خاقان نحواً من سبعة عشر عاماً . . .

***

ولد ابن بسام في شنترين وهي بلدة من الكُوَر الغربية البحرية من أعمال بطليوس ، ومن ثم يقال له الشَّنْتريني ، ومن مؤرخي الأندلس من يقول الشَّنْتَمَري نسبة إلى بلدة

(١) وسيمر بك أيضاً أن المفتعل هو جانب من هذه الخطبة وهو شطرها الأول   (٢) ج ٢ ص ٣٠٩ طبع أوربة

بالأندلس فى الشمال الشرقى لقرطبة يقال لها شَنْتَ مَرِيّه [١] (أى مريم المقدسة) ، وفى هذه البلدة يقول الأديب النحوى أبو محمد بن السيد البطليوسى :

تنكرت الدنيا لنا بعد بُعدكم
وحفَّت بنا من معضل الخطب ألوان
أناخت بنا فى أرض شَنْتَ مَرِيَّة
هواجس ظن خان والظنُّ خَوّان
رحلنا سَوامَ الحمد عنها لغيرها
فلا ماؤها صدًّا ولا النبتُ سعدان [٢]

ولم يحدثنا المؤرخون عن مولده ونشأته ، ولا عن مشيخته وكيف تعلم ، فلا علينا إذا نحن تخطينا هذا واكتفينا بالكلام عليه من ناحية منزلته الأدبية وإيراد شيء من منظومه ومنثوره والقول على أثره الخالد كتاب الذخيرة ...

كان أبو الحسن على بن بسام صاحب الذخيرة أديبا كاتبا شاعرا ، وكان المنثور أغلب عليه من المنظوم ، مثله فى ذلك مثل الفتح ، فكان منثوره فائقا بارعاً جيلا وإن كان يغلب عليه السجع كسائر معاصريه ، أما شعره فقد كان دون نثره . ومما عثرنا عليه من شعره أبيات أوردها العالم الأديب أبو الوليد اسماعيل بن محمد الشقندى الأندلسى المتوفى سنة ٦٢٩ فى رسالته البديعة التى يفضل فيها الأندلس وأهل الأندلس على بر العُدوه — مراكش — وأهل بر العدوه ، قال الشقندى : وهل منكم من يقول مناديا لنديمه ، وقد باكر روضا بمحبوب وكأس ، فألفاه قد غطى محاسنه ضباب تخاف أن يكسل نديمه عن الوصول إذا رأى ذلك وهو أبو الحسن بن بسام :

ألا بادر فلا ثان سوى ما — عهدت الكأس والبدر التمام
ولا تكسل برؤيته ضبابا — تغص به الحديقة والمدام
فان الروض ملتثم إلى أن — توافيه فينحط اللثام

وجاء فى نفح الطيب ما نصه : « وقال أبو الحسن على بن بسام صاحب الذخيرة ، وشهرته تغنى عن ذكره ، ونظمه دون نثره ، يخاطب أبا بكر بن عبد العزيز :

أبا بكر الجتبىَ للأدب — وفيع العماد قريع الحسب
أيلحن فيك الزمان الخؤون — ويُعرب عنك لسان العرب
وان لم يكن أفقُنا واحدا — فينظمنا شمل هذا الأدب

أَصَدَّقْتَ أن منظومه دون منثوره ؛ إذن لا تتوهم من ابن بسام الأديب الكاتب شعراً من النسق الأعلى ، وهكذا شأن أكثر الكتاب كما نبهنا إلى ذلك فى كلامنا على الفتح بن خاقان ؛ وكذلك ترى أكثر الشعراء الفحول لا يجيدون المنثور ، وأظنك لا تجهل ما أورده العلامة ابن خلدون فى مقدمته شرحاً لهذه الظاهرة : ويبدو لنا ان لابن بسام شعرا كثيرا فى أكثر أبواب الشعر لم يتيسر لنا الوقوف عليه ، يدل على ذلك تلك الأبيات التى يقولها الشاعر الوشاح الأندلسى أبو بكر بن عبادة القزّاز فى ابن بسام وهى :

يا منيفاً على السماكين سامى — حزت خصل السباق عن بسام
إن تحك مدحة فأنت زهير — أو تشبب فعروة بن حزام
أو تبا كر صيد المها فابن حجر [١] — أو تبكى الديار فابن خذام [٢]
أو تذم الزمان وهو حقيق — فأبو الطيب البعيد المرامى

وعلى هذا فلنضرب عن ابن بسام الشاعر ، ولنعرض لابن بسام الكاتب ولأثره الفذ الخالد كتاب الذخيرة . . .

***

نقول إن ابن بسام يمتاز من الفتح بأشياء : أهمها أنك لا ترى فى أسلوبه ذلك التَقَعّر وتلك الطنطنة التى تراها فى أسلوب الفتح ، وإنما ترى أسلوباً هادئا متزنا رصينا جميلا ؛ . وأنك ترى ابن بسام ناقدا بارعا كثيرا ما يُعقّب على ما يختار تعقيبا يدل على تمكنه ورسوخه فى الأدب ، ومن ثم كان أكثر من الفتح تقييدا ، وعلما مفيدا ، . . وأنك تراه أعفّ لسانا ، وأنزه بيانا من الفتح ، فلا ترى منه ذلك الإقذاع الذى تراه من الفتح . واليك نموذجا من تراجمه هو مصداق لما نقول ، وهو ترجمته للشاعر الأندلسى أبى مروان عبد الملك بن زيادة الله الطُبْنى [٣]

(يتبع) — عبد الرحمن البرقوقى

---

(١) Saint merry (٢) صداء بئر ليس عند العرب ماء أعذب من مائها . وفى المثل ماء ولا كصداء ، والسعدان نبت ينبت فى سهول الأرض من أطيب مراعى الابل وفى المثل مرعى ولا كالسعدان

(١) هو امرؤ القيس (٢) شاعر جاهلى قديم قال امرؤ القيس
عوجا على الطلل المحيل لعلنا — نبكى الديار كما بكى ابن خذام

(٣) الطبنى نسبة الى طبنة . قال ياقوت : بلدة فى طرف أفريقية مما يلى المغرب على ضفة الزاب فتحها موسى بن نصير . . الى أن قال وينسب اليها أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبني شاعر أديب لغوى الخ

قصة واقعة :

# أعرابي في حمام ...

## للأستاذ علي الطنطاوي

صحبنا في رحلتنا البرية إلى الحجاز ، دليل شيخ من أعراب نجد ، يقال له « صَلْبيّ » ما رأيت أعرابياً مثله ، قوة جنان ، وفصاحة لسان ؛ ولولا مكان النبرة البدوية من لسانه ، لقلت قد انصرف الساعة من سوق عكاظ لبيان لهجته ، وقوة عارضته ، وكثرة ما يدور على لسانه من الفصيح . . . وكان أبيّ النفس ، أشم المعطس ، عالي الهمة ، كريم الطباع ، لكن فيه جفوة الأعرابي . . .

رافقنا أياماً وليالي ، فما شمنا خلة من خلال الخير إلا وجدناها فيه : كان يواسينا إذا أصبنا ، ويؤثرنا إذا أضقنا ، ويحمينا إذا هوجمنا ، ويحرسنا إذا نمنا ، ويقنع إذا قسمنا ، ويشكر إذا أعطينا ، ويصبر إذا منعنا ، ويعذر إذا اعتذرنا ، ويعفو اذا أسأنا ، ويلين إذا اشتددنا ، ولا يشتدّ إذا لنّا . . . على خفة روح ، وسرعة جواب ، ونكتة حاضرة ، وشجاعة نادرة . . . قلنا له مرة :

ـ إن « صلبة » في عرب اليوم ، « كباهلة » في عرب الأمس ، قبيلة لئيمة خسيسة ، يأنف الكرام من الانتساب اليها ، وأنت فيما علمنا سيد كريم ، من سادة كرام ، وليس لك في هذه القبيلة نسب ، فما بالك تدعى « صلبي » ولا تغضب ؟

ـ فقال : صدقتم وشهد ما أنا من « صلبة » ولا « صلبة » مني ، وإني لكريم العمّ والخال ، ولكن لهذا الاسم قصة أنا قاصّها عليكم .

ـ قلنا له : هات

ـ قال : كان أبواى مُشْكلَيْن لا يعيش لهما ولد ، فلما رزقا بي تاسع تسعة ماتوا جميعاً ، وأعجزتهما الحيلة ، احتسبا عند الله مصيبتهما بذل الاسم ، وسمياني صلبيّ

ـ قلنا : أَبِن سمياك صلبي عشت ؟

ـ قال : نعم ! إن عزرائيل أكرم من أن يقبض روح صلبي ؟ وأرفع من أن يمسه بيد . . .

ـ وسألناه مرة : هل أنت متزوج يا صلبي ؟

ـ قال : لقد كنت متزوجاً بشرّ امرأة تزوجها رجل ، فما زلت أحسن اليها وتسيء إليّ حتى ضقت باحتمالها ذرعاً ، فطلقتها ثلاثاً وثلاثين

ـ قلنا : إنها تبين منك بثلاث ، فلم الثلاثون ؟

ـ قال : صدقة مني على الأزواج المساكين الذين لا يجدون ما يطلقون . . .

وطال بنا الطريق إلى تبوك ، وكاد ينفد ما كان معنا من ماء ، وخشي القوم الموت ، فأقبلوا كلهم على صلبي ، يتذمرون من بُعد تبوك وطول الطريق ، فتركهم حتى إذا نفض كلّ جعبته ، قال لهم ضاحكاً :

منكم الحق ، إنها بعيدة ، ولكني أقسم لكم بالله إني لم أضعها أنا هناك . . . وليس لي في بعدها يدان

ولم يكن صلبيّ يعرف المدن الكبيرة ، ولم يفارق الصحراء قط إلا إلى حاضرة تبوك ( وتبوك قرية فيها ستون بيتاً . . . ) فلما بلغنا ـ قافلين ـ مشارف الشام ، أغريناه بدخول المدينة ، وجعلنا نصف له الشام : رياضها وأنهارها ، وعظمها وعمرانها ، فيأبى ؛ وكنت صفيّه من القوم وخليله ونجيّه ، فجعلت أحاوله وأداوره وبذلت في ذلك الجهد ، فلم أصنع معه شيئاً ، لما استقر في نفسه من كراهية المدن وسوء الظن بأهلها ... فتركناه مرغمين ، وودعناه آسفين !

***

وعدت إلى دمشق ، فانغمست في لجة الحياة ، وغصت فيها إلى أذنيّ ، ونسيت صلبيّ وصحبته ، وكدت أنسى الصحراء وأيامها ؛ ومرّت على ذلك شهور . . . وكان أمس ، فلمحت في « باب الجابية » وسط الزحام الهائل وجهاً أعرفه ، فذهبت أنظر اليه ، فاذا هو وجه صلبي بعينه وأنفه . . . فأقبلت عليه مسروراً :

ـ صلبي . . . هذا أنت ؟

ـ قال : لا صلبي ولا صلبي . . .

ـ قلت : لم ويحك ؟

ـ قال أنا في طلبك منذ ثلاث ، ثم لا تأتي إليّ

ـ فقلت له ضاحكا : وأيّ ثلاث ، وأي أربع ، وأي

خمس ؟ أتحسبها تبوك فيها ثلثمائة انسان ؟ إنها دمشق يا صاحبي فيها ثلثمائة ألف نسمة ، فأين تجدني بين ثلثمائة ألف ؟ . . .

قال : صدقت والله !

وأخذت بيده فاستخرجته من هذه الزحمة ، وملت به إلى ندىّ (مقهى) قريب ، فجلسنا فيه ودعوت له بالقهوة العربية والشاهي فسر وانطلق يحدثني ، فقال :

لما فارقتكم ورجعت أسير في هذه البادية وحيداً ، شعرت بالوحشة وحننت إلى هذه الأيام التي قضيتها معكم ، فاستعبرت وجعلت ألوم نفسي وأقول : يا نفس ما كان ضرك لو أجبت القوم ووردت الشام فرأيت ما لم ترى ؟ ... وانصرفت إلى أهلي ، فلبثت فيهم شهراً ، ثم دعاني الأمير فارتحلت اليه ، فاذا عنده رهط من أهل الحضر يريدون دليلا ، فسرت معهم أدلهم حتى بلغت بهم مشارف الشام ، فدعوني وألحوا عليّ فاستجبت لهم فدخلوا بي دمشق ...

فلما بلغنا « الميدان » وصرنا بين البيوت ، رأيت سيارة كسياراتكم تلك ، لكنها أكبر وأضخم ، ولها نوافذ وفيها غرف ، وقد خطوا لها خطين من حديد فهي تمشي عليهما ، فقال صاحبي : هذا هو الترام ، فتعال نركب فيه

قلت : لا والله ما أحب أن أركبه

فزينوه لي وحببوه إليّ ، حتى استحييت منهم لطول ما يسألونني وآبى ، فدخلت ويدي على خنجري إن رأيت من أحد ما أكره وجأته به ، وعيني إلى النافذة إن رابني أمر قفزت إلى الطريق ، وجلست حذراً ، فما راعني إلا رجل بثياب عجيبة ، قد شق إزاره شقاً منكراً ، ثم خاطه حول فخذيه ، وارتدى برداء ضيق ، قد عمد اليه فصفف في صدره مرايا صغيرة من النحاس ما رأيت أعجب منها ، فبدا كأنه قرد ... ولم أدر ما هو ، ثم رجع إليّ ما عزب من عقلي ، فقلت رومي مجنون من هؤلاء الروم الذين يحكمون الشام ، وخفت إن أنا لنت له أن يسطو عليّ ، فسللت خنجري لأغمده في صدره إذا هو انتهى اليّ ، فقام إليّ صاحبي يقول :

— مالك يا سلمي ، ماذا عراك ؟

— قلت : ألا ترى الرومي المجنون ؟

— قال : أيّ روميّ يا سلمي ؟ وأيّ مجنون ؟

— قلت : هذا ؟ أما تراه ؟

— قال : هذا جابي الترام

— قلت : جبـّك الله ! !

وسكت فقد أقبل هذا القرد على صاحبي ، فمد اليه يداً كأنها حجر الرحى ، فوضع فيها من جُبنه قرشين ، فأعطاه بهما فتاتة ورق فما رأيت ولله صفقة أخسر منها ، وعجبت من صاحبي إذ يشتري بقرشين اثنين ورقة ما تصلح لشيء ، ولكني جلست صامتاً ، وما هي إلا هنيهة أخرى حتى أقبل علينا رجل كالأول ، رومي خبيث ، إلا أنه أجمل ثياباً وأحسن بزة ، فأخذ هذه الأوراق فمزقها ... فثارت ثائرتي وقلت : هذا والله الذل ، يقبح الله عربياً يقيم على الضيم ، ويرضى أن يسام الخسف ... وقمت اليه فَلَبَّبْتُه وقلت له : يا ابن الصانعة ... أتعمد إلى شيء اشتريناه بأموالنا ، ودفعنا فيه قروشنا فتمزقه ، والله لأمزقنّ جلدة وجهك ....

وحسبت صاحبي سيدركه من الغضب لكرامته ، والدفاع عن حقه مثل ما أدركني ، فاذا هو يضحك ، واذا الناس يضحكون لما يرون مني ، لأن عمل هذا الرجل - فيما زعموا - تمزيق أوراق الناس التي اشتروها بأموالهم !

ولما نزلنا من هذه الآفة ، قال لي صاحبي :

— هلم الى الحمام ؟

— قلت : مالي وللحمام ؟

— قال : تغتسل وتلقي عنك أدران السفر

— قلت : إن كان هذا هو الحمام ، فمالي بالحمام من حاجة ، حسبي هذا النهر أغطس فيه وأغتسل

— قال : هيهات ... إن الحمام لا يعدله شيء ، أو ما سمعت أن الحمام نعيم الدنيا ؟

— قلت لا والله . ما سمعت :

— قال : إذن تسمع وترى . وأخذني فأدخلني داراً فوراء في وسطها بركة يتدفق منها الماء فيذهب صعداً كأنه عمود من البلور ، ثم ينثني ويتكسر ويهبط وله بريق ولمعان : صنعة ما حسبت أن يكون مثلها إلا في الجنان . وعلى أطراف الدار دكك كثيرة مفروشة بالزرابي والأرائك والمتكآت كأنما هي خباء الأمير . فلم نكد نتوسطها حتى وثب الينا أهلوها وثبة رجل

واحد يصيحون علينا صياحاً غريباً ، ويصرخون صراخ من به مسٌّ ، فأدركت أنها مكيدة مدبرة ، فانتضيت خنجري وصحت بهم : مكانكم ، فوالله لا يدنو مني رجل إلا قطعت رقبته . . . فأحجموا ، وعجبوا ورعبوا ، فقال صاحبي : إنه يمزح . ومال عليَّ يعاتبني عتاباً شديداً ، فقلت : أفلا ترى صنيعهم بنا ، أفنحب أن ندعهم حتى يأخذونا ، قال إنهم يرحبون بنا ، ويسلمون علينا لا يريدون حرباً ولا قتالا

فصدقته وأغمدت الخنجر ، وظن القوم أنه المزاح ، فعادوا إلى حركتهم وضجتهم ، يدورون حولنا بقباقيبهم العالية ، ويجيئون ويذهبون ، وأنا لا أدري ما هم صانعون ، حتى قادونا إلى دكة من هذه الدكك ، وجاءوا ينزعون عنا ثيابنا ، فتحققت أنها المكيدة وأنهم سيسلبونني خنجري حتى يهون عليهم ، فقد عجزوا أن ينالوني وبيدي الخنجر فأبيت وهممت بالخروج . فجعل صاحبي يكلمني ويحلف لي ، حتى أجبت واستسلمت ، والموت أهون عليَّ من أن أنزل عن سلاحي ، وأسلمتهم سلبي حتى يسلبوني ، ولكنها المدينة دار الذل والمهانة ، وليست بالصحراء ، ولو أني لقيتهم في الصحراء لجعلتهم طعمة الوحش والطير ... حتى إذا تمَّ أمر الله ولم يبق عليَّ إلا الازار ، أرادوا نزعه عني ، فقلت : أما من مسلم في هذا البلد ؟ أما من عربيٍّ ؟ أتكشف العورات فلا يغير أحد ، ولا يغضب إنسان ؟

فهدأني صاحبي ، وقال : أفتغتسل وأنت متزر ؟

قلت : أمن اللهِ نظافة الجسم إذا كانت لا تأتي إلا مع نجاسة النفس ، ويحك أتراني أضيع ديني وشرفي وأتكشف بعد هذه الشيبة ، وتذهب عني في العرب ، فتكون فضيحة الدنيا والآخرة ؟

قال : ومن أنبأك أنك ستتكشف ؟ هلا انتظرت ؟

ودعا غلاماً من أغلمة الحمام فقام دوني يسترني ، ستره الله ، حتى خلعت إزاري واتزرت بازار أبيض أعطونيه ... وكان صاحبي قد تعرى كما تعريت فأخذ بيدي فأدخلني إلى باطن الحمام ، فاذا غرف وسطها غرف ، وساحات تفضي إلى ساحات ، ومداخل ومخارج ملتوية معوجة يضل فيها الخريت ، وهي مظلمة كالقبر ، قد انعقدت فوقه قباب فيها قوارير من زجاج ، تضيء كأنها النجوم في الليلة الداجية ، وفي باطن الحمام أناس جالسون إلى أجران ضخمة من الصخر ، عري لا يسترهم شيء ، فعلمت أنهم من الجن . وتعوذت بالله من الشيطان الرجيم ، وجعلت ألتمس آية الكرسي فلا أجدها ، فأيقنت لما نسيتها أن جنياً منهم لا بدَّ راكبي ، وجعلت أبكي على هذه الشيبة أن تكون سخرية صبيان المدن ... وإني لكذلك وإذا بالخبيث يعود إليَّ يريد أن ينزع عني هذا الازار الذي كسانيه ... فقلت : ويل أمهاتكم ! ما ألأمكم ! أتأخذون ثيابي وسلاحي ، ثم تضنون علي بثوب يسترني ؟ الرحمة يا مسلمون ، الشفقة يا مؤمنون ! أأفتضح في الانس والجن ؟

ووثب الجن علي وأحدقوا بي وهم عري ، فَقَفَّ والله شعر بدني ، وامتلأت فزعاً ؛ فقال صاحبي وهو يضحك : أعطهم الازار ، لقد أضحكت الناس علينا

قلت : ويحك ، وهل أبقى عريان ؟ قال : لا ، سنعطيك غيره . إن هذا جديد يفسده الماء

فاستخذيت وأطعت ، وما خوفي إلا من هؤلاء الجن أن ينفخ على أحدهم فيحرقني ، أو يدفعني دفعة فيلقيني وراء جبل قاف !

ودخلت إلى مقصورة من هذه المقاصير ، فجلست الى الجرن حزيناً كئيباً لا أعلم ماذا يجري عليَّ ؛ فبينا أنا على تلك الحال — وإذا بجني غار كأنه قفص عظام ، له لحية كشوك السعدان — وددت أنها عشاء لجملي . . . وقد تأبط ليفاً غليظاً — يا شر ما تأبط ! — وحمل ماعوناً كبيراً يفور فوراناً فتشهدت واستغفرت وعلمت أنه السم ، وأنه سيتناثر منه لحمي — وقصد الجنيّ إليَّ — فجعلت أفر منه ، وأتوثب من جانب الى جانب ، كأنني دجاجة تفر من سكين الجزار وهو يلحق بي ضاحكاً ، ويعجب من فعلي ويظن أني ألاعبه وأداعبه ، وصاحبي يقسم لي أنه الصابون .

— قلت : وما الصابون لا أمَّ لك — أمصابون أنتم في عقولكم ؟ هذا هو السم ، لقد عرفته . . .

— قال : لا وأبيك إنه الصابون ، ولا ينظف شيء مثله .

— قلت : ألا شيء من سدر ؟ ألا قليل من أشنان ؟

— قال : والله ما أغشك فجرب ، ونطق الجنيّ فاذا هو والله كلام الناس ، وإذا هو آدمي من أمثالنا ، فاطمأننت وجلست بين يديه ، وأقبل على يدلكني دلكا شديداً ، وأنا أنظر هل تساقط لحمي ، هل تناثر جلدي ، فلا أجد إلا خيراً فظننت أنه قد أحسن إلي ، وهممت بشكره ، لولا أن ظهر أنه شيخ سوء من القوم الذين أهلك الله ، فقد كان يتغافلني ويعد

بدء من تحت الأزار ، فيمس نخذى وساق ، فقلت : لو نجا منه أحد ، لأبجتني هـذه الشيبة ، وجعلت أهم بهشم أنفه ، وهتم أسنانه ثم أدعه ، حتى انتهى وصبَّ على الماء سخنا ، فشعرت والله كأنما نشطت من عقال ، وأحسست الزهو والخفة ، فصحت فأنكرت صوتي ، فقلت : ما هذا ؟ أينطق على لساني جنى من الجن ؟ وأعدت الصيحة فازددت لصوتي انكارا ، فاستخفني الطرب وجعلت أغني وأحدو ، فقال لي صاحبي : هل استطبت صوتك ؟

قلت : إى والله ، قال : أفلا أدلك على باب القاضي ؟

قلت : فض الله فاك . مالى وللقاضي ؟ هل أحدثت حدثاً ؟ هل آويت محدثاً ؟ هل . .

قال : ألا تعرف قصة جحا ؟

قلت : لا والله ! فمن جحا ؟ وماهي قصته ؟

قال : كان جحا عالماً نحريراً ، إلا أن فيه لوثة ، وكان خفيف الروح ، فدخل الحمام مرة فغنى فأعجبه صوته ، فخرج من فوره إلى القاضي فسأله أن ينصبه مؤذناً ، وزعم أن له صوتاً جميلاً ، لا يدخل أذن رجل إلا حمله حملاً فوضعه في المسجد

فقال له القاضي : قم على المنارة فأذن نسمع ، فقام فأذن ، فلم يبق في المسجد أحد إلا خرج هارباً يتعوذ . . .

فقال له القاضي : أي صوت هذا ؟ هذا الذي ذكره الله في الكتاب

قال : أصلح الله القاضي ، ما يمنعك أن تبني لي فوق المئذنة حماماً ؟

***

ولمح « صلبي » أعرابياً من أهل نجد يمر في الطريق ، فقال لي : انتظر ! وخرج يعدو وراءه . . . .

. . . . ثم لم يعد !

علي الطنطاوي

---

وقائع نأثرها قصص

# السر

بقلم محمد مصطفى حمام

دخلت على الباشا والمجلس حافل والسرور شامل ، فلقيني بما عود زائريه من بشاشة وترحيب ، وأقبل بعدى آخرون يختلفون أعماراً وألواناً ، فمنهم الشيخ المتين المحطم والفتى الأنيق المهندم ، ومنهم الحضرى الناعم والفلاح الخشن ، فتقبل الجميع بقبول حسن ، وأفاض عليهم من عطفه مثل ما أفاض على

وجاء الخادم يبشر بزائر جديد شعرت عند سماع اسمه بكثير من السرور ، فهو اسم أحد السراة الظرفاء الذين سمعت عنهم دون أن ألقاهم ، وما كان أشوقني إلى هذا اللقاء !

ولم ينتظر الزائر اذن الباشا بالدخول ، بل أقبل فى أثر الخادم ، وإذا نحن نستقبل رجلا سمهرى القامة ، بهى الطلعة ، وافر الحظ من المهابة والروعة ، ولقد اهتز له المجلس تعظيما وإكباراً ، إلا الباشا فلم يعبأ بمقدمه ، ولم ينشط لاستقباله ، بل صافحه وهو لاصق بكرسيه ، ثم أشاح بوجهه عنه ، وأقبل بالحديث على سواه

وأخذتنى من هذا اللقاء السيء دهشة وعجب ، وجعلت ألتمس للأمر كثيراً من العلل

قلت لنفسى : قد يكون القادم من الأنسباء أو ذوى القربى ، فلا حاجة بصاحب الدار إلى المبالغة فى تكريمه ، أو لعل اقتحامه المجلس دون انتظار الاذن هو الذى أغضب الباشا عليه

ورأيت جو المجلس قد أظلم بعد استقرار الضيف الجديد فى مكانه ، وبدا على الباشا ضيق وضجر ، وحاول الرجل أن يظفر من صاحب البيت بلفتة إليه ، أو إقبال عليه ، فلم ينل إلا جفاء وإعراضاً

ثم انحنى على الباشا يحاول أن يسر إليه حديثاً ، فنهره كما ينهر السائل ، وصاح به وشرر الغضب يتطاير من عينيه :

لقد انقطع ما كان بينى وبينك ، فلا تعكر صفاء مجلسى بقدومك ، ولا تحاول استرداد مودتى فذلك ما لن يكون

وانصرف الزائر خاسئ البصر ، لا يكاد يرى مما حوله شيئاً ، وودعناه راثين لحاله ! وأخذ المجلس يتبدد ، حتى لم يبق إلا أنا وصاحب الدار ، فلما هممت بالانصراف استبقانى

قال الباشا : لعلك أسأت الظن بأدبى ؟

قلت : معاذ الله

قال : أظنك فى دهشة من سوء لقائى لضيفى ، وربما أهمك أن تعرف السر

قلت : لا أرى فى معرفته بأساً

قال : لا يزال الصديق محبباً إلى قلبك ، رفيع القدر فى عينك ، حتى تكشف لك الأيام منه عن عورة لا تستطيع الاغضاء عنها ، فهالك يومئذ من ذنب إذا سقط عندك مقداره ، وتمكن من نفسك احتقاره

هذا رجل صاحبنى خمسة أعوام كاملة ، ملأ فى خلالها جوانب قلبى ، واستأثر دون الأصدقاء بحبى ، وجمعت بيننا مجالس بعضها لله وبعضها للشيطان ، وفى أمثال هذه المجالس أسخو بالمال وأكون المتلاف المبدال

وكان هذا الرجل زميلى فى كل هذه المجالس ، ودليلى إليها فى أكثر الأحيان

وقادنى إلى بيت فى حى من أجمل أحياء المدينة ، نادمنا فيه نسوة ثلاثاً كأنهن الحور العين ، فقطفنا منهن ورد الخدود ، وداعبنا غصون القدود ؛ وصار هذا البيت معهد غرامنا نسعى إليه بين الحين والحين ، ولكن فى جنح من الليل ، وفى غفلة من الجيران

وما هى إلا أشهر معدودات ، حتى علمت علم اليقين أن هذا البيت الذى نعبث بنسائه ونلهو ، هو بيت صاحبى دون سواه ! وأن نديماتنا هن امرأته وقريبتاه ! هن اللائى نغازلهن ونقبلهن ! وهن اللائى ينلن منى أجر العبث بهن ، أدفعه سخياً كريماً ، ويتقبلنه راضيات فرحات !

ولقد أخذنى من هذه الحقيقة المؤلمة هول وفزع ، فقد تكشف لى صديقى عن نفس خبيثة وعرض ممزق !

قلت : فهلا كاشفته بما علمت من دخيلته ؟

قال : لقد كان عذره أقبح من ذنبه ، فقد أفهمنى أنه وقد

# نظرية النسبية الخصوصية

## البحث الثالث

### مبادئ الميكانيكا الحديثة

للدكتور اسماعيل احمد أدهم

عضو أكاديمية العلوم الروسية

— ١ —

لقد قررت سنّة لورانتز فى التقلص أن سرعة النور أقصى سرعة يمكن أن توجد فى الكون ، وهذه السنّة نتيجة لكون سرعة الجسم كلما أخذت فى الزيادة أخذت كتلتها تتقلص من اتجاه حركتها بنسبة رياضية ثابتة ، حتى إذا ماقاربت سرعتها سرعة النور بلغ التقلص حداً لا متناهياً ، لا يمكن أن يتقلص الجسم التحرك بعده . فلو فرضنا جسماً يتحرك بسرعة معينة ولتكن (س) ، فهذا الجسم حسب قانون التقلص يتقلص بمقدار ثابت مثل (ث) ومقدار هذا التقلص :

$$ث = \frac{1}{\sqrt{1 - \frac{س^2}{ن^2}}}$$

ولا يمكن أن تتجاوز السرعة (س) فى أى وقت سرعة النور (ض) لأن هذا القانون يتلاشى الى حيث لا يكون له معنى [1]

لنفرض كتلة مادية مثل (ك) مقدار طاقة الحركة التى بها (ط ح) ، وهذه الكتلة تتحرك بسرعة مثل (س) ، فهذه الكتلة تقرر قواعد الميكانيكا الكلاسيكية أن طاقتها الحركية :

$$«ط ح» = \frac{1}{2} ك س^2$$

غير أن مبادئ النسبية استناداً على قوانين المجال الالكترومغناطيسى ، ونظرية « ماكسويل — لورانتز » تقرر أن

$$ط ح = \frac{ك ض^2}{\sqrt{ض^2 - س^2}}$$

فمقدار حركة الكتلة المادّية (ك) لا يمكن أن تتجاوز فى سرعتها سرعة النور . حيث أن سرعة الكتلة المادّية المرموزة لها بالرمز (س) تستنفد فى حركتها جزءاً من مقدار طاقة الحركة (ط ح) حتى إذا ما بلغت سرعة النور سرعتها تكون الطاقة قد استنفدت كلها [2]

— ٢ —

لو فرضنا قوتين : سرعة الأولى (س) وسرعة الثانية ($س_1$) وأن هاتين النقطتين أثّرتا على نقطة مادّية فى اتجاه واحد . فتكون سرعة هذه النقطة المادّية محصلة هاتين السرعتين ولنرمز بالرمز ($س_2$) فقانون الحركات الكلاسيكى يقرر أن

$س_2 = س + س_1$ « معادلة ١ » وهذا القانون النيوتونى يتبدل عند اينشتيجا ويتشكل فى صورة رياضية أخرى تقررها المعادلة :

$$س_2 = \frac{س + س_1}{1 + \frac{س \mp س_1}{ن^2}} \quad \text{معادلة ٢}$$

وهذه الصيغة الجديدة نتيجة لمبدأ ثبات انتشار النور [3]

فمثلا لو فرضنا نظاما ماديا يبتعد عن الشمس بسرعة ١٣٠٠٠ كيلو مترا فى الثانية ، فشعاعة النور الصادرة من الشمس والتى

(1) M. A. Sommerfsld : Paysik Zeitschrift, 8 (1907) P. 842—843.

(2) Levr Civita : « L'Enseiguement Mathematipue » Rome 1926 p. 155-156

(3) G. Maumann : « Annalen der Phijsik » 45 (1914) P. 525

---

عرف قوّ البعد عن الجرعة المنكرة ، وجرّب علىّ القناعة بالقبلة والنادمة ، وشهد سخائى فى البذل ، رأى أن يؤثر نفسه ونساء بيته عالى ، فهو وهن أحق بذلك المال الذاهب هباء ، والتى إلى أناس آخرين ، ولم يجد فى الأمر ثلماً للعرض ولا نقصاً من الشرف ، مادام النزل لا يصل إلى نهايته الأثيمة !

* * *

وتراءت فى عينى صورة الرجل حين رأيته لأول مرة ، وقارنت بين جمال المنظر وسوء المخبر ، فذكرت قول الشاعر :

وهل ينفع الفتيان حسن وجوههم

إذا كانت الأعراض غير حسان !

محمد مصطفى همام

تتحرك نحو هذا النظام بسرعة ٣٠٠,٠٠٠ كم في الثانية تكون سرعتها بالنسبة لراصد في النظام الذي :

٣٠٠,٠٠٠ كم + ١٣,٠٠٠ كم = ٣١٣,٠٠٠ كم في الثانية حسب مبادىء الميكانيكا الكلاسيكية . أما قواعد النسبية فتقرر أن سرعة شعاعة الضوء للشاهد حسب قانون تركب السرع كما تقرره الميكانيكا الحديثة هي :

$$\frac{٣٠٠,٠٠٠ + ١٣,٠٠٠}{١ + \frac{٣٠٠,٠٠٠ \times ١٣,٠٠٠}{{٣٠٠,٠٠٠}^{٢}}} = ٣٠٠,٠٠٠ \text{ كم في الثانية}$$

وهذه النتيجة توضح لنا تماماً أن سرعة النور سرعة مطلقة لا تتغير [١]

— ٣ —

إن علم الحركات « Cinematique » يرى في الزمان حداً رابعاً للمادة ، ولكنه لا يخرج عن كونه مجرد ملاحظة رياضية ، حيث أن الزمان مطلق ومستقل عن المكان ، وقد كان أستاذنا هنري بوانكاريه الشهير يفرض أن الزمان بعد رابع موهوم للمادة ويستند في إثبات ذلك على الرياضيات الثابتة Invariant إلا ألبرت اينشتين ومينقوفسكي تمكنا من إثبات أن الزمان له شأن طبيعي كحد رابع للحوادث [٢]

إذا فرضنا وقوع حادثتين غير معينتين وكان الخط الواصل بين الحادثتين ( غ ) مثلاً . فانتقالنا من نظام إلى آخر لا شك سيؤثر في الخط الواصل بين الحادثتين وسيتأثر الخط بانتقالنا ويتغير ( راجع مقال وحدة قوانين الطبيعة )

وإذا كان الزمان الفاصل بين أوان وقوع الحادثتين « ت » مثلاً ورمزنا لسرعة الضوء بالرمز ( ح ) كان معنا المعادلة

ف$^{٢}$ = « ح$^{٢}$ ت$^{٢}$ » — غ$^{٢}$ ( معادلة ١ ) ، وهذه المعادلة ثابتة لا تتغير حيث فيها ( ف ) رمز لفاصلة الزمان المطلقة ، والحادثات

ل ، ى ، ح ، ت ؛ ل$_{١}$ ، ى$_{١}$ ، ح$_{١}$ ، ت$_{١}$ لو طبقت على قانون التحويل الذي وضعه لورانتز كانت النسبة بين مجموع حوادث الكونين ثابتة حيث أن :

ف$^{٢}$ = ح$^{٢}$ ( ت$_{١}$ — ت )$_{٢}$ = ( ل$_{١}$ — ل )$_{٢}$ + ( ى$_{١}$ — ى )$_{٢}$ = ( ح$_{١}$ — ح )$_{٢}$ ( معادلة ٢ ) فاذن ليس الزمان بذلك الموجود المستقل عن المكان بل إنه مندمج فيه ، وليس الزمان والمكان مطلقين بل هما نسبيين إلا أنهما يندمجان في الفاصلة الثابتة الرياضية ( ف )

ليس للزمان ولا المكان شأن طبيعي وإنما إندماجهما يولد معنا حقيقة واحدة . فالمكان امتداد الزمان ، أعني أن فواصل حوادث العالم تندمج في ( ف )$_{٢}$ الثابتة الرياضية وتكون وحدة هو كون « الزمان — المكان »

هذا الكون [١] لا يتبع نسب وقياسات الحوادث ، بل هو مطلق فلكل حادثة أو مجموعة من الحادثات مكانها وزمانها الخاص بها . أما كون « الزمان — المكان » فهو ذو حقيقة مطلقة غير تابعة لقواعد القياس . والمكان في حد ذاته ليس إلا مجموعة فواصل الحوادث ، فواصلها الفراغية المتساوية أعني أنه قطاع للعالم في زمان خاص ، أو بلغة أبسط هو العلاقة الانتشارية بين الحادثات واندماج المكان بالزمان في الثابتة الرياضية ( ف ) ، توجد علاقة ثابتة بين الحوادث هي الفرق بين مربع الفاصلة الفراغية وحاصل ضرب سرعة النور بمربع الفاصلة الزمانية . هذه العلاقة تؤلف بين الحادثات وحدة ممتازة تحيل الكون عالما مطلقا هي منه الصفة المطلقة الوحيدة [٢]

— ٤ —

لنفرض [٣] نظاما ماديًّا مثل ( ظ ) يتحرك حركة نسبية « ح » إزاء نظام مثل ( ظ$_{١}$ ) ولنفرض أن ( غ ) خط ثابت بالنسبة للنظام الثاني متحرك بالنسبة للأول بسرعة محدودة لنرمز لها بالرمز ( س ) فطول هذا الخط بالنسبة لمشاهد في النظام الأول غيره بالنسبة لمشاهد في النظام الثاني

ولنفرض أن ( غ ) عمتد من النقطة « م » إلى النقطة ( م$_{١}$ ) فستبدو كل نقطة حادثة مستقلة عن الأخرى لكل من الشاهدين . وسيرى الشاهد الذي في النظام « ظ$_{١}$ » الحادثين متواقتين . أما الشاهد الذي في النظام ( ظ ) فان ( غ ) ستبدو

(1) Edham ( I A ) die Grundlangen der Relativitaetstheere', Leipzig 1934-1935 Uol 3., P.92-93

(2) M. A. Sommerfeld : Annalen der Physik, 44 (1914) P. 175 — 177

(1) Fritz Beer : Die Einsteinsche Rehativitaetstheorie , Wnin 1909 6 . 118 — 119

(٢) شارل مالك : « الفضاء — الزمن » مقتطف يناير وفبراير ١٩٣٢

(2) Edhem (I. K ) ; Türk Ansıklopedia., Istanbul nesriyati. 18 cilt., 1935 (5) . P. 355 — 356. Izaflyat prnsipi.

له أطول مما تبدو للشاهد الذي بالنظام (ظ١) كما وأن كل نقطة من نقطتى الابتداء والانتهاء ستبدوان له حادثتين مستقلتين عن بعض غير متوافقتين

ولنفرض أن المحورين « ل م ؛ ل١ م١ » منطبقين على بعضهما كل الانطباق وأنهما موازيين استقامة السرعة (س) للخط (خ) فى كل من السكونين (ظ) و(ظ١) فاذا كانت المحاور

م ل ، م ى ، م د ... ... ... ... (١)

موازية للمحاور

م١ ل١ ، م١ ى١ ، م١ د١ ... ... ... ... ... (٢)

فى كل من النظامين (ظ) و (ظ١) كان :

ل١ = ث (ل — س ت) معادلة رقم (١)

ولا بد من أن يكون :

ل١ = ث ل معادلة رقم (٢)

ليتحقق معنا تعادل المركز (م) مع الزمان (ث) ومن انطباق المركز على الزمان نستنتج أن

ل = ل١ / ث معادلة رقم (٣)

وهنا تؤدى إلى أن :

ا / ث = √ (س٢ / ض٢) معادلة رقم (٤)

حيث أن ا رمز لمعادلة التقلص

ولما كان القدار العالى أصغر من (ا) كان ل١ ل١ [1] إن الخط (خ) بالنسبة للمشاهد الذى بالنظام (ظ١) أطول مما هو بالنسبة للنظام الأول . ومسئلة تقاص الأطوال شيئاً فشيئاً كما تقرره ميكانيكية لورانتز ليست راجعة لتقاص الأجسام فى اتجاه حركتها وإنما هى نتيجة لنسبية الأطوال . وليس هذا التقلص حقيقياً بل هو ظاهرى حيث أن الواجب لا يمكنه ترتيب حدوث الحادثات كما تقع وإنما يرتبها حسب ما تتراءى له . وتقسيم الزمان والمكان تقسيما مطابقاً لموضوعها فى صورة مستقلة عن بعضها لا يمكن إجراؤها فى أى حال حيث أن سرعة اندفاع الجسم إذا بلغت سرعة انتشار النور أو ما قاربها بلغ التقاص أقصاه ولم يصبح للجسم عمق لدى النظر ، لأن الأجسام عند ما تبلغ من السرعة هذا الحد تلوح كصفائح رقيقة [1]

وحاصل القول أن الأطوال تابعة لحالات الشاهدين الطبيعية من الحركة والسكون

— ٥ —

لنفرض [2] ساعة فى النظام (ظ) . فهذه الساعة سيبدو إشعارها للزمان متأخراً بالنسبة لساعة النظام (ظ) فهذا التقاص فى الزمان نتيجة للملاقة بين (ت ، ت١) حيث أن :

خ ت = ث خ ت١ معادلة (١)

ولما كان تقاص الأطوال نتيجة للقانون :

خ ل = خ ل١ / ث معادلة (٢)

فقليل من البحث والاستفاضة فى الدرس يكشف عن تساوى كل من :

خ ل خ ت = خ ل١ خ ت١ معادلة (٣)

حيث أن

خ ل ، خ ى ، خ د ، خ ت = خ ل١ ، خ ى١ ، خ د١ ، خ ت١ معادلة (٤)

ونخرج من هذا التساوى بحجم الجسم فى عالم ذى أبعاد أربعة أو طوله فى ذلك العالم

« البحث بقية » اسماعيل أحمد أدهم

(١) واجع البحث شانى عن قوانين لورانتز التحويلية وانظر الشكل

(٢) ص ٩٧ بالعدد ١٢٣ من الرسالة

(1) J. A. Schouten; Die direkte analysis zur neueren Relativitaetsiheorie., Amesterdam. 1919. P. 128 — 129.

(2) Hermemm Weyl Raum . Geitumd Materie . Berlim 1921 . P. 235

رسائل حاج

# ٤ - من ربوع الغــــرب إلى بلاد العرب

للمستشرق المجري
الدكتور عبد الكريم جرمانوس
أستاذ التاريخ بجامعة بودابست

تتمـــــة

---

وقف جلالة الملك ابن السعود فوق ذروة « جبل الرحمة » كرمز خالد لعبقرية الأمة العربية ، يذرع الفضاء بعين نسر جبار ، ويشرف على راحة الحجاج الضاربين خيامهم في السهول المجاورة . لكم كان منظره فاتناً خلاباً ، والشمس تكتنفه وتشرق عليه ، بينا يلتف حوله الحرس الوهابي بملابسهم المزركشة وخناجرهم التي تلمع مقابضها في وهج الظهيرة

وقبيل الغسق تحرك الركاب الملكي شطر « المزدلفة » فظهر في الجو غبار كثيف امتزج بصيحات الوهابيين الذين كانوا يهتفون : « نحن أنصار التوحيد ، إخوة من أطاع الله » وليس لأي كاتب مهما بلغت عبقريته أن يصف هذا المنظر وصفاً شافياً ، ومن لي بالفصاحة والبيان لأصوره على حقيقته ؟

وعند وصولنا الى « منى » ، بلغ مسامعنا نبأ محاولة اغتيال الملك ، فان ابن السعود ما كاد ينتهي من طوافه للمرة الثالثة حتى داهمه أربعة من اليمنيين وهم يصيحون بأعلى أصواتهم : الله أكبر ! الله أكبر ! محاولين أن يطعنوه بخناجرهم . فان لليمنيين مهارة وحذقاً خاصاً في استعمال الخناجر ، لكنهم لم يصيبوا سوى ولي العهد وهو يهم بانقاذ أبيه . ثم حمل الجنود على الجناة وحاولوا أن ينزعوا سلاحهم . ولما لم يفلحوا اضطروا إلى رميهم بالرصاص ، وأريقت دماؤهم فوق ثرى هذه الأرض المقدسة . وكان الملك الذي طالما خاض غمار حروب ومعارك حتى لم يخل جسمه من شبر واحد من آثار الجروح ، هادئاً ساكناً فلم تبدُ على وجهه أمارات الجزع ، بل قصد لساعته بئر زمزم فتوضأ ، ثم عاد الى اتمام طوافه بالكعبة

وكان للحادث أثره المؤلم في نفوس الحجاج ، فاستنكروا بشاعة الاغتيال ، وتوغل بعض القتلة في الصفوف تخشى أن يحدث فرارهم ذعراً في القلوب . ولقد أحسن الملك صنعاً بعودته السريعة الى منى ليزيل ما علق بنفوس الحجاج من الرعب ، فانه ما كاد يستقر في سرادقه حتى هرعت اليه جموع الحجاج ووفود البلاد لتقدم تهنئتها بنجاته من يد الآثمين . هنا سنحت الفرصة لأن أقف وجهاً لوجه أمام العاهل العربي الذي يحكم بلاده بالعدل والشريعة ، ويسودها بالعفاف والمحبة ؛ فقد كان ابن السعود يجلس في سرادقه تحيط به ثلة من الحرس النجدي ، وهم من صفوة الرجال الأشداء ، وكانت ملابسهم المزركشة تخطف بسناها الأبصار ، يتوج رؤوسهم العقال البدوي ، وتتدلى من تحته ضفائر الشعر الكثيف الأسود حتى تصل إلى صدورهم ، بينا أقداح القهوة العربية وأكواب الليمون المثلج تطوف على الوفود بين حين وآخر . وعند ما غشيت مجلس الملك كان الخطيب الماثل بين يديه قد انتهى من خطابته ، فلما التقى طرف الملك بطرفي أومأ إليّ أن أتقدم ، فجمعت شجاعتي وأنا في نشوة روحية عميقة ، ورفعت يدي إلى رأسي إجلالا واحتراماً ثم تقدمت ...

لقد قابلت في شبابي وأنا في استامبول ، السلطان عبد الحميد ، ورافقت السلطان محيي الدين في إحدى سياحاته ، وزرت السلطان رشادا ، وتحدثت إلى كثير من الرؤوس المتوجة في أوربا ، لكنني لم أشعر مطلقاً أني وقفت وجهاً لوجه أمام التاريخ إلا في تلك المقابلة ، لا سيما عند ما رفعت عيني إلى وجه ابن السعود ، ولمحت في ثناياه دلائل الحزم والقوة والشفقة والحنان والمهابة والجلال . ولقد لاحظت أن بطرف عينه اليمنى حولاً ، بينا العين الأخرى قوية سليمة ، والمعروف عن الملك أنه شجاع مقدام ، تضرب القبائل بشجاعته المثل ، فمند ما كان في الحادية عشرة من عمره ، قاتل في إحدى المعارك خصماً له فقضى عليه بضربة من حسامه ؛ وهو رجل شديد الايمان بالله ، ولقد كان إيمانه من أقوى الأسباب في تأسيس المملكة السعودية وإحياء مجد الجزيرة العربية

وما كدت أقف أمام الملك حتى خاطبته بصوت جهوري فيه

كل معانى الإخلاص : السلام على أمير المؤمنين ، إننى أحمد الله على نجاتك من يد ذلك القاتل الأثيم عدو الدين

ومدّ إلىّ ابن سعود يده فصافحتها ثم طلب إلى أن أزوره فى قصره ؛ وبعد أن شهدت حفلة الاستعراض العسكرية التى أقيمت « بوادى الشهداء » ورأيت ضروباً من الفروسية العربية ، تلك الفروسية التى خلقت من الحب أدباً عالياً ومن المرأة صنماً معبوداً توجهت إلى القصر الملكى بناحية « المنى » بالضواحى ، وهو قصر عظيم شامخ البنيان ، يشبه الحصون العسكرية ، ويشتمل على عدد كبير من الغرف المتسعة الأرجاء ، والردهات والابهاء ذات العمد

وجلست بقاعة الاستقبال ، فى انتظار التشرف بالمقابلة ، فسرنى أن التقيت بكثير من أعيان العرب ، الذين يأتون للمثول بين يدى الملك بملابسهم الفخمة ، فيحادثهم كانسان يستشير أخوته ، ويرسم معهم كل ما يتعلق بسياسة الدولة وتدبير وسائل الرفاهية والراحة للحجاج . ولقد راعتنى البساطة التى ألفيتها متمثلة فى الملك والشعب معاً ، فالرسميات المعقدة التى تتبع فى بلاط ملوك أوربا لا وجود لها فى هذا البلاط العميق الديموقراطية . والواقع أن ابن السعود هو عاهل الجزيرة العربية بلا منازع ، ولم يؤل الملك اليه عن طريق الوراثة ، بل آل إليه عن جدارة واستحقاق

وطفقت أستوعب الدقائق إلى أن يحل دورى فأتشرف بالمثول بين يدى الملك ؛ وكنت فى خلال فترة الانتظار جالساً فى مكتب سعادة فؤاد بك حمزة وزير الخارجية ، الذى ذكر لى أنى أول حاج قدم إلى مكة من بلاد المجر ؛ وما كاد يحل دورى حتى تقدمنى فؤاد بك حمزة وغشينا مجلس الملك ، وبعد أن صافحته أومأ إلى أن أجلس بجواره ، وقدمت إلينا القهوة ، فرأيته يرشفها بشغف ولذة . ثم بدأ الملك يتحدث إلى ، فقال : « لقد قدمت من نجد إلى الحجاز وجبت البلاد من الشرق إلى الغرب لزيارة بيت الله وتفقد حالة الحجاج . وغاية ما أرمى اليه أن أؤلف بين قلوب رجالى متوسلا إلى الله أن يلهمنى وإيام الصواب فى أعمالنا . لقد عنيت عناية خاصة بإقامة الشرائع المحمدية ونشرت الأمن والسلام فى أنحاء الجزيرة العربية ، وفى وسعك الآن أن تتجول فى أقصى بقعة من بقاع الجزيرة دون خوف ولا وجل . وسترى عما قريب أننى سأعيد إلى هذه البلاد عظمتها القديمة حتى تصبح موئل الاسلام كما كانت أيام سيد المرسلين »

إن هذا العاهل العربى العظيم يلمس تماماً مواطن الضعف فى كل ركن من أركان بلاده ويعمل على اصلاحه وتقويمه ما استطاع إليه سبيلا ؛ فالسلام مع الرقى والتقدم هما الأمران اللذان يعنى بهما عنايته بطعامه وشرابه ، وإقامة حدود الله مع المحافظة على استقلال الجزيرة هما الغايتان اللتان يسترشد بهما فى تأدية واجبه ، وهو لعمرى الطريق السوى الذى يجب أن يسير فيه . وملك هذه صفاته وأعماله جدير حقاً بأن يخلد التاريخ ذكره فى ثبت الوجود

وبعد أن انتهيت من زيارتى استأذنته فى الانصراف فقام من مجلسه منتصباً وبسط إلى إحدى يديه الغليظتين وظل قابضاً على يدى برهة وهو يرمقنى بعينيه المتسمة ، وكانت ملامحه تدعو إلى الهيبة والاحترام إلى حد ألفيت نفسى عاجزاً عن أن أرفع إليه بصرى ، ثم ما لبثت أن هويت بفمى على راحته ألثمها فى إكبار وإجلال

ولما أزفت ساعة الرحيل ودعت أصدقائى من سادة العرب وكبار العلماء كالأستاذ محمد شطا شيخ قضاة مكة ، ورئيس الشرطة ، وبعض الأطباء النابهين ، ووصلت إلى جدة حيث قضيت أياماً فى ضيافة الشيخ محمد على وهو رجل علامة يحذق لغات شتى ، وقد تجول فى أنحاء أوربا ، ويعرف الشيء الكثير من عادات الشرق والغرب

وأقلعت الباخرة فوقفت فى مقدمها واجما ساكنا تتناهبنى شتى العواطف ، وأنا أودع هذه الأراضى المقدسة التى ربما أراها للمرة الأخيرة . وكلما بعدت بنا الباخرة اغرورقت عيناى بالدموع ، فقد خلفت فى تلك الديار صداقة جديدة تكاد لعذوبتها تشبه الحب ، وذكرى عزيزة هى ثمرة عقيدتى فى الاسلام واليوم الآخر . فما أعظم الفرق بين مدنية أصدقائى العرب ، إخوانى فى الله ، الذين تشيع فى قلوبهم فكرة الاتصال بالواحد القهار فيصدفون عن الماديات ، وبين مدنية المغرورين الذين يتهالكون فرقا وراء قضبان المادة ويبقيمون غلهم فى شهوة المال !

عبد الكريم جرمانوس

# مديرية أسوان

## والحد الفاصل بين مصر والسودان

بقلم رشوان أحمد صادق
B . A في الجغرافيا

أتحدث اليوم عن علاقة مصر بالأقاليم الجنوبية واهتمام المصريين بالحدود المصرية الجنوبية منذ بدء التاريخ الى اليوم فأقول :

أول من اهتم بالجهات التي تتاخم حدود مصر الجنوبية هو الملك بيبي الأول ثاني ملوك الأسرة السادسة فأرسل القائد أونا (Una) الى كروسكو ليجمع بعض أنواع الأخشاب فساعده قبائل تلك الجهات على أداء مهمته واعترفوا بسيطرة الملك بيبي عليهم . ثم أرسل الملك متوسوفيس (وهو الملك الثاني عشر من ملوك الأسرة السادسة) القائد هرخف لغزو بلاد بنت فعاد يحمل البخور والآبنوس والعاج والجلود حملها على ثلثمائة حمار وحمل معه قزماً من الدنقس أتى به من ( بر الأظلال ) . فلما وصل مصر كان الملك متوسوفيس قد مات وخلفه أخوه الملك بيبي الثاني فسر بخبر القزم فكتب إلى هرخف يأمره باحضاره إلى منف ، وهذا نص الكتاب : « واصحب معك في السفينة بعض الخفراء لحراسته كي لا يقع في الماء أو يفلت في الليل ، لأني أسر برؤية القزم أكثر من جميع ما أحضرت من بلاد بنت » . ففخر هرخف هذا الخطاب مع خبر غزوته على واجهة قبره في جزيرة الفنتين

وفي عهد الأسرة الثانية عشرة أرسل ( أوسرتسن ) الأول ثاني ملوك هذه الأسرة القائد هونو Huno إلى بلاد بنت بطريق قفط والقصير لجباية الجزية من أمراء تلك البلاد ، فأدى مهمته ثم عاد . وقد جرد هذا الملك حملة بطريق النيل فامتدت حدود مصر الجنوبية حتى الشلال الثاني ، وقد عثروا على حجر في هيكل جهة حلفا ( نقل الآن إلى فلورنسا ) وعليه صورة هذا الملك وبجانبه المشايخ الثمانية رؤساء القبائل التي تغلب عليها؛ وفي عهد ( اوسرتسن ) الثالث خامس ملوك هذه الأسرة امتدت حدود مصر إلى شلال سمنه جنوباً ، وتوجد آثار هيكل من بقايا أعمال ذلك العصر ، كما وجد حجران جعلا الحد الجنوبي للبلاد المصرية مكتوباً على أحدهما ما معناه : « هذا حد مصر الجنوبي الذي عين في السنة الثامنة من حكم الملك أوسرتسن الثالث الخالد الذكر ، فلا يجوز لأحد من السود أن يتعداه إلا في سفن تحمل البقر والماعز والحبر » ، ووجد على الحجر الثاني ما معناه : إن الملك شيد هذا الحجر في السنة السادسة عشرة من حكمه وجعله حداً فاصلا بين مصر واتيوبيا ، وله تمثال في تلك الجهة ، وتوجد قاعدة من آثاره في ممتوق . وفي جزيرة ارقو توجد تماثيل وأطلال من آثار الأسرة الثالثة عشرة

وفي عهد الأسرة الخامسة عشرة التي أسسها المالقة كانت مصر في حالة اضطراب ، وهاجر كثير من المصريين إلى اتيوبيا وكونوا معاقل أهمها معقل ارقو ، وحملوا معهم كثيراً من طرق الصناعة والفنون المصرية وأصبحوا دولة منظمة في عهد الأسرة الثامنة عشرة ، ولم يتم الملك لأحمس الأول أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة إلا بمساعدة ملك اتيوبيا الذي زوجه من ابنته وساعده على طرد الهكسوس من مصر ؛ ويظهر أن عاصمة بلاد الأتيوبيين هي مدينة نبته عند جبل البرقل بالقرب من مروى ويعرف بالهيروغليفية باسم الجبل المقدس ، ودامت العلاقات الحسنة بين مصر واتيوبيا إلى عهد تحتمس الأول ثالث ملوك الأسرة الثامنة عشرة إذ غزا الأتيوبيين وانتصر عليهم

وفي عهد الأسرة التاسعة عشرة غزا رمسيس الثاني بلاد اتيوبيا وأقام هيكلا في كلابشه تذكاراً لانتصاراته ويعرف الآن عند سكان كلابشه باسم بيت الولي . ورسم على الهيكل صورة رمسيس الثاني وهو يحارب في عربة ، وعدة صور يتضح منها هزيمة الأعداء وتقديمهم القرابين له مثل الخواتم وأكياس الذهب وجلد الفهد وسن الفيل وبيض النعام . وجدد استخراج الذهب والزمرد من وادي العلاقي المعروفة قديماً باسم اكيتا akita وعلى هذا الطريق قلعة يظن أنها من أعمال رمسيس الثاني

ودامت سلطة مصر على اتيوبيا حتى الأسرة العشرين بعد ذلك انفصلت أتيوبيا عن مصر ، وذلك أن (منتومياءون) أحد ملوك الأسرة الحادية والعشرين نفى بعض الكهنة المصريين إلى أتيوبيا فخرجوا عن طاعته واستقلوا تحت إمرة أحدهم

وبذلك رجعت حدود مصر إلى ما كانت عليه قبل الغزو

وفى آخر حكم الأسرة الثانية والعشرين هاجم الأثيوبيون مصر وأخذت حدود مصر الجنوبية تتراجع شمالاً حتى استولى الأثيوبيون فى أيام الأسرة الثالثة والعشرين على صعيد مصر . على أن بعنخى ملك أثيوبيا بعد أن استولى على مصر فوجئ بخروج البلاد عليه وتفاقمها الأعيان لمدة خمسة عشر عاماً إلى أن قام أجدهم ويدعى ( ابسماتيك ) واستعان بجنود يونانية واستولى على جميع الأراضى المصرية وطرد الأثيوبيين وأعاد الحدود المصرية إلى أسوان . ولقد ذكر ( هيرودوت ) خبر فرار بعض الجنود المصرية فى عهد ابسماتيك مؤسس الأسرة السادسة والعشرين فقال إنهم ذهبوا إلى أثيوبيا واستوطنوا هناك وأطلق عليهم اسم ( الأوتومولى ) وعرفوا بهذا الاسم حتى القرن الأول للميلاد

وفى عهد البطالسة زحف ثامن ملوك هذه الأسرة على مملكة مروى وفتحها ثم سار جنوبا ففتح مدينة أكسوم ، ودون خبر فتوحاته باللغة اليونانية على حجر من الرخام فى ميناء ( أدولس ) المعروفة الآن بميناء ( زولا ) على عشرين ميلاً جنوبى ( مصوع وهى ميناء أكسوم ) ومع ذلك فقد عادت الحدود مرة أخرى إلى المحرقة فى عهد سلفه

وبعد وفاة كليوباترا آل حكم مصر إلى الرومان . وأول من تولى مصر من الرومان هو كرنيوليوس جالس وقد ظهر من بعض النقوش على بعض الآثار أن الملك (نوبا كوتاس خوانوس) ، ويظن أنه ملك نوبه ، أرسل رسلا فى أيام هذا الحاكم إلى فيلة ودخل فى حامية الرومان . وحاولت أثيوبيا غزو مصر فى عهد ملكتها ( كنداكه ) حينما كان الرومان مشتغلين بغزو بلاد العرب ولكنها لم تفلح . وفى عهد ( نيرون ) أرسل حملة للكشف عن منابع النيل فوصلت الى إقليم كثير المستنقعات وربما كان إقليم السدود الحالى ، وكانت المحرقة آخر حدود مصر أيام الرومان كما كانت أيام اليونان ، فرأى الامبراطور ( ديوقلشيان ) أن خراج البلاد التى بين المحرقة وأسوان لا يفى بنفقات الجند اللازمة لحمه فلا فائدة من الاحتفاظ بهذه البلاد فاقطعها للنوبة وأعاد الحدود المصرية إلى أسوان وقوى حامية القلعتين

وفى عهد الحكم العربى غزا المسلمون النوبة . قال ابن الأثير ( غزا المسلمون النوبة فرجعوا بالجراحات وذهاب الحدق لجودة رميهم فسموهم رماة الحدق ) وفى سنة ٢١ هـ بعث عمرو بن العاص عبد الله بن سعد بن أبى سرح فى عشرين ألفاً الى النوبة فمكث بها مدة ثم صالحهم وقرر عليهم الجزية ثم ، استدعاه عمرو إلى مصر ثانية ؛ وبعد موت عمر بن الخطاب رضى الله عنه تولى عثمان بن عفان فعزل عمرو بن العاص وولى عبد الله مكانه ، وكان أهل النوبة نقضوا الصلح ووصلوا إلى الصعيد فردهم وغزاهم مرة ثانية وصالحهم على أن يدفعوا ٣٦٠ رأساً من الرقيق سنويا على ان يرسل عبد الله اليهم بعض الحبوب . ويقول المسعودى ( ولمن بأسوان من المسلمين ضياع كثيرة داخلة بأرض النوبة يؤدون خراجها إلى ملك النوبة وابتيعت هذه الضياع من النوبة فى صدر الأمان فى دولة بنى أمية وبنى العباس ، وقد كان ملك النوبة استعدى المأمون حين دخل مصر على هؤلاء القوم بوفد أوفدهم الى الفسطاط ذكروا عنه أن ناساً من أهل مملكته وعبيده باعوا ضياعاً من ضياعهم ممن جاورهم من أهل أسوان وأنها ضياعه. والقوم عبيد لا أملاك لهم وإنما تملكهم على هذه الضياع تملك العبيد العاملين فيها . فرد المأمون أمرهم الى الحاكم بمدينة أسوان ومن بها من أهل العلم والشيوخ

وعلم من ابتاع هذه الضياع من أهل أسوان أنها ستنزع من أيديهم ، فاحتالوا على ملك النوبة بأن تقدموا إلى من ابتيعت منهم من أهل النوبة أنهم إذا حضروا حضرة الحاكم لا يقروا لملكهم بالعبودية ، وأن يقولوا سبيلنا معاشر المسلمين سبيلكم مع ملككم ، يجب علينا طاعته وترك مخالفته ، فإن كنتم أنتم عبيداً لملككم وأموالكم له فنحن كذلك . ولما جمع الحاكم بينهم وبين صاحب الملك أتوا بهذا الكلام للحاكم ونحوه مما وقفوا عليه من هذا المعنى ، فمضى البيع لعدم اقرارهم بالرق لملكهم الى هذا الوقت ، وتوارث الناس تلك الضياع بأرض النوبة من بلاد مريس المجاورة لأسوان . وصار النوبة أهل مملكة هذا الملك نوعين : نوعاً من وصفنا أحراراً غير عبيد ، والنوع الآخر من أهل مملكته عبيد وهم من سكن النوبة فى غير بلاد مريس ) . من ذلك يتبين أن الحدود الجنوبية لمصر لم تكن محددة تماما أيام العرب ، إذ أن بعض المصريين كان يملك أراضى داخل حدود النوبة . ويقول المقريزى إنه فى سنة ٨٧٠ م ذهب

أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد العمرى الى محاربة النوبة ورجع غانما . ويفهم من كلام المقريزى أنه فى سنة ٩٥٦ م أغار ملك النوبة على أسوان وقتل جمعاً من المسلمين فخرج اليه محمد بن عبد الله الخازن على عسكر مصر من قبل (أنوجور بن الأخشيد) سنة ٩٥٧ م برا وبحرا وأسروا بعض النوبيين الذين ضربت أعناقهم بعد ما أوقع بملك النوبة ، وسار الخازن حتى فتح مدينة أبريم ، وقدم الى مصر سنة ٣٤٥ هـ بمائة وخمسين أسيرا . وقال ابن الأثير (فى سنة ١١٧٣ م سار شمس الدولة توران شاه بن أيوب أخو صلاح الدين الأكبر من مصر الى النوبة فوصل الى أول بلدهم . وكان سبب ذلك أن صلاح الدين وأهله كانوا يعلمون ان نور الدين كان على عزم الدخول الى مصر ، فاستقر الرأى بينهم أنهم يتملكون إما بلاد النوبة أو بلاد اليمن حتى إذا وصل اليهم نور الدين لقوه وصدوه عن البلاد ، فان قووا على منعه أقاموا بمصر وإن عجزوا عن منعه ركبوا البحر ولحقوا بالبلاد التى قد افتتحوها . فجهز شمس الدين وسار الى أسوان ومنها الى بلاد النوبة ، فنازل قلعة اسمها أبريم فسلمت ، فأقام بها ولم ير للبلاد دخلا يرغب فيه ، فتركها وعاد الى مصر بما غنم من العبيد والجوارى) . وقال المقريزى عن توران شاه هذا ما يأتى : (وأعطاه صلاح قوص وأسوان وعيذاب ، وجعلها له اقطاعا ، فكانت عبرتها فى تلك السنة مائتى ألف وستة وستين ألف دينار ، ثم خرج لغزو النوبة سنة ١١٧٤ وفتح قلعة ابريم) . واستمر غزو المماليك لبلاد النوبة مثل الظاهر بيبرس وقلاوون وغيرهم . ويقول ابن خلدون إن قلاوون عند ما غزا النوبة أرسل السفن بالبحر . ويقول ابن خلدون (ثم انتشر أحياء العرب من جهينة فى بلاد النوبة واستوطنوها وملكوها أيام الناصر بن قلاوون وملأوها عيثا وفسادا ، وذهب ملوك النوبة الى مدافعتهم فعجزوا ، ثم صاروا إلى مصانعتهم بالصهر فافترق ملكهم وصار لبعض أبناء جهينة من أمهاتهم ، لأن أمهاتهم من بنات ملوك النوبة على عادة الأعاجم فى تمليك الأخت وابن الأخت فتمزق ملكهم واستولى أعراب جهينة على بلادهم ، وليس فى طريقة استيلائهم شىء من السياسة الملوكية للأمة التى تمنع من انقياد بعضهم الى بعض فصاروا شيعاً لهذا العهد) . الى أواخر القرن الثامن الهجرى .

وبقوا كذلك شيعاً على كل شيعة منهم رئيس أو ملك الى أن قام الفنج فى سنار سنة ١٥٠٥ الى الشلال الثالث ثم كان الفتح العثمانى لمصر بيد السلطان سليم سنة ١٥٢٠ فأرسل جيشاً الى النوبة فملكوها من أسوان الى الشلال الثالث وعرفوا (بالغز) وعرف حكامهم (بالكشاف) وهكذا انقسمت بلاد النوبة بين ملوك الفنج والكشاف الى أن كان الفتح المصرى للسودان سنة ١٨٢٠ م أى سنة ١٢٣٦ هـ فخضعت لمصر

وفى عهد محمد على امتدت حدود مصر جنوباً بعد فتحه للسودان وكانت تدخل اسوان فى مديرية اسنا ، ثم أحدث تعديلا بأن ضم مديرية اسنا الى مديرية قنا وصارتا واحدة ، ثم انفصلتا بعد ذلك وامتدت الحدود المصرية الى أعالى النيل أيام خلف محمد على خصوصاً فى عهد اسماعيل . واستمرت مديرية اسنا حتى سنة ١٨٨٧ وكان مركزها اسنا . ولما ازدادت الثورة المهدية فى السودان وكادت تمتد الى الحدود رأت الحكومة تحصين الحدود المصرية بقوة عسكرية وجعلت البلاد هناك تحت الأحكام العسكرية فصدر قرار مجلس الوزراء فى ٢٦ ابريل سنة ١٨٨٨ بقسم مديرية اسنا الى قسمين : الأول يشمل الجهات التى بين وادى حلفا وجبل السلسلة تتكون منه مديرية تسمى مديرية الحدود ومركزها اسوان . وأما الأقاليم شمالى جبل السلسلة فتضم الى مديرية قنا وعلى ذلك ألغيت مديرية اسنا وتكونت مديرية الحدود من مراكز ادفو وأسوان وكرسكو (الآن الدر وحلفا) وضمت بقية البلاد الى قنا واستمرت مديرية اسوان باسم مديرية الحدود الى أوائل سنة ١٨٩٩ حينما تحددت الحدود بين مصر والسودان ، وذلك أنه لما أعيد اخضاع السودان عمل اتفاق بين مصر وبريطانيا فى ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ بأن يصبح السودان حكومة مصرية انجليزية وأصبح خط عرض ٢٢ شمالا هو الحد الفاصل بين مصر والسودان وبناء على ذلك دخلت عشرة بلاد من قرى مصر العليا فى حكومة السودان وهى : سرة شرق . فرس . جزيرة فرس . دبيرة . شرة غرب . اشكيت . ارقين . أدفيم . عنقش . دبروسة (وتعرف الآن بالتوفيقية) وبعد هذا التغيير أطلق على مديرية الحدود اسم مديرية اسوان ابتداء من سنة ١٨٩٩ م

رشوان أحمد صادق

# الخريف

مهداة الى رفيقى الأستاذ حلمى اللحام

## لشاعر الشباب العربى أنور العطار

أسِيَ القلبُ فاستراحَ إلى الصَّمْـ ... تِ وللصمتِ عالَمٌ مسحورُ
تتراءى به الشجونُ فيعيا ... ليس يشكو الضنى وليس يثورُ
هيكلٌ متعَبٌ تكادُ من الشقْـ ... ـمِ تداعى أركانُهُ وتخورُ
موحشٌ كالخريفِ تطفو عليهِ ... صُوَرٌ جَهْمةٌ وخطبٌ نكيرُ

* * *

كلُّ شيءٍ أراهُ يذوِى ويفنى ... ثم يمشِى على حِماهُ الدثورُ
ملعبٌ للحياةِ يطفحُ بالسُّخْـ ... ـرِ ويشقى بساحِهِ المغرورُ
أينَ زهوُ الرياضِ فى مُتَعِ العيْـ ... ـشِ وأينَ الهوى وأينَ السرورُ
رقدتْ فى الغيوبِ قُمْريةُ الدَّوْ ... حِ وطاحَ الهزارُ والشحرورُ
فجناحٌ على السفوحِ هشيمٌ ... وجناحٌ على الوهادِ كسيرُ
وتجافى السنا عنِ الأفقِ الجَلْـ ... ـوِ وغشّى رفيقَهُ الديجورُ
وتولَّتْ بشائرُ الأنسِ عنهُ ... واستفاضَ الأسى وصاحَ النذيرُ
لم تعدْ تسكرُ الندى شفةُ الزهْـ ... ـرِ ولم تسكرِ النسيمَ العطورُ
وانطوتْ من مباهجِ الروحِ دنيا ... كلُّها نائلٌ وجودٌ وخيرُ

* * *

همدَ الحقلُ فالعشاشُ خرابٌ ... هجرتها على الليالِى الطيورُ
فعلى ضاحكِ المروجِ اكتئابٌ ... وعلى باسمِ الدغالِ فتورُ
وإذا الغيمُ فى الفضاءِ رُكامٌ ... وإذا النهرُ مُغدِرٌ مخرورُ
والعصافيرُ نُوَّمٌ ليسَ تصحو ... والفراشاتُ جُثَّمٌ لا تطيرُ

* * *

ورقٌ مائتٌ تهاوى على السَّهْـ ... ـلِ وغنّتْ بهِ الصَّبا والدَّبورُ
ملأَ الوهدَ والمساربَ والسُّو ... حَ اغتياماً بساطُهُ المنشورُ
غمرَ المشعبَ البعيدَ وغطّى الـ ... ـواديَ السمحَ عصفُهُ المنثورُ
خشخشتْ فى الرحابِ أوراقُهُ الغبْـ ... ـرُ وللريحِ بينهنَّ صريرُ
سُفرةٌ توقظُ النؤومَ من الشجْـ ... ـوِ ورمزٌ إلى الزوالِ يشيرُ

تعصفُ الصرصرُ العتيّةُ بالغا ... بِ فيهوى الدوحُ الأغنُّ الشجيرُ
وتضيعُ الألحانُ فى هبّةِ الويْـ ... ـلِ ويرغو الأذى وتطغى الشرورُ
ليس يقرِى الأسماعَ إلا عويلٌ ... وصُراخٌ وأنّةٌ وزفيرُ
تمّحِى فرحةُ الطبيعةِ فى الأرْ ... ضِ ويُطوَى حُلْمُ الحياةِ النضيرُ
وتُعفّى أرائكُ الحبِّ والعِطْـ ... ـرِ ويبلى الروضُ النديُّ الخضيرُ
تطفحُ السُّحْبُ فى عنانِ السموا ... تِ ويخبو منها السراجُ المنيرُ
ويضجُّ الفضاءُ بالزبدِ المنْـ ... ـدوفِ والأفقُ كالخضمِّ يفورُ
وتغيبُ الأنوارُ إلا شعاعاً ... يختفى تارةً وأخرى ينورُ
تتعزّى به النفوسُ الوجيعا ... تُ ويحيا بدفئهِ المقرورُ
أيظلُّ الصرّارُ يرتعُ فى الحقْـ ... ـلِ ويَنأى عن عشّهِ العصفورُ
تلكَ أحجيّةُ الوجودِ تناهى الـ ... ـفهمُ عنها واستغلقَ التفسيرُ

* * *

يا حبيبى أراكَ من حُجُبِ الغيْـ ... ـبِ فيزهو الكونُ السليبُ الحسيرُ
ويغوصُ الظلامُ فى نهرِ الفجْـ ... ـرِ ويبهى الصبحُ الأنيقُ الطريرُ
يُنشدُ السفحُ والتلالُ تُغنّى ... حيثُ لا مُطربٌ ولا مزمورُ
تُمرِعُ الأرضُ بالنباتِ وتهتـ ... ـزُّ منَ الدفءِ والحياةِ الجذورُ
وتذوبُ الأنداءُ فى أكؤسِ الزهْـ ... ـرِ ويُحيى الثرى الشرابُ الطهورُ
ويطيبُ الهوى ويحلو التلاقى ... ومنَ الحبِّ روضةٌ وغديرُ
أيها الهاجرى أطلتَ التنائى ... وتعايا من صدِّكَ المهجورُ
سهدتْ مُقلتى وناجاكَ قلبى ... وهفا خاطرى وحنَّ الضميرُ
عشتُ من طولِ حسرتى بالتمنّى ... وقليلٌ من التمنّى الكثيرُ
تتراءى لناظرى فأناديـ ... ـكَ كأنّى مُخبَّلٌ ممرورُ
أنتَ ريحانتى وأنتَ أحاديـ ... ـثى وأنتَ المنى وأنتَ السميرُ
يا نصيرى إذا أظلّنىَ الهمْـ ... ـمُ وألوى بىَ الشقاءُ المريرُ
طُفْ بروحى كما تطوفُ الشعاعا ... تُ ويسرى ضياؤها ويُنيرُ
ودعِ الحبَّ يزدهِرْ فى خيالى ... وتُهدهِدْ بهِ العصورَ العصورُ

* * *

غفلتْ عنّىَ المنونُ فغنّيـ ... ـتُ ولحنُ الحياةِ لحنٌ قصيرُ
أتعامى عنِ الفناءِ وحولى ... مِحَنٌ ليسَ تنقضى وتبورُ

أَلَمِي صارخٌ وجُرحي ضَرِيٌّ ... والهوى يائسٌ وَجَدّي عثورُ
وَبِنفسي قيثارةٌ تتشكّى ... وأنا الدمعُ والأسى والشعور
أتسلّى عنِ الضنى بلحونٍ ... هي روحُ الحياةِ والإكسير
الشجا المُرُّ في حِماها شفاءٌ ... والدجى الشاملُ المروِّعُ نور
خاطري من نشيدِها مستثارٌ ... وفمي من سُلافِها مخمور

***

عالَمي مَهْبِطُ الرُّؤى ومِهادي ... ذهبٌ خالصٌ وتبرٌ نثير
وفضائي مُوَشَّحٌ بالغوادي ... وهضابي نَدىً وجوّي مَطير
وسمواتيَ الفسيحاتُ تابو ... تٌ عليه من الغيوم سُتور
أُفُقٌ شاحبٌ تدثّر بالسُّحْـ ... ـبِ وأغيا فيه الضبابُ الغمير
لا السَّنا ضاحكٌ بأبهائه السُّحْـ ... ـمِ ولا النورُ في مَداهُ يمور
فمِنَ الحُزنِ والجَهامةِ قبرٌ ... ومن الهمِّ والكآبةِ سور
وتعرّى المساء من ألَقِ السحْـ ... ـرِ فلا روعةٌ ولا تصوير
التعاشيبُ أعيُنٌ جامداتٌ ... هي من طولِ ما تُحدِّقُ صُورُ
أطفأ العاصفُ المُلِحُّ سَناها ... وغزاها الصقيعُ والزمهرير
هاهنا للجمالِ عُرسٌ تقضّى ... مِلْءُ أعطافِهِ شذاً وعبير
هاهنا غنّتِ الينابيعُ سَكْرَى ... ومن السَّلْسَلِ النقيِّ الخمور
هاهنا كان للجداولِ ألحا ... نٌ لِطافٌ وللنسيم عَرير
هاهنا حنّتِ العشيّاتُ للضحـ ... ـكِ وَبَشَّ الضحى وهَشَّ البكور
لا الروابي تفيضُ بالعبَقِ الطا ... هرِ ولا يُطرِبُ الحقولَ الخرير
هدأتْ من جوى الغرامِ قلوبٌ ... واستراحت من الحنين ثغور
وَحشةٌ ما تكادُ تحملها النفـ ... ـسُ وشجوٌ تضيقُ عنه الصدور
المُرادُ المُزوّقُ الحُلمِ داجٍ ... وحِمى الأنس مُجفِلٌ مذعور
أين وادٍ رفّتْ عليه البشاشا ... تُ ورنّتْ أعشاشُه والوكور
ماجَ فيه الهوى فماشت حواشيـ ... ـه وضجّتْ من الحياةِ الصخور

***

أينَ لا أينَ عالمٌ مستطابٌ ... عاثَ فيه ركبُ الفناءِ المغير
فأمّحى كالظلال تنتهبُ الأر ... ضَ ويخفى أنطواؤها والمصير

**أنور العطار**

# بين ماض وحاضر

## أنشودة

### للأستاذ عبد الرحمن شكري

عهـدي بالعيش على رَغَد ... عذباً كالماء حساه صَدِي
نغم والدهر يُوَقِّعُهُ ... يسري كالنشوة في الجسد
ياليت الدهر كمن يشدو ... بأغانٍ إنْ يُطرِبْ يَزِدِ
إن قلتُ أعِد نُعمى عادت ... كترنّم ذي النغم الغرد
حسنات كنت بها ثملاً ... ذهبت في الدهر فلم تَعُد
آمال كنت بها شغفاً ... نظر الولهان إلى الخُرُد
أحلام كنت بها جَذِلاً ... قد شح النوم ولم تَجُد
وشباب ذقت به خلداً ... في طرفة عين من أبد
لو دام دوام الخلد لما ... نقع الظمآنَ من الصَّفَدِ
لو عاد بذات له ذكرى ... من مُطّرَفٍ أو مُتَّلَدِ
بشعاع منه أعيش مدى ... دِفْءُ الشمس على بُعُدِ
آب التذكارُ له شبحاً ... أو قبراً شِيدَ لمُفتَقَد
ما خَلّفَ لي دهرٌ ثقةً ... بمآلٍ فيه أو أحد
يا نبعَ الماضي لو عاد الـ ... ـوُرّادُ إليك على جَدَد
لرجعت إليك رجوع صَدٍ ... لم ينهل قبل ولم يَرِد
وغداً ماذا يادهر ترى ... قد قُدِّرَ لي بضمير غد

**عبد الرحمن شكري**

# صورة...

(من صور دمشق في هذه الأيام)

### بقلم السيد أحمد عبيد

ما أروعَ القومَ إذ ضَنّوا بعزّتهم ... فسالَتِ الشامُ فِتياناً وولداناً
تدفّقوا كأتيِّ السيلِ مُقتحماً ... لظى جحيمٍ تُذيقُ الموتَ ألوانا
فلا الأتيُّ بمُخْبٍ من توقّدها ... ولا الجحيمُ تصدُّ السيلَ إن دانى
إذا التقَوا والعدى في وقفةٍ فهما الـ ... ـبُركانُ يقذفُ «نيراناً» و«صوّانا»

فى يوم الأربعاء ١١ مارس سنة ١٩٣٦ من الساعة ٨ صباحا ومابعدها بقراقص مركز دمنهور . وفى يوم الاثنين التالى مباشرة بسوق دمنهور بميدان القرية سيباع علناً أربع كنبات وترابيزة وسط وأشياء أخرى موضحة بمحضر الحجز ٢٦ يناير سنة ١٩٣٦ تملق الست نظيمة محمود الخولى عن نفسها وبصفتها وصية على أولادها القصر والقيمة بقراقص مركز دمنهور وذلك تنفيذاً للحكم نمرة ٢٠٥٥ سنة ١٩٣٥ دمنهور ووفاء لمبلغ ٤١٨ قرشاً بخلاف ما يستجد والبيع كطلب الشيخ عبد العال السيد قرطام وفاطمة وأمينة السيد قرطام بقراقص فعلى راغب الشراء الحضور

---

فى يوم السبت الموافق ٢٩ فبراير سنة ١٩٣٦ الساعة ٨ صباحاً وما بعدها بشارع سوق السمك القديم نمرة ٦٨ بملك تفاحه قسم الجمرك باسكندريه سيباع علنا عدد ٦٦ سبت خرزان لعبوة الفحم الحجرى جديد و٧٠ جاروف حديد بيد خشب لزوم الفحم جديد وفاء لمبلغ ٤٨ج و٩٦٠ م بخلاف أجرة النشر تنفيذا للحكم رقم ٤٥ سنة ١٩٣٥ مدنى منشية ضد احمد افندى ابراهيم اللاح والست احسان حسن الساعى القيمين بشارع القربانى نمرة ١٤ والبيع كطلب الست بهيه محمد مصطفى الليجى رعية ومقيمة باسكندرية ومحلها المختار مكتب محمد عرارجى وسليمان حافظ المحاميان باسكندرية فعلى راغب الشراء الحضور

---

فى يوم الأربعاء ٢٦ فبراير سنة ٩٣٦ من الساعة ٨ صباحا وما بعدها بالمنزل رقم ١٤ بسكة درب الجنينة قسم الوسكى مصر بناء على طلب الست سكينة أحمد حسن القيمة بسكة الحسنى ن ٢٧ قسم باب الشعرية بمصر سيباع علنا منقولات منزلية عددها ١٢ قطعة تملق حبيب بولس القيم بالمنزل المذكور نفاذاً للحكم نمرة ٥٤٢٩ سنة ٩٣٥ الوسكى وفاء لمبلغ ٣٨٢ قرش صاغ فعلى راغب الشراء الحضور

في يوم الأربعاء ١٨ مارس سنة ٩٣٦ من الساعة ٨ صباحا بمحل الحجز بأسوان والأيام التالية بعد بسوق اسوان سيباع علناً منقولات منزلية موضحة بمحضر الحجز الرقيم ٤ فبراير سنة ٩٣٦ وتعلق عبد الرحمن أحمد منوجى من اسوان توقع عليها الحجز وفاء لمبلغ ١١٠ قرش صاغ بخلاف أجرة النشر تنفيذاً للحكم الصادر من محكمة اسوان الأهلية في القضيتين نمرة ٧٨ ونمرة ٨٢ سنة ٩٣٦ والبيع كطلب عبدالمنعم أفندى عبد العزيز موسى من اسوان فعلى راغب الشراء الحضور



في يوم السبت ١٤ مارس سنة ١٩٣٦ بناحية كفر بولين مركز كوم حماده وفي يوم السبت ٢١ مارس سنة ٩٣٦ بسوق النجيله العموى إذا لزم الحال من الساعه ٨ صباحا سيباع علناً ٨ أرادب ذرة شامي بكيزانها ومنقولات منزلية مبينة الأوصاف بمحضر الحجز ٥ فبراير سنة ٩٣٦ وهذه الأشياء ملك عبد العال عبد الحليم سليمان من أهالي ناحية كفر بولين مركز كوم حماده والبيع بناء على طلب محمد افندى عبد الحليم سليمان المقيم بالمنزل رقم ٥ بشارع عمارة موسى باشا قسم السيدة زينب بمصر نفاذاً للحكم ٣٧٢ كوم حمادة سنة ١٩٣٥ وفاء لمبلغ ١٦ ج و ٧٤٠ م بخلاف ما يستجد

فعلى من له رغبة في الشراء الحضور

---

## رجاء

نكرر رجاءنا لحضرات مرسلي الاعلانات القضائية أن يكتبوها بخط واضح

فصول ملخصة في الفلسفة الألمانية

# ٣١ – تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا

## تعليق المؤلف (١) على فلسفة نيتشه

للأستاذ خليل هنداوي

يتمتع نيتشه بما لا يتمتع به فيلسوف آخر ، لأن تفكيره قد تناوله بالبحث أرباب الفلسفة وغير أربابها . وقد طغت «النيتشية» في الأعوام الأخيرة أي طغيان ، وأما المعجبون به فهم يرون فيه المفكر الفرد الصارم العميق في جرمانيا الحديثة ، له منزلة « دارون » في الأخلاق . وأما خصماؤه فهم لا يرون فيه إلا ولداً مريضاً ، له خطره ومبدؤه الفاسد . وبينهما يقف الشعب حائراً ، تراه من ناحية معجباً بآثار هذا الجبار ومظاهر تفكيره الغريب ، ومحترسا من ناحية ثانية من مفكر ناقم على الأخلاق والتقاليد ؛ والآن سنعمل على تبيان الأسس الرئيسية التي ترتكز عليها فلسفة نيتشه ، والأهمية التي تنشأ عنها

هدم النقاد فلسفة نيتشه من وجهتين : في الوجهة الأولى أبدوا أخطاءها العملية . وفي الوجهة الثانية بينوا خطرها على الأخلاق

إن نيتشه في الطور الثاني من حياته لم يكن يكتسب شيئاً ولم يكن في استطاعته أن يكون عالماً ؛ ولقد علمت رداءة صحته التي تحول بينه وبين مواصلة جهوده في البحث . فهو قد بدأ حياته العلمية بدراسة اللغات ، ثم لم يلبث أن غادر هذا الميدان إلى غيره ؛ وهو لم يكن في سائر العلوم إلا هاوياً ، لا يسعى وراء ترقية هذا الفرع وذلك الفرع في العلوم ، ولكنه يريد من وراء ذلك أن يبدع مسائل جديدة ، أو يكسو المسائل القديمة ثياباً جديدة ! فهو لا يؤثر في العلم نفسه ولكن في روح العالم . فان اشتقاقاته التي استنبطها في دراساته للغات القديمة لم تكن لتلائم الحقيقة ، ولكن ذلك لم يكن ليحفل به ، فهو يبغي أن يظاهر طرق درس المسائل الاجتماعية بواسطة الدراسة اللغوية ، فالقيمة الجوهرية للحوظاته الخاصة هي شيء ثانوي عنده ، سواء عنده حياتها ومماتها ، فهو يكفيه فضلا أن ينفخ في نفوس هؤلاء الدارسين روحا جديدة ويفتح لهم آفاقا جديدة . ولذلك نراه في آخر أدواره جد قلق ، يسعى بواسطة الدراسات اللغوية إلى أن يستكشف الحياة الاجتماعية ، وحضارة ما قبل التاريخ مستعيناً بدرسه ومقارنته بين اللغات

وإذا شئنا أن نوضح بعض خطيئات نيتشه فلا ننس أن آثاره كلها « ذاتية » Subjective والحقيقة — غير الذاتية — يراها نيتشه ضرباً من ضروب العاطفة الدينية ؛ وإننا لنطالب إلى العالم ألا يحترم إلا الحقيقة ، وأن يكون في بحثه عنها خالياً من الأهواء متجردا عن شخصيته — على قدر الامكان — وإننا لنعلم أن التجرد عن الذاتية في البحث عن الحقيقة هو خديعة ، ونعتقد أن ليس في مقدور أحد أن يتجرد عن شخصيته وينظر إلى الأشياء نظرة خالصة لا تجتلي إلا الأشياء ؛ وبهذا ليست كل حقيقة ذاتية قبل كل شيء ؛ وجوهر الموضوع — في البحث العلمي — لا يقف عند ما اعترفه الكاتب من حقيقة ، ولكنه يقف على مقدار ما أودع في هذه الحقيقة من ذاته . ونحن على رغم هذا أرانا نؤمن بالحقيقة المجردة ، الحقيقة البارزة بحقيقتها خارج ادراكنا وحواسنا ، وأرانا نؤمن بالمؤلف ونزيد احترامنا له كلما دنت أفكاره مما ندعوه « الحقيقة المتجردة عن الذاتية »

لنا الحرية في أن نزن آثار نيتشه بهذا الميزان ، ولكن نيتشه كان قبل كل شيء يفتش عن نفسه ويسعى وراء معرفة نفسه ؛ ولقد كان اهتمامه ضعيفاً في الاطلاع على الأشياء بحقائقها ، وإنما وقف اهتمامه كله وجهوده على ما يمثل شخصيته ، فخلق من الأشياء خرافات كاذبة ، وقد علم أنه إنما وصف نفسه حين كتب عن « شوبنهاور وفاجنير » أنه حول الحقيقة إلى خرافات جذابة غريبة ، ولأن تكون مظاهر لشخصية نيتشه أجمل وأحرى من أن تكون مظاهر تمثل حقيقة الوجود الخارجي ، وبهذا يصبح عبثاً سعينا وراء الحقائق التي عالجها نيتشه والعمل على التوفيق بينها وبين الواقع

وهنالك تأثير معاصر به فيه — سواء أحس هو هذا التأثير أم لم يحسه — وفكرته التي جاء بها — إذا جردت من أثوابه الخاصة — تبدو فكرة قديمة ليست بابنة ذاته . فكل الآراء التي عالجها ، من قوله بالذاتية وعبادة النفس والثورة على قانون

(١) هو الأستاذ « هنري ليشتنبرجر » وقد أشرنا اليه في بدء المقالات

المساواة وعبادة الانسانية قد سبقه الى معالجتها أحد معاصريه(١) كما سبق « فلوبير » و « رنان » إلى الكتابة عن المذهب الارستقراطى . وقد وجد نيتشه فى الكاتب «أوجين دوهرنك» عضداً له فى محاربة التشاؤم . واتحد مع « هارتمان » فى النفور من الاجتماعيين والفوضويين ، واتفق معه فى القول باستحالة المساواة بين الناس ، فقالا بفضيلة الحرب للمدنية ، واتفقا على جعل الشفقة مادة غير صالحة للفضيلة . وكذلك نرى مذهب الرجعة الدائمة يتجلى فى كتاب « لبلانكى » ! وفى كتاب الدكتور « لوبون : الرجل والمجتمعات » . ولكننا — وان قارنا بين نيتشه وبين هؤلاء المعاصرين — فان هنالك تبايناً شاسعاً مهما كانت الأفكار متقاربة متآلفة . وعلة هذا التباين شخصية نيتشه . ولقد نراه فى بعض خطرات يتحامل على هؤلاء الأحلاف ، فمقت من « رينان » روحه الكاهنة ، ونعت « هارتمان » بالشعوذ . وليس نفوره هذا وليد حقد أو حسد ، وإنما هو وليد طبيعة تختلف بحد الاختلاف عن طبائع خصومه . هذه الطبيعة التى تؤمن بأن الشخصية فى الفيلسوف هى أكبر قيمة وأجل خطراً من آثار الفيلسوف

على أن هذا لا ينبغى أن يدفعنا الى انكار فضيلة كل حقيقة غير ذاتية اكراماً لقوة الشخصية عند نيتشه ، وإذ ذاك يعم الجور والخطأ فى الحكم . وانني لمعتقد بأن المؤرخ والفيلسوف يستطيعان أن يجدا عند نيتشه حقائق جيلة بذاتها . وهنالك آراؤه فى « فاجنير » يراها المؤرخ جديرة بالاعتبار لأنها تبدى قيمة الفنان العظيم . وهنالك آراء لنيتشه يجدر بها أن تكون محل مناقشة ومجادلة ، على أننى أقول إن عبقرية نيتشه لا تستقر الا فى « الذاتية »

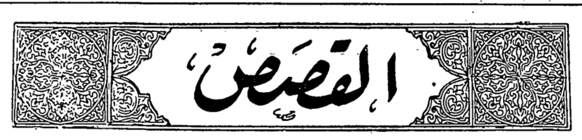
***

والآن أرانى أستشهد بكلمة « لبراندس » قالها فى موضع التحدث عن فيلسوفنا حينما قارن بينه وبين خصومه فلاسفة الانجليز . « قال : وحين نقبل عليه . . . (نيتشه) بعد مغادرتنا لفلاسفة الانجليز نرى عالماً جديداً حولنا . فالانجليز هم عقول متشابهة فى الصبر والجلد ، غرضهم أن يتقنوا الشىء جزءاً جزءاً ثم يجمعوا هذه الأجزاء الصغيرة المتفرقة ليؤلفوا منها شريعة وقانوناً ؛ يعملون غير متأثرين بذاتهم ؛ وقيمة فلسفتهم تتوقف على ما يعملون لا على ما ترقى إليه ذاتهم ؛ أما نيتشه فهو على نقيض هذا المذهب ، هو مثل شوبنهاور متنبئ فنان ، تستهويك شخصيته قبل أن تستهويك آثاره . » وإذا شئنا إبداء قيمة آثاره فليس لنا أن نتلوها تلاوة كتاب على لا تتوقف روعته على روح صاحبه . نتلوها لنرى الروعة فيما بث هذا الرجل من معارف قديمة بسطها وجد بدة وضعها

نرى نيتشه فى معرض كلامه عن شوبنهاور « ان مذهب الفكر لا شأن له ، فكل فيلسوف ممكن انخداعه . إن ذلك الشىء الذى هو أجل من مذهبه — هو نفسه — فى كل فيلسوف شىء لا نجده فى فلسفته . علة كل الفلسفات والمذاهب هى الانسان ، الانسان العظيم

( التتمة فى العدد القادم ) خليل هنداوى

(١) ماكس : فى كتابه الواحد المجرد وصفاته




مأساة من اسخيلوس

# ٣ ـ أجاممنون

للأستاذ دريني خشبه

تتمة

— « باريس ! لقد خرّبت زيجة بيتك ... أجل ... أنت وأخوتك ... أوه يانهر سكمندر(١) المصطخب ! لقد جرع أبي منك جرعة ، وعلى ضفافك شبيت وترعرعت ، فيا لشقوتى ! أما الآن . . . فان نبوءاتى تتواثب على شطئان كوكيتوس وأشيرون (٢) ... »

— « أوضحى بحق أربابك عليك أيتها الفتاة ! إن آلامك تثب فى صدرى فتحز أشوا كها حبة قلبى ... »

— « طروادة !! أهكذا سقطت إلى الأبد !! أهكذا تندلع النيران فى أبراجك الشواهق ! أهكذا ينبطح أبى الملك الشيخ مضرجاً بدمه ؟ ... ويلاه ... بعد لحظات أغرق فى لجة من دمى مثلك يا أبى ... »

— « عود إلى النغمة الملغوزة السالفة !! ما أحسب إلا أن إلـهاً قاسياً يرديك بعنف فى هذه الحمأة المسنونة !! »

— « نغمة ملغوزة !! لا !! لن ألغز يارفاق ! سأجلو لكم السر الهائل الذى خبأته الجريمة السنين الطوال فى هذا القصر ! هنا ! تآمر الآثمون فى الظلام ... وكان الظمأ إلى الدم يشد عزائمهم جميعاً ! كانوا يدلفون الى كهفهم فيتمنون آلامهم ويستنزلون اللعنة على ... خصمهم ... وهو منهم ، وهم مع ذاك منه ... أخوهم ... وهم إخوته وأقاربه ... قتلوه ... قتلوه وهو مستسلم للكرى الهادئ ... أليس كذلك ياسادة؟ أهذه ثرثرة ، أم أنا أهذى ؟ ... »

— « بل أنت قد صورت ما حدث منذ أعوام وأعوام كأنك ترين اليه الآن ... »

— « هذا من فضل أبوللو على ! لقد أمدنى بروح من عنده »

— « وله ؟ هل شغفه حبك مرة ؟ »

— « ... ؟ ... ... ؟ ... لا أقدر أن أقول ؟ ... » (١)

— « ما كان ضرك لو تلطفت معه ... ... ! »

— « إيه ... كم كان رقيقاً حينما كان يصارع فؤادى ؟ »

— « وهل فى وسعك أن تضنى حداً لمغامراته ؟ »

— « لقد وعدته ... ولكنه خان ميثاق ! ... أواه ! وا أسفاه ! تعالى ! لقد ثارت الزوبعة من جديد ! لا أطيق أن أكتم الحقيقة ! انظروا يارفاق ! أول الشجو ! ما هذه السمادير التى تغشى سماءكم ؟ يا لأفلاذ الأكباد ! يا للصغار ! إنهم يذبحون بنفس الأيدى التى كان أجدر لو ترفقت بهم وحنت عليهم ! ... ياللهول ! ... أبوهم عمه بيده البريئة فيأكل شرائح مشوية من أكبادهم وضلوعهم ! ... إن لهذا قد دبر انتقام دموى هائل ... وها هوذا الأسد ! الأسد الجبان النذل ، الذى تقلب فى سرير صاحب الجلالة — بحر اللذة والدنس ! ... إذ صاحبه نازح يغزو ! ... لا ضير أن يكون أحد أسيرا مرة ، ولكن هذا الفاتح العظيم ! غازى طروادة ! سيد الأسطول اللجب ! إنه لا يدرى السر الهائل الذى تقبره زوجته ... السفاحة ... التى تتحوى كالأفعى ، وتهتهس فى الظلام المنتشر حول نفسها ، وتوسوس إلى شر كأنها بأفسق الجرائم ... لقد فاقت فى الخب كل مثل فما أدرى بم أشبهها ؟ آه ! إنها أشنع من سكيلا ( هذه الهولة الرائعة ، ذات الرؤوس الستة التى تنفث السم ، وتغتال رواد البحار ! ... ) الآن ! الآن ينفذ سهم القضاء عن قوس غدرها ... والآن ! ستعترفون أننى ما ألغزت ، وما قلت غير الحق ! ...

(١) النهر القريب من طروادة والذى كاد يغرق فيه أخيل كما مر بك فى الألياذة (٢) نهران من أنهر الجحيم

(١) أحب أبوللو كاسندرا كما مر بك فى حروب طروادة ووهب لها قوة إدراك الغيب ، فلما بخلت عليه وصدت عنه كتب عليها أن يستهزىء مستمعوها ولا يصدقونها

— « الحق كل الحق يا فتاة ... لقد ورثت ما كان من ولمية ذيستيس ، وما تم فيها من نهشه لحم أطفاله وهو لا يدرى ... يا للهول ... ما نزال نقشعر كلما روعنا رجع تلك الذكريات ... »

— « إذن سيموت مولاكم أجاممنون ... وسترون بأعينكم ! »

— « يا شقية ! لا تهرفى بهذا الهراء ! »

— « ولن أدعو أرباب الخلاص هذه المرة ! »

— « وهل خلاص من الموت ؟ ولكن عسى ألا يكون قريباً ! »

— « أنتم ترجون ، بينا غيركم يذبحون ... أو يكادون ! »

— « وأى إنسان يا ترى يضطلع بهذا النكر ؟ »

— « أى إنسان ! إن السهم الراش يطوى ما بين المشرقين ؟ »

— « أجل ، ونحن لا نستطيع أن نحدس من يجرؤ على هذه الفعلة ! »

— « أنا أقولها ؛ وحسبى أننى استطعت أن أكلمكم بلسانكم الهيلانى كواحدة منكم ! »

— « وهكذا استطاعت البيثونة [1] من قبل ... ! وكان كلامها ملغوزاً دائماً كذلك ! »

— « يا للشجى ! يا للجمر المتقد ! إنها تقدم ! النوث يا أبولاو ! يالى من تاعسة ! هذه اللبؤة الآدمية ! إنها تضطجع مع الذئب بينا أسدها الهصور نازح عن الديار ... وأنا ! أنا التاعسة قد جئت لأضاعف أحقادها عليه ؟ جئت لأجعل السكين مسنوناً أكثر ! ها هى ذى تحدث ذئبها أنى أنا أيضاً ينبغى أن أذبح جزاء لى ! ... فيم إذن أبقى على مسوحى وعصاى ! عصاى السحرية ! لأمزق المسوح ولأحطم العصا ! (وتمزق وتحطم) إذهبا إلى الفناء فإنى لاحقة بكما ! كونا فاندى إليه ! سأتبعكما ، أتنسيا حياة ثانية غير حياتى ! ... انظروا انظروا ! إن أبولاو ينزع عنى المسوح بيديه ! آه ! أقبلت لترعانى فى هذه الأجمة الوبيئة ! لتسر قلبك بإهانتى ووخزاتى ! بسخرية أهلى من قبل ، ولعنات أعدائى ولعنات وطنى اليوم ! إنهم يزعموننى قديسة شحاذة ! أو كاهنة أفاقية ! يا للهول ؟ ماذا خبأت لى أيها القدر ؟ وى ! الوَضَم [2] ! السكين المشحوذ ! الضربة اللازبة التى تتم بها التضحية ! ... ياسماء ! إن الذى يأخذ بثأر الأبرياء ما يزال حياً [1] ! ... ويحك يا قاتل أمه أين أنت ؟ خذ بثأر أبيك أيها الجائل فى الآفاق ! ... وى ! فيم بكائى ، وها هو قاهر طروادة وقاتل بريام يلقى جزاءه وفاقاً ! مرحباً يا موت ! أنا لا أهاب الردى !

— ولكن ! ... الصلاة ! ... الصلاة يا أربابى ! أضرع إليكم أن يكون جرحى بالغاً مميتاً فلا يعذبنى طويلاً ! لتتدفق منه حياتى فلا يعترضها شىء ... »

ايتها الفتاة التى تطمها الهواجس ، حسبك ، فقد بلغت المدى ! وللآلهة أنت ! كيف تتقدمين إلى حتفك بقدم ثابتة ، ونفس رابطة ، وأنت تعلمين من الغيب كل شىء ؟ لم لا تفرين ؟ »

— « وأين نفر من المنايا وقد جاء أجلنا ؟ »

— « كيف ! إن لكل مهلة قيمتها ! »

— « حم القضاء ، قلت لكم يا رفاق ! أية مهلة إذن ؟ إن الهرب لا يجدى فتيلا ! »

— « إيه ! رب قتلة شريفة تختم حياة مليئة ! »

— « ويلى عليك يا أبى ... وعلى أبنائك التاعسين ! »

( وتتقدم إلى باب القصر ... ثم تقف مذعورة ) .

— « ماذا يفزعك يا فتاة ؟! »

— « ويلاه ! »

— « ماذا ؟ »

— « تلك الغرف السود تضج بزفير الجريمة ! القتلى يسبحون فى لجة من الدم ! »

— « إنها دماء القرابين فلا تفزعى ولا تراعى . »

— « بيت كأنه قبر ! لولا هذه الدماء ... ! ولولا ذاك الصلول [2] »

— « تروَّى من الصلول فقد ورمت أنوفكم من عطور الشام وطيوبه ! »

— « لأدخل إذن ... ولأرو بالدمع حظى العاثر ، وحظ الملك التاعس ... أجاممنون ! سئمت تكاليف الحياة يا رفاق ! لابد أن تقتل امرأة بامرأة ، ورجل برجل ... وتلك أخرى نبوءاتى ... سيقتص لى ، ولكل مقتول برىء ! ... »

( وتنطلق داخل القصر )

— ٢٠ —

ويقف الخورس مشدوهين لما ألم بهذه الفتاة ، ويتحدث

(١) أنثى عظيمة قيل إنها خلقت من وحل الطوفان الذى نشأ عن غضب زيوس فى حربه ضد التيتان — وقد قتلها أبولو
(٢) خشبة الجزار

(١) تقصد أورست بن كليتمنسترا الذى يأتى ليثأر من أمه لأبيه
(٢) النتن

بعضهم إلى بعض عما حشدت في حديثها من ألغاز، وبثت من طلاسم وأسرار ... وتقطع حديثهم صرخة داوية داخل القصر ! ...

— « آه ! أهكذا أذبح في قصري ! ؟ »

وتزداد دهشة الخورس، وتزداد ثقتهم بنبوءات كاسندرا ... فالصوت صوت أجاممنون لا غيره ! ... ويهمون أن يدخلوا ... ولكنهم يتريثون ... ويعود الملك إلى صراخه :

— ( آه .. آه ! أهكذا وبهذه اليد أضرب حتى أموت ! ؟

ويعود الخورس إلى لغطهم فبعضهم يشير بالدخول ليكونوا شهداء مقتل الملك — ويتقاعس بعضهم كأن الأمر لا يهمه ... ... ثم يشير رئيسهم أن يتريثوا حتى تنكشف جلية الأمر . . .

وإنهم ليهمون أن يقتربوا من باب القصر حتى تنفضح الملكة بينما هي تلف جثمان القتيل في الوشي الذي أعد لاستقبال الملك الظافر ... قاهر طروادة !

ولا تستحي أن تعترف بما اقترفت، بل تصرح أنها دبرت الأمر وأخذت له أهبته، وأنها فرحة به مسرورة له ...

— « يا للاجتراء أيتها الملكة الآثمة ! ... »

— « آثمة أو غير آثمة ... تمدحون أو تقذعون ... سواء لدي ! إنها جثة مليككم أجاممنون، هذه الجثة المدرجة في لفائفها أمامكم ... وأنا مزهوة بأن قتلته ... ! »

— « أيتها المرأة ! أي سوء اختلط بدمك، وإثم خامر قلبك، فتقتلين رجلك وأمير المملكة ... أبشري بلعنة الجماهير وغضب الآلهة ! ... اليوم يفلت من يديك زمام الأمور ... »

— « لعنة الجماهير، وغضب الملكة ... وزمام الأمور ! مضحك ! سرعان ما تحكمون على ما لا تعلمون ! وأين كنتم يا سادة ؟ وأين كانت جماهيركم وآلهتكم يوم ذبح أجاممنون الوحش طفلته ؟ ... أين كنتم يوم أهوى على عنقها بالسكين كما يهوى على رقبة شاة ! إفجينا ! ابنتي ! قطعة قلبي وكبدي ! ؟ ذبحها أبوها الوحش ! لماذا ؟ لتهدأ العاصفة، وتسير السفين باسم الشر مجراها ومرساها ! ! ماذا تقولون إذن ؟ وأين كنتم يا سادة ؟ ولم يفلت من يديه زمام أموركم يومئذ ؟ لم لم يقص عن عرشكم، وتنزل عليه لعناتكم، ويحل عليه غضب آلهتكم ؟ آه ! ولكنكم تخلطون المين بالحق ... ودأبكم أن تسارعوا إلى الحكم دون روية ولا تبصرة ! »

— « حماسة وقحة وتبجح أثيم ! ويل لك حين تؤدين الدين من دمك، إذن تفيقي ! »

— « أقسم بأبتيه وإرينيس، آلهة القوة والمجد ! »

— « تقسمين على فسقك وغرامك الدنيء الدنس ؟ ... »

— « أجل ! على غرامي وحبي ... حبي لهذا البطل المظلوم إيجستوس الذي دبر لي كل شيء، وأعانني على كل شيء ... وشاركني في هذا الدم ! أنا لأن مليككم قتل ابنتي، وذهب إلى طراودة ليغازل خريسيز ويرشف الرضاب الحلو من فم بريسيز، ثم يعود ظافراً وفي ركابه هذه القينة الفاجرة التي جلست بجانبه تسكره بخمر حديثها ... وهو، وإيجستوس ( لأن له إخوة ذبحوا وأكل أبوهم من لحومهم وشرائح من أكبادهم ... ثم قتل بعد ذلك ! ... ومن قتله ؟ أخوه ؟ ... يا للهول ! ... هو الذي ذبح الأطفال الأبرياء ! وأطعم أخاه لحومهم وقلوبهم ... ! ) »

— « المرأة ! دائماً المرأة ! يا أخت هيلين ! ! كم أرواح مطهرة فاضت لأن أختك أثمت، وتردت في حمأة الفسق ! الفاجرة التي فرت مع عاشقها من خدر زوجها ! ثم أنت ؟ أنت أختها ؟ ومن البذرة السيئة نبتت مثلها ؟ ؟ »

— « عليكم أنفسكم مالكم ولهيلين ! »

— « ... آه أيها الغراب الناعب ! رفي على جثة زوجك، وانعق ... هات أغنيتك المنكرة، ورتلي أنشودة جرعتك في جناز رجلك ! ... »

— « حاشاي أن أكون صنعت ما صنعت وأنا بعد زوجته أو هو بعد رجلي ! بل صنع هذا ولية أتريوس ! أتريوس أبو أجاممنون ! الوحش الذي أطعم أخاه لحم أبنائه ! هو الذي ترك لابنه الملك هذا الارث المظلم ... قتل ... فليقتل ! وليقتل من بعده أبناؤه (١) ... فيا للقصاص ! ؟ »

— ٢١ —

وتستطيع الملكة بذلاقتها وقوة برهانها أن تخدع الخورس وأن تقنعهم — إلا قليلاً ! فقد قتل الملك ابنته حين قيل له إن السماء تطالب دماً، وهذا منتهى الظلم، وقد قتل أبوه أبناء أخيه وأطعمه لحومهم ... وهو بذلك ورث أبناءه العذاب ... والقتل ... والدم ... !

وما يكاد الخورس تهدأ ثورتهم ... حتى يحضر إيجستوس حبيب الملكة ... وشريكها ... ومدبر الأمر معها ... والذي ذبحت إخوته وأطعمت لحومهم أباه المسكين ! ... يحضر والبشر

( البقية في ذيل الصفحة التالية )

(١) وهذا هو محور مآسي اسخيلوس (قد يجر الوزر وبالاً عظيماً على الشخص وعلى أحفاده وأحفاد أحفاده)

# البريد الأدبي

### وفاة الأستاذ الشيخ محمد زيد بك

استأثرت رحمة الله بالأستاذ العلامة المغفور له الشيخ محمد زيد الابياني ، فرزئت بفقده الشريعة الاسلامية التي كان علماً من أعلامها ، ورزئ العلم الغزير ، والافتاء الصائب ، والخلق الكريم ، والتواضع الجم . كان الفقيد من أبناء مديرية الغربية ، وتلقى دراسته بدار العلوم ، وعين منذ تخرجه فيها لتدريس الشريعة الاسلامية بمدرسة الحقوق ؛ وما زال زهاء أربعين عاماً يتبوأ منصة التدريس في هذا المعهد الجليل ، متوفراً في نفس الوقت على دراسة الأصول والمسائل الشرعية حتى غدا بحق مرجعها الفذ وحجتها الثقة ؛ وكانت الشريعة الاسلامية إلى هذا المعهد تدرس بأساليب عتيقة مضنية ، قلما تعاون على خلق العقلية الفقهية الصحيحة ، فاستطاع الفقيد بذكائه ومثابرته وعقليته الفقهية المستنيرة أن يختط لتدريسها منهجاً بديعاً قريب المأخذ جم الفوائد ؛ ووضع لهذه الغاية عدة مؤلفات قيمة ، تشهد له بغزارة المادة وبراعة الاستقراء والعرض هي : شرح الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية ، شرح المعاملات الشرعية ، مباحث المرافعات الشرعية ، مباحث الوقف . وما زالت هذه الآثار التي تضارع في وضوحها ودقتها وحسن تنظيمها أقوم الشروح القانونية الأوربية ، مرجعاً نفيساً لطلاب الحقوق والأزهر ، ونبراساً قيماً لرجال القضاء والمحامين

ولا نعرف أستاذاً من أساتذة الجيل المنصرم له ما للعلامة الراحل من فضل وأثر سابغين في بعث النهضة الفقهية الحديثة ، وتكوين العقلية الشرعية المعاصرة ؛ بل لا نعرف أستاذاً من أساتذة الجيل المنصرم تخرج على يده مثل تلك الجمهرة الحافلة الممتازة التي تخرجت على يد الشيخ زيد . وقلما نجد بين عظماء مصر وبين زعمائها وساستها ومفكريها وكتابها - وجلهم من خريجي الحقوق - من لم يدرس على الشيخ ، وليس بين أعلام القضاء وأعلام المحاماة المعاصرين ، بل ليس بين رجال القانون والقضاء المصريين جميعاً من لم يتلق عنه ويتخرج على يديه ؛ فهؤلاء جميعاً عرفوا الشيخ أحداثاً وفتياناً ، ونهلوا من غزير مورده ، واستطاعوا جميعاً أن يقدروا مواهبه ورفيع خلاله

وكان الفقيد يتمتع فوق علمه الغزير ، بأخلاق طاهرة وشمائل باهرة ؛ فقد كان جم التواضع والأدب ، كثير الحلم والرفق ، سباقاً إلى الخير ، يعامل طلابه معاملة الأب البار ، ويتمتع بحبهم وتقديرهم جميعاً

طيب الله ثراه ، وشمله بواسع رحمته ، وعوض عنه الأسرة القضائية خير العوض

«ع»

### كتاب عن ابراهيم باشا

صدر أخيراً كتاب بالانكليزية عن ابراهيم باشا المصري (ابن محمد علي) عنوانه «ترجمة جديدة لابراهيم باشا A new Life of Ibrahim Pasha» بقلم الأستاذ ب . كرابتيس الامريكي الذي ظل منذ أعوام طويلة قاضياً بالمحاكم المختلطة بمصر ؛ والأستاذ كرابتيس يعنى أثناء إقامته الطويلة بمصر بالشؤون والمسائل المصرية الفقهية والتاريخية والاجتماعية ويكتب عنها في مختلف

---

يقطر في وجهه ... وللنصر المؤزر سورة في قلبه ... فما يكاد يذكر الماضي المؤلم الذي حل بلاؤه باخوته ، وهذه الخاتمة التي خات بابن أتريوس المسكين (أجاممنون) حتى يثور ثائر الخورس ، ويهتف رئيسهم :

— « أ كان هذا النذل يتقلب في أحضانك أيتها الملكة على فراش الملك ؟ ... أ كنتما في نشوة الفسق ، وسكرة الغرام ، ترسمان للملك هذه القتلة المدبرة ، »

ويهم إيجستوس أن يفتك بالخورس وبرئيسهم قبلهم ، لولا تدخل الملكة ، وأنها ترجو أن تضع حداً للمجزرة ! ...

فيتوعدهم إيجستوس حين يصبح الأمر له ، وحين يحمل رأسه المجرم عرش آرجوس ... ... ولكن ... هيهات !

دريني خشبة

المجلات الأجنبية ؛ وقد تزود فى وضع مؤلفه الجديد عن ابراهيم باشا بطائفة هامة من الوثائق والمراجع الرسمية وغير الرسمية التى يحتفظ بها سراى عابدين ، واستطاع أن يجمع أشتاتا قيمة أخرى من المعلومات والوقائع المجهولة عن تاريخ ذلك العهد وعن حياة القائد الكبير

وقد كانت حياة ابراهيم دائماً تعتبر فى المرتبة الثانية إزاء حياة والده العظيم ؛ ذلك أن شخصية محمد على وجهوده السياسية والاصلاحية الجبارة كانت تلقى حجاباً على جهود ولده ابراهيم ، ولم يكن ابراهيم فى نظر التاريخ سوى ساعد والده الأيمن وقائد جيشه ؛ ولم يكن له ضلع فى السياسة أو الشؤون العامة ، ولكن الأستاذ كرابتيس يحاول أن ينفى هذا التصور ؛ فقد كان ابراهيم فى نظره سياسياً عظيما كما كان قائداً عظيماً ؛ وكان له فى السياسة والشؤون العامة آراء فذة ؛ بيد أنه لم يكن يتفق دائماً فى الفكرة مع أبيه ، فقد كان يرى مثلا أن فوزه بتحطيم الوهابية فى الحجاز خطوة أولى فى سبيل تحقيق حلمه العظيم بانشاء إمبراطورية عربية إسلامية ، ولكن محمد على كان دائماً يجانب هذه الفكرة مؤثراً مصانعة السلطان والتفاهم مع الدولة العلية

ويستعرض المؤلف حياة ابراهيم العسكرية ، وحملاته وغزواته المختلفة بدقة وإفاضة ، ويقول لنا إن أطماع محمد على لبثت فى سبيل التحقيق والنجاح ما بقيت محصورة فى بلاد العرب ، ولكنها مذ بدأت تتجه نحو الشمال ، أخذ الحظ يجانبه والمصاعب تتفاقم فى وجهه ؛ وقد كان اشتراك مصر فى حوادث اليونان ظرفاً مشئوما جنت منه مصر شر العواقب . بيد أن محمد على لم تفتر همته وأطماعه ، حين حطم أسطوله فى نافارين ، فأنشأ دار صناعة جديدة بالاسكندرية ؛ وكان ذلك الرجل البعيد النظر يعلق دائما أهمية كبيرة على قوة مصر البحرية

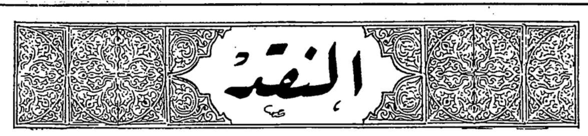
ويقول لنا الأستاذ كرابتيس إن الزمن لم يفسح مجالا لابراهيم ليثبت عبقريته السياسية بصورة فعالة ، ولكن الموت عاجله ، ولما يمض على صدور الفرمان بتعيينه واليا لمصر سوى ستة أسابيع ؛ وقد توفى فى التاسعة والخمسين من عمره ، بعد أن عانى تبارح الآلام والمرض ردحاً من الدهر

## الحياة الأخرى

ما زالت مسائل الروح والحياة الأخرى تثير على كر العصور طلعة الانسان وروعه ؛ وقد اشتركت أديان الأرض جميعاً ؛ والديانات فى كل قطر وعصر ، فى التحدث عن الحياة الأخرى ، ولكن التفكير الانسانى لم يهتد حتى اليوم إلى نتائج حاسمة فى هذا الموضوع الخفى ، وما زال فى كل عصر يحوم حوله بمختلف الفروض والنظريات . وقد صدر أخيراً كتاب بالفرنسية فى هذا الموضوع عنوانه : « الحياة بعد الموت فى معتقدات الانسانية » بقلم كاتب أمريكى هو جيمس تاير أديسون ، وقد اتبع المؤلف فى كتابه الأسلوب العلمى ، ولكنه يعرض لنا من جهة أخرى فى عدة فصول وصور قوية بعض ما ينتاب الانسانية من أسباب المخاوف والروع من جراء تصور الحياة الأخرى وما وراء الموت .

وما زال الموت يروع الأحياء الذين يرون ملايين الموتى يذهبون تباعا إلى عالم لا يعرف كنهه ، ولكن الأحياء يخضعون حتما إلى قدرهم . ويبسط لنا المؤلف مختلف المعتقدات والنظريات الانسانية والملية فى مسألة الحياة والموت ، فى كل عصر وكل قطر ؛ وهذا القسم أمتع أقسام الكتاب ؛ ويلاحظ أن التباين فى المعتقدات الانسانية على كر العصور وفى مختلف الأمم لم يمنع من وجود بعض التماثل بين معتقدات الانسان الأول وبين معتقدات أرقى المجتمعات ؛ والظاهر أن هذا التماثل إنما يرجع إلى أن غريزة الفضول والروع لا تختلف فى جوهرها عند الانسان الهمجى والانسان المتمدن ، فكما أن الجميع سواء أمام الحياة والموت ، فكذلك يشعر الجميع بنفس الجزع والفضول والروع

ويحدثنا المؤلف أيضا عن مختلف النظم والرسوم التى تتبع فى مختلف الأديان والأمم للعمل على سلام الروح ، وتزكية الراحلين عن هذا العالم إلى العالم الآخر



## « محمــــد »

### كتاب الأستاذ توفيق الحكيم
### للأستاذ محمد سعيد العريان

أيكون لى أن أكتب عن توفيق الحكيم فى كتابه «محمد» بعد إذ كتب الزيات والرافعى ، أم يكون من فضول القول أن يَعْرِض مثلى لذاك وقد كتب الأستاذان الجليلان مأبلغا وبَلَغا ما لا مطمح لى وراءه . . . ؟ ولكن كتابا يصنّفه « توفيق الحكيم » عن « محمد » جدير بأن يثير الفضول ، وأن يعذر من يقول فيطيل القول . . .

وما لتوفيق الحكيم ولمحمد ؟

أما المؤلف فشابٌ من شباب هذا الجيل دَرَس دراسة أهله فى هذه المدارس الدنية التى تقول لمن يدخلها « أنتَ لستَ من هذه الأمة التى تَسلسلتْ من العرب ، واهتدتْ بهدْى الاسلام ، ونمت من روح الشرق وسرّ روحانيته ؛ فاذهب فالتمس أمةً غير أمّتك تفخر بمجدها وتباهى بماضيها ... ! »

وأما « محمد » فهو ذلك السرُّ الأعلى الذى يستغلق على من لم يتصل بروحانية هذا الشرق ، ويَغْمض على من لم يتعرف سرَّ هذا الدين ، ويستخفى على من لم ينشأ موصول النسب بتاريخ الأدب القديم ... وأين توفيق الحكيم من ذاك .. ؟

على أن هذا البون البعيد بين توفيق الحكيم وتاريخ « محمد » هو الذى دعاه إلى أن مدّ نظره إلى بعيد يتنوّر هذا السرّ من مطالعه ، ويستشرف لهذا النور من مشارقه ؛ فحياة محمد كانت الى قريب وقفا على طائفة من أهل العلم ، لا يتناولها إلا من أوتى كثيراً من الصبر على المعاناة فى استخراجها ، وكثيرا من القدرة على تنقيتها من فضول القول وحَشْو الرواة ولَغْو القُصّاص ، وقلّ من ملك القدرة والصبر على مثل ذاك ؛ ثم جاءت طائفة من كرام العلماء فجهدوا جهدهم فى جلاء هذا التاريخ والكشف عنه ، فكتب المرحوم الخضرى بك ، وكتب جاد المولى بك ، وكتب الدكتور هيكل ، وكتب رضا ، فبلغوا مبلغهم فى ذاك ، واستطاع الناس أن يقرأوا « السيرة » كما ينبغى أن تُقرأ ، وأن يعرفوا من تاريخ الرسول ما لم يكن يعرف إلا الخاصة من علماء هذا الدين . ولكن أترى هؤلاء العلماء — على ما بلغوا من التوفيق فيما جاهدوا ، وما أصابوا من الاجادة فيما عملوا — قد استطاعوا أن يحملوا واحداً لا يهتم بسيرة الرسول على أن يقرأ سيرة الرسول ، أو دعوا نفرا من شبابنا الذين لا يحسنون إلا اللهو والعبث الى التماس الجد فى حياة محمد وابتغاء المُثُل العليا فى تاريخه . . . ؟ لو أن واحداً من هؤلاء الشباب قرأ شيئاً من ذلك لأفاد وانبعثتْ نفسه ، ولكن أين ما يحمله على أن يقرأ ... ؟ إن هذه الكتب على ما أُجدَت قد عجزت أو كادت عن اجتذاب هذا النوع من الشباب الذى لا يعرف شيئاً عن محمد ولا يهتمّ أن يعرف ؛ ولكنَّ لرجل الفن سبيلا غير ذلك ، وقد عرف توفيق الحكيم سبيله

***

قصد المؤلف من كتابه الى عرض حياة الرسول الكريم عرضاً يكشف عن دقائقها ويجلو صورها على أسلوب من الفن بعيد عن فلسفة العالِم وتحقيق المؤرخ ، على أن فيه الفلسفةَ وفيه التاريخ كما ترى الحادثة بصورتها فى حياتنا المادية مرئية مسموعة ، تفعل فعلها فى النفس وتترك أثرها الملقىّ من غير تعليق ولا بيان ؛ والأستاذ توفيق فى فنّه باعٌ وذراع . . . فهو قد درس « القصة » دراسة العلم ، وفقهها فِقْه الأدب ، وعالجها علاج الفنان المبتكر ، وانتج فيها إنتاجا سيخلد به بين أدباء العربية ؛ ولا أغلو إذا قلت إننى لم أقرأ حوارا تمثيلياً فى العربية يعجبنى ويلذّنى مثل حوار يصنعه توفيق الحكيم

بهذه القدرة الفنية قرأ توفيق ما كتب القدماء عن السيرة ، ومحاسة الفنان تمثلت له ( مناظرها ) كما تقاها في كتابه . وهو ضرب من الرواية لا نستطيع أن نضع له اسما من أسماء الرواية ، فهو ليس قصة ، وهو ليس رواية ، وهو ليس ترجمة تاريخية ، ولكنه منها جميعاً ؛ وهو مناظر حوارية ، يباعد بينها الزمان والمكان ، وتجمع بينها وحدة الموضوع والغرض ؛ على أنه ليس للمؤلف فيها شيء من لغة الحوار ولا أسلوب الكلام ، فليس له منها أكثر مما للمصوِّر يرسم لك جزءاً من الزمن في ورقة ، لا ينقل إليك الزمان الماضي ولكن ينقلك إليه ، فاذا أنت ترى منه أكثر مما تريك الصورة ، وتسمع منه ما لا يُسمعك الرسم الصامت

ولا شك أن المؤلف قد جهد جهداً غير يسير في إخراج كتابه على ما يشتهي ، فهو نوع لم يُسبق إليه ، وباب اخترعه في فن الرواية ليس له حدود مرسومة تهديه السبيل ؛ هذا إلى أن الموضوع دقيق ، يقتضي الصبر والأناة وحسن الاحتيال ؛ وما ظنك بالكاتب المسلم يؤلف شبه رواية عن محمد ، يجرى الكلام فيها على لسانه من غير أن يخترع أو يتزيد ؛ ثم هو مع ذلك يحاول أن يرضى الفن ويسلم بدينه في وقت معاً ... ؟ ولكن المؤلف بسبيل هذا الفن قد تصرف في موضعين : أما أولهما فانه كان يجد بعض ما روى عن النبي محكياً بلغة الخبر لا بلغة الحديث ، واتجاهه في الموضوع أن يجعل القصة حواراً : كلاماً يجيب كلاما ، وخبراً يرد على خبر ، فلم يجد أمامه إلا أن يترجم الخبر إلى لغة الكلام لتستقيم له طريقته في الأداء . فمن ذلك مثل ما تقول كتب السيرة : « استأذن فلان على النبي ، فأذن له . » يؤديه المؤلف حواراً كما يلي :

— : إيذن لفلان يا رسول الله ...

— : أذنت

وهذا وإن لم يكن قولَ النبي — لأن عبارته في الاذن لم تنقل إلينا في الحديث — جائز فيما أراه ، فهو باب من رواية الحديث بالمعنى ، وقد أجازها رجاله . على أن هذا النوع في الكتاب قليل جداً لا يتجاوز بضع عبارات ؛ ولعل أطول عبارة أجراها المؤلف على لسان النبي ، هي ذلك الدعاء الذي ترجم له كتاب السيرة بقولهم : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحنث في غار حراء ... » فرأى المؤلف من تمام موضوعه أن يجعل على لسان النبي كلاماً يدعو به ربه في تحنثه ( ص ٣١ ) ، وأحسب أن المؤلف كان كثير الحرج في مثل ذلك ، فاني لأحس في أكثر من موضع من الكتاب أن كلاماً هناك كان ينبغي أن يقوله محمد فلم يقله ( المنظر الثالث ف ١ ، النبي وورقة بن نوفل ص ٣٧ )

أما الوضع الثاني الذي تصرف فيه المؤلف ، ففي ترتيب مناظر الكتاب ، فهو لم يلزم الترتيب الزمني الذي جرت عليه السيرة ، فقدّم وأخر ، ومازج حوادث بحوادث ؛ وليس في هذا — على إجماله — ما يعيب المؤلف ، فهو لم يقصد إلى أن تكون للكتاب وحدةُ القصة ، بحيث تنبني حادثة على حادثة ، وتأتى مقدمة بنتيجة ، بل جرى على أن يجعله مناظر يُعطى كلُّ منظر منها أو مناظر صورة خاصة لفكرة أو حادثة بعينها ، ثم أن يكون للقارئ من مجموع هذه الصور في النهاية ، صورةٌ محدودة للنبي الكريم كما يجب أن يعرفها المسلم ...

... الآن قد فرغت من عرض الكتاب كما أراد مؤلفه وكما دلّني على نفسه ، وإني لأشهد أن مؤلفه قد وُفِّق توفيقاً كبيراً فيما حاول ، وبلغ بهذا الكتاب ما لا يبلغ غيره ؛ وما أحسب أن لي في هذه الناحية أن أتكلم عن توفيق الحكيم في فنه ، فمن للعربية في فن الرواية مثل توفيق ؟ على أن هذا الكتاب باب جديد هو زاده وأنشأه في فن القصة ، فمن الفضول أن تقول له : أنت اخترعت وأنت لم تبلغ حد الكمال ... !

ولكن طابع توفيق الحكيم وشخصيته الفنية لم يكونا ظاهرين مميزين في أسلوب الحوار وفي تساوق القصة ظهورهما وتميزهما في سائر ما ألف . وسر ذلك واضح ، فهو هنا لم يضع الكلام ، ولم يخترع الحادثة ، بل نقل وصنف ، وداخل ومازج ، وإنما تجد طابعه وشخصيته حيث يجد لنفسه الحرية فيما يقول أو فيما يضع : ( اقرأ الحوار بين إبليس والحية ص ١٥٣ — ١٥٧ ، وموت أبي طالب ، وغزوة بدر ، وحديث الافك ، ونشأة القبور ) فانك واجد فيها وفي كثير غيرها روحاً وحياة وفناً ، فكأنك معها ترى وتسمع وتحس

وأكثر الكتاب من لغة الرواة ، لاءم بينها المؤلف ما استطاع ليربطها على أسلوب من البيان منسجم ، فأي جهد

حمل من ذلك ؟ . . . ولكن عبارات وكلمات نقلت على غير وجهها مما أخطأ الأقدمون فى نسخه ، وعبارات وكلمات جاءت متداخلة من وضع المؤلف ، فأخلت بنظام الكلام فى غير موضع ، ونبا بها مكانها من ذلك البيان العربى المشرق . على أن ذلك لا يعدو بضع عشرة كلمة فى الكتاب كله ، فما نراها إلى جانبه بشيء ذى بال .

وقد كان جهد المؤلف كبيراً فى ربط الروايات المختلفة والتوفيق بينها ، ليخلص منها إلى الرأى الذى يرى ؛ وكان إلى ذلك حريصاً على أن تسكون ( المناظر ) قليلة بقدر ما يتأتى له ، فجاء من ذلك أن يجمل الحوار فى منظر واحد لأكثر من موضوع ، وإذ كان الحديث كله بين المتحاورين من الآثار المروية لم يغير ذلك شيئاً من نص الكلام كما نقله السلف ، ولكنه غير جوه فتغير من ذلك مدلوله ؛ فمن ذلك حديث النبى عن زوجاته فى الجنة ، إلى خديجة وهى تحتضر - (وفاة خديجة ص ١٠٠) ؛ ومنه حديث « حُبِّبَ إلىَّ الطيب والنساء » وروايته على مسمع عائشة فى غيرتها المشبوبة وقد جاءها النبى يهم أن يتزوج جويرية بنت الحارث .

وجاء فى خبر عثمان بن مظعون أن ملاحاة كانت بينه وبين لبيد بن ربيعة قبل هجرته إلى الحبشة ، وأحسب ذلك كان بين الهجرتين ؛ فقد كان عثمان على رأس الفوج الأول إلى الحبشة ، ثم عاد فاستجار الوليد بن المغيرة حيناً ، ثم خلع جواره وكان بينه وبين لبيد الشاعر ما كان بعد خلعه جوار الوليد ، ثم هاجر ثانية إلى الحبشة (ص ١٠٥) .

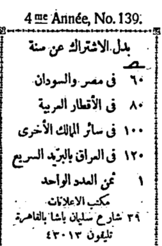
ونقل الكتاب فى حديث الافك ( ص ٣٧٦ — ٣٧٧ ) أن أم مسطح قالت : تعس مسطح . إذ وجدت ما وجدت فى وجه عائشة من إعياء المرض ؛ والذى أذكره أن أم مسطح قالت ذلك لغير هذا السبب ، ولا أرى داعية للعدول عن المأثور فى الرواية

أما بعد ، فما حاولت بما أسلفت أن أنقد ، ولو أننى حاولت لما وجدت ؛ وإنما أذكر هذه الهنات كشهادة على براءة الكتاب وكماله ؛ وحسبُ توفيق الحكيم أن يخرج كتاباً عن محمد على نهج جديد فى الفن ، ثم لا يجد الناقد فيه غير ما قدمت ، وإنه لتوفيق من الله أن يتهيأ لحياة محمد أديب كبير مثل توفيق يربط أسمى ما فى الفن بأقدس ما فى تاريخ الاسلام . وما أحسبنا - وهذا الكتاب بين أيدينا - سنشكو القطيعة بعد اليوم بين شبابنا الذين يعشقون الجديد ويقدرون الفن ، وبين سيرة النبى الكريم . وإنى وقد فرغت من قراءة هذا الكتاب منذ قليل لأشعر بالحنين إلى الساعات السعيدة التى قضيتها منه كأنى أعيش فى عصر النبوة ، وما أرى هذا الحنين سيتقضى حتى أعود إلى الكتاب فأقرأه مرة ومرة ومرات ، حتى أروى ما بنفسى من ظمأ إلى هذا الكوثر العذب ، وهيهات أن أشعر بعدُ بأنى شربت حتى رويت . . .

( شبرا ) محمد سعيد العريان

4 me Année, No. 139.

[Lundi-2-3-1936


بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات

٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة

تليفون ٤٣٠١٣




مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع المبدولى رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الرابعة « القاهرة فى يوم الاثنين ٨ ذى الحجة سنة ١٣٥٤ — ٢ مارس سنة ١٩٣٦ » العـــدد ١٣٩

فهرس العـــدد



# شباب العراق فى مصر

قل لأولئك الذين زعموا أن مصر نَبَتْ على العروبة فقطعت الأسباب الموصولة ، وأيبست الأرحام المبلولة : تعالوا فانظروا كيف بَشَّتْ بالعراق بشاشة الألفة ، ورفَّت لبنيه رفيف القرابة ، وأشبلت عليهم إشبال الأمومة ! تعالوا فاسألوا شباب الفراتين : هل كانوا على ضفاف النيل فى أرض غير أرضهم ، وقوم غير قومهم ، وبيئة غير بيئتهم ؟ لقد كان إقبالهم على محطة القاهرة كإقبال الربيع ، واستقبالهم فيها كاستقبال العافية ! نزلوا من القطار على أكتاف البهاليل من شباب النيل ، وحلوا فى قلوب الميامين من رجال الوادى ، وهتفت الجموع الحاشدة باسمى فؤاد وغازى ، وجرت الألسن الخاطبة بلفظى القرابة والوحدة ، وتلاقت العواطف الظامئة على ورْدى الإخاء والمودة . ودخل الطلاب العراقيون فى غمار الألوف المتهللة ، فتجاذبت الدماء ، وتمازجت القلوب ، وتعاطفت الذكريات ، وتجاوبت الأمانى ، وترجمت اللغة ! ثم كانوا طوال الأسبوع المنصرم غبطة القاهرة وبهجة الأندية وحديث الصحف ، يظلون من مطلع النهار إلى مقطع الليل

غرقى فى احتفاء المدينة بين ترحيب يومض فى العيون ، وتسليم يفتر فى الشفاه ، وإعجاب يدوى فى الأكف ، وكرم يفيض على الموائد ، ثم لا يسعفون كل مشوق لسعة الحركة ، ولا يجيبون كل داع لضيق المدة

والحق أن الشباب العراقيين كانوا كما قال الدكتور محجوب : طاقة من شتيت الزهر النضير قدمتها بغداد إلى القاهرة فى العيد! مثلوا العراق فى الرجولة والعزة ، ومثّله الأستاذ منير القاضى فى الوقار والنبل ، فكانوا بهذا المظهر الجميل دليل اليقين لمن يطيع فى أمتهم الشك ، وشاهد الاطمئنان لمن يعقد على نهضتهم الأمل !

***

كان مبعث الجفاء بين أقطار العرب انقطاع الأسباب وبعد الشقة ؛ ثم غشيت كل سماء من سمواتها الزهر غمة من أطماع الغرب ، حجبت عن العيون الضياء ، وعن النفوس الصفاء ، وعن العقول المعرفة ، فذهب القوم أشتاتاً يتلمس كل امرىء فى الظلام طريقه ! حتى إذا استيقظ فى الوجدان شعور العزوبة ، وعاد فأشرق فى الأذهان نور الدين ، أبصرنا فإذا بيننا من بغى الإنسان حواجز تتقاصر عندها الخطى ، وتتنا كر دونها المعارف !

أزيلوا قائم الحدود ، وجددوا دارس الطريق ، تتلاق الوجوه وتتعارف الأخوة ؛ واعملوا ما يعمل فى العراق رسول الوحدة ياسين ، وفى مصر أمثال الوزير محمد على ، والزعيم طلعت حرب ، تجدوا الاتحاد العربى جارفاً كدعوة محمد ، سريعاً كفتوح أمية ، خصيباً كحضارة العباس !

إن الأرض لتزلزل فى كل مكان بالدخيل يا بنى (الهلال الخصيب) ! وإن تاريخ الجدود لينبجس فواراً حاراً من صحون المساجد الجامعة ! هل تذكرون ثورة بغداد فى جامع الحيدرخانة ؟ هل رأيتم غضبة دمشق فى الجامع الأموى ؟ هل سمعتم صرخة القدس فى الجامع الأقصى ؟ هل علمتم وثبة القاهرة من الجامع الأزهر ؟ إن لذلك معنى عجيباً لا يندّ عن خاطر ولا يلتوى على ذهن ؛ ذلك أن المنارة التى يذكر عليها اسم الله ، لا تزال هى المكان الذى يرتفع فيه صوت الحرية ، وأن المحراب الذى يقوم فيه الدين ، لا يزال هو الركن الذى يأوى إليه الحق ، وأن الإسلام الذى ألف شتيت البدو فى الأول ، هو النظام الذى يجمع شمل العرب فى الآخر !

***

لقد كانت زيارة الطلاب العراقيين فرصة ميمونة لتوثيق الصلات التاريخية المقدسة ، صافحونا بالأيدى ، وخاطبونا بالألسن ، وسمعونا بالآذان ، فانمحت الفوارق العارضة ، وانجابت الحجب الكثيفة ، واستبان أن الخيال جان على الحقيقة ، وأن السماع كاذب على العيان ، وأن الوحدة المستحيلة أمر من الواقع !

نعى البرق شاعر العراق الزهاوى والمصريون والعراقيون فى حفلة اتحاد الجامعة ، فكان وقع المصاب فى نفوس الفريقين واحداً لا يختلف ؛ وقام كبير الأدباء فأبن كبير الشعراء بكلمة تلقاها الأخوان بعاطفة واحدة وشعور مشترك ، لأن الزهاوى كان يهزج بأغاريد الفجر على ضفاف دجلة ، فتتردد أصداؤها الموقظة فى ربوات بردى وخمائل النيل وسواحل المغرب ! وأدب الزهاوى وأمثاله هو الذى وصل القلوب العربية فى مجاهل القرون السود بخيوط إلهية غير منظورة ، ولولاها لم تكن هذه الزورة !

وبهذه الزورة وأمثالها نتعارف ونتآلف ونتحد ! فتعالوا يا أخلاف المجد الفقيد وأسلاف المجد الوليد نتعاون على دفع الأذى عن العزة المهانة ! تعالوا نقرّ فى سمع الزمان أن أمة الرسالة تريد أن تؤدى الأمانة ! ولكن قبل ذلك كله :

تعالوا نجدد دارس العهد بيننا   كلانا على هذا الجفاء ملوم

هذه هى مصر الصحيحة يا شباب الرافدين ! لا يزال دينها دينكم ، ولغتها لغتكم ، وهواها هواكم ! إنها لم تركم ولم تروها لأنها فى جوف الحوت ! وأنتم أولاء تسمعون حشرجتها الأليمة فى حلقه ، وستجيش بين معدته وأضراسه جيشان السم الزعاف حتى يلفظها حية سليمة كيونس ! حينئذ تتجه (ابنة الشمس) إلى مطلع الشمس ! وهنالك يكون مجد العرب اليوم كما كان هنالك مجدهم بالأمس ! وليس الشرق موطن الديانات والمدنيات بضنين ولا جديب .

احمد حسن الزيات

# أغنيـــة

## للأستاذ أحمد أمين

تعجبني أحياناً بعض الأغاني الشعبية ، إذ أراها تمثل روح الشعب وآماله وآلامه — وأراها أصدق في وصف الحياة المتنوعة مما يفعل أدباء اليوم ، فكل أغانيهم لا تمثل إلا عاطفـة الحب اليائس ، وما يتبعه من ألم بمض ، ولوعة مضنيـة ؛ أما الأغاني الشعبية ففيها الحب البـائس ، والحب الباسم ، وفيها التغني بالبطولة ، والشكوى من الظلم

وأحياناً فيها فلسفة اجتماعية كالأغنية التي سأعرضها اليوم ؛ ومرماها تصوير الهيئة الاجتماعية في صورة الجسم الواحد تتعاون أعضاؤه لتحقيق المصلحة العامة — وهو معنى عرض له الفلاسفة والأدباء في الأمم المختلفة قديماً وحديثاً — فمثّله اليونان مرة بإضراب أعضاء الجسم . قال القلب : لماذا أوزع الدم على سائر الأعضاء ولا ينالني أنا منه إلا قطرات ؟ فلأضربْ . وقالت المعدة : ولماذا أهضم أنا أيضاً الأكل كله وليس يصيبني منـه إلا قليل ، أفما كان الأولى ألا أهضم إلا ما ينالني ؟ فلأضرب . وقالت الأسنان : ومالي أنا كالطاحون تطحن دائماً ولا ينالني من الغذاء إلا قدر السمسمة ؟ فلأضرب . وقالت الرجل : وأنا دائبة السعي يميناً وشمالاً وليلاً ونهاراً في جمع العيش وتحصيل القوت ، ثم حظي من كل هذا فتات الموائد ؟ فلأضرب . وقال كل عضو هذا القول أو شبهه ، فأضربت الأعضاء جميعاً ، فلا الرجل تسعى ، ولا اليد تحمل الغذاء إلى الفم ، ولا الأسنان تمضغ ، ولا المعدة تهضم ، ولا القلب يوزع

ثم بعد قليل شعرت المعدة بالجوع ولم تستطع الرجل المشي ولا اليد الحركة ، وأدركت كلها أنها سائرة إلى الفناء السريع ، فاجتمعت على عجل وقررت فض الأضراب إذ رأت أن كل عضو يعمل لنفسـه ولغيره ، وأن غيره يعمل لنفسه ولغيره ، فالغرم بالغنم والربح على قدر الخسارة

ولحظ هذا المعنى شعراء العرب فقال أبو العلاء المعري فيه :

المرء كالنار تبدو عند مسقطها صغيرة ثم تخبو حين تحتـدم

والناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

وكل عضـو لأمر ما يُمارسُـه لا مَشْيَ للكف بل تمشي بك القَدَم

أما هذه الأغنية التي أشرت اليها فتمثل هذا المعنى من ناحية أخرى ظريفة ، وهي ارتباط الصناع وأرباب الأموال برباط وثيق ، لا يمكن أن يستغني أحد عن أحد . وهاهي بعد حذف ديباجتها :

« وحصاني في الخزانة ، والخزانة «عاوزة» سلم ، والسلم عند النجار ، والنجار عاوز مسمار ، والمسمار عند الحداد ، والحداد عاوز بيضة ، والبيضة في بطن الفرخة ، والفرخة عاوزة قمحة ، والقمحة عند القماح ، والقماح عاوز فلوس ، والفلوس عند الصريف ، والصريف عاوز عصافير ، والعصافير في الجنة ، والجنة عاوزه حِنّا » الخ ...

أغنية لطيفـة حقاً ، لا يزال أطفالنا إلى الآن يتغنون بها بتوقيعهم الظريف ، وصوتهم الشجي ، وهم إذ ينشدونها لم يدروا أنهم يتغنون بفلسفة عالية ، وفكرة سامية

قد يلاحظ عليها أن الربط في بعضها محكم كحاجة السلم إلى النجار والنجار إلى المسمار ، وبعضها غير محكم كحاجة الحداد إلى البيضة ، وحاجة الصريف إلى العصافير ، ولكن أظن أن تحكيم المنطق الدقيق الحاد في الأدب كالشعر والأغاني وسائر الفنون مجاوزة للحد ، فالأغنية ظريفة لطيفة رغم المنطق

ومن أسباب جمالها هذا النوع البديع الذي يصح أن أسميه « جمال الدوران » أو جمال التسلسل » مثل قولهم « لا سلطان إلا برجال ، ولا رجال إلا بمال ، ولا مال إلا بعمارة ، ولا عمارة إلا بعدل »

وقولهم : « الحجر يكسر الزجاج ، والحديد يكسر الحجر ، والنار تذيب الحديد ، والماء يطفئ النار ، والريح تلعب بالماء ، والانسان يتقي الريح ، والخوف يغلب الانسان ، والخمر تزيل الخوف ، والنوم يغلب الخمر ، والموت يغلب النوم »

ومثـل قولهم : « العالم يعرف الجاهل لأنه كان جاهلاً ، والجاهل لا يعرف العالم لأنه لم يكن عالماً » الخ

***

وبعد فما تاريخ هذه الأغنية ومن واضعها ؟ لا بد أن يكون فيلسوفاً أو حكيماً بعيد النظر . ومما يؤسف له أن هذه الأغاني

والأزجال والمواويل لم يعن بها عناية الأدب الأرستقراطي ، فبينا يعني العلماء والأدباء بنسبة بيت الشعر إلى قائله ، والقصيدة إلى منشئها ، ويحتدم بينهم القتال على ذلك ، إذا بنا لا نجد هذه العناية ولا بعضها في الأغاني والأزجال الشعبية ، وهذا نوع مما أصاب الأدب الشعبي من الظلم . وكم أصابه من أنواع ! وها هي الأغاني التي تخترع في عصرنا نجدها على الأفواه ونستعذبها ، ونهش لها نفوسنا ، ولا نكلف أنفسنا مئونة البحث عن منشئها

ولكن من حسن حظ هذه الأغنية ، أو من حسن حظنا نحن ، أننا نجد ظلا لتاريخها ، فقد ذكرها الجبرتي في تاريخه في حوادث سنة ١١٤٣ هجرية ، فيكون عمرها أكثر من قرنين وظلت الأجيال تتعاقبها الى يومنا

ويظهر من كلام الجبرتي أن واضعها عالم كبير جليل من أكابر علماء الأزهر في القرن الثاني عشر ، هو الشيخ الحفناوي أو الحفني ؛ كان سيد الأزهر في أيامه ، له حلقات الدروس الحافلة بنوابغ الطلبة ، يقرأ فيها أعوص الكتب وأصعبها ، كجمع الجوامع والأشموني وحاشية السعد ؛ وله التآليف الكثيرة في البلاغة والميراث والجبر والمقابلة ، كما كان بيته ساحة كرم يغشاه أعيان مصر وعلماؤها وأدباؤها ، وإليه الفقراء وذوو الحاجات ؛ وكان راتب بيته من الخبز كل يوم نحو الأردب ، وطاحون بيته دائرة ليل نهار ، ويجتمع على مائدته الأربعون والخمسون والستون ، الى هيبة ووقار ، حتى يهاب العلماء سؤاله لجلاله

وهو مع هذا كله ظريف أديب ، سمع تلميذاً له يوماً يقول :

قالوا تحب المدمس ؟ قلت بالزيت حار

والعيش الأبيض تحبه ؟ قلت والكشكار

فضحك الشيخ وقال : أنا لا أحبه بالزيت الحار ، وإنما أحبه بالسمن ، ثم قال :

قالوا تحب المدمس ؟ قلت بالسلي والبيض مشوي تحبه ؟ قلت والقلي

وله المواويل الظريفة كقوله :

بحياة ياليل قوامك وصوم الحر

تحجز لنا الفجر دا فوت الرفاقه سحر

لما يجي الفجر يصبح ركبهم منجر

أزداد لوعه ولا عمري بقيت انسر

إلى غير ذلك . فيحدث تلميذه أن الشيخ الحفني قال له يوماً « أحدثك حدوته ، بالزيت ماتوته ، حلفت ما آكلها ، حتى يجي التاجر ، والتاجر فوق السطوح ، والسطوح عاوز سلم الخ » فحكاية التلميذ ولم يكن سمعها من قبل وروايته لها عن شيخه ترجح الظن أنها من عمل الشيخ الحفني

وقد زاد الشيخ على ذلك فشرح الأغنية على طريقة الصوفية ففسر التاجر بالمرشد الكامل والمربي الواصل ، والتاجر فوق السطوح في مستوى عال ، والسطوح لا يمكن صعوده إلا بمعراج الخ وقد كان للشيخ جانب آخر ذوقي عظيم

فالأشموني وجمع الجوامع ، والحواشي والتقارير ، كلها لم تمنع الشيخ العالم الأزهري الجليل من أن يكون أديباً وزجالا ظريفاً يضع الأغاني والمواويل يتغنى بها الشعب . وهذا يذكرني بما سمعت عن فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن قراعه المفتي الأسبق – مد الله في عمره – من أنه واضع الدور المشهور : « الله يصون دولة حسنك »

فمن لنا بعلمائنا الأزهريين اليوم يشرفون على الأدب كما يشرفون على الدين ، ويشرفون على حياة الناس الاجتماعية ، ومناحيهم الأدبية ، ويضعون الأناشيد الظريفة ، والأغاني اللطيفة ، ويكونون عنوان الدين وعنوان الظرف ؛ يبتغون فيما آتاهم الله الدار الآخرة ، ولا ينسون نصيبهم من الدنيا .

أحمد أمين

# مواكب سلاطين مصر

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

إن أفئدتنا المتعلقة بمصرنا العزيزة تتوق إلى كل ما يرتبط بهذا الوطن المجيد، فكما أن نسيمها حبيب وحرها حبيب، وكما أن سماءها تأخذ بالألباب في صفائها، وتنعش فيها الأمل بسحابها ومطرها؛ وكما أن حاضرها نزهة الأعين وبهجة الأنفس، كذلك نجد النفس في ماضيها مسارح محبوبة للخيال والفكر. فلنعد إلى عصر من تلك العصور الماضية المجيدة، ولنتجرد من عصرنا الحاضر إلى حين لنفرغ إلى استجلاء بعض لذات تلك الأيام الغابرة، ولنشارك بالفكر مواطنينا الأعزاء الذين ملأوا أيامهم جلالاً وبهجة

لنعد إلى القرن الثالث عشر، ولنتخط إليه ستمائة عام على أجنحة الخيال، ولنقف حول ركاب ملوكنا الأمجاد الذين كانوا زينة المصر وحماة الديار عند ذلك، ولنشارك مواطنينا من الأجداد الذين كانوا يصطفون على جوانب الطرق وقلوبهم خفاقة ونفوسهم مملوءة بالاجلال الممزوج بالحب والعطف لهؤلاء الحماة، ولننظر إلى السلطان العظيم وقد أقبل في موكبه والناس يضجون بالدعاء له فيتلقونه بأحسن الاستقبال. حتى إذا ما صار منهم على كثب رفعوا الأكف وقرأوا الفاتحة ودعوا له بالنصر والقوة على حماية البلاد، ولنشارك مواطنينا في ذلك الدعاء فلقد كان أولئك السلاطين تفيض قلوبهم بخير ما تفيض به قلوب الملوك من حب لخير الرعية وتفان في سبيل مصلحتها العامة.

كان أحد هؤلاء السلاطين الملك الظاهر ركن الدين بيبرس، وكان يلقب بالصلاني البندقداري نسبة إلى الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري أحد أمراء الملك الصالح نجم الدين أيوب، وهو الذي اشتراه عند ما كان مملوكا صغيراً ثم آل ملكه إلى السلطان الأيوبي الصالح نجم الدين أيوب، ولهذا يلقبه التاريخ أيضاً بالصالحي النجمي. وقد تعلم وترقى في الوظائف على النظام البديع الذي كان يسير عليه أمراء ذلك العصر في تعليم مماليكهم وترقيتهم حتى صار أميراً قائداً، وذلك لما أظهره من الشجاعة في الحرب ولا سيما في موقعة المنصورة في أيام الملك المعظم توران شاه ابن الملك الصالح أيوب، وهي الموقعة التي هزم فيها الفرنج وأخذ ملكهم لويس التاسع أسيراً، ومازال حتى صار (أتابكاً) للعساكر أي قائداً عاماً لهم

ثم استولى على الملك، فكان الثالث من سلاطين الأتراك الذين جرى العرف بتسميتهم سلاطين المماليك

وكانت مصر في أيامهم تحيط بها عيون الأعداء من كل الجهات، فبينا كان أهل أوربا يدبرون الخطط ويجندون الجيوش الجرارة لغزوها، كان أحفاد جنكيز خان ملوك التتار العظام يدفقون جموعهم نحو الشام بعد أن اجتاحوا بلاد العراق وخربوها وأسالوا فيها الدماء أنهاراً، فكان العصر عصر حرب ودفاع، وكانت الروح الغالبة روح الحرب والدفاع، وكان واجب الأمة الحرب والدفاع، وكان بيبرس من خير من مثل تلك الروح واستعد بكل قوة للحرب والدفاع، فكانت كل مظاهره مصبوغة بصبغة النضال والكفاح. كان الخليفة العباسي قد جاء الى مصر مطروداً مشرداً بعد أن نكب التتار بلاد العراق. جاء الى مصر يطلب فيها الأمن ويلتمس الحماية من سلطانها الأعظم بيبرس، وأحب أن يكافىء ذلك السلطان على حمايته ومساعدته مقدماً، فقلده السلطنة المصرية بصفته الحاكم الشرعي للدولة الاسلامية، وبذلك عمل على تثبيت مركزه وجعله حاكما شرعيا الى جانب كونه حاكما بالسيف. فأمر السلطان فضربت لهذه المناسبة خيمة كبيرة في المطرية، وجلس السلطان على كرسي عظيم في صدرها، وكان طويل القامة مليح الشكل أبيض الوجه مستدير اللحية، وقد اختلط سوادها بالبياض يكاد يغلب عليه. وقد اصطف الأمراء حوله بحسب مراتبهم، لا يلتفت أحد منهم الى يمين ولا الى يسار، ولا يكلم أحد من الى جواره ولا يشير اليه، فانه كان هذا خروجا على الآداب المقررة في المجلس السلطاني، ولم تكن ملابس هؤلاء الأمراء قد بلغت بعد ما بلغته من الزينة والزركشة في أيام السلاطين الذين أتوا فيما بعد كالسلطان قلاوون وابنه الملك الناصر محمد، وذلك لأن بيبرس كان لا يجد من فراغه متسعاً للتفكير في غير عدة الجهاد والنضال. فلم تكن

ملابس هؤلاء الأمراء غير أقبية (أو جبب) بيضاء واسعة ضيقة الأكمام ، ومناطق ساذجة لا ذهب فيها ولا جواهر ، بل كانت من القطن المصبوغ ، وكانت أخفافهم من جلد بلغاري أسود ، وفوق تلك الأخفاف خف ثان اسمه السقمان ، وكان فوق الأقبية أو الجبب كران فيهما حلق وأبزيم ومعاليق فيهما صوالق (أوجيوب) جلد كبار يسع الواحد منها أكثر من نصف ويبة من القمح ، ويبرز فيه منديل طوله ثلاثة أذرع ، وكانت شعورهم مضفورة ، وضفائرهم مدلاة في كيس حرير أحمر أو أصفر ، وفوق رؤوسهم قلانس صفراء مضربة تضريباً عريضاً

وجلس عن يمين السلطان الخليفة والقضاة من المذاهب الأربعة ، فان بيبرس جعل لكل مذهب قاضياً كبيراً بعد أن كانت ولاية القضاة لقاض واحد من علماء المذهب الشافعي . ثم جلس عن يمين القضاة بعض موظفي الدولة مثل وكيل بيت المال أو (وزير المالية كما نسميه الآن) ، ثم ناظر الحسبة أو (هو محافظ القاهرة) ، وكلاهما من القضاة وأرباب القلم . وجلس عن يساره الوزير ثم كاتب السر أو (الأمين الأول) ، وجلس أمامه ناظر الجيش وجماعة من الكتاب الكبار أو كما كانوا يسمونهم الموقعين

ووقف من وراء السلطان صفان عن يمينه ويساره من الأمراء الكبار وهم رؤساء الأمراء والقواد في الجيوش ، وجلس الى اليمين واليسار على بعد نحو ثمانية أمتار من السلطان ذوو السن من الأمراء القواد وهم أمراء المشورة في الدولة . وجلس بعد ذلك من هم أدنى منهم مرتبة من أكابر الأمراء ، ثم وقف خلف هذه الحلقة المحيطة بالسلطان من هم دونهم من الأمراء والقواد بحسب درجاتهم ، فكان أقربهم من السلطان أمراء المئين وهم مقدمو الألوف ، وكان كل منهم أميراً على مائة فارس ، وقد يزيد عدد فوارسهم عشرة أو عشرين فوق المائة ؛ وكان يليهم أمراء الطبلخاناه ، وكان كل منهم أميراً على أربعين فارساً ، وقد يزيد عدد فرسانهم إلى السبعين ؛ وكان بعد هؤلاء جميعاً أمراء العشرات ولكل منهم الامارة على عشرة فرسان ، وقد يزيد عدد فرسانهم إلى العشرين

ونصب منبر وصعد عليه كاتب السر الشريف ، فقرأ على الأمراء في ذلك الحشد الحافل كتاب الخليفة العباسي أحمد المستنصر بالله الذي لجأ إلى مصر وأحسن السلطان استقباله ، وفيه ثناء طيب من الخليفة على السلطان العظيم فأصبح بذلك ملكاً على البلاد بحق الاستيلاء والسيف ، وبحق تقليد خليفة المسلمين الذي كان العالم الاسلامي يرى فيه رمز الحق الشرعي للحكم . وأصبح سلطاناً على مصر والشام وكل ما يفتح من بلاد الأعداء

ثم جاءت إلى السلطان خلعة الخليفة ، فلبسها وهي جبة سوداء ، وعمامة بنفسجية ، وطوق من ذهب ، وقلد بسيف عربي . ولما انتهى الاحتفال ركب السلطان بالخلعة والطوق والأمراء حوله وأمامه حسب ترتيبهم ، وحمل الصاحب بهاء الدين محمد بن علي ابن حنا تقليد الخليفة ، على رأسه وسار قدام السلطان . ثم سار الموكب حتى دخل القاهرة من باب النصر ومر في الشارع الأكبر من المدينة ، والسلطان في خلعته الجديدة راكب على فرس عربي عليه كسوة بديعة من الحرير الأصفر ، وقد ركب إلى جواره أحد أمراء المئين راكباً على فرس يحمل المظلة وهي حبرة من الأطلس الأصفر المزركش بالذهب ، من أعلاها قبة من الحرير نفسه ، وفوقها طائر من الفضة المذهبة

ونلقت الجموع الزاخرة من أهل القاهرة ذلك الموكب بالتهليل والطرب ؛ وكان السلطان كلما مر بجماعة ضجوا بالدعاء له بالنصر والفتح وقرأوا الفاتحة تبركاً وتيمناً ؛ وما زال ذلك الموكب حتى بلغ القلعة فلم يبق ركن من أركان القاهرة لم يهتز لرؤيته والاشتراك في الحفاوة به

والآن فلنخرج مرة أخرى لنشارك أجدادنا أهل القاهرة في التمتع برؤية موكب آخر سائرين في ركاب السلطان إلى ميدان بجوار القاهرة كان ملوك مصر إذ ذاك يقصدونه للرياضة والتنزه ويلعبون فيه لعبتهم المشهورة وهي (الكرة) ؛ وكانوا يخرجون لذلك إلى أحد ميدانين : الأول الميدان الناصري الكبير ، والثاني ميدان سرياقوس . وكان الخروج إلى كل من هذين الميدانين في أوقات معينة من السنة ، فالركوب إلى الميدان الكبير الناصري كان يقع في شهري سبتمبر وأكتوبر ؛ وذلك الميدان على ضفة النيل في جهة بستان الخشاب فيما بين القاهرة ومصر القديمة . وكان الخروج إليه في كل يوم سبت من الشهرين المذكورين .

وقد كان بودى لو استطعت فى هذه الكلمة أن أصف مواكب خروج السلاطين إلى كل من هذين الميدانين، ولكننى أكتفى بوصف موكب واحد وهو موكب الخروج إلى الميدان الكبير الناصرى

خرج السلطان الثالث الناصر صباح أول يوم السبت بعد وفاء النيل بادئاً موسم لعب الكرة والصولجان فى ذلك الميدان الفسيح؛ وكان خروجه فى الصباح، ولكن الشمس كانت قد بسطت سلطانها على الأحياء فبدأ حرها يشتد وتكاثر الناس وازدحموا على الطريق ليروا السلطان وهو يخرج سائراً نحو الغرب إلى قناطر السباع القائمة فوق الخليج، وذلك فى موضع ميدان السيدة زينب الآن، ومن هناك سار نحو النيل إلى الميدان. وكان فى أول الموكب فارسان يلبسان ثياباً من الحرير الأصفر وعلى رأس كل منهما كوفية من الذهب على هيئة طاسات الحرب، وكانا يركبان فرسين أبيضين بحلية بديعة من الذهب، وكان على كل من الفرسين كساء من الحرير الأصفر المزركش بالذهب يغطى من تحت أذنيه إلى موضع السرج. فلما مر هذان الفارسان أقبل فى أثرهما السلطان وهو راكب على فرس عربى أصيل هيئته وكسوته مثل هيئة فرسى الفارسين المتقدمى الذكر لا فرق بينه وبينهما، حتى كان الناظر إلى الفرسين المتقدمين يظنهما قد أعدا لركوب السلطان نفسه؛ وكان أمام فرس السلطان غاشية السرج يحملها بعض أمراء المماليك الخواص، وهذه الغاشية عبارة عن جلد مزركش بالذهب ليغطى به سرج السلطان إذا نزل، وكان حامل تلك الغاشية يحركها زهواً وافتخاراً ذات اليمين وذات الشمال، وإلى جانب حامل هذه الغاشية فارس آخر يضرب على شبابة، وهى آلة موسيقية لا يقصد بنغمها الإطراب، بل يقصد بها إيقاع المهابة فى النفوس

وكان فوق رأس السلطان العصائب السلطانية، وهى من الحرير الأصفر المزركش بالذهب منقوشة باسمه وألقابه. وكانت العادة أن تحمل هذه العصائب فوق رأس السلطان عند الركوب إلى هذا الميدان خاصة وفى يوم العيد، وعند ما يدخل إلى القاهرة عائداً من السفر أو إلى مدينة من مدن الشام

ولم يكن فى هذا اليوم يستظل بالمظلة، فان رفعها كان خاصاً بأيام العيد أو عند دخول المدينة أو فى المواكب التقليدية الكبرى

وجاء خلف السلطان جماعة الأمراء أولهم الشاة يحفون به على هيئة دائرة، وهم الطبردارية الذين يحملون الأطبار المشهورة ولباسها السيوف الموجة التى يسميها الفرنج (السابر)، وكانوا فى العادة من كبار الأكراد، ويليهم بعد ذلك الأمراء الفرسان يسيرون بحسب مراتبهم: فنائب السلطنة، ثم الوزير وأرباب الوظائف الكبرى، ثم أمراء المئين مقدمو الألوف، ثم الطبلخانات، ثم أمراء العشرات، ثم المماليك

فاذا ما انتهى الركب إلى الميدان واستقر مجلس السلطان هنيهة فى ظلال الأشجار الوارفة التى حول الميدان أمر ببدء اللعب واشترك هو مع الأمراء الكبار فلعبوا الكرة بالصوالج وهم ركوب على الخيل، وانتهزوا فرصة اللعب فاظهروا من المهارة فى ركوب الخيل والتحرك فوقها أثناء جريها ما يدهش الألباب

فاذا انتهى اللعب فى ذلك اليوم دعا السلطان الاثنين اللذين برزا فى اللعب من الأمراء وأنعم عليهما بحوائص الذهب وهى مناطق ثمينة من الذهب يبلغ ثمن الواحدة أحياناً مئتى دينار أو يزيد؛ وكان هذا التقليد مخصوصاً لكبار الأمراء المقدمين، فكان السلطان بذلك ينعم بالحوائص على كل الأمراء المقدمين تدريجاً حتى يتم انعامه على الجميع مرة فى مدى ثلاث سنوات أو أربع

وبعد أن ينتهى من الانعام بالحوائص يدعو المبرزين من كل طبقات الأمراء ويهدى اليهم الخيول الجياد، فكان يعطى الأمراء الكبار من أمراء المئين والطبلخانات خيولاً مسرجة ملجمة، ثم يختار بعض أمراء العشرات فيجعل لهم حظاً من ذلك الانعام أيضاً، ويزيد عطوه للمقربين من كبار أمراء حرسه الخاص فيجود عليهم بالجياد عشرات لا آحادا

فلقد كان خروج السلطان إلى ذلك الميدان أحد موسمين للانعام بالخيول على الأمراء، وكان الموسم الآخر عند خروجه إلى مرابط خيله فى الربيع

وبعد، أفلم تكن تلك التقاليد المقررة جديرة بأن نذكرها ونحتفظ بذكراها ليكون جيلنا الحاضر مرتبطاً بالأجيال الماضية ارتباط البناء بالأساس؟

محمد فريد أبو حديد

# الجــــوع الروحانى

## لأستاذ جليل ينم عليه اسلوبه

أمحفنا الأستاذ المازنى منذ أيام بمقال ممتع « فى الحب » ، ثم أعقبه بمقال آخر تحدث فيه عن « الحب الأفلاطونى » و « الوفاء فى الحب »

فقال عن الحب إنه « ضرب من الجوع ، أو هو إذا شئت نوع من التنبيه تلجأ اليه الطبيعة لتغرينا بما يكفل المحافظة على النوع »

وقال عن الحب الأفلاطونى والوفاء : إنهما لا يوجدان مع الصحة والسلامة ، وإذا كان من الممكن أن يشبع الجائع بالنظر إلى الطعام فى أطباقه على السفرة ، فانه يكون من الممكن أيضاً إرضاء عاطفة الحب عند الرجل السليم التائق بالنظر إلى المرأة والاستماع إلى حديثها ، والتمتع بابتسامها ، ورشاقة قدها ، وحسن جلستها ؛ والذى يقنع من المرأة بذلك يكون أحوج إلى الطبيب المداوى منه إلى المرأة »

وقال الأستاذ عن الوفاء : « أما الوفاء فأكرم به وأنعم ! ولكن أين فى دنيانا من يصبر على طعام واحد وفى وسعه ألا يفعل ؟ وإنى أسأل القارئ وأعفيه من الجواب الملتى : أى رجل لم ينقض عهداً بالوفاء ؟ .... والمرأة كالرجل ، وشأنها كشأنه ، وكذاب من يقول — وكذابة من تدعى — غير ذلك ، ولست أدعو إلى شىء . وحاشاى أن أفعل ، ولكنى أصف واقعاً وأقرر حقاً لا يكابر فيه إلا منافق يريد أن ينتحل فضلا على حسابى وحساب الحقيقة »

وأورد الأستاذ فى هذا المعنى بيتين من الشعر قالهما قبل أن يهجر القريض — مأسوفا عليه من مقدرى فضله :

يا عقيدى طامن الله حشاك لن ترانى شاكيا وهى حيالك
أين من «طينتنا» أين الفكاك أنت انسان على فرط جمالك

***

وإنى مع فرط احترامى لآراء الأستاذ واعجابى بها دائماً ، بل وعلى الرغم من اعجابى بأفكاره هذه التى عرضها فى مقاله الأخير ، أقول إنى أحسست بأنى شخصياً قد سُبيت . وكاصر نظرى على قوله : « كذاب من يقول ، وكذابة من تدعى » انتفضت وأحسست بالدم يصعد إلى رأسى شأن من يكون مقبلا على شجار والعياذ بالله ! وكلما أعدت البصر فى قوله انه « يقر حقاً لا يكابر فيه إلا منافق يريد أن يفعل كذا وينتحل كذا » ، أحسست كأنما تتحشرج فى حلقى عبارة : « اخشن يا رجل ! » أو : « احفظ مقامك يا أخينا أنت وإلا . . . . » أو غير ذلك من العبارات التى تسبق التماسك عادة بين الفريقين !

ذلك بأنى أنا أومن بالحب الأفلاطونى ، وأومن بالوفاء ؛ وإن كان الأستاذ قد قال فى معرض الكفر بهذين المذهبين : « وأنا لا أدعو إلى شىء وحاشاى أن أفعل » ؛ فهأنذا أقول بأنى أدعو إلى الايمان بالحب الأفلاطونى وبالوفاء ، وقصاراى أن أفعل !

***

ولأبدأ أولا بأن أقول مع الأستاذ إن الحب اشتهاء ؛ فالى هنا نحن متفقان . ولكن يبدو لى مع الأسف أن هذا هو كل ما بيننا من توافق . فانه يقول بعد ذلك رأساً إن الحب تنبيه للجسم ليعمل على حفظ النوع . بينما أنا أتابع الحديث بأن الجوع أنواع ، وأن الأصل فيه جوع المعدة إلى الطعام ، وأن لكل حاسة من حواس الجسم نوعا من الجوع تكابده وتعمل على إشباعه ، وأن الأذن مثلا تجوع وغذاؤها الموسيقى ؛ ويحس الجائع فى هذه الحالة باشتهاء مُلح إلى استماع الألحان . والعين كذلك تجوع ولكنها تجوع إلى الجمال ، وقد يبلغ من جوعها أن تضطرب أعصاب صاحبها وتفسد عليه شؤونه إلى أن عن الله عليه بصورة جميلة تقر لها عينه وتطمئن بها نفسه ، مع أنه لا يبغى من هذه الصورة أكثر من أن يجلو بها عينيه . وأجهزة الجسم جميعها تجوع . ولعل الحب الذى كتب عنه الأستاذ هو جوع الجهاز التناسلى ، وهو الجوع إلى المرأة وليس الجوع إلى الجمال ، فان جميع ( الأعراض ) البادية فى ذلك المقال ( تشخص ) هذه الحالة

وإذا كنت موفقاً فى التعبير فانى أعتقد أن هذا القول فيه ما يكفى لفتح الطريق أمام الحب الأفلاطونى الذى سد الأستاذ فى وجهه الأبواب ووقف من دونها يقول : « أين الكذاب الذى يقول إن شيئاً يقوم وراء هذا الباب ؟ ! وأنت أيها المكابر يا من تريد أن تنتحل فضلا على حسابى وحساب الحقيقة ! يا منافق ..

يا بن ا... »(١) إلى آخر تلك الثورة التي لا سبيل لي مع الأسف إلى اتقاء أذاها غير أن أنشر هذه الكلمة بدون توقيع ، وأترك الفضل بعد ذلك في انتحالها لمن شاء وأمري إلى الله !

* * *

إن الحب الأفلاطوني نوع من المغناطيسية الآدمية . وكل متعة الحب فيه أن يكون قريباً من حبيبه . لأن حبه هو حب الروح التي تعمل على حفظ « المزاج » لا حب اللحم والأجهزة السفلية التي تعمل على حفظ « النوع »

ولعل من أبرع الأمثلة على هذه الحالة قول قيس في بعض أشعاره :

تعلقت ليلى وهي ذات تمائم ... ولم يبد للنظار من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم ياليت أننا ... صغيرين لم نكبر ولم تكبر البهم

فأنت ترى أن هذا الصبي المحب كان محباً قبل أن يتنبه فيه جهازه الجنسي ، ولم يكن يصلح مطلقاً للمحافظة على النوع ، بل إن ليلاه لم يكن قد تفتح في جسمها شيء من منبهات ذلك الجهاز ألست تسمعه إذ يقول : ولم يبد للنظار من ثديها حجم !

* * *

وأنا إذ أقول بوجود الحب الأفلاطوني لا أنكر حب (النوع) ولا أعيبه — وحاشاي أنا أيضاً أن أفعل — بل إني لأقول بإمكان اجتماعهما في نفس واحدة ، ولكن الذي يعنيني هنا أن أثبت وجود هذا الحب الأفلاطوني الروحاني البريء الذي أحسه أحياناً ، والذي يهمني جداً أن أطمئن غيري على وجوده ليتعلم كيف يحسه هو الآخر عند اللزوم . ذلك لأنه ضرورة من ضرورات الرجل المهذب الذي يريد أن يشعر أحياناً أنه ليس حيواناً دائماً ، وأنه قد يسمو في بعض الأوقات فوق اعتبارات هذه المادة المظلمة التي هي جسمه وأجهزته الدنيا — —

* * *

يروى عن (المهدي) أنه لما هرب من المأمون ذهب إلى عمته فوكلت بخدمته جارية لها اسمها ملك ، وكانت هذه غاية في الحسن فأحبها المهدي — أعني على طريقتي أنا لا على طريقة الأستاذ المازني — فكره أن يحدثها حديث (النوع) ، وأنه قد حصل لجسمه تنبيه ليعمل على بقاء السلالة البشرية في دولة أمير المؤمنين ، ولكنه تسامى بحبه إلى الغناء ، فبينما هي قائمة على رأسه ذات يوم تغنى بهذين البيتين :

يا غزالا لي إليه ... شافع من مقلتيه
أنا ضيف وجزاء الضـ ... ـيف إحسان إليه

فلما انصرفت الجارية من عنده أخبرت سيدتها بما سمعت من مولاها ، فوهبتها له ، فلما رجعت الجارية إليه بعد ذلك أعاد غناءه ، فأكبت الجارية عليه ، فدفعها عن نفسه قائلا : كفي ! ما أنا بخائن ! فقالت له إن سيدتي وهبتني لك ، فقبلها قائلا : أما الآن فنعم !

* * *

هذه هي كلمتي عن الحب الأفلاطوني وعن الوفاء . وأرى أن القول بأن (طينة) الانسان لا تتفق مع هذا الخلق العظيم كما يقرر الأستاذ في شعره إنما هو محاجة بالأساطير ، وتدليل بشيء لم يقل أحد إن له قوة الدليل . ونظيره أن يتقدم الشاهد إلى المحكمة مثلا ليقول إنه سمع (بالاشاعة) أن فلاناً قتل فلاناً ، فإن كان مثل هذا الشاهد يجد المحكمة التي تقيم لشهادته وزناً ، فسوف يجد حديث (طينتنا) من يستمع له !

* * *

وبعد . فما هي مهمة الكاتب الاجتماعي ؟ أهي أن يقرر الأمر الواقع أمام الأشهاد الذين يشهدونه ، فإذا فرغ من ذلك انصرف عنهم يقنع نفسه بأنه أدى رسالته ؟ أم هي أن يتسامى بقرائه إلى المثل العليا التي تملأ أحلامه وتتجسم في تفكيره حتى ليعتقد فعلا بوجودها ولو لم تكن موجودة ، فيبشر لها في كتاباته ، ويصبح بذلك أهلا لحمل هذا اللقب الكبير .

لقد قال فولتير : « إن الله لو لم يكن موجوداً لوجب على الناس أن يوجدوه » ، والمعنى أن الناس لا تستقيم لهم حال إلا على أساس أن الله موجود ، وأنه من ورائهم محيط ، يجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته . وهذا ما يصح أن نقوله الآن عن الحب الأفلاطوني وعن الوفاء ، فإن شيئاً من هذا إن لم يكن موجوداً لوجب علينا أن نوجده

* * *

(البقية في ذيل الصفحة التالية)

(١) الكلمة الأخيرة لم ترد طبعاً في مقال الأستاذ الفاضل ولكن سياق الكلام اقتضاها فأثبتناها

إن المقررات المادية أصبحت تحيط بالانسان من كل جانب، وهي تعمل دائبة على أن تعلق بأقدامه وتهوى به في القرار. فما لم يكن له نصيب من تلك المثل العليا ليحتفظ له بمستواه الآدمي العالي ينحط الى الدرك الأسفل الحيواني

فالافلاطونية والحالة هذه مزاج لابد منه للمذهب المادي الذي يطغى الآن على المجتمع، ويكاد يوقعه في شر أعماله. فمن لهؤلاء الناس باليد التي تنتشلهم مما هم فيه إن لم يجدوها عند الأستاذ المازني — وأضرابه — وهم كما يحس الأستاذ نفسه قليلون؟

«أفلاطونى»

حوادث الشرق الأقصى

# الصراع بين اليابان وأوربا حول سيادة الصين وآسيا

بقلم باحث دبلوماسي كبير

يضطرم الشرق الأقصى كما تضطرم أوربا ويضطرم شرق إفريقية بحوادث خطيرة سياسية وعسكرية؛ وتتخذ هذه الحوادث لأول وهلة صبغة محلية، وتبدو متفرقة لا تربطها رابطة عامة؛ ولكن هذه النظرة السطحية لا تعبر عن الحقيقة المستترة؛ ذلك أن هذه الحوادث الخطيرة التي تجوزها القارات الثلاث تربطها جميعاً عوامل وظروف مشتركة؛ فالحرب الايطالية في شرق افريقية هي نتيجة لتطورات السياسة الاستعمارية الأوربية، وتوغل اليابان في الأراضي الصينية هو نفثة من نفثات الصراع بين الجنس الأصفر والاستعمار الغربي، ونتيجة لتطورات السياسة الأوربية العامة، وانشغال أوربا بمعاركها السياسية الداخلية، بل إن هذه الحوادث التي تقع في أماكن وأقطار متباعدة تكون في الواقع وحدة متماسكة الأطراف، فهي جميعاً ثمرة تلك الثورة العميقة الجامحة التي تجيش بها السياسة الدولية منذ بضعة أعوام، والتي تسفر عن نتائجها الخطيرة تباعاً في سلسلة من الحوادث متصلة الحلقات برغم تباعدها وتباينها

وفي الشرق الأقصى في سهول الصين الشاسعة، تضطرم بين أوربا وآسيا معركة هائلة، ربما كانت حاسمة في مصاير الجنس الأصفر والاستعمار الأوربي؛ فاليابان التي هي اليوم زعيمة الجنس الأصفر بلا منازع، تتوغل في أقطار الصين الشاسعة تباعاً غير مكترثة بأية مقاومة محلية أو خارجية؛ وقد كانت الصين قبل الفورة اليابانية الأخيرة تعتبر دائماً ميداناً خصباً للاستعمار الغربي؛ ولا تزال الدول الأوربية الكبرى تبسط نفوذها الاقتصادي على مناطق غنية شاسعة في شرق الصين وجنوبها، وهذه الدول تنظر اليوم إلى مركزها في الصين بعين التوجس والجزع؛ بيد أن المعركة الكبرى تنشب في الحقيقة في شمال الصين الشرقي حيث تلتقي اليابان وروسيا وهما العدوتان الخالدتان اللتان يتمثل في صراعهما اليوم صراع الجنسين الأصفر والأبيض؛ وقد وقعت أخيراً في شمال الصين حوادث ومعارك خطيرة تؤذن بأن هذا الصراع يتخذ اليوم صورة حاسمة؛ فاليابان التي غزت منشوريا واحتلتها منذ سنة ١٩٣١، وأقامت فيها امبراطورية صورية باسم منشوكيو، تتقدم اليوم في الصين صوب الجنوب وصوب الشرق. ونظرة سريعة إلى خريطة الصين ترينا إلى أي حد وصل التوغل الياباني في الصين الوسطى حتى شمل اليوم مقاطعات برمتها في شهيلي وشاهار، وتعدى السور الكبير إلى حدود بكين عاصمة الصين القديمة؛ وقد استطاعت اليابان أخيراً بحركة ضغط عسكرية وسياسية قامت بها أن ترغم الحكومة الوطنية الصينية (حكومة نانكين) على الموافقة على إقامة نظام سياسي واداري خاص في بعض المناطق الوسطى بحيث تخرج عن نفوذ الحكومة الوطنية وتقع تحت نفوذ السلطات اليابانية؛ بيد أن اليابان لا تلقى أعظم مقاومة في هذه النقطة من الصين، بل يلوح لنا أن الصين ذاتها قد أخذت تذعن أخيراً للأمر الواقع، وترى التقدم الياباني أمراً لا مندوحة عنه ولا سبيل إلى رده؛ وترى الحكومة الوطنية وعلى رأسها الجنرال شانج كاي شك، أن تطور مصاير الصين على هذا النحو خير من بقائها فريسة لمشاريع الاستعمار الغربي؛ أولاً لأن الصين لا تستطيع مقاومة اليابان، وثانياً لأنها تنشد السلام الداخلي، وتطمح إلى إلغاء المعاهدات الأجنبية التي استطاعت الدول بمقتضاها أن تتوغل في شؤونها ومرافقها، وكذلك إلى استعادة سلطانها ونفوذها في منغوليا والتركستان الصينية، حيث يسود النفوذ الروسي، والتبت

حيث يسود النفوذ البريطاني ، ولا تستطيع الصين أن تطمح إلى تحقيق هذه الآمال ما لم تعتمد على معاونة حليف قوى كاليابان ، هذا فضلا عن أن هناك من الروابط الجنسية والاجتماعية بين اليابان والصين ما يخفف وقع النفوذ الياباني ، ويحمل الشعب الصيني على تفضيله على أي نفوذ أجنبي آخر

وإنما يضطرم الصراع الحقيق في شمال الصين بين اليابان وروسيا . وقد كانت الحرب اليابانية الروسية في سنة ١٩٠٤ عنواناً للصراع بين الجنس الأصفر والجنس الأبيض ، وكانت هزيمة روسيا في تلك الحرب فاتحة النصر الحقيقي للجنس الأصفر ومثاراً لمخاوف أوربا والاستعمار الغربي في آسيا ؛ ذلك لأنه لأول مرة في التاريخ تنتصر دولة اسيوية لم تنفض عنها بعد غمر الماضي المظلم على دولة أوربية عظمى ، وترغم أوربا على الاعتراف بتفوقها العسكري والسياسي ؛ بيد أن روسيا استطاعت رغم هزيمتها أن تحتفظ بمعظم أملاكها ومناطق نفوذها في الصين ؛ ومع أن اليابان خرجت من تلك الحرب بمغانم استعمارية كبيرة منها استيلاؤها على بورت آرثر ، ونصف جزيرة سخالين ، والسكة الحديدية الشرقية ، وتوطد نفوذها في كوريا التي غدت فيما بعد مقاطعة يابانية ، فإنها لم تفتأ منذ انتصارها تحاول توسيع نفوذها في تلك المنطقة على حساب النفوذ الروسي ، وما زالت روسيا من جانبها تقاومها بكل الوسائل ، وتعمل على وقف أطماعها ومشاريعها ؛ ولم يحد البلاشفة عن سياسة القياصرة في هذا الشأن ، فقد عملت روسيا السوفيتية بكل ما وسعت على توطيد سياستها ونفوذها في الصين ، ووقفت تناضل اليابان وجها لوجه ، وكادت في الأعوام الأخيرة أن تشتبك معها غير مرة في حرب استعمارية ، ومع أنها اضطرت أخيرا أن تبيع لليابان حقوقها في السكة الحديدية الشرقية تجنباً للاصطدامات الخطرة ، فإن النضال السياسي ما يزال بين الدولتين على أشده ، وقد أسفر في الأسابيع الأخيرة عن عدة حوادث ومناوشات دموية دلت على تفاقم خطر الحرب في الشرق الأقصى

ويدور الصراع الآن بين اليابان وروسيا حول منغوليا التي تشغل مساحة شاسعة في شمال الصين والتي تجاور منشوكيو من الغرب ؛ وتنقسم منغوليا سياسياً إلى قسمين أحدهما منغوليا الشمالية أو منغوليا الخارجية وهي تجاور سيبيريا وتقع تحت السيادة الروسية ، وقد حولها البلاشفة منذ أعوام إلى جمهورية سوفيتية باسم « تشيتا » ؛ ومنغوليا الجنوبية أو منغوليا الداخلية ، وقد كانت من قبل وحدة سياسية مستقلة داخلياً تحت حماية الصين ، ولكن السياسة البلشفية استطاعت منذ سنة ١٩٢٤ أن تجذبها الى حظيرتها وأن تجعل منها جمهورية مستقلة حليفة لموسكو ؛ ومن جهة أخرى فان التركستان الصينية تقع تحت النفوذ السوفيتي ، وقد وقعت فيها أخيراً حوادث وتطورات أدت الى انفصالها عن الصين ؛ وهكذا تسيطر روسيا على معظم أنحاء الصين الشمالية والغربية ، بينما تسيطر اليابان على الأقاليم الشرقية الشمالية وبعض الأقاليم الوسطى ؛ ويحتدم النضال بين الدولتين الاستعماريتين الكبيرتين حول السيادة والغلبة في تلك الإمبراطورية الصينية الشاسعة التي تنقسم اليوم إلى وحدات سياسية عديدة تمهد بتنافسها وخصامها المستمر إلى تسرب النفوذ الأجنبي وتوطيده

وتمثل اليابان في هذا الصراع الهائل الجنس الأصفر والجامعة الاسيوية ، وتستمد لخوضه بجميع قواها السياسية والعسكرية والاقتصادية ؛ وتمثل الروسيا فيه مصالح الجنس الأبيض والاستعمار الغربي في آسيا ؛ ومع أن روسيا السوفيتية لا تحظى بكثير من عطف الدول الغربية ، فانها تعتبر مع ذلك حاجزاً منيعاً في سبيل الزحف الياباني نحو الغرب ، وتؤيدها الدول الاستعمارية الكبرى في هذا الصراع ؛ ذلك أن تقدم اليابان نحو الغرب والجنوب يكون معناه انهيار صرح أوربا الاستعماري في الصين ، ويكون نذيراً بتقويض السيادة البريطانية في الهند ، والسيادة الفرنسية في الهند الصينية ، والسيادة الهولندية في جاوه وسومطره ؛ ونذيراً بتقويض سيادة السوفيت في منغوليا والتركستان ؛ وتقويض صرح الاستعمار الغربي في هذه البلاد والأقاليم الشاسعة الغنية ، معناه تقويض سيادة أوربا الاقتصادية في آسيا وضياع تلك الأسواق الرابحة التي غنمتها في ظل هذه السيادة التي تؤيدها جميع الوسائل والقوى الاستعمارية المادية والمعنوية

وليس من شك في أن اليابان تتقدم في هذا السبيل بخطى واسعة تزعج أوربا وتروعها ؛ فالصناعة اليابانية التي تدعمها ظروف محلية مدهشة تتقدم في جميع الميادين بخطى هائلة ، وقد غزت التجارة اليابانية الأسواق الاسيوية القديمة بسرعة مدهشة ؛

وتجلى هذا الغزو إلى أوربا وأخذ يحدث الارتباك والذعر في أسواقها ، وأخذت أوربا تفكر في مصايرها الاقتصادية التي تدعمها في آسيا وافريقيا سيادة استعمارية تجوز اليوم في آسيا أمام الغزو الأصفر مأزقاً من أخطر المآزق ، والواقع أن اليابان تخوض غمار النضال مع الغرب في ظروف حسنة جداً ، فأوربا تشغل اليوم إلى أقصى حد بشئونها ومسائلها الخاصة ؛ وبينما تشخص الأبصار نحو ألمانيا ونهوضها الحربي ، وبينما تشتغل فرنسا بالتحوط لمقاومة ألمانيا وتوطيد محالفها مع السوفييت ، وتشتغل إيطاليا بحلمها الاستعماري ، وتشتغل انكلترا بمقاومة مشاريع إيطاليا الاستعمارية ، إذا باليابان تحصر اهتمامها ومشاريعها في الصين ، وتنذر أوربا وأمريكا في جرأة وصراحة أن ارفعوا أيديكم عن الصين ، وتعلن عزمها على مقاومة أي تدخل أو محاولة استعمارية جديدة من جانب الدول في الصين ، على نحو مايقرره مبدأ مونرو الأمريكي بالنسبة لأمريكا ؛ وقد كانت الدول الأوربية تعتمد من قبل على اضطرام المنافسة بين اليابان وأمريكا حول السيادة في المحيط الهادي ، واشتغال اليابان بأمر هذه السيادة والتحوط لضمانها وتوطيدها ، وكانت السياسة الأمريكية منذ أعوام تتجه فعلا الى مناوأة اليابان والحد من أطماعها ، ولكن أمريكا اليوم ترتد الى سياستها القديمة ، وتنظر الى مشكلة الباسفيك بعين أخرى ، وترى أن تقتصر على تأمين سلامتها البحرية في شرق المحيط ، بدل على ذلك أنها تنازلت عن حمايتها على جزائر الفلبين التي كانت ترمي إلى اتخاذها من قبل قاعدة لمقاومة اليابان ومناوأتها ؛ وإذاً ففي وسع اليابان اليوم أن تعمل حرة من هذه الناحية مطمئنة الى موقف أمريكا وحيادها ؛

وليس في وسع الدول الأوربية من جهة أخرى أن تقوم في الوقت الحاضر بأية حركة مشتركة لوقف الزحف الياباني نحو الغرب ، ولا يقف في وجه اليابان اليوم سوى روسيا السوفيتية التي تشتبك معها كما بينا في عدة ميادين ومصالح خطيرة ؛ وروسيا السوفيتية تعمل دائماً لمواجهة الخطر الياباني ورده ، لأنه ينصب أولا على سيادتها الاستعمارية الباذخة في آسيا ، وهي من جهة أخرى تمثل قضية الغرب في هذا الصراع الجنسي والاقتصادي الخطير ؛ ولكن روسيا تواجه في أوربا أيضاً خطراً آخر هو الخطر الألماني . وهو نفس الخطر الذي تواجهه فرنسا ، ومن ثم كان تحالف الدولتين ضد الخطر المشترك ؛ والسياسة البريطانية تشد أزر روسيا في هذا الصراع أيضاً ، ولكنها تنظر من جهة أخرى بعين الارتياح الى اشتغال روسيا بمقاومة الخطر الياباني لأنه يحول أنظارها عن العمل لمناوأتها في الهند وأفغانستان

والخلاصة أن خطر الحرب يجثم في الشرق الأقصى ، كما يجثم في أوربا ، وتطورات الحوادث في الشرق والغرب تسير مرتبطة متفاعلة ؛ وقد تضطرم شرارة الحرب الأولى في الشرق الأقصى ، كما قد تضطرم في الغرب ، ولكنها كفيلة بأن تفضي في أي الحالتين الى اضرام نار الحرب العالمية الجديدة

( *** )

# إبليس يعلّم... (١)

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال أحمد بن مسكين: ودار البيتُ الثالث وجلستُ بمجلسي للناس وقد انتظمت حلقتهم؛ فقام رجل من عُرض المجلس فقال: إن الحسن بن شجاع البلخي تلميذ الإمام أحمد ابن حنبل (٢) كان منذ قريب يحدثنا بأحاديث عن الشيطان، حفظنا منها قوله صلى الله عليه وسلم: إن المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي أحدُكم بعيره في سفره. وكان الحسن يقول في تأويله: إن شيطان الكافر دَهينٌ سمينٌ كاسٍ، وشيطان المؤمن مهزول أشعثُ أغبرُ عارٍ. فهل يأكل الشيطان ويدّهن ويلبس ليكون له أن يجوع مع المؤمن ويعرى ويتشعّث ويغبر؟

قال ابن مسكين: فقلت في نفسي: لا حول ولا قوة إلا بالله! ما أرى السائل إلا شيطانَ هذا السائل؛ فإن إبليس إذا أراد أن يسخر من العالِم ويسمعه طنزه وتهكمه (٣) حرّك من يسأله عنه ما هو وكيف هو؛ كأنما يقول له تنبّه ويحك على معناي فأنت تتكلمَ وأنا أعمل، وأنت صورة من الرد عليّ، ولكني حقيقة من الرد عليك، وما أنتَ في محاربتك لي بالوعظ إلا كالذي يريد أن يضرب عنقَ عدوه بمائة اسم وضعت للسيف..

قال: وكنت قد سمعت خبراً عجيباً عن أبي عامر قبيصة ابن عُقبة السكوفي المحدّث الحافظ الثقة أحد شيوخ أحمد ابن حنبل (٤)، وهو الرجل الصالح العابد الذي كان يقال له (راهب الكوفة) من زهده وعبادته واحتباس نفسه في داخله كأنما جسده جدار بين نفسه وبين الدنيا، فقلت والله لأغيظن الشيطان بهذا الخبر، فإن أسماء الزهاد والعباد والصالحين هي في تاريخ الشياطين كأسماء المواقع التي تنهزم فيها الجيوش، وما الرجل العابد إلا صاحب الغمَرات مع الشيطان، وكأنه يحتمل المكاره عن أمة كاملة بل عن البشرية كلها حيث كانت من الأرض؛ فالناس يحسبونه قد تخلى من الدنيا ويظنون أنه ترك أيسر شيء، وما علموا أن الزهد لا يستقيم للزاهد حتى يجعل جسمه كأنه في نظام آخر غير نظام أعضائه ولا أشق من ذلك على النفس؛ ومعجزة الزاهد أنه مكلف أن يخرج للناس أقوى القوة من المعاني التي هي عند الناس أضعف الضعف؛ ولو أن ملكاً عظيما نصب في جمع الدنيا وفتح الممالك حتى حيزَتْ له جوانب الأرض لكان عمله هذا هو الوجه الآخر لتعب الزاهد في مجاهدة هذه الدنيا وتركها

* * *

قال أحمد بن مسكين: وقصصتُ عليهم القصة فقلت: كان أبو عامر قبيصة بن عُقبة كثير الفكر في الشيطان يود لو رآه وناله الكلامَ، وكان يتدبر الأحاديث التي صح ورودُها فيه ويفسر معنى الشيطان بأنه الروحُ الحيُّ للخطأ على الأرض؛ والخطأ يكون صواباً محولاً عن طريقته وجهته، ولهذا كان إبليس في الأصل ملَكاً من الملائكة وتحوّل عن طبيعته حين خلق آدم عليه السلام، أي وجد في الكون روحُ الخطأ حين وجد فيه الروحُ الذي سيخطئ. فلما هبطَ آدم من الجنة وحُرِمها هو وزوجُه وذريتُه كان إبليس لعنه الله هو معنى بقاء هذا الحرمان واستمراره على الدهر، فكأن هذه الآدمية أُخرجت من الجنة وأُخرجت معها قوة لا تزال تصدُّها عنها ليضطربا في الكفاح ملياً من زمن هو عمرُ كل إنسان، وهذا هو العدل الإلهي، لم يعرف آدم حق الجنة فعوقب ألا يأخذها إلا بحقها، وأن يقاتل في سبيل الخير قوة الشر

وبات أبو عامر ذات ليلة يفكر في هذا ونحوه بعد أن فرغ من صلاته وقراءته، ثم هوّم فكان بين اليقظة والنوم، وذلك حين تكون العينُ نائمةً والعقل لا يزال منتبهاً، فكأن العينَ متراجعةً تبصر من تحت أجفانها بصراً يشاركها فيه العقل. فرأى شيخُنا أبو عامر صورة ابليس جاءه في زيّ رجل زاهد حسن السَّمْت طيب الريح نظيف الهيئة، وكاد يشبّه عليه لولا أنه قد عرفه من عينيه، فإن عيني الكاذب تصدقان عنه، وقد علم الله أن الكاذب آدميٌّ قفر فجعل عينيه كالعلامات لمن خاض الفلاة

وظهر الشيطان زاهداً عابداً تقياً نقياً كأنه دين صحيح خلق بشراً، فصرخ به أبو عامر: عليك لعنة الله! أمعصية في ثوب الطاعة؟

(١) داعبنا إبليس لعنه الله مداعبة ثقيلة في كتابة هذا المقال وسنقص للقراء حكايته إن شاء الله

(٢) توفي ابن شجاع هذا سنة ٢٤٤ وكان من حفاظ (بلخ)

(٣) الطنز التهزؤ والتهكم ولعل منه كلمة (نطظ) عند العامة

(٤) توفي سنة ٢١٥

قال ابليس : يا أبا عامر ! لولم تقل المعصية إنها طاعة لم يقارفها أحد . وهل خلقت الشهوات فى نفس الانسان وغريزته إلا لتقريب هذه المعاصى من النفس ، وجعل كل منها طاعة لشىء ما ؛ فتقنع المعصية بأنها طاعة لا بأنها معصية . أولا ترى يا أبا عامر أن الحيلة محكمة فى الداخل من الجسم أكثر مما هى محكمة فى الخارج عنه ، وأنه لولا أن هذا الباطن بهذا المعنى وهذا العمل لما كان لظاهر الوجود كله فى الانسان معنى ولا عمل ؟

قال الشيخ : عليك لعنة الله ! فما أرى الموت قد خلق إلا ردا عليك أنت ليتبين الناس أنك المتلى المتلى ولكنك الفارغ الفارغ ؛ بل كل شهواتك سخرية بك وردّ عليك ، فلا طعم للذة من لذاتك إلا وهى تموت ، وإنما تمام وجودها ساعة تنقضى ؛ ومتى قالت اللذة قد انتهيت ، فقد وصفت نفسها أبلغ الوصف.

قال إبليس : يا أبا عامر، ولكن اللذة لا تموت حتى تلد ما يبقيها حية ، فهى تلد الحنين اليها وهو لا يسكن حتى يعود لذة تنقضى وتلد .

قال الشيخ : معانى التراب ، معانى التراب ؛ كل نبتة فيها بذرتها . ولكن عليك لعنة الله لماذا حدثتنى فى هذه الصورة ؟

قال ابليس : لأنى لا ألبس إلا محبة القلب الآدمى . ولولا ذلك لطردتنى القلوب كلها وبطل عملى فيها ؛ وهل عملى إلا التلبيس والتزوير ؟ أتدرى يا أبا عامر أنى لا أعترى الحيوان قط ؟

قال الشيخ : لأن الحيوان لا ينظر الى الشىء إلا نظرة واحدة هى نظره وفهمه معاً ، فلا محل للتزوير مع هذه النظرة الواحدة ؛ وصدق الله العظيم : « هل أنبئكم على من تنزّل الشياطين ؟ تنزّل على كل أفّاك أثيم » فأنت أيها الشيطان التزوير ، والتزوير موضعه الكذب . فمن لم يكذب فى الفكر ولا فى النظر ولا فى الفهم ولا فى الرجاء فليس لك عنده عمل

قال ابليس : يا أبا عامر ! وهل ترى رحمك الله أعجب وأغرب وأدعى إلى الهزء والسخرية من أن أعظم العقلاء الزهاد والعبّاد هو فى جملة معانيه حيوان ليس له إلا نظرة واحدة فى كل شىء ؟

قال الشيخ : عليك وعليك ؛ إن الحيوان شىء واحد فهو طبيعة مسخّرة بنظامها ، ولكن الانسان أشياء متناقضة بطبيعتها ، فألوهيته أن يُقرّ النظام بين هذه المتناقضات كأنما امتُحن فأعطىَ من جسمه كونا فيه عناصرُ الاضطراب وحوله عناصر الاضطراب ثم قيل له دَبِّره

فضحك إبليس . قال الشيخ : مم ضحكت لعنك الله ؟

قال : ضحكت من أنك أعلمتنى حقيقة الابليسية ، فزهادهم الصالحون لأن يكونوا أعظم الأبالسة

قال الشيخ : عليك لعنة الله فما هى تلك الحقيقة التى زعمت ؟

قال إبليس : والله يا أبا عامر ما غلا انسان فى زعم التقوى والفضيلة إلا كانت هذه هى الابليسية ؛ وسأسألك يا أبا عامر حقيقة الزهد والعبادة . فلا تقل انها ألوهية تقر النظام بين متناقضات الانسان ومتناقضات الطبيعة

قال الشيخ : وتسخر منى لعنك الله ؟ فمتى كنت تعلم الحقيقة والفضيلة ؟

قال إبليس : أولم أكن شيخ الملائكة ؟ فمن أجدر من شيخ الملائكة أن يكون عالمها ومعلمها ؟

قال : عليك لعنة الله فما هى حقيقة الزهد والعبادة ؟

قال إبليس : حقيقتها يا أبا عامر هى التى أعجزتنى فى نبيكم

قال الشيخ : صلى الله عليه وسلم فما هى ؟

قال إبليس : هى ثلاث بها نظام النفس ونظام العالم ونظام اللذات والشهوات : أن تكون لك تقوى ، ثم يكون لك فكر من هذه التقوى ، ثم يكون لك نظر إلى العالم من هذا الفكر . ما اجتمعت هذه الثلاث فى إنسان إلا قهر الدنيا وقهر إبليس

فان كانت التقوى وحدها كتقوى أكثر الزهاد والرهبان ، فما أيسر أن أجعل النظر منها نظر الغفلة والجهل والبلادة والفضائل الكاذبة ؛ وإن كان الفكر وحده كفكر العلماء والشعراء فما أهون أن أجعل النظر به نظر الزيغ والالحاد والبهيمية والرذائل الصريحة

قال الشيخ : صدق الله العظيم : « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون »

قال إبليس : يا أبا عامر ! ما يضرنى والله أن أفسّر لك مائة قارورة من الصّبغ لا تصبغ البحر ، وأنا أعد الزهاد والعلماء المصلحين فأضعهم فى الناس بجانب كل واحد منهم مائة ألف امرأة مفتونة ومائة ألف رجل فاسق ومائة ألف مخلوق ظالم ، فلو أنك صبغت البحر بملء قارورة حمراء لما صبغت البحر الانسانىّ

بالزاهد والمصلح ما دام المصلح شيئاً غير السيف ، وما دام الزاهد شيئاً غير الحاكم

قال الشيخ : لعنك الله من شيطان عارم ، فاذا وضعت المصلح بين مائة ألف فاسد فهل هذه إلا طريقة شيطانية لافساده ؟

قال إبليس : ومائة ألف امرأة فتانة مفتونة يا أبا عامر كل واحدة تحسب جسمها . . .

فصرخ الشيخ : أغرُبْ عني عليك لعنة الله !

قال إبليس : ولكن الآية الآية يا أبا عامر . لقد لقيتُ المسيح وجرّبته وهو كان تفسيرها . . .

قال الشيخ : عليه السلام ! وعليك أنت لعنة الله ! فكيف قال ؟ وكيف صنع ؟

قال إبليس : ألفيتُه جائعاً في الصحراء لا يجد ما يطعمه ولا يظن أنه يجد ولا يرجو أن يظن ؛ ثم قلت له : إن كنت روح الله وكلمته كما تزعم فمر هذا الحجر ينقلب خبزاً . فكان تقيا فتذكر فاذا هو مبصر ، فقال : ليس بالخبز وحده يحيا الانسان .

فمثل هذا لو مات جوعاً لم يتحول ، لأن الموت إتمام حقيقته السامية فوق هذه الدنيا ، ولو مُلئت له الدنيا خبزاً وهو جائع لم يتحول ، لأنه بصر أمن فوق الخبز إلى حقيقته السماوية ؛ فليس بالخبز وحده يحيا بل بمعان أخرى هي إشباعُ حقيقته السماوية التي لا شهوة لها

ثم ارتقيت به إلى ذروة جبل وأريته ممالك الخافقين كشفتها كلها لعينيه وقلت له : هذا كله لك إذا أنت سجدت لي . فكان متقيا فتذكر فاذا هو مبصر : أبصر حقيقة الخيال الذي جسّمتُه له وعلم أن الشيطان يعطى مثل معانى هذه الممالك في جرعة خمر ، كما يعطيها في ساعة لذة ، كما يعطيها في شفاء غيظ بالقتل والأذى ، ثم لا يبقى من كل ذلك باق غير الإثم ، ولا يصبح منه صحيح إلا الحرام . ومن ملك الدنيا نفسها لم يبق لها إذا بقيت له ، فهي خيال في جرعة الحياة كما هي خيال في جرعة الخمر

يا أبا عامر ، إن هذا النظر الذي وراءه التذكر الذي وراءه التقوى التي وراءها الله ، هذا وحده هو القوة التي تتناول شهوات الدنيا فتصفّيها أربع مرات حتى تعود بها إلى حقائقها الترابية الصغيرة التي آخرها القبر وآخر وجودها اللاشئ

فالبصر الكاشف الذي يجرد الأشياء من سحرها الوهمي ، هذا هو كل السر .

* * *

قال الشيخ : لعنك الله فكيف مع هذا تفتن المؤمن ؟

قال إبليس : يا أبا عامر هذا سؤال شيطاني . . . تريد ويحك أن تحتال على الشيطان ؟ ولكن ما يضرني أن أفسرها لك . ليس الايمان هو الاعتقاد ولا العمل ، ولو كان من هذين لما شقّ على أحد وأصلحُت الدنيا وأهلها . إنما الايمان وضعُ يقين خفيّ يكون مع الغريزة في مقرها ، ويصلح أن يكون في مقرها لتصدر عنه أعمالُ الغريزة . وهذا اليقين لا يصلح كذلك إلا إذا كان يقيناً ثابتاً بما هو أكبر من الدنيا فيرجع إليه الانسان فيتذكر فيُبصر . هناك ميراث من الآخرة للمؤمن ، فاليقين بهذا الميراث هو سر الايمان

والعمل الشيطاني لا يكون إلا في إفساد هذا اليقين وممارضة الخيال العظيم الذي فيه بالحقائق الصغيرة التي تظهر للمغفل عظيمة كما تشب نار أكبر من قرص الشمس ثم يقال للأبله انظر بعينيك فيصدق أنها أكبر من الشمس

ومتى صغر هذا اليقين وكانت الحقائق الدنيوية أكبر منه في النفس ، فأيسر أسباب الحياة حينئذ يفسد المعتقد ويسقط الفضيلة ، وبدرهم واحد يوجد اللص حينئذ

أما إذا ثبت اليقين فالشيطان مع الانسان يصغر ثم يصغر ، ويعجز ثم يعجز ، حتى ليرجع مثل الدرهم إذا طمع الطامع أن يجعل الرجل الغني الكثير المال لصاً من اللصوص بهذا الدرهم

قال الشيخ : لعنك الله ! فان لم تستطع إفساد هذا اليقين فكيف تصنع في فتنة المؤمن ؟

قال إبليس : يا أبا عامر إن لم أستطع إفساد اليقين زدته يقيناً فيفسد ، واستحسان الرجل لأعماله السامية قد يكون هو أول أعماله السافلة . وبأي عجيب يكون الشيطان شيطاناً إلا بمثل هذا ؟

* * *

قال أحمد بن مسكين : وغضب الشيخ فمد يده فأخذ فيها عنق إبليس وقد رآه دقيقاً ، ثم عصره عصراً شديداً يريد خنقه فقهقه الشيطان ساخراً منه . وينتبه الشيخ فاذا هو يشد بيده اليمنى على يده اليسرى . . . .

(طنطا) مصطفى صادق الرافعي

# الضمير

للدكتور ابراهيم بيومي مدكور
مدرس الفلسفة بكلية الآداب

غامض في لفظه غموضه في معناه ، ومستتر رغم ما يبرز من آثار ؛ هو أقرب الأشياء منا وألزمها لنا ، بل يكاد يكون كل شيء فينا : « والمرء بأصغريه قلبه ولسانه » بيد أنا إن حاولنا توضيحه توارى بالحجاب وأمعن في الاستتار والخفاء . نؤمن بوجوده دون أن نراه أو نفهم في وضوح حقيقته ؛ وكيف ننكره وفي إنكاره إنكار لأنفسنا وهدم الدعامة الأولى من دعائم شخصيتنا ؟ يأمر فيطاع ، وينهى فيستمع له ، ويسر ويحزن ، ويخالط عواطفنا وأحوالنا النفسية على اختلافها ؛ ويعقد محكمته في أسرع من لمح البصر ، ويصدر أحكاما غير قابلة للنقض والابرام ؛ لذلك اتجه إليه الواعظ في وعظه ؛ وناداه رجل الدين في نصحه ، وجعله الأخلاقي أساساً لدرسه ، وتولاه عالم النفس بالبحث والتحليل

يغلب على الظن أن العرب لم يستعملوا كلمة « ضمير » بمعناها الخلقي والنفسي الذي اصطلحنا عليه الآن ؛ فإنهم أطلقوها على القلب والباطن والسريرة فحسب . وهذا المعنى ، وإن كان يقرب من العرف الحاضر ، متميز منه تمام التميز . وفلاسفة الإسلام ومتصوفوه ، برغم تحليلهم الدقيق لبعض العواطف النفسية كالعشق والشوق والندم والتوبة لم تجر كلمة « ضمير » على لسانهم إلا في دوائر تختلف كثيرا عما نحن فيه ، ويظهر أن العرب قد استعاضوا عن هذه الكلمة بلفظة « زاجر » التي تؤدي معناها بعض الأداء : « من لم يكن له من نفسه زاجر ، لا تنفعه الزواجر » فكلمة « ضمير » بمدلولها الفلسفي وضع حديث واستعمال يرجع به العهد فيما نعتقد ، إلى أخريات القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حين بدئ في ترجمة كلمة conscience الأجنبية ؛ وهذه الترجمة — وإن تكن صادقة في جملتها — مثار غموض واشتباه ؛ لأنها تعبر عن الضمير الخلقي والنفسي بلفظ واحد . إلا أن اللغة الفرنسية وقعت في هذا الغموض من قبل واستعملت لفظاً مشتركا للدلالة على الضمير من حيث مظاهره الخلقية وأحواله النفسية . وقد تنبه الألمان والانجليز إلى هذا فخصوا الضمير النفسي بلفظ يميزه من الضمير الخلقي ، وأصبح لعالم النفس كلمة يدل بها على الضمير غير تلك التي يستعملها الأخلاقي[1] وما أجدر كل اصطلاح بأن يوضع له لفظ خاص يناسبه[2] ؛ غير أنه لا يفوتنا أن نلاحظ أن هذه التفرقة اللفظية إنما يراد بها فقط فصل العلوم بعضها عن بعض وقصر كل فن على مصطلحات معينة . ، وإلا فالواقع يشهد أن الضمير الخلقي هو الضمير النفسي ملحوظاً فيه معنى الخير والشر . فليس في الانسان ضميران يفصل أحدهما في الأحكام الخلقية ويتولى الآخر الأحوال النفسية . لكل منا ضمير واحد قد تتنوع أجزاؤه بتنوع مظاهره ووظائفه

لم يعن الأغريق بموضوع الضمير ولم يدرسوه الدراسة اللائقة به لا من الناحية الاخلاقية ولا من الناحية النفسية ، ذلك لأن الأخلاق كانت تعتمد عند فلاسفتهم الأول على أساس اجتماعي . فأفلاطون كان يتعزى عن شقاء الأفراد بما كان يرجو من سعادة الجمعية ؛ وارسطو لا يكاد يفصل الحياة الخلقية من الحياة السياسية . نعم إن الأبيقوريين والرواقيين قد نحوا بالأخلاق منحى فرديا ، وحاولوا أن يؤسسوا سعادة الفرد على الفرد نفسه ؛ ولكنهم ذوو نزعة مادية تتنافى مع التحليل الروحي للضمير . ومن الناحية السيكلوجية نلاحظ أنه فات الأغريق ، بل القدامى عامة أن يتميزوا وحدة الظواهر النفسية ، التي هي أثر من آثار الضمير . وإن من جهل هذه الوحدة أو قال بنظريات تناقضها لا يستطيع أن يفهم الضمير على وجهه الصحيح . وفوق هذا فإنهم كانوا يخلطون بين الضمير وبعض الأحوال النفسية ؛ فأفلاطون مثلا لا يفرق بينه وبين المعرفة ، وأصحاب الرواق يطلقونه على معرفة الحق والباطل . وقد بقي أمر الضمير مهملا إلى أن جاء صوفية القرون الوسطى من مسيحيين ومسلمين فأعاروه جانباً من العناية والدرس : والتصوف ، وهو علم القلوب ، لا يمكنه أن يغفل مشكلة الضمير وينسى ركنا تقوم عليه المناجاة الروحية . لذلك نسمع رجلا كأبيلارد بين المسيحيين يحدثنا عن الضمير وأثره في الأعمال الخلقية ؛ كما نرى الغزالي مثلا بين المسلمين يشرح مراقبة

(1) نعلم أن الفرنسيين يستعملون من غير تمييز كلمة conscience في أبحاثهم الخلقية والسيكلوجية ، وقد يضيفون اليها أحياناً وصفاً مخصصاً فيقولون : conscience morale et conscience psychologique

أما الألمان والانجليز فيسمون الضمير الخلقي : Gewissen, conscience والضمير النفسي : Bewusstsein, consciousness

(٢) قد يسمى الضمير النفسي الشعور ، وعل في هذه التسمية ما يدل على وظيفته وإن كانت لا تبين تماما حقيقته

النفس وقوة المحاسبة التي يمكن أن تنطبق على الضمير بمعناه الحديث . غير أن هذه المحاولات في جملتها محدودة وجزئية .

وإلى رجال العصور الحديثة يرجع الفضل في شرح موضوع الضمير ومنحه ما يتطلب من عناية ومجهود . وتكاد تكون المدرسة الأيقوسية أول من تنبه إلى هذا الجانب الهام من النفس وإلى أثره في الأخلاق . ثم تبعتها مدارس أخرى اقتفت رأيها أو ردت عليها ، إلى أن جاء وليم جيمس وبرجسون فدرسا الضمير دراسة نفسية قضت على كثير من النظريات القديمة ، وغيرت مجرى التفكير في علم النفس إلى حد كبير . ولم يفت الاجتماعيين المعاصرين أن يعرضوا لمشكلة الضمير ويوضحوها على ضوء البيئة والظروف الاجتماعية . وهذه الدراسات مجتمعة ترمي إلى تحديد ماهية الضمير وحقيقته ، وبيان أصله وطبيعته ، وتوضيح قيمته ووظيفته ، ثم إلى اثبات تنوعه بتنوع الأفراد والجماعات ، وتطوره تبعاً لاختلاف العصور والأجيال .

في قرارة نفوسنا وحيث تتكون أفكارنا وتمد أحكامنا ، هنالك رقيب ملازم يشهدها ويقفنا عليها أولا فأولا ؛ هذا الرقيب هو ضميرنا والشعور الروحي الذي نحس به على أثر أية حركة من حركاتنا النفسية ، والالهام المستمر الذي ينقل إلينا كل ما يجول بالخاطر . فالمرء حين يفكر يشعر في الوقت نفسه بما يصنع ، ويدرك أن تفكيره من عمله وقطعة منه . وكذلك شأنه حين يقارن أو يوازن أو يتذكر معلومات قديمة أو يقضي في أمر بقضاء ما ، أو يسر أو يحزن ، أو يحب أو يبغض . وشعور الانسان بتفكيره وإدراكه لخفايا قلبه ليس إلا معرفته لنفسه ووقوف روحه على ما تعمل . وعلى هذا فالضمير جزء لا ينفصل من الظواهر النفسية وأساس لكل أعمالنا الباطنية . هو الشخصية في صورتها البسيطة المجردة ومبعث النور الأول في الحياة العقلية . وخطأ أن نعده قوة مستقلة ومتميزة من الأحوال النفسية كالعين تتميز من الشيء المرئي . فقد انقضى الزمن الذي كان يقال فيه بتقسيم النفس إلى قوى منفصلة تقوم كل واحدة منها بعمل خاص . ولسنا في حاجة لأن نقرر هنا أن في الانفعالات مثلا قدراً من التفكير لا يصح انكاره ، كما أن الجانب الفكري للانسان في أرقى صوره مشوب ببعض العواطف والميول . على أن القول بالقوى إن صح تصوره بالنسبة لبعض مظاهر النفس ، فواضح عدم انطباقه على الضمير الذي هو الشكل العام ونقطة الاشتراك والصورة الرئيسية لكل الأعمال العقلية . والمدرسة الأيقوسية وإن كانت من أول من عني بموضوع الضمير بين المحدثين أساءت من ناحية أنها عدته قوة قائمة بذاتها وشبهته بأحد النظارة يشهد رواية الحياة النفسية دون أن يقاسم فيها بنصيب (١)

وإذا كان الضمير شعور النفس بما تعمل ، فسهل أن نتميز في هذا الشعور درجات بعضها أوضح من بعض . ففي اللحظات التي بين اليقظة والنوم نشعر بما يجري في نفوسنا شعوراً مبهماً غير محدود ؛ والأحلام والرؤى تتصل من غير شك بالضمير في أغمض صوره ، أو إن شئت فسمها مرحلة العقل الباطن ، فإن جاوزنا هذه المرحلة وجدنا أحوالا نفسية واضحة بعض الشيء إلا أنها سريعة وغير متمركزة ، وما ألصق هذه الأحوال بالأعمال العادية والأمور المألوفة ؛ فالضمير يدركها دون أن يقف أمامها طويلا . وبعد هاتين المرحلتين نصل إلى درجة فيها تفكير وروية وتذكر وانتباه وبحث ومجهود . وهنا تبدأ المعرفة الحق ويدرك الضمير عمله في وضوح . وعلماء نفس الطفل المعاصرون وعلى رأسهم كلابارد ( Claparède ) وبياجيه ( Piaget ) قد خصوا هذه المرحلة بقدر كبير من العناية ، وبينوا كيف يخطو الناشئ نحو إدراك نفسه وتكوين معلوماته ؛ ثم تجيء أخيراً مرحلة التفكير الانساني في أسمى صوره ، حيث تعرض المشاكل الدينية والفلسفية ، ويجهد الانسان نفسه في تفهمها وقلبها على وجوهها رجاء أن يصل إلى حل واضح مقنع ، وما هذه المرحلة إلا امتداد لسابقتها وصورة مكبرة لها ؛ والأبحاث العقلية في جملتها شك للضمير ، ومبعث نضال نفسي مستمر يراد به الوصول إلى الأفكار الجلية النيرة

يزداد فهمنا للضمير إذا بينا الخصائص التي تمتاز بها مظاهره ؛ وقد عني جيمس وبرجسون بشرح هذه الخصائص وتوضيحها التوضيح الكافي ؛ وأول شيء نلاحظه في الظواهر النفسية هو اختلاطها وتشعبها ؛ فلا نكاد نجد أنفسنا أمام ظاهرة واحدة منعزلة ، بل دائماً أمام مجموعات من أحوال نفسية مختلفة ؛ أو كما يقول جيمس أمام حقول اكتسى بساطها شتى الأزهار

(١) Th. Reid. Essai sur fac. intell., III,2.

والألوان (fields of consciousness) في ظاهرة نفسية واحدة، تلتقي إحساسات متنوعة، وذكريات قديمة، وعادات ثابتة، وأفكار عديدة، وأحكام وتعليلات، وموازنات لا حصر لها؛ وهذه الأحوال النفسية كالأمواج الزاخرة تجرى وتتغير من غير انقطاع؛ ومن هنا جاء تعبير جيمس المشهور: تيار الفكر أو تيار الضمير[1]. فإحساسنا بشيء في حال اليقظة يختلف عنه في حال النوم؛ وإدراكنا لأمر ونحن متنبهون يختلف عن إدراكنا له ونحن مستريحون؛ وشعور هذه اللحظة لا يتكرر مرة أخرى في نفس الظروف والمناسبات التي اقتضته، ولئن بدا تكراره لم يعدُ ذلك المظهر العام؛ أما التفاصيل والجزئيات فمختلفة لا محالة، وكأن حركة التفكير كنهر جار تتابع موجاته إلى ما لا نهاية دون أن تعود موجة سيرتها الأولى؛ والفكرة الواحدة المستمرة التي تخطر ببالنا من حين لآخر دون تغيير أو تبديل أمر خيالي وبعيد عن الحقيقة[2]. فنحن نحس الآن على صورة خاصة لن تستمر في اللحظة التالية، وما دمنا أحياء فنحن عرضة للتغيير؛ وما أصدق بسكال حين يقول: «الزمن يشفي الآلام والأحقاد لأننا متغيرون ولا نحتفظ بشخصية واحدة، فلا المسيء ولا المساء إليه يبقيان كما كانا[3]» بيد أن القول بأن ظواهر النفس في حركة وتغير مستمر ليس معناه أن في تيار الضمير انفصالا أو انفصاما أو تباينا. فظواهر النفس في حركتها تدور حول نقطة واحدة وتتصل بأساس ثابت؛ وحياتنا الروحية في هذا الصباح ترتبط بحياتنا أمس دون أن يحدث النوم أي فراغ أو انقطاع في وحدتها. وعلى هذا فالحاضر من أحوالنا النفسية يحمل في طياته الماضي ويعد للمستقبل؛ وفي النفس حركة في انفصال وتغير في ارتباط. ومثل الحياة العقلية في هذا مثل قطعة موسيقية مكونة من نغمات مختلفة ومتميزة قد امتزجت واختلط بعضها ببعض فأنتجت لحناً منسقاً. وما ذاك إلا لأن أحوال النفس جميعاً متصلة بشخصية معينة، ومنجذبة نحو مركز واحد، ومنبعثة من شمس الضمير الوحيدة. وأوضح شيء في عمل النفس أنه يستلزم فاعلا؛ ففكرة ما إما أن تنسب إلي أو إليك أو إلى زيد من الناس. والفكرة التي لا أب لها لا أصل لها ولا وجود؛ على أنها إن وجدت فلا سبيل إلى تعرفها وإثبات كنهها، لأن ما نتبادله من أفكار إنما هو عمل أشخاص معينين محدودين.

من خصائص مظاهر الضمير التي ألممنا بها سراعا نتبين بطلان المذهب الذري الذي يزعم أن الحياة العقلية بأسرها ترجع إلى جملة أفكار بسيطة ائتلفت وارتبطت ونتجت عنها أفكار أخرى مركبة؛ ومجموع هذه وتلك مسود بقانون تداعي المعاني. فالظواهر النفسية تتلخص في جملة وحدات وضع بعضها بجانب بعض، وفي مجرد انضمامها ما يكفي لتكوين حياة عقلية. تلك هي نظرية لوك ومن جاء بعده من رجال المدرسة الانجليزية أمثال هيوم وميل وبين وسبنسر. ولا يبعد عن هذه النظرية كثيرا ما قال به كوندياك الفرنسي من أن الروح ليست إلا مجموعة صور حسية توزعت إلى طوائف عدة فنشأت عنها القوى النفسية المختلفة. وكلتا النظريتين تهدم فكرة الضمير من أساسها، ولا ترى في النفس شيئاً يسمو على ما عليه الحس. لذلك قام في وجهها الأيقوسيون من جانب، ومين دي بيران من جانب آخر، مثبتين أن في الروح حياة وقوة تجاوز المدركات الحسية، ولولا هذه القوة وتلك الحياة ما نظمت آثار الحس، ولا نتجت عنها أفكار مستقيمة. هناك روح، هناك نفس، هناك شخصية، أو هناك ضمير، سمه ما شئت؛ والمهم أن الظواهر العقلية ليست مجرد أوضاع لصور حسية، أو لوحدات متحجرة لا حياة فيها، ولا تستطيع بالأولى أن تبعث الحياة في غيرها. وأعمال بينيه، ومدرسة فورتسبورج الألمانية وجيمس وبرجسون في الخمسين سنة الأخيرة قائمة على شرح هذا الرأي ونصرته.

والآن وقد اتضح الضمير في مظهره النفسي، يجدر بنا أن نفرق بينه وبين الضمير الخلقي؛ أو أن نحدد بعبارة أدق مهمته من الناحية الأخلاقية. في حين أن الضمير النفسي يقفنا على ما يجري في داخلنا، ويشاطر في الظواهر العقلية على اختلافها. يعنى الضمير الخلقي بإصدار الأوامر الصالحة والحكم على الأعمال الإنسانية. فإذا ما تعلق بالمستقبل بدا أثره كصوت خفي يأمر وينهى، وإذا حكم على الماضي صحبت حكمه عواطف كثيرة من سرور أو ألم. «فصوت الضمير» هو ذلك النداء الخفي والوحي

(1) stream of thought or stream of consciousness.

(2) W. James, Principles of Psychology I, pp. 231 ss. — H. Bergson, Evolution créatrice, pp. 2s s.

(3) Pascal, Pensées, frag. 122.

تلخيص كتاب :

# الحاكمون بأمرهم

## LES DICTATEURS

### تأليف جاك بانفيل

بمناسبة وفاته فى ١٠ فبراير سنة ١٩٣٦

للأستاذ عبد الحليم الجندى المحامى

« أيها العظماء ! هل تريدون المجد ؟ موتوا »
فكتور هيجو

---

وهذا أيضاً رزء فادح نزل بفرنسا ، إذ لم يكد جاك بانفيل يتبوأ مقعده بين الخالدين فى كرسى الرئيس بوانكاريه فى مارس الماضى حتى اختطفته يد المنون من مجلسه الرفيع ؛ وهكذا فقدت فرنسا والمجمع فى ثلاثة أعوام متعاقبة ثلاث كفايات متقاربة . فذهب بوانكاريه « الذى لا يرتشى L'incorruptible » ثم ذهب « لويس بارتو » صاحب « ميرابو » وصاحب « دانتون » ، وأخيراً مات بانفيل

كان الثلاثة دعاة كباراً لمجد فرنسا ؛ ولكم شنوا الغارة على موجة الاشتراكية التى اجتاحت على أرض فرنسا فردتها خطوات واسعة إلى الوراء

كان بوانكاريه فى الحرب وفى السلم ، وفى قصر الأليزيه أو فى (الكى دورسيه) أو فى « المحكمة » فرنسياً وفرنسياً فقط ؛ وهكذا كان الشهيد « بارتو » حتى فى « مصرعه » أما بانفيل فقد كان قلمه قوة فوق القوى . . . ولما استقبله « دوناى » عميد الأكاديمية فى ٧ نوفمبر الماضى قال له : « إن المجمع بخلى بينك وبين مقعد الرئيس بوانكاريه ، فلقد استطعت أن تقول للملأ الأعلى وللعالم أجمع ما كان يمنعه مركزه السياسى من أن يقول »

مات رجل كان فرنسياً من قمة رأسه إلى أخمص القدم . . مات رجل كم حمل على إنجيل « سنت هيلين » ذلك الإنجيل الذى دعا فيه بونابرت إلى خلق الدول التى زلزلت من بعد أقدام فرنسا فى الوجود . . مات أكبر أعداء ألمانيا !

فى كتابه عن « نابليون » وفى كتابه « تاريخ ثلاثة أجيال » ، وفى كتابه « تاريخ فرنسا » ، وفى « الجمهورية الثالثة » ، وفى « تاريخ ألمانيا » ، وفى حملاته الكبرى مع شارل موراس وليون دوديه أبطال الحكم الملكى كانت توضع « مقايسة » جديدة لإنشاء جيل جديد

كنت أقرأ له منذ أيام آخر كتاب أخرجه للناس « les dictateurs » وكان يقعدنى العمل أو الكسل عن أن أنقل عنه كلمة للأدباء قراء (الرسالة) ، فلما مات وضجت لموته فرنسا ، ووقعت معارك « الاكسيون فرانسيز » ، وكان الاعتداء على زعيم الاشتراكيين « ليون بلوم » كان علينا أن نلخص كتابه للناس

* * *

وضع الناشر على الكتاب عبارة تنبىء عن غاية الكتاب قال : « لا تحكموا عليهم قبل أن تعرفوهم » وقدم المؤلف له بقوله « . . . الدكتاتورية ككثير من الأشياء قد تكون أسوأ نظام الحكم وربما كانت خير نظام ؛ ولئن كانت خيراً أو شراً فإن الظروف تلجئ إليها أحياناً ويخضع الناس لها دون أن يجوز لهم حق الخيار . . . فعلى الشعوب ألا تضع نفسها فى مثل هذه الظروف .. » ويناقش المؤلف ما يظنه البعض من أن الدكتاتورية اختراع ابتدعه العصر الحديث ، فما هى إلا سيرة معادة من سير العصور الغابرة ؛ ثم يبحث عبثاً مريراً بأحد الساسة الذى أطلق على أول دكتاتور معاصر لقب « قيصر الكرنفال » ولربما كانت الدكتاتورية سداً يقام أمام طوفان الشيوعية الحمراء أو الديمقراطية الرعناء ؛ ولطالما كانت نداءاً حاراً للمساواة بين الناس ، أو لتهذيب شرة رأس المال ؛ وكثيراً ما كانت لإقرار نظام النقد إذا شالت به كفة الميزان

يهبط بانفيل ببحوثه إلى أعمق أغوار التاريخ قبل الميلاد فيفتتح الكلام ببحث عن « طغاة الإغريق les tyrans » وأولهم أول مشترع عرفه التاريخ « صولون » ثم « بركليس » ثم يعرج

---

الشخصى الذى يدعونا نحو غاية أو يصرفنا عنها . وهذا التعبير ربما يظهر من أصل دينى صوفى ؛ وقد جاء التحليل النفسى الحديث مؤيداً له فإن المرء حين يقضى فى أمر بقضاء ما ، يبدو كأنه تحت تأثير اتجاهات مختلفة ، إن ساد أحدها ارتفع صوته وصدر أمره . وإذا كان صوت الضمير مبعث الأمر والنهى فوخزه مصدر الندم والألم . وكم اتجه أشخاص نحو جلائل الأعمال امتثالاً لأصوات ضمائرهم ! وكم انصرف آخرون عن الشر لأنهم عانوا وخز الضمير وما جلبه عليهم من شقاء وبلاء

(يتبع) ابراهيم مدكور

المؤلف بنا إلى روما وأبطالها الأربعة « ماريوس » و « سيلا » و « بومبي » و « يوليوس قيصر » ، وفي مجالته عنهم يضرب الأمثال ويذكر العبر . فهذا « ماريوس » يجشم جيشه خطر الحرب في « نوميديا بافريقيا » ليثبت أقدامه في روما تماماً ، مثلما يغامر « موسوليني » في الحبشة ليقوى أسبابه لدى الطليان ... وهذان القنصلان « سيلا وبومبي » يخوضان إلى الحكم في بحار من الدم . وهذا « قيصر العظيم » قامع النبل ومصالح القضاء وعدو الترف في أساليب فشستية تذكر بأحفاد الرومان في القرن العشرين فيديرون أعينهم نحو ذلك العاهل الذي يسيطر على مصاير روما منذ أعوام

ثم يطوي التاريخ طيا ليقف بك أمام أول دكتاتور في التاريخ الحديث فيسترعى نظره أن يكون « كرومويل » أول الدكتاتورين ويكون في نفس الوقت أبر أبناء أمة تسمى « أم البرلمانات » ، وكأن الدكتاتورية ظاهرة تبدو مع الثورات دائماً أو مع الدعقراطية أو مع النظام النيابي

ناب بكمبردج في سنة ١٦٢٨ وقائد الخيالة في معترك الثورة سنة ١٦٤٤ ، ذلك الميال الذي اشتهر بأنه « الناطق الحديدي » والذي ارتفع على صهواته كرومويل إلى ذروة الزعامة الطامة ، ذلك مثلما عبر هتلر على أكتاف القمصان السمراء ، وكما وصل موسوليني بقمصان سود ؛ فلما قتل شارل الأول واستتب الأمر للدكتاتور أعلن أن الحكم يومئذ للدين ، وفي ٢٠ أبريل سنة ١٦٥٣ ذهب إلى دار النيابة يقول : « هيا يا قوم ... كفانا سفسطة » وحل المجلس وانفرط عقد النساء كمن وعلق بيده على باب البرلمان لوحة مكتوباً عليها « ... غرفة غير مفروشة للايجار !!! » لكن الأيام مضت والتي الطاغية نفسه وحيداً فأعاد البرلمان ، وأخيراً بعد ١٤ عاماً من الحرب الأهلية مات كرومويل وعاد شارل الثاني بعد أن تعلمت الأمة أن الملكية خير وأبقى ، ولكن بعد أن تعلم الملوك درساً

وهذا هو الكردينال العظيم : أبو فرنسا وأبو الأكاديمية يضع يده على مقاليد الحكم فهي فوضى مالها من قرار . فمن ملك حدث في أكتاف أم طائشة يهدد ملكه أمراء طامعون ، إلى أمراء يركنون لسيادتهم في الأرض كأنهم رؤوس تعلو مفارقها التيجان ، إلى نزاع ديني بين « الهيجنوت » والدولة . . كل ذلك في الداخل ، أما في الخارج فبيت هبسبورج تقدح عيناه بالشرر ؛ لكن الأب « ريشيليو » لا ينهزم ، فيسلخ السنوات الأولى من « وزارته » في أخلد كفاح سياسي عرفه التاريخ لوزير ، ويضرب الأمراء ضربات ليس فيها إشفاق ، ويقتلع نفوذ الهيجنوت من الأعماق ؛ وبعد أن يوطد دعامات في الداخل ، يمث إلى الحسا بفيوض الحماسة الفرنسية لتنتصر عليها في معارك دامية ! . . ثم يرسم المؤلف من رائع الصور وأسماها لهذا الأب وهو محموم ومحمول على محفة متواصلة يتنقل فيها بين أطراف الدولة ليستولي على قلعة أو ليخضع أميراً أو لينازل الحسا . . . ! كل ذلك وهو في « جفن الردى وهو نائم » فان الأمراء لم ينصبوا له أقل من عشر مؤامرات دموية جهلاً منهم أن أنزع لا يعرفه قلب كهذا القلب ، بل التهديد يسكب في أمثاله فيضاناً من الحياة ، فلا يتردد في أن يستل من أحضان الملك صديقه ( سانمارس ) و ( دي تو ) ليقدمهما إلى المقصلة لأنهما وأضرابهما ( مجرد خونة من الطراز المبتذل ) ثم لا يتردد في أن ينفي من فرنسا أم ملك فرنسا ، وبمرسوم من الملك ! وبينما يلقاه الهيجنوت قطيعاً في الحرب ، يراه زعيمهم « دي روهان » نديماً في السلام . . . هذا هو حاكم فرنسا المطلق ريشيليو .

وبعد ذلك صفحات مشرقة عن « الملك الشمس » الملك القائل : « أنا الدولة » لويس الرابع عشر الذي حكم حكماً مطلقاً أكثر من نصف قرن له أزهى عصور الملكية في فرنسا أو في التاريخ

ثم يعقد المؤلف فصلاً للكلام عن « وسائل الطغيان المستنير » فمنده أن أصحاب الانسكلوبيديا ومنهم « ديدرو » لم يكن فيهم جمهوريون ؛ وحتى فولتير « Le roi Voltaire » كما كان يسميه فردريك الأكبر كان يفضل سلطة الفرد . أما صاحب العقد الاجتماعي الذي كان يفتي ويشير في النظم والدساتير فكان يرى الحكم الجمهوري صالحاً للدول الصغيرة ، أما الدول الكبرى فلم يكن يراه نافعاً لها بل في العقد الاجتماعي دفاع غير قليل دافع به « روسو » عن الحكم المطلق . وفي القرن الثامن عشر فلاسفة كبار كانوا يمتدحون عن الحكم المطلق حكم الفرد المستنير « نصير الاصلاح » الذي كان يسميه رينان Le bon tyran أي الطاغية الطيب ، وإذا كانت الثورة قد قضت على هذا النظام فان فرنسا عبدته في شخص نابليون .. وفي الحق أنك لا تستطيع أن تنسى — في عصرنا هذا — مقدار ما تحظى به من التأييد نظرية المفكرين المتازين « المفكرين الأرستقراطيين » وفحواها أن التقدم لا يمكن أن يأتي من الجماهير بل هي تساق اليه وراء طائفة من « الأفراد » الكفاة . . . وكثيراً ما يكونون منها

وفى الثورة الكبرى طفى « روبسبير » فصار قطعة من طغيان الثورة الدموية أو المجزرة ، لكأنى به جملة من اسمها أو مقدمة من منطقها فلولاه ما أنتجت الثورة نابليون . . .

وما أدراك ما نابليون ؟ ابن الثورة فى فرنسا ، وابن الجماهير فى كل الدنيا ؛ النجم الذى تلألأ فى الأفق على غير ميعاد ، والحلم الذى طاف بأجفان الانسانية حيناً من الليل ثم صحت تتفقده ؛ اللاعب الذى كان يحرك الملوك والشعوب على رقعة الدنيا كرقعة الشطرنج ؛ الفاتح الذى كان ينثر الحرية ، ويبذر المساواة ، ويعلم العلم ، فى المشرق والمغرب أنى أسال دم الفتوح ؛ المنشىء الأمم والجامع الأجناس ، وواضع تصميم أوربا الحديثة

لقد كان المستبد العائل ، أو المستبد العادل ، أو الطاغية

كانت كل السلطات فى يديه ، وكان الخير يتفجر منهما والشر والجريمة أحياناً

كان مشرعاً يضع بنفسه ( قوانين نابليون ) ، وكان يدير دفة السياسة فى الدنيا ، وكان يحيط بالجحفل اللجب فى أسترلتز ويكتب إلى جوزفين !! وكان يصدر مرسوم الكوميدى فرانسيز وهو يتفجع أمام حرائق موسكو ، وينظر إلى صورة « النسر الصغير » نابليون الذى سماه ألد عدائه وهو « شاتوبريان » : « شاعر يعمل » ؛ أو كما قال أوكتاف أوبرى : « ابن الثورة الأكبر الذى أنشأ الدنيا الحديثة على أنقاض ما هدمته الثورة من الدنيا القديمة » والذى بنى الدول حتى بعد أن مات !! فبعث إنجيل سنت هيلين من الموت : إيطاليا وألمانيا وغيرها فى القرن التاسع عشر ، ويوجوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا ودول البلقان فى القرن العشرين !! حتى إذا فقد امبراطوريته فى قلب القارة دانت له أمبراطورية القلوب فى كل الدنيا فأصبح أغنية فى فم التاريخ وطنيناً فى سمع الزمن

أوليس من الفرنسيين كما قال « دوناى » من يقول اليوم : « ليته يعود ! » وهو هو الذى أجهد فرنسا وأضناها ؟ وهو هو الذى عبر عن نفسه بقوله : « أفلم يكن أفضل ألا أكون ولدت ؟ »

هكذا استهلت فرنسا القرن الماضى بأروع دكتاتورية عرفها البشر . ولما انطفأت شعلة « المارد القرشق » وبعث من أعلى الصخرة انجيله فى سنت هيلين كانت من آياته « نظرية الجنسيات » التى أوسعها المؤلف تجريحاً فى كتاب « تاريخ ثلاثة أجيال » لأنها أنشأت الدول التى زعزعت فرنسا فى القارة ، أما هنا فهو لا يناقش وإنما يعرض ويترك القارىء للاستنتاج ، فيقدم اليه معجزة أخرى من معجزات الانجيل تلك هى تسنم ابن أخى نابليون رياسة الجمهورية ، ثم تتويجه نفسه مثل عمه امبراطوراً بالقوة فى ديسمبر سنة ١٨٥١ ولا يحمل على ( نابليون الصغير ) كما سماه هيجو ، فهو قد شرحه فى كتابه « تاريخ ثلاثة أجيال » عما نقله عن بسمارك لما أن قابله نابليون الثالث فى بيارتز فقال : une grande incapacité inconnue حالة عجز كبرى لا يعرفها الناس !

وهنا يعنى بانفيل بأن يلفت قارئه إلى طريقة احداث الانقلاب السياسى ، فيقول إن الانقلاب الذى أحدثه نابليون الصغير كالانقلاب الذى أحدثه نابليون الكبير ليجعل نفسه قنصلاً عاماً ، كان يقوم على أيدى رجال فى يدهم الحكم لأن الانقلاب الناجح يجب له قوة حكومية ليستقر وليستمر

أما دكتاتورية نابليون الصغير فظلت فى الداخل طويلا ، ولكنها لم تنجح ؛ وفى الخارج أهدر الدم الفرنسى فى المكسيك وأنشأ مبدأ الجنسيات خصوصاً لفرنسا ، وكان الامبراطور نفسه يقول « كيف تظن أن الأمور تسير على قاعدة ؟ إن الامبراطورة ملكية ! وأنا جمهورى ! وليس هنالك بونابرتى إلا برزينى » وجاءت حرب السبعين ، وانتهت قصة الامبراطورية ، وحاول Boulanger فى سنة ١٨٨٩ أن ينشىء دكتاتورية على أكتاف الباريسيين فلم ينجح لأنه نسى أن الانقلاب يجب أن يكون بمعرفة رجال فى دست الأحكام

بعد ذلك يرحل بنا ( بانفيل ) إلى أمريكا اللاتينية رحلة تشبه المغامرات ، فيستعرض طغاة غلاظ الأكباد كمصارعى الثيران أو أشد فروسية وعجباً !! ويشرح لك عمل الماسونية وعمل القسس فى التدمير والتعمير فى دقة تفوق حلاوة القصص وتسمو إلى حكمة التاريخ . وينتقل من المكسيك إلى أمريكا الجنوبية وبطلها ( بوليفار ) تلميذ الثورة الفرنسية وصاحب خطة « الولايات المتحدة الجنوبية » على نسق اتحاد الشمال ؛ هذا الجمهورى الواقعى الذى كان يقول « إن الدمقراطية المطلقة كالاستبداد المطلق ، كلاهما طغيان » . ثم يتحدث المؤلف عن دول أمريكا الجنوبية وطغاتها ، فى كولومبيا ، وفى أورجواى ، وبورجواى وشيلى والبرازيل طغاة فى كل عشر سنوات ، وفى بوليفيا التى خلعت على نفسها هذا الاسم تمجيداً « لبوليفار » ، ثم فى الأرجنتين التى طغى فيها ( روزاس ) المصلح الفظيع ، دنا أحد المارة يوماً من بائع متجول يصيح : كستنا ! كستنا !!

التاريخ في سير أبطاله

# ميـــرابو

ميرابو .... تلك الأعجوبة !
جوته

للأستاذ محمود الخفيف



تتهيأ بواعث الحركات الشعبية وتتلاق تيارانها على كر السنين ، وما تزال في نموها واطرادها حتى ينفجر سكونها بغتة عن عاصفة ، ثم لا تلبث تلك العاصفة أن تتمثل في مظهرين : فكرة ورجل ! على هذا النحو هبت العاصفة في فرنسا عام ١٧٨٩ ، فأما عقيدتها فكانت ما أعلنته الثورة من مبادئ ، وأما رجلها فكان ميرابو

أجل ، كان ميرابو رجل الثورة في أولى مراحلها ، ذلك لأنه حين ألقى بنفسه في بركانها لم تلبث أن وجدت في لسانه ترجمانها ، وفي شخصه عنوانها ؛ فلقد نبض قلبه بمشاعرها ، وامتلأ رأسه بآمالها ، وانطلق لسانه بأناشيدها ، وكان لها أكبر عون في حدة ذهنه ، ويقظة وجدانه ، وقوة جنانه ، وسحر بيانه ، فألقت اليه مقاليدها برهة ، فلما التوت عليه واتخذت طريقاً يفضي إلى هلكتها وجدت فيه الرجل الوحيد الذي يبذل غاية جهده ليحجزها عن وجهها ، ثم لما قضى نحبه ، لم تدر ما تأكله فأكلت نفسها .

من أجل ذلك لا تستطيع أن تفهم الثورة حق الفهم دون أن تفهم ميرابو ، وكذلك لن تستطيع أن تعرف ميرابو أصدق المعرفة إلا في غمار الثورة ؛ فما كان قبل الثورة إلا رجلا كمن حوله من الرجال ؛ بل لقد كان من عدة وجوه دون الكثيرين منهم ، فلما أفاقت على صيحتها نفسه ، أصبح الرجل الذي يتقدم قرينه في الرجال !

ولكن ما جرة عليه نكد طالعه قبل الثورة كان ذا أثر عميق في سيرته يوم جن جنونها ، حتى لقد كان الناس على رغم إكبارهم مواهبه في لبس من أمره دائماً ، يفسرون آراءه واتجاهاته بما كان من ماضيه ، فصار وهو الكوكب الساطع في سياسة وطنه يعاني مما انعقد حوله من الشبهات أضعاف ما يعانيه من غباء معاصريه ونزقهم .

عودته غلظة أبيه وسوء معاملته اياه الحنق عليه والكراهية له ، وأتت سياسته على العكس مما كان ينتظر ، وكان من الأشراف الذين يحلو لهم العناد ، فلم يدع وسيلة يرى فيها كسر شوكته إلا جربها ، حتى السجن أرسله اليه مراراً بواسطة تلك الخطابات الملكية المختومة التي كان لها حكم القانون .

ولكن السجن لم يردعه ولم يصرفه عن الاسراف والاستدانة ولما هم أبوه أن يرسله اليه مرة أخرى فر هارباً مع خليلة كان قد هام بها على الرغم من احتجاج زوجته ، وعلى الرغم من حدب بعلها عليه وإكرام مثواه حين كان يزوره في منزله .

وهنالك في هولندا حينما أنفق ما حملته معها خليلته من المال لم يجد له مرتزقاً سوى الكتابة ، فوضع رسالة في الحكم الاستبدادي ذاع بها اسمه بين الناس ، وأتبعها غيرها في الاقتصاد وكانت له فيها آراء صائبة ، غير أن حياة التشريد قد ألقت به في كثير من مواطن الزلل ، فكان يستدين مرة ويستجدي

---

فلما هم بالشراء منه خر الشاري صعقاً لأنه لم يجد في سلته إلا « رؤوس رجال » ، لكن الاصلاح والتقدم المادي كان يشفع لهؤلاء الجبابرة ، بل ولمثل « بلانكو » طاغية فنزويلا في سنة ١٨٧٥ الذي قال كلمته المشهورة وهو على سرير الموت يستدبر الدنيا ويستقبل الله

القسيس : يا بني سامح أعداءك

بلانكو : لا أستطيع يا أبت .

القسيس : كيف يا بني ؟

بلانكو : ليس لي أعداء ... لقد قتلتهم جميعاً !

(البقية في العدد القادم) عبد الحليم الجندي

بعض ذوي الثراء حيناً ، ويلجأ إلى ناشري الكتب أحياناً يعركهم ويعركونه حتى يتقاضاهم بعض المال عنتاً بخساً لرسائله

وما كان ذلك الشقاء ليقهر نفساً لا تقهر ، بل لقد أوحى اليه الانتقام من أبيه ، فلما علم وهو في غربته بما شجر بينه وبين أمه من نزاع ومقاضاة ، كتب رسالة صغيرة يحمل فيها عليه ويرميه بالغباء والجهل في أسلوب لاذع ، وأرسل منها عدداً إلى أمه ، ولكنها وقعت في يد أبيه ، فبلغ الحنق من نفسه كل مبلغ واستعمل نفوذه ، فاذا بابنه وخليلته يرسلان إلى فرنسا ، حيث ألقيا في السجن كل جزاء فعلته .

وكان السجن في هذه المرة قاسياً إذ حرم عليه أول الأمر كل ما يخفف عنه آلام وحدته ، ولكنه استطاع أن يسحر حراسه بقوة شخصه فأتوا له بما طلب من الكتب والورق والصحف ، فكان فيها بعض السلوى لنفسه الوثابة

ولقد لبث في السجن بضع سنين ، أعاده بعدها أبوه إلى الحياة الطليقة ، وهو يظن أن السجن قد نال من كبريائه ، ولم يدر أن الأمر قد زاد عوده صلابة ، وعلمه كيف يروض نفسه على البأس ، وكيف يستهين بالألم إذا فكر أحد في ارغامه ، ولذلك عاد إلى التبذير والسفه ، ولج في عناد أبيه وسوء معاملة زوجه ، ثم أخذ ينشر من الآراء في المال والسياسة ما أغضب عليه كبار رجال الدولة ، فهم أبوه أن يلجأ من جديد إلى خطاب مختوم ولكنه هرب وطوف في انجلترا وبروسيا وسواها من ممالك القارة وهو لا يكاد يجد ما يتبلغ به .

أكب في أسره على المطالعة ، فالتهم ما حمل اليه من الكتب التهاماً ، وكانت له مقدرة خارقة على استيعاب ما يقرأ ، ثم هيأت له أسفاره أسباب الخبرة الصحيحة ، فصاحب أخلاطاً من الناس ، ورافق أعاطا من الساسة ، وشاهد ألواناً من المجتمعات ، ومارس ضروباً شتى من الأخلاق والعادات

على أن أصالته كانت أعظم من كسبه ، كما كان وحي عبقريته أكبر خطراً وأبعد أثراً في تكييف سلوكه من كل مازودته به الكتب من آراء ، ولكن تلك العبقرية كانت في حاجة إلى ما يستثيرها ، كانت فيما يحيط به من ظروف العيش ، وما يكتنفه من الحوادث كالجمرة طغى عليها الرماد ، فما أن تهب العاصفة حتى تظهر وتتوقد وتبهر جذوتها القلوب والأبصار ، وما كانت العاصفة إلا الثورة وهي من وطنه على الأبواب .

بيد أنك تراه الآن ولما توافه الثورة يعيش من نفسه في ثورة ! فلقد كان بطبعه عسوفاً عنوفاً لا تعرف نفسه الهدوء كما لا يعرف جسمه الدعة ، يميل بكل ما في طاقته إلى النضال والتحدي ، فيحمى على المجادلة ، ويستمر على الجلاد ، ولا يستقر إلا على الظفر والتفوق .

وكان قلبه الكبير مليئا بالأحاسيس ، جياشا بالعواطف ، وكثيراً ما كانت حدة عاطفته مبعث مواقفه الفذة ومثار شجاعته حين كانت تستحكم الأزمات فلن يخرج الوطن منها إلا بشجاعته .

وكان ذا مقدرة غريبة في إثارة العاطفة في قلوب من حوله حتى لكأنهم منه حيال ساحر عجيب ، وهو في فورته يتناول كل شيء ولا يكاد يتجه إلى فكرة حتى يثب إلى غيرها ، ولا يكاد يسنح له خاطر حتى تتوارد على رأسه الخواطر ، وما كان ليضيق بها ، بل لقد كانت على وفرتها أقل من أن تقنع روحه أو تشبع عاطفته . قال أبوه يصف توثب روحه : « إن روحه كالمرآة المتحركة ينعكس فيها كل شيء ولا يستقر فيها شيء »

ولقد كان من أظهر خلاله وأعظم قوى نفسه ، شدة تأثيره فيمن حوله ، يحس من يقترب منه هيبة خفية لا يتبين مبعثها ، وينجذب إليه من يستمع له انجذابا يبعث على العجب ! ولقد بلغ من شدة تأثيره أنه كان يحمل رجال السجن على احترامه بل على محبته ، وتلك عجيبة من عجائب النفس لا تزال سراً مستغلقا على الأفهام .

على أن أبرز صفاته جميعاً وأوثقها علاقة بمستقبل حياته ، هي قوته الخطابية ، فلقد كان ميرابو خطيباً عبقرياً بكل ما تتسع له تلك الكلمة من معنى . وهو عند الكثيرين من المؤرخين أقدر خطيب شهير في التاريخ الحديث ، وأشد الخطباء تسلطا على أفكار سامعيه وأسرعهم توجيهاً لمن حوله إلى ما يريد .

كان في أسلوبه رجل فن كأعظم ما يكون رجل الفن ، عرف أو على الأصح ألهم اختيار الكلمة القوية وصوغ العبارة التي تجمع إلى إشراق المعنى بعد المرمى وعمق المغزى . وكانت تواتيه عبقريته إذا تسنم المنبر فتسمو به عن مستوى الرجال ، فترام شاخصة أبصارهم إليه خافقة قلوبهم بما ينطق ، فاذا احتدم الجدل أو اشتد الموقف خطراً نظرت فاذا به أعظم مما كان حماسة وأسرع تدفقاً وأكثر إقناعاً ، ورأيت عبارته ترتفع وتعظم حتى تلائم الموقف ، وسمعت في نبرات صوته أزيز نفسه وغليان دمه .

كان فى جولانه كنابليون فى غزواته ؛ تزداد عبقريته ملابسة له كلما ازداد الموقف من حوله هولا . ولقد فاه بأبلغ عباراته وأبعدها أثراً فى نفوس سامعيه فى مواقف الحماسة الثائرة كأن كلماته الحيتان الضخمة لن تظهرها إلا العاصفة !

وكان له فضلا عن ذلك من هيبة منظره وقوة صوته ورنين جرسه وشتى إشاراته كل معدات الخطيب . كان كبير الجرم ، قوى الجسم ، عريض المنكبين ، عظيم الصدر ، ترى فى وجهه الجاد العابس آثار جراح اندملت كأنك تلمح فيها صرامة الحوادث وصروف الزمن ، وكانت ترتسم ملامح وجهه بانفعالات نفسه ، كما كانت تلتمع عيناه وتختلجان فتبعثان الرهبة أو تثيران الشفقة . أما عن قوة أعصابه وضبط نفسه وصدق فراسته وتفهم الغاية التى يرمى إليها وتخير أقرب الطرق وأسهلها إلى تلك الغاية فكان فى ذلك كله مضرب المثل بين معاصريه .

والآن فلندع مقدرته على الخطابة حتى نشاهد آثارها فى مجلس طبقات الأمة وفى الجمعية الأهلية ، ويجمل بنا أن نتبين قبل انعقادها بعض آرائه السياسية .

لم تك أصالة ذلك الرجل الفذ فى السياسة أقل من أصالته فى الخطابة ، فلقد جمع إلى حماسة القلب حدة العقل ، وإلى ثورة العاطفة اتزان المنطق ، وإلى جموح الخيال وضوح المنهج ، وإلى وحى العبقرية شمول النظر ، وصدق التجربة واتساع الخبرة ، وإن المرء ليدهش حقاً إذ يرى ذلك كله فى رجل . ولقد صدق جوته حين وصفه فى قوله : ميرابو ... تلك الأعجوبة !

كان لهذا الزعيم غرض يرمى اليه ونهج يسير عليه : نشط قبيل الثورة فى نشر مبادئه ، عند ما عاد من برلين للمرة الأخيرة ، وكان قد أوفد اليها من قبل الوزير كالون فى مهمة سياسية عام ١٧٨٧ أى قبل هبوب العاصفة بعامين ، ويخيل إلى أن الوزير إنما أراد إبعاده ، فلما استقل ميرابو ما كان يصله من أجر عاد إلى وطنه مغيظاً محنقاً فشهر قلمه للطعن فى كالون ونكر صديق الشعب ، وابتدأ الناس يحسون خطره كناقد سياسى ، نعم أحس الناس روحاً جديدة فى كتاباته واستشعروا أن صاحبها ممتاز ممن عرفوا من الرجال . اقرأ مثل قوله فى نقد نكر « ليعلم الذين يحسبون أنهم لا يستطيعون أن يحبوا الله خالقهم أو أن يحبوا الملك والوطن إلا أن يعبدوا نكر ، أنهم فى ضلالتهم يعمهون . هل فكروا فى أن تفاخره بأنه يستطيع أن يعقد أى قرض دون زيادة فى الضرائب موضع عار لا موضع فخر ؟ هل فكروا فى أنه بذلك قد استطاع أن يستهوى أولى الأمر فى هذه الدولة ، فيدفع بهم إلى حرب تبرأ منها الانسانية [1] ، فضلا عما يتبعها من خراب مالى ؟ وهل يفنيهم ما يعلمون من حسن خلقه وطيب نفسه عن نجاح سياسته كوزير ؟ » إقرأ هذا وغيره تر أن الثورة قبل هبوبها قد اهتدت إلى زعيمها ، وتلق الرجل فى مستهل مرحلة جديدة فى حياته العجيبة ، مرحلة الجد الحكيم والوقار العاقل والجهد المتواصل .

راح يعلن للناس أنه عدو الامتيازات والاستبداد ، وأنه لن يقعد عن الجد حتى يرى الناس سواء أمام القانون ، ويرى الحرية حقاً يتمتع به كل فرد ، ويرى التعليم نورا ينفذ إلى جميع الطبقات ، والرخاء المادى حصناً يقى الوطن غائلة الفاقة . وهل كان للنابض يطمع وراء هذا ؟ وهل كانوا يتغنون بغير هاتيك الأناشيد ؟ ولكن ميرابو لن يقبل أن يسعد الشعب على حساب الملكية ، وإذاً فهو يسعى من جانب آخر إلى أن يكون للملكية نفوذها وسيادتها على أن تستمد ذلك من الشعب صاحب الحق . ولئن كان يعقت من أعماق قلبه الفوارق بين الطبقات وقيود العهد الاقطاعى ، فان بدنه ليقشعر فرقا من الفوضى وإنه ليرى الطامة الكبرى فى جموح الشعب وتعديه حدوده .

بهذه المبادىء وبما عرف عنه من مقدرة خطابية فائقة ، تقدم ميرابو للانتخاب فى مدينة إكس ليكون نائباً عن العامة فى مجلس طبقات الأمة ، بعد أن نأى الأشراف بجانبهم عنه . وعلى الرغم من كيد خصومه له خرج من المعركة ظافراً داوى الصيت

(يتبع) الخفيف

(١) مشيرا إلى الحرب فى أمريكا وكانت فرنسا على رغم عسرها المالى قد أرسلت حملة لمساعدة أهلها

يوم الوقفة

# عرفات...

## للأستاذ علي الطنطاوي

« وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ، وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ، فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ، ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ »

هنالك ينكشف الغطاء، وتنفتح أبواب السماء، فيتوجه الحجاج إلى الله بقلوب انزاحت عنها ظلمة الأهواء والشهوات، وأشرقت عليها الأنوار، فسمت حتى رأت الأرض ومن عليها ذرّة صغيرة تحملها رياح القدرة، ثم سمت حتى سمعت تسبيح الملائكة بألسنة الطاعة، ثم سمت حتى تدبرت القرآن غضاً غريضاً، كأنما نزل به الوحي أمس، وسمعت النداء من جانب القدس: « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شُعُوباً وقبائلَ لِتَعَارَفُوا، إنّ أكرمَكم عِندَ الله اتقاكم ». فأجابت: لبّيك اللهم لبيك! فردّدت بطاح عرفات، وأرجاء الحرم، وردّدت السموات السبع والأرضون السبع: لبيك اللهم لبيك!

هنالك تتنفس الانسانية التي خنقها دخان البارود، وعلامات الحدود، وسيد ومسود، وعبد ومعبود، وتحيا في عرفات حيث لا كبير ولا صغير، ولا عظيم ولا حقير، ولا مأمور ولا أمير، ولا غنيّ ولا فقير

هنالك تتحقق المثل العليا التي لم يعرفها الغرب إلا في أدمغة الفلاسفة وبطون الأسفار، فتزول الشرور، وترتفع الأحقاد، وتعمّ المساواة، ويسود السلام، ويجتمع الناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم في صعيد واحد، لباسهم واحد، يتوجهون إلى ربّ واحد، ويؤمنون بنبي واحد، ويدينون بدين واحد، ويصيحون بلسان واحد: لبيك اللهم لبيك!

هنالك تظهر المعجزة الباقية، فتطوى الأرض ثم تؤخذ من أطرافها، حتى توضع كلها في عرفات، فتلتقي شطآن إفريقية بسواحل آسية، ومدن أوربة بأكواخ السودان، ونهر الكنج بنهر النيل، وجبال طوروس بجبال البلوز، فيعرف المسلم أن وطنه أوسع من أن تحدّه على الأرض جبال أو بحار، أو تمزقه ألوان على المصور فوق ألوان، أو تفرقه في السياسة خرق تتميز من خرق، وأعلام تختلف عن أعلام

ذلك لأن وطن المسلم في القرآن، لا في التراب والأحجار، ولا في البحيرات والأنهار، ولا في الجبال والبحار: « إنما المؤمنون إخوة »، لا « إنما المصريون .... »، ولا « إنما الشاميون ... »، ولا « إنما العراقيون .... »

هنالك يتفقد الاخوة إخوتهم، فيعين القوى الضعيف، ويعطي الغني الفقير، ويساعد العزيز الذليل، فلا ينصرفون من الحج إلا وهم أقوياء أغنياء أعزاء

هنالك يذكر المسلم كيف مرّ سيد العالم صلى الله عليه وسلم بهذه البطاح مهاجراً إلى الله، تاركا بلده التي نشأ فيها، وقومه الذين ربي فيهم، وكيف جاء حتى وقف على الحزْورَة، فنظر إلى مكة، وقال: « إنك لأحب بلاد الله إلى الله، وإنك لأحب بلاد الله إليّ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت ». ثم يستقبل هذه الصحراء الهائلة، ليس معه إلا الصديق الأعظم، يتلفت كلما سار ليتزوّد بنظرة من مكة حتى غابت وراء الأفق الفسيح، فانطلقا يؤمان الغار

هل علمتْ هذه البطاح أن هذا الرجل الفرد الذي قام وحده في وجه العالم كله، يصرع باطله بقوّة الحق، ويبدّد جهالته بنور الاسلام، ويهدي ضلالته بهدى القرآن، والذي فرّ من مكة مستخفياً، سيعود إليها بعشرة آلاف من الأبطال المناوير، فتفتح له مكة أبوابها، وتتهاوى عند قدميه أصنامها، ثم تعنو له الجزيرة، ثم يخضع لدينه نصف المعمور؟

هل علمت هذه البطاح أن هؤلاء النفر الذين مروا بها هاربين

من جبروت قريش وسلطانها ، سيعزون حتى تدين لهم قريش ، ثم يعزون حتى يرثوا كسرى وقيصر فى أرضيهما ، ثم يعزون حتى يرثوا الأرض ومن عليها ، وسيكثرون حتى يبلغوا أربعمائة مليون ، وسيتفرقون فى الأرض داعين مجاهدين فاتحين ، ثم يجتمعون فى عرفات حاجين منيبين ملبين : لبيك اللهم لبيك !

هنالك وقف سيد العالم صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع يعلن حقوق الانسان ، ويقرر مبادئ السلام ، وينشر الأخوة والعدالة والمساواة بين الناس قبل أن تنشرها فرنسا بألف عام :

أيها الناس :

اسمعوا منى أبين لكم ، فانى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا

أيها الناس :

إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا

ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد !

أيها الناس :

إنما المؤمنون إخوة ، لا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه

ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد !

أيها الناس :

إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى

ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد !

وهنالك وقف يعلن انتهاء الرسالة الكبرى التى بعثه الله بها إلى الناس كافة ، ويتلو قوله جل وعز : « اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً » ؛ ويبعث صحابته ليحملوا هذه الرسالة إلى آخر الأرض ، ثم يحملوها إلى آخر الزمان

فحملوها فأنشأوا بها هذه الحضارة التى استظل بظلها الشرق ، ويستظل بظلها الغرب

* * *

فى عرفات تتجلى عظمة الاسلام ، دين الحرية والمساواة والعلم والحضارة ؛ ومن عرفات يسمع المسلمون داعى الله يدعو : حىّ على الصلاة ! حى على الفلاح ! فيجيبون لبيك اللهم لبيك ! وينطلقون ليعملوا للآخرة كأنهم يموتون غدا ، ويعملوا الدنيا كأنهم يعيشون أبدا

* * *

فلتفسد الأرض ، ولتطغ الشرور ، وليعصف الحديد ، ولينفجر البارود ، ولتغُص الانسانية فى حمأة الرذيلة إلى العنق ، فانه لا خوف على الفضيلة ولا على الحق ولا على السلام ، مادام فى الأرض « عرفات » ، وما دام فى الجو هذا الصوت القدسى الجلجل :

« لبيك اللهم لبيك » !

**على الطنطاوى**

# العراق فى مصر

## للشاعر الفيلسوف المرحوم جميل صدقى الزهاوى

### وهى آخر ما نظم الفقيد الكريم

حمّلها شباب العراق تحية كريمة لشباب مصر

— ١ —

أتى بعد شوق حافز للمحبينا ... إلى مصر شبانُ العراق محيينا
أولئك شبان سنقطف عن هوى ... بها من رياض العلم ورداً ونسرينا
رضينا بما فى مصر من عبقرية ... وما كل أرض تنبت العلم ترضينا
وكان منانا أن نرى مصر يقظة ... فأفرحنا جمعاً بلوغ أمانينا
سعدنا بمصر والسعادة نعمة ... فحينا تلاقينا وحين تجافينا
وليس لنا عن حبّ مصر تنكّب ... فما كان هذا الحبّ إلاّ لنا دينا
وما شعراء النيل إلاّ عنادل ... على سرحة الآداب تشدو فتشجينا

— ٢ —

ألا إن مصراً موطن الأدب الحر ... سلام على مصر سلام على مصر
وما مصر إلا البحر يلمع درّه ... ونحن بمصر غائصون على الدر
لقد جمعتنا وحدة عربية ... وأقرب منها بيننا وحدة الفكر
أرى فى لقاء الروح للروح فرحة ... تفوق لقاء العين والأوجه الغر
وإن بنى مصر الذين تثقفوا ... إذا طلعوا كانوا من الأنجم الزهر
حججناك طوّافين والدافع الذى ... حدانا هو الايمان بالأدب الحر
وليس كايمان المنافق إنه ... إذا لم يكن كفراً فشر من الكفر

— ٣ —

وجدنا بنى مصر الفتاة كواكبا ... تضىء فتمحو بالضياء الغياهبا
إذا غاب نجم لاح نجم وإنما ... تفوق بمصر الطالعاتُ الغواربا
ألا فليميم مصر من طلب العلا ... ومن كان فى المجد المؤثل راغبا
وما أسعد الورّاد للعلم إنهم ... إذا صدروا كانوا نجوماً ثواقبا
إذا ما تلقوا من أساتذة لهم
دروساً حسبت الودق ينصبّ ساكبا
قصدنا فقاسينا متاعب جمة ... فلما رأيناكم نسينا المتاعبا
نصافحكم فيها مصافحة الذى ... يريد لأعلام الهدى أن يقاربا

— ٤ —

حججنا بلاد العبقرية والنبل ... نطوف بأركان الثقافة والفضل
معاهد فيها للهدى يشب الفتى ... وليس بها من سار يمشى على مهل
تربّى عقولَ النشء حتى تقيمها ... وما قيمة الإنسان إلاّ من العقل
وكانت فتاة العصر أنقى من الندى ... وكان الفتى للمجد أنضى من النصل
وليس الذى فى البحر يسبح زاخراً
كمن كان فى الغدران يسبح والضحل
وليس غنى مصر من المال ناشئاً ... ولكنه فى العلم والأدب الجزل
وفى عزة النفس التى قد أبت لها ... على ما بها أن تستنيم إلى الذل

— ٥ —

على العقل فى كل الأمور المعوّل ... ولولاه لم ينحل للمرء مشكل
وما العقل فى الإنسان إلاّ ابن رأيه ... تولّد فيه آخراً وهو أوّل
وللعقل أنوار بها يهتدى الفتى ... وأبهجْ بأنوار لها العقل يرسل
تبدل فى الناس العقول بغيرها ... ولكن نفس المرء لا تتبدل
وربّ عقول لم تصادف مثقفاً ... فتلك بلا هاد من العلم تعمل
يمثل مصراً فى العراق جهابذ ... ونحن بمصر للعراق نمثل
وما العلم فى بغداد إلا كصيّب ... توالى لأدران الجهالة يغسل

— ٦ —

نصافح إخواناً لنا قد تثقفوا ... فساروا جماعات ولم يتوقفوا
فان فرقت ما بيننا شقة النوى ... فانا جميعاً للعروبة نهتف
وإن عصفت ريح بكم فى ملمّة ... فتلك بنا يا أمة النيل تعصف
وإن أبعدت أجسامنا عن جسومكم
فأرواحنا مجموعة تتعرف
ومصر هى اليمّ الذى ظلّ زاخراً ... وإنا وإياكم من اليم نغرف
غداً ستشب الحرب صاخبة اللظى
فتزهق أرواحاً وتمحو وتتلف
وإن تلاميذ المدارس فى غد ... جنود لصون الموطنين تألف

— ٧ —

لنحن بمصر فى الثقافة نقتدى ... وبالنجم فى تلك المطالع نهتدى
وليس بنا للأمس من لفتة الهوى ... ولكننا نرنو بشوق إلى الغد
ونحترم الرأى القديم وأهله ... ونهتف للتجديد أو للتحدد

# على قبر الزهاوى

بعد أن وُورى التراب شيخ الشعراء وفقيد العرب وقف على قبره الدكتور عبد الوهاب عزام فنثر عليه هذه الزهرات :

اليوم يقع هذا النسر بعد طول تحليقه !

اليوم يصمت هذا البلبل بعد طول تغريده !

اليوم يظفر هذا الجواد بالجمام !

اليوم يستريح هذا الفارس من الآلام !

اليوم تسكن هذه النفس الثائرة !

اليوم تخمد هذه النائرة !

اليوم يرقد الزهاوى فى قبره !

كل نفس ذائقة الموت ، وإنا لله وإنا إليه راجعون . وإنما الخالد من خلدته آثاره . وسيبقى شعر الزهاوى مدوياً بعد مماته ، كما كان مدوياً فى حياته ، ليبعث العزائم الراقدة ، ويشعل النفوس الخامدة .

ستتلقى مصر والبلاد العربية نعى الزهاوى كما تلقى العراق والبلاد العربيـة نعى شوقى ، فتتجاوب بلاد العرب بالرثاء ، وتتبادل العزاء . ونسأل الله أن يعوضها فى شاعر العربية خيراً

أيها الشاعر العظيم ستذهب وذكراك بيننا خالدة !

أجميلُ لا تبعد فذكرك خالد　　ألذكر للانسان عمر ثان

---

ثم وقف الأستاذ الشاعر معروف الرصافى فألقى هذه الأبيات :

أيها الفيلسوف قد عشت مُضْنى　　مثل مَيْتٍ وصرت بالموت حيا

ما حيـاة العظيم إلا خلود　　بعـد موت يكون للجسم طيا

سوف يبقى بين الورى لك ذكر　　ناطق بالبقاء لم يخش عِيا

أنت فرد فى الفضل حياً ومَيْتا　　حزت فى الحالتين ذكراً عَلِيا

سوف أبكى عليك شجوا وإنى　　كنت أبكيك فى الحياة شجيا

---

ثم تلاه السيد محمد مهدى الجواهرى فألقى هذه القصيدة الباكية :

على رغم أنف الموت ذكرك خالد　　ترن بسمع الدهر منك القصائد

نعيت إلى غر القوافى فأعولت　　عليك من الشعر الحسانُ الخرائد

وللعلم فياضاً فماجت مصادر　　عُنيت بها بحثاً وجاشت موارد

وفلسفة أطلعت فى الشعر نورها　　هى اليوم ثكلى عن جميل تناشد

حلفت يميناً لم تشبها اختلاطة　　وقلبى على دعوى لسانىَ شاهد

لقد كنت فخراً للعراق وزينة　　تزان نواديه بها والمعاهد

وكنت على خصب العراق شاهدا

إذا أعوزتنا فى التباهى شـواهد

وكنت أرق الناس طبعاً ونكتة　　وألطف من دارت عليه المقاعد

وأنت ابتعثت الشعر بعد خموله　　نشيطاً فخوض الشعر بعدك راكد

---

ثوى اليوم فى هذى الحفيرة عالم　　بأسرارها ، لله بالعقل ناشـد

أقام على العلم الصحيح اعتقاده　　عدوٌ لأشباح الخرافات طارد

وكان نقياً فكرة وعقيدة　　عزيزاً عليه أن تسف العقائد

يقرر أن الدين حب ورحمة　　وعدل ، وأن الله لا شك واحد

وأن الذى قد سخر الدين طامعاً　　يتاجر باسم الله ، لله جاحد

ثوى اليوم فى هذى الحفيرة شاعر　　على الظلم محتج عن العدل ذائد

وشيخوخة مدت على الكون ظلها　　تكافح عن آرائها وتجالد

---

أبا الشعر ! إن الشعر هذا محله　　فقد نُصت الأسماع والجمع حاشد

وهذى جيوش الشعر والعلم تبتغى　　لها قائداً فذاً فهل أنت قائد

فأين قصيد قد نظمت فريده　　وأين من الشعر البديع الفرائد

وأين النكات المؤنسات كأنها　　حدائق تُسقى بالندى وتعاود

وأين العيون اللامعات زكانة　　رغائب تبدو فوقها ومقاصد

---

جميلٌ اعان الرافدين بثالث　　من الشعر تميه بحور روافد

وكان حياة للنفوس ورحمة　　تغاث بها هذى النفوس الهوامد

تطاوعه غر المعانى كأنها　　وصائف تبغى أمره وولائد

---

أقول لرهط الشعر يبغون باعثاً　　عليه : تثير الشعر هذى النضائد

---

نرى أن فى التجديد شيئاً مخلداً　　ولكنما التقليد غير مخلد

وذاك طريق للأديب معبد　　وهذا طريق ظل غير معبّد

وما العلم إلا للسعادة سلم　　فمن يتخذ منه الوسيلة يسعد

فان تبتعد عنا السعادة نقترب　　وإن تقترب منا التعاسة نبعد

جميل صدقى الزهاوى

أمر ليسات :

# ٢ – ابن بسام صاحب الذخيرة والشاعر أبو مروان الطُّبْنى

للأستاذ عبد الرحمن البرقوقى

قال ابن بسام : كان أبو مروان هذا أحد حماة سرح الكلام ، وحملة ألوية الأقلام ، من أهل بيت اشتهروا بالشعر ، اشتهار المنازل بالبدر . أراهم طرأوا على قرطبة قبل افتراق الجماعة ، وانتثار شمل الطاعة ، وأناخوا فى ظلها ، ولحقوا بسروات أهلها . . . وأبو مضر أبوه زيادة الله بن على التميمى الطبنى هو أول من بنى بيت شرفهم ، ورفع فى الأندلس صوته بنباهة سلفهم .

قال ابن حيان : وكان أبو مضر نديم محمد بن أبى عامر أمتع الناس حديثاً ومشاهدة وأنصعهم ظرفاً ، وأحذقهم بأبواب الشحذ والملاطفة ، وآخذهم بقلوب الملوك والجلة ، وأنظمهم لشمل إفادة ونجعة ، وأبخلهم بدرهم وكسرة ، وأذبّهم عن حريم نشب ونعمة ، له فى ذلك أخبار بديعة من رجل شديد الخلابة يضحك من حضر ، ولا يضحك هو إذا ندر ، رفيع الطبقة فى صنعة الشعر ، كثير الاصابة فى البديهة والروية . انتهى كلام ابن حيان .

قال ابن بسام : وشعر أبى مضر ليس من شرط هذا المجموع لتقدم زمانه ؛ فأما ابنه مروان هذا فكان من أهل الحديث والرواية ورحل إلى الشرق وسمع من جماعة المحدثين بمصر والحجاز ، وقتل بقرطبة سنة سبع وخمسين وأربعمائة . . إلى أن قال : وجدت فى بعض التعاليق بخط بعض أدباء قرطبة قال : لما عدا أبو عامر أحمد بن محمد بن أبى عامر على الحذلى فى مجلسه وضربه ضرباً موجعاً وأقر بذلك أعين مطالبيه ، قال أبو مروان الطُّبْنى فيه :

| | |
|---|---|
| شكرت للعامرى ما صنعا | ولم أقل للحذيلى لما |
| ليث عرين غدا بعزته | مفترساً فى وجاره ضبعا |
| لا برحت كفه مُمَكَّنَةً | من الأمانى فنعم ما صنعا |
| وددت لو كنت شاهداً لهما | حتى ترى العين ذل من خضعا |
| إن طال منه سجوده فلقد | طال لغير السجود ما ركعا |

وابن رشيق القائل قبله :

كم ركعة ركع الضبعان تحت يدى

ولم يقل سمع الله لمن حمده

والعرب تقول فلان يركع لغير صلاة إذا كنوا عن عهر الخلوة . .

قال ابن بسام : ولما صنفت كتابى هذا عن شين الهجاء ، وأكبرته أن يكون ميداناً للسفهاء ، أجريت ههنا طرفاً [1] من مليح التعريض ، فى إيجاز القريض ، مما لا أدب على قائليه ولا وصمة على من قيل فيه . والهجاء ينقسم قسمين : فقسم يسمونه هجو الأشراف ، وهو ما لم يبلغ أن يكون سباباً مقذعاً ، ولا هجراً مستبشعاً ؛ وهو طأطأ قديماً من الأوائل ، وثل عرش القبائل . إنما هو توبيخ وتعيير ، وتقديم وتأخير ، كقول النجاشى فى بنى العجلان ، وشهرة شعره مغنى عن ذكره [2] . واستعدوا عليه عمر وأنشدوه قول النجاشى فيهم فدرأ الحد

(١) وفى بعض النسخ طفقاً بدل طرفاً

(٢) قال ابن رشيق فى كتابه العمدة فى باب من يرفعه الشعر ومن وضعه : وبنو العجلان كانوا يفخرون بهذا الاسم لقصة كانت لصاحبه فى تعجيل قرى الأضياف إلى أن هجاهم به النجاشى فضجروا منه وسبوا به ؛ واستعدوا عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالوا يا أمير المؤمنين هجانا ! فقال : وما قال ؟ فأنشدوه :

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة     فعادى بنى العجلان رهط ابن مقبل

فقال عمر : إنما دعا عليكم ولعله لا يجاب ، فقالوا إنه قال : =

---

| | |
|---|---|
| هلموا إلى قبر الزهاوى نقتنص | به نتنسم من روحه ونطارد |
| وإن خيالا يملأ الشعر رهبة | سكون على قبر الزهاوى سائد |
| وحجوا إلى بيت هو الفن نفسه | أثارت «فينيس» ساحة وعطارد |
| فان بيوت الشاعرين مناسك | وإن قبور النابغين معابد |

| | |
|---|---|
| أبا الشعر والفكر المنبه أمة | عزيز علينا أنك اليوم راقد |
| وأن الذى هز القلوب هوامداً | وحركها فى الترب ثاوٍ فهامد |
| وأن فؤاداً شع نوراً وقوة | هو اليوم مسودُّ الجوانب بارد |
| فهل أنت راض عن حياة خبرتها | ممارسة أم أنت غضبان حارد |
| أضاعوك حياً وابتغوك جنازة | وهذا الذى تأباه صيدٌ أماجد |

بالشبهات . وفعل مثل ذلك بالزبرقان حين شكا الحطيئة وسأله أن ينشده ما قال فيه فأنشده قوله :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

فسأل عن ذلك كعب بن زهير فقال : والله ما أودّ له عا قال حمر النعم ... وقال حسان لم يهجه ولكن سلح عليه بعد أن أكل الشُّبْرُم [1] . فهمّ عمر بعقابه ثم استعطفه بشعره المشهور .. وقد قال عبد الملك بن مروان يوما : أحسابكم يا بني أمية [2] لما أودّ أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس وأن الأعشى قال فيّ :

تبيتون في المَشْتَى مِلاءً بطونكم
وجاراتكم غَرثى يبتن خمائصا

ولما سمع علقمة بن علاثة هذا البيت بكى وقال : أنحن نفعل بجاراتنا هذا ؟ ودعا عليه . . . فما ظنك بشيء يبكي علقمة بن علاثة وقد كان عندهم لو ضرب بالسيف ما قال : حس ! . . . وقد كان الراعي يقول : هجوت جماعة من الشعراء وما قلت فيهم ما تستحي العذراء أن تنشده في خدرها . ولما قال جرير :

فغُضَّ الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

أطفأ مصباحه ونام — وقد كان بات ليلته يتململ — لأنه رأى أنه قد بلغ حاجته وشفى غيظه . . قال الراعي : فخرجنا من البَصرة فما وردنا ماء من مياه العرب إلا وسمعنا البيت قد سبقنا اليه حتى أتينا حاضر بني نمير فخرج الينا النساء والصبيان يقولون قَبّحكم الله وقَبّح ما جئتمونا به . . والقسم الثاني هو السباب الذي أحدثه جرير أيضاً وطبقته ، وكان يقول إذا هجوتم فأضحكوا ، وهذا النوع منه لم يهدم قط بيتا ولا عيّرت به قبيلة ، وهو الذي عُنّينا هذا المجموع عنه ، وأعفيناه أن يكون فيه شيء منه ، فان أبا منصور الثعالبي كتب منه في يتيمته ما شانه اسمه ، وبقي عليه اثمه .

وحكى أبو عامر بن شهيد عن نفسه قال : عاتبت بعض الاخوان عتاباً شديداً عن أمر أوجع فيه قلبي ، وكان آخر الشعر الذي خاطبته به هذا البيت :

وإني على ما هاج صدري وغاظني ليأمنني من كان عندي له سر

فكان هذا البيت أشد عليه من عض الحديد ؛ ولم يزل يقلق به حتى بكى إليّ منه بالدموع . وهذا الباب ممتد الاطناب ، ويكفي ما مر وعمر منه في تضاعيف هذا الكتاب . ومن شعر أبي الحسن عليّ بن عبد العزيز بن زيادة الله الطبني مما أخذته عنه قوله :

كم بالمودج يوم البين من رشأٍ يخفو عليه وشاح جائر قلق
وكم برامة من ريم يفارقها لهفان يثنيه عن توديعها الفرق
ونرجس كفرند السيف ساومني مملا بنسيم عرفُه عبق
نادمته وشباب الليل مقتبل والنجم كفٌّ يحيينا به الأفق
وفتية كنجوم السعد أوجههم في أوجه الحادثات الجُون تأتلق
نلهو برقراقة صفراء صافية يكاد ينجاب عن أضوائها الغسق
يسعى بها مرهف كالغصن نعّمه ماء النعيم عليه النوْر والورَق

وأنشدني أيضاً :

يا سالياً عاشقيه وعاشقاً كل تيه
ومَن مداي ونقلي بوجنتيه وفيه
هلا حزيت فؤادي ببعض مالك فيه

وأنشدني أيضاً لنفسه :

عجباً أن يكون ساكن قلبي راتعاً منه في بساتين حبي
ويجازى على الوفاء بِغَدرٍ حسبي الله ثم حسبي وحسبي
جازني كيف شئت لا أرتك الذ ب إذا كان فرط حبك ذنبي

---

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر : ليت آل الخطاب كذلك . . قالوا فانه قال :

ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الوراد عن كل منهل

فقال عمر : ذلك أقل للسكاك — يعني الزحام — قالوا فانه قال :

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم وتأكل من كعب بن عوف ونهشل

فقال عمر : كفى ضياعاً من تأكل الكلاب لحمه . قالوا فانه قال :

وما سمي العجلان إلا لقولهم خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فقال عمر : كلنا عبد وخير القوم خادمهم . . فقالوا يا أمير المؤمنين هجانا ، فقال ما أسمع ذلك ، فقالوا فاسأل حسان بن ثابت ، فسأله ، فقال ما هجاهم ولكن سلح عليهم . وكان عمر أبصر الناس بما قال النجاشي ولكن أراد أن يدرأ الحد بالشبهات ، فلما قال حسان ما قال سجن النجاشي وقيل إنه حده . . .

(١) الشبرم حب يشبه الحمص يطبخ ويشرب ماؤه للتداوي ، وقيل إنه نوع من الشيح (٢) وفي نسخه احفظوا أحسابكم يا بني أمية

فصول ملخصة في الفلسفة الألمانية

# ٣٢ - تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا

## تعليق المؤلف على فلسفة نيتشه

للأستاذ خليل هنداوي

تتمة

أما النظر الى نيتشه من حيث الوجهة الأخلاقية فقد لامه النقاد على غرائزه القاسية وأنانيته الطاغية ، وقسوته البالغة على الضعفاء . على أن له بعض آراء لو لم يسيء الناس فهمها لأدت الى نتيجة أخلاقية حسنة ؛ فليس يكفي المرء أن يكون فوضوياً هداماً طارحاً عن ظهره التقاليد ليحيا محققاً مذهب نيتشه . وليس نيتشه رفيق أولئك الذين يعبثون بالسورمان . وهذا نبيه زرادشت كان يطالب الى الذين يرغبون اتباعه أن ينفذوا مذهبه بقسوة وشدة :

« هل أنت شريعة قوية ؟ هل أنت شريعة جديدة ؟
هل أنت حركة أولى ؟ هل أنت دولاب يدور حول نفسه ؟

وا أسفاه ! ما أكثر أولئك الذين ردتهم تعطشهم إلى الصعود ! وأولئك الطامعين الذين يضطربون بيأس ! أرني أنك لست بواحد من هؤلاء الظامئين ولا الطامعين

وا أسفاه ! هنالك كثير من الأفكار العظيمة التي ليس شأنها إلا شأن النسمة تهب ثم تتلاشى

إنك تقول إنك حر ، ولكني أريد أن أعرف الفكرة التي تسيطر عليك ، لا النير الذي زحت تهزه

هل أنت حقاً من أولئك الذين يجدر بهم أن يهزوا نيراً ؟ إن منهم من طرحوا كل ما منحتهم بعض القيم ، بطرحهم ثوب العبودية والارهاق حيث كانوا يعيشون . »

ونيتشه ذاته يعلن بأن مذهبه لا يحمله إلا إلى طائفة مختارة تستطيع حمله ، والقيام بأعبائه ؛ وأما الجماعات الأخرى فليس عليها إلا الاذعان والطاعة والحياة بإيمان . فلا يجدر بنا والحالة هذه أن نسفه آراءه بحجة أن بعض الضعفاء العاجزين المنتفخة نفوسهم زهواً وكبراً قد أخذوا ببعض تعاليمه واقتبسوا نتفاً من مذهبه ليحققوا مطامعهم وليشبعوا جوع أنفسهم وأنانيتهم وليسموا إلى هدف العظمة . إن نيتشه هو ذاتي قبل كل شيء ، ويكفي اعتقاده هذا أن يهيج الناس عليه . فالانسان الحاضر هو « ذاتي وغير ذاتي » في وقت معاً . يرى في الحالة الأولى نفع نفسه وفي الحالة الثانية نفع غيره ، ويتحرى عن سعادتهم كما يتحرى عن سعادته . على أن النزاع بين هاتين الحالتين هو نزاع عنيف ، وقد تقوى في الانسان حالة منهما دون أخرى على حسب ميوله القلقة التي تميل به إما إلى ذاته وإما إلى المجتمع . فبعضهم تغلب فيه الذاتية على غيرها ، فيضحي بمصالح الغير في سبيل مصلحته ؛ وبعضهم يضحي بمصلحته عاملاً على صيانة مصالح الغير . أما نيتشه فهو من القائلين « بالذاتية » الذين يحبون ذواتهم ؛ ومذهب أهل حضارة العصر إنما يتجلى في اعتناق مذهب المحبة الشاملة ؛ وهذا الاختلاف بين نيتشه وبين معاصريه يكفي لأن يثير في خصومه عداوة عميقة وخصومة عنيفة على هذا الذي لا يرى رأيهم في اتخاذ محبة الغير مثلاً أعلى

على أن هاتين الحالتين ليستا من الحالات المعينة التي لا يتخطاها الانسان ولا يتعداها ، إذ لست أرى أحداً مال بكليته إلى حالة وقطع كل اتصاله بالأخرى . فهنالك درجات متفاوتة في الغرائز ، وهذه الدرجات قد تتغير وتتطور بحسب الزمن والعصر

---

وهذا كقول أبي بكر بن عمار :

لئن كان ذنبي للزمان محقق ... فذلك شيء لست منه أتوب

وقول عباس بن الأحنف :

إن كان ذنبي في الزيارة فاعلمي ... أني على كسب الذنوب مجاهد

(يتبع)

عبد الرحمن البرقوقي
منشئ البيان ورئيس قلم المراجعة بمجلس النواب

### تصويب

جاء في السطر الثالث عشر من الصفحة نمرة ٢٩٤ بالعدد الماضي بالعمود الثاني ما نصه : « وأعمد من هذا في باب الخبط والتخليط أن خطبة الذخيرة الحقيقية ... الخ »

والصواب : « وأقعد من هذا في باب التخبط والتخليط أن الخطبة المثبتة في النسخ الموجودة من الذخيرة هي خطبة مفتعلة ؛ أما خطبة الذخيرة الحقيقية فهي غير هذه الخطبة كما سيمر بك »

البرقوقي

والمحيط . على أننا سنحكم على فلسفة نيتشه الآن حكما عقلياً واضحاً

إن فلسفة نيتشه هي مثال من أجل الأمثلة الذاتية الارستقراطية ؛ مثال جميل حي منطلق ، يحتوى على هدى لكل من يريدون أن يكوّنوا حياتهم ويجعلوا منها مثالاً واحداً يتحدون معه ، كما هو الأمر في فلسفة « تولستوى » الناقضة لفلسفة نيتشه . على أن الحل الذى أعطاه نيتشه المسألة الأخلاقية يتراءى لنا أن احتماله شديد على الأنفس ، في الناحية التفكيرية والناحية العملية ، وإن تنفيذ مذهب « السوبرمان » ليفتقر إلى جهود قل أن توجد ؛ ونيتشه ذاته يعلن بأن أمثال هؤلاء الأفراد الذين يجد فيهم العبقرية لم يكونوا إلا وليدى المخيلة والخيال

وهكذا يتراءى لنا أن نيتشه لم يخلق ليكون زعيم مدرسة فلسفية حقيقية . إنه سيبقى وحيداً فريداً ، أمة وحده بين الناس ، كما كان في حالة تفكيره وتأمله ؛ على أن مذهبه تارك وراءه تأثيراً كبيراً . ينمى في روح الفرد وروح الشعب « الأفكار الذاتية » ، وهذا التأثير يتبع خيره وشره الجبلة الخلقية التي تلتصق بالأفراد والشعوب . فهو قد يعمل على تهديم طبائع طغت فيها الأنانية على كل شيء حتى جاوزت حدها ؛ وقد يعمل على رفع بعض الطبائع ، يدرأ عنها كل آفة ويحميها من كل خطر من الأخلاق والديموقراطية والزهد

يبدو لى أن عمل نيتشه له أثر قوى في بيئة كبيئتنا ، ولا ريب في ذلك ، فإن ما أراه في مظاهرنا الاجتماعية لا يدل على فيض في الحماسة المادية والخلقية . قليل من المفكرين الذين هم في مستواه يعرفون أن يسوقوا الانسان إلى معرفة نفسه والوقوف إزاءها مجرداً ؛ وقليل من أصحاب جمهورية الفضيلة من يمزقون – في وضح النهار – هذه الأغشية الرقيقة والأكاذيب الخفيفة التي تستر بها النفس ضعفها وجبنها وذلها وعجزها ؛ وقليلون من علماء النفس من وضح وأبان وأحسن البيان عن الحقيقة الذليلة التي ترتدى هذه الأثواب المزركشة : أثواب الشفقة ومحبة القريب والزهد

إن نيتشه كالطبيب الصارم الذى لا تدخل قلبه الشفقة ؛ والعلاج الذى يحمله الى مرضاه ، علاج قاس خطر استعماله ، ولكنه علاج يخلق العزم والقوة . إنه لا يعزى من يأتيه شاكياً ، ولكنه يترك الشاكين تسيل الدماء من جراحهم ليجعلهم أكثر قسوة وأشد احتمالاً للألم . فهو إما أن يشفى مرضاه شفاء صحيحاً أو يقتلهم ؛ قد يخشاه الناس للمرة الأولى ويفرون من مباضعه ، ويلقونه باحتراس ووجل ؛ يتساءلون : أليس هذا الانسان شريراً جلاداً ؟ يفرون من طريقه ويتهافتون إلى أطباء خفيفة أناملهم ، لينة كلماتهم ، حلوة علاجاتهم ، خالية تعاليمهم من الشدة والصرامة ، ولكن نيتشه يلوذ به فريق من المخلصين له ولأنفسهم ، يهوون صرامته ، ويحبون استقامته وخلقه كله . وفى اعتقادى أن هؤلاء لم يكونوا يخدعون باعجابهم به وإخلاصهم له ، وقد علموا أنه – ليس عن صرامة قلبه ولا معرفته للألم معرفة خاطئة – قد غدا صارما قاسيا على الانسانية المتألمة ؛ وحياته كلها مشحونة بالحوادث البالغة والمصائب الكبيرة ؛ وحظه السيء الفاجع قضى عليه بأن يكون صادفاً عن الاشفاق على ضعف الانسانية وفاقتها . إنهم ليقفون بخشوع وجلال إزاء الفكر الجبار الذى لم يخضع للذل ولم يلعن الوجود ، برغم مرضه العضال . وظل على غبطته ورضاه في الحالة التي كان يصارع فيها الموت والجنون دون أن ينفذ اليه الوهن والضعف ، متماً أنشودته المؤثرة في تمجيد الحياة الفنية الفياضة المخصبة ، مناضلا حتى النهاية – الألم الذى غلب على عقله ، ولم يستطع أن يقهر إرادته الواعية

*لماذا أكرمت نيتشه ؟ وما الفائدة التي يجنيها العقل العربي منه ؟*

حقاً إن بيني وبين نيتشه أسباباً لا أظن انقطاعها يسيراً ؛ وقد اختلفت اليه ليالى كثيرة وليس بيني وبينه فاصل . أبثه من روحي ويبثني من روحه . نتألم معاً من الحياة ونرقص لها ابتهاجاً . ولا أدرى علة هذا الترابط ! ومن يستطيع أن يحفظ على التحقيق كل سبب يربط بينه وبين مفكر ما ؟ أليست هنالك أسباب مختلفة قد تتآلف وقد تتخالف ، فتمزج هذا المفكر مع عقلك وقلبك ، أولا تزيدك منه إلا نفوراً ؟ وما عسى يكون سر تعلقي بنيتشه إلا سر تعلقي بالحياة ؟ كانت الحياة عندى ظلمة حالكة فغمرها نيتشه بفجره . كانت الحياة شكا مراً وقلقاً مستحوذاً عليّ فبدل شكي بإيمان ، وقلقي بعزيمة لا تتقلقل . كان سفيني مضطربا في خوض لجج الحياة ، تهم يد الضلال بافتراسه ، فاستنقذه نيتشه وساقه الى منارة النجاة !

ذلك فضل نيتشه عليّ ، وأعظم بهذا الفضل ! وكيف يريد

أولئك الذين لاموني على انكبابي على نيتشه أن أصدف عنه ؟ وانني لواجد فيه علامة من العلامات الواضحة التي تنصبها الحياة لمن ابن عن مناهجها ؛ فنيتشه هو علامة فيض الحياة المتفجرة والارادة الصارمة . ولعل أولئك السقهاء الذين أنوه فروا من مباضعه القاسية وتعاليمه المنيفة لأنهم يريدون علاجاً يبعث في أعضائهم المتلولة الدفء والسكينة ، وهو إنما يريد أعضاء تبارك الحياة بالعزم والحركة إنه قد أحرق الملاحات المخدرة للأوجاع قبل أن يقدموا . فان كنت صابراً على احتمال قسوته فتعال الى نيتشه

إن نيتشه ليس بمفتقر الى جثث — خالية من الاحساس — يحملها على ظهره ، وإنما هو يريد رفاقاً أحياء هدامين مثله ، قد ادرعوا الارادة وصاحبوا الألم رفيقاً لا سيداً . يقتحمون بارادتهم وصرامتهم كل شيء كالسيل الجارف ؛ لا يصدهم عن غرضهم صاد ، ولا يقف سيرهم حاجز ؛ يعدون فوق القمم وثباً لا يزحفون زحفاً ؛ في نفوسهم عقيدة تفيض حماسة وقوة ، يفرضونها على الزمان ولا يجد الزمان الى اضعافها سبيلا . هؤلاء الرفاق الأشداء يستطيعون أن يمشوا مع نيتشه ، ويمجدوا الحياة في كل أدوارها ، ويحلقوا فوق آلام الحياة وأفراحها

إن كاتب « فلسفة نيتشه » بالفرنسية يرى في اقتحام نيتشه لبلاده نعمة ، لأنه لا يرى في مظاهرها الاجتماعية مايدل على فيض وحماسة في الناحية المادية والخلقية . وإن نيتشه ليبعث هذا الفيض ويخلق هذه الحماسة في الناحيتين . فاذا كانت فرنسا الحية تفتقر الى من يفيض على حياتها حياة ، فكيف بشعوبنا التي قتلها التخاذل بينها !

توجه أنى شئت ؛ فهل أنت واجد مني إلا قطعاناً هائمة على وجوهها ، ورعاة غافلين همهم صفو السمر ، وأواصر مقطوعة ، وتقاليد جامدة ، يتغنى بها القوم حين يريدون الرقص والغناء ، وشباباً مخنثين تناسوا رجولتهم ، وأهملوا رسالتهم ؛ كأنما تلك الراحة الطويلة المريضة قد أورثت أعضاءنا الشلل ، فاذا وثبت فيها الحياة لم تقدر على الحركة . وارم بطرفك أنى شئت فانك واجد هذا الموت الاجتماعي وجمود الفكر

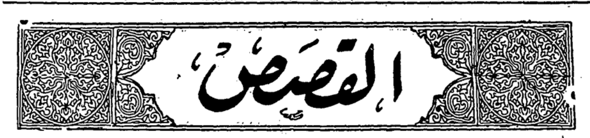
وكأنا لم يرض فينا ريب الدهر حتى أعانه من أعاننا فأصبح تفكيرنا رياء ، والتظاهر بالتقاليد رياء ، وهل كان الرياء إلا ثوباً من أثواب الضعف والعجز ترتديه أمة رضيت لنفسها أن تهوى بدلا من أن تصعد ، وإن اغفال علماء الاجتماع عندنا لهذه الظاهرة الخلقية إغفال فيه جناية لا تغتفر . يجلس مفكرنا في جماعة فيفصل لفكره عشرين وجهاً ، يأتيهم بوجه ويُعرض عنهم بآخر . ويصلي أحدنا عشرين ركعة ، يمنح واحدة لله ، ويمنح الباقيات للناس ؛ وهكذا غلب الرياء علينا في كل مظاهر تفكيرنا وتقاليدنا . وإنني لأخشى يوماً يرسو فيه الرياء في أنفسنا فيغدو متأصلاً فينا حتى يصبح علامة من العلامات الفارقة لهذه الأمة

هذه هي المظاهر التي غاظت نيتشه يوم أعلن الثورة على الضعف والرياء . وليت شعري من سيغيظه الضعف والرياء في مجتمعنا الحاضر ، فيعلن الثورة عليهما وعلى المرتدين أرديتهما !

إن العقل العربي عقل قوي بنشأته ، صادق بعزته ، وهو لا يحتاج إلى من يبث فيه معنى القوة والصرامة لأنه قام عليهما . ولكن جيلنا الحاضر اعتنق الفكرة العربية مجردة من معنى القوة والصرامة ؛ فتشوهت بذلك الرسالة وضاعت معالمها . إن المجتمع العربي يفتقر إلى من يرد عليه هذه الأمانة التي لا يعلم إلا الله سالبها . والمجتمع العربي بعدها غالب عليه الاضطراب والخزي والضلال . فمن يرد عليه أمانته ويعيد إليه صرامته ؟

كنتُ أتلو مواعظ — زرادشت — فأحس أن قوة جديدة أخذت تطغى على قلبي ، وأشعر باضطراب في نفسي جعلني أومن بأن الحياة لا يعسر عليها أن يخرج منها ألف حياة . ولم لا ! ؟ . كنت أسير معه وهو يهدم خيالات الرياء ، ويضرب التقاليد بعضها ببعض ، فأطرب لشجاعته ، وأعجب بنفسي وأسألها : « هل كان في استطاعتك أن تعلى هذه الأرض لولا هذا النبي ؟ » ، ولكن طربي لم يكن طرباً خالصاً لأنني كنتُ أتمنى لمثل هذا النبي الهدام أن يقيم بيننا ليلة واحدة ، تنفذ عينه خلالها إلى قلوبنا الطافحة غشاً وخبثاً ، وقصورنا ومعابدنا المفعمة كذباً ورياء ، فينظف هذه القلوب ويدمر هذه القصور

أين أراك يا زرادشت العرب ؟ ومتى يكون الوعد ؟ فقد اصطلح على إيذائنا كل شيء حتى أنفسنا . تمشي الحياة بنا ونحن ذاهلون ، ويتباهى الغير برجولته الصارمة ونتباهى نحن بالتخنث ، ويستيقظ الفكر في مواطنهم ونحن نضرب حوله السدود ونقيم له الحدود ، نفر من الألم لأنه يضنينا ، ونستجدي الفرح من غيرنا استجداء ؛ يتحرك كل شيء حولنا ونحن لا ترضينا الحركة ولا تستهوينا اليقظة . نقول بالانسانية ونشفق عليها ، وقتلوها لا يملكون من « انسانيتهم » شيئاً . يحسون آلام غيرهم ولا يحسون آلامهم . يشدد غيرنا روح « الذاتية » عندهم ، ونحن نسعى إلى محوها ، كأننا نريد أن نمثل دور الشرق الأول يوم كان



مأساة من اسخيلوس

# ثأر أورست

The Choephoroe (١)

الدرامة الثانية من (الأورستية)

للأستاذ دريني خشبه

خلاصة الدرامة الأولى

« قدم أجاممنون ، ملك آرجوس وقائد الحملة الهيلانية على طروادة ، ابنته إفجينا قرباناً للسماء لتسكن العاصفة وليمخر أسطوله عباب اللاء ؛ فأحزن زوجته كليتمنسترا ، وأم الفتاة لا تفكر إلا في ابنتها ، وزادتها وحدتها في قصر البلوبيديه وحشة ، وجعلت من حياتها قفراً مظلماً حتى اتصلت بإيجستوس ابن عم أجاممنون الذي ذبحت إخوته وأطعم أبوهم لحمهم وهو لا يدري ، ثم قتل هو أيضاً ، وكل ذلك بتدبير أتريوس أبي أجاممنون... وهنا تجتمع الأحن وتتضافر الأحقاد ، ثم تنقلب العلاقة إلى حب فعشق دنيء... فتآمر على قتل أجاممنون حين يعود من طروادة ... ويعود أجاممنون ظافراً وتكون معه كاسندرا ابنة بريام ملك طروادة التي تنبأ بقتل الملك ، وبقتلها أيضاً بيد الملكة وبتدبير إيجستوس ... وتخدع الملكة زوجها فيمشي على بساط الديباج الأحمر فتغضب الآلهة ، لأن المشي على الديباج حق خالص من حقوقها .. ويقتل الملك وتقتل كاسندرا في أثره ... ويستوى إيجستوس على عرش آبائه مشتركاً مع كليتمنسترا في حكم آرجوس رغم سخط الشعب وامات الجماهير ... »

– ١ –

قتل أجاممنون !

وخلص العرش لإيجستوس وعشيقته الملكة الفاجرة ، كليتمنسترا . ولكنه كان عرشاً شائكاً ، ظاهره فيه الرحمة ، وباطنه فيه اللعنة الأبدية ، وسخط الأرباب وبغض العباد ...

وكانت الأم الآثمة قد أبغضت كل ما يثير في قلبها ذكرى أجاممنون ... وكيف لا تبغضه وها هي ذي خباياها تنقلب فتكون لذاذة خالصة ، وهوى محرماً ، وغراماً تخامره شهوة العشق ، وتختلط بثمراته حمى الانتقام ! إذن هي تبغضه ، وهي تغلو في بغضه لأن عيونها في طروادة حملت إليها ما كان من غرامه الشديد بخريسيز إحدى سبايا الحرب ، ثم ولعه الفائق بأختها بريسيز التي خاصم فيها أخيل ؛ ولم يبال أن يهجر الميرميدون حلبة الدوم من أجلها ... ولم يكن بحسبه هاتين ، بل عاد من حومة الحرب فاقتحم القصر العتيق الشاهق ببردته المطهمة ، وإلى جانبه خليلة ثالثة من خليلاته الكثيرات ، هي هذه النبية المباركة البائسة ... كاسندرا ، ابنة بريام ، وحبيبة أبوللو في الزمن القديم !

أبغضته كليتمنسترا إذن ، وأبغضت كل ما يثير ذكرياته في فؤادها ... ولو كان أبناؤها الذين حملت بهم من صلبه ! وهي تقسو وتقسو ، وتغلو في قسوتها ، حتى لتأمر بابنها الواحد أورست ، وكان حدثاً لا يعرف من الدنيا إلا أن نصفها أبوه...

(١) أطلقنا على هذه المأساة « ثأر أورست » لأنه خير اسم لها ؛ وترجمة اسمها الحقيقي هي « حاملات زقاق الخمر Libotion Bearers » التي لم نجد لها مرادفاً في العربية — وحتى هذه الزقاق في معناها اليوناني لا تسكب لا فوق القبور أضحية للموتى . فهل من اسم لها عندنا ؟ ؟

---

يفيض انسانيته على غيره . . . وقد قتلنا هذا الحب المفرط للغير ، وقد قتلنا هذا الزهد الخامل . تسامى غيرنا فوقنا فهم يريدون أن يعرفوا أنفسهم بعد أن وجدوها ، ونحن تائهون لما نعثر على أنفسنا

تعال أيها النبي أينما كنت ، فهنا كثيرون ممن يرتقبون أوبتك . واحمل مباضعك وانت بنفسك وقلبك وأيقظ أفكارنا وبث ذبنا الحياة . أعطنا الحياة وخذ منا فديتها . أتريد منا أن نتألم ؟ إننا نتألم ونحتمل الشقاء في سبيل الحياة . شدد شعورنا بالحياة وزدنا إيماناً بها . اهدِنا إلى أنفسنا وحببنا فيها فقد علمونا أن نمقتها . تعال استأصل جذور الضعف فينا والذل فقد أكلت أنفسنا الاحشاشات ... تعال ولا تعطنا شيئاً إلا ما نؤدي ثمنه ، فقد أدركنا أن كل ما يُعطى ويوهب رحمة يضر بآخذه . تعال بإرادة القوة والصرامة ، فكثيرون هنا يرتقبون وصولك . . .

والطريق ممهد ، والغاية دانية القطاف « انتهى »

« دير الزور » خليل هنداوي

ونصفها الآخر أمه ... فيُنفى (١) إلى أقصى الأرض ، وليكون بمعزل عن هذه الحاشية الموبوءة التي قد تثير فيه نخوة الرجولة حين يشتد عوده وينضج قلبه ، فلا يكون له هم إلا الأخذ بثأر أبيه ، والفتك بقاتليه ...

— ٢ —

أما أخته ، أما إلكترا ، فقد بقيت في القصر لتشهد الفصل الأخير من المأساة ... أو لتشهد كل الفصول الدامية التي تتركب منها المأساة ! لقد بقيت على كره منها لتعيش عيشة الرقيق ، وتحيا حياة الخدم ، ولترى إلى أمها تتقلب بين ذراعي عاشقها وملء حضنه ، ولتسم على خرائب أسرة الأتريه ، ولتبني على أنقاضها القصور والعلالي !

بقيت إلكترا لتبكي دائماً ... ولتبكي دماً !! يا للعذارى !! لقد كانت في ملاعب شبابها تحلم بمُلك وبتاج ، وبشعب يسجد تحت قدميها ، وهي اليوم تتشهى الموت فلا تجد اليه من سبيل !! لقد كانت بالأمس تمرح بين قلبين يغمرانها بالحب ، وأبوين يلقيانها بالبشاشة ، وهي اليوم لا عزاء لها إلا وقفة باكية بقبر أبيها المقتول ، ووقفة تتصدع لها جوانب نفسها عند مخدع أمها العاشقة .. الفاسقة ... وهل في إحدى الوقفتين عزاء ؟ !

بقيت إلكترا ترقب وسول السماء الذي يأخذ بثأر أبيها ، وبقيت لتكون رائد هذا الرسول يوم يجيء . ولم يكن لها من ولي ولا حبيب في هذا القصر الشاهق العتيق إلا هذه العجوز الشمطاء الطيبة ، مرضعة أورست ، التي بكت أحر البكاء وآلمه وأوجعه يوم أخذوا منها ولدها — كما كانت تدعوه — ليُنفى في أقصى الأرض

لقد كانت هذه العجوز الشمطاء امرأة ثاقبة الفكر ، رحبة الصدر ، شديدة الايمان في السماء ! فكانت تواسي إلكترا وتأسو جراحاتها ، وتمنيها الأماني ، وتزخرف لها الآمال ، وتذكر لها أن عين سيد الأولمب الساهرة لن تغفل عن لؤماء قصر الـ (بيلوبيديه) وأنها ترعى فتى القصر في منفاه ، حتى إذا آنست فيه استواء أرسلته كالصاعقة على المجرمين ؛ فتقض بنيانهم ، وتزلزل أركانهم ، وانتقم لأجاممنون !

(١) ذكر سوفوكليس في درامته الخالدة Electra أن إلكترا نفسها هي التي أنقذت أخاها وأرسلته مع خادم أمين ليتربى في كنف جار كريم من رعايا أبيها — ويبدو لنا أن رواية سوفوكليس أقرب الى الحقيقة وسنعرض لها في حينها

وكان قاهر طروادة قد جلب معه غير كاسندرا عددا وافراً من السبايا الطرواديات ، فاستطاعت المرضعة العاقلة ، الحكيمة ، أن تجعل منهن جندا لها (١) ، وحاشية مخلصة لفتاتها المعذبة ، يخففن من برحائها ، ويكن لها أهلاً كلما عزها الأهل

ومضت سنوات عشر فسقطت طروادة

ومضت سنوات عشر بعد مقتل أجاممنون

واشتد ساعد أورست ، وعاد ليعشش بالفتلة السفاكين

وبدأت المأساة الثانية

— ٣ —

لمن هذه الأشباح السادرة التي تهرول بين المقابر مُهطِعة إلى رمس أجاممنون ؟

إنها تختلط بغبشة الصباح وتمتزج صُعداؤها بأنفاسه ، وإنها لتضمر في قلوبها لظى ينعكس في ذلك الشفق الذي يضطرم به الشرق ... حيث يسبح البنفسج في حمرة الدم ! !

آه ! إنه شاب غرانق ، سمهري ، مجلل بالسواد ، يجثو فوق الثرى ... يبكي ويصلي ! ! وإن بالقرب منه لصديقا ينتظره . . . ويذرف دموعه من أجله . . . فيا للمودة في الرزء ، ويا للاخلاص في الشدائد !! اسمع إلى الشاب المحزون : يخاطب تمثال هرمز النصفي المنتصب فوق القبور ، ثم يكلم من بالقبور :

— « يا هرمز اللطيف ، يا إله الأرواح وحاديها إلى هيدز ، أيها الساهر على هذه القبرة وعلى كل مقبرة ... الموت الموت ! »

ويضع خصلتين من الشعر على قبر أبيه ، ويقول : « هأنذا أضع خصلة من الشعر هنا تحية لأيناخوس الذي رويت بمائه ، وترعرعت على شطآنه . . . وأخرى تحية للموتى ... يا رحمتا لك يا أبي ! هكذا شاءت قسوة المقادير ألا أكون قريباً منك فأذرف عبرتي الطاهرة فوق ثراك ، وأروي الصفاح الركوم فوق جثمانك بالغيث الغزير الذي أرسلته من أجلك في دار غربتي ! »

— ٤ —

ويقلب وجهه في بنفسج الشرق المموه بالقرمز ، فيلمح نسوة يتعثرن في سيامن بين المقابر ، ميممات شطر قبر أبيه ! فيوجس في نفسه خيفة ، ويحسب أن جديداً من نكد الحياة قد ألم بالبقية الباقية من دم أجاممنون في ال (بيلوبيديه !)

ولكنه سرعان ما يعرف بينهن أخته ! أخته بعينها ! هي !

(١) خورس هذه المأساة من هؤلاء السبايا ، فهن اذن منشدات — لا منشدون — كما في المأساة الأولى

هي إلكترا ! وهي تحمل كالأخريات زقاً صغيراً وتقبل قُدُماً إلى المقبرة ...

— « لم أقبلن إذن في هذه البكرة المقرورة ؟ يالله ! الموت ياسيد الأولمب ! صديقي بيلاديز ! هلم نختبيء انرى ! »

ويختبيء أورست وصديقه بيلاديز ، وتقبل النسوة في إثر إلكترا الواهية التي حطم قلبها الحزن ، وأوهن جسمها الأسى ... ويأخذن في نشيد باك يتفجر في موسيقاه الدم ... ويمتزج شجوه بالدموع ... وينشرن إلى القبور وبينها هذا القبر ، ثم يتلفتن فيرين القصور النائية وفوقها هذا القصر ! ... فيرثين لآرجوس ويرثين للفتاة المحزونة الواقفة بينهن ... ويصلين ثم يتمنين ... فيذكرن نأيهن الذي شط واستطال عن الأوطان ويذكرن هذه الشباك المحكمة من الجواسيس والعسس المنتشرة فوق آرجوس ، تلتقط الأبرياء والمظلومين ليروى من دمائهم إيجستوس ، ولتجهز من شبابهم النضر ضحايا لفسق الملكة ! ...

وتتكلم إلكترا ، بعد أن تذرف عبرة أو عبرتين ، فتستشير المنشدات فيما أمرتها أمها الآثمة أن تفعل بزقاق الخمر ... في هذا المكان القفر ... إلا من الذكريات !

— « إذا صببت قرباني الخمرى ، فماذا أقول ؟ هل أقول « قرباناً يا أبي ، من زوجتك التي سفكت دمك غير راحمة ، نُشداناً للذة ، وحرصاً مجرماً للهوى ؟ » أم أقول « لتهدأي يا رفات ! ولترضيْ بالقدْرة الكبرى التي دُبرت لك ، فلا تنتفضي تحت أطباق الثرى لترسلي الويل على الظالمين ؟ » ، أم أصبها وألقي الزقاق ثم أنثني كأن ليس بي من ذلك النائم حزن مقيم ووجد دفين ! » تكلمن بحق مودتي عليكن ، فنحن في الهم شركاء ، ولا تحبسن محض النصح عن فتاتكن ، ولا تخشين في البلاط الدنس أحداً ، فالأقدار قد شاءت أن تبسط كفها القاسية في هذه المأساة على رقاب السادة وأعناق العبيد ، حتى يكونوا سواسية ... »

— حبًّا يا أميرة وطواعية ... إن قبر أبيك يفرض علينا النصح لك »

— « إذن ... ! ! »

— « إذن فاضرعي أن يسمع الأصدقاء لصلاتك ، وتصغي قلوبهم لتوسلاتك ! »

« الأصدقاء ؟ ! أي أصدقاء يعنيهم ما أصلي وما أتوسل ؟ »

— « أنت ، وذلك النائي عن هذه الديار ! »

— « من تعنين بحق الآلهة عليكن ؟ »

— « أورست !! أخاك يا أميرة !! صلي من أجله واضرعي للآلهة أن تسعفك به ! »

— « آه ! الآلهة درُّ كنّ إذن ! »

— « ثم فكري في هذا الدم المسفوك ، وفي أصحابه الأشرار الفجرة ! »

— « وكيف؟ ... ... ... »

— « قد ترسل الآلهة نقمتها ... »

— « وله ! وعلى رأس من ؟ »

— « على رؤوس المجرمين ! »

« ويلاه ! المجرمين ؟ ! ومن هم المجرمون ؟ ... ياسماء ! ... يا سيد الأولمب ! رحماك يا إلهي ! اللهم ارع أخي يثأر لأبي ... من ... ممن يا عذارى اليوم ؟ ! ممن ؟ آه ياروح أبي ! رفرفي في سمواتك ! وانتفضي في هيدز ! وتعالىْ فأرسلي أورست يثأرلك ! »

وتترنم المنشدات ، وتأخذ إلكترا في صب الخمر

— « يالالآلهة ! ماذا أجد ؟ خصلتان من الشعر ؟ »

— « خصلتان من الشعر ؟ من رأس من ياترى ؟ »

وتضع الشعر عند رأسها فيبدو الشبه كبيراً ، فتنزعج ...

— « ماذا بك ؟ فيم تمتقعين هكذا ؟ ... »

— « إنهما من رأسه ! ... من رأسه هو ! من رأس أخي ؟ »

— « ربما يا أميرة ! ولكن ! كيف جازف بنفسه في هذه البرية الوحشة ؟ من أرسله ؟ »

وتنظر إلكترا حول المقبرة فترى آثار أقدام ...

— « وما هذا أيضاً ؟ ... آثار أقدام ! ... لا ريب إذن ! إنها آثاره ياعذارى !

ولكن ! ! ... إنها آثار رجلين لا رجل واحد ! ... آه ... قد يكون صديقاً ... ياسماء ! ... »

ثم يظهر أورست فجأة ، ويقول :

— « إذن ! قد سمعت السماء صلاتك ! »

فتنزعج إلكترا ، وتدهش المنشدات ...

— « من !! من الرجل ؟ ... »

— « أنا ؟ أنا هو ؟ ... أنا من كنت تهتفين باسمه الآن ! »

— « أوه ! أتخدعنا ياصاح ؟ إذهب ! وحسبنا مانحن فيه ! »

— « أخدعك ؟ إذن أخدع نفسي !

— « سخرية . . . إذهب ، إذهب ! »

— « سخرية . . . ؟ عن ؟ بي ؟ . . . أسخر بنفسي ؟ »

— « أفأنت هو حقاً ؟ . . .

— « . . . ؟ ؟ . . . »

ويبكي أورست !

— « . . . ؟ أورست ؟ أخي ؟ »

— « . . . أفي مرية أنت ؟ إلكترا ؟ . . . خذي هذا الشعر أيضاً ... خذي ! هاتي رأسك وانظري ! ... ... ولكن أنظري أيضاً ! أليس هذا هو الجلباب نفسه الذي خاطته يداك ؟ إنه هو ... اللحمة والسدى ! ! والصور المطرّزة ! ... لا ... لا ... لا يقتلك فرحك ! ليس لنا الآن أن نفرح بهذا اللقاء الفاجيء بين يدي ذلك القبر المنفرد ! إن لنا لساعة ! ... ! كبجي جماحك ، وهيمني على فؤادك ! فلنا أعداء ... وهم أقرب الناس إلينا ... »

— ٥ —

ولم يكذب أورست ، فلقد كاد الفرح يقتل إلكترا ؟ إنها لم تره منذ عشرين سنة ؟ ثم ... أليس هو الآن بين يديها بعد طول انتظار ... وأحلام ... وأماني ؟ ... أو لم تكن هذه اللحظة فقط ، تصلي للسماء ، وتضرع للآلهة ، أن ترسل لها أورست ؟ أليست السماء قد صغت ، والآلهة قد استجابت ؟

لقد كانت أمها رأت في نومها حلماً مزعجاً ممضاً ... رأت أنها تلد أفعى هائلة ، ذات أنياب ! وأنها تأخذها فتضمها إلى صدرها ... ! يالهول ! إن الملكة تنتفض من نومها مذهولة مروّعة ! ... وإنها لتذكر أجاممنون فجأة ... تذكره بعد عشرين سنة ! وتذكر أورست المنفي بأمرها في أقصى الأرض ! وإنها لتهب من السرير الديباجي الوثير ... وتنثر ذراعي إيجستوس الجبارتين الملفوفتين حول خصرها ! ... وإنها لتنطلق في القصر مذعورة في أبهائه ... إلى ... بهو العبيد والخدم ... بهو العذارى الطرواديات ، حيث تنام إلكترا على فراش من الشوك ، تفكر في عشرين سنة مملوءة بالدم ... مملوءة بالدم ... مملوءة بالدم ...

وإن الملكة لتوقظها من أحلامها ، وتأمرها ، وسائر الطرواديات ، فينطلقن إلى المقابر بزقاق الخمر ، يسقين الثرى ، ويقربن إلى أجاممنون ... ويرضين روحه الغضبي ! !

ولكن ، ولكن الصلاة تنقلب ، والقربان يصعد إلى السماء فيغضب الآلهة ، فترسل أورست ، ويتحقق الحلم الأسود ... الأفعى ! الأفعى ذات الأنياب ، يتدفق منها السم الزعاف ! !

ويصليان لزيوس صلاة حارة ، ويضرعان إليه أن يكون معهما فيما هما قادمان عليه من ذلك الهول الأكبر ... فاذا ارتفع صوتهما ، وعلا جؤارهما ، تقدمت رئيسة المنشدات فابتهلت إليهما أن يتكلما همساً — « فقد تسمعكما أذن شر فيفشل سعيكما وتذهب ريحكما ، ولا تقوم لكما قائمة من بعد ! » فيطمئنها أورست — « ليفرخ روعك أيتها السيدة الصالحة ! فلقد أرسلني أبوللو لآخذ بثأر أبي ، فان لم أفعل ، فليجمد دمي حتى يكون كالثلج في عروق ! لا بد أن يشربا بالكأس التي أفرغاها في فم هذا الثاوي هنا ... يتطلع إلى ما يفعل له ابناه ، وآخر أثارة منه في هذه الحياة ! »

ويتقدم الفتى والفتاة فيصليان على قبر أبيهما صلاة حارة ، ثم يعطيانه موثقاً صادقاً أن يثأرا له ، ولو كلفهما الأثآر له هذه الصبابات من الدم التي أبقى عليها الأسى في عروقهما

ويلتمسان منه العون ، ويضرعان إلى السماء أن تكون معهما ، وإلى الآلهة أن تسدد خطاهما

( البقية في العدد القادم ) دريني خشبة

# البريد الأدبى

## وفاة الأستاذ جميل صدقى الزهاوى



كانت أعراض الشيخوخة وأزمات الداء قد أخذت منذ حين تصارع فى غير هوادة حيوية القلب الفتى والعصب الشاعر فى هيكل الزهاوى ، وكان الزهاوى يأبى أن يهادن الزمن الغلاب ، فهو حركة فكرية دائبة وجملة عصبية ثائرة ، لا يفتر ليله عن الفكر ، ولا يكل نهاره من الحديث ؛ وحديثه المتصل فى قصر الإلهام ، وفى دار الدفترى ، وفى مقهى ( أمين ) إذابة لجسمه وإحراق لعصبه ، لأنه لا ينفك منفعلا بشعوره متأثراً بطبعه . وحياة الزهاوى كلها تفكير فى قصيدة ، أو قراءة فى كتاب ، أو محاضرة فى حديث

ذهب الزهاوى يوم الأحد الماضى متأخراً على غير عادته إلى قهوته المختارة فى منعطف شارع خالد بن الوليد ببغداد ، وكان أصدقاؤه وتلاميذه وسماره قد تحلقوا حول مقعده الخالى ينتظرون كاهن أبولو وشاعر الفكر الحديث ؛ دخل متوكئاً على ذراع خادمه محمود ، وهو يبسم لجلاسه بسمة السراج الفانى والأمل الشاحب ؛ ثم شكا بعد شوط من الحديث الممتع ألماً فى أعلى كتفه الأيمن عزاه إلى كثرة ما كتب ليلة الأمس ، إذ قضى ليله ينظم قصيدة أخرى يحيى بها مصر على لسان الوفد النيابى الذى سيزورها عما قريب ؛ ثم اجتزأ بأكل قليل من الكمأة ولم يعد إلى الغداء فى البيت ، واقترح على صديقه الأستاذ بحرى صاحب العقاب أن يذهبا إلى السينما فيشاهدا فلماً مصرياً ورد بغداد منذ قريب ؛ ولكن الألم اشتد برحه والقلب زاد وجيبه ؛ فأقبل على صديقه وقال بلهجته الخاصة : « يا أفندم ! إن هذا الألم يكاد يقضى علىّ ، وهذه النوبات العصبية تنهك قواى . . يا أرحم الراحمين انقذنى من هذه الآلام ! » ثم رغب أن يعود إلى داره ؛ ولم يكد يدخلها حتى أحس بالداء يتسع وبالنفس يضيق ، فدعوا اليه الطبيب حوالى الساعة الرابعة بعد ظهر الأحد ولكنه كان قد فارق الحياة !

* * *

ريعت بغداد بالنبأ الفاجع والخبر الأليم ، وملكها الجزع على لسانها الذى أخرسه الردى ، وقلبها الذى أسكته القدر ، وتقاطر الناس على دار الشاعر الهامد يتقدمهم الوزراء والعلماء والنواب والأعيان والقادة ؛ وفى الوقت المحدد للجنازة من ظهر يوم الاثنين خرج النعش محمولاً على أكتاف عشرين طالباً من طلاب الفتوة فوضعوه فى السيارة ، وجلس من خلفها الشاعران الكبيران رضا الشبيبى ومعروف الرصافى ، ومن أمامها اثنان من أقارب الفقيد . فسارت تحيط بها السريتان الأولى والثانية من الفوج الأول ، تتقدمها فرق الجوالة وفرق الفتوة للمدارس الثانوية والعالية ودور المعلمين ومع كل فرقة إكليلها ، ومشى وراءها الوزراء الحاليون والسابقون والمديرون العامون وكبار الضباط ووجوه البلاد وجماهير الشعب حتى بلغت الأعظمية فصلوا عليها فى مسجد الامام أبى حنيفة ؛ ثم حملتها فرقة من فرق الفتوة إلى مرقدها الأخير فى باحة « دار العلوم العربية » على مقربة من ضريح الامام الأعظم . تغمد الله شاعر العروبة بالرحمة وعزى فيه الأمة العربية خير العزاء

ذلك خبر تلقيناه بالطيارة آخر الوقت فسجلناه عن الرجل الذى مات ، أما الزهاوى الصديق الشاعر الفيلسوف ، فسنعود اليه ثم نعود

## ندوة الزهاوى

روت (البلاد) أن رجال الأدب فى بغداد أبدوا رغبتهم الملحة فى أن تجمل الحكومة دار الأستاذ الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى (ندوة للأدباء) فى بغداد ، واقترح أحدهم بأن تقوم الحكومة بشراء هذه الدار وترتيبها وتنسيق أثاثها بما فيها كتب الأستاذ ومخطوطاته ودواوينه على غرار دار (شكسبير) فى انكلترا ، ودار (جوته) فى ألمانيا ، و (فكتور هوجو) فى فرنسا ؛ وليس ذلك كثيراً على وفاء العراق ، ولا غريباً من حكومة الهاشمى

## تأبين الزهاوى

كذلك روت الجريدة أن جمهرة من كبار رجالات العاصمة وأدبائها اعتزموا اقامة حفلة تأبينية كبرى لفقيد العربية ، وشيخ القريض الزهاوى فى يوم أربعينه ، وستكون الحفلة تحت اشراف الدولة ، وسيدعى لها كبار الأدباء والشعراء فى الشرق العربى

## أسبوع المتنبى فى الجامعة المصرية

حالت الحوائل السياسية المعروفة دون اقامة هذا الأسبوع فى الموعد الذى حدد له من قبل ، وقد استقر اليوم قرار كلية الآداب على أن يقوم فى قاعة الجمعية الجغرافية الملكية فى الساعة السادسة من مساء الأيام الآتية على النحو الآتى :

الثلاثاء ١٠ مارس : خطبة الافتتاح لصاحب السعادة الأستاذ مدير الجامعة ، و « المتنبى شاباً » للدكتور طه حسين

الأربعاء ١١ مارس : (سيف الدولة الحمدانى) للأستاذ عبد الحميد العبادى ، ثم (المتنبى وسيف الدولة) للأستاذ أحمد أمين

الخميس ١٢ مارس : (كافور الأخشيدى) للدكتور حسن إبراهيم حسن ، ثم (المتنبى فى مصر) للأستاذ أحمد الشايب

السبت ١٤ مارس : (المتنبى من خروجه من مصر إلى وفاته) الأستاذ مصطفى السقا ، ثم (أسلوب المتنبى) للأستاذ عبد الوهاب جوده

الاثنين ١٦ مارس : (المتنبى والنحاة) الأستاذ ابراهيم مصطفى ، ثم (فلسفة المتنبى) للأستاذ مصطفى عبد الرازق

الثلاثاء ١٧ مارس : (مكانة المتنبى فى الأدب العربى) للدكتور طه حسين

## ١ — قبر أبى عبيدة عامر بن الجراح . ٢ — الرقيم

قرأت فى الصفحة ٣٧٦ من المجلد الأول من دائرة المعارف الاسلامية التى يقوم بترجمتها لفيف من شباب مصر الناهض ، أن أبا عبيدة عامر بن الجراح توفى بالطاعون عام ١٨هـ فى أمواس وأن قبره بجامع الجراح فى دمشق

والراجح أن أبا عبيدة توفى فى شرق الأردن بالطاعون الذى ينسب الى عمواس (لا أمواس كما ترجمت خطأ) وعمواس هذه قرية تقع بين القدس ويافا . ولعل وباء الطاعون تفشى فيها أولاً ثم انتشر فى جميع البلاد السورية فمات به خلق كثير منهم أمين الأمة ومعاذ بن جبل وضرار بن الأزور وشرحبيل بن حسنه ويزيد بن أبى سفيان . ودفنوا جميعاً فى غور الأردن ، ولا تزال قبورهم ماثلة للعيان عدا قبر يزيد الذى اندثرت معالمه ولم يبق له أثر

وقد رمم ضريح أبى عبيدة فى عهد السلطان بيبرس كما جاء فى الكتابة المنقوشة عليه ، وهذه صورة عنها :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« وأمر بانشاء هذه القبة المباركة على ضريح أبى عبيدة الجراح رضى الله عنه مولانا السلطان الأعظم سيد ملوك العرب والعجم ركن الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين أبو الفتح بيبرس ابن عبد الله قيم أمير المؤمنين خلد الله ملكه ابتغاء مرضاة الله ورسوله مما وقفه عليه وحبسه من نصف مناصفات دير معل تونين من حمص من عمل حصن الأكراد المحروس تحبيساً مؤبداً دائماً أثاب الله واقفه بجوده وكرمه يوم يجزى الله المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين . وذلك بنظر الأمير الأعز الأجل الكبير ناصر الدين الجامتكانى الظاهرى السعدى نائب مملكة قبلون المحروسة فى ذى الحجة سنة ستمئة وسبعة وخمسون »

***

وجاء فى الصفحة ٢٤٣ من المجلد الثانى من دائرة المعارف الاسلامية أيضاً أن الرقيم « قد تكون جهة فى شرق الأردن قريبة من عمان »

أقول قد تكون الرقيم هذه قرية الرجيب التى تقع الى الشرق من عمان على مسافة تسعة كيلو مترات منها ، لأن البدو كثيراً ما يقلبون القاف جيما والميم باء

ويوجد فى هذه القرية مغاور عديدة تحت بجوارها أشجار برية قديمة العهد . والسبب فى قدمها هو احترام البدو لها

وتحريمهم قطعها لاعتقادهم أنها كانت تظلل الكهف الذي نام فيه الفتية المذكورون في القرآن ولبثوا فيه ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا

ويقدس البدو والفلاحون هذه الكهوف كتقديسهم لأي مزار أو مقام

والرقيم من المنازل التي كان يرتادها الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك للهو والصيد ، وفيه يقول الشاعر :

أمير المؤمنين اليك نهوى ... على البخت الصلادم والنجوم
فكم غادرت دونك من جهيض ... ومن نعل مطرحة جذيم
يزرن على تنائيه يزيداً ... بأكناف الموقر والرقيم
تهنئه الوفود إذا أتوه ... بنصر الله والملك العظيم

والموقر المذكور بجانب الرقيم هو قصر أو حصن أموي — ولعله من بناء يزيد — يقع على مقربة من الرقيم (أو الرجيب)

وقد ورد في أحسن التقاسيم للمقدسي أن الرقيم « قرية على فرسخ من عمان على تخوم البادية فيها مغارة ، لها بابان صغير وكبير ، ويزعمون أن من دخل الكبير لم يمكنه الدخول من الصغير . وفي المغارة ثلاثة قبور تسلسل لنا من أخبارها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : بينما نفر ثلاثة يتماشون إذ أخذهم المطر فمالوا إلى غار في الجبل ، فانحطت الى فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم »

وهذا القول ينطبق تمام الانطباق على ما نشاهده اليوم في قرية الرجيب ، وما نسمعه من القصص والأساطير التي تروى عن كهوفها ومغاورها ؟

(عمان) بهاء الدين طوقان

## مديرية أسوان

قال الأديب رشوان أحمد في مقاله المنشور في العدد الماضي من الرسالة : « إن الملك منوسوفيس (وهو الملك الثاني عشر من ملوك الأسرة السادسة) أرسل القائد حرخف إلى بلاد بنت » ظناً منه أو خطأ في مصدر النقل أن هذه البلاد جنوب صعيد مصر لقوله « وفي عهد الأسرة الثانية عشرة أرسل امرتسن الأول ثاني ملوك هذه الأسرة القائد هونو بطريق قفط والقصير لجباية الجزية ... »

والمعروف عن بلاد بنت أنها بلاد الفينيقيين ومنها صيدا وصور

أما هجرة المصريين في عهد قلاقل الأسرة الخامسة عشرة فقد كانت إلى نبتة أو نباطي وهي عاصمة بلاد النوبة لا أتيوبيا ، ولم تكن مملكة أتيوبيا مجاورة للمملكة المصرية إلا بعد غزوة ملوك مصر للنوبة والكوش ، وقد غزا بعنخى ملك النوبة مصر أيام حكومة الآشوريين ، وهذه الغزوة هي التي يخطئ فيها بعض المؤرخين فيسمونها غزوة الزنوج لمصر

وقد ذكر أن « رمسيس غزا بلاد أتيوبيا وأقام هيكلا عند كلابشة ، ويسمى بيت الولي عند سكان كلابشة » ولكن المعروف أن رمسيس الثاني غزا النوبة وسطر حروبه وانتصاراته على معبد أبي سمبل ، وأما كلابشة وهيكلها المسمى بيت الوالي « لا بيت الولي » فيقال إن الهيكل من عمل امرتسن الثاني .

ولم تكن كلابشة وأبو سمبل تابعتين لأتيوبيا ولا لكوش في وقت ما ، وما زالتا من القرى النوبية ، وهما اليوم من أعمال مركز الدر ، فكلابشة في أقصى الشمال وأبو سمبل في أقصى الجنوب

والكاتب جغرافي ولكنه لم يلتفت إلى تقسيم وادي النيل في كلامه التاريخي ، فالمعروف جغرافياً أن مصر جنوبها النوبة ، وجنوب النوبة السودان ، وفي الجنوب الشرقي من السودان أتيوبيا أو الحبشة كما تسمى الآن

ولم يذكر غزوة على بابا ملك النوبة أيام عنبسة آخر ولاة العباسيين لمصر واستيلائه على صعيد مصر ، وأما الفنج فقد كان عاصمة ملكهم في سنار (لا في سناد) وقد تكونت مملكة الفنج في حوض النيل الأزرق واستولت على جزء من أتيوبيا ، والجزء الجنوبي من النوبة

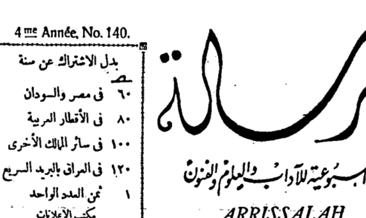
أما حكومة الكشاف التي بدأت في بلاد النوبة بعد فتح السلطان سليم ، فقد كان الحكام من الأتراك ؛ وأول من تولى حكم النوبة وخاصة الاقليم الممتد من الشلال الأول حتى آخر مديرية دنقلة كان ألبانياً يدعى حسن قوسه وهو رأس أسرة الكشاف الحالية بمركز الدر ، ولم يتعرض محمد علي باشا لاحفاده في حكمهم عند غزوته للسودان ، لأن الحاكم قدم له فروض التابعية وساعده على نقل الجيوش إلى السودان ، وقد رضي بتقديم الضرائب لوالي مصر على أن يعفى أبناء الاقليم من الجندية ، وكان ذلك حتى اليوم ، ولكن نفوذ الحكام أخذ يتلاشى إلى أن قضى على سلطة الكاشف الروحية في أواخر أيام توفيق باشا . أما معاهدة ١٨٩٩ فتنص على أن حدود مصر هي « فرس » جنوب حلفا بقليل ، وما فرس إلا جزيرة في عرض النهر ، ولكن الانجليز وضعوا حدهم أمام فرس على ضفتي النيل الشرقية والغربية مع أن هذا الحد ليس بفاصل طبيعي

: يوسف صبيح

4 me Année, No. 140.

Lundi 9-3-1936

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣




مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع البدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٤٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٥ ذى الحجة سنة ١٣٥٤ — ٩ مارس سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــدد



# المعنى الســـياسى فى العيد

## للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

ما أشد حاجتنا نحن المسلمين إلى أن نفهم أعيادنا فهماً جديداً نتلقاها به ونأخذها من ناحيته فتجئ أياماً سعيدة عاملة تنبه فينا أوصافها القوية وتجدد نفوسنا بمعانيها ، لا كما تجىء الآن كالحة عاطلة ممسوحة من المعنى ، أكبر عملها تجديدُ الثياب ، وتحديد الفراغ ، وزيادة ابتسامة على النفاق

فالعيد إنما هو المعنى الذى يكون فى اليوم لا اليومُ نفسُه ، وكما يفهم الناس هذا المعنى يتلقون هذا اليوم ؛ وكان العيد فى الإسلام هو عيدَ الفكرة العابدة ، فأصبح عيدَ الفكرة العابثة ؛ وكانت عبادة الفكرة جمعها الأمة فى إرادة واحدة على حقيقة عملية ، فأصبح عبث الفكرة جمعها الأمة على تقليد بغير حقيقة ، له مظهر المنفعة وليس له معناها

كان العيد إثبات الأمة وجودَها الروحانى فى أجمل معانيه ، فأصبح إثباتَ الأمة وجودَها الحيوانىَّ فى أكثر معانيه ؛ وكان

يوم استرواح القوة من جِدها ، فعاد يوم استراحة الضعف من ذله ؛ وكان يوم المبدأ ، فرجع يوم المادة !

* * *

ليس العيد إلاّ إشعارَ هذه الأمة بأن فيها قوةَ تغيير الأيام ، لا إشعارها بأن الأيام تتغير ؛ وليس العيد للأمة إلاّ يوماً تعرض فيه جمالَ نظامها الاجتماعي ، فيكون يومَ الشعور الواحد في نفوس الجميع ، والكلمة الواحدة في ألسنة الجميع ؛ يوم الشعور بالقدرة على تغيير الأيام ، لا القدرة على تغيير الثياب . . . . كأنما العيد هو استراحة الأسلحة يوماً في شعبها الحربي .

وليس العيد إلاّ تعليم الأمة كيف تتسع روحُ الجوار وتمتدّ حتى يرجع البلدُ العظيمُ وكأنه لأهله دار واحدة يتحقق فيها الإخاء بمعناه العمليّ ، وتظهرُ فضيلةُ الإخلاص مستعلنةً للجميع ، ويُهدي الناس بعضُهم إلى بعض هدايا القلوب المخلصة المحبة ، وكأنما العيدُ هو إطلاقُ روح الأسرة الواحدة في الأمة كلها .

وليس العيدُ إلاّ إظهار الذاتية الجميلة للشعب مهزوزةً من نشاط الحياة ؛ ولا ذاتية للأمم الضعيفة ؛ ولا نشاط للأمم المستعبدة . فالعيدُ صوتُ القوة يهتف بالأمة : أخرجي يومَ أفراحك ، أخرجي يوماً كأيام النصر !

وليس العيدُ إلاّ إبراز الكتلة الاجتماعية للأمة متميزةً بطابعها الشعبي ، مفصولةً من الأجانب ، لابسةً من عمل أيديها ، معلنة بعيدها استقلالين في وجودها وصناعتها ، ظاهرة بقوتين في إيمانها وطبيعتها ، مبتهجة بفرحين في دورها وأسواقها . فكأن العيد يوم يفرح فيه الشعب كله بخصائصه

وليس العيد إلاّ التقاء الكبار والصغار في معنى الفرح بالحياة الناجحة المتقدمة في طريقها ، وترك الصغار يلقون درسَهم الطبيعي في حماسة الفرح والبهجة ، ويعلّمون كبارهم كيف توضع المعاني في بعض الألفاظ التي فرغت عندهم من معانيها ، ويُبَصّرونهم كيف ينبغي أن تعمل الصفات الإنسانية في الجموع عمَل الحليف لحليفه ، لا عمل المنابذ لمنابذه . فالعيـدُ يومُ تسلط العنصر الحيّ على نفسية الشعب

وليس العيد إلاّ تعليم الأمة كيف توجّه بقوتها حركة الزمن إلى معنى واحد كلما شاءت ؛ فقد وضع لها الدين هذه القاعدة لتُخرِّجَ عليها الأمثلة ، فتجعلَ للوطن عيداً مالياً اقتصادياً تبتسم فيه الدراهم بعضُها إلى بعض ، وتخترع للصناعة عيدَها ، وتوجد للعلم عيدَه ، وتبتدع للفن مجاليَ زينته ؛ وبالجملة تنشئ لنفسها أياماً تعمل عمل القوّاد العسكريين في قيادة الشعب ، يقوده كل يوم منها إلى معنى من معاني النصر

* * *

هذه المعاني السياسية القوية هي التي من أجلها فُرِض العيدُ ميراثاً دهرياً في الإسلام ليستخرج أهل كل زمن من معاني زمنهم فيضيفوا إلى المثل أمثلةً مما يُبدعه نشاط الأمة ، ويحققه خيالها وتقتضيه مصالحها

وما أحسب الجمعة قد فرضت على المسلمين عيـداً أسبوعياً يُشترط فيه الخطيب والمنبر والمسجد الجامع ، إلاّ تهيئةً لذلك المعنى وإعداداً له . ففي كل سبعة أيام مسلمة يومٌ يجيءُ فيُشعر الناسَ معنى القائد الحربي للشعب كله

ألا ليت المنابر الإسلامية لا يخطب عليها إلاّ رجالٌ فيهم أرواحُ المدافع ، لا رجال في أيديهم سيوف من خشب . . . .

مصطفى صادق الرافعي

## عدد الرسالة الممتاز

ستصدر الرسالة على عادتها عدداً ضخماً فخماً في رأس السنة الهجرية تدور موضوعاته على الوقائع العربيـة والمواقف الإسلامية التي كان لها أثر ظاهر في تقدم المدنية . وسنعلن عن كتّابه بعد

# رسوم الفطر والأضحى
## في عهد الدولة الفاطمية
للأستاذ محمد عبد الله عنان

كانت الدولة الفاطمية في مصر دولة البهاء والبذخ والترف في الحياة العامة وفي الحياة الخاصة ؛ وكانت مواكب الخلافة الفاطمية ورسومها الفخمة دائماً مثار الروعة والاجلال ، وكانت أعيادها ومواسمها الباهرة مثار البهجة والفرح العام ؛ وما زالت آثار من تلك الرسوم والمواسم الشهيرة تمثل في كثير من أعيادنا ورسومنا وتقاليدنا الدينية ؛ فاذا رأيت بعض هذه الأعياد والمواسم يجنح إلى نوع من الفخامة ، وإذا رأيت بعض هذه الرسوم يتشح بأثواب من الرونق والبهاء ، فانما ذلك يرجع في الأغلب إلى أثر الدولة الفاطمية في بث هذه الروح الباذخة البهجة إلى كثير من نواحي الحياة العامة والخاصة في مصر الاسلامية

وربما كان من الشائق الممتع ، وقد تقضى المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها عيد الأضحى المبارك ، أن نقف على طرف من الرسوم والتقاليد التي كانت تجري عليها الخلافة الفاطمية في الاحتفاء بهذا العيد الاسلامي الجامع ؛ وقد كان للخلافة الفاطمية أعيادها ومواسمها الدينية الخاصة ، إلى جانب العيدين الاسلاميين الرئيسيين ، وهما عيد الفطر وعيد الأضحى ؛ وكانت تحتفي بهما في حفلات ومظاهر رسمية رائعة ؛ وكان موكب العيد من أعظم مواكب الخلافة الفاطمية ؛ ففي ليلة عيد الفطر كان يمتد في الليل بالايوان الكبير الذي يواجه مجلس الخليفة سماط ضخم يبلغ طوله نحو ثلثمائة ذراع في عرض سبعة أذرع ، وتنثر عليه أنواع الفطائر والحلوى الشهية مما أعد في دار الفطرة الخلافية ؛ فاذا انتهى الخليفة من أداء صلاة الفجر عاد إلى مجالسه ، وفتحت أبواب القصر والايوان على مصاريعها ، وهرع الناس من جميع الطبقات إلى السماط الخلافي وتخاطفوا ما عليه بحضور الخليفة ووزرائه ؛ وحينما تبزغ الشمس يركب الخليفة في موكبه إلى الصلاة ويخرج من باب العيد إلى المصلى ؛ وقد انتهت إلينا عن هذه المواكب الفاطمية من أقوال المؤرخين المعاصرين صور تبهرنا بروعتها وجمالها ؛ ونحن نحيل القارئ على تلك الفصول الشائقة البديعة التي ينقلها إلينا المقريزي عن هذه المواكب الخلافية الرائعة (١) ونكتفي بأن ننقل اليه هذه الصورة الوجيزة من أقوال المسبحي مؤرخ العصر الأول من الدولة الفاطمية ، قال :

« وفي يوم العيد ركب العزيز بالله لصلاة العيد وبين يديه الجنائب والقباب الديباج بالحلي ، والعسكر في زيه من الأتراك والديلم والعزيزية والأخشيدية والكافورية ، وأهل العراق بالديباج المثقل والسيوف والمناطق الذهب . وعلى الجنائب السروج الذهب بالجوهر ، والسروج بالعنبر ، وبين يديه الفيلة عليها الرجالة بالسلاح والزرافة ، وخرج بالمظلة الثقيلة بالجوهر وبيده قضيب جده عليه السلام فصلى على رسمه وانصرف » (٢)

فاذا عاد الخليفة من الصلاة كان ثمة سماط آخر أبهى وأروع وهو السماط الثاني لعيد الفطر ؛ فيجلس الخليفة في مجلسه وأمامه مائدة من فضة يقال لها المدورة وعليها أواني الذهب والفضة غاصة بأفخم الأطعمة وأشهاها ؛ وقبالة المائدة الخلافية سماط ضخم يتسع لنحو خمسمائة مدعو ، وقد نثرت عليه الأزهار والرياحين (٣) وصفت على حافتيه الأطباق الحافلة بصنوف الشواء والطيور والحلوى البديعة ، وجلس إليه رجال الدولة والعظماء والأكابر من كل ضرب وأكل من شاء دون الزام حتى لا يرغم على الافطار من لا يرى الافطار في ذلك اليوم ؛ وعند الظهر ينفض المجلس وينصرف الناس

* * *

وأما عيد الأضحى أو عيد النحر كما كانت تؤثر تسميته في ظل الدولة الفاطمية تنويها بأبرز مظاهره ألا وهي نحر الأضحية ، فقد كان يحتفى به بركوب الخليفة إلى الصلاة على النحو المتبع في صلاة عيد الفطر ثم يخص بسماط حافل يقام في أول يوم منه . بيد أنه يمتاز بركوب الخليفة فيه ثلاث مرات متوالية في أيامه الثلاثة الأولى ، ويمتاز بالأخص باشتراك الخليفة نفسه في اجراءات النحر ؛ وكان قيام الخليفة بهذا العمل من أروع المظاهر والمراسيم التي جرت عليها الخلافة الفاطمية في الأعياد العامة . فلنتصور

(١) راجع خطط المقريزي ( الطبعة الأهلية ) ج ٢ ص ٢١٤ إلى نهاية المجلد (٢) الخطط — ج ٢ ص ٣٢٣

(٣) الخطط ج ٢ ص ٢٢٠ ، ومن هذا نرى أن تزيين المائدة بالأزهار ليس عادة محدثة وليس بالأخص فكرة أفرنكية

أمير المؤمنين متشحاً بثوب أحمر قان يسير في موكبه ماشياً إلى دار النحر الخلافية — وقد كانت تقوم في ركن خارجي من القصر — وبين يديه الوزير وأكابر الدولة والأساتذة المحنكون[1] (وهم المشرفون على شؤون الخاص) ويكون قد اقتيد إلى النحر واحد وثلاثون فصيلا وناقة أمام مصطبة يعلوها الخليفة وحاشيته، وقد فرشت حافتها بأغطية وبطائن حمر تتقي بها الدم، وحمل الجزارون كل بيده إناء مبسوطا يتلقى به دم الضحية؛ ثم تقدم رؤوس الأضاحي إلى الخليفة واحدة فواحدة، فيدنو منها وبيده حربة يمسك بها من الرأس، ويمسك القاضي بأصل سنانها ويجعله في عنق الدابة فيطعن بها الخليفة، ويجر من بين يديه حتى يأتي عليها جميعاً، وكلما نحر الخليفة رأساً جهر المؤذنون بالتكبير؛ وتقدد الضحية الأولى، وتفرق قطعاً صغيرة في الأولياء والمتقدين؛ وفي اليوم التالي ينظم نفس الموكب إلى النحر، وينحر الخليفة سبعة وعشرين رأساً؛ وفي اليوم الثالث ينحر ثلاثة وعشرين؛ ويجري توزيع لحم الأضحية خلال هذه الأيام الثلاثة على أرباب الرسوم في أطباق خاصة للتبرك، ويقوم بالتوزيع قاضي القضاة وداعي الدعاة، ويخص نقباء الدعوة وطلبة دار الحكمة (دار العلم) بقسط من اللحوم الموزعة؛ فإذا انقضت مراسيم النحر خلع الخليفة عند العودة إلى القصر على الوزير ثيابه الحمر ومنديلا ملوكيا بغير سمة، والعقد المنظوم، فيركب الوزير وعليه الخلع المذكورة في موكب حافل من القصر شاقا القاهرة حتى باب زويلة، ثم يدخل من باب القنطرة إلى دار الوزارة، وبذلك تنتهي حفلات النحر

وكان الخليفة المعز لدين الله أول من سن سنة إعطاء الضحايا وتفريق لحومها في أولياء الدولة على قدر مراتبهم، وكان ما يخرج منها غير ما يذبحه الخليفة بنفسه يبلغ بضعة آلاف من مختلف الأصناف هذا عدا ما يفرق في أرباب الدولة من الخلع والأموال؛ وقد انتهت إلينا من روايات المؤرخين المعاصرين تفاصيل دقيقة عن مقادير النفقة في تلك المواسم، ومنها أن نفقة سماطي الفطر والأضحى كانت تبلغ زهاء أربعة آلاف دينار؛ ويذبح من البقر والجاموس والنوق في أيام النحر نحو ألفين وخمسمائة، ومن الغنم ألفين وأربعمائة؛ وقد أشرنا إلى ما كان يوزع في عيد الفطر في أرباب الدولة من صنوف الفطائر والحلوى، وكيف كان يسمح للكافة باقتحام إيوان القصر لنهب السماط الخلافي أمام عيني الخليفة ذاته؛ وعلى الجملة فقد كانت الخلافة الفاطمية تبدي في المواسم العامة من ضروب البذخ والبهاء والبهجة، ما يسبغ على هذه المواسم أثوابا ساطعة من الرونق والجمال والسحر

وقد كان هذا البذخ الذي تنثره الخلافة الفاطمية حولها ينفث في الشعب ذاته حب الظهور والمرح، فكانت القاهرة تلبس في تلك المواسم حلة أنيقة باهرة وتحفل شوارعها ومعالمها ودورها بأنواع الزينة الشيقة؛ وكانت في الليل تبدو كأنها شعلة ساطعة من الأنوار؛ وكان القصف والمرح يخرجان أحيانا في تلك المواسم عن حد الاعتدال حتى أن ولاة الأمر لجأوا غير مرة إلى إلغاء بعض الرسوم وتقييد بعض الحريات؛ وفي عهد الحاكم بأمر الله ألغى الاحتفال ببعض المواسم التي كان القصف يخرج فيها عن حدود الاعتدال مثل عيد الشهيد، وحرم شرب الخمور والركوب في الخليج، وخروج النساء، واشتد الحاكم في ذلك حتى كانت القاهرة تغدو أحياناً في أثواب قاتمة من السكون والاقفار والروع. بيد أنه فيما خلا هذه الفترات القليلة، كانت الخلافة الفاطمية دائما عند تقاليدها الباهرة تنثر حولها حلل البذخ والبهاء والترف في كل المواسم والمناسبات

* * *

هذه لمحة سريعة فيما كانت ترتبه الخلافة الفاطمية من الحفلات والرسوم الباذخة لاستقبال العيدين الإسلاميين الرئيسيين؛ ولم تكن الخلافة الفاطمية أقل بذخا وبهاء في الاحتفاء بباقي المواسم والأعياد الأخرى كيوم عاشوراء، ويوم الغدير، ويوم النيروز، وعيد الشهيد وغيرها، فقد كانت تسبغ عليها جميعاً أقصى مظاهر الروعة والفخامة، وكانت هذه المواسم والأعياد لدى الشعب المصري أياماً مشهودة تفيض بهجة وحبوراً؛ وكانت الخلافة الفاطمية ترمي بترتيب هذه الرسوم الباذخة إلى غايتين: الأولى أن تبث هيبتها الدينية بما تسبغه من الخطورة والخشوع على بعض المظاهر والرسوم، والثانية أن تغمر الشعب

(١) الأساتذة المحنكون هم جماعة من أكابر موظفي القصر الفاطمي يتولون أخص شؤون الخليفة، ومنهم زمام القصر، وشاد التاج الشريف، وصاحب بيت المال، وصاحب الدفتر، وصاحب الرسالة، وزمام الأشراف الأقارب، وصاحب المجلس، وقد كانوا أكثر الناس اطلاعا على أسرار الخليفة.

# التعليم والحالة الاجتماعية
## في مصر

للأستاذ اسماعيل مظهر

قرأت في العهد الأخير تقريرين عن التعليم في مصر كتبهما عالمان استقدمتهما وزارة المعارف لينظر كل منهما في ناحية خاصة من نواحي التعليم ودرجاته، وأفضى كل منهما بآراء ناضجة فيما كلف به من بحث. فكتب مستر مان مفتش المدارس وكليات المعلمين بإدارة المعارف بإنجلترا تقريراً مدعماً بالاحصاءات قائماً بالأفكار والنظريات، وكتب مسيو كلاباريد أستاذ علم النفس في كلية العلوم بجامعة جنيف تقريراً آخر عمد فيه إلى نظريات حديثة في علم النفس والتربية لا نعلم مقدار ما فيها من خطأ أو صواب، لأن الحكم على مثل هذه الأشياء يجب أن يرجع فيه إلى أهل الاختصاص، وإن كانت النظرة العاجلة التي ألقيتها على هذا التقرير قد أقنعتني، وقد أكون مخطئاً، بأن نظريات كلاباريد ربما تكون قد أسلمت به إلى نتائج لا يؤيدها الواقع ولا تسندها الحقائق التي يعرفها كثير من المصريين معرفة أولية لا تحتاج إلى نظر علمي ولا إلى استنتاج من مقدمات

هذا إلى أن العالمين الأوربيين إن كانا قد بحثا في التعليم المصري كل من ناحية اختصاصه، فإن بحثهما إنما جاء قاصراً على الدائرة التي عينتها له وزارة المعارف وفي ضوء المعلومات التي زود بها، وفي الحدود التي رسمت للتعليم في مصر منذ خمسين سنة مضت. فإن كانا قد أحسا بشيء من النقص، أو وقع لهما شيء يستحق النقد، فإنما وقع لهما فيما هو داخل في هذه الحدود أو مشمول بها. فلم ينظرا مثلا فيما يجب أن يؤدي التعليم في مصر من حاجات الحياة العامة فيها، وفي علاقة التعليم بالحالات الجديدة التي تكتنف الحياة المصرية في تطورها الحديث. على أن هذا لا ينزل من مكانة ما كتب العالمان الفاضلان أو يقلل من قيمة آرائهما. فإن المصريين أنفسهم أحق بأن يتلمسوا مكان النقص الذي يحسونه في التعليم من ناحية علاقته بالحياة عامة، وبالحالة الاجتماعية خاصة

ومهما يكن من أمر الباحث الأوربي في الشؤون المصرية، ومهما يكن من علمه وتمكنه فيه، فإنه من المتعذر عليه كما قال مستر مان في تقريره أن يلم به إلمام المحيط بالحقائق الأساسية التي يحس بها المصريون أنفسهم من غير استعانة بآراء أو نظريات. ذلك بأن لكل أمة إحساساً بما يعتورها من نقص لن يفقه الغريب عنها شيئاً من خصائصه إلا بالجهد الشديد وطول التأمل والتفكير. مثل ذلك أن التقريرين اللذين وضعهما العالمان الأوربيان لم يلمسا الحقائق الأولية في حياتنا الاجتماعية وعلاقتها بالتعليم؛ ذلك في حين أن كل مصري يشعر شعوراً عميقاً بأن عصراً من عصور التطور الفكري قد آذن بأن تشرق شمسه في سماء مصر، وأن عصراً آخر قد أخذ في الأفول. أضف إلى ذلك أننا نشعر بأن حالاتنا الاجتماعية قد اتجهت في تطورها متجهاً ألقى على التعليم في مصر عبئاً جديداً لم يشعر به آباؤنا، وقد نشعر بعض الأحيان بشيء من القلق، وقد نشعر بأن هذا القلق قد يتضاعف بعض الأحيان حتى ليذهب بالبعض إلى حد اليأس من

---

المصري بسيل من الحفلات والمآدب والمواكب الباهرة، وأن تأسره بمظاهر جودها الوافر، وأن تنثر عليه ما استطاعت من آيات البهجة والمرح، كل ذلك لكي تكسب ولاءه وعرفانه وتأييده؛ وقد كانت الخلافة الفاطمية تشعر دائماً أنها لم تكسب كل ولائه وتقديره، وإن سياستها المذهبية تبث إلى نفسه شيئاً من الوحشة والريب؛ بيد أنه يجب أن نقول من جهة أخرى إن الدولة الفاطمية كانت بحق دولة البهاء والبذخ الواسع، وكانت هذه الرسوم والمظاهر الرائعة من بعض مظاهر قوتها وعظمتها وغناها؛ وكانت هذه الروح الفخمة الباذخة تطبع كل رسومها ومظاهرها، في القصر وفي الخارج، وفي السياسة والدين والادارة، وفي الحياة العامة والحياة الخاصة؛ وقد سرت آثار كثيرة من هذه المظاهر والرسوم الفخمة الشائقة إلى كثير من القصور والدول الاسلامية التي تعاقبت على مصر بعد الدولة الفاطمية؛ وقد نلمس إلى اليوم في بعض الرسوم والنظم الدينية، وفي بعض مظاهر أعيادنا ومواسمنا لمحات من آثار البذخ الفاطمي

محمد عبد الله عنان

مستقبل آلاف الطلبة الذين يتعلمون اليوم في المدارس وتخرجهم الكليات زرافات كل عام . بل إننا أخذنا نشعر بكل ما شعر به الأستاذ هنرى جيمس عند ما قال : إن الاحتفاظ بحالة اجتماعية ثابتة الدعائم قوية الأركان في جمعية يكتب على المتعلمين فيها عيش الفقر والذلة ، لأمر فيه من البعد عن حقائق الطبع البشرى بقدر ما في محاولتك بناء هرم يرتكز على رأسه لا على قاعدته من بعد عن حقائق الطبيعة الكونية

ولقد يمارى مفكر في أن ذلك الشعور العميق الذى يكتنف تفكير الكثيرين من المصريين إنما له أسبابه الغامضة البعيدة عن ادراك الذين لا يفكرون في التعليم إلا بقدر ما يفكرون في أداة تخرج متعلمين ، ولا يزيد خطره في نظرهم عن خطر آلة تخرج أحذية أو لفافات تبغ في نظر عامل يجهل حقيقة الآلة التى يديرها ، ولا يعرف عنها إلا أمرين : شكلها الظاهر ، وثمرهـا الذى يجنيه منها

على أن الثمر الذى أخذنا نجنيه من أداة التعليم عندنا قد جدت عليه ظاهرتان جديدتان : الأولى أن طعمه قد أخذ يتغير ، والثانى أن صنفه أخذ ينحط مع كثرة الانتاج . ولا شك في أنهما ظاهرتان يعلل بهما كثير من الظواهر الاجتماعية التى تمر علينا في كل يوم صور منها ، وأخصها كثرة العاطلين من المتعلمين ، والجهد الذى يلقاه المجدون منهم في تحصيل رزقهم الحلال

ولا ريب في أن هذه الظاهرات ترجع إلى أسباب أخذت تتجمع منذ أكثر من نصف قرن من الزمان ، حتى أفضى بنا التطور إلى الحالة التى تكتنفنا اليوم . ولما كان الغرض الذى أرمى اليه من نشر هذه المقالات إنما يتجه إلى وصف العلاقة التى تقوم اليوم بين التعليم والحالة الاجتماعية والمهمة الكبرى الملقاة على عاتق التعليم في تنظيم الحالة الاجتماعية ودرء الأخطار التى قد يتعرض لها المجتمع المصرى بقدر ما في مستطاع التعليم أن يدرأ منها ، وجب أن أظهر أولا أن أشد الأخطار التى يتعرض لها الكيان الاجتماعى في مصر من ناحية التعليم أن الشاب المتعلم في مدارسنا العليا يفقد مع التعليم استقلاله الذاتى ، باعتباره قوة لها حقيقة مستقلة عن القوى الأخرى التى تكتنفها . وقد يشعر بذلك الشاب المتعلم ، وقد يشعر به الذين يعلمون أولادهم ، حتى لقد نجد أن بعض القادرين على التفكير ينظرون نظرة تشاؤم إلى المستقبل القريب ، وإن لهم في ذلك لحقا ، وإن لهم في تشاؤمهم لأسبابا تبرره وحقائق تعلله ، ومن أجل أن نظهر تطور الحالات التى أفضت بنا إلى هذه النتائج ينبغى لنا أن نذكر حقائق خمسا نرجع فيها إلى تاريخنا بعض الشيء :

أولا : حكمت مصر منذ أبعد العصور على نظام تباين الطبقات الاجتماعية ، وعلى أساس الفوارق في الحقوق العامة ؛ غير أن الطبقات أخذت تتقارب حقوقها الطبيعية وتنتفى من بينها الفوارق من عهد قريب ، فالكل الآن متساوون أمام القانون ، ولكل مصرى حق الانتخاب والحكم من طريق مجلس النواب . فأخذ مظهر وجود طبقتين متمايزتين في الحقوق المدنية يزول شيئاً بعد شيء ، فلقد كانت مصر القديمة مكونة من ثلاث طبقات هم : الحكام والكهنوت والشعب ؛ ومنذ غزو الاسكندر وحكم البطالسة إلى حكم المماليك حتى بدء الاحتلال الانجليزى كانت هناك طبقات تختلف حقوقها وامتيازاتها ؛ أما الآن فقد انتفت هذه الفوارق نظرياً ، ونقول نظرياً لأننا لا نزال نشكو من بعض مساوئها ، بالرغم من أن أصغر فلاح في مكنته أن يقاضى أعظم عين في البلاد ، وأن يأخذ حقه منه إن كان له حق

ثانياً : بالرغم من أن نظام الطبقات المتباينة في الحياة والحقوق هو النظام الذى اتبع في مصر منذ أبعد العصور ، وبالرغم من أن حالة مصر الاجتماعية من خمسين سنة مضت كانت تكفل الاستقلال المادى لطبقتى ذوى الامتيازات والفلاحين معاً ؛ بأن يحمل طبقة الفلاحين ، وهى الطبقة العاملة ، العبء كله ، بأن تكفى نفسها وتكفى حاجات حكامها بقدر الاستطاعة ، فان الحالة الجديدة ، حالة التساوى أمام القانون في الحقوق ، قد أحدثت ظاهرة اجتماعية جديدة ، كان سببها أن الفلاح قد خرج من كونه عاملا لا حق له في ملكية الأرض ، إلى رجل حر له حق العمل متى شاء والانقطاع عنه متى أراد ، وله فوق ذلك حق الملك ، بل نقول إنه انتقل من عامل إقطاعى إلى رجل حر ، فقامت على هذه الحال ظاهرة اجتماعية جديدة

ثالثاً — هذه الظاهرة الاجتماعية الجديدة التي قامت على تحرير الفلاح المصري وعتقه من نظام الاقطاع الذي ظل خاضعاً له طوال القرون ، قد قلب آية الحياة الاجتماعية في مصر . فان هذا الفلاح لم يكن ينقصه شيء ليكون مستقلا تمام الاستقلال في حياته إلا قانون يحميه ، ونظام اجتماعي يجعله يشعر بأنه قوة لها أثر في الحياة ؛ فلما وقع ذلك بالفعل أصبحت الطبقة الدنيا أي طبقة الفلاحين المسخرين التي كان عليها أن تحفظ استقلالها واستقلال الطبقة التي تعلوها ، سيدة نفسها ، وأصبحت طبقة الملاك وأصحاب الجاه كما كانت في الحالة الأولى عبئاً عليها ، ولكن في صورة جديدة ، هي صورة أخذت شكل صراع خفي بين طبقتين

رابعاً — ولقد انحصر مظهر هذا الصراع في طبقة تحررت من قيود النظام الاقطاعي وهي الطبقة المنتجة العاملة بيدها ، فأصبحت مستقلة بنفسها . وهي طبقة قادرة على الحرث والغرس والحصاد في بلاد لن يزرعها غيرها ، ولن ينتفع بها غيرها ؛ فهي مستقلة ما دامت من فوق الأرض التي يغذيها النيل بشرايينه المحيية ؛ وهذه الخطوة الجديدة أحدثت ظاهرة أخرى

خامساً — عكفت الطبقة الأخرى ، طبقة أصحاب الجاه على مطلب آخر تتقي به النتائج التي تترتب على استقلال الطبقة العاملة ولم تجد من وسيلة أقرب من تعليم أولادها ليكونوا حكام البلاد . ولكن طبقة الفلاحين أخذت تزاحم الطبقة الأولى في هذا المضمار ، فأخذ الأثرياء منهم يعلمون أولادهم ليكونوا حكاما فنجحوا . ولكن بعد أن ملئت الحكومة بما تحتاج من حكام وكتبة قام شعور جديد بأن أولاد موظفي الحكومة والأثرياء الذين أخرجوا أولادهم من محيط الفلاحة الى محيط العلم أقل استقلالا مع تعلمهم من أبناء الفلاحين الجهلاء . وأصبحنا الآن والموقف بين متعلم عاطل يتطلع الى مرتب أبيه أو ثروته ليعيش ، وفلاح جاهل لا عمدة له في الحياة إلا خبرته الموروثة في فلح الأرض وقوة عضلاته ومحراثه وفأسه وماشيته . فهو رجل مستقل تمام الاستقلال في الحياة ، على العكس من المتعلم العاطل . فاذا كانت الغاية من التعليم تخريج رجال مستقلين يكافحون في الحياة كفاح المنتج لا كفاح المستغل لكفاح غيره ، رأينا أن التعليم لم يف ببلوغ الغاية الأخيرة منه ، ما دمنا نرى أن ابن الفلاح بخبرته الموروثة مستقل في حياته منتج بعمله ، في حين أن المتعلم يفقد مع التعليم استقلاله الذاتي ويتطلع دائماً إلى حياة الركود لا إلى حياة الكفاح التي لم يهيء له تعليمه طريقها الواجب

على أن قليلا من التأمل في هذه الالمامة التي ألممنا فيها بأوجه التطور الاجتماعي الذي انتابنا منذ خمسين سنة خلت ، يحمل الفكر على المضي خطوة أخرى في تأملات إذا أحطنا بها نكون قد فرغنا من التمهيد للفكرة التي نريد أن تكون الدعامة التي يقوم عليها أساس التعليم في مصر ، فنرى ما يأتي :

أولا : إن طرق التعليم التي عكفنا عليها إلى الآن شطرت الأمة معسكرين : الأول معسكر المتعلمين على القواعد الأوربية التي اتبعناها في مدارسنا ، وخرجوا بهذا التعليم عن جو ثقافتنا التقليدية ، فأصبحوا نصف مصريين ؛ والثاني معسكر الفلاحين الذين أبعدناهم عن الثقافة الحديثة ، وحافظنا على ثقافتهم التقليدية فصاروا بذواتهم في القرن العشرين ، وبعقليتهم في مصر الفرعونية

ثانياً : كونا بهذا طبقتين غير متجانستين ، بل مختلفتين تمام الاختلاف ، بحيث لا تجمع بينهما من رابطة إلا الرابطة الطبيعية التي هي رابطة الدم ؛ فكنا في ذلك أشبه بالمستعمر الذي يرغب دائماً في أن يزيد من الصدوع التي تفصل بين طبقات الأمة ، لا أشبه بالمصلح الذي يعمل دائماً على أن يرأب تلك الصدوع ويقرب بين الطبقات حفظاً للتوازن الاجتماعي . ولا شك في أن هذه السياسة تؤدي بطبعها ، وعن غير قصد ، إلى حرب الطبقات التي نحن مقدمون عليها حتماً إذا استمر التعليم على نماذجه الحاضرة وأخذت تلك الصدوع والفوارق تزيد عاماً بعد عام

ثالثاً : دليلنا على هذا أن ابن الفلاح إذا أثرت فيه الثقافة الحديثة ، سواء أكان تعليمه في مصر أم في إحدى جامعات أوربا ، أصبح لا ينشق في جو بلاده نسيم الثقافة التي نشأ فيها ، فتلحظ فيه روح التبرم بأبيه الفلاح وأمه الفلاحة ، وتأنس فيه نزعة قديمة تدفعه دائماً إلى حب العودة إلى الجو الذي نشأ فيه ، فتراه قلقاً غير مستقر ، هدّاماً لا بنّاءً ، يريد لو تتاح

له الفرصة ليعود إلى الجو الذي كان فيه ؛ فإذا أعيته الحيلة ، كما يحدث دائماً ، واضطر إلى البقاء في جو بلاده ، هجر الريف ، مرباه الأصيل ومربى آبائه وأجداده منذ قرون طويلة ومنشأ تقاليده منذ أزمان لا تعيها الذكريات ، ليسكن في مدينة من المدن ، فيفضلها مع عيش الفقر والعوز على الريف مع عيش الراحة والهناءة ؛ وتراه ينزع إلى البطالة في مدينة دون العمل الذي هو أجدر بحياة الرجولة في الريف . ومن هنا تتكون الطبقات المتبرمة بالحياة ، النافلة على الهدم دون الاصلاح ، النزاعة إلى الأفكار المتطرفة والثورات . أولئك الذين عناهم العلامة هنرى جيمس في كلمته التي سقناها من قبل

رابعاً : وأنت أينما وليت وجهك رأيت أثر المسكرين اللذين كونهما التعليم المصري ظاهراً جلياً . فأنت تنتزع الولد من حضن أبيه الفلاح وأمه الفلاحة ، فكأنك تنزعه من حضن « مصر الفرعونية » ، لتنشئه في حضن « مصر الأوربية » ، وتخرجه بعد ذلك قاضياً أو محامياً أو مهندساً أو تاجراً أو رجل إدارة أو غير ذلك ، ولكن بروح أوربية تكسوها ثياب مصرية شفافة ؛ وبالأحرى تخرج رجالاً انبتت صلتهم بتقاليدهم الثقافية القديمة . وأنت في دور العدل وفي المتاجر وفي مراكز الادارة وفي عيادة الطبيب ومكتب المهندس ، واقع في كل دقيقة على مظهر من مظاهر التفرقة بين المسكرين . فالفلاح البعيد عن مدنية المدن ، وبالأحرى البعيد عن جو الثقافة الأوربية الذي نشأ فيه القاضي والمحامي والتاجر ومأمور المركز ومعاون الادارة وطبيب القرية ، يمثل معسكر مصر الفرعونية ؛ أما هؤلاء فانما يمثلون « مصر الأوربية » ، ولا شك في أن هذا مظهر من مظاهر الانحلال الاجتماعي ، لا يسأل عنه في مصر شيء بقدر ما يسأل التعليم

خامساً : بالرغم من أن التعلم قد نزع بفكره نزعة أبعدته عن ثقافة آبائه التقليدية ، فقد أثرت تلك الحال في مزاجه وتصوراته ونظرته الفنية في الحياة ، تلك النظرة التي يجب أن تكون مصرية صميمة ، ويجب أن نحافظ عليها نقية على سجيتها لنكون مصريين جديرين بالمصرية ، وكان من نتائج هذا أن المتعلمين يفضلون أقذر قرية أوربية على ريفنا الجميل وبحيراتنا الفاتنة ، حتى لقد كادت تقوى النزعة الأوربية فينا على وحي النيل نفسه ؛ والسبب في هذا أننا كنا خلال الخمسين عاماً الماضية كالمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى ، إذ انتزعنا من أرواح ناشئتنا « مصريتها » ، ولم نترك فيها من المصرية إلا لون البشرة ؛ ولقحناهم بالروح « الأوربية » فلم نبق مصريين كأهل الريف ، ولم نستطع أن نكون أوربيين كفتيان « بيكادلي سركس »

سادساً — بدأت هذه الحال تؤثر في مرافقنا الحيوية ، حتى لقد نزعنا إلى القول بأن كل ما هو أوربي جميل ، وكل ما هو مصري رديء ؛ وكل فكرة مصرية لعب ولهو ، وكل فكرة أوربية جد ورجولة ؛ وكل فن مصري بدائي وغير متفق وروح العصر ، وكل فن أوربي مهما كان فيه من بعد وتضاد مع زماننا وتقاليدنا المصرية بل ومع آدابنا الرعية والعرف الانتاني ، حضارة وتمدين ؛ وشملت هذه الحال فتياننا وفتياتنا ، فألسنتهم لا تتحرك إلا بكل ما هو أوربي غربي ، وقلوبهم لا تهفو إلا لكل ما هو بعيد عن المصرية

ولا شبهة في أن المسكرين يتهيآن الآن : الأول للعمل على خراب الريف ، والثاني لا حول له ولا قوة ، فسوف ينهزم ليترك الريف خراباً . وإنما يخرب الريف بخراب القلوب التي يجب أن تؤمن بأن الريف هو مصر ، وأن مصر هي الريف ، وأن المدن أسواق لذلك الريف لا أقل ولا أكثر . إنما يخرب الريف بأن نحب المدينة ونهجر الريف ، فكأننا هجرنا مصر . ولا مخرج لنا من هذا إلا بأن نصل ثقافتنا الحديثة بثقافتنا التقليدية ؛ فيكون المصري فلاحاً مصرياً روحاً ونزعة وخلقاً ، ثم قاضياً ومحامياً وطبيباً ورجل إدارة من بعد ذلك . يجب أن تكون ماهيتنا مصرية وأعراضنا أوربية ، لا أن نعكس الآية بأن نعمل أولاً على محو مصريتنا ، فاذا تم لنا ذلك رحنا نتيه بأننا أتينا بأعراض أوربية ولقحنا بها ذوات لا ماضي لها ، وبالأحرى لا ماهية لها

تلك لمقدمات لا بد منها إذا أردنا أن نبحث حالتنا الاجتماعية من جهة علاقتها بالتعليم . وسنرى في البحوث التالية كيف يمكن أن نستفيد منها

اسماعيل مظهر

# قصة المكروب

## كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكى

وكيل كلية العلوم

## بستور Pasteur والكلب المسعور

وصل القائم

اكتشف بستور لقاحاً لداء الكلب هو عبارة عن ١٤ حقنة من مكروبه بعد اضعافه إضعافاً متفاوتاً في المقدار يحقن به المريض . وجرب هذا في الكلاب فكان النجاح . فلما أراد تجريبه في الآدميين تخاذل وخشي العاقبة . حتى جاءه ولد عضه كلب مسعور فأشار عليه الأطباء بتجربة اللقاح فيه لأنه ميت لا محالة ففعل ونجح اللقاح ، وكان أول لقاح نجح في آدمي

عندئذ ذهبت عن بستور مخاوفه ، وفارقته وساوسه . فكان موقفه من هذا الطفل هو عين موقفه من أول كلب حقنه رُو Roux باللقاح في مخه بغير رضا أستاذه . خشي بستور على الكلب أن تُثقب جمجمته ، فلما ثقبها رُو بغير علمه وصحّ الكلب من بعد ذلك ، أكبّ بستور على رؤوس الكلاب تثقيباً وعلى جماجمها تخريقاً . وها هو ذا الآن يخشى عاقبة اللقاح الجديد على الطفل المكلوب ؛ فلما صح الطفل واشتُفيَ من دائه ، ماتت في نفس بستور شكوكه ومخاوفه ، تلك الشكوك والمخاوف التي لم تتغلغل أبداً في نفسه تغلغلا كبيراً ، ومع هذا تراءت له جسيمة واضحة ، أرته إياها نفسه الفنانة وهى تكثّر القليل وتجلو الغامض . ثم إذا به يصيح للدنيا يعلن أهل الأرض أن في إمكانه دفعَ الكَلَب عنهم وحمايتهم من بلوائه

وأخذت جماهير المكلوبين المعذبين تندفع الى معمله بشارع ألم Ulm تطالب ربّه ، ربَّ المعجزة الكبرى . وجاء على هذه الحُجر القذرة القليلة حينٌ من الدهر وقف فيها البحث العلمىّ وقوفاً كاملا . واشتغل بستور وعوناه في فرز الخلائق التي اجتمعت عليهم من كل أمة . وتعددت لغاتهم ، فكنت تسمع أنغاماً متنافرة ، وألسنة متباينة ، كلها تصيح صيحة واحدة : « بستور ! أنقذنا ! » فلبى نداءهم وأنقذهم ؛ هذا الرجل الذى لم يكن طبيباً يوماً ما ؛ هذا الرجل الذى كان يقول في سخرية يمازجها العُجْب : « هل أنا إلا كيميائي ؟ » . نعم أنقذهم رجل العلم هذا الذى قضى حياته ينازع الأطباء ويخاصمهم خصاماً مرّاً ؛ أنقذهم بأن حقنهم بتلك الأربع عشرة حقنة من مكروبه المجهول المضعَف بعضَ الاضعاف ؛ تلك الأربع عشرة المعقدة التي لم يستسغها عقل أو يألفها منطق : حَقَن تلك الأربع عشرة فيهم ثم ردَّهم بعدها مُعافين إلى أركان الأرض الأربعة

وجاءه من روسيا من بلدة سمولنسك Smolensk تسعة عشر فلاحا من الموجيك عضهم ذئب مسعور قبل ذلك بتسعة عشر يوماً . وجرح الذئب خمسة منهم جروحاً بالغة فعجزوا عن السير فلم يكن بد من إرسالهم إلى المستشفى الكبير . وكان منظر هؤلاء الروس غريبا في طواقي الفرو فوق رؤوسهم وهم ينادون : « بستور ! بستور ! » وهى الكلمة الوحيدة التي عرفوها من لغة البلد الذى حلّوا فيه

وثارت ثائرة باريس — على نحوٍ لا يعرفه إلا باريس — قلقاً على هؤلاء المكلوبين الذين لا مفرّ لهم من الموت بعد أن طال الزمن عليهم مذ عضهم الذئب بنابه . وتحدثت باريس فلم يكن لها غير هذا من حديث . وقام بستور ورجاله يحقن الألقحة في هؤلاء المناكيد الذين نضب حظهم من الحياة وقل رجاؤهم فيها . فالعشرة كان يعضهم الذئب فيموت منهم على المعروف ثمانية ، فكان على هذا الحساب لابد أن يموت من أصحابنا خمسة عشر

قال الناس حينما اجتمعوا : « من الجائز أن يموتوا جميعاً فلا ينجو منهم أحد ؛ فقد مضى على عضهم أسبوعان وزيادة . مساكين والله ! وستظهر عليهم أعراض الداء ، وستكون شديدة فظيعة . ضاع الرجاء فيهم وحُمّ القضاء ! »

ولعل الناس صدقوا فيما قالوا ! ولعلهم حقا جاءوا بعد فوات الأوان ! وعزّ على بستور الطعام ، وعزّ عليه النوم ، فانه خاطر فأمر رجاله فحقنوا الألقحة الأربع عشرة في هؤلاء التعساء صباح مساء ليقتصدوا نصف الأيام الضائعة عسى أن يلحقوا بالداء فينفع الدواء

وأخيراً صاح بستور صيحة الفخر عالية ، وصاحت باريس وفرنسا والدنيا أجمع صيحة الشكر ، وأنشدت أنشودة النصر حارّة داوية . فاللقاح أنجى الفلاّحين الروس إلا ثلاثة . فعاد الناجون إلى بلادهم فاستقبلهم بذلك السرور الرهيب الذى تجده القلوب إذا هى دُعيت للترحيب بميّت منشور ، للترحيب بهؤلاء الرجال المرضى الذين ودّعوا بلادهم والأمل منهم مقطوع ، فزاروا لاشك حرماً قدسيا لولىّ من أولياء الله ، ثم عادوا يسعون على أرجلهم إلى ديارهم سمى الأحياء .. وبعث قيصر الروس الأعظم إلى بستور صليب القديسة حنا الناسى ، ومائة ألف من الفرنكات ليبدأ بها فى بناء بيت لصيادة المكروب . فقام هـذا البيت فى شارع ديتو Dutot وهو المعمل الذى يُسمى اليوم معهدَ بستور . وجاءه غير المائة ألف مال من العالم أجمع ، من كل قطر من أقطاره ، وكل ركن من أركانه ، حتى تكدّست لدى بابه الملايين من الفرنكات ليبنى بها المعمل ليقتنص فيه مكروبات فاتكة أخرى ، وليجد لها فيه ألقحة ماضية أخرى . ثم تكدست الملايين على بابه ، فقد كانت عاطفة قوية تلك التى أندت أكُفَّ هذا الخلق الكثير ، عاطفة قوية كالتى تثيرها المصائب إذا نزلت بالناس فادحةً شاملة .

وتم بناء المعمل ؛ ولـكن كان عمل بستور فى الحياة قد تم كذلك . فلقد كان نصره الأخير كبير الوقع فى نفسه ، ثقيلا على فقار ظهر احتملت أثقال العمل الشديد مدة أربعين عاماً فى تواصل لم يُسمع بمثله أبدا ، فناء جسده تحت آخر الأحمال ، وانقطع وتره بآخر الأثقال ، فمات فى عام ١٨٩٥ فى بيت صغير كان على مقربة من البيوت التى حفظوا بها عندئذ كلابه المسعورة فى فلنوف ليتانج Villeneuve l'Etang على أطراف باريس . ولفظ آخر أنفاسه كما يلفظها الكاثوليكيّ العريق فى كثلكته أو الصوفى ، وقد كانت طول حياته : فى إحدى يديه كان الصليب ، وفى اليد الأخرى كانت يد أكثر أعوانه صبرا وأقلهم شهرة وأكبرهم خطرا — تلك مدام بستور . وكان حول سريره عونه رو وعونه شمبرلاند ، وأعوانه الباحثون الآخرون ؛ أولئك البُحّاث الذين زادهم نشاطه الجمّ فى حياته ريّاً ؛ أولئك البحاث الذين أسلموا له القياد فدار بهم فى هجيرة العمل دوراناً مستدعاً قاسياً مرا ؛ أولئك الأعوان الذين أوحى إليهم من وحيه واقتبس لقلوبهم قبساً من قلبه ؛ أولئك الخلصاء الذين خاطروا بأرواحهم فى انفاذ خططه الجامحة فى محاربة الموت ، قاموا اليوم حول سريره يودّون أن يفتدوه لو أمكن الفداء .

هكذا انتهت حياة هـذا الرجل خير انتهاء . هذا الانسان الغالى فى إنسانيته ، صائد المكروب ومنجى الأرواح ، الثائر الوثّاب ، الناقص الخطّاء !

ولـكن لبستور خاتمة حياة أخرى يتجه لها خاطرى أكثر من اتجاهه لهذه . كانت فى عيد ميلاده عام ١٨٩٢ حين استتم سبعين عاماً كاملة ، فاحتفلوا به فى السربون بباريس احتفالاً عاماً رائعاً كبيرا أهدوا إليه وساما . وكان لستر Lister حاضرا ، وكان رجال كثيرون مشهورون من أمم أخرى حاضرين ، فاحتل هؤلاء العظماء رقعة المكان الدنيا حيث مجالس العظماء ، واحتل الطبقات العليا من حولهم شباب فرنسا وطلاّب السربون والكليات والمدارس العليا ؛ وامتلأ المكان بالأحاديث ، واختلطت به أصوات فيها رنة الشباب . وفى برهة قصيرة انقطعت الأحاديث ، وهدأت الأصوات ، وخيّم على المجتمع صمت رهيب ؛ ففى المشى تراءى بستور يجر خطاه عرجا ؛ وقد أخذ رئيس الجمهورية بذراعه واتجه الاثنان إلى المنصّة فى رأس المكان ، وصدحت موسيقى الحرس الجمهورى بدور جَلْجَلَ فى الفضاء ، كذلك الذى يُتَحى به الأبطال العظماء وقد عادوا من ساحة النصر بعد أن روّوها عبثاً بدماء الأعداء ، وحجبوا ثراها بغير طائل بألوف الأشلاء

## بستور يموت

وكان فى الحاضرين لستر Lister أمير الجرّاحين ، فقام واحتضن بستور ؛ وهتف الشيوخ الأجلاء من مجالسهم ، والشبان الطُّلاّب من شرفاتهم ، حتى ارتجت الحيطان ؛ وأخيراً جاء دور الكلام لصاحبنا صياد المكروب الشيخ ، وكان قد ذُهب عنه صوته الحديد الرعّاد الذى كان يرفعه فى الخصومات عاليا ، فقام نجله يقرأ عنه خطابه ؛ وكان ختام هذا الخطاب أنشودة للرجاء ، لا بما تضمنته من خلاص الأنفس ، بل على الأكثر بأنه دعوة دينية حارة تفتح للرجال سبيلا جديداً من الحياة ؛ وكان بها يدعو شباب الجامعة وطلبة المدارس العالية ، قال :

# المازنى العاشـــق ...!

للأستاذ «أبو سلمى»

ما قرأت كلمة أستاذنا المازنى «فى الحب والمرأة» إلا أيقنت أن هنالك مؤامرة على الحبّ — واحسرتا — فجزعت ..... لا على الأستاذ المازنى فانه إذا لوّح بيده أو زوى ما بين عينيه رفع خصومه الرايات البيض ....

ولا على المرأة ... فان لها من لسانها الطويل – بقطع النظر عما إذا كان وراءه شيء أم لا – ما قد تستطيع به الوقوف أمام المازنى ...

ولكننى جزعت على الحب فى هذا الزمن الذى طغى فيه العقل – أو مجموعة الاختبارات والأمزجة والطباع – ولو أستطيع لرميت به (أى العقل) مربوطاً بكتلة من الحديد تثقله – إلى الهوة السحيقة التى تليق به

والمازنى عزيز على إخوانه وتلامذته – وأنا منهم – المنتشرين فى كل قطر، وحبيب إلى قلوبهم – وهم عدد النجوم – وما كان لثلى أن يرفع يده وهى شلاء أمامه، ولكن حملته على الحب والمرأة أثارت علىّ جنوداً لا قبل لى بها، تعرف عطفه علىّ وحبه لى، وهو أدرى بقوتها ..

وما دام المرء يخلق كل يوم خلقاً جديداً فلم لا نأخذ الخلقة التى نميل اليها وتستهوينا؟ وما دام الانسان يتحول إلى صور شتى فلم لا نهفو إلى الصورة التى تروق فى أعيننا؟ والحياة قصيرة، والهوى فضّاح، فلأعد إذاً إلى أعماق الماضى، إلى المازنى الفتى الذى دفنه:

مات الفتى المازنى ثم أتى من مازن غيره على الأثر

أزيل عنه اللفافات وأبعثه بشراً سوياً تتوهج عيناه بنور قلبه ...

أيها الفتى المازنى! أين أنت تنتقم من المازنى الذى أتى على الأثر وتكون لنا عوناً عليه؟! ... ألست أنت الذى كنت تطوف حول دار الهوى وتتمتم وعيناك نديتان:

أوصدوا الأبواب بالله ولا
تدعوا العين ترى فعل البلا
وامنعوا دار الهوى أن تبذلا

إن للدار علينا ذمما وقبيح خونها بعد الخراب

من قصيدة «الدار المهجورة»

ألست أنت الذى كان يحوم حول الحى فى الليل مضلل الرقيب، وجامع الحبيب بالحبيب – ولا أدرى إذا كنت تلبس طربوشاً أم لا – فتنتظر إلى شباك حسنائك وروحك تتراءى خلف مقلتيك حيناً وفوق شفتيك حيناً آخر، حتى إذا رمتك باللحظ زفرت وأنشدت:

| | |
|---|---|
| ما أفصح اللحظ يا حبيبى | وأعذب البث بالعيون |
| لحظ يفىء الذى توارى | فى ظلمة الخاطر الدفين |

من قصيدة «لحظ الحبيب»

فاذا هبطت – هى – الى الحديقة واختبأت بين الأغصان أنبأك همس الازهار عن مكانها فتقول:

| | |
|---|---|
| وودت لو تنقـــع الأمانى | لو كنت لدناً من الغصون |
| وليتنى صـــيدح يغنى | فى ظلك الوارف الأمين |

من قصيدة «لحظ الحبيب» أيضا

فاذا نادتك وظهر اللفظ من بين شفتيها مشتعلاً يهديك إلى دنيا الغرام هتفت أنت:

أظل إذا اسمتك فى مسمعى يرف علىّ جناح الغرام

---

«لا تسوموا أنفسكم التشكك فى الأشياء، فالتشكك أرض قاحلة لا تُنبت، وسحاب جَهام لا يُمطر؛ ولا تحملوها على الريبة فى قيم الأمور وأوضاعها فتحملوها على الزهادة وتُفقدوها الثقةَ بالله. واحذروا أن تركنوا إلى اليأس من أجل ساعات سوداوات تأتى على الأمم؛ ذلك أن لكل حال غاية، ولكل كرب نهاية، والليل الأسود يعقبه النهار الضاحى. اطلبوا العيش فى المعامل والمكاتب، ففى أجوائها الساكنة تجدون طمأنينة النفس وسلامها. سلوا أنفسكم: ماذا صنعت أيتها الأنفس بالذى كان من تعليم وتثقيف؟ فاذا تقدمت السنُّ بكم فسلوها ثانية: وماذا صنعت لهذا البلد الذى من أرضه كان غذاؤك ومن مائه كان ماؤك. حتى إذا جاءتكم الشيخوخة فلعلكم عندئذ تجدون أكبر المتاعة فى الاحساس القَمْر اللذيذ بأنكم ساهمتم مع الساهمين وعملتم مع العاملين بطريقة أيّاً كانت لتقدم هذه الانسانية ولخيرها ...»

(انتهى بستور) أحمد زكى

شفاه يؤججن أنفاسه — ويلثمن ألفاظهن الظوامى

من قصيدة « لفظ الحبيب »

وتدلف اليها ، ويلفكما الليل فى طياته « كما يغيب سر المرء كتمان » والكلام لك ، فتناجيها :

عجب كيف يرتضى البعد عنا — من عبدنا فى حسنه الله جلا
أنت أفسدتنى وعلمتنى الحب — فهلا أصلحت منى هلا
كان خيراً من السهاد رقادى — فى حمى ظلك الوريف وأحلى

من قصيدة « المناجاة »

وتشير اليك بتلك اليد التى كنت تعتقد أنها تفتح لك طريق سعادتك فتطمئن الى الصدر الرحيب ، وتغفو بين الأحلام على ترنيمتها :

نم هنيئاً فى ظلى الفينان — وانس بَرْح الهموم والأشجان
وانس ما كان من زفير على الهجـ — ـر ودمع يجرى بغير عنان
هذه راحتى على وجهك النضـ — ـر وروحى وريقة الأفنان
وفؤادى مرفرف بجناحيـ — ـه حنانا فانشق نسيم الحنان

من قصيدة « رقية حسناء »

وحينما تقضى لبانات الفؤاد المعذب تودع الحبيب وتقول :

ودعته والليـل يخفرنا — والبدر يرمقنى وأرمقه
ولرب خـدّ بت ألثمه — والدمع يطفىء ما أحرّقه
والورد أقطفه لوجنته — والشوك فى قلبى مفوّقه

من قصيدة « ليلة وداع »

ثم يلج الوجد فيوشى جنبات الأفق ويصبح الفتى المازنى « مثلا شروداً فى الهوى ... »

وبعد ، فحالات أستاذنا المازنى كلها حسنة مشرقة إشراق الابتسامة العذبة ، ولكن أحسنها عند إخوان الصفا هى هذه الصفحة العطرة التى تندى شبابا وصبابة ، فاذا أراد أن يعفى على أثرها ولو بالسيف ، فليعلم أننا نجتليها ولو من بين الغمام لامعة وهاجة ؛ وإننا وإن دوى فى الآفاق صوته الرنان يسمع الصم ، نرجو منه أن يعلم أن هذا الصوت الداوى الآن — بشأن الحب المرأة — يتسرب من بين الطبقات ويصلنا ناعماً ليناً ويقف على أبواب القلوب.

وإن هذا الحب الذى أصاب منه « شيمه » كان غذاءه الوحيد فكان يئن ويحن وينشد :

غذائى الحب يا من فيه حرمان — منى له أبداً ما عشت نشدان
وهل غذائى إلا أن أراك وأن — يمر بالسمع لفظ منك فتان
ما لذة القلب خلوا من دخيل هوى — ما الليل إن لم يكن بالصبح إيقان
مالى بغير الهوى فى العيش من أرب — ولا بقلبى أحقاد وأضغان

من « مناجاة هاجر »

والشعر . . . — لقد نسيت — الشعر الذى قلت عنه إنه يلبس الحب أستاراً تبعده عن الحقيقة . . . ومن يعلم ؟ فلعله يؤدى رسالة الشعر ، ويحسن صنعاً خوفا من ألا يكون وراء الأستار شىء من الحقيقة — كما تقول الأساطير —

نعم أنت كنت تقول فى الماضى :

أما ترى غايتى فى الشعر واحدة — وإن تباين أوزان وأوزان
فما أحوك على الأيام قافية — ألا وفيها على حُبِّيه عنوان

وما قيمة الشعر إذا لم تردده شفتان مرتجفتان أو . . . . لم تلهُ به قدمان صغيرتان

ولكننى أخشى ...وهنا أضع يدى على قلبى . . . . أخشى أن يكون كلامك عن الحب والمرأة نتيجة استبداد بك . . . وممّن ؟ ... من امرأة ؛ فتدينك بقولك :

وإنى عاشق كتوم — يبطن غير الذى يقول

(القدس) — أبو سلمى

التاريخ فى سير أبطاله

# ٢ – ميرابو

ميرابو ... تلك الأعجوبة !
جوته

للأستاذ محمود الخفيف

وكان الملك قد أخذ بنصيحة نكر حين اشتدت الضائقة المالية فأجاب الشعب إلى دعوة مجلس طبقات الأمة إلى الاجتماع وهو مجلس قديم شهدت فرنسا آخر اجتماع له عام ١٦١٤ ، وقد حدد لاجتماعه اليوم الخامس من شهر مايو سنة ١٧٨٩ ، وكان الغرض من اجتماعه ، مشاورة نواب البلاد فى مخرج من الأزمة المالية

ولكن هل كانت الضائقة المالية كل مايشكو منه الشعب ؟ كلا ! إن فرنسا إذا أردنا الواقع كانت على أبواب عصر جديد ، بل إن تاريخ العالم كان فى مستهل فصل جديد ! فما كانت الثورة مهما اختلفت مظاهرها إلا أوبة الشعب من غمر القرون أو من مجاهل النسيان ، كانت حركة لا محيص عنها ، حركة أدى اليها تطور الزمن على وجه معين بحيث لم تكن الأيام لتلد غيرها

ها هو ذا الأفق الباسم تنشق جوانبه عن جبين الصباح بعد ليل طال واشتدت حلكته ، ولكن ما تلك الخطوط الحمراء التى يراها ميرابو ويوجس فى نفسه خيفة منها ؟ ! إنه يرى فيها نذير الشر والفزع الأكبر . ياله من رجل عجيب ! إنه يتشاءم والقوم متفائلون ؛ إنه يرى ما لا يرون ، ولكن لينتظر ما تأتى به الأيام !

الشعب مبتهج يبسم له الأمل ابتسام الربيع من حوله ، أنظر اليه غداة افتتاح المجلس فى طريق نوابه تكاد تنشق حناجره وتدمى أكفه من كثرة ما يهتف ومايصفق . يالله ! ما له يطرق فى وجوم كلما مر به أحد السادة من النبلاء أو القساوسة ؟ هل آن لتلك الجموع أن تفرض سلطانها وتجبر القوم على الاعتراف بها ؟ من ذلك الرجل العابس المهيب الذى تتناقل الألسن اسمه وتتدافع الجموع لرؤيته ؟ انه بعينه نائب اكس الكنت ميرابو !

اتخذ ميرابو كرسيه وسط العامة ، وقد تهامس الأشراف عند دخوله المجلس وتخاطبوا بالأحداق ، على أنه كان يزدريهم أكثر مما يزدرونه ، ويمقت فى أشخاصهم العهد القديم ونظمه وتقاليده

ودخل الملك القاعة فى حاشيته التى تجلى فيها ترفع الملكية واستكبارها ، وألقى على النواب خطابا ارتاحوا إلى ما جاء فيه من أمانى ، وهتفوا لما تضمنه من عبارات العطف ، ثم قام نكر فأكد رؤوس سامعيه بخطاب طويل نصفه أرقام !

تبع الأشراف والقساوسة الملك الى خارج القاعة وبقى العامة فى أماكنهم وبينهم ميرابو يشيع الملك ووزيره بنظرات المقت والسخط . ولقد رأى النواب فى ملامح وجهه أمارات الغضب ، وفسرها الأشراف بأنها مظاهر الحقد الدفين والغل الشخصى

ولكن ميرابو أصبح اليوم غيره بالأمس فلقد ودع حياة السفه والتمرد ، وأصبح السياسي المتزن المهيب الجانب ، الذى يتوقف مصير الحوادث على ما يصدر عنه من قول أو فعل

إنه لا يطمئن الى المستقبل ويرى الأمور تنذر بالكارثة ما لم تعالج بالحكمة . ولقد درس نفسية الشعب خارج المجلس وعرف أن له أطماعا لابد من تحقيقها . لم يكن الناس ليرضوا أن تؤخذ الأصوات فى المجلس باعتبار الطبقة فيفوز المتازون ، ولا يكون لمساواة العامة إياهم فى العدد أية قيمة . وكان الشعب ونواب الشعب يلحون فى أن يكون التصويت باعتبار الرؤوس . كذلك كان الشعب يطمع أن يكون للمجلس مكان مستديم فى النظام الحكومى ، ويكون لما يصدر من آراء أثر فى سياسة الدولة .

وكان ميرابو يسعى جهده فى أن تعلن الحكومة موافقتها على ذلك فى أولى جلساته خشية أن ترغم على ذلك فيما بعد فيؤثر ذلك أسوأ الأثر فى مجرى الحوادث ، ولكن الحكومة أغفلت الأمر ، فكان محنقاً فى حنقه وتبرمه

كان يفطن ميرابو أكثر مما يفطن غيره الى انبعاث الشعب واحتضار الملكية . وكان يرى الملكية وقد أثقلتها تقاليد الماضى تكاد تسقط من الأعياء ، حتى لقد قيل عن لويس السادس عشر إنه ورث عن آبائه الثورة والعرش معاً ! ولقد كان هذا الملك المسكين يهرول تارة ليدرك الزمن فتنقطع به الأسباب ، ثم يكلف الأيام ضد طباعها حيناً فتسخر منه الأيام ! وكان ميرابو يرى بنافذ

بصره أن سلامة الملكية وسلامة الوطن كلتاهما تتوقف على التوفيق بين الملك والشعب ، ولا سبيل لنجاح الثورة غير هذا السبيل

أرسل الى نكر يقول له : « صدقني أيها الوزير أن مصير الملكية في فرنسا متوقف على ما سيكون من أمر هذا المجلس ، وخير لك ولهذا البلد المسكين أن تواجه المجلس بما يحقق أماني الشعب »

ولقد أعد ملتمساً ليتقدم به الى الملك في الجلسة الأولى ؛ ويقال إن الملك بادر الى الخروج عقب انتهاء الاجتماع لما علم من عزم ميرابو . ومما جاء في هذا الملتمس : « أضف إلى مآثرك أيها الأمير المعظم إجابة الشعب الى رغبته يبق الصولجان في يدك ، فانى أخشى إن رفضت أن يشهر في وجهك . »

يا لهذا الرجل من بطل ! كيف ينقلب سلوكه هذا الانقلاب المدهش ؟ إن المرء ليلمس أهم ناحية من نواحي عظمته في ذلك التحول ، وما عرف التاريخ قبله رجلا درج من مثل ماضيه فوصل الى مثل ما أتيح له من مجد وعظمة وكمال سياسي

كان منطق الحوادث يقضي بأن يرى ميرابو في الثورة فرصة لشهواته ومرتعاً لمآربه ، فيصبح في غمرتها الرجل الأحمق الذي يهدم ولا يعرف غير الهدم ، ويبطش ولا يستطيع أن ينهض لغير البطش . ولكنه ما عرف الهدم ، وما كان رائده سوى البناء كأحسن ما يكون البناء ! وذلك لعمري من عجائب الأيام ! ولكنه سر العبقرية

أجل ! لقد جد الزمان فأثار جلال الموقف كامن مواهبه ، ولامس موضع العظمة من قلبه ، ورأى في الثورة حادثاً نبه نفسه الى حقيقتها ، أو قل إنه وجدها كفؤاً له كما وجد نفسه كفؤاً لها

وسنرى أن جهاده منذ اليوم سيكون شاقاً مريراً ، فان من يمنيهم أمر الوطن من الوزراء ورجال الدولة من أمره في ريبة ، لا يأمنون أن يتخذ من حرج الأمور وسيلة إلى أغراضه الخاصة كما كانوا يزعمون ، بله ما كانوا يضمرونه له من حقد وما كانوا يكنونه من حسد ، حتى المستنيرين من معارفه ومقدري نبوغه لم يكونوا أقل من هؤلاء حذراً منه ، وكانوا فوق ذلك يترفعون في صلف عن مدارسة رجل له مثل ذلك الماضي ! مما كان يملأ قلبه غيظاً . والملك ؟ أيستطيع أن يصل اليه وله من بطانته أسوأ حجاب ؟

وهو لا يثق في نواب العامة ، ويخاف أن يؤدي تزقهم وجهلهم إلى الكارثة . قال يصفهم ذات يوم : « أكثر من خمسمائة عضو لا يعرف الرجل منهم جاره ! أتوا من جميع أنحاء المملكة ، لا يجمعهم نظام ، ولا يلم شملهم زعيم ، ولن تجد بينهم ذا نفوذ ، أو تتبين فيهم من يأخذ نفسه بأي ميثاق من مواثيق الطاعة ، وكلهم ميال إلى أن يُصغَى اليه قبل أن يصغي هو إلى أحد . . . »

أرأيت موقفاً أشد من هذا الموقف حرجاً ؟ ولكن هل كان حرج الموقف يعمي بصيرته عن سبيل الرشاد ، أو يدفع السأم إلى قلبه ؟ كلا فما خلق مثله إلا للشدائد ، وما يظهر جلده أكثر ما يظهر إلا في الملمات . وهل كانت تستطيع السفينة أن تسير بلا ربان في مثل تلك الأنواء ؟ ومَن ربانها إن لم يكن هو ربانها ؟ لم تمض أيام حتى صار بين نواب العامة المقدم عليهم ، يستفتونه ويتجهون بأنظارهم اليه إن سدت في وجوههم المسالك وإن لم يظهروا له ماهو جدير به من عطف ومحبة ، ولكنه كما خيل ، لم يكن ليصده عن مصلحة وطنه ما ينال شخصه من إهانة ، وفي ذلك من سر عظمة الرجل ما هو جدير بالاعجاب

وكان إلى جانبه الأب سيس ، ينقل إلى نواب العامة ما يوحيه اليه ، وكان هذا الرجل قد آثر صفهم على صفوف الأشراف كما فعل ميرابو من قبل ؛ وكان لشخصه في قلوبهم مكانة قوامها الحب ، إن لم يكن قوامها الاعجاب

أخذ الأشراف ورجال الدين يجتمعون كل طائفة في حجرتها ، وعولوا على أن يكون اقرار المسائل باعتبار الطبقة ؛ ولو طاوعهم العامة إلى ذلك لكان للثورة اليوم سيرة غير سيرتها ، ولكن أنى للعامة أن يقروا على أنفسهم عملا يطوي بهم القرون إلى الوراء ، وهم يتعجلون الزمن ، ويودون لو يسبقونه إلى تحقيق الأمل الوليد ؟ على أنهم ما كانوا يريدون بملكهم الطيب شراً حتى ذلك اليوم ، ولكن شطط رجال البلاط وسوء تدبيرهم سيجعل من هذا المجلس هيئة تقلب نظام الحكم في فرنسا ، بل وتدفع تاريخ البشر إلى طريق جديد

وما كان ميرابو ليرضى أن يطيع أصحاب الامتياز الى

غرضهم الشائن وإن كان يخشى أن يؤدي احراج العامة واعنائهم إلى التذمر فالهجوم ، فيتدخل الملك وهو لا يريد أن يتدخل الملك إلا بما يرضى الشعب ؛ هو لا يحب أن تبغي إحدى القوتين على الأخرى ، ولذلك فهو يسمى ويواصل السمى ، ويدعو ويكرر الدعوى الى الأناة ، حتى يصيح له من صفوف العامة رجل رشـيد لم يكن سوى سيس ، وسرعان ما يأخذ العامة بنصيحته على لسان سيس ، فيقفون من الأشراف موقفاً حكيماً هو انتهاج السياسة السلبية ، فيأبون أن ينتخبوا لهم هيئة داخلية تشعر بقبول انعزال مجالسهم ، كما يرفضون أن يتسلموا الرسائل الموجهة اليهم باسم رجال الطبقة الثالثة

كان يرجو ميرابو أن يخرج العامة من المأزق دون شحناء ولا اعتداء ، ولـكن العامة انتظروا حتى ملوا الانتظار ، فاقترح عليهم قرب نهاية مايو أن يرسلوا الى رجال الدين ، وقد أنس في فئة منهم العطف على العامة ، يدعونهم باسم الله وباسم الانسانية والسلام أن ينضموا اليهم

وفي اليوم العاشر من يونيو اقترح سيس ارسال دعوة نهائية الى رجال الطبقتين يطلبون انضمامهم الى صفوف العامة ؛ وسواء قبلوا الدعوة أو لم يقبلوها يجتمع نواب العامة وحدهم للعمل باسم الشعب الفرنسي كله . وأخيراً حين رفض رجال الطبقتين دعوة العامة أعلنوا في اليوم السابع عشر من يونية قرارهم الخطير أنهم هم « الجمعية الأهلية » فخطوا بذلك أول خطوة نحو الثورة

أشفق ميرابو وقد فهم مغزى هذا القرار على الجمعية وأيقن أن الملك لا بد مجيب على ذلك بضربة حاسمة ، إذ ما الذي يمنعه أن يباغتهم بمرسوم يحل به المجلس كله ؟ ولذلك فقد احتاط للأمر وتوقى الخطر قبل حدوثه . فتقدم إلى الجمعية باقتراح قبلته وأعلنته ، ومؤداه أن نواب الأمة يقررون أن الضرائب القائمة غير شرعية ، ولـكنهم لا يمانعون في جمعها ما دامت الجمعية منعقدة ؛ وكانت هذه خطوة سديدة موفقة من جانب ميرابو

على أنه ظل يحسب للموقف حسابه . فما كان الاشراف ورجال البلاط ليقابلوا عمل الجمعية بالسكون ، وكان ميرابو قد واجه ثورة النواب في نقاشهم قبل أن يطلقوا على جميتهم ذلك الاسم ، وطلب اليهم أن يبحثوا عن اسم آخر لا يتضمن مثل ذلك التحدي ، ولـكنهم أعرضوا عنه فلم يجبن عن أن يعلن فيهم

« أن نفوذ الملك وحقه في (الڤيتو) لا بد أن يكون أمراً أساسياً في الدستور ، وبغير ذلك فانه يفضل أن يقيم بالقسطنطينية على أن يعيش في فرنسا ، لأنه لا يرى أخطر من تسلط ستمائة رجل على شؤون الدولة »

ولقد ذاعت الاشاعات يومئذ أن ميرابو أخـذ من الملك مبلغاً طائلا ، وهكذا يأبى شؤم طالعه إلا أن يلازمه فيرمى بالخيانة منذ ذلك التاريخ الباكر

اعتزم الملك نقض قرارات الجمية ، وعول على الذهاب بنفسه اليها ، وحدد لذلك اليوم الثالث والعشرين من يونيه ، وفي صباح اليوم العشرين من ذلك الشهر حين لم يستطع نواب الشعب الاجتماع في دار الجمية بحجة إعدادها لدخول الملك فقد توجهوا إلى ملعب التنس المجاور لها ؛ وهناك وقد أخذ الحماس من قلوبهم كل مأخذ أقسموا أنهم لن ينفضوا حتى يضعوا للأمة دستوراً ، فكان هذا أحد أيام فرنسا المشهورة

ما للسـفينة عجلى تسخر بالأنواء وتستخف بما يحيط بها من موج كالجبال ؟ أدر الدفة يا ربانها ليس لها غيرك يوجهها إلى شاطىء السلامة !

دخل الملك في اليوم الموعود ، وقد تـكلف أكثر ما يطيق من الجد والحزم ، وأعلن نقض قرارات ١٧ يونيه ، وأمر أن تجلس كل طبقة على انفراد ليكون صـدور الأصوات بالمجالس لا بالرؤوس ، وعلى الجميع أن يصـدعوا بما يؤمرون وإلا فانه « سيعمل ما تقتضيه مصلحة البلاد معتبراً نفسه نائبها الوحيد »

طرب الأشراف ومن يشايعونهم من رجال الدين لذلك الوعيد ، وقاموا إلى مجلسهم بعد مبارحة الملك القاعة ، وبقي نواب العامة في مكانهم جامدين . أخذتهم الحيرة فلا يدرون ماذا يفعلون ، واستولى الرعب على أفئدتهم ، فعلى وجوههم صفرة كئيبة ، وفي عيونهم دهشة ومسكنة ، ولـكن ميرابو لم يخلق الفزع لمثله ، فوثب من مكانه وفي عينيه الواسعتين نظرات الليث ، وراح يزأر فيهم مذكراً إياهم بقسمهم . فأعاد إلى قلوبهم الحمية ، ثم دار بعينيه فاذا كبير الأمناء يسأل النواب في صلف : « ألم يسمعوا أمر الملك ؟ » وفي تلك اللحظة الرهيبة التي ولدت للعالم عصراً جديداً يأبى القدر إلا أن يجعل من ميرابو ترجمانه ، فيصرخ في رسول الملك قائلاً : « نعم أيها السيد ! سمعنا ما أوعز إلى الملك

بالقائه علينا ، ولست أنت ، ولم يكن لك من مركز أو حق يبيح لك الكلام فى هذا المجلس . نعم لست أنت الذى يذكرنا به . إذهب فقل لمرسليك إننا هنا بإرادة الشعب ، فلن نبرح مكاننا إلا على أسنة الحراب »

وتصايح النواب قائلين : « هذه إرادة الشعب » . « الشعب لا يتلقى أوامر من أحد » ، وقام سيس يذكرهم أنهم اليوم ما كانوا بالأمس ؛ ولم يخن ميرابو حضور ذهنه وسط تلك الحماسة ، فأعلنت الجمعية اقتراحه بأن رجالها منذ اليوم فى حصانة ، وأن المعتدى عليهم جريمة كبرى !

أرأيت كيف هيأت بسالة ذلك الرجل له موقفاً أصبح فيه بحيث يتوقف مصير الحوادث على ما يفعل أو يقول ؟ وسرعان ما تجاوبت أنحاء فرنسا أنباء ذلك الرد التاريخى ، وجرى اسم ميرابو على كل لسان فى باريس وطبع شخصه فى كل قلب

من ذلك اليوم أصبح ميرابو زعيم الشعب غير مدافع ، وإن تم له ذلك فعلا من قبل ، وإذا كانت الحوادث تخلق الرجال كما يقولون ، فمن الرجال من يخلق التاريخ . وما تاريخ البشرية إذا أردت اليقين إلا تاريخ عظمائها . ولقد كان ميرابو من هؤلاء النفر الذين يربون جيلا ليلدوا غيره ! وإنى لأجرؤ فأزعم أنه عندى أول زعيم شغبى بالمعنى الحديث . إذ كان التاريخ يومئذ ينتقل من فصل إلى فصل كما رأينا

وكان انتقاله هذه المرة على أساس جديد ، على أساس شعور الفرد بوجوده فى شكل ديمقراطى لم ير العالم نظيره منذ ديموقراطية أثينا . أجل ، لقد جاءت الأنباء من وراء المحيط بانتصار الحرية على يد بطل من أهم أبطالها هو واشنطن ؛ ولكن الفرق بين الحركتين كالفرق بين الرجلين ؛ فتلك حركة سياسية فى شعب يخوض غمار الحرب إلى حقه الذى اغتصبه الأجانب من أعدائه ، وهذه حركة اجتماعية كانت أول أمرها سلمية فى شعب يستخلص حقه من ساداته وكبرائه ؛ وذلك رجل يشهر السيف ويصل إلى غرضه بالحديد والدم ، وهذا رجل لا يعرف إلا القلم ولا يرى سوى المنبر طريقاً إلى غرضه !

(البقية فى العدد القادم) **الخفيف**

تلخيص كتاب :

# الحاكمون بأمرهم

## LES DICTATEURS

### تأليف مارك بانفيل

بمناسبة وفاته فى ١٠ فبراير سنة ١٩٣٦

### للأستاذ عبد الحليم الجندى المحامى

تتمة

طاف بنا بانفيل فى النصف الأول من كتابه بطغاة التاريخ ليقدم إلينا طغاة العصر الحاضر ؛ فنحن الآن فى روسيا القيصرية حيث الشعب يجزى قياصرته الارهاق الفظيع بالارهاب الأفظع ؛ وإن تعجب فاعجب لهذا القدر الساخر الذى جعل من أكبر القياصرة حباً للشعب أكبر صرعى الارهاب وهو القيصر « نقولا الثانى »[1] .. نشطت الشرطة فى أعقاب ذلك المصرع ولكن نشاطها كان متجهاً نحو (الانفار) لا نحو القادة ، فنجا من طغيانها دعاة جهنميو « كفلاديمير أوليانوف » أولئك الذين جعلوا شعارهم « كل شىء ، أو لا شىء »

نفى الفتى — بل الأستاذ — فلاديمير سنتين فى سيبريا ، وفى سنة ١٨٩٦ ألف جمعية الكفاح ، وفى سنة ١٩٠٣ افتتح مؤتمر بروكسل للعمال ، وعقب ذلك أنشأ فى لندرا حزب العمال الروس الديمقراطى

وفى سنة ١٩٠٥ اندلع لهيب الحرب بين اليابان وروسيا فكانت فرصة نادرة ، فمشى إلى قصر الشتاء مائتا ألف من العمال يحدوهم قسيس ليقدموا إلى سدة القصر ملتمسات متواضعة ، فقابلتهم المدفعية بالنار على عتباته ، وكأن أركان الامبراطورية الأربعة كانت فى الانتظار ، إذ شجرت القلاقل فى كل ناحية وذعر القراندوق سرج ، وساد الاضراب فى أرمينيا وبولنيا وسبستبول ؛ وعبر الدعر — لينين — الحدود لخبئ فى موسكو ، وليؤلف

(١) راجع مذكرات بالبولوج سفير فرنسا السابق فهى من أروع ما كتب عن هذا القيصر العظيم وعن مصرعه

جيش الثورة الذى قاوم الحكومة تسعة أيام ثم انهزم ، ففر لينين وراء الحدود ليكون الحزب البلشفى فى سنة ١٩١٢ وليرقب الفرصة المتاحة

ومضت سنوات سبع كان على لينين فى منفاه أو فى مهربه أن يدبّر فيها للثورة تدبير الأستاذ الخبير ، فلقد كان يقول : « إن الثورة فن »

وفى سنة ١٩١٤ عنـد ما ارتفع بخار الدماء فى سماء الدنيا هدأت أعصاب لينين ! وأخذ يتحرك ، وأهاب بالعمال فى العالم أجمع أن يُلقوا السلاح ليتخلصوا من الطواغيت إلى الأبد ، وليجعلوا من رأس المال أسطورة تُحكى للناس ، أزيلت من عالم الواقع الحاضر ، وجاءت الظروف تضع الأحجار فى بنيان هذا الطاغية — والمصادفة دائماً فى خدمة الدكتاتوريات — إذ سرت الرعدة فى كيان الامبراطورية الذى شاخ ؛ فالحرب بدت مجزرة فاشلة ، والفيالق أخذت تتذمر فقامت قيامة العمال فى ٨ مارس سنة ١٩١٧ ، وفى ١٠٠ ساعة فقط هوى عن العرش آخر أبناء رومانوف

وتطلعت الثورة تريد رأس حكيم يحركها . . وتطلع لينين إلى الألمان فنقلوه إلى روسيا فى قطار مسلح فى حاشية من ثلاثين هداماً من زملائه ، ووصل الركب إلى روسيا ، وأخذ لينين يناضل الحكومة المؤقتة لتكف عن مواصلة القتال فى الحرب الكبرى ، فوجهت إليه تهمة الخيانة العظمى وأوشكت أن تظفر به ، ففرّ من جديد ليعود بعد شهور ومعه « الفنان الأكبر » فنان الثورات (تروتسكى) (١)

وضع الفنان الأكبر خطة هى آية الفن الثورى الحديث ؛ فعمد إلى المصالح الميكانيكية ، وهى التلغراف والتلفون والبريد والكهرباء والسكة الحديد ؛ وعهد فى الاستيلاء عليها إلى فئة قليلة من المحاربين فى زى عمال ، وأمّر عليهم طائفة من المهندسين المهرة ، فلم يمض يومان حتى كانت هذه القواعد الفنية قد وصلت إلى نتائج باهرة برغم قلة عددها ، إذ كان اتحاد الغاية مع تشعب الأهداف الأولية سبباً فى عجز الجيش وضعف حيلة الحكومة عن مواجهة المخربين ، وهكذا استطاع « تروتسكى » أن يعزل العاصمة عن الامبراطورية ، ثم استطاع أن يصدر الأوامر إلى أنحاء الأرض النائية ؛ وبعد مناورات هندسية أخرى سار بفيلق صغير صوب القصر وسلط عليه شواظاً من جهنم ترسله مدافع الطراد (أوردرا) فتفتحت الأبواب للطارق الفظيع ودعا إليه « لينين » ! . .
واستسلمت روسيا إلى الشيطان ، ودان له النواب فى مجلس « الدوما »

وابتدأ لينين يحكم باسم الحق والعمال ، ففرغ من الألمان بالمعاهدة ، وتفرغ إلى روسيا بالحديد والنار ليفرض عليها أفظع طغيان يرتعد من هوله التاريخ ، ويتضاءل أمامه « نيرون » وألف نيرون !

ثم عجزت نظمه جميعاً وقامت جورجيا تطلب استقلالها فسار إليها « تروتسكى » فى جحفل أغبر ليمسح حركتها من الوجود ؛ وبدا لعين الطاغية الأعظم فشل مشاريعه فأخذ يقول : « لقد هدمنا أكثر مما نستطيع بناءه » وأخير أصابه الشلل وشب إلى جانبيه طاغية جديد هو ستالين

ومات لينين وخلفه ستالين ، فاستهل حكمه البلشفى أبرع استهلال ، إذ طوح بتروتسكى إلى أقصى الأرض لينُبذ من دولة إلى دولة كأنه الطاعون ؛ وليكتب فى الصحف كل يوم ليعيش . .
« وهكذا — مثل ساتيرن — تأكل الثورات بنيها » واخترع ستالين نظام السنين الخمس ، وطنطنت له الاذاعات والاعلانات فى مشارق الأرض ومغاربها ، ثم خفت الصوت وسكنت العاصفة لما مُنى به المشروع من إخفاق

أما الشعب فما يزال جائعاً كما كان قبل الثورة ؛ وأما الأمية فمازال — على الرغم من الاحصاءات الرسمية — متفشية ؛ وأما الانتاج والرغبة فيه ، وأما الرواج والحضارة ، وأما الشعراء المتفائلون والكتاب ، فكل أولئك ومعهم خمسة ملايين من الناس نُفوا من روسيا فى الجزر الروسية أو فى سائر أرجاء الكوكب المعمور

ولابد أن يرتفع هذا الكابوس عن روسيا إذا مات طاغيتها الجاثم على صدرها فهو نظام لم يبدأ من الشعب وإن ينتهى إليه

* * *

بعد ذلك يبهرك « بانفيل » بوثبة بديعة من وثبات السحر البلاغى تخليك طلاوتها لأنها تنقلك كالحالم فى الجنة إلى قطار إسلامى شقيق فإذا بك أمام براعة منتشية كلها إعجاب ، وإذا بك بين يدى « أتاتورك » العظيم . .

يقدم المؤلف تركيا الجديدة بكلمة لأخذ مندوبها فى مؤتمر

(١) راجع فى وصف ذلك جان جا كربى

لوزان موجهة إلى أعضاء المؤتمر: «لماذا تريدون معاملتنا كالمتوحشين؟ إننا جميعاً في هـذا الوفد نحمل شهادة الدكتوراه في الحقوق من جامعة باريس!» وأنت تكاد تلمس من العبارة أية جماعة تأخذ بيد مصطفى كمال وتعاونه، وأية أفكار جديدة تنشرها هذه القوى الناهضة، دون قمقمة أو جلبة على طرائق موسوليني وهتلر وستالين. ففي مصطفى كمال كثير جداً من «واشنطن» وفيه أيضاً من «جنكيز خان»

ولد في سنة ١٨٨٠ وتعلم بالمدارس الحديثة وتلقى العلوم الحربية وصار «كابتن» في سنة ١٩٠٤، وفي سنة ١٩١٢ اتهم في مؤامرة على السلطان، ثم عمل في جيش القوقاز وفي الجزيرة أيام الحرب الكبرى

وعند ما هادنت تركيا الحلفاء وأراد الباب العالي أن يبيع الأتراك لانجلترا رفض كمال تسريح قواته، ووقف في وجـه الحكومة ونازل اليونان فقذف بهم وبالأنجليز من ورائهم إلى أعماق البحر الأبيض المتوسط؛ ثم سحق الثورة الكردية وعقد معاهدة لوزان، وأنشأ المجلس الوطني الكبير، وألغى الخلافة، وصار الغازي رئيساً للجمهورية

ونفخ في الصور ليبعث الأتراك من جديد!

وألغى الطربوش لتُلبس القبعة؛ وطاف مصطفى كمال في البلاد يهيب بها أن تستجيب لندائه؛ ورُفع الحجاب ووضع القانون المدني، وصار الزواج مدنياً بعد أن كان دينياً، وأدخلت الحروف اللاتينية في الأبجدية التركية

وهكذا جعل الغازي من أمته التي كانت مضرب المثـل في الجمود، شعباً يستسيغ الإصلاحات الطافرة، ولو جاءته في سرعة الأفلام...!!

وبعد أن قضى على الحاضر المضارع التفت إلى الماضي ليستخدم العلم والتاريخ في مجد أمته؛ وليس فخرها في «عثمانيتها» بل فخرها في أنها «تركية»، ولم يعدم البحاث والمنقبون من الآثار في الأناضول معالم ومشاهد وآثاراً تثبت قدم الأتراك وآباءهم «الحيثيين»؛ ثم اتجه الرجل العظيم إلى تطهير اللغة التركية من التعريب، وعمل رجاله في ذلك أعمالاً جبارة، لكأنهم يخلقون الناس معهم من تاريخ نهضتهم فحسب! فمنذ عامين فقط شيعت الجموع شاعراً قومياً، ومشى الشباب وراء جثمانه وهم لا يفهمون شعره كما كان يجب، لأن لغته أصبحت لغةً قديمة...!! ولذلك نفدت المعاجم الجديدة أول ما عرضت في الأسواق

يُعطيك هذا العمل الأخير خير فكرة عن قوة اتجاه هـذا الدكتاتور نحو الإنشاء؛ حقاً إن التركي باق هذه المزات التي يهتز لها كل كيانه بعلامات استفهام وعلامات تعجب، لـكنها ستجره معها يوماً على كل حال

يقولون إنه يعيش كأبطال الأساطير بين اللهو والقصف، ولربما بدا وجهه للناس بعد عشرين عاماً كوجه سلطان من السلاطين، لكن الذي لا مراء فيه أنه قدم الدليل الناهض على مقدار ما يحقق الرجل القادر للشعب القادر من رغبات في الانتصار وفي التقدم

ثم يقول المؤلف - فهذه غايته من مؤلفه - «وإنا لا نحسب أن الشعب الفرنسي يُسيغ هذه الطرائق، فالثورة الكبرى نفسها لم تستطع أن تقسره على أن يقبـل حتى الأسماء الجديدة لشهور السنة! مع ما في هذه الأسماء من الملاءمة والاتساق!!»

***

والآن إلى قيصر!

لا قيصر الـكرنفال، ولـكن عبقرية أمةٍ زاخرة بالـكفايات حافلةٍ بالمواهب ما أسرعها في الاستجابة إلى حاجات الساعة وضرورات السياسة تستعرض الماضي من مفاخرها لترفع على القوى منها مجد المستقبل المجيد

وليفهم القارئ الفاشستية يجب أن يرتد ببصره إلى سنة ١٩١٥ عند ما ساقت إيطاليا جيوشها إلى الساحة إثر نزاع بين المحايدين من أتباع «جيوليتي» والمتدخلين من أشياع «دانونزيو»؛ فلما انعقد لواء الظفر للحلفاء حسب الساسة من رجال المدرسة القديمة أن الأمور ستجري رتيبة، وستعود سيرتها الأولى دون أن يحسبوا للتيارات الجديدة حسابا

نشأ موسوليني لأبٍ يطرق الحديد، علمه شديد القوى؛ ثم صار معلماً، ولـكن ثوريا، فطردته ثوريته من وظيفته وهاجر إلى سويسرا فلم تطب لها ضيافته، ثم عاد إلى إيطاليا ليؤدي الخدمة العسكرية، ثم ارتد يضرب في الآفاق من جديد ليتتلمذ على «سيزار باتستي» في النمسا، وهنالك عثر على الـكنز المفقود؛ فلقد كان «باتستي» فيلسوفا وداعيـةً وطنيا من أكبر الغلاة حتى امتلأ ذهن تلميذه بجمهرة من أفكاره الوطنية امتزجت باشتراكيته

نصيرته رجلاً من طراز خاص . ولما ولاه أستاذه تحرير جريدة « بوبولو » لم يكن يكتب ، ولكنه كان يحارب ، ولم تكن جمله عبارات وإنما كلمات من لحم ودم ؛ لذلك أزمه البوليس بترك النمسا فتركها إلى سويسرا لينشيء الجمعيات ويدبر ثورة للعمال الطليان

وفي سنة ١٩١٤ حسب الفرصة أتيحت له عندما قتل ثلاثة من العمال ، وانتشر الاضراب وأعقبته القلاقل ، ولكن الفشل كان من نصيبه ، حتى إذا أعلنت الحرب الكبرى وانقسم الرأي العام جرد موسوليني قلمه ليحارب ، ودخلت إيطاليا الحرب . وفي ٢٢ مايو سنة ١٩١٥ يوم تجر يد الحملة عبر موسوليني عن رسالته في كلمة بليغة قال : « . . لقد تحملنا من الخسائر ما تحملنا في السنوات الفارطة . وها قد دنت ساعة الخلاص : فلنفتتح إيطاليا لنفسها عهداً جديداً في العالم ، ولتنل قسطها من السيادة في الأرض »

واشترك موسوليني في الحرب ورجع بأربع وعشرين رصاصة في جسده ؛ وفي سنة ١٩١٧ ألقى الطليان سلاحهم وعادت الجيوش مهزومة ساخطة ، وضربت الأزمة الاقتصادية بجرانها على كل الطبقات ، ولاحت في الأفق معالم الشيوعية الحمراء ، وشرعت موسكو تبعث رسلها وأموالها إلى إيطاليا ، وابتدأت القلاقل والمجازر في كل المدن الايطالية على مسمع من الحكومة

ولما وجد موسوليني أن رجال الحكومة خروا صماً وعمياناً أمام هذا الطوفان ، هب ليلقاه بجسمه وبصحيفته ، وبحزب جديد ؛ فلم تمض شهور ستة حتى كان له من الأتباع خمسة وعشرون ألفاً

وفي ٣ ديسمبر سنة ١٩١٩ أعلن الشيوعيون الاضراب العام وفرض القوم سلطانهم في كل مكان بعذاب مروعة ، يقشعر من هولها الانسان ، والحكومة لا تتحرك ، وكأن الأقاليم لا تسمع روما صرخاتها الموجعة ؛ ثم أخذ العمال المهندسين رهائن في ٢٩ أغسطس سنة ١٩٢٠ ، واحتلوا المعامل ، وأطلقوا الرصاص على الجيش ونهبوا مخازن السلاح ... وهوت العملة ، ولم يبق للنقد سعر ، وتساءل الناس : « إلى أي طريق نحن مسوقون ؟ »

كل ذلك والحكومة كأنها ليست في روما ولا في أي مكان . فعندئذ نظم موسوليني رجاله ليحاربوا الثوار حرب عصابات حيثما ثقفوهم ، فأعادوا الأمن ، وطمأنوا الناس ، وخفق باسمهم كل فؤاد مروع ؛ وأخذ ينضوي تحت لوائه الأب الهلوع ، والأم الثكال . وفي سنة ١٩٢١ دخل الانتخابات وخرج منها ظافراً بخمسة وثلاثين نائباً ، كان يتزعمهم في البرلمان كأمهر ما يتزعم السياسي العتيد ؛ ثم عقد مع الاشتراكيين (هدنة ! ) ليدبر لهم مقتلاً ... وفي أكتوبر عقد المؤتمر الفاشستي من ٢٢٠٠ شعبة تمثل ٣١٠ آلاف ، وتلا الرجل برنامجه : « السلام في الداخل والقوة في الخارج » فصفقت له الأمة بمجموعها

وفي سنة ١٩٢٢ كانت الحكومة تتساقط كقصور الورق ، وعجز الملك عن تأليف وزارات استقرار ، وكان الرعب الشيوعي يتفاقم ، فلم يتردد الفاشزم عن احتلال مدائن بأسرها لتطهيرها من الطاعون الأحمر ؛ وأعلن الشيوعيون الاضراب ؛ وأعلن موسوليني تجنيد رجاله ليعملوا بدلاً من المضربين ، وأنظر الحكومة ثمانية أيام لتقضي على البغي الشيوعي ، وإلا فهو حال محلها ؛ وختم نداءه بصيحة داوية : « يا رجال الفاشست ... إن إيطاليا لنا »

وفي ثمانية أيام عاد دولاب الأعمال إلى الانتظام ، فكتب موسوليني إلى رئيس الحكومة يقول : « إن الأمة تعبت من هؤلاء الحكام الذين يترددون بين الدناءة والاهمال » فأجابه بدعوته إلى الاضطلاع معه بأعباء الحكم ، فرفض إلا أن يعطى هو الوزارات الهامة ؛ وختم رفضه قائلاً : « إن لديه من القوة ما يكفي لينال دست الأحكام » وأعلن الزحف على روما ... وزحف الفتيان على روما فعلاً ؛ وطلب الوزير من الملك أن يعلن حالة الحصار ، فرفض جلالته ، لأنه كان يعلم ما هي الفاشزم ، ولأنه عهد بالوزارة في الغد إلى موسوليني

كان بعد ذلك ما كان مما يعلمه الكافة من بعث إيطاليا كرة أخرى لتضارع أكبر دولات التاريخ . وبعد ثلاثة عشر عاما من جهود فوق جهود البشر في كل مرافق الدولة ، غدت إيطاليا أمة تعرف الدنيا كلها مقدارها

ويختتم المؤلف بتحية الدكتاتور البارع داعياً له الله أن يقيه رد الفعل الذي يصيب الكثيرين من رجال الثورات . ثم يقول ناصحاً أمته على عادته في ختام حديث كل جبار — « فليحذر المقلدون من الفرنسيين ، ولا يحسبوا أن هذه الأساليب مأمونة عواقبها في فرنسا ؛ والانتاج الطائفي الذي يقوم عليه نظام

موسوليني لا يمكن أن يطيقه فرنسي واحد ؛ وقبل أن تنسخ صورة طبق الأصل يجب أن نفهم ماذا ننسخ »

* * *

وهذه شبه جزيرة الأندلس : نشأت فيها دكتاتورية مخنقة على يد بريمو دي ريفرا في أسبانيا ، لأنها لم تخلق غذاء للرأي العام ، ولأن رجلها لم تكن له فكرة محدودة يتبعها ، كما نشأت فيها دكتاتورية من أبدع الدكتاتوريات في البرتغال على يد الأستاذ سالازار . . . ترك الاستاذ سالازار كرسيه في الجامعة بعد أن هتف به الرأي العام لانقاذ الجمهورية إثر رفض شروط القرض التي شرطتها عليها عصبة الأمم ، فوضع الأستاذ شروطه وقال : « ... وليمنحني الشعب ثقة ليس لها حدود ، وله ألا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولكن عليه الطاعة عند ما آمر . . . » وهنا يُعنى المؤلف باظهار مدى تأثير ثقافة المؤلفين الفرنسيين في الساسة المعاصرين ، فينوه بآثار صديقه (شارل موراس) الذي اتهم بتدبير الاعتداء على « ليون بلوم » في جنازة المؤلف ! ! ثم يشرح المؤلف طريقة سالازار وهي : الدولة أولاً والدعقراطية ثانيا ، ويختم كلامه بقوله : « يقولون عن جمهوريتنا إنها جمهورية الأساتذة ... والحق إن البرتغال هي بلا مراء جمهورية الأساتيذ » فان نظام سالازار مازال يؤتي ثمراته البديعة منذ عشر سنوات

* * *

وهذا آخر رجال الحكم المطلق « أدولف هتلر » يتصدى له المؤلف في ريبة الخصم ، ولكن في نزاهة الباحث ! فهو خطيب خارق للعادة ، وداعية في الهواء الطلق ، نشأ بناء ، ثم حارب في الحرب الكبرى ، ولما حاول الانقلاب مع لودندورف سجن شهوراً كتب فيها كتابه « كفاحي » فغدا الكتاب انجيلا للألمان ، ولو أنه كأثر من آثار الفكر لا يساوي حبة من خردلة ، ففيه كلام فارغ عن اليهودية والآرية ، وفيه كلام عن استرداد النمسا من النمسا ! والألزاس واللورين من الخصم الخالد . . . فرنسا ، والتيرول من إيطاليا ؛ وفيه كلام عن الحركة الاشتراكية

وفي سنة ٩٣٢ كانت هذه الأمة التي تخلها التشكيلات العسكرية قد انخرطت أغلبيتها في سلك « فرق الهجوم » و « أصحاب القمص السمراء » فكان هتلر يسيطر على مصائر ألمانيا ، وفي ٣٠ يناير سنة ٩٣٣ دعاه هندنبورج للوزارة فلبث غير قليل ليمهد إلى « شلايشر وزوجته » فيقتلهما ، وليطهر الحزب من « روهم » على طريقة « الجانجستر » في شيكاغو ؛ وأخذ هتلر وجيبلز يغنيان الأناشيد للشعب الألماني . وكلما خطبوا صدحت الموسيقى فانتشى الشعب من الموسيقى ومن الأغاريد وسار وراء فرسانه

وبدأت محاولة التعقيم ، وحرب الكنيسة ، وتشريد اليهود في ألوان قاتمة من التعذيب ، وبدأت وسائل الجهاد الداخلي والنشاط القومي توجهها كفايات ممتازة ... أما عن الخطة الاجتماعية فان الشك يساور الأنفس ، فهناك ملايين من العاطلين محشودة في « معسكرات العمل » لن توجه في الغد إلا إلى الميدان . . . !

أما هتلر فما زال في طريقه

فلتصح فرنسا

* * *

وبعد « فالدكتاتورية نظام ككل النظم » ولقد تكون خير شرعة شرعت للناس ، إذا دعت اليها ظروف الساعة ؛ وقد لا تكون إذا لم تدع اليها الظروف ... وإذا كانت العمليات الجراحية بغيضة إلى نفوسنا ، فلنعمل على ألا تكون فينا جراح ، لأننا لن نستطيع عند وجودها أن نتفادى مشرط الجراح

ولا بد مما ليس منه بد

عبد الحليم الجندي



# الحياة الأدبية فى بغداد

بقلم عبد الوهاب الأمين

تمهيد :

ذكرنى مقال الأستاذ « على الطنطاوى » عن الحياة الأدبية فى دمشق بحياتنا الأدبية فى بغداد ، وحبب لى العزم على دخول المضمار ، وأغرانى بالبحث عن التراث الأدبى الذى خلفته عصور الذهب وعصور الزوال لعاصمة الرشيد !

وليس جديداً عندى مثل هذا البحث فقد كنت أردده فى فرص عديدة سابقة ، ولكن صدى هذه البحوث لم يكن يبلغ الآذان ؛ أما الآن فقد رغبت أن يكون ذلك فى « الرسالة » الغراء ، وهى المجلة المقروءة فى كل قطر عربى ، رغبة منى فى إطلاع إخواننا فى بقية الأقطار على أن سوء الحال لا يمكن أن يبلغ بالأدب ما بلغه فى بغداد !

قبل عشر سنوات

لو أتيح للقارئ الكريم أن يتصفح الصحف والمجلات قبل عشر سنين لما فاته أن يلحظ فيها طيف اليقظة الأدبية وهى فى مهدها ، ولرأى من كثرة ما ينشر فى الصحف حينذاك من الشعر على الأخص ، ومن بقية الفنون الأدبية ، وإن كانت بصورة بدائية ، روحاً أدبياً يبشر بمستقبل لا بأس به ، ولكان فى وسعه أن يتجوز فى تسمية تلك الحركة نهضة أدبية قد يأتى عليها زمن تصل فيه إلى النضوج فتؤتى أكلها أدباً جديداً وأدباء مبدعين !

غير أن حقيقة الواقع ليست كذلك ! فها نحن أولاء الآن قد خسرنا حتى تلك الحركة البدائية البسيطة ؛ وقد ماتت كل المحاولات التى كان القصد منها بعث الروح فى الأدب العراقى فى كل مناسبة عرض لها بعض الذين خيل إليهم أن فى العراق تربة صالحة لمثل تلك المحاولات

وقد اشترك كاتب هذه السطور وساهم فى إنشاء بعض الصحف الأدبية فكانت تنتقض الواحدة منها تلو الأخرى ، فلما يأس وانزوى وترك العمل أخذ بعضهم يلومه ، وزاد اللوم فى بعض الأحيان حتى بلغ التعنيف ! كأن من واجب الأديب أن يستقل بالتضحية وحده ، فان أحجم أو قصر أو تردد فقد أجرم !

وقد كان سبب ذلك الهمود والموت الأدبى فى جميع الحالات واحداً لم يتغير ولم يتأثر بتطورات الزمن . فكأن هذا النبات لم يخرج من هذه الأرض ، وكأن فى طبيعة كليهما ما ينفره من الآخر

فما هى علة هذه الرجعية ؟

جناية السياسة والصحافة على الأدب

لست أقصد بالسياسة العمل السياسى ، فان ذلك خارج عن بحثى كما أنه خارج عن صلاحيتى ! وإنما أقصد أولئك الأشخاص الذين بدأوا حياتهم أدباء ثم انقلبوا سياسيين ، ومقدار ما فى هذا العمل من الجناية على الأدب ! وبعبارة أدل : أولئك الأشخاص ذوى الأطماع السياسية الذين لم تمكنهم شخصياتهم من الخوض فى غمار السياسة رأساً ، فتقدموا لأطماعهم بالاشتغال فى الأدب واضمين تلك الغاية نصب أعينهم ، فلما ظهرت أسماؤهم على الأفواه تركوا الأدب وانصرفوا إلى السياسة !

هؤلاء أساؤا إلى الأدب أولاً وإلى السياسة ثانياً ... أساؤا إلى الأدب لأنهم لم يخصوه بنشاطهم ورغبتهم وإنما جعلوه مطية لأطماعهم ، وأساءوا إلى السياسة لأنهم جعلوا فيها هذه السابقة

ومن هنا يتبين السبب فى تلك النهضة التى حسبناها « أصلية » (Original) وما كانت فى الحقيقة إلا وسيلة بعض المرتزقين من حملة القلم ؛ ولو رجعنا إلى الأسماء التى كانت تذيل بها قصائد الصحف والمجلات قبل عشر سنين ، ومقالات ذلك العهد ومحاضراته ، لوجدناها من أضخم الأسماء وأعلاها فى عالم الوظيفة والسياسة الآن

وقد جرى ذلك على الصحف اليومية ، فان كل صحيفة صدرت فى العراق كانت فى مبدأ أمرها خالصة لوجه الأدب أو تخصه بأكبر عناية ، فأصبحت كل الصحف تقريباً لا تنشر القطعة

الأدبية أو القطعة الشعرية إلا في الأسبوع أو الأسبوعين مرة! وقد كانت جريدة «البلاد» — وهي كبرى جرائد العاصمة — في أول مبدئها تخص «الأدب» بثلث صفحاتها يومياً، وكانت تستكتب الأدباء والشعراء وتنشر لهم وتدعو لأدبهم، وكانت وقتذاك تصدر في ست صفحات فقط، والآن بعد أن زدت صفحاتها إلى الثماني فقد تركت الأدب مرة واحدة، ولم تعد تنشر شيئاً منه إلا في بعض المناسبات القاهرة

وكذلك قل في الصحف الباقية اليومية منها والأسبوعية، فانك لن تجد فيها إلا ما هو أقرب إلى الأدب السياسي في بعض الأحيان منه إلى الأدب الخالص

ومما يؤلم ويستفز النفس أن الصحف في العراق لا تتكبد في نشر الأدب شيئاً مادياً، بل كل ما ينشر فيها تقريباً «أدب تبرع» وليس أدباً مأجوراً، وهو بذلك أقوم وأفيد بطبيعة الحال من ذلك الأدب الذي تستنطقه المادة، ولكن أصحاب الصحف «الأدباء» لا يكلفون أنفسهم عناء الاستكتاب، بل قد وصل الأمر بهم إلى الاقتصار على الأخبار والأمور السياسية وإهمال الناحية الأدبية بالمرة!

وهذا ما يثبط عزم الأديب العراقي، ويفت في عضده ويكسر من خياله وهمته، فهو لا يخسر التشجيع والتعضيد فقط، بل عليه أن يجتاز الصحافة اجتيازاً، وفي ذلك ما فيه من المغامرة والخسران، فان من البديهي أن مهمة الصحافة هي التمهيد للأدب والدعوة له وتقديمه، لا الوقوف في وجهه وتثبيط عمله بطريق غير مباشر!

## المؤلف والناشر

أكثر ما ينشر في بغداد بل كله كتب مدرسية غير مستكملة حتى الشروط المطلوبة في مثل هذه الكتب، وأكثرها مترجم ومقتطع من الكتب الغربية، وهي تبدل حسب مناهج التعليم كل سنة، وفي بعض الأحيان في أقل من السنة! ولو استثنينا بضعة كراريس في الساجلات الأدبية كالسهام المتقابلة، وبضعة أقاصيص ابتدائية للأستاذ محمود أحمد، كقصير الضعفاء وما إليها،

فإن نجد كتاباً أدبياً نشر في السنين الأخيرة غير لب الألباب للسهروردي، والمجمل في الأدب العربي لمحمد بهجة الأثري، وتاريخ العراق بين احتلالين لعباس العزاوي!

هذا كل ما هنالك!

وفي هذا كل معاني الفقر! وإنه ليجرح عزة هذه الأمة وكرامتها أن تفقر هذا الافتقار من الأدب الذي هو قوام الحياة، وإنه لأقطع دليل على أن هذه الخلائق لم تستوف ضرورات الحياة، ولم تصل بعد إلى إدراك معانيها وتشوفها، وأنهم — بأدبهم — يعيشون كَلّاً على غيرهم!

فليس هناك إذن لا «مؤلف» ولا «ناشر»، وإن وجد أحدهما فليس بينه وبين الثاني تفاهم، وإن وجد كلاهما فانهما يكونان وقتئذ أقرب إلى المرابين منهما إلى المشتغلين بالمعنويات والخدمة العامة

والمطبعة العراقية فقيرة إلى حد مزر، فهي لا تزال على نمط المطابع قبل عشرين سنة؛ وهناك جريدة يومية كانت تطبع بمطبعة تدار باليد إلى زمن قريب؛ وليس هناك من نوع اللينوتايب غير واحدة في مطبعة الحكومة! وبالطبع ليس هناك «روتغراف» أو شبهه! ومن هنا نعرف سبب إقبال القارىء العراقي على الجرائد المصرية المصورة، إذ ليس في العراق جريدة أو مجلة مصورة!

## القارىء

يتذمر أصحاب الصحف من مشكلة «القراءة» وهي أن باعة الصحف يتفقون وبعض القراء على السماح لهم بتصفح جميع الصحف اليومية لقاء أجر زهيد يستعيضون به عن شرائها، وأن الصحفيين بهذا «الداء» كما يسمونه يلاقون أشد العنت والارهاق والعسر في تحسين صحافتهم! ولا أكذب القارىء أني شهدت مرات عديدة قسما من المشتغلين بالصحافة اليومية يتبعون هذه الطريقة سراً وجهراً، وذلك لأنهم يجدون من الصعب منح الصحيفة العراقية ثمنها لأنها في الحقيقة لا تساويه! وهذا إقرار مزر لا يجد الانسان معه إلا الوقوف مكتوف اليد!

وليس من الحق لوم القارئ العراق وحده ، فان هـذا الشخص الذى لا يسخو على صحيفته بثمنها يبذر فى شراء الصحف المصرية اليومية منها والأسبوعية والشهرية تبذيراً ، فهو يشترى الصحيفة المصرية اليومية بضعف ثمن الصحيفة العراقية ! ولا يبخل على المجلة المصرية بثمن عددها الذى قد يبلغ فى بعض الأحيان ثمن اشتراك نصف سنة فى مجلة عراقية !

فالجلى من هذا أن القارئ العراقى لا يضمر العداء لصحيفته ، وأن الأديب العراقى لا يحجم عن تغذيتها ، بل السبب فى كل ذلك هو شىء من سوء التفاهم القائم على اهمال مصلحتهما . فالصحفى يريد التشجيع بدون مقابل ، والقارئ يريد التحسين بدون مقابل ، وكلاهما لا يحرك ساكناً فى دفع هذا « المقابل »

فهرمنز

إذن فالأدب على أسوأ أحواله فى بلاد الرافدين ؛ وبغداد التى كانت فى وقت مضى منبع الحكمة والأدب والشعر تنتظر بريد الأسبوع لتتلقف الصحف المصرية تلقفاً ، وتتغذى حاجتها من الأدب المصرى ، حتى لقد يعلم القارئ العراقى عن أحوال مصر الداخلية والخارجية وعن شخصياتها الكبيرة ما لا يعلمه عن أمور العراق الداخلية وما يتصل بمعاشه وحياته ! وحتى بلغ الأمر بنا أن تعودنا الاطلاع على ما يخص العراق من مصادر خارجية ، كأن ليس فى البلد صحافة وصحفيون ، وكأنه لا يعيش لأهله ، ولا يعيش أهله له !

فان كان الأستاذ « على الطنطاوى » قد همه ألا تكون فى « دمشق » حياة أدبية ، فلست أجدنى إلا مضطراً إلى زيادة همه ! فاننا فى بغداد ننظر إلى دمشق بعين التطلع ، وننتظر أن يصلنا منها ما يروى أرواحنا العطشى إلى الأدب ! وإن كان حضرته ينعى عليها هذا الخلو والاقفار ، فماذا سيقول عن عاصمة الرشيد ؟

لو كان الوقت والمجال يسمحان بالتبسط فى شرح بعض الأمور التى تتعلق بالحياة الأدبية فى بغداد ، كما نسمى هذا الموت تجوزاً بالحياة ، لأطلعت القارئ على أحوال منه قد لا تسره ، ولكنى لا أكون بذلك إلا كالكاشف عن جيفة ! فشكراً لضيق الوقت والمجال على حسن صنيعهما !

(بغداد) عبد الوهاب الامين

# الرســـالات

## للسيدة وداد سكاكينى

أتى على الانسان حين من الدهر كانت تعبث به الأحداث ، وتدور عليه الأفلاك ، وهو فى شرق الأرض تسوده الفوضى والجهالة ، ويقوده الظلم والطمع ؛ فكان كل امرئ ينتبذ مكاناً يحميه ويركن إليه هرباً من بطش فرعون وطغيانه الجارف

فى ذلك العهد المظلم كانت امرأة مسلوبة الأمان ، مشبوبة الفؤاد ، تسير إلى جانب نهر زاخر ، حاملة وليدها ، حائرة فى خطواتها ، فأوحىَ إليها أن تلقيه فى اليم ، وهى مطوية الحنايا على أمل باهر ووعد أكيد . . . ثم يأتى عهد يكون فيه موسى كليم الله ورسوله

حمل هذا النبى رسالة ربه إلى بنى إسرائيل ، فانجلت غواشى الذلة عن عيونهم الدامعة ، وتجلت لهم الحقيقة البارعة ؛ لقد أنقذهم من جور الفراعنة ، وأهدى إليهم الأمن والحرية ، فتمت كلمة الله فى أول دين هبط على الطور

ثم غبرت عصور وتعاقبت أحقاب ، فاذا الرومان يعيثون فى الأرض فساداً ، ويملأونها حرباً واعتسافاً ، وإذا كل قيصر جبار يستعبد الأمصار ويخرب الديار ، فكانت الأفواه شاكية ، والعيون باكية ، تستغيث وتستجير ، والأسماع المرهفة لا تبدى ولا تعيد ، فأشفق الله على خلقه الضارعين وهو أرحم الراحمين ؛ لقد أرسل إليهم عيسى بن مريم كلمته الخارقة ، وأيده بروح القدس ، فأقبل عليهم بدين الرحمة والمحبة والوئام ، وخلص القوم من مظلمة الرومان ومرارة الحرمان

وابث العرب فى جاهلية جهلاء ، ووثنية نكراء ، وبؤس ملحف ، وعيش مرهق ، وقد كان قيصر الطاغى على عاتق من شبه جزيرتهم ، وكسرى الباغى على عاتق آخر ، وهم يُصلون فى أرضهم الجدباء نار الصحراء وشح الماء ، فكان من رحمة الله أن بعث فيهم رسولاً من أنفسهم ؛ لقد طلع عليهم محمد بن عبد الله بهدى كبير وخير كثير ، فأخرجهم من الظلمات إلى النور ، ودانت له البداوة الأبية الشتيتة مجتمعة تحت راية القرآن ، حتى بعثت من بطاحها القفراء ورمالها الرمضاء ، إلى مدن العالم ورحاب الدنيا حضارة وحرية وعلماً ، فهدم مجد فارس ، وحطم عن

الرومان ، وأتم الله نعمته على العرب بدينه الحنيف ، وإذا بفجر الاسلام الساطع يكشف الآفاق ، ويشرق على الانسان بنور الاخاء والحرية والمساواة ، فكان سباق الأمم الحديثة التي تزعم أنها تسير على هدى ، وتدعى الحفاظ على الحق والسلام

ثم عخر بنو الانسان خضم الزمن حتى يصلوا إلى شواطيء العصور الحديثة ؛ فاذا انتهت رسالات الدين التي نزلت على الشرق ، بدأت في الغرب رسالات الدنيا ، وبينا الناس ( بأوربة ) في ذهول وخمول ، تنقض ظهورهم المظالم ، وتكوى جلودهم المغارم ، وبعضهم يرسف في الأصفاد بالسجون ، كان جان جاك روسو ومنتسكيو وڤولتير ينشرون الكتب ليبصروا الشعب باستبداد الملوك ، واستعباد الأمراء ، وإذا هم ثلاثة رسل للثورة الفرنسية ، وإذا مداد دُوِيّهم ، وصرير أقلامهم ، ينقلبان بعد قليل إلى دوى مدافع وسيول دماء ؛ ثم تسكن الفتنة ، وقد أعلنت حقوق الانسان

وتتفتح الأعين في أرجاء الأرض على ضوء الحرية ، فتقوم رسلها في كل أمة ، وتسرى عدوى المساواة إلى كل ملة ، ثم يجر ذلك إلى مغانم شتى ، ومطامع قصوى ؛ وبعد أن تصرم قرن والناس في بحران سيادة ملتوية ، اجتذبت الحرب الكبرى ، فهزت العالم هزاً عنيفاً . فلما وضعت الحرب أوزارها قام الناس من وقعها الأليم كأنهم ينسلون من القبور

وتقوى في الناس عقيدة الرسالة ويسمونها زعامة ، فينهض في الهند غاندى بجسم ضئيل وروح جبار ، فهز سيدة البحار ، ويظهر في الترك مصطفى كمال فيخلقهم خلقاً جديداً ، ويطالع في الألمان هتلر فيعيدهم سيرتهم الأولى ، وتضيق ايطاليا بموسوليني فيغزو الحبشة بناشئة الطليان

أما في الشرق ، فيمين الله الشرق ! لقد حمل الرسالة فيه عصر سعد زغلول ، فبعث العروبة من مرقدها ، وأيدها بروح منه ، ونادى في الشرق أن حطموا الأغلال فتنالوا الاستقلال

المصلحون في الدنيا كثير ، وهم رسل لأقوامهم ، وإذا رجعنا إلى التاريخ قرأنا فيه صفحات دامية عما يعانون في جهادهم لتحرير الرقاب العانية من رباق الجهل والوهم والاستخذاء والاستبداد

وبعد فالشاعر رسول يصور بشعوره الصادق آلام أمته ، ويجلو آمالها بروح العبقرية والالهام

والأديب رسول حين يوجه الناس في آثاره إلى سبيل الخير وطلب الحق ومعرفة الجمال

والعلم رسول يثقف العقول ويهذب الأرواح ، فيبني الأمم وينشيء الرجال

والعلماء المصلحون والأطباء المكتشفون ، جميعهم رسل الانسانية المتألمة يسدون إليها الخير والاحسان

كل أولئك رسل أبرار يخطون لأممهم المجد والخلود ، ولا تكاد رسالاتهم تحصى ؛ فلئن جعل الله رسالات الدين خيراً وأبقى ، فان عنده رسالات الدنيا في درجة عليا

(دمشق) وداد سكاكيني

## مشروع علمي جليل : سلسلة المعارف العامة

اعتزمت لجنة التأليف والترجمة والنشر اخراج كتب لطيفة الحجم يتناول كل كتاب منها موضوعاً خاصاً علمياً أو أدبياً ؛ وترمى بذلك إلى تكوين سلسلة تشمل جميع النظريات الحديثة في الجغرافيا والتاريخ والفلسفة والتربية والطبيعة والكيمياء وغير ذلك ؛ وقد سلكت في ذلك طرقاً مختلفة فأحياناً تترجم كتباً أجنبية إذا رأتها صالحة كل الصلاحية ، وأحياناً تؤلف في الموضوع بما يتفق وذوق الجمهور العربي

وقد بدأت هذا الشهر في اخراج أربعة كتب :

(الأول) عرض تاريخي للفلسفة والعلم تأليف ا . وولف وترجمة الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف ، وهو كما يدل عليه اسمه نظرة عامة في تاريخ الفلسفة والعلم من بدء نشأتهما إلى الآن . وثمنه ٦ قروش صاغ

(الثاني) الآراء الحديثة في علم الجغرافيا تأليف ل . ددلى ستامب وتعريب الأستاذ أحمد محمد العدوى مدرس الجغرافيا بالجامعة المصرية . وثمنه ٦ قروش صاغ .

(الثالث) سكان هذا الكوكب تأليف الدكتور محمد عوض أستاذ الجغرافيا في الجامعة المصرية يبحث في سكان الكرة الأرضية من بني الانسان من حيث نشأة النوع البشرى وتعدد الأجناس ونمو السكان وتوزيعهم على سطح الأرض مع دراسة تفصيلية لحالة السكان ومشاكلهم في مختلف الأقطار . وثمنه ١٢ قرشاً صاغاً

(الرابع) كتاب « البراجماتزم » أو الفلسفة الأمريكية تأليف الأستاذ يعقوب فام . وثمنه ١٢ قرشاً صاغاً

# نظرية النسبية الخصوصية

## البحث الثالث

### مبادئ الميكانيكا الحديثة

للدكتور اسماعيل أحمد أدهم
عضو أكاديمية العلوم الروسية

— ٦ —

القيمة التفاضلية فى الهندسة الأوقليدية لخط تعينها المعادلة :

$$\text{غ ف}^{2} = \text{غ ك}_{1} + \text{غ ى}_{1} + \text{غ ز}_{1} \quad \text{معادلة (١)}$$

وهذه القيمة التفاضلية تتغير فى كون « الزمان — المكان » أعنى فى عالم مينقوفسكى إلى ما تعينه المعادلة :

$$\text{غ ف}_{2} = \text{غ ك}_{1} - \text{غ ى}_{1} - \text{غ ض}_{1} + \text{ث غ ت}_{1}$$

معادلة (٢)

وهذه المعادلة تقابل كمية ثابتة « ث » التى هى نتيجة لمعادلة التقلص التى كشف عنها لورانتز (١)

— ٧ —

قلنا(٢) فى البحث الأول عن الزمان ونسبيته إن اينشتين غير موضوع الهندسة من الأشكال التى يرسمها انتشار النقط المادية الى الأشكال التى يخطها انتشار الأمواج النورية . وهذه الحقيقة قامت عليها هندسة مينقوفسكى معتبرة طول جسم ما ضرباً من مباحث علم الحركة

فى نظر هندسة مينقوفسكى أن المادة ليست إلا مجموعة متواليات الحوادث « Events » فى نقطة واحدة . ومجموع توالى الحوادث فى نقطة يشكل خطاً من خطوط عالم مينقوفسكى . وهذا الخط ينشأ داخل كون « الزمان ـ المكان » من تحرك نقطة « حادثة Event » والقانون الذى يعين طول خط يصل بين حادثتين الأولى مثل « أ » والثانية مثل « ب » تعينها المعادلة التفاضلية

$$\int_{\text{أ}}^{\text{ب}} \text{غ ف} \quad \text{معادلة (١)}$$

إذ فيها « غ ف » العنصر التفاضلى الثانى للرقم الأول :
وهذه المعادلة تجرنا الى اعتبار المادة مجموعة الحادثات المنتظمة فى حركتها فى الفاصلة « غ ف »

لنتصور جزيئاً من المادة مسندا الى نظام كونى ، فهذا الجزىء المادى كل نقطة فيه تحتفظ بمكانها النسبى تجاه محورها ، ويكون انطباقها على محورها فى المكان مشفوعاً بانطباقها فى الزمان ، فكل نقطة فى هذا الجزىء المادى تقع فى نظام معين بالنسبة للكون المسند اليه بصورة ثابتة . وكل حركة فى هذا الجزىء تتبع نظام الكون المنسوبة اليه ، فحوادث الماضى والحاضر والمستقبل تحدث بدقة على خط النظام المسيطر الشامل للكون الذى تحدث بالنسبة اليه الحوادث . فجزىء المادة ، لما كانت "فاصلة « غ ف » تساوى المركز « م » كان :

$$\text{غ ف}^{2} = \text{ث}^{2}\text{غ ت}^{2} - \text{غ ظ}^{2} \quad \text{« معادلة رقم (١) »}$$

فلو أبدلنا الرمز « ت » الدال على الزمان فى المعادلة السابقة إلى « T » كان :

$$\text{غ ف} = \text{ث غ } T \quad \text{« معادلة رقم (٢) »}$$

ومن هذه المعادلة نستنتج أن :

$$\int_{\text{أ}}^{\text{ب}} \text{غ ف} = \text{ث} \int_{\text{أ}}^{\text{ب}} \text{غ } T \quad \text{« معادلة رقم (٣) »}$$

حيث أن الرمز « غ T » رمز لفاصلة الزمان الخصوصية بجزىء المادة المسند للنظام الكونى فى صورة ثابتة

وإذا حولنا المعانى الرياضية التى فى المعادلات السابقة إلى عبارات عادية أفادت مساواة خط جزىء المادة بحاصل ضرب سرعة النور فى الزمان الخاص لهذا الجزىء المادى المسند للنظام المادى ، أو بتعبير آخر أن العلاقة بين فاصلة الحوادث لعالم ما وسرعة النور توجد معنا الزمان الخاص بجزىء المادة ؛ بمعنى أن قياس الزمن فى جزىء مادى مسند إلى نظام كونى يكون بساعة أو كرونومتر مستندا إلى هذا النظام نفسه بصورة ثابتة (١)

(١) البحث الأول « الزمان ونسبيته » وفقرة (١) من هذا البحث

(2) Edham (I. A) Mathematik und Phycik. , P. 118-120 Ehre-Ehrenfest. ( E ) . Where is Science-Going ?. P. 38-,1935

(1) Levi Civita : Scientia « Revue Internationale ee Synthére Scientifique. in 8 o Bologne. vol. XIV. P. 215.

— ٨ —

لنفرض نقطة مادية مثل « ف » فمبدأ الاستمرار يقرر أن هذه النقطة المادية تتحرك حركة مستقيمة منتظمة إذا لم يؤثر في حركتها مؤثر. ولنفرض حادثتين: الأولى مثل « ا » والثانية مثل « ب » في خط حركة النقطة المادية « ف »، ولنفرض أن الحادثة الأولى « ا » تسبق الحادثة الثانية « ب »، ولما كان هنالك خطوط المجال الانتشاري بين الحادثتين فإننا نرمز لمجموعها بالرمز « غ ص » ولواحدها بالرمز « غ ». فلنعيين خط من هذه الخطوط نبدأ من عند الحادثة « ا » التي حدثت في النقطة « م »، ولنفرض أن هذا الخط مسنود بصورة ثابتة لنظام مثل « ظ » ومتحرك بالنسبة لآخر مثل « ظ$_{١}$ »، وإذا انتهينا بالخط عند الحادثة « ب » التي حدثت في النقطة « م$_{١}$ » حيث يقوم بها متحرك مثل « ف$_{١}$ » يتحرك من « م$_{١}$ » إلى « م »

وإذا فرض[١] أنه كان خط حركة النقطتين المتحركتين « ف » و « ف$_{١}$ » منطبقين على بعضهما تمام الانطباق، وكانت النقطة المادية المتحركة المرموزة لها بالرمز « ف » منطبقة على النقطة « م »، والنقطة المتحركة « ف$_{١}$ » منطبقة على « م$_{١}$ » فخطوط الحركة بين هاتين ستكون مختلفة إذا ما تحركتا، وحركة « ف » تكون منتظمة وسيرها مستقيما، كما أن « ف$_{١}$ » تكتسب تعجيلا خلال حركتها من « م$_{١}$ » إلى « م »

فإذا فرض أن حدثت الحادثة « ا » في الآونة « ت$_{١}$ » والحادثة « ب » في الآونة « ت$_{٢}$ » فستكون حركة كل من النقطتين الماديتين «Matierial Points» « ف »، « ف$_{١}$ » محصورة بين الآونتين « ت$_{١}$ » و « ت$_{٢}$ » والنقطة المادية « ف$_{١}$ » تتخذ الوضع الذي تنم عنه الرموز الرياضية

ل + غ ل ؛ ى + غ ى ؛ ز + غ ز

في الآونات « ت$_{١}$ » و ت غ » و « ت » فيكون معنا المعادلة:

غ = غ ت ... ... معادلة (١)

هذه المعادلة تعين خطوط حركة الحادثتين عند الانتقال من خط سير النقطة المادية « ف$_{١}$ » إلى خط سير النقطة المادية « ف » كما وأنها تعين أصغر أقواس الخطوط التي تربط النقطتين ببعض. والفاصلة « غ ص$^{٢}$ » تعينها المعادلة

$$\text{غ ص}^{٢} = -\text{غ ل}^{٢} - \text{غ ى}^{٢} - \text{غ ز}^{٢} + \text{ث}^{٢}\,\text{غ ت}^{٢}$$

فإذا ما حولنا الرمز « غ ص » إلى الرمز « ث غ ت » لنشأ معنا المعادلة:

$$\text{غ ص}^{٢} = \text{ث}^{٢}\text{غ ت}^{٢}\left\{ ١ - \left[\frac{\text{غ ل}}{\text{غ ت}}\right]^{٢} + \left[\frac{\text{غ ى}}{\text{غ ت}}\right]^{٢} + \left[\frac{\text{غ ز}}{\text{غ ت}}\right]^{٢} \right\} = \text{ث}^{٢}\,\text{غ}\,T^{٢} \quad \text{... ... معادلة (١)}$$

فلو رمزنا بالرمز « س » إلى سرعة النقطة المادية المتحركة « ف$_{١}$ » في آوان الزمان « ت » كانت المعادلة الدالة عليه:

$$\text{ث}^{٢}\text{غ}\,T^{٢} = \text{ث}^{٢}\text{غ ت}^{٢}\left(١ - \frac{\text{س}^{٢}}{\text{ث}^{٢}}\right) \quad \text{... ... ... معادلة (٢)}$$

أو أن:

$$١ - \frac{\text{س}^{٢}}{\text{ث}^{٢}} = \frac{١}{\text{ث}^{٢}} \quad \text{... ... معادلة (٣)}$$

فيكون معنا أن:

$$\text{ث}^{٢}\text{غ}\,T^{٢} = \frac{\text{ث}^{٢}\,\text{غ ت}^{٢}}{\text{ث}^{٢}} \quad \text{... ... معادلة (٤)}$$

ومن هذه المعادلة نستنتج أن

$$\text{غ}\,T = \frac{\text{غ ت}}{\text{ث}} \quad \text{... ... معادلة (٥)}$$

ولو حولنا[١] هذه العبارات الرياضية إلى عبارات عادية لأفادت أن خط العالم الواقع بين الحادثتين « ا » و « ب » والمنطبقة على خط حركة النقطة المادية « ف$_{١}$ » يكون زمانها بالنسبة لنظام مثل « ظ » تتحرك إزاءها حركة انتقالية مستقيمة أقل من مقدار الزمان بين الحادثتين. وكلما ازدادت سرعة النقطة المادية « ف » بالنسبة إلى النظام « ظ » أخذ الزمان في التقلص حتى يتساوى شطرا المعادلة رقم « ٥ » فيكون معنا المعادلة:

$$\text{غ}\,T \Big|_{ا}^{ب} = \frac{\text{غ ت}}{\text{ث}}\Big|_{ا}^{ب} \quad \text{معادلة (٦)}$$

ولو حولنا هذه المعادلة إلى كلام عادي لأفادت أن النقطة

(15): Moore «G. E.» Principes new Mathematics., 1908 P. 138-140, Cincinati hress.

(5). (Edham. I. A.): Die Grundlangen der Relativitaets-theorie.; vol.3, P. 175-178.

المادية « ق ١ » فى حركتها من « ا » إلى « ب » كلما أخذت فى الانحراف عن خط سير الحركة المنتظمة المستقيمة كانت سرعتها بالنسبة إلى « ق » أكبر. ولما كانت الفترة الواقعة بين الآونتين « ت ١ » و « ت ٢ » ثابتة لا تتغير فزمان النقطة « ق ١ » يتناقص بهذا المقدار ويكون الخط المنطبق على خط سير النقطة المادية المتحركة حركة مستقيمة منتظمة أطول خط بين هاتين النقطتين [١]

— ٩ —

من المعادلات التى سبق ذكرها نستنتج المبادىء الآتية :

أولاً : سرعة النور سرعة محدودة لا تتغير لا فى المكان ولا فى الزمان.. وسرعتها مستقلة عن حركة مصدرها ، وتنتشر فى الفضاء وبين الأكوان بسرعة ثابتة

ثانيا : قوانين الميكانيكا الكلاسيكية « مبادىء نيوتن » لا تسرى على حركة وسرعة النور والأمواج الكهربائية والالكترو مغناطيسية ، ولا على حركة وسرعة الحادثات التى تقرب فى سرعتها من سرعة النور ، وإنما يسرى عليها قوانين اينشتين الميكانيكية

ثالثاً : ليس للزمان حقيقة منفصلة عن المكان بل كلاهما يتحدان فى فاصلة واحدة هى الفرق بين مربع الفاصلة المكانية وحاصل ضرب سرعة النور بمربع الفاصلة الزمانية ، وهذه الفاصلة هى الفاصلة المطلقة الوحيدة فى عالم الحادثات

رابعاً : أطوال الأجسام تتبع حالات مشاهديها وتتغير تبع حركتهم وسكونهم فالأطوال نسبية للمشاهدين

خامساً : ليست المادة كما يعبر عنها العلم الطبيعى الكلاسيكى بأنها كل ما كان لها امتدادات ثلاثة فى المكان ، بل المادة مجموعة توالى الحادثات فى نقطة واحدة ، بمعنى أن العالم ليس إلا مجموعة من الحادثات ، وتوالى عدد من هذه الحادثات فى نقطة واحدة يلقى فى روعنا معنى المادة

سادساً : الزمان الخاص بحادثة ما هو مجرد العلاقة بين فاصلة الحادثة وسرعة النور

سابعاً : الخط المستقيم الواصل بين حادثتين هو أطول خط بين هاتين الحادثتين

( تم البحث الثالث ) اسماعيل أحمد أدهم

## تصحيح خطأ

جاء فى المقال السابق نشره فى العدد ١٣٨ خطآن مطبعيان نصححهما فيما يلى :

الأول وقع فى ص ٣٠١ سطر ٢٣ بالمادلة رقم ٢

خطأ

$$\text{س}_{٢} = \frac{\text{س} + \text{س}^{١}}{١ + \frac{\text{س} + \text{س}_{١}}{\text{ح}^{٢}}}$$

صواب

$$\text{س}_{٢} = \frac{\text{س} + \text{س}_{١}}{١ + \frac{\text{س} \times \text{س}_{١}}{\text{ح}^{٢}}}$$

كما أنه فى السطر الثانى من الفقرة (٤) ص (٣٠٢) بالعمود الثانى وقع :

| | خطأ | صواب |
|---|---|---|
| | إدا؟ | ازاء |



(١) حسنى حامد : اينشتاين نظرية لرينك على تيمى استانبول ١٩٢٨ صحيفة ٥٩

صالح ذكى : اينشتاين وبوانكاره . دار الفنون ، فيزيق شعبه سى ، فيزيق رياضيات محاضره لرى ١٩٢٥

# صور الصداقة والعداوة

## للأستاذ عبد الرحمن شكرى

وَفِيٌّ غادر سمْحٌ حقود ... أرى الأضداد فيك إلى لقاء
أمَدْحك لى انتقام من عدو ... أساء اليك أم محض الثناء
وفاؤك كى أبادلك التحايا ... أذا مبعث التقرب والتنائى؟
وكيما أصطلى وأشن حرباً ... على من مدحه لك كالهجاء
أتخدعنى ولم تلحق بسنى ... ولم تظفر بمخبرىَ أو بلائى
وتغدق لى إخاءك مذق حقد ... على وما أصبتك بالعداء
تحاربنى وتحسب أن ستخفى ... عداؤك ليس يظفر بالخفاء
كشأن نعامة للرأس تخفى ... وتحسب ما لها فى الناس رائى
ولست بأول الخفين بغضاً ... بما بين المحبة والإخاء
عرفت الناس قبلك يا خليلى ... وذقت الغدر من حلو الوفاء
فان كان الولاء كما أراه ... فويلى من وفائك والولاء
وبُعداً للمديح وإن تغالى ... وسحقاً للمروءة والصفاء
سل الخلان بما فعلوا بقلبى ... وهل أبقوا لشدقك من غذاء
وهل أبقوا لبطنك منه شِلْواً ... مريراً لا يساغ على عداء
أعيذك أن أراك شبيه قوم ... رجولة بعضهم فقد الحياء
وهم فقدوه من ذل وعار ... وهم فقدوه من فقد الإباء
وكم أخفوا رخاوتهم بهُجْر ... كمن فقد الحياء من النساء
وهم مثل الهلوك رمت رجالاً ... بما قد صح فيها من هجاء
على الأبواب واقفة تنزّى ... وترمى القوم من دان ونائى
وتحسب أنها نفضت خناها ... كجلد الكلب هُزّ لنفض ماء
فلا يعديك خلقهم فانى ... رأيت الخُلق يعدى كالوباء
صفحت ولو أردت بلغت ثأرى ... وقد عُرِفَ اقتدارىَ فى الرماء
فان يأبوا وإن تأبى سكوتى ... فما صمتى بعىٍّ الأدعياء
ولا يُعليك بين الناس خفضى ... ولم تبعد بأفقك عن سمائى
لتنزلنى إلى حيث استقرت ... بك الدنيا تغنى فى العداء
تخبّرنى اللحاظ بغل قوم ... على ما نلت من فرص الرخاء
وكنت أظنه حسداً لقولى ... فخلت الصمت أقرب للنجاء
ولو سمعوا بموتىَ ما استراحوا ... ولا يشفى حقودهمُ فنائى
أرادوا لى الممات ولو دهانى ... لفرط الحقد أحسد للفناء
فلا يرضيهم عيشى رخياً ... ولا يرضيهم منى عفائى
وفى الدنيا الدنيئة هان سمْح ... تعالى عن سلاح الأدنياء
إذا ما أحرجوا سمحاً كريماً ... تدرّع بالقوادع فى الرماء
دعونى صامتاً فالصمت أوقى ... لكم إن لم تصولوا بالغباء
أداجى الناس ما داجوا وإنى ... لأزهد فى الدِّهان وفى الرياء
ولكن الحياة لها قضاء ... فمن يأباه يزهد فى البقاء
وما أدرى لدُنْ ألفى عدُواً ... أأبله أم تبالَهَ بالعداء
أخَوّفَهُ أذاى أخو دهاء ... أخَوّفَهُ ذكائىَ واعتلائى
أتّقىَ وعده بالخير إما ... تمادى من تمادى فى الجفاء
أسَعْىُ سعاية ام قول واش ... يحكّمهُ المحكّمُ فى الخفاء
أرَجّاهُ مُرجّى الخوف منى ... ضلالاً نيل عونىَ أو ثنائى
أعَدْوى فى التثاؤب من كسول ... كعدوى فى العداوة والاخاء
أرشح اللؤم فى رهط وضيع ... يفيض بما يشاء من الأداء
ومن عرف الأنام رأى أموراً ... مُرَعْبَلَةً كرعبلة الكساء
أراها كلها صُوَراً تنزّى ... تنزّى الآل فى الخرق الخواء
سراب لست أتبعه فأخشى ... هلاكاً لا ولا هو من رجائى
أنا المرء الذى عرف البرايا ... فلا يردى لعاد أو لشانى
ومن خَبَرَ الأنام لِصُنْعِ فنٍ ... فكل الخلق من صُوَرِ الأداء
تراموا بالهجاء فان أصابوا ... فرهطهم الملطخ بالهجاء
أليس الرهط فرداً ثم فرداً ... وأوصافاً لها عدوى الوباء
نعم رهطكم لما نعم ... نفوسكم بأوضار الرماء
نفوسكم معرّة كل رهط ... ومدرجة الشعوب إلى الفناء
ومهزلة المكارم والمعالى ... وهل لؤم يؤول إلى علاء
لعلكم حسبتم كل شر ... إلى عود بخير وانتجاء

عبد الرحمن شكرى

أعلام ورموز :

# أنا قبر

بقلم السيد زكى المحاسنى

يا حبيبى حتى يضيق كلاماً ليت أنى أبينه أنغاما
نغماً تفهم الجوارح منه ويريح العذاب والآلاما
أنت أغرودة على الدهر تعلو عن سماع يغدو ذووه رغاما
أنت لحن سمعته فرمانى ضائع الرشد حائراً مستهاما
ربما قد شككت فى صدق عينى فحسبت الذى رأيت مناما
كيف قرّت حقيقة من يد الحس فصارت فى مزعمى أوهاما
أأنا ذاك أم أعيد وجودى بعد ما كنت فى فنائى رماما

* * *

أغلق الكوة المنيرة واملأ نى ظلاماً حتى أصير ظلاما
علنى أسترد صورة ما فات وعلى أردها أحلاما
هاهو السبح يدنى من أمامى واجماً وجهه يلوح كهاما
جللت منكبيه بردة بؤس جمانها الأسفار تبدو قتاما
مدّ لى كفه المزيلة والرجفة فى ثغره وقال : سلاما
لم أكد أهتدى إليه فأرجعت الخوالى إلىّ عاماً فعاما
ثم لما عرفته غاب عنى وكفانى ولو يزور لماما

* * *

ردّ ضوئى واحمل إليه حياتى واسقنى فى سلوّهى مداما
داونى مثلما يداوى عليل خاف أهلوه أن يموت سقاما
أغد بى فى الرياض واقصص حديثاً أتخذ منه سلوة وجماما
أنا أهوى الحياة من كل آت وأرجّى من البقاء دواما
إحتفر هوّة وأنزلْ إليها ذكرياتى وأردم عليها رجاما
وكأنى أمر يوماً عليها فتنادى : ألا رعيت ذماما
فأبكى لها وأسفح دمعى فتبلّ الدموع منها أواما

* * *

أنا قبر وفيّ ميت توارى وبكائى علىّ كان لزاما

# ليلة فى «الحمراء»

« عن شاتوبريان »

بقلم السيد ناجى الطنطاوى

ولى ذكريات أودعت مهد مولدى عذاب وعهد فى رباه أنيق
فهل تذكرين اليوم يا أخت مامضى
فانى إلى تلك الديار مشوق

وهل تذكرين « الكوخ » حين تضمنا
إلى صدرها الأم الحنون فنجذل
وشعراً لها قد بيض الشيب جلّه نداعبه طوراً وطوراً نقبّل ؟

وهل تذكرين القصر والنهر دونه يبلله والبرج فيه قديم ؟
إذا قرع الناقوس أعلن صائحاً بأن نهار الأمس عاد يقوم

كذا العندليب الخف هل تذكرينه ؟
يلامس سطح الماء حين يطير
وللقصب الزاهى انحناء وعند ما نرى الشمس فى ماء الغدير تنور

فهل من معيد لى «هيلين» ودوحة بها وجبيلاً كيف لى أن أراها ؟
تسبب لى ذكراها الوجد والجوى لأنى لا أهوى ربوعاً سواها

# فى غمرة الهوى

بقلم السيد الياس قنصل

لا تحزنى إن كنت عاشقة ولا تسلى لتفجع وبكاء
الحب لا يشقى وإن حمل الردى بنوادح النكبات والأرزاء
هو نفحة علوية سحرية تسبى الفؤاد بلطف الاستهواء
تحبو الخلىّ جناح وهم خالد يسمو به عن سائر الأحياء
لا تحزنى ، فجمالك الفتان قد تذويه عادية من البلواء
والحزن ينفث فى الحياة وكأسها ما ليس تنفثه سوى الرقطاء

( البقية فى ذيل الصفحة التالية )

أندلسيات :

# ٣ – ابن بسام صاحب الذخيرة
## والشاعر ابو مروان الطُّبْنِى
### للأستاذ عبد الرحمن البرقوقى

ألاَ يحسن بنا بعد أن أوردنا ترجمة ابن بسام للشاعر أبى مروان الطبنى أن نردفها بترجمة الفتح بن خاقان لهذا الشاعر حتى ترى فرق ما بين الترجمتين فتتم الموازنة بذلك بين هذين الأديبين من جهة ، وحتى نوفى ترجمة هذا الشاعر حقها بما فى ترجمة الفتح من زيادة على مما فى ترجمة ابن بسام من الجهة الأخرى . نعم ، قال الفتح فى المطمح فى حق الطبنى : من ثنية شرف وحسب ، ومن أهل حديث وأدب ، امام فى اللغة متقدم ، فارع لرتب الشعر متسنم ، له رواية بالأندلس ورحلة إلى المشرق ، ثم عاد وقد توّج بالمعارف المفرق ، وأقام بقرطبة علماً من أعلامها ، ومتسنما انرفعها وإعظامها ، تؤثره الدول ، وتصطفيه أملاكها الأول ، ومازال فيها مقيما ، ولا برح عن طريق أحانيها مستقيما ، الى أن اغتيل فى إحدى الليالى بقضية يطول شرحها ، فأصبح مقتولا فى فراشه ، مذهولا كل أحد من انبساط الضرب اليه على انكماشه ؛ وقد أثبت من محاسنه ما يعجب السامع ، وتصغى اليه المسامع ؛ فمن ذلك قوله :

وضاعف ما بالقلب يوم رحيلهم    على بابه منهم حنين الأباعر
وأصبر عن أحباب قلب ترحلوا    ألا إن قلبي سائر غير صابر

ولما رجع إلى قرطبة وجلس ليرى ما احتقبه من العلوم ، اجتمع اليه فى المجلس خلق عظيم ، فلما رأى تلك الكثرة ، وماله عندهم من الأثرة قال :

إنى إذا حضرتنى ألف محبرة    يكتبن : حدثنى طوراً وأخبرنى
نادت بمفخرتى الأقلام معلنة    هذى المفاخر لا قعبان من لبن[1]

وكتب الى ذى الوزارتين أبى الوليد ابن زيدون :

أبا الوليد وما شطت بنا الدار    وقلّ منا ومنك اليوم زوّار
وبيننا كل ما تدريه من ذمم    وللصبى ورق خضر وأنوار
وكل عتب وإعتاب جرى فله    بدائع حلوة عندى وآثار
فاذكر أخاك بخير كلما لعبت    به الليالى فان الدهر دوار

### عود الى الذخيرة

« وأما بعد » فقد آن لنا أن نعود إلى القول على كتاب الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، وهو الأثر الفذ الباقى للمترحم له أبى الحسن على بن بسام ؛ ولولا أن لهذا الكتاب شأناً غير شأن سائر نظائره لما عرضنا للقول عليه والتعريف به ، إذن لناق عليه نظرة ليس منها بد ؛ ولا سيما بعد أن بشرنا صديقنا الأستاذ الكبير محمد كرد على بك بأن هناك لجنة من أفاضل المستشرقين تألفت برياسة العلامة المستشرق الفرنسى الأستاذ ليفى بروفنسال لاخراج هذا الكتاب الضخم الخالد الذى حُرمت منه المكتبة العربية هذا الزمن الأطول …

* * *

(١) يشير الى قول الشاعر :
تلك المكارم لا قعبان من لبن    شيبا بماء فعادا بعد أبوالا
والقعب قدح من خشب يروى الرجل والاثنين والثلاثة

---

وتأملى تجدى تباريح الهوى    قد ميزتك برقة وسناء
ما كنت قبل اليوم إلا دمية    تحوى ضروب الحسن دون رواء
يأتى الربيعُ فلا ترين جماله    إلا بعطرِ زهوره الميلاء
وتدغدغ النسماتُ وجهكِ حيث لا    تلقى سوى لون بلا إغواء
وإذا تمايلت الغصونُ وصفّقت    أوراقها فى الروضة الغناء
لم تدركى معنى تمايلها ، ولم    تقفى على همساتها الخرساء
ما كان قلبك رغم كل حنوّه    إلا شبيه الصخرة الصماء
واليوم بتِّ وقد عرفتِ لَقى الهوى    نبتَ الخلودِ ومهبطَ الإيحاء
فاذا رنوتِ إلى السما عند المسا    ورأيت ملك الأنجم الزهراء
أدركتِ شيئاً لم يكن لك ظاهراً    وكشفتِ سرّ القبة الزرقاء
أمسيتِ أقرب للذى أمر الورى    بالحبّ ، لا بالحقد والبغضاء
سرّى إذن ، وليمحُ عنكِ الحزن ما    يجتاز قلبك من هوى وهناء

(عاصمة الأرجنتين)    الياس قنصل

ووضع قديماً أبو عبد الله هرون بن على بن يحيى بن أبى منصور المنجم البغدادى المتوفى سنة ٢٨٨ هـ كتاباً اسمه «البارع» فى أخبار الشعراء المولدين جمع فيه مائة وواحداً وستين شاعراً ، وافتتحه بذكر بشار بن برد وختمه بمحمد بن عبد الملك بن صالح ، واختار فيه من شعر كل واحد عيونه ، وقال فى أوله : إنى لما عملت كتابى فى أخبار شعراء المولدين ذكرت ما اخترته من أشعارهم وتحريت فى ذلك الاختيار أقصى ما بلغته معرفتى وانتهى اليه علمى ؛ والعلماء يقولون : دل على عاقل اختياره . وقالوا : اختيار الرجل من وفور عقله . وقال بعضهم : شعر الرجل قطعة من كلامه ، وظنه قطعة من عقله ، واختياره قطعة من علمه . وطول الكلام فى هذا وذكر أن هذا الكتاب مختصر من كتاب ألفه قبل هذا فى هذا الفن ، وأنه كان طويلا فحذف منه أشياء واقتصر على هذا القدر . ثم جاء بعده أبو منصور الثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ ووضع كتابه «يتيمة الدهر فى شعراء أهل العصر» ، وجعله ذيلاً لكتاب البارع ؛ هـذا ثم جاء أبو الحسن على بن الحسن الباخرزى المتوفى سنة ٤٦٧ هـ ؛ وألف كتاباً اسمه «دمية القصر وعُصرة أهل العصر» ، وجعله ذيلاً لكتاب يتيمة الدهر ؛ ثم جاء أبو المعالى سعد بن على الوراق الحظيرى المتوفى سنة ٥٦٨ هـ وصنف كتاباً أسماه «زينة الدهر» ، وجعله ذيلاً على دُمية القصر ؛ وأخيراً ظهر العماد الكاتب الأصبهانى المعروف بابن أخى العزيز والمتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، ووضع كتابه المسمى «خريدة القصر وجريدة أهل العصر» ، وجعله ذيلاً على زينة الدهر للحظيرى . هـذا فى المشرق ، وأنت فانك تعلم أن الأندلسيين كثيراً ما يحذون حذو المشارقة فى سائر مناحيهم ؛ ومن ثم نحوا نحوهم فى وضع هذا النوع من التواليف ، فوضع الأديب الكاتب الشاعر أبو عمر احمد بن فرج - وكان معاصراً للخليفة الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر - كتاباً اسمه «الحدائق» قدمه للخليفة المستنصر وعارض به «كتاب الزهور» لأبى محمد بن داود الأصبهانى ولم يورد فيه لغير أندلسى شيئاً - وسنترجم لهذا الأديب - ثم جاء من بعده صاحبنا أبو الحسن على بن بسام فوضع كتاب «الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة» وجعله ذيلا على حدائق ابن فرج . وفى عصره صنف الفتح بن خاقان كتابى القلائد والمطمح ، وجاء بعدهما الأديب أبو عمر بن الامام وذيل على الذخيرة والقلائد بكتاب اسمه سمط «الجمان وسقيط المرجان» ذكر فيه من أخل ابن بسام والفتح بتوفية حقه من الفضلاء ، واستدرك من أدركه بعصره فى بقية المائة السادسة ؛ وذيل على هذا الكتاب أبو بحر صفوان بن ادريس الكاتب الأندلسى الكبير بكتاب سماه «زاد المسافر» ذكر فيه جماعة ممن أدرك المائة السابعة . وهنا نذكر أن أكثر هذه الكتب مفقود كما أن هناك تواليف كثيرة من هذا القبيل لم نسمع بها فضلا عن أنها غير موجودة . فلقد أخبرنا الامام أبو محمد بن حزم فى رسالته التى يشيد فيها بفضائل الأندلس أن للشاعر الوشاح أبى بكر عبادة بن ماء السماء كتاباً فى أخبار شعراء الأندلس أثنى عليه وقال انه كتاب حسن فى معناه . وحدثنا أيضاً بأغرب من هذا وهو أن من بين الكتب التى وضعت للخليفة الحكم المستنصر كتاباً فى أخبار شعراء «ألبيَرِه» فى نحو عشرة أجزاء . . . فتأمل . . . ومما يتصل بهذا وما هو أمعد فى باب الغرابة ما حدثنا به ابن حزام أيضاً من أن هناك شاعراً أندلسياً كان فى عصر جرير والفرزدق اسمه أبو الأجرب جَعْوَنة بن الصِّمَّة الكلابى يقول ابن حزم فى حقه : ونحن إذا ذكرنا أبا الأجرب فى الشعر لم نباه به إلا جريرا والفرزدق لكونه فى عصرهما ؛ ولو أنصف لاستشهد بشعره فهو جار على مذهب الأوائل لا على طريقة المحدثين . وحكى ابن سعيد صاحب كتاب المغرب قال : ان عباس ابن ناصح الشاعر الأندلسى لما توجه من قرطبة إلى بغداد ولقى أبا نواس قال له أنشدنى لأبى الأجرب قال : فأنشدته ، ثم قال : أنشدنى لبكر الكنانى ، فأنشدته ؛ فأين شعر هذين الشاعرين الأندلسيين العظيمين ؟ إننا وا أسفاه لم نعثر لهما على شيء قط . . . . . ثم وأين كتاب المسهب للحجارى ، وكتاب المغرب لابن سعيد ، وكتابا المبين والمقتبس لمؤرخ الأندلس الأكبر أبى مروان حيان ابن خلف ؟ . . . وأين وأين . . . ؟!

ابن سكانك لا ابن لهم أحجازا أوطنوها أم شآما

* * *

فاسألنها واجعل بكاك جواباً تجد الدمع سائلا ومجيباً

عبد الرحمن البرقوقى

# القصص

مأساة من اسخيلوس

## ثأر أورست

The Choephoroe

الدرامة الثانية من (الأورستية)

للأستاذ دريني خشبة

تتمة

— ٦ —

ويسأل أورست عن هذه الزقاق من أرسلها، وعن هذه الخمر فيم يصبانها على ثرى أبيه، وقد تصرمت السنون على جدثه، فتحدثه رئيسة المنشدات عن رؤيا الملكة:

— « حلم! حلم! أيها الأمير! حلم مزعج مروع أقض مضجعها؛ وأذهلها عن نفسها! رؤيا انبجست عن ضميرها المضطرب الملوث بالآثام! »

— « رؤيا! وأي رؤيا هذه؟ »

— « حملت واستكرشت، ثم وضعتها أفعى هائلة »

— « أهذا كل شيء؟ »

— « لقد هبت مروعة مشدوهة، وطفقت تصيح وتصخب كأنها طفلة جائعة ... »

— « الحية الرقطاء! وأي غذاء يرد شرهها! زادها الله سغباً! »

— « لقد كانت تمسك صدرها بيديها، كأنها تخمد فيه ناراً! »

— « وكيف لم ينفث السم في ثديها ... »

— « كلا! بل لقد قطر ثدياها دماء ... لا لبنا! »

— « يالها من رؤيا ... لو تتم! ... »

ثم انطلقت تصيح في أبهاء القصر، وهب العذارى يحملن المشاعل ويغسلن ظلام الليل؛ وأمرت بهذا القربان الخمرى فصُبَّ في تلك الزِّقاق، وحملناه إلى ... »

— « قبر زوجها! الغادرة الفاجرة! ليشفي سمارها! يا آلهة الأولمب! ويح لك يا أرض الآباء! رحمة لك يا قبر! يا سيد الأولمب! يا ربات القادير! أكتبي أن أكونه، أكتبي أن أكون هذا الأفعوان الهائل الذي يقر فوق صدرها ... لن يردني شيء! سأغمد خنجري في الصدر الذي شبيت فوقه! سأمزق الأثداء التي قطرت في فمي علقم الحياة!

أكتبي يا ربات المقادير! لتمت موتة دامية! سأذبحها! أنا الأفعوان لا ريب! اشهدن أيتها العذارى! سجلي يا سماوات! هلم بيلاديز! هلم يا صديقي لنأخذ فيما قدمنا له؛ وأنت يا إلكترا كوني رائدنا في القصر؛ تحسسي لنا أخباره، وتقصي آثاره، فاذا أزفت الآزفة لم تفلتهم الغيلة التي دبرناها لهم، كما دبروها لوالدي من قبل؛ ولم يفلتهم الشرك الذي نصبوه بأيديهم، وآن لهم أن يقعوا فيه ..... ليذوقوا وبال أمرهم مادام أن النفس بالنفس! هلمي إلكترا! سأبدو أمام البوابة الكبرى مع صديقي بيلاديز في زي مهاجرين، وسنتحدث بلهجة أهل هذه البرية التي نتقنها جيداً، يا للآلهة! إن أحداً من أهل القصر لن يمنحنا ابتسامة، أو يتصدق علينا بنظرة!! ...

لا علينا! بيد أننا سنترصد لأيجستوس، فاذا حانت لنا منه غفلة فسننقض عليه وننفذ خناجرنا فيه! إلكترا! أرقبي القصر جيداً، واحذري أن تحركي لسانك بكلمة تفسد علينا كل شيء .... تكلمي إذا كان في الكلام خير لنا ..... وإلا ..... فالصمت .... الصمت الذي يشبه الكبرياء يا أختاه ... وأنتن أيتها العذارى . . . هانين موثقكن (يقسمن له أيمن معه) إذن .... إلى اللقاء ... »

— ٧ —

« المنظر : أمام قصر البلوبيديه (١) »

« يهزج النشدات بلحن طويل حلو ، ويتثنين أشجان القصر العتيق ، ويرددن ذكريات الماضي المظلم المضرجة بالدم ، ويلمحن إلى الهول الأكبر الذي ينتظر المجرمين . . . »

« يدخل أورست ويطرق باب القصر »

— « أنتم يامن هنا ؟ ... ( ويطرق ثانيةً ) ... يا أهل هذا المنزل الرحب ... ( ويستمر في الطرق ) ... يا سادةَ هـذه الدار ! ... الأمير إيجستوس ! أريد الأمير إيجستوس ! ماذا ؟ ألا من أحدٍ هنا ... في هذه الدار المضيافة ... ( يطرق بعنف )

البواب : « هيه ! من ؟ من أنت ؟ ( في غضب ) من أين أقبلت ؟ تكلم أيها الرفيق !

— « لقد جئت لسادة هـذا القصر بأخبار هامة ... غريبة ... فالبدار البدار أيها البواب ! ... قل لهم إن بالباب رجلا من بدو البرّية يريد لقاءهم ... هيا ... و ... إسمع أيها البواب ... اسمع ، أرجو أن ... لقد أوشك الليل يرخي سدوله ، ولا بد لابن السبيل من ملجأ كريم يأوي إليه ... فحبذا لو لقيت أيًّا من ذوي الشأن هنا — وحبذا لو كان رجلاً ... إن لديّ أنباءً هامة ، وقد أرتبك إذا ألقيتها لامرأة ... أما إن كان رجلا ... فالرجل يصارح الرجل من دون ما حياء ... بل لا يكاد ذهنه يشرد في حضرته كما قد يشرد في حضرة امرأة ... ... »

« تدخل كليتمنسترا »

— « ماذا أيها السيد ؟ ! غريب لاجيء ! مرحبا مرحبا ... إن قصر البلوبيديه لن يضيق بالجائع المعتر ، ولا بالظامىء الصادى ... إنزل أهلا ، وحل سهلا ... ولكن ... ! يبدو عليك أنك رسول ولديك أنباء ! إذن ... ما وراءك ؟ هذا إن لم تكن رسالتك للأمير ... »

— « أنا ؟ ... أجـل ... رسول ! لقد قدمت من بلدتي دوليس ، إلى آرجوس ، في بعض شأني ... و ... وبينا أنا في بعض الطريق ، إذا رجل طوال وقور الهيئة يلقاني فجأة ويسألني إلى أين ؟ ولم أكد أجيبه أنني ميمم شطر آرجوس حتى لهث لهثة شديدة وقال : إذن لي رجيّة عندك ما أحسبك إلا مؤديها لي ... ومنّاني بالخير الكثير ، ووصل حديثه فقال : إذا كنت في آرجوس فاقصد من فورك قصر الامارة ... البلوبيديه الشاهق ... والق ال ... ملـ ... الأ ... مير ... ونبّئه أن أورست قد قضى نحبه ... مات ... ثم سلهم ، هل يرون أن ننقل رفاته فتقر في ثرى الوطن ... أم يؤثرون أن تظل حبيسةً في دار الغربة كما عاش صاحبها إلى آخر أنفاسه مشرّداً في أقصى الأرض ، طريدا من رحمة أبويه ... أما الرجل فقد ذكر لي أنه ستروفيوس وأنه من فوسيز ... وقد ألح في أن أعود إليه برد على ما طلب ... و ... و ... فاتني أن أذكر أن رفات الأمير الصغير ما تزال محفوظةً في إناءٍ نحاسي ... و ... أنه يبكيها ... و ... ولكن يا سيدتي بحق الآلهة عليك ! لقد ذكرت كل شيء ... هل أديت الرسالة للأذن التي طلب مني الرجل أن تعيها ؟ إذ ينبغي أن يعلم أبَوَا الأمير قبل كل أحد »

— « ويلاه ! يا للداهية تنصب في هذا الخبر الأسود ! إنه أيتها اللعنة التي ما تفتأ ترنق على هذا القصر ! إنه يا عُقاب الردى هويت من شاهق على حَمَلِيَنا ! إنه يا سهم النية اخترمته من بُعد ! بينا كنت أحسبه في مأمن من مزالق الحتوف ، إذا هو يموت ، ويغادرني في تعاستي وحدي ! أورست ! يا رحمتا لك يا بُنيّ ! لقد كنت أدخرك لتشفي أوجاع هذا البيت ... يا أملي الوحيد ! يا آخر رجاء لي في الحياة ! لقد جاء النعي فلا شك ! ... »

— « وا أسفاه ! كم كنت أود لو أتيت بالبشريات الغُر لأنال رفد هؤلاء السادة الأثرياء ! ولـكن ! لا عليّ ! فلقد ظل قلبي يحدثني عما في النبأ الذي حُمّلت من شر !

إ ... إ ... إنما ! ... مالي ولذلك ! أيتها الأميرة ! أمن رد على ستروفيوس .. ؟ »

— « ليطمئن قلبك على الرفد أيها الرسول ! ولا يحزنك أنك جئت الينا بهذا النبأ ، فقد كان غيرك يجيء به لو لم تفعل ... والآن ... هلم أيها الخادم بالضيف الكريم الى أنخر غرف الضيافة ، وليصحبه تابعه ، ولتكرم مثواه ، فما أظلهما إلا قد أضناهما السفر ، ونال منهما الطريق ... أما نحن ، فسنبلغ الملك وسنرى ماذا يكون في مسألة الرفات »

« يخرج الجميع ما عدا النشدات »

— ٨ —

« تدخل مرضع أورست »

رئيسة الخورس : « هيا يا وصيفات القصر ! صلاةً مباركة

(١) لم يتقيد أسخيلوس بوحدة المكان في هذه المأساة ، وكان المنظر الأول أمام مقبرة أجا ممنون

للآلهة أن تحرس أورست وأن تلحظه بعين الرعاية ... وصلاة مباركة على روح الوالد القتيل ، الذى لابد هو راع ولده الذى جاء ليثأر له من الآثمين ! ... هيه ! من ؟ مرضعة أورست ؟ كيليسا ؟ ماذا جاء بك يا كيليسا ؟ ! تبكين ؟ ماذا يبكيك يا طيبة القلب ؟ ! »

— « عِمْنَ مساء يا عذارى طروادة ! لاشيء ! فقط ، ... لقد طلبتْ إلىَّ الملكة أن أدعوَ إليها أميرها إيجستوس ليتلقى بأذنيه أنباء النعى ! - ويلاه ! - ويلاه - عليك - يا أورست ! - يا طفلى العزيز ! شجن جديد يغطش سماءك أيها القصر ! أنت يا مأوى الأشجان وكهف الأسرار ! يا بيت أتريوس كم مصيبة خبأتها لك الأقدار ؟ ! آه يا طفلى ! يا من غذوتك من ثَدْيَيَّ لبن المحبة والحنان ! أنا كيليسا المفجوعة فيك ... أنا التى غذوتك ونشأتك وسهرت عليك بأمر أبيك الملك ! أنا التى كنت أفديك بالحياة ... لقد انتزعوك منى ... ونفوك فى أقصى الأرض حتى لا تروع أحلامهم وتقف فى سبيل لذاتهم ! اللئام ... ! أنا أذهب الآن لأدعو إيجستوس ! لأملأ سمعيه بخبر وفاتك ! يا ولدى ... يا ولدى ... ! ... »

— « مسكينة ! ياويح لك يا كيليسا ! ولكن ! ... ، اهدئى ، فان لنا سؤالاً نحب أن تجيبى عنه ... ! »

— « ... ؟ ... ؟ ... ؟ »

— « وبم أمرت الملكة ؟ هل أمرتك أن يأتى إيجستوس ومعه أحد ؟ »

— « لا أفهم ... أفصحن بحق الآلهة عليكن ! »

— « نعنى ، هل يأتى وحده ، أم يكون معه حرس ؟ »

— « لا ! بل أمرت أن تكون حوله فرقة من حملة الرماح ! »

— « صه ! ... لا . لا ... إياك يا كيليسا ! قولى له إن الملكة تريد أن تذهب إليها بمفردك ... و ... نرجوك ! ... نحن نترك البقية لحسن فهمك ! ... »

— « ماذا ؟ ... وهل لكن الحق فى إصدار أوامر ؟ »

— « لا ... ولكن إن كنت حقاً وفية لأورست فلا تقولى إلا ما أشرنا عليك به ! »

— « لست أفهم ! ... لقد أودى أورست وكان منتهى آمالنا ... فماذا نرجو بعد ؟ »

« وتبكى »

— « لترقأ عبرتك يا كيليسا ! وليفرخ روعك ! هونى عليك ياطيبة القلب ، فقد يكون حياً يرزق ! من يدرى ؟ لقد أُلقى إلينا أن ... »

— « ماذا ؟ نبوءة ! نبوءة بالله عليكن ؟ ... أم سمعتن أنباء خاصة ؟ »

— « صه ... ! هيا هيا ... إذهبى إلى إيجستوس وليقصد إلى الملكة وحده ! »

« تخرج كيليسا »

« وتصلى المنشدات من أجل أورست ، ضارعات إلى الآلهة أن تكون معه ، وإلى هرمز أن يحرسه »

— ٩ —

« يدخل إيجستوس »

— « هيـــه ! ... هأنذا قد أتيت ! يا له من خبر ! أين الغريبان ! ماذا ؟ أحقاً مات أورست ؟ ! ما كنا نؤثر أن يموت ! بالجرح الذى ينغل فى أحشائك أيها القصر ؟ هاك فادحاً آخر ينوء بكلكله عليك ! ولكن ! ... لا ... لا أصدقه ! لا أصدقه ... ! أنا فى شك من النبأ مريب ! المرأة ! لقد زخرفوا لها الخبر الأسود وقذفوا به فى روعها ! أكبر ظنى أنها إشاعة لا تلبث أن تذوب ! خبرن يا وصيفات ! أحق ذاك النبأ ؟ ؟ »

— « لقد سمعنا كما سمعت ! ولكن ! ... لتدخل أنت ، ولتلق الطارقين الغريبين ! فقد خُيِّل إلينا أنها مجرد إشاعة ! وقد تجلو الحقيقة حينما تواجههما »

— « ما أحسبنى أصدقهما إلا أن يقولا رأيناه يجود بآخر أنفاسه ! إن لى لعقلاً ، وإنه لا تجوز عليه الأباطيل ! »

(ويخرج)

وما تكاد المنشدات يترنمن بأنشودة قصيرة يصلين فيها لزيوس حتى تسمع صرخة من الداخل :

— « آه ... آه ... ذُبحت ! لقد ذُبحت ! »

المنشدات : — « ها ! ... إشتدى أزمة ! »

— « آه ... آه ... »

— لقد نفذ السهم وقُضِيَ الأمر ! ...

« يدخل أحد الخدم »

— « ويلاه ! - قتل الأمير ! أخبروا الملكة ! ... ويلاه ! افتحوا البوابة لأميرة القصر ! « تحاول المنشدات فتح البوابة فلا تستطعن » أأنتن ضعيفات ! ليفتحها الرجال الأشداء ! الغوث الغوث ! آه ... لا غوث اليوم ، لقد انتهى كل شيء !

أين الأميرة ! أين الملكة ! أين كليتمنسترا ؟ ياويح لها حين يفجعها النبأ ! . . . »

— ١٠ —

« تدخل كليتمنسترا »

— « من ذا يصيح ويصخب هنا ؟ ماذا ؟ أنت الذى تصخب أيها الخادم ؟ »

— « أ . . . أنا . . . ؟

— « ماذا ؟ تكلم ! »

— « لقد انتفض الأموات تحت أطباق الثرى نذبحوا الأحياء ! هنا فى هذا القصر ! »

— « آه ! الخديعة ! جلوت السحر وكشفت الطلسم ! هلم فهات لى بلطا (١) ! وليكن حديداً مشحوذا ! هلم هلم ! علىّ وزر هذا العمل أو لى خيره ! لأصارع الأفضية ، ولا تازل المقادير هذه النوبة أيضا ! »

(ويزاح ستر فيبدو أورست وأمامه جثة إيجستوس وإلى جانبه بيلاديز )

أورست : « آه . . . ! هلا ! هذى أنت ! لقد فرغت من إيجستوس ، وقد جاء دورك ! . . . »

« كليتمنسترا وقد هالها مقتل إيجستوس »

— « قتيلت ! ويلاه ! سكتت نأمتك ، وشالت نعامتك ، يا أعز الناس علىّ ! »

— « أعز الناس عليك ! ها ها ها . . . إذن سترقدين إلى جانبه آخر الدهر ليتم له وفاؤك يا آثمة ! »

« ويهم أن يفتك بها فتعرف فيه ولدها »

— « أورست ! أهو أنت ؟ ولدى ! حاشاك ! إرحم هذا الصدر الذى طالما دللك ، والثدى الذى طالما أرضعك ! »

« ينثنى أورست ليستشير صديقه »

— « بيلاديز ! أشر علىّ يا أعز الأصدقاء ! هل تفل الرحمة من غرب هذا السيف من أجل أمى ؟ »

— إذن أين ما أوحى إليك من لدن أبوللو ؟ وأين النبوءة الصادقة وما ناشدتك السماء أن تؤديه لها ؟ روّ سيفك غير راحم يا أورست . كن صديق السماء واغسل بمضبتك أدران الأرض ! »

— « آه . . . شكراً لك يا بيلاديز ! حقاً إنك المخلص الأمين ! أنا أبداً فى حاجة إلى مشورتك ! سأقتلك إذن يا أدنس الأمهات ! سأقتلك لتخرّى إلى جانب عاشقك المجرم النجس ! لقد فضلته على ملكك فى الحياة ، فقرى معه بعد الموت ! حبيبك الذى كان غيره أجدر بحبك لو عرف قلبك أثارة من الطهر ! يا فاسقة ! »

« ويهم أن يفتك بها ثانية »

— « أورست ! لقد أرضعتك ، وكنت آمل أن تكون سندى فى شيخوختى ! »

— « سنداً لها ! الفاسقة ! وكيف يظلنى سقف وقاتلة أبى ! مثلومة العرض ! »

— « قدر محتوم يا أورست ! »

— « والقدر المحتوم هو الذى يكتب عليك ما تلقين اليوم »

— « ولعنة أمك ! ألا تخيفك يا أورست ! »

— « أمى التى قذفت بى من حالق فريسة لأشجان الحياة ! »

— « أنا قذفت بك من حالق ؟ حاشا ! لقد أرسلتك إلى أعز الأصدقاء ليكلأك ويرعاك ! »

— « لقد كانت مقايضة خاسرة بالنسبة لى ! حرية وملك ، بعبودية وذل ! »

— « وأين الأعطيات التى بعتك بها يا بنى ؟ »

— « الأعطيات ؟ يالعار حين نخوض فى ذاك من غير ما احتشام ؟ »

— « قد لا تذكر أيام أن انحرف أبوك وضل ! »

— « لا تنحى على الغائب بلائمة ! »

— « ألا تقدر لأواء أم محزونة مهجورة ، يا أورست ! »

— « بلى ! وأعرف أنها ظفرت بكل ما تشتهت ! »

« ويهم أن يقتلها »

— « آه ! أتقتل أمك يا بنى ؟ »

— « أنا ؟ أنا لا أقتلك ! ولكن تقتلك آثامك ! »

— « ها ! . . . وأين تهرب من هامة أمك إذا قتلتها ! »

— « وأين أهرب من هامة أبى إذا خليتك يا آثمة ! »

— « كأنى أخاطب فيك قبراً فلا يسمع ! »

— « أجل ! وهو قبر أبى الذى يضرب وجهك بزفير جهنم ! »

— « آه ! الأفعى ! لقد ولدتها وربيتها . . . وهاهى ذى تنفث سمها فى حياتى ! »

— « إذن : هى رؤياك قد جعلها أبوللو حقا ! »

— « . . . ! . . . تبدو كليتمنسترا كأنما يكاد يغمى عليها »

(١) البلط لغة الخرط ( ق ) وقد استعملناه لمعناه العامى ( البلطة ) لأنها المقصودة فى المتن اليونانى كما نمت صورة كليتمنسترا ذلك

— « القصاص يا أتعس الامهات ! لقد زرعت وزراً ، فلتجنِ اليوم أوزاراً ! »

« تنطلق كليتمنسترا داخل القصر فيعدو أورست في أثرها »

— ١١ —

ويذكر النشدات ـ عذارى طروادة التاعسات ـ أوطانهن ، وما حاق بإليوم وبريام من دماء وتقتيل . فيتغنين آلامهن ، ويرجمن ذكرياتهن ، ويهتفن بعروس الهلسبنت ، ويناجين العظام النخرة التي نامت إلى الأبد تحت أسوارها ...

ثم ..... ...

ثم ينزاح ستر صفيق عن أورست ... بين الجثتين الجبارتين جثة أمه الفاسقة كما دعاها ... وجثة إيجستوس المنهتك ، الذي لم يطهر ثأره بالحفاظ والنقاء ... بل لطخه بفضائح الدعارة وحياة الهوى التي عاقر خمرها مع كليتمنسترا

— « إشهدن يا عذارى ! ها هما قاتلا أبي ، وهادما مجد الوطن ! لقد استويا بالأمس على عرش آرجوس فلطخاه بالإثم ، وها اليوم يجندلان فوق ثرى واحد ... وبيد واحدة ... وهو من البر بالأقسام ! أجل ! لقد برا بيمينهما ... أليس أحدهما قد أخذ الموثق على صاحبه أن يقتلا مولى هـذا القصر ... وأن يقتسما النتيجة ؟ إذن ! لقد برت يمينهما ... ولقد حاق بهما المكر السيئ ، وعلقا في الشرك الهائل الذي حاكاه أولاً ... فدت لهما فيه السنون والأيام ! ... ولـكن ... ! وا أسفاه ! لقد جشمتني المقادير مهمة ملعونة ... ! وكيف ؟ أنا .... أورست المسكين قاتل أمه ! يالاشقاء ! ... أبوللو ... أبوللو ... كن شاهدي ياسيد الشمس ! ... لقد أمرتني ... وأوحيت إلى أن اقتل أمك واحمل بعدها غصن الزيتون ! ... فلو لم أقتل لكان شقائي أدمى وأنكى ! وكيف أطيق صبراً على قاتليْ والدي ؟ ! وأنا ابنه الوحيد ... والسماء تطلب دمه من رجولتي !

وأنتن يا طرواديات ! تكلمن بحق السماء ! أترين إليّ مذنباً ينقض ظهره الاثم ... أم بريئاً امتشقت العدالة سيفها بيمينه ... ! أيها الأصدقاء ! لقد قضت السماء أن أقتل أمي ... ! أمي التي ظلت حياتها سلسلة من المخازي ومستنقعاً من الفضائح ... حياتها التي كانت تحدياً للسماء ... لقد أقدمت وفوبوس (١) يحدوني ... لم يكن لي رائد سواه ... ولا كنف إلا كنفه ... ... هل ياشعب الأرجيف المجيد ... كن شاهدي ومؤيدي ... وأنت ياعمي منالايوس ... ستأتي ... ستعود إلى الوطن يوماً وتقر ما أقدمت عليه بوحي السماء ! ... لن يلومني أحد ... فإذاً ... فلن أضيق بالنفي من جديد ... سأذرع الأرض ثانية ... سأجوب الآفاق .. ولـكن راضياً مطمئن النفس ... لأني ثأرت لوالدي ... ولشرف آرجوس كلها »

(١) فوبوس الاسم الأغريقي لأبوللو

— حاشا حاشا أيها الأمير ! لن يلومك أحد على ما فعلت فلا تحرك لسانك بهذا اللغو ... ولا تملأ نفسك بذلك التشاؤم ... لقد أعدت للأرجيف حريتهم وشرفهم حين حطمت رأس الأفعى ، وثنيت بذنبها ! »

— ١٢ —

ولكن الأمير الشاب ما يزداد إلا ذعراً حين يرى إلى أمه مضرجة بدمائها ... وسرعان ما تكظ وجدانه رؤى كالحة وأشباح ... ثم تستيقظ في نفسه كلماتها الاخيرة : « وأين تهرب من تُعولني يا أورست ؟ إن هامتي ستلاحقك في كل مكان صارخة في وجهك : يا قاتل أمه ! ... » فيجن جنونه ... ويصيح ويصرخ ويصخب ...

— ويلاه ! آه .. ! ما هذه السعالي التي ترقص في حبر من الظلام ! آه ! أين المهرب ؟ »

— « إطمئن ياأعز الأبناء ! إنها أوهام يا أورست ! هدىء روعك ! »

ليست أوهاماً ياعذارى ! ويلاه .. ! إنها تنقض على ! هامة أمي ! ... ها هي ! ... آه ! »

— بل هي صورة هذا الدم الذي ما يزال يلوث يديك ... إطمئن ... »

— « لا ... أنا بريء ! أدركني يا إلـهي أبوللو ! يا سيد الشمس هذه الجرجون (١) الهلكة الثعابين تتحوى فوق رؤوسها ... عيونها تقدح الشرر ... اللهب يندلع من أفواهها ... السم ! ... »

— « أدع أبوللو ... أدع فهو بك بر رحيم ؟ »

« آه ! ... انها تنشب أظفارها ... المهرب ... المهرب ! »

دريني خشبة

(١) مر ذكرها فيما أذعناه ( من أساطير الأغريق ) في أسطورة برسيوس

# البريد الأدبي

## جون نيتل ومشروعه لتعليم الفلاح المصري

جون نيتل من أنبه الكتاب السويسريين ذكرا، وأجملهم أسلوباً، وأصدقهم فناً في نقل صور البلاد، والقيام بتحقيقات اجتماعية رائعة، وقد تجلت موهبته لا في دقة الملاحظة فحسب، بل في سحر أسلوبه وسلاسة عباراته، بحيث تنفذ إلى نفس القارئ وتحدث في عواطفه أعمق تأثير

ومما يدل أبلغ الدلالة على تفوق هذا الكاتب في فنه أنه برغم كونه سويسريا استطاع أن يثبت شخصيته أمام الانجليز، وتمكن في روايته «الدكتور ابراهيم» من أن يدفعهم إلى الاعتراف بأن ثمرة تعليمهم في مصر هوت إلى الحضيض، وأن استعمارهم أصبح كابوساً لا يطاق لشعب نشر ألوان الحضارة والمرونة، على حين كانت أوربا تغط في ظلمات الجهالة ومخلفات القرون

ويبدو لنا أن حالة الفلاح المصري أحدثت تأثيرا عميقاً في نفس هذا الكاتب، وجعلته أشد عطفاً عليه، وأميل إلى أن ينقل لقرائه صوراً رائعة من أفكاره ومعتقداته وسوء حالته المعيشية، مع حث المصريين على تجهيز قوافل برية ونيلية تؤلف من متاحف صغيرة متحركة، وتزود بآلات للسينما وأجهزة علمية لتغزو الجهل المتفشي في القرى والدساكر وتقضي عليه قضاء مبرما

ولقد حدث من سنوات أن قام جون نيتل برحلة طويلة إلى مراكش حيث الاستعمار الفرنسي يرتع في بلد فطري، فما كاد يستقر هناك بضعة شهور حتى ثارت ثائرته على مظاهر الاستبداد الفظيعة، وكتب كتابه المشهور «مراكش وعبد الكريم» فغضب الفرنسيون لصراحته، وأحدث ظهور كتابه ضجة هائلة في الأوساط الاجتماعية والسياسية بفرنسا

والظاهر أنه وضع روايته الجديدة «الدكتور ابراهيم» عن مصر وهو على ثقة من أنه سيستهدف لغضب الانجليز ونقمتهم، وتبرم صحافتهم بصراحته، لكنه لم يحفل بهذا كله ومضى يسرد الوقائع بين سطور كتابه ويصورها بريشة الكاتب الواقعي الذي لا يخضع لسلطان سوى سلطان فنه، غير عابئ بالحملات الشديدة التي أعلنت عليه، ولا بحفلات الانتقادات النارية التي استقبلت بها الصحافة الانجليزية كتابه

غير أن هذا الكتاب العظيم صادف هوى في نفوس الأمريكيين الذين يشيدون بمظاهر العدالة، فمجدوا شخصية جون نيتل وأفردوا لكتابه الفصول الطوال لافتين الأنظار إلى ما يجري في الريف المصري من تفشي الأمراض والجهل الفاضح والوقوع تحت أثقال ديون المرابين الأجانب

ففي هذه القرى لا يصرف قرش واحد لنظافة البيوت والطرقات ونقل القاذورات وتجفيف المستنقعات، حتى لقد تبلغ الدرجة فيها أن تبقى رمم الحيوانات ملقاة بين المساكن فتتجمع عليها أسراب الجوارح والذباب وتتصاعد منها روائح خبيثة

وفي أسواق القرى لا يوجد مرحاض واحد بني بحاجة من يؤمه من التجار الذين يضطرون لقضاء حاجتهم في أركان الأسواق لتبقى هذه القاذورات هدفاً لأسراب الغربان والطيور والكلاب وجامعي الأحطاب، أو تأتي بقيتها في الترع والقنوات. فالعمل على تجنب الأضرار الناشئة من الماء الملوث الآسن يجب أن يكون قبل تدبير الماء الصالح للشرب في القرى، وهذا لا يتأتى إلا بارشاد الفلاح إلى طرق النظافة، وتوقي الأمراض المعدية، ولن يكون إرشاده إلا بتجهيز قوافل علمية تطوف بمساكنه من وقت لآخر وتعمل على أن تنتشل الفلاحين المساكين من وهاد القذارة والجهل، وتخرج بهم من الظلمات إلى النور

ولقد كانت المحاضرة التي ألقاها جون نيتل في مساء الأربعاء الماضي بقاعة يورت التذكارية تحت إشراف معهد جان جاك روسو

للتربية بجنيف ، تدور حول هذه المشكلة ، مشكلة إصلاح حال الفلاح المصرى ورفع مستواه الاجتماعى مع المحافظة على تقاليد أسلافه .

فذكر المحاضر بأن كل فكرة ترمى إلى تعليم الفلاح بقصد انتزاعه من أرضه ونزوحه إلى المدن هى محاولة فاشلة ، فالواجب تشويق الفلاح إلى أرضه وتنمية مداركه وتوسيع آفاق فكره ومعارفه العامة ؛ فاذا أردنا مثلاً أن نرشده إلى الأحوال الجوية ومعرفة سير الكواكب كان علينا أن نزوده ببعثة فلكية مكونة من محاضرين بارعين ، مزودين بسيارات بها آلات ومراصد فلكية ، فيحل أعضاء البعثة بقريته يوماً أو بعض يوم ، ويجمعون الفلاحين فى مكان واحد ثم يلقون عليهم محاضرات بلغة بسيطة سهلة عن علم الفلك وحركة الكواكب والنجوم مع مساعدتهم على استيعاب هذه المعلومات بواسطة المجاهر الفلكية

وهب أننا نريد أن نلقى على فلاحى قرية كذا درساً فى النظافة والصحة العامة ، فنوفد اليهم قافلة صحية تتحفها الصحى المؤلف من نماذج مختلفة الأشكال ، وبأفلام سينمائية معها نشرات مكتوبة فى اللغة العامية يستطيع المربون الذين يرافقون القافلة أن يتلوا منها نصائح عملية على جماهير الفلاحين المحتشدين لاستقبالهم

فالتعليم الحديث بواسطة القوافل العلمية هو الوسيلة التى يرمى اليها مشروع جون نيتل لرفع مستوى الفلاحين ، إذ لا فائدة ترجى من إنشاء المدارس لتعليمه مبادئ الحساب والجبر وقواعد اللغة والرياضة إلى جانب تزويده بالمعارف العامة وتثقيفه الثقافة الشعبية الصحيحة التى تساعده على تربية الجيل الجديد تربية خالية من الجمود وشوائب الجهل

ونوه المحاضر بأنه لا يرمى إلى أن يظهر فى مشروعه بمظهر من على إرادته ، ولكنه مشروع مفيد وضع بعد دراسات طويلة للتضامن مع الذين يهمهم رفع مستوى الفلاحين ، وتحسين أحوال معيشتهم ، كما أن تحقيقه على الوجه الأكمل يقتضى عشرات المئات من الشبان المتعلمين أن يساهموا فى إسداء هذه الخدمة الانسانية الجليلة ؛ وإن فى استخدامهم لهذا الغرض حلاً لجانب كبير من مشكلة الشبان المتعلمين ومكافحة الأمية فى القرى والدساكر

وأهاب المحاضر فى ختام محاضرته بأن فى تغافل الحكومة وفى تركها الفلاح غارقاً فى محيط جهله خطراً عظيماً على مستقبل الأمة ، لأنه سيصبح فى مصر طبقتان بينهما هوة عميقة : الشباب المتعلم فى المدارس العالية وفى معاهد أوربا ، وجمهور الفلاحين الذين يظلون بعقلية القرون الوسطى ويعيشون تحت إرهاب أساليب عصور الظلام

## كتاب الذخيرة لابن بسام

نعرف أن لابن بسام الأديب الأندلسى الكبير أثراً حافلاً عن حياة الأندلس الأدبية والسياسية فى القرن الخامس الهجرى ، وهو « كتاب الذخيرة فى التعريف بمحاسن أهل الجزيرة » ، وإلى أعوام قلائل لم نكن قد ظفرنا بعد بنسخة كاملة من هذا الأثر الحافل ؛ وكل ما انتهت الينا منه نسخ مغربية وأندلسية ناقصة ، ولكن العلامة المستشرق الأستاذ ليفى بروفنسال مدير مدرسة الدراسات العليا فى مراكش قد ظفر بعد البحث الطويل فى إحدى مجموعات المغرب بنسخة كاملة من كتاب الذخيرة ؛ والأستاذ بروفنسال حجة فى شؤون « المغرب الاسلامى » أعنى الأندلس والمغرب وله مؤلفات قيمة عن عرب اسبانيا والمغرب ، وقد نشر فوق ذلك طائفة نادرة من الكتب والوثائق عن تاريخ الأندلس والمغرب الأقصى : منها الجزء الثالث من كتاب البيان المغرب ، ووثائق عن ابن تومرت (المهدى) ، وجزء من تاريخ ابن حيان . ومن مؤلفاته كتاب بالفرنسية عن أحوال الأندلس أيام الدولة الأموية ، وقد تألفت أخيراً لجنة من أفاضل المستشرقين برياسة العلامة المذكور لتقوم على طبع كتاب الذخيرة وتحقيقه وتذييله ، وربما شغل الكتاب أربعة مجلدات كبيرة ؛ وهو ينقسم إلى أربعة أقسام : الأول خاص بقرطبة وأعيانها ؛ والثانى خاص بغرب الأندلس وأعيانه وأخبار بنى عباد ؛ والثالث خاص بأخبار بلنسية وأعيانها ؛ والرابع خاص بأخبار الجزيرة . ولدينا فى دار الكتب من كتاب الذخيرة نسخة ناقصة تحتوى على قسمين منه فقط هما الأول والثانى

وقد استفاد من كتاب الذخيرة كثير من العلماء المشتغلين بتاريخ الأندلس مثل دوزى وسيبولد ، وذلك قبل أن يوجد نصه كاملا ؛ والكتاب من أنفس آثار الأدب الأندلسى ، وقد كتب بأسلوب بديع ، وبه معلومات قيمة عن أحوال دول الطوائف خلال القرن الخامس الهجرى ، وليس من ريب فى أن نشره سيكون خدمة جليلة للتاريخ الأندلسى

## تراث جاك بانفيل

أشرنا في عـدد سابق الى وفاة الكاتب والمؤرخ الفرنسي الـكبير جاك بانفيل . وقد قرأنا أخـيرا في إحدى المجلات الفرنسية الـكبرى فصلا عن الـكاتب الراحل للعلامة المؤرخ أوكتاف أوبرى الذي زار مصر منذ حين وألقى بها عدة محاضرات تاريخية شائقة ، يصف فيها تراث بانفيل التاريخي ويحلل مواهبه وكفاياته كمؤرخ وفيلسوف للتاريخ . وقد كان بانفيل قبل كل شيء كاتباً سياسيا ؛ وكان رجل جدل قوى يذود عن آرائه بيقين وحرارة ؛ وكانت تغلب عليه الروح الفلسفية في كتابة التاريخ . ويرى الأستاذ أوبرى في كتابيه «تاريخ فرنسا» و «نابليون» أثرين جليلين يمتازان بقوة خاصة . وقد كان بانفيل ملوكياً يؤمن أشـد الايمان بالملوكية ونظامها وتقاليدها ؛ وكان يدافع عن عقيدته في هذا الوسـط الجمهوري المضطرم بحرارة المؤمن ؛ ومن ثم كان رأيه في الثورة الفرنسية واعتبارها حركة دموية طائشة . وهو في هـذا يتفق مع كتاب عظام ناصروا الملوكية مثل لامرتين ؛ بيد أنه يفوقهم جميعاً في حرارة اخلاصه للملوكية وشدة وطأته على الثورة . ويعتبر الأستاذ أوبرى كتابه عن نابليون أفضل مما كتب عنه تاين ومبشليه ؛ ويرى في كتابه «تاريخ الأجيال الثلاثة» صورة صادقة قوية من احداث فرنسا ومحنها ومواطن عظمتها وضعفها منذ واقعة واترلو حتى معاهدة فرساى

بيد أن بانفيل يبدو في ذروة قوته كفيلسوف مؤرخ في كتابه الأخير ، وهو كتاب «الحاكمون بأمرهم» ، وقد استعرض فيه تاريخ الطغاة والطغيان منذ العصور الغابرة ؛ ويبدى بانفيل في بحثه وتحليله لخواص الطغيان والطغاة مقدرة تطبعها رزانة خاصة ؛ ويرى أوبرى أن أثر بانفيل عن الطغاة يجب أن يتبوأ مكانه بجوار كتاب «الأمير» للفيلسوف الايطالي مكيافيلي ، برغم أن بانفيل يهتدي في كتابه بمثل أخلاقية واجتماعية غـير تلك التي يهتدي بها مكيافيلي في كتاب «الأمير [1]» . ولتقدير الأستاذ أوبرى لتراث بانفيل التاريخي أهمية خاصة لأنه يتبوأ مكانة سامية بين مؤرخي فرنسا المعاصرين

(١) اقرأ تلخيص هذا الـكتاب للأستاذ عبد الحليم الجندي في العدد الماضي وفي هذا العدد من الرسالة

## أحرب أم سلام

نشر الـكاتب الانكليزي الـكبير الدوس هكسلي حفيد العلامة هكسلي مقالا عن مصاير السلام يقول فيه إن عام ١٩٣٦ سيكون عاماً حاسماً في تاريخ البشرية ؛ ذلك أنه إما أن يكون عام حرب أو عام سلام ؛ إما أن يستطيع الساسة فيه أن يحتفظوا بسلام أوربا ، وإما أن تفلت الحوادث من يدهم وينحدر العالم إلى الحرب

والدول التي تسيطر على مصاير العالم اليوم هي سبع : بريطانيا العظمى وفرنسا والولايات المتحدة والروسيا – وهذه في نظر الـكاتب هي الدول «الراضية» – ثم ألمانيا وايطاليا واليابان ، وهذه هي الدول «غير الراضية» ، ذلك لأن الاحتكار الاستعماري والاقتصادي الذي تنعم به الدول الراضية قد اشتدت وطأته في الأعوام الأخيرة من جراء السياسة القومية التي تتبعها ، والنظم الجمركية والاقتصادية التي تنظمها ، لتوطيد تجارتها وسحق تجارة الدول الأخرى . والدول غير الراضية لها كل الحق في أن تنقم على الدول الراضية هذا الاستئثار ؛ ذلك لأن مستوى الحياة في ايطاليا وألمانيا واليابان يهبط بالتدريج ، وسيستمر على هـذا الهبوط ؛ والحياة في هذه البلاد تغدو كل يوم أشد وطأة ، حتى أصبحت ترى أن المغامرة بخوض الحرب أفضل من أي سلام مسكين تجنيه في ظل هذه الظروف التعسة . وقد قامت في هذه الدول الثلاث حكومات تمد شعوبها بأن ترد بالقوة القاهرة عنها هذا الحيف ؛ فأما اليابان فقد انقضت على بعض أقاليم الصين ؛ وتحاول ايطاليا أن تفتتح الحبشة ؛ وربما أقدمت ألمانيا في فرصة قريبة على محاولة نيل الترضية اللازمة ، وربما كان ذلك على حساب روسيا أو أوربا الوسطى

وقد شهدت السياسة الدولية تطوراً عظيما في المبادئ ، وذلك بتطبيق مبادئ وإجراءات اجتماعية «أخلاقية» ؛ ولـكنا إذا أردنا السلام وجب أن نشتد في تطبيق هذه المبادئ الاجتماعية إلى حدود أخرى ؛ وإذا كانت ايطاليا تتبع سياسة غاشمة فذلك لما حاق بها من الظلم ؛ وليس ثمة وسيلة واحدة لدفع هـذا الحيف عن الدول غير الراضية سوى معاملتها ومعاملة دول أوربا الوسطى بعدالة

ويرى الكاتب أن الحرب والسلام بيد الدول نفسها ، فإذا أصرت الدول الراضية على التمسك باحتكارها الاقتصادى الذى كسبته بوسائل غير عادلة ، وإذا حاولت أن تتسلح حتى الذروة لتحتفظ به ، فان الحرب واقعة لا محالة

وأما إذا اعتزمت الدول الراضية أن تسير طبقاً لمبادئ الأخلاق ، وهى فى نفس الوقت مبادئ حسن التصرف ، فان السلام يغدو محققاً مكفولا

## الحياة المصرية المعاصرة

ظهر أخيراً فى انكلترا كتاب عن الحياة المصرية منذ أواخر القرن الماضى حتى يومنا ، عنوانه « حياة فى مصر A Lefatine in Egypt » بقلم سيدة انكليزية ، أنفقت طول حياتها فى هذه البلاد هى السيدة مابل جايارد . ويتناول هذا الكتاب وصف الحياة المصرية منذ أواخر عهد اسماعيل حتى سنة ١٩٣٥ ؛ أعنى خلال ستين عاما . وكان والد السيدة مابل موظفاً فى الحكومة المصرية منذ أوائل عهد الاحتلال ؛ وكانت مس مابل يومئذ فتاة ناشئة ، فقطعت حياتها الحافلة فى هذه البلاد ، بين الاسكندرية ومصر ، وشهدت تطورات الحياة المصرية فى هذه الحقبة ، واتصلت بكثير من الشخصيات البارزة فى هذا العهد ، ووقفت على كثير من الشؤون والمعلومات العامة والخاصة . وتقدم المس مابل فى كتابها عن مصر صوراً ساحرة لهذا العهد الذى كانت الحياة فيه ما تزال ناعمة هينة ؛ وتصف لنا مدينة القاهرة والمجتمع القاهرى فى أواخر القرن الماضى ، حين كانت لا تزال فى طور نشوئها العظيم ؛ وكانت لا تزال مدينة شرقية تحتفظ بكامل جمالها وسحرها الشرقى الذى ما زال يملأ مخيلة الكتاب والسائحين ؛ وتصف لنا الإسكندرية فى أوائل عهد الاحتلال وتروى لنا كيف كانت الحياة فيها أحياناً صعبة غير أمينة ، وكيف كانت محط المغامرات والمفاجآت المكدرة

وتقدم لنا المس مابل صوراً ممتعة عن البلاط الخديوى فى هذه الحقبة ، وعن الخديويين وعن أكابر سيدات الحرم الخديوى الذى اتصلت به المؤلفة وعرفت كثيراً من رسومه ومظاهر الحياة فيه ؛ وتصف لنا الاسكندرية والقاهرة أيام الحرب الكبرى ، وكيف تحولت العاصمتان الكبيرتان إلى شبه محطة عسكرية هائلة ، ثم تصف لنا ما طرأ على الحياة المصرية بعد الحرب الكبرى إلى يومنا

وكتاب المس مابل طريف تجدر قراءته فى هذه البلاد ، وإن لم يكن يخلو من بعض نواحى التحيز والتحامل التى قلما تخلو منها كتب الأجانب ، وبخاصة الانكليز ، عن مصر

## الفوكلور المراكشى

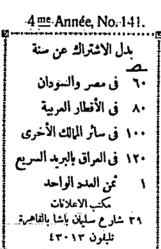
تعتبر اليوم دراسة المعتقدات والعادات والتقاليد الشعبية من الدراسات الأثرية المفيدة فى تاريخ الشعوب وتاريخ الحضارة ؛ وقد اتسعت هذه الدراسة وتقدمت فى عصرنا حتى أضحت تكوّن فرعاً خاصاً يطلق عليه « الفوكلور » أو دراسة المتقدات الشعبية . ومن المؤلفات التى ظهرت أخيراً فى هذا الموضوع كتاب للدكتوره فرانسواز ليجى عن « الفوكلور المراكشى » وقد عاشت الدكتوره ليجى فى مراكش أعواماً طويلة ، ودرست المجتمع المراكشى دراسة مستفيضة ، ووقفت على معتقداته وتقاليده القديمة التى لم تنجح المدنية الفرنسية المفروضة فى إزالة معالمها ؛ وتناولت المؤلفة معتقدات الشعب المراكشى الدينية ، وعاداته الاجتماعية ، وما تداولته الأجيال منذ العصور الغابرة فى شأن الخليقة وآدم والبر والبحر والحيوان والنبات والطير ، من الأساطير والأمثال السائرة ؛ وتسوق لنا المؤلفة أمثلة طريفة من هذه المعتقدات فى شأن بعض الأشجار والأزهار فتقول : « إنهم يعتقدون أن بعض النباتات ليست من خلق الله ولكنها من خلق الشيطان ، وهذا شأن التبغ مثلاً ؛ وأما شجرة الكرم وشجرة التين فقد حملهما آدم من الجنة ؛ وقد نبتت الورود وزهر البرتقال من دموع النبى ، ونبتت شجرة الرمان من الأزهار التى تركتها فاطمة الزهراء ابنة النبى حينما علمت بموت ولديها الحسن والحسين » ، ويعتقدون أيضاً أن بعض الحيوانات كانت بشراً ومسخت ، عقاباً لها على سيئاتها

والكتاب طريف فى موضوعه وفى مباحثه وخصوصاً فيما يتعلق بتقاليد القبائل البربرية وعاداتها ؛ وفى مباحثه ما يلقى كثيراً من الضوء على المجتمع المغربى فى تطوراته المختلفة ، فى ظل الوثنية والاسلام ، وما لا يزال حياً فى معتقداته وتقاليده من تراث العصور الغابرة

4 me Année, No. 141.

Lundi-16-3-1936

بدل الاشتراك عن سنة



صـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣





ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٤١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٥٤ — ١٦ مارس سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــدد



# رعاية الفـــلاح
## واجب قومى

أشارت الرسالة فى عددها الماضى إلى المحاضرة القيمة التى ألقاها نزيل مصر ، المستر جون نيتل الكاتب السويسرى الكبير ، عن تعليم الفلاحين ووجوب الاهتمام بثقافتهم القروية والصحية ، فذكرتنا هذه المحاضرة بمسألة لا تزال تثير فى نفوسنا شجناً ، هى مسألة الفلاح المصرى بوجه عام

أجل إن مسألة الفلاح المصرى مسألة تجدر بعناية كل مصرى يقدر الدور الخطير الذى يضطلع به الفلاح فى حياة هذه البلاد ؟ فالفلاح عماد الإنتاج القومى ، وجهوده عصب الثروة المصرية العامة ، وهو منبع الذكاء المصرى العامل ؛ يؤدى للخزينة العامة من دخله ما لا يؤديه أى مصرى آخر من ذوى المناصب أو المهن أو المال

ومع ذلك فالفلاح المصرى أقل أبناء الأمة حظاً من عناية أولى الأمر ، بل يكاد يكون منهم نسياً منسياً ؛ فقلما يفسح له

مجال فى المشاريع والمرافق العامة ، وقلما تقدر حقوقه ومصالحه قدرها الحقيقى ؛ وبينما نرى جميع الطبقات والطوائف من الموظفين وذوى المهن والطلبة والعمال ، بل وذوى المال ، كلا تدأب على مطالبة الحكومة وأولى الأمر بتحقيق ما تنشد من الحقوق والمزايا ، إذا بالفلاح يلزم الصمت والسكينة ، ويرقب مصيره قانعاً بالأمل ، راضياً بحكم القدر ، معتمداً على الله ثم على نفسه ودأبه المتواصل

بل نلاحظ مع الأسف والألم أن أصوات قادتنا ومصلحتينا ترتفع فى كل وقت مطالبة بتحقيق مختلف المشاريع الإصلاحية العامة ، ولكن قلما يرتفع منها صوت من أجل الفلاح والعناية بانتشاله من ذلك المنحدر السحيق الذى قضى عليه أن يعيش فيه ؛ وإذاً فما يثير الشكر والعرفان أن يرتفع بيننا صوت إنسانى كصوت ضيفنا المستر نيتل ، مطالباً للفلاح بما نقصر نحن فى المطالبة به من عناية هو خليق بها

يعيش الفلاح ، عصب الشعب المصرى وكثرته الساحقة ، فى نفس الحالة التى يعيش عليها منذ آلاف السنين ، فى غمر من الجهل المطبق والأمراض الفتاكة ، تعوزه أبسط وسائل الصحة والنظافة ؛ ولا يكاد يخرج من كده ودأبه المتواصل بأكثر من القوت الضرورى ، بل لا نعرف فى بلد من البلاد المتمدنة طبقة اجتماعية ينحط منسوب العيش فيها إلى هذا الدرك الأسفل الذى تنحط اليه معيشة الفلاح المصرى

ويؤدى الفلاح إلى خزينة الدولة نحو خمسة ملايين جنيه ضريبة عقارية ، ويؤدى أكثر منها ضرائب أخرى مباشرة وغير مباشرة ، فهو بذلك من أكبر المساهمين فى تكوين الدخل العام ؛ ومع ذلك فهو لا يصيب من النفقات العامة قسطاً يذكر ، سواء فى التعليم أو الصحة أو المنشآت والمرافق العامة . صحيح أن الدولة تنفق الملايين على أعمال الرى والصرف التى ينتفع بها الفلاح ، ولكنها إنما تنفق فى الواقع على إدارة الثروة المصرية العامة وإحيائها ؛ ومن العدالة بل من مصلحة البلاد الحيوية أن يحظى الفلاح بنصيب حسن من الإصلاحات الإجتماعية التى ترمى إلى رفع مستواه الصحى والعقلى ، ففى تقدم صحة الفلاح وتقدم ثقافته ثروة حقيقية للبلاد ، وزيادة فى قواها المنتجة الإقتصادية والإجتماعية

وليس الفلاح بحاجة إلى التدليل على قدره وأهميته فى حياة البلاد ؛ فهو يعمل متوارياً فى صمت ، ولكن شرايين الحياة المصرية كلها تمت بصلة وثيقة إلى عمله وإنتاجه ؛ وها هو ذا المعرض الزراعى الصناعى القائم الآن أسطع دليل حى على ما لهذا الفلاح المتواضع من جليل القدر فى الإنتاج العام ، وما يستطيع أن يقوم به من المعجزات الزراعية والصناعية إذا تعهده ولاة الأمر بالعناية الرفيقة والإرشاد المستنير

إن الفلاح مستودع الذكاء المصرى ، وأبناء الفلاحين هم صفوة القادة والزعماء وأكابر رجال الدولة والحكومة ، فكيف يعدم الفلاح بين أبنائه أنصاراً يطالبون بحقوقه فى الرعاية العامة ، وبقسطه من العناية الصحية والثقافية ؟ لقد كانت صحة الفلاح وعقله وروحه ومازالت عصب مصر الزراعية والاقتصادية ، وقد كانت وستغدو عصب الدفاع عن مصر ؛ فاذا شاءت مصر أن تحافظ على قواها المنتجة ، وأن تشحذها وتضاعفها ، فعليها ألا تدخر وسعاً فى العناية بجسم الفلاح وعقله وروحه

وإذا كنا نستطيع أن نسجل لبعض الوزارات المصرية شيئاً من الفضل فى الاهتمام بأمر الفلاح ، ولا سيما فى تقرير التعليم الأولى ، وإنشاء بعض المستشفيات والمؤسسات الصحية ، وردم البرك ، وغيرها ، فانه لا يسعنا إلا أن نلاحظ أن هذه المشروعات تسير بخطى بطيئة جداً ، وأن ما تم منها لا يعدو بداية ضئيلة . ومن حق الفلاح ، وهو الذى يكون أغلبية الأمة الساحقة ، ويساهم بأكبر قسط فى إنتاجها الحيوى ، ويتحمل معظم الأعباء والتكاليف العامة ، أن يفوز من ولاة الأمر ، ومن مشاريع الأصلاح العامة بأوفى نصيب

( * * * )

# ولود وعقيم

للأستاذ أحمد أمين

ركبتْ من أول محطة لترام مصر القديمة وهي كهلال الشك ، جلد على عظم ، وعلى يديها طفل قد جلل بالبياض ، وعصبت عيناه ، وغطى رأسه ووجهه بشاشة زرقاء

وركب في المحطة التالية سيدة نصَف ، أطيب شطريها الذي ذهب ، ممتلئة البدن ، سمينة الضواحي ، فحيت الأولى ، وتحادثتا

والنساء سريعات التعارف ، تراهن في طرفة عين يتحدثن إلى من لم يعرفن قبل في أدق الأمور ، وأعمق الأسرار ، حتى كأنهن صديقات العمر ، ورفيقات الصبى ؛ فهن يتحدثن بعد دقيقة في السعادة والشقاء ، وأوصاف الأزواج وعيوبهم ، والحموات ومصائبهن ومضايقتهن ، والدخل والخرج ؛ وقد ينتقلان إلى ما هو أدق من ذلك وأصعب ، مما لا يستطيع الرجال أن يتكلموا في بعضه إلا بعد عمر طويل ، وصداقة متينة ، ومشاركة في السراء والضراء

وبعد لحظة صرخ الطفل وأمعن في الصراخ ، تحاول أن ترضعه ليسكت فلا يسكت ، وتنيمه فلا ينام ، وتتبع معه كل الأساليب التي تعلمتها في اسكات الأطفال فلا تنجح ، وأخيراً تدعو عليه بالموت فلا يستجاب لها

— الثانية — ما له ؟

— الأولى — رمدت عيناه من أيام ثلاثة فشر بنى الر ، وفي الليلة الماضية لم أذق طعم النوم ، وأنا طول الليل واقفة على رجلي أذرع الحجرة من أولها إلى آخرها ومن آخرها إلى أولها ، وكلما هدأ وبدأ النوم ذهبت إلى السرير لأنيمه وأنام فيصرخ ويكرر النغمة عينها ويمثل الدور نفسه إلى الصباح ، حتى دار رأسي ، ومللت الحياة ، وتمنيت الموت ، ولم أر للحياة طعماً مذ رأيت الأولاد ، وها أنا ذاهبة إلى طبيب العيون

أعندك أولاد أخر ؟

نعم — هي خمسة وهذا سادسهم ؛ وقد حاولت بكل الوسائل أن أمنع الحمل بعد أول ولد ففشلت وفشلت . ومرة حاولت أن أخلص من جنين فكدت أخلص من نفسي وبقى الجنين . ومرة أصبت بنزيف شديد فمرضت نفسي على طبيب فقال إنه اجهاض ، وليس من أمل كبير في بقاء الجنين ؛ ثم أمرني أن ألتزم سريري ولا أتحرك ، وأنام على ظهري دائماً ، وكتب لي دواء يمنع النزيف . فامتنعت من شرب الدواء ، وأكثرت الحركة ، وعملت كل شيء عكس ما نصح الطبيب رغبة في الاجهاض ، ثم مع هذا كله ارتفع الدم وثبت الجنين . وهذا هو الذي على يدى

و « اسم الله عليهم » كلهم ذكور ؟

لا والله ! أربعة ذكور وبنتان ، وكلهم في الهم سواء ، وكل يوم نوع جديد من أنواع العذاب . ففي آخر السنة نضع يدنا على قلبنا عند الامتحان ، وتظهر النتيجة ، فهذا نجح ، وهذا سقط بلا ملحق ، وهذا له ملحق ؛ وتمضي الأجازة في عناء ! وتبتدئ السنة ، فمن نجح في الشهادة الابتدائية ظهر متأخر الترتيب فلا نجد له مدرسة أميرية تقبله ؛ والشهادة في يد ، والمصاريف في يد ، والمدرسة في رفض ! ثم هذا صحيح وهذا مريض ، وهذا ذاكرَ وهذا لم يذاكر . ولا تسألي عن وقت ذهابهم إلى المدرسة ! هذا يبحث عن جزمته فلا يجدها ، وهذا عن طربوشه فلا يجده ، وترى فرد جورب في حجرة وفرداً آخر في حجرة أخرى ، فلا يكادون يذهبون إلا وقد بلغت الروح الحلقوم . وعند مجيئهم من المدرسة هذا يغضب على الأكل وهذا يرضى ، وهذا ينازع ذاك ، ولا ينقذنا من كل هذا إلا نومهم . ثم هذا الشهر شهر أقساط المصاريف ، وهذا شهر كسوة الصيف ، وهذا شهر كسوة الشتاء ، وماهية الزوج لا تكفي هذا وذاك ، والعيش كله عناء في عناء . وأنت ؟ أليس عندك أولاد ؟

كان منظراً غريباً ، فقد طفرت الدمعة فجأة من عين السيدة الثانية ، فلما أخرجت منديلها ومسحت دمعها قالت : أبي الله أن يرزقني في حياتي ولداً ، وطالما دعوته وسألته ! وحججت مرة ، وكان أكبر همي من حجي أن أقف في أشرف بقعة وأسأل

الله أن يهبني ابناً أو بنتاً ؛ وليكن الابن ذكياً أو غبياً ، ولتكن البنت جميلة أو دميمة ؛ فأنا راضية بأى مولود على كل حال ، ولكنه — سبحانه وتعالى — لم يفعل ، وفى القرآن الكريم : « يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيما » فقد شاء أن يجعلنى من الصنف الأخير — لمنيت أن يكون لى أولاد ، وأتحمل فيهم أضعاف ماذكرت من عناء . ثم أراهنك أنى أكون سعيدة مغتبطة لا أشكو ولا أتألم — لقد طرقت كل الأبواب لذلك فلم أنجح ، ذهبت إلى الأطباء فعملوا لى عملية ، واحتملت فى سبيلها كل الآلام ؛ وذهبت إلى المشايخ فرقوا وعزموا ؛ وذهبت إلى الشيخات « فخضرن » وبخرن و « وصفن » ؛ وقالوا بخافين ؛ نخفت ونزلت القبر ، وركبت وابور « لوناباركِ » ؛ وقالوا وقالوا ، وفعلت وفعلت ، فذهب ذلك كله هباء ، ورزقنى الله مالاً كثيراً استطعت أن أفعل به كل ما وصفوا حتى السفر إلى أوربا واستشارة أطبائها ، ولكن إذا أبى الله فماذا يفعل العبد ؟

لم يبق لى من ذلك كله إلا التلهف على الولد والحسرة الدائمة ؛ وكل شىء حولى يذكرنى بالأولاد فيثير أشجانى وأحزانى . لقد رأيت فى حديقتى أشجار البرتقال والليمون تحمل أثمارها فقلت يا لله ! أتسبل نعمك على الأشجار فتحمل كل عام أثمارها ، وتضن على فلا أحمل مرة ثمرة ! وعندى قطة تحمل دائماً وتضع مالا يعد من الأولاد ، وكلما حملت ذكرت حملى ، وكلما ولدت بكيت أولادى الذين لم يوجدوا بعد ؛ وأرى الفقيرات البائسات الغاديات فى الشارع كل واحدة منهن تحمل فى بطنها ولداً ، وترضع ولداً ، وتجر ولداً ، فيتجمع الحزن فى قلبى ، وتنفجر منه عينى ؛ وأسمع « معارفى » وصواحبى ، هذه ولدت ، ثم هذه ولدت ، ثم هذه ولدت ، فأقول لم يبق عقيما إلا أنا ، ولم يتخصص للشقاء غيرى ! رزقنى الله مالاً ولم يرزقنى ولداً ، وليته رزقنى ولداً ولم يرزقنى مالاً ؛ ولو كان الولد يشرى بكل ما أملك لاشتريته وكنت سعيدة ؛ بل لو كان يشرى بعينى لاشتريته وكنت رابحة فى صفقتى . وما الدنيا وما المال ؟ وما الحياة بغير الولد ؟ لقد كنت فى أول أمرى أطلب الولد خشية أن يتزوج زوجى غيرى ، فلما أمنت جانبه ، واطمأننت من ناحيته ، طلبت الولد لأنه طبيعتى ولأنه حياتى بعدى ، ولأنه موطن انتساخ روحى ، ولأنى امرأة قد خلقت للأمومة . لقد أحسست بهذه الأمومة فى صغرى فعملت العرائس إرهاصاً لأمومتى ، ثم تزوجت تهيؤاً لهذه الأمومة ، فلما تقدمت فى السن ولم أجد الأمومة رأيتنى فقدت طبيعتى ، ورأيتنى فى الحياة مقدمة بلا نتيجة ، أو قبة بلا شيخ ، أو لوزة فارغة ، وأنا والعروس من الحلوى ، والعروس من القطن سواء ، كلنا لا يلد . ليس لى أمل فى السلوة إلا بالموت . فهو وحده بلسم الهموم ، ومقبرة الأحزان ! وهنا ختمت حديثها — كما بدأته — بالدموع

قالت الأولى : والله لو ذقت مرارة الأولاد ما تمنيتهم ؛ ولو جربت سهر الليالى ما اشتقتهم ؛ ولكن أحب شىء إلى الانسان ما منع ؛ والقصر من بعد أجمل منظراً من سكناه ؛ والخيال دائماً ألذ من الحقيقة . لقد كان مرة أكبر أولادى يبكى وهو رضيع ولا نعلم سبباً لبكائه ، ويبكى ويشتد فى البكاء حتى بلغ منا الهم مبلغه ، وإذا بزفة عريس تمر من تحت بيتنا ، فأضحكنى زوجى أبو الطفل إذ قال للعريس : « غُرّ » غداً تخلف « وترى » — ولو تمنيت الآن شيئاً لتمنيت أنى لم أكن تزوجت ، وإن تزوجت فلم أكن « خلفت » — أتبادليننى ؟ وضحكت

قالت الثانية وتأوهت : وكيف يمكن البدل ؟ إنما أريد أولاداً منى لا منك ، أريد كبدى تمشى على الأرض أربيها ، ولا أريد كبدك أنميها وأغذيها — وأنت أيضاً لا تعبرين عما فى نفسك تعبيراً صادقاً ، فمن تهون عليه أولاده ؟ إنما ينفع البدل إن كان قدر لى الله أن أكون ولوداً وأن تكونى عقيما

قالت الأولى : أتريدين الحق يا أختى ؟ الدنيا كلها تعب فلا ولود فى راحة ، ولا عقيم فى راحة ، ولا متزوجة سعيدة ، ولا عزبة سعيدة

ووصل الترام إلى العتبة فنزلنا ، هذه إلى طبيب ابنها وتلك لبعض شؤونها

قال صاحبى : ولكن كيف أمكنك أن تسمع هذا الحوار ؟

قلت : هذا سر الصنعة .

أحمد أمين

# ٤ – الدينار والدرهم

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال أحمد بن مسكين : وأزِفَ ترحُّلي عن ( بلخ ) وتهيأتُ للخروج ، ولم يبق من مدة مقيلي بها إلا أيام يجيء فيها السبتُ الرابع . وكانت قد وقعت مُمَاراةٌ بيني وبين مفتي ( بلخ ) أبي إسحق ابراهيم بن يوسف الباهلي [١] تلميذ أبي يوسف صاحب الامام أبي حنيفة ، ويزعمون أنه شحيحٌ على المال وأنه يَتَغَلَّلُه من مُسْتَغَلَّاتٍ كثيرة [٢] ، فكأنما غَشِيَتْه غمامتي ، فهو لا يرى أن أتكلم في الزهد ، ويحسب هذا الزهد تماوُتَ العبَّاد وتَنَفُّضَ الأيدي من الدنيا وسوءَ الصاحبة لما يُنعم الله به على العبد ، وخذلانَ القوة في البدن ، وما جرى هذا المجرى من تزوير الحياة بالأباطيل التي زعم أنها أباطيل الطاعات وما أقربها من أباطيل المعصية . ولم يكن هذا الفتى قد سمعني ولا حضر مجلسي ، ولولا الذي لم يعرفه من ذلك لقد كان عرف

وجادلتُه فرأيته واهنَ الدليل ، ضعيفَ الحجة ، يُخَمِّنُ تخمين فقيه ، وينظر إلى الخفايا من حقائق النفوس نظر صاحب النصِّ إلى الظاهر ، كأن الحقيقة إذا ألقيت على الناس مضت نافذة كفتوى المفتي ... ويزعم أن الوعظ وعظُ الفقهاء ، يقولون هذا حرام فيكون حراماً لا يُقارفه أحد ، وهذا حلال فيكون حلالاً لا يتركه أحد ؛ وهو كان بعيداً عن حقيقة الوعظ ومداخله إلى النفس وسياسته فيها ، ولا يعرف أن الحقيقة كالأنثى إن لم تزن زينتها لم تسبِ أحداً ؛ وأن الوعظة إن لم تتأدَّ في أساليبها الحلوة كانت بالباطل أشبه ، وأنه لا يغير النفسَ إلا النفسُ التي فيها قوةُ التحويل والتغيير كنفوس الأنبياء ، ومن كان في طريقة روحهم ، وأن هذه الصناعة إنما هي وضع نور البصيرة في الكلام لا وضعُ القياس والحجة ، وأن الرجل الزاهد الصحيح الزهد ، إنما هو حياة تلبسها الحقيقة لتكون به شيئاً في الحياة والعمل ، لا شيئاً في القول والتوهم ، فيكون إلمامها فيه كحرارة النار في النار من واتاها أحسها

ولعمري كم من فقيه يقول للناس هذا حرام ، فلا يزيد هذا الحرام إلا ظهوراً وانكشافاً مادام لا ينطق إلا نطق الكتب ولا يحسن أن يصل بين النفس والشرع ، وقد خلا من القوة التي تجعله روحاً تتعلق الأرواحُ بها وتضمه بين الناس في موضع يكون به في اعتبارهم كأنه آتٍ من الجنة منذ قريب ، وراجعٌ إليها بعد قريب

والفقيهُ الذي يتملق بالمال وشهوات النفس ولا يجعل همَّه إلا زيادة الرزق وحظ الدنيا — هو الفقيه الفاسدُ الصورة في خيال الناس يُفهمهم أولَ شيء ألَّا يفهموا عنه إذ حرصه فوق بصيرته ، وله في النفوس رائحةُ الخبز وله معنى خمسٍ وخمس عشرة [١] ... وكأن دنياه وضعت فيه شيئاً فاسداً غريباً يفسد الحقيقة التي يتكلم بها ؛ ولست أدري ما هو هذا الشيء ولكني رأيت فقهاء يعظون ويتكلمون على الناس في الحرام والحلال وفي نص كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم لم أجد لكلامهم نفعاً ولا رداً ، إذ يلهمون الناس بأرواحهم غير المعنى الذي يتكلمون فيه ؛ وتسخر الحقيقة منهم — على خطرهم وجلال شأنهم — بذات الأسلوب الذي تسخر به من لص يعظ لصاً آخر فيقول له لا تسرق . . .

* * *

قال ابن مسكين : فلما دار يوم السبت أقبل الناس على المسجد أفواجاً ، وكانوا قد تعالموا إزماعي الرحيل عن بلدهم — وجاء ( لقمان الأمة ) في أشياعه وأصحابه ، وجاء أبو اسحق المفتي في جماعته ، واستقر بي المجلس فنفذتْ الناسَ بنظري فكأنهم نبات على الأرض ، فأذكرني هذا شيخنا السريَّ بنَ مُغلِّس السقطي [٢] ، وكان قد لزم داره في بغداد لا يخرج منها ولا يراه إلا من قصد إليه ، وهممتُ أن أجعل الوعظة في شرح كلمته

(١) توفي مفتي بلخ هذا سنة ٢٣٩ .

(٢) المستغلات أصول الأموال وتغلل واستغل بمعنى

(١) يريد أنه في هذه الدنيا ( عملية حسابية ... ) وفي أيام ضعفة الدين يكون الفقه استخراج الدراهم من النصوص . . .

(٢) السقط ردىء المتاع ( روبابيكا ) وبائعه السقطى . وهذا الامام العظيم كان أوحد أهل زمانه في الورع وله كلام إلهي مشرق وقد توفي عن سن عالية في سنة ٢٥٣ .

المشهورة : لا تصحُّ المحبة بين اثنين حتى يقولَ أحدهما للآخر : يا أنا . وما نقلوا عنه من أنه قال مرة لبعض أصحابه : منذ ثلاثين سنة وأنا في الاستغفار من قولي ( الحمد لله ) . فقال صاحبه : وكيف ذلك ؟ قال : وقع ببغداد حريق فاستقبلني رجلٌ فقال : نجا حانوتك . فقلتُ الحمد لله ؛ فأنا نادم من ذلك الوقت على ما قلت إذ أردتُ لنفسي خيراً من الناس . قال ابن مسكين : ولكني أحببت أن أكلم الفتى ومالَ الفتى ؛ فحدثتهم حديث معرفتي بالسّري . أني سمعتُ يوماً غيلان الخياط يقول : إن السري كان اشترى كُرَّ لوز[1] بستين ديناراً وأثبته في روزنامجه[2] وكتب أمامه : ربحُه ثلاثة دنانير[3] ؛ فلم يلبث أن غلا السعر فبلغ تسعين ديناراً ؛ فأتاه الدلال الذي كان اشترى له فقال : أريد ذلك اللوز . قال الشيخ : خذه . قال : بكم ؟ فقال بثلاثة وستين ديناراً . وكان الدلال رجلاً صالحاً فقال للشيخ : إن اللوز قد صار الكُر بتسعين . قال السري : ولكني عقدت بيني وبين الله عقداً لا أحلُّه ، فلست أبيع إلا بثلاثة وستين ديناراً . فقال الدلال : وأنا قد عقدت بيني وبين الله عقداً لا أحله ألاّ أغشّ مسلماً ، فلست أشتري منك إلا بتسعين ؛ فلا الدلال اشترى منه ولا السريُّ باعه

قال أحمد بن مسكين : فلما سمعت ذلك لم تكن لي همة إلا أن آتي الشيخ وأصحبه وآخذ عنه ، فلم أُعرِّج على شيء حتى كنت في المسجد الذي يصلي فيه فأجده في حلقته وعنده ممن كنت أعرفهم : عبدُ الله بن أحمد بن حنبل وإدريس الحداد وعلي بن سعيد الرازي ، وحوله خلق كثير وهو فيهم كالشجرة الخضراء بين الهشيم تماوله نضرةُ روحه وكأنما عُذّي بالنور يعرق من السماء فهو يتلألأ للعين ؛ ولا يملك الناظر إليه أن يحس في ذات نفسه أنه الأدنى من رؤيته في ذات نفسه أن هذا هو الانسان الأعلى

ورأيت على وجهه آلاماً تمسحه مسحةَ الأشواق لا مسحة الآلام ، فهي آثارُ ما يجده في روحه القوية ؛ لا كآلام الناس التي هي آثار الحرمان في أرواحهم الواهنة الضعيفة فلا تمسح وجوههم إلا مسحة الغم والكآبة . وما يخطىء النظر في تمييز آلام السماء على هذه الوجوه السعيدة من آلام الأرض في الوجوه الأخرى فان الأولى تتندّى على روح الناظر بمثل الطّل إذا قطّره الفجر ، والأخرى تتَشَوّرُ كما تهيج الغَبَرةُ إذا ضربت الريحُ الأرض

كان الشيخ في وجود فوق وجودنا فلا تتلوّن له الأشياء ولا تعدو عنده ما هي في نفسها ، ولا يحمل الشيء له إلا معناه من حيث يصلح أو لا يصلح ، ومن حيث ينبغي أو لا ينبغي . فانما تتلون الأشياء عند ما يضع الشيطانُ عينَه في عين الناظر إليها ؛ وإنما تزيد وتنقص في القلب عند ما يكون روح الشيطان في القلب ؛ وإنما يشتبه ما ينبغي وما لا ينبغي عند ما يأتي الشيء من جهتين : جهته من طبيعته هو ، وجهته من طبيعتنا نحن . وبهذا قد يجمع الانسان المال ثم لا يجد في المال معنى الغنى ، وقد تتفق أسباب النعيم ولا يكون منها إلا الذل . وكم من إنسان يجد وكأنه لم يجد إلا عكس ما كان يبغي ، وآخرَ لم يجد شيئاً ووجد بذلك راحته .

* * *

قال ابن مسكين : وما كان أشدَّ عجبي حين تكلم الشيخ فقد أخذ يجيب على ما في نفسي ولم أسأله كأن الذي في فكري قد انتقل إليه ؛ فروى الحديث : إذا عظّمتْ أمتي الدينارَ والدرهم نُزع منها هيبة الاسلام ، وإذا تركوا الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر حُرموا بركةَ الوحي . ثم قال في تأويله :

إن ملك الوحي ينزل بالأمر والنهي ليخضع صَوْلةَ الأرض بصولة السماء ، فاذا بقي الأمر بالمعروف والنهيُ عن المنكر بقي عملُ الوحي إلا أنه في صورة العقل ، وبقيت روحانية الدنيا إلا أنها في صورة النظام ، وكان مع كل خطأ تصحيحُه فيصبح الانسان بذلك تنفيذاً للشريعة بين آمرٍ مطاع ومأمور مطيع ، فيتعامل الناس على حالة تجعل بعضهم أستاذاً لبعض ، وشيئاً منهم تعديلاً لشيء ، وقوة سنداً لقوة ؛ فيقوم العزمُ في وجه التهاون ، والشدة في وجه التراخي ، والقدرة في وجه العجز . وبهذا يكونون شركاءَ متعاونين ، وتعود صفاتهم الانسانية وكأنها جيشٌ عامل يناصر بعضه بعضا فتكون الحياة مفسرةً ما دامت معانيها السامية تأمر أمرها وتلهم إلهامها وما دامت ممثَّلة في الواجب النافذ على الكل

---

(١) الكر بضم الكاف مكيال عظيم يقدرون به في الحساب وهو أربعون اردبا مصريا (٢) أي دفتر حسابه (٣) ثمنه في لغة

والناس أحرار متى حكمتهم هذه المعاني فليست حقيقة الحرية الانسانية إلا الخضوع للواجب الذي يحكم ، وبذلك لا بغيره يتصل ما بين الملك والسُّوقة وما بين الأغنياء والفقراء اتصالَ الرحمة في كل شيء واتصالَ القسوة في التأديب وحده . فبركة الوحي إنما هي جعل القوة الانسانية عملا شرعياً لا غير

أما تعظيم الأمة للدينار والدرهم فهو استعباد المعاني الحيوانية في الناس بعضها لبعض ، وتقطُّعُ ما بينهم من التشابك في لُحمة الانسانية ، وجعل الكبير فيهم كبيرا وإن صغرت معانيه والصغير فيهم صغيرا وإن كبر في المعاني ؛ وبهذا تموج الحياة بعضها في بعض ولا يستقيم الناسُ على رأي صحيح ، إذ يكون الصحيح والفاسد في ملك الانسان لا في عمل الانسان ، فيكنز الغني مالا ويكنز الفقير عداوة كأن هذا قتل مالَ هذا وكأن أعمالا قتلت أعمالا ، وترجع الصفاتُ الانسانية متعادية وتباع الفضائل وتشترى ، وتزيد من تزيد ولكن في القسوة ، وينقص من ينقص ولكن في الحرية ، وتكون النفعة الذاتية هي التي تأمر في الجميع وتنهى ، ويدخل الكذبُ في كل شيء حتى في النظر إلى المال فيرى كل انسان كأنما درهمُه وديناره أكبر قيمة من دينار الآخر ودرهمه فاذا أعطى نقص فغش ، وإذا أخذ زاد فسرق ؛ وتصبح النفوس نفوساً تجارية تساوم قبل أن تنبعث لفضيلة وتُماكِسُ إذا دُعيت لأداء حق ، ويتعامل الناس في الشرف على أصول من المعدة لا من الروح ، فلا يقال حينئذ إن رغيفين أكثر من رغيف واحد كما هي طبيعة العدد ، بل يقال إن رغيفين أشرفُ من رغيف كما هي طبيعة النفاق

أما التجارة وهي التفسير الظاهر لمعاني النفوس فتصبح بين الغش والضرر والمماكرة ، وتكون يقظة التاجر من غفلة الشاري وتفسد الارادة فلا تحدث إلا آثارها الزائفة . وما التاجر في الأمة القوية إلا أستاذ لتعليم الصدق والخلق في الوضع التقلب فكلمته كالرقم من العدد لا يحتمل أزيد ولا أنقص مما فيه ، ويُمتحَن بالدنيا والدرهم أشدَّ مما يمتحن العابد بصلاته وصيامه . وقد شهد رجل عند عمر بن الخطاب في قضية فقال له عمر : ائتني بمن يعرفك ، فأتاه برجل أثنى عليه خيراً ، فقال له عمر : أنت جاره الأدنى الذي يعرف مدخله ومخرجه ؟ قال : لا ، قال فكنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق ؟ قال : لا . قال : فعاملته بالدينار والدرهم الذي يستبين به ورعُ الرجل ؟ قال : لا

قال عمر : أظنك رأيته قائماً في المسجد يُهَمْهِمُ بالقرآن يخفض رأسه طوراً ويرفعه أخرى . قال : نعم

قال : فاذهب فلست تعرفه

وإنما التاجر صورة من ثقة الناس بعضهم ببعض وإرادة الخير واعتقاد الصدق ، وهو في كل ذلك مظهر توضع اليد عليه كما تجسُّ اليدُ مرض المريض وصحته

فاذا عظمت الأمة الدينار والدرهم فانما عظمت النفاق والطمع والكذب والعداوة والقسوة والاستعباد ؛ وبهذا تقيم الدنانير والدراهم حدوداً فاصلة بين أهلها ، حتى لتكون المسافة بين غني وفقير كالمسافة بين بلدين قد تباعد ما بينهما . وإنما هيبة الاسلام في العزة بالنفس لا بالمال ، وفي بذل الحياة لا في الحرص عليها ، وفي أخلاق الروح لا في أخلاق اليد ، وفي وضع حدود الفضائل بين الناس لا في وضع حدود الدراهم ، وفي إزالة النقائص من الطباع لا في إقامتها ، وفي تعاون صفات المؤمنين لا في تعاديها ، وفي اعتبار الغنى ما يُعمل بالمال لا ما يجمع من المال ، وفي جعل أول الثروة العقل والارادة لا الذهب والفضة

هذا هو الاسلام الذي غلب الأمم ، لأنه قبل ذلك غلب النفس والطبيعة

(طنطا) مصطفى صادق الرافعي

عصر القفاء

# البارون فون أوفنباخ

## داعية ومغامر ومشعوذ

للأستاذ محمد عبد الله عنان

كان القرن الثامن عشر عصر الخفاء فى أوربا ، تزدهر فيه الدعوات والحركات السرية ، ويزدهر فيه أقطاب الدعاة السريين ؛ فنى أوائله نرى حركة البناء الحر ( الماسونية ) تتغلغل فى أنحاء أوربا ، وتقوم طائفة أخرى من الحركات والجمعيات السرية ؛ وفى أواخره نرى طائفة من أقطاب المغامرين الذين يتشحون بأثواب الخفاء والشعوذة يجوبون أوربا من أقصاها إلى أقصاها ، ويثيرون الروع والدهشة أينما حلوا ؛ ولهؤلاء الدعاة المغامرين سير عجيبة تفيض بها سير القرن الثامن عشر ، وتبدو كأنها قصص مغرق ، بيد أنها ترجع فى الغالب إلى كثير من الحقيقة ، وكل ما هنالك أن هذه الحقيقة يكتنفها كثير من الغموض والخفاء يرجع إلى ظروف العصر والمجتمعات التى ظهر فيها أولئك الدعاة المغامرون

ومما يلاحظ أن معظم المغامرين والدعاة السريين الذين ظهروا فى هذه الفترة هم يهود أو ينتمون إلى أصل يهودى ، وأن معظم الحركات والدعوات السرية التى ازدهرت فيها ترجع أيضاً إلى أصل يهودى ، أو نلمس فيها على الأقل وحى الدعاية اليهودية ؛ وهذه الملاحظة ترجع فى الواقع إلى ظاهرة تاريخية أعم ، وهى أن اليهودية كانت منذ العصور الوسطى مستقى أو مبعثاً لكثير من الحركات والجمعيات السرية التى قامت فى أوربا ، ومعظمها يرمى إلى غايات هدم دينية أو اجتماعية ، تقصد بها النصرانية ومبادئها وعقائدها قبل كل شىء

وقد كانت « الكابالا » اليهودية منذ العصور الوسطى أكبر مصدر لهذه الدعوات والرموز السرية . والكابالا شهيرة فى تراث اليهودية الروحى والفلسفى ، وهى عبارة عن مزيج من الفلسفة والتعاليم الروحية ، والرموز السحرية ، يتوارثها أحبار اليهودية ودعاتها منذ أقدم العصور ، وأخص تعاليمها الروحية أن الله وهو الكائن المطلق الخالد ينفث من نفسه إلى عالم الأرواح النقية ، وأن روح الانسان تنتقل من جسم إلى جسم حتى تعود فى النهاية إلى الله وتفنى فيه ؛ ولكن الكابالا اشتهرت بالأخص برموزها السرية وتعاويذها السحرية ، وقد كانت هذه مدى العصور تراث الخفاء فى يد الدعاة والمشعوذين ، يستغلون به سذاجة الكافة ، ويتخذونه سلاحاً قوياً لبث دعواتهم وتحقيق غاياتهم فى مجتمعات مؤمنة يروعها السحر والخفاء على كر العصور

وقد بلغت هذه الدعوات والتعاليم السرية اليهودية ذروة القوة والذيوع فى القرن السابع عشر ؛ وكانت بولونيا ، وبالأخص مقاطعة بودوليا التى كانت يومئذ منزلا لطوائف كثيرة من اليهود ، مركزاً للدعوة الكابالية ؛ وكانت هذه الدعوة تتمخض من آن لآخر عن ثورات دينية يتردد صداها فى المجتمع اليهودى كله . وفى أواسط القرن السابع عشر ظهر فى تركيا شابتاى زيبى ، وهو داعية يهودى زعم أنه المسيح المنتظر ، فأثار ظهوره ومزاعمه فتنة كبيرة فى المجتمع اليهودى ؛ ولم يكن « المسيح المنتظر » سوى داعية ماهر من دعاة « الكابالا » ؛ وفى أواسط القرن الثامن عشر ظهر فى بولونيا عدة متعاقبة من الدعاة الكاباليين ، أشهرهم اسرائيل البدولى الذى أسس طائفة « الحسديم » ؛ وكان اسرائيل بارعاً فى ضروب الشعوذة واستخدام الرموز والتعاويذ السحرية ، فلقيت دعوته صدى كبيراً ، والتف حوله كثير من اليهود الذين خرجوا على تعاليم « التلمود » وتقاليده

وفى ذلك الحين أيضاً ظهر داعية من أعظم دعاة الكابالا ، وأشدهم خفاء وغموضاً ، فأثارت شخصيته الغامضة ، وحياته العجيبة ، ومزاعمه الخارقة ، وبذخه الطائل أيما روعة ودهشة فى مجتمعات أوربا الوسطى . واسم هذا الداعية الغريب يعقوب فرنك ، وكل ما نعرف عن نشأته وحياته الأولى أنه ولد فى بولونيا ، وكان فى حداثته يشتغل بتقطير الخمور ؛ ثم تجول حيناً فى بلاد القرم وفى تركيا ، ودرس تعاليم « الكابالا » ورموزها دراسة عميقة ، واتصل بأنصار شابتاى زيبى ودعاهم إلى لوائه ، ثم عاد

إلى بودوليا منزل الحركة الكابالية ، وهنالك أسس فى سنة ١٧٥٥ طائفة جديدة تعرف بجماعة « الزوهاريين » نسبة إلى « زوهار » أو كتاب الضوء ، وهو من الكتب العبرية الكابالية ؛ ولم يلبث أن ذاعت دعوته وقويت عصبته ؛ ونهض لمقاومته جماعة « التلموديين » الرجعيين ، ونشبت بينهما خصومة قوية ، فالتجأ فرنك إلى حماية أسقف كامنيك وأفضى اليه بحوله النصرانية ، وأحرق التلمود علناً ؛ وعاونه الأسقف على مقاومة خصومه حيناً ولكنه لم يلبث أن توفى ، واشتد الأحبار اليهود فى مهاجمة فرنك ومطاردته ، وأوقعوا به لدى حكومة وارسو ، ولدى مبعوث البابا ، وصوروه للسلطات الدينية والمدنية يهودياً مرتداً ، ونصرانياً مماذقاً ، وأن دعايته خطر على العقائد المرعية ، فهبت السلطات لمقاومته ، وبدأت يد المطاردة تعمل لسحق « الزوهاريين » وتشريدهم

والواقع أن مذهب فرنك لم يكن يهودية خالصة ولا نصرانية خالصة ، بل كان مزيجاً غريباً من اليهودية والنصرانية والوثنية ؛ ولم تكن بولونيا مهداً خصباً لمثل هذه الدعوات الجريئة ؛ فلم يمض بعيد حتى قبض على فرنك بتهمة الارتداد الكاذب ونشر الالحاد والكفر ، وزج إلى قلعة شنتشوف ؛ وبادر كثير من أنصاره بالفرار إلى تركيا ، واعتنق الكثلكة كثير ممن بقى منهم فى بولونيا ، ولكنهم بقوا يهوداً فى سرائرهم ، وقبض على عدد منهم وحكم على البعض بالأشغال الشاقة ، ولكن كثيراً منهم استطاعوا أن يتقوا بستار الكثلكة ويل المطاردة ؛ وأتى الذين هاجروا إلى تركيا عنتاً واضطهاداً من السلطات الدينية فى مولدافيا ، وانقض عليهم العامة ونهبوهم ، وتفرقوا فى كافة الأنحاء . أما يعقوب فرنك فلبث يرسف فى سجنه حتى سقطت قلعة شنتشوف فى أيدى الروس فى سنة ١٧٧٢ ، وعندئذ أطلق سراحه ؛ فتجول حيناً فى بولونيا وبوهيميا ومورافيا متشحاً فى الظاهر بثوب الكثلكة ، وهو يجمع الأموال والرسوم الفادحة من أنصاره وأبناء جلدته ، ويثير الروع والاجلال بين الكافة بمظاهر بذخه ؛ وكان مذهب الزوهاريين قد ذاع فى المجتمعات اليهودية فى تلك الأنحاء ، وكانت تعاليمهم أكثر جنوحاً إلى النصرانية ، فهم ينكرون التلمود ، ويسلمون بالتثليث والحلول ، ولكن ينكرون أن المسيح وحده أهل للحلول ؛ وكان هذا المزيج بين المذاهب والتعاليم المختلفة ملاذ الدعاة فى كل عصر ، فهم يزعمون دائماً أنهم ينشئون مذهباً أو ديناً جديداً ، ولكنهم يمدون دائماً إلى الاقتباس من المذاهب والأديان القائمة ، ويسبغون على مزيجهم نوعاً من الجدل الغامض للتمويه على العامة والبسطاء .

على أن يعقوب فرنك غدا مذ توضت دعائم طائفته رجلا آخر ، فهو لم يبق بعد داعية يتزعم مذهباً جديداً ؛ ولم يبق بعد اعتناق الكثلكة يهودياً ينفث دعايته إلى أبناء دينه ؛ بل غدا فى الواقع شخصية جديدة يحوطها خفاء من نوع جديد ؛ ذلك أنه ظهر فجأة فى المجتمع الرفيع ، يعيش فى بذخ شرقى طائل ، ويحيط نفسه بحاشية كبيرة فخمة ، ويدهش المجتمعات الرفيعة فى ألمانيا والنمسا بروعة مظاهره وفيض بذخه ؛ وما زالت حياة فرنك فى تلك الفترة لغزاً ، وما زال مصدر ثرائه المدهش سراً على التاريخ ؛ ومنذ ذلك الحين يعيش فرنك فى فينا وفى برون على مقربة منها ، تحيط به أروع مظاهر الفخامة والبذخ ، كما يحيط به أعمق الأسرار وأغرب المزاعم ؛ ولبث فرنك مدى حين يدهش البلاط النمسوى وكل مجتمع فينا الرفيع بشخصيته الخفية ، وحياته الفخمة الباذخة ؛ وكانت له ابنة حسناء تدعى « حوه » ، استطاعت أن تتقرب من الامبراطورة ماريا تيريزا ، وأن تنال لديها حظوة ونفوذاً ، وأن تمهد لأبيها كثيراً من السبل ؛ ولكن الريب الذى يلاحقه أينما حل كان يحيط دائماً بشخصيته وبحياته ووسائله ومزاعمه ؛ ولم يلبث أن اضطر إلى مغادرة النمسا ليتقى شر الاتهام والمطاردة ؛ وعندئذ تحول إلى مدينة أوفنباخ بألمانيا على مقربة من فرانكفورت ، واستقر بها مع حاشيته الكبيرة ، وعاش هنالك بنفس البذخ الطائل الذى كان مثار الروع والدهشة والاعجاب أينما حل .

وعاش فرنك فى أوفنباخ أعواماً طويلة ، وتسمى بالبارون فون أوفنباخ ، وهو لقب يغلب عليه فى كتب التاريخ والقصص ؛ وأثار بروعة بذخه ومظاهره طلعة المجتمع الألمانى ودهشته كما أثار دهشة المجتمع النمسوى من قبل . ويقدم إلينا المؤرخ الألمانى بيتر بير وصفاً روائياً شائقاً لحياة فرنك العجيبة وبذخه المدهش فيقول لنا : « كانت له حاشية من بضع مئين من الفتيان والفتيات اليهود ذوى الحسن الرائع ؛ وكان يذاع أن صناديق المال تنهمر عليه فى كل يوم ولا سيما من بولونيا ، وكان يخرج كل يوم فى

موكب حافل ليقيم شعائره في العراء ، في عربة تجرها جياد مطهمة ، ومن حوله عشرة أو اثنا عشر فارساً بروسياً في حلل حمراء خضراء موشاة بالذهب ، وقد شهروا الرماح ووضعوا في قلنسواتهم رموزاً من النسور أو الوعول أو أهلة وشموساً وأقماراً ؛ وكان الماء يصب دائماً حيثما كان يقيم شعائره ؛ وكان يوم الكنيسة في مثل هذا البذخ ، وهنالك يؤدي القداس بطريقة خاصة ، وفي خشوع خاص ؛ وكان أنصاره يعتقدون فيه الخلود ؛ بيد أنه توفي في سنة ١٧٩١ ؛ ودفن في بذخ يعدل بذخ حياته ، وسار وراء نعشه موكب من غاغائه ؛ بيد أن سر ثرائه وبذخه دفن معه في قبره ؛ وانحدرت أسرته بعد وفاته إلى حالة من البؤس تدنو إلى التسول ؛ وعبثاً حاولت أن تستدر عطف أنصاره أو صدقاتهم ؛ ولم يمض سوى قليل حتى غمرها النسيان والعدم ؛ واضطرت لكي تعيش أن تزاول أعمال الحياة الفانية »(١) .

هذه هي قصة يعقوب فرنك وقصة حياته العجيبة .

قصة مغامر ومشعوذ بارع استطاع أن يستغل ظروف عصره ، وما كان يسود مجتمع عصره من إيمان وتعلق بالخوارق والأساطير . بيد أنه من الخطأ أن نقف عند هذه الصورة الظاهرة من حياته . ذلك أن حياة فرنك كانت سراً من الأسرار التي لا تنفذ إليها طلعة الكافة ؛ وكان وراء هذه الحياة الفخمة الباذخة ناحية أخرى يغمرها الخفاء المطبق . هل كان فرنك يعمل لنفسه وبوسائله الخاصة أم كان يعمل لحساب قوة خفية أخرى تمده بأسباب البذخ الطائل وتدفعه إلى المجتمع مزوداً بتلك المظاهر الرائعة لكي يعمل على بث دعاية معينة وتحقيق أغراض معينة ؟ لقد كان العصر الذي ظهر فيه فرنك عصر الخفاء حقاً ، وكانت موجة من الخفاء والتعلق بالخوارق والمجهول تغمر مجتمعات أوربا الرفيعة وتملك عليها تفكيرها وأهواءها ؛ وفي نفس الوقت الذي ظهر فيه فرنك مسلحاً بأسراره ومظاهره العجيبة ، ظهر يوسف بلسامو أو الكونت كاجليو سترو مسلحاً بمثل هذا الخفاء وأثار دهشة المجتمعات الرفيعة ولا سيما في فرنسا بمظاهره وأعماله العجيبة وخوارقه الخارقة ؛ وظهر في نفس الوقت مغامر آخر من نفس الطراز وإن كان أقل روعة وتأثيراً ، وهو الكونت سان جرمان واقتفى أثر زميله في التذرع بالخوارق . ومما يلفت النظر أن الثلاثة كانوا يهوداً ؛ وقد كانت اليهودية يومئذ مبعث الحركات والدعوات السرية ، وكانت الكابالا اليهودية كما أسلفنا مستقى خصباً للدعاة السريين فيما يعرضون من ضروب الرموز والأساليب السحرية ، وكانت حركة البناء الحر ( الماسونية ) يومئذ تضطرم في جميع أوربا ؛ وقد أثبت البحث الحديث أن لحركة البناء الحر أغراضاً خفية غير الأغراض الانسانية التي تتظاهر بها ، وأنها تعمل لغاية ثورية شاملة هي سحق الأديان والمعتقدات القائمة كلها ، وادماج الانسانية كلها في نوع من التفكير الحر المطلق والمساواة الاجتماعية المطلقة . ويرى بعض الباحثين أن الثورة الفرنسية كانت مؤامرة « ماسونية » ونتيجة من نتائج البناء الحر ، وأن محافل البناء الحر هي التي نظمت خططها وبرامجها الأولى ؛ بل يرى بعض الباحثين أن الثورة البلشفية الحديثة ليست بعيدة عن تأثير البناء الحر ، وأن ما ترمي إليه من إحداث ثورة عالمية يطابق نفسه الغاية التي يعمل لها البناء الحر ؛ وقد كان أولئك الدعاة المغامرون الذين خلبوا ألباب أوربا في القرن الثامن عشر يتصلون بمحافل البناء الحر اتصالاً وثيقاً وإن يكن خفياً . أفليس لنا أن نعتقد بعد ذلك أن يعقوب فرنك لم يكن مغامراً أفاقاً يعمل لنفسه ولمطامعه الشخصية ، وأنه بالعكس كان داعية خطيراً يبث حركة خطيرة لها صلة بخطط البناء الحر وغاياته ؟ وأنه كان يستمد المال الوفير والنصح والحماية من قوة خفية أعظم ؟ هذا ما نرجح ؛ وهذا ما يؤيده خفاء حياته وخفاء وسائله ومراميه وغاياته ، واتشاحه بثوب الدعوة الدينية التي كانت على كر العصور ملاذاً لمختلف الدعوات والغايات .

محمد عبد الله عنان

(١) بيتر بير في كتابه : Geschichte der Juden

# فلاســفة الاسلام

## والتوفيق بين الفلسفة والدين

للدكتور ابراهيم بيومى مدكور
مدرس الفلسفة بكلية الآداب

سيداتى ، سادتى !

أشكر قسم الخدمة العامة بالجامعة الأمريكية على أن هيأ لى الفرصة للتحدث إليكم الليلة فى موضوع جاف ودقيق ؛ ولست أدرى هل دقته منشأ جفافه ، أم جفافه زاد فى دقته وغرابته ؛ ومهما يكن فالذى أستطيع أن أؤكده لكم أنكم لستم بصدد موضوع من تلك الموضوعات الطريفة المسلية التى تمر بالمستمع فى شوق ورغبة وهدوء وسكون ؛ وقد أعذر من أنذر ! على أن لى فى سعة صدركم وعظيم انتباهكم ما يشجعنى على القول برغم ما يصادفنى من صعوبات . وما فكرت فى أن أخوض معكم غمار هذه الأحاديث إلا رغبة منى فى أن أوجه النظر إلى شطر من الثقافة الاسلامية أهمله أهله وتغافل عنه ذووه . وأعنى بهذا الشطر الدراسة العقلية والبحث النظرى فى الاسلام . فللاسلام فلسفة انفردت بخصائصها ومميزاتها وأضحت ذات شخصية مستقلة . فليست مجرد الفلسفة الأرسطية مصوغة فى عبارات عربية كما يزعم رينان ، ولا فلسفة مدرسة الاسكندرية منسوبة فقط إلى بعض رجال الاسلام كما يدعى دهيم [1] . كلا بل هى فلسفة ذات موضوع خاص ومشاكل معينة وطريقة فى البحث جديدة إلى حد كبير . هذه الفلسفة مجهولة ومهملة إلى درجة لم تصل إليها فيما أعتقد أية فلسفة أخرى . فرجالها لا يكادون يعرفون ، وكتبهم ليست أعظم حظاً منهم ؛ ولا يزال قدر منها مخطوطاً إلى اليوم دون أن يفكر أحد فى طبعه ونشره . ولو لم يقيض الله لهذا التراث بعض المستشرقين لما عرف عنه شىء وبقى فى طى الكتمان إلى الأبد . [2] وما أجدرنا أن نقوم نحن على إحياء مجدنا والاشادة بذكر رجالنا كى يتصل حاضرنا بماضينا ونؤسس نهضتنا على أسس متينة من القديم الحى والجديد النافع

قلت أيها السادة إن موضوعنا دقيق ، وعنوانه كاف للدلالة على ما فيه من أمور شائكة ومشاكل عويصة . فان الأبحاث الدينية فى جملتها مثار اتهامات وتأويلات وشبه لا حصر لها . وقد ساد بلدنا فى العشرين سنة الأخيرة روح اتهام خبيثة ترمى بالالحاد والزندقة والتمرد والكفر كل من حاول تفسير ظاهرة من الظواهر الدينية تفسيراً تاريخياً أو عقلياً . لذلك تحاشى كثير من الباحثين هذا الميدان وتجنبوه اتقاء لما فيه من شرر متطاير وعراك ونضال . غير أنى أشعر بنسمة من نسمات التسامح الاسلامى القديم تهب علينا من جديد ، وألمح فى صفوف قادة الرأى والمفكرين اتجاهاً نحو الحرية وسعة الصدر وطلاقة التفكير . ولا أدل على هذا من خمود تلك النعرة القديمة ، نعرة الاباحيين والمستمسكين واللادينيين والدينيين . ويغلب على ظنى أنه لو كان تقدم الزمن عشر سنين بكتاب ككتاب « حياة محمد » مثلا للدكتور هيكل لعد فى صف المؤلفات المحاربة المطرودة . أما اليوم فانه مقروء ومرغوب فيه بشكل يدعو إلى الاعجاب والتقدير . وليس هناك شك فى أن لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى يداً فى هذه النزعة الصالحة والتسامح الجديد . وإذا كانت النفوس اليوم أكثر استعداداً لتفهم مسائل الدين فى جو حر طليق فانى لا أرى غضاضة فى أن أتحدث عن بعضها . على أنى لست فى هذا الحديث إلا الرسول الأمين والناقل الصادق لما قال به فلاسفتكم الأقدمون . فمهمتى أن أنقل إليكم آراء كبار فلاسفة الاسلام ، وأردد بينكم أصواتاً تقادم بها العهد ، وأبعث من تحت الرغام أشباحاً طال رقادها ، وأبين لكم كيف حاول الفارابى وابن سينا وابن رشد التوفيق بين الفلسفة والدين

* * *

الدين وحى الله ، ولغة السماء وغذاء القلوب ، ومصدر الأوامر والنواهى . فكيف نوفق بينه وبين الفلسفة التى هى صنع البشر ولغة الأرض ، ومجال الأخذ والرد والبحث والتعليل ؟ كيف نوفق بين الحقيقة الدينية والحقيقة الفلسفية ، والأولى عمادها الالهام ، والثانية أساسها البرهان ؟ كيف نوفق بين السمعيات والعقليات ، بين المسلمات واليقينيات ؟ كيف نوفق بين أفكار

(1) Renan, Averroes, p. 88. — Duhem, Le systeme du Monde, IV, pp. 321 et snia

(٢) ابراهيم مدكور ، الفلسفة الاسلامية ودراستها (الرسالة) عدد ٩٣

النامة المبنية على البساطة والسهولة ، وآراء الخاصة الناتجة عن التفكير الزائد والتأمل العميق ؟ مهمة شاقة قطعاً ومحاولة يعز أن تكلل بالنجاح . ولكنها ضرورية لقوم عاشوا في العالم الأسلامي واعتنقوا الاسلام ، وكانت دراستهم بل حياتهم كلها خاضعة للجو المحيط بهم ، ومتأثرة بمختلف العوامل والظروف التي استولت على عصرهم . فلم ير الفلاسفة المسلمون بداً من محاولة التوفيق بين معتقداتهم وأبحاثهم . وهذه المحاولة هي حجر الزاوية في فلسفتهم وأخص خصائصها ، وبها تتميز من الفلسفة الأرسطية وتبدو في ثوبها الفذ المستقل . ففي كل خطوة من خطاهم ، وفي كل بحث من أبحاثهم ، صوب هؤلاء الفلاسفة نحو هذا الغرض واتجهوا نحو هذه الغاية . وكان لجهودهم أثر يذكر في انتشار الفلسفة ونفوذها إلى صميم الدراسات الاسلامية الأخرى . ويعد الفارابي أول من سلك سبيل هذا التوفيق وأظهره في شكل مهذب منسق . ثم أتى من بعده ابن سينا فسار على سنته واهتدى بهديه ، ووسع طريقته وكمل ما فاته ، إلا أن محاولة التوفيق التي قام بها هذان الفيلسوفان لم ترق لدى الغزالي ، فشن عليها الغارة وأثار عليها حرباً شعواء وتقض أصولها وفروعها وأعمل معوله في هدم بنائها الفخم وأركانها المتينة ؛ وكتابه تهافت الفلاسفة قائم على انتزاع أحجار هذا البناء الواحد بعد الآخر ، وإثبات أن الفلاسفة أساءوا إلى الفلسفة والدين معاً بمحاولتهم التوفيق بينهما . وقد جاء ابن رشد أخيراً مدافعاً عن أسلافه الفلاسفة ومبيناً ما في حجج الغزالي من مغالطة وسفسطة . ولم عنيه تعصبه الزائد لأرسطو وعنايته الكبيرة بالفلسفة القديمة من أن يقف على هذه المشكلة ثلاثة كتب هامة هي : تهافت التهافت في الرد على الغزالي ، وفصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، ومناهج الأدلة في عقائد الملة . ولا يعنينا كثيراً أن نعرف ما إذا كان هؤلاء الفلاسفة مخلصين في عملهم أو غير مخلصين ، فهذه مسألة تتجاوز دائرة بحثنا وتتعلق بأشخاصهم وصلتهم بربهم . وما لنا نتتبع بواطن الناس وقد دلت ظواهرهم على حسن نيتهم ؟ ومن لنا بالوقوف على أمر هذه البواطن والله وحده هو الذي يتولاها ويدرك كنهها وخفاياها ؟ على أن البحث عن السرائر مقرون غالباً بالشك والصاق تهم بأشخاص لم يقم دليل من أقوالهم وأفعالهم على اتهامهم . فلندع هذا جانباً ، ولنقتنع بأن نقرر أن فلاسفة الاسلام الذين نتحدث عنهم خلفوا كتباً تشهد برغبتهم الأكيدة في التوفيق بين دراستهم وعقائدهم ، وفلسفتهم كلها قائمة على هذا الأساس

وواضح أن التوفيق يستلزم على الأقل جانبين متقابلين وطرفين متنافرين . ومهمة الموفق أن يبعد أسباب الخلاف ويقرب الشقين المتباعدين ؛ وهذا ما حاوله الفارابي وابن سينا في ربط الفلسفة بالدين ، فقد كان أمامهما من جهة الفلسفة الأرسطية تراث الأغريق وأسمى صورة لما أنتجه العقل الانساني في ذاك الزمان ، كما كانا يعتنقان من جهة أخرى عقائد الاسلام والملة الحنيفية السمحاء التي تدعو إلى تحرير الإنسان من قيوده وتوجيهه نحو البحث والنظر . وفي فلسفة أرسطو نواح لا تلائم أصول الدين ، كما أن في الاسلام تعاليم قد لا تتفق ظواهرها والروح الفلسفية ؛ فهمّ الرجلان بصبغ مذهب أرسطو بصبغة دينية وكسوة الدين بثياب فلسفية ؛ وبذا أصبحت الفلسفة دينية ، والدين فلسفياً ؛ أو بعبارة أدق أصبحت فلسفتهما ديناً ودينهما فلسفة . وليس في مقدورنا أن نأتي هنا على تفاصيل أوجه التوفيق التي حاولاها ، وإنما نكتفي بالمسائل الرئيسية التي أدخلاها في الفلسفة والدين معاً . فنتبين النقط التي خالفا فيها أرسطو والحلول التي عرضاها لبعض المشاكل الدينية . وعلى هذا فأوجه التوفيق تنقسم إلى شعبتين ، تتصل إحداهما بالفلسفة والأخرى بالدين ، وكأن الموفقين شاءا أن يخطوا بالفلسفة نحو الدين في الوقت الذي قربا فيه الدين من الفلسفة ؛ وكان التصالح بين الطرفين - إن صح هذا التعبير القضائي - تم على تساهل متبادل وتضحية مشتركة .

في الفلسفة الأرسطية ثلاث مسائل جوهرية تبعد عن تعاليم الاسلام : الأولى فكرة الاله ومدلولها الصحيح وتحديد صفات الباري وخصائصه ؛ والثانية الصلة بين الله والعالم وبيان ما إذا كانت الحركة والمادة محتاجتين إلى الله أو غير محتاجتين ؛ والثالثة النفس وخلودها ، نظرية كلامية ميتافزيقية ، وأخرى فلكية طبيعية ، وثالثة سيكلوجية . هذه هي النقط الثلاث الهامة التي تباعد بين آراء أرسطو وما جاء به الاسلام ، وفي التعاليم الاسلامية من جانب آخر مشكلتان عظيمتان هما : مشكلة النبوة ومشكلة

السمعيات . وقد شغل الفلاسفة بهما وعنوا بتفسيرها تفسيراً علمياً ينطبق على مبادئ البحث العقلي . وسأعرض عليكم سريعاً أوجه الخلاف هذه وطريق علاجها

لم يعن أرسطو عناية خاصة بمعرفة الله ، ولم يعتبرها غرضاً رئيسياً لفلسفته ، ولم يدخلها في قوانينه الأخلاقية ولا في نظامه السياسية ، ويظهر أنه نظر أولاً إلى العالم الحسي وبين أسبابه وعلله دون أن يفكر في قوة خفية تدبره ، وبعد أن استكملت الطبيعة وسائلها وانتظمت الأفلاك في سيرها انتهى به المطاف إلى محرك أول أخص خصائصه أنه يحرك غيره ولا يتحرك هو (1) . هذا المحرك الساكن أو المحرك الصوري هو الإله في رأيه ، ولا يذكر من صفاته إلا أنه عقـــل دائم التفكير ، وتفكيره منصب على ذاته (2) . فإذا ما طالبته بتفاصيل أكثر وبيان أشمل ألفيت نفسك أمام صمت عميق وسكون مطبق . ذلك لأنه يتحرج عن الكلام في المسائل الدينية ، ويعدها فوق مقدور البشر ، ويصرح بأن الكائنات الأزلية الباقية وإن تكن رفيعة مقدسة ليست معروفة إلا بقدر ضئيل (3) . وليت أرسطو وقف عند هذا الحد ، بل جاوزه إلى ما هو أقبح وأشنع ، فإن نظرياته المختلفة تشعر بتردد بين الوحدة والتعدد . حقاً إنه ينادي بالوحدة مردداً قول هومير إنه « ليس حسناً أن يكون هناك سادة متعددون » ويلاحظ أن وحدة نظام العالم تستلزم وحدة سببه الذي (4) ، ولكنه يقرر في مقام آخر أن لكل فلك محركا خاصاً لا يختلف كثيراً عن المحرك الأول والإله الأعظم . فالأفلاك وحركاتها تقوده إلى التعدد وإن جهر بالوحدة وبرهن عليها ، وبذا لم يستطع التخلص تماماً من التقاليد الإغريقية القديمة التي كانت تعتبر النجوم آلهة (5) . ففكرة الإله عنده غامضة وغير متمشية مع مذهبه ، ولا تشغل حيزاً واضحاً في فلسفته ، وأراني في غنى عن أن ألاحظ أن هذه الفكرة تختلف كل الاختلاف عن العقيدة الإسلامية . لذلك اضطر الفلاسفة المسلمون أن يبينوا حقيقة الله ويشرحوها شرحاً لا يدع مجالاً للإبهام والشك ؛ وقد أثبتوا أن الله هو الموجود الأول والسبب الحقيقي لسائر الموجودات ، وأنه منزه عن الشريك والنظير والمثيل والضد ، هو الإله الواحد الحي القادر العليم الحكيم السميع البصير . يقول الفارابي : « الموجود الأول هو السبب الأول لوجود سائر الموجودات كلها وهو بريء من جميع أنحاء النقص . . . فوجوده أفضل الوجود وأقدم الوجود ولا يمكن أن يكون وجود أفضل ولا أقدم من وجوده . . . فهو أزلي دائم الوجود بجوهره وذاته من غير أن يكون به حاجة في أن يكون أزلياً إلى شيء آخر يمد بقاءه ، بل هو بجوهره كاف في بقائه ودوام وجوده . . . وهو مباين بجوهره لكل ما سواه ولا يمكن أن يكون الوجود الذي له لشيء آخر سواه (1) » . وفي هذا المعنى يقول ابن سينا إن « الأول لا ند له ولا ضد له ولا جنس له ولا فصل له فلا حد له ولا إشارة إليه إلا بصريح العرفان العقلي . وهو معقول الذات قائمها ، فهو قيوم بريء عن العلائق والعهد والمواد وغيرها مما يجعل الذات بحال زائدة . وقد علم أن ما هذا حكمه فهو عاقل لذاته معقول لذاته . تأمل كيف لم يحتج بياننا لثبوت الأول ووحدانيته وبراءته عن الصفات إلى تأمل لغير نفس الوجود ولم يحتج إلى اعتبار من خلقه وفعله ، وإن كان ذلك دليلاً عليه ، لكن هذا الباب أوثق وأشرف ، أي إذا اعتبرنا حال الوجود فشهد به الوجود من حيث هو وجود ، وهو يشهد بعد ذلك على سائر ما بعده في الوجود . وإلى مثل هذا أشير في الكتاب الإلهي : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم » . أقول هذا حكم لقوم ؛ ثم يقول : « أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ؟ » أقول إن هذا حكم الصديقين الذين يستشهدون به لا عليه (2) » ، وقد برهن الفيلسوفان على وحدة الله بطريقة مبتكرة وفي مهارة ولباقة خلابتين (3) ، وإذا كان الله واحداً فإنا لا نستطيع أن نتصور له صفات خارج ذاته ، بل هو عالم حي سميع

(1) Aristote, Physique, 258 a, 5 — b, 4.
(2) Aristote, Métaphysique, 1072 b, 27 — 29, 1079, 34.
(3) Aristote, Des parties des animaux I, 5.
(4) Aristote, Métaphysique, 1076 a, 24, Iliade, II, 204.
(5) Aristote, Métaphysique, 1074 a, 31 — 38 = Physique, 258 b, 10.

(١) الفارابي ، رسالة في آراء أهل المدينة الفاضلة ، ص ٥ — ٦
(٢) ابن سينا ، الإشارات والتنبيهات ، ص ١٤٦ — ١٤٧
(٣) الفارابي ، المدينة الفاضلة ، ص ٧ وابن سينا ، الإشارات ، ص ١٣٩ — ١٤١

قادر بذاته . « فليس يحتاج في أن يتعلم إلى ذات أخرى يستفيد بعلمها الفضيلة خارجة عن ذاته ، ولا في أن يكون معلوماً إلى ذات أخرى تعلمه ، بل هو مكتف بجوهره في أن يعلم ويُعلم ، وليس علمه بذاته شيئاً سوى جوهره ، فانه يعلم وأنه معلوم وأنه علم ، كل ذلك ذات واحدة وجوهر واحد [1] » فالفارابي وابن سينا يقولان ، كالمعتزلة ، بوحدة الذات وبطلان الصفات الخارجة عنها ، وفكرة الالوهية عندهما أساس المذهب جميعه ، وكل المسائل الأخرى متفرعة عنها . وفي هذا ما يبين مسافة الخلاف بينهما وبين أستاذهما أرسطو

لم يفارق فلاسفة الاسلام أستاذهم في هذه النقطة فحسب ، بل انفصلوا عنه في مسألة أخرى هي نتيجة لهذه ، ألا وهي الصلة بين الله والعالم . وذلك أن أرسطو وقد قال بقدم المادة والحركة لم يدع لله مكاناً في هذا العالم . نعم إنه يسميه المحرك الأول ومعنى هذا أنه علة فاعلية ، ولكنه يعود فيقول إنه محرك ساكن ؛ وكل ما هنالك أن العالم يتجه إليه في حركته [2] . فهو غرض وغاية فقط ؛ وليس تأثيره في العالم بأكثر من تأثير المثال الجميل في نفس المعجب به . وإله هذا شأنه يتنافى مع ما يصرح به القرآن من أن الله خالق كل شيء . فلا المادة ولا العالم يتصور لهما وجود بدون الله .. والتغيرات الكونية على اختلافها ترجع إلى الخالق المبدع جل شأنه . إزاء هذا التناقض الواضح لجأ الفارابي وابن سينا إلى حل وسط فقالا إن المادة مخلوقة وقديمة . خلقها الله بفيض من عنده أزلاً وتعهدها بعنايته ورعايته فيما بعد . وكلمة « فيض » هذه ليست من الكلمات التي نمر بها دون أن نعيرها أية أهمية فإنها ذات مدلول خاص وأهمية تاريخية [3] . ويراد بها أن الله وهو عقل محض وتفكير مستمر قد صدر عنه العقل الأول كما يصدر الضوء عن الشمس ، وعن العقل الأول صدر العقل الثاني وهكذا إلى العقل العاشر . وهذه العقول مرتبة ترتيباً تنازلياً فأسماها العقل الأول وأدناها العقل العاشر . وهي موزعة على الأفلاك المختلفة لتمدها بالحركة وتحقق فيها النظام . ويختص العقل العاشر أو العقل الفعال بالعالم الأرضي وعنه صدرت المادة التي هي مخلوقة وقديمة في آن واحد . يقول الفارابي : « وأول المبدعات عنه شيء واحد بالعدد وهو العقل الأول ويحصل في المبدع الأول الكثرة بالعرض لأنه ممكن الوجود بذاته ، واجب الوجود بالأول ، ولأنه يعلم ذاته ويعلم الأول . وليست الكثرة التي فيه من الأول لأن إمكان الوجود هو لذاته وله من الأول وجه من الوجود . ويحصل من العقل الأول بأنه واجب الوجود وعالم بالأول عقل آخر ولا يكون فيه كثرة الا بالوجه الذي ذكرناه . ويحصل من ذلك العقل الأول بأنه ممكن الوجود وبأنه يعلم ذاته الفلك الأعلى بمادته وصورته التي هي النفس . والمراد بهذا أن هذين الشيئين يصيران بسبب شيئين : أعني الفلك والنفس . ويحصل من العقل الثاني عقل آخر وفلك آخر تحت الفلك الأعلى . وإنما يحصل منه ذلك لأن الكثرة حاصلة فيه بالعرض كما ذكرناه بديا في العقل الأول ، وعلى هذا يحصل عقل وفلك من عقل ، ونحن لا نعلم كمية هذه العقول والأفلاك إلا على طريق الجملة إلى أن تنتهي العقول الفعالة إلى عقل فعال مجرد من المادة ؛ وهنالك يتم عدد الأفلاك ؛ وليس حصول هذه العقول بعضها من بعض متسلسلاً بلا نهاية ، وهذه العقول مختلفة الأنواع كل واحد منها نوع على حدة ، والعقل الأخير منها سبب وجود الأنفس الأرضية من وجه ، وسبب الأركان ( العناصر ) الأربعة بوساطة الأفلاك من وجه آخر » [1] ، ويقول ابن سينا كذلك إن « الأول يبدع جوهراً عقلياً هو بالحقيقة مبدع وبتوسطه جوهراً عقلياً وجرماً سماوياً . وكذلك عن ذلك الجوهر العقلي حتى تتم الأجرام السماوية وتنتهي الى جوهر عقلي لا يلزم عنه جرم سماوي . فيجب أن تكون هيولى العالم العنصري لازمة عن العقل الأخير [2] » وعلى هذا فالفارابي وابن سينا يثبتان الخالق الذي جاء به القرآن وإن كانا يصورانه بصورة عقلية روحية ، ويسلمان مع أرسطو بقدم العالم وإن اعترفا بحدثه

( يتبع ) ابراهيم مدكور

(١) الفارابي ، المدينة الفاضلة ، ص ١ :

(2) Aristote, Métaphysique, 1074 a, 23.

(3) Madkour, La place d' alfârâbi, p. p. 44 — 77

(١) الفارابي ، الثمرة المرضية ، طبعة ليدن ، ص ٥٨ و ٥٩

(٢) ابن سينا ، الإشارات ، ص ١٧٤ — ١٧٥

التاريخ في سير أبطاله

# ٣ ـ ميرابو

ميرابو ... تلك الأعجوبة !
جوته

للأستاذ محمود الخفيف

تتمة

صارت الغلبة للشعب ، فلقد وقف ميرابو وقفة حاسمة كان في الثورة كما رأينا نجاتها ؛ وليت شعرى هل يعمل عمله هذا على الهدم أم هو يعمل على البناء ؟ أتراه يوجه السفينة إلى حيث لاعاصم لها من الموج ، أم تراه يجنبها الصخرة المعترضة ؟ أدرى الدفة ربانها ؛ لكن الربان اليوم يزجيها ويستحثها ! أكان عن طيش ذلك أم عن خبل ؟ كلا مأبى للطيش أو الخبل أن يبلغا هذا الرأس الأشم ؟ أو لم ير الأشراف يأتمرون بالثورة ويرى الملك يتنمر بغتة ويهم أن يأتيها من مقتلها ؟ إنه يعرف ما يفعل ويدرك متى يتخذ الهجوم سلاحاً ومتى يجعل من الصبر مثابة وأمنا . وإنك لتراه يجمع في ذلك إلى إقدام القائد حنكة السياسي

أكبرته باريس وكانت قد أعجبت بما قرأت له في صحيفته التي كان يصدرها دفاعاً عن آرائه ، واليوم تخلص له الحب ، ولو كان للرجل يومئذ مآرب خاصة كما تقول عنه خصومه لكان له من تلك الشهرة أعظم فرصة ، ولكنه وقف من باريس موقف الحذر الفطن ، إذ كان يخشى أن تنقلب الثورة من مظهرها الدستوري إلى مظهر دموى هو عنده الطامة الكبرى

ولكنه إذ يعمل على تفادى الخطر من ناحية الشعب لم يكن يأمن جانب البلاط ، ولم ير في إذعان الملك وحوله السادة المتأزين على مجالسة العامة إلا سكون المتحفز الذي يتربص بالجمعية الدوائر ليضربها الضربة القاضية

ولم تلبث الحوادث أن أيدت ما رأى ، فقد طافت شائعات السوء بالجمعية ثم أيقنت أن الملك يحشد حول باريس وفرساى من جنده نحو أربعين ألفاً ، وأنه موشك أن يعود إلى سالف موقفه منها وهو اليوم بهؤلاء الجند أشد بطشاً وأعظم حولاً ، ولقد أنكر ميرابو هذه السياسة المذبذبة من لدن ذلك الملك الذي كان بسياسته يوقظ لفتنة ويحركها ؛ وتساءل في دهشة وفي قوة حجة : « إذا كان الملك يريد أن ينفرد بالأمر دوننا فلم دعانا إليه ؟ وإذا كان قد دعانا لحاجة إلينا فكيف يسوغ له أن يشهر السلاح في وجوهنا » ؟

وتطلعت الجمعية إلى رجلها من جديد وانتظرت باريس منه القول الفصل ، ووثب دموستين الفرنسي مرة ثانية إلى الصدر فهز جنبات القاعة بل جوانب فرنسا بخطاب من أبلغ ما فاه به . ثم أراد أن يأخذ الطريق على من يكيدون للجمعية بالدس فاقترح أن ترسل وفداً إلى الملك يطلب ولاءها ويرجوه أن يسحب الجند من حول باريس . ولقد جعلت الجمعية ميرابو على رأس ذلك الوفد ؛ فلما جاء الملك أجاب متهكما : « إنه وحده الذي يحرك جنده كما يريد ، وإذا كان النواب يخافون هؤلاء الجند فلينسحبوا إلى ماوراء باريس ؛ وبعد ذلك بيومين عزل (نكر) من الوزارة يوم ١١ يوليو سنة ١٧٨٩

أدرك ميرابو أن الكارثة واقعة لا محالة . ولم تنقض ثلاثة أيام على عزل نكر حتى حملت باريس السلاح ودكت ذلك الحصن المتين سجن الباستيل رمز الطغيان والعبودية

دخلت الثورة في دورها الدموى الرهيب ؛ ولقد ذعرت الجمعية وخشيت أن تقع الحرب الأهلية فتقضى على الثورة والجمعية معاً ؛ وكان رجلها غائباً عنها لما علم من وفاة أبيه . فلما عاد عاودها الأمل وأوفدت وفداً جديداً يعيد على الملك ملتمس الجمعية ، ووقف ميرابو ينصحه قائلا : « بلغوا الملك أن جنوده الذين أحاطوا بنا من كل صوب قد غمرتهم أيدى أمرائه وأميراته ورجال حاشيته بالهدايا والتحف . وأن هؤلاء الجند وقد بهرهم بريق الذهب ولعبت برؤوسهم الخمر باتوا يتغنون بسحق فرنسا وكل ذلك في اليوم السالف لليلة سان بارتلميو » - - - -

ولكن هاهو ذا رسول من قبل الملك ينبئ الجمعية بأنه في الطريق إليها ، وهاهو ذا ميرابو ينصح إليها أن تلاقيه جادة صامتة معلنة حدادها على من قتلوا في باريس قائلا : « إن في صمت الشعوب درساً للملوك »

وجاء الملك يستعين بالجمعية على تهدئة الحال في باريس ثم يدخلها في رهط من النواب معلناً رضاءه عما اتخذته بعد سقوط الباستيل ! ويسحب الجند منها ومن فرساى !

وكانت باريس بعد أن أعلنت غضبتها قد سيطرت على الموقف فألفت الحرس الوطني وجعلت رياسته للافاييت وانتخبت بايي عمدة لها وأسست كثيراً من الصحف والنوادي الثورية

أدر الدفة يا ربانها ! لقد أحدق الخطر بها ، فالربان مشفق يرقب مجراها وهو أشد حذرا وأكثر تشاؤماً . لقد وقع ما كان يخشاه وجرت الدماء في باريس ، وطاف شبح الفوضى بالأقاليم ، وبات الشعب في سكرة النصر يتوعد ويتوثب ، والملك لا يزال ألعوبة في يد بطانته وعلى الأخص في يد امرأته ، والمهاجرون من الأشراف يؤلبون أوربا على الثورة ، وغول الخراب الذي يطالع البلاد من كل ناحية .

ولكن الربان وسط العاصفة لا يعرف اليأس سبيلا إلى قلبه . زار باريس فهبت تزاحم مهرجانه باريس ، وطاف بخرائب الباستيل يشهد مصرع الظلم فامتلأت عربته بالزهور ، ورأى الحرية الحمراء تعلن عن نفسها في أجواء المدينة راقصة صادحة ، فهل أطربه ما سمع وما رأى ؟ كلا بل أمضه ذلك وأزعجه

زادت الحوادث مهمته صعوبة ولكنها لم تفل من عزمه ، ولعله كان يأمل أن يجد في اشتداد الأزمة مخرجا من الأزمة ! وإن بدا ذلك متناقضا . كان يرجو أن يكف أعوان الملك من غلوائهم ، ويصالحوا على الثورة نفوسهم ؛ ولكنه ما لبث أن عرف أنهم لا يزالون يبيتون لها وهم بذلك يرسمون طريقهم إلى الهاوية ويجرون معهم ملكهم المسكين . ومن له بأن يدرك هؤلاء عاقبة طيشهم ؟

يا لله ! ألم يأن للذين استذلتهم شهواتهم وحطمهم كبرياؤهم أن يفيقوا من غمرتهم ؟ ما بال فرساي تتحدى في أشخاصهم باريس ؟ ما بال أوانس البلاط وفرسانه تخف أحلامهم فيهيئون في حفل بهيج يقيمونه لفرقة سويسرية من فرق الحرس الملكي شعار الثورة ويسخرون من مبادئها ؟ يا ويحهم ! ألم يكفهم ما باءوا فيه يتقلبون من نعمة ، نعم ضاحكون ممن يبيتون على الطوى ويفيقون على الوساوس والأوهام ؟ ولكن باريس ترسل إلى أختها رهطا من نسائها وغوغائها ، فاذا الملك وحاشيته رهائن عندها يتخذ على الرغم منه من التويلري سجناً له !

أدر الدفة يا ربانها ! لكنها جمحت اليوم والتوت عليه .

وأنى للجمعية أن تقنع بما كانت تقنع به بالأمس ؟ لقد صارت الكلمة العامة باريس وأندية باريس وصحف باريس !

وإن المرء ليتساءل لم يخاف ميرابو كل ذلك الخوف من خطوات الشعب وانتصاراته ؟ والجواب على ذلك يسير ، فقد كان يرى في خطة الشعب ما يباعد بينه وبين الملكية وما يحمل الملك وبطانته على الجد للقضاء على الثورة وهو لا يرى لها نجاحاً إلا في التوفيق بين القوتين ، هذا إلى ما كان يخشاه من احتمال تدخل أصحاب العروش لحماية عرش فرنسا إذ كان المهاجرون لا يفتأون يوقعون بينهم وبين شعبهم العداوة والبغضاء ، وأهم من ذلك كله فقد راحت الجمعية تعلن حقوق الانسان وتثير عقيم الجدل حول الدستور ، دون أن تتناول مشاكل البلاد الأساسية بالحل . فلقد ظلت الحالة المالية على ما هي عليه إن لم تكن ازدادت سوءا ، وتعقد الموقف السياسي بين فرنسا وانجلترا والنمسا ، ومما ضاعف حرج الموقف أن الجمعية رأت ألا تحمل الملك سلطة فعلية في الاعتراض على القوانين ، وفي اعلان الحرب والسلم ، ولقد هال ذلك ميرابو فقال يوماً لصديقه لامارك : « إن البلاد مقدمة على أشد ضروب الفوضى ، وما لم تتدارك الملكية فلعناء مصيرها حتماً ، ويوم يحيق بها الفناء وتضرب الفوضى بجرانها يساق الشعب إلى الرضى بالاستبداد المطلق ، إذ يكون المستبد في تلك الحال في نظره هو المنقذ الصالح » . وإنك لتراه بهذا كأنما يرى المستقبل ويصف لك مذابح سبتمبر وعهد الارهاب وديكتاتورية روبسبير مما يدل على لقانة مدهشة !

وقف في الجمعية وكانت قد انتخبته رئيساً لها يدافع في حزم وقوة عن حق الملك في الاعتراض على القوانين ، داعياً بكل ما في وسعه إلى تقرير مبدأ الملكية الدستورية ؛ ولا تسل عما كان يبذله من جهد أعانته عليه قوة بدنه ، وعما كان يعرض من آراء أوحت بها اليه دقة فهمه ، وبعد نظره ، وصدق تجربته ؛ وهو في هذا الموقف الذي يؤود حمله الجبابرة لا يغفل شؤون وطنه فيفاوض (بت) في انجلترا ، ويلتمس حلا لارضاء النمسا ، ويلقي على الجمعية البيانات السهبة في المشكلة المالية ، ويلفت اليها أصحاب الرأي . وجملة القول أنك تراه يعمل عمل رئيس حكومة ، وإن لم يكن له مركزه ، حتى لقد وصفه كاي ديولان بطل الهجوم

على الباستيل بأنه « قنصل أكثر منه رئيس جمعية دستورية »

ألا ترى في ذلك الاخلاص كأروع ما يكون الاخلاص، وتلمس فيه الرجولة كأقوى ما تكون الرجولة؟ ألا ترى كيف ينسى الرجل نفسه، ولا يذكر إلا وطنه؟ ولكن الجمعية وا أسفاه قد خذلته حين كان ينتظر منها العون. وظلمته حيث كان يطلب اليها الانصاف!

أخذ الشك في نياته يتسرب إلى نفوس النواب، والشك إذا تملك النفس يعمي ويصم، وليس مثله داء يبدل عرف الناس نكرا، ويجعل نهارهم ليلا، ويلبس الحق بينهم بالباطل. انظر إلى هؤلاء النواب كيف يرون في زعامتهم اليوم دجل الأمس، تخيفهم طوبته وإن أعجبتهم حجته، أو تريبهم حماسته وإن هزتهم فصاحته، وتدفعهم إلى معارضته بديهته وإن أنقذتهم يقظته! ولكن أخيل الثورة لم تلن قناته وإن جاء غمزها ممن يعمل لهم، ولم تنفك عنه عبقريته وإن التوت عليه الأمور أو كادت؛ وظل يبسط آراءه للناس وينذرهم أن الثورة تقتل نفسها إن جرد الملك من سلطانه وجعل التشريع والتنفيذ جميعاً للشعب. وكان قد أدرك يومئذ أن الملك بعد أن صار رهينة في باريس، وبعد أن تراءى إلى سمعه وسمع حاشيته ما يريد العامة بنفوذه، وما تقول الصحف عنه، لابد أن يفكر في الالتجاء إلى أعداء البلاد، وما لبث ميرابو أن تحقق من ذلك، إذ علم أن المفاوضات كانت جارية بين البلاط الفرنسي والبلاط النمسوي؛ ومعنى هذا أن الحرب عما قريب ستكون كبرى مصائب البلاد!

وفي هذا الجهد الذي يبذله ميرابو دليل على مقدرة فائقة في السياسة تزيد إعجابنا بهذا الرجل، ويدحض فرية من يصفون أعماله بالهدم، وتسخر ممن يذكرونه فيجرؤون على تسميته كبير الغوغاء! على أن لكل عظيم حساده وأعداءه، كما أن له مناصريه وأصفياءه. وليست الحكمة السياسية حسب ما ينطوي عليه موقف ميرابو، بل إن المرء ليعجب ببسالته، حين يواجه الثوار بتلك الآراء وحين يترفع عن تملق الشعب واسترضائه، وحين يجعل الإخلاص لما يرى أنه الحق فوق العواطف والأهواء الشعبية، ولو لم يكن له غير ذلك من المآثر والصفات، لعد بذلك الخلق وحده عظيماً من العظماء!

يئس ميرابو من النواب ولكنه لم ييأس من نفسه وسنراه اليوم يخطو خطوة جعلها خصومه كبرى خطيئاته، وأود لو أجعلها كالعنوان من حسناته لولا ما أحاط بها من ظروف وما اكتنفها من ظنون، بل وما لحق بها من عيوب!

كان طبيعياً أن يلجأ إلى الملكية بعد أن أعياه صرف الشعب عن غيه، وبعد أن حيل بينه وبين منصب رسمي يستعين فيه بالقوة على تنفيذ سياسته. ولو أن نواب الجمعية أدركوا حقاً مصلحة وطنهم لعلموا أن هذا الرجل كان يومئذ خير من يضطلع بأعباء الحكم. ولكنه حين اقترح عليهم السعي إلى استبدال الوزارة القائمة بوزارة قوية بادروا إلى اصدار قرار يحرم الوزارة على كل عضو من أعضاء الجمعية، وما كان المقصود بهذا القرار سوى ميرابو وحده!

ولقد ثارت ثائرته لهذا القرار، فلم يتمالك أن صاح بالنواب قائلا: « سوف تذرفون الدمع دماً على ما تفعلون ». وندم ميرابو أشد الندم أو قل أسف أشد الأسف على أن لم يكن بباريس عقب سقوط الباستيل، إذ لولا غيابه عنها لتشييع رفات والده لانتخب عمدة لها بلا ريب، ولقد كان هذا المنصب يمكنه من صد تيار العنف أو على الأقل يمهد له سبيل الاتصال بالملك.

وهل كان في تطلع ميرابو إلى الحكم ما يشينه؟ كلا بل إن في ذلك ما يزيدنا احتراماً له وتقديراً لسياسته ما دام الحكم إحدى وسائله إلى تنفيذ غرض يعتقد حقاً في صلاحيته، فضلا عن دفعه به خطراً يكاد يجتاح البلاد. وإن أعجب فعجب عد ذلك من نقائصه أو من نقائص أي زعيم في مثل موقفه يرى في الحكم طريقاً إلى الخلاص! إن النقيصة كل النقيصة ألا يسعى الزعيم في تلك الحالة ما وسعه السعي للوصول إلى الحكم.

خطا ميرابو خطوته نحو الملكية ووسط صديقه لامارك لدى البلاط، وأخيراً قبل الملك أن يستعين بآرائه، وصار ميرابو منذ مايو سنة ١٧٩٠ المستشار السري للملك! وهنا يأبى سلوكه الخاص إلا أن يختلط بسياسته العامة فيلحق بها كثيراً من الشوائب أطلق الناس فيما بعد من أجلها ألسنتهم فيه بكل فاحش من القول وباطل من الاتهام. وبيان ذلك أن ميرابو وقد غرق في الدين من أخمصيه إلى قمة رأسه بسبب تبذيره من ناحية

وبسبب انشغاله بشؤون وطنه عن شؤونه الخاصة من ناحية أخرى ، قد قبل أن يدفع عنه الملك ديونه وأن يجعل له أول كل شهر ستين ألفاً من الفرنكات

أيفسر عمله هذا بالخيانة ؟ ويعتبر قبوله المال رشوة ؟ هل غير خطته فمالأ الملك على حساب أمته في نظير ما أخذ من مال ؟ كلا ! بل لقد ظل أميناً لمبدئه وفياً لوطنه ، إذاً فمن الظلم أن يفسر عمله بالخيانة ، ومن الاسراف أن نعتبر قبوله المال رشوة ، بيد أني وإن نفيت الخيانة والرشوة عنه وجانبت من يعتبرون هذا المال مكافأة له على خدماته ، لا يسعني إلا أن أقرر أنه ليؤلمني أن يلجأ من كان له مثل عظمته وبسالته إلى العمل في الخفاء مهما كان من نقاء طويته ومهما جر ذلك من غضب الشعب عليه ، كذلك ما كان لزعيم أن يبيع خدماته بالمال ولو عدم قوت يومه

أخذ ميرابو يقدم التقارير للملك ، كما أخذ يدافع بكل ما في نفسه من قوة عن مبدأ الملكية الدستورية ، ولكن الجمعية أوشكت أن تتم الدستور في سبتمبر وجعلت حق الملك في الاعتراض على القوانين حقاً معلقاً ، ولم يسع الملك سوى الاذعان ، فلقد أصبحت باريس قوة خطيرة وظهر اليعاقبة أبطال الارهاب فيما بعد واستهان الناس بالملكية واجترأت عليها الصحف والأندية

على أن الأمر قد أصبح اليوم أعظم خطراً من الدستور وما يتعلق بالدستور . فلقد يئس الملك من الثورة وما تدعو إليه ويئس أصحاب الثورة من الملكية وما تحافظ عليه ، ولذلك لم يكن عجباً أن يلجأ الملك إلى أعداء فرنسا ، وأن يلجأ الثوار إلى الاستعداد واليقظة حتى لقد عول الملك على الهرب سراً !

وكان ميرابو الرجل الوحيد الذي لم يأخذه دوار الزوبعة فألم بالموقف من شتى نواحيه ، وتمثلت لعينه الساهرة تلك الهوة السحيقة التي أوشكت أن تتردى فيها البلاد ، فتلفت حوله عله يصيب من يعينه ، فهذا موقف يتطلب معونة الرجال ، ولكن بصره وا أسفاه ارتد إليه خائباً ، فلقد أبى سوء طالعه ، أو على الأصح سوء طالع فرنسا إلا أن تحرم من خبرة الرجل الوحيد الذي كان يستطيع خدمتها ، إذ أحيط بالريبة من جميع الجهات . تطلع إلى الملكة وكان يقول : « إنها الرجل الوحيد في حاشية الملك » ، ولكن الملكة لم تر فيه سوى صعلوك يتكالب خلال العظماء على حساب الظروف ، وتطلع صوب الملك ، ولكن الملك ما وثق به يوماً وما كان يرى فيه إلا خصماً يظهر عكس ما يبطن ، ولذلك اتقى شره فاشتراه بماله واحتمى خلافه . كتب شاتوبريان بعد الثورة يقول : « كانت المأساة الحقيقية أن الملك في أحرج أيامه لم يثق في هذا الرجل ، وما كان يضره أن جاء ذلك متأخراً . وما كان يضره أن يعمل بنصائحه أو أن يتقبلها قبولاً حسناً ولو في ظاهر الأمر ، وأي مأساة لعمري أفظع من أن تهيئ الأقدار رجلاً مثل هذا ، وفي مثل هاتيك الظروف فلا ينتفع به ؟! » على أنه وقد أعوزه الرجال قد اهتدى إلى رجل واحد ، وذلك هو شخصه ، هو نفسه ، فأطلع الملك على جلية الأمر ذاكراً له أن الهرب معناه التنازل عن العرش وضياع حقه فيه ، وما على مولاه سوى أن يخرج في جيشه إلى مدينة غير باريس فيتجه كم إلى شعبه طالباً إنصافه ومعونته معلناً رضاءه عن مبادىء الحرية والمساواة ، ولو فعل لانتصف له الشعب ، ولكنه لم يفعل وما كان مثله ليستطيع ذلك ، وليس من يفكر في الهرب بقادر على أن يواجه الحقائق

ولكن هل يدنو اليأس من ميرابو ؟ كلا . فما كان ليزداد على الشدة إلا مضاء وعزماً ، فوقف كالطود يتأبى عن البلاد السهام ويطرد عنها شبح الحرب ، ويجد في انقاذها من الجوع ، ويسعى في التقريب بين الملك والثورة ، يواصل العمل طيلة يومه وشطراً من ليله حتى لقد قال عنه كاي ديمولان : « لقد كان يوم هذا الرجل بعشرة أيام من عمر غيره »

ولكن الموقف ازداد سوءاً على سوء حين وقفت الجمعية موقفها من رجال الدين وأعلنت الدستور المدني للكنيسة بحيث صار منصب الأكليروس بالانتخاب على أن تدفع لهم الحكومة أجراً وتستولي على أراضي الكنيسة وعشورها مما أغضب البابا وأزعج الملك فأعلن اعتراضه على قرارات الجمعية ، ولكن أنى للجمعية أن تفرض له اليوم وجوداً ؟ لقد أجابت على عمله بأن من لا يقسم اليمين على احترام ذلك الدستور جزاؤه الطرد

أدر الدفة يا ربانها ! لكن الأيدي تتكالب اليوم عليها والريح جامحة عاتية . والربان ينتابه المرض ويتحامل على أعصابه ، بل ويستمهل الموت . ما باله يدخل الجمعية في مارس سنة ١٧٩١ مصفوراً مضعوفاً على خلاف عادته ، ما باله يكثر كل يوم وما بال بريق عينيه يتضاءل لولا ما يشع فيهما من يقين وعزيمة ؟ ترفق

أيها الموت بالربان! إنه رجل أمة بل إنه أمة في رجل!

يالقسوة القدر! ولكن أنى لجسم مهما كانت قوته أن يطيق مثل ذلك النصب؟ وحسبك أن تعلم أنه خر مغشياً عليه في أواخر مارس وهو في طريقه إلى الجمعية ولكنه على الرغم من ذلك وصل إليها وألقى خطاباً مطولا. لا. إنه يسر إلى صديق من أصدقائه أنه يموت!

وفي أوائل ابريل في أشد ما تكون الحاجة إليه يرقد هذا الطود الأشم، ويحيط الناس بمنزله من جميع الطبقات والهيئات، والأطباء يصدرون تقاريرهم مرة كل ثلاث ساعات، والملك يستفسر في السر مرات وفي العلن مرات، والأندية تستفتي عنه بلا انقطاع، والشعب يلهث أنفاسه في انتظار ما يطمئنه وقد غشيه من الهم ما غشيه.

والرجل عظيم في الموت كما كان عظيماً في الحياة، يقول لصديق يسند له رأسه: «ليتني أعيرك هذا الرأس» ويسمع صوت الدفن فيقول: «أهكذا يحتفى بدفني كما خيل» ويتذكر الملكية فيقول والأسف يمزق نياط قلبه: «إني أحمل معي الملكية إلى القبر» ويفيق الناس من غشيتهم على الخبر الفاجع، فتفيض عيون وتدمى قلوب، ويخرج شعب بأسره يشيع جثمان رجله، وتقضي العاصمة أياماً في حدادها، ويجهش أشداء الرجال بالبكاء في طرقات الجمعية وفي ردهات البلاط، ثم ... ثم تسير السفينة بلا ربان!

إنه فرد ينقص من البلاد، ولكن فرنسا زعيمها وبهولها ما ترك وراءه من فراغ، ولم تلبث الكوارث أن داهمتها من كل صوب، فلقد فر الملك وألقى القبض عليه عند الحدود، ثم وقف عن عمله، واندفعت فرنسا في طريقها إلى الحرب، ثم إلى إعدام الملك، ثم إلى المذابح الأهلية وعهد الإرهاب!

ولو عاش ميرابو عاماً واحداً لتغير تاريخها، بل وتاريخ العالم؟ ولكن للقدر أحكاما مباغتة هي التي تصنع التاريخ!

الخفيف

---

# ٢ – التعليم والحالة الاجتماعية في مصر

للأستاذ اسماعيل مظهر

أظهرت في المقال السابق الوجوه التي ترتبط بين التعليم والحالة الاجتماعية ، وعددت كثيراً من التأملات التاريخية التي قد يكون لها اتصال كبير أو صغير بالحالات الجديدة التي تكتنفنا ، غير أن الاقتصار على تحديد وجوه الارتباط بين التعليم والحالة الاجتماعية ، والقول بأن التعليم يجب أن يتجه اتجاهاً اجتماعياً ، أمر يجب أن يعزز بإظهار المخاطر الشديدة التي يتعرض إليها كياننا الاجتماعي من جراء الفصل بين سياسة التعليم ، وبين ملابساتها الاجتماعية

ولقد ظهر في العهد الأخير أن القائمين بأمر التعليم قد اضطروا في مواقف عديدة أن يتجهوا إلى معالجة بعض الأمور علاجاً قائماً بعض الشيء على طبيعة الحالات الاجتماعية . وإني لآسف إذ أقول إنهم لم ينجحوا فيما قصدوا إليه . وليس السبب راجع إلى قصور منهم ، أو تقصير عن أداء واجباتهم كاملة ، وإنما يرجع في الحقيقة إلى أن سياسة التعليم الحاضرة لا تواتيهم بكل الأسباب الضرورية التي تمكنهم من تنفيذ برامج تتفق وما تتطلب الحالة الاجتماعية من صنوف العلاج . ولا أريد أن أعدد هنا حالات بذاتها ، وإنما أريد أن أبحث في مجمل الظواهر التي تترتب على الفصل بين سياسة التعليم والملابسات الاجتماعية ، قدر ما تتيح لي تجاربي القليلة

* * *

كتب الفيلسوف هربرت سبنسر في أواخر القرن الفارط مقالاً عنوانه « الكائن الاجتماعي » شبه فيه بنية الاجتماع الانساني بكائن متعضن ، وأخذ يقيس الظواهر المتقابلة فيهما ويوازن بين حالات خاصة في جسم الفرد وجسم المجتمع . ولا شك في أن هذا الفيلسوف الكبير قد غفل عن أمر ذي بال جعل بحثه هذا محتاجاً إلى كثير من التحوير ، بل لا نبالغ إذا قلنا إن غفلته عن ذلك الأمر قد أثرت في النتائج التي حاول الوصول إليها فجاءت مفككة غير موصولة ولا مؤدية إلى فكرة محدودة ينتهي إليها البحث . ذلك بأن بين الحي والكائن الاجتماعي فروقاً رئيسية تميز بينهما تمييزاً لا يقف عند حد الظواهر ، وإنما يتعدى إلى التكوين الوظائفي فيهما . وقد يعلم الذين يدرسون علوم الأحياء أن الحي يتكون من خلايا دقيقة هي وحدات بسيطة التركيب تحتوي على نواة هي سر الحياة فيها . ولكن اجتماع هذه الوحدات البسيطة التركيب ينتج حياً عويص التركيب معقد التكوين جهد ما تتخيل . ذلك في حين أن الكائن الاجتماعي إنما هو كل بسيط التكوين يتركب من وحدات غاية في التعقيد وعلى معرفتك هذا الفرق الوظيفي ، يتوقف وصولك إلى النتائج الصحيحة . فالخلايا لا قوام لها ولا حياة بغير اندماجها في بنية الشكل الحي . أما الوحدات ( الذوات العاقلة ) التي يتركب منها الكائن الاجتماعي ، فكلما كانت أكثر استقلالاً عن ذلك الكائن برز أثرها وتميزت وظيفتها واستبانت قيمتها ورجل فرعها وأصبحت قوة قادرة على التأثير في الكائن الاجتماعي بما يحفظ عليه حياته الاجتماعية ويحركه نحو الرقي الاجتماعي ويبث فيه روح التطلع إلى الارتقاء المدني ، وبالجملة على جعله كائناً اجتماعياً ممتازاً بأثره العملي في الحياة ذلك على الضد مما لو اندمجت هذه الوحدات العاقلة في بنية الكائن الاجتماعي . فإنها إذ ذاك تفقد استقلالها وقوتها على التأثير بالعمل على رقي الجماعة ، لأن اندماجها هذا إنما يسلبها القدرة على التفكير والتأمل في حقائق الأشياء ، ويفقدها أخلاقها الشخصية ، وبوجه عام يدمجها فيما يسميه الاجتماعيون « عقلية الجماهير »

هذه حقيقة أولية ، على ما فيها من تعقيد وحاجة إلى الفهم ، من الضروري أن نعيها وأن نجعلها نصب أعيننا كلما فكرنا في وظيفة التعليم باعتباره عاملاً من عوامل استقرار الحالات الاجتماعية في كل أمة من الأمم . أما وقد وعيناها فإنا نتساءل : أيعني التعليم عندنا بإخراج رجال فيهم من الاستقلال الذاتي والخلق ما يجعلهم في المستقبل قوى مؤثرة في الكائن الاجتماعي ، أم على العكس من ذلك يخرج رجالاً قسماً يكتفون من الحياة بالاندماج في جسم الكائن الاجتماعي ، فيظلون طوال أعمارهم مغمورين

فى عقلية الجماهير ؟ وإنى لآسف إذ أقول إن تعليمنا بعيد عن أن يخرج رجالاً مستقلين على النمط الذى تتطلبه طبيعة الحالات الاجتماعية الجديدة التى أخذت تشعرنا بأنا مقدمون على انقلابات فكرية خطيرة .

إذن فواجب التعليم ينبغى أن ينحصر فى إخراج رجال مستقلين بعيدين عن التأثر بروح الجماهير . وتكوين استقلال الفرد يجب أن يكون بداءة التعليم ونهايته . أما العمل على شحن العقول بشتى المعلومات العلمية وتكوين ملكات خاصة فى الأدب والفن ، فلن يكون لها من أثر فى الحياة ، ولن تقوم من عوج الكائن الاجتماعى ما لم يسبقها الاستقلال الذاتى وتدريب الملكات الخاصة على مماشاة ما تتطلبه مقتضيات ذلك الاستقلال

ولقد أظهرنا فى المقال السابق أن ابن الفلاح أكثر استقلالا من الناحية العملية من المتعلم الذى فقد استقلاله الذاتى بحكم الظروف التى نشأ محاطاً بها . غير أن استقلال الفلاح العامل استقلال ناقص ، إذ هو استقلال أشبه بالاستقلال الحيوانى منه بالاستقلال الانسانى ، ذلك بأن عدته فى هذا الاستقلال تقوم على قوة عضلاته وعلى صبره واحتماله ورضاه بمحيطه الذى يعيش مكتنفاً به . وعامة ذا ليس فيه شىء من مؤهلات الاستقلال الانسانى ، وإنما هو استقلال يشاركه فيه الفلاح كثيراً من الحيوانات . وعلى ذلك نجد أن ما عندنا من مكملات الاستقلال الفردى عند الفلاح تنقصه الناحية الثقافية التى تمكنه من أن يصبح ذا أثر عملى فى تكييف حالات الكائن الاجتماعى . ولكن هذا الاستقلال مهما كان فيه من ضروب النقص فهو استقلال على كل حال . أما المتعلم المتعطل فحالته تناقض هذه الحال . فإن تعليمه لم يمكنه من أن يكون مستقلا من ناحية الثقافة ، فى حين أن نشأته ومحيطه قد سلباه ناحية الاستقلال الأخرى

أما الأسلوب الذى يجب أن ينتحى فى التعليم حتى يكون أداة صالحة لتخريج رجال مستقلين ذوى أثر فى تكييف حالات الكائن الاجتماعى ، فسنفرد له بحثاً خاصاً . وسنقصر كلامنا الآن على المخاطر التى يتعرض لها كياننا الاجتماعى من وجود فلاحين استقلوا حيوانياً ، ومتعلمين فقدوا كل ضروب الاستقلال

على الرغم من أن الأخطار التى يتعرض لها مجتمع تناحرت عليه كل هذه الظواهر كثيرة متعددة ، فإن أعظم هذه الأخطار وأشدها أثراً فى مستقبله ، إنما ينحصر فى حدوث ما يدعوه الاجتماعيون « التطفل الاجتماعى » . والتطفل الاجتماعى حالة ترهق فيها طبقات غير عاملة طبقات عاملة بمطالوبات حياتها . ولهذا التطفل مظاهر عديدة أخبثها أن تكون الطبقة المتطفلة هى بذاتها صاحبة السلطة العليا فى المجتمع ، كما حدث فى أوروبا فى خلال القرون الوسطى ، وكما هى الحال فى كثير من ممالك الشرق فى حالته الحاضرة . والويل لمجتمع تسود فيه هذه الحال

***

التطفل حالة طبيعية لا سبيل إلى نكرانها . فهنالك حيوانات تتطفل على نباتات ، ونباتات تتطفل على حيوانات ، وقد يتطفل حيوان على حيوان ، أو نبات على نبات . فهو ظاهرة تكاد تشتمل كل نواحى العالم الحى ، وبحتكم فى الكثير من مظاهره الجلى . غير أن نظرة واحدة فى هذه الحقيقة الطبيعية تظهرك على أن التطفل حيثما كان وأنى كانت وسائله ومظاهره ، لن ينتج إلا هدماً فى الحياة ، ولن يبرز إلا فسادا ، ولن يؤدى إلا إلى إرهاق شامل فى القوى الحيوية يختلف درجاته ومظاهره ونتائجه باختلاف الظروف . وقلما يستطيع عالم طبيعى أن يحص تلك الظروف التى يتجلى فيها فعل التطفل فى عالم الأحياء ، فإن ذلك من الأشياء التى يستعصى على العلم تحديد مظاهرها عامة وخاصة ، وفعل كل متطفل فى مختلف الظروف ، على كل متطفل عليه فى متباين الحالات . وإنما يستطيع الأحيائى أن يدرس ظواهر التطفل فى حالات يقف عليها ، وأن يدرس أثر الحى المتطفل فى بنية الحى المتطفل عليه ، محصياً فى كثير من الحالات أوجه العلاقة بينهما وتأثير دورة حياة الحى المتطفل فى حاضنه

ولن يعدو العالم الاجتماعى هذه الحال عينها . فليس فى مستطاعه أن يحصى أوجه التطفل الاجتماعى فى مجتمع بعينه ، ولا يدرس الحالات درس توفر على دقائقها وتدرجاتها التى تكفل له الوصول إلى نتائج مقطوع بصحتها قطعاً تاماً . والعالم الاجتماعى أضعف وسائل من العالم الطبيعى . فإن هذا بين جدران معمله ، يستطيع أن يحصر الحالات ويحدد الظواهر ، فى حين أن زميله الاجتماعى إنما يتأمل من حالات عامة غير محصورة ولا محددة

تحديداً يجعل الحكم القاطع على أصولها وظواهرها أمراً سهلا هيناً . غير أن هذا كله لن يحول بين الباحث الاجتماعي وبين تبين الحالات الكلية التي يتخذ درس مظاهر التطفل الاجتماعي وسيلة إلى اكتناهها .

من الحالات الكلية في التطفل الاجتماعي ، بل ومن أظهر تلك الحالات أثراً في الجماعات الحديثة عامة ، وفي مصر خاصة ، تسلط غير ذوي الكفايات ، وإن شئت فقل المتطفلين ، على موارد ما تنتج الأيدي العاملة من ناحية ، وعلى إنتاجها نفسه من ناحية أخرى ، من غير أن يكون لهؤلاء المستغلين أي ضلع في تكوين الورد أو في الانتاج . من هنا تحدث حالة من حالات التطفل الاجتماعي تستنفد فيها أيد متعطلة ثمرات الجهود التي تبذلها أيد عاملة ، بغير أن تنال الأيدي العاملة من ثمرات جهودها ما يكفي لحفظ حيويتها أو قدرتها على العمل والانتاج . فإن من شأن المتطفل أن يجتهد في استغلال حاضنه بكل صور الاستغلال ، وأن يبلغ من الانتفاع بحيويته جهد ما يستطيع ، وكلما قلت قوى المقاومة في الحاضن ازداد التطفل شرة وتأثيراً ، حتى ينتهي الأمر بحدوث ما يسميه الاجتماعيون « بالتنكس الاجتماعي » وهي حالة تتساوى فيها طبقات المجتمع لا من حيث الكفايات العليا ولكن من حيث العجز عن العمل المنتج . وما لهذا الأمر من نتيجة إلا الفوضى الشاملة ، ولا ينكر أحد أن في مجتمعنا هذه الظاهرة الخبيثة . فالأيدي العاملة لا تنال من منتوج عملها ما يكفي للاحتفاظ بحيويتها ، والأيدي المتعطلة تبدد ثمرات تلك الجهود . وعلم ما يترتب على ذلك عند الله .

ومن تلك الحالات هجر الريف والعيش في المدن . ولقد بحث هذه الظاهرة كثير من الكتاب منهم : أدمون دعولاند الفرنسي ، والأستاذ استن فريمان الأنجليزي ، في بحوث مستفيضة عالجوا فيها الحالات التي نشأت في فرنسا وانجلترا وعطفوا ببعض الشيء على حالات نشأت في غيرهما من بلدان أوربا . ولا جرم أن هذه الحالات تتشابه . فالأسباب التي تدعو الفرنسي أو الأنجليزي إلى هجر الريف والاقامة في المدن ، أو بالأحرى حب التحضر ( عمي المعيشة في الحواضر ) تكاد تكون نفس الأسباب التي تحمل المصري على أن يفعل ذلك . غير أن النتائج تختلف باختلاف البلدان على مقتضى ما في كل شعب من الاستعداد والصفات ، وفي الأكثر على مقتضى الثقافة التقليدية التي يختص بها كل شعب من الشعوب

ولسوف نبين في مقال آت فكرتنا في أثر الثقافة التقليدية في الكيان الاجتماعي بكل أمة من الأمم . ونكتفي الآن بأن نقول إن شعبا كالشعب المصري الزراعة ثقافته التقليدية منذ أبعد عصور التاريخ ، لابد من أن يتأثر بزيادة الميل إلى التحضر تأثراً عظيما لا يحسه شعب آخر ثقافته التقليدية غير زراعية . بل على الضد من ذلك أعتقد أن الشعوب التي تكون ثقافتها التقليدية صناعيـة أو تجارية ، يجب أن تحتمي بحياة التحضر صيانة لمصالحها العامة . أما تحضُّر شعب ثقافته التقليدية الزراعة ، فتلك هي الطامة الكبرى على كيانه الاجتماعي ؛ وتلك هي الطفرة العظيمة إلى أبشع صور التطفل الاجتماعي

ونحن نعلم علم اليقين بأن مدننا المصرية مدن غير صناعية بالمعنى المفهوم من ذلك في أوربا . بل أعتقد وأظن أني أعتقد بحق ، أن مدننا ليست إلا أسواقاً تستهلك فيها منتوجات الريف ؛ وهذه الحقيقة وحدها كافية لأن تظهرنا على أن ميلنا إلى التحضر ، مع التعطل عن العمل يرهق المنتج ويرهق السوق المستهلكة ؛ لأن المتعطل في الواقع عبء على الجمعية ؛ ذلك بأنه قوة مستنفدة لا قوة منتجة من ناحية ، ولأن الحاجات التي يستنفدها لا ينتج ما يقابلها لصالح الجمعية من ناحية أخرى . وبذلك يصبح المتعطل عبئاً على الحاضرة التي يسكنها ، وعبئاً على العناصر المنتجة معاً . وهنا يتضاعف تطفله ، إذ يصبح متطفلا باعتبارين : الأول أنه يزاحم أهل المدن ويشاركهم أرزاقهم من غير إنتاج من ناحية ، والثاني أنه يرهق العناصر العاملة في الريف بأن يستهلك ولا ينتج ، وبالأحرى بأن يأخذ ولا يعطي

ومن تلك الحالات ما يسميه الاجتماعيون « الجشع الاجتماعي » Pleonexia ؛ ولا أريد هنا أن أطنب في تعريف « الجشع الاجتماعي » ولا أن أناقش في مختلف التعاريف التي وضعها المؤلفون الذين أتيح لي الاطلاع على مؤلفاتهم ، وإنما اقتصر على ذكر حالات يستطيع القارىء أن يدرك منها ، مطبقة على حالات تقوم بين ظهرانينا ، ما يقصد بالجشع الاجتماعي

وعندي أن أخبث ما يؤدي إليه الجشع الاجتماعي من تكييف عقلية طبقات خاصة في مجتمع ما بمقتضياته ، إنما ينحصر في أن تتطفل جماعات ، لا أفراد ، على جسم الكائن الاجتماعي . وقد تلبس الجماعات التي تنتابها سورة الجشع الاجتماعي صوراً مختلفة ، فمن اتحادات تجارية إلى اتحادات صناعيـة إلى جمعيات علمية أو اقتصادية أو سياسية ، تتخذ التأثير في عقلية الجماهير بمختلف الوسائل طريقاً تسلكه إلى غرضها الذي ترمى إليه ، والذي يجعلها جديرة بأن تنعت بأنها جماعات مصابة بجنون الجشع الاجتماعي . أما ذلك الغرض فينحصر في أن تنال من الحمية أقصى ما يمكن أن تصل إليـه من الربح المالي أو النفوذ أو السلطة أو الجاه أو الحكم بأقل جهد ممكن أن يبذل أو تضحية من ناحيتها .

وفي مثل هذه الحالات تتضاعف خباثة التطفل الاجتماعي بأن يصير تطفلاً « مركباً » لا تطفلا بسيطا . ونعني بالتطفل « المركب » أن هـذه الجماعات المصابة بجنون الجشع الاجتماعي يكون فيها عنصر خاص يعيش متطفلاً على جسم الجماعة نفسها . ذلك العنصر هو عنصر انتهازي لن تسلم منه جماعة أصيبت بذلك المرض الخبيث . فكما أن الجماعة تتطفل على جسم المجتمع ، يتطفل ذلك العنصر الذي هو « واجب الوجود » فيها بمقتضى تكوينها النفسي ، على بقية عناصرها .

وتسير قافلة المتطفلين ، ولكن إلى البوار الصرف . مثلها كمثل حبيبات زرعت على مادة هلامية في زجاجة اختبار في معمل من المعامل . فإنها تتكاثر ثم تتكاثر ، حتى إذا ملئ فراغ الزجاجة واستحالت المادة الهلامية أجساماً حية انتكس الأمر وبدأت الأحياء تنحدر إلى الهلاك المحتوم .

هذه إلمامات موجزة في حالات نشاهدها قائمة من حولنا . فهل يمكن أن تتخذ التعليم أداة إصلاح نتقي بها بعض ما يكتنفنا من شرور وخبائث ؟ وهل يمكن للتعليم أن يؤدي إلى الأجيال المقبلة رسالة إصلاح عملي يرفع عن كاهلهم بعض ما تتوقع لهم من متاعب ؟ أظن أننا نستطيع أن نجيب بالإيجاب ، وموعدنا البحوث الآتية

اسماعيل مظهر

# ذكرى ساقيـــة !

## للأستاذ على الطنطاوى

« ... ... كل ما في الوجود يولد ويحيا ويموت :
ألا تمر بالدار ألف مرة فلا تلتفت إليها ، ولا تحس بها .
ثم ترى فيها انساناً يتصل قلبك بقلبه ، أو يمتلىء فؤادك بحبه ، فإذا هذه الدار « تولد » في فكرك و « تنمو » وتزداد لهذا الانسان حباً ، فتزداد الدار عندك حياة ؟ ثم ينزح الحبيب عن الدار ، فإذا هي « تموت » وإذا أنت تألم لموتها ، وتبكي فيها ذكريات لك عزيزة ، وماضياً لك حلواً ؟ ثم تمحو الأيام هذه الذكر ، وتنسيك هذا الماضي ، فإذا الدار قد عادت إلى العدم ، كما بدأت من العدم ، وإذا أنت تمر بها من بعد ألف مرة ، فلا تلتفت إليها ، ولا تحس بها ؟ ... »

من مقالة لي قديمة — « علي »

هي ساقية صغيرة عرفتها من يوم عرفت الدنيا ، تجري في رحبة ( الدحداح ) ، في ظاهر دمشق ، فكنت أزورها دائماً ، وأجلس إليها راضياً وساخطاً ، مسروراً ومكتئباً ، شجيّ النفس وخليّ البال ، فأحدثها حديث سروري ورضاي ، وأبثها شجوي واكتئابي ، فأجد فيها الصديق الوفيّ ، حين عزّ في الناس الصديق ، والأخ المخلص حين ارتفع من الأرض الاخلاص ؛ وكنت أفرّ إليها كلما نابتني من الأيام نائبة ، أو نالني الدهر بمكروه ، فأجد فيها عزائي وأنسي ، وراحة نفسي . . . فررت إليها أمس كما كنت أفرّ ، فإذا الأرض غير الأرض ، وإذا الساقية قد عدا عليها الزمان فمحاها ، وأقام دار البستاني على رفاتها . . . فجلست على حافتها الجافة ، أودّع هذه البقعة الحبيبة إليّ ، قبل أن تبتلعها المدينة الضاجة الصاخبة التي ابتلعت ما كان حولها من حقول واسعة ، ورياض وجنات ، وأشيع حياة لي في هذه الساقية كلها سعادة واطمئنان ، عشتها كما تعيش الضفادع ، غير أن الضفادع تسبح في ماء الساقية ، وتنام على كتفها ، وأنا أسبح في ذكرياتي التي أودعتها حافتيها ، وآمالي التي رأيتها من خلال أمواهها . . . وهل يعيش ابن آدم إلا في الساقية والطريق ، والقمر والمئذنة ؟ أليس في كلّ ساقية يجلس إليها ، وكل طريق يسلكها ، وفي القمر الذي يتأمل صفحته في الليالي البيضاء ، والمئذنة التي يرى هلالها من شباك غرفته ، أليس في كل ذلك

— أو من نفسه — وقطعة من حياته ؟ . .

* * *

رحمة لك أيتها الساقية ! . . منذ كم أنت تجرين وتسرعين ، أفبلغت غايتك بعد جرى القرون ، أم قطعك عنها عدو جبار ، أم أدركك عجز الشيخوخة وضعف الهرم ، فجف ماء حياتك ، كما تجف الحياة في عروق الشيخ القحم ، وفروع الشجرة النخرة ، وجذر البيت الخاوي ؟

وهل كنت تجرين يوماً واحداً لو عرفت أن غايتك الفناء وأنك إنما تسعين إلى أجلك برجلك ؟ وهل كان يبني الباني ، ويزرع الزارع ، ويعمل العامل ، لو عرف أن أجله أدنى إليه من أمله ، فبينا هو ينتظر إشراق الفجر ، إذ احتوته ظلمة القبر ، وبينا هو يحلم بالسرداب ، إذ واراه التراب ؟ . .

وهل كان يطمع في الحياة طامع لو عرف أن كل يوم يزيد من حياته إنما ينقص من حياته ، فإذا بلغ كمال الحياة فقد صار إلى الموت ؟

إن الانسان يأمل أن يملك الدنيا ويعيش إلى الأبد ، وأنت تأملين أن تصيري نهراً ثم تصبحي بحراً ، والقدر يريد أن يتم بحكمته في الحياة فيسعى كل ساع إلى الفناء ، يدعوه الأجل ، ويحدوه الأمل ... ولا راد لما أراده الله !!

* * *

وهل كنت تذكرين أيتها الساقية أصدقاءك وأحباءك وتحنين إلى ذكراهم ، وتبكين عهدهم ؟ أم قد أمات حسك تقلب الأيام وغدر الزمان ، فأقبلت تجرين ، لا تذكرين ماضياً ولا تحفلين حاضراً ولا تنتظرين آتياً ؟

وهل تذكرين يوم فررنا إليك من شيخ الكتاب القاسي ، وعصاه الطويلة التي كان ينال بها رؤوسنا وهو على سريره لمكانه في هذه الغرفة الضيقة ، المتقبة الجدران المسدودة النوافذ ، الفاسدة الهواء ؟ لقد مللنا البقاء في هذا السجن الرهيب ، فشكونا إلى أهلينا فما وجدنا مشكياً فتجاوزنا (البحرة الدفاقة[1]) وتخطينا هذا السياج ، ولجأنا إليك فما وجدنا منك إلا الكرم والعطف والاحسان ؟ آمنت خوفنا ، وبدلتنا بمدرسة الشيخ وعصاه ، هذه الدنيا الفسيحة وهذه الحقول التي لا تنتهي ، فطابت أنفسنا بجمال الكون ، وانجلت أبصارنا بمرأى البساتين ، ونظرنا من هنا فاذا قبة النسر ومآذن الأموي تشرف علينا جليلة عظيمة ، فاستشعرنا جلال الدين وعظمته ، ونظرنا من هناك فاذا قاسيون يطل علينا مشمخراً عالياً ، تقوم عليه الدور البيضاء ، والقصور الحمراء ، فأحسسنا جمال الدنيا ، وسمو المجد ، وعزة الغنى ... وأدركنا بعقولنا الصغيرة أن الشيخ كان على ضلال ، وأن أهلنا كانوا على خطأ ، وأن العلم قد يحصل في الدنيا الواسعة ، والبقاع الجميلة ، أكثر مما يحصل في السجون والكتاتيب ، وأن جمال الحقل ، أبلغ في التهذيب من عصا الشيخ

في تلك الساعة عرفتك أيتها الساقية ، فمنحتك الود والاخلاص ، وجعلتك صديقي إذ لم أجد في بيتي ومدرستي صديقاً ، وكنت أرى طيفك في أحلامي ، فأهش لك وأنا غارق في منامي ، وأتخيل صفاءك وعطفك ، وأنا بين يدي الشيخ الجبار ، يقرع رأسي بالعصا ، ويضرب في وجهي بصوته الأجش الخشن ...

... يا ولد ، يا خبيث ... والله إن عدت إلى الهرب كسرت ساقيك ، فلا أرد عليه ، وإنما أستر وجهي بكفي ، وأضحك بصوت غريب ، فيظنني أبكي ، فيدعني ... وينصرف إلى غيري فأنظر من بين أصابعي ، حتى إذا رأيته قد غفل عني قفزت إلى الشارع ، فاختبأت في (جامع التوبة) أو أخذت طريقي إليك ، آكل من الثمار التي حولك ، وأشرب من مائك ، وأصافحك بيدي شاكراً ، وأمسح بكفيك وجهي ... هل تذكرين ذلك أيتها الساقية ؟ . .

هل تذكرين كيف جئناك بعد ذلك ، وقد تخلصنا من الشيخ ودخلنا المدرسة ، فوجدنا ساحة رحبة ومعلمين كثيرين ، وحصصاً قصيرة ، ولكنا لم نجد عطفاً ولا ابتساماً ؛ كان معلم الحساب يحبب إلينا شيخ الكتاب ، حتى نراه إلى جنبه نعيماً ، كنا نرى طلعته أمامنا حيناً نسراً بشاربيه الكبيرين ، وتقطيبه الدائم ، ونظاراته التي يحدرها أبداً إلى أرنبة أنفه ، وصوته الذي يشبه صوت من يتكلم من وسط برميل ، فكنا نرتجف من خياله ، ونخشاه أبداً ، إلا إذا أصبحنا في حماك ، فاننا نأمن ، ونطلق أنفسنا على سجيتها ، فنسخر من المعلم ونقلد الشيخ ، ونمرح ونعدو ، ثم نعود إلى الدار ونحن ممتلئون قوة ونشاطاً ، فاذا سألنا الأهل : أين كنتم ؟ قلنا : كنا في المدرسة ، وإذا سألنا المعلم قلنا : كنا في البيت ! فيصدقوننا جميعاً . . . أوليسوا قد حملونا على الكذب حملا حين كرهوا إلينا العلم ، ودفعونا إلى الفرار ، وعاقبونا على الصدق ، ولم ينتبهوا إلى الكذب ؟

(١) كانت يومئذ آخر حدود الشام من جهة العقيبة

وهل تذكرين يوم جاءت دمشق أولُ سيارة ، وكنا جالسين حولك نتحدث حديث الحرب وما يمكن أن يصل إلينا من أخبارها ، فما راعنا إلا عربة غريبة الشكل ، تسير من غير أن يجرّها حصان ، فطار الفزع بألبابنا ، وفررنا نحسب أن الجن تسيرها ، ثم سمعناهم يدعوننا ، ورأينا ضباطاً تلمع الأوسمة على صدورهم والسيوف على جنوبهم ، فأمرونا أن نلقى الأحجار فيك أيتها الساقية لتمر عليها « الأطنبيل » فأطعنا وفعلنا مكرهين ؟ ومن كان يستطيع أن يخالف أمر ضابط من ضباط جمال باشا ؟ . . .

فلما صرت هرعنا إلى دورنا نخبر أهلنا أن عربة تمشي من غير أن يجرها حصان ... فتنبري لي عمتي ، وتكذبني وتسبني :

— اخرس يا كلب ، يا كذاب ... إن هذا مستحيل

ولكن عمتي التي أبت أن تصدق أن في الدنيا سيارة تمشي بنفسها ، قد عاشت حتى رأت الكهرباء ... والتلفون .... والرادو .... ورأت الدبابة والمصفحة والتراليوز ... ثم رأت أثر الحضارة في أنقاض دمشق ... فصارت متهيئة لتصدق كل شيء !

وهل تذكرين كيف عدنا إليك أيتها الساقية فإذا أنت جردة غضبى ، قد وقفت عن سيرك ، وضللت طريقك ، فتطلعت إلى اليمين والشمال ، والأحجار قائمة تسد عليك سبيلك فما لجناك واعتذرنا إليك ، وطيبنا قلبك ، وفسحنا لك السبيل ، فجريت مضطربة ، متغيرة الوجه ، تبكين أيامك الماضية ، وتخافين ما يأتي به الزمان ؟

وهل تذكرين يوم كنا حولك ونحن آمنون مطمئنون ، فإذا الأرض قد ارتجت ، وإذا الجيش التركي الذي كنا نخافه ونخشاه قد ذلّ بعد عزّ ، وضعف بعد قوة ، وفر متفرقاً حائراً لا يدري أين يقصد ، ومن ورائه العرب والانكليز ، يدخلون الشام ظافرين ، فسررنا وفرحنا ، وصفّقنا وهتفنا . ولكنك جريت واجمة حزينة ، لأن حياتك الطويلة وما رأيت من دولة الدول ، وهلاك الملوك ، علمتك أن من يؤمن لمن لم يتبع دينه ، كمن يدخل النار ويرجو ألا تحرقه النار ؟ ثم حققت الأيام ظنك ، وصدقت حدسك ، فقلنا : ياليت ! « وهل تنفع شيئاً ليت ؟! »

وهل تذكرين يوم كنا جالسين إليك ، وحولنا هذه الحقول تمتد آمنة إلى ما لا يدركه البصر ، وإذا بعدو جبار ، يأتي من وراء الحقول الآمنة ، فيشقها شقاً منكراً ، ويثغر فيها ثغرة هائلة حتى إذا بلغك ألقى عليك نظرة ازدراء واحتقار ، ثم سار في طريقه حتى بلغ سفح الجبل ، فتمطى ثم تمدد ثم نام نومة الأبد ؛ وإن رأسه لفي الصالحية ، وإن رجليه لفي حيّ النصارى ... فلما رآه أحبابك وأصحابك آثروه عليك ، فلم يعد أحد يستطيب الجلوس إلى ساقية صغيرة ، بعد أن فتح ( شارع بغداد ) ليجول فيه الشبان كل يوم ( بين حي النصارى والصالحية ) مرجلة شعورهم ، مصقولة وجوههم ، يسيرون مائلين مميلين .... فصبرت وتجلدت ، ورجعت تجرين كما كنت منذ ثلاثة آلاف سنة .... كأنك لا تحفلين شيئاً ؟

***

لقد عشت عزيزة مكرمة ، منذ وطئت هذه الأرض أول مرة ، فلم ينتهك حرماتك أحد ، ولم يعبث في حرمك الآمن عائث ، رغم الحوادث والأرزاء ، أفانتهى بك الأمر أن يقتلك بسعاني ؟ ... لقد سقيت مصطفا البستاني وأباه وجده ومن قبلهم إلى أربعة آلاف جد ، أفكانت عاقبة هذا الاحسان أنه لم يبن بيته إلا على رفاتك ، ولم يكن أساس منزله إلا قبرك ؟ لا بأس أيتها الساقية ، فان الانسان مذ كان منكر للمعروف جاحد للاحسان ...

لا بأس ، فان ملكاً لن يدوم ، ولقد رأيت الترك والروم واليونان ، فهل رأيت ملكاً يبقى ، أرأيت الدنيا دامت على أحد ؟ أما كانت دولة الترك عظيمة ؟ أما جلّت دولة الرومان ؟ أبقى من هذا كله شيء ؟ لا ، يا أيتها الساقية إنه لا يبقى إلا الاسلام ، لأنه من ملك الله الباقي ...

***

رحمة لك أيتها الساقية ، وسلام على تلك الأيام الجميلة التي عشت فيها إلى جنبك ، لا أعرف هم الدنيا ولا نكد الحياة . لقد كنت أفرّ إليك من عصا الشيخ ، وعقاب المعلم ، فتؤويني وتحميني ، فلمن أفر اليوم من حياتي التي ضاقت علي ، ونفسي التي برمت بها ؟

لقد ضعتُ كما ضعتِ أيتها الساقية ، وجفّت آمالي كما جففت ، وانتهى بي المطاف أن أكون شيخ كتاب ! ولكن لا بأس أيتها الساقية . . . فان الدنيا لا تدوم على حال . فرحمة لك ، وعلى ذكراك السلام !

**علي الطنطاوي**

أندلسيات :

# ٤ - ابن بسام صاحب الذخيرة والشاعر ابو مروان الطُّبْنى

للأستاذ عبد الرحمن البرقوقى

أما كتاب الذخيرة فليس أصدق فى التعريف به مما جاء فى تصديره أو مقدمته أو مدخله أو خطبته ، وإذ أن خطبة هذا الكتاب طويلة فلنجتزىء بذكر ما يهمنا منها ، وهنا ننبه القارىء إلى أن مستهل هذا الكتاب الموجود فى النسخ الموجودة بدار الكتب المصرية هو غير مستهل الخطبة الحقيق . وإليك هذا المستهل كما هو فى النسخ المذكورة :

« الحمد لله الذى أبرز قمر الآداب فى سماء الكمال ، وجعل لها أهلا كالنجوم يقتدى بهم ويهتدى مدى الأيام والليال ، وصلاة وسلاما على السيد السند الرسول المفضال ، وأصحابه وأزواجه والآل ، ما صدح هزار الفصاحة على أغصان فنن البلبال ، وبعد : فيقول صاحب العزلة والانفراد أبو عبد الله عبد الملك بن المنصور بن عبد البر بن عدى بن هشام بن أحمد بن بسام : أنى كلفتُ منذ زمان بأن أعد محاسن أهل جزيرة الأندلس ، ورأيت العزلة والانفراد عن هذا العالم فى هذا الزمان ، واجبةً بحسب الامكان ، وأردت قطع التردد عن مجالسة الرجال ، لاسيما والفكر مشغول فى بحر التفكر فيما كلفت به وادكرته بعد أمة . ولا أدعى أنى اخترعته ولكنى لعلى أحسنت حيث اتبعت ، وانتقيت ما جمعت ، وتألفت على الشارد ، واغتنيت عن الغائب بالشاهد ... الخ الخ » وهذا كلام كما ترى غث بارد مغسول لا يصدر عن مثل ابن بسام ، ولعله من تلفيق حَمْقَى النساخين ، يضاف الى ذلك أنه ورد فيه اسم ابن بسام خطأ فليس اسم ابن بسام عبد الملك ابن المنصور ... وإنما اسمه علىّ وكنيته أبو الحسن لا أبو عبد الله ... إذن هذا كلام مفتعل . ومستهلّ الخطبة الحقيق هو كما ورد فى نفح الطيب [1] ما يأتى :

(١) نح ١ ص ٨٠٠ طبع أوربة

« أما بعد » حمداً لله ولى الحمد وأهله ، والصلاة على سيدنا محمد خاتم رسله ، فان ثمرة هذا الأدب ، العالى الرتب ، رسالة تنثر وترسل ، وأبيات تنظم وتفصل ، تنثال تلك انثيال القطار ، على صفحات الأزهار ، وتتصل هذه اتصال القلائد ، على نحور الخرائد ، وما زال فى أفقنا هذا الأندلسى القصى إلى وقتنا هذا من فرسان الفَنَّيْن ، وأئمة النوعين ، قوم هم ما هم طيبَ مكاسر ، وصفاء جواهر ، وعذوبة موارد ومصادر ، لعبوا بأطراف الكلام المشقّق ، لعب الدجى بجفون المؤرق ، وجدّوا بفنون السِّحْر المنمّق ، جد الأعشى ببنات المحلق ، فصبوا على قوالب النجوم ، غرائب المنثور والمنظوم ، وباهوا غرر الضحى والأصائل ، بعجائب الأشعار والرسائل ، نثر لو رآه البديع لنسى اسمه ، أو اجتلاه ابن هلال لولاه حكمه ، ونظم لو سمعه كُثَيّر ما نسب ولا مدح ، وتتبعه جَرْوَل [1] ما عوى ولا نبح ، إلا أن أهل هذا الأفق ، أبوا إلا متابعة أهل الشرق ، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة ، رجوع الحديث إلى قتادة ، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب ، أو طنّ بأقصى الشام والعراق ذباب ، لجثوا على هذا صنما ، وتلوا ذلك كتاباً محكما ، وأخبارهم الباهرة ، وأشعارهم السائرة ، مرمى القصية ، ومناخ الرذية ، لا يعمر بها جنان ولا خلد ، ولا يصرّف فيها لسان ولا يد ، فغاظنى منهم ذلك ، وأنفت مما هنالك ، وأخذتُ نفسى بجمع ما وجدت من حسنات دهرى ، وتتبع محاسن أهل بلدى وعصرى ، غيرةً لهذا الأفق الغريب أن تعود بدورُه أهلّة ، وتصبح بحورُه ثماداً مضمحلة ، مع كثرة أدبائه ، ووفور علمائه ، وقديماً ضيعوا العلم وأهله ، ويارب محسن مات إحسانه قبله ، وليت شعرى من قصر العلم على بعض الزمان ، وخص أهل المشرق بالاحسان ، وقد كتبت لأرباب هذا الشان ، من أهل الوقت والزمان ، محاسن تبهر الألباب ، وتسحر الشعراء والكتاب ، ولم أعرض لشىء من أشعار الدولة المروانية [2] ، ولا المدائح العامرية [3] ، إذ كان ابن فرج الجيانى [4] قد رأى رأيى فى النَّصفه ، وذهب مذهبى من الأنفَه ،

(١) هو الحطيئة

(٢) دولة بنى أمية بالأندلس

(٣) نسبة للمنصور بن أبى عامر

(٤) سنترجم له

فأملي في محاسن أهل زمانه ، كتاب الحدائق معارضاً لكتاب الزهرة للأصفهاني ، فأضربت أنا عما ألّف ، ولم أعرض لشيء مما صنّف ، ولا تعدّيت أهل عصري ممن شاهدته بعمري ، أو لحقه أهل دهري ، إذ كل مردّد ثقيل ، وكل متكرر مملول ، وقد مجّت الأسماع « يادار ميّة بالعلياء فالسّند » إلى أن قال بعد ذكره أنه يسوق جملة من الشارقة مثل الشريف الرضي والقاضي عبد الوهاب والوزير ابن المغربي ، وغيرهم ممن يطول ماصونه ... وإنما ذكرت هؤلاء انتساء بأبي منصور ، في تأليفه المشهور ، المترجم بيتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر ...

هذا هو كل ما أورده القري من خطبة الذخيرة ، ومن هذا الوضع تبتدئ بقية الخطبة المثبتة في النسخ الموجودة في دار الكتب ، فإذا أردت أن تجمع أطراف خطبة الذخيرة فهذا الذي أوردناه هنا هو الشطر الأول منها ، لا ما هو مذكور في النسخ التي بين أيدينا حتى إذا وصلت إلى هذا الوضع وهو : ـ وإنما ذكرت هؤلاء انتساء بأبي منصور في تأليفه المشهور المترجم بيتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ـ وهذا هو ما أورده القري واقتصر عليه ـ فارجع إلى هذا الوضع في خطبة الذخيرة الملفقة وامض منه إلى نهايتها وبذلك تجتمع لك الخطبة وتكمل ، وهي خطبة على طولها بارعة جيلة ، فارجع إليها في الذخيرة إن شئت ؛ وما حفزنا إلى القول عليها وإيراد ما أوردناه منها إلا هذا التخليط الذي اعتور النسخ التي بأيدينا . . .

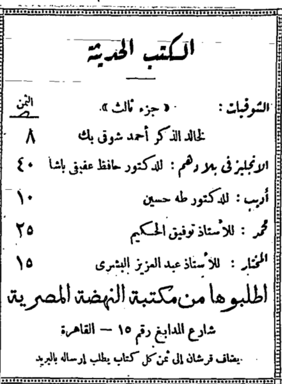
***

هذا وقد كسر ابن بسام هذا الكتاب على أربعة أقسام : القسم الأول لأهل حضرة قرطبة وما يصاقبها من موسطة بلاد الأندلس ، وهذا يشتمل من الأخبار وأسماء الرؤساء وأعيان الكتاب والشعراء على جماعة . . . الخ الخ ، والقسم الثاني لأهل الجانب الغربي من الأندلس وذكر حضرة اشبيلية وما اتصل بها من بلاد ساحل البحر المحيط الرومي وفيه من الأخبار وأسماء الرؤساء وأعيان الكتاب جملة موفورة . . . الخ الخ ، والقسم الثالث ذكر فيه أهل الجانب الشرقي من الأندلس ومن نجم من كواكب العصر في أفق ذلك الثغر الأعلى إلى منتهى كلمة الاسلام هنالك ... الخ الخ ، والقسم الرابع أفرده لمن طرأ على هذه الجزيرة من أديب شاعر وكاتب ماهر ووصل بهم ذكر طائفة من مشهوري الشارقة ممن نجم في عصره ... الخ الخ

« وبعد » فإنا نضرع إلى الله سبحانه أن يوفق جماعة المستشرقين الذين أزمعوا طبع هذا الأثر النفيس حتى يخرجوه سليما معافى بارئاً مما ألمّ به من التجريف الذي شوه محاسنه ، وكاد يطمس معالمه إنه سميع الدعاء

عبد الرحمن البرقوقي

منشئ مجلة البيان ورئيس قلم المراجعة بمجلس النواب






# الهاربون من القضاء

للأستاذ عبد الرحمن شكري

أتظل موهون الجنانِ مروَّعاً     قلقاً من الآفات والأقدار

تخشى الحياة ولست تخشى ميتة     هبها نصيب الموت في الإصغار

قلقاً تُطِلُّ على الحيـــاة كأنما     منها وقفت على الشفير المارى

تخشى الحياة وكذبها وسَفالها     وضيا لها في قسوة الغـدَّار

والحي يأكل من حياة مثيله     لحس الضوارى للدم المدرار

وتطاول المغمور ينحو نابها     كتطاول الغرقان في التيار

متشبثاً منه بعِطفَىْ سابح     ليجره لمهالك وبوار

كل يخال الدهر إن هو عاقه     خطب الجميع بقاصم الأعمار

والموت يعصف بالدهور وأهلها     فـكأنها صور الخيال السارى

فعلام تخضع للتناكص والأسى     وتخاف حكم الله في المقـدار

والقلب يلمسه الأسى فيهزه     وكأنه وتر من الأوتار

وعلام ترتقب الزمان وصرفه     والغيب وهو محجَّبٌ متوارى

عمرى لو ان الغيب عاجل وانقضى     لقرأته خبراً من الأخبار

فترى صور الحياة صحائفا     وكأنها سِفرٌ من الأسـفار

لا إنها أمر تزاول صرفه     وتظل تعـدو منه في مضمار

أو تغتـدى بين الأنام مغامراً     تسعى على سَنَن لهم وشعار

فاذا أسيت أسيت طرفة ناظر     وإذا نسيت نسيت كل عثار

وكذبت ما كذب الأنام ولم تجد     في قسوة من خسـة وشنار

ونسيت ما جلب الزمان لأهله     من محنـة أو مهلك ودمار

فتقول للقلب المَرُوع إذا نزا     حذر الحياة وصولة الأشرار:

يا هارباً من صولة المقـدار     أتراك تفلت من يد الأقدار

اهرب إذا ما اسطعتَ في أزل الدُّنَى

أو في مدى الآباد والأدهار

أو في الممات وما تلاقى خلفه     بين الفناء ومعقـل الأسرار

تعدو ويدركك الذى خلّفته     كالليل ليس يفر منه السارى

كلٌّ من العيش المروَّعِ هارب     لو فاز خلقٌ في الدنى بفرار

بالفن أو بالعـلم أو بمجانة     أو بالسطا والجنـد والأنصار

فاذا القضاء ملمٌّ ونفاذه     كحصاد كل وسائل المختار

سل صفحة التاريخ كم قوم به     أجراه مجرى الدهر في مضمار

أقوام أدهار مضت بعض لها     ذكرى وبعض ما لها من دارى

قد أبدلوا طبع السَّفَال بأنفس     من طبعها المتصاعد السَّوَّار

صاروا إذا غضِبوا وإن سُرُّوا وإن

درجوا لأمرٍ ثائثٍ بمدار

يتمرَّغون مجانة فنفوسهم     وجسومهم كمزابل الأقذار

وصموا الشباب ولم يكن من طبعه     خلق اللئيم العاجز الغـدَّار

إن الشباب مروءة وسـذاجة     وترفع ينبو عن الأوضار

تخِذوا السَّفالَ مِجَنَّهُم ليصونهم     من صولة الغـلَّاب والمغوار

فغدا السَّفالُ سعادةً ومسرة     عبث الخنا ومجانة الفجار

نبذوا الحياء وكيف ترجو أمة     للنائبات مجانة العُهار

قد خِيلَ في فقد الحياء زجولة     فقـد الحياء رجولة الدُّعار

طبع المجانة عم حتى خلته     كيداً يحاك عليهم بسرار

أم وُرِّثوه عن الجدود غنيمة     يطغو النايل بها على الأقدار

ويُذِلُّ من عنت الحياة وضيمها     بسـعادة المجانِ والفجار

وتكايدوا كيد العبيد ولم يكن     كتنابُذ بطبائع الأحرار

واستمرأوا مرعى الغباوة والخنا     إلف السجون لطول عهد إسار

هزموا الدهور الغازيات بهزلهم     فمضت وظلوا رهن عُقْرِ الدار

فاذا الدهور جـديدة قهَّارة     وإذا اللئام فريسة الأدهار

درجوا على درَجِ الحياة إلى الردى     من بعد جهلٍ راقهم وصَغارِ

من الشعر الرمزي

# رمز الخريف

مهداة إلى الشاعر « أنور العطار » صاحب مقطوعة الخريف المنشورة في العدد ١٣٨ من الرسالة

## للأستاذ خليل هنداوي

خلِّ عنك النحيبَ ، فالعيش ثغر    ضاحك ، والحياةُ حلم نضير
لا أرى في الخريف خطباً نكيراً    إن نعت الخريف خطاب نكير
هل رأت في الخريف عيناك إلا    وحشة كالتي حوتها القبور
هل رأيت العشوش إلا خراباً    « هجرتها على الليالي الطيور »
هل رأيت الحياة إلا سراباً    كل ما حوله أسى وغرور ؟
لا تقل : يهمد الثرى ! فهو حي    إنما للحياة فيه فتور
إن في باطن الخريف ربيعاً    فيه من روعة الربيع الكثير
قد تمشت فيه الحياة بصمت    واستدقت تحت التراب الجذور
ورويداً ! كل المشارب تخضرُّ ، وتهتز في المروج زهور
وإذا بالحياة تضحك ضحكا    خفيفاً ، ونغمة ، وخرير
كل شيء — فيه — يغير ثوباً    وجمال الطبيعة التغيير
ما علينا لو بدلتنا قشوراً    بقشور ، هل الحياة قشور ؟
لم تزل في عشاشه بهجات    وأزاهير في الفضاء تطير
حيث يروي العصفور لحناً ويصغي    لصداه ، فيجفل العصفور
إن في صفرة الخريف فناء    فيه رمز إلى البقاء يشير
لا تمثل سماء كونك بالنعش عليه من الغيوم ستور
إن كوناً تنكب الفن عنه    هو كون مستقبح مهجور
فاتخذ عالماً تطوف الشعاعات عليه والنور فيه يمور
وعصافيره على الدهر تشدو    وأزاهيره يفوح منها العبير
عالماً فيه روعة ورواء    وفضاء يشع فيه الحبور
عالماً واسعاً تضيق به الآفاق ، فيه الرضا وفيه السرور
لا تخف سطوة الخريف إذا انقض على دوحك الشجير يغير
قل له : نق تربتي من هشيم    ماله في الحياة إلا صرير
قل له : عر دوحتي من بقايا    طرحتها لكي تعيش زهور
قل له : عر خاطري من تقاليد أباها عقلي وعاف الضمير
فمن الشجو والخريف حياة .    ومن الحب والربيع قبور
ما على اللحن أن يكون جميلا    وهو لحن — كما ذكرت — قصير
كن جديداً على الحياة ففي الجدة يهتز كونك المسحور
لست أبغي قيثارة تتشكى    لحنها الدمع والأسى والشعور
أعطها للخريف ، وانحت سواها    ذات لحن تهوى عليه الصدور
هات قيثارة تسيل غناء    لا يرى منفذاً إليها الدثور
هات قيثارة لها نغمات    « هي روح الحياة والإكسير »
هي فوق الأفراح حين تغني    وهي فوق الأحزان حين تثور
هي روح ترى الظلام وتزهو    بضياء الحياة حيث ينير
هي نور يكسو الطبيعة لوناً    حين يخبو من الطبيعة نور
هي لحن يطغى على كل لحن    حيث لا معزف ولا مزمور
هي طيب يبث في الوهد عطراً    حين لا يغمر الوهاد عطور
هي فن يجلب الكون بالحسن إذا ما طغت عليه الشرور

(دير الزور)    خليل هنداوي

---

# أغلال تتحطم !

وثاروا فجن جنون الرياح    وزلزلت الأرض زلزالها
وأهيب ما كان بأس الشعوب    اذا سلح الحق أمزالها
« شوقي »

ما اغترابي عن الحِمى وابتعادي    كبدي في اللهيب أخت فؤادي !
نبأ هزني وهاج شجوني    رائح بالشجون بالدمع غادِ
ما تراني إذا سجا الليلُ أسوا    ن لهيفَ الفؤاد نِضو سُهاد
أسألُ النجمَ همسةً عن عرين    فتك الظلم فيه بالآساد
وأناجي الرياح ماذا لديها    عن رفاق الصبي وعن أندادي
إعصفي يا رياحُ ما شئتِ هوجاً    كلُّ نفسي عواصف وعَواد
اللظى في الحشا وتحت جفوني    وعلى مفرشي وفوق وسادي
إن أنم ساعة يقلّبنيَ الحُلم على جمره وفوق قتادي
أألذ الكرى وطرق دامٍ    وخفوق في لمفةٍ وأتقاد
وبلادي تئن من عبثِ الجوْرِ وترغي كالليثِ في الأصفاد
تمهرُ المجد أُسدها ثم تجرى    للمعالي على رؤوس العماد

***

خطّموا أيها الرعاة المزامي ر وكفكف دمع الهوى يا حادي
ثم سيروا خلف القطيع خشوعاً مؤكياً من جلالة واتّئاد
أيها البلبل الطروب دع الأغ صان تبكى واسكت عن الإنشاد
طر إلى حيث وُسِّدت شهداء في بطاح العُلى ، طوالُ النِّجاد
فاشد في مربض الضحايا وغرِّد فوق أشلائها الظِّماء الصوادى
واتلُ فوق الرؤوس أعذب لحن فلحونُ الطيور خير ضماد
الوفاء الوفاء يا بلبـــل الأيـ ك ! أتشدو وليس في الشام شاد ؟
بل أقم أيها الرفيق وزمّر وتنقّل بين الرُّبى والبوادى
وأنشد ما شئت عند منبلج النو ر ، طروباً ، وفى مثار السواد
ربما كنت ها هنا أيها البا كى تبكى على شهيد جواد ...
أيها الزهر في الرُّبى ! أغمض الأجـ فان حزناً واذبل على الأعواد
أو فيمّم روض الضحايا ورفرف فوق أعراسها وفى الأعياد
كيف تزهو والزهر في التُّرب السا جي بك والورد في الشام صاد ؟!
بل تفتَّح هنا وزُفّ نديّاً وانثر العطر منك في كل واد
ربما كنت أيها الزهر تُروى من دماء جاءتك مثل العهاد ...
يا ثرى موطنى تباركت ترباً أنبتَ من أدمُع ومن أكباد
حيثما ألتفت فثمّ ضريح لشهيد أو ساحة لجلاد
كم شهيد كأنه بسمة المجـ ـد وريحانة العُلى والجهاد
خرّ في حومة النّضال ينادى : موطنى موطنى ! بلادى بلادى
مات واسم الحمى على شفتيه كالندى فوق ذابل الأوراد
أو هو اسم الحبيب طوّف مغسو لاً بثغر المحبّ عند الرُّقاد

* * *

أيها الشرق هبّــة للمعالى طال لُبث السيوف في الأغماد
إنما العيش صرعة في جهاد والرّدى في تذلّل وانقياد
صرخة أيها الأسير تفرّى لصداها حبائلُ الصيّـاد
تجفل العادىَ المغير وتهوى صاعقات على رؤوس الأعادى
أيها الشرق إنما أنت مجلَى النـ ـور والكون في ثياب الحداد
إنما أنت مهبط الوحى والأجـ يال تلهو بها أكفّ الجلاد
درج الأنبياء فوق روابيـ ك ، وشعّت منائرُ الإرشاد
علّموا الكون رحمة العبد للعبـ ـد ونبذ الذحول والأحقاد
وهدوه سُبْل المحبة والخيـ ر ووقّوه من شرور الفساد
فاهتدى بعد حيرة وضلال وصفا بعد حلكة واربداد

أيهاذا الغرب المدلّ رُويداً والنُّهى لو عقلت في الإرواد
شدّ ما ترهق الضعيف عذاباً تتداعى له على الأطواد
فكأن الأيام ليست توالى وكأن الزمان ليس يعادى
إيه يا غرب ، والحديث شجون والدُّنى بين هدأة ولداد
ما جنينا حتى صببت علينا مرهفات الأذى والاستعباد
كيف تنسى أيام كنا نجوماً ساطعات في كلّ صقع وناد
يوم كنا تاجاً على مفرق الأر ض وشمساً من حكمة ورشاد
والزمان الحرون بين يدينا مستذلٌّ [illegible] سهل القياد
فلأنا السماء والأرض نوراً وأفضنا عليك أفضل زاد
وملكنا بالعدل ناصية الكو ن زماناً ، أغواره والنِّجاد
ثم جار الزمان وانقلب الدهـ ر فنامت على الغصون الشوادى
وخبا للخلود أعذب لحن وكبا للرُّقى خيرُ جواد

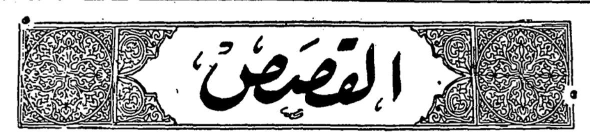
* * *

يا جمال الحياة ، يا بهجة الكو ن وإرث الأجداد للأحفاد
يا دموع الأسير ، يا غضبة الليـ ث على القدّ ، يا رجاء العباد
يا ضياء النفوس ، يا شمس يا حرّ ية الغاب ، يا ابنة الآباد ! ...
نحن زهر وأنت أعذب طلّ نحن عمى وأنتِ أرحمُ هاد
قد مهرناك من دماء غوال وفرشنا الطريق من أجساد
فاخطرى فوقها وتيهى دلالاً واسحبى الذيل في الربى والبوادى
وطئى أعيناً ودوسى قلوباً كلها من تمرّد وعناد
وامرحى فوق أرؤس لك ذلت لا لباغ مضرّج الناب عاد
حلّقى فوقنا وزُفّى لنحيا قد سئمنا الحياة في الأقياد
واسطعى في القلوب نوراً من الله وثورى بأنفس المجّـاد
صدئ القدّ في الأكفّ وفي الأقـ ـدام ، والغلّ حزّ في الأجياد

* * *

أيها الغرب قد أنفنا من النو م وضقنـــا بالذل والأصفاد
فوثبنا إلى النضـال أسوداً مثل آبائنا العـلى الأمجاد
وخضبنا دغالنا بالدم الحر وضاق الفضاء بالأجناد
أرهق الشرق ذلّة وأذقه كل ما شئت من أذى واضطهاد
نحن نبغى الحياة ، والسيف لن يُغمَد يا غرب قبل نيل المراد

(ابن دمشق)




دراسة من اسخيلوس

# محاكمة أورست

أو

# ربات العذاب

(الدرامة الثالثة من الأورستية)

The Eumenides (١)

أول كوميدية إلهية مسرحية عرفها التاريخ

للأستاذ دريني خشبه

---

### خلاصة الدراستين الأوليين

« ذهب أجممنون ملك آرجوس لفتح طروادة ولكن الريح العاصف حالت دون قيام الأسطول فضحى بابنته أفجينا ليهدأ ثائر البحر وأغضب ذلك زوجه كليتمنسترا التي انتهزت فرصة غيابه واتصلت بألد أعدائه إيجستوس اتصالا شائنا ونفت ولدها أورست حتى لا يعكر عليها صفو غرامها — ويعود أجممنون بعد عشر سنوات فتقتله زوجته وعاشقها... وتمضي عشر سنوات أخرى فيكون أورست قد شب واشتد عوده فيعود ليثأر لأبيه من أمه ، فيلاقي أخته عند قبر والده تصب عليه خمراً مرسلة من الملكة بسبب رؤيا مفزعة خلاصتها أنها رأت نفسها تلد أفعى وتضمها الى صدرها فتنفث فيه سمها ويتعارف الأخ الى أخته ويتفقان على الخطة ويطرق أورست باب القصر الملكي متنكراً فتلقاه الملكة ولا تعرفه مع أنه ابنها فيدعي أنه قادم من لدن الأمير الذي كانت قد نفت ولدها عنده وأن ولدها قد مات . . . ! وهكذا تجوز الحيلة على الملكة فترسل في طلب ايجستوس لدعى اليه الخبر ولكن أورست يلقاه منفرداً ويقتله ، فلما تجيء الملكة وتشهد مقتل حبيبها تعرف كل شيء وتعرف أن القاتل ولدها لا غيره ... ثم ينقض أورست على أمه فيقتلها بعد جدل طويل

ولكن أورست يكون قد ارتكب أكبر جريمة تعاقب عليها الآلهة وهي قتل الوالدين فتتمثل له هامة أمه وتفزعه وتروعه حتى يجن جنونه فينطلق الى معبد أبولو يتوسل اليه أن يحميه لأنه هو الذي أمره بانفاذ هذه الجريمة ... ومن هنا تبدأ الدرامة الثالثة »

— ١ —

المنظر : « في الأديتون (١) — صومعة أبوللو — في دلفي »

نحن في الأديتون . . . في مثوى أبوللو الخاص ؛ . . وقد قامت پيثونة الإله الكبير ، سيد الشمس ، ورب القوس ، وصاحب السهام الذهبية . . . تصلي للأرض المباركة ، ولابنتها ذميس ، ولاحدى بنات التيتان . . ! فوبيه . . . التي تشبه باسمها فوبوس . . . الذي هو أبوللو . . .

والپيثونة ، كاهنة أبوللو ، ذات لسان رطب ، وهي لا تكل من أن تستطيل صلاتها ، فتذكر مينرڤا وما روى الناس من أساطير عن مينرڤا . . . و . . . تنتهي بعد لأي صلواتها . . .

وندخل معها إلى مثوى أبوللو ؛ ولكنا نخرج مذعورين وجلين ، كما تخرج هي وجلة مذعورة ... لأننا نرى أورست المسكين راكعاً بين يدي تمثال الإله يبكي ... ويصلي ... ويضرع إلى أبوللو أن يحميه من ربات العذاب... الزبانيات الضاريات ... اللائي رحن يطاردنه في كل حدب ، ويأخذن عليه سبيله في كل صوب ... ويوددن لو تمكن منه فيرأن لحمه ، ويحطمن عظامه ، ثم دفنه في جحيم فليجتون ، بما قتل أمه وأغضب الآلهة

وتذعر الپيثونة لأنها ترى إلى إحدى يدي أورست ملطخة بالدم الذي سفحه ، وترى إلى يده الأخرى تحمل غصناً غضاً نضيرا . . . هو غصن الزيتون ؟ ! وكيف يجتمع الدم المسفوك ، وغصن الزيتون ؟

مسكين أورست ! لقد ركع بين يدي التمثال يصلي ويبكي ، ومن حوله الزبانيات الضواري يتربصن به ... هؤلاء الحرجون السفاحات ... اللائي تتحوى الأفاعي في رؤوسهن ، ويغلي السم في أنفاسهن ، ويضطرب الموت الأسود في أظفارهن ! !

---

(١) أو Furies وهن أخوات ثلاث منهن واحدة اسمها ديريه والأخريان ايرنيس ويعرفن بهذه الأسماء كذلك ( ألكتو — تيسيفونه — ماجيارا ) وهن موكلات بتعذيب الأرواح الشريرة الآثمة وايصالها الى نهر فليجتون الذي تغلى بالحمم ويكون هنا خورس الرواية — ويشبهن الغول عمم في الميثولوجيا المصرية

(١) Adyton وبالاغريقية Adytum

ويسقط في يد الپيثونة ، ولكنها تدعو لمولاها أپوللو أن يحمى بيته من هؤلاء المتمردات

— ٢ —

وينفتح باب الصومعة على مصراعيه ، فنرى أپوللو نفسه ، ونرى أورست المعذب مايبرح يبكى ويصلى ، ونرى الى الجرجون من حوله يكدن يبطشن به ، ولكن أپوللو يكلمه ويحتفى به ويذهب عنه الروع الذى يضنيه

— « ليفرخ روعك يا أورست فأنا ربك وحارسك وسأظل آخر الدهر معك . . . قريباً منك أو بعيداً عنك . . . ترانى أو لا ترانى . . . دائماً معك . . . دائماً . . . وسأكون أعدى أعداء من عاداك . . . حتى ولو كان من أعدائك هؤلاء الجرجون اللائى ترى . . . فانه لن يصل اليك منهن ضر ، ولن يصيبك منهن أذى . . . فانى قد ألقيت عليهن غفوة ، وأسكرت مقلهن بخمرة الكرى ، فهن فى سبات عميق حتى تكون بنجوة منهن . . . الشريرات عدوات الآلهة والناس أجمعين . . . »

ويهدأ أورست قليلا ، لأنه ينظر فيرى إلى الجرجون ساكنات نائمات كأخبر الاناء ، ويصل أپوللو حديثه فيقول :

« . . . وليس عليك إلا أن تنطلق من فورك هذا فلا تلوى على شىء حتى تكون فى معبد ميترڤا فاسجد تحت قدميها سجدة تستجمع فيها نفسك وقلبك وآلامك . ثم تبثها شكواك وتتوسل إليها أن تأذن فتحكم بينك وبين الزبانيات ، ربات الذعر ، هذه الجرجون ؛ ولا تخش عقدة فى لسانك فسأكون إلى جانبك ، وسأنافح عنك وأشد أزرك ، ولن يؤودنى أن أضع عنك هذا الوزر الذى يثقلك ، مادمت أنا الذى أمرتك أن تقتل أمك الفاسقة . . . وستنطلق الجرجون فى إثرك ، فاذا أدركنك فلا يروعنك أن يأخذنك فيلبسنك تلبيبا ، ثم لا يروعنك أن يتواثبن بك فوق الآكام ويسحبنك فوق النؤى ويطوحن بك فوق البحر اللجى . . . فانك واصل باذنى ، وعلى عينى الى حيث ألقاك فى معبد ميترڤا »

فيكفكف أورست عبرته ويقول : « تباركت ياسيد الشمس وتقدست أسماؤك ، ولا غفلت عينك الساهرة عن عبدك المنيب . . . ولا زلت تدركنى برحمتك يا أرحم الراحمين ! »

فيجيبه أپوللو : « ولا زلت أوصيك بالتجمل والصبر ، فلا تقذف بالروع فى قلبك ، ولا تدع للذعر إلى روحك سبيلا ، وسأوصى بك أخى هرمز ، حامل الأرواح إلى ظلال هيدز ، يمهد لك ، ويوطئ سبيلك حتى تكون فى متوجهك »

ثم يرف أپوللو فيكون فى السماء . . . ويخرج أورست .

— ٣ —

وتنعقد سحابة فى جو الصومعة ، ثم تنكشف عن شبح قاتم سادر ، هو شبح كليتمنسترا . وكان نوم الجورجون يشدهه فيقول :

— « ياهياه ! ياهياه ! هيا ! هيا ! جورجون ! غطيط ! تنامين وأذرع الظلمات مفضوحة عن قاتلى ! انهضن يا ربات ! إنهم يصرخون فى وجهى : مجرمة ! آثمة ! أنا ؟ أنا مجرمة وقد قتلنى ابنى الذى حملته وغذوته ؟ . . . ما شغلكن إذن إذا نمتن عن هذا الوزر ؟ ألم أكن أقرب لكن القرابين وأضحى الأضحيات من خمر كاما غول فى دجنة الليل ؟ ! أفهكذا تضيع إضحياتى عندكن وينجو قاتلى دون أن تمسكن به ؟ إنهضن ! انهضن فحسبكن ما ألم بكن من كرى ! انهضن فقد لاذ بالفرار قاتلى غير مبال بكن ؟ أنا كليتمنسترا ؟ أهتف بكن يا ربات الظلمات ! أنا . . . القتيلة التى يسبح ظلها فى مملكة الأحلام ! »

— « خبخ ! . . . خبخ . . . ! خنخ . . . ! خبخ . . . ! »

— « خبخ ؟ . . . ماهذا الفخبخ[1] يا ربات ؟ إنه يضطرب فى حلوقكن فيكون شخيرا ، ثم يرتد فى أنوفكن فيكون نخيراً ! هيا ! لقد أفلت قاتلى ! ولدى ! لقد كلأته قدرة سماوية بينا أنا مهجورة هنا ! »

— « غيط . . . خبخ . . . ! . . غيـ . . . »

— « غيط ! ماهذا الغطيط وقد انفتل قاتلى ! ما أنتن هنا ؟ أورست ابنى . . أطلق ساقيه الريح يا ربات ، فمن غيركن يأخذه بقتلتى ؟ »

— « أو . . . ه . . . »

— « أوه ؟ هيا ! البدار البدار ! يا للضنى ! »

— « أو . . . ه . . . »

— « حتى النوم والتعب يشدان أزر المآثمين ! »

— « خـ . . . خ . . . ( وتستيقظ الجورجون ) أمسكن !

(١) صوت النائم

أمسكن ! من هنا ! من هناك ! حذار ! »

— « آى ! أنتن تتصيدن المجرم فى شبكة من أحلامكن ! وما تبرحن متثائبات ! يا للعار ؟ إنهضن يا ربات ولا تستسلمن لهذا الخمول ! بحسب قلوبكن وخزة من ضمير حى لو يستيقظ ! هيا هيا ! أقصصن أثره ! وليتزع شواه زفير من جحيم أنفاسكن هيا هيا !! »

( ويغيب الشبح )

— ٤ —

وتنهض الجورجون فيروعهن ألا تجدن أورست وقد طاردنه طويلا ، وكدن يبطشن به لولا احتماؤه بصومعة أبوللو ... ويبرمن ويتسخطن ... ويشتد غضبهن على أبوللو نفسه ، لأنهن يفطن إلى أنه هو الذى ألقى عليهن هذا النعاس الذى صرفهن عن واجبهن ... « غير مبال أن تخرق قانون الآلهة ، ولا مبال أن يتلطخ وحيدك بالإثم والدم ، كأنك تتحدى ربات المقادير[1] ... ولكن هيهات ! هيهات أن تستطيع حماية هذا الآثم الذى يلوذ بك ... فانك ستشهده بعينيك يتلظى فى حر جهنم ... وستضاعف حمايتك العمياء له عذابه ... ... »

وما يكدن يفرغن من برمهن ، ويمسكن عن قولة السوء التى أرسلنها ، حتى يبدو طيف أبوللو :

— « .... أغربن أغربن ! آمركن ألا تبقين فى صومعتى ! هلا ! وإلا فستبيدكن نفثات الثعبان الذى يتحوى فى قوسى الأرقم ! أتجهلنه ؟ أغربن ياسبب شقاء الناس ونافثات السم فى جراح البرايا ! لا تنتهكن هذا الحرم المقدس الأطهر بظلالكن البشعة ، النكراء ! أغربن من هنا ، وتمتعن بالموت والأرزاء فى سبل الشباب الذى تذوين ، والحيوات التى تشتفين والأنفس البريئة التى تحشرجن فى صدور الأطفال ...! بحسبكن أنين الموتى ، وجؤار القتلى ، وسكرة الموت ؛ تخضض الفجوعين والمفئودين ! أغربن من هنا .... وليكن مأواكن فى مغارة ذئب أو كهف سبع ينهش فريسته التى ما تزال تئن وتتوجع ... فصومعتى أطهر من أن تدنسها أدرانكن ! أغربن قاتلكن ، فما انفكت لعنة السماء عليكن وغضب الآلهة والناس أجمعين ! هيا ... هيا ... ياهناة ! »

— « أيها الإله أبوللو ! إصغ إلينا وع ! أنت لم تكن شريك هذا المجرم الذى حميت فى وزره فقط ( حين قتل أمه ) ولكنك كنت الآمر الوحى ؛ فعليك يقع الجرم كله ... »

— « وما برهانكن ؟ هراء ... هراء .... »

— « نبوءتك التى أوحيت بها .... تقضى أن يقتل الغلام أمه !! »

« لقد صرحت ، غير متردد ، لا بد أن يثأر الفتى لأبيه ! »

— « وها قد تقبلت الغلام ، وما انفك الدم يقطر من يديه ! »

— « لا .... ولكنى أمرته أن يستغفر لذنبه هنا ! »

— « ولكنه لم يأت ليستغفر ، بل أتى يلوم ويعتب ويدل ... يعتب عليك ويدلك ياحاميه ! ؟ »

— « وأنتن ؟ ماذا جاء بكن وأنتن غير جديرات بأن تقربن قدسى !! »

— وظيفتنا ياسيد الشمس ! هذا عملنا الذى ارتضيناه يوم اقتسم الآلهة شؤون الحياتين ! »

— « ماذا ؟ عملكن ؟ وما عملكن ياربات الذعر ؟ »

— « أن نقتص آثار قتلة الآباء وننفيهم من الأرض ! »

— وماذا تصنعن بمن يقتلن أزواجهن من النساء ؟ »

— « هذا دم لا يعنينا لأنه من دماء ذوى القربى ، فلا شأن لنا به !! »

— « بعدتن عن الشرف والنبل إذن ، وعن العدالة كذلك ! ان ذلك ينافى القداسة الزوجية التى تقر بها حيرا لزوجها زيوس سيد الأولمب ، وينافى ما قضت به ربة الحب[1] من وجوب الوفاق والمحبة بين الزوجين ... إن العلاقة بين الزوج وزوجه أكبر من أن تكون قسما أقسماه ! فاذا حدث أن قتل أحدهما الآخر ولم يثر ثائركن لهذا القتل فمن يأخذ المجرم بجرمه ؟ وماذا تكون الحياة إذا لم يكن فيها قصاص ؟! إنكن إذن لطالمات دون أورست ظالمات !! فبينا تأخذن بالشدة والعنف مجرماً لا تقع عليه — فى الحق — جريرة ما صنع ، إذا أنتن تغضين عن مجرمين ضجت الدنيا بآثامهم وتلطخت الفضيلة بأوزارهم ، فلكن كيف تقضين ؟! ولكن الأمر ما يكون ، فسيعرض الأمر كله على منيرفا لترى فيه رأيها ! »

(١) Fates الربات ثلاث كلوتو ولاخيز ، وأتروبوس اللائى يكتبن على الناس كل ما يقع لهم فى الحياة

(١) لا ندرى أى ربة حب عنى أسخيلوس ؟ فاذا كان يعنى فينوس فتلك يعارض وحياتها المتلة بالفسق ضد زوجها فلسكان !!

— « مهما جاوزت فإن نبقى القاتل من أن يلقى جزاء ما جنت يداه ! »

— « أقصصن أثره إذن وافهمن ما بدأ لكن ! ! »

— « ولكن لا تستهزئ بحقنا المقدس فى ثنايا كلمك ! »

— « أنا لا يعنيني حقكن المقدس ولا أبالى به أو بكن ! ؟ »

— « . . . . . . إن رائحة الدم المسفوك . . . دم الأم المذبوحة . . . قد أتى بنا الى هنا ، ولا بد لنا من أن نقتحم هذا المأوى ونقبض على المجرم ! »

وسأحمى هذا اللائذ بى الى النهاية ! سأناضل عنه مادامت المهابة تنطش أبصاركن ! انى اذا تخليت عنه ، وتركته لبطشكن ، غير مثاب ولا ناقم فستضج السماء والأرض ، وتزلزل الجبال ... وتنقم الآلهة ... ويسخط الأولمب ... أغربن ... أغربن ! هيا ... ياربات الذعر ... زادتكن السماء مسخاً ! »

( وتتبالق الجورجون ... ويغيب أبولو )

( البقية فى العدد القادم ) دريني خشبة

# صانعة الكراسى

## Le rempailleuse

للكاتب الفرنسى « جى دى موباسان »

ترجمة السيد فؤاد نور الدين

---

أقام المركيز دى برتران حفلة شائقة على نخب عيد العام الجديد . فدعا أصحابه من أهل البلد . فالتف حول المائدة عشرة رجال تصحبهم ثمانى نساء من ذوات الحسن والدلال ؛ وكان الخوان موقراً بصنوف الزهر الزكى ، وضروب الثمر الشهى ؛ وقد ألقت مصابيح الكهرباء أنوارها المتلألئة على هذه الأنواع المختلفة من الزهر والثمر والطعام ، فماجت تحتها موجاناً يستفز الشهوة ويستقطر اللعاب

جلس فى صدر المائدة على مقربة من المركيزة طبيب البلدة ، وهو رجل متقدم السن ، وقور الهيئة ، يبدو على وجهه طابع الفطنة والذكاء

كانوا جميعاً يتجاذبون ألواناً ممتعة من الحديث اللذيذ والكلام الرقيق ، فلما انتقلوا إلى حوار الحب ، وماهية الحب ، انبعثت بينهم تلك المناقشة الخالدة التى يراد منها أن يفهم : هل الحب المحض يدرك قلب المرء مرة فى حياته أو أكثر ؟

فكانت تورد أمثلة لأناس تيم قلوبهم الحب الصحيح مرة فحسب ، وكانت تورد أمثلة لأناس آخرين أحبوا بعنف وقوة وهيام أكثر من مرة

كان الرجال بنوع عام يشبهون العشق بالأمراض ، فكما أن هذه تعتور جسم الأنسان دوماً ، فالعشق أيضاً يصيب فؤاده كثيرا ويكون فى كل مرة من العنف والقوة والهياج بحيث يؤثر العاشق الموت إذا ما اعترضت سبيله علة من العلل

أما النسوة فكان رأيهن يستند أكثر ما يستند على الخيال والشعر ، وينأى عن النظر والفكر . فكن يثبتن فى حماس واندفاع أن الحب المحض ، الحب العظيم لا يمكن أن ينبعث فى القلب إلا مرة فحسب ، حتى إذا تمكن منه ألهاه عن كل أمر ، فأحرقه وألهبه ، وكان فعله فيه فعل الصاعقة فى الشجر والنبت ، فكما أن هذه تحبس عنهما النمو والنشوء الجديدين ، فهذا الحب أيضاً — يجعل القلب قفراً فارغاً لا يمكن أن تنشأ فيه أحلام تشبه أحلامه الأولى ولا أن تنبت فيه مشاعر تشبه مشاعر هيامه الماضى وعهده السالف

كان المركيز يدحض هذا الاعتقاد بكل ما أوتى من ذلاقة لسان ، ومن حجة وبيان

كان يقول :

— أؤكد لكم يا سادتى أن الانسان فى مقدوره أن يعشق أكثر من مرة بكل جوارحه وبكل قواه . إنكم تعددون لى أمثلة أناس انتحروا من أجل الحب كأنهم عاجزون عن أن يعيشوا ليعشقوا ثانية . غير أنى أجيبكم : إن هؤلاء الناس لو أهملوا الانتحار وتحاشوا هذا الحمق المجنون ، لألفوا فى الحياة ما يثير الحب جديداً فى قلوبهم الجريحة ويحيى موات الأمل فى نفوسهم اليائسة ، لأن من هام عاد إلى الهيام ، ومن احتسى أولى الكؤوس عاد إلى سواها . تلك طبيعة المرء لا منصرف عنها ولا محيد

لما أتم المركيز خطابه وأعلن رأيه ، انحدرت الأنظار إلى الطبيب تنتظر منه الحكم الأخير . قال :

— أنا لا أخالف المركيز في رأيه ، فالهوى تتمدد فصوله وتتابع طوارئه على الفؤاد . غير أني عرفت فيما عرفت هوى دام خمساً وخمسين سنة ، وما خمدت ناره ولا انطفأ أواره إلا بالموت

قال المركيز وهو يفرك يديه :

— ترى أهذا الحب محمود ؟ وما وراءه من أمان وأحلام ؟ وأي سعادة في أن يعيش المرء خمساً وخمسين سنة على غرام واحد ؟

فابتسم الطبيب ابتسامة خفيفة وهو ينظر الى المركيزة :

— ان الشخص الذي أتاح له القدر أن يكون معشوقاً طوال هذه المدة كان رجلا وأنتم تعرفونه جميعاً ، هو السيد شوكه صيدلي الناحية . أما المرأة العاشقة فلستم تجهلونها أيضاً ، هي صانعة الكراسي العجوز التي كانت تفد أحياناً إلى القصر ها هنا :

بدت على وجوه النسوة ملامح الدهش ودلائل الاشمئزاز ، كأنما الحب لا ينبغي أن يصيب فيما يصيب إلا المخلوقات المترفة المتميزة التي تستحق وحدها أن يبدي الناس لها عطفا واهتماماً

قال الطبيب :

— منذ ثلاثة شهور دعيت إلى جانب هذه العجوز وهي على فراش الموت ، وكانت قدمت في عربتها التي اتخذتها مسكناً لها وآلة ركوب تطوف البلدان عليها . يجر هذه العربة فرس مهزول ناحل لاشك أنكم رأيتموه . ويصحب العجوز كلبان أسودان هما صديقاها وحارساها . كانت دعت القسيس أيضاً لتكشف لنا عن رغباتها الأخيرة فنكون منفذين لوصيتها . فقصت علينا جميع أطوار حياتها . الحق انني لم أسمع قصة أشد تأثيراً في النفس وأكثر غرابة في الأذن من قصتها . كانت حرفة والديها صنع الكراسي . ولم يكن لها سكن خاص في أرض معينة ، فانها طفلة كانت تطوف البلدان ممزقة الثياب معتلة الجسم يثير منظرها نفوراً واشمئزازاً . وكان أبواها كلما بلغا إحدى القرى وقفا عند مدخلها وأنشآ يصلحان الكراسي المتيقة والمقاعد القديمة تحت ظل الأشجار وهي تتدحرج لاعبة ضاحكة خلال أعواد العشب الشرثبة . فاذا ابتعدت قليلا عنهما أو أخذت في الحوار مع الصبية ، فانها لا تلبث أن تسمع صوت أبيها الغضب يقول لها : « ارجعي ياوقحة » . فكانت هذه الجملة الجملة الوحيدة التي تسمعها من أبيها

ولما ترعرعت بعض الشيء أرسلاها تلتقط أو تبتاع ما فسد من المقاعد . فكانت في تنقلها من مكان إلى مكان تتعرف إلى الصبيان وتأنس إلى الحديث اليهم . على أن ذويهم كثيراً ما صدوهم عنها وهم ينتهرونهم أشد الانتهار ، ومنهم من كان يقول لولده : « ألا انقطعن الكلام مع هذه الشريدة الحافية الأقدام »

أما الفتية الصغار فما أكثر ما قذفوها بالحجارة من غير أن ينبس فوها بكلام ! وكان بعض النسوة أعطينها قليلا من دراهم ، فاحتفظت بها وحرصت عليها

وبينما كانت تجوز هذا البلد في أحد الأيام وقد بلغت الخامسة عشر ربيعاً من عمرها ، إذ صادفت خلف المقبرة شوكه الصغير وهو يبكي أحر البكاء ، لأن رفيقاً له سرقه درهمين . فآلمها وهي البنت المسكينة ، أن ترى طفلا حضرياً يذرف دموعاً سخينة من حيث لا مواسي له ولا صديق . فدنت منه وما كادت تقف على سر بكائه حتى وضعت في يديه تلك الدراهم القليلة التي احتفظت بها . وكان طبيعياً أن يبتهج الطفل بالدراهم وأخذها ومسح دموعه . وكان منها أن جنت فرحاً بعمله ، فأنشأت تعانقه وتضمه إلى صدرها وتقبله تقبيلا حاراً دون أن يمانع الولد أو يصدها عنه لأنه كان لاهياً بفحص النقود

ثم انصرفت عنه وقد فاض قلبها محبة لهذا الطفل

ولم يكن أحد يعلم ماذا جال في رأس هذه التاعسة من خواطر وأحلام ، أتعلقت به لأنها ضحت في سبيله بثروتها المتجمعة من التشرد والانتقال ، أم لأنها منحته أول قبلة وثب قلبها لها ؟ خفي ذلك على الصغار والكبار

وظلت أشهراً تتمثل في خاطرها زاوية المقبرة التي شهدت فيها هذا الغلام وشرعت تسرق أبويها ما تصل إليه يدها من دراهم أملا في لقائه ومصادفته . وكان في يدها آخر الأمر فرنكان . على أنها هذه المرة بدلا من أن تلمح فتاها في محل متنزل ، رأته خلف قضبان حانوت أبيه : بهي الطلعة نظيف الثياب ، والقناني

الحمراء والخضراء والصفراء تحيط به من كل جانب . فازدادت له حباً وبه كلفاً ، وبهرها ما أنفت لديه من مجد باذخ في هذه المياه المصبوغة ، ومن جلال ظاهر في هذه الزجاجات البراقة

فاحتفظ خاطرها بذكراه مدة ، حتى صادفته في السنة التالية خلف المدرسة يلعب مع رفاقه ، فهجمت عليه وقبلته تقبيلاً عنيفاً ريع له الولد وأخذ في الصراخ . لكنها سرعان ما وضعت في يده ثلاثة فرنكات هش لها الغلام وطرب ، وحدق في وجهها في دهش وتعجب تاركا نفسه لها تداعبه ما رغبت في المداعبة ، تعانقه ما اشتهت من عناق

وظلت أربع سنوات تقدم اليه ما تجمعه فيأخذه منها مقدماً اليها القبلات عن رضى وسرور . أعطته مرة فرنكين ومرة خمسة فرنكات ، وهي قطعة كبيرة جعلته يضحك لها ويرقص طرباً

لم تكن تفكر إلا فيه ؛ أما هو فكان ينتظر عودتها ويرقب شخوصها اليه بصبر فارغ وشوق لجوج ، حتى إذا أبصرها ، جرى اليها مسلماً خده لقبلاتها ، ويده لدراهمها . وما أشد خفقان قلبها عند ذاك !

وتوارى الغلام حقبة من الزمن عن عيانها لأنه انتقل الى مدرسة أخرى . وعرفت هي انتقاله بمهارة وحذق ، فأبلت في السياسة بلاء حسناً حتى حملت أبويها على المرور من هنا في الصيف . وكان مضى عليها سنتان دون أن تراه . فلما أبصرته كادت لا تعرفه ، لأنها رأت أمامها بدلا من طفل الأمس فتى تفتحت ورود الصبا في وجهه ، وابتسمت زهور اليفاعة في قده

نظرت اليه نظرة شوق ولهف . وكان منه أن تظاهر بعدم رؤيتها ، ثم خطا أمامها ببزته الأنيقة ذات الأزرار الذهبية يملأ صدره زهو وافتخار ، ويعلو رأسه أنفة واستكبار

وانصرفت عنه والدموع تسح من عينيها والزفرات تتصاعد من قلبها . وأصبحت بعد ذاك المعذبة أليفة أحزان ، وصديقة آلام

وانطوت الأعوام متوارية خلف حجاب الفناء ، وفتاتنا لا تنقطع عن الشخوص كل عام إلى بلدة لتراه دون أن تجرؤ هي على تحيته ، ودون أن يتنازل هو بإلقاء نظرة عليها

كانت تهواه بكل جوارحها ، وها كم ما أسرته لي « إن هذا الرجل يا سيدي الطبيب ، الرجل الوحيد الذي رأته عيناي ، وما علمت بعد ذاك إذا كان يعيش في العالم سواه »

ومات أبواها واستمرت في حرفتهما ، وقد صحبت من بعدهما بدلا من كلب واحد ، كلبين هائلين يخشى الدنو منهما

وكان يوم دخلت فيه هذا البلد ، فرأت امرأة في نضارة الصبا وربيع الحياة تصحب شوكه حبيبها ، وقد تأبطت ذراعه وهما يخرجان من الحانوت معا

لقد تزوج إذن شوكه !

وفي مساء اليوم ألقت نفسها في الغدير القائم خلف المحكمة . واتفق أن رجلا كان يمر هناك ، فأنقذها وقادها إلى منزل شوكه ، فنزل هذا لعلاجها ، ودلك بيديه مكان الألم من جسمها دون أن يتظاهر بمعرفتها . ثم ما لبث أن قال لها بصوت جاف : « أأنت مجنونة ؟ لا ينبغي أن تكوني هكذا حيوانا »

هذه الجملة وحدها بعثت فيها البرء والشفاء . ألم يتكلم اليها ؟ حسبها ذلك ! وظلت عائشة مغتبطة أمداً طويلا

قضت كل حياتها تذكر شوكه ولا تفكر في غيره . وكانت تلمحه في سنيها خلف الزجاج ، وما أكثر ما ابتاعت عقاقيره وأدويته لا تبغي من شرائها إلا رؤيته والحديث اليه

وكما ذكرت لكم بديئاً ، ماتت هذا الربيع وقد رجتني بعد أن قصت علي قصتها أن أحمل الى هذا الذي أحبته حب العابد لمعبوده ، جميع ما ادخرته من مال . لأنها كما اعترفت لم تشتغل إلا لأجله ، تجوع أحياناً لتدخر له بعض المال . فإن ذكرها بعد وفاتها مرة واحدة فستشعر في قبرها بالسعادة والهناءة

أعطتني عشرين وثلاثمائة وألفين من الفرنكات . فقدمت العشرين فرنكا الى القسيس لأجل دفنها ، وأخذت الباقي لما فاضت روحها ، وقصدت منزل شوكه ، فلما دخلت كان وزوجه يتناولان طعام الغداء وقد جلس الواحد أمام رفيقه ، والاحمرار يكسو وجهيهما ، والسعادة تسبل عليهما ظلها الوارف وبشرها الطافح . طلبا إلي الجلوس فجلست ، وقدما لي كوباً من مشروب ( الكيرسك ) (١) فتناولته شاكراً وبدأت أنقل لهما القصة بصوت مضطرب حزين ، لأني زعمت أنهما سيبكيان ويحزنان . على أن شوكه ما كاد يفهم أن هذه الأفاقة الشريدة تضمر له حباً

(١) Kirsck . يصنع هذا المشروب من عصير الكرز

وولاء حتى جن جنونه وثارت ثائرته وشرع يثب من السخط والغضب كأنما سلبته السكينة من المجد والشهرة ، ومن العزة والشرف شيئاً كثيراً . أما زوجه فكانت تصيح والغيظ علؤها « يالها من نذلة ! يالها من نذلة ! »

ثم نهض شوكه وألقى بقبعته على الوسادة وأخذ يذرع أرض الغرفة جيئة وذهاباً كأنه أحد المجاذيب وكان يتمتم : « أو يمكن هذا يا دكتور ؟ إن ذا لشيء فظيع ! ما العمل ؟ يا ليتني عرفت الأمر في حياتها ! فلكنت أسوقها سوقاً إلى السجن بقوة الدرك »

فلبثت أنا كالشدوه مما سمعته أذناي ورأته عيناي لا أدرى ماينبغي لى من قول ومن عمل . على أنني عقبت كلامي : « سيدى إنها أوعزت إلىّ أن أحمل اليك ما تركته من نقود ، وقدرها ثلثمائة وألفان من الفرنكات . ولما كان ما نقلته لك من حديثها قد أثار فيك سخطاً وسوءاً ، فلعل من الخير أن نهب النقود بعض الفقراء والمساكين »

نظرا وقد أفقدتهما الحيرة كل حركة !

فأخرجت المال من محفظتي ، هذا المال المتجمع من بلدان عديدة والمدخر من جميع النقود من ذهب وفضة وغيرها . وسألته قائلا : « ماذا عزمت ؟ »

قالت السيدة شوكه : « ما دامت رغبة المحتضرة الأخيرة تقضي بذلك . فأرى من الصعوبة رفض إرادتها »

وقال الزوج واحمرار الخجل باد عليه : « إن هذا المال ينفعنا في اقتناء بعض الحاجات لأطفالنا »

قلت عند ذلك بصوت جاف : « كما تشاء »

قال : « هاته ما دامت أوعزت اليك ذلك . فلن تعوزنا الوسيلة في إنفاقه إنفاقاً جميلا »

فقدمت اليهما الدراهم وصافحتهما وانصرفت

وجاءني شوكه في غد اليوم ، وابتدرني قائلا : « هذه المرأة تركت عربتها ، ماذا فعلت بها ؟ » . قلت :

— لا شيء ، خذها إذا أردت . قال :

— إنها تنفعني ؛ سأجعل منها كوخاً لحديقتي

وهم بالانصراف فناديته قائلا : « إنها تركت أيضاً فرسها وكلبيها ، ألا تريدها ؟ فوقف مندهشاً وقال : « آه ! كلا ، لا حاجة بي اليها ، ما أصنع بها ؟ خذها أنت . » وأخذ يضحك ومد يده إلىّ فصافحته بمودة ، إذ لا ينبغي للطبيب والصيدلى أن يكونا عدوين

احتفظت بالكلبين ، أما الفرس فقدمته إلى القسيس ، وأفاد شوكه من العربة كوخاً لحديقته ، وابتاع بالنقود خمسة أسهم في الخط الحديدى

هذا هو يا سادتي الحب العميق المحض الذى صادفته في حياتي

وصمت الطبيب

فأخرجت المركيزة من صدرها آهة حبيسة ، وقالت والدموع تتلألأ في عينيها :

« الحق أن النساء وحدهن يعرفن الحب ! »

(حلب) فؤاد نور الدين



# البريد الأدبي

## الأرحام المبلولة

أنكر علينا الدكتور زكي مبارك في (البلاغ) قولنا في افتتاحية العدد ١٣٩ من الرسالة: «وأبست الأرحام المبلولة»، وظن أن الذي ورطنا في وصف هذا الموصوف بهذه الصفة إنما هو حرصنا على هذه السجعة التافهة! ومعاذ الله أن نكره كلمة على غير موضعها طمعاً في زينة لفظية نعتقد أن خصيصة الجمال فيها جريانها مع الطبع والصدق

لعل إنكار الأستاذ أن يكون آتياً من إحدى جهتين: إما استعمال اللغة وإما مراعاة الذوق. فأما اللغة فحسبنا أن نورد هنا ما ذكره (لسان العرب) ولا نزيد عليه. قال في مادة (بلل) «... وبل رحمه يبلها بلا وبلالا: وصلها. وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: بلوا أرحامكم ولو بالسلام، أي ندّوها بالصلة. قال ابن الأثير: وهم يطلقون النداوة على الصلة كما يطلقون اليبس على القطيعة، لأنهم لما رأوا بعض الأشياء يتصل ويختلط بالنداوة، ويحصل بينها التجافي والتفرق باليبس، استعاروا البل لمعنى الوصل، واليبس لمعنى القطيعة، ومنه الحديث: فان لكم رحماً سأبلها ببلالها: أي أصلكم في الدنيا ولا أغني عنكم من الله شيئاً... أبو عمرو وغيره: بلت رَحِمِي أبلها بلا وبلالا: وصلتها ونديتها. قال الأعشى:

أما لطالب نعمة تممتها ووصال رحْم قد بردت بلالها

وقال الشاعر:

والرحم فابللها بخير البُلّان فانها اشتقت من اسم الرحمن

وأما الذوق فهناك ذوقان: ذوق أبناء العرب، وذوق (أبناء البلد)، فأما ذوق أبناء العرب فقد رأيت حكمه في هذا الاستعمال من وروده في الحديث والشعر، وتسجيله في معاجم اللغة وكتب الأدب؛ وأما ذوق (أبناء البلد) فقد يجد فيه شيئاً، ولكنه الشيء الذي يجده العامي في مثل قول الله تعالى: (آتوني زبر الحديد) أو في مثل قول الشاعر: «ومن يك» ومثل هذا الذوق العابث ينبغي أن نراعيه إلى حد ما؛ وإلا ذهب كلام الناس كله هزؤاً بين (نكتة) و(قافية)

كلمة قصيرة اختلستها من المرض اللازم يا دكتور فمعذرة

الزيات

## الحركة الأدبية

حفلت القاهرة في الأيام الأخيرة بمجالس العلم والأدب، فكأنها سوق من أسواق الكلام التاريخية في أزهى عهوده وأحفل أيامه، فأنت لا تنفك آخر النهار وأول الليل تسمع أبلغ الخطب وأجود القصائد وأنفس المحاضرات في حفلات الترحيب وموائد التكريم وقاعات الثقافة، وقد كان لوفود اخواننا الفلسطينيين والعراقيين أثر قوي في هذه الحركة. ولقد قام (أسبوع المتنبي) الذي أعدته الجامعة المصرية في المكان والأزمان التي أعلناها من قبل، وكان ما سمعناه إلى اليوم من المحاضرات التي ألقيت فيه فخراً لكلية الآداب تستحق عليه التهنئة؛ وعسى أن يساعدنا التوفيق فنثبت شيئاً منها في أعدادنا المقبلة

## مديرية أسوان

قرأت في عدد الرسالة ١٣٩ نقدا على بعض ما جاء في مقالي عن مديرية أسوان يدور

(١) على أن بلاد (بنت) هي في آسيا من بلاد الفينقيين. وهذا خطأ، والصواب أنها كما ذكرت في أفريقيا، وموضعها الآن المنطقة المعروفة بالصومال الفرنسي والأريترية؛ وقد بينها الأستاذ برستد على الخريطة في كتابه anecient times صفحة ١٠٢

(٢) اعترض على كلمة (اثيوبيا) اعتراضاً غير وجيه، فان اثيوبيا كلمة يقصد بها الأراضي الواقعة جنوب مصر، وهي كلمة يونانية استعملها هيرودوت، واراتستين، وبطليموس، وبينوها

على خرائطهم . (انظر كتاب الأستاذ كاتى Keltie المسمى Partition of Afriea الفصل الأول وعنوانه The Africa of the ancient

(٣) ذكر أن تسمية الهيكل الموجود بجهة كلابشه منذ عهد رمسيس الثانى باسم بيت الولى خطأ وأن الصواب الوالى ، وقولنا هو الأصح لأن الغرض من الولى هو القديس - لاعتبارات تتعلق بتاريخ مصر القديم لا يجهلها أحد . والمهم أن يذكر الناقد النص الذى يعتمد عليه ، والمرجع الذى يرجع إليه ، حتى يكون على كلامه مسحة من الثقة . ذلك ما عنانا أن نرد عليه من النقد ، أما ما عدا ذلك فلا قيمة له

رشوان أحمد صادق

## ذكرى مأساة غرامية شهيرة

تعني الأوساط الأدبية الفرنسية دائماً بتتبع الحوادث والذكريات الأدبية ، ومن ذلك ما نوهت به بعض الصحف الأدبية أخيراً من مرور مائة عام كاملة على صدور كتاب لمؤلفه مكانة خاصة في الأدب الفرنسي . وذلك هو كتاب « اعتراف طفل من أبناء العصر » La Confession d'un enfant du Siécle ؛ لمؤلفه الشاعر الغنائى الأشهر ألفرد دى موسيه . وفى هذا الكتاب يفرض الشاعر فصلاً ساحراً محزناً معاً من حياته العنيفة المضطربة ، ذلك هو قصة غرامه مع الكاتبة القصصية الشهيرة جورج ساند ؛ وقد كانت هذه الكاتبة التى تضطرم شغفاً وجوى تهيم فى غمر الحب بلا انقطاع ، وتتقلب تباعاً بين أذرع عشاقها المتوالين ؛ وكان جلهم من كتاب العصر ومفكريه ؛ وكانت قبل هيامها بالشاعر خليلة لجول ساندو الكاتب ، ثم هامت من بعده بالشاعر ميرميه ، ولكن حبهما لم يكن سوى مأساة قصيرة المدى . وفى ذات يوم من أيام ابريل سنة ١٨٣٣ ، كانت جورج ساند تتناول طعام العشاء فى حفل راق ، وكان جارها فتى أنيقاً يحدثها بحرارة عن بعض قصصها ؛ ولم يكن هذا الفتى الأنيق سوى ألفرد دى موسيه ؛ وفى نفس المساء هامت جورج ساند بالشاعر الفتى ، وبث إليها جوى يضطرم ؛ ولم تمض أسابيع قلائل حتى غدت صاحبته ، وغدت باريس بأسرها تتحدث بهذا الغرام الجديد ؛ وبعد بضعة أشهر سافر العاشقان إلى البندقية ؛ ثم تسربت بعد ذلك عوامل الوهن إلى غرامهما ، وانتهت قصتهما الغرامية الشجية بعد أربعة عشر شهراً فى آلام ومعاناة ، وأوحت هذه المأساة الغرامية إلى الشاعر موضوع كتابه الأشهر « اعتراف طفل من أبناء العصر » . ولم يخطئ أهل العصر فى فهم ما قصد إليه الشاعر وما يعنيه بطريقة مستورة ؛ ولم تحاول جورج ساند يومئذ أن ترد عليه أو تثير حول الموضوع أية مناقشة ، خصوصاً وأن رواية دى موسيه كانت على ما يظهر تصور الحقيقة كما هى ، ولهذا اعتبرت يومئذ هى القول الفصل

ولكن الشاعر لما توفى بعد ذلك فى سنة ١٨٥٠ ، رأت جورج ساند أن تقول كلمتها فى مأساة غرامها ؛ فكتبت كتابها المسمى « هى وهو » Elle et Lui تصحح فيه بعض الوقائع والتفاصيل ، فأثار كتابها يومئذ فضيحة أدبية واجتماعية ؛ ورد عليها بول دى موسيه ولد الشاعر فى كتاب عنوانه « هو وهى » Lui et Elle

ومن ذلك الحين ظهرت عشرات الكتب والقصص عن علائق العاشقين الشهيرين ؛ وأشهر هذه الكتب وأقيمها هو بلا ريب كتاب شارل موراس الكاتب الكبير ومحرر جريدة « لاكسيون فرانسيز » وعنوانه « عشاق البندقية » Les Amants de Venise ؛ ومع ذلك فلم يكن هو الكتاب الفصل فى أمر هذه العلائق الدقيقة بين شخصيتين من أعظم شخصيات القرن التاسع عشر ؛ فقد ظهرت بعد ذلك مكاتبات ووثائق لم تنشر من قبل وفيها حقائق وتفاصيل جديدة تلقى ضياء جديدا على تلك المأساة الغرامية الشهيرة .

بيد أنه مما يلفت النظر أن هذه المكاتبات والوثائق الجديدة تؤيد رواية دى موسيه فى مجموعها ، وأن جورج ساند قد عمدت قصداً إلى تغيير بعض الحقائق والتفاصيل فى كتابها « هى وهو »

## مؤسس الأدب اليهودى الشعبى

تحتفل الدوائر اليهودية الأدبية بذكرى أديب يهودى كبير هو منديل سفوريم مؤسس الأدب اليهودى الشعبى (Yldfish) وقد ولد هذا الأديب فى إحدى بلاد لتوانيا منذ مائة عام كاملة فى سنة ١٨٣٦ ؛ واسمه الحقيقى هو شولم يعقوب ابراموفتش ؛ ودرس الأدب والعلوم قراءة لأنه لم يظفر بتربية مدرسية منظمة ؛

وكان الشعب اليهودي يعيش يومئذ في روسيا في ظل طغيان مطبق ويعاني أمر ضروب الاضطهاد والزراية والفاقة ؛ وكانت قد ألفت في ذلك الوقت جمعية من الشباب اليهودي المتنور تسمى « مسكليم » أعني الطلائع المثقفة وغرضها أن تعمل لادخال الأفكار والمدنية الغربية الى طوائف الشعب اليهودي التي مازالت تعيش في ظل تقاليدها العتيقة ؛ فانضم منديل سفوريم إليهم ؛ وكان الكتاب اليهود يكتبون يومئذ إما بالروسية وإما بالعبرية ؛ فسار منديل في أثرهم وأصدر أول كتبه بالعبرية ، ولكنه لاحظ أن سواد الشعب اليهودي يتحدث باللغة اليهودية (Yiffish) ، وهي مزيج شعبي من الألمانية المحرفة وعناصر أخرى عبرية وروسية وغيرها ، ورأى أن غزو أذهان هذا الشعب لا يكون إلا بمخاطبته بلغته الأصلية ؛ عندئذ فكر منديل في الكتابة باليهودية ؛ وكان عملا شاقا لأن هذه اللغة لم تكن لها أصول نحوية أو لغوية ، وإنما كانت لغة الحديث الطائر . ولكن منديل كان فنانا ذا مواهب ممتازة ؛ فاستطاع أن يخرج من هذه اللغة الشعبية لغة أدبية تصلح للكتابة والقراءة ؛ وكتب فعلا باليهودية لأول مرة ؛ ووصف للشعب اليهودي حياته الظلمة العتيقة ، وذلته الخالدة ، وبؤسه المطبق ؛ وأخذ يبث إليه روح النهوض والتحرر ، وذلك في روايات شعبية جذابة . ولم يستطع كاتب يهودي غير منديل أن يصف نقائص أمته بمثل قوته وجرأته ودقته ، فقد وصف طوائف الشعب اليهودي ، الأغنياء والفقراء ورجال الدين والمفكرين وصفا قويا ، ولم يخف نقيصة أو مأخذا ، بل كان شديد الوطأة عليهم جميعاً ، لا يذلله ويستدر شفقته سوى بؤس الشعب اليهودي .

ولمنديل سفوريم عدة قصص شهيرة منها « الفرس » « رحلة بنيامين » « ترو » « خاتم السعادة » وفيها يصف المجتمع اليهودي في خلال القرن التاسع عشر في مختلف صوره ؛ وفي قوة وصراحة لم تعرفا من قبل ؛ ومن الغريب أنه استطاع أن يجعل من هذه اللغة اليهودية المبعثرة أداة قوية فصيحة للتعبير الحي ؛ وأن يقود الطريق لجعلها لغة أدب يهودي جديد ؛ وقد سار في أثره عدة من أكابر الكتاب اليهود في القرن التاسع عشر فكتبوا باليهودية ، التي غدت في يومنا لغة أدب يهودي جديد

وتوفي منديل سفوريم في سنة ١٩١٧ وقد أربى على الثمانين بعد أن توطدت دعائم الأدب اليهودي الجديد الذي كان أول من وضع دعامته الأولى

## وداع الحرية

يجد المؤرخ والقصصي معاً مادة بديعة في مصرع يوليوس قيصر ؛ فقد كان حادثاً من أنبل وأعظم حوادث التاريخ ، وكان بأدواره وتفاصيله قصة ساحرة . وقد صدرت أخيراً بالانكليزية قصة عنوانها « وداع الحرية Freefon Farewell » للكاتبة الانكليزية فيليس بنتلي ، وهي قصة تاريخية رائعة ، تستعرض فيها المؤلفة حياة قيصر ومجده الباذخ ومصرعه الفجع . وتصف لنا مس بنتلي خلال قصتها طائفة من الشخصيات الرومانية الشهيرة التي عاشت حول قيصر ، وصادقته أو ناهضت مجده مثل بومبي ، وكاتو ، وكراسوس ، ثم بروتوس قاتل قيصر . ولم تجد الكاتبة أمامها كبير مجال للتوغل في ميدان الخيال ، ذلك أنها إنما تعرض عصراً بحوادثه وأطواره ، وتجد مادة غزيرة في التفاصيل التاريخية الكثيرة التي تقدمها الينا الروايات المعاصرة والتواريخ القديمة . بيد أنها تجد أمامها مادة للحديث عن الأوتوقراطية ، والديموقراطية ؛ وهي تحمل ما استطاعت على الأوتوقراطية وجميع مظاهرها وتمجد الحرية والديموقراطية ؛ على أنها لا تجد ما تقوله في مديح تلك الديموقراطية الرومانية التي مات في سبيلها قيصر واتخذ اسمها ذريعة لاغتياله . ونحن نذكر أن بروتوس وزملاءه المؤتمرين بحياة قيصر كانوا يعملون باسم الدعقراطية ، ويتخذون من بعض مظاهر قيصر وتصرفاته حجة عليه بأنه يجنح الى الامبراطورية والحكم المطلق . وقصة مس بنتلي حسنة السبك من هذه الناحية ، بيد أنه يمكن من جهة أخرى أن يقال إنها لم تقدم الينا جديداً في الاستعراض أو الوصف ، لأنها إنما تقتصر على الشخصيات والحوادث التاريخية الجافة . وهذا عيب نلمسه أحياناً في كثير من القصص التاريخية . ولكن مس بنتلي تقدم الينا على أي حال قصة ممتعة تسحر بروعة أسلوبها

4me Année, No. 142.

Lundi-23-3-1936

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

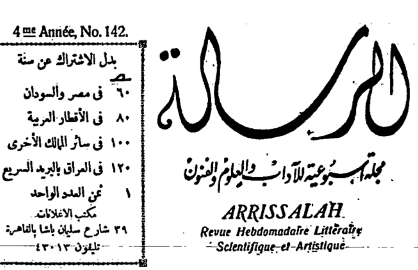
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات

٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة

تليفون ٤٣٠١٣




صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع البدولى رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٤٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ ذى الحجة سنة ١٣٥٤ — ٢٣ مارس سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــدد



# إلى أخى الزيات*

## للأستاذ أحمد أمين

سعيت أمس لعزائك، فى «رجائى» و«رجائك»، فرأيتك واجماً ساهماً، مولهاً مدلهاً، فانعقد لسانى، وتخلف ذهنى، وفاض دمعى

وكيف أستطيع عزاءك وما استطعت أن أعزى نفسى؟ أو كيف أستطيع أن أخفف ما بك وما استطعت أن أخفف حزنى؟

رأيت بك كمداً باطناً، وحزناً مكتمناً، فعلمت أنك تتجرع غصص الهم، وتختزن برحاء الكرب، فتمنيت أن تخفف عنك بصرخة، وتنفس عن نفسك بدمعة، ولكن عز الصبر، وعز الدمع، فما هى إلا زفرات تذيب لفائف القلوب وتنفطر لها المرائر

وارحمتاه لك! لقد كان «رجاء» قبلة رجائك، ومعقد

* احتسب الأستاذ الزيات صاحب «الرسالة» ابنه «رجاء» فى مستهل عامه الخامس يوم الأربعاء ١٨ مارس فى الساعة السادسة مساء، رحمة الله عليه

آمالك ، وحديث أحلامك ، وملء سمعك و بصرك ، تشوفته حياتك ، وترقبته مطلع شبابك ، حتى جاد به الزمان البخيل ، فربطت أسبابك بأسبابه ، وتعلقت بأهدابه ، فلما شمت مخايله ، ورقبت منه النجح ، عدا عليه الدهر الذى لا يرعى ميثاقاً ، ولا يثبت على عهد ، فأخلف ظنك ، ونقض أملك ، فإذا الدنيا أضغاث أحلام ، ووساوس أطماع

ولكن يا أخى — ما الجزع مما لا بد منه ، وما الهلع مما قدر ، ومثلك من يعرف مقدار الحياة وهوانها ، أفليست إلا مسرحاً تمثل عليه أدوار مختلفة ، مرة مهزلة ، ومرة مأساة ، ونحن فى حين ممثلون ، وفى حين ناظرون . وليس لنا أن نبالغ فى الألم ، ونغلو فى الجزع ، فقد كان يكون لذلك وجه من الحق لو ذهب من ذهب أبداً ، وعشنا بعده أبداً ، و إنما الأمر دور يعقب دوراً ، ولا حق منا إثر سابق ، و إنا لله وإنا إليه راجعون

وأية سعادة نجدها فى هذه الحياة حتى نحزن على الراحل ، ونبكى على الميت ، ونود أن لو بقى ليستمتع بها ، و يتذوق طيباتها ، إنما هى سلسلة عناء ، وضروب شقاء ، تنوعت ألوانها ، واتحدت حقيقتها ، ولو أنصفنا لغبطنا من مات ، وأشفقنا على من بقى ؛ ومن مات فى صباه فقد اختصر الحياة واختصر همومها وأحزانها ، ووفر على نفسه عبئاً ثقيلا ينتهى مختصره بما ينتهى به مطوله ، وخير للزهرة أن تذهب وهى ناضرة تعجب الناس ، من أن تذهب وهى ذابلة يعافها الناس .

فخذ الحياة كما هى ، ليل ينقضى فى أثر ليل ، وقوم فى أثر قوم ، وحادث يستذرف الدمع يعقبه حادث يخفف الهم ، وقل كما قالت الخنساء :

فلولا كثرة الباكين حولى
على إخوانهم لقتلت نفسى
وما يبكون مثل أخى ولكن
أعزى النفس عنه بالتأسى

وليس الوفاء للميت بالإفراط فى الحزن ، والإمعان فى البكاء ، إنما الوفاء بمقابلة دواعى الحزن بدواعى الصبر ، وليست الحكمة فى إضعاف الحى من أجل الميت ، إنما هى فى أحياء الحى من أجل الحى والميت

وقد أخطأ الناس فغلوا فى استفظاع الموت والاحتفاء به ، وهولوا فى الاستكثار من مظاهره ، ولو عقلوا لقابلوه كما يقابل كل قانون طبيعى فى هذا العالم ، زهرة تنضر وتذبل ، وشمس تطلع وتغرب ، ونجم يتألق و يأفل ، وسماء تصحو وتغيم — ولو عقلوا أيضاً لرددوا هذا المعنى فى نفوسهم ، واطمأنت له عقولهم ؛ فإذا كان فهو ما تخيلوه ، و إذا حدث فهو ما توقعوه ، و إذن لخف الألم وانقطع الجزع .

أى أخى — ليكن ما أراده الله ، ولنلون حياتنا بلون من ألوان التصوف ، رضاء بالقدر ، واستخفاف بالعالم وما فيه ، وطمأنينة إلى قوانينه ، وإيمان بعظمة الله وسلطانه ، والتجاء إليه أن يتولاك برحمته و يظلك بإحسانه

أى أخى — لقد أصبحت منسرق القوة ، ضعيف البنية ، مرهف الحس ، رقيق الصحة — ولئن كان الانتحار جريمة لا تغتفر ، و يأساً لا يرضاه الله ، فليس هو — فحسب — فى إطلاق عيار نارى ، أو إلقاء النفس فى اليم ، أو ما عهدت من ضروب إزهاق الروح ، ولكن من ضروبه أيضاً الاستسلام للحزن والتسمم بالغم ، والاسترسال فى أسباب الكرب ، فهو انتحار بطىء ، ولكنه شر من الانتحار العاجل أعيذك بالله منه ، وأربأ بنفسك عنه

فهون على نفسك ، و إن خاب رجاؤك فى « رجاء » فحقق الله أملك فى « علاء » وعش له ولنفسك وللناس

أحسن الله عزاءك ، وأجمل صبرك ، وأجزل أجرك

أحمد أمين

# دعابة إبليس (١)

## للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

أما إني سأقصُّ هذه الحكايةَ كما اتفقت، لا أزيِّنها بخيال، ولا أتزيَّدُ فيها بخبر، ولا أولِّد لها معنى؛ فانما هي حكايةُ خبث الخبيث فيها حذقُه ودهاؤه، ورقتها غلظتُه وشره، ومعانيها بلاؤه وعنته؛ وأعوذ بالله من الشيطان الرجيم والله المستعان.

لما فكرتُ في وضع مقالة (إبليس) من أحاديث (ابن مسكين) وأدرتُ رأيي في نهجها وحدودها ومعانيها، جعل فكري ينقطع في ذلك، يذهب ويجيء كأن بيني وبينه منازعة، أو كأن في نفسي شيئاً يثنيني ويقطعني عن العزم؛ وخيِّل إليَّ حينئذ أن (إبليس) هذا منفعةٌ من المنافع... وأنه هو قانون الطبيعة الذي نصٌّ مادته الأولى: ما أعجبك فهو لك، ونصُّ مادته الأخيرة: ما احتجتَ اليه فثمنُه أن تقدرَ على أخذه...

وهجَس في نفسي هاجسٌ أنّ (إبليس) قائم في لفظ الحرية كما هو قائم في لفظ الاثم، وأنه إن يكن في قلوب الفُساق فهو أيضاً في أدمغة الفلاسفة؛ ولئن كان في سقوط أهل الرذيلة إلى الرذيلة، فهو كذلك في سموِّ أهل الفن إلى الفن... قال الهاجس: وإن (إبليس) أيضاً هو صاحب الفضيلة العملية في هذا العصر المادي، فهو من ثَمّ حقيقٌ أن يلقّبوه صاحب الفضيلة...

ولكني لم أحفل بهذه الوساوس ولم أعُجْ على شيء منها، واستعنتُ الله وأمضيتُ نيتي على الكتابة، وأخذتُ أقلِّب الموضوع، وأنبِّه فكري له، وأستشرفُ لما يؤدِّي اليه النظر، وأتطلّع لما يجيء به الخاطر، وألتمس ما أبني عليه الكلام كما هي عادتي؛ فلم يقع لي شيء ألبتة كأنما ذهب أولُ ابتداءِ الموضوع فلا أولَ له ولا سبيل إلى اقتحامه، وكأنه من وراء العلم فلا يُبلغ اليه، وكأنه من التعذُّر كمحاولة تصوير حماقة الحياة كلها في كلمة

***

ومن عادتي في كتابة هذه الفصول التي تنشرها (الرسالة) أن أدع الفصلَ منها تقلّبه الخواطر في ذهني أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس، وأترك أمره للقوة التي في نفسي فتتولد المعاني من كل ما أرى وما أقرأ وتنثال من ههنا وههنا، ويكون الكلام كأنه شيء حيٌّ أُريدَ له الوجودُ فوُجِد

ثم أكتب نهار الجمعة ومن ورائه ليلُ السبت وليلُ الأحد كالمدد من وراء الجيش إذا نالتني فترة أو كنت على سفر أو قطعني عن الكتابة شيء مما يعرض

وفي أسبوع (إبليس) لعنه الله مرت الأيام الثلاثة وفيها ثلاثة ألوان: ضجَرٌ لا رَوْحَ فيه، وكسلٌ لا نشاط معه، واضطراب لا مساك له. وأطلتُ التفكير يوم الخميس فكانت تعتريني خواطر مضحكة، فيعرض لي مرة أن أصور إبليس امرأة ليكون إبليس الجميل... وتارة أتوهم أن إبليس يريد أن يكون شيخاً كبعض رجال الدين الذين لا تزال تطلع على خائنة منهم، ليقال إبليس التقي المصلي... وحينا أظن أنه يريد أن يكون كاتباً مؤلفاً شهيراً ليقال إبليس المفكر المصلح... وخطر لي أخيراً أنه يريد أن يكون حاكما ملحداً شيوعياً فاجراً ليكون إبليسَ التام لا إبليس الناقص...

***

ولما ذهبت الأيام الثلاثة باطلاً خيِّل إليَّ أن ابليس أخزاه الله يسألني عن المقالة: إلى أي شيء انقلبت...؟ فشقَّ ذلك عليَّ واغتممتُ به، غير أني اطمأننت إلى يوم الجمعة وأن وراءه ليلتين. وكانت قد غربت شمسُ الخميس فقلت فلأخرجْ لأتفرّج مما بي، وعسى أن أجمّ نفسي للتفكير إذا جلستُ في الندِيّ، ولعله يقع ما أستوحيه أو ينفتح لي بابٌ في القراءة

وخرجتُ فلم أجاوز الدار حتى ابتدرني من هبط عليه الخبر من القاهرة أن نسيباً لنا من العظماء توفي أخوه اليوم. فقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ ضاع يوم الجمعة إذ لا بد من السفر لتشييع الجنازة وحضور المأتم، ثم قلت: لعل في هذا السفر

(١) الدعابة المزاح واللعب، وكل ما سيرد في هذه المقالة فهو صحيح لم نخترع منه شيئاً

استجماماً ونشاطا فأستدركَ الأسبوع كلّه في يومين ، وإنما الاستكثار بالقوة لا بالزمن ، ولا يدَ لابليس في الموت والحياة ، فليس إلا اطّراحُه وقلة المبالاة به ، وإنما هي خطرات من وساوسه

وأصبحتُ في القاهرة ومشيت في الجنازة قبل الظهر مسيرة ساعة كاملة ؛ وكانت الشمس ساطعة تتلألأ وأنا مُثقَل بثياب الشتاء ، وكنت أتوقع أن يكون اليوم من أيام الريح المجنونة .. فلما انتهينا إلى الصحراء هبّت الريح هبوباً ليناً ثم زَفّت فكانت إلى الشدة ما هي ، ولكنها ماضية تَسْفِي الرملَ في الأعين فيأخذ في أجفاني أَكالٌ وتهييج ، وليس من شيء أتّقيها به . غير أني شغلت فكرى برؤية المقابر وجعلتها في نفسي كالمقالة المكتوبة سطراً وراء سطر ؛ وقلتُ : ههنا الحقيقة في أول تفسيرها ، وغير المفهوم في الحياة يُفهم هنا

ثم رجعت مُنَدَّى الجسم بالعرق وعليّ نَضْحٌ منه ، وكان القميص من الصوف ، وبصدري أثر من النزلة الشُّعْبية ؛ وإذا تندّى الصوف وجب نزعه وإلا فهي العلةُ ما منها بد .

ثم لم تكن غير ساعة حتى انخرقت الريح وجعلت تعصف وَرَدَ الجو فأيقنتُ أنه الزكام ، وقلت في نفسي : هذا بابٌ على حِدَة ، والمقالة ذاهبة لا محالة فسيتخلّف الذهن ويتبلّد ؛ والشيطان كريم في الشر يعطى من غير أن يُسأل . . . .

وثقل ذلك عليّ فكان الغم به علةً جديدة ، بيْدَ أني لم أزل أرجو الفرصة في أحد اليومين السبت والأحد . وقلت : إن من البلاء الفكرَ في البلاء ، ولعل من السلامة الثقة بالسلامة ؛ فاذا نبهتُ العزيمة رجوتُ أن يتغلغل أثرها في البدن كله فيكون علاجاً في الدم يحدث به النشاط ويُرهَف منه الطبع ويَجِمّ عليه النفس . وفي قوة العصب كهربائية لها عملها في الجسم إذا أحسن المرءُ بعثَها في نفسه وأحكم إفاضتها وتصريفَها على طريقة رياضية ؛ وهي الدواء حين يعجز الدواء وهي القوة حين تخذل القوة

فاعتزمتُ وصمّمتُ واحتلتُ على الارادة وتكثّرتُ من أسباب الثقة ورصّدتُ لها السوانح العقلية التي تسنح في النفس وقلت لابليس : اجهد جهدك فما تذهب مذهباً إلا كان لي مذهب ؛ ولكن اللعين أخطر في ذهني قول القائل يسخر بذلك الكاتب البغدادي [1]

لو قيل : كم خمسٌ وخمسٌ لاغتدى
يوماً وليلتَه يَعُدُّ ويَحْسُبُ
ويقول : مُعْضِلةٌ عجيبٌ أمرُها
ولئن فهمتُ لها ، لأمرِيَ أعجبُ
خمسٌ وخمسٌ ستةٌ أو سبعة
قولانِ قالهما الخليلُ وثعلبُ

***

ثم أجمعتُ الرجوعَ من يومي إلى (طنطا) لأتقي البردَ بعلاجه إن نالني أثره ، وكان عليّ وقتٌ إلى أن يقوم القطار ، فذهبتُ أقضيه واجباً من زيارة بعض الأقارب في ضاحية (الجيزة) ، ثم ركبتُ الترام الذي أعلم أنه ذاهب إلى محطة سكة الحديد

وجلستُ أفكر في إبليس ومقالته ، والترام ينبعث في طريقه نحو تلك الساعة ، حتى بلغ الموضع الذي ينعرج منه إلى المحطة ، وهو بحيال (جمعية الاسعاف) ، حيث تنشعب طرق أخرى ؛ وكنت منصرفاً إلى التفكير مستغرقاً فيه ، طائف النظرات على الجو ، فما راعني إلا اختلافُ منظر الطريق ؛ وأنتبه فاذا الترام يمْرُق مروق السهم في تلك السبيل الصاعدة إلى (الجيزة) .... من حيث جئت

فلعنتُ الشيطانَ وتلبثتُ حتى وقف هذا الترام فغادرته ورجعت مهرولا إلى ذلك المنشعب ، فصادفت تراماً آخر ، فوثبت اليه كأني أحمل اليه حملا ، ودفعت الأجرة ، وانطلق فاذا هو منصبٌّ في تلك الطريق عينها الذاهبة إلى الجيزة من حيث جئت ... ولا أستطيع الانحدار منه وهو منطلق ، فتسخّطت ولعنت الشيطان مرة أخرى ، ورأيت أن عبثه قد ترادَفَ ، فلما سكن الترام رجعت مهرولا إلى ذلك المنشعب ولم يبق من الوقت غير قليل

وأنظرُ ثمّ فاذا ترامٌ وراء ترام ، وإذا قد وقعت حادثة

(١) قيل هذا الشعر في وصف مروان الكاتب وهو رجل من بغداد وكان كاتبا على الخراج فسخر منه الشاعر بهذا الأسلوب البديع

لاحدى السيارات واجتمع الناس وسُدَّت الطريق .... فجاءت أغلى من الغيظ ، ولمنت هذا الدَّعَّابة الخبيث ، وأذكرني اللعين نادرة الأعرابي الذي عضه ثعلب ، فأتى راقياً ، فقال له الراق : ما عضك ؟ فاستحى أن يقول ثعلب ، وقال : كلب ، فلما ابتدأ الرجل برقية الكلب قال له الأعرابي : واخلط بها شيئاً من رقية الثعالب .....

* * *

ثم إني لم أر بداً من بلوغ المحطة على قدمي لأتم على عزمتي في مراغمة اللعين ، فأسرعت أطوى الأرض وكأنما أخوض في أحشائه ، وكان بصدري النهابٌ فهاج بي ، غير أني تجلدت واتسمتُ لاحتياله وبلغت حيث أردت

ثم ذهبت ألتمس في القطار عربة خاصة أعرفها ، كانت من عربات الدرجة الأولى فجعلوها في الثانية يرفهون بها بعض الترفيه على طائفة من المسافرين ؛ وأصبت فيها مكاناً خالياً كأنما كان مهيأ لي بخاصة ... فانحططتُ فيه إلى جانب رجل أوربي أحسبه ألمانياً لتفاوت خَلقه وعُنجُهيَّته ؛ وجلست أتنفس عن صدري ثم أقبلت أسخر من إبليس ونكايته ، وجعلتُ أتعجب مما اتفق من هذا التدبير

وتحرك القطار وانبعث وكان الأوربي إلى جانبي مما يلي النافذة وقد تركها مفتوحة فأحسستُ الهواء ينصب منها كالماء البارد وأنا متندٍّ بالعرق ؛ وترقبت أن يغلقها الرجل فلم يفعل ، فصابرته قليلاً فإذا هو ساكن مطمئن يتروَّحُ بالهواء وكأنما يشربه ، وتأملته فإذا شيخٌ في حدود الستين أو فوقها غير أنه على بقية من قوة مصارع في اكتناز عضله واجتماع قوته ووثاقة تركيبه ، فأيقنت أن الهواء من حاجته ، وهممتُ أن أنبهه أو أقوم أنا فأغلق النافذة ، ولو شئت أن أفعل ذلك فعلت ، غير أن الشيطان أخزاه الله وسوس لي أن هـذا رجل أجنبي غربي وأنت مصرى شرقي فلا يحسن بك أن تعمله وتعلم الحاضرين أمامكما أنك أنت الأضعف على حين أنه هو الأسنّ ، وكيف لا تقوم لما يقوم له وقد كنتَ تُباكِرُ الماء البارد في صميم الشتاء ، وكنت لا تلبس في أشد أيام البرد غير ثياب الصيف ، وكنت تحمل كذا وكذا ثقلاً وتُماني كذا وكذا من ضروب القوة ، وكنت تلوى بيديك عود الحديد وكنت وكنت

فتذممتُ والله مما خطر لي ؛ وأنِفْتُ أن أنبه الرجل ، ورأيت عملي ضعفاً وفسولة ، ولم أعبأ بالهواء ولا بالعرق ولا بالنزلة الشُّعبية ولا بالزكام ، وتركت الأوربي وشأنه ، وأقبلت على كتاب كان في يدي وتناسيت أن هذه النافذةَ جهةٌ من تدبير إبليس ؛ وكان القطار مزدحماً بالراجعين من المعرض الزراعي الصناعي وبعض الناس وقوف فلا مطمع في مكان آخر . . .

ولبثتُ ساعة ونصف ساعة في تيار من هواء فبراير ينصبُّ انصباباً ويعصف عصفاً وكأني أسبح منه في نهر تحت ظلمة الليل الماطر ، والناس معجبون بي وبالأوربي ، وهذا الأوربي معجب بي أكثر منهم وقد رأى مكاني وعرف موضعي ؛ وكان إلى يميني مجلس بقي خالياً ولم يقدم أحد على أن يجلس فيه خوفاً من الهواء ومن الرجل الأوربي . . .

ثم تراءتْ أنوار محطة ( طنطا ) ولم يبق من هذه المحنة غير دقيقتين ؛ فوالله الذي لا يُحلفُ بغير اسمه عز وجلَّ ، لقد كان إبليس رقيعاً جلفاً بارداً ثقيل المزاح إذ لم أكد أتهيأ للقيام حتى رأيت الرجل الأوربي قد مدَّ يده فأغلق النافذة . . .

* * *

ورجعت إلى داري وأنا أقول : ثم ماذا يا إبليس ؟ ثم ماذا أيها الدُّعْبب[1] ؟ وحاولت بجهدى أن أكتب أو أقرأ فلم أتحرك لشيء من ذلك ، وكانت الساعة العاشرة ليلاً فصليت وأويت إلى مضجعي

ثم أصبحت يوم السبت فإذا كتاب من الأستاذ صاحب ( الرسالة ) أنه سيطبع عددين معاً فيريد لهما مقالتين إذ تغلق المطبعة في أيام عيد الأضحى ، وكان أملي في المقالة الواحدة مخذولاً مما قاسيت فكيف لي بإثنتين ؟

واختلط في نفسي همٌّ بهمٍّ وما يفسد عليَّ أمرى شيء مثلُ الضيق فإذا تضايقتُ كنتُ غير من كنت ؛ ولكني تيقظت وتنبهت وأملتُ العافية مما أجده من ثَقْلة البرد وضعفته ، وأحدثتُ طمعاً في النشاط إذا جلست للكتابة في الليل فإني بالنهار أعمل للحكومة

(١) الدعب والداعب والدعابة ( بتشديد العين ) كلها بمعنى

فلما كان الليلُ لم أجد أمرى على ما أحب ، وجلستُ متفترا معتلاً وثقُل رأسى من ضربة النافذة وتسلّط على ظنٌّ المرض والعجز عن الكتابة ، وانتقض الأمر كله فرأيتُنى أشقُّ على نفسى بلا طائل ، فكان من صواب التدبير عندى أن استجمَّ بالنوم ثم أنهض فى السَّحَر للكتابة . فأوصيت من يوقظنى وحوّرنا الساعةَ المنبهة على تمام الثانية بعد منتصف الليل

وأجسست أنى جائع وأن معــدتى مشحوذة ونسيت كل ما أعرف من الطب ؛ وجاءونى بشواء وحلوى وما بينهما ، فخلطتُ فيه ولففتُ الآخر بالأول ، ثم قمت أريد النوم فاذا الطعام كان أشد على من نافذة القطار ، وكان الذى فى الفكر من المقالة أثقلَ من الذى فى المعدة من الطعام ، وساء الهضم فى الدماغ والبطن جميعاً . . .

وجعلت أتناوم وأرخى أعضائى وأتوهم الكرى وأستدنيه بكل ما أعرف من وسيلة ثم لا أزداد على ذلك إلا أرقاً ، وتمرَّد الفكر وأحسست رأسى يكاد ينفجر وصرتُ أتَمَلْمَل ولا أتقارُّ ، وتوهمتُ أن لو كان لى عقلان ما استطعتُ كتابة المقالة عن إبليس لعنه الله . وأذكرنى الخبيث نادرة مضحكة : أن رجلا كان يركب حماراً ضعيفاً وكان يمشه فلا ينبعث ، فجعل يضربه فقيل له : ارفق به . فقال إذا لم يقدر يمشى فلِم صار حماراً ....؟

* * *

وقذفت بنفسى من الفراش ونظرت فى الساعة فاذا هى موشِكةٌ أن تبلغ الثانية ولم أحسَّ الرقاد بعد ، فأسرعت إلى المنبِّهة وحوّرتها على تمام الساعة الرابعة صباحا ؛ وأيقنت أن الشيطان يُرهقنى طغياناً وكيداً فطفقتُ ألعنه وما أحسبه إلا قد رأى اللعن مدحاً فهو يستزيدنى . . .

ثم رجعت أحاول النوم فما كان هذا الليل إلا شيئاً واحداً أوله آخره إلى أن طلع الفجر

وجاء يوم الأحد وهو يوم عُطْلة الأوربيين فما أشد عجبى إذ تركنى فيه ابليس كأنهم لا يدّعون له وقتاً فى هذا اليوم .....

والآن يزيِّن لى الخبيث أن أختم هذه المقالة بـ .... بـ ....

ولـكن لا . لا ؟

( طنطا ) مصطفى صادق الرافعى

أوربا على المنحدر

# ١ ــ من فرساى إلى لوكارنو

## مسألة الرين وسلام أوربا

بقلم باحث دبلوماسى كبير

---

وقع فى السابع من مارس الجارى حدث عظيم فى السياسة الدولية لا زالت أصداؤه تدوى فى أرجاء أوربا ، ولا زالت آثاره ونتائجه موضع البحث الخطير فى دوائر السياسة العليا . ذلك هو إقدام الحكومة الألمانية على إلغاء ميثاق لوكارنو الخاص بتأمين السلام على ضفاف الرين ، واقدامها فى نفس الوقت على إلغاء آخر التعهدات والقيود العسكرية التى فرضتها عليها معاهدة الصلح ، ووضع فرنسا وأوربا أمام الأمر الواقع باحتلال منطقة الرين الشرقية التى قضت معاهدة الصلح بتجريدها من السلاح ومن كل وسائل الدفاع العسكرية

ولم يكن عمل ألمانيا مفاجأة مطلقة ، فقد كان معروفاً منذ أسابيع أنها تفكر فى انتهاج مثل هــذه الخطة ، وأنها تترقب الفرصة لتنفيذها ؛ ومنذ أسابيع تتحدث الصحافة الألمانية عن منطقة الرين ووجوب تسليحها استكمالاً لحقوق السيادة الألمانية وصوناً لشرف ألمانيا وكرامتها ، ومنذ أسابيع تتحدث الصحافة الفرنسية عن نيات ألمانيا ، وما يجب على فرنسا أن تتخذه إذا أقدمت ألمانيا على تنفيذها

وقد نفذت ألمانيا خطتها ، واحتلت منطقة الرين الحرام فصائل من الرَيخسفر ( الجيش الألمانى ) فى نفس الوقت الذى ألقى فيه الهر هتلر من منبر الريخستاج الذى عقد خصيصاً لهذا الغرض خطابه القوى الجامع عن موقف ألمانيا تجاه السياسة الأوربية ، وتجاه فرنسا ، وأعلن فيه إنكار ألمانيا لنصوص ميثاق لوكارنو ، واعادة حقوق الســيادة الألمانية كاملة على منطقة الرين

ويجب لـكى نفهم حقيقة هذا الحدث السياسى والعسكرى

الخطير ، وحقيقة البواعث التي حملت ألمانيا على اتجاهه ، ومدى تأثيره في السياسة الأوربية ، أن نستعرض أولا نصوص معاهدة الصلح ( معاهدة فرساي ) الخاصة بمنطقة الرين ، ثم نصوص ميثاق لوكارنو الخاص بتأمين السلام على ضفاف الرين ، وأن نتتبع تطورات السياسة الأوربية الأخيرة التي مهدت إلى هذا الطور الخطير الحاسم

## معاهدة فرساي ومنطقة الرين

كان ضمن الشروط والأغلال الفادحة التي فرضتها معاهدة الصلح على ألمانيا أن تجرد مناطق الرين الألمانية من سلاحها سواء ما كان منها غرب هذا النهر ملاصقاً للحدود الفرنسية والبلجيكية أو ما كان منها شرق هذا النهر على بعد خمسين كيلومترا داخل ألمانيا ذاتها . وقد أدمج تجريد منطقة الرين الألمانية من السلاح في المواد ٤٢ و٤٣ و ٤٤ من معاهدة فرساي ، وهذا نصها :

يحظر على ألمانيا أن تستبقى أو تنشىء تحصينات سواء في الضفة اليسرى من الرين ، أو في الضفة اليمنى غرباً على مدى خط طوله خمسون ميلا شرق النهر ( ٤٢ )

يحظر أيضا أن يستبقى أو يحشد في المنطقة السابقة قوات مسلحة سواء بصورة دائمة أو بصورة مؤقتة ، وكذلك يحظر إجراء أية تمرينات عسكرية مهما كان نوعها ، أو الاحتفاظ بأية إجراءات مادية لتسهيل التعبئة ( ٤٣ )

إذا خالفت ألمانيا بأي صورة ما نصوص المادتين ٤٢ و٤٣ ، فإنها تعتبر أنها قد ارتكبت عملا عدائيا ضد الدول الموقعة على هذه المعاهدة ، وأنها تحاول تعكير السلام العالمي ( ٤٤ )

فهذه المواد الثلاث تجعل من ولايات الرين الألمانية منطقة محرمة من الوجهة العسكرية على ألمانيا ؛ والغرض من وضعها تحت هذا النظام واضح ، وهو أن تبقى أبواب ألمانيا الغربية مفتوحة أمام الجيوش الفرنسية والبلجيكية المرابطة على الحدود بحيث تستطيع في حالة وقوع حرب أو أعمال عدائية أن تقتحم الأراضي الألمانية في الحال قبل أن تستطيع الجيوش الألمانية تخطي المنطقة الحرام ومواجهة الغزاة

وكان هذا الشرط الفادح إلى جانب تجريد ألمانيا من السلاح واختزال جيشها إلى مائة ألف ، وتقييدها بأشد القيود فيما يتعلق بالمنشآت البحرية والجوية وصنع الذخائر ، أشد ما يحز في نفس ألمانيا ويصدم عزتها كدولة عظمى لها ماض عسكري مجيد بين دول القارة العظمى ، ولكن ألمانيا استطاعت بعد كفاح طويل شاق أن تحطم نصوص معاهدة فرساي وأن تتحرر منها تباعا ؛ وكان آخر ظفر لها في هذا الميدان في شهر مارس من العام الماضي حينما أعلنت على لسان زعيمها هير هتلر بطـــلان النصوص العسكرية في معاهدة فرساي وتقرر حريتها المطلقة في اتخاذ أي إجراءات تراها للدفاع عن نفسها ، وتقرير الخدمة العسكرية الاجبارية ؛ وذلك ردا على ما قررته فرنسا يومئذ من إطالة الخدمة العسكرية ؛ ولم يكن باقياً من القيود العسكرية التي فرضت على ألمانيا سوى تجريد منطقة الرين وتحريمها كما تقدم ، وكان هذا النظام الذي رتبته معاهدة الصلح قد تأيد بعهد جديد عقد بين ألمانيا وأعدائها السابقين لتأمين السلام على ضفاف الرين ، ونعني به ميثاق لوكارنو ؛ ولكن ألمانيا رأت أخيرا في عقد الميثاق الفرنسي الروسي الجديد ما يحملها على اعتبار ميثاق لوكارنو باطلا منقوضاً ؛ ومن ثم فقد أعلنت على لسان زعيمها في السابع من الشهر الجاري بطلان ميثاق لوكارنو ، وبطلان نصوص معاهدة الصلح الخاصة بتحريم منطقة الرين ، التي تحتلها الآن قوات عظيمة من الريخسفر ( الجيش الألماني ) وبذلك أتمت ألمانيا تحطيم آخر الأغلال العسكرية التي فرضت عليها في فرساي

## ميثاق لوكارنو

وهكذا نرى أهمية الصلة المباشرة بين تجريد منطقة الرين وبين ميثاق لوكارنو ؛ فميثاق لوكارنو يؤيد النظام الذي قررته معاهدة الصلح لمنطقة الرين . وقد عقد ميثاق لوكارنو في سنة ١٩٢٥ ؛ وكانت ألمانيا في الواقع أول من سعى إلى عقده . ذلك أن السياسة الألمانية كانت تقوم في ذلك الحين على فكرة التوفيق والتفاهم والتعاون ؛ وكان عميدها يومئذ الدكتور شترزمان يرى أن ألمانيا تكسب بالتفاهم مع فرنسا أكثر مما تكسب بالخصومة والمقاومة ، وعرضت ألمانيا يومئذ أن تعقد مواثيق بتأمين السلامة المتبادلة وعدم الاعتداء والتحكيم ؛ وعقد مؤتمر لوكارنو على أثر ذلك وشهده ممثلو الدول ذات الشأن وفي مقدمتها ألمانيا وفرنسا وبريطانيا العظمى ، وأسفر المؤتمر عن عقد ميثاق بالضمان المتبادل بين ألمانيا وفرنسا وبلجيكا وبريطانيا العظمى وإيطاليا ، وعن اتفاقات بالتحكيم بين ألمانيا وبلجيكا وألمانيا

وفرنسا ، وألمانيا وبولونيا ، وألمانيا وتشيكوسلوفاكيا . وكانت فكرة ألمانيا ترمى إلى قصر الميثاق على منطقة الرين ، أعنى حدود ألمانيا الغربية ، ولكن فرنسا أصرت على أن يشمل الضمان الحدود الشرقية ، وأن يسمح لفرنسا بمعاونة بولونيا فى حالة خرق معاهدة التحكيم الألمانية البولونية ؛ وأصرت انكلترا من جانبها على أن يقصر تعهدها بالضمان على منطقة الرين . وكان أهم نتائج مؤتمر لوكارنو بالطبع هو ميثاق السلامة الشهير الذى سمى بهذا الاسم ، والذى عقد فى ١٦ أكتوبر سنة ١٩٢٥

وقد أدمج هذا الميثاق الشهير فى اللحق (١) من معاهدات لوكارنو ، متضمناً خمس مواد ؛ ونص فى ديباجته على أن الدول الموقعة عليه وهى ألمانيا ، وبلجيكا ، وفرنسا ، وبريطانيا العظمى ، وإيطاليا تقوم بعقد هذا الميثاق سعياً إلى تحقيق رغبة الشعوب التى عانت ويلات الحرب الكبرى فى السلامة والحماية

وتنص المادة الأولى من الميثاق على أن هذه الدول المتعاقدة تضمن ضماناً مشتركاً جامعاً بقاء الحدود والأوضاع الأرضية القائمة بين ألمانيا وبلجيكا ، وبين ألمانيا وفرنسا ، وعدم انتهاك هذه الحدود والأوضاع التى قررتها معاهدة الصلح المعقودة فى ٢٨ يونية سنة ١٩١٩ ، وكذلك تضمن مراعاة نص المادتين ٤٢ و٤٣ من المعاهدة المذكورة وهما الخاصتان بالمنطقة المجردة

وتنص المادة الثانية على أن ألمانيا وبلجيكا ، وكذلك ألمانيا وفرنسا تتعهد كل منهما إزاء الأخرى ألا تعتدى عليها بأى حال أو تغزوها أو تلجأ إلى محاربتها مع استثناء الأحوال الآتية : (١) استعمال حق الدفاع الشرعى أعنى مقاومة انتهاك العهود المشار اليها أو انتهاك نص المادتين ٤٢ و٤٣ من معاهدة الصلح إذا اتخذ هذا الانتهاك صفة عمل أو اعتداء لا مبرر له ، واقتضى حشد القوات المسلحة فى المنطقة المجرد اتخاذ الاجراءات السريعة (٢) اتخاذ الاجراءات التى تنص عليها المادة ١٦ من عهد عصبة الأمم (وهى الخاصة بتوقيع العقوبات الاجماعية على الدولة المتعدية) (٣) العمل تنفيذاً لقرار تتخذه الجمعية العمومية للعصبة أو مجلسها طبقاً لنص المادة ١٥ فقرة ٧ من ميثاق العصبة (وهى الخاصة باجراءات التوفيق والتسوية عند وقوع الخلاف)

وتنص المادة الثالثة على أنه بناء على التعهد المدون فى المادة الثانية تتعهد ألمانيا وبلجيكا ، وألمانيا وفرنسا ، بأن تعمل كل منهما على تسوية أى خلاف يقع بينهما مهما كان نوعه بالوسائل السلمية وطبقاً للاجراءات المبينة بعد ، إذا لم يمكن تسويته بالوسائل الدبلوماسية المعتادة وأن كل خلاف يقع بين الفريقين خاصاً بحقوقهما المتبادلة يعرض للتحكيم القضائى ويتعهد الفريقان بالخضوع لقراراته ؛ وتعرض المسائل الأخرى على لجنة للمصالحة ؛ فاذا لم يقبل الطرفان حكمها أحيلت المسألة على مجلس عصبة الأمم ويتبع المجلس فى شأنها نص المادة ١٥ من ميثاق العصبة

وتنص المادة الرابعة على أنه إذا ادعى أحد المتعاقدين بأنه وقع انتهاك لنص المادة الثانية من هذه المعاهدة أو نص المادتين ٤٢ و٤٣ من معاهدة فرساى ، فانه يعرض الأمر على مجلس العصبة ؛ وأنه إذا اقتنع المجلس بوقوع هذا الانتهاك فانه يدعو الدول الموقعة على هذه المعاهدة حالاً ، وهى تتفق فيما بينها بالاجماع على معاونة الدولة التى وقعت ضدها المخالفة ؛ وأنه إذا وقع انتهاك المادة الثانية من هذه المعاهدة أو المادتين ٤٢ و ٤٣ من معاهدة الصلح ، فان باقى الدول الموقعة تتعهد بمعاونة الدولة التى وقع ضدها الانتهاك حالما يثبت أن الاعتداء وقع دون مبرر ، سواء كان ذلك بعبور الحدود ، أو وقوع الأعمال العدائية أو حشد القوات المسلحة فى المنطقة المجردة ؛ هذا ويصدر مجلس العصبة قراراته فى الموضوع الذى يرفع اليه طبقاً للفقرة الأولى ، وتتعهد الدول الموقعة أن تتبع توصياته بشرط أن يوافق عليها بالاجماع من جميع الأعضاء ما عدا ممثلى الفريق الذى ارتكب الاعتداء

وتنص المادة الخامسة والأخيرة على أن الدول الموقعة تضمن تنفيذ نصوص المادة الثالثة من هذه المعاهدة . . . الخ

* * *

هذه خلاصة وافية لميثاق لوكارنو ؛ ونلاحظ أن الميثاق يرمى قبل كل شيء إلى تأمين السلام بين فرنسا وألمانيا عن طريق تأمين سلامة الحدود الألمانية الفرنسية ، وأنه يؤيد معاهدة الصلح بقوة فيما أوردته خاصاً بتجريد منطقة الرين من وسائل الدفاع ، وأنه ينوه بصفة خاصة بالأهمية التى تعلقها فرنسا على استبقاء هذه المنطقة بحالتها التى قررتها معاهدة الصلح ؛ ونلاحظ من جهة أخرى أهمية الميثاق فيما يتعلق بتسليم ألمانيا نهائياً بالأوضاع والحدود التى قررتها معاهدة الصلح على ضفاف الرين ، وفيما ينطوى عليه ذلك من نبذها نهائياً فكرة المطالبة بتعديل حدودها

الغربية واستعادة ولايتي الالزاس واللورين

ونستطيع أيضاً أن نقدر أهمية النتائج الخطيرة التي تترتب اليوم على إنكار ألمانيا لنصوص معاهدة الصلح ، ونصوص ميثاق لوكارنو ؛ فهي تحطم اليوم آخر أغلال فرساي العسكرية وتحقق سيادتها العسكرية كاملة في منطقة الرين ، وتواجه خصيمتها القوية (فرنسا) فيما يتعلق بوسائل الدفاع عن حدودها وجهاً لوجه ؛ ثم هي تعلن ضمناً أنها لا تقبل الأوضاع والحدود المقررة لحدودها الغربية ، وأنها في حل من أن تعود غداً إلى المطالبة بالالزاس واللورين

هذا وسنعرض في فصل آخر إلى البواعث والأسباب التي تذرعت بها ألمانيا لتحقيق غايتها وإلى الآثار الدولية التي يمكن أن تترتب على تصرفها

(للبحث بقية) (***)

# ٣ - التعليم والحالة الاجتماعية في مصر

## للأستاذ اسماعيل مظهر

أرى واجباً عليّ قبل المضي في موضوع هذا المقال أن أبدأ باستدراك لا بد منه . فقد عاب عليّ بعض أصدقائي من المفكرين أني أنكرت فيما كتبت ناحية ذات شأن من نواحي الحياة في مصر ولم أعرها التفاتاً . ويعتقد هؤلاء الأصدقاء أن لتلك الناحية خطرها في صبغ الحالة الاجتماعية في مصر بصبغة خاصة . ولو أنهم عنوا بتلك الناحية شيئاً غير الأزهر إذن لكان لنا يعيبون به عليّ من الوزن قدر غير يسير ؛ أما وأنهم يعنون الأزهر ويقولون بأنه معسكر ثالث من معسكرات العوامل المؤثرة في الحالة الاجتماعية في مصر، ينبغي لنا أن نحسب حسابه ، وأن نتناوله بالتحليل والنقد ، وأن نزن أثره في تكييف الحالات الاجتماعية ، فأكبر ظني أني لن أسلم برأيهم مهما ساقوا في سبيل اثباته من بينات . ذلك بأن بينة واحدة تكفي لهدم جميع ما يقيمون من دلائل ، فان القوى التي تؤثر في حالة اجتماعية بعينها ، إنما هي القوى الموجبة لا القوى السالبة ، والأزهر، ولا شبهة ، قوة سالبة . قوة اتجهت بكل ما فيها من عوامل الحياة إلى الأخرويات لا إلى الدنيويات

وأنت ترى في كل الأطوار التي تقلبت فيها الأمم منذ بداءة العصر الانتاجي الحديث أن القوى السالبة فيها انحصرت في فئتين : الأولى رجال الدين ، والثانية رجال الحكومة ، وهما بما فيهما من صفات السلب والمحافظة كانتا في كل الحالات دريئة طالما حمت جسم المجتمع من كثير من الهزات العنيفة والانقلابات الخطيرة التي يجنح اليها النـــــزلاة من الصالحين أو السياسين ، وإن لهذا الموضوع لظرفاً آخر غير هذا الظرف قد يتاح لنا فيه أن نبحثه بحثاً أوفى

***

فرغنا في مقالنا الثاني من الكلام في التطفل الاجتماعي وأحطنا ببعض ظواهره ، وأبنّا أن هذه الظاهرة تنخر في عظام مجتمعنا كما ينخر السوس الحب . واليوم ننتقل إلى ظاهرة اجتماعية أخرى ، لا تقل عن ظاهرة التطفل الاجتماعي فعلاً وأثراً ، تلك ما أسميه ظاهرة « الرجعية » ، ولا أعني بها رجعية فكرية أو سياسية أو غير ذلك ، فلو أنها كانت من هذا الطابع لهان الخطب ، ولما أعرتها كبير اهتمام . ذلك بأني أعتقد أن بعض ظواهر الرجعية ، كالرجعية الفكرية أو السياسية ، وما يجرى مجراها ، تحمل في تضاعيفها أسباباً تولد قوى ارتقائية ، وإنما أعني بها الرجعية الاجتماعية ، وأكبر ظواهرها عزوفنا عن التفقه بفقه ثقافتنا التقليدية

ولا مرية في أننا نحتاج إلى تعريف هـذه النظرية الجديدة التي نسوقها اليوم لتكون أساساً في علاج حالات اجتماعية بعينها . بل نقول إن بعدنا عن درس هذه النظرية كان سببا من الأسباب الرئيسية التي هيأت المقتضيات الأولية للشعور بأننا قد أقدمنا على أزمات اجتماعية قد تكون في المستقبل بالغة منتهى الخطورة

أما ما نعني « بالثقافة التقليدية » فمجموعة الحالات والملابسات التي ينشأ شعب من الشعوب مكتنفا بها من حيث

طبيعة الأرض والاقليم ، وما يتطلب ذلك من العكوف على فن خاص من فنون الحياة . وبمعنى أوسع تدل الثقافة التقليدية على العناصر التي ورثها شعب من الشعوب على مدى الأزمان من طريق التأثر الطبيعي بالبيئة والمحيط ، كما تدل على مجمل ما ثبت في عقليته بالقاح السُّلالي من عادات وأساطير وعلوم وآداب ، نشأت بنشأته في مرباه الأصيل . وعلى الجملة نقول إن الثقافة التقليدية لشعب من الشعوب إنما هي في الواقع جماع ما يرث من صفات حيوية ومعتقدات وفنون عن أسلافه الأولين .

وما كان لشعب من الشعوب أن يحاول الافلات من أقطار ثقافته التقليدية إلا وباء بالفشل المحقق فيما يحاول . ذلك بأن الثقافة التقليدية هي الأصل الذي يرتكز عليه الطبع الماثل في أخلاق الأمم وطرق سلوكها في الحياة . وما قولك في ثقافة يرتشفها الطفل مع ما يرتشف من لبن أمه وهو رضيع ويشب مكتنفاً بها إذا يفع ، ويفتن بفنونها إذا تفتى ، ويغرم بها إذا اكتهل ، ويموت وهي مرتسمة في تصوراته جميعاً إذا هرم . لا مرية في أنها تصبح جزءاً من طبعه وركناً من أركان نفسه ، بل إن شئت فقل إنها الركن الأصيل في حياته النفسية والعقلية ، وما عداها توابع لها ولواحق بها . وإنما تتأثر التوابع بالأصل ، وتتكيف اللواحق بالأرومة ، فما من ثقافة حديثة تضاف الى ثقافة تقليدية إلا وتكيف الدخيل تكيفاً يتابع فيه ما يحتاج اليه الأصيل من ملابسات . مثل ذلك أن الطبع المصري ، وإن شئت فقل « المصرية » ، لن تنسخ منها الأوروبية شيئاً إن هي احتكت بها ، وإنما تتكيف « الأوروبية » بعوامل « المصرية » إن هما تنافستا في ميدان واحد . وليس في ذلك أي خطر على كياننا التقليدي . ولكن الخطر كل الخطر في أن نضعف من مصريتنا بالبعد عن ثقافتنا التقليدية فتكمن في تضاعيف النفس ولا تظهر إلا ضعيفة منهوكة ، ونقوى من « الأوروبية » فنأخذها غير مكيفة بمقتضيات ثقافتنا التقليدية . ناهيك بأننا لسنا أوروبيين بالدم والتقاليد ، فلا نستطيع أن نفهم من روح الأوروبية على ما يفهمها الأوروبي إلا ظواهرها الكاذبة ، فنصبح وقد قمنا مصريتنا من ناحية ، ولحقنا عقولنا « بالأوربية » من جهة أخرى . وما كل هذا إلا طلاء خادع ومن ورائه تختفي الحقيقة التي يجب علينا جميعاً أن نفطن اليها ، وأن ندرسها أوفر الدرس ، وأن نكب على تفهم روحها أقوم فهم ، حتى نستطيع أن نهيء للأجيال الآتية سبيل التكيف بروح العصر تكيفاً مطابقاً لثقافتنا التقليدية ، فنخطو بثبات نحو حالات اجتماعية أثبت من حالاتنا الحاضرة . وفيما تقدم من شرح مجمل ما نعني « بالرجعية الاجتماعية » : فهي قمع لمقتضيات التكيف بثقافتنا التقليدية من طريق الفصل بين هذه الثقافة الموروثة وفنون الحياة في العصر الحديث

تتصل ثقافة الشعوب التقليدية اتصالاً وثيقاً بحالاتها الماشية أولاً ، فاذا استكملت هذه الثقافة الأسس الماشية التي تعين الشعوب على البقاء ، أثرت هذه الثقافة تأثيراً آخر في مزاج الشعب ، نهايته أن تتكيف فيه أشياء ثلاثة هي في الواقع ظواهر هذه الثقافة ، الدين واللغة والفن ، وفي هذه الأشياء جماع ما يتجلى لناظريك في الأمم من الخصائص الأخرى كالخلق والحالات النفسية والشعورية إلى غير ذلك

ولا بد لنا من أن نضرب بعض الأمثال لنفصح بعض الشيء عن حقيقة هذه النظرية . فالبداوة مثلاً ثقافة تقليدية لكل القبائل التي تعيش متبدية ، وجميع ما يتصل بالبداوة أس من الأسس التي تقوم عليها ناحية من نواحي الحياة في أهل البدو ، والبداوة لأهل البادية بداية الحياة ، لأن فيها تتجلى روح القبيلة التي بها تحتفظ الجمية ببقائها وتصون كيانها ، ومن مجموع التصورات والادراكات التي تتمثل لأهل البادية تنشأ الفكرة الدينية ثم تنشأ اللغة ثم ينشأ الفن ، ومن بعد ذلك تتحور الأخلاق فتأخذ طابعاً خاصاً ، ومن ثم يتكون قانون العرف البدائي ، وهلم جرّا . فهل من المستطاع مثلاً أن تنفك جمية طبيعتها البداوة عن كل ما توارثته على مدى الأجيال ، وتنسلخ عن كل ما انتقل اليها عن أسلافها الأقدمين ، فتلبس من الأخلاق ثوباً جديداً وتتبدل من التصورات والأفكار والأخيلة والعقائد واللغة والفن غيرها مما لا علاقة له بثقافتها التقليدية ، ثم تستطيع بعد ذلك أن تحتفظ بكيانها الأصيل من غير أن يهز ذلك التغير الطارىء أعماق وجودها هزاً عنيفاً شديداً ؟

كذلك الحال في أمة أخرى ثقافتها التقليدية صناعية كانجلترا

أو فرنسا مثلاً . فان انفكاك أمة منهما عن الصناعة معناه تحطيم لروحها الوروث ، بل ولكل ما تقوم عليه حياتها أدبية ومادية من القواعد الأصيلة فى نفسيتها وغرائزها . وأظن أن المصريين لا يخرجون عن مقتضى هذه القاعدة . فان لمصر ثقافة تقليدية هى الثقافة الزراعية التى ورثناها بحكم وجودنا على ضفاف النيل . وواجبنا كأمة رشيدة أن نقيم كياننا أصلاً على أساس هذه الثقافة الوروثة ثم نكملها بمقتضيات ما يتطلب هذا العصر من ضروب الثقافات الأخرى . أما عكس هذه الآية ، وذلك ما ننتحيه الآن مع الأسف ، فنهايته الخراب العاجل والدمار الشامل

إن ما يزرع من أرض هذا الوادى الخصيب فى هذا الزمن جزء قليل مما يمكن استغلاله ، ولكنه على قلته لا يستغل الاستغلال الوافى ، ولهذا أسباب يطول بنا شرحها ، وإنما نذكر ذلك لنقول بأن كل عاطل هذا الزمان إنما هم عاطلون بحكم الثقافة التى تلقوها وبحكم الظروف التعليمية التى نشأوا محوطين بها ، وإن بلاداً كمصر تستطيع أن تمتد من السكان ضعف ما تمتد الآن ، من العجيب أن تقوم فيها مشكلة تعرف بمشكلة البطالة ، وان تؤلف فى سبيلها اللجان ، وتعصر الأفكار ، وتسهر الأعين الليالى الطوال ، ونصف الأرض المزروع فيها يكاد يكون بوراً ، والنصف المزروع لا يغل أكثر من نصف ما يجب أن يغل إذا أحسن القيام عليه بالطرق العلمية الحديثة ، وأكبر ظنى أن السبب المباشر فى قيام هذه الحال إنما يرجع إلى أننا نسينا أن لنا ثقافة تقليدية يجب أن تكون أساس الحياة فى هذا الوادى . وإذن يجب أن تقوم سياسة التعليم أول شىء على فكرة الاتصال بثقافتنا التقليدية

لقد مضينا حتى الآن نقيم قواعد التعليم على النظريات ، لا على طبيعة بلادنا . لهذا نرى أن كل النتائج قد اتجهت اتجاهاً سلبياً ، لا اتجاهاً إيجابياً وعكس ذلك ما نطلب أن يكون

جدت فى مصر مشكلة عرفت بمشكلة العاطلين من المتعلمين ، وما من سبب لهذه المشكلة فى الواقع إلا السياسة التى جرى عليها التعليم فى بلادنا بالفصل بين ثقافة أولادنا التى يتلقونها بين جدران المدارس وثقافة آبائنا الأقدمين . وحدث فى مصر أن انشقت معسكرين لا اتصال لأحدهما بالآخر ، معسكر المتعلمين العاطلين الذين لا اتصال لهم بثقافة بلادهم التقليدية ، ومعسكر الفلاحين الذين انصلوا كل الاتصال بثقافة بلادهم الأصلية ، من غير أن يلقحوا بشىء من مقتضيات الحياة فى العصر الحديث . وبدأت فى مصر روح التبرم بالحياة المصرية ، تتلقى كل يوم ألواناً مما ينتج على يد المتعلمين الذين إن لم تعوزهم الهمة إلى العمل فقد يعوزهم المجال الذى يعملون فيه بقدر ما هيأهم التعليم النظرى الذى عكفوا عليه . ولسوف نتقدم خطوة بعد أخرى متمادين فى العمل على زيادة عدد معسكر العاطلين ما دمنا نعكف على تعليم أولادنا على أساس النظريات لا على اساس العمليات ، وما دمنا نخرج رجالاً لا يعرفون عن طبيعة بلادهم شيئاً . ولن أكون مبالغاً إذا قلت إن ابن الفلاح الذى يتخرج فى كلية من الكليات العليا ليس بأكثر علماً بطبيعة بلاده من زميله ابن المدينة الذى يتخرج وإياه فى معهد واحد . فاذا لم يجدا لهما مرتزقاً أصبحا صنوى بطالة ، ولم يمتز ابن الفلاح على ابن المتحضر بشىء مما امتاز به جدودهما من أهل الريف من قدرة على الانتاج والعيش بما تغل سواعدهم من ثمرات الأرض

ويخيل إلىّ ، وربما كنت على كثير من الحق فيما أتخيل ، أن الخطأ الذى نلحظه فى سياسة التعليم فى بلادنا غير قاصر على قمع ثقافتنا التقليدية عن أن يكون لها أثر فى تكويننا العقلى والخلقى ، بل إننا أضفنا إلى هذه الخطيئة خطيئة أخرى هى أننا عملنا دائماً على تضخيم المعلومات التى يتلقاها الطلبة فى مدارسنا الثانوية والكليات . فقد يخرج المتعلم إلى ميدان الحياة العملية بعد حياة أمضاها فى جو من النظريات الصرفة ، وهو يعتقد أنه قد ملئ علماً بالحياة ، ثم لا يلبث أن ينكشف له الحق وإذا به يرى أن كل ما يعرفه من نظريات العلم والأدب والفن لا يكفيه رزق يومه ولا يغنيه عن الاكباب على ناحية أخرى من نواحى الحياة العملية يدرسها لتكون له فى الحياة عوناً على تحصيل الرزق . ولا شك أن ذلك يحدث ارتجاجاً عظيماً فى حياة شاب ملأه الأمل فى الحياة والزهو بما تجمع فى رأسه فى المعلومات . وما من ريبة فى أن هذه الصدمة المنوية لها أثرها البالغ فى سلوك الشاب وتفكيره ربما لازمه طوال حياته

يعكف الشاب المصرى بين جدران معهده على ناحية نظرية

من العلوم البعيدة عن تجارب الحياة ويتلقى أنواع المعارف المختلفة ويمضي مكباً عليها عمراً حتى يكون له نظرة خاصة ويتجه بفكره وقلبه اتجاهاً معيناً وينشئ في عقليته قيماً للأشياء وفناً ينظر من طريقه في الحقائق. وعلى الجملة يتكون منه طريق معارفه تكويناً يهيئه لأن يكون وحدة مستقلة في جسم اجتماعي. فإذا استبان له الواقع وواجه الحياة بما استجمع من معارف فعلم أن للحياة طريقاً آخر غير الطريق الذي صرف فيه عمره وأن لها قيماً أخرى غير القيم التي يؤمن بها، وأن لها فناً غير فنه الذي ينظر من طريقه في حقائق الوجود، انقلب على الماضي ثائراً ومن المستقبل يائساً، وخيل إليه أن المجتمع جنى عليه فسلبه سلاح العمل وجرده من عدة الهجوم والدفاع في ميدان المنافسة الاجتماعية. وما بالك بهذا الشاب نفسه إذا هو أراد أن يرتد إلى مصريته فيصبح فلاحاً كأبيه وأن يتصل مرة أخرى بثقافة بلاده التقليدية، فيتضح له أن علمه بطبيعة بلاده ضئيل، وأن معرفته بطريقة الحياة فيها لا توائمه بالعدة الكافية للحياة في وسط مصري أصيل، الفلاح سداه والفلاحة لحمته؟

من الأخطاء التي لا ينبغي لنا أن نغفل عن وزنها وزناً صحيحاً أن تعليمنا الأدبي في الكليات ينقل إلى الأذهان صوراً من الأخلاق، وفنوناً من السلوك، ومذاهب من الفلسفة النفسية تختلط في عقليتنا اختلاطاً عظيماً حتى لتكون منها مقاييس جديدة بعيدة جد البعد عن المقاييس الخلقية والسلوكية التي يؤمن بها الفلاح الساذج. فإن عصور الظلم والاستبداد التي عانى فلاح مصر في خلالها الأمرين، وتوالي الدول في الحكم على ضفاف النيل قد طبعت الخلق المصري بطابع خاص وصبغته بصبغة خاصة، ويجب أن يعني بدرسها المصري المتعلم أوفى الدرس وأن يكب على تفهمها كل إكباب، قبل أن يظن أنه قادر على أن يعايش ذلك الفلاح الخشن الجاهل، وأن يعلم في أول ما يجب عليه أن يعلمه أن جهل الفلاح من جهة العلم بالنظريات قد عوضته عنه الطبيعة ذكاء حاداً وقدرة على التحايل وفطنة في إدراك الحقائق، وأيقظت فيه قوى العقل الباطن إيقاظاً شديداً حتى يكاد يكون عند بعضهم إلهاماً في توقع الأشياء وحدوثها. أضف إلى ذلك أن طبيعة البلاد قد ثقفته بثقافة ورثها على مدى العصور. ثقافة أحيت فيه روح اليقظة يتلقى بها الأحداث مكتمل الهمة ثابت القلب قوي الجنان عظيم الثقة بنفسه. فإن بلاداً تتوالى فيها دورات الزراعة كبلادنا، ويفيض فيها النيل في مواعيد محدودة، قد غرست في نفسه بالتجربة أن الحياة فرص يجب انتهازها، وعلمته أن إهمال ساعة أو يوم قد يفوت عليه رزق عام. هذا الفلاح الذي اكتملت ثقافته العملية من هذه النواحي وأمثالها، وهي كثيرة متعددة، هو بذاته موضوع درس عميق لا يستغنى عن معرفته مصري يريد أن يعيش من فوق أرض مصر وعلى ضفاف نيلها مرتزقاً بغلاتها مفتناً في إحياء خيراتها. ولا شك في أن هذه الناحية الضخمة من نواحي ثقافتنا التقليدية مهملة في معاهدنا كل الإهمال، فالمصريون مع الأسف أجهل الناس بتاريخ بلادهم، ذلك في حين أن تاريخ كل شعب جزء لا يتجزأ من ثقافته التقليدية

فالشاب المتعلم الذي يدرس مذاهب اليونان الفلسفية وتاريخ روما واليونان ومذاهب الأدب ومقدمة القوانين إلى غير ذلك مما يتلقى الشباب بين جدران معاهدنا، من غير أن يتصل بثقافة بلاده التقليدية، شاب مصري بالاسم لا بالروح ولا بالتقاليد. هو يجهل طبيعة بلاده وخلق أهله وتاريخ العصور التي توالت على وطنه وشكل الحكومات التي تناوبت الحكم فيه، والميراث الذي ورثه عن أجداده الأقدمين. ولا ريبة في أن شاباً هذا شأنه إنما يخرج من معاهد العلم متعلماً جاهلاً، وإن شئت فقل يخرج متعلماً مشحون الذهن بالكثير من المعلومات التي من شأنها أن تفصله عن طبيعة بلاده وتصيره في محيطه غريباً، كأنه غلطة جديدة في طبيعة شيء قديم. ومن هنا يكون عجزه عن الكفاح في الحياة وعن الاتصال بالأرض التي أنشأته وأنشأت السلالة التي انحدر منها منذ أقدم عصور التاريخ

والمحصل أننا مشرفون على أزمات اجتماعية أساسها الظاهر الآن كثرة العاطلين من المتعلمين الذين فصل التعليم بينهم وبين ثقافة بلادهم التقليدية فأصبحوا فيها غرباء، وسنعالج في المقال التالي مجمل ما صورنا حتى الآن من نقائص حياتنا الاجتماعية من حيث علاقتها بالتعليم

(يتبع) إسماعيل مظهر

# ٢ ـ فلاسفة الاسلام

## والتوفيق بين الفلسفة والدين

للدكتور ابراهيم بيومى مدكور
مدرس الفلسفة بكلية الآداب

لاحظنا فيما سبق أن الفارابي وابن سينا وقفا موقفاً وسطاً بين الآراء الفلسفية والتعاليم الدينية فيما يتعلق بالصلة بين الله والعالم . أما مشكلة الروح وخلودها فقد فارقا فيها أرسطو تمام المفارقة ، ذلك لأن الذي ينكر هذا الخلود يهدم المسئولية من أساسها ، ويقضي على غاية الأخلاق والقوانين والشرائع ، ونحن نعلم أن أرسطو ينقد نظريات الفيثاغوريين والأفلاطونيين الذين يقولون إن النفس جوهر روحي متميز من الجسم تمام التميز ، ويعلن أن النفس صورة الجسم ؛ ويقرر بجانب هذا أن الصورة لا تستطيع البقاء بدون المادة ، وإذن فمنطق مذهبه يؤدي إلى النتيجة المحتمة ، وهي أن فناء الجسم يستلزم فناء صورته وهي النفس ، وعلى الجملة فأرسطو لا يتكلم عن مشكلة الخلود إلا عرضاً ، وليته حين تعرض لها جاء بشيء مقبول ، بل أفكاره فيها متناقضة متهافتة ، على العكس من هذا نجد رأي الاسلام في هذه النقطة واضحاً وضوحاً لا يقل عن النقطتين السابقتين ، فان تعاليمه تقضي ببقاء الروح وخلودها وإلا لم يكن للثواب والعقاب معنى ، وهذا هو الرأي الذي أخذ به الفارابي بعد تردد ، وانتصر له ابن سينا انتصاراً عظيماً ودافع عنه دفاعاً مجيداً ، يقول : « إذا حصلت ما أصلته لك علمت أن كل شيء ما من شأنه أن يصير صورة معقولة وهو قائم الذات ، فانه من شأنه أن يعقل فيلزم من ذلك أن يكون من شأنه أن يعقل ذاته . . . وكل ما يكون من هذا القبيل ، فغير جائز عليه التغيير والتبديل[1] » وفي كتاب النجاة بحث طويل عنوانه « فصل في أن النفس لا تموت بموت البدن[2] » . وفي هذا الفصل يحاول ابن سينا من طريق عميق ومضن اثبات خلود النفس

(١) ابن سينا ، « الاشارات » ص ١٣٤

(٢) ابن سينا ، « النجاة » ص ٣٠٢ — ٣٠٩

هنا تنتهي أيها السادة الشعبة الأولى من شعب التوفيق بين الفلسفة والدين . وقد رأيتم انه كلما اصطدم رأي أرسطو بأصل ديني مال الفلاسفة المسلمون نحو تعاليم الدين أو فسروها تفسيراً ينطبق مع ما ذهب اليه فيلسوف الاغريق . ونحن لا ننكر أن الفارابي وابن سينا كونا نظرية كلامية جديدة متعلقة بالاله وصفاته . وهذه النظرية تقربهما من مبادئ الاسلام بقدر ما تبعدهما عن أستاذهما أرسطو . إلا أنها في الوقت نفسه متعارضة في لفظها وروحها مع كثير من النصوص الدينية . لذلك كانت مثار اعتراض وموضع أخذ ورد لدى مختلف الطوائف والفرق الاسلامية . ونستطيع أن نقول إن المدرسة الفلسفية العربية إذا كانت قد نجحت في أن تلفت الأنظار نحوها فذلك راجع الى أبحاثها الدينية ، غير أنها لقيت كذلك حتفها من هذا الطريق . وفكرة الخلق أو « الفيض » التي قال بها الفارابي وابن سينا لا تقنع رجل الدين في شيء كثير ، وليس لها من الخلق إلا اسمه وصورته دون حقيقته ومعناه . وهذا بالدقة ما أخذه عليها الغزالي وحمل عليه حملة عنيفة سنعرض لها بعد قليل

* * *

والآن ننتقل الى الشعبة الثانية حيث نفسر بعض الأمور الدينية تفسيراً علمياً . وأول هذه الأمور النبوة التي هي عماد الدين وأساسه . فان قيمة الاسلام وكل دين سماوي موقوفة على التسليم بالوحي وقبوله عقلا . وأن من ينكر الوحي أو يستبعد حصوله يطعن الدين في ركنه الأول وأساسه المتين . لهذا لجأ الفلاسفة المسلمون الى إدعام النبوة على قواعد فلسفية وسيكولوجية . وأثبتوا أن الالهامات الخفية التي يصل اليها الأنبياء ليست إلا ضرباً سامياً من المعلومات الانسانية . وسنعرض لهذه النظرية بوجه خاص بعد

وأخيراً لم يبق أمامنا إلا السمعيات ، وهي كما تعلمون تلك الحقائق الدينية التي أخذت عن الكتاب والسنة واعتمد فيها على السمع وحده كالرسل ومعجزاتهم والملائكة وصفاتهم واليوم الآخر وما فيه من سعادة وأهوال ، وسنكتفي بذكر أمثلة من هذه السمعيات لنتبين كيف حملها الفارابي وابن سينا على محمل فلسفي . قد يكون من الفضول أن أنقل اليكم رأي المتكلمين

وأهل السنة خاصة فى الملائكة والعرش واللوح والقلم والحشر والنشر . فهم يذهبون إلى أن الملائكة كائنات نورانية لطيفة قابلة للتشكل بمختلف الأشكال، لا تأكل ولا تشرب ولا تعصى الله أبداً ، ويفهم بعضهم العرش واللوح والقلم على حقيقتها الحسية ، ويعتقدون أن الحشر والنشر لن يكونا للأرواح فقط ، بل سترد إلينا أجسامنا ونعاد سيرتنا الأولى . أما الفارابي فيرى أن الملائكة ليست شيئاً آخر سوى تلك العقول التي تحرك الأفلاك المختلفة والتي حدثتكم عنها من قبل . واللوح والقلم لا يقبلان تفسيراً آخر غير هذا التفسير المنوى الروحى . وهاهو ذا الفارابي يعبر عن رأيه قائلاً : « لا تظن أن القلم آلة جادية واللوح بساط مسطح والكتابة نقش مرقوم بل القلم ملك روحانى واللوح ملك روحانى والكتابة تصوير الحقائق . فالقلم يتلقى ما فى الأمر من المعانى ويستودعه اللوح بالكتابة الروحانية فيُنبعث القضاء من القلم والتقدير من اللوح . أما القضاء فيشتمل على مضمون أمر الواحد والتقدير يشتمل على مضمون التنزيل بقدر معلوم ، ومنها يسبح إلى الملائكة التى فى السموات ثم يفيض إلى الملائكة التى فى الأرض ثم يحصل المقدر فى الوجود (١) » . والحشر والنشر والثواب والعقاب منصبة كذلك على الروح فهى التى تسعد وتنعم أو تشقى وتألم . فليس هناك صراط ولا ميزان حسيان ، بل تلك أمثلة وتصورات يراد بها التعبير عن الحقيقة الروحية ، وقد سار ابن سينا على طريقة الفارابى ففسر العرش تفسيراً فلكياً عقلياً ، وصور الجنة والنار بصور روحية تناسب نعيم النفس وشقاءها

هذه هى محاولة التوفيق بين الفلسفة والدين التى قام بها الفارابي وابن سينا . وإذا ما تتبعنا تاريخ الفلسفة وجدنا أن الاغريق من قديم احتفظوا بمكان للدين فى مذاهبهم الفلسفية . وقد عنيت مدرسة الإسكندرية بهذه المسألة عناية خاصة ، وكثيراً ما أثبت أفلوطين أن الأفكار الدينية لا تتعارض مع الآراء الفلسفية . إلا أن المسلمين قد برهنوا فى هذا المضمار على مقدرة وكفاءة لم يسبقوا إليهما . ولئن كان رجال الكنيسة قبلهم قد أدخلوا بعض المبادئ الرواقية والأرسطية فى تعاليمهم فإنهم لم يوفقوا فى أن يكونوا من ذلك مزيجاً صالحاً متناسق الأجزاء

(١) الفارابي « الثمرة المرضية » ص ٧٧

بيد أن محاولة التوفيق التى قام بها الفارابي وابن سينا وإن تكن محكمة وممتازة على سابقاتها لم ترق لدى الغزالي كما قلت لكم من قبل . وقد ألف كتابه تهافت الفلاسفة ليناقش فيه آراء الفلاسفة وينقضها جميعاً ، ويحتوى هذا الكتاب على عشرين مسألة ، ثمان منها تتعلق بالبارىء وصفاته ، وأكبر مأخذ يأخذه الغزالي فى هذا الجزء على فلاسفة الاسلام هو أنهم ألغوا الصفات وأنكروا علم الله بالجزئيات ، وقد تهكم عليهم تهكماً شنيعاً فى هذا الصدد قائلا : « وليتعجب العاقل من طائفة يتعمقون فى المعقولات بزعمهم ، ثم ينتهى آخر نظرهم إلى أن رب الأرباب ومسبب الأسباب لا علم له أصلا بما يجرى فى العالم ، وأى فرق بينه وبين الميت إلا فى علمه بنفسه ؟ وأى كمال فى علمه بنفسه مع جهله بغيره ؟ وهذا مذهب تغنى صورته فى الافتضاح عن الأطناب والايضاح (١) » . وفى ثمانى مسائل أخرى يرد على فكرة الخلق التى ذهب إليها الفلاسفة مبيناً أنها ترمى إلى خلق صورى لا يكاد يبدو له أثر فى الوجود . ثم ينتقل بعد هذا إلى خلود الروح فيبين فى مسألتين أخريين أن الفلاسفة لم يستطيعوا البرهنة على هذه النقطة فى وضوح . ولا يقبل الغزالي كذلك التفسير النفسى السيكولوجى للنبوة ويرفض رأى الفلاسفة فيه . وأخيراً يهاجم حجة الاسلام الفلاسفة هجوماً عنيفاً فيما يتعلق بالحشر والنشر ويأخذ عليهم أنهم ينكرون أصلا ثابتاً من أصول الدين . وفى نهاية هذه القضية الطويلة يعلن حكمه ويعد الفلاسفة السابقين مبتدعين فى سبع عشرة نقطة وكفاراً فى ثلاث هى قولهم بأن الله يعلم الكليات لا الجزئيات وادعاؤهم قدم العالم وأبديته وإنكارهم لحشر الأجساد

لسنا بصدد أن نستأنف فى هذه الجلسة حكم الغزالي السابق ، لا سيما وقد صادف عين الحقيقة فى مواطن كثيرة . إلا أنا نلاحظ أن صاحبه متحد أحياناً ومبالغ فى نقده . ولا أدل على هذا من أنه اعتنق بعض الآراء التى نقدها والتى قال بها الفلاسفة فهو يفسر مثلا علم الله تفسيراً يشبه كل الشبه تفسير الفلاسفة ويعتقد بخلود الروح ويعده مبدأ ثابتاً من مبادىء الاسلام . وموقف الغزالي هنا ضعيف فى الحقيقة للغاية ، فإن صوفياً ومتكلما يرد على أشخاص يثبتون خلود الروح يناقض نفسه تمام المناقضة . وفكرة النبوة الفلسفية التى يرفضها الغزالي فى تهافته يقول بها

(١) الغزالي « تهافت الفلاسفة » ص ٤٤

فى كتابه المنقذ من الضلال [1]

أمام هـــذا التناقض لم يتردد ابن رشد فى أن يرفض ما قاله الغزالى وأن يثبت « تهافت التهافت » . وقد بذل عناية كبيرة فى الدفاع عن أرسطو وإخوانه الفلاسفة المسلمين . ذلك لأنه كان يرى مثلهم ضرورة التوفيق بين الدين والفلسفة وترك كل واحد منهما آمناً بجانب الآخر . ويعلن أن شبه الخلاف بين هـذين الطرفين راجعة إلى الخرافات التى ألحقت بالدين ، أو إلى الادعاءات الفلسفية التى يدعيها من يزعمون أنهم حكماء وليس لهم من الحـكمة نصيب . وهذه الأباطيل جنت على الدين والفلسفة وباعدت بينهما ؛ « فان الأذية من الصديق هى أشد أذية من العدو ، أعنى أن الحـكمة هى صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة فالأذية ممن ينسب إليها أشد الأذية مع ما يقع بينهما من العداوة والبغضاء والمشاجرة وهما المصطحبتان بالطبع المتحابتان بالجوهر والغريزة [2] » . غير أن ابن رشد سلك إلى التوفيق بين الفلسفة والدين سبيلا أخرى غير تلك التى سلـكها الفارابى وابن سينا . فانه كان يعتقد أن سلامة الدين والفلسفة أن يعزل كل واحد منهما عن الآخر ، فلا تضاف عناصر فلسفية إلى تعاليم الدين ، ولا تصبغ الفلسفة بصبغة دينية . لأن لغة رجال الدين يجب أن تختلف عن لغة الفلاسفة ما دام الدين للشعب والفلسفة للخاصة . وكم عاب فيلسوف الأندلس على صاحب تهافت الفلاسفة تقديمه للجمهور بعض المشاكل العويصة التى لا يستطيع فهمها ولا استساغتها [3]

بيد أن هجوم الغزالى كان فيما يظهر عنيفاً ، وصدمة الفلسفة على يديه كانت قوية . لهذا لم يفلح فيها علاج ابن رشد ولم يرفع من شأنها انتصار فيلسوف قرطبة لها ، وبقيت مهملة منظورا اليها نظرة ازدراء واحـتقار أو توجس وخيفة طوال السبعة قرون الأخيرة . وكأن حملة الغزالى صادفت هوى فى تلك العقول الضعيفة التى لا تقوى على البحـث والنظر ، فرأت أن أيسر سبيل لديها أن تهجر الفلسفة وشؤونها وتحاربها بكل الوسائل ولست فى حاجة لأن أذكركم بتلك السنة التى سار عليها مؤلفو هذه القرون المظلمة من التساؤل عن حـكم الدين فى كل فن من الفنون ، هل دراسته واجبة أو مسنونة أو مستحبة أو مكروهة

(١) الغزالى « المنقذ من الضلال » ص ٣٣
(٢) ابن رشد « فصل المقال » ص ٢٥ — ٢٦
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٧ — ١٨

أو محرمة . وكثير منكم يذكر هذه الأبيات المشهورة التى صدرت بها حواشى الـكتب فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر :

إن مبادى كل فن عشرة ... الحـد والموضوع ثم الثمرة
وفضله ونســبة والواضع ... والاسم الاستمداد حكم الشارع
مسائل والبعض بالبعض اكتفى ... ومن درى الجميع حاز الشرفا

فباسم الشرع حرمت عـلوم وأبيحت أخرى ، وتحت تأثير هذه الرقابة أهملت أجزاء الفلسفة المختلفة ، ولم يدرس منها إلا المنطق الذى كان نفسه موضع تحريم أو تحليل واستحباب أو إباحة . وقد عقد الأخضرى أحد مناطقة القرن العاشر الهجرى فى سُلَّمه فصلا عنوانه . « فى جواز الاشتغال به » وتحت هذا العنوان يبين حكم الشرع فى دراسة المنطق وآراء الباحثين فى هذا الصدد ، ويوضح ذلك فى أبيات طريفة يلذ لى أن أسردها عليكم

والخلف فى جواز الاشتغال ... به على ثلاثة أقوال
فابن الصلاح والنواوى حرما ... وقال قوم ينبغى أن يعلما
والقولة المشهورة الصحيحه ... جوازه لكامل القريحه
ممارس السنة والكتاب ... ليهتدى به الى الصواب [1]

والباحثون الأول ما كانوا يقفون عند نقطة كهذه ، ولا يرون غضاضة عليهم فى أن يدرسوا أية مادة كيفما كان نوعها . والغزالى بوجه خاص زج بنفسه فى المدارس والفرق الاسلامية المختلفة . فدرس العلوم الـكلامية على اتساعها ، واتصل بالباطنية وتعرف أسرارها ، ولم يخش بأساً من قراءة الـكتب الفلسفية واعتناق الطرق الصوفية . ومعرفته بدقائق الفلسفة وجزئياتها لا تقل عن الفلاسفة المختصين أمثال ابن سينا وابن رشد . وما كان يضير أحداً فى ذاك الزمان أن يقرأ شيئاً ويتفهمه ، فان ارتضاه قبله وإلا نبذه ، ولم يخطر ببالهم أن مادة ما تستطيع أن تهدم الدين أو تنتقص أصوله . فلما قصر الجهد وعجز الناس عن الدراسة والبحث لجأوا إلى حماية أنفسهم بوسائل سلبية واستتروا وراء حجاب واه من حرمة الدين أو كراهيته فجنوا على أنفسهم ودينهم فى آن واحد . وهكذا شأن كل عقيدة لا يرجع تدهورها غالباً إلى نقص فى طبيعتها ، بل إلى ضعف معتنقيها وفساد عقولهم وعجزهم عن مسايرة الزمن

يجدر بنا ، أيها السادة ، وقد أنعمنا هذه النظرة التاريخية المجلى أن نستخلص منها درساً ينفع للحاضر . فان الماضى

(١) الأخضرى « السلم » وعليه حاشية « الباجورى » ص ٢٢ — ٢٤

لايدرس الماضي فقط ، بل لما عليه من نصائح وعبر مفيدة في الحاضر والمستقبل ، ونصيحة الليلة أن نفسح المجال للدراسة والبحث أيا كان نوعهما دون أن نخشى على الدين بأساً . لندع العلم يقرر قضاياه ويوضح نظرياته ، فهو إن لم ينصر الدين فلن يخذله ، وإن لم يؤيده فلن يقوى على هدمه . والعلماء الذين يبدو عليهم أنهم تجردوا عن تقاليد الأديان هم أكثر الناس اصطداماً بالمشاكل الدينية . ولئن كان القرن الثامن عشر قد دفع بعض المفكرين ، تحت تأثير النهضات العلمية ، إلى التشبث بأهداب المذهب العقلي واطراح كثير من الحقائق الروحية والنقلية ، لقد جاء القرن التاسع عشر وأوائل القرن الحاضر مؤيدة للدين وواضعة إياه على أساس القوانين العلمية والنظم الاجتماعية . فأنصار مذهب البرجماتزم وعلى رأسهم جيمس ينادون بأن الحقيقة الدينية هي عماد الحقيقة العلمية ، ذلك لأن الأولى نتيجة التجربة النفسية والوحي المباشر . وأصحاب المدرسة الاجتماعية الحديثة قد أثبتوا في جلاء أن جل النظم الاجتماعية ، إن لم يكن كلها ، نشأ في حجر الدين وتحت كنفه . فالعلم والدين متضافران إذن ، أو على الأقل لا يستطيع واحد منهما أن يعدو على مكان الآخر . ومن الغريب أنه ما تجاهل باحث المبدأ الديني إلا واضطر للتسليم به أخيراً ؛ ولا حارب رجال الدين علماً إلا وانتهوا إلى دراسته بعد قليل . فأرسطو الذي لم يفكر مبدئياً إلا في الطبيعة وعللها والأفلاك وتحركاتها سيق في آخر الأمر إلى إثبات محرك أكبر تتجه نحوه كل القوى وتشتاق إليه . و « كانت » الذي أنكر فكرة الإله في الدائرة الميتافزيقية عاد فأثبتها في أبحاثه الخلقية ، وفي أوائل القرن الثالث عشر الميلادي حاربت الكنيسة الفلسفة الأرسطية وأحرقت كتبها ، وحكمت بأقسى العقوبات على قرائها . ولكنها لم تلبث أن عادت فاعتنقت هذه الفلسفة وأضحى أرسطو أستاذ اللاهوت المسيحي الوحيد . وفي القرن السابع عشر حوكم جاليليو من جراء قوله بحركة الأرض ، واليوم لا ترى الكنيسة ضيراً في اعتناق هذه النظرية . فإذا كان لنا أن نستفيد من هذه التجارب فواجبنا أن نترفع عن الخصومات الباطلة والنزاع الفاسد بين العلم والدين ، وإذا كنا نريد أن نؤسس نهضتنا على أسس متينة فعلينا أن نفسح المجال للدراسة والبحث وأن نسير وراء الحقيقة كيفما كان مصدرها ؛ والحكمة ضالة المؤمن يطلبها أنى وجدها

إبراهيم مدكور

# في تاريخ الفقه الاسلامي

ثلاث محاضرات

للدكتور يوسف شخت

الأستاذ بجامعة كونيكسبرج ، والأستاذ بالجامعة المصرية

— ١ —

إن الغرض من المحاضرات الثلاث التي أتشرف بإلقائها عليكم هو أن أتحدث إليكم عن الطريقة التي يجري عليها العلم الأوربي في درس الشرع الاسلامي ، وعن بعض النتائج الهامة التي أسفر عنها هذا الدرس . وقد بدا لي أن هذا الموضوع خليق بأن يثير اهتمامكم من أكثر من وجهة واحدة ، فإن مصر كبلد اسلامي حديث لا يمكن إلا أن تهتم ببحوث علمية ترمي إلى إظهار خاصة من خصائص الاسلام ، والعلم الأوربي من جانبه ينبغي ألا يهمل الاتصال بالعلم الاسلامي المعني بهذا الموضوع . ورغم اختلاف المبادئ والطرق والمصالح التي تفصل هاتين المدرستين احداهما عن الأخرى ، فقد ألفت بين بحثيهما في الشرع الاسلامي آصرة مشتركة جوهرية ، هي روح البحث العلمي الذي يحدو المستشرقين الأوربيين اليوم ، كما كان يحدو علماء الاسلام من عهد القرون الوسطى . هذا المتاد المشترك يبعث على أشد التفاؤل بتعاون مثمر قائم على الاحترام المتبادل بين العلماء الشرقيين والغربيين في هذا الباب ، تعاون لا يوهن في تعلق فريق منهما بالتقاليد واستمساك الفريق الآخر بأساليبه العلمية ، وإني لأرجو أن يكون في مقدوري المساعدة على تنمية التفاهم بين الفريقين ؛ وليس في نيتي أن أعرض صورة عامة للشرع الاسلامي ، وأن أكرر كثيراً من الأشياء المعلومة لكثرتكم بلا شك ، بل أتكلم عن مسائل خاصة في تاريخ هذا الشرع تناولها علماء أوربة متوخياً عرضها عليكم في صورة قد تثير اهتمام حتى غير الاختصاصيين منكم

ولنبدأ بالمسألة العامة — مسألة تاريخ الشرع الاسلامي ؛ فهذه المسألة تمكنني من اطلاعكم على ما بين وجهتي النظر من اتفاق تام ، فعلماء الاسلام يرون في الشريعة تعبيراً عن الإرادة

الالّهية التى لا تبدل فيها ؛ وقد كان مع هذا المبدأ من المسلَّم به دائماً أن تعبير الفقه عن هذا القانون الالّهى مرّ بدور تاريخى حتى أن بعض المؤلفين المسلمين عنونوا مؤلفاتهم « بتاريخ التشريع الاسلامى » ؛ وقد جهد علماء أوربة يبحث هذا التطور دون أن يكون لهم بمسائل العقائد شغل ، وتناولوا بهذا الروح تاريخ الشريعة ، والعلماء المسلمون أنفسهم ، على الرغم من اعتقادهم بقدسية الشريعة وصبغتها الالّهية ، يسلمون بأن أحكاماً من أحكامها كانت موجودة فعلا فى شرائع أخرى قبل أن يقرها التشريع الاسلامى ؛ ولنضرب لذلك مثلا واحداً هو القصاص ، فان مبادئه التى عدلها وأكدها القرآن والسنة ترجع إلى القوانين العرفية عند العرب قبل الاسلام . فالعلم الأوربى يبحث فيما يسمى بالعلاقات بين الشريعة والشرائع التى سبقتها بهذا المعنى التاريخى المحض — ذلك المعنى الذى لا يضير ما فى علم أصول الفقه الاسلامى من الحقائق ، ومعلوم جيداً أن العلماء المسلمين أنفسهم يطبقون على الأسانيد قواعد نقدية ، وهذا النقد الذى وسّع النقاد من علماء أوربة دائرته ، وذهبوا فيه بعيداً ، قد بات أداة للعمل لا يستغنى عنها العلم الأوربى — أداة ليست سلبية محضة ، بل قد أعاننا على تقرير صحة الكثير من الأحاديث . فى هذا كله يمكن أن يوجد ، بل يوجد فعلا اختلاف كبير فى الأساليب والنتائج بين علماء الشرق والغرب ، ولكن لا وجود لخلاف جوهرى ، لأن مبادئ عقائد الاسلام لا تؤثر فى دراستنا التاريخية للشرع الاسلامى . هذه المدرسة الأوربية لا تقف عند حدود الشريعة ، التى تلتزم غايتها الأساسية بطبيعة الحال ، بل تتجاوزها أبحاثها إلى وجهات عدة ، فتتناول القوانين الأخرى المتصلة بالشرع الاسلامى اتصالا مباشراً ، سواء أكان ذلك باندماج سنن تلك القوانين فى الشريعة الاسلامية بالمعنى الذى أسلفنا بيانه ، أم كان بتأثير الشريعة فى تلك القوانين والسنن ، والمقصود بذلك قوانين العرب أيام الجاهلية من جهة ، وقوانين الشعوب التى دخلت فى دولة الاسلام من جهة أخرى ؛ مثال ذلك هو التشريع الخاص بالأسبان المسيحيين الذين يتكلمون العربية وهم المسمون بالمستعربين . ويتناول الدرس أيضاً موضوعاً واسعاً ، هو العرف القائم بين الشعوب الاسلامية نفسها . اننا نعلم أن هذا العرف الذى يطلق عليه أسماء مختلفة كالعادة والقانون والدستور الخ قد نشأ إلى حد ما فى كافة بلاد الاسلام تقريباً ، إلى جانب الفقه المعترف به رسمياً ؛ وشرح تاريخ هذا العرف وبيان علاقته بالشريعة أمر لا غنى عنه فى تفهم جملة الحياة التشريعية عند الامم الاسلامية تفهماً صحيحاً ؛ وقد شهدنا فى خلال السنوات الأخيرة تطوراً جديداً فى العلاقات القائمة بين الشريعة والقانون بتلك التعديلات التى أدخلتها مصر على الأحوال الشخصية . وأخيراً فالعلماء الأوربيون يعنون بالظهور الاجتماعى للشرع الاسلامى ، لأن الشريعة الاسلامية أحسن مثال وأهم مظهر لما يسمى « بالقوانين المقدسة » . وبهذا لا نريد مطلقاً أن نضع الشريعة فى مستوى واحد مع سائر الشرائع ، بل نحرص كل الحرص على اظهار خواصها الفردية ابتغاء الوصول الى تقدير مركزها الفريد بين الشرائع والقوانين الأخرى . فاذا كان علمنا يضع الشريعة فى أفق أبعد زاعماً أن تلك الشريعة ليست حقيقة شاذة لا علاقة لها بما حولها ، فانما نفعل هذا لكى ندرسها أوفى درس ممكن من كل جهاتها . كذلك لا يهمل العلماء فى أوربا درس الشرع الاسلامى على طريقته التقليدية الخاصة ، فان هذه الدراسة شرط لازم يمهد لكل بحث تاريخى . ولعل فى هذه الملاحظات التمهيدية ما ينيلكم فكرة عامة من هذه الوجهة الهامة من بحوثنا وغاياتنا

وقبل المضى فى التفاصيل قد يحسن أن أقول كلمة عن تاريخ هذه الدراسة فى أوربا . فوجودها يرجع الى عهد قريب لأنها مدينة بأصلها للنهضة العظيمة التى تناولتها البحوث الاسلامية فى أوربا فى النصف الثانى من القرن الماضى . والشيخان الكبيران على البحوث الاسلامية العامة هما فى نفس الوقت واضعا أساس البحث العلمى فى الشرع الاسلامى ، وأعنى بهما الأستاذ المجرى الكبير Goldziher ( توفى فى سنة ألف وتسعمائة وواحد وعشرين ) والأستاذ الهولندى المحترم Snouck Hurgronje الذى بلغ أخيراً الثامنة والسبعين من عمره ، والى اسمى هذين الصديقين الجليلين يجب أن نضيف اسم عالم ألمانى قضى قبل الأوان فى سنة ألف وتسعمائة وثلاث وثلاثين فى الخامسة والأربعين من من عمره ، وأعنى به المرحوم المأسوف عليه الأستاذ Bergstraesser

وإنى لأعتبر نفسى تلميذاً لـ Bergstraesser و Suouk Hurgronje, وأنا شاعر بجميلهما أعمق الشعور ، فخور بهما حق الفخر

إن أولى المسائل الخاصة التى سأعالجها هنا تتعلق بالقانون العرفى عند العرب فى زمن الجاهلية ، وهو كالأرض التى كانت تنمو عليها شجرة الشريعة العظيمة ، ولهذا السبب فانه يدخل فى نطاق أبحاثنا كما ألمنا آنفاً . هنالك رأى سائد إلى اليوم يعتبر الحياة القانونية فى جزيرة العرب قبل الاسلام مما لا يمكن درسه لانتفاء المصادر المباشرة ، ويزعم أن تلك الحياة كانت فطرية بسيطة بحتة . ولقد مكنتنا أبحاث السنوات الأخيرة القائمة على الانتفاع بمصادر غير مباشرة من تصحيح هذا الرأى . فلم يكن فطرياً سوى أحوال البدو ، يشهد بذلك الشعر القديم وأخبار القبائل ويؤيده ما يصادفه المرء عند البدو اليوم . أما المدن ومنها مكة التى كانت مركزاً تجارياً ذا صلة باليمن وسورية البيزنطية والعراق الساسانى ، والمدينة التى كانت مركز زراعة النخيل مركزاً يضم جالية كبيرة من اليهود — نقول : أما المدن ، ومنها ماذكرناه ، فيكان لها بلا ريب قانون أكثر نمواً لم يمكن إلا أن يتأثر بالعوامل الخارجية التى ذكرناها ، ويمكننا أن ننسب بالتفصيل إلى الأصل البدوى أشياء منها النظام الاجتماعى وأحكام العائلات والمواريث وقانون القصاص — وكل هذا بقى سارياً على أهل المدن أيضاً — ويمكننا أن ننسب إلى التطور المدنى الموافقة على قواعد مفصلة تطبق على العقود ووضع أشكال معينة للشركات واستعمال وثائق مكتوبة — كل هذا فى مكة — ومعاملة بعض العقود الزراعية فى المدينة . فكل هذه العناصر لم تبق بمعزل بل اتسع تداخلها بتأثير العلاقات التجارية التى تساعد على نموها الأشهر الحرم والأسواق الكبرى ، حتى أن بلاد العرب كانت فى القرن السادس بعد الميلاد محكومة بقانون عرفى متشعب الأطراف ، وهذا يطرح مسألة تحليل هذا القانون تحليلاً مفصلاً سأقدم لكم مثالاً منه .

الحالة فى الشرع الاسلامى هى أن العنصر الجوهرى فى كافة العقود يتألف من الايجاب والقبول اللذين يعبران عن تراضى المتعاقدين ، وهذا التركيب القانونى للعقود من إيجاب وقبول تجمع مذاهب الفقه على التسليم به كأنه أمر طبيعى دون أن يتناقض بعضها مع بعض ، وهو لا بد أن يكون سابقاً لتلك المذاهب فضلا عن أنه لا صلة له بالمبادىء الاسلامية المحضة كمنع الربا ومنع الغرر التى تبنى عليها كافة الأبواب المتعلقة بأحكام العقود من الشريعة . وهذا كله ودلائل أخرى تحمل على الاعتقاد بأن تلك العبارة القانونية عن طبيعة العقود ترجع إلى القوانين العرفية فيما قبل الاسلام . أجل إن هذه الفكرة القانونية تكاد تكون شاذة شذوذاً تاماً فى تاريخ القوانين القديمة . فان الأمر المعنى هنا ليس بذلك الدور الطبيعى الواضح الذى كان للايجاب والقبول دائماً فى الحياة الاقتصادية باعتبار أنهما مقدمة العقود المتواضع عليها بمحض التراضى ؛ ولكن النقطة الحاسمة هى أن الايجاب والقبول يعتبرها النظر القانونى عنصراً جوهرياً فى العقود ، وأولئك الذين درسوا الشرع الاسلامى أو القوانين الحديثة فقط يمكن أن يلوح لهم هذا ضرورياً ، بيد أن التاريخ يدلنا على أن الأمر ليس كذلك ؛ لأن مثل هذا التركيب القانونى للعقود لم تعرفه القوانين القديمة اللهم إلا الشرع الاسلامى والقانون البابلى الحديث . فان هذا القانون يعطى نمطاً من صيغة تعاقد يتفق تماماً ونظرية العقود التى أسلفنا بيانها ، بحيث أن نفس العقود البابلية الحديثة لو تُرجمت إلى العربية يمكن أن تبدو بين الوثائق الاسلامية القديمة المبنية على النحو الآتى : « هذا ما اشترى فلان من فلان . . . وباع هو إياه . . . بتراض منهما . . . . » . هذه الحقيقة الواقعة تحدو بنا إلى التساؤل : أتوجد علاقة تاريخية بين هاتين الظاهرتين ؟ إن الفارق الزمنى ليس بكبير مهما يظهر منه عند اللحظة الأولى ، فان الوثائق البابلية الحديثة تبتدىء من أواخر القرن الثامن قبل الميلاد وتستمر إلى نهاية الآداب البابلية حول الميلاد ، والقانون العرفى العربى كان قد اكتمل تطوره فى القرن السادس بعد الميلاد . بيد أن بعض خواصه قد يرجع إلى ما قبل ذلك . وليس يدعو إلى العجب أن تبقى صيغة وثائق جمدت خلال سبعة قرون لكافة الأعاصير السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى العراق — نقول : ليس عجيباً أن تبقى مثل تلك الصيغة التعاقدية بعد ذلك زماناً ، وإن كنا لا نستطيع الجزم بهذا لأننا لا نعلم شيئاً عن تلك الفترة . على أن الاستمرار التاريخى للبيئة مؤكد على الأقل ؛ ذلك أن العراق كان يسكنه

منذ القرن الثامن قبل الميلاد وعلى الرغم من تبدل الأسر الحاكمة أولئك السكان الآراميون الذين لم يزالوا يسكنونه فى خلال الفتح العربى والذين سماهم العرب بالنبطيين . أما القانون العرفى العربى فان التأثر الذى يمكن أن يكون تناوله من جانب العراق ليس أقل احتمالا من التأثير الذى أصابه من ناحية سورية ، وهذا مؤكد لأن التجارة العربية كانت تتجه نحو القطرين على السواء . وصفوة القول أنه من الراجح رجحاناً كافياً أن صيغة العقود ذات الجانبين أى الايجاب والقبول قد ووُرثت من القانون البابلى الحديث . وقد ألمنا إلى أن تلك الفكرة القانونية فى انعقاد العقود ليست بالوحيدة الامكان ، فان هنالك فكرة أخرى منتشرة انتشارا واسعاً فى القوانين القديمة تعتبر العنصر الجوهرى المعقود موجوداً فى تصرف واحد من المتعاقدين . مثال ذلك أن ينعقد البيع بنزول البائع عن حقه فى الشىء المبيع للمشترى فى مقابل ثمن معين . ويظهر من الاصطلاحات العربية أن القانون العرفى قبل الاسلام كان قد عرف هذه الفكرة فى طبقة سابقة لدخول الصيغة التبادلية فى العقود ، وهذه الاصطلاحات ترجع بلا شك إلى الزمن الجاهلى أيضاً . فبينما الاصطلاح الفنى القبول يعبر رأساً عن معنى العقد الذى يقع عليه فان الاصطلاح الخاص بالعرض ـ وهو الايجاب ـ يتناقض تناقضاً ظاهراً مع الدور المخصص لفعله لو اعتبر العقد ، كما هو الواقع ، آتياً من الجانبين . فهو يصف العرض الذى هو فعل البائع فى مثالنا السابق كأنه يجعل العقد واجباً نهائياً محتوماً عليه لا رجوع فيه ، بدليل معنى كلمة الوجوب فى شواهد كثيرة ؛ منها حديث مشهور إذ يقول النبى عن رجل أسلم ثم استشهد على الأثر : وجبت له الجنة . وعلى النقيض من ذلك فان العقد ذا الجانبين لا يصير واجباً إلا بقبول عرض سابق ، بينما التصرف من جانب واحد على نحو ما أسلفنا يطابقه ذلك الاصطلاح تماماً . إن هذا العصر الجاهلى يكشف لنا عن أرض عذرية واسعة خصيبة لأبحاث مستقبلة

والمسألة الثانيـة التى أود أن أتناولها تتصل بعصر هو أحسم من غيره فى تاريخ الشرع الاسلامى أعنى عصر فقهاء المدينة السبعة . وقد كان الاعتقاد إلى الآن أن عمل هؤلاء الفقهاء الأولين للاسلام كان وضع نظام للفقه يطابق حاجات عصورهم المختلفة . ولكن الأبحاث التى جعلتنا أكثر معرفة بحالة القانون العربى فى العصر السابق للاسلام هى نفسها التى علمتنا أن نقدر عمل هذا العصر الآخر بأدق مما كنا نفعل ، فهذا العمل قبل كل شىء إدخال المبادئ الاسلامية فى قانون كان قد نما إذ ذاك نمواً كافياً . وأصحاب الفضل الأكبر فى إدخال المبادئ الاسلامية فى القانون العرفى الجاهلى كانت تضمهم دوائر الأصحاب والتابعين وتابعيهم فى المدينة . كانوا يعملون على نفاذ الحياة بأسرها ومنها الحياة التشريعية بقواعد دينية أخلاقية ، وهذه القواعد كانوا يستمدونها ويستنتجونها قبل كل شىء من الآيات القرآنية الشرعية ثم من الأحاديث . فالأحاديث التى كانوا يأخذون بها ترجع بلا شك إلى عصر قديم جداً . ومن الجدير بالذكر أن الأبحاث الحديثة أفضت بالعلم الأوربى إلى تعديل تشككه فى صحة بعض الأحاديث — ذلك التشكك الذى كان يغالى فيه أحياناً . فكثير من تلك الأحاديث لا يذكر أقوال النبى صلى الله عليه وسلم وأفعاله التى كانت تصير قواعد جديدة ، بل يذكر أن النبى قرر وأجاز عادات أصحابه باستصوابها صريحا أو ضمنياً دون أن يستنكرها . وهذا هو البرهان المباشر لما نسميه استمرار السنن القانونية السابقة فى الشرع الاسلامى . ولقد كان من نتائج هذا التطبيق المحتوم المنظم لأعمال القرآن والسنة أن اشتمل نظام من « الأوامر والنواهى » على جميع أبواب الحياة القانونية حتى التى لم ينص القرآن عليها صراحة . وروح هذه « الشريعة المقدسة » تختلف أصلاً عن روح القوانين المدنية كالقانون الرومانى مثلا . فان أمثال هذا القانون تتناول قبل كل شىء الحقوق المشتقة من أفعال معينة ذات قيمة قانونية ، على حين أن الشرائع المقدسة تمس الحكم على الأفعال من حيث أنها مباحة أو محظورة . وهذا يبين من الاصطلاحات الفنية : إن التدرج العام لأعمال الانسان من واجبة أو مفروضة ومندوبة ومباحة أو جائزة ومكروهة ومحظورة تعبر عن صفاتها الدينية والأخلاقية . ولكن كلمة الواجب لم تدل فى الاصطلاح الجاهلى — كما رأينا — على المفروض بل دلت على الصحيح وقد تستعمل فى هذا المعنى أحياناً فى كتب الفقه أيضاً : ونحن نشهد حقيقة على تراجع للعنصر

القانونى المحض بتأثير القواعد الاخلاقية . حتى نفس نظام المصطلحات الدالة رأساً على أنواع الصفات القانونيــة وهى مشروع وصحيح ومكروه وفاسد وباطل إلى غير هذا ، تأثرت بتلك النظرية الدينية : فالصفة العامة وهى المشروعية ، مشروعية البيع مثلاً ، تشتمل حكماً من هذا النوع الدينى الاخلاقى ؛ ثم إننا نجد صفة الكراهة تطلق على أفعال قانونيــة مشروعة صحيحة يليها شىء من النهى عنه . ومن الجدير بالذكر أيضاً أن هــذا النظام المدرج الثانى أقل تفصيلاً من التدرج الأول ، وأن بعض المصطلحات الدالة على الصفات القانونية المحضة كاللازم والنافذ والبات قد بقى بلا تحديد حاسم دقيق . وأخيراً فان اصطلاح « الجائز » أصبح مترادفاً لاصطلاح « الصحيح » ويدل على أن الأفعال التى يطلق عليها لا بأس بها من حيث التقدير الدينى الأخلاقى فهى بهذه الثابة صحيحة . وإذا قيل إن أمان المسلم الواحد مثلاً جائز فمعنى ذلك من جهة أنه غير آثم فى منحه هذا الأمان ، ومن جانب آخر أنه لا اعتراض على هذا الفعل ، وأنه من أجل ذلك يعتبر صحيحاً . ومن هذا كله يتضح لنا للتقدير الدينى الأخلاق للأعمال من أهمية ومن أولوية على الصفات القانونية المحضة فى الشرع الاسلامى . وليس هذا بأقل وضوحاً فى نظام الأحكام الشرعية نفسها : فان الجانب الأكبر من أحكام المعاقدات مثلا يتسلط عليه الميل إلى استخلاص كل النتائج من تحريم الربا والميسر ؛ أما أحكام العقوبات فانها لا تتناول إلا جانباً بسيطاً من الأفعال المحرمة ؛ بحيث يكون للأوامر والنواهى صبغة أدنى إلى أن تكون أخلاقية منها إلى الصبغة القانونيــة . إن مصدراً من مصادرنا الكبرى فيما يتعلق بهذا العصر هو على الرغم من تاريخه الأحدث قليلاً كتاب الموطأ لمالك بن أنس . إنه جدير بالذكر أن أقوال الفقهاء السابقين يتلو بعضها بعضاً فى أبوابه التى تتصل بالأوامر الأخلاقية وبكافة الأحوال الشخصية والمواريث — تلك الأحكام التى ترى صبغتها الدينيــة بادية ظاهرة — فى حين أن هذه الأقوال نادرة فى كثير من الأبواب المتصلة بالقانون التجارى الذى كان بعيــداً عن دائرة الأخلاق قليل الاكتراث له لا يثير مناقشات أهل الدين . فهذه الأبواب من جهتها تمتاز بتغلب مصطلحين فيها وهما السنة والاجماع . فمعنى السنة فى كتاب الموطأ هو العرف والعادة المسنونة فى المدينة ، لا سنة رسول الله

فقط ، والفرق بينهما من جهة الاصطلاح ظاهر . أما الاجماع فمقتضاه فى كتاب الموطأ غالباً أن سنة من السنن القانونية لم يستنكرها واحد من الأئمة لأسباب دينية أخلاقية . ويجب أن نذكر إلى جانب كتاب الموطأ لمالك بن أنس مصدراً آخر هاماً لذلك الدور من تاريخ الشرع الاسلامى ، وهو كتاب اختلاف الفقهاء لابن جرير الطبرى ، فهو على الرغم من القليل الذى انتهى إلينا منه ؛ أكثر دلالة من الكتاب الأول . مثال ذلك أن الطبرى يعلمنا أنه كانت هنالك عشرة اختلافات أساسية بين مذهب سعيد بن المسيب (أشهر فقهاء المدينــة السبعة) وإجماع مذاهب الأجيال التالية ، وهو شىء لا يظهر من المواضع المديدة التى أورد مالك فيها من هذا المرجع تأييداً لآرائه الشخصية . وثمة مصدر ثالث رئيسى لدراسة هذا العصر ، هو كتاب أخبار القضاة لأبى بكر وكيع القاضى (توفى سنة ثلثمائة وست) فهو جامع لأخبار قضاة الأمصار الكبرى فى الدولة الاسلامية طائفة طائفة على الترتيب الزمنى من الابتداء إلى عصر المؤلف مبيناً ظروف توليتهم وعزلهم مفصلاً الحوادث التى وقعت طوال ولايتهم موزداً قضاياهم الهامة وأحاديثهم وشعرهم إلى غير ذلك من المعلومات . ويفيدنا هــذا الكتاب عن مظهر آخر للحياة التشريعية وهو تطور الشرع بالعمل القضائى ، فان قضايا هؤلاء القضاة الأقدمين وعلى رأسهم الخلفاء الراشدين قد ساهمت مساهمة كبيرة فى نمو الفقه . ولندع جانباً موادّ أخرى لم يتناولها البحث إلى الآن كتلك الموادّ التى يشتمل عليها تفسير ابن جرير الطبرى الكبير ، وننتقل إلى المصدر الهامّ الرابع لأبحاثنا عن ذلك العصر ، ونعنى به المعلومات الواردة فى كتب الأحاديث وما يتعلّق بها . فقد أسلفنا القول بأن الفقهاء الأقدمين كانوا يأخذون القواعد التى كانوا يطبقونها على القانون العرفى من القرآن والأحاديث التى كانوا يرونها صحيحة فلذلك ليس من العجب أن نجد إلى جانب الأحاديث كثيراً من القضايا والأحكام تتعلق بها لاسيما فى الجامع الصحيح للبخارى . فان صاحبه فى تراجم الكتب والأبواب كثيراً ما يذكر آراء الفقهاء التى تدخل فى موضوعه حتى ولو لم تتفق والأحاديث المذكورة أو اعوزت الأحاديث كل الاعواز . وإن لنا الحق فى أن نفترض أن كل حديث ذى صلة بمسائل الفقه كان يلازمه أصلا رأى فقهى مطابق له حتى

ولو كان هذا الرأى قد اختفى . والأحاديث — سواء أ كانت صحيحة أم مطعونا فيها — هى فى الواقع مصدر من الدرجة الأولى لفهم هذا التطور القديم للفقه ، وعلى الباحثين أن يطابقوا بين الآراء الفقهيّة التى تعبر عنها الأحاديث وحالة الأشياء الحاصلة بعد استكمال الفقه على صورته النهائية . وأود أن أورد لكم بضعة أمثلة لهذه الطريقة — طريقة المطابقة بين الأحاديث الشرعيّة والفقه .

فالنص الأساسى للّعان ، وهو مثالنا الأول ، هو الآية الآتية : « والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين . والخامسة أنّ لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين » هذا النص لا يفصل فى مسألة النكاح : أيقتضى اللعان فسخه ضرورة أم لا . فجميع مذاهب الفقه تقول بالإيجاب ، وتستند فى ذلك إلى أحاديث . ولكن تلك الأحاديث تثبت هذا الرأى بصورة جازمة قوية حتى أن الرأى العكسى لابد أن يكون قد وُجد قبل تأليف المذاهب . ويقال إن مصعب بن الزبير قد أخذ بهذا الرأى الآخر ، لكن هذا القول لا أصل له ؛ ولكن الخبر المنفرد عن عثمان البَتّى أنه كان يرى ذلك فيؤكده متن الأحاديث نفسه . فأما فسخ النكاح عند اللعان فقد يحتمل أن يكون على ثلاثة وجوه : أن يفسخ النكاح بالطلاق الذى يجب أن يصدر عن الزوج ، أو أن يفسخه القاضى المشرف على أداء اللعان ، أو أن ينفسخ بوقوع اللعان نفسه . والرأى الأول يطابق بلا ريب المعنى الواضح لطائفة كبيرة من الأحاديث ، بينما لم يبقَ له أثر ما فى الأقوال المروية عن الفقهاء الأقدمين ما عدا جدال منفرد ضدّه ؛ ولابد أن يكون قد اندثر من زمن بعيد ، وقد فسّرت تلك الأحاديث على أنها مؤيدة للرأى الثانى ، وهذا الرأى تشهد به أحاديث أخرى كثيرة ، ويصفه الزهرى بأنه سنّة ، وهو مذهب الحنفية ؛ ومن الراجح على الظن أن مالك بن أنس قد أخذ به شخصياً فى حين أن المالكية قد آثروا عليه الرأى الثالث . وهذا قد أخذ به الشافعى ومن بعده الشافعية أيضا ؛ لكننا لا نجد أحاديث تؤيده . وهكذا يظهر من مقارنتنا للأحاديث بالمذاهب الفقهية تطوّر بيّن يتجه اتجاها معينا .

فأحكام القصاص — وهو مثالنا الثانى — مبنية على آيات عديدة ، منها الآية التالية : « يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم القصاص فى القتلى الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عُفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان » . وقد فسرت هذه الآية تفسيرات مختلفة . منها تفسير يلوح أنه مطابق لمعناه الظاهر ، يفيد فى الواقع أن رجلا حراً لا يمكن أن يُقتل إلا فى رجل حرّ وفى المرأة امرأة فقط ، وانه فى الحالات الأخرى يجب أداء الدية بدلا من القصاص . وزعم أصحاب ذلك التفسير فى نفس الوقت أن هذه الآية قد نسختها آية أخرى تنص على القصاص العام وهى الآية الآتية : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسنّ بالسنّ والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » . كذلك أجمعت المذاهب الآن على أن الرجل يُقتصّ منه بالمرأة . وقد فسرت الآية الأولى أيضا بهذا المعنى استناداً إلى حديث لاشك فى صحته مؤدّاه أن النبى أمر بقتل رجل فى امرأة . ومع هذا كله فقد وُجد الرأى القائل بأنه لا ينبغى أن يُقتل رجل فى امرأة ، ويُذكر من أصحاب هذا الرأى عمر بن عبدالعزيز والحسن البصرى وعطاء وعكرمة ، ولكن لا يكاد يوجد حديث يؤيد هذا الرأى ، وهذا المثال يفيدنا علماً بأنه — ولو أن كل حديث يطابق قولاً فقهياً — فالعكس ليس كذلك وأن بعض الآراء الفقهية يمكن أن يكون مستقلا عن الأحاديث . ومثل هذا يُقال فى مسألة العلم هل يقتل كثيرون فى شخص واحد إذا اشتركوا فى قتله ؟ ولما كان أصحاب هذا القول الذى أخذت به مذاهب أبى حنيفة ومالك والشافعى يعوزهم حديث لا مطعن فيه ، فقد كانوا مضطرين أن يستندوا إما إلى حديث لم يكن دليلا قاطعاً وإما إلى آراء بعض القدماء ، وهو مما أثار انتقادات خصومهم .

ولعل هذا يكفى فى وصف ذلك العصر الخصيب من تاريخ الفقه الاسلامى . وحسبنا أن نلاحظ ختاماً لهذه المسألة أنه يمكننا بالانتفاع بالمصادر الميسورة اليوم أن نفهم فهماً دقيقاً تلك الوظيفة التشريعية التى قامت بها شخصيّة قديمة كشخصية ابراهيم النخعى . وبهذه الاشارة إلى ميدان واسع لأبحاث مستقبلة عظيمة الشأن نختم هذا الحديث الأول

يوسف شخت

# الحجر المؤابي

« Moabite Stone »

بقلم جريس القسوس

اكتشف الحجر المؤابي في قرية ديبون القديمة (ذيبان) الواقعة ما بين نهر أرنون القديم (أو الوجب الحالي) ومادبا في أقصى شمال مؤاب (الكرك اليوم)، وتبعد ذيبان عن نهر أرنون نحو أربعة أميال إلى الشمال؛ وقد كانت قديماً قاعدة ملوك مؤاب في عصورهم الذهبية، أي التي سيطروا فيها على مؤاب الشمالية، ومؤاب الجنوبية. وفي سنة ١٨٦٨ زار قس ألماني اسمه ف. كلاين Rev. F. Kleim القسم الشمالي من مؤاب؛ ومر في طريقه بذيبان، فعثر فيها على حجر مسنود إلى جانب سور المدينة القديم، منقوش على أحد جوانبه كتابة باللغة العبرانية القديمة، ويظن ترسترام[1] أن الرومان استعملوه في بناء سور المدينة، غير أنه زحزح من مكانه الأصلي بسبب طارئ طبيعي ربما كان زلزلة. ويعتقد ترسترام أيضاً أن الحجر دحرج من مكانه بسبب الزلزلة التي حدثت سنة ١٨٣٧؛ ولا نرى أن هذا الحادث متقدم عن ذلك التاريخ، إذ أن الكتابة لا تزال ظاهرة للعيان رغم تعرضها الطويل للشمس والهواء والطل؛ وإذا اعتبرنا قوله هذا صحيحاً، تكون الكتابة قد ظلت معرضة للحوادث الطبيعية والتغيرات الجوية مدة إحدى وثلاثين سنة فقط

أدرك ذلك القس الألماني قيمة هذا الأثر، وأراد أن يبتاعه مبدئياً، آملا أن يبعث به إلى متحف برلين، إلا أنه لم يوفق في مهمته هذه، إذ ما كاد بدو بني حميده، القاطنين في تلك الديار يدركون قيمة هذا الحجر حتى ثار النزاع بينهم فانقسموا فريقين، كل فريق يرغب في اغتصابه واحتكاره عنه. غير أن أحد الفريقين أدلج إليه مع سواح فرنسيين: ولما لم يتمكنوا من نقله لثقله، خففوا من كثافته بفؤوسهم، وأخيراً حطموه إلى عدة أقسام، حملوها على بغال وقطعوا بها نهر الأردن، فتمكن بذلك السواح الفرنسيون من شرائه ونقله إلى متحف اللوفر بباريس، ولا زال هناك إلى اليوم. وقد أخذ عنه قالب من الجبس لكي يحفظ في المتحف البريطاني.[1]

ولا صحة لما أورده المؤلف هرمان هلبرخت[2] من أن الحايدة حطموا هذا الحجر، آملين أن يعثروا في داخله على كنز. ولقد جمعت قطع هذا الحجر، وعددها ثماني عشرة. وصففت صفاً فنياً، وشد بعضها إلى بعض بقوالب حديدية متينة. حتى استطاعوا أخيراً قراءة كل ما هو منقوش عليه

أما طول هذا الحجر فنحو ثلاثة أقدام ونصف قدم، وعرضه قدمان[3]. وهو شبيه في مظهره الخارجي بمواميد أسر حدون الأشوري الحجرية الموجودة في متحف برلين. ولقد نقش عليه مئتان وستون كلمة في أربعة وثلاثين سطراً، وذلك بالخط العبراني القديم[4]

وللكتابة على هذا الأثر فضل كبير على تاريخ الحضارة، لأنه حفظ لنا أنموذجاً من النحو والانشاء العبراني القديم، ليس هذا فحسب، بل من الخط العبراني القديم أيضاً. فمن هذا الأنموذج يتضح لنا شكل الحروف الهجائية السامية القديمة، هذا عدا أنه يساعد على دراسة تطور الخط الأغريقي

أما فحوى هذه الكتابة فهو مكمل لما ورد في سفر الملوك الثاني (الإصحاح الثالث) من التوراة، من الحوادث عن مؤاب في القرن التاسع قبل الميلاد وذلك في عهد ميشاع ملك مؤاب الذي كان معاصراً لأحازيا ويهورام ملكي اسرائيل، ويهوشافاط ملك يهوذا: فبينما تورد التوراة قصة اتحاد يهوشافاط ويهورام واتفاقهما على إخضاع مؤاب في عهد ميشاع، نرى ميشاع يخط لنا على هذا الأثر الخالد الأسباب التي أفضت إلى هذه الحروب، وكيف أن عمري ملك إسرائيل وابنه آخاب أخضعا الكرك، وامتلكا أرض مادبا؛ وكيف أن ميشاع تمكن بمعونة إلهه كموش من استرجاع هذه البلاد، واغتنامه من الاسرائيليين مدينتي عطاروث ونبو وغيرهما من المدن الحصينة؛ وكيف أنه أعمل السيف في رقاب بني إسرائيل القاطنين عطاروث تخليداً لاسم كيموش، وفيه يحدث ميشاع أيضاً عن اعتزامه على تحصين مدن مؤاب، وبناء قصر له في الكرك الحالية، وحفر آبار ماء فيها. أما عبادة

(1) H. B. Tnistram's The Land of Moad. P. 148 (1)

(1) G. st. Clair's Rui-eol cities — Bible countries P. 194

(2) H. Hilperecht-s Explorantione in Bllelr Lands P.611

(3) Tristram,s Land of Moad P. 148

(٤) الموسوعة اليهودية (موآب)

مؤاب في عهد ميشاع ، كما يظهر من هذا الأثر ، فوثنية ؛ إذ أن كيموش عندهم يقابل يهوه عند إسرائيل (سفر العدد ص ٢١ : ٢٩) ( والقضاة ١١ : ٢٤ ) . والديانة عند ملكهم ما أساس الوطنية والقومية الصحيحة ؛ كما أن الملك أقرب فرد في الشعب إلى الآلهة . أما ماعدا كيموش فهناك ( دودة Daudeh ) ، وقد ورد اسمه في الكتابة على الحجر المؤابي ، وإليك ترجمة ما كتب على هذا الحجر الأثري نقلا عن الكتاب الانكليزي « Rev. G. A. Cooke's North Semitic Inscri tions »

« أنا ميشاع بن كيموش . . . . . . ملك مواب الديبوني كان والدي ملكا على مواب مدة ثلاثين سنة ، وأنا ملكت بعد والدي

وأنا الذي شيدت هذا المكان العالي لكيموش في QQHH[1] مع ...... (مكان الخلاص العالي) حيث أنه أنقذني من...... ( مهاجمي )

ولأنه جعلني أحقق كل ما أردت وأملت أن أنمله عن كرهوني

ولقد أذل عمري Omri ملك إسرائيل كل بلية بمواب أياماً عديدة ؛ لأن كيموش كان ناقماً على وطنه ، ولقد خلفه ابنه على العرش ، وهذا بدوره رأى أن يسحق مواب ، وفي عهده رأى .... ( هذا ) وأنا حققت ما كنت أؤمل أن يحل به وبيته ، وهكذا هلك إسرائيل على بكرة أبيه إلى الأبد . لقد احتل عمري أرض ميدبا وسكنها طيلة حياته ، ونصف حياة بنيه أي مدة أربعين سنة ؛ لكن كيموش استردها في أيامي

وأنا الذي بنيت بعلميون[2] ، وأنا الذي حضرت هناك سد الماء وبنيت قرياثان . ولقد سكن أبناء جاد في أرض عطاروث منذ القدم . وبنى ملك إسرائيل مدينة عطاروث لنفسه وأنا حاربت هذه المدينة وامتلكتها ، وفتكت بجميع أهلها

. . . . . . هذه المدينة مطمح أنظار كيموش ومواب . وأنا الذي جلبت إلى ذلك المكان موقد مذبح (دوده) Daudeh وجررته أمام كيموش في قيراوث . وأنا الذي جلبت SRM[3] ورجال Mhrth[4] أيضاً يسكنون هناك

(١) ربما كان هذا الكرك الحالية كما هو ظاهر من وصف سورها وآبارها وغير ذلك مما جاء على الحجر (٢) قرية ماعين قرب مادبا

ملاحظة : يدل مكان النقط في الترجمة على كلمات لم تظهر على الحجر بسبب تعرضه للحوادث الطبيعية ، أما الكلمات الموضوعة بين قوسين بعد النقط فهي من نسخة ثانية في الموسوعة اليهودية تحت مادة ( مواب )

(٣) و (٤) كلمات في الاصل الانكليزي لا معنى ظاهر لها

ولقد قال لي كيموش « إذهب وخذ نبو[1] من إسرائيل عنوة . فذهبت عشاء وحاربتها من مطلع الفجر حتى مطلع القمر مساء وأخذتها ، وذبحت أهلها ، سبعمائة رجل و...(ولد) وامرأة و ... ( جارية ) وفتاة ، وكرست المكان لعشتار كيموش . ثم أخذت ... ( عبيد ) يهوه وجررتهم أمام أعين كيموش

ولقد بنى ملك اسرائيل ياحاص حيث أقام في حين مقاومته لي ؛ لكن كيموش دفعه أمامي . ولقد أخذت من مواب مائتي رجل ، وكل الشيوخ هناك ، وقدتهم ضد ياحاص فامتلكتها واضفتها لذيبان

لقد بنيت QRHH وسور يعارم ، وسور موند ؛ وجعلت لها أبواباً ، وأقمت فيها حصونا ، وشيدت دار الملك . ولقد حفرت مجاري لجمع المياه وسط المدينة . ولما لم تكن بئر وسط المدينة ( QRHH ) أمرت السكان أن يحفر كل واحد منهم بئراً داخل بيته

وأنا الذي حفرت الحفرة في (QRHH) بمساعدة أسرى إسرائيل الذين كانوا في قبضتي

أنا الذي بنيت عراعر[2] ، وفتحت الطريق العامة إلى أرنون . وأنا الذي بنيت بيت باموث وقد كانت خراباً . وأنا الذي بنيت بصيره Beser التي كانت مهدمة ... أما ... ذيبان فقد كان خمسين لأن ذيبان كانت تحت طاعتي . ولقد صرت ملكا ... مائة ، في المدن التي أضفتها إلى مملكتي . وأنا الذي بنيت ... ميدبا وبنيت دبلاثان . أما بيت بعلميون فقد قدت إليها . . . غنم الأرض . أما فيما يخص حورونايم فقد سكنها ... و ... وأمرني كيموش أن أنحدر وأحارب حورونايم ؛ فانحدرت . . . كيموش في أيامي و .... من هناك ...... وأنا ...... » اهـ

جرجس القسوس
الجامعة الأمريكية
بيروت

### مصادر هذا المقال

(1) H. V. Hilperecht's Explorations in Bible Lands
(2) H. B. Tristram's Land of Moad
(3) Cooke's North Sem tic Inscri tions
(4) The Jewish Encyclepedia ( Moad )
(5) Cyclopedia of Religion Ethics

(١) جبل واقع غربي مادبا في شرق الأردن

(٢) قرية صغيرة لا تزال آثارها القديمة باقية ، وتقع شمالي الكرك الحالية في شرق الأردن

# في ميدان الاجتهاد

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

— ٣ —

## أصول الاجتهاد

إن أول شيء يجب أن ينظر اليه في ذلك هو ما يقوم عليه الاجتهاد من الأصول التي يرجع اليها فيه ، فان هذه الأصول إذا تركت على حالها كان ما نرجوه من فتح باب الاجتهاد قليل الثمرة ، ضئيل الفائدة ، ولا يؤدي إلى ما نطمح اليه من التمهيد لتشريع فقهي يجتمع فيه المسلمون على اختلاف مذاهبهم ، ويتضافرون على استنباط الأحكام التي لا أثر فيها لتعصب مذهبي ، ولا لحقد سياسي ؛ كما تأثر بذلك اجتهادهم في الأزمان الماضية ، فعمل فيه كل فريق وحده ، وأخذ في ذلك بالطريق الذي يوافق هواه ومذهبه ، حتى تباعدت مذاهبنا الفقهية ، وأصبح الجمع بينها عسيراً مع بقاء هذه الأصول على أشكالها الحاضرة ، فالسني لا يعمل إلا باجماع أهل السنة ، ولا يثق إلا بالأحاديث التي رويت في صحيح البخاري وغيره من الكتب المتمدة عنده ، والشيعي لا يعمل إلا باجماع أهل الشيعة ، ولا يثق إلا بالأحاديث التي رواها أئمته ، ولا يذعن لما روى في صحيح البخاري ونحوه ، كما لا يذعن السني لما يذعن له ، وهكذا غير السني والشيعي ، حتى أصبح كل فريق لا ينظر فيما عند الفريق الآخر من الأحاديث والأحكام ، وتقطعت بهذا بيننا الأسباب ، وبقيت الأحقاد القديمة تعمل إلى الآن عملها فينا مع زوال أسبابها ، وذهاب عواملها

ومعنا إلى أن هذه المذاهب التي نعاديها قد يكون فيها أحكام أحسن من أحكامنا ، فاذا نظرنا فيها استفدنا ذلك منها ، مع ما نجنيه من جمع الكلمة ، والتقريب بين فرق المسلمين في هذه الأيام العصيبة

والأصول التي يرجع في الاجتهاد اليها أربعة أصول :

(١) الكتاب ، وهو القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم منجما من ليلة اليوم السابع عشر من شهر رمضان للسنة الحادية والأربعين من ميلاده إلى تاسع ذي الحجة يوم الحج الأكبر للسنة العاشرة من الهجرة ، حيث أوحى اليه بآخر آية نزلت عليه ( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا )

(٢) السنة : وهي ما صدر من النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير ، وقد جاءت السنة مبينة للقرآن ، ومفصلة له ، كما قال تعالى : ( وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ) فكان يبين ما أراد القرآن أحياناً بالقول وحده ، وأحياناً بالفعل وحده ، وأحياناً بهما معاً ، كما صلى وقال ( صلوا كما رأيتموني أصلي ) وقد أمر الله في القرآن باتباعه فقال : ( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا )

(٣) الاجماع . وهو اتفاق المجتهدين من المسلمين في عصر من العصور على حكم من الأحكام الشرعية

(٤) القياس : وهو إلحاق ما لم يرد فيه نص عن النبي صلى الله عليه وسلم بما ورد فيه ذلك بناء على وجود مشابهة بينهما

فأما القرآن الكريم فهو أصل هذه الأصول الأربعة ، وقد حفظه الله تعالى لهذه الأمة الكريمة سالماً من التغيير والتبديل ، وقد كان له كتاب يكتبونه على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، قيل إنهم كانوا ستة وعشرين ، وقيل إنهم كانوا اثنين وأربعين ، وكان ما يكتب منه يوضع في بيت النبوة ، وكان بعض هؤلاء الكتاب يكتبون منه صورة لأنفسهم ، وكان بعض الصحابة يحفظه جميعه ، وبعضهم كان يحفظ كثيراً منه ، وقد هيأت هذه الأسباب كلها حفظه بين المسلمين الى يومنا هذا ، واتفاقهم على ألفاظه ونصوصه ، وهم لا يختلفون إلا في فهم بعض هذه النصوص ، ومن السهل جمعهم عليها ، أو تقريب مسافة الخلاف بينهم فيها

وأما السنة فكانت لا تكتب في عهد رسول الله لئلا يؤثر أمرها في القرآن الكريم ، ولم يكن يكتبها على عهده إلا نفر قليل ، مثل عبد الله بن عمرو بن العاص وغيره ، فلما كان عهد عمر بن الخطاب أراد أن يكتبها فلبث شهرا يستشير ويستخير ، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له ، فجمع الناس وقال لهم : إني كنت ذكرت لكم من كتاب السنن ما قد علمتم ، ثم تذكرت فاذا أناس من أهل الكتاب من قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتباً ، فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء

فمكث أمر السنة على هذه الحال مدة طويلة تبلغ نحو مائة سنة بعد الهجرة ، وهى فى هذه المدة كلها لا تؤخذ إلا بالرواية ، ولا تحفظ إلا فى الصدور ، فلما جاء عهد عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الثانية من الهجرة ، بدأ الاهتمام بتدوين السنة خوفاً عليها من الضياع ، أو أن يدخل فيها ما ليس منها ، وكان هذا الملك الصالح أول من اهتم بذلك ، فكتب إلى عامله بالمدينة وهى مجمع رجال السنة ، وكان أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أن انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سنته فاكتبه ، فانى خفت دروس العلم ، وذهاب العلماء

ولكن هذا التدوين جاء متأخراً عن أوانه ، ولم يحصل إلا بعد تشعب الأحاديث النبوية واختلافها اختلافاً كبيراً يرجع بعضه إلى اختلاف الأمصار ، وانقطاع بعضها عن بعض فى تلك العصور فسار إلى كل مصر من نزل فيه من الصحابة من تلك الأحاديث ما لم يسر إلى المصر الآخر ، وقد كان منها ما يحفظ بلفظه ، ومنها ما يروى بمعناه على حسب ما فهمه السامع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ والأفهام تختلف فى ذلك ، بل قد يختلف فيه السمع نفسه ؛ كما روى مالك عن عبد الله بن أبى بكر عن أبيه عن عمرة بنت عبد الرحمن أخبرته أنها سمعت عائشة تقول — وذكر لها أن عبد الله بن عمر يقول إن الميت ليعذب ببكاء الحى — فقالت عائشة : يغفر الله لأبى عبد الرحمن . أما إنه لم يكذب ولكنه نسى أو أخطأ ، إنما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهودية يبكى عليها أهلها ، فقال : إنكم لتبكون عليها وإنها لتعذب فى قبرها

ويرجع بعض ذلك الاختلاف أيضاً إلى ما حصل من انقسام المسلمين ذلك الانقسام السياسى — إلى جماعية وشيعة وخوارج — واستفحال أمر تلك الخصومة السياسية فعمل ذلك فى التبعيد بين أفهام المسلمين ما لم يعمله اختلاف الأمصار فيها

وقد كان الخير كل الخير تدوين السنة فى الزمن الذى جمع فيه القرآن الكريم ، ولم يكن هناك خوف بعد جمع القرآن أن تلتبس به السنة النبوية ، أو أن نقع من ذلك فيما وقع فيه أهل الكتاب من قبلنا . لأن أهل الكتاب لم يكتبوا كتاب الله كما كتبناه ؛ وإنما كتبوا تلك الكتب وأكبوا عليها ، فالفرق فى ذلك كبير بيننا وبينهم ، فلو أن السنة النبوية دونت فى ذلك العهد لكان لنا منها سنة متفق عليها ، أو تقرب على الأقل مسافة الخلف بيننا فيها

وإذا كنا قد فاتنا من هذه الغاية الحميدة ما فاتنا ، فقد يكون فى هذا الخلاف فى السنة النبوية خير كبير لنا ، وقد عد هذا الخلاف فملأ رحمة بالناس ؛ وقيل إن اختلاف الأئمة رحمة وتوسعة ، ولكن هذا القول لا يؤخذ على إطلاقه ، بل تقف تلك الخصومة السياسية دونه ، وتجعل فى هذا الخلاف ما لا يكون معه رحمة خالصة ، وتوسعة عامة

وإنه ليمكننا الآن بعد ذهاب تلك الخصومة أن نعتبر من اجتهاد أئمة الشيعة والخوارج ما نعتبره من اجتهاد أئمة أهل السنة ، ولا يقوم ما يحول دون ذلك إلا تغالينا فى علم الجرح والتعديل الذى وضعناه بجانب علم الحديث ، مع أن هذا العلم لا يعتمد إلا على ظواهر الرجال ، وغاية ما يفيده الظن دون اليقين ولا يوجد ما يمنعنا بعد التخفيف من ذلك التغالى من أن نعتمد من رجال كل من أهل السنة والشيعة والخوارج من اعتمدوه ، ونرفض منهم من رفضوه ، وكذلك لا يوجد ما يمنعنا بعد التخفيف من ذلك التغالى أيضاً من الانتفاع بالحديث الضعيف فى التشريع ، والأخذ به عند الحاجة إليه ؛ فلا نرفض من الأحاديث إلا ما ثبت أنه موضوع بيقين ، ولا نتهم من رجال الحديث إلا من ثبت عليه الكذب قطعاً ، ورب حديث ضعيف يكون هو الصحيح ، ورب رجل متهم يكون هو الرجل الثقة

وأما الاجماع فقد اختلف فى أمره ، حتى قال فيه أحمد بن حنبل رضى الله عنه : ( من ادعى الاجماع فهو كاذب ، لعل الناس قد اختلفوا ، ولكن يقول لا نعلم الناس اختلفوا إذا لم يبلغه ) ؛ وقد حمل بعض فقهاء الحنابلة ذلك على غير إجماع الصحابة ، أما إجماعهم فحجة معلوم تصوره ، لكون المجمعين ثمة فى قلة ، أما بعدهم فانهم فى انتشار وكثرة ، وكذلك نقل عن الشافعى ما يفيد أنه لا يقول بوجوده إلا فى الفرض الذى لا يسع أحداً جهله ، من الصلوات والزكوات وتحريم الحرام ، وأما علم الخاصة الذى لا يضير العوام جهله ، فيقول فيه نحو ما قاله أحمد بن حنبل

وقد اتفقوا جميعاً على أنه لا بد من استناد الاجماع إلى نص من كتاب أو سنة ، وإذا كان هذا شأنه معهما فلا يكون لعده من أصول الاجتهاد شأن كبير بعدهما ، على أنا إذا أبقيناه الآن بين هذه الأصول ، وأردنا أن نرجع إليه فيما نروم من فتح باب الاجتهاد ، فسنجد أنفسنا أمام إجماع لأهل السنة ، وأمام إجماع

ثان يثاره للشيعة ، وأمام إجماع ثالث يثارها للخوارج ، وهلم جرا ، وإني أوثر أن نقف وجهاً لوجه أمام النصوص التي لا بد من استناد الاجماع إليها ، على أن نقف جامدين أمام هذه الاجماعات المتعددة ، فمن الممكن معالجة هذه النصوص بتأويل أو غيره ، ومن الممكن الجمع بينها بوجه من الوجوه التي تتفق فيها الكلمة ، أما الاجماع فانه لا يقبل تأويلاً ولا جمعاً ، ولهذا أرى أن نحذف هذا الأصل من الأصول التي يرجع اليها في الاجتهاد ، وأن نرجع مباشرة إلى النصوص التي لابد من استناده إليها ، فقد يفتح الله علينا فيها بفهم جديد غير ما فهموه منها ، وقد نصل بذلك إلى حل كثير من مشاكلنا الفقهية ، ولا يوجد أمامنا من هذا الأصل عقبة تقف في سبيلنا

وأما القياس فهو الأصل الذي بقي لنا من أصل الرأي الذي كان يأخذ به بعض كبار الصحابة مثل عمر وعثمان وغيرهما ، وكان يعرف به قوم من الفقهاء يلقبون بأهل الرأي ، وهو أتم من القياس شمولا ، وأكثر منه اتساعاً[1] ، إذ كان على ما يظهر من فتاويهم عبارة عن الحكم الذي يبنى على القواعد العامة للدين كقوله صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » وقوله : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » ولم يكونوا يهتمون بأصل معين يشبهون بحكمه الحادثة التي يفتون فيها ، كما يجب ذلك في القياس ، ومن هذا إسقاط عمر سهم المؤلفة قلوبهم مع أن القرآن عدهم من المستحقين ، وإسقاطه الحد عن السارق عام المجاعة ، وتركه التغريب في الزنا بعد أن لحق أحد المغربين بالروم وتنصر ، وجعله الطلاق الثلاث بكلمة واحدة ثلاثا بعد أن كان واحدة على عهد رسول الله وعهد أبي بكر وصدر من إمارته ، وله من ذلك كثير

وقد حدث بعد هذا أن أخذ قوم يذمون هذا الرأي ، وكان ذلك بعد ظهور العناية بجمع السنة وتدوينها ، وقيام فئة من العلماء بذلك عرفوا بأهل الحديث ، فشنوا غارة شعواء على أهل الرأي ، وأخذوا يقولون إن الشريعة أجل وأرفع من أن تكون مجالا لآراء أهل الرأي من العباد ، لأنها من الله كتاباً كانت أم سنة ، وما كان كذلك يكون أبعد من الخطأ والاختلاف ، والرأي من الانسان ، وهو عرضة لأن يخطيء وأن يصيب ، وهنا يكون الاختلاف والفرقة ، وقد نهينا عنهما — إلى غير هذا من أقوالهم في التشنيع على أهل الرأي

وهي كما ترى أقوال فيها كثير من الغلو ، لأن الرأي إذا كان مبنياً على القواعد العامة للدين فهو من الله أيضا ، وهذه الفرقة التي يخشونها منه حاصلة بدونه كما نرى ، وليست كل فرقة مذمومة في الدين ، إنما المذموم فيه الفرقة المؤدية إلى التنابذ والتخاصم ، والاختلاف في الرأي لا يصح أن يؤدي إلى شيء من هذا ، مادام يكون رائدنا فيه الاخلاص وصدق النية

وقد وجدت هذه الأقوال في ذم الرأي آذاناً صاغية من الجمهور ، وكان لهذا أثره في نفوس أنصاره ، فأخذوا يتقربون إلى أهل الحديث ، ويتركون الاعتماد على هذه القواعد العامة الثابتة في الدين باليقين ، إلى أن صاروا من هذا الأصل الجليل إلى قاعدة القياس التي لابد فيها من الاعتماد على أصل معين من الحديث الثابت بالظن

وإني أرى في هذا الأصل أيضا أن نرجع فيه إلى ما كان عليه في عهده الأول من الشمول والاتساع ، ولا نقتصر فيه على إلحاق الشبيه بالشبيه ، ولا يخفى أن السنة قد اختلفت رواياتها اختلافا كبيرا ولابد من تحكيم الرأي فيها تحكيما مطلقا ، ولست أدري معنى لتحرجنا الآن من تحكيم الرأي في علم الفقه وهو من الفروع بعد أن صرنا أخيرا إلى تحكيمه في علم الكلام وهو من الأصول ، وقلنا فيه عند تعارض دليل العقل ودليل النقل أن نرجح دليل العقل على دليل النقل ، ويكون هذا بتأويل دليل النقل أو ترك أمره إلى الله تعالى

وهذا هو ما أراه في هذه الأصول الأربعة التي يقوم عليها الاجتهاد في الاسلام ، وقد اقترحت في مقالي الثاني في هذا الموضوع عقد مؤتمر اسلامي من جميع المذاهب الاسلامية الباقية لفتح باب الاجتهاد فتحاً صريحا ، وتنظيم أمره تنظيما يقضي على ما يساور نفوس أنصار التقليد من الخوف على الدين من فتحه

وهناك أمر خطير له أثره في تسهيل أمر الاجتهاد علينا ، وفي القضاء على هذه العزلة في الاجتهاد بيننا وبين باقي الطوائف الاسلامية ، وذلك هو تأليف كتاب في الفقه على جميع المذاهب الاسلامية ، يجمع فيه أقوال الأئمة من سائر المذاهب المعمول بها الآن وغيرها ، وتبين فيه مآخذها التي اعتمدوا عليها فيها ، وهذا هو العمل الخطير الذي يجب أن يمهد به لفتح باب الاجتهاد من بدعون الآن إلى فتح بابه ، وهذا هو باب الجد مفتوح على مصراعيه للرجل الذي نريد منه البدء بالعمل قبل أن تفوت

(١) تاريخ التشريع الاسلامي ص ٢١١ « الطبعة الرابعة »

عليه فرصته ، ويكون للتاريخ بعد ذلك حكمه فيه ، وقد بلغت اللهم فاشهد

اللهم إنى لا أدعى العصمة فيما قلت ، وفيما سأقول فى هذا الموضوع ، وإنما أريد أن أعرض رأيى فيه على صفحات مجلة «الرسالة» الغراء ، فان كان صواباً فمن الله ، وإن كان خطأ فمن نفسى ، وإنى حينما أعرض رأيى فى ذلك على صفحات هذه المجلة ، فانه سيصبح فى يوم ظهورها مقروءاً لألوف الألوف من علماء الدين وغيرهم ، فتشترك فيه الآراء ، وتمحصه البحوث ، وهذه وسيلة لتمحيص الرأى لم تكن متوفرة لأهل الاجتهاد الأول ، وستكون لنا عوضاً مما قد يمتازون به علينا من سعة الاطلاع والعلم

عبد المتعال الصعيدى

*صورة من الحياة العلمية فى مصر*

# تقى الدين السبكى

## بقلم محمد طه الحاجرى

لا أحسب أن مصر قد ظفرت فى عصر من عصورها الاسلامية بما ظفرت به فى عصر المماليك من مظهر علمى سابغ ، وأثر فى تاريخ الفكر العربى خالد ، وصوت طائر مرنان فى أنحاء الامبراطورية المصرية بما لعلمائها من نفاذ فى البصيرة ، وعمق فى التفكير ، وقوة فى المناظرة ، وتحول فى المرونة ، وإحاطة مدهشة بآثار السلف ، وإبداع فى شتى نواحى العلوم النظرية والشرعية ، فقدار ما وسم به هذا العصر من سطحية فى أدبه ، وتفاهة فى الصور الشعرية المنبثة عنه ، وضعف فى الأسلوب الأدبى المتعارف فيه ؛ كان عجيباً جهد ما يبلغه العجب فى ذلك الجو العلمى السائد به ، والروح العلمية الحق المهيمنة على رجاله ، على ما كان يفهم من مدلول العلم إذ ذاك . ولا نحسبنا بحاجة إلى الاستشهاد لذلك المظهر الرائع ، فان نظرة عامة الى كتب الطبقات المصنفة فى ذلك العهد مثل الدرر الكامنة ، والضوء اللامع وغيرهما تشهد لهذا القول شهادة قاطعة لا تحتمل شبهة ولا تحتاج إلى مراجعة . وبمقدار ما كان يسود هذا العصر من اضطرابات سياسية مترادفة ، وفتن فى بلاد الأمراء متعددة ، حتى لتعد سبعة عشر سلطاناً تولوا أمر البلاد مدة حياة رجل واحد كهذا الذى نترجم له ، ثم ما يستتبع ذلك من فوضى فى الحياة العامة لا يحدها حد ولا يضبطها ضابط ؛ كانت النهضة الفكرية مطردة فى سبيلها ، والحياة العلمية تقدم للناس أحسن مثلها ، والعلماء يقومون على مذهبهم فى الحياة بالرعاية والتقدير ، لا يكاد يلفتهم عنـــه ما تمتلج به البلاد من الفتن ، وما تموج به من الاضطراب

ولسنا الآن بصدد التعليل التاريخى لهذه الظاهرة التى لا نزاع فى حقيتها ، وإنما سبيلنا أن نسجلها هنا لنلفت أنظار بعض القراء عندنا إلى أن التاريخ الفكرى شىء غير التاريخ السياسى ، وأنه لا ينبغى أن يصرفنا انكار أحدهما عن الاعجاب بالآخر ، وإنا لنرجو أن يتجه البحث العلمى اتجاهاً جدياً دائباً إلى إثارة دفائن هذا العصر العلمى المجيد فى تاريخ مصر ، وأن يعنى القوم عناية بليغة بكشف آثاره وتنور أسراره ، فان فى ذلك متاعاً للروح العلمية التى تتمشى فى نفوسنا ، وقياماً بحق مصر الكريمة علينا ، وتغذية للروح القومية التى نحاول بكل سبيل تقويتها وتعززها فى قلوبنا

وإذا كانت الصورة القبيحة التى تركها التاريخ السياسى والدرس المقتضب لهذا العصر فى أذهاننا ، قد صرفتنا عنه إنكاراً له ، حتى ليود بعض الناس لو لم تكن هذه الفترة فى تاريخ مصر ؛ فان الصورة الجميلة الرائعة التى تركها التاريخ الفكرى لمصر من هذا العهد جديرة أن تصرفنا اليه وتحببنا فيه ، وتجعل منه مفخرة لنا تخفق لها قلوبنا ، ومثلا عالياً لطلابنا ورجال العلم عندنا ؛ حينما يستطيع البحث العلمى أن ينفض التراب عن هذه الصورة ، ويجلوها للناس كريمة رائعة

وإنه ليغبطنا أن نقدم اليوم وجهاً من وجوه هذه الصورة ، فى شخص رجل من رجال ذلك العهد ، لا نخطىء إذا قلنا إنه من خير ما يمثل هـذا العصر تمثيلا يملأ قلوبنا روعة وإكباراً ، ويهز مشاعرنا حباً وإعجاباً ، وإن كنا نأسف لأن أسباب البحث لم تهيأ لنا كما ينبغى لعرض هـذه الشخصية فى أكمل مجاليها : ذلكم هو العلامة الشيخ تقى الدين على بن عبد الكافى السبكى

— ١ —

ولد تقى الدين فى شهر صفر سنة ٦٨٣ هـ (أغسطس سنة ١٢٨٤ م)، فى أسرة شريفة النسب، كريمة الحسب، تنمى إلى قبيلة الخزرج الانصارية من بطن منها يقال لها أسلم، كما أثبت ذلك النسابة المصرى شرف الدين الدمياطى، وقد أشار إلى هذا النسب الشاعر المصرى ابن نباتة فى مدائحه للشيخ عبد الكافى السبكى أبى تقى الدين :

وبيت فضل صحيح الوزن قد رجحت
به مفاخر آباء وأبناء
قامت لنصرة خير الأنبياء ظبا أنصارهم واستماضوا خير أنباء
أهل الصريحين من نطق ولحن ظبا
أهل الريحين من نصر وإيواء

كما ذكره أيضاً القاضى صلاح الدين الصفدى فى كتابه «أعيان العصر». وقال ابن فضل الله العمرى فى كتابه «مسالك الأبصار» فى ثنايا كلامه عن الشيخ تقى الدين : «جواد جرى على أعراقه، وجاء على أثر سباقه. من عصابة الأنصار حيث يعرق فى الحسب التليد، ويدخر شرف النسب للمواليد... نزع من مطلع الصحابة رضى الله عنهم، ونزع به عرقه الى التابعين لهم باحسان. وهو مثلهم إن لم يكن منهم»

ويظهر أن قبيلة «أسلم» التى ينتسب اليها تقى الدين لم تظل متميزة فى مصر كما كان بعض القبائل الأخرى، بل اندمجت فى المصريين وذهبت فيهم، ولعله لهذا السبب لم يذكرها المقريزى فى رسالته «البيان والاعراب» بين القبائل التى بنى عليها رسالته. وإنما بقى نسب بيت السبكى معروفاً لمكانته الاجتماعية التى سنشير اليها. والحق أن ذلك البيت كان بيتاً مصرياً صميما انطبع بالروح المصرية وسرت فيه، كما ظهر ذلك جلياً فى المقدمة الجليلة التى كتبها أحد أفراد هذا البيت : بهاء الدين أبو حامد أحمد بن تقى الدين السبكى لشرحه على تلخيص المفتاح للخطيب القزوينى. فقد كتب فيها فصلا عن مصر وطبيعتها ومزاجها وأثرها فى أهلها. كما يبدو ذلك فى عاطفة الشيخ تقى الدين نحوها حينما كان يتولى قضاء القضاة فى الشام، فقد كان يتمنى أن يأتيه أجله فى مصر : أمنية من ثلاث

أما مكانة هذا البيت الاجتماعية فيظهر أن منصب الوزارة كان فيه، فقد قرن اسم جد تقى الدين الثانى كما جاء فى سلسلة النسب الذى أثبته شرف الدين الدمياطى، بلقب الوزير. كما أشار الى ذلك ابن فضل الله العمرى فيما كتب عن الشيخ تقى الدين. فقال :

«... ثم خرج من بيت الوزارة حيث تتقاصر النجوم، وتتناصر ثم تتناصف الخصوم»

وهكذا نرى أنه قد أتيح لشيخنا الجليل عرق فى الشرف راسخ، ومكان فى المجد باذخ، وأنه قد أمدته فى حياته وراثة نبيلة، وأعانته من قومه مكانة جليلة. الى بيئة علمية خالصة ترى فى العلم وحده المثل الأعلى والغاية المثلى، فقد كان أبوه زين الدين عبد الكافى السبكى من علماء العصر وفضلائه، وكان قد أدرك الإمام الكبير تقى الدين ابن دقيق العيد وصحبه وأخذ عنه وتأثر به؛ وكان ذلك الإمام آية عصره فى سعة العلم ونفاذ البصيرة وقوة الخلق، حتى يقول تاج الدين السبكى فى طبقاته : «ولم ندرك أحداً من مشايخنا يختلف فى أن ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث على رأس السبعمائة المشار اليه فى الحديث المصطفوى النبوى» وقد عرض عليه قضاء القضاة فى مصر، وناهيك به منصبا، فتأبى وتمنع واستعصم بخلقه القوى وإيمانه المتين. ولكنهم ما زالوا به حتى قبل، وإذ صار قاضى القضاة كان لا بد له فى دينه وورعه أن يتحرى جهده فى تعيين نوابه على الأقاليم من صفوة العلماء. فكان زين الدين السبكى من أعيان نوابه كما كان من أعيان أصحابه : ولاه قضاء الشرقية والغربية

(يتبع) محمد طه الحاجرى

# صديق البلاء

## للأستاذ عبد الرحمن شكرى

يقدر الناس فى الشقاء ولكن غدره فى الرخاء لافى الشقاء
إنْ تَنَلْ نعمةٌ عليَّ تَلَظَّى حسداً لى وكان من أعدائى
فإذا الدهر مال بى كان بَكّا ء على محنتى وطول بلائى
المُواسِى فى الحزن حتى إذا ما كنتُ فى غبطة سطا بالعداء
فى سقامى حلو الحديث شَهِيٌّ وهو يرجو أن لو يُخلّد دائى
فإذا ما صححت عاود بغضى وَيْله لو أعدّ فى الأقوياء
لدهاه الأسى وطال عليه الـ ـهم حتى يموت بالبرحاء
إنْ هجانى العدو أحسنَ قولا دافعاً رِزْيَة العدى بالثناء
فإذا ما مُدِحتُ همَّ بقتلى ورمانى بقذعه والهجاء
ياصديق البلاء عطفك فى النحـ ـس وياله أبغض به من رياء
إيهِ يا قلبُ ما دهاك من الخـ ـلان أدهى من صولة الأعداء
خِلْتَ أن الصديق مثل نسيم نافع لازم قليل العناء
لاتنال الحياة إنْ لم تَنَلْهُ بره كالاخاء خير غذاء
إنْ تقدمتَ لايعوقك منه عائق فى مناحح الأرجاء
ويبى ماتقوله ثم لايلـ ـبث حتى يذيع فى الأنحاء
مِنْ مديح تُطْرى به مجدك الأمـ ـجد أو لبك السَنِيّ الذكاء
إنْ تُرِدْهُ تجدْهُ أو لم تُرِدْهُ لم تخف منه زورة الثقلاء
ما اختفى فى دَخِيلَةٍ منه إلا مابدا ظاهراً به كل رائى
وَيْكَ إن النسيم قد يُرْمِدُ الطر ف بسافى التراب والأقذار
وهو مثل الصديق حراً و برداً فى اختلاف الحالات والأجواء
ولَهُ غدرة إذا اعتكر الجـ ـو وأمحى بالصرصر الهوجاء
وعلى غِرَّةٍ يبلك بالمط رة من بعد رونق وصفاء
وهْوَ خِدْنُ الممات واسطة العد وى رسول الوباء والأدواء

عبد الرحمن شكرى

# فاجعة الروض

## بقلم أمجد الطرابلسى

مالى أرى الروضَ بدا واجماً كأنما كل الفؤاد فى لَوْعَتِه
والطيرَ فى أفيائه ساهماً يَشرَقُ بالأدمع من حسرته

من حطّم الكأسَ وقدَّ الوتر وأبدلَ الروضَ ترنى مأتما ؟
من أخرسَ الطير وأردى الزهر وهذه الأفنانَ من هشَّما ؟

قلتُ له : يا روضُ ماذا دهاك ومن كسا بِشْرَك هذا الوجوم
قال : سمومٌ أوردتْنى الهلاك وكيف أسطيع نضال السموم !

دكَّتْ على البلبل أوطانه وطوّحت بالزهر فوق الرغام
وحطمتْ دوحى وأفنانه ثم مضتْ تضحك وسط الظلام

فقلتُ يا خالقَ هذى الرحاب الروض لا يعرف معنى الأذى
فنِمَ سلطتَ عليه العذاب حتى قضى الزهرُ ومات الشذا

ألم يكن أمسِ ندىَّ الظلال مورَّفَ الآصالِ عذب البكر
يشدو بنعماكَ وهذا الجلال ما غرّد الطيرُ ورفَّ الزهر

ربّاه إن الروض عذبٌ هنىء وليس فيه شِرَّةُ الزوبعه
وأنت لا ترضى عذاب البرىء كلا ولا يرضيك أن تفجعه

رحماك لا تجعل نيوب الذئاب تفترس الشاة ولم تُذْنِب
أو فامنح الشاةَ سلاح الغلاب وأعطها الناب مع المخلب

الظلم يضوى ويمض النفوس فاحطم أياربّ يد الظالم
لاتبسم الأكوان بعد العبوس أو تصرف الجور عن العالم

أمس سمعتُ الحمل الوادعا وهْوَ من السكين يأتى العذاب
يقول : إن للبضع القاطعا أرضى لنفسى من شموت الذئاب

إطبع على العدل قلوبَ البشر — أو فليكُنْ كلُّ الورى مُجرِما
لا تنبتِ الأشواكَ بين الزَّهَرْ — فالشوكُ لا يُحسِنُ أن يرحما

كم حرَمَ الشاعرَ طيبَ الكرى — وآفةُ الانسانِ فَرْطُ الشعورْ
فصُغْ مِنَ العطفِ قلوبَ الورى — يا خالقي أو قُدَّها من صخورْ

منحتني يا ربِّ هذا الفؤادْ — فكانَ لي كلَّ الأسى والشقاءْ
يا ليتَ هذا القلبَ كانَ الجمادْ! — وليتَ هذا العقلَ كانَ الغباءْ!

أيندبُ البلبلُ أخدانَه — ليَطرَبَ الروضُ وأفنانُهُ!
ويُنشِدُ الشاعرُ أشجانَه — لتطرَبَ العالَمَ ألحانُهُ!

ربِّ حرامٌ أن تُقيمَ السماءْ — عُرْساً إذا لفَّ البطاحَ الدُّجى
وأن يُشادَ المجدُ فوقَ الدماءْ — ويشربَ الزهرُ دموعَ الندى!

ربِّ خفقتَ الزهرَ غضّاً لإهابْ — عذبَ الحبّ بوذيهِ لفحُ الرياحْ
فابعثْ إلهي النسماتِ العِذابْ — تُداعبُ الوردَ وتُحيي الأقاحْ

النرجسُ ارتفافُ يا خالقي — كيفَ يُعانقُ الهولَ والعاصفهْ؟
ارحَمْهُ ربّاهُ ولا تُرهِقِ — فإنَّهُ في رِقَّةِ العاطفهْ!

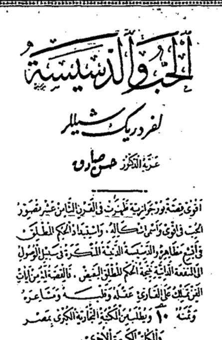
والبلبلُ المسكينُ ماذا جنَى؟ — هل يُحسِنُ البلبلُ غيرَ اللحونْ
لِمْ هدَّمَ الإعصارُ ما قدْ بَنَى؟ — لِزُغْبِهِ بَيْنَ حنايا الغصونْ

ها هُوَذا يَستصرِخُ الظالما — لكنَّما الظالِمُ لا يسمعُ
وَيلكَ كَفْكِفْ دمعكَ الساجِما — فالكونُ لا تُعطِفُهُ الأدمُعُ!

خلِّ البُكى والبثَّ يا بُلبُلُ — لا يُطرِبِ الإنسانَ هذا النُّواحْ
تَندُبُ بينا يضحكُ الجدولُ
فاحجُبْ عَنِ الأبصارِ هذي الجراحْ

دمشق — أمجد الطرابلسي





دراسات أدبية

# فى الأدب الايطالى الحديث

بقلم محمد أمين حسونه

إن العبقرية القصصية الممثلة اليوم فى أعمال طائفة من الأدباء الايطاليين ، لم يعن بها مع الأسف واحد من النقدة أو المشتغلين بالآداب العربية ، ومعظم الذين تحدثوا عن نهضة القصة وقفت معلوماتهم عند جبرائيل دانتزيو شاعر بسكارا ؛ مع أن الفن الروائى الحقيقى يبدأ بعد عصر دانتزيو ، بل إن الفضل فى تقدم القصة الايطالية يعود إلى نأى العناصر عن الجو الشعرى الحالم ، وانتفاء روح المرح ، وفى التحدث عن الذات ، وهى الصفات التى يرتكز عليها فن دانتزيو الأدبى

وليس هذا معناه أننا نغمط دانتزيو حقه ، بل الواقع الذى يجب الاعتراف به أن زعماء الصفوف الذين سبقوا دانتزيو ، كانوا إما شعراء أو نقدة أو كتاب مسرحيات أو تراجم ، ولم يتمخض الجيل الأدبى عن عبقريات أو مواهب قصصية مطلقا ، لأن العصر كان فوضى ، لا مقاييس تحده ، ولا معالم يعرف بها ، وقد شبه النقادة ريشارد جارنت هذا العصر — فى كتابه Alla Scoperti dei Letterati — بأنه يحاكى المدرسة الفلسفية الأغريقية ، التى وقعت تحت سيطرة الامبراطورية الرومانية الفكرية

على أن الفضل فى تفتح أذهان الأدباء الايطاليين إلى الفن القصصى ، إنما يعود إلى جيته وفيكتور هيجو وبلزاك وموباسان فهم فى الواقع أساتذة المدرسة الأدبية الحديثة فى ايطاليا ، وفى مؤلفاتهم تلمذ جيل الأدباء فى أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العشرين ، وهى ظاهرة غريبة ، فان الأرض التى أنجبت فى القرن الثالث عشر أستاذ الأقصوصة جيوفانى بوكاتشو ، ظلت مجدبة زهاء ستة قرون إلى أن بزغ نجم دانتزيو فى سمائها

وقبل التحدث عن شاعرية دانتزيو وفنه ، نرى من الخير ألا نهمل الأثر البارز الذى غرسه أستاذه كاردوتشى [1] فى نفسه .

والواقع أن كاردوتشى مؤسس مدرسة أدبية عظيمة لا نعرف لها مثيلا فى الآداب الايطالية . اللهم إلا تلك الجهود القيمة التى سجلها دانتى ، وفى مدرسة كاردوتشى تتلمذ بتزينى وجراسـيا ديليدا وبيراندللو وجيوفانى بابينى وغيرهم من أعلام الأدب الحديث ولكاردوتشى يرجع الفضل فى تحويل الأدب الايطالى من الصبغة القومية الخالصة إلى النزعة الانسانية والخروج برسالته من الحيز المحلى الضيق الى المحيط العالمى وبث روح الاخاء المشتركة ، وهى التى أملت عليه ملاحم : الربيع ، والأم ، وترنيمة الشيطان ، وصقلية تحت سيوف العرب الخ ...

ولقد خدم كاردوتشى الأدب الايطالى كنقادة أكثر مما خدمه كشاعر ، ومن هنا استطاع دانتزيو أن يحمل تقاليد أستاذه مع محافظته على الطابع الخاص به . ويتمثل هذا الطابع فى غمر قصصه بعناصر الاستمتاع وصبغها بألوان من الشهوة العارمة المتأججة ، فهو كفنان رجل عابد للجمال ، متأمل للحياة من خلال أحاسيسه ، يخضع الفن لسلطان العاطفة أكثر مما يخضعه لسيادة العقل . ومعظم أبطاله شهوانيون ، لا تطيب الحياة لهم الا فى جو من القبلات والعناق ، يقدرون معايير الجمال عن طريق الشهوة ، وينبذون الفكر والتأمل فحياتهم داعرة متهتكة

والذين يعرفون شاعرية دانتزيو فى رواياته الرائعة ، كانتصار الموت Il trinfo della morte والفرح Il piacere والنار Il fiuco يستطيعون أن يستشفوا من خلال سطورها روحه الهائمة ، التواقة الى عبادة الجمال والتمرغ فى أحضان الفن الشهوانى وأوكار الحب المبتذل الرخيص

على أن دانتزيو استطاع عن طريق نزعته الى المجد ، أن يعيد الى الأدب الايطالى جو الوطنية الصارخ ، وأن يضع لجيوش بلاده أناشيدها الحماسية التى رتلها فى ساحات الوغى والقتال

ولم يكن استيلاؤه على فيومى إلا نوعاً من الأساليب الشعرية ،

---

(١) جوزيه كاردوتشى Giosué Carducci أول من ظفر بجائزة نوبل الأدبية من الايطاليين . بدأ حياته بالتدريس فى جامعات بولونيا تاريخ الأدب وتوفى عام ١٩٠٧ بعد أن ترك ثروة فكرية هائلة أهمها فى الشعر والنقد وتاريخ صقلية

فبعد أن خرق معاهدات الصلح وسير أساطيله لاحتلال هذه المنطقة الحرة أذاع بياناً على العالم قال فيه: «أستحلف فرنسا التي أنجبت هيجو وأمريكا التي خرج منها لنكولن وانجلترا التي خلقت ملتون أن تكون شاهدات عدل على ماأتيته. أنا ابن الوطن الجندي المتطوع الذي دفعته الغريزة الانسانية الى أن يضم الرضيعة فيومى الى أمها ايطاليا»

وفي قصيدته الحماسية الرائعة التي خاطب بها كبلنج شاعر الاستعمار البريطاني بمناسبة حرب الحبشة، تبدو أمامنا قوة شاعريته الطامحة نحو المجد إذ قال: «إن الرياح الافريقية القائظة التي تصفع وجوهنا اللاتينية الجميلة لا تعادل جزءا من قوة إعصار البطولة التي تهب على قريحتي كلما فتحت دواوينك لأترنم بأناشيدك الاستعمارية في الهند وإفريقيا. فأراني في كهولتي عاجزاً عن أن أقود جيش بلادي الى «فيومى» أخرى. فهيا يا أبنائي إلى النصر... لأن مصير مجد الانسانية الجديد متوقف على انتصار «الرومانية» ضد «البربرية» وحلفاء البربرية... إن الحرب ضرورة عالية لخلق جيل جديد وإعادة شباب الانسانية وتطهير الأجسام والأرواح وانعاش بطولة التاريخ»

ومن رأى دانتزيو أن إيطاليا الفاشستية ترى في اسم قيصر رمزاً أبدياً لأعظم ضروب مجدها الوطني وأن غاية ما يتمناه اليوم استعادة مجد روما القديم الذي تألق في عصر قيصر

**بتزيني**

وعلى الضد من دانتزيو، نرى زميله جيوفاني بتزيني ينحو في فنه منحى جديداً، ويؤدي رسالة أستاذه كاردوتشي عن سبيل آخر هي معالجة مشكلات العصر في ضوء من الانتقاد المر اللاذع

وعلى الرغم من أن بتزيني ولد في نفس العام الذي ولد فيه دانتزيو فان اسمه كأديب وقاص لم يعرف إلا في السنوات الأخيرة للحرب العظمى. أي في الوقت الذي بدأ الايطاليون يتمردون فيه على أساليب دانتزيو الشعرية وفنه الأناني. وقد استطاع بتزيني أن يقضي تماما على نفوذ زميله عن طريق الحملة المدبرة التي تولى قيادتها أدباء الشباب في فلورنسا وغيرهم من الملتفين حول جريدة «الصوت»

ولا يخفى ما لبتزيني من النفوذ القوي في دوائر الصحافة الأدبية فهو يماونها بين وقت وآخر بالمساعدات المادية والأدبية

وأكثر ما نلمحه في فن بتزيني الروائي خلوه من الأساليب المعقدة والنزوع إلى حياة الطبيعة الهادئة والرجوع بالانسانية إلى طفولتها الأولى كما في روايته «العالم يدور». وتعرضه لمتاعب الحياة المادية في شيء من السخرية اللاذعة والنقد المر ممتزجاً بمسحة من روح الفكاهة والمرح البريء. وقد استطاع في روايتيه الرائعتين «ارمندا التعسة» و«مصباح ديوجين» أن يحلق بنا في جو تمور فيه الأشباح المعذبة من جراء المشكلات الاخلاقية في العصر الحديث

**جراسيا ديلليدا**

ولعل جراسيا ديلليدا Grazia dellcdda هي القصصية الوحيدة التي تبتعد بفنها الروائي عن الجو العالمي لتعيش في دائرة جزيرتها الضيقة «سردينيا» بين القرويين ورعاة الأغنام لتصور حياتهم أروع تصوير في مؤلفاتها التي تحمل طابع السذاجة والبراءة والدعوة إلى التمسك بأهداب الفضيلة

وعلى الرغم من أن هذه القصصية المجيدة أحرزت جائزة نوبل في الأدب، وانتخبت عضواً في أكاديمية روما وفي مجمع الخالدين الذي أسسه موسوليني عام ١٩٢٦، وعلى أنها محور الحياة الأدبية في ايطاليا، فهي عزوف عن الشهرة، وتتحاشى جهدها الظهور في المحافل والأندية، أو بث الدعاية لفنها في الصحف والمجلات

وقد تجلت موهبة ديلليدا القصصية في روايتها «الأم» التي ظفرت من أجلها بجائزة نوبل، وهي عبارة عن مأساة قسيس شاب نفذ الحب الى أعماق قلبه فقهره واستولى على لبه حتى غلب على أمره وأصبح خاضعاً لسلطانه بحيث أفسد عليه وظيفته الروحية المقدسة

ولكن ليس هذا كل ما في الأمر، «فالأم» التي خصصت حياتها لمحبة ابنها ووهبته للكنيسة وخدمة مجد الله حتى غدا قسيسا يصل بينها وبين السموات المشرقة، هذه الأم قدمت من الريف يوما تطلب ابنها فاذا بهذا الذي أودعته ذرات حياتها وتفكيرها، وعلقت عليه آمالها في الحياة الأخرى، تأسره امرأة

فى يوم الثلاثاء ٣١ مارس سنة ١٩٣٦ من الساعة ٨ صباحاً وما بعدها بشارع باب النصر نمرة ١٤ قسم الجمالية سيباع علناً ٢ كنبه خشب وعدد ٢ دولاب خشب وأشياء أخرى مبينه بمحضر الحجز تعلق الست سيده على سراج القيمه بالجهة نفاذاً للحكم نمرة ٩٥٧ سنة ١٩٣٢ جزئى مصر وفاء لمبلغ ١٣ جنيه ٣٩٥ مليم بخلاف ما يستجد وأجرة النشر والبيع كطلب الحاج عبد الحميد حمزه التاجر ومقيم بحارة القبوه نمرة ٥٤ بشارع المطوف قسم الجمالية بمصر

فعلى راغب الشراء الحضور

فى يوم الأربعاء أول ابريل سنة ١٩٣٦ الساعة ٨ صباحاً بالعقب والأيام التالية سيباع علنا عنزه سوده سن ٤ وحدى أسود بجبار سن ٤ شهور ونعجه سوده سن ٤ وعنزه سن ٢ ملك محمد سليمان أحمد من نجع يوسف عبد الله بالعقب نفاذا للحكم نمرة ٣٠١٣ سنة ١٩٣٥ وفاء لمبلغ ١٨٠ قرش صاغ والبيع كطلب محمود آدم سعيد من العقب فعلى راغب الشراء الحضور

٦٠٣١

محكمة المنيا الجزئية الأهلية

إعلان بيع فى القضية المدنية نمرة ٢٩١٠ سنة ١٩٣٣

نشرة أولى

إنه فى يوم الأحد ١٩ ابريل سنة ١٩٣٦ الساعة ٨ افرنكى صباحا بأودة المزايدات بسراى محكمة المنيا الجزئية الأهلية

سيباع بالمزاد العلنى العقار الآتى بيانه بعد ملك ورثة المرحوم محمد حسين عبد العال وهم هلالية بنت احمد حسين عن نفسها وبصفتها وصية على يوسف محمد حسين القاصر ـ ومحمد محمد حسين الشنال بطرف الدكتور أنطونيادس حكيم الأسنان ـ وزينب بنت محمد حسين الجميع مقيمين بناحية كفر المنصورة مركز المنيا وهذا بيان العقار

عدد ١ منزل كائن بزمام ناحية كفر المنصورة القبلى مركز ومديرية المنيا مبنى دور واحد بالطوب الأخضر وبه دكان مسطحه ٧٨ م و ٣٠ ديسى بحوض نابل نمرة ١٩٠ ضمن ٢٢ حده البحرى عبد المطلب سيد وآخرين ضمن ٢٢ وطوله ١٠ م و ٨٠ س والشرقى ورثة أبو الجود بدوى ضمن ٢٤ وطوله ٧ م و ٢٥ س والقبلى شارع وفيه الباب يفتح وطوله ١٠ م و ٨٠ س ضمن ٢٢ والغربى شارع ضمن ٢٢ بحوضه وطوله ٧ م و ٢٥ س

العدد واحد لا غير ؟

وبناء على حكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ٢ ابريل سنة ١٩٣٣ ومسجل بقلم كتاب محكمة المنيا الكلية فى ٩ ابريل سنة ١٩٣٣ تحت نمرة ٣٩٠ القاضى هذا الحكم بنزع ملكية المرحوم محمد حسين عبد العال من العقار المذكور وبيعه بالمزاد العلنى وبالقوة الجبرية بثمن أساسى قدره ١٠ ج وفاء لمبلغ ٢٥ ج و ٢٥٠ م بخلاف جميع المصاريف وما يستجد

وهذا البيع بناء على طلب يوسف افندى عبد الملاك حنا التاجر بالمنيا ومحله المختار بها مكتب حضرة الأستاذ فهيم افندى الضعيف المحامى

فعلى راغب الشراء الحضور للمزايدة والمشترى وشروط البيع وباقى الأوراق مودعة بقلم كتاب المحكمة المذكورة لمن يريد الاطلاع عليها ؟

كاتب البيوع

فى يوم الاثنين ٦ أبريل سنة ١٩٣٦ الساعة ٨ صباحا بناحية القراقرة والأيام التالية إذا لزم الحال سيباع علنا زراعة ٥ قراريط مزروعة فول تنتج منهم ٦ كيلات فول ملك ستهم محمد خاطر وعبد الرحمن عثمان السونى وستهم محمد السونى من القراقرة مركز منيا القمح وفاء لمبلغ ١٢٠ قرش صاغ بخلاف أجرة النشر وما يستجد فى القضية المدنية نمرة ٧٠٥ سنة ١٩٣٥ والبيع كطلب الست بنت عثمان السونى من القراقرة مركز منيا القمح

فعلى راغب الشراء الحضور

فى يوم الاثنين ٣٠ مارس سنة ١٩٣٦ الساعه ٨ صباحا بطنطا بشارع طه الحكيم وحارة محمد شرف سيباع علنا منقولات وبضايع محل تجارة ملك محمود حسين الخياط التاجر بطنطا بدكانه بالجهة المذكورة نفاذا للحكم رقم ٩٩٢ / ١٩٣٦ بندر طنطا وفاء لمبلغ ١٢٩٦ قرش صاغ بخلاف رسم هذا التنفيذ وأجرة النشر والبيع كطلب أحمد افندى حسين الخياط المقاول بطنطا

فعلى راغب الشراء الحضور

فى يوم الثلاثاء ٣١ مارس سنة ١٩٣٦ الساعه ٨ صباحا بعزبة بنيامين تبع معصرة سمالوط وان لم يتم يكون بسوق سمالوط فى ٧ أبريل سنة ١٩٣٦ سيباع علنا طشت نحاس ٢٠ ط وحله نحاس ٥ ط ملك قزمان فالى وأيضا عجل بقر أصفر سن شهرين ومعزه سمرا سن ٢ تقريبا وربعيه سمرا سن شهرين وعدد ٢ جديين سمر كل منهم سن شهرين تقريبا ملك على محمود خضر الجميع مقيمين بعزبة بنيامين أفندى ميخائيل تبع معصرة سمالوط نفاذا للحكم نمرة ١٧٨٠ سنة ١٩٣٥ مدنى سمالوط وفاء لمبلغ ٢٤٠ قرش صاغ خلاف رسم هذا وما يستجد والبيع كطلب حرز ميخائيل الترزى بمعصرة سمالوط فعلى راغب الشراء الحضور

فى يوم الأربعاء أول أبريل سنة ١٩٣٦ من الساعة ٦ صباحا وما بعدها بناحية محلة نصر مركز شبراخيت وفى يوم ٨ أبريل سنة ٩٣٦ بسوق لقانة الأسبوعى سيباع علنا جمل ملك عبد الرؤوف عبد الرحمن عفيشه من محلة نصر والبيع كطلب الشيخ محمد محمد المنفوخ التاجر بشبراخيت مركزها نفاذا للحكم نمرة ٢٣١ سنة ٩٣٦ شبراخيت وفاء لمبلغ ٤٤٢ قرش صاغ بخلاف أجرة النشر

فعلى من له رغبة فى المشترى الحضور

فيصغى لنداء القلب ، ويهجر مركزه الكنسي كي يتفرغ لشؤون الحب والحياة

وفي الساعة التي تذهب فيها الأم الى الكنيسة لتضرع الى الله واجفة القلب ، دامعة العين أن يحرس وحيدها ويلهمه الرشد ، إذا بالابن يتقدم في خطى ثابتة نحو المحراب الذي تصلي الأم على مقربة منه ليتجرد من ملابسه الدينية ويخرج من الكنيسة ، فتصعق الأم وتفيض روحها الى جانب المحراب

وقد أصبح « الام » عنوانا مألوفا في ايطاليا ، فان ملحمة كاردوتشي الشعرية التي ظفر من أجلها بجائزة نوبل كانت موسومة باسم الأم ، ومعهد الأمومة الدولي الذي أسس بسردينيا أطلق عليه اسم « الأم »

وقد ذكر النقادة الإيطالي ستاينس رويناس محرر صحيفة التريبونا ، في دراسة أدبية عن قصص ديلليدا : « ان فنها الروائي يدور حول التفاؤل بالخير لأنها تؤمن بأن الله دائما ضد الشر . وهي صانعة ماهرة أكثر منها فنانة مبدعة ، وبالنسبة لتصوير عادات بلدها مثلة ذات ضمير حي ، أما رسم العواطف الخارجة عن محيطها ففي سذاجة فطرية بسيطة »

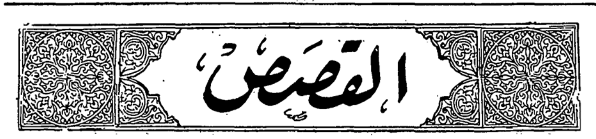
ولم تشذ عن هذه القاعدة إلا في رواية واحدة هي الانابة Nostalgia فهي مصبوغة بعاطفة انسانية عميقة ، وقد كتبتها بعد زواجها ونزوحها عن جزيرتها الى روما حيث كان أثر انعكاس الحياة الجديدة قويا في نفسها

أما قصتها الرائعة « السيدة الصامتة ذات الشعر الفضي » La Donna silenziosa dei capelli d'argento فهي عبارة عن تاريخ حياتها وقد كتبته بأسلوب بسيط جذاب ، فقصت نشأتها في قرية نورو بسردينيا وتفوقها في الآداب وهي لا تزال طالبة بالمدرسة الثانوية حتى ظفرت بجائزة قدرها خمسون ليرة كانت احدى المجلات قد رصدتها لأحسن قصة تقدم اليها

وتحدثت عن زواجها وعن الفضائل الشائعة في بلدها وتعلقها بجبال سردينيا وبحارها وأشجارها ، وهي في هذا تقول : « أهلها هم أهلي ، أرضها ووديانها شطر من كياني ، فلماذا أفتش عن موضوعات قصصية وراء الأفق ، ما دمنا نستطيع أن نفتح أعيننا على مآس وفواجع تقع في كل ساعة بين أيدينا ؟ إنه لمن العار ألا نكون في جانب الصدق . ألا نرسم الحياة التي نعيش في داخل نطاقها ، ولو كانت ضئيلة تافهة . أما التعبير عن الاحساسات الخارجة عن دائرة شعورنا الحقيقي فسقوط فني بشع ، إنني أكتب لنفسي اليوم ، وبحكم شعوري الخاص ، أما توقع النجاح فأتركه للمستقبل »

وبالاجمال فان ديلليدا تمكنت من أن تقدم للعالم صورا واضحة من حياة أهل الجزيرة الصخرية النائية التي لم تصل الحضارة الأوربية الى بعض أطرافها وأن تصف عاداتهم القديمة وأساليبهم في العيش حيث يؤمن الناس بمبدأ المساواة بين الجنسين واعدام المرأة إذا ثبتت عليها جريمة الزنا

( يتبع ) محمد أمين حسونة




درامة من اسخيلوس

# ٢ – محاكمة أورست

The Eumenides

(الدرامة الثالثة من الأورستية)

المنظر: « فى الأكروبوليس بآتينا »
الزمن: « بعد فرار أورست من الأذيتون بحقبة غير قصيرة (١) »
« يدخل أورست »

للأستاذ دريني خشبه

— ٦ —

— « مينرقا يا ربة العدالة !

هاهو ذا أورست، المنبوذ الطريد، يلجأ اليك بعد لُغوبٍ وأين، وكد وعناء، يستظل بظلك الوارف، ويلتمس الانصاف فى جوارك، والعدل فى حماك، طارياً إليك القفار من لدن أبوللو، إلهى الكريم الذى أنفذنى إليك غير مدنس بوزر ولا مُضرَّج اليدين بدم، بعد إذ نشأت ربيب غربة وحلف آلام ... أصلى لك يامينرقا وأبتهل ! وألوذ بك وأتوسل، أن تأذنى فتنظرى فى أمرى، وتشدى بعدالتك أزرى، وتفصلى فى الحادث الجلل الذى انتدبنى أبوللو له ... فكان شجنى ... وكان حَزَنى ! ».

وما يكاد أورست يفرغ من صلاته وبثه حتى تدخل ربات الذعر (٢) فيروعهن أن يرينه متحنثاً فى معبد مينرقا

— « هيا !! إنه هو بعينه ! وإن الدم ما ينفك يقطر من يديه الآثمتين ! إنه هنا، وقد ذرعنا الأرض باحثات عنه ! وإنا لنشم رائحة الدم تنتشر عنه ! لنحط به ؟ لن يفلت هذه المرة هذا القاتل ! لقد اختبأ من قبل فى صومعة أبوللو، وهو اليوم يأوى إلى الأكروبوليس ويسجد بين يدى صورة ! صورة الخالدة مينرقا ! يحسب أنها تضع عنه وزره ! تعال تعال ! لنمزق لحمك الغض الطرى، ولنلتذ بشبابك البض الفينان ! ولنقذف بك فى جحيم الجحيم ! إنك لن ترى هناك مظلوما ... بل هم جميعاً مثلك ... قتلة ... آثمون ... عتوا على أنفسهم وعلى الآلهة وعلى الناس ! كل باق جزاءه ثمة ! فلتسجل عليك هيدز كما سجلت عليهم ! »

معاذ الحق يا ربات الذعر ! لقد نفقت الحكمة فى معاهد الشفاء ! وسترين أننى أدفع عن نفسى تلك التهمة الباطلة، لأن سلطاناً علوياً يحل عقدة لسانى ! هاهى ذى يدى نقية بريئة طاهرة لا أثر للجريمة فيها ! لقد اطهرت من الدم الذى ترين أن تأخذننى به، لأن أبوللو، تبارك وتقدس، قد صب عليها شؤبوب رحمته ! أنا لم أكن يوماً مجرماً ولا قاتلاً يا ربات ؟ ! ولقد عشت فى قوم غرباء سنين عددا، فلم أكون مجرماً وقاتلاً اليوم ! ؟ لم لم أسئ إلى أحد قبل هذه المرة إن كنت آثماً شريراً مجبولاً على إيذاء الغير ؟ ستمر الأيام، والزمن وحده زعيم باظهار براءتى ! وهأنذا أدعو مينرقا بفم نقى وشفتين طاهرتين، ولسان خير مُبَرّأ أن تسمع إلى نجواى، وتستجيب لندائى، وتكون الفيصل الحق بينى وبينكم ؛ فقد كنت، وكل مواطنى، عبادها الأمناء ... وهى لا بد مصيخة إلى صرختى ... مهما تكن بعيدة الآن فى بعض شأنها. »

— « لا يقرن فى نفسك أبدا أن يحميك أبوللو، أو تدفع عنك مينرقا ما قدر عليك أن تلقاه جزاء على ما اجترحت وفاقاً !! ستذهب على وجهك على أرض كلها حسك، وفى سبيل موحشة إلا من الهموم والحسرات ! خسئت ! يا قاتل أمه ! سنمزق لحمك الذى يتدفق فيه دم خطاياك، وسنأكلك حياً لتكون قرباناً للطن الذى حملك، فيقرته جزاء له ! ! ويل لك ... ويل لك ! إصغ إذن لأنشودة موتك، قبل أن نبطش بك ! »

(١) يلاحظ أن أسخيلوس لم يتقيد لا بوحدة الزمان ولا بوحدة المكان فى هذه الدرامة (٢) ذكرنا آنفاً أنهن جورس الدرامة وربتنهن هى دائماً التى توجه الخطاب .

— ٧ —

وتعزف موسيقى الجحيم !!

فاستمع لها لما من الرعد ، وبوقاً مفزعا من أبواق الدار الآخرة ، ولساناً كله ذعر من ألسن هيدز !! لقد طفقت ربات العذاب يرقصن ويغنين ، وينفخن فى مزامير الموت ، فأنكرن من أبوللو حمايته للمجرم الذى سفك دم أمه ، ووقوفه فى سبيلهن من بعد يغصمهن حقهن فى تعذيب القاتل ، وتشكين من زيوس الذى عقهن بغير الحق ، مع ما خصهن ربات القضاء من فضل على الآلهة ... وتوعدن أورست بالويل والثبور ، وعظائم الأمور وبالطامة الغاشية التى تتردى فيها روحه بعد أن يبطشن به

وفيما هن يتغنين أغنيتهن المنكرة ، إذا ميترفا تقبل . . . فيصمتن !!

— « أوه ! لقد تردد فى أذنى دعاؤكم يا صحب ، إذ أنا أجول فى الأرض المفتوحة بايمى على شطئان الهلسبنت ، فرأيت أن أعود اليكم ، جائبة العلى التى تعرج فى السموات ، حاملة درعى إجيس ، فما هى إلا أن تخفقت خفقة أو خفقتين ، حتى آبت إلى معبدى ! ما بالكم ؟ من هذا المسكين الراكع عند قدمى الحرم ؟ وأنتن ! العياذ بالأولمب ؟ إنكن لا تشبهن أحداً من الناس ، ولا أحدا من الآلهة ؟ يا للنكر ؟ ! ولكن ... معذرة ! ...

— « تباركت يا ابنة زيوس سيد الأولمب وكبير الآلهة ! نحن بنات الليل الدجوجى ... ساحرات السفل ... موطننا الأعماق من هذه الأرض ! »

— « أعلم ذلك كله ... أسماء كن ومثوا كن »

— « وتعلمين ما انتدبنا له القدر . . . صيد القتلة وتطهير الأرض من المجرمين ! »

— « والى أين ينتهى بالقاتل ، سافك الدماء ، مطافه فى هذه الدنيا ؟ »

— « الى حيث لا فسحة لأمل ، ولا مهلة لسراء ! »

— « إذن أنتن تحاصرنه هنا الآن ؟ »

— « ما دام قد رضى لنفسه أن يكون قاتل أمه ، ومهرق الدماء ! »

— « أعن رضى ؟ أم قسره على ذلك شجن لم يكن له به يدان ! ؟ »

— « وأى شجن يقسر على قتل الوالدين ؟ »

— « لقد سمعت طرفاً واحداً ... فلأسمع من الطرف الآخر »

— « إن المتهم ليعجز عن الحلف ، ومن يدرى ؟ فقد يقسم حانثا ؟ ؟ »

— « يبدو لى أنكن تؤثرن مظهر العدالة على العدالة نفسها ؟ ! »

— « وكيف يا ربة الحكمة الزاخرة ؟ خبرينا ! »

— « إى وأرباب الأولمب ! لا تأبهن بنصر يأتى عن يمين كاذبة ! »

— « إذن سليه ! واحكمى بيننا بالحق ! »

— « وهل تقبلن أن يكون قرارى القرار الفصل ؟ »

— « أجل ! إن قرارا لك لا لك من فضل ! ومالأبيك من نبل »

— « إذن ، أجب أيها البائس بدورك ! ولكن ، اذكر لنا أولاً : ما أنت ؟ وما موطنك ؟ وأى غم يلم بك ؟ ثم ادفع التهمة عن نفسك إن تكن باطلة ، واذكر إن كنت على حق إن صح أنك قتلتها ... إنى لأراك تلوذ بوثنى ، وتستجير بقدسى ؛ قل ... أجب ... تكلم ... قل الحق ... والحق الصراح »

وكفكف أورست عبراته ، وقال :

— « إلهتى ربة العدالة »

لو كنت مجرماً سفاك دماء ما جسرت أن ألوذ بك ، ولما قويت على اقتحام قدسك وتدنيس بساطك والتماق بوثنك ، وإن سفاكا مجبولا على الشر لن يستطيع أن يتبس بدعوى كاذبة فى حضرة ميترفا ربة العدالة التى تستشف الأسرار وتدرك خافية القلوب وخائنة الأعين بلمحة طائرة من عينها الصائبة ... ولقد وقفت أمام آلهة أخرى من قبل ، فما كنت أجسر على قولة أرسلها إلا أن تكون حقاً .... .... .... إذن ، أنا ، واطن من آرجوس ، وأبى ، يا ويح له من أب ، أحد عبادك الحامدين ؛ إن لم يكن أحبهم اليك ... أجاممنون يا ربة العدالة ! أجاممنون قائد جندك وأمير أسطولك ، الذى أعنته على أعدائك ، فانتصر على بريام وقهر اليوم ، وعاد ليسبح بحمدك ويشكر لك ... ولكن ! يا للهول ! لقد دبرت له زوجته الآثمة ... أمى ... أمى التى خانت عهد زوجها ، وداست عرض مملكتها ، ومنحت قلبها لغير رجلها ... أى هذه يا ربة العدالة قد دبرت لرئيس جندك ، وأخلص عبادك قتلة غادرة ، تكتنفها الظلمات ، وتضرب من حولها الأسرار ، فذبحته يوم عودته من الجهاد فى

سبيلك والذود عن اسمك ، غير راعية فيه إلا ولا مبقية على عهد .... .

ثم لم تبال أن تعترف ، وجثته بين يديها ، أنها قتلته ... وأنها صاحبة دمه .... وكانت قد قذفت بي ، إذ أنا طفل أحوج ما يكون الى حضن أم وفؤاد أب ، الى أعماق منفى سحيق مقفر ، أعاني الذل وأدرج في حجر التعاسة ، فلما شببت وبلغت الحلم ، كان أول واجب علي في الحياة أن أثأر لأبي الظلوم ، من أمي الآثمة ، فمدت الى آرجوس وقتلتها ... أجل ... قتلتها ... قتلت المرأة التي قتلت أبي ... أقر ... أعترف ... قتلت أتعس الأمهات ، فهل سمعتن يا ربات العذاب وزبانيات جهنم ؟! ... ذلك إذن وزري ، إن كان في مثل هذا العمل وزر ... وقد شاركني فيه أبوللو ... أوحى إلي أن اقتل أمك ... فقتلتها ... ولو لم تكن آثمة من قبل ما أرقت قطرة واحدة من دمها ...

هذه يا ربة العدالة قضيتي فرى رأيك فيها وأنا قابله ... وسأخضع له ... »

وأجهش أورست بالبكاء ... فبدا التأثر الشديد على وجه إلهة العدالة ...

— « قضية معضلة ، وكان حرى بكم يابني الموتى ألا تضطلعوا بها ... بل أنا نفسي أكاد أجاوز حدودي حين أقيم من نفسي فيصلا فيها بينكم ! وي ! لقد أقدمت على عجل إلى أثينا ... مقدسي وطوباي ... فيالك من لاجيء مهيض الجناح ، مبلبل الروح ... في حين تبدو صحيفتك غراء ناصعة ! ... ولكن !... إسمع إلي يا أورست ! لقد كدت أدعوك مواطناً ... لولا ما ينبغي لك من إيضاح براءتك ، وتمهيد طريقك ، ورأب الصدع الذي تلج منه إلى اتهامك ربات الذعر ... اللائي يأبين إلا أخذ المجرم بجرمه ... لأنه عملهن ، ولا محيص من أدائه لهن ... فجل برهانك ، وأعد حجتك ، وأيد حقك بيقين يقشع الشك ... حتى أعود بالحاذقين المدول من أثينا ، لأشركهم في هذه الحكومة الشائكة ، والقضية المربكة ... »

( تخرج منرفا )

— ٨ —

ويستولي طائف من الشك على ربات الذعر ، وتروعهن من منرفا هـذه النعومة التي لقيت بها أورست ، فيهزجن بنشيد طويل من موسيقى الجحيم ، كله قصف وكله رعد ، وكله ودق يخرج من هذه الأفواه الشائهة ، والألسن التي تتلوى كألسن النيران ... وينعين على الانسانية ما يعصف بها من ظلم إذا انتصرت الجريمة ، ولم يقف في سبيلها قصاص ... « هنالك تنقلب الدنيا فتصبح مباءة للاثم ، وهنالك يغدو الناس شراذم من اللصوص وقطاع الطرق والسفاكين ، وهنالك لا يأمن والد على نفسه من ولده ، ولا أم هي مطمئنة على حياتها من أبنائها ... ويومئذ تعم الشرور وتعلو الويلات ... حتى لا يكون شبر من الأرض فيه أمان لآمن ، مادمنا نحن ناهين عن المجرمين لا نأخذهم بآثامهم ، ومادام هؤلاء الأرباب يضربون سلطانهم علينا ، ويتدخلون في شؤوننا ، من غير حق ولا برهان مبين .... »

وتدخل منرفا ، فتهتف بسادن المبد قائلة :

— « أذن في عبادي بالصمت أيها السادن ، أو انفخ في صورك حتى تردد أصداؤه في السموات معلنة انعقاد محكمة العدل ، فلا ينبس أحد ممن بالمدينة الخالدة بكلمة ، ليعوا شريعتي ، ولينقشوها في صفحات صدورهم ، ولتخلد ثمة إلى ما أشاء ! »

( ويظهر أبوللو فجأة فتقول ربات الذعر : )

— « أيها الإله أبوللو ! فيم أقبلت ؟ ألتشارك في قضية ليس لك فيها شأن ؟ »

— « لقد أقبلت لأبرهن على براءة هـذا الضارع البائس الذي لاذ بي ، وصلى لي ، وسألني معونتي لأضع عنه الوزر الذي تأخذنه به ... وأقبلت كذلك لأدافع عن نفسي فيما يخصني من هذه القضية ، لأني شريك في مقترفيها مستترا ......! أيتها الربة العادلة منرفا ! خذي في سؤالنا عما يبدو لك ... فانا منصتون !! »

فتقول منرفا : « إذن نبدأ القضية ، ولقد سمعت حديث الاتهام من أفواه هؤلاء فكانت حجتهن دامغة وبرهانهن ساطعاً . »

فيشيع البشر في أوجـه ربات الذعر وتخاطب رئيستهن أورست قائلة :

— « ها قد سمعت ... وسمعت من قبل كلماتنا القلائل حينما اتهمناك وأقمنا عليك البينة ، فهلم فتحدث ، ولتتحدث باختصار كما تحدثنا نحن من قبل ، ولتجب عن هذا السؤال أولاً : أولم تذبح أمك يا أورست ؟ ! »

— « أنا لا أنكر أنني ذبحتها يا ربات ! »

— « قضي الأمر ! ها قد فرغنا من ثلث المركة ! »

— « تهينين ماشئتن ؟ فانكن لم تصرعنني بعد ! »

— « ها ! ... بقى عليك أن تخبرنا كيف ذبحتها ؟ »

— « بأبيض ذى شفرتين ! أرسلته فوق رقبتها ، وخوضت به فى صدرها ، فقطعت وتينها ! »

— « وهل حرضك على هذه الجريمة أحد ؟ »

— « بأمر أبوللو كما يشهد هو بذلك ! »

— « أمرك الإله ، سيد الشمس ، أن ترتكب جريمة قتل الأم ؟ »

— « أمرنى بها ، وأنا مؤمن بما فعلت ، مطمئن إليه ! »

— « ها . ها . سرعان ما تتغير لهجتك حينما يمسك القضاء العادل ! »

— « سينتفض أبى فى رمسه فيحل محلى ! أنا لا أخشى شيئاً ! ! »

— « آى ! وهكذا تعتمد على الموتى يعذك به الموتى ! ياقاتل أمه ! »

— « إن هذه الأم تحمل وزراً مضاعفاً وإثماً أنكر من إثمى ، إن يكن لى إثم ! »

— « وكيف ؟ قصن على المحكمة ! »

— « أجل ! فلقد ذبحت بعلها ... وذبحت أبى ! ! »

— « لقد خلصت من أوزارها بالموت ! »

— « خلصت من أوزارها بالموت ؟ ! ها . ها ... عجيب أمركن ! مالكن كيف تحكمن ؟ لقد قتلت زوجها ... وقتلت أبى ... وعاشت سنوات عشراً ... فأين كنتن ؟ ! لم لم تقصصن أثرها كما تقصصن أثرى ! »

— « ذلك لأن رحماً لا تصلها بمن قتلت ! ولا رابطة من دم ! »

— « إى ! وأنا ؟ أى رابطة من الدم تصلنى بمن قتلت ؟ ألمجرد حملها بى وأنها ولدتنى ؟ »

— « أكبر رابطة أيها اللعين ! لقد غذتك إذ أنت فى أحشائها ، واحتملت كثيراً من أجلك ! »

— ٩ —

وكأنما ضاق أورست ذرعاً بربات الذعر فهتف بأبوللو يقول :

— « والآن يا إلهى أبوللو أدّ شهادتك ، وليفض بالحق لسانك ! هل كنت على حق حين قتلت أمى ؟ ! إنى لا أنكر مما صنعت شيئاً ، ولكنى جد محتاج إلى دفاعك ... فقط ... لتجلو الحقيقة لهذا المجلس الموقر ، ولكل الحاضرين هنا ! ! »

فينهض أبوللو ، ويرسل حديثه فى جلالة ووقار :

— « أصارحكم القول يا جميع من حفل بهم هذا المعبد المقدس ، ولا أحسب أحداً منكم يساوره الشك فيما أقول ... أننى أبداً ما أوحيت بشىء إلى رجل أو امرأة ، إذ أنا متربع على عرشى فى السموات العلى ، إلا عن أمر يصدره لى أبى بصدد هذا الشىء ! ! وهذا ما كان فيما نحن بصدده الآن ... أرجو ألا تلغطوا ... بل آمركم بالأصالة عن أبى ! ! ! »

فتضطرب ربات الذعر وتقول كبيرتهن :

— « وتقول إن أباك – زوس سيد الأولب – هو الذى أذنك أن توحى إلى أورست فيثأر لقتل أبيه ، فى حين لا يبالى بقتل أمه ؟ ! »

— « وبم يبالى ؟ ! وماذا يقدس فيها ، حين يعود رجل له وقاره وتدينه ، وإيمانه الذى لا يحد بربه زوس ، ظافراً من ساحة الحرب ، فتذبحه زوجته الآثمة بعد أن تنصب له الأحابيل فى كل شبر من قصره ؟ ! أى زوجة هذه التى تعبث بشرف زوجها ، وتمزق عرضها ، وتنفى ولدها ، وتذل ابنتها ، وتدوس الشرائع والحرمات ! ؟ »

— « إذن هو أبوك زوس الذى رثى لهذا الأب المسكين الذى قتلته زوجته ! أمرك عجيب ياسيد الشمس ! أبوك زوس ينصر أورست لأنه يثأر لأبيه ! إذن لم وضع زوس نفسه الأغلال فى عنق أبيه كرونوس (١) وسجنه آخر الدهر ؟ أليس هذا نقيض ذاك ؟ أجب ! تكلم ! وأنت يا ربة العدالة ! وأنتم أيها الحلفون ! أعيروه أذناً صاغية ! »

— « إخسأن أيتها المولات ! شاهت وجوهكن ! ياعدوات السماء ! إن مولاكن قد صنع ماصنع بأبيه ليكفى العالم شره — وهو مع ذلك لم يرق دمه ! »

— « إذن كيف تدافع عن هذا الطريد الذى هراق دم أمه ؟ وكيف تخول له أن يتربع على عرش آرجوس ؟ وكيف يتسنى له أن يقدم قرباناً عن فعلته ؟ وهل قربان إلا هو ؟ ! »

— « آه ! إنكن تزعمن دائماً أنه ابن كليتمنسترا ! ! وليس بعد هذا ضلال ! إنه ليس من أهلها ، لأنها حمل غير

(١) يشير اسخيلوس إلى الأسطورة القديمة التى تقول إن ساترن ( كرونوس ) قتل أباه أورانوس لأنه كان يقتل أبناءه لكثرتهم فلما ولد لساترن ابنه زوس أراد أن يبتلعه ليتخلص منه لكثرة أبنائه كذلك ، غير أن أمه تحايلت حتى أنقذته ، فلما شب أعلن الحرب على أبيه واستطاع هو وإخوته أن يسجنوه أبد الدهر ( الأستاذ توماس بلفنش )

# البريد الأدبي

### رجائي ورجاء الزيات

كان لي ابن لم يكن يعدو الثامنة من عمره ، وفي مثل هذه الأيام من العام الماضي أطاقته — على رغمي — بين أفياء الجنة يتمجل نعيمها . وبقيت أتجرع غصص هذه الدنيا ، لموته حيناً ولحياتي أحياناً

جرى عليَّ هذا الفراق الأبدي حزناً وتكاءدني وصف هذا الحزن فأنا إلى اليوم أجد منه ، ولا أستطيع بثه . ولقد كذبت الشعراء حين جعلوا الحزن ناراً تتقد ، وتصطلي حرها النكبد . وحين زعموه حسرة تقطع النفوس ، ولا تشق منها الكؤوس . وحين تصوروه أسفاً قاتلاً ، وموتاً نازلاً ، وحين شبهوا زفراته بشواظ النار ، ودموعه بالسحاب المدرار

والحق أن الألفاظ يعيا بوصف حزني كما عي قلبي باحتماله .

وما عيينا بوصف النعمة زائلة ، إلا حين عجزنا عن فهمها ماثلة . وكيف نتصور وجوداً كانت روائح الجنة في رباه ، والسلام أولى دعواه وأخراه

سميت فقيدي « رجاء » وما شغلت نفسي حين اخترت له هذا الاسم أن أكون فيه مقلداً تابعاً ، وإنما ارتجلته من قلبي يوم عقدت الرجاء برجاء ، وأملت أن يكون خاتمة الشقاء ، وبداية الصفاء .

* * *

يعلم الله يا أخي أن نعيك لرجائك قد أعاد حزني جذعاً ، كما كان يوم صادفني وفيَّ بقية من الأسر أقوى بها على بعض الأمر ، فأما اليوم وقد انهدت قواي بما أخذ مني الأسف وما أبقى ، فاني أراك قد نعيت إليَّ نفسي بهذا النعي ، وما قصدت بذلك بغياً عليَّ . ولكني أنا الذي أعددت نفسي لرمسي ، بين يومي وأمسي .

عرفتك أديباً مثقفاً خدمت الأدب أستاذاً ومؤلفاً ومترجماً وناقداً ، ثم رأيتك منذ أعوام تجمع هذه المزايا في صحيفتك الخالدة « الرسالة » . وكان من حق مثلك على الأيام أن ترفه عنه وتعفيه من معضلات رزاياها حتى يفرغ لواجبه وينهض بعبئه

عرفتك وادع النفس ، هادىء الخلق ، حليما لا تثار ، ولا تغلب على الوقار . وكان من حق مثلك على الأيام ألا تخرجه عن وقاره . ولا تضجره بحلمه . بل تتركه لهذه الوداعة وتلك الطمأنينة ، يرتع الاخوان في بحبوحتها ويفيئون الى ظلها كلما لفحهم هجير الرعونة ، وآذاهم لهب الشغب . ولكن الأيام لم تمسك بهذا الخطب الجليل إلا بعد أن عجمت عودك فوجدته صلباً ، وقرعت صفاتك فوجدتك صلدا ، ذلك هو ظن إخوانك الذين عرفوا إيمانك بالله قوياً ، وعرفوك للفضيلة وفياً ، فلتكن بثواب الصبر حرياً

---

صالح ! ! إن أورست ابن أجاممنون حسب ! لأن أجاممنون هو الذي غرس بذرته ، وإن يكن قد غرسها في أرض حية ذات أوباء ! ولو شاءت السماء لغرست البذرة في أرض أخرى — في أرض حقيقية — في حديقة — ثم لنشأ أورست عوداً فينانا من غير أم ... ... ... يا ربة العدالة ! مينرفا يا ابنة زيوس العظيم ! لقد أرسلت أورست ليرفل في ظل رحمتك النامي ، وليحظى بحمايتك ، وليسجد تحت قدميك ، هو وشعب الأرجيف الكريم ! أعيدي اليه وقاره وطمأنينته إذن ، فهو جدير بهما ! ليعد الى شعبه الباسل ليظلوا الى الأبد عبادك المخلصين ! إنه بريء ! إنه بريء ! ! »

فتقول مينرفا :

— « كفى ! كفى ! حسبنا ما سمعنا ! والآن ، أعطوني موثقكم أيها المحلفون ! عاهدوني على أن تؤدوا الشهادة غير متحرفين ! ليكن الحق وحده رائدكم حين تدلون بآرائكم ! »

(البقية في العدد القادم)

دريني خشبة

وبعد، فاقبل عزاء رجل أشبه أمره أمرك، وأدرك - إن ضقت بالدنيا - عذرك. فساق ماضيه وحاضره سلوى تتحدث بلسان الواقع ولاتلجأ إلى خيال الواعظ

ومن عرف الأيام معرفتك اتى حوادثها فى درع من الصبر مضاعفة، وشهر على الجزع مشرفيات مرهفة.

أنت يا نوفل أن تعزّى عن الأحـ ـم باب فوق الذى يعزيك عقلا

وبألفاظك اهتـدى فاذا عـــزّاك قال الذى له قلت قبلا

تنيك فى الحزن

**محمود مصطفى**

مدرس الأدب للمتخصصين فى مادته بالجامعة الأزهرية

## السخاوى

طالعنا الأستاذ الباحث المحقق مؤرخ المصر محمد عبد الله عنان على صفحات الرسالة الغراء بنتائج تحقيقاته .... وقد أفاض إفاضة عظيمة فيها للامام العالم أبى الفضل محمد السخاوى ولما لموسوعته الضوء اللامع من قيمة أدبية وأثر تاريخى عظيم

وقد ذكر الأستاذ عنان فى إحدى مقالاته بالرسالة أن للسخاوى أثرين من نوع خاص ولها أهمية خاصة إلى أن قال : (وقد انتهى كلاهما إلينا . أولهما كتاب تحفة الأحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات والبقاع المباركات) الخ . . . وقد سارت دار الكتب الملكية فى فهرستها على غرار الأستاذ عنان فنسبت الأثرين فى فهرستها إلى الامام السخاوى

وقد أتيت على ترجمة الامام السخاوى قراءة وقتلتها بحثاً فلم أظفر بين مؤلفات السخاوى بهذين الأثرين اللـذين نسبهما الأستاذ عنان للسخاوى كما نسبتهما دار الكتب

وليست هناك حجة تقوم بإزالة هذا اللبس أصدق مما خطه الامام السخاوى فى ترجمته لنفسه بالضوء اللامع

وأما الأثر الذى عناه الأستاذ عنان (الخطط والمزارات) فهو للعالم الجليل محمد بن أحمد الحنفى السخاوى وقد فرغ من تأليفه سنة ٩٥٦ هـ وكان حياً سنة ٩٦٠ هـ وقد عده ابن مخلوف فى طبقات المالكية

أما الامام السخاوى صاحب الضوء اللامع والمؤلفات العديدة التى عدها فى ترجمته فقد توفى سنة ٩٠٢ هـ

فاحقاقاً للحقيقة وصوناً لمعالم التاريخ نأمل أن يجزم رجال التاريخ أن الأثرين اللذين عناهما الأستاذ عنان ليسا للامام السخاوى صاحب الضوء اللامع . كما نتقدم بالرجاء إلى العالم المثقف محمد أسعد براده مدير دار الكتب أن يصحح ذلك فى فهارس الدار

والسلام على من عمل الخير أو سعى اليه ؟

(جرجا) محمود عساف أبو الشباب

## الأدب الألمانى فى المنفى

لم تقتصر الثورة الاشتراكية الوطنية الألمانية على تحطيم النظم والأوضاع السياسية لألمانيا الجمهورية والديموقراطية، ولكنها حطمت صرح الحياة الألمانية القديم كله، وشملت آثارها كل نواحى الحياة الاجتماعية والفكرية والثقافية؛ وكان من آثارها الظاهرة تدهور العلوم والفنون والآداب فى ظل النظم الطاغية الجديدة؛ وكان قيام الحكومة الهتلرية محنة حقيقية للأدب الألمانى؛ فغادر ألمانيا عدة كبيرة من أقطاب الكتاب والمفكرين، فراراً من يد المطاردة والاستعباد الفكرى؛ وكان الكتاب والعلماء اليهود فى مقدمة من هرعوا إلى المنفى، ولكن الأمر لم يقتصر على هؤلاء؛ فقد غادر الوطن القديم جمهرة من أكابر الكتاب الألمان (الآريين) لأنهم لم يطيقوا الحياة فى ذلك الجو المضطرم بشهوة الانتقام السياسى، وكان فى مقدمة هؤلاء عميد الأدب الألمانى المعاصر توماس مان حامل إجازة نوبل، وأخوه هينريخ مان، ونشأ منذ ثلاثة أعوام، أى منذ قامت الحكومة الهتلرية فى المنفى أدب مستقل يتمتع فى الخارج بكامل حريته، وإن يكن يعانى صعاب المنفى ومتاعبه. ذلك لأن الحكومة الهتلرية لم تقتصر على مطاردة زعماء الأدب الألمانى، بل عمدت أيضاً إلى محاربتهم فى أرزاقهم المستقبلة، فحظرت على الناشرين الألمان أن يعاملوهم، ومنعت كتبهم من دخول ألمانيا، ولكن ذلك لم يفت فى عزم أولئك الكتاب الأحرار، فقد لقوا ضيافة حسنة فى انكلترا وفى فرنسا وفى سويسرة، ورحبت دور النشر فى هذه البلاد بالتراجم الانكليزية والفرنسية لكتبهم الجديدة، وأخذ الأدب الألمانى الرفيع ينمو ويزدهر فى المنفى

وقد نشأ الأدب الألمانى فى المنفى سامياً بطبيعة الظروف التى

أحاطت به ، وكان طابع الكفاح والمرض السياسي ومقارعة الفكرة والناطقة يغلب عليه أولا ؛ ومن هذا النوع كتاب هينريخ مان « البغضاء Der Haab » وهو كتاب تاريخي رائع ، وقصة سياسية بقلم ليو فويختفانجر عنوانها « أخوة أو بهائم » ظهرت في أمريكا سنة ١٩٣٣ ؛ وأخرى بقلم بالدر أولدن وعنوانها « قصة نازى » وقد ظهرت في انكلترا .

ولم يفقد الأدب الألماني عبقريته في المنفى ، فقد دلل على أنه مازال يحتفظ بهذه العبقرية في سلسلة من الكتب والقصص القوية المختلفة في نوعها وفنها ؛ ونستطيع أن نذكر منها «هندنبورج» بقلم رودلف أولدن ؛ و«شباب هنرى الرابع Die Jugend des Königs Henri» لهينريخ مان ، و«آخر المدنيين Der Letzte Zivilist» لارنست جلزر ، و«المائة يوم Die Hundert Tage» ليوسف روت ، و«النغم المؤسى» بقلم كلاوزه مان ؛ ويوجد الآن تحت الطبع عدة كتب وتراجم هامة منها : ترجمة لبطرس الأكبر ، وأخرى لهتلر . ويلاحظ مع ذلك أن الصبغة التاريخية والسياسية مازالت تغلب على معظم الكتب الممتازة بين تراث الأدب الألماني في المنفى . مثال ذلك كتاب « هندنبورج » لرودلف أولدن ؛ وقد كان أولدن محامياً كبيراً ومحرراً في جريدة « البرلينر تاجبلاط » ؛ وكتابه ينم عن قوة في العرض ودقة في التمحيص والتصوير ؛ وفي رأيه أن الماريشال الراحل ، عميد الجمهورية الألمانية ورمز ألمانيا مدى أعوام طويلة ، لم يكن سوى بروسيا ؛ وأنه لم يكن رجل سياسة وتفكير قط ، وإنما كان جندياً يؤمن بسيادة الطبقات ، وأن سيادة الطبقة البروسية هي مصدر قوة ألمانيا وعظمتها ، وعما قليل أيضاً يصدر كتاب « هتلر » لاميل لودفيج والمنتظر أنه كباقي تراجمه سيكون قطعة رائعة من التصوير النفسي .

وكذلك كتب القصص ، فان يوسف روت يصور لنا في قصته « المائة يوم » صورة الطاغية « نابليون » الذي يكفر في العزلة والمنفى عن جرائمه وزلاته ، ويتدبر الآلام والمظالم التي أنزلها بالأمة والشعب والوطن ، ثم هو يقضي وحيداً ، ويغمر أعوامه الأخيرة فراغ هائل ، ويرقب العالم الخارجي فشله وسقوطه ؛ ويكتب يوسف روت بأسلوب ساحر ، ونزعة غنائية مؤثرة حتى ليخيل اليك أنه يمزج الشعر بالنثر . ويقدم الينا أرنست جلزر أيضاً في « آخر المدنيين » قصة سياسية هي تاريخ ألماني هاجر الى أمريكا منذ نصف قرن وعاش في العالم الجديد بأمل العودة الى وطنه ، ولكنه لم يعد إلا قبيل قيام الحكومة الهتلرية ، ويصف لنا المؤلف حياة المجتمع الألماني في الريف عقب الحرب ، وروعة الهزيمة ، ونكبة التضخم المالي ، واعتقاد الشعب أن الذنب في ذلك كله يرجع الى « البروسيين » وكيف أن الشعب لم ينضم الى الحركة الهتلرية إلا باعتقاد أنها كفاح ضد السيادة البروسية . ثم يصف لنا بعد ذلك روعة اليأس الذي استحوذ على بطله حينما رأى ألمانيا الديموقراطية قد حطمت وقاضت ، فقاضت معها آماله ثم حياته

ويرى النقدة أن أبدع كتب الموسم كتاب هينريخ مان « شباب هنرى الرابع » ؛ ويرد المؤلف في كتابه على اللاحقة التي تلاحظ في أدب المنفى ، وهو أنه أدب تاريخ ، ويقول لنا ، أجل إن الأدب الألماني في المنفى يجب أن يكون تاريخياً ، ومن التاريخ تستخرج العظات والعبر ، ويستمد الأمل في المستقبل . ويصف لنا المؤلف حياة هنرى الرابع ملك فرنسا وعقق وجدتها في أسلوب بديع هادىء ، وفي عرض قصصي ساحر مؤثر .

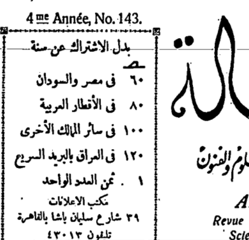
وهكذا ينشأ خارج ألمانيا ، وفي ظلال المنفى ، أدب ألماني جديد ، قوي حر ، تميز باستقلاله وحياته الجديدة في ظلال حرية فاضت من أرضه ومهاده ، وهو يتجه بأمله إلى المستقبل القريب

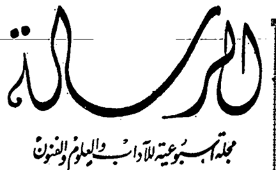
## بعض عناوين وأسماء

بعث الينا أديب يستفهم عن عناوين بعض الكتب الحديثة التي تستعرضها (الرسالة) بلغاتها الأصلية ، ويرجو أن تكتب الرسالة دائماً عناوينها الأصلية وأسماء مؤلفيها بالافرنجية . وهذا ما تفعله الرسالة في الواقع في معظم الأحوال ، وإذا كنا نكتب أسماء المؤلفين أحياناً باللغة العربية فقط ، فذلك اعتماداً منا على شهرة أولئك المؤلفين وعلى فطنة القارىء . وفيما يلي بعض العناوين والأسماء التي استفهم عنها الأديب المذكور في كتابه :

Tom Sawyer by nark Twain
Léfe and Letters of Gaisworthiy by H. narrott.
A lėfe of Kier Hardy by H. Fytte.
Aneur Life of Ibrahim Pasha by. B. Carabités
Abyscinia and Italy by Emile Burns.

4me Année, No. 143. — Lundi-30-3-1936


بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ . ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣


الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
الادارة
بشارع البدولي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الرابعة — «القاهرة في يوم الاثنين ٧ محرم سنة ١٣٥٥ — ٣٠ مارس سنة ١٩٣٦» — العـــدد ١٤٣

فهرس العـــدد



إلى أخي الزيات

# الخيـــال العاقل

تحية صديق مشارك في الحزن آمل في العزاء

## للدكتور طه حسين بك

أعرفت قط خيالاً عاقلاً أيها الأخ العزيز ؟ أما أنا فقد عرفته أمس ، ولم أتكلف في معرفته مشقة ولا جهداً ، ولم أنفق في البحث عنه قوة ولا وقتاً ، بل لم أبحث عنه وإنما سعى إلي ، أو قل هممت أن أدعوه فاستجاب لي قبل الدعاء ، ولكني لم أدعه لأعرفه ، فإن عهدي به بعيد ، بعيد جداً لا أكاد أذكر أوله ، وإنما أعلم أنه رفيقي منذ بدأت أفكر ، بل منذ استقبلت الحياة ، ما أكثر ما زين لي الأشياء حتى كلفت بها ورغبت فيها ، وما أكثر ما بغض إلي الأشياء حتى نفرت منها وضقت بها ، وما أسرع ما اخترع لي أشياء لم أكن أعرفها ولا أقدرها ، فإذا هي تملأ قلبي أملاً ورجاء ، وتدفعني إلى العمل والنشاط ، وإذا هي تملأ قلبي يأساً وقنوطاً ، وتدفعني إلى الفتور والخمود والانزواء لقد خلق لي عالماً كاملاً بعيد الآماد ، متنائي الأرجاء

يختلف الألوان ، قضيت فيه أيام الصبي وما أكثر ما تمنيت أن أعود اليه ، ثم خلق لي عالما آخر ليس أقل من ذلك العالم سعة وتنوعا واختلافا ، ولكنه مزاج من الجمال والقبح ، ومن اللذة والألم ، ومن اليأس والأمل ، قضيت فيه أيام الشباب ومازلت أتمنى أن أعود اليه ، ثم هو يرافقني الآن فيزين لي الحياة قليلا ، ويقبحها في نفسي كثيرا ، ويحاول أن يخلق لي ما يسر ، ويحاول أن يخلق لي ما يسوء ، فأطيعه حينا ، وأعصيه أحيانا ، ولكنه وفى لي دائما كلما أردت استعانته على الكتابة والانشاء ؛ وأعترف أيها الأخ العزيز بأني كنت مقتصدا أشد الاقتصاد في الالتجاء اليه والاستعانة به ، لأني أعرفه جريئا مسرفا في الجرأة ، نشيطا غاليا في النشاط ، يخترع من الصور وفنون المعاني ما لا أطيق أن أعرضه على بيئاتنا الاجتماعية التي تقتصد في الاطمئنان الى وحي الخيال

عرفته وفيا نشيطا متأهبا دائما للمعونة كلما دعوته أو فزعت اليه ، مقدما من هذه المعونة أكثر مما أسأله ، وأعظم جدا مما أقترح عليه . وقد دعوته أمس فاستجاب لي مسرعا غير مبطئ ولا متثاقل ، بل أشهد لقد كان يكاد يتمزج نشاطا ومرحا ، ولقد كنت أتهيأ لكبح من جماحه والرد من نشاطه ، وأخذه بكثير جدا من الأناة والقصد كما تعودت دائما ، ولكني لم أكد أعرض عليه ما كنت أريد أن يعينني على الأخذ فيه حتى كفكف من نشاطه ، وتأتأ في غلوائه ، وابتسم ابتسامة الهادئ المطمئن ، وقال في صوت الراضي الرزين في غير عجز مؤلم ، ولا قصور مؤيس : « اليك عني فلست بما تريد في شيء » . ذلك أني كنت أريده على أن يعينني بما أصور به فصلا من حياة النبي الكريم في هذه الأيام التي يذكر فيها المسلمون أكبر حدث من أحداثهم ، وأعظم عبرة من عبرهم ، والتي يعود فيها المسلمون قرونا طوالا من الزمان ليشهدوا ذلك اليوم العظيم الذي خرج فيه النبي وصديقه الصديق من مكة مهاجرين إلى الله بآمال سيفنى الزمان قبل أن تفنى ، وإيمان سيزول هذا العالم قبل أن يدركه ضعف ويسعى اليه فتور ، وثقة بنصر الله عاشت عليها الأجيال التي لا تحصى ، وستعيش عليها الأجيال التي لا تحصى ، وسيستمد المسلمون منها أبدا قوة على الجد والكد . واستقبال الحياة بما فيها من خير وشر ، ومن حلو ومر ، ومن محنة ونعمة

ثم دعوته أيها الأخ العزيز الى أن يلهمني بعض ما تعود أن يوحي إلى من الصور فأعرض في غير غضب ، وامتنع في غير بخل ، وألح في الأعراض والامتناع ، فلما ألححت عليه تبينت منه الاستحياء وإيثار العافية ، والضن بنفسه على ما لا يحسن ، وتجنبها ما لا يطيق . وإذا هو يقول لي في لهجة الهادئ المطمئن : استعني فيما شئت ، فقد عرفت قدرتي على الاختراع والابتكار ، وحسن بلائي في لبس الحق بالباطل حتى يصبح زينة كله ، ولكن من الحق ما هو أرفع من أن أسمو إليه مهما أكن قوي الجناح ، وأوضح من أن أجليه مهما أكن قوي النور ، وأسطع من أن أوضحه مهما أكن نافذا بعيد الهم ، وأنصع من أن أزينه مهما أكن ماهرا في اختراع الزينة وابتكار الجمال

ولئن حدثتك عن هذا الرجل الكامل لأحدثنك حديث العقل ، أستغفر الله ، فما يستطيع العقل أن يحدثك عنه كما يجب ، لأنه أكرم وأرفع وأرق من أن يبلغه العقل ، كما أنه أكرم وأرفع وأرق من أن يبلغه الخيال . اجتهد في أن تتمثل ما أتيح للناس أن يعرفوا من حياته ، ثم انظر فيه واستمد منه فلست محتاجا مع ذلك إلى معونة عقل أو خيال .

انظر إلى الناحية الحزينة من حياته ، واقصص على نفسك أطرافا منها ، فان لم تملأ قلبك عبرة وعظمة وجمالا وحبا وإكبارا دون استعانة بعقل أو خيال ، فلست إنسانا ولست من الانسانية في شيء

**

انظر إلى هذا الذي ذاق اليتم جنينا إن كان للأجنة أن يذوقوا المعاني والآلام ، ثم لم يكد يستقبل الحياة ويتقدم في الصبي حتى ذاق اليتم مرة أخرى ، ففقد أمه بعد أن فقد أباه ، ثم لم يكد يتقدم خطوات أخرى في الصبي حتى ذاق اليتم مرة ثالثة ففقد جده بعد أن فقد أبويه ، ثم ألحت عليه حياة فيها شدة وجهد ، وفيها حرمان وفقر ، وفيها ضيق وضنك ، ثم تظاهرت هذه الآلام كلها على نفسه الكريمة الناشئة فلم تستطع أن تبلغها ولا أن تنال منها ، لأن الله قد قطع الأسباب بين هذه النفس المصفاة وبين البؤس والشقاء . ثم امض معه خارجا من الصبي داخلا في الشباب متقدما فيه ، فاذا الحياة كما هي شديدة شاقة ثقيلة ضيقة ، ولكنه مبتسم الشباب كما كان مبتسم الصبي ، وادع النفس

( البقية على صفحة ٥١٧ )

# فلسفة قصـــة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

هلكت خديجةُ زوجُ النبي صلى الله عليه وسلم وهلك عمه أبو طالب في عام واحد في السنة العاشرة من النبوة ، فعظمت المصيبة فيهما عليه ، إذ كان عمه هذا يمنعه من أذى قريش ، ويقوم دونه فلا يخلصون اليه بمكروه ؛ وكان أبو طالب من قريش كالعقيدة السياسية ، هي بطبيعتها قوة نافذة على قوة القبيلة ، فمن ثم كان هو وحده المشكلة النفسية المعقدة التي تعمل قريش جاهدة في حلها ، وقامت الحركة الاسلامية الأولى بين ارادتهم وارادته ، وهم أمة تحكمهم الكلمةُ الاجتماعية التي تسير عنهم في القبائل وتاريخهم ما يقال في الألسنة من معاني المدح والذم ، فيخشون المقالة أكثر مما يخشون الغارة ، وقد لا يبالون بالقتلى والجرحى منهم ، ولكنهم يبالون بالكلمات المجروحة

فكان من لطيف صنع الله للاسلام ، وعجيب تدبيره في حماية نبيه صلى الله عليه وسلم - وضع هذه القوة النفسية في أول تاريخ النبوة ، تشتغل بها سخافات قريش ، وتكون عملا لفراغهم الروحي ، وتثير فيهم الاشكال السياسي الذي يعطل قانونهم الوحشي إلى أن يتم عملُ الأسباب الخفية التي تكسر هذا القانون ؛ فان الصنع الالهي لا يخرج أعماله التامة العظيمة إلا من أجزاء دقيقة

أما خديجة زوجُ النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانت في هذه المحنة قلباً مع قلبه العظيم ، وكانت لنفسه كقول ( نعم ) للكلمة الصادقة التي يقول لها كل الناس ( لا ) ، وما زالت المرأة الكاملة المحبوبة المحبة هي التي تعطي الرجل ما نقص من معاني الحياة ، وتلد له المسرات من عواطفها كما تلد من أحشائها ، فالوجودُ يعمل بها عملين عظيمين أحدهما زيادةُ الحياة في الأجسام والآخر إتمام نقصها في المعاني

* * *

وبموت أبي طالب وخديجة أفرد النبي صلى الله عليه وسلم بجسمه وقلبه ليتجرد من الحالة التي يغلب فيها الحس إلى الحالة التي تغلب فيها الارادة ، ثم ليخرج من أيام الاستقرار في أرضه إلى الأيام المتحركة به في هجرته ، ثم لينتهي بذلك إلى غاية قوميته الصغيرة المحدودة فيتصل من ذلك بأول عالميته الكبرى

وأراد الله تعالى أن يبدأ هذا الجليل العظيم من أسمى خلال الجلال والعظمة ليكون أولُ أمره شهادةً بكماله ، فكانت الحسنةُ فيه بشهادة السيئة من قومه ، خلقُه بشهادة رُعونتهم ، وأناته بدليل طيشهم ، وحكمته ببرهان سفاهتهم ، وبذلك ظهر الروحاني روحانياً في المادة

قالوا فنالت منه قريش ، ووصلوا من أذاهُ إلى مالم يكونوا يصلون اليه في حياة عمه ، حتى نثر بعضهم التراب على رأسه ، كأنما يُعلمونه أنه أهون عليهم من أن يكون حراً فضلا عن أن يكون عزيزاً فضلا عن أن يكون نبياً ؛ قالوا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه ، فقامت اليه إحدى بناته تغسل عنه التراب وهي تبكي

كانت تبكي إذ لا تعلم أن هذا التراب على رأس النبي العظيم هو شذوذ الحياة الأرضية الدنيئة في مقابلة إنسانها الشاذ المنفرد . هذه القبضة من التراب الأرضي قبضة سفيهة تحاول رد الممالك الاسلامية العظيمة أن تنشأ نشأتها وتعملَ عملَها في التاريخ ؛ فهي في مقدارها وسخافتها ومحاولتها كعقل قريش حينئــذ في مقداره وسخافته ومحاولته

أما النبي صلى الله عليه وسلم فقال لبنته : يابنية لا تبكي فان الله مانعٌ أباك . حسبتْ ذلك هواناً وضيْعةً فأعلمها أن قبضةً من التراب لا تطمرُ النجم ، وأن هذه الحثوة الترابية لا تسمى معركةً أثارتها الخيل فجاءت بنتيجة ، وأن ساعة من الحزن في يوم لا يحكم بها على الزمن كله ، وأن هذه النزوة التي تحركت الآن هي حمقُ الغباوة قوتها نهايتها

« يابنية لا تبكي فان الله مانع أباك » . أي ليس للنبي كبرياء ينالها الناس أو يَغُضون عنها فيأبى الدمعُ مترجماً عن المعنى الانساني الناقص مثبتاً أنه ناقص ؛ إنما هي النبوةُ قانونها غيرُ

ما اعتادت النفس من أفراح وأحزان ، وهى النبوة تجعل المختار لها غير محدود بجسده الضعيف ، بل حدوده الحقائق التى فيها قوتها ؛ فهو فى متممة الواقع الذى لا بد أن يقع ، فلو أمكن أن يحذف يوم من الزمن أو يؤخر عن وقته أمكن أن يؤخر النبىُّ أو يُحذف

« يا بنية لا تبكى فان الله مانعٌ أباك » . لا والله ما يقول هذه الكلمة إلا نبىٌّ وسع التاريخ فى نفسه الكبيرة قبل أن يوجد هذا التاريخ فى الدنيا ، فكلمته هى الايمان والثقة إذ يتكلم عن موجود

ترابٌ ينثره سفيه على رأس النبى . ويحك يا حقارة المادة إن ارتفاعك لمنة ، إن ارتفاعك لمنة

***

قالوا : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصر والمنعة له من قومه : فلما انتهى إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادتهم وأشرافهم فجلس اليهم فدعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته والقيام معه فى الاسلام على من خالفه من قومه ، فلم يفعلوا وأغرَوْا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه إلى حائط [1] لعُتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه . ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه ، فعمد صلى الله عليه وسلم إلى ظل حُبْلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما لقى من السفهاء

فلما اطمأن صلى الله عليه وسلم فى مجلسه قال : اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ؛ يا أرحم الراحمين ، أنت ربُّ المستضعفين وأنت ربى ، إلى من تكلنى ؛ إلى بعيد يتجهَّمنى أو إلى عدو ملكته أمرى ؛ إن لم يكن بك علىَّ غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك هى أوسع لى . أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك أو يحل علىَّ سخطك ، لك العُتْبى حتى ترضى لا حول ولا قوة إلا بك

***

ألا ما أكمل هذه الانسانية التى تثبت أن قوة الخلق هى درجة أرفع من الخلق نفسه ؛ فهذا فنُّ الصبر لا الصبر فقط ، وفن الحلم لا الحلم وحده

قوة الخلق هى التى تجعل الرجل العظيم ثابتاً فى مركز تاريخه لا متقلقلاً فى تواريخ الناس ، محدوداً بعظائم شخصيته الخالدة لا بمصالح شخصه الفانى ، ناظراً فى الحياة إلى الوضع الثابت للحقيقة لا إلى الوضع المتغير للمنفعة

وما كان أولئك الأشرافُ وسفهاؤهم وعبيدهم إلا معانى الظلم والشر والضعف تقول للنبى العظيم الذى جاء يمحوها ويُبدِل منها : إننا أشياء ثابتة فى البشرية

لم يكن منهم الأشراف والسفهاء والعبيد ، بل كان منهم العسفُ والرِّق والطيش ، تسخر ثلاثتها من نبى العدل والحرية والعقل فما تسخر إلا من نفسها

صغائر الحياة قد أحاطت بمجد الحياة لتثبت الصغائر أنها الصغائر وليثبت المجد أنه المجد . كان الفريقان هما الفكرتين المتعاديتين أبداً على الأرض : إحداهما عش لتأكل وتستمتع وإن أهلكت ؛ والأخرى عش لتعمل وتنفعَ الناسَ وإن هلكت

كانت الأقدار تنادى هذا الروحَ الواسعَ بذلك الروح الضيق لينطلق الواسعُ من مكانه ويستقبلَ الدنيا التى عليه أن ينشئها . فأولئك الأشراف والسفهاءُ والعبيد إن هم إلا الضيقُ والركودُ وذلُّ العيش ، حول السعة الروحية والسموّ وطهارة الحياة

وقف المعنى السماوىُّ بين معانى الأرض ؛ ولكن نور الشمس ينبسط على التراب فلا يعفّره التراب ، وما هو بنور يضىء أكثر مما هو قوة تعمل بالعناصر التى من طبيعتها أن تحوِّل فى العناصر التى من شأنها أن تتحول

وكان بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين أولئك المستهزئين قوةٌ أخرى هى القدرة التى تعمل بهذا النبى للعالم كله ، وبهذه القدرة لم ينظر النبى إلى قريش وصولتهم عليه إلا كما ينظر إلى شىء انقضى ، فكان الوجود الذى يحيط به غير موجود وكانت حقيقةُ الزمن الآتى تجعل الزمنَ الحاضر بلا حقيقة

وإلى هذه القدرة توجه النبى صلى الله عليه وسلم بذلك الدعاء

(١) الحائط البستان وجمعه حوائط

الخالد يشكو أنه إنسان فيه الضعف وقلة الحيلة ، فينطلق الانساني فيه بالشطر الأول من الدعاء يذكر انفراده وآثار انفراده ويتوجع لما بينه وبين انسانية قومه ؛ ثم ينطلق الروحاني فيه بعد ذلك إلى آخر الدعاء متوجهاً إلى مصدره الالهي قائلاً أول ما يقول : إن لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبالي

ولعمري لو نطقت الشمس تدعو الله لما خرجت عن هذا المعنى ولا زادت على قوله أعوذ بنور وجهك ، تلتمس من مصدر النور الأزلي حياطةَ وجودها الكامل

* * *

ولقد هزأوا من قبل بالمسيح عليه السلام فقال للساخرين منه : ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته ، وبهذا رد عليهم ردَّ من انسلخ منهم ، وقال لهم قول من ليس له حكم فيهم ، وأخذهم بالشريعة الأدبية لا العملية ؛ إذ كان عليه السلام كالحكمة الطائفة ليست لكل قلب ولا لكل عقل ، ولكنها لمن أُعِدَّ لها ، وشريعته أكثرها في التعبير وأقلها في العمل ، ولم تجيء بالقوة العاملة فلم يكن بدٌّ من أن تضع الوعظة في مكان السيف ، وأن تكون قائمة على النهي أكثر مما هي قائمة على الأمر ، وأن تكون كشمس الشتاء الجميلة لا تغلي بها الأرض وإنما عملها أن تمهِّد هذه الأرض لفصل آخر

أما نبينا صلى الله عليه وسلم فلم يجب المستهزئين إذ كانت القوة الكامنة في بلاد العرب كلها كامنة فيه ، وكان صدرُه العظيم يحمل للدنيا كلمة جديدة لا تقبل الدنيا أن تعامله عليها إلا بطريقتها الحربية ؛ فلم يردَّ ردَّ الشاعر الذي يريد من الكلمة معناها البليغ ولكنه سكت سكوت المشترع الذي لا يريد من الكلمة إلا عملها حين يتكلم . وكان في سكوته كلام كثير في فلسفة الارادة والحرية والتطور وأن لا بد أن يتحول القوم وأن لا بد أن يتفطَّر هذا الشجرُ الأجردُ عن ورق جديدٍ أخضرَ ينمو بالحياة

لم يتسخط ولم يقل شيئاً وكان كالصانع الذي لا يردّ على خطأ الآلة بسخط ولا يأس بل بارسال يده في إصلاحها

* * *

قالوا : ورأى ابنا ربيعة عتبة وشيبة ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من السفهاء فتحركت له رَحِمُهما فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عدَّاس ، فقالا له : خذ قِطْفاً من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه . ففعل عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما وضع يده قال : بسم الله ، ثم أكل ؛ فنظر عداس إلى وجهه ثم قال : والله إن هذا لكلام ما يقوله أهل هذه البلدة

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس وما دينك ؟

قال : أنا نصراني وأنا رجل من أهل نِينَوَى . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرية الرجل الصالح يونس ابن متى . قال : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ قال صلى الله عليه وسلم : ذاك أخي كان نبياً وأنا نبي

فأكبَّ عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه ورجليه

* * *

يا عجباً لرموز القدر في هذه القصة

لقد أسرع الخير والكرامة والاجلال فأقبلت تعتذر عن الشر والسفاهة والطيش ، وجاءت القبلات بعد كلمات العداوة

وكان ابنا ربيعة من ألد أعداء الاسلام ، وممن مشوا إلى أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم من أشراف قريش يسألونه أن يكفَّه عنهم أو يخلِّيَ بينهم وبينه ، أو ينازلوه وإياه حتى يهلك أحد الفريقين ، فانقلبت الغريزة الوحشية إلى معناها الانساني الذي جاء به الدين لأن المستقبل الديني للفكر لا للغريزة

وجاءت النصرانية تعانق الاسلام وتعزّه إذ الدين الصحيح من الدين الصحيح كالأخ من أخيه ، غير أن نسب الاخوة الدمُ ونسب الأديان العقل

ثم أتم القدر رمزه في هذه القصة ، بقِطف العنب سائغاً عذباً حلواً حلاوة ؛ فباسم الله كان قطفُ العنب رمزاً لهذا العنقود الاسلامي العظيم الذي امتلأ حَبًّا كلُّ حبة فيه مملكة

( طنطا ) مصطفى صادق الرافعي

أوربا على المحور

# ٢ - من فرساى إلى لوكارنو

## مسألة الرين وسلام أوربا

بقلم باحث دبلوماسي كبير

لماذا أقدمت ألمانيا على تصرفها الجرئ فأعلنت إلغاء ميثاق لوكارنو واحتلت منطقة الرين المجردة فى هذا الظرف العصيب الذى تجوزه أوربا؟ لقد شرحت ألمانيا وجهة نظرها وبسطت البواعث التى أملت بتصرفها فى مذكرتها التى قدمتها إلى الدول الموقعة على ميثاق لوكارنو فى السابع من مارس؛ وكذلك على لسان زعيمها الهر هتلر فى الخطاب الذى ألقاه فى نفس اليوم فى مجلس الريختاج؛ وتؤكد ألمانيا فى الوثيقتين أن السبب المباشر لتصرفها هو عقد الميثاق الفرنسى الروسى الذى أبرم أخيراً، فألمانيا ترى فى عقد هذا الميثاق خطراً يهدد سلامتها، ونقضاً من جانب فرنسا لميثاق لوكارنو يبرر تصرفها، وهى تشرح وجهة نظرها فى مذكرتها فيما يلى:

« إن ألمانيا منذ عقد الميثاق الفرنسى الروسى فى ٢ مايو سنة ١٩٣٥، قد لفتت نظر الدول الموقعة على ميثاق لوكارنو أكثر من مرة . إلى أن العهود التى قطعتها فرنسا على نفسها فى الميثاق الجديد لا تتفق مع العهود التى قطعتها على نفسها فى لوكارنو؛ وإنه لا ريب فى أن الميثاق الفرنسى الروسى موجه إلى ألمانيا وحدها وبالذات، وأن فرنسا ارتبطت فيه إزاء روسيا بعهود خاصة فى حالة وقوع حرب بين ألمانيا وروسيا، وهذه العهود تنافى عهد عصبة الأمم والتزامات ميثاق الرين (ميثاق لوكارنو) الموسعة عليه؛ وتحالف فرنسا على هذا النحو مع دولة مدججة بالسلاح ضد ألمانيا يخلق حالة جديدة، ويقضى على نظام السلام فى الرين بأكمله، ويجعل ألمانيا فى حل من تعهداتها السابقة الخ . . . . . »

وإلى جانب هذا السبب المادى المباشر الذى تتقدم به ألمانيا لتبرير تصرفها، يقدم الينا الهر هتلر فى خطابه عدة أسباب قومية معنوية تتعلق بشرف ألمانيا وكرامتها وحقها فى الحياة سيدة حرة؛ فألمانيا تريد أن تعيش فى سلام، ولا تفكر مطلقاً فى الاعتداء على أحد، ولكنها تريد أن تعيش مع باقى الدول على قدم المساواة، وأن تتمتع بنفس الحقوق والمزايا التى تتمتع بها جميع الدول الأخرى، وأن تحتل المكان اللائق بعظمتها؛ وهى لا تستطيع أن تحقق هذه الآمال المشروعة إذا لبثت مصفدة بأغلال معاهدة الصلح ونصوص ميثاق لوكارنو الذى يحرمها من السيادة على منطقة الرين، وهى نحو خمس ألمانيا

### الميثاق الفرنسى السوفيتى

ويكرر الهر هتلر فى خطابه أن السبب المباشر الذى حمل ألمانيا على هذا الموقف هو عقد الميثاق الفرنسى السوفيتى؛ ذلك أن فرنسا تتعهد بمقتضى هذا الميثاق عند وقوع حرب بين روسيا وألمانيا بالتزامات عسكرية تنافى عهد عصبة الأمم وميثاق لوكارنو، وأنها تغدو عندئذ مضطرة إلى مهاجمة ألمانيا؛ وإذاً فعقد فرنسا لمثل هذا الميثاق مع دولة مسلحة من الرأس إلى القدم كروسيا موجه بلا ريب إلى ألمانيا، وإلى ألمانيا وحدها، وهى بذلك تخلق موقفاً جديداً يتنافى مع تعهدات ميثاق لوكارنو

وقد عقد الميثاق الفرنسى السوفيتى فى الثانى من مايو الماضى بعد مفاوضات طويلة بين فرنسا وروسيا، واعترضت ألمانيا على عقده يومئذ لدى الدول الموقعة على ميثاق لوكارنو؛ ثم أبرم هذا الميثاق أخيراً وأصبح بذلك وثيقة نهائية لها خطرها فى سير السلام الأوربى

ويتألف الميثاق المذكور من خمس مواد وبروتوكول تفسيرى. وتنص المادة الأولى منه على وجوب التشاور السريع بين الدولتين تطبيقاً للمادة ١٠ من ميثاق العصبة إذا وقع على إحداهما اعتداء لا مبرر له (والمادة العاشرة من الميثاق هى الخاصة بمقاومة كل اعتداء على استقلال أى عضو من أعضائها) وتنص المادة الثانية على وجوب تقديم المساعدة السريعة للفريق المعتدى عليه طبقاً للمادة ١٥ فقرة ٧ من ميثاق العصبة إذا لم يتخذ مجلس العصبة فى الأمر قراراً سريعاً . والمادة الثالثة تقرر التعهد بالمساعدة

والمعاونة في حالة الاعتداء الذي لا مبرر له طبقاً لنص المادتين ١٧ و١٦ فقرة ٣ من ميثاق العصبة . وتنص المادة الرابعة على أن هذه التعهدات لا تمنع الطرفين بأي حال من القيام بالتعهدات التي يفرضها الميثاق . وتنص المادة الخامسة على مدة الميثاق ، وعلى أن المعاونة المشار إليها فيه قاصرة على أوربا ؛ ولا يطالب تنفيذ التعهد الخاص بالمعاونة إذا لم يكن الاعتداء واقعاً على أرض الطرفين المتعاقدين ذاتها . ويتضمن الميثاق أيضاً تحفظات خاصة باحترام المواثيق والعهود السابقة ولا سيما ميثاق لوكارنو ، وينص أيضاً على امكان عقد ميثاق محلي شرقي ، وعلى أنه يتسنى لأي دولة يهمها أمر السلامة العامة أن تشترك فيه

هذه هي خلاصة الميثاق الفرنسي السوفيتي الذي اتخذت ألمانيا من عقده ثم إبرامه ذريعة لموقفها الأخير ، وقد بدأت ألمانيا بالفعل على أثر عقد الميثاق بنحو ثلاثة أسابيع ( في ٢٥ مايو سنة ١٩٣٥ ) بتقديم احتجاجها على عقده إلى فرنسا وإلى باقي الدول الموقعة على ميثاق لوكارنو

بيد أنه يلاحظ أن تذرع السياسة الألمانية بالميثاق الفرنسي السوفيتي ليس إلا وسيلة ظاهرة أو مباشرة لتبرير تصرفها في استعادة سيادتها على الرين ؛ ويلوح لنا أن هذه الخطوة الجديدة التي اتخذتها ألمانيا الهتلرية لتحطيم البقية الباقية من الأغلال العسكرية التي فرضتها معاهدة الصلح إنما هي حلقة جديدة في برنامج مقرر ترى ألمانيا تنفيذه ضرورياً لاستعادة مركزها العسكري القديم ، وهيبتها القديمة كدولة عظمى ؛ وقد رأيناها تتخذ في العام الماضي من تقرير فرنسا إطالة الخدمة العسكرية ذريعة سريعة لالغاء نصوص معاهدة الصلح الخاصة بتحديد تسليحات ألمانيا ، وتقرير الخدمة العسكرية الاجبارية ، وإبلاغ الجيش الألماني إلى ستمائة ألف ؛ وليس إلغاء ألمانيا لنصوص معاهدة الصلح الخاصة بتحريم منطقة الرين ونصوص ميثاق لوكارنو إلا تتمة لهذه السياسة التي ترمي إلى تحرير ألمانيا تحريراً شاملاً من كل الأغلال التي صفدت بها معاهدة فرساي سيادتها السياسية أو العسكرية ؛ وقد رأينا أن ميثاق لوكارنو لم يكن إلا تأييداً لنصوص معاهدة الصلح الخاصة بمنطقة الرين

### ماذا ترتب على موقف ألمانيا

ماذا ترتب على الخطوة الجريئة المزدوجة التي اتخذتها ألمانيا في السابع من مارس ؟ إن دوائر السياسة العليا في أوربا كلها ما زالت تشتغل منذ ثلاثة أسابيع بما قد يفضي اليه تصرف ألمانيا من العواقب الخطيرة ؛ وقد كانت الدول الموقعة على ميثاق لوكارنو وفي مقدمتها فرنسا أشد الدول اهتماماً بالموقف الجديد الذي خلقته ألمانيا بتصرفها ؛ ففرنسا ترى أن ألمانيا قد انتهكت عهودها مرة أخرى وأن هذا الانتهاك الجديد خطر على سلامتها ، وتؤيدها بلجيكا في رأيها واعتقادها

وقد رأينا أن ميثاق لوكارنو ينص على الاجراءات التي تتبع في حالة مخالفة نصوصه أو نصوص معاهدة الصلح الخاصة بمنطقة الرين ضد الدولة التي ترتكب المخالفة ؛ وهذه الاجراءات هي التي اتبعت في الحال عقب تصرف ألمانيا ؛ فقد اجتمعت دول لوكارنو وهي فرنسا وبريطانيا العظمى وبلجيكا وإيطاليا في مؤتمر عقد أولا في باريس ثم نقل إلى لندن ؛ واستدعى في الحال مجلس عصبة الأمم إلى دورة خاصة تعقد في لندن أيضاً لبحث الموضوع طبقاً لنصوص ميثاق العصبة التي يحيل إليها ميثاق لوكارنو ؛ وكان المفروض أولا أن مؤتمر لوكارنو لم يجتمع إلا ليسجل انتهاك ألمانيا لمعاهدة الصلح وللميثاق وأن مجلس عصبة الأمم لم يجتمع إلا ليسجل مثل هذا الانتهاك وليتخذ ما يقضي به ميثاق العصبة من إنصاف الدولة المعتدى عليها وتقرير العقوبات الاقتصادية على الدولة المعتدية ، إذا هي لم تذعن للتسوية الودية ؛ وكانت هذه هي أول وجهة للسياسة الفرنسية ، وكانت فرنسا أشد دول لوكارنو غضباً وتشدداً باعتبارها هدف « الاعتداء » الألماني ، وكانت ترجو أن تحمل باقي الدول الموقعة معها ، ولا سيما بريطانيا على اتخاذ سياسة الشدة والارغام وحمل ألمانيا على سحب جنودها من الرين قبل التفاهم معها على أية تسوية جديدة ؛ ولكن ظهر منذ المقابلات والمباحثات الأولى أن الاتفاق لم يكن تاماً بين دول لوكارنو ، وأن فرنسا تكاد تقف وحيدة في تشددها لا يؤيدها سوى بلجيكا إلى حد ما . ذلك أن انكلترا لا تنظر إلى تصرف ألمانيا بنفس العين ، وترى أنه قد حان الوقت منذ بعيد لأن تفوز ألمانيا بحقها في المساواة في التسليح والضمانات السلمية ، وأنه ليس من العدالة ولا من

الممكن أن ترغم أبد الدهر على قبول هذا الارغام والاجحاف ، وأنه خير للسلام الأوربي أن يسمح لألمانيا بالتعاون مع باقي الدول العظمى على قدم المساواة والتفاهم ؛ هذا ومن جهة أخرى فقد رأت انكلترا الفرصة سانحة لأن تلقي على فرنسا درساً في قيمة التعاون البريطاني ، وأن تؤاخذها بطريقة عملية فعالة على موقفها في المسألة الحبشية وعلى ما أبدته من التلون والمخادعة والمداورة في مؤازرة إيطاليا وتفويت غرض السياسة البريطانية من الضغط على إيطاليا وفرض العقوبات الاقتصادية عليها عن طريق عصبة الأمم ؛ أما إيطاليا فقد رأت أيضاً فرصة سانحة للمساومة والمطالبة بالغاء العقوبات المفروضة عليها إذا أريد أن تقوم بنصيبها من العهود المفروضة في لوكارنو

لهذا كان تصدع جبهة ميثاق لوكارنو ظاهراً ؛ وكانت ألمانيا من جهة أخرى قد وضعت الدول أمام الأمر الواقع بمقترحاتها السلبية التي سجلها هتلر في خطابه ، وخلاصتها أن ألمانيا على أهبة لأن تعقد ميثاقاً بعدم الاعتداء مع فرنسا وبلجيكا لمدة خمس وعشرين سنة لكي تضمن سلامة الحدود بين ألمانيا وبينهما وأن تعني انجلترا وإيطاليا من ضمان هـذا الميثاق ، وأن تعقد ألمانيا بينها وبين الدول الغربية ميثاقاً جوياً بعدم الاعتداء ؛ وأنها أي ألمانيا على أهبة للعودة إلى عصبة الأمم بعـد أن تقرر حقها كاملا في المساواة وأعيدت سيادتها كاملة وزال بذلك سبب خروجها من العصبة ؛ وأنها تؤمل أن توضع تسوية معقولة لمسألة المستعمرات ، وأن يفصل عهد عصبة الأمم من معاهدة فرساي ؛ فهذه الاقتراحات الايجابية كانت أيضاً عاملا آخر في شل سياسة العنف والمقاومة وتمهيد الطريق الى محاولة أوربيـة جديدة في سبيل التفاهم وعقد المواثيق الجديدة

ولا حاجة بنا لأن نتتبع هنا تلك المباحثات والمفاوضات الشعبة التي تدور في لندن منذ أكثر من أسبوعين ؛ ويكفي أن نقرر أن السياسة الانكليزية فازت بتحقيق الشطر الأول من برنامجها فحالت دون الصـدام الخطر الذي كانت تثيره سياسة العنف حتماً ، وحملت فرنسا على التزام جانب الاعتدال والتروي ، واتخذت لنفسها مرة أخرى دور الوساطة والتوفيق ؛ ومهدت السبيل لاشتراك ألمانيا في المفاوضات الدائرة لتصفية الموقف وعقد تسوية جديدة على الأسس التي تقترحها انكلترا بالاتفاق مع دول لوكارنو . وقد تمت المرحلة الأولى من هذه المفاوضات بعقد اتفاق تمهيدي بين دول لوكارنو وهي انكلترا وفرنسا وبلجيكا وإيطاليا خلاصته أن تتعاون هيئات أركان حرب هـذه الدول في وضع الخطط اللازمة لرد الاعتداء المدبر ، وأن يرفع الميثاق الفرنسي السوفيتي الى محكمة لاهاي لتقرير ما إذا كان مخالفاً لميثاق لوكارنو أم لا ؛ وفي أثناء ذلك يجب أن تسحب ألمانيا جنودها من منطقة الرين إلى مسافة عشرين كيلومتراً داخل حدودها الغربية وتحتل هذه المنطقة قوة رمزية من الجنود الدولية حتى تتم التسوية النهائية ، ولا تزيد ألمانيا جنودها في منطقة الرين عما هي عليه ، ولا ترسل اليها مواد حربية ، ولا تنشئ فيها مطارات أو تحصينات ، وتتولى الاشراف على تنفيذ هذه الشروط لجنة دولية محايدة ؛ وتتعهد فرنسا وبلجيكا من جانبهما بالمحافظة على الحالة الراهنة عند الحدود ، وهذا مع تعهد دول لوكارنو بالمحافظة على تعهداتها تأميناً لسلامة فرنسا ، فاذا وافقت ألمانيا على هذه التسوية التمهيدية فانها تدعى للاشتراك في مفاوضات عامة تجري على أسس مقترحات هتلر ، وحل مسألة الرين ، وعقد ميثاق جديد بالضمان المتبادل يحل مكان ميثاق لوكارنو . وإذا رفضت ألمانيا هذه التسوية فان دول لوكارنو تعيد النظر في الموقف كله ؛ وإلى كتابة هذه السطور لم تكن ألمانيا قد قالت كلمتها . على أنه يلاحظ أن الاتفاق التمهيدي مع ميله نحو الوفاق ينافي مبدأ المساواة الذي تصر ألمانيا على تطبيقه ، ولهذا يرجح أن ترفضه ألمانيا أو أن تدخل عليه من التعديلات ما يحقق في نظرها مبدأ المساواة الحقة ، وعلى أي حال فانه لا بد من مفاوضات ومراجعات طويلة أخرى قبل أن تحظى مسألة الرين بحل يستقر معه سلام أوربا مدى حين

وليس من ريب في أن ألمانيا قد قطعت بتصرفها الجريء خطوة حاسمة في سبيل استكمال سيادتها وهيبتها كدولة عظمى وفي أنها ستخرج ظافرة من هذا النضال السياسي ، ذلك أن الدول الغربية ، وأوربا كلها ، ترتعد كلما لاح لها شبح الحرب ؛ بيد أن تصرف ألمانيا في مسألة الرين سيغدو أيضاً نذيراً جديداً لفرنسا يحملها على مضاعفة حـذرها وأهبتها للمعركة القادمة الـكبرى

(* * *)

# خـــواطر
## فى الحياة والموت
للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

كلما فكرت فى أمر الموت ازددت حيرة ، وكنت أظن أن إطالة الفكرة فيه رياضة حسنة عليه ، وأن ذلك جدير بأن يصغر الدنيا فى عينى ، ويجملنى بالحياة أقل احتفالا ، فاذا الأمر على خلاف ذلك ، والحال على نقيضه . وما أظن بغيرى إلا أنه مثلى ، وقد أقول لنفسى حين أخلو بها – وقلما أفعل هذا الآن – إن كون المرء يحيا ليموت ليس بالغاية أو النهاية التى يسكن اليها الحى ويطيب بها نفسا ، وما أشبه ما يفعل بنا هذا القدر الجارى علينا بما نصنعه نحن بخراف العيد ، نسمنها لنذبحها آخر الأمر ، وفرق ما بيننا وبين الخراف أن هذه تزداد لحما وشحما وأنا نزداد علما وفهما ؛ ولا أدرى من الذى قال إن الحياة مدرسة ، ولكن الذى أدريه أنها أعجب المدارس وأخفها – ولا أقول أقلها – حكمة ، ذلك أن التعلم فيها يستمر إلى نهاية العمر ، ولا سبيل إلى اختصار الأمر أو الاجتزاء ببعض العلم عن بعضه ، لانتفاء الارادة الشخصية ، ولأن المدرسة هى الدنيا كلها ، فلا خروج منها إلا بالخروج من عالم الأحياء ، والعالم والجاهل سيان ، واللبيب كالغبى ، والساعى فى وزن القاعد ، والمصير واحد ، والمآل لا يختلف ، وكل من فى هذه المدرسة العجيبة يتلقى علومه الخاصة التى لا تشبه دروس غيره ، ولا ترى أحداً يسأله هل حذق الدرس أم أهمله ونسيه ؟ وكل واحد عالم وجاهل فى آن معاً ، يعرف ما أتيح له أن يعرف ، ويجهل ما عدا ذلك أجمعه . وقل أن ينتفع أحد بما تعلم فى حياته لأنه يدفن معه فى قبره ، ويلف عليه وعلى تجاربه ومعارفه كفن واحد . وكم تساءلت – وأنا أتدبر هذا كله – عن الحكمة فى تضييع ما أفاد الانسان فى حياته من العلم والخبرة ؟ ؟ ذلك أن كل ما حصل فى حياته يموت معه ، ولا سبيل إلى استنقاذ التجاريب والمعارف والانتفاع بها بعد أن يقضى صاحبها نحبه ويستوفى أجله . فهل هذه يا ترى خسارة تصيب الانسانية كلما مات منها فرد ، أم لا خسارة هناك عليها ولا ضير ؟ ؟ من يدرى ؟

وسهل أن يفهم المرء أن يخلق ليحيا ، ولكن العسير أن تجمله يفهم أنه يخلق للمات . فلماذا يكون هذا هكذا ؟ وإذا صح أن الحياة مدرسة ، أفلا يكون الأصدق والأشبه بالواقع أن نقول إن غايتها تدريب الأحياء على الموت وإعدادهم له ؛ ذلك أن الانسان يموت منه كل يوم شىء ، وشجرته لا تزال تتساقط ورقاتها وزهراتها واحدة فى إثر أخرى ، حتى تصوح وتعطب ، وانظر ما يفعل الزمن بآمالنا ورغائبنا ومساعينا وبأجسامنا ونفوسنا ؟ ؟ والآمال يدركها الحين ، والشباب يذهب ، والصباحة يغيض ماؤها ، والنشاط ينضب معينه ، والشعر الأسود يبيض ، والقوة تسترق ، والقناة المعتدلة تتقوس ، والسمع يثقل ، والنظر يضعف ، والشهوات تفتر ، والعجز يدب دبيبه شيئاً فشيئاً . حتى يوافى الأجل فيكون كل هذا تمهيداً له تتدرب به النفوس على السكون إلى الموت . حتى كر الأيام ايذان مستمر بالموت الزاحف ، وليس يسع الانسان حين يتأمل ذلك إلا أن يشعر أن كل يوم يعيشه ، هو يوم يموته ، والواقع أن الانسان فى يومه غير ما كان فى أمسه ، لأن الحياة قائمة على التحول ، أو هى دائرة على الموت إذا شئت ، ولا سبيل فيها إلى بقاء شىء أو ركود حال ، وكل ساعة تمضى علينا تمضى بشىء منا ، أو على الأصح بصورة من صور وجودنا ، وحالة من حالات نفوسنا وأجسامنا ، وكون المرء يتغير معناه أنه يذهب ويجىء غيره ، ويموت ثم يخلق خلقاً آخر ، ولكن سرعة التعاقب فى الخلق تجعل الصورة الجديدة مولدة من القديمة الفانية وشبيهة بها شبها يخفى وجوه الاختلاط : والذى يديم النظر فى المرآة لا يفطن إلى التغير الذى حدث ، ولكن الذى يبعد عهده بالمرايا لا يسعه إلا أن يرى أن صورته قد تغيرت ، وحالت عما كان يعرف

فالموت يعيث فينا نهارا وليلا . وصباحا ومساء ، وكل إحساس أو رأى أو اعتقاد لنا يتغير ، هو ضرب من الموت يدركنا ، والشيخوخة والأمراض وما يصيبنا من خيبة فى آمالنا أو اخفاق فى مساعينا — رياضة لنا على ما نحن صائرون إليه من المآل . وقد أتساءل أحياناً عن معنى حياة مجهولة

# ٤ـ التعليم والحالة الاجتماعية في مصر

للأستاذ اسماعيل مظهر

أظهرت في مقالي السابق أن لكل أمة من الأمم ثقافة تقليدية ترثها عن أسلافها، وأبنت أن هذه الثقافة تصبح بالوراثة قطعة من غريزتها وجزءاً من فطرتها، لا تنفك عنه أمة من الأمم أو تكون قد انفكت عن أخص مميزاتها وأعظم مظاهرها الاجتماعية. وعقبت على ذلك كله بمجمل العلاقات التي تربط كل أمة بثقافتها التقليدية إظهاراً لوجهة نظري في هذه المسألة الحيوية

على أن ما أحطت به في مقالي السابق قد قصر على بيان العلاقة التي تربط الثقافة التقليدية في كل أمة بمظاهرها الاجتماعية من حيث أنها مظاهر اقتصادية لا غير. والآن أريد قبل أن أختم هذه البحوث أن أظهر أن لنظريتي في الثقافة التقليدية أثراً في تكوين العقلية الفردية وتكييف العقلية الجماعية، منشأة في كل أمة من الأمم بمقتضى الظروف والحالات التي لابستها منذ أقدم عصورها التاريخية

ومن أجل أن نبين عن حقيقة ما نقصد إليه نقصر الكلام على أخص الظواهر التي ثارت من حولها عجاجة النقد وكثر فيها الجدل حتى أصبحت من عقلية الجمهور المتعلم جزءاً لا يتجزأ

ولا ريبة أن في حياتنا الحاضرة مظاهر، هي بحكم العصر الذي نعيش فيه والحالات التي تكتنفنا، أجلى من غيرها وأبين في تكييف عقليتنا من كل الظواهر الأخرى، وأقصد بذلك الأدب من ناحية، والوطنية من ناحية أخرى.

وأول ما يبدر إلى ذهن الباحث في هذا المقام أن يسأل: أمن علاقة بين الثقافة التقليدية والأدب؟ أهنالك من صلة بين هذه الثقافة والوطنية؟ أيكون لماضي الأمم أثر في تكوين أدبها وصبغ وطنيتها بصبغة خاصة، وهل من رابطة تربط بين تصورات ومشاعر وعواطف درجت عليها القرون، وبين أبناء جيل يخيل إليهم أنهم نفضوا أيديهم من الماضي وأزالوا عن كواهلهم تراب الأزمان الغابرة، فأصبحوا خلقاً جديداً، وأمة مستحدثة من عناصر لا تمت إلى القديم بسبب من الأسباب؟

وما كان لباحث أن يسأل هذا السؤال، وما كان لهذا السؤال أن يدور في مخيلة مفكر، لو أن لنا بثقافتنا التقليدية صلة أو كان لهذه الثقافة علاقة بأدبنا، أو صلة بوطنيتنا. وإنما يدور هذا السؤال في مخيلة كل مفكر بحكم أننا قطعنا صلتنا بالماضي، وفرطنا عقد رابطتنا بعصر القديمة، وبالأحرى حللنا العقدة التي تصل بين حبل حياتنا الحاضرة والخيوط التي تتكون منها شبكة حياتنا الماضية، ولا شك في أن الفرد ثمرة الماضي، قبل أن يكون ابن الحاضر، وصلته بذلك الماضي صلة وراثة. أما صلته بالحاضر فصلة ضرورة

ولا مرية في أن هذا السؤال غير طبيعي في أمة أحكمت صلتها بماضيها، ووثقت روابطها بثقافة آبائها الأولين. فهو بمثابة أن تسأل مثلاً: أمن علاقة بين دمي الذي يجري في عروقي ودم جدي أو جد جدي؟ وهل من صلة بين تصوراتي ومشاعري وميولي، وبين طبيعة الأرض التي تغذيني والهواء الذي ينعشني والسماء التي تظلني؟ ذلك بأن الأمم متى أحكمت صلتها بماضيها

---

للموت ودائرة عليه ومتسربة فيه — في كل حالة ومظهر؟؟ ولا جواب هناك أعرفه لسؤالي، وقد يئست من امكان الاهتداء، حتى لم أعد أحفل لا الحياة ولا الموت، أو أبالي كيف أكون في يومي، وماذا يكون من أمري في غدي. وهل الانسان إلا مقبرة متحركة؟ ؟ بل أنا أبالي — كما قدمت في مستهل هذه الكلمة — ولكني أغالط نفسي، وأصرفها عن النظر إلى هذا الجانب الأسود، وألهيها وأسليها بما أستطيع أن أريقه على جوانب العيش من ضوء يردها مشرقة ضاحكة. ومن هنا نشداني للفكاهة وحرصي على الوقوع عليها. ومتى تساوى الحزن والفرح، وتعادل الغضب والرضى، وكان الاهتداء في وزن الحيرة والضلال، وصار البكاء والضحك سيين، فالضحك أولى اذا قدرت عليه؛ والدنيا مأتم، فما أحقنا بأن نسر الناس، أو نسري عنهم، أو نذهلهم لحظات عن تنغيص حياة مبطنة بالموت، وذلك يتطلب الارادة، ولكن الارادة تكتسب

ابراهيم عبد القادر المازني

ونشأت دائماً عبير الروح الذي سرى في كيانها منذ أبعد العصور لن تشعر يوماً بأنها في محيط غير محيطها الطبيعي ، أو أنها في بيئة غير بيئتها الفطرية ، فيظهر أثر ذلك كله معكوساً في جماع مظاهرها وبخاصة في آدابها وفي وطنيتها . أما ونحن نشعر الآن بأن أدبنا أدب مصنوع لا أدب فطري ، وأن وطنيتنا وطنية ظاهرية لا وطنية حقيقية ، فانه من الطبيعي أن نسائل أنفسنا عن سبب ذلك ، ومن الطبيعي أن نجد الجواب في النظرية التي أدلينا بها من قبل في العلاقة التي تقوم بين المظاهر الاجتماعية والثقافة التقليدية التي تختص بها كل أمة من الأمم ، وتختص مصر بصورة منها

* * *

قرأت منذ سنوات قصيدة في مجلة « أبولو » عنوانها « قبرة شيلي » ، وعكفت كعادتي في كل ما أقرأ من المترجمات على مقابلتها بالأصل ، فألفيت أن الشاعر المترجم قد أجاد في المحافظة على المعاني الأصلية قدر ما تهيء أوزان الشعر وقوافيه ومفردات اللغة العربية لمترجم أن ينقل شعراً من الانجليزية إلى العربية . ولقد أحسن الشاعر المترجم سبك المعاني في قالب عربي يلائم روح التجديد مع المحافظة على جرس الأسلوب العربي ، فأكبرت القصيدة وأعدت تلاوتها مرات مبالغة في الوقوف على ما فيها من أوجه النقد ووزنها على مقتضى المعايير التي أومن بها في تقييم الشعر ، ولم ألبث أن أحللتها بين ما أعتقد أنه من جيد الشعر الحديث ، غير أني بعد كل هذا كنت أشعر بأن في القصيدة ماهية أخرى تبعدها عن طبعي ، وتقصيها عن تصوراتي وتجاريبي ، وتنأى في روحها أبي غريب عن الجو الذي تخلقه من حولي . فلا الجو الذي وضعه « شيلي » وغشاه بالسحاب القاتم الشديد السواد هو الجو الذي أعرفه ، ولا الغناء القوي الحنون الذي ترسله قبرته هو نفس الغناء الذي أعهده في قبراتنا ، ولا لونها الأصفر الزرياني الذي يجعلها تظهر تحت السحب السوداء كأنها شرارة من لهب ، هو لون القبرة المغبرة السفعاء التي آنسها في حقولي . كذلك رأيت في ذكر السيول والأمطار الغامرة التي ترسلها سماء انجلترا شيئاً جديداً لا علاقة له بمحيطي ولا صلة له ببيئتي ، وعلى الجملة شعرت بأني أقرأ خيالاً انجليزياً في شعر عربي . خيال يجذبني من ناحيته إلى ثقافة غير ثقافتي التقليدية بل يقصيني عن تجاريبي ومشاهداتي ، وأن كل ما تهيء لي القصيدة من قدرة على التصور هو ما تحمل ألفاظها العربية من معان أتخيلها تخيلاً وأصورها تصور الحدس والوهم ، وأن آلة الاداء ، وهي اللغة العربية هي الناحية الوحيدة التي تقربني بعض التقريب من الجو الشعري الذي تكيف به القصيدة مشاعري ، ولا شك في أن الشعر شيء ، وآلة أدائه شيء آخر ، وإنما يكون الشعر متصلاً بطبع الانسان متى استمد عناصره من ثقافة تقليدية لا يعنت التصور إدراكها ، ولا يتعب الخيال تصورها ، فيشتمل على نواحي النفس ويخاطب الروح بديئة قبل أن يخاطب العقل

عقبت على هذا بقراءة قصة مترجمة عن كاتب روسي مشهور ، فآنست فيها شططاً في الوصف ومغالاة في التقدير ، وتحليلات نفسية معقدة غاية التعقيد ، بعيدة كل البعد عن بساطة الروح المصري الذي آنسه في الفلاح الساذج الذي نشأت محوطاً بثقافته التقليدية ، ولا أريد أن أبحث شخصيات هذه الرواية لأحكم أنه كان في الدنيا شخصيات حقيقية تقابل الشخصيات التي وضعها الكاتب وحلل نفسياتها ، وإنما أريد أن أقول إن تحليل ذلك الكاتب مهما كان فيه من حق وبعد عن المغالاة ، وسواء أكانت الصفات التي أضفاها على شخصياته تلك صفات يمكن لنفس بشرية أن تنطوي عليها ، أم إنها شخصيات خيالية لا تقوم لها حقائق في الخارج ، فجل ما أرمي اليه أن أقول إنها شخصيات لا تربطني بها رابطة ولا تصلني بها صلة ، وأن محيطي الذي أعيش فيه ينكر وجودها وينفي حقيقتها ، بالرغم من أن شخصاً آخر في محيط آخر قد يرى أنها شخصيات طبيعية ، بل قد يجسمها خياله على مقتضى تجاريبه التي يشهدها في حياته .

ولا أقصد بذلك أن مثل هذا الأدب غير مفيد في توسيع مجال الخيال ، وتنويع الصور المتخيلة وتوطيد قواعد الأدب المصري من حيث صلته بالآداب الأخرى . وإنما أقول إنه مهما كان فيه من المميزات فهو أدب دخيل لا أدب أصيل . أدب لا علاقة له بثقافتنا التقليدية ، فهو من طبع غير طبعنا وفطرة خلاف فطرتنا . إنما هو أدب تصوري لا أدب حقيقي ، مقيسة معاييره بقياس حياتنا الخاصة ومحيطنا الخاص . أدب لا تهضم منه فطرتنا إلا القليل النادر . هذا على اعتبار أن العلم بالأدب شيء وهضمه وتمثيله في الروح شيء آخر ، ولن يكون للأدب من أثر

في الحياة إلا بأن تمثله الروح فيصبح جزءاً منها ، فتسترشد بمُثُله ، وتتعظ بمَثُلاته ، وتدرك منه الحقائق إدراك استيعاب لا إدراك علم بها دون الإيمان بما فيها من حق وواقع

وما أريد أن أستطرد في ضرب الأمثال فان فيما أوردت منها غنى عن ذكر غيرها . ذلك بأن كثيراً مما نقرأ في الصحف والمجلات وكثير من المؤلفات يجرى هذا الجرى ويسيل هذا السيل ، حتى لقد أصبح أدبنا الحديث لكثرة ما فيه من الرقع والرتوق ، ولكثرة ما فيه من صور الأمم الأوربية كأنه « عصبة أمم » أخرى ، ولكن في صحف سطرت بكلمات عربية

في وسط هذه الصور العجيبة المتنافرة ، وفي غمرة تلك الفوضى السائدة في الأدب على مختلف ألوانه ، وعلى متضارب وجوهه ، ومتباين ضروبه ، أتقع على الأدب المصرى الصحيح الذي يمثل الروح المصرية ؟ بكلمة واحدة أقول « لا » ؛ وودى لو يتسنى لي أن أكتب كلمة « لا » في صحيفة وحدها وبأكبر قطع تعرفه المطابع العربية .

يشعر كل المشتغلين بالأدب ، أدباء كانوا أو طلاب أدب ، نقاداً كانوا أو قارئين ، بأن بين الأدب الذي يعكفون على درسه أو قراءته وبين نفوسهم بوناً شاسعاً ، وأن بينه وبين أرواحهم المثلة في أخيلتهم ومشاعرهم وعواطفهم وأمزجتهم صدعاً متنائيا . وقد يأخذهم القلق حيناً ، وقد تتملكهم الريبة أحياناً في أحقية ذلك الأدب بالبقاء في بيئة لا تعرفه ولا يعرفها ؛ ولكن قلقهم لا يلبث أن يهدأ ، وريبتهم لا تني إلا قليلا حتى تزول ، إذ يرون أن ذلك الأدب أدب الساعة لا أدب العمر ، مستدلين على ذلك بأن الآثار الأدبية التي ظهرت في العشرين عاماً الماضية لم يفلح جماعها في تكوين مذهب واحد ثابت الدعائم قوى الأركان محدود الغايات بيِّن المثل ، فماش ولم يمت . أما السبب في أن كل انتاجنا الأدبي إنما هو للفناء فراجع إلى أنه أدب مسروق أو على الأقل أدب مسلوب من آداب الأمم الأخرى وليس فيه من أثر المصرية إلا أنه مكتوب بلغة عربية ، ولكن بأساليب أصبحت بدورها أضعف من أن تحسن أداء رسالة الأدب

ولقد سمعت بعض المشتغلين بالأدب يقولون إن نقل الآداب الأوربية إنما هو بمثابة دم جديد يغذى أدبنا بالحياة ، ويعده بأسباب البقاء . غير أن هذا الرأى على ما في ظاهره من حق ، فانه أشبه بحق يراد به باطل . ووجه الباطل فيه أنهم يفرضون أن لنا أدباً يغذيه الأدب الأوربي ، وذلك ما لم يقم عليه أقل دليل حتى الآن . فأين الشعر المصرى الحقيق بأن يدعى شعراً مصرياً ؟ وأين القصة المصرية التي تصور حياة مصر تصويراً صحيحاً مقتطعاً من الطبع المصرى ومن الثقافة المصرية الصحيحة ؟ بل أين الأديب الذي عكف على درس العقلية المصرية وقصر جهده على تفهم الروح التي تنطوى عليها ضلوع ذلك الفلاح الساذج الذي هو لغز الألغاز ومن الأسرار ؟ أين الأديب الذي أحاط بتاريخ مصر منذ أبعد عصورها وكون من ذلك التاريخ صوراً تظهر معكوسة في أدبه شعراً أو نثراً ، وأين الأدب الذي يصور ما نزل بنا من نوائب الدهر وبلايا الأيام ، وما حاق بنا من مظالم يصرخ بها تاريخنا ، بل أين الأدب الذي يرينا كيف ابتلع الفلاح الساذج الهادئ الطبع اللين الجانب بما فيه من قوة المقاومة السلبية ، الفرس والروم والرومان والعرب والماليك والأتراك ، ولا يزال مستعدا لابتلاع خمسين قيصرية من أمثال هذه القيصريات العظام وهو قابع في عقر حقله الصغير وفي كسر بيته الطيني ، تاركا دورات الحظ تدور بالسعد حيناً وبالنحس حيناً آخر ، وما يهمه في الحياة من شئ إلا أن يضحك ساخراً من الأمم والأقدار .

على أن الاطناب في مثل هذه الأشياء تحصيل حاصل ، والاستطراد في ذكر الشواهد عبث ، لأننا نشعر شعوراً كاملا بأن الأدب المصرى اسم على غير مسمى ، وإن شئت فقل إنه فرض لا حقيقة له . وإنما أقصد بالأدب المصرى الأدب المقتطع من خيالنا ومن أنفسنا ومن أخيلتنا . الأدب الذي إذا قرأته تبينت فيه مصر وأرض مصر وسماء مصر وتاريخ مصر ، وعلى الجملة كل ما توحى به مصر من الموحيات الدفينة في نفوسنا ، الرسيسة في طبعنا ، الحائرة في أرواحنا

أما السبب في كل هذا فهو أننا بعدنا عن ثقافتنا التقليدية ، بل إننا قطعنا صلتنا بالماضي وهمنا في فلوات لا نعرف فيها طريقاً يسلك ، لا الى الأمام لنصير أوربيين صرفاً ، ولا إلى الوراء لنعود إلى مصريتنا مرة أخرى . وإذن فنحن في التيه ، ولكنه التيه الذي سوف لا نخرج من ظلماته ما دمنا غير قادرين على تقييم حقائق وجودنا تقيما صحيحاً ، وما دمنا عاجزين عن أن ندرك تلك الحقيقة الأولية ، حقيقة أن ثقافتنا التقليدية هي اللجأ

الأخير الذى يوقظ فينا « الروح المصرية » التى من طريقها نكوّن الأدب المصرى . الأدب المصرى الذى ينبغى أن يكون من حياتنا الأدبية بمثابة الجهاز الهضمى فى الحيوان ، فيه تهضم الآداب الأخرى ، ثم تتمثل أدباً جديداً ملائماً لآدابنا ومشاعرنا وأخيلتنا ، وفى الوقت ذاته تطرد النفايات . تلك النفايات التى تسمم أدبنا الآن وتفسده ، لأن أدبنا الجديد أضعف من أن يفرزها الى خارج جسمه المتهدم الضئيل

***

هذا من حيث الأدب . أما الوطنية المصرية ووصفها بأنها وطنية ظاهرية ، فلا يرجع الى حب الاغراب ، ولا الى حب النقد بغير دليل يقام أوحجة مقبولة . لهذا نقسم الوطنية قسمين : قسما يمثله الشباب المتعلم وعلى رأسه الأحزاب ، وقسما يمثله الفلاح الساذج

على أنه ينبغى لنا قبل الاستطراد فى شرح مزايا القسمين أن نتعرف كيف نشأت الوطنية ، ومن أي نبع تستمد تصوراتها .

وما من شك فى أن الوطنية المصرية إنما استمدت أولى خطواتها من آداب الثورة الفرنسية الكبرى التى قلبت نظام الحياة فى أوربا فى أواخر القرن الثامن عشر . والدليل القاطع على هذا أنه منذ عصر عرابى الى اليوم ترى أثر القسمين واضحاً جلياً فى كل ما أدت الوطنية المصرية من الخدم الجسام لمستقبل مصر الحديثة . فالقسم الأول يأتم بالنظريات التى ذاعت فى فرنسا فى عصر ثورتها ، وظل مؤتماً بها حتى بدء الحرب العظمى ، والقسم الثانى ظل مستمسكا بتصوراته القديمة التى عكف عليها طوال العصور التى ظلت فيها مصر ميداناً لتطاحن الأمم والقيصريات

أما الفئة الأولى ، وهى الفئة التى عكفت على النظريات الأوربية تستمد منها تصورات الوطنية ، فكانت فى كل الأدوار التاريخية منذ ستة عقود من الأزمان ذات الأثر الواضح فى تكييف الظروف التى لابست كياننا السياسى . فهى التى بثت الروح الجديدة ، وساقتها فى طريق أجبر مقاوميها على أن يعدلوا من موقفهم إزاءها تدريجا على مقتضى قوتها أو ضعفها حتى أصبحنا اليوم وفى حياتنا السياسية عنصر جديد لم تعرفه مصر منذ عشرين قرناً من الأزمان . غير أنه مهما قيل فى هذه الوطنية فان مظاهرها قاصرة على تصورات فئة قليلة العدد مقيسة بتبعية الذين يؤمنون بالوطنية مسبوكة فى القالب الذى صوره الفلاح المصرى ليكون حداً لوطنيته . وأن كلامنا إنما ينصب على وطنية هذا الفلاح دون غيرها

قد تعجب ويشتد بك العجب إذا أنا قررت هنا أن الفلاح المصرى شديد الوطنية مغال فيها ، بل متطرف فى وطنيته أشد تطرف ، ولكنك بجانب هذا تسأل أين الآثار التى تتجلى فيها هذه الوطنية ، فأجيبك بأنها تظهر كل يوم على صفحات جرائدنا الاخبارية ، وتشغل بها الحكومة فى أكثر أيام السنة ، ألا تقرأ كل يوم أن فلاحاً حز رقبة أخيه لأنه اعتدى على حقله فهد جزءا من حدوده ؟ ألا تسمع أن أسرة شهرت السلاح فى وجه أخرى لأن أحد أفرادها أراد أن يأخذ نصيب آخر من الماء ، وأن الموقعة انجلت عن قتيل وجرحى وأسرى هم رهن التحقيق ؟ إذن فاعرف أن هذه هى الآثار التى تترتب على وطنية الفلاح المصرى . أما الوطنية نفسها فتنطوى على حب الحقل والدفاع عنه بالمال وبالولد وبالروح ، ، ذلك بأن الفلاح الذى فقد حقوقه الدنية والسياسية طوال عصور قلما تعيها الذكريات ، ونزل به من الفادحات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، لم يصبح عنده فى الدنيا من شيء ذى قيمة إلا ذلك الحقل بحدوده الأربعة ، وإلا ذلك النزر من الماء الذى يجود عليه بالرزق الحلال

أما السبب فى أن تنضمر الوطنية المصرية حتى تصبح فى نظر الفلاح الذى هو أهم عناصر مصر الحيوية ، محوية فى داخل هذه الحدود الضيقة ، فراجع الى أسباب تاريخية . فانه منذ غزو الاسكندر المقدونى ، ومن قبله بعشر سنين ، أى منذ أن طرد الفرس آخر ملوك الفراعنة واسمه « نقطانيبو » لم يسد المصريون فى بلادهم يوماً واحداً ، وظل المصريون بين الحقول يزرعونها ليمولوا أنفسهم ويمولوا أسيادهم الذين يتسلطون عليهم من أية أمة كانوا وبأى دين دانوا ، فلقد استطاع المصريون قبل الغزو الفارسى الأخير أن يستردوا حريتهم المرة بعد المرة ، عقيب كل غزو دهمهم به أمة أجنبية كالهكسوس وغيرهم ، وأن يقيموا على عرش بلادهم أسراً من الفراعنة تحيى تقاليد الحكم والثقافة واللغة ، تلك التقاليد التى نشأت وربت فى مدى عصور لا تعيها الذكريات . ولكن تلك الغزوة كانت آخر عهد ملوك الفراعنة الذين تجرى فى عروقهم الدماء الوطنية بالحكم على ضفاف النيل والى آخر الدهور . فمنذ فتح الاسكندر خضعت مصر ألف سنة لحكام هلسيني الحضارة من مقدونيين ورومان ، وفى نهايتها صارت مصر جزءاً من جسم الاسلام ، فبدلت تبديلاً ، وأصبحت

لها لغة أخرى ، ونظام اجتماعي لا عهد لها به ، ودين جديد ، ونبذ الآلهة الذين عبدوا في مصر على أنهم آلهتها الخواص الآلاف من السنين نبذاً أبدياً ، ثم دفنوا في ثراها

ومنذ ذلك التاريخ لم يفز مصري أصيل بالحكم على شطآن النيل ، بل لقد مرت عصور طويلة كعصر البطالسة مثلا ، لم يكن في الحكومة كلها من مصري شغل مركزاً أكبر من مركز صراف يجبي الأموال . بل رأى المصريون معابدهم المقدسة تستباح فيتخذها القدونيون موضعاً للهوهم وعبثهم وسكرهم وعربدتهم ورأوا الفرس يذبحون عجلهم المقدس من قبل ذلك

ولقد كان لهذه الملابسات التاريخية آثار كيفت الوطنية المصرية فحدتها بحدود الحقل المقدس ، وإنما صار الحقل مقدساً في عين المصري لأنه كان الملجأ الوحيد الذي لجأ اليه فحماه من الانقراض التام . ولولا ذلك الحقل إذن لأصبحت مصر اليوم إما رومية وإما لاتينية . ولكن الحقل قام سداً بين الغزاة وبين المصريين أين منه سد يأجوج ومأجوج . ذلك بأن ثرى مصر لا يزرعه إلا المصري ولن يقوى عليه غير المصري . لهذا عبده المصريون بعد « أبيس » ، وقدسوه في الأعصر الحديثة تقديسا ليس فوقه عندهم من شيء إلا خشية الله . ففي الحقل رزقه وقوته وفي طرف منه قطعة سويت لا تزيد مساحتها عن بضعة أقدام مربعة فرشت بنبات الحلفاء هي مُصَلاه . فالحقل للفلاح عالم صغير مقدس يذود عنه بالروح ويبذل في سبيله الدم ، لأنه ملجؤه الأخير وملاذه ومبتغاه

فلا عجب إذن في أن تنحصر الوطنية المصرية ، وإنما نعني به وطنية السواد من أهل مصر ، في حدود ذلك الحقل ولا تتعداه . وكيف تتعداه وقد آنبت فيه الحياة آلاف السنين واستقرت في تربته الأجيال ثم الأجيال ؟

وكما أننا عجزنا عن أن نكون أدباً مصرياً صحيحاً قوي الروح والأخيلة ، بأن بعدنا عن ثقافتنا التقليدية ، فكذلك عجزنا عن أن نخرج ، لهذا السبب عينه ، وطنيتنا من حدود الحقل إلى حدود مصر ، وليس هذا وحده السبب في أن وطنيتنا ظاهرية ، بل إن هنالك سبباً آخر يتجلى في أن الفريق الأول من وطنيينا ، وهم الذين يستمدون تصوراتهم الوطنية منقولة من أوربا ، لم يتناولوا في صميم مصر ليفهموا حقيقة السبب في ضعف الوطنية المصرية ،

وإنما يجب علينا أن نعكف على ثقافة تقليدية ننتزعها من صميم مصر لتكون عوننا في بناء صرح المجد كاملا اقتصادا وأدباً ووطنية

أما فشلنا في هذا حتى الآن فالى أي شيء نعزوه ؟ إلى السياسة التي جرى عليها التعليم في بلادنا بغير جدال . وسنظهر في البحث التالي ، جهد مستطاعنا ، كيف ننجو بثقافة تقليدية مستحدثة تنقذنا من البوار المحتوم

اسماعيل مظهر

( الرسالة ) تخالف الأستاذ الكاتب في بعض ما جاء في مقاله وخاصة في وطنية الفلاح وانحصارها على الحقل ، وقد نشرناه عملا بحرية الرأي

# في تاريخ الفقه الاسلامي

ثلاث محاضرات
للدكتور يوسف شخت
الأستاذ بجامعة كونيكسبرج ، والأستاذ بالجامعة المصرية

— ٢ —

قدمنا في محاضرتنا الأولى بضع ملاحظات على الطريقتين الشرقية والغربية لدرس تاريخ الفقه الاسلامي ، وأبدينا الكلام عن بعض مسائل متعلقة بعصرين هامين من تاريخ الشريعة : العصر التمهيدي وهو ما قبل الاسلام ، والعصر الأساسي وهو زمن فقهاء المدينة السبعة . وتتناول محاضرتنا هذه دوراً ثالثاً : الدور الذي تكونت فيه المذاهب . فأول من أسس مدرسة في تاريخ الشرع الاسلامي هو — كما نعلم الآن — محمد بن إدريس الشافعي . وكونه المؤسس لعلم حقيقي في الفقه أمر يظهر بجلاء من كتابه الموسوم بالرسالة في أصول الفقه الذي بحث فيه عن طريقة هذا العلم ، كما يبدو من النظام الباهر الذي وضع عليه الشريعة في كتابه الكبير المسمى « بالأم » وفضله هو أنه بعث اليقظة في الفكرة الفقهية الاسلامية ، وأنه لا يبرهن عند الحاجة إلى الدلائل وابتغاء الوصول إلى نتائج عملية فقط ، بل يبرهن دائماً ومبدئياً ، وأنه يبحث أيضاً عن شروط الاحتجاج التشريعي وطرقه بوجه عام . وكتابه العظيم يتيح لنا إدراك طبيعة فكرته الفقهية وعناصرها إدراكا تاماً ويمكننا من مقابلتها بآرائه في طريقة علم الفقه المعروضة في كتاب الرسالة ، وخاصتها البارزة هي الدقة والجلاء اللذان يحملانه على مخالفة كثير مما كان مسلماً به قبله دون أن يضيق بهذا أفق تفكيره ، ودون أن يحصر نفسه في دائرة مخصوصة ، فإن اجتهاد الشافعي يتجه على الأخص إلى تنظيم الفقه ؛ ونراه يعمل بلا انقطاع على إيجاد تماسك بين الأحكام المنفردة وعلى التحاشي عن أي تناقض بين نتائجها الأخيرة ؛ ومهما يكن من أمر السابقين واللاحقين في هذا الشأن فإن الشافعي كان له أعمق الأثر في تنشئة طريقة القياس التي ظلت من مميزات علم الفقه ؛ ونقصان التعريفات والتحديدات القانونية الفنية في الشرع الاسلامي يتصل مباشرة بالدور الحاسم الذي يقوم به القياس . من الطبيعي جدا أن ذلك النجاح العظيم الذي لم يسبق له مثيل ، والذي افتتح في تاريخ الشرع الاسلامي عصراً جديداً قد أحدث ضجة واسعة ، وأفضى إلى تأسيس المذهب الشافعي . ولكن كل هذا لا ينطبق على المذاهب التي سبقته : وعلى الأخص المذهبين الحنفي والمالكي ؛ والأرجح أنها نزعات عامة كانت قد بدت في نواح مختلفة ، وما بينها من الخلاف يرجع قبل كل شيء إلى أسباب جغرافية ومدنية عامة : إما بتنوع القوانين العرفية المندمجة في الفقه ؛ وإما باتحاد العمل والعلم في نواح متماسكة ؛ أما اختلاف الأساليب والطرق الفقهية فليس له إلا المقام الثاني ، كذلك مذهب الحجاز لم يكن تقليدياً من حيث المبدأ بل من حيث أنه يمثل السنة الدنية ؛ ومذهب العراق لم يكن أوسع حرية من ذلك بل كل ما هنالك أنه متفق وتطور حياة العراق المادية والفكرية التي تعرضت لكثير من التأثيرات الخارجية ، وامتزجت بكثير من العناصر الأجنبية . كان هذان المذهبان في مرحلتهما القديمة يحتاجان إلى تنظيم محكم ، فهما لم يرتبا صفوف أتباعهما إلا بتأثير المذهب الشافعي وعلى غراره ، فاختار كل واحد منهما شخصاً ممتازاً ينتسب اليه ، جديراً بتمثيله ، والأدلة كثيرة على هذه الطريقة من النظر في نشأة المذاهب الفقهية : فلقد ظلت التسميتان الأصليتان من « أهل العراق » و « أهل الحجاز » تطلقان على أصحاب هذين المذهبين حتى بعد عصر مؤسسيهما المزعومين أبي حنيفة ومالك ، في حين أن أصحاب الشافعي كانوا ينعتون بهذا الاسم منذ أول الأمر ؛ وأنه لا يزال موضع شك في عدد كبير من الفقهاء أن يعتبروا أعضاء للمذهب المالكي ، وخصوصاً للمذهب الحنفي أو يعتبروا فقهاء مستقلين ، على حين أن مسألة كهذه لا تلحق الشافعية . أما مالك فإن الشهرة الشخصية العظيمة التي ظل يستمتع بها طول حياته لا بد أن تكون قد ساعدت على اختياره رئيساً ناسباً لمذهب الحجاز ؛ بيد أن هذه الشهرة قد عزتها اليه المصادر المتناهية في القدم لنقده الدقيق للأحاديث ولرجالها لا لاجتهاده التشريعي

البحث . وكون الشافعي قد ميزه بين أهل المدينة بأن ألف كتابا صغيراً فيما خالف فيه مالكا من المسائل ليس بعجيب لأن الشافعي أخذ العلم منه . ونفس النجاح العظيم الذي لقيه الكتاب الموطأ لمالك وحده بين عدد من الكتب المماثلة له يمكن أن يعلل أبسط تعليل إذا لم نعده كتاباً مبتكراً ذا آراء شخصية بل عددناه كتابا يعبر عن اجماع الدينيين في عصر المؤلف ملتزماً الطريقة الوسطى مجتنباً التطرف في المسائل المختلف فيها . ولدينا ما يحملنا على الاعتقاد بأن مالكا قد توخى هذا الغرض وهو شاعر بذلك كل الشعور . أما في المذهب العراقي فواضح أن أبا حنيفة يشغل من حيث تطوّر آرائه مكاناً أقل شأناً بكثير من مكانة أصحابه أبي يوسف وزفر ومحمد بن الحسن الشيباني . وإنما يرد ذكرهم كثيراً على هذا الترتيب في الكتب الأقدم عهداً ؛ وانمحاء ذكر زفر وثبوت ثالوث أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد ، وكذلك وضع قواعد للايثار عند الاختيار بين آرائهم المختلفة – كل هذا يرجع تاريخه الى عهد متأخر نسبياً . وليس لأبي حنيفة فيما عدا الفقه الأكبر – وهو عقيدة وجيزة ذات روايات مختلفة بعضها موضوعة ولكن واحدة منها صحيحة – ليس له فيما عدا ذلك كتاب صحيح من تآليفه ؛ لأن مسانيد أبي حنيفة قد جمعت فيما بعد من أحاديث وردت في كتب أصحابه ؛ والأقوال الواردة عنه في مؤلفات تلاميذه لا يتجاوز غالبها المراجعات العامة ، يسندون بها اليه آراءهم الشخصية ، وهذا يحمل على افتراض أنه لا يرجع الى اجتهاد أبي حنيفة الشخصي من تفاصيل المذهب الحنفي إلا شيء قليل

وعلى الرغم من ذلك فان المصادفة السعيدة قد مكنتنا من أن ندرك على الأقل ناحية من شخصيته التشريعية . فقد حكى محمد ابن الحسن الشيباني في كتابه المسمى بالمخارج في الحيل ما يأتي : « سئل أبو حنيفة عن أخوين تزوجا أختين فزفت كل واحدة منهما الى زوج أختها ولم يعلموا حتى أصبحوا فذكر ذلك لأبي حنيفة وطلبوا الحيلة فيه فقال أبو حنيفة ( ليطلق كل واحد من الأخوين امرأته تطليقة ثم يتزوج كل واحد منهما المرأة التي دخل بها مكانها فيكون ذلك جائزاً لأنها منه في عدة ولا عدة عليها من الزوج الأول ) . قال محمد وقد جاء في هذا حديث عيبناه » . ولا يسع أحداً أن يزعم أن هذه الحكاية ليست إلا افتراء موضوعا أريد به تعظيم حكمة أبي حنيفة ، لأن عين ذلك الجواب موجود أيضا في كتاب الآثار لنفس المؤلف مروياً عن أبي حنيفة عن حماد عن ابراهيم النخعي . وأما الحديث الآخر الذي عابه الشيباني نفسه فقد احتفظ به شمس الأئمة السرخسي في كتاب المبسوط قال فيه « ذُكر لهذه المسألة حكاية أنها وقعت لبعض الأشراف بالكوفة ، وكان قد جمع الفقهاء رحمهم الله لوليمته وفيهم أبو حنيفة رحمه الله وكان في عداد الشبان يومئذ ، فكانوا جالسين على المائدة إذ سمعوا ولولة النساء ، فقيل ماذا أصابهن ، فذكروا أنهم غلطوا فأدخلوا امرأة كل واحد منهما على صاحبه ودخل كل واحد منهما بالتي أدخلت عليه ، فقالوا إن العلماء على مائدتكم فسلوهم عن ذلك فسألوا ، فقال سفيان الثوري رحمه الله : فيها قضى عليّ رضي الله عنه : على كل واحد من الزوجين المهر وعلى كل واحدة منهما العدة فاذا انقضت عدتها دخل بها زوجها ، وأبو حنيفة رحمه الله ينكت بأصبعه على طرف المائدة كالمفكر في شيء ، فقال من الى جنبه أبرز ما عندك ، هل عندك شيء آخر ، فغضب سفيان الثوري رحمه الله ، فقال ماذا يكون عنده بعد قضاء عليّ رضي الله عنه ، يعني في الوطء بالشبهة . فقال أبو حنيفة رحمه الله : عليّ بالزوجين ، فأتي بهما فسأل كل واحد منهما : هل تعجبك المرأة التي دخلت بها ؟ قال نعم ، ثم قال لكل واحد منهما طلّق امرأتك تطليقة فطلقها ، ثم زوّج من كل واحد منهما المرأة التي دخل بها ، وقال قوما إلى أهلكما على بركة الله تعالى . فقال سفيان رحمه الله : ما هذا الذي صنعت . فقال : أحسن الوجوه وأقربها إلى الألفة وأبعدها عن العداوة ، أرأيت لو صبر كل واحد منهما حتى تنقضي العدة أما كان يبقى في قلب كل واحد منهما شيء بدخول أخيه بزوجته ... فعجبوا من فطنة أبي حنيفة رحمه الله وحسن تأمله » . والفرق بين المسألة الفقهية في الأولى والقصة الروائية في الثانية واضح . ومن المهم أن نعرف أن مثل هذه الحكايات الرامية الى تعظيم أبي حنيفة قد استطاع معاصرو الشيباني من إذاعتها حتى يعيبها هو . وليست هذه الحكاية بالوحيدة من نوعها ، بل توجد أخرى تشبهها كل الشبه . فالشيباني روى في كتابه المذكور ما يلي :

« حدثني حفص بن عمر أن رجلا أتى أبا حنيفة ليلا فقال

إنى كنت مع امرأتى ... إذ تغضبت على ... فأبت أن تكلمنى فقلت لها أنت طالق إن لم تكلمينى الليلة ... فأبت أن تكلمنى ... وأخاف أن يطلع الفجر ولم تكلمنى فتذهب منى . فقال أبو حنيفة ما أجد لك من حيلة إلا فى خصلة واحدة . . . اذهب فقل لها تذكرين أنك عربية وأنى إنما خرجت الساعة فسألت عن أبويك فاذا أمك نبطية . فأتاها فقال : يا عدوة الله الخ . فقالت : كذبت والله . » وها هو ذا السرخسى أيضاً يورد لهذه الحكاية صورة روائية محضة : « أنه قال للرجل ارجع إلى بيتك حتى آتى بيتك فأتشفع لك فرجع الرجل إلى بيته وجاء أبو حنيفة رحمه الله فى أثره وصعد مئذنة علته وأذن فظنت المرأة أن الفجر قد طلع . فقالت : الحمد لله الذى نجانى منك . فجاء أبو حنيفة رحمه الله إلى الباب وقال قدبرت يمينك وأنا الذى أذنت أذان بلال رضى الله عنه فى نصف الليل » . ولا يسعنا أن نشك فى أن الصيغة الأولى لهذه القصة تاريخية والأخرى خيالية . والمغزى أن أبا حنيفة كان فقيهاً عملياً كثير الحيل حتى أن الجيل الذى تلاه بالغ فى وصفه بتلك الصفة التى لا بد أن تكون بدت له من خصائص أبى حنيفة الشخصية بالحكايات الموضوعة . ومن الغريب أن نلاحظ أنه فى زمن متأخر صار أبو يوسف هو الذى اشتهر عند القصاص بأنه مثال الفقيه المبتكر للحيل العملية .

والشيبانى أحرى من أصحابه بأن يشغل بين الحنفية مكاناً يشبه المكان الذى يشغله مالك بين المالكيـة . ومن سوء الحظ أنه ليس بين أيدى الجمهور إلى الآن من كافة كتب الشيبانى إلا موجزان وهما كتاب الجامع الصغير المطبوع فى بولاق وكتاب المخارج فى الحيل السالف الذكر الذى نشرناه نحن (وطبعات مؤلفين من مؤلفاته الأخرى طبعت فى الهند نادرة جداً فهى كأنها غير موجودة) وليس كتاب المخارج فى الحيل إلا فى موضوع محدود ، وبناء الجامع الصغير على مسائل منفردة — وهو ترتيب تطرق فيه الشيبانى فى هذا الكتاب تسهيلا للحفظ — لا يسمح لنا باستخراج المبادئ التى تقوم عليها الأحكام إلا من طريق الاستنتاج غير المأمون . ومؤلفات الشيبانى الرئيسية موجودة مع ذلك فى مخطوطات قديمة صحيحة موجود منها قسم عظيم جداً فى مكاتب إستانبول . أتيح لى أنا شخصياً أن أنشر فى مؤلف ذى ثلاثة أجزاء فهرستاً لتلك المخطوطات ولغيرها تهم مؤرخى الفقه ، وتسمح هذه الفهارس لمن أراد ، أن يطلع عليها بسهولة ويتولى طبعها . والحاجة قبل كل شىء إلى تعريف كتاب الأصل الذى هو أوسع مؤلفات الشيبانى وكتاب الجامع الكبير . ومع كل منهما يوجد عدد كبير من شروح وتلخيصات وحواش الخ تسهل دراستهما . ويكاد لا يقل عن هذين الكتابين أهمية كتاب الزيادات وقد شرح أيضاً مراراً كثيرة ، وكتاب زيادة الزيادات ، يدل عنوانهما على غرضهما أى اتمام ما فى المؤلفين الكبيرين ، ثم كتاب الآثار ، ثم كتاب الحجج . وهذا الكتاب ، ومعه مسانيد أبى حنيفة التى لا تزال أقدم رواياتها غير مطبوعة أيضاً ، يعلمنا الأساس السنى لا للمذهب الحنفى فحسب ، بل للمذهب العراقى فى العصر السابق له أيضاً . وكتاب الحجج هو أول مثال لما ألف فى اختلاف المذاهب ، وصاحبه يعنى بوجه خاص بأنواع الخلافيات بين أهل الكوفة وأهل المدينة ، فانه يسمى الحنفية والمالكية على هذا النحو . ولكى نقدر أصول المذهب الحنفى حق القدر ينبغى أن نطلع على نصوص هذه الكتب بعينها . ذلك أن مذاهب الفقه المختلفة لا تميزها مبادئ أحكامها فحسب بل تميزها أيضاً قائمة المسائل التى تدرس فى كل واحد منها ، مع طبيعـة هذه المسائل . ففى باب الغصب مثلا يتناول مالك بالبحث قبل كل شىء الحالات التى يكون فيها الشىء المغصوب مثلياً ، فيحمله هذا على الميل إلى مصلحة الغاصب حتى لا يكون عليه إلا أن يعوض من الشىء المغصوب كمية مماثلة . أما الشافعى فعلى النقيض من ذلك يعنى بالحالات التى يدخل فيها الغاصب تعديلا على الشىء المغصوب ، فيميل بذلك إلى تحميله التبعة عن كل ضرر قد ينشأ عن ذلك التعديل بحيث يصبح موقفه عند الشافعى أسوأ بكثير مما هو عند مالك . أما مبادئ مذهب الشيبانى فنحن عاجزون عن الحكم عليها إلى الآن لانتفاء النصوص . وطبع هذه النصوص لازم أيضاً باعتبار أنها المبدأ للبحث عن تطور الأحكام داخل المذهب الحنفى ، والقاعدة العامة هى أن المسائل التى قررتها الكتب السابقـة تنضم صراحة أو على الأقل اضماراً إلى الكتب اللاحقة التى تكون من جنسها ، فالمسائل

التي ترد في كتاب لأول مرة تمثل على وجه الاجمال النتائج التي استحدثتها الباحثات وتطور الأقوال بين هذا الكتاب والكتب التي سبقته . وهذه الطريقة التي تنطبق بطبيعة الحال على كافة المذاهب الفقهية ستسمح لنا بأن نتبع عن كثب تاريخ أحكامها وأقوالها.

ونحن إلى الآن لم نذكر المذهب الحنبلي . وكثير من الفقهاء السلفيين وفي جملتهم ابن جرير الطبري قد أخذوا أحمد بن حنبل الذي يعتبره الجمهور مؤسساً لهذا المذهب بأنه محدث فقط وليس بفقيه ، ولم يكن من الميسور لنا إلى الآن أن نقرر لهذا الرأي ما يبرره أم لا . ولكن كتاب المسائل الموجود منه ثلاث روايات لم يطبع منها إلا واحدة طبعة خاصة يصعب الحصول عليها ، أقول إن كتاب المسائل هذا الذي يشتمل على أجوبة الامام أحمد بن حنبل على المسائل التي وجهت إليه في كافة أبواب الفقه كما يشتمل كتاب المدونة الكبرى على أجوبة مالك ابن أنس يسمح لنا بأن نؤكد أن الامام أحمد نفسه أراد أن يكون فقيهاً لأنه كان يعلم مذهباً فقهياً مفصلا لا يقتصر على شرح الأحاديث . ولهذا ينبغي ألا نعتبر مجموع أحاديثه الكبير المشهور بالمسند كأنه مؤلف قائم بذاته فحسب ، بل نعتبره أيضاً كتاباً يضع الامام أحمد فيه الأساس لمذهبه الفقهي . ولا يعني هذا أنه أسس المذهب السني السابق في الفقه بنفس المعنى الذي أسس الشافعي مذهبه على مقتضاه ، لأننا نجد قبله وبعده فقهاء عديدين ذوي صبغة سنية سلفية ، ومذهبهم مستقل عن مذهب الامام أحمد . ويلوح مع ذلك أن دائرة تلاميذه عندهم كانت الوحيدة التي بقيت من تلك الطريقة السنية السلفية المصبوغة بالأخذ بالأحاديث قبل كل شيء في الشرع الاسلامي

وإني لأختتم هذه المحاضرة الثانية متمنياً أن تنشر الكتب الحنفية العظيمة الشأن التي أسلفنا الاشارة إليها أقرب ما يمكن ، فان هذا الميدان ميدان خصب للتعاون بين العلماء الشرقيين والأوربيين ، ذلك التعاون الذي ألمعت إليه في بدء حديثي الأول ، فان فقهاء اليوم باشتراكهم في تحقيق هذا الغرض سوف يؤدون بفضل احياء ماضي علمهم كما قد فعلوا بطبع كتاب الأم للامام الشافعي

**يوسف شخت**

# بين شكسبير وابن الرومي

## للأستاذ عبد الرحمن شكري

ليست هذه المقالة موازنة بين شاعرين ، وإنما هي صلة بين قصيدتين لتقارب موضوعهما ، وأعني قصيدة رثاء مارك أنطونيوس ليوليوس قيصر ، وحث الجمهور على الأخذ بثأره ، وقصيدة ابن الرومي في رثاء أهل البصرة عندما دخلها صاحب الزنج وفتك بأهلها وسبى نساءهم ومثل بهم أشنع تمثيل ، وفي هذه القصيدة يحث ابن الرومي جمهور المسلمين عامة وأصحاب الشأن في الدولة العباسية تحريضاً على الأخذ بثأر أهل البصرة والنفير لقتال صاحب الزنج . وتقاربت القصيدتان في نظري أيضاً لمهارة ما أرى فيهما من الأسلوب الخطابي والقدرة على السيطرة على الجماهير بمختلف الأساليب الخطابية ، فينتقل القائل فيهما من باعث للشعور إلى باعث ، ومن عاطفة إلى عاطفة ، ومن حيلة في إثارة النفوس إلى حيلة أخرى ، ومن حجة إلى حجة ، ومن ترغيب إلى إرهاب ، ومن حنان إلى استفظاع ، ومن رقة الذكرى الماضية إلى هول الكارثة ، وتقرأ القصيدة منهما فتحس كأنها قطعة موسيقية توقع على مختلف الأوتار والآلات والأصوات لتعبر عن مختلف الأحاسيس ، وتمتاز قصيدة شكسبير في أنها أبرع ما قرأت في شعر الغربيين من هذا النوع من التأثير الخطابي ، كما تمتاز قصيدة ابن الرومي في أنها أروع ما في اللغة العربية من هذا التأثير الخطابي وأكثره تنويعاً لأساليب التأثير ، ولا يقتصر تأثير القصيدة على كثرة وسائل إثارة النفس كما ذكرت ، ولكن الشاعر فيها يستخدم تكرار بعض الأساليب والعبارات تكراراً يراد به زيادة التأثير الخطابي ، والقصيدة لا تمتاز في ألفاظ أو عبارات منمقة فخمة ، ولكنها تشعر القارئ كأنها قيلت ارتجالا أو أن إحساس الشاعر كان أسرع من أن يدع له مجالاً للاغراب في اللفظ والتنميق الصناعي ، ففخامتها فخامة الشعور المتدفق ، وعندي أن القصيدة خطبة أكثر منها قصيدة تقرأ في دعة وسكون ، فيكون أثرها أتم وأعم إذا تخيل القارئ كارثة البصرة وما حل بها ، وشارك الشاعر في شعوره وفي رغبته في إثارة أهل بغداد . ثم إذا هو قالها على

أسلوب الخطباء متتبعاً اختلاف أساليب الشاعر فى إثارة النفس مغيراً من صوته ولهجته فى إلقائها حسب تغير تلك الأساليب ، فانه يجد فيها روعة لا مثيل لها فى نوعها فى اللغة العربية

وقصيدة شكسبير تختلف من أجل أن الخطيب كان مضطراً أن يداهن الذين يريد إثارة الرومان عليهم ، فمدحهم على أن سمحوا له برثاء يوليوس قيصر ، ونفى عن نفسه العداء لهم كما نفى عن نفسه القدرة تمهيداً لاظهار قدرته ، وكى يظن السامعون أن أثر المأساة هو الذى أثارهم لا قدرته الخطابية . ثم جعل يمدح قتلة يوليوس قيصر ومزج مدحه إياهم بالسخر الخفى ، ثم ذكر فضل يوليوس قيصر على الرومان وكشف لهم عن جثته وأراهم جروحه الدامية وجعل يستدرجهم من طريق الرحمة والاقرار بفضل المقتول إلى النقمة على القتلة وجاهرتهم بالعداء والتشنيع ، وابن الرومى لم يكن فى حاجة إلى مداهنة صاحب الزنج فكان يسميه اللعين من أول الأمر ، ويكيل له الهجاء صاعا بعد صاع ، ولكن انظر كيف يتدرج من التوجع لما حل بالبصرة إلى وصف دقيق لما أصابها من الزنج ، ويبدأ وصفه بدخول الزنج المدينة فيقول :

دخلوها كأنهم قطع الليـ ... ـل إذا راح مدلهم الظلام

ثم يذكر كل ما حدث من قتل وذبح وهتك للأعراض وسبي وإحراق وتخريب وتمثيل حتى يأخذ الفزع بالقارىء مأخذه ثم يلتفت إلى الذكرى فيتذكر رخاء أهلها ونعيمهم وعمار المدنية وبهجتها ، ثم يتوجع ويظهر الحياء من خذلانهم ، ويذكر الناس بمحاسبة الله ومخاصمة النبى إياهم .

ثم يلوح للناس بالعار اللاحق بهم ويحضهم على الأخذ بثأر أهل البصرة . والقصيدة طويلة تقع فى أكثر من ثمانين بيتاً ، ولما كان أثرها الخطابى يزداد من تراكم قول على قول وإثارة على إثارة لا من بيت القصيد أو من قطع ممتازة . فكل اقتطاف منها لا ينصفها ، ولا سيما أن أسلوبها ليس بالأسلوب الذى يقرأ فى دعة لديباجته بل يقال جهراً مع تنويع الصوت حسب مرمى الشاعر الخطيب

ويخيل لى أن حافظ ابراهيم كان متأثراً بروح هذه القصيدة عند ما نظم قصيدته فى رثاء قصر الجزيرة وقصيدته فى زلزال مسينا

ومن تكرار ابن الرومى المطرب المؤثر ترديده اللهف فى قوله :

لهف نفسى عليك أيتها البصـ ... ـرة لهفاً كمثل لهب الضرام

لهف نفسى عليك يا فرضة البلـ ... ـدان لهفاً يبقى على الأعوام

لهف نفسى لجمعك المتفانى ... لهف نفسى لعزك المستضام

أو ترديد كم فى قوله :

كم ضنين بنفسه رام منجى ... فتلقوا جبينه بالحسام

كم أخ قد رأى أخاه قتيلا ... ترب الخد بين صرعى كرام

كم رضيع هناك قد فطموه ... بشبا السيف قبل حين الفطام

أو ترديد من فى قوله :

من رآهن فى المساق سبايا ... داميات الوجوه للأقدام

من رآهن فى المقاسم وسط الـ ... ـزنج يقسمن بينهم بالسهام

من رآهن يتخذن إماء ... بعد ملك الاماء والخدام

أو ترديد أين فى قوله :

أين ضوضاء ذلك الخلق فيها ... أين أسواقها ذوات الزحام

أين فلك فيها وفلك إليها ... منشئات فى البحر كالأعلام

أو ترديد أفعال الأمر فى أخريات القصيدة ، وهذا الترديد ما هو إلا ناحية من نواحى أسلوبها الخطابى ومثل من أمثلته وطريقة من طرقه المؤثرة ، والأسلوب الخطابى نفسه ما هو إلا ناحية من نواحى الاجادة الشعرية التى تتعدد وسائلها فى القصيدة ، وفى القصيدة ناحية تزيد ألمها فى النفس وهى إعادة الشاعر عرض فظائع القتل والتخريب والتمثيل بعد أن ينتقل بالقارىء أو السامع فى هدوء إلى ذكرى نعيمها الزائل ، وبعد أن يهدىء من روعه بعرض مناظر أمنها وسعادتها ودعة أهلها الماضية فكأنه ينكأ القرح بعد أن يضمده ، ويضرب القلب بعد أن ربت عليه ، ويجذب الأعصاب بعد أن تسكن

عبد الرحمن شكرى

# الأمبراطورية الأسيوية

## هل تصبح حقيقة تاريخية

### بقلم جورج حداد

لقد مرت على القارة الآسيوية قرون ازدهرت فيها أمبراطوريات عديدة ، ووحدت قسما غير يسير من هذه القطعة من الأرض ، ولا نقتصر فى ذكر هذه الأمبراطوريات على ما قام منها فى العالم القديم . كأمبراطورية البابليين ، والأشوريين ، والفرس ، وإنما هنالك دول أمبراطورية واسعة نشأت فى العصور الوسطى بعد سقوط دولة الرومان وأهمها الأمبراطورية العربية التى سيطرت على آسيا الغربية والوسطى ، وامتدت إلى حدود الصين ، وهكذا كانت القارة الأسيوية إذ ذاك تحكمها أمبراطوريتان كبيرتان أمبراطورية أبناء ماء السماء (الصين) فى الشرق ، وامبراطورية أبناء يعرب فى معظم القسم الباقى . انقرضت بعد ذلك أمبراطورية العرب وضعفت أمبراطورية الصين وتغيرت حالها وبدأت العصور الحديثة تحدثنا عن قيام أمبراطورية يابانية كانت قليلة الشأن حتى منتصف القرن الماضى ، ومن ثم أخذت تزدهر وتنمو حتى ليخال المطلع على شؤونها أنها ستبنى أمبراطورية أسيوية لم يعرف التاريخ لها مثيلاً .

إن حكاية تقدم اليابان والحق يقال حكاية عجيبة وأعجب ما فيها تلك السرعة التى قضت فيها على نظامها القديم منذ ثورة ١٨٦٨ الدستورية ، وأنشأت لنفسها قوة حربية فى البر والبحر حتى أصبحت تضاهى أعظم دول الأرض ، وكذلك يدهشك نجاحها فى إنشاء قوة صناعية لا تقل عن قوى أهم دول أوربا وأمريكا الصناعية اليوم . ثم نجاحها فى مناوأة جارتيها الكبيرتين الصين والروسيا ، واكتساحها قسما من ممتلكاتهما . فروسيا القيصرية والصين الأمبراطورية قد عجزتا بين أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحاضر عن صد هجوم اليابان فأعطتها الأولى نصف جزيرة سخالين وبور آرثر ، وأعطتها الثانية جزيرة فورموزه مع منحها شبه جزيرة كوريا الاستقلال ، وكان استقلال كوريا خطوة نحو استيلاء اليابان عليها . فلم تأت سنة ١٩١٠ إلا وكانت حكومة الميكادو صاحبة الأمر فيها ، ولم تنته الحرب العالمية وتوقع معاهدة فرساى إلا وكانت اليابان قد وضعت يدها على بعض مستعمرات الألمان السابقة فى المحيط الهادى وأصبحت من الدول الكبرى التى يحسب لها حساب فى السياسة العالمية وخصوصاً فى المحيط الهادى

لم تقف مطامع اليابان فى القارة الأسيوية عند حد الاستيلاء على كوريا وبعض الجزر فهى عدا شعورها الوطنى المتين وعزتها القومية تشعر بحاجة إلى التوسع ، وحالتها تشبه حالة انكلترا وجميع الدول الصناعية الكبرى . فمساحة جزرها تبلغ تقريباً مساحة الجزر البريطانية ، وعدد سكانها يزيد على عدد سكان بلاد الانكليز ، وما تنتجه اليابان من المواد الغذائية لا يكفيها ، كما أنه ليس فيها من المواد الأولية ما يكفى حاجات صناعتها . فكوريا هى مركز تصدير الأرز إلى اليابان ، ومنشوريا التى كانت من ملحقات الصين منذ ثلاث سنوات غنية بالمعادن ، وهذه حوادث السنوات الأخيرة قد أرتنا كيف اهتمت حكومة الميكادو بمنشوريا ، وأرسلت جيوشها إليها وتمكنت من فصلها تماماً عن الصين ، وإقامة حكومة مستقلة فيها تحت نفوذها ، وهكذا أتيح لها أن تسيطر على خمسين مليونا من النفوس فى منشوريا وكوريا ، بينهم قسم من رعاياها اليابانيين ، والمواصلات سريعة والعلاقات متينة بين هذه الملحقات البرية وجزر اليابان

واليوم هل وقفت مطامع اليابان عند هذا الحد ؟ إن حوادث هذه الأيام تجيبنا بالنفى ، وماذا يريد اليابانيون إذاً ؟ إنهم يريدون انفصال المقاطعات الخمس فى شمال الصين عن حكومة نانكين فتقيم حكومة مستقلة كما حصل فى منشوريا وتقبل مراقبتهم ونفوذهم ، وأخيراً قد تطلب هذه المقاطعات الحكومة الملكية فتقبل حكم أمبراطور منشوريا الحالى الذى كان أمبراطور الصين كلها فى عام ١٩١١ . عندئذ يتم تشكيل أمبراطورية كبرى من منشوريا والمقاطعات الخمس يبلغ عدد سكانها ١٢٠ مليوناً من النفوس ، وتحميها الدولة اليابانية ، وبعد مدة قد يذكر أمبراطور منشوريا حكومة نانكين الجمهورية بأن الصين كانت موحدة فى العصور السابقة فيزحف بجيوش منظمة تعضدها حكومة اليابان على نانكين ، فيتم وضع أيدى اليابان على بلاد الصين كلها ، ولا يغرب عن الذهن أن الصين كانت قديماً تحكم تركستان الصينية والتيبت وتحمى عدا منشوريا وكوريا ومنغوليا الممتد

الصينية أيضاً ، فهل تفكر اليابان في ضم هذه كلها إلى أمبراطوريتها الواسعة ؟ إنها بدون أن تضم هذه المقاطعات تكون بعد أن يتم استيلاؤها على ما يعرف بالصين الأصلية قد حكمت أمبراطورية يزيد عدد سكانها عن ربع سكان العالم ، وتكون أمبراطوريتها في قارة واحدة غير مجزأة منتشرة أقسامها في جميع القارات كالأمبراطورية البريطانية

إن سياسة اليابان سوف لا تتغير . فقد أرادت منذ ١٩١٥ أن تفرض حمايتها الاقتصادية والسياسية على الصين ، ولكنها فشلت . إلا أنها واصلت جهودها فتوصلت في السنوات الثلاث الأخيرة إلى نتيجة باهرة ، وقد تتوصل إلى أكثر من ذلك بعد بضعة شهور . إن ما طلبه زعماء المقاطعات الخمس في شمالي الصين هو تشكيل هيئة تسمى المجلس السياسي الشمالي للجمهورية الصينية له استقلاله الاداري ويشبه مجلس منغوليا المستقل ، ويكاد يتم انفصال هذه المقاطعات عن الصين وعلى هذا المبدأ ، ولكن تحت سيطرة حكومة طوكيو اليابانية . ومهما يكن فان اليابان مستعدة أن تبذل جهوداً جبارة لتحقيق برنامجها في الصين . غير أن الولايات المتحدة ذات قوات كبرى في المحيط الهادي وجيوش روسيا السوفيتية بالمرصاد على نهر الآمور وأسطولها رابض شرق فلاديفستك

هذا وقد لوحظ مؤخراً شيء من التطور في العلاقات بين بريطانيا العظمى وروسيا نظراً لمصالحهما المشتركة في الشرق الأقصى ، وهذا التقارب بين الدولتين الكبيرتين يعد من أشد الحوادث بروزاً في السياسة الدولية . فاليوم قد تبدلت الحال بين الدولتين وزال ذلك التنافر في مصالحهما ان كان في جهات بحر البلطيق أو في جنوب شرق أوربا ، وفي الشرق الأدنى والهند والشرق الأقصى . فقد كادت مطامع روسيا القيصرية في الماضي تؤدي الى الحرب مع انكلترا نظراً لاحتكاك مصالحهما أكثر من مرة في تركيا وفارس وافغانستان وعلى حدود الهند ، ولكن الخطر الألماني الذي كان يهدد الدولتين هو الذي أجبرهما على تناسي العداوة وحملهما قبل الحرب الكبرى على الاتفاق سويا ضد حكومة برلين . وعادت العلاقات بعد الحرب الكبرى فساءت بين الدولتين لأن خطر الشيوعية الآتي من موسكو هال بريطانيا العظمى ، ولأنه كان من رأى روسيا إعادة النظر في معاهدات ١٩١٩ ، غير أن روسيا تحققت بأن قلب تلك المعاهدات لا يأتي إلا بعد حرب لا تعلم إذا كانت تسفر عن نتائج أحسن من نتائج الحرب الماضية . فهي اليوم تريد السلم وهذا ما تريده انكلترا أيضا . وقد أصبحت مدفوعة بسياسة اليابان الهجومية إلى التفتيش عن صداقة دول ذات مصالح في الشرق الأقصى . والتعاون بين بريطانيا العظمى وروسيا بني بمصالح الدولتين خصوصاً لأن تلك المصالح لا تصطدم اليوم على طول الخط الممتد من البلطيق إلى الشرق الأقصى . فقد انقضى عهد مطامع القياصرة في القسطنطينية وأجزاء الدولة العثمانية وزال النزاع بين انكلترا وروسيا في خليج فارس وأفغانستان ، وليس لروسيا مطامع في الهند اليوم لأنه ليس لها أسواق تجارية فيها إن كان في الصادر أو في الوارد ، وكذلك ليس لها رؤوس أموال تثمرها هناك . والروسيا تهتم بانهاض قواها في الداخل قبل كل شيء ولذلك تحتاج إلى السلم . وأما في الشرق الأقصى فانها تريد ضمان وحدة الصين ، وسياستها هناك تشبه سياسة انكلترا في الدولة العثمانية في القرن الماضي . فهي تنظر بعين الحسد كما تنظر انكلترا أيضاً — إلى توسع اليابان على حساب الصين

إن وزارة الخارجية الانكليزية اليوم تريد أن تعوض عن خطيئاتها في سياستها نحو الروسيا منذ عشر سنوات . فالخطر الياباني الذي لم تشأ حكومات انكلترا السابقة أن تراه والخوف الذي يهدد مستعمرات انكلترا لم يعد مجرد خرافة . إن اليابان اليوم تتسلط على ثلث الامبراطورية الصينية السابقة وعما قريب ستبدأ الحرب الحقيقية بين انكلترا واليابان في آسيا الوسطى حيث تدافع اليابان عن استقلال الأمة الصينية وتطالب انكلترا باعطاء الصين ما أخذته منها . وسوف لا تقف عند هذا الحد ، بل ربما وضعت أساساً لسياستها هذه العبارة التي بدأ رجال السياسة في اليابان يرددونها وهي « آسيا للأسيويين » كما وضع الرئيس منرو منذ أكثر من قرن خلا مبدأ لسياسة حكومة الولايات المتحدة « أمريكا للأمريكيين » واليابانيون ماضون في تنفيذ برنامجهم وعند ما يصبحون على أبواب « كاشغار » في تركستان الصينية ، لا يصعب عليهم الهجوم على الهند

ومن المحقق أن انكلترا لا تقف مكتوفة اليدين أمام هذه الأخطار ، فهي تقوم بتحصين سنغافورة ، وستدفع ثمن ذلك

على شواطئ الآستانة

# ساعة في متحف (طوب قبو)

## للأستاذ كمال ابراهيم

وقصدت إلى دار السلطان، ومنازل الخلائف من آل عثمان، وقد أصبحت بما فيها متحف الزائر، ومجتلى الناظر، ومعاف التفرج، بعد ما كانت تطاول السماء في رفعتها، وتصاول العُصم في منعتها، وكانت في حِمىً كبطون القلاع، ومن يحم حولها يوشك أن يقع في شراك الموت

أجل، وكانت هذه المغاني التي تطيف بها اليوم، تفيض بالنعم، وتختال في جلال الملك، وتزدهي بأبهة السلطان، وكان الزمان قد بسم لها بسمة الأقبال، ثم أغفى عنها حيناً، ولكنها إغفاءة اليقظان، فما لبث بعدها حتى اجتاحت هوائجه، وانياحت بالشر بوائجه، فأحال حالها، وأهلك أهلها، وأباد سلطانها، وتركها عبرة للمعتبر، وعظة للناظر:

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام

وكانت كجنة الخلد، موشيّة الأديم، رفّافة النسيم، دانية الظلال، زهراء ناضرة، وعرائس القصر في مقاصيرهن، يصورن مباهج الحياة، واشراق السعادة، وفتنة الوجود، فاذا ما خطرن في مطارف وشيهن، وسرن متثاقلات بحَليهن وحُلاهن، خلت السعادة حيث كُنَّ، تقيم إذا أقمن، وترحل حيث يرحلن

من الهيف لو أن الخلاخل صُيّرت لها وُشُحاً جالت عليها الخلاخل

مها الوحش إلا أن هاتا أوانس قنا الخط، إلا أن تلك ذوابل

وجنبات القصر موّاجة بالحشم والعبيد، والأبواب قائمة بالحجاب، والجميع ناكسة أبصارهم، عانية رقابهم، لعزة الملك، ورب الصولجان، وظل الله على الأرض.

واليوم، واهاً لها اليوم، قد أقفرت من ذويها، وثكلت ساكنيها، وأصبحت خبراً يروى، وكتاباً يقرأ ويطوى.

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

دخلت إلى تلك القصور المعروفة بـ (طوب قبو) وقد باتت متحف المتفرجين، وماهي الزائرين، يرودون الأبصار في آثار السلطنة الماضية، ويطوفون بين الأركان الباقية، ويتقلبون فيما خلفه الخلفاء، من عروض ومتاع، وحلل ونفائس، يقابل الداخل عن شماله، غرفة السلطان تصاقبها أخرى لمجلس وزرائه، وقد أبقيتا على ما كانتا عليه، وفي أعلى المجلس روشن أعدّ لجلالته، يُشرف منه على جلسائه، فاذا خرجت منه أفضى بك الطريق إلى قصور متفرقة جمل في كل منها صنف من العروض والأثاث، واللباس والحلل، والحلي والشارات، مما كان في بيوت السلاطين، وقد نسقت في معارضها أبدع تنسيق، ونمقتها يد الفن أجمل تنميق، وماهي غير نفائس العصور، وتحف الحياة ومعجزات الصناعة، وبواكير البراعة، التي أنفق حذقة الصناع فيها حياتهم، وحبسوا في عنمتها جهودهم وأوقاتهم، فجاءت تخطف الأبصار بروائها، وتذهل الألباب بأناقتها وزخرفها..

ينتهي الطائف بعد هذا الى بيوت السلاطين، وقد أبقى كل

---

باهظاً – نحو ٣٠ مليون جنيه – غير أن هذه القاعدة الحربية ليست كافية أمام أمة تستعد لفتح آسيا كلها؛ وانكلترا وحدها لا يمكنها الوقوف في وجه هذا الخطر الأصفر، وهي لذلك تسعى للحصول على مساعدة الدول الأخرى، ويظهر أنه لا بد للوقوف في وجه الخطر الياباني من اتفاق بين الدول الأربع: الروسيا وانكلترا وفرنسا والولايات المتحدة. ويقول أحد الصحفيين الروس بهذه المناسبة إن نظام الضمانات المشتركة لأجل السلام لا يجب أن يكون كمظلة يمكن وضعها في مخزن الحبوب لكي تأكلها الفيران ثم إخراجها لاستعمالها ضد حرارة الشمس، لأن هذه المظلة متى ما أكلت قماشها الفيران لا يمكن استعمالها للوقاية من حرارة الشمس. والصحفي يؤكد أن روسيا مستعدة للتضحية في سبيل توطيد السلم ولتأييد الدول في نزاعها ضد الذين وضعوا مبدأ لهم سياسة الهجوم. وهكذا فان أساس الاتفاق موجود بين انكلترا وروسيا. وسيظهر التاريخ إلى أين تؤدي سياسة التوسع الياباني وفي أي مرحلة من سيرها نحو بناء امبراطوريتها الآسيوية ستقفها دول أوربا وأمريكا

(حلب) ميزرع حداد

منها على ما كان عليه في عهد من عاش فيه ، وهي متصلة متداخلة ، يفضي بك بعضها إلى بعض ، ويسلمك منها مجاز إلى مجاز ، حتى تضلك السبل ، وتنفذ منك الحيل في تعرف الوالج والخارج ، ولولا دليل معنا خرّيت لعمي علينا القصد ، وأنفقنا الزمن في أخذ ورد

مررت في هذه القصور ، وصور اللاذين تمر من أمامي صامتة ناطقة ، فصرت أقيم في كل ركن مشهداً ، ومن كل حجر معبداً ، وفي كل لوح منظراً مخلداً ، حتى توزعتني الصور والرسوم ، وغشيتني الأشباح والطيوف ؛ وازدحمت في خاطري الأخيلة والذكريات ؛ هاهي ذي الآثار الصامتات قد انتصبت لناظري حزينة تتوارى كأشباح الموتى ، وهذه قواعد البيت كأنها بعض قواعد الأهرام ، تفيض بعبر الدهر ، وتنطق بغوائل الزمن وفجاءات القدر كل يوم ، ومن يدري ما تخبئ لها الأيام بعد حين ، وقد أصبحت بين عشية وضحاها كما تراها

عمرت للسرور دهرا فصارت ... للتعزي رباعهم والتأسي
فلها أن أعينها بدموع ... موقفات على الصبابة حبس
ذاك مني وليست الدار داري ... في اقتراب منهم ولا الجنس جنسي

أجل مررت في تلك القصور ، وكأني بمواكب السلاطين الحافلة ، غادية رائحة في أيام الجمع والأعياد ، وكأني بخليفة المسلمين قد خرج من قصره ، في طلعة الخلافة ، وأبهة الملك محفوفاً ببطانته ، مزفوفاً من رعيته ، تستره عن الناظرين ، صفوف الحجاب ، وهياكل الحرس ، وقامات الشرطة بملابسهم المفوفة ، وأوسمتهم المزخرفة ، ومن ورائهم جماهير الشعب المحتشدة على طوارى الدرب الكبير متدافعة ، وقد استطالت الأعناق إلى اجتلاء تلك الطلعة المباركة ، وأنفاس المصلين تملأ سماء الجامع القديم « أيا صوفيا » بالدعوات الصالحات ، والكلمات الطيبات والابتهال إليه تعالى ، أن يمد في حياة خليفة المسلمين ، وينصره على القوم الكافرين

ويصاقب تلك القصور إلى شط البحر ، جنة لفاء ، روحاء زهراء ، يخترقها درب عريض ، قامت على جانبيه أشجار فينانة ، وارفة غيدانة ، مبسوطة الأماليد ، ملتفة العساليج ، وقد عقدت فروعها من فوقها سماء من الأوراق ، تزري بزرقة السماء ، حجبت شمسها إلا خيوطاً منها ، فكانت كما قالت بنت زياد في وصف واد :

حللنا دوحه فحنا علينا ... حنو المرضعات على الفطيم
تصد الشمس أنى واجهتنا ... فتحجبها وتأذن للنسيم

وذكرت حين سرت هناك غريب اللسان ، قول أبي الطيب في شعب بوان :

ولكن الفتى العربي فيها ... غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها ... سليمان لسار بترجمان

سرت في ذلك الدرب الظليل ، ونواسم البحر الندية تجوس خلال أدواحه ، وتتقلب بين أزهاره وأوراقه ، فتعبق شذاها ، وطاب رياها ، تلامس الوجه ، فيتفتح لها الصدر ، وتخلص لها الروح ، أفضى بي السير إلى مسالك تتشعب من ذلك الدرب ، تكتنفها ملاعب وميادين ، ودارات ورحب ، فاذا أمعن السائر في السير بدا له البحر متسع الأفق ، وتراءت الآستانة لناظريه متعالية على ضفاف البسفور ، وقد احتضنت الماء ، وعانقت السماء ، فكانت فتنة العالم ، وسحر الوجود . فاذا ما بلغ شط البحر ، وقد شطت بخياله تلك الصور والذكر ، لاح له ذلك التمثال الفخم ، وسط رحبة من الأرض ، لرجل (تركيا) اليوم ، فيعود به هذا المشهد الحديث ، إلى الحقيقة بعد خيال ، وإلى الحاضر بعد غياب ، وإلى الساعة التي هو فيها بعد استغراق طويل

كمال ابراهيم
المدرس في دار المعلمين ببغداد

# الحركة الفكرية في السودان

بقلم حيدر موسى

طريف جداً أن نسمع أحاديث أبناء العروبة عن الحركات الأدبية في بلاد الشرق المختلفة ، وجميل جداً أن تكون (الرسالة) الفيحاء ميداناً رحباً نرى فيه تلك الأقلام القوية تصول وتجول فتعجب بها وتملى على نفوسنا بشتى الاحساسات الحلوة التي لا تتعدى حب أبناء الضاد لبعضهم ، وقد عزمت حين قرأت تلك المقالات الطلية أن أرفع صوتي الضعيف بين تلك الأصوات الداوية العالية وأرسل ضوءاً على الحركة الفكرية في وطني السودان ، ليعرف إخواني أبناء أسفل الوادي شيئاً قليلا عن النهضة القلمية في أعلى الوادي ، فلعل حديثي يقع في نفوسهم الكريمة موقعاً حسناً ولعله لا يكون ممجوجاً

إن أدب السودان يسير وراء الأدب المصري ويتبعه خطوة خطوة ، نظراً للجوار وتشابه الأخلاق والعادات وغير ذلك من الأوصاف التي فرغ رجال التاريخ من سردها ووفقوا في ذلك توفيقاً عظيما . ولذلك أود ألا أكرر لأن التكرار تمجه الأذواق السليمة

أجل إننا نسير وراءكم ونحاكيكم كما يحاكي الطفل أخاه الأكبر، لكن سيرنا ببطء وبخطوات متزنة لأننا نخشى الكبوة ولنأمن سوء العاقبة . إن صحفكم على اختلاف أنواعها ومذاهبها مقروءة لدى كل الطبقات في المدن الكبيرة ويطالعها المتعلمون في القرى ، وللصحف الأدبية الراقية التي تبعث بها الينا مطابعكم المحل الأول ، فترى الشبان كانوا يتأبطون (السياسة الاسبوعية) في ابان حياتها ، وعندما اختفت وظهرت (الرسالة) وسدت الثغرة تهافتوا عليها وخطبوا ودها فاذا أنت تراها بأيديهم في النوادي والمجالس والمنازل ثم في عربات الترام أيضاً حتى صارت قراءتها محتمة على كل أديب ومتأدب ، وسل الأستاذ الزيات يحدثك بالأرقام عن مبلغ ذلك الذيوع والانتشار الواسع الذي قل أن تحظى به غير الرسالة ، وصدقوني يا أحبائي القراء فلست أقول هذا القول تقربا من الأستاذ . بل أقول الحق كأي رجل حر

الشباب السوداني متطلع دائماً إلى العلياء ، وخصص جهده ووقته – في الوقت الحاضر – للالمام بمختلف الآداب والفنون ،

وللموظفين وهم خيرة المتعلمين النصيب الأوفر في هذا الميدان رغم ضيق وقتهم وقلة مالهم ، فترى النوادي بها جمعيات أدبية تقوم بتنظيم المحاضرات والمناظرات جهد المستطاع ، حتى النوادي الرياضية لم تهمل الأدب بجانب اشتغالها بترقية الروح الرياضية .

كذلك تعنى النوادي المختلفة باقامة حفلات تمثيلية تعرض فيها الروايات العربية والمصرية ، ويسرني كل السرور أن القصة السودانية قد صار لها شأن في عالم التمثيل السوداني ، ولا أكون مبالغاً إذا قلت إنها اكتسحت أو كادت تكتسح الروايات غير الوطنية ، وكل هذه الروايات البلدية موضوعة بالشعر الشعبي المسمى (الدوبيت) وهو كالغناء يقع في نفوس السامعين موقعاً حسناً وبنغمة حلوة تثير الحماسة ؛ ودعني أعرفك بأسماء هذه الروايات فنها (مصرع تاجوج ومحلق) وهي معروفة لدى المصريين ، وقد نشر ملخصها في بعض المجلات المصرية ثم رواية (خراب سوبا) ورواية (فتاة المستقبل) ورواية (البتول) وغيرها وقد أعيد تمثيل هذه الروايات كثيراً نظراً للاقبال العظيم الذي قوبلت به من الجمهور المتعطش لكل ما هو سوداني أصيل ، وهذا شعور طيب بالقومية يسرني أن أنوه عنه في هذا المقام ليعرف أبناء العروبة أي شعب نبيل في أعلى الوادي ، وإن كنا نخجل أن نشيد بأعمالنا وهذه عادتنا ولا سبيل إلى الخلاص منها . فينا الشعراء والأدباء ، وفينا المجددون والمحافظون ، لكن التجديد غالب ، والفضل للشباب الذي هو الحركة والنشاط . أما حركة التأليف فضعيفة لغلاء أجرة المطابع ولعدم وجود ناشرين يتولون إخراج الكتب ، وتوجد الآن أدباء وشعراء يملكون كتبا ودواوين شعرية وهم حائرون لا يعرفون كيف يخرجون هذه الآثار الأدبية التي هي فخر للسودان ، والحقيقة أن هذه المشكلة مسألة السائل ويتألم لها الأدباء ولا يدرون لها حلا ، ولذلك لا تجد كتاباً قيماً أخرج للآن في السودان لا لعقم في القرائح . كلا : بل للعذر الذي بيناه

أما الصحافة فحدث عنها ولا حرج ، فلدينا الآن جريدة حضارة السودان ، وجريدة السودان ، وتصدران في الأسبوع مرتين ، وجريدة النيل اليومية وملحقها الأدبي الأسبوعي ، ومجلة الفجر وهي نصف شهرية ، كذلك لكلية غردون مجلة خاصة لا تقف فائدتها على الطلاب فحسب ، بل لا تخلو من فائدة ، ولجمعية

الكشافة مجلة أيضاً تتناول أحياناً بعض الموضوعات الأدبية ، وقد اختفت بعض المجلات كمجلة النهضة السودانية ، ومجلة مرآة السودان نظراً لقلة المال وفداحة أجرة المطابع ، وقد كان لاختفائهما أثر سيء في القلوب ، وفي نظري أن صحفنا السودانية لو وجدت الاقبال الذي هي أهل له في البلاد العربية وخاصة في مصر لما تعثرت ولما اختفت أو شكت من قلة الاقبال والمال ، ولأدت خدمات مضاعفة لوطننا الناشيء المحتاج للدعاية الواسعة ، ليرتفع صوتنا في الأصقاع البعيدة ، وليصير لنا شأن غير شأننا الحاضر

إننا نتسابق في اقتناء الكتب المصرية والصحف المصرية ، وقد استفدنا كل الفائدة من ذلك ، فتفتحت عيوننا ، وتذوقنا الأدب ، وعرفنا الحياة ، أفليس من المستحسن أن تساعدونا بقراءة صحفنا والتعليق على انتاجنا الأدبي ، لتنيروا لنا الطريق بصائب نصائحكم وتجاربكم ؟ وفي رأيي أن (الرسالة) خير من يقوم بهذه المهمة نظراً لانتشارها العظيم في السودان ، ولوجود فطاحل الأساتذة في أسرتها

إننا شرحنا حالنا لأبناء العمومة في مصر أكثر من مرة ، وقلنا إننا نعرف كل شيء يجري تحت سماء مصر ، ونتألم إن ألمت بها ملمة ، ونفرح إذا نالت ما تصبو اليه من رفعة وحرية ، وليس غريباً إذن إن طلبنا منهم أن يعاملونا بالمثل . نعم إننا أقل منهم علما وثقافة وبمعونتهم يمكننا أن نسير نحو النور وصوب الثقافة الحقة التي هي أمنية كل سوداني ، حتى الجهلاء من المسنين قد بدأوا يتعلمون القراءة وعرفوا فائدتها أخيراً ، فتطوع الشباب وانبرى للقيام بهذا الواجب والنتائج تدعو للتفاؤل الشديد

كثر الجدل بين الشباب السوداني عن الأدب القوي الذي دعا إليه الأستاذ الجليل أحمد أمين ، فاشتد النقاش بين مؤيد ومعارض ولم تعرف النتيجة بعد

لعل من الطريف أن نذكر أن بعض الصحف السودانية تعارض في نشر القصائد الغزلية على صفحاتها ، وحجتها في ذلك غير مقبولة لأن الغزل معروف من قديم الزمان ، ولكننا نحاول التوفيق بين آرائها وآرائنا فعسى أن نوفق

هأنا قد تحدثت عن بعض النواحي ، فعلى اخواني أدباء السودان أن يتمموا ما بدأت

عبده موسى

صورة من الحياة العلمية في مصر

# ٢ – تقي الدين السبكي

بقلم محمد طه الحاجري

وفي أثناء هذه الولاية ولد له تقي الدين ، وفي هـذا البيت الـكريم الذي ترفرف عليه روح العلم والورع نشأ نشأة مباركة بين أبيه وعمه الشيخ صدر الدين [١] أحد أفاضل العلماء ، برعايته وبتوليان أمره ، ونشأنه أحسن تنشئة وأكرمها ؛ فقد رأيا فيه من ملامح النجابة والذكاء والاقبال على العلم والجد عليه ، والانصراف عن اللهو ولذائذ الحياة ، ما جعلهما يتنوران من خلاله أنه سيكون إماماً من أئمة العلم ورجلاً من رجال الخلق والفضل . فقد حكى عنه ابنـه تاج الدين « أنه كان يخرج من البيت صلاة الصبح فيشتغل على المشايخ إلى أن يعود قريب الظهر ، فيجد أهل البيت قد عملوا له فروجا ، فيأكل ؛ ويعود إلى الاشتغال إلى المغرب ؛ فيأكل شيئاً حلوا لطيفاً ، ثم يشتغل بالليل ؛ وهكذا لا يعرف غير ذلك . . . . . وكأن الله قـد أقام والده ووالدته للقيام بأمره ، فلا يعرف شيئاً من حال نفسه . »

لقد كانت طفولة عجيبة ، تلك الطفولة الجادة العاملة الوقور المنصرفة عن اللهو واللعب ومنازع الصبيان ، ولقد عجب أبوه نفسه مرة من هذه الظاهرة ، ورأى في انصراف ابنه عن عبث الأطفال ، والنيل من لذائذ الطعام أمرا لا يتفق مع سنه الصغير فأشار على أمه أن تعطيه درهما أو درهمين علّه أن يرى في السوق شيئا يشتهيه فيشتريه ، فعقدت له أمه منديلا على نصف درهم ، وهو يروح به ويغدو ، إلى أن ضاق بحمله ، فألقاه إلى أمه ، وقال لها ما شأني بهذا ، وما أصنع به ؟ . . .

وإن هذه الأحاديث التي يرويها تاج الدين عن أبيه جديرة بأن تكون صحيحـة ، وهي ترسم لنا صورة لتقي الدين الطفل ، تتسق كل الاتساق مع صورة تقي الدين الرجل الـكهل ؛ فكأنما كان ثمت روح من عند الله أخذت توجهه منـذ مولده إلى غايته المقدورة ، وترسم له السبيل إليها ، وتحوطه أن ينحرف عنها .

(١) تولى في آخر حياته التدريس بالمدرسة السيفية إلى أن مات سنة ٧٢٥

ولسنا نشك في أنه كان ثمرة كريمـة مباركة لـكل الظروف التي قدمنا ذكرها .

وكان الأب [١] مايفتأ يذهب إلى مصر ليلتقي بها قاضي القضاة فـكان يستصحب معه ابنه ليزيره معاهد العلم ، ويشهده ربوع الفضل ، فمرة يزور به مدرسة الحديث الكاملية [٢] ويدخل به على شـيخ الاسلام تقي الدين ابن دقيق العيد . ومرة يذهب به إلى ابن بنت الأعز ، وأخرى إلى غيره من علماء العصر ، وهو فرح به مستبشر ، والولد يرى هذا السمت وهذه الهيبة وذلك الوقار وتلك المثل العليا لما انطوت عليه نفسه ، فيتوثب قلبه ، ويغلي صدره بهجة وطموحا

ثم عزم الأب أن يقيمه في القاهرة بين أولئك الأعلام ، وفي ذلك الجو العلمي ؛ وكان قد تفقه وحفظ كتاب التنبيه ؛ ولـكنه حين عرض الأمر على ابن دقيق العيد عارض فيه وكأنما استصغر سنه ، وأشفق عليه من الغربة . فقال لأبيه : عد به إلى « البر » حتى يصير فاضلاً . فعاد به ، وفاته ما كان يحرص عليه أبوه ، فيما يظهر ، من التتلمذ على شيخ الاسلام والأخذ عنه ، والتشبع بمبادئه ؛ فانه لم يعد إلى القاهرة إلا بعد وفاة ابن دقيق العيد أي نحو سنة ٧٠٢ هـ ( ١٣٠٢ م )

— ٢ —

جاء تقي الدين إلى القاهرة ولم يكد يبلغ العشرين من عمره ، وهو يتوثب رغبة إلى إرواء غليله العلمي في هذه البيئة العلمية الخالصة التي تتجاوب فيها أصداء العـلم المختلفة ، وتقوم بها المناظرات بين الآراء المتباينة ، وكان بها طائفة من الأئمة الأعلام في مختلف الفنون :

كان بها ابن الرفعة [٣] شيخ الشافعية ، وإمام الفقهاء ، وبه تفقه السبكي .

وكان بها في الأصول والمعقولات الامام النظار علاء الدين الباجي [٥] ، وكان رجلا واسع الباع في المناظرة ، مستقل الرأي في الاستنباط ، « لا يفتي في مسألة حتى يقوم عنده الدليل عليها »

(١) يظهر أن مقر عمله كان مدينة المحلة « وبها مات سنة ٧٣٥ » انظر صبح الأعشى ( ج ٣ ، ص ٤١٠ )

(٢) أنشأها السلطان الملك الـكامل الأيوبي بخط « بين القصرين » سنة ٦٢٢ ، ووقفها على المشتغلين بالحديث النبوي ثم من بعدهم على الفقهاء الشافعية ( المقريزي ) (٣) توفي سنة ٧١٠

(٥) توفي سنة ٧١٤

فان لم ينهض عنده قال : مذهب الشافعى كذا ، والأصح عند الأصحاب كذا ، ولا يجزم » كما يقول عنه صاحب طبقات الشافعية ؛ وما نشك فى أنه كان قوى الأثر فى تقى الدين ، عظيم اليد على قوته فى الجدل ، مشجعاً له على الاستقلال فى الرأى ، حتى ليعدون له مسائل كثيرة من فروع الفقه انفرد بالرأى فيها دون إمامه الشافعى وأصحابه وخلفائه ؛ وإذا كان مرجع هذا فى أول الأمر إلى فطرته السليمة ، وبصيرته السديدة ، وإدراكه القوى ؛ فان لمثل ذلك الامام فضل التسديد وتقوية تلك النزعة الفطرية ، وحمايتها من عوامل الضعف

وكان بها فى فن الحديث العلامة الكبير الحافظ شرف الدين الدمياطى إمام أهل الحديث ، وأستاذ الأستاذين فى معرفة الأنساب ، وكان صديقاً لأبى تقى الدين مكبراً له ، فاختص الابن بأكبر الرعاية ، وأقبل تقى الدين على درسه بالمدرسة المنصورية (١) وأكثر من صحبته والملازمة له والأخذ عنه بتلك الحافظة المدهشة التى يقولون عنها : إنه كان ما يكاد يسمع شيئاً حتى يحفظه ، ولا يحفظ شيئاً فينساه وإن طال عليه الأمد وبعد به العهد ، حتى صار آية فى فن الحديث ومعرفة الرجال والجرح والتعديل ، ولكنه لم يدرك شرف الدين إلا وهو شيخ هم كبير فى عشرة التسعين (٢) فكان شديد الحرص على صحبته وملازمته حتى لا يكاد يتركه ، ثم لم يلبث شرف الدين أن مات فجأة عقب مفارقته له فى ١٥ ذى القعدة سنة ٧٠٥ ، ولم يكن قد أشبع رغبته من فن الحديث بعد ، فلازم بعده كبير أهل الفن فى عصره ، الحافظ سعد الدين الحارثى .

وكان بها فى علوم العربية أبو حيان الأندلسى (٣) وكان عليه طابع المدرسة الأندلسية من الحفظ والتوسع فى رواية الشعر واللغة والقراءات ، والتبحر فى معرفة قواعد النحو ومذاهبه ، وأثر من المدرسة المصرية من النظر والمقابلة والمراجعة وروح النقد والتحليل ، فتتلمذ تقى الدين له ، وقرأ عليه كثيراً من كتب النحو مثل كتاب سيبويه وكتاب ابن عصفور وغيرها ؛ وكان أبو حيان يمرن تلاميذه على صناعة النظم ، فيقترح عليهم عروضاً خاصاً وبحراً معيناً ينظمون عليه ، واتى الدين قصيدة على حرف الزاى جاءت من هذه السبيل ، ولعلها خير ما صنع من الشعر ، فلم يكن له فى هذا الباب سليقة ، وقد غلب عليه المذهب الفكرى النقدى ، فجاء شعره نازلا ركيكا ، وسنعرض شيئاً منه فى هذا البحث متى عرضت المناسبة

ثم لا ننسى من شيوخه الذين تركوا فيه أثرا بليغاً ، وان لم يكن من الناحية العلمية المحضة ، تاج الدين بن عطاء الله السكندرى ، وكان من حسن حظه أنه ترك الاسكندرية ؛ واستوطن القاهرة ، وفى بها يعظ الناس ويرشدهم ، ويحدث تلاميذه ويبصرهم الى أن مات سنة ٧٠٩ وكان امام أهل التصوف ، جميل السياق ، صافى الأسلوب ، ساحر العبارة ، فنال فى الناس مكانة عالية ، ومال اليه تقى الدين وصحبه ، وانعقد بينهما حب قوى وعلاقة مؤكدة . وظل أثر الروح الصوفية التى كانت على أخلص ما يكون فى ابن عطاء الله ظاهرا قوياً فى تلميذه تقى الدين فى شتى أدوار حياته ، وكثير من أقواله وتصرفاته

وكان من شيوخه كذلك الشيخ تقى الدين ابن الصائغ فى القراءات ، والشيخ شرف الدين البغدادى فى المنطق والخلاف ، والشيخ علم الدين العراقى فى التفسير ، والشيخ عبد الله الغمارى المالكى فى الفرائض

وقد رحل الى الاسكندرية وسمع من رجال الحديث فيها ، وكان بها طائفة منهم يرحل اليهم طلاب الحديث مثل أبى الحسين الصواف

والى ذلك الحين كان قد نضج وامتلأ وصلب عوده ، ورأى فيه شيوخه رجلاً يناظرهم كلا فى فنه ، فجلوا عاون المجالس بذكره والثناء عليه والاعجاب به ، حتى استطار أمره ، وامتلأت أندية القاهرة بالحديث عنه . ولم يبق إلا أن يرحل إلى الشام ليسمع من محدثيها فتتم له الغاية فى فن الحديث

وكذلك رحل إلى الشام رحلتـه الأولى فى سنة ٧٠٦ (١٣٠٦ م) وسمع من رجالها أمثال الذهبى والمزى والبرزالى وابن الوازينى وابن مشرف ، وعقد بها المجالس للمناظرة ، فتجات هناك عبقريته ، وسمت فى نظر القوم منزلته ، وامتلأ علماؤها إعجاباً به ، ومكث بها عاماً يسمع ويناظر ، حتى أصبح حديث الناس فى الشام كما كان حديثهم فى مصر ؛ وبذلك أشرف على الغاية فى بعد الشهرة وذيوع الصيت

(يتبع) محمد طه الحاجرى

---

(١) أنشأها الملك المنصور قلاوون الألفى (٦٧٨ — ٦٨٩) ورتب بها دروساً أربعة لطوائف الفقهاء الأربعة ، ودرساً للطب ، ورتب بالقبة درساً لحديث النبوى ودرساً لتفسير القرآن الكريم وميعادا (المقريزى)

(٢) ولد سنة ٦١٣  (٣) مات سنة ٧٤٥ عن تسعين عاما

# الطالب ...

للشاعر الوجدانى احمد رامى

مشرق كالضحى مع الصبح غاد    فى إهاب من الشباب النادى
يطلب العلم من معاهده الغـــرّ ويروى من نجعة الروّاد
طلعت شمسه على الدار فازدا    ن ضحاها باليمن والإسعاد
وعلى ثغره ابتسامة بشر    بعثتها هشاشة فى الفؤاد

***

هو فى البيت حبّة القلب والعيـ    ـن مناط الآمال قصد المراد
فرح الأهل يوم أشرق فيهم    كوكباً لاح فى سماء الوادى
شبّ فيهم طفلاً صبيح المحيّا    كابتسام النوار فى الأعواد
ومشى الطفل فى الربوع صبيًّا    يقبس المجد من سنا الأجداد
ثم أضحى فتى يتوق إلى الفهـ    ـم ويمضى إلى سبيل الرشاد
مازه فوق سنّه خلة الفطـ    ـنة فى الرأى والذكا الوقاد
لا تراه إلا يجيل سؤالا    دقّ فى كنهه طريق السداد
أو تراه إلا يقول جوابا    يترك الرأى واضح الاعتقاد
نعمة أسبغت عليه من الله    وفضل من السميع الهادى

***

أيها الطالب الطموح إلى المجـ    ـد تقدّم دنياك دار الجهاد
قف أمام الكتاب واقرأ كلام الله يهدى إلى صلاح العباد
واستملّ الحديث ينطق بالحق    ويدعو إلى كريم الوداد
وتمعن فيما أفاض أولو الأ    لباب من حكمة ومن ارشاد
وانظر السابقين فى حلبة المجـ    ـد وطوّف بكعبة القصّاد
قد عقدنا عليك كل الأمانى    منذ نادى البشير بالميلاد



# صوت المتنبى

مهداة الى الجامعة المصرية بمناسبة ( أسبوع المتنبى ) فيها

للشاعر الحضرمى على أحمد با كثير

من الملأ العلوى ، من عالم الخلد    أهلّ عليكم بالتحيات والحمد !
تقحّمت حُجب الغيب حتى أتيتكم
لأجزيكم عن بعض إحسانكم عندى
قطعتُ حدودَ (الأين[1]) فى متطاول
من اللوح يفنى البعدُ فيه من البعد !
كأن الفضاء اللانهائى سائرٌ    على كرة لاحد فيها سوى حدى
إذا ما ركضتَ السير فى فلواته    تشابه ما قبلى علىّ وما بعدى !
إلى أن تجاوزت النجوم جواذباً
إليهن عطفى ، غير أن لسن من قصدى !
يناشدنى ـ والنور ثمّ لسانها ـ    لأنشدها شعرى ، وأصفيها ودى
ولو لم تكن (مصرٌ) و (جلّقُ) الهوى
و (بغداد) لم أبخل عليها بما عندى
معان قضى فيها الشباب مآربى    وصلت بها كبرى العزائم إفرندى
وأمليتُ فيها الدهر غرّ قصائدى    فغنى بها الأجيال فى السهل والنجد

***

قطعت حدود (الأين) حتى أتيتكم    فمن (المتى) ما بيننا قام كالسدّ ؟[2]
أجل ! ألف عام حال بينى وبينكم    فلولا سبقتم ، أو تأخر بى عهدى !
سعدتُ بلقياكم وفزتم برؤيتى    لو ان يد المقدار ألغته فى المدّ !
ألا فتزحزح يا زمان ! لشاعر    يريد فلا تقوى الجبال على صدّ[3]
أغرك أنّ الأرض قد شربت دمى ؟
وأنّ عيون الشهب قد شهدت لحدى ؟
رويدك ! قد خلدتُ فى الشعر محضهُ
ولم يبق منه للتراب سوى الدُّردى ![4]
فها هو فى الأجيال ينساب صافيا
إلى ابن .. إلى ابن .. من أبيه .. من ابْد

(١ و ٢) الأين : اسم من أين يراد به المكان ، ومتى يراد به الزمان
(٣) فيه التفات من الغيبة إلى التكلم    (٤) الكدر الراسب منه

يزيد على الأيام كالخمر سورةً    لو أنّ حُمَيّا الخمر تهدى كما يَهدى
أنا الخالد السارى بأعصاب شَعبه    وما شعبُه بالنَّزْر أو ضَرِعِ الخدّ

* * *

بنى مصر ! أنفاس الخلود عليكم !    ونشرُ الخزامى والرياحين والورد !
سبقتم إلى تكريم ذكراى غيركم    وقِدماً سبقتم للمكارم والمجد !
رأيت ( بلاد الضاد ) عقداً منظما    ولكنّ (مصراً) فيه واسطةُ العقد
قضيت لمصر بالأمامة بينها    وهل لقضاء شئته أنا من ردّ ؟!
ومَن غيركم أهدى إلى ( الضاد ) شاعراً
( كشوقى ) ومنطيقاً كجباركم ( سعد ) ؟
أحبهما ؟ لا بل أقدّس فيهما
مشابه من عزمى وأصداء من وجدى !
أعدتم إلى ( الفصحى ) الحياة فزحزحت
بأيديكمُ كابوس تُبَّتَ والصُّغْدِ !
هى الضاد لن يذوى على الدهر عودها
وقد خصّها ( الذكر ) المقدّس بالخُلد !
متبدأً مِن حيث انتهت سائر اللُّغى    خُطاها إلى حدّ يجل عن الحدّ
ولا تعتبوها فهى بعدُ صغيرةٌ    ولم يتنفّس صدرها بعدُ عن نَهد !
على أنّها بالرغم من صُغْر سنها    لناعسة الجفنين ميّاسة القدّ !
يكاد يصيح الحب بين شفاهها :
(أنا الحب ! ما أُخفيه فوق الذى أُبدى ! )

* * *

(تمنٍّ يلذ المستهام بمثله    وإن كان لا يغنى فتيلا ولا يجدى)
(وغيظ على الأيام كالنار فى الحشا    ولكنه غيظ الأسير على القِدّ)
فلو عشتُ فى هذا الزمان وأهله
لغيّرتُ من نهجى وضاعفتُ من جُهدى !
وكنت تنكبت الملوك ومدحها    فليسوا بأكفائى وإن نالهم حمدى
( وأتعس خلق الله من زاد همه    وقصّر عما تشتهى النفس فى الوُجْد)

* * *

يقول أناس إننى قد هجوتكم    فإما أرادوا الشرّ أو جهلوا قصدى
ولم أهجُ إلا حالةً غاظنى بها    وقوف بنى الأحرار بين يدَىْ عبد
ولستُ أبالى مادحاً لى وهاجيا
فقد رويَتْ نفسى من الصّيت والمجد
ولى منهما ما لم ينله مملّكٌ    ولا شاعر قبلى ولا شاعر بعدى
ولكننى أصبحت رمزاً لمجدكم    يضمكم روضى ويجمعكم وِرْدى
فمن نالنى بالسوء نالكمُ به
لذاك ، ويعوى ضدّكم مَنْ عوى ضدى
أبى الله إلا أنّ مجدىَ مجدُكم
وإنْ رغم الشانى ، ومجدُكم مجدى !
أبوكم أبى يوم التفاخر (يعرب) !
وجدّكم (فرعون) أضحى بكم جدى ! !
تالله ، و( التاريخ ) طفلٌ ومُلكه
تبسَّمُ ذاك الطفل نُوغَىَ فى المهد ! !
تُكَلَّلُ بالريحان هاماتُ ضيفه    وتُنضَحُ أبهاء النّدام بماوَرْدِ
وقد أعلنت فيها الجامر وَجْدها    فصعّدن أنفاسا من العود والنِدّ
تقوم عليهم فى شفوف رقيقة    جوارٍ كمثل اللؤلؤ النّثر والنَّضْد
يطفن عليهم بابنة الكرم حُرّةً    وبالنُّقْل بعد اللحم والزُّبد والشَّهد
فلا ضرو فى دعوى النبوة مثله    وليس له فوق البسيطة من ند !
ويعجبنى الجبّار ! إذ هو قوّة    يهيم بها قلبى وأعبدها جُهدى !
كذا فلتكن فتيان يعرب إنْ تُرِد    حياةً لها ما بين أعدائها الُّلدّ !
حرام عليكم أن يقوموا وتقعدوا    وأن تهزلوا والقومُ ماضون فى الجد
كثيرٌ عليهم بعدُ أن تَقِفُوهمُ    بنى اللؤم منكم موقفَ الند للند
فكيف بأن يعلوا عليكم ويضربوا
على العُرب دون العزّ سدًّا على سدّ !

* * *

رفعتم شباب النيل أمس لِواءها !    فنفّستمُ كربى وبرّدتمُ وجدى
وثرتم على الحامى العتيد وصحتمُ :
( نعيش كراماً أو نغيّب فى اللحد ! )
بنفسى دماء أهرقت فى جهادكم
تحنُّ إلى أسلافها قبل فى ( أُحد ! )
جريرتها أن كُلِّفَتْ حملَ قيدها    وما خُلِقتْ إلا قضاءً على القيد!
أضاء سناها ( بالشآم ) فروّعتْ    عِداها وردّتها إلى خُطّةِ قَصْد
أرى الحق فى الدنيا يُرَدُّ لقاهرٍ    ولم أره يوماً يرد لِمُستَجدِ !
( فإن لم تُنلكم نصف قومهم مودّةً
أنالَ القنا . والخوف خير من الود ).

ولن تبلغ الأعداء من مصر مطمعاً
وقد زأرت فيها اللبوء مع الاشد ! (1)

***

تناهت سلالات الجبابرة الأولى … بنو هيكل الدنيا إلى هيكل فرد
تقوم عليه أمة عربيّة … رسالتها هدى الشعوب إلى الرشد
على كاهل الدنيا استقلت بموطنٍ
من (المغرب الأقصى) إلى (الشط (2)) ممتد
إذا هتفت (مصر) بلحن جهادها
تعالى صداه فى (العراق) وفى (نجد)
وخفّ له فى (حضرموت) مهلّلٌ … وجلجل فى آفاق (تونس) كالرعد
رأيت (بلاد الضاد) عقداً منظّما … ولكنّ (مصراً) فيه واسطة العقد
قضيت (لمصر) بالأمامة بينها … وما لقضاء شئته أنا من رد !

علي أحمد باكثير

(1) اللبوء : جمع لبوءة أنثى الاسد . (2) شط العرب

# خيبة رجاء

## الى الوالد الواجد الأستاذ أحمد حسن الزيات

## للأستاذ محمود غنيم

راح كأن لم يوجد … ياليته لم يولد
ما اليُتم فقد والد … أليُتم فقد الولد
يا غرة الفرقد هـ … ـلّا عِشت عمر الفرقد
عيد الربيع قد أتى … ما لك لم تعيّد
مالك لم تبسم له … عن لؤلؤ منضد
ما فعلت نسبته … بخدك للورد
يأيها العصفور قم … بين الطيور غرد
قم املأ البيت نشا … طاً بين لهوٍ ودَدِ
البيت ما لم تأوه … كالدير أو كالمسجد
أعزز على أبيك أن … تصمت صمت الأبد
ما أبعد الصبر على … فقد الصبى الأملد
صادٍ أصاب منهلاً … لكنه لم يَرِد
وإنما أطفال هـ … ـذا اليوم أبطال الغد
ويح البنين ويحهم … فى الموت أو فى المولد
هم عودوا قلبى الأسى … وقبلهم لم أعتد
لسقمهم وموتهم … حزازة فى الكبد
تخطفهم يد الردى … ونحن مكتوفو اليد
ليت الذى يسلبهم … يسعد بالتجلد
ليت لنا أفئدة … منحوتة من جلمد
كم عاقر بدونهم … يعيش عيش المفرد
ووالد من همهم … يشيب قبل الموعد

***

أحمد يا خير أب … خطبك خطب البلد
ريعَ الشّرى بأسره … إذ مات شبل الأسد
الخطب غير هيّن … والصبر غير مسعد
والشعر غير طيّع … ماذا أقول سيدى
ما المُصاب أحمد … غيرُ يراع أحمد

(كوم حماده) محمود غنيم

دراسات أوربية

# فى الأدب الايطالى الحديث

بقلم محمد أمين حسونه

— ٢ —

### البيراندلية الحديثة

ويكاد لويجى بيراندللو يعد ألمع شخصية فى الأدب الايطالى الحديث ، كما أنه أعظم كاتب مسرحى فى هذا العصر . وهو من الأدباء الذين تأثروا إلى مدى بعيد بنظريات العلامة النفسانى سيجموند فرويد ، وقد استطاع أن يجسم تضاعيف هذه النظريات فى رواياته التى تدور حول رسم وتصوير العواطف الخفية التى تسبح فى العقل الباطن ، وتظهر الآونة بعد الأخرى على سطح العقل الواعى فتصطدم بالتقاليد والنواميس الطبيعية

على أن أشد ما يؤسف له هو أننا لم نفهم بيراندللو إلا من حيث أنه كاتب مسرحى فقط ؛ أما من وجهة أنه قاص عبقرى فلا يزال مجهولا رغم ما أنتجه من القصص الممتازة التى تدل على قوة الملاحظة وخلق الشخصيات الناضجة التى تطابق الواقع وما امتاز به من تحليل الشخصية ورد العناصر إلى أصولها

وبيراندللو — فى عرف بعض النقدة — رمز للعالم الحديث فهو يشعر شعوراً عميقاً بالزمن الحاضر المضطرب بسبب الحوادث والماديات اللاصقة به . ونحن إذا شاهدنا مسرحياته لنقارنها بقصصه شعرنا باضطراب وعدم استقرار . بل لما وجدنا شيئاً نتعلق به لننجو بأنفسنا ، فكأننا فى بحر مضطرب ثائر لا يهدأ ، وكل بطل من أبطاله ليس فى الواقع إلا « هملت جديد » لا يعرف معنى للاستقرار . وكلما تعمق فى الحياة ازداد اضطرابا ، فهو أمام الحياة فى حالة ذعر وخوف

وشخصية بيراندللو نفسها تعد مثالا حياً للمضطربين الذين لا ينشدون الراحة إلا فى حالة ثورة فكرية ، وقد أطلق عليه دانييل روبس فى كتابه Carte d'Euraqe لقب « البلشفيكى العقلى » ، أى أنه صاحب مذهب شيوعى متطرف بالنسبة للفكر الانسانى ، على أننا لا نقر هذه التسمية الخاطئة ، لأن الشيوعية المتطرفة تفكر فى إعادة البناء بعد الهدم ، على حين أن بيراندللو يهدم ولا يبنى

ويدور فن بيراندللو الروائى حول الشعور بالحياة ، ويؤدى إلى فكرة مبهمة عامة ، فاذا ما تطورت برزت أمامها عقبات لصدها عن اتخاذ طريقها الطبيعى ، وأهم هذه العقبات ما يتعلق بالدين والأخلاق والقوانين ، وما يجرى للانسان فى حياته المادية

أما أدبه فيرتكز على نظريات فلسفية يعبر عنها بلسان أبطاله ، وليس الأدب فى نظره سوى وسيلة للحياة فى الخيال والفرار من المتاعب المادية . فاذا فكر فى موضوع رواية مسرحية أو قصة استسلم إليها وأحس أنه بعيد عن وسطه الحقيقى ليحلق فى الجو المصطنع الذى يبتكره خياله . وهو فى هذا يقول :

« لا سيادة لنا مطلقا على أفكارنا وعواطفنا ورغباتنا ، وأننا لسنا سادة بشخصياتنا ، بل إن هذه الشخصية تخضع غالباً لأحكام الكون ولجميع ضروب التأثيرات النفسية . وأنه ليس لنا كيان شخصى معين بل إن شخصيتنا تتبع أعمال الغير ، فنحن نلعب الدور الذى تفرضه البيئة ويفرضه المجتمع . وأننا سوف ننتهى إلى حيث لا نعرف »

ويخيل إلى أن بيراندللو يشبه من ناحيته الفلسفية عمر الخيام الذى كان ينادى بالقضاء والقدر ، وإلى أن أساس الكون ومحور نظامه ليس إلا الاضطرار والجبر . فالقدر فى نظر كل منهما أزلى والقضاء أعمى ، ولسنا سوى آلات فى يد الدهر ، تحركنا كما تحرك الريح الشجر ، فليس لنا من إرادة ولا فى وسعنا أن نستقل بآرائنا إنما نحن « رخاخ » فى رقعة شطرنج

* * *

يعارض النقادة الايطالى النابه فردريك ناردبللى فى كتابه المسمى ( حياة ومتاعب بيراندللو L'umo Segretto—Vita e croci di Pirandello ) الرأى القائل بوجوب فصل حياة الفنان الخاصة عن فنه كيما يتسنى الحكم عليه أو فى صالحه ، فيصف لنا فى أمانة وبساطة المصائب التى لاقاها بيراندللو فى كافة أدوار حياته وارتباطها بفنه ، فقد ولد بيراندللو وشب فى جزيرة صقلية ، ولذا فمن السهل أن نجد ظل الحياة الصقلية واضحاً عميقاً فى رواياته ونجد أيضاً رسم التقاليد والعادات والحياة الاجتماعية الصقلية فى عصر النهضة ، والاشارة عن طريق خفى فى إحدى مسرحياته عما وقع لأمه فى بدء شبابها . فقد ظل والده بعد العام الأول من

زواجه بماشر ابنة عمته الأرملة ، فمات منه بما أدى الى أن يمنحها هبة مالية عثاية بائنة تساعدها على الزواج في بلد آخر

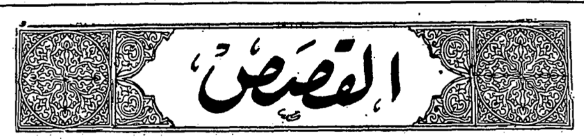
ففي رواية بيراندللو المسماة « اكساء العارين Vêtir ceux que sont nus. » يرسم لنا بطلته وهى أرملة تسمى أرزيليا حاولت أن تحمل الناس على الاعتقاد بأن محاولتها الانتحار كانت بسبب هجر خطيبها ، ولكن الواقع أنها هي التي خدعته . وقد حاولت الانتحار لأنها ضبطت في حالة مريبة مع رب الأسرة الذي تعمل مربية لأولاده . وفي خلال ذلك مات الطفل الذي عهد إليها بتربيته تحت تأثير حادث خفي ، وقد أنقذت أرزيليا من الانتحار بأعجوبة . فتألب الصحفيون حولها وأخذوا يعطرونها بوابل من الأسئلة ، لأن الرأي العام يهم بمسألتها ، ولكن بعد فوات زمن طويل جعل الناس يستوضحونها الأسباب التي حملتها على الانتحار ، فلم يتبق أمام إلحاحهم سوى الاعتراف بالحقيقة والبوح بالسر ؛ وعندئذ سقط القناع ، وأمام حرج موقفها وتبكيت الضمير عاودت الانتحار وفي هذه المرة نجحت

فتأثير الحادث الذي سمعه بيراندللو وهو في حداثته من أبيه كان لا يزال لاصقاً بذهنه ، فلم يجد بداً من أن يصوغه في قالب روائي وأن يخلع عليه طريقته في تأليف مسرحياته واضعاً أشخاصه في حالة إبهام وغموض وتجلد أمام الآلام ، مسدلا القناع على وجوههم ، ولكن هذا القناع لا يلبث أن ينزعه بعد حين ليعيد إليهم شخصياتهم الحقيقية

أما في روايته « المرحوم ماثياس باسكال » ففيها لأول مرة يمالج الخيال والواقع والحياة والموت والجنون والحكمة ، وهي تدور حول تحليل شخصية رجل فقير يدعى ماثياس باسكال هرب من زوجه وحماته لشراسة طبعهما ، قاصداً الهجرة إلى أمريكا ، غير أنه وقف في طريقه بمونت كارلو ليجرب حظه على مائدة الروليت فأسعفه الحظ وربح أرباحاً طائلة ، وحدث في اليوم التالي لاختفائه أن وجدت جثة غريق مجهول في النهر فزعم أهل قريته أنها جثة ماثياس ودفن على هذا الزعم وتسربت الحادثة الى ماثياس عن طريق الصحف وهو في مونت كارلو فقرر أن يعيش مختفيا وأن يتجرد من شخصيته الحقيقية ليعيش متحرراً من الروابط الاجتماعية ، لكنه بعد أن يتعرى من شخصيته يفقد توازنه بدليل أنه يقول : « إن الشيء الوحيد الذي أؤكده هو أنني كنت أدعى ماثياس باسكال » . بل ربما نسي أنه كان يدعى بهذا الاسم !

وكثيراً ما يعيب النقدة على بيراندللو أنه يغرق في الخيال وفي عمق التفكير ، ولكن في مؤلفات هذا الكاتب المتدفق الثائر نجد أن فنه سبق الحياة في الكشف عن حقائق ملموسة . وعلى الرغم من أنه ابتكر شخصية ماثياس باسكال فقد طابق خياله منطق الحقيقة مطابقة تامة إلى حد أن حادث ماثياس باسكال وقع بالفعل في إيطاليا بعد تأليفه هذه الرواية بعشرين عاماً !

وهناك روايته الأخرى الموسومة بعنوان « ايف ولين » وخلاصتها أن شاباً من رجال الأعمال تزوج من فتاة اسمها ايفلين وعاشا عيشة اللهو والحب ، ووقع الزوج في عجز وضيق مالي فلجأ إلى التزوير في حسابات عملائه ، وقبل أن يفتضح أمره فر من وجه العدالة تاركا امرأته الشابة وطفلا له منها ، وعطف عليهما محامي الزوج وآواهما في بيته وأصبحت المرأة في حكم زوجته وأنجبت منه طفلة وقد مر على حياتهما الهادئة المطمئنة أحد عشر عاماً ، عاد بعدها الزوج الهارب كأشد ما يكون حباً وهياماً بامرأته . وهنا يظهر لنا ازدواج الشخصية كأوضح ما يكون جلاء ، فقد حارت المرأة بين زوجها القديم وزوجها الجديد ، وإنها لتذكر حياتها القديمة بما فيها من ألوان زاهية مرحة كلها الهوى والشباب وتقابل بينها وبين الحياة التي تحياها ؛ فطابعها الوقار والرصانة والركود والانصراف إلى الواجبات . وأن لها من زوجها الأول طفلا هو اليوم شاب قوي جميل ، ومن زوجها الثاني طفلة تحبها حباً يعادل حبها لولدها الشاب . وكلاهما يمثل ناحية خاصة من حياتها بألوانها وصورها المتباينة . وإنها لتحن إلى حياتها الأولى المفعمة بالنشاط والهوى والشباب ولكنها تؤثر حياتها الراهنة بما يحوطها من وقار وإذعان وانصراف عن اللهو إلى الجد الصارم . وهي في حياتها الأولى يدعوها زوجها متحبباً إليها « ايف » وزوجها الثاني متحببا أيضا « لين » . وكل شطرة من هذا الاسم تثير في نفسها صورا ومعاني وألوانا مختلفة لا سبيل إلى التوفيق والملاءمة بينها وتنتهي الرواية بأن ترضى بحياتها الراهنة وأن يذهب ابنها الشاب ليعيش مع أبيه ولكنها مع ذلك ما تزال تحب زوجها الأول وتحن إلى حياتها القديمة وتشتهيها ؛ وإنما هي قنعت بحياتها الراهنة لظروف لا تستطيع أن تتحداها



دراما من اسخيلوس

# ٣ ـ محاكمة أورست

The Eumenides

(الدراما الثالثة من الأورستيه)

تتمة

للأستاذ دريني خشبه

— ١٠ —

واهتزت مينرفا فوق عرشها المرد، وتوجهت بالقول إلى المحلفين العدول من الأثينيين :

— « أيها الأثينيون ! أنتم يا من اجتمعتم للنظر مي فى قضية هذا الدم المسفوك لأول مرة فى تاريخ الانسانية ! اصغوا وعوا ! إن شعب ايجيوس[1] العظيم ليتلفت فى أقصى الأرض ينظر هل ما زال هذا البيت الذى أسس على التقوى وشيدت دعائمه على العدل، عند حسن ظنهم به، ورجائهم فيه ! ؟ إن بحسب الأكروبوليس فخرا أن أقامته الأمازون تقديساً لجد إرس الخالد، إذ كن يقتفين أثر ثيذيوس، فنسين ذحلهن، واطرحن إحنهن، لأنه لاذ بهذا الجبل . . . فهل كثير أن تنسوا أضغانكم، قبل أن تعطونى موثقكم، فلا تميلوا ولا تحيدوا، ولا تعدلوا عن سبيل الحق، حين تعطون أصواتكم، إما لأورست، وإما عليه ! ! إنكم هنا لا تخشون عنتا ولا ترهبون رهقا، وإنكم لرضيون مخلصون، وإنكم لتتفجر قلوبكم حنانا ورحمة ! وإنى هنا لأباركم، وأنزل شآبيب رحمتى عليكم، ما دمتم خابتين خاشعين، تصدعون من خشيتى ! وإنى أبدا ساهرة عليكم، أوليكم معروفى، وأرزقكم بركتى فأنتم دائماً شعبى، وأنتم آخر الدهر أمتى . هلموا إذن فاكتبوا أصواتكم، ونقوا سرائركم، وبروا أيمانكم، ألا تميلوا ولا تأثموا . . . وحسبكم ما قدمت لكم ! ! »

وهومت ربات الذعر تهويمة ثم قالت :

— « على أننا نرجو ألا يحتقرنا الملأ، وألا تمدى وجود فى أرضك تدنيساً لها ! ! »

فينهض أبوللو ويقول : « بيد أنى أحذركن يا ربات، ألا تجعلن نبوءاتى عبثاً، فان أبى سيد الأولمب يؤيدنى فيها جميعا »

— « نبوءاتك عن آثام الفجرة الكفرة، التى ستلطخ الانسانية منذ اليوم ! ! »

— « وأنتن كنتن يا ربات يوم أن قتل إكسيون[2] أبا

وقد ظن البعض أن هذه الرواية وليدة الخيال فمن المحال أن يقع فى الحياة ما يشابهها، ولكن الحوادث أثبتت أن فى الحياة مشكلات لا تقل فى غرابتها عن فن بيراندللو، فقد وقعت فى بودابست أخيراً حادثة تزوير، ارتكبها شاب يدعى فرادلبير، وفر إلى بلاد أخرى تاركا زوجه وطفلة، فاقترنت المرأة بعد أن يئست من عودة الزوج وأنجبت من زوجها الجديد طفلا، وقد رجع الزوج الأول بعد مرور أربعة عشر عاما ووصل إلى علمه زواج امرأته ! وشغلت القضية أذهان الجمهور زمناً وأصبحت حديث الأندية والمجتمعات إلى أن مثلت مسرحية بيراندللو هناك فظن أكثر الناس أن المؤلف إنما يشير الى هذه الحادثة بينما هو كتب مسرحيته قبل الحادثة بثمان سنوات !

(يتبع) محمد أمين حسونة

(١) إيجيوس ملك أثينا وابنه ثيذيوس الذى قتل المينوطور وقد نشرنا أسطورته فى الرسالة ( السنة الثالثة )

(٢) تزوج إكسيون ملك لابيثيا ابنة رجل على أن ينقده مبلغاً كبيرا من المال، فلما تم الزواج أبى أن يدفع شيئاً وطفق الرجل يطالبه ناسا

زوجته ؟ أليس أبى قد اقتص منه بيده ؟ »

— « إعرف يا أبوللو بما شئت ! ولكن ثق أننا لن نبرح هذه الأرض مادمت أنت فيها تحرض على القتل ، وتحرض على الجريمة وتغوى الناس على الفساد ! »

— « ولن تبرح الآلهة ، كباراً وصغاراً ، تحمى عبادها من شرورِكن ! »

— « كما تحمى عبدك الآن وقد ارتكب أشنع الجرائم ، وكما تحمى عبادك دائماً ؟ »

— « وإذا لم تحم الآلهة عبادها وتدركها بالرحمة وقت الشدة فمتى تصنع هذا ؟ »

— « ولم يبق إلا أن ترشوا صغيرات الآلهة بقدح من الخمر فيضللن ضلالك ، وتنعكس الشرائع ! ؟ »

— « وليتنى أستطيع إضلالكن فلا يجرعن البرايا بعومكن !! »

— « هيه !! لقد عيل صبرنا !! ألا متى ننتهى من هذه القضية فنترك لك هذه الأرض بمن فيها !! ؟ » .

(وحين يفرغان من هذا الحوار يكون المحلفون قد فرغوا من وضع الأوراق التى تشمل أصواتهم فى صندوق الاقتراع ................)

ثم تقول ميترفا : « وعلى الآن أن أبدى رأيى حراً بحيث لا يتأثر به أحد منكم !

أنا فى صف أورست !! أجل أنا فى صف أورست !! أنا ميترفا ، التى لم تلدنى أم [1] ، لا أبالى كثيراً بأم قتلت لأنها خانت بعلها ، وذبحته ، وخربت بيتها من معانى الأبوة والأمومة طوبى لك يا أورست ! إذا تساوت الأصوات لك وعليك فان صوتى يرجح حقك ، ويؤزر براءتك !! طوبى لك يا أورست ! »

فينتشى أورست من رهبة وفرح ويقول ، مخاطباً أبوللو « يا إلهى أبوللو ! النتيجة يا إلهى !! لى أم علىّ ؟! »

وتلحظ ربات الذعر ما ترمقها به الأنظار السمهرية فتخاطب ميترفا قائلة : « أيتها الربة ميترفا ! أترين إليهم كيف يلمزوننى ؟! »

فيقول أورست : « إن ساعة خلاصى أو نجاتى تقترب حثيثة !! »

فتقول ربات الذعر : « وإن ساعة إثبات حقوقنا أو تجريدنا منها لتقترب حثيثة أيضاً ! »

ويهتف أبوللو بمن يفرزون الأصوات قائلا : رويدكم أيها الفرازون ! دققوا جهدكم فى فرز الأصوات ! وإيا كم أن تخطئوا فى واحد منها ، فرب زلة من أحدكم تقلب الحق زوراً ، وترسل البرىء إلى سواء الجحيم !! »

ويسر رئيس الفرازين كلاماً إلى ميترفا فيملو البشر أسارير وجهها وتقول : « بشراك يا أورست ! لقد وضع عنك وزرك واطهرت من هذا الدم !! الأصوات متساوية لك وعليك ، وصوتى يبرئك ويرجح حقك ! فالبشرى لك ! »

ويستولى على أورست طائف من الذهول ، فيسجد بين يدى ميترفا ويقول :

— « ميترفا ! إلهة العدالة ! تباركت وتقدست ! اليوم فقط صرت خليقاً بأن أكون مواطناً من آرجوليس ! لقد نشأت فى دار غربة ، بنضوهم وخليف آلام ، ولم أكن أفكر إلا فى الخلاص من حياتى المرة الترعة بالمتاعب ، فتردين لى أنت اعتبارى وطمأنينتى وميراثى فى عرش آبائى . . . فى لحظة عادلة تحت بيتك الكرم !! تقدست وتباركت يا ميترفا ! يا ابنة زيوس سيد الأولمب المظيم ! زيوس حارسى الأمين ، الساهر على رعاياه من ذروة جبل إيدا ! سلام إلى الأبد يا ميترفا المباركة سلام إلى الأبد بين آرجوليس وبين آثينا الخالدة التى تباركينها وتحرسينها ! لن تكون بينهما حرب ما عشت ، فاذا قضيت فلن تكون حرب بينهما كذلك ! فاذا حدثت أميراً من أمراء آرجوس نفسه بأن تكون هذه الحرب ، فسأنتفض تحت ركامى لأجعل حياته شقوة لا تحتمل ، وأروعه بأطياف من الذعر تأخذ عليه

---

ألحف عليه قتله إكسيون فثار الأولمب لأنها كانت جريمة القتل الأولى فى حياة الانسانية وجىء بالقاتل أمام زيوس فاستطاع أن يقنعه بما عمل وكاد زيوس يعفو عنه لولا ما لحظ من نظرات إكسيون الشهوانية إلى زوجة الربة حيرا فأمر به فربطه فى عجلة مشتعلة وجعل يطوف بها السموات

(١) جاء فى الثولوجية أن ميتيس — إحدى زوجات زيوس — تنبأت له أنها ستضع ولداً يغتصب الملك من أبيه كما صنع هو بأبيه من قبل فاضطرب زيوس وآلى ألا يكون من ذلك شىء فابتلع زوجه هذه ليتخلص من شر نبوءاتها ولكن آلاما مبرحة انتابته ثم شعر فى رأسه بدوى وبرحاء فأمر فلكان أن يشجه بباطه الكبير ، فلما فعل خرجت ميترفا من الرأس وذلك قولها إنها لم تلدها أم — ومن هنا أنها كانت إلهة الحكمة والعدالة

سبيله أنى توجه ، وتصير أيامه ظلمة ، وأضـواء الحياة فى قلبه وعينيه مرارة وديجورا ! هذا موثقى وتلك أقسامى يا ربة العدالة ! أما إذا حافظ شعبى على السلام بين بلادينا ، فسأرفرف عليه بالمحبة وأصلى من أجله فى أعماق هيدز ! وداعاً يامينرفا ! وداعاً ياحارس أثينا الأمين ! زيدى فى مجدها وامنحيها البركة والخلود ! »

( ويسجد سجدتين ويغادر الأكروپوليس )

— ١١ —

أماربات الذعر فتأخذهن الحنقة ، وتضطرم نفوسهن بالغضب وتنقلب كل منهن بركانا يقذف بالحمم ؟ ويطفقن يتوعدن ويزمجرن ويتغنين نشيداً من أناشيد الجحيم جرسه رعد ، ونغمه شواظ من نحاس يتردد فى أفواههن ، ويتحشرج فى حلوقهن ، ثم ينذرن ألا يذرن على أرض مينرفا مسبحاً باسمها ولا دياراً ؛ ويهمين نشيدهن بالبكاء على مجدهن الضائع ، والرثاء لحقهن المغصوب . فتهتف مينرفا بهن :

— « على رسـلـكن يا ربات ! فيم هذا الغضب ، وهذه الضجة لِمَهْ ؟ ! لقـد رضيتن بى حكما فيما اختلفتن فيه ، ولقد أخذ العدل مجراه ، وسارت القضية بكل أمانة وكل احسان ... ولقد كانت براءة أورست ناصعة بحيث يكون من الظلم لو أننا أخذناه بما أردتن أخذه به ... فلنفىء جميعاً الى الحق ، فهو دائما أبلج ... . . . علام هـذا النذير ياربات ؟ ما لأثينا الخالدة الآمنة الناعمة فى رعايتى ، القارة فى كنفى ، وما لهذا الضغن الذى يغلى فى قلوبكن ؟ ! قمين بكن ألا تكن حربا على هذا الشعب الذى يسبح باسمى ويولى وجهه شطر معبدى ، وأنا أضمن لـكن محبته ، وأضمن لـكن اجلاله ، وأضمن لـكن أن يقيم الهيا كل باسمكن ، ويطنب المعابد لـكن . . .

— ١٢ —

ولـكن ربات العذاب تغلو فى النذير غلوا لا يليق بالآلهة ، وتعود إلى ترديد النشيد المقوت ، نشيد جهنم الذى كله قصف وكله رعد ، فترى مينرفا أن تأخذهن هـذه المرة بالحزم ، إشفاقا منها على أثينا الخالدة أن يصيبها مكر ربات العذاب

— « إذن ... فأنتن تعرفن أننى وحـدى أملك مفاتح زيوس ... أبى ... سيد الأولب ! أجل ... أنا صاحبتها ... وهى مسخرة لى وحدى ، من دون الآلهة أجمعين ... مفاتح زيوس ، مفاتح نقمته ... نقمته ... هل سمعتن ؟ ! المفاتح التى إن أردت حركتها فأرسلت عليكن صواعق السماء وشهبها الرواصد ! وهنالك ، وهنالك فقط ، تندمن على مافرطتن فى حقى ، وهنالك تلقين السَّلَمَ راغمات يا ربات ، وهنالك أيضاً تسلم أثينا من شروركن ؟ وتسلم جناتها من خططكن ، وقصورها من خرابكن هل هذا خير ؟ أم خير أن تفاجئنى محبة هذا الشعب البرىء فيسبح لـكن ويقدم الضحايا لـكن ، فتتقطفن لأول مرة فى حياتكن أول ثمرة شهية من أولياء مخلصين ؟ ! »

— « ويلاه ! يا لسوء حظوظنا ، ويا لشؤم منقلبنا ؟ ! لقد رضينا بالقسمة الضيزى إذ تقسَّم الآلهة الشبار فى أول الأزل ، ورضينا بهذا المأوى المظلم الدجوجى فى أعماق السفل ، ورضينا بسخط الناس ومقت الأرباب لما اضطلعنا به من تعذيب المجرمين وأخذ الآثمين بآثامهم ... أفـما كان بحسبنا كل أولئك حتى تجردنا صغار الآلهة حتى من هـذا الحق المضيم ؟ ! ويلاه ! أدركينا يا أمنا الأرض ! الغوث الغوث يا آلهة الظلمة ... ! »

وتلحظ مينرفا أن تهديدها قد فل من غرب ربات الذعر ، فقللن من غلوائهن ، وخففن من خيلائهن ، فرأت أن تلين معهن ، وذلك من حسن سياسة ربة الحكمة :

— « أما لم أسمهن بمحال ربة الأرض ، مولاتكن القدسة ، ولم أسمهن كذلك آلهة الظلام ، فهم جميعاً أكبر منى سنا ، وأكثر تجربة ، ولـكنى والحمد لأبى سيد الأولمب ، قد رزقت من الحكمة والحصافة قدراً أتيه به على جميع الآلهة ، وأفاخر به كل الأرباب . على أننى أعرض عليكن أن تقمن معى فى هذا المعبد المبارك راضيات ، تتقبلن صلوات الشعب وأضحياته ، على أن توقينه غضبكن ، وتجنبنه أرزاءكن ،

وحسبكن أن تقاسمنني ما هو حق خالص لى »

— « تقاسمك ؟! وأى نصيب يخلص لنا فى معبدك يا ميترفا ؟ »

— « نصيب لا يصيبكن فيه غضب من الناس ولا من الآلهة ، فلا تأبينه ! »

— « أفإن قبلنا غرضك . أفتكون لنا حقوق ثمة ؟ »

— « حقوق وأى حقوق ! لن تكون سعادة فى بيت إلا بمشيئتكن ! »

— « وهل تضمنين لنا هذا ؟ »

— بحيث تبارككن عبادكن يا ربات ، فلا تنزلن بهم رزاياكن ؟! »

— « وتؤكدين لنا هذا الحق طوال الأبد ؟ »

— ولماذا أعد ، وأنا فى الخالدين لن أخسر شيئاً ؟ »

— « قديرة يا ميترفا ! لقد أسكنت غضبنا ! »

— « ألقين منى إذن ، وا كبحن محبة شعبى ! »

— « وهل لنا أن نتغنى أناشيدنا هنا ؟ ( وأنتم تمقتونها يا آلهة ؟! )

— « تغنين ما شئتن ( إلا أناشيد الجحيم ) ، تغنين أناشيد الجمال والشمس المشرقة ، تغنين أناشيد القمر البازغ والطبيعة المتبرجة ، تغنين أناشيد اليمن والاقبال يا ربات ! تغنين أناشيد الاسعاد تمزجنها بموسيقى السماء ، وإنى أباركها جميعاً ، وقد أتغنى بها معكن ! »

— « إذن رضينا بما أشرت يا ميترفا ! »

— « وإذن ، فانى أعاهدكن على الحق تارة أخرى ، وأن تحكم بالعدل بين ذوى الخطايا والأوزار ، فكل من نأكد لنا إجرامه ، فلكن أن تفتكن به ، وتؤاخذنه بما كسبت يداه »

— « ولك إذن ألا نضار أحداً ، وألا نمس حقلا ولا غيضة ولا بستاناً بأذى ... فليكثر الخير ! ولتمتلئ الأرض الخضرة قطماناً ؟ ولتمطر السماء مناً وسلوى »

— « سجلوا أيها الأثينيون ! أيها الحلفون سجلوا ! سجلوا يا سادة أثينا ، واعلموا أن الشر إذا نزل بأهله فحسب ، فهو خير للجميع ! واعلموا كذلك أن من الخير ما ينبت من شر محض ، وأن لكم أن تأمنوا ربات العذاب ما دمتم مخلصين مطهرين ...

— « لتكن أرضهم منضورة بأفواف الزهر ، ولتبعد عنهم رزايا الزمان ؛ وليأمنوا غدرات الأيام ، وليرفرف عليهم فىء من اليمن ، ولتبارككم السماء دائماً ! »

— « إذن تمت نماؤنا يا ربات ، فليتم الى الأبد السلام ! »

وتأمر ميترفا فيقام حفل ضخم ينشد فيه الجميع نشيد السلام ، ويضمخ المعبد بخور المسك والمنبر والند ، ثم ينادى المنادى فيصمت الجميع لحظة ، وإذا عرش الكريم يبدو من عليائه ، ويهبط قليلا قليلا ...

ويتقدم إلى ربات الذعر فيقودهن إلى مملكة السفل ... إلى عالم الظلمات ... إلى أعماق الأرض ، حيث مقرهن ، وحيث مستودعهن ! ...

* * *

وهكذا تكتفى أثينا شرهن بفضل ميترفا الحازمة ... وهكذا يقرر القصاص ولو من الآباء .. وهكذا يسود العدل ويعم الاحسان

دريني خشبة

# الخيال العاقل

( بقية المنشور على صفحة ٤٨٢ )

رجلاً كما كان وادع النفس طفلاً . إنه يجد ويعمل ، إنه يكد ويكدح ، إن الحياة تبسم له أحياناً ، إن الناس من حوله يحبونه ويقدرونه ويكبرونه ويثقون به ، ويطمئنون إليه ويلتمسون به العافية والسلم ، ويحكمونه فيما يشجر بينهم من خلاف ، فلا يعرضه ذلك لبطر ولا لأشر ، لأن الله قد قطع الأسباب بين نفسه الصفاة وبين ما يشوب حياة الناس من الأشر والبطر والغرور . ثم انظر إليه وقد اختاره الله لخير ما يؤثر به عبداً من عباده ، وحمله أثقل أمانة حملها أحداً من خلقه ، فاذا هو يأتى هذا العبء الثقيل جلداً له ، صبوراً عليه ، ناهضاً به ماضياً فيه ، لا يعرف كلالاً ولا ملالاً ولا فتوراً ، لأن الله قطع الأسباب بين نفسه الصفاة وبين ما يشوه حياة الناس من الكلال والملال والفتور

ثم انظر إليه يذوق الثكل بعد أن ذاق اليتم ، ويمتحن فى نفسه وسمعته ، ويمتحن فى صحبه وأولى نصره ، ويمتحن فى بنيه ، ثم يمتحن فى زوجه التى جعلها الله له رحمة يسكن إليها ويعتز بها ، ثم يمتحن فى دينه ، ثم يمتحن فى كل شيء ، ثم يمتحن فى كل إنسان ، فاذا هو كما هو ، باسم الكهولة كما كان باسم الشباب وكما كان باسم الصبى ، لا يعرف الضعف ولا اليأس ولا يجد الاكتئاب المقيم إليه سبيلاً ، لأن الله قطع الأسباب بين نفسه الصفاة وبين الضعف واليأس والاكتئاب المقيم

ثم انظر إليه وقد أنكر قومه وأنكره قومه ، وقد ضاقت به مكة وضاق به ما حول مكة ، وقد لقى المحن التى لا تحتمل والمكروه الذى لا يطاق ، فلم يدركه نكول ولا استسلام ، وإنما فتحت له أبواب الأمل ، وفرج عنه تأييد الله له ما تضايق من الأمر ، فاذا هو يهاجر إلى يثرب ، أفتراه اطمأن فيها إلى الدعة ونعم فيها بالخفض واللين ؟ كلا ، ماهذه الحروب التى لا تنقضى ، والتى يمتحنه الله فيها بالنصر حيناً وبغير النصر حيناً آخر . ما هذا الجهد الذى لا ينقضى ؟ ما هذا الضيق الذى يضطره أحياناً إلى الجوع ؟ ما هذه الخيانات تأتيه من المنافقين ؟ ما هذه الخيانات تأتيه من حلفائه من يهود ؟ ما هذا الموت يتخطف أعز أصحابه عليه وآثرهم عنده ؟ أفتراه يئس لذلك أو ضعف عن احتماله ، أو اضطره شيء من ذلك إلى أن يحيد عن طريقه المستقيمة قيد شعرة ؟ كلا ! لأن الله جعل نفسه الكريمة مضاء كلها ، وإباء كلها ، وصبراً كلها ، وثقة بالله كلها .

ثم انظر إليه وقد تقدمت به السن ، ولم يبق له من بنيه وبناته إلا فاطمة رحمها الله ، وإذا الأيام تبسم له ، وإذا الأمل يشرق أمامه وإذا البشرات تنبئه بأن الله قد رزقه غلاماً فيسميه باسم أبيه ابراهيم ، وإذا قلبه مسرور محبور ، وإذا هو يشرك المسلمين معه فى سروره وحبوره فيبشرهم بما بشر به ، ويجد المسلمون أن عينه قد قرت فتقر عيونهم ، وأن نفسه قد طابت فتطيب نفوسهم ، وأن قلبه الكريم يتفتح للأمل فتتفتح قلوبهم للآمال ، ولكن الله يأبى إلا أن يمتحنه شيخاً كما امتحنه صبياً وشاباً وكهلاً وإذا ابراهيم ينتزع منه ولما يتم الرضاع . أفتراه جزع لذلك أو أدركه ما يدرك الشيوخ من وهن وضعف . كلا . إن الله قد قطع الأسباب بين نفسه الصفاة وبين الوهن والضعف . لم يتم ابراهيم رضاعه فى الدنيا فسيتمه فى الجنة . وانظر إلى أبيه وإنه ليسعى فى جنازته محزوناً ، ولكن حزن الكرام لا حزن اليائسين ولا حزن القانطين ، وإنه ليقوم على قبره وإنه ليعنى بتسوية القبر وترويته وصب الماء عليه ، وإنه لينصح للمسلمين إذا عملوا عملا أن يتموه وإن لم يكن لذلك غناء ظاهر ، لأن من كمال العقل أن يحسن الرجل ما يعمل . ثم انظر إليه يعلن إلى ربه أنه راض بقضائه ، مذعن لأمره مؤمن بحكمته ، ويعلن إلى ابنه أنه محزون لفقده . ثم انظر إليه إن عينيه الكريمتين لتدمعان . وما يمنعه أن يبكى وإن البكاء ليتم مروءة الرجل أحياناً ؟ ولكن انظر إليه ، أترى شيئاً من حياته قد تغير ؟ أترى شيئاً من رأيه فى الحياة قد تغير ؟ كلا . ما كان للاحداث فى هذه الدنيا أن تغير نفساً هى أكبر من الدنيا ؟

قلت لهذا الخيال ما رأيت كاليوم خيالا عاقلاً رشيداً . إن فى حديثك لعبرة لمن أراد أن يعتبر . قال وأى غرابة فى أن يعقل الخيال ويرشد إذا تحدث عن محمد ، وإن كان من طبعه الطموح والجموح ؟ . قلت لأنقلن حديثك هذا إلى صديق محزون جزع . قال : انقله راشدا إلى صديقك وإلى كل محزون جزع ، فما أرى أن مسلما يتمثل حياة محمد من هذه الناحية من نواحيها ثم يعرف اليأس أو الجزع إلى قلبه سبيلا .؟

طه حسين .

# البريد الأدبي

## فى ترجمة السخاوي أيضاً

نشرت الرسالة فى عددها الماضي (العدد ١٤٢) كلمة للأديب محمود غسان أبو الشباب يشير فيها إلى نقطة وردت فى بحث كنت نشرته فى الرسالة منذ أشهر عن الحافظ شمس الدين السخاوي فى العددين ١٠٣ و ١٠٤ الصادرين فى شهر يونية الماضي

ومن الغريب أن نفس الأديب كان قد نشر نفس الكلمة فى الرسالة فى العدد ١٠٧ الصادر فى ٢٢ يولية الماضي ، وهو يعيد نشرها الآن بعد عشرة أشهر مع تحوير يسير فيها

أما الملاحظة التى يلح الأديب فى إثباتها وتكرارها فهى أنى قد ذكرت فى الفصل الذى كتبته عن تراث السخاوي أنه ترك ضمن آثاره أثرين هما «تحفة الأحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات والبقاع المباركات» و «الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ» وأن فى نسبة هذين الأثرين للسخاوي خطأ محققاً يجب تصحيحه ، وأنه أى صاحب الملاحظة ، قد درس ترجمة السخاوي وقتلها بحثاً فلم يظفر بين مؤلفاته بذكر لهذين الأثرين

وجوابى على هذه الملاحظة هو أن فى نسبة الأثر الأول أى «تحفة الأحباب» للسخاوي شك لم يتسع وقتى لتحقيقه واستجلائه ، وفى نسبته لسمى السخاوي الآخر أيضاً شك لا أستطيع القطع معه بصحة هذه النسبة وذلك رغم ما ورد فى شأنها فى بعض الكتب المتأخرة ؛ وهذا الشك فى نسبة «تحفة الأحباب» للسخاوي معروف فى البيئات التى تعنى بدراسته ، بيد أن البحث لم ينته فى ذلك إلى رأى حاسم

وأما نسبة الأثر الثانى أعنى كتاب «الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ» إلى الحافظ السخاوي فليس فيها ذرة من الريب . فالسخاوي يذكره فى ترجمته لنفسه بين مصنفاته فى التاريخ بعنوان «الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التواريخ» (راجع الضوء اللامع فى مخطوط دار الكتب المصور المجلد الرابع القسم الأول ص ٧٥ و ٧٦) ويذكر السخاوي أيضاً فى نهاية كتابه أنه أتمه بمكة سنة ٨٩٧ هـ ؛ وقد طبع هذا الأثر أخيراً فعلى الأديب أن يراجعه ليتحقق

وأما كون السخاوي لم يذكر أثراً معيناً من آثاره فى ترجمته ، فيكون دليلا على أنه لم يكتبه ، فتدليل خاطىء ؛ ذلك لأن السخاوي يقف فى ترجمة نفسه فى الضوء اللامع حتى سنة ٨٩٧ هـ أو أوائل سنة ٨٩٨ هـ أى قبل وفاته بنحو خمسة أعوام ، (وقد توفى بمكة سنة ٩٠٢ هـ) وقد كتب السخاوي فى تلك الفترة التى تقدمت وفاته عدة كتب ورسائل أخرى لم يشر إليها فى الضوء اللامع

وأخيراً أرجو أن يعتقد الكاتب الأديب أن القول الفصل فى مثل هذه الدراسات لا يمكن أن يكتفى فيه بالقول الرسل أو الاستناد إلى بعض الروايات الضعيفة ، وما زال الأمر فيما يتعلق بالأثر الأول فى حاجة إلى استكمال البحث ، وهو بحث أرجو أن يتسع وقتى لاجرائه متى توفرت مواده ومصادره الوثيقة

محمد عبد الله عنان

## كتاب جديد عن هتلر

صدر أخيراً كتاب جديد عن هير هتلر ، وقد صدرت فى الأعوام الثلاثة الأخيرة كتب عديدة عن زعيم ألمانيا الجديدة منها ما يرتفع به إلى السماكين كزعيم ومصلح ، ومنها ما يصوره زعيما عادياً لم ترفعه إلى مركزه أية عبقرية أو مواهب خاصة ، وإنما رفعته إليه ظروف خاصة . ولكن الكتاب الجديد يمتاز بالتمحيص المادى والتصوير الدقيق ؛ وهو من قلم كاتب وسياسى فرنسى كبير هو مسيو فرانسوا دى تسان Tessan وعنوانه : «ها أدولف هتلر» Voici Adolf Hitler . وقد كان مؤلف الكتاب مدى أعوام طويلة وكيلا لوزارة الخارجية ، وهو من الكتاب الساسة

الذين توفروا على دراسة الشؤون الدولية دراسة عميقة متزنة . وكتابه عن هتلر أكثر من ترجمة لهذا الزعيم ، فهو في الواقع تاريخ كامل للحركة الاشتراكية الوطنية في الأعوام الثلاثة الأخيرة ، وفي سائر وجوهها ومناحيها

ويحاول مسيو تسان أن يعرض حديثه عن هتلر وعن الاشتراكية الوطنية عرضاً محايداً مجرداً عن الشهوات والنزعات الخاصة . وهو يحاول حتى في سرد الحوادث الدامية المروعة التي اقترنت بقيام حكم النازي أن يبتعد عن التفاصيل والتعليقات المثيرة ، ويكتفي بالاشارة الطائرة إلى كثير من ضروب الاضطهاد والفظائع التي نزلت بالأحزاب المعارضة وباليهود . بيد أنه لا يسعه إلا أن يقدم إلينا ألمانيا على ضوء هذه الحوادث المثيرة مشبعة بروح العصور الوسطى ، متشحة بثوب ظاهر من الهمجية ، مستندة إلى القوة الغاشمة وحدها في فهم القانون والحق .

ويستعرض المؤلف الحوادث المتعاقبة منذ قيام الحكم الهتلري حتى وفاة هندنبورج واتشاح هتلر بثوب « الزعامة » ، ويفصل لنا حادثة إحراق الريخستاج ، وحوادث ٣٠ يونية الدامية ، ويشرح لنا النظم والأساليب النازية الجديدة التي أدت إلى توحيد ألمانيا وسحق النظم الاتحادية القديمة ، وإقامة أمة موثقة العرى في قبضة طاغية هو في نفس الوقت رئيس حكومة ورئيس دولة .

ويبين لنا مسيو تسان آثار النظام الجديد في تعبئة الشباب وسحق الآراء الشيوعية ، وتحطيم اليهودية ، وإخراج اليهود من حظيرة القانون ، وإضعاف شوكة الكثلكة ، وعلى الجملة في إنشاء « الدولة الشاملة التي تغذيها تخيلات زعيم متصوف ، والتي تعتمد على قوة عسكرية تزيد كل يوم ، وما زالت وجهة استخدامها في المستقبل لغزاً لحضارتنا وللعالم » . كذلك يشرح لنا مسيو تسان آثار الاجراءات الدامية التي اتخذها الزعيم بيديه في ٣٠ يونيه ، وكيف أنها وقعت تحت تأثير « الريخسفر » (الجيش) وسحقت نفوذ ذوي الأقمصة السمراء ، واستبعدت من الحركة عناصر المغامرين ، ووضعت حداً لمنافسة فرق الهجوم للجيش ؛ وكيف انتهى تعاون الريخسفر مع هتلر إلى إلغاء النصوص العسكرية في معاهدة الصلح ، وإقامة جيش ألماني جديد قوامه ستمائة ألف

ولم يكن ميسوراً أن تقع هذه الانقلابات الشاملة دون تعبئة الرأي العام وتوجيهه ، ومن ثم فقد لجأت الحركة النازية إلى أشد أساليب الدعوة ، واتخذت الفكرة الجنسية والجرمانية أساساً لدعوتها ، ونظمت هذه الدعوة بشتى الوسائل ، بالمسرح والسينما والراديو والكتابة . كذلك حشدت الجامعات والمدارس والحركة التعليمية كلها لتأييد المبادىء النازية ، وأنشيء معهد لصوغ التاريخ القومي طبقاً للنظريات النازية ، وأضحت الحركة العسكرية كلها أداة نافذة في يد النظام الجديد تهيئ بها النشء والشباب للخضوع المطلق

ويشرح لنا المؤلف أدوار الحركة التي نظمت لسحق اليهودية منذ بدايتها وكيف أنها انتهت إلى وضع اليهودية من الوجهة الاجتماعية والاقتصادية في نوع من العزلة المطبقة التي تشبه نظام « الجيتو » في العصور الوسطى

ويتناول المؤلف تطورات السياسة الألمانية الجديدة في هذه الفترة وموقف ألمانيا من المعاهدات ومشاريع السلام ، ودعاواها في المستعمرات ، وكل ما يتعلق بهذه الشؤون ، وما أحرزته في هذا الميدان من النتائج

وقد كتب الكتاب بأسلوب قوي متزن تطبعه نزعة السياسي الهادىء والمؤرخ المحقق

## المباراة الصحفية الأدبية

### بيان من إدارة المطبوعات

إلحاقاً بمشروع حضرة صاحب الدولة علي ماهر باشا الخاص بالمباراة الصحفية الأدبية تتشرف إدارة المطبوعات بأن تذيع على حضرات الصحفيين والكاتبين بأن اختيار دولته قد وقع على حضرات أصحاب الفضيلة والمعالي والسعادة الآتية أسماؤهم بعد رؤساء للجان التحكيم كل في الموضوع الذي يخصه وترك لكل من حضراتهم حرية اختيار زملائه أعضاء لجنته ، وستذيع الادارة قريباً أسماء الجميع كما أنها ستذيع ما قد يتراءى لهذه اللجان من توجيهات وإرشادات وقواعد وأسس

وقد تفضل دولة الوزير فأمر بامتداد مدة تقديم الموضوعات إلى أمد نهايته ١٠ إبريل سنة ١٩٣٦ في غير تحديد لحجم ما يكتب وفي مطلق الحرية للكاتب فيما يريد إبداءه من آراء ومقترحات

وأن التفضيل يكون للرسالة العملية النتائج ، وليس ثمت من حاجة إلى التطويل فيما هو ظاهر جلي ، وأن العبرة كل العبرة في حسن التصوير ودقته ، والالمام الصحيح بشتى نواحي الموضوع العملية الانتاجية . كما أن دولته قد أشار بترك الحرية المطلقة لحضرات المتقدمين من الصحفيين والكاتبين في أن يرجئوا نشر رسائلهم إلى ما بعد ظهور نتائج المباراة أو أن ينشروها من الآن فيما يختارون من صحف ومجلات

كذلك أمر دولته أن تطبع الرسائل الفائزة في كتاب خاص رغبة في إذاعتها والاستفادة من وجاهتها ونشر للثقافة وحسن الافادة ، وأن يذاع منها من محطة الاذاعة الحكومية اللاسلكية ما تشير به لجان التحكيم تعميماً للفائدة بأوسع ما يكون

وترجو إدارة المطبوعات — رغبة منها في عدم إضاعة الوقت — أن يتكرم حضرات الراغبين في دخول هذه المباراة بإرسال خمس صور مما يكتبون في الموضوع الذي يختارونه إلى حضرات أصحاب الفضيلة والمعالي والسعادة رؤساء اللجان كل فيما يخصه وهم حضرات :

الموضوع الأول : رسالة الأزهر في القرن العشرين

رئيس لجنة التحكيم : حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر الشريف والمعاهد الدينية

الموضوع الثاني : اللغة والدين والعادات باعتبارها من مقومات الاستقلال

رئيس لجنة التحكيم : سعادة الأستاذ أحمد لطفي السيد باشا مدير الجامعة المصرية

الموضوع الثالث : أثر الحافز الشخصي في تطور الإصلاح الاجتماعي والوسائل العملية لتوجيهه للخير العام

رئيس لجنة التحكيم : الأستاذ الكبير مكرم عبيد نقيب المحامين

الموضوع الرابع : البطالة ووسائل علاجها . والتعليم الاقليمي وأثره في علاج البطالة

رئيس لجنة التحكيم : حضرة صاحب السعادة أحمد عبد الوهاب باشا وزير المالية

الموضوع الخامس : التربية الوطنية الاستقلالية وأثرها في بناء الأمة

رئيس لجنة التحكيم : الأستاذ الكبير محمود فهمي النقراشي

الموضوع السادس : عدة النجاح لرجل القرن العشرين

رئيس لجنة التحكيم : حضرة صاحب السعادة الدكتور حافظ عفيفي باشا

الموضوع السابع : تدعيم الحياة الدستورية والوحدة الوطنية وتكوين الوطني المستنير

رئيس لجنة التحكيم : حضرة صاحب العزة الدكتور بهي الدين بركات بك

الموضوع الثامن : ترقية الفلاح اجتماعياً

رئيس لجنة التحكيم : حضرة صاحب السعادة محمد طلعت حرب باشا

الموضوع التاسع : استثمار نهضة المرأة المصرية للخير العام

رئيس لجنة التحكيم : حضرة صاحب السعادة علي الشمسي باشا

الموضوع العاشر : وضع نشيد وطني قومي

رئيس لجنة التحكيم : الأستاذ الكبير الدكتور أحمد ماهر

## حول المباراة الأدبية

ورد الينا من إدارة المطبوعات ما يأتي . . . .

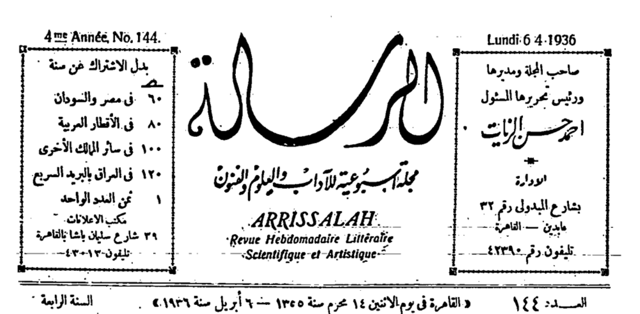
الحاقاً لمشروع حضرة صاحب الدولة علي ماهر باشا الخاص بالمباراة الصحفية الأدبية وموضوعاتها العشرة السابق إذاعتها

تتشرف إدارة المطبوعات بأن تذيع أيضاً أن دولته قد أمر بإضافة الموضوعين الآتيين ليكونا ضمن موضوعات المباراة المتقدمة وهما :

١ — سلامة الدولة في حفظ الأمن والنظام واحترام القانون

٢ — البوليس — وهو من حراس القانون — صديق الشعب — ووجوب مساعدة الشعب له في أداء واجباته

وستذيع الادارة قريباً أسماء حضرات رئيس وأعضاء لجنتي التحكيم في هذين الموضوعين الذين سيتفضلون بقبول المساهمة في هذه الخدمة الثقافية العامة




السنة الرابعة — « القاهرة في يوم الاثنين ١٤ محرم سنة ١٣٥٥ — ٦ أبريل سنة ١٩٣٦ » — العـــدد ١٤٤

فهرس العـــدد



# ولـــــدى !!

يا قارئي أنت صديقي فدعني أرق على يديك هذه العبرات الباقية ! هذا ولدي كما ترى ، رزقته على حال عابسة كاليأس ، وكهولة بائسة كالهرم ، وحياة باردة كالموت ، فأشرق في نفسي إشراق الأمل ، وأورق في عودي إيراق الربيع ، وولّد في حياتي العقيمة معاني الجدة والاستمرار والخلود !

كنت في طريق الحياة كالشارد الهيمان ، أنشد الراحة ولا أجد الظل ، وأفيض المحبة ولا أجد الحبيب ، وألبس الناس ولا

أجد الأنس، وأكسب المال ولا أجد السعادة، وأعالج العيش ولا أدرك الغاية!! كنت كالصوت الأصم لا تُرجّعه صدى، والروح الحائر لا يُقرّه هدى، والمعنى المبهم لا يحدده خاطر!! كنت كالآلة تنتجها آلة واستهلكها عمل، فهي تخدم غيرها بالتسخير، وتميت نفسها بالدءوب، ولا تحفظ نوعها بالولادة؛ فكان يصلني بالماضي أبي، ويمسكني بالحاضر أجلي، ثم لا يربطني بالمستقبل رابط من أمل أو ولد. فلما جاءني (رجاء) وجدتني أولد فيه من جديد؛ فأنا أنظر إلى الدنيا بعين الخيال، وأبسم إلى الوجود بثغر الأطفال، وأضطرب في الحياة اضطراب الحي الكامل يدفعه من ورائه طمع، ويجذبه من أمامه طموح! شعرت بالدم الحار يتدفق نشيطاً في جسمي، وبالأمل القوي ينبعث جديداً في نفسي، وبالمرح الفتيّ يضج لاهياً في حياتي، وبالعيش الكئيب تتراقص على حواشيه الخضر عرائس المنى! فأنا ألعب مع رجاء بلُعبه، وأتحدث إلى رجاء بلغته، وأتبع عقلي هوى رجاء فأدخل معه دخول البراءة في كل ملهى، وأطير به طيران الفراشة في كل روض؛ ثم لم يعد العمل الذي أعمله جديراً بعزمي، ولا الجهد الذي أبذله كفاء لغايتي؛ فضاعفت السعي، وتجاهلت النصَب، وتناسيت المرض، وطلبت النجاح في كل وجه! ذلك لأن الصبي الذكي الجميل أطال حياتي بحياته، ووسّع وجودي بوجوده، فكان عمري يغوص في طوايا العدم قليلاً قليلا ليمد عمره بالبقاء، كما يغوص أصل الشجرة في الأرض ليمد فروعها بالغذاء

شغل رجاء فراغي كله، وملأ وجودي كله، حتى أصبح شغلي ووجودي! فهو صغيراً أنا، وأنا كبيراً هو؛ يأكل فأشبع، ويشرب فأرتوي، وينام فأستريح، ويحلم فتسبح روحي وروحه في إشراق سماوي من الغبطة لا يوصف ولا يحد!!

ما هذا الضياء الذي يشع في نظراتي؟ ما هذا الرجاء الذي يشيع في بسماتي؟ ما هذا الرضا الذي يغمر نفسي؟ ما هذا النعيم الذي يملأ شعوري؟ ذلك كله انعكاس حياة على حياة، وتدفق روح في روح، وتأثير ولد في والد!؟

***

ثم انقضت تلك السنون الأربع! فصوّحت الواحة وأوحش القفر، وانطفأت الومضة وأغطش الليل، وتبدد الحلم وتجهم الواقع، وأخفق الطب ومات رجاء!!

ياجبار السموات والأرض رُحماك!! أفي مثل خفقة الوسنان تبدَّل الدنيا غير الدنيا، فيعود النعيم شقاء والملاء خلاء والأمل ذكرى؟! أفي مثل تحية العجلان يصمت الروض الغَرِد، ويسكن البيت اللاعب، ويقبح الوجود الجميل؟! حنانيك يا لطيف! ما هذا اللهيب الغريب الذي يهب على غشاء الصبر ومَراق البطن فيرمض الحشا ويذيب لفائف القلب؟ اللهم هذا القضاء فأين اللطف؟ وهذا البلاء فأين الصبر؟ وهذا العدل فأين الرحمة؟

إن قلبي ينزف من عيني عبرات بعضها صامت وبعضها مُعول! فهل لبيان الدمع ترجمان، ولعويل الثاكل ألحان؟ إن اللغة كون محدود فهل تترجم اللانهاية؟ وإن الآلة عصب مكدود فهل تعزف الضرم الواري؟ إن من يعرف حالي قبل رجاء وحالي معه يعرف حالي بعده! أشهد لقد جزعت عليه جزعا لم يغن فيه عزاء ولا عظة! كنت أنفر ممن يعزيني عنه لأنه يهينه، وأسكن إلى من يبكي عليه لأنه يكبره، وأستريح إلى النادبات يندبن الكبد الذي مات والأمل الذي فات والملك الذي رُفع!

لم يكن رجاء طفلا عاديا حتى أملك الصبر عنه وأطيع السلوان فيه؛ إنما كان صورة الخيال الشاعر ورغبة القلب المشوق! كان وهو في سنه التي تراها يعرف أوضاع الأدب، ويدرك أسرار الجمال، ويفهم شؤون الأسرة، ويؤلف لي (الحواديت) كلما ضمني وإياه مجلس السمر! كان يجعل نفسه دائما بطل (الحدوتة) فهو يصرع الأسود التي هاجمت الناس من حديقة الحيوانات، ويدفع (العساكر) عن التلاميذ في أيام المظاهرات، ويجمع مساكين الحي في فناء الدار ليوزع عليهم ما صاده ببندقيته الصغيرة من مختلف الطير!

والهف نفسي عليه يوم تسلل إليه الحِمام الراصد في وعكة قال الطبيب إنها (البرد)، ثم أعلن بعد ثلاثة أيام أنها (الدفتريا)! لقد عبث الداء الوبيل بجسمه النضر كما تعبث الريح السموم بالزهرة النضرة! ولكن ذكاءه وجماله ولطفه ما برحت قوية ناصعة، تصارع العدم بحيوية الطفولة، وتحاجّ القدر في حكمة الحياة والموت!!

والهف نفسي عليه ساعة أخذته غصة الموت، وأدركته شهقة الروح، فصاح بملء فمه الجميل: (بابا! بابا!) كأنما ظن أباه يدفع عنه مالا يدفع عن نفسه!

لنا الله من قبلك ومن بعدك يا رجاء، وللذين تطولوا بالمواساة فيك السلامة والبقاء!

أحمد حسن الزيات

# تجديد الاسلام

## رسالة الأزهر فى القرن العشرين (١)

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

(الأزهر) ، هذه هى الكلمةُ التى لا يقابلها فى خيال الأمة المصرية إلا كلمةُ (الهرم) . وفى كلتا اللفظتين يكمن سرٌّ خفىٌّ من أسرار التاريخ التى تجعل بعضَ الكلمات ميراثاً عقلياً للأمة ، يُنسِى مادة اللغة فيها ، ولا يُبقى منها إلا مادةَ النفس ، إذ تكون هذه الكلمات تعبيراً عن شىء ثابت ثباتَ الفكرة التى لا تتغير ، مستقرٍّ فى الروح القومية استقرارَه فى الزمن ، متجسم من معناه كأن الطبيعة قد أفردته بعادته دون ما يشاركه فى هذه المادة ؛ فالحجرُ فى الهرم الأكبر يكاد يكون فى العقل زماناً لا حجراً ، وفناً لا جسماً ؛ والمكانُ فى الأزهر يغيب فيه معنى المكان ، وينقلب إلى قوة عقلية ساحرة ، توجد فى المنظور غير المنظور

وعندى أن الأزهر فى زمننا هذا يكاد يكون تفسيراً جديداً لحديث : « مصر كنانة الله فى أرضه » ، فعلماؤه اليوم أسهم نافذة من أسهم الله يرمى بها من أراد دينَه بالسوء فيُمسكها للهيبة ويرمى بها للنصر ، ويجب أن يكون هذا المعنى أولَ معانيهم فى هذا القرن العشرين الذى ابتلى بعلم عشرين قرناً من الجرأة على الأديان وإهمالها والالحاد فيها

أول شىء فى رسالة الأزهر فى القرن العشرين ، أن يكون أهلُه قوة إلهية معدَّة للنصر ، مهيأة للنضال ، مسددة للاصابة ، مقدرة فى طبيعتها أحسن تقدير ؛ تُشعر الناس بالاطمئنان إلى عملها ، وتوحى إلى كل من يراها الايمانَ الثابتَ بمعناها ؛ ولن يأتى لهم هذا إلا إذا انقلبوا إلى طبيعتهم الصحيحة ، فلا يكون العلم تحرفاً ولا مهنة ولا مكسبة ، ولا يكون فى أوراق الكتب خيال (أوراق البنك) . . . . بل تظهر فيهم العظمة الروحانية آمرة ناهية فى المادة لا مأمورة منهية بها ، ويرتفع كل منهم بنفسه ، فيكون مقررَ خُلُق فى الحياة قبل أن يكون معلم علم فى الحياة ، لينبث منهم مغناطيسُ النبوَّة يجذب النفوس بهم أقوى مما تجذبها ضلالات العصر ؛ فما يحتاج الناس فى هذا الزمن إلى العالم — وإن الكتب والعلوم لتملأ الدنيا — وإنما يحتاجون إلى ضمير العالم

وقد عجزت المدنية أن توجد هذا الضمير ، مع أن الاسلام فى حقيقته ليس شيئاً إلا قانون هذا الضمير ، إذ هو دين قائم على أن الله لا ينظر من الانسان إلى صورته ولكن إلى عمله ؛ فأول ما ينبغى أن يحمله الأزهر من رسالته ضمائر أهله

والناسُ خاضعون للمادة بقانون حياتهم ، وبقانون آخر هو قانون القرن العشرين .... فهم من ثمَّ فى أشد الحاجة إلى أن يجدوا بينهم المتسلط على المادة بقانون حياته ليروا بأعينهم القوى الدنيئة مغلوبة ، ثم ليجدوا فى هذا الانسان أساس القدوة والاحتذاء فيتصلوا منه بقوتين : قوة التعلم وقوة التحويل . هذا هو سر الاسلام الأول الذى نفذ به من أمة الى أمة ولم يقم له شىء يصده اذ كان ينفذ فى الطبيعة الانسانية نفسها

* * *

ومن أخص واجبات الأزهر فى هذا القرن العشرين أن يعمل أول شىء لاقرار معنى الاسلام الصحيح فى المسلمين أنفسهم ، فان أكثرهم اليوم قد أصبحوا مسلمين بالنسب لا غير . . . وما منهم الا من هو فى حاجة إلى تجديد الاسلام . والحكومات الاسلامية عاجزة فى هذا بل هى من أسباب هذا الشر ، لأن لها وجوداً سياسياً ووجوداً مدنياً . أما الأزهر فهو وحده الذى يصلح لاتمام نقص الحكومة فى هذا الباب ؛ وهو وحده الذى يسعُه ما تعجز عنه ؛ وأسبابُ نجاحه مهيأة ثابتة إذ كان له بقوة التاريخ حكم الزعامة الاسلامية ، وكانت فيه عند المسلمين بقيةُ الوحى على الأرض ، ثم كان هو صورة المزاج النفسى الاسلامى المحض . بَيْدَ أنه فرَّط فى واجب هذه الزعامة وفقد القوة التى كان يحكم بها وهى قوة المثل الأعلى التى كانت تجعل الرجلَ من علمائه كما قلنا مرة : إنساناً تتخيَّره المعانى السامية تظهر فيه بأسلوب عملى فيكون فى قومه ضرباً من التربية والتعليم بقاعدة مُنتزَعة من مثالها مشروحةٍ بهذا المثال نفسه . والعقيدةُ فى سواد الناس بغير هذا المثل الأعلى

(١) لم نتكلم فى هذه المقالة عن الفقه والأدب وتحصيل علوم الأزهر لأن هذه هى مادة الأزهر لا رسالته الجديدة فى رأينا

هي أول مغلوب في صراع قوى الحياة

لقد اعتاد المسلمون من قـديم أن يجعلوا أبصارهم إلى علماء الأزهر فيتّبعونهم ويتأسّون بهم ويمنحونهم الطاعة وينزلون على حكمهم ويلتمسون في سيرتهم التفسير لمشكلات النفس، ويعرفون بهم معنى صغر الدنيا ومعنى كبر الأعمال العظيمة؛ وكان غنى العالم الديني شيئاً غير المال بل شيئاً أعظم من المال إذ كان — يجد حقيقة الغنى في إجلال الناس لفقره كأنه مُلك لا فقر. وكان زُهده قوة حاكمة فيها الصلابةُ والشدةُ والهيبةُ والسموُّ وفيها كلُّ سلطان الخير والشر لأن فيها كلَّ النزعات الاستقلالية؛ ويكاد الزهدُ الصحيح يكون هو وحده القوة التي تجعل علماء الدين حقائق مؤثرة عاملة في حياة الناس أغنيائهم وفقرائهم، لا حقائق متروكة لنفسها يوحش الناسَ منها أنها متروكة لنفسها

* * *

وعلماء الأزهر في الحقيقة هم قوانين نفسية نافذة في الشعب، وعملهم أردُّ على الناس من قوانين الحكومة؛ بل هم التصحيح لهذه القوانين إذا جرت الأمور على عِلّاتها وأسبابها؛ فيجب عليهم أن يحققوا وجودهم وأن يتناولوا الأمة من ناحيةِ قلوبها وأرواحها، وأن يُعدّوا تلاميذهم في الأزهر كما يُعدون القوانين الدقيقة لا طلاباً يرتزقون بالعلم

أين صوتُ الأزهر وعملُه في هذه الحياة المائجة عما في السطح وما في القاع . . . وأين وحيُ هـذه القوة التي ميثاقُها أن تحمل النبوّة كأنها شيء واقع في الحياة المصرية لا خبرٌ تاريخي فيهما . ؟

لقـد أصبح إيمانُ المسلمين كأنه عادةُ الإيمان لا الإيمان نفسُه، ورجع الاسلامُ في كتبه الفقهية وكأنه أديان مختلفة متناقضة لا دين واحد. فرسالة الأزهر أن يجدد عمل النبوة في الشعب، وأن ينفي عمل التاريخ في الكتب، وأن يبطل عمل الوثنية في العادات، وأن يعطي الأمةَ دينها الواضح السمح اليسر وقانونها العملي الذي فيه سعادتُها وقوتُها

ولا وسيلة إلى ذلك إلا أن يكون الأزهر جريئاً في قيادة الحركة الروحية الاسلامية، جريئاً في عمله لهذه القيادة، آخذاً بأسباب هذا العمل، ملحاً في طلب هـذه الأسباب، مصراً على هذا الطلب. وكل هذا يكون عبثاً إن لم يكن رجال الأزهر وطلبته أمثلةً من الأمثلة القوية في الدين والخُلق والصلابة لتبدأ الحالة النفسية فيهم، فانها إن بدأت لا تقف؛ والمثل الأعلى حاكم بطبيعته على الانسانية، مطاعٌ بحكمه فيها، محبوبٌ بطاعتها له

والمادة المطهِّرة للدين والأخلاق لا تجدها الأمة إلا في الأزهر، فعلى الأزهر أن يثبت أن فيه تلك المادة باظهار عملها لا بالصاق الورقة المكتوب فيها الاسم على الزجاجة . . .

ومن ثم يكون واجب الأزهر أن يطلب الاشراف على التعليم الاسلامي في المدارس وأن يدفع الحركة الدينيـة دفعاً بوسائل مختلفة؛ أولها أن يحمل وزارة المعارف على إقامة فرض الصلاة في جميع مدارسها، من مدرسة حربة الفكر . . . فنازلاً؛ والأمة الاسلامية كلها تشدُّ رأي الأزهر في هـذا. وإذا نحن استخرجنا التفسير العملي لهذه الآية الكريمة: «ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» دلّتنا الآية بنفسها على كل تلك الوسائل، فما الحكمة هنا إلا السياسة الاجتماعية في العمل، وليست الموعظة الحسنة إلا الطريقة النفسية في الدعوة

العلماء ورثة الأنبياء؛ وليس النبي من الأنبياء إلا تاريخ شدائد ومحن، ومجاهدة في هداية الناس، ومراغمة للوجود الفاسد، ومكابدة التصحيح للحالة النفسية للأمة. فهذا كله هو الذي يورث عن الأنبياء لا العلم وتعليمه فقط

* * *

وإذا قامت رسالة الأزهر على هذه الحقائق، وأصبح وجوده هو المعنى المتمم للحكومة المعاونَ لها في ضبط الحياة النفسية للشعب وحياطتها وأمنها ورفاهتها واستقرارها — اتجهت طبيعتُه الى أداء رسالته الكبرى للقرن العشرين بعد أن يكون قد حقق الذرائع الى هذه الرسالة من فتح باب الاجتهاد وتنقية التاريخ الفقهي وتهذيب الروح الاسلامي والسموّ به عن المعاني الكلامية الجدلية السخيفة، ثم استخراج أسرار القرآن الكريم المكتنة فيه لهذه العصور العلمية الأخيرة؛ وبعد أن يكون قد اجتمعت فيه القوة التي تمسك الاسلام على سنته بين القديم والجديد، لا ينكره هذا ولا يغيره ذاك؛ وبعد أن يكون الأزهر قد استفاض على العالم العربي بكتبه ودعاته ومبعوثيه من حاملي علمه ورسل إلهامه

أما تلك الرسالة الكبرى فهي بث الدعوة الاسلامية في أوربا وأمريكا واليابان ، بلغات الأوربيين والأمريكيين واليابانيين في ألسنة أزهرية مُرهَفة مصقولة لها بيانُ الأدب ودقةُ العلم وإحاطةُ الفلسفة ، وإلهامُ الشعر ، وبصيرةُ الحكمة ، وقدرةُ السياسة ؛ ألسنة أزهرية لا يوجد الآن منها لسانٌ واحد في الأزهر ، ولكنها لن توجد إلا في الأزهر ؛ ولا قيمة لرسالته في القرن العشرين إذا هو لم يوجدها فتكون المتكلمة عنه والحاملة لرسالته . وما هذه البعثات التي قرر الأزهر ابتعاثها إلى أوربا إلا أول تاريخ تلك الألسنة

إن الوسيلة التي نشرت الاسلام من قبل لم تكن أجنحة الملائكة ولا كانت قوة من جهنم ؛ ولا تزال هي هي التي تنشره ، فليس مستحيلا ولا متعذرا أن يغزو هذا الدين أوربا وأمريكا واليابان كما غزا العالم القديم . ولم يكن السلاح من قبل إلا طريقة لإيجاد الاسلام في الأمة الغريبة عنه حتى إذا وُجد تولَّى هو الدعوةَ لنفسه بقوة الناموس الطبيعي القائم على أن الأصلح هو الأبقى ، وانحازت اليه الانسانية لأنه قانونُ طبيعتها السليمة ، ودينُ فطرتها القوية ، وقد ظل الاسلام ينتشر ولم يكن يحمله إلا التاجر كما كان ينتشر وحاملهُ الجيش ؛ فليس علينا إلا تغيير السلاح في هذا العصر وجعله سلاحا من فلسفة الدين وأسرار حكمته . فهذا الدين كما قلنا في بعض كلامنا أعمالٌ مفصَّلة على النفس أدق تفصيل وأوفاه بمصلحتها ، فهو يعطي الحياة في كل عصر عقلَها العَمَلي الثابت المستقر تنظِّم به أحوال النفس على ميْزة وبصيرة ، ويدعُ للحياة عقلها العملي المتجدد المتغير تنتظم به أحوال الطبيعة على قصد وهدى . وهذه هي حقيقة الاسلام في أخص معانيه لا يغني عنه في ذلك دين آخر ولا يؤدي تأديته في هذه الحاجة أدبٌ ولا علم ولا فلسفة كأنما هو نبْع في الأرض لمعاني النور بإزاء الشمس نبع النور في السماء

ليس على الأزهر إلا أن يوجد من الاسلام في تلك الأمم ما يستمر ، ثم الاستمرار هو يوجد ما يثبت ، والثبات يوجد ما يدوم . وكأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أشار إلى هذا في قوله: نضَّر الله امرءا سمع مني شيئاً فبلَّغه كما سمعه ، فربَّ مُبلَّغ أوعى له من سامع

أما والله إن هذا المبلَّغ الذي هو أوعى له من السامع لن يكون في التاريخ بأدق المعنى إلا أوربا وأمريكا في هذا الزمن العلمي إذا نحن عرفنا كيف نبلغ

أنا مستيقن أن فيلسوف الاسلام الذي سينتشر الدين على يده في أوربا وأمريكا لن يخرج إلا من الأزهر ، وما كان الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله إلا أول التطور المنتهي إلى هذه الغاية ، وسيكون عمل فلاسفة الأزهر استخراج قانون السعادة لتلك الأمم من آداب الاسلام وأعماله ثم مخاطبة الأمم بأفكارها وعواطفها والافضاء من ذلك إلى ضميرها الاجتماعي فان أول الدين هناك أسلوبُه الذي يظهر به

* * *

هذه هي رسالة الأزهر في القرن العشرين ويجب أن يتحقق بوسائلها من الآن ؛ ومن وسائلها أن يُعالَن بها لتكون مؤتنفاً عليه . ويحسن بالأزهر في سبيل ذلك أن يضم إليه كل مفكر إسلامي ذي إلهام أو بحث دقيق أو إحاطة شاملة ؛ فتكون له ألقاب علمية يمنحهم إياها وإن لم يتخرجوا فيه ثم يستعين بعلمهم وإلهامهم وآرائهم . وبهذه الألقاب يمتد الأزهر إلى حدود فكرية بعيدة ويصبح أوسع في أثره على الحياة الاسلامية ويحقق لنفسه المعنى الجامعي

وفي تلك السبيل يجب على الأزهر أن يختار أياماً في كل سنة يجمع فيها من المسلمين ( قرش الاسلام ) ليجد مادة النفقة الواسعة في نشر دين الله . وليس على الأرض مسلم ولا مسلمة لا يبسط يده ، فما يحتاج هذا التدبير لأكثر من إقراره وتنظيمه وإعلانه في الأمم الاسلامية ومواسمها الكبرى وخاصة موسم الحج . وهذا العمل هو نفسه وسيلة من أقوى الوسائل في تنبيه الشعور الاسلامي وتحقيق المعاونة في نشر الدين وحياطته ، وعسى أن تكون له نتائج اجتماعية لا موضع لتفصيلها ، وعسى أن يكون ( قرش الاسلام ) مادة لأعمال إسلامية ذات بال وهو على أي الأحوال صلة روحية تجمل الأزهر كأنه معطيه لكل مسلم لا آخذه .

والخلاصة أن أول رسالة الأزهر في القرن العشرين اهتداء الأزهر إلى حقيقة موضعه في القرن العشرين « وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين » .

( طنطا ) مصطفى صادق الرافعي

# النهضات القومية العامة*

## فى أوربا وفى الشرق

للدكتور عبد الرزاق السنهورى
عميد كلية الحقوق ببغداد

تمهيد:

دعتنى لجنة الثقافة بدار المعلمين لالقاء محاضرات عامة ، فترددت فى اختيار موضوع هذه المحاضرات ، ذلك أنى رجل أشتغل بالقانون ، والناس لا يرحبون كثيراً لا بالقانون ولا برجال القانون ، وكيف يستسيغ الناس القانون ، وهو جاف لا طلاوة فيه ، أو ترحب برجال القانون ، وهم رجال صناعتهم الخوض فى المنازعات ، فان لم توجد خلقوها خلقا ؟ هذه هى سمعة رجال القانون عند الجمهور ، ولا أحاول أن أدافع عنهم ، وإن كنت منهم ، فانى أخشى أن ينازعونى حق النيابة عنهم والتحدث باسمهم . لذلك آثرت أن أتجرد الليلة عن هذه الصفة ، وأن أتقدم اليكم بموضوع لا شأن له بالقانون ، واخترت أن يكون موضوعى عن النهضات القومية فى أوربا وفى الشرق

ولست أزعم أننى توفرت على دراسة موضوعى دراسة دقيقة ، فان الدراسة الحق لهذا الموضوع تقتضى الخوض فى فلسفة التاريخ والاجتماع ، مما أعفيكم منه ، كما أعفيكم من سماع الأحاديث القانونية الجافة . لذلك ستروننى هذه الليلة أمس موضوعى مساً خفيفاً ، فى رفق وهوادة ، محاذراً أن أثقل عليكم أو أن أثقل على نفسى ، راجياً العذر إذا قصرت فى التعمق ، فان الغرض الأول الذى توخيته من هذه المحاضرات ، ليس هو الغرض العلمى . بل هى الرغبة فى استخلاص بعض الدروس للشعوب الشرقية فى نهضاتها الحديثة ، فى ضوء التجارب التى مرت بها الأمم الغربية .

وما دمت سأتكلم فى النهضات القومية ، وما دامت النهضة تقوم على روابط ، فانى أبدأ بتحديد معنى الرابطة ، تمهيداً للكلام فى النهضات القومية

الرابطة وحدة تجمع طائفة من الناس ، وتقرب ما بينهم ، وتميزهم من الطوائف الأخرى ، فالرابطة إذن لها وجهان : وجه إيجابى ، هو ذلك التقريب ، وكلما توثقت أواصره كان فى ذلك الخير كله . ووجه سلبى ، هو ذلك التنافر والتباعد ما بين طائفة وأخرى ، وكلما أغرق فيه كان تعصباً ، والتعصب كريه مذموم

ولا بد من وجود الروابط فى الجمعيات البشرية ، وتفرق الناس شيعاً وأحزاباً . نعم لو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة ، ولكانت هناك رابطة واحدة تربط الناس جميعاً ، هى رابطة الانسانية ، ولكن ذلك المثل العالى لم يتحقق حتى الآن ، وقد لا يتحقق إلى مدة طويلة ، بل قد لا يتحقق أبداً ، لذلك يجب أن نواجه الأمر الواقع ، وأن ننظر على أى أساس يتميز الناس أمماً وشعوباً .

ولنبدأ باستعراض التاريخ استعراضاً سريعاً ، لنستخلص منه الروابط المتعاقبة التى ربطت الجمعيات البشرية فى أوربا ، منذ العصور الوسطى إلى الآن . إن المستعرض لتاريخ الغرب يستطيع أن يقرر أن الجمعيات البشرية قد تقاربت وتباعدت ، على أسس اختلفت باختلاف مراحل التاريخ . ففى العصور الوسطى كان الأساس هو الدين ، إذ تجمعت الشعوب الغربية وقامت وحدتها على الدين المسيحى ، ثم أخذت رابطة الدين تنحل شيئاً فشيئاً ، وأخذت تحل محلها رابطة الوطن ، وما زالت أواصر الوطنية تتماسك ، ثم تتوثق ، حتى قوى التعصب لها ، وحتى قامت الحروب ما بين الشعوب المختلفة فى الوطن وان اتحدت فى الجنس ، وبقى الأمر كذلك حتى مستهل القرن التاسع عشر ، إذ قويت رابطة الوطن بعد نشوب الثورة الفرنسية وحروب نابليون ، ثم أخذت رابطة أخرى فى الظهور ، رابطة تقوم لا على فكرة الوطن ولا على فكرة الجنس ، بل على فكرة الكفاح ما بين الطبقات ، ووجوب سيادة طبقة العمال ، وبهذه الرابطة نادى الاشتراكيون ، وأخذ أمر الاشتراكية يقوى شيئاً فشيئاً ، ومذاهبها تتنوع وتتشعب ، حتى الحرب الكبرى ، إذ استفحل شأن الاشتراكية بارتماء الروسيا فى أحضان البلشفية .

* المحاضرة الاولى من سلسلة المحاضرات التى ألقاها الأستاذ السنهورى فى مدينة بغداد فى يوم أمانة العاصمة فى ٢٣ مارس سنة ١٩٣٦

على أن رابطة الوطن ، وقد وقفت إلى جانبها رابطة أخرى مقاربة لها هي رابطة الجنس ، لم يفتر نشاطها ، بل نزلت إلى ميدان النضال . وها نحن اليوم نشهد عراكاً عنيفاً ما بين رابطتي الوطن والجنس من جهة ، ورابطة الطبقات من جهة أخرى

هذا بيان اجمالي عن الروابط التي تعاقبت على أوربا منذ العصور الوسطى إلى اليوم : من رابطة الدين ، إلى رابطة الوطن ، إلى رابطة الجنس ، إلى رابطة الطبقات . ونحن نفصل الآن ما أجملناه

## ١ — العصور الوسطى : رابطة الدين

قلت إن الشعوب الأوربية كانت تجمعها في العصور الوسطى جامعة الدين ، وكانت الدولة لا تقوم على القومية أو الوطنية في تلك العصور ، بل كانت الدولة والقومية منفصلتين إحداها عن الأخرى منذ العصور القديمة ، فقد كانت اليونان قومية واحدة تتنازعها دول متعددة ، وكانت الرومان قوميات متعددة تندمج في دولة واحدة . ولما جاءت العصور الوسطى تجمعت الشعوب الأوربية في ظل الدين المسيحي ، يقود زمامها سلطتان : سلطة روحية هي سلطة البابا ، وسلطة زمنية هي سلطة الأمبراطور . واستندت الكنيسة إلى السلطة الزمنية دهوراً طوالا ، فان المسيحية كان قد اشتد كاهلها في ظل الامبراطورية الرومانية ، إذ بعد أن ناوأتها هذه الامبراطورية زمناً طويلا ، واضطهدت معتنقيها ، وسامتهم الخسف والعذاب ، تغلبت قوة الايمان ، وانتصرت المسيحية ، واتخذتها الأمبراطورية الشرقية ديناً رسمياً للدولة

ولما سقطت الأمبراطورية الرومانية شعرت الكنيسة بحاجتها إلى سلطة زمنية تستند اليها ، وبقي المثل الأعلى للشعوب الغربية هو أن تتجمع في ظل الكنيسة . وقد تحققت هذه الأمنية إلى حد كبير في آخر القرن الثامن ، وقام بتحقيقها شارلمان ، فقد وحد غرب أوربا بعد أن أخضعها لسلطانه ، وتوجه البابا ليو الثالث في سنة ٨٠٠ في كنيسة القديس بطرس ، امبراطورا على العالم المسيحي ، وخليفة للقياصرة من الرومان ، وأعاد الأمبراطور أوتو الجرماني وحدة العالم المسيحي مرة أخرى في القرن العاشر ، أما الكنيسة نفسها فقد كان ظلها ينبسط على العالم المسيحي ، يحقق وحدة هذا العالم ، وقد كان لها أعوان منبثون في كل قطر وبلد ، يؤيدون سلطانها ، وينفذون ارادتها ، وسلاح الكنيسة إذ ذاك هو الغفران والحرمان ، تغفر لمن تشاء ، وتحرم من تشاء ، فكلمتها نافذة مطاعة ، والعالم المسيحي ينظر اليها رمزاً لوحدته

وبقيت الرابطة الدينية قوية متينة دهوراً طوالا ، ثم أخذت في الانحلال ، ويرجع السبب في انحلالها إلى الحروب الطويلة التي نشبت ما بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية ، وإلى اتصال العالم المسيحي بالعالم الاسلامي بعد انقضاء الحروب الصليبية ، مما خفف من حدة التعصب الديني ، وإلى الاصلاح الديني الذي كان من شأنه أن يشق العالم المسيحي إلى كثلكة وبروتستانتية ، وأخيراً ، وبنوع خاص إلى عصر النهضة في العلوم والفلسفة ، تلك النهضة التي افتتحت بها العصور الحديثة في أوربا ، فبدد نور العلم ما كان قد تلبد من غياهب التعصب ، وانقشعت ظلمات الجهالة ، وميز الناس بين الروابط الدنيوية والروابط الدينية ، فحكموا في الأولى عقولهم ، وفي الأخرى ضمائرهم ، وأعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله .

## ٢ — العصور الحديثة : رابطة الوطن ورابطة الجنس

وننتقل الآن من المرحلة الأولى إلى المرحلة الثانية ، من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة ، وقد بدأت هذه العصور في أوربا منذ القرن السادس عشر ، وبدأت معها رابطة الوطن تحل محل رابطة الدين ، وقد كان يمنع من توثق رابطة الوطن في الماضي أمران : ( الأمر الأول ) رابطة الدين وقد رأينا كيف تفككت هذه الرابطة . (الأمر الثاني) شيوع النظام الاقطاعي في الشعوب الأوروبية ، وقد كان من شأن هذا النظام أن يفكك سلطان الدولة ، وأن يوزعه بين النبلاء ، فلم تكن تقوم للدولة ولا للقومية قائمة في ظل هذا النظام . ثم أخذ يزول شيئاً فشيئاً ، ويرجع السبب في ذلك إلى تقدم التجارة والصناعة ، مما جعل طبقة التجار والصناع وهي الطبقة الوسطى ذات شأن كبير . فأضعفت من سلطان الأرستقراطية والنبلاء ، وحلت البرجوازية التجارية والصناعية محل الأرستقراطية النبيلة ، واستندت اليها

السلطة المركزية ، واستعانت بها في توطيد سلطانها وهدم سلطان النبلاء .

وغرس تقدم التجارة والصناعة عند الأمم الغربية حب الاستعمار سعياً وراء أسواق جديدة للتجارة ، أو جرياً وراء الحصول على المواد الأولى للصناعة ، وقويت نزعة الاستعمار عند الدول الغربية الكبرى ، وتنافست ، فقامت الحروب بينها ، وزادت كل أمة شعوراً بقوميتها ، وهكذا نرى أن الاستعمار كان من شأنه أن يقوي الوطنية ، وأن يذكي نار التعصب للقومية .

وقد بلغت رابطة الوطنية أوجها من القوة بعد نشوب الثورة الفرنسية وحروب نابليون ، وبقيت قوية عنيفة طوال القرن التاسع عشر ، رغماً عن حركة الرجعية التي رفع لواءها مؤتمر فيينا ، وأخذت القوميات التي لم تستكمل استقلالها تكافح في سبيل هذا الاستقلال ، وخرجت منتصرة من هذا الكفاح . فاستقلت اليونان عن الدولة العثمانية ، والبلجيك عن هولندا ، وإيطاليا عن النمسا ، وأخفقت بولونيا والمجر ، ولم يقدر لهما النجاح إلا بعد الحرب الكبرى ، واستقلت بعض ولايات البلقان ، وتكونت الأمبراطورية الألمانية ، بعد أن اصطدمت القومية الألمانية بالقومية الفرنسية ، وجر هذا الاصطدام إلى حروب دامية وأهوال .

على أن تقدم الصناعة بنوع خاص ، لاسيما في القرن التاسع عشر ، كان له أثران خطيران غير تقوية روح الوطنية والنزعة الاستعمارية . (الأثر الأول) تقويته روح الديمقراطية ، التي بدأ غرسها الثورة الانجليزية ، وأنبتتها الثورتان الأمريكية والفرنسية . وللديمقراطية حديث طويل ، يصح أن يكون موضوعاً مستقلاً لسلسلة أخرى من المحاضرات . (الأثر الثاني) غرسه روح الاشتراكية ، وهنا نرى عجباً . فان الصناعة ، التي قوت رابطة الوطنية ، أوجدت إلى جانبها رابطة أخرى مناقضة لها كل المناقضة ، هي رابطة الطبقات . إذ قويت طبقة العمال بفضل تقدم الصناعة الكبير ، وأخذت تشعر بقوتها ، وتجمعت كتلاً كتلاً ، وسرى روح التفاهم ما بين العمال من جميع القوميات ، وصاح فيهم ماركس صيحته المشهورة : « أيها العمال من جميع أنحاء العالم ، هلموا إلى رفع لواء الاتحاد » ، وعارضت روح الطبقات روح الوطنية ، وبدأت الاشتراكية تدخل في دور عملي ، ولم يمد بد للأمم الأوربية من أن تواجه هذه الحركة الجديدة

وقبل أن ننتقل من الوطنية إلى الاشتراكية ، نقف قليلاً ، لنعرف معنى الوطنية التي أكثرنا من الاشارة اليها ، فقد تحاشينا تعريفها حتى الآن ، إذ ليس من السهل تحديد هذا المعنى الدقيق ، فالوطنية جامعة تقوم على روابط طبيعية وأخرى صناعية ، وأول الروابط الطبيعية هو وحدة الجنس والدم ، ويلي هذا وحدة الأقليم الجغرافي . ثم وحدة اللغة ، ويترتب على هذه الوحدات المختلفة وحدة التاريخ ووحدة التقاليد ، هذه هي الروابط الطبيعية التي تجمع ما بين أبناء شعب واحد ، وتجعل من هذا الشعب وطناً يشعر بذاته . فاذا اقترنت بهذه الروابط الطبيعية رابطة أخرى صناعية ، هي وحدة النظام السياسي ، فقد استكملت الوطنية ذاتيتها ، واستجمعت مقوماتها ومشخصاتها ، وإذا انضم إلى كل هذه الروابط وحدة الدين ، فقد بلغت الوطنية الأوج من عنفوانها وقوتها . على أن اجتماع كل هذه الروابط ليس ضرورياً لتكوين الوطن ، فوجود بعضها يكفي . والمهم أن يتوحد المكان الجغرافي والنظام السياسي ، ويتبع ذلك وحدة التاريخ ووحدة التقاليد . فقد تضم رقعة جغرافية قوماً مختلفي الجنس ، ولكن يتحد تاريخهم وتقاليدهم ، فاذا انضموا إلى نظام سياسي واحد كونوا وطناً ، وقد يتفرق أبناء الجنس الواحد بين أوطان متعددة ، كل وطن له مقوماته الذاتية من لغة وتاريخ وتقاليد ، وقد يتجمع القوم متحدين جنساً مختلفين ديناً ، ولا يمنع اختلاف الدين من تكوين الوطن ، ومن هنا نرى أن رابطة الوطن لا تتفق تماماً مع رابطة الجنس والدم . فالرابطة الأولى فيها شيء من العوامل الصناعية تعززها وتقويها ، والرابطة الثانية ، رابطة الدم ، تقوم على الطبيعة ذاتها ، ولا تعارض بين رابطة الوطن ورابطة الجنس والدم ، حتى لو ضم الوطن الواحد أجناساً مختلفة . إلا إذا أسيء فهم الوطنية ، وأخذت لا على أنها صلة حب وتآلف بين هذه الأجناس ، بل صلة كراهية ومقت لكل قومية أخرى

(يتبع) عبد الرزاق السنهوري

صور من القرن الثامن عشر

# جاكومو كازانوڤا

## جوّاب مجتمع ومغامر مرح

للأستاذ محمد عبد الله عنان

كان القرن الثامن عشر فى أوربا عصر الخفاء والدعوات السرية ، والثورات الفكرية والاجتماعية ؛ وكان أيضاً عصر المغامرات الشائقة ، والحياة الرسلة الناعمة ، والعيش الخفض ، وازدراء التبعات ، عصر المرح والطرب الميسور

وليس معنى ذلك أن القرن الثامن عشر كان عصراً ذهبيا يزهو فيه المجتمع ويزدهر ؛ فقد كان فى الواقع عصر الأزمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية المتوالية ؛ ولكنه كان عصر تطور فكرى عميق يبلغ المجتمع فيه ذروة أزمته الروحية والنفسية ، ويصل الى نوع من اليأس والاستهتار ، ويلتمس فى حياة النسيان والعيش المرح عزاء ومتنفسا

وقد تناولنا فى مقال سابق شخصية من أعجب شخصيات هذا القرن وداعية من أغرب دعاته ، ونعنى يعقوب فرنك أو البارون فون أوفنباخ [1] ورأينا كيف كان القرن الثامن عشر مهبط الدعاة والمغامرين من كل ضرب ، وكيف كان الخفاء يغمرهم ويثير من حولهم كثيراً من الدهشة والروع ، وكيف كان أولئك الدعاة المغامرون يخلبون ألباب مجتمعات هذا العصر برائع شخصياتهم ومظاهرهم ، وظرف خلالهم وشمائلهم ، وسحر مزاعمهم وأقوالهم ، وخفاء غاياتهم ووسائلهم

والآن نتناول شخصية أخرى من أعجب شخصيات هذا القرن أيضا ، ولكن من طراز آخر ، هى شخصية جاكومو كازانوڤا

كازانوڤا : مغامر جرىء يخلق لنفسه من العدم شخصية باهرة ، ويدخل الحياة من باب ذهبى ، ويستقبلها بابتسامة خالدة ؛ ويفتتح المجتمع الرفيع بذكائه ودهائه وخبثه ، وظرف خلاله وشمائله ؛ ويرتفع فى ميدان المغامرة الى الذروة ، ويهبط الى الدرك الأسفل ؛ ويستمرىء أمتع المسرات والملاذ ، كما يتذوق أمر ضروب السقوط والفاقة ؛ وينحدر من فتوة باهرة ظافرة برفاهة العيش الساطع المرح ، الى كهولة حافلة بصنوف الخيبة واليأس ، ثم الى شيخوخة مظلمة مغمورة بائسة ، ثم الى عالم العدم فى قبر ناء مجهول

لم يكن كازانوڤا شخصية عظيمة تجدر بالخلود فى صحف التاريخ ؛ ولكنه كان شخصية من نوع خاص تنحرف بطرافتها وغريب أطوارها عن سلك المجتمع الوديع الهادىء ، ولكن تنفث فى نفس الوقت بقوتها واضطرام خلالها أينما حلت فى جوانب هذا المجتمع كثيرا من الفضول والسحر ، وتغزو بمرحها وأناقتها قلوب أولئك الذين يعبدون الجمال والظرف مهما اتخذوا من أثواب خلابة طائرة ؛ وقد كان كازانوڤا يتشح بأثواب خلابة طائرة ، ولكن مؤثرة ساحرة ، ولم يكن يهمه فى الحياة سوى النجاح مهما كان خلبا ، والظفر بتحقيق أهوائه مهما كانت ومهما كانت الوسائل والصور ؛ وقد ترك لنا فوق ذلك عن حياته الغريبة الحافلة مذكرات طلية شائقة ما زالت تعتبر الى يومنا تحفة ادبية فنية لها قيمتها ولها سحرها .

ولهذا يظفر كازانوڤا من التاريخ بالذكر والتدوين ، وتبدو سيرته العجيبة سجلا حافلا لخلال عصره ، وتغدو موضوعا ومستقى لأقلام بارعة تخرج عنها المؤلفات الحافلة

* * *

ولد جاكومو كازانوڤا فى الثانى من شهر أبريل سنة ١٧٢٥ بمدينة البندقية ؛ وكان أبوه جايتانو ممثلا متواضعا أتى به الى البندقية والى المسرح قدر غريب ، ذلك أنه هام فى صباه بممثلة حسناء تدعى لافراجوليتا ، وترك من أجلها أسرته وموطنه بارما ، واحترف الرقص والتمثيل ؛ ثم فترهواها بعد ذلك وتركته الممثلة لتجرى وراء مغامرات أخرى ، فاستقى من بعدها حرفته ، والتحق للعمل بأحد مسارح البندقية ؛ وكان يقيم فى المنزل المواجه لسكنه صانع أحذية يدعى فاروزى وزوجته مارسيا وابنتهما الحسناء جوزافا أو زانيتا ، فنشأت بين جايتانو وزانيتا

(1) راجع العدد ١٤١ من الرسالة

علائق غرامية ، ثم قر العاشقان ذات يوم وعقدا زواجهما في فبراير سنة ١٧٢٤ ، وبعد عام ولد ابنهما جاكومو

ولم تلبث زانيتا أن حملها تيار المسرح ، فظهرت الى جانب زوجها ، وانفق الزوجان بضعة أعوام في التجول من مدينة الى أخرى ومن مسرح الى آخر ؛ ثم أصيب الزوج أثناء وجودهما بالبندقية بمرض خطير أودى بحياته في أواخر سنة ١٧٣٣

وكان جايتانو كازانوفا فتى وديعاً حسن الخلال ، يؤثر الانزواء والعزلة ؛ أما زانيتا فقد كانت بالعكس فتاة ذكية ماكرة مضطرمة النفس والأهواء ؛ وكانت ممثلة بارعة تتمتع بكثير من الظرف والسحر ؛ وكانت دائمة التجول في عواصم القارة ، من لندن الى بطرسبرج ، تحرز النجاح والظفر أينما حلت ؛ وكان مستقرها الأخير في مدينة درسدن حيث عينها مختار سكسونية ممثلة مدى الحياة ، وهنالك أنفقت بقية حياتها حتى توفيت سنة ١٧٧٦

وكانت زانيتا قد رزقت غير جاكومو بثلاثة أبناء آخرين وابنتين ، وتركتهم جميعاً بالبندقية لدى والدتها مارسيا فارُوزّي ؛ وكانت مارسيا امرأة بسيطة جاهلة ولكن ذكية مخلصة ، فكرست كل نشاطها وعنايتها لتربية أحفادها ولاسيما كبيرهم جاكومو ؛ ويشير كازانوفا في مذكراته إلى ذلك الحرمان من عطف أبويه ، ويقول لنا إنهما لم يكلماه قط ، ويشير أيضاً الى عطف جدته وعنايتها ويقول لنا إنه كان طوال حياته يذكرها بالحب والعرفان والاجلال

ونشأ جاكومو ضعيفاً سقيما ، ولكن تبدو عليه أمارات الذكاء والنجابة ؛ وكان للأسرة صديق من أعيان المدينة يدعى جورجو بافو ، فاهتم بأمر الصبي العليل ؛ وكان بافو جوادا طيب القلب ، ولكن فاسد الخلال والسيرة ؛ وكان شاعرا ، ولكن شعره يفيض تهتكا وفجورا ؛ فنصح بارسال الصبي الى بادوا ليتعلم في معاهدها ويستفيد من هوائها ؛ وكانت زانيتا والدة جاكومو يومئذ في البندقية ، فنزلت عند هذا النصح ، وحملت جاكومو الى بادوا ، ورتبت مقامه هنالك ؛ وأقام جاكومو مدى حين عند امرأة سلافية ، ولكنه ما لبث أن عاف المسكن لديها لسوء المعاملة ورداءة المسكن والطعام ، ثم نقل على أثر ذلك الى منزل معلمه الأب جوزّي ، فارتاحت نفسه لمقامه الجديد ، وأقام لدى أستاذه منعما مكرما

وقضى كازانوفا بضعة أعوام عند معلمه ، ودرس قليلا من اللاتينية واليونانية والنحو . وكان تقدمه سريعاً حتى أن الأب جوزي ما لبث أن اختاره لمعاونته في التدريس ؛ وكان كازانوفا قد ناهز يومئذ الخامسة عشرة ، وأخذت تبدو عليه أمارات الاضطرام الكامنة في جوانحه والتي ورثها عن والديه ، فبدأ يقرأ الكتب المثيرة ، وزعج معلمه بمختلف الأسئلة المحرجة ، ويخدع أخت معلمه بتينا – وهي فتاة في نحو العشرين من عمرها – بنظرات ملتهبة . ولما انهى دراسته الابتدائية ، دخل مدرسة الحقوق في جامعة بادوا الشهيرة ، وأطلق لنفسه عنان الحرية ، وأخذ يغشى دور اللهو والميسر ، فانزعج معلمه ، وانزعجت جدته وبادرت إلى بادوا وصحبته معها إلى البندقية ، وهنالك استأنف دراسته

وفي البندقية تفتحت غرائزه وأهواؤه ، وانكب على صنوف اللهو ؛ ولكنه مع ذلك كان يتذوق دراسته وحياته العلمية ، وكان ذلك الفتى اليافع الذي يضطرم ظمأ إلى اللهو والمرح ، يضطرم في نفس الوقت ظمأ إلى العرفان والدرس ؛ وكان في الثامنة عشرة يأخذ بقسط حسن من الأدب والفلسفة والمبادئ العلمية ، ولم يكن خلال عبثه ولهوه ليغفى عن التفكير في مستقبله ؛ فلم يمض سوى قليل على عوده إلى البندقية حتى استطاع أن ينتظم في سلك رجال الدين وأن يحصل على وظيفة دينية صغيرة . أجل استهل كازانوفا حياته العملية قساً ، وهو الذي خاض فيما بعد غماراً من اللهو والفجور قلما يخوضها بشر . ولم يكن ذلك منه ورعاً أو رغبة في خدمة الدين ، ولكن الانضواء تحت لواء الكنيسة كان يومئذ وسيلة فريدة لأبناء الشعب الذين يطمحون إلى مستقبل ما ؛ وكان ذلك المنصب المتواضع الذي لا يحتم عليه الارتباط بمهد الكنيسة ، يفتح له كثيراً من الأبواب المغلقة ، ويحقق له كثيراً من المزايا التي تعاونه على التقدم في سبيل الحياة

ولم يمض سوى قليل حتى استطاع كازانوفا أن يجوز إلى المجتمع الرفيع وأن يتعرف بكثير من الكبراء والنبلاء ؛ وكان بين هؤلاء ، غير صديقه وحاميه القديم بافو ، سيد يدعى ماليبرو وهو شيخ سابق ، وثرى منعم ، يعيش في قصر فخم ، ويجمع حوله جمهرة من الخلان الظرفاء ، يتسامرون ويتحدثون عن اللهو

والنساء والحب ، كما يتحدثون عن السياسة والمسرح ؛ ورأى ماليبرو في القس الفتى رفيقاً ؤنساً فاصطفاه واتخذه سميره وخله الحميم ومعاونه على تنظيم حفلاته الأنيقة ؛ وكان كازانوفا في الواقع يتمتع في هذا الميدان بكثير من حسن الذوق والشمائل الرقيقة ، فيتقدم لخدمة السيدات برشاقة ويخلب ألبابهن بظرفه ، ويسبغ بحركاته وأحاديثه على الحفل كله مسحة من البهجة والرواء

وكانت البندقية يومئذ - في منتصف القرن الثامن عشر - منزل اللهو والمرح ، تموج في الليل بالمسارح ودور اللهو ، وتغمرها لمحة ساطعة من بهائها السابق ؛ وكان الحب يرفرف على أرجائها وتنساب القوارب النحيلة [1] في شوارعها المائية تحمل أزواج المحبين تحت جنح الظلام وأضواء القمر ، وتقرع كؤوس الهوى في كل ناحية ، ويسود الحبور والبهجة ؛ وكان كازانوفا يخوض هذه الغمار المرحة سعيدا منعماً ، ويستمرئ هذه المناظر البديعة التي تقدمها إليه المدينة التالدة ، في ظل الرعاية التي يشمله بها صديقه وحاميه السيد ماليبرو

بيد أنه لم يلبث أن فقد هذه الرعاية . ذلك أنه كان للسيد ماليبرو صاحبة فتية حسناء تدعى تيريز ، وكان كازانوفا يرنو إليها ويحوم حولها ، ففي ذات يوم استطاع أن ينفرد بها في أحد المخادع ، وبينما هو بينها جواه ، إذ فاجأهما ماليبرو فانهال عليه ضرباً بعصاه ، وطرده من منزله شر طرد ، وفقد كازانوفا بذلك أكبر عضد ، وأقصى عن ذلك المجتمع الساطع الذي كان يغشاه ؛ وتولته على أثر ذلك نوبة من اليأس والكمد ؛ وكانت جدته قد توفيت قبل ذلك بقليل ، فأخذ يتصرف في مقتنيات المنزل ويبددها ، واضطر الوصي على اخوته إلى التدخل ، ووصل الأمر إلى القضاء فقبض عليه وأودع السجن ؛ وفقد أثناء ذلك منصبه الديني وأخرج من حظيرة الكنيسة ؛ ولما أطلق سراحه بعد ذلك بقليل ، شعر أن البندقية تضيق به وبعشاريه وأنه لم يبق له فيها أمل أو مقام

وكانت أمه قد كتبت إليه توصيه بالسفر إلى أسقف كالابريا فهو صديق لها وفي وسعه أن يعاونه وأن يوصي به ؛ فعول عندئذ على السفر إلى رومه ، ولكن الأسقف كان قد غادرها إلى مقر وظيفته في الجنوب ؛ وكانت نقوده القليلة قد نفدت ، وساءت حاله ، واضطر أن يلتمس العيش بأخس الوسائل ؛ وتعرف أثناء الطريق بتاجر يوناني يتاجر في الزئبق ، واتفق معه على طريقة لغش الزئبق وتحصيل ثمنه مضاعفاً ، واستطاع بهذه الوسيلة أن يكسب قدراً من المال ؛ ووصل أخيراً إلى مارتيرانو مقر الأسقف ، ولكنه شعر بآماله تتحطم حينما رأى حالة الأسقف الزرية من منزل قفر متهدم ، وبؤس ظاهر ، وعزلة قاتلة ؛ فارتد أدراجه إلى نابولي ومعه بقية من المال ؛ وهنالك بسم له الحظ ، وقضى بضعة أيام سعيدة ، تعرف خلالها بامرأة حسناء تدعى لوكريزيا وتوثقت علائقه معها بسرعة ، وكانت في الواقع أول صاحبة حقيقية خضعت لسلطان هواه

ثم نراه بعد ذلك في رومه يطرق الأبواب ويحاول أن يشق طريقه ؛ وقد كان عندئذ موفقاً إذ استطاع أن يلتحق بوظيفة في حاشية الكردينال اكوافيفا ؛ وقضى حيناً في رومه يستزيد من الدرس وينعم بصحبة لوكريزيا ، ويهيء لنفسه جواً من الرعاية والعطف بذكائه وذلاقته ورقة شمائله

على أن هذه الحياة الهادئة المستقرة لم تكن لتروق فتى مضطرم الجوانح مثل كازانوفا ، فقد كانت نفسه الوثابة الظمأى إلى المغامرة تحمله إلى آفاق أخرى ؛ وكان شبح المرأة يثيره ويلهبه أينما وجد ؛ وسرعان ما لفت الأنظار بفضائحه ودسائسه الغرامية وتفاقم الأمر حينما اتهم بإغراء سيدة تمت إلى بعض الأحبار بصلات وثيقة ؛ ففقد وظيفته ومركزه مرة أخرى ، ورأى نفسه مرغماً على مغادرة رومه فغادرها إلى قسطنطينية يحدوه دائماً ظمأ المغامرة وتدفعه طلعة التجول

ثم عاد إلى البندقية ولكن عاد إليها في ثياب ضابط . ذلك أنه مر في طريقه بالمعسكرات النمسوية والأسبانية ، وحصل على ترخيص بالانتظام في سلك الجيش ، وقدر أنه يستطيع أن يخلق له في ظل هذا الثوب حياة جديدة ، ولكنه لم يحرز ترقية نظراً لسوء سلوكه ، فخلع ثوبه العسكري واشتغل مدى حين كاتباً في مكتب محام ، ولكنه لم يسكن طويلا إلى هذا المنصب الوضيع ؛ وأخيرا ذكر أنه يستطيع العزف على القيثارة مذ كان صبياً

(١) هي القوارب المعروفة بالجوندولا وهي وسيلة النقل الوحيدة داخل المدينة .

# عشر كلمات

مهداة إلى « الأستاذ الزيات »

للأستاذ علي الطنطاوي

— ١ —

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا » « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين » . « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين » . « واستعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين » . « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب »

— ٢ —

قال أبو سنان : دفنت ابني سناناً ، وأبو طلحة الخولاني جالس على شفير القبر ، فلما فرغت قال : ألا أبشرك ؟ قلت : بلى . قال : حدثني أبو موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته : قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : ماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع ، فيقول : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد

وعن أنس قال : اشتكى ابن لأبي طلحة فمات وأبو طلحة خارج ولم يعلمه ، فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت شيئاً ونحته في جانب البيت ، فلما جاء أبو طلحة ، قال : كيف الغلام ؟ قالت : قد هدأت نفسه ، وأرجو أن يكون قد استراح ؟ فظن أبو طلحة أنها صادقة ، ثم قربت له العشاء ، ووطأت له الفراش ، فلما أصبح اغتسل ، فلما أراد أن يخرج أعلمته بموت الغلام ، فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم أخبره ، فقال : لعله أن يبارك لكما في ليلتكما ، فجاءها تسعة أولاد كلهم قرأوا القرآن

— ٣ —

قال محمد بن خلف : كان لإبراهيم الحربي ابن ، وكان له إحدى عشرة سنة ، قد حفظ القرآن ، ولقنه من الفقه شيئاً كثيراً ، فمات ، فجئت أعزيه ، فقال لي : كنت أشتهي موته . قلت : يا أبا إسحق ، أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا في صبي قد أنجب ، ولقنته الحديث والفقه ؟ قال : نعم ، رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت ، وكأن صبياناً بأيديهم القلال فيها الماء ، يستقبلون الناس يسقونهم ، وكأن اليوم حار شديد حره ، فقلت لأحدهم : اسقني من هذا الماء ، فنظر إلي فقال : لا ، ليس أنت أبي ، فقلت : فأيش أنتم ؟ قال : نحن الصبيان الذين متنا في دار الدنيا ، وخلفنا آباءنا نستقبلهم فنسقيهم الماء ، فلهذا تمنيت موته

— ٤ —

كتب سعيد بن حميد إلى محمد بن عبد الله : ليس المعزى على سلوك السبيل التي سلكها الناس من قبله ، والمعزى على السنة التي سنها صالحو السلف له ، وقد بلغني ماحدث من قضاء الله في أم الأمير ، فنالني من ألم الرزية ، وفاجع المصيبة ما ينال خدمه الذين يخصهم ما خصه من النعم ، ويتصرفون معه فيما تناوله الله به من المحن ، فأعظم الله للأمير الأجر ، وأجزل له المثوبة والذخر ، ولا أراه في نعمة عنده نقصاً ، ووفقه عند النعم للشكر الموجب للمزيد ، وعند المحن للصبر المحرز للثواب ، إنه هو الكريم

---

يدرس في بادوا ، فانتظم عازفاً في إحدى الفرق المتواضعة ؛ وفي ذات ليلة تعرف بسيد كبير وشيخ سابق يدعى براجادين في حفلة كان يعزف فيها ، وقدر أن أصيب هذا الشيخ في نفس الليلة بنوبة صرع ، وكان كازانوفا إلى جانبه في قاربه ، فهرع إلى غوثه واستدعى له طبيباً ، ولبث يعنى به حتى شفي ، فعرف له براجادين هذه اليد ، وقربه إليه وأنزله بقصره الفخم وأجرى عليه النفقة الواسعة ، واستطاع كازانوفا في نفس الوقت أن يؤثر في مضيفه بزعامته في معرفة الغيب وضروب السحر ، وأن يكسب ثقته ، وأن يعود بفضل رعايته فيغزو ذلك المجتمع الرفيع الذي أقصي عنه مدى حين

« للبحث بقية » محمد عبد الله عنان

الوهاب ، ورحم الله الماضية رحمة من رضي سعيه ، وجازاه بأحسن عمله ، ولو كانت السبل إلى الشخوص إلى باب الأمير سهلة ، لكان الله قد أجلّ الأمير عن أن يعزيه مثلي بالرسول دون اللقاء ، وبالكتاب دون الشفاه ؛ ولكن الكتب لقاء من لا سبيل له إلى الحركة ، وقبول العذر عمن حيل بينه وبين الواجب

— ٥ —

لما حضرت الاسكندر الوفاة كتب إلى أمه أن اصنعي طعاماً ويحضره الناس ، ثم تقدمي اليهم ألا يأكل منه محزون ، ففعلت ، فلم يبسط أحد اليه يده ، فقالت : ما لكم لا تأكلون ؟ فقالوا : انك تقدمت الينا ألا يأكل منه محزون ، وليس منا إلا من أصيب بحميم أو قريب . فقالت : مات والله ابني ، وما أوصى إليّ بهذا إلا ليعزيني

— ٦ —

كتب ابن السماك إلى الرشيد يعزيه عن ابن له : أما بعد ، فان استطعت أن يكون شكرك لله حين قبضه ، أكثر من شكرك له حين وهبه فافعل ، فانه حين قبضه أحرز لك هبته ، ولو سلم لم تسلم من فتنته ، أرأيت حزنك على ذهابه ، وتلهفك لفراقه ؟ أرضيت الدار لنفسك فترضاها لابنك ؟ أما هو فقد خلص من الكدر ، وبقيت أنت معلقاً بالخطر ؛ واعلم أن المصيبة مصيبتان إن جزعت ، وإنما هي واحدة إن صبرت ، فلا تجمع الأمرين على نفسك

— ٧ —

قدم رجل من عبس ، ضرير محطوم الوجه على الوليد ، فسأله عن سبب ضره ، فقال بت ليلة في بطن واد ولا أعلم على الأرض عبسياً يزيد ماله على مالي ، فطرقنا سيل فأذهب ما كان لي من أهل ومال وولد ، إلا صبياً رضيعاً ، وبعيراً صعباً ، فندّ البعير والصبي معي ، فوضعته واتبعت البعير لأحبسه ، فما جاوزت إلا ورأس الذئب في بطنه قد أكله ، فتركته واتبعت البعير فاستدار ورمحني رمحة حطم بها وجهي ، وأذهب عيني . فأصبحت لا ذا مال ولا ذا ولد

فقال الوليد : إذهبوا به إلى عروة ليعلم أن في الناس من هو أعظم بلاء منه ، وكان عروة بن الزبير أصيب بابن له وأصابه الداء الخبيث في إحدى رجليه فقطعها ، فكان يقول : كانوا أربعة — يعني بنيه — فأبقيت ثلاثة وأخذت واحداً ، وكن أربعاً — يعني يديه ورجليه — فأخذت واحدة وأبقيت ثلاثاً ؛ أحمدك ، لئن كنت أخذت لقد أبقيت ، ولئن كنت أبقيت لقد عافيت . وشخص إلى المدينة فأتاه الناس يبكون ويتوجعون ، فقال : إن كنتم تعدونني للسباق والصراع فقد أودى ، وإن كنتم تعدونني للسان والجنان فقد أبقى الله خيراً كثيراً . .

— ٨ —

وعزى موسى بن المهدي سليمان بن أبي جعفر عن ابن له فقال : أيسرك وهو بلية وفتنة ، ويحزنك وهو صلاة ورحمة ؟

وعزّى سهل بن هارون فقال : التهنئة على آجل الثواب ، أولى من التعزية على ما حلّ من المصيبة

وقال عبد الله بن الأهتم : مات لي ابن وأنا بمكة ، فجزعت عليه جزعاً شديداً ، فدخل عليّ ابن جُريج يعزيني ، فقال يا أبا محمد ، اسلُ صبرا واحتساباً ، قبل أن تسلو غفلة ونسياناً

وعزّى عليّ كرم الله وجهه الأشعث عن ابنه ، فقال : إن تحزن فقد استحقت ذلك منك الرحم ، وإن تصبر فان في الله خلفاً من كل هالك ، مع أنك إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور ، وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت آثم

— ٩ —

جزع رجل على ابن له فشكى ذلك إلى الحسن ، فقال له : هل كان ابنك يغيب عنك ؟ قال : نعم ، كان مغيبه عني أكثر من حضوره . قال : فاتركه غائباً ، فانه لم يغب عنك غيبة الأجر لك فيها أعظم من هذه الغيبة

— ١٠ —

وكتب بعض الكتاب معزياً : لو كان ما عمك من أذى يشترى أو يفتدى ، رجوت أن أكون غير باخل بما تضن به النفوس ، وأن أكون ستراً بينك وبين كل ملم ومحذور ، فأعظم الله أجرك ، وأجزل ذخرك ، ولا خذل صبرك ، ولا جعل للشيطان حظا فيك ولا سبيلا عليك

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

علي الطنطاوي

# ٥ـ التعليم والحالة الاجتماعية في مصر

للأستاذ اسماعيل مظهر

لقد بلغنا من البحث ذلك المبلغ الذي يهيئ لنا أن نخلص إلى النتائج ، فقد شرحنا الأسباب التي أفضت بنا إلى تخريج متعلمين عاطلين لا عمل لهم ، ولا بيئة يمكن أن ينتفع فيها بما تعلموا ، وصورنا مجمل النتائج الاجتماعية التي تترتب على هذه الحال ، وطبقنا النظريات الاجتماعية فاستنبطنا منها صورة لما سوف يكون عليه مجتمعنا في المستقبل القريب والنتائج السيئة التي ستظهر آثارها جلية واضحة في عجزنا عن الاحتفاظ بحالة اجتماعية ثابتة قوية الأركان ، وعطفنا من ثم على وصف صورة من أدبنا ووطنيتنا ، وعزونا كل النقائص إلى نظرية جديدة محصلها أن الانفصال عن ثقافتنا التقليدية كان سبباً في أن نصبح كالكائن الحي لا معدة له ، يأكل ولا يهضم ، فتراكمت في كيانه كل النفايات التي لا تلائم طبعه ولا تتفق ومزاجه ، وأن ذلك كان سبباً في ألا تظهر له شخصية خاصة به ، وأصبح كلاًّ على غيره بأن فقد استقلاله الذاتي في الحياة

ويجدر بنا بعد ذلك أن نعين مم تتكون الثقافة التقليدية ، ليتيسر لنا أن نحدد البحث تحديداً منطقيا مقبولا ، فإن لكل ثقافة تقليدية اختصت بها أمة من الأمم مكونات تنتهي إلى أصول بعينها ؛ وعندي أن للثقافة التقليدية عنصرين : الأول عنصر عقلي ، والثاني عنصر معاشي ، وكلاهما موروث . فالأول يتكون وراثة من اللغة والدين والتاريخ والأدب والفنون الخ ، والثاني يتكون وراثة من كل ما يتعلق بالأحوال المعاشية ، وهي في مصر الزراعة وما يتعلق بها من المنتجات ، ومن أجل أن يكمل استقلال الفرد استقلالا عملياً في الحياة ، ينبغي أن يتجه تنشيئه إلى أصل أساسي ، وبالأحرى إلى سيانة عملية ترمي إلى وصله بالعنصرين وصلا وثيقاً ، حتى يستطيع أن يمثل جميع ما يلقح به من مقتضيات الثقافة الحديثة ، فيكيفها على حسب ما تتطلبه حاجات ثقافته التقليدية ، وأن ينفي عن جسمه كل ما هو غير ملائم له ، فيظل سليما ؛ شأن كائن حي اتصف بكل ما تمده به حيوية مكتملة من الصفات الضرورية للحياة ، وتتكامل في كيانه كل الأعمال المنظمة التي ترجع الى قدرة أعضائه على تنظيم وظائفها المتبادلة تنظيما دقيقاً يساعد الطبيعة على أن تفسح له في الحياة مركزاً جديراً بما يتصف به من صفات ، وبما له من مقدرة على الاستقلال بذاته

تتصل مصر بثقافتين من أمجد الثقافات التي خلفها النوع الانساني : ثقافة العرب : ديناً ولغة ؛ وثقافة المصريين : فناً وحياة ؛ ولا شك في أن الثقافتين تمتزجان الآن في المصريين امتزاجاً عظيما ، حتى ليتعين علينا أن نقول إن ما ندعي بالثقافة التقليدية ينحصر فيما ينتج من مزج الثقافتين القديمتين من حالات تشعر بأن ماضينا مكون منها ، وأن دمنا ملقح بها ، وأن تصوراتنا وأخيلتنا ومشاعرنا وجماع ما فينا من صفات إنما تنعكس عنها وتنبعث منها . وكذلك إذا قلنا « المصرية » فانا لا نعني بها شيئاً إلا مزيج تينك الثقافتين المجيدتين اللتين كونتا لنا على مر العصور تراثاً قوياً نستند اليه ، ودعامة مثلى لمجد ينتظرنا إذا نحن استوحيناها واسترشدنا بوحيهما ، واتخذناها أساسا نقيم عليه لمستقبلنا ، ولم نعزف عنهما شأننا الآن

وإذن يكون لنا من ثقافتنا التقليدية ناحيتان : الأولى ثقافة تزودنا بها اللغة العربية والدين الاسلامي ؛ وهذه الناحية تكون أكثر ما فينا من نزعات الأدب والعلم ؛ والثانية ثقافة تزودنا بها مصر القديمة ؛ وهذه بدورها تكون متجهنا الفني والمعاشي ، ومنهما معا يتكون ذلك التراث الخالد الذي ندعوه ثقافة المصريين التقليدية

ولن يكون هذا البحث كاملا إلا إذا عرفنا قيمة اتصالنا بهذه الثقافة ومقدار ما نحتاج اليها في تكوين نهضتنا الحديثة تكوينا نضمن معه الثمرة العملية التي ترجى من جيل جديد قادر على الكفاح في الحياة ، والعمل المنتج الذي يعيننا على اقرار الحالات الاجتماعية على أساس ثابت ، وآمل أن أكون قد أفلحت بعض الشيء في تصوير ذلك في سياق هذا البحث

* * *

لا ريبة في أن التعليم العام هو الأداة التي تمهد لنا سبيل

الاتصال بثقافتنا التقليدية ، ولقد وضح لنا حتى الآن أن السياسة التي جرى عليها التعليم في بلادنا قد اضعفت من وسائل هذه الأداة اضعافاً ظهر أثره جلياً في كل مرافقنا ، بل وفي كل نواحي حياتنا عقلية ومادية

عمد الأوربيون منذ عصر النهضة الأدبية الحديثة إلى الاتصال بثقافتين أوربيتين كانتا المهاد الأول والسنادة العظمى في تلك النهضة . عمدوا إلى ثقافة اليونان وثقافة الرومان ، حتى لقد غالوا في ذلك باتخاذ اللغة اللاتينية لغة رسمية في العلم وفي الأدب وفي الفن ، فأحيوا بذلك ثقافتين لم يكن لهم مناص من احيائهما لتكون الوصلة بينهم وبين ماض صبغ ثقافته حوض البحر المتوسط قروناً بصبغة خاصة ولون خاص ؛ ولا تزال جامعات أوربا حتى اليوم تعنى العناية كلها بتلقيح عقول الناشئين بتراث الثقافتين معاً ، بل وتجعل درس اللغتين اليونانية واللاتينية أصلاً من أصول التثقيف العالي ، فلم كان ذلك ؟ ولأي من الأسباب الحيوية التي شعر بها الأوربيون في بدء نهضتهم ترجع هذه الظاهرة ؟ إنها ترجع كما قلنا إلى أن الثقافة التقليدية هي الأصل الذي يجب أن يظل ثابتاً في بناء الأمم الأدبي والاجتماعي ، ليكون ملقحاً للآراء والنظريات وضروب الثقافات الدخيلة ، احتفاظاً بالطابع الأصيل في الأمة ، ذلك الطابع الذي هو جزء من كيانها وقطعة من وجودها ، وليكون في الوقت ذاته المعدة في تمثيل ما يتصل بثقافة الأمة من الثقافات المنتحلة غير الأصيلة ، وتكييفها تكييفاً يتفق ونزعاتها ومشاعرها وأخيلتها ، وعلى الجملة يتفق وثقافتها التقليدية . فهل اتبعنا في نهضتنا هذا السبيل القويم ؟ وهل كفل لنا التعليم الوصول إلى هذه الغايات العليا ؟

كلاً . لم يكفل لنا التعليم شيئاً من هذا . وأقصد به التعليم بناحيتيه : الناحية التي تمثل وراثتنا عن العرب لغة وديناً ، وأعني بها الأزهر ، فانه لم يلقح بشيء من الثقافات الحديثة التي يجب أن يلقح بها لتكون له بمثابة الدم الجديد يجري في العروق القديمة . وكذلك لم تعن الناحية التي تمثل ثقافتنا الدخيلة : أي الثقافة الأوربية وأعني بها ناحية التعليم الزمني ، بأن تكون فينا تلك الفطرة التي تصلنا بثقافتنا التقليدية لتكون معملاً حديثاً يتحلل فيه ما يصلنا عن أوربا ، ويخرج منها مصبوغاً بصبغة مصرية أصيلة . ومثل الأزهر في ذلك كمثل كائن حي هضم ولم يأكل ، ومثل التعليم الزمني كمثل كائن حي أكل ولم يهضم . فناحية جائعة وناحية متخومة

لقد ظل اتصال الأزهر بذلك الجزء الذي يمثله من ثقافتنا التقليدية غير مكيف بمقتضيات العصور والحالات التي قامت خلالها وهو أقل تكيفاً بمقتضيات هذا العصر منه بمقتضيات كل عصر مضى . أما إذا كانت كلمة الثقافة تدل على تكييف الذهن تكييفاً تاريخياً أول شيء — ونقصد بالتكييف التاريخي خلق تصورات جديدة من تاريخ الأمم القديمة — فما من شك إذن في أن الأزهر لم يتصل بالثقافة التقليدية من ناحيتها التي تخلق هذا التصور ، وإنما اتصل بناحية من الثقافة التقليدية صدت التصورات عن الانبعاث في سبيل الابتكار . وكذلك ظل تعليمنا الزمني بعيداً عن الاتصال بثقافتنا التقليدية من جميع نواحيها تقريباً . ومن هنا ذلك الصدع التنائي الذي نلحظه قائماً بين الناحيتين

ولقد يخيل إلي أن ما مضينا فيه من بحث هذه الناحية كاف للبيان عما نقصده من ضرورة الاتصال بثقافتنا التقليدية من الوجهة العقلية . أما الوجهة الفنية الماشية ، وهي الناحية التي لها الأثر الأكبر في علاج الحالات الاجتماعية التي قامت حفافيها من الناحية الاقتصادية ، فتلك ما سوف أصور كيفية الاتصال بها تصوراً عملياً لأن ذلك هو الغرض الأول من بحثنا هذا

* * *

إذا كان ما قلنا صحيحاً من أن البطالة في مصر والتعليم أمران متصلان أشد الاتصال ، باعتبار أن أحدهما مرض والثاني علاج ، فالواجب يقضي علينا بعد أن أظهرنا أوجه الاتصال أن نبين عن الطريق العملي الذي يجعل العلاج ناجعاً في القضاء على الداء .

ولما كانت ثقافتنا التقليدية من الوجهة الماشية هي الزراعة تحتم علينا بحكم الضرورة أن ننقل درجتي التعليم الأوليين ، أي الابتدائي والثانوي ، وهما الدرجتان التكوينيتان في مراحل التعليم ، من المدن الى القرى ، وأن نقيمهما على سياسة تختلف اختلافاً تاماً عن السياسة التي يجريان عليها الآن

تجري سياسة التعليم الآن في هاتين المرحلتين على أساس نظري بعيد عن أن يجعل لنا أي اتصال بثقافتنا التقليدية ، من

وجهتيها العقلية والماشية . وإنى لا أكون مغالياً إذا قلت إن هذه السياسة لا تصلنا بثقافة أوربا أيضاً بحيث تجعلنا قادرين على فهم ما ننقل منها فهماً صحيحاً مفيداً . وما قولك فى شاب يخرج من التعليم الثانوى جاهلاً بلغته العربية وأصولها وآدابها غير متصل بآداب دينه ، غير عارف بشىء من تاريخ بلاده ، وبالأحرى من تاريخ العرب أو تاريخ مصر ، عاجز عن التعبير تعبيراً صحيحاً بأى من اللغتين الأوربيتين اللتين يتلقاهما فى مراحل ذلك التعليم ؟ أضف إلى ذلك أنه بجانب هذا يخرج من التعليم الثانوى غير متصل بشىء من ثقافة بلاده التقليدية من الوجهة الماشية ، غير متصل بطبيعة الأرض التى أنشأته أو بطرق استغلالها مشحون الذهن بنظريات وأوهام يتعذر معها أن يعايش الفلاح وأن يدرك شيئاً من سر حياته وتقاليده وخطراته ونفسيته . فكأننا بهذا التعليم نخلق من حوله جواً مصطنعاً وبيئة عقلية غريبة عن طبعه ؛ فيصبح بذلك أداة عاطلة فى جسم الاجتماع وبزرة حية للتبرم من الحالات القائمة من حوله فى بلاده ، بل ومنشأ للقلق ومرتعاً لغرس الافكار المتطرفة الخاطئة ؛ وعلى الجملة يكون موضعاً خصباً لغرس بذور الشر والفساد ، والعمل على قلب النظم الاجتماعية طمعاً فى الحصول على نظم تلائم كفاياته وتتفق ومؤهلاته التى أهله لها التعليم . ذلك بأن كل عقلية لها تكوين خاص تنشد من طريقه دائماً البيئة التى ترضيها ، وعجز المتعلم العاطل عن الانتاج إنما يحمله بمقتضى موحيات عقله الباطن على أن يعمل على تكوين البيئة التى تلائمه متخذاً من النظم الاجتماعية التى نشأ فيها مادة يجرب فيها مقدار ما فى نفسه من قوة التحليل ، لا من قوة التشييد ، على خلق البيئة التى ترضيه ، والنظم التى توائم عقليته وكفاياته

إن الخطوة الأولى التى ندعو إليها وهى نقل درجتى التعليم الأولين من المدن إلى القرى ، خطوة ضرورية فى علاج سياسة التعليم ، وهى الخطوة الأساسية فى وصل التعليم بثقافة البلاد التقليدية من الوجهة الماشية . أما الخطوة الثانية فتنحصر فى إقامة مدارس الحقول ، فتشيد المدرسة على أرض فسيحة تكفى لأن تكون ميداناً يتعلم فيه الطلاب طرق الزراعة العلمية على القواعد الحديثة ، ويجب مع هذا أن تلغى الشهادة الابتدائية ويكتفى بشهادة التعليم الثانوى ، وأن يبدأ الطالب حياته التعليمية من الثامنة ، ويفرغ من تعليمه الثانوى بعد عشرين سنة ، فيخرج من المدرسة وله من العمر ثمانى عشرة سنة أو عشرون سنة . فاذا أراد أن يتخصص بعد ذلك فى التعليم العالى فله ذلك ولكن بعد أن يكون قد اتصل بثقافة بلاده التقليدية ، وقامت معلوماته على أساس عملى وشيد ، يكون إليه مرد رزقه إذا تخصص وعجز عن كسب رزقه الحلال .

هذا هيكل من الرأى يحتاج إلى شرح وجيز . فاننا لا نعنى أن تعليم الطلاب فى تلك المدارس الزراعة العمليـــة يجب ألا يصل الطالب بالناحية النظرية ، وإنما نعنى أن يكون أساس التعليم فيها الزراعة العملية وما يتصل بها من العلوم ، وبجانب ذلك تعليم نظرى قائم فى أول الأمر على الاتصال بثقافة المصريين التقليدية من الوجهة العقلية ، مع العناية بأمر اللغات الأوربية عناية كبرى حتى يتيسر لنا الاتصال بثقافة العصر اتصالاً وثيقاً صحيحاً

أضف الى ذلك أن الطالب ينبغى أن يلقن كل ما يتصل بالانتاج الصناعى من الوجهة الزراعية ، فيخرج ملماً بطائفة من الصناعات المتصلة بمحصولات بلاده الزراعية عارفاً بسرها ووجهة الانتفاع بها . وإنى لن أغالى إذا قلت إن كثيراً من الذين ينجحون من أهل أوربا فى بلادنا أكثر اتصالاً بثقافة بلادنا التقليدية من الوجهة الماشية من الطالب المتخرج فى كلية عليا من كلياتنا . وفى هذا سر نجاحه المعلى وسر عطل شبابنا عن العمل . ولهذا يتحتم علينا أن ندعو الى نشر الصناعات ، ولكن الصناعات التى تتصل أول شىء بمنتوجاتنا الزراعية ، وأن نصدف عن غيرها لأنها لا تفيدنا شيئاً فى حياتنا الماشية أو تثبيت حالاتنا الاجتماعية الرجة الشاذة . وبخاصة إذا وعينا أن دور التعليم على اختلاف نواحيها تخرج كل عام عدداً من المتعلمين تماماً غير عملى زائداً عن حاجة البلاد .

وإنما يجب أن يتجه التعليم فى الحقول إلى غاية أخلاقيـــة ، عملها أن يغرس فى طبيعة المتعلمين تصور جديد فى شرف المهنة التقليدية التى ورثناها عن أسلافنا ، ألا وهى الزراعة . فإن التلميذ يجب أن يضع يده فى كل عمل يمكن أن يؤديه الفلاح بنفسه ، وأن يتصل من طريق عضلاته بكل ما تتطلب مهنة الزراعة من أعمـــال جسمانيـــة ، وأنه لا يرى فى

ذلك شيئاً خادشاً لعزته أو مذلا لنفسه

أورثنا الحكم التركى المشؤوم عادة احتقار الفلاح ، لأن كلمة « فلاح » كانت توازى عند التركى أحط ألفاظ الشتم وأشنع كلمات السباب . ولطول الأمد الذى اعتدنا أن نسمع فيه هذه الكلمة مؤدية ذلك المعنى غرس فى طبيعة المصريين أنفسهم ، بطريق التكرار ومستوعيات العقل الباطن ، ميل إلى احتقار الفلاح واحتقار مهنته ، والاعتقاد بأن العمل اليدوى فى الزراعة إنما هو عقاب نفسى مرهق للنفس خادش للذة . وأنت ترى أن الأعراب فى مصر قد انتحلوا هذه العادة ، فإنك إذا سألت أعرابياً أفلاح أنت ؟ أجابك على الفور : « كلا ! أنا عربى ! » ولكن بنبرات تدل على أنه يعتبر الكلمة اعتداء على مكانته السامية ، وقد يكون من خشاش الناس ومن ذؤبان العرب ، مهازيل الثياب قذر المنظر والمخبر .

ولم يقف الأمر عند هذا ، بل إنك تجد أن الفلاح إذا قضى خدمته العسكرية وسرح من الجيش أنف أن يعود إلى الحقل أو أن يحمل المحراث أو يقود الماشية ؛ فاذا عجز عن أن يكون شرطياً ، قضى وقته فى القرية عاطلا أو محترفاً حرفة أخرى غير الزراعة ، فتجده نجاراً أو حداداً لا يملك قوت يومه . وقد يتطرق بعضهم فى احتقار مهنة آبائه فيغشى المجالس عازماً على قيثارة ، لأنه كان فى موسيقى الجيش ، مستجدياً بها ، كأنما هو يعتقد أن الاستجداء بالعزف على قيثارة أشرف من العمل فى الحقول . ولا شك فى أن هذه الظاهرة قد أورثت نقصا نفسياً يمكن تعليله علمياً ، ولكن ليس هنا مكان إيضاحه . ولكن ذلك لا يحول دون القول بأن هذه الظاهرة من السهل علاجها بأن نعود أولادنا الاعتقاد بشرف المهنة التى تربى جسومهم ، وعليها قامت مدنيتهم منذ أقدم العصور ، على أن نفهمهم أولاً أن لهم مدنية وماضيا جديرين بالاحترام

والمحصل أننا لن نخلص من نتائج البطالة إلا بالاتجاه إلى إقامة سياسة التعليم على قواعد جديدة أساسها الأول الرجوع إلى ثقافتنا التقليدية ، فنخرج رجالا مستقلين بأنفسهم يعرفون كيف يرجعون إلى حضن أمهم الأولى « مصر » إذا أرادوا الحياة سعيدة هنية . ومن أجل أن نصل إلى هذه النتيجة ينبغى لنا أن ننتحى أسلوباً معيناً ينحصر فى تنفيذ الآتى :

أولا — جعل مدة التعليمين الابتدائى والثانوى عشر سنوات يمزج فيها التعليم النظرى بالتعليم العملى الزراعى ، وأن يغرس فى الطلاب روح الاعتقاد بشرف مهنة آبائهم التقليدية ، وأن يقترن هذا التعليم بتلقين الصناعات الزراعية وبخاصة ما يتعلق بالزراعة العملية منها

ثانياً — درس تاريخ العرب والمصريين درساً تحليلياً وافياً

ثالثاً — درس مبادئ العلوم والآداب العامة ، وهى الجهة التى تانح بها عقولنا من الثقافة الحديثة

رابعاً — درس آداب العرب ومبادئ الدين العليا .

خامساً — درس عقائد المصريين القدماء وطرق معيشتهم وآثارهم وأعيادهم ، وعلى الجملة كل ما يتعلق بحياة الجماعة فى مصر القديمة

وهنالك بجانب هذا أشياء يجب أن يهيأ الناشئ بمعرفتها ولكنها جميعاً تفاريع عمل هذه الأصول فلا محل لذكرها

فاذا تخرج الطالب وله من العمر ثمانى عشرة سنة أو عشرون أصبح على الحكومة له واجباً تؤديه ، هو أن تمنحه قطعة من أرضها المملوكة لها يؤدى لها فيها ثمناً قليلا على أقساط طويلة ، وأن تمده برأس مال إن احتاج اليه يسدد مع ثمن الأرض ليكون عونه على إعداد عدته لحياة العمل والكفاح

هنا طريق الخلاص ، وهو وحده طريق القضاء على البطالة ، وإخراج جيل جديد منشأ على طرق عملية ، جيل مكافح عامل خال من آثار الأمراض الاجتماعية ، جيل يشعر بأنه مستقل فى الحياة وأن له عزة الرجولة وشرف الانتساب إلى مصر الخالدة ، جيل ، هو جيل الاستقلال الحقيقى والعمل المجد النبيل

اسماعيل مظهر

# قصة المكروب

## كيف كشفه رجاله

### ترجمة الدكتور أحمد زكي

وكيل كلية العلوم

## الدفتريا

### بين واجد سمها الفرنسي ، وكاشف ترياقها الألماني

— ١ —

في عام ١٨٨٨ أتى بستور من كفه الشارط والأنابيب ، ونفض يده من الأبحاث ، فقام تلميذه أميل رو Emile Roux فالتقط الذي ألقاه أستاذه ، وغمر يده في الذي ترك سيده ، واتخذ لنفسه بحثاً مستقلاً . فلم يمض قليل من الزمن حتى اكتشف سمّاً غريباً يتحلب من بشيلات الدفتريا سمّاً تقتل الأوقية المركزة منه خمسة وسبعين ألف كلب كبير

وبعد هذا بسنوات قليلة ، بينا كوخ يخفض من رأسه بحث وابل الشتائم واللعنات التي صبها عليه من كانوا آمنوا بعلاج سله المزعوم ثم خُدعوا فيه وجَنَوا منه الثُّكْل والأحزان ، قام أحد تلاميذه ، وكان شاعراً ، يخفف من إخفاق أستاذه كوخ بأن كشف في دم الخنازير الغينية عن مادة غريبة إذا هي التقت بسم الدفتريا ذهبت بشره وجعلته بَرداً على الناس وسلاما ، وكان اسم هذا الشاعر العالم أميل بارنج Emil Behring

اكتشف أميل الفرنسي سمّ هذا الداء ، واكتشف أميل الألماني ترياقه ، فأحيا الأميلان الأمل في أنفس الناس بعد أن أضاعه كوخ بنكبته الكبرى ؛ فعادوا ولو إلى حين يرجون أن تصبح المكروبات أصدقاء الانسان بعد أن كانت أعداءه ، وأن تصير لُعَبات لا تضر ، يتلهّى بها البُحّاث ويتسلون من سأم وعناء

قام هذان الشابان بتجاربَ أي تجاربٍ لاستقصاء هذا الداء ؛ قاما بها في هلعٍ مجنونٍ ليخلّصوا أرواح البرايا . شقا طريقهما إلى غايتهما في مجزرة لم تسمع الدنيا بمثلها . جزرا فيها عدداً لا يحصى من الخنازير الغينية ، جزراها ليخلّصا من الموت عدداً أكبر لا يحصى من الأطفال المساكين . ففي الأمساء كانت معاملهم كميادين القتال في الأزمان الخوالي ، حين كان الجند تُبقَر بطونهم وتقطّع أوداجهم بالحراب تارة والنبال تارة أخرى . ضرب رو Roux بأظفاره كالغول في أطحلة الموتى من الأطفال ، ودار بارنج بين الدماء في ظلام من الجهل دامس حتى اصطدم أنفه بباب انفتح له عن حقائق وضّاءة باهرة ما كانت لتخطر على بال الآلهة

ولكنهما دفعا عن كل تجربة ناجحة ثمناً غالياً : ألفَ تجربة فاشلة ، ولكن مع هذا ، وبرغم هذا ، قد اكتشفا الترياق

وما كان لهما أن يكتشفاه لولا أن سبقهما كشفٌ متواضع قام به فريدريك لُفلار Frederick Loeffler ، صياد المكروب الذي حمل على شفته شارباً ألمانيا حربيا علا واستطال حتى حجب بصره ، فكان إذا نظر في المجهر نحّاه عن عينه ؛ وكان يعمل لُفلار إلى يمين أستاذه كوخ في زمن البطولة الأولى حين كان يتصيد مكروب السل . ففي أوائل ذلك العقد التاسع من القرن الغابر كانت وطأة الدفتريا شديدة جداً ، والدفتريا داء تشتد وطأته وتلين في القرن الواحد مراراً . وامتلأت في المستشفيات عنابر الأطفال بالمرضى ، وعلت أصوات أهليهم بنحيب لا فائدةَ منه تعود ولا نفع يُرجى ، وخرجت من تلك الحلوق الصغيرة سعلة تصحبها قرقرة تنذر بأن الاختناق قريب ، وتراءت وجوههم الصغيرة الزرقاء في وساداتهم البيضاء وقد ازرقّت من فعل اليد الخفية التي عصرت حلوقهم وضغطت على رقابهم . ومشى الأطباء في هذه الأروقة يسترون يأس القلوب ببشاشة الوجوه ، وساروا من سرير إلى سرير لا حول لهم ولا قوّة إلا أن يدسّوا في حلق طفل يختنق أنبوبة في هذا الغشاء الذي يسد عليه منفذ الهواء يحاولون بذلك أن يفتحوا له منفذاً إلى رئتيه

وقذفت خمسة أسرة من كل عشرة بأحمالها إلى رواق الأموات . وكان في أسفل الدار ، وكان به لُفلار يعمل بجدّ لا يفتر ، وهمة لا تضعف . كان يغلي مشارط ، ويحمي في النار أسلاك البلاتين ، ويدخلها الى هذه الحلوق الجامدة من تلك الأجسام الهامدة التي أخفق الأطباء في طلب الحياة لها ، ثم يخرجها منها وقد حملت مادة شهباء ، فاما أن يدخلها في أنابيب رفيعة يسدّها بنُتافات من القطن بيضاء ، وإما أن يضع عليها الأصباغ ثم ينظرها بالمجهر فيرى بَشِلّات غريبة منتفخة الأطراف ، وقد تنقّطت وتخططت بصبغته الجميلة الزرقاء ،

وكشف عن هذه البشلة فى الحلوق جميعها ، وأسرع يطلع أستاذه كوخ عليها

لا شك أن كوخ أخذ بيد لفلار أخذا وهو يكشف عن هذه البشلة . وكأنى بك تسمع كوخ يقول له : « لا فائدة من النط إلى استنتاجات غير ناضجة ، يجب عليك أول شيء أن تربى هذا المكروب نقيا ، ثم عليك بعد ذلك أن تحقنه فى حيوانات ، فاذا هى اصيبت بمرض يشبه دفتريا الانسان تماما ، إذن .....» كيف كان يضل لفلار والى جانبه هذا التحذلق الشديد فى حذلقته ، هذا الحذر الغالى فى حذره ، طلاب الحقيقة وسيد قناص المكروب ؟ كيف كان يضل لفلار والى جانبه هذا الداهية ينظر اليه ازورارا من نظارته التى ما كانت تفارق عينيه أبدا ؟

وامتحن لفلار جثة طفل بعد أخرى ، وفتش فى كل جزء من أجزائها وهى طريحة تبعث الأسى فى القلوب ، وصبغ مائة صليحة مختلفة من كل عضو من أعضائها ، ثم حاول أن يربى هذه البشلات المخططة نقية ، وأفلح فى ذلك سريعا ، ولكنه لم يجد هذه البشلات حيثما بحث فى الأجساد إلا فى الغشاء الذى يجللها ، وداعا فى هذه الحلوق ، إلا طفلا أو طفلين ، كان يقع على هذه البشلات المنتفخة الأطراف ، فتفكر لفلار : « كيف تأتى لهذه المكروبات القلائل التى لا تحل من الجسم إلا فى الحلق ، كيف تأتى لها وهى لا تفارق مكانها أن تقتل الطفل بمثل هذه السرعة ؟ ولكن لعل الأولى بى أن أتبع ما قال السيد كوخ » . وبدأ يحقن زريعاته من البشلات النقية فى الأرانب فى قصباتها الهوائية ، وفى الخنازير الغينية تحت جلودها . وما أسرع ما ماتت هذه الحيوانات . ماتت فى يومين أو ثلاثة كما يموت الطفل أو كانت أسبق إلى الموت . ثم أخذ يبحث عن المكروبات فى أجسام هذه الحيوانات فلم يجدها إلا حيث دخلت الحقنة فحسب . . . . وأحيانا أعوزه وجودها حتى هنالك ، إلا أن تكون وحدات منها قليلة ضعيفة لا تقوى على الاضرار ببرغوث صغير .

وتساءل لفلار : كيف أن قليلا من بشلات تحل من الجسم فى ركن قصى منه ، كيف أنها فى قلتها وعزلتها تستطيع أن تصرع هذا الجسم وهو فى عظمه أكبر منها ملايين المرات

وكان لفلار باحثا أمينا لا يفوته فى أمانته من البحثات أحد . وكان دقيقا بطبعه فكانت تواتيه الدقة بغير عناء . وكان أقل الرجال حظا من الخيال الجامح فلم يتدخل شيء منه فى نتائجه الدقيقة فيزينها — أم هو يفسدها — بالذى ليس منها . وجلس يوما إلى مكتبه وكتب رسالة علمية تتضمن خلاصة بحثه ، فكانت مقالة متواضعة ، باردة ، لا تؤذى قارئها فى شيء ، ولا تحمسه لأمر . كانت على نقيض ما يكتب الحالمون . وجادل فيها أمر هذه البشلات ، أهى سبب الدفتريا وجرثومتها أم هى غير ذلك . ذكر كل الحقائق التى قد تؤدى الى أنها جرثومتها حقا ، وذكر كل الحقائق التى قد تؤدى إلى نقيض ذلك . تشبث بالأمانة تشبثا كبيرا ، وكتب كل ما قد ينفى أن تكون هذه البشلة سبب الداء : وكأنى بك تسمعه إذ يحدث نفسه وهو يكتب فيقول : « قد تكون هذه المكروبة هى السبب ، ولكنى فى عدد قليل من جثث الأطفال لم أستطع أن أجدها ... والحيوانات التى حقنتها لم يصبها شلل كالذى يصيب الأطفال ... والحقيقة التى هى أشد مناقضة لى هى أنى وجدت نفس هذه المكروبة — وهى تقتل الأرانب والخنازير الغينية — فى حلق طفل ليس عليه من أعراض الدفتريا شيء »

وغالى فى أمانته فلم يقدر بحثه الجليل الذى أتاه حق قدره ، ولكنه فى آخر رسالته كتب فقرة أوحى فيها بحل المعضل وفك المشكل وإيضاح السبيل إلى سر هذا الداء ، إيضاح السبيل إلى غيره لا إلى نفسه ، إلى الفرنسى رو Roux وإلى الألمانى بارنج Behring اللذين جاءا من بعده وكانا أشد منه خيالا وأنفذ به فى المشكلات المعضلات بصيرة . غريب أمر لفلار ! عرف السبيل الذى يسلكه لبلوغ الغاية ، ولكن بدل أن يتحرك هو ويقوم على قدميه فيسلكها ، إذا به يدل غيره فيفوز سواه بالحمد دونه . قال لفلار : « إن هذه البشلة تبقى على رقعة قليلة لا تخرج عنها فى غشاء ميت فى حلق الطفل المريض . وتبقى كذلك فى مساحة ضيقة لا تعدوها تحت جلد الخنزير الغينى بعد حقنه . فهى لا تتكاثر فتصير ملايين وتعم الجسم كما نتوقع ولكنها مع ذلك تقتل حيث هى من مكانها ! فكيف يكون هذا ؟ لا بد أنها تصنع سما يخرج عنها فيسير وحده فى الجسم حتى يصل إلى موضع منه قتال . فلا بد من التفتيش عن هذا السم ولا بد من وجوده . فتشوا عنه فى جثث الأطفال ، أو فتشوا عنه فى أجسام الخنازير الغينية التى قتلها الداء . نعم ،

# الحياة الأدبية فى لبنان

## بقلم سامى الشقيفى

كتب الأستاذ على الطنطاوى فى عدد سلف من « الرسالة » من الحياة الأدبية فى دمشق ، وفى عـدد آخر تكلم الأستاذ عبد الوهاب الأمين عن الحياة الأدبية فى العراق ، فكان من الانصاف لأتمام الفائدة أن نتكلم عن الحياة الأدبية فى لبنان

ظواهر الحركة الأدبية فى لبنان راكدة كما فى سورية والعراق . فالصحافة الأدبية تكاد تكون معدومة ، أما التأليف والنشر فتمر الأسابيع والأشهر دون أن تخرج المطابع كتابا نفيسا ؛ وجمهور الشباب معرض عن المنتوجات الأدبية العربية — الواقع أن إقبال الشباب فى الأقطار العربية على الثقافة الأجنبية (وان يكن نفخ روحاً جديداً فى الأدب العربى ) قد أضر كثيرا بالحركة الأدبية خصوصاً فى لبنان . فشبابنا المثقف حائر بين الأدب الغربى (العالى حقاً ) والأدب العربى الناقص بازائه . يقبل على الأول لأنه يرضى ذوقه وثقافته ، ويجذبه الى الأدب العربى نوع من الشعور الوطنى . فى مصر والعراق وسوريا — وهى بلدان مسلمة — يتعلم الشبان القرآن منذ صغرهم فينشأون وفى نفوسهم ملكة عربية لا تستطيع الآداب الأجنبية أن تطغى عليها . وليس الأمر كذلك فى لبنان . ولولا البكالورية اللبنانية التى توجب على الطلاب درس الأدب العربى لأهمله هذا النشء الجديد دون ما تبكيت .

وقد كانت الحركة الأدبية عندنا فى لبنان الى الأمس القريب تتجلى بقصيدة رثاء أو مدح أو مقالة شكوى أو كتاب لا يتعدى موضوعه المتذل الفارغ ؛ ولكن من الانصاف أن نقول إن البعض من أدبائنا نشروا كتباً لا بأس بها وإن كان لا يرضى عنها الذوق الأدبى السائد اليوم ، ومن هؤلاء الأدباء أمين الريحانى صاحب ( ملوك العرب — ابن سعود — فيصل الأول — قلب العراق ) ، وعمر الفاخورى صاحب (غاندى — أناتول فرانس ) ، ولبيب الرياشى وجميل بيهم ، وميخائيل نعيمه مؤلف ( المراحل — جبران ) ، وسلمى صائغ كاتبة (النسمات) ونظيره زين الدين مؤلفة (السفور والحجاب)

وقد أثر على النشاط الأدبى عندنا المجتمعات التى كانت تعقدها سيدات على جانب وافر من العلم والذكاء ، وهذه المجتمعات تشبه فى أكثر النواحى صالونات أديبات فرنسا فى القرن التاسع عشر . ومن أشهر سيداتنا الأديبات سلمى صائغ وحبوبة حداد وماري يني وجوليا طعمه . أما الصحافة التى يتجلى فيها النشاط الأدبى فقد كانت المجلات النسائية العديدة كالمرأة الجديدة والحياة الجديدة وميترفا والخدر — وكان الاعتقاد السائد بين الأدباء أن المثل الأعلى فى الأدب هو أدب القرن السابع عشر الفرنسى ( وإن كانوا لم يطلعوا عليه ) ؛ والمتطرفون منهم كانوا يقتبسون من العصر الرومانتيكى — أما اليوم وقد نضج هذا الفوج من الأدباء الذين ذكرناهم ولا يرجى منهم أفضل مما أنتجوا ، فقد همدت حركتهم الأدبية وتوقفت مجلاتهم وأفسحوا المجال لغيرهم . فعندنا الآن فوج من الأدباء الشبان « لا يزالون زغب الحواصل لم يطيروا بعد فى الأجواء » كما قال أحد الكتاب ، إلا أنهم أثروا على الأدب فى لبنان . منهم عصبة العشرة التى بثت روحاً جديداً فى الأدب ووجهت خطواته على غرار الأدب الغربى الحديث ؛ ولكن حركتها ما عتمت أن سكنت ولما تؤد رسالتها على الوجه الأكمل الذى كانت ترجوه . وقامت أخيراً ندوة الاثنى عشر تضم عددا من الشبان المثقفين ثقافة عالية يجتهدون للنهوض بالأدب فى لبنان نهضة صحيحة من كل نواحيه ؛ والأدب فى لبنان يتجه نحو القصة لأنها تحتمل الدروس النفسانية ولأنها من أرقى صور الأدب ؛ ومن أبرز الذين يعنون بالقصة خليل تقى الدين وتوفيق عواد ورئيف الخورى ، وقد تطورت عقلية النشء الجديد من الأدباء على نحو الأدب الفرنسى الحديث حتى أن عندنا ما يدعونه الأدب البارى يبشر به فؤاد حبيش ؛ وعندنا الأدب الشعبى ينشره توفيق عواد ورئيف الخورى ؛ وهم يرون أن الأدب يجب أن يستمد مواده من كل مظاهر الحياة لا من خفايا النفس وعواطفها فقط

أما النقد الأدبى على الأساليب العلمية الحديثة فحامل لوائه فى لبنان فؤاد البستانى الذى كان له الفضل الكبير فى توجيه

---

نعم . أو فتشوا عنه فى الحساء الذى تنمو فيه البشلة وتربو... إن الرجل الذى يكشف عن هذا السم سيثبت ما عجزت أنا عن إثباته »

هذا هو الحلم الذى ارتآه لفلار ؛ هذه هى الرجية التى ارتجاها ؛ هذا هو المفتاح الذى وضعه لُفلار فى كف رو ، والذى فتح به رو ما استغلق على لفلار

في العدد القادم : كيف اكتشف رو سم الدفتريا — أحمد زكى

الشبان نحو الثقافة العربيــة بنشره سلسلة « الروائع » ، وهو الآن يعد كتاباً عن عواصم الأدب يبحث في تأثير المحيط على الأدب . فلكي يفهمنا الأدب العباسي ويطلعنا عليه يصف لنا بيئته في بغداد ؛ وفضل فؤاد البستاني الأكبر أنه دون سواه من الأدباء يشجع من يرى فيــه سمات الأديب فيحثه على التأليف والنشر ويعضده بنفوذه الأدبي الكبير . وثمة نقادة آخر يمكننا أن نقارنه في كثير من النواحي بالأستاذ أحمد أمين ، هو جبرائيل جبور الذي ينشر الآن كتاباً ضخماً عن عمر بن أبي ربيعة « دون جوان » العرب

وأما في الشعر فقد ساد أول الأمر محافظون ينظمون في الرثاء والمدح والغزل والفخر أيضاً لا يحيدون كثيراً عن أمراء الشعر في الأعصر الماضية ، إنما كان يلمع في شعرهم وميض من التجدد وتسمع في أبياتهم رنة موسيقية عذبة . ومن أشهر الذين أجادوا أمين تقي الدين وبشاره الخوري . ثم جاء الشاعر الياس أبو شبكه فتطور معه الشـعر بما حمله اليه من نفس صادق وبخروجه عن أدب المناسبات والمواضيع الجوفاء ؛ وخطا يوسف غصوب بالشعر خطوة واسعة موفقة بديوانه ( القفص المهجور ) . وكان المرحوم أديب مظهر أول من أدخل إلى الشعر العربي نظرية الشعر الرمزي التي يعتنقها اليوم شعراء يجيدون حقاً كصلاح لبكي وأمين نخله وسعيد عقل الذي نشر مسرحية شعرية موفقة جداً « بنت يفتاح » . لن أسهب في الكلام عن الشعر الحديث في لبنان ولكن أكتفي بالقول أنه من أرقى ما عرفته الآداب العربية . وثمة شعر لبناني محض يمثل فرعاً لنفسه هو الشعر العامي ، وقد أرتقى جداً وزعيمه الأول رشيد نخله ؛ ولقد تطور هــذا النوع من الشعر على غرار الشعر الحديث ؛ وبحدث هذا التطور ميشيل طراد فهو أيضاً ينهج نهج الشعراء « الرمزيين » ، والشعر اللبناني هــذا يمتاز بشدة تأثيره على النفس

وكان من إقبال اللبنانيين على الآداب الأجنبية أنهم أنحوا يؤلفون بهذه اللغات . وكتب الريحاني وجبران بالانكليزية مثلاً مشهورة ؛ وهنالك كتب في السياسة والحقوق باللغة الفرنسية . وآخر ما أنتجه اللبنانيون من دواوين شعر فرنسي كان له دوي بعيد في فرنسا ونال لأجله بعضهم الجوائز من محافل الأدب العالية كشارل قرم الذي نال جائزة ادجارپو في فرنسا لديوانه الجبل الملهم ، وغيره أيضاً

وينشط اللبنانيون جداً للتأليف باللغات الأجنبية ، ولنقل أفضل مؤلفاتهم العربية إلى الفرنسية ليطلعوا الغرب على ثقافتهم ( وهي مظهر رقيهم ) ويأخذوا مكانهم في الأدب العالمي

والخلاصة أننا لسنا متشائمين من حال الأدب عنــدنا . بل ما نراه حولنا من مظاهر النشاط الكامن يبشرنا بمستقبل زاهر وبأن الحركة الأدبية في لبنان ستخطو خطوات بعيدة جداً

سامي الشقيفي

# في تاريخ الفقه الاسلامي

## المحاضرة الثالثة

للدكتور يوسف شخت

الأستاذ بجامعة كونيكسبرج ، والأستاذ بالجامعة المصرية

تكلمنا في المحاضرتين السابقتين عن مسائل تتعلق بثلاثة أدوار قديمة من تاريخ الشرع الاسلامي ، وهي العصر الجاهلي — وليسمح لي بإدخاله في هذا النطاق الواسع — وعصر فقهاء المدينة السبعة ، والعصر الذي تكونت فيه المذاهب الكبرى . فالآن ، ونحن مستمرون على السير بموجب الترتيب الزمني ، ننتهي إلى دور تندر مصادره ؛ فمن العجب أن نلاحظ أنه لم يبلغنا إلا القليل جداً من مؤلفات الزمن بين بدايات المذاهب (التي توجد لها مصادر معاصرة ولو لم تطبع كلها) والنهضة العظيمة التي بلغها علم الفقه في القرن الخامس للهجرة ، ونتيجة هذا الدور لا بد أن تكون ذلك التنظيم والتنسيق للفقه الذي نشاهد أكمل مظاهره عند المذاهب الثلاثة في وقت واحد تقريباً : للحنفية على يد القدوري ، وللشافعية على يد الغزالي ، وللمالكية على يد سيدي خليل . ويلوح أنه ليس مستحيلاً أن نتمكن من اكتشاف وثائق أكثر تبياناً لهذا الدور الغامض ، إذا ما وجدنا أن بعض مؤلفات أبي جعفر الطحاوي الفقيه المصري المشهور وبعض الكتب الأخرى التابعة لذلك العصر قد كانت حليفة البقاء . وقبل أن يتحقق هذا الأمل علينا أن نقتبس معلوماتنا من الكتب التي تعالج اختلاف الفقهاء ، وهي كتب هدتنا المصادفة الغريبة إلى عدد غير قليل منها راجع إلى القرن الرابع الذي نبحث عنه ، وهذا ما يبرر بعض ملاحظات على هذا النوع من كتب الفقه على العموم . فقد ذكرنا في محاضرتنا السابقة أول كتاب وضع في هذا الفن وهو كتاب الحجج لمحمد بن الحسن الشيباني . فهذا الكتاب يشترك مع بعض رسائل للشافعي في غرض يحتمل أنه أحدث هذا الفن كله ، وهو مجادلة المعارضين التي تستلزم بطبيعة الحال إبداء آرائهم . وأما كتاب اختلاف الفقهاء لابن جرير الطبري الذي ذكرناه أيضاً قبلاً فيحل فيه محل هذا الغرض شيء آخر ، هو المقارنة والموازنة بين أقوال المتقدمين تأسيساً لمذهب المؤلف نفسه ؛ وأن هذا الكتاب أولى أن ينسب إلى القرن الثالث وإن كان مؤلفه قد مات في سنة ثلثمائة وعشر . وهذان النوعان من كتب الاختلاف ظلا قائمين إلى القرن الرابع ، وإلى جانبهما قد نشأ نوع آخر ، وهو نوع الكتب التي تثبت الآراء المتنافسة لغرض علمي محض . وأحياناً نجد المؤلف الواحد قد ألف في الاختلاف أكثر من كتاب واحد . من ذلك أن الطحاوي الذي أسلفنا ذكره ألف كتاب شرح معاني الآثار ، وغرضه الراجح هو المجادلة بحيث أنه لا يذكر حتى أسماء خصومه ، ولكن له أيضاً كتاب اختلاف الفقهاء الذي يدلي فيه برأيه الشخصي على أثر عرض الآراء المختلفة والأدلة الدالة عليها . وقد ألف معاصره محمد بن ابراهيم بن منذر النيسابوري كتاب الاختلاف الذي يمثل هذا النوع الثاني ، كما ألف أيضاً كتابين من النوع الثالث وهما كتاب الاشراف على مذاهب أهل العلم ، والكتاب الأوسط في السنن والاجماع والاختلاف ؛ وهذا الاهتمام العلمي المحض قد حمله أيضاً على أن يجمع في كتاب الاجماع المسائل التي لا اختلاف فيها . أما المسائل المختلف فيها ضمن المذهب الحنفي فلدينا الروايات الثلاث لكتاب مختلف الرواية لأبي الليث السمرقندي ، وهو أيضاً من النوع الثالث العلمي المحض . وقد ذكرت كل تلك الكتب تفصيلا لأنها على العموم غير معروفة إلا للقلائل برغم أهميتها ، ولأنها لم تطبع بعد إلا شرح معاني الآثار للطحاوي . وأما أكثر الكتب المؤلفة في هذا الموضوع في زمن متأخر في القرن الخامس وما بعده ، فلا يمكننا أن نوازي بينها وبين تلك المصادر القديمة ، ولا ينبغي أن نعتبرها وسيلة يعتمد عليها في الحصول على معلومات جلية ، لأن تلك الكتب كثيراً ما تناقض نفسها وتناقض حقيقة الأمر ، أي أقوال المذاهب المشهورة . وذلك لأنها ليست قائمة على معلومات مباشرة بل يتوقف بعضها على بعض . كذلك كتاب الميزان للشعراني ليس إلا تغييراً لكتاب « رحمة الأمة في اختلاف الأئمة » للدمشقي ، وهذا بدوره مختصر لكتاب الاشراف على مذاهب

الاشراف لابن هبيرة إلى حدٍّ أن جميع الأغلاط الموجودة في ذلك الكتاب تتكرر في هذين . وينبغي ألا نؤاخذ ابن هبيرة بشدّة بهذه الأغلاط لأن كتاب الاشراف ليس إلا رواية مستقلة لفصل من كتابه الكبير المسمى بالافصاح عن معاني الصحاح ، وهو شرح مفصل للأحاديث الصحيحة ، ومضمون كتاب الاشراف كله وارد في كتاب الافصاح شرحاً لحديث النبوى المشهور : اختلاف أمتي رحمة

إن أخبار المتأخرين من المؤلفين عن مبادئ مذاهبهم وأقوال الفقهاء الأقدمين يجب أن تقابل على العموم بتحفظ شبيه بالتحفظ الذي ينبغي أن تقابل به كتب الاختلاف الأحدث عهداً ، حتى ولو كان أولئك المؤلفون من أصحاب المذهب الذي يتحدثون عن أئمته . فانا نشاهد في المذاهب ابتداء من القرن الخامس افتقاراً للروايات فيما يتعلق بأقوال أصحابها الأولين ، وهو مما يجعل دراسة مؤلفاتهم الأصلية أحرى وأوجب . وإني لأستمد أمثلتي من كتاب المخارج في الحيل لمحمد بن الحسن الشيباني السالف الذكر الذي لاريب في صحته مقارنًا له بشرح السرخسي المتأخر لأقوال محمد بن الحسن المروية في كتاب المبسوط . فالشيباني يقول في مسألة معينة على وجه الاجمال : « لا آمن أن يبرئه بعض الفقهاء . » ولكن السرخسي يعترف بأنه لا علم له عمن قال بهذا القول . والشيباني يقول في التحليل : « إذا قال واحد منهم هذه المقالة ( أي لو قالت الزوجة تزوجني فحللني ، أو قال الزوج الأول تزوج هذه المرأة فحللها لي ، أو قال الزوج الثاني أتزوجك فأحلك لزوجك الأول ) لم تحلّ للزوج بهذا النكاح الثاني » ؛ فالسرخسي في تعليقاته على هذا الكلام يقول : إن النكاح الثاني عند الشيباني صحيح ، لكن التحليل في هذه الظروف لا يحصل ، في حين أن النكاح الثاني عند أبي يوسف فاسد غير صحيح ؛ ولكن السرخسي في موضع آخر ينسب القول الأول إلى أبي يوسف ، والقول الثاني إلى محمد بن الحسن الشيباني . ويقول السرخسي في مسألة أخرى إنه يُنسَب إلى أبي يوسف قولان متناقضان دون أن يستطاع اعتبار أحدهما سابقاً ، والآخر متأخراً ، فهو مع ذلك يجهد نفسه في التوفيق بين القولين بوجه مفتعل . ويقول السرخسي في الحيل المستعملة لمنع الشفعة : « وعند محمد رحمه الله هو مكروه أشد الكراهة »

وهذا ليس صحيحاً لأن الشيباني قد جمع أمثال تلك الحيل في باب طويل من كتابه المتقدم ذكره نقرأ فيه كلاماً كهذا : « أرأيت رجلا يريد أن يشتري داراً ، ويخاف أن يأخذها جارها بالشفعة فكره أن يمنعه من ذلك فيظلمه ، وكره أن يعطيه الدار فيدخل عليه ما يُكرَه . هل عندك في ذلك حيلة ؟ قال : نعم الخ » . وإليكم مسألة تدل على أن رأياً نُسب خطأً إلى أبي حنيفة قد ظفر بأن يصبح مسلماً به في المذهب كله : فنقرأ في الفتاوى العالمكيرية : « فاعلم بأن الوقف على قول أبي حنيفة رحمه الله لا يصح مضافاً إلى ما بعد الموت بطريق الوصية ، هكذا ذكر الخصاف رحمه الله ، وعنوظا أن الوقف عند أبي حنيفة رحمه الله صحيح إذا كان مضافا إلى ما بعد الموت أو كان موصى به » ومع ذلك فالخبر الذي ذكره الخصاف هو الصحيح ، لأن هذا يظهر من قول الشيباني نفسه في كتاب المخارج في الحيل ، وقد أمكن أيضاً أن تتسرب أخبار ملفقة إلى حواشي كتب الشيباني حتى في زمن قديم جداً ، وينبغي لهذا كله أن يتحاشى المرء قبول شهادة كتب أحدث عهداً في أقوال الأئمة الأقدمين من دون تمحيص . وسبب تلك الأغلاط يرجع قبل كل شيء إلى تضاؤل الاهتمام بآراء فقدت أهميتها العملية بعد التدوين النهائي للأحكام في المذاهب ، ويرجع أيضاً إلى الظن الطبيعي أن تلك الأحكام المدونة هي عين الآراء الشخصية للأئمة الأقدمين ، ويرجع أخيراً إلى استبدال عبارات مثل « في قياس قول أبي حنيفة » بعبارات أخرى مثل « في قول أبي حنيفة » فحسب ، وهو شيء نراه حتى في الكتب القديمة جداً

وأخرى المسائل التي سنبحث عنها هي مسألة القانون العرفي في بلاد الاسلام ، فبينا أن العلاقة بين الأحكام الشرعية والأحكام العرفية — كما رأينا — وجهة مركزية من تطور الفقه نفسه في الأدوار الأقدم عهداً فان هذه العلاقة تصبح بعد ذلك عندما استقر الفقه في صورته النهائية مطلباً مستقلاً . ومن بينات القوة الروحية العظيمة التي استمتعت بها الشريعة أنها بلغت حد فرض نفسها على القانون العرفي ؛ وإن كان هذا القانون قد بلغ من ناحيته أو كاد يبلغ حد احتكار العمل القانوني من الوجهة المادية ؛ وهذا بادٍ من أن الناس تحققوا وجود قانون عرفي يعارض كثيراً من الأحكام الشرعية ، وأنهم فسروا هذا من الوجهة

التاريخية بأن الأجيال المتأخرة لم تبلغ شأن السلف الصالح ، ومن الوجهة الاخلاقية بمبدأ الضرورة التي أغنت عن العمل بالاحكام الشرعيـــة . وعلى هذا النسق الفكرى أوجد عالم مصرى معاصر فيما يتعلق بالخلافة التي تناهى تاريخها أصلا عن قواعد الشرع ، قواعد ثانوية موجهة إلى التطبيق العملي ولكنها مع ذلك مصنوعة على طراز تلك القواعد الشرعية . فأما مايتعلق بالفقه فقد رأى أهله أن يوفقوا بينه وبين العرف على قدر المستطاع مما أفضى في التطور المتأخر للمذهب المالكي المغربي خصوصاً إلى أن يجيزوا عدة تصرفات عرفية لم تكن تعرفها الشريعة من قبل . أما العمل العرفي فكثيراً ماحاول أصحابه أن يحتفظوا بمظاهر المطابقة للشريعة على الأقل ، في حين أن حقائق الأمور كانت بعيدة عنها بعداً شاسعاً ؛ وهكذا أقاموا في حالة أخذ السارق والسكران عند ارتكاب الجريمة حدود السرقة والشرب رأساً معتقدين اعتقاداً صميماً أنهم يطبقون الشريعة وليكن دون أن يعنوا بالاجراءات الدقيقة التي فرضتها الشريعة ، وهكذا ذهب بعضهم إلى جعل ذبح مجرم يستحق الموت وفاقاً لقواعد ذبح الضحايا . وأنظمة المحتسب وناظر المظالم لا يراد بها إلا اجتياز الهوة التي تباعدت شقتها بين منطقة الشريعة ومنطقة الحياة القانونية العرفية ، فلهذا ليست من الشريعة المحضة ؛ ومنذ الزمن القديم كانت حاجة الشريعة محسوسة إلى أن يندمج فيها العرف القانوني وأن تتيح لمن يهمهم الأمر الوسائل لمقصد تصرفات تقتضيها العادة مع مراعاة أحكام الشريعة الآلهية التي تجمع بين المخارج البسيطة والطرق الفقهية الأربية . فبهذه الحيل يصل المرء من طريق تصرفات شرعيـة إلى نتائج تطابق الحاجات العملية ، ولكن لا تسلم بها قواعد الفقه رأساً ، فهي من جهة الفقه مخارج ومواضعات ، ومن جهة العرف جهود في جعل العرف مقبولا موافقاً للشرع .

وقد أنشأ الحنفية هذا الفن من الفقه ونمهدوه ، ونجد أن أبا يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني على رأس سلسلة طويلة من الفقهاء قد ألفوا في الحيل ؛ وقد انتهى الينا كتاب محمد بن الحسن كاملا ، ( وهو المسمى بكتاب المخارج في الحيل الذي ذكرناه مراراً ) ، ويشتمل على مسائل عديدة نقلها صاحبه من كتاب أبي يوسف . أما المذاهب الأخرى فالحيل فيها أقل شأناً منها عند الحنفية ، حتى أن الشافعي والبخاري الذي كان نفسه شافعياً وغيرهما قد حاربوا الحيل حرباً عواناً . ولم يمنع هذا أن المتأخرين من الشافعية قد أحسوا بالحاجة إلى تأليف كتب في الحيل على مثال كتب الحنفية وأن ينسبوا إلى الشافعي نفسه من المخارج العملية ما قد ورد في كتاب محمد بن الحسن الشيباني ؛ وقد أفرد الحنبلي الكبير ابن قيم الجوزية للحيل بحثاً طويلاً ، ورغم مناهضته للمكر ومنعه للفرار من أحكام الشريعة وصل في بحثه إلى اعتبار كثير من تلك المخارج مشروعاً خاصة في دائرة التصرفات التجارية . وأشهر كتاب في هذا الباب هو كتاب الحيل والمخارج المنسوب خطأ إلى أبي بكر أحمد بن عمرو الخصاف الحنفي ، فالواقع أن كتابه الحقيقي ليس إلا رواية لكتاب المخارج في الحيل للشيباني ، وقد عني الخصاف بأن يستبعد منها كل إشارة قد تدل على مؤلفه الأصلي ؛ والكتاب الذي اشتهر به هو تأليف عظيم الشأن لمؤلف مجهول عاش في حوالي سنة أربعمائة ، وهو مصدر فريد في بابه لمعرفة القانون العرفي الذي كان يعمل به في ذلك الزمن في العراق ( كما نظن ) يكشف لنا عن مستواه العالي واصطلاحاته الراقية ، وهذا القانون العرفي يميزه الدور الهام الذي يقوم به الاقرار ، فانه لا سبيل إلى الرجوع فيه ، ولهذا يصلح جيداً لأن يكون مبدأ للنتائج القانونية المقصودة ، كما يميزه دور العدول الأمناء الذين يثق بهم المتعاقدان يقومون بالتوسط بينهما في علاقاتهما التعاقدية ، وكما تميزه أيضاً كثرة استعمال الوثائق المكتوبة ، فكل هذه الخصائص توجد مجتمعة في كتب « المواضعة » ، وهي وثائق يكتبها المتعاقدان وليست لها قيمة قانونية مباشرة ، لكنها تصلح لاثبات حقيقة الأمر فيما بين المتعاقدين من العلاقات التي لا يكشف عنها بل يسترها عادة عدد من التصرفات والاقرارات الموضوعة ؛ وتحفظ هذه الوثائق — أي كتب المواضعة — مع الوثائق الفقهية الحقيقية التي توضح وظيفتها عند عدل أمين يثق به المتعاقدان ويعمل هو بمقتضاها فيما بينهما ابتغاء معاملتهما بالعدل والانصاف ومنع أي منهما عن أن ينتفع بتصرف أو إقرار منفرد لما فيه ضرر لمصلحة الآخر . واليكم مثالاً قد يوضح كل هـذا إيضاحاً تاماً : « قلت : رجل له على رجل مال ، فوكل رجلاً أن يتقاضى هذا المال ويستخرجه على أن له نصفه أو ثلثه ، هل

يجوز هذا ؟ قال : لا ، وإن وكله على هذا الشرط فاقتضى المال كان له أجرة مثله لا يجاوز بها ما جعل له ... قلت : فهل فى هذا من حيلة ؟ قال : نعم ، الحيلة فى ذلك أن يقر الذى باسمه المال لابن هذا الوكيل أو لرجل يختاره الوكيل بثلث المال بحق عرفه له ويوكله بقبضه . . . ثم يوكل الذى باسمه المال والمقر له بالثلث هذا الوكيل باستيفاء المال واستخلاصه فإن خرج المال كان للمقر له الثلث من ذلك . . . . قلت : فإن قال صاحب المال : أرأيت إن أقررت بثلث المال لمن يريد الوكيل فإذا وقعت الشهادة على ذلك لم يقم هذا الوكيل باستيفاء المال أو أحدث حدثاً تبطل به الوكالة فقد صار هذا الرجل شريكا لى فى المال بثلثه ، فما الحيلة ؟ قال : يعدلون كتاب الاقرار على يدى من يثقون به ويكتبون مواضعة بينهم تكون على يدى العدل يعمل بما فيها ويحملهم عليها ، فإن خرج هذا المال بتقاضى الوكيل وقيامه كان لهذا الرجل الثلث ... وإن لم يخرج من المال شىء أو لم يقم بذلك أو أحدث حدثاً تبطل الوكالة به لم يكن للرجل المقر له بثلث المال شىء ورد العدل منهم الكتب على من يجب ردها عليه ، ويحكمون فى المواضعة أمرهم كله ليعمل العدل بينهم بذلك »

والمصدر الثانى الرئيسى لمعرفة القانون العرفى فى بلاد الإسلام هو الشروط والوثائق . ويوجد الى جانب الدور الهام الذى تؤديه الوثائق المكتوبة فى باب الحيل كتب كثيرة فى الشروط عند الحنفية كما هى موجودة عند المالكية والشافعية . وجدير بالذكر أن أكثر المؤلفين لكتب الحيل من الحنفية ألفوا أيضاً فى الشروط ، وأنهم من جانب آخر قد اشتغلوا غالبا بالوصايا والأوقاف أيضاً بصورة تجعل من الممكن أن يستبين المرء فى الكتب الحنفية على مرور القرون ميلا ظاهرا إلى البحث عن الموضوعات ذات الأهمية العملية ، وتلك الأهمية العملية لكتب الشروط ناتجة عن نفس وجودها ، ذلك أن الفقه لا يقبل إلا الشهادة الشفوية ولا يستلزم وثائق مكتوبة ، وذلك العلم وحده لم يفلح فى جعل الشروط فى ذلك المركز العظيم الذى هى فيه من عمل الفقه . وترجع عادة تحرير التصرفات إلى العصر الجاهلى ، فقد ظهر أن الوثائق فى ذلك الزمن لم تكن محض مذكرات يستعين بها الشهود ( كما هى الحال فى علم الفقه ) بل كانت وثائق مستقلة تنطق بمضمونها لا ريب أنها لم تروج بالشهادة الشفوية إلا فى مرحلة ثانوية ؛ وقد أقر القرآن هذه الحالة فى نوع من العقود فى الآية التالية : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب ، وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا ، فإن كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل ، واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ، ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ، ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله ، ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها ، وأشهدوا إذا تبايعتم ، ولا يضار كاتب ولا شهيد ، وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم ، واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم . وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة ، فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذى اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ، ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم . » وفى آية أخرى ذكر القرآن الوثائق المكتوبة فى إعتاق الرقيق على أنها شىء معروف : « والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً . » حتى الاصطلاح الخاص بالاعتاق التعاقدى فى مصطلح الفقه ، وهو الكتابة ، يدل على أن ذلك كان مكتوباً فى الغالب على الأقل ؛ والأمر السابق الذكر وهو أن الشروط والوثائق تقوم فى تطبيق الشريعة العملى بدور أهم بكثير مما يعينه لها علم الفقه — ذلك الأمر لا نفهمه إلا ببقاء عادة ثابتة قديمة تقتضى تحرير العقود بالكتابة ؛ ومن الراجح أن تلك العادة الموجودة فى القانون العرفى العربى الجاهلى كانت قد تأثرت بنفوذ التمدن العراقى ، فإن العراق مشهور بالدور الهام الذى قامت به الوثائق المكتوبة فى حياته القانونية والأدبية منذ زمن قديم جداً . أما الوثائق التى تبينها وتوضحها كتب الشروط ، وكذلك الوثائق الأصلية التى احتفظ بها فهى تتفق بطبيعة الحال فى مضمونها المادى مع أحكام الشريعة الاسلامية بحسب الظروف والامكان ، وخصائصها البارزة لا تظهر إلا فى صيغها التى تغيرت تغيراً كبيراً على كر القرون ، لكنها كانت

دائماً خاضعة لقواعد فنية صارمة . وإليكم خاصة جديرة بالذكر تشترك فيها كتب الشروط القديمة بأجمعها : قد تلونا آنفاً آية قرآنية تنص على أن « الذى عليه الحق » يكتب ويمل ؛ وأما فى كتب الشروط القديمة فالقاعدة الأساسية هى أن يملى الكاتب الدين ( أو من يقوم مقامه من المتعاقدين ) على المدين ( أو القائم مقامه ) وأن يقرّ هذا بصحة الوثيقة ويُشهد على ذلك الشاهدين

وثمة مصدر ثالث لدراسة القانون العرفى ، وهو التشريع المدنى الدنيوى فى بلاد الاسلام . ومن الحق أن الشريعة الاسلامية لا تعترف بتشريع مستقل يقوم إلى جانبها ، وتلك التشريعات المدنية حتى فى أوائل العصور الحديثة لم تزعم أكثر من أن تكون ملحقات بالشريعة فى الدائرة التى سمحت لها بها ؛ والواقع أن تلك التشريعات كثيراً ما جاوزت هذه الحدود . . وأشهر مثال لمثل تلك التشريعات هو ما يسمى ( بالقانوننامات العثمانية ) ، فإنه بينما كانت أكثرها تتصل بمسائل إدارية ، قد ردتها الشريعة إلى اختصاص الدولة ، فإن أول قانون من هذه القوانين وهو ( قانوننامه ) السلطان محمد الفاتح ينظم العقوبات أيضاً والأحكام الشرعية فى الواقع لم تنفذ فى تلك المنطقة أحياناً كثيرة ، وتفترض هذه القانوننامه أن القصاص يمكن إجراؤه بخلاف الحدود ، وقد وضعت بدلاً منها قانوناً جنائياً كاملاً يختلف أصلاً عن أحكام الشريعة ، وإن كان يذكرها فى مواضع عديدة ويستعير منها بعض القواعد الأساسية ؛ ويمتاز هذا القانون الجنائى بالدور الهام الذى تؤديه الغرامات المالية المختلفة المبالغ تبعاً لثروة المذنب . حتى الزانى بشرط أن يثبت عليه البينة وفقاً لقواعد الشريعة يعاقب عليه بغرامات مختلفة القدر على حسب كونه متزوجاً أو غير متزوج ( ويهمنا ملاحظة التعديل الذى أدخل بهذا على فكرة الاحصان فى الشريعة ) والأرقاء لا يدفعون إلا نصف المبلغ المفروض على الأحرار ، والسكر أيضاً ( وهو يقوم مقام الشرب فى الشريعة ) لا يعاقب عليه إلا بالتعزير ؛ وهو يُترك فى الشريعة لتقدير القاضى ؛ وأما فى هذه القانوننامه فالتعزير دائماً ضربات بعضها مقرونة بغرامة مالية ، ويطبق نفس هذا التدبير على السرقة ولا يقام الحد إلا فى سرقة الخيل ؛ ويكون فى هذه الحالة إما قطع اليد وإما غرامة باهظة جداً ، ولا بد من أن هذه الجريمة كانت تعتبر خطيرة بصفة خاصة ؛ وحلى أن هذا القانون الجنائى يراد به أن يحل محل القسم المطابق له من الفقه تماماً لا إكماله فقط ، لكنهم على كل حال يتحاشون أن يقولوا بهذا صراحة ويطلقون عبارات من قبيل « السياسة فى مقابلة الجنايات » أو « بدل السياسة » على إبدال الحدود بالغرامات المالية ؛ وقد اتخذت هذه القانوننامه أنموذجاً للقوانين العثمانية التى تعالج نفس الموضوع .

وعلاقة أخرى بين الشريعة الاسلامية والتشريع المدنى ، تخالف كل ما تقدم مخالفة تامة ، توجد فى الدور الأخير من تاريخ الشرع وهو دور تطوره المعاصر ، وحسبنا أن نذكركم بالتعديلات التى أدخلت منذ سنة ألف وتسعمائة وعشرين على الأحوال الشخصية فى مصر ؛ ولسنا نريد أن نبحث الآن عن تلك الظاهرة المهمة للحياة القانونية المصرية لأن الوقت الذى علكه قد انتهى . وإنما نستشهد بها هنا كدليل على أن العلم الأوربى الذى يشتغل بتاريخ الفقه الاسلامى لا يتناول الأزمان الماضية فقط ، بل يجهد فى استيعاب الحياة الحاضرة أيضاً ، وأن موضوعه الواسع ليس ميتاً جامداً بل لا يزال قوياً متطوراً .

فإن كنت قد وُفقت إلى إطلاعكم على شىء من الروح العلمية الخالصة المهيمنة على دراساتنا هذه فقد حققت بعض الغرض من هذه الأحاديث كل التحقيق

يوسف شخت

صورة من الحياة العلمية في مصر

# ٣ - تقي الدين السبكي

بقلم محمد طه الحاجري

— ٣ —

وبعد أن قضى من الشام حاجته عاد إلى مصر سنة سبع ، فاستوطن القاهرة ، وانقطع فيها لتصنيف الرسائل والكتب ، وتعليق الشروح ، والجلوس للطلاب . وقد ألقيت إليه رياسة الشافعية ، فجاءت الأسئلة والاستفتاءات ترد عليه من أنحاء الشرق العربي كثيرة متلاحقة ، وهو يجيب عليها ويفتي فيها . وكان من عادته — كما ذكر ابنه تاج الدين — أن يشرك في بحثها ومناقشتها أبناءه وتلاميذه ، إلا أن تكون متعلقة بأحوال المتصوفة وأهل الباطن فيكتم أمرها وأسماء أصحابها وما يراه فيها . إذ كان ذلك خارجاً عن حدود النظر العقلي والاستدلال المنطقي

وقد لبث على ذلك — منذ عودته من السماع بالشام إلى رجوعه إليها قاضي قضاتها — اثنين وعشرين عاماً ، حج في أثنائها ثم ذهب إلى المدينة لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك سنة ٧١٦ ﻫ

ولم يل تقي الدين في هذه الفترة عملاً يتصل بالسلطان ، أو أمراً من أمور الدولة ، على كفايته ومقدرته ، فقد كانت تنقصه المرونة الخلقية التي تقضي بالتزلف والتودد ، ثم بالمصانعة والمداهنة والاغماض في الحق أحياناً ؛ ولهذا كانت مادة عيشه تافهة ضيقة مهددة بما تقضي به شهوات الأمراء وغايات المزدلفين ؛ فكل ما نعرف من هذا أنه تولى مشيخة جامع ابن طولون فترة من الزمن ، وكان يأتيه منها رزق زهيد مما وقفه عليه الملك المنصور حسام الدين لاجين[1] (٦٩٦ — ٦٩٨ ﻫ ١٢٩٦ — ١٢٩٨ م) ولكن هذه المشيخة لم تلبث أن طارت من يده وأخذت منه سنة ٧١٩ (١٣١٩ م) . وله في هذا المقام شعر نورد شيئاً منه ، لأنه — مع ركاكته — يدل على روحه العلمية الخالصة التي تضع العلم فوق كل اعتبار :

كمال الفتى بالعلم لا بالمناصب ورتبة أهل العلم أسنى المراتب

.. فلا تعدلن بالعلم مالاً ورفعة وسمر القنا أو مرهفات القواضب

وهب أدبرت دنياك عنك فلا تبل فمنها الغد عوضت صفو المشارب

فما قدر ذي الدنيا؟ وما قدر أهلها؟ وما الجو بالأولاد أو بالكواعب؟

اذا قست ما بين العلوم وبينها

بعقل صحيح ، صادق الفكر ، صائب

فما لذة تبقى ، ولا عيش يقتني

سوى العلم أعلى من جميع المكاسب

وهكذا كانت روحه العلمية الفلانية التي كان يتعزى بها عما فاته من متاع الدنيا . وقد ظلت هذه الوظيفة محتجزة دونه حتى عام ٧٢٧ (١٣٢٧) فعادت إليه وبقيت في يده إلى سنة ٧٣٩ ﻫ حينما اختير لقضاء الشام

وسبب آخر من أسباب الحياة المحدودة كان في يده ، ولم يخل كذلك من شهوات الطامعين في انتزاعه : ذلك هو وظيفة التدريس بالمدرسة المنصورية ، وكانت مسندة أول الأمر إلى قاضي القضاة جمال الدين الزرعي ، ثم عين قاضي قضاة الشام ٧٢٣ (١٣٢٣ م) فحل تقي الدين السبكي محله ، وكان جديراً بذلك . ولكن الزرعي لم يطل في قضاء الشام مقامه ، فلم يلبث عاماً حتى عزل عنه . وكان صديقاً لأرغون[1] نائب المملكة المصرية في ذلك الحين ، فبلغه ذلك وهو بالحجاز ، فشق عليه أن يحرم صديقه مكانه في مصر والشام ؛ واستشاط غيظاً وحنقاً على تقي الدين ، وأقسم ليزيلنه عن مكانه ، وليعيدن إليه صاحبه ، متى عاد إلى مصر ؛ وترامت بذلك الأخبار إلى الشيخ ، ولم يكن له ما يكفل رزقه غير هذه الوظيفة ، وكاد يصبح ضحية شهوة جامحة ، لولا أن أرغون ما كاد يصل إلى مصر حتى قبض عليه في بعض ما كان يسود ذلك العهد ؛ فغل بذلك من حده ، ووقى الشيخ شر نزوته وكيده

هذا كله والعهد عهد الملك الناصر ابن قلاوون ، وهو خير

(١) انظر ما كتبه المقريزي عن تجديد جامع ابن طولون وعمارته (ج : ٢ ص : ٢٦٩ ط بولاق)

(١) هو أرغون ، الناصري غير الكاملي الذي سيجيء ذكره . وقد تولى نيابة المملكة المصرية من سنة ٧١٢ إلى سنة ٧٤١ . انظر ابن إياس

عهود ذلك العصر ، وأقلها خضوعاً للنزوات الطائشة

وقبل أن ندع هذا الدور من حياة تقي الدين السبكي ، نرى أن لابد من الاشارة إلى مجهود من مجهوداته العلمية الموفقة ، قام به في تلك الفترة ، وقد رفع كثيراً من شأنه ، وكان له أثر غير صغير في حياته ، فيما نحسب ، ذلك هو رده على أبي العباس ابن تيمية في مسألة الطلاق ومسألة الزيارة . وقد كتب رده على كل من المسألتين في كتابين : أحدهما موجز مجمل ، والآخر كبير مفصل ؛ ويظاهر أنه قد أبدى في رده مقدرة فائقة في النقد والبيان ، وابان عن سعة اطلاع وحضور بديهة ، كما بعد عن الشطط والتجريح ، والتزم جانب الانصاف والمدلة ، مما دعا إلى إعجاب الأشاعرة به ، وإكبار ابن تيمية نفسه له ، وثنائه عليه فيما كتبه دفعاً لنقده . ولحسبني لا أبعد عن الصواب إذا زعمت أن هذا الرد كان السبب في توجه نظر السلطان إليه ، واختياره لقضاء الشام ، بعد أن لبث ذلك المنصب لعبة للأهواء منذ مات جلال الدين القزويني سنة ٧١٩ ( ١٣١٩ م ) حتى سنة ٧٣٩ هـ . وإصراره على ذلك إصراراً ذهبت معه كل محاولات الطويلة في الخلاص من هذا التقليد ، وهو مع كل ما تذرع به لقاء هذا الأمر الذي يقدر تبعاته ، ويعرف حق المعرفة خطورته

ذلك أنه وإن كان قد ذهب في رده مذهباً علمياً خالصاً فقد تناول به مسألة تعني أولي الأمر كما تعني العلماء ، فإن ظهور ابن تيمية في الشام بمذهبه الذي ينقض مذهب الأشاعرة ، وانتصاره له بكل ما أوتي من قوة في البيان والمناظرة ، فرق أهل الشام فرقتين ، واجتذب إليه طائفة غير قليلة من أعيان العلماء أمثال المزي والذهبي والبرزالي : خرجوا على الأشعرية وهي المذهب الرسمي للدولة منذ كان الأيوبيون إلى ذلك العصر ، بعضهم في صراحة وجلاء ، وبعضهم في تنكر واستخفاء ، وسنرى فيما يلي بعض الظواهر في هذا مما يؤيد ما نذهب إليه من أن اختيار السبكي لقضاء الشام كان منظوراً فيه إلى هذه الحالة ، مرجواً منه القضاء على هذه الفتنة .

— ٤ —

وهكذا تولى السبكي قضاء الشام في ١٩ جمادى الآخرة سنة ٧٣٩ ( ٢ يناير سنة ١٣٣٩ ) ، فغادر مصر إليها ، وانتقل بذلك من حياته البسيطة الساذجة ، إلى حياة مركبة معقدة ، وترك بيئته الهادئة الوادعة التي ترفرف عليها روح العلم ، وتسري فيها نفحات الأبوة الكريمة ، إلى ذلك المضطرب الواسع الذي يموج بشتى النزعات ومختلف النزوات ؛ وتسوده روح خبيثة في مذاهب يزعمون لها صفة الدين تقتتل ، وشهوات باسم الحكم تفرض وتنفذ ، وأين يذهب السبكي في مثل هذا الجو ؟ وهو المطبوع على الصراحة في الحق ، والصلابة في الخلق ، والاستقامة في الرأي ، إلا أن يصبح غرضاً للمعاندة والمشاجرة والشهوات الخبيثة الفاجرة ؛ ولهذا نجد ابنه تاج الدين يقول في هذا الصدد بلهجة مريرة : « فقبل الولاية يالها غلطة أف لها ، وورطة ليته صمم ولا فعلها » وسنرى فيما يلي صوراً مختلفة لهذه الحالة

وإنما نعرض الآن حياته العلمية في الشام عرضاً موجزاً ، فنلاحظ أن أغلب مصنفاته كتبها في الفترة التي قضاها بمصر كما نص على ذلك ابنه ؛ ولا ريب أن هذه الحياة الجديدة بما تفرضه من تكاليف ومشاق قد شغلته عن العلم بعض الشيء ، هذا إلى كبر سنه ، فقد تولى قضاء الشام وهو في حدود الستين ، فكانت دواعي التأليف قد فترت في نفسه ، حتى لنراه في أواخر حياته يميل إلى التأمل ، ويجنح إلى « المراقبة » ، ويزهد فيما كان مشغوفاً به من قبل من المناظرة العلمية على قواعدها المقررة

على أنه قد كتب في الشام أبحاثاً جليلة يتجلى فيها عمق التفكير ونفاذ البصيرة والاحاطة ، ونجد بعضاً منها في ثنايا كتب ابنيه : بهاء الدين أبي حامد أحمد بن علي السبكي ، وتاج الدين عبد الوهاب صاحب الطبقات

ثم إنه ما كاد يصل إلى الشام حتى جلس للتحديث في « الكلاسة » وسمع منه أئمة الحديث في عصره كالمزي والذهبي والبرزالي ، وقرأ عليه جميع معجمه ابن ابن عمه الحافظ محمد بن عبد اللطيف السبكي . ثم تولى سنة ٧٤٢ ( ١٣٤١ م ) مشيخة دار الحديث الأشرفية خلفاً للحافظ جمال الدين أبي الحجاج المزي ، وفي سنة ٧٤٥ ( ١٣٤٤ م ) تولى التدريس في « الشامية البرانية » خلفاً لأستاذها شمس الدين ابن النقيب ، كما تولى خطابة الجامع الأموي وباشرها مدة لطيفة

( يتبع ) محمد طه الحاجري

# عند بحر مويس شتاء

## للأستاذ عبد الرحمن شكرى

كم خشع العابر من قبلنا     على ضفاف النهر وقت الأصيل
أو فى مساء إذ ترى ظلمة     قد عششت فى الدوح دوحا كفيل

وربما كنا الأولى قد مضوا     وإن نأى الظن وعز الدليل
وما الذى ينأى بنا عنهمُ     من منظر أو خاطر أو ميول
كم منظر تحسب إنما بدا     من أخذة الفكر ووهم الذهول
انك — والقلب خبير به —     أجلت قدما فيه لحظ الجيل
الدوح كالمفكر فى هدأة     إذ سكن الجو سكون الكهول
أو ناكلات طال ثكل بها     فسكنت من شجوها والعويل
أو صمتت من طول ما عُمِّرت     كصمتة الشيخ الوقور الجليل
والنهر كالزئبق فى لمعة     وركدة ما إن بها من مسيل
عهدته فى صيفه لؤلؤا     لو أن للؤلؤ سيلا يسيل
والسحب كالأشجار قد رسّبت     فى الأفق تبدو مثل ظل ظليل
أو قطع من حلم غامض     أو كشبار النقع أو كالطلول
والجو قد روّع من قره     كأنه قر ممات يصول
أنفاس ثغر الموت فى قره     تخرج من ثغر لجسم تخيل
والأرض غبراء سوى ما بدا     من عشبها منتثرا كالفلول
كأنما الدجن غدا تربها     وتربها الجهم كدجن سديل
تشابهت فى اللون عهدى بها     فى صيفها واللون غير القليل
عهدى بها كالخود فى عرسها     زاهية الأصباغ شتى الذيول
خِيلَ حدادا إذ دجا لونها     وهو كعقب العرس حتم البديل
خلاعة للصيف خلابة     وفى الشتاء الحسن جم الفصول
تباين الحسنان فى روقة     لكنه زاد جلال الجليل
كم متعة جاءت بها رهبة     كرهبة البرق وعاذى السيول

# لحن على الماء

## بقلم العوضى الوكيل

ركبت زورقاً على النيل ، ومعى ثلاثة من أصدقائى ، وهب الله أحدهم نعمة حسن الصوت وقد غنى صاحبنا فأجاد ، وما منا إلا من طرب له واستعاد .... وهذه القصيدة صدى هذا الغناء :

تغنَّ ، فما أحلى أغانيك فى الماء     لها فى نواحيه هواتفُ أصداء
تغن بألحان تواكبن فى النُّهى     قديماً ولا تمهل سكونى وإصغائى
تغن فإن الماء حولك ظامئ     إليك ، فبلل بالغناء صدى الماء
ترقرق كالنسم الوديع هنيهةً     وغضّ منه السطح فى غير إغضاء
كأن له نفسا إليك مشوقةً     وروحاً يتيه اللحن منها بأعضاء
ينازع فى الأنغام جوًّا مُشَعْشَعاً     بها ، لم تخالطه نواشز ضوضاء

* * *

ألا غنّنا .... وابسط أغانيك كلها
بصوت كنفح الزهر ، أو طلعة البدر
حاداك أن نصغى إليك بمهجة     تفيض بآلام شداد يد الدهر
تثير بها ما لم ترج مثاره     وتحيى بها ما لم يَدُرْ لك فى فكر
وتبعث فيها ماضيا قد نسيته     ولكنه لم ينس عهدى وما أدرى
تعيد بها من دارس العمر حقبة
تصورها الأوهام ... ليست من العمر
ألا غننا ... حسبى من اللحن نغمة
تفيض على الأرواح كالنهل الغمر

* * *

نعم ... وامزج الماء الصفى بلحنك الـ
صفى فإن اللحن فى الماء ذائبُ
فإن نحن أومأنا إليه برشفة     فبالنور صرفاً قد تمتع شارب
وموجان من ماء ولحن تواكبا
ويا حبذا فى الحس هذا التواكب

* من ديوان « تحية الحياة » الذى يصدر قريباً

# أمية تبعث

جزاكم ذو الجلال بني دمشق
وعز الشرق أوله دمشق
(شوقي)

## للأستاذ أمجد الطرابلسي

---

شعري أردت له علا وخلودا      فنظمته لبني الشآم عقودا
وجعلته لحناً يفيض بحبهم      ويرن في سمع الزمان نشيدا
آليت لا أنفك أهتف باسمهم      طرباً وأغلن فخرهم تغريدا
وأهز منهم في السلام بلابلاً      تشدو الحياة، وفي القتام أسودا
وأصوغ من يوم الجهاد ملاحماً      تروى، وأنبغها الربى والبيدا
حتى أرى وطني تحرر وانبرى
يطوي الشعوب إلى السماء صعودا

* * *

أدمشق يا مهوى رؤاي، وما أرى      إلا بمغناك المقام رغيدا
هلا أبيحك خافقي تولهته      وأخصك التبجيل والتمجيدا
من فيض سحرك قد قبست قصائدي
فوقفتها لك ندفة وقصيدا
ما أحوكها تحكي شذاك لطافة      وأصوغها تحكي ربك ورودا
وأنا المحب، وما سواك حبيبة      أشدو بحسنك يا شآم عميدا

* * *

يا غضبة أموية من جلق      حطمت سلاسل صلبة وقيودا
ضجت لها كل الشعوب؛ أما ترى
كيف استفاضت في الدنى ترديدا
ألمت دمشق من الخنوع فزمجرت
أنفاً وطبقت الفضاء رعودا
وقفت تناضل كالأباة جراءة      لا شرة حفلت ولا تهديدا
لم تسمع الدنيا بمثل ثباتها      درساً يهيج الزهق المصفودا
خمسون يوماً في الجهاد مجيدة      كانت فخاراً للشآم مجيدا
حشدت جحافلها لبى وضياغماً      صبراً تعاف مذلة وسجودا
رضي الإله عن الشباب فإنه      أضحى لنهضتنا لواً وعمودا
ضحى الأماني العذاب كخلقه      ومضى يخف للمكارم عيدا
رضي الإله عن اللبؤة فإنها      شادت بناء للفخار عتيدا
مهرت حماها والعلى أكبادها      ومشت يهيج نضالها الرعديدا
روض تجهز للجهاد فلم يدع      دوحاً ولا زهراً ولا أملودا
لو كنت شاهده غداة كفاحه      لرأيت جيشاً للنضال حشيدا
أو كنت ثمة شاهداً أطفاله      لرأيت جنداً عدة وعديدا
صبروا على مر الطوى وتحملوا      فقراً على غير الأباة شديدا
حفوا بأوبة الجهاد وأقسموا      ألا يكونوا للقوي عبيدا
كل يسير إلى الأمام مشمراً      وقد استعد لأن يعود شهيدا
وعتاده قطع الصفا لكن في      إيمانه ما يصدع الجلمودا
وفؤاده بين الأضالع شعلة      حرى تشع عزيمة ووقودا
سقطوا أمام بيوتهم، وسط الحمى      صرعى فما حفلوا لظى وحديدا
شهداء مثل الزهر في أكمامه      كانوا على ظلم القوي شهودا

* * *

يا ابن الحضارة، هل علمت حضارة
تروى دماً ومدامعاً وكبودا
ركزت على الدم والجماجم عرشها
ثم ارتدت زور الطلاء برودا
لبست بياضاً ناصعاً لكنها      أخفت قلوباً كالضغائن سودا
يا منقذ الحرية الزهراء في      زمن غدوت لليله فرقودا
أعلنت للإنسان حقاً أقدساً      وأذقته طاغية العروش عهودا
درس غدوت به الشعوب جميعها
فكسرت أغلالاً وعجت جحودا
أتلوم شعباً هب يبعث مجده      ويعيد فخراً كالخلود تليدا
يمشي على لهب اللظى لحقوقه      ويخوض لاستقلاله (البارودا)
قالوا: حقود! قلت طاش خيالكم      فتى العروبة لا يكون حقودا
هو يطلب استقلاله بدمائه      لا يجتدي كرماً ويسأل جودا
ردوا له الحق السليب مسلماً      تجدوه إلفاً صادقاً وودودا
الشرق سمح منذ كان وإنما      ملئت حضارتكم أذى وحقودا

يا جيرةً ضمدوا جراحة جلّق     إذ جُرْحها يتلمّسُ التضميدا
لله نصرتُكم أخاكم إنها     قد أصبحتْ مثلاً يسير شرودا
كانتْ على القربى الملحّة آية     جُلى ، ورمزاً ساطعاً مشهودا
قُلْ لِلغوىّ يرى العروبة أنهراً     لا تلتقى ويرى الوفاق بعيدا
إن العروبة فى المواطنِ كلها     ضمِنَتْ لها آلامها التوحيدا
جسدٌ يئنُّ إذا اشتكى عضو به     من ذا رأى شِلواً يعيش وحيدا

***

يا يومَ عادَ المصطفونَ إلى الحمى     ضَمِنَ الزمانُ لمجدِكَ التخليدا
فى جيدهذا الشرق كنت قُلادة     وأراك فى عمر الجهاد فريدا
ما مرّ يوم أو مررت بخاطرى     إلا سطعت لناظرىّ جديدا
يا يوم عادوا والجلالُ يحفُّهم     لا السجن قدهابوا ولا التشريدا
طلعوا علينا كالكواكب رفعة     وهفوا على هامِ الرّجالِ بُنودا
سل مُقلتى لما بدت رُكبانُهم     هل بُدّدت عبراتُها تبديدا
واسأل فؤادى هل أهلّ مصفقاً     أو هل شدا فى ركبهمْ غرّيدا
زحَفَتْ دمشق تحوطهم بقلوبها     وُلداً وأشياخاً تدبُّ وغيدا
تتزاحمُ العبراتُ فى آماقِهم     فرحاً فتنثرُ لؤلؤاً منضودا
كدُّوا الخناجرَ فرحةً بإيابهم     وتدافعوا مثل الأتىّ وُفودا
أرأيتَ كيف طغى العُبابُ على الثرى
أو كيف تحتضنُ الرؤومُ وليدا

***

يا من رأى للأسورَ عاد مكرّماً     والآسرَ المأفون فرّ طريدا
يطوى البحارَ السود يطلب ملجأً
وَحِمىً وَيضربُ فى البلاد شريدا
أنى تحوّلَ فالسماء صواعق     والأرضُ فاغرةٌ هُوى ولحودا
وأمامه أنى تقلبَ نِسْوةٌ     يخمشن أجياداً زَهَتْ وخدودا
. . . . . . . . . . .     . . . . . . . . . . .
ذُقْ ما يذوقُ الظالمون ! ومن يُهِنْ
أنَفَ الشعوبِ يهُنْ وَيَقعُصْ كيدا

***

وفد الشآم ويارسول جهادها     أنى حللت ترَ القلوب مهودا
الله والشعب المبارك عزمه     قد أولياك النصر والتأييدا
فاسحب من الحب الثمين سوابغاً
واسحب من العطف العميم جنودا
واهبط رباعاً من (فَرَنْسَةَ) خُضّبت
بدَمِ الأباةِ مسـاسباً ونجودا
دكّت حصونَ الظالمين سيوفُهُمْ     والظلم تذروه السيوف بديدا
حَيِّهِمْ فيهم السلام وقل لهم :     « يا من نشرتم لِلحقوق بنودا
يا موقدين لهيب أروع ثورةٍ
تركت عروش المالكين حصيدا
والمرسلين على الظلوم صواعقاً     والباذلين مع الضعيف جُهودا
لا تكتبوا بشبا السّنان عهودكم     فالحبُّ أصدق موثقاً وعهودا
ضِنوا بهذا الشعب يوماً أن يهى     إعجابه بنضالكم ويبيدا »

***

يا وَفدُ سر بحمى الإله وحِفظه     واستنجز الأمول والموعودا
وارجعْ إلينا بالحياةِ مظفراً     واسطع بشائرَ فى الحمى وسعودا

أنجد الطرابلسى




دراسة من إسخيلوس

# المتضـــرعات

## The Suppliant Women

للأستاذ دريني خشبة

مقدمة :

كتب إسخيلوس هذه الثلاثية الرائعة وهو شاب في مقتبل حياته ، ولم يبق منها ، وا أسفاه ، غير الدرامة الأولى ، أما الثانية والثالثة فما تزالان مفقودتين . وقد استطاع العلماء الجهابذة من الألمان الحصول على مغزاهما ، وبذا تمت لنا الثلاثية بموضوعها وإن لم تتم مبناها . والدرامة تنبع من أسطورة يو التي نشرتها الرسالة آنفا والتي تتلخص في أن زيوس كبير أرباب الأولمب أحب الفتاة يو حباً مبرحا فكان يختلف إليها سراً مخافة أن تضبطه وإياها زوجه حيرا فيحدث ما لا تحمد عقباه ... ولكن ... وقع ما خافه زيوس ... فبينما كان يلهو بحبيبته مرة إذا بزوجه مقبلة ... فأسقط في يده .. وسحر يو بقرة بيضاء ... وراح يدعى أنه يرعاها ... ولكن الحيلة لم تنطل على حيرا فسألته أن يمنحها البقرة علامة على حبه لها ، فأجابها ... وناطت بها حيرا خادمها الفظيع آرجس ، ذا المائة عين يحرسها ويلحظها أنى سارت وأيان توجهت .. وذاقت يو الأمرين من هذه الحال حتى لقيت أباها رب أحد الأنهار مرة فتحدثت إليه بما كان من أمرها مع زيوس .. ولم يطق سيد الأولمب صبراً ، فأنفذ ولده الصناع هرمز إلى آرجس ليحتال عليه ويقتله وينقذ يو من شره ... وأفلح هرمز في مهمته ، ولكن حيرا نقمت على البقرة وسلطت عليها ذبابا ساماً ماذياً يقرصها ويمضها حتى تصالح زيوس وحيرا ، ورجاها أن تطلق سراح يو مقابلات ، على شريطة أن تطلق من هيلاس كلها !! وقبل زيوس ، وأعاد إلى يو صورتها ... وأنفذها إلى ... شطئان مصر ... حيث تزوجت بفرعونها العظيم ... وكان من نسلها هؤلاء النسوة المتضرعات ، اللائي يتحدث إسخيلوس عنهن في هذه الثلاثية

ونحن نعتمد في تلخيص الدرامة الأولى الباقية على ترجمة لويس كامبل ( طبعة إكسفورد ) الشهيرة : أما الدرامتان الأخريان المفقودتان ( مصلحات فراش النوم ) و ( دانايديز ) كما ذكرهما الأستاذ جلبرت موري في تاريخه عن الأدب الإغريقي ( طبعة أبلتون ص ٢١٧ ) فسنلخصهما معاً معتمدين في ذلك على الأستاذ ه . ا . جرير ص ٢٤٢

— ١ —

يرجع بنا إسخيلوس إلى عصر موغل في القدم ، حتى ليكاد أن يكون عصرا خرافياً

ذلك هو العصر الذي كان فيه إيجبتوس أميراً على مصر السفلى ... إيجبتوس الذي لا يعرفه التاريخ ...

وكان لهذا الأمير خمسون ابناً ، وكان لأخيه دانوس خمسون ابنة ، فأراد إيجبتوس أن يزوج أبناءه الخمسين من بنات أخيه الخمسين ، برغم ما في هـذا الزواج من مخالفة لشرائع الدين في مصر في هذا الزمان ، ذلك أن هذا الدين الذي كان يبيح زواج الأخ من أخته ، كان مع ذلك يحرم زواج ابن العم من بنت العم ، ويعتبره نوعاً من الزنى

— ٢ —

لذلك صمم دانوس ، التقي الورع المتعبد ، المتفاني في طاعة الآلهة ، ألا يتم هذا الزواج

وسبب آخر جعل دانوس يغلو في تصميمه ، ويتشبث به ، برغم ما يجره عليه عداوة أخيه ، أمير مصر العظيم ، من بلاء وأرزاء

ذلك أنه كان لا ينوي تزويج واحدة من بناته الخمسين قبل أن يودع الحياة ، وقبل أن يجيئه الموت ، وقبل أن يجرع كأس المنون حتف أنفه ! وكيف ؟

لقد ذكر دانوس ، حين كلمه أخوه الأمير في بناته الخمسين ، تلك الرؤيا المفزعة التي أريها إذ هو شاب في غضارة الشباب ، فأقضت مضجعه ، وطمست مباهج الحياة في قلبه ، وتركته لا يفكر إلا في هذه النهاية المريرة التي تدحرجه إلى شفاها الأيام ؛ ويقذف به في هاويتها الزمان الغدار ! !

رأى دانوس ، إذ هو نائم فوق ضفاف النيل السندسية المعشوشبة ، في ليلة مقمرة من ليالي الصيف الجميل الدفئ ، أن

زوجاً من أزواج بناته يقتله ، ويغمد خنجره ذا القبضة الذهبية في أحشائه ، ثم يقذف بجثته الممزقة بعد ذلك في النيل ، فتحملها أواذيه الى اليم المصطخب ، الى حيث لا يدرك لها قرار ! !

« إذن لن أزوج واحدة من بناتي ! ! »

وذهب في الأرض على وجهه يأتي الكهان وسدنة الآلهة ليفسروا له الرؤيا ، فما زاده تفذؤهم إلا ترويعاً ، لأنهم جميعاً أكدوها له ... وإذن ... « فلن أزوج واحدة من بناتي ! ! »

— ٣ —

وألح ايجبتوس على أخيه ، ولكن دانوس ظل بمطاله .. وعطاله

وأعد دانوس مركبا كبيراً حمل فيه بناته ... وأبحر في ظلام الليل ... إلى مملكة جدته ... جدته يو ... حبيبة زيوس سيد الأولمب وكبير الآلهة .... ليبارك ذراريها ، ويسهر على أحفادها !

وقد ضرب في البحر ، ولعبت بمركبه الأنواء ، وطفق يأتي من مور اليم وتناحر الموج ما أرخص له الموت . . . لولا أن استوى على شاطئ آرجوس ، فنزل وقد بلغ منه الأين ، وحطمه النصب

— ٤ —

وسار ببناته حتى بعد قليلا عن الشاطئ ، وحتى كان في البقعة المباركة المطهرة ، التي جعلتها آرجوس حرماً للآلهة ، وأقامت فيها التماثيل لأربابها . فوقف دانوس يعرّف بناته بسادة الأولمب ، وانطلق البنات (١) يغنين لآلهة هيلاس ، ويقرئنهن السلام من آلهة النيل ، وطفقن يهزجن بنشيد طويل حلو ، تنضحه الدموع وتصهره حرق في الضلوع ، ويفيض منه الوجدان الشجو والشكو ! !

وانهن لفي صلاتهن وتغنيهن ، وإذا رجل طوال سامق ، بادي الهيبة موفور الوقار يخرج إليهن فجأة من الأدغال القريبة ، فيقف لحظة يرنو إليهن ، ثم يتقدم فيسألهن :

— « من النسوة المهاجرات في هذا الزي الغريب ! منظر عجب وآلهة الأولمب ! الشاكيات الباكيات في ثياب بربرية ، لا أرجيفية ولا إغريقية ؟ ! من ؟ ما هذه الأفنان الناضرة ؟ أمن الزيتون هي ! وفيم وضعتنها عند أقدام التماثيل يا مهاجرات ؟

(١) بنات دانوس هن خورس هذه الدرامة

تماثيل آلهتنا ، وأوثان أربابنا الباركة ؟ »

وتتقدم اليه كبراهن فتسائله :

— « إن يكن قد بدهك زينا فمن أنت ! أمواطن من آرجوليس ؟ أم موكل بهذا الحرم تحرسه وتقوم عليه ؟ أم عظيم من آرجوس ونابه من حكامها ؟ هل للسيد أن يجيب ؟ ! »

وهش الرجل وبش ، وتبسم ضاحكا من قول الفتاة ، ثم تلطف فذكر لها أن بيلاسجوس بن باليختون ، ملك آرجوس وحامي ذمارها ؛ وأوضح فذكر شعبه وأملاكه ومدائنه ، وهذا السهل وذاك الجبل وتلك الوهاد . . . وهاتيك البطاح

واهتزت الفتاة من رهبة وقالت : « إذن . . . فنحن نمت إلى آرجوس بوشائج القربى ، نحن يا مولاي من نسل البقرة الشردة على حفافي النيل ... هرعنا إلى آرجوس نلتمس الحمى ! »

— « من نسل البقرة المشردة ؟ وتمتن إلى آرجوس بوشائج القربى ؟ عجيب وآلهة الأولمب ! إن ملامحكن لا تدل على أصل إغريقي ألبتة ! ! وربما كنتن من هذه القبائل الضاربة في أباطح إفريقيا ... من مصر ... أو من أثيوبيا يا بنات ! أو عسى أن تكن هنديات من اللائي يضربن أفخاذ الابل هنا وهناك في جنبات آسيا ... آه ! لا لا ، بل عسى أن تكن أمازونات يا فتيات ! ! أمازونات لا يعرفن الرجال قط ... يتغذين باللحم النيء ! ... خبرنني بحق الآلهة عليكن ... إن كنتن تمتن بوشيجة إلى آرجوس فكيف كان ذلك ؟ ... »

— « قد يعرف الملك ما كان بين سيد الأولمب وبين يو من علائق ! »

— « أجل ، أعرف . . . أعرف . . . ولكن ماذا كانت عاقبة يو ؟ »

— « لقد سحرتها حيرا بقرة (١) ... »

— « وزيوس ؟ ! ... »

— « سحر نفسه عجلا جسدا له خوار ! »

— « ثم ... »

— « ثم لم تبال به حيرا ، بل وكلت ببقرتها حارساً غليظاً ذا مائة عين ! »

(١) للأثور غير ما ذكر إسخيلوس ، فزيوس هو الذي سحرها

— « مائة عين ؟ حارس ذو مائة عين من أجل بقرة واحدة ؟ يالَه من راع ! »

— « أجل ... آرجس أيها الملك ، الذي قتله هرمز »

— « ولما قتله هرمز ، هل أطلق سراح البقرة ؟ »

— « لا ، ولكنها أرسلت عليها الذبابة السامة تمضها ، وتنغص حياتها ، وتزيدها شقاء على شقاء

— « وأين انتهى بها المطاف يا فتاة ! »

— « خاضت البحر اللجي حتى كانت عند شواطئ مصر حيث تتدفق أمواه النيل . وثمة أعاد إليها زيوس شبابها وعنفوانها وأولدها إبافوس ... منشئ ممفيس (١)

— « وهلا تذكرين لها أطفالاً آخرين ؟ »

— « بلى . ولدها « بل » وقد أنجب بل ولدين كريمين ، أبانا هذا الشيخ ... و ... »

— « أباكم ؟ ما اسمه ؟ »

— « دانوس أيها الملك ونحن بناته الخمسون .

— « وأخوه ؟ ما اسم أخيه ؟

— « إيجيتوس أمير مصر وملكها ... والآن ! هل تأكدت من صدق منشئنا ؟

— « لا ريب ! حصحص الحق ! ولكن اذكرى لى ! فيم هاجرتن من بلادكن ؟

— « أوه !! إنه لأمر يهيج أشجاننا أيها الملك ! ؟ يا للدنيا التي تكظها الآلام ... »

— « إن لكن لشكاة يا فتيات ، فلا تخشين أن تبحن بها ، إنكن بحضرة ملك آرجوس وإن هذه الأفنان التي وضعتها عند أقدام آلهتنا لتتكلم عن شكاتكن ! .

— « إن كان لا بد أن تعرف ، فقد رفضنا أن نكون خولا لعمنا إجبتوس ! لقد أرادنا على أن نكون متعة لأبنائه الخمسين فرفضنا ، لأن شرائعنا تأبى ذلك ... وها قد لجأنا إليك لتحمينا فلا تسلمنا لعمنا أبداً ! »

— « يا للهول ! ! إني لألمح لهب الحرب يومض في ظلماء المستقبل ! »

— « ولكن زيوس سيكون إلى جانبك ! »

— « أواه ! قد أجر الخراب على آرجوس ! من يستطيع أن يمنع إيجبتوس حقه فيكن ؟ »

— « الآلهة تستطيع ذلك إذا أيدت قضيتنا وآزرتنا أيها الملك ... الآلهة تنصر الفضيلة دائماً »

— « على كل ... أنا لا أستطيع أن أبرم فى ذلك أمراً دون أن أستشير شعبي ورجال دولتي ! »

— « أنت الحكومة وأنت الشعب وأنت الدولة ! »

— « كلا يا فتيات ! أنا ملك آرجوس فحسب ! لا بد من الشورى ! »

— « إذن ! ... »

— « إذن ماذا يا فتيات !

— « إذن ... وحق آلهتك ... لنشنقن أنفسنا في جذوع هذه التماثيل ! ولتكونن مأساتنا خزياً أبدياً في شرف آرجوس لا تمحوه الأيام ! ! »

— « واحربا ! على رسلكن يا فتيات ! لا تسئن الظن بشرف آرجوس وشجاعة ملكها ... ولكنا هنا قلب واحد ينبض بأحاسيس واحدة ! بيد أنني أدلكن على مخرج من هذا المأزق الحرج ... ليذهب أبوكن - هذا الشيخ - بهذه الأفنان الناضرة ، فليلقها لدى أقدام الآلهة فى معبد المدينة حيث يمكف الشعب على أربابه يبتهل إليها ويصلى لها ... فاذا سأله في ذلك أحد ، فليبث شكواه ، وليذرف دموعه ، وليكسب إلى جانبه الجماهير الحاشدة التى نحكم باسمها ونستمد منها سلطاننا ! فهنالك ، وهنالك فقط ، يستطيع ملك آرجوس أن يؤيدكن ، وأن يحميكن ... أما أن أعدكن بالحماية من غير أن أرجع إلى شعبي ... ف ... فأنا أخشى أن يقولوا إنى أذهبت ريحهم وهرقت دماءهم فيما لم يكونوا منه بسبيل ! ! »

— ٥ —

ويُنفذ الملك مرشداً مع دانوس يدله على الطريق إلى معبد آرجوس الجامع ، ويودع البنات لينطلق بدوره ، فيؤيد قضيتهن بين وزرائه ، وليزلق قلوب الشعب من أجلهن ، وليضمن لهن مؤازرة آرجوس كلها

(١) هكذا تزعم أساطير اليونان عن نشأة مدائن مصر القديمة ويرحم الله مينا !!

ويأخذ الفتيات فى صلاة طويلة كلها آمال وكلها أمانى ، وكلها ضراعة وكلها ابتهال ، وكلها تذكير للآلهة بما حاق بذرية يو النساء ، ثم ثناء على أرباب الأولب لا ينتهى !

— ٦ —

وفيما هن يصلين هذه الصلاة الطويلة ، إذا أبوهن ، دانوس الشيخ ، يدخل عليهن فجأة ، حاملاً إليهن البشرى

— « ليهنكن يا فتيات !! ليهنكن ! لقد ضمنا أصوات الشعب وتأييد آرجوس ! »

— « أبانا ! بوركت ! بالبشرى ! ولكن . . . قص علينا كيف تم ذلك بحق الآلهة عليك ! »

— « ما كدت أجوس خلال آرجوس حتى تكبكب الشعب حولى ، مأخوذاً بغرابة زيى وعجيب هيئتى ... وزادهم إجلالاً أنى ظهرت فيهم كضيف للملك وصديق لآرجوليس ؛ فلما نثرت الأفنان عند أقدام الآلهة ، وصليت وبكيت ، وبثثت شكواى ، رثى الأرجيف الكرماء لى ، فناشدتهم أن يؤازرونى ، ويشدوا عضدى ، ضد عدوى الغاشم الذى أراد أن يفضحنى فيكن ، ويجر الخزى عليكن .. فهتفوا لى ، وحيونى تحية الأبناء الأمناء ، وأعطونى موثقهم على افتدائى بأزكى الدماء . . . وعاهدونى على أن يذودوا الطالبين دونى ... ثم هالنى أن أرى السماء ترسل أضواءها فتملأ أركان المعبد بهاء وتكسبها رونقاً ورواء . . . وأقبل الملك فهتف الشعب له ، والتفوا حوله ، فخطبهم فى شأنى وحذرهم أن يغضبوا زيوس ربهم إذا لم يؤازرونى ، وينصرونى ، ويؤيدوا حقى على باطل عدوى . فهتفوا بلسان واحد أن كيف لا ينصرون لاجئاً إلى قدس زيوس ، مستجيراً به ، مستشفعاً بآرجوس يرجو حماها ! ثم عرضوا آخر الأمر أن أقيم بين ظهرانيهم كواحد منهم ، وأن تكون لكن من الحقوق ما للأرجيفيات ، غير خائفات ولا مروعات ... هذه يابنتى قصتى ، وهذه أقضية السماء فاشكرن لها وتبتلن »

( البقية فى العدد القادم ) دريني خشبة

# البريد الأدبي

## أخي الأستاذ الزيات

لا أقدر أن أعلل المصادفة التي جعلتني أكتب قبيل شهر هذه القطوعة « الاتصال » :

« لم تخلق الحياة جزءاً يستطيع أن يعيش متصلا ،

حتى الأموات الذين أعوا دورانهم يبقى اتصالهم بأرواحنا ،

والأحياء أنفسهم هل يستطيعون أن يعيشوا بغير أموات ؟

هم في يقظاتهم يمشون وراء خواطرهم وأفكارهم

وهم في أحلامهم يعيشون في جزائرهم النائية ... »

ثم قدمت لي المصادفة كتاب « الزملة » لمارلك ، فلمست بدهشة وتأثير « صوفيته العميقة » وإحساسه بالموتى الذين لا يموتون

« لنكن مطمئنين فالموت لا يحفظ لنا شيئاً أكثر تجهماً من الحياة ، وما الموت إلا حياة لا ينفذ إليها نصب ولا حزن ولا شقاء ! حيثما يقيم فالربح مقيم ولا شيء يضيع »

« لا نصل من أجل الموتى ! ولكن لنأتيهم مبتهلين فإن ما علكونه لنقدمه إلينا أكثر مما علكه لنقدمه إليهم »

ثم جاءت كلمة الأستاذ أحمد أمين تحمل إليك التعزية في الرجاء الذاهب والكوكب الغارب !

يقول بوذا : « لا تقيد نفسك بالمحسوسات ، فالتقيد بها يشقيك . . . عش متجردا من كل حب محسوس وعلاقة محسوسة » وقد أجد في هذه الكلمة كل الشفاء لو تستقر في النفس . ولكن النفس التي تؤلف كل هذا المحسوس وترتبط به في كل لحظة وتعيش منه في كل مكان ، كيف ينزع منها ولا تجد لنزعه مرارة ؟ وكيف لا تحس به النفس وهي تغذيه كل يوم بدموع !

جميل أن أعيش بعيداً عن المحسوس ، وأجمل منه هذا المقل الذي يغرس في قلبي هذا الإيمان المجرد ؛ وهل أستطيع أن أبلغ الإيمان المجرد إلا بعد أن تجردني الحادثات وتنثر أوراقي كالشجرة التي لا تلمس نفسها وتحس وجودها إلا بعد أن تتجرد من أوراقها وأزهارها . ولا يأتي التجرد من غير ثمن !

ثمن هذا التجرد شقاء نتحمله ، وألوان من العذاب نتذوقها ، وقطع من أكبادنا تمشي على الأرض إلى الأرض !

لا أستطيع أن أقول لك : « تعز يا أخي بالتجرد ! » وهذا التجرد نفسه يحتاج إلى تعزية ! ولا أن أقول : « انفض يديك من الصغير المفقود » فإنه جر إلى التراب قطعة من كبدك معه . ولكن دع هذه القطعة فيها حركة وفيها حياة ... تحيا تحت التراب كما تحيا فوقه . . . ومتى رأيت أن الحياة تعمل هناك كما تعمل هنا ، وأبصرت أن الحياة التي تتمشى في جذور الأرض هي التي تتمشى في مطالع أزهارها ، كان لك من هذا عزاء ، لأنك تأمن على هذه القطعة التي ساخت منك . وفي الذكرى المتصلة حياة ، وفي الرجاء المتصل الذي لا ينقطع ألف حياة ؟

خليل هنداوي

## حول رائي الأندلسي المجهول

يرجع الفضل في العودة إلى إثارة البحث عن صاحب القصيدة التي نشرها ، للمرة الأولى ، الدكتور صوالح محمد بالجزائر سنة ١٩١٩ ، إلى صديقي السيد عبد الرحمن حجي ، مدرس اللغة العربية بمدرسة أبناء الأعيان بسلا . واتخذ ميدانه « الرسالة » (عدد ١٣١ — ٦/١/٣٦) وطلب من المشتغلين بالأدب الأندلسي أن يعلنوا عن صاحبها إذا عرفوه ، فلم يجبه أحد سوى السيد محمد عبد الله عنان الذي حاول في مقالة نشرتها له « الرسالة » أيضاً عدد (١٣٣ — ٢٠ / ١ / ٣٦) تحقيق فترة الدهر التي يرجع إليها قرض القصيدة تسهيلا في البحث عن صاحبها وعصره .

وقال السيد حجي إنه عرض القصيدة على المؤرخ المغربي السيد محمد بن علي الدكالي السلاوي فذكر له أن صاحبها كما يفهم من القصيدة من المرية ، ولعله أبو جعفر بن خاتمة ، وقد تكون مذكورة

فى كتابه « مزية المرية » الذى فى دير الأسكوريال نسخة منه . وقال السيد حجى أيضا إن الدكتور صوالح قال فى كتابه إن هذه القصيدة من جملة القصائد التى بعثها مسلمو الأندلس يستغيثون بها السلطان العثمانى بايزيد الثانى . ولم نعتر نحن على هذا القول فى الكتاب المذكور

أما نسبتها إلى أبى جعفر أحمد بن خاتمة فهو غلط تاريخى ، فقد مات هذا فى اليوم السابع من شهر شعبان سنة ٧٧٠ ( فهرست أبى عبد الحضرمى السبتى ، التى ألفها له الخطيب بن مرزوق ( النفح ، ج ٣ ، ص ٢٤٤ ، ط القاهرة )

وابن خاتمة من معاصرى لسان الدين بن الخطيب المشهورين وله معه مكاتبات . وله أيضا فى الوزير قصائد ( النفح ، ج ٣ ، ص ٤٣٣ ط القاهرة ) . ومن جهة أخرى ، فقد ترجم الوزير فى الاحاطة لابن خاتمة وعده من أصدقائه ( الاحاطة ، ج ١ ، ص ١٧٤ ، ط القاهرة ١٣١٩ )

فليست القصيدة إذاً لابن خاتمة الذى مات ، على الأقل ، منذ ٨٠ سنة قبل الفترة التاريخية التى قيلت فيها والمستنتجة منها ، كما لا يمكن أن تجىء فى كتابه « مزية المرية »

وجاء البيت ٧٧ من القصيدة هكذا :

ترى فى الأسى أعلامَها وهى خُشَّع ومنبرها مُستعبِرٌ وسريرُها

سقطت « فى » من صدره فى الأصل وفى « الرسالة » ، إلا أن ناشر الأصل نبّه عن ذلك فى آخر الكتاب فى جدول التصحيح . ولعل صديق حجى أغفل النظر الى الجدول

## حول ذخيرة ابن بسام أيضا

واهتبل الكتابة الى « الرسالة » التى مضى لها الكلام حول ذخيرة ابن بسام ( عدد ١١٥ ) لأزيد أن النسختين المعروفتين اليوم بالمغرب الأقصى من هذا التأليف هما :

١ — نسخة ينقصها الجزء الرابع فى خزانة السيد عباس بن ابراهيم ، أحد قضاة مدينة مراكش الحاليين

٢ — نسخة أخرى ينقصها الجزء الرابع أيضا ، كانت لأوقاف مدينة تطوان بمنطقة النفوذ الأسبانى بالمغرب ، ولكن شخصا توصل الى اقتنائها وحملها الى الرباط بمنطقة النفوذ الفرنسى . وقد اقتنتها منه الحكومة المغربية لخزانة الرباط العمومية . وقد دخلتها فعلا ، وقيدت برقم ( ١٣٢٤ ) بدفتر المخطوطات العربية الثانى . ولم يقتنها السيد ليفى بروفنسال لنفسه كما شاع ذلك بالمغرب . وقد استعارها أخيراً السيد ليفى بروفنسال الأستاذ بجامعة الجزائر بواسطة خزانة مدينة الجزائر الأهلية . ولعله لينشرها أو ليقارنها بأخرى . ومما لا شك فيه أن بخزائن المغرب نسخاً أخرى لا تزال مجهولة

## عبرات حرار

ولتسمح لى « الرسالة » مرة أخرى ، لأنتهز هذه الفرصة أيضاً لأوجه هذا السؤال الى السيد عبد القادر المغربى رئيس المجمع العربى بدمشق سابقاً

سيدى :

قلتَ فى « مجلة مجمع اللغة العربية الملكى » ( عدد ١ صفحة ٣٣٨ ) :

« إن العرب إن لم يصفوا الدموع بلفظ الحرارة فأنهم وصفوها بمرادف الحرارة ، أعنى « السخونة والاحراق » . . .

« والفرق بين العربى والأفرنجى : أن الأولين ينسبون السُّخونة الى العين نفسها ، والافرنج ينسبون الحرارة الى دموعها

فما رأيك ياسيدى فى قول الخنساء :

مَنْ كان يوماً باكياً سيِّداً فليبكه بالعَبَرات الحِرار

محمد مصار

( سلا — المغرب الأقصى )

## كتاب هام عن المسألة الفلسطينية

أثارت المسألة الفلسطينية فى العهد الأخير كثيراً من الاهتمام وصدرت عنها وعن تطوراتها كتب كثيرة ، ولكن معظم هذه الكتب يميل إلى الناحية اليهودية وإلى تأييد السياسة البريطانية وإنشاء الوطن القومى اليهودى ، وقلما ينصف العرب أو يقدر مطالبهم وحقوقهم قدرها ؛ بيد أنه ظهر أخيرا كتاب بالانكليزية عن المسألة الفلسطينية عنوانه « فلسطين العربية Palestine of the Arabs » بقلم السيدة بياتريس ستيوارت إرسكين B. S. Eraskins يؤثر الناحية العربية بكثير من الشرح والتفصيل ، ويميل إلى إنصاف العرب وتصوير وجهة النظر العربية تصويراً عادلاً .

وتمهد المؤلفة لبحثها باستعراض تاريخ فلسطين منذ أقدم العصور حتى الحرب الكبرى ، ثم تاريخ المسألة الصهيونية منذ فاتحة القرن الماضي حتى سعى اليهودية إلى عرض تأييدها ونفوذها على الحكومة الانكليزية مقابل إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وصدور عهد بلفور الشهير بانشاء الوطن القومي ، ثم قيام الانتداب البريطاني على فلسطين

وتشير المؤلفة إلى إغفال رأى العرب فتقول إن منح فلسطين لتكون وطناً قومياً لم يرجع فيه إلى رأى السكان « الفقراء » الذين كانوا حلفاءنا . كذلك لم تقدر فيه عواقب تدفق الهجرة إلى بلد صغير محدود الموارد ، ولم تكن هنالك سياسة ثابتة لمعالجة الموقف الذي ينشأ عن ذلك ، وهي سياسة كان يجب أن تقوم على استشارة ذوى الشأن جميعاً ، وأن يراعى فيها تنفيذ الشطر الثاني من تصريح بلفور الخاص بأنه « لن يعمل شيء يمكن أن يضر بالحقوق المدنية أو الدينية للطوائف غير اليهودية من سكان فلسطين » ، ولا ريب أن تعيين هذه الحقوق الدينية والمدنية كان من شأنه أن يقى كثيراً من سوء التفاهم ، وأن يحمل العرب على الثقة بالدولة المنتدبة ، وأن يزيد في احتمال التعاون بين مختلف العناصر

وقد هرع اليهود إلى البلاد لا كمهاجرين بل كفاتحين ، وشعر العرب بأنهم حرموا كل نصيب في النفوذ والحكم ؛ وكان المندوب السامي الأول يهودياً ، فكان تعيينه ضربة للعرب . وتعاقب المندوبون الساميون وتعاقبت الوزارات البريطانية ولم يجد العرب إنصافاً ، وألفت السلطات يدها مغلولة بنصوص الانتداب ، واستمر الاحتكاك بين العرب واليهود ؛ وزادت المنازعات الدينية الأمور تعقيداً ، وكانت تنتهي أحياناً بسفك الدماء . بيد أن اليهود لم يكتفوا بما ناله الوطن القومي من التوطد والتقدم ، فهنالك « حزب الاعادة » الذي يتزعمه فلاديمير جابوتنسكي ، وهو يطالب باطلاق الهجرة اليهودية من كل قيد ، وحماية المستعمرين بمنحهم حقوقاً ومزايا خاصة ، وغير ذلك من المطالب المتطرفة

ولا ريب أن العرب يقابلون كل هذه المطالب والدعاوى بالانكار والمقاومة ؛ ومن المستحيل أن تعاون الأحوال القائمة على وضع أي حل مرض للمسألة الفلسطينية

وتقترح المؤلفة من عندها حلا يقوم على التوزيع الجغرافي ، وترى أن تقسم فلسطين إلى قسمين يكون كل منهما دولة خاصة ، فتكون إحدى الدولتين عربية وعاصمتها بيت المقدس وثغرها يافا ؛ وتكون الأخرى يهودية وعاصمتها وثغرها تل أبيب ، وتنضم الدولتان إلى عصبة الأمم ؛ وتعتبر بيت المقدس وحبرون وطبرية وصفد وبيت لحم مدناً دينية تخضع لنظام والقوانين التي تضعها عصبة الامم ، وتبقى حيفا ثغراً حراً ، وتنضم شرق الأردن إلى فلسطين العربية .

والخلاصة أن المؤلفة تبدى كثيرا من الاعتدال في عرض المسألة الفلسطينية وتخص الناحية العربية بكثير من الانصاف والعطف ، وتبدى شجاعة في عرض القضية العربية يندر أن يبديها قلم أجنبي ؛ ومن ثم فان كتابها خليق باهتمام العرب ، وهو بلا ريب وثيقة مفيدة في عرض القضية العربية في انكلترا وفي أوربا .

## قصص فلسطينية

صدرت أخيرا ترجمة انكليزية عبرية من القصص الفلسطينية عنوانها Palestine Caravan أعنى « قافلة فلسطين » بقلم الكاتب اليهودي موشى سميلانسكي M. Smilansky وهذا الكاتب القاص معروف بين مواطنيه بقوة تصوره وطرافة خياله . ويحتوى كتابه المذكور على إحدى عشرة قصة فلسطينية ، عن اليهود والفلاحين والبدو ، ويميل سميلانسكي بنوع خاص إلى تصوير الحياة الريفية ، ويجيد هذا النوع من الصور . وبين القصص المذكورة عدة تمتاز بحسن السبك والمفاجآت المدهشة ، وبينها عدد يمتاز بحسن التصوير والدراسة الطبيعية والنفسية العميقة ولا سيما فيما يتعلق بدسائس القرية ، ووصف الحياة الريفية ذاتها وحياة الفلاحين وأعمالهم في الحقل والمنزل ، ومما يلاحظ أن الكاتب حتى في دراساته الوصفية يجانب الأسهاب الممل ، ويقتصر في الوصف واللفظ على ما لا بد منه لاظهار الصور والمعاني

## طريقة المجمع اللغوى فى كتابة الأعلام الأعجمية

وافق مجمع اللغة العربية الملكي على القواعد الآتية في كتابة الأعلام الأعجمية وهي :

١ — أن يكتب العلم الأفرنجي بحسب نطقه في اللغة الأفرنجية ومعه اللفظ الأفرنجي بحروف لاتينية بين قوسين في البحوث والكتب العلمية على حسب ما يقرره المجمع في شأن كتابة الأصوات اللاتينية التي لا نظير لها في العربية

٢ — تكتب أسماء الأعلام بحسب النطق بها في لغتها الأصلية أي كما ينطق بها أهلها وليس كما تكتب . مع مراعاة ما يأتي :

٣ — جميع المعربات القديمة من أسماء البلدان والممالك والأشخاص المشهورين في التاريخ التي ذكرت في كتب العرب يحافظ عليها كما نطق بها قديماً ، ويجوز أن نذكر الأسماء الحديثة التي شاعت بين قوسين ، وإذا اختلف العرب في نطقين رجح أوثقهما

٤ — أسماء البلدان والأعلام الأجنبية التي اشتهرت حديثاً بنطق خاص وصيغة خاصة مثل باريس وانجلترا والنمسا وفرنسا وغير ذلك تبقى كما اشتهرت نطقاً وكتابة

٥ — الأعلام القديمة يونانية ولاتينية ينظر في وضع قواعد خاصة بها

٦ — الأعلام السامية القديمة التي تكتب بحروف الهجاء الخاصة بها توضع لها قواعد خاصة بها

٧ — اللغات التي لا تزال تكتب بالحروف العربية ، ولكن فيها أصواتاً ليس لها حروف عربية ، ولهذه الأصوات في لغاتها حروف خاصة اصطلح عليها كالفارسية والملاوية والهندستانية والتركية في الحكم العثماني ، ترى اللجنة بشأنها أن تدرس هذه الأصوات الخاصة وتتخذ لها الحروف التي وضعها لها أهلها

٨ — بعض القبائل والبلاد الاسلامية لها لغة خاصة لا يستعملونها غالباً في الكتابة ، وإنما يكتبون باللغة العربية ، ولكن لها أعلاماً بعض أصواتها لا يطابق الحروف العربية ، وقد وضعوا لها إشارات لتأدية هذا النطق ، وفي بعض الأحيان تكون هذه الاشارات متعددة للصوت الواحد — ترى اللجنة بعد البحث أن يختار أحد الاصطلاحات في كتابة هذه الأعلام

وانتهى المجمع من المناقشة في هذا القرار بوضع الحرف — جاف — ويكتب كافا على شرطتها ثلاث نقط

٩ — الأسماء الأجنبية النصرانية تكتب كما عربها نصارى الشرق . فمثلا يقال بطرس في Peter وبقطر في Victor وبولس في Paul ويعقوب في Jacob وأيوب في Job وهكذا

١٠ — قبلت اللجنة إدخال الحروف (P) ورسمته باء تحتها ثلاث نقط و ( تش ch ) ورسمته جيما تحتها ثلاث نقط ، و (J) ورسمته زايا فوقها ثلاث نقط ، و (G) ورسمته كافاً فوقها ثلاث نقط وهو حرف الجاف ، وقد أرادت اللجنة من إدخال هذه الحروف للاشارة بها إلى بعض الأصوات التي لا توجد في العربية واختارت هذه العلامات لتداولها في اللغات الفارسية والتركية والهندية والملاوية

١١ — قبلت اللجنة أن يكتب الحرف (V) واوا بثلاث نقط فوقها وقد عدلت اللجنة عن كتابة (ف) بثلاث نقط لأن هذا الحرف مستعمل في بلاد المغرب إشارة إلى الحرف (جاف) أي الكاف المعقودة ، وفي الملايو إشارة إلى الحرف (P) لتعيين بعض الأصوات في الأعلام الافرنجية .

١ — اللغات التي لا تزال تكتب بالحروف العربية ولكن فيها أصواتاً تخالف أصوات الحروف العربية ولهذه الأصوات في لغاتها حروف خاصة اصطلح عليها كالفارسية والملاوية والهندوستانية ، ترى اللجنة بشأنها أن تدرس هذه الأصوات الخاصة وتتخذ لها الحروف التي وضعها لها أهلها

وقد درست اللجنة هذه الأصوات الخاصة المشار اليها ووضعت فيها ثلاثة قرارات :

(ا) الحرف ( انج ) في لغة الملايو . يرسم نون وجاف وهو يرسم في لغة الملايو غينا فوقها ثلاث نقط

(ب) الحروف الهندية المرسومة راء ذات أربع نقط ، وتنطق بين الراء والضاد ، وكذلك الراء التي فوقها طاء يكتفى بكتابتها راء عربية . وكذلك الدال التي فوقها أربعة نقط يكتفى بكتابتها دالا عربية

(حـ) بعض أسماء البلاد في جزائر الهند الشرقية ومقاطعة موريتانيا وما يليها تنتهي بحسب نطق أهلها بفتحة مثل ولات ومندر وبعضهم يكتب بعد الحرف الأخير المفتوح تاء مربوطة ، وترى اللجنة أن تختم كل الأعلام التي من هذا القبيل بتاء مربوطة وقد اتبع ابن بطوطة هذه القاعدة

٢ — حرف ـ ة ـ بالإنجليزية يكتب ألفا . وإذا كان في أول الكلمة كتب ألفاً عليها همزة . والحروف الانجليزية (e,u,y) وكل ما أشبهها في النطق تكتب بالعربية ياء . وإذا كان الحرف ممالا في اللغة الأجنبية ، وضعت ألف قصيرة قبل الياء لتدل على أنه ممال كالمدى (٨) للدلالة على الاشمام مثل كوته والحرف الأول هو حرف الجاف

٣ — تكتب الأعلام التركية كما كتبها الترك بالحروف العربية حسب الاصطلاحات المتداولة عندهم ، قبل اتخاذ الحروف اللاتينية وما جد بعد ذلك فحكمه حكم اللغات الافرنجية

٤ — الأعلام الأجنبية المنتهية في نطقها الأصلي بألف تكتب بالألف إلا فيما عربه العرب بالتاء المربوطة ، كبخاري وبصري وكسرى وعيسى وموسى

٥ — الامالة :

رأت اللجنة أن توضع علامة أشبه بالمدة الرأسية للدلالة على هذا الصوت كما في ـ Jaipur ـ مثلا فتكتب هكذا جيبور مع وضع مدة رأسية فوق الياء ولذلك يكتب حرف (J) كما ينطق به أهل كل لغة ، لأنه في الألمانية ينطق (ى) وفي الاسبانية (خ) كما هو في موخاكار (Mojacar) وكذلك رأت اللجنة أن تضع علامتين للدلالة على حرف (u) وحرف (o) المخفف والمثل على الأول Jeande Luz فتكتب في العربية « زان ده لوز » بوضع ثلاث نقط فوق الزاى وعلى اللام علامة رقم (٧) للدلالة على هذا الصوت والثانية كما في Goethe فتكتب في العربية كوته وعلى الجاف علامة تشبه رقم (٨) كما سبق ذلك

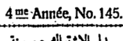
## حول كتاب الذخيرة أيضاً

للمرة الثانية نرى في سيدة الصحف العربية « الرسالة » الغراء التنويه التام بالعلامة المستشرق الفرنسي الاستاذ ليفي بروفنسال إذ كان السبب الوحيد في اكتشاف أثر حافل عن تاريخ الأندلس هو نسخة كاملة من كتاب « الذخيرة » لابن بسام ، وساعده على ذلك أنه كان مديراً لمعهد المباحث العالية المغربية برباط الفتح ، فقد نوهت به للمرة الأولى في العدد (١١٥) بقولها « ... لبث يبحث وينقب أعواماً طويلة في خبايا المكاتب المغربية حتى ظفر بنسخة حسنة كاملة من كتاب : (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) وقالت مثل ذلك في العدد (١٤٠)

على أن الحقيقة ونفس الأمر خلاف ما كتبته الصحف الأوروبية وخلاف ما نقلته الرسالة . والحقيقة التي لا يشوبها شيء هي أن كتاب الذخيرة كان في خزانة القائد الأكبر السيد اليزيد ابن الصالح الغماري (القاطن بغارة من أعمال تطوان) من جملة الآثار النفيسة الموجودة بخزانته القيمة التي خلفها أسلافه الكرام حبوساً على عائلته أولاد صالح . وفي ذات يوم أتاه بعض أصدقائه وطلب منه إعارة الذخيرة على أن يلتزم بطبعها والربح يقسمه بينهما ، فاستحيا منه القائد ومكنه منها ، فذهب تواً إلى خزانة المخزن الكبرى بالرباط وطلب من رئيسها شراءها منه فأخذها وأجله للغد، وفي الغد ذهب للخزانة فأعطاه الرئيس (٣٠٠٠) فرنك ثمن الذخيرة ، فأبى من البيع ؛ فلم يرض الرئيس بردها له قائلاً : إن المخزن الشريف أرادها فخذ الثمن أو اذهب ؛ فلم ينفعه إلا أن أخذ الثمن وذهب لسبيله ؛ تلك حقيقة قصة كتاب (الذخيرة) واكتشافها

ونحن لا ننكر فضل الأستاذ ليفي بروفنسال فهو كما ذكرت (الرسالة) الغراء وزيادة ؛ وإن ننس فلا ننس جهوده التي بذلها نحو الكتب الاسلامية ، وإنما نحب إظهار الحقيقة ليس إلا . ومن الكتب التي اعتنى بنشرها هذا الأستاذ ولم تذكرها الرسالة : المجلد الأول من (الجامع الصحيح) للامام أبي عبد الله البخاري المكتوب بخط ورواية أبي عمران موسى بن سعادة الأندلسي ، نقل منه نسخاً عديدة بالتصوير الشمسي ومعه كتاب (التنويه والاشادة بمقام رواية ابن سعادة) للعلامة المحدث الشهير صاحب الفضيلة السيد محمد عبد الحي الكتاني ، والقسم الثاني من (الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام) لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب ، وكتاب (مفاخر البربر) مجهول المؤلف ، و(نخبة تاريخية) جامعة لأخبار المغرب الأقصى جمعها من كتب شتى ، و (نبذ تاريخية) في أخبار البربر في القرون الوسطى انتخبها من كتاب مفاخر البربر المتقدم وغيرها من الكتب

(فاس — المغرب الأقصى) ادريس الكتاني



4me Année, No. 145. — Lundi-13-4-1936

بدل الاشتراك عن سنة
قرش
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع البدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ١٤٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ محرم سنة ١٣٥٥ — ١٣ أبريل سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة


فهرس العــــدد



# اللغة والدين والعادات

## باعتبارها من مقومات الاستقلال


للأستاذ مصطفى صادق الرافعى


ليست حقيقةُ الأمة فى هذا الظاهرِ الذى يبدو من شعبٍ مجتمع محكوم بقوانينه وأوضاعه؛ ولكن تلك الحقيقة هى الكائنُ الروحىُّ الكامنُ فى الشعب، الخالصُ له من طبيعته، المقصورُ عليه فى تركيبه؛ كمصير الشجرة لا يُرى عملُه والشجرةُ كلُّها هى عملُه

وهذا الكائن الروحى هو الصورةُ الكبرى للنسب فى ذوى الوشيجة من الأفراد، بيد أنه يحقق فى الشعب قرابة الصفات بعضها من بعض؛ فيجعل للأمة شأن الأسرة، ويخلق فى الوطن معنى الدار، ويوجد فى الاختلاف نزعة التشابه، ويردُّ التعددَ إلى طبيعة الوحدة، ويبدع للأمة شخصيتها المتميزة، ويوجب لهذه الشخصية بإزاء غيرها قانونَ التناصر والحميَّة؛ إذ يجعل الخواطر مشتركة، والدواعى مستوية، والنوازع متآزرة، فتجتمع الأمة كلها على الرأى: تتساند له بقواها، ويشد بعضها بعضاً فيه. وبهذا كله يكون روح الأمة قد وضع فى كلمة الأمة معناها

. والخلق القوى الذى ينشئه الأمة كائنها الروحى ، هو المبادئ المنتزعة من أثر الدين واللغة والعادات ، وهو قانون نافذ يستمد قوته من نفسه ، إذ يعمل فى الحيز الباطن من وراء الشعور ، متسلطا على الفكر ، مصرفاً لبواعث النفس ؛ فهو وحده الذى يملأ الحى بنوع حياته ، وهو طابع الزمن على الأمم ، وكأنه على التحقيق وضع الأجداد علامتهم الخاصة على ذريتهم

***

أما اللغة فهى صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها ، وجوداً متميزاً قائماً بخصائصه ؛ فهى قومية الفكر ، تتحد بها الأمة فى صور التفكير وأساليب أخذ المعنى من المادة . والدقة فى تركيب اللغة دليل على دقة الملكات فى أهلها ؛ وعمقها هو عمق الروح ودليل الحس على ميل الأمة إلى التفكير والبحث فى الأسباب والعلل ؛ وكثرة مشتقاتها برهان على نزعة الحرية وطماحها ، فإن روح الاستعباد ضيق لا يتسع ، ودأبه فى المستعبدين لزوم الكلمة والكلمات القليلة .

وإذا كانت اللغة بهذه المنزلة ، وكانت أمتها حريصة عليها ، ناهضة بها ، متسعة فيها ، مكبرة شأنها ، فما يأتى ذلك إلا من روح التسلط فى شعبها ، والمطابقة بين طبيعته وعمل طبيعته ، وكونه سيد أمره ، ومحقق وجوده ، ومستعمل قوته ، والآخذ بحقه . فأما إذا كان منه التراخى والإهمال ، وترك اللغة للطبيعة السوقية ، وإصغار أمرها ، وتهوين خطرها ، وإيثار غيرها بالحب والإكبار ؛ فهذا شعب خادم لا مخدوم ، تابع لا متبوع ، ضعيف عن تكاليف السيادة ، لا يطيق أن يحمل عظمة ميراثه ، مجتزئ ببعض حقه ، مكتفٍ بضرورات العيش ، يوضع لحكمه القانون الذى أكثره للحرمان وأقله للفائدة التى هى كالحرمان

لا جرم كانت لغة الأمة هى الهدف الأول للمستعمرين ؛ فلن يتحول الشعب أول ما يتحول إلا من لغته ؛ إذ يكون منشأ التحول من أفكاره وعواطفه وآماله ، وهو إذا انقطع من نسب لغته انقطع من نسب ماضيه ، ورجعت قوميته صورة محفوظة فى التاريخ ، لا صورة محققة فى وجوده . فليس كاللغة نسب للعاطفة والفكر ؛ حتى إن أبناء الأب الواحد لو اختلفت ألسنتهم فنشأ منهم ناشئ على لغة ، ونشأ الثانى على أخرى ، والثالث على لغة ثالثة ، لكانوا فى العاطفة كأبناء ثلاثة آباء

وما ذلّت لغة شعب إلا ذلّ ، ولا انحطت إلا كان أمره فى ذهاب وإدبار . ومن هذا يفرض الأجنبى المستعمر لغته فرضاً على الأمة المستعمرة ، ويركبهم بها ، ويشعرهم عظمته فيها ، ويستلحقهم من ناحيتها ؛ فيحكم عليهم أحكاماً ثلاثة فى عمل واحد : أما الأول فحبس لغتهم فى لغته سجناً مؤبداً ؛ وأما الثانى فالحكم على ماضيهم بالقتل محواً ونسياناً ؛ وأما الثالث فتقييد مستقبلهم فى الأغلال التى يصنعها ؛ فأمرهم من بعدها لأمره تبع

والذين يتعلمون اللغات الأجنبية ينزعون إلى أهلها بطبيعة هذا التعلق إن لم تكن عصبيتهم للغتهم قوية مستحكمة من قبل الدين أو القومية . فتراهم إذا وهنت فيهم هذه العصبية يخجلون من قوميتهم ، ويتبرأون من سلفهم ، وينسلخون من تاريخهم ، وتقوم بأنفسهم الكراهة للغتهم وآداب لغتهم ، ولقومهم وأشياء قومهم ؛ فلا يستطيع وطنهم أن يوحى إليهم أسرار روحه ؛ إذ لا يوافق منهم استجابة فى الطبيعة ، وينقادون بالحب لغيره فيتجاوزونه وهم فيه ، ويرثون دماءهم من أهلهم ثم تكون العواطف فى هذه الدماء للأجنبى ؛ ومن ثم تصبح عندهم قيمة الأشياء بمصدرها لا بنفسها ، وبالخيال المتوهم فيها لا بالحقيقة التى تحملها ، فيكون شىء الأجنبى فى مذهبهم أجل وأثمن لأن إليه الميل وفيه الإكبار والإعظام ، وقد يكون الوطنى مثله أو أجل منه بيد أنه فقد الميل ، فضعفت صلته بالنفس ، فعادت كل مميزاته لا تميزه

وأعجب من هذا فى أمرهم ، أن أشياء الأجنبى لا تحمل معانيها الساحرة فى نفوسهم إلا إذا بقيت حاملة أسماءها الأجنبية ، فإن سمّى الأجنبى بلغتهم القومية نقص معناه عندهم وتصاغر وظهرت فيه ذلة . . . وما ذاك إلا صِغَر نفوسهم وذلها ، إذ لا ينتخون لقوميتهم فلا يلهمهم الحرف من لغتهم ما يلهمهم الحرف الأجنبى

والشرق مبتلى بهذه العلة ، ومنها جاءت مشاكله أو أكثرها ؛ وليس فى العالم أمة عزيزة الجانب تقدم لغة غيرها على لغة

نفسها ، وبهذا لا يعرفون الأشياء الأجنبية موضماً إلا من وراء حدود الأشياء الوطنية ؛ ولو أخذنا نحن الشرقيين بهذا ، لكان هذا وحده علاجاً حاسماً لأكثر مشاكلنا

فاللغات تتنازع القومية ، ولَمىَ والله احتلال عقلى فى الشعوب التى ضعفت عصبيتها ؛ وإذا هانت اللغة القومية على أهلها ، أثرت اللغة الأجنبية فى الخلق القوى ما يؤثر الجوّ الأجنبى فى الجسم الذى انتقل اليه وأقام فيه

أما إذا قويت العصبية ، وعزّت اللغة ، وثارت لها الحميّة ؛ فان تكون اللغات الأجنبية إلا خادمة يرتفق بها ، ويرجع شبر الأجنبى شبراً لا متراً . . . . وتكون تلك العصبيةُ للغة القومية مادةً وعوناً لكل ماهو قوى ؛ فيصبح كل شىء أجنبى قد خضع لقوة قاهرة غالبة ، هى قوة الايمان بالمجد الوطنى واستقلال الوطن ؛ ومتى تعيّن الأولُ أنه الأولُ ، فكل قوى الوجود لا تجعل الذى بعده شيئاً إلا أنه الثانى

* * *

والدينُ هو حقيقةُ الخُلُق الاجتماعى فى الأمة ، وهو الذى يجعل القلوب كلها طبقةً واحدةً على اختلاف المظاهر الاجتماعية عاليةً ونازلة وما بينهما ، فهو بذلك الضمير القانونى للشعب ، وبه لا بغيره ثباتُ الأمة على فضائلها النفسية ، وفيه لا فى سواه معنى إنسانية القلب

ولهذا كان الدينُ من أقوى الوسائل التى يُعوّل عليها فى إيقاظ ضمير الأمة ، وتنبيه روحها ، واهتياج خيالها ؛ إذ فيه أعظمُ السُّلطة التى لها وحدها قوة الغلبة على الماديات . فسلطان الدين هو سلطان كل فرد على ذاته وطبيعته ؛ ومتى قوى هذا السلطان فى شعب ، كان حميّاً أبيّاً ، لا ترغمه قوة ، ولا يعنو للقهر

ولولا التديّن بالشريعة ، لما استقامت الطاعة للقانون فى النفس ؛ ولولا الطاعة النفسية للقوانين ، لما انتظمت أمة ؛ فليس عمل الدين إلا تحديد مكان الحى فى فضائل الحياة ، وتعيينَ تبعته فى حقوقها وواجباتها ، وجعلَ ذلك كلّه نظاماً مستقراً فيه لا يتغير ، ودفعَ الانسان بهذا النظام نحو الأكمل ، ودائماً نحو الأكمل

وكل أمة ضعف الدينُ فيها ، اختلّت هندستها الاجتماعية ، وماج بعضها فى بعض ؛ فان من دقيق الحكمة فى هذا الدين أنه لم يجعل الغاية الأخيرةَ من الحياة فى هذه الأرض ؛ وذلك لتنتظم الغايات الأرضية فى الناس ؛ فلا يأكل بعضهم بعضاً ، فيغتنى الغنىُّ وهو آمن ، ويفتقر الفقير وهو قانع ، ويكون ثواب الأعلى فى أن يعود على الأسفل بالبرّ ، وثوابُ الأسفل فى أن يصبر على ترك الأعلى فى منزلته ؛ ثم ينصرف الجميع بفضائلهم الى تحقيق الغاية الالٓهية الواحدة ، التى لا يكبر عليها الكبير ، ولا يصغر عنها الصغير : وهى الحق ، والصلاح ، والخير ، والتعاون على البر والتقوى

ومادام عملُ الدين هو تكوين الخلق الثابت الدائب فى عمله ، المعتز بقوته ، المطمئن الى صبره ، النافر من الضعف ، الأبيّ على الذل ، الكافر بالاستعباد ، المؤمن بالموت فى المدافعة عن حوزته ، المجزيّ بتساميه وبذله وعطفه وإيثاره ومفاداته ، العامل فى مصلحة الجماعة ، المقيَّد فى منافعه بواجباته نحو الناس — ما دام عمل الدين هو تكوين هذا الخلق — فيكون الدين فى حقيقته هو جعْل الحس بالشريعة أقوى من الحس بالمادة ؛ ولعمرى ما يجد الاستقلال قوةً هى أقوى له وأردُّ عليه من هذا المعنى إذا تقرَّر فى نفوس الأمة وانطبعت عليه

وهذه الأمة الدينية التى يكون واجبها أن تشرُف وتسود وتعتزّ ، يكون واجب هذا الواجب فيها ألاّ تسقط ولا تخضع ولا تذل

وبتلك الأصول العظيمة التى ينشئها الدين الصحيح القوى فى النفس ، يتهيأ النجاح السياسى للشعب المحافظ عليه المنتصر له ؛ إذ يكون من الخلال الطبيعية فى زعمائه ورجاله ، الثباتُ على النزعة السياسية ، والصلابة فى الحق ، والايمان بمجد العمل ، وتغليب ذلك على الأحوال المادية التى تعترض ذا الرأى لتفتنه عن رأيه ومذهبه : من مال ، أو جاه ، أو منصب ، أو موافقة الهوى ، أو خشية النقمة ، أو خوف الوعيد ، إلى غيرها من كل ما يستميل به الباطلُ أو يُرهب به الظلم

ولا يذهبن عنك أن الرجل المؤمن ، القوى الايمان ، المتلئ ثقة ويقيناً ووفاءً وصدقاً وعزماً وإصراراً على فضيلته وثباتاً على ما يلاقى فى سبيلها — لا يكون رجلاً كالناس ؛ بل هو رجل الاستقلال الذى واجبه جزء من طبيعته وغايته السامية لا تنفصل عنه ؛ هو رجلُ صِدْق المبدإ ، وصِدق الكلمة ، وصدق الأمل ، وصدق

النزعة ؛ وهو الرجل الذى ينفجر فى التاريخ كلما احتاجت الحياة الوطنية الى إطلاق قناباها للنصر

* * *

والعادات هى الماضى الذى يعيش فى الحاضر ، وهى وحدة تاريخية فى الشعب ؛ تجمعه كما يجمعه الأصل الواحد ؛ ثم هى كالدين فى قيامها على أساس أدبى فى النفس ، وفى اشتمالها على التحريم والتحليل ؛ وتكاد عادات الشعب تكون ديناً ضيقاً خاصاً به ، يحصره فى قبيلة ووطنه ، ويحقق فى أفراده الألفة والتشابك ، ويأخذهم جميعاً بمذهب واحد : هو إجلال الماضى

وإجلال الماضى فى كل شعب تاريخى ، هو الوسيلة الروحية التى يستوحى بها الشعب أبطالَه ، وفلاسفته ، وعلماءه ، وأدباءه ، وأهل الفن منه ؛ فيوحون اليه وحْىَ عظائهم التى لم يبلها الموت ؛ وبهذا تكون صورهم العظيمة حيّة فى تاريخه ، وحيّة فى آماله وأعصابه

والعادات هى وحدها التى تجعل الوطن شيئاً نفسيّاً حقيقياً ؛ حتى ليشعر الانسان أن لأرضه أمومةَ الأم التى ولدته ، ولقومه أبوة الأب الذى جاء به إلى الحياة . وليس يعرف هذا إلا من اغترب عن وطنه ، وخالط غير قومه ، واستوحش من غير عاداته ؛ فهناك هنالك يثبت الوطن نفسه بعظمة وجبروت كأنه وحده هو الدنيا

وهذه الطبيعة الناشئة فى النفس من أثر العادات هى التى تنبه فى الوطنى روحَ التميز عن الأجنبى ، وتوحشُ نفسه منه كأنها حاسّة الأرض تنبه أهلها وتنذرهم الخطر

ومتى صدقت الوطنيـة فى النفس ، أقرّت كلّ شىء أجنبى فى حقيقته الأجنبية ؛ فكان هذا هو أولَ مظاهر الاستقلال ، وكان أقوى الذرائع إلى المجد الوطنى

* * *

وباللغة والدين والعادات ، ينحصر الشعب فى ذاته السامية بخصائصها ومقوّماتها ؛ فلا يسهل انتزاعُه منها ولا انتسافُه من تاريخه ؛ وإذا أُلجئ إلى حال من القهر ، لم ينخذل ولم يتضعضع ، واستمر يعمل ما تعمله الشوكة الحادة : إن لم تترك لنفسها ، لم تعط من نفسها إلا الوخز .

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

# ٢ـ النهضات القومية العامة*

## فى أوربا وفى الشرق

للدكتور عبد الرزاق السنهورى

عميد كلية الحقوق ببغداد

وإذا كانت حركة الرابطة الوطنية بقيت قوية عنيفة فى أوروبا طوال القرن التاسع عشر كما قدمنا ، فان هذه الحركة قد اقترنت بها حركة رابطة الجنس ، ولم تتعارض الحركتان . فان الوطن الفرنسى والوطن الايطالى والوطن الاسبانى ، وغير هذه من الأوطان اللاتينية ترعرعت واشتدت ولم تتعارض مع الجامعة اللاتينية ؛ على أن اتفاق رابطة الوطن مع رابطة الجنس يظهر دائماً أخاذاً إذا انتقلنا إلى الشعوب الجرمانية ؛ فكل شعب له وطنه ؛ وكثيراً ما حاربت بروسيا فى الماضى دولاً أخرى جرمانية ؛ وكثيراً ما حاربت النمسا وانتصرت عليها ، ومع كل ذلك فان الشعوب الجرمانية لا ينسيها الاغراق فى وطنيتها أنها تنتسب جميعاً إلى جنس واحد ، وأن دماً واحداً يجرى فى عروق الجميع

على أن ائتلاف رابطة الوطن مع رابطة الجنس يختلف قوة وضعفاً . فالرابطتان أضعف ما تكونان ائتلافاً إذا كانت رابطة الوطن قوية متماسكة ، تستطيع القيام على رجليها دون حاجة إلى معين ؛ والمثل لذلك الوطن الفرنسى والوطن الايطالى ، والرابطتان أقوى ما تكونان ائتلافاً إذا ضعف وطن ، فيستمسك بوطن آخر قوى من جنسه ، كما هو الحال بين النمسا وألمانيا ، وكذلك إذا كان كل وطن ضعيفاً بذاته قوياً باجتماعه مع الأوطان الأخرى من جنسه ، كما هو الحال بين الأقطار العربية ؛ وأخيراً إذا اندمجت جنسيات متعددة فى أمبراطورية واحدة ، ثم أخذت هذه الأمبراطورية المصطنعة فى الانحلال ، فان حركة الجنسيات تقوى فى هذه الحالة ، وتتمخض عن حركات استقلالية ، كما وقع هذا الأمر للأمبراطورية النمسوية وللأمبراطورية العثمانية

* بقية المحاضرة الأولى من سلسلة المحاضرات التى ألقاها الأستاذ السنهورى فى مدينة بغداد فى بهو أمانة العاصمة فى ٢٣ مارس سنة ١٩٣٦

وقد آن لنا أن ننتقل إلى المرحلة الثالثة فى النهضات القومية الأوروبية ، وهى المرحلة الحاضرة ، وقد بدأت منذ فجر القرن العشرين ، وبنوع خاص بعد الحرب الكبرى

### ٣ — الوقت الحاضر : رابطة الوطن والجنس ورابطة الطبقات

نشهد فى الوقت الحاضر فى أوروبا صراعاً عنيفاً ما بين رابطتين ، وكفاحاً مستمراً ما بين نظامين من نظم الحكم . أما الرابطتان فاحداها رابطة الوطن وتمزها رابطة الجنس ، والثانية رابطة الطبقات أو الحركة الاشتراكية . وأما النظامان فأحدهما هو النظام الديمقراطى ، والآخر هو النظام الدكتاتورى

وما بنا أن ننمى بحركة ضعيفة ولدت عرجاء بعد أن تمخضت عنها آلام الانسانية من أهوال الحرب الكبرى ، وتلك هى رابطة البشرية ، تنتظم بنى البشر كافة فى جامعة واحدة ، يسمونها اليوم بعصبة الأمم . فان رابطة البشرية هذه لا تزال وليداً بين الحياة والموت ، فلندع لها بالبقاء ولنتركها جانباً

ولنستعرض الكفاح الذى نشهده الآن فى أوروبا بين رابطة الوطن ورابطة الطبقات

ليس هذا الكفاح وليد القرن العشرين ، بل هو قد بدأ منذ القرن التاسع عشر ، وقد تعقبنا أصوله فى لمحة سريعة عند ما كنا نتكلم فى تقدم الصناعات الكبرى الذى قوى هاتين الرابطتين المتناقضتين . والآن نعرض لهذا الكفاح فى شىء من التفصيل ، فنتكلم فى الاشتراكية وقد قامت على رابطة الطبقات ، ثم نتكلم فى الفاشية والنازية ، وقد قامت الأولى على رابطة الوطن والأخرى على رابطة الجنس

#### ١ — الاشتراكية

بدأت الاشتراكية تتأصل جذورها فى أوروبا منذ القرن التاسع عشر . وقد نبتت فى تلك التربة الصناعية التى سبق لنا ذكرها ، إذ كثر عدد الطبقات العاملة ، واستغلهم أصحاب رؤوس الأموال استغلالاً تأباه الانسانية . فوجدت الاشتراكية جواً صالحاً تترعرع فيه وتزدهر . على أن المذهب الاشتراكى لم يكن وليد القرن التاسع عشر ، فهو مذهب قديم ، يمكن أن نرجع أصوله إلى أفلاطون الفيلسوف اليونانى المعروف ، وقد كان يقول بالشيوعية فى الملكية وفى الأسرة ، ووضع كتابه «الجمهورية» يؤيد فيه هذا المذهب . وقام فى أوائل القرن السادس عشر توماس مورا يقول بالشيوعية فى المال دون الأسرة ، فى كتابه « جزيرة أتوبيا » . ولكن الاشتراكية لم تأخذ شكلاً علمياً منظماً إلا بقلم زعيمها الأكبر كارل ماركس نبى الاشتراكية فى أواسط القرن التاسع عشر

وللاشتراكية فلسفة علمية ولها خطط عملية . أما فلسفتها فنظرة مادية إلى وقائع التاريخ ، وتفسير هذه الوقائع تفسيراً اقتصادياً محضا . وهذا ما يسمى عادة بالمادية التاريخية أو بالتفسير الاقتصادى للتاريخ . أما خططها العملية فقد انقسم أنصارها بالنسبة لها إلى فريقين : فريق معتدل يقول بالعمل فى الدائرة الدستورية ، والوصول إلى الحكم من طريق النظم النيابية المشروعة ، أى اتخاذ الديمقراطية وسيلة لتحقيق الحكومة الاشتراكية . وفريق متطرف يقول بعدم الجدوى من كل هذه الخطط ، ولا بد من الثورة والانتقاض على الديمقراطية الرأسمالية وهدم أركان النظام النيابى ، والاستيلاء على الحكم بالقوة ، حتى تتحقق الحكومة الاشتراكية . وكان كارل ماركس قد أسس الدولية الأولى فى سنة ١٨٦٤ فى لندن ، حتى يجمع شتات العمال من جميع أطراف العالم . ثم لما انقسم أشياعه إلى الفريقين المتقدمى الذكر ، أسس الفريق المعتدل الدولية الثانية ، وأسس الفريق المتطرف الدولية الثالثة ، وهى دولية موسكو المعروفة

وأقول لكم كلمة موجزة عن المادية التاريخية أو التفسير الاقتصادى للتاريخ ، حتى نتفهم المذهب الاشتراكى من ناحيته الفلسفية . تتلخص هذه المادية التاريخية فى فكرة جوهرية ، هى أن الحاجات المادية للانسان والعوامل الاقتصادية التى تحيط به هى التى تسير التاريخ وتكيف الحوادث . وكل حوادث التاريخ ومراحله المتعاقبة لا يمكن تفسيرها إلا تفسيراً اقتصادياً ؛ وليس للانسانية إلا تاريخ واحد ، هو تاريخها الاقتصادى المادى ؛ أما الدين ، وأما الأخلاق ، وأما المثل العليا ، وأما العظمة والبطولة ، فكل هذا شىء مرده إلى المادة ، تحكمه وتسيطر عليه . فالمذهب الاشتراكى ينظر إلى الحياة كوحدة لا تقبل التجزئة وهى وحدة المادة لحمتها وسداها

وإلى جانب فكرة الوحدة المادية للحياة توجد فكرة الحتمية ، فالعالم مسير لا مخير ؛ وكل ما يقع في العالم من حوادث هو من عمل الانسان ، ولكنه عمل دفعته اليه الظروف دفعاً ، فلا اختيار له فيه ولا إرادة . ويقول لنا انجلز شريك ماركس في تأسيس المذهب الاشتراكي الحديث : لا تظنوا أن الحركات الفكرية الكبرى التي تظهر من وقت لآخر هي وليدة أفكارنا ، بل هي وليدة الظروف الاقتصادية الملابسة ، كان لا بد من وجودها فوجدت ، وسخر لها أناس يقولون بها . ولو أن مارتن لوثر مؤسس البروتستانتية لم يوجد لوجد لوثر آخر يدعو إلى ما دعا اليه لوثر الأول . وماركس نفسه ، إذا كان قد قال بالمادية التاريخية فذلك لأنها فكرة ولدتها ظروف البيئة الاقتصادية ، وكان حتماً أن يقول بها رجل أراد القدر أن يكون ماركس . وأبطال التاريخ يولدون كما تولد الحركات الفكرية الكبرى ، تنشئهم الظروف الاقتصادية ؛ فنابليون وكرومويل وقيصر وغيرهم من عظماء التاريخ جاءوا في الساعة التي كانوا لا بد أن يجيئوا فيها ، ولو لم يجيئوا هم بالذات لجاء غيرهم ، فيتغير الاسم ويبقى الرجل . وكل عصر له أبطاله ، إذا لم يجدهم عفواً فانه يخلقهم خلقاً . وإذا لم توجد البطولة الحق في الرجل الزعيم ، فان حاجات الوقت المادية والمصالح الاقتصادية تنفخ فيه روح بطولة مصطنعة وتجعل منه رجل الساعة . هذا هو رأى انجلز في البطولة والأبطال

فالعظمة ليست إذن إلا صنع الجيل وبنت البيئة . أما العوامل الحقيقية التي تصنع التاريخ صنعاً ، فليست هي بطولة العظماء ، إنما هي القوات الاقتصادية ، تبدأ في تغيير الفكر البشري ، ثم تدفعه إلى الأمام . وهكذا يرتبط الفكر بالعمل ، ويسوق ذاك إلى هذا . ومصدر كل من الفكر والعمل إنما هو العامل الاقتصادي ، مثل ذلك تقدم الصناعات الكبرى وتكدس رؤوس الأموال . هذا هو العامل الاقتصادي الذي يحكم العالم في العصر الحاضر . وقد أوجد هـذا العامل طبقة أصحاب رؤوس الأموال ، أو البورجوازية ، قوية مسيطرة على أقدار العالم . ولكن هذا العامل الاقتصادي نفسه أوجد أيضاً طبقة العمال تستغلهم البورجوازية وتسلبهم ثمرة جهودهم . هذا الوضع الاقتصادي هو الذي أوجد حركة فكرية عند طبقة العمال ، وقد شعروا بالظلم يحيق بهم . وهذه الحركة الفكرية هي التي تدفعهم إلى العمل . فالعامل الاقتصادي هو الذي أوجد البورجوازية ، والبورجوازية هي التي أوجدت العمال ، والعمال هم الذين سيهدمون البورجوازية . وقد كتب كارل ماركس في منشوره المشهور إلى الحزب الاشتراكي سنة ١٨٤٨ : « إن البورجوازية لم يقتصروا على صنع الأسلحة التي ستقتلهم ، بل هم هيأوا أيضاً الرجال الذين سيضربون بهذه الأسلحة »

فقيام البورجوازية وسيطرتهم على العالم الاقتصادي ، وسقوطهم بعد ذلك على يد العمال ، كل هذه حوادث تدفع اليها الانسانية دفعاً من طريق العوامل الاقتصادية ؛ فالرجال إذن مسخرون ، علموا أو لم يعلموا ، لخدمة حاجات اقتصادية اقتضتها البيئة التي يعيشون فيها ، وهم يظنون أنهم يعملون لأغراض مادية . فلوثر مثلاً كان يعتقد أنه يعمل لمجد المسيح ، والواقع من الأمر أن ثورته لم تكن إلا سداً لحاجة البورجوازية الألمانية التي كانت تستغلها الكنيسة الرومانية . وليس الرجال في نشاطهم بوجه عام إلا ممثلين لطبقات اقتصادية ، يجيبون نداءها ، ويسدون حاجتها . اسمعوا ما يقوله كارل ماركس في كتابه « بؤس الفلسفة » رداً على ما كتبه برودون في كتابه « فلسفة البؤس » : « إن الروابط الاجتماعية متصلة اتصالاً وثيقاً بقوات الانتاج ، فالناس إذا حصلوا على قوات منتجة جديدة يغيرون طرق الانتاج ، وإذا غـيروا طرق الانتاج وغيروا كذلك نظام كسبهم للعيش فقد غيروا في جميع روابطهم الاجتماعية . هذه هي طاحونة الهواء تنبت وسطاً أقطاعياً يسوده النبلاء . أما الطاحونة التي تدور بالبخار ، فتنبت وسطاً صناعياً يسوده أصحاب رؤوس الأموال . ونفس الرجال الذين يقيمون روابطهم الاجتماعية على مقتضى الطرق المادية للانتاج هم الذين يصوغون أيضاً المبادئ والأفكار والحدود وفقاً لروابطهم الاجتماعية »

فالعوامل الاقتصادية التي تصنع التاريخ في رأى ماركس وانجلز هي وسائل الانتاج ، يضاف اليها وسائل النقل وتداول الثروة والبيئة الجغرافية التي تقوم فيها هذه العوامل الاقتصادية

وكل هذه العوامل الاقتصادية تدور حول نقطة واحدة ، هي الكفاح ما بين الطبقات . فالكفاح ما بين الطبقات يسود جميع النظم الاجتماعية : يسود النظام السياسي ، وما تاريخ الحكومة إلا تاريخ نضال مستمر ما بين طبقة وأخرى تتداول

السيادة والسلطان ؛ يسود النظام القانونى ، وما القانون إلا صورة منعكسة من وسائل الانتاج الاقتصادى ، وهو لم يوجد إلا لحماية المصالح الاقتصادية ، أى حماية مصالح الطبقة السائدة ؛ يسود الدين والفلسفة والأدب والأخلاق ، وإذا لم يكن الأصل فى هذا كله عاملاً اقتصادياً فان هذه العوامل الأدبية تتطور بعد نشوئها وفقاً للحاجات الاقتصادية ولمصالح المتغلب من الطبقات

ثم ينتقل ماركس وانجلز من بسط النظرية إلى تطبيقها على الحوادث التاريخية . فعندهما أن النظام الأقطاعى هو الذى خلق العصور الوسطى تسود فيها طبقة النبلاء ، وأن نظام الصناعة الكبرى هو الذى خلق العصور الحديثة تسود فيها طبقة البورجوازية ، وأن الكارثة لا بد واقعة : والكارثة لفظ له مدلوله فى إنجيل الاشتراكية ، فالاشتراكيون يتربصون الدوائر بالبورجوازية ، ويترقبون الوقت الذى سيحين لانتقال محتم إلى عصر جديد تحل فيه الكارثة بالبورجوازية على يد العمال

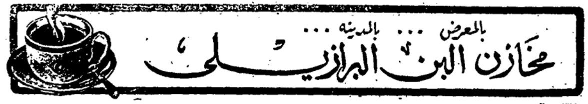
فماركس يستغل إذن نظريته فى المادية التاريخية ليخدم بها مذهبه الاشتراكى ، فينادى بالكفاح ما بين الطبقات ، ويحاول أن يوحد العمال فى جميع أنحاء العالم ، ويشماها حرباً زبوناً بين بنى الانسانية جمعاء ، حرباً تقوم لا بين وطن ووطن ، ولا بين جنس وجنس ، بل بين طبقة وطبقة : بين البورجوازية والعمال ، فتسقط البورجوازية ويسود العمال

ونحن لانعرض بنقد أو بتحبيذ للمذهب الاشتراكى ونقتصر على أن نستخلص مما قدمناه أن هناك نزعة فى أوروبا وجدت منذ القرن التاسع عشر وقالت برابطة الطبقات ، وعارضت الروابط المبنية على الوطن والجنس ، واعتبرت العمال فى جميع الأوطان ومن جميع الأجناس إخواناً متآلفين . وهم جميعاً خصوم للبورجوازية فى جميع الأوطان ومن جميع الأجناس . وقد أخذت هذه النزعة تشتد شيئاً فشيئاً طوال القرن التاسع عشر ، ثم دخلت فى دور عملى حاسم أثناء الحرب الكبرى ، حيث قامت البلشفية فى الروسيا ، وأصبحت الاشتراكية مذهباً عملياً لنظام قائم من الحكم ، أقامه لينين على أنقاض القيصرية ، بعد أن اقتلعها واجتذها من أصولها . وأوجد انقلاب سنة ١٩١٧ النظام السوفييتى فى الروسيا فى ظروف معروفة ، ولا يزال هذا النظام قائماً فى الروسيا حتى الآن

ويذكرنا القرن العشرون ، بالنسبة لقيام الاشتراكية وانتشارها فى العالم برغم مقاومة الحكومات لها بالقرن التاسع عشر ، بالنسبة لقيام الحركات الوطنية وانتشارها فى أوروبا برغم مقاومة الحكومات الرجعية لها . والشبه غريب بين الحرب الكبرى وحروب نابليون ، وبين مؤتمر فرساي الحانظ ومؤتمر فينا الرجعى

على أننا نريد أن نبسط الحقائق كاملة ، فليس من الدقة فى شىء أن نقول إن الاشتراكية بقيت وحدها فى الميدان ، بل يجب أن نفتح أعيننا على ما يجرى الآن أمامنا من صراع عنيف بين الاشتراكية والوطنية . فان الحركات القائمة على رابطة الوطن ورابطة الجنس لم تخمد جذوتها فى أوروبا ، بل هى قد زادت اشتعالاً . وكأن حرب الطبقات التى شهرتها البلشفية فى وجه العالم ، تلك الحروب الشعواء التى أذكى نارها العمال ثم صاروا لها وقوداً ، وهم يريدون من ورائها أن يبسطوا سلطانهم ، وأن يحكموا بالسيف والنار ، تلك الحرب العنيفة القاسية قد استفزت دعاة الوطنية فى أوروبا وألبتهم فوقفوا صفوفاً متراصة أمام هذا العدو المشترك . ووقعت الواقعة ، ونشب عراك دموى بين دعاة الاشتراكية ودعاة الوطنية ، وانضوى دعاة الوطنية فى أقوى مظهر من جهادهم تحت لواء حركتين مشهورتين : هما الفاشية الايطالية تحت قيادة موسولينى ، والنازية الألمانية تحت قيادة هتلر . ووقف كل من هاتين الحركتين سداً منيعاً أمام تيار البلشفية الجارف ، ووقف كل منهما يريد أن يبسط سلطانه . ونرجىء الكلام فيهما إلى المحاضرة القادمة

عبد الرزاق السنهورى



صور من القرن الثامن عشر

# ٢ - جاكومو كازانوڤا

## مجرب مجتمع ومغامر مرح

للأستاذ محمد عبد الله عنان

قضى كازانوڤا صباه وفتوته الأولى محروماً من عطف والديه، يجوز حياة مضطربة، ويتقلب بين شظف العيش ورفاهته، ويلق بنفسه المضطرمة إلى غمار من اللهو والادمان والخلاعة، ويلتمس متاع الحياة بأي الوسائل. وكان يرى الحياة لهواً ولعباً، ولكن الحياة الناعمة تتطلب الرزق الوفير، ولا بد أن يجد كازانوڤا لنفسه وسائل الارتزاق. وكانت المقامرة يومئذ رذيلة المجتمع الرفيع، ولكنها كانت أيضاً ملاذ المقامرين من كل ضرب، يلتمسون بها الرزق والثراء؛ وكازانوڤا مقامر بارع، فلم لا ينزل إلى هذا الميدان؟ وبسم له الحظ في المقامرة، وانتظم في سلك المقامرين المحترفين الذين يستحلون كل الوسائل للكسب أو للسرقة المستترة؛ ورأى فوق ذلك أن يتشح بثوب الخفاء، وأن يحترف الشعوذة وكشف الأسرار؛ وكانت الأذهان يومئذ تشغف بالخفي والمجهول، وكان كازانوڤا يجيد هذا الضرب من الشعوذة، وقد رأيناه يتخذه سبيلا لتمكين نفوذه لدى صديقه وحاميه الجديد السيد براجادين.

وهكذا نزل كازانوڤا إلى ميدان المقامرة مسلحاً بأسلحة العصر، يلتمس الرزق من طريق المقامرة، ويلتمس النفوذ من طريق الشعوذة، ومن ورائه عصبة من الأصدقاء الأقوياء الذين يخلبهم بروائه وظرفه وشعوذته؛ وكانت هذه الحياة في نظر المقامر هي المثلى، وكان يرى المجتمع من حوله موبوءاً يموج رذيلة وفساداً، ويرى الشرف والكرامة والنزاهة وكل ما إليها كلمات جوفاء لا يتحلى بها أرفع من يسودون المجتمع من امراء وأحبار وسادة، فكيف يطلب اليه هو أن يخضع حياته لمثل هذه الأباطيل؟

وكان كازانوڤا ينزل يومئذ عند السيد براجادين كما رأينا، ويعيش منعما مرفهاً، يقضي أيامه في لهو ولعب ونزه وغزل لا ينقطع، يجوب شوارع البندقية المائية في قاربه الوثير، ويتسقط مواعيد الحب كل مساء. وكانت المرأة عنده غاية الغايات، وكان الحب فنه ومهنته التي كأنه فطر عليها بطبيعته وخلاله وعواطفه، وكان مسلحاً لهذه الغاية بأخص الصفات التي تذلل له غزو القلوب، فقد كان بديع القد والتكوين، وسيم الطلعة، ذا سمرة جذابة؛ وكانت عيناه الواسعتان تشعان سحراً وذكاء وشهوة؛ وكان ذا شخصية جذابة، حلو الحديث والشمائل، جواداً، جم الأدب والظرف، يضطرم حباً وجوى؛ وكانت له فراسة خاصة في تفهم عقلية المرأة وميولها؛ وكان ظفره المتوالي في الحب يذكي عزائمه ورغباته، ويدفعه دائماً إلى البحث عن غزوات جديدة؛ وكان يشعر شيئاً فشيئاً أن البندقية لم يبق فيها ما يمكن أن يغزو وأن يستمرئ، وأن ايطاليا كلها قد غدت تضيق بجولاته ومغامراته؛ وكانت فرنسا تجذبه يومئذ بشهرتها وروعة الحياة الساطعة التي يحياها المجتمع الرفيع فيها؛ وسرعان ما سنحت له الفرصة لتحقيق أمنيته، فسافر إلى باريس ليخوض غمار هذه الحياة الساطعة، وكان يومئذ في نحو السادسة والعشرين

وكان المجتمع الفرنسي، ينحدر يومئذ، في عهد لويس الخامس عشر، إلى نوع من الخمول الباهر، ويستمرئ حياة عاطلة من المثل المعنوية الرفيعة، فياضة بالرغبات والشهوات الوضيعة؛ وكانت دولة القانيات، من أمثال دوبارى وبومبادور هي صاحبة الحول والسلطان يومئذ؛ وكان يلتف حول هذا الملك الخليع بلاط وضيع الخلال، يضرب بتهتكه وانحلاله للمجتمع الرفيع أسوأ المثل؛ وكانت حياة هذا المجتمع — مجتمع النبلاء والسادة — كلها لهو ولعب وحب وغزل وفساد ورياء؛ فإلى هذا المجتمع الباهر الخامل معاً هبط كازانوڤا يبحث عن طالعه في عالم الحب؛ وهنالك تعرف منذ مقدمه بمواطنه الممثل الشهير ماريو باليتي وزوجته سلفيا، وكانا يومئذ من أعلام مسرح «الكوميديا الايطالية»؛ فعلمه شيئاً من اللغة الفرنسية، وعرفه بكثير من الشخصيات البارزة من رجال ونساء؛ واندفع كازانوڤا

إلى هذا العالم الجديد بتذوق مسراته ، ويتابع غزواته النسائية بين الممثلات والراقصات وسيدات المجتمع الرفيع ؛ وهو يذكر لنا في مذكراته التي نشير اليها فيما بعد ، طائفة من أسماء هؤلاء اللائى ظفر بهن في تلك الفترة مثل ميمى ابنة السيدة التي نزل عندها ، والآنسة فزيان وهي فتاة أجنبية زائرة ، ولوزون مورفى الشهيرة التي أدخلت « حريم » لويس الخامس عشر فيما بعد ، والآنسة سنت هيلير ، وسيلفيا زوجة صديقه ، وغيرهن ؛ واستطاع كازانوفا في نفس الوقت أن يتذوق طرفاً من الحياة الأدبية ، وأن يتصل ببعض كبار الأدباء والكتاب مثل فونتنيل ودلامبير والأب فوازنون ومدام دى بوكاج ، وأن ينظم بعض القصائد ، وأن يترجم بعض القطع والرسائل

وعاد كازانوفا إلى البندقية (سنة ١٧٥٣) وقد فاضت نفسه غبطة وزهوا بما تذوق من صنوف اللهو الرفيع ، وما حقق لنفسه من ظفر في ميدان الحب ، وبدت له البندقية عندئذ ضيقة متواضعة ، بالنسبة لما رأى وشهد في باريس ؛ وذكت أطماعه وأمانيه ، وزاد غروراً وترفعاً واستهتاراً ، وأخذ ينظر إلى هذا المجتمع البندقي من عل ، ويتصل بالكبراء والسفراء ولا سيما سفير فرنسا الأب دى برنى ؛ ولم يكن كازانوفا متحفظاً في أقواله أو أعماله . فكان يطلق العنان لآرائه المتطرفة ، ويزاول الشعوذة علناً ، وكان يثير على نفسه السخط في كل ناحية ، وكانت علائقه الغرامية موضع الحديث ومثار النقمة ؛ وكان ثمة جماعة من النبلاء والكبراء الذين يضايقهم بلسانه ومنافساته الغرامية يتربصون الفرص لسحقه ؛ وكان من هؤلاء كبير من كبراء الدولة هو « الشيخ » كوندلار النائب العام ؛ وكان لهذا الشيخ القوى صاحبة تدعى مدام زورزى سطا عليها كازانوفا وانتزعها منه ، فاعتزم التنكيل به ، وأطلق في أثره جواسيس الشرطة يقدمون عنه التقارير القاذفة ، وفيها أنه يتصل بالسفراء الأجانب بعلائق مريبة ، ويخدع البسطاء بمزاعمه السحرية ، ويعيش على نفقة الغير ، ويغوى البنات والنساء المتزوجات ، ويسخر من الدين ، وينتمى إلى البناء الحر ( الماسونية ) ، وغير ذلك من التهم الخطيرة التي تكفي لادانته وإهلاكه

وعلى أثر ذلك قررت محكمة التحقيق ( التفتيش ) اعتقال المتهم ، وفي فجر ٢٦ يوليه سنة ١٧٥٥ ذهب مدير الشرطة مع ثلة من رجاله الى منزل كازانوفا واعتقله ، وأخذه مصفداً الى قصر الدوجات ؛ وهنالك ألقى به الى السجن المواجه في غرفة لا هواء فيها ولا نور تمرها الجرذان والحشرات المختلفة ، وتكاد لانخفاضها تقصر عن ايواء قامته المديدة ؛ وفي الحادى والعشرين من أغسطس قضت محكمة التفتيش بادانته في التهم التي نسبت اليه ولاسيما الطعن في الدين ، وقضت بسجنه خمسة أعوام في سجن « الرصاص » الشهير ( بيومبى ) وهو الذي اعتقل فيه . وقضى كازانوفا أيامه الأولى في السجن في ذهول ويأس يكاد يمزقه الغيظ والكمد ، وكان منقطع الصلة بالعالم الخارجي ، لا يعرف شيئاً عن سبب اعتقاله أو مداه ؛ وكان يؤمل بادىء ذى بدء أن يسترد حريته بسرعة بمؤازرة بعض أصدقائه الأقوياء ، ولكن الشهور تعاقبت عليه دون أن ينفذ الى وكره المظلم شعاع من الأمل ، وأعقب الصيف الخريف ثم تعاقبت الفصول ، عندئذ ترك اليأس جانباً ، واستعاد عزمه وقوة نفسه ، وعول على الفرار ؛ وما زال يعمل في خفاء وصمت ، ويغالب الصعاب والرقابة الصارمة حتى نضج مشروعه . وفي ليل اليوم الأول من نوفمبر ، فر كازانوفا مع شريكه وجاره في السجن الأب بالبى ، وذلك بأن خرقا عرش الغرفة الرصاصى ، واستطاعا بعد مجهود عنيف مروع أن ينحدرا من جدران القصر الى ميدان القديس مرقص ، واستقلا زورقاً حملهما في جوف الظلام بعيداً عن مواطن الخطر ؛ ولم يأمن كازانوفا على نفسه حتى جاز حدود البندقية الى أرض بورجو دى فالزجانو المجاورة ، وبذلك أمن شر مطارديه واستطاع أن يتنفس نسيم الحرية مرة أخرى

***

وتركت تلك المحنة في نفس كازانوفا أعمق الأثر ، وكان قد جاوز الثلاثين يومئذ ، واستحالت لديه نزعات الحداثة الى نوع من التفكير المتزن ، وأخذت الأطماع والأماني تغلب على نفسه ، وتخضع لديه نزواته المضطرمة ؛ وكان همه دائماً أن يغزو المجتمع الرفيع ، ولكن غزو المجتمع الرفيع يقتضى مالا ومغامرة ؛ وكان المجتمع الباريزى الذي عرفه حيناً وتذوق فيه لذة الظفر والأمل يجذبه دائماً ويلوح له بأعظم الأماني ؛ ولهذا نراه في باريس في يناير

سنة ١٧٥٧ يبحث عن طالعه كرة أخرى ؛ وكان صديقه وحاميه القديم السيد براجادين عده بمرتب حسن ، وكان صديقه الأب دي برني سفير فرنسا السابق في البندقية قد عاد الى فرنسا ، وتولى وزارة الخارجية ، فتقدم اليه يطلب عونه ، فأوصى به بعض كبراء الدولة ؛ وكانت المشكلة المالية أهم ما يشغل فرنسا يومئذ وفي سبيل حلها تقدم أغرب المشاريع والاقتراحات . وكان من بين المشاريع التي وضعت لايجاد بعض المال أن تصدر الدولة « أوراق يانصيب » يغطي إيرادها نفقات المدرسة الحربية التي أنشئت يومئذ لتخريج ضباط للجيش الفرنسي ؛ وكان يضطلع بالمشروع اخوان ايطاليان يدعوان كالسابيجي ، فاتصل كازانوفا بذوي النفوذ والمشرفين على العمل ، وكان يتمتع في ذلك الميدان ببعض الخبرة وتقدم عن المشروع آراءه وملاحظاته ، فروعي أن يعين مديرا للمشروع بمرتب ضخم وعمولة حسنة ، وصدر بالمشروع قرار وزاري في أكتوبر سنة ١٧٥٧

وهكذا تبوأ كازانوفا منصباً خطيراً مربحاً يحقق له تلك الحياة الناعمة المستقلة التي طالما طمح اليها . واتخذ له مسكناً فخماً في ضاحية سان دني يموج بالنعم والحشم . وأقبل الناس على شراء أوراق اليانصيب الحكومية إقبالاً حسنا ؛ ووقع السحب الأول في ابريل من العام التالي وأسفر عن نتائج مرضية ؛ ثم وقع مراراً خلال العامين التاليين ، وظفرت المدرسة الحربية بكل النفقات اللازمة ؛ وحقق كازانوفا لنفسه ربحاً وفيراً يقال إنه بلغ مائة ألف في العام ، هذا عدا ما كان يربحه من أعمال التنجيم والشعوذة التي لم ينقطع عن مزاولتها ؛ وعهد اليه أثناء ذلك ببعض المهام الرسمية السرية فأداها بنجاح ؛ وعهد اليه أيضاً بمهمة مالية في هولنده فأسفرت عن نتائج مرضية ؛ وهكذا ذاع اسمه وتوطد مركزه ، وزاد ثراؤه ، وشعر لأول مرة في حياته بأنه غدا الرجل الذي طمح أن يغدو ، ينثر الذهب من حوله بلاحساب ، ويحقق لنفسه أعز الرغبات والأهواء والأماني

واتخذ كازانوفا لنفسه خارج باريس مسكناً آخر غير مسكنه الباريسي أنيقاً وثيراً به حاشية باهرة ، وخيل مطهمة ، وهنالك كان يقضي معظم أوقاته في متاع ومرح ، يطلق لنفسه عنان الهوى والحب ، ويستمرئ غزواته النسائية بلا انقطاع ؛ وكان كازانوفا يعشق الحياة الفخمة ، ويتملق بمظاهر العظمة والأناقة ، ولكنه لبث دائماً ذلك المحب النهم الذي تغلب لديه الغرائز الوضيعة ، والذي يسعى إلى إرضاء شهواته المضطرمة بأي الوسائل ، وفي أي الظروف والمناسبات

وانفق كازانوفا في باريس بضعة أعوام في عيش طروب خفض يغزو جميع القلوب ، وينعم بوصل السيدات والغانيات من كل ضرب ويزاول التنجيم والشعوذة ؛ وكان يتسمى عندئذ بالشفاليه دي سنجال ، أو الشفالييه سنجال دي فاروزي ، ويبهر الناس بروعة مظاهره وأساليبه ، ويتقرب من الأكابر ، وينعم بالجاه والنفوذ والثراء . بيد أن هذه الحياة الباهرة كانت تنضح دائماً عن جوانب وثغرات مريبة ؛ ذلك أن كازانوفا لم يكن متحوطاً في مغامراته وعبثه ؛ ولم يكن يحجم عن أي الوسائل لاستلاب المال أو القلوب ؛ ومن ذلك أنه اشترك في حادث تزوير أوراق مالية ، وأغرى عدداً من أكابر السيدات ، ومنهن المركيزه دورفي التي خدعها واستحوذ على قلبها ومالها بشعوذته ؛ وسطا على كثير من الأزواج والآباء ، فاستلب منهم زوجاتهم أو بناتهم ، واتصل بجماعة خطرة من الأفاقين ولصوص المجتمع الرفيع يدبر معها الخطط والمشاريع المريبة ؛ وذاعت هذه الوقائع والفضائح المزرية ، وكادت تدفع بالمغامر الجريء إلى غمار لا تحمد عواقبها ، ولكنه آثر الهجرة مرة أخرى ، وعم عندئذ شطر هولندة مزوداً بقية من المال والجاه وتوصيات بعض الأكابر

ونزل كازانوفا في لاهاي سنة ١٧٥٩ ؛ واستأنف هنالك حياة البذخ والطرب ، يعيد سيرته التي جازها في كل المواطن ، عاشقاً مضطرماً تحمله شهواته حيثما يحمله ظافره ، وتسقط فرائسه بين أذرعه تباعا ، ويبتز المال من هنا وهنالك بكل الوسائل والحيل ، ويستمرئ حياة الخديعة والشعوذة والغواية إلى الذروة ، ويثير حوله بعد حين نفس الشكوك والريب التي يثيرها أينما حل ؛ وإذ يشعر بأن وسائله وحيله ومظاهره كلها قد نفقت ، وأن الجو يتجهم من حوله ، يعتزم الرحيل والنقلة . وهكذا غادر كازانوفا لاهاي كما غادر باريس من قبل مثقلاً بالريب والفضائح ، وهبط إلى لندن في خريف سنة ١٧٦٣ تحدوه آمال وأماني أخرى

( للبحث بقية ) محمد عبد الله عنان

( النقل ممنوع )

# الخصيان

## أصل العادة وتاريخها وانتشارها

للدكتور مأمون عبد السلام

هوت النيرة الجنسية بالانسان إلى درك ما دون الوحوش ، فوسوس اليه الشيطان أن ينتزع الرجولة من الأبرياء ليتخذهم خداماً يأتمنهم على عرض نسائه وحفظة لطهارتهن . هذا هو الأصل فى اتخاذ الخصيان . وهى عادة لجأ إليها الصينيون والهنود والبابليون والفرس من عصور خالية ، فقد أخبرنا هيرودوت بما كان للخصيان من السطوة فى دولة الفرس فى عهده

وقد عرفهم العرب من قديم فقالوا : خصى بمعنى وخصى ، وتقول العامة طواشى ، وهى كلمة مولدة ليست من كلام العرب . فقد كان من عادة العرب فى الجاهلية أن يخصوا أسراهم كما كان يفعل قدماء المصريين ؛ وتجد ذلك مصوراً على جدران مدينة حابو ، وكما يفعل الأحباش الآن . وهذه العادة قديمة فى مصر ، فقد عثروا فى هرم أوناس على مخطوط عرف منه أن حوريس سل خصيتى سيت . وقد اتخذ الفراعنة الخصيان فى قصورهم فبلغوا من النفوذ والسطوة ما حدا بهم إلى قتل أمانيميس وهو الفرعون الثانى من العائلة الثانية عشرة

ونظراً للاعتقاد السائد بأمانة الخصيان فقد أطلق اسم الخصى على أمناء فرعون وملوك بنى اسرائيل ، فقد جاء فى سفر التكوين ( ٣٩ : ١ ) : ( وأما يوسف فأنزل إلى مصر واشتراه فوطيفار خصى فرعون رئيس الشرط ) وكلنا يعلم أن فوطيفار وهو العزيز كان متزوجاً وقد راودت زوجه يوسف عليه السلام عن نفسه فأبى واستعصم

وقد اتخذ بنو اسرائيل الخصيان كما ذكر فى الكتاب المقدس (الملوك الثانى ٩ : ٣٢ — ٣٣ و ٢٤ : ١٥ وأخبار الأيام الأول ٢٨ : ١ وإستير ٦ : ١ — ٢ ) وقد حرمت التوراة اتخاذ الخصيان وخصاء الحيوان ، فقد جاء فى سفر التثنية ( ٢٣ : ١ ) : لايدخل خصى بالرض أو مجبوب فى جماعة الرب . وجاء فى سفر اللاويين : ومرضوض الخصية ومسحوقها ومنزوعها ومقطوعها لا تقربوا للرب

وقد أخذ الاغريق هذه العادة عن الشعوب الأسيوية التى غزاها الاسكندر المقدونى فانتشرت بينهم بعد موته ؛ واسم الخصى عندهم يونوقوس eunochos ( ومنها الكلمة الافرنجية يونوق eunoch ( واشتقاقها من يونو euné بمعنى الفراش وايقيون ekheim بمعنى الحارس أى حارس فراش الزوجية

وقد أدخل هذه العادة هليو جابال إلى رومه فى عهد الأمبراطورية أى فى نهاية القرن الثالث وتفشت بعد ذلك فى الدولة البيزنطية

وقد حتمت بعض العبادات الخصاء على اتباعها ليتفرغوا للتعبد كما كان يفعل كهنة الهياكل الوثنية السورية القديمة

وقد جاء ذكر الخصيان فى انجيل متى ( ١٩ : ١٢ ) : « لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ، ويوجد خصيان خصاهم الناس ، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات . من استطاع أن يقبل فليقبل » وقد اعتمد بعض السيحيين المتقدمين على هذه الآية وخصوا أنفسهم ليتحرروا من الوقوع فى الخطيئة . وأول من فعل ذلك أوريجانوس الاسكندرى المولود سنة ١٨٥ أو سنة ١٨٦ ميلادية ، وقد أحسن أبوه تهذيبه فتلقى العلم على أكابر علماء المسيحية أمثال بانطينوس وكليمان فى المدارس الكاتيدرائية وهى مدارس دينية كانوا يتلقون فيها الفقه المسيحى والعلوم الأغريقية (على نحو الجامعة الأزهرية فى الاسلام) ؛ وقد خصى نفسه زهداً منه فى الحياة الدنيا ورغبة فى تلقين النساء العلم . وقد قضى ثمانية وعشرين عاماً بالاسكندرية رحل خلالها إلى رومه وانطاكية وبلاد العرب خدمة للدين والعلم

وقد اقتدى الكثير من المسيحيين بأوريجانوس فظهرت فى القرن الثالث المسيحى فرقة الفليسيين نسبة إلى فليسيوس العربى رئيسهم الذى قال إن الخلاص لا يتم إلا بالخصاء ؛ فكانوا يخصون أنفسهم ومن يقع فى أيديهم تقرباً إلى الله تعالى . وقد ثبت المجمع النيقادى الذى عقده الامبراطور قسطنطين الخصاء فى قوانينه فاستمرت العادة بين بعض الطوائف المسيحية حتى

حرمها البابا ليو الثالث عشر

وزغماً عن ذلك فقد استمر بعض الروسيين إلى أول الثورة الشيوعية على اتباعها ، فقد كان منهم فرقة من الخصيان التعبدين اسمها سكوبسى Skopsi أى الخصيان

وكان من عادة الطليان أن يخصوا الأولاد قبل البلوغ ليحافظوا على نعومة أصواتهم وخدتها للغناء فى الكنائس والمسارح إذ كانوا يمنعون النساء من مزاولة ذلك . فحرم هذه العادة البابا اكليمنس الرابع عشر ولكنه لم يتمكن من ابطالها حتى فى رومه عقر داره

ويحرم الدين الاسلامى الخصاء فى الانسان والحيوان ، وورد فى ذلك أحاديث ؛ وقد اعتبر أبو العباس رضى الله عنه الخصاء عملية شيطانية يحرمها المولى

وقد دفعت أبهة الملك معاوية بن أبى سفيان بجارى ملوك الروم فى اتخاذ الخصيان فكان أول من اتخذهم فى الاسلام كما ذكر المسعودى . ومن ثم تفشت هذه العادة فى الدول الاسلامية وخاصة عند بنى عثمان ، وعنهم أخذنا كلمة ( أغا ) للخصى ، وأصل الكلمة أقا بالفارسية بمعنى السيد ؛ ويعنى بها العثمانيون الأخ الأكبر وصف الضابط ورئيس فرقة الانكشارية ، ثم أطلقت على الخصى ، وقد انتشر هذا الاسم فى ممتلكات آل عثمان كالشام ومصر والجزائر وغيرها

وكان جميع خصيان مصر وشمال إفريقيا وبلاد العرب والشام وتركيا من السود والحبشان ، وأصلهم من الرقيق يخصونهم فى بلدة باجرمى بالسودان

وقد تكلم عن الرقيق بمصر بورخهاردت وهو رحالة سويسرى كان فى خدمة الانجليز جاء إلى مصر وقام فى ٢٢ فبراير سنة ١٨١٣ من أسوان إلى بلاد النوبة ، وكان يحكمها إذ ذاك أولاد حسن كاشف الثلاثة ، فذكر أن بورغو غرب دارفور كانت مكان خصاء الرقيق ومنها كانوا يحملون إلى سواكن ومكة والمدينة ومصر ، ولكن السواد الأعظم من الخصيان الذين يرسلون إلى أوروبا وتركيا كانوا من الرقيق الذى كان يعيش إلى أسيوط ، وكانوا يخصون فى قرية تسمى زاوية الدير قرب أسيوط ، وكان يقوم بهذه العملية راهبان من أهلها حازا شهرة كبيرة فى ذلك . وكانا محط ازدراء المصريين جميعاً ؛ ولكنهما كانا يقومان بهذه العملية تحت حماية الحكومة مقابل ضريبة سنوية يدفعونها

ونسبة الوفيات من الخصاء منخفضة بعكس ما قد يعتقد ، فقد مات من جرائها اثنان من ستين ولدا خصوا فى خريف سنة ١٨١٣ ، ولا تزيد النسبة فى العادة على اثنين فى المائة . وكانت عادتهم أن يقوموا بهذه العملية حال وصول القافلة من دارفور أوسنار ويختار لها الأولاد من سن الثامنة إلى الثانية عشرة الذين يمتازون بقوتهم وتناسق أعضائهم وذكائهم

وكانت أجرة العملية ستين قرشا . وقد بلغ متوسط ما كان يخصى بأسيوط مائة وخمسين خصياً فى السنة ، وكان ثمن الخصى بأسيوط فى هذا العهد ألف قرش

ويقول بورخهاردت إنه فى سنة ١٨١١ أمر محمد على باشا أن يخصى مائتا عبد دارفورى ليرسلهم هدية سنية إلى السلطان الأعظم بالأستانة . وقد روى أن الخصيان البيض قليلون بتركيا ، وأنه رأى بالحجاز عدداً من الخصيان الهنود خصوا فى بلاد الهند وأرسلوا هدية إلى الحجاز

وقد رجع بعض العرب إبان الحرب الوهابية الأولى إلى عادتهم فى الجاهلية وهى خصاء الأسرى ، وذلك أن الشريف غالب أمير مكة أسر أربعين رجلا من قبيلة عنية وهى قبيلة تدين بالمذهب الوهابى ، وكان فى حرب معهم فأمر بأن يخصوا ثم يفك أسرهم فماتوا من جراء ذلك سوى اثنين رجعا إلى قبيلتهما بعد أن التأمت جراحهما ؛ وقد امتلأ قلباهما بالحقد والضغينة فقتل أحدهما ابن عم الشريف غالب فى إحدى المعارك ، وأما الآخر فقتل وهو يحاول اقتحام خيل الشريف ليقتله بنفسه

وينجم عن الخصاء أن يبطل فعل الغدد الجنسية وخاصة إفرازاتها الداخلية التى لها تأثير كبير فى التوازن الفسيولوجى والجنسى ؛ ويكون التأثير على أشده فى الصغار ويقل كلما كبر سن من يراد خصاؤه ، فينمو الصبى الخصى كالأنثى فلا ينبت شعر وجهه ، ويكون صوته رفيعاً وعظامه كعظام النساء وعضلاته لينة ويتضخم عجزه ، ويصبح أكثر ميلاً إلى الدس والايقاع . ويكون التأثير فى البالغ أقل ظهوراً فيضعف شعر الذقن أو قد يختفى ، ويتغير الصوت . ويتعرض الرجل بعد الخصى لاضطرابات

عصبية شديدة ولأفكار سوداوية تنشأ عن جمود العاطفة الجنسية ، أما إن خصى الرجل وهو كهل فالتغير لا يكون ملموساً

وقد يتسرب إلى الذهن أن الخصاء يضعف من حدة العقل والشجاعة وهـذا خطأ محض ، فى التاريخ أدلة تثبت ما كان للخصيان من القوة والبأس والتبحر فى العلوم وعلو الباع فى سياسة الأمم وقيادة الجيوش . فمن الخصيان الذين خلد التاريخ أسماءهم باغوص الفارسى الملقب بصانع الملوك ، وفافوريتوس الفيلسوف صديق بلوطارخ ، وأرسطو نيقوس القائد البطليموسى ، وفوطين وزير بطليموس ، وأيوتروب وزير اركاديوس

وكان للخصيان شأن عظيم فى عهود كثيرة من التاريخ الاسلامى وخاصة بمصر فكان أظهرهم الأستاذ أبو المسك كافور الاخشيدى الذى انتزع الملك لنفسه وخطب باسمه على المنابر ، ثم الطواشى محسن الصالحى ، والطواشى صبيح فى آخر عهد الدولة الأيوبية . وقد أشار اليهما المرحوم ميخائيل بك شاروبيم فى كتابه ( الكافى ) عند كلامه عن أسر المصريين لملك فرنسا فقال إنه لما اشتد الأمر على الفرنسيس وقلت عندهم الأقوات وصعب لذلك عليهم المقام قبالة المسلمين رحلوا يريدون دمياط فاقتفى المسلمون أثرهم فانحاز الملك لويز بمن معه من الملوك والأمراء إلى بلد هناك وطلبوا الأمان فأمنهم الطواشى محسن الصالحى ثم غدر بهم وأحضرهم أسرى إلى المنصورة فقيد الملك لويز وجعله فى دار كان ينزلها كاتب الانشاء فخر الدين بن لقمان وآثارها لا تزال باقيـة إلى الآن وقد تهدم أكثرها ووكل به الطواشى صبيح المعظمى ، وفى ذلك يقول الشاعر مهدداً الفرنسيس :

دار ابن لقمان على حالها والقيد باق والطواشى صبيح

وليس أمر خليل أغا وما كان له من السطوة فى عهد اسماعيل عنا ببعيد .

مأمون عبد السلام

---

# مجموعات الرسالة

ثمن مجموعة السنة الأولى مجـلدة ٥٠ قرشاً مصريا عدا أجرة البريد
ثمن مجموعة السنة الثانية ( فى مجلدين ) ٧٠ قرشاً عدا أجرة البريد
ثمن مجموعة السنة الثالثة ( فى مجلدين ) ٧٠ قرشاً عدا أجرة البريد
وأجرة البريد عن كل مجلد للخارج ١٥ قرشاً

---

# قصـــة المكروب
## كيف كشفه رجاله
### ترجمة الدكتور أحمد زكى

وكيل كلية العلوم

## الدفتريا

*بيع واحد سمها الفرنسى ، وكاشف ترياقها الألمانى*

ومضت أربع سنوات تحققت بعدها نبوءة لُفلار ، وبم تحققت ؟ بتجربة تظهر لك غاية فى السخافة ، والحقيقة التى لا شبهة فيها أنها تجربة أوغلت فى الخيال وتفانينه بقدر ما بعدت عن دائرة الحقيقة واليقين . تجربة ما كان يحسب حاسب إلا أنها تنتهى بقتل الخنزير الغينى الذى استخدم فيها غرقاً ؛ ولم تكن هذه التجربة بدعاً فى الذى أوحاه هذا العصر من تجارب ، فبحث المكروب فى باريس كان عندئذ على أشده حدّة وعنفاً ، يصدر عن قلوب هائجة محمومة لا عن عقول هادئة باردة ، فى هذا العصر كان بستور خائر القوى ، منهدم الكيان ، بعد نُصرته التى كانت من كشفه فكسين الكلَب ، فقنع بأن يشرف فى ضعفه على بناء المعهد ذى اللبون فرناك الذى كان يقام فى شارع ديتو Rue Dutot[1] وكان فى باريس فى هذه الفترة متشنيكوف Metchnikoff [2] ، وكان رجلا جموحا احترف البحث فى المكروب فسلك فيـه سبيلا وسطاً بين العلم والشعوذة ، وكان جاء باريس من أوديسا الروسـية ليجشأ فيها بنظريات غريبة تتحدث عن بلع كرات الدم البيضاء للجراثيم ؛ وأخذ فى هذا العصر أشياع بستور يحزمون جاهرهم فى عيابهم ويسافرون إلى سيجون Saigon فى الهند الصينية وإلى أستراليا ، يقصدون إلى كشف مكروبات لأدواء عجيبة لم يكن لها وجود أبداً . وفزعت أمهات كثيرات إلى بستور ، والأمل يملأ قلوبهن ، يرجونه فى كتب لا عدّ لها أن يُنجى أولادهن من أمراض

(١) يقصد معهد بستور
(٢) أحد بحاث المكروب المعروفين وستأتى ترجمته

شنيعة عديدة ، ولكن بستور كان رجلا مجهودا منهوكا

كتبت اليه احداهن تقول : « إنك لو شئت لوجدت دواء لهذا الداء اللعين الذى يدعى بالدفتريا ، انك لو فعلت لأعطيت الحياة لأطفالنا وكان لك ثواب ذلك ، اننا نذكرك لهم ، ونحفّظ اسمك إياهم بأنك رب خير للانسانية كبير عميم

ولكن بستور كان قدغاض معينه ، فلم يبق فيه إلا ذَماء ، فقام عنه رو يحاول محو الدفتريا من على ظهر الأرض ، وأعانه فى هذا يرسين Yersin ، وهو رجل لا يهاب الموت ، كان من نصيبه بعد ذلك أن اكتشف جرثومة الموت الأسود فنال بها مجداً كبيرا ، ولم يكن الذى أتاه رو من ذلك علما ، إنما كان جهادا وحرباً . كانت تحدوه عاطفة قوية فاقتحم السُّبُل الى غايته اقتحاماً ، فلم يتريّث كما يتريث المكتشفون لاختطاط الخطة ومصابرة الفرصة فى دهاء وافتنان . ولست أقول إن (رو) بدأ بحثه من أجل هذا الكتاب الذى كتبته تلك البائسة تسترحم فيه بستور ، ولكنى أريد أن أقرر أن رو بدأ بحثه وأكبرُ همّه تخليص الأرواح لا علم الحقائق ، فهذا البيت فى شارع ديتو ما كان يضم إلا رجالا انسانيين همّهم خلاص البشرية وتخفيف وبلائها ، يستوى فى ذلك ربّه الشيخ المشلول ، وغاسل القنانى الخامل الحقير . كلهم كانوا يعملون لخلاص الناس ، وهذا طيب جيل ، ولكنهم حادوا من أجله أحياناً عن السبيل الذى الذى لابد من سلوكه لبلوغ الحقيقة . . . . ومع هذا ، وبرغم هذا ، فقد كشف رو كشفاً رائعاً عيداً

كانت الدفتريا تفتك بباريس فتكاد ذريعاً . فذهب رو ويرسين الى مستشفى الأطفال فوجدا هناك نفس البشلة التى كان وجدها لُفلار . فربّوها فى حساء بقارورة ، وربّما الخُبايى المعروفة ، ففنا مقادير كبيرة من هذا الحساء فى كثير من طيور وحيوانات منحوسة الطالع فماتت ضحية العلم ، دون أن تعلم عما ضحّت ، فترضى وتطيب نفساً عن نصيبها . ولم يكن هذا الذى بدءا فيه بحثاً كثير النفع كثير الانتاج مستنيراً ، ولكنهما لم يلبثا أن وقعا وشيكا على الدليل الذى أعوز لُفلارَ ، فان الحساء شلّ الأرانب . ذهب مفعوله فى أوردتها فلم تمض إلا أيام قلائل حتى سارت تجر أرجلها الخلفية وراءها عرجا . فسر أصحاب

التجربة سروراً كبيراً . وزحف الشلل إلى أجسامها حتى بلغ أكتافها وأرجلها الأمامية ثم ماتت فى شللها وبلاها ولزاجتها شرّ ميتة

قال رو وقد ملأته رغبة شديدة فى الايمان بالذى يقول : « إن هذه البشلة تقتل الأرانب على نحو ما تقتل الأطفال . . . . لابد إذن أنها هى سبب الدفتريا الذى لاشك فيه ، ولابد أنى واجد الآن هذه الجرثومة فى هذه الأرانب . واستخرج عدداً كبيراً من الأنسجة من كل ركن من بضعة جثث من هذه الأرانب ، واستخرج أطحلتها وقلوبها ، وزرع منها زَريعات كثيرة ، ولكنه لم يجد بها بشلة واحدة . انها أيام قلائل فقط مضت منذ حقن بلايين من البشلات فى كل أرنب منها . ولكن ها هى ذى ملقاة أمامه ، قد انتزع أحشاءها ، وقطّع أوصالها ، وفتّش فيها مبتدئاً بأوتها الحمراء منتهياً بما تحت ذيولها البيضاء ، ولكنه لم يعثر بها على بشلة واحدة . إذن فما الذى قتلها ؟ !

ألخاطت نبوءة لُفلار تمر سريعة كالبرق بخاطره . فتفكر وقال : « لابد أن هذه البشلات تصنع سماً وهى فى الحساء ، ولابد أن هذا السم هو الذى يَشلّ ويقتل

وانبعثت فيه روح البحث الصحيح ، روح المعرفة للمعرفة ، فنسى الأطفال وآلامهم ، وأكبّ على الخنازير الغينية والأرانب يذبحها قتلا وجزرا ، فقد وجب عليه أن يثبت أن هذه البشلات تعصر سماً من أجسامها الدّقاق .

وبدأ هو ويرسين يدوران يتحسسان فى الظلام عن تجارب تهديهم إلى إثبات ما يبغيان إثباته . وطال تحسسهما ، وبعدت طرائقهما عن طرائق العلم . ولهما العذر فى ذلك ، فلم يكن لديهما فى هذا الباب طرائق معروفة ، ولم يكن سبقهما فيه سابق فيترسمون خطاه على هدى وبصيرة . ولم يسمع أحد قبلهما بأن باحثاً فصل سماً من أجسام المكروبات ، إلا بستور فقد كان حاول شيئاً لم يستتمه من هذا . كانا وحدهما فى ظلمة هذه الجهالة . ولكنهما استطاعا أن يقدحا عود كبريت . . . قالا : « إن البشلة لابد تصب سمّها فى الحساء ، كما تصب سمّها فى دم الطفل وهى مقيمة على غشاء حلقه » . بالطبع هما لم يثبتا هذا

ووقف رو حجاجه النظرى ، وسئم الدوران منه فى دائرة

لا تنتهي، واعتزم حل المُعضل في المعمل بيديه. وجد أن التلمّس في هذا السّماء لا يجديه نفعاً. وجد أنه كرجل اختل محرّك سيارته فتعطلت، فأراد أن يصلحه وهو لا يدري من عمل المحركات شيئاً. فكان الأولى به أن يتعلم كيف تعمل المحرّكات أولا. فقام الى قارورات من الزجاج كبيرة، ووضع فيها أحسية خالية من المكروب طاهرة، ثم بذر فيها بشللات نقية من الدفتيريا، ثم أودعها في الدافىء لتربّى. فلما بقيت فيها أربعة أيام وتم نضجها قال رو: «والآن فعلينا فصل الحساء من المكروب». وجهّز الاثنان لذلك جهازا غريبا، مُرشّحاً له شكل الشمعة الا أنه أجوف، صنعاه من مادة صينية دقيقة اكتنزت حباتها وضاقت مسامّها فأذنت بنفاذ الحساء ورفضت ذرات المكروب فيها. ونصبا هذه الشمعات الجوفاء في مخابير من الزجاج لامعة صقيلة، وقاما بصبان الأحسية فيها على حذر شديد مخافة أن يصيبهما رشاش قاتل منها، ولكنها أبت أن تنفذ من الشموع إلى المخابير، وأخيراً استطاعا أن يُنفذاها بهواء مضغوط ضغطا شديدا، فلما تم لهما ذلك تنفّسا الصُّعَداء وهما يصفّقان على المنضدة، ذلك الراشح الرائق قد تراءى في قواريره الصغيرة أصفر كالكهرمان(١) ولم تكن به جرثومة واحدة

وتمتم رو لنفسه: «هذا السائل لا شك يحتوي السم. ثم لقد حبست الشموع ما كان به من جراثيم» ولكنه مع هذا لابد أنه يقتل الحيوانات، وهرج المعمل ومرج بالساعدين وهم يحضرون الخنازير والأرانب، فلما حضرت ذهبت إبر المحاقن في بطونها بهذا السائل الذهبي، ضربتها فيها يد رو، وهي يد خفيفة بارعة

وانقلب رو فصار فتاكا سفاحاً، وملأ قلبه حب القتل، فلم يجيء إلى معمله يوماً إلا وفي نفسه رغبة كرغبة المجنون أن يجد حيواناته قتيلة صريعة. وكأني بك تسمعه يصيح الى روسين: «إن السم لا بد فاعل فعله الآن فيها، لا بد أنه ضارب بنابه الآن في مقاتلها»، ثم هما ينظران معاً فلا يجدان ما يشفي غليلهما ويؤمن على نبوءتهما، فلا الشعور انتفشت، ولا الأرجل الخلفية شلت فتجرجرت، ولا الأجسام ارتعشت وانتفضت

كان وقع ذلك شديداً عليهما. بعد كل هذا التعب، وكل هذا التجريب والتفنن في دقة وحذر، تظل هذه الحيوانات تقرض بقولها في أقفاصها قرضاً، وتثب فيها وثبا، وتتنازل ذكورها وإناثها وتتهارش هذا الهراش السخيف الذي لابد منه لايجاد النسل وتواصل الجنس... إنها تملأ أمعدتها وتشبع شهوتها ولا تأبه لشيء. أما هؤلاء الأناسي المردة الطوال الذين أحسنوا غذاءها هذا الاحسان فليحقنوا في أوردتها أو في بطونها من ذاك الحساء ما شاءوا. أيدعونه سما؟ لقد طال بهم الخبال، وكذب الخال. إن يكن سما فهو لا يزيدها إلا هناءة وطيب حال

وحاول رو مرة أخرى فحقن مقادير أكبر من حسائه في طائفة حيواناته، ثم في أخرى، ثم في أخرى، ولكن من غير جدوى. لم يكن في الحساء سم

لو أن رو رجل طائل عادي لكفاه الذي جرى، واقتنع بأن الحساء الذي أودعه الدفأ أياماً ثم رشحه لم يكن به سم قط. ألم يكفه هذا العدد العديد من الحيوانات التي ضاعت سدى؟ ولكن رو — ولتحمده الأمهات والأطفال المساكين، ولترعه الملائكة التي تحفظ البحاث المجانين — ولكن رو كان في تلك الساعة مجنونا. أصابه مس كالذي كان يصيب أستاذه بستور فيجعله يرى الصواب في الذي يراه الناس أجمع خطأ، ويقدح ذهنه فتخرج منه التجربة المستحيلة الناجحة. كأني بك تسمع هذا الرجل السلول ذا وجه الصقر يصيح لنفسه: «هنا، في هذا الحساء سم لا محالة». وكأني بك تراه يدور في معمله يصيح هذه الصيحة إلى القوارير المصففة على الأرفف التربة، وإلى الأرانب والخنازير الغبية، وهي لو استطاعت لضحكت من هذا المجهود الخائب الذي بذله ويبذله رجاء قتلها. «لابد من سم في هذا الحساء الذي نمت فيه بشللات الدفتريا، وإلا فكيف ماتت الأرانب إذن؟»

وأخيراً، بعد أن قضى الأسابيع يحقن أحسيته في الحيوانات ويزيد مقدار ما يحقن فيها كل مرة، أخيراً عزم على أن يحقن في الخنزير ثلاثين مقداراً من الحساء دفعة واحدة، ففعل وكاد يغرق الخنزير بحسائه. كان مثله في ذلك مثل المقامر الذي سئم الخسارة، فلما يئس جازف فوضع على الرقعة كل ماله. حتى بستور ما كان ليجسر هذه الجسارة فيحقن الخنزير الغبي الصغير تحت جلده بخمسة وثلاثين سنتيمتراً من الحساء كما فعل

(١) أو إن شئت فالكهرباء

رو . أليس فى هذا المقدار لو أنه ماء نقى ما يقتل الخنزير بمجرد حجمه . وهو إذا مات فأى نتيجة تستخرج من هذا من وجود السم فى الحساء . . . ولكن رو لم يأبه لذلك ، فدفع بهذا المقدار من الحساء وهو كالبحر فى بطن الخنزير . ودفع بمقدار مثله فى وريد بأذن أرنب ، فكان كمن صب جردل ماء فى أوردة إنسان متوسط الجرم

ولكن بهذا الأسلوب الغريب كتب رو اسمه فى لوحة المجد ، فعلى الناس أن يخلدوها على الدهر ويحفظوها من البلى ما بقى على ظهر هذه البسيطة إنسى . احتمل الأرنب والخنزير تلك الشربة الهائلة وصمدا لجرمها الكبير ، وهنئا بالسلامة ونعما بالعيش يوماً أو يومين بعد هذا ، ولكن لم يمض على ذلك غير ثمان وأربعين ساعة حتى انتصب شعراهما على ظهريهما ، وأخذا يتنفسان اختلاجا . وماتا بعد خمسة أيام ، وظهرت عليهما نفس الأعراض التى ظهرت على الحيوانات الأخرى التى ماتت عقب حقنها بمكروب الدفتريا نفسه لا بحسائه المرشح . وبهذا اكتشف رو سم الدفتريا .

لو أن الأمر اقتصر على هذه التجربة ، وما تضمنته من جرعة هائلة من حساء ضعيف السم ، إذن لضحك قناص المكروب منها ومن صاحبها رو ، ولتخذوا منها فكاهة فاضحة : «إن تكن قارورة كبيرة من مكروب الدفتريا لا تخرج إلا هذا السم القليل حتى ليحتاج إلى أكثر هذه القارورة لقتل خنزير غينى صغير ، فأنى لبشلات قليلة تحل فى زور الطفل أن تصنع من هذا السم ما يكفى للقضاء على جرمه الكبير ! هذا حمق أى حمق ! »

ومع هذا فرو حل بذلك العقدة الأولى . وبهذه التجربة السخيفة قدح أول قدحة وأطار أول شرر شع فى ظلمة الطريق فعرف به إلى أى ناحية يتجه وعلى أى جنبيه يميل . فأخذ يتحسس طريقه بين الأحراج ويشق سبيله بين الأدغال بطائفة من التجارب الدقيقة حتى انفتح له السبيل بغتة عن أرض عراء فعرف مكانه واستوثق مما هو فيه . واستغرق فى ذلك شهرين عرف بعدهما السبب فى ضعف السم بحسائه . واتضح له أنه لم يكن ترك الحساء ببشلاته فى الدفأ مدة كافية ، فلم تتمكن البشلات من العمل فلم تصنع من السم ما تعودت أن تصنعه . وعلى هذا صنع حساء جديداً ووضع فيه بشلات جديدة أودعها الدفأ وأبقاها هناك فى حرارة كحرارة الجسم مدة اثنين وأربعين يوماً . فلما أخرجها أخرج سماً كأقوى ما تكون السموم ، وحقن القليل منه فى حيواناته فصنع بها ما لا يصنع . وأخذ فى تقليل مقدار ما يحقن فيها عسى أن يقال فتكه بهذه الحيوانات ولكنه حاول عبثاً ، وظل ينظر بعين واسعة وقلب مغتبط تياه إلى القطرات القليلة من هذا السم تذهب بالأرانب وتقتل الشياه وتأتى بالكلاب صريعة . ثم أخذ يتناهى بهذا السائل الفتاك ، فجففه ، وأراد دراسة كيميائه فأخفق . ثم ركزه تركيزاً كبيراً ، ووزن ما ركز ، ثم عكف يجرى عمليات حسابية طويلة

فوجد أن الأوقية منه تقتل ٦٠٠٠٠٠ خنزير غينى ، أو ٧٥٠٠٠ كلب كبير . ووجد أن الخنزير الغينى الذى يناله من هذا السم جزء من ٦٠٠٠٠٠ جزء من الأوقية تتحول أنسجة جسمه فتكون كأنسجة جسم الطفل الذى يموت بالدفتريا

هكذا أول رو حلم لفلار وحقق نبوءته ؛ وعلى هذا النحو كشف عن رسول الموت السائل الذى يتحلب من أجسام هذه البشلات الصغيرة الحقيرة كشف رو لنا عن الطريقة التى تقتل بها هذه البشلات الأطفال ، ولكنه لم يكشف لنا عن طريقة ندفع بها شرها ، والكتاب الذى بعثته تلك الأم البائسة لبستور تسأل فيه دواء لهذا الداء بقى على المكتب لا يجد له جواباً ، ومع هذا فعمل رو بلغ أمره الأطباء فتعلموا كيف يربون تلك البشلات من حلوق المرضى من الأطفال ، وأثمر عدة اقتراحات بغرغرات نافعة يغسلون حلوقهم بها ، ولكن رو لم يكن له صبر بستور ولا حيلته

أحمد زكى

في العدد القادم : بارنج يكتشف ترياق الدفتريا

# نشأة مقاييس الذكاء

للأستاذ على محمد فهمى

مدرس التربية التجريبية المساعد بمعهد التربية للبنين

ليس علم النفس بالعلم الحديث ، بل هو قديم من أيام أرسطاطاليس ، ولكنه لم يثمر إلا فى القرن العشرين ومن ثم صار علماء علم النفس يبحثون بجد فى العقل وكنهه ، وفى الذكاء وأصله ، فاستفادت التربية من قياس ذكاء الأطفال . وقد قامت الأبحاث فى محاولة قياس الذكاء عدة مراحل أهمها أربع :

## المرحلة الأولى

فى هذه المرحلة لاحظ الباحثون بادئ الأمر أن هناك تبايناً بين الأفراد فى الفهم والتفكير والتذكر والقدرة على التعلم وان هـذا التفاوت يختلف باختلاف الجنس والعمر والبيئة ، وكانت الجهود كلها موجهة إلى محاولة تعيين مقدرة المرء العقلية بواسطة شكل جسمه وخاصة الرأس والعاهات الخلقية التى فى الانسان ، فأول ما نشأت فكرة إيجاد مقاييس الذكاء كانت عبارة عن مجرد فحص الحالة الجسمية

وكان أول من تناولها بالبحث والكتابة فيها الأستاذ لافاتير Lavater سنة ١٧٧٢ فقد نشر فى هـذه السنة بحثاً عن معرفة صفات الانسان العقلية والنفسية من ملامح الوجه

ثم نشر جول Gall صاحب نظرية الجمجمة كتابا عن معرفة صفات الناس من أشكال رءوسهم وقياس عظامهم الجمجمية فعمل خريطة للعقل وقسمه إلى ملكات وكانت الملكة تكبر أو تصغر بحسب قوتها وضعفها ويسمى هـذا العلم بعلم الفراسة Phrenology

ثم تبعه فى بحثه الدكتور بل سنة ١٨٠٦ ثم داروين سـنة ١٨٧٢ وكانا يعتبران أن صفات الشخص العقلية تعرف من حالة عضلاته ، فالخائف مثلا تظهر عليـه علامات كأن تفتح عيناه وترتعش ركبتاه وغير ذلك من علامات الخوف ؛ فاذا كان الخوف مستمراً فانه يترك فى وجه الشخص طابعا يدل عليه ، ولكن ثبت خطأ هذه النظرية إذ قد توجد علامات مشتركة بين حالات مختلفة فلا يمكن مثلا التمييز بين علامات الضحك من السرور وعلامات الضحك من الاستغراب والاستهزاء

قام بعد ذلك الأستاذ لمبروزو Lombroso الاخصائى فى علم الأجرام بمباحثه وأتى بفكرة جديدة وهى الحكم على صفات الناس العقلية والنفسية من العلامات التشريحية Anatomical Stigma فهو يقول بأن هناك وصمات Stigma وتشويهات معينة فى الجسم يدل وجودها فيه على ميل فطرى للاجرام ، فمثلا كبر الرأس وشكله وعدم مساواة نصفيه وعرض الجبهة وضيقها والأنف العريض والمقلوب والفرطح وسـقف الحلق الضيق والمرتفع — ويكون عادة على شكل ٨ — والآذان عديمة الحلمة والمشوهة والكبيرة الحجم ، كل هذه العلامات أو العاهات كما يقول الأستاذ لومبروزو هى علامات صحيحة للاجرام موجودة مع الطفل من يوم ولادته . وعلى ذلك فهو يرى أن الشذوذ فى الخلقة يرجع إلى شذوذ فى النفس والعقل . وقد نشرت ملاحظات هذا العالم وتجاربه هو ومساعدوه فى أواخر القرن التاسع عشر ، ولكن على توالى الزمن اقتنع العلماء بأن الحكم على العقل أو النفس بمجرد مشاهدة الخلقة حكم لا قيمة له بل يجب اختبار الصفات العقلية والنفسية باختبارات عقلية سيكولوجية

هدأت الأفكار بعد ذلك نوعا ما وتحولت عن نظرية لمبروزو وعلاقتها بالاجرام : هنالك نشط الباحثون واستنفدوا جهدهم فى البحث فوصلوا إلى أن كبر حجم الجمجمة دليل على كبر حجم المخ ، وكبر حجم المخ دليل على الذكاء والعكس ، غير أنه فاتهم للأسف أن الذكاء لا يقدر بكبر حجم المخ ولا بصغره وإنما يقدر بسمك المادة السنجابية وكثرة تلافيف المخ الخ . وقد نشط الأستاذ بيرسون فى بحث هذا الرأى فأجرى تجاربه على ٥٠٠ طالب من جامعة كولومبيا بأمريكا فوجد أن العلاقة بين حجم المخ والذكاء تكاد تكون معدومة

## المرحلة الثانية

بعد ذلك ظهرت فى أوروبا فى القرن التاسع عشر ثلاث حركات علمية مهدت السبيل لظهور المقاييس العقلية وهى :

أولا : ظهور علم النفس التجريبى فى ألمانيا على يد ويبر Weber

الذى اهتم بدراسة الاحساسات وحاول أن يطبق عليها روح القرن التاسع عشر وهى الروح العلمية التجريبية ، وتبعه عالم ألمانى اسمه فخنر Fechner ثم تبعهما سلسلة علماء حتى جاء وند Wundt وأنشأ أول معمل لعلم النفس فى ليبزج سنة ١٨٧٩ ، وكان متجهاً لدراسة الاحساسات لوجود فلسفة الترابط فى انجلترا Association فى ذلك الوقت ، وفلسفة الترابط هذه تقول إن أصل كل حياة فكرية هى الاحساسات ، وإذن فالاحساسات هى أساس نشوء الحياة العقلية ، ولذلك عمد وند Wundt لدراسة زمن الرجع Reaction وهو الزمن الذى ينقضى بين وصول المؤثر وبين حصول الرد عليه ، لأنه دليل على سرعة العمليات العقلية ، وكان يساعده فى أبحاثه الأمريكى كاتل Cattell الذى لاحظ أن الأشخاص يختلف بعضهم عن بعض فى زمن الرجع ، وكانت أبحاثه ضد رغبة استاذه وإن كانت تعتبر الآن من الينابيع التى غذت المقاييس العقلية

ثانياً : دراسة الوراثة فى انجلترا : وأول من بدأ بدراستها هو فرنسيس جالتون Francis Galton وهو أحد أقارب داروين واشترك معه فى أبحاثه فى نظرية النشوء والارتقاء ، ولكن داروين كان كل همه دراسة وراثة الانسان من وجهة الجسم فقط فاهتم جالتون بدراسة وراثة الصفات العقلية ، وقد نشر سنة ١٨٨٣ كتابه « أبحاث فى القوى العقلية » وبه عدة أبحاث خاصة بالخيال ومحاولات بسيطة لقياس الصفات العقلية ، ثم فتح فى لندن معملا للقياس العقلى والجسمى ، وسماها مقاييس انثروبولوجية ( خاصة بدراسة البشر )

على أن بحث السير جالتون هذا وإن كان خلوا من الملاحظات والنتائج إلا أنه يعد أول عالم فكر فى موضوع الذكاء وقياسه

ثالثاً : حركة علم النفس الطبى فى فرنسا : أخذ علم النفس يتجه اتجاها عمليا فى فرنسا وذلك لأن الفرنسيين مهتمون بالطب ، ولأن علم النفس يتصل بالطب اتصالا تاما ، ومن الموضوعات التى كان لها أثر فى القياس العقلى ظهور مسألة قياس ضعفاء العقول Mental defectives فأخذ الناس فى القرن الثامن عشر يهتمون بهم ويتفهمون حالتهم ويحاولون علاجهم . ساعد على ذلك عثور صياد فى غابة Caune بفرنسا فى يوم على طفل فى حالة همجية ، فأخذه إلى باريس وفحصه الأطباء وعهدوا بتربيته إلى فيلسوف طبيب اسمه إتار Itard وكان طبيبا فى معهد الصم والبكم ، فجرب على الطفل الطرق الحسية ليرى تأثيرها على تعليمه وتحوله من الهمجية ، وبعد مضى مدة وجد أن التقدم فى حالة الطفل بطىء فأرسله إلى معهد خيرى ، حيث كان يشتغل طبيب اسمه سيجان Séguin وكان تلميذاً لاتار Itard فلم ييأس هذا من استعمال الطرق الحسية مع الولد حتى نجحت وتقدم الولد تقدما ملموسا

ذلك الى إنشاء مدرسة تربية ضعفاء العقول على طريقة Séguin وشاع استعمال هذه المدارس ثم جدت مشكلة الحكم على عقل الطفل فحمل ذلك وزارة المعارف فى فرنسا على انشاء لجنة لدراسة هذه المشكلة ، وكان من بين أعضائها بينيه Binet الذى عمل أول مقياس عملى للذكاء سنة ١٩٠٤

## المرحلة الثالثة

ذكرنا أن كاتل كان يبحث مع وند فى ألمانيا وزار جالتون فى لندن ، ولما عاد إلى أمريكا عين مدرساً لعلم النفس فنشر سنة ١٨٩٠ برنامجاً للقياس العقلى اقترح فيه أن تطبق مقاييس خاصة على طلبة مدرسته ، وكانت المقاييس بسيطة تقاس بها القوى الحركية والتمييز الحسى ومظاهر أولية للذاكرة والحكم

نشر كاتل هذه الاختبارات فى مجلة انكليزية ذيلها جالتون بالتعضيد فأثر نشرها فى أوربا وأمريكا وطبقها علماء النفس حتى أنه فى سنة ١٨٩٦ استأجر جاسترو Jastrow مكانا فى معرض شيكاغو وأخذ يختبر ذكاء الأشخاص نظير أجر ، ثم أخذ كاتل فى تطبيق هذه الاختبارات على الطلبة فى جامعة كولومبيا نشرت نتائجها سنة ١٩٠١ وقارن جلبرت Gilbert نتائج هذه الاختبارات التى عملت على الطلبة بنتائج حكم المدرسين على الطلبة أنفسهم ، فوجد أن الاتفاق بين الاثنين ضعيف جدا

ومن ذلك نرى أن هذه المقاييس لم تكن مضبوطة ، ولم تدل على الذكاء تماما ، لأنها تقيس قوى فردية ليس بينها وبين القوة العقلية العامة علاقة متينة ، وقد أدى هذا النقص إلى التحول عن هذه المقاييس وأصبحت جامعة كولومبيا تحت رئاسة Thorndike مركزاً للبحث فى هذه المقاييس ، وبالتدريج تغلبت الروح العلمية فأخذ علم النفس صبغة طبية فى فرنسا ، وابتدأ

وزارة المعارف العمومية

## اعلان

ظهر الجزء الثانى من مجلة مجمع اللغة العربيـة الملكى وثمنه ٨٠ مليماً وأجرة البريد ٢٠ مليما ويمكن الحصول عليه من المخزن العامة للوزارة بدرب الجاميز بالقاهرة ومن مخزنها الفرعية بالإسكندرية وطنطا والزقازيق وبنى سويف وأسيوط ويخصم ٢ ½ ٪ من الثمن عند شراء خمسين نسخة فأكثر .

---

إنه فى يوم السبت ١٨ أبريل سنة ١٩٣٦ الساعة ٨ أفرنكى صباحا بشارع أنجه هانم منزل نمرة ٧ بشبرا بمصر سيباع علنا بالمزاد العلنى طقم جلوس وراديو ملك رزق أفندى جرجس المدرس بالمدرسة التوفيقية الثانوية بشبرا تنفيذاً للحكم نمرة ٢١٩ سنة ١٩٣٥ كلى الزقازيق وفاء لسداد مبلغ ٧ ج و ١٠٠ م لغاية أجرة النشر منه ٦ ج و ٣٠٠ م لطالبة البيع و ٨٠٠ م لخزينة المحكمة بخلاف ما يستجد

وهـذا البيع بناء على طلب الست شفيقة عوض الله القيمة ببندر شبين القناطر ومنتدب للدفاع عنها حضرة الأستاذ ناشد أفندى عبد المسيح المحامى بالزقازيق . فعلى راغب الشراء الحضور

---

فى يوم السبت ١٨ أبريل سنة ٩٣٦ من الساعة ٦ صباحا لغاية المساء واليوم التالى إذا لزم الحال بناحية بنى موسى تبع ابشنا مركز بنى سويف وفى يوم الأحد ١٩ منه بسوق بلفيا مركز بنى سويف من الساعة ٧ صباحا لغاية المساء سيباع علنا المنقولات وخلايات النحل وعيدتى نول النسيج الواضح كل هـذا بمحضر الحجز ٢٧ فبراير سـنة ١٩٣٦ تملك عبد الوهاب متولى النساج من الناحية المذكورة نفاذا للحكم نمرة ٦٤١٠ جزئى بنى سويف سنة ٩٣٥ وفاء لمبلغ ٢٤٦ قرش صاغ كطالب جاد أحمد سالم من عزبة أبو القاسم تبع الكوم الأحمر مركز بنى سويف فعلى راغب الشراء الحضور.




## محكمة كفر الشيخ الأهلية

اعلان بيع نشرة ثالثة فى القضية

نمرة ١٢٧٣ سنة ١٩٣٥

إنه فى يوم الثلاثاء ٥ مايو سنة ٩٣٦ من الساعة ٨ أفرنكى صباحا بسراى المحكمة سيصير إشهار مزاد العقار الآتى بيانه بعد ملك محمد ابراهيم المنوفى البلن فى مواجهة النيابة وفاء لمطلوب السيدتين نفوسه هانم نجيب وأمينه هانم نجيب من مصر وعلهما المختار مكتب حضرة الأستاذ ناشد أفندى عبد السيح المحامى وفاء لمبلغ وقدره ٤٥١ ج و٢٩٥م بخلاف ما يستجد وذلك بناء على حكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة ومسجل بمحكمة طنطا الأهلية نمرة ٧٦٠ فى ١٨ مايو سنة ١٩٣٥ صحيفة ٢٨٨ و ٢٨٩ جزء ثان سنة ٩٣٥ بثمن أساسى قدره ٢٠٤٨ قرشا بعد تنقيص الخمس بجلسة ١٧ مارس سنة ١٩٣٦

١٥ ط أطيان زراعية ملكه ميراثا عن والده المرحوم ابراهيم سليمان المنوفى مشاعا فى ٥ ف مشاعا فى ١٠ ف بناحية الكوم الطويل مركز كفر الشيخ بحوض الحمة الغربى نمرة ٥٠ ص نمرة ١ مكلفه نمرة ٢٧٦ سنة ١٩٣٤ من بحرى أطيان بدوى محمد وشرقى أطيان محمود ابراهيم خليل وغربى السيد أفندى سليمان وقبلى أطيان بدوى محمد بك

٣ ط من ٢٤ ط فى منزل كائن بناحية أبو بدوى مساحته ١٣٠ ر ٤٢٨ متر مبنى بالطوب الأخضر يحتوى على عشر أود وثلاث صالات كامل الأبواب والشبابيك والسقوف من بحرى شارع عمومى وبه بابان للمنزل وغربى داير الناحية العمومى وفضاء تابع للمنزل وشرقى شارع عمومى وبه باب للمنزل وباب محل تجارة وقبلى بدوى بك محمد وآخرين والناحية تابعة لناحية الكوم الطويل مركز كفر الشيخ غربية على أن يباع بسائر الشروط وجميع الأوراق مودعة بدوسية القضية لمن يريد الاطلاع عليها

فعلى راغب الشراء الحضور

كاتب البيوع

---

فى يوم الثلاثاء ٢١ ابريل سنة ١٩٣٦ من الساعة ٨ صباحا إلى ما بعدها بناحية المطيعه مركز أسيوط والأيام التالية إذا لزم الحال سيباع علنا محصول زراعة ١٢ ط و ١ ف مزروعة فول ملك فراج عمار فراج بناحية المطيعه وفاء لمبلغ ٨٣٣ قرش صاغ بخلاف رسم هذا وأجرة النشر نفاذا للحكم ن ٥٦٠٦ سنة ١٩٣٢ مدنى جزئى أسيوط كطلب محمد أحمد محمد من الشغبه مركز أسيوط فعلى راغب الشراء الحضور

---

فى يوم الأربعاء ٢٢ ابريل سنة ١٩٣٦ الساعة ٨ صباحا وما بعدها بناحية قراقص مركز دمنهور وفى يوم الاثنين ٢٧ ابريل سنة ١٩٣٦ بميدان التوبة بدمنهور سيباع علنا عدد ١٥ قطعة منقولات مبينة بمحضر الحجز ١١ مارس سنة ١٩٣٦ نفاذا للحكم ن ١٠٢٢ سنة ٩٣٦ مدنى دمنهور وهى تملق حنفى محمد مكرم القيم بالناحية المذكورة وفاء لمبلغ ٦٥٦ قرش صاغ بخلاف ما يستجد كطلب مصطفى مصطفى الشرقاوى وعائشة عامر دعلوبة المقيمين بقراقص

فعلى راغب الشراء الحضور

الفرنسيون يهتمون بقياس العمليات العقلية ذات الأهمية الظاهرة في الحياة، وفي سنة ١٨٩٦ ظهر مقال للعلامة بينيه في مجلة السنة النفسانية التي اتخذها مسرحاً لنشر أبحاثه المختلفة، وكان يحرر الجزء الأعظم منها بنفسه باذلاً في ذلك مجهوداً كبيراً ومهتماً من البداية بمسألة الذكاء وقياسه معالجاً إياها من نواح عدة، وقد نقص بينيه الأبحاث التي عملت قبل ذلك وحمل على الاختبارات الموجودة حملة شديدة إذ كانت تقيس قوى عقلية بسيطة ليست مهمة في الحياة، فكانت حسية وحركية، ولكن الناس لا يتميزون في الذكاء بقوة الاحساس والحركة وإنما يتميزون بقوة الحكم والخيال والذاكرة. وذكر بينيه أيضاً في مقاله أنه لا بد لقياس الذكاء من ترك المقاييس القديمة والبحث عن أخرى لقياس القوى العقلية العليا، فكان لهذا المقال أثر كبير نقل مقاييس الذكاء من نظريات الى معامل، وأبطل استعمال الأجهزة النحاسية التي كانت تستعمل، ومن ذلك الحين تدفقت الاختبارات العقلية التي قام بها فريق كبير من العلماء، على أننا لا يمكننا تتبع كل هذه الاختبارات وإنما نتكلم على أهمها وهو اختبار بينيه

ولد الفرد بينيه بمدينة نيس من أعمال فرنسا سنة ١٨٥٧ وحصل على أجازة الحقوق سنة ١٨٧٨ ثم عكف على دراسة الطب وتتلمذ للعالمين المشهورين وقتئذ فيريه Feré وشاركو Charcot ولا سيما الثاني منهما فقد بث فيه روح الاهتمام بدراسة نفسيات الشواذ من الناس. ثم تعاون بينيه مع آخرين على إنشاء معمل للأبحاث النفسية في السربون ثم أصبح هو مديراً لهذا المعمل وكان أحد أعضاء اللجنة التي شكلتها وزارة المعارف الفرنسية لاختيار ضعاف العقول فخطر له أن يدعم عمله في هذه اللجنة ببحث قيم يتخذ أساساً وعوناً لبقية البحوث في المستقبل؛ وبدأ عمله بالبحث في ماهية ضعف العقل، ومن هو ضعيف العقل من الأولاد الذي يحتاج إلى تعليم خاص، وقد خصص جهوده كلها ومواهبه العلمية لانجاز هذا العمل وعكف عليه زمناً طويلاً لا يقل عن سبع سنوات وفق فيها إلى غرضه وأخرج مقياساً علمياً عملياً حقاً، وظهرت له سلسلة أبحاث في المقاييس العقلية. وقد رأى أن الانتباه الارادي والذكاء مرتبطان لدرجة أنه يمكن اتخاذ مقاييس الانتباه دليلاً على الذكاء فوضع اختبارات عديدة منها زمن الرجع وإعادة بعض أعداد والسرعة في عد دقات الكرونومتر .

وقام عالم ألماني آخر اسمه ايبنجوس Ebbinghaus سنة ١٨٩٧ وعمل اختباراً سماه طريقة التركيب Combination Method ويسمى الآن طريقة التكميل فدلت الاختبارات التكميلية على أنها من أحسن الاختبارات للذكاء، والأساس الذي بني عليه هو اعتقاده أن الذكاء لا يتجلى في إدراك المؤثرات متفرقة وإنما يتجلى في ضم المؤثرات بعضها إلى بعض لتركيب وحدة كلية، ففي الجملة الواحدة مثلاً لا يتجلى الذكاء في فهم كل كلمة على حدة بل في فهم الجملة كلها وهي فكرة وجيهة جداً، وقد استمر البحث حتى سنة ١٩٠٥ حين ظهر أول مقياس كامل للذكاء من عمل بينيه Binet ومساعده سيمون ثم عدلاه في سنة ١٩٠٨ وفي سنة ١٩١١ وترجم مقياس سنة ١٩٠٨ إلى لغات عدة فأحدث أثراً كبيراً في العالم وجرب في بلاد كثيرة وقد سخر بعض الناس من مقياس بينيه وقالوا إنه ليس له فائدة عملية، ولكن أكثر العلماء رأوا فائدته وكان بينيه مشبعاً بالروح العلمية الحديثة، وظل يدخل إصلاحات عدة في مقياسه ومات سنة ١٩١٢

وقد كان من نتيجة تجربة مقياس بينيه في بلاد كثيرة أن تجلت الحاجة إلى تعديله بما يلائم حالة كل بلد منها، ولذلك ظهرت له تنقيحات عديدة منها خمسة أو ستة في أمريكا وتعديل أو اثنان في ألمانيا وانجلترا، وأهم هذه التنقيحات تنقيح الأستاذ تيرمان Terman الأمريكي وكان أستاذاً بجامعة استانفورد وسمى التنقيح باسم الجامعة The Stanford Revision of the Binet Simon Tests of Intillegence.

وكان ترمان مهتماً بمسألة القياس العقلي حتى قبل ظهور مقياس بينيه، فقد ألف بحثاً في العبقرية geniuty والغباوة Stupidity حاول به أن يوجد أسئلة تميز بين الأذكياء والأغبياء وقد نشر أبحاثه هذه في سنة ١٩٠٦ ولما نشر مقياس بينيه اهتم به اهتماماً كبيراً وابتدأ بمساعدة شلد Child في تعديل هذا القياس بأن ضم إليه عدداً من اختباراته وأوجد مقياساً منقحاً ولكن أهم من ذلك أنه أدخل في تنقيحه فكرة جديدة ليست من عنده ولكنها من عند عالم ألماني يدعى استرن Stern وهي فكرة نسبة الذكاء، وقد كان بينيه يعتمد في مقياسه على تأخر أو تقدم العمر العقلي عن العمر الزمني، ولكن التجربة دلت على أن هذه

الطريقة ليست دقيقة ، فمثلا إذا فرضنا أن ولداً عمره العقلى ٧ سنوات والزمنى ٥ سنوات فان تقدمه العقلى على حساب بينيه يكون مماثلا لولد عمره العقلى ١٢ سنة وعمره الزمنى ١٠ سنوات

أما استرن Stern فيقول إن ذكاء الأول أكبر من الثانى لأن نسبة الذكاء فى الأول أكبر منها فى الثانى ، فنسبة ذكاء الأول ٧/٥ = ١,٤ بينما فى الثانى ١٢/١٠ = ١,٢ — أخذ ترمان هذه الفكرة نفسها وأضافها إلى مقياسه المنقح إلا أنه ضرب هذه النسبة فى ١٠٠ لكى يتلافى الكسور فتكون نسبة ذكاء الأول ١٤٠ والثانى ١٢٠ وقد نقل الأستاذ القبانى اختبار ستنفرد بينيه هذا إلى العربية بعد أن أدخل كثيراً من التعديلات الضرورية عليه لجعله ملائماً للبيئة المصرية

المرحلة الرابعة

كل المقاييس التى ذكرت لفظية Verbal وقد اعترض على هذا النوع من المقاييس :—

(١) لأن الطالب الذى تكون ظروف بيئته لا تساعده فى التعبير يظلم فى هذه البيئة ، ولذا فالتلميذ الذى من وسط اجتماعى راق يكون أذكى من تلميذ من وسط اجتماعى فقير ، لأن الأول يسمع مناقشات ويشترك فيها بينما لا يقابل الثانى من أبيه أو أمه إلا بالزجر والضرب

(٢) وهناك أطفال لا تتوفر عندهم ملكة الكلام أو غير متمكنين من اللغة الموضوع بها الاختبار

(٣) وهناك أطفال من ذوى العاهات كفاقدى السمع والنطق يصعب اختبارهم بهذه المقاييس اللفظية

(٤) فى بعض البلاد تختلف اللغة الدارجة التى يتعلمها الطفل عن لغة الاختبار كمصر مثلا

كل ما تقدم أدى الى البحث عن اختبارات أخرى تصلح لهذه الحالات كلها ولذا عملت اختبارات عملية Perfor mance Tests بمعنى أن المطلوب فيها سؤال لا يجاوب عليه باللفظ ، ولكن يكلف المفحوص بالقيام بعمل يعمله أمام المختبر ، ومن أمثلتها لوحة الأشكال Form-Board وبها أشكال مختلفة مجوفة يعطى للطالب أجسام مماثلة لها بحيث يضع كل جسم فى الشكل المجوف المماثل له ، وهناك لوحات سهلة التركيب وأخرى صعبة التركيب يمكن فى مثل هذه اللوحات احتساب عدد تغيير القطع حتى يجد الولد القطعة الملائمة وحساب الزمن الذى يستغرقه المختبر فى اتمام تركيب اللوحة

وهناك نوع آخر من هذه الاختبارات يسمى اختبار التواهات Maze Tests مثل بيت جحا ولكنها مرسومة على ورق فيدخل الطالب من باب ويخرج من آخر

وهناك نوع ثالث وهو لوحة الصور يلصق عليها صورة مقطوع منها أجزاء ، وهذه الأجزاء تعطى للتلميذ ويطلب منه تكميل الصورة

كل هذه الاختبارات فردية تعطى لكل فرد على حدة فتطبيقها يحتاج الى وقت كبير ولذا فنحن فى حاجة الى اختبارات لا تحتاج الى وقت كبير فاخترعت اختبارات جمعية Group Tests. إذ فكر Otis من تلاميذ Terman فى عمل اختبار جمعى ، وقام علماء النفس بأمريكا بعمل اختبارات جمعية ، فألفوا مقاييس الجيش ، وأطلقوا على الأول منها مقياس Alpeha وهو من النوع اللفظى وعلى الثانى Beta وهو اختبار عملى جمعى تستعمل فيه الصور ، وقد ارتاح رجال الجيش الى نتيجة هذه الاختبارات فانتشرت من أمريكا الى بقية العالم

على محمد فهمى

في المباراة الأدبية

# استثمار نهضة المرأة المصرية للخير العام

## للآنسة فتحية عزمي

كانت نهضة المرأة في مصر إحدى ثمار الثورة الوطنية المباركة التي انبجست من قلوب أبنائها البررة عام ١٩١٩؛ وإذا كانت الثورات التي حدثنا عنها التاريخ قد أفادت العالم من كل نواحيه، وخلقت روحاً جديداً من الطور في كل مرافقه، فان مصر هي الأخرى قد جنت من وراء ثورتها الفتية نهضة مباركة بدأ أثرها جلياً في السنين الأخيرة في الأدب والفنون والعلوم والاقتصاد والسياسة. وكان من أبرز هذه المظاهر وأروعها خروج المرأة المصرية من معقل التقاليد العتيقة المرذولة الى الحياة العملية الصحيحة بعد الجهل المخيم والجمود الطويل...

لقد مضى على المرأة المصرية حين من الدهر لم تكن شيئاً مذكوراً حتى نفخ الزعيم الخالد «سعد» العظيم في صدور الثورة فلبت مع الملبين، وترامت في ميدان الجهاد مع المترامين، فرأينا كيف يجتذب صوت الداعي الأخاذ النفاذ خدور العذارى والسيدات إلى حيث النداء والتضحية، وكيف أن المرأة المصرية الحيية الساذجة قد ألقت عنها خمارها لتجابه بوجهها الحديد والنار في جانب الرجل، تشد عضده بمظهرها الحماسي الجريء، وتبعث في نفسه روح البسالة والاقدام، فيسارع الى الموت باسماً لا ينكص ولا يتزعزع، وهكذا سجل التاريخ للمصرية في ذياك العام المجيد صفحة فخار ستبقى خالدة مادامت مصر وما دامت الوطنية والحرية، كما سجل للمرأة البدوية وراء الأجيال السحيقة يوم تبعث رجلها في الحروب تؤازره وتشجعه وتنشد خلفه أناشيد الحماسة والنصر فيشتد ساعده ويثبت جنانه فلا يتجلجل ولا يتحلحل إلا إلى نصر محقق حيث يعود إليها مزهواً بأكاليل الظفر، أو إلى قبر في الفلاة موحش حيث الشرف كل الشرف والخلود كل الخلود...

فنهضة المرأة الحق في مصر لم تكن إلا وليدة الثورة، وكل ما قام قبل هذا التاريخ لترقية مستواها لم يكن إلا محاولات ضئيلة لا تكاد تذكر الى جانب تلك الطفرة الهائلة التي قذفتها اليها الثورة، وهنا يحق لنا أن نحني الرأس في هذا المقام اجلالا لذكرى زعيمنا الخالد الذي تفجر من فيض وطنيته ما ننعم فيه الآن من نهضات عمت مرافقنا الحيوية، ثم نحيي في جثمانه المامد الوطنية الصحيحة والوجدان الحي والتضحية الفادحة والعمل الخالد المقيم...

وأخذت بعد ذلك نهضة المرأة المصرية تسير سيرها الحثيث نحو التقدم المنشود ففتحت أمامها موارد العلم تغترف ما شاءت حتى صارت إلى ما هي عليه الآن من رقي وثقافة يكادان أن يضماها في مستوى زميلتها الغربية، ولكن هل آتت هذه النهضة أكلها حقاً؟ وماذا كان أثر هذه النهضة في الحياة العامة؟؟

لا يسع كل منصف إلا أن يحكم معنا أن تعليم المرأة لدينا قد بلغ شوطاً بعيداً وخاصة في الأعوام القلائل الأخيرة، فمنا الآن الأديبات والطبيبات والحقوقيات وغيرهن ممن نلن من الثقافة العالية نصيباً وافرا، ولكن العمل الرئيسي الذي خلقت له المرأة يؤول اليوم تدريجيا الى الاهمال، فالشؤون المنزلية وتربية الأولاد واعدادهم للحياة الصحيحة ثم تفهم الحياة الزوجية ودرسها درساً وافيا، كل ذلك أضحى في نظر سيداتنا وخاصة المثقفات منهن شيئا ثانويا أولى منه اتقان أدوات الزينة والجرى وراء الأزياء الحديثة حتى أصبحنا في خشية من انطباق قول الآنسة دي سكوندراي علينا: «ان فتاة تنسى النظر الى السماء لا تحسن شيئا على الأرض!!»

«إن النساء أتين العالم لعمل الحساء وإنسال الأولاد وماعدا هذا فانهن يظهرن بمظهر مزعج» كلمة مريرة قالها موليير عن المرأة، وهي وإن كانت تهكما لاذعا كاد صاحبها يخرج بها إلى حد المغالاة، أو جاوزها فعلا، إلا أن فيه إشارة الى الوظيفة الأولى للمرأة التي أشرنا اليها من قبل. وانه لخليق بالمرأة المصرية وقد ضربت في الثقافة العامة بسهم وافر أن تضع نصب عينيها الرسالة التي أوجدتها الطبيعة من أجلها وتؤديها على أتمها خالصة في سبيل الله والواجب، ومن ثم تضرب في خضم الحياة العملية ما شاء لها الفكر الوقاد على ضوء الخبرة والمعرفة. أما أن

تعنى بالأمور الفرعية دون تقويم الأساس وتمكينه فهذا ما لا يقره منطق سليم ولا تبيحه نفس الطبيعة التى فطرت كل شىء لغرض معين وهيأته لرسالة محدودة

فى يقينى أن خير استثمار المرأة المصرية للخير العام ينحصر فى شىء واحد وهو : تشييد صرح حياتنا الاجتماعية على أساس مكين ونظام متقن ؛ وإذا كانت نهضة المرأة عندنا قد قامت على تعليمها فأحر بنا أن نستغل هذا التعليم لتمهيد سبل السعادة لأزواجنا ومعاونتهم على العيش ، ثم تدبير بيوتنا وتثقيف أولادنا ثقافة أخلاقية وعلمية ووطنية ليشبوا رجالا بكل ما فى هذه الكلمة من معنى سام جليل ؛ ومتى تركزت حياتنا الاجتماعية على هذه الأسس الوطيدة صلحت حياتنا العامة وأعددنا للوطن أشبالا تغذوا بلبان الوطنية واهتدوا بهدى العلم الى سواء السبيل

صدقونى أننا لسنا بحاجة إلى المرأة المثقفة العالية بقدر حاجتنا الى الأم الصالحة أو « المدرسة الأولى » كما نعتها الكتاب والشعراء قديما ، وها هى فى البلاد تئن من أقصاها الى أقصاها من كابوس البطالة الذى يجثم على أنفاسها ويزداد هولا يوماً بعد يوم باطراد زيادة عدد المتعلمين الذين تلفظهم المدارس كل عام لمواجهة الحياة العملية حتى ضاقت بهم سبلها وغصت بهم على رحبها ، وهذا الجيش الجرار من شباب الأمة المتعلم العاطل أولى منا نحن معشر النساء المثقفات بالعمل ، فماذا يمكن إذاً استثمار نهضة المرأة المصرية للخير العام ؟؟

ليس هناك سوى رد واحد على هذا السؤال ، هو ما قلته ، وهو أن خير طريقة لهذا الاستثمار هو الاستثمار الاجتماعى المعنوى الذى ذكرت لا الاستثمار المادى كما يمكن أن يفهم من كلمة « الاستثمار » وذلك لأن هذا الاستثمار المادى الأخير نحن فى غنى عنه لما لدينا من أيد عاطلة عديدة أحق بالتشغيل من جهة ، وعدا ذلك فان استثمار نهضة المرأة المصرية اجتماعيا يركز حياتنا العامة ويسيرها فى طريق التطور المرجو غير بطيئة ولا وجلة

ويبدو لنا من أخبار الغرب التى يحملها الينا البريد الأوربى الأخير من أن العالم قد بدأ يحس مدى خطئه فى قصر تعليم المرأة على ثقافتها فحسب دون العناية بالغرض الأساسى الذى خلقت له ؛ فهذى الآن فرنسا تحارب فكرة إعطاء الحقوق السياسية للنساء ومساواتهن بالرجال ؛ وها نحن أولاء نرى ألمانيا وإيطاليا تضمان فى جملة أنظمتها الجديدة أن تعود المرأة إلى سالف عصرها من التزام البيوت والقيام على تربية الأطفال ، ومنعهن ما أمكن من تعاطى أعمال الرجال . وقد قرأنا للأستاذ محمد كرد على ملخصاً لكتاب ظهر أخيراً فى فرنسا حول هذا الصدد للدكتور رو بروتوش بدأه بكلام لثلاثة من مشاهير الكتاب أحدهم تيودور جوران قال : « إن رفعة المرأة بلية صدرت الينا من البلاد الأجنبية ولاسيما من أمريكا وجرمانيا وبلاد الشمال ، وكان هذا النفوذ المتألف من كل غريب يكفى أن يكون منه نتاج قد يتلاءم كثيراً مع تركيبنا الفرنسى » وقال روبر كبيو : « من السهل الدلالة على أن دعوى رفع شأن المرأة كانت أبداً وليدة المذهب الاشتراكى فانا نراها تسقط فيها على أفكار اشتراكية بعينها ، وعلى معان لهم وتعبيرات ، وعلى كلمات ما برح الاشتراكيون يرددونها مع سفسطات كانت ولا تزال مألوفة لهم ، وما المرأة إلا أعدى عدو لرفعة شأنها ، فهى موقنة بأنها تخسر من نفوذها الخاص أربعة أضعاف ما تربحه من نفوذها العام ، ولا يتأتى مما ترمى اليه إدخال أدنى إصلاح على النظام الاجتماعى » وقال الثالث تينابر : « إن حقوق النساء وتحريرهن الأدبى هذا حسن وجميل ، ولكن يا سيداتى حررن أنفسكن أولاً من الخياطة ، فان لم تكن لكن هذه الشجاعة فلا تطالبن إلى أن تحصلن على ما بقى » وقد استعرض المؤلف فى كتابه نهضة المرأة منذ نشأتها إلى اليوم وحللها تحليلاً دقيقاً عاب عليها عنايتها بثقافتها دون الغرض الرئيسى الذى هيأتها له الطبيعة . من هنا نرى أن أعرق الأمم الغربية فى النهضة النسوية قد بدأت تحس مدى خطئها فى توجيه المرأة إلى غير ما خلقت له ولم يبق بين هاته الدول من أخذتها هذه المدنية الطاغية عن جادة الطريق سوى تركيا الحديثة التى خالت أنه لم يبق بينها وبين مساواة العالم المتمدين سوى هذه الغلطة الاجتماعية النسائية فأبت إلا أن تشرب الكأس حتى الثمالة ، وما أشك أنها ستجنى ثمرة هذا التقليد الأعمى علقما وصابا كما جنته براقش

قدر لرجلك قبل الخطو موضعها
فمن علا زلقاً عن غرة زلجا

ولنتدبر نحن فى المستقبل قبل أن نخطو اليه ، ولنتبين من أى طريق تسوق المدنية الغرور ، ولنستمع صوت الطبيعة الغضبى تصرخ فى وجوهنا : لقد خلقت المرأة لتكون نظام الأسرة وتكمل الشطر الثانى من حياة الرجل ، وتقدم له وللعالم كأس السعادة مترعة هنية ، فلا يخلبنكم بريق المدنية الخادع الكاذب

فتعبثوا بنظمى وتقلبوها رأساً على عقب ، لا يصيبكم ما أصاب من قبلكم من التمتنين المستكبرين ...

***

وبعد ... فهذا رأيي في استثمار نهضة المرأة المصرية للخير العام أدلى به راجية أن أكون بذلك قد أرضيت الواجب والضمير ، وإن كنت قد عرضت نفسي للوم البعض من سيداتي المثقفات ممن يرين في الحياة غير رأيي ، ولا يفوتني هنا أن أهمس في آذان هؤلاء أنه خير للمرأة من حياة زوجية سعيدة يحفها البنون وترف عليها الهناءة من مجد عريض يكال هامتها ووسام نبيل تحمله . ذلك لأن المرأة خلقت للرجل والرجل خلق للعمل ، وأن مجد المرأة حداد ظاهر على إسعادها كما قالت مدام دي استال ، فلا تقامروا بالمرأة في تجربة قد أدرك العالم المتمدين خطأها ولا تستثمروها في غير ما خلقت له وإلا تكونوا كطالب الماء من الصخر ، أو مستنبت الزرع في المهمه القفر

ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار !!

فهمية عزمى

صورة من المجتمع الجزائري

# إني أرى في المنام !

للأستاذ محمد سعيد الزاهري

عضو جمعية العلماء الجزائريين

---

خرج من السوق خائباً مكتئباً ، ملامحه عليها غبرة ترهقها قترة ، تدل على ما يأكل نفسه من الهم القاتل ، والحزن العميق ، يحمل في إحدى يديه « قفة » فارغة لاشيء فيها ، وفي الأخرى « سبحة » غليظة جداً ، وهو يقول بصوت واضح مسموع : « هذا ما يريد لي فلان ، وهذا ما يريد لي فلان ... » وذكر ناساً بأسمائهم من رجال الاصلاح الاسلامي في الجزائر ، ومضى يردد ما يقول الى مسافة بعيدة من السوق

هو « شيخ » لاحدى الطرق الصوفية في هذه البلاد . قد وَهَن العظم منه واشتعل الرأس شيبا . تراه فترى وجها كالحا مسنوناً ، ولحية قذرة صفراء كأن دخاناً كثيفاً لا يزال يتعهدها ويغشاها من حين الى حين . كان يعتنق طريقة صوفية ، فلما لم يجد فيها معاشا تحول عنها الى طريقة أخرى يعيش فيها عالة على أحبابها ومعتنقيها ، فلا يدع وليمة ولا جنازة لأحدهم إلا هرول اليها متعرضا لما قد يكون فيها من صدقات أو نفحات . ولقد مرد على هذا الأسلوب من التكسب فأتقنه وتفنن فيه ، فهو يبث العيون والأرصاد يتنسمون له أخبار الأفراح والأتراح ، ويرسل في المدائن حاشرين يأتونه بالزوار والمريدين يرجون مغفرته ويلتمسون منه البركة والخير ! ويرتكب هؤلاء الدعاة الذين يدعون الناس اليه ضروباً من الترغيب والترهيب ، فينحلونه المناقب والصالحات ، والخوارق والمعجزات ! فيزعمون « أن من يطع الشيخ فقد أطاع الله » وأن الرسول (ص) لا يفارق الشيخ طرفة عين ، وأن من اتبع الشيخ فجزاؤهم عند ربهم جنات عدن يدخلونها ، وأن من خالفه مأواهم النار وبئس المصير

وقفوا ذات يوم على فاكهي وقالوا له : إن شيخنا يقرئك السلام ويقول لك يا بني إني أرى في المنام كأنك تتخبط في ضحضاح من النار وأنت تستغيث فلا تغاث حتى استغثت بي ، وذكرتني باسمي فأخذت بيدك ، وانقذتك من الهلاك . وتعبير هذه الرؤيا هو أنك رجل قد غرق في ذنوبه وخطاياه ، ولا خلاص لك إلا بأيدينا ... ثم لا يزال هؤلاء بالرجل يزينون اليه الشيخ ، ويحثون على زيارته ، حتى يقع في الفخ ، ويزور الشيخ ويأخذ عنه « الوسيلة » . وهنا يصير مريداً ممن يرزقون الشيخ ، ويؤدون اليه كل ما هو في حاجة اليه من طعام وشراب ومن نقود ومتاع

ولقد مد الشيخ أحبولته مرة أخرى فاصطاد رجلا مخلصاً بسيطاً ، طيب القلب ، يقال له « علال » ، وكان هذا عاملا مجداً يدر عليه عمله كسباً وفيراً ، وخيراً كثيراً . وكان سمحاً كريماً ، فكان يرزق الشيخ ويقوت عيال الشيخ ، ويجزل له العطايا والهبات . فلم يكن يشتري لنفسه شيئاً إلا اشترى مثله للشيخ ، ولا قضى لنفسه حاجة إلا قضى للشيخ حاجة مثلها ، فان اشترى لنفسه رطلا من البن أو العنب اشترى للشيخ من

ذلك رطلا أو رطلين اثنين ، أو فصل لنفسه عباءة فصل للشيخ عباءة أحسن منها وأغلى وهلم جرا

واتفق أن صاحباً لعلال قدم من الحج فأهدى إليه عمامة حجازية من الحرير الغالى ، فأهداها بدوره إلى شيخه ، وأن صاحباً له آخر قدم من فاس فأهدى اليه « جلابة » من القماش الرفيع الذى يلائم مرح الشباب ، ولا يصلح للشيخ الفانى ، وأراد الرجل أن يرتديها فتذكر الشيخ فاشترى له « جلابة » تناسب الشيخوخة ووقارها بقيمة تفوق قيمة « جلابته » الأولى ، وارتداها فى يوم جمعة ، وما هى إلا أن رآها الشيخ عليه حتى أرسل إليه من يحثونه على أن يهديها إليه ، فانتزعها لفوره من على ظهره ووهبه إياها ، فأرسل الشيخ بالعمامة و « الجلابة » إلى السوق فباعهما ببعض ثمنهما ؛ وشهد « علال » صفقة البيع ، وظن أنهما سرقتا من الشيخ فسأل الدلال عنهما فأخبره بالواقع ، فكبر عليه أن تباع « هديته » وهو يسمع ويرى ، فاشتراها للمرة الثانية ، وجعل يحدث نفسه ويقول :

ترى أبلغ من هوانى على الشيخ أن يبيع ما أهديه إليه ؟ وما هو مصير « هداياى » الأخرى ؟ أم بلغ من هوان الشيخ على نفسه أن يتاجر بما يهدى إليه الناس ؟ وعلى أية حال فأنا لا أرضى لنفسى هذا المصير . وأحس الشيخ أن الرجل قد بدا يتنكر له ويجفوه ، فخشى أن يفلت من يديه ، ويولى عنه مدبراً . فعزم فى نفسه أمراً ، وعزم أن يلعب آخر دور فى الرواية ، وكان يعلم أن عقيلة علال تملك حلياً ومصوغا ومبالغ من المال ، فدبر للاستيلاء على ذلك حيلة من عمل الشيطان ، فبلغ بها ما أراد . وذلك بأن أرسل إليها نساء ماكرات من اللائى قد أعدهن لمثل هذا الأمر ، فقلن لها : إن سيدنا يقرئك السلام ، ويقول لك يا بنيتى إنى أرى فى النام أنك كنت مضطجعة نائمة ، فجاءت امرأة أخرى فاختطفت منك غطاءك الذى يغطيك وكان من الحرير الأبيض بياض الثلج ، فوثبت أنت من سريرك فزعة مذعورة تستغيثين وتملئين الدنيا ولولة وصياحاً : « غطائى ! سترى ! غطائى ! سترى ! » فاجتمع عليك خلق كثير ، فكان اجتماعهم هذا ضغثاً على إبالة ، وزاد فى مصابك ولوعتك أن أحداً منهم لم يتقدم لإغاثتك ، حتى جئت أنا وانتزعت من الغاصبة غطاءك ورددته عليك . ثم قلن لها إن تعبير هذه الرؤيا هو أن امرأة أخرى ستأخذ منك زوجك ولا يرده عليك سوى سيدنا ، وهو يستطيع أن يدفع عنك هذا البلاء سلفاً من الآن ، بشرط أن تدفعى إليه ثلاثة آلاف فرنك مقدماً . فرجعت السيدة إلى نفسها تبحث حياتها الزوجية فلم تعثر على أدنى شىء ينبئ بصدق هذه الرؤيا فلم تطاوعها نفسها أن تتهم زوجها ظلماً بغير حق أو أن تظن به الظنون ، وهى ما علمت عليه من سوء . فلم تكترث لهذه الرؤيا ، وقالت إنها أضغاث أحلام . ولكن الشيخ كان جاداً غير هازل ، فدس إلى فتاة من الفتيات اللائى ينتمين إليه من أوهمها أن الشيخ قد دعا الله لها أن يرزقها زوجاً كريماً ، وأن الله قد استجاب له فيها ، وقال : إنى أرى فى النام أن فلانة قد زُفت إلى علال فى احتفال رائع مهيب . وكانت هذه من الآنسات العانسات ، ففرحت وأعطت الشيخ من العطاء الجزل ما أرضاه ، وجعلت منذ ذلك اليوم تعرض لعلال ، وتبدى له من زينتها تفتنه وتغريه حتى وقعت من نفسه ، ومال إليها ، وشرع الشيخ يمهد لها الطريق ، فدس إلى علال من يهدمون عليه أسرته الهانئة السعيدة ، ويعاونون معه بما يفرقون به بين المرء وزوجه . وما هى إلا أن وقع بين الزوجين خلاف بسيط حتى أخرج علال أم ولده من دارها وأطلق سراحها . وسرعان ما التف به أعوان الشيخ وأحكموا الصلة بينه وبين الفتاة العانسة ، وعقدوا له عليها من ليلته عقدة النكاح

وأتى على المطلقة حين من الدهر تجرعت فيه طعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً ، وذاقت من مصائب الدهر وأرزائه ما لا يعلمه إلا الله ، فلقد خسرت زوجها على حين غفلة ، وهى أشد ما تكون حباً له واطمئناناً اليه ، وإخلاصاً له وحدباً عليه . وهى تخشى أن ينتزع وحيدها من بين أحضانها ، وهى لا تطيق أن تتحطم سعادتها وهناءتها ليتم هناء عدوتها ؛ ولقد فكرت فى الانتحار ، وهمت به مراراً لولا إبقاؤها على وحيدها ، ولكنها التجأت أخيراً إلى الشيخ مذعنة طائعة ، قد أسلمت له وجهها ، وفوضت اليه أمرها ، ترجوه أن يعيد اليها زوجها ، وله بعد ذلك ما يشاء ويختار ، فرفع القيمة هذه المرة ، وجعلها عشرة آلاف فرنك تدفعها اليه نقداً . وبعد توسلات ومساومات

رَضِيَ فتسلمَ منها خمسة آلاف نقدته إياها ، وباعت فيها بعض ماتملك من حلي ومصوغ . وقعدت في دارها تنتظر النتيجة على أحر من الجمر .

وطفق الشيخ يتودد إلى « علال » ويلاطفه حتى نسي الماضي القديم ، وأحلّه من نفسه محلّ الثقة والرضى . وما استيقن الشيخُ ذلك من الرجل حتى قال له ذات يوم — وهما على انفراد — : يا بنيّ إني أرى في المنام أنك لستَ بخير في أهلك هذه التي لم تنعط بكونها قضتْ زهرة أيامها عانسةً بائرة ، فقد حادت عن طريق الشرف والاستقامة من غير أن تحفظ لك غيباً أو تعترف لك بجميل . وأما كما تعلم إذا رأيتُ الرؤيا جاءت كفلق الصبح . وكان الشيخ قد أوعز إلى بعض أعوانه فأخبروا علالا بأن عِرْضه أصبح مضغة في الأفواه ، تلوكه ألسنةُ السوء ، وأن النساء في الحمامات وفي الولائم والمناحات يتلقّينَ أهله بألسنة حِداد . فما كذب الرجل فيما سمع ، وأسرع إلى « خيْرة » ففك عصمتها وأعلنها بطلاقها ، وهي ما تزال بعدُ عروساً في خدرها ، ولم ينصل خضابها . وغدا عليه الشيخ في وجوه من أعوانه وشركائه « يتوسل اليه » أن يراجع زوجته الأولى ، ويقول له : يابني إني أرى في المنام أن جبريل عليه السلام قد زوّجكها من فوق السموات العلى ، فأذعن الرجل ، ولم يكد ينقضي يومه ذلك حتى كانت قد جُليَتْ عليه مرة أخرى

لقد اطمأنت « خيرةُ » إلى الأيام ، وحسبت أن زواجها هذا قد جمل حداً لوحدتها وشقائها ، وظنت أنها بهذا الزواج مقبلة على حياة منزلية هانئة سعيدة لا حُزْنَ فيها ولا عناء فاذا بها تتلقى هذه الصدمة العنيفة القاسية الأليمة التي لا رحمة فيها ، فتملأ نفسها حيرة واضطراباً ، وتملؤها ظلمة ويأساً ، فلم تطق الصبر ولا الاحتمال ، فتحنق وتثور انتقاماً لنفسها ، فاذا هي تنتقم من نفسها ، وقد ضلت السبيل ، واندفعت في التيه وسقطت في الهوة التي لا قرار لها

وأراد الشيخ أن يحج إلى بيت الله الحرام لا إيماناً واحتساباً لأنه ممن يزعمون أن زيارة الضريح الفلاني تعدل عند الله ثواب حجة وعمرة معاً ؛ ولكنه يريد التكسب والارتزاق ، فطاف على الناس يستعينهم على الحج ، فزعم لهذا أنه سيدعو له الله تعالى عند البيت الحرم ، وزعم للآخر أنه سيستغفر له عند مقام ابراهيم ، ويتناول على ذلك أجره سلفاً . أما الذين يستلمُ منهم سلفا أثمان « الأردية » و « العمائم » و « السبحات » وما إلى ذلك مما سيحمله لهم معه من الحجاز فهم كثيرون جداً ، لا يكاد يأخذهم إحصاء . وانتهى به المطاف إلى ضحيته « خيرة » فدخل عليها وهي في منزلها ، وقد أرّثتْ من حياتها الجديدة الماجنة وأصبحت ذات مال تخجلت لمرآه وأدركها الحياء ، غير أنه أخذ يزين لها ماهي فيه ، وزعم لها أن الله قد غفر لها جميع ما اكتسبت من الخطيئة والأثم . وقال لها : يا بنيتي إني أرى في المنام أن سيد الوجود ( ص ) يقول لك : طوفي بالبيت العتيق وزوري قبري تخرجي من ذنوبك كيوم ولدتْكِ أمك ، فان لم تستطيعي إلى الحج سبيلاً ، فليحُجَّ عنك هذا الرجل الصالح ( يعني الشيخ نفسه ) . ولم يزل بها حتى آمنت له ، ودفعت إليه سائر النفقات ليحج عنها . فلما آب جاءها ببعض الهدايا مكتوباً عليها : « إلى الحاجة خيْرة » !

كان الناس في بحبوحة من اليسر والرخاء تملأ أيديهم الدراهم والدنانير فكان الشيخ في نعيم وعيش رخيم ، يأتيه رزقه رغداً من كلّ مكان : هذا يعطيه رطلاً من اللحم ويجعله له راتباً يومياً ، وذلك يعطيه شيئاً من الخضر والفواكه ، ويجعله له عطاء غير مجذوذ ، وذلك يُهدي اليه قنطاراً من السميذ ، ويجعلها له جراية شهرية وهكذا الخ الخ ، فكان إذا دخل السوق خرج منها و « قفته » ملآى — مجاناً — بكل ما هو في حاجة اليه . فلما أعسر الناسُ ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم من شدة ما يعانون من ضنك وضيق نضبت موارد الشيخ ، وانقطعت عنه الرواتب والعطايا ، ولم يعد تملأ « قفته » بالمجان ، ولم يعد يلتمس لنفسه صدقة جارية عند أحد الباعة إلا وجدها قد بطلت . وقطعت الأزمةُ دابرَها ، فالأزمة إذن هي السبب الأول في مُصاب هذا الشيخ ، وزملائه من الأشياخ ، فان كان لا بُدَّ لهم أن يلوموا فليلوموا هذه الأزمة الخانقة ، وليلوموا بعدها هذه اليَقْظة الشاملة التي شملت الدنيا كلها ، ثم يأتي بعد ذلك دَوْر هؤلاء المصلحين

( وهران ) محمد السعيد الزاهري

# الحياة الأدبية فى الحجاز

## بقلم عبد المجيد شبكشى

كان الأدب العربى مثال الكمال والروعة والازدهار والانتشار فى دولة الأمويين وفى صدر الدولة العباسية . وكان نصيب الحجاز من هـذا الازدهار طيباً مرموقا ، واقتضى خلوه من الأحداث السياسية أن يحيا مغموراً حتى تجرد من العلم والثقافة وصفر من من الرجال الممتازين ، وعملت الهجرة على محو مقوماته ومميزاته

ثم بدرت بادرة من بوادر النهوض ونسمة من نسمات الحياة بعد فنفخت فى الحجاز روح اليقظة الفكرية فأخذ يسترجع ماضيه بفضل جهود البعض من أبنائه المخلصين الذين جرى فى عروقهم الدم الحجازى الحر فتأثروا لتدهوره تأثراً قوياً جعل قلوبهم تتقطع أسفاً وحزناً على الماضى العزيز الذى ذهب هباء منثوراً وغرق الحجاز بعده فى الجهالة وأضاع تراثه المجيد

سرت اليقظة فى أفكار بعض شباب الحجاز وأحسوا بالواجب الوطنى وتنبهوا إلى فضل الأدب فى نهضات الشعوب فتأسست لجان للاجتماع ، ونواد للأدب حيث قاموا فنالوا حركة أدبية لا تشوبها شائبة بالنسبة إلى تلك الحالة وبالنسبة أيضاً لعدم وجود مؤهلات كافية لدرس الأدب ، حتى المدارس كانت إذ ذاك بسيطة جداً يتخرج منها التلميذ وهو لا يعرف من مواضيع الحياة شيئا

ثم جاء دور التكوين للنهضة الفكرية وكان ذلك قبل عشرة أعوام تقريباً نظم فى خلالها أدباء الحجاز الشعر وكتبوا النثر ونشروا نماذج منه وأعلنوا عن أفكارهم وسجلوا آراءهم ، فشعر الحجاز حينذاك بدبيب الحياة يتمشى فيه ، وأحس بجمال الأدب والفن معاً ، وحينذاك قام أحد أدباء الحجاز البارزين[1] وأصدر كتاباً أدبياً يضم بين دفتيه مختارات لأدباء الحجاز فأثبت للأمة أن هناك أدباً راقياً يدعى الأدب الحجازى . وقد تجد فى هـذه المجموعة روح الحجاز الأدبية ممثلة من حيث صحة النزعة وبساطة التفكير وجماله ، فكان عمل هـذا الأديب بشير يقظة فكرية منظمة ،

وقد كان الأدب الحجازى فى ذلك العهد بسيطاً شأن كل شىء فى بدايته . ولكن الأفكار كانت سائرة مع الحياة متأثرة باتجاهها فلم يمض وقت طويل حتى نضجت تلك الأفكار ، وازدهر الأدب بعض الازدهار ، ولولا ما نشأ بعد من عوائق شتى وقفت بالحركة الفكرية بعض الشىء لاضطرد تقدمها . ونستطيع أن نقول بحق إن الموفقين من شباب الحجاز فى الناحية الأدبية قليلو العدد جداً ، والكتاب البارزين فى الحجاز لا يزيدون على عشرة ، ولكن أقلامهم الممتازة هى التى صورت مبلغ تأثر الحجاز باليقظة الفكرية ومدى إدراكه . أما قراء الأدب فكثيرون وهم ممن أنجبتهم المدارس الحالية ، وهؤلاء بلا شك يرجى لهم مستقبل طيب مرموق

والحجاز اليوم بفضل الله ثم بفضل جهود أبنائه المخلصين متقدم بخطوات واسعة الى الامام ، وميال الى احتذاء أدب مصر ونزعاتها الفكرية ، ولا غرابة إذا شابه البعض من أدباء الحجاز بعض أدباء مصر فى روحهم الأدبية وصار يكد ويجتهد فى الحصول على ما يريده فوق ذلك من المثل الأعلى حتى يدرك المرمى الذى يقصده !

والأدب الحجازى اليوم رمز لما فى أفئدة الحجازيين من عواطف وإخلاص وحب وولاء ، ولما فى نفوسهم من شعور وكرم أخلاق ، ولما فى ضمائرهم من مبدأ واستقامة وغرام عميق بالحرية . وتختلف الأوساط الأدبيـة اليوم باختلاف قوتها ومداركها وتطورها وتجددها وعما يستتبعه هذا الاختلاف من تأثر بأساليب النقد البرئ والتأمل الممتع والبحث الناضج ، أو النقد المتهافت والنظرات الجوفاء والبحث الضعيف الخ ، وهذا الاختلاف يعطينا صورة واضحة للتطور والتجدد فى الأفكار تتحد مع نواميس الكون فى نشوئه وتطوره . وليس غريباً على الحجاز أو الحجازيين أن يتأثروا بمؤثرات هذا العصر الحديث وفنونه ونزعاته ، وأن تكون حياتهم ميالة الى اقتباس أساليب جديدة فى الحياة والأدب ، فان ذلك من بوادر النجاح وأسبابه ، وهو دليل اليقظة ، ونؤمل أن ينال الحجاز نصيبه من التقدم والشهرة والحرية التى هى من مبادئ الحياة الصحيحة فى هـذا العصر . على أن هذا الروح الأدبى السامى المتمثل اليوم فى

(١) هو الأستاذ محمد سرور الصبان مدير إدارة وزارة المالية

صورة من الحياة العلمية في مصر

# ٤ – تقي الدين السبكي

بقلم محمد طه الحاجري

تتمة

ولقد خلفت له هذه الولايات متاعب غير قليلة ، وأثارت عليه دفائن من الحقد وسخائم القلوب ، فقد نقم عليه ولايته قضاء الشام قوم من أهلها كانوا يطمعون فيها ؛ وأخص هؤلاء أسرة جلال الدين القزويني قاضي قضاة الشام من قبل ، وطبيعي أن يأخذ ذلك الحقد سبيله من السعاية والوشاية والتحريض عليه والتنفير منه ؛ ثم كانت ولايته لخطابة الجامع الأموي مما زاد الأمر ضغثاً على إبالة ؛ فقد كانت تلك الخطابة في بيت القزويني كذلك ، ويقول زين الدين عمر بن الوردي في تاريخه : « لما توفي الخطيب بدر الدين محمد بن القاضي جلال الدين القزويني خطيب دمشق تولى السبكي الخطابة ، وجرى بينه وبين تاج الدين عبد الرحيم أخي الخطيب المتوفى وقائع ، وفي آخر الأمر تعصبت الدماشقة مع تاج الدين ، فاستمر خطيبا » . وكذلك أغضبت ولايته مشيخة دار الحديث الأشرفية قوما من أهل الشام كانوا يرشحون لها شمس الدين بن النقيب ، ولقد سيقت اليه هـذه الولاية وهو كاره ، إذ كان قد رأى أن الذهبي هو الأحق بها ، وقد عينه لها ، لولا سلطان الشهوات كما سنرى ذلك

هذا وجه من وجوه الحالة في الشام ، وقبيل مما كان يسبب له المتاعب والآلام ؛ وهناك وجه آخر يتعلق بما أشرنا اليه من قبل عما أوجده مذهب ابن تيمية من تفريق وخروج على المذهب الرسمي السائد

وقد رأينا أن اختياره كان منظورا فيه إلى تلك الحالة من السلطان ، ونقول الآن إن القوم في دمشق كانوا يرون فيه ذلك أيضا ، وكانوا يأملون أن يخلصهم من آثار « الحنابلة » وما أثاره زعيمهم القوي الجديد ؛ ولعل المطامع الشخصية حببت في ذلك سلما يمكن أن ترتقيه وتصل به إلى أغراضها في مظهر ديني سابغ ؛ ولكن تقي الدين كان أحكم من أن ينخدع بمثل هذا ، كما كان أكبر من أن يخلط في تقدير الأمور ؛ فأغضب الطامعين ولم يرض جماعة المتشددين المتكلفين

وهنا يحسن بنا أن ننقل نص ما حكاه التاج السبكي عن أبيه في أثناء ترجمته للحافظ أبي الحجاج المزي ، ففيه صورة دقيقة حية لما نحن بصدده ، قال :

« . . . . وحكى لي ، فيما يحكيه من تسكين فتن أهل الشام ، أنه عقب دخوله دمشق بليلة واحـــدة حضر اليه الشيخ صدر الدين سليمان بن عبد الحكم المالكي — وكان الشيخ الامام يحبه — قال دخل الي وقت العشاء الآخرة ، وقال أمورا يريد بها تعريفي بأهل دمشق ، قال : فذكر لي البرزالي وملازمته لي ، ثم انتهى الى المزي فقال : وينبغي لك عزله عن مدرسة دار الحديث الأشرفية ، قال الشيخ الامام : فاقشعر جلدي ، وغاب فكري ، وقلت في نفسي : هذا امام المحدثين ! والله لو عاش الدارقطني لاستحيا أن يدرس مكانه ! قال : وسكت ، ثم منعت الناس من الدخول علي ليلا ، فقلت هذه بلدة كثيرة الفتن ؛ فقلت أنا للشيخ الامام : إن صدر الدين المالكي لا ينكر رتبة المزي في الحديث ، ولكن كأنه لاحظ ما هو شرط واقفها من أن شيخها لا بد أن يكون أشعري العقيدة ، والمزي وإن كان حين ولي كتب بخطه أنه أشعري ، إلا أن الناس لا يصدقونه في ذلك فقال : أعرف أن هذا هو الذي لاحظه صدر الدين ، ولكن من ذا الذي يتجاسر أن يقول : المزي لا يصلح لدار الحديث ؟ والله ركبي ! ما يحتمل هذا الكلام !

---

الحجاز حسب ما هو مشاهد وملموس هو بلا شك تأثر صحيح ومعقول ، وهو المأمول أيضاً لبلاد لها ماض أدبي حافل

وأدباؤنا يشعرون ويتأثرون بعوامل الحياة الفكرية ويجيدون التصرف في فنون القول ويبدعون في سبك العبارات ووضعها في قالب من الحكمة والذوق ليحوزوا قصب السبق في معترك الحياة الأدبية وليرفعوا اسم بلادهم عالياً ، وهذا ما يرجوه ويناصره كل أديب حجازي وهب موهبة الاحساس والشعور بالحياة وفرائضها — وليس ولله الحمد ثمة ركود ولا فتور في النفوس والأفكار

(مكة) عبد المجيد شبكشي

فأنت ترى أن أول ما ووجه به السبكي في الشام هو الانكار على البرزالي والمزي وأضرابهما ، ممن يتهمون بالميل مع ابن تيمية وأن أول ما تقدم به اليه فقهاؤها هو « اعلان الحرب » على هؤلاء ، وموقف السبكي من هذا موقف نبيل مجيد ، فقد رأى الأمر فتنة لا ينبغي أن يفتتن فيها مع المفتونين ، فركن الى دينه وضميره ، وترك بنيات السبل ، ولم يعبأ بهذه الصغائر وما تنطوى عليه من انذار وتهديد ، ولبث مصاحبا للبرزالي ملازما له ، الى أن خرج إلى الحج وقضى نحبه ، ثم ما فتئ يذكره ويثنى عليه أطيب الثناء ، وأقر المزي في مكانه بدار الحديث الى أن مات سنة ٧٤٢ هـ ، وكان يكبره غاية الاكبار ، ويحث ابنه على ملازمته والانتفاع به ، لا يصرفه عن ذلك تقولات المتقولين ولا أزورار المزورين

ولما مات المزي كان ثمت مظهر آخر من مظاهر هذه الفتنة في تعيين خلف له ، فقد كان الذهبي هو وحده البقية الباقية من رجال الحديث الجديرين بتولى مشيخة « دار الحديث » ولكنه كان متهماً بمشايعة الحنابلة شيعة ابن تيمية ، فمال عنه القوم لذلك ، ورشحوا شمس الدين بن النقيب ، ودعوا له ولجوا في الدعوة . أما السبكي — واليه حق التعيين — فلم يغلبه الهوى على الحق ، ولم تأخذه في سبيل العلم عصبية ، ولم يبال بصياح الصائحين ، فعين الذهبي في ذلك المنصب . وهنا اشتدت ثورة القوم وعلا صخبهم ، وهو مصر على رأيه حتى لم يبق بد من حضور نائب الشام وكان في ذلك الحين « الطنبغا » ، فلم يستطع التوفيق . وأخيراً رأى شيخ الحنفية أن تحل الأزمة بأن يتولى المشيخة السبكي نفسه ، ووافق الأمير على هذا الرأي وهو يقول : « أعلم الناس بهذا العلم الذهبي وقاضي القضاة ، وقاضي القضاة أشعرى قطعا ، وقطع الشك باليقين أولى . » وانتهى الأمر على ذلك بعد أن كاد يفضي الى فتنة لا يعرف مداها

فموقف السبكي هذا من شيعة ابن تيمية وإغضائه عن العصبية المذهبية هذا الاغضاء وعدم مسايرته الأشاعرة في كل ما يشتهون أفسح المجال أمام المتخرصين ، ومكن الحقد من أن يجد سبيله ممهدا بين جمهور الناس وفي مجالس الخاصة ، ولا سيما في مجالس الأمير نائب دمشق ، ففسدت الصلات بين الشيخ وبين أغلب الذين تولوا نيابة الشام ، وكثيراً ما قامت الحرب بينه وبينهم ، وما كان يطمئنها إلا ما كان ولاة ذلك العهد معرضين له من العزل الوشيك أو القتل المفاجئ

على أن السبب الأول في توتر العلائق بينه وبين النواب يرجع — في حقيقة الأمر — إلى صلابته في الحق ، وصراحته في تقريره ، وتقديره لقدر منصبه ، واعتباره إياه حرماً لا ينبغي لأحد أن يتطاول اليه أو ينال منه ؛ فهو الحفيظ على الحق الذي جاء الشرع ببيانه ؛ فكل تفريط فيه ، أو تعريض له ، أو ملاينة في تنفيذه فانما مردها إلى هذا الشرع الذي يقدسه ، وحاشاه ! وكان الولاة من ناحية أخرى ، قوماً عجما ، أدعياء في الدين ، لا يتعدى إيمانهم مظاهرهم ، ولا يعرفون الحق إلا أمراً ينفذ ، وشهوة تقضى ، وعتواً واستكباراً في الأرض ، إلا قليلاً منهم . ثم كان يزيد اضطرابا ما كان يلقيه فيها من السعايات والتهم من كانوا يداخلونهم من أهل الشام ، ومنهم بعض العلماء مثل شهاب الدين العمري الذي كان يقع فيه في مجلس الأمير ايدغمش (١)

ومما يدل على دسائس القوم عند الولاة أن أحد هؤلاء الأمراء ، واسمه فيما يورده صاحب الطبقات (طنزه تمر) (٢) كان فيما يقول من أصحب الناس له في مصر ، فلما جاء إلى الشام غيّره عليه الشاميون ، وأغاثهم عليه امتناعه من امتثال أوامره

ولقد هم السبكي مرة أن يستقيل من منصبه ، وكان ذلك في ولاية ايدغمش سنة ٧٤٣ (٣) ، وكان قد بلغ في معاندته وإيذائه مبلغا كبيرا . ولكنه يظهر أنه رأى في هذه الاستقالة تحقيقا لشهوته ، وتخليا عن واجبه ، فعدل عنها واستمر في مجاهدته . وأراد ايدغمش أن يتخلص منه ، وأن يلتجئ إلى دعوى الدين في محاربته ، فجمل يجمع الفقهاء للفتوى عليه — وما كانت تعوزهم مقدمات الافتاء — وكاد الأمر يتم للنائب لولا أزجاء «البرمدى» الى الشيخ يطلبه الى باب السلطان في أمر من الأمور ، فذهب الى مصر ، وهناك أوجد أزمة غير هينة الحل ؛ فقد أصر على

(١) الأمير علاء الدين ايدغمش الناصري ، وقد كتب المقريزي ترجمة لحياته عند كلامه عن خوخة إيدغمش (ج٢ — ص٣٥ — ط بولاق)

(٢) هكذا يقرأ اسمه في نسخة الطبقات المطبوعة ، ولعله طنز دمر كما يتردد كثيراً في ابن إياس والمقريزي ، وتولى نيابة دمشق سنة ٧٤٥ ومات أول جمادى الآخرة سنة ٧٤٦

(٣) هكذا يحدد التاريخ التاج السبكي ، وفيه نظر ، فان مدة نيابة ايدغمش ، كانت كما يقول المقريزي : من ٢٠ صفر سنة ٧٤٣ إلى ٣ جمادى الآخرة من هذه السنة

ألا يعود الى الشام وفيها ايدغمش ، وايس من اليسير عزل نائب من أجل قاض مهما علت منزلته . ولكن القدر كان أسرع إلى حل هذا الأزمة وأقضى فيها من كل تدبير وقضاء ، فقد جاء الخبر بموت ايدغمش موت الفجاءة ، وعاد الشيخ الى دمشق يعيد سيرة الحق المجاهد الظافر

وممن آذاه واضجره نائب اسمه « أرغون شاه » ، تولى نيابة الشام سنة ٧٤٨ ، ويروي أن الشيخ كان يمسك بطرزه ويقول له : « يا أمير ! أنا أموت وأنت تموت ! » وتأمل أنت في هذا قوة الايمان والجرأة في الحق . وقد ظل ذلك الرجل في نيابة الشام سنتين ثم قتل

كان آخر هؤلاء النواب أرغون الكاملي (١) ، وكان رجلا فظا غليظ القلب . وقد حكي تاج الدين أن أباه حكم مرة في واقعة جرت وصمم فيها ، وعانده أرغون الكاملي نائب الشام وكاد الأمر يطلخمّ شاما ومصر ، فقد ذكر القاضي صلاح الدين الصفدي أنه عبر اليه وقال : يا مولانا ! لقد أعذرت ، ووفيت ما عليك ؛ وهؤلاء مايعملون الحق ؛ فلم تلق بنفسك الى التهلكة وتعاديهم ؟ فتأمل مليا ثم قال :

فليت الذي بيني وبينك عامر    وبيني وبين العالمين خراب

ويا عجبا لتلك الشيخوخة التي لا تزيدها الأيام إلا صلابة وقوة ، وذلك الايمان الذي لا تزيده مظاهر القوة إلا غلبة واستعلاء

وهكذا كانت حياة تقي الدين السبكي في الشام : ملجأ للحق يلوذ به ويعتصم ، ومثالا للخلق القوي الذي لا ينثلم ، وآية من آيات الله على قوة الروح الانسانية متى خلصت من الرعونات والنزعات فلا يغلبها غالب

ولقد كان الحنين الى الوطن يهز ذلك الشيخ هزا ، فذهب الى مصر ، وخلع عليه سلطانها ، ثم عاد منها الى دمشق سنة ٧٥٤ (١٣٥٣ م)

وفي ذي القعدة سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤) نال منه الضعف وأدركه المرض ؛ ولما اشتد عليه استخلف على قضاء الشام ابنه تاج الدين ، فتقلده . وكان في أثناء مرضه شديد اللهف على العودة الى وطنه عظيم الحرص على أن يدركه فيها أجله ؛ فسافر الى مصر

(١) هو الأمير سيف الدين تولى نيابة دمشق في ١١ شعبان سنة ٧٥٢ وقد أورد المقريزي ترجمة لحياته بمناسبة كلامه عن دار أرغون (ج ٢ ص ٧٣ ط بولاق) .

ولبث فيها أياما يكابد العلة ، حتى أدركته الوفاة ليلة الاثنين ٣ جمادى الآخرة سنة ٧٥٦ (١٠ سبتمبر سنة ١٣٥٤ م) وخلف ميراثا جليلا ضخما (١) مما صنفه في كثير من الفنون ، وميراثا آخر أجل وأضخم في ابنيه العلامتين : بهاء الدين وتاج الدين . ولعل الله يوفقنا لدراسة حياتهما ، ورسم صورة لهما

كلية الآداب    محمد طه الحاجري

(١) قال ابن العماد في شذرات الذهب إنه « صنف نحو ١٥٠ كتابا مطولا ، ومختصر المختصر منها يشتمل على ما لا يوجد في غيره من تحرير وتدقيق وقاعدة واستنباط »

# قرب المـــوتى

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

يا روح إنف أليف الموت والحُفَرِ
قومى اسألى عن أليف الهم والسهرِ
أو فابعثى هاتفاً بالليـــل يؤنسنى
لو كان للميْتِ من شوقٍ ومن ذِكَرِ
وحَاِّقى فوق قوم كنتِ زينتهم     كالطير تهبط فوق الوكر فى الشجر
فان نورك نوز النجم يرشـدنا     ورحلة العيش تحكى رحلة السفر
أو كالملائك تهدى وهى خافــية
وتُشعِرُ النفس طُهْراً ليس فى البَشَرِ
عجز عن الشر لم أبصره فى نفرٍ     ياشرّ ما خَلّفَ الأحباب من نفر
غرارة ربما لو عشتِ ما بقيت     إذا عداك الردى عن مهبط البشر
هل تلك طبع الصبا ودى الحياة به     لا بل غرار فؤادٍ غير ذى نُكُر
فصانك الله فى أمن وفى كَنَفٍ     وقُدْسِ طُهْرٍ كصون المرء للذ خُر
كأنما أنتِ ذُخْرٌ لا يجود به     على الدُّنَى وهى من ضَيْرٍ ومن أشر
ما أقرب الميت من حى وإن بعدت     مكانة بين هذا الوِرْدِ والصَّدَرِ
إن الأولَى خلفونا بعدهم ومضوا     ما خلّفونا وإن غابوا عن النظر
هم فى الأمانىّ والأرواح والذِكَرِ     منا وفى القلب والأشجان والفِكَر
فكيف نجزع من فَقْدٍ وما انتقلوا     إلا إلى النفس حرزاً رَيْم من غِيَر
يا قرب دارهمُ من واصل لهمُ     بالنفس إن لم يكن بالعين والأثر
ووحشة النفس من حىٍّ يغايرها     أشد من وحشة فى السمع والبصر
من حاضرين وإن ماتوا وإن بعدوا
وإن غدوا كحديث الركب والسمر
ورب ذكرى تعيد الميْتَ فى شبح     يكاد يُلمَسُ لولا رادع الحذر
ماض من الدهر والأقوام يخبرنا     أن لا مسافة بين المهد والحُفَر

عبد الرحمن شكرى

# زهرتى المختارة

بقلم الياس قنصل

يازهرتى العاطرة الناضرهْ     هل شوّهتْ كفُّ البلى حسنكِ؟
جنتكِ فى الليل يدٌ جائره     لو أنهـا تمثلتْ حزنكِ
لفرقتى ، ما صَبَّتْ بينكِ

يا زهرتى جمالكِ المبـــدعُ ... لتبدعى البهجةَ فى روضتى
ورصّعت ذاك البها أدمعُ     من الندى الباكى بلا مقلةِ
لتسكبى العزاء فى مهجتى

يازهرتى عنكِ سينأى الفتونْ     وقد نأيت عن حمى الشاعر
وبعد أن كنتِ مقرّ العيونْ     ستستحين من فتى ناظر
يعرضُ عن جمالك الفاترِ

أما أنا يا زهرتى ، فالأسى     أنشبَ فى جوانحى مخلبهْ
أبعدكِ الدهرُ وقلبى احتسى     من المرار أكؤساً مصئبهْ
أربتْ على أناته المرعبهْ

يازهرتى كيف أعزى الزهور     إذا رأين عرشك الخاويا
تطوف حوله بقايا العبيرْ     هامســة : ولىّ القضا نائيا
بها ، وغادر السنا باكيا ...

والطيرُ إن تسألْ ، فماذا يكونْ     لها جوابى عند تغريدها
كم رفرفت فوقك بين الغصونْ     وأسمعتكِ من أناشيدها
نجوى ، جلالها بترديدِها

يازهـــــرتى ليهنأ السارقُ     بما جنته روضتى من أريجْ
وليغتنم نضرتَكِ الرامقُ     وليسكر النفسَ بحسن بهيج
فى ثناياكِ بهاه يموجْ

يا زهرتى كذا أرادَ القضاءْ     بحكمهِ ، فحزننا لا يفيدْ
ويأسنا يبعدُ عنا العزاءْ     ويجعل العيشَ بهـذا الوجودْ
حشرجةً، فيها العناء الشديدْ...

(عاصمة الأرجنتين)     الياس قنصل

# الليلة الثانية عشرة

## Twelfth Night

— ٢ —

المشهد الثاني : على ساحل البحر

« تظهر ڤيولا والقبطان والبحارة »

## للشاعر الحضرمي علي أحمد باكثير

ڤيولا : أيُّ بلادٍ هذه ؟ رفقتي !
القبطان : إيليريا !
أنعِمْ بإليسيومُ !
بجنةٍ يخـلد سكانها ويكمل الأنس بها والنعيم
مالي وإيليريا !.. مَهٍ !.. علَّه مثلي نجا ؛ هل مستحيلاً أروم ؟
مُعجزةٌ للحظِّ أن تسلمي !
ڤيولا : بمثلها الحظ لصنوي كريم !
القبطان :
صدقتِ يا سيدتي ، إنني أعضُد رَجْواكِ ، وربي عليم
لما طغى الماء على فلكنا وزاغ منكم عن حِجاه الحليم
وأُدْئِم الزورقَ حتى لقد كاد من الكظّة ألا يعوم (١)
رأيته يسبح في لجـة تهوي به حيناً وحيناً تقوم
رجاؤه شدَّ بأعضـاده وأنه ذاك الشـجاع العزوم
فشـد كفيه إلى قائم في البحر ضمَّ الطفلِ صدرَ الرؤوم
كأنه (أريان) مستمسكاً بظهر ذاك الحيوان المظلم
والمائجُ الخَنِق من حوله قد راضـه فهو وليٌّ حميم !
راقبتُه ما اسطعتُ حتى اختفى عن ناظري تحت ظلال الغيوم !
ڤيولا :
شكراً لما طمأنتَ ، علَّ السما تجمع قلبين بقلب رحيم !
سلامتي أوحت — وأيدتَ ما أوحته لي — أن ابن أمي سليم
أتعرف هذي البلاد ؟
القبطان : أجل بلاديَ أعرفها جيـداً
ثلاثٌ من الساع تكفي نتو صِلَنا منشأي ثم والمولدا

ڤيولا : ومن يَتّلي حكمها ؟
القبطان : سيّد زكا خُلقاً ، وسما محتدا
ڤيولا : وماذا اسمه ؟
القبطان : أرسِنُو
ڤيولا : أرسِنُو ؟ أبي كان سمّاه لي مُحْمَدا (٢)
وأعزبَ كان !
القبطان : وأعزبَ لم يَزَلْ ؛ فقريباً توشّى الصدى (٣)
بإغرامه بأوليفيا الجميلة
ڤيولا : ما هي ؟
القبطان : عذراء مثل النـدى !
أبوها شريف قضى منذ عام وأوصى بها نجلَه الأوحدا
أخاها الحبيبَ إليها الذي به بعد ذلك ثنّى الردى
فآلت أَلّي لا ترى أو تعا شر من بعده رجلاً أبدا (؟)
ڤيولا :
ويحها من مسكينة ! آه لو أخـ دمها ! ربما أسرّي أساها
ربما أستطيع أن أنصرَ الحبَّ وألقي بذوره في رُباها
وأريها صوابها في هوى الدو ق ، وأنسى دنياه في دنياها
ريثما تستقرّ حالي ، ويدري مَنْ أنا
القبطان : خطةً مُحالاً أراها
إنها حرّمت على رُسُل الخطا ب طرّاً أن يقربوا من حِماها
لن ترى وجه طارق منهم قط ولا الدوق نفسه إنْ أتاها
ڤيولا :
لك يا سيدي شمائل غُرٌّ لا تراها عينٌ فلا تهواها
غيّبت فيك باطناً من معانيـ ها ، وحلّتك ظاهراً من حِلاها
لا تلُمْ إن قلتُ : الطبيعة حابتْـ كَ ، وقل لي هل أنت ممن رشاها ؟
ليس هذا من دأبها ؛ فهي تكسو حيّةَ الروض لينها وبهاها !
وإليك اطمأن قلبي ، وما أحـ سب نفسي تضِلُّ فيك هداها
كن عِمادي في خطة رُمْتُها تصـ عب ، لكن لا شك في جدواها

(١) أُدْئِم : أثقل

(٢) أحمدت الرجل : رضيت فعله وتصرفه

(٣) يراد بالصدى الإشاعة وتوشى : انتشر

دراسات أدبية

# فى الأدب الايطالى الحديث

بقلم محمد أمين حسونه

— ٣ —

تألق نجم بيراندللو بعد النجاح العظيم الذى أحرزته روايته « المرحوم ماتياس باسكال » ، وكشفت شمسه أسماء الروائيين المعاصرين ، وبدأ النقدة يتحدثون عن فنه ويولونه اهتمامهم ، ثم اختير ليشغل كرسى أستاذ الأدب الايطالى بالجامعة وانتعشت حالته المالية بما أمكن أن يمحو من سجل حياته بعض المتاعب المادية ، وأن يسدل عليها ستار النسيان

ولكى نعطى صورة واضحة من حياة هذا الكاتب وارتباطها بفنه ، نقول إن التغلب على المتاعب المادية لم يكن كل شىء ، إذ هبت فى بيته عاصفة عكرت الجو مرة أخرى ، فأعصاب زوجته تحطمت ، ونوباتها العصبية تزداد بسبب غيرتها العمياء من تلميذات زوجها فى الجامعة ، وقد حاول بيراندللو كثيرا أن يزيل شكوكها وأوهامها ، فسمح لها بألا تعطيه من راتبه إلا ما يسمح له بابتياع سجائر أو أجر ترام ، غير أن هذه المحاولات فشلت ، وأخذ هذا الحيوان السام الذى يدعونه الغيرة يمتص من شبابها ودمها بعد أن قدم اليها أسلحة جديدة من الشكوك والأوهام ، ولم يكن لرأى زوجها أية قيمة عندها ولا أى تأثير فى نفسها . وعلى حين فجأة ذبل جمالها وانطفأ بريق عينيها ، وأصبحت تعتقد أنها مراقبة ومكروهة حتى من أولادها ، وأنهم جميعاً قد اتفقوا على أن يدسوا لها السم فى الدسم . ولما اشتد بها الداء فكر إخوتها فى ادخالها إحدى مصحات الأمراض العقلية

وكانت الحرب العظمى قد شبت واختير ابنه البكر لخوض غمارها ، وفى غضون ذلك وقع أسيرا ، أما ابنه الأصغر فكانت تجرى له عملية جراحية باحدى مستشفيات روما حتى إذا اجتاز دور النقاهة أرسل فورا الى خطوط النار

وكانت ابنة بيراندللو تتأذى من سوء معاملة الأم لها ؛ ولما فقدت الأمل فى ازالة الشكوك نحوها حاولت الانتحار ، غير أنها نجت ، ففكرت فى الهرب ودخلت أحد الأديرة لتقضى بقية حياتها بين جدرانه

وكان ستيفانو — والد بيراندللو — قد وصل من صقلية ، بعد أن صمد دهرا فى وجه المصائب ، فمن موت زوجه ، إلى افلاس تجارته وضياع ثروته ، الى غير ذلك من الآلام والمتاعب التى انتهت بفقد بصره

ولما كان بيراندللو مشغولا فى خلال هذه الفترة بمصير ولديه اللذين ذهبا الى الحرب ، ومضطراً الى أن يقضى يومه بين زوجة مأفونة ، ووالد عاجز ضرير ، وابنة وصمته بميسم العار ، كان لا بد من أن تخرج هذه الأشباح المعذبة التى تسكن ذهنه ، وأن يقدمها للناس فى ثوب دراى عنيف يجمع بين روح الواقع وبين الخيال

وهكذا غصت المقاعد فى مسرح سكالا بميلانو ليشهد الجمهور مسرحية بيراندللو الجديدة « ستة أشخاص يبحثون عن مؤلف » Sei persone alla ricerca d'un autore التى ابتدع فيها فنا جديدا وعالما يموج بالصور والأشباح والشخصيات المجزأة

* * *

والواقع أن فترة المتاعب والآلام التى اجتازها هذا المؤلف

---

وسأجزيك ما تطيب به نفـ ... ـسك بما ينالنى من جناها
زُرْنى الدوق فى كساء وصيفٍ ... عارضاً خدمتى لكى يرضاها
فكأنى وقد تسربت كالما ... ء جرى بين نفسه ولحاها (١)
واصطفانى لنفسه ، وشكانى ... مطمئناً من همه ما عناها
وسرت فى أعماقها روح ألحا ... نى فهزت أوتار موسيقاها
واطبتُه فصاحتى كرسول ... نحو اوليفيا يذيب صفاها
كنْ لسرِّى قبرا ؛ وأترك حالى ... لليالى تختار لى عقباها

القبطان :

نفذيها ؛ وفى قرارة نفسى الـ ... ـسر لن ينتهى إلى أدناها
إن أجرك به لسانى فلا التذ ... ت عيونى بنورها وكراها !

فيولا : لك شكرى ، هيا بنا !

القبطان : رب سدد ... من خطاه ! ولا أقول : خطاها !

على أحمد باكثير

---

(١) اللحاء قشر العود أو الشجر

الثائر فى كافة أطوار حياته هى التى دفعتـه إلى أن يقول بلسان إحدى بطلاته : « ليست الأعمال إلا حقائب خاوية تملؤها أذهاننا »

وهى التى أدت به إلى أن يكره العقل ، لا لأن العقل سجن ، بل لأنه صدفة فارغة لا تملؤها سوى الغريزة العمياء . فالحوادث مثلها مثل الأكياس لا يمكنها الوقوف وهى فارغة . كذلك إذا أريد أن يظل الحادث حياً فى الذاكرة ، منتصباً بين ظلال الوعى وجب أن يكون له معنى واضح وأن تستقصى الأسباب والبواعث التى أدت اليه

حتى نظريات بيراندللو ليست سوى إنذار بهدم المنطق وإفلاس العقل وتفوق الخيال على الحقيقة . وعنده أن للأرواح لغة خاصة تتفاهم بها ووسائل تدفعها من وقت لآخر للقيام بأعمال باهرة على حين أن الشخصيات المادية لا تتجاوز فى علاقاتها غير الحديث العادى

ومما يحملنا على الاعتقاد بأن نظريات بيراندللو البيسكولوجية لا تصل به إلى تفسير الناس ، أنه يلجأ شخصياً إلى هؤلاء الناس لتفسير ألغازه . ولو لا روح المرح والفكاهة التى تخلع على مؤلفاته ظلاً هائماً ومسحة خاصة لتباعد بينها وبين مركز الألم لكان فنه الروائى هو الجحيم والانسانية المعذبة

لقد درس كل من إدجار ألن بو وستيفنسن نظرية ازدواج الشخصيـة وفوضاها فى الانسان . أما بيراندللو فهو يقسم الشخصية فى فنه الروائى إلى عشرة أو مائة أو ألف أو أكثر . فالفرد عنده مكون من شخصيات متناقضة كالحيوان الخرافى الذى تتحدث عنه أساطير الاغريق . وهو لا يعرف الأخلاق والعادات ولا يقدر الارادة أو الشهوة الغالبـة لأن جميع مشاعره قابلة للتحول والتغير والتأثر

– على أن أهم ما يرتكز عليه فنه ظواهر التحليلات النفسية وتعدد النازعات . فكل شىء فى نظره مرجعه إلى التفسير ، بل قد يجوز أن يتخذ شخص ما صورة معينـة فى نظر أحد محللى نفس الشخصية . وقد قال بيراندللو بلسان إحدى بطلاته فى روايته « شهوة الشرف » : « لاشك أن مدام أنيتا هى امرأة أخرى ؛ وليس هذا كل ما أقوله ، بل هى أخرى وأخرى وأخرى أيضاً ، بعدد الأشخاص الذين تعرفهم والذين يعرفونها »

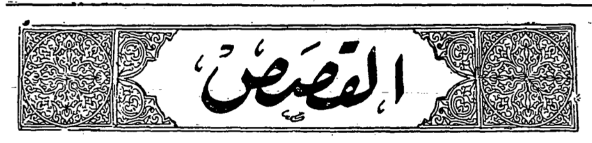
وفى عام ١٩٢٢ ترك بيراندللو منصبه فى الجامعـة ليتفرغ للأدب والمسرح فوضع روايات : حصان فى القمر ، وسهرة الموت والفخ ، وأنت تضحك ، وزوجها ، وهنرى الرابع . وسافر برفقة فرقة تمثيلية ألفها إلى عواصم أوربا ومدنها ، وبمرور الزمن تراكمت عليه الأعمال بسبب إخراج رواياته على مسارح باريس وبرلين ولندن ونيويورك وبونس إيرس وموسكو ، ولكن لا بد من أن يسافر إلى جميع هذه العواصم ليشرف بنفسه على إخراج رواياته

يقول ادريانو تلجر فى كتاب نشره عن فن بيراندللو المسرحى Studi sul teatro contemporaneo انه لم يتأثر فى فنه بالمؤثرات اللاتينية بل يدل أدبه على أنه تأثر بأدب الشمال » . وليس ذلك بغريب من كتاب الجنوب واللاتين ، والكثيرون منهم أمثال دانتزيو وجوزيف جسيا كوزا قد تأثروا الى مدى بعيد بأدب ابسن وطريقته فى تحليل المشكلات الاجتماعية . والواقع أن ابسن سبق أن أقام فترة طويلة فى ايطاليا وكان له الفضل الأكبر فى تكوين مدرسة روائية مسرحية تمت الى فنه بأقوى الصلات

أضف الى ذلك أن بيراندللو برع فى رسم مآسى الحياة وفواجع المجتمع براعة قلما أتيحت لكاتب يعاصره . وهو يتلاعب بألفاظه تلاعبا يخلع عليها وعلى أسلوبه مسحة تتفق ونظرياته الفلسفية فى الانسان والروح . وليست دراماته سوى سرد ماضيه وتصوير نفسيته ، فهو من هذه الناحية لا يتحث الخيال ولا يتكلف التصوير ، ولكنه ممن يروحون عن أنفسهم بهذه الزفرات الوجعة

على أن الشىء الوحيد الذى يوجهه نقدة المسرح فى أوربا الى فن بيراندللو يتلخص فى نقطة واحدة ، هى أنه يجزىء شخصياته عا يؤدى الى هدم أساس الحياة والجنس البشرى ، فبعض الشخصيات التى يضعها وسط الخيال تؤدى الى ضياع الفكرة التى ينشدها الفن المسرحى لاسيا وهو يعد الخيال حقيقة لا خطأ . ولو اعتبرنا الخيال واقعيا لوجب علينا بطريق الاستنتاج أن نعتبر الخيال والواقع متساويين من حيث الحقيقة ؛ ومع كل فبيراندللو هو أكثر الكتاب الروائيين والمسرحيين انتاجا على الرغم من عدم تحوله عن نظريته التى يخضع لها فى كل ما يكتب

(يتبع) محمد أمين حسونة




دراما من اسخيلوس

# ٢ - المتضرعات

The Suppliant Women

للأستاذ دريني خشبه

— ٧ —

وصمت الأب دانوس ، وغمرت الفتيات موجة أثيرية من الفرح ، وتقدمن نحو الآلهة يصلين ويهزجن ، وينظمن الشكران عقوداً من جمان دموعهن فيجعلنه قلائد على جيد آرجوس ، ويدعون للملك بالمجد ، ولمدينته الخالدة بالنصر والعز والتأييد

وما يكدن يفرغن من صلاتهن وانشادهن ، حتى يثب أبوهن الشيخ المتهالك وثبة قوية ... ويقف على شرف من حرم الآلهة المقدس ، ثم يرسل في اليم المضطرب نظرات حائرة من عينيه الغائرتين ... كمن ينظر في كتاب الغيب ! !

— يا هول ! أصمتن يا فتيات ... أصمتن ! إن الزمن يسوق اليكن أحداثه فوق أعراف الثبج ... أتنظرن ! ؟ إنها تقترب منا رويداً رويداً ! واحربا يا بناتي البائسات ! ؟ سفينة مصرية لا ريب في ذلك ! آه ! إنها من سفائن اللعين إيجبتوس ! لاشك ! لا شك ! ها هي ذي قلاعها وشراعها ! كابية كوجهه ، كاسفة كقلبه ... وي ! لقد طوى الملاحون الشراع ، وأعملوا سواعدهم في المجاديف ! إنها ما تفتأ تقترب ! ولكن ! لا عليكن يا فتيات ! لا عليكن أبداً ! إن لكن من هؤلاء الآلهة ذادة ، وإن لكن منهم حماة أباة ! ويل لمن يستهزئ بأرباب الأولمب وأى ويل ؟ إن له لساعة تشيب من هولها النواصي ! لقد قدم الأوغاد يطلبونكن لتمة الوحوش الذين لا يخشون الآلهة ولا يرعون حدود السماء ... لا .. لن يكون هذا أبداً ... »

فترتعد فرائص الفتيات ، وتقول كبراهن :

— « أبتاه ! إنا لنـذوب من فرق يا أبتاه ! يا للفزع الأكبر ! ماذا أفاد سفرنا الطويل ، وغربتنا النازحة ؟ لطالما انتعلنا الدماء ، وضربنا غوارب الماء لنكون بنجوة ، فأين النجاء ! أبتاه ! إنا نذوب من فرق ... »

— « اطمئن قلوبكن يا بناتي ، فلقد صمم الأرجيف البواسل أن يحاربوا إلى آخر قطرة من دمائهم من أجل قضيتكن ... » اهدأن ! اهدأن فهذه الآلهة تحميكن ! »

— « وهل يصبر الأرجيف المترفون على شياطين إيجبتوس يا أبتاه ؟ انظر ! لقد جمعوا الهاذم من محاربي مصر .... فمن لنا ، من لنا ! ؟ »

— « إنكن لن تلبثن أن ترين الأبطال المقرنين في الحديد ، المقنعين في الزرد ، فلا تهلعن ! »

— « ولكن ... لتقف معنا يا أبتاه ! لا تتركنا ! فنحن أضعف من أن نشهد المعركة ! إن هؤلاء القادمين في السفينة الغبراء وحوش يحملون قلوباً خرساء ... ولن يثنيهم أن يشهدوا هذه الآلهة ، إذ هم ضواري ليبيا ، لا يعرفون قرباناً ولا مذبحاً ولا شريعة ، ولا يرهبون آلهة ولا يوقرون أوثاناً ! »

( يهم دانوس أن يغادر بناته ، فتقول كبراهن : )

— « أبتاه ! الى أين ؟ لن تغادرنا ... لن تغادرنا يا أبتاه »

— « تلبثن يا فتيات ولا ترهبن شيئاً ! إنهم لا بد لهم من وقت طويل حتى ترسو سفينتهم ، وينزلوا الى البر ويربطوا أمراسها في صخرة أو جذع ... وقد لا يجدون مرفأ هنا فيقلعون الى مكان بعيد ... اهدأن ... لا تفزعن هكذا ! ما هذا الفرق ! تلبثن هنا حتى أعود بجيش الأرجيف أو بعدد من بيلاسجوس ! لقد وعد ! لقد وعد أن يحمينا ، وأيده الشعب كله في ذلك ..... تلبثن ..... لا تفزعن ..... ولا تذهب قلوبكن شعاعا ! »

( يخرج دانوس )

— ٨ —

وتهلع الفتيات ويتفزعن ، ويتضرعن الى الآلهة أن تنقذهن من ذلك البلاء المنتظر ، ويرسلن أنشودة طويلة حزينة ...

والسفينة تقترب !

وهي كلما اقتربت وجفت نفوسهن ، وخفقت قلوبهن ، وتبللت أبكارهن ، وتملقن بالدمى المرمرية التى ... تتاجت حتى ما بحس.... وتحجرت حتى ما تمى ...

وغابت السفينة عن الأنظار فجأة .. ولكنها غابت لترسو .. وطفق الفتيات يهزجن ... ويضاين ... ويبكين ...

— ٩ —

( يدخل القائد المصرى )

— « سو ... ش ... اصغين يافتيات ! حذار ألا تطعن ! هلم الى سيف البحر ، فاركبن فى السفينة معنا ! أسرعن ، لا تقاومن ، وإلا حملناكن بالقوة ! أسرعن ، وى ! أنتن لا تتحركن ! أسرعن يافتيات ! إن لم تبرعن فستحل بكن نقمة ! سننشدكن من شعوركن ونجركن على الرؤى والأحجار حتى تدمى جسومكن .. الى البحر ... الى البحر ! »

( وينقض الجنود فيداقنون الفتيات فتقول كبراهن : )

— « ويل لكم أيها الضوارى وويل لأميركم ! ليت هذا الخضم ابتلعكم قبل أن تصلوا الى هنا ! »

— « أنصح لكم يافتيات ألا تقاومن ! إنكن ضعيفات ، وللقوة أن تصنع ماتشاء بكن ! دعن هذه المجالس حول هذه الآلهة التى لابد أنها تسخر منكن ! ستحملكن السفينة إلى أوطانكن فالحذار من المقاومة ! »

— « كلا ! لن نعود إلى جنة الأرض وجحيم القلوب ! الفردوس الذى يفيض كل سنة دماً يصهر العاطمة ويحرق الضلوع .... »

— « وبعد ، إننى مرغم إذن على استعمال القوة الطائفة التى يخوليها الأمر الذى بيدى ! سأنتزعكن من مقاعدكن فى هذا الحرم ! سنجركن من شعوركن وخموركن ، ونبحر بكن برغمكن ! »

— « أنت تهرف كأن عيون السماء مغمضة عنك ! كأنك إذا كنت وسط اللجة لم تخش شيئاً ! أيها الكافر بالآلهة ! »

— « ولولن ماشئتن ! ادعين آلهتكن ، وسترى هل تهرع لموتكن !! أبداً لن تهربن من يدى إيجبتوس أبدا ! إنه كالهواء مدرككن أنى وجهتن ! فولولن واصخبن ! وأعولن وابكين تماستكن ! »

— « ثم ماذا ؟ زدنا من وقاحتك ياابن النيل ! بذاء ! أيها المسخ ! ياربيب التماسيح ! ليتها تطعمت بك ، أو خللت ثناياها بلحمك قبل أن تجىء إلى هنا ! »

— « سو ... ش ... كفى ! حسبكن صراخاً ! إن لم ترضخن ... فشعوركن تحكم بيننا وبينكن ! سنجركن منها إلى السفينة يافتيات ! »

( يهم الجند أن يجروهن ! )

— « أبانا ! أين أنت ياأبانا ! الغوث الغوث ! هذه العناكب الملطخة ! يا أمنا الأرض ! يا أبانا زيوس ! عونك يا آلهة ! ياسيد الأولمب ! نحن حفيدات يو !! أدركنا ! إدفع عنا هـــذه الضوارى ! »

— « عبثاً تستصرخن آلهتكن يافتيات ؟ هى ليست لنا بآلهة ! فنحن لا نرهبها ولا نخشاها ! إنها لم تنشئنا ، ولم تختلط بقلوبنا ... نحن لا نباليها ! »

( يجرها من شعورها )

— ويلك أيها اللئيم ! يا أفعوان النيل ذا الأنياب ! أغرب فلست أنى مثلك أيها الأرقم ! الموز الموز ياسيد الأولمب ! زيوس يا إلهى ! أدركنى أستحلفك بأمك ربة هذه الأرض ! »

— « أسرعن إلى السفينة إذن ! وإلا ! فسنندك عظامكن فوق هذه الآطام ! أطعن يافتيات فهو خير لكن ! »

— « ياسادة آرجوس ! أدركننا ياأرجيف ! أيها الأوفياء ! »

— « بل سادة مصر ! أبناء إيجبتوس الكرماء ستلاقينهم وشيكا ياعذارى ! »

« يا ملك آرجوس الكريم ! الغوث ! لقد وعدتنا ! بيلاسجوس ! »

— « طالما تأبيتن ، فشعوركن تطيعنا ، وهى أطوع لنا منكن ! »

( يجرونهن على الحجارة بشدة فيدخل الملك )

— ١٠ —

— « وَىْ ! من أولاء ! من الجاثمون خلال مملكة بيلاسجوس ، النائون فى جنبات آرجوس ، غير المبالين بحرم الأرباب ! من أنتم ياهؤلاء ؟ هل هانت عليكم آرجوس فأنتم

تأذكون في ساحاتها غير هيابين ! مالكم ولأولئك النسوة ! مالكم تحركون ألسنتكم بالفحش ، وتسلقونهن بالهُجْر ؟ ! إن هناك لعدالة تحميهن أيها الحمق ! »

— « أي هجر وأي فحش ، ماذا صنعنا بهن ! »

يا للآلهة ؟ أنت أجنبي وقد نزلت بلاداً غير بلادك ، فكيف ضللت سبيل الحسنى ؟ ! »

— « أجل : ولكنني أجنبي قد عثر بضالته المنشودة ، ورجيته المفقودة

— « وأية قوة هنا تملك ، فتسندك ! »

— « أنا أحتكم إلى هرمز ، حامي الغرباء ! »

— هرمز ؟ ! أمرك عجيب وحق هرمز ؟ لقد دنست حرم الآلهة جميعاً ! »

— « بل أما أدين للنيل ... حابي ! ... (١) وأعبد آلهة النيل ! »

— « إذن فلا اعتبار لآلهة آرجوس عندك ؟ »

— « اذا كان منها ما يحول بيني وبين ضالتي ... وإلا ... فستمضي بصيدي »

— « ارفع يدك عن الفتيات ... والا ... فسرعان ما تندم ولات حين مندم »

— « كأني بك تشيع الكرم في عباراتك ! »

— « لا كرامة ولا بشاشة لمن دنس الحرم المقدس ! »

— « قل ما شئت ، فالجلة الأمراء من أبناء ايجبتوس ... آ ... أجل ... سأذكر لهم كل شيء »

— « لا يعنيني أن تنقل اليوم أي حديث عني ! »

— « عجبا ! وكيف ؟ إذن نبئني ماذا أقول له كرسول منه اليك ! يبدو لي أن مارس (٢) وحده سيحكم بيننا وبينك ، وعندها ، يعرفنا أينا من يندم ولات حين مندم ! هؤلاء بنات عمهن ، وقد جئت من أجلهن ، فكيف أعود بدونهن ! لم تسمح للغضب أن يروى دماءنا ! يا للأرواح البريئة ! ثم . من أنت ؟ »

— « غداً تعرف من أنا ، أنت والعصبة من رفاقك ! ولكن ... لن نسمح لك أن يصطحبك أولئك الفتيات إلا إذا رضين عن ذلك ... فلن يذهبن معك رغمهن ... إن مملكتنا كلها تؤيدهن وتؤازر حقهن ، ولن تسلمهن لقوة مهما عتت أو

(١) إله النيل (٢) إله الحرب

لجبروت مهما طغى ! إن لنا لقانوناً أقدس ، لم ينقش في صخر ، ولم يسطر في بردى ، فاسمعه من فمي ، واغرب من أمامي ! »

— « وي ! لقد ضمنت كلماتك اعلان الحرب علينا ! فمن لك برجال يضمنون لك النصر ؟ ! »

— « غدا علاً الرجال السهل والجبل وشطئان هذا الخضم رجال ... مذاويد ... لم يدنسوا أفواههم بجمة الشعير ولا بنبيذ التمر ... أغرب يا أحمق ! » (١)

( ينسحب المصريون )

— ١١ —

« وأما أنتن يا عذارى فلا ترهبن شيئاً في الوجود ما دمتن معنا وبين ظهرانينا ! إن آرجوليس كلها ستحميكن وستكافح عنكن ، فهلم الى قلعتها العتيدة ، إن لكل منكن فيها حصناً أمنع من النجم ، وآمن من السماء ! فقرن في غرفاتكن ثمة ، فهي أخلق بكن ، وأطيب إلى نفوسكن ، وأروح عليكن ... على الرحب والسعة يا عذارى ! إني وشعبي نفتديكن ، فقررن عينا وطبن نفسا ... »

— « بوركت يا خدن الأرباب ، جزاك سيد الأرباب عنا خيرا ، وكتب لك ولملكتك السلامة ، وجعلك وجعلها بنجوة من غدرات الأيام ، وبدوات الزمان ! ... أيها الملك ! لقد غمرنا احسانك فنحن ندين لك بهذه الأرواح الفزعة ، والنفوس المروعة ، التي أذهبت همها الشجو وجلوت ما بها من حزن ! أبانا أيها الملك ! إنه رجل شيخ حطمته الآلام ، وناءت على صدره الخطوب ... إيذن له يصحبنا الى منازلنا ، ويهيء لنا جوارنا ، ويتخير لنا أولياءنا ذلك أدنى الا يأسى أو يحزن ! ( ويوجهن القول الى وصيفات الملك ) أما أنتن أيها الوصيفات فرشدننا إلى حيث يدلكن أبونا ... وابشرن ! فسيهب كلا منكن أمة جزاء ما خدمتننا وسهرتن علينا »

— ١٢ —

( يدخل دانوس )

— « أحمدن للملك ، وصلين للآلهة يا بناتي ! القرابين وضحيات النحر ، إنا ندين للأراجيف البواسل بأرواحنا ما في ذلك من شك ، فقربن لآلهتهن القرابين ، وقدمن من الضحيات الثناء لهذا الملك الكريم يا بنيات ، فلقد أنقذنا من الذبح ونجانا من الفضيحة ... حمداً له ! حمداً له وشكراً ! ! »

(١) هذا حديث يدل على ما كان لمصر من ذكر وصولة في هذا الزمان !!



## تاريخ جديد لليهود

تثير المسألة اليهودية اليوم كثيراً من الاهتمام ، ولهذا يصدر اليوم كثير من الكتب التي تتعلق بالمسألة اليهودية أو تاريخ اليهود سواء بأقلام كتاب اليهودية أو غيرهم من الباحثين من مختلف الأمم . وقد صدر أخيراً تاريخ جديد لليهودية بقلم مؤرخ يهودي كبير هو الدكتور سيسيل روث C. Roth ، وعنوانه « تاريخ اليهود » ، ويقع الكتاب في مجلد واحد ، ومع ذلك يقدم الينا صورة شاملة واضحة من تاريخ اليهودية منذ أقدم العصور إلى يومنا ، وقد صدر من قبل كثير من التواريخ الجامعة عن اليهودية ؛ مثل كتاب إيفالد وكتاب يتز بين المؤرخين الألمانيين ، وكتاب ميلمان المؤرخ الانكليزي ، ولكن هذه المصنفات القوية الجامعة ينقصها اليوم طابع الجدة الذي يطبع الكتب المعاصرة ، ذلك أن المسألة اليهودية قد جازت منذ منتصف القرن الماضي إلى يومنا أطواراً كثيرة هامة ؛

وكتاب الدكتور روث يمتاز بهذا الطابع الحدث ، والدكتور روث أستاذ موضوعه ، فهو من أكابر مؤرخي اليهودية وكتابها ، وقد كتب عدة مباحث عن تاريخ اليهودية في العصور الوسطى في السلسلة التي أصدرتها جامعة كامبردج عن تاريخ العصور الوسطى ، وفي دائرة المعارف اليهودية ؛ وكتب أيضاً تاريخ اليهود المتنصرين في اسبانيا وتاريخ اليهود في البندقية وعدة كتب ومباحث أخرى

ويقدم الينا الدكتور روث صورة واضحة جامعة من تاريخ الشعب اليهودي ؛ ويوضح لنا كيف أن اليهودي خلق منذ أقدم العصور « جوالا » يضرب في الآفاق ، وأنه يصح أن يسمى بحق « اليهودي التائه » ؛ ونرى الدكتور روث أن اضطهاد اليهودية منذ تفرقها يتخذ في جميع العصور وفي جميع الأمم أشكالاً وضروباً متماثلة ؛ ففي ظل الدول البربرية والنصرانية والاسلامية ، وفي الشرق والغرب ، نرى نفس الاجراءات والأساليب تتخذ لمطاردة اليهودية : القتل والتشريد والمصادرة ، وإلى يومنا نرى نفس الصورة المروعة ، وقد تزدهر اليهودية أحياناً في فترات قليلة نادرة ويتبوأ رجالها مناصب ممتازة في السياسة والمالية وفي العلوم والآداب ، ولكن يد المطاردة لا تلبث أن تسحقها ، ويحاول الدكتور روث أن يوضح لنا كيف أن اليهودية حصرت معظم اهتمامها في الشؤون المالية ، وكيف أن اليهودي انتهى بفعل الزمن إلى التخصص في الاتجار بالمال والربا ، ذلك أن اليهودي كان محروماً طوال العصور الوسطى من مزاولة أية مهنة أو حرفة أخرى ، ولم يترك له سوى احتراف المتاجرة بالمال والربا المقوت ؛ ومن ثم كانت نشأة اليهودية المالية وتقدمها بمضي الزمن في هذا الميدان ؛ وقد كانت اليهودية منذ العصور الوسطى ملاذ المعاملات المالية والصيرفية

ومما يلفت النظر في كتاب الدكتور روث رأيه في صلب السيح ، وكيف أن المسئول عن توقيع هذه العقوبة عليه هم الرومانيون لا اليهود ؛ وكيف أن اليهود كانوا يودون إطلاقه ؛

---

أما أنتن ، فخذن أهبتكن ... الى قلعة المدينة وذؤابة شرف آرجوس ! ولي عنكن وصاة أرجو ألا تخيب ، تلك أن تضرن بخمركن على جيوبكن ، ولا تبدين من معالم فتونكن ، ما تشغلن به قلوب الرجال ، وتبلبلن ببعضه أفئدة الناس ، ولا تنسين أننا في كنفهم وارفون في ظلالهم ... فالشرف الشرف يا بناتي ! والعصمة العصمة !! حتى نجتاز شوارع آرجوس ، فاغضضن من أبصاركن إذا ساورتكن الجماهير ، وأحدقت بكن الجماعات ؛ ولا تبادلن أحداً نظرة ... لا تدرى إلا الآلهة ما بعدها ... »

ويلتف العذارى بأبيهن يعطينه موثقهن ، ثم يأخذن في انشادهن الحلو ، وتغنيهن الجميل ، وقد انقسمن الى جماعتين ، هذه تغني ... وهذه ترجع .. وتمتلىء الأرجاء شدواً و ... شجواً ... وموسيقى

دريني خشبة

( البقية — وهي خلاصة الدرامتين المفقودتين — في العدد القادم )

وهذا الرأي يخالف ما اصطلح عليه معظم مؤرخي النصرانية من أن اليهود هم الذين شددوا في صلبه في حين أن الرومانيين كانوا يؤثرون إطلاقه

ويتتبع الدكتور روث تاريخ اليهودية ومسائلها حتى يومنا . وكتابه قيم جداً من الوجهة العلمية ؛ وأسلوبه قوي واضح ؛ ولا ريب أنه سيثير اهتمام كل مشتغل بالمسألة اليهودية أو تاريخ الشعب اليهودي

## كتاب عن بونابرت في مصر

يعتبر مسيو فرانسوا شارل رو السفير الفرنسي السابق من خاصة الباحثين في تاريخ نابليون وفي تحليل شخصيته ومواهبه ؛ وقد خص الحملة الفرنسية المصرية بكثير من مباحثه وتحقيقاته ، وآخر ما كتب في هذا الموضوع كتاباً عنوانه « بونابرت حاكم مصر » Bonaparte Gouverneur d'Egypte ، وفيه يجال شخصية بونابرت ونفسيته حين إعداد الحملة الفرنسية ؛ ويرى مسيو شارل رو أن نابليون لم يكن يومئذ الجندي العظيم فقط ، ولكنه كان أيضاً أديباً وصحفياً ، يقدر ما للدعوة والرأي العام من قوة ، ولذلك لم يكتف بأن يزود جيشه بالمدافع والذخائر ، بل رأى فوق ذلك أن يزوده بطائفة كبيرة من العلماء والفنيين وأن يحمل معه مطبعة كاملة . وفي ذلك ما يدل على أن نابليون كان يتمتع بعقلية عصرية لا تقل في حداثتها وابتكارها عن عقلية عصرنا

ويقول مسيو شارل رو ان نابليون كان يقصد الهند عن طريق مصر . وانه كان يقدر للذهاب والاياب إلى فرنسا ستة أعوام . وكان يقول ان عمري تسعة وعشرون عاما فقط ، وهذا ليس بعمر ؛ وسيكون عمري عند العودة خمسة وثلاثين » ولم يكن نابليون تحدوه حين قدم إلى مصر أية عواطف دينية . أجل جاء الفرنسيون إلى مصر أيام الحروب الصليبية ليقاتلوا الهلال ويسحقوا الاسلام ، ولكن نابليون جاء إلى مصر ليحقق مشروعاً سياسيا واستعماريا ضخما ، ولم يفته عند مقدمه أن يصدر (عن طريق مطبعته) منشوراً إلى المصريين يقول فيه انه وجنده مثلهم يعبدون الله ، وانه عاقب البابا ونهب مالطه وفرسانها المتعصبين ، وانه لم يأت ليسحق الاسلام وإنما أتى بالعكس ليعيد إليه مجده ! وكان نابليون طول إقامته بمصر يتظاهر دائماً باحترام الشعائر والعادات الدينية وتكريم العلماء ومصادقتهم

بيد أن هذا الحلم الجميل قد انهار بسرعة ، ولم يلبث بونابرت أن غادر مصر شبه هارب ؛ وقد عاد إلى فرنسا بعد أن حنكته تجارب عديدة ؛ ولم يكن عدوه شعبا أو مجتمعا وإنما كان عدوه التعصب ؛ وقد التقى مصر ، أم العلوم والفنون منذ العصور الغابرة في سبات عميق ، وألفاها فريسة للترك ، ولم يبق في واديها النضر غير أرض مجدبة ينتهبها من استطاع . بيد أنه إذا كانت الحملة العسكرية قد أخفقت في تحقيق أغراضها ، فان الحملة العلمية قد حققت أعظم الثمار ؛ وقد درس العلماء الفرنسيون كل ما في مصر من طبيعة ومن حيوان ونبات ، ودرسوا أحوالها الاجتماعية وأمراضها المتوطنة ، وأنشأوا المجمع العلمي بالقاهرة ؛ وكان نابليون يرهق علماءه بمختلف الأسئلة : هل يمكن زرع القطن في مصر ؟ وهل يمكن غرس الكروم ؟ وهل تقام طواحين الهواء ؟ وهل يمكن تحسين خبز الفلاح ؟

كل ذلك يعرضه مسيو شارل رو في كتابه الجديد بأسلوب ساحر يجمع بين دقة البحث واتزان الحكم ، ومتاع العرض . ومن المحقق أن كتابه يعتبر ثروة جديدة في مكتبة الحملة الفرنسية

## رسائل الشاعر الروسي بوشكين

تستعد دوائر الشعر والأدب للاحتفال في العام القادم بالعيد المئوي لوفاة الشاعر الروسي الكبير « بوشكين » وقد كان بوشكين من أعظم شعراء القرن التاسع عشر ، وكانت الروح الأوربية اللاتينية تغلب لديه على الروح الاسيوية الروسية ؛ بيد أنه لم يترجم كثيراً إلى اللغات الغربية وبخاصة إلى الفرنسية كمواطنيه ومعاصريه الأكابر مثل جوجول وتورجنيف ودستويفسكي . ويرجع ذلك إلى قوة شعره التي يصعب اخراجها بلغة أخرى . وأعظم مؤلفات بوشكين هي بلا ريب قصته الشعرية « أوجين أونجين » ، وهي دراسة بديعة للعادات والأخلاق الروسية في القرن التاسع عشر

وكان بوشكين رجلا غريب الأطوار والنزعات ، يضطرم بعواطف غريبة . ومما يذكر أنه حينما اعتزم الزواج في سنة ١٨٢٦ ، خطب فتيات عدة قبل أن يلتقي بالحسناء ناتالي جونتشاروف ؛ وكانت تلك الفترة أكثر فترات حياته اضطرابا

ويعتزم الكاتب الروسي سرج ليفار بهذه المناسبة أن ينشر رسائل الشاعر بوشكين إلى حبيبته ناتالي بنصها الأصلي ، وأن

يعلق عليها وأن يوضح ما غمض منها ؛ وهـذه الخطابات تصور لنا حياة الشاعر فى هذه الفترة أحسن تصوير ، وهى فترة حافلة بمختلف الحوادث والفاجآت وضروب السعادة الغرامية . بيد أن هذا الزواج السعيد لم يلبث أن انتهى بفاجعة مؤلمة . ذلك ان بوشكين قتل مدافعاً عن شرف زوجه ناتاليا فى مبارزة أصيب فيها بجراح مميتة . وسيضم هـذا المجلد الذى يحتوى على رسائل بوشكين ترجمة وافية لحياة ناتاليا بقلم المسيو هوفمان ، وهى ترجمة مؤثرة شائقة

### وفاة كاتب ألمانى كبير

من أنباء برلين أن الشاعر والكاتب الألمانى الكبير إدوارد شتوكن E. Stuchen قد توفى فى الحادية والسبعين من عمره ، وقد كان شتوكن شاعراً من الجيل القديم أعنى من شعراء الأمبراطورية ، وله شعر كثير يمتاز بقوته ورصانته ، وكان أيضاً باحثاً كبيراً يؤثر القصة العلمية والتاريخية باهتمامه ، واشتهر شتوكن بنوع خاص بالابداع فى القصة التاريخية ، وأشهر قصصه من ذلك الطراز « الفاتحون » Die Eroberer ؛ وهى قصة تاريخية رائعة فى مجلدين كبيرين ، وتدور حوادثها حول فتح المكسيك على يد الاسبان فى أوائل القرن السادس عشر ؛ وبطل القصة البارز هو فاتح المكسيك هرناندو كورتيز ، وبطلتها هى دونا مارينا الفتاة الهندية الشهيرة التى غدت خليلة الفاتح ومهدت للاسبان كثيراً من مصاعب الفتح ، ويصف شتوكن حوادث هذا الفتح الشهير وصفاً قوياً شائقاً ، ويستعرض أحوال الهنود الحمر ومدنيتهم وعاداتهم فى فصـول ممتعة تقوم على الحقائق التاريخية والعلمية الثابتة ؛ ويبدع بنوع خاص فى وصف الوقائع الدموية التى جرت بين الهنود والاسبان ، ومناظر الضحايا البشرية التى كان ينظمها الهنود للتقرب من الآلهة ؛ ويمزج شتوكن هذه الحوادث والمناظر التاريخية المروعة بلمحات من الخيال الساحر والعرض الشائق

وقد أحرز شتوكن رواية « الفاتحون » شهرة عظيمة ، ومازالت تعتبر من أعظم ما أخرجت القصة الألمانية المعاصرة ، ولشتوكن عدة قصص وكتب نقدية أخرى

وكان شتوكن مدى أعوام طويلة عضواً فى الأكاديمية الألمانية للأدب القصصى

### كتاب جديد لميترلنك

صـــدر أخيراً كتاب جديد للكاتب البلجيكى الكبير ميترلنك عنوانه « الرملة » Le Sablier ؛ ومن الصعب أن نحدد موضوع الكتاب ؛ بيـد أنه كمعظم كتب ميترلنك مزيج من الاستعراض والنقد والفلسفة ، ويكتب ميترلنك عادة بروح ثورية ، ولكنه يبدو فى كتابه الأخير أكثر هدوءا ؛ وهو يحمل فى الفصل الذى يخصصه لأحزان الأسرة الملوكية البلجيكية على القدر الجائر ، ولكنه يثور فى وقار ؛ ويحدثنا ميترلنك عن ضعف الآثار المترتبة على التعليم الدينى ، ويرى فى فلسفة باسكال ضعفاً ولا سيما فى نظريته الخاصة « بالأسطورة التى لا تقارن » إشارة إلى النصرانية ، ثم يحدثنا بعد ذلك عن الموت ، ويرى أنه ليس عدواً للانسانية بالقدر الذى تصوره روعته وآثاره المحزنة . وذلك أن الموت هو قانون الانسانية كلها ، وهذا التضامن فى تلقى محنة الموت من البشر جميعاً يسبغ على الموت صورة محبوبة . وربما استطاع الانسان أن يوفر على نفسه كثيراً من ضروب الألم والحزن إذا هو نبذ الحلم المستحيل « بأنه ذاهب ان يكون له ذهاب » . وما زال الانسان من حيث التضامن أقل شأناً من بعض الحشرات كالنمل مثلا ، فلو أن الانسان أدرك عاطفة التضامن على حقيقتها ، لغدا كل إنسان « إنسانية بأسرها »

### حول ترجمة السخاوى أيضاً

نشرت الرسالة فى العدد ١٤٣ ، وفى هذا المكان رد الأستاذ عنان على ما لاحظه أديب من قراء الرسالة على ما ورد فى ترجمته للحافظ السخاوى بخصوص كتابى « تحفـــة الأحباب » و « الاعلان بالتوبيخ » ، وقد تلقينا فى هذا الموضوع الكلمتين الآتيتين :

— ١ —

اطلعت فى العدد ١٤٢ من « الرسالة » الغراء على ما كتبه الأديب الفاضل السيد محمود عساف أبو الشباب مصححاً نسبة كتاب ( تحفة الأحباب فى الخطط والزارات ) إلى محمد بن أحمد الحنفى السخاوى الذى فرغ من تأليفه عام ٩٥٦ ، لا إلى محمد ابن عبد الرحمن السخاوى الشافعى المتوفى سنة ٩٠٢ مستدلا بما ذكره صاحب طبقات المالكية ، وبعدم عد السخاوى ( محمد

ابن عبد الرحمن المتوفى سنة ٩٠٢ ) ذلك الكتاب فى جريدة مؤلفاته التى سردها بالتفصيل مرتبة مبوبة فى ترجمته لنفسه من ( الضوء اللامع ـ الجزء الثامن ) ، ويمكن أن يستدل لذلك بعدم احالة السخاوى فى تراجم (الضوء اللامع) على كتاب له فى المزارات مع كثرة احالته على مؤلفاته فى أكثر التراجم

ولكن الأديب أبا الشباب تسرع فى نقل عبارة الأستاذ المؤرخ السيد محمد عبد الله عنان ، فقال فى ختام كلمته : ( فاحقاقا للحقيقة ، وصونا لمعالم التاريخ نأمل أن يجزم رجال التاريخ أن الأثرين اللذين عناهما الأستاذ عنان ليسا للامام السخاوى صاحب الضوء اللامع ) ...

لأن عبارة الأستاذ عنان فى العدد ١٠٤ هى : ( ونجد أخيراً فى تراث السخاوى أثرين من نوع خاص ولهما أهمية خاصة ، أولهما كتاب تحفة الأحباب . . . . وأما الثانى فهو كتاب (الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ...)

وليس من شك فى أن (الأثر الثانى) هو من مؤلفات السخاوى إذ ذكره فى صدر مؤلفاته التاريخية ، والمؤرخون مجمعون على ذلك ، بل الكتاب نفسه ينادى بذلك فى كل باب من أبوابه ، فالأستاذ عنان أضاف الى مؤلفات السخاوى صاحب الضوء كتاباً لم يكن من تصنيفه (وله سلف فى هذه النسبة الخاطئة) ، والأديب أبو الشباب نفى من جريدة مؤلفات السخاوى كتاباً أجمعوا على أنه من تأليفه (وليس له سلف فى ذلك) جزى الله الجميع خيراً .

«من قراء الرسالة»

— ٢ —

قرأت فى عدد الرسالة الأسبق كلمة الأستاذ محمود عساف أبو الشباب — عن السخاوى مؤلف الضوء اللامع والسخاوى الآخر مؤلف تحفة الأحباب فى المزارات ، ولهذه المناسبة أذكر أن كتاب تحفة الأحباب الذى طبع على هامش كتاب نفح الطيب — طبعة سقيمة — ليس للسخاوى الحافظ حقيقة ، بل هو لسخاوى آخر كان معاصراً له وتأخر موته عنه ، وثمة دلائل كثيرة تؤيد هذه النظرية ، وقد لا يتسع المقام لسردها فى هذه العجالة ، بيد أنى أقول — إن الأستاذ حسن قاسم « مؤلف كتاب المزارات المصرية والآثار الاسلامية فى مصر والقاهرة المعزية » الذى يطبع الآن فى القاهرة — والذى لى حظ الشرف بالاشتراك فيه — قد أعلن أنه وفى هذا الموضوع حقه وأعطاه من العناية ما يستحق ، وقد تلمست من ترددى على دار الكتب المصرية — أن كثيراً من موظفيها يعلم ذلك ، وقد يكون قسم التغيير العربى أو قسم الفهارس قام بتصحيح ذلك لخدمة التاريخ ، وأذكر مما قاله الأستاذ قاسم عن السخاوى مؤلف التحفة ، أنه على نور الدين حنفى المذهب ، ألف هذا الكتاب من الكواكب السيارة لابن الزيات — الذى طبع فى دار الكتب — ومن مصباح الدياجى لمجد الدين بن الناسخ المعروف بابن عين الفضلاء المحفوظ منه نسخة بدار الكتب وأصلها لعلى مبارك باشا ، وقد رأيناه كثيراً ما ينقل عنها فى خططه — ومنها نسخة — فى لجنة حفظ الآثار العربية

ويذكر أيضاً أن الأجهورى اقتبس كتابه هذا فى مؤلف له « سماه مزارات الأشراف المدفونين بمصر » وترجم له فى خاتمته ، وهذا المصدر محفوظ منه نسخته الخطية بمكتبة الأستاذ قاسم ..

الأقصر — فردوس عبد العزيز مظهر

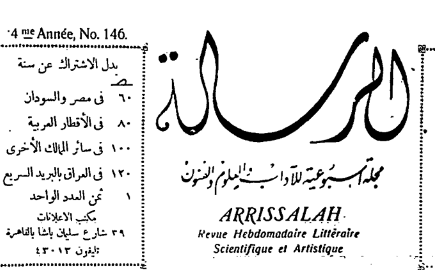
## بعثة الجامعة المصرية الى اليمن

غادر القاهرة إلى اليمن بعثة الجامعة المصرية ، وهى مؤلفة من الدكتور سليمان حزين وسيقوم بدراسة حفائر ما قبل التاريخ ، والأستاذ خليل يحيى نامى ويبحث فى النقوش والمخطوطات واللهجات الخاصة باليمن ، وهما من أعضاء هيئة التدريس لكلية الآداب ، والأستاذ مصرى شكرى وسيقوم بأبحاث فى الجيولوجيا ، والأستاذ محمد توفيق العربى ويبحث فى الحشرات بتلك البلاد ، وهما من أعضاء هيئة التدريس بكلية العلوم

وتستغرق مدة إقامة البعثة باليمن ستة أشهر . وقد قررت الجامعة منح حضراتهم مكافأة قدرها ١٨٠٠ ج نظير أبحاثهم ودراساتهم وقد تزاد تلك المكافأة ٢٠٠ جنيه

4 me Année, No. 146.

Lundi - 20 - 4 - 1936




صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٤٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ محرم سنة ١٣٥٥ — ٢٠ أبريل سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العدد الممتاز



من عبر السيرة

# محمد الوالد

إن فى حزن القوي عزاء لجزع الضعيف

تخطفت المنايا السود فلذات الرسول بنات بعد بنين، فلم يبق إلا فاطمة قرة لعينه وعزاء لنفسه. وكانت جراحات القلب العظيم لا تجد لمسها المض فراغاً بين آلام الرسالة فتندمل فى سكون وصمت. فلما عنت سَورة الشرك فى مكة، وعلت كلمة الله فى الجزيرة، وتحققت وحدة العرب فى الوجود، وأخذت نفحات السلام الالهى تنضح الجو المشتعل بالنار، وتطهر الثرى المخضوب بالدم، تنبهت فى الانسان الأعلى مشاعر الطبيعة، وتجددت فى العربى الرسول عواطف الأبوة، وحز فى نفس محمد أن يرى أمهات المؤمنين يعقمن عشرة أعوام متتابعة، فبيوتهن التسعة حول المسجد المهلل الذاكر غرقى فى السكون الرهيب والصمت الموحش: لا يؤنس حجراتها غناء المهد، ولا يبهج أفنيتها مرح الطفولة

لا ريب أن أسرة محمد الرسول شملت جزيرة العرب كلها، وستشمل عالم الاسلام أجمع؛ ولكن أسرة محمد الرجل لا تزال ألماً من آلام العبقرية، ومحنة من محن البطولة. تدرع باسم الله وبرز وحده لشياطين الأرض، فجاهد الوثنية حتى أقر الحق، وعالج الانسانية حتى أعلن الخير، وشذب الطبيعة حتى أنمى الجمال، وبلغ الرسالة حتى لم يبق لرضى الله غاية لم تدرك، ولا

لصلاح الناس سبيل لم تشترع . ولكنه هدف لاستين فى جهاد الشرك والجهل والهوى . ولا يزال يجد فى جوانب نفسه الكبيرة عاطفة لم ترض ، وحاجة لم تقض ، ورسالة لم تتم ! تلك هى عاطفة القلب للولد ، وحاجة النفس إلى التجدد ، ورسالة الحياة إلى الحياة

***

بين ظلال النخل والكرم ، وفى بيته المصرى على العالية من ضواحى المدينة ، أتم الله نعمته على رسوله فوهب له على الكبر ابراهيم ! يومئذ تنفس الصبح بأنفاس الفردوس ، وضاحكت الشمس خمائل يثرب من خلال الأجنحة النيرة ، ومست يد الربيع المخصبة دوحة النبوة ، وغرقت نفوس المؤمنين فى مثل صفاء الخلد ، وأقبل المهاجرون والأنصار على المسجد المستبشر يهنئون النبى بالخليفة الوليد والأمل الجديد والعوض المبارك ؛ ونهض الرسول الوالد إلى بيت مارية القبطية ليرى نعمة ربه ، وبضعة كبده ، فوجد فى طلعة ابراهيم الأنس الذى يعوزه ، والرضى الذى يرجوه ، والخلف الذى يتمثله ؛ ففاضت غبطته لله حمداً ، وعلى المؤمنين بركة ، وفى الفقراء صدقة . رفع أمه إلى مقام أزواجه ، ونفح مرضعته بسبع من المعزى سمان يحلبن عليها وعليه ، ثم عق له بكبشين أملحين ، وتصدق بزنة شعره فضة ؛ وتعوّد كل صباح أن يزور أم ولده فيحمله منها ليضمه ويشمه ، ويتذوق طعم السعادة الأرضية فى ريحه ، ويطالع نفسه العائدة فى نفسه ، ثم يدخل به على الأمهات اللائى ولدن جميع المسلمين ولم يلدن ، فيباهى بحسنه ، ويغتبط بنموه ، ويحتمل راضياً فى سبيل ذلك كله غيرة حميرائه وكيد نسائه

***

ولكن أنبياء الله موضع بلائه وسر حكمته ! دعوتهم الحق والحق ثقيل ، وعدتهم الصبر والصبر كليل ، وبرهانهم الألم والألم قاتل ! غرباء فى الأرض لأنهم من السماء ، وأغراض لسهام القدر لأنهم ضحايا ، وأمثلة لبؤس العيش لأنهم عبر ! هذا ابراهيم حبة قلب أبيه وسواد عين أمه مسبوتاً على فراش المرض تحت النخيل ! تذوى نضارته على وهج الحمى ، وتذوب حشاشته على غرك الموت ، وأمه وخالته قائمتان على سريره تشهدان منظراً يهون فى جانبه على الوالدين الجنون بالكفر والندم ! وهنالك أبو ابراهيم يضعضعه النبأ المروع

فيتحامل على عبد الرحمن بن عوف ، ويمشى ثقيل الخطى لهيف الفؤاد ، إلى الصغير المحتضر : لو كان لمتاع العيش غناء لتقلب فيه المؤمن ، ولو كان لقانون الموت استثناء لأفلت منه المصلح ، ولو كان فى قلب الثاكل المحزون شبهة لجلتها محنة الله لرسوله !

أخذ النبى ابراهيم من حجر أمه فوضعه فى حجره ، ثم نظر من خلال الدمع إلى قسماته المشرقة تغشاها ظلال الموت ، وقال بصوت متهدج وفؤاد متأجج واستسلام مطمئن : « إنا يا ابراهيم لا نغنى عنك من الله شيئاً »

يا لله لقلوب الوالدين ! إن النبى الذى وُلد فى مهد اليُتم ، ودرج فى حجر العُدم ، وتقسمت عمره عوادى الخطوب ، فكابد أذى قريش وحقد المنافقين وكيد اليهود ، وعالج مكاره الدعوة من القلة والذلة والهزيمة والفتنة ، قد احتمل كل ذلك بصبر المجاهد ويقين المؤمن وعزم الرسول ، ويصيبه الله فى إبراهيم وهو رضيع فيرفض عنه الصبر ، ويتملكه الجزع ، ويقف من الثكل الأليم موقف كل والد يرى جزءه الجديد يبلى ، ورجاءه الناشئ يخيب ، ثم يقول : « إن العين لتدمع ، وإن القلب ليجزع ، وإنا بعدك يا إبراهيم لمحزونون : أما والله لولا أنه أمر حق ، ووعد صدق ، وأن آخرنا سيلحق بأولنا ، لحزنّا عليك بأشد من هذا ! » .

وينال من الصحابة حزن الرسول فيتقدمون إليه يذكرونه ما نهى عنه فيقول : « ما عن الحزن نهيت ! وإنما نهيت عن العويل . وإن ما ترون بى أثر ما بالقلب من محبة ورحمة ، ومن لم يُبد الرحمة لا يبدى غيره عليه الرحمة »

على أن حزن الرسل لا يكون إلا بمقدار ما فيهم من ضعف الانسان . لذلك لم يلبث الرسول أن عاد إلى نفسه فصلى على ولده ، وسوى عليه القبر بيده ، ثم رش فوقه الماء وأعلم عليه علامة وقال : « إنها لا تضر ولا تنفع ، ولكنها تقر عين الحى ، وإن العبد إذا عمل عملاً أحب الله أن يتقنه »

***

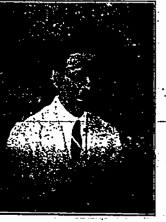
تعزيت يا رسول الله لأن الألم سبيل من سبل دعوتك ، والعزاء أصل من أصول دينك ، والأرض وما عليها أهون من دمعك ، والسماء وما فيها ثواب لصبرك ، ولكن ماذا يصنع البائس المحزون إذا فقد الرجاء ، وليس له فى يومه صبر ولا فى غده عزاء ؟

احمد حسن الزيات

على هامش السيرة

# حديث عـــداس

## للدكتور طه حسين بك



قال عتبة بن ربيعة لأخيه شيبة : أنظر الى هذا الرجل المقبل على حائطنا ومن ورائه السفهاء والعبيد قد أغروا به وسلطوا عليه ، فهم يؤذونه بألسنتهم ، وهم يؤذونه بما يحصبونه به من الحصى والأحجار ! ألا تثبته ؟

قال شيبة وقد نظر فأطال : بلى ! والله إنى لأعرفه كما تعرفه ، وإن قلبي ليرق له كما يرق له قلبك ، وإن نفسي لتثور غضباً له كما تثور نفسك ، ولقد هممت وما زلت أنازع نفسي أن أفزع إلى نصره وجواره وحمايته من حلماء ثقيف وسفهائها ، لولا ما بينه وبين قومنا ، ولولا أنى أعلم أننا إن فعلنا كان لنا مع قومنا أمر عظيم وخطب جليل . قال عتبة : وارحمتاه لابن عمنا من قومه ! ثم وارحمتاه لقومنا من أنفسهم : ما كنت أحسب أن يبلغ الأمر بقريش أن يذل عزيزها ونحن شاهدان ، وأن يجترئ حي من أحياء العرب وإن كانوا ثقيفاً . على أن يسوءوا رجلاً من قريش وإن كان مستضعفاً مهيناً . فكيف بابن عبد المطلب وابن أخي حمزة والعباس ؟ وكان هذان الرجلان من أشراف قريش قد ذهبا إلى بستان لهما في الطائف يصلحان من أمره وأمرهما ، ويهيئان لتجارتهما : يجمعان ما تنفذه ثقيف مع تجار قريش إلى اليمن في رحلتها إلى اليمن . وإلى الشام في رحلتها الى الشام . وكانا قد أقاما في الطائف أياماً . وأقبل في أثناء ذلك النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على ثقيف يلتمس عندهم النصر والعون والجوار بعد أن تنكرت له مكة بطاحها وظواهرها ، وبعد أن تنكر له الناس حتى أقربهم اليه وأدناهم منه . وبعد أن فقد عمه الذي كان يمنعه ويقوم دونه . وبعد أن فقد زوجه التي كانت ترعاه وتكلؤه وتحوطه بالرحمة والحب والحنان . وكان قد لزم داره بعد هاتين الكارثتين لا يكاد يبرحها خائفاً محزوناً حتى أقبل عليه عمه أبو لهب فأمنه وأعلن اليه أنه يقوم من حمايته بما كان يقوم به أبو طالب . فسرى عن النبي الكريم شيئاً واستأنف الخروج من داره والذهاب إلى المسجد ، والاضطراب في مكة . ولكن قوماً من قريش ألحوا على أبي لهب حتى غيروه على ابن أخيه فاسترد جواره وحمايته ، وعاد من حرب النبي وعداوته إلى مثل ما كان عليه قبل أن يموت أبو طالب . فلما ضاقت مكة بخير أبنائها خرج إلى الطائف يلتمس جوار ثقيف ، فأقام فيهم ما شاء الله أن يقيم ، يسعى عند هذا ويتلطف لذاك . وكلهم يرده ويكاد يتنكر عليه . وكان مقامه فيهم قد أخافهم وثقل عليهم وأثار في نفوسهم إشفاقاً أن يصيب مدينتهم ما أصاب مكة من اضطراب الأمر ، وانتقاض الضعفاء على الأقوياء واستجابة قوم لهذا الرجل الذي أنكره قومه ولم تره مدينته إلا ما يكره . فتقدموا اليه في الرحيل عنهم ، ولم يكد يفعل حتى أغروا به سفلة الناس وسفهاءهم فتبعوه يؤذونه بالقول والفعل حتى ألجأوه ضعيفاً مكدوداً وكئيباً محزوناً الى حائط هذين القرشيين ، وأقبل النبي وقوراً هادئ الخطى مطمئن النفس ، تظهر على وجهه الكريم آيات الضعف ، وآيات القوة ، وآيات الحزن ، وآيات الرجاء . ضعف مصدره الجهد والعناء ، وقوة مصدرها الحزم والعزم ، وحزن مصدره الرحمة لهؤلاء الذين يدعوهم إلى الخير فيلقونه بالسوء ، ويرشدهم الى النجح فيردونه بالمكروه ؛ ورجاء مصدره الثقة لأن الله لم يختره لرسالته ليخذله قبل أن يتم أمره ، ويعلي كلمته ، ويظهر دينه على الدين كله ، وبأن الله لا يصيبه بما يصيبه به من المكروه إلا امتحاناً لقلبه وابتلاء لنفسه وتمحيصاً لطبعه

أقبل هادئاً والناس من ورائه مضطربون ، مستأنياً والناس من ورائه مسرعون ، حتى انتهى الى ظل من ظلال البستان فجلس متعباً مكدوداً ، والقرشيان ينظران اليه ويرقان له ويعطفان عليه ، وينازعان نفسيهما الى نصره ومعونته ، وقد كادا يفعلان لولا أن ذكرا قريشاً ، ولولا أن ذكر عتبة بن ربيعة صهره أبا سفيان وقدر ما يلقاه وما يلقاه أخوه من قريش إن منح محمداً معونة أو نصراً ؛ ولكنهما رأيا

ابن عمهما يأوي إلى ظلالهما مكروباً محزوناً . فلم يملكا أن يتمنا عن أن ينالاه بأيسر الخير وأهون البر ، فيدعوان عداساً عبداً من عبيدهم ويأمرانه أن يحمل إلى هـذا الرجل الضعيف المكدود شيئاً من عنب البستان ليصيب منه ، ويمضى العبد منفذاً أمرهما ، ولكنهما لا يستطيعان أن ينصرفا عن مكانهما ولا أن يحولا بصرهما عن ابن عمهما ، وقد أهينت فيه قريش كلها ، لولا أن قريشاً قد احتفظت بأخلاقها فهما ينظران ويرثيان ، ويعمل الأسى في قلبيهما والعبد يسعى بالطبق إلى هذا الرجل المحزون ، حتى إذا انتهى إليه وضع الطبق بين يديه ، وأقبل الرجل على العنب يريد أن يصيب منه ، والعبد قائم منه غير بعيد ، ولكن القرشيين ينظران فيريان عجباً : يريان كأن حديثاً قصيراً قد دار بين الرجل وبين هذا العبد ؛ ثم يريان العبد وقد أكب على هذا الرجل الحزين يقبل رأسه ويديه ورجليه باكياً مستعبراً ، مندفعاً في حديث لا يكاد ينقضي ، مظهراً من التكرمة والإجلال لهذا الرجل ما لم يتعود أن يظهر لأحد من سيديه . فيقول أحد القرشيين : ويحك لقد أفسد علينا ابن عمنا هذا العبد ، وما أرى إلا أن ثقيفاً معذورون إن خافوا منه على عبيدهم وضعفائهم وأقويائهم أيضاً ما خفنا نحن منـه على العبيد والضعفاء والأقوياء ؛ وهـذا الرجل قد نهض وقوراً هادئاً ، ومضى أمامه وقوراً هادئاً ، ومضى العبد معه شيئاً من الطريق . ثم وقف يشيعه بطرفه حتى غاب عن طرفه وعن طرف القرشيين

هنالك عاد العبد الى سيديه ، وفي وجهه آيات الكآبة والحزن . وفي وجهه مع ذلك آيات الطمأنينة والرضى ، ودموع تجرى من عينيه لم يدريا أكانت دموع حزن وابتئاس ، أم كانت دموع غبطة وابتهاج

يقول عتبة بن ربيعة للعبد رفيقاً به عطوفاً عليه : ويحك يا عداس ؛ إن لك مع هذا الرجل لشأناً ، فاقصص علينا بدء حديثك فقد رأيناك حفياً به متلطفاً له ، مكباً عليه تقبله باكياً مواسياً ، ثم مرافقاً له تشيعه بشخصك ثم بطرفك . قال العبد : نعم يا مولاى إن لي مع هذا الرجل لشأناً وحديثاً عجباً ، وأحبب الى أن أقص عليكما حديثي ؛ ولكن أي حديثي تريدان ؟ أتريدان حديثي منذ اليوم ، أم تريدان حديثي القديم الذي مضت عليه أعوام طوال . والذي دفعني إلى بلادكم هذه ، والذي اضطرني إلى ما أنا فيه من رق ، أعمل لكما بيدى في هذا البستان . وما عملت لأحد قبلكما بيدى ، وما عملت لنفسي بيدى . وإن كان الناس ليعملون لي كما أعمل لكما الآن ؟ قال عتبة وقد ثارت في نفسه طبيعة العربي الذي أترف وفيه فضل من بداوة ، فهو مشغوف بالقصص ، كلف بغريب الحديث . قال عتبـة : وإن لك لحديثاً قديماً بينه وبين حديثك هذا الجديد سبباً . قال عداس : نعم . قال عتبة : فاقصص علينا حديثك . وأخذ القرشيان مجلسهما استعداداً لسماع الحديث ، وهم العبد أن يبدأ حديثـه قائماً ، ولكنهما أذنا له في الجلوس فجلس وأطرق وأغرق في صمت غير طويل ، ولكنه كان عميقاً . ثم قال ؛ لقد انتهيت الى هذا الرجل منـذ حين فسمعته يقول كلاماً ما أعرف أن الناس يقولونه أو يقولون مثله في هذه الأرض . فلما سألته عن ذلك حدثني بحديث ما يعرفه إلا نبي ، وكأن حديثه هذا مني على ميعاد ، أو كنت أنا من حديثه هذا على ميعاد ، لقد سألني سؤال الإلم يسأله أحد منذ وطئت هذه البلاد . سألني عن موطني الذي نزحت منـه ، فأنبأته بما لا تعلمان وما يحسن أن تعلماه الآن ، وهو أنى رجل من أهل نينوى ، نشأت في بيت من بيوت الأحرار الذين إن لم يتح لهم الملك والامارة . فقد أتيحت لهم الثروة والغنى ؛ وكنت موفور الحظ من النعمة وحسن الحال ، فارغاً لما يفرغ له أمثالي في تلك البلاد من تقسيم الوقت بين لذة الجسم ولذة العقل ؛ ألهو ما وسعني اللهو ، ثم أقرأ وأختلف إلى مجالس العلماء والفلاسـفة من القسس والرهبان فأسمع منهم وأتحدث إليهم ، وآخذ معهم في ألوان من الجدل حول ما يختلف الناس فيه عندنا من أصول الدين والعلم ، وأنتما لا تعلمان من أمرنا في تلك البلاد إلا قليلاً ، إنما تعنيان ويعني قومكما ما تحملون إلينا من تجارة ، وما تصـدرون به عنا من مال ، وما تصيبون في بلادنا من هذه اللذات اليسيرة . فأما ما دون ذلك فليس لكم به علم ، وليس لكم عنه سؤال ؛ ولو قد دخلتم في حياتنا وعرفتم دقائق أمرنا ، لرأيتم أن في نفوسنا اضطراباً شديداً ، وغلياناً متصلاً . وضيقاً بالسلطان ، وتمرداً على النظام ، وإنكاراً لما ورثنا من عادة ، وشكاً فيما تلقينا من دين . ساءت فينا سيرة السلطان فنقمنا من نظام الحكم ، وساءت فينا سيرة القسس فشككنا في الدين ؛ فأما العاجزون فقد أعطوا طاعة ظاهرة وأضمروا عصياناً خفياً ، وعكفوا

على اللذات يستعينون بها على احتمال الحياة ؛ وأما الأقوياء وأولو العزم فقد فكروا وقدروا وجدوا في التفكير والتقدير يلتمسون فرجاً من حرج ومخرجاً من ضيق ؛ وكنت فيما رأيت من هؤلاء . فلما ضقت بالحياة في مدينتي ولم أجد عند علمائها وقسسها شيئاً خرجت مسافراً إلى الشام ألتمس في السياحة تسلية وعلماً ، وأبتغي فيها ظفراً بالخير ، ولست أقص عليكما رحلتي إلى الشام ومنازلي في طريقي إليها ، واضطرابي في مدنها وقراها ، ويأسي من قسسها وعلمائها ، وضيقي بسادتها وحكامها ، ولكني انتهيت بعد كثير من الاضطراب إلى دير من الأديرة يقوم في آخر العمران وأول الصحراء مما يلي بلادكم هذه ، وأقمت في هذا الدير دهراً راضياً عن حياته الهادئة المطمئنة راضياً عن حياة أهله الآمنين الوادعين الأخيار ، ناعم النفس بعشرتهم مستمتعاً بأحاديثهم ، ولكنني سمعت من أحاديثهم عجباً : رأيت لهم فيما بينهم أمراً يتحدثون عنه بالرمز ، ويومئون إليه بالإشارة ، ورأيت حديثهم هذا الرمزي يكثر ويشتد إمعانهم فيه كلما مرت بديرهم قافلة من قوافلكم هذه التي تتردد على بلاد الروم . رأيتهم يعرفون أنباء هذه القوافل قبل أن تصل إليهم فيتهيأون لها ويستقبلونها ويكثرون من سؤالها ، ويظهرون الحفاوة بها . ثم يخلو بعضهم الى بعض ، فيتبادلون بينهم أحاديث الرمز والاشارة والايماء ، ويقول بعضهم لبعض : لم يأت النبأ بعد ؛ أو يقول بعضهم لبعض : لقد انقطع النبأ بعد أن جاءت بشائره . فلما كثر علي منهم ذلك أزمعت أن أعلم علمه ، فتلطفت لهم وتوسلت إليهم حتى عرفت أنهم ينتظرون إصلاحاً دينياً ذا بال ، وأنهم قرأوا في كتبهم أن هذا الاصلاح يأتيهم من قبل هذه البلاد ، وأنهم حسبوا وقدروا ورأوا أن زمان هذا الاصلاح قد أظل الناس ، وأن أنباء قد انتهت إليهم وأحاديث قد نقلت لهم ، وكلها يدل على أن أوان هذا الاصلاح قد آن . ثم قصوا علي من هذه الأنباء والبشائر أطرافاً ، فلم أملك أن كلفت بالرحلة الى بلادكم ، وقلت ما يمنعني إن أبعدني السفر ؟ وما يمنعني أن أتصل بقافلة من قوافلكم هذه فأبلغ معها هذه الأرض ، فأعلم من علمها ، وأصيب من تجارتها ؟ ولعلي أظفر بما يتحرق إليه هؤلاء الرهبان شوقاً ؛ وأنتما تعلمان كيف كان الاتفاق بيني وبين تلك القافلة التي أمنتني على نفسي ومالي ، وضمنت لي أن أبلغ بلادكم هذه موفوراً فأصيب من تجارتها وأعود معها من قابل إلى الشام ، حتى إذا بعدنا عن بلاد الروم وانقطعت أسبابي من أسباب قيصر عدا أهل هذه القافلة على مالي فاحتجزوه ثم عدوا على فاتخذوني بضاعة وباعوني من صاحبكما ذلك الذي اشتريتماني منه قريباً من يثرب

فهذا بدء حديثي أيها السيدان . وقد عملت في بستانكما أعواماً ، وكان الناس يتحدثون من حولي بهذه الأحداث التي تحدث في مكة ويتناقلون من حولي أنباء هذا الرجل الذي ينكر الأوثان ويدعو الى التوحيد ، ويريد أن ينصف المظلوم من الظالم ، والعبد من السيد ، ويسوى بين الضعيف والقوى ؛ وكان الناس يتحدثون من حولي بما يلقى هذا الرجل في بلده من شر . وما يمتحن به أصحابه من ألوان الفتنة ، وكنت كلما سمعت هذه الأحاديث هششت لها ، وطابت بها نفسي . وأحسست أن النبأ الأعظم قريب ؛ وكنت أقدر أن صاحب هذا النبأ يجب أن يكون كاخوانه الذين سبقوه عالماً بدين الله ، داعياً اليه ، مخبراً من أنباء الأولين بما لا يخبر به الناس ، وكم وددت لو أتيح لي أن أنحدر الى مكتكما هذه فأسأل صاحبكما وأسمع منه . ولكن الرق في بلادكما شديد . فنحن أرأف منكم بالرقيق ، وأعطف منكم عليه ، وقد لبثت في بستانكما هذا أسمع الأنباء وألتمسها وأتحرق شوقاً إلى مصدرها حتى أقبل صاحبكما هذا منذ حين ؛ ولقد رثيت له حين رأيته وأوشاب الناس من حوله يؤذونه بألسنتهم وأيديهم . ولقد هممت أن أفزع لنصره والذود عنه ، وما كنت أعلم من أمره شيئاً ، ولكنها الرحمة عطفتني عليه ؛ ولقد هممت أن أستأذنكما في إيوائه وإيثاره بشيء من القرى . ولكني رأيتكما تنظران وتتحدثان ولا تنشطان ؛ ثم أمرتماني بالسعي اليه ، فلما بلغته سمعت منه كلاماً ما سمعت مثله في هذه الأرض . فلما سألته عن ذلك سألني عن موطني . فلما أنبأته به قال هذا موطن يونس نبي الله . فما شككت في أنه صاحبي الذي أقبلت ألتمس أنباءه .

قال عتبة ويحك يا عداس إن حديثك هذا لعجب ، ولكنا نخشى أن يفسد عليك صاحبنا دينك . وإن دينك لخير مما يدعو إليه .

قال عداس : مهلاً ياسيدي ! إن الذي يقول ما سمعت لا يدعو إلى شر ولا يغرى بفساد ، ولا يأمر إلا بمعروف ، ولا يقول إلا حقاً .

قال شيبة : ويحك يا عداس لقد سحرك صاحبنا فيمن سحر ، فاذا

سمعت منه ؟ قال عداس : بل قل لقد هداني فيمن هدى ، ولقد سمعته يناجي ربه بحديث ما سمعت أعذب منه . لقد حفظت حديثه ، وإنك لتعلم ما أنا بالعربي ، وما حفظ أحاديثكم على بيسير .

قال عتبة : فهات أعد علينا ما سمعت . قال سمعته يقول : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين . أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ، أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى . ولا حول ولا قوة إلا بك »

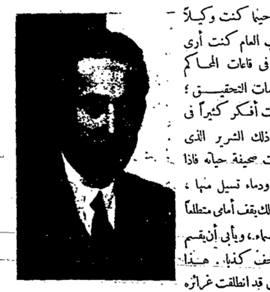
ولم يفرغ العبد من هذا الحديث حتى أغرق في بكاء هادئ ، وأغرق سيداه في وجوم عميق . ثم ثاب القوم جميعاً إلى أنفسهم ونظر القرشيان أحدهما إلى بعض نظرة المستخذي الأسف . ثم قال عتبة لعداس : أنت وما تشاء يا عداس من حب صاحبك وطاعته ، ولكن لا تنس أن لنا عليك حقاً وطاعة ، وأنا حريصان على ألا تظهر من أمرك شيئاً فتضطرنا فيك إلى ما نكره ، وتضطر قومنا فينا إلى ما نكره

ومضت أعوام وحدثت أحداث ، ونظر العبد الشيخ ذات يوم فإذا محمد صلى الله عليه وسلم قد ضرب عسكره حول الطائف يحاصر فيها ثقيفاً ؛ وكان عداس قد انتقل من ملك ابني ربيعة بعد موتهما إلى الثقفيين ، وإذا نفسه تنازعه إلى صاحبه ، وإذا هو يحرض الرقيق ويبث فيهم الدعوة إلى الخروج على سادتهم واللحاق بجيش المحاصرين ، وإذا نفر من الرقيق يجتمعون إليه ، وإذا هم يقتحمون الأسوار ويهبطون إلى المعسكر متسرعين وترميهم مقاتلة ثقيف بالنبل فتصرع منهم جماعة فيهم عداس قد مات قبل أن يبلغ صاحبه العظيم ، ويخلص سائرهم إلى النبي فيهديهم إلى الإسلام ويردهم إلى الحرية ، وينصرف عن حصار الطائف حتى إذا أسلمت ثقيف تكلمت في رقيقها أولئك وأرادت ردهم إلى الطاعة ، فيقول النبي الكريم : كلا ! هؤلاء عتقاء الله

طه حسين

# منطقة الإيمان

## للأستاذ توفيق الحكيم



حينما كنت وكيلاً للنائب العام كنت أرى عجباً في قاعات المحاكم وجلسات التحقيق ؛ وكنت أفكر كثيراً في أمر ذلك الشرير الذي طالعت صحيفة حياته فإذا آثام ودماء تسيل منها ؛ ومع ذلك يقف أمامي متطلعاً إلى السماء ، ويأبى أن يقسم بالمصحف كذباً . هذا الآدمي قد انطلقت غرائزه الدنيا لا يقوم لها شيء ، لكن بقيت برغم هذا في نفسه منطقة عذراء لم يتطرق إليها فساد : منطقة العقيدة ! أهنالك إذن حد فاصل بين العقيدة والغريزة ؟ كذلك كان يدهشني أمر صديق من خيرة القضاة ، كثير الورع ، حريص على العبادة والصلاة ؛ ومع ذلك بقي عقله حراً من كل قيد . ما يدور بيننا حديث في الخالق والخليقة حتى يذهب هو في التدليل والمنطق كل مذهب إلى أن يقع في الإلحاد وإنكار الجنة والنار . وينادي المؤذن بالصلاة فإذا القاضي ينسرع مخلصاً إلى ذلك الدين الذي قال فيه منذ لحظة قولاً عظيما . أهنالك إذن حد فاصل بين العقيدة والعقل ؟

إذا قلنا مع القائلين إن العقل والقلب والغريزة ملكات ثلاث منفصلة إحداها عن الأخرى ، فإن هذا القول يؤدي حتما إلى نتائج غريبة قد تعدل من نظرتنا إلى الأشياء . ولعل أول ما يفهم من هذا الاستقلال بين الملكات تباين ألوان الحقيقة لدى كل منها ؛ فما يصدق عند القلب ، قد لا يصدق عند العقل . بل إن كل ملكة من تلك الملكات تسيطر على عالم مختلف جد الاختلاف عن عالم الأخرى . يقابل ذلك في المحسوسات تلك الحدود والحواجز بين

الحواس ، فعالم البصر منفصل عن عالم السمع ، والحقيقة البصرية غير الحقيقة السمعية ، وما يعتبر موجوداً في منطقة العين لا يعتبر موجوداً في منطقة الأذن ، فهذا الحجر الساكن حقيقة تراها العين المبصرة ، ولكن الأذن لا تدرك ولن تدرك هذه الحقيقة ، ولن تعرف مطلقاً ما هو الحجر وما شكله ، لأن عالمها وهو عالم الأصوات لا يخطر له على بال أن في الوجود عالماً يسمى عالم المرئيات . فالعقل لا يدرك إلا ما يلائم وظيفته وما يخضع لمقاييسه . والحقيقة العقلية ليست الحقيقة المطلقة ، وليست الحقيقة كلها . ولكنها الحقيقة التي يستطيع العقل أن يراها من زاويته . فاذا كانت العقيدة مرجعها القلب ، فإن العقل لن يرى منها إلا الشطر الذي يستطيع أن يراه ، ويظل محجوباً عنه الشطر الواقع في دائرة القلب .

وجود الخالق الجبار المنتقم الرحمن اللطيف لا شك فيه عند القلب ؛ أما العقل فإن استطاع بالمنطق أن يتصور وجود الخالق ، فانه قد يرتاب في صحة تلك الصفات المنسوبة اليه ؛ وقد يراها في منطقة صفات آدمية أسبغها البشر على خالقهم إجلالاً له ، لأنهم وهم بشر لا يملكون غير تلك الصفات التي هي في عرفهم مرادف الاكبار والتقدير . أما حقيقة الخالق فأمر بعيد عن مقدرة العقل ، وهل يستطيع الجزء أن يرى الكل ؟ هل تستطيع الكبد في جسم الانسان مثلاً أن تحيط إدراكاً بحقيقة شكل الانسان الخارجي وهي جزء منه داخل فيه ؟ إن كل ما تدركه الكبد هو وجود تلك المواد التي تمر بها كل يوم فتحولها الى إفرازات دون أن تدري من أين جاءت ، ولا الى أين تذهب . العقل أيضاً يرى الأحياء كل يوم تدور دورتها دون أن يدري من أين جاءت ولا الى أين تذهب . فالحقيقة العقلية أو العلمية لا يتجاوز علمها الكائنات التي تمر بالحواس ؛ ومن يحمل العقل أكثر من قدرته فهو إنما يريد منه المستحيل ، كمن يطلب الى الكبد مضغ الطعام . فالحقيقة العقلية أو العلمية شيء ، والحقيقة الاحساسية أو الدينية شيء آخر ؛ وإن رجال الدين يقعون دائماً في الخطأ ، إذ يسمون بسمة الظفر كلما قال رجال العلم قولاً يتفق مع الدين ، ويقطبون تقطيب الغضب كلما نقض رجال العلم أسس الدين . وما أحراهم في كلتا الحالتين أن يبسموا غير مكترثين بسمة الصفاء واليقين ، وأن يعتقدوا تمام الاعتقاد أن العلم في كلا الحالين كاذب عندهم وإن صدق ، وأن لا شأن للعلم بهم ، وأن الحقيقة الدينية بعيدة عن وسائل العلم ودائرة بحثه ، وأن العقل يستطيع أن يهدم الدين كما يشاء دون أن يسمع القلب طرقة واحدة من طرقات معوله ، وأن أولئك الملحدين الذين سخروا عقولهم الكبيرة لتفنيد الدين وهدم أصوله والشك والتشكيك في جوهره ووجوده ، لم يستطيعوا لحظة واحدة أن يسكتوا صرخات القلب الحارة الصاعدة إلى ذلك الموجود الاسمى الذي بيده نفوسهم . إن عقولهم كانت ترغي وتزبد بالكلام المعقول والمنقول ، وقلوبهم في معزل عن كل هذا الصخب ، لا تشعر ولا تدري شيئاً عن المعركة الحامية القائمة في تلك الرؤوس . فالتوفيق بين العلم والدين ضرب من العبث . على أن اجتهاد المجتهدين في هذا السبيل لم يتعد ذلك الجانب من الدين الخاضع بطبيعته لحكم العقل ، وهو الجانب الاجتماعي المبني على الأخلاق وما يتفرع عنه من فكرة الفضيلة والرذيلة ...

وهنا يتساءل الناس دائماً : ما الدين ؟ أهو شيء مفيد للبشر في أمر حياتهم ومعاشهم ؟ أم إنه طريق لحل اللغز الأكبر وسبيل النفوذ إلى المجهول ؟ . في الواقع أن كل دين من الأديان المعروفة يتكون من هذين الوجهين . فالدين كقانون اجتماعي ينظم الغرائز ويحفظ التوازن بين الخير والشر ، هو أمر متعلق بذات الانسان ، متصل إذن بعقله وعلمه . على أن عنصر « الأخلاق » في الأديان ليس كل جوهرها . فإن بعض البلاد قد استطاعت أن تجد في « الأخلاق » غنى لها عن « الأديان » ؛ إنما قوة الدين وحقيقته في العقيدة والايمان « بالذات الأزلية » . هنا لا سبيل إلى الدنو من تلك « الذات » إلا عن طريق يقصر عنه العلم الانساني ، بل يقصر عنه كل علم ، لأن العلم معناه الاحاطة ، والذات الأبدية لا يمكن أن يحيط بها محيط ، لأنها غير متناهية الوجود . فالاتصال بها عن طريق العلم المحدود مستحيل . هاهنا يبدو عمل الدين ضرورة للبشر . إني ما كتبت هذه الكلمة اليوم إلا لألفت نظر رجال الدين الى وجوب التسامح والهدوء كلما قام باحث يتكلم في الدين عن طريق العقل ، فان الشرق اليوم مقبل على حياة علمية واسعة مهادها المعاهد والجامعات ؛ ولا بد لنماء ملكة العقل من التفكير الحر الطليق ، كما لا بد لحياة ملكة القلب من

( البقية في ذيل الصفحة التالية )

# الاسلام كعامل فى المدنية*

للاستاذ أحمد أمين

---

لعل أهم تراث الاسلام وأثره فى المدنية أمران : (الأول) العقيدة الاسلامية ، لأنى أرى أن كل ما نشأ عن الاسلام من فتح وعلم وادارة وفن وغيرها أثر من آثارها ، فالعربى قبيل الاسلام كان هو العربى بعيده ، فى جسمه وجوهر عقله ومعدنه ؛ ولم يجعله يتجه الى الفتح ويرى نفسه جديراً بأن يقف فى المستوى الذى تقف فيه أرقى الأمم فى عصره — وهما الفرس والروم — بل يرى نفسه أرقى منهما ، وأجدر بأن يحكمهما ويوجههما وجهة خيراً من وجهتهما ويدخل التعديل على مدنيتهما — الا عقيدته ؛ فهى — وحدها — الشىء الجديد فى حياة العربى المسلم . لم يأت الاسلام فى أول دعوته بنظريات هندسية ، ولم يخترع آلات حربية ، ولا فنوناً جديدة ، ولا نوعاً من الادارة جديداً ، لأن هذه كلها أمور ثانوية بجانب العقيدة ؛ فالعقيدة اذا صلحت أصلحت كل فاسد ، ونشأ عنها كل أسباب التقدم ولو كان صاحبها فقيراً جاهلاً ، حتى ولو كان فى بلد جدب وأرض قفر ، ولو لم ينشأ فى مدنية ولو لم يرث حضارة . والعقيدة اذا فسدت أضاعت الثروة الموروثة ولم ينفع معها علم ولم يفد غنى ، كلا ولا تنفع أرض خصبة ولا مدنيــة فخمة ، ففيلة الفرس لم تثبت أمام بعير البدوى ، ولا الدروع المضاعفة الرومانيــة استطاعت أن تصمد أمام نبال العربى وقوسه الساذجة ، لأن بعير البدوى كان يحمل على ظهره قلباً مؤمناً ، وفيل الفارسى كان يحمل فؤادا هواء ؛ والقوس العربيــة كانت تصدر عن عقيدة صحيحة قوية ملتهبة ، ودروع الرومانى كانت تتضمن قلباً لا عقيدة فيه . كل همه شهوة ينالها ومتاع زائل يأمل أن يلتذ به ، فان فقــد العربى حياته فى القتال فلا بأس فانمــا يعجل ذلك قربه من الله . واذا فقــد الفارسى أو الرومانى نفسه فيالها من خسارة ، فقد حرم الخمر وحرم النساء وحرم متع الحيــاة ؛ فاذا قاتل العربى قدم حياته لحفظت حياته . واذا قاتل الآخر قدم عدده وادخر حياته فخسر عدده وحياته . لم يتغير شىء فى حياة العربى عند ظهور الاسلام إلا عقيدته ، وكل شىء تغير غيرها فبسببها . وقد كنت أود أن أقتصر على الكلام فيهــا لولا أن هناك ناحية أخرى تهمنا كأثر قوى فى بنــاء المدنية وهى « أثر الثقافة الاسلامية فى المدنية » ، فهى من جهة أكبر أثر للعقيدة ، ومن جهــة أخرى أقوى مركز ترتكز عليه المدنية . لهذا سنحصر قولنا فى هاتين الناحيتين وفيهما الغناء

**العقيدة الاسلامية** — كان العرب فى جاهليتهم يعبدون الأصنام ، قد اتخذت كل قبيلة إلهاً من صنم أو وثن وقدمت اليه القرابين وجعلته الآمر الناهى ، وهو طور تــكاد تــكون الأمم كلها قد مرت عليــه وان اختلفت أسماء أصنامها باختلاف بيئاتها ؛ ذلك لأن فى طبيعة الناس الايمــان بقوة فوق قوتهم تدفع عنهم الشر وتجلب لهم الخير ، وتحيى وتميت ، وتخلق وتفنى ؛ واذا كان العقل قاصراً ركز هذه القوة فى شىء من المــادة خلع عليه هــذه الصفات ، فأحياناً يكون صنما ، وأحياناً يكون الشمس والنجوم ، وأحياناً يكون شجراً ، وأحياناً يكون حيواناً ، وأحياناً يكون نهراً أو بحراً ، فكل هذه الـكوائن عبدت عند الأمم المختلفة ، لأنها أحست أن فى أعماق نفسها عقيدة بقوة فوق قواها . تساوت الأمم فى هذا ، ولــكنها اختلفت فى الشكل الذى تجسد فيه هذه القوة فتعبده ، بحسب قوتها العقلية والخيالية ومواضعها الجغرافية وبيئتها الاجتماعية

* ملخص المحاضرة التى ألقاها الأستاذ فى جمعية الشبان المسيحيين ببيت المقدس

---

الشعور الحار العميق . فليترك رجال الدين المفكرين يفكرون كما يشاؤون ، ويثرثرون كما يريدون ، ويعرضون بضاعتهم الـكلامية التى هى كل بهرجهم الأدبى الأجوف ، فان كل هذا الضجيج العقلى لن يصل خبره إلى القلب الذى لا يفتر لحظة عن التسبيح رغماً عنهم بالعقيدة التى ركبت عليها حياته النابضة ...

توفيق الحكيم

وكانت هــذه هي الخطة الساذجة للعبادة عند الأمم يعترفون بإله أو آلهة ، ويشكلونها في شيء محسوس يقدمون لهــا صنوف التعظيم والتمجيد — فكرة حق ولكنها اتخذت مظاهر خرافية كالطفلة في غريزتها الأمومة ، وفي طبيعتها الاشراف على تنظيم الحيــاة البيتية ، فهي تتخذ لها لعباً من عرائس تجعلها أبناءها وبناتها وتمنحها عطفها ، وتنفذ عليها أوامرها اجابة لداعي الغريزة الكامنة وارهاصاً لمــا يكون منها بعد نموها

وأحياناً يحاول أن يتخلص من المــادة فيعبد أرواحاً جنًّا أو ملائكة أو نحو ذلك ؛ ولكن سرعان ما ينتكس ثانية فيسبغ عليها أوصاف المادة فيجعلها ذكوراً وإناثاً ، ويجعل لها أجنحة تطير بها ؛ ويجعل لها قروناً وذيولاً لأنه لم يرق حتى يستطيع أن يتحرر من عبادة المادة بتاتاً

كذلك كان العرب بل كان أكثرهم في حالة منحطة من عبادة المادة ، يعبدون الحجر لا النجوم ولا الأرواح ، ويأتمرون بأمرها في زعمهم في إقامة ورحيل ، واقدام واحجام ، وزواج وطلاق

وعبادة الأصنام كائنــة ما كانت — تشل حركة العقل ، وتضعف قوة النفس ، وتحط الحياة الاجتماعية ، وتجعلها حياة خرافية وضيعة . مثل هــذه العقيدة تعوق العــلم ، لأن العلم لا يلائمها ، وتعوق التفكير الصحيح لأنه ليس من طبيعتها ، وتعوق التقدم الاجتماعي لأنه أساس اطلاق الفكر من قيوده . والفكر مشلول بعبادة الأصنام

ومن أجل هذا كان أهم ما أتت به سلسلة الأنبياء محاربة هذه العقيدة ، وتخليص الفكر من قيوده التي قيدته بها العقيدة في الحجر والشجر ، والنجوم والبحار والأنهار ؛ وكان نجاحهم في أول الأمر قليلا قليلا ، لأنه لم يكن يقوى على احتمال تجريد الاله عن المــادة الا القليل من الناس ، وحتى في العصور الحديثة لا تزال النزعة الى مادية الاله تتسرب في أشكال مختلفة ، مع رقي العقل البشري ونموه ونضوجه

وقد بدأت هذه الدعوة الى التجديد في الأمم السامية من عهد ابراهيم ، واستمرت بين الظهور والخفاء ، وكلما تقدم الناس كانوا أكثر لها استعدادا وأقرب قبولا ، حتى أتى محمد (ص) فدعا دعوته الجريئة الصريحة الى كسر الأصــنام وتحطيم الأوثان وتخليص العقيدة من كل شرك ، وتجريد الله عن كل مادية ؛ وكان شعار عقيدته « لا إله إلا الله » ، ومدار عقيدته « ليس كمثله شيء » ؛ فالأصنام ليست تصلح لشيء الا للمعاول ، والنجوم هو الذي خلقها ونظم حركاتها ، والبحار والأنهار هو الذي خلقها وأجرى ماءها ، والملائكة هو الذي خلقهم « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » . لا شيء يشاركه في ألوهيته من مادة أو روح — هو حقيقة واضحة معقولة لا في شكل — عميت عن العقول حقيقته ، وظهرت لهم صفاته ، فهو الخالق لكل هذه الظواهر ، وهو الذي يسيرها ، وهو غرضها الأسمى ؛ هو وحدة لا تعدد فيها بأي حال — تنزه عن المــادة وتنزه عن الشريك

سلك القرآن في الدعوة الى الايمان مسلكا حسنا ، فبعد أن أبان للانسان أن الله خالق كل شيء . وأنه رب العالمين ، طلب اليه أن ينظر الى كل شيء في العالم من صغير وكبير ، فسيرى فيه مظهراً من مظاهر الألوهية ، ودليلا على عظمة الله وقدرته لم ينهج القرآن منهج الفلاسفة في دوران العقل حول نفسه ليستخرج منها نظريات مجردة ، ومقدمات ونتائج منطقية ، انمــا طلب أن تمتزج النفس بالعالم ، وأن ينفذ العقل الى رب العالم عن طريق العالم ، لأن هذه الطريقة أكثر إحياء للشعور ، ومبعثاً لحياة القلوب ؛ والايمان ليس يعتمد على العقل وحده ، بل هو يعتمد على القلب أكثر من اعتماده على العقل . من أجل هذا طلب القرآن النظر الى كل شيء في العالم من الذباب والنحل والعنكبوت ، الى الفيل والجمل ، الى البحر والنهر ، الى السماء والأرض ، الى السحاب المسخر بين السماء والأرض ، الى الشمس والقمر ، الى الليل والنهار . والقرآن مملوء بالآيات التي تصل الانسان بالعالم ، وتصل العالم بالقلب ، وتبعث حرارة الايمان بالله ، وتملأ القلب حياة وحماســة . وهذا هو الذي ملأ صــدر الصدر الأول من المسلمين بالعقيدة ، وجعلهم يبيعون أنفسهم في سبيل الله عن ســخاء . وهذا بعينه هو الذي شجع المسلمين على البحث العلمي ، فقد اتجهوا الى العالم يستدلون به على خالقه فدفعهم ذلك الى العالم يتعرفون طبيعته وقوانينه ، وهذا هو العلم . لم يطلب اليهم الاسلام أن يعيشوا في صوامع يديرون طاحونة العقل على

هواء ، بل طلب اليهم أن يتصلوا بالعالم يدرسونه وينظرون فيه خالقه وخالقهم ، فكان ذلك داعية للعلم والمدنية معاً . لم يتطلب الاسلام من صاحبه أن يعيش عيشة روحية مطلقة مجردة عن المادة ، بل طلب اليه أن يمزج الحياة الروحية بالحياة المادية ، وأن يعمل لدنياه كما يعمل لآخرته ، وأن يتزوج ويصلى ، وأن ينعم بالحياة فلا يحرم على نفسه زينة الدنيا وطيبات الرزق كما ينعم بالنظر وبالتفكير فى ملكوت الله ، وبعبارة أخرى لم يتطلب الاسلام من الانسان أن يكون ملكا ، وانما طلب اليه أن يكون انساناً كاملا ، يعيش وفق ما خلق ، فقد خلق جسما وروحا ، فلجسمه عليه حق ، ولروحه عليه حق ؛ فلا عجب بعدُ أن رأينا المسلم يساهم فى بناء المدنية لأنها واجبه ، وفى بناء الروحية لأنها مطلبه

لم ينح الاسلام منحى العلم ، يقرر القوانين جافة جامدة كما تفعل العلوم الرياضية والطبيعية ، وكما تفعل الميتافزيقا اليونانية فهذا هو العلم ؛ ولكنه سلك مسلكاً سماه « الحكمة » وقال : « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الألباب » ؛ وما الفرق بين العلم والحكمة ؟ العلم هو هذا النوع من المعرفة التى تأتى من طريق الحواس وما تألف منها ؛ فاذا نظمت هذه المعارف ووضعت كل طائفة منها فى مجموعة سميت علماً . أما الحكمة فمزج الروح والنفس بالعالم ، والعلم يغذى العقل وحده ؛ أما الحكمة فتغذى العقل والمشاعر ، وهذه المشاعر هى التى عبر عنها الدين بالقلب والفؤاد . اذا كان العلم ينظر الى الانسان فيقسمه الى أجناس ، والى أمم ، والى ذكور وأناث ، فالحكمة تنظر الى الانسانية فى الانسان والى الانسانية التى من ورائها الله يسيرها وينظمها ويمنحها الوجود ويعدها بروح منه . واذا كان العلم يقسم النبات الى فصائل ، ويميز اختصاص كل فصيلة ، فالحكمة ترى فى اختلاف أنواع النبات دليلا على القدرة الالهية . وهكذا بينا فى العلم تمد الطبيعة رباطا بينها وبين العقل ، تمد الحكمة رباطين أولهما وأولاها بينها وبين القلب ، وثانيهما بينها وبين العقل .

ومن أجل هذا عنى القرآن بمظاهر الاختلاف بين القوانين الطبيعية أكثر مما عنى بتقرير القوانين الطبيعية الجزئية ، فهو يلفت النظر الى الانسان ، كان نطفة ثم علقة ثم مضغة ؛ ثم كان من المضغة عظام ، ثم كسا العظام لحما ، ثم كان من ذلك انسان

ولفت النظر الى اختلاف الليل والنهار ، وتعاقب الشمس والقمر ، واسترعى النظر الى السحاب يسير باذن الله ، ثم يمطر ماء فتكون منه زروع وجنات يأكل منها الانسان والأنعام ، والى الانسان واختلاف ألوانه واختلاف ألسنته ، والى حركة الماء فى البحار والأنهار وتلاقيهما . وهكذا عُنى القرآن بهذه المناظر المتغيرة ، وبهذه الحركة الدائمة لأنها أمس بالشعور وأقرب الى الحكمة وأدل على المحرك والخالق والمدبر ، فكانت بذلك مبعث ايمان صادق حار لا يفتر

وقد غفل علماء الكلام من المسلمين عن الفرق بين العلم والحكمة ، وبين الفلسفة والدين ، وبين منهج القرآن ومنهج اليونان ، فحولوا — وعلى رأسهم المعتزلة — الدين من القلب الى العقل البحت ، وألفوا العقائد فى شكل قضايا منطقية ، فتحجر الدين ، وانقلب جسما جامدا لا روح فيه ، فخمدت حرارته ، وضعفت شعلته ، وقل نوره وضياؤه

بهذه العقيدة التى ألمنا بها نقل الاسلام العرب من أفق خرافى ضيق كسم الخياط ينحصر فى تقديس الحجر والرجوع اليه فى أهم الأحداث ، الى أفق فسيح لا حد لسعته ، يطالع فيه جميع المخلوقات فى الأرض والسماء ، ويسبح بعقله وشعوره فيها ، ويمتزج بها ، بل هو لا يقف عند ذلك ، ويتعداه الى إله مجرد عن المادة ، ومنزه عن شبه المادة ، يحكم العالم ويسيطر عليه ، وينظمه ويسيره ، وهو وحده لا شريك له رب العالمين

وضع الاسلام فى يد العرب الذين كانوا يدينون بالأصنام معاول يكسرون بها الأصنام ، وهم اذ كانوا يكسرونها حسياً كانوا يعلنون بعلمهم أنهم تحرروا من رق الخرافة ، وسموا عن تقديس حجر ، وارتفعوا بتفكيرهم وشعورهم الى ما فوق المادة ، واتصلوا بإله الكون يستمدون منه القوة ، ونظروا من طيارة الى من حولهم من الناس يرثون لحالهم ، اذ رأوهم بائسين ، كما كانوا هم بالأمس ، من فرس مجوس يعبدون ناراً ، وما النار إلا مخلوق ضعيف تشبه فى ضعفها الأحجار التى كانوا يعبدونها أيام جاهليتهم ، ومن رومان

تركوا وراءهم دينهم الصحيح وأخذوا يعبدون شهواتهم فعبدوا الخمر وعبدوا النساء وعبدوا المـال وعبدوا الجاه ، وما كل ذلك إلا أصنام كأصنامهم التى حطموها بالأمس ، وما هى إلا ضرب آخر من ضروب النار التى يعبدها المجوس تشب بين جوانحهم . هؤلاء الفرس وهؤلاء الرومان الذين كانوا بالأمس القريب ، المثل الأعلى للعرب ، والذين كانوا يرون فى أعماق نفوسهم أنهم أنفسهم عبيد ، وأن الفرس والروم سادتهم ، وأنهم سوقة والفرس والروم ملوكهم ، وأنهم أذلة والفرس والروم أعزة ، وأنهم فقراء وأمل الآمل منهم أن ينال من متاجرته مع الفرس والروم شيئاً من فتاتهم ومما تناثر من أيديهم ؛ هؤلاء الفرس والروم أصبحوا فى نظر العربى المسلم أسرى عقائد فاسدة ، وأسرى شهوات وضيعة ، وأن ملكهم وجاههم وعددهم وزينتهم لا تساوى شيئاً بجانب صحة عقيدتهم هم ، لقد كانوا ينظرون اليهم من غواصة فيحسدونهم على استنشاق الهواء على ظهر الأرض ، فأصبحوا ينظرون اليهم من طيارة عالية جداً فيرونهم حشرات حقيرة تتقاتل على متع دنيئة ، ويرونهم المثل الأدنى للانسانية . وقد كانوا المثل الأعلى ، وأنهم أحق بالعطف عليهم والأخذ بيدهم ، وقد كانوا من قبل يستجدونهم ويستذلون لهم ويخطبون ودهم . لم يقلب هذا الوضع عند العرب الا العقيدة ، وكنى بها ثورة : ثورة فى العقـل وفى القلب وفى والخلق جعلتهم كأنهم خلق آخر

هذه العقيدة بما أضاءت وبما بعثت من حكمة جعلتهم فوق العلم . ان شئت فانظر الى عمر بن الخطاب ، وأبى عبيدة ، وسعد ابن أبى وقاص وأمثالهم — ماذا كانت ثقافتهم العلمية بالمعنى الذى نفهمه الآن ؟ كانت لا شىء ، أو كانت ضعيفة كل الضعف ، فليسوا على علم واسع بقوانين الحساب والهندسة ، ولا بالجغرافية ، ولا بشىء من فروع العـلم ، ولـكن أضاءت الحـكمة أذهانهم وقلوبهم ففاقت العـلم ؛ والا فـكيف استطاع عمر بن الخطاب — مثلاً — أن يدير هو وأعوانه مملكة الفرس والروم ، وقد بلغتا فى الحضارة شأواً بعيـداً ، يعرف أهلهما الجغرافية معرفة واسعة ، ويؤسسون المملكة على نظم ادارية وحربية دقيقة ، وعندهم علم وأدب وفن . لو عهد بأقليم من أقاليم الفرس والروم الى عمر فى الجاهلية لحار فى إدارته وارتبك ، ولساسـه كما يرعى الشاء والابل . ولـكنه الاسـلام وما بعث من حكمة غير نظره الى الأشياء ، وجعله ينفذ ببصيرته الى نظم الفرس والروم فيدرك منها الصالح وغير الصالح ، ويعدل فى ادارتها وشؤونها الاجتماعية تعديلاً لا يستطيعه العالم المـاهر الذى تنتجه ، حتى حضارة اليوم . فهو يغير من نظام الضرائب ، وتوزيع الأراضى ، وتدوين الدواوين . ويستطيع وهو فى مكة أن يرسم خطة السير لحكومة تسوس العراق ومدن الفرس ، كما تسوس الشام ومدن الروم : انها احدى العجائب الـكبرى أن يصل بدوى الى ذلك . وعهدنا بالبـدوى الهمجى يخرب ولا يعمر ، واذا غزا وانتصر فـكل مطمعه فى الغنيمة . فما بال عمر وأمثال عمر يدخل التحسينات على الحضارة ، ويقترح فيما يزيد العمران ، ويبث فى الحضارة القديمة روح العدل والاحسان ؟ لا شىء غير العقيدة الاسلامية محصت نفسه ، وطهرت قلبـه ، وجعلت نظره ينفذ الى بواطن الأمور ، يعدل على الذين لا يرون الا الظواهر ، ولا يهمهم إلا بهرجة الدنيا ، والزخرف الظاهرى

فان نحن عددنا العقيدة الاسلامية — بالشرح القليل الذى شرحنا — أثمن ما قدمه الاسلام الى المدنية لم نـكن مبالغين

هـذه العقيدة لا تقر بعظمة إلا عظمة الله ، ولا تقر بتقديس ملك ولا بامتياز لرجال دين ، ولا تعترف بوساطة أحد بين الانسان وربه ، ولا بأى نوع من أنواع الأرستقراطية : لا أرستقراطية المال ولا أرستقراطية العلم ولا أرستقراطية رجال الدين . كل الناس سواء . الناس من تراب وإلى التراب يعودون . ولا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى . وخير الناس أنفعهم للناس

( البقية فى العدد القادم )

**أحمد أمين**

# منـــــذ ألف عام

## للاستاذ على عبد الرازق

يوجد بين حياة الشرق فى العصر الحاضر ، وبين حياته منذ ألف عام مضت ، نوع من التشابه يستوقف النظر . وقد يكون فى دراسة هذا التشابه واستقصاء البحث فيه لذة ومتاع للنفس ؛ وقد يكون فيه مع ذلك فائدة للعلم

وما ندعى أننا نستطيع الآن أن نستوفى جوانب هذا البحث أو نلم به إلمامة واسعة ، وانما نريد أن نفتح هذا الباب للباحثين لعلهم يجدون فيه خيرا كثيرا من أنواع المتاع وفنون العلم

وفى الحق انه يوجد دائما نوع من التشابه بين صور هذه الحياة الدنيا ماضيها وحاضرها وقديمها وحديثها ؛ وما دام الناس هم الناس فى جميع العصور ، وما دامت كواكب السماء تروح وتغدو فى دورة منتظمة لا تبديل فيها منذ وجدت كواكب السماء ، وما دامت الأرض هى بعينها الأرض فى الماضى والحاضر ، فمن الطبيعى أن تتشابه الى حدّ ما صور الحياة وأن يحاكى بعض الحوادث بعضا

والذى يقارن بين أى جزء من أجزاء التاريخ وبين أى جزء آخر منـه لا يعجز عن أن يتبين بينهما مظاهر من التشابه والتماثل ؛ ولكن التشابه الذى يجده الناظر بين حياتنا الحاضرة وبين الحياة من ألف عام ليس هو من هذا النوع الذى يلحظ بين جميع أجزاء الحياة وجميع مظاهرها . وليس هو من القلة بحيث لا يستلفت النظر ولا يثير رغبة البحث . فالتشابه هنا ظاهر وقوى يكاد يجعلهما صورة واحدة لعصر واحد

على أنه مع ظهوره وقوته لا يبلغ أن يكون دليـلا على تماثل العصرين من جميع الوجوه ، ولا على اتفاق العصرين فى جميع الصفات والخصائص ؛ وهو لذلك لا يبلغ أن يكون دليلاً قاطعاً على صحة مايذهب اليه بعض الباحثين من أن التاريخ يعود بنفسه

منذ عام توفى المرحوم أحمد شوقى أمير الشعراء ؛ ومنذ ألف عام توفى أبو الطيب المتنبى ؛ وبين الرجلين من التماثل ما يشبه أن يكون مثلاً صادقاً لرجعة التاريخ ، فقـد يمكن القول بأن متنبى القرن الرابع كان شوقى القرن الرابع عشر ، وبأن شوقى القرن الرابع عشر كان هو متنبى القرن الرابع!

دع عنك ديباجة الشعر وما بين الشاعرين فى ذلك من توافق جد قريب ؛ وانظر الى ما أحاط بالرجلين من ظروف وملابسات ؛ فقد كان عصر المتنبى عصراً داوياً بالشـعر زاهياً بالكثير من الشعراء ، ولكن شعر المتنبى قد غطى على أكثر تلك الأصوات الداوية ؛ وقد غمر اسم المتنبى أكثر تلك الأسماء فكان كما قال عن نفسه :

أنا الصائح المحكى والآخر الصدى

وكذلك كان شوقى فى عصر يدوى بالشعر ويزخر بالشعراء ففلج عليهم شوقى باسمه وبشعره ، وجاءه الشعراء من كل صوب سايعونه بأمارة الشعر

وقد كان المتنبى شاعراً مداحاً وكذلك كان شوقى ؛ والمتنبى كان يتنقل بمدائحه من جناب الى جناب ، ومن بلد الى بلد ، وكذلك فعل شوقى .

ولقد أخلص المتنبى فى مديح سيف الدولة فأفاض عليه من مدائحه الخالدة خلوداً لا يبلى ؛ وما كان سيف الدولة لولا المتنبى الا ملكا كسائر الملوك

وكذلك أخلص شـوقى فى مديح سمو الخديو عباس الثانى ، فأفاض عليه من مدائحه الخالدة خلوداً لا يبلى ، وسجل اسمه مشرقاً وضاء فى سماء المجد حيث لا يلمع كثير من الأسماء الطنانة

انـا لنأسف اذ لا نجد بين أيدينا صورة مفصلة لجوانب الحياة الاجتماعية فى مصر منذ ألف عام لنستطيع أن نقارن بينها وبين جوانب حياتنا الاجتماعيـة الحاضرة لنستخلص ما يكون بين الحياتين من تماثل قريب أو بعيد

على أن ذلك لا يمنعنا من أن ندرك ما بين الحياتين اجمالاً من تشابه قوى الى حد يثير العجب ؛ فلقـد ترك المتنبى وصفا واضحا وان كان مجملاً للحياة فى مصر أيام عرفها المتنبى واتصل فيها بمعية كافور الأخشيدى . ولعمرى لا يزال أكثر ما قاله المتنبى فى ذلك أوكله ينطبق على حياتنا الحاضرة ويصفها وصفا صادقاً :

نامت نواطير مصر عن ثعالبها ... فقد بشمن وما تفنى العناقيد

وكم ذا بمصر من المضحكات ... ولكنه ضحك كالبكا

# مصرع الحسين

للاستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى



كان لنا ، قبل الحرب ، صديق معمر ، من بنى الفرس — أو من أجدادهم الأولين على الأصح — فقد كان عمره فوق المائة ، وكنا نحاسبه فيكون تارة مائة وعشرين ، وأخرى مئة وبضع سنوات ، فأضحك وأقول : « يجب أن نقيد هذه الأرقام الرواغة » . وأتناول القلم ، وأقيم سنه على الورقة ، وأنظر اليه ، وأقول : « تفضل ! قبل أن يغرق الطوفان الأرض كنت سعادتك سفيرا لدولتك عند بروسيا . ولما صعق موسى عند ذلك الجبل ، كنت .... » فيتكلف الغضب ، وينهرنا عن هذا العبث ويقول : « اختش يا ولد ! »

وكان على عظم ارتفاع سنه قوى البنية ، متين الأسر ، وكنا نسأله عن سر ذلك ، فيقول إنه لم يتزوج قط ، فأضحك وأقول : « هات سبباً آخر ، فإن هذا معلوم ، مفهوم بالبداهة ! » فيرفع عصاه الغليظة ، ويلوح بها كأنما يهم بضربى ، فينقلب ضحكنا قهقهة عالية مجلجلة ، ويسره سرورنا فيفىء الى الرضى

ويقول لنا أحيانًا : « تعالوا نتمشى » ، فنسأله : « أين ؟ والى أين ؟ » ، فيقول : « فى طريق الجيزة » ؛ وكان بيته فى « باب الخلق » ، فنخرج معه ، إلى الزمالك ويقف بنا على جسره هنيهة ، يحدثنا ويروى لنا أخبار القرون الأولى ، أو يرتجل شعراً فكاهياً نجيزه ، أو نشطر قصيدة لواحد من شعارير ذلك الزمان تشطيراً يخرج بها إلى الهزل الصريح والمجانة الشديدة ، وأذكر من مطالع قصائده المرتجلة :

« قف حدثينى عند كوبرى الزمالك
وروى غليل القلب يا أم مالك »

ثم نستأنف السير بعد أن نميل إلى طريق الجيزة ، حتى نفتر ونكل ، وتخذلنا أرجلنا ، وهو لا يزال كما بدأ ، فيسخر منا ، ويوسعنا تقريعاً وتعييراً ، فلا نبالى ، ونقعد على الأرض من شدة التعب . ويتفق أن تمر بنا سيارة ، تخطف ، فيشير اليها ويقول مازحا : « خذونا ، أخذكم الله ! »

ولم يكن هزالا ؛ وإنما كان يوسع لنا صدره ، ويتقبلنا على علاتنا ، ويأنس بنا كأنسنا به ، وكانت الدنيا كلها أصدقاء له ، ولكننا نحن كنا نلازمه بعد أن نفرغ من أعمالنا ، وكان بيته نادينا ، وفيه تعقد حلقتنا الأدبية الخاصة . وما أكثر ما كنا نقول له : « نريد أن نأكل أرزاً فارسياً » فيمضى بنا الى المطبخ لنساعده ، فهذا يقشر بصلا ، وذاك يغسل آنية ، وثالث يضرم النار . وهكذا ، حتى يطبخ الأرز ويغرف فى الصحون ؛ ثم نحف به — أعنى بالأرز — ونقبل عليه فنلتهمه

وكان لنا خيراً من الأب ، وأخلص من الصديق وأوفى ، وكان ربما رأى أحدنا ساهما أو واجماً ، فيسأله عن سبب ما يبدو عليه ، فيفتح له صدره ، ويبثه ما فيه ؛ ويقول له يشجوه ، حباً كان ذلك أو هم ، أو غير ذلك ؛ فيشير عليه بالرأى الناضج ،

---

أنا فى زمن ترك القبيح به — من أكثر الناس احسان واجمال
ماذا لقيت من الدنيا وأعجبه — أنى بما أنا شاك منه محسود

ولما صار ود الناس خبا — جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت أشك فيمن أصطفيه — لعلمى أنه بعض الأنام

الخ الخ

* * *

منذ ألف عام كانت الخلافة الاسلامية فى بنى العباس تشارف النهاية وتلفظ الأنفاس الأخيرة من حياتها

وكان العالم الاسلامى فى جملته يضطرم ثورة ، ويتأجج بالمنازعات السياسية ناراً

على أن ذلك الاضطراب السياسى لم يمنع من سير الحياة الاجتماعية والعلمية فى بلاد العالم الاسلامى سيراً مطرداً الى الأمام

وعصرنا الحاضر يشهد تلك المشاهد نفسها أو قريبا منها ، كما شهدها أجدادنا منذ ألف عام

ألا ليت شعرى هل صحيح أن للتاريخ رجعة ؟ وإذا كان ذلك حقا فهل يرجع التاريخ كل ألف عام ؟ على عبد الرازق

ويخلص له النصح ، ويقوى ضعفه ويشجعه ، ولا يزال به حتى تعود اليه البشاشة

وقال لنا يوماً : « خـذوا » وناولنا بطاقات فيها دعوة إلى ما كان يسمى « زفة الحسين » ، وما هى بزفة ، وإنما هى مأتم . ولـكنها هكذا كانت تدعى على ألسنة العامة . فذهبنا فى الموعد المضروب الى بيت رحيب فى زقاق ضيق ، فوجدنا هناك كثيرين من رجال مصر المعروفين ، أجلسنا معهم ، ثم دعينا الى مائدة مثقلة بألوان الآكال الشهية ، وكان الأستاذ البرتوقى الى جانبى ، فقلمىَّ على الطعـام ، وأسر الى بذلك — لا أدرى لمـاذا — فأومأت الى الخادم ، فناوله كوباً رفعه الى فمه ، وما كاد يفعل حتى رده عنه ، وقال : « بففف ! » ، ذلك أنه كان سكراً مذاباً لا ماء . فعجبنا وانتبنا أن نشرب

وانحدرنا الى صحن الدار ، وكان فيها منبر ، ارتقى اليه شيخ فارسى ، وانطلق يقول كلاماً لم نفهمه ، ولـكن صوته كان يتهدج وكانت الدموع تتسايل على خديه ، وتبل لحيته الـكثة ، وقيل لنا إنه يرثى الحسين ويندب مصرعه ، وكان الذين يفهمون كلامه من بنى جنسه يبكون ، بل يعولون ، ومنهم من كانت تهيج حرقته فيلطم ، أو يضرب صدره أو ظهره العارى بسلسلة غليظة من الحديد ، أو يضرب جبينه ببطن سيف مسلول ، أو بكله — أى قفاه الذى ليس بحاد — ولـكن أحـــدهم اضطرب وهو يفعل ذلك فأصاب حد السيف جبينه فانفجر الدم كأنه من نافورة ، وقد خفوا اليه ، وضمدوا جرحه ، وعصبوا له رأسه ؛ وهال أحدنا منظر الدم ، وظن أن الرجل لا محالة هالك ، فأغمى عليه ، وسقط على الأرض كما تسقط الخشبة ، فأنشقوه شيئاً فى زجاجة أنعشه ورد اليه روحه

ولا أحتاج أن أقول شيئاً فى وصف الموكب الذى يخرجون به ويطوفون بالشوارع وهم يدقون صـدورهم العارية أو يضربونها بالسلاسل ، أو يخبطون وجوههم أو عواتقهم ببطون السيوف ، فان ذلك كله معروف مألوف ، وإن كان قد انقطع ، والأكثر من الناس قد رآه فى زمانه ، ولـكنى أقول إنى بعد بضعة أيام من شهود هذه « الزفة » وقعت على مقال فى مجلة انجليزية لـكاتب انجليزى أو ألمـانى — لا أذكر ، فان العهد بها بعيد ، وقد فقدتها على الرغم من حرصى عليها وتحفظى بها — وفى هذا المقال يذهب الـكاتب — والأرجح أنه ألمـانى — إلى أن الحسين بن على رضى الله عنهما ، تعمد أن يضحى بنفسه ؛ وأذكر أنه قال إن الحسين لم يكن أبله ، فقد حاول أمراً عرف مبلغ استحالته ، ومع ذلك أصر على الزحف . وليس معه إلا النساء والأطفال وحفنة صغيرة من الرجال ، مضى بهم وبنفسه معهم إلى بوار محقق

وقد دارت فى نفسى هذه المقالة ، فذهبت بها إلى صـديقنا الفارسى ، فقد كان عالماً واسع الاطلاع ، غزير المعرفة ، وترجمتها له ، وسألته عن رأيه فيها ، فلم يتردد فى الموافقة عليها . وقد فـكرت بعد ذلك فى أمر الحسين وفى مغامرته العجيبة ، فلم تزدنى ذلك إلا اقتناعاً برأى هذا المستشرق الألمـانى . وبغير ذلك لا أدرى كيف يستطيع المرء أن يفسر اقدامه على طلب الخلافة وسعيه لانتزاعها من بنى أمية ، فقد عرض نفسه على كثير من القبائل فما وجد منها إلا إعراضاً وانصرافاً ، أو على الأقل فتورا شديدا عن نصرته ، من حقه أن يثبط . وليس من شأنه أن يشجع ؛ ولم يكن حوله من الرجال من يطمع أن يديل بهم من بنى أمية ؛ وحمل معه النساء حتى لـكن أكثر من الرجال ، ولم تصده عن السير خيبة مساعيه عند القبائل ، ووضوح خذلانها له ؛ والتق برجال بنى أمية فعرضوا عليه ما لا يمكن أن يحلم بالفوز به بجهوده ، فأباه وأصر على المغامرة ، فوقعت الواقعة ، وكانت هذه المجزرة الخالدة التى لا يزال أثرها باقياً الى اليوم

ولم يكن الحسين مجنوناً ، ولا طياشاً ، ولا عزب عنه ما يحمل على سوء الظن بعقله ونظره ، فـكيف هم بأمر كان من استحالته على يقين جازم ؟ ؟ وهبه كان مخدوعا فى اول الأمر فقد رأى من الاعراض عنه والخذلان له ، والزهد فى الانتقاض على بنى أمية ، والخوف من بطشهم وانتقامهم . ما يدفع إلى اليأس ويغرى بالقعود ؛ ولا يمكن أن يقال إنه كان يرجو فلاحاً ، فما كان معه فى زحفه إلا النساء وإلا عشرات لا تغنى ، ولا يعقل أن تصبر على قتال دولة ذات بأس وصولة ، وما رأى أحدا استجاب لدعوته ، أو أبدى استعدادا للحاق به ، حتى يقال إنه كان ينتظر نجدة ومددا ، وهؤلاء النسوة من آل بيته لم أصر على حملهن معه وزحفه بهن ، وقد كان خليقاً بعد أن رأى كيف خذلته القبائل أن يشفق عليهن ويردهن ليقيهن أن يصرن الى ما هو صائر اليه لا محالة . ألا يعذر من يذهب إلى أن استصحابه لهن إلى الذبحة ، إنما كان مقصودا

به أن يخف المصرع الذى مضى اليه عامدا بكل عوامل الاستفزاز وعناصر الايلام المثيرة؟ لقد ألقى بهن معه على القتل أو الاذلال والتحقير والهوان . وهن آل بيت الرسول صاحب هذا الدين ، فلولا أنه تعمد أن يضحى بهن معه ليقيم القيامة على بنى أمية ، لكان أيسر التفكير كافياً لحمله على اقصائهن عما سعى اليه ووطن نفسه عليه ؛ ولكنه نظر فرأى أن استرداد الدولة من بنى أمية مطلب لا سبيل اليه ولا مطمع فيه ، فيئس من إمكان ذلك بالوسائل المألوفة ، فقال أنسف الدولة الأموية من قواعدها ، وأكون أنا اللغم الذى ينفجر تحتها ، فيزلزلها ويدك بنيانها ، ويطير أنقاضها ، ويجعل عاليها سافلها ؛ ولا بد لذلك من أن تكون التضحية تامة ، وعلى أبشع صورة من الصور . وأرغم بنى أمية على أن يقتلونى أقبح القتل ، وأن يمثلوا وينكلوا بى وبأهلى أشنع التمثيل والتنكيل ؛ فيستفظع المسلمون منهم ذلك — على قرب العهد بالرسول — وتنفطر نفوسهم بالموجدة والنقمة عليهم ، وينقلب العالم الاسلامى بركاناً يظل يفور ويغلى فى جوفه الحقد والبغض ، ثم ينفجر ، فلا يبقى ولا يذر ؛ وإنى لميت ميت ، طال الأجل أم قصر ، وخير من أن أموت حتف أنفى ، أن أجعل ميتتى تكلف بنى أمية ملكهم كله ودولتهم أجمعها ؛ ولقد خرج الأمر من أيدينا وصرنا رعية لبنى أمية ، فاذا رضينا وقنعنا من الحياة بالطعام والشراب ، وقعدنا ننتظر الأجل فى أوانه ، ثبتت الدولة ورسخت قواعدها . وإنى لأعلم أنه ليس لى حول ولا قوة ، ولكن فى وسعى أن أملأ نفوس المسلمين قيحاً وصديدا من كره بنى أمية ، إذا بذلت دمى ، ودمى ؟ وهو سيجمد فى عروقى يوما ما ، فأولى أن يخضب الأرض فلا تلبث أن تنقلب جحيما عليهم ؛ وما خير أن أكون سبط الرسول إذا أنا لم أرج الدنيا بذلك ؟ وإن الأمر لراجع الينا لا محالة إذا أنا جعلت من نفسى ومن أهلى ضحايا لبنى أمية ، ويجب أن يكون قتلنا استشهادا مروعا لتكون الدية هذه الدولة كلها

لهذا أصر على المغامرة ، وهو على يقين من نهايتها ، وأعرض عن ذكر العواقب التى كان يعرفها معرفتها ، ولم يكترث بخذلان من دعاهم الى نصرته ، بل اغتبط بذلك ، وحمل أهل بيته معه ليحيق بهن كل مكروه من الأذى والهوان ، وليكون ما يصيبهن أبلغ فى إشعار العرب هول الفجيعة ، وأبى أن يجعل أذنه الى الذين أشفقوا عليه أو سعوا عنده ليترضوه ويحملوه على العدول ، أو وعدوه ما شاء غير الخلافة ؛ ولم يكن يخفى عليه أنه يعاند ويكابر ويتحدى الأقدار ، ولكنه كان يدرك أن هول المصرع الذى يسير اليه مصمما عليه سيطوى كل ذكر لما عداه ، فلا يبقى إلا أن بنى أمية قتلوا سبط الرسول وآله ، ومثلوا بهم أقبح التمثيل . وكان يعرف أن بنى أمية لا بد أن يعدلوا عن محاسنته إلى المخاشنة لشدة ما يرون من عناده وصلابته . إذ كان لا يسعهم أن يتركوه يحرض الناس على الخروج عليهم ، بلا كابح ، وقد عرضوا عليه كل ما دون الخلافة فزدراه ، فلم يبق مفر من رده بالقوة ، كما شاء هو ؛ وكان هو يعول فى سياسته هذه على احراجهم وإكراههم على البطش به ، ويعتمد على ما تدفعهم اليه لجاجته فى استفزازه لهم ، فتطيش حلومهم ، فتكون الطامة عليهم بعد أن تدور الدائرة عليه . وقد جرى كل شىء على ما قدر ورسم ، وحدث ما كان ينشده ، فأسرف الأمويون فى القتل والتمثيل والتنكيل ، كما كان يتوقع ، وصدقت فراسته القوية فى رجال الدولة على عهده ، ولم يخب له ظن أو رأى فيهم ، فريعت الدنيا ، وهالها الأمر على ما كان قدر ، وصارت كل قطرة من دمه ، وحرف من اسمه ، وهاتف من ذكراه ، لغما فى أساس الدولة الأموية

وقد ذهبت الدولة الأموية فى سبيل من غبر ، وجاءت بعدها دول أخرى لحقت بها ، ومضى أربع وخمسون وثلثمائة وألف سنة ، ولا تزال ذكرى مصرع الحسين هزتها الأولى فى كثير من البلاد الاسلامية ؛ ومأتمه يقام كل عام فى كربلا كأنما هو لم يقتل إلا الساعة ؛ ويموت الشيعى فى بغداد أو سواها فيحمل منها إلى النجف ليدفن هناك . وأحب آل البيت إلى النفوس وأعزهم عليها هو الحسين . ولا تزال العيون تغرورق بالدمع ، والقلوب تخفق والصدور تعلو وتهبط لحكاية هذا المصرع . فمن كان يصدق أن الحسين فعلها عن طيش أو سوء تقدير ، أو تورط ، فإنى لا أصدق إلا أنه أقدم عليها متعمدا لها . ولو أن ميتاً استطاع أن يضحك ساخراً لضحك الحسين ورأسه بين أيدي قتلته البلهاء.

ولست أعرف ميتة أخرى أبلغ أثراً فى حياة الناس ، ومستقبل الدول والأمم ، ولا أطول منها — مع عمق الأثر — عمر ذكرى

ابرهيم عبد القادر المازنى

صور من التاريخ الاسلامي

# أم المؤمنـــين
## خديجة بنت خويلد
للاستاذ عبد الحميد العبادي



كم يود صاحب هذا المقال لو كان شاعراً وثاب الخيال، مطلق العاطفة، جزل الألفاظ، سري المعاني! إذاً لاستطاع أن يصوغ للقراء من سيرة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد قصـــيدة عصماء يضمنها مناقب تلك السيدة الجليلة، وما مناقبها إلا مناقب المرأة الكاملة من جمال، وطهر، وعفاف، وزوجية بارة، وأمومة صحيحة، ومواساة في أشرف معانيها

ولكن صاحب هذا المقال، وا أسفاه! ليس شيئاً من ذلك الشاعر الذي يتمنى أن يكونه. إن هو إلا مؤرخ يعرض لوقائع الحياة العامة من ناحيتها الوضعية جهد طاقته، ويشد خياله الراكد إلى تلك الوقائع، فلا يأذن له ولا بمحـاولة التطار والتحليق، ويكتم عاطفته حتى لا يطغى عليه سلطانها فيتنكب سبيل المؤرخ الذي همه البحث والتحقيق، ثم العرض البسيط للأشياء. فليقنع القارئ الكريم بالصورة المجملة التي أرسمها في هـذا المقال، حتى يتأذن الله بظهور شاعر عظيم ينظم الالياذة العربية، فيطالع فيها إذ ذاك فصلا عن تلك السيدة يكون من أبلغ ما خطه يراع شاعر وأروعه

***

كانت جزيرة العرب في القرن السادس الميلادي قد أخذت تتهيأ للأحداث الجسام التي تمخض عنها القرن السـابع، وقد بدا ذلك التهيؤ في جميع مناحي الحياة العربية العامة. سياسية كانت أم اقتصادية أم اجتماعية. ونحن انما تهمنا في هذا المقام الناحية الاجتماعية؛ ويهمنا منها بصفة خاصة نظام الأسرة. كان نظام الأسرة قد أخذ يتحول في حواضر الحجاز عامة ومكة خاصة الى النحو الذي أقره في جملته الاسلام فيما بعد، فأخذت تتلاشى ضروب الازدواج القديمة التي اعتبرها الاسلام سفاحا، ويحل محلها نظام الزواج القائم على التراضي والتعاقد. وصاحب هـذا التطور الخطير في بناء الأسرة تطور خطير مثله في مكانة المرأة الاجتماعية؛ فبعد أن كانت المرأة العربية ليس لها حق التملك ولا حق الأرث، بل بعد أن كانت هي نفسها تملك وتورث في بعض الحالات، أصبحت تستمتع بحق الملكية وحق الميراث وحق التصرف في مالها، وحق مفارقة الزوج عند اللزوم، هذه الحرية المستحدثة جعلت المرأة العربية عاملا فعالا في الحياة المكية العامة قبيل الاسلام وفي عصر النبوة

***

ولدت خديجة بمكة حوالي منتصف القرن السادس المذكور، وهي خديجة بنت خويلد بن أسـد بن عبد العزى بن قصي؛ وكان خويلد ممن قاد قريشا في حرب الفجار، ثم هي ابنة فاطمة بنت زائدة بن الأصم من بني عامر بن لؤي، ولا نعرف عن فاطمة شيئا، غير أن الذهبي يقول في جدها عمرو بن خنثر المزني أنه كان من أبطال الجاهلية. فنسب خديجة لأبيها وأمها يدل على أنها تنتمي الى بيت من أعز بيوت قريش هو بيت عبد العزى ابن قصي، والى قبيلة من أعز قبائل مضر هي عامر بن لؤي؛ وا كتنفت عمود هـذا النسب الجليل فروع وحواش زاهية زاهرة، نعد منها عم خديجة عمرو بن أسد وكان سيدا من سادات قريش، وأبناء عمومتها حكيم بن حزام، وورقة بن نوفل وأخته قتيلة بنت نوفل، فأما حكيم فكان صاحب مروءة وعاطفة طيبة تتجلى في صنيعه لبني هاشم والمطلب عندما حصرتهم قريش في الشعب، وأما ورقة بن نوفل فكان معدودا في تلك العصبة المستنيرة التي يعرف آحادها باسم (المتحنفين) قد ترك الوثنية، وتنصر وقرأ التوراة والانجيـل، وكتب العبرانية، وشاركته أخته قتيلة في ميوله الأدبية والدينية، فكانت «ممن ينظر في الكتب» على حد تعبير القدماء؛ ومن هـذه الفروع أخو خديجة العوام بن خويلد، وكان من رجالات قريش، وهو والد

الزبير بن العوام حوارى رسول الله

فخديجة من أوسط نساء قريش نسباً ، كما يقول مؤرخو العرب ، واذا جاز للمؤرخ أن يلحظ عمل الوراثة فى هذا المقام ، فانا نقول انها ورثت عن أبويها مزايا السؤدد العربى ، من نبل وكرم خلق ووفاء وشجاعة ؛ كما لقفت عن عمومتها تلك الاستنارة العقلية ، وذلك السمو الروحانى الذى أعدها لتقدير الدعوة الاسلامية وقبولها عن طيب نفس وطواعية خاطر

***

تزوجت خديجة مرتين فى مقتبل حياتها وقبل تزوجها من محمد بن عبد الله . تزوجت للمرة الأولى من عتيق بن عائذ بن عبد الله بن مخزوم ، ثم مات عنها عتيق فتزوجت بعده أبا هالة هند بن زرارة التميمى . ثم توفى أبو هالة فغدت أيما . وقد ورثت على ما يظهر عن أبويها وزوجيها ميراثاً قيما رأت أن تقوم على استغلاله فى التجارة التى كانت مرتزق قريش فى ذلك الزمان . فكانت كما يحدثنا الرواة تستأجر الرجال فى الاتجار لها بمالها لقاء نصيب تسهمه لهم من الربح

لكن خديجة الحسيبة النسيبة ، الثرية الوسيمة ، لم تزل بعد نصفاً فى النساء ، عواناً بين الشباب والكهولة ، قد شارفت الأربعين ولما تعدها ، وهى سن لها عند بعض النساء جمال وروعة ، وملاحة وأخذة ، وكان غير واحد من كبار قريش حريصاً على خطبتها ، ولكن خديجة كانت تتأبى على الخطاب ، لا رغبة منها فى العزوبة ، فهى أعمر قلباً وأنضر شباباً من أن ترغب فيها ، ولكن لأن الأيدى التى كانت تمتد لخطبتها ليست من الطراز الذى يعجبها . لقد نضج عقلها ، وكبر قلبها ، وأصبح كل منهما ينشد الكفء والمثيل ، ومن لها بالعقل الراجح ، والقلب الكبير فى مجتمع خشن ، كثيف ، غليظ ؟ أصبحت لا يروقها ذلك السؤدد العربى الجاهلى بما ينطوى عليه فى واقع الأمر من بداوة وأعرابية ، لا يمكن أن تفئ منهما إلى ظل ظليل

وبينا خديجة تروض النفس على احتمال الحياة الجديدة اذا بقلبها قد أخذت تنطبع عليه شيئاً فشيئاً صورة نجم شارق فى أفق المجتمع المكى ، ويوشك أن يتكشف عن كوكب وقاد يملأ الكون نوراً هادياً . وحرارة تبعث فيه الحياة قوية بعد أن لم يبق له منها الا الذماء . لقد كانت تلك الصورة منتزعة من الحقيقة لا من الوهم ولا الخيال . انها كانت صورة فتى لا يزال مغمورا ، ولكن كل مخايله كانت تؤذن فى نظر خديجة بأنه سوف يأخذ بماء الدماء ويوجهه وجهة جديدة . ذلك الفتى هو محمد بن عبد الله

كان محمد اذ ذاك شاباً قد ناهز الخامسة والعشرين من عمره ، سوى الخلقة ، مشرق الطلعة ، نبيل المظهر ، كريم المخبر ، وكان يحيا حياة لعله لم يكن يحياها بمكة أحد غيره . كان زاهداً فى الناس ، عزوفاً عنهم ، إلا ما اقتضته ضرورة المعايشة والمساكنة ، نزوعاً الى التفكير ، محباً للعزلة ، ودعاً للشهوة رادعاً للنفس ، فأوشك بذلك أن يستغنى بنفسه عن غيره . وغدا أنسه فى وحشته وانبساطه فى انقباضه ، وغناه فى اقلاله . قد حد ما بينه وبين الناس بحد واضح المعالم . ثم لم يأذن لعلاقته بهم أن تتجاوز هذا الحد فتنغص عليه نعمة باله ، وتفسد عليه هدوء سربه

لقد كان قلب خديجة يخفق خفقاناً شديداً عند ما كانت تلمح هذا الفتى العجيب ، يروح لطيته ويغدو فى طرق مكة وأسواقها وأنديتها ، وأدركت من فورها أنه حاجة قلبها ومهوى فؤادها . ولكن كيف تفضى اليه بدخيلة نفسها ، وتبثه لاعج حبها ؟ إن الحسب ، والنسب ، والخفر والحياء ، كل ذلك كان يمنعها أن تكون هى التى تخطو فى الأمر الخطوة الأولى وتقول فيه الكلمة الأولى . لقد كان الموقف دقيقا كل الدقة ، حرجا كل الحرج . فلتسر فى الأمر بحذر واحتياط محافظة على نسبها وحسبها ، وتوفيرا لخفرها وقنية لحيائها

إنها كانت تستأجر الرجال فى الاتجار لها بمالها وتساهمهم بنصيب مسمى من الربح ، فلم لا تستأجر محمداً وتضاعف له الجعل الذى كانت تجعله لغيره ؟ وأنشأت من فورها تجيب عن هذا السؤال ؛ فوسطت الى محمد من عرض عليه رغبتها . فقبل محمد ما عرض عليه ، وسافر الى الشام فى صيف عام ٥٩٤ متجراً فى مال السيدة ، وسافر معه ميسرة غلام خديجة ليرقبه عن كثب وينهى الى السيدة عند عودته جملة حاله فى السفر ، فتلم بجملة حاله فى السفر والحضر . وباع محمد ، واشترى ، ولقى الرهبان ببادية الشام ، وتحدث اليهم ، وتحدثوا اليه ، ثم عاد وقد ربحت التجارة ربحاً وفيراً ، وقص ميسرة على السيدة ما رأى من محمد فى السفر من رقة الشمائل ، وسهولة الخلق ، وصدق المعاملة ؛ فعلمت السيدة عند ذلك أن قلبها لم يكذبها ؛ فقطعت كل تردد ؛ وأجمعت أن تخطو

هي الخطوة الأولى ، وتقول هي الكلمة الأولى . وكانت لها صديقة تثق بها اسمها نفيسة بنت منيه ، فدستها الى محمد تحوم له بالأمر وتعلم رأيه فيه :

نفيسة — يا محمد ! ما يمنعك أن تزوج ؟

محمد — ما بيدى ما أتزوج به !

نفيسة — فإن كفيت ذلك ودعيت الى الجمال ، والمال ، والشرف ، والكفاءة ، ألا تجيب ؟

محمد — فمن هي ؟

نفيسة — خديجة !

محمد — وكيف لي بذلك ؟

نفيسة — علي !

محمد — فأنا أفعل !

لا شك أن محمداً لم يقل مقالته الأخيرة الا بعد أن أصبح يشعر نحو السيدة خديجة بمثل شعورها نحوه ، وبعد أن أصبح يبادلها عطفاً بعطف ، وتقديراً بتقدير . نعم إنها أسن منه ، ولكن ذلك ليس شيئاً بالقياس الى محاسنها وفضائلها الكثيرة التي جملته يرى فيها رغبة نفسه وطلبة قلبه . وعرض محمد الأمر على عمومته كما عرضته خديجة على عمها ، فكل وافق ، وبنى محمد بها بعد أن أصدقها عشرين بكرة كما يروون .

***

كان هذا الزواج لمحمد وخديجة فاتحة حياة زوجية هادئة وادعة هنيئة ، كأهدأ ما تكون حياة زوجية وأروعها وأهنأها ولم لا تكون كذلك ؟ وكانت تقوم على الكثير المتبادل من الحب والاخلاص والتقدير . كانت خديجة تقدر في محمد كرم الخلق ورقة القلب ، وروحانية النفس . وكان هو يقدر فيها رجاحة العقل وكثرة العطف عليه ، والاعجاب به ، والتوفير لأسباب راحته في منزله ، ومطابقته فيما يحب وما لا يحب ، ولا ننس أن محمداً لم يكن كسائر الرجال يعيش كيفما اتفق ، فهو رجل كثير العناية بأمر نفسه ، ليس كل الطعام يطعم ، ولا كل الشراب يشرب ، ولا كل الملبس يلبس ، ولا بكل الزينة يزدان ، ثم هو ميال بطبعه الى العزلة ، مؤثر للصمت ، مطيل للفكر ، فعلى جليسه وعشيره أن يعرف فيه كل ذلك ويرعاه له . وقد عرفت خديجة ذلك ورعته له أتم رعاية ؛ فلا شك أنها كانت تعد له ما يستطيبه من الدباء والعسل ، والتمر المنقوع في اللبن أو المخلوط بالقثاء أحياناً . ولا شك أنها كانت تقلل في طعامه من البصل والثوم اللذين كانت تعاف كثرتهما نفسه ، كما كانت تعنى بنظافة ثيابه وأدوات طيبه وأدهانه ، فقد كان محمد يحب أن يبرز للناس عطر الجسم ، نظيف الملبس ، ولا شك أنها كانت توفر له الهدوء في المنزل ، واذا جنح الى الخلوة أو التحنث في الغار لم تقطع عليه سكونه ؛ بل أعانته على ذلك بأعداد الزاد الذي يحتاج اليه ، فاذا طالت غيبته افتقدته في غير إزعاج له ، ولا تكدير لصفو نفسه

وكما كانت خديجة مثال الزوجة الحفية بزوجها ، فانها كانت مثال الأم المعنية بأولادها . لقد رزق محمد منها كل أولاده غير ابراهيم . رزق منها القاسم وبه كان يكنى ، ثم ولدت له زينب ورقية ، وفاطمة وأم كلثوم ، وكل هؤلاء ولدوا قبل النبوة . ثم ولد له في الاسلام عبد الله الذى عرف بالطيب والطاهر ، وقد مات الغلامان صغيرين ، أما البنات فكلهن أدركن الاسلام وتزوجن وهاجرن ، وقد انضم الى هؤلاء علي بن أبي طالب ، ضمه النبي الى أولاده تخفيفاً عن عمه أبي طالب الذى كان فقيراً كثير العيال ، وليس بأيدينا مع الأسف نصوص نعرف منها كيف كانت خديجة تعول أولادها وتنشئهم ؛ غير أن ما ورد من الأخبار على قلته لا يخلو من الفائدة فيما نحن بصدده . روى ابن سعد عن الواقدى قال : « وكانت سلمى مولاة صفية بنت عبد المطلب تقبل خديجة في ولادها ، وكانت تعق عن كل غلام بشاتين ، وعن الجارية بشاة ، وكان بين كل ولدين لها سنة ، وكانت تسترضع لهم ، وتعد ذلك قبل ولادها » ، وكما كانت خديجة تعنى بولادة أولادها ، ورضاعتهم ، وتنشئتهم ، فقد كانت تتخير الأزواج لبناتها ، فهي التي أشارت على النبي بأن يزوج سعد بن الربيع من بنتها زينب ؛ فلما زفت اليه أهدتها خديجة قلادة كان لها شأن بعد سيرد ذكره . ثم إن كلا من أصهر الى محمد سعد بزواجه ، فسعد بن الربيع أبى أن يفارق زينب عندما أرادت قريش حمله على طلاقها نكاية في محمد مع أن سعداً لم يكن قد أسلم بعد ، وقد تزوج عثمان بن عفان رقية ، فلما توفيت ورآه النبي حزيناً مهموماً لفقدان زوجه اختها أم كلثوم ، وكانت فاطمة عند زوجها علي بن أبي طالب بالمحل الرفيع ، والمكان الممتاز

***

لكن فضل خديجة الأكبر، وفخرها الخالد خلود الزمن: إنما هو في موقفها من زوجها عند ما نبئ، ومن الدعوة الاسلامية التي أخذ يدعو اليها، بعد خمس عشرة سنة من زواجه منها

لقد أصبح محمد بعد تزوجه من خديجة هادئ السرب، ناعم البال، وأصبح له منزل وأهل يسكن اليهما فانصرف الى ما كانت تصبو اليه نفسه من الخلوة وإطالة الفكر. فكانت خديجة تعينه على ذلك دون أن ترى في مسلكه بأساً. فلما فجئ الوحي محمداً، وأصابه ما أصابه أول الأمر من الذهول والحيرة، ورجع الى منزله رعباً حائراً وقال لها: « لقد خشيت أن يكون بي جنن! » لم يكن منها إلا أن ثبتت فؤاده، وسكنت خاطره بقولتها المشهورة « والله لا يخزيك الله أبداً، انك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. الخ » ثم إنها انطلقت من فورها الى ابن عمها ورقة بن نوفل، وقصت عليه خبر زوجها، فبشرها ورقة بأن الذي رآه محمد انما هو الناموس الأكبر الذي نزل على عيسى وموسى، وقد أثلجت تلك المقالة فؤادها وغدت من ذلك الوقت مؤمنة بدعوة زوجها، فكانت بذلك أول من صدقه وآمن به، روى الطبري باسناده الى عفيف الكندي أنه قال: « كنت امرأً تاجراً، فقدمت أيام الحج، فأتيت العباس، فبينا نحن عنده اذ خرج رجل يصلي، فقام تجاه الكعبة، ثم خرجت امرأة فقامت معه تصلي، وخرج غلام فقام يصلي معه. فقلت: ياعباس ما هذا الدين؟ قال: هذا محمد بن عبد الله يزعم أن الله أرسله به، وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب آمن به. قال عفيف: فليتني كنت آمنت يومئذ، فكنت أكون ثالثاً ».

ولم يزد إيمان خديجة مع الزمن إلا رسوخاً، ولا يقينها إلا قوة، ولا تعلقها بزوجها الا شدة، فكانت في السنوات العشر الأولى للبعثة، وهي السنوات التي توالت فيها الأرزاء والمحن على محمد وأصحابه، واضطهدت فيها الدعوة أيما اضطهاد، كانت خديجة في تلك السنوات الى جانب زوجها تريش بتأييدها جناحه، وتأسو بعطفها جراحه، روى ابن الأثير باسناده فقال: « وكانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله، وصدق بما جاء به، فخفف الله بذلك عن رسوله، لا يسمع شيئاً يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه الا فرج الله عنه بها، اذا رجع اليها تثبته، وتخفف عنه وتصدقه، وتهون عليه أمر الناس »

ولم تتردد خديجة عند ما جد الجد، أن تشرك زوجها في محنته، وتقاسمه مر العيش كما قسمته حلوه، وتعمل لنصرة دعوته صابرة محتسبة. فعند ما اشتدت قريش على بني هاشم والمطلب وحصرتهم في الشعب ومنعتهم حتى الماء والزاد، كانت خديجة في الشعب تقاسي ما يقاسيه زوجها وأقرباؤه على كبر سنها واضمحلال بنيتها. فلما فاءت قريش الى صوابها وخلت سبيل أولئك المجاهدين المجهودين، كان طول الحصار قد أضر بخديجة واخترم المرض جسمها فلم تعش الا قليلاً، وقضت لعشر خلون من رمضان من العام العاشر للبعثة، بالغة من العمر خمسة وستين عاماً، وقد دفنها الرسول بالحجون، وسوى عليها التراب بعد أن نزل قبرها وألقى عليها النظرة الأخيرة

وقضى الله أن يفقد الرسول بعد خديجة وفي نفس العام عمه أبا طالب، وهو الذي كان ينافح دونه ويتولى حمايته من عدوان أعدائه. فاجتمع على محمد في وقت واحد خطبان فادحان، ورزآن بالغان، ولكن لا شك في أن داخل رزئيه كان الأفدح، وباطن جرحيه كان الأدمى؛ لقد تهدم صرح سعادته المنزلية، وغدت الحياة مشغلة له في الداخل والخارج، على كثرة ما أعطاه الله في الداخل والخارج

***

كان محمد أكبر من أن ينسى لحسن احسانه، وأكرم من ألا يفي لحبيب صدقه الحب، وأصفاه الود، ولو باعدت بينه وبينه أطباق الثرى، وكذلك كان شأنه مع خديجة بنت خويلد، لقد وفى لها في حالي الحياة والموت، أحبها ولم يتزوج عليها في حياتها، فلما لحقت بربها لم تبرح صورتها خاطره، ولا فارق تذكرها لسانه، وهم يروون في ثنائه عليها ودوام تذكره لها أخباراً كثيرة. يروون أنه فضلها هي ومريم بنت عمران على نساء العالمين، وأنه بشرها ببيت في الجنة من قصب، لاصخب فيه ولا نصب، وأنه عند ما أرسلت اليه ابنته زينب بقلادة قلدتها اياها خديجة، لتفتدي بها زوجها سعد بن الربيع وكان قد أسر ببدر، رق النبي لذلك رقة شديدة، وطلب الى أصحابه أن يطلقوا لزينب أسيرها وما لها ففعلوا، وأنه كان اذا ذبح شاة تتبع صديقات خديجة يهدي

(البقية في أسفل الصفحة التالية)

# عُقبة على شاطئ المحيط

## للدكتور عبد الوهاب عزام

— ١ —

من القوم أوغلوا في البيداء ، يجوبون سيناء ، قد أغذوا السير ، وأقلوا الثير ؟

من القوم تسبح بهم الجمال ، في لجج الرمال ، وتغوص منهم الأشباح والظلال ، في غمرات الآل ، تسيل بهم الهضاب إلى الوهاد ، وتفيض بهم الوهاد إلى الهضاب ؛ لا يألون تأويباً وإدلاجاً ، ولا يشكون نصباً ولا كلالا ؟

من القوم ترى عزائمهم الغايات ، وتطوى هممهم السبل ، سيان عندهم البعيد والقريب ، والعسير واليسير ؟

من القوم تضيء بالإيمان قلوبهم ، وتقر على اليقين نفوسهم ، حداهم القرآن ، وغناؤهم الأذان ، رحالهم معابد ، ومنازلهم(١) مساجد ، قد شروا لله أنفسهم ، وأرخصوا في مرضاته أرواحهم ، ورضوا بما قسم لهم . وقد ساروا الشمس مغربين ، لا تصدهم الأهوال ، ولا تستردهم الأوطان ، كأنهم نجوم في حبك الأرض ، تسير بقدر إلى قدر ؟

***

العرب المسلمون يقودهم عمرو ، يتوجهون تلقاء مصر . رموا الباطل في جانب وسددوا إلى جانب ، وصرعوه في ميدان وهرعوا إلى ميدان ؛ وهدموا سلطان الروم والشام وصمدوا لسلطان الروم في مصر وأفريقية

بالأمس زحموا الصرح فانهار ، ونفخوا زخرف قيصر فطار ، وأشاروا إلى الصنم فسجد ، وخلى جبروته إلى الأبد . وضعوا سلطان هرقل ورفعوا سلطان الله ، وأقاموا الحرية في مصارع العبودية ، وشادوا العدل على مقاتل الجور

واليوم يتبعون الباطل المهزوم ، ويشردون الزور المذود . إنهم يؤمون مصر . ومصر أكرم على الله من أن تكون مباءة الباطل ومثوى الجبروت . إنهم يسرعون إلى مصر . فعفاء على الروم وسلطانهم ، وويل للباطل يدمغه الحق ، والظلم يصمد له العدل ، والاستعباد تثور به الحرية ، وويل للروم يسير إليهم العرب

— ٢ —

أترى البحر المائج ، واللج الهائج ؟ أترى السفن على الثبج راجفة ، والجموع فوقها واجفة ؟ أترى الموج يتلاطم ، والسفين يتصادم ، والجيوش ملتحمة ، والخناجر والسيوف مختصمة ؟ أترى جنداً يلوذون من حر الضراب الى برد الماء ، ومن ذل الاسار الى عار الفرار ، وجنداً ثبته اليقين فثبت ، وآثر الموت على العار فظفر ؟

واعجبا ! قد أصبح فرسان الصحراء أبطال الدأماء ، وصار حداة الإبل أمراء السفن ، جاوزوا الكثبان البيض إلى اللجج

(١) منازل الطريق

---

النهن منها ، وأنه كان لايكاد يخرج من منزله حتى يذكر خديجة ويثني عليها ، والحق أن دوام تذكره لها هاج غيرة عائشة وهي بعد آثر نسائه لديه ، وأجلهن ، وأصغرهن سناً . روى ابن الأثير باسناده الى عائشة أنها قالت : « كان رسول الله (ص) لايكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها . فذكرها يوماً من الأيام ، فأدركتني الغيرة ، فقلت : هل كانت الا عجوزاً فقد أبدلك الله خيراً منها . فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ، ثم قال : لا والله ما أبدلني الله خيراً منها ، آمنت إذ كفر الناس ، وصدقتني وكذبني الناس ، وواستني في مالها إذ حرمني الناس ؛ ورزقني الله منها أولاداً اذ حرمني أولاد النساء ، قالت عائشة : فقلت في نفسي لا أذكرها بسيئة أبداً »

***

تلك بالاختصار سيرة أول امرأة مسلمة ، وخير امرأة مسلمة يعرف فيها القارئ المثل الأعلى للمرأة زوجة ، وأما ، وعونا على جلائل الأمور في غير خروج على طبيعة الجنس ومواضعات الناس منذ صار الانسان إنسانا ؟

عبد الحميد العبادي

الخضر ، فاتخذوا السفين جياداً والبحر مراداً . وهل الابل الا سفن الصحراء ، وهل السفن إلا أفراس الماء ؟ فما استبدل هؤلاء إلا سفينة بسفينة وفرساً بفرس

وانها ، على ذلك ، لأحدى العبر : أبناء البادية ينازلون الروم فى الأساطيل . معاوية وابن أبى سرح يقاتلان قسطنطين ابن هرقل ، وقد جاءهم فى ستمائة سفينة تحمل جند الروم وتاريخ الروم ، وثارات الروم . وأعجب العجب أن يغلب الأسطول الرضيع الأسطول المكتهل ، أن يغلب ابن أبى سفيان ابن هرقل ، أن يغلب العرب الروم فى بحر الروم[1]

— ٣ —

ماجزيرة العرب ، وفارس ، والشام ومصر ، وما الهند والصين ، والمشرق والمغرب فى همة هذه الشمس الوهاجة ، وعزيمة تلك الكواكب السيارة . قد استقر سلطان القوم فى مصر فلم يقنعوا ، وهاهم قد غزوا برقة ورجعوا . أتحسب الأمد تطاول عليهم ، والشقة بعدت بهم فلوا أو خاروا ؟ تلبث قليلاً ثم انظر جيش العبادلة[2] يزحف الى افريقية فيظفر ثم يصالح . وما وراء الحرب والسلم الا المسير لاعلاء كلمة الله ، وبلوغ الغاية مما أرادوا فى سبيل الله

ويقف القوم سنين . وما هو الا الجمام للسير ، والتحفز للوثوب ، والاعداد للجهاد ، والتربث للتثبت . وعما قليل يطوون المغرب لا تعوقهم الفيافى المترامية ، ولا تصدهم الجيوش الجرارة . تنظر الغد . فما بلغ القوم الأمل الموعود ، ولا قاربوا الغاية المقدورة

— ٤ —

عشرة آلاف تطوى الأوطان والقطان فى سبيلها ، وتطأ الأهوال والأبطال الى غايتها ! عشرة آلاف وفى الناس واحد كألف

تجمعت فى فؤاده همم  ملء فؤاد الزمان احداها

عشرة آلاف قائدهم عقبة بن نافع قد عزموا ألا ينثنوا ، وصمموا ألا يهزموا ، وآلوا ألا يرجعوا ما اتسع الفتح لعزائمهم ، وامتدت الأرض لأقدامهم

ها هو ذا عقبة يبنى مدينة القيروان ، فعل الغازى المعمر والفاتح المقيم . وسيجعلها مبدأ السير وأول الفتح ، كأنهم ماقطعوا المهامه اليها ، ولا ساروا عن ديارهم قبلها

فى كل فج عزمهم سياز
الى الوغى تهافتوا وطاروا
جماعة ليس لهم ديار
الا ظهور الخيل والغبار

أرض الله ، وعباد الله : أينما توجهوا فهى أرضهم ، وحيثما حلوا فهى ديارهم . لا بعد عندهم ولا قرب ، ولا شرق ولا غرب .

« ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله »

ولكن عشرات آلاف من الروم والأفريق قد ساروا اليهم . لقد أعد الروم لهم ، وأزمعوا أن يحطموهم . فوارحمتاه للأمجاد القليلين ، والغرباء النازحين !

كلا لا خوف ولا حزن ، ولا قلة ولا كثرة . انظرهم يديرونها على عدوهم حرباً طاحنة ، ويلجئون الروم وأعوانهم من لظى النار الى سلاسل الأسار — ألوف من الروم مصفدون

أترى الكثرة أغنت ، أم ترى القلة قلت ؟ ذلك آخر عهد الروم بافريقية

— ٥ —

أين الجنود البواسل ، والعباد الغزاة ، والبداة الذين خرجوا ينشدون الحق ويردون الجبارين الى العدل ؟ انهم ليسوا فى برقة ولا افريقية . . . . هاهم فى أقصى المغرب ! هم اليوم فى طنجة ! بل هم فى إيسوس . لقد انتهوا الى الساحل ، لقد انتهت الأرض وأسفا للجواد المتمطر لا يجد مجالاً ، والعزم المحضير لا يجد مضطرباً . قد بلغوا البحر فكيف المسير ؟ وفتحوا ما بين المدينة المنورة ، وبحر الظلمات فأنى الفتح ؟

انظر عقبة تضيق بعزمه الأرض ، وتصغر فى عينه الأقطار ، فيدفع جواده فى البحر ويصيح :

« والله لو علمت وراءه أرضاً لسرت غازياً فى سبيل الله »[1]

( بغداد ) عبد الوهاب عزام

(١) إشارة إلى موقعة السواري سنة ٣١ هـ

(٢) جيش غزا إفريقية وفيه أبناء أبى بكر وعمر وعمرو والزبير وأبو ذؤيب الشاعر

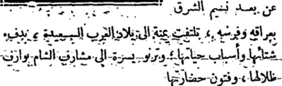
(١) روى بعض المؤرخين أن عقبة قال هذا حينما بلغ شاطىء المحيط الأطلسى

# صداقة تدين التاريخ

« ألا إن لنا قلوبا »

للاستاذ أمين الخولى

— ١ —



فى واد مشرق السماء، جهم الأديم ، تضطجع بين الجبال، على سيف الصحراء ، تلك العذراء المنيعة « مكة » ؛ تكاد تنال باحدى يديها مياه « القلزم » ؛ حين تنسم عن بعد نسيم الشرق بعراقه وفرسه ، تلتفت عنه الى بلاد الغرب البسيطة ، يدفىء شتاءها وأسباب حياتها، وترنو يسرة الى مشارف الشام وارف ظلالها، وفتون حضارتها

فى واد غير ذى زرع حول البيت المحرم ، منذ بضعة عشر قرناً كانت تخفق القلوب وجلة ، وتختلج النفوس متطلعة ، ويشيع فى أولى الألباب تشوف وتلهف ، استحال اضطراباً اجتماعياً ، وثوراناً روحياً ، على قديم لا يرضى العقل ، ولا يسعد القلب ، حتى هب نشاط أناسى منهم الى انتجاع ذلك الجديد بالرحلة اليه ، والنقلة فى سبيله ، مثلما تلتمس أسباب الرفاهة الحيوية ، من أعراض التجارة وحطام الدنيا

— ٢ —

فى ذلك العهد الحائر ، كان سيدان من سادات قريش ، قد اكتملت لهما بسطة من الجسم والحلم ، وظفرا بوفر من الحسب والكرم ، حين سعدا بأخلاق تشابهت فى السمو ، حتى تلاقت فيهما نعوت الواصفين : لا يعيشان لأنفسهما ، ولا يفكران فى ذواتهما . انما هم أحدهم ظلم يرفع ، وحاجة تدفع ، ومعونة على الدهر ، أو اصطلاع باصلاح اذا كشر الشر

كانا فى سن متقاربة ، لا تقول هما لدان ، ولكنهما متقاربان ، سبق أكبرهما صاحبه الى هذه الدنيا بعامين وشىء من الأيام كانا يضربان فى حياة تشابهت وديانها ، وإن تخالفت ألوانها ، الكبير تاجر يصرف الدراهم والدنانير ، حين كان الأكبر يرعى الشاء ويدبر البعير ، على هينة فى ذلك وقلة عناية

توثقت بينهما صداقة عريقة ، حين كان الأكبر يشارف الأربعين ، قد بقى له من عدها عام ، والكبير يمدعنها بخطوات ثلاث وعدة أيام ؛ فلهما الشباب المكتمل ، والعقل المتزن . وما كانت بينهما هذه الصداقة الا عن تآلف نفس ، وتمازج روح ؛ والا ففيم يتقاربان ، والكبير يعرف من سبل الكسب وطرق الثراء ، ما وراء أفق البادية الجديب ، ويختلف الى اليمن والشام يثرى ويربح ، على حين ينصرف الأكبر عن المال والنشب ، قليل الكد فى سبيلهما ، زاهداً فى أسبابهما ؛ يعتزل الناس فريداً ويتحنث وحيداً ، يسائل الشمس والقمر ، ويستنطق الريح والصخر ، أى شىء هذا ؟ وفيم العناء ؟ والام المسير ؟ وأين الثواء ؟ هذه حالها حين ربطت بينهما تلك الصداقة ؛ فما إن نشك فى أن هذا الصديق كان يشاطر صديقه هذا التساؤل ، ويبادله ذلك التفهم ؛ وان وقف فى ذلك دونه ، لا يتكشف له من الآفاق ما يستشرف له الأكبر ، ويطالعه فى قوة روح آلف لهذا وأقدر

— ٣ —

تعارفا وتآلفا ؛ وما هو الا عام حتى ظهر النور الأنضر ، وجاء الفتح الأكبر . وأسر الصديق الى صديقه أنه قد همس فى أذنه ، وألقى فى روعه ، وتفتحت له جنبات السماء ، وانه لحدثه عنها حديث الرائى المشاهد . فاذا الكبير على الفه ؛ يرى بعين الأكبر ، يستشف ما فى روحه ، ويجد فى قلبه صورة ما تنطوى عليه جوانحه ، فيؤمن معه أو يؤمن به ؛ واذا حياتهما قد صارت إيماناً ، حار الأنفاس ، ملتهب الاحساس ، متصل الأسباب بالحق الأعظم ، فزاد ما بينهما قرباً أو اتحادا ، وصارت صداقتهما على ما اشتهى الواثقون بطهر الانسانية ومعنوية الحياة ؛ اذا ما قال الأكبر أنت أحب الرجال الى ، قال الكبير أنت الى أحب الناس

— ٤ —

اضطلع الأكبر ببعثه أمام الدهر ؛ وخرج يدفع الانسانية دفعاً ، ويدير الحياة فى غير مدارها ، ويخط مستقبل التاريخ ، وما أشق وأهول !

اذا ما أقبل النهار، وارتفعت الشمس، خرج يرى لنفسه، ويتلطف لأمره، بين بدو همل هائمين، وعتاة فيهم مأفونين، يناديهم أنه قد حل اللغز الأعقد؛ وظفر بالمجد الأوحد، اتصل من الله بسبب، ووقف من السماء بمنال، ويهجو آلهتهم، ويسفه أحلامهم.. فأي سخرية يلقى، وأي عناء يواجه، وبأى نقيصة يعترف... هو كاهن، وساحر، وشاعر، ومجنون، وممسوس، وكذاب و و...

فاذا ما كاد يبخع نفسه أن لم يؤمنوا؛ واذا ما ذهبت نفسه حسرات عليهم، تلفت فاذا صورة نفسه قائم الى جانبه، يواسيه ويرفه عنه، يمسح عن قلبه أوضار الألم، وقذائف التهم، حين يطب لجروح قد أسالتها أحجار المغترين وقذائف السفهاء المحمولين عليه، وما يزال كذلك حتى يسلمه في الليل الى تلك الزوجة الأمينة الرزينة، التي فهمت عنه حين جهله الناس. واطمأنت اليه حين أنكره الناس.. فهو منهما في ألفة وطمأنينة. والنفس بالصديق، آنس منها بالعشيق..

وكانت احن ونحن طالت بضعة عشر عاماً، فقد فيها الأكبر تلك الزوج، فكان نهاره وليله لصديقه الصدوق، وعنده انتهت مؤانسته، حين كان الهم يزداد والعناء يشتد

وخشى القوم خطر تلك الدعوة الدائبة، وهاتيك المهاجة المصابرة، فزادوها قسوة وتنكيلا، وأشبعوا من نصرها ألماً وتعذيبا، فاذا الصديق يفي لأنصار صديقه وفاءه له: يجد في انقاذهم، ويسعى في تحريرهم، باذلاً في ذلك ما ادخر وأثل؛ فاذا عتقاؤه منهم سبعة نفر... ولقد أدركت ولا مراء، أنه لن يكون الا الأعز... أبا بكر

— ٥ —

هدان هما، قد نبا بهما المقر، وأجمع الناس كيدهم، فهو الموت والدم بدد، والثأر ضائع؛ لكن الصديق أبداً مخلص، هو ظله حيث سار ورده فيما يرى لنفسه؛ وعفاء على الأهل والمال والولد والوطن، يخليها جميعاً ويخرج من الدنيا بصديقه... الى التيه، الى الشرود، الى المغامرات، الى الكهوف والغيران، الى الجوع والعذاب، الى الدرك والمحاق، الى الموت، الى كل كريهة؛ ماهي الا المحببة حين يريدها الصديق. وما أجله وأنبله حين أنزله الغار فلم يخف، وحسبك أنه انما يقول له: «لا تحزن ان الله معنا»؛ وما ظنك باثنين الله ثالثهما.. أجل لقد كانا كذلك انفراداً في الغار، كما كانا انفراداً في صداقة وولاء ووفاء

— ٦ —

رافقه الى مأمنه؛ ولازمه في مهاجره، وتنفست الدنيا، وانبلج صبح الفوز، فظل له كما كان يوم عرفه قبل مبعثه، يبذل له قواه وروحه، كما يبذل له اخلاصه وبره؛ يحمل اليه فلذة كبده، يضعها في حجره، فتكون رسالة من قلب الى قلب، وتمسى في النساء قرة عينه كما كان في الرجال أبوها له؛ يبذل له ماله، وما المال في ذلك كله؟ وأي شيء أربعون ألف درهم خرج من دنياه لا يعرف منها مكان درهم؟ يلازمه في حربه وسلمه، وصحته ومرضه، حتى تأذن الله له بالنصر، وأتم الرسول عليه السلام ما ندب له من حادث في مسير الدنيا، ومستقبل الكون، فاذا ذلك كله في التاريخ يعرف يد تلك الصداقة

— ٧ —

وخرج الرسول عليه السلام من دنياه، فتصدع الأساس، وانشعب الأمر؛ ارتدت الجزيرة، واضطرب الباقون في قمع الخارجين... لكن الصديق النبيل الجليل قائم، يصل من وراء القبر روح صديقه، ويحسه قائماً الى جانبه، فاذا هو جيش وحده، واذا هو أمة وحده، واذا هو الاسلام كله حين يقول لهم جميعاً: أيها الناس! لو أفردت من جمعكم لجاهدتهم في الله حق جهاده، حتى أبلغ من نفسي عذراً أو أقتل مقتلاً... فسارع الكل وظفر الاسلام

قرت الدولة، وانبسط السلطان، وأينعت الحضارة، وسعدت الانسانية، وشهد التاريخ، فاذا ذلك كله يعرف ولا غرو دين تلك الصداقة

— ٨ —

بني الشرق: ان السيوف قد استحالت في أيدينا خشبا. والمدافع قد أمست مواقيت للطعام وتلاهى للأعياد، والجو من فوقنا، والأرض من تحتنا، والبحر من حولنا، ليس من ذلك شيء لنا، لكنا ولا غرو نحتاز نفوسا، ونملك قلوباً موصولة السبب بتلك القلوب، فلو عرفت الايمان لعشقت المجد، ولو أحست الوفاء لنالت أسباب السماء، ولو وجدت من تلك الصداقة لنصرت دينا، وبنت دولة، ودانت التاريخ...

فهل تذكرون؟

أمين الخولي

# درس من النبوة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قالوا: إنه لما نصر الله تعالى رسوله وردّ عنه الأحزاب وفتح عليه قُرَيْظة والنَّضير (١) ظن أزواجُه صلى الله عليه وسلم أنه اختص بنفائس اليهود وذخائرهم وكنَّ تسعَ نسوة: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة، وسَوْدة، وأم سَلَمة، وصفية، وميمونة، وزينب وجُوَيْرِية؛ فقعدن حوله وقلن: يا رسول الله، بناتُ كسرى وقيصر في الحَلْي والحُلَل والإماء والخَوَل، ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق. وآلمْنَ قلبَه بمطالبتهن له بتوسعة الحال وأن يعاملهن بما تعامل به الملوكُ وأبناء الدنيا أزواجَهم؛ فأمره الله تعالى أن يتلو عليهن ما نزل في أمرهن من تخييرهن في فراقه، وذلك قوله تعالى: «يا أيها النبيُّ قل لأزواجك إن كنتن تُردن الحياةَ الدنيا وزينتَها فتعالَيْنَ أُمتِّعْكُنَّ وأُسرِّحْكن سَراحاً جميلا (٢). وإن كنتن تُردن اللهَ ورسولَه والدارَ الآخرةَ فإن الله أعدَّ للمحسنات منكن أجراً عظيما»

قالوا: وبدأ صلى الله عليه وسلم بعائشة (وهي أحبهن إليه) فقال لها: إني ذاكرٌ لك أمراً ما أُحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك. قالت: ما هو؟ فتلا عليها الآية. قالت: أفيك أستأمر أبويَّ؟ بل أختارُ اللهَ تعالى ورسوله

ثم تتابعن كلهن على ذلك، فسماهن الله «أمهاتِ المؤمنين» تعظيما لحقهن وتأكيداً لحرمتهن وتفضيلاً لهن على سائر النساء.

* * *

هذه هي القصة كما تُقرأ في التاريخ وكما ظهرت في الزمان والمكان، فلنقرأها نحن كما هي في معاني الحكمة، وكما ظهرت في الإنسانية العالية، فسنجد لها غَوْراً بعيداً ونعرف فيها دلالةً سامية، ونتبين تحقيقاً فلسفياً دقيقاً للأوهام والحقائق. وهي قبل كل هذا ومع كل هذا تنطوي على حكمة رائعة لم يتنبه لها أحد، ومن أجلها ذُكرت في القرآن الكريم، لتكون نصًّا تاريخياً قاطعاً يدافع به التاريخ عن هذا النبي العظيم في أمر من أمر العقل والغريزة؛ فإن جهلةَ المبشرين في زمننا هذا وكثيراً من أهل الزيغ والإلحاد وطائفةً من قصار النظر في التحقيق يزعمون أن محمداً صلى الله عليه وسلم إنما استكثر من النساء لأهواء نفسية محضة وشهواتٍ كالشهوات؛ ويتطرَّقون من هذا الزعم إلى الشبهة، ومن الشبهة إلى سوء الظن، ومن سوء الظن إلى قبح الرأي، وكلهم غبي جاهل؛ فلو كان الأمر على ذلك أو على قريب منه أو نحو من قريبه، لما كانت هذه القصة التي أساسُها نفي الزينة وتجريد نسائه جميعاً منها، وتصحيحُ النيَّة بينه وبينهن على حياة لا تحيا فيها معاني المرأة، وتحت جوٍّ لا يكون أبداً جوَّ الزهر... وأمرُه من قِبَل ربه أن يخيرهن جميعاً بين سَراحهن فيكنَّ كالنساء ويجدن ما شئن من دنيا المرأة؛ وبين إمساكهن فلا يكنَّ معه إلا في طبيعة أخرى تبدأ من حيث تنتهي الدنيا وزينتُها

فالقصة نفسها ردٌّ على زعم الشهوات، إذ ليست هذه لغةَ الشهوة ولا سياسةَ معانيها ولا أسلوبَ غضبها أو رضاها. وما هُنا تمليقٌ ولا إطراء ولا نعومةٌ ولا حرصٌ على لذة ولا تعبير بلغة الحاسة؛ والقصةُ بعدُ مكشوفة صريحة ليس فيها معنى ولا شبهُ معنى من حرارة القلب، ولا أثر ولا بقيةُ أثر من ميل النفس، ولا حرف أو صوت حرف من لغة الدم. وهي على منطق آخر غير المنطق الذي تُستمال به المرأة؛ فلم تقتصر على نفي الدنيا وزينة

(١) هما حيان من أحياء اليهود بالمدينة، وكان ذلك في أواخر سنة خمس للهجرة

(٢) السراح: الطلاق ومتعة الطلاق ما تعطاه المطلقة — وهو مختلف حسب السعة والاقتار

الدنيا عنهن ، بل قتت الأمل فى ذلك أيضاً إلى آخر الدهر وأماتت معناه فى نفوسهن بقصر الإرادة منهن على هذه الثلاثة : الله فى أمره ونهيه ، والرسول فى شدائده ومكابدته ، والدار الآخرة فى تكاليفها ومكارهها . فليس هنا ظرف ولا رقة ولا عاطفة ولا سياسة لطبيعة المرأة ، ولا اعتبار لمزاجها ولا زُلفى لأنوثتها ؛ ثم هو تخيير صريح بين ضدين لا تتوسط بينهما حالةٌ تكون منهما معاً ، ثم هو عام لجميع زوجاته لا يستثنى منهن واحدة ولا أكثر

والحريص على المرأة والاستمتاع بها لا يأتى بشىء من هذا ، بل يخاطب فى المرأة خيالها أولَ مايخاطب ، ويُشبعه مبالغةً وتأكيداً ويُوسعه رجاء وأملا ، ويقرب له الزمن البعيد حتى لو كان فى أول الليل ، وكان الخلاف على الوقت لحقق له أن الظهر بعد ساعة .

* * *

وبرهان آخر وهو أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يتزوج نساءه لمتاع مما يمتع الخيالُ به ، فلو كان وضعُ الأمر على ذلك لما استقام ذلك إلا بالزينة وبالفن الناعم فى الثوب والحلية والتشكل كما ترى فى الطبيعة الفنية ، فإن الممثلة لا تمثل الرواية إلا فى المسرح المهيأ بمناظره وجوّه . . . وقد كان نساؤه صلى الله عليه وسلم أعرف به ؛ وها هو ذا ينفى الزينة عنهن ويخيرهن الطلاق إذا أصررن عليها . فهل ترى فى هذا صورة فكر من أفكار الشهوة ؟ وهل ترى إلا الكمال المحض ؟ وهل كانت متابعةُ الزوجات التسع إلا تسعةَ برهانات على هذا الكمال ؟

وكأن النبى صلى الله عليه وسلم يلقى بهذه القصة درساً مستفيضاً فى فلسفة الخيال وسوء أثره على المرأة فى أنوثتها ، وعلى الرجل فى رجولته ، وأن ذلك تعقيد فى الشهوات يقابله تعقيد فى الطبع ، وكذبٌ فى الحقيقة ينشأ عنه كذب الخلق ، وأنه صرفٌ للمرأة إلى حياة الأحلام والأمانى والطيش والبطر والفراغ ، وتعويدُها عادات تفسد عاطفتها وتضيف إليها التصنع فتُضعف قوتَها النفسيةَ القائمة على إبداع الجمال من حقيقتها لا من مظهرها ، وتحقيق الفائدة من عملها لا من شكلها

وكل محاسن المرأة هى خيالٌ متخيل ولا حقيقة لشىء منها فى الطبيعة ، وإنما حقيقتها فى العين الناظرة إليها فلا تكون امرأةٌ فاتنةً إلا للمفتون بها ليس غير . ولو ردّت الطبيعة على من يُشَبِّب بامرأة جميلة فيقول لها : هذه محاسنك وهذه فتنتك وهذا سحرك وهذا وهذا ؛ لقالت له الطبيعة : بل هذه كلها شهواتك أنت[1] . . . .

وبهذا يختلف الجمال عند فقد النظر فلا يفتنه جمال الصورة ولا سحر الشكل ولا فراهة المنظر ، وإنما يفتنه صوت المرأة وتجسُّها وروائحها . فلا حقيقة فى المرأة إلا المرأةُ نفسُها ؛ ولو أخذتْ كل امرأة على حقيقتها هذه لما فسد رجل ولا شقيت امرأة ، ولانتظمت حياة كل زوجين بأسبابها التى فيها . وذلك هو المثل المضروب فى القصة

يريد النبى صلى الله عليه وسلم ليعلم أمته أن حَيْفَ الغريزة على العقل إفسادٌ لهذا العقل ، وأنه متى أخذت المرأة لحظ الغريزة واختيارها كانت حياتها استجابةً لجنون الرجل ، وملأتها معانى التزيد والتصنُّع ، فيوشك أن ينقلها هذا عن طبيعتها السامية التى أكثرها فى الحرمان والإيثار والصبر والاحتمال ، ويردَّها إلى أضداد هذه الصفات فيقوم أمرها بعدُ على الأثرة والمصلحة والتفادى والضجر والتبرم والإلحاح والإزعاج ، ويضعف معنى السلب الراسخ فى نفسها من أصل الفطرة فيتبدل حياؤها وفى الحياء ردها عن أشياء ، ويقل إخلاصها وفى الإخلاص رد لها عن أشياء أخرى ، ويكثر طمعها وفى قناعتها مُحاجَزَةٌ بينها وبين الشر

وبهذا ونحوه يفسد ما بين الرجل والمرأة المتصنعة ؛ فإذا كثر المتصنعات لا يكون من النساء مشاكل فقط ، بل تكون من حُلول المشاكل معهن مشاكلُ أخرى . . . .

* * *

ولُبابُ هذه القصة أن النبى صلى الله عليه وسلم يجعل نفسه فى الزواج المثل الشعبى الأكمل كما هو دأبه فى كل صفاته الشريفة ،

(١) بسطنا هذا المعنى فى كثير مما كتبناه وخاصة فى كتاب : ( السحاب الأحمر )

فهو يريد أن تكون زوجاته جميعاً كنساء فقراء المسلمين ليكون منهن المثل الأعلى للمرأة المؤمنة العاملة الشريفة التي تبرع البراعة كلها فى الصبر والمجاهدة والإخلاص والعفة والصراحة والقناعة ، فلا تكون المرأة زينةً تطلب زينة لتتم بها فى الخيال ، ولكن إنسانية تطلب كمالها الإنسانى لتتم به فى الواقع

وهذه الزينة التى تتصنع بها المرأة تكاد تكون صورة المكر والخداع والتعمُّد ، وكلما أسرفت فى هذه أسرفت فى تلك ، بل الزينة لوجه المرأة وجسمها سلاح من أسلحة المعانى كالأظافر والمخلب والأنياب ، غير أن هذه لوحشية الطبيعة الحية المفترسة ، وتلك لوحشية الغريزة الحية التى تريد أن تفترس . ولا تنكر المرأة نفسها أن الزينة على جسمها ثرثرة طويلة تقول وتقول وتقول .

* * *

وإنما يكون أساسُ الكمال الإنسانى فى الإنسان العامل المجاهد لا يحصر نفسه فى شىء يسمى متاعاً أو زينة ، ولا يقدر نفسه بما يجمع لها أو بما يجمع حولها ، ولا يعتدُّ ما يكون من ذلك إلا كالتعبير من عمل الشهوات عن الشهوات . ونبينا صلى الله عليه وسلم هو الغاية فى هذا ، دخل عليه مرة عمر بن الخطاب فإذا هو على حصير وعليه إزاره وليس عليه غيره ، وإذا الحصير قد أثر فى جنبه . قال عمر : وإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ، وإذا إهابٌ معلق[1] ، فابتدرتْ عيناى ، قال : ما يبكيك يا ابن الخطاب ؟ قال عمر : يا نبى الله ومالى لا أبكى وهذا الحصير قد أثر فى جنبك ، وهذه خزائنك لا أرى فيها إلا ما أرى ، وذاك كسرى وقيصر فى الثمار والأنهار وأنت نبى الله وصفوته وهذه خزائنك[2] ؟

وجاء مرة من سفر فدخل على ابنته فاطمة رضى الله عنها فرأى على بابها ستراً وفى يديها قُلْبين من فضة[3] فرجع ، فدخل عليها أبو رافع وهى تبكى فأخبرته برجوع أبيها ، فسأله فى ذلك فقال صلى الله عليه وسلم : من أجل الستر والسِّوارين

فلما أخبرها أبو رافع هتكت الستر[1] ونزعت السوارين فأرسلت بهما بلالاً إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقالت قد تصدقتُ به فضعه حيث ترى . فقال لبلال : إذهب فبعه وادفعه إلى أهل الصُّفة[2] . فباع القُلْبين بدرهمين ونصف ( نحو ثلاثة عشر قرشاً ) وتصدق به عليهم

يا بنت النبى العظيم ! وأنت أيضاً لا يرضى لك أبوك حلية بدرهمين ونصف وإنّ فى المسلمين فقراء

أى رجل شعبى على الأرض كمحمد صلى الله عليه وسلم فيه للأمة كلها غريزةُ الأب ، وفيه على كل أحواله اليقينُ الذى لا يتحول ، وفيه الطبيعةُ التامة التى يكون بها الحقيقُ هو الحقيق

يا بنت النبى العظيم ! إن زينةً بدرهمين ونصف لا تكون زينة فى رأى الحق إذا أمكن أن تكون صدقةً بدرهمين ونصف . إن فيها حينئذ معنى غير معناها ؛ فيها حقُّ النفس غالباً على حق الجماعة ؛ وفيها الإيمان بالمنفعة حاكماً على الإيمان بالخير ؛ وفيها ما ليس بضرورى قد جاز على ما هو الضرورى ؛ وفيها خطأ من الكمال إن صح فى حساب الحلال والحرام لم يصح فى حساب الثواب والرحمة

تعالوا أيها الإشتراكيون فاعرفوا نبيكم الأعظم . إن مذهبكم ما لم تُحيِه فضائلُ الإسلام وشرائعه ، إن مذهبكم لكالشجرة الذابلة تعلقون عليها الأثمار تشدونها بالخيط . . . كل يوم تحلون وكل يوم تربطون ولا ثمرة فى الطبيعة

* * *

ليست قصة التخيير هذه مسئلةً من مسائل الغنى والفقر فى معانى المادة ، ولكنها مسئلة من مسائل الكمال والنقص

---

(١) كيس من جلد كالذى يتخذه العرب وعاء

(٢) الروايات من مثل هذا كثيرة عنه صلى الله عليه وسلم وقد بسطنا فلسفة هذه المعانى فى مقال ( سمو الفقر ) من مقالاتنا فى الرسالة

(٣) القلب بالضم سوار من الفضة غير ملوى هو الذى يقال له اليوم ( الغويشة ) وهو خفيف

(١) أى مزقته ؛ وكذلك رأى مرة ستراً على باب عائشة رضى الله عنها فهتكه وقال : كلما رأيته ذكرت الدنيا . أرسلى به إلى آل فلان

(٢) الصفة الغرفة وأهل الصفة هم فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه فكانوا يأوون إلى موضع مظلل فى مسجد المدينة يسكنونه

فى معانى الروح ؛ فهى صريحة فى أن النبى صلى الله عليه وسلم أستاذ الإنسانية كلها ، واجبه أن يكون فضيلة حية فى كل حياة ؛ وأن يكون عزاء فى كل فقر ، وأن يكون تهذيباً فى كل غنى ، ومن ثم فهو فى شخصه وسيرته القانون الأدبى للجميع

وكأنه صلى الله عليه وسلم يريد ليعلّم الأمة بهذه القصة أن الجماعات لا تصلح بالقوانين والشرائع والأمر والنهى ، ولكن بعمل عظمائها فى الأمر والنهى ، وأن الحاكم على الناس لا ينبغى أن يحكم إلا إذا كان فى نفسه وطبيعته يحس فتنة الدنيا إحساس المتسلط لا الخاضع ، ليكون أول استقلاله استقلال داخله

فليس ذلك فقراً ولا زهداً كما ترى فى ظاهر القصة ، ولكنها جرأة النفس العظمى فى تقرير حقائقها العملية

***

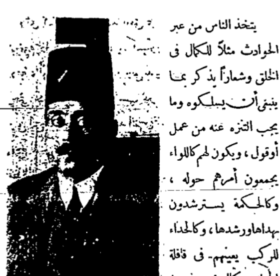
وتنتهى القصة فى عبارة القرآن الكريم بتسمية زوجاته صلى الله عليه وسلم « أمهات المؤمنين » بعد أن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة . وعلماء التفسير يقولون إن الله تعالى كافأهن بهذه التسمية ؛ وليس ذلك بشىء ولا فيه كبير معنى ، وإنما تشعر هذه التسمية بمعنى دقيق هو آية من آيات الإعجاز ، فإن الزوجة الكاملة لا تكمل فى الحياة ولا تكمل الحياة بها إلا إذا كان وصفها مع رجلها كوصف الأم ترى ابنها بالقلب ومعانيه لا بالغريزة وحظوظها . فكل حياة حينئذ ممكنةُ السعادة لهذه الزوجة ، وكل شقاء محتملٌ بصبر ، وكل جهاد فيه لذته الطبيعية ، إذ يقوم البيت على الحب الذى هو الحب الخالص لا المنفعة ، وتكون زينة الحياة وجود الحى نفسه لا وجود المادة ، وتبنى النفس على الوفاء الطبيعى كوفاء الأم ، وذلك خلق لا يعسر عليه فى سبيل حقيقته أن يتغلب على الدنيا وزينتها

وآخر ما نستخرج من القصة فى درس النبوة هذه الحكمة : بحسب المؤمن إذا دخل داره أن يجد حقيقة نفسه الطيبة وإن لم يجد حقيقة كسرى ولا قيصر ؟

( طنطا ) مصطفى صادق الرافعى

# عظـــة الهجرة

## للاستاذ عبد الرحمن شكرى



يتخذ الناس من عبر الحوادث مثلاً للكمال فى الخلق وشعاراً يذكر بما ينبغى أن يسلكوه وما يجب التنزه عنه من عمل أوقول ، ويكون لهم كاللواء يجمعون أمرهم حوله ، وكالحكمة يسترشدون بهداها ورشدها ، وكالحداء للركب يعينهم فى قافلة الحياة ، وكالرمز يرجعون الى مدلوله فى كل أمر حازب ، وكالعماد يعتمدون على قوته وعونه ، وكالامام يأتمون به

وقد لا يستطيع المرء فى كل حال من أحوال الحياة ألا يزايل شعاره ، فقد تخونه نفسه أو تخونه الحوادث فيسلك مسلكاً لا يشاكل شعاره ، ولكن المرء بخير اذا لم يمزق شعاره يأساً من أجل عجز عارض لا يلبث أن يزول ؛ والمرء بخير أيضاً مهما تعددت سقطاته عن شعاره ومثله ما دام له مثل يأتم به فى فعله وقوله ؛ واذا كان اتباعه له فى القول أكثر من اتباعه له فى الفعل ، فهذا أيضاً خير من ألا يكون له مثل يقدسه ، وله فى نفسه أثر قل أو كثر

وفى الهجرة النبوية لنا مثل وشعار ورمز اذا اعتبرنا بأسبابها وحوادثها ؛ وهو رمز ذو معنيين : معنى فيما ينبغى أن نتجنبه من مشابهة المشركين فى اضطهاد الحق والعقيدة النفسية والفكرة التى تنبعث منها ، ومعنى فيما ينبغى أن نتخلق به من الائتمام بالنبى صلى الله عليه وسلم فى اباته مزايلة الحق وصونه ، وفى نصرته بالرغم من اضطهاد وضيق ، وفى الاعتماد على الله فى الشدة

ولكل من المعنيين فى الحياة شواهد وأمثلة وأمور تستدعى

ذكرى الهجرة النبوية وذكرى حوادثها الجليلة

ولو استطعنا أن نذكرها في كل أمر من أمور الحياة كان ذكرها خيراً من ذكرها في تاريخ واحد معين ، على ما في ذكرها في هذا التاريخ الواحد المعين من خير وفضل وحمد

أي الناس لا يضطهد الحق في أمور كثيرة من الأمور اليومية إذا كان في اضطهاده اياه كسباً ورزقاً ، أو ثناء وحمداً ، أو راحة ودعة ، أو ارضاء عزيز ، أو زلفى لدى كبير مسيطر محكم عليه ؛ وحتى عند تخيل نيل الكسب غير المحقق نيله ، وعند الأمل في الزلفى التي قد تخيب ، يضطهد الناس الحق في أمور الحياة وروحهم روح المشركين ولفظهم لفظ المؤمنين . ثم هم قد يعدمون حتى لفظ المؤمنين فلا يكون لهم من الايمان إلا اسمه . هؤلاء لم يتعظوا بعظة الهجرة ، ولم يتنزهوا عن الروح التي اضطهد المشركون بها النبي صلى الله عليه وسلم . وأمثال هؤلاء لا ينتفعون باحياء ذكرى الهجرة النبوية مهما اشتغلت أبدانهم باحيائها من غير أن تشتغل قلوبهم بعظتها ، ومن غير أن تتنزه نفوسهم عن مشابهة المشركين في اضطهاد الحق

يقول المسيحيون : إن كل من يضطهد الحق في أمر من أمور الحياة يضطهد عيسى عليه السلام ، ويعين أعداءه عليه ، ويعادي روح الحق الذي جاء به ؛ ونحن نقول مثل هذا القول عند ذكرى الهجرة النبوية وهي ذكرى اضطهاد المشركين للحق الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، فكل من يضطهد الحق في أمر من أمور الحياة يضطهد روح الحق الذي جاء به النبي الكريم سواء أكان اضطهاد الحق في أمر من أمور الحياة طمعاً في مغنم أو في دعة أو صداقة أو زلفى

وخير شعائر الدين ومواسمه وأعياده وذكره وتواريخه الجليلة مثل تاريخ الهجرة هو في أن يحول بين المرء وبين عادته في قلب الفروض الخلقية الى مسميات يحسب ترددها على لسانه عقيدة وايماناً ، وما هو بايمان اذا كان لا يجتنبها ، واذا كان يشارك المشركين ويشابههم في اضطهاد الحق طمعاً في مغنم أو دعة أو صداقة أو زلفى ، فيعادي الصدق في القول والعمل والعدل فيهما أيضاً ، ويعادي الوفاء ومكارم الأخلاق ، وهو اذا عاداها كان معادياً للحق الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو المعنى الأول الذي نعتبر به في احياء ذكرى الهجرة النبوية ؛ والمعنى الثاني متصل به وهو قوة وعماد نصر ، وهو الاعتماد على الله كما في الآية الكريمة التي وردت في حديث الهجرة : ( ان الله معنا )

كنت في بعض الأحايين أزور صديقاً لي من عادته اذا اتخذ شعاراً أن يكتبه في لوح كبير ويضعه أمامه ويذكر نفسه به ، وكنت أرى على جدران منزله هذه الآية الكريمة مكتوبة بخط جميل في لوح كبير ، وكان كلما دهمه أمر وكرثه خطب وأحس أنه لا يكاد يقوى على احتماله ينظر الى هذه الآية الكريمة فيقوى بها على المصائب ، وكانت له عوناً كبيراً في الحياة ؛ وهذا من فضل احياء ذكرى الهجرة النبوية ، ومن فضل الائتمام بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وطوبى لمن يستطيع مهما نالت منه المصائب أن يقول : ( إن الله معنا ) ، وطوبى لمن روض نفسه على الحق والعدل والصدق في القول والعمل ، وتنزه عن روح الاشراك ومعناه كما يتنزه عن لفظه واسمه ، وجعل عظات الهجرة شعاراً له في كل أمر من أمور الحياة ؛ بل طوبى للانسانية لو أن كل انسان أخذ بروح من تلك العظات ولم يجعل الغيرة على الحق والعدل حبائل كسب لا حقيقة لها في نفسه ، ولم يجعل الفروض الخلقية مسميات يتباهى بترديدها . لقد حدثت نفسي فقلت ماذا كان يكون لو أن النبي صلى الله عليه وسلم قد رجع الى هذه الحياة الدنيا كي يرى روح الحق الذي جاء به ، ولكي يقيم الحجة على الناس . هب أنه لم يذكر لهم اسمه وشاء أن يعرف كيف يلقون الحق في شخصه من غير أن يعرفهم بنفسه . إنهم كانوا يرون رجلاً دأبه الحق والصدق والقصد والعدل في القول والعمل ، وأنهم كانوا يرون رجلاً يطلب منهم كل هذه الصفات في أمور حياتهم وهو مطلب يثقل على نفوس الناس ، وهم دنيويون يريدون من الصفات ما شابهها في المظهر وخالفها في الحقيقة ، ويريدون المكسب والجاه من أي وجه وبأية وسيلة ، فماذا كانوا يصنعون لو أنهم لم يعرفوا أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يريد منهم روح الحق . أكبر الظن أن مأساة اضطهاد الأولين له كانت تتجدد ، وأكبر الظن أننا كنا نرى هجرة ثانية مثل الهجرة الأولى ، ولكنها ليست هجرة على التخصيص من مكة الى يثرب

عبد الرحمن شكري

# مصر تحمى الاسلام والمدنية
## فى عين جالوت

للاستاذ محمد فريد أبو حديد

استهل القرن السابع الهجرى (وذلك فى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى) وقد تراءى الى القاهرة نبأ النضال الدموى الذى ثار فى الشرق فيما بين نهرى سيحون وجيحون بين جنود التتار وبين جنود الملك محمد خوارزم شاه؛ وكان المسلمون الى ذلك العهد لا يعرفون للتتار دولة ذات خطر، فانهم انما كانوا يعرفون قوماً من البدو يعيشون فى فيافى الشرق التى تمتد الى اكناف الصين طالما حاربتهم جيوش المسلمين فلم يجدوا فى بلادهم مطمعاً، اذ كان هؤلاء الحفاة كلما أوقع بهم جند الاسلام وقعة لاذوا بكبد الصحراء يضربون فيها ويبعدون فلا يجد قواد المسلمين لهم مدنا ولا ريفاً، ولا يستطيعون أن يقبضوا منهم على ناصية. فاذا القرن السابع الهجرى يحمل معه اجتماعا عجيباً لهؤلاء التتار لم يسبق له مثيل الا فى أحوال نادرة، اذ قد نبغ من بينهم الزعيم الداهية (تيموجين) الذى يعرفه التاريخ باسم (جنكيزخان)، فوحد لهم دولة وأقام لهم ملكا بعد أحداث يطول بنا وصفها لو تعرضنا لذكرها. وما كان لهذا الحدث أن يكون له ذلك الأثر البالغ فى تاريخ الاسلام والمدنية لولا ما لابسه من ظروف العصر وما كانت عليه حال الدولة الاسلامية المتاخمة للتتار. فلو كانت الدولة الاسلامية فى عصمة هارون أو المأمون، أو لو كانت فى قيادة المعتصم أو المتوكل، لما زاد الأمر على قيام دولة تترية تلمع حيناً كما يلمع الشهاب ثم يندثر، فكانت تجتمع لهم كلمة وينبسط لهم سلطان على من فى فيافى التركستان وما يليها من الكرج والديلم، ثم تمضى تلك الدولة الناشئة بعد حين كأن لم تكن، ويسدل عليها التاريخ ستاراً كثيفاً، وتحجب ذكراها وراء الكثبان المترامية البعيدة

غير أن مجرى التاريخ فى هذه المرة قد اتجه اتجاهاً لا يزال ماثلا فى أذهان الانسانية؛ وما زالت اصداء اجتماع التتار على زعامة جنكيز تتردد الى اليوم فى الأقطار جميعها شرقيها وغربيها؛ وما زالت آثار ذلك العهد تنعب فوق أطلال بخارى وسمرقند ومرو، بل ما زالت جاثمة فوق بغداد العظيمة يشهد العالم منها الى اليوم كيف يقوض التخريب أسس المدنية التليدة، وكيف تذهب كنوز القرون ومخلفات الاجيال على يد الهمجية بين عشية وضحاها. وما اتخذ التاريخ ذلك المجرى الا لسبب واحد. قد يبدو صغيراً ضئيلا لا خطر له. غير أن أجل حوادث التاريخ طالما نبعت من أمثال هذا السبب الصغير

كان الجزء الشرقى من العالم الاسلامى يئن من حكم طائفة من الأمراء قد وثبوا الى الحكم وهم أشبه شىء بقطاع الطرق يثبون على غنيمة آمنة فى قافلة عزلاء غريرة. وانك اذا تدبرت الأمر كله فى تاريخ الاسلام لم تجد نكبة أصابت المسلمين الا كانت آتية من مثل هؤلاء الأمراء المفسدين. تراهم وقد حكموا البلاد لكى يبتزوا ثروتها لا لكى يقوموا بواجب الحكم فيها، وتراهم يبطشون بالناس بطش الأسد بالصيد لا يعاقبون أحداً لأنه أساء، بل لأنه تنفس بكلمة حق، أو فرج عن نفسه بأنة مصدور. وتراهم قد أحاطوا أنفسهم بشراذم من جنود مرتزقة، لاهم لها الا أن تشترك فى الغنيمة، فهى تساعد الطغيان على أن يطغى، وتشترك معه بأن تستعلى فى الأرض وتطغى، وهؤلاء الملوك وأولئك الجنود لاحد لاستعلائهم مادامت مسألة الحكم مقصورة على ضبط الرعية العزلاء؛ فاذا ما جد الجد، واحتاج الأمر الى الحماة كانوا أحرص الناس على الحياة، وأخوفهم من التعرض لبلاء الجهاد ومحنة الجلاد

ولقد كان محمد شاه خوارزم أحد هؤلاء الطغاة المستكبرين الضعفاء. فلقد كان أشد الناس بطشاً وأحدهم شوكة فى سيرته

مع الأفراد والضعفاء . وكان من أحرص الأمراء على الثروة والسلطان ما دام لا يبالي الا شعبه المسكين . فقد سلط عليه طوائف أعوانه فكسروا أنوفه ، وخضدوا شوكته . وأذلوا نفوسه ؛ وقد أراد انقضاء أن يتعدى أذاه الى طائفة من تجار التتر كانوا قد جاءوا الى بلاده مسالمين فى تجارة فأوقع بهم ونهب متاعهم ؛ فاستجار هؤلاء بصاحبهم ، وكان عند ذلك ( جنكيز ) ؛ فرأى من واجبه أن ينصرهم ، فبدأ من ذلك الاصطدام الذى أعقب الدمار والبلاء ببلاد المسلمين

ثم يشهد التاريخ مثل ذلك الصراع الذى بدأ عند ذاك بين التتار والمسلمين . فتيار أتى من جموع الهمج يصدم هيكل الدولة القديمة المبجلة ، فاذا بذلك الهيكل يتصدع عند المس وينهار بعد قليل . حتى أن التتر أنفسهم ترددوا حيناً ووقفوا مبهوتين لا يكادون يصدقون أنهم قد هدموا ذلك الهيكل الهائل ، ولكن الهيكل لم يكن سوى جدار أجوف قد نخره الظلم واستل منه الحياة

لم يثبت الأمراء الطغاة الا مقدار لطمة قصيرة المدة ثم عرفوا أنهم لا يستطيعون أن يرعبوا عدوهم كما كانوا يرعبون رعيتهم ، ولن يقدروا على تحطيمه كما كانوا يحطمون أهل بلادهم ، ومنذ تحققوا ذلك طارت نفوسهم خوفاً ، وغلب الحرص كل غرائزهم فقلبوا التفكير فى مصيرهم ، وعرضوا ما كان منهم وما يكون . أتذهب عنهم أموالهم ، ويضيع سلطانهم ، ويضطرون الى مقاساة الأهوال فى الدفاع والنضال ؟ أيقاسمون اليوم رعيتهم ضيق الحياة وضنك العيش فى القتال ؟ أينزلون عن السعة والعزة والنعمة فى سبيل دفع المستميت ؟ أيعدون أيديهم الى الرعية أن هلمى الى صف واحد نبذل فيه الحياة معا فنحيا كراما أو نموت وقد أعذرنا ؟ ثم جاءت بخيالهم ذكريات ما سبق لهم أن أجرموا ، وما كان لهم فى الحكم من سيئات ، وعادوا الى أنفسهم يسائلونها : أيستطيعون اليوم أن يقفوا مع الرعية كتفا الى كتف ؟ وهل يجدون من أنفسهم الجرأة على أن يخاطبوها خطاب الأنداد الأكفاء ؟ أيستطيعون أن يستنهضوها لبذل المال والنفس فى سبيل الخلاص من العدو المخيف ؟ وهل يستطيعون أن يخيفوا الناس من عدوهم القبيل وقد كانوا بالأمس لا يجندون الجنود الا لكى يحكموهم بالقسر والعسف ؟ جالت هذه الأفكار فى رؤوسهم وهم مترددون بين الثبات والانهزام ، وبين النضال والهرب فخذلتهم قلوبهم اذ رأوا أن الرعية التى آذوها بالأمس لن تجيب نداءهم لو نادوا ، ولن تخلص لهم اليوم بعد ما نالها من شرهم وطغيانهم ؛ ولئن أجابت الرعية وتناست كل ما كان ، أبقيت فيها بقية للنضال ؟ ان ظلم القرون اذا أفلح فى ازالة القلوب الحرة الأبية التى تنفر من الظلم وتأبى الاستعباد ، فقد أفلح كذلك فى اماتة الرجولة والنخوة ، وأحال الناس الى أشباح مرتعدة خوارة لا تستطيع شيئا فى الدفاع ولا تغنى غناء فى النضال . فلن يستطيع شعب أذهب الطغيان إباءه وعصف بنخوته أن يصمد فى نضال البقاء فى الحياة

ولم يستطع محمد شاه خوارزم عند ذلك الا أن يعمد للهروب بما استطاع استخلاصه من أمواله وذخائره التى استلبها من دماء رعاياه وانتزعها من عرق كدهم ، ودموع أعينهم ، ورجفة العزاة منهم والجائعين ، وبقى الناس بعد أن هرب ذلك الطاغى وهم كالغنم المبعثرة اذا دهمتها الذئاب ، وقد هرب عنها الرعاة الجبناء . فلنسدل الستار عن نضال غير متعادل بين الشاة والذئب ، ولنغمض العين عن منظر شعب من شيوخ أهل علم ، وشبان أهل تجارة ، وكهول أهل صناعة ، ومن عمال فقراء لا يملكون ما يسدون به الرمق وزراع لا دراية لهم بشىء بعد المحراث والفأس ، وهم يخرجون ألوفا الى خارج المدن والقرى ، لا يدرون كيف يفعلون ، ولا أنى يتجهون ، فلا تكون الا ساعات حتى يحصدهم العدو حصداً ، أو يحصد بعضهم بعضا فى فزع حرب لاعهد لهم بها . لا بل إنهم كانوا يستسلمون كما يستسلم الدجاج ليذبح واحدة بعد واحدة ، وهى تستسلم للهلاك خوف من رهبة الدفاع عن أنفسها

لقد سلبهم الطغاة ما كان فيهم من رجولة بالعسف المتواصل جيلاً بعد جيل ، وبالخنوع والاذلال يتوارثونه ابنا عن أب عن جد . ألا فليحمل الطغاة وزر هذه المخازى ، ولتلطخ ذكراهم بإثم هذه المجازر لا براءة لأحد منهم منذ بدأ الحجاج جريمته فى تذليل الأمة الاسلامية لحكم الطغيان . وترامت أنباء هذه المجازر الى مصر فلم تجد من نفسها فراغاً الى أن تملأ آذانها بها اذ كانت

تناضل نضال الأبطال فى دفاع الصليبيين عن أرضها . اذ بينا كانت مذابح التتار تفتك بالمسلمين فيا بين نهرى سيحون وجيحون ، كان الصليبيون يفدون ألوفاً مؤلفة الى شواطئ مصر يريدون أن يرموا بفتحها قلب دولة الاسلام . وكان عصر بقية الدولة الأيوبية ، فكان ملوكها يردون من ذلك الفتح موجة بعد موجة ، فالملك الكامل يدفع حملة دمياط الأولى ، والملك الصالح يقف لجيش فرنسا وحلفائها ويموت وهو فى ميدان الحرب فيخلفه ابنه الملك طوران شاه فيقضى على جيش لويس التاسع ، ويتم الفتح بأسر الملك الصليبى المتحمس . وهكذا علمت مصر دول أوربا أنها لن تكون هينة فى النضال اذا شاءوا نضالاً

ولما تنفست مصر من حملات الصليبيين راعها ما سمعت من دوى التخريب فى مدن الشرق ، وكان قد علا وصار مرعباً فظيعاً . وكان أعلى ذلك الدوى ما جاء من بغداد اذ فتح هولاكو عاصمة الخلافة وألحقها بالخراب الذى خلفه جده بين سيحون وجيحون . وسمع من بمصر أن خزائن العلم وآثار المدنية فى دار السلام قد صارت كلها أثراً بعد عين ، وأن دولة الاسلام العظيمة قد تحطمت وانهارت كأنها لم تكن من قبل ملاذ الحضارة والفن والعز منذ قرون . فاختلط فى نفسها الحزن على مجد الاسلام الضائع والخوف من أن ينالها من ذلك التيار المدمر ما نال سائر معاقل الاسلام

واندفع التيار المدمر بعد اجتياح بغداد فسار فى سبيله الى الغرب حتى بلغ الشام ، وكانت قلاعها عند ذلك عواصم الحدود للدولة المصرية الكبرى التى ورثت دولة بنى أيوب وهى دولة الأتراك المماليك

وكان صدى أنباء تلك الغارة فى مصر غير صداها فى سائر الأقطار ، فان صوت التتار الذى أفزع العالم الاسلامى فأخرجه عن رشده وأفقده ارادته وجعل أهله يستسلمون للموت لا يكادون يحركون يداً ، لم يزد على أنه أثار حفيظة أهل مصر ، وحملهم على الاستعداد للنضال . وذلك أن مصر لم تكن كسائر البلاد الاسلامية فانها لم تفقد كرامتها ولا رجولتها . ولم تنس معنى العزة والاباء . حقا لقد كان يحكمها أمراء من الترك ، وكان قبل ذلك يحكمها بنو أيوب والفاطميون وغيرهم ، ولكن هؤلاء لم يكونوا فى يوم من الأيام الا حكاما يقومون بخدمة الجماعة . ولم تزل مصر على توالى المحن عليها سيدة أمرها والمسيطرة على قانونها وحقوقها . ولو كان الأمر عنـد ذلك أمر جيش وسلطان لانتهى النضال على ما انتهى اليه نضال ملوك الشرق وجيوشهم ؛ فنضال مصر مع التتار كان نضال أمة بأسرها محسة بوجودها ، شاعرة بما يجب عليها أن تبذله وأن تدبره ؛ وان شئت مصداق ذلك فها هو ذا وصف مجلس حربى اجتمع عند ذلك لينظر فى أمر التتار والاستعداد للاقاتهم

كان فى ذلك المجلس ممثلو الشعب المصرى وأهل الرأى فيه من مشايخ العلماء وأئمة القانون . كما كان فيه كبار الامراء والحكام والأعيان . وكان سلطان الوقت شابا غرا جاهلا وهو على بن معز الدين أيبك . فتذاكر المجلس غارة العدو وما تحتاج اليه البلاد من وسائل الدفاع من مال وجند . وما لا بد من بذله من مجهود جامع شامل ، فكان أول ما نظروا فيه أن تساءلوا : هل السلطان للبلاد أم هى البلاد التى للسلطان ؟ وهل يليق بها فى مثل هذا الوقت أن تقيم شابا غراً جاهلاً يتصرف فى شؤون الدولة لا لشىء الا لأنه ابن للسلطان الذى حكم من قبل ؟ ولم تطل بهم المناقشة فى ذلك فاختاروا رجلاً من أكبر قواد العصر فأقاموه سلطانا بدل ذلك الصبى الضعيف ودلوا بذلك على أن نظر مصر انما هو لمصالح الدولة ، وانها انما تختار حكامها ليقوموا بواجبهم لها لا ليكونوا سادة متحكمين فيها . ثم نظروا بعد ذلك فيما يجب جمعه من المال للاستعداد للحرب ، فلنسمع الآن قول أحد مشايخ مصر وهو الشيخ عز الدين ابن عبد السلام لنعلم منه كيف كان يخاطب نواب المصريين قادة الحرب فى بلادهم ، وهل كانوا يرونهم سادة أم خداما : قام ذلك الشيخ الجليل عند ذلك فقال شيئا مثل هذا : « لقد جئتم أيها القواد والأمراء من بلادكم جنوداً صغاراً لا تملكون شيئاً . بل كنتم مملوكين أرقاء . ولقد صارت لكم أموال وعقارات ، وأصبحت فى أيديكم النعم الجزيلة والخيول المطهمة ، والجواهر والحلى التى لا يستطاع تقدير قيمتها . فهلمو فابذلوا كل ما عندكم من تلك الأموال حتى اذا ما صرتم كالناس لا تملكون الا ما علكه أوساطهم ، كان الواجب على الأمة أن تبذل كل ما تملك فى سبيل الجهاد من ورائكم . وليست العامة تعزل عن الحرب

ولا هي مترددة في خوض غمـاره . فهلموا ! اسألوا سهول فارسكور عن الألوف من أهل الريف الذين حاربوا الفرنج ، وأبلوا في حربهم أحسن البلاء . وهلموا فنادوا أن النفير عام تجدوا الناس جميعا عند ندائكم مسارعين الى الجهاد والنضال »

ولقد انفض ذلك المجلس على اتفاق وثيق ، فخلع السلطان على ونودي بالسلطان الجديد : الملك المظفر قطز . ونودي على الناس جميعا أن النفير عام الى الغزو في سبيل الله

وهكذا كانت الحركة حركة مصر ، والجهـاد جهادها لا جهاد أمرائها

وخرج السلطان بموكبه في أواخر شعبان سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وبلغ الشـام في رمضان ونزل على جانب الأردن في أواخر شهر الصيام

وكان الى جانب وهدة الأردن واد من الوديان الكثيرة التي تهبط من جبال فلسطين أو تلالها ، تخرج فيه عين من مرتفع لا يزيد علوه على مائتي متر وتسمى عين جالوت ، وذلك الوادي على مقربة من بيسان التي اشتهرت بابنها النجيب القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني . وقد اجتمع جند مصر عند ذلك الوادي ، آتيا من علايات فلسطين . وكان جند التتار قد توافوا في وهدته آتين من دمشق بعد أن جروا عليها ذيل تخريبهم وتدميرهم

وجال التتار في السهل وهم يتضاحكون ويمرحون ، ينظرون الى جنـود مصر بلباسهم الزاهي ، وسلاحهم الثمين ، وحليتهم الرائعة ، ولعلهم كانوا اذ ذاك يقول بعضهم لبعض : ها هي ذي غنيمة لم يسبق لنا عهد بمثلها ، ولا عجب فهي كنوز مصر

واجتمع جنـد مصر من أتراك وعرب ، وبرزوا على عادتهم صفوفا من الفرسان لا تكاد ترى فيها ميلا ولا عوجا ، كل فارس منهم على فرسه كالجبل الراسي اذا تحرك ، فكأنما ارادة واحدة تتحرك . فالفرسان اذا تحركت فهي خيل مقبلة ، والخيل اذا أقبلت فهي فرسان مهاجمة . وانتظم السلك فإذا الجيش سلسلة تطوق جوانب الوادي . أعلاها نحاس براق وحديد صقيل ، وأسفلها حوافر الخيل المتوثبة تضرب الأرض وهي تلقة الى النضال ؛ ثم دقت الكؤوس ، وأمر القائد بالهجوم ، فاذا بهذه السلسلة المستوية تنحدر الى الوادي صاخبة داوية راعدة ، ولكنها مع ذلك متماسكة مستوية حتى بلغت الجانب الآخر من الوادي ، وكانت جموع التتار عنده تنتظر الهجوم لتجد عنده النصر الذي اعتادته في مصافها ؛ واهتزت صفوف السلسلة المستوية عند الاصطدام كما تهتز الاسطوانة الطاحنة اذا صدمها حجر صلد ؛ غير أنها لم تقف وأبطأ سيرها وخفت جريتها ؛ ولكنها لم تتشعب ولم ترتد

وعلت قعقعة الحديد ، واختلطت ضجة الأصوات ، وارتمى البعض عن البعض ، وتدحرجت الأجزاء عن الأجزاء

وكانت ساعة تشيب لهولها الولدان ؛ ثم ازدادت سرعة السلسلة كأنها قد اجتاحت العقبة التي عاقت سبيلها ؛ واندفع جيش مصر مرة أخرى وراء فلول منهزمة من التتار تجري فزعة في غير نظام نحو بيسان في أسفل الوادي

فلقد حطمت الجيوش المصرية جموع التتار المخيفة لأول مرة في تاريخها منذ خرجت على العالم تذيقه العذاب والوبال ؛ وكانت وقفة مصر في عين جالوت حماية للاسلام والمدنية والانسانية

محمد فريد أبو حديد



تحية العام الجديد :

# آمال وآلام

للاستاذ محمود غنيم



شُقَّ الفضاء بنورك المُتَجدِّدِ ... يا ليت شِعرى ما تُخَبِّئ فى غدِ
ولقد مضى عامٌ عرفتُ صروفَه ... وعَيِيتُ بالغيب الذى لم يُوجَد
رَصَدُوا النجومَ ورحتُ أرصُد شيخها
شيخَ النجوم الزهرِ علَّكَ مُرْشِدى
يابن الظلام أما تعبتَ من السُّرى ... أبداً تروحُ على الأنام وتغتدى
شيبتَ ناصيةَ القرونِ ولم تزل ... طفلاً تُطالعُنا بوجــهٍ أمردِ
تمضى الحياةُ فلا تعودُ إذا مضت ... وأراك تختتم الحياة وتبتدى
حتَّامَ تضربُ فى الدياجى هائماً ... تهدى الأنامَ ولا إخالُكَ تهتدى
رَقَدَ الأنامُ خليُّهم وشجيُّهم ... وظلِلْت وحدك ساهراً لم ترقد
ولقد حسبْتُكَ بالسلام مبشِّراً ... فبرزتَ مثل الخنجر المتجرِّد
الشرق مُضطَرِمُ الجوانح ثائرٌ ... والغربُ يهدِر كالخضمِّ المزبد
إنى أرى ناراً أُعِدَّ هشيمُها ... وثقابُهـــا لكنها لم تُوقد

* * *

عامٌ وآخرُ مقبــلٌ ومودِّعٌ ... شيَّعتُ نعشاً واحتفلتُ بمولِدِ
ولَّى القديمُ فما ظفرتُ بطائلٍ ... وأتى الجديدُ فهل ترى هو مُسعِدى
ولقد تشابهت السنونَ كأنني ... ما عشتُ عمرى غيرَ عامٍ مفرد
قالوا عجبنا ما لشعرك نائحاً ... فى العيد ما هـذا بشَدْوِ معيِّد
ما حيلةُ العصفور قصُّوا ريشه ... ورَمَوْهُ فى قفصٍ وقالوا غرِّد

* * *

ياليت شعرى يا هلالُ أعائدٌ ... للمسلمين بنصر دين محمد
أتعيدُ للجُمُعات سابقَ عهدها ... أتعيد للاسلام مجدَ المسجد
أدركتَ عهدَ الراشدين «بيثرب» ... وحدتها بين النجوم الحُسَّد
وشهدتَ دولة «عبد شمس» حينما ... بلغ «الوليدُ» بها عنان الفرقد
ولقد طلعتَ على بنى العبَّاس إذْ ... جلس «الرشيدُ» مع السُّها فى مقعد
لهفى عليها دولةً قد أوشكت ... تمتــدُّ حتى ساحِلِ المتجمِّد
للشرق ماضٍ كلَّما عرضت له ... ذكراهُ يزفر زفرةَ المتنهِّد
الشرق يأملُ أن تحلَّ وثاقه ... جرت الشعوب وسار سير المقعد
لهفى عليه مُشتَّتاً لم يجْدِهِ ... طيبُ النجار ولا كريمُ المحتد
بتنا نعيش على حساب جدودنا ... هيهات ليس الحرُّ كالمستعبَد
أين الجبالُ من التلال أو الربى ... أين القويُّ من الضعيفِ المُقْعَد
لا القوم منِّى لا ولا أنا منهمُو ... إن لم أفقْهُمْ فى العلا والسؤدد
كان الجدودُ لهم شرًى يأوُونَهُ ... ولنا وكورٌ من يَرِدْها يَصْطَد
كانوا مغاوِرَ يعتدون على الورى ... فإذا بنوهم عرضةٌ للمعتدى
صالوا برمحٍ ذابلٍ ومهنَّدٍ ... عَضْبٍ ونعجز أن نصولَ بمِبْرد
أين الذى نظم الجيوش ؟ من الذى ... نظمَ الكلامَ قلائداً من عسجد
قد كان همهم الفتوحُ وهمنا ... أن نغتذِىَ أو نرتوِىَ أو نرتدى
إرثٌ على يدنا تبــدَّد شملُهُ ... ياليت هـذا الإرثَ لم يتبدَّد
يا من رأى أرضاً أُبيحَ حرامُها ... بالأمس كانت فى قداسةِ مَعْبَدَ
أمُّ تباعُ وتُشترى فى السوق مِنْ ... يَدِ سيِّدٍ تمضى إلى يد سيد
الحرب حولَ الشرق شبَّ أُوارُها ... والشرق يرقبُ من يقُدُّهُ ينقد
مالى أرى الشرقَ المهيضَ جناحُه ... رغم اتحاد الهم غيرَ موحَّد
وإذا تفرقت الشعوب مواقعاً ... وتقاربت غاياتها لم تبعــد
ولقد تهان أمامنا جاراتُنا ... وشكاتهنَّ تذيب قلبَ الجلْمَد

( البقية فى ذيل الصفحة التالية )

# هجرة الرسل

## للأستاذ عبد الوهاب النجار

لقد تناول الناس مسألة الهجرة النبوية بحثاً وغاصوا في أعماقها، ولم يتركوا زاوية من زواياها الا أخرجوا خباياها ؛ فأنا لا أريد أن أكتب على غرار ما كتب من قبل فأعيد ما بدأه غيرى وأنا مولع بمعاداة العادات والذى أريد أن أكتب هو هجرة الأنبياء الذين غبروا قبل رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وأنه ليس بدعا من الرسل عليهم الصلاة والسلام .

أول الرسل الكرام هجرة هو نوح عليه السلام فكانت هجرته حياة له وهلاكا لأعدائه

دعا نوح قومه الى عبادة الله تعالى وترك عبادة غيره من الأصنام والأوثان وصار يغاديهم بالنصح ويراوحهم بالعظات ألف سنة الا خمسين ، وهم لا يزدادون منه الا بعداً ونفوراً الى أن ضاق صدره بما يلاقى منهم . ولم يجد باباً لهدايتهم الا طرقه ، ولا منفذاً لنصحهم الا قصده . ولم يجد قومه باباً للنكاية به الا ولجوه ، ولا منفذاً لأذاته الا سلكوه . فتراهم يقولون له : (ما نراك الا بشراً مثلنا ؛ وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى ؛ وما نرى لكم علينا من فضل ؛ بل نظنكم كاذبين ) فهم يرون أن الرسالة لا تكون للبشر بل للملائكة ، والهداية لا يمكن أن ينالها الفقراء وذوو الأعواز ؛ ولكنها وقف على ذوى الوجاهة والقوة . وأن الذي يريد الله أن يصطفيه إنما يكون من أهل الثراء والغنى . ولقد رد عليهم نوح بقوله : إنه لا يسألهم على الهداية التى يزفها اليهم أجراً ؛ فهو لا يجر بذلك لنفسه نفعاً ، ولا يحوز مالاً ، وانما يريد أجره من الله ، ولم يقل لهم إن عنده خزائن الله ليس عنده شىء من علم الغيب ، ولم يقل لهم إنه ملك ، ولا يقول للذين تزدرى أعينهم من أتباعه لن يؤتيهم الله خيراً وهو الهدى والاستقامة على الجادة ، وأن علم ما فى أنفسهم عند الله لا عنده الى أن ضاق بالقوم وضاقوا به . فقالوا له ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين . ودعا نوح عليهم فقال : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً . إنك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً » فأنبأه الله أن العذاب سيحل بهم ، وأمره ألا يخاطبه فيهم وأنهم مغرقون . وأوحى اليه أن يصنع الفلك لينجو بها من العذاب النازل بهم وليهاجر بها عنهم

صنع نوح الفلك وكان قومه يسخرون منه وهو يسخر منهم لغفلتهم عن أنفسهم وتفريطهم فى حياتهم وغيرهم بعدم اتباعه الى أن جاء أمر الله وفار التنور ، وتفجرت ينابيع الأرض ، وحلت عزاليها السماء ، وجاء الطوفان وأبادهم بعد أن نزل نوح والذين آمنوا معه فى السفينة ، وسلك فيها زوجين اثنين من كل ذى حياة ، وانتهت هجرته من الأرض بعد سنة وعشرة أيام بعد أن استقرت السفينة على الجودى . فكانت هجرته ميمونة عليه وعلى من معه فى السفينة وهلاكا لأعدائه

---

فترى ونسمع صامتين كأننا … لم نستمع وكأننا لم نشهد

فإذا تحمسنا مددنا نحوهم … كفَّ الدعاء وغيرها لم نمدد

عذراً بنى أعمامنا ! أغلالنا … قعدت بنا عن نجدة المستنجد

أعزز علينا أن نرى جيراننا … يتخطفون ونحن مكتوفو اليد

***

من لى بجيل مستجدٍّ لم يرث … إلا عن الجد القديم الأبعد

يرث « ابن هند » فى أصالة رأيه … أو « خالداً » فى عزمة المتوقد

لم يعتد الضيم الذى نعتاده … أهون بكل أذى على المتعود

إن قام يثبت حقه فدليله … قصف المدافع أو صليل مهنَّد

لا خير فى حقٍّ يقال ومنطق … عذب بحد السيف غير مؤيد

جيل إذا سيم الهوان أبى وإن … يطلب إليه البذل لم يتردد

يهوى الحياة طليقة ويعافها … ذلاً ويُدعى للفداء فيفتدى

كوم حماده … محمود غنيم

## لوط عليه السلام

آمن بعمه ابراهيم واستجاب الى عبادة الله تعالى وهاجر مع عمه ابراهيم كما قال تعالى : « فآمن له لوط وقال إني مهاجر الى ربي » وقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن عثمان حين هاجر الى الحبشة ومعه زوجه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أول مهاجر الى الله بأهله بعد لوط عثمان بن عفان

## يعقوب عليه السلام

كان بينه وبين أخيه عيسو شيء من الخلاف ، فهاجر الى بلاد ما بين النهرين عند خاله لابان ، ومكث عند خاله يرعى عليه غنمه ، وتزوج من ابنتيه ليئة وراحيل ، ومن جاريتيهما زلفى وبلها ، ورزق منهن أولاده جميعاً . وكانت هجرته خيراً وبركة عليه ، فقد صار رب أسرة عظيمة كثيرة العدد ، وأموال وماشية كثيرة وعاد الى فلسطين بعد ذلك ، وولد له في هجرته جميع أولاده إلا بنيامين .

## يوسف عليه السلام

هاجر مرغماً حين ألقاه اخوته في غيابة الجب ، ثم التقطه بعض السيارة وأسروه بضاعة وباعوه في مصر بثمن بخس ، واشتراه عزيز مصر أو رئيس الشرطة بعاصمة الديار المصرية ، وهي مدينة صان في الشرقية ، ثم امتحن بامرأة العزيز التي راودته عن نفسه فاستعصم ، ثم بهتته في وجهه واتهمته بأنه راودها عن نفسه « وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ، وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين . فلما رأى قميصه قدّ من دبر قال » العزيز لها : « انه من كيدكن ؛ ان كيدكن عظيم » ، والتفت الى يوسف وقال له : « يوسف أعرض عن هذا » ، والتفت الى زوجه وقال : « استغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين — الى أن بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين » ، وفي السجن ظهرت آيات فضله ، وفسر لساقي الملك وخبازه منامهما ، وأوصى الذي ظن أنه ناج منهما أن يذكره عند ربه الملك فأنساه الشيطان ذكر ربه ، فلبث في السجن بضع سنين الى أن رأى الملك سبع بقرات سمان حسان يأكلهن سبع بقرات عجاف مهزولة ، وسبع سنبلات خضر غلبتهن سبع سنابل يابسات ، وحار العلماء والسحرة والعرافون في تفسير ذلك المنام فذكر الذي نجا من الفتيين شأن يوسف وتفسيره للمنام ؛ فاستأذن الملك وأتى الى يوسف واستفتاه فيما رآه الملك . ففسر له الرؤيا على وجهها . وجاء الساقي وقص القصص على الملك ، وكان ما كان ، الى أن اصطفاه الملك لنفسه ، وجعله على خزائن الأرض ، ودبر أمر مصر الى أن جاء سبع سنوات مخصبة خزن فيها مازاد على الحاجة ؛ ثم جاء السنين المجدبة ففتح مخازن الادخار ، وأطعم الناس ، وجاء اخوته فداعبهم ودبر عليهم تدبيراً حتى جاءوه بأخيه بنيامين ، ثم عرفهم بنفسه وقال : « ائتوني بأهلكم أجمعين » فكانت هجرته القسرية وتغربه خيراً عليه وعلى أهله وعلى الناس أجمعين ؛ ولولا تدبير الله له وتدبيره لأمر الأغذية لهلك الناس

## موسى عليه السلام — وهجرته

لا نريد أن نتكلم عن أولية موسى عليه السلام . وإنما نقول إنه نشأ في بيت فرعون عزيز الجانب ؛ ولما بلغ مبلغ الرجال لم يخف عليه أنه دخيل في ذلك البيت وأنه من العنصر العبراني ؛ وعرف العبرانيون ذلك فاستعزوا به وانتفعوا بجاهه

وسار في المدينة يوماً على حين غفلة من أهلها فوجد رجلين يقتتلان أحدهما عبراني من شيعة موسى والثاني قبطي من عدوه ، فاستغاثه العبراني على القبطي ، فأغاثه موسى وعمد الى القبطي فوكزه فقضى عليه ، وهو لم يرد قتله ، وانما أراد كف عاديته عن العبراني ، ولن يؤخر الله نفساً اذا جاء أجلها

لم يشاهد أحد هذه الحادثة سوى العبراني . وعاد موسى باللائمة على نفسه وقطع على نفسه عهداً ألا يكون ظهيراً للمجرمين

ظهر أمر القبطي ولم يعلم قاتله . فلما كان اليوم الثاني خرج موسى في مثل ذلك الوقت فوجد ذلك العبراني بنفسه في معركة مع قبطي آخر يريد أن يسخره وهو يأبى ، فاستغاثه كما استغاثه بالأمس فقال له موسى انك لغوي مبين . وأراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما ويكف عاديته عنه . فظن العبراني أنه اياه أراد . فقال له : يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس ان تريد

إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين ، وصالح القبطي واتخذ موسى خصما

حينئذ ظهر قاتل القبطي وهو موسى وانتهى الخبر الى فرعون فاجتمع ملأ فرعون وقومه على قتل موسى . فجاء اليه رجل من آل فرعون من أقصى المدينة يسعى وقال له إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ؛ ونصح له بالخروج لينجو بنفسه فخرج من المدينة خائفاً يترقب قائلاً رب نجني من القوم الظالمين

وولى وجهه شطر مدين على خليج العقبة ، ولعلها كانت أقرب بلاد يجد فيها مأمنه لخروجها عن قبضة الحكومة المصرية — ولما كان خروجه على عجل لم يترو في الأمر ولم يأخذ معه زاداً ولا ما يساعده على قطع المسافة من مطية ولا رفقة له في هذا السفر الشاق ولا دليل لأنه انما يريد أن ينجو بخيط رقبته . فلما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل . فحقق الله تعالى أمنيته وبلغ ماء مدين بعد الجهد الشديد والجوع المضني فوجد على الماء أمة من الناس يسقون ووجد امرأتين تذودان غنمهما عن الحوض ، فلم يعجبه أن يتقدم أولو القوة ويتأخر المرأتان فسألهما عن شأنهما . فقالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء لأننا ليس بنا قوة على التقدم والمزاحمة ، وأبونا شيخ كبير لا يقدر على رعي ماشيته ولا سقياها . فنحى الرعاء عما بقي له من فضل قوة وسقى لهما ثم تولى الى الظل يشكو الى الله حاجته الى القوت وما به من مخمصة قائلاً :

( رب إني لما أنزلت الي من خير فقير )

أراد الله أن يكافئ موسى جزاء توكله عليه وفعله الخير ابتغاء وجه ربه فلم يلبث أن جاءته احدى المرأتين تمشي على استحياء حتى وقفت عليه وقالت له في خفر : ( إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا )

لبى موسى الدعوة ؛ وجاء الى أبيها الشيخ وقص عليه قصصه . فقال له الشيخ لا تخف نجوت من القوم الظالمين

أرادت احدى بنتي الشيخ أن يقوم موسى عنهما برعي الماشية لأنه أقدر على ذلك لما رأته من قوته في النزع بالدلو وأمانته اذ أخرها وقال لها امشي ورائي وانعتي لي الطريق ؛ فقالت لأبيها ( يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين )

نشط الشيخ لما أشارت به ابنته ، وطلب الى موسى أن يستأجره ثماني حجج على أن يزوجه من احدى ابنتيه ؛ فاذا رضي أن يتم الثماني عشرا كان ذلك على أن يكون بالخيار في قضاء أحد الأجلين

تقول التوراة إنه بقي عنده الى أن كانت سنه ثمانين سنة ؛ والقرآن الكريم ليس فيه تحديد قاطع في المدة التي أقامها

والمهم في الأمر أنه لما قضى الأجل وصار حرا صادفه أن أبعد في الرعي وضل الطريق في ليلة مظلمة باردة ؛ وحاول أن يقدح نارا فصلد زنده ولم يور نارا ؛ وبعد لأي ( آنس من جانب الطور نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو أجد على النار هدى ) . فلما جاء الى النار نودي ( يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى ؛ وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى انني أنا الله لا إله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ) وبعد حوار أرسله الله نذيرا الى فرعون وملئه لاخراج بني اسرائيل ؛ فكان ما كان مما قصه القرآن من شأنه مع فرعون وشأنه مع بني اسرائيل ؛ فكانت هجرته خيرا وبركة عليه وعلى بني اسرائيل ؛ كما أجاب فرعون بقوله ( ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين )

### هجرة داود عليه السلام

هو داود بن يسى من سبط يهوذا . كان له إخوة يحاربون الفلسطينيين مع طالوت الذي هو شاول أول ملك من ملوك بني اسرائيل . وكان في الفلسطينيين جندي جبار اسمه جالوت قد هابته الأبطال وتحامت الشجعان لقاءه خوف الهلاك

وكان لداود إخوة في الحرب ؛ فأرسله أبوه بطعام لاخوته ولينظر حالهم ويعود الى أبيه بما يطمئنه عليهم . فبينا هو سائر الى اخوته نظر في البرية الى أحجار ملس راقته فوضعها في كنفه ( الكنف كيس الراعي ) ولما ذهب الى اخوته والحرب على قدم وساق نظر الى الفلسطيني وهو يعير بني اسرائيل احجامهم عنه ، فاستشاط الفتى داود غضبا وسأل ما الذي يناله من قتل هذا الأغلف الفلسطيني . فأجيب بأن الملك يغنيه ويغدق عليه ويزوجه ابنته ويجعل بيته أكبر بيت في اسرائيل . فذهب الى الملك واستأذنه في لقاء جالوت فضن به الملك أن يقتل في غير فائدة وهو صغير السن لا يقوى عليه . فقال له داود : إن عبدك

( يعنى نفسه ) قتل أسدا تعرض لغنم أبى وقتل دبا أيضا . فأذن له وأعطاه لأمة حربه فلم يحسن داود المشى فيها فخلعها وذهب الى جالوت بمقلاعه وأحجاره . وقد هزأ منه جالوت ونصحه أن يعود من حيث أتى فلم يفعل ، ووقف قبالته ووضع حجرا من تلك الأحجار فى المقلاع رماه به فارتز الحجر فى جبهة جالوت وخر لليدين وللفم ، فأخذ داود سيف جالوت وفصل رأسه به وجاء به الى الملك وانهزم الفلسطينيون شر هزيمة

ولكن طالوت ضن على داود بابنته التى وعد أن يزوجها من قتل جالوت وزوجه من ابنة له أخرى وقدمه على رؤساء جنده

تغير بعد ذلك طالوت لداود وعمل على اهلاكه بيد الأعداء خوفا من أن يوليه بنو اسرائيل الملك ، فكان يكلفه بالقدوم الى الحرب وكان داود يظفر دائما . فعمد الى اهلاكه بنفسه ، ونجا داود منه مرات وهو يتبعه فى كل مكان ، وتمكن داود من قتل الملك مرات ولكنه لم يفعل ويخبره بتمكنه من قتله وأنه أبقى عليه ، فيندم الملك ثم يعاوده خوفه على الملك فيطارده الى أن خرج داود من ملك اسرائيل وأقام مع الفلسطينيين برضاء ملكهم الى أن قتل طالوت وابنه . فجاء الى قرية أربع وهى مدينة الخليل وبويع فيها بالملك . وكان لطالوت ولد بويع بالملك أيضا الى أن قتل ابن طالوت الملك وانفرد داود بالملك واشترى قلعة صهيون التى عند باب الخليل وسماها مدينة داود ، ثم اشترى جبل الموريا الذى عليه الحرم القدسى ومدينة أورشليم القديمة المعلومة اليوم بأسوارها وحدودها

وفى أواخر أيام داود نزا على الملك ولده ابشالوم وبايعه العدد العظيم من بنى اسرائيل . ورحل داود الى شرق الأردن وجلس ابشالوم على كرسى الملك وحارب أباه فقتل أبشالوم وعاد داود الى مقر ملكه . فهاتان هجرتان لداود وكانت العاقبة له على خصومه فيهما

## هجرة المسيح عليه السلام

أما المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فله هجرة ليست كهجرة سائر الأنبياء الذين هاجروا من بلادهم

ذلك أنه لما ولد كان هنالك مملك من قبل الرومان أخبر أن ملك اليهود ولد فى بيت لحم ، فجد فى قتل الأولاد الذين ولدوا فى بيت لحم فى تلك الأيام . فأمرت مريم بأن تهاجر بابنها ومعها خطيبها يوسف النجار فذهبت الى مصر وأقامت فيها مدة قيل إنها كانت سبع سنين أو أقل ، الى أن أمرت بالرجوع الى فلسطين ، لأن الذى كان يطلب نفس ولدها قد هلك ، فعادت

وهـذه الهجرة نص عليها فى انجيل متى وانجيل برنابا ولا وجود لها فى سائر الأناجيل الثلاثة الأخرى المعروفة ؛ فهجرة المسيح كانت تابعة لهجرة أمه خوفاً عليه ولم تكن بإرادته

## محمد عليه السلام

من ذلك كله نرى أن محمداً لم يكن بدعا من الرسل الذين هاجروا من قبل ، فقد جاهد جهاد الأبطال فى اذاعة دعوته بين الناس ، وقد أوذى فى الله تعالى هو وأتباعه . حتى اذا لم يبق فى قوس تصبرهم منزع سهل الله تعالى اسلام أهل المدينة فأقبلوا على الدين بمحض اختيارهم ؛ حتى اذا كثروا جاءوا اليه وبايعوه على النصرة ، فأذن لأصحابه فى الهجرة وبقى هو وأبو بكر وعلى والمستضعفون . فلما مكر به كفار مكة ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه وصحت منهم العزيمة على ما بيتوا ، أمره الله تعالى بالهجرة (وكان أبو بكر يعد لها العدة ) فامتثل الرسول أمر ربه وآذن أبا بكر بذلك ففرح وحاول أن يدعو صهيب بن سنان للسير معهما فلم يقدر له ذلك ، وخرجا الى غار ثور فأقاما به ثلاثا . وقد جهد كفار قريش فى العثور عليهما فصرفهم الله عن ذلك ، وقد كانا منهم قاب قوسين أو أدنى ؛ ثم ذهبا الى المدينة بعد أن هدأ الطلب يدل بهما عبد الله بن اريقط وهو على شركه الى أن وردا قباء ثم المدينة هاربين بدينهما . فبدل الله خوف رسول الله والمؤمنين أمنا ، ومكن لهم فى الأرض ، وأرى كفار قريش منهم ما كانوا يحذرون ، وأتم الله نعمته على أهل الاسلام ، مكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم الى أن مضى رسول الله لسبيله ، وقام خلفاؤه من بعده يحملون عبء تبليغ الرسالة والتمكين للدين ؛ وانتشر الاسلام شرقا وغربا ؛ وكانت الهجرة على رسول الله وعلى أمته خيرا وبركة كما كانت هجرة الأنبياء خيرا وبركة عليهم من قبل ؛ ولله عاقبة الأمور ؛ لا مبدل لكلماته ، ولا معقب لحكمه . وهو العزيز الحكيم

عبد الوهاب النجار

( ٥ )

# الأزهر والحياة الفكرية

## في العصر الفاطمي

للأستاذ محمد عبد الله عنان

عرضت لنا من قبل فرصة للتعريف بنشأة الأزهر الجامعية، وكيف أنه أنشيء في البداية ليكون مسجداً رسمياً للدولة الفاطمية، ثم نشأت صفته الجامعية في ظروف عرضية، ولم تلبث أن استقرت بعد ذلك وتأثلت؛ وذكرنا ما كان للوزير ابن كلس من كبير أثر في اسباغ هذه الصفة العلمية الجليلة على الأزهر، وكيف أنه يعتبر منشئ الجامعة الأزهرية في معنى من المعاني.

والآن نذكر طرفاً من الآثار الفكرية التي ترتبت على قيام هذه الجامعة الاسلامية الكبرى في عصرها الأول، أعني في العصر الفاطمي، ونذكر أيضاً بعض أعلام التفكير في هذا العصر ممن تولوا التدريس في هذا المعهد الجليل أو تخرجوا فيه أو اتصلوا به وبحلقاته اتصالاً كان له أثر في تكوينهم الفكري والعلمي

لم تبلغ العلوم والآداب في ظل الدولة الفاطمية من التقدم والازدهار ما كان خليقاً أن تبلغه في ظل هذه الدولة القوية الباذخة؛ ذلك أن الدولة الفاطمية كانت لظروفها الدينية والسياسية ترمى الى الانشاء في كل شيء، ولم ترد أن تقوم على تراث الماضي أو أن تستأنف السير به؛ ولم يمد لها في عهد الانشاء الفتي، فلم يأت منتصف القرن الخامس حتى سرت اليها عوامل الانحلال والوهن

وقد كان هذا شأن الحركة الفكرية، فانها لم تلبث طويلاً في قوتها وازدهارها. وكان الأزهر، وهو يومئذ الى جانب دار الحكمة والمسجد الجامع، من صروح الحركة الفكرية، يتبع مصاير هذه الحركة من قوة وضعف، فلم يبلغ في هذا العصر، — عصر الانشاء والنمو — ما بلغه في العصور التالية من التقدم والأخذ بزمام الحركة الفكرية؛ ومن ثم فانا لا نستطيع أن نحصى في هذه المرحلة من تاريخ الجامع الأزهر كثيراً من الأعلام الذين تخرجوا في حلقاته أو درسوا فيها. والواقع أنه من الصعب أن نعين بالتحقيق من تخرج في الأزهر من أعلام التفكير والأدب في هذا العصر، وإن كنا نستطيع أن نعين بعض الأساتذة الذين تولوا التدريس في حلقاته؛ ذلك أن الأزهر لم يكن ينفرد يومئذ بتنظيم الدراسة العالية، بل كان إلى جانبه دار الحكمة تنافسه وتتفوق عليه أحياناً، والمسجد الجامع يحتفظ دائماً بحلقاته القديمة: ومن المرجح أن معظم العلماء والأدباء الذين ظهروا في هذا العصر كانوا ينتفعون بالدرس في المعاهد الثلاثة: ومن المرجح أيضاً أن الأزهر كان له في تخريج أولئك العلماء والأدباء أوفر نصيب، لأن دار الحكمة لم تتمتع دائماً بكثير من الثبات والاستقرار، وقد أغلقت فيما بعد؛ ولم يكن المسجد الجامع معهداً منتظماً للدرس، وكان الأزهر أكثر المعاهد الثلاثة انتظاماً واستقراراً

كان في مقدمة الأساتذة الذين تولوا التدريس والاقراء بالأزهر منذ إنشائه بنو النعمان قضاة مصر؛ فكان القاضي أبو الحسن علي بن النعمان أول من درس بالأزهر، فعقد أول حلقاته في صفر سنة ٣٦٥ ﻫ وقرأ فيها مختصر أبيه في فقه آل البيت، وكان فوق تضلعه في فقه آل البيت أديباً شاعراً، وتوفي سنة ٣٧٤ ﻫ؛ ودرس بالأزهر أيضاً أخوه القاضي محمد بن النعمان المتوفى سنة ٣٨٩ ﻫ، ثم ولده الحسين بن النعمان قاضي الحاكم بأمر الله (١)؛ ومن المرجح أن فقيه مصر ومؤرخها الكبير الحسن بن زولاق (المتوفى سنة ٣٨٧ ﻫ) كان بين الذين تولوا الدرس بالأزهر يومئذ، فقد كان صديق المعز لدين الله ومؤرخ سيرته، ثم صديق ولده العزيز، ومن المعقول أن يقع الاختيار عليه للتدريس بالمعهد الفاطمي الجديد

ويجب ألا ننسى أن الوزير ابن كلس نفسه كان في مقدمة العلماء الذين تولوا التدريس في الأزهر. وقد رأينا في بحثنا السابق كيف كان هذا الوزير العلامة أيام العزيز بالله يعقد حلقاته الدراسية

(١) ابن خلكان — ج ٣ ص ٢١٩ — ٢٢٣، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٨ — وذيل القضاة (ملحق كتاب الكندي) ص ٥٨٩ و ٦١٠ و ٦١١

أحياناً بالأزهر وأحياناً بداره ، ويقرأ فيهـا محاضراته فى الفقه الشيعى ولا سيما رسالته الشهيرة المعروفة « بالرسالة الوزيرية » وقد كانت من أقدم كتب الدراسة التى درست بالأزهر

ونستطيع أن نذكر من أعلام التفكير والأدب فى هذا العصر عدة ، وهم بلا ريب ممن كان للأزهر فى تكوينهم العلمى أثر كبير ؛ فنهم المسبحى الكاتب والمؤرخ الأشهر ، وهو الأمير المختار عز الملك محمد بن عبد الله بن أحمد الحرانى ، ولد بمصر سنة ٣٦٦ هـ وتوفى سنة ٤٢٠ ؛ وكان من أقطاب الأمراء ورجال الدولة الفاطمية ؛ تولى الوزارة للحاكم بأمر الله ونال حظوة لديه ؛ وأخذ بقسط وافر فى مختلف علوم عصره ، وشغف بتدوين التاريخ ، وألف فيه عدة كتب منها تاريخه الكبير المسمى « أخبار مصر » وهو تاريخ مصر ومن حلها من الولاة والأمراء والأئمة والخلفاء وما بها من العجائب والأبنية ، وذكر نيلها وخواصها ومجتمعاتها حتى فاتحة القرن الخامس الهجرى . ولم يصلنا هذا الأثر الضخم الذى يلقى بلا ريب أعظم الضياء على تاريخ الدولة الفاطمية فى عصرها الأول ، ولكن الشذور التى وصلتنا منه على يد المقريزى وغيره من المؤرخين المتأخرين ، تنوه بقيمة هذا الأثر ونفاسته ؛ وكتب المسبحى كتباً أخرى فى التاريخ والأدب والفلك ولكنا لم تتلق شيئاً منها[1]

ومنهم ، القضاعى الفقيه والمحدث والمؤرخ ؛ وهو أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعى ؛ ولد بمصر فى أواخر القرن الرابع ، وتوفى بها سنة ٤٥٤ هـ ؛ كان من أقطاب الحديث والفقه الشافعى ؛ تولى القضاء وغيره من مهام الدولة فى عهـد الخليفة المستنصر بالله الفاطمى ، وأوفده المستنصر سـفيراً إلى تيودورا امبراطورة قسطنطينية سنة ٤٤٧ هـ ( ١٠٥٥ م ) ليحاول عقـد الصلح بينها وبين مصر ، وكتب عدة مصنفات فى الحديث والفقه والتاريخ منها « الشهاب » و « مسند الصحاب » وهما فى الحديث وكتاب « مناقب الامام الشافعى » ، و « أنباء الأنبياء وتواريخ الخلفاء » ، و « عيون المعارف » وهما مختصران فى التاريخ ، وكتاب « المختار فى ذكر الخطط والآثار » وهو تاريخ مصر والقاهرة حتى عصره[1]

ومنهم الحوفى النحوى اللغوى ، وهو أبو الحسن على بن ابراهيم ابن سعيد كان من أئمة اللغة فى عصره ، واشتغل أعواماً طويلة بالتدريس فى مصر والقاهرة ، وألف كتباً كثيرة فى النحو والأدب منها كتاب « إعراب القرآن » وكانت وفاته سنة ٤٣٠ هـ

ومنهم أبو العباس أحمد بن على بن هاشم المصرى ، وقد كان من كبار المحدثين والمقرئين ، واشتهر حيناً بتدريس علم القراءات وتوفى سنة ٤٤٥ هـ

ومنهم ابن بابشاذ النحوى الشهير ، وهو أبو الحسن طاهر ابن أحمد المصرى المعروف بابن بابشاذ ، كان إمام عصره فى اللغة والنحو ، وألف فيهما عدة تصانيف ضخمة ، واشتغل حيناً بديوان الانشاء فى عهد المستنصر بالله ، وتوفى سنة ٤٦٩ هـ

ومنهم أبو عبد الله محمد بن بركات النحوى ، تلميذ القضاعى . كان أيضاً من أئمة اللغة والنحو ، وتوفى سنة ٥٢٠ هـ

ومنهم الفقيه العلامة الحسن بن الخطير الفارسى ، كان من أقطاب الفقه الحنفى والتفسير ، وكان أيضاً عارفاً بالرياضة والطب وعلوم اللغـة والتاريخ ، وله عدة مصنفات فى التفسير والفقه . واشتغل زمناً طويلاً بالتدريس بالأزهر ، وتوفى سنة ٥٩٨ هـ

***

هذا وأما أعلام الوافدين على القاهرة وأزهرها فى ذلك العصر فنستطيع أن نذكر منهم عدة أيضاً . فمنهم العلامة الأندلسى أمية ابن عبـد العزيز بن أبى الصلت ، وفد على مصر فى أوائل القرن السادس أيام الأفضل شاهنشاه ، وأقام حيناً بالقاهرة يتصل بمعاهدها وعلمائها وأدبائها ؛ وكان ماهراً فى الرياضة والفلك والموسيقى والعلوم الطبيعية ، وكان أيضاً أديباً شاعراً بديع النثر والنظم ؛ ألف كثيراً من الكتب فى مختلف العلوم . ووضع رسالة عن علماء مصر وأدبائها فى هذا العصر[2] ، وتوفى سنة ٥٢٨ هـ

(١) راجع فى ترجمة المسبحى وذكر مؤلفاته ابن خلكان — ج ١ ص ٦٥٣ — وحسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٥

(١) راجع فى ترجمة القضاعى ( ابن خلكان ج ١ ص ٥٨٥ — والسبكى طبقات الشافعية — ج ٣ ص ٦٣ — وأخبار مصر لابن ميسر فى حوادث سنة ٤٤٧ — وحسن المحاضرة ج ١ ص ١٨٨

(٢) انتهت إلينا قطعة من رسالة ابن أبى الصلت هـذه ، وهى ضمن كتاب مخطوط لابن زولاق ( كتاب أخبار سيبويه المصرى ) محفوظ بدار الكتب المصرية

ومنهم العلامة المقرئ الشهير أبو القاسم الرعيني الشاطبي الضرير، ولد بشاطبة من أعمال الأندلس في سنة ٥٣٨ هـ، وبرز في علوم القرآن، واشتهر بالأخص بالتضلع في علم القراءات، وقدم إلى مصر عقب سقوط الدولة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية (سنة ٥٧٢ هـ) يسبقه صيته، وتصدر للإقراء والدرس بالقاهرة بدروس القرآن وعلوم اللغة، فهرع إليه الطلاب من كل صوب، وكان أمام القراءات في عصره. ووضع في علم القراءات قصيدته الشهيرة المسماة «حرز الأماني ووجه التهاني»، وأنشأ بمصر مدرسة حقة للقراءات؛ وتوفى سنة ٥٩٠ هـ

ومن الشعراء الذين وفدوا على مصر أيام الدولة الفاطميـــة، واتصلوا بمعاهدها وأدبائها، أبو حامد أحمد بن محمد الانطاكي المعروف بأبي الرقعمق الشاعر المتفنن الماجن، وفد على مصر في أوائل الدولة ومدح المعز لدين الله وولده العزيز والوزير ابن كلس وتوفى سنة ٣٩٩ هـ؛ وأبو الحسن على بن عبد الواحد البغدادى المعروف بصريع الدلاء، قدم الى مصر أيام الحاكم بأمر الله ومدحه، وتوفى سنة ٤١٢ هـ وهو صاحب المقصورة الهزلية الشهيرة التي يعارض فيها مقصورة ابن دريد؛ ومنهم الشاعر الأشهر عمارة اليمني، وهو أبو محمد عمارة بن أبي الحسن، قدم إلى مصر سنة ٥٥٠ هـ في خلافة الفائز بن الظافر، وكان فقيهاً أديباً شاعراً فائق النثر والنظم؛ شهد سقوط الدولة الفاطمية ورثاها، واتهم بالتآمر مع آخرين على السلطان صلاح الدين، وأعدم سنة ٥٦٩ هـ، ومن آثاره كتاب أخبار اليمن، وكتاب النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية

ومن الرحل الذين وفدوا على مصر في ذلك العصر، الرحالة الفارسي ناصري خسرو، قدم اليها سنة ٤٣٩ هـ في خلافة المستنصر بالله، وشهد أزهرها، وأشار اليه خلال وصفه لمدينة القاهرة(١)

* * *

كان للأزهر بلا ريب أثره في توجيه الحركة الفكرية المصرية في هذا العصر، فقد كان منذ بدأت مهمته الجامعية موضع الرعاية الرسمية. كان يشترك في عقد حلقاته الدراسية أقطاب العلماء من رجال الدولة، كبني النعمان قضاة مصر، والوزير ابن كلس، وداعي الدعاة؛ وكانت هذه العناية تسبغ على حلقاته ودروسه أهمية خاصة؛ بيد أن هذا الأثر كان محدوداً، خصوصاً منذ قيام دار الحكمة، جامعة الدولة الرسمية، وتبوئها مقام الزعامة في توجيه الحركة الفكرية؛ وقد كان أثر الأزهر أقوى وأشد ظهوراً في نشر العلوم الدينية، وتخريج علماء الدين، لأنه كما قلنا كان موئل الثقافة الدينية، بينما كانت دار الحكمة موئل الثقافة المدنية؛ وعلى أي حال فان مؤرخ الآداب العربية لا يسعه الا أن ينوه بما كان للأزهر من أثر في سير الحركة العلمية والأدبية أيام الدولة الفاطمية، وان كان هذا الأثر لم يبلغ يومئذ ما بلغه فيما بعد من الأهمية والخطورة

ونلاحظ من جهة أخرى أن أثر الأزهر في توجيه الحياة العامة في تلك المرحلة الأولى من حياته لم يكن عظيما. ذلك أن الدولة الفاطمية كانت تحرص على سلطانها السياسي أشد الحرص وتعنى في التمسك بعصبيتها، ولا تفسح لكبير مجال لنفوذ العلماء ورجال الدين، ولم تكن عنايتها بنشر دعوتها الدينية الا توطيداً لدعوتها السياسية، ولم يكن للدعاة من العلماء ورجال الدين من النفوذ المستقل الا ما يتجه نحو هذه الغاية ويخضع لسياسة الدولة العامة. كذلك لم يكن للفقهاء والمشترعين المستقلين كبير أثر في سير التشريع في ذلك العصر، لأن الدولة الفاطمية كانت تهتدي في صوغ شرائعها بمبادئها المذهبية الخاصة، ومن ثم فإنا لا نستطيع أن نلمس أثراً يذكر لرجال العلم والدين في توجيه الحياة والشؤون العامة في العصر الفاطمي.

محمد عبد الله عنان

(١) راجع الترجمة الفرنسية لرحلة ناصري خسرو

# الفتوح الاسلامية
## وأثرها فى تقدم المدنية

للدكتور حسن ابراهيم حسن

إذا حاولنا أن نذكر فى هذه الكلمة ما كان للحكومات الاسلامية من أثر فى تقدم المدنية ، لم يكن ذلك إلا تكراراً لأمر قد فرغ منه منصفو المؤرخين شرقيين وغربيين

اتسعت رقعة الاسلام حتى زادت فى السعة على الأمبراطورية الرومانية . وكان الرسول عليه الصلاة والسلام أول من وضع أساس السياسة الخارجية للعرب ، فأرسل الكتب والبعوث إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى توحيد الله والايمان برسالته ، وغزا بلاد الروم وحارب الغساسنة على حدود الشام لما سخروا من دعوته واعتدوا على رسله وقتلوا أصحابه . وقد جهز قبل وفاته حملة لغزو أطراف الشام . غير أن وفاته قد حالت دون إنفاذها . ولما ولى أبو بكر الخلافة شرع فى إتمام هذا الفتح ؛ وجاء بعده عمر فعمل على توسيع رقعة الدولة الاسلامية . وإذا ماتتبعنا ماقام به الرسول من الغزوات والسرايا ، وما قام به الخلفاء من بعده من الفتوح ، وجدنا أنه كان لهذه الغزوات والفتوح أثر كبير فى نهضة بلاد العرب من النواحى الاجتماعية والسياسية والأدبية وغيرها ؛ كما كان لها الفضل الأكبر فى نشر الاسلام فى أرجاء الجزيرة العربية ، ووضع الأسس والمبادىء العامة فى تنظيم المعاملات بين أفراد الجماعة الاسلامية . ذلك أن الاسلام قد حرص على أواصر القرابة من أن تعبث بها الغيرة ، كما سوى بين المرأة والرجل فى جميع الحقوق تقريباً ، وأحل الوحدة الدينية محل الوحدة القومية . وحث على التمسك بالفضائل ، وعنى بأسرى الحروب أيما عناية ، وحاطهم بسياج من عدله ورحمته . ولم يذكر لنا التاريخ أن إماما من أئمة المسلمين أمر بقتل الأسرى ، اللهم إلا من كان يخشى خطره على المسلمين . ولا غرو فان الاسلام قد سوى بين الناس على اختلاف أجناسهم ؛ فسوى بين الأبيض والأسود ، والبدوى والمتحضر ، والحاكم والمحكوم ، وبين الرجال والنساء .

انظر الى المسلمين وهم فى مسجد يؤدون فريضة الصلاة ، أو فى مكة يحجون البيت الحرام ، أو فى المحاكم الشرعية فى صدر الاسلام ، أفتجد فيهم من فاضل ومفضول ؟ وقد ساعد الرسول على توحيد كلمة العرب تلك الديمقراطية التى جاء بها الاسلام ، والتى تلاشت أمامها هذه الفوارق الجنسية التى طالما مزقت شمل العرب ، وليس أدل على تلك الديمقراطية من قوله تعالى : ( يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا . ان أكرمكم عند الله أتقاكم ) ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « ليس لعربى على عجمى فضل الا بالتقوى »

ولقد وضع الاسلام من الأصول والنواميس ما هو كفيل بالقضاء على الاسترقاق ، لولا أن الأمم العربية وغيرها كانت إذ ذاك — كما نعلم — من شدة التمسك بهذا النظام . وبديهى أنه لا يستطيع الرسول عليه الصلاة والسلام أن يزيل أمرا ألفته النفوس واستولى عليها ذلك الاستيلاء ، على أن هذا الاستيلاء لم يغفل تعبيد الطريق لألغاء الاسترقاق ، فما فتئ الرسول يرغب الناس فى العتق . وقد أبقى عليه الصلاة والسلام الرق لسببين :

أولهما : حفظ التوازن بين الدولة الاسلامية وغيرها من الدول كالفرس والروم ، حتى يستفيد العرب من أسرى الأمم ، كما استفادت هذه الأمم من أسرى العرب

وثانيهما : لحماية الضعفاء من نساء ، أكلت الحرب رجالهم ، ولو تركن وشأنهن لكن عالة على المجتمع ومصدرا للشرور

على أن الاسلام ، وان لم يجد بدأ من اباحة الرق ، فانه لم يترك الارقاء هملا ، فقد نظم شؤونهم ، وأخذ بأيديهم فى طريق الحرية . وقد وصف أحد الفرنجة معاملة الاسلام للرقيق بقوله : « لقد وضع للرقيق فى الاسلام قواعد كثيرة تدل على ما كان ينطوى عليه محمد وأتباعه نحوهم من الشعور الانسانى النبيل ، ففيها تجد من محامد الاسلام ما يناقض كل المناقضة الأساليب التى كانت تتخذها الى عهد قريب شعوب تدعى أنها تمشى فى طليعة الحضارة . نعم ! ان الاسلام لم يلغ الرق الذى كان شائعاً فى العالم ، ولكنه عمل كثيرا على تحسين حال الرقيق ، وأبقى الأسر ، ولكنه أمر بالرفق بالأسير . ومما يدل على صحة هذا القول أنه لما جىء بالأسرى بعد غزوة بدر الكبرى فرقهم

الرسول على أصحابه . وقال لهم استوصوا بهم خيرا »

وعندما بسط الاسلام ظلاله خارج الجزيرة وجدنا أهل هذه البلاد المفتوحة يرحبون به . بل ويحثون على اعتناقه لما فيه من الحرية والمساواة ؛ فكان العرب أثناء حكمهم بلاد فارس والشام ومصر وغيرها من البلاد يقومون بحماية أهلها مقابل مبلغ معين يدفع عن كل فرد قادر على القتال يسمى الجزية ، وهى ضريبة شخصية يدفعها أهل الذمة مقابل اعفائهم من خدمة الجيش ؛ وكانوا يعفون من تلك الجزية إذا اعتنقوا الاسلام ؛ وكانت الأرض ملكا للفاتحين ، غير أن العرب كانوا يتركونها للأهالى يزرعونها على أن يؤدوا جزءا من غلتها ضريبة عقارية تسمى خراجا

ولما استولى العرب على بلاد فارس والشام ومصر اتخذوا لأنفسهم طرازا للعمارة خاصاً بهم ، يتناسب وطبيعتهم وحالة معيشتهم ؛ وقد فاق هذا الطراز طراز الفن البيزنطى والفارسى من حيث الرقى وجمال التنسيق والاتقان . والعرب — كالانجليز — مولعون بالتقليد ، كما أنهم معروفون بالابتكار المبنى على هذا التقليد ؛ وهم فى ذلك أشبه بالأمة الانجليزية . كذلك عنى العرب بتخطيط المدن وشق المجارى لتوصيل الماء الصالح للشرب اليها . فشرعوا على أثر انتصارهم فى موقعة القادسية (١٥ هـ) فى تخطيط مدينتى البصرة والكوفة ، كما أسسوا على أثر فتحهم مصر مدينة الفسطاط

وكان لاختلاط العرب بالأمم التى تغلبوا عليها أثر كبير فى تقدم المدنية . فقد بلغت النهضة العلمية أوجها فى صدر الدولة العباسية بفضل تشجيع المنصور والرشيد والمأمون . فكانوا يبعثون البعوث للتنقيب عن الكتب القديمة فى الكنائس والأديرة ، وأرسل المأمون بعثات علمية إلى الهند والقسطنطينية لنقل الكتب النفيسة ، ونشطت حركة الترجمة فى ذلك العصر نشاطاً عظيما . فنقلت الكتب الفارسية والهندية والاغريقية إلى العربية ، من بينها فلسفة أرسطو وهندسة أقليدس وجغرافية بطليموس ، وغير ذلك من الكتب فى الطب والفلك ، وكان من أشهر المترجمين حنين بن اسحق ، ويعقوب بن اسحق الكندى . وقد نهج الفاطميون والأمويون فى مصر ، وأمراء بلاد الأندلس فى الغرب نهج العباسيين . كذلك اهتم العرب اهتماماً كبيراً بدور الكتب العامة حتى بلغ عدد المجلدات فى مكتبة القاهرة فى عهد الفاطميين خمسمائة ألف مجلد ، وفى مكتبة قرطبة أكثر من أربعمائة ألف مجلد

ولم تقتصر علوم العرب على ما نقلوه عن غيرهم . فقد فاقوا أساتذتهم من الفرس والأغريق ، ولا غرو فقد شجع اتساع رقعة الدولة الاسلامية وانتشار التجارة فيها على رقى علم الجغرافية . ولا عجب فالعرب بدو رحل بطبيعتهم . ومن أشهر الرحالة من العرب المسعودى وابن جبير وابن بطوطة الذين طافوا الأقطار ووصفوا الجهات المختلفة وصفاً دقيقاً مبنياً على المشاهدات ومهدوا بذلك سبيل الكشف الجغرافى . كذلك اهتم العرب بعلم التاريخ فوضعوا فيه المؤلفات القيمة ، كما نبغوا فى الشعر والأدب . ولا غرو فقد أثرت فيهم بلاغة القرآن ، وساعدت مظاهر الحضارة المادية وجمال المناظر الطبيعية ، وبخاصة فى بلاد الأندلس على رقى الخيال ورقة الشعر ، كما برع العرب فى فن الغناء والعزف على الآلات الموسيقية ، وممن نبغ منهم فى الموسيقى والغناء اسحق الموصلى ببغداد ، وتلميذه زرياب بقرطبة ، حيث أسس مدرسة للموسيقى تخرج فيها كثير من مشاهير الموسيقيين

كانت الدول الاسلامية فى الشرق ومصر وبلاد الأندلس مركز الفنون والصناعات ، ومنار العلوم والآداب ، فى الوقت الذى كانت فيه أوربا غارقة فى بحار الجهل . وقد اتصل الأوربيون بالعرب واقتبسوا من علومهم واستفادوا من حضارتهم عن طريق مصر والشام أثناء الحروب الصليبية التى قامت فى القرن الحادى عشر الميلادى

فقد نزح الى بلاد الأندلس طلاب العلم من أنحاء أوربا ، فالتحقوا بمدارسها وجامعاتها ، وانتفعوا بدور الكتب الكثيرة بها . فلما عادوا الى بلادهم نشروا فيها علوم العرب . وبلغ من اهتمام الغربيين بالعلوم العربية أن أنشأوا فى باريس فى القرن الثانى عشر الميلادى مدرسة لتعليم اللغات الشرقية ، وقد ظهر من الأوربيين علماء تشبعوا بعلوم العرب وطرق أبحاثهم . نخص بالذكر منهم العالم الانجليزى روجر بيكون (Roger Bacon) الذى دعا الناس الى دراسة العلوم الرياضية والطبيعية والاعتماد على التجارب للوصول الى الحقائق العلمية ، فبدأ الأوربيون يبحثون العلوم بحثاً علمياً كان له أثر عظيم فى قيام النهضة العلمية فى أوربا ورقى الحضارة العربية . وقد نقل الأوربيون العلوم الطبية عن

ابن زهر وابن البيطار ، وعرفوا بصفة خاصة طرق معالجة الجدرى والحصبة . وطالما كان يستدعى ملوك أوربا وأمراؤها الأطباء من العرب لمعالجتهم . وأسس الفرنسيون مدرسة للطب فى مدينة مونبليه ( Montpellier ) قام بالتدريس فيها أساتذة من بلاد الأندلس ؛ كذلك استفاد الأوربيون من نبوغ العرب فى الكيمياء . ولا تزال بعض المركبات الكيميائية ، كالكحول ( Alcohol ) والكافور ( Camphor ) والقلويات ( Alkali ) والأشربة ( Syrops ) تدل على أصلها العربى

وقد أخذ الأوربيون عن المسلمين كثيراً من أنواع النبات ، كالأرز ، وقصب السكر ، والخرشوف ، والمشمش ، والبرتقال والزعفران ، وأنواع الورد والياسمين ؛ كما أخذوا عنهم الطواحين الهوائية لطحن الغلال ، ورفع الماء ، وأقاموا أول طاحونة منها فى مقاطعة نرمندية سنة ١١٠٥ م ، كما أقاموا غيرها فى هولنده . ولا تزال سهول بلنسية فى اسبانيا تروى إلى الآن بطرق الرى الفنية التى ابتكرها العرب . وقد نقل الأوربيون عن العرب كثيراً من الصناعات كصناعة السكر والحرير والورق كما عرفوا عنهم البوصلة التى كان لاستعمالها فضل كبير فى توسيع نطاق الملاحة وتشجيع الكشف الجغرافى . وقد نبغ العرب فى الفنون الحربية وصناعة السفن حتى أصبحوا أساتذة أوربا فى ذلك المضمار . فكانت أساطيل الدول الاسلامية فى حوض البحر الأبيض المتوسط نماذج تحتذيها البلاد المسيحية فى صنع أساطيلها . ولا تزال كثير من الاصطلاحات العربية البحرية شائعاً على ألسنة البحارة فى جنوه حتى اليوم . من ذلك كلمة Cable المحرفة عن لفظ حبل ، وكلمة ( Darsonal ) الايطالية المحرفة عن لفظ دار الصناعة

ولم تقتصر استفادة الأوربيين من العرب على العلوم والصناعات ، فقد تأثر طلاب العلم من الأوربيين بالأدب فى اسبانيا ، وبخاصة الشعر والموسيقى ، فنقلوا إلى بلادهم أشعار العرب وأناشيدهم وأغانيهم مما كان له أثر كبير فى الآداب الأوربية . ولا عجب فقد كان العرب حلقة اتصال بين المدنية القديمة والمدنية الأوربية الحديثة

حسن ابراهيم حسن

أستاذ التاريخ الاسلامى بكلية الآداب بالجامعة المصرية

وكلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية

---

من مناظر الهجرة

# أم سـلمة*

بقلم ناجى الطنطاوى

— ١ —

( فى البادية ، قبل الفجر ، أم سلمة ممتطية بعيراً وابنها فى حضنها وأبو سلمة آخذ بخطام البعير يسوقه ، فى طريقهم إلى المدينة مهاجرين )

أم سلمة

« أبا سلم » حث المطى فاننى أخاف من القوم المكيدة والغدرا
إذا أدركونا اليوم كان نصيبنا الرَّ دى وغدت هذى الرمال لنا قبرا
وإنى لا أخشى على نفسى الردى ولا أرهب الموت الزؤام ولا الأسرا
ولكن طفلى سوف يصبح إن أمت يتيماً ، ويحسى طعم عيشته مرا

---

(*) هى هند بنت سهيل القرشية المخزومية أم المؤمنين ، كانت زوج ابن عمها أبى سلمة بن عبد الأسد ، فلما مات عنها تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جمادى الآخرة سنة أربع . وكانت ممن أسلم قديماً هى وزوجها وهاجرا إلى الحبشة فولدت له سلمة ، ثم قدما مكة ، وهاجرا إلى المدينة ، وفيها ولدت له عمر ودرة وزينب وقيل إنها أول امرأة خرجت مهاجرة إلى الحبشة وأول ظعينة دخلت المدينة

وحين بعث إليها النبى صلى الله عليه وسلم يخطبها بعد سنتين من الهجرة حين مات زوجها وانقضت عدتها ، اعتذرت بكبر السن والأولاد وكونها غيوراً ، فذكر النبى صلى الله عليه وسلم أنه كبير أيضاً وذو أولاد ، ثم قال : وأما الغيرة فأدعو الله عز وجل أن يذهبها عنك ، فكان أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يتحاكمن إليها لعلهن ببراءتها من الغيرة . وكانت موصوفة بالجمال البارع والعقل البالغ والرأى الصائب ، وهى صاحبة المشورة المباركة يوم الحديبيــة . توفيت على الأكثر فى آخر سنة ٦١ وهى آخر أمهات المؤمنين موتاً

أما زوجها أبو سلمة ، فهو عبد الله بن عبد الأسد المخزومى من السابقين الأولين إلى الاسلام ، أسلم بعد عشرة أنفس ، وكان أخا النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وابن عمته ، وروى ابن أبى عاصم من حديث ابن عباس : أول من يعطى كتابه بيمينه أبو سلمة بن عبد الأسد ، وأول من يعطى كتابه بشماله أخوه سفيان بن عبد الأسد

شهد بدراً ، وتوفى فى سنة أربع من الهجرة بعد منصرفه من أحد ، انتقض به جرح كان أصابه بأحد فمات منه

إذا صاح «أمي» لم يجد من يجيبه　فتذرى أحر الدمع مقلته الشكرى
لتسرع فانى قد شعرت بوحشة　وذعر

أبو سلمة —
دعى يا أم سلمة ذا الذعرا
ألم تعلمى أن القدر كائن　إذا عاندته النفس أعقبها خسرا
ستنجو معاً إن يكتب الله نجوة　ويلحقنا ضر إذا كتب الضرا
ألا فى سبيل الله كل مصيبة　إذا نزلت فينا ادَّرعنا لها الصبرا
تق أن ما نلق من البؤس والضنى　سيجعل رب العرش فيه لنا أجرا
دعانا إلى الدين القويم محمد　فقلنا له لبيك رمت بنا خيرا
أطعنا وآمنا بك العمر كله　فرنا فانا قد بذلنا لك العمرا
وقفنا على نصر النبي نفوسنا　وأرواحنا لا نبتغى الحمد والشكرا
سلام على عهد بمكة سالف　لهونا به لم نعرف الحزن والضيرا
مهاجر من أرض غذانا خيرها　لو انا استطعنا مانوينا لها هجرا
فهل يكتب الله المؤمل عودة　لنا أم ستبقى فى خيالتنا ذكرى

أم سلمة : أرى الطفل قد أغفى

أبو سلمة : . . . . لينعم بنومه　ولا توقظيه ربما تقطع الغفرا
— أما ذاق طعم النوم بالأمس ؟
— لا

اذن　دعيه ينم ماشاء ولنرقب الفجرا
( يتطلعان إلى السماء لرؤية الفجر ، وبعد لحظة يسمعان جلبة وصوت حوافر خيل ، وتعلو أصوات من حولها قائلة : )

قفا

استسلما

اياكما أن تقدما

سيقتل حالاً من عصى الأمر أوفرا

أبو سلمة — وقفنا فمن أنتم ؟

مطاعين من بنى المغيرة قد سقنا لكم عسكراً مجرا
«أبا سلم» دع حفظ نفسك اننا　غلبنا عليها ما استطعنا لها قهرا[1]
وضم الينا أم سلمة مرغماً　وإلا فانا سوف نستصرخ السمرا
( يقف أبو سلمة حائراً ، واثقاً أنه إذا أراد المقاومة ، قتل هو وزوجته وابنه جميعاً بينما يتقدم القوم فينزعون خطام البعير من يده ويأخذون أم سلمة )

(١) نص العبارة . « هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه على م نتركك تسير بها فى البلاد ؟ »

أم سلمة —
الى أين ؟ يا رباه ! ماذا يراد بى ؟
أيتركنا زوجى بأيدى العدا أسرى ؟
أأفصل عنه وهو دونى ماثل　يرانى ولا يبدى حراكاً ولا أمرا ؟
( يسحبونها ويسيرون بها )
دعونى يا رهط اللصوص فليس لى
من العزم ما أرجو به لكم دحرا
شجاعتكم جبن اذا هى أعلنت　على امرأة مثلى مولهة حرى
أباداتكم بالشر أول مرة ؟
أأضمرت طول العمر يومالكم شرا ؟
سألتكم بالله الا عطفتم　علىّ لعل الله يجزيكم خيرا
( يسخرون منها ويضحكون )

أقالت لعل اللات ؟

انى سمعتها　تقول لعل الله

أبلغ بذا كفرا !

لقد صبأت

لا بد من قتلها اذن

أوافق

لا ، فالسجن قبل بها أحرى

ستسجن حينا ثم تردى قتيلة

أم سلمة —　حنانيكم يا قوم . . !

لا تطلبى غفرا
( يمرون فى طريقهم على بنى عبد الأسد رهط أبى سلمة ، فلا يكاد هؤلاء يعرفون الخبر حتى يهجموا عليهم قائلين : )

على رسلكم يا عصبة الشر

مالكم ؟

ألم تأخذوا بالأمس صاحبنا قسرا ؟

كذبتم لقد أمسى طليقا

ولم ينل بسوء

إذن خلوا لنا طفله حرا

وما شأنكم بالطفل ؟

ما شأننا به ؟ وهل ينتمى إلا إلى أمه الكبرى[1] ؟
( يهجمون عليهم ، ويتجاذبون سلمة حتى يأخذوه بعد أن تخلع يده ويذهبون به )

(١) كناية عن القبيلة

أم سلمه ( تصيح ) —

أغثنيَ يا ربي وهب لي مخرجا
من البؤس وارفع عني السوء والضرا

( يغمى عليها )

— ٢ —

( بعد عام كامل ، أم سلمة جالسة وحدها بالأبطح (١) في حي بني المغيرة تبكي وتقول )

أم سلمة —

— سقى الله عهداً غاله الدهر لم يكن
سوى حلم عذب شهي بنا مرا

شربنا به كأس المسرة والصفا
ورفرف طير الحب من فوقنا دهرا

ولم نك ندري فيه مالوعة النوى
وما حرقة الحزن التي تقصم الظهرا

أحن الى أهلي حنين موله
وقد ينقضي يوم فأحسبه عشرا

ألا هل أرى زوجي وطفلي قبلما
أموت وألقى في الثرى جسداً قرا

لقد نفد الدمع الذي كان سلوتي
فمن لي بدمع يذهب الشجن المزا

أقول لقلبي والأسى يتبع الأسى
هداديك(٢) قد أفنيت شطراً فدع شطرا

« أبا سلم » اذكرني فاني مقيمة
على العهد لا أنساك صبحا ولا عصرا

أعندك أني منذ عام سجينة
أقاسي من الآلام مايصدع الصخرا

وأني لا أدري إلام يطول بي
عذابي ، أيوما بعد عامي أم شهرا

الى الله أشكو ما ألاقي من الأسى
ومنه أرجي العون والغوث والنصرا

( يدخل عليها رجل من بني عمها ، وهو أحد بني المغيرة ، كان قد عرف حالها ، وكلم قومه في أمرها ، فرضوا باطلاق سراحها ، ويكون قد سمع شكواها ) —

— أقلي من الشكوى ، ولا تكثري البكا

— ومن أنت ؟

— واستبقي الجلادة والأزرا

— ومن أنت ؟

— لا تخشي فديتك زائرا
أتاك على وهن به يحمل البشرى

— وأية بشرى ؟

— أبشري بالخلاص من اسارك

— دع عنك التهزؤ والسخرا

— لقد قلت حقا ، ماالتهزؤ شيمتي
ولا أعرف المين المعيب ولا الهذرا

— أأصبحت أستطيع الخروج الى ....

( يدخل نفر من القوم ، ويصيحون بها قائلين )

أخرجي ، فانا عفونا عنك

شكراً لكم شكرا !

( تخرج من الأسر وهي تقول في نفسها )

— أيارب حمدا لا انتهاء لحده
ويارب شكرا لا أطيق له حصرا

( تذهب في طريقها سائرة وحدها إلى المدينة ) .

— ٣ —

( تمر في سيرها بحي بني عبد الأسد . فيراها القوم فيسألونها عن خبرها فتخبرهم بما وقع لها من الخلاص من الأسر ، وانها ذاهبة إلى زوجها فيواسونها ويردون عليها سلمة ، فتأخذه وتذهب في طريقها مسرورة تضمه وتقبله وتقول له : )

— حبيبي أحقا عدت لي اليوم بعد ما
فقدتك عاما ما عرفت به البشرا

أسائل عنك الريح عند هبوبها
وأستنطق الأفلاك والسحب والبدرا

وكم كنت أخشى أن تمد يد الردى
اليك شبا كا تقنص الليث والنسرا

فسل مقلتي هل داعب النوم جفنها
وسل قلبي الولهان هل نسي الذكرا

أحقا تراك العين يا من سلبتها
لذيذ الكرى ، أم ذاك وهم بها قرا

لحا الله من أقصاك عني ، انه
— ولم يدر — أقصى عني الأمل النضرا

لقد خلعوا عناك شلت يمينهم
فياليتها اليمنى بجسمي واليسرى

ويا ليت ما قاسيت من ألم سرى
الي وحلت الأسى عنك والبهرا(١)

قضى الله أن نشقى فكان الذي قضى
فهل كتب الله السعادة واليسرا ؟

(١) بين مكة ومنى ، وهو مسيل وادي مكة

(٢) — تمهل

(١) الاهانة والنكبة

(تابع سيره دون أن ترى أحداً في طريقها ، ثم تصل إلى التنعيم(١) ، فتلمح عن بعد رجلا قادماً نحوها ، لا تكاد تقرب منه حتى تنظر إليه فتعرفه وإذا هو عثمان بن طلحة (٢) أخو بني عبد الدار)

عثمان — الى أين ؟

— قصدي أرض يثرب

— منذ كم تسيرين ؟

— في يومان أضرب في الصحرا

— تسيرين في الصحراء وحدك ؟

— ما معي سوى الله وابني ذا ، وأنعم به ذخرا

— فمالك يا أختاه والله مترك ولابد لي من أن أبلغك الوكرا(٣)

(يعود معها إلى المدينة ، فتذكر له ما جرى لها . ويتابعان سيرهما حتى يصلا إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء (قرب المدينة) فيدخلانها ، ويعلمان من أهلها أن أبا سلمة فيها ، فيذهبان إليه)

— ٤ —

(أمام داره . تطرق أم سلمة الباب)

أم سلمة — أأدخل ؟

— من ذا يطرق الباب ؟

عثمان — زائر

— على الرحب يا من جاءنا يبتغي زورا

— تفضل إذا شئت

(يدخل عثمان ووراءه أم سلمة متئمة ، وولدها معه لا يظهر إلا وجهه)

عثمان — السلام عليكم

— عليكم سلام الله منهملا ثرا

فقدناك دهراً يا ابن طلح فما الذي عناك ؟

— نضالي العيش والجوع والفقرا

— عذرت ، وقاك الله كل مصيبة وأذهب عنك السوء والضيق والعسرا

(يلتفت إلى أم سلمة ويقول له :)

— ومن هذه ؟

— أختي

(ينظر إلى الطفل طويلا ، ولا يدري أهو ابنه أم لا)

— ألست ترى ابنها ؟

— بلى

— إن لي ابنا مثله كان بي مغرى

— وما زال ؟

— لا أدري فاني فقدته وأما له من خيرة الناس

— هل فرا ؟

— يفران ؟ كلا ، بل أحاط بنا بنو المغيرة واستاقوهما معهم قهراً

— متى كان هذا ؟

— منذ عام تفتتت به كبدي ، والدمع سال به نهرا

أبيت فلا يعتاد مقلتي الكرى وأصبح لا أستطيع نطقا ولا صبرا

أم سلمة — (بصوت متكلف)

— ولم لم تدافع عنهما حين أقبلوا

— أيستطيع غرقى البحر أن يبلعوا البحرا

أم سلمة — أتعرفني يا عم ؟

— (بدهشة) انك أخته

— (ترفع اللثام) أتعرفني ؟

ماذا ؟ أأنت التي أقرى(١) ؟

(يقوم إليها ويعانقها طويلا ويضم ابنه ويقبله)

أبو سلمة — لك الحمد يا من ليس يحمد غيره

جمعت شتيت الشمل في الأنفس الحيرى

بلوت فكان الصبر أكبر همنا فشكرا على عفو غمرتنا به غمرا

(دمشق) ناجي الطنطاوي

(١) أبحث وأفتش . (حاشية) : قالت أم سلمة : والله ما أعلم أهل بيت في الاسلام أصابها ما أصاب آل أبي سلمة ، وما رأيت صاحباً قط أكرم من عثمان بن طلحة

(١) موضع بمكة في الحل وهو بين مكة وسرف على فرسخين من مكة ، سمي بذلك لأن جبلا عن يمينه يقال له نعيم ، وآخر عن شماله يقال له ناعم ، والوادي نعمان

(٢) هو عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري من بني عبد الدار ، حاجب البيت ، أمه أم سعيد بن الأوس . أسلم مع خالد بن الوليد في هدنة الحديبية ، وهاجر معه ، وشهد الفتح مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه مفتاح الكعبة ، وفي الصحيحين من حديث ابن عمر قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة ، ودخل معه بلال وعثمان بن طلحة وأسامة ابن زيد ، توفي بمكة نحو سنة ٤٢

(٣) نص العبارة : (هل معك أحد ؟ فقلت لا والله إلا الله وابني هذا ، فقال والله مالك من مترك)

# الاسلام والمدنية والعلم

للاستاذ محمد أحمد الغمراوى

— ١ —

هذا العـدد الممتاز ينظر فى أثر الاسلام فى المدنية ، وقد يسبق إلى النفس من هذا أن المدنية غاية عليا ونظام كامل نشأ من عدة عوامـل أحدها الدين ، وأننا اذ أردنا أن نحتفل فى (الرسالة) بالحادث الأكبر ، حادث الهجرة ، الذى ثبت الله به الدين الكامل ، أحببنا أن نثنى على الاسلام بالاشادة بنصيبه فى تشييد صرح المدنية التى هى أعم وأشمل ، وقد يقال أكمل ، من الاسلام ؛ ولو كان هذا هو المراد ، أو كان هذا ينتج من الاحتفال بالهجرة على هذا النحو ، لكان احتفالنا احتفالا معكوسا ، ولـكانت اشادتنا بما نريد أن نشيد به ذما له وانتقاصا . لكن ليس الغرض من الاحتفال بالهجرة على هذا النحو هو الاشادة بالمدنيـة ثم بالاسلام بالتبع ، انما الغرض هو شبه دراسة اجتماعيـة مرماها إن أمكن تحديد الصـلة بين هذه المدنية القائمة وبين الاسلام ، أو بالأحرى تحـديد ما هنالك من توافق وتفاوت بين المدنية الواقعة كما نراها اليوم والمدنية الغائية كما جاء بها الاسلام.

وفى الحق أن هذه المدنية بعيدة جدا عن أن تكون مثلا أعلى للمدنيات قد جاد بتحقيقه الزمان ، فان المدنية الكاملة يجب أن يكون بينها وبين الفطرة من الاتفاق ما يجعلها فى الواقع جزءا من الفطرة التى فطر الله عليها الكون ، وآية ذلك أن يكون فيها ما فى سائر النظم الكونية من الاتسـاق والانسجام والتوافق والتماسك والاتزان والهدوء ، وهذا لا يتحقق لأية مدنية من المدنيات الا اذا قامت على الحق فى جميع نواحيها ، وكانت نظمها النافذة منطبقة على قوانين الفطرة التى فطر الله عليها الناس أفرادا وجماعات

وشيوع الخلل والاضطراب فى النواحى الاجتماعية من هذه المدنية هو دليل شيوع الباطل فى هذه النواحى ، ودليل بُعد هذه النواحى عن الفطرة . لـكن اذا كان الباطل قد شاع فى أكثر نواحى هذه المدنية فان هنالك ناحية واحدة قد عزت على الباطل أن يكون له فيها مقام ، ودانت للحق فهو فيها الحاكم المطاع .

تلك هى الناحية العلمية التى أغرت المدنية هذه القوى المادية التى فتن بها الناس فظنوا هذه المدنية أفضل المدنيات حين قدرت على ما لم تقدر عليه المدنيات قبلها من طيران فى الهواء وغوص فى المـاء ، وتسخير للبحار والـكهرباء ؛ وغفلوا عن أن تفاضل المدنيات ليس أساسه القوة ، ولـكن إحسان استعمال القوة فى سبيل الحق : سبيل الله ، والا انقلبت تلك القوى على المدنية المغترة فزلزلتها وصيرتها الى ما يصير اليه الباطل من الزوال

هذه الناحية العلمية هى فخر هذه المدنية الحديثة ، بها ستذكر فى المدنيات اذا ذكرت المدنيات بأنبل ما فيها وأفضله وأصدقه ، بعد أن تصبح كما أصبحت المدنيات قبلها أحاديث . ثم هى الناحية الواحدة التى اتحدت فيها هذه المدنية بالفطرة ، واذ كان الاسلام دين الفطرة فهى الناحية الواحدة التى تم فيها الاتصال بين المدنية الحديثة وبين الاسلام

هذه دعوى قد تحتاج عند بعض الناس الى تفصيل وتحديد ؛ أو — ان شئت — الى دليل وبرهان ما دام الناس ليسوا كلهم قد درسوا العلم ، وما دام من درسوا العلم ليسوا كلهم يعرفون شدة الصلة بينه وبين الاسلام

أما إن الاسلام يؤيد العلم عامة ويحض عليه ويكبر منه فأمر يعرفه كل من له إلمـام ولو ببعض الآيات والأحاديث الواردة فى العلم ، فالذى يقرأ من الحديث الصحيح مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وقوله : « اطلبوا العلم ولو بالصين » وقوله : « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع » ، والذى يعرف ما فعله الرسول صلوات الله عليه بعد بدر من جعـله فداء بعض فقراء الأسرى تعليم عشرة من أولاد المسلمين الـكتابة ، يعرف من غير شك أن الاسلام هو دين العلم والتعـلم . فاذا تلا من كتاب الله مع ذلك مثـل قوله تعالى : ( هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ) ( شهد الله

أنه لا إلــه إلا هو ، والملائــكة وأولو العلم ، قائماً بالقسط ، لا إلــه إلا هو العزيز الحــكيم ) ، والآيات الــكثيرة التى جعل الله سبحانه العلم فيها حكما بين النبى ومجادليه مثل قوله تعالى على لسان نبيه : ( إيتونى بكتاب من قبل هــذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين ) — إذا تدبر الانسان هذه الآيات الــكريمة وأمثالها بعد تلك الأحاديث أدرك أن العلم على اطلاقه لم يُكبَّر فى دين من الأديان كما أُكبر فى الاسلام ، وأن ديناً لم يلزم أهله بالعلم والتعلم كما ألزم الاسلام المسلمين

هذا التأييد التام للعلم على إطلاقه يشــمل طبعاً التأييد التام للعلم بمعناه الخاص : معناه الطبيعى المستعمل فيه اللفظ اليوم ؛ لــكن ليس هناك من حاجة الى مثل هذه الحجة على قوتها فى اثبات أن العــلم بمعناه الحديث مطلوب مأمور به فى الاسلام ، فان الآيات القرآنيــة الــكثيرة الواردة فى الحض على تطلب آيات الله فى الــكون وتعرف أسرار الخلق هى فى الواقع توجيــه للعقل الى مجالات العلم الذى يسميه الناس بالعلم الطبيعى ، بل هى أوامر من الله بطلبه ، لأن آيات الله فى الــكون التى ندبت تلك الآياتُ القرآنية الــكريمة إلى طلبها ليست بأكثر ولا أقل من أسرار الفطرة التى هى مطمح العلم ومرماه . فأنت إذا قرأت مثــل قوله تعالى : ( وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهاراً ، ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ، يُغشى الليلَ النهارَ ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون . وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرعٌ ونخيل صنوانٌ وغير صنوان ، يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ، إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ) ( وسخر لــكم الليــل والنهار والشمس والقمر ، والنجومُ مسخرات بأمره ، إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ) ( قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلقَ ) ( قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ) — إذا قرأت هذا وأمثاله فى القرآن لم تشك فى أن العلم الحديث قرآنى فى موضوعه ، إذ هذه العلوم الطبيعية إنما تبحث عن أسرار هــذه الظواهر الــكونية التى نبه اليها وأمر بالبحث فيها القرآن

فاذا أنت استقريت الآيات القرآنية الــكونية لترى هل ورد فى بعضها مادة ( علم ) اللغوية ، وجدت أن هناك أكثر من آية وردت فيها هذه المادة إن لم يكن فى صيغة المصدر ففى صيغة مشتقاته ، مثل قوله تعالى من سورة الأنعام ( وهو الذى جعــل لــكم النجوم لتهتدوا بهــا فى ظلمات البر والبحر ، إن فى ذلك لآيات لقوم يعلمون ) وقوله سبحانه من سورة الروم : ( ومن آياته خلق الســموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، إن فى ذلك لآيات للعالمين ) وإذن فهذا العلم الطبيعى ليس فقط قرآنيا بموضوعه بل هو قرآنى باسمه ، واذا كان الناس قد اصطلحوا اليوم على تلقيبه بالحديث فقد آن لهم أن يتذكروا أن فاطر الفطرة سبحانه قد أمر به الانسان لما أنزل القرآن هدى للناس كافة منذ نيف وأربعة عشر قرنا من الزمان .

وفى الحق أن الانسان ليأخذه العجب من كثرة ما لقيت هذه الناحية من التوكيد فى القرآن ، ثم من تراخى المسلمين برغم ذلك فى طلب هذا العلم ، ولو للانتفاع به فى تفسير ذلك الجزء من القرآن . إن الآيات الواردة لتلفت الانسان إلى أسرار الفطرة وتحثه على تفقهها ، لا تكاد تقل إن قلت عن خُمس آيات القرآن ، ولم تلق ناحية من نواحى المدنية مثل هذا التوكيد فى الاسلام إلا ناحية الأخذ بالعدل والاحسان فى المعاملة ؛ فكأنّ المدنية فى الاسلام شطران : شطر يقوم على العلم وشطر يقوم على العدل ، ومن وراء ذلك كله مخافة الله ومحبته ، لا غنى لأهل المدنيــة عن هذين إن أرادوا لها البقاء . وعلى كل حال فان حث الانسان فى نحو خمس القرآن على دراسة الفطرة أريد به على الأخص حثه على عبادة الله عن طريق تلك الدراسة وعن طريق شكره سبحانه على ما ستثمر تلك الدراسة من ثمرات . وهذا لا يقلل شيئاً من شأن العلم فى الاسلام بل يزيده ، ثم هو أبلغ فى الدلالة على أن العلم فى الاسلام جزء من الدين .

على أن أمر التوافق بين العلم والإسلام قد جاوز الإجمال الى التفاصيل : جاوز قرآنية الموضوع والاسم الى قرآنية الروح والطريقة . فروح العلم وطريقته منطبقة تماما على ما جاء به القرآن

فأما روح العلم التى هى فى صميمها التجرد للحق والصدق فيه والاستمساك به والتعاون عليه ، فهى من روح الاسلام من غير شك ، إذ الاسلام كله ليس إلا أمرا بالحق وتجردا له وجهادا فيه ، وما لقيه الحق من الأكابر فى العلم لا يزيد شيئا عما لقيه الحق من الأكابر فى القرآن

وإذا كان هناك فرق بين الاثنين فهو لا يتعلق بذاتهما ولــكن بامتداد سلطانهما ؛ فروح العلم مقصورة طبعا على الميادين التجريبية

التي قصر العلم عليها نفسه ؛ لكن روح الاسلام تشمل بسلطانها كل ميادين حياة الانسان العلمي منها والاجتماعي ، ما يمكن اخضاعه لتجارب العلمية منها وما لا يمكن

وأما طريقة العلم في طلب الحق فاليها يرجع فضل العلم في هذا العصر على مثله في سابق العصور . لقد كان من بين علماء تلك العصور من يحبون الحق ، ويعملون له ، ويحرصون عليه . كما يحبه ويعمل له ويحرص عليه علماء اليوم . لكنهم لم يوفقوا الى نظام علمي شامل يضمن الوصول الى الحق ويضمن على الأخص عدم قبول باطل على أنه حق . فهذا النظام الذي يحسن التمييز بين الحق والباطل ، ويضمن من نفسه أن ينفي الباطل ويثبت الحق ، هو الفارق المميز بين العلم الحاضر والعلم الماضي . وهو المفخرة الحقيقية للعلم الحديث

هذا النظام لم يصنعه شخص ولم تصنعه هيئة . ولكن نشأ بالتدريج بنشأة العلم الحديث حين أخذ العلماء يجعلون وجهتهم ابتغاء الحقيقة لا ابتغاء المنفعة ؛ وحين أرادوا في تلمسهم سنن الفطرة أن يتجنبوا مناشئ الخطأ في العلم القديم ، ويتحروا الوجهة في العصر الذي ظهر تطور العلم فيه

وللمقارنة بين الأصول التي قام عليها هـذا النظام والأصول التي تناظرها فيما جاء به الدين يحسن تقسيم أصول النظام العلمي إلى قسمين : قسم يتعلق بنفس الفطرة التي ستكون موضوع العلم . وقسم يتعلق بطريقة النظر والبحث عن أسرار تلك الفطرة

فأما ما تعلق بنفس الفطرة فقد وجد العلماء أنفسهم مضطرين إلى القول بأصول ثلاثة : أصل استقلال الفطرة . وأصل اطراد الفطرة . وأصل انسجام الفطرة أو استحالة الخلاف بين جزئياتها . فأصل استقلال الفطرة يعلن استقلال الفطرة عن الانسان ؛ فلا يستطيع ساحر ولا كاهن أن يغير من مجراها أو يعدل من قوانينها ، ولا تتغير هي تأثراً بما يجرى لأى إنسان ؛ وأصل اطراد الفطرة يعلن استقلال الفطرة عن الزمان ، فما يثبت من سننها في وقت فلابد أن يكون موجوداً من قبل ، وسيظل موجوداً في المستقبل ، لا يلحقه تبديل ولا تغيير ؛ وأصل انسجام الفطرة يعلن استحالة التناقض بين الحقائق ، فلا يمكن أن ينقض حق حقاً أينما كان وكيفما ظهر . في الأرض أو في السماء ، وما يناقض حقاً إذن فهو باطل يجب أن ينبذ ولا ينظر اليه

فأما الأصل الأول فكان ضرورياً لصيانة العلم وتحرير العقل من دجل الدجالين ، وإعداده لطلب الحق وتلقيه . وهو أصل ليس هناك اليوم من يجادل فيه . وأما الأصلان الآخران فهما كما ترى ضروريان لوجود العلم واطراد نموه ، لا يمكن بدونهما نظر ولا بحث ولا استقراء ولا استدلال . لكن من العجيب أن العلم عاجز عن إثباتهما . إذ أقصى ما يستطيع أن يقوله هو أنه اعتمد عليهما قروناً معدودة فبررت النتائج الباهرة التي وصل اليها ذلك الاعتماد ، فهو لذلك سيستمر معتمداً عليهما إذ ليس هنالك ما يدعو إلى الشك فيهما فيما يتعلق بالمستقبل أو الماضي . لكن الفلسفة لا تقنع من العلم بهذا الجواب ، وتواجهه بما فيه من ضعف ، وتزعم له أن نجاح الاعتماد على ذينك الأصلين قروناً لا يثبت صحتهما إلا في تلك القرون . وأما فيما قبل ذلك وما بعد ذلك فلا يستطيع العلم أن يجزم بصحتهما . وإذن فلا يحق له أن يطمئن كل الاطمئنان اليهما . لكن العلم يمضي في اطمئنانه لا يبالي بما توجهه الفلسفة إلى أصليه هذين من نقد وتشكيك ، لأنه من ناحية لا يرى فائدة عملية في الاصغاء إلى هذا النقد . ولأنه من ناحية أخرى يرى وجوده ذاته منوطاً بصحة هذين الأصلين ، لو شك فيهما لحكم على نفسه بالفناء .

ومن البديهي أن الحكم بين العلم والفلسفة في هذه القضية لا يستطيعه إلا الذي بيده أمر الماضي والمستقبل . فاطر الفطرة وخالق الخلق سبحانه ، وقد حكم سبحانه للعلم منذ أنزل القرآن

هذان الأصلان وما يتعلق بهما يقررهما القرآن في غير تردد ولا ابهام ؛ ومبدأ هذين الأصلين أصل آخر لم يقرره العلم إلا ضمناً ، ولو قرره لما سلمته له الفلسفة . لأنه أصعب اثباتاً حتى من ذينك الأصلين : ذلك هو أن هذا الكون قائم كله على الحق . فإنه لا بد من تقرير ذلك ولو لحظة حتى يمكن بعد هـذا أن يقال إن كان الكون سيستمر على ذلك أو لا يستمر ؟ وأنى للعلم أو الفلسفة تقرير ذلك بغير الافتراض والظن الذي لا يستند إلى برهان . لكن الله فاطر الكون قرر للانسان الحق فيما لا يستطيع أن يثبته الانسان ، قرر في غير ما آية أن الكون قائم على الحق ( وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين . ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون ) . ( خلق السموات والأرض بالحق ، يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ، وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى أجل مسمى ، ألا هو العزيز

الغفار ) . وقرر سبحانه أنه لا تبديل لسننه فى الخلق ولا تحويل ( فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ) ، ( فهل ينظرون إلا سنة الأولين ، فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ) ، ( سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ) . وهذا المبدأ ، مبدأ ثبوت الفطرة من غير تبديل ، الذى أعلنه الله سبحانه للناس فى القرآن ، مبدأ عام يشمل جميع ميادين الفطرة ، ما تطاول العلم إلى بحثه فى ميدان المادة ، وما لم يتطاول إلى بحثه فى ميدان الاجتماع ، كما هو مقتضى سياق تلك الآيات فى القرآن

أما أصل انسجام الفطرة فقد قرره الله سبحانه حين قال جل وعلا : ( ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير ) . وارتفاع التفاوت يستلزم حتماً ارتفاع التناقض الذى هو أكبر التفاوت ؛ وقد تقرر نفس الأصل فى صورته الأخرى : صورة انتفاء الباطل بالحق فى قوله تعالى : ( بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون ) . فالاسلام يؤيد العلم تأييداً تاماً حين تخون العلم قدرته ، وتضعف حجته . ويستطيع العلم فى يقين المسلم أن يمضى فى سبيله مطمئناً على وجوده ، غير مبال باعتراض الفلسفة ، اعتماداً على ما أعلنه رب الفطرة للناس فى القرآن .

أما أصل استقلال الفطرة عن الانسان فقد أعلنه الرسول صلى الله عليه وسلم للناس يوم مات ابنه ابراهيم وكسفت الشمس فتحدث الناس أنها كسفت لموت ابراهيم ، فخطبهم صلى الله عليه وسلم فيما روى البخارى خطبة قال فيها : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فاذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا » ؛ ثم زاد القرآن الكريم ذلك الأصل تقريرا وتوضيحاً فى قوله تعالى : ( أم يقولون به جنة ، بل جاءهم بالحق ، وأكثرهم للحق كارهون ، ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ، بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ) . فأنت فيما يتعلق بأصول الفطرة ترى تمام الاتحاد بين ما قام عليه العلم وما قرره الاسلام

( يتبع ) محمد أحمد الغمراوى

# العقيدة

## للدكتور ابراهيم بيومى مذكور

غذاء القلب وطمأنينة الروح ، ملجأ الضعيف وسلاح القوى . هى حقيقة امتزجت بحلاوة الخيال ، أو خيال لبس أحياناً ثوب الحقيقة . وما هذا الخيال وتلك الحقيقة إلا صرح كثيراً ما شذناه بأنفسنا لأنفسنا كى نكمل ما فى عالم الواقع من نقص ، ونحقق بعض ما نصبو إليه من ميول وآمال . فان ما فينا من قلب خافق وعواطف متأججة ، ينزع الى أمانى ورغبات لا حصر لها . ولذتنا فى تصور هذه الأمانى وسعادتنا فى السير وراءها . فان لم نجد السبيل الى تحقيقها حيث نرى ونسمع رسمنا لها مملكة سامية فوق مملكة الحس والمشاهدات ، وآمنا بها إيماناً لا يقل عن إيماننا بالمرئيات والملموسات . على أن ما فينا من عقل يحلل ويبرهن ويعلل يدفعنا الى الاعتقاد والاستمساك بآراء نتعصب لها وندين بها . فالعقيدة حاجة إنسانية وأثر من آثار قوى النفس على اختلافها . وهى فوق هذا ضرورة اجتماعية وركن هام من أركان التعاون والارتباط . ولا يمكن أن نتصور جمعية بشرية لا يخضع أفرادها لمبدأ واحد وعقيدة مشتركة . واتحاد الدين والعقيدة من أول الخصائص التى يتميز بها الشعب والأمة . وليست العقيدة المتحدة مجرد رمز وشارة للأمة فحسب ، بل هى مصدر تأثير كبير وقوة لا نهائية . هى مبعث حرارة تدفئ القلوب فتدفعها الى الأمام وتملؤها بالأمل والرجاء . ومستودع كهربائية عظمى يرسل فى الأفراد ما يرسل من موجات سالبة وموجبة فيتجاذبون ويأتلفون ، ويلتقون عند غاية واحدة وغرض أسمى . وإنا لنسير فى الحياة غالباً بدافع من عقائد مختلفة بين دينية ووطنية وعلمية

وفلسفية . والعقيدة كالأمل الحلو إن لم تبلغك الغاية فقد آنستك ونعمت بها زمناً . على أنها في ساعة الفشل خير عزاء ، وعند اشتداد الخطب أقوى ركن تطمئن إليه إن وهنت الأركان كلها . وإذن فالعقيدة للفرد عون ونصير ، وللجمعية باعث ومثير وهاد ومرشد

ومن حسن حظ الانسانية أن المرء ميال الى الاعتقاد بفطرته ، ومدفوع إليه بغريزته ؛ فالتسليم أصلي والشك عرضي ، ولا أدل على هذا من أن حياة الانسان الأول كانت سلسلة من العقائد يرتبط بعضها ببعض ، وقد توارثها الخلف عن السلف وأذعنوا لها دون بحث وتعليل . والطفل وهو صورة مصغرة للانسانية في أول نشأتها يسلم بكل شيء يلقى إليه ، ويعتقد في السحرة والمشعوذين والجن والشياطين . ولا تبدأ حيرة الشك لديه إلا حين يصطدم عالم الفكر بعالم الواقع ، ويتعارض أمامه أمران كان يؤمن من قبل بثبوتهما . فترتاب نفسه وتشعر بشيء من الخيبة لم تكن تتوقعه . ويظهر أن الشك كان في أول أمره ظاهرة عاطفية قبل أن يكون مناقشة عقلية وحساباً منطقياً . وليس الشك شراً كله ، بل قدر منه مدعاة البحث ومفتاح الحقيقة ، وقديماً قالوا : الشك مبدأ الحكمة ومدرسة الحقيقة . وقد استطاع سقراط بين الاغريق بشيء من الشك التهكمي أن يستخرج المعارف من نفوس محدثيه ومناقشيه . ثم جاء ديكارت في التاريخ الحديث فاتخذ من الشك طريقة فلسفية ومبدأ علمياً . للشك حكمته ومنفعته ، فهو ينبه الفلسفة إلى أخطائها ويقف العقل عند حده ويرشده إلى نقصه . غير أن قيمة الشك في طريقة استعماله ووضعه في موضعه . فالشك في كل شيء قضاء على المعرفة من أساسها وهدم للحقائق على اختلافها . وقبول المعلومات من غير بحث وتمحيص انقياد أعمى واستسلام مرذول وضعف في التفكير . وغني عن البيان أن الشك ضرب من الحرية واستقلال الرأي . ولا يستطيع أحد أن ينكر أن الشكاك القدامى والمحدثين لفتوا نظر الانسانية إلى أخطائها الشائعة وكشفوا الغطاء عن كثير من أباطيلها المسلمة . وكل ما يؤخذ عليهم أنهم أرسلوا للشك العنان ، وجالوا به في كل ميدان ، فقضوا على ما كان فيهم من عبقرية ، وأصبح شكهم داء بدل أن يكون دواء ، وهدموا بالشمال ما بنوه باليمين . وليس في الشك المقبول امتهان للحقيقة أو اعتداء عليها ، بل هو اعتداد بها وتقدير لها وجد في طلبها . حقاً إن الشك حيرة وحمى قد تخشى على النفس مغبتها ؛ بيد أنه قل أن يقدر اليقين قدره من لم يغرق في بحار الشك قليلاً . والضال إذا وجد الطريق كان له بهذا فرحة تملأ العين والقلب

اليقين كلمة عذبة الجرس حلوة الرنين سامية المعنى رفيعة المدلول ؛ تطرب الأذن لسماعها ، وتتوق النفس دائماً إلى أن تحظى بحقيقتها . ينشده العالم في بحثه ، ويرمي إليه الفيلسوف في درسه ، كلاهما يبغي أن يصل إلى الحقيقة الثابتة التي يذعن لها الجميع في مختلف الظروف والأمكنة . وإذا كان الشك اضطراباً وحيرة فاليقين هدوء وطمأنينة . هدوء لأنه راحة بعد عناء ، ووصول بعد مجهود . وطمأنينة لأنه حصن حصين ، وركن أمين ؛ وكيف لا وهو قوة تستمد سلطانها من نور الحقيقة ، وحال يشعر المرء فيها بأنه لا يسمع إلا صوت الحق ولا يصغى إلا لندائه . ولو تأملنا لوجدنا أنا في مرحلة اليقين أقوياء ضعفاء : أقوياء لأنا نحس بأنا ننفذ إلى قلب الأشياء ووصلنا إلى قمة العالم وتجردنا من قيود المادة والزمن واتصلنا بكل ما هو باق أزلي ، وضعفاء لأن جلال الحقيقة التي نعتنقها أسكت كل صوت فينا ، فألغى هواجسنا وخواطرنا ، وقضى على ميولنا وأهوائنا ، وأضعف شخصيتنا أو محاها بحيث نصبح ولغة العالم والانسانية جماء ديدننا وشعارنا

هذا هو اليقين في ظواهره وأثره وشدته وبأسه . فهو إذن العقيدة في أكمل صورها والايمان في أسمى أشكاله . وكثيراً ما حاول بعض الباحثين فصل اليقين من العقيدة ، والمباعدة بين العلم والدين ؛ ووضع حاجز بين العقل والعاطفة ؛ إلا أن اليقين لا يتحقق إلا بعد عقيدة سابقة ، والعقيدة إن صحت وكملت أضحت يقيناً . والعلم برهن غير مرة على أن له نطاقاً لا يتعداه وحدوداً لا يستطيع أن يتجاوزها ؛ فليدع الدين يتكلم فيما أعد له ويتصرف في دائرته . والانسان عقل وقلب وتفكير وعاطفة ؛ ومن العبث أن يهمل أحد هذين الجانبين أو يلغى ، فان ذلك خروج على الطبيعة وعكس لنظام الأشياء . وليس من عار أن يكون في الأديان قدر كبير يرضى العواطف الانسانية ، بل العار كله أن تخلو من ذلك .

ابراهيم بيومي مدكور

# سمو الانسانية
## فى قلب الرسول الأعظم

(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)
« قرآن كريم »

## للاستاذ خليل هنداوى

« لا يحسبن قارىء المقال أننا أردنا أن نعطل حدود الشرائع بدرسنا للعاطفة الانسانية السامية فى قلب الرسول ، وإنما هو بحث جرى على القلم جواباً لمن يزعم أن تعاليم الاسلام تعاليم صارمة قاهرة لا تفيض — كالشريعة المسيحية — رحمة ومحبة وحناناً »

« خ . ه »

لا تزال علة الآثمين الخارجين على حدود الشرائع علة مستحكمة ، لا يبت فيها فريق حتى يهب إلى نقضها فريق . وكلا الفريقين له الحجة الساطعة . فمن الشرائع ما يرى فى الأثيم العدو للانسانية ، والمريض الذى نخشى انتقال جراثيمه إلى غيره ، لأن الأمراض النفسية حكم أكثرها حكم الأمراض السارية تعصف بالأجساد عصفاً . وهذا المريض — فى حكمها — لا يرجى شفاؤه ، وإن فكرة الاجهاز عليه هى خير فكرة تتقى بها منه !

وقد تفننت الشرائع الحديثة فى تعيين هؤلاء الآثمين والمجرمين وفى عزلهم عن طبقات الناس . ومن الشرائع ما تنظر إلى هؤلاء بعطف ورحمة . لا تنظر إلى الأثم — كالكل فى الأثم — وإنما تنظر إلى الظروف التى صاحبته ، والعوامل التى ساعدت على خلقه . وهى بعد هذا كله لا ترى فى الآثم إلا إنساناً ، جبل على طينة الانسان ، يخطىء ويصيب ، ويفعل الشر ويصنع الخير . هذه الشرائع التى غلبت العاطفة الانسانية على كل عاطفة ، واستمسكت بالمبدأ الانسانى الذى يعلو على مصطلحات الخير والشر . وهذه فكرة تطير بجناحين من السمو والعلو . ولكن علماء القانون لا يعتقدون بهذه الفكرة المجنحة لأنها تظهر بغير حدود ، وتنتشر على أبعاد دونها أبعاد الفضاء . وهم يريدون أن يحددوا لكل موقف شأنه ، فاذا سرق السارق فما عسى يكون جزاؤه ؟ وإذا زنى الزانى فما عسى يعامل به ؟

مثل هذه الفكرة الانسانية قد تجلت فى موقف السيد المسيح حين قدموا له زانية ليرى فيها حكم الشريعة — وما كان حكم الشريعة إلا الرجم — وما كان للمسيح أن يعطل هذا الحكم ، وهو لم يجىء لنقض نواميس الأنبياء ؛ ولكنه تسامى فى هذه المرة ما شاء له التسامى ، فأمر بأن يحفروا لها حفيرة ووقف قائلاً :

— ليرمها كل من لم ترتكب نفسه خطيئة بحجر !

فوقف الجمع ولم يرموا ، وغادروا المرأة وشأنها . ولكن هذه الفكرة تظل جميلة ما ظلت منطلقة حرة من غير قيود ، فاذا شئنا حصرها وإخضاعها للعمل ضاع رونقها وفشت الشرور بحجة أن كل نفس فيها من طينة الشر شىء . ولذلك لم يقدر المسيح نفسه على القول بالعفو عن كل زانية وزان وسارقة وسارق ، ولم يقدر غيره على القول بذلك . ولكن المسيح أراد بضرب هذا المثل أن يحفظ للآثمين هذه الانسانية التى تربطهم بغير الآثمين ، ويقرر بعد ذلك أن هؤلاء الذين يحكمون على الآثمين هم ملوثون مثلهم ، حتى تكون العاطفة الانسانية عندهم هى العاطفة الغالبة على كل عاطفة

نظرت الشريعة الاسلامية إلى هؤلاء الآثمين كما نظر غيرها ، وفرضت القصاص وفى القصاص حياة ، وقام الشارع بأحكام ما تنزل ، ورأى أن دفع القتل بالقتل أنفى للقتل . وهذه الشريعة هى شريعة من جاء قبله ، وهى الشريعة التى يحض عليها العقل ويبعث اليها الانصاف

ولكن الرسول — برغم لوثة هؤلاء الآثمين — قد ارتفع معهم فى كثير من المواقف بعاطفة الانسانية فوق حدود الشريعة ، ونظر إلى هؤلاء المرضى نظرة ملؤها الرأفة والاشفاق ، وعطف على كل نفس ضالة — لأن الهدى والضلال على بعدهما متقاربان متلاصقان — وأن إهمال درس هذه العاطفة الانسانية عند الرسول مما يترك ناحية العواطف الأخرى قاسية صارمة . وأن على أرباب الفقه أن يرتبوا العقود والحدود كما رتبوها أبواباً أبواباً ، وأن على آخرين أن يحللوا هذه العاطفة التى تجعل من الرسول قلباً نقياً وعاطفة إنسانية متسامحة

ما عسى تبلغ اليه هذه العاطفة الانسانية فى صدر الرسول ؟ أذكر عبارة تلوتها فيما كتب « رينان » عن المسيح « إن

المسيح هو أول من سلك فى تفهم الله مسلكا جديدا ، إذ جعل علاقة الله مع الناس كعلاقة الأب مع أبنائه ، علاقة كلها رأفة ومحبة وحنان » وبهذه الرحمة الشاملة تفهم الرسول معنى الألوهية فقال : « جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً وأنزل فى الأرض جزءاً واحداً . فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه ! »

وإنى لأجد الرسول فى الصلاة ، ومن ورائه أعرابى يدعو فى صلاته : « اللهم ارحمنى وارحم محمداً ولا ترحم معنا أحداً » . فقال له الرسول : « لقد حجرت واسعاً » وكأنه أراد أن يقول له : « قل اللهم ارحمنى وارحم جميع الكائنات ، لأن رحمة الله أوسع من جميع آثامهم وذنوبهم »

وإنى لأراه وهو يفكر فى هذه الرحمة التى يرجو أن تشمله ، وهى الرحمة التى ملكت عليه مشاعره . أراه « وقد وجد امرأة من السبى تحلب ثديها تسقى ، إذا وجدت صبياً فى السبى أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته ، فالتفت إلى أصحابه وقال :

— أترون هذه طارحة ولدها فى النار ؟

فقالوا : لا ، وهى تقدر على ألا تطرحه ؟

فقال : — وقد طفت على قلبه هذه الرحمة الشاملة :

— الله أرحم بعباده من هذه بولدها »

ولقد تتمثل هذه الرحمة فى كل جزء فيه ، حتى ليحسب أن الكائنات كلها قد اندمجت وأحاطت بها رحمة الله ... « فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة » وهو لا يفسر الرحمة تفسيراً ضيقاً يمنحها أناساً ويحرمها على أناس لأن الرحمة الشاملة إذا دخلت فى قلب عبرت فيه كل الأساليب الموروثة فى تفهم الوجود ، وجعلته ينظر إلى الوجود كشىء كلى ممتزج فقير إلى هذا البلسم ! وجردته من كل الأهواء ليتحد مع الكائنات اتحاداً ثانياً بكل شىء فيه ، لا يهدأ قلبه ما دام يتعذب هنالك إنسان ! وهو لا يفسر الرحمة تفسيراً رمزياً ، وإنما يرى مختلف الأمثلة إلى تمثيل هذه الرحمة تمثيلاً واضحاً تكاد تتبينه العين وتتقراه اليد باللمس ! وقد أثر هذا الفهم فى نفسه تأثيراً واضحاً ؛ فهو تهمل عيناه إشفاقاً على قومه ، وهو يتحمل بلاءهم بقلب صابر ولسان شاكر ويقول : « اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » وهو يستعمل الله فيهم عند ما نودى : « إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك » . فقال : « بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً »

وقد ملك عليه شعور الرحمة حتى كاد يغلب على كل عاطفة فيه .

« يرى الرجل الاسرائيلى الذى قتل تسعة وتسعين رجلاً ثم خرج يسأل ، فأتى راهباً فسأله فقال له : « هل من توبة ؟ » فقال : « لا » فقتله ، فجعل يسأل ، فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا ، فأدركه الموت ، فناء بصدره نحوها ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فاوحى الله إلى هذه أن تقربى ، وأوحى الى هذه أن تباعدى . وقال : قيسوا ما بينهما ، فوجده إلى هذه أقرب بشبر فغفر له . » وهل غفرت لهذا القاتل إثمه إلا عاطفة الرسول الانسانية التى قدرت فيه قلبه النادم ونيته الساعية وراء التوبة ؟ وقلب الرسول مفعم رحمة وشفقة على هؤلاء — مع قوله فى معاقبتهم — ولا يستطيع الفكر أن يوفق بين الاثم الكبير البالغ تمحوه حسنة صغيرة ! فمن ذلك « امرأة مومس مرت بكلب على رأس ركى يلهث قد كاد يقتله العطش فنزعت خفها فأوثقته بخمارها ، فنزعت له من الماء فغفر لها بذلك ! » ذلك أن قلب الرسول يحاول أن ينقذ هذه الكائنة الشقية ، ويلقى فى النفس معنى الاحسان إلى الحيوان « وإن لفى كل كبد رطبة أجرا »

وقد تسمو نفس الرسول فى النظر إلى هؤلاء الآثمين ، فهو لا يفر منهم ولا يزور عنهم لأنه يطمع فى صلاحهم

« قال رجل : لأتصدقن بصدقة ؛ فخرج بصدقته فوضعها فى يد سارق ، فأصبحوا يتحدثون : « تصدق على سارق » ! فقال : « اللهم لك الحمد ! » لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها فى يد زانية . فأصبحوا يتحدثون : « تُصدق الليلة على زانية ! » . فقال : « اللهم لك الحمد ! » على زانية ! لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها فى يد غنى ، فأصبحوا يتحدثون : « تصدق على غنى ! » فقال « اللهم لك الحمد ! » على سارق وعلى زانية وعلى غنى ! ولقد يظن المرء لأول وهلة أن هذه الصدقات باطلة لأنها لم تقع فى مواضعها ، ولكن الرسول حلها من الناحية الانسانية ، فأتى فقيل له : « أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته ، وأما الزانية فلعلها أن

تستجيب عن زناها ، وأما الغنى فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله »

فلم يمنع الرسول الرفق بهؤلاء الآثمين ولم يجعل التصدق عليهم حراما . وإذا كان السيد المسيح أطلق الزانية لأنه لم يجد من يأخذ على نفسه معاقبتها فالرسول أطلقها وأطلق السارق وأطلق الصدقة عليهما ليستعفا . . . وبهذا أشفق على المريض وحارب جراثيم مرضه ! وهو خلال ذلك ينتظر أن يغمرهم نور التوبة ويصرفهم عما فيه وازعُ الضمير

وقد يعجب المرء من هذه العاطفة التي لو أخذنا بها لعطلت الحدود . إذ كيف نتصدق على سارق أوجب الشرع قطع يده ، أو على زانية أوجب رجمها ؟ ذلك أن الرسول يدرك أن الغاية من الشريعة الهدى والرحمة ، وأن القصاص سبيل يسلكه الشارع إذا عز الوصول إلى الهدى إلا به

فهو بهذا دل على إنسانية سامية تفهم الوجود رحمة ومحبة ، وإن روحه لتتصل بالمذنب اتصالها بالبرىء ، وأنه يحب الناس مهما فعلوا ، وأنه يجد في نفسه ميلا إلى الرفق بالآثمين ، وهذا الميل جعله يسلك السبل المتعددة ليدفع عنهم آثامهم ويطهرهم من أدرانهم .

ونرى بعد هذا كله — هذه الكتلة من الرحمة والمحبة تقف أمام الرحمة الشاملة تدعو ربها :

« اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب

اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس

اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد »

أليست هذه الانسانية بأسرها تتمثل في شخص الرسول تطلب إلى الله أن يشملها برحمته ، ويغسل خطاياها برأفته حيث تغسل الأوزار وتضيع حدود العقاب في عالم تغمره الرحمة وتسكنه المحبة ، لا نهايات له ولا حدود ؟

(دير الزور) خليل هنداوي



# ذكريات يجتليها محرم

## لشاعر السودان الاستاذ عبد الله عبد الرحمن

هو الشوق في أحشائنا يتضرم إلى ذكريات يجتليها محرم
إلى ذكريات هن بعث ويقظة وهن لآلام الجراحات مرهم
بني الشرق ، والاسلام في كل موطن ، يحييكمو مني على النأى مسلم
تعالوا نجدد من عهود تصرمت وما الشأن في عهد الكرام التصرم
تعالوا نجمع من نفوس تفرقت شعاعاً ولا نمضي كما نتوهم
ونطرح الواشين تنفث بيننا سموماً — وفي الواشين أربد أرقم
ونفزع إلى التنزيل نبني نفوسنا فليس لما يبني الكتاب مهدم

***

وفي الهجرة الزهراء قربى قريبة نمت بأسباب الحنيف إليكم
فان نحيها نحي الزمان تقدمت أوائلنا أهليه وهو لهم فم
وإن نحيها نحي النفوس كبيرة وإن جعلت في أرضها اليوم تهضم
وإن نحيها نحي المروءة والندى وبأساً من الفولاذ أمضى وأصرم
ألا ليت شعري ما دهى العرب إنني أرى الجو في آفاقها يتسمم
أكل بناء غيرهم متساند وكل قبيل غيرهم متقدم
أجل كل قوم فرطوا في لغاتهم غدوا وصروف الدهر فيهم تحكم

***

أرى الغرب يعنى باللغات رجاله ونمشي إلى أعلامها نتعلم
هم يكبرون من رجال توفروا عليها إلى أن أكبر الناس منهم
وفي كل يوم يخرجون مؤلفاً نفيساً وبحثاً ينشر الفضل عنهم
ولا يهجرون للجديد قديمهم وذلك خلق عن رقي يترجم
وما ذاك إلا أن حباً يهزهم إلى وطن هاموا به وترنموا

***

أرى أمم الشرق استفاقت من الهوى وعاودها سلطانها المتقدم

فجدت وهمت للحياة طموحة ... وحطمت الأغلال فيا تحطم
رعى الله فى أرض العراقين نهضة ... أبت لهم أن يستذلوا ويهضموا
بنوا دولة أما حماها فمانع ... لحوزتها والمستقل بها هم
على العلم والخلق المتين توطدت ... دعائمها والعلم بالخلق يدعم
وقامت فلسطين ترد حقوقها ... وما فى طلاب الحر للحق مأثم
وحرك من سورة العسف فانبرت ... تغالبه والشر بالشر يصدم
فان لم تنل ما قد أرادت نواله ... فمن كثب منها النجاح المحتم
وهاجت بنا الذكرى لخضراء تونس ... فأبصرت ثكلى نال منها التأيم
وفى مصر أخذ بالذى هو واقع ... وروح وفاق للحقيقة تألم
وغيرة لاوان ولا متخشع ... ونشء الى سود النوائب يبسم

***

هوت أنجم بالأمس كن ثواقبا ... إلى ضوئها يعشو الجهول فيعلم
حسين بن والى قد أقض مماته ... مضاجع فى السودان فهى تألم
هو المرء أدى للعروبة واجبا ... وعاش لوجه الله يشقى وينعم
وأودى المطيعى حجة الله فى الورى ... فغاب به كنز من العلم قيم
قضى علأ الدنيا علوما وحكمة ... فويلى على ركن الهدى يتهدم
وأودى رشيد ذو المنار مدافعا ... جريئا على رد الضلالة يقدم
وبات الأديب الكاظمى وانه ... لرزء من الابداع فى الشعر يثلم
وبغداد من بعد الزهاوى أصبحت ... خلاء وكانت من قوافيه تزحم
مضوا وقرنا بالترحم ذكرهم ... وليس بمجدينا عليهم ترحم

***

بنى وطنى ان قمت للضاد داعيا ... فانى أدعو للتى هى أقوم
لقد وثق الله الروابط بينكم ... فلا تنقضوا بالله ما الله مبرم
أرى الضاد فى السودان أضحت غريبة ... وأبناؤها أضحت لها تتجهم
تولت وما دمع عليها بفائض ... وما أحد منهم لها يتألم
وساءت مقاما فهى ثكلى حزينة ... وعيت جوابا فهى لا تتكلم
وذلك يفضى لانقراض وذلة ... ويفضى إلى أن فى سوى العرب ندغم
عزيز علينا أن تلين قناتها ... وأبناؤها فى ضحوة العمر تهرم
عزيز علينا أن نراها هزيلة ... وجاراتها فينا تزيد وتعظم
كفانا هوانا أن ريبا يحوطنا ... وانا إذا رمنا الحديث نجمجم
وانا برغم العلم فى كل بلدة ... يحيط بنا هذا الظلام المخيم
تبدلت الأحوال حتى لقائل ... يقول على قدر التدلى التقدم
ونبتت فى السودان قوما تآمروا ... على اللغة الفصحى فساءوا وأجرموا
وبالأدب القومى قالوا سفاهة ... وما لحوا حقا ولكن توهموا
الا نحن عرب قبل أن لعبت بنا ... صروف الليالى والجهول الغشمشم
أما والليالى العشر والفجر طالعا ... وما الفجر فى الاسلام إلا محرم
إذا لم تمحوا داءها وهو فاتك ... تهونوا وفى غير العروبة تدغموا
فعضوا عليها بالنواجذ إنها ... صلاحكم ان تخلفوه هزمتم
سلام عليكم إن عدمتم بيانها ... سلام على الفصحى سلام عليكم
عليك رسول الله نلقى رجاءنا ... فقد جعلت منا الحوادث تهدم
ونستنزل الارشاد من روحك التى ... على كل من يلقى السلام تحوم
أصلى عليه ثم أذكركم بما ... يقربكم منه فصلوا وسلموا
(لحب ابن عبد الله أولى فانه ... به يبدأ الذكر الجميل ويختم)

(الخرطوم) عبد الله عبد الرحمن

# نظر محمد إلى الأديان

للاستاذ مصطفى عبد الرازق

أستاذ الفلسفة الاسلامية بكلية الآداب

كان ما تسرب إلى بلاد العرب من اليهودية والنصرانية قبل الإسلام قد نصحت عليه الوثنية الضاربة هناك يومئذ أطنابها ، ولم يكن المجوس والصابئة أهل توحيد خالص وإن ألحقوا بأهل الكتاب

قال الشافعى : بعثه والناس صنفان :

أحدهما أهل كتاب بدلوا من أحكامه وكفروا بالله فافتعلوا كذباً صاغوه بألسنتهم فخلطوه بحق الله الذى أنزل إليهم . فذكر تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم من كفرهم فقال :

« وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون »(١)

ثم قال عز ذكره :

« فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون »(٢)

وقال تبارك وتعالى :

« وقالتْ اليهودُ عزيرٌ ابنُ اللهِ ، وقالتْ النصارى المسيحُ ابنُ اللهِ ، ذلكَ قولُهم بأفواههمْ يضاهئونَ قولَ الذينَ كفرُوا منْ قبلُ قاتلهمُ اللهُ أنَّى يؤفكونَ ؛ اتخذُوا أحبارَهمْ ورهبانَهمْ أرباباً منْ دونِ اللهِ والمسيحَ ابنَ مريمَ وما أمرُوا إلاّ ليعبدُوا إلهًا واحداً لا إلهَ إلاّ هوَ سبحانهُ عمَّا يشركونَ »(٣) . وقال تبارك وتعالى :

« ألمْ ترَ إلى الذينَ أوتُوا نصيباً منَ الكتابِ يؤمنونَ بالجبتِ والطاغوتِ ويقولونَ للذينَ كفرُوا : هؤلاءِ أهدَى منَ الذينَ آمنُوا سبيلاً ، أولئكَ الذينَ لعنهمُ اللهُ ومنْ يلعنِ اللهُ فلن تجدَ له نصيراً »(١)

وصنف كفروا بالله فابتدعوا ما لم يأذن به الله ونصبوا بأيديهم حجارة وخشباً وصوراً استحسنوها ، ونبزوا أسماء افتعلوها ودعوها آلهة عبدوها ، فإذا استحسنوا غير ما عبدوا منها ألقوه ، ونصبوا بأيديهم غيره فعبدوه ، فأولئك « العرب »

وسلكت طائفة من العجم سبيلهم فى هذا وفى عبادة ما استحسنوا من حوت ودابة ونجم ونار وغيره ، فذكر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم جواباً من جواب بعض من عبد غيره من هذا الصنف فحكى جل ثناؤه عنهم قولهم : « إنَّا وجدنَا آباءنا على أمةٍ وإنَّا على آثارهمْ مقتدونَ(٢) » وحكى تبارك وتعالى عنهم أنهم قالوا : « لا تذرُنَّ آلهتكمْ ولاَ تذرنَّ ودًّا ولا سواعاً ، ولا يغوثَ ويعوقَ ونسراً وقدْ أضلُّوا كثيرًا(٣) » (كتاب الرسالة ص ٢ — ٣)

ويبين من كلام الشافعى أن الأديان التى كانت تظل بلاد العرب وما والاها عند ظهور الاسلام كانت ما بين دين وثنى يقوم على الشرك من أساسه ، وما بين أديان تقوم على الوحى الذى لا يأتى بغير التوحيد ، لكنها انحرفت عن سبيل الوحى فأصابها شوب من الشرك

وكان محمد صلوات الله وسلامه عليه يدعو الناس كافة إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له ، لا يميز فى هذه الدعوة بين مشركين وأهل كتاب

وإذا كان القرآن ينادى :

« قل يا أهلَ الكتابِ تعالَوْا إلَى كلمةٍ سواءٍ بيننَا وبينكمْ ألاّ نعبدَ إلاّ اللهَ ولا نشركَ به شيئاً ولا يتخذَ بعضُنَا بعضاً أرباباً

(١) سورة ٣ آل عمران مدنية آية ٧٨
(٢) سورة ٢ البقرة مدنية آية ٧٩
(٣) سورة ٩ التوبة مدنية آية ٣٠ — ٣١.

(١) سورة ٤ النساء مدنية آية ٥١ — ٥٢
(٢) سورة ٤٣ الزخرف مكية آية ٢٣
(٣) سورة ٧١ نوح مكية آية ٢٣

منْ دونِ الله ، فإن تولّوا فقولوا أشهدُوا بأنّا مسلمونَ [1] » .

فإن القرآن يقول أيضاً :

« إنّ الذينَ آمنوا والذينَ هادُوا والنصارَى والصابئينَ مَنْ آمنَ باللهِ واليومِ الآخرِ وعملَ صالحاً فلهمْ أجرُهمْ عندَ ربّهم ولا خوفٌ عليهم ولا هُمْ يحزنونَ [2] »

لا تختلف دعوة محمد حين توجّه إلى أهل الشرك الصراح من وثنيّي العرب ، أو إلى أهل الكتاب بلا نزاع من اليهود والنصارى ، أو إلى من يشتبه أمرهم ويختلط الرأى فيهم من الصابئة والمجوس

دعوة محمد إلى كل أولئك هى الدعوة إلى الدين الحق الواحد الذى لا يتغير بتغير الأنبياء والذى هو هدى أبداً

ولما كان دين الحق واحداً أوحاه الله إلى جميع أنبيائه وبينه فى كل كتبه المنزلة فقد كان من الطبيعى أن يعتبر محمد أتباع الوحى ممن لهم كتاب أو شبهة كتاب أدنى إلى دعوته وإن حرفوا فى دينهم ، وأرجى أن يثوبوا إلى ما فى أصول مللهم من اخلاص العقيدة لله وحده

من أجل هذا اختلف حكم الاسلام فى بعض المعاملات بين المشركين وأهل الكتاب ، فالمشركون لا تؤكل ذبائحهم ولا يتزوج لمسلم منهم ، وإذا غلبهم المسلمون فى الجهاد لم يأخذوا منهم جزية ولم يكن لهم سبيل إلا أن يخرجوا من شركهم إلى حظيرة التوحيد

أما أهل الكتاب فتؤكل ذبائحهم ويتزوج المسلمون منهم ، وإذا هزموا فى الحرب واستولى المسلمون على ديارهم فللمسلمين أن يأخذوا منهم الجزية ليحموهم مما يحمون منه أنفسهم وأموالهم ثم يتركوهم فى دينهم أحرارا

ولا خلاف بين المسلمين فى أن اليهود والنصارى أهل كتاب ، وأن وثنيّي العرب فى الجاهلية مشركون

واختلفت الروايات والأقاويل فى حكم الصابئة والمجوس هل يلحقون بأهل الكتاب أم يلحقون بالمشركين

ولا شك أن ما عرف من أديان البشر بعد ذلك مما لم يكن معروفاً للعرب ، فيه للرأى والاجتهاد مجال من جهة إلحاقه بالشرك أو بأديان أهل الكتاب

وجملة القول أن محمداً يرى التوحيد دين الله الحق ، وفطرة الله التى فطر الناس عليها ، فالمشركون عبدة الأوثان منحرفون عن فطرة الله ، ضالون عن صراطه المستقيم ، ومن عداهم قريبون من الإسلام الذى جمع الرسول صلوات الله وسلامه عليه جوهره فى قوله لمن سأله عنه : « قل آمنت بالله ثم استقم »

**مصطفى عبد الرازق**

(١) سورة ٣ آل عمران مدنية آية ٦٤

(٢) سورة ٢ البقرة مدنية آية ٦٢

# زوجـــة وفت !..

للاستاذ محمد سعيد العريان

هم الفتى ( أبو العاص ابن الربيع ... ابن عبد شمس ) ينصرف من مجلس خالته ( خديجة بنت خويلد ) رائحاً إلى داره ، وإن في نفسه لحديثاً ما ان يحاول بيانه ولا طاقة له بأن يكتمه ..

ونظرت خديجةُ في وجه الفتى الذي اتخذته ولداً ، وقد تكلت الولد ، فاستكرته وما تنكرتْ حديث عينيه ؛ ثم عادت تنظر إلى ابنتها ( زينب ) فتطيل النظر ، فما لبثت أن ألهمت الرأى مما نظرت في وجه الفتى والفتاة ....

وسعت خديجة الى زوجها تستعينه وتشير عليه : « يا محمد ، أرأيت الى ابن أختى ( هالة ) — أبى العاص بن الربيع — إنه لذو جاه ومال وأمانة ، وهو منا ومنك حيث علمت ، نعم الفتى القرشيّ ... أفترى أن تتخذه ختناً وولداً فتزوجه زينب ... ؟ »

وافتر ثغر النبيّ الكريم عن ابتسامة الرضى ، فما كان ليخالف خديجة في رأى تراه ؛ ولها في نفسه ما لها من الحب والاعزاز ، وهى في نفسها مَن هى في أصالة الرأى وحسن التقدير . . . .

وزفت زينب بنت محمد ، الى أبي العاص بن الربيع ...

ومضت خديجة الى الزوجين المتحابين تبارك لها وتدعو ، أطيب ما تكون نفساً وأهنأ فكراً ... ومدت عناها الى طوقها تخلع قلادتها لتجعلها في عنق زينب ، هديةَ عروس ..

ونعم الزوجان بالسعادة حيناً في دنيا من الحب والوفاء والايثار ...

* * *

وأشرقت الأرض بنور ربها ، وانبثق الفجر من غار حراء ، يسعى محمدٌ في نوره داعياً الى دين الله والى نبذ الشرك وعبادة الأوثان ؛ فصدَّق من صدَّق واتبعه على هدى وبصيرة ، ولجَّ من لجَّ في الطغيان والعناد ، وآمنت زينب فيمن آمن ، ولكن أبا العاص لم يَهُن عليه أن يخلع دينه ... وضرب الزمن ضربته بين القلبين المتحابين فباعد بينهما الى حين

أسفت زينب ، ونال منها اصرار أبي العاص على الكفر أي منال ، وأسف أبو العاص ، ونال منه اسلامُ زوجته مثلَ ما نال منها كفره ؛ وشعر كلا الزوجين أن قوة أكبر من الحب تحاول أن تفصم عروته وتحلّ وثاقه : أما أحدهما فأعلن التمرد والعصيان ، وقال لصاحبته : « لن ينال مما بيننا يا زينب أن تكوني على دينك وأثبت على ديني ، فلن أسلمك للفراق .... ! » ؛ وأما هى فقالت : « قليلا يا صاحبي ، لست حِلاً لك وأنت على ذلك الدين ، فأسلمني لربي أو أسلم معي .. لن تكون زينب لك بعد اليوم إلا أن تؤمن بما آمنت ! »

واصطرعت في نفس الزوج المحب قوتان تتجاذبانه : حفاظه على ذلك الدين الذى أورثه آباؤه ، وذلك الحب الطاغى المستبد الذى يحاول أن ينتزع امرأة مسلمة من دينها الذى آمنت به ..

وأطرق الزوجان ساعة ، ثم التقى النظران ... وفرق الدين بينهما جسدين ، وظل قلباهما مؤمنين بالحب ؛ وعاشا يظلهما سقف واحد ولا يلتقيان إلا نظرات ... وتصرمت سنون ..

* * *

ودعت قريش الى النفير العام : « يا أهل مكة ، الى بدر ، الى بدر ؛ إن محمدا وأصحابه قد وقفوا لتجارتكم على الطريق بين الشام ومكة ، فرُدوا عليهم كيدهم ... ! »

وخرج أبو العاص فيمن خرج من المشركين إلى لقاء محمد وأصحابه في بدر ، ليُجازوهم بما اعتدوا ؛ وظلّت زينب في دارها تنتظر . . . إن هنالك قوتين تصطرعان ، وموجتين تتدافعان ،

ما تدرى لأيهما تتمنى الغلبة ، بلى ؛ إنها لتدرى ، فهنالك أبوها محمد ، لو لم تحبيـه وتتمنّ له النصر لأنه أبوها ، لأحبته وتمنت لأنه رسول الله ، لأنه قائد جيش الاسلام ، لأن إلى جانبه فى الصف إخوتها فى الله . . . ولـكن . . . ولكن زوجها . . . وجلست تدعو الله : اللهم اجعل الدائرة على المشركين ، ولـكن نج أبا العاص . . . !

وعاد الركب المهزمون ينبئونها : « يازينب ، لقـد دارت علينا الدائرة ، ونال منا المسلمون كلّ منال ، يا زينب ، ولـكن أبا العاص فى الأسرى ، لا ندرى ماذا سـيفعل بهم أصحاب محمد . . . ! »

فما توانت الزوجة الوفية هنيهة ؛ لقد كان لديها من مال زوجها ما تفتديه به ، لديها المـال والنعم ، ولـكنها نظرت أمراً . . ورفعت يدها إلى صدرها فخلعت قلادتها ، ثم شيعت بها الرسول يفتدى بعقد خديجة ابن أخت خديجة وختَنَ محمد . . . وجعلت هدية عرسها من أمها مهر الحرية للزوج الذى فقدته مرتين . . .

وذهب رسول زينب يسعى عن أمرها حتى وقف على محمد : « يا محمد ، هذا مال من مال أبى العاص ، وهذه قلادة خديجة بنت خويلد ، بعثتنى بهما زينب فى فداء أبى العاص . . . ! »

ونظر رسول الله إلى القـلادة نظرةً جمعت له الزمان كله فى لحظة فـكر ، واحتشدت صور المـاضى أمام عينيه من خلال حبات العقد الغالى ، ورفّت فى ذهنه صورٌ حبيبة اليه ، فـكأنما نشرت خديجة من موت ، وكأنما انطوت البيداءُ بزينب . فاجتمعتا اليه تسألان العفو عن هذا الأسير . . . ونظر محمد فى أصحابه فقال : « إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردوا عليها مالها فافعلوا . . ! »

وعاد أبو العاص إلى مكة ، وفى نفسه صورة أكثر إشراقاً لهذه الزوجة البرة الكريمة ، ولـكنه عاد لا ليشكر لها ما منّت عليه ، بل ليقول : « عودى إلى أبيك يازينب ! » وفاء بما أخذ عليه رسول الله من عهد بأن يطلقها تسير إليـه . . . وخنقته العبرة فما استطاع أن يتمالك ولا أن يشيعها إلى طرف البادية ؛ ومن أين له أن يجد فى نفسه القدرة على توديع من يحب ، وإنه ليعلم أنه الوداع الأخير ما دام سلطان هذا الدين قائماً بين الثقلين . . .

ومضى يقول لأخيه كنانة ابن الربيع : « يا أخى ، إنك لتعلم موضعها من نفسى ، فما أحب أن لى بها امرأة من قريش ؛ وإنك لتعلم أن لا طاقة لى بأن أفارقها ، فاصحبها عنى إلى طرف البادية ، حيث ينتظرها رسولا محمد ( ببطن يأجج ) ، وارفق بها فى السفر . وارعها رعاية الحرمات ولو تثرت دونها كنانتك ، لا يدنو منها رجل حتى تبلغ . . . ! »

وافترق الزوجان فلا سبيل إلى لقاء ؛ وأقام أبو العاص بمكة لا يعيش فى أيامه ، وأقامت زينب عند رسول الله بالمدينة معتلّة البدن واهنة القلب ، لولا الايمان والتقى يشدان من عزمها ويربطان على قلبها لأعجلها الموت ولم تظفر بلقاء . . .

* * *

ومضت سنوات وسنوات ؛ وخرج أبو العاص فى تجارة الى الشام ، يحمل من أموال قريش وبضاعتها فوق ما يحمل من ماله وبضاعته ، وبلغ حيث أراد ، فباع واشترى وتعوض ، ثم قفل راجعاً بمال كثير وربح جم ؛ وفيما هو على الطريق إذ لقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصابوا ما معه وأعجزهم هارباً ؛ وآب المسلمون إلى المدينة فرحين بما أفاء الله عليهم ، ووقف أبو العاص على رأس شاهقة يتلفّت صِفر اليدين ، فما وجد إلا الصحراء تبرق بالحصى ، ومد النظر إلى بعيد ، فما عرف له طريقاً يسلك ، وخُيّـل اليه أن وراء كل ثنيةٍ فارساً معلماً يتربص به لقد فقد ماله ومال الناس ، ولا سبيل إلى أن يرد الأمانات إلى أصحابها ، وإنه لوشك أن يفقد حياته بعد ما فقد ماله وأمانته ؛ واجتمع عليه الهم فما درى أين النجاة لنفسه ولعرضه مما عرض له . إن النحس ليلاحقه فى كل مسير . . . وعادت اليه الذكرى ، ورجع الزمانُ القهقرى أمام عينيه ، كما يجتمع التاريخ بزمانه ودنياه فى لحظة ومكانٍ لعينَى محتضر ؛ وتذكر من قريب تلك الحبيبة التى أحيته مرتين : حين وهبت له الشعور بالحياة فى الحب ، ثم حين وهبت له الحياة نفسها وافتدته عند أبيها بقلادة خديجة ... وخُيل إليه أنه يراها ، وأنه يحدثها فتستمع اليـه ، فهمس : « أتهبين لى الحياة ثالثةً يا زينب . . . »

وأقبل أبو العاص إلى المدينة تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله ؛ فاستجارها وطلب إليها أن تعينه على رد ماله ، فأجارته . . .

وأصبح الناس يسعون إلى المسجد ، وكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر الناس معه ؛ وإذا صوت يهتف من وراء جدار : « أيها الناس ، إنى قد أجرت أبا العاص بن الربيع . . . فهو فى حمايتى وأمنى ! » وكانت زينب هى التى تهتف . . .

وفرغ النبى من صلاته فأقبل على الناس فقال : « أيها الناس ، هل سمعتم ما سمعت ؟ . . . أما والذى نفس محمد بيده ما علمت بشىء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم . إنه يجير على المسلمين أدناهم . . . ! » ثم دخل على ابنته فحيّاها وحدثته . وأكبر محمد أن يرى فى ابنته هذا الوفاء لزوجها الذى فارقته لأمر الله ، وامتنعت عليه لأمر الله ، وقطعت ما بينه وبينها من شهوات النفس لأمر الله ؛ ثم ما برحت مع كل أولئك تمنحه البر والوفاء والمعونة ؛ برّ السلمة ، ووفاء الصديقة ، ومعونة الانسان . . .

ونال من نفس النبى ما سمع وما علم ، فأضمر فى نفسه رجاء الى الله . . .

ثم بعث الى السرية الذين أصابوا مال أبى العاص ، فقال : « ان هذا الرجل منا حيث قد علمتم ، وقد أصبتم له مالاً ؛ فان تحسنوا وتردوا عليه الذى له فانا نحب ذلك ؛ وان أبيتم ، فهو فىء الله الذى أفاء عليكم ، فأنتم أحق به . . . » قالوا : « بل نرده عليه . . . » . وقال نفر منهم : « يا أبا العاص ، هل لك أن تسلم وتأخذ هذه الأموال ؟ فانها أموال المشركين . . . » فقال الرجل : « بئس ما أبدأ به اسلامى أن أخون أمانتى . . . ! » واستعانت كبرياؤه وأمانته وهو بين ذلة المستجير وأسر الفقر ، وأطلت نفسه المؤمنة بفطرتها من وراء ظلمات الشرك الذى يجهر به ، مستكبراً أن يبيع دينه بالمال . . . !

وردوا اليه ماله ، كرامة لرسول الله وإكباراً لزينب ، وعاد الرجل الى مكة بماله ومال الناس ، ونفسه تفيض بمعان شتى ، وبين عينيه صورة لا تفارقه ، وفى قلبه وجيب لا يهدأ ، وعلى طرف لسانه كلام . . . فلما بلغ أدى الى كل ذى مال ماله ، ثم قال : « يا معشر قريش ، هل بقى لأحد منكم عندى مال ؟ »

قالوا : « لا ، فجزاك الله خيراً ، فقد وجدناك وفياً كريماً . »

قال : « فأنا أشهد أن لا إله الا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله . والله ما منعنى من الاسلام عنده الا تخوف أن يظنوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم ، فلما أداها الله اليكم وفرغت منها أسلمت . . . »

* * *

وخرج أبو العاص بن الربيع الى المدينة يهديه نوران فى قلبه وأمام عينيه ، وسار فى مثل موكب الفروس تتدافعه المنى على رمال الصحراء ، الى حيث يجد نور اليقين وأنس الحبيب ، فى حديث محمد وفى وجه زينب ، وتلاقى الزوجان المتحابان مرة ثانية ، بعد فراق طويل مر من دونه سنوات وسنوات وسنوات ، ولكن الزوجة الوفية كانت قد أدت واجبها وفرغت من دنياها حين هدت الرجل الذى أحبته ووفت له بمقدار ما أحبها ووفى ؛ فما مضى زمان بعد هذا اللقاء استكمل فيه الرجل أسباب دينه ، حتى كانت هى قد استوفت أنفاسها على الأرض ؛ وماتت زينب ولكنها خلفت ذكرى أطيب الذكرى ، وضربت المثل أبلغ المثل ، فى وفاء الزوجة ، واخلاص المحبة ، وصدق الايمان

**محمد سعيد العريان**

---

على أبواب المدينة

# ثنيـــة الوداع*

## للاستاذ على الطنطاوى

مضت ساعة كاملة ، ونحن نعالج السـيارة لنخرجهـا من الرمل ، نرفعها طوراً بالآلة الرافعة ، وطوراً بأيدينـا ، وننزح الرمال من طريقها ، ثم نمدّ لهـا ألواح الخشب لتمشى عليهـا ، ونجرّها بالحبال ، وندفعها بالأيدى ، حتى إذا سال منا العرق ، ونال منا التعب مشت على الألواح ، حتى إذا وصلت إلى نهايتها ، عادت فغاصت فى الرمل الى الأبواب .... ....

فأيسنا وبلغ منا الجهـد ، وهدّنا الجوع والتعب والحرّ والعطش ، فألقينا بأنفسـنا على الرمل صامتين مطرقين ، حيارى قانطين

وتلفتّ فلم أر إلاّ الرمال المحرقة ، تمتـد الى حيث لا يدرك البصر ، متشابهة المناظر ، متماثلة المشاهد....

فى مَهمهٍ تشابهت أرجاؤه ، كأن لون أرضه سماؤه ، فرحت أفكر فى هذه السبعةعشر يوماً ، وماقاسينا فيها من الجزع والتعب والجوع والعطش ، وأتصور الغـد الرهيب الذى ينفد فيه ماؤنا وزادنا ، ويلفحنافيه سموم الحجاز وشمسه المحرقة ، فأرتجف من الرعب

وجعلت أحدّ النظر فى هذا الأفق الرحيب ، لعلى أرى قرية أو خياماً ، فلا أرى إلاّ لمع السراب ، ولا أبصر إلاّ هذه الجبال التى طلعت علينا أمس فاستبشرنا بهـا وابتهجنا وظننّاها قريبة منا ، فسرنا مائة وعشرين كيلاً وهى قيد أبصارنا ، تلوح لنا من بعيد كأنها بحر معلّق حيال الأفق ضائع بين السماء والأرض ... لم تضح ولم تقترب

فشققت هذا السكون وصحت بالدليل ( محمد العَطَوى )

— يا محمد ! إيش تكون هذه الجبال ؟

— فقال : هذه يا خوى جبال المدينة ، وحنّا ( ونحن ) إن شا الله الظهر فيها

— قلت : ما تقول ؟!

ووثبت وثبة تطاير منها اليأس والخمول عن عاتق ، وأحسست كأن قد صبّ فى أعصابى عزم أمة ، وقوة جيش ، وظننت أنى لو أردت السحاب لنلته ، ولو غالبت الأسد لغلبتها ، ولو قبضت على الصخر لفتّته ، وجعلت أقفز وأصرخ ، لا أعى ما أنا فاعل . فقد استخفنى الفرح ، وسرّنى من هذه الكلمة أكثر ما يسرّنى أن يقال لى : أنت أمير المؤمنين

وصحت بأصحابى فقاموا كالأسود

* * *

عالجنا السيارات حتى أخرجناها من الرمل ، ووصلنا بها عن هذه الكثبان حتى ألقيناها عن ايماننا ، وانتهينا الى أرض شديدة درجت عليها السيارات ، فاستندت الى النافذة ، وأطلقت نفسى تطير فى سماء الأمانى ، فلم أدع صورة للمدينة إلاّ تصورتها ، وأقمتها أمام عينىّ ، وأفضت عليها ما أستطيع من الجمال والجلال ، فلا أطمئن إليها ، ولا أجدها إلاّ دون مافى نفسى ... ولم يكن يربطنى بالأرض إلا صوت الدليل ، وهو يهتف بالسائق :

— سر عيناً ، مل شمالاً ، لج بين هذين التلّين ، دع هـذه القارة على اليمين ، احترس من هذا الشعب ، تنكب هذه الرملة..

ثم يعود السكون

سرنا أربعين كيلاً أخرى ، ولا تزال هـذه الجبال تلوح فى الأفق كأنها خيال حلم بعيد ، يشعّ منها نور غريب ، يومض من وراء القفر ، كما يومض الأمل المشرق فى ظلمة اليأس ، وكنا قد شارفنا سكة الحديد فتخطيناها مستعبرين ، ودخلنا فى أودية ما لها آخر غابت عنا فيها الجبال التى كنا نراها ، فنستأنس بمرآها وقاسينا فيها الشدائد من التواء الأرض وكثرة الأحجار وتشابه المسالك ، ولم يكن فينا من ينبس ، الاّ أن يعرض لنا جبل أو شعب فأسأل الدليل عن اسمه لأكتبه فى دفترى الذى سُرق منى فى آخر الرحلة ... ثم أرجع الى صمتى الطويل

(*) انظر مقالينا (فى طريق المدينة) الرسالة ٩٧ والرسالة ١٢٨

فلما زال النهار، صاح بي الدليل :

— هيه . انت يالْ كاتب . اكتب : هذا أحد :

— فصحت : اذن قد وصلنا

— فقال : ما قلت لك الظهر ، هذا أحد ، بقي نصف ساعة .

لم يكن يدري الدليل الاعرابي أيّ ذكريات انبعثت في نفسي حين قال : هذا أحد ! وأيّ عالم تجلى لعينيّ ، فرأيت المعركة قائمة والمسلمين ظافرين، قد منحهم الله أكتاف الندوّ ، ورأيت الرماة اذ يزلون عن أماكنهم ، يبتدرون الغنائم ، وخالداً حين يرتد بخيله على هؤلاء الذين عصوا أمر الرسول وغرتهم الدنيا ، ورأيت النبي صلى الله عليه وسلم ثابتاً مثل أحد ، وحوله صحابته الغرّ الميامين ، يذبون عن الدين ، ويحمون حمى النبوة ، ثم أبصرت هنداً قائمة على جثة البطل الشهيد ، سيد الشهداء ، وكانت قد أكل في بدر كبدها ، فأرادت أن تأكل كبده ، فشقت عنها فاستخرجتها فلاكتها ، فلما وجدت بفيها صلادة الصوان لفظتها وأبصرت النبي صلى الله عليه وسلم واقفاً عليه يبكي ، فلما رأى ما مثل به شهق ، ولم يكن منظر أوجع لقلبه منه ، ثم قال : رحمك الله ياعم ، فلقد كنت وصولاً للرحم ، فعولاً للخيرات ، فوالله لئن أظفرني الله بالقوم لأمثلن بسبعين منهم ، فما برح حتى هبط عليه الوحي ، فقام يتلو قول الله جل وعزّ :

« وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به » فانصرف وقد عفا ...

ورنّ في أذني صوت أبي سفيان : أعل هبل ، فتلفت ، فما رأيت هبل ، ولا شيعة هبل ، وإذا هو قد درج مع من درج ، لم يبق إلاّ الله الأعلى الأجل ، ثم سمعت صوت أبي سفيان يرنّ في أذني مرة ثانية ، يخرج من هناك من أرض الشام ، التي فتحها لهم سيد العالم ، قوياً شديداً ، ينادي في المعركة الحمراء ، بصوت سمعه كل من في اليرموك :

يا نصر الله اقترب ، الثبات الثبات ، يامعشر المسلمين . فثبتوا وجاءهم النصر وملكوا سورية من أقصاها إلى أقصاها فهي لهم ولأبنائهم الى يوم القيامة ، ورأيت مئات من مثل هذه الصور ، فأحسست كأنما انتقلت الى العهد الأول ، أشهد هبوط الوحي ، وأرى جلال النبوة وعزة الاسلام . . .

ونظرت ، فاذا أحد لا يزال بعيداً ، يعترض هذا الوادي الذي نسير فيه مشرقاً بهياً ، تومض عروقه المختلفة الألوان من الأخضر البهي ، إلى الأحمر المشرق ، الى الأزرق اللامع ، فتمتزج هذه الألوان وتختلط ، فيكون لها في العين أبهى منظر ، وفي القلب أسمى شعور ، فازداد بي الشوق ، فأقبلت أحثث السائق وأستعجله ، أود لو تطوى له الأرض طياً أو يطير بنا الى المدينة طيراناً ، فلا أرى السيارة ترمح مكانها ، وأجد أحداً لا يزال بعيداً ، فأعود فأستحث السائق . . . ومالي لا أسرع إلى أحد وأحبه ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحد جبل يحبنا ونحبه . ومالي لا أزداد شوقاً الى المدينة ، وليس بيني وبينها إلاّ ربع ساعة ؟

وأعظم مايكون الشوق يوماً  إذا دنت الخيام من الخيام

* * *

ولما خرجنا من الوادي ، وانتهينا الى الفضاء الرحب ، رأينا وجه أحد وعلى سفحه النخيل والبساتين ، ورأينا سلعاً وهو جبل أسود عال ، يقوم حيال أحد فيحجب المدينة وراءه ، فلا يبدو منها إلاّ جانب الحرة ، وطرف النخيل ، فذكرت قول محمد بن عبد الملك وقد ورد بغداد يحنّ إلى المدينة :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة  بسلع ولم تغلق عليّ دروب
وهل أحد باد لنا وكأنه  حصان امام المقربات جنيب
يخب السراب الضحل بيني وبينه  فيبدو لعيني تارة ويغيب
فان شفائي نظرة ان نظرتها  الى أحد والحرتان قريب
واني لأرعى النجم حتى كأنني  على كل نجم في السماء رقيب
وأشتاق للبرق اليماني إن بدا  وأزداد شوقاً أن تهب جنوب

* * *

وكان علينا أرطال من الغبار والأوساخ ، فاستحيينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ندخل مدينته ونسلم عليه ، ونحن على مثل هذه الحال ؛ وكانت البساتين والحيطان قريبة منا ، فسرنا اليها ، نخب في الرمل ، فلما دنونا من أحدها ، سمعت غناء موقعاً على ناي ، كأشجى وأطرب ما سمعت من الغناء فتعجبت ، ثم ذكرت أن أهل المدينة مذ كانوا أطرب الناس وأبصرهم بالغناء ، وهممت بالدخول ، ثم أحجمت وقلت :

لعل المغني امرأة ، فلقد كان الذي سمعت صوتاً طرياً رقيقاً لا يكون إلاّ لامرأة أو غلام ، ثم حانت مني التفاتة ، من فرجة

الباب ، فاذا المغنى عبد أسود كالليل ، واذا الذى حسبته نايا ناعورة يديرها جمل ، لها مثل صوت النواعير فى حماه لكن صوتها أرق وأحلى ، واذا هذا السور الذى تلطمه الصحراء برمالها كما تضرب الأواذىّ صخرة الشاطئ ، قد عرش على جانبه الآخر الياسمين ، وأزهر عليه الفلّ ، وظللته الأشجار وحنا عليه النخل ، ورأينا الماء يهبط على الساقية ، كأنه ذوب اللجين ، ثم يجرى فيها صافياً عذباً متكسراً ، فجننا برؤية الماء الجارى ، ولم نكن قد رأيناه منذ سبعة عشر يوماً ، الا مرة واحدة فى العلا ، واقتحمنا الباب ، وأقبلنا على الماء نغمس فيه أيدينا ، وأرجلنا ، ونضرب به وجوهنا ، ثم لا نشبع منه ولا ننصرف عنه ، حتى أرحنا رائحة الحياة ، فاستلقينا على الأرض ننظر الى الصحراء الماثلة ، التى أفلتنا منها وضرب بيننا وبينها بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب

***

اغتسلنا ولبسنا ثياباً بيضاء نظيفة ، وتطيبنا ، ثم ركبنا فى السيارات الى المدينة ، فلم نقطع سلعاً حتى بدت لنا المدينة كصفحة الكف ، يحف بها النخيل ، وتكتنفها الحرار ، وتقوم فى وسطها القبة الخضراء ، تشق بنورها عنان السماء ، وتكشفت لنا دنيا كلها خير وحقيقة وجمال ، وعالم كله مجد وفضيلة وجلال

من هنا خرج جند الله الثلثمائة الى بدر ، فدكوا صرح الاستبداد والجهالة ، ورفعوا منار الحرية والعلم ، أقاموه على جماجم الشهداء ، وسقوه هاتيك الدماء ، فأضاء نوره الجزيرة كلها ، ثم قطع الرمل ، فأضاء الشام والعراق ، ثم قطع البحر فأضاء الهند واسبانية ، فاهتدى به الناس الى طريق الكمال الانسانىّ

من هنا خرج الأبطال الذين هدموا وبنوا وعلموا : هدموا الدول المتفسخة الجاهلة التى وقفت فى طريق الحضارة ، فلا هى تتقدم بها ولا هى تدعها تمشى فى طريقها . وبنوا الدولة التى ألفت بين فلسفة يونان وحضارة فارس وحكمة الهند ، وجعلتها جميعاً سفرا واحداً فاتحته القرآن ، وروحه الاسلام ، ثم جلسوا على منابر التدريس فى جامعات بغداد ومصر وقرطبة ليعلموا العالم ، فكان من تلاميذهم ملوك أوروبا وباباواتها ...

من هنا خرج أبو بكر وعمر ، وعبد الملك والمنصور والرشيد وعبد الرحمن الناصر وصلاح الدين وسليمان القانونى

من هنا خرج أبو حنيفة ومالك وسفيان والنووى والغزالى والفارابى وابن سينا وابن رشد

من هنا خرج خالد وسعد وقتيبة وطارق وسيف الدولة والمظفر

من هنا خرج حسان والفرزدق وجرير وأبو تمام والمتنبى والمعرى

من هنا خرج الجاحظ وأبو حيان وابن حزم

من هنا خرج الف ألف عظيم وعظيم

تقدست أيتها المدينة ... أم المدن ، وظئر العظماء ؟

***

وكنا قد بلغنا هذا المضيق الصخرى ، بين هضبتى سلع ، فنظرت فى خريطة للمدينة كانت معى ، وقلت للدليل : أما هذا ذباب ؟ قال : بلى والله فمايدريك أنت ؟

قلت : أما هذا مسجد الراية ؟ قال : بلى . قلت : هذه هى ثنية الوداع ، وخفق قلبى خفقاناً شديداً ، وخالطنى شعور بالمهابة من دخول المدينة ، والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما فى نفسى من الفرح والسرور ، وجعلت أتأمل المدينة ، وقد دنونا منها ، حتى لقد كدنا نصير بين البيوت ، وأحدق فى القبة الخضراء التى يثوى تحتها أفضل من مشى على الأرض وقد شخص بصرى وكدت لا أرى ما كان حولى لفرط ما أحس من جيشان العواطف فى نفسى ... حتى غامت المشاهد فى عينىّ ، وتداخلت كأنها صورة يضطرب بها الماء ، وأحسست كأنى قد خرجت من نفسى ، وانفصلت من حاضرى وذهبت أعيش فى عالم طلق لا أثر فيه لقيود الزمان والمكان ، فسمعت أصواتاً آتية من بعيد ... من بعيد ، وسمعتها تزداد وتقوى ، حتى تبينت فيها قرع الطبل ، ووعيت أصوات الولائد ، يضربن بالدفوف وينشدن :

طلع البـدر علينا من « ثنيات الوداع »
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

ورأيت المدينة قد سالت بأهلها ، فملأ الناس الحرّة وسدّوا الطرق ، وغطى النساء الأسطحة ، ولم يبق فى المدينة أحد إلا خرج لاستقبال سيد العالم ، وهو قادم ليس معه صلى الله عليه وسلم إلا الصديق الأعظم ، لا يلمع على جبينه التاج المرصع ، ولا يحمل فى يده صولجان الملك ، ولا تسير وراءه العساكر والجنود ، ولكن يضىء على جبينه نور النبوة ، ويحمل فى يده هدى القرآن ، وتسير وراءه الأجيال ، ويتبعه المستقبل ، وتحف به الملائكة ، ويؤيده الله !

ثم سار وسارت وراءه هذه الجموع إلى القرية التي لبثت قروناً ضائعة بين رمال الصحراء ، لا يدرى بها التاريخ ، ولم تسمع بها القسطنطينيـة ، ولم تعلم بوجودها روما ، فجاء هذا الرجل ليهزها وينفخ فيها روح الحياة ويجعلها أم الدنيا وعاصمة الأرض

إلى المعشر اليمانيين الذين جعلوا بأسهم بينهم ، فلم تمتد عيونهم إلى أبعد من هذه الحرار ، ولم يطمعوا من المجد بأكثر من أن يسحق بعضهم بعضاً ، ليبثهم بالقرآن خلقاً آخر ، ويسلمهم مفاتيح الأرض ، ويضع في أيديهم القلم الذين يكتبون به أعظم تاريخ للبطولة والعلم والعدالة ، فأطاعوا ولبوا ، ثم مشوا إلى القادسية واليرموك ، ثم أصبحوا سادة العالم ، ورأيت الأنصار يستبقون إلى إنزاله صلى الله عليه وسلم والتشرف به ويصيحون به :

هلم يا رسول الله إلى القوة والمنعة ، فيقول : خلوا سبيلها فانها مأمورة ، ويدعها تمشي وقد أرخى لها زمامها ما يحركها وهي تنظر يميناً وشمالاً ، حتى أتت دار بني مالك النجار فبركت عند باب المسجد ، ثم ثارت وبركت في مبركها الأول

فنزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال : ههنا المنزل إن شاء الله ، وكان المسجد مربداً لغلامين يتيمين في المدينة ، فاشتراه صلى الله عليه وسلم وانطلق يحمل الأحجار بيده الكريمة ليضع أسس أكبر جامعة بثت الهدى في الأرض !

***

ونظرت فاذا السيارات أمام باب السلام ، فاشرأبت الأعناق وبرقت الأبصار ، ودمعت العيون ، وخفقت القلوب ، وتعالى الهتاف ، وكانت حال لا سبيل الى وصفها قط

فنزلنا ودخلنا المسجد نسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ...

علي الطنطاوي

# علم الحيل عند العرب

للأستاذ قدري حافظ طوقان

لقد أصبح علم الطبيعة من العلوم التي لها اتصال وثيق بالحياة. وشأن عظيم في تقدم المدنية الحديثة القائمة على الاختراع والاكتشاف، ولا نكون مبالغين إذا قلنا إن علم الطبيعة هو الأس الذي شيد عليه صرح الحضارة الحالية. وهو لم يتقدم تقدماً محسوساً إلا حينما أشرف القرن التاسع عشر الميلاد على ختامه. وفي هذا القرن — القرن العشرين — دبت اليه عوامل التحول واعتنى به علماء عصرنا عناية فائقة، فأنشأوا المختبرات وأنفقوا عليها المبالغ الطائلة، وبلغوا في إتقانها درجة كبيرة استطاعوا بواسطتها أن يحلوا بعض المشاكل العلمية، وأن يجيبوا على مسائل كثيرة غامضة؛ وظهرت من ذلك عجائب الكون بصورة أوضح وأتم، واستخدم الانسان ما اكتشفه من نواميس الطبيعة والحياة فيما يعود عليه بالتقدم والرقي، فلولا بعض هذه النواميس ولولا فهمه إياها فهماً مكنه من الاستفادة منها لما كانت السابحات في السماء والعائمات على الماء، ولما كان في الامكان الغوص إلى أعماق البحار وجعل المولدات والمحركات الكهربائية في متناول الانسان، ولما استطاع أن يطوق القارات بالأسلاك الكهربائية، وأن يملأ الجو بعجيج الأمواج اللاسلكية، وقد حملت على أجنحتها الأنباء والأخبار والحوادث . . . ولما نمت الصناعة هذا النمو الغريب. وازدهرت هذا الازدهار العجيب. وعلى كل حال يمكن القول إنه بفضل البحث العلمي وبفضل ما اكتشفه الانسان من القوانين الطبيعية وعلاقاتها مع بعضها سيطر الانسان على عناصر الطبيعة هذه السيطرة القوية، سيطرة جعلته يعمل من المستنبطات قوى يستخدمها في قضاء مآربه المتنوعة المتعددة، ويخضعها لتقوم بأعمال المدنية الحديثة المختلفة المعقدة، سيطرة أحدثت انقلاباً بعيد الأثر خطير الشأن في الحياة والحضارة. . . إن علم الطبيعة وهذا شأنه وتأثيره وهذه خطورته لجدير بنا أن نهتم به وأن نتعرف عليه ونقف على تطوره وتاريخه وأثر الأمم في تقدمه، ويهمنا بصورة خاصة أن نعرف مآثر أسلافنا وما أحدثوا فيه من النظريات والآراء. وسنتناول في هذا المقال المجهود العربي في علم الحيل — أي علم الميكانيكا — محاولين تبيان فضلهم عليه وما قدموه من جليل الخدمات في هذا الميدان

. . . إن علم الطبيعة من العلوم التي اعتنى بها الأقدمون فقد كان معروفاً عند علماء اليونان، واليهم يرجع الفضل في اكتشاف كثير من مبادئه الأولية ولهم مؤلفات عديدة ترجم العرب أكثرها. ولم يكتف العرب بنقلها بل توسعوا فيها وأضافوا اليها إضافات هامة تعتبر أساساً لبعض المباحث الطبيعية. وهم الذين وضعوا أساس البحث العلمي الحديث وقد قويت عندهم الملاحظة وحب الاستطلاع، ورغبوا في التجربة والاختبار فأنشأوا (المعمل) ليحققوا نظرياتهم وليتأكدوا من صحتها. ومن الفروع التي أصابها شيء من اعتناء العرب واهتمامهم بحوث الميكانيكا أو علم الحيل، ومع أنهم لم يبدعوا فيه إبداعهم في البصريات الا أنهم استنبطوا فيه بعضاً من المبادئ والقوانين الأساسية التي كانت من العوامل التي ساعدت على تقدمه ووصوله إلى درجته الحالية.

لقد ترجم العرب كتب اليونان في الميكانيكا ككتاب الفريكس لأرسطوطاليس، وكتاب الحيل الروحانية، وكتاب رفع الأثقال لايرن، وكتاب الآلات المصوتة على بعد ستين ميلاً لمورطس، وكتب هيرون الصغير في الآلات الحربية، وقطزيبوس وهيرون الأسكندري في الآلات المفرغة للهواء والرافعة للمياه وغيرها. اطلع العرب على هذه المؤلفات ودرسوها ووقفوا على محتوياتها ثم أخذوها وأدخلوا تغييرات بسيطة على بعضها وتوسعوا في البعض الآخر، واستطاعوا بعد ذلك أن يزيدوا عليها زيادات تعتبر أساساً لبحوث علم الطبيعة المتنوعة. وليس في الامكان أن نجول كثيراً في هذا المجال حول مآثر العرب في الميكانيكا، ولكن سنأتي على ذكر شيء من مجهوداتهم فيه وما قدموه من الخدمات لهذا الفرع من المعرفة، وما كان لهذه المجهودات ولتلك الخدمات من أثر بين في تقدمه ورقيه.

لقد كتب العرب في الحيل، وأشهر من كتب في هذا البحث محمد وأحمد وحسن أبناء موسى بن شاكر «ولهم في الحيل كتاب عجيب نادر يشتمل على كل غريبة، ولقد وقفت عليه فوجدته من أحسن الكتب وأمتعها وهو مجلد واحد..»(١)

وهي — أي الحيل — شريفة الأغراض، عظيمة الفائدة،

(١) ابن خلكان — كتاب وفيات الأعيان — ج ٢ ص ٧٩

مشهورة عند الناس [١] ويحتوى هذا الكتاب على مائة تركيب ميكانيكي عشرون منها ذات قيمة عملية [٢] . وكان علماء العرب يقسمون علم الحيل الى قسمين : الأول منهما يبحث فى جر الأثقال بالقوة اليسيرة وآلاته . والثانى فى آلات الحركات وصنعة الأوانى العجيبة . وألّف العرب فى علم مراكز الأثقال ، وهو « علم يتعرف منه ثقل الجسم المحمول ، والمراد بمركز الثقل حد فى الجسم يتعادل بالنسبة الى الحامل » [٣] ، ومن الذين ألفوا فيه أبو سهل الكوهى ، وابن الهيثم ، وبنو موسى

وكذلك للعرب فضل فى علم السوائل ، فلأبى الريحانى البيرونى فى كتابه الآثار الباقية شروح وتطبيقات لبعض الظواهر التى تتعلق بضغط السوائل وتوازنها ، ووضعوا فى هذا كله مؤلفات قيمة . وقد استنبطوا طرقاً واخترعوا آلات تمكنوا بواسطتها من حساب الوزن النوعى وكان لهم فيه ميل خاص ، وقد يكون ذلك آتياً من رغبتهم الشديدة فى معرفة الوزن النوعى للأحجار الكريمة وبعض المعادن ، وهم أول من عمل فيه الجداول الدقيقة فقد حسبوا كثافة الرصاص مثلا فوجدوها ١١,٣٣ بينا هى ١١,٣٥ والفرق بين القدارين ضئيل

وفى كتاب عيون المسائل من أعيان المسائل لعبد القادر الطبرى جداول فيها الأثقال النوعية للذهب والزئبق والرصاص والفضـــة والنحاس ، والصفر ، والحديد ، ولبن البقر ، والجبن والزيت ، والياقوت ، والياقوت الأحمر ، والزمرد واللازورد والعقيق ، والماء والبلخش والزجاج ؛ واستطاعوا أن يحسبوا أثقال هذه المواد النوعية بدقة أثارت اعجاب العلماء . وعمل البيرونى تجربة لحساب الوزن النوعى ، واستعمل لذلك وعاء مصبه متجه الى أسفل ، ومن وزن الجسم بالهواء وبالماء تمكن من معرفة المقدار المزاح ، ومن هذا الأخير ووزن الجسم بالهواء حسب الوزن النوعى . وقد وجد الوزن النوعى لثمانية عشر عنصراً ومركباً من الأحجار الكريمة والمعادن ، ويعترف سارطون بدقة تجارب البيرونى فى ذلك

واخترع الخازن آلة لمعرفة الوزن النوعى لأى سائل ، واستعمل بعض علماء العرب قانون أرخميدس فى معرفة مقدار الذهب والفضة فى سبيكة ممزوجة منهما من غير حلها . وعلى كل حال فالذين كتبوا فى الوزن النوعى كثيرون ، منهم سند بن على والرازى وابن سينا والخيام والخازن وغيرهم ، وكانت كتاباتهم مبنية على التجربة والاختبار ، واستعمل البعض موازين خاصة يستعينون بها فى ايجاد الكثافة ، فقد استعمل الرازى ميزاناً سماه الميزان الطبيعى [١] وله فى ذلك كتاب محنة الذهب والفضة والميزان الطبيعى . وللخازن كتاب ميزان الحكمة كتبه سنة ١١٣٧ م وفيه وصف دقيق مفصل للموازين التى كان يستعملها العرب فى تجاربهم ، وفيه أيضا وصف لميزان غريب التركيب لوزن الأجسام بالهواء والماء [٢] ، ونجد فيه جداول الأوزان النوعية لكثير من المعادن والسوائل [٣] والأجسام الصلبة التى تذوب فى الماء [٤] وهذه الجداول دقيقة جداً ومستخرجة بطرق متنوعة . ويقول سارطون إن ابن سينا والخيام أوجدا طرقاً عديدة لايجاد الوزن النوعى . وكتاب ميزان الحكمة المذكور من الكتب الرئيسية المعتبرة جداً فى علم الطبيعة إذ هو أكثر الكتب استيفاء لبحوث الميكانيكا ، وقد يكون الكتاب الوحيد الذى ظهر من نوعه فى القرون الوسطى . واعترف بلتن فى خطاب ألقاه فى أكاديمية العلوم الأمريكية بأهمية هذا الكتاب . ومن هذا الكتاب يستدل على أنه كان لدى الخازن آلات مخصوصة لحساب الأوزان النوعيـة ولقياس حرارة السوائل [٥] . وفى الكتاب نفسه بحث فى الجاذبية [٦] وبأن هناك علاقة بين سرعة الجسم الساقط والبعد الذى يقطعه والزمن الذى يستغرقه ، وبأن قوى التثاقل تتجه دائماً الى مركز الأرض [٧]

ولم ينفرد الخازن ببحوثه فى الجاذبية ، فقد بحث غيره من قبله ومن بعده من علماء العرب فيها وفى الأجسام الساقطة ، ووضعوا قوانين لذلك ، وقد كنا وفينا هذا الموضوع بعض حقه فى مقال لنا فى ( الرسالة عدد ٧٢ عنوانه « الممهدون للاكتشاف

(١) القفطى — كتاب إخبار العلماء بأنباء الحكماء — ص ٢٠٨
(٢) كتاب تراث الاسلام — ص ٣٢١
(٣) الانصارى — ارشاد القاصد إلى أسنى المقاصد — ص ١١٠

(١) ابن أبى أصيبعة — طبقات الأطباء ج ١ ص ٣١٧
(٢) كاجورى — تاريخ الفيزياء — ص ٢٣
(٣) سارطون — مقدمة لتاريخ العلم — مج ٢ ص ٢٦
(٤) مجلة المقتطف — مج ١ ص ١٦٤
(٥) سارطون — مقدمة لتاريخ العلم — مج ٢ ص ٢١٦
(٦) سارطون — مقدمة لتاريخ العلم — مج ٢ ص ١٢٨
(٧) سارطون — مقدمة لتاريخ العلم — مج ٢ ص ٢١٦

والاختراع » ، ولا نرى الآن ضرورة لاعادة ما كتبناه فى هذا الموضوع . ويحتوى الكتاب المذكور على بحث فى الضغط الجوى وبذلك يكون العرب قد سبقوا اتورشيللى فى هذا البحث . ويحتوى أيضاً على المبدأ القائل إن الهواء كالماء يحدث ضغطاً من أسفل الى أعلى على أى جسم مغمور فيه ، ومن هذا استنتج أن وزن الجسم فى الهواء ينقص عن وزنه الحقيق [1] وكل هذه المبادئ والحقائق هى كما لا يخفى الأسس التى عليها بنى (فيما بعد) بعض الاختراعات كالبارومتر ومفرغات الهواء

وللعرب بحوث فى الروافع وقد أجادوا فى ذلك كثيراً ؛ وكان لديهم عدد غير قليل من آلات الرفع وكلها مبنية على قواعد ميكانيكية تمكنهم من جر الأثقال بقوى يسيرة ، فمن هذه الآلات التى استعملوها المحيطة والمخل والبيرم وآلة الكثيرة الرفع والأسفين واللولب والأسقاطولى وغيرها ، وقد يطول المطال إذا أردنا أن نبين ماهية كل منها ، ويمكن لمن يريد الوقوف على ذلك أن يرجع إلى كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمى ففيه بعض التفصيل . ومن الطريف أن العرب عند بحثهم فى خواص النسبة أشاروا إلى أن عمل القبان هو من عجائب النسبة ، فقد جاء أن : — « من عجائب خاصية النسبة ما يظهر فى الابعاد والأثقال من المنافع . من ذلك ما يظهر فى القرسطون أعنى القبان ، وذلك أن أحد رأسى عمود القرسطون طويل بعيد من المعلاق والآخر قصير قريب منه ، فاذا علق على رأسه الطويل ثقل قليل ، وعلى رأسه القصير ثقل كثير ، تساويا وتوازنا متى كانت نسبة الثقل القليل إلى الكثير كنسبة بعد رأس القصير إلى بعد رأس الطويل من المعلاق ... » [2] والمقصود من المعلاق هنا نقطة الارتكاز

واستعمل العرب موازين دقيقة للغاية وثبت أن فرق الخطأ فى الوزن كان أقل من أربعة أجزاء من ألف جزء من الجرام . وكان لديهم موازين أدق من ذلك ، فقد وزن الأستاذ فلندرس بترى ثلاثة نقود عربية قديمة ، فوجد أن الفرق بين أوزانها جزء من ثلاثة آلاف جزء من الجرام ، ويقول الأستاذ المذكور تعليقا على هذه الدقة : « إنه لا يمكن الوصول إلى هذه الدقة فى الوزن إلا باستعمال أدق الموازين الكيميائية الموضوعة فى صناديق من الزجاج (حتى لا تؤثر فيها تموجات الهواء) وبتكرار الوزن مراراً حتى لا يبقى فرق ظاهر فى رجحان أحد الموازين على الآخر ، ولذلك فالوصول الى هذه الدقة لما يفوق التصور ، ولا يعلم أن أحداً وصل إلى دقة فى الوزن مثل هذه الدقة ... » [1] ومن هنا يظهر أن العرب درسوا مسألة الميزان دراسة دقيقة ؛ وقد ألفوا فى ذلك مؤلفات قيمة جداً ، فثابت بن قرة ألف كتابين فى ذلك : أحدهما فى صفة استواء الوزن واختلافه وشرائط ذلك ؛ والثانى فى القرسطون ، ولا تزال من هذا الكتاب الأخير نسخة فى برلين وأخرى فى وكالة الهند بلندن . ومن الذين كتبوا فى الموازين والأوزان نظرياً وعملياً الكوهى والفارابى وابن سينا وقسطا بن لوقا البعلبكى وابن الهيثم والخازن والجلدكى وغيرهم ... وعلى ذكر الجلدكى تقول إن هذا النابغ حلق فى الكيمياء ووصل فيها درجة لم يصلها أحد من معاصريه ، وهو الذى يقول إن العناصر يفعل بعضها ببعض على نسب محدودة ؛ فكأنه اتصل الى مبدأ الجوهرى قبل دلتون [2] . واستعمل العرب لموازينهم أوزاناً متنوعة ، وأحسن كتاب فى هذا البحث الكتاب الذى وضعه عبدالرحمن بن نصر المصرى المراقب (المحتسب) العام لأحوال الأسواق التجارية فى أيام صلاح الدين الأيوبى . وتوجد كتب أخرى تبحث فى هذا الموضوع ككتاب ابن جامع وغيره

وفوق ذلك فقد كتب العرب فى الأنابيب الشعرية ومبادئها وتعليل ارتفاع الموائع وانخفاضها فيها ، وهذا طبعاً قادهم إلى البحث فى التوتر السطحى (Surface Tension) وأسبابه وبحث فى هذا كله الخازن . . . وقد يجهل كثيرون أن ابن يونس هو الذى اخترع بندول الساعة (الرقاص) واعترف بذلك سيديو وسيدو يك وبيكر وتايلر وغيرهم . وكان عندهم (أى العرب) أيضاً فكرة عن قانون الرقاص . يقول سمث : «ومع أن قانون الرقاص هو من وضع غاليلو إلا أن كمال الدين لاحظه وسبقه فى معرفة شىء عنه . وكان الفلكيون يستعملون البندول لحساب الفترات الزمنية أثناء الرصد ... » [3] وسبق لنا أن كتبنا شيئاً من هذا فى (الرسالة) عدد (٥٧) .

. . . هذا مجمل ما عمله العرب فى علم الحيل أو الميكانيكا وهو يدل كما قلنا — فى أول المقال — على أنهم أخذوا ماعرفه اليونان وغيرهم فى هذا الفرع الجليل وتوسعوا فيه ثم زادوا عليه زيادات هامة يعد بعضها أساساً لبعض البحوث والمواضيع والنظريات فى علم الطبيعة

(نابلس — فلسطين) **قدرى حافظ طوقان**

(١) كاجورى — تاريخ الفيزياء — ص ٢٣
(٢) رسائل اخوان الصفاء — ج ١ ص ١٩٣

(١) مجلة المقتطف — مج ٦٨ ص ٣٠٣
(٢) مجلة المقتطف — مج ٦٧ ص ٣٠٤
(٣) سمث — تاريخ الرياضيات — ج ٢ ص ٦٧٢

# ذكرى الهجرة

بقلم عبد الحكيم عابدين

على هامة الدنيا وقد ثقتها قدرا ... وفى ذمة التاريخ ، أيتها الذكرى
أطلّى على رأس الليالى منارة ... وفى غسق الأحداث شعّى لنا فجرا
وقومى على الإسلام تاجاً يزينه ... وسيفاً يردّى من يُريد به الضرا
وأحيى عزاء القلب عما أصابه ... لما دهم الإسلام من محن كبرى
أعيدى، ولو طيفاً ، من الغابر الذى ... تموت عليه النفس والمة حسرى
وقصّى على سمعى ولو فى رؤى الدجى ... أحاديث يعيى الدهر ترديدُها بهرا
يُجشّم داء أخدعيه مُعادُها ... كأن بأذنيه إذا تُليت وقرا
أحاديث عن طه وحيىّ ذكره ... بلا لقب إذ ضقت عن قدره ذكرا
وصحب أباة ما رأى المجد مثلهم ... ولم يرضَ إلا بين أنفسهم وكرا
غطاريفَ بُلج لا يجـوز عديدَهم ... لدى أرهب الدنيا ، أصابعك اليسرى
ومن قُلّد الإيمـــان درعاً ومغفرا ... فلا غرو أن أعيا ـ وحيداً ـ به الدهرا
رُويدكِ يا ذكرى . لكم تضرمين بى ... مشاعرَ كاد الدهر يغرى بها القهرا
وآمالَ نفس أوشكت حادثاته ... إلى اليأس أن تُدنى نواهضَها قسرا
طلعتِ على الدنيا فأذكرت آلما ... مواقف للإسلام ما برحت غرّا
وما الهجرة البلجاء إلا صحيفةٌ ... تُتوّج من دين الهدى ذلك السِّفرا
سُرَى فى سبيل الله والخطب كالح ... وللبيض لمعٌ فى حواشى الدجى افترا
بأيدٍ تلظّى للدماء تعطشـــا ... وترقب أن تُسقى دم المصطفى هدرا
فما هاله أن الأســـنة شُرّعٌ ... تبارى لكى يرجعن من دمه حُمْرا
سَرى بين صحب تسقط الشم سجّدا ... لإيمانهم . لو أن منـــه لنا نزرا !
عقائدُ تدعو المستحيل توهماً ... ولا ترتضى إلا لخالقها أمرا
جوارف للأطواد إن رُمْن صدها ... قوانع بالأشواك أن تكسوَ السيرا
تساومُ بالأرواح كل مهنـــد ... على عزّة الإسلام تعلو بها الشعرى
ليثرب شدو الرحل يسعى يقينهم ... سنا بين أيديهم إذا افتقدوا البدرا
لهم منه عزم الأسد فى لمة القنا ... وحسب الفتى السارى بمثلهم اذخرا
يُذلل وعثاء الطريق كأنما ... يرون صياخيد الفلا بُسُطا خُضرا
إلى حيث شاء الله للحق رفعة ... وآثر للإسلام فى صُبحه نشرا
فلا يحسبن مرضى القلوب رحيلهم ... توقّىَ شركٍ كان يمطرهم شرا
ولا وهناً عن دعوة الله . إنما ... مضاء بأمر الله أن هاجروا سرا
مضوا ليعودوا فاتحين أعزة ... كراماً كإقعاء الهزبر إذا استشرى
وكان . فلم يبعد بمكة عهدهم ... من العمر حتى عاودوا فتحها قهرا
وحطمت الأصــــنامُ دون هوادة ... وصال الأذان العذب فى الكعبة الزهرا
ونودى فيها « الله أكبر » بعدما ... شكت جهل قوم كبّروا بينها الصخرا
وما فتئ الإســــلام تعلو بنوده ... ويأتيه طوعَ السيف من لم يجئ حرا
ودانت له الأرض الجزيرة . لم يدع ... بها معهداً إلا استقلّ به نصرا
ولم تلبث الأعوامُ أن بهرت به ... عُلا قيصر واستنصرته على كسرى
فدالا ودالت عنهما دولتاهما ... وعمّ المدى فاستخلص البر والبحرا
فمالى أراه اليوم ـ واحسرتا ـ هَوَى ... وأشمتَ فيه ذلُّ أبنائه الكفرا
وأطمع فيه كل أحمقَ لم يكن ... ليحلم يوماً أن يُطيق له ذكرا
وما باله ـ والخطب ـ ذلت شعوبه ... وحكّم فيها ضعفها الأهوجَ الغرا
متى أشهد الإسلام يَرجع مجدَه ... وتُرفع راياتٌ له طُويت قسرا
ألا ألمعىٌّ من سلالة ( أحمدٍ ) ... يقلّده الفاروق من رُوحه الشُمرا
فيبعث للإسلام ماضىَ صولة ... شأت فى شباب الدهر أنجمه الزُهرا
ويامعشر الإسلام ، والحق قوة ، ... ألا قومة للحق يحيا بها حُرّا
فما الحق إن لم تمنع البيض حوضه ... بأخلق أن يُعطى الحياة ولا أحرى
وأكفلُ منه للسيادة باطلٌ ... تقوم عليه السمهرية لا يُفرى
بنى وطنى ، والشرق أجمعُ موطنى ... ومثلىَ ـ ممّن لا يدين بذا ـ يبرا
تعالوا افهموا الإسلام فالناس إخوة ... منى آمنوا ، لا الشام ندرى ولا مصرا
وما أمم الإســـلام إلا كتيبةٌ ... وقائدها القرآنُ عزّت به دَهرا

## مصلحة التنظيم

نقبل عطاءات لغاية ظهر يوم الخميس ١٤ مايو سنة ١٩٣٦ عن توريد الآتي إلى شوارع مختلفة بمدينة القاهرة وضواحيها .

١ ) ٢٠٠٠٠ عشرون ألف متر طولى بردوره بازلت

٢ ) ١٩٠٠٠ تسعة عشر ألف متر طولى بردوره من محاجر الهرم

٣ ) ١٥٠٠٠ خمسة عشر ألف متر طولى بردوره بيضاء

٤ ) ٢٠٠٠ وكذا ألفين متر طولى بردوره بيضاء الى شوارع مختلفة بمصر الجديدة وثمن شروط المناقصة ١٣٠ مليما بخلاف ٣٠ مليما أجرة البريد

وشروط البيع وحكم نزع الملكية وكافة الأوراق مودعة بقلم كتاب المحكمة لمن يريد الاطلاع عليها وهذا العقار هو الجزء الباقى بعد ما حكم به فى دعوى الاستحقاق ن ١٩٢٧ سنة ٩٣٥ فوه

فعلى من له رغبة فى الشراء الحضور فى اليوم والساعة والمكان المحددين بعاليه للمزايدة قانونا ومن رسى عليه آخر عطاء يدفع عشر الثمن وكامل المصاريف فوراً وإن تأخر يعاد البيع على ذمته ويلزم بالفرق

كاتب البيوع

---

محكمة فوه الجزئية الأهلية

إعلان بيع

فى القضية المدنية نمرة ١٨٦٨ سنة ٩٣٤

نشرة ثانية

فى يوم السبت ١٦ مايو سنة ١٩٣٦ من الساعة ٨ أفرنكى صباحا بسراى المحكمة بقاعة المزايدات سيباع بالمزاد العلنى العقار الآتى بيانه بعد المملوك الى الحرمه زينب سعد زلهف من منية الأشراف مركز فوه وهذا البيع بناء على طلب الحرمه حافظه ابراهيم نكدى من بندر فوه ومحلها المختار مكتب الأستاذ مأمون أفندى القوال المحامى بفوه

وهذا البيع بناء على حكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٣٤ ومسجل بمحكمة طنطا الابتدائية الأهلية فى ٣١ أكتوبر سنة ١٩٣٤ تحت نمرة ١٣٤٠ بحيفة ٩٣ و٩٤ جزء سادس سنة ١٩٣٤

وهذا بيان العقار

١٢ قيراط ونصف من أربعة وعشرين قيراطا مشاعاً فى ماكينة طحن غلال ودرب الأرز كائنة بزمام منية الأشراف مركز فوه غربية عا فيها العدد والآلات الطحن ودرب الأرز مكلفه نمرة ٢٢١ سنة ١٩٣٤ ومسطح هذه القطعة الموجود فيها الماكينة المذكورة هو ١ ط و١٨ س من ضمن القطعة نمرة ١٧ بحوض غرب الترعة نمرة ٢ بحدود أربع البحرى القطعة نمرة ١٦ ملك أسعد عوض وبخائيل سعد وطوله ٤ قصبه والغربى القطعة نمرة ١٦ ملك أسعد عوض وبخائيل سعد وتمامه نمرة ١٧ وطوله ٦ قصبه والقبلى باقى القطعة نمرة ١٧ بحوضه ملك عبد الحميد أبو بكر والورثه وطوله ٤ قصبة والشرق جسر ترعة القضابه عمومية وطوله ٦ قصبه

وهذا البيع وفاء لمبلغ ٢٦ ج و ٩١٠ مليم ستة وعشرين جنيهاً وتسعمائة وعشرة مليم خلاف المصاريف والثمن الأساسى الذى يبنى عليه المزايدة مبلغ ٢ ج و ٥٠٠ مليم اثنين جنيه وخمسمائة مليم خلاف المصاريف التى سيعلن عنها بالجلسة

---

فى يوم ٢٣ أبريل سنة ١٩٣٦ من الساعة ٧ صباحا والأيام التالية له بناحية بندر طنطا مركز طنطا سيباع علنا الخردوات الموضحة بمحضر الحجز ١٧ مارس سنة ١٩٣٦ ملك رياض جورجى من بندر طنطا نفاذا للحكم ن ١٧٥٨ سنة ١٩٣٦ طنطا وفاء لمبلغ ٤٦٥ قرشا صاغا كطلب دهيس محمد فرغل التاجر بطنطا

فعلى راغب الشراء الحضور

---

فى يوم الأربع ٢٢ أبريل سنة ٩٣٦ من الساعة ٨ صباحا بزاوية جروان مركز منوف وفى يوم الاثنين الذى يليه من الساعة ٨ صباحا بسوق كفر الناجوز سيباع ماكينة خياطة ماركة سنجر تدار بالرجل ن ٨٦٢٩١٠٣ ملك امام عبدالواحد الدهشورى ومحمد حسن منتصر من الناحية نفاذا للحكم ن ١٠٤٧ سنة ١٩٣٦ وفاء لمبلغ ٢١٣٢ قرش صاغ بخلاف رسم هذا وما يستجد والبيع كطلب البير رودريغ التاجر بطنطا فعلى راغب الشراء الحضور

# سفائن الصحراء

للدكتور أحمد زكى

هَلَا ، هلا ، هيّا إطوى الفَلَا طيّا وقرّبى الحيّا للنازح الصبّ
هلا ، هلا ، سيرى وامضى بتيسيرى طيرى بنا طيرى للماء والعشب

« شوق »



الجمل سفينة الصحراء ، اذا أنت ذكرت الصحراء ذكرته ، واذا ذكرته ذكرت الصحراء ، وما وجوده فى غير الصحراء إلا عبث ودعابة ، يزيدحساك بهما كلما تأملت خَلقه ، ودرست خُلقه ، وقرنت ما تجد من ذلك بطبيعة السواد من الأرض الذى يخرج اليه الجمل أحياناً ، أو بطبيعة المدن التى يضلّ اليها بحكم المصادفة الخاطئة والتوجيه الجائر ؟

---

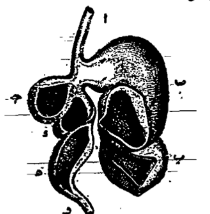
ولن تستعيد الأمر إلا بوحدة ... تقرب نائيهم وتنسيهم الإصرا
لعمرىَ ما أزرى بنا غير جهلنا ... حقيقة هذا الدين أو روحه الكبرى
وإكبارنا منه القشور وهجرنا ... لبابا وروحا ما أساغا لنا هجرا
لعمرىَ ما الاسلام إرسال لحية ... ولا صلواتٍ تُنتضَى للريا سترا
ولكنما الإسلام مجدٌ . وعزة ... تباعُ الدماءَ الفيحَ والأنفسَ الغُرّا
فدونكمُ القرآنَ دستورَ مجدكم ... تصولوا على الدنيا بعزته كِبرا
تربوا به واسقوا العقائد روحه ... وربوا عليه النش، وابغوا به النصرا
صِلوا بين أرواح الشباب وبينه ... ولا يكُ حظ القارئ الطيَّ والنشرا
إذن يعلموا أن الجهاد فريضةٌ ... وأن سنام الأمر أن تفدىَ الأمرا
وأن أخا الإسلام ليس بمسلم ... إذا ما لكَ الأعداء من أرضه شبرا

(الجامعة المصرية) عبد الحكيم عابدين الفيومى

فكما قد ينبو فى نظر الرجل العادى مرأى العمامة فى متحف اللوفر ، ومظهر القبعة فى الأزهر ، كذلك قد تضيق نفس عالم الأحياء بمنظر الخفّ على زلق المدينة ، ورؤية السنام يسير بين الوفير الكثير من طعامها

فى الصحراء معنى الجوع ، ومعنى الحر ، ومعنى المشقة والصبر ، وفيها معنى الجدب والقحط والجفاف . وفى الجمل تركزت كل هذه المعانى

أول ما يصفه الحيوانىّ ، يصفه بأنه يضعه لك فى دفعة الحيوانات ، فتجده فى خانة المجترات ، وأميز ما تمتاز به هذه الحيوانات أن أمعدتها تنقسم الى أربعة أقسام ، أو ان شئت تتركب من أربعة أكياس




أقسام المعدة الأربعة فى الحيوانات المجترة

الكيس الأول وهو أكبرها ويسمى الكرش . واليه ينزل الطعام من المرىء (ا) بعد أن يكون قطّعه الحيوان بأسنانه تقطيعاً هيّناً هو دون المضغ بكثير ؛ والكيس الثانى ويسمى بالقلنسوة (ح) وبغشائه المخاطى تَنَثُّن من خلايا ذات أضلاع عدة ، وإلى هذه القلنسوة يخرج الطعام من الكرش تدرّجاً ، وفيها يتكوّر الى كرات ليست بصغيرة الحجم تندفع الى أعلى فى مرىء الحيوان الى فمه فيأخذ فى مضغها حتى تصير عجينة لينة ؛ وحركة اندفاع الطعام هكذا حركة طبيعية لا كحركة القىء . فاذا تم المضغ بلعه الحيوان فذهب الطعام هذه المرة الى الكيس الثالث ويسمى بذى اللفائف (ء) ذلك لأن حائطه به ثنيات مستطيلة تشبه أوراق الكتاب وهو مفتوح ، ومن ذى اللفائف يخرج الطعام الى الكيس الرابع واسمه الانفحة (ه) وفيها يحدث الهضم الحق

(٩٠)

على وجهه المألوف في الحيوانات الأخرى ؛ ففي الانفحة تنفرز العصارات الهضمية ، وهي التي تستخدم في تجبين اللبن على ما هو معروف

فانك تجد في تركيب معدة المجترات ، ومنها الجمل ، ان صانعها خلقها وفقاً لحاجاتها وملاءمة لطور معيشتها ، فالكرش الكبير الذي يملأ جانباً عظيماً من البطن يقذف اليه الحيوان بالطعام الأخضر الذي يقتطفه من الشجر قذفاً ، اما على عجل لأنه يخشى أن ينزل عليه عدو من أعدائه المفترسة ، أو اختزاناً له كي يعود اليه عند حاجته لطعام . فاذا هو ذهب الى أمنه ، أو جاءته شهية الطعام عمد الى هذا المخزون فأكله من جديد . والأكل أوله المضغ

أما الماء فانك واجد في معدة الجمل خلايا عديدة كالجيوب ، واقعة في جدرانه : بها الماء ، وعليها أغطية من العضل تنسد وتنفتح عند الحاجة

وتنتهي قوائم الجمل : رجلاه ويداه ، بأصبعين ككل المجترات ، كالمعز والأبقار والوعل والغزلان ، الا أن هذه الأصابع تنتهي في هذه بأظلاف تساعدها الآن أو ساعدت آباءها بالأمس على تسلق الصخور والجبال . أما في الجمل فتنتهي الأصبعان بوسادة بها رخاوة وبها طراوة هي خير الأخذة للسير السريع الهين فوق الرمال لا سيما الوعثاء منها . والفيل اذا مشى في الرمل فقد حيلته فيه ، والحصان لا يلبث أن تنهك قواه . كذلك حال ربيب المدينة اذا هو خرج بحذاء ذي كعب عال (أو الأولى ربيبتها) . والسيارات تغوص في الرمال ، ثم تدور عجلاتها وتدور فلا تزيد فيها الا غوصاً . إلا اذا هي شابهت الجمال فاحتذت أخفافاً ، وتلك بالونات جديدة صنعت حديثاً قطرها تسع بوصات وضغط هوائها تسعة أهواء فهي عريضة رخوة . وقطر البالونات العادية نصف هذا القطر ، وضغطها ضعف هذا الضغط أو ثلاثة أمثاله

والجمل يحمل غذاءه فوق ظهره ، حملته الطبيعة إياه ، واختزنته تحت جلده حيث لا يصل اليه سواه : هذا سنامه ، وهو كتلة كبيرة من الدهن تجيء بمجيء المطر والعشب وتذهب بذهابهما ، وهي تزيد وتعلو بهنا ظهره وتتخذ شكلاً أقرب ما يكون إلى الهرم الرباعي ، والجمل معشب مرتو هانئ ، فاذا خرج الى الصحراء على سفر طويل مجهد ، فأعوزته الخضرة والماء ، رجع الى ما على ظهره ، يحرق منه لغذائه ، ويصمد به لغيلة الجوع حتى يذهب كله ويخلو منه جلده . ولكنه لا يلبث أن يعود من سفره حتى يأخذ في الادخار من يوم النعيم والوفرة ليوم العبوس الآخر ، فيثقل بالدهن ظهره ، ويشتد عليه جلده . والأعرابي قبل الترحل الطويل يمتحن سنام راحلته كما ينظر ذو السيارة في خزان بنزينه ؛ والحيوانات الثديية الأخرى تدخر الدهن ، ولكنه يتوزع على كل جسمها . كذلك تدخره الحيوانات التي تنام طول شتائها ، وتصحو في الربيع لتأخذ مع الأحياء نصيبها من العيش وطيب الحياة ، وتدخر من الدهن لحين تنام مرة أخرى

والجمل له جسم ضخم ليس فيه جمال كثير ، تحمله قوائم طويلة تتراءى كأنها تعجز عن حمله ، ولكنها غاية في الصلابة . وعظام هذه القوائم فوق متانتها بيضاء ناصعة حتى ليستعيض بها الهنود في شمال الهند عن سن الفيل في تلقيم بعض مصنوعاتهم . وطال الجمل لينال الشجر فبعد عن الأرض ، فكان لا بد له من طي قوائمه لينالها ، وهو حين يبرك على الأرض يبرك على كتل خمس متصلبة في جسمه يقال لها الثفنات ، واحدة في صدره واسمها السعدانة ، واثنتان في ركبتيه ، واثنتان في أصول فخذيه . والثفنات تولد مع الجسم ليستتم به خلقه كالأذن والعين

وللجمل رقبة حنواء طويلة تحمل في أعلاها رأساً صغيراً ، لا يحمل القرون التي هي من خصائص المجترات ، وله عينان نجلاوان ناعستان وله أنفان يغلقهما إذا شاء ويفتحهما



رأس جمل

إذا شاء ، وفضل هذا ظاهر فى الربح السافية ؛ وفتحتا أنفه بعيدتان بعداً كبيراً عمّا بداخلهما من عشاء وغدد مخاطية ، وهى لا تتحلّب مخاطا كالبقر وسائر المجترات . كذلك تطول شفته العليا وتتدلى على شفته السفلى فتحجبها أو تكاد . وشفته العليا مشقوقة شقين كالأرنب يحركهما أو يحرك أحدهما على هواه وهو يأكل حتى كأنهما يدان

وغذاء الجمل فى مواطنه الأولى أفرع الشجر وأوراقها ، وهو يأكل الشوك ولا يبالى ، ويأكله دون أن تدمى شفتاه . وهو يأكل الحب والتمر ، ولكنه لا يستغنى عن الأخضر من الطعام . وله صبر على الجوع والظمأ ، فهو يقضى أياماً قد تطول إلى العشرة دون طعام ولا شراب . وقد يقضيها حاملاً المعهود من أثقاله . وقد يحدث كثيراً أن يفرغ الماء من القافلة فتعقر الجمال طلباً للماء الذى فى أكراشها . وللابل إحساس غريب بالماء تشمه من بعيد ؛ كثيراً ما نجت القوافل بسببه ، وقد يحدث أن يأبى على الناقة صاحبها فلا يفهم معنى تشبثها باتجاه خاص فى الصحراء فتقطع الرسن وتركب رأسها ، فاذا بلغت الماء كرعت منه لأمسها ويومها وغدها



( الجمل فى الحرب )

والأعراب تشرب من الأبل لبنها ، وهو بالغ فى دسمه ، وتأكل لحمها ، وتلبس من وبرها . ولكن الخدمة الكبرى التى أداها الجمل للانسانية من قديم هى وصله لأقطار فصلت بينها قفار كالمحيطات ما كان لغير الجمل أن يجتازها . فأثره فى تجارة الأمم العتيقة كبير . وقد كان وحده وصلة ما بين الشرق والغرب

والجمل إن كان فى جسمه القدرة على الحمل ، ففى خلقه الأناة والصبر . يكتسبهما ولادة وبالمران . وهو برغم ذلك من أغبى الحيوانات . أو لعله لغبائه كان نافعاً ذلولاً صبوراً ، وإنك تجد هذا فى الناس . وهو لا يألف صاحبه ألفة الحصان والكلب . وهو كالبدو يكره البحر . وأكثر الثدييات إذا ألقاها الرجل فى الماء وجد لديها من طبيعتها فهماً للعوم أو بعض فهم . أما الجمل فاذا غُصب على السير فى ماء غير ضحل كالنهر فقدت رجلاه الأرض لم يحاول أن يعوم ، وإنما يدور جسمه ويسلم نفسه للغرق

والجمل على صبره ذو غضبة منكرة ، وهو حقود ذكور . حكوا أن جملاً كان يساق فى إدارة عصارة للزيت فضربه سائقه ضرباً موجعاً . ومضت أشهر بعد ذلك ، فظهر كأن الأساءة انتسيت . وفى ليلة قمراء جاء الجمل يتلصص الى حيث يرقد السائق فوجد ما يشبهه وهو نائم فانقض عليه بكلكله وأخذ فى الثياب تمزيقاً يحسب الرجل فيها ، فلما فرغ تحدث اليه الرجل من بعيد ، فاغتاظ الجمل اغتياظاً شديداً ، وغضب لخيبته غضبة نكرله ضرب فيها الحائط برأسه ضربة أردته قتيلاً

**أحمد زكى**

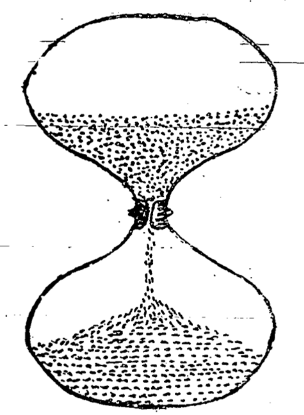
# الساعات العربية

## بقلم السيد أحمد دهمان

لما شعر الأقدمون بحاجتهم الماسة الى معرفة الأوقات، اهتدوا بعد التأمل والتفكير الى اختراع الساعة الرملية، وهى ساعة بسيطة التركيب، تتركب من قارورتين تدالتصقت فوهة احداها بفوهة الأخرى بواسطة الشمع. وملئت العليا رملاً، فينزل الرمل بالتدريج الى السفلى من ممر بينهما صنع بنسبة مقدرة، وتقلب الساعة عند ما تفرغ العليا من الرمل، وهكذا دواليك

فاذا أرادوا معرفة الوقت نظروا الى مقدار الرمل الباقى فى العليا، أو الى مقدار ما نزل منه الى السفلى

ولبثت هذه الساعة شائعة الاستعمال عند بعض قرويى دمشق حتى قبيل الحرب العامة. وقد أدركنا أحد الشيوخ المسنين يصنعها ويبيعها فى حانوت له خارج باب دمشق الغربى « فى سوق السكية »



(شكل ١) الساعة الرملية

أما الساعة الثانية التى شاعت عند الكلدان والهنود فهى كالساعة الرملية؛ بابدال الرمل بالماء؛ وكانت أقل دقة منها، لأن اختلاف الجو برداً وقيظاً كان ينقص مقدار الماء

وكان ألفرد الكبير عاهل الانكليز يأمر باتخاذ شمع طول الواحدة منه اثنتا عشرة أصبعاً، مقسمة بعلامات خاصة الى أربعة وعشرين قسما، عدد ساعات الليل والنهار. وكانت توقد ليلاً ونهاراً، ويجعل أمامها جسم شفاف وقاية لها من الريح

أما العرب فقد تفننوا فى صنع الساعات مستندين الى فن الهندسة؛ واخترعوا لها آلات عجيبة أصبحت فيما بعد أساساً للساعات التى نراها اليوم.

وقد بدأ شيوع استعمال الساعات فى البلاد العربية منذ القرن السادس للهجرة وبقى حتى الثامن، فكان فى مراكش وتلمسان والأندلس ومصر وبغداد ودمشق عدة ساعات تنصب فى الأماكن العامة لمعرفة الأوقات، وسنأتى على ذكرها مفصلاً

### مهندسو الساعات

اشتهر فى تلك العصور كثير من المهندسين العرب الذين تخصصوا فى صنع الساعات، وكانوا يديرون آلاتها بواسطة الماء، الى أن جاء ابن الشاطر المهندس الدمشقى فسعى فى ترقيتها وتوصل لجعلها صغيرة الحجم بالنسبة لغيرها من الساعات، وأصبحت تعلق على الجدران ولا تحتاج آلاتها الى الماء، فكانت أقرب ما تكون الى الساعات المستعملة اليوم. واليك تراجم أشهر من اشتغل بصنع الساعات:

**محمد رستم الساعاتى** — أصله من خراسان قدم دمشق وأقام بها، وكان أوحد أهل زمانه فى علم الفلك وصنع الساعات. قال ابن أبى أصيبعة: وهو الذى صنع الساعات التى عند باب الجامع بدمشق، صنعها فى زمن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى، وكان له الانعام الكثير والجامكية والجراية لملازمته صنع الساعات الى أن توفى — ولم يذكر سنة وفاته

**أبو عبد الله بن القيسرانى** — هو محمد بن نصر بن صُغَير، ولد بعكا سنة ٤٨٧ أديب شاعر، كان بينه وبين ابن منير الشاعر

الطرابلسى المشهور مكاتبات وأجوبة ومهاجاة . ومع ذلك فقد كان بارعاً فى العلوم الرياضية من حساب وفلك وهندسة ، تولى ادارة الساعات بدمشق ، ثم رحل الى حلب ، ثم رجع الى دمشق وتوفى بها فى ١١ شعبان سنة ٥٠٨

**محمد بن عبد الكريم الحارثى** — لقبه مؤيد الدين ، وكنيته أبو الفضل ، كان معروفاً بالمهندس ، ولد ونشأ بدمشق ، وكانت حياته نادرة من نوادر الدهر تجلى فيها النبوغ الشرقى . فقد كان فى أول أمره نحاتاً ينحت الحجارة ، ثم صار نجاراً فبرّز على النجّارين فى حسن الصنعة ؛ وأبواب البيمارستان النورى بدمشق من صنعه ؛ ثم تعلم الهندسة لتزداد براعته فى التّجارة . وقد وصف الدرسة التى تعلم فيها الهندسة بقوله : « كنت أشتغل فى مسجد خاتون الذى تحت النيبع(١) غربى دمشق . وكنت لا أصل الى المسجد الا وقد حفظت شيئاً من كتاب أقليدس وحللت بعضاً من مسائله الى أن أتممته حفظاً وفهماً » . ثم قرأ المجسطى وحلّ مسائله أيضاً ، وانصرف الى الهندسة انصرافاً تاماً ، حتى اشتهر بعد ذلك بالمهندس

وقدم دمشق الشرف الطوسى وكان إماماً فى العلوم الرياضية فقرأ عليه ما نقصه من الحساب والهندسة والفلك

وقرأ بعد ذلك علم الطب على أبى المجد محمد بن أبى الحكم ؛ الى أن برع فيه ، وتعين طبيباً فى البيمارستان النورى ، مهندساً لساعات المسجد الأموى وكان يتقاضى مخصصات منهما

وفى زمنه تخربت ساعات المسجد الأموى فأصلحها أحسن تصليح : من مؤلفاته . رسالة فى معرفة رسم التقويم ، مقالة فى رؤية الهلال ، اختصار كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى ، عشرة أجزاء وقفها فى المسجد الأموى بدمشق وجعلها فى مشهد عروة ، كتاب الحروب السياسية ، كتاب فى الأدوية المفردة مرتبة على حروف الهجاء ، توفى بدمشق سنة ٥٩٩

**ابن الشاطر** — هو أبو الحسن علاء الدين ، على بن ابراهيم ابن حسان الأنصارى الدمشقى ، نشأ يتيماً فتعلم صنعة تطعيم العاج من زوج خالته ، ثم تعلم العلوم الرياضية والفلكية ، فلقب بالمطعم وبالفلكى

(١) محلة كانت عامرة قرب التكنة الحميدية فى منتصف طريق الربوة

رحل الى مصر والاسكندرية ليأخذ العلوم الرياضية عن أربابها وكان صاحب ثروة . ويقول ابن العماد ان داره من أحسن الدور وضعاً وغرابة . ويقول الصلاح الصفدى : « دخلت منزله فى شهر رمضان سنة ٧٤٣ لرؤية الاسطرلاب الذى أبدع وضعه فوجدته قد وضعه فى قمّم حائط فى منزله داخل باب الفراديس بدرب الطيار ، ورأيت هذا الاسطرلاب فأنشأ لى طرباً ، وجدد لى فى المعارف رأياً ، وقلت ان من تقدمه من الأفاضل عند جبل علمه الراسخ هباء ... » الى أن قال : « وصورة هذا الاسطرلاب المذكور قنطرة نصف أو ثلث ذراع تقريباً يدور أبداً على الدوام فى اليوم والليلة من غير ماء وعلى حركات الفلك ، لكنه قد رتبها على أوضاع مخصوصة تعلم منها الساعات المستوية والساعات الزمانية . »

ومما ذكره الصفدى وسماه اسطرلاباً يعلم أن ابن الشاطر أول مخترع لساعات الجدران وأن ما سماه اسطرلاباً ليس بالاسطرلاب المشهور ، لأن اختراع الاسطرلاب المعروف قديم جداً ؛ وإنما هو اختراع جديد من وضع ابن الشاطر

ومن أعمال ابن الشاطر البسيط الذى وضعه فى منارة العروس احدى منارات المسجد الأموى ؛ وقد زينت دمشق يوم وضعه وبقى فيها الى سنة ١٢٩٣ فاختل وضعه من مرور السنين عليه ومال أحد جوانبه ، ولما أريد اصلاحه انكسر فصنع بدلا منه العلامة المرحوم الشيخ محمد الطنطاوى : جدّ بنى الطنطاوى بدمشق ، وجعل حسابه على الأفق الحقيقى ، وزاد فيه قوس الباقى للفجر ، فجاء فى غاية الضبط والاتقان ، جزاه الله خير الجزاء . وقد قال الشيخ عبد المجيد الخانى من قصيدة مؤرخاً له :

ما قال أهل الشام فى تاريخه  تم البسيط بنفحة القدوس

ولابن الشاطر المذكور اختراعات عديدة من آلات فلكية وهندسية ، وله آراء ونظريات فى الحساب والجبر والهندسة والفلك ، أضحت مصباحاً مشرقاً لمن جاء بعده . وتولى فى المسجد الأموى وظيفة التوقيت ورياسة المؤذنين ، وله مؤلفات عديدة ذكر أكثرها فى كشف الظنون . توفى سنة ٧٧٧

**على بن تغلب الساعاتى** : — هو نور الدين على بن ثعلب الساعاتى ، تولى تدبير ساعات المدرسة المستنصرية فى بغداد ؛

وكان مولده سنة ٦٠١ وتوفى سنة ٨٦٣

* * *

واليك بعد هـذه التراجم بعض ما وقفت عليه من وصف تلك الساعات .

١ — ساعة هارون الرشيد

ذكر فولتير وغيره من المؤرخين الفرنسيين أن أول ساعة عرفت فى أوروبا هى الساعة التى أهداها أمير المؤمنين هارون الرشيد الى شارلمان ملك فرنسا سنة ٨٠٧ وكانت تدعا فى ذلك العصر ، حتى أنها أورثت رجال الديوان حيرة وذهولا ؛ كان لها اثنا عشر باباً صغيراً بعدد الساعات ، فكلما مضت ساعة فتح باب وخرجت منه كرات من نحاس صغيرة تقع على جرس فيطن بعدد الساعات ، وتبقى الأبواب مفتوحة ، وحينئذ تخرج صور اثنى عشر فارساً على خيل تدور على صفحة الساعة . ولم نقف لهذه الساعة على ذكر فيما اطلعنا عليه من الكتب العربية

٢ — ساعة مسجد مراكش

ذكرها القلقشندى فى صبح الأعشى فقال : وبمراكش جامع جليل يعرف بالكتبين ، طوله مائة وعشر أذرع ، وعلى بابه ساعات مرتفعة فى الهواء خمسين ذراعا ، كان يرى فيها عند انقضاء كل ساعة صنجة زنتها مائة درهم تتحرك لنزولها أجراس تسمع على بعد ...

٣ — ساعة الملك الكامل

ذكرها القليوبى فى نوادره فقال : ان السلطان الكامل كان عنده شمعدان فيه أبواب ، فكلما مضت ساعة يخرج من باب منها شخص يقف فى خدمته الى مضى ساعة ، وهكذا الى تمام الأبواب اثنتى عشرة ساعة ؛ فاذا تم الليل خرج شخص فوق الشمعدان ويقول : أصبح السلطان ؛ فيعلم أن الفجر قد طلع فيتأهب للصلاة . وهذه الساعة مصرية لأن اقامة الملك الكامل كانت فى مصر

٤ — ساعة المدرسة المستنصرية ببغداد

جاء فى مجلة — الزهراء — السنة الثالثة — ص ٢٥٤ ما نصه « من مخطوطات الخزانة التيمورية بالقاهرة جزء قديم ( فى كتب التاريخ رقم ١٣٨٣ ) من كتاب مجهول الاسم والمؤلف . رتبه مؤلفه على السنين ، وما فى هذا الجزء من سنة ٦٢٦ الى ٧٠٠ وقد جاء فى حوادث سنة ٦٣٣ منه وصف للساعة التى وضعها أمير المؤمنين المستنصر فى مدرسة الطب والمستشفى التابعين لمدرسته العظمى المعروفة باسم « المستنصرية » وقد أدخل العلامة أحمد تيمور باشا وصف هذه الساعة فى كتابه ( التصوير عند العرب ) الذى لم يطبع بعد . فآثرنا التعجيل بنقل ذلك الى قراء الزهراء :

«وفيها — أى فى سنة ٦٣٣ هـ — تكامل بناء الايوان الذى أنشىء مقابل ( المدرسة المستنصرية ) وعمل تحته صفة يجلس فيها الطبيب ، وعنده جماعته الذين يشتغلون عليه بعلم الطب ويقصده المرضى فيداويهم

وبنى فى حائط هذه الصفة دائرة . وصوّرت فيها صورة الفلك ، وجعلت فيها طاقات لطاف لها أبواب لطيفة : وفى الدائرة بازان[1] من ذهب ، فى طاسين من ذهب . ووراءهما بندقتان من شبه لا يدركهما الناظر .

فعندمضى كل ساعة ينفتح فا البازين ، وتقع منهما البندقتان وكلما سقطت بندقة انفتح باب من أبواب تلك الطاقات ، والباب مذهب فيصير حينئذ مفضضاً . واذا وقعت البندقتان فى الطاسين تذهبان الى موضعهما . ثم تطلع أقمار من ذهب فى سماء لازوردية فى ذلك الفلك مع طلوع الشمس الحقيقية ، وتدور مع دورانها وتغيب مع غيوبتها ، فاذا جاء الليل فهناك أقمار طالعة من ضوء خلفها ، كلما تكاملت ساعة تكامل ذلك الضوء فى دائرة القمر ، ثم يبتدى فى الدائرة الأخرى الى انقضاء الليل وطلوع الشمس ، فتعلم بذلك أوقات الصلوات »

ثم أورد صاحب هذا التاريخ المخطوط أبياتاً لشاعر من شعراء ذلك العصر الذهبى يذكر بها هذه الساعة :

« يا أيها المنصور يا مالكاً ... برأيه صعب الليالى يهون
شيدت لله ورضوانه ... أشرف بنيان يروق العيون
ايوان حسن وضعه مدهش ... يحار فى منظره الناظرون
صور فيه فلك دائر ... والشمس يجرى مالها من سكون
دائرة من لازورد حكت[2] ... نقطة تبر فيه سر مصون
فتلك فى الشكل وهذى معاً ... كمثل هاء ركبت وسط نون »

وجاء فى حوادث سنة ٦٠٣ من هذا المخطوط أن نور الدين

(١) تثنية بازى الطائر المعروف
(٢) يظن سعادة الأستاذ تيمور باشا أن صواب هذه اللفظة «حوت»

علي بن ثعلب الساعاتي توفي في تلك السنة . وكان يتولى تدبير الساعات التي تجاه المستنصرية ، وأن مولده كان سنة ٦٠١ هـ

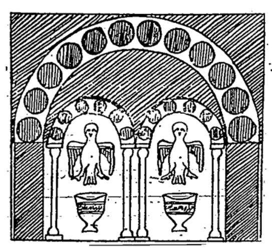
٥ — ساعة المدرسة القيمرية بدمشق

نسبة لمنشئها الأمير سيف الدين علي بن يوسف القمري ، أنشأها في نصف القرن السابع الهجري ، ثم نسبت المحلة التي فيها المدرسة للمدرسة ، فقيل حي القمرية ، والقمري نسبة لقيمر قلعة بين الموصل وخلاط . وكان سيف الدين القيمري أميراً كبيراً وشجاعاً باسلا ، وهو الذي أسر « لويس التاسع » امبراطور فرنسا سنة ٦٤٨ بين المنصورة ودمياط . وله في دمشق أعمال خيرية ، فقد بنى فيها مارستاناً عظيما ومسجدا ومدرسة تسمى القيمرية الكبرى ، وتعرف الآن بمدرسة القطاط ، وكان على باب هذه المدرسة ساعة مهمة بلغت مصاريفها كما يقول العلموي أكثر من أربعين ألف درهم . وهذه الساعة وان لم نطلع على وصف لها ، فانا نستفيد من نص العلموي مقدار المصروف عليها

٦ — ساعة باب جامع دمشق الشرقي

يعرف هذا الباب بباب جيرون ، وقد شاهدها ابن جبير الرحالة المشهور فوصفها بقوله : « وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي أمامه غرفة ولها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقان صُفر قد فتحت أبواباً صغاراً على عدد ساعات النهار ، ودبرت تدبيراً هندسياً ، فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من فمي بازين مصورين من صفر ( نحاس ) قائمين على طاستين من صفر تحت كل واحد منهما . أحدهما تحت أول باب من تلك الأبواب ، والثاني تحت آخرها ، والطاستان مثقوبتان فعند وقوع البندقتين فيهما تعودان داخل الجدار إلى الغرفة وتبصر البازين عدان أعناقهما بالبندقتين الى الطاستين ويقذفانها بسرعة بتدبير عجيب تتخيله الأوهام سحراً ، وعند وقوع البندقتين في الطاستين يسمع لها دوي وينغلق باب تلك الساعة للحين بلوح من الصفر ، ولا يزال كذلك عند كل انقضاء ساعة من النهار حتى تنغلق الأبواب كلها وتنقضي الساعات ثم تعود إلى حالها الأول

ولها بالليل تدبير آخر ، وذلك أن في القوس المنعطف على تلك الطبقات المذكورة اثنتي عشرة دائرة من النحاس مخرمة وتعترض في كل دائرة زجاجة من داخل الجدار في الغرفة مدبر ذلك كله خلف الطبقات المذكورة ، وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة ، فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وفاض على الدائرة أمامها شعاعها فلاحت للأبصار دائرة محمرة ، ثم انتقل ذلك إلى الأخرى حتى تنقضي ساعات الليل وتحمر الدوائر كلها ، وقد وكل بها في الغرفة متفقد لحالها درب بشأنها وانتقالها بعد فتح الأبواب وصرف الصنج إلى موضعها »



( شكل ٢ ) ساعة باب جيرون

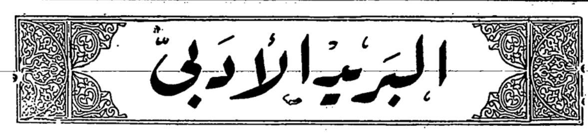
وهناك ساعة ثانية على باب جامع دمشق القبلي ويعرف هذا الباب بباب الزيارة ، ويقول النعيمي إن مكانها في المنبرانية — المشهورة في عصرنا بالعمرانية ، ويقول ابن كثان إنها من عمل أبي الفضل الحارثي الدمشقي المهندس ، وقد تقدمت ترجمته — وصفة هذه الساعة هي : بيكار ( لعله بنكام ) عليها عصافير من نحاس ، وحية من نحاس ، وغراب من نحاس .

فاذا تمت الساعة خرجت الحية ، وصفرت العصافير ، وصاح الغراب ، وسقطت حصاة في الطست —

٧ — ساعة ابن الشاطر

تقدم ذكرها في ترجمته ، ويمكن القول بأن ساعة ابن الشاطر آخر طراز وصلت اليه الساعة العربية ، وقد أخذ الغربيون هذا الطراز عنها في ساعات الجدران ، وقد اطلعت على ساعة قديمة أوروبية ترجع في تاريخ صنعها الى ما قبل ثمانين سنة ، اذا مضت ساعة من الوقت يخرج عصفور من باب في أعلاها ويصيح

دمشق أحمد وهمان



## عبرات جوار لا حرار

سألني السيد (محمد حصار) من فضلاء المغرب الأقصى في العدد (١٤٤) من (الرسالة) عن رأيي في قول الخنساء :

(من كان يوماً باكياً سيداً فليبكه بالعبرات الحرار

فقد وصفت الخنساء دموعها بالحرار مع أنه سبق مني القول في مقالتي (تعريب الأساليب) المنشورة في الجزء الأول من مجلة مجمعنا المصري أن العرب يصفون الدمع والعين بالسخونة، ولا يصفونهما بالحرارة كما يفعل الأفرنج

وأنا إنما أردت أن العرب ليس ذلك الوصف من شأنهم، أي أنه غير شائع في أساليب بلاغاتهم، أن يصفوا الدمع بالحرارة لا أنه لا يقع ذلك منهم أحياناً، والشاهد الصحيح على وقوعه في كلامهم قول الشاعر

بدمع ذي حرازات على الخدين ذي هيدب

راجع ذلك في اللسان والتاج مادة (حرّ) وهيدب السحاب ما تراه كأنه خيوط عند انصباب مطره

أما ما ذكره المعترض الفاضل من شعر الخنساء فلا يصلح شاهداً لسببين :

(الأول) أن (حرارا) لا تكون جمعاً لحارة حتى يصح أن نقول في (عبرة حارة) عبرات حرار، ولم ينقل هذا الجمع أحد من أرباب المعاجم، ولم يذكروه في جملة ما شذ من الجموع، وإنما صرحوا أن (حرار) تكون

جمعاً للحَرَّة : وهي الأرض ذات الحجارة السود

وجمعاً للحرّان : وهو الشديد العطش

وجمعاً للحر : وهو ضد العبد (وهذا الجمع حكاه ابن جني) يعني يكون شاذاً

(ثانياً) لا يجوز أن يقال : ان أرباب المعاجم قد يهملون ذكر كلمات لغوية فصيحة وردت في أشعار العرب : من ذلك فعل (تبدى) في قول عمرو بن معدي كرب

(وبدت لميس كأنها بدر السماء اذا تبدى)

فليكن جمع (حارة) على (حرار) من هذا القبيل ويكون الشاهد عليه قول الخنساء المذكور وكفى بها حجة

لا يقال ذلك لأنه يجب قبل كل شيء الاستيثاق والتثبت من صحة ألفاظ الشاهد، وأول طرق هذا الاستيثاق عدم احتمال تحريف كلماته

فكلمة (الحرار) تحتمل احتمالا قريباً جداً أن تكون محرفة عن (الجوار) بفتح الجيم وبعدها واو أي (العبرات الجوارى) جمع «جارية» أسم فاعل مؤنث من فعل (جَرى) الدمع اذا سال على الخدين

ووصف المدموع بالجوارى صحيح من حيث قواعد العربية، فصيح من حيث شيوع استعماله في كلام البلغاء

أما كلمة (الحرار) فليست بهذه المثابة : لا من حيث القواعد ولا من حيث شيوع الاستعمال

ونسخة ديوان الخنساء التي بين أيدينا انما هي من طبعة الأب لويس شيخو اليسوعي وهو — رحمه الله — لم يشتهر بالدقة في ضبط نصوص ما ينشره من الآثار الأدبية، ولا في تحقيق كلماتها اللغوية

فلعل الفاضل (محمد حصار) وقعت اليه مثل هذه المطبوعة أو مخطوطة قديمة أخرى يسرع الى مثلها هذا التحريف

وفي مكتبتي نسخة شرح مخطوط على ديوان الخنساء كتبت سنة ١١٤٥ هـ لمؤلف مجهول؛ ومالي لا أقول إن هذا الشرح لثعلب كما يمكن استنتاجه من خاتمة المخطوطة؟ وقد سقط منها بعض أوراق فلم أجد قصيدة (العبرات الحرار) فيها . فلعل القصيدة برمتها غير موجودة في رواية تلك النسخة أو هي في ضمن الأوراق الساقطة

وتوجد نسخة من هذا الشرح نفسه فى دار الكتب المصرية كتبت سنة ( ٦٢٠ ﻫ ) كما يفهم من الفهرس العام ( جزء ٣ ص ٢٠٣ )

فلعل أحداً من قراء ( الرسالة ) ممن تهمهم أمثال هــذه البحوث وهم كثيرون — يزور دار الكتب المصرية ويراجع لنا بيت الخنساء ويتثبت من قافيته : أهى ( الحرار ) أو ( الجوار أو يراجع ما هو أوثق من ذلك كله وهو نسخة ديوان الخنساء بخط اللغوى الكبير المحقق العلامة الشنقيطى التركزى رحمه الله ، وإن له على نسخته هذه تقييدات كالشرح لها . وهذه النسخة أيضاً من نفائس ما حوته دار الكتب المصرية . راجع فهرسها العام ( جزء ٣ ص ١٢٨ )

(دمشق) عبد القادر المغربي

## المكتبة العربية فى الاسكوريال

تشتمل المجموعة العربية بمكتبة الاسكوريال بمدريد على مجموعة نفيسة جدا من الكتب العربيــة والاسلامية فى مختلف العلوم والفنون ، يبلغ عددها ١٩٥٢ مجلداً ، ومعظمها كتب أندلسية هى التراث الأخير لآداب اسبانيا المسلمة ؛ ولم ينشر الى اليوم من هــــذه المجموعة سوى بضع عشرات من الكتب قام على إخراجها جماعة من المستشرقين ، ومنها المكتبة الأندلسية التى تضم عدة مجلدات ، وأخبار العصر فى انقضاء دولة بنى نصر ، والحلة السيراء لابن الآبار ، وبضعة كتب أخرى ؛ وكان آخر ما نشر من هذه المجموعة النفيسة مجلد من تاريخ الأندلس لابن حيان ، أخرجه الدون انتونيو مدير مكتبة الاسكوريال وهو يتناول قسماً من عصر بنى أمية بالأندلس

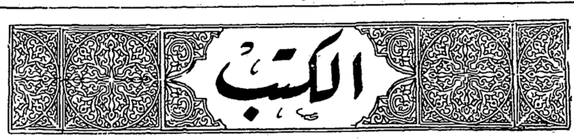
وقد لفتنا الأنظار غير مرة الى هذه المجموعة النفيســة ، وتمنينا على دار الكتب المصرية أن تبذل وسعها لتصوير أو نسخ أكبر عدد من هذه المجموعة ، ولكنها لم توفق حتى اليوم الى تحقيق هذه الغاية بصورة مرضية ؛ وكل ما استطاعت أن تحصل عليــه حتى اليوم هو صور لخمسة كتب فقط من مجموعة الاسكوريال ، هى كتاب البديع لابن المعتز ، ومختصر طبقات الشعراء له أيضاً ، وطيف الخيال للشريف الرضى ، وكتاب الفلاحة لابن العوام ، ومجموعة فلسفية فى شرح بعض كتب الفارابى ؛ وتسعى دار الكتب منذ حين فى الحصول على صور أو نسخ لعدة كتب أخرى من هذه المجموعة ، ولكن الظاهر أنها تجد فى ذلك السبيل عقبات مالية لا تستطيع تذليلها

وفى ذلك ما يبعث الى أشد الأسف ، ذلك أن مجموعة الاسكوريال هى بلا ريب من أنفس المجموعات العربية المعروفة ، هذا فضلاً عن أن لها فوق نفاستها العلميــة صفة خاصة ، فهى فى الواقع بقيــة التراث الاسلامى فى الأندلس ، وتكاد تحظى فى نظر العالم الاسلامى بنوع من القدسية المؤثرة

ويوجد بين محتويات هذه المجموعة عدة كتب فريدة فى بابها ، فى السياسة والفلسفة والأخلاق والطب ، مثــل كتاب آداب الفلاسفة ( رقم ٧٦٠ من المجموعة ) وكتاب عن سياسة الأمراء وولاة الجنود ( رقم ٧١٩ ) وكتاب فى السفارات النبوية عنوانه المصباح المضىء ( رقم ١٧٤٢ ) ؛ هذا الى عدة كتب من تأليف أكابر العلمــاء المصريين مثــل كتاب الشهاب القضاعى ( رقم ٧٥٢ ) وكتاب القول التام فى فضل الرمى بالسهام ، للسخاوى (رقم ٧٦٥) وكتاب فى تاريخ المعز لدين الله (رقم ١٧٦١) ، وكتب نفيسة أخرى يضيق المقام عن ذكرها

وقد حصلت الجامعة المصرية على صور عدة كتب أخرى من هذه المجموعة النفيسة ، ولكن ما حصلت مصر عليــه حتى الآن لا يعتبر شيئاً مذكوراً

ولهذا نعود فنتمنى على دار الكتب المصرية وعلى مكتبة الجامعة ، وعلى ولاة الأمر جميعا أن يشملوا هذه المجموعة الفريدة بكثير من عنايتهم وألا يدخروا فى سبيل الحصول على نفائسها جهداً أو مالا




# نفسية الرسول العربي

## محمد بن عبد الله

### السوبرمان الأول العالي

تأليف السيد لبيب الرياشي

بقلم الأستاذ عبد الفتاح السرنجاوي

هذا هو العنوان الذي جعله الأستاذ « لبيب الرياشي » لسلسلة من الرسائل في فلسفة الاسلام ، أخرج منها الرسالة الأولى التي تقدمها الآن لقراء « الرسالة » ؛ والأستاذ الرياشي كاتب مسيحي له مكانته بين أدباء سورية الشقيقة ، ثم هو فوق ذلك غيور بعربيته متحرر من قيود التعصب ؛ ولعل هذه الميزات هي التي تجعل من الرياشي وصحبه مدرسة جديدة هي ( مدرسة المتجردين المتطهرين ) التي تعلى للحق منبراً تدأب على حمايته ورعايته . وانك لتلمس سمو هذه المدرسة ونبلها في مقالة الرياشي في كشافة الكتاب الأولى ، إذ يقول :

« لنتجرد .... ولنتطهر .... لنتجرد ولنتطهر أيها الانسي من جذام التعصب وأثرة الجنسية »

— والرجل بهذا ينسى كل شيء سوى أنه من طلاب اليقين ؛ وليس من شك في أن هذه الدراسة البريئة للسيرة النبوية الشريفة هي التي حفزت الرياشي على تحليل نفسية الرسول الكريم ، وجعلته يعترف فوق ذلك بفضائل هذه الدراسة إذ يقول :

« ما ندمت على شيء في حياتي ندماً عصبياً ساحقاً مثل ندمي على جهلي نفسية الرسول العربي والامام الأعظم العالي محمد ابن عبد الله » . ذلك ما يقوله رجل يمثل الأقلية الدينية المندمجة في ذلك الشرق العربي ، الذي ترفرف فوق ربوعه راية التسامح في الدين وتسوده روح الأخاء في القومية العربية العزيزة ؛ والرياشي يصف محمداً بأنه (السوبرمان الأول العالي) مستعيراً كلمة (السوبرمان) من الفيلسوف ( نيتشه ) وهذا الأخير أطلقها على الانسان الأكمل الذي يجمع إلى مشاركة البشر في خصائص الجسم سمو العقل والروح إلى حد يجعله حلقة الاتصال بين الله والناس ؛ ويعمد الكاتب الفاضل إلى الموازنة بين عظمة محمد وغيره من قادة الانسانية ، فهو يقرر في مستهل بحثه أن العظماء سرعان ما يفقدون هيبتهم إذا هم خالطوا الناس طويلاً ، أما محمد فلم تكن مخالطته للناس وتبسطه في معاملتهم إلا عاملاً على رفع مكانته وإعلاء شأنه بينهم . وينتقل المؤلف إلى ما كان من توسط أبي طالب بين قريش ومحمد في أن يسودوه عليهم ويزوجوه أحسن بناتهم على أن يترك تسفيه دياناتهم والدعوة إلى الله ، ويحلل جرأة محمد في رده التاريخي الخالد ، ويقارن بينها وبين جرأة ميرابو خطيب الثورة الفرنسية ولوثر زعيم الاصلاح الديني وأبي بكر وعمر ، والرياشي في ذلك التحليل موفق أحسن التوفيق ، فهو يوضح أن جرأة بعض الزعماء والمصلحين تستند إلى قوة الجماهير وصولة الجماعات ، بينما ترتكز جرأة البعض الآخر على جلال الامارة وهيبة السلطان ، أما محمد ابن عبد الله فلم يتح له من ذلك شيء ، فجرأته لا تقاس بها جرأة . وإقدامه لا يعدله في التاريخ إقدام

ورغم ذلك التوفيق الجلي لاحظت أن الأستاذ وهو يعالج بعض النواحي يجتهد في ضرب من التحليل أرى أنه ليس من التاريخ ولا من فلسفة التاريخ في شيء ، فهو يتساءل عن السر في خرس الجماهير مرات وسنوات إزاء الرسالة المحمدية ، وعن السر في عدم إراقتهم دماء في هذا السبيل ، ويقرر أن ذلك وقع رغم صياح أبي لهب وضجيجه ، وان ذلك كان لمعجزة ، وأن هذه المعجزة هي أن شخصية النبي أحلت في نفوس القوم إيماناً جعلهم « يحترمون ويهابون ويؤمنون » . ليس ذلك يا سيدي هو الواقع .

وإنما الواقع الذي لا يقبل الجدل هو أن العرب حين جهر النبي بدعوته آذوه واستغربوا في إيذائه حتى أخرجوه من عشه مهاجراً إلى المدينة ، وأنهم كانوا في ذلك معاندين مكابرين لا يحترمون ولا يهابون ولا يؤمنون ، وأن شخصية النبي لم تغن من ذلك الايذاء شيئاً . وليسمح لي الأستاذ الجليل أن أؤكد له أننا لو ذهبنا مذهبه من أن الرسول جهر بدعوته فاستجابت له الجماهير لأن تأثيره على محدثيه ومعاشريه تأثير النوم المغنطيسي في المنوَّم كما يقول : لو صح يا سيدي أن ننسب ذلك لمحمد لهيأنا للمعترضين فرصة للطعن في دعوته فيقولون إن هذه القوة لا شك تبهر العرب بالباطل كما تبهرهم بالحق . والواقع يا سيدي أن العرب سخرت من محمد ومن دعوة محمد وليس يخفى خبر المستهزئين بالرسالة من قريش أمثال أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي وأبي لهب بن عبد المطلب وعقبة بن أبي معيط والوليد بن المغيرة عم أبي جهل والعاصي بن وائل القرشي والد عمرو بن العاص والنضر بن الحارث العبدري وغيرهم ممن روى البخاري أخبارهم وحفلت بها بطون التواريخ

* * *

وفي موضع آخر من الرسالة يتناول المؤلف الكلام عن عدل الرسول الكريم فيسوق بعض الحوادث التاريخية التي تشهد بحبه للحق وانتصافه للناس حتى من نفسه . ثم يجاوز هذا إلى تحليل صفة العفو والغفران في نفس محمد ، وهنا يمحو تلك المعجزة التي كان قد أثبتها للنبي ، ويقر بما ناله من الأذى على يد قريش إذ يقول :

« أباحوا دمه ودمهم ، وعلقوا في ذلك الحصار وتلك الاباحة صحيفة في جوف الكعبة طمأنة للمقتدرين على الأذية ، وزادوا بأن أجازوا المعتدي بثروة » (ص ٩١)

ويجيد الأستاذ في تحليل ما كان من شأن الرسول الكريم مع قريش بعد فتح مكة من تسامح وغفران عظيمين ، ويوازن بقوة بين هذا التسامح وذلك الغفران وبين ما أتاه برنوس قائد الغال بعد دخول روما وما صنعه بونابرت بعد دخول بولونيا ، فيبدع في تحليل نفسية الرسول ويثبت سموه على غيره من قادة البشر وعظماء الانسانية ، ولعل أجمل ما ساقه في ذلك الموضع تصويره الرسول غالباً ظافراً يقف من المغلوبين فيضرب للتاريخ أعظم أمثلة التسامح والديموقراطية إذ يردد قول الله سبحانه وتعالى :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير »

ثم يجاوز ذلك إلى مخاطبة الخائفين من المغلوبين بقوله :

« إذهبوا فأنتم الطلقاء »

هذه لمحة سريعة لذلك الكتيب الذي يقول مؤلفه الفاضل إنه الأول من الثلاثين التي يعتزم إخراجها في فلسفة الاسلام .

ونحن نهنئ الكاتب بجهده الجليل الذي يعد نوعاً جديداً في أدب السيرة المحمدية الشريفة ، ونرجو للمؤلف التوفيق في إخراج بقية الأجزاء .

السرنجاوي

# نظام الطلاق فى الاسلام

## تأليف الأستاذ الشيخ محمد شاكر

## للاستاذ عبد المتعال الصعيدى

رأت وزارة الحقانية فى هذه الأيام أن تسير فى إصلاح أحكام الأصول الشخصية ، فنشرت على رجال القضاء الشرعى وغيرهم كتاباً فى ١٣ نوفبر سنة ١٩٣٥ م تدعو من شاء منهم أن يقترح ما يراه من أحكام المذاهب الأخرى سبباً للتخفيف عن الناس ، ورفع الحرج عنهم

فكان الأستاذ الجليل ، والعالم المجتهد ، الشيخ احمد محمد شاكر القاضى الشرعى ، وأبو الأشبال أيضاً ، حفظه الله لهم وحفظهم له ، أول من بادر إلى إجابة هذه الدعوة ، ولا غرو فالولد سر أبيه ، ونشاطه من نشاطه ، وإذا كان فى الأزهر والمعاهد الدينية الآن شىء من النشاط ، فهى مدينة فيه لوالد الأستاذ أبى الأشبال الأستاذ الكبير الشيخ محمد شاكر شيخ معهد الاسكندرية ووكيل الجامع الأزهر ، والعضو الآن فى هيئة كبار العلماء ، فهو منشئ النظام الحاضر بالمعاهد ، وهو باعث هذا النشاط الموجود الآن فيها

وإذا قلت عن الأستاذ أبى الأشبال « العالم المجتهد » فذلك ذو بما يستحقه بطريقته فى تأليف هذا الكتاب ، إذ سار فيه على طريق السلف الصالح من الرجوع فى استنباط الأحكام إلى كتاب الله تعالى وسنة رسول صلى الله عليه وسلم ، ولا يعول فى ذلك على أقوال أئمة المذاهب كما يعول عليها غيره ، ولا يتعداها إلى النظر الصائب الخالى عن التعصب فى كتاب أو سنة

وهو مرة يأخذ بأحد أقوال الأئمة الأربعة إذا وجده متفقاً مع كتاب الله وسنة رسوله ، ومرة يأخذ بقول الشيعة أو غيرهم إذا كان متفقاً عنده مع ذلك ، كما ذهب إلى الأخذ بقول الشيعة فى وجوب الاشهاد على الطلاق لقوله تعالى : (فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله) فالظاهر من سياق الآية أن قوله (وأشهدوا) راجع إلى الطلاق وإلى الرجعة معاً ، وهو قول ابن عباس ، فقد روى عنه الطبرى فى التفسير : إن أراد مراجعتها قبل أن تنقضى عدتها أشهد رجلين كما قال الله (وأشهدوا ذوى عدل منكم) عند الطلاق وعند المراجعة ، وهو قول عطاء أيضا . فقد روى عبد الرازق وعبد بن حميد قال : النكاح بالشهود والطلاق بالشهود ، والمراجعة بالشهود ، نقله السيوطى فى الدر المنثور

وقد اختار الأستاذ أبو الأشبال بطلان الرجعة إذا قصد بها الرجل المضارة ، لقوله تعالى : (وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك إن أرادوا إصلاحا) وقوله (ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا) وإذا كان للمرأة أن تطلب الطلاق للمضارة ، فأولى أن يكون لها الحق فى طلب الحكم بابطال الرجعة للمضارة أيضاً

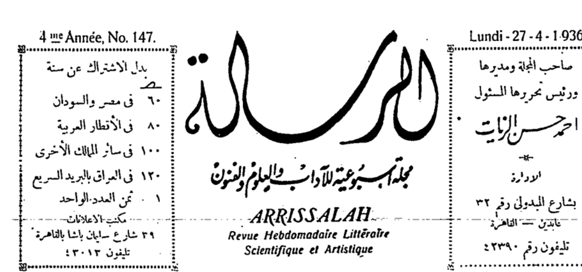
ولكنه كما ترى ترك ذلك لنظر المحاكم ، ولا يخفى أن هذا يجر إلى منازعات لا طائل تحتها ، والأولى من هذا أن تكون الرجعة برضا المرأة ، لأنها إذا لم تكن برضاها فالمضارة حاصلة قطعاً ، وإذا كانت تستأمر فى النكاح ، فلتستأمر فى الرجعة أيضاً

ومما ذهب اليه الأستاذ أبو الأشبال أن الطلاق الثلاث الذى اختلف فى أنه يقع ثلاثاً أو طلقة واحدة إنما هو أن يطلق الرجل امرأته مرة ، ثم يطلقها مرة ثانية فى عدتها ، ثم يطلقها مرة ثالثة فيها ، سواء أكان ذلك فى مجلس واحد أم فى مجالس متعددة ، أما الطلاق بلفظ الثلاث فليس هو محل ذلك الخلاف ، وإنما يقع واحدة قطعاً ، لأن قول القائل « أنت طالق » يوجد به حين القول حقيقة معنوية واقعية هى الطلاق ، ووصفه بعد ذلك هذا الفعل بالعدد (مرتين أو ثلاثاً) وصف باطل غير صحيح ، لأن الذى تحقق بقوله (أنت طالق) مرة واحدة لا مرتان ولا ثلاث ، ولا يتحقق ذلك إلا بنطق ثان أو ثالث كسابقهما

وهذا مذهب له خطورته لولا أن العمل الآن على أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع طلقة واحدة ، فلندع ذلك الماضى إلى رحمة الله ، ولنفكر فى حاضرنا وحده

هذا وكتاب الأستاذ أبى الأشبال جدير باقبال المسلمين عامة ، وطلاب العلوم الدينية خاصة ، لينتفعوا بما فيه من فقه صحيح ، واجتهاد نافع ، واطلاع واسع

عبد المتعال الصعيدى




4 me Année, No. 147.

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

Lundi - 27 - 4 - 1936

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع البدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٣٣٩٠

العـــدد ١٤٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٦ صفر سنة ١٣٥٥ — ٢٧ أبريل سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــــــدد



# ترجمة معانى القرآن

رأى صاحب السعادة الأستاذ محمد على علوبه باشا وزير المعارف فى رحلته إلى الشرق الأقصى قوماً من اليابان ينظرون فى الأديان ليختاروا من بينها طريقهم إلى الله ، وهم لذلك يتلمسون الوسائل لفهم القرآن فلا يجدون إلا ما كتب المستشرقون والمبشرون وأولو العلات من الجهل والغرض . وكل ما فى أيديهم من ذلك ترجمتان : ترجمة أوربية لم تصدر عن معرفة ، وترجمة (أحمدية) لم تصدر عن عقيدة ؛ فالأولى تشويه من زور العلم ، والأخرى تمويه من خداع السياسة . والدعوة الدينية اليوم فضلاً عن آثارها الروحية وسيلة من وسائل الاستعمار فى الأمم الضعيفة ، ونوع من أنواع التحالف فى الأمم القوية

رأى الأستاذ ذلك وسمع أمثال ذلك فكان من أمانيه أن تصدر عن مصر كنانة الله وموطن الأزهر ومعقل العربية ، ترجمة رسمية لمعانى القرآن تكون فى الترجمات كما كان مصحف عثمان فى المصاحف . فلما تولى وزارة المعارف كان من أول ما أمضى النية عليه أن طلب إلى مجلس الوزراء « ترجمة معانى القرآن ترجمة رسمية

بحسب ترتيب سوره وآياته ، وبأسلوب موجز واضح يمكّن المترجم من نقله إلى اللغة الأجنبية بالتدقيق الواجب توخيه فى ترجمة رسمية ؛ على أن يبدأ بترجمة القرآن إلى اللغة الانجليزية بمعرفة لجنة أحد عنصريها جماعة من المستشرقين أو غيرهم من الأجانب ، يراجع عليها كاتبان أحدهما مصرى والآخر انجليزى ، يراجعان الترجمة مراجعة نهائية » . وجعل الغرض لهذه الترجمة : « نشر هداية الاسلام بين الأمم التى لا تتكلم العربية ، والقضاء على الأثر السيئ الذى أحدثته الترجمة الخاطئة » . فعرض هذا الأمر صاحبُ الدولة رئيس الحكومة على صاحب الفضيلة رئيس الأزهر ، فاستفتى فيه جماعة كبار العلماء ، فأفتوا بجوازه ، وعلى ذلك أقره مجلس الوزراء وانقطع القول فيه

* * *

ما كان لنا إذن بعد أن أفتى كبار العلماء وأقر مجلس الوزراء أن نتكلم فيما فرغ الناس منه وتبين الحق فيه ، ولكن « الرسالة » من واجبها أن نلاحظ ومن حقها أن تسجل . والجدل الذى قام على هذا المشروع المفهوم بالضرورة ، بين من أيد وبين من فند ، إنما دل على متعمزين فى بعض رجال الدين لا يتجدد بهما حبل الاسلام ولا تبلغ عليهما رسالة الأزهر . دل على أن فى العلماء من لا يزالون يعتقدون أن من سنة الدين إلغاء العقل بإلغاء الرأى . فهم فيما يوردون وفيما يصدرون عبيد للنقل ، لا يفتون إلا بقول قيل ، ولا يحكمون إلا بنص كتب ، وقد لا يكون من الفروق بينهم وبين صاحب هذا القول أو كاتب هذا النص إلا أنه سبقهم إلى الوجود بقرن أو أكثر !

صفّحوا أوراق الأسفار الضخمة لعلهم يقعون على نص فقهى يحظر أو يبيح ترجمة المعانى القرآنية إلى اللغة الانكليزية ، فلما أعياهم المحال بالطبع تقارعوا بالنصوص المحمّالة ، وتراشقوا بالقول المبهمة ، وفاتهم حين فاتوا الاجتهاد أن دعوة الاسلام عامة ، ومن مقتضيات هذا العموم أن يترجم كتابها إلى كل لغة ، وأن الداعى الأعظم (ص) الذى كان يجيب كل وفد بلحنه ، ويخاطب كل إنسان على قدر عقله ، ويهوّن على الفارسى فيكلمه ببعض لسانه ، ويسهّل على قارئ القرآن بأن يقرأه بلهجته ، ويوافق سلمان على ترجمته الفاتحة لقومه ، لو نسأ الله فى أجله حتى تفتح الفرس وتغلب الروم لأمر فى أغلب الظن أن ينقل كلام الله إلى كلام الناس ليتصلوا به من غير حجاب ، ويتفقهوا فيه من غير وساطة

إن فى جعل بعضهم تعلم العربية شرطاً فى فهم القرآن واعتناق الاسلام صداً عن سبيل الله وإبطالاً لدعوته . وإن إغفال الترجمة الاسلامية لآيات الله لم يحمل الفرس والترك والهنود على أن يتعربوا ، وإنما ظلوا إلى اليوم يكابدون اختلاق الدعاة وتضليل الجهلة ، وما تعرب منهم من تعرب إلا ابتغاء الرزق أو الجاه أو العلم فى دولة العرب . وعدم الترجمة فى مصر لم يحل دون وجودها فى غير مصر ؛ فان الناس فى الشرق والغرب يقرأون القرآن فى أكثر اللغات بأسلوب مفكك وبيان قاصر ، وواجب العلماء أن يغيروا هذا المنكر بالمحو وهو عنف ، أو بالتصحيح وهو ممكن . وليس فى ترجمة معانى التنزيل استحالة ما أمكنت القدرة . والقول بأن المسلمين ما برحوا عاجزين عن فهم القرآن قول بأن الاسلام يقوم على أساس غير واضح . ولعل ترجمة المفهوم من لفظ القرآن أسلم من ترجمة المراد من معناه ؛ فان الأولى تفسير لغوى للنص ، والثانية تقييد رسمى للرأى . وفى ذلك وشبهه مجال لعقل الفقيه اذا خلص من قيود التقليد لحظة

* * *

كذلك دل هذا الجدل على أن فى العلماء من يلبسون الدين بالهوى ابتغاء لعرض الدنيا أو استشفاء من مرض القلب ، فقد تحدث الناس عن رجلين معروفين بمرونة الرأى قاما يحاربان المشروع بنية مدخولة ، حتى بلغ الأمر بأحدهما أن أهاب بدافعى الضرائب أن يحولوا بين الحكومة وبين الانفاق على هذا العمل الباطل ! !

يا ورثة الأنبياء ، فيم ورثتموهم ولم يتركوا ضياعا ولا قصورا ولا مراكب ؟ ؟ إنكم ورثتموهم فى الدعوة إلى الله فلا تبطلوها ، وفى تنفيذ الشريعة فلا تعطلوها ، وفى نشر الفضيلة فلا تطووها طى المتاع الكاسد

لقد شعر المصلحون بأن الدين جوهر كل إصلاح ، فساعدوهم على كشف الطريق بنور الحق ، وبلوغ الغاية بهدى الله ، وإلا فليس على الدين مسيطر ، ولا على الناس لله وكيل !

# الربيــــع

## للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

خرجتُ أشهدُ الطبيعةَ كيف تُصبحِ كالمعشوق الجميل ، لا يقدِّم لعاشقه إلا أسبابَ حبه :

وكيف تكون كالحبيب ، يزيد في الجسم حاسةً لمس المعاني الجميلة :

وكنت كالقلب المهجور الحزين ، وجد السماء والأرض ، ولم يجد فيهما سماءه وأرضه

ألا كم من آلاف السنين وآلافها قد مضت منذ أخرج آدم من الجنة :

ومع ذلك فالتاريخ يعيد نفسه في القلب ؛ لا يحزن هذا القلب إلا شعر كأنه طُرِد من الجنة لساعته

***

يقف الشاعر بازاء جمال الطبيعة فلا يملك إلا أن يتدفق ويهتز ويطرب

لأن السرّ الذي انبثق هنا في الأرض ، يريد أن ينبثق هنالك في النفس

والشاعرُ نبي هـذه الديانة الرقيقة التي من شريعتها إصلاحُ الناس بالجمال والخير

وكلُ حُسْنٍ يلتمس النظرةَ الحيةَ التي تراه جميلاً لتعطيه معناه

وبهذا تقف الطبيعة محتفلة أمام الشاعر ، كوقوف المرأة الحسناء أمام المصور

***

لاحت لي الأزهارُ كأنها ألفاظُ حب رقيقة مُنْشَاة باستعارات ومجازات

والنسيمُ حولها كثوب الحسناء على الحسناء ، فيه تعبيرٌ من لابِسَتِه

وكل زهرة كابتسامة تحتها أسرارٌ وأسرارٌ من معاني القلب المعقدة

أهي لغةُ الضوء الملوَّن من الشمس ذاتِ الألوان السبعة ؟

أم لغةُ الضوء الملوّن من الخد ، والشفة ، والصدر ، والنحر والديباج والحلى ؟

***

وماذا يفهم العشاقُ من رموز الطبيعة في هذه الأزاهر الجميلة ؟

أتشير لهم بالزهر إلى أن عمر اللذة قصير ، كأنها تقول : على مقدار هذا؟

أتعلمهم أن الفرق بين جميل وجميل كالفرق بين اللون واللون وبين الرائحة والرائحة ؟

أتناجيهم بأن أيام الحب صُوَرُ أيام لا حقائق أيام ؟

أم تقول الطبيعة : إن كل هـذا لأنك أيتها الحشرات لا تنخدعين إلا بكل هذا [1] .... ؟

***

في الربيع تظهر ألوانُ الأرض على الأرض ، وتظهر ألوان النفس على النفس

ويصنع الماءُ صُنْعَه في الطبيعة فيُخرج تهاويلَ النبات ، ويصنع الدم صنعه فيخرج تهاويلَ الأحلام

ويكون الهواءُ كأنه من شفاهٍ متحابة يتنفس بعضُها على بعض

ويعود كل شيء يلتمع لأن الحياة كلها ينبض فيها عرقُ النور

ويرجع كل حي يغنى لأن الحب يريد أن يرفع صوته

***

وفي الربيع لا يضيءُ النورُ في الأعين وحدها ، ولكن في القلوب أيضاً

ولا ينفذ الهواءُ إلى الصدور فقط ولكن إلى عواطفها كذلك

ويكون للشمس حرارتان إحداهما في الدم

ويطغَى فيضانُ الجمال كأنما يراد من الربيع تجربةُ منظر من مناظر الجنة في الأرض

والحيوان الأعجم نفسُه تكون له لفتاتٌ عقلية فيها إدراكُ فلسفة السرور والمرح

***

(١) ثبت أن ألوان الأزهار وعطرها وما في ظاهرها وباطنها كل ذلك لاجتذاب الحشرات إليها كي تنقل اللقاح من زهرة إلى زهرة

وكانت الشمسُ في الشتاء كأنها صورةٌ معلقة في السحاب
وكان النهارُ كأنه يضيء بالقمر لا بالشمس
وكان الهواءُ مع المطر كأنه مطرٌ غير سائل
وكانت الحياة تضع في أشياءَ كثيرة معنى عبوس الجوّ
فلما جاء الربيع كان فرحُ جميع الأحياء بالشمس كفرح الأطفال رجعت أمهم من السفر

* * *

وينظر الشباب تتظاهر له الأرض شابة
ويشعر أنه في معاني الذات أكثر مما هو في معاني العالم
وتتلى له الدنيا بالأزهار ، ومعاني الأزهار ، ووحي الأزهار
وتخرج له أشعةُ الشمس ربيعاً وأشعةُ قلبه ربيعاً آخر
ولا تنسى الحياةُ عجائزها : فيدفئهم ضوءُ الشمس . . .

* * *

ما أعجب سر الحياة : كل شجرة في الربيع جمال هندسي مستقل
ومهما قطعت منها وغيرت من شكلها أبرزتها الحياة في جمال هندسي جديد كأنك أصلحتها
ولو لم يبق منها إلا جذر حي أسرعت الحياة فجعلت له شكلا من غصون وأوراق
الحياة الحياة . إذا أنت لم تفسدها جاءتك دائماً هداياها
وإذا آمنت لم تعد بمقدار نفسك ولكن بمقدار القوة التي أنت بها مؤمن

* * *

« فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها »
وانظر كيف يخلق في الطبيعة هذه المعاني التي تبهج كل حي ، بالطريقة التي يفهمها كل حي
وانظر كيف يجعل في الأرض معنى السرور ، وفي الجو معنى السعادة
وانظر إلى الحشرة الصغيرة كيف تؤمن بالحياة التي تملأها وتطمئن ؟
انظر انظر ! أليس كل ذلك رداً على اليأس بكلمة : لا . .

طنطا مصطفى صادق الرافعي

# الاسلام كعامل في المدنية

[ بقية ما نشر في العدد الماضي ]

للأستاذ أحمد أمين

---

والمسألة الثانية هي « الثقافة الاسلامية » وأثرها في المدنية وأريد أن أكرر هنا ما أشرت اليه من أن الثقافة الاسلامية كانت أثراً من آثار العقيدة الاسلامية التي ألمت بها . فالقرآن رفع مستوى العقل الى درجة يستطيع فيها التفكير الصحيح بما حارب من خرافات وأوهام ، وعبادة أصنام . وبما حث على النظر في الكون ومراقبة تغيراته ، واختلاف مظاهره ، ودوام حركاته ، وتوجيه العقل الى أن وراء كل المظاهر المختلفة وحدة : فالناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم يرجعون الى أصل واحد هو آدم وحواء ، والبحار والأنهار المختلفة كلها ترجع الى ما أنزل من السماء من ماء ، والعالم كله يرجع الى وحدة الخالق « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » . فهذه الوحدة في العالم تحمل على التفكير الصحيح والثقافة العميقة والنظر الفلسفي الروحي . فالقرآن من ناحية فك قيود العقل ، وهذا هو العامل السلبي ؛ ومن ناحية أخرى أخذ بيده ليشرف على العالم من مرقب عال ، وهذا هو العامل الايجابي

من أجل هذا كانت الثقافة الاسلامية نتيجة العقيدة الاسلامية لا نتيجة شيء آخر ، فان هي اتجهت الى الاستعانة بالفلسفة اليونانية والثقافة الفارسية والهندية ، فلأن الدين حملها على ذلك وطلب منها أن تتطلب العلم حيث كان ومن أي كائن كان

وقد بذر الاسلام في نفوس أصحابه بذوراً تأصلت فيهم فكانوا إذا اقتبسوا من الفلسفة اليونانية أو أية ثقافة أخرى لم يكونوا مقلدين تقليدا صرفاً ، إنما كانوا دائماً يُعملون العقل فيما نقلوا ، ويعملون العقيدة الدينية فيما قرأوا . فاذا نظرنا الى ما كتب الفارابي وابن سينا وابن رشد رأيناهم لم يقفوا موقف التلميذ فحسب ، بل نقدوا وزادوا ووفقوا بين الفلسفة والدين وأمدوا كل شيء أخذوه بروح من عندهم ، فكان لثقافتهم طابع خاص وشارة تعرف بها — حتى هذا المنطق اليوناني الذي دانت له كل الأمم زاد الغزالي في بعض كتبه فصولاً عن القرآن ؛ وابن تيمية وابن حزم وغيرها نقدوا منطق اليونان وعدوه منطق شكل لا منطق مادة . وكان

شأنهم فى كل فرع هذا الشأن تقريباً . فدعوى أن المسلمين فى ثقافتهم كانوا حفظة للثقافة اليونانية أكثر منهم مبتكرين لثقافة خاصة دعوى أملاها عدم الدراسة للثقافة الاسلامية دراسة وافية

والحق أن فضلهم على المدنية الحديثة كان من الناحيتين جميعاً : من ناحية حفظهم لثقافة غيرهم من الأمم ولولاهم لضاع كثير منها ، ومن ناحية ما أنشأوا وابتكروا وبثوا من روح فى الثقافات القديمة . وقد بدأ علماء أوروبا يبحثون نواحى تأثير الثقافة الاسلامية فى الثقافة الأوروبية ؛ وكان من آخر ما أظهروا فى هذا الباب كتاب ما خلفه الاسلام Legacy of Islam تناولوا فيه أثر الثقافة الاسلامية فى الجغرافيا والتجارة ، وفى القانون والاجتماع والفن والعمارة وفى الأدب ، وفى التصوف وفى الفلسفة واللاهوت ، وفى العلم والطب . وفى الهيئة والرياضيات . وهذا البحث وإن كان آخر ما ألفوا فهو أول ما كتشفوا من طريق يشرف على آثار قيمة ضخمة لا تزال تنتظر مكتشفين أبعد مدى ، وأقوى على تحمل مشاق الطريق .

ولعلنا لكى نقرب من موضوعنا نسأل هذا السؤال : هل كان العالم يستطيع أن يقف على درجة السلم التى يقف عليها الآن لولم تكن مدنية الاسلام ؟ هل لولم يكن فى الوجود مدنية بغداد ومدنية قرطبة والحروب الصليبية كانت المدنية الحديثة تبلغ ما بلغت الآن ؟ هل كانت النهضة الأوربية الحديثة تحدث فى الزمن الذى حدثت فيه لولم ترتكز على المدنية الاسلامية ؟

هذا سؤال واحد فى أوضاع مختلفة والاجابة عنه يسيرة ، وهى إجابة بالنفى القاطع . ولا يعلم إلا الله كم كانت تتأخر المدنية الحديثة لولم ترتكز على المدنية الاسلامية وتطير من على عاتقها ، فالتتبع لتاريخ المدنيات يرى أنه حلقات يسلم بعضها إلى بعض ، ويستفيد لاحقها مما وصل إليه سابقها . وقد كانت المدنية الاسلامية هى التى فى الذروة قبيل المدنية الحديثة ، ولم يكن يضارع بغداد وقرطبة مدينة أخرى فى العالم فى مدنيتهما وثقافتهما وصناعتهما ، ونظمهما الادارية والحربية . ولتوضيح ذلك ننظر فى أسس المدنية الحديثة ونبين علاقة هذه الأسس بالمدنية الاسلامية .

لقد بنيت النهضة الحديثة فى الثقافة على أساسين وهما الشك والتجربة — كانت الثقافة فى القرون الوسطى تعتمد كل الاعتماد على آراء اليونان وتقدس ما قال أفلاطون وأرسطو كل التقديس . فاذا قال أرسطو قولاً فلا يمكن إلا أن يكون صحيحاً ، وإذا كان الحس يدل على غير ما يقول وجب أن نعتبر الحس خداعاً . والحقيقة ما قال أرسطو . لقد قال أرسطو إن الجسم إذا كان أثقل كان إلى الأرض أسرع ، ولكن صعد بعضهم من مكان عال ورمى فى وقت واحد حديدتين وزن إحداها ضعف الأخرى فوصلا إلى الأرض معاً ، ومع هذا قالوا إن الحق ما قال أرسطو ، ويجب أن يؤول الواقع وهكذا . وكانوا يعتمدون كل الاعتماد على القياس المنطقى وحده يؤيدون به المذاهب والآراء ، والقياس المنطقى وحده وسيلة عقيمة لأنه يجعلك تسلم بالمقدمات تسليماً أعمى وتمعن فيه بالشكل . فجاءت النهضة الحديثة تشك فى هذه المقدمات العامة وتمتحنها وتجرى التجارب عليها ولا تؤمن بشىء حتى تدل التجارب على صحته ، وكان هذا دعامة النهضة الحديثة . والحق أن هذه طريقة لم تكن بعيدة عن المسلمين ولا خفيت عليهم ؛ فالتاريخ يحدثنا أن النظام ألف فى نقد آراء أرسطو ، وأن تلميذه الجاحظ فى كتابه الحيوان يطلع اطلاعاً واسعاً على أقوال أرسطو ثم لا يمنحها هذا التقديس ؛ بل ينقدها نقداً جريئاً ويقول قد جربنا قول أرسطو فلم نجده صحيحاً . ويقول : « إن قوله هذا غريب » ، و « هو قول لا يجيزه العقل » إلى كثير من أمثال ذلك ، وربما فضل على قوله قولاً آخر قاله عربى جاهلى فى بيت من الشعر ، لأنه أقرب إلى العقل . فهو بهذا قد جعل عقله حكماً على أرسطو ، على حين أن فلاسفة القرون الوسطى فى أوروبا جعلوا أرسطو حكماً على العقل ، والبيرونى يحكم عقله فى الرياضيات ، ويقارن بين نظريات اليونان ونظريات الهند . ويفضل هذه حيناً وهذه حيناً فى كتابه الآثار الباقية ، وحيناً لا يقبل هذه ولا تلك ويعتمد على عقله الصرف ، ويقف الغزالى فى كتابه « المنقذ من الضلال » الموقف الذى وقفه بعدُ ديكارت فيقول : « إنه رأى صبيان النصارى ينشأون على النصرانية ، وصبيان اليهود على اليهودية ، وصبيان المسلمين على الاسلام ، وأنه لم يقتنع بهذا الدين التقليدى التلقينى ، وطلب أن يعلم حقائق الأمور وأن يبنى دينه على يقين ، وقال إنه بدأ بالشك فى كل ذلك حتى يقوم البرهان على صحته ، ولم يسمح لنفسه باعتقاد حتى يتأكد من صحته » وقال : « كل ما لا أعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين .

فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه ، وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقيني » ؛ وابن خلدون نظر إلى المجتمع الانساني هذا النظر الحر الطليق فاستفاد مما قال أرسطو وغيره ولكنه لم يتقيد به ، ونظر فى مجتمعات لم يصل إليها علم أرسطو وهى القبائل العربية والدول الاسلامية ، واستنتج من ذلك كله نظرياته التى كانت ولا تزال محل تقدير علماء الاجتماع والتاريخ من الأوروبيين وإعجابهم

وعلى الجملة فهذه الأسس التى بنيت عليها النهضة الحديثة فى أوروبا من تحرير العقل من قيود الأوهام ، ومن عبادة العظماء أمثال أرسطو ، ومن وضع القوانين بعد الملاحظة والتجربة ، وبعد الشك فيما اتخذه الأقدمون قضايا مسلمة ، كله كان منبتاً فى الثقافة الاسلامية فى عصورها الزاهية . وكل ما فى الأمر أن الذين بنوا على هذه الأسس القيمة هم الأوروبيون لا المسلمون ، وأن من سوء حظ المسلمين أن وضعت فى سبيلهم عقبات ليس منشؤها دينهم حالت بينهم وبين أن يتموا ما بدأوا ، وأن يشيدوا فوق ما أسسوا . ولكن من الحق أنا إذا أردنا أن نقوم بناء لا نكون سطحيين فنقوم ظاهره ، ولا نقوم باطنه ؛ ونقوم أعلاه ، ولا نقوم أساسه .

ووجه آخر بجانب هذا ، وهو أن ثقافة المسلمين لم تكن جميعها متجهة اتجاه الفلسفة اليونانية والعلوم اليونانية ؛ فقد كانت لهم مناح فى الثقافة خاصة بهم لم يعتمدوا فيها على غيرهم إلا اعتماداً ضعيفاً غير مباشر ؛ فما أنشأوا من علوم لغتهم كالنحو والصرف والبلاغة وأدبهم الذى رقوا به أدب جاهليتهم وساروا به على منهج خاص بهم ، لا على المنهج اليونانى ، ولا على المنهج الفارسى ؛ والعلوم الغزيرة التى أنشأوها حول دينهم من تفسير للقرآن والحديث ، ومن فقه قابلوا به قضاياهم ونظامهم وحياتهم الاجتماعية الخاصة ، وما أسسوا له من « أصول الفقه » التى لم يجروا فيه على منوال سبق — كل هذه وأمثالها كانت مظهراً من مظاهر الاختراع العقلى للمسلمين ، وكل هذه كانت عوامل فى بناء المدنية الاسلامية التى بنيت عليها المدنية الحديثة .

وقد حفظ لنا التاريخ بعض الصلات التى ربطت بين المدنية الاسلامية والمدنية الأوروبية ، وأبان لنا كيف استمدت الثانية من الأولى ، وكشف لنا عن بعض الجداول التى كانت تتسرب من المدن الاسلامية تصب فى المدن الأوروبية ، وإن كان بعضها لم يزل مطموراً إلى اليوم ولم يستكشف بعد

فقد اتصل الأوروبيون بالمسلمين فى الأندلس اتصالاً وثيقاً ، واتخذ علماؤهم فلاسفة المسلمين أساتذة يتعلمون منهم ويدرسون عليهم ، ونشطت حركة واسعة النطاق لنقل أهم المؤلفات العربية الى اللغة اللاتينية ، وهى لغة الأدباء والعلماء فى القرون الوسطى ، حتى أن كثيرا مما بقى من مؤلفات ابن رشد حفظت الى الآن باللغة اللاتينية ولا نجد أصلها بالعربية ، وكان من أشهر من قام بهذه الحركة « ريموند » Raymond الذى كان مطراناً لطليطلة من سنة ١١٣٠ — سنة ١١٥٠ ، فقد أسس جمعية لنقل أهم الكتب الفلسفية والعلمية العربية الى اللغة اللاتينية ، فنقلوا من العربية أهم كتب أرسطو وما علقه عليها العرب من شروح ، كما نقلوا أهم كتب الفارابى وابن سينا ، وكان من أثر هذه الجمعية أن رأينا منطق أرسطو المترجم من العربية الى اللاتينية يقرأ فى باريس بعد ثلاثين سنة من عمل هذه الجمعية . وقد مرت حركة استفادة الأوروبيين من الثقافة اليونانية فى ثلاثة أدوار ، الدور الأول : نقل الفلسفة اليونانية والكتب العلمية من العربية الى اللاتينية ، والدور الثانى : النقل من اليونانية مباشرة بعد سقوط القسطنطينية . والثالث : نقل الشروح العربية الى اللاتينية

وجاء فردريك الثانى سنة ١٢١٥ ، واتصل بالمسلمين اتصالاً وثيقاً فى صقلية وفى الشام فى حروبه الصليبية ، واقتبس كثيراً من آرائهم وعاداتهم وعقائدهم ، وقد وصفه المؤرخون بأنه كان يعجب بفلاسفة المسلمين ، وكان يعرف اللغة العربية ويستطيع أن يقرأ بها الكتب الفلسفية فى مصادرها الأصلية . وأنشأ سنة ١٢٢٤ مجمعاً فى نابلى لنقل العلوم العربية والفلسفة العربية الى اللاتينية والعبرية لنشرها فى أوربا . وبفضل فردريك ذهب « ميكائيل سكوت » الى طليطلة وترجم شروح ابن رشد على أرسطو ، وقبل ذلك كانت قد نقلت الى اللاتينية جمهرة من كتب ابن سينا واستعملت فى باريس حول سنة ١٢٠٠ م

وفى القرن الثالث عشر كانت كل كتب ابن رشد تقريباً قد ترجمت الى اللاتينية ما عدا كتباً قليلة ، منها كتاب تهافت التهافت الذى رد به على تهافت الفلاسفة للغزالى ، فقد ترجمت فى القرن الرابع عشر

وكان أهم مركز لتعاليم ابن رشد فى جامعة بولونيا وجامعة

بادوا Padua فى ايطاليا ومنها انتشرت هذه الثقافة فى ايطاليا الشمالية الشرقية الى القرن السابع عشر ، واستمرت كتب ابن سينا فى الطب سائدة الى مابعد هذا العصر

ورجال النهضة الحديثة الذين قاموا بحركة الثورة الفكرية كانوا يدرسون على هذه الكتب ، أو يتتلمذون لمن درسوا عليها ، فروجر بيكون الذى سبق أهل زمنه فى معارفه وطريقة بحثه أخذ ثقافته العلمية من الأندلس ، ودرس فلسفة ابن رشد ، والقسم الخامس من كتابه فى البصريات Optics مستمد ومساير لكتاب ابن الهيثم فى هذا الموضوع نفسه

وطالما ارتفعت شكوى رجال الدين فى الأندلس من أن المسيحيين يدرسون علم العرب المسلمين ، وعابوا مطران أشبيلية لأنه يدرس فى جد فلسفة الكافرين ، يعنون المسلمين

وعلى كل حال فجملة الأمر فى مدنية المسلمين كما لخصها الأستاذ لكى Lecky خير تلخيص إذ قال :

« لم تبدأ النهضة الفكرية فى أوربا إلا بعد أن انتقل التعليم من الأديرة الى الجامعات ، وإلا بعد أن حطمت العلوم الاسلامية ، والأفكار اليونانيـــة ، والاستقلال الصناعى ، سلطان الكنيسة »

***

هذا هو موقف المسلمين أمس من المدنية ، ولا بد أن نلق نظرة على موقفهم اليوم من المدنية الحديثة . ومما يؤسف له حقاً أن نقول إن المسلمين لا يشتركون اليوم فى بناء صرح المدنية اشتراكا كبيرا ، لأن حديثهم هو تقليد للمدنية الحديثة ، وقديمهم هو مدنية القرون الوسطى ، فهم فى الصناعات والمخترعات ونظم الحكومات والادارات ، وفى كتبهم التى تؤلف فى العلوم الحديثة من جغرافيا وتاريخ وطبيعة وكيمياء وما اليهما ، ونظام مدارسهم الحديثة ومحاكمهم وقوانينهم ؛ كل هذا يقلدون فيه المدنية الغربية . وكلما زاد التقليد فيها عدت أقرب الى الكمال ؛ وقديمهم من مثل دراسات علومهم كالنحو والصرف والفلسفة الاسلامية ، ومن مثل قضائهم فى المحاكم الشرعية ، ومن مثل مدارسهم الدينية ، ونحو ذلك ، كلها على نمط مدنية القرون الوسطى . فهم — فى ظاهر الأمر — لا يضعون أحجاراً كبيرة فى بناء المدنية الحديثة ، ولا يلونونها بلون خاص . ولكن هل الذنب

فى ذلك ذنب الاسلام والمسلمين ؟ اذا عرضت نفسك لتبنى فمنعك صاحب البناء بالقوة فالذنب ذنب من مَنع لا من مُنع ، وهكذا الشأن فى موقف المسلمين . لقد سبقهم الغربيون باستخدام العلم فى قوة تسلحهم الى أقصى حد يمكن فيه استخدام العلم ، فوجهوا هذه القوى الهائلة الى الشرق ، ولم يكن قد صحا بعدُ من سباته الذى سببه ما فسد من عقيدته ، وما فسد من سياسته ، وما فسد من شؤونه الاجتماعية ، فسلط عليه الغرب كل قوته فانتبه مذعورا ؛ ونظر اليه الغرب نظرة استغلال ، فساعده على كل ما يفيد الاستغلال ، ومنعه عن عمل كل شىء يفيد الاستقلال ، فهو اذا أراد أن يتثقف كما يشاء ، أو يرقى شؤونه الاجتماعية كما يشاء ، أو أن يحكم نفسه كما يشاء ، أو أن يرقى أخلاقه كما يشاء . منعه الغرب من ذلك حرصا على فائدته فى هذا الاستغلال ، والشرق لايستطيع أن يقاوم إلا بالقوة ، والقوة محرمة عليه . فهل بعد ذلك هو الذى يتحمل تبعة عدم اشتراكه فى البناء

إنى لأرجو أن الزمن ورقى الأفكار السياسية التى تخطو فى هذه الأيام خطوات سريعة تجعل الغربى ينظر الى الشرق نظرة تعاون ، فيدرك أن طريقة الاستغلال ليست أصلح الطرق حتى من الناحية الاقتصادية ، وأن رقى الشرق والسماح له بالبناء يزيد فى صرح المدنية ورفع بناءها ، ويسرع فى علو شأنها . وكما تبين للناس أن نظام الأقطاع وتسخير الملك للعبيـد لم يكن فى مصلحة الملاك ولا العبيد ، فحطموا هذا النظام من أساسه ، وأسسوه من جديد على تحرير العبيـد وتعاون الملوك والمستأجرين ، وأرباب الأموال والعمال ، فكذلك سيكون الشأن مع الحاكمين والمحكومين يتعاونون ولا يتقاتلون ، ويتفاهمون ولا يتنازعون ، ويتحاكمون إلى الرأى والعقـل لا إلى القوة والسلاح . وأرجو ألا يكون ذلك بعيداً

على أن من العدل أن نقول إن التبعة فى ذلك كله لا تقع على الغربيين وحدهم ، فان هناك عوامل فى المسلمين أنفسهم جعلتهم فى هذا الموقف الحرج . فهناك علماء جامدون ضيقوا العقل ، وقفوا موقفاً مزرياً فى تاريخ المسلمين ، وعاقوا رقيهم وتقدمهم ، فكان كلما حاول الاصلاح محاول ثاروا عليه باسم الدين ، إن أراد إصلاح المحاكم ثاروا عليه ورموه بالمروق ، وإن أراد تنظيم الادارة الحكومية قالوا لاعهد لنا بهذا ، ويجب أن نتتبع آباءنا وإنا على آثارهم مقتدون .

وإن أراد تعليم المرأة قالوا ما بهذا أتى الدين ! وهكذا كانوا حجر عثرة في سبيل كل مصلح حتى عظم الخطب ، واشتد الكرب ، وأولو الأمر في المسلمين إذ ذاك لم يكن يهمهم إلا شهواتهم وتفخفخهم الكاذبة ، ومظاهرهم الخادعة . أما الاتجاه الصحيح إلى ترقية رعيتهم وتثقيفهم وتنوير أذهانهم ، ونشر العدل بينهم فكانوا قلما يأبهون له . فهؤلاء وأولئك كانوا السبب في أن يقف المسلمون هذا الموقف الذي شكونا منه من قبل

ومع هذا فتنبه المسلمين اليوم ، وسير حركات الاصلاح بينهم سيراً حثيثاً ، يدعونا أن نؤمل قرب اليوم الذي يتبوأون فيه مكانتهم اللائقة بهم . فاذا قارنت هذه النهضة الداخلية في رقي الفكر السياسي عند الغربيين ، وتعديل نظرتهم نحو المسلمين كان من وراء ذلك كله نهضة جديدة يبني فيها المسلمون في المدنية بناء صالحاً مصبوغاً بعقيدتهم وأفكارهم ، فنرى إذ ذاك فلسفة خاصة وثقافة خاصة ، وروحانية خاصة ، قد تلون المدنية الحديثة عامة بلون خاص غير لونها الحالي

**أحمد أمين**

# النهضات القومية العامة

## في أوروبا وفي الشرق

للأستاذ عبد الرزاق أحمد السنهوري

عميد كلية الحقوق ببغداد

## المحاضرة الثانية *

### الفاشية:

رأينا في المحاضرة السابقة كيف قامت الفاشية والنازية سداً منيعاً أمام تيار البلشفية الجارف . ونقول في هذه المحاضرة كلمة عن هاتين الحركتين ؛ وقد كتب الشيء الكثير عنهما ، ونحن لا نحاول الإحاطة بكل ما كتب ، بل نتوخى الإيجاز الذي يقتضيه هذا المقام.

يمكن أن نصف الفاشية بأنها رد فعل عنيف للحركة الاشتراكية التي قامت في إيطاليا عقب الحرب الكبرى ، وهددت مرافق الحياة في هذه البلاد بالشلل والنضوب ، حتى أصبحت إيطاليا في حالة لا تحسد عليها ، وحتى كادت وحدتها الوطنية تتفكك . فقام مؤسس الفاشية ، وكان اشتراكياً في مبدإ أمره ، فوفق بين مبدئه الاشتراكي ونزعته الوطنية ، وأسس الحكم الفاشي قائماً على فكرة الوطنية ، معارضاً لفكرة الطبقات . وهكذا انتكست الاشتراكية في ايطاليا ، ورجع مبدأ الوطنية للانتصار

فالفاشية ، كنظام من نظم الحكم ، ليست إلا مقاومة عنيفة للبلشفية . وهي ليست مقصورة على ايطاليا ، بل امتدت منها الى غيرها من البلاد ؛ فهي تسمى في إيطاليا بالفاشية أو الموسولينية ، وتسمى في ألمانيا بالنازية أو الهتلرية ، وتسمى في تركيا بالكمالية وهكذا . وهي ، أين تسود ، تقف سداً منيعاً دون تفشي البلشفية .

ولما كانت الفاشية قد نشأت في أول أمرها وترعرعت في ايطاليا ، فنحن نبدأ بالفاشية الايطالية ، لننظر كيف نشأت ، ثم نستعرض المبادئ التي قامت عليها ، والوسائل التي تذرعت بها في العمل ، والطرق التي اتبعتها في التنظيم

### نشأتها:

أما كيف نشأت الفاشية في إيطاليا ، فلأجل أن نعرف ذلك يجب أن نرجع قليلاً إلى الوراء ، لنستعرض ايطاليا في مبدإ الحرب الكبرى ، وهي مترددة هل تدخل الحرب الى جانب ألمانيا أو الى جانب الحلفاء . ثم تدخل الى جانب الحلفاء ، فتكاد تكتسحها الدول الوسطى ، وتعاني من أهوال الحرب ورزاياها ما يكاد ينوء بها . ثم يبسم الحظ للحلفاء ، فينتصرون وتنتصر معهم ايطاليا . ولكنها تخرج من الحرب في حالة من الفوضى الاقتصادية والاضطراب المادي ، هي شر من الحرب .

فالبلشفية قد تفشت فيها ، والعمال أخذوا يثيرون القلاقل والفتن ، والشعب ساخط غاضب على حكومته ، يتهمها بالضعف والعجز ، فهي لم تنل في مؤتمر فرساي من الأسلاب والغنائم ما يتفق مع الجهود والتضحيات التي اعتقدت ايطاليا أنها بذلتها أثناء الحرب ، ولا ما يتفق بنوع خاص مع طموح ايطاليا الفتاة ومطامعها الاستعمارية . فاذا أضفنا الى هذا كله أن النظم الدستورية والنيابية لم تكن قد تأصلت في الحكومة الايطالية ، وأن روح الديمقراطية لم تكن قد استقرت في الشعب الايطالي في المدة القصيرة التي

* ألقيت في بهو أمانة العاصمة ببغداد يوم ٨ أبريل سنة ١٩٣٦

مرت عليه منذ استقلاله ، وأن هـذه البلاد لم تنس بعدُ عهد الجمعيات السرية ولا المؤامرات التي تدبر في الخفاء ، واذا عـدنا للاشـارة مرة أخرى الى ما انتشر من الفوضى والاضطراب في البلاد بسبب تفشي البلشفية ، نستطيع بعد كل ذلك أن نتصور لو أن رجلاً جريئاً مغامراً ، ذا إرادة صلبـة ، وعزيمة قوية ، وطموح بعيد ، يقود طائفة من الفتيان تدفعهم حماسة الشباب ، وحمية الوطنية ، وأحلام المجد والعظمة ، والأيمان العميق بمستقبل الوطن ؛ نستطيع أن نتصور ، لو أن رجلاً بهذا الوصف ، ومن ورائه الشـباب المتوقد عزيمة وقوة ، برز الى الميدان ، وتقدم الى شعب من الشـعوب ، لينقذه من حالة الفوضى والاضطراب ، ويعيد إليه مجده القديم ، ويسـوقه إلى ساحات العظمة والمجد ، فينال حظه من كل ذلك ، بعد أن أنكره عليه حلفاؤه بالأمس . فان هذا الرجـل لابد أن يقابل بالترحيب ، ثم بالاعجاب ، ثم بالتحمس . وأنه لا بد واجد من هذا الشعب جنوداً يبذلون نفوسهم في سبيل تحقيق هذه الغايات الوطنية الشريفة . وقد كان الشعب ، وكان الرجل . أما الشعب فهذه الأمة الايطالية الشابة الفتية ، الحساسـة المسرفة في الحساسية ؛ وأما الرجـل فهو موسوليني ، بطل الفاشية وزعيمها الأكبر

وقد بدأت الفاشية ، بعد زحف موسوليني على روما وقبضه على ناصية الحكم بالقوة ، حكماً تجريبياً ، ليست له خطة مرسومة ولا مذهب مقرر . وكان موسوليني في مبدأ أمره اشـتراكياً متحمساً ، ثم انقلب جندياً باسلاً ، ورجع وطنياً غيوراً . وصار من اعتنق الاشتراكية وآمن بمبادئهـا ، نقمة الاشـتراكية وخصمها الألد . وتقدم موسوليني الى الحكم وليست له خطة مرسومـة كما قدمنا ، إلا اذا كانت الرغبة الملحة في الاصـلاح وإعادة مجد الوطن يصح أن تسمى خطة . فالفاشية بدأت تجريبيـة شعارها العمل ، والعمل الايجابي العنيف في سبيل الاصـلاح الوطني . لذلك اشتهرت الفاشـية بصبغتها العملية ، وباقدام رجالها ، واقتحامهم أشد الأخطار هولاً ، دون تردد ولا هوادة . فالقضية عندهم هي بعث الأمة الايطالية من جديد . أما المبادىء والنظريات فقد كان موسوليني يسخر منها ، ويرى أنها سـلاح خطر ، قد يرتد الى صاحبه فيرديه . فالبلشفية قد بدأت إذن عملاً لا مبـدأ ، وحركة لا فـكرة . ولم يكن لديه منهج مرسوم يريد تحقيقه . ويوم ارتقى موسوليني منصة الحكم لم يكن لديه الا ارادة وعزيمة ، فأكب على العمل بهذه الارادة وهذه العزيمة ، واضعاً نصب عينيه مجد الأمة الايطالية وعظمتها

ثم أخذت الفاشية تمر بمراحل متعاقبة من التجارب العملية زهاء عشر سـنوات . تهذبها الأحداث ، وتنضـجها الأيام . وتطورها مقتضيات الضرورة ، حتى استنار طريقهـا ووضحت معـالمه . وارتسمت الفاشـية مبادىء ينتظمها مذهب معروف مقرر . وصارت نظاماً عالمياً له نظرياته وقواعده . وسرت مبادئها من بلد الى بلد . ودخلت في دور علمي فلسـفي ، تقرر نظرية للدولة ، ونظرية لعلاقة الفرد بالمجموع ، ونظرية لأثر العوامل الاقتصادية في الحالة السياسية ، ونظرية لعلاقة المسائل الروحية بالمسائل المادية ، ونظرية للتربيـة والتعليم . ولـكن الفاشية بقيت محتفظة بصبغتها العملية الأولى ، فهي تبدأ بالوقائع تبحثها وتحللها ، ثم تصوغها بعد ذلك نظريات سياسية واقتصادية ، بخلاف البلشفية فانها تبدأ ببسط النظريات ، ثم تطبقها بعد ذلك على الوقائع

ولننظر إلى الفاشية كمبدأ علمي فلسفي ، وكنظام عملي من نظم الحكم القائمة . فالفاشية بهـذا الوصف لها مبادىء تقوم عليها ، ووسائل للعمل ، وطرق للتنظيم

## مبادئها :

أما المبادىء التي تقوم عليها فتتلخص في عبارة واحدة هي « مجد الوطن وعظمته » . فالفاشية حركة تقوم على القومية ، وتعادي كل نزعة من شأنها أن تكسر حدة الوطنية . أما الجامعات الدولية كالبلشفية فتحاول أن تحقق اتحاد العمال في جميع أنحاء العالم ، وكعصبة الأمم تحاول أن تدمج القوميات في جامعة واحدة ، فالفاشية تعادي بعضها ، وتنظر إلى البعض الآخر نظرة المرتاب ، فالوطن ، والوطن وحده ، هو الذي تخصص له الفاشية جهودها

فهي حركة وطنية تقوم في وجه البلشفية ؛ أي أن الرابطة التي تقوم على فكرة الوطن لا تزال تجاهد في أوروبا جهاد المستميت ، وهي في كفاح عنيف مع الرابطة التي تقوم على فـكرة الطبقات

## وسائلها في العمل :

وللفاشية وسائل للعمل . وتتلخص هـذه الوسائل في قيام أقلية صالحة باعباء الحكم . فهناك هيئتان : الهيئة الحاكمة ،

والهيئة المحكومة . ويجب أن تتضامن هاتان الهيئتان تضامن أعضاء الجسم الواحد . أما المساواة الديمقراطية فلا تعترف بها الفاشية . إذ الناس في الواقع من الأمر غير متساوين ، وهم يتفاوتون في القوة والكفاية والصلاحية ، ولا عبرة بالمساواة النظرية مادامت المساواة الفعلية غير متحققة . وقد رفع الله الناس درجات بعضهم فوق بعض ، فيجب الاعتراف بهذه الحقيقة والأذعان لها . وتستخلص الفاشية من ذلك أن في الأمة أقلية صالحة للحكم ؛ ومعيار الصلاحية الكفاية وتغليب المصلحة العامة والقدرة على تحقيقها . وهذه الأقلية هي التي يجب أن تحكم . وهي لا تستمد سلطانها من انتخاب الهيئة المحكومة لها ، ولا من ثقة هذه الهيئة بها ، بل تستمده من كفايتها وقدرتها على القيام بأعباء الحكم . وترتب الفاشية نتيجة خطيرة على ما تقدم ، فهي تبيح الثورة على الحكومة العاجزة ، إذ المبرر لبقاء الحكومة في الحكم إنما هو كفايتها ، فاذا انعدمت هذه الكفاية انعدم حقها في البقاء ؛ فإذا بقيت بالرغم من ذلك ، وجب الانتقاض عليها ، ونزعها من كراسيها . وقد طبقت الفاشية هذا المبدأ عملياً ، قبل أن يتقرر مبدأ نظرياً ، عندما زحفت على روما ، وقبضت على ناصية الحكم بالقوة

على أن هذه الأقلية الحاكمة التي تتميز بالكفاية ، تتدرج هي الأخرى في السلطان حسب درجة كفايتها . فالكفاية هي الكرسي الذي يتركز عليه الحكم . وتعلو طبقة فوق طبقة . وتخضع الطبقة الدنيا للطبقة العليا ، حتى ينتهي الأمر كله إلى زعيم واحد ، تلقى في يده أزمة الحكم ، وترجع إليه كل الأمور ، فيفرض ارادته على أفراد الهيئة الحاكمة ، كما تفرض الهيئة الحاكمة إرادتها على أفراد الهيئة المحكومة . وبذلك يقوم ركن الدولة على أسس متينة ، وترجع الأمور كلها إلى رأى واحد ثابت لا يضطرب ، ويتوطد سلطان يخضع له الجميع ويذعنون لارادته . فالفاشية ، كما قال بعض الكتاب ، تبدأ بتغليب الجماعة على الفرد ، ولكن الجماعة تندمج في الأمة ، والأمة تندمج في الدولة ، والدولة تندمج في الحكومة ، والحكومة تندمج في الزعيم

ومن هنا ندرك أن الفاشية هي من أشد ضروب الدكتاتوريات تركيزاً للسلطة ، وأبعدها عن النظام الديمقراطي ، فالديمقراطية تقوم على سلطان الأمة ، وعلى الحرية والمساواة ما بين الأفراد . أما الفاشية فتنكر سلطان الأمة ، وتقيد من الحرية ، ولا تعترف بالمساواة ما بين الأفراد . ولا يعبأ موسوليني ، وهو قابض على ناصية الحكم ، أوثق به الشعب الايطالي أم لم يثق ، فهو لا يستند إلى هذه الثقة ، ولا يستمد سلطانه من سلطان الأمة ، وإنما يستمده من كفايته للحكم وقدرته على تحقيق المصلحة العامة . وسواء عليه لو أن الاثنى عشر مليوناً من الناخبين أعطوه أصواتهم أم لم يعطوه شيئاً . وقد صرح السكرتير العام للحزب الفاشي بهذه الحقيقة في عبارة جارحة ، إذ يقول : « لو أن الاثنى عشر مليوناً الذين قالوا نعم تحولوا إلى أربعة وعشرين مليوناً قالوا لا ، لما غير هذا من الأمر شيئاً ، ولبقى موسوليني في قصر ڤينيسا ، ولبقيت ثورة القمصان سائرة في طريقها . . . ولو قدر أن يصوت أربعة وعشرون مليوناً ضد الفاشية ، لكان هذا معناه أن جمهور الناخبين قد أصيبوا بالجنون ، وأن البلاد الايطالية قد أصبحت مستشفى لهؤلاء المجانين ، ولكان هذا سبباً أدعى لأن يبقى العقلاء في أماكنهم » .

وتختلف الديمقراطية عن الفاشية أيضاً في أنها تركز السلطان في الأمة ، وتقيم الدولة على سلطان الأمة ؛ فالأمة هي التي تنشىء الدولة . أما الفاشية فتذهب إلى العكس من ذلك . وعندها أن الدولة هي التي تنشىء الأمة ، وأن الأمة ليس لها أي سلطان ، بل ليس لها وجود قانوني ، والسلطان كله للدولة . وقد كتب موسوليني في هذا المعنى في دائرة المعارف الكبرى الايطالية التي أمر بوضعها ، يقول : « ليست الأمة هي التي تخلق الدولة ، بل الدولة هي التي تخلق الأمة ، وتعطى للشعب الذي يشعر بوحدته الأدبية ، ارادة فوجوداً قانونياً » . وتقضى المادة الأولى من دستور العمل الفاشي بأن الأمة ، وهي وحدة أدبية وسياسية واقتصادية ، تتحقق في الدولة

فالفاشية تقوم إذن على تقديس السلطة ، وعبادة الدولة ، أي الهيئة الحاكمة وشعارها في الحكم : العمل الايجابي . فهي لا تقنع للدولة بموقف سلبي ، يقر الأمور دون أن يسيرها ، بل يجب على الهيئة الحاكمة أن تدفع الأمور دفعاً إيجابياً عنيفاً ، في غير رفق ولا هوادة . وهنا تظهر نزعة الشباب والفتوة التي تميز الحركة الفاشية ، فقد كان أكثر القائمين بها شباناً عندهم طموح وهمة ، وفيهم اندفاع وتوثب

صور من القرن الثامن عشر

# ٣ ـ جاكومو كازانوفا

## جوّاب مجتمع ومغامر مرح

للأستاذ محمد عبد الله عنان

هبط كازانوفا لندن يبحث وراء طالعه ، ويلتمس الوسائل لخوض مغامرات ومشاريع جديدة ، ولكنه ما لبث أن شعر بأن المجتمع الانكليزي الرصين لا يغزى بسهولة ، وأن الأفق لا يتسع لمزاعمه المريبة ، وأن محاولاته الغرامية تلقى مهادا صلبة ؛ وشعر بالأخص بأن تلك الخلال والمؤثرات الساحرة التي اجتذبت اليه من قبل عشرات الحسان لم يبق لها قوة في التأثير والاغراء . وهو يشير في مذكراته إلى ذلك الفشل في حزن ومرارة : « لقد سجلت هذا التاريخ — سبتمبر سنة ١٧٦٣ — باعتباره لعنة من لعنات حياتي ، ولقد شعرت من بعده بأن تيار الكهولة يحملني مع أنني كنت في الثامنة والثلاثين » . وهكذا اضطر كازانوفا بعد بضعة أشهر ارتكب خلالها كالعادة عدة محاولات وأعمال مريبة ، أن يغادر لندن مثقلا بأعباء الخيبة والفشل

وأم كازانوفا برلين ، واستطاع أن يقابل ملك بروسيا — فردريك الأكبر — ولكنه استقبله ببرود وتحفظ ، ولم يظفر منه بطائل .

عندئذ قصد إلى روسيا حيث تروج سوق المغامرة ، وهنالك تعرف بالأمير كارل فون كورلاند ، وهو أمير مرح فاسد السيرة ينغمس في مجالي اللهو والخلاعة ، ويلتمس اكتساب المال بأي الوسائل ، فتفاهما وتوثقت بينهما عرى الصداقة ، واستطاع كازانوفا أن يجوز بواسطته إلى المجتمعات الرفيعة في ريغا وبطرسبرج وموسكو ، وأن يستعيد فيها شطراً من حياة السرور والبهجة . ثم ذهب إلى بولونيا ، وهنالك في وارسو خاض نفس الغمار المرحة المريبة معاً ، ولفت اليه أنظار البلاط والسلطات بمشاريعه في عالم النساء والمقامرة ، ومزاعمه في التأثير والشعوذة ، واضطر غير بعيد إلى مغادرة وارسو ؛ فتركها إلى فينا ، ولكنه لم يستطع مكثاً بها ، لأن عين الشرطة كانت ترقبه ؛ فذهب الى باريس كرة أخرى ، ولكن العاصمة الفرنسية كانت تعرفه حق المعرفة ، وترغب عن قبوله وإيوائه ؛ فغادرها إلى اسبانيا ، فلقي فيها نفس الرفض والمطاردة ؛ وكان صيته المشين قد غمر يومئذ جميع العواصم الأوربية ، فلم يبق أمامه سوى الرجوع إلى ايطاليا

فعاد اليها يتجول فيها من مدينة إلى مدينة ، والنحس يسايره أينما حل ، والفاقة تفت في عزمه وفي آماله وأمانيه ، وشبح الجوع يزعجه ، ونذير الكهولة يروعه ؛ لقد كان يومئذ فوق الأربعين ، وقد خمدت جذوة اضطرامه ، ولم يبق من ذلك الفتى المرح ، والمغامر الجريء ، سوى طلل متهدم ؛ يقول لنا كازانوفا في مذكراته مشيرا إلى ذلك العهد : « لقد فكرت يومئذ ، وربما لأول مرة في حياتي ، في أيامي الخالية ، ورثيت مسلكي ، ولعنت الخمسين التي شارفت بلوغها ، والتي قضت على جميع أحلامي ، وحز في نفسي ألا أرى أمامي سوى بؤس الشيخوخة ، والعطلة والفاقة ، وألا تغذيني سوى شهرة مريبة ، وحسرات عقيمة » . أجل كان كازانوفا يومئذ كهلا ، تغلق في وجهه جميع الأبواب وترغب عنه النساء ! وكان أشد ما يحز في نفسه الكلومة أن يرى تلك المخلوقات الساحرة التي اعتاد أن يجذبها بروائه وسحره وذلاقته ، تفر من كهولته الى أحضان الشباب النضر !

ولما بلغ به اليأس مبلغه فكر في العودة الى البندقية وطنه ومسقط رأسه ؛ فسعى في استصدار العفو اللازم ، ولم يدخر

---

والفناء في الدولة والوطن هو الظاهرة البارزة في الفاشية . ولهذا الفناء مظهران : مظهر سياسي ، يتمثل وطنية ، ومظهر اقتصادي يتمثل تعاوناً . أما الوطنية فتتركز في تربية الفرد تربية فاشية ، أي تربية وطنية ؛ وتغرس في الطفل حب الوطن ، حتى ينشأ على ذلك ، موفقاً ما بين الحرية والنظام ، فهو حر ليستكمل شخصيته ، وهو خاضع لنظام يكفل التضامن . أما التعاون فيقوم على تنظيم اقتصادي دقيق ، أساسه النقابات ، فالنقابات في إيطاليا الفاشية منتشرة انتشاراً واسع النطاق ، وسنعود إلى ذلك بعد قليل

( البقية في العدد القادم ) عبد الرزاق أحمد السنهوري

وسعاً فى التقرب إلى السلطات والتضرع اليها ، وعاونه على ذلك رسالة كتبها رداً على تاريخ للبندقية ظهر من قبل بالفرنسية بقلم « أملو دى لاهوسى » وفيه مطاعن شديدة ضد الجمهورية ونظمها ، وهى مطاعن يفندها كازانوفا فى رسالته بحماسة ؛ وكان لرسالته وقع حسن لدى السلطات ، فاستمعت أخيراً لتضرعه ومنحته جوازاً أميناً بالعودة إلى وطنه فى أوائل سبتمبر سنة ١٧٧٤

***

ولكنه عاد شيخاً يجرجر أذيال البؤس والخيبة ، ويلفظه المجتمع الرفيع ؛ وكان صديقه وحاميه القديم السيد براجادين قد توفى ، ولم يبق له عون ولا عضد ، فلبث مدى حين يعانى مضض الفاقة ؛ وبعد جهد جهيد عطفت عليه محكمة التحقيق وعينته مخبراً سرياً بمكافآت تتناسب مع عمله وتقاريره ، ثم منحته مرتباً شهرياً قدره خمس عشرة دوقة ، فاطمأن نوعاً إلى هذا المركز المتواضع ، واستطاع أن يغشى بعض الحفلات والمسارح ، وكان لا يزال يثير حوله بعض العطف بذكائه وظرفه ، وتعرف عندئذ بامرأة تدعى فرنشيسكا بوشينى ، وعاش معها فى نوع من الهدوء والاستقرار . .

بيد أنه كان يلعن تلك الحرفة الوضيعة التى ألجئ إلى احترافها ؛ أجل لقد كان كازانوفا جاسوساً زرياً لمحكمة التحقيق التى يمقتها من صميم قلبه ، وكان بحكم عمله مكلفاً بالتحرى عن المسائل السياسية والجرائم الأخلاقية والدينية ، التى طالما أمعن فى ارتكابها ؛ وكانت تغمر البندقية يومئذ موجة من الالحاد والانحلال الخلقى ، فكان من سخرية القدر أن يسهر كازانوفا على مراقبة الفساق والملحدين ؛ وكان يمضى تقاريره بامضاء مستعار وهو مع ذلك يضطرم سخطاً لذلك الدرك الأسفل الذى هبط اليه . وفى أواخر سنة ١٧٨١ رأت محكمة التحقيق أن تستغنى عن خدماته وقطعت مرتبه ، فتولاه يأس قاتل ، ورأى شبح الجوع ماثلا أمامه ، ورفع يومئذ إلى محكمة التحقيق ذلك الالتماس المؤثر الذى يدل على ذلاته وحسن بيانه :

« إلى حضرات العظماء الأجلاء سادتى القضاة المحققين :

« أتقدم اليكم ، أنا جاكومو كازانوفا ، وقد غمرتنى الحيرة ، وسحقنى البؤس والندم ، معترفاً بأننى لست أهلا على الاطلاق لأن أرفع اليكم التماسى المتواضع ، أتقدم جاثياً بطلب الرأفة من الدولة ، وأسألها أن تمنحنى بطريق العطف والجود مالا تستطيع بعد التأمل أن تأباه على بطريق الانصاف

وانى لأضرع الى الجود العالى أن يقوم بمونى حتى أستطيع الحياة ، وأستطيع فى المستقبل أن أقوم بالخدمات التى درجت عليها

وان حكمتكم لتأنس فى هذا التضرع الجليل صادق اهبتى ونياتى »

ولكن محكمة التحقيق لم تصغ الى تضرعه ؛ فزاد يأساً وبؤساً ، وعول على الرحيل معتصما بما بقى له من جلد وعزم ، فسافر الى فينا ووصلها فى يناير سنة ١٧٨٣ فى حال مؤلمة من الاعياء والفاقة ؛ ولبث يتجول حيناً فى فينا وباريس وهولندة فى ظروف نكدة مثيرة ؛ ومع ذلك فانا نراه أحياناً يحلم بمشاريع مدهشة فيفكر وهو فى باريس فى شق قنال أو اصدار جريدة ؛ بيد أنها كانت أحلام يائس مخرف ، وأخيراً استقر به المطاف فى فينا . وهنالك تعرف بسفير البندقية السنيور فوسكارينى فعطف عليه وعينه سكرتيراً له ؛ واستعاد الطريد البائس شيئاً من بهجة الحياة ، واتصل مدى حين بالمجتمع الرفيع ، وظهر فى المآدب والمراقص ؛ ولكن فوسكارينى لم يلبث أن توفى ، فتولاه اليأس القاتل مرة أخرى

وأقام مدى حين فى تبلتز فى شرحال حتى ساقته المقادير إلى التعرف بالكونت فون فالدشتاين ، فتأثر لفقره ويأسه ، وأعجب بذكائه وخلاله فعينه أميناً لمكتبة قصره فى « دوكس » من أعمال بوهيميا بمرتب حسن ؛ وكانت الكونت فتى طروباً طيب القلب يعشق حياة اللهو والخلاعة ويجوب أنحاء أوربا فى طلب المسرة والمتاع ؛ وكانت خلاله مزيجاً من الشجاعة والضعف ، والكبرياء والخجل ، والبذخ والجود ، فأغدق عطفه على المحب الشيخ الذى خاض غمار حياة باهرة مؤثرة والقى نفسه بعد طول التجوال فريسة البؤس واليأس

***

وكان قصر دوكس مقاماً بديعاً فخماً ينبئ بما لآله من النبل التالد والغنى الباذخ ، وكانت مكتبته الشاسعة المبرة تضم أربعين

ألف مجلد فخم فى مختلف العلوم والفنون ؛ فكان ذلك المقام النائى الذى يجد فيه المفكر الفيلسوف ضالتـه ، هو المستقر والمثوى الأخير لذلك الذى ضاق به وطنه ، وضاقت به عواصم أوروبا

ولكن كازانوفا لم يلق الهدوء الذى ينشد ؛ ذلك أنه أثار سخط الخدم والحشم بكبريائه وصلفه وجفائه ، فكانوا يمكرون ضده ويحنقون عليه ويدسون له ، وكانت نفسه تفيض مرارة من ذلك الصراع الوضيع الذى يجعله مع الخدم على قدم واحدة . وكان كلما شكا أمره الى الكونت أجابه بابتسامة رقيقة ، فاذا شكا الى الكونتة والدته هدأت روعه وصرفته بأطيب الوعود

وكان يخفف من وقع ذلك الجدل النكد على نفسه ما كان يغمره به الكونت من العطف ؛ ذلك أنه كان حين مقامه بالقصر يدعوه دائماً الى مائدته ، والى مختلف الحفلات والمآدب . وعندئذ يستطيع كازانوفا أن يمتع نفسه بقسط من الترف الناعم ، ويبدى ما يمكن من خلاله ومواهبه الساحرة ، ويشعر بشىء من السعادة والغبطة

وكان الدرس أشد ما يؤنسه ويملأ فراغه . ذلك أن كازانوفا كان مفكراً واسع الاطلاع ، وكان يعشق القراءة والدرس ، ولكن تجواله المتواصل كان يحول دون أمنيته ؛ فلما استقر فى هذا المثوى الهادئ الحافل بصنوف الآثار الممتعة ، ألفى فرصته ، وانكب على القراءة يترع من مناهلها ، ويدون ما عن له من زبدها . ومنذ سنة ١٧٨٦ يتحفنا كازانوفا بطائفة من الكتب والرسائل الممتعة منها . « مناجاة مفكر » Soliloque d,un penseur (سنة ١٧٨٦) ، و « قصة ادوار والزابيث » et Elizebeth Hist. A'Eoouard (سنة ١٧٨٨) ، وهى مزيج غريب من الفلسفة والمغامرة والدين والتهكم . وفى سنة ١٧٨٨ ، أخرج كازانوفا كتاباً ممتعاً عن سجنه وفراره الشهير عنوانه « قصة فرارى من سجون جمهورية البندقية المسماة بالرصاص » L'Hist. de ma Fuite des Prisons deala Répuplique de Vcniae ete ؛ وفى سنة ١٧٩٠ نشر رسالتين فى مسائل رياضية ؛ وفى سنة ١٨٩٧ نشر رسالة فلسفية أخلاقية عنوانها « خطاب الى ليونار سنتلاج » Lettre à Léonard Snetlage ، هذا الى رسائل أخرى ما زالت مخطوطة محفوظة الى يومنا فى مكتبة « دوكس » الشهيرة

بيد أن أعظم أثر شغل فراغ كازانوفا ، وخلد اسمه فيما بعد ، هو مذكراته الشهيرة التى بدأ كتابتها منذ سنة ١٧٩١ ، والتى نرجئ الكلام عليها الى الفصل القادم

وكان مما يعتز به أيضاً ويؤنس أعوامه الأخيرة اشتغاله بمكاتبة بعض العظماء الذين عرفهم مثل الكونت دى لانبرج ، والأمير دى لينى ، والأميرة كلارى ، والأمير بلوزولسكى سفير روسيا فى درسدن ، والكونت كينج ، والأميرة لوبكوفتز ، والأب ديلا لينا ، وغيرهم ؛ وكذلك بعض صديقاته اللائى عرفهم فى أواخر حياته مثل فرنشيسكا بوشينى آخر صاحباته فى البندقية ، وسسليا روجندورف ، والبزافون در ريكى وغيرهن ؛ وكان يزور مكتبة « دوكس » كثير من العظماء والكبراء من كل فج ، فيسر بلقائهم ومحادثتهم ؛ وكان كازانوفا يثير بذكائه ووفرة عرفانه حوله كثيراً من الاعجاب والعطف ؛ وقد أعجب به كثير من كبراء عصره ، وقدروا مواهبه وتنوع معارفه وطرافة تفكيره ، وبثوه اعجابهم وتقديرهم شفاها وكتابة ؛ وكان ذلك يغمره سعادة وغبطة ورضى

بل لقد كان كازانوفا فى تلك الأعوام الأخيرة الهادئة من حياته الحافلة ، يتصور حول نفسه أفقاً من العظمة والشهرة ؛ وكان أيام تجواله قد زار الفيلسوف الأكبر فولتير فى قصره ومستقره المنعزل فى فرنى ، وأعجب بحياته الهادئة وشيخوخته الجليلة ، فكان يتصور نفسه فى أيامه الأخيرة ، فى نفس الأفق والظروف التى شهد فيها فولتير ، فتغريه تلك المقارنة الخلابة ، وتثير فى نفسه الهائمة طائفة من الأحلام اللذيذة الرائعة

وفى أوائل سنة ١٧٩٨ مرض كازانوفا وتفاقم مرضه بسرعة وشعر باقتراب أجله ؛ فتوالت عليه زيارات الأصدقاء والمحبين يغمرونه بعطفهم وعنايتهم ويرسلون إليه الأطباء والهدايا ؛ وفى الرابع من يونية قضى نحبه واختتم حياته العجيبة فى جو من العطف الذى طالما حرم منه أيام حياته ؛ ودفن على الأغلب فى مقبرة قصر « دوكس » ؛ بيد أن قبره لبث مجهولاً لم يكشف عنه البحث

( الخاتمة تأتى ) محمد عبد الله عنان

البقية ممنوع

# ليلة وداع

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

قال لى صاحب : « أين نقضى سهرتنا الليلة ؟ »

قلت : « سهرتنا ؟ ؟ فهل كتب علينا أن نسهر الليلة ؟ »

فقال برقة ابليسية الاغراء : « انه آخر أيام المعرض ، أفلا يحسن أن نودع مدينة الملاهى ؟ »

فقلت : « من ذا نودع فيها يا شيخ ، وقد ودعت شبابك ؟ »

فلم ينهزم وقال : « نودع من خلقهن الله فى أحسن تقويم »

فقلت : ولكن فيهن من خلقن على صور الأبقار والجواميس ، فهل نحتفل بوداع هؤلاء أيضاً ؟ »

فلم يصدّه حتى هـذا ، فلم يبق إلا أن نتوكل على الله ونستودعه نفوسنا ونذهب إلى مدينة الملاهى كما أراد ، وجسنا فعلنا ، فما كان يمكن أن نرى حشداً أعظم من هذا فى مكان أضيق من تلك التى سموها مدينة الملاهى ؛ وكانت النساء أكثر من الرجال ، وهن وحدهن معرض كامل ، فما يخطر للمرأة صورة من صور الخلق فى المرأة إلا وهى موجودة ، وكانت الكثرة من العذارى الخود ، والخرّد الحسان ، اللواتى يترقرق الماء فى وجوههن من نضرة النعيم ، ويتثنين من اللين فى غير استرخاء ، أما القلة فكانت من الخدلّجات الممتلئات الأذرع والسيقان ، العظيمات الأوراك والبطون ، المترجرجات اللحم ، المستديرات كأنهن البراميـــل ، فلو أرقدتهن على جنوبهن ودفعتهن لتدحرجن بلا توقف

وكنت كلما رأيت واحدة من هؤلاء وقفت كالجندى ، ورفعت يدى إلى جبينى بالتحية العسكرية ! فيسألنى صاحبى عما أفعل ؟ فأقول : « هذه تحية العظمة يا سيدى ! ! إلى متى نظل نبخس الناس أشياءهم ونغمطهم فى مصر ؟ ؟ لقد آن جداً أن نقر لكل انسان بحقه ومزيته »

والتقينا بأصحاب لنا ، فصرنا جماعة ومضينا ننتقل من مكان إلى مكان ، وإذا بى أرى قريباً لى ومعه صديقة له ، ما رآنى قط مقبلاً عليه وهى معه إلا نهض بها زاعماً أن عليه أن يفعل كيت وكيت ، أو أن يقابل فلاناً أو علاناً من خلق الله الذين يتحرى أن ينتق لهم أسماء لا أعرفها لانها مخترعة لا وجود لها ، فما كاد أتميز من الغيظ ، ولكن ماذا أصنع ؟ غير أنى فى هذه المرة أدركته قبل أن يقوم — أعنى قبل أن يرانى ، وكان جالساً معها — كما لا أحتاج أن أقول ، فحملت كرسياً إلى حيث هما ، ووضعته وقعدت عليه أمامهما ، ثم حييتهما أحسن تحية وأرقها — تحية تلين الصخر ، لا بل تذيبه — ولكنّ قريبى ، وقاك الله ، أصلب من الصخر والحديد ، فما كاد يرانى أصافحها حتى قال لها وهو يجذبها من ذراعها : « تفضلى فقد تأخرنا جداً »

فابتسمت — وهل كان يسعها إلا ذلك وهى ترى هذا منه فى كل لقاء ؟ — فتشجعت وقلت : « يا أخى حرام عليك ! ! ما هـذا العنف ؟ — هذا ذراع غض بض يا سيدى ، وليس بعصا شرطى ... »

فابتسمت مرة أخرى ، فقلت فى سرى هذه علامة الرضى ، وإنها والله لراغبـة فى البقاء ، وتذكرت قول زميلنا القديم : « وفاز بالطيبات الفاتك اللهج » فقلت لها : « العجلة من الشيطان يا مولاتنا . . ومازلنا فى أول الليل ، ومايدريك ويدرينى أنها ليست مشتاقة أن تركب معى واحداً من هـذه القطر التى تشبه الترام وتجرى بالكهرباء وتتـدافع وتتصادم فتتعالى الصيحات والصرخات وتجلجل الضحكات ، وتنشرح الصدور . . . قومى يا ستى معى أركبك واحداً منها »

فصاح بى وهو يدفع ذراعه أمامها ليمنعها أن تقوم : « معك ؟ تقول معك ؟ . معك انت ؟ . يا خبر اسود ! . إنت مجنون ؟ ؟ »

فلم تفزعنى هذه الثورة ، لأنى أعرف سببها وباعثها ، وقلت له وأنا أبتسم : « صحتك . . صحتك . . لا تهيج هكذا فانى أخاف على قلبك . . ألم ينصحك الطبيب بالابتعاد عن كل ما يهيج أعصابك ؟ . أقعد . . أقعد ساكناً واشرب ماء بارداً حتى نعود اليك . . لن يطول غيابنا عنك . . قومى يا سيدتى . . لا تقلقى عليه . . إنه بخير ما اجتنب ما يورثه اضطرابَ الأعصاب »

فنهض هو بدلاً منها وقال بلهجة الغيظ المحنق : « أعصاب ؟ . قلب ؟ . طبيب ؟ . عن أى شىء تتكلم ؟ : كيف تسمح لنفسك أن تقول إنى مريض بقلبى ؟ . »

فضحكت وقلت : « لا مؤاخذة ! . لقد نسيت أن عقلك لا قلبك هو المريض . . على كل حال . . عقلك . . قلبك . . سيان . . والخطأ مردود . . والآن وقد انتهى الخلاف وحسمنا

النزاع فيحسن أن ندعك وحدك قليلاً حتى تثوب اليك نفسك الوديعة الرقيقة الكريمة الجمة المروءة اا . . . اا . . ماذا أيضاً يا بارد يا أنانى ! ؟ »

فأرسلتها الفتاة ضحكة مجلجلة تجاوبت نفسى بأصدائها ، فصار رنينها فى قلبى لا فى الفضاء . ولكنه قطع عليها الضحك يمين أقسمها ألا تقوم معى ، فوجمت وشعرت بقلبى يبكى لها ، فقد كان من الواضح أنها تشتهى أن تركب هذا الترام ، وقريبى يأباه عليها لأنه يؤثر الاحتشام والتلفع بالوقار ، ثم قلت لها : « لا بأس . . لا بأس . . مالا يدرك كله لا يترك كله . . أنظرى إلى وأنا أركب وسأترك مكانك إلى جانبى فيها خالياً ، ففى وسعك أن تتصورى نفسك جالسة فيه كما سأفعل تماماً . . وإلى اللقاء القريب ، وعسى أن تتمتعى بهذه اللعبة التى ألعبها إكراماً لسواد عينيك . . أم تراها زرقاوين ؟ ؟ أرنيهما بالله قبل الركوب حتى لا يغلط خيالى . . »

فقال قريبى على سبيل التوديع : « اذهب ، اذهب ولا تعد ! »

فقلت : « يا شيخ حرام عليك ! أنا شاب . . »

وركبت وحدى احتفاظاً لها بمكانها ، وكان يكفى أن أصون لها مكانها فى قلبى ، ولكن الوفاء — صانك الله — داء مكتسب . وكان الميدان هادئاً ، والراكبون يتحاورون ، ويهرب بعضهم من بعض ، ويتقون التصادم ، وإن كان لا خوف منه ، فجريت أنا على نقيض ذلك ، وجعلت وكدى أن أصدم الذى يروقنى ، وكنت كلما أقبلت بسيارتى على أخرى لأصدمها أصيح براكبها — وأنا أدفع بقبضة يدى فى الهواء — بغمغم ! فعلا الصخب — كما ينبغى أن يحدث — وكثر الضحك واللغط والصياح والصراخ ، وانتهى الدور فنسيت صاحبتى التى تركتها مع قريبى ، وشغلنى ما أنا فيه عنها ، وألهانى عن ذكرها كما هى عادتى ، فان اللحظة الحاضرة تذهلنى عن كل ما مضى وكل ما عسى أن يجىء ، ولعبت دوراً آخر ، ثم غيره ، وغيره ، حتى أضنانى الجهد المتواصل ، وابتلت ثيابى من كثرة العرق المتصبب ، فتذكرت قريبى وصديقته ، وقلت أجلس معهما برهة أستريح فيها وعسى أن يهديه الله ويرق قلبه القاسى ، وعدت إلى حيث تركتهما فاذا بهما قد ذهبا . .

أى والله يا ناس ! ! خطفها قريبى — قريبى لا أحد الغرباء — وطار بها وخلفنى أتلهف عليها وأسخط عليه ، وأذم الغدر والخيانة والأنانية والأثرة وألعن أمثاله من الأقرباء الذين يعمر قلوبهم الحسد والحقد لا الحب والاخلاص والتعاون على البر والتقوى

ولمحت صديقنا الدكتور م . فقلت أسلم عليه ، وكان حوله سرب من الناعمات اللينات ، المسترسلات الأعطاف ، المستغنيات بالجمال عن الزينة ، المبتـلات الحسن على الأعضاء فلا ترى لشىء فى أجسامهن الحلوة أوفر من حظه أو أقل ، فدنوت من إحداهن — وكانت طويلة العنق مسمورة لا رخوة ولا مترهلة — وقلت لها : « ماذا يقول لكن دكتورنا الساحر ؟ . هل لك فى رهانى ؟ . »

قالت : « على أى شىء ؟ »

قلت : « على أن عينه زائغة وأنه يريد أن يتزوجكن جملة وإن كنتن سبعاً ؟ »

فضحكت وقالت : « صدقت »

قلت : « هاتى إذاً ، وليعوضك الله خيراً . . واحذرى أن تراهنينى مرة أخرى »

قالت : « ولكنى لم أفعل »

قلت : « بلى .. هاتى !. ما هذه المماطلة ؟. إنه خلق لا يليق بمثل هذا الجمال المشرق »

قالت : « أما إن هذا لغريب . . والله ما راهنتك »

قلت : « لا فائدة . . تفضلى معى إلى هـذا الترام واركبيه بجانبى ، فان ركوبه موصوف لابراء الذمة »

فضحكت وسألتنى : « ولكن من أنت . . »

قلت : « أنا صاحب الدكتور الذى يريد أن يتزوجك على كل هذه الضرائر ... تعالى واكسبى صداقتى لتفوزى به وحدك »

ولحقنى الدكتور وأنا أمضى بها فصاح : « اللص .. اللص .. أدركوه . خطف البنت .. الحقونا يا ناس »

وخفت أن يصدق بعض البلهاء فأقع فى مأزق ، فجعلت أصيح مثله : « اللص .... أدركوه .... خطف البنية .... اجروا وراءه »

وانحدرنا الى الملعب ونحن نكاد نسقط على الأرض من كثرة الضحك . وقبل أن يبدأ اللعب وتدور السيارات تآمرت مع زميلتى على الدكتور واتفقنا أن نركبه سيارة وأن نوسعه بعد

# قصة المكروب

## كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكي

وكيل كلية العلوم

## الدفتريا

### بين واحد سمها الفرنسي ، وكاشف ترياقها الألماني

وصل ما فات

اكتشف لفلار مكروب الدفتريا ، ووجده في حلوق الأطفال ، ولم يجده في أي جزء آخر من أجسامهم . فتعجب كيف أن المكروب لا يفارق هذه الحلوق ؛ ومع هذا يسري بالموت في الأجسام . فتراءى له أن المكروب لابد يفرز سماً هو الذي يدوز في الجسم فيميت . فجاء أميل رو بعد ذلك فحقق رؤيا لفلار فكشف عن هذا السم ، واستخلص وعرف خواصه ، وأن الأوقية منه تقتل ٧٥٠٠٠ كلب

— ٣ —

ولكن كان في مكان آخر بعيد عن باريس أميل آخر قائم في مثل هذا العمل ناصبٌ فيه . هذا أميل أغسطس بارنج Emil August Behring . كان يشتغل في معمل كوخ ببرلين ، في ذلك البناء المهدّم الذي يسمى المثلث Triangel في شارع شومان . ففي هذا البناء أخذت الحوادث تتمخض عن أمور جليلة ، وكان به كوخ ، ولم يكن الآن دكتور القرية الصغير الخامل ، بل كان السيد الأستاذ ، ومستشاراً من مستشاري الدولة صاحبَ جاه وربَّ ذكر ، ولكن برغم هذا لم تضق قبعته برأسه وكان ينظر على عادته من خلال نظارته المعهودة ولا يتكلم إلا قليلاً ، وكان نصيبه من احترام الناس كبيراً هائلاً ، وكان عندئذ مشغولاً بأمر علاج للسلّ خال أنه اكتشفه . فكان يحاول أن يقنع نفسه على الرغم منها بأنه علاج صادق ، وكان هذا بسبب إلحاح السلطات عليه فيه ، ( والعلماء يلعنون السلطات بحق أحياناً على الرغم مما يكون من جودهم وسابغ كرمهم ) ، أو على الأقل بهذا يتحدث اليوم شيوخ صيادي المكروب الذين حضروا ذلك العصر ولا يزالون يذكرون أحداثه الجيدة

« لقد أسبغنا عليك الشارات ، وأعطيناك المكرسكوبات والخنازير الغينية وما إليها ، فلا أقل من أن تردّ الجيل فتكشف لنا عن علاج كبير يدوي خبره في الآفاق ، فيبني للوطن الألماني مجداً كالذي بناه بستور لوطنه الفرنسي » . هذا ما كان يسمعه بستور كل يوم . هذا صوت الغواية الذي يطرق أذنه كل حين ، وإلى هذا الصوت استجاب كوخ أخيراً ، ومن ذا الذي يلومه ؟ وأي إنسان يقوى على الثبات على طريق العلم البطيء ، وإلزام نفسه أسلوبَ البحث الحق ، والحكومات إلى يمينه تصيح به أن يجد لها مكانة في السماء ، والأمهات إلى يساره تصرخ له عسى أن يجد لأولادهن الهالكين مكاناً بين الأحياء . نعم إلى هذا الصوت استجاب كوخ ، فكشف عن حتفه بظلفه ، وأعلن للدنيا اكتشافه التوبركولين Tuberculin علاجاً للسل ورحمة للمسلولين ، فكان من إخفاقه الذي كان ، ولكن ما لبث كوخ أن قام يكفّر عن هذا بإعانة الشبان من أعوانه في الكشوفات البارعة التي كانوا فيها ، ومن هؤلاء الشبان أميل بارنج ، وكان باحثاً شاعراً أعانه كوخ بقريحته النقادة الباردة ، صوّب ضوء مصباحها المائل على أعماله ، فاستعرف بارنج في نورها الساطع على

---

ذلك صدما وخبطاً ، فأنا نعرفه يخاف الرجات ويشفق من عواقبها — لا ندري لماذا — وقد كان . حاولنا اقناعه بالحسنى أولاً فلم يقتنع ، فلم يبق إلا أن نحمله قسراً على الركوب ، فجرته أربع فتيات فظل يقاومهن حتى قلت له : « أظنك استحليت هذا الجرّ ... تفضل يا ... »

فكف عن المقاومة استحياء ، وقال لي وهو يركب السيارة : « الله يلعنك يا شيخ ... أخجلتني والله ! »

قلت : « لا عليك يا مولانا ... تفضل وأرنا همتك »

وصدمته صدمتين ، ثم تركته لمن هن أولى بذلك ، فلما خرج نظر اليّ وقال : « وصلتنا منك زقات يا سيدي .. نشكرك »

فقالت له احدى الفتيات : « لو كنتَ ركبتَ معي يا دكتور ؟ ؟ ... »

فقاطعها وقال : « إذن لكانت الزقات قد كثرت ياستي .. كلا ! الخيرة في الواقع »

وهكذا ودعنا مدينة الملاهي ..... فليتها تعود لنودعها مرة أخرى .... ابراهيم عبد القادر المازني

ما يأخذ به ، واستعرف فيه على ما يَدَع

أي بيت لصيادة المكروب كان بيت « المثلث » هذا . كان قذراً معتماً كالقبر ، ولكن اجتمع فيه رجال كوخ الشباب فبثوا فيه الحياة بتجاربهم التواصلة ، وهزوا جدرانه هزاً بصراخهم وحجاجهم فيه ، وكان من بينهم بول إرليش Paul Ehrlich ، يُمقب السيجارةَ أختَها ، ويلوث يديه وثيابه حتى وجهه بكل صبغة من كل لون من ألوان الطيف ، وكان قائماً بتجارب طموح ، يحاول بها أن يعرف كيف ترث أطفال الفئران عن أمهاتها الحصانة من بعض سموم النبات .. وكان من بينهم كيتاساتو Kitasato ، وكان يابانياً ذا وجه أقور كالدائرة ، وكان قائماً يحقن بَشيلاتِ كُزاز الفك في ذيول الفئران ، ثم هو يصبر حتى تصبّ البشلات سمها في الفأر ، ثم يقط ذيولها الوبيئة ليرى هل يقتلها السم وحده وهي بتراء .... وكان من بين من كانوا في هذا البيت رجال آخرون ، بعضهم ذهب الزمن باسمهم ، وبعضهم اشتهروا وخلد ذكرهم . واختصاراً قامت هذه العصابة الألمانية تبني هزيمة الفرنسيين تحت وابل من التجارب هائل ، وتريد أن تسبقهم إلى تخليص بني الانسان من أرزاء دنياهم

والآن نريد أن نخص بالذكر من بين هؤلاء أميل بارنج . كان شاباً عدا الثلاثين من عمره ، وكان طبيباً في الجيش ، وكانت له لحية آنق من لحية كوخ ، ولكنها كانت أقل دلالة على فتق الحيلة وابتكارها ؛ مع هذا وبرغم أسلوب لحيته المُرسل ، كانت له رأس الشاعر ؛ وبرغم حبه للفصاحة وإغرامه بفنون البلاغة ، لزم خوان معمله بقدر ما لزمه أي باحث آخر . وبينا هو يكشف في دم الفئران عن مادة تقتل بشلة الجمرة ، كان يصف كشف أستاذه كوخ لبَشلة السل بأنه في المجد مثل قمة جبله الحبيب بين جبال الألب ، وهي في بياض الثلج ولون الورد ، ولزمته فكرتان ما فتئتا تطوفان برأسه . فكرتان عليتان ومع ذلك تُمتّان إلى الشعر بنسب قريب . إحداهما أن الدم أبدع سائل يدور في جسم حيّ ، والثانية أنه لا بد من وجود مواد كيميائية تقتل فتمسح المكروبات من أجسام الانسان والحيوان مسحاً دون أن تضرّ بها وهذه الفكرة الأخيرة سبقه آخرون إليها

قال « سأجد مادة كيميائية تُبرئ من الدفتريا ! » ، وحقن طوائف عديدة من الخنازير الغينية بزريعات قتالة من مكروب الدفتريا . فلما مرضت ، وازدادت مرضاً ، حقن فيها كثيراً من المركبات الكيميائية . فجرّب فيها أملاح الذهب ، وهي أملاح غالية ، وجرّب النفتيل أمين Naphthylamine ، وحقنها بما يزيد على عشرين مادة بعضها عاديّ مألوف ، وبعضها غريب نادر . عرف أن هذه المواد تقتل المكروب في أنبوبة الاختبار دون أن تضرّ زجاجها ، فآمن في سذاجة أنها لا بد تقتل هذا المكروب تحت جلد الخنزير الغيني دون أن تضرّ به ، ولكن خاب إيمانه وأسفاه . وامتلأ معمله بالخنازير الميّتة والتي هي في سبيل الموت فكان كبيت الجزارة ، وكان في ذلك ما يكفي ليقنعه بأن الفرق بين عقاقيره والمكروب في الأذى غير كبير ، وأن كليهما يفتك بالخنازير ، وزادت أكوام الجثث حوله ، ومع هذا لم ينتقص إيمانه بأن هذا العُقّار العجيب الذي سيَشفي من الدفتريا لا يزال مختبئاً بين صفوف المواد الكيميائية ، وهي ألوف في الوجود ، وأخيراً وقع من بحثه الذي أفرغ فيه كل عزمه وخبط فيه على غير هدى ، وقع على مادة ثالث كلورور اليود

ضرب بمحقنه جرعات عدة من بشلة الدفتريا تحت جلود بضعة من الخنازير ، وكانت جرعات تكفي لقتلها . ومضت ساعات قليلة فأخذ المكروب يفعل فعله ، فتورم الجلد حيث ضرب المحقن ، وأخذت الحيوانات تميل برءوسها : فلما مضت ست ساعات حقن بارنج فيها كلورور اليود . وانتظر ما يحدث لها فقل رجاؤه فيها وظن أن الاخفاق جاءه مرة أخرى . ومضى النهار ولم تتحسن الحال . وجاء الغد فبدأت الخنازير تخور . فأخذها وأرقدها على ظهرها ثم أخذ يَخزُها باصبعه ليرى هل تعود فتقف على أرجلها . قال لأعوانه وهم في دهشة مما يسمعون : « إذا أنتم وخزتم الخنزير وهو على ظهره فاستطاع القيام ، علمتم أن الرجاء لم ينقطع فيه بعد » هذا هو محك الأمل عنده ! هذا هو مقياس الرجاء ! مقياس تعوزه الدقة إعوازاً شديداً ، وينقصه التهذيب نقصاً كبيراً . تخيّل ما يكون الحال لو أن طبيباً اتخذه وسيلة يعلم بها أيطيب مريضه أم يموت .. وقلّت حياة الخنازير المحقونة بالكلور فقلّت حركتها عند الوخز حتى انقطع منها الرجاء

وذات صباح جاء بارنج معمله فوجد الخنازير واقفة على أرجلها !

كانت لا تكاد تستقر عليها ، وكانت نحيفة غاية فى النحف ، ولكنها كانت آخذة فى الشفاء ! نعم آخذة فعلاً فى الشفاء من الدفتريا بعد أن هلك قبلها من رفقائها ما هلك

وهمس بارنج لنفسه : « لقد شفيتُ من الدفتريا ! »

وتملكته رغبة حادة أن يشفى بهذه المادة اليودية خنازير أخرى . فكانت هذه الحيوانات المسكينة تموت أحيانا من المكروب ، وأحيانا كان يقتلها هذا الدواء . وفى القليل النادر كان يُشفى خنزير أو اثنان فيقومان من المرض على حال كالموت . لم يكن فى هذا العلاج الفظيع يقين ، ولم يكن فيه منطق ولا توافق وانسجام . والخنازير التى اشتفت به لاشك ودّت أنها ما اشتفت ، ذلك لأن الكلورور بينما كان يُبرئها مما بها ، كان كذلك يحرق جلودها فتتخرّق خروقا تظل متقرّحة لا تلتئم ، فلا تلبث أن تصطدم بشىء حتى تَصيت هذه الحيوانات المسكينة من ألمها الشديد . تلك حال مفجعة لا ترضاها القلوب

ومع هذا فالحقيقة الواقعة أن بارنج كان بين يديه قليل من تلك الخنازير لولا هذا اليود لقتلتها الدفتريا ، ولولاه ما سعت بين يديه كما تسعى . إنى أفكر كثيراً فى أمر هذه القوة الخفية الدفاعة التى لا تفتأ تغرى بارنج وأمثال بارنج بعلاج الأمراض . فبارنج وأمثاله لم يجروا فيما صنعوا وراء الحقيقة ، ولم يدأبوا ما دأبوا ليجنوا المعرفة ؛ بل هم إنما مارسوا التجربة طلباً للعلاج ، وتسلط عليهم طلب العلاج فطلبوه جنونا ، فأجازوا قتل الحيوان حتى الانسان بداء ليخلّصوه من داء آخر ... لم يقفوا عند حدّ ، ولم تثنهم عما طلبوا مخافات .... من ذلك أن بارنج قام يجرب هذا الكلورور النفّاط الكاوى فى الأطفال المرضى بالدفتريا وليس لديه من دليل على صلاحه غير تلك الخنازير القليلة النحيلة الهشيمة

وعاد من تجربته يقول : « لقد جربت كلورور اليود فى أطفال مرضى بالدفتريا ، واتبعت فى ذلك الحذر والحيطة ما استطعت ، فخرجت على نتائج لا تُشجّع أبدا .... »

ولكن تلك الفئران الضميئة التى نجت من الدفتريا بفعل هذه المادة كانت لا تزال بين يديه ، كانت لا تزال تقع عليها عيناه فتعلّق بارنج من أجلها بوهمه القديم ، أنه لابد خارج من هذه المجازر ببعض غايته . وتعطّفت عليه المقادير ، فأخذ يتفكر ، وإذا به يخرج من الفكر فيتساءل : أتكون هذه الفئران قد تحصّنت الآن من الدفتريا بعد الذى جرى لها . وما لبث أن جاء بها وحقن فيها جرعات هائلة من بشلة الدفتريا — فاحتملتها ! نعم احتملتها فلم تستقم شعرة واحدة على جلودها برغم هذه الملايين من المكروبات وهى كفيلة بقتل عشرة منها . إنها حصينة كما خال !

وكانت عندئذ ثقته فى المواد الكيميائية ضاعت ، فلم يعد يطلب من بينها علاجاً للدفتريا . وكيف لا تضيع بعد هذا العدد الهائل من جثث الحيوانات الذى أرسله إلى أسفل البناء ليقوم الخدم باحراقه . أضاع أمله فى الكيميائيات ، ولكنه تمسك برأيه القديم عن الدم ، فكان لا يزال يرى أنه أبدع سائل يدور فى جسم حىّ . أُعجب به حتى عبده . واتقد خياله فارتأى له فضائل لا تُرَى وخصائص غريبة لم تُسمع . فقام إلى فئرانه العاجزة الضعيفة التى برئت من الداء فمص شيئاً من دمها ، مصّه بمحقنه من شريان فى رقبتها ، ثم أودع هذا الدم أنابيب من الزجاج ، ثم ترك هذه الأنابيب حتى انفصل من الدم مصله الرائق الأصفر ، فصعد مخلّفاً فى أسفل الأنبوبة قطعه الحمراء ؛ ثم مصّ هذا المصل فى أنبوبة صغيرة ، ثم خلطه ببشلات الدفتريا الفاتكة

وتفكر بارنج : « لا شك أن دم الفئران به شىء يحصّنها من الدفتريا . لا شك أن به شيئاً يقتل بشلات الدفتريا ... »

ثم نظر إليها فى هذا المصل من خلل مجهزه وهو يؤمّل أن يراها تنضمر ثم تموت ، فلما حدّق فيها وجدها ترقص وتزيد ، إذن هى لا تموت بل تزيد وتربو ، أو على حد قوله الأسيف فى بعض ما كتب « تتكاثر فى وفرة عظيمة » . ولكن مع هذا فالدم سائل عجيب بديع . ولابد إليه ترجع حصانة هذه الخنازير . وهتف فى نفسه هاتف يقول : « وعلى كل حال ألم يثبت هذا الفرنسىّ رو Roux أن البشلات لا تقتل بل الذى يقتل هو السم الذى تصنعه ؟ ألم يثبت أن سم الدفتريا لا بشلاتها هو الذى يقتل الأطفال والحيوانات ؟ .... إذن فلعل هذه الخنازير الغينية التى شفاها الكلورور قد تحصّنت من سم الدفتريا ! »

وأخذ فى التجربة . وبعد زمجرة وأفأفة ، وبعد تبلّل وتقذّر قمينين بكل شاعر عالم ، جهّز بارنج حساء احتوى سم الدفتريا وخلا من مكروبها . وأخذ من هذا الحساء يحقن جرعات هائلة تحت

جلود خنازيره الحصينة وكان قد تناقص عددها . فاذا بها حصينة تجاه السم . وأخذت قروحها الماضية تلتئم ، وأخذت تكبر وتسمن . هذا أمر لا شك جديد في علم المكروب . أمرٌ ربما كان ارتآه رو ولكنه لم يتحقق على يديه . حمى بستور الشياه من داء الجمرة ، وحمى الأطفال وحصّنها من عضة الكلاب المسعورة ، ولكن هذا الذى أتاه بارنج غير هذا وذاك . هذا أمر طريف يقف العقول حيرى . بارنج يصيب الخنازير بالدفتريا ، ثم هو يشفيها منها بعلاج فظيع كاد يوردها الموت ، ثم هو بذلك يحصنها من سم الدفتريا الفتاك ، من ذلك السم الذى تقتل الأوقية منه ٧٥٠٠٠ كلب

صاح بارنج : « في هذا الدم لا شك يوجد الترياق الذى يحمى هذه الخلائق ، وفيه لابد أنا واجده ! »

وكان لا بد له من الحصول على شيء من هذا الدم ، ولكن لم يبق لديه من هذه الخنازير الحصينة شيء ، أو لم يكد يبقى منها شيء ، فعمد إلى خنزير قديم منها كان استنزف دمه مراراً ، فشق رقبته يبحث عن الشريان الذى يمص منه الدم فوجده انعدم ؛ أو كاد من كثرة ما عاوده . فأخذ ينكش حتى حصل على بقية قليلة من الدم جاء بها من شريان في رجل هذا الحيوان . له الله من حيوان جدير بنا أن نذكره بالحسنى . لقد قاسى بارنج في أيام هذه التجارب ألماً نفسياً كبيراً ، كما قاست حيواناته ألماً جثمانياً كبيراً . فلو أن رحمتنا تُقسّم بينهما ، بين بارنج وحيواناته ، ما درينا أيهما أحق بأكثرها . كان يستيقظ كل يوم فيذهب تواً إلى معمله وهو متوتر الأعصاب ليطمئن على حياة هذه الخنازير الحصينة ، هذه الخنازير القليلة المتناقصة التي لا تُشترى بمال .... وعلى كل حال حصل أخيراً على قطرات قليلة من مصل حصين . فزجها في أنبوبة من الزجاج بمقدار كبير من حساء كان ربّى فيه مكروب الدفتريا لكي يبث فيه من سمه . ورشح الحساء قبل مزجه بالمصل ليخلص من المكروب

وحقن من هذا الحساء الخليط في خنازير غينية جديدة غير محصّنة — فاذا بها لا تموت

صاح بارنج : « صدق جوتيه Goethe الشاعر العظيم حين قال : « إن الدم عصير غريب »

وأخذ يستعد بعد ذلك لتجربته الحاسمة الشهيرة ، وعين كوخ الامام الأكبر لا تبرح تنظر اليه ، وتجمعت حوله تلك العصابة الصغيرة المجنونة من رفقائه في ذلك المعمل ، وازدحموا وقد انحبست أنفاسهم في انتظار ما قد تتمخض عنه هذه التجربة الكبرى ، فخلط سم الدفتريا بمصل أتى به من دم خنزير سليم لم تصبه الدفتريا يوما ، ولم يتحصن منها أبدا . ثم حقن بهذا السم الخليط في خنازير جديدة ، ففعل فعله المنتظر فيها . ولم يعقه عن ذلك المصل الذى خالطه ، فساء حالها بعد ثلاثة أيام وسرى فيها برد الموت . ووضعها على أظهرها ووكزها ولكنها لم تبد حراكا ، ولم تمض ساعات حتى لفظ آخر أنفاسها وذهبت إلى حيث يذهب الأموات

فصاح بارنج : « إن مصل الخنازير الحصينة — مصل الخنازير التى أصابتها الدفتريا ثم اشتفت منها — هذا المصل وحده هو الذى يقدر على محو سمها . وكأنى بك تسمعه يتمتم لنفسه وهو المداوى الكبير : « والآن فلعلي قادر على تحصين حيوانات أكبر ، فاستخراج مقادير أكبر من هذا المصل الذاهب بسم الدفتريا ، وعندئذ آخذ في تجربته في الأطفال المصابين ..... إن الذى يشفى الخنازير الغينية لا بد أن يشفى الأطفال »

في العدد القادم : بارنج يجرب مصل الدفتريا في الأطفال — أحمد زكى

# حِيَلُ الضمير

## للأستاذ عبد الرحمن شكرى

الضمير عند بعض الناس ترس الخائف الذى يحتمى بمجنه ، وهو عند غيرهم سلاح الصائل ، وعند آخرين آلة نصب واحتيال ، وعند غيرهم بمنزلة الثياب الجدد التى يلبسونها أيام الأعياد والمواسم والصلوات ويخزنونها فى الأيام الأخرى وهو تارة كالمصباح المنير

وترى كثيراً من الناس يكثرون من ذكر ضمائرهم أو يفعلون ما هو أدهى من ذلك فيكثرون من ذكر العدل والحق ، وهى لقيمات يطربها كل منهم ويود أن يضعها فى فم غيره ، وهى أحمال وأثقال يدعون الاضطلاع بها وكل يود أن يضعها على كتف غيره أو على عنقه ، وما ذلك إلا لأن الناس ينشدون السعادة ، والسعادة لا تكون إلا إذا اصطلح شر الحياة وضمير الانسان ، وإذا اصطلح المثل الأعلى ومثل الحياة الدنيا ، وقد يكون فكر المرء وقوله خيراً من خلقه وفعله ، لأن أعمال المرء رهينة بإحساسه لا بفكره وقوله ، وقد يكون فكره نبيلاً وقوله جليلاً ولكن إحساسه يدفعه إلى سبيل غير سبيل هذا النبل والجلال فى القول والفكر

ولما كانت الرذيلة أحوج الأشياء إلى مظاهر الفضيلة عم الكذب والرياء بين الناس انتفاعاً بمظاهر الفضيلة وحقيقة الرذيلة من كسب أو متعة . وهذه المظاهر تجوز على الناس ويحسبونها فضيلة أو هم يدعون الانخداع لها رغبة فى التقرب إلى صاحبها والانتفاع برضائه عن انخداعهم بظواهر نفسه ، وهذا منشأ انقلاب أوضاع الحياة ، وهم يطلبون منه أن يدعى الانخداع بظواهر نفوسهم كما ادعوا الانخداع بظواهر نفسه ، والمسألة كلها مسألة كسب يتبادل فيتعاونون على الحياة بتزكية كل منهم الآخر

وللضمير وسائل أخرى لتزكية النفس كأن يخلع صاحبه عيوب نفسه على غيره ، ويلح فى معاداته كى يبرئ نفسه فتكون لجاجته فى خلع عيوبه على غيره دليلاً على عيوبه كما تكون لجاجة الأجرب فى الحك دليلاً على موضع الجرب منه فى نظر الطبيب

وكثيراً ما يتمحل الضمير الأعذار من أجل رغبة صاحبه فى الأذى ولذته فى الاساءة إلى الناس ، وعوامل الشر فى نفس المسىء قد لا تكون فى حاجة لمسوغ يثيرها ولكنها تكون فى حاجة إلى فرصة تستخدمها حتى ولو لم يكن لها مسوغ ، فان مسوغ الاساءة فى كثير من الأحايين فى نفس المسىء لا فى عمل من أسىء إليه لأن كثيراً من النفوس بها شهوة إلى الأذى إذا أرضتها أحست راحة وسعادة فى إرضائها ، غير أن بعض شهوات الأذى لا يرضيها إلا ما أرضى نفوس قدماء الرومان عند رؤية الوحوش تفتك بالأجسام ، وبعض شهوات الأذى تكتفى بالغيبة والنميمة والكذب ، وعواقب هذه قد لا تقل عن عواقب تلك جرماً وجناية وإن كان صاحبها لا ينعت بالمجرم الجانى وإن كان ضميرها أهنأ الضمائر بالاً وأروحها خاطراً

والضمير كثيراً ما يكون فى الحياة كالسفينة الصغيرة فى البحر المحيط الذى هاجته الأعاصير فقد لا تغرق السفينة كما لا يغرق الضمير ولكنها تضطر أن تسير فى مهب الأعصار كما يسير الضمير فى مهب أعاصير الميول النفسية وما تقتضيه من كذب ونفاق

والكسب والجاه والصداقة والغرور هى العقاقير التى تخدر الضمائر بها ، وهى البلسم الذى تداوى به آثار وخزاتها ، وهى المادة اللزجة التى تطلى بها الضمائر كى يصطاد بها أصحابها طيور السعادة واللذات والمكاسب كما تطلى الغصون بتلك المادة اللزجة التى تلتصق بها العصافير على غصون الأشجار ثم يأتى الصائد فيجمعها أو هى المادة اللزجة الأخرى التى يطرد بها الذباب اللاذع المسمى بخواطر التأنيب والوخزات

ومن أجل ذلك كثيراً ما ترى ضمير المرء عوناً للجانى الذى يرجى نفعه أو جاهه أو وده أو يرجى منه ارضاء غرور صاحب الضمير الناصر له . والناس فى سرائرهم يعرفون أن ضمائرهم ليست دائماً مصباح الهداية الذى يدعونه ، والانسان يتجنب فحص نفسه والبحث عنها ، وإذا كلف أو دفع إلى ذلك حاول التخلص من فحص نفسه فيقلب فحصها إلى حديث فيحدث نفسه أو تحدثه ويعنيها أو تعنيه ، ثم يعود فيقول إنه فحص نفسه وهو قلما يفعل ذلك إلا إذا دهمته مصيبة تجعله يشك فى نفسه فيفحصها فاذا لم تدهمه مصيبة تجنب فحص نفسه إلا إذا كان مريضاً بداء الخوض فى النفس وفحصها وقد يكون مرضاً إذا استفحل وعم وتطلب منه كل وقته ، ولكن مرض البحث فى النفس هذا مرض نادر فى الناس وأكثرهم لا يبلغ به البحث فى نفسه منزلة صغيرة

أو كبيرة ولو أن هذا البحث في النفس أصبح عادة لقل شرهم من غير أن يمنعهم بحثهم من الاقدام في الحياة إلا إذا استفحل وهو قلما يستفحل فيدعوهم استفحاله إلى الشك والتردد والاحجام واتهام النفس في كل أمر

ولولا أن الناس يعلمون عن عيوب ضمائرهم وضمائر النـاس الشيء الكثير الذي يحاولون إخفاءه ما كثر سوء ظنهم بالنفس الانسانية ، ومن العجيب أنهم يحاولون جعل حسن الظن بالنفس الانسانية مبدأ عاماً وهم في سريرتهم يسيئون الظن بكل نفس من نفوس الناس ، وهذا الاختلاف بين المبادئ النظرية والمعتقدات العملية أمر تشوق دراسته ، والقصد من تلك المبادئ النظرية حمل الناس عليها للانتفاع بهـا لأن كل إنسان يود أن يحسن غيره به الظن وأن يسيء هو الظن بغيره ، ومن عجائب الضمائر أنها قد تغرى أصحابها بأن يعتقدوا إذا حلت بأعدائهم مصيبة أن المصيبة حلت بهم لأنهم أعداؤهم

والخبرة بالضمائر ينبغي أن تحذر المرء إذا رأى متخاصمين فلا يقول إن أحدهما فاضل ذو حق والآخر ناقص ذو باطل ، فقد يكون كل منهما على حق أو على شيء من الحق أو على باطل ، وقد يكون الأكثر حقاً هو الأكثر حظاً من الفضيلة ، أو بالعكس قد يكون الأكثر حقاً هو أقلهما حظاً من الفضيلة ، وقد يكون الناصر للحق والفضيلة بشعوره وعواطفه وبيانه هو أقلهما حظاً من الفضيلة ، ولكن النفوس قلما تتقصى كل هـذه الأمور ولا أهون عندها من أن تحكم بغير علم وأن تورط ضمائرها فيما حكمت فيه بغير علم ، ومع هـذا التورط فان الناس قد يعرفون أن جليسهم غدار مغتاب بذيء اللسان فلا يمنعهم يقينهم وعرفانهم من مؤاخاته ، وتتغابى ضمائرهم وتتعامى عن عيوبه وعن شره وقبح نفسه مادام مرجو النفع ، فضمائرهم تتورط في الحكم بغير علم وتمتنع عن الحكم على علم

وفي الخليقة صنف آخر من الضمائر تكون أسقاماً عنـد أصحابها وتعظم عيوبهم في أعينهم ، وهذا مرض نادر مثل مرض إيغال المرء في فحص نفسه

وضمير صاحب الشعور النبيل له أن يطالب بألا يعاقب على نبل شعوره ولكن ليس له أن يطالب جزاء أو شكوراً ، اذا كان جزاؤه في نبل شعوره واذا كانت مسرته فيه وشقاؤه في غيره

عبد الرحمن شكري

# النيـــل

## أبرز « شخصية » في العالم

### عن مجلة « انال » الفرنسية

إن المشكلة الحبشية مهما يكن حلها هي في الحقيقة وليدة معضلة النيل وذيولها الخفية

سئل مرة الكولونيل لورنس : « أية شخصية في العالم أكبر نفوذاً وأعظم شأناً ؟ » فأجاب هـذا الرجل الغريب الذي يعد أكبر مخاطر في عصرنا بكلمة واحدة هي : النيل

إن في جواب لورنس ما يدعو لأول وهلة إلى الاستغراب لأنه أنزل النهر منزلة العاقلين وجعل منه « شخصية » بارزة ، ولكنه لم يخرج بتحديده وتعريفه عن اعتقاد قدماء المصريين في النيل ، فضلاً عن أن للكولونيل لورنس ولكل انكليزي سبباً يحمله على مجاراة الأقدمين في اعتقادهم . وهذه الرواية التي تمثلها إيطاليا وانكلترا ويخشى أن تنتهي بمأساة عالية ، أليس بطلها هذا النيل ، بل هذه الشخصية المقدسة التي عبدها الانسان قديماً ولا يزال يعبدها إلى اليوم ؟

ما فتئت بريطانيا العظمى منـذ أنشأت امبراطوريتها الاستعمارية تطمع في السيادة على البحار ، وفي التسلط على أهم المعابر البحرية حتى تم لها ذلك ؛ ففي قبضتها الآن كل المغاليق التي تؤمن مواصلاتها بتلك الامبراطورية المترامية الأطراف ، وأخصها الهند كبرى مستعمراتها وأغناها وأصعبها مراساً

أدركت انكلترا منذ حملة بونابرت على مصر أن تأمين طريق الهند يقضي ببسط نفوذها على بلاد الفراعنـة دون أن يشاركها فيه أحد . ثم جاء فتح قنال السويس باعثاً آخر على تشبثها بهذا النفوذ . ومن تدبر سياسة انكلترا في خلال قرن كامل رآها تدور كلها على محور واحد ، هو سلامة طريق الهند . فكل شبح تتخيل فيه ما يمس هـذه السلامة عاجلاً أو آجلاً حاذرته وسمت إلى طمسه . هكذا فعلت وكذا تفعل الآن في موقفها السلبي تجاه الغزوة الايطالية

إن الانكليز الذين يقبضون في السويس وعدن على مغالق

البحر الأحمر لم يزعجهم وجود إيطاليا فى اريتريا ، ولكنهم وجفوا إذ رأوا موسوليني طامعاً فى البلاد التى ينبثق منها النيل الأزرق ، ولذلك نراهم يلجأون الى كل الوسائل لاحباط مساعى الرجل الذى يحلم باعادة الامبراطورية الرومانية

النيل واهب الخيرات

النيل اذن شخصية كبيرة كما عرفه الكولونيل لورنس ؛ وقد يكون أكبر شخصية فى تاريخ الشعوب التى عمرت شواطئ البحر المتوسط . قال هيرودوت قديماً : « مصر هبة من هبات النيل » وهذه حقيقة لأن بمصر قيمتها بنيلها ، ولولاه لكانت مفازة قاحلة لاشأن لها ، فهى شقة من الأرض تمتد من النوبة الى الدلتا ويجرى فيها خط طويل دائم الاخضرار ، ولولا هذا المجرى الحيوى الذى ينساب فى أحشائها ويروى غليلها لما كان للانسان والنبات والحيوان حياة فيها ، لأنها لا تعرف المطر إلا نادراً

وفى شهر يونيه ترتفع مياه النيل فتفيض على الأراضي تاركة عليها طبقة من الغرين الذى يعد من أحسن أنواع السماد . ويبلغ معظم فيضانه فى أول أسبوع من شهر أغسطس ، فترتفع مياهه إلى ستة أمتار ، ثم تتناقص تدريجاً فيأتى الفلاح ويشق وجه الأرض بسكته التاريخية التى تشابه سكة سلفه منذ ألوف السنين ويستغل خيراتها فى شهرى ابريل ويونيه

جعل النيل من مصر بلداً خصباً غنياً ، فلا غرو أن سبق المصريون الأقدمون شعوب الأرض فى ميادين الحضارة والثقافة . كانت مصر موطناً لثمانى عشرة سلالة من الفراعنة قبل ظهور موسى ، وكانت مسرحاً للحوادث التاريخية الكبيرة قبل أن تظهر للوجود أشور والفرس واليونان . ثم كانت مقصداً لطلاب العلم والفلسفة والثقافة من جميع الأنحاء ، فهى إذن كانت مهذبة الانسانية وحاملة نبراس المدنية فى العصور القديمة

ولكن الى أى شيء يعزى تفوقها فى تلك العصور التى كانت شعوبها فى حالة البربرية ؟ كلة واحدة تجيب على هذا السؤال ، وهى : النيل

لقد تعلم المصرى القديم كل شيء من نيله ، ولأجل نيله استنبط علم الفلك لكى يحدد أوقات الفيضان ، واخترع التقويم والحسابات ، وعلم الهندسة والمساحة ، وانشاء السدود وشق الترع ، لكى يستثمر النيل وينتفع بخيراته . واننا لنجد ذكر النيل ورسومه فى أساطير مصر وفى كتب ديانتها ، وفى كل شأن من شؤونها ، فهو من مصر كالروح من الجسد

منبع النيل :

أين منبع هذا النهر العجيب واهب الخيرات ؟

كان فى اعتقاد الأقدمين أن مخرج النيل من جبال القمر ، وهذا الاعتقاد الذى يظهر لأول وهلة أنه وليد الخرافات مبنى على حقيقة عرفت يوم اكتشف منبعه الأصلى ، وهى أن أصول النيل تخرج من أعالى « أوجاموازى » ، وهذه اللفظة معناها « بلاد القمر » . وقد ظلت هذه الأصول مجهولة حتى أواسط القرن الماضى ؛ وحاول كثيرون من الرحالة أن يهتدوا الى منبع النيل فلم يظفروا بطائل ؛ فمحمد على أوفد ثلاث بعثات بين سنتى ١٨٤٠ و ١٨٤٢ ، فكان نصيبها الاخفاق ؛ والفرنسي دارنو لم يصل الى أبعد من الدرجة ٤٢ من العرض الشمالى ؛ والايطاليان ميانى ودبونو ، والانكليزى بتريك ، والفرنسي لاجان ، لم يجاوزوا الدرجة الثلاثين . وظل منبع النيل سرا مجهولاً الى أن اكتشف الرحالة الإنكليزى سبيك بحيرة تانجانيقا بين سنتى ١٨٥٧ و ١٨٥٩ فاذا هى مصدر النيل . وفى سنة ١٨٦٠ عاد برافقه جرانت فجدد بتدقيق مخرجه . فمنبع النيل الأبيض اذن هو بحيرة تانجانيقا العظيمة التى تزيد مساحتها على ٧٠ ألف كيلو متر مربع ، وموقعها يعلو عن سطح البحر نحو ١٣٠٠ متر

يتألف النيل الأبيض من شلالات ريبون ، ويسير قاطعاً المستنقعات والقفار والبحيرات ، وضاما اليه بعض الأنهر الصغيرة حتى يصل أرض الفراعنة ، فينساب بين سهولها وحيدا لا يعترضه شيء الى أن يصب فى البحر المتوسط . وطوله من منبعه الى مصبه ٦٢٨٠ كيلو مترا ، وهو أعرض من نهر الأمازون فى البرازيل ، وأطول من المسيسيبى فى الولايات المتحدة

أما النيل الأزرق فمصدره بحيرة تانا فى الحبشة ، ويتصل بأخيه النيل الأبيض عند الخرطوم عاصمة السودان . وهو غزير المياه ولا سيما فى فصل الأمطار فى الحبشة . ومدته من يونيه الى أواخر أغسطس . ولولا النيل الأزرق لما أروى النيل الأبيض وحده أراضى السودان ومصر ، فهو اذن عامل كبير فى حياة تلك

البلاد الواسعة ؛ ولا يمكننا أن نتصور مبلغ نكبة مصر بفقدانها هذا المجرى الحيوى

**الحبشة والنيل الأزرق**

إن بلداً كمصر يتوقف عمرانها بل حياتها على نهر ، لا بدع أن يهتم أولو أمره قديماً وحديثاً بالموضع الذى يخرج منه هذا النهر ويراقبوه بعين يقظى . وكما يشغل اليوم بال الانكليز خطر تحويل مجرى النيل الأزرق إذا ما استولت على الحبشة دولة قوية ، كذلك كان يشغل أفكار الفراعنة منذ ألوف السنين مثل هذا الخطر ، فكانوا يحاولون دائماً التسلط على الحبشة التى كانوا يدعونها بلاد كوش لكى يأمنوه . ولم يكن الأحباش أنفسهم غافلين عن هذه الفكرة ولكنهم لم يستطيعوا إخراجها إلى حيز العمل الكبير لافتقارهم الى الأدوات اللازمة ، وحتى اليوم لا يزال ضعف الامبراطورية الحبشية وتأخرها فى مجالى الحضارة ضمانة لسلامة مجرى النيل الأزرق . أما إذا استولت على الحبشة دولة أوربية صناعية مثل ايطاليا ، فما يمنعها غداً إذا أرادت أن تستثمر — كما تشاء — الثروات الطبيعية فى بلاد مساحتها نحو ضعفى مساحة فرنسا أن تحول النيل الى غير مجراه الحالى ؟

إن هذه الفكرة وحدها كافية لأن ترعب انكلترا التى ترى فى تحقيقها خراب السودان ومصر ، ولا عجب إذا رأيناها فى موقف الجد والحزم ازاء المشكلة الحبشية التى هى فى الحقيقة معضلة النيل وذيولها الخفية ؟ (ترجمة العصبة)



**بعض ما نذكر**

# بعد الزهاوى !

## بقلم عبد الوهاب الأمين

أصبح « الزهاوى » الآن فى رحمة التاريخ الذى لا يرحم ! ودخلت « كان » الخالدة عليه ، فليس يشار اليه الا بها . وذهب فى عالم الشعر والخيال ، بعد أن كان بشعره مرآة للحوادث المهمة فى حياته وحياة عصره

ولقد كان فى حياته — وما أشد وقع « كان » هذه ! — يتمتع بعطف شديد من طبقة الأدباء ، بقدر ما كان مغضوباً عليه من الطبقات المتعصبة ، ولقد يكون من المناسب أن أذكر الآن أنى كنت ممن نقدوا شعر « الزهاوى » بشدة ، وقد ساقنى الى ذلك وقتئذ اختلاف عصرى عن عصره بطبيعة الحال وبعد شقة التفاهم بين عاطفة شيخ من أدباء القرن التاسع عشر وميول شاب فى القرن العشرين لم يطمئنه ورضه أدب لا يعبر عن ميوله ؛ وكنت فى ذلك الحين أترقب التشجيعين المعنوى والأدبى بنقدى ذاك ، فما راعنى الا ذلك اللوم والعتاب الذى لجأنى من جماعة كثيرين كانوا محمين على أحقية النقد ، غير أن ذلك لم يمنعهم من أن يقابلوه بشىء غير قليل من التذمر ! حتى لقد بلغنى أن أحد من كان يهمهم الأمر حينئذ أشار الى رئيس تحرير الجريدة التى كنت أشتغل بها أن يطلب منى الكف عن نقد « الزهاوى » ! وكنت فى ذلك الوقت اشتغل بالصحافة ، فلم يسعنى الا النزول على ذلك الطلب ، وكففت عن الكتابة فى تلك الجريدة ، غير أنى تابعت نقده فى غيرها !

* * *

لقد أوخذ « الزهاوى » على بعض عقائد له جاهر بها فى حياته ، وعرف له فيها كثير من الاغراق والتطرف ، كما أنه كان يجد على تطرفه هذا كثيراً من المشجعين . وفى رأيى أن المؤرخ الذى سيكتب تاريخ حياة «الزهاوى» جدير به أن ينظر فى هذا الأمر بدقة عند كتابته حياة الفقيد ، فلى فهم هذه الناحية من

حياة « الزهاوى » يتوقف تقدير أدبه ومدى تأثيره ، وما له وما عليه ، فلقد كان فقيدنا متطرفاً بالرغم منه . إذ أن ما اعتوره من الأمراض العصبية والأمراض الجسدية المزمنة ، جعله كذلك ؛ ومن هنا يدرك القارئ أن رأيه فى « اللذة والألم » الذى ناقشه فيه الأستاذ العقاد قبل سنين ، لم يكن مجرد اغراق منه كان يقصده للظهور بمظهر المخالف ، بل كان فى الحقيقة يمثل حالته النفسية والعصبية ، فقد كان يرى أن الألم فى الحياة أمر قائم بذاته ، وأن اللذة هى انعدام الألم ، وذلك طبيعى بالنسبة له ؛ فما كان يشعر باللذة فى حياته إلا فى الوقت الذى ينصرف فيه الألم الجسدى عنه !

وقد تنبه الأستاذ العقاد الى هذه الناحية عند التعقيب على تلك المناقشة (١) فأشار الى أنه لا ينكر أن « الزهاوى » يكابد من حياته ما له دخل كبير فى تمكين هذه العقيدة من نفسه ... فالتطرف اذن هو الظاهرة التى تتركب عليها نفسية الزهاوى فى حياته الشخصية وحياته الأدبية ؛ واذا أدرك الناقد أو المؤرخ علة ذلك فى تكوينه وفى أعصابه ، فسيدرك بطبيعة الحال أن الاغراق والتطرف فى شعره قد يؤديان فى بعض الأحيان الى ظهوره بمظهر المنقلب على نفسه ، وعلى ذلك فليس فى شعر « الزهاوى » تناقض أو رجوع ، بل هى حالات نفسية جارفة تقلبت عليه فى وقتها فأنطقته بما خيل اليه أنه لا يتعارض وآراءه السابقة ، أو للتخلص من الضيق الذى سببته له بعض آرائه الجريئة ، كان يريد به تخفيف وطأة الطبقات المتعصبة عليه ؛ وفى هذه الناحية كان يبدو على شعره الشيء الكثير من التعمل الظاهر فيه حمله على نفسه ، وهنا لا يصح اعتبار مثل هذه الحالات ميزاناً للحكم على آثاره الأدبية والشعرية .

* * *

يخطىء أشد الخطأ من يفاضل بين الزهاوى ومعاصريه من شعراء العراق ، فانه فضلاً عن سخافة فكرة المفاضلة لن تتوفر فيها الشروط الأساسية المطلوبة ؛ فانهم ليسوا « معاصريه » حقاً ولا يمتون اليه بصلة العصر . بل كان عمره المديد الملىء بخدمة الشعر والمساهمة فيه مثار الأشكال فى فهم شعره وحياته . فهو من بقايا القرن التاسع عشر ، وليس من رجال القرن العشرين ، وما كان بوسعه أن يخرج على نفسه فى هذا الأمر طيلة حياته

واذا كانت خطوات البشرية فى عصورها السابقة للقرن التاسع عشر قريبة المدى من بعضها ، واذا كان التشابه والتقارب بين تلك العصور موجودين فهما فى هذا العصر قد بلغا آخر درجات التباعد . وقد مرت مئات السنين على البشرية فى «عصور الظلام » فما كان لتلك السنين المديدة أن تؤثر تأثير بضع سنوات فى نهاية القرن التاسع ومطلع القرن العشرين ، فيكاد هذان العصران يمثلان « سن الرشد » للبشرية والدهر ، ففيهما استيقظ الانسان وأحس وأدرك ، وظل كذلك يخطو بسرعة فائقة فى تقدمه حتى لقد كاد أن يكون من المشكل التفاهم بين الولد وأبيه ، كأن بضعة السنين التى بينهما قد أقامت بين تفاهمهما حواجز العصور .

من هنا يدرك القارئ السبب فى وجود هذا البعد الكبير بين نفسية « الزهاوى » وبين نفسية شباب اليوم (١) وسبب نقمتهم على أدبه ، ومع كل ذلك فقد أرضى « الزهاوى » كثيراً من نزعات الشباب وأفكاره ، ودافع عن تلك الرغبات دفاعاً شغل حياته الطويلة ووسمها بسمات لا يستطيع مؤرخه اهمالها ، فقد كان من مناصرى المرأة والسفور والتجدد ، وظل كذلك الى آخر حياته ، برغم ما جرته عليه هذه الأفكار من المتاعب له ، ومن هنا أيضاً تتضح لنا أهمية الرجل فى العصرين اللذين كان له نصيب الحياة فيهما ، ومدى تأثيره فى كليهما

* * *

وبعد فهل يحق لنا أن نتفاءل بهذه الحركة التى قام بها بعض المعجبين بأدب الزهاوى ؟ وهل لنا أن ننتظر منهم غير ما تعودنا انتظاره فى مثل هذه الحال من دراسة منتظمة لعصره وحياته وآثاره ، أم لا تزيد هذه الهيجة على نصب تمثال له فقط ؟

على كل حال ، اننا ننتظر ونأمل أن تتشكل لجنة من المعجبين بشعره من الأدباء لتدوين تاريخ حياته ، لأنه والحق يقال ، قد كون فى حياته فصلا كاملاً لحياة العراق فى ملتقى عصرين مهمين من حياة البشرية .

(بغداد) — عبد الوهاب الامين

(١) راجع فصل « اللذة والألم » فى كتاب مطالعات فى الكتب والحياة للاستاذ عباس محمود العقاد

(١) فى هذا الكلام نظر ؛ فان الزهاوى كان حريصاً على أن يساير شعره باطراد نزعات العصر . وقد جرؤ على أن يقول ما لم يقله شيخ ولا شاب . وللرسالة رأى فيه ستنشره عما قليل (الرسالة)

# الحياة الأدبية فى فلسطين

للسيد محمد تقى الدين النبهانى

مدارس الأدب فى فلسطين مدرستان . مدرسة الشيوخ ومدرسة الشباب . ولا تستطيع وإن أجهدت نفسك أن تعثر بثالثة اللهم الا أثفية سفعاء . وهذا التقسيم قد يكون طبعياً بل قد يكون عاماً لا يمتاز به قطر ولا تستأثر به بلد ؛ غير أنه فى فلسطين غيره فى سواها ؛ فأدب الشيوخ فى أكثر الأقطار مطبوع بطابع المحافظة على القديم حتى لدى المجددين منهم ، وأدب الشباب كلف بالجديد حتى لدى المعتدلين من هؤلاء . واليك مصر زعيمة الأدب العربى تكاد تخضع لهذا المبدأ بالقوة إن لم يكن بالفعل ؛ فالزيات وطه حسين وهما من دعاة التجديد لا تقرأ لهما لغة ولا تمر بفكرة حتى تقرأ ما بين السطور المحافظة على التراث القديم . أما فلسطين فأدباؤها الشيوخ مشتجرون وأدباؤها الشباب منشقون ، ولا تستطيع أن تلمس فرجة تتاح لك منها فرصة التوفيق ، وإنه ليهون عليك أن تجد بعض الجامع بين الشيوخ والشباب ويعتاص عليك التوفيق بين رأى الشيوخ أو رأى الشباب . ولعل ذلك ناجم عن جرثومة هذا الأدب وأن نهضته أسست على التقليد من غير أن تكون ملكة الاستقلال والنقد بارزة تميز صائب الرأى وتنفث خطله

ترى طائفة من الشيوخ أن الأدب فى رفض هذا النحو المألوف لدى العرب فى دراسة الأدب من إلمام بالقواعد ودراسة لجيد النثر ورصين الشعر ، وتذهب إلى أن كتب النحو وأسفار البلاغة من أمثال كتب الجرجانى والقزوينى حتى اليازجى وأسفار ابن هشام وابن مالك حتى الشرتونى والجارم يجب أن تحرق وينبغى أن تمحى ، وأن هذا الشعر وتلك الخطب التى قرضها أمثال حبيب ودبجها زملاء زياد لا يجوز أن نجعلها ثقاف أدب لعقول الأدباء ، وان لغة الصحف والكلام العادى الذى يكتب بعيداً عن الفن نائياً عن مقياس الأدب القديم هو التأدب الحق فكفى المرء أدباً أن يقرأ حتى لو أخطأ رفع المبتدأ ونصب الحال ما دام هو أو السامع قد نقه مغزى ما يريد . ويرضى من الكاتب أن يخط حروف الهجاء بكلمات تبين عن المعنى ولو مجملا حتى يضحى بعد مدة كل عربى قادراً أن يفهم الأدب اذا ما قدر أن يتلو الكلمة بعد معرفته ربط الحروف . وهذا رأى ينادى على نفسه بالخطل ويجعل القارىء فى شك من عقل صاحبه أو حسن نيته . ومن المؤسف أن نقول إن من القائلين به مفتشين فى المعارف وطائفة فى أيديها أمر اللغة العربية فى المدارس ، ولا نود ذكر الأسماء لأنا نخشى أن يظن ذلك منا هجاء

وتزعم طائفة أخرى أن الأدب فى التضلع من غرائب الكلم من مثل مبرنشق ومصمئل ، وأن من لم يحط علماً بذلك ويستوى على شعر تأبط شراً وذى الرمة ويستظهر خطب المأمون الجارثى ومقامات الحريرى لا يسمى أديبا

هذان رأيان من آراء الشيوخ وهما متناقضان ، فى أحدهما الهدم ، وفى الآخر الجمود ، لا تقوم بهما نهضة ، ولا يؤمل منهما إصلاح ، لولا أن هناك طائفة ترى وجوب السير فى نهج القديم والاستضاءة بضوء الحديث كرأى جمهرة الأدباء الذين أخذوا على عاتقهم حمل مشعل الأدب . وهذه الطائفة لها أثرها ولها أنصارها ، منهما ذوو الطرابيش وأصحاب العمائم . غير أنه على غبطتنا بالطائفة الأخيرة ومقتنا للطائفة الأولى نقول : إن هذه الطائفة المعتدلة تقصر عملها وتحصر نهضتها فى غرف الدرس وحلقات السمر ، لم تخرج بعد ثمرة ولم تقم بمجهود ، وأن الاكثار انما هو لأولئك المدامين ، يكتبون ويتحدثون بما يرون مما لا يكاد يصح أن يسمى لغة عربية ، ولا يكادون يقيمون لسانهم لحناً اذا ما تحدثوا دقيقة أو دقيقتين ، ولكنهم على ذلك مكثرون وعاملون ما سمحت لهم المقادير

وطائفة الغريب منتجة غير أنه قليل ، وعلى قلته لا يجد رواجا ولا ينفق الا فى سوق الراسخين

أما الشباب نفرقتان : فرقة كان موطن ثقافتها مصر ، وفرقة رضعت لبان الأدب فى فلسطين ولبنان ، وبذلك تباينت عقليتهما وانشقت آراؤهما

فالذين تثقفوا فى مصر يرون أن خير طريق لانهاض الأدب هى الطريق التى تسير فيها جمهرة أدباء مصر ، وهى أن تربية ملكة

الأدب في دراسة نصوصه ونقد هذه النصوص وبحثها على القياس الذى وضعه أولئك العلماء الذين أشفقوا على اللغة أن تضيع وخشوا فسادها على ضوء ما يجد من الآراء الصائبة وما يشرق من طرق البحث الأدبي القويمة . ولذلك تجد هؤلاء يتقلبون بين صفحات الأسفار ويأرقون لتحبير الرسائل والكلمات وينتقلون بين المدن والدساكر ، يستملحون البيت من الشعر ، ويهشون للفقرة من النثر ، ويهتزون طرباً لرؤية كتاب حديث يلتهمونه التهاماً ، ثم يوسعونه نقداً ، وينتقون ما يصح من رأى حصيف . وهؤلاء هم الذين يجاهدون في النهضة ويضعون أنفسهم حراس الأدب . يحيطون علماً بسيره في سائر الأقطار ويستلئمون لرد غارة دعى ، وصد هجمة متطفل على الأدب يكيد له . ومهما لاقوا من عنت ووجدوا من قسوة ، لا يأبهوا لما يكون حتى من أشد الشظف ، ويؤيدهم في ذلك جمهرة من إخوانهم الذين تثقفوا في لبنان ، وإن كان يكون بينهم نزر الخلاف

أما الفرقة الأخرى فهي تقصر الأدب على رقيق الغزل وبارع الخيال في الكلم ، وما يبدع من مقالات الصحف السيارة . حتى ليعدون رئيس تحرير جريدة أديباً إذا ما أنشأ كلمة في علاج شؤون البلاد ؛ وهؤلاء يريحون أنفسهم من عناء الدرس ، اللهم إلا في كتاب حديث أو جريدة يومية ، أو مجلة فكاهية ، وجل مجهودهم قصيدة غزلية أو مقالة اجتماعية ينشرونها في نهر جريدة ما . وهؤلاء لا نشك في عقلهم ولا نرتاب في نيتهم ، وإنما نفند رأيهم وندعى أن الميل إلى الراحة ومتابعة الأهواء والجرى وراء غرائزهم هو الذى حدا بهم أن يسيروا في هذا النحو ، وأن يعتنقوا هذا المبدأ ، ولعلهم بعد يؤوبون إلى الحق أثناء سيرهم في قافلة النهضة السائرة ، وانه وان كثر أنصارهم باتخاذهم أصحاب الصحف أصدقاء ، وباهتبالهم فرصة هذه الصداقة لجعلها بوقاً لهم يرضون به غريزتهم وينشرون رأيهم ؛ فهم أمام قوة الأدب الصحيح يضعفون ويضحل معين أدبهم فانه سينضب ، وحينذاك يعلمون حق العلم انهم كانوا في وادى الضلال يعمهون ، ومن ملح أجاج كانوا يشربون ويسقون

ولا يعجبن القارىء من عرض هذه الصورة ولا يدهش لهذا الاضطراب في الحياة الأدبية فان المقادير تضافرت على خلق هذا الاضطراب ، وإن اختلاف السياسة خلق هذا التباين . ففلسطين كان أدبها معدوماً وكان أدباؤها غير مخلوقين قبل سنين ، فالأتراك كانوا يتآمرون على الأدب العربي حتى في مصر ، فما بالكم في فلسطين ؟ والأزهر كان حرباً على الأدب ذاك الوقت وخاصة مع الأغراب ، وجامعات مصر كانت تقفل أمام الفلسطينيين ، والحرب العامة كان لها أكبر الأثر ففتحت البلاد عينها على بقية من القدماء وجمهرة من الدخلاء ثم أضحت فلسطين منتدباً عليها أومستعمرة ، وقام على شؤون التأديب غرباء عن الأدب ، فكان ذلك الركود ووجد ذاك السكون في أوائل العقد الرابع من القرن الرابع عشر الهجري إلى أن فتحت جامعات مصر على مصراعيها لأبناء فلسطين واتجه الأزهر يعنى بالأدب ليتاح له تأدية رسالته ، وحضنت لبنان أبناء هذا البلد فرجعت جمهرة من الشباب اصطدمت بالقدماء واصطدم بعضهم ببعض فكان هذا الاضطراب وكانت هذه الحياة الأدبية المضطربة التي أظهرنا لك صورة مصغرة دانية من الحقيقة وإن كانت المقادير لم تسمح بأن تكون هذه الصورة أقرب إلى الحقيقة وأوضح مما قدمنا

.. بيد أن هذا الاضطراب والاحتكاك يلمع ببرق أمل في النهضة الأدبية ويبشر بانتظام حياة أدبية يجهد الشباب لايجادها ويستميلون معتدلى الشيوخ وأنضجهم آراء ، وما هى إلا لمحة حتى تتغير الحياة غير الحياة وتزهر رياض الأدب في هذه البلاد العربية وتؤتى أكلها ثمراً شهياً

(حيفا) — محمد تقى الدين النبهاني

شكوى الى الله

# وداع . . .

هذه خطبة معلم فرقوا بينه وبين أولاده فودعهم بها ووصاهم وبكاهم ، وإنى لآسف أن يكون فى صاحبنا المعلم الأديب هذا الضعف وهو يدعو إلى أدب القوة ، ولكن ما ذا يصنع ؟ أليس له قلب ؟ أليس بإنسان ؟ . . .

أولادى !

انتظروا ! لا تخرجوا كتبكم ، ولا تفتحوا دفاتركم ، فما جئت لألقى عليكم درساً ، وإنما جئت لأودعكم . إن الوداع صعب يا أولادى لأنه أول الفراق . وما آلام الدنيا كلها إلا ألوان من الفراق : فالموت فراق الحياة . والثكل فراق الولد ، والغربة فراق الوطن ، والفقر فراق المال ، والمرض فراق الصحة . . .

إن الوداع صعب ولو إلى الغد ، فكيف إن كان المودع صديقاً عزيزاً ، فكيف إن كان ولداً ، فكيف إن كانوا أولاداً ؟

أنتم أولادى ، أولادى حقيقة لا أقولها مجاملة ولا رياء ، ولا أسوقها كأنها كلمة تقال ، ولكن تنطق بها كل جارحة فى ، وأحسها من أعماق قلبى !

ولم لا ؟ ألستم تحبوننى وأحبكم ؟ ألم أفكر فيكم دائماً وأخاف عليكم ؟ ألم ترونى آلم إذا تألم أحدكم ، وأثور إذا تعدى أحد عليكم ؟ ألم أفتح لكم قلبى حتى اطمأننتم إلى وأنستم بى ، وخرقتم حجاب الخوف الذى كان بينى وبينكم ، كما يكون بين كل معلم وتلاميذه ، وغدوتم تدعوننى لأشارككم فى ألعابكم ، وتقصون على أخباركم وتبثوننى أحزانكم ، وتنبئوننى بأسراركم ، وتشكون الى ما يصيبكم من آبائكم وأهليكم ؟ فأى صلة بين الآباء والأبناء أوثق من هذه الصلة ، وأى سبب أقوى من هذا السبب ؟

أنتم أولادى . فهل رأيتم أباً يودع أولاده الوداع الأخير ثم يملك نفسه أن تسيل من عينيه ؟ لقد شغلتم نفسى زماناً ، وأخذتم علىّ مسالكى فى الحياة ، فلا أرى غيركم ولا أفكر إلا فيكم ، وأقنع بصداقتكم هذه الخالصة المتعبة المرهقة ، عن الصداقة الكاذبة ، والود المدخول

فكيف أقدر أن أملك نفسى وأنا أقوم بينكم لألقى عليكم كلماتى الأخيرة ، ثم أمضى لطيتى لا أدرى أأراكم بعد اليوم أم لا أراكم بعد أبداً ؟ . . .

أما أنتم فاملكوا أنفسكم — لا تحزنوا ولا تأسفوا ولا تبكوا لأنى علمتكم كيف تكونون فى طفولتكم أكثر منا فى شبابنا رجولة وصبرا — ونشأتكم على القوة التى فقدناها ، والبعد عن العاطفة التى ربينا عليها ، وانكار الألم الذى لا نزال نهرب منه ، والمغامرة التى نكرهها ونجهلها لأرى صبركم فى مثل هذا اليوم

انكم الآن تجتمعون حولى ، ولكنكم ستتفرقون فى المستقبل ، وستنثرون على درجات السلم الاجتماعى نثراً ، وسيكون منكم الغنى والفقير ، والكبير والصغير ، والتاجر والصانع ، والموظف الكبير . والمدير والوزير . ولكن قلبى سيتبعكم . وحياتى ستمتد فيكم ، ومبادئى ستبقى فى قلوبكم ، لا تستطيعون أن تتناسوها ، وكلماتى سترن فى آذانكم لا تقدرون أن تتغافلوا عنها ، وستسمعونها تدعوكم باسم الواجب فى ساعات الهوى ، وباسم الحق فى جولة الباطل ، وباسم الفضيلة فى غمار اللذة . فطوبى لمن لبّى وسمع واستجاب ، وويل لمن نسى وأنكر وأعرض واستكبر !

. إننى لقنتكم مبادئ الحق والفضيلة ولكنكم ستجدون فى تطبيقها عناء كبيراً ؛ ستجدون أول خصومها معلميكم فى المدرسة وأهلكم فى البيت ورفاقكم فى الطريق ، فالسعيد السعيد من ثبت على الحق ، وأوذى فى سبيله ؛ والبطل من درأ بصدره السهام عن أمته ، وأطفأ بدمه النار التى تحرق وطنه . ان فى إمتكم طاعوناً أخلاقياً مروعا أصيبت به منذ خمسمائة سنة فذلت واستكانت ، وفقدت عزتها وصبرها وقوتها ، وقد جاء الوقت الذى تبرأ فيه الأمة . انها لن تبرأ إلا على أيديكم . . .

لقد دللتكم على الطريق ، ووضعت فى أيديكم مفتاح النجاح ، فعلمتكم فضائلى كلها مع ما عرفت من فضائل ، وجنبتكم نقائصى كلها مع ما عرفت من نقائص ، فاحترمتكم لتحترمونى ، وأخطأت أمامكم لتردونى ، ورجعت عن خطئى لتتعلموا منى ، وأنصفتكم من نفسى لتنصفوا الناس من نفوسكم ، وعلمتكم معارضتى إذا جرت لتتعلموا المعارضة لكل جائر ، ولم آت

٦-٥-٤٦

فى ذلك بدعا . فهذه مبادئ الاسلام الذى علمتكم اتباع سبيله ، والوقوف عند أمره ونهيه والفخر به ، والجهر باتباع شعائره ، وربيتكم على الطاعة فى غير ذل ، والعزة فى غير كبر ، والتعاون على الخير ، والثبات على الحق ، والقوة فى غير ظلم ؛ والنظام الكامل من غير أن يفقدكم النظام شخصياتكم واستقلالكم

كنت أذكر ما كنت أستاء منه فى المدرسة مما كان يصنع معنا معلمنا ، فلا أصنع معكم منه شيئا : كنا نفر من المدرسة لأننا لا نجد فيها إلا جباراً عاتيا ، عبوس الوجه ، قوى الصوت ، بذىء الكلمات ، فجعلتكم تحبون المدرسة لأنكم تلقون فيها أباً باسماً شفيقاً يحبكم ويشفق عليكم ، ويحرص على رضاكم كما يحرص على نفعكم

وكنا نكره الدرس لأننا نجده شيئاً غريبا ، وطلاسم لا نفهمها ولا ندرك صلتها بالحياة ، ونعاقب على إهماله ، ونجازى على الخطأ فيه ، فجعلتكم تحبون الدرس لأنكم ترونه سهلاً سائغا ، تدركون صلته بحياتكم ، وفائدته لكم ، وتحفظونه لأنه لازم ومفيد لا خوفاً من العقاب ولا هرباً من الجزاء .

وكنا ننتظر المساء لننجو من المدرسة ، لأننا نسجن فيها سجنا ، لا نستطيع أن نميل أو نتلفت أو نتكلم ، ولا نسمع من الأستاذ إلا عبارة الدرس المبهمة وألفاظ الشتائم المؤلمة . فجعلتكم تكرهون المساء لأنه يفصلكم عن المدرسة التى تقولون فيها ما شئتم من طيب القول ، وتفعلون ما أردتم من صالح العمل ، وتقرأون مازلتم نشيطين للقراءة ، فاذا مللتم من الدرس سمعتم قصة لطيفة ، ونكتة حلوة ، هى أيضاً درس من الدروس ، ووجدتمونى أحادثكم كما أحادث الرجال لا الأطفال . كنا نشعر بأننا أذلاء فى المدرسة لأننا لا نقدر أن ندافع عن حقنا ، أو نطالب بما لنا ، وإذا قلنا كلمة فالعصا نازلة على رءوسنا ، أو رددنا على المعلم لفظة ، فالبلاء مستقر على عواتقنا ، فجعلتكم أعزة أحرارا ، تدافعون عن حقكم ، وتطالبون بما لكم ، ولكن بأدب واحترام ، واتباع لقوانين المجتمع وأنظمة المدرسة ...

***

أتذكرون يوم جئتكم كيف كان أكثركم يأتى إلى المدرسة بادية أفخاذه ، مرجلاً شعره ، فى جيبه مشطه ومرآته ، وكمته (بيريه) على رأسه . تفخرون برقتكم ، وتعتزون بجمالكم ، وتتخلعون فى مشيتكم ، ولا تجدون من معلميكم إلا إقرار ما تفعلون ، واستحسان ما تأتون ، لا تربطكم بالاسلام إلا رابطة الاسم ، ولا بالعروبة إلا صلة الجنسية ، ولا تعرفون من تاريخكم ما تعرفون من تاريخ الحثيين والآراميين الذى قرأتموه مفصلاً قبل أن تدرسوا سيرة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وقبل أن تعلموا من هو أبو بكر ، وقبل أن تسمعوا باسم معاوية . فعلمتكم أن فخر الرجل بقوته وعلمه ، واعتزازه بدينه ولغته . فاشتدت أعصابكم ، وقويت نفوسكم ، وتنبهت عزائمكم وصرتم تمشون كالأسود ، وتلعبون كالمفاريت . وتطالعون كالعلماء وتفكرون كالفلاسفة ، وتراقبون الله كالصديقين ، وصرتم وأنتم فى هذه السن تهيئون محاضرة فى عشرين صفحة عن عمرو بن العاص ، أو عبد الملك ، أو عبد الرحمن الناصر ، وعلمتم أن فى الدنيا علوماً اسلامية ، واستقر فى نفوسكم أن هذه العلوم وهذه الحضارة وهذا المجد ، لا بد لها من بعث كالبعث الأوربى (الرينانس)

ولكنكم لا تستطيعون يا أولادى أن تفهموا التضحية التى قدمتها من أجلكم . لأنكم لم تعرفوا قبلى هذا الطراز من المعلمين ، فحسبى أن أخبركم أنى أشتغل بالأدب . أعنى أن لى نفساً تشعر وتحس ، وتألم وتسر ، وتغضب وترضى ، وتثور وتهدأ ، وتأمل وتقنط ، وأن لى غاية فى الحياة أكبر من هذه الوظيفة . وأننى أهم بأشياء غير صفارة المناوب ، وعصا التأديب ، وحفظ النكات الباردة لتقطيع الوقت بها ، ولف رجل على رجل فى عظمة جوفاء لانتظار الدرس . . .

ذلك أننى أغدو إلى المدرسة كل يوم وفى نفسى عشرات من الصور والأفكار ، أبنى منها هيا كل فخمة لآثارى الأدبية القيمة التى لم أكتب منها شيئاً بعد فاذا بلغت المدرسة ونشقت هذا الهواء الملىء بجراثيم البلادة والخمول ، طار من رأسى كل شىء ، وأحسست أنى غدوت حقيقة معلماً أوليا

أجل . لقد ضحيت من أجلكم بفكرى ونفسى . . خسرتهما من أجلكم ، وهأنذا أخسركم أنتم أيضاً

إنكم لا تعلمون أى فراغ سيدع فى نفسى فراقكم ،

وتحسبون معلمكم واحداً من هؤلاء البشر الآليين الذين يذهبون ويجيئون ويعملون ويتركون ، ولكن بلا قلوب . فسأقص عليكم قصة وقعت لي منذ أسبوع :

كان اليوم عطلة وكنت أرقبه من زمن بعيد لأستريح فيه من هذا العناء الذي هدّني هدّاً وطمس بصيرتي ، وبلغ بي إلى الحضيض الفكري ، فلما أصبحت عمدت إلى المطالعة فلم أفهم شيئاً ، ووجدت شيئاً يدفعني إلى الخروج ، فارتديت ثيابي وأنا لا أدري أين أقصد ، فاذا أنا أمشي في الطرقات التي أمشي فيها كل يوم . وإذا رجلاي تقودانني إلى المرجة حيث ركبت السيارة إلى حيّ السفح (المهاجرين)(١) إلى باب المدرسة . هنالك انتبهت ، وعدت إلى نفسي ، فاذا أنا لم أقدر أن أعيش يوماً واحداً بعيداً عنكم ، وإذا صوركم وبسماتكم الحلوة ، وشيطنتكم البريئة . وصداقتكم الخالصة ، وأصابعكم الممدودة للسؤال قيد بصري حيثما ذهبت !

ولكن لا عليكم مني يا أبنائي ، لا تفكروا فيّ ولا تحملوا همّي ، بل فكروا دائماً في مبادئ علمتكم إياها ، واذكروا في المستقبل أني كنت أستاذكم ، وأنكم أحببتموني وأحببتكم ، ولا تحقدوا عليّ أني كنت أحياناً أقسو عليكم أو أعاقبكم ، فانما كان ذلك لفائدتكم

وبعد . فقوموا يا أولادي ، ودّعوا أباكم الذي لن تلقوه بعد اليوم .... ......

* * *

وخرج صاحبي من المدرسة ، مهدود الجسم ، خائر القوى ، فألقى عليها النظرة الأخيرة . فرآها من خلال دموعه ، مشرقة بهية ، كأنها ماسة تلمع في شعاع الشمس ، ثم ولّى ... يفكر تفكيراً مضطرباً

* * *

هذه هي حياة المعلم ؛ يغرس غصون الحب في قلبه فتمزقه بجذورها ، فاذا أزهرت جاءوا فنزعوها من قلبه ، فمزقوه مرة ثانية بنزعها : يأخذ المعلم أولاداً لا يعرفهم ولا يعرفونه ، فلا يزال يجهد فيهم ، ليفهم طبائعهم ، ويألفهم ويحبهم ، ويقوّم اعوجاجهم ويصلح فاسدهم ، حتى إذا أثمر الحب الفائدة وأتى العطف بالمنفعة ، جاء ولاة الأمور فقطعوا بجرّة قلم واحدة هذه الأسباب كلها . وفرقوا بنقطة من حبر بين الأب وأولاده ، لا لشيء . بل لوشاية سافلة أو مؤامرة دنيئة . أو لاخلاء مكانه ليتبوّأه بعض الملتمسين من ذوي الوساطات

وانطلق صاحبنا يهمس في أذن نفسه :

إني أشعر بالانحطاط والضعف ، وأحسّ كأنني شمعة قد انطفأت ، لم يكف أنهم أضاعوني وألقوني في هذا الطريق حتى جعلوني أسبح فيه ، ثم أغوص إلى أعماقه ، بينما يمرح الأدعياء واللصوص بالعيون الصافية ويقطفون وردها وزهرها !

لم يبق لي أمل ... لقد سقطت في المعركة قبل أن أنال ظفراً ، لقد بعت نفسي ومستقبلي وآمالي بتسعة جنيهات في الشهر ثمناً لخبز عيشي ... أفكان حراماً أن أجدها من غير هذا الطريق ، ألم يكن بد من أن أموت لأعيش ؟ ..

استغفرك اللهم . فلا اعتراض ولا انتقاد ، ولكنها هي شكوى . أفيخسر المرء ماله فيشكو ، ويفقد حبيبة فيبكي ، ويرى آماله تنهار أمام عينيه ونفسه تذوب وحياته تنضب ومواهبه تذوي ولا يقول شيئاً ؟

إنني أشكو ، ولكن إلى الله ؛ فليس في الناس من يشكى اليه !

(دمشق) (ع)

(١) كذلك كانت تسمى الصالحية قديماً

# الألم ...

## لشاعر الشباب السورى أنور العطار

لستُ أستطيع أن أغير طبعى
يخلق الطبع مكرهاً يوم تخلق

---

أنَا في عُزْلَتِي يُطِيفُ بِيَ الرُّعْـ ـبُ فَأَبْكِي مِنْ طُولِ شَجْوِي وَأَفْرَق

تَعْتَرِينِي الهُمُومُ فالطَّرْفُ حَيْرَا نُ مُنَدًّى مِنَ الدُّمُوعِ مُؤَرَّق

وَجَنَانِي وَلْهَانُ يُرْمِضُهُ الحُـ ـبُّ وَيُذْكُو بِهِ الجَوَى إِنْ تَشَوَّق

تَتَرَاءَى لِيَ الحَيَــاةُ قَتَامًا ما بِهَا مَسْرَبٌ يَبِينُ فَيُطْرَق

وَيَلُوحُ الوُجُودُ قَفْرًا يَبَابًا عَجَّ فِي سَاحِهِ الفَنَاءُ وَأَطْبَقْ

صُوَرٌ مِنْ كَآبَتِي لَيْسَ تُمْحَى أَنَا مِنْهَا مُشَتَّتُ النَّفْسِ مُصعَقْ

مِنْ شُجُونِي أَنِّي أَرَى الوَهْمَ يَحْيَا وَلَقَدْ صَاغَهُ خَيَالِي وَنَمَّقْ

لِي عَذَابُ اثْنَتَيْنِ نَفْسِي التي تَشْـ ـقَى وَنَفْسِي التي أُحِبُّ وَأَعْشَقْ

عِشْتُ مِنْ طُولِ حَسْرَتِي أَتَشَكَّى مِثْلَمَا يَشْتَكِي الحَمَامُ المُطَوَّق

ضَاعَ عُمْرِي كما تَضِيعُ اليَنَابِيـ ـعُ وَتَخْفَى أَمْوَاهُهَا وَتُغَلَّقْ

وَانْطَوَى مِثْلَمَا تَمُرُّ الصَّبَابَا تُ وَيَفْنَى خَيَالُهَا وَيُمَزَّق

* * *

أَيُّهَا اللَّائِمِي أَتَلْحُو المَقَادِيـ ـرَ وَتَهْجُو الدَّهْرَ الَّذِي لَيْسَ يَرْفَقْ

هُوَ جُرْحِي عَرَفْتُ كَيْفَ أُدَارِيـ ـهِ وَأَحْنُو عَلَيْهِ عُمْرِي وَأَشْفَقْ

لَسْتُ أَسْطِيعُ أَنْ أُغَيِّرَ طَبْعِي يُخْلَقُ الطَّبْعُ مُكْرَهًا يَوْمَ تُخْلَقْ

أَنَا قِيثَارَةٌ تَنُوحُ عَلَى الدَّهْـ ـرِ وَدَمْعٌ عَلَى المَدَى يَتَرَقْرَق

أَنَا لَحْنٌ مُضَرَّجٌ بِالمَآسِي كَادَتِ النَّفْسُ مِنْ تَشَكِّيهِ تَزْهَقْ

هُوَ فِي الصَّدْرِ لَاعِجٌ يَتَنَزَّى وَهْوَ فِي الفِكْرِ جَدْوَلٌ يَتَدَفَّقْ

* * *

يَا رَجَائِي يَا بَسْمَةَ الزَّهْرِ النَّضْـ ـرِ وَيَا رَوْعَةَ النَّشِيدِ المُرَقَّقْ

أَنْتَ دُنْيَايَ أَسْتَرِيحُ إِلَيْهَا كُلَّمَا طَافَ بِي الشَّقَاءُ وَأَحْدَقْ

طَيْفُكَ الحُلْوُ زَارَنِي فِي ذُهُولِي فَارْتَوَتْ مُهْجَتِي وَعُمْرِيَ أَوْرَقْ

وَتَطَلَّعْتُ لِلْخُلُودِ أُنَاجِي مَلَكًا فِي مَعَارِجِ الغَيْبِ حَلَّقْ

الأَسَى دَمْعَةُ الحَنَانِ عَلَى الأَرْ ضِ وَكَنْزٌ مِنَ المَرَاحِمِ مُطْلَقْ

تَتَسَامَى الأَرْوَاحُ فيهِ إِلى اللَّـ ـهِ وَتَنْدَى مِنَ الطُّيُوبِ وَتَعْبَقْ

البَلَاغَاتُ سَطْعَةٌ مِنْ سَنَاهُ وَالفَصَاحَاتُ نَفْحَةٌ مِنْهُ تُنْشَقْ

وَالغَمَامَاتُ رَجْفَةٌ مِنْ رُؤَاهُ وَالخِضَمَّاتُ قَطْرَةٌ مِنْهُ تُهْرَق

نَهَرٌ لِلْبُكَاءِ سَالَ عَلَى السُّحْـ ـبِ وَوَشَّى الأُفْقَ البَعِيدَ وَزَوَّق

تَسْتَحِمُّ النُّفُوسُ فيهِ مِنَ الإِثْـ ـمِ وَتَنْقَى مِنَ العيوب وَتَأْلَقْ

يَدْرُجُ الحُبُّ فِي حِمَاهُ عَنِيفًا نَاصِعًا كَالضِّيَاءِ إِنْ هُوَ أَشْرَق

كُلُّ عَهْدٍ لَمْ يَنْتَظِمْهُ مُضَاعٌ كُلُّ وُدٍّ لَمْ يَعْتَمِدْهُ مُفَرَّق

أنور العطار

---

عبرة الموت

# جميل صدقى الزهاوى

### بقلم عبد السلام رستم

يأيها السلوب من أنسه مصيند الجسم إلى رمسه

وتارك الدنيــا على حالها لم تصدق العائف[1] فى حدسه

فى الموت لو فكر مستعبر فيما يصيب الحى من مسه

تشابه النــاعم فى لهوه بالعابد الطوّاف فى حبسه

وبات من يجمع أمواله كالمعدم المحروم فى بؤسه

تلاحق الآتى بمن قبله وتابع اليوم خطى أمسه

فما ينال المرء من حظه الا بريق النور من شمسه

يشب مشغوفاً باغراســه وليس يدرى منتهى غرسه

ويخطب الدنيا ، وقد شاقه ما يفتن الناظر من عرسه

ويرشف الكأس على نهله والموت — لو يعلم — فى كأسه

* * *

يا شاعراً ظل مدى عمره فى حيرة الشدوه أو يأسه

يسائل المجهول عن أمره وينظم الشعر صدى نفسه

ما ذا أفاد الحس فى عالم لا يدرك المعنىّ من حسه

الكون ما انفك بأوزاره يفترف الأحياء من رجسه

---

(١) العائف : المتكهن بالطير

قد غلب الطبع على خلقهم ومرجع الشيء إلى جنسه
وكلهم في عيشه ناسج ثوباً يقيم الدهر في لبسه
والموت من خلفهم دائب يسدد النبل الى نكسه
كم عجز الباحث عن كنهه وإن أطال الفكر في درسه
فدونك الحق الذي تبتغي وخل عنك الروح في قدسه

(القاهرة) عبد السلام رستم

سهرة ابريل

# الشاعر والربيع

بقلم محمد رشاد راضي

الشاعر:

طير الربيع أعدت ذكرى بلبلي
ألراه في فرح الربيع المقبل

قذف الحسام فكان مقبضه على شفتي وآخر حده في مقتلي
ومضى كما يمضي السحاب كأنه ظل الغريب وهدأة المتأمل
أجتاز أنواء العواصف تائها ويروح يرفل في الغلائل والحلى
الأرجوان العذب في وجناته ظللته بخيالي المتهلل
رقرقت في عينيه بارق أنجم يهدي فكان لحيرتي كمضلل
حلو كما احلولت طفولة ناهد طلق طلاقة بسمة لمقبل
شرب السماء جميعها بعيونه وربي بقيتها لماء الجدول
يمشي فيخضر الثرى من خطوه وتذوب أحجار الجديب الممحل

الربيع:

نهب الكون ابتسامي إنه في كل ثغر
ونجومي البيض رفت في الثنايا مثل درّ
وكراكيّ وطيري رفرفت في كل صدر
الصبا الصارخ يسري في الدم القاني ويجري

* * *

إن وردي يا أميري صبغة من شفتيها
وغديري عبرات هربت من مقلتيها
وحياة الحب والفتنة رسم من يديها

أوحت الدنيا إلى الله فأهداها اليها ...!

* * *

هي حلم لا يراه المرء حتى في الكرى
هي كأس دون خمر هي خمر قد جرى
هي أحيتني فجئت اليوم كي أحيي الورى
إن نور الشمس من أعينها السود سرى

* * *

جمع الخالق حسن الأرض فيها يا هزار
فلك الدنيا تراه كلما دارت يدار
هي في النور ظلام وهي في الليل نهار
هي ماء أيها الشاعر كم يحرق نار!

* * *

أرسلتني اليوم يا صداح كي آتي إليكا
أرسلتني بدلا منها لأروى شفتيكا
كلما ترنو إلى مرآتها أبدو لديكا ...!!
إنني لوحتها تعرضها اليوم عليكا
إرسم اللوحة واحفرها على لوح الخلود
هأنا صورتها المنذراء أنوار الوجود
خذ من الصورة أعلى الفن والحسن الفريد
وأتم الرسم منها فهي يوماً ستعود ...!

الشاعر:

كلما مرت يا ربيع النور أتهادى من جدول لغدير
كخيال يطوف بين القبور خلت أن الشذى ومرج الزهور
هو للكون ليس لي أنا وحدي
هو ظل منها يزيد شجوني إن كأس السراب لا ترويني
ولهذا يلج عصف جنوني أنا أبغي الدنيا وإن تك دوني
لا بساطا يناله كل فرد ......!
أنا أبغي عيناً ترى بعيوني أنا أبغي قلباً يدين بديني
أنا أبغي بلهفة وجنون أن تكون الحياة ملك يميني
ما انتفاعي بالطيف والطيف عندي ..؟!

## استدراك

ذكر سهواً في مقال الأستاذ عبد الحميد العبادي المنشور بالعدد الممتاز أن زوج زينب بنت النبي (ص) هو سعد بن الربيع، والصحيح أنه «أبو العاص بن الربيع»




**درامتان من اسخيلوس**

# ليلة فى الفردوس [(١)]

« وإلى الأبد فى جهنم ! »

## آخرة المتضرعات

للأستاذ دريني خشبة

### ملخص الدرامة الأولى

كان لأيجبتوس ، أمير مصر السفلى ، خمسون ابناً ، وكان لأخيه دانوس خمسون ابنة ، وكان الزواج من بنات العم فى ذلك الزمن محرما بل كان يعد نوعاً من الزنى ؟ وبالرغم من هذا أراد إيجبتوس أن يزوج أبناءه من بنات أخيه ، وكان هذا الأخ ، دانوس ، قد رأى فى منامه أن أحد أزواج بناته يذبحه ، فلما ذهب إلى الكهنة يستفتيهم فى هذا أكدوا له صحة الرؤيا ، ولذلك رفض تزويج بناته ، وهرب بهن على فلك إلى آرجوس ، وهناك ، فى حرم الآلهة ، لقى بيلاسجوس ملك آرجوس ، وتقدمت كبرى بناته إلى الملك تحدثه عن منشئها وما تمت به من وشائج القربى إلى آرجوس عن طريق يو حبيبة سيد الأولب وصفيته ، وتضرعت إلى الملك أن يحميها واخواتها وأباها من ملك مصر ، وألا يردهم عليه أبدا ؟ ولم يستطع الملك أن يعدها حتى يستشير شعبه ، فهددت بأن تشنق نفسها ، هى وأخواتها فى جذوع الآلهة إن لم يفعل — وذهب الملك يحتال ليكسب أصوات شعبه وتأييده لقضيتهن — ولكن ظهرت سفينة فى البحر فى هذه الآونة ، فاذا هى مركب مصرى ، وإذا فيه جند وقائد أتوا يستردون البنات وأباهم قسراً ... وانقض الجنود على البنات ، وطفقوا يجرونهن من شعورهن لينزلوهن إلى السفية ، وكادوا يفعلون ، لولا عودة ملك آرجوس فى آخر لحظة ، فحماهن من القائد المصرى ، واحتدم الجدال بين الملك والقائد ، حتى عد القائد أن ملك آرجوس ، بمخاشنته التى أبداها قد أعلن الحرب على مصر ... فعاد أدراجه إلى السفينة ليبلغ مولاه ...... أما البنات فنزلن فى حصن آرجوس مكرمات آمنات

— ١ —

فى فجر يوم من أيام الصيف ، انشق الأبيض المتوسط عند ساحل آرجوس ، عن أسطول لجب ما عتم أن انتشرت سفائنه فوق الماء كأنها الدبى ، وخشخشت خلال أواذيه كأنها الأساود ، ثم نفثت سمومها فوق الشاطئ جنوداً من شياطين فرعون ، مستلئمين فى الدروع ، مقنعين فى الحديد ، يلاعبون السمهريات ، ويرهفون الرقاق البيض :

وكانت آرجوس الخالدة ناعمة حالمة ، غارة فى غفوة الفجر ؛ وكان الأرجيف الأشقياء غارين كذلك ، تداعب أجفانهم الوسنى أطياف الآلهة ، وتمرح فى قلوبهم ومضات من السعادة يكاد الأولب يغضى بها ... حين ينبلج الصباح اللماح عن فوهة بركان ... ما تلبث حتى تكون وهدة من وهاد جهنم ! ...

— ٢ —

وأطل الحراس فى شعاف الجبل ، فبهتوا ! ! وزاغت أبصارهم ! ... وأوقدوا النيران ! ... واستيقظت آرجوس عجلى ، تنظر الى الموت المفاجئ يتربص بها ، ويكاد ينقض عليها ! ......

« المصريون ! المصريون ! المصريون ! .... »

وذهبت الصيحة فى أرجاء المدينة تهز قلوب الأبطال ، وتداعب ألباب الصناديد ، وتزلزل فرائص دانوس وبيلاسجوس ! وهرعت الجماهير إلى هيكل الآلهة تصلى وتبتهل ؛ وجمع الملك مجلس شوراه ليروا فى ذلك الحدث المدلهم رأيهم ، فأجمعوا على وجوب الدفاع عن المدينة ، وعدم تسليم ضيفهم الشيخ وعذاراه اللاجئات مهما كلفهم الذود عنهم من جهد ، ومهما طال حصار المصريين :

— « أفهذا رأيكم إذن ؟ »

— « أجل أيها الملك ! ولا رأى لنا غيره ! إن شرف آرجوس وكرامة الأرجيف معلقان بما نصنعه من أجل هؤلاء

---

(١) ليس هذا عنوان الدرامتين ولا عنوان إحداها ، ولكنا آثرناه لأن أحدا لا يجزم بصحة اسميهما ، ومؤرخو الأدب اليونانى على أن اسم الدرامة الثانية هو (مصلحات فراش النوم) أو الايجبتيون — وهى لا تعنى المصريين — والثالثة (الدانايديز)

العذارى ! لِنَـنْسنَّ جميعاً دونهن ، ولا يقولنَّ أحـد فى هيلاس إننا منعناهن أولاً ، ثم أسلمناهن أخيراً ! »

— « إذن لتكن حرب ! ولندفع عن شرف آرجوليس ! »

— ٣ —

وكانت الحرب الزبون التى شابت من هولها نواصى الأرجيف ، والتى أوقفتهم هيجاؤها حيارى فى أبراجهم كاظمين ! ثم ... سقطت آرجوس !

وجاست خلالها شياطين فرعون ! وانطلق أبناء إيجبتوس فى عرصاتها تحف بهم أعلام النصر ، وترف فوق هاماتهم أكاليل المجد ، حتى كانوا فى هيكل المدينة الخالدة ، حيث تماثيل السادة النجب من آلهة الأولمب ... ف ... صلوا لآلهة النيل ، وشكروا لرع ... وأثنوا على أمون ، وعقروا القرابين لأزوريس ! !

وعموا شطر الحصن المنيف فوق رُبى آرجوس فاقتحموه على دانوس وبنات دانوس ؛ وكان أبوهن قد نصح لهن بالانصياع لما أراد القضاء : « ... فلا راد لما قُدِّر ، ولا دافع لما وقع فى صحيفة المرء ... ولنبحر يا بناتى البائسات إلى مصر ، وليكن لنا ثمة شأن غير هذا الشأن ، ولتتم المأساة ، ولتندلع النيران ، وليكن أبناء أخى أول ما تأكل من حطب ، وخير ما يلقى فيها من حصب ، وتغتذى به من أشلاء ! ! »

وظهر القادة الخمسون ، أبناء إيجبتوس ، ومن حولهم الجند شاكى السلاح ، فأسقط فى يد دانوس وأرتج عليه . واسودت الدنيا المشرقة فى عيون بناته ، وظللن متناثرات هنا وهناك فى ردهة الحصن ، ضافية عليهن جلاليبهن السود ، وأرديتهن الحزينة السادرة تزيدهن جمالاً على جمالهن ، وتجعل منهن رَبرباً من الفاتن بدا فى هذا المرمر المترقرق فى أكفهن ووجوههن ، وأجيادهن وثديهن ، وفى هذه السيقان الناعمة التى كان بحسبها أن ترد عادية الجيش المغير ... وإن كانت الجن من ورائه ظهيراً ! !

— ٤ —

ذهل أبناء إيجبتوس ! وانقدح شرر الهوى فى قلوبهم ، وتدفق الدم العاشق فى عروقهم حاراً ... ثم انهمرت أرواحهم الوامقة من عيونهم دموعاً سخينة ... فسجد كل منهم عند قدمى واحدة من بنات عمه ... ولبثوا لحظة لا ينبسون ! ...

وحملق دانوس فى بناته وفى أبناء أخيه قليلاً ثم قال : « رِفقَن لأبناء عمكن يا فتيات ! قفن للأبطال المذاويد أبناء إيجبتوس ! رباه ! لم نجم هذا الشر بيننا ؟ ! لقد كنت أحب أخى ، وكان أخى يحبنى . فأى شيطان أغرى هذه المداوة بيننا ؟ ! قضاء ! ... أجل ... قضاء ... قضاء ... »

وما كاد أبناء أخيه يسمعون هذه الكلمة المصنوعة من فم عمهم ، حتى تقاطروا اليه يقبلونه ويتمسحون به ويترضَّونه ... وظل هو يتلطف بهم ، ويهش لهم ، ويربت فوق أكتافهم ، وكأن شيئاً من الأحقاد التى أكلت الأفئدة ، وأراقت الدماء لم يكن ! ...

— ٥ —

وفُزِّع عن قلوب العذارى ، ونهضن فتلقين أبناء عمهن بالبشاشة والبشر ، ثم تلطفت كبراهن فشفعت لبيلاسجوس الملك الكريم المأسور فأطلق سراحه ورد عليه عرشه وألبس تاجه ، وعقد مع الأرجيف صلح نبيل دل على جود المصريين وسماحتهم ... وأقلع الأسطول ، وهمت الفلك واحتواها الماء ، وانتثر فى أذيالها وشى رجراج من الثبج ، وغابت آرجوس عن الأنظار قليلاً قليلا ، حتى إذا طوى الأفق آخر شاهق من أبراجها ، أوى الأبناء الخمسون إلى البنات الخمسين يباسطونهن ويسامرونهن ويسَرون عنهن آثار ما نزغ الشيطان بينهم وبينهن

وأقبل الليل وانجاب ، وبزغت ذكاء وتوارت بالحجاب ... وكرت أيام ... ثم بدا الشاطىء المصرى ، وهبت نسمات الوطن وتبسمت الشمس فوق الأرض البنفسجية تحيى أبناءها الغزاة المنتصرين ، وأطل من قرصها الكبير ، رَعْ الكبير ، يبارك أبطاله ويغدق عليهم نفحاته . وخرج الشعب العظيم يهتف للجيش الظافر ، ويردد هذا النداء المحبب القديم : « المجد لمصر ! »

— ٦ —

وأقبل إيجبتوس على دانوس يلاومه ، ثم غفر له : « هذه النزغة التى أشمتت بنا الأعداء ، وأغضبت علينا أرباب السماء ، وشمت ما بيننا من محبة وصفاء ... » وانفقا على العرش ... وذهب كل يعد له عدته !

وخلا دانوس إلى شيطانه فقال إنى معك ! !

ثم جمع إليه بناته فخطبهن خطبة طويلة نضحها بالدمع ، وصهرها بنار الفؤاد ، وأودعها أحزانه وأشجانه . وذكرهن

بشرائع السماء ، ونواهي الآلهة ، والزنى البغيض الذي يستتر في هذا الزواج القهري ، لا عن نحلة ، ولا عن رضى ، ولا سلطان مبين ! ...

وذكر لهن أمهن المتوفاة وما كان بينها وبين زوجة عمهن من إحن وبغضاء ، فحرك فيهن هذا الماضي الأسود بجميع سخائمه ، وأثار في قلوبهن الرطبة أشجانهن القدامى ... حتى إذا آنس فيهن الطاعة له والائتمار بأمره . أخرج لكل منهن سكيناً مسنونة مرهفة الحدين ، تقطر المنايا من أشفارها فيردها غمدها الذهبي المرصع بأغلى الجواهر واليواقيت

— « فاذا حان الحين يافتيات ، ونامت أعين الرقباء فاذكرن شقاء كن الذي لا شقاء مثله ، واذكرن كيف قضت أمكن بغصة العداوة بينها وبين زوجة عمكن ، ثم اذكرن أباكم هذا الشيخ الفاني المتهالك كيف ذل ، وكيف وضع أنفه الأشم في الرغام ... واذكرن أخيراً أنكن تحمين شرائع السماء من هذا الاعتداء ... فالآلهة معكن ، وستضرب بأغانكن ، وستغمد هذه الخناجر في أحشاء أعدائها بوساطتكن ... بورك فيكن وكانت السماء في عونكن ! »

— ٧ —

وأخذت ممفيس زخرفها وازينت ، وتبرجت عمائرها الفرعونية في حلل من النور والنوار وأفواف الزهر ، وضفائر الورد والرياحين ؛ وانطلق كهنتها يرسلون في جميع الأرجاء ألسن الند ، وقمة العنبر ، وشذى الكافور والصندل ، من مجامرهم الفضية المقدسة ، واجتمعت أسراب الحسان في ساحاتها وباحاتها بسيقانهن المصرية الفرعونية يتلاعبن ويتطربن ، ويتغنين ويتناشدن ، ويهزأن بعرائس السماء التي خالتها قريحة هيلاس ؛ وسار دربهن يخطر في كل حنية ، ويعيس في كل ميدان ، وينساب في كل فردوس ، حتى كن عند قصر الملك ، منزل العز ومناط المجد ، ونغر مصر وقلبها الخفاق ، فرقصن رقصات ما كان أشبهها بنبضاته ، وتغنين الأغاني كأنها تخرج من فمه ، وتنبعث من جوانحه وتجلجل موسيقاها عن حناياه ... ثم شارك الشعب في الأفراح الملكية ، فعج النيل المقدس المعبود بالطوافات والحراقات ، وهرعت عند حفافيه أمة بأسرها تفرح كما يفرح الملك ، وتسعد كما يسعد التاج ، وتنتشي بنشوة العرسين

وأقبل الليل ، وأسفر خونسو [1]

ورقصت ممفيس في لجة من خمر ، ورفرف حوريس [2] فوق السلات الشاخصة في الميادين ، ولم يعلم أحد أنه كان يرى غير ما ينظر الناس ، وأن عينه كانت تذرع الوادي الوادع السعيد وتكاد تضج مما أجن هذا الليل الرهيب ... لا ... بل كان الناس يتهلون أفاويق الحبور في صحراء ممفيس ... في ليبيا العجيبة ... ليبيا التي تصفر فيها الرياح ، وتتكلم فوق كثبانها ألسن الألغاز والأسرار ! ! ...

— ٨ —

وغرق القصر الملكي في أثير الموسيقى ، وفي فيض من النور الذي يشبه الفجر الكاذب ؛ ثم أخذت الركبان تنصرف والولدان تتفرق إلى مخادع اللهو ، وأخذ الكرى يعقد أجفاز ممفيس الصاخبة ، التي كانت منذ هنيهة تعج بالألوف ، وتضج بالجماهير

وعادت آية الليل ... رهيبة كشأنها منذ الأزل ...

وافتر خونسو مرة أخرى عن ابتسامة هي إلى العبوسة أدنى ، وإلى السخرية أقرب !! يا لرهبة الأقضية ! ويا لصرامة القادر !

لقد أوى أبناء إيجبتوس كل إلى مخدعه ، بعد إسراف طويل ، ولذات لم يكن يخطر على بال أحد أنها تنتهي ، وبعد قصف أيما قصف ، وخلاعات ليست كمثلها خلاعات ... فما كادت رؤوسهم تمس ديباج الطنافس حتى غطوا في سبات عميق ، وحتى انطلقت أبالسة الشر من أغماد خناجر دانوس ، التي بدت أظمأ ما تكون إلى الدماء الحارة الشابة ، تجرى في عروق أبناء إيجبتوس

— ٩ —

ولقد كان أبوهن قد اتفق معهن على هذه الغدرة الصفراء ، وجعل لكل منهن علامة حين تأزف ساعة النفاذ ، أن تطفىء السرج إلا واحداً تدعه مطلاً من إحدى الكوى التي تواجه قاعته ، إذ كان في هذه الليلة الليلاء ضيناً على أخيه ، وشريكه في مخدعه ، ومنتوياً هو الآخر إنفاذ الغدرة الوحشية في شقيقه ، ليخلو له وجه مصر ! ...

واضحكي أيتها الأقدار !! ...

(١) إله القمر عند المصريين القدماء

(٢) ابن آزوزيس وكان المصريون يحبونه حباً جماً وكانوا يرمزون له بالبازي الأشهب

— ١٠ —

وأخذت السُّرُج تومض ثم تنطفئ ، وأخذ دانوس يلحظ الكوى ويعد : « واحد ... اثنان ... ثلاثة ... أربعة ... خمسة ... » حتى عد تسعة وأربعين ... ووقف العد ... وأبطأ الحساب ، وتلكأ الجلاد ! ...

— « ماذا ؟ لقد ذبح الجميع أزواجهن إلا واحدة ! ... ماالذى منعها ؟ لعله لم ينم الخبيث ... ! ويلاه : انطفئ أيتها السرج ... ولتنطفئ حياته فى إثر كن : ... »

وذكر هو أنه لم ينفذ غدرته ، فهب الى سرير أخيه ، وأغمد خنجره فى صدره ! ... وغادر إيجيتوس يتشحط فى دمه ... وراح يحلم بالتاج والعرش والصولجان ! . .

حلم قصير جميل ... ولكنه نظر الى الكوة الخمسين فوجد أضواءها تتألق ... ورأى إلى نورها يكاد يضىء ممفيس كلها ... فكاد حنقه يقضى عليه ...

— « هلمى يا غيبة ! البدار الى دمه البدار ! »

ولكن السرج تتألق وتتألق ... ولا تنطفئ منها شعلة واحدة !

— ١١ —

وقفت الفتاة الجميلة تلقاء الفتى الجميل تقبله ، بعد أن كادت تقتله ... !

أجل ... ! وقفت هيبرمنسترا[١] تلقاء ابن عمها لنسيوس[٢] تعبده ، وقد شغفها الشاب الجميل النائم حباً ...

— « يا لأهدابه الراشة ، ويا لجبينه المشرق ، ويا لمنكبيه الجبارين ، ويا لوجهه البرىء ! أأطيع أبى ... هذا الشيخ القاسى المتحجر ... الذى لا قلب له ... الذى فرعت مآربه من الشباب ومن الحياة جميعاً ... وأسطو بخنجرى على هذا الشباب الذى أخلد إلى ... ونام ملء عينيه بين يدى ... وحملنى أمانته كلها ... لا وأرباب الأولمب ! لا يكون هذا أبداً ! ... إن قبلة واحدة على جبينه المتبلج خير من جنة أبى ، ومن الدنيا والآخرة جميعاً ... نم يا لنسيوس ! نم يا حبيبى ! إنى سأقف عند سريرك طول الليل أحرسك ، وسأغمد خنجرى فى صدر من تحدثه نفسه باغتيالك ولو كان أبى ! ...

(١) Hypermnestra (٢) Lynceus

— ١٢ —

ولبث دانوس يحرق الأرَّم ويلحظ السرج ... ولكنها باقية كما هى ... لا تنطفىء ...

وانبلج الفجر ... ثم تنفس الصبح ... وأشرقت ذكاء ... وهب لنسيوس من نومه فما راعه إلا فتاته الجميلة واقفة إلى جانبه ضعيفة واهية ... تبكى ... وبيدها السكين المشحوذ يتلمظ ... ويتلمظ ... !

— « ماذا ؟ هيبر منسترا ؟! مابك واقفة هكذا ياحبيبتى ؟! »

— « لا شىء ... أنا أحرسك ... فقط أحرسك ! ... »

— « تحرسيننى ؟ ... ياللهول : ومم يا ابنة العم ؟ ... »

— « من ... لنسيوس !! من أبى يا أعز الناس علىّ ! ... »

— « ماذا ؟ تحرسيننى من أبيك ؟ من عمى ؟ ... »

— « أجل ... أحرسك من الغادر الذى قتل إخوتك ! ... إنهض يا لنسيوس ! خذ عليه طريقه ... أحسبه قد قتل أباك أيضاً ... البدار البدار ! ... ... ويلاه ... وى ... »

وسقطت الفتاة لاتعى ...

— ١٣ —

وانطلق لنسيوس كالمجنون فى غرفات القصر المشيد ... ونفذ إلى مخادع إخوته ... فلم ترد عليه جثثهم ... صرعى فوق ديباج العرس ... مضرجة بدم الشباب الحار ... البارد كزمهرير الموت ! ...

وصعد الدم إلى رأسه ، فهرول إلى غرفة أبيه ؛ فما راعه إلا أن رآه قد لقى حتفه كما لقى إخوته حتوفهم ... وما راعه إلا أن رأى دانوس الجبار يحملق فى الكوة ... التى ما فتئت أضواؤها تنبعث منها ، برغم الفيض الذى ترسله الشمس ، مركب رع ... فى العالمين ...

وانقض عليه وذبحه

وجلس فوق أريكة يبكى ...

وهكذا قتل دانوس أحدُ أزواج بناته ، وصدقت الرؤيا ... لأن الآلهة لا تكذب ! !

— ١٤ —

واضطرب الأولمب[١] من هول الفاجعة ، واجتمع الأرباب

(١) لا ندرى لم لم يترك إسخيلوس عقوبة بنات دانوس لآلهة النيل ؟ ألأنهن لا يؤمن إلا بآلهة الأولمب ؟

# البريد الأدبي

**العبرات الحرار**

رجا الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي عضو المجمع اللغوي الملكي بالقاهرة من قراء الرسالة الغراء في (العدد ١٤٦) الرجوع إلى نسخة شرح ديوان الخنساء المكتوبة سنة ٦٢٠ هـ المحفوظة في دار الكتب المصرية ، لعلها تكون أوفى من نسخة مكتبته الخاصة المكتوبة سنة ١١٤٥ هـ لأن نسخته لم تذكر قصيدة «العبرات الحرار» وربما تكون ساقطة من نسخته من الشرح المذكور. ثم رجا الرجوع إلى نسخة الديوان المكتوبة بقلم العلامة اللغوي الكبير الشنقيطي التركزي وذلك للاستيثاق من صحة رواية البيت :

من كان يوماً باكياً سيداً فليبكه بالعبرات الحرار

لأنه يحتمل احتمالاً قوياً أن يد التحريف عملت في البيت عملها فغيرت «الجوار» إلى «الحرار» . وإجابة لرجاء شيخنا المغربي رجعت إلى نسخة الشرح التي في دار الكتب المصرية («٥٧٠» آداب اللغة العربية) فوجدتها لا تشتمل على قصيدة «ياعين جودي بالدموع الغزار» التي منها بيت «العبرات الحرار» والظاهر أن نسخة دار الكتب من هذا الشرح هي أصل نسخة الأستاذ المغربي وأن قصيدة «العبرات الحرار» ليست في رواية الشرح

ورجعت إلى نسخة الشنقيطي من الديوان («٤٠ ش» آداب اللغة العربية) وهي — بحق — نسخة نفيسة مكتوبة بقلم العلامة التركزي بالخط المغربي الدقيق مع ضبط أكثر قوافيها والكلمات الغريبة منها بالقلم مع تقييدات على الحاشية لأكثر الأبيات فوجدت البيت هكذا :

من كان يوماً باكياً سيداً فليبكه بالعَبَرات الِحرار [1]

بضبط الحاء من الحرار مكسورة مما يقطع بأن الرواية «الحرار» لا «الجوار» ونسخة الديوان هذه كتبها الشنقيطي في مكة سنة ١٢٨٨ وفي دار الكتب المصرية نسخة ثانية من ديوان الخنساء («٥٣٦» آداب اللغة العربية) كتبت سنة ١٢٨٩ هـ بمكة أيضاً بقلم أحمد بن محمد الخضراوي بخط عادي واضح ورد فيها عجز البيت «العبرات الِحرار» بكسر الحاء أيضاً . ويغلب على الظن أن نسخة الخضراوي منقولة عن نسخة الشنقيطي السابقة وإن لم يصرح ناسخها بذلك فانه اقتصر على القول بأنه كتب نسخته من الديوان عن نسخة بالخط المغربي الرديء الذي يصعب على المشارقة قراءته

والذي يؤيد هذا الظن أن الشنقيطي كتب نسخته بمكة سنة ١٢٨٨ هـ والخضراوي كتب بعده بسنة بمكة أيضاً وأن نسخة الخضراوي تشتمل على جميع التقييدات التي على نسخة الشنقيطي بنصها كما يلاحظ الاتفاق التام بين النسختين في ضبط بعض الكلمات فما كان مضبوطاً من هذه فلابد وأن يكون مضبوطاً في تلك بنفس الشكل

وأظن أن ما تقدم كاف في الاستيثاق من صحة رواية «العبرات الحرار» وأستاذنا المغربي عليم بأن عدم ذكر الحرار جمعاً لحارة في المعاجم التي بين أيدينا لا يدل على عدم وروده

برهان الدين محمد الداغستاني

(١) في الوجه الثاني من الورقة ٤٣ من الديوان

---

في ذروة جبل إيدا ، وقر رأيهم على أن يذهب هرمز فيأتي ببنات دانوس ، الأزوج لنسيوس ، ثم يذهب بهن إلى المنفى ... الى هيدز ... إلى أعماق الجحيم ... حيث يكلفن بملء جرار مثقبة من نهر شيرون ، لا تمسك الهل ... إلا كما تمسك الماء الغرابيل ... فاذا جد بهن السير ، ونال منهن النصب ، وجلسن على عدوة النهر يستجمعن ... أمطرتهن السماء ناراً ... فهرولن إلى النهر ليأخذن في ملء الجرار ... ولن تمتلىء الجرار ولو صب فيها أشيرون كله....

دريني خشبة

## المعجم الوسيط

### تأليف الهيئة الرسمية لوضعه

وقع حضرة صاحب السعادة محمد على علوبه باشا وزير المعارف العمومية قراراً وزارياً بتأليف الهيئة التى يعهد إليها بوضع معجم فى اللغة العربية ، وهى تتألف من لجنتين تمثل إحداهما وزارة المعارف والثانية المجمع الملكى للغة العربية

وهذا نص القرار :

بعد الاطلاع على القرار الذى أصدره المجمع الملكى للغة العربية بتاريخ ٢٧ فبراير سنة ١٩٣٦ وبناء على الاتفاق الذى تم مع معالى رئيس المجمع على اختيار لجنتين تمثل إحداهما وزارة المعارف وتكون الأخرى ممن ندبهم المجمع لتعمل اللجنتان معاً على وضع ( المعجم الوسيط ) فى اللغة العربية

قرر : —

المادة الأولى : تؤلف الهيئة التى يعهد اليها بوضع معجم فى اللغة العربية يسمى ( المعجم الوسيط ) على الوجه الآتى :

أولاً — أعضاء اختارتهم وزارة المعارف العمومية :

الدكتور طه حسين بك — الأستاذ بكلية الآداب

الأستاذ خليل مطران

الدكتور أحمد عيسى بك

الدكتور محمد والى — الأستاذ بكلية العلوم

ثانياً — أعضاء ندبهم المجمع الملكى للغة العربية

أحمد العوامرى بك

الأستاذ أحمد على الاسكندرى

على الجارم بك

المادة الثانية — يراعى فى وضع هذا المعجم ما يأتى : —

١ — أن يكون ترتيبه على خير نمط بحيث لا يقل نظامه عن أحدث المعجمات الأجنبية وبحيث تسهل فيه المراجعة على الطلاب الذين لم يعتادوا المراجعة فى المعجمات القديمة . ويتبع فى ترتيب مواده طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة

٢ — وأن يتبع فى شرح ألفاظه أسلوب واضح جلى يلائم العقلية الحديثة ويؤدى إلى تصور المعنى على أدق وضع وأسهله

٣ — وأن تحقق فيه أسماء النباتات والحيوانات وغيرها بقدر الامكان مع الاستعانة بالخبراء فى هذه العلوم عند ما تدعو الحاجة

٤ — وأن تصور فيه الأشياء أو أجزاؤها مما يحتاج شرحه إلى تصوير ولا يكفى الوصف البيانى فى إيضاح حقيقته

٥ — وأن يؤتى فيه بأمثلة غريبة من أفصح الكلام وأبلغه من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والتراكيب العربية البليغة والشعر العربى . وذلك عند كل مناسبة لتوضيح استعمال اللفظ مع الاشارة بقدر الامكان إلى عصور ما استشهد به

٦ — وأن يفصل فيه بقدر الامكان بين المعانى الحقيقية والمجازية فى المادة مع تقديم الحقيقة على المجاز

٧ — وأن يشار فيه أحياناً إلى التقلبات التاريخية التى انتابت بعض الكلمات فغيرت من معانيها بتغيير العصور

٨ — وأن يختار من الكلمات التى أقرها المجمع فى الشؤون العامة والعلمية ما يتفق أعضاء الهيئة على ملاءمته لما يتسع له هذا المعجم

٩ — وأن تكون مواد المعجم من الألفاظ العربية الصحيحة أو مما عربته العرب

١٠ — وأن يشتمل على ملحق بالمشهور من أعلام الأشخاص والأماكن مع مراعاة ما أقره المجمع فى هذا الشأن

١١ — وأن يشتمل على اصطلاحات العلوم والفنون والآداب عند العرب

١٢ — وأن يترك فيه الغريب المهجور إذا أغنى عنه مرادفه الصحيح

١٣ — وأن يضبط ضبطاً دقيقاً لا محل فيه للبس

المادة الثالثة — تبدأ هذه الهيئة عملها اعتباراً من أول مايو سنة ١٩٣٦ على أن تتمه فى ثلاث سنوات على الأكثر وتمنح أعضاؤها مكافأة نظير قيامهم بهذه المهمة

## ترجمة معانى القرآن

قرر مجلس الوزراء بالموافقة على ترجمة بمعانى القرآن الكريم : ونص قراره :

بعد الاطلاع على كتاب فضيلة شيخ الأزهر وكتاب سعادة وزير المعارف العمومية بشأن ترجمة معانى القرآن الكريم

ومع تقدير مجلس الوزراء لمشقة هذا العمل وصعوبته ومنعاً لاضرار التراجم المنتشرة الآن رأى بجلسته المنعقدة فى ١٦ ابريل

سنة ١٩٣٦ الموافقة على ترجمة معانى القرآن الكريم ترجمة رسمية تقوم بها مشيخة الجامع الأزهر بمساعدة وزارة المعارف العمومية وذلك وفقاً لفتوى جماعة كبار العلماء وأساتذة كلية الشريعة

**الشعر القبطى القديم**

ألقى الدكتور هرمن يونكر مدير معهد الآثار بالجامعة المصرية ومدير المعهد الألمانى للآثار المصرية محاضرة فى « الشعر القبطى القديم » هذه خلاصتها :

يرجع الشعر القبطى الى القرن التاسع بعد الميلاد ، وهو شعر شعبي وطنى لا أثر له فى الكتب الثمينة والدواوين الأدبية ، بل يوجد فى كراسات متفرقة من الورق ، وهو يمثل روح الشعب وعقليته ، وتظهر فيه جلياً الروابط التى تربطه بشعر العصور الفرعونية كما تظهر علاقته بألحان الشعب فى العصر الحاضر

ويؤلف الشعر القبطى من قصص للعامة مثل أغانى الفلاحين وهم يؤدون أعمالهم ، وأناشيد تتلى فى أيام الأعياد . وهو على مثال الشعر الفرعونى لم يتقيد بقاعدة القوافى ؛ وأبياته لم تراع فيها قواعد الوزن المتبعة فى الشعر العربى أو اللاتينى فهو غناء نسق روعى فى كل بيت منه انسجام خاص فى الكلمات والتوقيع يوصل إلى نغمة موسيقية ، وهذه الطريقة نفسها المتبعة فى شعر مصر القديمة

وكانت الأشعار القبطية تلقى بطريقة موسيقية على ألحان متعددة لكل لحن اسم ، وكان هذا الاسم مكوناً من الكلمات الافتتاحية لأغنية مشهورة ( مثلا : الباب ، الحديقة ، ممعت السر المقدس ... انظر إلى فوق ... ) كما تلقى اليوم أغانى العامة على وزن موال كذا وكذا .

وكانت الأغانى فى أغلب الأحوال مؤلفة من دورين فى كل دور أربعة أبيات ، وكانت بين الدورين رابطة معنوية ، فكان الدور الثانى مثلاً يحوى ردا على سؤال ورد فى الدور الأول ، وتوجد أيضاً قصائد تمثيلية تشتمل على مقدمة ثم نشيد للمغنى ، وبعد ذلك دور غنائى غير موزون ، يليه رد الجمهور ، وكانت تكرر هذه السلسلة مرة أو أكثر على حسب موضوع القصيدة

وفى أحوال أخرى توجد قصائد تشبه كل الشبه الروايات التمثيلية الغنائية فيلقى كل ممثل فى دوره دورا غنائياً كما يرى فى رواية « اركليتيس ووالدته »

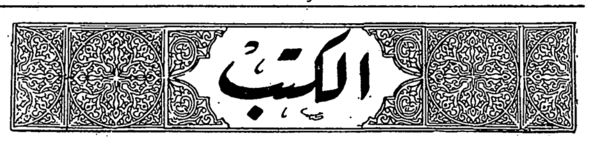
**معاهدة ثقافية**

عقدت أخيراً بين فرنسا والنمسا معاهدة ثقافية لتقوية الروابط والصلات الثقافية والفنية والاجتماعية بين الأمتين ، خلاصتها أن تتبادل الحكومتان الآثار العلمية والفنية ، وأن تتبادلا إقامة المعارض الفنية وتنظيم الحفلات الموسيقية والتمثيلية كل فى بلد الآخر ؛ وقد نص أيضاً على أن المعهد الفرنسى الفنى الذى أنشىء منذ حين فى مدينة فينا يجب توسعته وتنظيمه ، بينما تنشىء النمسا معهداً نمسوياً مماثلاً فى باريس ؛ كذلك نص على أن تتبادل الحكومتان انتداب العلماء والأساتذة كل فى النواحى التى تحتاج فيها إلى معاونة علمية من الطرف الآخر ، وأن تنظم كلتاهما كل فى بلد الآخر رحلات علمية ورياضية لطلبة المدارس الثانوية ، هذا إلى تفاصيل أخرى ترمى كلها إلى تقوية الصلات العلمية والاجتماعية بين البلدين

هذا ومن المعروف أن النمسا قد عقدت مثل هذه المعاهدة الثقافية من قبل مع المجر وإيطاليا ؛ وهى تبغى من وراء ذلك الى كسب المعاونة الخارجية للاحتفاظ بمستوى ثقافتها ؛ وهى تبذل فى ذلك السبيل جهوداً عظيمة داخلية وخارجية

**وفاة علامة كبير**

من أنباء السويد أن الطبيب والعلامة المجرى الشهير الدكتور روبرت بارنى قد توفى فى أوبسالا فى الستين من عمره ، وكان مولده فى المجر سنة ١٨٧٥ ؛ ودرس الطب فى فينا ، ثم زاول مهنته فيها أعواماً طويلة ، واشتهر بالأخص بالتخصص فى أمراض الأذن وجراحتها ، وفى أثناء الحرب الكبرى انتظم فى سلك الجيش ، وحارب فى الميدان الشرقى ، ووقع فى أسر الروس ، وأمضى فى الأسر حيناً فى روسيا . ولكن حكومة السويد تدخلت فى أمره تقديراً منها لكفاياته العلمية ، وسعت لدى روسيا حتى أطلق سراحه ، وانتدبته الحكومة السويدية للتدريس فى جامعة أوبسالا ، وفى أثناء الحرب أيضاً منح الدكتور بارنى جائزة نوبل للطب ، وأضحى علم الأعلام فى طب الأذن ؛ وله فى هذا الميدان بحوث علمية شهيرة ؛ وقد أنفق حياته منذ إطلاقه من الأسر كلها فى السويد حتى توفى فيها



# نابليون : المائة يوم

للسنيور موسوليني والسنيور فورزانو

نقلها إلى العربية الأديب يوسف تادرس

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

ما زال عظماء الرجال موضع تفكير الانسانية وبحثها ، ومهما كتب الكتاب في عظيم لم يستوعبوا أسراره بل تبقى في نواح منه مواضع فسيحة للأجيال المقبلة وبحثها ، ولقد كان نابليون أعظم من ظهر في الإنسانية في تلك القرون الأخيرة من رجال الحرب والسياسة ، ولئن نفس عليه الأدباء عظمته وأبوا عليه الزعامة فيهم ، فلن يستطيعوا أن ينكروا أنه قد كان أديباً ، وأنه كان شاعراً ، لا بأنه كتب الكتب وألف القصائد ، بل لأنه كان له فن الكاتب وخيال الشاعر . ولقد حاول أن يجول في ميادين الأدب الخالص كما حاول من قبله قيصر ، فلم تترك له مشاغل المعمعة ومشاكل السياسة فراغاً لذلك

وقلما تجد لغة من اللغات الحية ليس فيها ذكر لذلك الرجل العظيم ، ولم تكن القصة مقصرة في ذلك عن التاريخ ، فان كتاب القصص وجدوا في حياته مواطن كثيرة يخرجون منها إلى خيال رائع أو تحليل بديع . فقد كان نابليون على شهرته وتطلع العيون اليه محاطاً بجو من الغموض يجعل في حياته مسارح لقناص الرواية وصيادي الحكاية

وقد اختلفت نظرات الناس في نابليون اختلافاً لا ينم عن شيء تميمته عن عظمته واتساع شخصيته . ولكن لم يكن في مقدور البشرية أن يدرك شخص كنه شخص آخر . فما زال تقدير الناس لنابليون تقديراً يقرب بهم الى الحقيقة ولا يلمسها . فكل من كتب فيه قارب ولم يصب ، ودنا ولم يصل . غير أن بعض الواصفين أقدر من بعض على قصد المرمى وبلوغ المدى ، وذلك أن يكون الواصف فيه شيء من طباع الرجل وخلقه وآرائه . فاذا تحقق ذلك كان الوصف أدنى ما يكون من الحقيقة

وقد كتب هذه القصة التي بين يدينا الآن رجل عظيم تدنيه من نابليون علاقات كثيرة ومشابهات متعددة وذلك هو موسوليني ، فكلاهما إيطالي ، وكلاهما رجل حرب ، وكلاهما رجل سياسة ، وكلاهما فيه هذه المغناطيسية العجيبة التي تخلق الأصدقاء المخلصين والأعداء المتحمسين ، وكلاهما انحنت له هامات كبيرة وعقول حصيفة . فاذا كتب موسوليني قصة عن نابليون ، كان أليق الناس أن يصف نبضات قلبه وخلجات صدره . وها هي هذه القصة تدل على ذلك أكبر الدلالة

يظهر نابليون في هذه القصة عقب أسره الأول وارساله الى جزيرة « البا » ويظهر فيها في فترة المائة يوم إلى أسره الأخير وإرساله إلى « سنت هيلانة » ولعمري لهي أيام القصة من حياة نابليون . هي الأيام التي تتجلى فيها مأساة بشرية رائعة :

دسائس ثائرة حوله ، ومجهودات جبارة تحاول صد تيار آتي فتصرع دونه ، وأصدقاء يفر بعضهم ويثبت أقلهم ، ثم أنانية لا تنظر إلا إلى النفس ونفعها أو خلاصها ، والرجل العظيم في وسط ذلك كله تنعكس فيه كل تلك العيوب وتشع منه كل تلك البواعث

صور موسوليني نظام الحكم وأسسه ، ونطق عن لسان نابليون في تصوير عيوب الدمقراطية واحتقارها فقال :

نابليون — « . . . . . عند ما أبرح باريس إلى الميدان ، لا أريد أن يهاجمني البروسيون والانجليز في وجهي بينما يطعنني مجلس النواب الفرنسي من خلف »

فوشيه — « مولاي إن المجلس هو الأمة »

نابليون — « ( ترتفع نبرات صوته ) لا ... ليس هو الأمة ( يبحث في مكتبه كالمحموم ) إن صانع البنادق في مارسيليا الذي وهب لنا مائة بندقية ، وصانع السروج الفقير في بولون سيرمار الذي قدم ثمانين سرجاً للفرسان ، وعمال فنسول

وفلاحى أرجون الذين حفروا الخنادق وأبوا أن يتناولوا أجرا ، وجنود الفرقة التاسعة والسبعين الذين رفضوا الرشوة لأنهم عقدوا العزم على أن يتبعونى ... وكل امرأة كنت أنتظر منها رسالة استجداء فاذا بى أتسلم بدلاً من ذلك رسالة تقدم فيها ما ادخرته من مال . ( يرميهم لفة مربوطة بشريط وسام جوقة الشرف ) هذه هى الأمة يا مسيو فوشيه ، وليس الحماة من الحامين الذين يستطيع أربعة من رجال حرسى أن يفرقوهم بمؤخرة بنادقهم »

وصور موسولينى شخص نابليون فلم يترك دقيقة لم يصورها : رجل ينام فى أى وقت شاء ، ويدرك فى دقيقة ما يفوت الافهام فى ساعات . فاذا عزم فانما عزيمة البرق ، وذلك حتى بعد أن فل حده وترهل جسده وضعفت عزيمته بعض الضعف . ثم صوره والداً تغلبه العاطفة وزوجاً يذكر حبه الأول ويحنق على زوجة خائنة حنقاً مكتوماً وإنساناً يتعذب ولكنه يحتمل العذاب والأحقاد احتمال الجبار

ثم صور موسولينى الموقعة الأخيرة ، فكان فى وصفه القائد الواقف على نشز من الأرض يرقب جنوده من منظاره ويحرك الفيالق عن علم ودراية ، حتى لكأننا ننظر من ثنايا وصفه ميدان « كاترىا » و « واترلو » . ونسمع أصوات القواد والساسة فى مفاوضاتهم بعد النصر الأخير

فالقصة مثل رائع من أمثلة التأليف القصصى التاريخى ، يكاد الانسان لا يبصر فيها موضع القصص لصدقها التاريخى ، ويكاد لا يلمح التاريخ لصدق تصويرها القصصى

وقد أحسن حضرة الأديب يوسف أفندى تادرس الناقد المسرحى لجريدة السياسة الغراء ، فى إخراج هذه القصة الى اللغة العربية التى ما كان لها أن تفقد قصة موضوعها نابليون ومؤلفها موسولينى . وقد نقلها عن الترجمة الانجليزية للشاعر الانجليزى المعروف « جون درنكووتر »

وقد قرأت التعريب كما قرأت الترجمة الانجليزية التى عربها المعرب ، فاذا بى حيال قصة عربية سلسة حلوة الأسلوب سهلة اللفظ ، قد أبرز المعرب روحها إبرازاً لم يدع فيها موضعا لغموض مع الصحة والدقة

فعلينا أن نشكر لحضرة المعرب الأديب مجهوده المظيم الذى أضاف به كنزاً كهذا إلى اللغة العربية الجيدة

محمد فريد أبو حديد

## مكتبة القراءة والثقافة الادبية

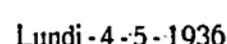
بقلم الدكتور أحمد فريد رفاعى
مدير ادارة المطبوعات

لا حاجة بنا أن نقدم إلى القراء الدكتور أحمد فريد رفاعى فهو ذو الشهرة الطائرة والصوت البعيد فى عالم الأدب ، وفى طليعة الجمهرة المستنيرة المثقفة فى مصر ، يجمع إلى نشاطه الوثاب عزيمة لا تفتر وهمة لا تكل ، وهو جد معنى بأن يظهر أبناء العربية على طريف البحوث وشائق التآليف فى مختلف مناحى الثقافة العربية ، فقد أصدر منذ سنوات قليلة مؤلفه الكبير « عصر المأمون » ونال ما يستحقه من الرضا والاقبال ، كما أصدر سلسلة « الشخصيات البارزة » ؛ وها هو ذا الآن لا يشغله منصبه الرسمى الكبير عن أن يتحف أبناء العربية بسلسلة جديدة فى أربعة أجزاء تشمل دراسة موضوعات مختلفة فى الثقافة العربية أصدرتها مطبعة المعارف فى حجم لطيف وهى « المقدمة ، والتعقيب ، والتذييل ، والتعليق » وهى تشمل بحوثاً مستفيضة فى نواح مختلفة تلذ خفاً وتنفع حقاً ، فمن حديث عن حاجة العربية الى التجديد ، الى كلام عن فن القراءة ، الى درس البرامج الدراسية العربية والأفرنجية ، الى مطلب عن القراءة ، الى حديث عن موقف المؤلف بين العربية والانكليزية ، الى فذلكات عن ابن الجوزى والبغدادى وياقوت الحموى والفارابى وابن سينا وقيس بن رفاعة والزجاج وابن مسكويه وعمر بن الخطاب وأبى موسى الأشعرى وأبى عبيدة الجراح ومعاذ بن جبل وأبى حيان والأشتر النخعى والبصرى والمهدى وطاهر بن الحسين وابن طيفور والصابى وابن زيدون والأسكافى وابن سعيد المغربى وابن صخر الهذلى ، الى غير ذلك من الأحاديث الشيقة والدراسات الممتعة

وقد صدره المؤلف الفاضل بمقدمة بليغة ، شرح فيها غرضه من تأليفه وهو حرصه على توجيه الشباب توجيهاً نافعاً إلى الطريق الأقوم . فعسى أن يكون اقبال القراء عليه مكافئاً لجهده ومحققاً لقصده

(س)

4me Année, No. 148.



Lundi - 4 - 5 - 1936

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

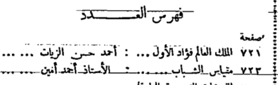
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع البدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٤٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ صفر سنة ١٣٥٥ — ٤ مايو سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــــدد





## الملك العالم فؤاد الأول



سبحانك اللهم مالك الملك ! تدبّر أمرك فى سمو على مدارك العقل ، وتنفذ حكمك فى استقلال عن هوى الناس ! فلا حرص الوالد على وحيده يلطّف قضاءك فيه ، ولا حاجة الشعب إلى مليكه تردّ بأسك عنه . حكمة ضلّت فيها الفطنة ضلال الأفَن ، وقوة ضاعت فيها القدرة ضياع العجز ، وسلطان خضع له المَلِك خضوع السُّوقة !

كان الملك فؤاد رحمه الله مظهراً من مظاهر القدَر فى الأرض . يجلس على عرش من أعرق العروش نسباً فى الملك ؛ ثم يأمر

فيطيع شعب، ويقول فيسمع عصر، ويعمل فيسجل تاريخ. ويقع حكمه في الأمور موضع الإرادة السماوية فيكون شريعة لا تخالف، وعقيدة لا تنكر. وتلك طريقة المُلك بمعناه الشرقي الموروث. تصلح ما دام لها من هدى الله دليل ومن رَوْح العدالة سند؛ وشبل إسماعيل كان ملكاً بنشأته ومصلحاً بطبعه: رُبى تربية ملكية، ونُشِّئ تنشئة عسكرية، وثُقِّفَ ثقافة حديثة؛ ثم تقلب بين ملكية رومة، وخلافة الآستانة، وخديوية القاهرة، فارتسم على صفحة ذهنه صور من كلّ. ولكن عبقريته الفنية وعقليته العلمية ورجولته العملية، جعلت منه ملكاً فيه خصائص المُلك، وليس فيه نقائص الملوك. وإذا قلت إن الشرق لم ير قبل فؤاد ملكاً واسع الإحاطة شامل الثقافة قوى الإدراك لا تبعد عن الصدق.

كانت مواهب الأمير فؤاد تأبى عليه إلاّ أن يكون كخالد ابن يزيد رجلَ علم إن لم يكن رجل مُلك. لذلك لم يصبر طويلاً على أن يكون حاشية للسلطان في مبراى عبد الحميد أو قصر عباس، فعاد فاتبع إحدى سبيلَي المجد؛ وأقبل يذكى النهضة المصرية بالعلم النافع والعمل المنتج والقوة المحركة؛ فكان رئيساً لتسع عشرة جمعية أو مؤسسة ما بين علمية واقتصادية وخيرية، كلها من اقتراح رأيه أو من ثمرة سعيه. فلما بوّأه الله عرش مصر في ساعة مضطربة وحالة مبهمة، كان يرى لطول ما خبر الشعب، وكثرة ما عالج الأمور، ووفرة ما عرف من الوسائل، وكفاية ما تزود للإصلاح، وقوة ما ضمن لتوزيع العدل، أنه أول الناس وأولى الناس بقيادة أمته في أشد مراحلها تعرضاً للضلال والخطر؛ وهذه القيادة نوع من أنواع الحكم المطلق، يعتمد على وحى العقيدة وإخلاص الرأى كالخلافة، أكثر مما يعتمد على استبداد الزعامة وقوة الجمهور كالدكتاتورية. ومن ذلك كان منشأ النزاع الثلاثي الذي قام بين العرش والاحتلال والدستور حيناً على حين؛ ومن طبيعة هذا النزاع أن يتجاذب أطراف الأعنة الثلاثة فتنبسط لتنقبض، وتتسع لتضيق، ولكن القوة التى كان الملك يستمدها من صبره وحكمته وجرأته وخبرته وذكائه كانت في الكثير الغالب تشد الطرف الراجح إلى يده، فيسير في الإصلاح بالقدر الذى يبقى على هذا التجاذب من الإمكان والقدرة. ومع ذلك كان التقدم في عهده على محافظته وأناته محسوس الأثر؛ فلقد تعهد منابت الثقافة فغذاها بعونه، وتفقد منابع الثروة فرفدها بعنايته، وبسط رعايته على كل أمر من أمور الدولة وكل شأن من شئون الأمة حتى لا تجد عملاً من الأعمال العامة إلا كان فيه بسطة من لسانه أو يده

ولعل أشرق وجوه الإصلاح في عهد المليك الراحل ما اتصل منها بالجمعيات الاقتصادية والمؤسسات العلمية والمؤتمرات الدولية والمتاحف الأثرية والمرافق العامة؛ أما الأعمال الفردية والجهود الأدبية فكان نصيبها من حكمه السعيد كنصيبها من حكم جده الأعلى محمد على. على أن عناية المليك المعظم بها قد بدت بواكيرها المرجوّة في مثل بنك التسليف ومجمع اللغة؛ فلو مد الله في عمره الحافل المبارك حتى تنضج لكان عصره أشبه بعصر لويس الرابع عشر

كان الملك فؤاد بالرغم من عوامل نشأته، وعلى النقيض من ميول أبيه، شديد التعلق بدينه، قوى الحرص على شرقيته؛ يكره أن يجعل من مصر قطعة من أوربا، ويحب أن تظل دولة إسلامية شرقية لها تقاليدها الخاصة، وأسانيدها المتصلة، وسماتها المميزة، فساعد الحجاب، وأيد الطربوش، وعضد الدين في كل خلاف بينه وبين التطرف؛ وكان من ذلك شيء من التصادم المكبوت بين الرغائب الوثابة الشابة، وبين هذه الأناة الملكية الحكيمة

إن من العسير على المنطق النزيه أن يحكم اليوم على أعمال مليكنا العالم العامل الكفء، فإنها إنما بدت للناس على ألسنة رجال البلاط، وعلى أيدى رجال الحكومة؛ والبلاط قد يتأثر بشهوات الناس، والحكومة قد تتأثر بنزوات الساسة. ومهما يقل التاريخ في العصر الفؤادى فسيسجل بالخط البارز أنه عصر الرخاء للنيل، وعهد الاستقلال للأمة، وفجر النهضة في مصر

عز الله مصر عن ملكها العظيم الفقيد، وبارك الله لمصر في ملكها العزيز الجديد

احمد حسن الزيات

# مقياس الشـــباب

## للأستاذ أحمد أمين

أما الأطباء وعلماء الأحصاء فيقدرون الشباب بالسن ، فمن بلغت سنه العشرين أو قبل ذلك قليلا أو بعد ذلك بسنين فشاب وإلا فلا ؛ فتحديد السن هو مقياس الشباب ، كما هو مقياس الطفولة والهرم ، فان شئت أن تعرف المخلوق أطفل هو أم شاب أم شيخ فأغمض عينك وعدّ السنين ، ولا تنظر إلى قوة أو ضعف ، ولا إلى صحة أو مرض

وسار على هذا النمط علماء اللغة ، فقالوا : ما دام الانسان فى الرحم فهو جنين . فاذا ولد فهو وليد ، ثم ما دام يرضع فهو رضيع ، ثم إذا قطع عن اللبن فهو فطيم ، فاذا كاد يجاوز العشر سنين أو جاوزها فهو ناشئ ، فاذا كاد يبلغ الحلم أو بلغه فهو يافع ومراهق ، ثم ما دام بين الثلاثين والأربعين فهو شاب ، ثم هو كهل إلى الستين

ولكن هناك شاعرا أراد أن يخرج على هذه التقاليد ، وأراد أن يقيس الشباب والفتوة بالمعنى لا بالمبنى ، وبالقوة لا بالسن ، فقال :

يا عزُّ هل لكِ فى شيخ فتًى أبدا      وقد يكون شبابٌ غيرُ فتيانِ ؟

فهو لا يريد أن يعترف بأقوال الأحصائيين ، ولا أقوال اللغويين ، فقد يسمى الشيخ شاباً متى حاز صفات الشباب ، وقد يسمى الشاب شيخاً إذا حاز صفات الشيوخ ، فالعبرة عنده فى التسمية الصفة لا السن ، وهى من غير شك نظرة جريئة ومذهب جديد ينظر فيه إلى الكيف لا إلى الكم ، وإلى النتائج لا إلى المقدمات ، وإلى الغاية لا إلى الوسيلة ؛ فاذا عرضتَ عليه رجلا قد ناهز الستين أو جاوزها ، قد لبس فى حياته العمائم الثلاث : السوداء ثم الشمطاء ثم البيضاء ؛ وعرضت بجانبه من يسمونه شاباً ، لم يلبس فى حياته إلا العمامة الأولى . ثم سألت صاحب هذا المذهب : ما قولك دام فضلك فى هذين ؟ هذا أربى على الستين ، وهذا فى سن العشرين . فأيهما الشاب ، وأيهما الشيخ ؟ لم يستسخف سؤالك ، ولم يعده بديهية من البديهيات ، بل عده مجالاً للنظر الطويل والتفكير العميق ، وقال : ليس الأمر بالسن أيها السائل ، فمن رأيته منهما متهدماً قد نضب ماؤه ، وذهب رواؤه ، وذوى عودُه ، وخَوَى عمودُه ، ورق جلده ، وانخرع متنه ، وحطمته اللذات ، وأنهكت قوته الشهوات ، حتى صار لا يحمل بعضه بعضاً ، فهو الشيخ وإن كان ابن العشرين ؛ ومن امتلأ قوة ، وبلغ كمال البنية ، واستوت قامته ، واعتدل غصنه ، وحفظت جدته ، وأحكمت مِرّته ، وتجلت رجولته ، واكتمل نشاطه ، فهو الشاب ولو جاوز الستين . إنما يلجأ إلى السن فى تحديد الشباب والشيخوخة من قصُرَ نظره ، وضعفت قوة حكمه ، وأراد أن يعالج الأمر من أسهل طرقه ، وأقرب مسالكه ، وذلك شأن الغر الأبله ، لا الفيلسوف الحكيم ، ولمَ كنا إذا قسنا العلم وقسنا الكفاية ، وقسنا الخلق والصلاحية للأعمال لم نرجع فى شيء من ذلك إلى السن ، وإذا قسنا الشباب والشيخوخة رجعنا إلى السن ؟ ليست السن مقياس الشباب ، وإنما أحسن أحوالها أن تكون علامة الشباب ، وقد تتخلف العلامة كما حكمنا على الرجل بالعلم لأن لديه شهادة الليسانس فى الآداب أو الليسانس فى الحقوق ، وقد يكون معه الليسانس أو الدكتوراه وليس بعالم ، كما يكون فى سن العشرين وليس بشاب . إن الشباب أو الشيخوخة معنى لا مادة ، وقد علمتنا قوانين الحياة أن المادة تقاس بمادة ، والمعنى يقاس بمعنى . فنحن نقيس الحجرة المادية بالمتر المادى ، ونكيل القمح المادى بكيلة مادية ، ونزن التفاح المادى برطل مادى ، ولكن من السخف بمكان أن تقيس الفضيلة أو الجمال أو القبح بمتر أو رطل أو قدح ، فلم نقيس الشباب وهو معنى بالسن وهى مادة ؟

بل لو تعمقنا أكثر من ذلك لوجدنا أن حسن الرواء وجمال المنظر ومرح النشاط ليست هى القياس الصحيح للشباب ، إنما الشباب مزاج ، هو محصّل لمجموع قوى نفسية ، هو حاصل جمع لصفات خلقية ، إن شئت فقل هو الارادة قوية تعزم العزم لا رجوع فيه ، وترمع الأمر لا محيد عنه ، وترمى الى الغرض لاسبيل إلا اليه ، تعترض الصعابُ فلا تأبه لها ، وتخر السماء على الأرض فلا تتحوّل عنه ؛ قد تعترف بأن هناك عقبة ، ولكن لا تعترف بعقبة كؤود ؛ وقد تقر بصعوبة الامر ، ولكن لا تقر

باستحالته — والشباب هو العاطفة القوية المتحمسة الصحيحة ، ومظاهر صحتها أنها ثابتة فليست « قشاً » تشتعل سريعاً وتخمد سريعاً ، وليست مضطربة تذهب مرة يمينا ومرة يسارا من غير غرض يحدد اتجاهها ، وليست مائعة تحب فتذوب فى الحب ، وتغضب فتجن فى الغضب ، إنما ألجمها بعض الالجام العقل والمصلحة والغرض — والشباب هو الخيال الخصب الواسع الأفق المترامى الأطراف الذى يرسم الأمل ويبعث على الطموح ، ويحمل المرء على أن يتطلب لنفسه ولأمته حياة خيرا من حياتها الواقعية — هذا المزاج الذى يتجمع من إرادة قوية وعاطفة حية وخيال خصب هو الشباب ، وبمقدار قوتها وتلاؤمها تكون قوة الشباب ، وبمقدار نقصها تكون الشيخوخة ، فالشباب موجب والشيخوخة سالبة ، والشباب اقدام والشيخوخة احجام ، والشباب نصرة والشيخوخة هزيمة

وإذا كان الناس قد اعتادوا أن يصطلحوا على علامات للشيب والشباب حسب تفسيرهم الباطل فان لنا علامات أخرى على تفسيرنا الصحيح .

لقد جعلوا الرأس موضع أهم الأمارات ، فسواد الشباب وبياض الشيب أكثر ما دار عليه القول فى الشيخوخة والشباب ، وهو مركز القول فى ذلك عند الأدباء والشعراء ، حتى ألفوا فى ذلك الكتب الخاصة من أشهرها كتاب « الشهاب فى الشيب والشباب » جمع فيه الشريف المرتضى تسعة وثلاثين بيتاً فى الشيب لأبى تمام ، ومائة وأربعين للبحترى ، وثلثمائة وأربعة عشر للشريف الرضى ، وأربعمائة وثلاثة وستين للمرتضى ، وستة وأربعين لابن الرومى . وقد التفت مؤلف هذا الكتاب فى مقدمته إلى فكرة جليلة ، ولكنه لم يحسن تعليلها ، قال : « إن الاغراق فى وصف الشيب والاكثار فى معانيه ، واستيفاء القول فيه ، لا يكاد يوجد فى الشعر القديم ، وربما ورد لهم فيه الفقرة بعد الفقرة ، فكانت مما لا نظير له ، وإنما أطنب فى أوصافه واستخراج دفائنه والولوج إلى شعابه الشعراء المحدثون »

وعلة ذلك فى نظرى أن الحياة فى الجاهلية وصدر الاسلام لم تكن غالية ، كانت تتطلب المجد وتسترخص الموت ، غير أن المجد فى الجاهلية كان مجد الذكر وحسن الأحدوثة والخوف من العار واتباع التقاليد ، وكان فى الاسلام ذلك ، وعند بعضهم الاستشهاد فى سبيل الدعوة وبيع النفوس لله برضاه وجنته ، فليست الحياة تستحق البكاء الطويل عليها . أما فى العصر العباسى فكانت أشبه بحياة الرومانيين ؛ من أهم أغراضها اللهو واللعب ، ومن أهم أغراضها القرب إلى النساء ، والتحبب اليهن ، وذلك يستدعى حب الحياة ؛ فنذر الموت وهو الشيب بغيض إلى النفس ، والنساء يكرهن الشيب فيجب أن يكره ، ويعيرن به فيجب أن يبكى ، ويمدحن الشباب ويحببنه فيجب أن يرثى . لهذا كثر القول فى الشيب فى العصر العباسى وما بعده ، وقل فيما قبله

أما علامات الشباب والشيخوخة فى نظريتنا : فليس موضعها الرأس ، إنما موضعها القلب ، فاليائس شيخ لأن اليأس ضعف فى الارادة وضيق فى الخيال ، وبرودة فى العاطفة ، والشيب شيب القلب لا شيب الرأس ، فمن لم ينفعل لمواضع الانفعال ، ولم يعجب لمواضع الإعجاب ، ولم يستنكر فى مواضع الاستنكار ، ولم يتأزل فى مواضع الكفاح ، ولم يطرب للموسيقى الجميلة والنظر الجميل ، ولم يهتج للأحداث ، ولم يأمل ولم يطمح ، فهو شيخ أى شيخ ، شاب قلبه ، وإن كان أسود الرأس حالكه

إن أردت أن تعرف أشيخ أنت أم شاب ، فسائل قلبك لا رأسك ، هل ينبض بالحب : حب الجمال ، وحب الطبيعة ، وحب الفضيلة ، وحب الانسانية ، وهل ينفعل لذلك انفعالاً قوياً فيهيم ويغار ويدافع ويضحى ؟ هل يتصل قلبه بالعالم فيتلقى أمواجه الأثيرية من الناس ، ومن الأرض ، ومن البحر ، ومن الجبل ، ومن السماء . ثم يلقى بأشعته — كما تلقى — على كل من حوله ، فينفعل ويفعل ، ويتأثر ويؤثر ؛ فهو كالقمر يتلقى من الشمس ضياء وهاجا ويعكسه على الأرض نوراً وضاء ؟ هل يبادل من حوله حباً بحب ، وعاطفة بعاطفة ، وخيراً بخير ، وأحياناً شراً بشر ؟ وهل يترك العالم خيراً مما تسلمه ؟ أو أن قلبه بارد كالثلج ، جامد كالصخر ، لا طعم له كالماء ، ميت كالجماد ، مغلف كالخرشوف ؟

إن كان الثانى فشيخ ، وإن كان الأول فشاب

قالت كَبِرْتَ وشِبْتَ قُلْتُ لها
هــذا غُبَارُ وَقائعِ الدَّهرِ

أحمد أمين

# النهضات القومية العامة

## فى أوروبا وفى الشرق

للأستاذ عبد الرزاق أحمد السنهورى
عميد كلية الحقوق ببغداد

## بقية المحاضرة الثانية

### طرقها فى التنظيم :

وللفاشية طرق للتنظيم . والحكومة الفاشية تتألف من الملك والمجلس الأعلى والوزراء ومجلس الشيوخ ومجلس النواب والمجلس الوطنى للنقابات . ومن وراء هذا الحزب الفاشى على درجة عليا من التنظيم ، وهو القيم على الحكومة الفاشية كما أن الحزب الشيوعى هو القيم على الحكومة البلشفية . ومن وراء هذا وذاك الزعيم . وهو رئيس الحزب الفاشى ، ورئيس المجلس الأعلى ، ورئيس الوزراء ، ورئيس المجلس الوطنى للنقابات . وفى يده تتركز كل السلطات

والجديد فى هذا التنظيم أمران :

الأمر الأول هو أن أعضاء مجلس الشيوخ والنواب لا يأتون بطريق الانتخاب كما فى الدول الديمقراطية ، بل يأتون بطريق التعيين . فأعضاء مجلس الشيوخ يعينهم الملك بناء على ترشيح الحكومة . وأعضاء مجلس النواب يعينهم المجلس الأعلى ، ويصدق على التعيين الناخبون بطريق القائمة . والناخب يصوت لا كفرد سياسى ، بل كشخص اقتصادى ، فيفرق بين أصحاب الأعمال والعمال والقائمين بالأعمال الفكرية

والأمر الثانى هو أن هذه الهيئات المختلفة التى تتألف منها الحكومة الفاشية فيها هيئتان جديدتان لا نظير لهما فى الدول الديمقراطية : المجلس الأعلى والمجلس الوطنى للنقابات . أما المجلس الأعلى فهو اللجنة التنفيذية للحزب الفاشى نجح موسولينى فى إدماجها فى الحكومة الايطالية . ويتألف هذا المجلس من نحو عشرين عضواً يرأسهم الزعيم . وفيهم أعضاء معينون لمدة غير محدودة ، وأعضاء لمدة محدودة ، وأعضاء بحكم وظائفهم . ويختص هذا المجلس بالنظر فى المسائل التشريعية الكبرى ، كسن القوانين الدستورية . وهو الذى تتركز فيه السلطة التنفيذية بعد الزعيم وبين أعضاء الهيئات التى تتألف منها الحكومة الفاشية والحزب الفاشى . أما المجلس الوطنى للنقابات فيتألف من ممثلين لأصحاب رؤوس الأموال وممثلين للعمال ويرأسه الزعيم . وهو ينقسم إلى فروع تتمشى مع النواحى المختلفة للنشاط الاقتصادى . فتمثل فيه الصناعة الكبرى ، والصناعة الصغرى ، والزراعة ، والتجارة ، والنقل ، والمصارف وغيرها . ذلك أن أصحاب رؤوس الأموال والعمال فى كل ناحية من هذه النواحى منتظمون فى نقابات متدرجة من محلية إلى إقليمية إلى مركزية إلى هذا المجلس الوطنى للنقابات ويتناول اختصاصه بنوع خاص توجيه النشاط الاقتصادى فى البلاد

ومن هذا نرى أن الفاشية ، بحكم المبادئ التى تقوم عليها ، والوسائل التى تتذرع بها فى العمل ، والطرق التى تتبعها فى التنظيم ، خصم للاشتراكية من جهة ، وللفردية من جهة أخرى ؛ فوقفها بالنسبة للفرد موقف وسط ، لا تدمجه فى الدولة كما تعمل الاشتراكية ، ولا تطلق له الحرية كما تفعل الفردية

### النازية :

وإذ فرغنا من التحدث عن الفاشية فى إيطاليا نقول كلمة موجزة عن النازية فى ألمانيا . وحتى نختصر الطريق نكتفى فى الكلام على النازية بأن نقارن بينها وبين الفاشية ، فالحركتان تتفقان فى المبادئ ووسائل العمل . ذلك لأن النازية تقدس القومية ، ولكن القومية عندها لا تقوم على رابطة الوطن كما فى الفاشية ، بل تقوم على رابطة الجنس . فالجنس الجرمانى كله ، لا الأمة الألمانية وحدها ، هو الذى يجب أن يتحد . والنازية كالفاشية توفق ما بين المبادئ الاشتراكية والنزعة الوطنية ، فهى وطنية اشتراكية ذات صبغة عملية . والنازية كالفاشية لا تؤمن بالجامعات الدولية ، فهى ترى عصبة الأمم جامعة خيالية ، وتقيم حرباً عواناً على البلشفية . وقد انتظم هتلر الشيئين فى خطبته التى ألقاها منذ شهر عقب الحوادث السياسية الأخيرة ، فهو يقول : « إن الأمم كانت فريسة للخيالات والأوهام عند ما آمنت بعصبة الأمم ،

وإن السلام الذي كان يجب أن يكون حجراً يقفل به ضريح الحرب إلى الأبد أصبح مباءة تنمو فيها بذور ارتباكات جديدة، وإن الثورة الشيوعية لم تقتصر على وضع طابعها على امبراطورية من أعظم الامبراطوريات في العالم، بل اتجهت أيضاً إلى الشعوب المجاورة. فهناك جيوش مؤلفة من ملايين من الرجال تذهب إلى الحرب لاشعال ثورات عالمية من أجل الشيوعية، وتجند هذه الملايين بدعوى السعي إلى إبطال الحروب...»

والنازية كالفاشية تجعل الحكم للأقلية الصالحة، ويقول هتلر في هذا المعنى: «نريد رجالاً قليلين من الطبقة الحاكمة الجديدة، هم الذين يؤمنون بأن لهم الحق في أن يحكموا لتفوقهم، ويبسطون سلطانهم دون تردد على السواد من الجماهير». على أن هذه الأقلية الحاكمة تدين كلها بالخضوع والولاء للزعيم الأكبر

والنازية كالفاشية في نزعتها الاستعمارية العسكرية. فهي تذهب إلى أن العلم الحديث يولد إيماناً لا يتزعزع في القيمة الخلقية العليا للحرب. ويقول الدكتور جوبلز: «إذا حاولت أن تقمع الحرب، فإنك تكون كمن يحاول أن يقمع حركات الطبيعة»

والنازية كالفاشية في الظروف التي نشأت فيها. فقد قامت النازية عقب خروج ألمانيا من الحرب مهزومة. وكان للاضطرابات التي أحدثها الاشتراكيون الألمان، والاضرابات التي نظموها، أثر حاسم في هذه الهزيمة. وقد سام الحلفاء المنتصرون ألمانيا المهزومة في شروط الصلح خسفاً جرح كبرياءها، وفي وسط هذه الغيوم المتلبدة سطع نجم مؤسس النازية، بعد أن أقام حركته لمقاومة البلشفية، ولانقاذ الوطن الجرماني، وبعثه من جديد

والنازية كالفاشية أخيراً في شخص الزعيم. ففي إيطاليا موسوليني القائد المحرك (Duce)، وفي ألمانيا هتلر القائد المرشد (Tührer)، هذا وراءه النازي فرقاً منظمة وهم ذوو القمصان السمراء، وذاك وراءه الفاشستي أي فرق الكفاح، ذوو القمصان السوداء. وقد لجأ الرجلان إلى أساليب واحدة في تنظيم معسكريهما: خضوع مطلق لسلطان الزعيم، ونظام عسكري دقيق، وروح وطنية حربية، وشبان يحتشدون بالألوف، ويدخلون أفواجاً في هذا الدين الجديد. وكل من الفاشية والنازية دين ينطوي على إيمان عميق. ولهذا الدين فرائضه ومناسكه، تتمثل أوضاعاً ورسوماً، فمن حركات عسكرية، إلى أعلام خفاقة، إلى إشارات رمزية، إلى شارات موضوعة، إلى أناشيد محفوظة، إلى لباس خاص

والرجلان قد رزقا موهبة الخطابة وقوة البيان، والقدرة على اجتذاب شعور الجماهير. وهما إنما يبشران بدين وإيمان، وقوة الايمان يغذيها سحر البيان. والرجلان من رجال العمل لا من رجال الفكر، فهما لا يترددان ولا يتمهلان، بل يسيران قدماً إلى الأمام

والرجلان يتشابهان نشأة وتربية وقوة وسطوع نجم. نشآ في التربة والمسغبة، موسوليني أبوه حداد، وهتلر أبوه مستخدم صغير في الجمارك النمساوية. وعاش الاثنان عيشة الكفاف ثم هجرا بلديهما، فذهب موسوليني إلى جنيف، حيث اشتغل عاملاً فبناء، وذهب هتلر إلى ڤينا، حيث اشتغل عاملاً فرساماً. وقد تربى كل منهما في مدرسة واحدة، هي مدرسة البؤس والشقاء، تلك المدرسة التي كثيراً ما تنبت عظماء الرجال. فتعلما فيها صلابة العود، وقوة العزمة، ومجالدة الفاقة، ومنازلة الأخطار، وخرج كل منهما قوي الشكيمة شديد المراس. وأتمّا تربيتهما معاً في مدرسة أخرى، هي مدرسة الحرب الكبرى، إذ تقدم كل منهما إلى هذه الحرب، فخاض غمارها، واصطلى بنارها، وعانى أهوالها، وجرح في معاركها، وأبلى فيها بلاء حسناً، وخرج منها وقد استكمل النضوج، واستوفى الرجولة، وسار إلى ما هيأته له الأقدار

وأسس موسوليني أول فرقة للكفاح (fascio di combattimento) في ميلان سنة ١٩١٩ من مائة وأربعين رجلاً، وتزايدت فرق الكفاح، ونظمت تنظيماً عسكرياً دقيقاً، فأمكنه أن يحشد بعد ثلاث سنوات مائتي ألف من الرجال، استولوا على إيطاليا الوسطى وسبعين ألفاً زحفوا على روما، وقبضوا على ناصية الحكم بالقوة. وهو الآن في قصر ڤينيسيا يصرف أقدار أمة كبيرة ويحكمها حكماً دكتاتورياً. وذهب هتلر بعد الحرب إلى مونيخ، وهناك انضم إلى حزب صغير غير معروف، فأخذ يقويه، وينفخ فيه من روحه حتى حشد فيه الآلاف من الرجال. وسجن عقب إخفاقه في

ثورة أراد بها قلب الحكم فى بافاريا ، وكتب فى السجن كتابه الذى أسماه : « جهادى Mein Kampf » ولما أطلق سراحه ، جمع شتات حزبه وكان قد تفرق . وعاد إلى الجهاد ؛ ثم أخذ يستولى على مشاعر الأمة الألمانية شيئاً فشيئاً ، حتى ضمها تحت لوائه ، وأصبح الآن هو المسيطر على سبعين مليوناً من البشر من أعظم الشعوب وأرقاها ، يخضعون لاشارته ، ويدينون له بالولاء

بقى أن نقول إن الفاشية والنازية تنازلان البلشفية بنفس سلاحها . فهما كالبلشفية تحكمان حكماً دكتاتورياً ، وهما كالبلشفية أيضاً تخضعان النظام السياسى للنظام الاقتصادى . والمعركة قائمة بينهما وبين البلشفية ، فأى المعسكرين يكتب له الانتصار ؟ هذا هو السر المخبوء فى عالم القدر . على أن الحوادث السياسية الأخيرة وبنوع خاص تلك المحالفة التى عقدتها فرنسا مع روسيا البلشفية والتى أثارت سخط خصوم البلشفية حتى بين الفرنسيين أنفسهم ، قد تعجل بالمعركة الفاصلة ، وقد تغرق أوروبا من جديد فى بحار من الدماء

على أنه سواء تغلبت البلشفية فى المعركة القادمة ، أو انتصرت الفاشية والنازية ، فالواقع من الأمر أن كلا الخصمين مشبع بروح الدكتاتورية البالغة فى التطرف ، وأن الصريع بينهما هى الدمقراطية على كل حال . وقد صار واجباً على الدمقراطيين أن يراجعوا أصول الدمقراطية من جديد ، حتى تتمشى مع ما يقتضيه هذا التطور السريع .

***

والآن وقد انتهينا من استعراض الحركتين الفاشية والنازية وانتهينا بذلك من استعراض النهضات القومية فى أوروبا منذ العصور الوسطى إلى الآن ، نختم هذه المحاضرة بإيراد بعض النتائج العامة التى نستخلصها من تطور هذه النهضات ، ونكتفى منها بثلاث :

النتيجة الأولى : هى أن رابطة الدين التى كانت تسود فى العصور الوسطى قد زال سلطانها فى العصور الحديثة . وقد انفصلت الكنيسة عن الدولة . ولا نعنى بذلك أن سلطان الدين قد زال من القلوب ، فإن الانسانية لا غناء لها عن الدين مهما بلغ حظها من التقدم . ولكن عرش الدين مكانه القلوب والضمائر . أما الروابط الاجتماعية فتتصل بالدين من جانبه الاجتماعى ، لا من جانبه الاعتقادى

والنتيجة الثانية هى أن الفرد فى أوروبا لم يتحرر إلا بعد أن تحرر المجموع . والدمقراطية التى حررت الفرد لم تقم إلا بعد أن تدعمت الوطنية التى حررت الأمم . وليس فى هذه النتيجة العملية خروج على المنطق ، ولا انحراف عن طبيعة الأشياء ، فالفرد جزء من المجموع ، فكيف يكون الجزء حراً إذا كان المجموع مقيداً فى ربقة الأسر ؟

والنتيجة الثالثة والأخيرة هى أن القوميات فى أوروبا عندما تكونت أسرفت فى التعصب ، وتطرفت فى الاستئثار . وتقهقر الجانب الايجابى من الوطنية ، وهو حب الانسان لوطنه أمام الجانب السلبى وهو بغضه للأوطان الأخرى ، وحل التعصب للدين ، فكان من ذلك أن هزت الحروب أركان أوروبا ، واندلعت نيران التعصب للوطن بعد أن نشأت الوطنية وترعرعت ضيقة هوجاء ، وأصبحت لا تتسع للاندماج فى روابط الجنس والدم . وتعانى أوروبا الآن من تقطع وشائج القرابة ما بين الأمم الأوروبية ما تقف أمامه عصبة الأمم عاجزة دون حول . فما كان أولى رابطة الوطن أن تتوثق فى ظل رابطة الجنس : وما كان أولى رابطة الجنس أن تتوثق فى ظل رابطة أوسع ! وهكذا تدعم كل رابطة أختها ، فتحقن الدماء ويسود السلام ؟

عبد الرزاق أحمد السنهورى

صور من القرن الثامن عشر

# ٤ – جاكومو كازانوڤا

## جوّاب مجتمع ومغامر مرح

خاتمـــة البحث

للأستاذ محمد عبد الله عنان

---

والآن وقد استعرضنا سيرة ذلك الجوّاب المرح والمغامر الجرىء ، نحاول أن نستعرض جوانب شخصيته ومناحى نفسه ، وأن نقرأ فى حوادث حياته لمحة من خلال العصر الذى عاش فيه :

كان القرن الثامن عشر عصر تطور فكرى واجتماعى عميق ، وكان أيضاً عصر انحلال فكرى واجتماعى ، وكان المجتمع الأوربى القديم ينحدر ويمشى إلى نوع من الخمول والدعة ، ويجنح إلى تذوق متاع الحياة المادى بكل ما وسع من رغبة وهوى ؛ وكان كازانوڤا يمثل روح عصره وخواص عصره ، بل كان يمثل رذائل عصره أتم تمثيل وأصدقه ؛ وكان يمثل بالأخص الجانب المادى من هذه الخواص والرذائل ، فكانت خلاله مزيجاً من الاستهتار والمرح ، والجرأة والطموح ، والعزم والخمول ؛ وكانت غاية الحياة عنده هى الحياة ذاتها بما فيها من متاع ولذائذ وترف . كان كازانوڤا يحب الحياة حباً جا ، وهو يصفها فى مذكراته « بأنها هى الشىء الوحيد الذى يملكه الانسان حقا » ، ويشبهها « بغانيـة حسناء يعشقها الانسان ، ويهبها ما شاءت ما دامت باقية عليه » ؛ وهذه الفلسفة المـادية المحضة هى التى تغمر حياة كازانوڤا وتوجهها

وهذه النظرة المـادية إلى الحياة ، وهذه الفلسـفة المستهترة المرحة ، وهذه الخواص السقيمة المنحلة ، تقدمها إلينا مذكرات كازانوڤا بصورة بارزة ؛ والواقع أن هذه المذكرات الشهيرة التى تشغل عدة مجـلدات كبيرة ، إنمـا هى صورة قوية جامعة لمجتمع القرن الثامن عشر وخواصه وفضائله ورذائله ؛ وهى ليست قصة كازانوڤا فقط ، ولـكنها قصة جوانب عديدة من الحياة الاجتماعية فى هذا العصر ؛ ففيها نرى حياة المغامر الجرىء ، والمشعوذ الأفاق ، والعاشق المضطرم ، والسيد المنعم ، والشريد البائس ؛ وقد كان كازانوڤا كل أولئـك ، وكان له كل خلالهم ورذائلهم ، وهؤلاء جميعاً يملأون فراغ حياته

وهــذه المذكرات الشهيرة هى أسطع ما فى حياة كازانوڤا ، وهى التى خلدت ذكره . ذلك أن كازانوڤا لم يكن فى ذاته شخصية هامة ولم يكن من رجال التاريخ ، ولـكن حياته العجيبة تقدم إلينا مزيجاً مدهشاً من الفلسفة المـادية والاجتماعيـة يستحق الدرس لذاته ؛ وقد عنى فى أواخر أيام حياته أن يدون سيرته بكل ما فيها من حوادث مدهشة ، وفلسفة مرحة ، وفضائح مزرية ، وكل ما فيها من شذوذ وخبائث . وقد رأيناه فى أواخر حياته يستقر فى قصر دوكس ، فى ذلك المقام النائى المنعزل ، ويقطع أوقاته بالقراءة والـكتابة ؛ وكان كازانوڤا أديباً مفكراً ، حسن البيان والأسلوب ؛ وكان تدوين سيرة حياته أعظم عزاء له فى شيخوخته ؛ فقــد كانت هذه الصحف الممتعة تحمله من ذلك القصر النائى ، ومن غمار الشيخوخة والعزلة والبؤس ، إلى المـاضى الباهر ؛ إلى الأيام الخالية بكل ما فيها من متاع وترف ، إلى أمسية الحبور والمرح ، إلى المدن والمجتمعات التى جابها ، وإلى مختلف النساء اللائى ظفر بهن . وكان أثناء حياته الحافلة قد جمع كثيراً من المذكرات والمواد لـكتابه ، ومنها رسائل من أصدقائه وصاحباته ، ومذكرات كان يدونها على الأثر ، هذا إلى ما تعيه ذاكرته القوية من الحوادث والتفاصيل

وقد بدأ كازانوڤا كتابة مذكراته فى سنة ١٧٩١ ، واستمر فى كتابتها عدة أعوام ، ولبث يستعيدها ويهذبها حتى سنة ١٧٩٨ ، قبيل وفاته بأشهر قليلة ؛ وكان يكتبها بشغف وتأثر ، إذ كان يرى تلك الحياة الساطعة الذاهبة تمر أمام عينيه وتبعث إليه ذكريات المجد والصبا ؛ وكان يعتزم إصدار الجزء الأول منها منذ سنة ١٧٩٧ ، ولـكن الموت عاجله ، ولم يتح له تنفيذ أمنيته

ولم تظهر مذكرات كازانوڤا الا بعد وفاته بحين ؛ وكان ظهورها حادثاً أدبياً كبيراً . ذلك أنها لم تكن فياضة بالسير العجيبة

فقط ، ولكنها كانت أيضاً قطعة فنية بديعة تنعكس عليها جميع أحوال العصر الذى عاش فيه صاحبها ، أعنى القرن الثامن عشر ، وجميع صوره وأحوال مجتمعه . وتشغل هذه المذكرات الممتعة عدة مجلدات كبيرة ، وهى عمدتنا الأولى فى سيرة كازانوفا وفى تفهم نفسيته وخلاله ، وفيها يقص حياته منذ مولده بإفاضة ، ويستعرض جميع وقائعه ومغامراته الغرامية مع نساء العصر من كل الطبقات ، ويصف رحلاته المديدة إلى مختلف البلاد ، ويصف لنا مجتمعات العصر وأحواله وأخلاقه وعاداته ؛ كل ذلك بقوة وإفاضة وبيان شائق ؛ وقد كان كازانوفا فى الواقع رحالة عظيما ، وكان يتمتع بمواهب بديعة فى الملاحظة والدرس والوصف وفى تفهم عقليه الأفراد والطبقات ؛ هذا إلى خيال خصب يسبغ على قصته كلها طابعاً من السحر ؛ وقد يطبع بعض أقواله ومزاعمه أحيانا طابع من المبالغة ، ولكن ذلك لا ينتقص من متاع قصته وسحرها

وقد لقيت مذكرات كازانوفا منذ ظهورها فى أوائل القرن التاسع عشر أنظار النقد الأدبى ، فنوه بعض النقدة بقيمتها الأدبية ، وحمل عليها البعض الآخر ؛ وأبدى سانت بيف أستاذ النقد نفسه عطفه عليها وعلى مؤلفها ذلك المحب الأمثل الذى لم يسمح قط للمرأة بأن تسوده ؛ ولكن چول چانان وهو ناقد آخر يحمل عليها ولا يرى فى مؤلفها سوى دعى أفاق تحدوه شهوات مضطرمة ؛ وكذلك يرى فرانسوا ماسون فى كتابه عن « الأب برنى » أن هذه المذكرات ليست سوى مزيج من الأكاذيب المزرية ؛ بيد أن النقد المعاصر يرى فى مذكرات كازانوفا أثراً جديرا بالتقدير ، ويرى فى صاحبها شخصية جديرة بالعطف رغم عيوبها ومثالبها ؛ ومن ذلك ما يعلق به مسيو أوكتاف أوزان على المذكرات فى فصل نقدى كتبه فى هذا الموضوع : « لماذا ننحى باللوم على ذلك المحب المعاصر للويس الخامس عشر ، لأنه أرانا وعرض علينا خلال عصره المنحل ، وهى خلال كانت تعتنقها أعظم الشخصيات التى كتب عنها ؟ وهل يحق لنا أن نمعن فى الانتقاص من ذلك السرور الذى يتحفنا به عند قراءة « المذكرات » ، وأن نحمل على تلك الأخلاق الفردية المثيرة ؟ ... إن كازانوفا لم يكن أفضل ولم يكن أسوأ من أعظم الشخصيات التى ظهرت على مسرح العالم فى القرن الثامن عشر » (١)

***

وتقدم إلينا هذه المذكرات الحافلة الممتعة كازانوفا فى جميع صوره ومناحيه ؛ فى صورة المحب المضطرم الذى يطارد المرأة بكل ما وسع من شغف وجوى ، ويأسرها بظرفه وسحره ، ويظفر بها فى كل المواطن ؛ وصورة المغامر الجرئ الذى يتسلح بذكائه وخبثه ومزاعمه ليغزو المجتمع ويعيش على هامشه بأى الوسائل ؛ وصورة السائح المتجول الذى يجوب أوربا من أقصاها إلى أقصاها باحثاً عن المال والمتاع أنى استطاع ؛ وصورة السيد الذى ينعم بالمال والثراء ، أو صورة الشريد الذى لا يملك قوت يومه ؛ وأخيرا صورة المفكر الأديب الذى يلتمس النسيان فى القراءة وتسطير الماضى

وتبذ صورة المحب المضطرم فى شخصية كازانوفا كل صوره الأخرى ، وهى بلا ريب أبرز صور حياته كما هى أبرز الصور فى مذكراته . أجل كان كازانوفا محباً شنوفاً ملتهب الجوانح ، وكانت المرأة عنده غاية الغايات ، وقد حبته الطبيعة كما أسلفنا بكل ما ينبغى أن يتسلح به المحب الظافر من خلال وصفات خلابة ، ويندر أن نجد بين غزاة المرأة من غص بالظفر فى هذا الميدان كما غص به كازانوفا ، وما زال اسم كازانوفا إلى يومنا لقب المحب الظافر ؛ ولقد كان كازانوفا مادياً فى حبه كما كان فى سائر وجهات حياته ، ولم تكن العاطفة عنده شيئاً مذكورا ، وكان قلباً فى الحب لا يكاد يظفر بغزو حتى يسعى إلى غزو آخر ، وكان يرتفع فى طموحه إلى أرفع البيئات والشخصيات ، وينحط إلى أسفل البيئات والمواطن ، فتراه يظفر بطائفة من أكابر السيدات فى جميع المجتمعات التى تقلب فيها من نبيلات ونسوة متزوجات وممثلات ومغنيات وغيرهن ، وتراه يهبط أحياناً إلى مجتمع الشعب المتواضع فيغزو عاملة أو خادمة ؛ وإليك مثلاً مما يقصه علينا فى مذكراته مما يوضح فلسفته فى الحب ، ففى ذات يوم كان ينتظر جياداً لمركبته فى طريق رومه ، فمرت به عربة تحمل مغنية حسناء ذائعة الصيت يومئذ ، وكان كازانوفا يعشق المغنيات والممثلات بنوع خاص ، ولكنه يقول لنا : « ومع أنها كانت فتية وكانت

(١) وقد ترجمت مذكرات كازانوفا من الإيطالية إلى معظم اللغات الأوربية

حسناء ، فانها لم تثر فى نفسى رغبة ما ، ذلك أنها كانت حسناء جداً ، بادنة جداً . ولكن خادمتها كانت بالعكس فتاة سمراء ساحرة ذات قد ممشوق وعينين وضاءتين ، فوقعت فى حبها على الأثر »

ويذكر لنا كازانوفا فى مذكراته عشرات وعشرات من النساء اللائى ظفر بهن خلال حياته الغرامية الحافلة . وهو تعداد لا يتسع له المقام هنا ، وقد ذكرنا فيما تقدم طائفة من الأسماء التى غزاها ابان ازدهار مغامراته ؛ والظاهر أن كازانوفا لم يتأثر فى حياته بحب امرأة وسحرها قدر ما تأثر بحب راهبة حسناء من « ميران » يرمز لها فى مذكراته بحرفى « م . م » ؛ وهو يصف لنا روعة قوامها وروعة جمالها بحماسة مؤثرة ؛ وقد كانت م . م فى الواقع امرأة ساحرة الخلال تضطرم شغفاً وجوى ، وكانت تخفى تحت ثيابها الكهنوتية نفساً ناعمة تواقة ملتهبة ، وكانت تقتحم أروع الأخطار لتحيا تلك الحياة المزدوجة ؛ حياة التقشف فى الدير ، وحياة اللهو والقصف خارج الدير ؛ وبينما ترى بالنهار فى ثياب راهبة محتشمة ، إذا بها تسطع بالليل كالحلية فى مرقص أو منتدى وتبذ بفائق حسنها وأناقتها كل حسناء أخرى ؛ وقد كانت تطلق العنان لشهواتها المضطرمة ماشاءت ، ولكنها كانت قوية النفس تضبط هواها متى وجب ؛ ويصورها كازانوفا بأنها المحبوبة المثلى فى حسنها وفى خلالها وسحرها ؛ وقد ترك هواها فى نفسه بلا ريب أعمق الآثار وأبقاها

ثم يأتى بعد صورة المحب ، صورة السائح ؛ وقد كان كازانوفا سائحاً عظيماً يجوب أرجاء القارة بلا انقطاع ؛ وكان يعشق التجوال فى عصر كان السفر فيه مشقة حقيقية ؛ وقد رأيناه يجوب أرجاء القارة مراراً ؛ وكان كازانوفا يجد فى السفر لذة عظيمة ، ويتخذ أثناء تجواله مظاهر السيد العظيم فيستأجر أفخر المركبات والجياد ، وينزل فى أفخم الفنادق ، وينثر المال والعطاء من حوله ، ولكنه كان فى رحلاته مغامراً ، لا تغريه سوى رغباته وأمانيه ، ولا تغريه مشاهد الطبيعة الرائعة ؛ ولهذا نراه فى مذكراته يعنى بسرد مغامراته أثناء الطريق ، وسرد ملاحظاته عن الأشخاص والحياة والنساء بنوع خاص ؛ وقلما نراه يعنى بوصف البلاد أو مشاهد الطبيعة ؛ بيد أنه يبدى فيما يصف من أحوال المجتمعات والأشخاص دقة تدلى بقوة ملاحظته وحسن أدائه

ويقدم كازانوفا إلينا خلال حياته صورتين قويتين متباينتين ؛ فنراه إما سيداً كبيراً ينعم بالجاه والثراء ، وإما شريداً بائساً يتخبط بين براثن الفاقة ؛ وفى الحالة الأولى نراه يقتحم المجتمع الرفيع ، وينعم بكل ما فى الحياة من متاع وبذخ ، ويصل الى مجالسة الملوك والأمراء والعظماء من كل ضرب ؛ ألم يجالس لويس الخامس عشر وفردريك الأكبر ، والامبراطورة كاترين ، والبابا ، وڤولتير ، وغيرهم من أكابر العصر ؟ ثم نراه فى كهولته شريداً بائساً يتقبل فى سبيل القوت مضض المهانة والذلة ؛ بيد أنه فى الحالين يحتفظ بقوة نفسه ، وأثرته ، وأمانيه ؛ ذلك أن كازانوفا كان فيلسوفاً يقصد إلى الحياة بأى الوسائل ، ولا يروعه أن يحقق متاعها بأى السبل ، ولم يكن المال فى نظره إلا وسيلة من وسائلها

وقد كان كازانوفا منذ نشأته رجلاً مثقفاً واسع المعرفة بالنسبة لمجتمع عصره ؛ وكان فى أواخر حياته يعتز بمواهبه العلمية والأدبية ويأنس سعادة عظيمة فى اطلاق العنان لقلمه ؛ ولم تكن المذكرات كل ما يكتب ، فقد كان يتصل بالمكاتبة بجماعة من أعلام عصره ، وكانت له آراؤه الخاصة فى أحوال العصر وأحداثه ؛ وكان يسخط على الثورة الفرنسية ويعتبرها حركة جنونية وقد كتب رأيه الى روبسبير فى رسالة مستفيضة .

والخلاصة أن كازانوفا ، كان رغم رذائله ، شخصية عجيبة ؛ وكانت حياته صورة صادقة للعصر الذى عاش فيه ، وهى من هذه الناحية تستحق التحليل والدرس ؛ ولقد كان لهذا المغامر المرح أصدق سلف وشبيه فى مواطنه بنفونوتو تشلليني ؛ فقد خاض كلاهما حياة مماثلة ، واشتركا فى كثير من الخلال والخواص النفسية ، وسطر كل منهما حياته بقلمه ؛ ولكن تشلليني كان علماً من أعلام الأحياء وبطلاً من أبطال الفن ؛ أما كازانوفا فلم يعش إلا لنفسه ، ولم يتبوأ فى مجتمع عصره سوى مكان ثانوى وكانت حياته مزيجاً من الأهواء الجامحة ، والأثرة العميقة ، والشهوات المادية ، والمرح المقيم [1] ؟

( تم البحث — النقل ممنوع )

محمد عبد الله عنان

(1) نرى أن نشير هنا إلى أننا انتفعنا فى كثير من نواحى هذا البحث بالأثر القيم الضخم الذى وضعه عن كازانوفا الكاتب الفرنسى الكبير مسيو Joseph Le gras وعنوانه :

L'Extravagante Parsonalité de Jaques Casanova

# قصـــة المكروب

## كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكي

## الدفتريا

**بين واحد سمها الفرنسى ، والكاشف ترياقها الالمانى**

*وصل الفائت :* وجد لفلارمكروب الدفتريا ، ووجد رو أن هذا المكروب يحتل زور الطفل ، ولا يخرج عنه ، وإنما يفرز سما يدور فى الجسم فيقتل ، وحقن بارنج مادة كيميائية هى كلورور اليود فى خنازير غينية . ثم حقن مكروب الداء فيها فصمدت له . فأخذ من مصل دم هذه الخنازير المحصنة وحقن به خنازير أخرى حقنها بعد ذلك بالمكروب فصمدت له . فعرف أن هذا المصل الحصين يحتوى ترياقاً . فاتجه إلى الشياه يفعل بها ما فعل فى الأرانب ليحضر مقادير كبيرة من المصل الواقى بترياقه

بهذا بلغ بارنج من بحثه حداً لا ينفع فيه التثبيط . فقد كان كأمير الجند غزا الأعداء فسفك وهزم ، فلأنه فتوحاته الأولى ثقة بنفسه . فلم يعد يثنيه عن بغيته شيء . فأخذ يضرب بحماقته فى الأرانب والشياه والكلاب ، وهى مليئة بمكروب الدفتريا تارة ، وبسمها تارة ، وبكلورور اليود تارة أخرى ، وحاول أن يتخذ من أجسام هذه الحيوانات وهى حيّة مصانع تصنع له هذا المصل الواقى ، هذا المصل الذى يقتل سم الدفتريا ، وأسماه الأنتيتُكسين Anti-toxin ، ولنسمّه نحن الترياق ، ونجح فى الذى حاوله ، ولكن بعد أن قتّل من هذه الحيوانات ما شاء ، وقطّع من أوصالها ما أراد ، وبعد أخطاء أتاها كثيرة هى دائماً مقدّمات النجاح ، ولم يمض طويل من الزمن حتى نجح فى تحصين الشياه تحصيناً قوياً ، واستدرّ منها دماً كثيراً واستخلص منه مصله ، ثم قال : « لا شك أن الترياق الذى بهذا المصل يقى من الدفتريا » ، ولم يكن يعلم عن حقيقة هذا الترياق ، ولا عن كيميائه شيئاً

وحقن مقادير صغيرة من هذا المصل فى عدد من الخنازير الغينية ، وفى اليوم الثانى حقن فيها بشلة الدفتريا ، وهى حية قاتلة ، فما كان أجمل مرأى هذه الخنازير بعد ذلك وهى تنط وتلعب ولا أثر للداء فيها ، كذلك كان مرأى صويحباتها الأخريات التى حُقنت بالبشلة دون المصل ، وهى تموت بعد الحقنة بيومين أو ثلاثة ، فموت هذه الأخيرة هو الذى أقنع بأن المصل فيه الوقاية وفيه الحصانة ، وأجرى بارنج مئات من هذه التجارب الجليلة ، وكان الآن يحذق التجريب فلم يكن فى يده تذبذب واضطراب كالذى كان بها قديماً . وتساءل أعوانه فى قنوط متى يفرغ سيدهم من هذه المجزرة المتكررة ، متى يفرغ من تحصين طائفة من الخنازير ثم إعطائها الداء ، ثم من قتل طائفة أخرى ليثبت بها حقاً أنه خلّص بمصله الطائفة الأولى ، ولكن بارنج لم تعوزه العلة يفسر لنا بها كثرة ما قتل من هذه الخنازير . قال فى أحد تقاريره الأولى : « لقد جربنا من هذه التجارب عدداً كبيراً لنثبت لكوخ ، وهو المحقق المدقق القليل التصديق ، إلى أى حدّ بلغ بنا الايمان بحصانة هذه الحيوانات »

نجح بارنج فيما أراد إلا أمراً واحداً أفسد عليه طعم الثمرة التى اجتناها . ذلك أن حصانة الخنازير لم تدم طويلاً ، فالخنازير لم تكن تَصْمُد للحقنة الكبيرة من سم الدفتريا من بعد تحصينها إلا أياماً معدودات ، فاذا مضى على التحصين أسبوع أو أسبوعان لم تعُد تصمد لها ، وكلما استطال الزمن أخذت حصانتها تقل تدريجا ، وأخذ مقدار السم الذى يكفى لقتلها يصغر تدريجا . وعمد بارنج إلى لحيته يشد شعراتها وهو يتمتم لنفسه : « ليس هذا من العملىّ الممكن فى شىء ، فليس بالمستطاع الطواف بكل أطفال ألمانيا لحقنهم بمصل الشياه كل أسبوعين أو ثلاثة » . ومما يؤسف له أنه نفض يده بعد ذلك من البحث الجليل الذى هو فيه ، وترك المطلب الاسمى الذى كان يطلب به طريقة لمنع داء الدفتريا أن يحدث واستئصاله فلا يكون ، واستعاض عنه بطلب دواء له إذا هو كان ، فنزل بنفسه منزلة دنيا رجاء أن يأتى بأمر جليل تفتح له السلطات من الدهش أعينها واسعة

قال : « إن هذا الكلورور اليودىّ له أثر سىء فى الخنازير

الثينية لا ينقص كثيراً عن أثر المكروب ذاته . ولكن هـذا المصل الواقى ليس له أثر سيء فيها ، فهو لا يلهب جلدها ولا يحدث خُرّاجات فيه ... وأنا على يقين أنه لا يؤذيها ... وأعلم غير هذا أنه يحصنها فيقتل فيها سم الدفتريا إذا هو جاءها بعد التحصين ... فليت شعرى أيقتلها كذلك إذا هو جاءها قبله ؟ ... واختصاراً أيكون فى هذا المصل شفاء من الداء بعد كينونته ؟ »

وجاء بارنج بطائفة كبيرة من الخنازير الغينية وحقن بشلات الدفتريا فيها . فلما كان الغد وجد المرض قد دبّ فيها ، وأصبح الصباح التالى فإذا بها ملقاة على أظهرها فى همود منذر وهى تتنفس جاهدة . عندئذ قام بارنج فحقن فى بطونها مقادير وافية من مصل الشياه الحصينة . فوقعت المعجزة الكبرى ، فأخذت الخنازير ، إلا القليل الأقل منها ، تسترجع أنفاسها بعد رهة قصيرة . ولما جاء الغد أرقدها بارنج على ظهرها ، فإذا بها تنط فتقوم على أرجلها ، وعلى أرجلها ثبتت . وفى اليوم الرابع تمت سلامتها فكأن الداء لم يصبها أبداً . أما الأخريات التى حقنت بالمكروب دون المصل فحملها الخادم هامدة باردة إلى حيث تحمل الميتات .

إذن لقد شُفى المصل من الدفتريا !

وزاط المعمل العتيق من أجل هذا الفتح الجديد الذى أتاه بارنج العالم الشاعر ، المخطيء الصائب ، العاثر الناهض . وملأ الأمل القلوب بأنه لابد سيشفى الأطفال من بعد هذا . وأخذ يعدّ أول مصل يحقنه فى طفل على وشك الموت بالداء . وبينا هو يتجهز لهذه التجربة الخطيرة جلس يكتب تقريره الشهير ويصف فيه كيف تأتى له أن يخلص حيواناته من الموت بحقنها بمادة جديدة عجيبة غريبة اصطنعها لها فى أجسام أخوات لها جازفت بحياتها فى سبيل ذلك من أجلها . كتب بارنج : « ليس لدينا طريقة مؤكدة لتحصين الحيوانات » . وكتب « وهذه التجارب التى قيدتها لا تتضمن مجهوداتى الناجحة وحدها » . وصدق فى هذا ، فهو قد أثبت فيها مجهوداته الفاشلة وأظانينه الخاطئة إلى جانب ما حباه به الحظ من توفيقات صائبة نال بها هـذا النصر الدموىّ العظيم

لشد ما أعجب كيف استطاع هذا الشاعر أن يسبق الى كشف ترياق الدفتريا ، وأن يفوز بهذا المجد الخالد! ولكنى أفكر فأجده انما تحسس فاهتدى كما تحسس من قبله واهتدى رجال قدماء ، لا نعرف لهم اليوم أسماء ، اخترعوا الأشرعة التى تحمل السفائن عَبْرَ البحر فى سرعة البرق الخاطف . هؤلاء الرجال الأبطال المجهولون ، كم منهم من انقلب به السفين ، وكم من جثثهم ما أشبع البحار : أليست هذه دائماً هى سبيل الكشوفات جميعها ؟

وفى أواخر عام ١٨٩١ كان فى شارع إبريك Brick ببرلين دار للتمريض تُدعى دار برجمان Bergmann . وكان بها أطفال فعلت الدفتريا بهم فعلها فهم ينتظرون الموت القريب . وكانت الليلة ليلة عيد الميلاد . ففى هذه الليلة دخلت إبرة صغيرة لحقن ملء بالمصل لأول مرة فى جلد طفل لم يعد له فى الشفاء رجاء . فصرخ الطفل ورفس برجله قليلا .

ما أبهر النتائج التى جاءت من هـذه الحقنة الأولى ومن أخوات تبعتها ! نعم بعض الأطفال مات . ونعم كذلك مات طفل كان ابن طبيب شهير فى برلين ميتة غريبة غير منتظرة عقب الحقنة مباشرة فحصل من جراء ذلك أخذ ورد وجلبة كبيرة . ولكن لم تمض الأيام حتى قامت مصانع كيميائية كبيرة بألمانيا تصنع هذا المصل فى قطعان كثيرة من الشياه . ولم تمض ثلاث سنوات حتى بلغ الأطفال الذين حقنوا بهذا الترياق عشرين ألفا . وسار الخبر سريعاً كالشاعة فى الناس . وكان بجز Biggs مدير الصحة الأمريكى الشهير فى أوروبا ، فلما اطلع على أمر الترياق ، هزّه ما وجد منه فبعث البرقية الآتية وهو متأثر الى الدكتور پَرْك Park بنيويورك :

« ترياق الدفتريا ناجح . ابدأ بصنعه »

وكان كوخ أساء إلى ناس كثيرين بسبب علاجه الفاشل القاتل للسل ، وبسبب الأرواح الكثيرة التى ضاعت من جرائه . وكانت أقوام كثيرة لا تزال فى حزن قريب بسبب من فقدوا . ولكن كشف بارنج أنساهم ما هم فيه ، فغفروا لكوخ الشيخ زلته لأنه أنجب هذا الصبىّ البارع

( يتبع ) أحمد زكى

# الاسلام والمدنية والعلم

## طريقة النظر في العلم وفي الاسلام

بقية ما نشر في العدد الماضي

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

بقي أن نقارن بين طريقة العلم في دراسة الفطرة والطريقة التي شرعها الاسلام للانسان في النظر لنرى إن كان بينهما من التطابق مثل الذي تبين في المقال السابق أنه موجود بين العلم والاسلام.

والأصل الأول عند العلم في النظر هو العقل ، وكذلك هو في الاسلام . إن القرآن الكريم كله ينطق بأن الإسلام قام على العقل ، وحاكم إلى العقل ، وأمر باتباع العقل ، بمختلف أساليب البيان ؛ فتارة يتلطف ويرغب في استعمال العقل والفكر : (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون) ، (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) . وتارة يظهر التعجب الشديد والتأفف من تعطيل العقل : (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) ؛ (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به ، فقد لبثت فيكم عُمُراً من قبله ، أفلا تعقلون) . وتارة يمدح أهل العقل ويخصهم بالخطاب : (وما يذّكر إلا أولو الألباب) ، (كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون) ، (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) ؛ ثم تارة يسلك سبيل الذم البالغ لمن يهملون عقولهم ويعطلونها : (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) ، (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً) وفي هذا ما فيه من توكيد ناحية العقل وتنبيه الانسان إلى أن من أخص خصائصه التفكير والتدبر والفهم والتعقل ، فلا ينبغي له التنزل عن أخص خصائصه بتعطيل عقله وإلا فقد تنزل عن انسانيته وصار في الأنعام أو شراً من الأنعام

ولقد بلغ من إكبار الاسلام العقل وتوكيده واتخاذه أصلاً ومرجعاً أن أباح للمسلم إذا تعارض العقل والنص أن يؤول النص إلى ما يقضي به العقل . والعقل هنا طبعاً ليس هو عقل الفرد ، ولكن عقل المجموع ؛ ليس هو العقل الخاص الذي يجوز عليه الخطأ ، وكثيراً ما يخطئ ، ولكن هو العقل العام الذي يستحيل عليه الخطأ ، والذي لا يقتنع بشيء إنه الحق إلا إذا قام عليه الدليل القاطع . فتشريع الدين تأويل النص إلى ما يوجبه العقل أو بالأحرى إلى ما يطابق ما ثبت عند العقل بالدليل القاطع ، هو التنفيذ العملي في الاسلام لمبدأ استحالة التناقض بين الحقائق ولمبدأ وجوب الأخذ بالحق كيفما ظهر وأينما كان . فالحق في العلم وفي الاسلام أحق أن يتبع لذاته لا لغيره ، وفي سبيل الحق يجب أن يجاهد الناس ، وعلى الوصول اليه يجب أن يتعاونوا ، وبه إذا وصلوا اليه يجب أن يستمسكوا . هـذا هو أخص خصائص الروح العلمية في ميدانها ، وهو في الوقت نفسه أخص خصائص المؤمن حتى في المعاملة . فإن الصفات التي ضمن الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلم بها الجنة إذا هو ضمنها من نفسه في الحديث الكريم : « اكفلوا لي بست أكفل لكم بالجنـة : إذا حدث أحدكم فلا يكذب ، وإذا ائتمن فلا يخن ، وإذا وعد فلا يخلف : غضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم ، واحفظوا فروجكم » هـذه الصفات ليست في صميمها إلا أخذاً بالحق في أعم صوره ، واحتراماً له ووقوفاً عنده

لكن فخر العلم الحديث ليس هو جعله العقل أصل الأصول في النظر ، ولكن هو ضبطه طريق النظر العقلي ، حتى صار العقل به في مأمن من الضلال . إن قدماء العلماء والفلاسفة كانوا أيضاً يكبرون العقل ويتحاكمون اليه ، وهذا المنطق القياسي الذي يعين الطريق الذي يجب أن يسلكه العقل في الاستنتاج ليكون بمأمن من الخطأ ، هو من وضع أولئك القدماء . فليس للعلم الحديث على العلم القديم في هذا فضل ، بل الفضل في توضيح طريق الاصابة في الاستنتاج ، هو للعلم القديم أو للفلسفة القديمة كما تشاء أن تقول . لكن الذي غفل عنـه القدماء ، وانتبه اليه المحدثون ، هو وجوب الاستيثاق من صحة المقدمات قبل القول

بصحة النتائج ، ولو صحت طريقة الاستنتاج . كان القدماء يعنون كل العناية بالاحتياط من الخطأ فى الاستنتاج ، ولو أنهم عنوا بصحة المقدمات عشر معشار تلك العناية لتغير تاريخ العلم ، ولتغير تاريخ العالم بالتبع ، ولما تأخر الرقى العلمى كل تلك القرون ، لكن أكثر القدماء كانوا فيما يظهر يتغالون فى الاعتماد على العقل وحده حتى جعلوه كل شيء ، وجعلوه مستغنياً عن كل شيء . فالعالم أو الفيلسوف كان يرى كافياً فى طلب الحقيقة أن يجلس ويفكر ، ثم يفكر ، كأن الحقائق كلها موجودة كامنة فى النفس أو الروح ، وكأن ليس على الانسان إلا أن يستثيرها بالتفكير . من أجل ذلك لم تعن الفلسفة القديمة أو العلم القديم إلا بصحة التفكير على الأخص ، وهى العناية التى أدت به إلى اكتشاف قوانين التفكير ووضع علم المنطق القياسى . أما المقدمات فكان العالم أو الفيلسوف يكتفى من الاستيثاق منها بالاقتناع النفسى والرجوع بها إلى ما يبدو له أنه بديهى لا يحتاج إلى برهان . ومن هنا دخل فى العلم القديم أو الفلسفة القديمة الشيء الكثير من الباطل ، أو على الأقل مما هو غير ثابت ؛ دخل فيها على أنه حق لا شك فيه ، فكان عبئاً ثقيلاً على العقل عاقه عن التقدم الحقيق طوال تلك القرون .

ولقد جعلت تلك الطريقة أمر تمييز الحق من الباطل فى العلم القديم من الوجهة العملية بيد الصادفة لا بيد العقل ، فكان الانسان إذا صادف الصحة فى مقدماته الأولى أو بديهياته التى يُرجع اليها مقدماته نجا من الخطأ بعد ذلك لاجتماع ركنى الاصابة لديه : صحة المقدمات وصحة التفكير . ومن هنا كانت علومه الرياضية أصح تراث منه وصل الينا . أما إذا أخطأه التوفيق فى المقدمات فلا تسل عن العجائب والغرائب التى كان يؤدى به اليها قياسه الصحيح من مقدماته العليلة . أنظر اليه وهو يحكم على شكل العالم أنه كرى لأن شكل الكرة أكمل الأشكال ، أو يحكم على العالم أنه حى عاقل لأن ما هو حى وعاقل خير مما ليس بحى ولا عاقل . وتأمل ما جر اليه القول بحياة العالم وعقله من القول بأفلاك ذات نفوس وعقول كل فلك منها نشأت نفسه وعقله عن نفس الفلك الذى فوقه وعقله ، وأشباه هذا مما يعجب له العلم اليوم كيف أمكن أن يتورط فيه العلم بالأمس ، إذ العلم والفلسفة كانا شيئاً واحداً فى العصر القديم

هذا النوع من التفكير الوهمى قد سد العلم الحديث بابه ، وقطع أسبابه بايجابه أولا عدم قبول شيء على أنه حق حتى يقوم عليه البرهان القاطع ، وبرجوعه ثانيا الى التجربة والمشاهدة فى تمحيص المقدمات . هذان هما المبدآن اللذان قامت عليهما الطريقة العلمية الحديثة ، واللذان يرجع الى التزامهما والتشدد فى تطبيقهما كل ما وصل اليه الانسان من تقدم فى ميادين العلم الحديث

فأما المبدأ الأول مبدأ اشتراط قيام الدليل القاطع على صحة القضية قبل ادخالها فى دائرة الحق فهو مبدأ سلبى ، ولكنه فى غاية الخطورة لأنه حال دون الخلط بين الحق والباطل ، وميز دائرة الشك من دائرة اليقين ، وجعل العلم على بينة من أمره فصار يعرف تماما أين هو من الحق ومن الباطل : صار يعرف أى القضايا هو فوق الشك وأيها فى حاجة الى التمحيص .

لكن هذه المعرفة لم تكن لتغنى عنه كثيرا لو لم يجد العلم وسيلة صادقة لتمحيص ما هو منه فى شك ، فيزيد باطراد فى دائرة الحق المعلوم ، ويُنقص باطراد من دائرة المجهول . لكنه وجد هذه الوسيلة فى مبدئه الثانى مبدأ التجربة والمشاهدة . وهو كما ترى مبدأ إيجابى يقوم بجوار مبدئه السلبى الأول : يحرس الأول منطقة الحق أن يدخلها باطل ، ويوسع الثانى حدود المنطقة باستمرار . ولقد اقتضى هذا أن يقصر العلم نفسه من ميادين البحث على ما يمكن الاحتكام فيه الى التجربة والمشاهدة ، أو كما عبر بعض العلماء فأحسن التعبير على الميادين التى يستطيع أن يسأل فيها الانسان الفطرة فتجيب . والفطرة على حد تعبير عالم آخر دائماً تجيب إذا أحسن الانسان سؤالها . وأكبر الفرق من الناحية العملية بين العلم القديم والعلم الحديث أن هذا عرف كيف يحسن استجواب الفطرة ، وأن ذاك فى الأوقات القليلة التى خطر له أن يسترشد بالفطرة لم يعرف كيف يحسن سؤالها باجراء التجارب المنظمة ، وإن عرف أحياناً كيف يسمع لها بمشاهدة بعض ما يجرى حوله . وبالجملة فان أكبر ما ميز العلم فى عصره الحديث عن مثله فى العصر القديم هو اجماع أهله على

اتباع ذينك الأصلين : أصل التفرقة التامة بين اليقيني وغير اليقيني ، وأصل تمحيص غير اليقيني بعرضه على التجربة والاختبار

هذان الأصلان اللذان هما قوام الطريقة العلمية ، واللذان اليهما يرجع كل ما أدرك العلم فى ميدانه من تقدم ، ما شأنهما فى الاسلام كما يتجلى فى القرآن ؟

إن الذى أنزل القرآن روحاً من أمره وهدى يهدى به الانسانية سبل الحياة شاءت رحمته بعد أن جعل العقل أصل الأصول فى النظر ألا يكل الانسان إلى عقله من غير أن يبين له معالم الطريق ويحذره مهاوى الخطأ والضلال . فهو أولاً يوجب على الانسان فى القرآن ألا يُدخل فى الحق إلا ما قام عليه البرهان والدليل أنه من الحق ( قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ) . ( قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ) وفى هذه الآية الكريمة نرى كيف ينبه الله الانسان إلى أن الظن والتخمين ليسا من العلم والبرهان فى شىء ، وهو معنى لقى توكيداً عظيماً فى القرآن بوروده صريحاً فى أكثر من آية . ( إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى ، وما لهم به من علم ، إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً ) . ( وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً . إن الله عليم بما يفعلون ) ، وهذا بالضبط هو ما اهتدى اليه العلم الحديث وشدد من أجله فى وجوب التفرقة بين الثابت الذى لا شك فيه ، وغير الثابت الذى هو فى حاجة إلى التمحيص ، ومن هنا نرى أن التطابق تام فى هذه الناحية أيضاً بين العلم وبين الاسلام

على أن هذا ليس هو كل ما وضح به القرآن سبيل الحق أمام الانسان ، فانه كما حذره من الخلط بين الحق والباطل ، ومن إنزال الظن والتخمين منزلة البرهان واليقين ، دله على الطريق العملى الذى يتبين به وجه الحق فيما هو منه فى شك : طريق استعمال العقل لا السمع والبصر . ومن العجيب أنك لا تكاد تجد فى القرآن ذكراً للسمع والبصر إلا والعقل مقرون بهما مذكور معهما كأنما يريد الله أن ينبه الانسان إلى ما بينهما وبين العقل من ترابط ، فالعقل لا يتم إلا بأثرهما وهما لا ينفعان نفعهما إلا إذا كان العقل من ورائهما يوجههما وينظم عملهما ، أو كأنما يريد الله سبحانه أن ينبه الانسان إلى أن ما يكسب من علم أو معرفة راجع فى صميمه إلى هذه الثلاثة ، وأن عليه إذن أن يحسن استعمالها ويحذر إهمالها . على أن الانسان لم يترك فى هذا إلى مجرد الاستنتاج . فقد أنبأه الله صراحة فى القرآن فى معرض المن عليه أن علم الانسان مصدره السمع والبصر والعقل كما ترى فى آية النحل : ( والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ) ، وأوجب عليه فى آيات كثيرة أن يحسن استعمال سمعه وبصره وعقله ، نذكر منها آية واحدة هى فصل الخطاب فى هذا الباب ألا وهى قوله تعالى من سورة الأعراف : (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون ) فانه ليس هناك أكثر حضاً على إحسان استعمال العقل وأدواته من هذه الآية الكريمة التى لم تكتف بتسوية الانسان بالبهيمة أو جعله شراً منها إذا هو أهمل عقله وسمعه وبصره ، بل أنذرته أبلغ إنذار أنه إن فعل ذلك فقد هلك إلى الأبد وحشر نفسه فى زمرة أهل النار

فهذا أصل التجربة والمشاهدة قد لقى فى صميمه من التوكيد فى الاسلام ما يصغر بجانبه ما لقى من التوكيد فى العلم وإن كان هو قوام العلم الحديث . والسر فى هذا أن العلم لا يزال فى الدور الذى يدرس فيه الفطرة ابتغاء الوقوف على أسرارها فحسب ، أما الدين فيأمر باستكناه أسرار الفطرة ليزداد الانسان بها هدى إلى رب الفطرة الذى فطرها وفطره ، والانسان إن لم يهتد إلى ربه فانه لا محالة من الهالكين . ومهما يكن من اختلاف الغاية بين الدين والعلم فان كل غاية العلم هى بعض غاية الدين ، والطريق الذى يسلكه العلم إلى غايته هو جزء من الطريق الذى يأمر بسلوكه الاسلام

على أننا نحب أن نزيد هذا التطابق بين الطريقين توكيداً بالتنبيه إلى آية واحدة فى القرآن جمعت للانسان أصول النظر العلمى وأثبتتها من الدين مجتمعة بعد أن أثبتتها من الدين متفرقة ، تلك هى قوله تعالى من سورة الأسراء : ( ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ) فانها

من ناحيــة تأمر الانسان بالوقوف عند حد ما يعلم (ولا تقف ما ليس لك به علم) ومن ناحيــة أخرى تدله على طريق استبانة الحق فيما لا يعلم ، والاستمساك بما يتبين له من الحق عن ذلك الطريق ، طريق إحسان استعمال السمع والبصر والعقل (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً) وفى قوله سبحانه (كل أولئك كان عنــه مسئولاً) فى موقعها من الآية تقرير مسئولية الانسان عند ربه عن حواسه وعقله كيف لم يستعملهن عند الشك حتى يتبين وجه اليقين ، وكيف حين استعملهن لم يحسن استعمالهن ، أم كيف وقد أحسن استعمالهن لم يستمسك بما وصل اليه من الحق عن طريقهن حتى صار هو ومن أهملهن سواء . ولو حاول العلم أن يزيد فى توكيد أصوله على هــذا ما استطاع ، ثم هو ليس يبالغ شأو الدين فى هذا التوكيد لأنه لا يملك لمهمل أصوله حساباً ولا عقاباً

***

وبعد ، فلعلنا نكون قد وفينا هذا الموضوع الخطير بعض حقه من البحث ، وبلغنا الغرض الذى بدأنا هــذا البحث من أجله ، وأثبتنا أن العلم الحديث بينه وبين الاسلام كل ما بين الجزء والكل من تطابق ما دام قد ثبت أنه قرآنى الموضوع والاسم والروح والطريقة ؛ فهو بجملته وتفصيله قطعة من الاسلام ، حتى فروضه العلمية ونظرياته التى يتلمس بها سنن الفطرة لها فى الاسلام متسع ، لأنها ليست الا ضرباً من الاجتهاد الذى يثيب الله عليه المجتهد ، أخطأ أم أصاب . وهــذا التطابق العجيب بين العلم والاسلام هو الذى كان متوقعاً ما دام الاسلام هو دين الفطرة ، وما دام العلم قد أصاب الفطرة وإن فى بعض نواحيها . وليس يمنع العلم أن يصيب الفطرة فى بعضها الآخر المتعلق بحياة الانسان الاجتماعية . الا أن هذه الحياة خارج نطاقه ، وستظل كذلك لامتناع إخضاع الفرد بله الجماعة للتجربة العلمية والاختبار . فليس هناك للانسانية إذن أى أمل فى أن تصيب سنن الفطرة فى الاجتماع عن طريق العلم ، فهى لن تزال فى مدنيتها بعيدة عن سنن الفطرة وعن سبل السلام حتى تقيم وجهها للدين حنيفاً (فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله)

**محمد أحمد الغمراوى**

أعلام الاسلام

# محمد بن شهاب الزهرى

## بقلم السيد ناجى الطنطاوى

محمد بن شهاب الزهرى ، علم من أعلام التابعين ، وامام جليل من أئمة المسلمين ، روى الحديث عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أبناء أصحابه . وكان نادرة فى الذكاء وقوة الحافظة والصبر على طلب العلم ، ثقة ، أميناً فى الاسناد شهد له الخلفاء والعلماء بالتفوق والفضل حتى قال ابن تيمية : حفظ الزهرى الاسلام نحواً من سبعين سنة ، وكان مع ذلك سخياً كريماً يبذل ماله فى سبيل العلم

### اسمه ونسبه ومولده

هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله ابن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة[1] ، أبو بكر القرشى الزهرى . سمى بالزهرى نسبة الى زهرة بن كلاب ، كان أبو جده عبد الله بن شهاب شهد مع المشركين بدراً ، وكان أحد النفر الذين تعاقدوا يوم أحد لئن رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلنه أو ليقتلن دونه . وقد سئل الزهرى مرة : هل شهد جدك بدراً ؟ قال نعم ، ولكن من ذلك الجانب ؟ أى من جانب قريش

وانتسب الزهرى مرة أمام هشام بن عبد الملك ، فقال له هشام : ان كان أبوك لنفّاراً فى الفتن ، فقال : يا أمير المؤمنين عفا الله عما سلف

وقال : نشأت وأنا غلام ، ولا مال لى ، منقطع الديوان ، فكنت أتعلم نسب قومى من عبد الله بن ثعلبة ، وكان عالماً بنسبهم وهو ابن أختهم وحليفهم

وقال ابن حيويل : لم يكن له كتاب الا كتاب فيه نسب قومه ، أما سنه وولادته فلم تعلم على وجه الصحة لاختلاف

(١) مرة أبو قبيلة كبيرة من قريش ، منها آمنة بنت وهب والدة رسول الله صلى الله عليه وسلم

المؤرخين فيها فهي إما سنة ٥٠ أو سنة ٥١ أو سنة ٥٢ ، وقيل بل سنة ٥٨

**صفته:**

قال سفيان[١] : رأيت الزهري أحمر الرأس واللحية ، وفي حمرتها انكفاء[٢] قليل ، كأنه يجعل فيها كَتَما[٣] ، وكان أُعيمِشاً[٤] وعليه جُمَيحة[٥] وكان رجلا قصيرا ، قليل اللحية ، له شعرات طوال ، خفيف العارضين

**طلبه العلم**

دخل مرة على عبد الملك بن مروان ، فذاكره عبد الملك ، فرأى فيه نباهة فوصله ، وأمر له بشراء دار قطيعة بالمدينة ، وبرزق يجرى عليه ، وأعطاه خادماً وقال له : اذهب فاطلب العلم ، فاني أرى لك عينا حافظة ، وقلبا ذكياً ، وائت الأنصار في منازلهم . قال : فأتيت المدينة ، فاذا عند الأنصار علم جمّ ، فأخذته عنهم

وقال ابراهيم[٦] بن سعد : ما سبقنا الزهري بشيء من العلم إلا أنه كان يشد ثوبه عند صدره ويسأل عما يريد ، وكنا تمنعنا الحداثة

وقال أبو الزناد : كنا نكتب الحلال والحرام ، وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع ، فلما احتيج اليه علمت أنه أعلم الناس بعد أن كنا نطوف نحن وإياه معنا الألواح والصحف ونحن نضحك به ، وكان يكتب الحديث فيحفظه ثم يمحوه

وقال صالح بن كيسان : كنت أطلب العلم أنا والزهري فقال : تعال نكتب السنن فكتبناها ماجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : تعال نكتب ما جاء عن الصحابة فكتب ولم أكتب فأنجح وضيعت

**قوة حافظته**

كان يقول : ما استودعت قلبي شيئاً قط فنسيته ، وكان يكره أكل التفاح وسؤر الفأر ويقول إنه ينسى ، وكان يشرب العسل ويقول إنه يذكر . وقال : كتب عبد الملك الى أهل المدينة كتاباً في طومارين يعاتبهم به ، فقرىء على الناس عند المنبر ، ولم يكن سعيد بن المسيب حاضرا ، فلما انفض الجمع قال سعيد لجلسائه : ما كان في ذلك الكتاب ؟ ليت أنا وجدنا من يعرف لنا ما فيه ، فلم يتكلم أحد . فقلت له : أتحب أن تسمع كل ما فيه ؟ قال نعم قال : فقرأته له من أوله الى آخره لم أنس منه كلمة

وقال : ما استفهمت عالماً قط ، ولا رددت شيئاً على عالم قط يعني أنه كان يحفظ ويفهم من أول مرة

وقال الامام مالك : حدثني الزهري بحديث طويل فلم أحفظه فسألته عنه مرة ثانية فقال لي : أليس قد حدثنا كم به ؟ فقلت : بلى ، فأردت أن أستخرجه ، فقلت له : أما كنت تكتب ما تسمع ؟ فقال : لا فقلت : أما كنت تستعيد ؟ فقال : لا

وقال مالك حدثنا الزهري بمائة حديث ، ثم التفت إليّ وقال : كم حفظت يا مالك ؟ فقلت : أربعين حديثا ، فوضع يده على جبهته ثم قال : إنا لله ، كيف نقص الحفظ ؟

وقال سعيد بن عبد العزيز : سأل هشام بن عبد الملك الزهري أن يملي على بعض ولده ، فدعا بكاتب فأملى عليه أربعمائة حديث ثم إن هشاماً قال له : ان ذلك الكتاب قد ضاع ، فدعا الكاتب فأملاها عليه ، ثم قابله هشام بالكتاب الأول فما غادر حرفاً

**منزلته عند الخلفاء**

كان عمر بن عبد العزيز يقول : عليكم بابن شهاب ، فانكم لا تلقون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه . قال معمر وإن الحسن وضرباءه لأحياء يومئذ . وقال عمر بن عبد العزيز أيضاً : ما ساق الحديث مثل الزهري ، وما أتاك به الزهريّ بسنده فاشدد يدك عليه

---

(١) هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي . محدث الحرم كان حافظاً ثقة ، واسع العلم كبير القدر . قال الشافعي : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز ، وكان أعور وحج سبعين سنة . ولد بالكوفة وتوفى بمكة سنة ١٩٨

(٢) الانكفاء : تغير اللون

(٣) الكتم : نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر

(٤) العمش : ضعف رؤية العين مع سيلان دمعها في أكثر أوقاتها

(٥) تصغير جمة وهي ما سقط على المنكبين من شعر الرأس

(٦) هو ابراهيم بن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، أبو اسحاق الزهري ، من أهل المدينة ، نزل بغداد وأقام بها إلى حين وفاته ، وأكرمه الرشيد وأظهر بره . كان محدثاً ثقة ، وكان من أكثر أهل المدينة حديثاً في زمانه ، وكان أبوه على قضاء المدينة من جلة المسلمين ، توفى سنة ١٨٣

وقد تقدم قول عبد الملك بن مروان له : إني أرى لك عيناً حافظة وقلباً ذكياً

وقال : لما توفي عبد الملك لزمت الوليد (1) ، ثم لزمت هشاماً بعده وحججت معه سنة ١٠٦ فكنت مع ولده أعلمهم وأفقههم وأحدثهم ولم أفارقهم حتى مات هشام بالمدينة

## منزلته عند العلماء

قالوا : كان الزهري ثقة كثير الحديث والعلم والرواية فقيهاً جامعاً وقال الليث عن جعفر بن ربيعة : قلت لعراك بن مالك من أفقه أهل المدينة ، فذكر سعيد بن المسيب ، وعروة (2) وعبد الله بن عبد الله ، قال عراك : وأعلمهم عندي جميعاً ابن شهاب لأنه جمع علمهم إلى علمه .

وقال مكحول (3) : ما بقي على ظهرها أعلم بسنة باقية من الزهري وقال أيوب (4) : ما رأيت أحداً أعلم من الزهري . فقال له صخر بن جويرية : ولا الحسن ؟ قال : ما رأيت أعلم من الزهري وقال عمرو بن دينار : مثل هذا القرشي ما رأيت قط ، وقال سعيد ابن عبد الرحمن بن حنبل : لولا ابن شهاب لضاعت أشياء من السنن ، وقال سفيان بن عيينة : جالست الحسن وغيره ، فما رأيت مثل الزهري وقال الامام مالك : بقي ابن شهاب ، وماله في الناس نظير ، وكان إذا دخل المدينة ، لم يحدث بها أحد حتى يخرج منها . وقد اتفق الأئمة على أن الزهري مات يوم مات وهو أعلم الناس بالسنة ، واتفقوا على أنه كان أفقه من الحكم وحماد وقتاده وقال السمعاني (1) : كان من أحفظ أهل زمانه ، وأحسنهم سياقاً لمتون الأخبار ، وكان فقيهاً فاضلاً

قال ابن عيينة : ما رأيت أنص للحديث من الزهري

## سعة علمه

قال علي بن المديني : له نحو ألفي حديث . وقال أبو داود (2) : جميع حديث الزهري ألفا حديث ومائتا حديث نصفها مسند

وقال مالك : لقد أدركنا في مسجد المدينة سبعين ممن يروي الحديث وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان به أميناً ، فما أخذت منهم شيئاً ، لم يكونوا من أهل هذا الشأن ، وقدم علينا الزهري وهو شاب فازدحمنا على بابه

وقدم أحمد (3) بن صالح العراق من مصر ليرى أحمد ابن حنبل (4) ، فاستأذن اليه فأذن له ، وقام اليه ورحب به وقربه وقال له : بلغني أنك جمعت حديث الزهري ، فتعال حتى نذكر ما روى الزهري عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلا يتذاكران ولا يغرب أحدهما على الآخر حتى فرغا ، قال الراوي : فما رأيت أحسن من مذاكرتهما . ثم قال أحمد بن حنبل لأحمد ابن صالح : تعال حتى نذكر ما روى الزهري عن أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلا يتذاكران ولا يغرب أحدهما على الآخر ، الى أن قال أحمد بن حنبل : عن الزهري عن محمد بن جبير ابن مطعم ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : ما يسرني أن لي حمر النعم ، وأن لي حلف المطيبين . فقال أحمد بن صالح سألتك بالله إلا أمليته علي . وقال : لو لم أستفد

---

(1) ذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء أن الزهري كان يقدح أبداً عند هشام في الوليد ويعيبه ، ويقول : ما يحل لك إلا خلعه فما يستطيع هشام ، وأنه لو بقي الزهري إلى أن يملك الوليد لفتك به

(2) هو عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي ؛ أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، كان عالماً بالدين ، صالحاً كريماً ، لم يدخل في شيء من الفتن ، وقدم مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين ، وعاد إلى المدينة فتوفي فيها ، وبئر «عروة» بالمدينة منسوبة اليه ، توفي سنة ٩٣

(3) هو مكحول بن شهراب (وقيل ابن عبد الله) بن شاذل ، فقيه الشام في عصره ، من حفاظ الحديث ، كان مولى لامرأة من هذيل ، وأعتق فسكن دمشق ، وتوفي بها سنة ١١٢ ، قال عنه الزهري : لم يكن في زمنه أبصر منه بالفتيا

(4) هو أبو بكر أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني البصري ، سيد فقهاء عصره ، تابعي ، من حفاظ الحديث ، كان ثبتاً ثقة ، توفي سنة ١٣١

---

(1) هو منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي أبو المظفر ، مفسر من العلماء بالحديث ، من أهل مرو توفي سنة ٤٨٩

(2) هو سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير الأزدي السجستاني إمام أهل الحديث في زمانه ، أصله من سجستان ، ورحل رحلة كبيرة ، وتوفي بالبصرة سنة ٢٧٥

(3) هو أحمد بن صالح ، أبو جعفر المصري ، كان حافظاً للأثر ، عالماً بعلل الحديث ، ثقة ؛ ورد بغداد ثم رجع إلى مصر وأقام بها حتى توفي سنة ٢٤٨

(4) هو أبو عبد الله ، أحمد بن محمد بن حنبل ، إمام المذهب الحنبلي ، وأحد الأئمة الأربعة ؛ ولد في بغداد ونشأ مكباً على طلب العلم ، وسافر في سبيله أسفاراً كثيرة ، وسجنه المعتصم ثمانية وعشرين شهراً لامتناعه عن القول بخلق القرآن ثم أطلقه ، ولم يصبه شر في زمن الواثق ، ولما تولى المتوكل أكرمه وقدمه ومكث مدة لا يولي أحداً إلا بشورته ، توفي في زمن المتوكل سنة ٢٤١

بالعراق إلا هذا الحديث كان كثيراً

وقال الليث بن سعد : ما رأيت عالماً قط أجمع للعلم من ابن شهاب . لو سمعته يحدث فى الترغيب ، لقلت ما يحسن إلا هذا ؛ وإن حدث عن الأنبياء وأهل الكتب ، لقلت ذلك ؛ وإن حدث عن الأعراب والأنساب لقلت ما يحسن إلا هذا . قال ابن إسحاق [1] : سألت الزهرى عن شىء ، فقال ما بقى أحد فيما بين المشرق والمغرب أعلم بهذا منى

وكان يقول : مكثت خمسا وأربعين سنة أنقل أحاديث أهل الشام إلى الحجاز ، وأحاديث أهل الحجاز إلى الشام ، فما أجد أحدا يطرفنى بحديث لم أسمعه

## سخاؤه

قال الليث : وكان من أسخى الناس ، كان يعطى كل من جاءه وسأله ، حتى كان يقترض من عبيده ولا يرى بذلك بأساً ، فقيض الله له على قدر صبره واحتماله : إما رجلاً يهدى له ما يسع السائلين ، وإما رجلاً يبيعه بنظرة ، وكان يطعم الناس الثريد فى الخصب وغيره ويسقيهم العسل ، وكان يسمر مع أصحابه على العسل

ونزل بماء من المياه مرة ، فقال له أهل الماء : إن لنا ثمانى عشرة امرأة مسنة ليس لهن خادم ، فاستسلف ثمانية عشر ألفاً فأخدم كل واحدة منهن خادماً بألف ، وقضى عنه هشام سبعة آلاف دينار وقال له لا تعد لمثلها تدان ، فقال الزهرى يا أمير المؤمنين حدثنى سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين

وأخدم الزهرى فى ليلة واحدة خمس عشرة امرأة من بنى زهرة خمس عشرة وليدة ، اشترى كل وليدة بثلاثين ديناراً

وقيل له إن الناس لا يعيبون عليك إلا كثرة الدين ، فقال : وكم دينى ؟ إنما دينى عشرون ألف دينار ، وليس يرثنى إلا ابن أخى هذا ، وما أبالى ألا يرث عنى شيئاً

وكان يقول : وجدنا السخاء لا تنفعه التجارب

وقال الامام مالك : كان الزهرى من أسخى الناس ، فلما أصاب تلك الأموال قال له مولى له وهو يعظه : قد رأيت ما مر عليك من الضيق والشدة ، فانظر كيف تكون وأمسك عليك مالك . فقال له : ويحك ، إنى لم أر الكريم تحنكه التجارب

فقال الحسين بن عبد الله الكاتب فى هذا المعنى :

له سحائب جود فى أنامله أمطارها الفضة البيضاء والذهب
يقول فى العسر إن أيسرت ثانية أقصرت عن بعض ما أعطى وما أهب
حتى إذا عاد أيام اليسار له رأيت أمواله فى الناس تنتهب

ومر به رجل من التجار وهو فى قريته ، والرجل يريد الحج ، فابتاع منه بزاً بأربعمائة دينار الى أن يرجع من حجه ، فلم يبرح عنه الرجل حتى فرقه . . . فعرف الزهرى فى وجه الرجل ما كره . فلما رجع من حجه قضاه ذلك وأمر له بثلاثين ديناراً ينفقها فى سفره . فقال له الزهرى كأنى رأيتك يومئذ ساء ظنك فقال : أجل . فقال : والله لم أفعل ذلك إلا للتجارة : أعطى القليل فأعطى الكثير !

وكان يخرج الى الأعراب يفقههم ويعطيهم فجاءه رجل وقد نفد ما فى يده ، فمد الزهرى يده إلى عمامة عقيل فنزعها وأعطاها الرجل ، وقال لعقيل : أعطيك خيراً منها .

وقال له زياد بن أسعد : إن حديثك ليعجبنى ، ولكن ليست معى نفقة فأتبعك . فقال له : اتبعنى أحدثك وأنفق عليك !

## وفاته

كان له ضيعة فى شغب : وهى أول عمل فى فلسطين ، وآخر عمل الحجاز ، توفى فيها فى رمضان سنة ١٢٤ على أصح الروايات ودفن فى نشز من الأرض ، وقبره قائم على الطريق ليدعو له كل من مر عليه . قال الأوزاعى : رأيت قبره هناك مسنماً مجصصاً مبيضاً فقلت : يا قبر كم فيك من حلم وعلم ؟



(١) هو محمد بن اسحاق بن يسار المطلبى المدنى ، أبو بكر ، من أهل المدينة ، زار الاسكندرية وسكن بغداد فمات فيها سنة ١٥١ قال ابن حبان لم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن اسحاق فى علمه أو يوازيه فى جمعه ، وهو من أحسن الناس سياقاً للاخبار

# رســـالة الأزهر

## في القرن العشرين

للأستاذ المسيحي لبيب الرياشي
مؤلف كتاب « نفسية الرسول العربي »

رسالة الأزهر في هذا القرن، القرن العشرين المسيحي : .. أم القرن الرابع عشر المحمدي ؟ — هي تصير رسالة الرسول العربي العالمي المقدسة في القرن الأول المحمدي منذ ألف عام وثلثمائة عام وستين عاما وثمانية أعوام « ١٣٦٨ »

أجل هي تصير رسالته مذ تحنث وتعبد فتجرد الى أن غطه الوحي فنلم، الى أن حمي التنزيل وتتابع — فجاهد وعلم وأنذر وبشر — فبلغ

بشر بالحكمة والموعظة الحسنة الناس جميعاً « قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً »

أنذر وبشر وعلم — بفؤاد وادع وقلب سليم وسريرة طاهرة — فبلغ : « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » الى أن أكمل جهوده وأتم رسالته واستودعها الفرقان الحكيم . وجعل قيمين على تنفيذها سرائر صحابته وتضحية المؤمنين بنبوءته ليعملوا بما أوحي اليه وأنزل عليه ويجاهدوا وينيروا

يجاهدوا وينيروا — البشر جميعاً بدين الفطرة، والأخاء، والشورى، والمساواة، والعدل، والعلم، والحكمة، والحجة، والضمير، والحرية، والجرأة، والصراحة، والاستقلال، وقرة أعين في الدنيا « ورضوان من الله أكبر » في الآخرة

إذن على أسس هذا الواجب العادل، وهذا التمثل الحق، يرفع هيكل مجيد لرسالة الأزهر في القرن الرابع عشر المحمدي أو القرن العشرين كما أسمته وزارة المعارف المصرية الجليلة

إذن يرفع هيكل رسالة الأزهر في هذا القرن كما رفع هيكل الانسانية الالهي في القرن الأول المحمدي — فيقابل الدور الأول دور التحنث والتعبد والتجرد والعلم، بتحنث وتعبد ودراسة من ينتخبهم الأزهر أم يتجندون للعلم في الأزهر على أن ينتخب الأزهر طلابا من أولي الشعور الخصب وأولي العزم والذكاء العميق، والتحسس الضميري، عشاق التضحية وعشاق الحق ويثقفهم ثقافة كاملة شاملة

ينتخب الأزهر طلابه من الشبان ممن اكتملت صفاتهم تلك ليتعلموا مع علم الدين وشرعة الرسول وسنته وسيرته واللغة العربية اللغات الحية العالمية، ويدرسوا الأديان العالمية وتاريخها وفلسفتها وأساطيرها

كل فريق يتخصص للغة حية، ويتخصص لفرع من فروع العلوم ليعلموا عن كل علم جوهره الحق فيكون علمهم علما حقا « وإن الظن لا يغني من الحق شيئا »

قلت ينتخب الأزهر طلابه من الذكور والأناث فلا يحتكر العلم والتبشير الذكور عملاً بالآية الكريمة « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة . . . » ولأن واجبهم في التبشير العالمي واجب الذكور والأناث على سواء

وقلت ينتخب الأزهر طلابه من ذوي الشعور الخصب والذكاء العميق والتحسس الضميري وعشاق التضحية والحق لكي لا يقوّلوا الله ما لم يقل في كتابتهم سيرة الرسول، ويحمّلوا الرسول ما لم يعمل في تبيان حياته، ويضعوا في فمه ألفاظا تطهر منها فمه

فيقولون مثلاً « غزوة » لكل واقعة انتصافية، أو تهذيبية، أو تبشيرية

إن الغزوة كتبت بعقلية من كتب بعد مائتي سنة من وفاة الرسول مع ما في الغزو من ظاهرة السلب وحب القتال غير المعقول وغير الحق

إن المفهوم والمعقول من الآيات المنزلة عند ما أذن الرسول بالقتال كانت للانتصاف والتهذيب والتبشير لا للغزو ( أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله )

( وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ) فهل يحب الغزاة الناهبين ؟

( ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً )

( الذين إن مكناهم في الأرض، أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ولله عاقبة الأمور )

( وقاتلوا حتى لا تكون فتنة )

تلك هي الآيات الحكيمة المنصفة التي نزلت على الرسول ، فمن أين جاء كتاب السيرة ومن تابعهم بالغزو ... وبالغزوات

ولكن لا يقول الرسول هكذا : تذهب الكثرة من المؤرخين إلى أنهم – أي الصحابة – فكروا وفكر محمد (ص) على رأيهم في الانتقام من قريش لأنفسهم ومبادأتهم بالعداوة والحرب

ولكن لا يقولوه الطعن والشتم والسباب ، بقولهم : طعن آلهة قريش ، شتمها ، سبها ، ولكن ، ولكن

إن الرسول لم يكن منتقما ، وقد حذر الانتقام ، ولم يكن سبابا ، والحديث الصحيح والقرآن الحكيم ينفيان عنه حب الانتقام والشتم والسباب ؛ فمن أي مصدر قرآني ، أو حديث صحيح وضعوا في صدر الرسول الانتقام وفي فمه السباب ؟ ؟ ...

إن الرسول فكر في الانتصاف من أعداء الله وأعدائه . فكر في حرية التبشير ، فكر في تعليمهم الحق ، وعلم بما فكر . فلما لم يدعنوا بالحسنى بعد ثلاثة عشر عاما أذن له في القتال الانتصافي ، ولم يسب آلهة قريش ، بل عابها . لم يسبها لأن حديثه مشهور : لا تكن سبابا

« ليس المسلم بالسباب ولا بالطعان ولا باللعان ولا بالفاحش ولا بالبذيء »

« إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا »

للأسباب المتقدمة التي صهرناها صهرا نادى الأزهر بيت العلم المحمدي الأول ، ونقول : إن واجب رسالته الواجب . الواجب كتابة سيرة للرسول تتفق والقرآن الحكيم ؛ وعقلية الرسول البريئة وأعماله الحقة . وقلنا على طلاب الأزهر أن يثقفوا ثقافة جامعة شاملة ؛ لكي لا يرموا قلب الحق بما رماه به كاتب مشهور تعلم في الأزهر ، واتصل بالشيخ محمد عبده اتصالا وثيقا ، وكان من المؤمنين برسالة الرسول ونبوة الرسول !

لكي لا يرموا قلب الحق وإن تعريبا وإن نقلا بقولهم في تأبين من اشتهر بالبخل وحب المال اشتهاره بالذكاء والدهاء

لكي لا يرموا قلب الحق بقولهم

« في مثل هذا اليوم منذ مائة سنة مات الرجل العظيم . مات الرجل الخالد . مات ڤولتر .. ما مات ڤولتر حتى احدودب ظهره تحت أثقال السنين الطوال وأثقال جلائل الأعمال وأثقال الأمانة العظيمة التي عرضت على السموات والأرض فأبين أن يحملنها فحملها وحده ، ألا وهي تهذيب السريرة الانسانية فهذبها فاستنارت فاستقام أمرها . . »

وڤولتر هذا الذي هذب السريرة الانسانية فاستقام أمرها ، ڤولتر هذا الذي عظمه مسلم مؤمن وسكب عظمته في صدر كل عربي مسلم . ڤولتر هذا هو كاتب القصة التمثيلية بعنوان « محمد » ولقد أهداها إلى البابا بنوا الرابع عشر بهذه العبارات « فلتستغفر قداستك لعبد خاضع من أشد الناس إعجابا بالفضيلة إذا تجرأ فقدم الى رئيس الديانة الحقيقية ما كتبه ضد مؤسس ديانة كاذبة بربرية . والى مَنْ غير وكيل رب السلام ، والحقيقة أستطيع أن توجه بنقدي فسق نبي كاذب وأغلاطه ؟ فلتأذن لي قداستك في أن أضع عند قدميك الكتاب ومؤلفه وأن أجرؤ على سؤالك الحماية والبركة وإني مع الاجلال العميق أجثو وأقبل قدميك القديستين في ١٧ أغسطس سنة ١٧٤٥ » « ڤولتر »

ترى لو كان المعرب الذي استعار بلاغة القرآن تثقف الثقافة الحقة الجامعة الشاملة وفهم نفسية من كتب عنه وأعماله وأقواله

ترى لو كان مثقفا ثقافة صحيحة أكان يقول عن ڤولتر قوله سواء أكان يقول إن ڤولتر هذب السريرة البشرية فاستنارت فاستقام أمرها ، وإن أمانة هذا التهذيب عرضت على السموات والأرض فأبين أن يحملنها فحملها وحده ؟ ويكون تهذيبه للبشر بهذا الشكل الفاسق غفر الله لمن عرب ولمن ثقف هذه الثقافة

إذن لتكن رسالة الأزهر تعليم اللغات الحية ولتكن رسالته الثقافة الجامعة الشاملة ليطلع طلابه على أهم المسائل فيظهروا الحق حقا والباطل باطلا

لتكن رسالة الثقافة الشاملة ، فلا يصاب طلاب الحق بأمثال من ذكرت ، وبأمثال عالم كتب حياة محمد (ص) وعند ما شاء أن يصور كيف خشيت قريش البعث ورعبت من جهنم قال : « أما الجنة التي أعدت للمتقين ، وجهنم التي أعدت للظالمين . أما ذلك كله فلم يكن يدور بخاطرها ، وذلك كله قد سمعوا به في دين اليهود ، وفي دين النصارى » . وقال في صفحة ثانية : « والموسوية والعيسوية تصفان حياة الخلد ورضا الله »

لا أعلم أين قرأ المؤلف وصف الخلد، ووصف الجنة وجهنم في الدين الموسوي؟

لا جنة ولا جهنم أيها المؤلف الفاضل في الدين الموسوي ولم يرد وصفهما لموسى . إن التوراة اكتفت بقولها : ( إن الله له منتقم يفتقد ذنوب الآباء في البنين الى الجيل الرابع ، ومن ثمة يفتقد خطايا الخاطئ، وذنوبه بجسمه ونسله وأنعامه ومواشيه فحسب )

مثل هذا القصور في الثقافة لا يليق بمن يكتب حياة أعظم من سار على قدمين من بني البشر — حياة الرسول — لذا ترى أن أول واجبات رسالة الأزهر توسيع دائرة المعارف وتثقيف الطلاب ثقافة جامعة شاملة قبل أن يكتبوا عن الرسول وقبل أن يحللوا الحكمة السامية التي تجسدت في شخص محمد ، والأدب الرفيع الذي جلل أقواله وأعماله

جهلت قومه عليه فاغضى وأخو الحلم دأبه الأغضاء

وقلنا بالتخصص ليخرج من طلابه نوابغ في أي فرع من فروع العلوم ، فاذا تخصصوا ونبغوا حق لهم أن يفسروا القرآن الحكيم لأنهم يومئذ ، ويومئذ فقط ، يفهمون الآيات الطبية والتشريعية العالمية الدولية والنفسية البشرية ، وعلوم الفلك والطبيعيات وو . . . . إن في القرآن مجموعة العلوم البشرية فأنى لغير مجمع كبير على اخصائي في أي العلوم يفهمه ويفسره ؟ فاذا تخصصت كل فئة لفرع أجادت فهم القرآن وأجادت تفسيره

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر »

هذه الأطوار الستة وردت في القرآن الحكيم منذ أربعة عشر قرناً أثبتها الاكتشافات الحديثة أمس « واتخذها الفلاسفة الطبيعيون حجة على أطوار خلق الجنين توافق الأطوار التي نشأت فيها أصول الحيوانات في الأزمنة العريقة في القدم قبل خلق الانسان بادهار طويلة ، وذلك لأن الانسان يكون في الطور الأول من إنشائه نطفة أشبه بالحيوانات السافلة النماة بذوات الجوف ، ثم يستحيل إلى علقة فيصير أشبه بالسمك ، ثم ينسلخ مضغة فيكون شبيهاً بالحيوانات المائية البرية ذوات العمرين ، وبعد ذلك يتحول إلى مشابهة أدنى مراتب الحيوانات اللبون وهو حينئذ في بدء الطور الذي ينمو فيه خلقاً سوياً متميزاً بخصائصه النوعية »

أنى لغير الطبيب الحكيم أن يفهم عظمة القرآن وعلوم القرآن إذا مرت أمامه الآية الطبية تلك وأمثالها وأنى له أن يفسرها ؟

وأنى لغير المشترع أن يعلن بسرعة أن أعظم لجنة ألفتها جمعية الأمم في القرن العشرين مؤلفة من أكبر مشترعي العالم منذ أشهر معدودة لتحكم بين دولتين هما من أعضاء جامعة الأمم

لقد قالت اللجنة التشريعية : مادام أن مجلس الثلاثة عشر قال إن إيطاليا هي المعتدية على الحبشة ، ولما كان كلاهما عضوا في جامعة الأمم فعلى جامعة الأمم أن تناصر المعتدى عليها

ذلك كان حكمها . فلنسمع حكم القرآن في مثل هذا الموقف ولنعتبر ولنحترم

لنسمع الحكم السامي الرفيع الذي جاء به القرآن منذ أربعة عشر قرناً ، الحكم الجامع الشامل ، الحكم الذي عجز عن الاتيان بمثله أعظم علماء الشرع في القرن العشرين :

« وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما . فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله . فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، إن الله يحب المقسطين »

***

فاذا اكتملت الثقافة واكتمل التخصص وتعلم اللغات فقد ابتدأ دور الجهاد فأصبحت رسالة الأزهر الثانية والثالثة . أما الدور الرابع فالترجمة وإرسال الوفود تحت كل كوكب للتعليم والانذار والتبشير بالحكمة والموعظة الحسنة بفؤاد وادع وقلب سليم

وأن يكون من جهاد الأزهر طبع المؤلفات النفيسة عن الرسول وعن القرآن وعمن نصروا الرسول متشرفين بحكمة امامته العظمى ، وليكن من جهاده نشرها

حسب الأزهر أن يقوم بما تقدم لينقل للانسانية رسالة سامية تطمئن الأصغرين وتسعد في الدارين

الخلاصة عن رسالة الأزهر

١ — أن ينتخب طلابه من ذوي الشعور الخصب وعشاق الحق ليتعلموا مع العلوم الشرعية الأزهرية كلها تاريخ الأديان وفلسفة تلك الأديان وأساطيرها

٢ — ليتعلموا اللغات الحية

٣ — وأن يكونوا فئات في التخصص كل فريق يتخصص

# الحياة الادبية بالمغرب

## بقلم محمد عبد المجيد بن جلون

لقد حان أن نتكلم نحن أيضاً عن الحياة الأدبية فى بلادنا ، فا(لرسالة) سائرة تتحدث عن الأدب فى الأقطار العربية ، التى — وإن بدّدتها الأطماع السياسية — ستظل تجمعها لغة الضاد إلى ماشاء الله . ونعنى بالمغرب المغرب الأقصى ، وبالأدب الأدب الحديث ؛ أما الأدب القديم فنود أن نرجع إليه فى مناسبة أخرى لما شاع فى الشرق من أن المغرب قطر لم يساهم فى الأدب العربى ، وتلك حقيقة اكتشفها مؤلفا كتاب : « المطرب فى تاريخ الأندلس والمغرب » محمد عجاج ، وعلى سعد ؛ ومصدر ذلك هو الجهلُ بالمغرب وتاريخه . والمؤلفان معذوران — إلى حد ما — لأن تاريخ المغرب — والأدبى منه بنوع خاص — لا يزال فى ظلمات المكاتب ، إلا قليلاً ؛ على أن هذا القليل نفسه لا يسمح لنا أن نحكم بأن المغرب ليس له أدب قديم ؛ وما نريد أن نزيدها على ما كتب فى هذا الموضوع أستاذنا محمد علال الفاسى ( المغرب الجديد — عدد ٣ — السنة الأولى )

وبعد ، فما هى حالة الأدب العربى بالمغرب اليوم ؟ لقد أجهدت نفسى فى أن أصل إلى جواب أطمئن إليه عن هـذا السؤال ، فما وجـدتُ الحقيقة إلا فى أنها حالة ضعيفة ؛ فما هى الكتب الأدبية — بالمعنى الصحيح — التى يصدرها المغرب ؟ . . . . . أعفنى بربك أيها القارىء ، فالحقيقة مرة ، وقلبى يضطرب عند ذكرها اضطراباً

وإذ عدمنا الكتب فلنتساءل عن الصحف . إن كل ما يصدره المغرب مجلتان أدبيتان : الأولى « مجلة المغرب » للأستاذ محمد الصالح ميسة برباط الفتح ، والثانية « المغرب الجديد » للأستاذ محمد المكّى الناصرى بتطوان ، اجتازت الأولى مرحلة أربع سنوات ، والثانية أتمت سنتها الأولى منذ قريب . فما قيمة ما تنشر هاتان المجلتان ؟ ذلك ما نريد أن نتحدث عنه الآن باختصار

فأولاً يجب أن تعلم أن المجلات المصرية — يا للمجلات المصرية ! — طغت عليهما إلى درجة أن إحداهما لا تباع فى فاس ، لأنها فقدت المشترى بالمرة وهما معاً تصدران شهرياً ، فلننظر الآن ما فى هاته المجموعات

أما ما يسمى بالبحث الأدبى ففيها الكثير ، خصوصاً حول الأدب العربى فى المغرب قديماً ، فهـذا البحث الذى يتابع نشره الأستاذ محمد علال الفاسى على الطريقة الحديثة ، عن أبى على اليوسى ، وبحثه القيم يبهر القارىء ؛ وهو يكتب الآن بحثاً عن أثر شعر المتنبى فى المغرب بمناسبة ذكراه الألفية ، وموضوع كهذا ، فى وقت بالمغرب كهذا ، يصدر بهذا العنوان الخطير ، يكاد لا يصدقه العقـل ، وأحكم على البحث بالبراعة والالمـام بالموضوع لأننى اطلعت على جزء منه

وأما إذا بحثت عما يسمى بالانتاج الأدبى ، فذلك ما لا تعثر عليه ، فليس يدور بخلد المغربى أن يعالج القصة ، بل القصة عنده لهوٌ وعبث يجب أن يضنّ عليه بوقته الثمين . . . وهناك شعرٌ قليل ولـكنه نظم ليس إلا ، ذلك أن المغاربة يجهلون الشعر تماماً ، اللهم إلا قواعد جافة لا تسمن ولا تغنى من جوع . والذين يزعمون أنهم شعراء يزعمون كذلك أنهم أعلى من أن يحدثهم طه حسين مثلاً عن فن الشعر . يقلدون القدماء ويقفون ويستوقفون ، مما كان سائغاً فى العصور الغابرة أيام الناقة والجمل ، أما اليوم فـكل هـذا محاكاة لا تمت إلى الحقيقة بصلة ، وليست من الشعر فى شىء . كذلك يفقدون المثل الأعلى ، وإنما هو هذيان يجرى إلى

---

لعلم من العلوم حتى يجيـدوا فهم القرآن الحكيم الجامع لـكل العلوم ويجيدوا تفسيره

٤ — أن يترجم الأزهر خيرة المؤلفات العربية ذات العلاقة بالدين الاسلامى والرسول العربى الى اللغات الحية

٥ — أن يبعث ارساليات تبشيرية تحت كل كوكب تبشر بالحكمة والموعظة الحسنة للناس جميعا

٦ — أن يكتب سيرة الرسول العظيم كتابة تتفق مع ماورد فى الفرقان الحكيم والأحاديث الصحيحة ، ورأى المؤرخين السياسيين المنصفين

٧ — أن يترجم تلك السيرة ، أم الحياة ، الى اللغات الحية جميعها وأن يطبع ما صنف من المؤلفات النفيسة عن الرسول وعن الدين

( دمشق ) لبيب الرياشى

غير غاية، ومعان مفككة، وهم ضعفاء الخيال ، والحقيقة أن حالة المغرب الاجتماعية لها الأثر الفعال في هاته الناحية ، وهنا أستثني شاعر شبابنا الأستاذ محمد علال العباسي فاسمع هاته النغمات الحلوة يرسلها قلب عليم قد امتلأ حباً لهذا الوطن العزيز :

وإذا متُّ عليــــه فأنا مطمئن لرضاه الثمن
فاغسلوا بالمـاء منه بدني واجعلوا نسج بنيه كفني
وادفنوني في ثراه وضعوا فوق قبري منه زهر السوسن
واكتبوا فوق ضريحي بدمي هاهنا قبر شهيد الوطن

وإذا تصورت الشاعر منفياً عن مهد صباه ، بعيداً عن الأهل والوطن ، في باريس ، طلبت منه أن تعيد النظر في هاته الأبيات ؟ وهو لا زال لم ينشر ديوانه « روض الملك » بعد ؛ وله قصائد رائعة — عند ما كان في باريس تجدها في مجلة السلام ، يوم كانت مجلة السلام !

وأكثر ما ينشر ويذاع من قصائد للمغاربة ذي سقيم ، أشفق على قارئه وسامعه أكثر مما أشفق على قائله ..

والآفة التي تستولي على المغاربة هي الكسل ، وماذا يتطلب قول الشعر . . . : هل يحتاج الى اطلاع في التاريخ أو تحصيل شيء من الفنون . . . هكذا يظنون ، فينشأ الكسل

والنهضة المغربية تقوم على أكتاف الشباب الناشئ ، فهناك شباب يكتبون لأنفسهم ، ويقولون الشعر لها أيضاً ، وربما أطلعوا بعض أصدقائهم على ذلك ، وبعد هـذا فالى ظلمات الدرج ، حيث يعلم الله وحده ماذا يكون بها ، وكاتب السطور يعرف جماعة من هؤلاء في فاس اطّلع لهم على قصص لا بأس به ، وشعر له حظه من الجودة يبشران بمستقبل حافل . اذن فالأمل في الشباب الناشيء الذي يقرأ بنهم ما يكتبه أفذاذ الشرق ، فاعتدلت بذلك أفكاره نوعاً من الاعتدال ، ويوشك ان هو استمر على اجتهاده أن يكون منـه ادباء ، يبذرون في الأرض المغربية الخصبة بذور الأدب الصحيح ، بل إني أؤكد أن هؤلاء الناشئين لابد أن يكون لهم شأن ، فما كانت هاته الجهود لتضيع هباء

بهذه اللمحة الموجزة تستطيع أن تتبين ما في المغرب من أدب ، وأن نستنتج أنه في الحالة الحاضرة ضعيف الأدب ، وأنه وإن لم يكن ميتاً فهو قريب من ذلك ، وأن حالة الناشئة تبشر بمستقبل زاهر قريب ، لما لهذا الشباب الطموح من عزيمة

والعقلية المغربية أقرب الى العلم منها إلى أي شيء آخر ، ولو كنا نتحدث عن الحالة العلمية لطال بنا الحديث ، خصوصاً ما يلقى في جامعة القرويين من دروس جامعة مع اعترافنا بما فيها من نقص وما تحتاج اليه من تهذيب

ولعله استرعى نظرك أننا ما ذكرنا غير الأستاذ محمد علال العباسي فليس معنى ذلك أنه ليس في المغرب غيره ، ولكن معناه ، أنه — في نظري — أعدل إخوانه الأدباء رأياً ، وأقربهم إلى الصواب ، فهو أديب حقاً ، وله نفسية الأديب ، ويحيا حياته ، وكل من يعرف وداعتـه وأخلاقه يطمئن إلى ما نقول ، بيد أنه لا يصرف كل أوقاته — ولا جلها — في الأدب ، بل اشتغاله به محدود ضيق الدائرة ، ولو كان يفعل لكان أديباً جباراً فما خُلق إلا ليكون أديباً

بقي أن نقول إن القرويين والمدارس القوميـة والحكومية كلها بحمد وتاب ، غير أن أفضل معهد للدرس هو القرويين ، ولو كان أبناء « الكوليج ومولاي ادريس » يشتغلون بالعربية ، لكانوا أنجب من أبناء القرويين ، ولكن كل همهم في الأدب الفرنسي والتفرنج ، وهم زيادة على ذلك يعيشون في ظلام لا يستطيعون السير فيه وحدهم

وهنا ننوه بما (للرسالة) الغراء على أبناء المغرب من فضل ، فاليها يرجع طموح الناشئة ، على هداها يسيرون ، وبنورها يهتدون ؛ فشكراً لك (يا رسالة) الحياة ، ولك أنت يا مصر الشقيقة ، فلن تجدي في المغرب نكراناً للجميل

فاس محمد عبد المجيد بن جلون

# نهاية المجد الانسانى

لدانيل ديفوا Daniel Defoé

(١٦٦١ — ١٧٣١)

رسالة كتبها لاحدى الصحف بمناسبة موت الدوق مارلبرو

سيدى :

لقد أكببت أخيراً على درس التاريخ ، وطالعت حياة عظماء القرون الماضية كالاسكندر الأكبر ويوليوس قيصر وأوغسطس العظيم ، وكثيرين غير هؤلاء وهؤلاء ممن تواردوا بعدهم حتى لويس الرابع عشر الكبير ، بل وحتى أعظمهم وأكبرهم « جون دوق مارلبرو » ! ! ، ولقد مررت فى طريقى بتيمورلنك حصاد الرؤوس ، وبتيمور نبيجوس المصرى ، وبسليمان الكبير ، ثم بغير هؤلاء من سلاطين آل عثمان ، فاذا قد كتب عنهم جميعاً الواحد تلو الآخر بعد الآثار العظيمة التى خلفوها : « ثم مات » ! ! ! ! ؛ جميعاً أموات ! ؛ أموات ! ؛ أموات ! ؛ ؛ و « الموت » هو نهاية كل منهم ! ! فالبعض يرقد فى مهد الشرف ! والبعض على سرير الخضوع الذليل ! هـذا قد مات شجاعاً فى ساحة الشرف ! وذاك قد تردى فى هوة المجد أثناء عاصفة الهجوم ! البعض هنا والبعض هنـاك ! تختلط عظام الشجاع الصنديد منهم بعظام الجبان الرعديد ! وبقايا البطل الجرىء ببقايا النكرة الدنىء ! يرقدون هناك فى أكفان النسيان تحت أنقاض الثرى ؛ لا يتميز واحد من الآخر ولايباينون التراب فى شىء ! »

« ترقد هذه الساعة الدقاقة الفاخرة مختلطة بالأقذار ؛ وهى التى كانت « عظيمة » فظنت نفسها عارفة مقتدرة ! »

كم آلاف من الأبطال يرقدون فى هذا العالم أكواماً متناثرة ؟ كم يجرف الريفيون عظامهم بمحاريثهم وكم يسحقها العمال بفؤوسهم ؟ بل لكم تحول الأرض أنبل وأسمى أعضائهم إلى ما يستعمل فى أحط المنافع ! لكم مزجنا رماد الأبطال بطلاء منازلنا ؟ ؛ ولكم خلطنا رماد قائد رومانى بعلاط حظيرة للخنازير ! أين رفات (قيصر) ؟ أين بقايا (بومبى) وانقاض (سيبيو) و (هنيبال) ؟ ؟ كلهم قد تلاشوا ! ! اندثر رمادهم ولم يعد مكانهم يعرفهم ! لست تراهم إلا فى الكتب الباقية لشعرائهم ومؤرخيهم ؛ والرسائل الكثيرة لمداهنيهم ومتملقيهم الذين صوروا لنا الأشخاص لا كما كانوا حقاً ؛ بل كما كان يحلو لهم أن يصوروهم ! ! ! ! . . .

***

وما يقع لأعظم الناس يقع لأطولهم عمراً ! فقوم نوح انتهوا جميعاً بشىء واحد ؛ عاش منهم (متوشالح) تسعمائة سنة وتسعا وستين ! وأعقب أبناء كثيرين وبنات كثيرات ! ثم ماذا كان ؟ كان أن مات . . ! « الحياة حلم ، والموت نهر طام يجرفنا »

***

يحتفل الآن بجناز مارلبرو « العظيم » ! ! فكل انتصاراته وكل مفاخره ، وكل خططه الحربية التى دبرها ، وكل فتوحاته المتسلسلة المطردة ، كل ذلك الذى يخصونه به كما لو كان وحده قد حارب وانتصر ، وفاز وكسب ؛ دون أن يمده الكثيرون بأرواحهم ودمائهم ! كله قد انتهى حيث ينتهى آخرون ! بل حيث ينتهى الناس جميعاً ! إنه مات ! ! فلا ثروته الضخمة ، ولا أسلابه من أعدائه ، ولا سخاء حبيبته البارة وكرمها ، ولا الكنوز المتراكمة فى الحرب وفى السلم ، ولا كل هاته الكتلة العظيمة من الذهب التى لا أعنى بتعيين ضخامتها كما قد يعنى البعض ! ! شىء من ذلك لم يستطع أن يهبه الحياة ؛ ولا أن يطيل له أمدها لحظة ؛ لقد انتهى وكفى . . . !

لا ، بل يقول البعض إن الكنز العظيم الذى امتلكه فى هذا العالم ذو خاصية غريبة عالقة به كانت تكون جد منغصة لصاحبه لو اعتنى بالتفكير فيها قليلاً ! وهى أنه لايستطيع أن يأخذ شيئاً منه الى قبره ... !!!

لم يبق لنا شىء من ذلك « العظيم » نتحدث عنه غير تاريخه وتمثاله ؛ لقد عُدَّ الآن فى الماضيات ، وأصبحت صور جنازته ومعاركه جديرة بأن تتزين بها منازلنا كسائر القطع الفنية التى

تعادلها زهواً وبهاء ، وتساويها فى النظر اليها بسرور وارتياح !!!

***

هكذا نهاية المجد الانسانى ! وقليلاً ما تستطيع الدنيا القيام به لأعظم من يلجونها ! بل ولأعظم قدر يصل اليه هؤلاء الرجال . . . !!

فما وظيفة الحياة إذاً ؟ وما أثر العظماء الذين يمرون على مسرح الدنيا فى حلل النصر كهؤلاء الذين ندعوهم « أبطالاً » ؟؟ أهو أن يكبروا وينفخوا فى بوق الشهرة ويشغلوا صفحات كثيرة من التاريخ ؟؟ واأسفاه !! ليس هذا بأكثر من وضع قصة يقرأها الخلف فيما بعد ويصورها خرافة ورواية !! أم هو أن يقدموا للشعراء موضوعا يعيشون به فى أشعارهم الخالدة كما يدعون ؟؟ وذلك أيضاً سيؤول بهم إلى قصة شعرية يتلوها العجائز لأسكات الأطفال ، أو لجمع مساعدة للفقراء والمساكين على قارعة الطريق ...

أم أن أثرهم هو أن يضيفوا الفضيلة والتقوى لمجدهم ؛ وهما العنصران اللذان يأخذان بهم إلى النعيم ويجعلانهم حقاً خالدين ؟؟ وما المجد من غير فضيلة ؟؟ .

ليس العظيم من غير تقوى بأكثر من دابة ضخمة من غير نفس !

ثم ما الشرف بغير قدر واستحقاق ؟؟

وماذا يمكن أن يدعى قدراً حقيقياً غير ما يجعل الشخص تقياً كما هو عظيم ؟؟

إنا إذا كنا نؤمن بحالة مستقبلة للحياة ، بمكان يكافأ فيه الفضلاء ، ويعاقب بين جدرانه السفلة ، فكم من الرؤوس المتوجة سيلبس تاج السعادة والخلد ؟؟

لا يحسدن أحد « العظماء وذوى المجد » كما نسميهم !! فانا إذا استطعنا الآن أن نراهم وجدنا أكثرهم يستحق الرثاء لا التهنئة !!؟

هذه الخطرات القليلة أبعثها اليك ياسيدى لتهيء عقول قرائك قبل أن يذهبوا لمشاهدة الجنـاز الفخم للطبيب الذكر « دوق مارلبرو » . . . . . ؟

ترجمة محمد حسن ظاظا

الأدب بين الخاصة والعامة

# لامرتين ورينه جارد
## للسيد اسكندر كرباج

فى عام ١٨٤٦ قصد الشاعر الفرنسى لامرتين إلى مرسيليا لقضاء بضعة أسابيع فى أحد أحيائها الهادئة ، بعيداً عن متاعب السياسة وضوضائها ، وكان لامرتين وقتئذ فى أوج مجده الأدبى وعظمته السياسية ؛ فاحتفت به أندية العلم والاجتماع فى تلك المدينة البحرية ، وأكرمه الأدباء والشعراء ، ونظموا فيه القصائد البليغة

وفى ذات يوم ذهب لامرتين وزوجه للنزهة على ساحل البحر ، فلما عاد مساء قيل له إن فى الرواق المطل على الحديقة امرأة وضيعة الهيئة بسيطة الهندام تنتظر رجوعه منذ الصباح .

فتوجه لامرتين إلى الرواق المذكور ليرى تلك المرأة الغريبة ويقف على حقيقة أمرها ؛ وبعد أن يشاهدها ويحدثها ويصف ملامحها ونظراتها وإشاراتها بتلك الرقة الساحرة وذاك البيان الخلاب الذى اشتهر به مؤلف رواية غرازيلا ورفائيل يسألها عن الغرض من قدومها لزيارته ، فتجيبه أنها خياطة فى اكس ، وقد قرأت رواياته ومنظوماته ، وأعجبت بجمال تعابيره ورقة شعوره وسمو خياله ، فلما اطلعت فى الصحف على خبر قدومه إلى مرسيليا واحتفاء دوائرها الأدبية به تولدت فى نفسها رغبة التعرف به والتحدث اليه ، وأنها على الرغم من فقرها وخمولها تجرأت على ترك عملها والقدوم سيرا الى مرسيليا تحقيقا لرغبتها

فيتودد اليها لامرتين ويلاطفها ويقول لها انه يشك فى أنها تركت عملها وتحملت مشاق السفر يومين كاملين ، وقضت معظم النهار فى انتظار رجوعه من نزهته لكى تراه وتحدثه وتتعرف اليه فقط ؛ بل يجب أن يكون هنالك سبب آخر لقدومها لا تريد ذكره ، أو إنها لا تجرؤ على التصريح به ، ولذلك فهو يسألها أن تخاطبه بحرية وتبوح له بما فى قلبها من غير تكلف

فتفقد هى إذ ذاك شيئاً من خجلها واضطرابها ، وتخبره أن فى إكس أسرة كريمة تعرف شدة ميلها إلى المطالعة وعجزها عن شراء الكتب فتعيرها ما تقتنيه منها ، فاستطاعت بذلك أن تطالع

عددا كبيراً من الروايات النفيسة والمنظومات الرقيقة ولاسيما رواياته ومنظوماته التي تطرب السامع ، وتحرك القلوب ، وتستذرف الدموع

فيقاطعها لامرتين مبتسما : عرفت الآن ! إنك شاعرة كالنسمات التي تهبُّ بين أشجار الزيتون ، أو كالندى الذي يبلل أثمار التين !

فتجيبه : لستُ شيئاً من ذلك يا سيدي ؛ إني خياطة وضيعة لا أبرح غرفة عملي إلا نادرا ، وسلوتي الوحيدة الدرس والمطالعة ، وليس يؤنسني في وحشتي وانفرادي إلا عصفور غرِّيد ، ولكن هذا كله لا يهمك أمره ، لقد سألتني عن سبب قدومي إلى مرسيليا وكيف عرفت بقدومك اليها ، فأجيبك أني قرأت منذ أيام في صحف هذه المدينة أبياتاً من الشعر الرقيق ليوسف أوتران في مدح لامرتين والترحيب به ، فشوقتني هذه الأبيات إلى رؤية الشخص الذي أوحى إلى شاعر مقاطعتنا نظم تلك الأبيات الجميلة ، وبتُّ لا أستطيع صبراً على ذلك . وبعد وثوق من وجودك هنا قدمتُ لزيارتك دون أن أهتم بملبسي أو بغيره مما يجعلني أهلا للمثول في حضرة رجل مثلك ؛ وهأنا أمامك الآن لا أدري ماذ أقول ولا ماذا أفعل ، وربما حملتك حالتي هذه على الاعتقاد بأني امرأة جسور مغامرة أتت تخدعك وتدعي ما ليس فيها ، مع أن الحقيقة هي ما أوردته لك بالتمام ، وبعد أن شاهدتك وعرفتك وحدثتك وحظوت منك بهذا الاستقبال اللطيف سأعود إلى قريتي حاملة أجل ذكرى لهذه الزيارة

فيقول لها لامرتين : خففي عنك أيتها الآنسة ! لم يمر في خاطري قط أنك لست كما تذكرين ، فلامحك أنصع دليل على صدقك وسلامة طويتك ، وإذا كانت الألسنة تخدع أحياناً فالعيون لا تضلل أبداً ؛ ففي عينيك بريق يشفُّ عن براءة ونقاوة لا يمكن أن تكونا برقعاً لامرأة كاذبة نمامة . إن الطبيعة لم تخلق الملامح كذوبة ، فأنا أثق بك كما لو كنت أعرفك منذ الصغر ، ولذلك لا أسمح لك بالانصراف ما لم تحدثيني طويلاً وتشاركينا في العشاء ؛ لقد ذهبت زوجتي لتغيير ثوبها ولا تلبث أن تأتي لاستقبالك والقيام بواجب الضيافة نحوك . وقبل أن يحين وقت العشاء أخبريني كيف تولد فيك هذا الميل إلى المطالعة ، وهذا الهيام الشديد بالشعر والشعراء ، والتعرف إلى الأدباء الذين طالعت رواياتهم

فتروي له قصتها قائلة : إسمي رينه جارد ، وقد وُلدت في قرية قريبة من إكس ، ودخلتُ صغيرة في خدمة السيدة ... ورافقت نشوء الأولاد ، ونعمت بعطف الأبوين وصداقة الصبايا ، وكنت أصغي إلى ما يتعلمنه على الأساتذة وأطالع كتبهن في أوقات الفراغ ، فتوصلتُ بهذه الواسطة إلى تحصيل بعض العلوم ومعرفة القراءة والكتابة والخياطة والغسل والكيّ وغيرها مما تحتاج إليه الفتاة ويكلفها تعلمه نفقات كبيرة . وكنت أتولى خياطة ثيابهنّ ، وأعدهن لحضور الحفلات في إكس ، وأنتظر رجوعهن من المراقص حتى الساعة الثانية والثالثة بعد نصف الليل ، ومكافأة لي على ذلك كن يدفعن إلي كتاباً أو رواية لكي أطالعها في غيابهن ؛ فكنت أجلس بها إلى جانب الموقد وآخذ في مطالعتها مرتين وثلاثاً ولا أتركها من يدي إلا بعد أن أكون قد استوعبت معانيها جيداً ؛ وهكذا طالعتُ قصة السكينة لورانس في روايتك الشعرية جوسلين ، وقد قلت لنفسي وقتئذ : هل يسعدني الحظ رؤية كاتبها ومحادثته ؟ لا ريب أنك تعرف أنشودة البحري التي مطلعها : من هو ناظم النشيد؟

- فيجيبها لامرتين : نعم أعرف تلك الأنشودة التي يضع ناظمها اسمه تحت آخر بيت منها كما كان فيدياس يضع اسمه على قاعدة تماثيله ، وفانديك في ذيل رسومه لكي يخلد بخلودها . ولكن أخبريني كيف انفصلت عن تلك الأسرة الكريمة ، وأي عمل تمارسين الآن ؟

فتقول له رينه : بعد أن تزوج البنات وتوفيت الأم لم يعد من حاجة إلى بقائي في البيت ، فغادرته على ألا أدخل في خدمة غيره ؛ وقد ساعدني الأب بمبلغ من المال على تدبير أموري ، وقال لي البنات : اطمئني فلن نحوجك إلى الاستجداء

وكنت محبوبة معتبرة في بيئتي ، فاستأجرت حانوتاً تعلوه غرفة صغيرة للنوم ، وانصرفت إلى احتراف الخياطة ، ولكثرة الاقبال عليّ كدت لا أستطيع تلبية الجميع ؛ وأنا أعيش اليوم من إبرتي ، وما يفيض عن نفقاتي أختزنه ليوم الضيق أو لأيام شيخوختي . وكانت لي عصفورة تسليني في وحدتي ففقدتها وحزنت عليها كثيرا ، وأنا أخصص أيام الآحاد والأعياد للمطالعة . وفي المدينة أشخاص من الطبقة العالية مثلك ، وعلماء وأدباء حتى وبعض أعضاء المجمع العلمي يعرفون ميلي إلى المطالعة والنظم في بعض الحفلات ، فلا يخجلون من دخول مضنى ومحادثتي وإعارتي بعض الكتب

فيقول لها لامرتين مبتسما : أتنظمين الشعر أيضاً يارينه ؟ كنت استشف ذلك من عينيك الحالمتين ، إذ لا سماء بدون غيوم ، والأحلام والنظم هي غيوم تينك العينين الجميلتين ؛ ولكن هلمي بنا ، لقد هجرت أنا النظم ، ولكني لم أزل أحن إلى سماع رنانه والاستمتاع بروائع صوره ومعانيه . فما أجمل زمن النظم ! وما أشد شوقنا اليه ! هل تذكرين يارينه شيئاً من نظمك فتسمعيني إياه ؟ انظرى ما أبدع هذا المكان وألطفه لانشاد الشعر ! فالشمس على وشك المغيب ، والبحر يحمل إلى مسمعنا هدير أمواجه وخشخشة أصدافه التي هي أشبه بغناء صغيرة تضرب على الصنج ، والنسيم يداعب أشجار الليمون وينثر أزهارها العذرية على شعرك الأسود ، وأنا ، هذا الغريب الذي كان شاعراً فيما غبر من الأيام ويجلس وحيداً أمامك ليسمعك وقد أعجب بنبرات صوتك ، ألا يساوي كل هذا في نظرك جمهوراً من السامعين حتى ولو كانوا من أعضاء المجمع العلمي ؟

فتجيبه رينه : لا جرأة لي على ذلك ياسيدي ، ولكنني أحتفظ بمقاطيع من الشعر كنت قد نظمتها في إحدى ساعات كآبتي ، فأفضل أن تقرأها أنت من أن ألقيها أنا على مسامعك . ثم تخرج من جيبها بضع أوراق وتدفعها اليه .

فيأخذها لامرتين ويقرأها لنفسه ، وكانت هي في أثناء ذلك تمسح وجهها بمجزمها وتحول نظرها عن وجه لامرتين مخافة أن تقرأ فيه ما يدل على استهجانه .

ثم يصف لامرتين تأثير تلك القراءة في نفسه فيقول له

لقد أعجبت وتأثرت جداً بما قرأت ، انه التعبير الساذج اللطيف المؤثر بكل قوته ومعانيه ، بل خلجات قلب هادئة تصل الى السامع بصورة شجية متناسقة ، بل صورة ملامحها المتواضعة النقية اللطيفة بكل خطوطها وعلاماتها ؛ وبكلمة واحدة ، انه شعر حقيقي لامرأة تحاول التعبير عن عواطفها بالضرب على أوتار آلة تجهلها

لم تكن الأبيات التي طالعتها شديدة أو رنانة كشعر راول ، ولا حماسية وهاجة ، أو ندية فضفاضة كالياسمين ، بل كانت هي نفسها : نغمة مملة كئيبة تنشدها عاملة فقيرة لنفسها وهي تحرك أناملها أمام نافذة غرفتها لكي تخفف تعبها من عمل الابرة

كان في الأبيات نغمات حادة تجرح القلب ، وأخرى لا تحتوى إلا نبرات غامضة لا تلفظ كأن التنفس وقف في منتصف الاستنشاق ، غير ان هذا كان قوياً وتاماً ومتغلغلاً حتى القلب وحتى السماء ؛ وكان التأثر فيها يفوق الاعجاب . وعلى الجملة أنها الشعر في حالة التكوين ، الشعر الذهبي كما هو في كل مكان حيث يبتدئ في الشعب ولو خلا من صوت الفن ، ان نغمة واحدة مملة كئيبة ، وقصة تتألف من حادث أو حادثين ، وسبع أو ثماني صور كافية للتعبير عن اللانهاية !

ثم يرجع لها الأوراق قائلاً : إن في منظوماتها أشياء خلابة وأن الله منحها موهبتين ساميتين : الشعور بدقة ، والتعبير بظرف ؛ وهما موهبتا المواهب ، أو موهبة الدموع في الصوت ، ولكنه أبعد من أن يشير عليها بنشر تلك المنظومات التي هي مثل المياه لا تستعذب الا اذا نهلت من ينبوعها

فتجيبه رينه : ماذا تقول ياسيدي ؟ اني لم أفكر قط في أمر كهذا ، إن اقدامي على نشر الكتب يحمل حتى ملاكي الحارس على السخرية بي . لقد نظمت ما قرأته الآن يوم الأحد الأخير على سبيل التسلية فقط ، ولا أحد يعلم به في أكس . ومتى كان الإنسان يعيش وحيداً مثلي يضطر الى التكلم عالياً كي يستوثق من وجوده ، فالمنظومات التي قرأتها هي مناجاتي لنفسي .

(العصبة) اسكندر كرباج

من العصبة الأندلسية

# نحن والزمن

## للأستاذ عبد الرحمن شكرى

مقـــدمة :

الزمن كما يفهمه الانسان فكرة من أفكاره ، ونسبة ومقياس من صنعه ، فهو يقيسه باحساسه بأمور نفسه وبالمرئيات والمحسوسات وما يعتريها من تحول ؛ وفكرة الزمن هذه أمر نسبي شأنها شأن الاحساس بالحرارة والبرودة ، أو بالابعاد والحجوم والألوان والأشكال ، ومن المستطاع أن يتصور العقل مخلوقاً آخر غير الانسان يختلف في حواسه ، فتختلف كل هذه الأمور في نظره عنها في نظر الإنسان ، وهي أيضاً قد تختلف في نظر الانسان في حالاته المختلفة من شقاء أو سعادة أو مرض أو صحة . والعجيب أن الانسان في خياله ينسب إلى الدهر مثل هرمه لقدمه ، فيصوره كأنه شيخ مغن في يده منجل يحصد به الناس والخليقة جيلا بعد جيل ، والدهر خليق أن يمثل بفتى في ريعان الشباب . فالانسان يهرم والدول تشيخ وتفنى ، والأجيال تنقرض ، والدهر هو الدهر ، ومن أجل ذلك تصور بعض المفكرين الدهر كأنه زمن حاضر لاماضي فيه ولامستقبل ، وأما الماضي والمستقبل ففي الناس ، والحقيقة أن هذه الفكرة في كنه الزمن لا تختلف عن الأولى مادام الزمن نسبة يقيسها الانسان باحساسه ، وإذا كان الزمن كذلك فمعاداة الناس للزمن معاداة لأنفسهم ، ونسبتهم الحيف والظلم إليه هي نسبة الظلم إلى أنفسهم (الناظم)

القصيدة : —

يُنْشِدُ البَحْرُ خَرِيرَ الحِقَب ... أم خفوقُ القلب نبضُ الزمنِ[1]
أم ترى الأفلاك في دوراتها ... رتَّلَتْ منــه خَفِيَّ اللَّحَنِ
فَرَش الناسُ له منهم وُجُوهاً ... خَدَّدَ الدهر بها ما خَدَّدَا
أثَرٌ في سيره مِنْ قَدَم ... جَعَّدَتْ ما كان بَضًّا أمردا[2]
زعم الناس إذا أمضاهمُ الـ ... ـدهر أنْ أمضوا من الدهر سنينْ
يستطيع البذل من يقوى على ... خَزْنِهِ هيهات ذا من هالكين
كم ملوك ودهم لو تُشْتَرَى ... منه عند الموت بالذخر التليدْ
سَنَةٌ أو ســاعة أو طرفة ... فإذا الدهر قضاء لا يحيدْ
إيه يادهر لقــد شاطرك الـ ... ـحُكْمَ في الناس قضاء لا يحول[3]
أرْدِهِ يادهر واعتقـــد غيره ... إنما القِرْنُ على القِرْنِ يصول
كم شــقيٍّ أبطأ الموت له ... ودَّهُ أن لو يلاقِ الأسرعا
سَئِمَ الدهر عليــه مثقلاً ... ثم ما أبطأ حتى هـــرعا
وسعيد يجتني من عيشه ... زَهَرًا يرجو لو الدهر تأنَّى
فسواء مُتْعَسٌ أو مُسْعَدٌ ... أين مَنْ يحمد خَطْوَ الدهر أينْا
نحن نبغي من زمان فسحة ... هل ربحنا من زمان وقد قضى[1]
لو يعود الدهر مردود الخُطَى ... لفعلنا فعلنا فيما مَضَى[2]
وصفوا الدهر بشيخ حاصد ... أشيب في يده كالمنجـــل
وهموا في شيب دهر يافع ... ذي فَتَاءٍ خالدٍ لم يَنْصُل
يسرق الدهر بهاء رائعاً ... ويعير النُّؤْيَ حُسْناً أروعا
فهو كالرسام يمحو صورة ... ثم يســـتنبط رسماً أبدعا
وترى الدَّهْرَ مُغِيراً آسيا ... يده تأسو وأخرى تجرح
والذي في القوم بالرزء يصول ... يمنح السلوان فيما يمنح
ولعل المُضْمَرَ المخبوء من ... مصرع الدهر يُرَى بالأعين
مصرعَ الدهر ممات للذَّنَى ... كيف يبغيه الورى بالإحَنِ
موته موتٌ لمن قد قاســه ... باتصال الفكر أو خفق القلوب
عجباً نحن خلقناه فمـــا ... نسبة الظلم إليه والعيوب[3]

عبد الرحمن شكرى

(الرسالة) ربما كان للعروضيين في بعض أبيات القصيدة رأى لا يتفق مع حرية الناظم

(١) في البيت تشبيه للدهر بالبحر ، وكأن له خريراً من تعاقب أجياله كخرير البحر من تعاقب أمواجه ، وكأن الدهر أيضاً قلب نبضاته كدقات الساعة التي يقاس بها الزمن ، أو كنبضات قلب الإنسان الذي يقاس الزمن باحساسه

(٢) كأن أخاديد التجعد في وجه الانسان آثار قدم الدهر وهي كآثار قدم الانسان في الرمال

(٣) القضاء لا يحول عما يراد بالخليقة

(١) فسحة من الزمن : أي زيادة منه ، وقضى : أي مات واندثر ومضى

(٢) كثيراً ما يمنى الانسان نفسه بأنه لو عاد إليه ماضي عمره لفعل به غير ما فعل ، وهذا وهم ولا يغير أفعاله إلا إذا تغيرت نفسه

(٣) خلقناه يعني أنه فكرة نسبية يتخذ الانسان لها مقياساً من حواسه وهي ليست كل ما يمكن أن يكون من الحواس

# مواجع شاعر

[ مهداة إلى رفيقي الأستاذ أنور العطار ]

## للأستاذ زكي المحاسني

إن أشعارك المآتم فيها
كل بيت بصيب الدمع يشرق

---

إن حياة صفت فأنت موفَّقْ    تترك الحزن والبكاء وتعشق
والشكاة التي تدوم ملالٌ    ربَّ قلبٍ لا يشتكي يتمزقْ
هل حلفتَ اليمين أنك في النَّوْ    حِ ستغدو مثل الحمام المطوَّقْ
إنَّ أشعارك المآتمُ فيها    كل بيت بصيِّب الدمع يشرق
أنا أدري بسرِّ نفسك في الهـ    ـمِّ وعندي لك الدواء المفوَّقْ
أقْتُلِ الهمَّ بالسلوِّ لتحيا    خالص النفس كالذي اليوم يخلق
واهدم البيت واتركْهُ يبابًا    في يد الريح عنده اليوم ينعق
وابنِ في نفسك الجديدة بيتًا    بالأماني والسرور تزوَّقْ
كيف تحنو على الذي ليس يحنو    وينام الدجى وأنت مؤرَّقْ
الهوى بالبديل. وهو شقاء    إن علقنا الذي بنا ما تعلَّقْ

---

يا حبيبي يا من فديتك أبصِرْ    ني مليًّا وفي فؤادي تعمَّقْ
ربما قد شممتُ زهرك في عنـ    ـفٍ ويا ليتني به أترفَّقْ
أنتَ نغَّصتَ بالفتون حياتي    فإذا لاح لي جمالك أشهقْ
كم تأمَّلتُ في بهائك حتى    ضعتَ عني وكادت العين تزهق

---

يا رفيقي الذي ألومك إني    في شجوني بلوم نفسيَ أخلق
فيمَ لا أستطيع أكتبُ شعرًا    عن دماء في مطاب الحق تهرق
أنا طيرٌ خلقتُ في القفص الحلـ    ـوِ وموتي يجيئني حين أطلق
لي عذابٌ متى تفكرت فيه    صار دمعي في مقلتي يترقرقْ
إنْ أتاح الزمانُ تغييرَ حالي    سِرتُ من همة الزمان بفيلقْ
وتعاليتُ في عظيم المعالي    مثل نسرٍ في قبة الجوِّ حلق

---

دونك الوجد فابكِ ما اسطعتَ شعرًا    فصفاتُ الأزهار أن تتفتقْ
يُشْبِهُ الشاعرُ البخورَ فلا ينـ    ـشرُ طيبًا حتى على النار يحرقْ

# إلى النسيم* …

## بقلم العوضي الوكيل

---

هُبَّ وافتح مغالق النفس فتحا    وامر في مهجتي مساء وصبحا ..
وتهامس إليَّ ؛ يا ما أحيلى    لغةً منك في المسامع فصحى !
وتحمل من البحار قطارًا    وتحملْ من الأزاهر نفحا

* * *

واشمل الكون يا نسيمُ وجيءْ قلـ    ـبي ، فخدُّ الطاف قلبٌ بصيرُ
مقلتايَ اللتان لا تريان الـ    ـكونَ إلا كما يراه كثيرُ
لا تمدَّان خاطري بمعانٍ    لذَّ فيها الأسى ، ورقَّ السرورُ
ليس بالكونِ ما تراه عيوني    إنما الكونُ ما يراه الشعورُ !

* * *

مُرَّ بي عابسًا ، ومُرَّ ضحوكًا    وأرني بائسًا ، وجئني سعيدًا
رُبَّ شاكٍ نقلتَ شكواه عندي    فتهادتْ بين الضلوع نشيدا ..
وأخي صبوةٍ يبثُّ حنينًا    بتَّ أشدو بما يحنُّ قصيدا !
إن قلبي كمرصد ترسم الأنـ    ـسامُ فيه على الشغاف الوجودا

* * *

أيهذا النسيم ، وانقل سلامًا    من حبيبٍ إلى حبيبٍ ناءِ ..
إن أسرَّا إليك يومًا بأمرٍ    فإلى الكتم .. لا إلى الإفشاءِ ..
ونِعِمَّا النسيم في الصيف يهفو    لفؤادي الحزين كلَّ مساءِ ..

العوضي الوكيل

---

(*) من ديوان « نجية الحياة » يصدر بعد ثلاثة أسابيع . . .

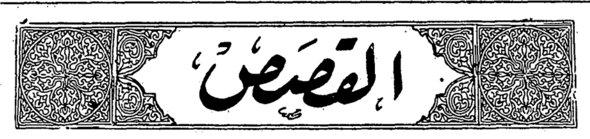
---

# غيرة

## بقلم السيد الياس قنصل

---

أيّ معنى فيك من سرِّ الهوى    بث في نفسيَ أطياف الألم
فغدا حبيبي منها ظمئًا    لاحًا ليسَ يرويه قسَمْ ؟
انني أعرفُ ما تورثه    فيكِ نجوايَ من الدل الثمين
فاذا كانِ حديث الحبِّ من    .فم غيري ؛ فبماذا تشعرين ؟



قصة عراقية واقعية

# الشفاء ..

بقلم سعيد عبد الاله الشهابي

جلست على أريكة فى سهوم أخاذ تطالع عيناها كتاباً بقى مفتوحاً على مائدة صغيرة أمامها زهاء الساعة دون أن تتلو حرفاً أو تقلب صفحة . كانت عيناها السوداوان الساجيتان العميقتا المعنى تنظران وتطيلان النظر فى لا شىء كمن يريد أن يستشف ما وراء حجب المادة . وتناولت سيكارة صغيرة مذهبة من علبة جميلة من العاج حمراء ، وتنهدت عميقاً كمن انزاح عن صدره ثقل ، وراحت تنفث الدخان ذاهلة ، وربما ظنت أن الغرفة لا تضم سواها .

تلك كانت حالها منذ حلت هذا البيت .. بيت كبرى اختيها ، وكانت هذه متزوجة برجل من ذوى القربى الأبعدين ، وهو من موظفى الدرجات المتوسطة فى الحكومة .

***

تقدمت منها خادم تحمل فى صينية قدحاً من البلور الصافى صغيراً فيه شاى كانت تفضل الشرب منه ، ووضعته أمامها على المائدة الصغيرة وانسحبت بهدوء

بقيت زهاء ربع ساعة ساهمة كالحالة ثابت بعده إلى نفسها والتفتت إلى جليساتها ، وهن من صديقات أختها الحميمات وبعض قريباتها ، وكن يتحادثن بصوت خفيض حرصاً على تركها فى تفكيرها إذ كانت إلى نفوسهن أقرب وإلى قلوبهن أحب .. فلقد وجدن فيها شابة مكلومة الفؤاد خائبة الأمل .. والمرأة بطبيعتها تعطف على المرأة

***

أحبت فتى من ذوى قرباها لم تعرف سواه . يوم لم تكن سنها تتجاوز السادسة عشرة . بادلها الحب فأخلصت له وأحبته بأقصى ما تستطيع المرأة أن تحب .. حتى إذا أوشكا على الزواج عافها وولاها ظهره .. واختص نفسه بواحدة سواها .. كانت صديقة لها . ربما كان له بعض الحق فيما فعل لو لم يبادلها الحب فى أول الأمر ، لكنه انغمر وإياها فى لج بحره الطامى جنباً إلى جنب ، حتى إذا بعدا عن شاطئه فأضناها التعب وأضحت مكدودة تخشى الغرق فى قاعه عاد وتركها لينجو بنفسه .. وقد مرت على ذلك سنتان ؛ فيا للقسوة ويا للظلم !

لم تعد تستطيع العيش حيث نكبت فى قلبها ، فما لبثت أن حزمت متاعها وزمت حقائبها واستقلت القطار السريع من البصرة مسقط رأسها .. إلى بغداد حيث أختها .. فلقيت حنواً وعطفاً لا مزيد عليهما

***

شربت قدح الشاى بأسلوب خاص ورشاقة فذة .. ثم شرعت فى محادثة جليساتها بصوت موسيقى رخيم تخللته ضحكات صافية الرنين لكنها قصيرة يختفى تحتها ألم مكبوت وهم دفين وجذبت نفساً طويلاً من سيكارتها ، وألقت على متكأ

---

كلما افترّ محياك انجلى ... كلّ ما فى الحسن من شكل وفن
أفتبقى هذه الفتنة فى ... هذه البسمة ان أبعدت عنى؟
ويظل السحر فى عينيك إن ... كان غيرى فى مرامى نظراتك
وإذا حدثت ، مثلى يجتنى ... متعاً رائعة من كلماتك ؟
إنّ للغيرة فى صدرى يداً ... جعلته مذبحاً للشعل
خبرينى كيف أدرى ان بدا ... لك فكر أو خيال ليس لى ..

(عاصمة الأرجنتين) الياس قنصل

الأريكة رأسها الجميل فبدت تقاطيع وجهها الرائع الفتان وجيدها الأتلع ، وتناثرت خصل شعرها الكستنائي السبط فبان جبينها الأسمر العاجي الوسيع ... ونفثت الدخان ناظرة إلى السقف ، كان صدرها يعلو ويهبط باتزان ، وكانت عيناها الجميلتان تشعان شعاعاً ينم عن ذكاء متقد وحس دقيق وعاطفة فياضة متوثبة وروح حزين وثقة بالنفس نادرة عند النساء . لم يكن شأن من شؤون الحياة ، غير ذكرى حبها ، ليشغل بالها . فليس سبب قلة كلامها وطول تفكيرها وإيجازها ان تحدثت إلا تلك الذكرى ، فموارد عيشها كانت وفيرة برغم كثرة مصاريفها ، فهي في حرز ومأمن من هذه الوجهة . فلقد كان ما تدره عليها أملاك كما الموروثة عن الجدود ما يفيض عليها النعمة

* * *

ودار بخاطرها طائف من الشك : لماذا هجرها حبيبها ؟ أهي غير جميلة ؟ وبدا لها أن تخرج من الغرفة ، فاستأذنت مجلي ودخلت غرفتها وأغلقت الباب بالمفتاح وأقبلت على المرآة الكبيرة في خزانة اللابس وراحت تحدق فيها . فاطمأنت وزال شكها وأخذها شبه غرور . لكنها سرعان ما أحست بألم يمض فؤادها وبنار تحرق وجهها ورأسها ، وتخاذلت تخاذل المرأة المطعونة في كرامتها ، وألقت نفسها على السرير قبالة المرآة ، وراحت تناجي نفسها : إيه أيتها الطبيعة ! هل أوجدت هذا الجمال الفتان ليقاسي هذا العذاب ؟ فهل مثل هذا الشباب الغض يستحق هذا العقاب ؟ وهل مثل هذه الروح الفتية تستحق خيبة الأمل ، وتابعت محادثة نفسها ، وهي تنظر إلى صورة لأفروديت كان الحبيب الغادر أهداها لها ، وأنت يا آلهة الحب . ربطت روابطك قلبي بقلبه فأخلصت وخان . . وليت نداءك وصم هو أذنيه . . فما بالك أيتها القاسية تعاقبين المخلص وتتركين الخائن . أفما كنت ترحمين المخلصة بأن تحليها من العقود التي ربطتها بها . أنظري إلى هذا القد الأهيف المياس ما أشد نحوله . أنظري إلى هذه الصفرة التي ليست من ظاهرات الشباب الحي . . أفيكفي أن يكون الوجه ساحراً والعينان فتاكتين لتكون دليل الحيوية والنشاط . إن هذا السحر المظيم في تقاطيع هذا الوجه ، وهذا المعنى البليغ العميق في هاتين العينين ، ليسا إلا ظواهر الحب الدفين ، تجردها منه تجدي شبحاً من الأشباح

* * *

دق باب غرفتها فأذنت ودخلت ( فيروز ) وهي مربيتها وخادمتها الخاصة ... تدعوها فعادت معها إلى حيث كانت أختها والرفيقات . . لقد خشين عليها الوحدة فدعونها . . لكن نفسها كانت تزخر بشتى العوامل . . الحب ، البغض ، الغـــيرة . . ولكن كرامتها أخذت تتيقظ فتعمل على اخماد هذه العوامل . . ودعت ( فيروز ) وطلبت منها أن تغني الأغنية التي تحبها . فاتخذت هذه وضع من يريد الغناء وشرعت في الأغنية الشعبية العراقية المعروفة :

جلبـَكْ صَخَرْ جلمود   ما حَن عَلَيَّـهْ
وأنت بطرب وبكيف   والبَيَّـــهْ بيَّـهْ

وما أتت فيروز على الأغنية حتى شرعت تبكي . . وشاركتها الجليسات . . وفيما هن في ذلك دق الباب الخارجي . . فهرعت اليه فيروز وعادت تحمل رسالة حمراء اللون عرفت من لونها أنها رسالة برقية وكانت باسمها . كانت البصرة مصدرها . . من البصرة . . يا الله . . فضتها بيد مرتجفة وقرأت :

« ماتت زوجتي بالتيفوئيد منذ أسبوع . أسفت كثيراً على ما فعلت . . إني قادم اليكم بعد يومين . . » .

تغيرت سحنتها تماماً بعد تلاوة (البرقية) وتألقت عيناها بعزم ثابت ونظرت باحتقار إلى البرقية التي كانت لا تزال مفتوحة ومزقتها قطعاً صغيرة وألقتها في الموقد الذي كان بالقرب منها . وقالت تتمتم :

ماتت زوجته ! . إنه قادم بعد يومين ! . ما أسخفه وما أقل عقله ! ماذا حسبني ؟ هل يظن أني سأبقي محبة له بعد الآن ؟ . . إن هذه البرقية خاتمة آلامي . . فلأسعد ولتعد الى الحياة . . ألا تبا له من رجل جبان . . يريد أن يسلو بي زوجته . فيا للذلة ! ويا لسخرية القدر ! ليذهب وليلحق بها . . فما عدت أراه إلا خنزيراً في عيني

— واشتدت ثورة نفسها وعظم سخطها فجاءت برزمة من الخطابات وبعض الصور مربوطة بأنشوطة حريرية حمراء وألقتها كما هي في نار الموقد . وناولت البرقية لأختها ورفيقاتها مجيبة بها على نظراتهن المتسائلة

( بغداد — ضاحية الأعظمية )   سعيد عبد الأول الشهابي

# اعتذار !

## للأديب حسين شوقي

عزيزتي :

أبادر بتقديم اعتذاري الحار من مشهد الغيرة السخيف الذي مثلته أمامك أمس ! . . وما زلت أشعر بخجل شديد كلما فكرت فيه . . في الواقع لم يكن الذنب ذنبي ، بل هو ذنب قلبي الضعيف ؛ ولقد عاقبته على فعلته إذ عنفته تعنيفاً شديداً ، ولكن هذا القلب قد يستحق أيضاً عطفك وحنانك ، إذ هو آلة ليس غير في يد تلك القوة الجبارة القاهرة ، قوة الحب ! مسكين قلبي ! إنه مطارد دائماً بنار حامية تدفعه إلى خلق مثل هذه الريب والظنون ، ولكنها في الوقت نفسه نار طاهرة مثل نار المجوس ، لأنها نار الحب المقدس ! كم كنت غبياً في غيرتي تلك ! فما الضرر في أنك تحدثت إلى س . ! ألا تتحدثين إلى مئات من أمثاله كل يوم أثناء عملك ؟ كذلك كان يجب علي أن أراجع نفسي فأقول إنه لا يهمك لأنك تبغضين مثل هذا النوع من الرجال المغرورين بجمالهم . فكم كانت ثقيلة متكلفة تلك الابتسامة التي علت شفتيه أثناء تحدثه إليك !

عزيزتي إذا كان قد أزعجك قليلاً ما بدر مني بالأمس ، فإن ما حدث لي أنا فيه العقاب الكافي على فعلتي ، إذ رأيت الهول ليلة أمس في حلم فظيع . .

شاهدتك في غابة عظيمة ، لعلها من غابات الهند ، لضخامة أشجارها وكثافة أدغالها . كنت تتنزهين فيها مع شاب لم أتبين شخصيته ، لأنه لم يلتفت وراءه قط أثناء السير ؛ أما أنت ! فقد عرفتك من فوري يا عزيزتي ، من شعرك الذهبي الرائع ، من مشيتك الأنيقة التي تفردت بها دون نساء العالم أجمع ! . . ولكن الغابة كانت أثناء هذا تحترق ، والدخان الكثيف يتصاعد من كل مكان . . بادرت إلى منادانك لتخرجي من الغابة ، ولكنك التفت إلي دون أن تجيبيني ، كأنك لا تأبهين بالخطر المحدق ؛ بل تؤثرين التنزه مع ذلك الشاب وتفضلينه على كل شيء ! . .

أردت أن أعدو نحوك لانقاذك بالقوة ، ولكن ساقي اللعونتين أبتا علي ذلك كأنهما تحجرتا . . .

أما النار فقد أخذت تزداد عنفاً حتى اضطرت الوحوش إلى الهرب من الغابة ، والمدهش في هذا الحريق أن ألسنة النار المنبعثة من الأدغال اتخذت أشكالاً مروعة ، بعضها كان على صورة الثعبان والبعض اتخذ شكل التنين . . على رغم هذا كله ، كنت تتابعين نزهتك في اطمئنان مع ذلك الشاب الذي تأبط ذراعك اليسرى في حرارة واشتياق . . . أخذت أناديك مراراً ولكن بلا جدوى ! إذ كنت تلتفتين إلي ثم تستأنفين حديثك الشائق مع صديقك ! ولكن هذه الحال المؤلمة لم تدم طويلاً ولله الحمد ! إذ سقطت إحدى لوحات سريري الخشبية من تحتي فأيقظتني من النوم ، وخلصتني من هذا الكابوس !

هنا . . أشعلت سيجارة وخرجت إلى النافذة لأستنشق الهواء لأني كنت متعباً من هذا الحلم كأن ما حدث لي وقع فعلاً . . . وكنت في الوقت نفسه شديد الرغبة في استئناف النوم للعودة إلى هذا الحلم برغم بشاعته لمعرفة شخصية ذلك الشاب السخيف المستهتر الذي كان يدعوك إلى النزهة في وسط النار !

عزيزتي ! هذا هو حلمي المروع ، ألا ترين أنني عوقبت به عقاباً كافياً ؟ ألا تصفحين الآن ؟

### الرد

عزيزي :

وصلتني رسالتك ، ولقد تولتني الدهشة لكل هذه الضجة التي أثرتها لتتبين شخصية رفيقي في نزهة الغابة . لقد كان في امكانك الاتصال بي وقتها بالتليفون لأخبرك باسمه ، فأوفر عليك مجهودك .. أتريد أن تعرف من هو ؟ اعلم أن هذا الشاب هو (س) بعينه الذي تمت خطوبتي اليه ليلة أمس على أثر المشادة التي وقعت بيننا ، لأني آسفة أيها العزيز على أني لا أستطيع التزوج من مجنون مثلك !

( كرمة ابن هاني ) حسين شوقي

# البريد الأدبي

## المعجم الوسيط

أصدر صاحب السعادة وزير المعارف العمومية قراراً بتعيين الأستاذ أحمد أمين عضواً في لجنة تأليف المعجم الوسيط وقد قرأت في العدد الماضي ممن تتألف ؛ ولكن الأستاذ رفع إلى معالي الوزير استقالته منها ، والسبب المباشر لهذه الاستقالة أنه جعل ساعات فراغه من عمله الرسمي على ما بقي من سلسلة كتابيه (فجر الاسلام) و (ضحى الإسلام) وهو يخشى إذا أرهق نفسه بالعمل أن يعيا عن إخراجه ، ولكن معالي الوزير ما زال بالأستاذ يحاوره ويداوره حتى أقنعه بسحب الاستقالة

## بشرى لعشاق الأدب — ديوان بشار موجود

أحس بشار بحسن اختراعه ، وجميل ابتداعه وغزارة بحره ، ففتن ببنات فكره ، وأعجب بثمرات لبه وذهب يخايل ويفاخر حتى قال : إن لي اثني عشر ألف قصيدة لعنها الله ولعن قائلها إن لم يكن في كل واحدة منها بيت فرد

ولو فرضنا أن الاثني عشر ألف قصيدة هي كل ما لبشار من شعر ، وفرضنا أن كل قصيدة عدتها سبعة أبيات فقط — وهو حد القصيدة الأدنى عند العروضيين — وحسبنا ذلك لكان مجموع شعره أربعة وثمانين ألف بيت ! وهذا مقدار لم يك لشاعر في القديم ولا في الحديث . ولكن أين هذه الثروة الضخمة ؟ لقد ذهب بها الزمان فيما ذهب به من روائع الآثار وجميل الأشعار ، ولم يبق منها إلا نتف مبعثرة في الكتب جهد الأدباء في جمعها وزفها إلى جمهور القراء المتعطشين لشعر بشار . وأول مجموعة ظهرت هي مجموعة الأستاذ « أحمد حسنين القرني » التي سماها « بشار ابن برد — شعره وأخباره » طبعت عام ١٩٢٥ م ، وقفاه الأستاذ « حسين منصور » بكتابه : « بشار بين الجد والمجون » الذي طبعه عام ١٩٣٠ م ، وفي العام الماضي ١٩٣٥ طبعت لجنة التأليف والترجمة والنشر مجموعة هامة من شعره باسم « المختار من شعر بشار اختارها من مختار الخالديين شارحها الأستاذ « اسماعيل القيرواني » أحد علماء القرن الخامس ، وكان القائم بنشر هذا الكتاب الأستاذ « بدر الدين العلوي » المدرس في كلية عليكرة بالهند ، وقد أثار طبع هذا الكتاب الصغير كوامن الأشواق إلى شعر بشار ، وتساءل الناس بحسرة ولهفة عن ديوانه وكثرت حوله الأقاويل وأجمع الناس أو كادوا على أنه انسلك في سلك الفناء

وقد أخبرني فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين عضو مجمع اللغة الملكي أن جزءاً كبيراً من ديوان بشار موجود في تونس عند صديقه الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور شيخ الاسلام المالكي ، وأطلعني على الخطاب الذي ورد اليه حديثاً من صديقه يخبره فيه بوجود الديوان عنده ، وأنه ورثه عن جده المرحوم الشيخ محمد عبد العزيز أبو عتّور . وهو يشتمل على سبعة آلاف وثلثمائة بيت مرتبة على حروف المعجم مكتوبة بخط مصري جميل . وذكر الأستاذ ابن عاشور أنه عني بشرح غريب ألفاظه وتبيان دقائق معانيه ، وذيله بمجموعة من شعر بشار لم ترد فيه وعددها ثمانمائة بيت معزوة إلى مواضعها من كتب العلم والأدب وأنبأ أنه عازم على طبعه في مصر طبعة أنيقة تليق بما لبشار من المكانة السامية في الأدب العربي . وقد استخبر الأستاذ من صديقه عن شؤون تتعلق بالطبع فأخبره مستنجزا ...

ويا حبذا لو عنيت لجنة التأليف وعلى رأسها الأستاذ أحمد أمين بأمر هذا الديوان ، وتولت هي طبعه بمعونة الأستاذ أو وحدها . إنها لو فعلت لأسدت إلى الأدب العربي خدمة جليلة تكون قلادة فخار لها

ولا ريب في أن نشر هذا الجزء الكبير سيلقي كثيراً من الضوء على تاريخ بشار وشعره وشاعريته . ولا ريب في أنه سيغير من أحكام التاريخ عنه ، ويقلب تلك الآراء الظنية الشائعة رأساً على عقب . وسيكون ظهوره — وأرجو أن يكون قريباً — فتحاً جديداً في تاريخ الأدب العربي

السيد احمد صقر

### « عودة الروح » في اللغة الروسية

من الأنباء التي تقع من مصر الأدبية موقع الرضا والغبطة أن الكاتب الروسي النابه « ميشيل سالير » نقل إلى الروسية قصة « عودة الروح » للقصصي المصري النابغ توفيق الحكيم، ثم نشرها في لينتجراد عاصمة روسيا، وجعل ثمن النسخة منها خمسة روبلات وخمسين كوبك، وذلك يساوي ستين قرشاً مصرياً

ولاشك أن اختيار الكاتب لهذه القصة من غير تعرف لمؤلفها ولا استئذان منه، انما يدل على تقديره الفن فيها لذاته، وقياسه إياها بمقياس عالي يرفعها الى مستوى الأعمال الأدبية العظيمة. وستكون عودة الروح وأمثالها الوحدات الأولى التي يساهم بها الأدب العربي في الجهاد العالمي المشترك لنشر الوئام والسلام والخير من طريق الثقافة القصصية

### تطور نظم التربية الألمانية

تتطور نظم الحياة والحضارة كما تتطور أساليب التفكير والتعليم والتربية في ألمانيا في ظل النظام الهتلري بسرعة مدهشة؛ والمحور الأساسي الذي يقوم عليه هذا التطور في جميع مناحي الحياة الألمانية هو صبغ هذه الحياة بالصبغة الجرمانية المحضة وتحريرها من جميع المؤثرات الأجنبية؛ ويجري في ميدان التعليم والتربية تطور حاسم أيضاً يقوم على تكوين الجسم الألماني تكويناً صحيحاً وتنمية القوى الجسمية الى جانب القوى العقلية. والانجيل الذي تطبق تعاليمه اليوم على الشعب الألماني هو كتاب هتلر المعروف « كفاحي »؛ ففي هذا الكتاب يتحدث هتلر عن التربية ويحمل بشدة على تفضيل تنمية الذكاء في الفرد، ويقول إن النظام القديم يرمي إلى خلق عقول وأفراد فقط؛ ولكننا نريد أن نخلق قبل كل شيء أجساماً قوية وإرادات ثابتة. ويكفي أن نخصص في الأسبوع ساعتين فقط للرياضة البدنية. ومذ تولى هتلر الحكم وهو يعمل لانشاء هذا النظام الرياضي؛ ففي سنة ١٩٣٣ صدر قانون « تحسين النشء »، ومبناه اتخاذ جميع الاجراءات التي يحسن اتخاذها لتقويم صحة الشباب وعقله وتفكيره؛ ثم صدر بعد ذلك قانون « السنة الخلوية » وهو يحتم على التلاميذ تمضية عام في الريف والحقول عقب انهاء الدراسة الابتدائية؛ وهنالك أيضاً نظام « الخدمة العامة » الذي يحتم على كل رجل أعزب وامرأة عزباء الاقامة ستة أشهر مع أبناء أو بنات الشعب في معسكر ريفي في العراء؛ ثم تنتقل مدارس المعلمين في القرى أو المدن الصغيرة؛ وكذلك انتقال أساتذة المدارس الابتدائية بين حين وآخر الى الريف للاشتغال ببعض الأعمال القروية. والقصد من ذلك كله هو أن يمد الشباب والنشء بروح العزم، وضبط النفس، واحتمال المشاق. وللفتاة الألمانية أيضاً نصيبها الوافر من التعليم الرياضي الذي يهيء لها الجسم الصحيح ويعدها أماً صالحة للشعب الألماني

وكذلك يتجه النظام الجديد إلى تجنب الثقافة الجنسية التي يعدها عاملاً في إفساد الفتى والفتاة؛ فليس بين برامج التعليم الحاضر شيء من مسائل الثقافة الجنسية التي كانت تلقى بكثرة في ظل النظام القديم؛ وعلى الآباء والأمهات أن يلقنوا أبناءهم وبناتهم ما يحسن تلقينه من المسائل الجنسية المحتشمة، كذلك يرغب النظام الجديد عن نظام اختلاط الفتى والفتاة في ميدان التعليم ويعتبره تقليداً ضاراً بمستقبل النشء

ولم تبق الجامعة في نظر النظام الجديد مكاناً تحشد فيه المعلومات في الرءوس، ولا موطناً يعد الشباب للكسب الفردي؛ فالفرد إنما يجب أن يعمل للمجموع، وأن يستخدم في ذلك السبيل أي موهبة أو كفاية؛ ولا يريد النظام الجديد بعد شباباً ذابلاً تملأ رأسه المعلومات المختلفة، فذلك الضرب من الشباب يجب أن يجتنب

وقد أدخلت تعديلات كثيرة على نظم القبول في المدارس والجامعات، وأضحى العامل العقلي والتعليمي أقل شأناً مما كان من قبل، وأضحى العامل الجسمي والخلقي في مقدمة العوامل التي تؤهل الطالب للقبول

وقد اتخذ تعليم التاريخ وسيلة لتكوين العقلية الألمانية الجديدة؛ فلم يعد يلقن الشباب تلك التفاصيل التاريخية المسهبة، وإنما يلقن التاريخ موجزاً من الناحية العامة، وتخص الناحية الجرمانية بكل عناية؛ وتتخذ نظرية السلالة الألمانية أهمية خاصة: سلالة الجنس الشمالي وتطورها ونقاؤها والأخطار التي تتعرض لها. هذا أهم ما يلقن الشباب الألماني، وهذا ما يشير اليه هتلر في كتابه بقوله إن غاية التربية الأخيرة هو أنه يجب أن يغرس في عقل النشء أن الجنس الجرماني هو أرفع أجناس الخليقة

وهكذا تغيض جميع نظريات التربية الألمانية القديمة التي عمل العلماء الألمان لاستخدامها على ضوء التجارب والأصول

العلمية المقررة ، وتحل مكانها نظريات جديدة جل غايتها أن تقوى الفكرة العسكرية فى الشباب الألمانى تحت ستار التربية الرياضية وأن تخلق من الشعب الألمانى قبل كل شىء شعباً عسكرياً يعتز بقواه وكفاياته السادية

**ميشيل آنجلو**

ميشيل آنجلو بطل من أعظم أبطال الفن ، وعلم من أعظم أعلام عصر الأحياء ؛ وقد كتب عنه مدى العصور عشرات من أكابر الكتاب فى كل أمة وكل عصر ؛ ولكن العبقرية الساطعة تبقى أبداً مثاراً للبحث والتقدير . وقد صدر أخيراً كتاب جديد بالانكليزية عن ميشيل آنجلو عنوانه « ميشيل آنجلو الراحل » Michel Angels The nax بقلم الدكتور دونالد فنليسون D. Finlayson ؛ وهو علامة أمريكى يحاول أن يبحث هذا العبقرى من نواح جديدة وعلى ضوء جديد ؛ وهو يمهد لبحثه بتصوير إيطاليا فى عصر الأحياء ، ذلك العصر الذى كانت تموج فيه العبقريات من كل ضرب ، ولاسيما فى التفكير والفنون . ذلك أن ميشيل آنجلو قد عاش فى نفس العصر الذى عاش فيه أعلام مثل ليوناردو دافنشى ، وبوتشللى ، وسافونارولا ، ومكيافيالى ، ورافائيل سانزيو ، ولى تسيان ، وبنفونو توتشلينى ، وجورجو فسارى وغيرهم ، وكان عصراً ذهبياً من أروع ما عرف التاريخ

ولقد كانت ايطاليا تضطرم يومئذ بثلاث قوى سياسية متجاذبة . قوة آل مديتشى فى فلورنس ، وهم يحاولون حكم المدينة الجمهورية بنظام طغيان مستتر ، وقوة البابوات ، وهم يحاولون تقوية نفوذهم المدنى والدينى ، ودفع أطماع ملوك فرنسا ؛ وقوة الدولة الرومانية المقدسة ، وكانت قوة البابوات أبرز هذه القوى ؛ وكان البابوات يومئذ مزيجاً مدهشاً ، فن اسكندر السادس الحبر الفاجر ، ولكن الطاغية القوى ، إلى جوليوس الثانى البطل المحارب ، الى بولس الثالث نصير الفنون والآداب . وفى هذا الأفق المضطرم بمختلف القوى والاتجاهات ولد ميشيل آنجلو فى كابريزا سنة ١٤٧٥ وتوفى فى رومه فى التاسعة والثمانين من عمره ، ولكنه عاش طوال حياته نقياً منزهاً عن مثالب عصره ، بعيداً عن ضروب الملق والزلفى التى ألفها البابوات وأمراء العصر ، بعيداً عن صنوف الفساد والخلاعة التى كانت خاصة المجتمع فى هذا العصر ؛ ولم يكن للمرأة أثر فى حياته إلا حينما بلغ الكهولة ، وعندئذ عرف الحب الرفيع وتعلق بأجمل وأنجب سيدة فى هذا العصر ، وهى فتوريا كولونا مركيزة بسكارا ، ونظم لها مقطوعات من الشعر البديع ، وكتب لها رسائل ممتعة ؛ وفيما عدا هذه العاطفة الرقيقة كان ميشيل آنجلو مثل الرجل الأعلى ، باراً بأهله ، مترفعاً عن الدنايا ، معتدلاً فى أهوائه ورغباته

وكانت عبقرية ميشيل آنجلو تتفتح فى نواح عدة ، فقد كان مثالاً من أروع ما عرف التاريخ ، وكان مصوراً ، وكان مهندساً ، وكان شاعراً ؛ وفى هذه الميادين كلها يترك لنا ميشيل آنجلو آثاراً خالدة ؛ وقد قام بعد أن أربى على الثمانين بأعظم أعماله الهندسية ، فوضع تصميم قبة كنيسة القديس بطرس أعظم آثار النصرانية وأشرف على صنعها بنفسه ، وأنفق أعواماً فى نقش جدران المصلى السكستونى ، وهو أروع ما فى الفاتيكان من آيات الفن ؛ وتوفى بعد أن ترك للفن مالم يتركه بشر ، سواء فى الروعة أو المقدار

ولميشيل انجلو ناحية لم يلق عليها كبير ضوء هى ناحيته الشعرية ، ذلك أنه كان شاعراً رقيقاً ، ينظم مقطوعات بديعة تحمل كلها طابع العظمة ؛ ولكن ينقصها التنوع وبروز الغاية

وقد أنفق الدكتور فنليسون أعواماً طويلة فى البحث والدرس واستطاع أن يجد لمؤلفه مادة بديعة ، وأن يضع أمام القارئ صورة واضحة من شخصية ميشيل انجلو فى جميع نواحيها ؛ وقد زين الكتاب بطائفة من الصور البديعة

**وفاة مؤلف موسيقى شهير**

توفى أخيراً فى باريس المؤلف الموسيقى الروسى الذائع الصيت إسكندر جلازونوف ؛ وكان مولده فى بطرسبرج سنة ١٨٦٥ ؛ وفى سن الثامنة عشرة وضع أول قطعة موسيقية من تأليفه فأحرزت نجاحاً عظيما وذاعت على أثرها شهرته . ثم رحل إلى ألمانيا حيث التقى هنالك بالموسيقى النمسوى الأشهر لزت وتلقى عليه وتخصص بارشاده فى التأليف الموسيقى . وفى سنة ١٨٨٩ ظهرت مقطوعته الشهيرة « ستنكا رازين » ، ووضع من بعدها تباعاً طائفة كبيرة من القطوعات والأناشيد والأغانى والقطع الراقصة ، وأحرز بتآليفه العديدة مكانة عظيمة فى دوائر الموسيقى الرفيعة . ومن بين قطعه الراقصة الشهيرة « ريموند » « الفصول » « حيلة غرامية » . ولما نشبت الثورة البلشفية آثر الهجرة إلى فرنسا . وعاش فى باريس أعواماً طويلة ، وتوفى هنالك فى دار الغربة بين جماعة المهاجرين البيض فى سن الحادية والسبعين

# العالم المسرحي والسينمائي

على مسرح الأوبرا

## السيد Le Sîd

## تأليف كورني وتعريب مطران

### ملاحظات لفنانين ارلنديين على الاخراج والتمثيل

### لناقد «الرسالة» الفني

هي مأساة رائعة خلدت على الدهر ، ألفها زعيم المسرح الفرنسي وخالق المأساة الحديثة الشاعر كورني ، وقد كان لظهورها ضجة كبيرة ، ذلك أنها وإن خالفت قاعدة الوحدات الثلاث فقد نجحت نجاحا باهراً وظفرت من النظارة باعجاب عجيب

وقد كان لنجاح هذه المأساة أثر سيء في نفس الوزير الفرنسي الخطير الكاردينال ريشليو . وكان هذا الوزير من هواة التأليف المسرحي ، وقد مثلت له قصتان فلم تنجح منهما واحدة ، في حين أن « السيد » كانت تلقى النجاح بعد النجاح والفوز تلو الفوز . ولقد كظم الوزير غيظه — رغم أن القصة كانت تشيد بالمبارزة التي حرمها هو — ولكنه حرك رجاله في الخفاء ينقدون القصة نقداً عنيفاً ، وكان يريد بذلك أن يحط من قدر كورني ، فقامت من أجل ذلك خصومة أدبية شديدة انتهى أمرها إلى تحكيم المجمع الفرنسي في القصة . ولم يصدر الحكم في جانب المؤلف لأن الوزير تدخل بنفوذه ، ولكن القصة رغم ذلك خلدت ، وها هي ذي تنقل إلى العربية للمرة الثانية بقلم شاعر القطرين الأستاذ خليل مطران في ترجمة عربية بديعة ارتفع أسلوبها إلى الأصل الشعري الذي كتبت به ، وها هي ذي الفرقة القومية تختارها بين ما اختارت من روائع الأدب الغربي لتقدمها إلى الشعب المصري

ملخص القصة

ليست القصة جديدة على قراء الأدب العربي ، فقد سبق أن ترجمها المرحوم الشيخ نجيب الحداد ومثلت باسم « السيد ، غرام وانتقام » ، وسبق للأستاذ الزيات أن لخصها في « الرسالة » ونشر هذا الملخص في كتابه « في أصول الأدب » ، فمن أراد الاطلاع عليه فليرجع اليه

الاخراج

كنا نظن أن الفرق التمثيلية الأوربية التي تزور مصر وتمثل على مسرح الأوبرا تترك بعض الأثر في نفوس الفنانين المصريين ، ولكن يبدو أن الأمر على العكس ، فهذه الفرق تأتي وتعود دون أن نحاول أن نأخذ عنها شيئا

زارت مصر في الشهر الماضي فرقة « دبلن جيت » الارلندية وأخرجت عدة قصص لشكسبير وغيره ، فكان الاخراج أهم ظاهرة لهذه الفرقة ، وقد أبدى جميع المخرجين المصريين اعجابهم بعظمة هذا الاخراج ، فالمستر هيلتن ادواردز مخرجها يعمد الى الطريقة الايحائية ويستخدم منظراً واحدا لجميع فصول القصة ، ويستعين بالاضاءة وستار صغير في تبديل المناظر مع تباينها

وأخرج الأستاذ زكي طليمات قصة السيد وكنا نظنه سيقتبس طريقة تلك الفرقة ، ولكنه لم يحاول بذل أي جهد ، وعمد إلى الطريقة التي ألفناها منذ سنوات طويلة ، واستخدم المناظر المتعددة والستائر الكثيرة . والحق أن هذا الاخراج إذا قيس إلى إخراج الفرقة الارلندية بدا هزيلاً ضئيلاً

يرى النقاد أن الوحدة إذا توفرت في العمل الفني كان ذلك من دواعي الكمال والنجاح ، ولكن رجالنا لا يرون هذا الرأي ، وإلا لما كانت طريقة الالقاء متباينة . فحسين رياض وزينب صدقي وعزيزه أمير وزكي رستم يلقون إلقاء شعرياً Poetical ،

ومنسى فهمى وفردوس حسين وغيرها يلقون إلقاء عادياً ، وهذا التباين مما ينفر النظارة ، والمخرج فى رأيى مسؤول عن هذا الخلط

والاضاءة عادية ، ولكننا فى منظر قاعة العرش كنا نرى الضوء يسقط على جدار القصر من يمين النظارة إلى اليسار فى حين نرى الضوء يسقط على وجوه الممثلين من يسار النظارة إلى اليمين ، وهذا مما لا يرضى الفن ولا الأستاذ المخرج

وفى المنظر الثانى من الفصل الثالث نرى والد رودريج حائراً يبحث عن ولده ويقول : « فى هذا الظلام الدامس » بينما ضوء القمر يغمر وجه الممثل وينير الأرض حواليه . ولا يفوتنى أن أبدى إعجابى بالاضاءة فى الموقف بين شيمين وردريج فى النصف الأول من الفصل الثانى ، فقد كان الضوء ملائماً للحوار ، وكان له أثر ووقع كبيرين فى نفوس النظارة

والملابس فاخرة تنطبق على روح العصر ، ولكن الذى حيرنى أن شيمين عندما بلغها خبر موت والدها سارت إلى قصر الملك فى ثياب الحداد بينا وصيفتها تتبعها فى ملابس زاهية ؟ ! كما أن ملابس الملكين الأسيرين لا تصلح لرجال أسروا فى موقعة

التمثيل

قبل أن أتحدث عن التمثيل أبدى أسفى الشديد لاهمال الممثلين استظهار أدوارهم مما جعل صوت الملقن يرتفع فيفسد على النظارة خيالهم

مثلت السيدة زينب صدقى دور شيمين ، وقد نجحت كثيراً فى أداء هذه الشخصية ، وأذكر لها مع الاعجاب موقفها مع ردريج فى الفصل الثالث ثم مع وصيفتها وهى تبدى الجزع خيفة أن يقتل حبيبها ، ولكنى آخذ عليها الالقاء الخافت فى بعض المواقف مما جعل الألفاظ غامضة على السامع

ومثل حسين رياض دور ردريج ، فكان القاؤه شعرياً ونجح فى دوره إلى حد غير قليل ، وموقفه مع شيمين بديع . أما موقفه مع الملك وهو يصف المعركة فيحتاج إلى عناية أكثر ؛ وأرجو أن يعنى « بالمكياج » ، وأن يختار لوجهه لوناً خمرياً يكون قريباً إلى البشرة الأندلسية

ومثل زكى رستم دور والد شيمين فأخرجه على خير ما يكون . كان الرجل المتكبر فى إشاراته وإلقائه مما طابق الشخصية

ومثل منسى فهمى دور الملك فكان ناجحاً ؛ ولكنه لم يحاول أن يسمو بهذا الدور كعهدى به فى أدواره السابقة

أما السيدة عزيزة أمير فلم تنجح كثيراً فى أداء شخصية ابنة الملك ؛ وكان القاؤها على نسق واحد دون تلوين أو تعبير عما فى نفسها من إحساسات ؛ ويبدو لى أن اللغة الرصينة مما يصعب عليها أداؤها

ومثلت نجمة ابراهيم دور وصيفة شيمين فوفقت ، وفى رأيى أنها أصلح لدور ابنة الملك من غيرها من فتيات الفرقة

ومثل سراج منير دون سانش ، فكان حديثه مع الملك هو نفسه حديثه مع شيمين التى يهواها

ملاحظات لفنانين ايرلنديين

شهد هذه الرواية فى الليلة الأولى لتمثيلها بعض أعضاء فرقة « دبلن جيت » الايرلندية ؛ وقد أبدى مخرج الفرقة المستر هيلتن ادواردز وعثلها الأول المستر ميكائيل ماك ليمور إعجابهم بتمثيل السيدة زينب صدقى وحسين رياض وزكى رستم ، كما أبديا بعض الملاحظات على الأخراج . وسننشر حديثهما كاملاً فى العدد القادم

**يوسف**

في السينما

# العصر الجديث

## فيلم شارلي شابلن الجديد

أما إن شارلي شابلن عبقري وفيلسوف فهذا ما لا شك فيه ، وأما إن فلمه الجديد « العصر الحديث » عظيم فسألة فيها نظر

فنحن إذا نظرنا اليه على أنه عمل رجل عبقري لا تنطبق عليه القواعد المألوفة والمقاييس المعروفة وجدنا عملاً عظيما حقا يحس الانسان أثناء عرضه بسرور ولذة ، ويستمتع بأفكار شارلي وطريقته الفكهة في عرض هذه الأفكار ، ولكننا إذا حاولنا تطبيق المقاييس الفنية الدقيقة نجده لا يسمو على غيره من الأفلام التي تعرض بين حين وآخر ، بل ربما تنقصه بعض العوامل الفنية التي تتوفر في تلك الأفلام

والفكرة الرئيسية التي يقوم عليها الفلم جلية ، فهو ينقد العصر الحديث ، ويسخر من سيطرة الآلات على الانسان ويبين أنها لا تسعد الانسانية ، بل تستعبد البشرية ؛ وقد أفلح شارلي في مزج الفلسفة بالقصة . ولكن الفلم طويل في غير حاجة الى الطول ، وإن الناقد ليحس أن هناك فصولاً Sequences جيء بها لتسد فراغ الوقت حتى لا ينتهي العرض في زمن قصير

بدأ شارلي فلمه بمنظر قطيع من الغنم يسير إلى الحقول ، وأعقبه بمنظر العمال يتدافعون الى المصنع ، وكأنه يرمي بهذا إلى أن العمال قطيع من الغنم يقودهم الرأسماليون

ويظهر لنا شارلي تلك الشخصية الإنسانية ، أو قل الرمزية التي تعيش بأسلوبها الخاص في مشيتها وملابسها وقبعتها وعصاها ، هذه الأشياء التي أصبحت جزءاً متمماً للشخصية — تعمل في مصنع كبير — تؤدي عملا ، وكأنها جزء من تلك الآلة ، يرهقها العمل المضني المتشابه الذي يبعث السأم ، ويؤدي بها إلى نوع من الهستيريا . وترسل إلى مستشفى الأمراض العقلية حيث يعاودها الهدوء والسكينة . وعند ما يسمح الطبيب لها بمغادرة المستشفى نراه ينصح بالابتعاد عن كل ما يثير الأعصاب ؛ ولكن لا تكاد تتصل بالحياة حتى نرى تيارها الزاخر الصاخب ، وحركات المرور ، وكل ما هو وليد المدنية والعصر الآلي

ثم يصور شارلي بؤس العامل العاطل ، وكيف تقسو الحياة على أطفاله ، فيغدون لصوصا وماهم بلصوص ، وإنما هم طلاب قوت . ونرى المظاهرات ومقاومة رجال الشرطة للعمال واقتيادهم إلى السجن ، وحيث يقدم اليهم الطعام والشراب . وهنا تبدو سخرية شارلي من النظم الاجتماعية ، فان العامل يأسف على مغادرة السجن ويود لو بقي فيه ، فالطعام والشراب خير لديه من الحرية التي يتغنى بها الناس !!

وتتصل أسباب الصداقة بين شارلي وابنة أحد العمال الذين قتلوا في مصادمة مع رجال الشرطة ، ونرى شارلي جالساً يحدثها ويعرض على الشاشة حلم اليقظة ، فنراهما يعيشان معاً في كوخ جميل ، وشارلي على مقعد يمد يده دون جهد فيتناول حبات العنب من عناقيدها المدلاة ، ويمد يداً ثانية فيتناول فاكهة أخرى ، ثم يسير إلى بقرة ويضع تحت ثديها آنية فتدر اللبن وحدها دون أن يبذل هو أي جهد في حلبها . وإنما يرمي شارلي بهذه الصور جميعاً إلى أن العامل لا يحلم إلا بالراحة ؛ فهو في حلمه لا يريد حتى أن يبذل أي جهد ، وينقضي الحلم ونراهما في اليقظة بعد أسابيع قليلة في كوخ متداع حقير ، لا يصلح مأوى لأحقر الحيوانات ، ومع ذلك فهما سعيدان معا . فالعاطفة التي بينهما كافية لأن تبعث السعادة في نفسيهما وتعوضهما عن كل شيء آخر

هذه الآراء التي صورها شارلي والتي جئنا على ذكرها خير ما في الفلم ، ولو أنه اقتصر عليها وأحكم الرابط بين أجزائها لجاء الفلم قوياً . فالبقية ليست إلا حشواً وتكراراً

فهو في عمله كحارس ليلي يلبس النعل ذا العجلات Scaling Shoe ويتزلج معصوب العينين يلهو ويمرح ، لم يفلح في بعث السرور إلى النفس ، وهؤلاء العمال الذين تسللوا في الظلام إلى حيث يجدون الطعام ترديد لفكرة سبق أن صورها ، وكذلك هو مع رئيسه في المصنع الجديد يصلح الآلة ، ثم وهو في مصنع السفن انما يعرض حالة لا ترتبط بسياق القصة الرئيسية كبير ارتباط والفلسفة كانت أكثر مما يحتمل الفلم ، ففي النهاية نجد

شارلى يعمل خادماً فى مطعم كبير وتراه يحمل الطعام مخترقاً الراقصين ، وعندما يصل إلى المكان المقصود يجرفه تيار الراقصين ويسير به إلى حيث بدأ ، وأخيراً وبعد الجهد يصل ولكن يجد الطعام قد سقط منه ! ! وكذلك بعد أن ألقى قطعته الغنائية وتقبل تهانى مدير المطعم ووعداً بالعمل المستمر وأحس بأن السعادة مقبلة ، ترى القدر يعاكسه إذ يرسل اليه رجال الشرطة يطلبون فتاته فيهرب معها تاركا السعادة بعد أن كانت بين يديه . فهذا الامعان فى الفلسفة فيه بعض الارهاق لرواد السينما ، وهؤلاء قد يضحكون من الحركات ولكنهم لا يفهمون ما يرمى اليه المؤلف والمخرج . وفى رأيى أن واجب رجل السينما تبسيط الآراء ما استطاع

والناحية الفكهة فى الفلم لا بأس بها ، ولكنها ليست قوية إلى الدرجة التى كنا نتوقعها ونرجوها ؛ وخير ما أذكر له جلسته أمام الآلة التى تناول الطعام ، لا سيما وهو يحاول أكل الذرة ثم وهو يقفز إلى الماء ليغوص ، فاذا بالمكان الذى يسقط فيه ضحل فيتألم ويعود أدراجه دون أن يتم الاستحمام .

يبدو لى أن جهود شارلى الموزعة هى السبب الأول فى ضعف الفلم . وقد تحدثنا عن ضعف الرابطة بين كل جزء وآخر ، وعن الحشو والتكرار ، وهذا ما جعلنى أنظر الى هذا الفلم كأنه نوع من الاستعراض ، فليس هو بفكرة واحدة متسقة تعالج علاجا فنيا والتصوير بدائى Primitive وليس هذا الذى شاهدناه بالمستوى الذى يليق بفلم كبير كهذا ، فلم تكن هناك مهارة فى اختيار زوايا التصوير ، كما أن شارلى قد عمد فى جميع الصور المتتابعة إلى التقاط الصور المتوسطة Medium Shots وكأنه ليس فى التصوير السينمائى غيرها

وحاول أن يرسم صورا متباينة Contrast لحالة العمال والرأسماليين فجعل فتاته الجائعة المحرومة تقف ذاهلة ثم تنقض على الفطائر ثم تنتقل إلى قسم الأزياء وتختار معطفاً ثميناً من الفرو الأبيض فترتديه وترقد على فراش وثير ، ولكن الصورة ضعيفة وأثرها فى النفس غير عميق

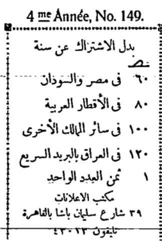
والتمثيل عادى ، ولقد مثلت بوليت جودار دور الفتاة فلم تبد تلك المهارة والقدرة التى تحدثت صحف السينما عنها وهى لا تزال ممثلة مبتدئة

والصورة الأخيرة التى يظهر فيها شارلى وفتاته يسيران فى طريق مجهول يتهيئان لكفاح جديد من أحسن الصور وأوقعها أثراً ، ولقد فكرت كثيراً ثم قلت لنفسى ، ألم يكن من الخير أن يسمى هذا الفلم . . . « الأمل » ؟ !

والفلم فى مجموعه مقبول وفيه جمال ، ولكنه يقل كثيراً عن فيلم شارلى السابق « أنوار المدينة » وإن اختلف موضوع كل منهما ، إلا أن « أنوار المدينة » كمثل فنى ترجح كفته على كفة الفلم الجديد ؟

يوسف تادرس

4 me Année, No. 149. Lundi - 11 - 5 - 1936


بدل الاشتراك عن سنة
مص
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣




ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع البدولي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٤٩ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٠ صفر سنة ١٣٥٥ — ١١ مايو سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــــدد



# صاحب الجلالة فاروق الأول



لم تر مصر في أرجح الظن قبل احتفالها بتقدم فاروق، قلبها يخفق بالحب عن إخلاص، ونفسها تفيض بالإجلال عن حقيقة، ولسانها يجأر بالدعاء عن عقيدة، وسوادها يتسابق إلى الاحتفال عن طواعية؛ فقد كان ملكها الشاب منذ عودته من دار علمه إلى دار حكمه مهوى أفئدتها ومجوى ضمائرها ومجمع أمانيها وموضع إعجابها، لا تصدر في ذلك عن رياء، ولا تنقل عن تقليد، ولا تعمل عن تكلف؛ إنما الطرقات والشرفات والنوافذ كانت مسايل روحية تزخر

بعواطفها الكريمة لملك نَشَّأته على طبعها وحسها ؛ وأعدته لعرشها بنفسها ، وعقدت على تاجه المصري الخالص أمانيها في السلطان الحر والحياة العزيزة

أرأيت إلى الشعب الشكور كيف وقف صفين من رأس التين إلى قصر عابدين ، ومن سراي القبة إلى مسجد الحسين ، يلقي على مليكه المحبوب الولاء مبثوثاً في النظر ، والرجاء مكنوناً في الهتاف ، والإعجاب معلناً في التصفيق ، فيلتقي شعوره بشعوره ، ويتزج هواه بهواه ، فيصبح الشعب جسما رأسه فاروق ، ويصبح فاروق رمزاً مدلوله الشعب ؟

أرأيت إلى الشعب الفخور كيف احتشد مساء الجمعة حول آلات الراديو في الدور والأندية والمقاهي يستمع إلى مليكه الجديد وهو يقرأ فاتحة مُلكه السعيد بلغة عربية مبينة ، ولهجة مصرية فصيحة ، فانفعل بحزن الملك البار ، وبكى من هذا الانفعال ، وتأثر بشعبية الملك الحر ، وابتهج من هذا التأثر ، وأحس وهو يحييه أن روحاً قدسية تبعث في هيكله الواهن القوة والفتوة والأمل

والحق أن تحية فاروق للوطن على هذا النحو الجميل ، وصلاته لله في هذا المظهر المتواضع ، ورسالته إلى الشعب على هذه الصورة الصريحة ، ونزوله عن ثلث مخصصاته للأمة الشاكرة ، كانت أبرع استهلال لعهده الموموق الخصيب

* * *

إذا كان من الحق أن بعض الأسماء ينزل من السماء ، فإن اسم فاروق وضعه القدر وضعاً لهذه الساعة المشهودة من تاريخ مصر . ولعلها أشبه بالساعة التي لقب فيها الرسول (ص) عمر بالفاروق : فقد كان الإسلام قبل عمر ذليلاً فعزّ ، وقليلاً فكثر ، ومستخفياً فاستعلن . وهذه مصر تُرتقّ على ثراها الأحداث من كل جانب : فالاحتلال الغاصب ينقص ببغيه سيادتها في الممالك ، وعدتها للدفاع ، وحريتها في التصرف ؛ والاستعمار الجشع يرصد الأهب على حدودها بالعين الخؤون والمنطق السالح : والناس من إلحاح الذل وإفراط الظلم وامتياز الدخيل وقصور القانون في حال من الجمود لا ينفع فيها تذكير ولا تبلغ عليها دعوة ؛ وسياسة البلاد تسير في تيه من الأرض فتضطرب ، لتنقلب وتعود لتبدأ .

فلما أراد الله لطريقها أن تتضح ، ولقافلتها أن تسير ، ألقى بأزمتها في أيدي الشباب ؛ والشباب يسيرون بهداية الله ، ويجاهدون بقوة الإيمان ، ويباهون بكرم التضحية ؛ فأعادوا للأمة حياتها الدستورية خالصة من الخداع والكذب ؛ ثم جعل الله على الأمة ملكاً من الشباب تتساير أهواؤهم إلى هواه ، وتتلاقى آراؤهم عند رأيه ، فيقول لهم في منطق فصيح صريح : « إنني أستقبل حياتي الجديدة بعزم وثاب وإرادة قوية ، وأعاهدكم عهداً وثيقاً على أنني سأقف حياتي على العمل لنفعكم ، وموالاة السعي في سبيل إسعادكم . لقد رأيت عن كثب حبكم لي ، وتعلقكم بي ؛ لذلك أرى لزاماً عليّ أن أعلن ما اعتزمته من التضامن معكم في سبيل مصر العزيزة ، فإني أومن بأن مجد الملك من مجد شعبه »

* * *

ذلك هو ملكنا العظيم بعقيدته السليمة ونفسيته الكريمة وخطته الواضحة ؛ وهذا هو دستورنا القديم أعادته إرادة رشيدة ، وأعدته وزارة نزيهة ، وجمعته انتخابات حرة ؛ وأولئك هم شبابنا الخلص تمردوا على حياة الجمود وعقدوا نيتهم على أن يعيشوا كراماً أو يموتوا أعزة . فمن أين إذن تُؤتى النهضة المصرية ؟ لا تؤتى النهضة المصرية إلا من جهتين كانتا في كل زمان ومكان مصدر الشرور للأمة : جهة الفساد في الحاشية ، وجهة الخلاف في الزعامة . فأما الفساد في الحاشية — ومعاذ الله أن يكون — فوباله أن يزيف في البلاط حقيقة الأمة بميوله ، أو يشوه في الأمة صورة الحكومة بفضوله . وفي ذلك ما فيه من انفراج الحال بين الشعب وملاذه الأعلى . وأما الخلاف في الزعامة فبلاؤه تمزيق الوحدة وتفريق الكلمة وتوزيع الجهد وتغليب الشهوة وتمليك الخصم . وما فتّ في أعضائنا وهدّ من قوانا إلا هذا الخلاف الباغي لا يراد به إلا اقتناص المال أو الجاه أو الحكم . على أن في الحب الأصيل المتبادل بين الملك الديمقراطي البر وبين شعبه الوفي المخلص ، ضماناً يرفع الحجب المسدولة ، ويمنع الوساطة المدخولة ، ويديم جُمعة ما بين النفوس الزعيمة .

ثبت الله عرشه بالسلام ونصر عهده بالوئام وجعل حكمه بالاستقلال والمشورة

احمد حسن الزيات

# الملك فـــؤاد[1]

## للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

مات الملكُ العظيم ، فرأى الناسُ من ذهولهم كأنما زيدت فى الموت زيادة

وكأن يوماً ليس من الدنيا وقع فى الدنيا فترك الحياة فى غير معناها

وكأن العيونَ انفتحت فجأةً على شكل محزن من هذا الوجود .

وكأن حادثاً عظيما انتهى من التاريخ المصرىّ إلى نقطة انقلاب ؛

ورأى الناسُ كأن غيمةً فوق مصر تجتمع من حزن ستة عشر مليون قلب !

* * *

مات فؤاد العظيم ، فعرفت مصرُ أن معجزةً فارقتها

وأنه لم ينقص رجل ؛ ولكن ذهب قَدَرٌ كان فى خدمة حوادثها المضطربة

ولم ينته عمر ؛ ولكن انتهت سعادةٌ كانت من حظ أيامها ؛

ولم ينطو تاريخ ؛ ولكن انطوت قوة كانت تعمل فى حل مشاكلها

فارقت معجزة ، وذهب قدَر ، وانتهت سعادة ، وانطوت قوة . ما أفدح خطبك يا مصر !

* * *

وكيف لا يكون معجزةً من خُلقت مواهبُه على قدر أمة تنال به التاجَ بعد أن فقدته ألفى سنة ؟

وكيف لا يكون قَدَرا من بُعث عزيمتُه لحل الزمن السياسىّ المنعقد منذ دهور ودهور ؟

وكيف لا يكون سعادةً هذا الذى مرّت آثارُه على فقر التاريخ مرورَ الغنى ؟

وكيف لا يكون قوةً وإرادتُه الجبارة كانت مظهر السر الذى يعمل وينتصر ؟

أيتها الحقيقة العظيمة ! هل كانت النبوّة فى شكل سياسى ؟

* * *

مرض الملك رحمه الله ، فكانت أخبارُ مرضه رواية أحزان الشعب

وعرف كل مصرى أن هذا الملك هو الوطن فى صورة رجل ،

واتجهت العاطفة الوطنية فى البلاد كلها إلى رمزها الحى ،

وأثبت الشعبُ فى سمو أخلاقه أن مليكه العظيم هو الذى ارتقى به إلى هذا السمو

وأصلحت غلطةً كانت السياسة الأجنبية تسميها التفرق ..

* * *

ومات الملك رحمه الله ، فأتمّ موته عمل حياته العظيمة

جمع الأمةَ كلها على أسمى أخلاقها من الحب والوفاء والاتحاد ؛

وأظهرها حوله كأنها فى صلاة تتدفق منها الروحانية العظمى ؛

وراع بها العالم السياسى كأنه يقول للدنيا : هذه مصر كما أنشأتُها

وترك لأمته الدرسَ الأخير فى هذه الصورة كأنه يقول : هكذا عيشوا

* * *

وبكاه الشعبُ من كل عين ، حتى لو كان يبكى من نهر لبيس ؛

وأصبحت القلوبُ من الحزن كأن كل قلب اجتمعت فيه أمواتُه ذلك اليوم

وبرزت فجأة من النسيان همومٌ وهمومٌ وهموم

ودنت الآخرة حتى لا يذكر الناسُ غيرها ، كأن الخلد يتسلم الراحلَ من أيدى الشعب

وحكم الملكُ يومَ موته حكما آخر كما تحكم على الناس جميعاً طبيعةُ الخير

* * *

(١) [الرسالة] : لجلالة الملك فؤاد رحمه الله فضل عظيم على الأستاذ الرافعى ، وقد رفع الأستاذ إلى سدته العالية أكثر من ألف بيت من الشعر ، وكان جلالته يعجب به ويكبر أدبه ، وقد أمر بطبع كتابه إعجاز القرآن على نفقته الخاصة

« فى ذمة الله يا فؤاد » . هـذا هو صوتُ الشعب يوم وفاة الملك

صوتُ الفطرة على سجيّتها مع نفسها ؛ لا من سياسةٍ ولا رياءٍ ولا مجاملة

صوت الإيمان على طبيعته مع القلب ، لا من غرضٍ ولا تصنّعٍ ولا خديعة

صوت الوطنية على عقيدتها مع الحب ، لا من خوفٍ ولا كذب ولا اضطرار

وما عسى أن يقول من فقد أباه العزيز ، إلا أن يقول : فى ذمة الله يا أبى ؟

* * *

فى ذمة الله ذلك الملكُ الذى كان كالأنبياء محصوراً فى واجبه ورسالته

ولم يكن بين فكره وعمله أحلامٌ تفسد الفكر أو تضعف العمل

وكان يقول : « ليس شيئاً يذكر أن يكون المرء أميراً ، ولكن الشىء الجدير بالذكر أن يكون نافعاً »

ومن أجل ذلك استمر يعمل كأنه مؤتمرُ ملوك لا ملك واحد ؛

وتألفت مدة حكمه اثنتان وعشرون وزارة ، فكانت له على مصر بركةُ اثنين وعشرين ملكا

* * *

وكان بنشأته واختباره وعلمه ودينه تصحيحاً لأغلاط من سبقوه فى الملك

وبذكائه وبصيرته كان يسوسُ رعيتين فى مصر : إحداهما الحقائق

وكان موفقاً بقدر ما هو قوى ؛ يخدم الشعبَ عقلُه وحظُّه

تراه دائماً بحكمته وحزمه فى عمله للحاضر ، ودائماً بصبره وإيمانه فى عمله للمستقبل

هو ملك الصبر والإيمان [1] ؛ وبهاتين القوتين كم من مرةٍ جعل ما لا يمكن يمكن

* * *

وكان من أكبر همه أن يألف العالم اسمَ مصر وأن تعرف ممالكُ الدنيا جِدّتها

فحرّك اسم مصر فى كل أمة لأنه وحده الاسم الذى يخاطب كل تمدن بلغة خياله

إن المجد المصرى إذا انبعث كان قوة من قوى الجلال فى الدنيا ؛

إن السحر المصرى إذا عرف كان قوة من قوى الحب فى العالم ؛

إن فن الإعجاب بمصر ليخرجُ من درس آثارها كما يخرج علم الفلك من درس النجوم

* * *

فى ذمة الله يا فؤاد ، وعزاءً يا مصر :

لقد أعطاك من الفاروق المحبوب أكبر حسناته :

أعطاك فيه أسرار عظمته تتجلى بادئة بنشاطها

غابت الشمس ليبدأ الفجر الجديد

مات الملك ؛ يحيا الملك

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

(١) كان شعار الملك فؤاد (الصبر) وكانت هـذه الكلمة مكتوبة بخط جميل منوطة إلى المصباح الذى فوق مكتبه



# في ليـــلة مقرورة

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

« انفخي النار أو أذكيها فاني بردان ، ولست أجد حرّها »

وكان الوقت شتاء ، والبرد قارساً ، والرياح متداركة الهبوب تقشر الحصى عن وجه الأرض ، وتهيج بالغبار نحو السماء كالعمود . ولكن الغرفة كانت دافئة ، والنار في مواقدها تتسعر ، فعجبت الزوجة ، ونظرت من زوجها إلى الموقد ، وقالت : « بردان ؟ بردان والغرفة كجهنم ؟ لقد ألقيت عليها منذ دقائق خشباً كثيراً لا يزال يفرقع من شدة التلهب ، فكيف لا تحسها ولا تسمعها ؟ مالك ؟ أبك شيء ؟ »

فهز الرجل رأسه هزة خفيفـــة ، وقال وهو يمد يده : « لا ... ! ! خذي أشعلي لي هذه »

وناولها سيجارة كان يقلبها بين أصابعه ، فوضعت طرفها على النار ونفخت فيه حتى صار كالجمرة الملتظية ، ووضعتها بين أصابعه وهي تقول : « سأعود اليك قبل أن تفرغ منها »

وخرجت وردت الباب وراءها ، فتنهد الرجل وأطرق . وفرغت السيجارة ، وشعر بحرّها على أصابعه ، فأراد أن يطفئها أو يرمي بها ، فمد يده الفارغة يتحسس حتى لمست أصابعه حرف منضدة صغيرة ، فأجرى راحته عليها ، حتى التقت أنامله المرتعشة بشيء فرفعها اليه يريد أن يتبينه ، فانقلب وتحطم ، فرد يده بسرعة ، وقد تجهم وجهه ؛ ثم تنهد ، ورفع قدمه وانحنى على الأرض ، ووضع السيجارة تحت حذائه

وكان الذي يراه وهو جالس على الكرسي ، ورأسه مثنيٌّ على صدره ، خليقاً أن يتوهمه نائماً من فرط السكون . ولكنه لم يكن نائماً ولا ذاهلا ؛ وإنما كان مُرهفاً أذنه لحركة الاقدام في غرفة ابنته ، ولما عسى أن يتأدى اليه من الأصوات غير ذلك على الرغم من الباب الموصد عليه . وكانت زوجته لا تزال تعود اليه كل بضع دقائق لتطمئن عليه على زعمها ، فقد أقلقها عليه قوله إنه بردان في هذه الغرفة التي يُشتكى حرُّها ؛ ولا يُعقل أن يشتكي بردها فكان يبتسم ويقول لها : « لا تخافي علي فاني بخير ، ولكن طمئنيني على فردوس ، كيف هي الآن ؟ ألا أصعد معك اليها ؟ »

وكان يعلم أنها أبت ذلك عليه من قبل مرات ، فهو على يأس كبير ، ولم تكن لحاجته في الطلب كلما دخلت عليه إلا ليرى كيف يكون جوابها في كل مرة ؛ وكان يؤكد أنه سيدخل على أطراف أصابعه ، ثم لا يتكلم ولا يتحرك ولا يمد يده ليلمس الفتاة ، فضاق صدرها بهذا الالحاح ، وقالت له : « إذن لماذا تريد أن تصعد اليها ؟ ؟ أكل مرادك أن تزعجها والسلام ؟ »

وأسفت لأنها احتدت فانقلبت تعتذر اليه بما تكابده من العناء ، وتوزع القلب والجهد بينه وبين ابنتهما ، فقبل اعتذارها ، أو لعل الأصح أنه لم يجعل باله إلى ما بدر منها . وما ظنت أنه ساءه من حدة اللهجة وقال :

« لا تشغلي نفسك بي ، واذا احتجت إلى شيء فان في وسع الخادمة أن تقضيه لي . أليست الممرضة مع فردوس ؟ إذن دعي لي الخادمة فهي حسبي إلى أوان النوم »

فأبت عليه حتى الخادمة ، وقالت : إن فردوس لا تستغني عنها ، وأن في وسعه أن يصفق إذا أراد شيئاً فتجيء هي — زوجته — اليه . فترك الالحاح ، وعاد إلى جلسته وإطراقه وسهومه وكفَّ حتى عن أن يرفع رأسه — على عادته — حين تدخل زوجته عليه ، كأنما لم تعد به حاجة إلى سؤال ، أو كأنما لم يعد يعنيــه من الأمر كله شيء ، وكانت زوجته تقف حياله هنيهة ، ثم لا تأنس منه استعدادا لكلام ، أو تتوهمه أغفى فتنسل راجعة من حيث جاءت . وكأنما اطمأنت أو خشيت أن تزعجه أو توقظه ، فصارت تترك الباب مواربا ، ولا تكلف نفسها عناء إيصاده — كما كانت تفعل — من قبل اتقاء لما يحدثه ذلك من الصوت

ومضت ساعة وبعض ساعة ، والدنيا أتم ما يكون سكوناً ، لو لا الرياح العواصف ؛ وإذا بالباب يدق دقاً مزعجا ، وإذا بالخادمة تنحدر على السلم ، كأنما هي في سباق ، أو كأنما وراءها الذي تهرب منه وتمضي إلى الباب فتفتحه ثم تغلقه ، وإذا بالبيت يملأه بكاء وليد يصيح : « واء واء واء » ولا تمضي دقائق حتى يكون كل من في البيت قد أحاط به ما خلا فردوس المريضــة التي لا تستطيع أن تبرح سريرها أو تنهض عنه ، ويدخل هذا الجم الحافل — سيدة

البيت والمرضعة والخادمة ورجل غريب يحمل بين يديه طفلاً ملفوفاً في أشياء كثيرة وعلى وجهه شف أرجواني رقيق جدا ـ وتتقدم الزوجة من بعلها وتقول : « ماذا تظن ؟ لقد وجد هذا الرجل طفلاً ملقى على مقربة من عتبة البيت ! مسكين إنه وليد ! ابن ساعة أو ساعتين على الأكثر ! ماذا ينبغي يا ترى أن نصنع به ؟ لا نستطيع أن نرده إلى حيث كان ... ولا أحسبنا نستطيع أن نستبقيه ... كلا ! هذا أيضاً عسير علينا . ما رأيك ؟ أشر كيف نصنع ؟ »

فيرفع وجهه إلى الناحية التي يجيء منها صوتها ويقول : « المهم الآن إرضاع الطفل ـ والوقت بعد ذلك فيه متسع للتفكير في مصيره ، فانظرى من ترضعه ، إبعثى في طلب واحدة ... إصنعى شيئاً ... لا تقفى هكذا »

ولم يكن ثم ما يدعوه أن ينهرها على هذا الوجه ، فما كانت قصرت أو تلكأت ، ولا كان مضى على دخولها عليه بالطفل إلا مسافة ما ألقت عليه خبر العثور عليه ، ولكنه كان ضيق الصدر بما أجن لا بما حدث من التباطؤ ، وكان يثقل عليه وجود الرجل ولا يرتاح الى الحديث على مسمع منه في أمر هذا الوليد . ورأت زوجته منه هذا النفور ، وأحست له سبباً باطناً غير ظاهره . فقالت صحيح . أين نجد مرضعة يا فاطمة ؟ (الخادمة) أتعرفين واحدة قريبة من هنا أو جارة نستعين بها الليلة حتى نهتدى الى مرضعة صالحة ؟ ( ونظرت الى زوجها الذي لا يراها وقالت بسرعة كالمستدركة ) أو ترى لنا في الطفل رأياً آخر

فقال الرجل بلهجة السأمان « أرضعيه أولا . اذهبى ، فما ندرى كم ساعة له وهو ملقى ، وإن كان الذى يبدو لى من سكونه أنه لا يشكو شيئاً وأنه على الأرجح — كما قلت أنت — حديث عهد بالولادة .. على كل حال يحسن أن تعنى به الليلة كعناية الأم »

فانصرفوا عنه ، ومضت الليلة بسلام ، وجاءوا في الصباح بمرضعة للطفل ، فقد أصر الرجل على اتخاذه وتبنيه ، وكانت زوجته حين رأت منه هذا الاصرار قد راحت تنكر عليه هذا العزم ، وتخوفه ما لابد أن يعانى من جراء وجوده في البيت ، وتنذره الضجات والضوضاء وغير ذلك ، فان الأطفال في سن الرضاع لا يوقرون كبيراً ، ولا يعنون براحة أحد ، ولا يبالون ما يكون منهم ، ولكن هذا لم يثنه عما صح عليه عزمه

ومضى عام ثم آخر ، وحبا الطفل ومشى ، ولم يفتر حنو الرجل عليه ، بل صار هو سلوته ، فكان يخرج به كل يوم ساعة في الصباح وأخرى في المساء . ولم يكن يبعد عن البيت لأنه مكفوف ، فكان يتمشى في الحديقة الواسعة والطفل أمامه في مركبته الصغيرة ، فاذا غادر البيت اكتفى بالطواف حول السور ، وكان كلما التقى بفردوس والطفل معه ، يتركه لها وينصرف عنها ، ولا يبقى معهما في مكان ، وكان ذلك يسر فردوس في أول الأمر لأنه يسمح لها بأن ترسل نفسها على سجيتها مع الغلام ، ولكنه لما تكرر من أبيها ، أزعجها منه دلالة العمد فيه ، ولكن ماذا تقول أو تفعل

وكانت زوجته كثيرا ما تشير في حديثها معه الى فردوس وأنه لا يبدو لها خاطب بين الأقرباء والأصدقاء العديدين ، فلا يقول الرجل شيئا ، ولكنها أضجرته مرة فقال لها « دعيها ، ولا تقلقى عليها ، فانى أحسب الطفل سلوة كافية لها » فسألته زوجته بلهفة « ماذا تعنى ؟ كيف يكن ؟ »

فابتسم الرجل وقال « أعنى أن في وسعها أن تفيض عليه من أمومتها الكامنة ؛ وكفى بهذا الطفل عزاء وسلوة ما دام لا بعل لها »

وطال الأمر ، وشق على الزوجة أن الحبائل الكثيرة التى ألقتها لم تقنص أحداً ، ونفد صبرها وعجزت عن الكتمان فقالت بشجوها لزوجها ، وكان هو أيضا قد مل هذه الأحاديث التى لا تنتهى فسألها « هل يسمعنا أحد . . انهضى وانظرى »

ففعلت وعادت فطمأنته فقال « إذن اسمعى — لقد كنت أوثر أن أظل ساكتاً لا أتكلم ، ولكنك أكرهتنى على الكلام . وأنى لضرير ولكن رأسى لم يعطله شيء ، فهل تذكرين كيف سافرت ابنتنا وقضت شهوراً عند خالها في ضيعته ؟ إنى ما زلت أذكر ذلك لأنى أعلم أنها لم تكن عنده ولا عند أحد غيره من أقرباء أبيها أو أمها ، وإن كنت أجهل أين أقامت كل هذا الزمن . . انتظرى . فلست ألومك ، بل أنا على العكس أثنى على حكمتك ، وحسناً صنعت ، وقد عادت بعد ذلك فجأة وأوت الى فراشها ساعة وصولها ، وظلت مريضة حتى كانت الليلة التى دق علينا فيها الباب ، وجاءنا الرجل بهذا الطفل . ومن حسن الحظ أنى

# المسألة الحبشية

## بين ايطاليا وانكلترا

### بقلم باحث دبلوماسي كبير

يجزع الكثيرون من خصوم الاستعمار وأبناء الامم المغلوبة لما أصابت ايطاليا بوسائل العنف الشائن من ظفر وتقدم فى غزو الحبشة ، وما أصاب الحبشة من خذلان وتضعضع فى مقاومتها للمعتدين على حرياتها ؛ ويجزع الكثيرون من أنصار السلام لما ينذر به ظفر ايطاليا على هذا النحو ، وما تنذر به المشكلة الحبشية كلها من خطر دائم على السلام

وقد يلوح لأول وهلة أن الفريقين على حق فى هذا الجزع ؛ ذلك أن ما أبدته ايطاليا الفاشستية من إقدام وجرأة فى انتهاك العهود والمواثيق ، وما ارتكبته فى سبيل مشروعها الاستعمارى من ضروب السفك والعنف ، وما لجأت اليه لسحق الأحباش من وسائل مجرمة مثيرة كاستعمال الغازات وغيرها ، ينذر بالويل كل أمة ضعيفة لا تقوى على مقاومة الاعتداء بمثله ، ويبعث اليأس فى نفوس الأمم المغلوبة ، لأنها ترى الاستعمار يثبت أقدامه ، ويزيد جرأة وعدواناً وعنفاً ؛ ولأن ما تثيره المشكلة الحبشية من خلاف بين بريطانيا العظمى وايطاليا ، وما يثيره فوز ايطاليا فى شرق افريقية من مخاوف على مصالح الامبراطورية البريطانية ومستقبلها ، ينذر بانفجار قد لا تقف عواقبه عند الخصومة الانكليزية الايطالية ، بل قد يؤدى إلى حرب أوربية عامة ينكب العالم كله بويلاتها وعواقبها

بيد أنه يجب ألا نبالغ فى تقدير الموقف بهذا المعيار القاتم ، فهنالك ظروف واعتبارات كثيرة يجب تقديرها إلى جانب هذه الظواهر المزعجة . ولنبدأ ببحث الموقف فى الحبشة ؛ فقد تقدم الايطاليون داخل الحبشة فى الأسابيع الأخيرة ، واستولوا على ولاية تجرى كلها ، وهى التى تقع فيها بحيرة تانا والنيل الأزرق ، وتقدموا أيضاً فى الجنوب ، وأصابوا الجيوش الحبشية بعدة هزائم شديدة ، وهم يزحفون بسرعة نحو العاصمة الحبشية ، وقد تسقط فى أيديهم قبل أن يظهر هذا العدد من (الرسالة) ؛ وفى الأخبار الأخيرة أن النجاشى قد غادر الحبشة مع أسرته إلى فلسطين على بارجة انكليزية بعد أن فقد كل أمل فى الدفاع والمقاومة ، ولكن هل يعنى ذلك كله أن قوى الحبشة الدفاعية قد أبيدت نهائياً كما يزعم الايطاليون ، وأن ايطاليا قد حققت ظفرها كاملاً شاملاً ، وأنه لم يبق عليها إلا أن تملى شروطها على الحبشة وعلى عصبة الأمم ؟ إن نظرة إلى خريطة الحبشة تنقض هذا الزعم ، فان التقدم الايطالى لم يجاوز حتى الآن المناطق الأمهرية ، ولم يتوغل الايطاليون فى الحبشة الأصلية بعد ، ولا زالت أمامهم دون الاستيلاء عليها مناطق وعرة ؛ والجيوش الحبشية لم تسحق كلها ولم تبد ، ولكنها اضطرت أن تتراجع أمام الغازات الخانقة وغيرها من الوسائل الفتاكة التى لم يحجم الايطاليون عن الالتجاء اليها خلافاً لكل قانون وميثاق حينما رأوا عجزهم عن التقدم بوسائل الحرب المشروعة ، وهى ما زالت تصمد للايطاليين فى الجنوب وحيثما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ؛ وإذا قارنا ما استولت عليه ايطاليا حتى الآن من أراضى الحبشة بما كان مقترحاً أن يعطى لها فى مشروع « لافال — هور » ألفينا أنها رغم انتصاراتها المتوالية لم تحقق بعد كل ما كان يراد أن يعطى لها بمقتضى هذا المشروع غنيمة باردة ؛ والفرق بين الحالتين أنها تدفع اليوم لتقدمها ثمناً فادحاً من المال والرجال

---

الرجل لا يعرف شيئا — ولست أدرى كيف دبرت الأمر ، ولكنك على كل حال أحسنت التدبير ، ولولا هذه القابلة التى زعمتها ممرضة لاطمأن قلبى ، وأمنت الافتضاح ، ولكنها على ما يظهر استطاعت أن تكتم السر فالحمد لله . والآن وقد أحوجتنى إلى الكلام أفلا يحسن بعد ذلك أن تعفينى من حديث الزواج التى لا تمليه ؟ »

فلم تقل شيئاً حتى سمعته يحدث نفسه ويقول « مسكينة . مسكينة »

فنهضت وسألته « أتعطف عليها »

فأشار بيده إشارة من يريد أن تذهب عنه وهو يقول « بلهاء »

ولم يدر بينهما بعد ذلك كلام فى الموضوع

ابراهيم عبد القادر المازنى

هـذا ومن الخطأ أن نعتقد أن مجرد استيلاء الايطاليين على الأراضى الحبشية يكفل تحقيق الأمانى الايطاليـة ، ويعتبر حلاً نهائياً للمسألة الحبشية ؛ ذلك أنه يجب على إيطاليا إذا أرادت أن تستغل ثمار ظفرها ، أن تحتفظ بما استولت عليه من الأراضى ، وأن تسحق كل مقاومة من جانب الأحباش ؛ ولـكن المعروف أن دون هذه الغاية صعاباً جمة ، وأن إيطاليا ستلقى مدى حين مقاومة مستمرة من الأحباش ، وستضطر إلى أن تتكبد فى هذا السبيل جهوداً ونفقات قد تعجز عن الاستمرار فيها إذا طالت مقاومة الأحباش ؛ بل يرى بعض الثقات اليوم أن إيطاليا قد استنفدت بالفعل فى هذه الحروب الاستعمارية المنيفة كل موازدها القائمة ، وأنه إذا بدأ فصل الأمطار فى الحبشة قبـل أن تسحق مقاومة الأحباش بصورة حاسمة ، فان مراكزها وخططها فى الحبشة تعرض لأشد الأخطار

ويجب أن نذكر إلى جانب ذلك عاملاً حاسماً آخر ، وهو موقف انكلترا من المسألة الحبشـية ومن إيطاليا ، وهو موقف ستكشف الأيام القريبة عن حقيقته

* * *

— وعصبة الأمم ماذا كان موقفها إزاء هـذا الاعتداء الشائن ؟ لقد بدأت العصبة بداية حسنة ، فأسندت تبعة الاعتداء إلى ايطاليا ، وقررت تطبيق العقوبات الاقتصادية ضدها ؛ وكان للسياسة البريطانية أكبر نصيب فى تنظيم هـذه الحركة الدولية الخطيرة ؛ ولـكن فرنسا التى تربطها بايطاليا معاهدة صداقة خاصة واتفاقات سرية ذاع أمرها فيما بعد ، قاومت سياسة العقوبات رغم موافقتها نظرياً على تقريرها ، ووقفت الى جانب ايطاليا موقفاً كان له أكبر الأثر فى شل سياسة العقوبات ، وعجز عصبة الأمم عن تقرير عقوبات أخرى كانت تزمع فرضها كتحريم اصدار الزيت والحـديد الى ايطاليا ؛ هذا ولم يبق سراً أن فرنسا تشد أزر ايطاليا فى هذه الحرب الاسـتعمارية بصفة إيجابية ، وأنها تعاونها بالقروض السرية ؛ وهى من جهة أخرى تعرقل تصدير السلاح الى الحبشة من طريق جيبوتى ، خلافاً للاتفاقات المعقودة فتزيد بذلك فى اضعاف المقاومة الحبشية وتمهيد السـبيل لتفوق الجيوش المعتدية

ولقد كان موقف العصبة إزاء هاتين السياستين المتناقضتين يدعو الى الرثاء ، فلا هى استطاعت رغم تأييد السياسة البريطانية أن تسير فى تطبيق العقوبات الاقتصادية على ايطاليا بالحزم الواجب تأييداً لمبدأ السلامة الاجماعية الذى تعمل باسمه ؛ ولا هى استطاعت بأية وسيلة أن تحمل ايطاليا على وقف اعتدائها الصارخ ، أو قبول الصلح فى الحدود التى رسمتها منذ بداية الاعتداء ؛ بل ولا استطاعت أن تحمل ايطاليا على احترام أبسط قواعد الحرب الشرعية ، والعدول عن الالتجاء الى الوسائل الهمجية الفتاكة من غازات قاتلة ومحرقة وغيرها ضد شعب يكاد يكون أعزل إزاء وسائل التسليح الحـديثة ؛ وما زالت عصبة الأمم منـذ أشهر تجتمع وتسوف على غـير طائل ؛ وايطاليا تمضى فى اعتداء هو أشبه بالقرصنة المجرمـة منه بالحرب المشروعة ، فتمزق الأحبـاش محاربين ومسالمين بغازاتها وطياراتها ، وعصبة الأمم لا تكاد تجد ما تقوله إزاء هذه النذالة التى تثير استنكار العالم المتمدن بأسره ، إذا استثنينا بعض الجهات الاستعمارية الجشعة التى ترى فوز ايطاليا عاملاً فى تثبيت أقدام الاستعمار فى أفريقية .

* * *

على أن ظفر أيطاليا الحربى فى الحبشة لا يكفى لتسوية المسألة الحبشية مهما كان مدى هذا الظفر ؛ ففى وسع ايطاليا أن تستولى عسكريا على الحبشة كلها ، ولـكن الاحتلال العسكرى لا يمكن أن يعتبر مستقرا أو نهائيا ، ولا يمكن بأى حال أن يعتبر خاتمة المشكل ، ولابد أن تحسب ايطاليا أعظم حساب لموقف السياسة البريطانية ؛ ذلك أن بريطانيا العظمى ترى فى استيلاء ايطاليا على الحبشة وتوسع الاستعمار الايطالى فى شمال افريقيه خطرا عظيما على سيادتها ونفوذها فى وادى النيل وشرق أفريقيه ، وترى فى نهوض ايطاليا الاستعمارية وفى اضطرام الروح الفاشستية بالأطماع والمشاريع الاستعمارية خطرا أعظم على سيادتها فى البحر الأبيض والبحر الأحمر وعلى مواصلاتها الاستعمارية التى تسهر على حمايتها بيقظة متناهية ، فالمسألة الحبشية فى ذاتها تحتل فى نظر بريطانيا مكانا ثانويا ، ولـكن المسـألة الجوهرية هى ما يترتب على فوز ايطاليا واعتزاز الروح العسكرية الفاشستية بهذا الفوز ، وهى روح اعتدائية أخذ يبدو خطرها فى البحر الأبيض ظاهرا ملموسا ؛

والسياسة البريطانية تعمل منذ بدء المشكلة الحبشية وراء عصبة الأمم ووراء مبدأ السلامة الاجماعية ؛ وقد كانت تتوقع عند فوزها بتقرير سياسة العقوبات الاقتصادية أن هذه العقوبات ستحدث أثرها فى أهبة إيطاليا وفى مواردها بسرعة ، فتقبل الصلح على الأسس التى وضعتها عصبة الأمم ؛ ولكن السياسة الفرنسية المذبذبة التى تعمل من وراء الستار لشد أزر إيطاليا حالت كما رأينا دون تحقيق هذه الغاية ، واستطاعت إيطاليا أن تحرز بوسائلها العسكرية المجرمة فى الحبشة انتصارات خطيرة ؛ فالسياسة البريطانية تجد الآن نفسها بعد فشل سياسة العقوبات ، وانهيار المقاومة الحبشية ، فى موقف حرج ؛ وإذا كانت خطتها التالية لم تتضح بعد، فانه مما لا ريب فيه أن وجهة نظرها إلى الموقف لم تتغير بل ربما كان اهتمامها اليوم بقمع الخطر الايطالى على مصالحها ومواصلاتها أشد منه فى أى وقت آخر

ومن المحقق أن السياسة البريطانية تؤثر العمل بوسائل لا تدفعها إلى الحرب ؛ والظاهر من تصريحات مستر إيدن وزير الخارجية البريطانية فى جنيف ، وتصريحات مستر بلدوين رئيس الوزارة ، وأقوال الصحف البريطانية ذات الرأى ، أن انكلترا ما زالت ترى المضى فى سياسة العقوبات الدولية ، مستظلة بعصبة الأمم ومبدأ السلامة المشتركة ، وأنها ستقوم بمحاولة أخرى فى هذا السبيل قبل أن تفكر فى الالتجاء إلى وسيلة أخرى ؛ والظاهر أيضاً أن أنصار هذه السياسة يرون أن الانتصارات الايطالية الأخيرة فى الحبشة لا تقوم على أسس مستقرة ؛ وأن إيطاليا لا تستطيع المضى طويلاً فى الاضطلاع بهذه الاعباء والتضحيات الفادحة التى تضطلع بها ، وأن أحوالها الاقتصادية الداخلية بلغت مأزقا خطراً ، فاذا استطاع الأحباش أن يصمدوا فى الجنوب وأن يحتفظوا بنوع من المقاومة بضعة أسابيع أخرى حتى يبدأ فصل الأمطار ، وإذا ظفرت انكلترا أثناء ذلك بحمل عصبة الأمم على تقرير عقوبات جديدة أخصها حظر الزيت ، فان الخبراء يرون أن خطط ايطاليا العسكرية تعرض فى هذه الفترة إلى أشد الأخطار ، فقد يستطيع الأحباش فى فترة الأمطار أن ينظموا قوائم مرة أخرى ، وتكون موارد ايطاليا قد نفدت أو أوشكت على النفاد فتضطر إلى وقف الحرب وقبول الصلح ؛ وتؤمل السياسة البريطانية أن تسنح الفرصة لتقرير العقوبات الجديدة عقب الانتخابات الفرنسية الجديدة ، فقد ظهر منها أن فرنسا تميل هذه المرة الى أحزاب اليسار ، وأحزاب اليسار تؤثر تأييد عصبة الأمم ومبدأ السلامة المشتركة ، وترى أن هذه السياسة أقرب الى تحقيق السلام من سياسة التلون والمداورة التى جرت عليها فرنسا إزاء المشكلة الحبشية ، وهى سياسة دفعت ثمنها غالياً فى مسألة الرين ونقض ألمانيا لمعاهدة لوكارنو ، حيث خذلتها انكلترا فى هذا المأزق ، وألقت عليها درسا عميق الأثر

ويرى بعض أقطاب السياسة البريطانية فوق ذلك أنه يجب على إنكلترا إذا اقتضى الأمر أن تلجأ إلى إجراءات الحصار العسكرية ، فتغلق قناة السويس بموافقة عصبة الأمم ، وتقطع بذلك مواصلات إيطاليا مع شرق إفريقية ، وهذا إجراء قد يؤدى إلى نشوب الحرب بين إيطاليا وانكلترا ، لأن موسولينى ما فتىء يهدد بانه يعتبر إغلاق قناة السويس إجراء عدائياً عسكرياً يجيب عنه بالمثل ، ولكن أصحاب هذا الرأى يرون أنه خير أن تضطلع انكلترا بعبء حرب محلية فى البحر الأبيض من أن تترك الفاشستية تمضى فى تهديدها للسلام حتى تنشب حرب أوربية أو عالمية ؛ ويقولون إنه ليس لايطاليا أن تحتج بخرق المعاهدات الدولية فى مسألة اغلاق القناة بعد أن خرقت هى كل العهود والمواثيق الدولية ، وهذه النظرية تلقى اليوم كثيرا من التأييد فى انكلترا ، بيد أنه يلوح لنا أن السياسة الانكليزية الرسمية ما زالت بعيدة عن الأخذ بها

إن السياسة الانكليزية تعتمد كثيراً على الزمن وعلى تطور الحوادث والظروف ؛ وإذا كانت الظروف لم تحقق إلى اليوم تقديراتها وأمانيها ، فليس من ريب فى أن استطالة الحرب الحبشية تستنفد قوى ايطاليا ومواردها ، وتضعف مركزها فى أوربا ؛ وقد حققت الحرب الاستعمارية الطاحنة التى تدور فى الحبشة منذ سبعة أشهر كثيرا من دواعى هذا الانهاك ؛ ولا عبرة بمظاهر النصر الخلابة التى تهول ايطاليا بها ، فانها تدفع فى سبيلها أفدح الأثمان ؛ وما زال الزمن عاملاً حاسما فى اخماد الجذوة الاستعمارية الفاشستية وردها إلى الصواب

***

# قصـة المكروب

## كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكي

---

## الدفتريا

### بين واجد سمها الفرنسي، وكاشف ترياقها الألماني

وصل القارئ : بعد أن أثبت بارنج أن المصل المأخوذ من دم الشياه الناقهة من الدفتريا يقي الحيوانات من هذا الداء إذا هو حقن فيها، حقنه في الحيوانات المريضة فعلا لعله يشفيها شفاءاً. ففعل مثل ذلك في الأطفال المرضى فكان النجاح باهراً. وبدأت المصانع تصنع هذا المصل والأطباء يستخدمونه وذاع أمره واهتز الناس له

- ٤ -

ومع هذا النجاح فقد صدرت من الناس شكيّات، وقد صدرت منهم انتقادات. وهذا أمر طبيعي، فالعلاج الجديد لم تكن مؤكدة نتائجه كل التأكيد: فهو لم يَشفِ من الأطفال المائة مائةً عدّاً. وكيف يُرتجى منه ذلك وهو لم يكن شفى من مائة الخنازير الغينية مائة كاملة. وكان كذلك لبعض علماء الأطباء رأى تقادفيه، فقد ذكروا أن الذي يحدث من الداء تحت جلد الخنزير ليس بحكم الضرورة واللزوم هو عينه الذي يحدث منه في حلوق الأطفال. وشاع أمر الحقنة، وجرى المصل في دماء الألوف من الأطفال، ولكن برغم ذلك مات بعض الأطفال من الداء شرّ ميتة. (ولو أن عددهم ربما كان دون الذي كان يموت قبلا). وأخذ الأطباء يتساءلون عن السبب. وفقدت آباء وأمهات آمالاً كبيرة تفتّتت بفقدها أكبادهم

وهنا عاد أميل رو إلى العمل، عاد إلى ساحة القتال يحتل مكانه في صدرها. فاكتشف اكتشافاً مجيداً: طريقة سهلة هينة يحصّن بها الخيل من سمّ الدفتريا؛ طريقة لا يموت فيها حصان ولا يطفح على جلده منها خُرّاجات أليمة ذميمة؛ وخيرٌ من هذا أنها طريقة تأتي بالكثير الوفير من ذلك المصل الحصين وبه ذلك الترياق الغالي الثمين. وكان مصلاً قويّ المفعول يذهب القليل منه بالسم الكثير الذي يقتل عدّة من كلاب كبيرة

وآمن رو بأن هذا الترياق سيشفي الأطفال لا محالة. وآمن به قبل أن يجهزه إيماناً كإيمان بارنج أو أشدّ منه تأكداً. تركّز فكره على علاج الداء، واجتمع مقصده على شفائه، فلم يفكر قط في منعه. ونسي ما كان وَصفَ من غرغرات. وظل يتردّد على عجل بين معمله ومَربِط خيله، تارة ضارباً محاقنه في أعناقها وهي صابرة، وتارة حاملاً قوارير عظيمة البطون ملأى من دمائها

وفي هذه الفترة كان نوع من الدفتريا شديد الخبث (هكذا ظن رو) يكتسح بيوت باريس. وفي «مستشفى الأطفال» كان يُحمل خمسون في المائة من مرضاه إلى بهو الأموات زُرْق الوجوه (أو هكذا أثبت الاحصاء). وفي مستشفى تروسو Trousean كان يموت ستون في المائة (ولو أن السجلات لم تذكر في جلاء أن الأطباء استيقنوا أن الذين ماتوا إنما ماتوا من الدفتريا لا من غيرها). وفي الأول من فبراير عام ١٨٩٤ جاء رو إلى «مستشفى الأطفال» بوجهه المسنوف وأنفه الأقنى وصدره الضيّق وقلنسوته السوداء، فدخل إلى رواق الأطفال المرضى بالدفتريا وهو يحمل قوارير ملأى بهذا السائل الأصفر المعجز من المصل . . .

وفي هذه الساعة، في المعهد الشهير بشارع ديتو، في حجرة المكتب هنالك كان يجلس رجل شيخ مشلول ينتظر خبراً ساراً يأتيه من رو . . . . وكان هذا الشيخ تبرق في عينيه بوارق الأمل فينسى أحبابه وأعزاؤه أن الموت انتقاه وأعلمه ثم تركه وعن قريب يعود في طلب المتروك تاركه . . . . . هذا بستور جلس في غرفة مكتبه من ذلك البيت العتيق لا يود أن يبرحها ويُسلِم للفناء زمامه حتى يأتيه الخبر اليقين بأن تلميذاً من تلاميذه تمكن من محو داء آخر من الأدواء الخبيثة بهذه الحياة الدنيا

وغير بستور كان حول رو أمهات باريس وآباؤها يرجونه الاسراع في تجهيز علاجه رحمة بأولادهم من مرضى ومريضات — فقد كانوا سمعوا بذلك العلاج العجيب الذي ابتدعه الدكتور بارنج. وقالت طائفة منهم أنه يكاد يحيي الموتى ويستخلص

الأطفال من براثن هذا الداء بعد أن تنقطع فيهم الآمال . وكان رو يتلفت حوله فيستطيع أن يرى الناس رافعة أيديها إليه تطلب الرحمة والغياث

جهّز رو محاقنه وقواريره بذلك الهدوء وذلك البرود اللذان أثارا إعجاب الفلاحين فى تلك الأيام الخوالى حين قام رو فى حقولهم يضرب لقاح الجمرة فى بهائمهم فى قرية بويى لوفرت . وقام عوناه مرتان Martin وكايو Chaillou فأشعلا مصباح الكحول وأسرعا اليه فى لهف وتأهب لاجابة الأمر تنفتح عنه شفتاه ، ونظر كوخ إلى الأطباء وهم فى حَيْصَ بَيْصَ لايدرون ماذا يصنعون . ونظر إلى الوجوه الصغيرة وهى فى زرقة الرصاص ، وإلى الأيدى الرقيقة وهى تُهبّش فى ألحفة الصوف ، وإلى الأجسام وهى تتلوّى فى الفراش تطلب أنفاساً قليلة من ذلك الهواء الغالى فلا تكاد تجدها . ثم نظر إلى محاقنه ممعناً وسأل نفسه : أحقاً فى هذا المصل خلاص هذه الأرواح ؟ فما أسرع ما انشطرت نفسه شطرين عند هذا السؤال ، فكان منها نفسان : النفس الأولى نفس الانسان الحنّان ، والنفس الأخرى نفس العالم البحاث

قالت الأولى تجيبه بقوة : « نعم ، نعم فيه خلاصها »

وقالت الثانية فى همس وخفوت : « لا أدرى ، والحكم للتجربة ، فهيّا بنا اليها »

قالت النفس الحنون ، وقال معها الآباء القانطون وكلهم يتوسلون ويرجون : « لا تفعل ! لا تفعل ! فان التجربة تقضى باعطاء المصل لبعض الأطفال وحبسه عن بعضهم ، وهذا فى شرعة القلب حرام »

قالت النفس الباحثة : « نعم إنه عمل غير هيّن وقساوة تتلوع منها القلوب . ولكن ما الذى أنا صانعته ؟ ! إن هذا المصل شفى الأرانب فما الذى يدرينى أنه يشفى الأطفال والانسان ؟ لا بد إذن من العلم ، لا بد من كشف الحقيقة ، والحقيقة لا تنكشف إلا إذا نحن حقنا به نصف الأطفال المرضى وأعفينا النصف الآخر ، ثم قارنا عدد من يموت فى النصف الأول بعدد من يموت فى النصف الثانى ؛ بهذا ، وبهذا وحده ، نستطيع أن نعلم الأثر الحق الذى للمصل فى شفاء هذا الداء »

قالت النفس الحنون : « ولكن هبْ أنك وجدت المصل يشفى ، فانظر ما تكون مسؤوليتك عن مئات الأطفال الذين يموتون لأنك حبست عنهم هذا المصل ، هذا الترياق »

إنه تخيير مؤلم لاشك بين خُطّتين صعبتين . على أن رو ذا العقل الصرف فاته حجة ما كان أولاه بإيرادها فى هذه المناظرة بينه وبين رو ذو العاطفة الصرف ؛ لقد كان فى استطاعته أن يقول : « إننا إذا لم نتبع طريقة العلم ، طريقة التجربة ، إذاً لانخدع الناس فظنوا أنهم وقعوا من هذا المصل على علاج كامل للدفتريا ، وإذن لكفّ البُحّاث عن طلب علاج جديد لها ، ثم تتوالى السنون يموت ألوف من الأطفال بسبب هذا العلاج المزعوم ، ألوف كان فى الامكان إعفاؤها من الموت لو أننا اتبعنا طريقة البحث الصحيح على ما بها من قساوة . . . »

إن فى هذا الحجة جواب العلم الدامغ لكل ذى رأى يقوده قلب . ولكن رو لم يُصغ إليها ، ومن ذا الذى يلوم هذا القلب أن يتنكّب الطريق القاسية التى تؤدى وحدها الى علم الحقيقة .

وتجهزت المحاقن ، وجرى مصلها اندفاعاً تحت جلود الأطفال فانتفخت به ، بدأ رو فى أداء رسالة الرحمة ، ولعلها رسالة الخلاص كذلك ، فحقن فى المستشفى فى الخمسة الأشهر التالية من الأطفال المهدَّدين بالموت زيادة على ٣٠٠ طفل . ثم ظهرت النتائج ! ألا حمداً لله فقد كانت نصراً لرو ذى القلب الانسانى الرحيم ، فما انتهت تجاربه فى هذا الصيف حتى قام فى مؤتمر جمع نوابغ الأطباء وخيرة العلماء من أصقاع الدنيا فقال لهم : « إن حالة الأطفال إذا حُقِنوا بالمصل تتحسن سريعاً . . . فلا يكاد يقع الناظر فى عنابر المستشفى على وجه فاقد اللون أزرق كالرصاص . . . بل على النقيض يجد الأطفال فى نشاط وابتهاج »

واستمر يصف فى بودابست للمؤتمرين كيف يذهب المصل بهذا الغشاء المخاطىّ الرمادىّ الذى يتكون فى حلوق الأطفال وعليه تتكاثر بشلة الداء ومن فوق بساطه ترمى بسمها القاتل ، ووصف لهم كيف يذهب هذا المصل بجُثّامهم كذلك : كان كنسمة باردة هبّت من بحيرة شمالية على مدينة جنوبية فرّت على أفاريزها وهى تتقد ناراً . فهتف له هذا المؤتمر الوقور ، وقام له أطباؤه الأشهرون على أرجلهم إكباراً له وإعجاباً بالذى أتاه

ومع هذا — ومع كل هذا — وبرغم هذا المصل العجيب ،

فقد مات من مرضى رو ستة وعشرون فى كل مائة ! !

ولكن اعلم أن ذلك العصر كان عصراً تغلب فيه العاطفة ، واذكر أن هذا المؤتمر لم يجتمع ، ورو لم يذهب إليه ، لخدمة الحقيقة وإنما ليحتفلوا بخلاص الأرواح وليناقشوه ويختطوا له الخطط ، وكان الناس عندئذ قليلى الاهتمام بالأرقام ، وكانوا أقل اهتماماً بالنقاد الثقلاء الذين يُلحون فى طلب مقارنتها ، وكانوا فى تأثر شديد عند ما استمعوا لرو وهو يصف لهم ما كان من تبريد المصل لجناه الأطفال بعد اشتعالها . على أن رو كان فى مقدوره الرد على نقاده بين تصفيق العظماء التابهين من سماعه بأن يقول لهم : « وما ستة وعشرون يموتون فى المائة ! يجب أن تذكروا أنه قبل هذا العلاج كان يموت خمسون فى المائة »

ومع هذا أيضاً فأنا أقول — أنا الذى أود أن أومن بهذا الترياق ويحسن أثره فى علاج الدفتريا — أقول بعد أن مضى على ذلك الزمان بضعة عقود : إن الدفتريا داء غريب ، تزيد خبثه أحياناً ، ويقل أحياناً . ففى بعض الأحقاب يبلغ الموت فى مرضاه ستين فى المائة ، ثم هو يحل به أمر خفى غريب يضعف من مكروبه فإذا بالستين تنزل إلى عشرة ، وهكذا كان الحال فى عصر البطولة الفائتة ، عصر رو وبارنج . ففى هذا العصر فى بعض مستشفيات انجلترا نزل معدل الموت من أربعين إلى اثنين وعشرين فى المائة — وهذا بالتحقيق قبل أن يُستخدم المصل !

ولكن الأطباء الكبراء لم يأذنوا للأرقام أن تدخل فى تفكيرهم ، وحملوا خبر الترياق إلى أركان الأرض الأربعة ، فلم تمض إلا سنوات قليلة حتى استقر المصل فى الأدوية علاجاً للدفتريا . واليوم لن تجد طبيباً فى الألف لا يحلف لك بأنه علاج بديع . والدفتريا اليوم ليست على خبثها الذى كان لها فى العقد التاسع من القرن الماضى ، والأطباء لا يفتأون يعطون المصل لكل طفل تناله تلك البشلات الفاترة الجارية الآن حاسبين أن به الشفاء...

والطبيب الذى يمتنع عن إعطاء المصل يُعَدّ بحق مذنباً اعتماداً على القدر الذى نعلم من أمر هذا العلاج اليوم . وأنا نفسى لو أن طفلاً لى أصابه هذا الداء لكنت أول مسرع إلى الطبيب ليحقنه بهذه الحقنة نفسها . ولم لا ؟ فلعل الصبى يشفى حقاً . أنا لا أدرى أنه لا يشفى ، ولا يدرى غيرى أنه لا يشفى ، وقد فات الأوان لاثبات أنه يشفى أو لا يشفى ، فالدنيا الآن تؤمن به ، فلا يوجد فى الرجال رجل تبلغ به قسوة القلب ، أو جرأة النفس أن يقوم بالتجربة التى يتطلبها العلم لاثبات اليقين

واليوم يؤمن البحاث بالذى آمن به رو من أمر هذا المصل ، فهم فى شغل شاغل بمباحث أخرى . وكل الذى أرجوه أن يكون رو صادقاً فى الذى آمن به ، حتى إذا هبّت على العالم هبّة من وافدة خبيثة من الدفتريا ، وافدة فى خبث تلك التى كانت فى العقد التاسع من القرن الماضى ، يكون للناس من هذا المصل وقاء صادق يدفعون به شرها غير مخدوعين فيه

على أنه حتى إذا لم يكن فى هذا المصل شفاء الدفتريا — ولو أن الأرجح فيه الشفاء — فالتجارب التى قام بها رو وبارنج لم تضع سدى على ما نعلم اليوم . بالطبع قصة ذلك لا تزال حديثة ، لا تزال تلوكها الجرائد كثيراً ، فلم تهيأ بعد لتبوئ مكانها فى التاريخ ، ولكن مع هذا ففى نيويورك ، وفى كل أمريكا ، وفى ألمانيا مئات الألوف من الأطفال وتلاميذ المدارس تتخذ أجسامهم مصانع يُصنع فيها هذا الترياق فى خلق كبير وأمن بالغ كى لا تأتيهم الدفتريا أبداً . وذلك بحقن هؤلاء الصغار تحت جلودهم بمقادير قليلة من سمها يكفى القدار منها لقتل عدة كلاب كبيرة — ولكن بعد تدويره وتحويره وتغييره تغييراً عجيباً حتى لا يتأذى منه الطفل يُحقن به بعد أسبوع من ولادته

والأمل اليوم كبير فى مغالبة الدفتريا حتى لا يكون منها ذلك الداء الفتاك الذى دوّخ الأجيال ، وذلك بأن تمتنع الأمهات والآباء فيرضون بأن تُرشق بناتهم وأبناؤهم ثلاث رشقات من من إبرة محقن . إذن لحمدنا العاقبة وشكرنا للفلار ورو وبارنج أبحاثهم الأولى وإن فاتها التهذيب والتمام

( تمت الدفتريا )

أحمد زكى

# التربية الوطنية الاستقلالية

## وأثرها فى بناء الأمة

للأستاذ محمد عبد البارى

### عماد الوطن

عماد الأمة أفرادها . ومتى كانت مواد البناء متينة التكوين سليمة الوضع كان البناء قوياً على احتمال تصاريف الأيام ، والتغلب على صدمات الحادثات . وما مادة البناء فى الجماعة سوى الفرد . فكيف يكون قوياً لتقوى به الأمة ؟

### مشاهدات الحاضر

يلوح لى أن استعراض الوقائع لاستخراج الحقائق أقرب شيئاً إلى صحة الحكم ، وأبعد غاية من التحليل النظرى المجرد . وأخذاً بهذا فانى أضرب بالانجليز مثلاً للأمة القوية . وأحاول باستعراض بعض الظواهر للوصول إلى سر هذه القوة . وإنى إذ أفعل هذا لست مأخوذاً بقوة المسيطر ، ولكنى إنما أتعرف سر قوة الغير لنحتذى مثاله ، ومن قبل احتكت اليابان من نحو خمسة وثمانين عاماً بالغرب ، وآنست منه قوة لاقبل لها بها فداورته ، ثم حرصت على تعرف سر قوته واتخذت سبيله . فلما أحست من نفسها القوة تحررت مما فرض عليها الغرب من قيود ، ثم صارت موضع خشيته ورهبته . والقوى يتقى دائماً التصادم بالقوى .

من أشهر حوادث التاريخ الدستورى ما يسميه الانجليز بالعهد الأعظم ؛ وهو مجموعة قواعد غير منمقة ؛ هى فى الواقع شروط يتقيد بها الحاكم ، وهى تنبئ عن روح استقلالية أصيلة ، ودرجة حرص القوم على المحافظة على ذلك العهد تؤكد أنه وضع عن عقيدة ، وأنه يعبر عن شعور الأمة بحقها وكرامتها وقوتها . فلما هوجم دافعت عنه الأمة عن عقيدة راسخة فانتصرت . حدث أن أحد ملوك انجلترا ، وكان متشبعاً بتعاليم الفيلسوف الانجليزى « هوبز » نقض ذلك العهد باصدار أوامر تخالفه . غير ان أحد الكافة أبى أن يعترف بحق الملك فى المخالفة ، فامتنع عن تنفيذ الأمر . فلما أوذى المعترض ثارت الأمة ، وتخلصت من ناقضى عهدها استمساكا بدستورها ومحافظة على كرامتها

والمعترض لم يصدر إلا عن عقيدة . وكان مستقل الرأى أبى النفس شجاعا بدليل أنه لم يرهب جسامة ما أقدم عليه . ولم يك بالشاذ فى بلده بدليل أن سواد الشعب جاراه وانتصر للحق إلى النهاية . وهذا العمل الخطير لا يمكن أن تأتيه جماعة إلا إذا كانت الروح الاستقلالية قوية فيها ، وكان الشعور بكرامة الانسان غالباً فى أفرادها والاعتداد بالنفس صفة غالبة فى بنيها . كان الفيلسوف « هوبز » ينادى بحق الملك المقدس فى الحكم طبقاً لمشيئته لا استنادا إلى إرادة الأمة . وكان مربياً للملك المشار اليه . ولكن النفسية الانجليزية لم تهضم هذه التعاليم ؛ وكان يعجبها ما قرره الفيلسوف « لوك » ؛ وهو أن الأمة مصدر السلطات ، وأن الملك يستمد سلطته منها ، وليس صاحب حق مقدس يحكمها طبقاً لهذا الحق المقدس فلا يتقيد بإرادتها . فلما تعارضت الفكرتان عملا كانت الغلبة لما يدين به سواد الانجليز ، لأن تربيتهم الاستقلالية أبت عليهم الخضوع لما لا يتفق مع الكرامة الانسانية ، فثاروا دفاعاً عنها وانتصروا لأنهم عملوا عن إيمان راسخ

التربية الاستقلالية مصدر الشجاعة الأدبية والاقدام والشجاعة توحى للمرء بأن يقول « لا » كلما وجب أن يقولها ، و « نعم » كلما وجب أن يقولها ، سواء أكان مخاطباً نفسه أم غيره . والاقدام يدفع المرء الى العمل بما يعتقد مهما كانت النتيجة وقد دلت التجارب على أن العامل عن عقيدة قلما يخفق لأن الايمان الراسخ فى ذاته قوة يعز التغلب عليها

لو لم تكن روح الاستقلال متغلغلة فى نفوس الانجليز لرسخت فيها تعاليم « هوبز » دون تعاليم « لوك » ، ولمر نقض العهد وهو الدستور كأنه حادث عادى ، ولاعتاد الحكام التصرف طبقاً لمشيئتهم ، ولكانت الجماعة عرضة من حين لآخر ، للاحتكاك بين أنصار الطغيان وأعوان الحرية ، ولبطؤ سيرها الى الأمام

لكن النفوس كانت متشبعة بالحرية والاستقلال فدافعت عما وضعته من شروط لتولى حكمها . وأظهرت وجودها المستقل

بيملها التاريخى . وعرف الحكام منها ذلك فلم يحـاولوا نقض العهد وعاشت وعاشوا فى هدوء . فاستطاعت الأمة التمتع ببركة الهدوء فى ظل الحرية ، وانصرفت بكل قواها الى ترقية شؤونها ورفع مستوى الفرد فبلغت قمة المجـد ، وكانت عزيزة الجانب بوجه عام حتى اليوم . تلك حادثة من أبلغ حوادث التاريخ الانجليزى فى الدلالة على أن قوة الأمة فى تغلغل روح الاستقلال بين الأفراد وفيما ينشأ عن التربية الاستقلالية من شجاعة واقدام

وانا أورد مثـلا آخر أدلل به على ما ترنح الأمة من تشبع الفرد بروح الاستقلال . ففى الحادث المتقدم كان العمل شعبياً ، وفى الحادث التالى كان العمل فرديا

فى سـنة ١٨٣٩ نجحت انجلترا فى تأليب قوى أوروبا على مصر لتأمين الخطر الذى توهمتــه من قيام جماعة قوية على ساحلى البحرين الأحمر والأبيض المتوسـط . انتهزت الفرصة السانحة بتهديد الجيوش المصرية الآستانة نفسها فأقنعت طائفة من أقوى دول أوربا بالاشتراك معها فى حمل « محمد على » على قبول شروط فرضتها عليه ، وهو الغالب تحد من قوته ، ونجحت بهذا وببث الثورة فى سوريا ضد المصريين فى الاستيلاء على عكا وفى ضرب الجيوش المصرية بسوريا ضربة حاسمة

فلمـا تم ذلك بعث القائد العام وهو انجليزى ضابطاً بحرياً انجليزياً لاستطلاع قوة المصريين بالاسكندرية ، وأمر الضابط فاقتنع عنـد ما وصل المياه المصرية أنـ من السهل ضرب الاسكندرية ، ولـكنه فى نفس الوقت علم من ثقة أن البر عموج بقوة مسلحة تسلحاً عظيما ، وفكـر أن الاشتباك مع محمد على بمصر قد يجر إلى مثل موقعة رشيد سـنة ١٨٠٧ ورأى أنه من الممكن التفاهم مع محمد على على الشروط التى فرضها التألبون ورفضها محمد على ، إذا ضمن له الضابط جعل حكومة مصر وراثية ، لمـا أسـتوثق من ذلك دخل رأساً فى مفاوضات مع محمد على واتفق الطرفان .. ولمـا أنبأ القائد العام بذلك احتج عليـه وأرسل إلى حكومته يحتج ، ولـكن الضابط استمسك بوجهـة نظره لأنه أيقن بأنه خدم بلاده ودافع عن هـذا الرأى لدى الحـكومة الانجليزية رأساً وانتصر له وزير الخارجية الانجليزية وأبرم الاتفاق الذى وضع أساسه هو فـكان معاهدة لندن سنة ١٨٤٠

والحادث يدل على أن الضابط البحرى لم يفهم أنه مجرد أداة بل فهم أنه عنصر فعال فى بناء مجد أمتـه . فلما رأى الفرصة سانحة انتهزها بالرغم من مخالفة هذا التصرف للواجبات العسكرية ؛ فلما لم يرض رئيسه عن هـذا لم يرهبه سخط الرئيس ولم ينس غرضه ولم يتقهقر وتغلب رأيه أخيراً

نظر الضابط الصغير كما نظرت حكومته إلى جوهر الموضوع لا إلى شكله ، والحادث بالنسبة للحكومة الانجليزية وبالنسبة للضابط البحرى دليل على تأصل الروح الاستقلالية وعلى عظم أثر هذا التأصل فى صحة الحكم على الأشياء

تلك الروح الانجليزية التى استعرضنا بعض مظاهر عظمتها هى التى أبت عليهم الخضوع لتهديد اسبانيا ، فلم يخرجهم هول قوة الأرمادا « اسم الأسطول الاسبانى » عن رباطة جأشهم وكانت الغلبة لهم ، وهى نفسها التى أبت عليهم الخضوع لنابليون ، وهى التى تلهمهم قبول حكومة المحافظين تارة وقبول حكومة العمال تارة أخرى مع ما بين مبادىء الحزبين من تفاوت ، وهى التى جعلت القاضى الانجليزى مضرب المثل للقاضى الصالح ؛ وهى بالاختصار التى وضعت الانجليز للآن هـذا الوضع الممتاز فى التاريخ العصرى

## عبر التاريخ

ضربت المثل بالانجليز عامدا لأنا نخاطب القوم اليوم فى تحديد علاقاتنا بهم . وأضرب المثل بالعرب لأنى أكتب هذه الكلمة يوم الاحتفال بمستهل العام الهجرى

نشأ العرب على الحرية والاستقلال لا يشوبهما إلا خضوعهم لأوهام باطلة وعادات مرذولة ؛ فلما تطهرت نفوسهم باعتناق الدين الحنيف تحرروا من قيود العادات والأوهام التى لا تتفق والكرامة الانسانية

إن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم من أروع أمثلة التاريخ فى استقلال الرأى والصلابة فى الحق ؛ ولـكنه نبى يعمل فى حدود رسالته بمـا يوحى به الله ، بيد أنه بث فى أصحابه تعاليمه المطهرة للنفس ، والملهمة لروح الاستقلال ، فكان هذا مع نشأة العرب الحرة السبب فى سرعة تقدمهم بعد اعتناق الاسلام

فى أولى غزوات النبى ارتأى وهو فى مركز القائد الحربى أن ينزل بقوته فى نقطة معينة ، ولـكن أحد أتباعه اعترض

على هـــذا فى أدب وكياسة ، فلما تبين للرسول صواب رأى نصيره أخذ به

إن الروح التى أملت على التابع المتفانى فى حب نبيه اعتراض رأى هذا النبى ، والتى دعت النبى إلى قبول رأى أحد أتباعه ، هى روح استقلالية ، فلا خشية فى الحق من جانب الصحابى ولا تعصب للذات من جانب النبى

لما قبض النبى لم يتحيز أتباعه لأهل بيته ويختاروا أحدهم خليفة ، بل اختاروا أبا بكر لأنهم رأوا صلاح الجماعة فى ذلك الاختيار ، والروح التى أملت هذا إنما هى روح الاستقلال والحرية

خطب أعظم خلفاء محمد فى الناس فدعاهم جهرة إلى تقويم اعوجاجه إذا رأوه أعوج ، فرد أحد الحاضرين بقوله : « والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بحد السيوف »

رأى عمرو بن العاص أن تفتح مصر ، ولم يكن الخليفة عمر ابن الخطاب يرى رأيه . ولكن القائد أقنع الخليفة بصواب الفتح فزوده بالرجال ليمضى فى تنفيذ مشروعه ، ولكنه تخوف ثانية ، وبعث له يسترجعه ، وقدر عمرو ما فى الرسالة ، فلم يفضها ، ومضى فى سبيله حتى نزل أرض مصر . وأصبح مضيه أمراً لابد منه

والحادث يدل على عدم الاستبداد من جهة الخليفة ، وعلى الاستقلال والاعتماد على النفس والثقة بها من جانب القائد

ويطول بنا القول إذا ما حاولنا تقصى الحوادث التى من هذا النوع . فلنكتف بهذه الأمثلة للدلالة على أن نشأة العرب المستقلة ، وتعاليم الدين الحاضة على الحرية والمساواة والاعتماد على النفس ، جمعت فى العرب الاستعداد الفطرى بحكم النشأة الأولى والتعليم الرشيد ، والايمان القوى بالعقيدة الاسلامية ؛ وحسن تفهمها ؛ فسادوا العالم فى سرعة أدهشت المؤرخين ، ونشأت أمة عربية ، قوية الأركان ، شامخة البناء

وفى كل عصر ، وفى كل بيئة تنجح الجماعة إذا سادت الحرية فى تصرفاتنا مع الغير وفى تناول ذواتنا ، أعنى حرية الجهر بالرأى والانطلاق من قيود التعصب للذات . بهاتين الصفتين نجح العرب وتقدموا وسادوا ، وبهما تقدم الانكليز وقويت شوكتهم وسادوا ، وبالاستمساك بهما نقوى ونسود ؛ فالتاريخ القديم والحديث مزدحمان بالأدلة على أن التربية الاستقلالية هى أقوى دعائم الأمم ، وإذا كان هذا أمرها فما سبيلها ؟

« يتبع » محمد عبد البارى

# الملك أحمد فؤاد الأول

## كمسلم وعالم

للأستاذ عبد الله مخلص

عضو المجمع العلمى العربى

---

لما نعى الناعى المغفور له الملك أحمد فؤاد الأول عاهل مصر العظيم ملك الحزن على مشاعرى وأخذ اليأس من نفسى كل مأخذ ، لا لأنى من الذين تربطهم به أو بمملكته رابطة شخصية فيريد أن يفى بعض حقهما عليه ، ولا لأنى أبتغى من وراء اصطناع الأسى أجراً أو شكوراً ، بل لأنى من أولئك المسلمين الذين يقدرون مصر الاسلامية حق قدرها ويعتبرونها اليوم أم البلاد وقبة الاسلام ومنبثق النور وبلد العلم فى العالم العربى ، وأن المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها مدينون لها ولمسجدها الأزهر منذ ألف عام فهم يستنيرون بنورها ويستهدون بهديها ، ولذلك يرون لزاماً عليهم أن يعنوا بشؤون مصر ومصيرها وأن يشاركوها فى سرائها وضرائها ، ولأنى بدافع من هذه الدوافع الكثيرة من الذين سمعوا وعرفوا من خلال الملك الراحل وخصاله الغر الميامين ما يستحق الاجلال والاكبار من الناحيتين الاسلامية والعلمية فلم أتمالك عن كتب هذه السطور التى هى نفثة مصدور فأقول :

### الملك أحمد فؤاد كمسلم

منذ نصف قرن ونيف والاسلام تتجاذبه عوامل الأخذ والرد بسبب هذه الثقافة الجديدة التى يظن حملتها أن لا بأس من ادخال التطور فى جميع مناحى الحياة حتى فيما يتعلق بالعقائد والأديان والعرف والعادة حتى رأينا من بعض الأمم الاسلامية بعض الشذوذ تحت ستار التمدين فصار الالحاد مدنية ونبذ العقيدة رقياً ، وأخذنا نسمع بما لم نألفه من نظريات علمية هدامة تنكر الله والرسل وسارت بعض الأمم شوطاً فى هذا المضمار الشائك الذى سينتهى بها حتما إلى الهاوية وبئس المصير

فى مثل هـــذه الحوائل اعتلى عرش مصر الملك المرحوم فلم

تبطره بهرجة الملك ، ولم تؤثر على عقيدته تلك النزعات والنزغات بل ظلّ على اسلامه الصحيح وعقله الرجيح

وإذا اعتبرنا أنه رحمه الله تعالى قضى أيام شبابه فى بيئة أجنبية أيام دراسته فى معاهد الغرب الكبرى التى لا تمت إلى الاسلام بصلة فان بقاءه مستمسكاً بعروة دينه محتفظاً بيقينه كان من نعم الله عليه وحجته على قوة إرادته

وإن ننس فلن ننسى له المحافظة على زيه الشرقى فى عواصم الغرب بينا نرى بعض ملوك المسلمين وأقيالهم يقلدون الغربيين تقليداً أعمى حتى بلغ من بعض ملكاتهم النسج على منوال الملكات الغربيات والظهور بمظهر المدنيات الراقيات ، وليس فى ذلك من رقىّ ولا مدنية ، بل فيه خروج على التقاليد واللياقة وطعن فى صميم الكرامة وتبذّل غير محمود

فالملك فؤاد اقتعد الذروة فى هذا الخلق الاسلامى الكريم وضرب مثلاً أعلى للمسلمين ملوكهم وسوقتهم

## الملك أحمد فؤاد كعالم

لو أننا تركنا جميع مآثر الملك المرحوم العلمية جانباً واقتصرنا فقط على أثره الخالد وهو لا يزال فى الامارة نعنى به الجامعة المصرية التى كان أول العاملين لها والحادبين عليها لكفاه شرفاً ونبلاً

فهذه الجامعة التى ترأسها وتعهّدها وصرف من قوى نفسه ونفيسه على نموّها وازدهارها هى مفخرة المفاخر مما قدّمته لمصر من الخدم العلمية الجلىّ . وها نحن أولاء نرى ثمارها دانية القطوف على أيدى أساتذة جهابذة يخرجون لنا فى كل عام مئات من الناشئين يملأون أرض الكنانة وبلاد العرب علماً وحكمة

والحق أن الجيل المصرى الذى عاصر أيام حياة الملك المرحوم كان سعيد الحظ بما وجد أمامه من المسهلات والشوقات والمرغبات العلمية الكثيرة

وأنا كرجل يُعنى بالتاريخ الاسلامى أذكر للملك الراحل عمله المشكور فى تدوين تاريخ رسمى للدولة المصريّة ، فقد أمر رحمه الله تعالى بتأليف لجنة لهذا الغرض ووضع تاريخ يستخرج من الدفاتر والوثائق الرسميّة ، وكان صديق المرحوم أحمد تيمور باشا من أعضاء هذه اللجنة ، وهو الذى أعلمنى بذلك فى حينه

وكان من دواعى الغبطة للمؤرخين الاسلاميين ظهور مجموعة عزيزة المنال ، تتضمن الأوامر الصادرة من حكام مصر إلى عامل الواحات من زمن الفاطميين إلى زمن الخديو اسماعيل رحمه الله تعالى ، وهى الأوامر نفسها لا صورها

يقول المرحوم أحمد تيمور باشا فى كتابه لى : « ولا أظنّ نظيراً لهذه المجموعة فى الدنيا ، وقد بحثت عن سبب حفظ هذه الأوامر جميعها كل هذه المدة فى تلك الجهة النائية ، فأخبرت أن العادة فيها من القديم أن يُحفظ كل ما يصدر من الحكام إلى عاملها فى مكان خاص بالمحكمة الشرعية ، وبهذا تيسر حفظها . وقد رأيت بها من توقيعات الملوك كالغورى وغيره الشىء الكثير ، وكذلك توقيعات حكام الفرنسيس مدة احتلالهم لمصر وهى بالأفرنجية ، ولكن الأوامر بالعربية ، ولا أخفى عليكم أنى متلهف إلى الآن إلى صورة شمسية من هذه المجموعة ، ولكن « فيا دارها بالخيف » »

إن من حسن توفيق الله ظهور هذه الوثائق الاسلامية على يدى المرحوم الملك ، فلولا تفكيره فى تدوين تاريخ رسمى للدولة المصرية لما استطعنا الوصول اليها ، ولا الوقوف على تفكير أول قاض شرعى وضع الأساس فى جمع هذه الوثائق والمستندات القيمة فى تلك البلاد النائية البعيدة عن العمران الزورّة عن مدنية هذه الأيام

وأظن أن المساعى المتواصلة التى بذلت فى شأن هذا التاريخ قد أنتجت نشر أجزائه الأولى باللغة الفرنسية وستتبعها النسخ التركية والانكليزية والعربية طبعاً

إن مثل هذا الملك القوى العقيدة ، الراسخ الايمان ، العالم العامل البعيد مدى التفكير ، مما يُبكى عليه ، ويُحزن لفقده . ولكن فى خليفته وخلفه جلالة فاروق الأول خير عوض ، وأحسن عزاء لنا ، ورحم الله الشاعر العربى الذى قال فى حالة تشبه حالتنا هذه :

| | |
|---|---|
| هناء محا ذاك العزاء المقدما | فالبث المحزون حتى تبسما |
| ثغور ابتسام فى ثغور مدامع | شبيهان لا ينفك ذا الشبه منهما |

عبد الله مخلص
عضو المجمع العلمي العربي

ملخص محاضرة

# اسبانيا العربيـــة

ألقى الدكتور استانسلاو كيروخا اى دى اباركا استاذ الآداب الاسبانية فى جامعة صوفيا محاضرة قيمة باللغة الاسبانية فى مدرج الجامعة السورية بدمشق عنوانها « أسبانيا العربية » وقد لخصها الأستاذ لبيب الرياشى فيما يلى :

***

قسم المحاضر الكريم المنصف بحثه هكذا :

١ — نظرة عامة فى الفتوح العربية العالمية

٢ — افتتاح اسبانيا وتكوين مملكة عربية اسبانية

٣ — العلوم العربية والعمران ونوابغ العرب فى العلوم

٤ — سقوط الدولة العربية وأسبابه

٥ — الآثار الثمينة التى تركها العرب فى أسبانيا

## المدنية العربية

إن أسبانيا بعد مرور خمسة قرون لا تزال عربية بدم سكانها وآدابهم وموسيقاهم ورقصهم وميولهم وحضارتهم

***

والمدنية العربية فى أسبانيا لا تزال إلى اليوم أسمى مدنية برئة عرفها العالم

والكوكب الذى استنارت منه هذه المدنية أشعتها السامية هو « القرآن » وسيرة الرسول العربى

## الفتوحات فى الاسلام

الخليفة فى الاسلام هو بمثابة قائد الجيوش العام ، والملك ، والبابا ؛ ورسالة الاسلام للعالم هى التبشير بالله واحد ؛ ولما كان المسلمون يعتقدون أن من مات مجاهداً فى سبيل الله وهدى العالم يكون جزاؤه الخلد ، كانت الجنود الاسلامية تضحى دون ماخوف ولا رهبة ، فتقاتل قتال البطل الباسل ، وبهذا افتتحوا سورية سنة ٦٣٨ ، ومصر سنة ٦٤٠ ، وتغلبوا على امبراطور القسطنطينية وافتتحوا الدولة الفارسية سنة ٦٤٢

كما افتتحوا قسما كبيراً من الهند سنة ٧٠٧ ، واكتسحوا الغرب وتونس والأرخبيل ومراكش ، ومن ثمة دخلوا اسبانيا منتصرين سنة ٧١١

ولم يذكر التاريخ أن امبراطورية بلغت من السعة فى الملك والكبر والمجد ما بلغته هذه الدولة الفتية

## فتوح اسبانيا

لنبحث عن اسبانيا الآن : بعد أن افتتح العرب اسبانيا سنة ٧١١ على يد موسى بن نصير وطارق بن زياد « ٩٢ هـ » بقيت مقاطعة أو إمارة تأتمر بأمر الخليفة ، ولكن فى عام ٧٥٦ استقلت المملكة العربية الاسبانية عن الخليفة الكبير

واتخذت هذه المملكة المستقلة « قرطبة » عاصمة لها فأصبحت أغنى عاصمة فى العالم وأوفر مكانة بعناية مؤسس هذه المملكة « عبد الرحمن الأول » ، ورغم الثورات الكثيرة والاضطرابات العديدة ظلت هذه المملكة وطيدة الأركان من القرن الثامن إلى القرن الحادى عشر

وفى اسبانيا هذه كان يعيش قسم كبير من المسيحيين ترك لهم الاسلام حرية معتقداتهم وعاداتهم وحافظ على كنائسهم

## ملوك اسبانيا

ويعد أفضل من حكم اسبانيا العربية الملوك الثلاثة :

« عبد الرحمن الأول ، وقد أسس قرطبة الجميلة المجيدة

عبد الرحمن الثانى ، وقد مهد الطرقات وشاد الأبنية العمومية الفخمة وأسال الأمواه فى المجارى الهندسية حيث لم يكن فى أوربا شىء من هذا

عبد الرحمن الثالث ٩١٢ — ٩١٦ عرف أنه كان أفضل ملك مثقف يحب العلم ويعمل على نشره ، وأقوى من جميع الملوك الذين عاصروه ، فقد نال انتصارات باهرة على الملوك المسيحيين الذين تحرشوا به حتى كان عدد كبير من الملوك الذين عاصروه يلتجئون اليه ويحتمون به

والحكم الثانى امتاز بحب العلم ونشر الثقافة ، ولقد أنشأ فى قرطبة مكتبة تحتوى أكثر من أربعمائة ألف مصنف

وفى عهد الخليفة هشام الثانى الضعيف الارادة تمكن المنصور وزيره الأول من محاربة الامارات المسيحية الثائرة

وسنة ١٠٠٢ اجتمع ملوك كابتجاليون وفقارا وباجتماعهم وتضامنهم تغلبوا على هذا القائد الجبار فى واقعة « كلا تانياسير » عاصمة شوريا وهكذا لم يبق للعرب سنة ١٠٣١ سوى إمارات صغيرة أشهرها سافيجا وتولوزا

**العلم والعمران**

لم يشتهر العرب بالبطولة الحربية فحسب ، ولكنهم اشتهروا بالعلم والشعر والاقتصاد ، وعرفوا بتنشيط العلوم ونشر الثقافة

اقتبس العرب جذوة من علوم اليونان والفرس — فأشعلوا من تلك الجذوة منارة مضيئة

أسسوا مدارس علمية فى بغداد ودمشق ؛ أما فى اسبانيا فقد أنشأوا كلية « سالرنو » فى قرطبة ، وهى الكلية التى كانت لغتها عربية ، وعلومها عربية ، وأخلاقها عربية ، وكل ما فيها عربى ، وهى أقدم مدرسة طبية فى أوربة كلها

وهكذا ابتدأ العرب يشتغلون فى الكيمياء فاستكشفوا الكحول ، وأسسوا قصورا ومساجد وجنائن ، وجعلوا الأرياف بساتين زاهرة زاهية ، جروا اليها المياه فى أقنية هندسية ؛ لذا نقول بحق إن العرب كانوا أكثر مدنية فى القرون الوسطى من أوربا كلها

وإنى لأقول بحق إن المدنية العربية الاسبانية ، نعم المدنية العربية ، كانت جوهرة ثمينة فى ثقافتها وعلومها الاجتماعية وعمران مدنها وازدهارها فى جميع نواحى الحياة ، حتى إن مدنية باريس ولندن فى هذا العصر لم تمتازا عن حضارة العرب فى تلك العصور

إن قرطبة كانت تحتوى على مائتى ألف منزل ذى بناء شاهق وفن متقن ، وعلى ٦٠٠ مسجد ومستشفى وقصور فخمة ، وعلى ٩٠٠ حمام وجنائن هندسية زاهرة ، وأكثر من نصف مليون من السكان ، ولقد أسس ملوكها مدارس فى كل مزرعة وقرية ومدينة ، وعلموا الذكور والأناث القراءة والكتابة حتى لم يبق فى أسبانيا العربية أمى واحد

وقد كان فى قرطبة جامعة رئيسية ؛ والى هذه الجامعة كان يقصد عشاق العلم وطلابه ، ومن مفاخر هذه الرسالة العربية أن النساء كن يثقفن ثقافة كاملة شاملة

نعم النساء المخدرات كن يجدن القراءة ويعرفن التاريخ والفلك و . . .

وهكذا كان العرب الاسبانيون يشتغلون فى كل العلوم ، وعن العرب الاسبانيين صدرت شعلة الكيمياء والرياضيات

وأكثر الفنون التى أجادها العرب الاسبانيون : الهندسة والموسيقى والشعر . ومن الأبنية الكبرى التاريخية مسجد قرطبة وقصر غرناطة ، وتميز كل منهما بأقواسه وأعمدته وزخرفه

من النسل العربى هذا نحن أبناء اسبانيا ، نحن الذين لانزال نستعمل حتى اليوم الطبل والغناء والموسيقى العربية والرقص العربى

**الزراعة والصناعة :**

وعناية العرب فى الزراعة كانت بالغة الحد الأقصى والعناية التامة ، فهم الذين زرعوا النخل ، والرز ، وقصب السكر ، والقطن ، الخ ...

أما الصناعة فقد تفوقوا فيها ، وأسسوا معامل للجلد فى قرطبة ، والورق فى البندقية ، وهذه المعامل كانت أول معامل من نوعها فى العالم

وفى عهد المنصور شعت المدنية العربية فأنارت أشعتها العالم . أما الأسس التى ارتكزت عليها هذه المدنية ، أما القطب الذى كونها وأدارها وعززها فهو « القرآن » وسيرة الرسول العربى ليصلوا الى أمنيتهم السامية فى تكوين حضارة صحيحة

وهنا عدد المحاضر أسماء عشرات من نوابغ العرب فى أسبانيا ونابغات العرب فى العلوم والفنون

ثم تطرق بعد ذكرهم إلى تغلب النصرانية عليهم بسبب تفرقهم وتخاذلهم وتضامن الأمراء المسيحيين واتحادهم سنة ١٤٩٢

ولقد عرض مشاهد القصور والمساجد والجنائن بالفانوس السحرى ، فاذا هى من الروائع التى تخلب الألباب ، وقال :

**نور الدين الاسلامى**

المادة الأصلية فى المدنية الاسلامية العربية الاسبانية هى نور الدين الاسلامى ، الدين الذى يجارى المدنية والحضارة فى أرقى وأسمى معانيها

وأستطيع أن أصارحكم مؤكداً أن المدنية العربية هى فى الجوهر مدنية شعب يستوحى من الله

(قل هو الله أحد ، الله الصمد)

على أسس هذه العقيدة رفعت أمجاد الجامعة العربية الاسلامية ؛ إنها عقيدة دينية ، نعم ، ولكنها فى نفس الوقت أسمى قوة اجتماعية

وختم المحاضرة قائلاً :

انتهى الحكم العربى فى أسبانيا منذ خمسة قرون ، أجل :

الأدب بين الخاصة والعامة

# لامرتين ورينه جارد

للسيد اسكندر كرباج

تابع لما نشر في العدد الماضي

فيسأل لامرتين ضيفته : هل أصابك في حياتك ما أحزنك وصدع قلبك ؟ فتجيبه : مراراً قليلة ياسيدي لأني خالية البال من حمد الله . غير أن لكلٍّ أتراحه على هذه الأرض ، ولا سيما إذا كان فتاة مثلي لا أسرة لها ولا أقارب ولا زوج ولا بنين ، تنام وحيدة وتستيقظ وحيدة لا تسمع في داخل غرفتها إلا سقسقة عصفورتها في القفص . ولكن شاء القدر أن يحرمني هذه الرفيقة اللطيفة بعد أن ألفتها فلقيتها صباح يوم ميتة وقد ضمَّت قائمتيها وفتحت منقارها وأطبقت أجفانها ، وبموتها حلَّت الكآبة في الغرفة فلا سقسقة ولا فرح ولا صداقة ، فما أحزن هذه الحالة ياسيدي . ثم تجفف دمعتين كانتا تترقرقان في محاجرها وتزيد على قولها :

إذا لم يكن للانسان من يحبه ويعطف عليه من أبناء جنسه فانه يميل الى الحيوانات وعشرتها . كانت عصفورتي تحبني ، وكثيرا ما داعبتها وتحدثت اليها كأنها تنطق وتعقل . يقولون ليس للحيوانات أرواح ، ولكن لو لم يكن لعصفورتي روح فباذا كانت تحبني ؟ أبريشها وقوائمها ؟ وسمعتُ أيضاً أن في الفردوس أشجاراً تتفيؤها الأطيار . فأنا لا أرى أقل بدعة في هذا القول ، أيمكن أن يكون الله مع صلاحه وعدله مخاتلاً ؟

فيسألها لامرتين : هل كتبتِ شيئاً في موضوع حزنك ؟

فتجيبه : نعم كتبت لما نظرت القفص فارغاً والنبتة جافة على شباك النافذة ؛ طفر الدمع في عيني ، فجلست الى المنضدة ونظمتُ قصيدة ناجيت بها تلك العصفورة الرقيقة كأنها لا تزال حية تسمعني ، ولكنني لم أستطع تكملتها لفرط حزني

فيقول لها لامرتين : أسمعيني هذه القصيدة أو ما تتذكرينه من أبياتها ، ولا بأس إذا جاءت متقطعة فبغيتي أن أقف على مبلغ ما فيها من الشعور لا على تناسق قوافيها

فتعمل فكرتها قليلاً ، ثم تنشد بصوت رقيق ولهجة مؤثرة أبياتاً من الشعر في وصف عصفورتها وما كان بينهما من الصداقة والألفة

فيشكرها لامرتين على ثقتها به واظهارها له مكنونات قلبها . ثم تأتي زوجته ، وبعد أن تستقبل رينه بشيء من تلك الدالة وذاك العطف الذي يفقد الغريب بعض خجله وارتباكه تدعوها إلى العشاء تحت شجرة تداعب أغصانها نسمات البحر محدثة فيها حفيفاً لطيفاً ، كان يذكر رينه بحفيف جناحي عصفورتها .

ثم يقصدون إلى شاطئ البحر القريب ، ويجلسون على مقاعد زورق ، ويعودون إلى التحدث ، فتقول زوجة لامرتين لرينه : يظهر لي أنك ولوع بالمطالعة ، وهي التي جعلتك تتكلمين اللغة الوطنية بهذه البراعة ، والتعبير عن عواطفك بمثل هذا الشعر الشجي

فتجيبها رينه : نعم ياسيدتي ، إن المطالعة من أكبر أسباب غبطتي ؛ فبعد اشتغالي النهار كله ، وقيامي بواجب الصلاة لله ، لا أجد لذة إلا فيها ، فمن ينهض باكراً ويخيط حتى المساء ينتظر إلى راحة أنامله وتسلية نفسه . إن علاقاتنا مع الجيران لا تتعدى تبادل التحية ، لأن النساء ينصرفن إلى إعداد الطعام ، أو إرضاع الأطفال ؛ والرجال بعضهم يرقد سريعاً لينهض باكراً إلى مواصلة عمله ، وبعضهم يصرف وقته وماله وصداقته في الملاهي والمقاهي ؛ فاذا تفعل الفتاة المحتشمة مثلي لتمضية الليالي ، ولا سيما ليالي الشتاء الطويلة ؟ فاما أن تطالع ، أو أن تقف جامدة كالصنم

---

ولكن أسبانيا لا تزال عربية ، حتى في القرن العشرين لا تزال شرقية ، لا في جوامعها وأبنيتها وجنانها فحسب ، بل وفي أخلاقها وعاداتها وموسيقاها ، ورقصها وشعرها ، وفي تهذيبها ومنتزهاتها

ولهذا السبب تعلمون الآن أني عندما شاهدت دمشق شعرت أنني أشاهد أسبانيا ، وإذا ذهبتم لمشاهدة أسبانيا شعرتم أنكم في دمشق

من هذا تعلمون أيها العرب أننا إخوة : العرب والاسبان إخوة ، نعم إخوة لأن سلالتهم سلالة واحدة ، ودمهم دم واحد ، وهم من نفس واحدة تكونوا ، وثقافتهم ثقافة واحدة وتاريخهم تاريخ واحد ، وحضارتهم حضارة واحدة

تنظر إلى جدران الغرفة ، أو الى ارتفاع دخان الموقد

فتقول لها زوجة لامرتين : ولكن ما هى الكتب التى يمكن مطالعتها ؟

فتجيبها رينه : هنا البلية يا سيدتى ، نريد المطالعة ولكن لا ندرى ماذا نطالع . لقد وضعت الكتب للذين من غير طبقتنا فاذا استثنينا الانجيليين وكاتب تقليد المسيح لا نجد بين المؤلفين والمنشئين من فكر فينا وجعل قسما من أدبه لنفعنا . من الطبيعى أن يفتكر الانسان فى الذين من طبقته ، فواضعو الروايات والمآسى والمهازل ، وناظمو القصائد والملحمات ، هم من طبقة أعلى من طبقتنا ، أو بالحرى خرجوا من بيئتنا الخاملة العاملة ودخلوا فى بيئات الملوك والأمراء والأشراف والأغنياء والسعداء وغيرهم من الذين يصرفون أوقاتهم عبثاً وأموالهم على الأباطيل

فيقاطعها لامرتين : لا لوم عليهم إذا هم نسوا الطبقة التى خرجوا منها ، أو تركوها جانباً ، وانصرفوا إلى ارضاء أهل البيئة التى دخلوها ، فتبنوا أفكارهم ، وتكلموا لغتهم ، وصوروا عاداتهم وأذواقهم ، فهذا الذكاء وهذه المعرفة وهذا الذوق المكتمل الدقيق الأنيق فى الطبقات العالية ، وهذه اللغة والعادات لا يمكن أن تكون كلغة وعادات الطبقات الفقيرة قبل أن تسمو بالتربية إلى ادراك كنه هذه الأشياء الجميلة . كان للقدماء كتاب وفلاسفة وشعراء عبيد كايبكتاتو واسابو وتارنسيو ، ولكنهم لم يخصصوا أدبهم بالعبيد ؛ وكان لهم سقراط ، ولكن أفلاطون اضطر الى شرحه لهم كما اضطر تلاميذ هذا ، وهم أكثر منه معرفة الى تفسيره ... وكان لهم شيشرون ولكنه خصص معظم أدبه بأفراد أسرة السيبيون ؛ ثم فرجيلوس الذى كان ينشد قصائده الرعائية فى حضرة أميرات بلاط أوغسطس قيصر ، ولكن الرعاة الحقيقيين لم يفهموه ؛ ثم هوراسيو وقد كان ينشد الخمرة والحب المباح بقصائد من الشعر الحافل بالمعانى الملتبسة والصور المأخوذة عن اليونان والتاريخ ، غير أن شعوب عصره لم تكن تنشدها وتدركها

فتقول له رينه : هذا حق يا سيدى إذا استثنينا روبنصن وحياة القديسين فما هى الكتب التى وضعت لنا ؟ ؟ نعم إن لدينا كتابين آخرين هما « تلماك » و « بول وفرجينى » ، ولكن الأول كتب لتهذيب حفيد الملك ، وهو مما لا يهمنا أمره لأننا لسنا من أحفاد الملوك ، والثانى يحرك قلوب الجميع ، لأنه يصف لنا جمال الحب وروعته فى قلبى حبيبين رقيقين لا يستطيعان الحياة منفردين ، وكيف أن مطامع أهليهما حالت دون اتحادهما واكتمال سعادتهما . إن فرجينى ابنة جنرال ، وكان لها عمة نبيلة أرادت أن تجعلها سيدة راقية ممتازة فأدخلتها الدير . إنها حوادث عجيبة ومشاهدات رائعة ، ولكنها حوادث لم تجر فى منازلنا وبين أفرادنا ، ومشاهد لم تقع عليها أبصارنا . فمن يكتب لنا الروايات والقصائد ؟ لا أحد ! أنا لا أدخل فى عداد الكتاب والشعراء والمؤلفين ، أولئك الذين يجمعون تقاويم تحمل بين ثناياها سخافات الأعوام الغابرة ونكاتها ، ويضعون روايات لا تستطيع العذراء مطالعتها إلا خلسة عن أمها ، وينظمون أناشيد تترفع الشفاه النقية عن التلفظ بها ، ولا أستثنى من هؤلاء إلا بيرانجر الذى أظهر آخرا جمال روحه فى رباعياته البديعة . فمتى يكون للفقراء مكتبة ؟ من يشفق علينا ويؤلف لنا كتاباً ؟

أبدت رينه نظريتها تلك برزانة تفوق معارفها ، وبلهجة تنم عن اعتقادها بفقر طبقتها الأدبى مما حمل لامرتين على الافتكار قليلا فى حقيقة ملحوظاتها وأهميتها . وبعد قليل قال لها لامرتين : لقد افتكرت فى كل ذلك يارينه ، أما الآن فقد تغيرت أفكارى بعد أن سمعت أقوالك . حقاً إن الشعب الذى يريد التعلم بالدرس والتسلية بالمطالعة والانتفاع بالخيال والتأثر بالشعور والارتفاع بالفكر ، إما أن يموت جوعا وإما أن يشمل بالفساد إذا لم ينتبه لنفسه . لذلك وجب أن تهتم الهيئة ، أو أن يخلق الله للشعب هوميروس عاملاً وميلتون مزارعا وطاسين جندياً ودانتى صناعياً وفنلون كوخياً وكورنيل وراسين وبوفون من رجال المعامل لكى يضعوا له ما لا تريد الهيئة الأثرة الكسول وضعه : أى أدبا يمثل عاداته ويعبر عن شعوره . إنى أعرض بالفكر ما فى المكاتب من المؤلفات النفيسة لأشهر الكتاب وأختار مجموعة صغيرة منها يمكن لأسرة نزيهة من المزارعين والعمال والخدم رجالا ونساء كهولاً وشباناً أن تتغذى بها حياتها الروحية ، وأن تتركها على الخوان بغير خوف ، وأن تطالع ليلاً وفى أيام الآحاد دون أن يعوزها مترجم أو مفسر ، فماذا وجدت ؟ وجدت التوراة كتاباً بديعاً حافلاً بالحكايات الشعبية كطفولة النوع البشرى ولكنها ملتحفة بالأسرار والعادات النائية والغيرة

والشرور وغيرها مما يفسد الروح والقلب والعادات فيما لو وضعت في يدى ولد أو تحت نظر الشعب الجاهل دون أن يوجد من يفسر معانيها ويهذب ألفاظها . ثم وجدتُ هوميروس وأفلاطون وسوفكلس وأسكيلوس ، ولكنهم عاشوا في عصر غير عصرنا ، وكتبوا بلغة غير لغتنا ، ووصفوا عادات غير عاداتنا ؛ ثم وجدتُ فرجيلوس وهوراسيو وشيشرون وجوفنال وتاسيت ، ولكنهم كتبوا باللاتينية والشعب لا يعرفها ؛ ثم وجدتُ ميلتون وشكسبير وبوبي ودرايدن وبيرون وكرابله ، غير أنهم من الانكليز ؛ ثم تاسو ودانتي وبترارکا ، وهم ثالوث الشعر الايطالى ؛ ثم شيلر وجيته وفيلند وجزنر ، فى كتبهم صفحات بديعة للشعب لأن الشعر الألمانى ينزل الى درجة الشعب والشعب يرتفع اليه ولكنها بالألمانية ؛ ثم سرفنتس وكالديرون ولوبس فيفا ، غير أن كتاباتهم هى من النوع الحماسى الذى لا يمكن تجديده الآن ؛ ثم الشعر الشرقى السامى بحكمه ومعانيه من هندى وفارسى وعربى ، إنها كنوز مستورة من الخيال البشرى ، ولكن هذه الكنوز الثمينة هى باللغات السنسكريتية والفارسية والعربيــة ، ولا يوجد من يكتشفها وينقلها الينا

ثم وجدت شعراءنا الفرنســيين القدماء وجل منتوجهم من النوع الروائى الحماسى ، وفى المنامرات الغراميــة الوقحة والقوافى الأنيقة ، وكلها فى وصف حوادث البلاط والطبقات العالية . هذا بسكال ، فكتاباته إما مناظرات اكليريكية حول جوهر العقيدة لا يفهمها البسطاء ، وإما أفكار عميقة لا يسبر غورها إلا القليلون . وهــذا بوسويه ، فقد اشتهر ببلاغة تعابيره وقوة عارضته فى الخطابة ، وكان يسرّه أن يرعد ويبرق فوق الرؤوس المتوّجة وفى قاعات البلاط ، ولكن بروقه لم تكن تصعق إلا الشعب الذى كان يستسلم روحا وجسدا إلى سيروس العصر ، فهو مجموعة روامیز فى اللغة والخطابة لا أكثر . وهذا أيضاً فنيلون ، فى كتابه « تلماك » وفى المراسلات كثير من الأفكار السامية والمبادئ القويمة كالنفس المتدينــة والفلسفة الانسانية والظرف والعطف وروح الفضــيلة ، ولكنها صفحات بسيطة لا كتاب للشعب . ثم كورنى فهو سياسى مختصر ، وقد وقف فى مستوى لا يبلغه القلب البشرى ، وأدبه كناية عن عدة مشاهد وأمثال واندفاعات شعرية لا ترضى الشعب الذى يريد الحياة

بالاسهاب فى شرح العواطف لا باختصارها ، والنفس فى نظره هى العبقرية ، ونفس كورنى كانت فى الكلام كنفس تاسيت . ثم راسين ، فهذا ولد ليكون شاعر الشعب ؛ غير أن شعب عصره لم يكن خليقاً به لسوء الحظ ، لأن البلاط الذى اجتذ به اليه احتفظ به ضد الشعب ، ولا يوافق هذا من أدبه إلا مأساتاه : « أستير » و « ثماليا » بالنظر إلى صبغتهما الدينية ، وما عداها يخص الأبهاء . ثم ڤولتير وهو روح جبارة استوعبت كل المعارف والعلوم ، ولكن لم يخرج عن كونه مزيجاً من روح وعقل ونور ونقد ونعومة وخشونة وهزء وجدل وأحياناً وقاحة . إنه لم يكن قط نفساً وحناناً وحباً وعطفاً وشفقة على البائسين ؛ كان فيلسوف السعداء ونبيل الأذكياء وشاعراً ضئيل النور لا يتبينه جداً بسطاء القلوب ، يضىء فى المكاتب ليخبو فى الحقل أو فى مسكن الفقير

وإذا نظرنا إلى مؤرخينا لا نجد بينهم من كتب للشعب ، فوتتيسكيو كثير العلو ، وروللين صالح ولكنه شديد الأمانة فى ترجمة الماضى فلا يستطيع مطالعته من كانت ساعاته محدودة

وكذلك روائيونا فانهم اتخذوا أشخاص رواياتهم من الطبقات العالية وعبروا عن العواطف بلغة الأبهاء المنمقة لا بلغة الطبيعة الساذجة . فلا يصلح منها شىء للشعب

ثم فلاسفتنا كديكارت وملبرنش وكونديلك وكل الحديثين ، فمها أعيد طبع مؤلفاتهم فلا أعتقد أن الشعب يقبل على مطالعتها ، لأن فلسفة الشعب هى فى الشعور لا فى الادراك ، فمنطقه غريزته ، وبرهانه تأثره ، واستنتاجه دموعه . ومن مؤلفات جان جاك روسو لا يصلح للشعب إلا الصفحات المائة الأولى من كتابه « خورى سافويا » وبعض فصول من « الاعتراف » ؛ وكذلك شاتوبريان لا يقرأ من مؤلفاته إلا « رينه » و « أتالا » حيث امتزجت الفلسفة بالدموع ، والحنان بالحب

أما مسارحنا فلا يمثل عليها إلا ما كتب للملوك أو الطبقات المتأدبة بدليل انصراف الشعب عنها الى تمثيل الروايات الغنائية التى اخترعها لنفسه . وكذلك علماؤنا فقد كتبوا فى الجبر بلغة واصطلاحات تجعل العــلوم الطبيعية فى حالة الغموض لمن لم يتمرّن عليها ، فالذى يجب أن يعبر عن العلوم بلغة الشعب البسيطة لم يخلق بعد . إنه خلق ولكن فى انكلترا ؛ هو ابن هرسكل

**لعبرة فى وفاة الملك**

# ديمقراطية الموت

## للأستاذ محمود غنيم

الموت آية ، ولـكن موت الملوك آية كبرى ؛ والموت عظة ، ولـكن موت الملوك عظة بالغة

بالأمس تهجم الموت على ذلك الحرم المقدس ، واقتحم أسوار هذا الحصن المنيع الذى تغضى العيون حيـاء من مهابته ، ولا تلجه الشمس إلا بعد استئذان ؛ اقتحم الموت بلاط ابن اسماعيل ، وحفيد ابراهيم ، والجالس على عرش فرعون ، فلم يحدِّد للزيارة ميعاداً ، أو لم يحدَّد له ميعادٌ ، ولم يلزم الباب حتى يُسمح له بالدخول كما يقضى المراسيم عند زيارة الملوك ، ثم مد يده فى أناة ورفق ، بل فى عنف وقسوة ، فسل روح الملك من جسمه ، كما تُسل كل روح من كل جسم ، ثم انصرف هادئاً مطمئناً ، كأن لم يفعل شيئاً ، فاذا الجرس واجم ، والسـلاح كليل ، والطب يطرق حياء ، وجبين العلم يتصبب عرقاً ، وإذا الشرارة تنطلق فى القصر ، فيندلع لهيبها فى مصر ، ويسمع دويُّها فى الخافقين !

يالله ! أيعرض فؤاد كما يعرض أى فرد ممن يظلهم عرش فؤاد ؟ كنا نظن عرشه حمى تتحاماه الأسد ، وتتقيه عوادى الدهر ، فما بال جراثيم المرض تنفـذ إلى ذلك الحمى ، وما بال ميكروباته تتسرب إليه ، وما بال أهون خلق الله شأناً يفتك بأعظم خلقه شأناً ؟ حقاً إنه الموت ! ديموقراطى ، لا يميز بين الملوك والسوقة ، ولا يدين بالفروق بين الطبقات

عرض الفقير ، فيرمى أهـله بالتقصير ؛ يقولون : تهاونوا فاستفحل الداء ، أو أساءوا اختيار الأطباء ، فما بال الملوك يتقلبون على فراش المرض ، ويقاسون ألم النزع ، ويتجرعون كأس الحمام ؟

أيها البرق ، توعك مزاج الملك فطير الأنباء . أيتها الطيارات ، احملى من مختلف الأصقاع نطس الأطباء . أيها العلم هات أحدث ما تمخضت عنـه معامل الـكيمياء . وأنت أيها الموت مالك جامداً فى مكانك لا تريم ، هازئاً كتفيك استخفافاً ، مفتر الثغر عن ابتسامة مروعة ، تسرح طرفك بين هؤلاء وهؤلاء ، فى سخرية واستهزاء ؟

أهكذا يُفعل بالملوك ؟ لك العزاء والسلوة أيها الفقير ! ليس المرض وقفاً عليك ، وليس الموت وقفاً عليك . إنك لا تتعذب وحدك أيها المسكين ، ولـكن الملوك أيضاً يتعذبون ! الملوك الذين تنظر اليهم نظرة التقديس ، وتخلع عليهم ثوب الألوهية ، وتغبطهم فى يقظتك ، وتحـلم بنعيمهم فى منامك ، والذين تعتبرهم مثلك الأعلى ، وتعتقد أن الخطوب لا ترقى إليهم ، وأن لهم عيشاً أنعم من الحرير وألين من الماء : هؤلاء يمرضون أيضاً ويموتون ، ولعلهم فى عيشهم محسودون بما هم منه باكون !

هذا هو ابن اسماعيل ، وحفيد ابراهيم ، تُستأصل نواجذه بلا مخدر ، فيحتمل راضـياً أو كارهاً تعلقا بالحياة ؛ وتُشق لثته ثم تخاط بلا مخـدر ، فيحتمل راضـياً أو كارها تعلقا بالحياة ؛ وتُحرّم عليه الأسرة ، فينبطرح على كرسـيه ثم ينام أو لا ينام ، فيحتمل راضياً أو كارها تعلقا بالحياة ؛ وأخيرا ها هى ذى الحياة ، تتدلل تدلل الهيفاء ، وتجفو فتسرف فى الجفاء . وها هو ذا شبح الموت يقتحم البلاط ، رغم كل احتياط !

ماذا تقول النشرات الطبية ؟ — القيح ! التعفن ! التسمم ! أسماء تتـداولها ألسنة العامة ، وكأننا كنا نخالها وقفاً على أبدانهم ، وما كنا نظن أنها تعرف الطريق الى ذوات الملوك ، ذوات الملوك المصونين عن العبث ، الموضوعين فوق القوانين ، الذين لا تنالهم الألسن إلا بالهتاف ، ولا الأفواه إلا باللثم ، ولا تنال الشفاه أبدانهم إلا همساً ، ولا تنالهم الأيدى إلا بالسلام إيماء من بعيد ؛ فى هذه الذوات المقدسة تسرى سموم الموت ، وينشب أظفاره الموت ، والموت ديمقراطى لا يميز بين الملوك والسوقة ، ولا يدين بالفروق بين الطبقات

« لا أريد أن أموت » هكذا يقول الملك ؛ والملك إذا قال

---

فمن كل ما كتب بالفرنسية لا توجـد إلا خمسة أو ستة كتب تصلح للطبقات الجاهلة فى المدن والقرى

يعلّمون الشعب القراءة ، ولـكنهم لا يضعون له الـكتب اللائقة به ، فهم إما أنهم يقـدمون له مؤلفات كتبت لغيره أو أوراقاً محشوة بالنقائص والوقاحة كمن يقدّم سلاحا لطفل ليجرح به نفسه

« العصبة » يتبع

اسكندر كرباج
من العصبة الأندلسية

فكلمته مرسوم نافذ، وإذا أشار فاشارته قانون محترم، وإذا أومأ فايماءته أمر واجب الطاعة، ولكن الموت — قاتل الله الموت — لا يحسن الخضوع للمراسيم، ولا يعرف كيف ينفذ القانون، ولا ينحني أمام أوامر الملوك

مات الملك في الشرق وكان ابنه في الغرب، وقد فصل القضاء بين الاثنين بحر وبرين، أليس من حق الراحل أن تكتحل برؤية ابنه عيناه قبل أن يفارق الحياة؟ أمنية يظفر بها المغمور الصعلوك، بله الأمراء والملوك؛ أمنية يظفر بها المحكوم عليه وهو من حبل المشنقة قاب قوسين، ولكن الملوك يتمنونها فلا يجدون اليها سبيلاً. إيه أيها الموت! هلا تريثت قليلا حتى يئوب الغائب؟ إيه يا جنود سليمان! هلا حملت النازح البعيد على أجنحتك التي حملت عرش بلقيس؟ لا هذا ولا ذاك، إذن فليتعز الراحل العظيم، بكتاب ابنه الكريم، ولكن كتاب الولد البار لا يكاد يصل الى الوالد الواقف على حافة الأبدية حتى يضن الموت أخيراً كما ضن أولا، وحتى ترتعش اليد رعشة الموت، فيتدحرج الخطاب، وينسدل بين البصر وبينه حجاب، ويلفظ القارىء نفسه الأخير، ويكون آخر ما قبضت عليه عينه كتاب ابنه المحبوب، وآخر ما فاه به اسم ابنه المحبوب، وآخر ما انطبع في مخيلته صورة ابنه المحبوب

ها هو ذا الملك مسجى على سرير من ذهب لا يرد اليه الحياة، مغطى بأكفان من الحرير لا تخفف من خشونة الموت شيئاً؛ أمامه مباخر من عنبر لا تنفس من سكرة الردى! النعش هو النعش، حملته الأعناق، أم جرته الخيول العتاق؛ والقبر هو القبر من طين وماء، أو من مرمر ورخام، في صحراء جرداء، أو في جوف هرم من الاهرام. أطلقوا المدافع، ونظموا المواكب، وأعلنوا الحداد، ونكسوا الأعلام، فلن تغيروا من حقيقة الموت شيئا. الموت هو هو، ديموقراطى لا يميز بين الملوك والسوقة. ولا يدين بالفروق بين الطبقات

مات الملك فورث ولي عهده تاجاً وصولجاناً، ونهراً عذبا، ومملكة فيحاء، وأمة مطيعة مخلصة، ولكنه بجانب ذلك فقد عطف الأب البار، وحنان الوالد الرحيم؛ فليت شعرى أخاسرة تلك الصفقة أم رابحة؟ وأية الكفتين هي الراجحة؟، لست أدرى، ولكن الذى لاشك فيه أن كل شيء يمضي ويعود، حتى العروش والتيجان، ولكن الميت لا يعود، وأن الملك الجديد لو بذل عرشه في سبيل نظرة من أبيه أو كلمة يسمعها من فيه ما سمح الموت، لأن الموت ديموقراطى لا يميز بين الملوك والسوقة ولا يدين بالفروق بين الطبقات

هكذا تتساوى الرؤوس عند الموت بالرؤوس، أو تتساوى الرؤوس بالأذناب، كما تساوت الرؤوس بالرؤوس، أو الرؤوس بالأذناب عند انحدارها من الأصلاب. الكل من التراب، والكل إلى التراب. ومالى لا أذهب إلى أبعد من ذلك، فأزعم لك أن الناس كما يستوون في طرفي الحياة، يستوون في الحياة؛ وأزعم أن في الحياة نصيباً مشتركا من السعادة، وآخر من الشقاء، كل الناس فيهما سواء. وما دام كل إنسان لا يقنع بما هو فيه، بل يمتد نظره إلى أبعد منه، ويتمنى على دهره الأماني، فيبسط له الدهر إحدى يديه، ويقبض الأخرى، فلا يقنع الانسان عند البسط، ولا ييأس عند القبض، فهو أبدا آمل، كادح، مخفق، ناجح؛ أقول مادام أنه لا سبيل إلى الكمال المطلق، إما لأنه غير موجود، أو لاستحالة الوصول اليه، فالناس في الحقيقة سواء، وما اختلافهم في الجاه والمال والمراكز الاجتماعية إلا أمور اعتبارية

لا أستطيع أن أعرف السعادة ما هي، غير أن الذى لا أشك فيه أنها ليست المال وحده، وليست الجاه وحده، وليست الجمال وحده، قد تكون مزيجاً من ذلك كله، وقد تكون غير ذلك كله، وقد يكون الألم جزءاً من ماهية السعادة، أو شرطا من شروطها، وإذا كان الأمر كذلك، فكيف تستطيع أن تضع الفوارق بين السعادة والشقاء، أو تومئ بأصبعك إلى شخص معين فتقول: هذا شقى، وإلى سواه، فتقول: هذا سعيد

أيها الراحل العظيم، لقد تبوأت سرير الملك
في ساعة بذر الأسرة نحسها شل النجوم طوالعاً وأفولا

ولقد خلفت سرير الملك، وما تزال الجدود عاثرة، والأسرة متناثرة؛ ولكنك عشت ملكا، ومت ملكا. والآن قر في مضجعك، فلا قرار مع الحياة؛ والتمس في باطن الأرض الراحة التي خانتك على ظهرها. إن للملك لهماً، وإن للشعوب من الأحمال الثقال، ما تنوء بحمله ظهور الرجال؛ وإن لك في جوار ربك لعوضاً أي عوض. أحسن الله عزاءنا فيك، وبارك لنا في خلفك المحبوب

كوم حمادة — محمود غنيم

# الحياة الأدبية فى الحجاز

للأستاذ عبد القدوس الأنصارى

---

نشر الأساتذة : على الطنطاوى وعبد الوهاب الأمين وسامى الشقيفى وغيرهم فى مجلة (الرسالة) الغراء بحوثاً ممتعة عن الحياة الأدبية فى أوطانهم ، فأجادوا وأفادوا ، وجلوا لنا بأقلامهم المرهفة حقيقة هذه الحياة

ولما كانت هذه البحوث عبارة عن جزئيات يتألف من مجموعها موضوع كلىّ عام ، هو الهدف الاسمى ألا وهو (تصوير الحياة الأدبية فى البلاد العربية) رأيت — والحالة ما ذكر — أن أدلى بدلوى وأقول كلمتى عن الحياة الأدبية فى الحجاز ، استكمالاً لحلقات البحث ، ووفاء بحق هذا القطر الذى هو مهد الأدب العربى الأول

كانت الحياة الأدبية عندنا فيما قبل الحرب العامة الماضية تجرى على سنن أدباء القرون الوسطى جريا تقليدياً محضاً ، ميكانيكياً خالصا ؛ قصائد غزل ورثاء ، ومدح وهجاء ، وتطريز وتشجير ، ورسائل معذرة وإطراء ، وعتاب وتواصل وتقاطع ... وكانت كل هـذه الرسائل وهاتيك القصائد منهوكة القوى المعنوية عما تحمّله دواماً من أغلال السجع المرهقة ، وأثقال المحسنات البديعية الجافة ... للألفاظ فى الأدب عامةً المقام الأول : أما المعانى فهى فى الدرجة الثالثة أو الرابعة فى الأهمية . بقدر اقتدار الأديب ناثراً أو شاعراً على تنميق الألفاظ يقاس أدبه ، وبموجبه يصدر له أو عليه الحكم

هكذا كان الجو الأدبى هنا محاطاً بسياج من الجمود ... فلما وضعت الحرب العامة أوزارها استيقظ فى نفر من ناشئة الحجاز المتعلمين روح النهوض ، وشعروا أن أديهم قد أخنى عليه التقليد وأفسده داء الجمود ، فتركه هيكلاً عظمياً نخراً باليا ، نابياً عن الحياة ، بعيداً عن مطالبها ، فاقداً روح الحياة ، فاشمأزوا من هذه الحالة المزرية . وهنا ابتدأ دور العمل فى الانقاذ ، ومن هنا ابتدأ عصر التجديد

إلى أين نتجه ؟ كيف نجدد هذا الأدب الرث البالى ؟ أين الطريق ؟ وأين الدليل ؟

هنا شاهدنا سبيلين ممدودين الينا من أقطار العروبة الناهضة ، وكل منهما له مغرياته ، هذا الأدب المصرى يجذبنا بنصاعة أسلوبه وقوة تركيبه ، وهـذا الأدب المهجرى يسحرنا بمرونة أسلوبه وسهولة تعبيره . كان طبيعيا — والحالة كذلك أن يحصل انقسام فى اتجاه حياتنا الأدبية . ففى المدينة كان منا إجماع على اعتناق الأدب المصرى أسلوبا وتفكيرا ، وفى مكة وجدة تمسكت طائفة بذيول الأدب المهجرى ، وأخرى اعتنقت الأدب المصرى . وكل سار فى اتجاهه يكتب ويفكر ، ويفكر ويكتب ، حتى كان تفاعل فكرىّ فى الآونة الأخيرة أنتج « توحيـــد » مناهج الأدب الحجازى فى انتهاج سبيـل الأدب المصرى وحده . ومن هنا وبسبب تضافر الجهود وقوة الاتحاد رأينا الأدب الحجازى يخطو إلى الأمام خطوات سريعة تشف عن استعداد عظيم

على أن حياتنا الأدبية بسبب حداثة عهدها ولكونها نتيجة ثقافة محدودة فانها ما تزال بحاجة الى الاصلاح والتغذية ، وإلى التنظيم والنضوج . فالاضطراب الفكرى والارتجاج الكتابى ، ظاهرتان ما تزالان تلازمانها فيما تنتجه من ثمار . ومع كل هذا فاننا لعلى اعتقاد أكيد باضمحلال هاتين الظاهرتين متى تضافرت الجهود فى سبيل الاصلاح

وحياتنا الأدبية انما تستمد كيانها وعناصرها من الأدب العربى الاسلامى القديم ، كمؤلفات الجاحظ وقصائد المتنبى ، ومن نتائج قرائح أدباء مصر المعاصرين ؛ وقلما تأخذ أية فائدة أو تستمد أية فكرة عن الأدب الغربى رأساً لعدم المام الأكثرية الساحقة من القائمين بها باللغات الأجنبية الماماً يؤهلهم للافادة والاستفادة

ولقد خطت حياتنا الأدبية خطوات مباركة فى سبيل النشر والتأليف ، فمع وجود كثير من العقبات والحوائل قد ظهر فى عالم المطبوعات كتب أدبية حجازية منها : كتاب أدب الحجاز ، وكتاب آثار المدينة المنورة ، ورواية التوأمان ، واصلاحات فى لغة الكتابة والأدب ، والتحفة الشماء فى تاريخ العين الزرقاء ، وحياة سيد العرب ، والانتقام الطبعى .

وفى الحجاز اليوم صحيفة أدبية هى الأولى من نوعها ، وهى

أدبيات :

# أبو الفضل بن شرف
## الشاعر الفيلسوف
### للأستاذ عبد الرحمن البرقوقي

« الناظم الناثر ، الكثير المعالى والمآثر ، الذى لا يدرك باعه ، ولا يترك اقتفاؤه واتباعه ؛ إن نثر رأيت بحراً يزخر ، وإن نظم قلد الأجياد دُرًّا تباهى به وتفخر ، وإن تكلم فى علوم الأوائل بهرج الأذهان والألباب ، وولج منها فى كل باب ؛ وقد كان أول ما نجم بالأندلس وظهر ، وعُرف بحَوْك القريض واشتهر ، تُسدَّد اليه السهام ، وتنتقده الخواطر والأوهام ، فلا يصاب له غرض ، ولا يوجد فى جوهر احسانه عرض ؛ وهو اليوم بدر هذه الآفاق ، وموقف الاختلاف والاتفاق ، مع جرى فى ميدان الطب الى منتهاه ، وتصرف بين سماكه وسهاه ، وتصانيف فى الحكم ألف منها ما ألف ، وتقدم فيها وما تخلف ، فنها كتابه المسمى يسر البر ، ومنها الكتاب الملقب بنجح النصح وسواها ، من تصانيف اشتمل عليها الأوان وحواها » ... هذا هو كل ما قاله الفتح بن خاقان فى ترجمته لهذا الأديب الشاعر ، الفيلسوف النطاسى [1] أبى الفضل بن شرف . وقد جرى الفتح فى هذه الترجمة على شنشنته فى سائر تراجمه ، فلم يذكر اسم المترجم له ، ولا اسم أبيه ولا منشئه ، فضلاً عن أنه أغفل تاريخ مولده ووفاته .. وكذلك لم نر لغير الفتح ترجمة لهذا الأديب الكبير يصح أن تسمى ترجمة يعول عليها [1] ... ولكنا مع هذا أترانا لا نعرض لترجمة أمثال هذا الأديب البارع المتفنن الذى نبغ منه شعر شاعر وحكمة بالغة وكان إلى ذلك نطاسياً عظيما ، كما يؤخذ من كلام الفتح ، ومن ثم يعد بحق من مفاخر الأندلس ؟ وما قيمة عملنا إذا نحن ضربنا الذكر صفحاً عن مغمورى أفاضل الأندلس أولئك الذين لم يوف المؤرخون تراجمهم حقها . . ؟ وإياك والظن أنا نعنى بقولنا مغمورين أنهم لم يكونوا مشهورين فى عصورهم ، وإنما نعنى أنهم مغمورون فى نظر أدباء هذه الأجيال . وقليل لعمرى من سمع منا بهذا أبى الفضل بن شرف سماعه مثلاً بابن هانىء وابن خفاجة وابن زيدون وابن عمار وابن وهبون وابن عبدون وأمثالهم ممن اضطرب ذكرهم وكانوا من المشهورين

« وأما بعد » فهل تدرى من هو أبو الفضل بن شرف هذا ؟ أظنك لا تجهل أديب القيروان وكاتبها وشاعرها أبا عبد الله محمد ابن أحمد بن شرف الجذامى القيروانى قرن ابن رشيق ومنافسه فى خدمة المعز بن باديس ومنادمته والمتوفى سنة ٤٦٠ هـ ؛ إذن فلتعلم أن المترجم له هو ابن هذا الأديب القيروانى المعظم واسمه جعفر بن أبى عبد الله محمد بن أحمد بن شرف المذكور . دخل الأندلس مع أبيه ، وهو ابن سبع سنين ، وقيل إنه ولد فى الأندلس بعد أن نهد اليها أبوه وأقام بقرية من قراها تسمى برْجَه [2] ومن ثم يقال للمترجم أبو الفضل بن شرف البرْجى . وللمترجم ابن فيلسوف شاعر مثله هو أبو عبد الله محمد بن أبى الفضل المذكور — وهو القائل :

وكريم أجازنى من زمان ... لم يكن من خطوبه لى بُد
منشد كلما أقول تناهى ... ما لمن يبتغى المكارم حد

هكذا يحدثنا المقرى عند إيراده قافيّة المترجم التى يمدح بها المعتصم بن صمادح أحد ملوك الطوائف والتى ستمر بك قريباً . ومن هذا ومن قول الفتح فى كلمته التى صدرنا بها هذه الترجمة ، « وهو اليوم بدر هذه الآفاق » يستنتج أن المترجم أبا الفضل بن شرف هذا أدرك ملوك الطوائف ودولة المرابطين ، أى أنه عاش فى أواخر

(١) الطبيب

(١) ويؤخذ من خطبة الذخيرة أن ابن بسام ترجم له ، ولكن ترجمته إنما هى فى الأجزاء المفقودة

(٢) مدينة من أعمال ألبيرة

---

(صوت الحجاز) التى تصدر بمكة ، وهذه الصحيفة هى المنبر الوحيد الذى يتبارى من فوقه حملة الأقلام فى الحجاز ، وفى نية بعض اخواننا من أدباء المدينة وشبابها انشاء صحيفة فى المدينة كصوت الحجاز ، ونرجو لهم التوفيق ، لأن الصحافة كما أنها عنوان رقى البلاد فانها الباعث الوحيد لانهاضها وانعاشها فى هذا العصر

وخلاصة القول أن فى الحجاز اليوم حياة أدبية ، واحساساً أدبياً ، زاخرين بالآمال فى مستقبل أدبى مجيد رائع لهذه البلاد . والآمال هى مصابيح الحياة ؛ وما دامت حياتنا الأدبية تحمل بين يديها هذه المصابيح ، فانها ولا ريب بالغة قمة النجاح

( المدينة المنورة — الحجاز ) **عبد القدوس الأنصارى**

القرن الخامس وأوائل القرن السادس

وقد حدثنا الفتح فى كلمته بأنه شاعر وأنه فيلسوف وأنه طبيب . أما أنه طبيب فلم نقف له على أثر فى الطب ويبدو أنه كان يحترف الطب ويتكسب به وإن لم يؤلف فيه ، وربما ألف وضاعت تواليفه فيما ضاع من شتى التواليف . وكذلك الحكم فى أنه فيلسوف إذ لم يذكر لنا المؤرخون شيئاً من آثاره فى الفلسفة ، ولعلهم يعنون بفلسفته ما أثر عنه من الحكم مثل هذه الكلم الجوامع ، والحكم الروائع التى أثرت عنه وهى : « العالم مع العلم كالناظر للبحر ، يستعظم منه ما يرى وما غاب عنه أكثر . الفاضل فى الزمن السوء كالصباح فى البراح ، قد كان يضيء لو تركته الرياح . لتكن بالحال المتزايدة أغبط منك بالحال المتناهية ، فالقمر آخر ابداره ، أول إدباره . لتكن بقليلك أغبط منك بكثير غيرك ، فان الحي برجليه وهى ثنتان ، أقوى من الميت على أقدام الحملة وهى ثمان . المتلبس بعال السلطان كالسفينة فى البحر إن أدخلت بعضه فى جوفها أدخل جميعها فى جوفه . التعليم فلاحة الأذهان ، وليست كل أرض منبتة . الحازم من شك فروى ، وأيقن فبادر . قول الحق من كرم العنصر كالمرآة كلما كرم حديدها أرت حقائق الصفات . ليس المحروم من سأل فلم يعط ، وإنما المحروم من أعطى فلم يأخذ . يا ابن آدم ! تذم أهل زمانك وأنت منهم ، كأنك وحدك البرىء ، وجميعهم الجرىء ، كلا بل جنيت وجنى عليك ، فذكرت ما لديهم ونسيت ما لديك . اعلم أن الفاضل الذكى لا يرتفع أمره أو يظهر قدره ، كالسراج لا تظهر أنواره أو يرفع مناره ، والناقص الدنئ لا يبلغ لنفعه إلا بوضعه ، كهوجل السفينة لا ينتفع بضبطه ، إلا بعد الغاية فى حطه » . . . . إلى أمثال هذه الكلمات البديعة الحكيمة الشاعرة الناصعة البيان ، النيرة البرهان ، التى لا تصدر إلا عن حكيم جهبذ من الراسخين ، وأديب بارع من ذوى القرائح المطبوعين . ويشبه هذه الكلمات من شعر المترجم له قوله :

إذا ما عـدوك يوماً سما إلى رتبـة لم تطق نقضها
فقبل ــ ولا تأنفن ــ كفه إذا أنت لم تستطع عضها

وإذ قد وصلنا إلى شعر هذا الشاعر الفيلسوف كما يطلق عليه الأندلسيون فلنذكر أن شعره الذى وقع الينا ينم على أنه شاعر متفنن رفيع الطبقة رصين الشعر ، دقيق الفكر ، لطيف التمثيل . ومن قصائده الفائقة قصيدته القافية التى أنشدها المعتصم بن صادح أحد ملوك الطوائف ، وكان قد قصر أمداحه عليه ، وكان يفد عليه فى الأعياد وأوقات الفرج والفتوحات . ولما وفد عليه وأنشده هذه القصيدة كان فى زى تظهر عليه البداوة بالنسبة إلى أهل حضرة الملكة [1] واليك هذه القصيدة :

مَطَلَ الليل بوعـد الفلق وتَشكَّى النجم طول الأرق
ضربت ريح الصبا مسك الدجى فاستفاد الروض طيب العبق
وألاح الفجر خـداً خجلا جال من رشح الندى فى عَرَق
جاوزَ الليــل إلى أنجمه فتساقطن سقوط الورق
واستفاض الصبح فيه فيضة أيقن النجم لها بالغرق
فانجلى ذاك السنا عن حلك وانمحى ذاك الدجى عن شفق
بأبى بعد الكرى طيف سرى طارقا عن سكن لم يطرق
زارنى والليل ناع سُدْفه وهو مطلوب بباقى الرمق
ودموع الطَّل تَمريها الصبا وجفون الروض غرقى الحدق
فتـــأنى فى إزار ثابت وتثنى فى وشـــاح قلق
وتجلى وجهه عن شعره فتجلى فلق عن غسق
نهب الصبح دجى ليلتـه فحبا الخـد ببعض الشفق
سلبت عيناه حدَّى سيفه وتحلى خــده بالرونق
وامتطى من طرفه ذا خبب يلثم الغبراء إن لم يعتق
أشوس الطرف عرته نخوة يتهـادى كالغزال الخرق
لو تعطى بين أسراب المهـا نازعته فى الحشا والعنق
حسرت دهمته عن غرة كشفت ظلماؤها عن يقق
لبست اعطافه ثوب الدجى وتحلى خـــده باليقق
وانبرى تحسبه أجفل عن لسعة او جِـنة أو أولَق
مدركا بالهل ما لا ينتهى لاحقا بالرفق ما لم يلحق
ذو رضى مستتر فى غضب ذو وقار منطو فى خرق
وعلى خدٍّ كعضب ابيض أذن مثل سنان أزرق
كلــا نصبها مستمعاً بدت الشهب الى مسترق
حاذرت منه شبا خطيَّــــة لا يجيد الخط مالم يمشق
كلما شامت عذارى خده خفقت خفق فؤاد فرق
فى ذرى ظمآن فيه هيف لم يدعه للقضيب المورق
يتلقانى بكعب مصقع يقتنى شأو عـــذار مفلق
إن يدر دورة طرف يلتمح أو يجـل جول لسـان ينطق

(١) عاصمتها وكانت عاصمة مملكة المعتصم بن صادح مدينة المرية

# الطفل

## للأستاذ عبد الرحمن شكرى

مِنْ عالمِ الروحِ وهو الخلد والقِدَمُ    وكان بالأمس يطوى جسمه العَدَمُ
سِرُّ الحياةِ وسر الموت ما برحت    تطويه عن فِكَرٍ هَمَّتْ به الظُّلَمُ
يُطِلُّ من عينه معنى يزاوله    معنى التَّفَهُّمِ لم ترْصَدْ به كَلِمُ
وحيرة هى بعض اللب يبرزها    صفو من العين لا خِبٌ فتنكتِمُ
صفو الغرارة أبهى ما رأى بَشَرٌ    ما رَنَّقَ العينَ لا شر ولا ندم
ولم تَشِبْهُ تجاريب الحياة بما    يدجوله اللحظ والأفكار والشِّيَمُ
ضعف الوليد وهل فى القلب مُبْتَعِثٌ
نَبْعَ الحنان كضعف ليس يُتَّهَمُ
لأىِّ أمرٍ بدا يَفْتَرُّ مبسمه    وما حباهُ بِزَعْمِ الأشيبِ الفَهِمُ
وكلما بدرت للشر بادرة    قلبُ المُسِنِّ لها حيرانُ يضطرم
يود كل رجيح العقل مكتهل    أن لو يعود وليداً أمره أَمَمُ
وليس يبصر أن الشر مُقْتَبَلٌ    يعود منه إليه الهم والهرمُ
لكنها مهاة للقلب يَنْشُدُها    حيث الصفاء وعيش ماؤه شَبِمُ
فلا عداء ولا مكر ولا حِيَلٌ    ولا حقودٌ ولا غدر ولا جُرُمُ
حيث الحياة كبيت الله طاهرة    لدى الطفولة وهى المَعْبَدُ الحَرَمُ
أو جنة الخلد لا إثمٌ لساكنها    وما تجاوَرَ ذو عجز ومُحْتَرَمُ
إنَّ الأزاهر والأطفال ما اجتمعا    صنوان والحسن فيها طُهْرُهُ عَمَمُ
مرأى يُطَهِّرُ ما بالنفس مِنْ دَنَسٍ    حتى يعود بها والخير مُغْتَنَمُ
كم ناقم سَلَّ منه الطفل عادية    من الضغائن إذ يرنو ويَبْتَسِمُ
قد يَحْزنُ الزهر إذ يذوى أمِنْ شَبَهٍ
بمصرع الطفل رائيه له يجِمُ
ما أعظم الفقد لو أن الورى خُلِقُوا    خلق الرجال وكالأطفال ما وُسِمُوا
لما تَمَلَّى أناسٌ طُهْرَ ما فقدوا    ولا أحبوا ولا جنوا ولا رحموا

عبد الرحمن شكرى

---

غصفت ريح على أنبوبه    وجرت أكعبه فى زئبق
كلما قلبه باعد عن    متن ملساء كمثل البرق
جمع الصرد قوى أزرارها    فتآخين بعهد موثق
أوجيت فى الحرب فى وخز القنا    فتوارت حلقا فى حلق
كلما دارت بها أبصارها    صورت منها مثال الحدق
زل عنه متن مصقول القوى    يرتمى فى مائها بالحرق
لو نضا وهو عليه ثوبه    لتعرى عن شواظ محرق
أكهب من هبوات أخضر    من فرند أحمر من علق
وارتوت صفحاه حتى خلته    يحيا من لكفيك سقى
يا بنى معن لقد ظلت بكم    شجر لولاكم لم تورق
لو سقى حسان إحسانكم    ما بكى ندمانه فى جلق
أودنا الطائى من حيكم    ما حدا البرق لربع الأبرق
أبدعوا فى الفضل حتى كلفوا    كاهل الأيام ما لم يطق

« يتبع »

عبد الرحمن البرقوقى
منشىء البيان ورئيس قلم المراجعة بمجلس النواب

---

# دمعة على الصورة..!

## للأستاذ أبى السمح الفقيه

أغلاماً أرى هنا أم ملاكا    وجد العيش فى سوى الخلد عجزا ؟
فمضى للنعيم غضاً غريرا    مستبداً بروحه مستعزا !
نظرات بريئة وصفات    فاق أترابه بهن وبزا !
وفؤاد يسيل فى كلمات    لك فيه هزت فؤادىَ هزا !
لا أعزيك لا أقول تصبر    مثل هذا بفقده لا يُعزَّى !
لا أعزيك فيه إلا بدمعى    وبحزن يئز فى الصدر أزا !
لهف قلبى عليه وهو ينادى    مستغيثاً أباه والغوث عزا !
قد رضينا له ربى الخلد مغنى    ولو أن الفراق فى الوصل حزا !
كنت بالرزء مستهيناً فلما    شاهدته العيون ظلت تنزى !
عجبى يضحك الخلى ويلهو    والمنايا تجز فى الناس جزا !
يبتلى المؤمنون مثلك فيما    وهبوه فيسلبون الأعزا !

مكة المكرمة

عبد اللطيف ابو السمح الفقيه
أستاذ اللغة العربية بدار الحديث

# إلى الاستاذ أنور العطار

## بقلم علي محمد الشلق

أيها الشاعر الذى سال حزناً وجرى ذائباً ولم يتدفقْ
أنت همسٌ ورقّةٌ وهباء ليت هذا القريض عطر فيعبق

***

يا شباب الشآم أنت نخار الدهـــر لا بل أعزُّ منه وأعرق
يا شباب الشآم يا وثبة الشر ق ويا بسمة الرجاء المحقق
ما ترجى بالله من أدب با كٍ حزين واهى الأمانى مُمزق ؟
ليت شعرى ماذا دهاك لتبكى ؟ فى شباب ضافى الذيول مُنَمَّق
ليت شعرى ماذا دهاك لتذوى ؟ فى رياض الحياة، والعيش أورق
شاعر الدمع خل عنك قريضاً جاء نوعاً من الـكلام المرقَّقْ

***

قد كفى الشرق ما بكى من دموع كاد لولا الرجاء بالدمع يغرق
قد كفى الشرق وقع تلك المآسى غمرت عيشــه بنوم مؤرّق

***

ألاسى خطّةُ الضعيف على الأر ض وسجن على الذليل مُغلّقْ
« ليس دمعاً من الحنان على الأر ض وكنزاً من المراحم مطلق »

***

أين عهد « الأعشى » بغرّ طوال ؟ ترفع المجد فوق هام « المحلق »
أين عنا شعر ابن شداد ؟ مالا ن ، وما كان بالضعيف المزوّق

***

نحن نبكى على الهباء وهذا الغرْ بُ ، نشوانُ بالنجوم تعلَّقْ
« نحن لحن مضرَّجٌ بالمآسى » وهو لحن يولى الخلود فيُعشق
نحن نحبو مع الخشاش ثقالاً وهو فوق السماء بالعلم حلَّقْ

***

يا رجال القريض أين القوافى ؟ تتلظّى من الشعور فتحرق
يا شباب الحياة ، هاتوا قريضاً كجبين الصباح إن ذرّ أشرق
وابعثوها شعواء، تزجى الأمانى ساميات على الـكواكب تخفق
أيقظوا الشرق من سبات عميق أدلج الركبُ وهو بالذل مُوثَق
ما عهدناك أيها الشرق خوّا رًا ، وما كنت فى الميادين تُسبق
هُبَّ فالصبح لاح والطير شادٍ صفّق الروضُ ، والضياء تألّقْ

كلية اللغة العربية — علي محمد الشلق

# القبـــلة الاخيرة

## للسيد اليـاس قنصل

وإذ أدركتْ أن المنا مرَّ حينُه وأن القضا أفتى ببعـد فتاها
أكبّتْ عليه وهو حيرانُ واجم وأدّتْ معـانى حبِّها شفتاها
وعادتْ لتشكو دهرها بدموعها وتجلو بالآهات بعض شقاها ..
أهنّيك من قلبي وأحسدُ برهةً وددتُ لها أختاً وروحى فداها
فقد أبعدتْ عنى البحارُ حبيبتى ولم أستطعْ يوم النوى أن أراها

***

# الآلام

لا تعنُ للشكوى ولا تحزنْ إذ جارتْ عليك بصرفها الأيامُ
فالمرء يلبث طينــة مجبولةً حتى تشرف بَمسِّه الآلامُ

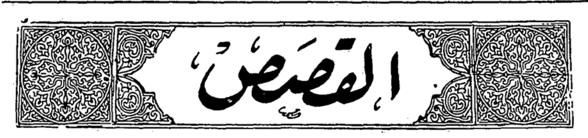
عاصمة الأرجنتين — الياس قنصل

# تنبيـــه

نرجو التفضل بتصحيح نص الآية الواردة فى مقالة الاسلام والمدنية والعلم فى العدد الممتاز ص ٦٤٨ عمود ٢ بوضع [ قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ] بدلاً من [ إن فى ذلك لآيات لقوم يعلمون ]

كما إنه وقع فى المقال الثانى فى العدد الماضى بعض أخطاء مطبعية نوردها مع تصحيحها :

ص ٧٣٤ سطر ١٠ عمود ١ : لم تمش — لم تمن
ص ٧٣٥ « ٥ من أسفل : العقل لا السمع — العقل والسمع
ص ٧٣٥ « ٣ « : بعد أن أثبتها — بعد أن أثبتناها
ص ٧٣٦ « ١١ « : يثبت الله عليه — يتبعد الله عليه



# جاســوسة !

« Elle est de la police »

لمدير الأكاديمية الفرنسية هنرى بردو

ترجمة الأستاذ عبد الحليم الجندى المحامى

لم يبق لمدام ( سرمزول ) أمل فى أن تُحَب ، فأصبحت لا تطيق أن ترى قلبين يتناجيان

***

فلقد ودعت السكينة جمالها إثر حادث سيارة ، وعمل الجراح فى وجنتيها خير ما هيأت له عبقرية الطب ، ورسم أنفها الدقيق رسمه الأنيق السابق ، لكن الفن والطب معاً قصرا عن أن يمسحا من صفحة وجهها تلك الشيات المهينة التى ما برحت تشير إلى الحادث . . فعينها التى لم يجسر الطبيب على أن يدنو منها قد اتسمت بعض الاتساع فصارت نظراتها مما يتجمد له الدم فى العروق . . وعشيقها الذى حنا عليها فى محنتها وسربلها بصنيعه لم يستطع تلقاء هذا ( البعث الناقص ) إلا أن يطلب نقله إلى وظيفة نائية ! . . . ولا يصبر على القبح الجسمانى إلا رجل سمت به فضيلتــه إلى أرفع ذروة ، أو رجل يغمر الايمان فؤاده . . والصديق العزيز لم يكن إلى هؤلاء ولا الى هؤلاء . . .

كانت ما تزال تدعى إلى الأوساط التى كانت تغشاها من قبل ، لما عرف عنها من الملاحظة اللاذعة والروح المبتكر . . وفى ابان هذه الدعوات شهدت — وهى تكاد تُجن — ميلاً يبديه السيو ( ريانس ) إلى ( المدام دى نيج ) وكان الداعون والداعيات يفطنون الى هــذا الهوى الناشئ فيجعلون كرسىّ كل منهما إلى كرسى الآخر . . وهكذا فى كنف تلك التقاليد التى تواضعت عليها الارستقراطية المعاصرة (!) تآمرت كل الظروف على أن يترعرع هواهما الوليد فى هوائها الطلق الصافى

كانت مدام دى نيج مشغولة بزخرفها مشغوفة بنجاحها فى ذلك الوسط الرفيع الذى كانت تتأرجح كالقمرى الغريد فوق أفنانه ، وكان زوجها منكباً على وجهه فى عالم السياسة لا يجد الساعات التى يمنحها فيها الحنان أو يهبها فيها الحب . أما السيو ( ريانس ) فقــد وفد حديثاً من الريف . . ومعه ثروة الأقاليم وملاحة التبسط وقسمات بديعة كلها اغراء ، لكنه كان يضيف إلى تلك المؤهلات جهلاً تاماً بفن ( الرجال مع النساء )

وذات يوم وقع خطأ فى ( بطاقة الاسم ) فجاء كرسى مدام سرمزول بدلاً من كرسى مدام دى نيج بجوار السيو ريانس : فقنعت الصديقة بمجلسها النائى وأخذت تبعث الى صديقها من أقصى المــائدة شعاعاً كله الكهرباء . . . فتطلعت ( سرمزل ) فوقع بصرها على ذلك التيــار الذى يروح ويجىء بين القلبين فهمست فى أذن جارها تقول :

— حقاً إنها جميلة . . وسكت ريانس ، فعادت تقول :

— ولكن يا للخسارة ! قال أى خسارة ؟ قالت ألا تعرف ؟ قال أى شىء أعرف ؟

قالت إنها « فى خدمة البوليس » ! ! قال : « إنك تمزحين يا مدام » قالت كيف أمزح ؟ أو لم تقرأ كتاب ( فوشيه ) الذى قبلته الأكادمية أخيراً ؟ وحسبها قد أخذت بطرف من الحديث جديد ، فقال كلا لم أقرأه ، فاستطردت الجارة تقول : ( هو مؤلف من جزءين ، وإن المرء ليتعلم منه أشياء كثيرة وفيه تفاصيل عن نظام الجاسوسية فى عهد الامبراطور . . . كان فى خدمتها سيدات من الطبقة الراقية . . جوزفين نفسها كانت جاسوسة فى عهد الدير كتوار ( حكومة الادارة ) ! ! ! وفى العصر الحاضر سيدات كثيرات من ذلك الطراز تجرى عليهن الوزارة أجوراً ليطلعنها على فضائح المعارضة كما تخضع المعارضة للوزراء . . . )

— ولكن كيف عرفت هذا يا مدام ؟

— لا . لا . . . لن أبوح لك بمصادرى . . وحسبك أننى أخبرتك

— إذن فهل تسمحين لى بألا أصدق ؟

— ولِمَ لا أسمح لك ؛ ليس المرء مكلفاً بأن يصدق كل ما يُلقى اليه ، لكن عليه — على الأقل — أن يفتح عينيه

وتنقلا فى شجون شتى وشؤون متشابهة ، حتى إذا فرغ الطاعمون ونهضوا انتبذ من القاعة مكاناً قصياً وبقى فيه . . . .

فلم يكن بد من أن تسعى اليه مدام دنيبج تسأله ما ذا دهاه ؟ فأجابها : لا شىء ، وأراد أن يُبدى لها بعضاً مما كان يُبدى من تحاياه أو من فيوض هواه . . . فكانت دعابته شوهاء ، وحديثه بلا روح

وتعاقبت الأيام وهبط البارومتر ، وهدأ التيار ، وعملت مدام دى نيبج جاهدة لتظهر عدم الاكتراث بما يظهره هو من عدم الاكتراث ، ثم جمعت كل ما منحتها السماء من فنون الأنوثة وخلاعة الاغراء ووجهتهما عليه جميعاً كالتيار الدافق .

فلم يُلقِ اليها بالاً . . . ولما غلبها يأسه غلبها يأسها ، فشاهت فى وجهها الحياة

لكن الاعجاب الذى مال بكل منهما إلى الآخر ، والذى تنضح به غريزة كامنة فى أعماقنا جميعاً — غريزة تلك الميول المستعدة لأن تصبح حباً جارفاً عندما تقاوم — هذا الاعجاب جعلهما أوثق اتصالاً كلما حاولا الانفصال . فأخذ الرجل يسائل نفسه : ما علة هذا الجفاء ، وكيف يؤمن بالسيدة سر مزل مع أن اللاّ طراً قد وصموها بأن الجقد يفرى كبدها من سعادة السعداء ؛ وتملكه الريب فيما ألقت اليه ... لكن الكلام كان كالسهم قد نفذ فاستقر فى أعماقه ... وإذن فليس يمكن أن يعلق فؤاده بغرام جاسوسة ... وشرع يزين لنفسه أشياء ويقبح أشياء ... وأخذ يقول لنفسه ما يقوله كل ريفى هبط حديثاً إلى العاصمة : « لا ، لا يمكن أن تستغفلنى باريس ! » . بلى : فمن أين لها هذه الفراء الفارهة ، وهذه اليواقيت ، وكل تلك الأعلاق : وراح يحقق أثمان ما يقتنيه الحسان من نفائس ومجوهرات ؛ فلما أدركه التعب أخذ يقول لنفسه : « أو لست أنا الذى أصبحت جاسوساً ؟ ! »

وغدا المسكين نهباً مقسماً بين الشك والقلق المساور ، وغاض من كيانه معين الشباب ومرح الفتوة اللذان إذا أحدقا بغانية سدا فى وجهها الأفق ولم يتركا لها منهما منفذاً إلا كما تترك خروق ( الشبكة ) الضيقة للفراش الرشيق

أما هى فقد ذهبت جهودها كلها بدداً ، فعكفت على قلبها تتسمع خفقاته وتستعذب فيه لذع الحريق

وذات يوم سمعته يخبر الأصدقاء بأنه مسافر ، فلم تمالك نفسها وسألته : الى أين ؟ فأجابها بتحفظ : ( عندى )

— أين عندك ؟

— فى جكس

— قريباً من جنيف ؟ فأجابها فى سخرية لاذعة :

— هنيئاً للجغرافيا بكعبك العالى يامدام ! . وأنت الى أين ؟

قالت إننى لم أعتزم بعد أمراً . . وهذا يتوقف عندى على أشياء كثيرة

فكر على عقبيه ورجع يقول لنفسه : أشياء كثيرة ! طبعاً . طبعاً ! ومن يدرى فهى (مأموريات كثيرة) من يدرى أيضاً ... لا . لا . يجب أن أغادر الديار وأفلت من قبضتها . . . . وظل يأتمر بها مع نفسه وانتهى بأن قال ( ستحسبنى رحلت فلأراقبها إذن ... لأراقبها أنا )

* * *

وتلمذ حيناً من الدهر على ( شرلوك هولمز ) وأتاحت له الظروف فرصاً باهرة . . .

ما هذا : إنها فى السيارة والسيارة تنهب الأرض نهباً إلى ( المحافظة ) ! . . . الله ! الله ! . . . إن السيارة تطير بها إلى الوزارة ! . . وزارة الداخلية ! ! الله أكبر ! ما كان أصدقك يا مدام سر مزل ! ! . . ما هذا أيضاً : إن السيدة لم تنتظر فى غرفة الانتظار . بل انفتح لها رتاج الوزير فور الساعة ! ! . . . لا . لا ، إنها ذات عهد بتلك المعاهد بلا مراء . . يالله ! . . ماذا كان مصيره لو هوى فى ذلك الشرك . . ولو لم توح السماء إلى الناس فيخطئوا مرة واحدة ويضعوا بجانبه (النقذة سر مزل)

وهكذا بعد أن أطلع عليها ولى فراراً وملىء منها رعباً

وكان قصره فى الريف يشرف على عتبات جنيف ! وكان اتصال البلد الذى هو فيه بالبلد الذى فيه عصبة الأمم يسبغ عليه من جو الدبلوماسية ومن مراسيمها ، وكانت أول دعوة وجهت اليه دعوة المركيزة « دى ريل » وهناك . . . هناك . . ماذا . . ! هنا ألفى نفسه وجهاً لوجه أمام من ؟ أمام الدام دى نيبج نفسها . . بلى ، إنها هنالك تقتفى آثاره فيمن تقتفى آثارهم ، ما فى ذلك ريب ، ولم يكن بد من أن يتحدثا فتحادثا

— أنت هنا يا مدام ؟ أية مصادفة ! أية مصادفة ! . فحدقت فى عينيه ، وكان جلدها قد وهى ، بل كان قد انتهى ، وقالت :

— لا ليست مصادفة . ألم تقل لى إنك قادم إلى چكس ؟ قال :

— كم أنت ظريفة يا مدام ! وأظنك لهذا جئت إلى جنيف ؟

وشرع يتهكم فجذبته بقوة وقالت :

— لا تسخر منى وقل لى هنا . . هنا على الأقل . . لماذا كنت تتخلص منى ؟ وحارت الدموع فى مآقيها كالسحاب عند ما يتجمع فى زوايا السماء الصافية ، فخر صاحبنا وتشجع وقال : بل أجيبى أنت

س : ماذا كنت تصنعين فى المحافظة فى ١٠ يوليو ؟

ج : فى ١٠ يوليو ؟ . . دعنى قليلاً أفكر . . فى ١٠ يوليو ذهبت إلى المحافظة أبحث عن جواز سفر إلى جنيف . . لأحضر إلى هنا . . قريباً منك

س : وفى نفس اليوم بوزارة الداخلية ؟

ج : كنت أعرف الوزير فقصدت إليه أطلب تصريحاً بزيارة عصبة الأمم . وقالت « لكأنك قد تجسست على » ... « إنك إذن من رجال البوليس »

قال : كلا ياسيدتى ، لست أنا ... ومسح جبينه وهو يتفصد عرقاً ، وأضاف : ولا أنت أيضا

— إذن هل قال لك أحد شيئاً ؟ أو صدقت الذى قيل ؟

ولم يكن يقيله من عثرته إلا أن يقول — كالشهود — الحق ، وكل الحق ، قال : (مدام بيرْ بنزلْ) فتنهدت الحسناء وقالت : « أتصدق تلك القرية فتلوث هذه التى كنتَ ... التى كنتَ . »

— التى كنت أحبها ، وما زلت أحبها كثيرا ، كثيراً جدا ، جدا ، أما هى فلن يتفتح لى قلبها أبدا ...

* * *

أفرخ روع الدام دى نيبج ، وشاعت فى وجهها نضرة النعيم ، وتمشيا معاً فى ممر يعطره أرج الربيع ، لكأنهما الفكرة البديعة تروح وتغدو فى خيال الشاعر . قلت : أرأيت إلى هذا الكمّ الذى لم يتفتح بعدُ عن الزهرة : انظر ماذا فعلت بى ... لقد لوثتنى ؛ فهل أهبك بعد هذا قلبى ؟ خذ هذا الكم ذكرى من ذكرياتى ... لقد وقع ولكن أثره ما يزال

فأخذ الكم بقوة كأنه ينزعه وقال : « وإذا أنا طهرته بهمى من هذا الأثر أتغفرين لى ؟ » ثم قضم بأسنانه لفائفه فبدا الطلع من ثناياها وضيئاً مشرقا . قال : « أما الزهرة ياسيدتى فلم تمس بسوء . فهلا تغفرين ؟ » وازدحم الدمع فى موقيه كطفل غرير ، وتطلع اليها كأنه يلتمس منها أن تهبه الحياة ، فأطرقت فى دلّ وخفر وقالت : « أما الزهرة فإنها لك » ثم عادت لتقول : « لكن عليك أن تغسل شفتيك قبل أن تقبلنى »

هنرى بردو

دراما من اسخيلوس

# الفـــــرس(١)

Persae

للأستاذ دريني خشبة

اشترك إسخيلوس في الحروب الدامية التي نشبت بين فارس وهيلاس ، وكان ميدانها وطنه والبحار المحيطة به ، وقد اشترك كذلك في موقعة سلاميس البحرية التي تحطم فيها أسطول إجزرسيس ثم ظل متصلا بالجيش اليوناني إلى ما بعد انتصاره في بلاتيه وميكالي ؛ ولذلك تعتبر هذه الدرامة مصدراً هاماً من مصادر هذه الحروب ، ويعدها مؤرخو الأدب اليوناني أصدق مما ورد في تاريخ هيرودوتس بصدد الحرب الفارسية . ذلك لأن أسخيلوس كان شاهد عيان لوقائع هذه الحرب بينما كان المؤرخ اليوناني ما يزال طفلا لا يزيد عمره على خمس سنوات . وقد مثلت الدرامة بعد موقعة بلاتيه بسبع سنوات .

— ١ —

ينقلنا إسخيلوس إلى فارس سيدة الأرض ، ويطوف بنا دارات عاصمتها « سوس » حتى نقف عند القصر الملكي المنيف ، مقر الأكاسرة ، وقلب الإمبراطورية النابض . فنحن إذن بعيدون عن ميادين القتال في البر والبحر ، لا نشهد الطعن والضرب ، ولا نرى إلى فتك الحراقات اليونانية بأساطيل الأعداء ، ولا تهولنا هرولة الكتائب الفارسية فوق تلك القنطرة الضخمة من السفن المتراصة بين عُدْوَتَي الهلسبنت تنساب فوق بطائح هيلاس كأنها سيل العرم . . . ثم لا يبهرنا عاهل العجم البائس وقد وقف فوق أكمة تشرف على أبيدوس وما يجاورها من شطئان الهلسبنت ، يطل على جيوشه الجرارة تعبر البحر الزاخر . . . ويبكي . . . فاذا سأله وزيره : « فيم بكاؤك أيها الملك ؟ » شهق شهقةً عميقة وقال : « أنظر أيها الوزير : هذه طروادة : وهؤلاء جندي ! ويكيني ألا يكون أحد من هذه الألوف عائشاً بعد حقبة واحدة من الزمان ! أليست هذه طروادة ؟ ؟ ؟ »

لن نرى إلى شيء من ذلك ، ولكن نرى عصبة عتيدة من مشايخ فارس وساداتها النُّجُب يتناجون في حديقة القصر ، متلهفين إلى خبر يذهب بهذا القلق العظيم الذي يساورهم من جراء انقطاع أخبار الجيش . . . وهم يذكرون دارا الأول ، والد الأمبراطور ، بخير ما يذكر به ملك شاد دعائم ملكه على العدل ، وقاد جيوش بلاده إلى النصر . ورتع في ظله رعاياه في بحبوحة من العز وبلهنية من النعيم . . . وهم (١) كذلك يصفون لنا أبهة جيش أجزرسيس وعظمة جحافله ، وهذه الآلاف المؤلفة من الفرسان والشاة والكماة والرماة ؛ من مشارق الأمبراطورية الكسروية ومغاربها . . . من حفافي السند إلى ضفاف النيل ، ومن أعالي دجلة والفرات إلى أسافل النوبة وإثيوبيا . . .

وهم لا يخفون ما يساورهم من قلق ، ويخامر قلوبهم من شك في مصير هذا الجيش العرمرم الذي قذفت به آسيا ليهلك في ربوع أوروبا ، ويجوع ويعري في مشارق جبالها ، وتلتقمه الأسماك في بطون البحر المضطرب . . . لا سيا ومنهم من نصح للأمبراطور ألا يجازف بهذا العدد العديد ضد هيلاس ، فكان جوابه أن أقام إلى جانبه رجلا من أمنائه يقول له في كل لحظة : « مولاي ! لا تنس الأثينيين . . . مولاي : لا تنس الأثينيين(٢) »

— ٢ —

وبينا هم في تناجيهم إذ تقبل آتوسا — الأمبراطورة الأرمل — زوجة دارا ، وأم إجزرسيس ، والتي قست عليها المقادير فناءت على قلبها بأحزان امبراطورية بأسرها ! !

تقبل آتوسا فيصمت القوم ، ويهرعون اليها يسائلونها عما آل اليه أمر الجيش ، وهل أفاءت عليه الآلهة بالنصر المرجو والغَلَب المنشود ؟

فتقول آتوسا : «مواطنيَّ الأعزاء ، وأبنائي الأوفياء ! تسائلونني عما أقبلت فيه ، وهرعت اليكم من أجله . . . فوالله لقد ضقت بغرفات هذا القصر على سعتها ، وخلتها جحيما على أنها جنة نعيم ، أليس فيها كنت أحلم بالخلد في حضنيْ دارا ، وأجيل الطرف من شرفاتها معه على أمة سعيدة هادئة ناعمة ، عيشها مخفرج ، وجانبها

(١) الدرامة الباقية من ثلاثية رائعة ما يزال جزآها الأول Phineus والأخير Glaucus of Potniae مفقودين وتعتبر هذه الثلاثية أول قطعة رومانتيكية في التاريخ إذ لا تستند إلى شيء من الأساطير كما لاحظنا في درامات إسخيلوس

(١) هؤلاء الأشياخ هم خورس الدرامة

(٢) هذه النبذة غير موجودة في الدرامة وقد استعرناها من هيرودوتس

عزيز ، وسلطانها قوى ، وظلها ممدود ، وسؤددها يطوى السهل والجبل ، وثروتها زاخرة وافرة ؟! فماذا أرى اليوم ؟ أليس ابنى قد جمع خير كل ذلك ، ومضى لطيّته التى لا يعلم ما وراءها أحد ؟ هاهى ذى الرياح تصفر فى هذا القصر الذى نأى عنه سيده ، فكأنه خراب على رغم خزه وديباجه ، وشتى تماثيله وتصاويره ... ويحى ! لقد جئت اليكم يا سادات فارس ألقى اليكم بعبء الوساوس التى تجثم على صدرى ، وتثقل كاهلى ، فهل أجد لديكم الركن الأمين ، والمشير الوفى ، والناصح الذى إذا نصح أخلص النصح ؟ »

— « أيتها الملكة ؟ ... نحن عبيدك وبعض رعاياك ... ولك فى أعناقنا الولاء والوفاء ... تكلمى بما تشائين وثقى من اخلاصنا ومحض نصحنا »

— « إذن فما هـذه الأحلام المروعة والرؤى المفزعة التى تجتاحنى كل ليلة حين آوى إلى الفراش ، منـذ أن انطلق ابنى بهذا الجيش اللجب ليغزو بلاد اليونان ؟ على أن رؤيا أمس لم تكن مثلها رؤيا قط .. ذلك أنها كانت واضحة بينة حتى ما تكاد تحتاج إلى تفسير أو تفتقر إلى تأويل ... رأيت فتاتين هيفاوين ممشوقتى القد ، احداهما دورية[1] ناهدة تميس فى حلى وفى حلل ؛ والأخرى فارسية سمهرية ، تختال فى برد ووشى وأفواف ... رأيتهما تقبلان إحداها على الأخرى ، ثم تأخذان بتلابيب بعضهما البعض ، ويكون شجار بينهما ، لأن إحداهما بغت على أختها ، وحاولت الاستئثار بدارها من دونها . ورأيت ابنى إجزرسيس مشرفاً عليهما من مرتقى صعب ؛ فلما استحر القتال بينهما نزل إلى حيث حاول أن يجعل نيره فى عنقيهما معاً ... وذلت إحداها واستكانت ، ولكن الأخرى ، ولكن الدورية أبت وأنفت ، ودفعت النير بكل ما أوتيت من قوة ، فناصت الفارسية فى لجة من دم ، وتحطمت عربة ولدى الأمبراطور فوقفت حيث كان قبل أن يتدخل بينهما ، وأخذ يبكى وينشج ، ويشق الأردان ويمزق الجيوب ... وهنا وقف إلى جانبه أبوه ... الأمبراطور البكى ، دارا ، وطفق يرثى له ويهون عليه

هذه رؤياى يا سادات فارس النجب ... ولكن ... ماتزال بقية ... فانى خبيثا هببت من نومى ، عسيت أن تكون رؤياى أضغاث أحلام ، فقلت أتوجه إلى مذبح الآلهة مانعة الضر ، أقرب لها وأضحى ، عسى أن تنفعنا ، وما كدت أغمس يدى فى النبع المقدس ، وأنثر بخور الند فى المجمرة ، حتى لمحت نسراً مهيض الجناح لائذاً بقدس أبولو[1] ... ثم ينقض عليه باز باشق ، فما يزال به يوسعه ضرباً وتجريحاً حتى ينتفض النسر ويلوذ بالفرار ... ويلاه ! إن الرؤيين ... فى المنام وفى اليقظة ، تفسر إحـداهما الأخرى ، فيا ترى ؟ هل هما نبوءتان على إجزرسيس ؟ وهل أعيش حتى أرى ولدى إن كان ما يزال حياً يرزق ؟! »

— ٣ —

وشده سادات فارس ، ونظر بعضهم إلى بعض ، ثم أشاروا على الملكة المحزونة أن تذهب إلى قدس الآلهة فتقرب لها وتضحى ثم تسأل عن رؤياها ، وتتضرع أن تتلطف الأرباب بابنهـا وجنوده ومملكته ، إن كانت الرؤيا حقاً ... وإلا ... فلترق الخمر باسم دارا العظيم الذى زارهـا فى رؤيا أمس حين وقف إلى إجزرسيس يرثى له ويهون عليه ، فاذا ما طيفه لها فلتسأله أن يبارك ابنه ، ويغدق البركات على فارس كذلك

ويتحول مجرى الحديث فجأة ، فتسأل الملكة عن هذه الحرب ما سببها ؟ ويجيب السادات أن الأمبراطور أراد أن تخضع له أثينا

— « فماذا خضعت له أثينا ؟ »

— « خضعت له هيلاس كلها !! »

— « وهل هيلاس من القوة بحيث تحشد لمحاربتها كل تلك الجحافل ؟ »

— « وكيف لا وهى أقوى دولة فى العالم بعد فارس ؟ وهل نسينا أنها دمرت جيش دارا ؟ »

— « أو غنية هى ؟ »

— « غنية جدا ، وفى بطنها ثروة من الفضة لا تقدر بثمن »

(لها بقية) دريني خشبة

(١) تمن إحدى القبائل اليونانية

(١) هكذا بالأصل (فوبوس) ولا ندرى لم يخلط اسخيلوس هذا الخلط فالمعروف أن الفرس كانوا يدينون بالمبن اثنين : إله الشر وإله الخير ولم يعرفوا الآلهة اليونانية

# البريد الأدبي

## سجموند فرويد في تمام الثمانين

يحتفل العالم هذا الأسبوع بالعالم السيكلوجي الكبير سجموند فرويد لبلوغه الثمانين . . . وقد يبتسم القارئ حين يذكر بيت شاعرنا العربي الخالد ( إن الثمانين وبُلِّغتها . . . . . ) لا سيما إذا علم أن فرويد المحتفل به ، والذي يعتبر واحداً من أعظم علماء العصور الحديثة إن لم يكن أعظمهم جميعاً ، هو رجل ضعيف البنية هزيل الجسم ، قد تحالفت عليه الأمراض . ولكنه بالرغم من ذلك علك عقلاً جباراً لا يكل من التفكير ، ولا يفتر نشاطه أمام ما ينتاب بدنه من الأوصاب

ولد فرويد في مايو سنة ١٨٥٦ من أبوين يهوديين في مدينة فريبرج من أعمال مورافيا ، والامبراطورية النمسوية إذ ذاك في عنفوان مجدها . وبعد أربعة أعوام ذهب به أبوه إلى فينا حيث تعلم في مدارسها وقضى صدر شبابه في ربوعها ؛ ولما بلغ من العمر التاسعة والعشرين غادرها إلى باريس ( ١٨٨٥ ) بقصد التزود من الثقافة العالية التي كانت باريس مثابتها في هذه الآونة — ولكنه — لأمر ما — لم يلبث في باريس غير سنة واحدة عاد أدراجه بعدها إلى فينا

وكانت نفسه تجيش بآمال كبار ، وكان ينظر إلى أساليب التفكير السائدة في أوروبا في ذلك الوقت كأنها أصبحت أساليب عتيقة لا تليق برقي الانسانية التي تتيه بعصرها الحديث على جميع العصور القديمة والوسطى . وكانت عوامل الثورة في نفس فرويد الشاب تتفجر في الفينة بعد الفينة ، ولكنها كانت تكبت بقوة وقسوة تلقاء التيار الرجعي الجارف الذي كان يكتسح النمسا في ذلك الوقت . فلقد حدث أنه ألقى أولى محاضراته بعد أن عاد من باريس عن الهستريا ومسبباتها النفسية الباطنية ، وكان ذلك في جمعية الأطباء بفينا ، فما كاد ينتهي من محاضرته حتى ثارت في الصالة عاصفة هوجاء من الضحك منه والسخرية به وبآرائه ، وحتى انصرف العلماء الأفاضل يتهكمون به ويلمزون آراءه لمزاً شديداً قاسياً ! ولقد كان لهذه الصدمة صداها الشديد في نفسه ، فآثر أن يعتزل هذا الجمهور الفظ من العلماء الجهلة — إن صح هذا التعبير — وأن يعمل للعلم وحده بعيداً عن ضجيج هؤلاء الأصنام ، وبمعزل من صخبهم . بيد أنه لم يسلم ، برغم هذه العزلة من خصومة ولدد يثيرهما عليه كثير من الدوائر العلمية وغير العلمية لا بحجة آرائه المتطرفة فيما هو بسبيله من مباحث ونظريات فقط ، ولكن بسبب يهوديته أيضاً

ولم يثر أحد من العلماء حوله من الخصومة مثل ما أثار فرويد ، ولكنه ألح بآرائه على خصومه الحاحاً عجيباً حتى سحرهم بها وحتى جعلهم من أشد المعجبين بها والمتحمسين لها . ويحسبك أن تعلم أنه ما من قصة حديثة أو درامة يقدمها كاتب إلى مسرح من المسارح إلا ولفرويد أثر كبير في صاحبها . فليس في العالم الآن كاتب لم يدرس نظريات فرويد في العقل الباطن ، وليس في العالم الآن باحث سيكلوجي أو مرب لم يهتد في أبحاثه أو فنه بمجهودات فرويد وتحليلاته العجيبة لهذه النفس الانسانية التي لم نكن قبله نعرف منها إلا جانباً قليلاً :

ولقد كتب فرويد — هذا الأسبوع — بمناسبة بلوغه الثمانين — كلمة جاء فيها :

« العقل الانساني في نظري عبارة عن جبل من الجليد طاف في الماء ، لا يبرز منه فوق السطح غير سبعه فقط ، أما الأسباع الستة الأخرى فهي دائماً تحت السطح . . . » وكأنه يريد أن يقول إننا لا نعرف من العقل إلا سبعه فقط ، أما ستة أسباعه الأخرى — وهو ما يسميه العقل الباطن — فمضمرة ، لا نعرف منها إلا القليل . وفرويد على حق في هذا التشبيه الغريب للعقل لأنه هو قد أثبت أن العقل الباطن إن هو إلا خزانة عجيبة اختبأت فيها غرائز الانسانيــة الأولى وميولها الفطرية التي هي تراث

الأحقاب والآباد والتى تطفو على السطح فتكون ذات أثر بليغ فى عقلنا الواعى

وبالرغم مما لهذا الباحث العبقرى من آراء ونظريات فى الأيحاء والأحلام والاستهواء والمركبات والعُقد النفسانية فانه ينفى عن نفسه فى كلمته التى أشرنا الينا أنه صاحب نظرية أومذهب أو أنه استحدث علماً جديداً ... فهو يقول : « يخطئ من يزعم أننى صوفى أعطف على الانسانية أو أحب الخير للبشر ، أو أننى عالم صاحب نظريات استحدثها بعد أن كانت خافية على الناس .. لا .. لست شيئاً من ذلك .. بل أنا أدع الناس يحلمون أحلامهم وقد أتركهم يستغرقون أنفسهم فى مستقبلهم ... ثم أقف منهم عن كثب ألاحظ وأشاهد وأتفرج ... ثم أقيد ملاحظاتى ، وأقارن وأعلل وأؤلف ! »

وعلى ما بلغه فرويد من الثقافة العالية فانه ما زال يهزأ من مدارك الانسان ويدعوها قشوراً لا غناء فيها ... أو فيها غناء قليل : « ما ثقافتنا هذه ؟ ماذا عرفنا من النفس الانسانية ؟ ماذا كشفنا من سر هذه الحياة ؟ »

والعجيب أن فرويد ما زال مؤمناً بالانسانية إلى حد كبير ، وهو يتشوف لها عن مستقبل باهر برغم تلك المجازر التى تلطخ وجه الأرض بالدماء من أجل أطماع وضيعة . وهو يقول إن الحرب ستعجل بهذا المستقبل الجميل ، لأنها وحدها ستثير الكراهية فى نفوس الناس منها فيمقتونها الى الأبد ، ويعدونها كلما فكروا فيها نكسة منهم الى الوحشية

ولقد عاش فرويد مخلصاً لأبحاثه اخلاصاً مدهشاً ، فكان يكب عليها إكباباً يذيب الصبر الجميل ، وكان يمقت كل من يصرفه عنها إلى غيرها ، وكان كثيراً ما يتمثل بما كان يقوله أناطول فرانس إذا حدثه أحد بهراء لا شأن لأبحاثه به :

« Ce n'est pas dans ma vitrine! ? »

ولعل أحسن مكافأة لهذا الرجل العالم أن تجتمع لجنة لتكريمه مؤلفة من بعض خصومه بالأمس ، وأشد المعجبين والمتأثرين به اليوم ، نذكر منهم الكاتب العالمى الأشهر هـ . ج . ولز ، ورومان رولان ، وستيفن زديج ، وجول رومان ، وتوماس مان . . وغيرهم وغيرهم . . . ولا ندرى هل تشترك كل من روسيا وأمريكا فى تكريمه ؟ فهو معجب بروسيا وقد تأثر إلى حد كبير بتحليلات دستويفسكى واضرابه . . أما أمريكا فما نحسبها تشترك فى هذا التكريم ، فهو قد هجا مدنيتها كثيراً ، ولم يفته أن يلذعها فى كلمته الأخيرة من طرف خفى

ويقال إن لجنة تكريمه ستقترح على لجنة جائزة نوبل أن تمنحه جائزتها عن هذا العام لمناسبة بلوغه الثمانين . ونحن نشك فى أن تستجيب لجنة نوبل لهذا الرجاء ، فقد عرف أعضاؤها بكراهية فرويد ، وهذا هو محل الدهشة

د . ر . ن

## المعجم اللغوى الوسيط

اجتمعت بمكتب صاحب السعادة وزير المعارف لجنة المعجم اللغوى الوسيط للمرة الأولى وقد رحب بالأعضاء سعادة الوزير وألقى فيهم الكلمة الآتية : —

أحييكم أطيب تحية ، وأشكر لكم تلبية دعوتى للاشتراك فى عمل المعجم اللغوى الوسيط ، وقد أردت أن أنتهز فرصة الاجتماع الأول لأبين لحضراتكم مبلغ عناية الوزارة وحرصها على هذا العمل الجليل ، ولأتشرف بالتعرف إلى من لم يسبق لى رؤيته من حضراتكم

وإنه لحظ سعيد لى فوق كونه حظا عاما أن يشرع فى هذا العمل وأنا وزير المعارف ، فقد عنيت بهذا الموضوع من سنوات ، وكنت أنادى بضرورة وضع هذا المعجم ، فهو واجب وطنى يفرضه الاخلاص للغة والعلم والدين

ومما يزيدنى سروراً أن يكون فى تنفيذ هذا المشروع استجابة لقرار المؤتمر الاسلامى الذى انعقد فى سنة ١٩٣٠ ، وتحقيقاً لرغبة العالم العربى أجمع . وإنه ليحق لمصر أن تفخر بتلبيتها نداء العالم العربى فوق ما فيه من فائدة خاصة لها

وإنى لأعد هذا العمل من أجل الأعمال وأخلدها ، بل اعتقد أنه لا فرق بين خلود هذا العمل الجليل وخلود الاهرام إن لم ير بعض حضراتكم أنه أعظم ، ففى تحقيقه احتفاظ بهذه اللغة الشريفة ، لغة القرآن وتهذيبها من الدخيل ، وتحقيق لوحدة الأمم العربية بهذه الوسيلة وهى المعجم

وقد ساعدت العناية الالهية مركز مصر الجغرافى أن تكون

مصر زعيمة الثقافة الاسلامية فى العالم العربى ، وقد رضيت لها الأمم العربية هذه الزعامة وأقرتها

وإن المشروع الذى أريد أن نبدأ به هو هذا المعجم الوسيط مترسمين فى وضعه المنهاج الذى ذكر فى قرار تأليف اللجنة حتى يسد حاجة طلاب اللغة ورجال الثقافة من أمثال خريجى دار العلوم ومن فى طبقتهم ، فاذا ما وفقكم الله وأتممتم المعجم الوسيط شرعتم فى وضع معجم مدرسى للجيب يسد حاجة الطلاب المبتدئين ، وبعده تفرغون لمعجم بسيط يجمع شوارد اللغة ويسد حاجة الأدباء والعلماء . ثم تأتى بعد هذا مرحلة أخرى هى وضع موسوعة عربية تكون مرجعاً عاماً يتناول الفنون والعلوم والآداب وغيرها ، فاذا وفقنا إلى إنجاز هذا كله حق لنا أن نفخر بأن مصر أصبحت بحق عضواً نافعاً فى الهيئة الاجتماعية ، وأنها قد أدت رسالتها كاملة عن اللغة العربية

هذا هو برنامج وزارة المعارف الذى أرجو أن يكون برنامجاً قومياً يأخذ كل وزير فيه بنصيب ، وهذا هو اعتقادى وأملى الذى أرجو أن يتحقق على أيديكم وبفضل معونتكم الصادقة حتى يكون لكم شرف وضعه وإتمامه ، ولى بعدكم الثواب من الله على مثل هذا العمل الجليل

وإن الوزارة حريصة على أن تيسر لكم مهمتكم وهذا هو صديقى وكيل وزارة المعارف خير ضمان لتنفيذ ما تطلبون فان لى فيه الأمل الكبير والثقة العظيمة

## كتاب عن مكيافيلى

صدر أخيراً كتاب جديد عن مكيافيلى وعصره - Machiavelli and his times بقلم الدكتور ارسكين موير E. muir . وقد صدرت كتب كثيرة عن مكيافيلى وعصره ، أهمها وأشهرها المؤلف الجامع الذى وضعه المؤرخ الايطالى فيلارى عن « حياة مكيافيلى وعصره » ولكن شخصية مكيافيلى وآراءه السياسية والاجتماعية ما زالت تشغل البحث فى عصرنا ؛ بل إن فكرته فى الدولة وفى الحكم تتبوأ مكانة هامة . ذلك أن فكرة الدولة تغدو فى أوربا مسألة اليوم ، ولاسيما الدولة التى تتجسم فى شخص طاغية كما هو الشأن فى ألمانيا وايطاليا . ومن المعروف أن الفكرة الفردية قد قضى عليها اليوم فى ظل النظم الطاغية الجديدة كالهتلرية والفاشستية ، وأن فكرة الدولة تسود كل شىء فى هذه النظم ، وأن الدولة وكل مرافقها وقواها هى أداة فى الأيدى الطاغية التى تشرف على النظام وتحركه ؛ ونحن نلمس فى فلسفة مكيافيلى أصول هذه النظريات الطاغية ، فالكتابة عنها اليوم مسألة لها خطرها . ومما يذكر فى ذلك أن موسولينى طاغية ايطاليا درس فى شبابه كتاب مكيافيلى ( الأمير ) دراسة عميقة ، وأنه ما زال يردد اليوم « أن مكيافيلى يعيش اليوم أكثر مما كان يعيش منذ أربعة قرون » ومن أقوال مكيافيلى المأثورة فى كتابه السالف قوله : « إذا كان الحكام جميعاً من الطراز الصالح فعليك أن تفى بعهودك ؛ أما وهم خونة لا يفون بعهدهم فعليك من جانبك ألا تفى لهم بعهد » ، وهذه النظرية تشتد وطأتها اليوم فى أوربا

والواقع أن مكيافيلى أراد فى كتابه أن يحلل نفسية أبناء وطنه فى عصره وأن يحاول بملاحظاته الدقيقة أن يجد ذلك الطراز من الطغاة الذى يستطيع أن يجمع الكلمة ، وأن يسبغ على الوطن نعمة الحكم المستنير ؛ ولكن الآراء والمبادىء الجافة الخطرة التى تتخلل مباحث مكيافيلى قد طبعت عقيدته فى الحكم بطابع أسود ، وجعلتها مضرب الأمثال للسياسة الفادحة الخطرة ؛ على أن بعض الباحثين يرون أن هذه النزعة ترجع الى حكم مكيافيلى على مجتمعات عصره ، والى اعتقاده بأن الانسانية تقوم على مبادىء وضيعة ، وهو اعتقاد لم يشاركه فيه كثير من أعلام عصره ولاسيما المؤرخ والسياسى الكبير جيشارديني

ويستعرض الأستاذ موير فى كتابه آراء السياسى الفيلسوف فى الدولة والحكم ويقارنها بآراء جيشارديني ؛ ثم يورد كثيراً من آراء مكيافيلى فى خطبه ورسائله التى تلت كتابه « الأمير » ، ويستخلص من المقارنة أن مكيافيلى قد عدل فى أواخر حياته كثيراً من آرائه ، وأنه كتب الأمير فى وقت نقمة ويأس ، وأن هذه الروح أملت عليه كثيراً من الآراء المتطرفة التى عدلها فيما بعد

# العالم المسرحي والسينمائي

## آراء فنانين ارلنديين في الممثل والمخرج المصري

لناقد « الرسالة » الفني

« أوه يا صديقي ! إنني سعيد حقاً إذ أقضي ليلة في مصر أشهد فيها الممثلين المصريين يقومون بتمثيل رواية معروفة كان من حظي أن أقرأها وأن أشهد تمثيلها قبل ذلك في باريس في الهواء الطلق . »

هذا ما نطق به المستر هيلتن ادواردز مخرج فرقة « دبلن جيت » الأرلندية التي عملت على مسرح الأوبرا الملكية خلال شهر مارس الماضي بعد أن صافحني في فترة الاستراحة الأخيرة من رواية السيد التي أخرجتها الفرقة القومية المصرية في الأسبوع الماضي . ولقد بادرته بالسؤال : « وما رأيك في تمثيل المصريين ؟ »

فأجاب بحرارة « اسمح لي يا صديقي أن أقول لك إن المصريين يتمتعون بميزة طيبة ، هي جمال الصوت ، وإنه ليخيل إلى أن اللغة العربية من أصلح اللغات للمسرح . إني أطرب لها ؛ ولكم وددت لو أعرف العربية حتى يكون استمتاعي بالتمثيل أكثر منه الساعة »

« إن بين الأفراد الذين يعملون أمامي مجموعة قوية ، مما يدل على أن في المصريين استعداداً قوياً للتمثيل ، فلقد علمت أن ليس في مصر معهداً للتمثيل ، بل إن نبوغ هؤلاء الأفراد نتيجة جهد شخصي ، واستعداد فطري ، وهذا فخر كبير لهم . ولقد قرأت هذه الرواية وشهدتها قبل ذلك تمثل ، ولكن لم أدرسها ومع ذلك أستطيع أن أقول إني مرتاح جداً إلى قدرة الممثلين المصريين »

قلت : هل لك أن تدلي برأيك في أداء الممثلين الذين يعملون أمامك الآن ، وعن ملاحظاتك ؟ إنهم يرحبون بكل ملاحظة تبديها وكذلك قرائي يودون أن يعرفوا رأيك

فابتسم المستر ادواردز وقال : « قلت لك إنني لا أعرف العربية فحكمي لن يكون صادقاً . على أنني أستطيع أن أقول إنني كثير الاعجاب بالسيدة التي تقوم بدور شيمين حبيبة السيد ( زينب صدقي ) إنها ممثلة قديرة ويبدو لي أنها تفهم دورها تمام الفهم ، وهي تجيد مواقف الكبرياء ، وأرجو أن تبلغها إعجابي »

« وإنني كذلك معجب بالملك ( منسى فهمي ) وأعتقد أنه ممثل قدير ، وكذلك أنا معجب بالسيد ( حسين رياض ) ، ومع جهلي باللغة العربية أحس أنه يجيد الالقاء ، وأنا مرتاح الى تمثيله . والدون جوميز ( زكي رستم ) أدى دوره الذي يحتاج الى الصلف والكبرياء أحسن أداء ، وهو يليق لهذه الشخصية »

قلت وما رأيك في السيدة التي تمثل دور ابنة الملك ( عزيزه أمير ) ؟ فأجاب « إنها لا تليق لهذا الدور ، وإنها تبدو في مستوى أقل كثيرا من مستوى الممثلة التي قامت به في باريس حتى ليخيل إلى أنها لم تفهم دورها »

ثم سألته عن رأيه في الاخراج فأجاب « هل من الضروري أن أجيب عن هذا السؤال ؟ » فقلت أجل ، إنه يهمنا كثيراً أن نعرف رأيك .. إن إخراجك قد حاز إعجاب جميع رجال الفن والأدباء من المصريين ، وإن من دواعي السرور أن تفصح لنا عن رأيك

أطرق المستر ادواردز قليلا ثم رفع وجهه وقال : « لقد حدثتك من قبل عن رأيي في طريقة الاخراج التي أفضلها . لقد جعلت السينما أي جهد في اخراج الروايات بطريقة نقل الطبيعة ومحاكاتها Realism عبثاً ، لأن مجال المسرح محدود ؛ والأمر على العكس من ذلك في السينما ، ولهذا وجب علينا ألا نعنى بالأشياء الحقيرة والتفاصيل المادية The Vulgarity of Detail فهي مجال السينما ، ولهذا فأنا غير مرتاح الى اتباع طريقة الريالزم ؛ وأفضل الطريقة الايحائية Suggestive لأنها تجعل رواد المسرح يشتركون

مع الممثل والمخرج فى نجاح الرواية والاهتمام بحوادثها . بدل أن تعرض عليهم عرضاً سهلا يبعث النوم الى جفونهم ، ولذلك لم يعجبنى اخراج هذه الرواية »

« إن المسرح الحديث يعتمد أكثر ما يعتمد على الاضاءة ؛ ولقد رأيت كيف عاونتنى فى اخراج هملت ، وروميو وجوليت وغيرها ، ولكنى أرى مخرجكم (زكى طليمات) لم يقصد من الاضاءة إلا أن يكشف المناظر والممثلين للنظارة ، ولم يستخدم الاضاءة فى غرض أو فكرة خاصة ، واستخدامه للضوء يظهر فى موقف واحد فقط بين السيد وحبيبته »

« وقد يكون استعمال المناظر المتعددة والستائر الكثيرة مما يلجأ اليه المخرجون الفرنسيون ، ولكنى أرى أن ما يصلح لفرنسا يجب ألا يفرض على مصر أو غيرها ، بل يجب على المخرج أن تكون له شخصية تبرز فى اخراجه وتعبر عن نفسيته ، وتكون رجع الصدى للبيئة والقومية التى هو منها ؟ ويبدو لى جلياً أن مخرج هذه الرواية لم يهتم بدراستها دراسة اخراج »

***

وكان أول ما صرح به المستر ميكائيل ماك ليمور الممثل الأول لفرقة « ديلن جيت » وواضع تصميم مناظر الروايات ، إعجابه بتمثيل شخصية الملك (منسى فهمى) فهو فى رأيه ممثل قدير ، وقد أبدى إعجابه أيضاً بالسيدة زينب صدقى فى دور شيمين ، وهو يتفق مع زميله فى أن للمصريين صوتاً جميلاً وأن طريقتهم فى الالقاء الشعرى بديعة

وقد سألته عن رأيه فى الاخراج فأجاب « إن هذا اختصاص زميلى المستر ادواردز فهو يستطيع أن يحدثك عنه حديثاً طيباً ، ولكن أقول لك انه يجب على الفرقة أن تعنى باختيار المناظر وعملها فتضع تصميما لكل منظر تختاره بحيث تسود المناظر روح واحدة وطريقة واحدة . وانتهاج مثل هذا السبيل يعاون المخرج والممثلين على الوصول إلى غور نفوس النظارة . »

« إن فرقتنا قبل أن تخرج أى رواية تعهد بها إلىّ وإلى المستر ادواردز فنقوم بدراستها ونضع الفكرة الاساسية التى سيقوم عليها الاخراج وبعدئذ أفكر فى وضع تصميم مناظرها » ولو لجأت الفرقة المصرية إلى هذه الطريقة لما رأينا أسلوب تصوير منظر Style يختلف عن أسلوب المنظر الآخر

# فن السينما

## بقلم يوسف تادرس وظريف زكى

### مقدمة

لا حاجة بنا إلى التنويه بانتشار فن السينما حتى طغى على المسرح ، ولا بانشغال الناس به ، من نظارة يقبلون على ارتياد دوره ، إلى ممثلين يعرضون أنفسهم للظهور على شاشته البيضاء ، إلى أدباء ينشئون له القصص والروايات

ذلك على حين أن فن السينما لا يزال فى مهده لم يشتد عوده ، وأن قواعده لم تخرج إلا بقدر من طور مجرد الاحساس بماهيتها إلى طور الاستقرار والتحديد

على أن ذلك القليل من قواعده الذى استقر وتحدد ، لا يزال جمهور النظارة يجهله كل الجهل ، ولا يزال الأدباء بعيدين عن درسه وهضمه . ولو عرفه الجمهور ولو بعض المعرفة لزاد استمتاعه بمشاهدة آثاره ، ولو درسه الأدباء وهضموه لأفادوا منه الغنى ونباهة الذكر

ونحن إذ نكتب هذا الكلام تمثل أمام أعيننا المشاق التى لابد أن تكابدها الآن شركة مصر للسينما فى مراجعة الروايات التى قدمت إليها فى المباراة التى عقدتها ، ونتصور الجهد الجهيد الذى يبذله رجالها فى درس تلك الروايات وتنسيقها واعدادها

لذلك وطدنا النفس وعولنا على بيان قواعد فن السينما والتعليق عليها بالشرح والتمثيل على صفحات « الرسالة » الغراء . متوخين الوضوح قبل كل شيء ، نابذين المعقد الجاف من اصطلاحاتها ، ساعين وراء فائدة أوفر عدد من الجمهور

وقد وقع اختيارنا على كتاب « ف . ا . بودوفكين » عن حرفية الفلم واتخذناه نبراساً نهتدى به فى بحثنا ، وكنزاً نغترف منه ونجود به على غيرنا

### بودوفكين

وإذا اخترنا كتاب بودوفكين ، فلأنه — على وضوح معناه وسهولة عباراته — قد فتح به فتحاً هز أرجاء القارتين الأوربية والأمريكية ، ولا غرو فقد تضافرت جميع العوامل لتنصيب بودوفكين متشرعاً للفن السينمائى




## الخطرات

كتاب فى الأدب والأخلاق والاجتماع

تأليف السيدة وداد سكاكينى

السيدة وداد سكاكينى مربية سورية لها فى ميدان الأدب والاصلاح الاجتماعى جولات موفقة ، وهذه الخطرات التى خطرت لها فى مرافق المجتمع العربى عامة والسورى خاصة لا ريب تشهد أنها شاعرة متألمة لا تملك غير قلمها وسيلة لاظهار ما تشعر به ، وهذا القلم يبدو من خلال هـذه الخطرات بليغاً صريحاً حكيماً عزيزاً ، ومن بين الموضوعات الكثيرة التى حفلت بها هـذه الخطرات ( الفن القصصى ) وفيه تبين الكاتبة مقدار اهتمام الغربيين بذلك النوع من الأدب ، وتعيب على القصة المعربة أنها لا تتمشى مع تقاليدنا ، ولا تصف طرق معايشنا ، ولا تتناسب مع أخلاقنا ؛ وتهيب بأدباء العربية أن يكتبوا عن بيئاتهم قصصاً يحللون فيها ما يعتور ظواهر الاجتماع من التطور والانقلاب

وتفرغ الكاتبة عواطفها فى مقال جميل عن ذكرى النبى الكريم ، تنوه فيه بجهوده كنبى وشارع ومثل أعلى لمكارم الخلق ؛ وهى ترى أن ما اعتاده المسلمون من الاحتفال بذكرى مولده بقراءة القصة المعهودة لا يفى بالغاية من الاحتفال والتكريم ، بل يجب أن يعنى بتلاوة سيرة من طراز يناسب العصر الحديث ، توصف فيها الأخلاق المحمدية والتعاليم الاسلامية وما أحدثته من الانقلاب الخطير فى تاريخ الانسانية

أما إصلاح المرأة فترجعه الكاتبة إلى أحوال المدرسة ، فهى تصرح بأن الفوضى فى مناهج الدراسة تجعل المدرسة عاجزة عن بث روح النشاط والهمة والتهذيب والثقافة فى نفوس النشء ، بل تجعل التلميذات « يدخلنها صباحاً بقلوب واجفة وأقدام تصطك خوفاً ورعباً ، ويخرجن منها مساء كالعصافير وجدت بعد طول الأسر حريتها المسلوبة » هـذا ما تقوله فى وصف المدرسة ، ولعلها بهذه الصراحة قد وفقت إلى لفت أنظار القائمين بشؤون التعليم إلى أن الاتجاهات الحديثة فى التربية تعنى قبل كل شىء بأن تكون المدرسة مكاناً يحبه التلاميذ ويجدون فيه مجالاً فسيحاً لارضاء غرائزهم وإظهار مواهبهم وتنظيم رغباتهم فى جو يسوده المرح والاطمئنان

وهكذا وبمثل هذه الروح الطيبة تعالج الكاتبة كثيراً من الموضوعات التى أهمها الأدب العربى ، والتجديد فى الشرق ، والجرأة الأدبية ، وشاعرية الخنساء . ونحن نهنىء الكاتبة الفاضلة بذلك الجهد الموفق ، ونرجو أن يستجيب المصلحون إلى ذلك النداء الصادق البرىء

عبد الفتاح السرنجاوى

---

فانه ولد ويعيش فى روسيا ، وكانت روسيا ولا سيما فى السنين الأولى التى تلت الثورة السوفيتية ، محرومة من الاتصال بالعالم المتمدن ؛ وكانت فقيرة فى المواد الأولية التى تغذى بها الصحف والمجلات السينمائية ، فانكب رجال الفن هناك على البحث النظرى وعلى التجارب ، فأتوا فى هذين الميدانين بالمعجب العجاب

وبودوفكين يجرى فى عروقه الدم الروسى ، ممتزجاً بالدم التترى ، فكأننا به قد جمع إلى المزاج السلافى الذى يغنى فى الفن الخالص ، ذلك الجموح وتلك الجرأة اللذين قد وسم بهما الجنس التترى

وهو متزوج من ممثلة سينمائية ، سعيد فى حياته ، مستريح البال مطمئن الخاطر . يستنشق فى منزله نسيم الفن الذى جعل حياته له . ناهيك من عقل جبار ، واحساس مرهف ، وقدرة على تبسـيط العلوم الجافة مما لا يجتمع إلا للأفذاذ أمثال بودوفكين وقليل ما هم (يتبع)

# القياس فى اللغة العربية *

للأستاذ محمد الخضر حسين
عضو مجمع اللغة العربية الملكى
للأديب سيد أحمد صقر

القياس فن واسع الأطراف ، متشعب المسالك ، يمت الى كل باب من أبواب اللغة بصلة ، ويكاد يجرى ذكره عند كل مسألة ، ولولاه لضاقت الفصحى على أبنائها ، وقعدت بهم عن مسايرة ركب الحياة . لم يؤلف فيه — على ما أعلم — غير هذا الكتاب . وسبب تأليفه أن مؤلفه البحاثة الأستاذ محمد الخضر حسين كان يمر أثناء دراسته لعلوم العربية على أحكام تختلف فيها آراء العلماء فيقصرها بعضهم على السماع ، ويراها آخرون من مواطن القياس ، وقد يحكى بعضهم المذهبين دون أن يذكر الأصول التى قام عليها ذلك الاختلاف . فرأى فضيلته أن التمسك بمثل هذه الأقوال من التابعة التى لا ترتاح إليها نفس العالم الحر — ولاسيما أن الكتب التى اعتمد عليها أصحاب هذه الأقوال قد أصبحت فى متناول أيدينا — فأخذ يوجه نظره الثاقب الى الأصول العالية التى يراعونها فى أحكام القياس والسماع حتى ظفر بقواعد صريحة أضاف اليها غيرها مما استنبطه أو ابتدعه فكان من ذلك (كتاب القياس) . شرح الأستاذ فى هذا الكتاب حقيقة القياس ، وفصل شروطه ، وجمع أصوله وضم أشتاتها ، وأبرزها فى ثوب قشيب ، سهلة القطاف للراغبين ، وقدم له بمقدمة رائعة فى فضل اللغة العربية ونشأتها ومسايرتها للعلوم المدنية ، وحاجتها الى المجتمع ، وتأثيرها فى الفكر ، وتأثير الفكر فيها ، الى غير ذلك من الأبحاث الموجزة الشائقة ، ثم تكلم عن القياس ووجه الحاجة اليه ، وذكر أقسامه وخص منها بالبحث اقياس الأصلى وقياس التمثيل ، وتكلم عن الأمور المشتركة بينهما كالقياس فى الاتصال ، والترتيب والحذف والفصل إلى آخر تلك المباحث التى طبق فيها المؤلف مفاصل السداد ، وأصاب شوا كل المراد ، ودل بها على تبحره فى علوم اللغة ، وتمكنه من ناصيتها . بيد أنى كنت أحب أن يطلق الأستاذ ليراعته العنان ، ويبسط القول بعض البسط ، ويكثر من المثل والشواهد لتكون الفائدة بكتابه أعم وأعظم . وإن كان للأستاذ العذر فيما ذهب اليه من الايجاز

السيد أحمد صقر

* هذا الكتاب مطبوع فى المطبعة السلفية ويقع فى ١١٥ صفحة من القطع المتوسط وثمنه أربعة قروش

# سلسلة القصص التهذيبية

عنى الأستاذ أحمد فؤاد الصحن بوضع هذه القصص التهذيبية وأخرج منها حلقتين : الأولى (قصة البخيل) ، والثانية (قصة الصياد الصغير والسلحفاة) ، وفى ختام الحلقة الثانيـة قصة قصيرة وحكاية مصورة وبعض مشاهدات فى مبادئ الطبيعة ومسائل حسابية ومسابقة لطيفة للأطفال ، وهذه كلها قصد بها الأستاذ تسلية الأطفال وتزويدهم بطائفة من المعلومات العامة فى قالب سهل ؛ والكتابة للأطفال لا ريب تحتاج إلى جهد عظيم وعناية فائقة ، ثم هى تقيد الكاتب بكثير من القيود ، ولعل هذا هو السر فى أن الأطفال فى مصر ظلوا طويلا محرومين من الكتب التى تناسب مداركهم . وليس من شك فى أن الأستاذ بكتابة هذه الحكايات قد أضاف إلى مكتبة الأطفال آثاراً لها قيمتها فى تهذيبهم وتثقيفهم وتوسيع مداركهم وتقوية الخيال فيهم . ورجاؤنا أن يعنى الأستاذ فى الحلقات القادمة بالاكثار من الصور وجعلها أكثر وضوحاً وأقرب إلى النوع الذى يحاول الأطفال أن يرسموه بأيديهم ، فان ذلك له أثره فى تقريب الحكايات وجعلها جيلة سائغة

# تاريخ الكشف فى مصر والعالم

وضع هذه الرسالة الصغيرة الأديب مصطفى أفندى محمد حسين الرفيق الأكبر لرهط جوالة مدرسة بورسعيد الثانوية ، وقد بدأها بترجمة موجزة لحياة (بادن باول) الكشاف الأعظم ، ثم تناول الكلام عن تاريخ الكشف مستعرضاً الأنظمة الشبيهة به فى التاريخ القديم ، فهو يصف فى ايجاز شديد النظام الأسبرطى ، ثم ينتقل إلى القرون الوسطى ، فيصف الفروسية عند العرب والأوربيين ؛ ثم يجاوز هذا إلى حركة الكشف الجغرافى فى بداية التاريخ الحديث ، ويوازن بين أنظمة الكشف القديمة والحديثة ، وأخيراً يعرض للكشافة فى مصر ، وينقـد الفرق الأهلية والكشافات المدرسية ؛ ويختم رسالته بفصل عن المعسكرات الكشفية العالية ؛ وبرغم ما فى هذه الرسالة من الأخطاء اللغوية الكثيرة فانها جهد يشكر عليه صاحبه

(ع)

4me Année, No. 150.

Lundi - 18 - 5 - 1936

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مص

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات

٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة

تليفون ٤٣٠١٣

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع المبدولي رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٥٠ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٧ صفر سنة ١٣٥٥ — ١٨ مايو سنة ١٩٣٦» السنة الرابعة

فهرس العـــــدد



# النقـــد المزيف

كاد الأدباء الناشئون في مصر وفي غير مصر ينصرفون عن الانشاء إلى النقد . وأريد بالنقد هنا معناه العامي أو مدلوله الأعم ؛ فان النقد المنطق بمعناه الأخص إنما هو ملكة فنية أصيلة ، وتربية أدبية طويلة ، وثقافة علمية شاملة . والناقد بهذا الاعتبار يشارك المشترع في صدق التميز ، والفيلسوف في دقة الملاحظة ، والقاضي في قوة الحكم . ومن ثم كان نوابغ النقد في العالم أندر من نوابغ الشعر والكتابة . وهذا الذي تقرأه في الصحف العربية من حين إلى حين لا يدخل في هـذا الباب إلا كما يدخل المجون في نطاق الجد ، أو العبث في سياق المنطق ؛ كالرجل يقعد به العجز عن اللحاق بالقادرين ، فيقف نفسه موقف القائد الحصيف ، يلمز هذا ، ويتنادر على ذاك ، ويزعم أنه وحده المسيطر على ثمرات الذهن ، فيحكم بذوقه الخاص على هذه بالقبح ، وعلى تلك بالفجاجة ؛ وأمره كله لا يخرج عن مألوف الطباع الساخرة الفكهة : تصور الحق بلون الباطل لتُضحك ، وتبرز الجميل في مظهر القبيح لتُسيء . وعيب الناس طبيعة في بعض الناس ، لا يكلفهم إلا تحريك اللسان إذا لقوا سامعاً ، أو تحرير القلم إذا وجدوا صحيفة

هـذا طالب فى ثانويات القاهرة على خطة فى الكتابة عى الجامعة ؛ وذاك معلم فى ابتدائيات بيروت يلقى درساً فى الصحافة على القاهرة ؛ وذلك صحفى فى مطارح الهجرة يقضى بالموت على الأدب العربى كله !

علام اعتمدت يا بنى فى إنشاء خطتك ؟ وإلام رجعت يا أخى فى إعداد درسك ؟ وم اتخذت يا زميلى أسباب حكمك ؟ وهل تظفر من هؤلاء بجواب ما دمت فى الزمن الذى ترى فيه الناظم ينظم ولا يعلم العروض ، والكاتب يكتب ولا يدرس النحو ، والمجادل يجادل ولا يفقه الأصول ؟ إنها فوضى تتولد فى عصور الانتقال وتفشو فى ابتداء اليقظة ، حين لا يسكن أمر إلى قرار ، ولا يطمئن نظام على وجه ، ولا يخلص رأى من حيرة ، ولا يصدر حكم عن اختصاص !

***

إن هـذا الضرب من النقد إما أن ينبعث من مكامن الحقد فيرمى إلى التجريح ، وإما أن ينطلق من مواضع الغرور فيسعى إلى الهدم . كان منذ قريب يعمد إلى الكتاب القيم فى الفلسفة أو التاريخ أو القانون قد ألفه مؤلفه من دمه وعصبه وعقله وعمره وماله ، فيقف منه موقف الحاسد الأحمق ينقد فى بعض صفحاته فعلا تعدى بغير حرفه ، أو اسماً جمع على غير قياسه ، وقد يكون لكل منهما وجه ، ثم يحكم على الكتاب كله بأنه سخيف لا يقرأ ، وضعيف لا يعيش ! . ثم أصبح اليوم يعرض للموضوع فيقول : هذا قديم لأنه يدور على بحث فى تاريخ الشرق ، أو على معنى من معانى الدين ، أو على أثر من آثار البلاغة ؛ وهذا جـديد لأنه يقوم على حادثة من حوادث الغرب ، أو على رجـل من رجال الأكاديمية ، أو على غانية من غوانى المسرح ؛ هـذا مقلد لأن أسلوبه شريف ممتنع ، وهذا مجدد لأن أسلوبه مبتذل ممكن ! ثم تعصف بأقلامهم اللينة نخوة الحفاظ وحماسة الفتوة فيصيحون :

أميتوا أدب العاطفة وأحيوا أدب القوة !

أبيدوا أدب الخاصة وأوجدوا أدب الشعب !

ابنذوا أدب المقالة والزموا أدب القصة !

صيحة قرارها حق ومقامها باطل ! فان إجماع الناس واقع على أن خلو الأدب الحديث من أدب القوة وأدب الشعب وأدب القصة خلل لا بد أن يسد ، ونقص لا بد أن يكمل ؛ ولكن من الذى يقول ويعنى مايقول : إن وجود هذه الأنواع يقتضى عدم الأخرى ؟ إن لكل فن من الأدب طبقة من الناس تتذوقه ، فاذا منعتها إياه طلبته . والناقص لا يكمل برفع نقص ووضع نقص ؛ والبناء لا يتم بهدم ركن وإقامة ركن

أرأيتك[1] إذا كان الأدب كله قوياً يخشن الصدور ، وحماسياً يؤرث الحفائظ ، أفما كنت تقول : أين الأدب الذى يصور ألوان الحياة المريرة ، ويترجم أشجان القلوب الكبيرة ، ويرقق حواشى الأنفس الجافية ؟

أرأيتك إذا كان الأدب كله شعبياً يعبر بألسنة السوقة ، وينقل عن عواطف العامة ، أفما كنت تقول : أين الأدب الذى يرضى أذواق الخاصة فيجمع بين سمو الفكرة ونبل العاطفة وقوة الأسلوب فى صورة من الفن الرفيع تسمو بالنفوس إلى المثل الأعلى ، وتغمر الشعور بالجمال الخالد ؟

الأدب صورة النفس فلا بد أن ترتسم فيـه مشاعر الفرد ؛ والأدب مرآة الحيـاة فلا بد أن تنعكس فيه ألوان المجتمع ؛ وما دام فى الناس الحساس والبليد ، والخوار والجليد ؛ وفى الدنيا التفاوت الذى يوجد التمايز ، والألم الذى يفجر الدموع ، واللذة التى تبعث المسرة ، والمدنية التى تخلق التنوع ، فلا بد أن يكون الأدب الصحيح صدى لكل ذلك

ليست وظيفة النقد أن يهدم أو يبنى أو يشـترع . تلك وظيفة الطبيعة التى تطور كل شىء ، وتغير كل نظام ، وتسد كل عوز ، وفق قانون ثابت . انما وظيفة الناقد أن ينظم الوجود وينبه الأذهان إلى الفاقد . أمـا أن يحاول تغيير الطباع بقانون ، وقلب الأوضاع بمقالة ، ومحو الثابت بنكتة ، فذلك عبث لا يخلق بكرامة إنسان ، وتهريج لا يذكر بضمير فنـان !

***

أما بعد فلعل فى هذا الاجمال يا صديقى ( نجيب ) بعض الجواب عن مقالك ( فوضى النقد ) ، ولعلك تكتفى منى بذكره عن نشره ؛ فانك سميت أشخاصاً وعينت كتباً وحددت حوادث ، وفى بعض ما قلت مشابه مما يقول هؤلاء . ومن خلق الرسالة كما تعلم أن تكتفى بالتلميح وتتأبى عن التجريح وتعوذ بنطنة قرائهـا من شر ذلك :

احمد حسن الزيات

(١) أرأيتك اسم فعل بمعنى أخبرنى

# إنســــان ناجح

للأستاذ أحمد أمين

صخرى الوجه ، صُلب الجبين ، لم يعرف يوماً حمرة الخجل ، ولا برقع الحياء ، لا يتوق شيئاً ، ولا يبالى ما يقول

إن كان لكل الناس وجه ولون ولسان ، فلهذا المخلوق أوجه وألسنة وألوان

هو صديقك وعدوك حسب الظروف الخارجية : لا حسب ما يصدر منك ، وهو مادحك وذامك حسب ما يدور فى المجلس ، لا حسب رأيه ، وهو عابس لك يوماً باسم يوماً حسب ما يقدر هو أنه فى مصلحته ، لا حسب ما تستحق أنت منه

له حاسة زائدة عن حواس الناس الخمس هى سر نجاحه ، ولهذه الحاسة خصائص : فهو يدرك بها أى نوع من الوزارات ستتولى الحكم ليحول نفسه على وفقها ، وليتجهم لاعدائها ، ويتقرب من أحبابها ؛ ويشم بها مواطن المال فى كل طرق ، ويرى بها من يجلب له النفع ، ويؤقلم وفق ذلك نفسه ، فيتشكل بأشكال فى منتهى الظرف والطلاوة ، فاذا عدوه اللدود بالأمس صديقه الحميم اليوم

ويعرف بها — فى مهارة عجيبة — موضع الضعف من كل انسان يهمه ، فان كان يعبد النساء حدثه أعذب الحديث فى النساء والجمال وحسن الشكل ، وبدع المحاسن ، وجمال اللامح ، واستعرض نساء البلد ونساء الفرنج ، وأية حوراء العينين ، كحلاء الجفون ، ساجية الطرف ؛ فاترة اللحظ ، وأية أسيلة الخد ، ممشوقة القد ، وأية بيضاء اللون ، شقراء الشعر ، زرقاء العين . وأية سوداء العين ، سمراء اللون سوداء الشعر . وأية ممتلئة البدن ، ضخمة الخلق ، شبعى الوشاح ، وأية دقيقة الشبح نحيلة الظل مرهفة الجسم ، وتفنن فى ذلك ما شاء أن يتفنن حتى علك لبه ، ويستعبد عقله ، فاذا هو طوع بنانه ومستودع أسراره

وإن كان سكيراً حدثه الحديث الممتع فى الشرب والشراب ، والكؤوس والأكواب وآداب النديم ، وروى له أحسن الشعر فى الخمر وحدثه عما يمزج وما لا يمزج ، وخير الخمور ومواردها وتواريخها وما يلذ صبوحا وما يلذ غبوقا — وتعرف ما يستحسنه صاحبه فأفرط فى مدحه وادعى الاعجاب به ، وأنه لا يفضل عليه غيره ، وأن ذوقه من ذوقه وشرابه من شرابه ومزاجه من مزاجه ، وأسكره من حديثه كما أسكره من كأسه ، فاذا هما صديقان وثقت بينهما الكاس والطاس

وان كان شرها فى المال حدثه عن الضياع ومحاسن الأراضى وكيفية استغلالها ، والعمارات وجباياتها ، ووازن بين أنواع العقار وكم فى المائة يمكن أن تغل ، وأعانه فى مشاكله وبذل له كل أنواع معونته ، فوجد فيه صديقه النافع وخليله الوافى

وهدته حاسته هذه أن يعمد إلى عدد من الرؤوس الكبار ذوى النفوذ فينصب لهم حبالته ، ويوقعهم فى شبكته ، بما يبذر من حب ذى أشكال وألوان ، فاذا تم له ذلك خضع له الصغار من تلقاء أنفسهم وطوع ارادتهم ، وضرب لهم مثلاً بقضاء حوائج لبعضهم ما كانت تقضى من غيره ، فهو مقصد جميعهم ومحط آمالهم وموضع الرجاء منهم ، يعملون كلهم فى خدمته على أمل أن ينالوا شيئاً من جاهه ، فاذا هو سيد على الصغار والكبار ، وإذا هو عظيم حيث كان ، يقابل بالاجلال والاعظام ، ويعلق من أتباعه وإخوانه ، ويحسب حسابه فى دائرته وأوسع من دائرته

الى جانب هذه الحقائق القليلة قدر كبير من التهويش ، فهو يزعم أنه فى كل ليلة جليس الكبراء والوزراء ، كم يتغزلون فيه ويطلبون القرب منه وهو يتأبى عليهم ، ويبتعد عنهم ، وهو لو شاء لكفت إشارة منه لأن يرفع من شاء فى أعلى عليين ، ويخفض من شاء الى أسفل سافلين — الوزارات فى يده ، ومصالح الحكومة فى أصبعه — والانجليز يخشون بأسه ، والفرنسيون يقضون مصالحهم على يده — وبريده كل يوم من خارج القطر ينوء السعاة بحمله ، ثم لا أدرى كيف اتصل بالجرائد فهى تشيد دائماً بذكره ، فاذا تحرك حركة أعلنتها على الناس كما تذاع حركات الملوك ، فهو مسافر الى الأسكندرية ، وقادم من الاسكندرية ، ومبحر الى أوربا ، ومتنقل فى عواصم البلدان ، وعائد الى مصر بعد أن رفع شأنها ، وأعلى مكانها ، حتى لم يبق إلا أن تخبرنا ماذا أفطر ، وكيف أفطر ، وفى أى ساعة تناول غداءه ، وماذا كانت

أصنافه ، وهل غفا قليلا بعد الغداء أو تحدث قليلا الى زوجه وأولاده

وهو يستغل هذا كله فى قضاء مصالحه ، فطلباته ناجزة نافذة ، والمستحيل لغيره جائز له ، والأموال تكال له كيلا ، والهدايا تنهال عليه انهيالا ، وهو مع كل ذلك لا يشبع ، كلما نال مطلبا تفتحت له مطالب ، فهو فى طلب دائم ، ومن يسدم الأمور فى إجابة دائمة ، حتى ليوشك — إذا لم يتعود الرفض — أن يطلب النجوم تزين غرفته ، والسحاب يمطر فى الصيف حديقته ، والحر والبرد يتأدبان فى حضرته ، والشمس تكسف لطلعته

ومن غريب أمر الناس فيه أنهم يكرهونه من أعماق نفوسهم ، ويمقتونه من صميم قلوبهم ، ويرون فيه السخافة مركزة ، واللؤم مجمعاً ، فاذا لقوه فترحيب وتهليل ، واعظام وملق ، يبسطون ألسنتهم فيه بالسوء غائبا ، ويطنبون فى مدحه حاضرا ، فهو معذور إذ يشعر أن الناس مجمعة على حبه ، حتى ليخشى عليهم أن يموتوا به غراما أو يجنوا به هياما ، شهدته مرة وقد أتى عملا شنيعا حتى كان مضغة الأفواه ومعرة القوم ، وظننت الناس إن رأوه ازدروه — على الأقل — بعيونهم ، وكلوه ببعض شفاههم ، واستهانوا بمقدمه ، وأقل ما يفعلونه ألا يحفلوا به ، ولا يأبهوا بمقدمه ، فما كان أشد عجبى أن رأيتهم — إذ حضر — قد انتفضوا من أماكنهم ، وأفسحوا له مجالسهم ، وأجلوا شأنه ، وأعظموا قدره ورفعوا منزلته فوق من يقدرون فضله ويجلون خلقه

فهو — حتى فى هذا — ينتفع بأعظامهم وإجلالهم ، ولا يضيره كرههم الذى لا يعدو قلوبهم — فكرههم لأنفسهم ، وإعظامهم له ، وماذا يضيره كره محتقن وخير منه حب مصطنع ، وماذا يضيره سب صادق فى إسرار ، وخير منه مدح كاذب فى إعلان ؟ لا شك أنه فى كل ذلك ناجح حتى فى الكره والذم

***

قال صاحبى : وهل تعد ذلك نجاحا ؟ لو كان النجاح بقضاء المصالح والأغراض والحصول على المال فحسب ، لعددنا السارق يجيد السرقة ويفلت من العقوبة ناجحاً ، ولعددنا الذى يتاجر بشرفه وعرضه ناجحاً ، ولكان أنجح الناس من حصل على المال من أقرب الوجوه ولو كان من أخسها — إن هذا الذى ذكرت قد كسب المال وخسر الشرف ، حييت مطامعه ومات ضميره ، وخدم من يظنهم كبراء أو عظاء بضعة نفسه وموت حسه ، بأى مقياس أخلاق قسته لم تجده شيئاً ، إن قسته بمقياس الفضيلة البانة الحاسمة لم تجده فاضلاً ، وإن قسته بمقياس السعادة لم تجده سعيداً ، إنه يتمتع ويأكل كما تأكل الأنعام ، فان كان الحمار أو الخنزير سعيداً فهذا سعيد ، وأين منه لذة ذى الضمير الحى ينعم بعواقب الشرف والنبل ، ويلذها لذة لا تعدلها ما ذكرت من مال وجاه ؛ إن الرجل الفاضل سعيد حتى فى آلامه لأنها آلام لذيذة خصبة ، هى كالنار تنضج النفس ولا تحرقها ، أما لذة صاحبك فسم فى دسم ، ونار تحرق ولا تنضج — وبعد قليل من حياته يفقد حتى لذة المال والجاه ، وتصبح لذتهما كلذة من يتناول الحلوى صباح مساء تتهوّع نفسه وتتقبض شهيته — فان اللذة الباقية الدائمة هى لذة الروح لا الجسم ، ومن عجيب أمر الروح أن لذتها لذة صافية ، وألمها ألم مشوب بلذة ، ثم لذة هذا المخلوق لذة مشروطة بشروط ، فهو يعتقد أن لذته مرتبطة ببقاء صاحبه فى الوزارة ، وصديقه فى الوكالة ، وحميه فى منصبه ، لأن قيمته مستمدة منهم وليست مستمدة من نفسه ، إذ ليست له قيمة ذاتية ، ونجاح مثل هذا فى أمة عنوان فشلها وسوء تقديرها ، وضعف الرأى العام فيها — وهو مثل سيء يشجع البذور السيئة على النماء والبذور الصالحة على الخفاء — قد يكون هذا المثل فى كل أمة ، ولكنه فى الأمة الصالحة نادر ، ويحتاج فى نجاحه إلى كثير من الطلاء حتى يخدع الناس ويوهمهم بصلاحه . أما أن يجرؤ ويظهر بمظهره الحقيقى ثم ينجح فذلك فساد الأمة وسبة الدهر

قلت : ربما كان ما تقول صحيحاً فدعنى أفكر

أحمد أمين

# العجوزان

## للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال محدّثي : التقى هذان الشيخان بعد فراق أربعين سنة ، وكانت مثابتهما [1] ذلك المكانَ القائم على شاطئ البحر في اسكندرية في جهة كذا . وهما صديقان كانا في صدر أيامهما - حين كانت لهما أيام ... — رَجُلَي حكومة يعملان في ديوان واحد ، وكانا في عيشهما أخَوَيْ جد وهزل وفضائل ورذائل ، يجتمعان دائماً اجتماع السؤال والجواب ، فلا تنقطع وسيلةُ أحدهما من الآخر ؛ وكأن بينهما في الحياة قرابة الابتسامة من الابتسامة ، والدمعة من الدمعة

ولبثا كذلك ما شاء الله ثم تبددا ، وأخذتهما الآفاقُ كدأب (الموظفين) ينتظمون وينتثرون ، ولا يزال أحدهم ترفعه أرض وتخفضه أخرى ؛ وكأن «الوظيف» من تفسير قوله تعالى : « وما تدري نفسٌ بأيّ أرض تموت »

وافترق الصديقان على مضض ، وكثيراً ما يكون أمر الحكومة بنقل بعض (موظفيها) — هو أمرها بتمزيق بعضهم من بعض ؛ ثم تصرّفت بهما الدنيا فذهبا على طرفي طريق لا يلتقيان ، وأصبح كلاهما من الآخر كيومه الذي مضى ، يُحفظ ولا يُرى

* * *

قال المحدّث : وكنت مع الأستاذ (م) ، وهو رجل في السبعين من عمره ، غير أنه يقول عن نفسه إنه شابٌ لم يبلغ من العمر إلا سبعين سنة ... وزعم أن في جسمه الناموسَ الأخضر الذي يحيي الشجرة حياة واحدةً إلى الآخر

رجل فارهٌ ، متأنق ، فاخر البزّة ، جميلُ السَّمْت ، فارعُ الشَّطاط [2] كالمصبوب في قالب لا عوج فيه ولا انحناء ، يجتمع كله لم يذهب منه شيء ، قد حفظته أساليبُ القوة التي يعانيها في رياضته اليومية . وهو منذ كان في آنِفَتِه وشبابه لا يمشي إلا مستأخر الصدر [1] ، مشدود الظهر ، مرتفع العنق ، مسنداً قفاه إلى طوقه ؛ وبذلك شب وشاب على استواء واحد ، وكلما سئل عن سر قامته وعوده لم يزد على قوله : إن هذا من عمل إسناد القفا [2] ....

وهو دائماً عَطِرٌ عبق ، ثم لا يمسُّ إلا عطراً واحداً لا يغيره ، يرى أن هذا الطيب يحفظ خيال الصبي ، وأنه يبقى للأيام رائحتها

وله فلسفة من حسّه لا من عقله ، ولفلسفته قواعد وأصول ثابتة لا تتغير ؛ ومن بعض قواعدها الزهر ، ومن بعضها الموسيقى ، ومن بعضها الصلاة أيضاً . وكل تلك هي عنده قواعد لحفظ الشباب . ومن فلسفته أن مبادئ الشباب وعاداته إذا هي لم تتغير اتصل الشبابُ فيها واطّرد في الروح ، فتكون من ذلك قوة تحرس قوة اللحم والدم ، وتمسك على الجسم حالته النفسية الأولى

وهو يزيد في حكمة الصلاة فكرةً رياضيةً عملية لم ينتبه إليها أحد ، هي رياضة البطن والأمعاء بالركوع والسجود والقيام ؛ ويقول إن ثروة الصلاة تُكنَز في صندوقين : أحدهما الروح لما بعد الموت ، والآخر البطن لما قبل الموت . ويرى أن الإسلام لم يفرض صلاة الصبح قبل الشمس إلا ليجعل الفجر ينصبُّ في الروح كل يوم

* * *

قال المحدّث : وبينما نحن جالسان مرّ بنا شيخٌ أعجفُ مهزولٌ موهونٌ في جسمه ، يدلُفُ متقاصرَ الخطو كأن حمل السنين على ظهره ، مُرْعَشٌ من الكِبَر ، مستقدمُ الصدر منحنٍ يتوكأ على عصا ، ويدل انحناؤه على أن عمره قد اعوجّ أيضاً . وهو يبدو في ضُعفه وهُزاله كأن ثيابه ملئت عظاماً لا انساناً ، وكأنها ما خيطت إلا لتمسك عظماً على عظم . . .

قال : فحملق اليه (م) ثم صاح : ريتا ، ريتا . فالتفت العجوز ، وما كاد يأخذنا بصره حتى انفتل الينا وأقبل ضاحكا يقول : أوه ريت ، ريت

ونهض (م) فاحتضنه وتلازما طويلا ، وجعل رأساهما

(1) أي المكان الذي اجتمعا فيه بعد التفرق (2) ممتد الطول

(1) يقال مستقدم الصدر للهرم المحني الظهر ، فأخذنا منها مستأخر الصدر ، وذلك بروزه حين يكون مشدودا ، فيكون أعلاه إلى الوراء

(2) هذه حقيقة رياضية ، وهنا أقوى الأثر في شد الجسم وانتصاب القامة إذا اعتادها الانسان . والمراد بالطوق البنيقة (الياقة)

بدوران ويتطوّحان ، وكلاهما يقبل صاحبه قبلاً ظامئة لا عهد لى بمثلها فى صديقين ، حتى لخيّل إلىّ أنهما لا يتعانقان ولا يتلاثمان ولكن بينهما فكرة يعتنقانها ويقبلانها معاً . . .

وقلت : ما هذا أيها العجوزان ؟

فضحك (م) وقال : هذا صديقى القديم (ن) تركته منذ أربعين سنة معجزةً من معجزات الشباب ، فها هو ذا معجزة أخرى من معجزات الهرم ، ولم يبق منه كاملاً إلا اسمه . . .

ثم التفت اليه وقال : كيف أنت يا رينا ؟

قال العجوز (ن) : لقد أصبحت كما ترى ؛ زاد العمر فى رجلىّ رجلاً من هذه العصا ، ورجع مصدرُ الحياة فىّ مصدراً للآلام والأوجاع ، ودخلت فى طبيعتى عادة رابعـــة من تعاطى الدواء

فضحك (م) وقال : قبح الله هذه الدخيلة ، فما هى العادات الثلاث الأصلية ؟

قال العجوز : هى الأكل والشربُ والنوم . . . ثم أنت يا ريت كيف تقرأ الصحف الآن ؟

قال (م) : أقرؤها كما يقرؤها الناس ، فما سؤالك عن هذا ؟ وهل تقرأ الصحف يوماً غير ما تقرأ فى يوم ؟

قال : آه ! إن أول شىء أقرأ فى الصحف أخبارُ الوَفَيات لأرى بقايا الدنيا ، ثم (اعلانات الأدوية) . . . ولكن كيف أنت ياريت ؟ إنى لأراك ما تزال من وراء أربعين سنةً فى ذلك العيش الرَّخىّ ، وأراك تحمل شيخوختك بقوة كأن الدهر لم يحزُمْك من هنا ولا من هنا ، وكأنه يلمسك بأصابعه لا بعسامِيره ؛ فهل أصبت معجزة من معجزات العلم الحديث ؟

قال : نعم .

قلت : ناشدتك الله ، أى معجزات العلم الحديث معجزةٌ لعظمى ؟

قال (م) : ويحك يا رينا . إنك على العهد لم تبرح كما كنتَ مزبلة أفكار . . . ماذا يصنع فيك العلم الحديث وأنت كما أرى بمنزلة بين العظم والخشب . . . ؟

***

قال المحدث : وضحكنا جميعاً ثم قلت للأستاذ (م) : ولكن ما (رينا وريت) وما هذه اللغة ؟ وفى أى معجم تفسيرُها ؟

قال : فتغامَزَ الشيخان ، ثم قال (م) : يا بنى هـذه لغة ماتت معانيها وبقيت ألفاظها ، فهى كتلك الألفاظ الأثرية الباقية من الجاهلية الأولى

قلت : ولكن الجاهلية الأولى لم تنقض إلا فيكما . . . ولا يزال كل شاب فى هذه الجاهلية الأولى ، وما أحسب (رينا ، وريت) فى لغتكما القـديمة إلا بمعنى (سوسو ، وزوزو) فى اللغة الجديدة ؟

فقال (م) : اسمع يا بنى . إن رجل سنة ١٩٣٥(1) متى سأل فىّ رجل سنة ١٨٩٥ : ما معنى رينا وريت ؟ فرد عليه : إن (رينا) معناها (كارينا) ؛ وكان (ن) بها صباً مغرماً ، وكان مُقْتَتَلاً قتله حبها . أما (ريت) فهو لا يعرف معناها

فامتعض العجوز (ن) وقال : سبحان الله ، اسمع يا بنى : إن رجل سنة ١٨٩٥ فى يقول لك : إن (ريت) معناها (مرغريت) وكانت الجوى الباطنَ ، وكانت اللوعةَ والحريق الذى لا ينطفىء فى قلب الأستاذ (م)

قلت : فأنتما أيها العجوزان من عشاق سنة ١٨٩٥ فكيف تريان الحب الآن ؟

قال العجوز (ن) : يا بنىّ إن أواخر العمر كالمنفى . . . ونحن نتكلم بالألفاظ التى تتكلم بها أنتَ وأنتما وأنتم . . . غير أن المعانى تختلف اختلافاً بعيداً

قلت : واضربْ لهم مثلاً

قال : واضرب لهم مثلاً كلمة (الأكل) فلها عنـدنا ثلاثة معان : الأكل ، وسوءُ الهضم ، ووجع المعدة . . . وكلمة (المشى) فلها أيضاً ثلاثة معان : المشىُ ، والتعب ، وغمزاتُ العظم . . . وكلمة (النسيم) ، النسيم العليل يا بنى ؛ يزيد لنا فى معناها تحرك (الروماتزم) . . .

فضحك (م) وقال : يا « شيخ » . . .

قال العجوز : وتلك الزيادة يا بنى لا تجىء إلا من نقص ، فهنا بقيةٌ من يدين ، وبقية من رجلين ، وبقية من بطن ، وبقية من ومن ومن ، ومجموع كل ذلك بقية من انسان

قال الأستاذ (م) : والبقية فى حياتك . . .

(1) كانت هذه القصة فى صيف سنة ١٩٣٥ فى اسكندرية

قال (ن) : وبالجملة يا بني فإن حركة الحياة في الرجل الهرم تكون حول ذاتها لا حول الأشياء ؛ وما أعجب أن تكون أقصر حركتي الأرض حول نفسها كذلك ، وإذا قال الشاب في مغامرته : ليمض الزمن ولتتصرم الأيام ، فإن الأيام هي التي تتصرم والزمن هو الذي يمر . أما الشيوخ فلن يتمنّوه أبداً . فمن قال منهم : ليمض الزمن فكأنما قال فلأمض أنا . . .

فصاح (م) : يا شيخ يا شيخ . . .

ثم قال العجوز : واعلم يا بني أن العلم نفسه يهرم مع الرجل الهرم فيصبح مثله ضعيفاً لا غناء عنده ولا حيلة له ، وكل مصانع لنكشير ومصانع بنك مصر واليابان والأمريكتين ، وما بقي من مصانع الدنيا ، لا فائدة من جميعها فهي عاجزة أن تكسو عظامي . .

* * *

قال المحدث : فقهقه الاستاذ (م) وقال : كدتُ والله أتخشّب من هذا الكلام ، وكادت معاني العظم تخرج من عظامي . لقد كان المتوحشون حكماء في أمر شيوخهم ، فإذا علت السن بجماعة منهم لم يتركوهم أحياء إلا بامتحان ؛ فهم يجمعونهم ويلجئونهم الى شجرة غضة لينة الهزّة فيكرهونهم أن يصعدوا فيها ثم يتدلّوا منها وقد علقت أيديهم بأغصانها ؛ فإذا صاروا على هذه الهيئة اجتمع الأشداء من فتيان القبيلة فيأخذون بجذع الشجرة يرجّونها وينفضونها ساعة من نهار ؛ فمن ضعفت يداه من أولئك الشيوخ أو كلّت حوامل ذراعيه فأفلت الغصن الذي يتعلق به فوقع، أخذوه فأكلوه . ومن استمسك أنزلوه فأمهلوه الى حين

فاقشعر العجوز (ن) وقال : أعوذ بالله هذه شجرة تخرج في أصل الجحيم ، ولعنها الله من حكمة ، فإنما يطبخونهم في الشجرة قبل الأكل ، أو هم يجعلونهم كذلك ليتوهموهم طيورا فيكون لحمهم أطيب وألذ ، ويتساقطون عليهم من الشجرة حمائم وعصافير

قال (م) : إن كان في الوحشية منطق فليس في هذا المنطق « باب لِمَ » ، ولا ( باب كيف ) ، ولو كان بهم أن يأكلوهم لأكلوهم ، غير أنها تربية الطبيعة لأهل الطبيعة ؛ فإن رؤية الرجل هذه الشجرة وهزّها وعاقبتها يبعد عنه الضعف والتخلخل ، ويدفعه الى مناناة القوة ، ويزيد نفسه انتشارا على الحياة وطمعاً فيها وتنشّطا لأسبابها ، فيكون ساعدُه آخر شيء يهرم ، ولا يزال في الجِدّة والنشاط والوثبان ، فلا يعجز قبل يومه الطبيعي ، ويكون المتوحشون بهذا قد احتالوا على الطبيعة البشرية فاضطروها الى مجهودها ، وأكرهوها على أن تبذل من القوة آخر ما يبيع الجسم

قال (ن) : فَنَعِم إذَنْ ، ولعن الله معاني الضعف . كدت والله أظن أني لم أكن يوماً شاباً ، وما أراك إلا متوحشا تخاف أن تؤكل فتظل شيخاً رجلا لا شيخا طفلا ، وترى العمر كما يرى البخيل ذهبه مهما يبلغ فكثرته غير كثيرة

* * *

قال المحدث : وأضجرني حوارهما إذ لم يعد فيه إلا أن جسم هذا يرد على جسم هذا ؛ وإنما الشيخ من أمثال هؤلاء زمان يتكلم ويقص ويعظ وينتقد ، ولن يكون الشيخ معك في حقيقته إن لم ترحل أنت فيه إلى دنيا قديمة . فقلت لهما : أيها العجوزان ! أريد أن أسافر إلى سنة ١٨٩٥ . . .

(لها بقية) (طنطا) مصطفى صادق الرافعي

إلى م . ش : يا بني إن الزبال يتزوج ويعيش وَيَهْنَأ ما دام في طبقته وحقيقته ، فإذا خرج من هذه الطبقة وتسامى عن هذه الحقيقة وقال سأنتظر ، بقي طول عمره ينتظر . وكل شاب عزب تراه فهذه علته : زبال يطمع في بنت أمير ... وهو لا يدري أنه زبال . ينتظر العصفور حدأة ، أتصغر الحدأة أم يكبر العصفور ...؟ الرافعي

من روائع عصر الإحياء

# قصص الأيام العشرة

بقلم جوفانى بوكاشيو

للأستاذ محمد عبد الله عنان

من آثار عصر الأحياء الخالدة قصص بوكاشيو الشهيرة المسماة « ديكامرونى » . وقد مضى على ظهور هذا الأثر الرائع زهاء ستة قرون ؛ بيد أنه ما زال حتى عصرنا يحتفظ بروعته وسمو خياله وفنه ، وما زال يتبوأ مكانه بين الآثار العالمية الخالدة

وقد أوحت إلى بوكاشيو كتابة أثره حوادث مروعة شهدها وهزت نفسه إلى الأعماق ، فأذكت خياله ، وانتزعت من قلمه تلك القصص الناجرة التي تصور لنا كثيراً من روح العصر وخلاله أصدق تمثيل وأتمه

كتبها بوكاشيو وأشباح الفناء تحتشد من حوله ، والموت الذريع يقطف أزاهير المجتمع من كل الطبقات والأعمار ؛ والتمس بكتابتها عزاء لنفسه وعزاء لمجتمعه عما نزل به من أهوال الفناء ، ولتكون باعثاً إلى النسيان والمرح . وكان بوكاشيو يومئذ فى نحو الخامسة والثلاثين من عمره ، فى ذروة الفتوة والنضج ، فجاءت هذه القصص أروع آثاره ، وعنوان مجده ، واتخذت مكانها بين أعظم آثار عصر الأحياء

ولد جوڤانى بوكاشيو فى سنة ١٣١٣ م فى باريس من أب ايطالى وأم فرنسية ، ونشأ فى فلورنس موطن أسرته ، وتلقى فيها تربيته ، وشغف منذ حداثته بالشعر والأدب ، وتأثر أيما تأثير بشعر ڤرجيل ؛ وكان أول آثاره قصة غرامية عنوانها « فياميتا » وهى فتاة حسناء يظن أنها تمثل فتاة حقيقية هام بها بوكاشيو ، وأظهرها فى شخص فياميتا ، والمظنون أيضاً أنه يصف حبيبته هذه فى شخص بطلة قصته الأخرى « فلسكوبو » .

وبجول بوكاشيو فى المدن الايطالية ، وعاش حيناً فى نابل ، فى عهد ملكها روبرتو وملكتها الفتية الحسناء جوفانا (جنه) ، واتصل ببلاطها الساطع المنحل معا ، وكتب فيها بعض قصائده وقصصه ؛ ومنذ سنة ١٣٤٢ نراه يستقر مع أسرته فى فلورنس ، ويحاول أن يفوز بمنصب فى الحكومة أو مركز أدبى يعيش منه ؛ وقد لفتت كفاياته الحكومة غير بعيد ، فأوفدته سفيرا إلى حكومة « رومانيا » فى سنة ١٣٤٦ ، ولكنه اضطر بعد ذلك بنحو عام إلى العودة إلى فلورنس على أثر موت أبيه ليعنى بشؤون أسرته ، واشترى بمعظم ميراثه كتباً لاتينية ويونانية ، وانقطع للكتابة والتأليف .

ولم يمض قليل على ذلك حتى نكبت إيطاليا وفلورنس ونكب العالم بأسره بتلك الكارثة العظمى التي تعرف فى الرواية الغربية بالوباء الأكبر ، وفى الرواية الاسلامية باسم مماثل هو « الفناء الكبير » ، ذلك أن الفناء الكبير قد اجتاح أمم الشرق والمغرب معاً ، وحمل منها إلى القبر عشرات الملايين ، وعصف بجميع المجتمعات الزاهرة أيما عصف ؛ وبسط على العالم المتمدن كله ريحاً من الرهبة والروع ؛ وقد شهد بوكاشيو أحداث الوباء في فلورنس منذ بدئها ، وترك لنا عنها وصفاً مروعاً مؤثراً ؛ واليك ما يقوله فى أصل الوباء وأعراضه :

« إنه فى سنة ١٣٤٨ ميلادية حل الوباء الفاتك بمدينة فلورنس الزاهرة ، أجمل المدن الايطالية ، بعد أن لبث قبل ذلك بأعوام يعصف بالمشرق ، إنما لتفاعل الكواكب والاجرام ، وإما لغضب الله الحق لما يرتكبه عباده من الخطايا ، ولأنه أرسل اليهم صواعق عقابه ، فعصف بكثير من البشر لا حصر لها ؛ وانتقل الوباء مسرعاً من مكان إلى مكان حتى حل بالغرب يحمل الفزع والروع . . . وكانت أعراضه سواء بالنسبة للرجال أو النساء ، فيظهر أولاً فى شكل أورام تصيب الأبط أو أسفل البطن ثم تنتشر فى جميع أجزاء الجسم ، ثم تتحول إلى بقع سوداء أو ممتقعة تملأ الذراعين والفخذين ، ثم سائر أعضاء الجسم ؛ وكان المصاب يموت عادة فى اليوم الثالث دون حمى ودون مضاعفات أخرى »

واجتاح هذا « الفناء الكبير » أمم الشرق والغرب معاً ، فعاث فى الأمم الاسلامية أيما عيث ؛ وعصف بمجتمعاتها الغنية الآهلة ، وسرى إلى جميع الأمم الأوربية ، وبسط عليها رهبة الدمار والموت ، وحمل من سكانها نحو الثلث فى أشهر قلائل ؛ وكان فتكه أشد ظهوراً ، وأعمق أثراً فى مجتمعات إيطاليا ، وبخاصة فى فلورنس التي كانت تتمتع يومئذ بحضارة زاهرة ؛ وهنالك أفنى

جيوشاً برمتها ، وأهلك عدداً كبيراً من الأمراء والعظماء والقادة ؛ ويقول لنا بوكاشيو إنه استطال هنالك من مارس إلى يونيه سنة ١٣٤٨ ، وحمل من فلورنس وحدها مائة ألف إنسان »

ويصف لنا بوكاشيو أهوال الوباء ومناظره المروعة وصفاً ضافياً مؤثراً ، فيقول : « كان الناس يجتنبون بعضهم بعضاً ، وقلما يتزاور الأقارب أو لا يتزاورون أبداً ؛ وألقت الكارثة الرعب في قلوب الناس جميعاً ، رجالاً ونساء ، حتى أن الأخ كان ينبذ أخاه نبذ النواة ، والأخت أخاها ، والمرأة زوجها ؛ بل أروع وأبعد عن التصديق أن الآباء والأمهات أضربوا عن رؤية الأبناء أو تعهدهم ، كأنما ليسوا من ذويهم »

« بل لقد هجر الناس الجيران والأقارب والخدم حتى اضطروا الى ارتكاب عادات لم يسمع بها ؛ من ذلك أن المرأة مهما كانت من الجمال أو النبل ، إذا أصابها مرض واضطرت الى استخدام رجل ، شيخا كان أو شابا ، فانها تكشف له دون خجل كل أجزاء جسمها إذا اضطرتها ظروف المرض ؛ وربما كان ذلك هو السبب في انحلال الحشمة والحياء عند أولئك اللائي يجون »

ثم يقول : « وكان يعني بدفن الناس بادىء ذي بدء ، فيلقى بهم دون احتفال في أول مقبرة ؛ فلما اشتد الوباء ، كان الموتى يحملون جماعات ، ويلقون في الطرق ؛ وقد تموت أسر برمتها فلا يبقى منها انسان ؛ وأزواج وآباء وأبناء معا ، ويلقى الجميع بلا تمييز في حفر كبيرة »

***

تلك هي الأحداث والمناظر المروعة التي أذكت خيال بوكاشيو ، وأوحت اليه بكتابة أعظم آثاره ، وهيأت له في نفس الوقت ذلك الأفق المعنوي الحر الذي جرى في ظله قلمه ، ويلخص لنا بوكاشيو غايته من تأليف ذلك الأثر في قوله : « ولقد رأيت ترويحاً للسيدات العاشقات وتعزيتهن — وتكفي في ذلك لغيرهن الإبرة والمنزل — أن أقص مائة خرافة أو رواية أو تاريخ أو ما شئت أن تسميها »

ثم يقول : « ومن ذا الذي ينكر أن الأفضل أن نقدم ذلك العزاء للسيدات العاشقات لا للرجال العاشقين ؟ ذلك أن السيدات العاشقات يفضن خجلاً وخوفا ؛ ويرغمن على إخفاء جوى الحب في صدورهن ، ويحملن رغبات الآباء والأمهات والأخوة والأزواج . وأهواءهم وأوامرهم ، على أن يقضين معظم أوقاتهن معتقلات في غرفهن الضيقة ، فيجلسن عاطلات ويستعرضن في أذهانهن أفكارا مختلفة لا يمكن أن تكون مرحة أو سارة »

وكتب بوكاشيو قصصه الساحر في ذلك الأفق الذي تعمره أشباح الفناء ، والناس ينظرون الى الحياة كأنها لعب طائر ، ويودعون بعضهم بعضا ، واختار لكتابه هيكلا طريفاً خلاصته ، أنه في ذات يوم ثلاثاء ، وعصف الوباء في أشده ، اجتمع في كنيسة القديسة « ماريا نوفيلا » في فلورنس ، سبع فتيات هن بامبنيا ، وفيامتا ، وفيلومينا ، وأميليا ، ولوريتا ، ونيفيلي ، وأليزا ؛ وكانت أكبرهن بامبنيا في الثامنة والعشرين ، وأصغرهن أليزا في الثامنة عشرة ، واقترحت بامبنيا أن يغادرن المدينة فراراً من الوباء والموت أسوة بأصدقائهن ؛ فاعترضت فيلومينا ، وقالت إن النساء ينقصهن التفكير السليم ، ويغلب عليهن التقلب والشك والخور ، ولذا وجب عليهن أن يخترن مرشداً ؛ فأيدت قولها أليزا وقالت إن الرجال هم أصحاب الرشاد والنصح ، واقترحت أن يستدعين بعض رجال يقومون بالارشاد

وفي تلك اللحظة يدخل الكنيسة ثلاثة فتيان ، أصغرهم يناهز الخامسة والعشرين ، وهم بانفيلو ، وفيلوستراتو ، وديونيو ، وكان من غرائب الاتفاق أن كلا منهم كان يعشق إحدى الفتيات السبع ، وأنهم جميعاً أقارب للأربع الباقيات ، فأشارت النهن بامبنيا ، وقالت إن العناية تحقق أمنيتهن بحضور أولئك الفتية الكرماء الأمناء ، فاعترضت نيفيلي ، وكانت حبيبة أحدهم ، خشية الافتضاح ، وناقشتها فيلومينا مؤيدة بامبنيا ؛ فغلب رأيها واستدعى الفتيان الثلاثة ، واتفق الجميع على ارتياد قصر خاص ، ومعهم الخدم وكل ما يحتاجون اليه ، وهنالك يقيمون حتى ينصرف الوباء ؛ وفي صباح اليوم التالي ذهب الجميع الى هذا المحل المختار ، وهنالك اتخذوا مجلسهم تحت الأشجار الظليلة على أرائك وثيرة ، وأمامهم الاطعمة والأشربة الشهية ، وجعلوا يترددون بين الطعام والسباحة في بركة صغيرة بالقصر ؛ وهنالك أيضاً بدأوا سرد القصص

وكانت صاحبة الفكرة بامبنيا ، فقد اقترحت أن ينتخب أحدهم حاكما للمجلس كل يوم ، وأن يضطلع في هذا اليوم بتدبير شؤون الجماعة وتسليتهم ؛ وتولت هي منصب الملكة في اليوم

# أدبنا الجـــــديد

## وحظه من الاتصال بثقافتنا التقليدية

للأستاذ اسماعيل مظهر

ركبت الحركة الأدبية فى مصر ركوداً أشبه بأن يكون سباتاً عميقاً . ولقد حدث هذا الركود إثر نشاط عظيم فى الانتاج والنقد والترجمة ، وإثر شعور قوى بأن الشباب أحق بأن يتزعموا حركة الأدب ، وأن ينتزعوا الزعامة الأدبية من أدباء الشيوخ . ولقد اصطبغت حركة الشباب بألوان مختلفة ، مهما يكن فيها من مظاهر التطرف حيناً ، ومن مظاهر التفريط حيناً آخر ، فانها دلت فى بعض أطوارها على حيوية قوية ، وطموح ، وتطلع إلى إحياء ما قيل إنه أدب جديد . وما من شك فى أن حدوث هذا الركود عقيب ما أبدى الشباب من نشاط ، ظاهرة جديرة بالبحث ، خليقة بأن تدرس من نواح مختلفة ، وأن تحلل فى ضوء الحقائق التى أحاطت بها ، والحقائق التى أحاطت بأدبنا الحديث على وجه عام . ذلك بأن شباباً يعجز عن تكوين فكرة جديدة فى الأدب ، أو تقعد همته عن خلق تصور جديد فى الفن ، انمـا هو شباب ينذرنا من الآن بأن أدبنا سوف يبقى جيلاً آخر فى داخل الحدود التى رسمها للأدب أولئك الذين سماهم الشباب أدباء الشيوخ

وإنى لآمل ألا يتبادر إلى الشيوخ من أدبائنا أنى أعنى بذلك أن أدبهم لم يؤد لأهل هذا الجيل شيئاً جديداً ، أو أن وقوف الأدب عند الحد الذى بلغوا اليه دليل على جمود الأدب ، وانمـا أعنى بذلك أن وقوف حركة الأدب ، وركود التصور الفنى عند حد بلغه شيوخنا من غير أن يعقب عليهم الشباب بأدب جديد له صبغة خاصة وفن له تصورات ذات طابع مستقل عن طابع الفن الذى عرفناه ، دليل قاطع على أحد أمرين : إما أن الشباب عاجز عن الابتكار ، وإما أن الأدب الذى روج له الشيوخ أدب غير منتج ؛ وكلا الأمرين يحفزنا إلى أن نبحث الأمر من وجهيه : علاقة أدب الجيل الجديد بأدب الجيل السابق ، وعلاقة الأدبين بالنظرية التى روج لها : نظرية أن الأدب الثابت والفن الأصيل انما يجب أن يتجه دائماً إلى إحكام الرابطة بين الصور التى يتشكل فيها ، والصور التى قامت عليها ثقافتنا التقليدية

ولقد عبرت عما أعنى بالثقافة التقليدية فى المقالات التى نشرتها لى ( الرسالة ) بعنوان « التعليم والحالة الاجتماعيـة فى مصر » ، وصورت على قدر ما أتيح لى مجمل ما أدركت من هذه النظرية . ولقد عرفت الثقافة التقليدية بأنها مجموعة الحالات والملابسات التى ينشأ شعب من الشعوب مكتنفاً بها من حيث طبيعة الأرض والاقليم ، وما يتطلب ذلك من العكوف على فن خاص من فنون الحياة ؛ وبمعنى أوسع تدل الثقافة التقليدية على العناصر التى ورثها شعب من الشعوب على مدى الزمان من طريق التأثر الطبيعى بالبيئة والمحيط ، كما تدل على مجمل ما ثبت فى عقليته باللقاح السلالى من عادات وأساطير وعلوم وآداب نشأت بنشأته فى مرباه الأصيل . وعلى الجملة نقول إن الثقافة التقليدية لشعب من الشعوب انمـا هى فى الواقع جماع ما يرث من صفات حيوية ، ومعتقدات ، وفنون عن أسلافه الأولين

---

الأول ، واقترحت لتسلية الجماعة أن يقص كل منهم قصة ، وأن يختتم واحد منهم بانشاد أنشودة ؛ فوافق الجميع متحمسين ؛ واستثنى الجماعة من أيام الأسبوع اثنين ، يوم الجمعة ، ويوم السبت ، وخصصا للراحة والتجمل والصلاة ؛ وعلى ذلك أصبحت أيام القصص عشرة خلال اسبوعين ، وفى كل يوم تقص عشر قصص ، فالمجموع مائة قصة ؛ هى محتويات مجموعة بوكاشيو الشهيرة ، وهى التى يسميها « ديكامرونى » Decamerone وهى كلمة مؤلفة من مقطوعين يونانيين ومعناها « الأيام العشرة »

هذا هو التمهيد الذى يقدم به بوكاشيو لمجموعته ، وهو تمهيد يمتاز ببساطته وطرافته ، ويدلى بكثير من روح العصر ؛ لقد كان المجتمع الذى كتب فيه بوكاشيو قصصه يعيش من يومه إلى غده ؛ وكان بوكاشيو نفسه يجوز هذه الحياة ؛ وكان يملأ هـذا الفراغ المتصدع بالتجوال فى عوالم الخيال الممتع ، وكان يرى أن يقدم ثمرة هذا التجوال إلى إخوانه فى المجتمع ، أولئك الذين يرون أشباح الفناء ماثلة فى كل آونة وكل مكان

(للبحث بقية) محمد عبد الله عنان

ولا شك عندى فى أن ما يبدو على أدبنا الحديث، أعنى الشيوخ صدر أم عن الشباب ، انما يرجع الى ضعف علاقتنا بثقافتنا التقليدية . فان أكثر الذين اتصلوا بهذه الثقافة لم يتصلوا بها اتصال تفهم لروحها ومعناها وأغراضها ومثلها العليا ، وإنما اتصلوا بها اتصال استيعاب لظاهرها دون حقيقتها . وهذا أمر لا سبيل إلى نكرانه . كذلك نلحظ أن هؤلاء ، على أنهم لم يتصلوا بثقافتنا التقليدية إلا اتصالا ظاهرياً ، فانهم عجزوا عن أن يدركوا روح العصر الذى يعيشون فيه ليكون ذلك عوناً لهم على تلوين ما استوعبوا من آثار ثقافتهم القديمة بلون يرضاه أهل هذا الزمن وتقره البيئة التى خلقت من حولها خضوعاً لتطورات العصر نفسه . وهذا أيضاً أمر لا سبيل الى الشك فيه . أضف إلى ذلك أن الذين لم يتصلوا بثقافتهم التقليدية ، وعكفوا على الأخذ عن الثقافة الأوربية وحدها ، قد عجزوا عن أن يخلقوا مما أخذوا عن أوربا أدبا جديداً له طابع معين ، بحيث يختلف عن الأدب الأوربى على مقتضى ما فى الثقافة من روح ومعنوية ، ويختلف أيضاً عن الثقافة القديمة على مقتضى ما تتطلب روح العصر الحديث من فنون وتصورات وأخيلة . ذلك بأن دعوتنا الى الثقافة التقليدية لا ينبغى أن يدرك منها أننا نريد الرجوع الى القديم بذاته ، وأن نحييه ثانية بصفاته التى عرفناها والتى واءمت العصر الذى خلقت فيه ، وإنما نعنى بها أن الثقافة التقليدية يجب أن تكون الأصل الذى يلقح بثمار الآداب الحديثة ، حتى تقوى على هضم ما يصل الينا عن أوربا هضما يمكننا من تكييف الآداب الدخيلة تكييفاً يلائم وراثاتنا العديدة . وبعبارة أخرى نقول إن ثقافتنا القديمة هى المزدرع الذى نلقى فيه بذور الأدب الحديث ، فما عاش منه فيه فذلك ما نكون قد هضمنا ومثلنا ، ومنه نخرج الأدب الجديد الملائم لطبائعنا وميولها وتصوراتنا وأخيلتنا ، وما مات فى ذلك المزدرع من الآداب الحديثة فذلك ما يبعد عن طبعنا ولا حاجة لنا به . وعلى الجملة نقول إن ثقافتنا التقليدية هى بمثابة حقل التجارب الذى يمتحن فيه المجربون قوة البذور الدخيلة على الأنبات والحياة . وما السبب الصحيح فى كثرة ما نقع عليه فى أدبنا المنقول من الآثار الميتة إلا أننا لم نمتحن فيما نقلنا قوة الاستمرار والبقاء فى بيئة جديدة . تلك البيئة التى يجب أن تكون من عناصر تستمد من ثقافتنا التقليدية أول شىء

قد ينكر علينا بعض الذين يودون إرضاء ناحية العزة فى أنفسهم شيئاً مما تقرر فى هذا البحث ؛ غير أنى أريد لهؤلاء أن يكونوا أكثر تشاؤماً مما هم ، ذلك بأن بيئاتنا الأدبية قد تولاها منذ أول نشأتها روح رمت بها فى أحضان التشاؤم المرير ، ولم يسعدها الزمن بيوم واحد تفاءلت فيه بحسن المستقبل . ذلك بأن معسكرى الأدب والتفكير لم يتصل أحدهما بالآخر مطلق اتصال خلال كل ذلك الزمن الذى نفخر فيه بأننا كونّا نهضة جديدة . فالناحية التى اتصلت بالثقافة القديمة متهمة فى عين الناحية الأخرى بالجمود عن ادراك ما فى الآداب الحديثة من تصورات ، والناحية التى لم تتصل بالثقافة التقليدية متهمة فى عين الناحية الأخرى بالزيغ عن التراث القديم . ومن ثمّ كان التشاؤم . وما لهذا التشاؤم من سبب إلا أننا لم ندرك السر فى عدم اتصال الناحيتين

وإنما أدعو هؤلاء لأن يكونوا أكثر تشاؤماً لأنهم بذلك يكونون أدنى الى تفهم الحقيقة كما هى واقعة . ولأضرب لهم مثلا بشرقيين اتصلا بالثقافة الأوربية ، وأوربيين اتصلوا بالثقافة الشرقية ؛ وبالأجرى بالمستأربين منا ، والمستشرقين منهم . لنسأل أى الفريقين استطاع أن يهضم من آداب الآخر أكبر قسط يمكن هضمه ؟

ولنبدأ أولاً بالمستأربين منا ولنتخذ ناحية معينة من نواحى الأدب موضوعاً لبحثنا ، كالقصة أو التاريخ مثلاً . أما القصة فقد يقال بأن آدابنا القديمة لم تعن بها العناية الكافية ، وأننا لذلك إنما ننقل عن أوروبا أدباً جديداً لا أصل له فى ثقافتنا ؛ وإذن ينبغى لنا أن نتخذ التاريخ محكا للحكم ، وقد ظهر من أوائلنا من كتب فيه أمتع المؤلفات ، سواء أفى التاريخ العام ، أم فى تاريخ الأدب . وأنت تعلم فوق ذلك أن فن كتابة التاريخ ونقد الشواهد التاريخية ومقاييس الحكم فيها وروح التفقه التاريخى ، إنما هى خلق جديد من مخلوقات القرن التاسع عشر فى أوروبا ؛ وتعلم فوق ذلك أننا اتصلنا بهذا الوجه من الأدب فى مدارسنا وجامعاتنا ، وتعلم فوق هذا وذاك أن الأوروبيين قد كتبوا تاريخنا على أوجه إنتحيت فيها نظريات اجتماعية أو اقتصادية أو جنسية ، وبخاصة تاريخ العرب والاسلام . وأنت بعد هذا كله تعلم علم اليقين أن كثيراً ممن أرخ للعرب أو الاسلام قد أخطأوا التقدير أو شطوا فى الأحكام ، أو أن النظرية التى بنوا عليها تواريخهم لم توآتهم بالحقائق التى تلبس ما كتبوا ثوب الاقناع . فهل استطعنا الانتفاع

بهذا الوجه الجديد من أوجه الأدب ؟ هل ألفنا فى تاريخنا كتباً قامت على نظريات جديدة تتصل بالثقافة الحديثة أو بفروع منها بحيث تبين لنا عن الاتجاهات الفكرية والتصورية التى اختفت وراء الحوادث الظاهرة ، وصححنا بذلك الأخطاء التى وصلها بعض الكتاب بماضينا ؟ كلا وكفى

ولنعد بعد ذلك إلى المستشرقين منهم ، ونمتحن فى ضوء العقل والاتزان الآثار التى صدرت عنهم متصلة بثقافتنا القديمة ، ونعنى بالمستشرقين كل من اتصل بالشرق سواء أكان ذلك من طريق اللغة أم من طريق الدرس باللغات التى نقلت إليها آثارنا القديمة . أما إذا اتجهنا ذلك الاتجاه فان أول ما نلحظ فى الآثار التى صدرت عنهم عكوفهم فيها على أساليب البحث العلمى وهو أسلوب يتلقونه فى معاهدهم وتلازمهم آثاره بعد ذلك . فهم يكتبون التاريخ بأسلوب البحث العلمى ، ويكتبون الأدب بأسلوب البحث العلمى ، ويتكلمون بأسلوب البحث العلمى ؛ وهو أسلوب أخص ما امتازت به ثقافتهم التقليدية . ثم نلحظ بعد ذلك أثر البحث الأكاديمى من حيث الاكباب على الفهم العميق للأشياء قد تلوح أول شئ تافهة غير جديرة بالبحث ولا هى خليقة بالدرس ، ومقارنتها بمجموع الحقائق التى تتعلق بها . وهو أسلوب من البحث عاش بين جدران الأزهر أزماناً ، وكاد الأزهر يفقده الآن مع الأسف ، مع ما فقدنا من تقاليدنا القديمة . وتشهد بعد ذلك فى آثارهم ما تضفى الأناة والصبر والاستقلال فى الرأى على الآثار العلمية من مظاهر الروعة والجلال . هذا إلى المظهر العام الذى يلابس ما يؤمنون من جماع هذه الأشياء . وبذلك استطاع هؤلاء المستشرقون أن يهضموا ما أخذوا عن الشرق ليخرج من بين أيديهم لابساً صورة أوربية رسيسة . ولقد يخطئون ، ولقد يشط أكثرهم أكبر الشطط ، ولكنه خطأ واشتطاط تلابسه روح البحث والدرس ، ويحوطه الأسلوب الأكاديمى بروعة البحوث العلمية

وبعد . فما هو السبب فى الفرقة بين مستأرب عاجز عن كتابة تاريخه بروح جديدة ، ومستشرق يكتب تاريخ غيره بروح مستمدة من طبعه ؟ السبب أن الأول بعيد عن ثقافته التقليدية التى يتخذ منها مادة للدرس والبحث والاستنتاج والصياغة ، وأن الثانى يكتب تاريخ غيره مستهدياً بفطرة مستمدة من ثقافته التقليدية . وإنى لواثق أن هذه المقارنة سوف تجعل الذين يجنحون إلى إرضاء ناحية العزة والأنفة فى أنفسهم يخففون شيئاً من غلوائهم ، وتنزع بالذين لا يتشاءمون من أدبنا الحديث بقدر يجعلهم يرون الحقائق كما هى واقعة ، إلى درجة من التشاؤم تنير أمامهم السبيل

***

لقد بدأت نهضتنا الأدبية الحديثة باندفاع نحو الآداب العالمية ، واستمداد من وحى أوربا الجديدة ؛ ولو أننا تذرعنا مع الاتجاه الجديد بركزة تقوم على ثقافتنا التقليدية ووراثاتنا المختلفة ، إذن لكان لنا أن نقول إننا أخذنا نشيد بناء ثابتاً على أساس مستمد من فطرتنا . أما وإننا لم نعن العناية الواجبة بماضينا ، فأهملنا أمر اللغة حتى خرج المتعلمون من أبنائنا وأكثرهم يجهل القواعد الأولية من لغة العرب ؛ ونبذنا آداب العربية ، حتى نشأ الجيل الحاضر بعيداً عن استذواق الأدب العربى والوقوف على أسراره ، فان دفعتنا الأولى نحو التزود من الآداب العالمية الجديدة هى التى أحدثت ذلك الركس الشديد الذى يتجلى الآن فى عجز أدباء الشباب عن خلق صورة من الأدب فيها من قوة الحياة ما يجعلها خليقة بأن تصبح عنواناً على روح العصر الذى نعيش فيه

على أننا لا يجب أن ننسى فى هذا البحث أن نشير إلى علاقة الآداب من الناحية العلمية بطبيعة الأرض والاقليم والمناخ من حيث أنها بيئة طبيعية ، كما أننا لم ننس أن نشير إلى اللغة والآداب القديمة والتاريخ والأساطير والحالات الاجتماعية من حيث أنها بيئة عقلية . أما العلاقة بين البيئتين فبينة لا سبيل إلى انكارها ، أو نكون قد أنكرنا أخص العلاقات التى تفرضها الطبيعة فرضاً على الأحياء وتصبغ بها طبائعهم وأخلاقهم وميولهم وأخيلتهم ، وعلى الجملة جماع ما فيهم من الصفات العقلية والنفسية . وإلى جانب هذا ينبغى لنا أن نضع فى ميزان الحكم والتقدير عند النظر فى مثل هذه العلاقات أن الآداب التى أنشأتها شعوب قديمة إنما هى بنت البيئة وربيبة الوسط ، بل إنها خلاصة الطبع وعصارة النفس ؛ وإنما تتشكل هذه الآداب بمقتضيات العصور ، وتتكيف بحكم ما يستجمع العقل من مختلف التصورات . أما الروح التى تظهر متجلية فى هذه الآداب ، فذلك ما لا سلطان

لمقتضيات العصور عليه ، ولا أثر لما يستجمع العقل فيها إلا بمقدار ماتظهر ملابسة لآراء جديدة أو تصورات حديثة أو ميول معينة ، تسرى فيها تلك الروح سريان القوة فى الأجسام المادية ، تظهر وهى خفية ، وتتجلى وهى كامنة ، كأنما هى السيال الذى يخرج من جسم مشع فى أقصى أغوار الكون ليصل إلى عالم آخر فى صورة أشعة ، هى بذاتها الأشعة التى كان يبعثها ذلك الجسم منذ أبعد الأزمان ، وإنما ينتفع بها أقوام على الأقوام الأول ، وتستهديها شعوب غير الشعوب الغابرة ؛ هى فى جوهرها وروحها نفس الأشعة القديمة ، ولكن تكييفها مرهون بالقدرة على استخدامها أو الحاجة اليها . وإذن ينبغى لنا ألا نقطع الصلة بيننا وبين ذلك السيال الخالد الذى تصلنا أشعته من ماضينا ؛ من لغتنا وآدابنا وتاريخنا وأساطيرنا ونظمنا الاجتماعية ، تلك التى جادت علينا بها طبيعة الأرض التى حملتنا والسماء التى أظلتنا منذ أبعد عصور التاريخ الانسانى

اسماعيل مظهر

# الشيخ محمد النجار

## صاحب الأرغول

### للأستاذ عبد الوهاب النجار

لمناسبة ما ذكره الأستاذ حسين شفيق المصرى عن صاحب الأرغول فى محاضرته القيمة فى تطور الصحافة الأسبوعية

---

الشيخ محمد النجار شخصية غير مجهولة فى عالم الأدب فى غروب القرن الماضى وفجر القرن الحاضر

كان المرحوم طالباً بالأزهر الشريف نابهاً بين إخوانه ، يجمع الطلبة الذين هم أقل منه ويدرس لهم من العلوم الأزهرية ماهم فى حاجة اليه

فلما جاء الشيخ محمد العباسى المهدى شيخاً للأزهر لم يجد به نظاماً يتبع فى إعطاء أجازة التدريس ولا دفتراً يضم أسماء العلماء بالأزهر ، بل كان كل من آنس فى نفسه قوة وأهلية للتدريس أعد نفسه لتدريس أحد الكتب ودعا الطلبة والعلماء لحضور ابتداء درسه ، فاذا أداه حق الأداء وأجاب على كل الأسئلة التى وجهت اليه والاعتراضات التى اصطدم بها من الطلبة والعلماء عد عالماً ، وذلك بتهنئة العلماء إياه وثنائهم عليه ، وعليه بعد ذلك أن يدعو جلة العلماء والفضلاء إلى مأدبة يعملها لهم شكراً على نجاحه وفلاحه

أما إذا لم يسدد إلى سداد ، ولم يوفق فى درسه إلى صواب ، فان العلماء ينصرفون عنه دون تهنئته ؛ وحينئذ يتبين الجمهور أنه أخفق ولم يوفق

عزم الشيخ العباسى المهدى على أن يسجل أسماء العلماء الذين يدرسون فى الأزهر لذلك العهد وألا يدخل فى زمرتهم أحد بعد ذلك إلا إذا اجتاز امتحاناً يعقد لذلك ، وعين العلوم التى على الطالب أن يمر فيها بنجاح فى ذلك الامتحان

كان فى ذلك العهد يوجد عالم بالأزهر قد بلغ من الكبر عتياً اسمه الشيخ محمد النجار ( غير صاحب الأرغول ) وقد ذهب ذلك الشيخ إلى بلده ومات بها ولا يعلم بذلك أحد

فلما شرع الشيخ المهدى فى تسجيل أسماء العلماء المدرسين بالأزهر أملى بعض العلماء اسم الشيخ محمد النجار ، وكان الكبير الذى يحمل ذلك الاسم قد مات قبل ذلك الوقت بقليل ولا يوجد ممن يدرس للطلبة بهذا الاسم سوى الشيخ محمد النجار ( صاحب الأرغول فيما بعد ) ، فتلقف هذه الوظيفة النجار الفتى إذ لا يوجد بازاء الوظيفة ما يميز نجاراً من نجار

بهذا أخبرنى العلامة الأديب المرحوم الشيخ محمد أبو راشد إمام المعية فى عهد الخديو السابق عباس حلمى باشا الثانى

عين بعد ذلك الشيخ محمد النجار مدرساً بالمدارس الأميرية مع بقائه مدرساً بالأزهر إلى ان كان مدرساً بمدرسة الفنون والصنائع الأميرية ببولاق

وقد كانت نظارة المعارف فى ذلك العهد ليس بها درجات للمدرسين ولا نظام للعلاوات وإنما كان ينال من العلاوات من يصادفه الجد ويسعده الحظ . وقد غبر الشيخ النجار على ذلك مدة من الزمن ، وكلما آنس أن العلاوة ستسعده بعدت وأخطأته أو تخطته . فلما كان عهد تولية على مبارك باشا نظارة المعارف عمل له زجلاً يشكو به حاله وقدمه اليه . وهأنذا أنص ما وعته ذاكرتى منه

الدهر دا دايماً عدار لكنو ع العاقل أكتر

والسعد يأتى بالأقدار والرزق مقسومْ ومقدر

الدهر دايماً مع الاحرار يقول حاوريني يا طيطه
تلقى الردِى بختَه طيب والحر لو بخت قليطه
ودا غنى يبتو فشـبرا ودا ازرع فى التبليطه
ودا حمار ورا كبلو حمار مبسوط بأنه مى بعجر

الناس خدامها بهلة وانا خدامتى فى اتعاب
فى كل يوم الصبحيه أمشى الى بولاق قراب
والى أبات فيه أصبح فيه رايح وجى من الكتاب
خوجه وعايز حق حمار ولى ماهيّــه لا تذكر

امتى أفوت مشوار بولاق واعرف أنا الآخر بختى
وأفوت بتوع حياك الله وبتوع جيرتك يا بيتى
كتب علينا (قل سيروا) فيها مصيّف ومْشَتى
الشمس فيها زى النار وفى الهوا دايماً تعفر

يا أهل المعارف والانصاف أنا جرالى معنا كم إيه
تأجيرونى بالسرة وتقدموا الغير عنى ليه
البيه يقول روح للباشا والباشا يأمر روح للبيه
وأنا كدا واقف محتار زعلان ومغموم ومكدر

قالوا الديوان عامل ترتيب وبالزيادة لك جددوا
يا حلم وانْ صحت الأحلام وطلعت أنا فى اللى زادوا
ورحت أرجو سيدى فلان والعبد يترجا اسيادوا
وضع أمام اسمى أصفار حتى بقى حالى يصفر

لا نا مساعد فى الساحل ولا قريب الشيخ قفه
ولا ستيدى بياع دوم خالى حمد سرق الزلفه
ولا مرا كبى لى مركب عويلها مربوط بالدفه
الاشريف جدى المختار عالم مدرس بالأزهر

فلما قدم هذا الزجل إلى المرحوم على مبارك باشا أعجب به وأمر بنقله إلى مدرسة القربية وزيادة جنيه ونصف على مرتبه، وما كان يحلم أن يصل إلى ذلك فى ثلاث علاوات

وكان رحمه الله راسخ القدم فى فنون الأدب، فكان ينظم المواويل الحر ويساجل أبطالها

كان يوجد زجل بمديرية المنيا اسمه الشيخ عبد الله لهلبها ينظم المواويل، وقد ذهب المرحوم الشيخ محمد النجار إلى المنيا وبحث عن الشيخ عبد الله فلم يجده

فترك له موالاً عند عبد القادر أفندى ادريس وهو:

والله ما حرق الأحشا ولَهْلِبْها
ولا أذاب مهجتى إلا ولَهْلبها (١)
ونزلت فى أرض لا ناسى ولهلبها (٢)
وجيت أدور على مواوى يواويلى
قالوا ما فيش إلا أبو كراع فى بلدة ولهلبها

أما ما رد به عبد الله لهلبها على هذا الموال فعند عبد القادر أفندى ادريس

وكان النجار رحمه الله يبتدئ الموال ويتحدى الأدباء يريد منهم تكملته فلا يجد. وربما زاد قسما آخر بعد ذلك فى الموال. فيعيى الأدباء عن ذلك

من هذا قوله:

مغزل حماتك سقط ضاعت تقاقيله

فلما لم يظفر بتكملته زاد عليه:

ما تنظر الديك والفرخة تقاقى له

ومن ذلك أيضاً قوله:

مغزل حماتك سقط ضاعت سنانيره — ثم زاد —
فضل العدل يعدل فى سنانيره (٣)

وكان رحمه الله سريعاً إلى النكتة، حاضر البديهة. فمن ذلك أنه مر بصديق له، فقال له الصديق: يا شيخ محمد، ازاى الأرغول؟ — فأجابه بقوله: (بِنَفَسك ماشى)

ويا حبذا لو أتحف أصدقاؤه وخلانه قراء (الرسالة) بشيء عنه

عبد الوهاب النجار

(١) وله لى بها (٢) ولا أهلى بها (٣) فى سنة نيرة

للتاريخ السياسي :

# اليوم السابع من مارس

## ضربة مسرحية في برلين

للدكتور يوسف هيكل

---

### تمهيد

مما يجدر ذكره أن حكومة برلين تتخذ عادة يوم السبت قرارات هامة ، وتقف العالم أمام حوادث دولية عظيمة . وكانت حكومة القيصر تعمل على هذه السياسة ، وقد سارت عليها جمهورية « ويمر » وتبعتها حكومة الهر هتلر !.. وكانت آخر هذه الأعمال الدولية الخطيرة النتائج ، رفض حكومة برلين معاهدة لوكارنو واحتلالها أراضي الرين يوم السبت الموافق ٧ مارس من هذا العام . والمرء يتساءل عن السبب الذي من أجله تختار حكومة برلين يوم السبت لأعمالها الجليلة الخطرة في وقت واحد عليها وعلى السلام

إننا نعتقد أن هناك سببا واحدا ، وهو أن عطلة « نهاية الأسبوع » — Week end — متبعة في بلاد الانكليز وفي جميع دوائرها الرسمية . وفي نهاية كل أسبوع يترك معظم كبار ساسة لندن وأولى الأمر فيها العاصمة لقضاء « نهاية الأسبوع » في الضواحي وعلى شواطئ البحار . وفي هذه الحالة يكون من الصعب جداً اجتماع الذين في يدهم زمام أمور الحكومة حين حدوث طارئ جلل يوم السبت أو الأحد . وفي هذه الحالة يتعسر جداً ، إن لم يكن محالاً ، على حكومة باريس الاتصال بحكومة لندن ، لتبحث معها في التدابير التي يجب اتخاذها أمام الخطب السياسي الجديد الذي أحدثته حكومة برلين ، ولإعاقة اجتماعهما وتبادلها الآراء تختار الحكومة الألمانية يوم السبت لايقاف العالم على قرارها الدولي الصبغة !.

وقبل أن نحاول تحليل ضربة برلين المسرحية والأزمة التي نجمت عنها يجدر بنا التحدث أولاً عن معاهدة لوكارنو وإبانة الغرض الذي من أجله عقدت ، والنقط الهامة التي تحتوي عليها ، تسهيلاً للوقوف على تطور الحوادث الدولية ، وتمييز الصواب من الخطأ . ويتلو ذلك عرض حوادث ٧ مارس وما تبعها في ألمانيا ، وتفنيد ادعاءات حكومة الهر هتلر ضد المعاهدة الفرنسية الروسية ؛ وشرح موقف دول لوكارنو إزاء هذه الحوادث وقرار مجلس عصبة الأمم . وهذه النقط تكون القسم الأول من هذه المقالات

ثم نأتي على عرض الجلسات الهامة لمؤتمر دول لوكارنو وتحليل « اقتراحات لندن » و « منهاج السلام الألماني ، أو اقتراحات الهر هتلر » و « المنهاج الفرنسي أو اقتراحات فرنسا السلمية » . وهذه الأمور تكون القسم الثاني من هذه الدراسة السريعة

وأخيراً نحاول إبانة حقيقة سياسة الهر هتلر الخارجية ، والهدف الذي يرمي اليه

## من لوكارنو إلى ٧ مارس

### معاهدة لوكارنو

أظهرت ألمانيا في السنين التي تلت الحرب رغبة في التفاهم مع جاراتها ، وتوطيد السلام في أوروبا الغربية ، فاقترحت عام ١٩٢٢ إيجاد اتفاق بين الدول التي تحد أراضي الرين ، تمنع عوجبة الحرب وتحسن العلاقات الدولية بين ألمانيا وجاراتها الغربية — فلم يلق هذا الاقتراح أذنا صاغية . . . . . وقد جدد « المستشار كينو Cuno » مثل هذا الاقتراح عام ١٩٢٣ فاعتبره مسيو بوانكاريه دسيسة ألمانية جديدة . . .

وفكر اللورد دابرنون D' Apernon سفير بريطانيا في برلين عام ١٩٢٤ في أن الوقت مناسب لعقد مثل هذا الاتفاق ، ففاتح الهر ستريزمان بذلك ؛ وبعد درسهما الموضوع أرسل ستريزمان في ٩ فبراير سنة ١٩٢٥ بواسطة سفيره في باريس الهر هيس Haesch مذكرة إلى الحكومة الفرنسية مقترحاً على الحكومات التي تحد الرين عقد اتفاق عوجبه تمنع الحرب خلال أجل مسمى ، وتحل الاختلافات الدنية والسياسية بموجب التحكيم ، وتتعهد فيه ألمانيا بعدم تسليح أراضي الرين . حض سفير بريطانيا على عقد مثل هذا الاتفاق ، على رغم أن بريطانيا لا تحب أن تتحمل مسؤوليات دولية ، لأن توطيد السلام في أوروبا الغربية يفيد السياسة

البريطانية ، ولأن بريطانيا تريد إرغام فرنسا بوسيلة ما على تخلية أراضى « الرور » . . . . . وتحول دون اجتياز الجنود الفرنسية الحدود الألمانية . . . .

كان مسيو هريو رئيس الوزارة الفرنسية حينئذ ، وبرغم أنه كان على رأى القائلين بسياسة التفاهم مع ألمانيا فقد خشى أن يكون فى مذكرة سترزمان مكيدة ، ثم دعاه أنهما كه فى المشاكل الداخلية والمالية إلى إهمال المذكرة وعدم إعطائها الأهمية التى تستحقها . وفى ذات يوم اطلع عليها مسيو بريان ، وبعد أن قرأها السياسى الكبير ، أبدى رأيه فيها قائلاً : إنها عظيمة الأهمية

فقال رئيس الوزراء : إنها « مصيدة »

فرد مسيو بريان : إن الثعلب الماهر يأخذ اللحمة ويترك المصيدة

ولما عاد مسيو بريان فى ابريل من العام نفسه الى ال « كى دورسى » أعطى المذكرة أهميتها وأخذ يتحادث مع بريطانيا بشأنها . ولما تمت هذه المحادثات التمهيدية ، قدم السفير الفرنسى فى برلين فى ١٦ يونيه إلى الهر سترزمان جواب فرنسا وحلفائها ، وكان جواباً ايجابياً . ثم شرع الفنيون فى درس الموضوع ووضع المبادئ العامة .

وفى لوكارنو — وهى مدينة سويسرية صغيرة واقعة على بحيرة ليمان — تقابل بريان وسترزمان واستين شمبرلين ؛ وأخذوا يدرسون دقائق المعاهدة ، ووصلوا الى الاتفاق الأخير فى ١٦ أكتوبر سنة ١٩٢٥ ، ووافقت فرنسا وألمانيا وبلجيكا وبريطانيا وإيطاليا عليها

وتفيد لوكارنو الدول الثلاث الأولى مباشرة ، أما بريطانيا وايطاليا فضامنتان فيها

وتتألف معاهدة لوكارنو من خمس مواد :

ففى المادة الأولى تعترف الدول الموقعة على المعاهدة بالحدود التى وضعتها معاهدة فرساى ، بين ألمانيا وبلجيكا من جهة ، وبين ألمانيا وفرنسا من جهة ثانية . وتعترف هذه الدول أيضا بمحتويات المادتين ٤٢ و ٤٣ من معاهدة فرساى ، أى الأقليم غير المسلح : أراضى الرين

وفى المادة الثانية تتعهد ألمانيا وفرنسا وبريطانيا وبلجيكا بعدم الألتجاء الى الحرب لحل أى خلاف . على أن هذا التعهد لا يعمل به فى الأحوال الآتية :

(١) فى حالة « الدفاع عن النفس » — Légitime défense — أى عند مخالفة المادة ٤٢ أو ٤٣ من معاهدة فرساى « مخالفة ظاهرة » — Contravention flagrante — غير محرض عليها ؛ ولسبب تجمع قوى حربية فى الاقليم غير المسلح ، والعمل الفورى ضرورى فى هذه الحالات

(٢) عند القيام بعمل ناجم من المادة ١٦ من صك العصبة

(٣) عند القيام بعمل حسب قرار العصبة أو حسب المادة ١٥ بند ٧ من صكها

ومع اعتبارات محتويات المادة الثانية فان ألمانيا وفرنسا من جهة ، وألمانيا وبلجيكا من جهة ثانية ، تتعهد فى المادة الثالثة بتصفية أى خلاف يحدث بينهما عن طريق سلمى : ففى الخلاف المدنى يرفع القضية الى قاض يعمل الغرماء حسب قراره . وفى أى خلاف آخر يرفع الخلاف الى « لجنة توفيق » ؛ وإن لم يقبل الغرماء قرار اللجنة يرفع الى مجلس عصبة الأمم

والمادة الرابعة تنص على أنه :

(١) إن اعتقد أحد المتعاهدين بأن تعديا قد وقع على المادة الثانية أو على المادة ٤٢ أو ٤٣ من معاهدة فرساى رفع دعواه الى العصبة

(٢) وحينما يقرر مجلس العصبة تلك المخالفة يخطر المتعاهدين بقراره ، وعلى كل منهما أن تمد يد المساعدة حالا الى الدولة الموجه اليها العمل المحرم

(٣) وعند تعدى إحدى الدول المتعاهدة « تعديا ظاهراً » — Violation flagrante — على المادة ٢ من هذه المعاهدة أو « المخالفة الظاهرة » على المادة ٤٢ أو ٤٣ من معاهدة فرساى ، فان كل دولة من الدول المتعاهدة الأخرى تتعهد من الآن على مد يد المساعدة حالا الى الفريق الذى كانت موجهة ضده المخالفة أو التعدى ، ابتداء من تيقن تلك الدولة أن التعدى كان عملا عدائياً غير محرض عليه ، أو لسبب اجتياز الحدود ، أو الابتداء بالعداء ، أو جمع قوى حربية فى الاقليم غير المسلح فان العمل الفورى ضرورى . وعلى كل فان مجلس العصبة الذى

استلم الدعوى حسب البند الأول من هذه المادة يعلم نتيجة قراره . والمتعاقدون فى هذه الحالة يتعهدون على العمل بموجب قرار المجلس الذى أخـذ بالاجماع بغض النظر عن أصوات ممثلى المتخاصمين

أما المادة الخامسة فتقول : « إذا رفضت إحدى الدول المذكورة فى المـادة ٣ اتباع الحلول السلمية أو تنفيذ قرار التحكيم أو القرار القضائى واعتدت على المـادة ٢ من هذه المعاهدة أو خالفت المادة ٤٢ أو ٤٣ من معاهدة فرساى ، فتنفذ ، إذ ذاك محتويات المـادة ٤ من هذه المعاهدة

وفى الحالة التى ترفض فيها الدول المذكورة فى المادة (الثالثة) اتباع الحلول السلمية أو تنفيذ قرار التحكيم أو القرار القضائى ، دون أن تـكون قد اعتدت على المـادة الثانية أو خالفت المـادة ٤٢ أو ٤٣ من معاهدة فرساى ، فان الفريق الثانى يرفع الدعوى إلى مجلس العصـبة الذى يقترح الاجراءات الواجب اتخاذها : وأن المتعاقدين يعملون حسب هذه الاقتراحات»

قبلت ألمـانيا فى هـذه المعاهدة عدم المناواة فى الحقوق ، ووافقت على الحدود التى بينها وبين بلجيكا وفرنسا ، وتخلت بذلك عن طيب خاطر عن الالزاس واللورين ، ووافقت أيضاً على بقاء الأقليم غير المسلح . وهذه الشروط ليست جديدة ، بل هى مدونة فى معاهدة فرساى . وظن حينئذ أنه من الأنسب قبول ألمـانيا اختيارياً بها ، لأن المعاهدات الموقع عليها عن طيب خاطر لها حرمة أقدس من المعاهدات المرغم عليها ، وهذه المعاهدات تمزقها الأمة التى أرغمت عليها عنـد ما تجد فى نفسها القوة والجرأة الـكافيتين للقيام بذلك . والمعاهدات ، فى الواقع على نوعين : قانونية كفرساى ، وأخلاقيـة — moral — كلوكارنو ، وكان لهذا النوع الأخير من المعاهدات قيمة كبرى من الوجهة العملية قبل ٧ مارس ١٩٣٦

وقد دفعت فرنسا ثمن هـذه المعاهدة باخلائها أقليم كولون وأراضى الرين ؛ أى أن فرنسا قد تركت سياستها المبنية على الضغط على ألمـانيا للوصول إلى حقوقها ، وأقامت مكانها ثقتها فى ألمـانيا السلمية . وقيل حينئذ إن كانت هذه الثقـة قد وضعت فى غير مكانها فان فرنسا تصبح تحت رحمة جارتها الجبارة ؛ وهذا ما وقع فى السنين الأخيرة

وانتقد كثير من الفرنسيين معاهدة لوكارنو قائلين : ألا يعنى ذلك أن فرنسا قد تركت كل محاولة فى جعـل ألمـانيا عزلاء ، وتركت مراقبة الرين وحقها فى التعويض ؟ أليست هذه المعاهدة إنشاء للتفاهم بين ألمـانيا وبريطانيا ، لا بين ألمـانيا وفرنسا ؟ وقيل أيضاً : هل من الأكيـد أن بريطانيا ستقف مع فرنسا حين هجوم ألمـانيا عليها ؟ ! أوليس من الممكن أن تحابى بريطانيا ألمـانيا وتؤيد عملها ؟ ! ثم لبريطانيا وحدها الحق فى التقرير فيما إذا كان اعتـداء ألمـانيا دون تحريض أم لا ، وعلى ذلك فيمكنها تأويل كل قانون وتفسير كل عمل حسبما تقتضيه سياستها ؛ فـاعدة بريطانيا ليست أمراً واقعاً ... ولقد حاربت بريطانيا النفوذ الألمانى فى أوروبا ، وهى الآن جادة فى محاربة النفوذ الفرنسى فيها . ألا تعيد فى عملها هذا السيطرة الجرمانية على أوروبا ؟

وتـكون هذه الانتقادات فى محلها إن كانت نية ألمـانيا سيئة ، وقيمة الميثاق تتوقف على مقدار انتشار روح التسامح والوئام بين الجارتين وتوثيق العلاقات الودية بينهما ؛ وإن فقدت هذه الروح فى إحدى البلادين فلوكارنو تصبح ورقة بالية

ولتقدير قيمة هذه المعاهدة يجب معرفة عقلية كل من البلادين

مما لا شك فيه أن الفرنسيين محبون للسلم ، فهم يكرهون الحرب دون أن يخافوها ، ولا يفكرون فى الاستيلاء على بلاد أوربية ، غير أنهم يسيئون الظن فى الغير ، وهم حريصون جدا على حريتهم وسلامة بلادهم . وإن حاول الغير التعدى عليهم أصبحوا كالرجل الواحد ، يدافعون حتى النفس الأخير فى سبيل حريتهم ووطنهم . وهم يودون التفاهم مع ألمـانيا وايجاد سلام أبدى بين البلادين ، غير أنهم يعتقدون اعتقادا راسخاً بأن ألمـانيا تريد غدرهم والايقاع بهم ، وهى تستعد لحرب ثانية وتعمل لهـا ، ونتيجة لهذه الفـكرة المختمرة فى رءوسهم يعملون على تقوية مركزهم الحربى ، ويسعون فى ايجاد حلفاء لهم ضد ألمـانيا ، ونتيجة ذلك حصر ألمـانيا والظهور بمظهر العدو لها ...

والشعب الألمـانى شعب «ديناميكى» يحب الحرب ويصبو إلى الفتح ، ولا يقبل إلا أن يكون له المركز الأول فى أوربا ... وهو ينظر إلى فرنسا كالحاجز الذى يحول بينه وبين غرضه ، فيبغضها ويعمل على كسر هذا الحاجز ؛ ثم إن الشعب الألمـانى فخور ، يأبى العار ويعمل على غسله حتى بالدماء ؛ وهو لن يرضى

عن فرساى بل يبذل جهده فى تمزيقها ...

فلوكارنو لم تحل هذه المعضلات ، ولم تزل أسباب العداء الذى بين الجارتين ؛ فهى لم تؤمن فرنسا على سلامتها ، ولم تعط ألمانيا بعض ما تصبو اليه ، فهى اذن عاجزة عن ايجاد السلام وتوثيق روح الصداقة والوئام بين أكبر عدوين

أما قيمتها الأخلاقية فقد زالت بضربة ٧ مارس ، ووضع الهر هتلر المعاهدات الأخلاقية فى دائرة المعاهدات القانونية التى ترغم الدول على التوقيع عليها ؛ وقال بعدم قانونيتها ما دامت تخالف مصالح إحدى الدول التى وقعت عليها

وسنرى فى المقالات التالية أن لا قيمة لكفالة بريطانيا وايطاليا ، وأن هاتين الدولتين لم تقوما بما تفرضه عليهما نصوص معاهدة لوكارنو

* * *

وعندما دعت ضربة ٧ مارس إلى تطبيق المعاهدة ، اختلف فى تفسيرها ولا سيما البند الثالث من المادة الرابعة

فأخذ فريق من ساسة الانكليز ورجال الحقوق فيها يقول بأن عبارة « تلك الدولة » تعود إلى « الفريق الذى كانت موجهة اليه المخالفة والتعدى » ، لا إلى عبارة « كل دولة من الدول المتعاهدة الأخرى » ، وأن الحكومة البريطانية غير مقيدة بمساعدة فرنسا لمجرد احتلال أراضى الرين ؛ ومساعدتها واجبة فقط عندما يكون هذا الاحتلال على شكل يوجب القيام فورا باجراءات صارمة ، وهو يريد بهذا التفسير أن بريطانيا لم تخالف المعاهدة ، لأن فرنسا لم تعتبر عمل ألمانيا « تعدياً ظاهراً » ، ولم تقم باجراءات عاجلة ... ولأن بريطانيا تعتقد أن عمل ألمانيا لا يوجب القيام باجراءات حربية

ورد فريق آخر على هذا التفسير ، وعلى رأسهم السير استن شمبرلين ، وهو أحد الذين وضعوا المعاهدة بأن عبارة « تلك الدولة » ترجع إلى عبارة « كل دولة من الدول المتعاهدة الأخرى » لا إلى عبارة « الفريق الذى كانت موجهة ضده المخالفة أو التعدى » . وأن لوكارنو تعتبر اجتياز الحدود واشهار الحرب وجمع قوى حربية فى الاقليم غير المسلح عملاً هجومياً يقضى على جميع الموقعين على المعاهدة القيام باجراءات صارمة حتى الحرب لاعادة الستاتيكو إلى ما كان عليه قبل وقوع التعدى ، وأن السبب الذى لم يدع إلى اتخاذ الاجراءات العسكرية فى حالة ٧ مارس يعود إلى الموقف السلمى الذى وقفته فرنسا وبلجيكا

إن تفسير الفريق الأول خطأ ، وهو قائم على دعائم هوائية ، ولا يراد منه إلا التهرب من واجبات المعاهدة . أما تفسير السير استن شمبرلين فصحيح متين :

فلو أن عبارة « تلك الدولة » تعود حقاً إلى عبارة « الفريق الذى كانت موجهة اليه المخالفة أو التعدى » لما قبل السير استن شمبرلين بذلك ؛ ولما وافقت حكومة لندن وبرلمانها على هذه المعاهدة . إذ الحكومة البريطانية أشد الحكومات حرصاً على عدم ارتباطها بمعاهدات ترغمها على دخول الحرب بمجرد إرادة غيرها . ولو أن هذا التفسير صحيح لما رأينا فرنسا تقف واجمة أمام ضربة ٧ مارس ، بل لرأيناها تجتاز الحدود وتحتل أراضى الرين ، إذ كان فى إمكانها أن تقول لبريطانيا : إننى أعتقد بأن عمل ألمانيا عمل عدائى غير محرض عليه ، ولذا يجب عليك أن تتخذى إجراءات عسكرية صارمة ضدها . وواقع الأمر أن فرنسا لم ترغم ألمانيا عسكرياً على سحب قواتها الحربية من أراضى الرين إلا لأنها لم تكن واثقة من موقف بريطانيا إزاء ضربة ٧ مارس من جهة ، ولأنها لم ترد تعقيد المعضلة من جهة ثانية

(لندن) **يوسف هيكل**

من الموضوعات التى نالت الجائزة فى المباراة الأدبية

# التربية الوطنية الاستقلالية
## وأثرها فى بناء الأمة
### للأستاذ محمد عبد البارى

— ٢ —

**النشأة الأولى**

لست أدخل فى مناقشة مسائل التربية وعلم النفس وأنا أحاول كتابة كلمة مفروض أنها للكافة كما هى للخاصة ، ولهذا فانى أستعرض الأدوار التى تمر بنا جميعاً مجرد استعراض قصد توجيه النظر العادى

« من شب على شىء شاب عليه » جملة قصيرة شائعة بين الخاصة والكافة هى جماع ما أريد تقريره

يولد الطفل طليقاً من كل قيد . ومن المستطاع تربيته على الفضائل الاجتماعية منذ نشأته الأولى إذا ما تركناه على سجيته متناولين حركاته بالتقويم الرشيد دون افساد طبيعته

هذا يقتضى بلا ريب أن يكون لدى الأم فكرة عامة ؛ وهذا الادراك الضرورى للأم ليس من الأمور الهينة فى مثل بيئتنا ، لكن هذا لا بد منه ؛ وما دام لا بد منه فلا سبيل إلى اهماله . أما كيف تصل اليه فلا يتسع له مجال القول هنا ، ويكفى القول بأن الأمر من الأهمية بحيث يرخص فى سبيل تحقيقه كل غال ، ويسهل فى سبيل الوصول إليه كل صعب . وهل هناك غرض أسمى من بناء الأمة بناء متيناً ؟

أول ما تجب العناية به فى أمر الطفل تربية جسمه طبقاً لقواعد الصحة ، والعناية بغذائه وبنظافته ؛ يتلو هذا فى الأهمية ويقترن به فى التبكير عدم تقديم كل ما يريد بغير تكليفه السعى اليه . يجب أن يربى على السعى لتتكون لديه فكرة الاعتماد على النفس . فاذا أشار إلى شىء ليحصل عليه ، يجب أن يقرب اليه بحيث لا يتسنى له الحصول عليه إلا بمحاولة جسدية . وإذا ما كان فى مقدوره أن يحبو فيجب أن يوضع الشىء بحيث يحبو اليه ليصل اليه ؛ فاذا تظاهر بالاعياء فلنغض الطرف عنه ليسعى ثم يسعى . ومن يتأمل ير على الطفل أمارات الارتياح إذا ما وصل إلى غرضه بعد كد وسعى

وإذا ما سقط وهو يمشى فلا نظهر انزعاجنا ونسرع اليه نلتقطه مظهرين الحنو عليه ، بل نتركه ينهض بنفسه . فبهذا وبأمثاله تربى فيه صفة الاعتماد على النفس والثقة بها ، وهما من أقوى عوامل النجاح فى الفرد ، وأمتن أسس البناء فى الأمة

يلى هذا وذاك فى الترتيب ، ويتقدمه فى الأهمية ، أمر أعصاب الناشئ . ينبغى عدم الالتجاء بحال إلى تخويف الطفل لحمله على الاذعان برسم صور خيالية مرعبة فى مخيلته . هذه الصور الخيالية المرعبة هى شر ما يحطم النفس البشرية ؛ هى الجرثومة الخبيثة لمرض الجبن ، أعصى الأمراض الاجتماعية على العلاج وأشدها فتكا بالجماعات

لست أقول بترك الطفل يعمل بلا تقويم ، ولكنى أقول بأنه يجب تقويمه فى عناية وبغير افساد خياله « بالمرهبات » ؛ فاذا تقدم فى السن فلا بأس باشعاره بسوء عاقبة الخطأ بحرمانه أو بضربه بالقدر الكافى مع الهدوء التام والقصد . ومن الواجب أن تظهر استحساننا واستهجاننا فى مناسبات ذلك

بهذا يمكن أن نربى فى الطفل قوة الاعتماد على النفس وحكم الأعصاب والشجاعة والمثابرة . وإذا ما ترك المنزل إلى المدرسة أو المصنع على هذا فانه يكون مزوداً بالقدر الكافى للحياة الكريمة

وفى المكتب أو المدرسة وفى المصنع وفى الشركات ومصالح الحكومة ودار العمدة يمكن تناول هذه الصفات بالتقوية . ولكن أقوى الدعائم ما يكتسبه الطفل فى المنزل سواء بالتقويم والتعويد ، أو بالمثل والقدوة .

فالأولاد يكسبون كثيراً إذا ما شاع فى البيت شعور المحافظة على الكرامة والقيام بالواجب والتمسك بالحق . إذا احترم كل من الزوجين الآخر ، ولم يتحكم الكبير فى الصغير ، ولم يستغل ضعف الخدم لارهاقهم وظلمهم ؛ وبالجملة إذا حرص رب الدار على ألا يكون فى بيته إرهاب أو إذلال أو استكانة ، ينشأ مع الأولاد شعور بالعدل والعزة ، ونفور من الظلم والعدوان

والنشأة المنزلية الملهمة للحرية والاستقلال تهون ذيوعهما فى الجماعة . فالغالب فيمن لم يألف الاهانة فى صغره عدم قبولها إذا ما كبر . وإذا آنس المعتدى من فريسته المقاومة فكر كثيراً قبل الاعتداء . فاذا ما قوبل الاعتداء بمثله كف المعتدون مع الزمن ، فتشيع فى الجماعة روح الاعتدال نتيجة هذا التفاعل ، ويشع فى جوانبها نور الحرية ويصلب عودها وتقوى . ويصعب النيل من حريتها واستقلالها

إيجاد هذه الروح فى الجيل الحاضر وتربيتها فى الجيل الناشىء ليس من الهين فى بلادنا مثلاً . لكن الأمر كما قلت عظيم . فليكن من أغراض دعاة الاصلاح تحقيق هذه الغاية بكل الوسائل . فبناء الأمة قوية مستحيل إذا لم تغلب روح الاستقلال والحرية والاعتماد على النفس والآباء . وكل بذل فى هذا السبيل له ما يبرره

خلاصة ما تقدم أن البذرة الأولى للتربية الاستقلالية فى البيت ، فاذا ما نمت به تعهدت خارج البيت بالمدرسة والمصنع ودواوين الحكومة ومكاتب الشركات والمنشآت الاجتماعية بوجه عام ، وكانت بذرتها القوية فى البيت مما يهون نموها وذيوعها وانتشارها فى الجماعة

### حرية الجهر بالرأى

إذا نشأت غالبية أفراد الجماعة على الاعتماد على النفس والآباء ، فان الغالبية تجهر بالرأى فى غير خشية ولا خجل . والرأى يسمع فى غير اشمئزاز ويناقش فى غير تعصب أو تحامل غير طبيعى . وبذا تسير الجماعة فى غير كثير من الاحتكاك

أما إذا لم تكن الشجاعة والاعتماد على النفس والاقدام هى الصفات الغالبة ، فان حرية الجهر بالرأى تعز من جهة ، وقبول النقد النزيه يندر من جهة أخرى ، فيكثر العسف وتنتشر الاخطاء وتنحط الجماعة

التربية الاستقلالية ترفض بطبيعتها المداراة . وفى الأوساط الحرة لا تحرج ولا إحراج ، بل يأتى النقد النزيه بالطبع ويقابل كذلك . والحقيقة تظهر بتلاقى الآراء . أما فى الأوساط غير الحرة لانعدام التربية الاستقلالية أو ندرتها ، فالاقدام يندر ويندر معه النقد ومقاومة الظلم ، فيكثر الغرور وتكثر الأخطاء وينحط المستوى الفكرى والخلقى تبعاً لذلك ، وتضعف أداة السير إلى الأمام وتهن قوة المقاومة فتفقد الجماعة وجودها المستقل وتمسى خاضعة لمشيئة الغير

### علاقة الحكام بالمحكومين

أدوات الحكم مهما اختلفت ألوانه هى — ا — التشريع ب — القضاء — حـ — الادارة

ا — والمثل الأعلى للتشريع ، فى رأيى ، هو أن يكون أقرب ما يمكن الى التعبير عن الارادة المشتركة . وأعنى بالارادة المشتركة فى جماعة ما ملتقى الارادات الجزئية أو الارادات الفردية نتيجة تبادل الآراء وتعديل بعضها بعضا . وكلما كانت حرية الرأى مكفولة كبر مجال تمحيص الآراء وقربت ارادة الدولة ، مجمع الارادات ، من ارادة الجماعة وصدق تعبيرها عنها . وإذا كان القانون ، وهو ارادة الدولة أساسه هذا ، فانه يسهل تطبيقه كما يسهل تعديله بما يساير تطور الجماعة ، لأنه يعبر تعبيراً صادقاً — بقدر ما تقبله طبيعة الانسان — عن ارادة المجموع

هذا النحو فى التفكير يقودنا إلى تقرير أن الحكم النيابى أقرب أشكال الحكومات المعروفة إلى التعبير عن ارادة الجماعة أصدق تعبير ممكن . وهنا لا بد لى من الاشارة إلى اعتراضين :

قد يتساءل البعض : كيف السبيل الى سيادة الحكم النيابى فى الجماعات المتأخرة ما دام القانون هو ارادة الدولة ، وما دام مثله الأعلى هو أن يكون نتيجة ملتقى الارادات الجزئية ، وكانت الأغلبية جاهلة ؟

وجوابى على هذا أن هناك رغبة مشتركة بين مختلف الطبقات ، أو ارادة مشتركة مهما بعدت النسبة بين درجات التفكير . وأعنى بهذه الارادة المشتركة ارادة توفير أسباب العيش والأمن على النفس والمال . فاذا عملت على ترقية مدارك الفلاح ، ويسرت له سبيل الرى والصرف ، وأمنته على نفسه وعلى ماله ، فانك انما تحقق رغبته أو تنفذ ارادته . والشرائع التى تؤدى إلى هذا تعبر عن ارادته . وبالعكس إذا صدر قانون باقامة دور فخمة للتمثيل وقاعات للتصوير فى قلب الريف مع شدة حاجته للمستشفيات العامة والمدارس العامة ، فانك لا تعبر عن رأى سكان القرى بل تخالف ارادتهم . ويقال مثل هذا عند جميع طبقات الأمة . فاذا أبدى نائب رأياً عن جماعة فانه ، طبقاً لما تقدم ، لا تناقض بين فكرة

الارادات الجزئية وبين الحكم النيابي في الجماعات المتأخرة ، ولو لم تظهر الارادة الجزئية مستقلة منفصلة . وبتقابل ارادات الطبقات المختلفة يعدل بعضها بعضاً حتى تلتقي في نقطة تحقق الارادة المشتركة بالقدر العملي اللازم لسير الجماعة إلى الأمام

أما الاعتراض الثاني فنشأ عن وقائع ما بعد الحرب ، تسمعه من أفواه أساتذة الجامعة كما تسمعه ممن يهتم للكلام في الشؤون العامة من بين معلمي المدارس الأولية ، ويتردد صداه بين أوربا وأمريكا وآسيا ، ذلك هو الاعتراض على صلاحية الحكم النيابي بنجاح نظام الحاكم المستبد العادل . يقولون إن المستبد النزيه انتشل ايطاليا من مخالب الفوضى ووضعها في مصاف الدول المرهوبة الجانب في زمن قصير . وفي مثل هذا الزمن انتزع المستبد النزيه تركيا من أحضان الموت وأوقفها على قدميها يخطب الأقوياء ودها اليوم بعد أن كانوا يتنافسون في اقتسامها بالأمس ، ويقولون عن جماعات أخرى مثل هذا . ويخرجون من المقارنة بأن الحكم النيابي لم يعد المثل الأعلى لنظم الحكم في وقتنا هذا

غير أن المستبد العادل من خوارق الطبيعة . ولا يصح وضع قاعدة عامة على أساس الشذوذ . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فالمستبد لا يقبل معارضة . ولا بد أن تفقد الجماعة روح النقد في مثل هذا الجو . فاذا ما انقضى عهد سحر الزعيم لسبب ما ، سارت الأمة نحو الضعف بأسرع مما سار بها سحر الزعيم المستبد الى القوة .

هذا الى أن إحاطة الزعيم بكل شيء أمر مستحيل . ولا بد له من مجلس يرجع اليه ، وإن لم يتقيد بما يبدى فيه من آراء . فاذا لم يكن هناك ، في ذلك الحيز الضيق ، حرية رأي فان الزعيم لا يسمع في الواقع إلا صدى صوته . ولما كانت الاحاطة بكل الأمور متعذرة كان خطأ التصرف هنا أمراً لابد منه في حالات كثيرة . وإذا قدر للحكم النيابي ، بشكله الحالي ، أن يتلاشى ، فلا ينفع الجماعة نظام المستبد العادل . بل ينفعها نظام النقابات ( Syndicalism ) . وفي هذا النظام لا بد من استقلال الرأي والحرية لتمحيص الأمور قبل إبرامها

لنعد الآن إلى تناول موضوع التشريع لنقول إن حرية الجهر بالرأي ألزم ما تحتاج اليه أداة التشريع . هذه الحرية لازمة داخل الأحزاب لزومها خارجها . فنقد رأي الزملاء والزعماء في حزبه لا غنى عنه لتقرير أقرب الآراء للسداد وأقلها تعرضاً للسقوط إذا ما هاجمها خصوم الحزب ، والامساك عن النقد مصانعة أو جبناً قد يؤدي إلى قرار خاطيء تسهل معه المهاجمة من الخارج . وهذه الحرية لازمة كذلك في مجالس التشريع وعلى صفحات الجرائد وفوق المنابر خارج هذه المجالس . وإبداء الرأي في غير مواربة من أقوم سبل تنبيه هذه الهيئات برغبات الجماعة وبمواطن الصواب . ولن يكون هذا ما لم تكن غالبية الجماعة قد نشأت نشأة استقلالية . فلا يجهر برأيه إلا من قويت عنده روح الاستقلال وكانت لديه الشجاعة وفي خلقه الأقدام

ب — والمثل الأعلى للقاضي هو من يتعرف وجه الصواب ويحسن تطبيق روح القانون على حالة الجماعة التي يطبق فيها ، ويدرك حق الادراك رسالة القاضي وأثره في المجتمع فلا يخضع لغير القانون والحق والعدل . هو الذي يتحرر من نزعات نفسه ومن المؤثرات الخارجية في تصرفه كقاض . هو الذي لا يخشى في الحق لومة لائم

والتربية الاستقلالية هي أقوى حصون القاضي ضد نزعات النفس . والكرامة الذاتية والثقة بالنفس هما أقوى دافع يدفعه إلى الدرس المستمر والتفكير غير المنقطع فيما يحيط به ليستطيع إبلاغ رسالته على خير وجه . وهما اللتان تلهمانه رفض الايحاء الخارجي مهما كان مصدره

وإذا آنس القاضي المدرك لسمو رسالته ضعفاً في روح الجماعة أو شيوع عوج في خلقها — وهو بحكم مركزه ميزان حساس — عالج النقص في أسباب أحكامه تارة ، وباسداء النصح إلى الماثلين أمامه تارة أخرى . وما أشد وقع النصيحة المقترنة بالعبرة !

وإذا آنس ، بحكم الممارسة ، نقصاً في التشريع أو عيباً أو غموضاً جعل من أغراضه ، في قراراته ، اكمال القانون إذا ما اتسعت لذلك النصوص دون ارهاق المعنى . فاذا لم يكن هذا مستطاعاً فانه يخاطب الجهات التشريعية لاستكمال القانون ويعمل لتحقيق هذا الغرض بكل ما يستطيع

( يتبع ) محمد عبد البارى

**ملاحظات متواضعة على مشروع**

# ترجمة معانى القرآن الكريم

بقلم المستشرق المجرى

## الدكتور عبد الكريم جرمانوس

---

طالعت والغبطة تفعم قلبي المرسوم الصادر بترجمة معانى القرآن الكريم أستناداً إلى الفتوى الشرعية القدمة من هيئة كبار العلماء ، إذ يبدأ العمل بمقتضاها قريباً فى هـذا المشروع الخطير الذى يعد أول حادث له قيمته فى تاريخ الاسلام

لقد ترجم مستخبو القرون الوسطى كتاب الله الكريم إلى عدة لغات أوربية . وكانت أول ترجمة ، على ما أعرف ، هى تلك التى قام بها كلونى الى اللغة اللاتينية فى القرن الثانى عشر . ثم أقبلت طائفة من القسس والرهبان على نقله الى بقيـة اللغات الحيـة ، حتى أن بعض الأمم الصغيرة ساهمت فى هذا العمل ، ولا تزال تفتخر بوجود نسخ من هذه التراجم البدائية فى متاحفها .

وتوجد فى اللغات الألمانية والانجليزية والفرنسية والايطالية عشرات التراجم ، القديمة والحديثة ، بحيث يمكن للمرء أن يختار منها ما يوافقه . على أن معظم هذه التراجم تـكاد تـكون حرفية لآيات الذكر الحكيم ، برغم حرص القائمين بترجمتها على وضعها فى قالب صحيح يتفق والمعنى الذى أنزلت به ، لأنه من المعلوم أن فصاحة القرآن وبلاغتـه أمران لا سبيل إلى انكارهما . وهذا لعمرى مما حارت فيه عقول العلماء والفلاسـفة واللغويين . ولو سلمنا جدلاً بأن معظم هذه التراجم خال من الاخطاء — وهذا ما لا يمكن الجزم بصحتـه — فالتفسير لا يكون مؤدياً تماماً لنصوص الذكر الحكيم . ومن المتيسر أن يصل المترجم الى الأصل الذى يخلع على كتاب الله جلالة وروعة . فمعجزة القرآن فى أسلوبه وبلاغته ، مما لا يجعـل الأجانب يفقهون معناه أو يشعرون بلذة عنـد تلاوته ، نظراً لأن بعض المترجين أطلقوا لأنفسهم العنان فى ترجمته

ويلوح لى أن هذه التراجم أشبه ما تكون بالصور القائمة التى تمثل الطبيعة الحية ، فالنشوة الروحية العميقة التى يحس بها المسلم لدى تلاوة القرآن ، يكاد أمرها يكون معدوما لدى طائفة من الأفرنج وهم يطالعونه فى لغاتهم . فمن هذه الناحية نرى أن القرآن الكريم غير قابل للترجمة ، ولا يمكن أن يصل كاتب مهما بلغت عبقريته الى مثل هذا السمو . والتاريخ على ما فيـه من الحوادث الجسام والعظات البالغات ، كذلك الفن فى أنبل وأسمى معانيه ، لا يمكن مقارنة أحدها بآية واحدة من آيات الكتاب المنزل الحكيم

وكيف لا يكون الأمر كذلك وهو كلام الله القديم الأزلى ؛ وهو معجزة ليس من السهل تفسيرها فى ضوء الحوادث ، أو شرحها بمنطق التدليل ، والمفروض أن الانسان يؤمن به حسب نزوله

إن فلسفة التاريخ بمناهجها الصحيحة ، حاولت عبثا أن تحلل تفاصيله وتواريخه وترده إلى أصوله ، ولـكنها برغم الجهود الجاهدة التى بذلتها أجبرت على الخضوع لأحكامه ، ورضيت من الغنيمة بالاياب ، وأيقنت أنه أمر ليس فى طاقة البشر أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . فى وسط ظلام الانسانية الحالك ، انبثق ذلك القبس الآلهى ، وأضاء الكون ليمهد للانسانية طريق الهداية والرشد ، مما أدى إلى وضع الأصول الاجتماعية والقوانين والشرائع وتحديد علاقة الناس بعضهم ببعض . بل أصبح القرآن قاعدة موطدة لثقافات علمية واسعة النطاق ، وحلقة كونية لم يظهر لها نظير فى كل أحقاب التاريخ

ولقد كان طبيعياً أن يكون القرآن باعثاً على خلق الوحدة العربيـة والاخوة الاسلامية ، سواء فى اللغة أو فى الفكر والعاطفة ، وبتأثيره امتدت حضارة الاسـلام من قلب الجزيرة العربية إلى أطراف العالم ؛ وكان امتداد هذه الحضارة مما لم تشهده مدنية من المدنيات الانسانية العظيمة الأخرى . فاقامة الصلاة رن صداها اليوم من مراكش إلى اليابان حول قارات ثلاث . كذلك كان القرآن سبباً فى احكام رابطة الوحدة بين ثلثمائة مليون مسلم ، سلاحهم التقوى ومخافة الله ، ودينهم مستمد من القانون السماوى المقـدس الذى رفعهم إلى السمو الروحى . ولقد طغى القرآن على الفوارق المادية التى بين المسلمين ، حتى أصبحوا بفضله إخواناً ، وأزال البغضاء والنقائص من نفوسهم ،

ونفى عن قلوبهم الأدران والعوامل الشعوبية واللغوية والجغرافية حتى صاروا كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضاً .

* * *

إن تفشى النزعة المادية كان من أقوى البواعث زعزعة العقائد الدينية فى عالم الغرب . وهذه الظاهرة بدت ماثلة قوية الأثر فى القارة الأوربية عند ما حاولت أن تشيد لها صرحا فوق أنقاض الدولة الرومانية ، هنالك بدأت حركة الاصلاح التى قام بها مارتن لوثر ، وكان من أقوى عواملها ترجمة الأنجيل ، فكانت ترجمة هذا الكتاب المقدس سبباً فى تقدم الحضارة الجرمانية ، وسبيلاً الى إدماج لهجات ولغات متباينة بعضها فى بعض ، حتى غدت منها لغة واحدة هى الآن لسان للأدب الألمانى الكبير

من ذلك ترى أن ترجمة الانجيل من اللاتينية أحدثت فى الحضارة الأوربية بعض الأثر الذى أحدثه القرآن الكريم فى تكوين حضارة اسلامية راقية مؤسسة على قواعد ونظم ثابتة .

أضف الى ذلك أن اختراع الطباعة جاء فى نفس الوقت الذى تنازعت فيه الأمم والشعوب الجرمانية لتلم شعثها ، فاحتضنت الطباعة اللغة والفكر والدين ، وازدهر الأدب الجرمانى وانتشرت ضروب الثقافات ، وبفضل ترجمة الانجيل اندثرت اللغات واللهجات ، ومحيت الفوارق السياسية التى كانت إحدى نتائج الجهل المؤدى الى العبودية

فى ذلك الوقت كانت طائفة صغيرة من العلماء فى الشرق الاسلامى ، قد احتكرت علوم القرآن وتفسيره ، وأصبحت اللغة الفصحى على وشك التدهور والانهيار ، وتفشت الأمية والجهل الى حد مخيف ، وأصبح المسلمون الذين كانوا قادة الأمم فى العلوم والآداب فى حالة تأخر وانحطاط بالنسبة لأسلافهم . أما الكتاب الكريم ، ينبوع الحضارة الاسلامية الزاهرة ، فكان غير مفهوم لأكثر من الناس

فى هذه العصور المظلمة كانت طائفة العلماء فى عزلة تامة عن الشعب ، يحتكرون القرآن فى صدورهم ، فانتشرت الجهالة وعمت الفوضى ؛ على أنه من توفيق الله ، كان لا يزال ألوف من المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها يحفظون القرآن وان لم يفقهوا معانيه . فالاسلام فى حد ذاته هو التشبع بالمبادىء الروحية السامية المركزة على طهارة النفس ونقاوتها مما يشوبها . فهل يمكننا فى هذه الحالة أن نعترف بأن الالهام السماوى ، مهما بلغ من التقديس ، يؤثر فى نفوس من لا يفقهون معناه ؟ إن الاسلام ليس سحراً ولا طلسما ، ولكنه دين الحق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ وإذا اعتقدنا بأنه صالح لكل زمان ومكان ، فيجب علينا إذن أن نعمل جهدنا لشرحه وترجمة معناه وجعله فى أيدى ألوف الناس الذين يتحرقون شوقاً للدخول فيه أفواجاً وأفواجاً

نحن لا نحارب فى هذا العصر مثلا بنفس الأسلحة التى كان آباؤنا يلجأون إليها للدفاع عن أنفسهم — من أقواس ونبال ورماح — بل نقاتل بالدبابات والطيارات وسائر الآلات الحديثة ، كذلك يجب علينا فى هذا العصر ألا ندخر وسعاً فى الالتجاء إلى كافة الوسائل الأدبية والروحية لاظهار فضائل الدين الحنيف والتبشير به فى أرجاء الأرض

لقد كان القرآن محصوراً فى بدايته فى بضع نسخ خطية ، فلما انتشرت المطابع الحجرية استخدمت لنشره وجعله فى متناول أيدى ألوف المسلمين . كذلك كان الأمر فى المطابع الزنكوغرافية والحديثة ؛ وهو الآن يذاع فى الراديو ويقتصر على موجات الأثير . أما الذين يحفظون كتاب الله ولا يفقهون معناه ، فهؤلاء شأنهم شأن غريق يلتمس النجاة ، محاولاً التعلق بحزمة من القش . وليس فى وسعهم أن يفقهوا الشطر الروحانى منه الذى يؤهلنا للرشد والتقدم والتسلح بأسلحة من العلم واستقامة الفهم

إن العالم الاسلامى الذى يقف اليوم فى مفترق الطرق ، فيه أكثر من ثمانين فى المائة يحفظون القرآن عن ظهر قلب ولا يفقهون معناه ، فالى هؤلاء الملايين نوجه الأسئلة الآتية :

١ — هل تميلون إلى حفظ القرآن فى صورته الحاضرة دون أن تفقهوا معناه فتظل نفوسكم ظامئة إلى هذا الشراب الروحى ؟

٢ — هل تريدون أن يكون وقفاً على طائفة من العلماء يحتكرون معانيه فى صدورهم مع أن الله عز وجل أرسله الى كافة البشر ؟

٣ — ماذا يكون لو أن الكتاب الكريم نقل الى لغاتكم حتى ترتوى منه النفوس الظامئة التى تتلهف عليه كينبوع تفجر من الألوهية العظيمة ؟ (البقية فى العدد القادم)

(بودابست) عبد الكريم جرمانوس

من الموضوعات التي نالت الجائزة في المباراة الأدبية

# استثمار نهضة المرأة لخير البلاد

## للسيدة إحسان أحمد القوصي

لما قام المرحوم قاسم أمين منذ ربع قرن ونيف يطالب بتعليم المرأة وتحريرها من أسر عادات بالية، وقيود تقاليد عتيقة شلت نصف الأمة، وحالت دون انتفاع البلاد بجهودها... لم يكن يحلم أشد أنصار المرأة تفاؤلا أن المصرية ستخطو هذه الخطوات المباركة في تلك الفترة القصيرة، وتسير سيرها الحثيث، لتحتل المكانة التي سمت إليها من آلاف السنين في حضارة مصر القديمة، وأيام ازدهار مجد العرب. وإذا كنا اليوم نغتبط عما نلمسه من دلائل نهضتنا الرائعة، وما تقوم به المشتغلات بالحركة النسوية من نواحي الإصلاح وجلائل الأعمال، فوق ما رفعن به شأن بلادهن في شتى بلاد العالم، وبمختلف المؤتمرات النسوية الدولية... فذلك لما تبعثه فينا هذه النهضة من قوة الأمل وكبير الرجاء؛ في مستقبل زاهر تستكمل فيه المصرية نهضتها، ويظهر أثر ذلك الكمال في نهضة البلاد

وإذا رأيت من الهلال نموه أيقنت أن سيصير بدرا كاملا

وإذا كان بيننا اليوم المحامية والطبيبة والصحفية والكاتبة والمعلمة والممرضة، والكثيرات من حاملات الشهادات وكاتبات المقالات، فليس معنى ذلك أننا بلغنا غايتنا، واستوفينا نهضتنا، فما زالت الأغلبية الساحقة من نسائنا يخيم عليهن ظلام الجهل، وما زالت الألوف المؤلفة من أطفالنا تقع فريسة للأمراض، وتقضي ضحية الجهالة؛ وما زالت بلادنا تفوق بلاد العالم في نسبة العمى، وما زالت سوق الخرافات رائجة، وما زال الكثير من عاداتنا في حاجة إلى التهذيب والاصلاح. ويطول بي الشرح لو أردت أن أستوعب أمراض المجتمع التي تستطيع المرأة أن تساهم في علاجها بنصيب كبير إذا مهد لها الطريق فتكون المتعلمة قد أدت حينئذ رسالتها، وقامت بواجبها من خدمة لبلادها. نعم إن طريق الاصلاح شاقة وعرة، والعقبات جمة، والمصاعب كثيرة؛ ولكن كل صعب يهون أمام صدق العزائم، وشحذ الهمم، وتضافر الجهود، وتوحيد قوى المتعلمات ليهذبن ويدربن ويصلحن شأن أمتهن، وينهضن على الأخص بأخواتهن من مختلف الطبقات صحياً وخلقياً وأدبياً، فيكن قد عالجن الداء من أساسه، فالمرأة ليست نصف الأمة فحسب، بل هي مربية النصف الآخر منها كذلك. ومما يزيدنا تفاؤلاً أن في البلاد اليوم روحا تفعل في نفوس الأفراد والجمعيات فعل الخير، متجهة بها من الوحدات الجزئية إلى وحدات كلية مما يساعد على استثمار نهضة المرأة

واستثمار نهضة المرأة يقوم على تعاون ثلاث قوى: جمهور المتعلمات، والحكومة، والشعب

أما واجب المتعلمات فالبادرة بالاستعداد لعقد مؤتمر نسائي تمهيدي تشمله الحكومة برعايتها، تشترك فيه كافة الجمعيات النسائية على اختلاف مذاهبها وغاياتها، ويدعى إليه أكبر عدد ممكن من فضليات السيدات والآنسات المتعلمات، ليكون واسطة للتعارف وتوحيد الجهود؛ ووضع الأسس لخطة عملية مبتجة بعد المناقشة والبحث في خير الوسائل لمعالجة نواحي الضعف التي توكل كل منها إلى لجنة تقتلها بحثاً ودرساً، ثم تقرر الوسائل الكفيلة بعلاجها. فتؤلف لجنة مثلاً لبحث خير الذرائع لرفع مستوى أخلاق النشء، ولجنة ثانية لتحسين الصحة العامة، وثالثة لمحاربة الخرافات والعادات الذميمة، ورابعة لتنظيم الاحسان وتخفيف ويلات البؤس، وخامسة لتوفير السعادة العائلية وإصلاح حال الأسرة، وسادسة للعناية بالولد صحياً وخلقياً، طفلاً ويافعاً، وسابعة للشؤون القومية والاقتصادية، وثامنة لنشر الثقافة والفنون بين المتعلمات، إلى آخر ما يراه المؤتمر من الموضوعات جديراً بتأليف لجنة لبحثه، وبعد أن تنتهي اللجان من أبحاثها الدقيقة وتكون قد دعمتها بالأدلة والاحصاءات كلما أمكن، واستعانت على استيفاء ما ينقصها من المعلومات باستقائها من مصادرها في مختلف مصالح الحكومة والمؤسسات الوطنية والأجنبية التي تشتغل بالشؤون الاجتماعية في مصر أو في الخارج، تكون قراراتها بمثابة الخطة الحكيمة لقيادة جيوش المتطوعات إلى حرب صامتة في مظهرها، مصلحة طموح في جوهرها، عدتها التعاون والهمة، وسلاحها الايثار والتضحية، ثم يبدأ زحف كتائب المتطوعات على الأحياء الفقيرة في العواصم، ثم يتقدمن بزحفهن إلى البنادر، ثم إلى الريف، لنشر الدعاية الصحية والتهذيبية، وإرشاد الفقيرات وتعليمهن النظافة والعناية بالأولاد الخ

ولما كانت الاطالة فى شرح أعمال تلك اللجان واستيعاب النقط التى تدخل فى لجنة كل منها تتطلب إفاضة لا يتسع لها مقال كهذا ، كما أنه يكون استباقاً للحوادث وإحلالاً لرأى الفردى محل رأى سيكون ثمرة شورى الجماعات التى تنصرف إلى بحث كل نقطة ، وتتفرغ لدراستها على ضوء ما يتوفر لها من الأدلة والبيانات ، لهذا أكتفى بإيراد النقط التى تدخل فى بحث لجنة أو اثنتين على سبيل المثال تنويراً للأذهان وتوخياً للاختصار : فاللجنة التى يوكل اليها رفع مستوى الأخلاق مثلاً يصح أن تتناول الأمور الآتية :

١ — أفعل الوسائل فى بث روح الفضيلة فى النشء وتعويدهم العادات الحسنة

٢ — محاربة الرذائل والعادات الذميمة كالبغاء والمخدرات وبجرائم اللسان والخلاعة والاستهتار

٣ — توجيه الشباب للقيام بالخدمة الاجتماعية

٤ — الأماكن التى يصح أن يرتادها الشباب ، والكتب التى يجب أن يقرأها

٥ — مقاومة مساوىء المدنية ، والمحافظة على الحسن من تقاليدنا وعاداتنا

٦ — توفير أسباب اللهو البرىء ليقضى الشباب وقت الفراغ فى المسلى المفيد

٧ — مساعدة المتعطلات على الارتزاق حفظاً لهن من السقوط

واللجنة التى تتخصص فى تخفيف وطأة البؤس يصح أن يتناول بحثها النقط الآتية :

١ — تنظيم الاحسان

٢ — توفير وسائل العلاج للمرضى من الفقراء

٣ — تعليم الفقيرات صناعات تزيد فى رزقهن

٤ — تحديد نسل الفقراء

٥ — الاكثار من ملاجىء للأطفال المتشردين

٦ — العناية بذوى العاهات

٧ — التأمين للعمال

٨ — النسج على منوال ألمانيا فى الاكتفاء بغذاء رخيص يوماً فى الشهر وتأدية الفرق للفقراء

٩ — إيجاد أماكن صحية للناقهين والضعفاء بأجور زهيدة

هذه أمثلة من المواضيع التى يمكن أن تتناولها اللجان العاملة بأبحاثها ، ربما تشعبها وترابطها مدى أهميتها ، وأثر تحقيقها فى مداواة أمراض المجتمع

أما الحكومة فيقع عليها النصيب الأكبر من هذا الواجب ، واجب الأخذ بيد العاملات على تنفيذ البرامج الاصلاحية التى رسمنها بعد الدرس والتمحيص ، لأنها المسئولة عن صالح المجتمع بصفتها الهيئة الحاكمة ، ولأنها تملك سلطة التشريع وفى قدرتها تدبير الأموال ، ولها من وسائل التنفيذ ما لا يتوفر لغيرها من الهيئات ، ولهذا يكون اشتراكها وإشرافها ضروريين لضمان نجاح العمل وتحقيق الاصلاح ، لا سيما وهو فى مرحلة التأسيس والانشاء . فلابد من تعيين بعض الموظفات الى جانب المتطوعات لينتظم العمل ويطرد سيره فى سبيل النجاح ، كما لا بد من مساعدة الحكومة للعاملات لخير المجتمع مادياً وأدبياً ، فتمدهن بعونها ونفوذها بسن القوانين الكفيلة بالاصلاح ، وتسهل لهن سبل العمل ، كأن تخول لعدد من المتطوعات السفر بالسكة الحديدية مجاناً ، وتسمح بعينهن فى مدارسها فى مختلف البلاد ، وتسهل لهن زيارة المؤسسات الاجتماعية من ملاجىء وإصلاحيات ومستشفيات الخ ، إلى غير ذلك من وسائل المساعدة . وهذه أمثلة بسيطة ذكرتها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر والتحديد

ومن أهم ما يجب على الحكومة لاستثمار نهضة المرأة ، البادرة الى تعديل مناهج تعليم البنات ، وإرسال بعثات للتخصص فى الخدمة العامة فى كلية سيمونز بيسطن Simmons College Boston ، وهى أهم معهد بالولايات المتحدة لدراسة الخدمة العامة الطبية والسيكولوجية الخ ، أو فى مدرسة الخدمة العامة بشيكاغو أو كلية سمث Smith بماساشوستس أو غيرها ، حتى إذا عادت البعثات ساعدت المدارس على تربية روح الخدمة العامة فى الناشئة ، وجندت منها فرقاً للعمل تحت إشرافها ، وأفادت المشتغلات بالشؤون الاجتماعية وتوجيههن الى أنجع الوسائل وخير الطرق لتحقيق الغايات التى يسعين اليها . وغريب أن الحكومة لم تفكر حتى الآن فى هذا النوع من البعثات ، مع وفرة عدد البعثات التى أوفدتها وتنوعها ، ومع شدة حاجة بلادنا اليها

أما تعليم البنات فواجب الحكومة أن تستغل رغبة الآباء فى

تعليم بناتهم وإقبال البنات على التعليم بمختلف مراحله ، لتجعل من تلك الآلاف المؤلفة زوجات فاضلات يحسن تدبير البيوت وعلأنها بهجة وسرورا ، وأمهات صالحات ينشئن رجالاً صحيحي الأجسام ، قويمي الأخلاق ، كريمي النفوس ، وذلك بتعديل البرامج ، لأن البرامج الحالية قاصرة جداً عن تحقيق هذه الغاية .

ومن المسلم به أن غاية التربية الصحيحة أن تعد المرء للحياة ، وتسلحه بما يكفل له النجاح فى كفاحها ، وتؤهله للدور الذى ينتظره وتنتظره الانسانية منه . والمدارس التى تعلم الطبيب كيف يحارب العلل وينقذ المرضى ، وتعلم التاجر كيف يروج بضاعته ويزيد ربحه ، والزارع كيف يجود حاصلاته وتسلم من الآفات ، والصانع كيف يتقن صناعته ويرقى بفنه ، فتعد كلا منهم لمركزه الخاص . . . جديرة بها أن تعد الفتاة ( ووظيفتها تختلف عن وظيفة الرجل ) للقيام بدورها الخطير . فما لا شك فيه أن الفتاة أحوج إلى درس نفسية الأطفال فى مراحل نموهم ومعرفة طرق العناية بهم جسمياً وخلقياً منها الى دروس الميكانيكا ، وهى أحوج إلى علم الاقتصاد منها الى حساب المثلثات ، وهى أحوج الى تدبير المنزل والحياكة والتفصيل منها الى الهندسة الفراغية ، وهى أحوج الى علم الصحة والموسيقى منها الى الكثير مما تدرسه الآن .

لست ضد ثقافة المرأة ، ولا أريد الحد من حرية الراغبات فى الدراسة العالية ، ولكنى أريد أن يميز التعليم بين حاجة الجنسين ، وأن يفرق بين من تتعلم لتحترف الطب أو المحاماة مثلا وبين الأغلبية من سواد الشعب اللواتى ينتظرهن البيت المصرى جنوداً يعملن على حمايته ورفع مستواه ، وأن يعنى بالمواد النسوية عناية كافية تستفيد منها المرأة فى حياتها العملية ، وإلا ضاع معظم جهدها وما ينفق على تعليمها فيما لا طائل تحته ، وصدق علينا قول الشاعر :

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا
مضر كوضع السيف فى موضع الندى

ونظرة نافذة ترينا أننا فى حاجة ماسة تبلغ حد الظمأ إلى تحسين نوع تعليم البنات منا إلى إكثار المدارس لهن . فما أكثر حاملات الشهادات ، ولكن ما أكثر الصدف وما أقل الدر فيه ، وما أكثر الزهر وما أقل العطر منه ، وإن يوماً تعدل فيه مناهج تعليم البنات تعديلاً يهيء لهن الدراسة التى تتفق مع وظيفتهن ، وتوضع القيود والضمانات لقصر عدد من يدرسن مناهج البنين على الراغبات فعلاً فى الدراسة العالية حتى لا تتحول الأغلبية أليها . . . لهو اليوم الذى نكون فيه قد وجهنا التعليم النسوى وجهته المنتجة ، وخدمنا البلاد أجل خدمة

هذا واجب الحكومة مجملاً : أما واجب الجمهور فأن يساعد العاملات مادياً وأدبياً ، ويشد أزرهن بعطفه وتشجيعه ، فيناصرهن الغنى بماله والكاتب بقلمه ، والخطيب بلسانه ، والمصور بريشته ، والفقير بتطوعه للعمل ، والمعلمون والآباء بما يبثونه من المبادىء الطيبة فى نفوس الصغار ؛ لأن المرأة فى حاجة ، حاجة ماسة ، إلى تعضيد الرجل لها فى نهضتها ، والرجل والمرأة يجب أن يكونا فرسى رهان فى ميدان الاصلاح يندفعان جنباً إلى جنب فى سيرهما لترقية المجموع وخدمة الانسانية دون أن يعترض أحدهما سبيل الآخر فى عدوه ، وأن يبادر كل منهما لعون الآخر فى جهوده النافعة ما وجد إلى ذلك سبيلاً ، ويا سعد يوم يتم لنا فيه التآزر الكامل على العمل الصالح ، إننا لا شك بالغون فيه غايتنا باذن الله .

احسان أحمد القوصى

الأدب بين الخاصة والعامة

# لامرتين و رينيه جارد

## للسيد اسكندر كرباج

تابع لما نشر فى العدد الماضى

يأسف لامرتين إذ يرى اليأس مخيماً على وجه رينيه ، والأسى يغمر نفسها التوّاقة إلى إرواء هـذا الظمأ الطبيعى فى الناس من ينابيع الحبّ والمعرفة . ثم يقول لها : هل وجدت يا رينيه بين كل ما ذكرت لك من الكتب ما يوافق الطبقات العاملة مثلك ؟

فتجيبه : صفحات قليلة يا سيدى ، لأن كل ما فى لغتنا كُتب لكم ، لذلك يجب أن يخلق الله من يكتب لنا

فيقول : لقـد حان الوقت الذى يجب أن يُكتب فيه لكم يا رينيه ، لأن ارتقاء عقليّة الشعب وشدّة ميله إلى المطالعة سيحملان الكثيرين من الأدباء على تخصيص الوقت الذى يصرفونه فى أماكن اللهو لوضع الكتب الشعبية . وفضلاً عن ذلك فالارتياح العام إلى اشتداد حركة الصناعة والعمل فى البلاد سيدفع الحكومة إلى التوسُّع فى نشر الاصلاح ودعوة كل من أفراد الأمة إلى القيام بقسطه من خدمتها . وهذا يضاعف عمل الفكر فى كل الطبقات الاجتماعية ؛ وبما أن الكتب هى أدوات هذا العمل فسيوضع منها للعمّال ما يوافق أيديهم

وقد ازداد عدد الكتّاب على ما كان عليه فى الماضى زيادة كبرى ، لأن قسماً كبيراً من النفوس الهاجعة استيقظ بعد الثورة واندفع إلى ساحة العمل والانتاج ، ولأن خريجى المدارس العالية تحوّلوا عن خدمة الامبراطورية والدين إلى التوظُّف فى دوائر الحكومة والاشتغال بالأدب ، فكثر عدد الكتّاب وأصبح ما ينشر فى السياسة والشعر والأدب والاجتماع يومياً كافياً لوضع المجلدات الضخمة ، وتزاحمُ هذا العدد الكبير من الأدباء على أبواب الشهرة يحول دون معرفة العباقرة الحقيقيين

لم يعمل رأس الانسان وقلبه فيما غبر من عصور الانسانية ما يعملانه فى هذا العصر ، فهما كناية عن معملين للأدب دائمى الحركة ، وهذا العمل المتواصل يبحث عن وجهة ينصرف إليها فلا يجد ، لذلك نراه قلقاً مضطرباً . غير أن الطبيعة التى أوجدت التبادل بين الأعمال والحاجات ستوجد لهذا العمل حاجته ، وهذه الحاجة هى وضع الكتب للجمهور

ثقى يا رينيه أن عهد الأدب الشعبى قد دنا ، وأعنى بالأدب الشعبى الأدب السليم الكتمل ، لأنى أفهم من كلمة شعب ما يفهمه الله والفلسفة ، أى القسم الأكبر والأهم من البشرية لا ما يفهمه المتطرفون ؛ وإذا لم يطرأ على الأنظمة الحديثة فى هذه السنوات العشر ما يعرقل سيرها ، أو يحولها الى طغيان مؤقت ، فسيكون للشعب مكتبته وعلومه وفلسفته وروايته وشعره وأدبه وتاريخه وفنه

فتسأله رينيه دَهشة : ومن يضع لنا كل ذلك ؟

فيجيبها : الكبار بين العلماء والشعراء ، فكما أن تربية الأمراء والتحدث إلى الملوك والتقرب من رجال البلاط كانت إلى الأمس القريب تعدُّ شرفاً كبيراً فان تثقيف الصغار والتحدُّث إلى الوضعاء وخدمة الطبقات العاملة ستعد فى الغد القريب لا شرفاً كبيراً فحسب ، بل فضيلة عظمى ، وهكذا يتحول مجد الكتّاب من القصور الى الأكواخ ومن العواصم الى القرى . وبما أن العبقرية تتجه بطبيعتها نحو المجـد ، فالمجد سيكون ترديد اسم الكاتب فى أفواه الملايين من النساء والرجال صغاراً وكباراً .

لماذا يؤلف الأديب ويكتب وينظم ؟ ليُقرأ ويُدرك ويُشارك فى شعوره وتأثره ، ويُحب ويُكرم ويُطرى ، أفليس الأفضل للشاعر أن تنقش منظوماته على صفحات قلوب أربعين مليوناً من أن تُصفّ على رفوف ستة آلاف مكتبة ؟ أو لا يفضل الكاتب أن ينتسب الى هذه الأسرة الكبرى المؤلفة من أربعين مليوناً ، يعيش فى أفكارها وتذكاراتها ويقاسمها عواطفها وميولها ، من أن يكون عضواً فى مجمع علمى لا يجاوز عدد أعضائه الأربعين ؟ فما هو رأيك يا رينيه ؟ ماذا تؤثرين : أن تتردد منظوماتك فى أفواه الملايين من الصغار ، ينشدونها فى نهاية كل صلاة أو فى أحضان أمهاتهم ، أو أن تطبع وتجلّد بدقّة وجمال ، وتوضع فى مكتبة بعض هواة الشعر ؟

فتجيبه : آه يا سـيدى ! أؤثر أن تردد فى أفواه الصغار والوضعاء لأنها تكون طبعة شعبية تختلج بالحياة ، فالمجد الذى لا يدعمه الود هو حبة لا تنبت ، ونور لا يدفىء

وأراد لامرتين أن يذهب الى أبعد من ذلك فى معرفة حقيقة ذوق الشعب وميله الأدبى بواسطة هذه الفتاة التى نشأت بين

الخدم وتعيش مع العمال فاستأنف قائلاً : أنت ياربنيه تعرفين أصناف الكتب التي توافق أهل طبقتك وتنطبق على عاداتهم وميولهم ، فما هو الكتاب الذي يجب أن يؤلف أولاً للذين لم يقرأوا شيئاً أو أنهم قرأوا قليلاً ؟

فتجيبه : لا رأي لي في ذلك إذ لا يتذوق الأدب إلا من كان ثقيفاً

— ولكن لا بأس أن تجاوبي عن نفسك ، أي نوع من الأدب كان بامكانه أن يستهويك ويؤثر في نفسك قبل أن تتيسر لك المطالعة ؟ أهو الفلسفة الدينية والوجدانية التي تصلح لأن تكون دستوراً لأفكار البشر وانجيلاً يعبر بأمثال قصيرة سامية وجلية كأشعة الشمس ، عن مبادئ العلوم الانسانية الكبرى وفضائلها المكملة بالذكاء والمعرفة على ممر العصور ؟

— هذا لا بأس به ، غير أن برودة الأمثال لا توافق حرارة قلوبنا ، فهي كناية عن أفكار تشع فيما نقرأه ، ولكنها فوق مستوانا العقلي

— هل يرضيك تاريخ عام جلي العبارة رائق الأسلوب ، ذو فروع عديدة كأغصان هذه الشجرة التي تسمعنا ، تخرج فيها الأصول من الأرض ، والجذع من الأصول ، والأوراق من الأغصان ، بحيث تستطيعين أن ترافقي بنظرك نشوء كل هذه الأسرة البشرية الكبرى من أقدم الأزمنة إلى اليوم بما رافقها من ارتقاء وانحطاط ، ومن سلالات ظهرت ثم انقرضت مع أفكارها وأديانها وأنظمتها وفنونها وأعمالها ؟

— هذا لا يرضي إلا الشبان المتعلمين والشيوخ المائلين الى أشياء الماضي ، أما سواهم من النساء والعذارى والأولاد فلا يميلون إلى مثل هذا الموضوع لارتفاعه عنهم ، فهو يمر أمامنا كالسيل العظيم يبهر عيوننا ويغرق أرواحنا ، لذلك نفضل عليه وشلة من ينبوع قريب . ان العظيم عظيم ، ولكنه غامض كالسماء لا نرى فيها سوى النجوم

— ما قولك في كتاب يفسر كل العلوم والفنون بطريقة سهلة بسيطة تقفك على كل ما اكتشفه الانسان واخترعه وتصوره وحسنه في كل أنواع الحرف والصناعات وغير ذلك مما يريك الحقيقة ويهدم كل ما قام حول العجائب الطبيعية والاصطناعية المنسوبة الى الراقيات من الأفكار الكاذبة ؟

— لا نزال في مكاننا ياسيدي ، فهذا الموضوع لا يهم إلا المثقفين وما أقلهم بيننا وأقصر وقتهم لمطالعته ، وعدا ذلك فماذا يبقى في النفس بعد مطالعة كل ذلك ؟ غيمة من الألفاظ والخطوط والأشياء والحوادث والأدوات وغيرها مما يبلبل أرواحنا ؛ يكفينا ما نعرفه من أسرار حرفنا فلا حاجة بنا الى معرفة أسرار حرف الغير !

— وما رأيك في القصائد والملاحم ، كقصائد وملاحم هوميروس وفرجيليوس وطاسو تصف مواكب الأبطال وفتوحات الشعوب وما قامت بها من الحضارات ودكته من الحصون وأحرقته من المدن وأفنته من الجيوش ؟

— لقد مضت نشوة تلك الأيام ياسيدي . أيام اليونان والرومان حيث لم يكن للأمم غير فكرة الاقتتال والتطاحن والاعتقاد بكل أشكال الخرافات وبآلهة ومخلوقات تنزل من السماء وتحارب مع هؤلاء ضد أولئك ، فالشعب اليوم لا يثق كثيراً بخيال الشعراء ، ويريد منهم أن ينشدوا له الحقيقة والفضيلة والصلاح وإلا تخلف عن سماعهم ومطالعة منظوماتهم

— وفي رواية لطيفة رقيقة تتضمن وصف حوادث رجال ونساء يتحابون ويتخاطبون ويتراسلون ويتواشون ويتخاصمون ثم يعودون فيتصالحون ويتشاكون ، وبعد كثير من المغامرات يتزاوجون ليعيشوا أغنياء سعداء في أحد فنادق لندن أو باريس ؟

— نكون كمن يقرأ بالصينية أو اليابانية لجهلنا معاني هذه الحوادث وأسرارها ، إننا لا نقرأ إلا روايات الخادمات والخائطات إذا روعيت في كتابتها شروط الحشمة والأدب كي لا تضطر ربات الأولاد إلى نزعها من جيوب البنين والبنات وطرحها في النار

— ما قولك في هذه القصص الحقيقية البسيطة التي تصف بيوت الشعب وعاداته واصطلاحاته وميوله وأخلاقه وصدقه وبؤسه وسعادته وحوادث أفراده بلغة سهلة كلغته وتعابير ساذجة كتعابيره

— في اعتقادي ياسيدي أن هذه هي الكتب التي تستهوي العمال ولاسيما زوجاتهم وبناتهم ، لأن المرأة تمثل كل شعور الأسرة فمتى قرأت ربة البيت أو ابنته كتاباً ما ، فكأن الأب والأخوة قرأوه أيضاً ، فنحن أرواح المسكن ، فما نحبه يحبه حتى الجدران ، إن النفس تهذب في البيت أما العقل فيثقف في المدرسة

— يجب أن تكون حوادث هذه القصص حقيقية ، أليس كذلك ؟

— نعم لأننا نحيا الحياة الحقيقية ، والحقيقة هي شعرنا

# الأناشيد القومية المصرية

### التى نالت الجوائز فى المباراة الأدبية

[ ننشرها على ترتيب لجنة التحكيم ]

## نشيد الأستاذ محمود محمد صادق

بلادى بلادى فداك دمى     وهبت حياتى فدى فاسلمى
غرامك أول مافى الفؤاد     ونجواك آخر مافى فمى
سأهتف باسمك ما قد حييت
تعيش بلادى ويحيا الوطن

غرامك يا مصر لو تعلمين     قصارى شعورى دنيا ودين
فمنك حياتى وفيك مماتى     وحبك آخرتى واليقين
سأهتف باسمك ما قد حييت
تعيش بلادى ويحيا الوطن

حياتك يا مصر فوق الحياة     وصوتك يا مصر وحى الإله
تعاليت يا مصر من موطن     على الدهر يبقى وتفنى عداه
سأهتف باسمك ما قد حييت
تعيش بلادى ويحيا الوطن

لك المجد معجزة الأولين     ومازال تاجك فوق الجبين
فتيهى بمجدك فوق الوجود     ومدى اللواء على العالمين
سأهتف باسمك ما قد حييت
تعيش بلادى ويحيا الوطن

مآثر مجدك تحت الثرى     تشيد بذكرك بين الورى
وهذى فتوحك فى المشرقين     تعالت بمجدك فوق الذرى
سأهتف باسمك ما قد حييت
تعيش بلادى ويحيا الوطن

أيا مصر هذا لواء الهرم     على النيل يخفق منذ القدم
تمر عليه جيوش الزمان     تحيى اللواء تحيى العلم
سأهتف باسمك ما قد حييت
تعيش بلادى ويحيا الوطن

لك الشرق ألقى زمام القياد     فنعم الزعامة بين البلاد
فيوما حملت لواء الفنون     ويوما حملت لواء الجهاد
سأهتف باسمك ما قد حييت
تعيش بلادى ويحيا الوطن

يظلك عرش المليك الكريم     وترعاك عين العلى العظيم
ألست الكنانة فى أرضه     وموعود جنته والنعيم
سأهتف باسمك ما قد حييت
تعيش بلادى ويحيا الوطن

بلادى بلادى إذا اليوم جاء     ودوى النداء وحق الفداء
فحيى فتاك شهيد هواك     وقولى سلاما على الأوفياء
سأهتف باسمك ما قد حييت .
تعيش بلادى ويحيا الوطن

---

## نشيد الأستاذ مصطفى صادق الرافعى

حُمَاةَ الحِمَى ، يا حُمَاةَ الحِمَى     هَلُمُّوا ، هَلُمُّوا لِمَجْدِ الزَمَنْ
لقد صرخَتْ فى العُروقِ الدِّمَا :     نموتُ ، نموتُ ، ويَحْيَا الوطن
هَلُمُّوا ، هَلُمُّوا

لِتَدْوِ السماواتُ فى رَعْدِهَا     لِتَرْمِ الصواعقُ نِيرانَها
إلى عِزِّ مِصْرٍ ، إلى مَجْدِهَا     رجالَ البلادِ وفِتْيَانَها
فلا عاش مَنْ لَيْسَ مِنْ جُنْدِها     ولا عاش فى مِصْرَ مَنْ خانَها
نموتُ ونَحْيَا على عَهْدِها     حياةَ الكرامِ وموتَ الكرام
حُمَاةَ الحِمَى ، يا حُمَاةَ الحِمَى

* * *

— وأن تكتب بلغة نثرية ؟

— نعم لأنها أسهل علينا ونحن لا نحب إلا الذين يتكلمون مثلنا ، يجب أن ينظم الشعر للطبقات العالية فقط لأنها أقدر على تفهم معانيه وحل رموزه ، أو فى الذكريات والحنين كما أفعل أنا ، لأن الشعر لا يتكلم عن حوادثنا ولا يقصها ، بل هو ينشد لأنه صوت لا يخرج من النفس الا فى أشد حالات التأثر

(العصبة)     اسكندر كرباج

بلادي احكمي واملكي واسعدي    ولا عاش من لم يعش سيدا
بحر دمي ، وبما في يدي    أنا لبلادي وعرشي فدا
لك المجد يامصر ، فاستمجدي    بعزة شعبك طول المدى
ونحن أسود الوغى ، فاشهدي    وثوب أسودك يوم الصدام
حماة الحمى ، يا حماة الحمى    ... ... ... ... ... ...

* * *

ورثنا سواعد باني الهرم    صخورا ، صخورا كهذا البنا
سواعد يعتز فيها العلم    نباهي به ، ويباهي بنا
وفيها كفاء العلى والهمم    وفيها ضمان لنيل المنى
وفيها لأعداء مصر النقم    وفيها لمن سالمونا السلام

* * *

حماة الحمى ، يا حماة الحمى    هلموا ، هلموا ، لمجد الزمن
فقد صرخت في العروق الدما :    نموت ، نموت ، ويحيا الوطن

## نشيد الأستاذ محمد الهراوي ..

دعت مصر ، فلبينا كراما    ومصر لنا ، فلا ندع الزماما
قياما تحت رايتها ، قياما    أمامكم العلا ، فامضوا أماما

هناك المجد يدعوكم فهبوا    وليس يروعكم في المجد خطب
لعمر المجد ما في المجد صعب ! تردى الذل من يخشى الحماما

فنحن أولو المآثر في العصور    وبين يدى أبي الهول المصور
وفي الأهرام ، أو فوق الصخور    ترى آثار أيدينا جساما

لنا مجد على الدنيا تعالى    « بناه الله يوم بنى الجبالا »
رسمناه برايتنا هلالا    وننشرها على الدنيا سلاما

لنا التاريخ ، فياض المعاني    لنا الأسرار ، معجزة البيان
لنا علم الأوائل في الزمان    لنا الأخلاق ، نرعاها ذماما

لنا ذكر مع الماضي ، مجيد    لنا أمل ، يجد بنا ، بعيد
كذلك مثلما سدنا نسود    ونرفع فوق هام النجم هاما

فيا وادي الكنانة لن تزولا    وفيك النيل يجري سلسبيلا
يطوف بمائه عرضا وطولا    ويبسط فيضه عاما فعاما

بساطك سندس ، وثراك تبر    وجوك مشرق ، وشذاك عطر
ونهرك كوثر ، وبنوك غر    أبوا في الله والوطن انقساما

فإن لم نستعز بمصر حولا    ونبسط ظلها صولا وطولا
وإن لم نحمها فالموت أولى    نعم : فالموت ، أو نحيا كراما

نعز ضيوفنا ، ونقر عينا    فلا نعدو ، ولا يعدى علينا
فإما مسنا ضيم ، أبينا    ونذكيها على العادي ضراما

فيا ابن النيل ، هز لواء مصرا    وهيئ في النجوم له مقرا
وأطلع بالهلال عليه فجرا    وعش في ظله العالي إماما

أغنية ..

# إلى الحلم (*) ..

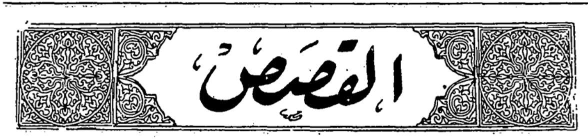
## بقلم العوضي الوكيل

إذا خدرت عيني من طول ما أرنو    وأتعب هذا الجفن إمعان إيماء ..
إذا ما استباني في مطالعك الفن    وبت لديه ساهرا دون إغفاء ..
إذا ظمئت روحي فأغرقها دن    من الحسن ممزوج سناه بأعضائي .
إذا ما عراني من مطالعتي وهن    وبات كياني ، من عياء ، كأشلاء
فدعني أحلم لحظة بك في نفسي !

إذا ماجت الدنيا ، وجن جنونها    وثارت براكين ، وهاجت كواكب
وغال جميع الناس فيها منونها    ولاحت بقاع الأرض وهي خرائب
وصوحت الدنيا ، وبادت فنونها    فلاشيء إلا وهو في الرمس غائب
فدعني أحلم لحظة بك في رمسي !

دار العلوم العالية :    العوضي الوكيل

(*) من ديوان تحية الحياة ، يصدر اليوم




# هواجس

بقلم حبيب الزحلاوي

قلت لصديق: لك الله من رجل غريب الأطوار! لقد أضفتنا الليلة ودعوتنا الى تناول العشاء معك، فأين المطعم وأصناف الطعام المطبوخ من هذه الحانة والزجاجات والأقداح «والمزات» آليت على نفسك مخالفة المألوف واتباع هوى النفس وبداواتها في كل شيء؟!

— : خل عنك يا صاح اللاخظات والمعارضات لأننا فى ليلة خمر وانتهاب لذة. هيا أيها الرفاق الى الأقداح الدهاق نفرعها، والى الزجاجات نفرغها فى أجوافنا، فتمشى فينا الحميا، فتدور رؤوسنا فتسابق الدورات الزمنية، وبذلك نطوى الصفحة القاتمة من تاريخ الحزن الماضى وعقابيله المؤلمة، ونستقبل حياة جديدة بنفس مشعشعة وفرحة وضاءة.

— أى حزن تعنى؟ لأن أحزان هذا العصر تشملنا من كل صوب وتنمزنا كل منمز!!

على رسلكم أيها السادة، جئنا لنشرب ونطرب لا لنتزمت ونتفلسف، لندع عنا تفمرات صاحبنا هذا الذى يود مسابقة الدورة الزمنية ليطوى الحزن وعقابيله!! أما أنا فوالله المظيم لا أعرف كنه عقابيل هذه ولا سمعت بها، انما أعرف ماركات زجاجات الوسكى كلها، وأتذوق شرابها وأميزه، وأحسن الفتك بأفراخ الحمام والدجاج، ولا أتورع عن البطش بهذا الديك الرومى نكاية بفنزيلوس

وقال آخر: اشربوا واطربوا أيها الرفاق، فوالله ما عرفت سر عجيبة السيد المسيح الأولى وقد حول الماء الى خمر، إلا وقتما صرت أنكر قول الحكيم سليمان: «قليل من الخمر يفرح قلب الانسان»

— ليس الحق فى جانب سليمان الحكيم، لأن القليل من الخمر يفرح القلب الضعيف. أما الكثير منه والعب الوفير من ذوبه الذهبى فيحيي العقل والقلب والروح!!

— راعوا أيها الاخوان حرمة وسدانة الحانة التى أنتم فيها وصونوا ألسنتكم عن الاستشهاد بالآيات وذكر العجائب فى مكان آيته الكبرى خمرته البكر وعجيبته النادرة، دعوة صاحبنا اليه، وأنا الذى تعرفنى حانات المدينة كلها، ولا يجهلنى إلا هذه البؤرة التى لا يسكنها سوى شيطان مثله ليتوارى عن أعين الناس

— صه أيها الخبيث ولا تحاول نبش أسرار الناس، فقد يقودك الحظ الى هذه الحانة فترى الهناء يبسط أجنحته عليك وحدك، عليك وحدك، أفهمت أيها الخبير الفنى بحقوق الاتصال؟؟

كلا لم أفهم بعد!! إنما يبدو لى أن مفتاح سر تعاطيك السكر والتدخين فى شهور معلوم ثم انقطاعك عنهما، انما هو مدفون فى هذه الحانة التى لا يعرفها سوى الراسخين فى علم التستر والتخفى

ضحك الرفاق لهذه الدعابة الظريفة وسأل أحدهم الداعى قائلاً: ما معنى أنك لا تشرب الوسكى إلا من ماركة «كناديان» ولا تدخن السجاير إلا من ماركة «لكى ستريك»؟ وسأل الثانى: لماذا تندّ الليلة عن الشرعة الشاذة التى اشترعتها لنفسك فى الخمر والتدخين وموعد تعاطيك إياها لم يأن بعد؟ وقال الثالث: أحسب أن دعوة الليلة إنما هى لتوديع الشباب والكهولة وقد ذبل ويبس منها الورد والثمر والغصون

فصاح صائح: اسكتوا اسمعوا، لنشرب هذه الكأس على ذكر داعينا وقد ودع الخمسين من عمره السعيد منذ عشر سنوات خلت... فقاطعه آخر وقد انتصب على الكرسى قائلاً: بل نشرب نخبه وقد عاد إلى العاشرة من عمره لأن التقدم بعد الخمسين إنما هو نكوص وتراجع!!! وهكذا كان الرفاق بين ضاحك وناقد وظريف لطّف دبيب الخمرة ذوقه، وبين صامت يشتف ما فى الكأس روية، ومالئها مترعة، هذا يشرب بلا انقطاع،

وذلك يهمش اللقمة ويمضغها ويضحك ، وذلك يفتك باللحم بلته بالتوابل ويزدرده ، وواحد عمه الطعام والشراب فثقلت معدته وجاشت نفسه فانتحى الزاوية ولبد ، والظريف فى هذا الحفل أنهم كانوا يتكلمون جملة ، ويضحكون ويقهقهون بجرس واحد ، ولا يستمعون إلا إذا صاح بهم صائح جاف ، وهكذا أنصتوا للقائل بصوت أجش

لكم الله من ضيوف كثيرى الجلبة واللغط ، اشربوا واطربوا لخير الشراب ما كان كغناء المغنى يعبر عن حزن دفين وإن كان يبدو أنه يعرب عن الطرب والسرور

وقعت العبارة فى نفوس الشاربين موقع الجمرة فى الماء ، تنطفىء ولكنها تترك أثرها ، وتصعد بخارها ، وتئن أنة الموجع

كاد السكوت يسود المجلس ، ويعترى المتنادمين فتور السكير وكظة الآكل لو لم يقل أحدهم : حقاً إن الغناء تجاوب وجدانى لحزن دفين وذكريات مؤلمة كانت فى الأصل نتيجة لوقائع خاصة أو طوارىء مفاجئة طرأت على الانسان فغيرت سير حياته فجعلته رهين قيود وأسير أوهام لم يقو على التخلص منها والافلات من إسارها وعبوديتها ! !

هل وراء هذه المقدمة حديث غرام ؟

بلى يا صديقى ، حادث غرام قديم ، عبثاً حاولت الانعتاق منه وكنت إزاءه كفراشة تفتش عن طريقها فى نور المصباح وهى تجهل أنها صائرة إلى الاحتراق

ليكن حديث الليلة إذن عن الوقائع الغرامية وطوارئها ذات الأثر فى النفس ، وأحسب أن طبيعة اجتماعنا ومفاجأة صديقنا إيانا بالشراب ، ودعوتنا إلى الاشتراك معه ، على حد قوله ، فى طى تاريخ الحزن ونشر أعلام حياة جديدة على أضواء الخمرة المتلألئة مهيئة لحكاية غريبة نادرة يقصها علينا ، وقد تكون حكاية تعاطيه الخمر والدخان فى شهرين فقط من شهور السنة ، أليس حدسى صادقاً يا صاحبى ؟

سكت صاحبنا ولم يشر بحركة تدل على النفى أو الاثبات

قال أحدنا : من منا لم تصدمه حادثة غرام حولت سير حياته وبدلت نظامها المألوف ؟ أنما لبعض صدمات الحب قوى عجيبة ودوافع غريبة تنتقل بالمرء من حال الى عكسه ، ويتوقف ذلك على محيزة الانسان لا على طبيعة الصدمة

موضوع لذيذ ، إى والله إنه لموضوع مستحب : يجانس طبيعة نفوسنا الدافئة بنار الخمر ، إنى لأقترح عليكم أيها الرفاق ، وكلكم لوى عنقه عن الشباب ، وطوى كشحه عن .. الكهولة عفوا عفوا ، أريد أن أقول كلكم فتى القلب ، شاب الروح و ..

صه يا ثرثار ، ودع عنك اللغو فليس وقته الآن

سكت ، وأنصت الجميع للراوى الأول حكاية مغامراته فى شبابه وهى تحمل نطفة الموت مع جرثومة الحياة كذكور النحل ، وأنصتوا للمتكلم الثانى ، وقد أظهر وقائع بطولته فى الاغراء وانتصاراته على المرأة بالخداع ، وتكلم الثالث عن غرامياته وقد أوحت اليه نظم الشعر وتأليف الحكايات

وقص الرابع والخامس قصصاً فردية كسابقتها لا صلة لها بصميم الحياة ومشاكلها ، فلما انتهى الأمر الى صاحب الدعوة قال : أقص عليكم قصة طريفة نادرة ، فيها درس وقد لا تخلو من لذة

« يسرنى أيها الأصدقاء ، وقد دعوتكم الى الاشتراك معى بفرح وحزن لا شأن لكم بهما ، أن أطلعكم على سرهما وقد لزمانى خمس عشرة سنة ، ولأن فى الأفراح كما فى الأحزان انبثاقات من نور تهدى الانسان الى سمت الوجود ، وتجعل الحياة نفسها عذبة مشتهاة ، فاصغوا إلى قصتى واعلموا أن الحياة هى الحياة فى الفتى والشاب والكهل والشيخ ، إنما الفارق هو فى قوة الشعور وخصائص الوعى ، قد يحب الكهل بقوة وحرارة تماثلان حب الشاب ، وقد يعشق الشيخ ببراءة وسذاجة عشقا يضارع عشق الفتى ، أنما الرجل من يحتفظ بتوازنه ، فلا يشتط فى أطوار الحب وهى مرافقته ولا بد حتى اللحد ، ومن يستضىء بنور نفسه لا يضل السبيل ، وبذلك تسعده شاعريته ويفرحه روحه وينعم بلذة وجوده الانسانى »

المقدمة بارعة ، والاستهلال حسن ؛ فهات القصة فكلنا لك سامعون

« رن جرس التلفون ، تناولت السماعة وأثبتها على أذنى ، وإذا بى أسمع صوت امرأة تنادينى باسمى وتقول إنها قادمة من أمريكا لزيارة الشرق واستعادة ذكريات طفولتها فيه ، وإن اسمى فى مقدمة أسماء من وطدت الأمر على مقابلتهم ، وانها ستكون سعيدة إذ ترانى يوم الاثنين بعد غد فى القاهرة ، فقلت لها : انه يسعدنى لقياها الليلة فى الاسكندرية لأنى أسافر فى قطار مساء اليوم ، فأقضى نهار الأحد فيها كعادتى فى فصل الصيف ، وسألتها

عن اسمها فأجابت : ستعرف اسمى قريباً ، وقالت : إن لقياك بى فى الاسكندرية تعطل على خطة الريادة ؛ وتفسد طريقـــة الاستكشاف التى رسمتها لنفسى . فقطعت عليها الكلام وقلت مازحا : إنى لست واحة فى صحراء مجهولة ، وإنك لست « روزتا فوربس » تقتحم الصحارى لتصف الحياة فيها تحت أطناب الخيام ومضارب الأعراب الأشـداء ، فأجابت قائلة : أرجوك الاحتفاظ بهذه الاعتراضات إلى حين اللقاء فى القاهرة ، وألا تزاحم المرأة فى فضولها وبداواتها ، وودعت فاحتبس الكلام أرجعت السماعة إلى مكانها ، وأخذت أستعيد فى ذاكرتى وخيالاتى نبرات الأصوات ، وصور النساء اللواتى عرفتهن ، فلم أهتد الى واحدة يوائم صوتها صوت المرأة المجهولة التى حدثتنى

امرأة من أمريكا تعود الى الشرق لاشك أنها سورية ، ولقد هاجرت من سورية منذ نيف وعشرين سنة ولما أبلغ العشرين بعد ، ولم يكن لى فيها علاقة غرام بسوى فتاة حالت الحوائل دون استمرارها وديمومتها ، وأنها تزوجت برجل تقيم معه فى سلام ووئام فى لبنان ، فمن هى هذه السيدة المتآمرة يا ترى ؟

أفى للمرأة المشـــغلة المعطلة ، لم لا أركب قطار الظهر الى الاسكندرية فأشبع ناظرى برؤية البرية الخضراء المنبسطة ، وأبهج نفسى بمشهد الشمس حين المغيب ، تخضب الزاخر من موج البحر بدمها المسفوك وذهبها الذاب ونارها المتقدة ؟ ! لم الذهاب الى رئيس عملى أقف بين يديه وقفة المستجدى ، وقد يستجيب رجائى بعد أن يغمرنى بفيض من المنة أو يرفض ويتأبه ويتعالى ، ألأجل كلمات سمعتها بالتلفون من امرأة مجهولة قد تكون من المغامرات وقد تكون شيئاً آخر لا أملك وصفه أو الحكم عليه ؟ ! أمن أجل هذه المرأة أنقض قانون العمل وأعرض نفسى لما لا قبل لها على احتماله من الرؤساء ، أبلبل ذهنى وأضنى أعصابى بتفكير سخيف ، وشهوة باطلة ، وأوهام أنسج خيوطها من اللاشىء ، تحقيقاً لبداوات امرأة لا أعرفها وأجهل مقرها ، وقد رفضت أن تتلقانى فى الاسكندرية « كى لا أعطل عليها خطة الريادة وأفسد طريقة الاستكشاف التى رسمتها لنبش قبر « توت عنخ آمون » حى هوانا ؟ ؟ ! ! !

لا لا . . . سأواصل عملى حتى موعد الانصراف ثم أسافر الى الاسكندرية أقضى راحتى الأسبوعية فيها كالعادة

* **

امرأة ممشوقة العود ، عريضة الجبين ، عسلية العينين ، هدباء وادعة النظرات ، آثار صباها بادية واضحة ، وقفت هـذه المرأة تجاهى فى محل عملى المكتظ دائماً بعشرات بل بمئات السيدات من كل جنس ولون ، ومدت لى كفاً ناعمة اللمس ، طويلة الأصابع وقالت بصوت كسير لين أغن بعد أن تملت ابتسامة رقيقة بدت فى ركنى فمها دلالة تحرك النفس « جود مورنن » ، وضغطت على كفى بكل ما فى وسع المرأة التعبير عن المودة بالمصافحة

مرحبا بك ياسيدتى الأمريكانية وأهلا بهذه الطلعة البهية ، قد رأيت صبحها منذ زمن بعيد . . . ولكن أين كان ذلك ؟ فى مصر ، فى الشام ، فى الطريق ، فى الكنيسة ، أوه أكاد أقول لا أدرى ، هل لك أن تحرضى ذاكرتى على التذكر ؟ ؟ !

أحسب أن من كان مثلك فى محل عملك هذا المتألق بأنماط من أنواع الجمال الخليط قد تضيق ذاكرته ، فتهمل الأسماء والكنى مكتفية بالملامح والصور ، وإنى لعاذرتك على نسيانك إياى وقد افترقنا بالفعل منذ زمن بعيد

— كان افتراقنا قبل ثلاثين سنة أو أزيد . أليس كذلك يا سيدتى ؟

— لا تعرف السيدات أعداد السنين التى تحصى أعمارهن بالضبط

— عفواً ياسيدتى ما الى هذا رميت ، انما لأتذكر ، ولكن أين كان افتراقنا ؟

قالت : أتذكر فلاناً . . . ( وقد ذكرت اسمه ) وقد كنت معه فى مدرسة النهضة الأولية فى دمشق ؟

قلت : نعم أذكر ذلك

قالت : هل نسيت أخته سلمى وقد كانت تمزق لك أوراق « المزامير » فتضطرك الى استحفاظ « المزمور » غيباً عن كتاب أخيها وكنت تتظاهر أمام معلم الكتاب أنك تقرأ فى الكتاب لا عن ظهر قلبك ؟

قلت : إنى لأذكر ذلك ، وأحسب أنك ابنة خالتها وقد كنتما سوية فى المدرسة المسكوبية

قالت : كنت أخالك قوى الذاكرة قدراً على استعادة ماطبعته الطفولة فى لوحة حوادثها النقية ، ولفظت عباراتها هذه برزانة وتأمل

شاعت أحاسيس مضطربة مؤلمة فى جوانب نفسى فشعرت بضنى الخيبة والفشل ، وفجأة تيقظت فىّ عوامل الانتباه بعد إذ توجه شعورى وتركز فأصبح الخاطر الغامض واضحاً جلياً لدىّ ، فقلت بعد أن مررت بأطراف أصابعى على جبهتى الندية فى صياح :

دراسات من اسخيلوس

# ٢ - الفـــرس

Persae

للأستاذ دريني خشبة

— ٤ —

وتبدى الملكة تخاوفها على ابنها حينما تذكر اندحار جنود زوجها في حربه مع هيلاس ، ثم يصمت الجميع حينما يلمحون في ظلام البعد فارساً أعجمياً يطوى الأفق ، مقبلاً من الغرب ، وهو مقبل لا شك من ميدان القتال ...

(يدخل الرسول)

— « السلام على كرام سوس و ... و ... بلاط الأ ... »

— « ماذا بك أيها الرسول ؟ ! تكلم ... ما وراءك ؟ ؟ »

— « ... يا لشؤى ! ... أشأم من الشؤم نقل أخبار الشؤم يا سادة ! ... »

— « أى شؤم أيها الرسول ؟ ... تكلم ... تكلم ... »

— « الجيش ... ! »

— « الجيش ؟ ما للجيش ! »

— « تبدد ! ... استؤصلت شأفته ... وشالت نعامته ! »

— « يا للكارثة ! ... أسعدى يا دموع الفرس ! يا للجد العاثر ، والمجد الغابر ، والسلطان المهيض ! »

— « طاشت الآمال ، وخابت الأمانى ... والتهمت النيران عزة فارس ! »

— « يا ويح لنا ! ! يا رحمة لك يادارا ؟ أهكذا خلقتنا لنشيخ مع الزمان ، وليرزح مشيبنا تحت هذا الضغث من الأشجان ؟ ... يا للهم المفاجئ ، والضربة اللازبة ! »

— « لقد رأيت كل شىء ! وخضت الغمة مع الخائضين .. يا للشجو ... يا للشجو ! »

— « الجيش ؟ تحطمت قوة فارس ! وبلاه ! ألهذا الدثار خشنت زهرة بنينا ؟ ... الحول والطول والقوة والجبروت ، والعدد والعُدد ... طاشت جميعاً ؟ ... »

— « لقد طفت جثثهم في اللجة الدامية عند سلاميس ! ولم تنفعنا الجحافل ذات العَدد والعُدد ! ما أبغض هذا الاسم ! سلاميس ... سلاميس ! وآثينا ! يا للذكريات السود ! »

وعيل صبر أتوسا ، فسألت الرسول أن يقص الخبر كاملاً كما وقع ، فانطلق يروى المأساة ، ويصور الهزيمة ، رغم تفوق الفرس على اليونانيين في العدد ، ورغم أن لهم أسطولاً ينيف على ألف سفينة كاملة العدة ، في حين لم يكن لهيلاس كلها غير ثلثمائة ... « ... ثم انقضت سفنهم على أسطولنا الضخم فأوقعت به وأعملت النيران فيه ، وكنا ننظر في الأرض فنجد جنداً ، وفي البحر فنجد جنداً ، وفي السماء فنجد جندا ... وأنا لا أقول إلا أن آلهة أثينا كانت تدافع عن أوطانها مع الأثينيين ... وهكذا تمت هزيمتنا ... وقتل كل قادتنا ، ولاذت الفلول القليلة التي أفلها القتل بالفرار ... » ... وكان الرسول بارعاً أيما براعة حينما ذكر هتاف اليونانيين بجنودهم فوق الشاطئ : « أيها اليونانيون هلموا ... ! أنقذوا هيلاس ، وخلصوا أطفالكم ونساءكم ، واحفظوا قبور آبائكم ، واحموا هيا كل أربابكم ،

الآن تذكرت ، الآن تذكرت ، أنت الفتاة اللعوب أنيسة .. وكنا جيرانكم في بيت واحد وقد قبضت عليك مرة متلبسة بسرقة رمانتي وقد استبدلتها بتفاحة من عندك ، وفي مرة أخرى رأيتك تدسين في محفظة كتبي قلماً رصاصياً وصورة بديعة للعذراء مريم

تضاعفت شفتاها فكتمتا ابتسامة حلوة وقالت : نعم أنا هي أنيسة وقد كنت لا تنفك تتحداها بتلاوة الكلمات الفرنسوية وتركيب جمل منها .

أوه يا أنيسة كم أنت طيبة القلب فقد وضعت اسمي في مقدمة الأسماء التي أزمعت على مقابلة أصحابها بعد الغياب الطويل ، أما أنا فقد نسيتك لتقادم العهد وجور السنين ، وقد طوحت بنا في قطرين متباعدين . . . . . وكنت أحب في الحديث معها وفي استعادة ذكريات الطفولة ، لولا نظرة مستسرة غامضة لمحتها في عيني صاحب المعمل وقد برنا في هذه الفترة فطويت الكلام واختزلت الحديث ورجوتها أن تدلني على الفندق لأقابلها في المساء لنتعشى معاً

أدركت موقفي فمدت يدها للوداع قائلة : أنتظرك على شرفة « الكونتنتال » وقد قرأت على قسمات وجهها أمارات عاطفة رقيقة حلوة فيها هدوء النفس المطمئنة وخلوص السريرة »

( البقية في العدد القادم ) حبيب الزحلاوي

وأقداس آلهتكم ... من العبودية ! ! قاتلوا ! وفى سبيل الوطن من استشهد منكم ! ! »

— ٥ —

وكان الرسول لم ينته من سرد قصته بعد، حين صرخت آتوسا المرزّأة، وحين تناوح الشائخ النجب من هول ما سمعوا

قال الرسول : « وليس هذا فقط يا سادة ، بل هناك مصيبة المصائب لما يجيء ذكرها بعد . . . »

— « وأية مصيبة أهول مما سمعنا أيها الرسول ! . . . قل ، تكلم ! »

— « ذؤابة الجيش . . . النبلاء . . . مجلس شـورى الأمبرطور ... لقد كانوا يشرفون على المعركة من ربوة فى جزيرة عند سلاميس . . . وما كادت النهاية المحزنة تتم حتى أحدق بهم اليونانيون من كل فج ، فمزقوهم إرْباً إرْباً ، وساروا برؤوسهم فوق أسنة الرماح يتغنون وينشدون ويهتفون . . .

— « والأمبراطور ! »

— « لاذ بالفرار يا سادة ، فى بعض الكواكب التى نجت قبيل النهاية ! »

— « وفلول الجيش ! »

— « من لم يذق كأس الردى فى المعركة ، تشرد فى آفاق هيلاس ، ومات من جوع ومن ظمأ . . . لقد كانت الفصائل تهيم على وجهها فى برية موحشة ، فاذا بلغت إحدى مدائن اليونان أبى أهلها أن يطعموها . . . فتموت جوعاً ! »

— « ثم ؟ . . . »

— « ثم عبرت البقية الباقية المنهوكة مياه الهلسبنت ، على أن الأكثرين ماتوا ثمة غرقاً . . . لأن آلهة الأولب أرسلت العاصفة على قنطرة السفن الضخمة فغاصت بمن عليها فى الأعماق . . . »

وتكون الأمبراطورة المحزونة قد بلغ بها الجهد ونال منها الأسى ، فتذهب لتقرب للآلهة وتصلى لأربابها عسى أن تخفف من أثر الفاجعة ، وتوصى ، إذا وصل ابنها الأمبراطور قبل أن تعود أدراجها ، أن يتلقوه بالبشاشة ، وأن يهونوا عليه قدر ما يستطيعون

— ٦ —

ويفتأ المنشدون — السادة الأشياخ النجب — يبكون حظ فارس العاثر ، وينعون على أجزرسيس سوقه زهرة شبابهم إلى المهالك ، ويذكرون بالخير والأسف امبراطورهم الراحل — دارا ، الذى صان البلاد ووقاها هذه العاقبة السوداء ، التى ردّاها فى أغوارها ولده من بعده ... الأمبراطور الطائش الذى ذهب على وجهه بعد الهزيمة ميمما شطر الهلسبنت ليهرأه البرد ، ويعصره شتاء أبيدوس القارس . . . ثم يستهولون العاقبة التى تتبع الهزيمة المروعة من غير ريب ... وإنها لابد آتية ... فسينتقض الناس على عرش فارس وستثور الولايات . . . وتستقل مصر . . . وتخلع ليديا نير الأعاجم ... وتنتثر حبات العقد . . . وقد تتحطم الواسطة نفسها

وفيما هم يتناجون ويتباكون ، إذ تقبل آتوسا البائسة ! وهى تقبل هذه المرة لتذرف دموعها كرة أخرى . . . وهى تقبل مترجلة . . . لا تحملها عربتها الملكية المسرجة . . . ولا تجرها الخيول الفارسية المطهمة . . . « لأنه لا أبهة لهذا البلاط بعد اليوم ، ولا صولة ولا صولجان . . . إن المخاوف تحدق بى . . . والوساوس تصرخ فى وجهى ، وتملأ صيحاتها المنكرة أذنى ... وقد حملت اضحية لروح زوجى ، وقرباناً من اللبن الأبيض ، وشهداً اشتاره نحل آذار . . . وخمراً . . . عتقتها أحداث المجد التالد ... وزيتاً من تلك الزيتونة الشرقية الوارفة ... التى يا طالما تفيأ ظلالها دارا . . . وورودا ورياحين ، ومن كل ما تنبت الأرض . . . »

— ٧ —

ويصلى الجميع على روح دارا . . .

وينشدون نشيداً طويلا كله ثناء وكله حمد ... ويبتهلون الى روح عاهلهم الراحل أن تطلع عليهم من عليائها لتخفف من أحزانهم ، وترفه عنهم من أشجانهم

— « هلم ! هلم يا مولانا العظيم الينا ! إن ظلمات الأسى تغشى قلوبنا فاقشعها بسنى فضلك وضياء حكمتك ! هلم فقد أودى شبابنا فى العاصفة الهوجاء ! هلم ! إننا نركع أمام قبرك ، فابدُلنا ، وأدرك امبراطوريتك ! » (يبدو شبح دارا)

( لها بقية )

دريني خشبة

# البريد الأدبي

## كتاب البديع لابن المعتز

كانت دار الكتب المصرية قد حصلت في العهد الأخير على نسخة فتوغرافية من كتاب « البديع » لعبد الله بن المعتز الخليفة والشاعر العباسي الأشهر ، وذلك نقلاً عن النسخة الوحيدة الموجودة من هذا الكتاب والمحفوظة بمكتبة الأسكوريال بمدريد تحت رقم ( ٣٢٨ أدب ) (فهرس الغزيري — وفهرس ديرنبور) وحصلت أيضاً على نسخة فتوغرافية لأثر آخر من آثار ابن المعتز وهو كتاب مختصر طبقات الشعراء المحفوظ أيضاً بمكتبة الأسكوريال رقم (٢٧٩ أدب) (من الفهرسين المذكورين)

وقد ظهر الأثر الأول أي كتاب البديع أخيراً مطبوعاً عن نسخته الوحيدة المذكورة ، وقام باخراجه المستشرق الروسي الكبير الأستاذ اجناس كراتشكوفسكي عضو أكاديمية العلوم في لننجراد ، ومهد له بمقدمة بالانكليزية ، وصححه وعلق عليه ، وذيله في طبعة بديعة ، وقامت باصداره « لجنة تذكار جب » الانكليزية الشهيرة ، وهو المجلد الثالث والعشرون من مجموعة جب . وقد قامت لجنة جب حتى اليوم على اخراج طائفة نفيسة من الآثار العربية المخطوطة ، نذكر منها بالأخص كتاب أخبار مصر وفتوحها لعبد الرحمن بن عبد الحكم المصري ، (ومهد له وعلق عليه المستشرق تشارلس توري) ، وكتابين لأبي عمر الكندي ، هما : أخبار أمراء مصر ، وأخبار قضاة مصر ( ومهد لهما وعلق عليهما المستشرق جست ) مع مختارات من كتاب رفع الأصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلاني

وكتاب البديع لابن المعتز يعد من أمهات الكتب في موضوعه ، وهو أيضاً من أشهر وأنفس آثار ابن المعتز

وعسى أن نسمع قريباً بأن هنالك من يعنى باخراج كتاب « مختصر طبقات الشعراء » فتصبح بين أيدينا مجموعة قيمة متنوعة من آثار ابن المعتز

## ذكرى أدبية شائقة

للانكليز ولع شديد باحياء بعض الذكريات القومية الغريبة ، وقد احتفل أخيراً في لندن باحياء إحدى هذه الذكريات الشائقة ، وهي ليست ذكرى عظيم أو حادثة شهيرة ، وإنما هي الذكرى المئوية لصدور كتاب ما زال يتمتع بين آثار الأدب الانكليزي بشهرة واسعة ، ذلك هو كتاب « أوراق نادي بكويك » The Pickwick-Papers بقلم الكاتب الشهير تشارلس دكنز

ففي مارس سنة ١٨٣٦ صدر القسم الأول من هذا الأثر الأدبي الخالد ؛ وكان تشارلس دكنز في ذلك الحين ما زال فتى مغموراً في نحو الخامسة والعشرين من عمره ، وكان قد بدأ حياته الصحفية وأحرز شيئاً من النجاح برسائل كان ينشرها في « المجلة الشهرية » Monthly Magazine بعنوان « صور » بقلم بوز Sketches by Boz يصف فيها خلال العصر وعاداته بأسلوب طريف ، وكان من الظواهر الأدبية في ذلك العصر أن تصدر دور النشر قصصاً رياضية مصورة بأسلوب فكاهي ، وكان هذا النوع من القصص ذائعاً جداً . فتقدمت دار النشر المعروفة باسم « تشابمان وهول » إلى الكاتب الفتى تشارلس دكنز بأن يضع لها قصة من هذا النوع تتعلق ببعض المغامرات الرياضية ، ولكن دكنز اعتذر بعدم خبرته في الشؤون الرياضية وبأنه لا يستطيع أن يضع أية قصة من هذا النوع فعدل عن هذه الفكرة وتركت الصفة الرياضية ، واتفق على وضع مذكرات قصصية شائقة تمثل الحياة اللندنية الصميمة ، وأن يشترك في تصوير مناظرها الرسام الشهير « فيز » ، وهكذا صدرت النشرة الأولى من أوراق نادي بكويك ومعها مقدمة بقلم سام ويللر ؛ وتصور هذه القصة الشائقة شخصية مدهشة غريبة الأطوار هي شخصية « بكويك » ، وتصور حياة المجتمع الانكليزي المتوسط في هذا العصر وبخاصة حياة المجتمع اللندني تصويراً بديعاً شائقاً ، ويقدم إلينا دكنز مستر

بكويك فى ألوان طريفة مضحكة جداً ؛ وقد اشتهر أمر هـذه السلسلة منـذ ظهورها ، وكان القراء ينتظرونها بفارغ الصبر ؛ وكانت فى الواقع فاتحة مجد دكنز ، وفى سنة ١٨٣٧ طبعت هذه السلسلة لأول مرة فى مجلد واحد ، وذاعت ذيوعاً عظيما

وقد احتفلت أخيراً فى لنـدن جماعة تشارلس دكنز باحياء هذه الذكرى الشائقة ونظمت موكباً تاريخياً استعادت فيه شخصية مستر بكويك وصحبه ، وارتدوا ثياب ذلك العصر ، وركبوا مركبات مما كان يستعمل فى ذلك العصر ، وشقوا شوارع لندن ؛ فكان احتفالاً ظريفاً شائقاً

## عميد كلية العلوم

اجتمع مجلس كلية العلوم بالجامعة المصرية فى الأسبوع الماضى لانتخاب عميد الكلية ، فحصل صديقنا الدكتور احمد زكى أستاذ الكيمياء ووكيل الكلية على تسعة أصوات ، وهى أصوات جميع الأساتذة — مصريين وأجانب — وحصل الأستاذ حسن أفلاطون بك على ستة أصوات ، والدكتور على مصطفى مشرفة على خمسة أصوات

وستعرض هذه النتيجة على حضرة صاحب المعالى وزير المعارف لاختيار أحد هؤلاء الثلاثة لعمادة الكلية

ومما يجمل ذكره أن الدكتور أحمد زكى كان أول مصرى يجمع أساتذة الكلية المصريون والأجانب على انتخابه عميداً للكلية منذ انشائها ، وكان قد انتخب للعمادة منذ ثلاث سنوات إلا أن وزارة المعارف فى ذلك العهد البغيض حالت دون اقرار الانتخاب

## تعليقات أدبية : درامات شو فى مصر

تمثل الفرقة الأرلنـدية التى تزور مصر هذه الأيام نخبة من الدرامات العالية ومنها بعض درامات شو ، ونحن نتساءل : هل تنجح درامات شو إذا نقلت الى العربيـة وأديت على المسرح المصرى ؟ وللاجابة على ذلك نضع بين يدى القارئ هذه الملاحظات التى أخذناها على الكاتب الأرلندى الكبير :

١ — يتبع برنرد شو فى حواره أسلوباً فلسفياً قد يستطيل حتى يغمض ، والحوار الفلسفى الممل يقضى على الحياة فوق المسرح ويجعلها مملولة الى حد ما ، إن لم يكن كل الملال . ولهذا قد يكون من الخير أن تقرأ شـو لا أن تراه على المسرح . ويكفى أن تلقى نظرة على دراماته Misalliance ، والأسلحة والانسان ، وقيصر وكليوبطره ، ثم على ملهاته The Philonderer ليتأكد لك ما نقول

٢ — يتقمص شو الفيلسوف جميع شخصيات دراماته فينطقهم بكلام فلسفى ، ويرهقهم بألوان من التفكير لا تحسب أن مثلها يصح أن يدور فى خلد أحـد منهم . وهذا تعسف لا يطيقه المسرح ولا سيما فى مصر . ودرامته The Lhewing up Jo Blanco Posnet دليل واضح على ذلك . فى هذه الدرامة القديمة التى كتبها منذ ٢٥ سنة تسمع الفكرة السامية المعقدة من لسان (عربجى) كما تسمعها من لسان (المتشرد) كما تسمعها من لسان رجل الدين — وفى فم كل من هؤلاء تسمع صوت جورج برنرد شو وتلقى فكرته

٣ — كثيراً ما يعرض شو بالدين ويستهزئ برجاله وإن كان من رأيه أن التدين ضرورة من ضرورات الحياة لا غنى للبشر عنها ، وفى روايته (بلانكو بوسنت) التى هاج بها الرأى العام عليه منذ نحو ربع قرن والتى استدعى من أجلها لمناقشته أمام مجلس العموم البريطانى بعد احراقه الأعداد المطبوعة شاهد على ذلك . وهو يبدو متعسفاً فى كثير من مآخذه على الأديان والمتدينين

٤ — يتبع برنردشو فى أكثر دراماته طريقة الكاتب النرويجى الكبير هنريك إبسن وهى (الهدم ولا بناء — وتشخيص الداء ... ولا دواء) وهى طريقة وعرة تثير التشكك فى أذهان النظارة وتتركهم حيارى على غير هدى . على أن ابسن يفضل شو فى بيانه السلس وطريقته السهلة وعدم حشو دراماته بنتف لا لزوم لها

## جيمس جويس والأدب الجنسى

كان الكاتب الانجليزى الشهير د . ه . لورانس زعيم الأدب الجنسى إلى ما قبل بضع سنين فى انجلترا ، فلما مات تربع جيمس جويس على عرشه ، وإن كان الكاتب الروائى ألدوس هوكسلى يرنو الى هذا العرش وهو فى نظرنا أشرف من أن يتربع عليه

ولقد أمعن كل من لورانس وجيمس جويس فى نشدان اللذة وتحبيبها إلى الشباب والتمتع بكل ما فى الحياة من نعيم جسمى والاستهانة بأوضاع الدين وتقاليده ، فلورانس فى روايته الوضيعة (عشيق لادى شاترلى) يبيح للزوج الأشل أن يسمح لزوجته أن تأتى لها بولد من رجل آخر ... وهكذا تنتصر الدعارة على الزوجية ، وينقض المنزل السعيد الهانئ على من فيه

وقد كتب جويس قصته الأخيرة (أولسس) وجرى فيها

على شرعة لورانس ومناهجه ، فهو يتناول العورات المستورة وما خلقها الله له بأخس أسلوب ، وأخس تصوير ، وكل من لورانس وجويس يثيران في نفس القارئ أحط ضروب الشهوات ؛ ولذا كان مذهبهما في الأدب لوناً من الدعارة المكشوفة وقفت له الحكومة البريطانية بالرصاد ، فلم تسمح بطبع كتبهما في المطابع الانجليزية ، ولم تبح تداول هذه الكتب في انجلترا ، وخيراً فعلت

أما نحن ... فنقرأ لورانس وجويس في مصر ... ولا رقيب على شبابنا من الحكومة ! د . خ

## نتيجة المباراة الأدبية الرسمية

انتهت ثماني لجان من لجان الحكم في المباراة الأدبية الرسمية من الفصل في ثمانية موضوعات ومنحت المكافآت للفائزين فيها ، وبقيت ثلاث لجان لم تفصل اللجان المختصة فيها وهي :

١ — أثر الحافز الشخصي

٢ — عدة النجاح لرجل القرن العشرين

٣ — علاج مشكلة البطالة

وننشر فيما يلي أسماء الناجحين في الموضوعات الثمانية التي فصلت اللجان فيها وقيمة الجوائز التي منحت لكل منهم :

الموضوع الأول — رسالة الأزهر في القرن العشرين

الفائزون : الأساتذة : أحمد خاكي المدرس بمدرسة الأمير فاروق ومنح ثمانين جنيهاً ، وأحمد توفيق عياد ومنح عشرين جنيهاً ؛ والأساتذة مصطفى صادق الرافعي ، وعبد الله عفيفي ، ومحمد المهياوي ومحمد عرفه ، وقد منح كل منهم مكافأة قدرها خمسة عشر جنيهاً . وبلغ مجموع الجوائز في هذا الموضوع مائتي جنيه

الموضوع الثاني — اللغة والدين والعادات

الفائزون في هذا الموضوع ثلاثة منح كل منهم ٢٥ جنيهاً وهم الأساتذة : أحمد وفيق ، وزكي مبارك ، ويوسف محمد

الموضوع الخامس — التربية الوطنية الاستقلالية

الفائزون في هذه المباراة أربعة وقد منح كل منهم ٢٥ جنيهاً وهم الأساتذة : محمود مسعود ، ومحمد جلال ، ومحمد عبد الباري ، والآنسة إيريس حبيب المصري

الموضوع السابع — تدعيم الحياة الدستورية : قالت لجنة التحكيم في هذا الموضوع ورئيسها سعادة بهي الدين بركات بك إنه لم يتقدم اليها أية رسالة تستحق أية جائزة

الموضوع الثامن — ترقية الفلاح اجتماعياً : والفائزون فيه أربعة وهم الآنسة ابنة الشاطئ ، ومنحت الجائزة الثانية وقدرها ٥٠ جنيهاً ، ومنح الثلاثة الآخرون كل منهم ٢٥ جنيهاً وهم الأساتذة عزيز خانكي بك المحامي ، وعبد الوارث كبير الصحفي ، ويوسف فهمي حلمي

الموضوع التاسع — استثمار نهضة المرأة المصرية للخير العام

الفائزات فيه أربعة :

١ — الآنسة سيزا نبراوي وقد فازت بالجائزة الأولى وقدرها ١٠٠ جنيه

٢ — الآنسة نور الهدى الحكيم وقد فازت بالجائزة الثانية وقدرها ٥٠ جنيهاً

٣ — السيدة إحسان القوصي وقد فازت بالجائزة الثالثة وقدرها ٢٥ جنيهاً

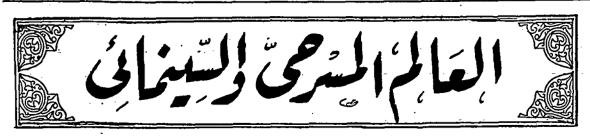
٤ — الآنسة إيفا حبيب المصري وقد فازت بالجائزة الرابعة وقدرها ٢٥ جنيهاً

الموضوع العاشر — النشيد القومي : فاز بالجائزة الأولى وقدرها مائة جنيه الأستاذ محمود محمد صادق ، ومنح الجائزة الثانية وقدرها ٥٠ جنيهاً حضرة الأستاذ مصطفى صادق الرافعي ، ومنح الجائزتين الثالثة والرابعة وقيمة كل منهما ٢٥ جنيهاً الأستاذ محمد الهراوي والأستاذ محمد فضل اسماعيل

وقد لاحظت اللجنة في تقريرها أن أجود الأناشيد التي عرضت عليها لم تخل عن أبيات أو فقرات ضعيفة الى جانب أبيات أو فقرات جيدة ، ولهذا أخذت كل نشيد بمجموعه لا ببعض أجزائه . ثم قالت اللجنة « إنها لم تر حرمان المتبارين من الجوائز بالترتيب الذي وضعته ، لأن المباراة تستلزم بطبيعتها إعطاء الجوائز المقررة للمتفوقين من المتبارين سواء أدركوا الغرض كله أو لم يدركوا إلا بعضاً منه » وقد خالفت بذلك أكثر اللجان

الموضوع الحادي عشر — سلامة الدولة في حفظ النظام :

فاز في هذه المباراة اثنان ، ومنح كل منهما ٢٥ جنيها وهما الصاغ علي حلمي أحمد مأموري المراكز ، والأستاذ محمود كامل المحامي




# ٢ – فن السينما

بقلم يوسف تادرس وظريف زكى

## فن السينما وفن المسرح

هذا الفن الجديد ما شكله ؟ ما هى الفوارق بينه وبين غيره من الفنون ؟ وما هى أوجه الشبه ؟

إنه يشبه المسرح أكثر مما يشبه أى فن آخر ، فهذا وذاك يؤديان رسالتهما عن طريق ابراز الناظر وتمثيل الممثلين ثم ؟ وقد ذهب بعضهم الى تعداد الفوارق الآتية بينهما وهى :

أولاً — إن التمثيل السينمائى أقرب إلى الطبيعة ، وأبعد عن التكلف

ثانياً — إنه ليس فيه فترات « استراحة » بالمعنى الصحيح تفصل بين منظر ومنظر ، وتتيح للمخرج اعداد المنظر اللاحق

ثالثاً — إنه أقل حاجة إلى الحيل التى يتوسل بها لايهام الناظر ، وأقل لجوءاً إلى المبالغة فى الحركات وفى تغيير ملامح الوجه للتعبير عن مختلف الاحاسيس

رابعاً — انه فى مكنته أن يريك وأنت جالس فى كرسيك المنظر الواحد من نواح مختلفة ومن أبعاد متباينة

خامساً — انه لا يقيده حد من الزمن والمكان

سادساً — المسرح يعتمد على التحليل النفسى والحوار

على أن جميع هذه الفوارق على صحتها لا تعدل فى نظرنا الفارق الأساسى بين الفنين وما اختص كل منهما به ، فان بين ممثل المسرح والنظارة تجاوباً فى الاحساس وتبادلاً فى التأثير ، لا تجد لهما شبيها على الشاشة البيضاء

وإذا كان ممثل المسرح كثيراً ما رضى لنفسه الاكتفاء بأن يسرد عليك فى حديث مع زميله بعض الحوادث التى تقوم عليها القصة ، فان المدير الفنى فى السينما يريك تلك الحوادث متحركة أمام عينيك ؛ وهذا الفارق لا زال صحيحاً حتى الآن وقد نطق الفلم

## الكتابة للسينما

لاحظ ( بودوفكين » أن كتاب السينما قد اعتادوا أن يحصروا عنايتهم فى سرد الحوادث وأن يلبسوها ثوباً قشيباً من الأسلوب الجميل مستعينين بالوسائل المعهودة فى كتابة الأدب ، غافلين عن امكان تطبيقها على السينما

هذا على حين أن لكل فن وسائله وأصوله ، وأن معالجة الموضوع بحيث يكون صالحاً للاخراج السينمائى أمر من الأهمية بمكان عظيم .

زعم بعض الناس أن الكاتب للسينما ما عليه إلا أن يخط مجملاً عن الحادث ، أما التحوير والتبديل فيما خطه بقلمه ، أما جعله صالحاً للسينما ، فمن شأن المدير الفنى وحده ومن واجباته هو دون سواه .

ما أبعد هذا الزعم عن الصواب .

ومتى جاز أن يقطع العمل الفنى تقطيعاً ! ! وأن يفصل بين مرحلة ومرحلة ! وأن يجعل كل وحدة مستقلة عن الأخرى ، لا تمت اليها بسبب ! !

ألست وأنت تقدم على تناول موضوع بالكتابة تفكر فى نفس الوقت — ولو تفكيراً سريعاً غير واضح — فى كيفية معالجتك له وعن سيرك فيه ؟ بل إن مجرد عقد نيتك على العمل يفرض فيه اتجاه ذهنك نحو بعض خصائصه وتفاصيله

لا نقول إنه يتعين على من يكتب للسينما أن يرشد المدير الفنى عن كيفية التصوير والطبع ، وأن يأمره بما يصور وما يطبع ، إنما لا بد له من معرفة أولية يستطيع معها أن يأتى بموضوع يصلح للاخراج ، وأن يتجنب عوائق قد لا يتيسر تذليلها

ولعله يعثر على مثل تلك المعرفة الأولية فيما ننشر على صفحات « الرسالة » الغراء

( يتبع ) يوسف تادرس — ظريف زكي

# الفرقة القومية المصرية

## والمسرح المحلي

لناقد « الرسالة » الفني

باعد المسرح ما بينه وبين الأدب والأدباء لأن أصحاب الفرق التمثيلية — فيما مضى — جعلوا مثلهم العليا الروايات الثائرة العنيفة التي لا تمت إلى الفن الرفيع بسبب ، وكانوا بصفتهم ممثلين ومخرجين يوجهون الفن حسب أهوائهم ، حتى إنه كان لبعضهم مؤلفون من نوع خاص ، وهذه السياسة التي ساروا عليها جعلت النظارة من المثقفين الذين يطلبون الفن ينفضون عن دور التمثيل ، يفضلون السينما ، وكانت هذه الجناية من أكبر الأسباب التي قعدت بالمسرح وأتت عليه

ومدت الحكومة يدها إلى المسرح لتقيله من عثرته ، وتكونت الفرقة القومية المصرية ، وعملت موسماً متقطعاً على مسرح الأوبرا عرضت خلاله عدة روايات من روائع الأدب الغربي

على أن ما عرضته وإن كان جديراً بالتقدير ، لن يؤدي إلى الغاية المقصودة ، فان المسرح إذا عني بالترجمة والنقل فقط ، لن يكون إلا صدى للمسارح الغربية ، والحياة المصرية على تقدمها لن تشبه ولن تبلغ الحياة الغربية ومجتمعاتها وعاداتها

حقاً إن الروايات المسرحية في كل الأمم غربية أو شرقية ترمي إلى بذر الخير في النفوس واقتلاع الشر من الرؤوس وتغذية القلوب بالعواطف النبيلة بتصوير المثل العليا وتمجيدها وتقويم المعوج من الأخلاق والعادات ، كما تعنى بدقائق الحياة الداخلية ومشاكلها الاجتماعية والتجديد للمستقبل وتوجيه التطور إلى الناحية التي تجدي على الشعب والانسانية ، إلا أن التباين في العادات يضعف أثر التمثيل في نفوس النظارة ، ولهذا فان ما تبذله الحكومة من جهد ومال لن يكون له الأثر المنشود مادامت الفرقة تعرض الروايات الغربية

نحن لا ننكر أن اللغة والأدب قد اكتسبا الكثير من نقل هذه الروايات إلى العربية ، ولكن المسرح المحلي والاهتمام بتكوينه ليعالج مشاكلنا الاجتماعية ، أهم لدينا من كل ما عداه ، فالمسرح وهو فن من فنون الاجتماع ، يجب أن يؤدي رسالته مستعيناً بالأدب ، لا أن يكون أداة للغة فحسب

والمسرح وهو وسيلة من وسائل الاصلاح يجب ألا ترتفع لغته كثيرا حتى يمكن الشعب أن يتفهمها ، فالمسرح ليس للمثقفين وإنما هو للشعب أولا ، ولذلك فان أكثر الروايات التي أخرجتها الفرقة القومية كانت عويصة على الجمهور مما أدى الى عدم الاقبال المنتظر على حفلات الفرقة

ورب قائل يقول إن الفرقة لم تجد الروايات المحلية التي تتوفر فيها الشروط الفنية حتى تعرضها ، ومعنى هذا أننا سنبقى الأعوام الطويلة ننقل عن الغرب روايات لا تتفق مع عاداتنا وأخلاقنا حتى يبعث الله لنا مؤلفاً عبقرياً موهوباً يقدم للفرقة الروايات المحلية ، ويومئذ ويومئذ فقط ، تقام دعائم المسرح المحلي ! ! !

لا أظن أحدا يرى هذا الرأي أو يقره

إن واجب اللجنة التي تشرف على الفرقة القومية أن تشجع الأدباء والكتاب المسرحيين ، فتدرس رواياتهم وتنبههم إلى المآخذ لكي يعملوا على تلافيها ، وإلى مواضع الضعف لكي يعملوا على تقويتها ، ثم تخرج هذه الروايات بعد ذلك على المسرح . ويجب أن يكون لدى هذه اللجنة من الشجاعة ما يجعلها تغامر باخراج الروايات المصرية ما دامت لها بعض المزايا الخاصة

وإن التشجيع المادي والأدبي والمران لمن بين الأسباب التي تدفع الكتاب المسرحيين إلى أن يشقوا طريقهم نحو الكمال ، وبهذا تكون الفرقة قد أدت رسالتها نحو خلق المسرح المحلي والأدب المصري الحديث

فهل تعنى اللجنة والفرقة بهذا الاقتراح ؟

سنحاول في كلمة أخرى التحدث عن الروايات التاريخية والروايات المصرية من حيث التأليف ، ونرجو أن يتسع صدر « الرسالة » الغراء لهذا البحث الصغير ، فقد يكون فيه بعض الفائدة لمن يحاول الكتابة للمسرح

4 me Année, No. 151. — Lundi - 25 - 5 - 1936

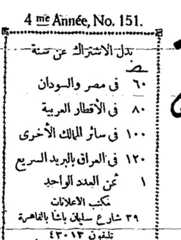



ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع البدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠




العـــدد ١٥١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ ربيع الأول سنة ١٣٥٥ — ٢٥ مايو سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة


# أكلُّ هذا يصنع البرلمان ؟

قلت للشيخين صالح وعلى وقد لقيتهما فى هوادى الليل يتبختران بميدان إبراهيم فى الحرير الشاهى والجوخ المصقول : آلآن تتركان القرية والقطن يريد العزْق ، والدودة تطلب المراقبة ؟ فتسابقا إلى الجواب كأنما حضَّراه من قبل واتفقا عليه ، فكان كلمة من هذا وكلمة من ذاك . قالا :

جئنا نجتلى طلعة المليك ، ونهنئ وزارة الشعب ، ونشهد برلمان الأمة . ثم قال الشيخ صالح وحده : وجئنا كذلك نبلغ نائبنا المحترم . . . رغائب الناخبين ومطالب الدائرة

فملت بهما إلى قهوة من قهوات الميدان تعج بأمثالهما من الشيوخ والنواب والتوابع ؛ وبعد شىء من نوافل الحديث كالسؤال عن العشيرة والزرع ، عطفت على جوابهما المشترك بالتعقيب قلت : أما اجتلاء طلعة المليك فجلاء الهم ونعيم الروح وسرور النفس المؤمنة ؛ وأما تهنئة الوزارة فشعيرة الحب المتبادل ، وإعلان الثقة المؤيدة ، وإهلال الرجاء المحقق . وأما تبليغ النائب مطالب الدائرة يا صديقى صالح فما لك تعجل به ، والبرلمان لما

فهرس العـــــدد

ينعقد ، والنائب مفروض عليه أن يصل نفسه بناخبيه صلة الرسول بالمرسل والوكيل بالموكل واللسان بالقلب ؟ فأجابني بلهجة حاول باتزان إشارته واطمئنان صوته واعتدال جلسته أن تكون مقنعة ، قال : إنا من جنود الوفد الأمين ، وكنا من دعاة النائب المحترم ، توسطنا بينه وبين الناس ، فوعدناهم الوعود ، ومنيناهم المنى ، وبشرناهم النَّصفة ؛ والفلاح درج منذ العهود الأولى على أن يفهم من لفظ ( الحكومة ) جباية المال وتسخير الرجال وتجنيد الشباب وتغريم المتخاصمين المبطل منهم والمحق . فلم يكد يفهم أن حكومة الوفد هي حكومة الفلاح : ترجع إليه وتعطف عليه وتعمل له ، حتى انثالت علينا شكاويه وأمانيه بالبريد واللسان واليد

قال هـذا وألقى على منضدة رخامية لا تأخذ منها هبّة الريح ولا مسّة الكف ، إضبارةً بطينة من العرائض والرسائل ، ثم قال لي : أنظر ! فابتدرتها يدي قبل الاستئذان إطاعة لحكم الصنعة ، ثم أخذت أصفحها مع الوسيطين ورقة ورقة

- هذه عريضة من أهل قرية طفت على جنباتها الأربع البرك المنتنة ، فأصبحت كالجزيرة الملعونة في غسلين جهنم !

- صاحب البرك هو مالك الأطيان ومن أعضاء البرلمان ؛ ورجال الإدارة يرجونه أو يخشونه ، فلا يذكرونه القانون إلا بالتي هي أحسن ؛ والتي هي أحسن لا تساوي عجلاً في دوار الباشا ! وأهل القرية وبعوض الملاريا في رأيه سواء ، فلماذا يقتل البعوض ويبقون هم في الأحياء ؟

وهـذه عريضة من أهل قرية يسكنون المسكن القذر ، ويشربون المشرب الكدر ، ففشت في دمائهم جراثيم الانكلستوما والبلهارسيا ، فنزعوا منها إلى مستشفى الحكومة بالبندر ، فكان ما كابدوه من عنت الممرضين والأطباء ، أضعاف ما كابدوه من عنت الأدواء ، ففر الموسر من العلاج بالمجان إلى العلاج بالأجر ، ولاذ المعسر من تعب الإنسان إلى راحة القبر ! !

وهـــذه عريضة من أهل قرية يملك أرضها مُثْرٍ يملك اثني عشر ألف فدان ، ولكنه منهوم لا يشبع ، وطامع لا يقنع ، وقاس لا يلين ، فهو يشتط عليهم في أجرة الأرض حتى يأخذ القطن فلا يفي ، ويغتصب أكثر القمح والذرة والأرز ولا يكتفي ، فيضطر المستأجر المجهود إلى أن يدفع الجوع عن أسرته بالعمل أجيراً عند الناس . وهكذا يظل طول عمره دائب العمل ، دائم الفقر ، لا يخف عنه دين ، ولا يجف له عرق .

- وهذه عريضة من أهل قرية ليس فيهم كاتب ، وحفاظ القرآن منهم ثلاثة عميان لا يحسبون إلا ( النجم ) ولا يعرفون إلا تاريخ اليوم بالعربية والقبطية ؛ فاذا اضطرتهم الحال إلى تحرير عرض أو كتابة خطاب سافروا إلى الكتاب العموميين في عاصمة المركز ، فهم يطلبون إلى ( البرلمان ) أن ينشئ لهم كتاباً يحفظهم القرآن ويعلمهم الخط !

ومن خلال هذه العرائض المنطقية الرزينة كان يقع في يدي أنماط شتى من رسائل الالتماس عليها طابع السذاجة والحاجة ؛ فهذا والد تلميذ فقير يطلب حق ابنه في المجانية ؛ وهذه أم حنون ترجو إخراج ولدها من الجندية ؛ وهذا تلميذ سابق يريد أن يكون موظفاً في وزارة ؛ وهذا عسكري قديم يحب أن يكون حاجباً في محكمة ؛ وهذا تاجر جوال لا تقع قريتـه على الطريق العام يحتم أن تمر بها السيارات العامة ؛ وهذا فلاح يقترح على ( البرلمان ) أن يأمر التجار أن يشتروا القطن غالياً ، ما دامت الحكومة لا تأمر الملاك أن يؤجروا الأرض رخيصة .

* * *

كلَّ النظر من طول القراءة ، وألمّ الشعور من تناقض الأثر ، والاضبارة الشعبيـة لا تزال وارمة ! فطويتها بعناية ورفق ، ثم قلت لحاملها الأمين الوفي : شكر الله مسعاك ، وأعانك النائب الكريم على إبراء ذمتك . فقال الشيخ علي وقد خفق على وجهه الأبلج ظل رقيق من الشك : ولكن بالله قل لي : أ كل هذا يصنع البرلمان ؟ فقلت له : ولم لا ؟ إن علماء الدستور قالوا في برلمان إنجلترا : « إنه يقدر على كل شيء ، إلا على تحويل الرجل امرأة » وبرلماننا صديقه اليوم وحليفه غداً ، فلم لا يجوز على أحد الحليفين ما جاز على الآخر ؟ فضحك الصديقان وهما ينصرفان . ولا أدري أ كان ضحكهما من سخف القياس ، أم من سخف الناس .

**احمد حسن الزيات**

# ٢ ـ العجوزان (١)

## للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال محدّثي: ولما خلت لهما أيها العجوزان: أريد أن أسافر إلى سنة ١٨٩٥؛ نظر إليّ العجوز الظريف (ن) وقال: يا بنيّ أحسبُ رؤيتك إياي قد دنت بك من الآخرة... فتريد أن تلوذ بأخبار شبابنا لتنظر الينا وفينا روحُ الدنيا

قال الأستاذ (م): وكيف لا يريد الآخرة وأنا كتركه الآن في «المجهول»؟

قال: ويحك يا (م) لا تزال على وجهك مسحة من الشيطان هنا وهنا؛ كأن الشيطان هو الذي يُصلح في داخلك ما اختلّ من قوانين الطبيعة، فلا تستبينُ فيك السنُّ وقد نيّفتَ على السبعين، وما أحسبُ الشيطان في تنظيفك إلا كالتي يكنس بيته...

قال (م): فأنت أيها العجوز الصالح بيتٌ قد تركه الشيطان وعلّق عليه كلّه (للايجار)....

فضحك (ن) وقال: تا لله إنّ الهرم لهو إعادة درس الدنيا، وفهمها مرة أخرى فهماً لا خطأ فيه، إذ ينظر الشيخ بالعين الطاهرة، ويسمع بالأذن الطاهرة، ويلمس باليد الطاهرة... وتالله إن الشيطان لا معنى له إلا أنه وقاحةُ الأعصاب

قال (م): فأنت أيها العجوز الصالح انما أصبحت بلا شيطان لأن الهرم قد أدّب أعصابك...

قال العجوز الظريف: وعند من غيرنا نحن الشيوخ تطاع الأوامرُ والنواهي الأدبية حقَّ طاعتها؟ عند من غير الشيوخ تقدّس مثلُ هذه الحكم العالية: لا تعتد على أحد... لا تفسد امرأة على زوجها...

* * *

قال المحدث: وضحكنا جميعاً، وكان العجوز (ن) من الآيات في الظرف والنكتة، فقال: تظنني يا بني في السبعين، فوالله ما أنا بجملتي في السبعين، والله والله

قال (م): لقد أُهتر الشيخ (١) يا بني فان هذا من خَرَفه فلا تصدقه

قال (ن): والله ما خَرِفت وما قلت إلا حقاً، فههنا ما عمره خمس سنوات فقط وهو أسناني...

قلت: «وربنا وربت» وسنة ١٨٩٥؟

قال الأستاذ (م): أنت يا بني من المجددين، فما هواك في القديم وما شأنك به؟

وما كاد العجوز (ن) يسمع هذا حتى طَرّفَ بعينيه (٢) وحدّد بصره الي وقال: أثنك لأنت هو؟ لعمري إن في عينيك لضجيجاً وكذباً وجدالاً واحتيالاً وزعماً ودعوى وكفراً والحاداً؛ ولعمري...

فقطعت عليه وقلت: «لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون»، لقد وقع التجديد في كل شيء إلا في الشيوخ أجساماً والشيوخ عقولاً؛ فهؤلاء وهؤلاء عند النهاية، وغير مستنكر من ضعفهم أن يدينوا بالماضي فان حياتهم لا تلمس الحاضر إلا بضعف

قال العجوز: رحم الله الشيخ (ع). كان هذا يا بني رجلاً ينسخ للعلماء في زمننا القديم، وكان يأخذ عشرة قروش أجراً على الكراسة الواحدة، وهو رديء الخط، فاذا ورّق لأديب ولم يعجبه خطه فكلامه في ذلك تعلّق الشيخ به وطالبه بعشرين قرشاً عن الكراسة، منها عشرة للكتابة وعشرة غرامة لاهانة الكتابة...

نعم يا بني إن للماضي في قلوبنا مواقع ينزل فيها فيتمكن،

(١) الجمهور من أهل اللغة على أن (العجوز) وصف خاص بالمرأة إذا شاخت وهرمت، ولكن جاء في اللسان: «ويقال للرجل عجوز» ونقله صاحب التاج عن الصاغاني. ونحن على هذا الرأي، ولو لم يأت فيه نص عن العرب لابتدعناه وزدناه في اللغة؛ ووجهه عندنا أن الرجل والمرأة إذا بلغا الهرم فقدا خصائص الذكورة والأنوثة فلم يعودا رجلا وامرأة، فاستويا في العجز فكان الرجل قميناً أن يشارك المرأة في وصفها، فيقع اللفظ عليهما جميعاً.

وإنما امتنع العرب أن يقولوا للرجل (عجوز) وخصوا ذلك بالمرأة تعسفاً وظلماً وطغياناً كدأبهم مع النساء. فاذا شاخت المرأة فقد بطلت أنوثتها عندهم وعجزت عن حاجة الرجل وعجزت في كثير وتقتها الطبيعة وبرأت منها، أما الرجل فبالخلاف لأنه رجل وإذا شاخ وبطل وعجز ولم يستطع أن يكابر في المعنى — كابر في اللفظ... وأبى أن يقال إنه (عجوز) وزعم أن ذلك خاص بالمرأة...

ألا إن هذا تزوير في اللغة، وإن كان للرجال عليهن درجة فذلك في أوصاف القدرة لا في أوصاف العجز

(١) أي أخذ في الرأي من تأثير الكبر

(٢) أي حرك أجفانهما

ولكن قاعدة ( اثنان واثنان أربعة ) لا تعد فى الماضى ولا فى الحاضر ولا فى المستقبل ، والحقيقة بنفسها لا باسمها ، وليست تحتاج النار إلى ثوب المرأة إلا فى رأى المغفل

قال الأستاذ (م) وكيف ذلك ؟

قال العجوز : زعموا أن مغفلاً كان يرى امرأته تضرم الحطب فتنفخ فيه حتى يشتعل ، فاحتاج يوماً فى بعض شأنه إلى نار ولم تكن امرأته فى دارها ، فجاء بالحطب وأضرم فيه وجعل ينفخ ، وكان الحطب رطباً فدخَّن ولم يشتعل . ففكر المغفل قليلاً ثم ذهب فلبس ثوبَ امرأته وعاد إلى النار ، وكان الحطب قد جف فلم يكد ينفخ حتى اشتعل وتضرَّم . فأيقن المغفل أن النار تخاف امرأته . . . وأنها لا تتضرم إلا إذا رأت ثوبها

قال الأستاذ (م) : إن الكلام فى القديم والجديد أصبح عندنا كفنون الحرب تُبتدع ما تبدع لتغيير ما لا يتغير فى ذات نفسه ، وعلى ما بلغت وسائلُ الموت فى القديم والجديد فانها لم تستطع أن تميت أحداً مرتين

لقد قرأت يا بنى كثيراً فلم أر إلى الآن من آثار المجددين عندنا شيئاً ذا قيمة . ما كان من هُراء وتقليد زائف فهو من عندهم ، وما كان جيداً فهو كالنفائس فى ملك اللص لها اعتباران إن كان أحدها عند مقتنيها . . . فالآخر عند القاضي (١)

كلا أيها اللص لن تسمى مالكاً بهذا الأسلوب ؛ إنما هى كلمة تسخر بها من الناس ومن الحق ومن نفسك

يقولون : العلم والفن والغريزة والشهوة والعاطفة والمرأة وحرية الفكر واستقلال الرأى ونبذ التقاليد وكسر القيود إلى آخره وإلى آخرها . . . فهذا كله حسن مقبول سائغ فى الورق إن كان فى مقالة أو قصة ، وهو سائغ كذلك حين ينحصر فى حدوده التى تصلح له من ثياب الممثلين أو من بعض النفوس التى تمثل بها القدر فصوله الساخرة أو فصوله المبكية ، ولكنهم حين يخرجون هذا كله للحياة على أنه من قوتها الموجبة ، تردُّه الحياة عليهم بالقوة السالبة ، إذ لا تزال تخلق خلقها وتعمل أعمالها بهم وبغيرهم ، وإذا كان فى الانسانية هذا القانون الذى يجعل الفكر المريض حين يهدم من صاحبه — يهدم فى الكون بصاحبه ؛ ففيها أيضاً القانون الآخر الذى يجعل الفكرَ الصحيح السامى حين يبنى من أهله — يبنى فى الكون بأهله

* * *

قال العجوز ( ن ) : زعموا أن أحد سلكى الكهرباء كان فيلسوفاً مجدِّداً فقال للآخر : ما أراك إلا رجعياً ، إذ كنت لا تتبعنى أبداً ولا تتصل بى ولا تجرى فى طريقتى ؛ ولن تفلح أبداً إلا أن تأخذ مأخذى وتترك مذهبك إلى مذهبى . فقال له صاحبه : أيها الفيلسوف العظيم ، لو أنى اتبعتك لبطلنا معاً فما أذهب فيك ولا تذهب فىَّ ؛ وما علمتك تشتمنى فى رأيك إلا بما تمدحنى به فى رأيى

قال العجوز : وهذا هو جوابنا إذا كنا رجعيين عندهم من أجل الدين أو الفضيلة أو الحياء أو العفة إلى آخرها وإلى آخره . ونحن لا نرى هؤلاء المجددين عند التحقيق إلا ضرورات من مذاهب الحياة وشهواتها وحماقاتها تلبّست بعض العقول كما يتلبس أمثالها بعضَ الطباع فتزيغ بها . وللحياة فى لغتها العملية مترادفات كالمترادفات اللفظية تكون الكلمتان والكلمات بمعنى واحد ، فالمخرِّب والمخرِّف والمجدِّد بمعنى

كل مجدد يريد أن يضع فى كل شىء قاعدةَ نفسه هو ، فلو أطعناهم لم تبق لشىء قاعدة

قال الأستاذ (م) إن هذه الحياة الواحدة على هذه الأرض يجب أن تكون على سنتها وما تصلح به من الضبط والأحكام ، والجلبُ لها والدفع عنها والمحافظة عليها بوسائلها الدقيقة الموزونة المقدَّرة ، والسهلة فى عملها الصعبة فى تدبيرها . فعلى نحو مما كانت الحياة فى بطن الأم يجب أن نعيش فى بطن الكون بحدود مرسومة وقواعد مهيأة وحيِّز معروف ؛ وإلا بقيت حركاتُ هذا الانسان فى معناها كحركات الجنين ، يرتكضُ ليخرج عن قانونه . فان استمر عمله التى به مسخاً مشوَّهاً من جسد كان يعمل فى تنظيمه ، أو قذف به ميتاً من جسم كان كل ما فيه يعمل لحياته وصيانته

هذا الجسم كله يشرع للجنين ما دام فيه ، وهذا الاجتماع كله يشرع للفرد ما دام فيه ؛ فكيف يكون أمرٌ من أمر إذا كان الجنينُ مجدِّداً لا يعجبه مثلاً وضعُ القلب ولا يرضيه عمل

(١) فى كتابنا ( تحت راية القرآن ) كلام كثير عن التجديد والمجددين وما نراه من ذلك حقاً وما نراه باطلاً

الأم ، ولا يريد أن يكون مقيداً لأنه حرّ ؟

أنظر الى هذا الشرطى فى هذا الشارع يضرب مقبلاً ليدبر ومدبراً ليقبل ، وقد ألبسته الحكومة ثياباً يتميز بها ، وهى تتكلم لغة غير لغة الثياب وكأنها تقول : أيها الناس إن ههنا الانسان الذى هو قانون دائماً ، والذى هو قوة أبداً ، والذى هو سجن حيناً ، والذى هو الموت إذا اقتضى الحال

أتحسب يا بنى هذا الشرطى قائماً فى هذا الشارع بجدران هذه المنازل ؟ كلا يا بنى . إنه واقف أيضاً فى الارادة الانسانية وفى الحس البشرى وفى العاطفة الحية . فكيف لا يمحوه المجددون مع أنه فى ذاته ارغام بمعنى ، وإكراه بمعنى غيره ، وقيد فى حالة ، وبلاء فى حالة أخرى ؟

لكنه ارغام ليقع به التيسير ، وإكراه لتنطلق به الرغبة ، وقيد لتتمجد به الحرية ؛ وكان هو نفسه بلاء من ناحية ليكون هو نفسه عصمة من الناحية التى تقابلها

يابنى ! كل دين صالح ، وكل فضيلة كريمة ، وكل خلق طيب : كل شىء من ذلك إنما هو على طريق الصالح الانسانية كهذا الشرطى بعينه ؛ فاما تخريب العالم أيها المجددون وإما تخريب مذهبكم . . . .

***

قال العجوز ( ن ) : أنبحث عما نتسلط به أم نبحث عما يتسلط علينا . وهل نريد أن تكون غرائزنا أقوى منا وأشد ، أو نكون نحن أشد منها وأقوى ؟ هذه هى المسألة لا مسألة الجديد والقديم

فان لم يكن هناك المثل الأعلى الذى يعظم بنا ونعظم به ، فسد الحس وفسدت الحياة . وكل الأديان الصحيحة والأخلاق الفاضلة إن هى إلا وسائل هذا المثل الأعلى للسمو بالحياة فى آمالها وغاياتها عن الحياة نفسها فى وقائعها ومعانيها

***

قال المحدّث : ورأيتنى بين العجوزين كأنى بين نابين ؛ ولم أكن مجدداً على مذهب ابليس الذى ردّ على الله والملائكة وظن لحمقه أن قوة المنطق تغير ما لا يتغير . فسكتُّ حتى إذا فرغا من هذه الفلسفة قلت : والرحلة إلى سنة ١٨٩٥ ؟

( لها بقية — طنطا ) مصطفى صادق الرافعى

# تجـــربة

## للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

ماذا ترى يصنع رجل يعشق للمرة الأولى فى حياة صاخبة مضطربة ، ولكنها على كثرة ماجرب فيها خلت من الحب ونجت من زلزلته للنفس ؟ ؟

عن هذا كان يسأل « ميم » — وحسبنا من اسمه حرف واحد — وهو جالس إلى مكتبه ، والفتاة التى يحبها قبالته على الشرفة . والجديد من الأمر يتطلب جديداً من التصرف والتدبير ، ولو كانت له خبرة بالحب ، أو سبق له به عهد ، لقاس حاضره على ماضيه ، وأجراه فى مجاريه . وغريب أن يتقضى شبابه وهو فارغ القلب ، وأن يدركه الحب ويعمر فؤاده بعد أن شارف الكهولة ووقف على بابها ، وأخذ الأبيض يختلط بالأسود ، وبدأ الزمن يرسم خطوطه ! ! وإن كان هو لا يحس شيئاً من ذلك ولا يباليه ، ولا يعرف إلا أنه مازال فى عنفوان الفتوة

وألقى القلم واضطجع وقال يناجى نفسه ، وهو يضحك ساخراً : « هل أصنع كما يصنعون فى هذه الروايات الكثيرة التى قرأتها ؟ وعلى ذكر ذلك — ماذا ترى أبطال هذه الروايات يصنعون فى حالات كهذه ؟ لقد نسيت والله ! فكأنى ما قرأتها ولا وقعت عينى عليها . . . وهبنى كنت أذكر ذلك فهل يصح فى دنيا الحقيقة ما يصف الخيال ؟ »

واستطرد من هذا إلى القول بأن الروايات ليست — ولا يمكن أن تكون — خيالاً بحتاً ، وشيئاً يخلقه الانسان من لا شىء ، ولا يحور فيه إلى أصل من حقائق الحياة ، وأنكر قدرة الانسان على هذا الخلق ، وذهب إلى أن كل ما يسعه هو أن يلفق القصة من جملة ما شهد وجرب وسمع ، وأن يكون الشخصيات من أشتات ما عرف ، فليست القصص خيالاً ، ولا ما تصفه محالاً ، وإذن يكون تقليدها ميسوراً . . . أودع كونه ميسوراً أو غير ميسور ، وقل إنه لا يكون شططاً

« ولكن القصص يعنى فيها واضعها بترتيب الأحوال والمواقف على النحو الذى يؤثره هو ، والذى يراه أوفق لغاياته ، ومن عسى يرتب لى دنياى كما يرتب مؤلف القصة دنيا أبطاله ؟ ؟

أم أستشير صديقاً مجرباً ؟ ؟ ؟ ولكن هذا مخجل ! ! ثم إن العبرة بنوع استجابة الفرد لوقع الحياة فى نفسه ؛ والاستجابة تختلف باختلاف الأفراد . والذى يفعله إنسان ما ، فى موقف ما ، ليس من الحتم — ولا من المعقول — أن يفعله كل إنسان فى الموقف عينه

فالاستشارات عبث ولا خير فيها ، ولا جدوى منها إلا الفضيحة ... الفضيحة ؟!؟ . نعم . أليس فضيحة أن تفتح قلبك لمخلوق غيرك ، وأن تبيحه سرك ، وتكشف له عن ضعفك ، وتدع عينه ترى مقاتلك ؟ ؟ ولكن هل معنى هذا أن الحب ضعف ؟!؟ نعم . لأن فيه إفناء شخصية فى أخرى — الى حد ما على الأقل — ولم أكن هكذا قبل أن أبتلى بهذا الحب : وإنى الآن لأرى حياتى كلها رهناً بمخلوق آخر لا أعرفه ولا يعرفنى ... فكيف لا يكون هذا ضعفاً ؟!؟

وعلى ذكر ذلك من تكون هذه المحبوبة التى غيرتنى وأورثتنى هذه الهواجس والوساوس ؟ ؟ . وجعلت من نفسها المجهولة قطباً تدور عليه خواطرى جميعاً فى اليقظة والمنام ؟ ...

واستغرب من نفسه أنه لا يعرفها ، وأنه مع ذلك لا يعنى بسواها ، فى حى يعرف من إحصاء البوليس أن فيه مائتى قهوة ومائة وعشرين ألف نفس ، أى دائرتين انتخابيتين . ولو مات أهل الحى لما حزن عليهم ، ولا أسى لهم ، ولا أحس نقصاً أو خسارة ، ولا أسف إلا على خلو الحى وخرابه وقعوده هو فيه وحده على تله ! ولكنه لو علم أن هذه الفتاة جرح أصبعها أو أصابها زكام ، أو وعك ، لبات مسهد القلب كاسف البال ، بل لاسودت الدنيا فى وجهه — ومع ذلك لا يعرفها : ! لا أسمها . . ولا دينها . . ولا شيئاً عن قومها . . . وكل ما يعرف هو أنه يراها من نافذة غرفته وهو جالس الى مكتبه يقرأ أو يكتب . . . وأنه ألف أن يبصرها ، وصار على الأيام يطيل النظر إليها وهى واقفة على الشرفة العالية ، حتى اعتاد أن يراها على الأيام ، وحتى صارت نفسه تستوحش إذا دخلت أو غابت . وجعل يلاحظها بعد ذلك فادهشه منها أنها لا تكاد تغادر بيتها ، فما رآها خارجة إلا مرة واحدة فى شهور طويلة — مع أمها فقد كانت تلك أمها بلا شك — وهى مع ذلك من السافرات ! ! وزاد دهشته أنه كان يراها فى الأغلب جالسة فى الشرفة وفى يدها كتاب ... كتاب لا مجلة !! . ترى أى كتاب أو كتب تقرأ ؟؟ . لا شك أنها روايات ... وهل للفتيات صبر على غير ذلك ؟ ؟ . والسن حكمها ... وسنها الصغيرة تغريها ولا شك بإيثار القصص والروايات لأن حياتها جديدة فهى تروم أن تعرفها معرفتها ؛ وتظن أن الروايات أخصر الطرق وأوجزها الى هذه المعرفة . . . ثم إن الروايات تصف كل هو ما هو حبيب الى الشباب وقريب من هواه

وصار يأنس بمنظرها ، ويرتاح إذا بدت لناظره ، ويشعر بالفراغ حوله — وفى نفسه — إذا خلا مكانها ، أو لم تظهر على الشرفة أو من النافذة . وأدهى من ذلك أنه صار يحس من نفسه العجز عن العمل والتفكير إذا لم تأخذها عينه فى محلها المألوف من الشرفة

واستحيا أن يسأل عنها جارا ، أو خادما ، أو أحداً من الناس — وماذا عسى أن يقول لهؤلاء ؟ ... وبأى شىء يسوغ السؤال ؟ ؟

وفرك عينيه بأصابعه ، وهو يدير هذا كله فى نفسه ، ثم أطبق جفونه وراح يحاول أن يحضرها لذهنه ، كما تبدو له من النافذة أو الشرفة المألوفة . . فلم يجد عناء فى ذلك ، فقد كانت الصورة مطبوعة على صدره . . وذكر قول العقاد فى قصيدة مرقصة له :

ذهبى الشعر ساجى الـ ـطرف حلو اللفتات

فأما أنها ذهبية الشعر فنعم ؛ وأما أنها ساجية الطرف فلا . . فان فى نظرتها — حتى على هذا البعد — لقوة ، وإن كان لم ير أحلى من نظرتها ولا أسحر للب حين تبتسم ، ويشرق وجهها الواضح الصبيح ، وإنه ليراها الآن كما كانت يوم ضحكت وتثنت ، وكانت معها أختها — لابد أن تكون هذه أختها الكبرى فان فيها منها مشابه . والأرجح أنها متزوجة فانها لا تزور هذا البيت إلا غبا — وتالله ما كان أحلاها يومئذ ! ! لقد كانت فى ثوب وردى اللون محبوك ، مفصل على قدها تفصيلا يجلو محاسنها كلها ويعرض مفاتنها جميعا . . . وكان نحرها يضيء — وثدياها الناهدان يبدوان من تحت الثوب بارزى الحلمتين ... إنه ما أعظم فتنة هذا الجسم الغض الجديد الذى لم تبتذله السن ، ولم يرهله الزواج

وكان شعرها الوحف الأثيث الناعم اللامع مرخى ... وكان الضوء المراق عليه يخيل للناظر أن فيه نجوماً زهرا ، أبهى وأسنى من نجوم السماء . . . وكان وجهها الدقيق المعارف . . . ( ياويلى من هذا الفم الذى لم يعرف الأصباغ ، وهو مع ذلك يبدو لى كأنما غذته الورود ) متهللا . وقد لانت نظرتها القوية ، وفقدت

حدتّها المألوفة ، واعتاضت منها الرقة ، وبدا خداها كأنهما غلالتا ورد . . . آه . . ماذا يقول هذا الشاعر مهيار ؟ ؟

آه على الرقة فى خـدودها . لو أنها تسرى إلى فؤادها !

صحيح . . . . . وليت من يدرى كيف فؤاد هـذه الفتاة الرائعة الرقيقة الخدين اللينة النظرة حين يسرّها شيء . . . . . أرقيق هو يا ترى تكدبها ؟ ؟ أم . . . كلا ! ! لا يمكن أن يكون إلا رقيقاً ! . ولكن لماذا ؟ ؟ . على كل حال لا يزال أوان السؤال بعيداً . . أوه بعيداً جداً . . وما حاجتى إلى الاطمئنان من هذه الناحية ، ولا صلة هناك ، ولا كلام ، ولا حتى إشارة ؟ ؟ .

وقام يتمشى فى الغرفة الواسعة المكظوظة بالرفوف والمقاعد وغير ذلك ، وحدثته نفسه — وهى تمابثه — أن يركب الحياة بما يركبها به الشباب ، فضحك وقال . . لم يكن باقياً إلا هذا . . أمسح لهـا شعرى بكفى . . . . أو أعبث على مرآى منها بوردة أرجوانية « كتفاح خدها الارجوانى » كما يقول البحترى ! ! . أو أبعث إليها مع النسيم بقبلة . . . أو هو هو هو ! ! .

وقهقه وهو يتخيل نفسه فاعلاً ما يفعل الشبان والاحداث . ثم أشعل سيجارة وارتمى على مقعد وثير وسأل نفسه : « أترانى أحتقر الشبان وأسخر مما يصنعون ؟ ؟ . وماذا أرى الحكمة والاتزان والوقار والاحتشام أجدانى ؟ . . أو يمكن أن يجدينى ؟ . . هه ؟ . ومع ذلك لم لا أفعل كما يفعل الشبان . أترانى هرمت ؟ . كلا ! . فما جاوزت السابعة والثلاثين ، وإن كان الكثير من شعرى قد حال لونه ، وإنى لأقوى وأعظم جلدا على الحياة والكفاح من ابن عشرين . . . . ولكنها عادة الاحتشام — قبحها الله :

ولم يرقه أن يقطع نفسه حسرات هكذا ، فقال . . لماذا أرخى لنفسى الطول . . . وهى ؟ ؟ أكبر الظن أنها لا ترانى ، ولا تعبأ بى إذا رأتنى ، ولا يرد ذكرى على بالها ، وإن كنت أراها أول ما يجرى بخاطرى فى الصباح ، وآخر شيء يجريه خاطرى بالليل . . أفلا يحسن أن أكبح نفسى عن هوى عقيم ؟؟ ولكن لماذا أدع العاطفة تستنفد نفسها . . لا مانع فيما أرى ، لو أن من الممكن أن تستنفد نفسها . . . وهيها يمكن أن تفعل ، فانى أخشى أن تورثنى حسرات كثيرة . . . ولهفات ثقيلة . . . الأرجح مع ذلك أن تعمق العاطفة مجراها فى النفس وإن كان لا مدد لها من المحبوب . فان فيها — بمجردها — للذة تترك المرء كالجمل حين يجتر ما فى جوفه ويعيد مضغه مرة وأخرى . . وهل قتل المجنون وأمثاله من صرعى الهوى إلا هـذه اللذة التى كانوا يجدونها فى حبهم والتى كانت تغريهم بأن يجعلوا لها غذاء ومدداً من نفوسهم ؟ . . .

وابتسم وهو يقول . . لست أحب أن أكون أحد هؤلاء المجانين الذين أتلفهم الحب وقتلهم العشق . . . فقد كانوا حقيقة مجانين ... ولكن ليتنى أعرف حيلة !! والبلاء أن حياة المجتمع مازالت كما كانت ، وإن كان النساء قد سفرن ! ومن النادر جداً على الرغم من هذا السفور أن يتيسر التعارف فى مجتمعات مختلطة . إذن لهان الأمر وأمكن السعى

وقال وهو يضحك « لم يبق إلا السحر » ثم عبس ونهض وقال لنفسه إن التعبير بالسحر فيه تجوز كثير ، ولكن فى الوسع تغليب إرادة على إرادة ، وأداء رسالة من نفس إلى نفس أخرى .. أعنى أن الايحاء حقيقة ثابتة لا شك فيها — نعم لا يشك فيها إلا جاهل — وفى مقدورى ولا ريب أن أوحى إلى هذه الفتاة العاطفة التى تخامر نفسى ، وأن أبلغها رسالة قلبى ، وأن أوقد فى صدرها ناراً كالتى تتسعر فى قلبى . . . أفعل كل ذلك بعينى . . . ألست قد أنمت مرة خادماً كان عندى وأمرته ألا يستيقظ إلا بعد صلاة الجمعة ؟؟ . ألست قد جربت فعل نظرتى فى نساء كثيرات ؟ . ألم تصح إحداهن وقد أطلت التحديق فى عينيها « حوّل عينك عنى ، فانى لا أطيق نظرتها وأحس أن رأسى يدور » ألم تصرخ إحدى قريباتى دون أن تحول عينيها عنى ، لأنى كنت أحدق فى عينيها على غير قصد ؟ ؟ . فهذه قوة مجرّبة ... قوة نفسية لاشك فيها . . وما أظن إلا أنى قادر على أن أوحى اليها الحبّ . . وكل شيء بعد ذلك يهون . . نعم إن بيننا لبعداً . . . ولكن ما قيمة هذا ؟ ؟ . إنها موجة نفسية أرسلها اليها ، لا شرارة قصيرة ... ولماذا يمكن إرسال موجة من آخر الدنيا ، ولا يسهل إرسالها مسافة ثلاثين أو أربعين متراً ؟ ؟

واقتنع بأن ذلك ميسور ، فانشرح صدره ، وأشرق وجهه ، واعتزم أن يجرى هذه التجربة

وسأبلغ القارىء ما يكون — إذا كان شيء

ابراهيم عبد القادر المازنى

من روائع عصر الإحياء

# ٢ - قصص الأيام العشرة

بقلم جوفانى بوكاشيو

للأستاذ محمد عبد الله عنان

بقية ما نشر فى العدد الماضى

يستطيع أولئك الذين قرأوا قصص بوكاشيو وألف ليلة وليلة ، أن يجدوا بعض نواحى الشبه بين الأثرين ، سواء فى المادة أو الروح ؛ ذلك أن قصص الأيام العشرة تفيض كقصص ألف ليلة وليلة بروح مادية قوامها السرور والمرح ، والتوفر على استمراء متاع هذه الحياة بأى الوسائل ؛ وتفيض أيضاً كألف ليلة وليلة بالمواقف الغرامية المدهشة المثيرة ، أو المبتذلة أحياناً ؛ ثم إن كلا الأثرين ترمى إلى غاية واحدة تقريباً ، وهى مجالدة النوائب والنسيان والسلوى ؛ ففى ألف ليلة وليلة نجد ملكا نكب بخيانة زوجه ، وانقلب إلى بغض النساء ، يتسرى فى كل ليلة بكرا ثم يقتلها فى صباح اليوم الثانى ، إلى أن يبعث اليه وزيره بابنته « شهر زاد » ، فتحتال لتسلية الملك وتحويله عن فكرة الثأر من النساء ، وانقاذ نفسها وبنات جنسها ، بأن تقص عليه فى كل ليلة طرفاً من القصص الشائق حتى ألف ليلة وليلة ؛ وفى الأيام العشرة نجد عشر سيدات وسادة يجتمعون أثناء الوباء الروع للترويح عن أنفسهم وتناسى ويلات الفناء والموت ، بتبادل القصص الممتع

ولا نعنى بذلك أن جوفانى بوكاشيو قد تأثر فى كتابة قصصه بألف ليلة وليلة ؛ ذلك أن هذه القصص الشهيرة لم تكن قد عرفت فى الغرب فى عصره ؛ ولكنا نريد أن نقول فقط إنه يوجد بين الأثرين تماثل فى الروح والطابع والغاية يرجع إلى تماثل فى روح العصور الوسطى وفى روح مجتمعاتها

على أنه إذا كانت قصص ألف ليلة تمتاز أحياناً بخيالها البدع ، وفنها الممتع ، وصورها الوصفية والاجتماعية الشائقة ، فان قصص الأيام العشرة تفوقها من الناحية الفنية فى مواطن كثيرة ، وتمتاز بالأخص بعبرها ومغازيها الدقيقة ، وصورها الفكهة اللاذعة ، ومع أنها تمتاز أيضاً بكثير من التنوع والتباين فى التصوير والوصف ، فانها تمتاز فى نفس الوقت بطابع من التناسق الممتع فى الروح والأسلوب والتعبير

وقد رجع بوكاشيو فى كتابة قصصه إلى مادة غزيرة من القصص القديم وقصص العصور الوسطى ، وإلى بعض الحوادث الواقعية التى شهدها ، وإلى بعض حوادث حياته ذاتها ؛ ويرى بعض النقدة أن الفتيان الثلاثة الذين اتخذهم بوكاشيو أبطالاً لثلاثة من الأيام العشرة ، انما يمثلون ثلاث مراحل مختلفة من حياة بوكاشيو نفسه ، وأن فى قصصهم كثيراً مما اشتق من حياة بوكاشيو ذاتها

وبدأ بوكاشيو كتابة قصصه كما قدمنا ، أيام عصف الوباء بمدينة فلورنس فى ربيع سنة ١٣٤٨ ، وأنجز الثلاثة أيام الأولى منها فى مايو سنة ١٣٤٩ ، وهو يومئذ بنابل ، كما يستدل من خطاب الاهداء الذى توجه عن هذا القسم إلى صديقه الساندرو دى باردى التاجر الفلورنسى ، وكان يقيم يومئذ فى جايتا ؛ وانتهى من كتابة مؤلفه فى سنة ١٣٥٣ ، أعنى لخمسة أعوام من البدء فيه ؛ وظهرت الطبعة الأولى من هذه المجموعة الخالدة فى سنة ١٤٩٢

* * *

وقصص الأيام العشرة تجرى حوادثها فى جميع المدن الأيطالية وفى بلاد بعيدة أخرى مثل البرتغال أو انكلترا والاسكندرية وآسيا الصغرى ؛ وقد اختصت فلورنس موطن المؤلف ، وكذلك نابل حيث عاش بوكاشيو مدى حين ، بكثير منها ؛ وفى كثير منها نجد صوراً ممتعة لمحاسن الطبيعة فى تلك الأرجاء ، ووصفاً شائقاً فكهاً لمجتمعات هذه العصور وخلالها ومثالبها

كذلك تقدم الينا هذه القصص أبطالاً من كل صنف وضرب ؛ فهنالك مجتمع العصور الوسطى بكل طوائفه وشخصياته ، من سادة وفرسان وأحبار وقسس ، وشعراء وفنانين ، وصناع وعمال ولصوص ، ونساء من كل ضرب ؛ وهنالك شخصيات الطبقة العليا من ملوك وأمراء وسادة وملكات وأميرات وسيدات

أنيقات من كل الطبقات . وهنالك طائفة كبيرة من ملوك وأمراء معينين معاصرين وغير معاصرين

ونجد مثل هذا التباين فى موضوعات القصص ؛ ونلاحظ أولا أن القصص كلها بعيدة عن الاسهاب الممل ، وقد صيغت فى أحجام متقاربة ، من خمس صفحات الى عشرين ؛ بيد أن هذا الايجاز فى الحجم لم يحل دون حسن السبك ، ففى كل قصة فكرة طريفة ، وفى كل نادرة فكهة ، وحادثة مطربة . وهنالك تنوع ظريف فى الحوادث والفكر ؛ بيد أنه يلاحظ أن القصص الغرامية تشغل أكبر حيز وتفوز بأكبر نصيب ، وربما كانت تسعة أعشار المجموعة كلها . وهنا تبدو براعة بوكاشيو وفنه بصورة بارزة ؛ فهذه المجموعة الغرامية الحافلة بعيدة عن التماثل الممل ، وفى كل منها نجد مأساة أو مهزلة غرامية طريفة ؛ وربما صيغ بعضها فى أثواب مغرقة ، وتضمنت فكرا أو مواقف مستحيلة ، ولكنها على العموم تنفث نفش السحر والمتاع

وهذا الأفق الغرامى الساحر هو الذى يسود قصص الأيام العشرة ؛ وهنا يبدو بوكاشيو فى ذروة فنه وسحره ؛ فالحب هو قوام المجتمع ، وهو متاع الحياة ، والحب عند المرأة والرجل معا يكثير من البراعة والعزم والخيانة والشجاعة والكرم ، والاقدام والغدر ؛ وفى أحيان كثيرة يمزج بوكاشيو المأساة بالهزل والفكاهة ؛ فهنا زوجة خؤون تدبر أن يضرب زوجها فى نفس حديقته من يد حبيبها ، وتحمله على منازلته كعنوان على الاخلاص والحب ؛ وهنا طالب عاشق يسير طول الليل فوق الجليد جيئة وذهابا ، بينا تحدجه الحسناء وحبيبها باسمين من وراء النافذة ؛ وهذا قس ساذج تستخدمه زوجة عاشقة دون أن يدرى فى توثيق علائقها بحبيبها المنشود وتدبير وسائل التمتع بوصله ؛ وهذه زوجة خبيثة تدبر لحبيبها الوصل فى منزلها وفى فراشها ، بينا زوجها يضرع الى ربه مستغفرا عن ذنوبه فى مكان آخر من الدار ؛ وهذا قس خبيث يفترس فتاة ساذجة تحت ستار الوعظ والهداية ؛ وهذه راهبة مضطرمة تحتال لاقتناص جنان الدير حتى توقعه فى شرك وصالها ، وغير ذلك مما يضيق المقام عن ذكره

ومما يلاحظ بنوع خاص أن بوكاشيو يحمل على الأحبار والقسس بشدة ، وينوه فى كثير من المواطن بأخلاقهم الفاسدة وشهواتهم الوضيعة ، يستروتها تحت ثيابهم ومظاهر ورعهم النادرة ؛ واليك كيف يعرض بوكاشيو نظريته فى خبث رجال الدين على لسان بانفيلو أحد الفتيان الثلاثة إذ يقول :

« سيداتى الحسان ، لقد خطر لى أن أقص عليكم حديثاً ضد أولئك الذين يسيئون إلينا دائماً ، دون أن نستطيع نحن الانتقام منهم ؛ وأعنى بذلك رجال الدين الذين أعلنوا حرباً صليبية على زوجاتنا ، والذين إذا ظفروا بواحدة منهن ، تصوروا أنهم قد غنموا غفران الذنب والعقوبة ؛ وفى ذلك يعجز المدنيون عن مقابلتهم بالمثل ، وإن كانوا يصبون جام انتقامهم على أمهات القسس وأخواتهم ، وخليلاتهم ، وبناتهم ، ويطاردونهن بمثل الحماسة التى يطارد بها القسس أزواجهم »

فيجيب زميله فيلوستراتو : « إن الحياة الفاسقة الدنسة التى يحياها رجال الدين ، وهى فى كثير من نواحيها عنوان دائم للخبث ، تقدم بكل سهولة فرصة لذوى العقول ليحملوا عليها ويجرحوها »

ويقدم الينا بوكاشيو مجموعة متباينة من القسس الذين فاضت نفوسهم بأروع صنوف الاجتراء والاثم ، ويصور لنا خبائثهم ودسائسهم وتحيلهم على استباحة الأعراض بكل الوسائل ، واستتارهم فى ذلك باسم الدين ؛ كذلك يقدم الينا طائفة من الراهبات اللائى يضطرمن وراء جدران الدير توقاً وجوى ، ويلتمسن تحقيق شهواتهن بأخس الوسائل ؛ وفى هذه القصص الكنسية يبدو بوكاشيو فى ذروة فنه وسخريته اللاذعة ، ومع أنه يشتد فى حملته على الكنيسة وأحبارها ، فانه يحيط هذه الصورة الخبيثة بكثير من الدعابة والمرح

وقد أثارت هذه القصص المثيرة سخط الكنيسة الكاثوليكية على الكتاب ومؤلفه ، فوضعته فيما بعد فى قائمة الكتب المحظورة ؛ ولكنها لما رأت بعد ذلك أن هذا الحظر لم يحل دون ذيوع الكتاب ، سمحت بظهوره فى القرن السادس عشر فى ثوب مهذب رفع منه القسس والراهبات واستبدلوا فى صلب القصص الأصلية بسيدات وسادة

* * *

وقد كتب بوكاشيو قصصه بكثير من الحرية والبساطة ؛

وإذ كان معظمها يتحدث عن الحب والوصل ، فان مؤلفها لم يحاول تحفظاً في وصف المناظر والصور ، ولم يحاول تكلفاً في اللفظ أو التعبير ؛ وعلى ذلك فقد يبدو لنا أن قصص الأيام العشرة تخرج في كثير من المواطن عن حدود الحياء والحشمة ؛ والواقع أن بوكاشيو يحدثنا عن الحب وعن الوصل ، وعن العلائق والشهوات الجنسية في كثير من البساطة والصراحة ، ويقدم إلينا هذه الصور الغرامية المضطرمة عارية لا يسترها لفظ أو تحشم ؛ ولكن هل يجوز لنا مع ذلك أن نعتبر قصص بوكاشيو أثراً خليعاً ينبو عن معيار الحياء والحشمة والخلق الرفيع ؟ لقد وجهت هذه التهمة إلى قصص بوكاشيو منذ ظهورها ، ومازالت توجه إليها في عصرنا ؛ واضطر بوكاشيو نفسه أن يجيب عنها في خاتمة مجموعته ، وأن يبرىء نفسه من قصد العبث والاسفاف .

يقول النقدة ، لقد تحدث بوكاشيو كثيراً عن الحب ، وأسرف في ملق النساء واسترضائهن ؛ ويجيب بوكاشيو ، ولماذا لا ؟ لقد ملق النساء أذهان عظام مثل جيدو كافالكانتي ودانتي الخيري ، وألفوا في استرضائهن متعة وشرفاً .

ويقولون إن بوكاشيو استباح لنفسه وصف المناظر الجنسية المثيرة ، واستعمل ألفاظاً تنبو عن الحياء والحشمة ؛ ويقول بوكاشيو إنه ينكر هذه التهمة ، « لأنه لا يوجد ثمة شيء قبيح يحظر على إنسان ما ، إذا استطاع أن يخرجه في صيغ مقبولة ، وهذا ما يلوح أنه قد فعل بصورة مرضية »

ويقولون إن هذه القصص تثير فساداً وتحدث ضرراً ؛ ويقول بوكاشيو ، إن كل شيء في الوجود يمكن أن يحدث الخير والشر ؛ فمن ذا الذي لا يعرف أن النبيذ وهو من أفضل مقومات الصحة ، مضر بالمحمومين ؟ وهل لنا أن نقول إنه ضار لأنه يؤذي المحمومين ؟ ومن ذا الذي لا يعرف أن النار مفيدة بل ضرورية للانسان ؟ وهل لنا أن نقول إنها شر لأنها تحرق الدور والقرى والمدن ؟ كذلك تكفل الأسلحة سعادة أولئك الذين يريدون العيش في سلام ؛ ولكن الأسلحة كثيرا ما تودى بحياة الناس ، لا لخبث في ذاتها ، ولكن لخبث أولئك الذين يستعملونها . ثم يقول بوكاشيو : فاذا كان ثمة في الأيام العشرة قصص مثيرة أو خارجة ، فانه لا ضير من وجودها ، ولم يكن في وسعي أن أكتب غير ما سمعت ؛ ولا عصمة لانسان ؛ وفي الحقل النضر تنمو الأعشاب الضارة ؛ ولما كنت أقصد أن أحدث فتيات الشعب ، فانه لم يكن ثمة داع للتكلف والبحث عن الصيغ والعبارات المنمقة

هكذا يعتذر بوكاشيو عما عسى أن يبدو في قصصه من خروج على حدود الحياء والحشمة ؛ بيد أنه مهما كانت الملاحظات التي تبدى في هذا الشأن ، فانه لا ريب أن قصص بوكاشيو ، تعتبر من أقيم الآثار العالمية وأبدعها وأمتعها

وقد كان لمجموعة الأيام العشرة أعظم الأثر في تطور النثر الايطالي ، وتطور فن القصص الأوربي بوجه عام ؛ وما زالت آثار بوكاشيو تعتبر الى جانب آثار دانتي وبترارك ، قوام الأحياء الأوربي ، والصرح الأول في بعثه وازدهاره

( تم البحث — النقل ممنوع ) محمد عبد الله عنان

# عالم الايحاء

للأستاذ عبد الرحمن شكري

إذا مُجِّد المنطق أمام الانسان فى الحياة نشأ على احترام المنطق إلى حد كبير ، حتى ليعد العقل كأنه طاحونة منطق ، وحتى يظن أن وسائل التأثير مقصورة على مقتضيات المنطق وأن لا اقناع إلا الاقناع المنطقى ، ويخفى عنه أثر الايحاء الذى يتخذ قوى النفس وميولها ونزعاتها وعواطفها وإحساسها وسائل يستخدمها بطرق تعجز أحياناً تتبع المنطق وتقصيه . وإذا اعتقد الانسان أن الحياة مؤسسة على أسس من المنطق فحسب ، وفاجأته بعكس هذا الاعتقاد إذا اختبرها ، صعب وقع تلك الخبرة فى نفسه . فان تجاريب المرء فى الحياة تعلمه أن الحياة ليست مؤسسة على الاقناع المنطقى فحسب ، وإن المنطق نفسه يستخدم لكل غرض حتى غرض الايحاء ، وإن المنطق خليق أن يشبه بالخادم الذى يعمل فى بعض البيوت فيغسل أماكن دورات المياه تارة ، وتارة يطهى ويقدم الطعام للأسرة والزوار . والحقيقة هى أن للايحاء أثراً كبيراً فى الحياة حتى إنه ليسيطر على المنطق فى بعض الأحايين ويستخدمه لأغراضه ، وفى بعض الأحايين يغرى المرء بعكس ما يغرى به الاقناع المنطقى

وقد يعتمد المرء على مقتضيات المنطق لنيل العدل بين الناس فى الحياة أو ما يراه عدلاً ؛ فاذا لم ينله انهارت دنياه ودهش إذا لم يكن عالما أن وراء حياة المنطق حياة أخرى تدين للايحاء ، وان عليه أن يحدد موقفه فى عالم الايحاء هذا ، وأن يتخذ عدته له وأن يبحث مخبآته وأسراره ، فان قيمة الناس والقضايا فى ذلك العالم ليست إلا بقدر ما تستطيع أن تستخدمه من وسائل الايحاء ومؤثراته ، ولا يخلو أحد فى الحياة من الخضوع لعوامل الايحاء والتأثر بها سواء فى ذلك التاجر والموظف

يحكى أن أشعب الثقفى قد أولع الغلمان عما كسته يوماً فقال لهم ليصرفهم عنه : إن فى شارع كيت وكيت أفراح عرس تنثر فيها الدنانير على الجمهور ؛ فصدق الغلمان قوله وتركوه وجروا إلى المكان الذى وصفه فى قوله ؛ فلما رأى أشعب تصديق الغلمان أغراه ذلك وجرى خلفهم إلى المكان الذى وصفه فى قصته التى لفقها كى يصرف الغلمان عنه . والناس فى الحياة على شاكلة أشعب فيما يشيعون من الخير والشر عن أنفسهم أو عن غيرهم ، يقولون ما ليس بحق ثم يصدقونه إذا رأوا تصديق الناس له ، وهذا بسبب تأثير الايحاء فى أنفسهم . ولا يستطيع المرء أن يفهم الناس إلا إذا فهم هذا الايحاء ، وإلا إذا فهم أن النفس قد تجمع بين النقيضين فى وقت واحد ، فتجمع مثلاً بين أثر الايحاء وبين الدليل المنطقى الذى ينقضه

خذ مثلاً آخر : يقول لك على إن أحمد قد هجاك ، وأنت تعرف أن علياً كاذب فيما نقل عن أحمد ، ولكن من المستطاع أن تجمع فى نفسك بين تكذيب على وبين الامتعاض من أحمد الذى تعرف براءته ، والامتعاض هذا من أثر الايحاء

والانسان يستطيع أن ينقل الكلام المحكى من عالم المنقول إلى عالم المدرك بالحس بسبب أثر الايحاء أيضاً ، حتى إنه لو قيل لجماعة إن انساناً ينظر اليهم شزراً لم تعدم بينهم من يرى ذلك أو يظن أنه يرى ذلك وإن لم يحدث ؛ وبعض الناس أكثر تأثراً بالايحاء من غيرهم . وقد حكى أن بعض فقراء الهنود يرمون بحبل إلى السماء فيظل ممدداً حتى يستطيع غلام أن يصعد الى طرفه الأعلى ؛ وفسر بعض الكتاب هذه القصة بأنها من أثر الايحاء فى نفوس بعض النظارة ، وبسبب أن المرء ينقل الكلام المنقول المحكى إلى عالم حسه فتنشأ دعوى المشاهدة . وهذه الصفة فى الانسان كثيراً ما تخدعه ويخدع بها غيره من الناس فى أمور كثيرة من أمور الحياة . وقد ينخدع بها ويصدقها وهو يعرف أنها وهم ؛ وقد يجمع بين تصديقها وتكذيبها فى نفسه فى وقت واحد

ويعتقد كثيرون أن الايحاء يؤثر فى الحيوان أثره فى الانسان . ومن المشاهد أن احساسات الانسان من ذعر أو حب أو فرح أو خوف قد تنتقل إلى الكلاب مثلاً عن طريق الايحاء . وقد بالغ بعض الناس فادعى أن أثر الايحاء قد ينتقل الى الجماد أيضاً . وعلل إسقاط كهنة زنوج أواسط افريقية الأمطار بهذا الأثر . والعلم لله فى هذا الأمر

وترى الجهال فى الحياة يستخدمون وسائل الايحاء لمنفعة

النفس أو منفعة الصديق ومضرة العدو بطرق منظمة تحسبها نتيجة دراسة الايحاء والبحث فى علم النفس ، وما هى بنتيجة دراسة وعلم ، ولكنها السليقة التى تبصر الانسان بوسائل الايحاء . ولو علم الصائلون بايحائهم المقتدرون به الجالبون لأنفسهم ولأودائهم به الخير أن بين العامة من لا يقل قدرة عن الخاصة فى استخدام الايحاء ما افتخروا بمهارتهم فى استخدام وسائل الايحاء ولا عدوها من دلائل العقل والحكمة ، ولا حسبوا أنهم فازوا فى الحياة بهما . ولو علم العقلاء الحكماء أن وسائل الايحاء أقرب الى النجاح من وسائل العقل ، وأن الايحاء يستمد من السليقة ما غالوا بعقلهم وحكمتهم كل المغالاة ، ولا حزنوا إذا أبصروا انخذال وسائل العقل وانهزامها أمام وسائل الايحاء

والتأثر بالايحاء من صفات القطعان ، سواء القطعان البهيمية والقطعان البشرية ؛ فاذا أحدثت بهيمة فى قطيع صوتاً أو اتخذت طريقاً تابعتها بهائم القطيع . وهذا هو ما يحدث أيضاً فى القطيع الانسانى بسبب أثر الايحاء والمحاكاة التى هى من أثر الايحاء . والقطيع البشرى أكثر تأثراً به بسبب إحساسه وخياله النامين . والايحاء قد يكون فى النوم أو فى اليقظة ، وكثيراً ما كان يعتمد السخرة على الايحاء وأثره فى النفس ، وتأثر الجسم بما تعتقده النفس .

وقد تتذبذب وتتحول نفوس الناس ساعة بعد ساعة ، أو يوما بعد يوم تذبذباً لا حد له فى الأمور اليومية والاحساسات المتغيرة العارضة بسبب اختلاف أنواع الايحاء وضراميه ، حتى ليشبه تذبذبهم تذبذب السراب أو ذرات الهباء فى أشعة الشمس ، ولكنهم لا تأخذهم الدهشة من أنفسهم لأنهم لا يفكرون فى أنفسهم ولسرعة التذبذب كما لا تحس دورة الأرض ، ولأنهم ثابتون على بعض عقائد ومبادئ عامة لا مناص لهم من الثبات عليها ، فتلهيهم عن تذبذبهم المستمر بسبب اختلاف نزعات الايحاء ، والتذبذب النفسانى ينشأ عنه تذبذب جثمانى لاختلاف حركات الوجه والجسم حسب الأهواء والميول والنزعات النفسية . والبيع يشبه الاحتيال من ناحية الاعتماد على الايحاء إلى حد كبير ، وإن اختلفا فيما عدا ذلك ؛ ويسمى الناس وسائل البيع والاحتيال التى تعتمد على الايحاء الطريقة الأمريكية فى البيع ، والطريقة الأمريكية فى الاحتيال والنصب ، وهى طريقة شائعة فى النفوس عامة وفى كل أمر من أمور الحياة من تجارة أو مهنة أو صداقة أو محبة أو عداوة ، وإنما تختلف باختلاف النفوس ولا تمنع من اقترانها بنصيب من الفضيلة أو الصدق أو النزاهة أيضاً ، لأن النفس تجمع بين النقيضين . ويستخدم الايحاء كثيراً فى الاعلانات عن العقاقير والكتب والمؤلفات وغيرها

ومما يزيد الايحاء قوة أن المتأثر به الذى نقل أثر الايحاء إلى عالم حسه ومشاهداته كما أوضحنا يصبح شاهداً يستشهد به صاحب الايحاء كأن شهادته ليست نتيجة أثر ايحائه ، إذ المتأثر بالايحاء بعد أن ينقله إلى عالم حسه ويدعى أنه من أثر مشاهدته ومن أثر اقتناع حواسه ينأى بنفسه ويترفع عن أن يكون ذنباً لصاحب الايحاء تابعاً له ، فيدعى الاستقلال فى الرأى والشاهدة ، حتى لقد يخدع صاحب الايحاء ، فيتأثر به صاحب الايحاء ، ويتناسى أن رأيه من أثر ايحائه .

وقد أتقنت وسائل الايحاء للاعلان عن ممثلى وممثلات الصور المتحركة ، كما أتقنت وسائل الايحاء عند ما تنشر دولة الدعوة العالمية ضد دولة تعاديها أو تحاربها

والايحاء قد يطرد فى شكل سلسلة من الحلقات من انسان إلى ثان ثم إلى ثالث ورابع الخ ، حتى يختفى مصدر الايحاء وأوله ومنشؤه . وإذا كان ايحاء المرء لغيره سهلاً ميسوراً فايحاؤه لنفسه أسهل وأيسر ، لأنه أملك لها ؛ وقد يفطن إلى أن ايحاءه لنفسه مغالطة ، ولكنه يقدس تلك المغالطة كما يقدسها لو كانت من أثر المنطق والاقناع المنطقى ، بل قد يقدسها أكثر من تقديس ذلك الاقناع ، فترى أن وراء هذا العالم المادى الظاهر ، ووراء ما يبحثه به الباحث من منطق يوجد عالم آخر حقيق أن يسمى عالم الايحاء

عبد الرحمن شكرى

من الموضوعات التي نالت الجائزة في المباراة الأدبية

# التربية الوطنية الاستقلالية
## وأثرها في بناء الأمة
للأستاذ محمد عبد الباري

— ٣ —

ومع أني لست من القائلين بالفصل التام بين السلطات ، فاني لا أجد في سلوك القاضي هذا مأخذاً حتى ممن يقولون بالفصل التام . فتصرف القاضي على النحو الذي ذكرت يمكن حمله على حق إبداء الرأي بكافة الوسائل باعتباره عضواً ممتازاً ، بنوع ثقافته وبخبرته ، من أعضاء الجماعة التي يعمل فيها ولها ، وبهذا الوصف لا يكون تصرفه تدخلاً من السلطة القضائية في شؤون السلطة التشريعية

ومن أدق عمل القاضي حكمه فيما يختص بعلاقة الحكام بالمحكومين . ففي هذا المجال بخاصة تظهر قيمة الاستقلال والاقدام والكياسة . وبديهي أن القاضي المقدر لمركزه لا يتردد في القضاء بما تمليه روح القانون والعدالة . لا يعمل بغير الواجب إذا كان حراً مستقلاً . فالكل أمامه سواء . إن القاضي النزيه المقدام يبعث في الجماعة الشعور بأن الكل في حماية القانون ، وهذا الشعور ، يدعمه الواقع ، يعين كثيراً على حرية إبداء الرأي وحرية التصرف ومن ثم يؤدي إلى خير المجموع

حـ — وليست التربية الاستقلالية أقل أثراً في الشؤون الادارية . ففي البيئات الحرة المستقلة يعمل الصغير والكبير بما تقتضيه المصلحة العامة ويوحي به الضمير الحر . يقترن الاحساس بالكرامة باستشعار المسؤولية فلا يخشى المرؤوس أن يبت في الأمر أو يلق بالرأي ، ولا يشمئز الرئيس من قبول ملاحظات المرؤوس والعمل بها إذا ما تبين وجه الصواب فيها . المستقل لا يصطنع الرياء والملق ؛ ومهما صغر مركزه الاجتماعي فهو في نفسه كبير ؛ والواثق من نفسه يبرم الأمور ما دامت في متناول يده ولا يؤجل ولا يتهرب . هذا إذا كان مرؤوساً ، وإذا كان رئيساً فانه لا يرى في مرؤوسه الحر شذوذاً أو غروراً فيغضي عنه . بل يرى فيه كفاية وإقداماً فيقبل عليه . يقومه إذا أخطأ ويشجعه إذا أصاب ، ويقدره إذا أجاد . بذا تسير أداة الحكومة بلا إبطاء أو عوج ، وتقضى مصالح الناس بلا إرجاء أو إهمال ، لأن كلاً يحتمل نصيبه ويقوم بواجبه

على أنه مما يقوم سبل الادارة ويوجهها جادة الحق سلوك أصحاب الحاجة أنفسهم . ففي البيئات الحرة يستمسك المرء بحقه ، ولا يرى في عمال الادارة طبقة ممتازة عليه ، ولا يعتبر الالتجاء إليهم لقضاء مصالحه استجداء أو استعانة لم يؤد ثمنها . بل يرى أن من حقه طلب ما يطلب في حدود القانون ، ومن واجب عمال الإدارة خدمة الناس خاصتهم وعامتهم في هذه الحدود ، قياماً بواجبهم وأداء لحقوق الغير عليهم . أما استخذاء الشعب واستكانته إزاء تصرف غير كريم من أحد عمال الادارة فانه يغري من وهنت أخلاقهم بظلمه وإهمال شؤونه من جهة ويشجعهم على التواني والعدوان بصفة عامة من جهة أخرى

التربية الاستقلالية كما قلت تنمي في الفرد صفتي الثقة بالنفس والاقدام . ولهما أهميتهما العظمى في الوسط الاداري . فالادارة لا تستمد قوتها واستقامتها من النظم الموضوعة فقط ، بل من شخصية منفذي القوانين والنظم . فهم يطبقونها ويفسرونها للخير وللشر ، كبيرهم وصغيرهم كل بنسبة نفوذه وقوة شخصيته . والمقدام لا يتهيب طلب الاصلاح وان صغر مركزه وضاق نطاق مسؤوليته . ولكنه يقدم غير هياب ولا وجل فيكون أكثر انتاجاً وأعظم للجماعة خدمة

وهنا لا أجد مندوحة ، اتباعاً لمنهاجي في البحث ، عن ضرب مثل برجل الادارة ذي الشخصية والاقدام والاحساس بالواجب

صدر قانون محاكم الأخطاط سنة ١٩١٢ ، ولاحظ أحد كتاب المحاكم الجزئية الأهلية بينما كان يفتش أعمال بعض محاكم الاخطاط سنة ١٩٢٣ ، أن محكمة خط المطف قضايا مدنية عظيمة القيمة تحكم فيها المحكمة حكماً نهائياً . وهاله كثرة القضايا ، وخشي أن يكون في الأمر غبناً على الفلاح بحرمانه حق الطعن في الحكم ، وغبناً على الخزانة العامة بتحصيلها رسماً مخفضاً .

ولما ناقش الكاتب المختص أجابه هذا بأنه يتبع نص القانون القاضي بأن محكمة الخط تختص بالحكم نهائياً في المنازعات التي يتفق طرفا الخصومة على أن تنظرها.

وفاتح رئيسه القاضي الجزئي فنصحه بأن يلزم حدوده فهذا بحث لا يدخل ضمن عمله الكتابي. لكن الفتى كان حساساً بواجبه فلم يقتنع بهذا. وبحث فهداه البحث إلى تخرج وهو أن الاتفاق في مثل الحالة التي كان يعالجها ضد النظام العام، فهو باطل لهذا السبب. ذلك أن المدعي في تلك القضايا كان مقيماً بالقاهرة ومن كبار تجارها. وفعلاً كتب مذكرة برأيه هذا وأبلغه رأساً لرياسة محكمة الاسكندرية، وهذه بدورها أبلغته لوزارة الحقانية.

وما كان أشد سرور صاحبنا لما وصلته بعد قليل من الزمن تعليمات عامة أرسلت بها وزارة الحقانية للمحاكم تقضي بأن مثل الاتفاق المشار اليه باطل. وهكذا انتج احساس كاتب بسيط تعديلاً في سير المحاكم في مسألة فيها شيء من الخطورة، بعد أن سارت عشر سنين على عكس ما ينبغي أن تسير في هذه النقطة

ذلك الموظف عينه التحق بمصلحة أخرى وكانت الجهة التي يعمل بها تتلقى تعليماتها من وزارة الداخلية. وحدث أن أرسلت الوزارة تعليمات فيما يتعلق بمحاكمة أكبر طائفة من موظفي مصلحته. ورأى هو أن التعليمات لا تتفق مع صريح نص اللائحة المعمول بها. وأنها فوق ذلك تحرم طائفة كبيرة من ضمان هام. فاعترض في لطف بأنه مع وجود النص الصريح كيف تطبق تعليمات الوزارة بغير أن تعدل اللائحة طبقاً للقانون. ولكن الوزارة لم تأخذ برأيه. فترقب فرصة ملائمة، لاعتقاده أنه يصعب أن تعدل الوزارة عن رأي بناء على ملاحظات موظف بسيط خارج الوزارة؛ ثم كتب اقتراحاً بصورة أخرى وأبلغه الوزارة فشجعها على تعديل التعليمات بما يطابق اللائحة دون أن يكون في ذلك حرج. وفعلاً عدلت الوزارة التعليمات

ولكن من الحق أن نذكر أن هذا الموظف لا يجد عمله هيناً دائماً، بل كثيراً ما أوذي لتمسكه برأيه وعدم تقيده بحرف التعليمات دون روحها. بل أحياناً يتعرض للجزاء بسبب رفضه التقيد بلفظ التعليمات المالية إذا كان تنفيذ روحها يحقق مصلحة مالية للهيئة التي يعمل بها ويتمشى مع المنطق، ولا تتعرض معه المصلحة لنتائج اجراء غير عادل

هاتان واقعتان من الأمور البسيطة. ومن الممكن تصور حالات يؤدي استمساك أحد عمال الادارة برأيه فيها الى تلافي قرار ضار أو الى توفير أموال طائلة، أو اتقاء عمل يحمل الجماعة مسؤليات جساما

لكن جل صغار موظفي الادارة عندنا، بل كبارهم، لا يكتفون بموافقة رئيسهم على ما يقول أو يطلب، وإن خالف القانون والمصلحة، بل يكادون يسبقون رؤساءهم الى ما يظنون أنه يرضيهم غير مبالين بالقانون أو الحق أو العدل، وفاتهم أن الرئيس إذا عرف الأمور كما ينبغي، قد لا يتمسك بالرأي. وغاب عنهم أن للجماعة الذين يعملون لحسابها حقوقاً يجب رعايتها، وأن لأنفسهم حقوقاً تقضي بعدم امتهانها بتزويق الباطل وتحويلها الى أداة تصدع بما تؤمر ولا إرادة لها

هذه الظاهرة المحزنة دليل على ضعف التربية الاستقلالية. فمن واجب جميع المصلحين أن يعملوا على القضاء عليها بعدم تشجيع المرائين والمتملقين، وبتقدير العاملين المخلصين للواجب وللحق والعدل. أما أبناء اليوم رجال المستقبل فيجب عدم ادخار شيء في سبيل انشائهم على حرية الرأي واستقلال الفكر والاقدام والشجاعة من جهة، وعلى بغض الطغيان والصلف والتعصب للذات من جهة أخرى

(البقية في العدد القادم) محمد عبد الباري

# عين جالوت

للأستاذ عبد الله مخلص

أذكرنا الأستاذ الألمعي محمد فريد أبو حديد بوقعة عين جالوت بين المصريين والتتار، ووقفة الأولين فيها موقف الذائدين عن حياض الاسلام الذابين عن كيانه (١)

وما كان الاسلام لينسى لمصر ذلك اليوم الأغرّ المحجل الذي دفعت فيه ذلك السيل المتدافع من التتار وردّتهم على أعقابهم يتعثرون في أذيال الهزيمة والخسران، ورفعت فيه نير التتار عن أعناق المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان لسنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠م)

## موقف المسلمين الأول في عين جالوت

وللمسلمين في عين جالوت مثل هـذا الموقف المشرّف سبق موقفهم الثاني بنحو ثمانين سنة، فقد بلغ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب اجتماع الفرنجة في قرية صفورية ورحيلهم إلى قرية الفولة فسار اليهم يطلب حربهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة، بينا كانوا ينضم بعضهم الى بعض يحمي راجلهم فارسهم، وساروا حتى جاءوا عين جالوت ونزلوا عليها، ونزل السلطان حولهم، والقتل والجرح يعمل فيهم ليخرجوا إلى المصاف فلم يفعلوا خوفاً من المسلمين؛ وكان ذلك أيضاً في يوم الجمعة السابع عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ٥٧٩ هـ ١١٨٣ م كأنّ الله اختص تلك الليلة الغراء واليوم الأزهر بالنصر

## عين جالوت في التوراة

وعين جالوت هذه هي المذكورة في التوراة في سفر صموئيل الأول في الاصحاح ٢٩ : ١ باسم عين يزرعيل التي نزل عليها شاول بجيشه في الحرب التي قامت سوقها بين الفلسطينيين والاسرائيليين وأسفرت عن انتحار شاول المذكور بالقاء نفسه على سيفه والقضاء بهذه الصورة على حياته. ومات معه في هذه الحرب بنوه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله

(١) الرسالة العدد ١٤٦ الصفحة ٦٢٩

وهي أيضاً عين حرود المذكورة في سفر القضاة في الاصحاح ٧ : ١ — ٨ ومنها شرب جيش جدعون بن يوآش المعروف أيضاً باسم يربّعل عند نزوله لحرب المديانيين. وللتوفيق بين رواية القرآن المجيد عن هذه الوقعة أنقل للقارىء الكريم قبل ذكرها رواية التوراة في الاصحاح المذكور وهذه هي:

« وقال الرب لجدعون كل من يلغ بلسانه من المـاء كما يلغ الكلب فأوقفه حدّه، وكذا كل من جثا على ركبتيه للشرب. وكان عدد الذين ولغوا بيـدهم الى فمهم ثلثمائة رجل. وأما باقي الشعب جميعاً فجثوا على ركبهم لشرب الماء. فقال الربّ لجدعون بالثلثمائة الرجل الذين ولغوا أخلّصكم وادفع المديانيين ليدك. وأما سائر الشعب فليذهبوا كل واحد إلى مكانه »

الى آخر ما جاء في الاصحاح المذكور الذي ينتهي بخبر انتصار جيش جدعون وفرار المديانيين ومتابعة الاسرائيليين لهم ومطاردتهم

## جالوت في القرآن المجيد

وهذه آيات بينات من الذكر الحكيم عن جالوت من سورة البقرة:

« فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي، وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي، إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ، فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ، فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ، قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (آية ٢٤٩)

وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠)

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ، وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ، وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ، وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١)

تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٥٢)

## قرية جالوت

ولنذكر صفة قرية عين جالوت في القديم والحديث : قال ياقوت الحموى في معجم البلدان : « عين الجالوت اسم أعجمي لا ينصرف ، وهي بليدة لطيفة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين كان الروم قد استولت عليها مدة ثم استنقذها منهم صلاح الدين الملك الناصر يوسف بن أيوب سنة ٥٧٩ »

قلنا وقد غشيتُ عين الجالوت غير مرة مع نفر من موظفي الحكومة العثمانية في قضاء جينين من أعمال نابلس حين كنت في عدادهم ، وكنا نذهب اليها أحياناً للنزهة وقضاء يوم العطلة ، وكان الماء يتفجر أمامنا من سفح الجبل فيحيط بالمصطبة التي جلسنا عليها من جميع جوانبها ثم ينساب في منحدر يصل إلى مدينة بيسان ويسقى في طريقه الغلال والبقول

وليست عين الجالوت من العيون الصغيرة ، بل هي نهر صغير يقال له نهر الجالوت ؛ يحاذى سفح جبل قامت عليه بعض القرى والمزارع مثل زرعين(١) ونورس وغيرها ؛ ويقال لهذا الجبل جبل الدحى(٢) وبين هذا الجبل وجبل الطور القابل له في الناحية الشمالية مرج ابن عامر المعروف بوادى يزرعيل كما يعرف جبل الطور بجبل تابور في التوراة

أما اليوم فان هذه القرية قد أصبحت ملكا لليهود يتصرفون فيها كيف يشاؤون ، فقد انتقلت ملكيتها من أصحابها الأصليين العرب اليهم في السنين الأخيرة بعد أن وعدتهم الحكومة البريطانية بلسان وزيرها بلفور المشهور بانشاء وطن قومي لهم في فلسطين ومكنت لهم في أرضها ، وهم كل يوم يقتنصون « بليدة لطيفة » من بلدان فلسطين فيشردون أهلها تحت كل كوكب ، ويبنون وطنهم العتيد على انقاض الاسلام وتراثه الخالد فيغيرون معالم البلاد ويردونها الى أصولها

هذه عين جالوت التي حمت فيها مصر الاسلام والمدنية والانسانية قبل سبعة قرون — كما قال الأستاذ أبو حديد — تعود فتسمى باسمها العبرى القديم عين حرود ، ويسكنها شذاذ الآفاق من اليهود

وفيها اليوم بحسب آخر احصاء للحكومة فلسطين ٤٨٣ نسمة يشغلون ١٣٥ بيتاً

ويا ليت أن المصيبة اقتصرت على ضياع عين الجالوت فقط من العرب ، بل إنها تعدتها إلى أكثر القرى الآهلة في ذلك الوادى الممرع ، وأصبح الباقى القليل عرضة للضياع والانتقال ، إلا إذا أراد الله بالمسلمين والعرب خيرا ، ودفع بالحكومات الاسلامية والشعوب العربية إلى الدفاع عن هذه الأرض المقدسة التي أسرى الله بعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام اليها ، وجعلها قبل ذلك موطن أخيه عيسى بن مريم عليه السلام ، إذ ولد بها ودعا إلى عبادة الله في أرجائها وأنحائها ، ورُفع إلى الله منها

قلنا ليس لمعضلة فلسطين ووقعتها من دون الله كاشفة . أما الدول الاسلامية فمن واجبها أن تحمى المقدسات في بلاد فيها أولى القبلتين ، وثانى البيتين ، وثالث الحرمين . أما الشعوب العربية فمن مصلحتها أن تستملك وتتاجر وتسكن وتتوالد في بلاد هى همزة الوصل بين الغرب والشرق ، وخط الاتصال بين آسيا وافريقية ، وباب جزيرة العرب التي أخذ قطانها يحبون كما يحبو الطفل الرضيع ويحاولون الوقوف على أرجلهم

فهل تتحقق الأحلام ، وتنقلب الآلام إلى آمال قبل استفحال الغزوة اليهودية المحكمة بين سمع الدولة البريطانية وبصرها ، بل تحت حرابها وبنادقها ورشاشاتها التي جعلتها حزباً لليهود وحرباً على العرب ؟ والله الأمر من قبل ومن بعد

(حيفا) عبد الله مخلص



(١) اسم هذه القرية في التوراة يزرعيل وهي من قواعد المدن ومواقع الأحداث في زمن الاسرائيليين

(٢) اسم هذا الجبل في التوراة حرمون الصغير وفي قمته مقام يقال إنه لدحية الكلبي

من أدبنا المجهول — شاعر يرثى ولده بديوانه

# اقتراح القريح واجتراح الجريح

## لأبى الحسن على الحصرى

### بقلم الأديب السيد أحمد صقر

( للأستاذ الزيات عزاء وسلوة )

من أغرب الظواهر فى الأدب العربى — إن لم يكن فى الغربى — أن يرثى شاعر ولده الصغير بديوان كبير ، ثم يظل مجهولاً طيلة ثمانية قرون ونصف قرن ، لم يحاول أحد خلالها نشره أو التعريف به

وما زالت خزائن الأدب العربى ملأى بالآثار الرائعة التى خلفها لنا الأجداد تجاذب الأحداث أسباب البقاء ، حتى إذا ما صرعها الزمن وقفنا على أطلالها نندبها ونبكيها ، ونقول كان لنا وكان . . .

من تلك النفائس المشرفة على الفناء ديوان فذ فى بابه ، غريب فى اسمه وموضوعه ، نظمه أبو الحسن الحصرى صاحب القصيدة المشهورة : يا ليل الصب متى غده ؟ سماه اقتراح القريح واجتراح الجريح وكل قصائده فى رثاء ابنه الوحيد عبد الغنى ؛ رزقه وقد بلغ من الكبر عتياً ، ورزئه وقد أتم التاسعة من عمره

وكان موته بالنزيف : فسالت حشاشة نفسه من أنفه ، وفى ذلك قوله :

لست أنسى مقامه ومقامى ... وكلانا مثل القتيل خضيبا
أنفه ينثر العقيق وعينى ... تنثر الدمع بالعقيق مشوبا

ليس للحصرى غير هـذا الديوان على كثرة شعره ، ووفرة أدبه ، يدلنا على ذلك قوله فى مقدمة الكتاب : « والقرآن شعارى ، ولذلك لم أجمع أشعارى ، سجرت بها العقول لجبذتها ، ووراء ظهرى نبذتها ، تركتها لمن يميها ، فيسرقها أو يدعيها ، يرثى بغير نسب ، ويملكها بغير نشب ، حاشا ما فى كتابى هذا »

لم يطبع هـذا الكتاب ولم يشتهر أمره بين الأدباء ، ولم يجر ذكره على أسلات أقلام المؤرخين ، ولعل ذلك راجع إلى ندرة وجوده ، وقلة ذيوعه . . .

فى دار الكتب المصرية نسخة فريدة من هذا الديوان النفيس مخطوطة بخط معتاد فرغ ناسخها من نسخها فى سادس ربيع الأول سنة سبع وستمائة ، عدد صفحاتها ٢٦٢ من القطع الكبير . بها خروم وخروق ، وآثار عرق لا تمكن القارئ من متابعة قراءته

قدم الناظم بين يدى ديوانه ثلاث خطب ، أولاها مهملة الحروف ، قد بدأها بقوله : « الحمد لله مالك الملك ولا أمد ، وممسك السماء ولا عمد ، سمكها فأطلع مهلها ، وعلم آدم الأسماء كلها ، ووعد لأعمال الطاعة ، وواعد لأهوال الساعة ، لا أمر إلا أحكمه ، ولا مراد إلا حكمه ، لا إله إلا هو إله واحد لا ولد له ولا والد ، أحمده لآلاء أولاها ، وأدعوه ملك الأملاك ومولاها» الخ وهى تملأ عشر صفحات ، وقد عقبها بقوله : « نثرت فأبلغت ، ونظمت فتفننت . وهذه الخطبة على بلاغتها ، وإبداع صياغتها خليتها من بدر بحرى ملقوط ، وأخليتها من كل حرف منقوط ، وأردت أن أشفعها بأخرى منقوطة الحروف ، فوجدتنى أخرج فيها عن الرسم المعروف ، إذ استفتاح الخطب بحمد الله والثناء عليه ، وذلك فى المنقوطة لا سبيل اليه ؛ غير أنى اختصرت فأثبت منها ملحا فى لمح ، ورب دليل فى قليل ، ورب عثار فى اكثار» . ويلى هذا التعقيب الخطبة الثانية وأولها : بثث بثى الخ وهى تقع فى ثلاث صفحات . وبعدها الخطبة الثالثة وهى أهمها من الوجهة التاريخية والأدبية . وهى فى ٢٩ صفحة . وقد أحببت أن أنقل لك منها شذرات لتعرف قصة الرجل وعقله وتفكيره وأسلوبه فى النثر

قال بعد كلام طويل لا وحدة تجمعه ، ولا سبب يربطه : « ولما أنقض ظهرى ، ما وزرت فى سرى وجهرى ، وهدم الموت فى ابنى ، ما كنت من الأمل أبنى ، سألت الله له الانتجاب ، فقال لا بد أن تجاب ، وأنجبه طفلاً ، وأتانى به كفلاً ، فنمى مهذباً فى مهده ، وما زال ينمى بعهده ، حتى أكمل تسعة ، ورامت سعيه الكبار فلم تسعه . كان يروق هلالاً ، ويشوق زلالاً ، فقالوا يافعك نافعك ، وقال الله بل هو شافعك . أعطانيه بفضله ،

وأخذه بعذله ، فجرحتني أنياب النوائب ، وقرحتني أوصاب المصائب ، تترتشا كيا ما اجترحت الى فاطرى ، ونظمت باكيا ما اقترحت على خاطرى ، وقلت عسى الله أن يرحم الناظم الناثر ، فيسلى المحزون ويقيل العاثر ، وسميت هذا الكتاب : اقتراح القريح ، واجتراح الجريح . وضمنته قصائد على حروف المعجم ، وإن كنت من الأحزان كالملجم ، ومقطعات تقفو كل قصيدة فى قافيتها ، على أنها مثيرة الأحزان غير شافيتها ، ونظمت من فصول المنثور ، مقطعات فى الزهد المأثور . على أن خطبي جليل ، وخطابي كليل . فتنزهت فى حديقتين زهراوين أنيقتين ، وبحت عما كان مكتما ، ونحت مفتتحا ومختتما ، وأنا أستغفر الله من تشحطى فى تسخطى ، ومن عارى الأشعار الكاسدة الأسعار وصفت فيها المقبوحين بالجمال والمنقوصين بالكمال . . . . وكنت نظمت هذه الأشعار إذ قلبي مشتعل ، ثم أخرتها خمس سنين إذ لبي مشتغل ، وفكرت فى صرعة الموت ، وفى سرعة الفوت ، فبادرت الآن إملاء هذا الكتاب إذ رغب إلى فيه بعض الكتاب ؛ رجوت به الترحم على من كل من يقرؤه ؛ وعسى الله ان استحققت العذاب يعفو عنى ويدرؤه » . . . . . .

***

« ابنى متى أبنى مجدا هدمه الدهر يوم مصابك ؟ ومتى أخصب فى ربع أمحله الدمع غب غيابك ؟ تركتنى فى الأظلام نهاراً ، وأجريت دمى أنهاراً ، فأى مرثية فيك أسلو بها ؛ وإن أعجب الناس بأسلوبها ، وأى عيشة بعدك ألهو بها ، وحسرتك لا يطفأ حر ألموبها ؟ أستغفر الله قد سلوت بعض السلو ، بأم العلو ، أتتنى بعدك على الكبر ، فحمدت الله وعددتها من الحسنات الكبر ثم قلت بديها :

يهب الله لمن شا ... إناثاً وذكورا
فاذا أعطاك بنتـاً ... فكن الراضى الشكورا
واسأل الله لك الخيـر ... رواحاً وبكورا
وأقم فى العسر واليسـر ... وذر عنساً وكورا
فعلى الأفراخ حباً ... تألف الطير الوكورا

وما أنت إلا وزرتها معها ، أما أقنط نفس المرء وأطمعها ، ساعة أفرح بها فأسلو ، وساعة بالحزن فيك وفيها أخلو ، وطورا أمر أخلاقا وطوراً أحلو ، إذا ذكرت الموت اشتغل بال أمها بل بالى ، وان نظرت محاسنك فيها اهتاج بلبالى ، فترحتى أكثر من فرحتى ، وسبيل الدنيا هذى السبيل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

حببت ابنتى وابنى فقد عاشت ابنتى
لهمى ومات ابنى ولم يمت الحب
وما ذكر يشفى كأنثى تهمى ... ولكننى راض بما صنع الرب

وبهذا البيت تنتهى الخطبة الثالثة . ويليها شعر الديوان مرتباً على حروف المعجم فى ١٨٢ صفحة ، ويليه مندمجاً فيه مجموعة صغيرة من الشعر فى نفس الموضوع التزم فيها لزوم مالا يلزم ، مرتبة على حروف المعجم كل حرف فيه ١٥ بيتا . وتقع فى ٣٨ صفحة وبانتهائها ينتهى الديوان

الآن وقد قصصت عليك بايجاز قصة اقتراح القريح المجهولة ، أرى لزاماً على أن أقص عليك قصة ناظمه الحصرى المجهول . وموعدنا العدد القادم ان شاء الله ؟

السيد أحمد صقر





للتاريخ السياسي :

# ٢ – اليوم السابع من مارس

## ضربة مسرحية فى برلين

### للدكتور يوسف هيكل

فى ٢٨ فبراير نشرت جريدة « بارى ميدى » حديثاً لمراسلها فى برلين مع الهر هتلر ، مبيناً فيه أن زعيم ألمانيا يود إزالة كل خلاف بين الجارتين وتوليد علاقات الود والألفة بين أعظم شعبين فى أوروبا . وفى اليوم التالى ، أى يوم السبت الموافق ٢٩ فبراير ، أرسلت حكومة باريس تعاليم إلى سفيرها فى برلين ، طالبة منه الاسراع فى طلب مواجهة « المستشار الألمانى » ورجائه فى إبانة الطرق التى يعتقد أنها تزيل كل خلاف بين الشعبين الألمانى والفرنسى ، وإعلامه بأن حكومة باريس حريصة على إيجاد التفاهم بين الحكومتين

قام مسيو « فرنسوا بونسيه » بما عهد إليه . فقابله « المستشار هتلر » بحضور « فون نيرات » وزير الخارجية ، وأجابه بأن الحكومة الألمانية باذلة جهدها فى درس الموضوع بدقة ، وقريباً تسلم إلى الحكومة الفرنسية اقتراحاتها . وقد طلب الهر هتلر بقاء هذه المحادثات سرية ، تسهيلاً للوصول إلى الغاية ، فقبلت حكومة باريس ما طلب ، وظلت منتظرة خبراً من برلين ، ولقد جاءها الخبر يوم السبت الموافق ٧ مارس ، وعندها أذاعت هذه المحادثات (١)

وفى مساء الجمعة الموافق ٦ مارس أمر الهر هتلر باجتماع « الريشتاك » اجتماعاً فوق العادة ؛ وفى الساعة ١٢ (فى ألمانيا) من اليوم التالى وبحضور الوزراء وقف على منبر الخطابة وألقى خطاباً طويلاً ثم تلاه بقراءة المذكرة — mémarandum — التى سلمها فون نيرات إلى كل من سفراء بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا قبل إلقاء الهر هتلر خطابه بساعة ، وقبل أن يترك منبر الخطابة أعلن أنه يحل « الريشتاك » ليتمكن الشعب الألمانى من إبداء حكمه فى أعماله وزملائه خلال السنوات الثلاث الأخيرة ؛ وقد قرأ الجنرال « كيرنك » أمر الحل ، وتعيين موعد الانتخابات فى ٢٩ منه

وكان صوت زعيم ألمانيا قوياً وواضحاً ، ولكن وجهه كان شاحباً ، ودالاً على خطورة القرار الذى اتخذه ، كما أن وجوه الوزراء الصامتة والمفكرة ، إذ ذاك ، تفكيراً عميقاً وقلقاً ، تظهر جلياً خطر الساعة وتخوفهم من العاقبة

وفحوى خطابه أن ألمانيا بلاد سلمية ، تريد العيش بسلام مع جاراتها ، غير أنها لا تقبل ألا تكون متساوية وإياهم فى الحقوق ، وهى تريد نيل هذه المساواة والعمل مع الدول الأخرى على تقوية السلام ، وإن حكومة برلين قد بذلت جهدها فى التفاهم مع الدول الأوروبية ، ولا سيما مع فرنسا ؛ غير أن جهودها لم تقابل بحسن نية ، بل قوبلت بالعمل ضد ألمانيا وحصرها ، وكان آخر هذه الأعمال المعاهدة الفرنسية الروسية التى هى موجهة ضد ألمانيا ، وقال :

« إنها لمأساة مروعة أن نرى فى نهاية السنة التى بذلنا جهوداً شريفة خلالها لنيل ثقة الشعب الفرنسى ، انعقاد تحالف حربى نعلم ابتداءه ولكن لا يمكن التنبؤ عن نهايته

« ان المحالفة الفرنسية الروسية لا تتفق مع معاهدة لوكارنو ؛ وإن تلك المعاهدة تمكن أمبراطورية حربية عظيمة من تهديد أوروبا الوسطى عن طريق « التشكوسلوفاكيا » التى عقدت مع الروسيا معاهدة مماثلة للمعاهدة الروسية الفرنسية

« إن روسيا السوفيتية دولة قائمة على مبادىء فلسفية ثورية ، وإن ادخال هذه القوى الحربية الهائلة الى أواسط أوروبا يهدم التوازن الدولى الاوروبى . . . »

ولم يذكر الهر هتلر مشكلة المستعمرات إلا عرضاً ، وأبان بأن حلها سيكون عن طريق المفاوضات الودية ، كى لا يثير الرأى العام البريطانى عليه ، وقد بذل فى سبيل نيل عطفه جهوداً أنتجت الثمر الذى يريده

وبينما كان الهر هتلر يلقى خطابه التاريخى ، كانت الجيوش الألمانية تعبر أراضى الرين وتحتل فى كولون ، دسلدورف

(١) أنظر خطاب مسيو سارو إلى الشعب الفرنسى فى ٨ مارس (الطان ١٠ مارس)

— Dussoldorf — وميتز وغيرها من مدن أراضى الرين

وقد اختلف فى عدد هذه الجيوش ، فهى ثلاثون ألفا حسب التقرير الألمانى ، وتسعون ألفا حسب التقرير الفرنسى ، وما يقرب من ستين ألفاً حسب الرأى الانكليزى

وجدير بالذكر أنه عند ما أعلم الهر هتلر صباح السابع من شهر مارس ، المسيو فرنسوا بونسيه بعزمه ، أضاف باعتناء بأن احتلال أراضى الرين ما هو إلا رمزى . ولما ثار الرأى العام ولا سيما فى فرنسا على التناقض الجلى بين قول زعيم ألمانيا وبين الواقع ، أرسلت حكومة برلين ، فى ١٤ مارس الى لندن وباريس تصريحاً تقول فيه بأنه لا يوجد فى أراضى الرين إلا (٣٦,٥٠٠) ستة وثلاثون ألفا وخمسمائة جندى ... وإذا علم بأن عدد سكان هذا الأقليم يبلغ خمس عدد سكان ألمانيا أى أربعة عشر مليوناً ونصف مليون ، ومساحته ثمن مساحة ألمانيا ، وفيه مدن كبيرة يظهر من عدد الجنود التى فيه بأن احتلاله لم يكن إلا رمزيا

وأعلنت ألمانيا فى المذكرة التى قدمتها الى دول لوكارنو الأربع بأنها غير مرتبطة بمعاهدة لوكارنو . وذكرت فى صدرها الأسباب التى دعتها الى اتخاذ هذا القرار وكلها مبنية على مناقضة المعاهدة الفرنسية الروســية للوكارنو ، وتقول الحكومة النازية بأنه :

(١) لا جدال فى أن المعاهدة الفرنسية الروسية موجهة خصيصاً ضد ألمانيا

(٢) لا خلاف فى أن فرنسا أخذت على عاتقها واجبات ، فى حالة حدوث اختلاف بين ألمانيا والروسيا تفوق الواجبات التى تضعها على عاتقها عصبة الأمم ، وأنها — أى الواجبات — ترغم فرنسا على اشهار السلاح ضد ألمانيا ، حتى فى الحالة التى لا تستطيع فيها نيل موافقة عصبة الأمم أو قرار بذلك

(٣) فى مثل هذه الحالة تدعى فرنسا الحق فى أن تقرر وحدها وحسب إرادتها من هو المعتدى — Agresseur —

(٤) لا جدال فى أن فرنسا قد أخذت على عاتقها واجبات نحو الروسيا توجب عليها العمل فى بعض الظروف ، كما لو كان ميثاق عصبة الأمم ومعاهدة لوكارنو ، التى تستند على ذلك الميثاق غير موجودين

وتدعى المذكرة أن المعاهدة الفرنسية الروسية أوجدت حالة دولية جديدة ، وأزالت النظام السياسى لمعاهدة لوكارنو فى حرفه وفى معناه و « بالتالى فقدت لوكارنو السبب الذى من أجله أنشئت ؛ وعمليا زال وجودها . ولذلك ترى ألمانيا أنها غير مرتبطة بهذه المعاهدة الملغاة »

وتنتهى هذه المذكرة بتقديم حكومة برلين الى دول لوكارنو نظاماً سياسياً جديداً ليحل مكان معاهدة لوكارنو ولزيل الاضطرابات السياسية الدولية ، ويولد — فى رأى حكومة برلين — الثقة الدولية التى بدونها لا تتقدم المدنية ولا يستمر السلام . وأهم نقطه :

« أن الحكومة الألمانية تصرح بأنها مستعدة للتفاوض مع فرنسا وبلجيكا لانشاء اقليم مشترك غير مسلح ، وأنها توافق من الآن على مقدار امتداده ومساحته ، على شرط المساواة القطعية فى ذلك . والحكومة الألمانية تقترح إيجاد معاهدة عدم الاعتداء Non Agression بينها وبين فرنسا وبلجيكا لمدة ٢٥ سنة ، وأن تكون بريطانيا وايطاليا كفيلتين على ذلك

والحكومة الألمانية مستعدة لامضاء معاهدة تمنع الهجوم الجوى الفجائى ، ومعاهدة عدم الاعتداء مع جاراتها فى الشرق كالمعاهدة التى عقدتها مع بولونيا

وبما أن حكومة برلين قد نالت المساواة فى الحقوق وأقامت سيادتها القومية فى البلاد الألمانية أجمع ، فهى مستعدة للاشتراك فى عصبة الأمم ، وتأمل الوصول فى وقت قريب ، عن طريق المفاوضات الودية الى المساواة فى المستعمرات وفصل عصبة الأمم عن معاهدة فرساى »

وقد صرح مستر ايدن فى مجلس العموم فى ٩ مارس أن السفير الألمانى أعلمه بأن حكومته ما عرضت اشتراكها فى عصبة الأمم إلا لتسر الأنكليز وترضى الرأى العام البريطانى !

***

تبع الضربة المسرحية فى برلين اضطراب شديد فى الدوائر السياسية . . . وكانت برلين فى قلق شديد ، تارة ترى أن عملها يذهب الثقة بعلاقاتها الدولية ، وأن حوادث ٧ مارس ستقرب فرنسا من بريطانيا . وتكون نتيجة ذلك الحصر الكامل لحكومة

برلين والضربة القاضية على سياسة هتلر الخارجية ؛ وتارة ترى أن الفرج قريب إذ لندن غير موافقة على اقتراحات باريس فى تطبيق « العقوبات » عليها وإرغامها على سحب قواها الحربية من أراضى الرين . وقد أخذ رجال الحكومة النازية فى إلقاء الخطب وتدبيج المقالات ، وبعضها موجه الى الشعب البريطانى للتقرب اليه ونيل عطفه . والبعض الآخر يهدد فرنسا إن هى لم تقبل منهاج هتلر وتسير عليه

وكان الهر هتلر فى جميع خطبه يتودد إلى « الرأى العام » بخصوصاً البريطانى ؛ وكان يوجه نداءه إلى « رجل الشارع » ويصرح بأنه يريد التفاهم الخالص مع فرنسا ... وبأنه لا غاية لألمانيا إلا العيش بسلام مع جيرانها ؛ وأن العمل الذى قمت به ما كان إلا لتحقيق سياسة دولية عملية مبنية على المساواة فى الحقوق وعلى السلام فى أوربا ، وانعاش الاقتصاديات الدولية ..

ولما قامت الصحف الباريسية باظهار سوء النية المنطوى فى منهاج الهر هتلر وفى أنه يريد السلام مع دول ، والحرب مع دول أخرى ... ولما سأل السير أوستن شمبرلين فى مجلس العموم عما إذا كانت النمسا فى الدول التى يريد الهر هتلر عقد محالفات « عدم الهجوم » معها . اضطر الهر هتلر الى التصريح لمراسل جريدة لندنية بأنه مستعد لعقد معاهدات « عدم الهجوم » مع النمسا وكذلك مع تشيكوسلوفاكيا ...

أما الجنرال كيرنك فكان يحمل علم التهديد ، وقال فى خطابه الذى ألقاه فى فرنكفور فى ١٧ مارس : ربما أثر التهديد « بالعقوبات » فى ألمانيا عام ١٩٣٢ ، ولكنه لا يؤثر على الشعب الذى تدرب طيلة السنوات الثلاث الأخيرة فى مدرسة النازى ، وإن استعمل الضغط الاقتصادى ضد ألمانيا فانها تدعو الحزب النازى إلى المعركة القاسية التى تولد حماسة مقدسة وتشد عزم الشعب الألمانى وتزيد قواه ، وإن تهديد ألمانيا حربياً لا يثبط عزيمتها ، بل هى تجيب على ذلك : « إنكم كنتم نياما . أما ألمانيا فلم تكن نائمة » إنها قد تسلحت وأصبحت جد قوية ، وهى لا تهاب شيئاً ... وإن الذى يود تهديدها والاعتداء عليها سيدفع ألوفاً من الأرواح بدل كل « بوصة » من الأراضى الألمانية . . . ولا يحق لأحد غير الشعب الألمانى أن يحكم فيما إذا كان عمل ألمانيا قانونياً أم لا (!!) . إن ألمانيا قدمت خدمات جليلة للسلام ، غير أن هناك أموراً لا يمكنها عملها : يجب أن تبقى الجيوش الألمانية فى أراضى الرين

وكان الدكتور كبلس يساعده على رفع ذلك العلم . فحاول فى الخطاب الذى ألقاه فى ١٠ مارس فى برلين مجيباً مسيو سارو الذى قال بأنه لا يمكن الاعتماد على المعاهدات التى تعقد مع ألمانيا ، اقناع الرأى العام بأن ألمانيا تحترم امضاءها وتحافظ على حرمة المعاهدات التى توقعها ، ودليله على ذلك بأن ألمانيا محترمة معاهدتها مع بولونيا (!) . وقال بأنه يجب على فرنسا أن تعتبر بدقة الحالة الراهنة ، لا بالتشبث ببنود معاهدة لا يمكن الشعب الألمانى احتمالها (!!)

ولقد خرج فى كلامه عن اللياقة الدبلوماسية حين قال فى خطابه الذى ألقاه فى فرنكفور فى ٢٣ مارس : « إن ألمانيا ترفض العمل ضمن الدائرة السياسية القديمة . سياسة القطة التى تسير حول الحليب الساخن . إن الجيوش الألمانية قد احتلت أراضى الرين ، فيجب أن تبقى هناك برمتها دون أن يسحب منها جندى واحد ... وسترغم الأمم على المفاوضة مع ألمانيا حسب « اقتراحات الهر هتلر » خلال الأشهر القادمة ، أرادت ذلك أو لم ترده ......

(لندن) (يتبع) يوسف هيكل
دكتور فى الحقوق

ملاحظات متواضعة على مشروع

# ترجمة معانى القرآن الكريم

بقلم المستشرق المجرى

## الدكتور عبد الكريم جرمانوس

تتمة ما نشر فى العدد الماضى

---

وليس من شك فى أن الله عز وجل حين أنزل القرآن الكريم شاء أن يعم نشره بين الملأ ، لا ليجعله وقفاً على أولئك الذين يحتكرون معانيه فى صدورهم ، ولا يعملون على ترجمته ونشره بين الذين هم أقل مكانة منهم فى المعرفة . ألم يقل النبى الكريم : بلغوا عنى ولو آية ؟ وكيف يكون التبليغ إلا إذا كان بنقل القرآن الى لغات الأمم والشعوب ؟ وقديماً اعتبرت التفاسير ترجمة لمعانى كتاب الله وتحليله وشرحه حتى يكون فى متناول أذهان الأمم قاطبة

إن الاسلام دين الأذهان المستنيرة ، وإن أصحاب العقول البارعة يجدون فيه متعة روحية شهية ، وسوف يكون هذا الدين بفضل ترجمة كتاب الله معتقد الطبقات الرفيعة فى العالم . وأنا أعرف فى بلادى وفى أوربا عامة رجالا مستنيرين فى أرفع الأسر يحترمون الاسلام لمجرد أنهم قرأوا ترجمة كتاب الله الكريم ، وهم يوشكون أن يتخذوه دينا ولو فى سرائرهم . ومنذ خمس سنوات أسلم فى ڤينا رجل من أعرق الأسر الرفيعة ، هو البارون آرن فلس وسمى نفسه عمر . وأسلم مجرى آخر كبير هو فيلكس فاى . وهذا دليل على سمو الاسلام الروحى والذهنى لأنه دين صحيح يستولى على رجال الفكر ويقنعهم ببهجة آرائه . إن الاسلام لايدعو الى الأنانية والتعصب ، بل إلى الأخوة والحضارة الجديدة ونشر ألوان العلم والعرفان ، وترجمة القرآن هى أول خطوة فى سبيل قبر التعصب والجهل

من ذلك أرى أنه لزام على العلماء أن يظهروا للناس كتاب الله ، ولا يجعلوه وقفاً على من يعرفون العربية وحدها . بل يجب عليهم أن يترجموا معانيه ويقبلوا على تفسيرها ولا يخشوا فى الحق لومة لائم

فلا العلوم الحديثة ، ولا المعارف ، ولا فلسفة الغرب تستطيع أن تطفئ نورانيته وعظمته ، فهو كالشمس إذا سطعت حجبت ذبالات الشموع الخافتة . ولتأخذ هذه التراجم صفة الشروح والتفاسير بدلاً من أن يطلق عليها فى اللغات الأخرى اسم «القرآن»

أجل فلنقاوم الجهل والتعصب ، ولننشر كتاب الله الكريم لا فى الانجليزية وحدها ، بل فى لغات الملايو والهندستانية والمغولية ، ولكن نشر هذا الكتاب بنفس أسلحة القرن العشرين . فالفاصل الذى يفصلنا اليوم عن المعرفة الحديثة شاسع جداً الى حد يجمل اعتمادنا على ما فى أيدينا من تراث الأجيال ، من الأسلحة العتيقة التى لا تمكننا بها مقاومة الموجات التى تجرفنا من عالم الغرب

ومن رأيى أن ترجمة معانى القرآن ستنتج عنها مسائل هامة . فبعض الناس عارضوا هذه الفكرة بحجة أنها ستكون سببا فى فصم عرى الوحدة العربية ، وستحدث تقاطعاً بين الاخوان المسلمين فى أنحاء العالم ، ولكن بالعكس ، فالترجمة ستكون سبباً فى اشتعال الحماس الدينى عند ملايين ممن لا يفقهون كتاب الله الكريم ، وستساعدهم هذه الترجمة على تفهم اللغة العربية وازدهار عصر التبشير الاسلامى

***

وإذا ما أتيح لنا أن نستقصى البواعث التى أدت الى انحطاط بعض الطوائف الاسلامية وجب أن نسلم بأن سببها أن حكامهم كانوا يتكلمون لغة لا يفقهها العامة . وعلى الرغم من تعاليم الاسلام السامية ظلت هذه الطوائف ترسف فى العبودية والجهالة والفقر ، حتى نتج من ذلك وقوعها فى كثير من الأضاليل والبدع التى لا أصل ولا وجود لها فى التعاليم المحمدية النقية . حتى أجبرت هذه الطوائف على الخنوع وألزمت أن تحنى رؤوسها احتراما أمام الجبروت الطاغى . هنالك وجدت سلوتها فى الشعوذة الدينية ، وأصبحت على عيون أهلها غشاوة تحجب عنها حقيقة الدين الحنيف . وانحط مستوى اللغة العربية الى حد تفشت فيه الأمية وانتشرت العامية بين الأوساط الراقية . ومما أذكره

أندلسيات

# أبو الفضل بن شرف

## الشاعر الفيلسوف

للأستاذ عبد الرحمن البرقوقي

[ بقية ما نشر فى العدد ١٤٩ ]

فلما سمعها المعتصم لعبت بارتياحه وحسده بعض من حضر ، وكان من جملة من حسده ابن أخت غانم . فقال له : من أى البوادى أنت ، قال أنا من الشرق فى الدرجة العالية ، وإن كانت البادية على بادية ، ولا أنكر خالى ، ولا أعرف بحالى . فمات ابن أخت غانم خجلاً ، وشمت به كل من حضر . وهذا ابن أخت غانم العالم اللغوى أبو عبد الله محمد بن معمر من أعيان مالقة متفنن فى علوم شتى إلا أن الغالب عليه علم اللغة . وكان قد رحل من مالقة إلى المرية فحل عند ملكها المعتصم ابن صمادح ، وله تآليف منها شرح كتاب النبات لأبى حنيفة الدينورى فى ستين مجلدا . قال ابن اليسع فى مغربه إنه حدثه بداره بمالقة وهو ابن مائة سنة وأخذ عنه عام ٥٢٤ ... وغانم خاله الذى يعرف به هو الامام العالم الأديب أبو محمد غانم بن الوليد المخزوى نسب اليه لشهرة ذكره وعلو قدره . ومن شعر الامام أبى محمد غانم هذا قوله — وقد دخل يوما على باديس بن حيوس صاحب غرناطة ، فوسع له على ضيق كان فى المجلس فقال بديها :

صيّر فؤادك للمحبوب منزلة ... سم الخياط مجال للمحبيْنِ
ولا تسامح بغيضاً فى معاشرة ... فقلما تسع الدنيا بغيضين

وقوله :

الصبر أولى بوقار الفتى ... من قلق يهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حاله ... كان على أيامه بالخيار

وقوله فى نكبة المعتمد بن عباد :

ومن الغريب غروب شمس فى الثرى
وضياؤها باق على الآفاق

وقوله :

ثلاثة يجهل مقدارها ... الأمن والصحة والقُوتْ
فلا تثق بالمال من غيرها ... لو أنه دُرٌّ وياقوت

وكل ذلك من الحديث النبوى الشريف : من أصبح آمناً فى سربه معافى فى بدنه ، معه قوت يومه ، فكأنما سيقت له الدنيا بحذافيرها . ومن بديع قول أبى الفضل بن شرف المترجم من قصيدة يمدح بها المعتصم بن صمادح :

لم يبق للجور فى أيامكم أثر ... غير الذى فى عيون الغيد من حور

وأول هذه القصيدة :

قامت تجر ذيول العصب والحبر ... ضعيفة الخصر والميثاق والنظر

ومن هذه القصيدة فى وصف السيف :

إن قلت ناراً أتندى النار منهبة ... أو قلت ماء أيرمى الماء بالشرر

ومنها فى وصف الدرع :

من كل ماذية أنثى فيا عجبا
كيف استهانت بوقع الصارم الذكر[1]

(١) راجع القصيدة فى القلائد

---

والأسى يقطر من فؤادى ، أنى لما زرت القاهرة لأول مرة كان الناس يدهشون إذ يرون رجلاً أجنبياً يتكلم العربية الفصحى ، مع أنه أمر مألوف فى الأوساط الألمانية والانجليزية ، ويندر أن تجد واحداً يتلفظ بكلمة واحدة دارجة

فليكن فى ترجمة القرآن إذن ، رفع لقدر اللغة العربية ، وليكن رفعها الى مستوى الكتاب ، فالقرآن هو مصدر الثقافة الاسلامية وسبب انتشارها فى الشرق والغرب ، وهو السلاح الماضى الذى يحسم الداء

لقد كان انجيل لوثر سبباً فى رفع شأن اللغة الألمانية ، وسبيلا الى ادماج لهجات القبائل المختلفة بعضها فى بعض ، فيجب أن تكون ترجمة القرآن الكريم سبباً فى رفع العربية ، وليرع الأزهر هذه الحركة الجديدة بكل ما فيه من عزيمة وقوة حتى تخرج الى حيز العمل . فقد كان القرآن كلمة الله فى البداية ، ومنها انبعث كل ما فى الاسلام من محبة واخوة وسلام

(بودابست) عبد الكريم جرمانوس

وكان قد وفد على المعتصم مرة يشكو عاملاً ناقشه فى قرية بحرث فيها وأنشده الرائية المذكورة . ولما بلغ قوله : لم يبق للجوز فى أيامكم أثر . قال له المعتصم : كم فى القرية التى يحرث فيها ؟ فقال : فيها نحو خمسين بيتاً ، فقال : أنا أسوغك جميعها لهذا البيت الواحد ، وعزل عنها نظر كل وال ... ومن شعر أبى الفضل بن شرف : —

يا من حكى البيدق فى شكله ... أصبح يحكيك ويحكيه
أســـفله أوسع أجزائه ... ورأسه أصغر ما فيه

وقال :

لعمرك ما حصلت على خطير ... من الدنيا ولا أدركت شيّا
وها أنا خارج منها سليبا ... أقلب نادماً كلتـا يديا
وأبكى ثم أعلم أن مبكا ... ى لا يجدى فأمسح مقلتيـا
ولم أجزع لهول الموت لكن ... بكيت لقلة البـاكى عليّا
وإن الدهر لم يعلم مكانى ... ولا عرفت بنـوه ما لديا
زمان سوف أنشر فيـه نشرا ... إذا أنا بالحمام طويت طيّا
أسر بأننى سأعيش ميتـا ... به ويسوءنى إن مت حيا

ويروى له : —

ألحاظكم تجرحنا فى الحشا ... ولحظنا يجرحكم فى الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا ... فما الذى أوجب جرح الصدود

وأرسل اليه الشاعر ابن اللبانة بأبيات يواسيه بها ويحثه على النهوض وهى : —

يا روضة أضحى النسيم لسانها ... يصف الذى تهديه من أرجائها
ومن اغتدى ثم اهتدى لطريقة ... ما ضل من يسعى على منهاجها
طافت بكعبتك المعالى اذ رأت ... أن النجوم الزهر من حجاجها
شغلت قضيتك النفوس فأصبحت ... مرضى وفى كفيك سر علاجها
هلا كتبت إلى الوزير برقعة ... تصبو معاطفه إلى ديباجها
تجد السبيل لهم ولا تك للمنى ... وتنير سعيهم بنور سراجها
أنت السماء فما بها لك رفعة ... طلعت عليه الشهب من أبراجها
وتحت مفارق كل فضل عنده ... فاجعل قريضك درة فى تاجها

فكتب اليه المترجم :

يا منجدى والدهر يبعث حربه ... شعثاء قد لبست رداء عجاجها
لله درك إذ بسطت إلى الرضا ... نفساً تمادى الدهر فى إحراجها
وأرقت ماء الود فى نار الأسى ... كالراح يكسر حدُّها بمزاجها
فيَّأتنى تلك الغمام فبرّدت ... من غلة كالنار فى إنضاجها
فأويت تحت ظلالها ووجدت برد ... د نسيمها وكرعت فى ثجاجها
قل كيف تنعش بعد طول عثارها ... أم كيف تفتح بعد سد رتاجها
لأزيد فى أمرى وضوحا بعد ما ... قامت براهين على منهاجها
فأ كون إن زدت الصباح أدلة ... خرقاء تمشى فى الضحى بسراجها
دعنى أرد بالقناعة غلة ... يأس النفوس أحق فى اثلاجها
بكر بخلت على الأنام بوجهها ... ومنعتها من لبس من أزواجها
وصرفتها محجوبة بصوانها ... مثل السلوك تصان فى أدراجها
كالنور فى أكمامها والبيض فى ... أغمادها والغيد فى أحداجها
فالنفس إن ثبتت على أخلاقها ... أعيا على النصاح طول لجاجها

وإنك لترى للمترجم له مع ذلك رسائل[1] بديعة أنيقة الوشى حسنة التحبير ، تنم على دقة حسه البيانى ، وذوقه الفنى ، وتفننه فى جميع فنون المراسلات والمراجعات ، وأنه يحسن فى جميع فنون الأدب إحسانه فى الطب والحكم ، فهو شاعر كاتب حكيم طبيب ، ولا جرم أنه انحدر من صلب ذلك الأديب العبقرى ابن شرف القيروانى الذى غمر ابنه هذا وأخمله حتى نحله مؤرخو الأدب العربى فى عصرنا أكثر شعر ابنه

عبد الرحمن البرقوقى

(١) راجع هذه الرسائل فى القلائد

# الحياة الادبية فى شرق الاردن

بقلم السيد جريس القسوس

ما كنت أرغب فى التعرض لهذا الموضوع ، لو لم تنشر (الرسالة) الغراء بحوثاً ممتعة لمختلف الكتاب عن الحياة الأدبية فى بلدانهم . لهذا رأيت من واجبى ، وأنا بعيد عن شرق الأردن ، أن أقدم للقراء الكرام صورة صادقة بقدر الامكان عن الحياة الأدبية فى شرق الأردن . أقول هذا وأنا أشعر بحروجة الوقت ودقته ، إذ لا يخلو مثل هذا البحث من بعض الخطأ مهما توخى الباحث العدل والصدق فى بحثه

لم تكن بلاد ما وراء الأردن ، منذ خمسة عشر عاما ، إلا جزءاً من سورية لاينفصل ، فهى لذلك بلاد فتية فى تكوينها السياسى وفى نهضتها الأدبية والاجتماعية . أما والمقصود من هذا المقال النهضة الأدبية ، فلنقتصر على هذه ، تاركين البحث فى السياسة والاجتماع لعلمائهما

دبت فى شرق الأردن حياة أدبية جديدة ، لم يكن لنا عهد بها قبل بزوغ فجر الأمارة . فكان أول عمل قامت به الحكومة فتح المدارس الأميرية ، من قروية وابتدائية وثانوية ، وتحسين برامج التعليم ، وتوحيدها إلى حد ما ، فى مختلف المدارس الطائفية وغير الطائفية ، حتى أصبحت تنهج جميعاً نهجاً واحداً سوياً نحو ايقاظ الروح العربية الكامنة ، والتوفيق بينها وبين التيارات الجارفة التى بدأت تطغى على هذه البلاد من الغرب .

كانت شرق الأردن بحكم الوضع السياسى والجغرافى ، قبل الحرب العظمى ، بلداً مجهولاً ، ولانزوائه وانقطاعه عن البلدان العربية المجاورة لم يتسن لأهله الاحتكاك بأهل الأقطار الأخرى كل الاحتكاك ، فتمتزج بذلك الثقافات ، ولو كانت شبه متجانسة ، فتتفاعل ويتولد عن ذلك روح ويقظة جديدتان .

كانت الحياة الأدبية قبل ذلك راكدة ، والنفوس فاترة ، والمواهب كامنة ؛ فلم تنبعث إلا بتأليف حكومة سمو الأمير المعظم ؛ عندئذ دخلت البلاد فئة راقية من أدباء الأقطار المجاورة ، وخاصة سورية ؛ فكان دخول هذه الفئة البلاد باعثاً كبيراً على احياء الأدب العربى ، واحداث نهضة فكرية مباركة لا تكون مبالغين إذا سميناها بالرنسانس ؛ فكان مثلاً لقصائد الشيخ فؤاد باشا الخطيب [1] شاعر الثورة ، والأستاذ محمد الشريقى [2] وغيرهم من الأدباء الذين رافقوا الثورة العربية ، وطوحت بهم الأقدار إلى هذا القطر الجديد ، أثر لا يستهان به فى احياء الآمال فى نفوس الأحداث ، وقد كانت ميتة آنئذ ، وفى ايقاظ الروح الأدبية الكامنة ، وتوجيهها فى السبل القويمة

ولقد نشطت الحكومة ، بعد استقرار الوضع السياسى فى البلاد ، إلى ارسال البعثات العلمية سنوياً إلى الجامعة الأمريكية فى بيروت وغيرها من المعاهد الراقية فى سورية وفلسطين ، وتنبه الشعب الأردنى الى فضل العلم والأدب فى نهضات الشعوب ، فبادروا الى ارسال أبنائهم على نفقتهم الخاصة الى بيروت والجامعة السورية فى دمشق ، والى المدارس الثانوية فى فلسطين ، ولكثرة الطلاب كثر الاقبال على مطالعة الأدب ، المصرى منه والسورى ؛ فكان أثره فى ايقاظ الحركة الفكرية ، وتجديد الحياة الأدبية غير يسير

كل ذلك كان يحدث ، بينا الصحافة المصرية تغذى نفوس الأحداث بأدبها الراقى وعلمها الصحيح . ولا أبالغ إذا قلت إنه كان « للرسالة » أثر ملموس فى إحياء النهضة الفكرية ، وتشجيع الحياة الأدبية فى البلاد . فقد كان اقبال الطلاب خاصة على مطالعتها شديداً . وإننى أذكر — على سبيل المثال — أنه كان يباع منها فى حين نحو ثمانين عدداً أو أكثر فى بلد صغير كالسلط . «فالرسالة» وغيرها من المجلات والصحف العربية كانت ولا تزال ، تسد عوز البلاد وافتقارها الى صحافة حرة تعمل على تشجيع الانتاج الأدبى ، «وتحيى فى النشء أساليب البلاغة العربية»

بيد أنه ، وان لم يقم فى شرق الأردن إلى الآن مؤلف بالمعنى الصحيح ، أو أديب منتج يستمد مادته وموضوعه من الحياة ؛ إلا أننا نرى طلائع نتائج هذه العوامل المختلفة فى تكوين النهضة الأدبية الحديثة فى قيام فئة قليلة من حملة الأقلام النثرية كأديب عباسى ، والدكتور محمد أبوغنيمة ، وبشير الشريقى ، وعبد الحليم عباس ، والبدوى الملثم وغيرهم ؛ والشعرية أمثال مصطفى وهبى التل شاعر النور ، وصاحب ديوان « عشيات وادى اليابس » . وحسنى فريز ، والشيخ رشيد زيد ، وحنا الشوارب وغيرهم من الأدباء الأحداث

(١) مستشار سمو الأمير الخاص (٢) مفتش المعارف الحالى

لكن شرق الأردن تمتاز عن الأقطار العربيــة الأخرى ، وخاصة الساحلية ، بنوع خاص من الأدب ، أعنى به الشعر البدوى . وهو ، وإن قل ، من حيث الكمية والنوع عما قبل ، فانه لايخلو من عناصر حية تميزه عن غيره من الشعر الراقى المعروف فى شرق الأردن وفى كثير من البلدان العربية . والشاعر البدوى شاعران : شاعر راوية ، يحفظ ، على أميته كمية وافرة من القصائد المختلفة ، قديمة كانت أم حديثة ، ويلقيها فى شتى المناسبات كمجالس الشيوخ والأفراح المختلفة من مولد وختان وعرس ؛ وشاعر منشىء مبتكر ، وعدد الفئة الأخيرة يسير جداً إذا قيس بالفئة الأولى . وأكثر ما يكون الشعراء الناشئون فى مضارب البدو على سيف الصحراء . أما أشهر أبواب الشعر البدوى فالمدح والحماسة والغزل والعتاب والرثاء . ويطول بنا المقام إذا أردنا أن نتبسط فى وصف هذا الشعر ، وفى معالجة شتى أبوابه باسهاب ؛ لكننا نقتصر على ذكر فريق من الشعراء البـدو المخضرمين — أى الذين نشأوا فى أواخر القرن التاسع عشر ولحقوا القشرين — ونخص منهم بالذكر نمر العدوان ؛ وقصيدته فى رثاء زوجه قصيدة مشهورة ، تتناقلها الألسنة فى كل مكان . وهو يستهلها مخاطبة ابنه عقاب قائلا : —[(١)]

البارحة ياعقاب يوم القمر غاب بليلة العيد السـعيد الجديد

إلى أن يقول ، واصفاً نفسه بعد ما ألم بها من حزن لفقد زوجه :

كل ما غبيت امراح أو جيت مرقاب
لجوح جوح الذيب وعض يـدى
أنهف ونوح واقطر الدمع سكاب
على صويحبى اللى راح ما هو من ايدى
يا قلبى تقول سفوت حديد شباب
ياميجتى لوانه حجر كن صار شيد
من لامنى ياعقاب يبلى بادقط ناب
من جنة الوهاب ما يـستفيد

ومعنى هذه الأبيات « أننى كلما مررت بربع ، أو صعدت جبلا ، عويت كالذئب ، وقضمت كفى حزناً ، ونحت وسكبت الدمع مدراراً على صاحبى المفقود ؛ وأن بقلبى ناراً تضطرم اضطراماً يكاد منها ذلك القلب لو كان حجراً ، أن يصير كلسا . ألا فليبتل ياعقاب من لامنى فى ذلك بحية تميته ميتة لا يدخل بعدها الجنة »

ومن هؤلاء الشعراء أيضاً أبو الكباير من قبيلة الشرارات ، وهو مشهور بالشعر الحماسى ، ووصف الغزوات والمعارك . وقصيدته فى مدح عودة أبى تايه[(١)] وقد تحاربت قبيلته مع أهل الكرك . وفى هذه القصيدة يقول ، بعد أن يستهلها بذكر الله وطلب عفوه وغفرانه ، شأن غيره من شعراء البدو :

قم يا على نشرف على كل طايل
شـــديت عوصا تقطع الدو حايل

أى انهض يا على ( وهو بطل الطليعة ) وأعد فرسك ، لنقطع الفلاة ، ونشرف على مواقع الأعداء .

إلى أن يقول واصفاً مرابع عودة أبى تايه :

تلقى بيوتاً بنوا بى تزيله تلقى حميل دلالهم عن نفيله
ألبن بالهيوان تسمع صهيله عزام لوجوه المسايير زافات
تلقى شايباً عندهم مستعد الحر الى باللازم يسد
عنه يخوض الخيـل يوماً يهد
عن حرب أبو تايه الى له الفعل عادات

( أى تلقى منـازلهم مضروبة فى أعلى الروابى دلالة على شجاعتهم ، وعدم خشيتهم العدو ؛ وفى مطارح النار تلقى حثالة البن دلالة الجود . وفى تلك الخيم تسمع صوت الهاون ؛ إذ يدق فيه البن ، فيكون بصوته ذاك داعياً للخير والضيـافة ؛ تجد شيخاً حراً مضيافاً ، وفارساً مغواراً تتجنب الفوارس بطشه ، وترتعـد له الفرائص عند الحرب ، هو عودة أبو تايه »

ومن الشعراء الداحين سالم المرعى وعلى القزيبى وغيرهم ، وأنا أعرف من الشعراء الأحياء الذين يجيدون قرض الشعر البدوى فى شتى الأحوال ومختلف الظروف : محمد بن هلال ، وسعود المجالى فى الكرك . وقد يكون غير هؤلاء فى مضارب البدو فى الشمال وفى الداخل ، لكن دراسة هذا النوع من الشعر دراسة عميقة ، وتدوين هذه الأشعار قبل أن تعبث بها أيدى البلى محتاج إلى مشقة كبيرة من تنقل بين مضاربهم وتعرف إلى أماكنهم وأحوالهم ، وطرق عيشهم

(١) اعتمدنا فى ذلك على كتاب ( خمسة أعوام فى شرق الأردن ) للمطران بولس سلمان

(١) هو عودة أبو تايه شيخ قبيلة الحويطات الأردنية ، رافق الأمير فيصل فى الثورة ، ورأى من الفروسية المدهشة بالعباب ما حدا لورنس إلى تخليده فى كتابه « عواميد الحكمة السبعة » ملقباً إياه بروبنهد البدو « The Bedouin Ropinhood »

ولقد فاتني أن أذكر أن الشيخ رشيد زيد الذي مرّ ذكره مع طبقة الشعراء المجيدين في الفصحى ، ليحسن نظم الشعر البدوي . وقد أتيح لي أن أسمع له قصائد رائعة ، وعالية النفَس في هذا النوع من الشعر ، يعارض في بعضها قصائد مشهورة كاليتيمة وغيرها

والخلاصة أن الحياة الأدبية في شرق الأردن ضئيلة ضعيفة اذا ما قورنت بغيرها من الأقطار العربية ، على أن سيرها في مضامير النشوء والتطور على هذا الشكل المدهش ليدعو الى التفاؤل الشديد . وأنا لا أشك في أنه سيأتي يوم تصبح فيه شرق الأردن بفضل هذه العوامل المختلفة التي بسطناها ، وبفضل غيرها ، حية بأدبها ، وغنية بأدبائها . ولا بد قبل الختام من الاعتراف بما لقصر رغدان من فضل كبير في تنشيط هذه الحياة الأدبية ؛ فقد كان ولا يزال يحدب على الأدب ، ويؤازر الأدباء . ويشرق على نفوس الشباب بالنور والحياة

(بيروت — الجامعة الأمريكية) عيسى القوس

٥٦ ، ٦

بعد احتلال أديس أبابا

# فضيحة القرن العشرين !

[ قطعة مهداة إلى جلالة الأمبراطور العظيم « نزيل فلسطين » ]

للأستاذ علي الطنطاوي

... حق صريح يصان في عصور الظلام ، وأمة آمنة تسلم في قرون الجهل ، أفيُعبث بهذا الحق في القرن العشرين ، قرن العلم والنور ... ويُعتدى فيه على هذه الأمة ، فتُسرق أرضها وحريتها وسعادتها ؟

يا لفضيحة القرن العشرين ! ... يا لضيعة المبادئ الانسانية ! يا لخيبة العلماء والأدباء والأحرار !.. يا لافلاس الحضارة الغربية .. يا للعار على الفكر البشري !

أتبنى المدارس ، وتفتح المعاهد ، وتنشأ المحاكم ، لتبث مبادئ الحق والخير والفضيلة ، وتعمل على ذلك دهوراً ، فيأتي طاغية من طغاة الغرب فيهدمها كلها بطلقة واحدة من مدافعه ، ويرجع بالعالم إلى الوراء عشرين قرناً ، ولا يجد من يأخذ على يده ، وينصف الانسانية منه ؟

أيهزأ طاغية روما بكل المبادئ التي يقدسها البشر ، ويدوسها بقدميه وأقدام جنوده ، ويستعبد أمة بكاملها لم تستعبد منذ فجر التاريخ ؛ ثم يمضي هؤلاء (الممثلون) في طريقهم إلى (مسرح جنيف) ليمثلوا عليه بقية المهزلة ... هذه المهزلة الدامية التي كان أول ضحاياها عظمة الفكر البشري ، وجمال الحضارة الحاضرة ، ومبادئ جمعية الأمم ؟

ارجعوا يا هؤلاء ، ارجعوا إلى بلادكم ، قد تمزق الستار وبدت من خلاله الوجوه المصطنعة واللحى المستعارة والسيوف الخشبية ؛ ورأى الثقلان أن (جبار جنيف) لم يكن إلا صنماً من أعواد ، أقامه الأقوياء ليخدعوا به عباد الأصنام من الأمم الضعيفة ، عن حريتها وحقها ومالها

ارجعوا فأظهروا أنيابكم التي سترتموها ، وأظافركم التي أخفيتموها ... ما أنتم أيضاً إلا ذئاب

* * *

أما أنت أيها الأمبراطور الحبشي العظيم ، أيها الجندي المجاهد الشريف ، فتعزّ واصبر وارتقب ، فليس مع خصمك إلا الحديد والنار ، ولكن العالم كله معك ، والقلوب كلها تخفق بحبك ، وبغض عدوّك . إن الحبّ والبغض هما أقوى سلاح في الوجود ، وانهما إذا لم يقوما اليوم للمدفع والطيارة ، فلن يقوم لهما غداً طيارة ولا مدفع ، وإن خصمك يستطيع اليوم أن يخطب فيصيح ويفخر ويهدّد ، ويستطيع أن يجرّد الجيوش ، ويسير الأساطيل ، ويطلق المدافع ؛ ولكنه لا يستطيع أن يصنع المسمار الذي يسمر به الفلك ، فيقفه عن الدوران ، ولو جمع له كل حديد الأرض . إن الفلك يدور أبداً ، فيقوى الضعيف ، ويضعف القوي ، ويشب الطفل ، ويهرم الشاب ، ويرتفع من كان في الحضيض ، ويهبط من كان في الأوج ؛ فاصبر وارتقب

إنك لم تجبن ولم تفرّ ، وقد أعذرت إلى أمتك ونفسك وإلى التاريخ ، فما ألوت في الجهاد جهداً ، ولا ادخرت عنه أيداً ، وكأني أنظر اليك الآن وقد في كنيت دارة عرشك ، وقرارة

ملكك ، وموطن شعبك ؛ وكنت آمناً مطمئناً ، تتعهد بلادك بالاصلاح ، وأمتك بالتهذيب والتعليم ، فما راعك إلا صوت الصريخ تدوى به أروقة القصر ، فهببت مذعوراً — وما كنت بالذى يذعر أو يضطرب — واستخبرت الخبر ، فقلت أنه الموت قد حمله التمدنون إلى بلادك ألواناً ، فخففت إلى هؤلاء المتمدين تسألهم ماذا يريدون ؟

— قالوا : نريد بلادك فاخرج منها ، أو فابق فيها عبداً لنا وخادماً !

— قلت : وأى ثأر لكم عندى ، وأى عداوة بينى وبينكم ؟ أهى أن جاء قوم منكم منذ حين يريدون قتلنا ، فرددناهم عنا ؟ أليس لنا أن ندافع عن أنفسنا ؟

— قالوا : صه ! أنت متوحش .... أنت متأخر .... وقد جئنا لنعلمك ونعلم شعبك ، ونحمل اليهم حضارتنا ومدنيتنا ، فاذا أنت لم تسمع وتطع كلمناك بلسان البارود والغاز الخانق والنار والحديد .....

فثار فى عروقك الدم العزيز الذى لم يذل منذ ألفى سنة ، فأهبت بحمية الأمم ، وناديت حماة السلام . فلما لم تجد منهم مجيباً ، صرخت فى شعبك أن خذوا السلاح وتأهبوا للموت ، فان فى الديار لصوصاً متمدنين ، من أحفاد كافور وغاريبالدى ودانتى ورفائيل . . . يريدون أن يسرقوا حياتكم وحريتكم وبلادكم !

فهبوا للنضال . . . ولكنهم سقطوا شهداء ، أمام وحشية الدنية ، وجهالة العلم ، وذئبية الانسان !

* * *

لا ! إنك لم تنهزم ولم تغلب ، ولكن غلبت المبادىء يا أيها الأمبراطور العظيم ، وانهزمت الفضيلة ، وديس الحق ، وأفلست مدنية القرن العشرين !

إنك لم تنهزم ، وإن الطليان لم يتملكوا أرض الحبشة ، لأن العصر عصر الأمم لا عصر الملوك ، وقد استسلمت أنت مرغماً للقضاء ، ولكن استسلامك للقضاء ، وتركك أرضك للأعداء ، لا يسلم أمتك إلى الفناء . إن هذا الشعب الذى عاش حراً عشرين قرناً ، لا يستسيغ الاستعباد فى عشرين شهراً ، ولا فى عشرين سنة ، وإنه سيجاهد ويناضل ويقاوم ويقاتل ، ما بقى فيه شخص واحد يمشى على أرض الحبشة ، ويسمع صراخ الأجداد من أعماق الثرى . . . وأعالى السماء . . . تدعوه إلى إنقاذ رفاتهم من نعل الأجنبى الغاصب أن يطأها ويعبث بها ؛ وإن الغالبين قد يملكون اليوم الدساكر والقرى ، وينشئون القلاع والحصون ، ولكنهم لن يتملكوا القلوب ، ولن ينشئوا فيها الحب ، وها هى ذى طرابلس ، بل هذه هى الأندلس :

ألم تسمع أيها الأمبراطور باسم الملك الطريد أبى عبد الله الصغير ، ذلك الذى كان ملك الأندلس ، وسيد غرناطة ، وصاحب الحمراء ، سليل الملوك الذين جعلوا الأندلس جنة الدنيا ، ومدرسة العالم ، ومشرق أنوار الحضارة ؟ لقد خدعوه كما خدعوك ، فأعطوه العهود والمواثيق ، وأقسم عليها ملوكهم وسادتهم ، وشهد بها أعاظمهم وأشرافهم ، وصدق عليها البابا أمين دينهم وسيدهم على أن يدعوا له قصوره ودوره وأمواله وجواهره ، وحكمه وسيادته ، وعلى أن يتركوا قومه أحراراً فى عباداتهم وبيوتهم ومعاملاتهم وتجاراتهم ، وأن يكفلوا لهم راحتهم وهناءتهم وأموالهم وأمتعتهم ؛ فلما ملكوا أخرجوا الملك من أرضه وبلاده ، فرأى لآخر مرة شرف الحمراء ، وجنان العريف ، وجبل شلير ، ثم مضى تتغلغل به السفينة فى أمواج البحر ، وصورة الأندلس تنأى وتبتعد ، حتى توارت وراء الأفق ، فخرجت من حيز الواقع لتدخل فى حيز الذكرى ، ولتكون أمنية فى نفس كل مسلم ، يوصى بها السلف الخلف ، ويأخذ منه العهد على استرجاع « الفردوس الاسلامى المفقود » ، وعمدوا إلى مسلمى الأندلس ، فأخذوا مساجدهم ، وأحرقوا مكاتبهم ، وفيها ثمرة العقول البشرية منذ مطلع التاريخ إلى ذلك العهد ، ليتاموا بلهيبها فى ليالى انتصارهم ، وأنشأوا لهم محاكم التفتيش لتدخلهم فى النصرانية قسراً ، وتحرقهم أحياء ، وتعذبهم عذاباً لا يتخيله إنسان . . .

وها هم أولاء الأندلسيون بعد أربعمائة وخمسين سنة ، وبعد احتمال أهوال لا يحتملها بشر ، وبعد أن تنصروا جميعاً ، لا يزالون ذاكرين عربيتهم معترين بها ، ولا يزالون يحاولون الرجوع إلى الأم العربية الكبرى ؟

أفتلين الحبشة التى لم تزل عزيزة ، وتندمج فى الطليان فى أيام معدودات ؟

* * *

# سأجيء هذى الدار

## للأستاذ فخرى أبو السعود

البـدر فضَّ غياهب الديجور — وأذابَ لجـة بحره المسجور
أضفى على وادى المنية روعةً — من صَوْبِ ضوء سال كالبلّور
فازدادت الأجداث فيه مهابة — لما أنجابَ فى نوره المنثور
قرّتْ، وقرّتْ سامقاتٌ حولها — عُطِّلْنَ من نَسَمٍ وسَجْعِ طيور
فكأنها فى صمتها ومُثولها — أشباحُ وادٍ نازحٍ مسحور
وأوى الظلامُ إلى خرائب منزل — خلف القبور مهدّم مهجور
مُقْوٍ من الأحياء والمَوْتَى فلا — هو فى القبور يُرى ولا فى الدور

وأتيتُ متّئِدَ الخُطى متأنياً — أنسلُّ بين حفائرٍ وقبور
أجتازُ فى وادى المنون مُطهّراً — للنفس فيـه أيّما تطهير
متذكّراً فيـه وكم مِنْ عِبرةٍ — لمن ابتغى فيه ومن تذكير
حيثُ الصعيدُ جماجمٌ ومعاصمٌ — وجِباهُ صُيّابٍ وأعينُ حُور
حيث انطوت سِيَرٌ خَوالٍ وانتهت — أشغالُ أجيالٍ وحربُ عصور
وخَبَتْ معارك لم يكفكفها سوى — حملاتِ جيشٍ للحِمام مغير
وخبا ضِرامُ محبّةٍ وعداوةٍ — وهمومُ أفئدة وداء صدور
أستخبرُ الأجداثَ عما استُودِعَتْ — من كلِّ منخوبٍ بها منخور
ماذا صنعن بفانٍ ومنعّمٍ — وجليل شَيْبٍ جاءها وصغير؟
كم غيّبَتْ من كان مَطمحَ مُهجةٍ — ومناطَ آمالٍ وعقـدَ أمور

أجل أيها الأمبراطور! إن الحبشة لم تنهزم، ولكن انهزمت جمعية الأمم، وذبحت مبادئها فى الحبشة، كما انهزمت الحضارة ومحيت أعلامها فى الأندلس!

إن جمعية الأمم لم تكن أوثق عهداً من البابا، وإن موسوليني لم يكن أرق من فرديناند، وإن الطليان ليسوا خيراً من الاسبان، وإن القرن الخامس عشر ليس شراً من القرن العشرين . . .

***

أما أنتم يا كتاب التاريخ فسجلوا:

« لقد كانت حادثة الحبشة فضيحة القرن العشرين! »

(دمشق) علي الطنطاوي

طوَتِ الأليفَ فإذْ بكاهُ إلْفُهُ — ثنّتْ بِرَبِّ الدمع المنثور
سأجيء هذى الدار يوماً لاحقاً — مَن غادروا بالقلب بَرْحَ سعير
ومُخلّفاً بعدى حزيناً موجَعاً — يبكى بدمعٍ للفراق غزير
يبكى وما عبراتُه فى أوبتى — بالشافعات ولا الرَّدَى بعذير
وتقرُّ فى تلك الغيابة أعظُمى — من بعدِ كَدٍّ دائبٍ مكرور
يسْلُو بها قلبى قديمَ مآربٍ — كانت وينزعُ عن أسًى وحبور
غفلانَ عن سالٍ لذكرى جامدٍ — أو جائدٍ بفؤاده المفطور
ويُطل ذاك البدرُ فوق زاهياً — يجلو سناه غياهبَ الديجور

فخرى أبو السعود

## نشيد الأستاذ محمد فضل إسماعيل

وهو الرابع الذى نال إحدى الجوائز

مهِّدوا للمُلْكِ أبْرَاجَ السَّماءْ — وارفعوا فى ساحة المَجْدِ اللّواءْ
واسْمَعُوا من جانب النيل النّداءْ — مصرُ للمصرىّ قلبٌ وجَنانْ
نحن أبناء الأولى — طاولوا مُلْكَ الشُّهُبْ
قد خطوْنا للعُلا — فوق أعناق الحُقَبْ

مجدُها باقٍ على مرِّ الدهورْ — خلّدَتْه فى حناياها العصورْ
فى جلالٍ ناطقٍ بين الصخورْ — حيّرَ الدنيا على مَرِّ الزمانْ
نحن أبناء الأولى . . . .

لا نَهابُ الموتَ فانظر يا قدَرْ — كيف لا نهتزُّ يوماً للغِيَرْ
نحن شعبٌ ملَّ واديه الخطرْ — خاضَ للعلياءِ لُجَّ المَعْمَعانْ
نحن أبناء الأولى . . . .

قد تآلفنا على حبِّ البلادْ — فانطلقنا فى ميادين الجهادْ
نُشهِدُ الأرضينَ والسبعَ الشدادْ — أنَّ للأهرامِ عزّاً لا يُهانْ
نحن أبناء الأولى . . . .

ديننا فى مصرَ موفورُ الجلالْ — ليس معناه صليبٌ أو هلالْ
إنما معناه مُتْ يومَ النضالْ — بئسَ مَنْ يحيا كما يحيا الجبانْ
نحن أبناء الأولى — طاولوا مُلْكَ الشُّهُبْ
قد خطوْنا للعُلا — فوق أعناق الحُقَبْ

صوتَ مَنْفِيسٍ يُدَوِّى كالرُّعودْ    هَيِّئوا للنِّيـلِ مجدًا فى الخلود
فابتَنَيْنَا مثلَ بُنْيانِ الجُدودْ    كَعْبَةً للنُّبلِ فى أعلَى مكانْ
نحن أبناءُ الأُولَى . . . .

فاخِرِ يا نيلُ بواديكَ الأمينْ    إنَّهُ وحْىٌ منَ السِّحْرِ المبينْ
تاجُهُ فى الدَّهْرِ وضَّاحُ الجبينْ    ينحنى فى جانبيه النَّيِّرانْ
نحن أبناءُ الأُولَى . . . .

واسقِنا يا نيلُ من نَبْعِ الحياةْ    أنْتَ للأوطان جاهٌ أىُّ جاهْ
يَسْتَمِيتُ الشَّعْبُ حُبًّا فى عُلاهْ    من شبابٍ أو كهولٍ أو حِسانْ
نحن أبناءُ الأُولَى . . . .

حولك الغُرُّ الميامينُ السِّماحْ    يدفعونَ الضيمَ من كلِّ النَّواحْ
فاجرِ يا نيلُ وفِضْ بين البطاحْ    أنْتَ والكوثَرُ فيها توأمانْ
نحن أبناءُ الأُولَى

قد وقفْنَا فى ثباتٍ كالجبالْ    فى صُفُوفٍ صَدْعُها صَعْبُ المنالْ
صوتُنا يملأُ آذانَ الليالْ:    مصرُ للمصرىِّ عاشتْ فى أمانْ

## نشيد الأستاذ محمد الأسمر

هيّـــا بنا إلى الأمامْ    هيـا بنا هيـا بنا
المجد فى الدنيـا زحامْ    فزاحموا نحـــو المنى
واسعَوْا إلى خير الوطن
يحيا الملك . يحيا الوطن    يحيا الملك . يحيا الوطن

نحن الحيـاةُ للبلادْ    ونحن فى مصر العَلَمْ
إذا دعا داعى الجهادْ    كنا بهـا أسد الأجَمْ
نذود عن أرض الوطن
يحيا الملك . يحيا الوطن    يحيا الملك . يحيا الوطن

يا مصر يا كنز الوجود    نحن على الكنز أسودْ
ونحن أمثالُ الجدود    نفنى ونعطيك الخلودْ
يا مصر يا خير وطن
يحيا الملك . يحيا الوطن    يحيا الملك . يحيا الوطن

هيا بنا إلى الأمام    هيا إلى الذكر الحسن
فنحن من بين الأنام    تاجٌ على رأس الزمن
ونحن روح للوطن
يحيا الملك . يحيا الوطن    يحيا الملك . يحيا الوطن

هيا بنا ، هيا بنا    نبنى الخلود والبقاء
نبنى ونرفع البنا
المجد فى الدنيا لنا    لما بنى الله السماء
بنى لنا مجد الوطن
يحيا الملك . يحيا الوطن    يحيا الملك . يحيا الوطن

## منظر النيـــل الأزرق
### فى بعض بلاد السودان
### للأستاذ عبد الله عبد الرحمن

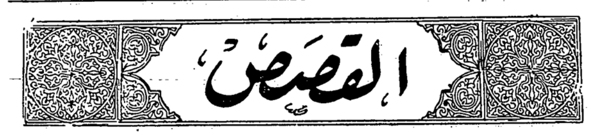
أىّ حسن تراه لم يحرز النيـ    ـل وأى الجمـــال إلا لديه
رفّ فيه النبات حتى كأنى    من وراء النبات أرنو إليه
وكأنَّ المياه صفحة خدّ    وكأنَّ الظلال شامٌ عليه
وكأن الدخان من جانب الـ    ـشط مشيب يلوح فى عارضَيه
يتلقّى الأديب منه قوافى الـ    ـشعر رقراقة على حافتيه

وعلى متنه كهارب قامت    تبهر الناظرين والليـل قاتم
كسيوف مجردات على المـا    ء مواضٍ له من البرّ قائم

نازعتنى أقول فيه القوافى    نفس حر إلى الجمال نزوعهْ
فتمشيت والهواء عليـــل    غير ما ناقل خطاى السريعه
وظلال الجميز والطلح والسد    ر تَرامى على المروج الوسيعه
ووجوه النبات تحلو وتبدى    صوراً للحياة كانت بديعه
ليس أدعى إلى السرور كروض    خلعت حسنها عليه الطبيعه

فاذا ما دنا المغيب تدانت    من صنوف الطيور شبه الغمائم
رائحات إلى الوكور ولكن    هل تقيها الوكور كيد ابن آدم

(الخرطوم)    عبد الله عبد الرحمن



# هواجس

## بقلم حبيب الزحلاوى

بقية ما نشر فى العدد الماضى

أ كثر ليالى الصيف فى مصر مقتطفة من فراديس النعيم لعشاق اللهو والاستمتاع يا لله !! كم ليلة قضيناها على شواطىء النيل نستمتع بانسياب أمواهه الهادئة ، نشاهد مثاوى الأشباح تحت ظلال النخيل ، نراقب أنوار المدينة ونجوم السماء تتناقص وتنطفىء وتتلاشى على بساط الفجر وإشعاع الشمس

يا لله ! كم ليلة سمعنا فيها أغانى أم كلثوم وصوتها العذب الحنون ! وكم أصغينا إلى تشبيح محمد عبد الوهاب وأنغامه المسترخية المستلينة ، وكم لمسنا فيها تفاعل الاغماء والتماوت ، لقد شهدنا على المسارح تمثيل القردة المقلدين واسترعى انتباهنا ممثل هزلى بارع ، إحساسه فى وجهه ، وعقله فى نظرات عينيه ، وبراعة فنه فى إيمآته وسكونه ، هو ذا نجيب الريحانى المطبوع على الفن

كم ليلة جسنا فيها حلقات الأدب ، ومجالس العلماء ، و(بمكوكة) الظرفاء وصالات المتأدبات ، لقد كانت الرغبات هى كل شىء فى عرف صديقتى أنيسة تدفعها إلى معرفة كل شىء ، وكانت تقول : « متى انقطعت الرغبات انقطع حبل الحياة معها ، وتجزم بأن من يتعمل قتل رغبات نفسه كان كمن يحاول الانتحار » كانت تعرف الرغبات الجوالة فى صدور الساسة « بأنها تقدر لما تحتاج إليه النفس الانسانية الكبيرة » وتقول : « لا خير فى جهود تبذل إذا كان رجل السياسة يعجز عن إدراك رغبات مواطنيه وحاجاتهم » وقالت عن المصريين : « إنهم كشعب ، يعرف جيداً كيف يفرح ويحقد ، ولكنه لا يعرف أبداً كيف يغضب وينتقم » لقد قالت لى صديقتى عن مجالس النساء والرجال قولاً ظريفاً فيه مداعبة ومفاكهة ، ولذعات وسخرية قالت : « إنه قد يعسر عليها إيجاد رجل واحد خليق بأن يسمى رجلاً بين مائة ممن لقيتهم من الأدباء والعلماء والكتاب والسياسيين ، وإن المرأة المصرية ليست إلا أنثى » ، وكانت تضحك من الشبان المتكرشين والصبايا المترهلات وتقول : « إن الرياضة تعلم الشباب الاعتداد بالذات »

شيطان صديقتى شيطان ذكر ، نبت فى الشرق وتمرد فى أمريكا فصير صاحبته كعصير العنب المتقطر بالبيانسون فائدته فى قتله بالماء ، وهكذا متى عادت صديقتى إلى أمريكا سيتذوق الأمريكان خمرة معارفها ويستوعبون عمق وعيها وإدراكها وواسع اطلاعها ، وقد مزجت ثقفتها الأمريكية بروح شرقى خاصته الالهام والفيض

لقد عرفت نفسية صاحبتى تصغى إلى كل نأمة ، تستوعب الكلمة والغرض ، تلمح البادرة الخاطفة ، تدرك مرامى النكتة ، تقيد شوارد الفكرة وهمسات الفؤاد وسبحات الأحلام ، تسمع ولا تتكلم كغالب السوريين ، ولكنها متكلمة يطيب لها الحديث تحلل فيه ما سمعت وتنقد ما رأت ، على ضوء كأس من الوسكى « كناديان » وسيجارة أمريكانية لا تنطفىء من ماركة « لكى ستريك »

علقت الوسكى وأدمنت التدخين ، فكانت تصدنى عن الأول لو حاولت شرب كأس قبل الطعام ، ولا تسمح به إلا بعيد منتصف الليل ، لأنه يعاون الجسد على الاستغراق فى النوم ، وتستكثرنى من التدخين ، لأنه يجلى البصيرة على رقصات الدخان وتلاعب تموجاته

شهران من شهور الصيف كانت لياليهما لنا ريادة استكشفنا بها أشياء كثيرة ، منها أغانى الرمال وأنغامها فى الصحراء متى داعبها النسيم أو عصف الريح ، جثوم أبى الهول عند أقدام الأهرام ، هدير النيل فى الشلال وعظمته فى القناطر الخيرية ، فى غابات النخيل المتكاثفة فى كثبان الرمل ، وقد رأينا أشياء كثيرة فى النهار من معالم مصر كقبور الفراعنة ومخلفاتهم الباقية على الدهر ، والجوامع والأديرة والمدافن وسواها مما لم يحفزنى حافز من قبل الى مشاهدته

شهران كانا لى رياضة نفسية عجيبة كنت أتمرن فى خلالها

على الاستنباط من لوحة ذكريات الطفولة ، صوراً زينة أغرضها على مجهر خيالي وقد استفاق على البرقة ، والبحث عن المعلوم والمجهول . يالله من اصطدام الطفولة البريئة بالرجولة المحنكة ، من قوة العقل تكبح جماح طفرة النفس ، من صعوبة سيادة الملكات الانسانية المكتسبة على نزوات الطبيعة الوحشية ، من همهمات ملائكة الضمير على وسوسة الشيطان الرجيم . . . . . . . ! !
... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...

***

وقفت قبالة عربة القطار المقل لصديقتي أنيسة عبر حدود مصر وقفة سهوم وفتور ، بل وقفة الكلف الولوع المكتوى الفؤاد ، أخاف الفراق وأفرق منه لأني سأصبح مضطرب الخيال ، فريسة الوحشة ، يتيم الروح . ولما هم القطار متثاقلاً في حركته ، كان الألم المكبوت يوشك على الانفجار ، ولكنه تحول دموعاً انهمرت سخينة على يد صديقتي وقد قبلتها لأول وهلة

رفعت ذراعي ولوحت بها في الفضاء ، غير أن الصور اختلطت على وغاب القطار . .

من لي بمن يعبر عما كان يتجاوب في صدرها من حنان وحب ؟ من لي بمن يعبر عن نظراتها هل كان يغشاها طيف حزين ، أو هي فاترة ساهمة ؟ من لي بأفاك يضحك مني فأصدق تقوله إنها استسلمت للأسى والمرارة كما استسلمت أنا ، وأن أحلام سعادتها قد انتعشت من جديد كما انتعشت أحلام سعادتي بأمل ورجاء ؟ !

لا . . . . لم يعد بي حاجة الى متقول يضحك مني إرضاء لضعفي الطارىء المستحب ، لم تعد لي بالاستهواء الذاتي فائدة لأني قدرت ، بعد انقضاء أيام من الألم المضني ، أن البرزخ الفاصل بيننا متعذر العبور ، ولكن شيئاً جديداً أعاد إلي رجائي ، أحيا في أملي ، لقد أخذت كتب صديقتي تصلني تباعاً كل أسبوع ، في كل شهر ، فيها التوضيح والتبسيط لكل خلجات عواطف المرأة التي تعرف كيف تعبر عنها تعبيراً صحيحاً في حالة الانغماس فيها أو في حالة القدرة على وصفها بالكتابة ، أما الفصول القيمة التي كانت تنشرها في المجلة الأمريكية ففيها من التفصيل الدقيق لذاتية الأديب الفنان الذي يتخذ من المشاهدات الواقعية والذاتية ومن الخلجات العاطفية أداة للخلق والابتداع

صارت خطاباتها على مر السنين مصدر وحي لي فياض بخصائص الحياة وعناصر الرغبة فيها ، كنت أستلهم سطورها أدق المعاني وأبرع التصورات ، وأشعر بسحرها يغشاني فتشرق نفسي لأنه كان كنغمات بعيدة عميقة لصوت حالم طروب حملها الأثير من جوف وادي الظلام ! ! إلا أنه حدث ما لم أكن أتوقعه ، حدث أن جاءني كتاب منها تقول فيه أن أكف عن مراسلتها كما أنها ستقطع عنها ريثما تعالج من مرض ألم بها في إحدى المصحات وتدعوني الى الصلاة لأجلها ، أو أبكيها بدمعة واحدة إذا استنزف الداء حيويتها ! !

عام طويل أجوف كأنه دهر من العدم حاق بي من كل جانب كنت فيه كالمشلول خولط في عقله ، لاهو من الأحياء فينفع ولا هو ميت فيدفن . أما الآن فحمداً لله ، فقد كتبت لي صديقتي تقول إنها استعادت عافيتها وبرئت من علتها فتخلصت أنا من التأرجح بين العدم والوجود ، وشفيت من تقلبات النفس وانفعالاتها العكسية . . .

وانتصب واقفاً وقال : لقد دعوتكم الليلة يا رفاق صباي وعشراء كهولتي لأفضي اليكم بما كان بي من هواجس ، وأعترف لكم اعتراف المثقل بالفرح ، فهيا نشرب كأساً من الشمبانيا تبرد اليد المتقدة المسكة بقلبي منذ عام ، وقد أفلت من مقابضها اليوم

لم يتقدم واحد للشراب بل قال قائل : هل لمثلك وقد جاوزت الخمسين من عمرك أن يستغرقك الحب ويرديك في مهاويه ؟ وقال آخر : ليس ما كان بك هو الحب ، انما هو أنانية اشعلت نارها امرأة مكبوتة حساسة عاشت على الحنين الى الماضي في بيئة غريبة عنها . وقال الثالث : ان ما كان بك يا عزيزي هو حرمان أخرس حلت الفرحة المفاجئة عقلة لسانه فصرخ صرخة الوداع ! !

وقال الرابع : لقد أنطقتك الخمر بما كان يجب السكوت عليه ، وتبخرت اعترافاتك هذه نشوة سوف لاتلقاها بعد الآن .

وعاد الأول فقال : لقد كان الخيال البعيد يشعرك بالذكرى المفقودة فكنت تتعمد إثبات وجودها بكأس كنت تشربها في وقت معين ، وبسيجارة كانت تصور لك مرأى الماضي الضائع ، وتخيلات تلك الليالي الهاربة من أجواء أحلام الشعراء ، أما الليلة فقد بددت كل شيء ، بددت كنز وجدانك ، لأن رجل الحياة هو الذي يحب ويتعذب ويموت فلا يشتكي ولا يبكي ، وقال آخر وهو يلوح بيديه ويلوى عنقه وشفته : ما هو الحب ؟ أليس هو . . . أليس هو ؟ ؟ ؟

لا . لا يا أصدقائي ، ليس الأمر كما تتوهمون ، ليس الحب

# العالم المسرحى والسينمائى

## الممثل والمخرج المصرى

### كما يراه بعض الفنانين الايرلنديين

( رد على حديث لمجلة الرسالة )

للأستاذ زكى طليمات

تفضل ناقد « الرسالة » الفنى فنقل فى أحد الأعداد الماضية حديثاً عن المستر هيلتن ادواردز مخرج فرقة ( دبلن جيت ) الأرلندية التى عملت بمسرح الأوبرا الملكية فى نهاية هذا الموسم ، حديثاً تناول فيه الممثل المصرى والمخرج المصرى بما تراءى له بعد أن شهد رواية ( السيد ) التى مثلتها أخيراً الفرقة القوميـــة المصرية بدار الأوبرا

فمن الثناء والنقد الذى خص به هذا النفر من الممثلين والممثلات أقدم للمستر ادواردز شكرى الخالص ؛ وكنت بدورى أود لو أتيحت لى فرصة التمثيل أمامه لأسمع رأيه فيما أقدمه ، وأتعرف مواطن الأستاذية أو الضعف فى فنى ، إذ لكل مفتن ، مهما بلغ شأنه فى فنه ، نواح لا تخلو من المآخذ

أما عن المخرج المصرى ، وقد خصنى المستر ادواردز بالذات ، فأرى لزاماً علىّ أن أتقدم إليه ببضع كلمات إقراراً للحقيقة التى ننشدها جميعاً ، وكشفاً لبعض بواطن الأمور التى أصدر فيها المخرج الارلنـدى حكمه على مظاهرها دون اضطلاع بالظروف والملابسات التى أحاطت باخراج رواية ( السيد )

#### المذهب الواقعى والمذهب الايحائى

كان أبين ما أخـذه علىّ المستر ادواردز أننى أتبع طريقة المذهب الواقعى Le Realisme فى إخراج الرواية ورسم مناظرها وأستارها . وهذا المذهب يحتم بقدر المستطاع نقل مظاهر الحياة كما هى بتفاصيلها المادية وتفاهاتها الحقيرة ، ونعى على أننى لا آخـذ فيما أعمل بالمذهب الايحائى Suggestion ، وهو

---

ما تقول أنت ياصديقى ، وأشار الى المتكلم الأخير ، إنما هو شعور بالحياة ووسيلة فعالة تصقل المدارك فتجعلها تتبصر وتتفقه المعانى لجمال الحياة ، لابد للرجل الحى من شعور سام بالحياة ، فالحياة نفسها تسعد بالحب السامى . إن ما تمنحه المرأة للرجل عفو النزوة الطارئة أو الرغبة الطائشة أو المتعة الخاطفة إنمـا هى منحة متبذل يضع احترامه تحت أقدام الرجل . الحرمان لرجل الشهوة شواظ كومة قش مشتعلة ، والمرأة المسؤولة حنان مدفون لذيذ وعطف دائم ، مستحب . الحرمان للرجل المثقف إنما هو صراع ومشاهد ، وأنغام وألحان ، أطياف وظلال لخيالات المثل العليا التى تتخيلها روحه العظيمة وشاعريته الحساسة التى تلد وتنجب وتخلق وتبتكر

إن حقيقة بواعث ذلك الحب انما هى بذرة الغريزة ألقتها الطفولة البريئة اعتباطاً عند ما استبدلت الرمانة بتفاحة ودست صورة العذراء فى محفظة الكتب ، وقد أنتجت على كر السنين تقارباً يضارع انحدار الكهل فى سلم الحياة ليلاقى الطفولة من طرفه الآخر ، وهذا الانحدار يشبه طرفى قوس يتقابلان ، ولا يتقاربان ويتماسان إلا إذا انكسرت القوس ! ! ؟

انطلقت حنجرة أحد السامعين بضحكة كبيرة وقهقهة عالية كأنها صوت حجر الطاحون وقال : فلسفة مخمورة وهواجس سكرى هى ما تقوله أيها الصديق . والله إنى لأعجب من تخبطكم جميعاً فى الحب وتكلفكم ابتداع صور له تشوه وجهه الحقيقى . الحب أيها السكارى نداء جنسى . الحب أيها المتفلسفون تجاوب غريزى لنـداء الجنس . وإن كل ما تختلقه خيالاتكم وتبتدعه عقولكم انما هو وصف مبرقع لحقيقة العلاقة الجنسية التى تأنف من البراقع

حبيب الزهورى

المذهب الذى ساد فنون الرسم والنحت والتصوير جاعلاً من مظاهرها فناً مركزاً ينبو عن محاكاة الطبيعة كما تراها العين المجردة أو عدسة الكاميرا ، على حين أنه يجمع من الأشياء خصائصها الرئيسية التى توحى بالجزئيات والتفاصيل ، وتبعث مخيلة الرائى على استكمال ما أنقصته عمداً يد الفنان

ثم ساد هذا المذهب أيضاً فن الاخراج المسرحى فجعل من مظاهره المادية ( وهى الأستار والملابس والاضاءة ) ، ثم من مظاهره النفسية ( وهى إلقاء الممثل وإشاراته ) ، فناً يجنح الى البساطة الموحية الغنية ، ويميل الى التركيز بل يهوى أحياناً إلى مقاربة الفن الرمزى Le Symbolisme من حيث المغالاة فى التفسير بالرئيسيات عن الجزئيات والدقائق

وكانت هذه النقلة من جراء تقدم فن الفوتوغرافيا ثم فن السينما الذى جعل كل محاولة من جانب المخرج المسرحى فى نقل الطبيعة ومحاكاتها على المسرح ضرباً من السخف ولوناً من الهزل الفنى الذى يجب أن يترفع عن إتيانه كل متفنن يتأثر بروح العصر ومزاجه العام

وغالى بعض المخرجين فى توليد هـذا المذهب ، ولا سيما بعد أن نزلت بفن المسرح كارثته الأخيرة ، وكتبت السينما النصر فى استمالة الجمهور ، فجعلوا من المناظر المتعددة فى رواية واحدة منظراً واحـداً يشيد بحال يمكن المخرج من تمثيل كافة مشاهد الرواية فى أقسامه المختلفة مع إضاءة القسم الذى يجرى فيه تمثيل المشهد وإبقاء الأقسام الباقية فى الظلام ؛ هذا مع الاستعانة ببعض الأستار الجزئية أو الأثاث والمهمات ، حتى لا يتصدع ما يصح أن ( تعقله ) عين الجمهور la vraissemblance ، وحتى لا تصطدم مخيلة النظارة بما يخرج على المنطق الايحائى الذى هو الباعث الأساسى لشهوة الجمهور المثقف على تذوق هذه اللذة الفنية ، لذة الايحاء واستساغتها

وقد عمد المخرجون ، ولا سيما الانجليز منهم والألمان ، إلى هـذا الاتجاه الفنى ، وهو ليس بالفن الجديد لأنه عرف على حالة أولية فى مسارح القرون الوسطى بأوروبا وفى المسرح الانجليزى فى عهد شاكسبير والملكة اليصابات ؛ عمدوا إلى ذلك بعد أن أفلس المذهب الواقعى الذى عمدته Antoine فى فرنسا ، و Stanislavsky فى الروسيا ، فى محاولة إنقاذ المسرح بعد أن اكتسحته ( الكاميرا ) مستشعرين قصور ميكانيكية المسرح على تقدمها الأخير عن بلوغ الشأو الذى قطعه فن السينما فى إيراد مناظر لا حد لها ولا نهاية بأيسر الوسائل وأقل التكاليف

وأرادوا بهذا أيضاً ، وهو الصميم ، أن يقدموا للنظارة لذة ذهنية جديدة غير تلك التى يقدمها فن السينما القائم على تعدد المناظر والعرض الواسع ومحاكاة الطبيعة فى أدق مظاهرها ، لذة أساسها التخيل واستثارة الخاطر وإشعار النظارة لذة التوليد مما هو مركز ، وجمال الكشف عما هو مغلق أو يكاد . وأصابوا التوفيق لدى الجمهور المثقف المشحوذ الخاطر ، ولا سيما الجمهور الانكليزى الذى يحمل فى آدابه تقاليد المسرح الشاكسبيرى

وقد أطلق المخرجون الفرنسيون على هذا النوع من المنظر المركز اسم Simultané

وليعـذرنى المستر ادواردز إذا أنا لم أسهب أكثر من ذلك لضيق المقام ، ولأن الأكثرية الغالبة من القراء لا يأبهون ولا يتذوقون الكلام فى هذه الفنون الغربيـة عن آدابهم القديمة والحديثة ، ولكننى أذكر له أننى قرأت ما كتبه المخرج الانجليزى الفقيه ( جوردن كريج ) ، والألمانى ( رينهارت ) ، والفرنسيان العبقريان ( كوبو ) و ( جيميه ) ، والأخير هو أستاذى فى مسرح الأوديون ، وقد شاهدت مآثر فنهم واتجاهاتهم الحديثة فى الروايات التى رأيتها فى لندن وبرلين وباريس

بعد هذا أعترف بأننى لم أعمد إلى المذهب الايحائى البالغ فيه simultané وهو المذهب الذى تبعته الفرقة الارلندية فى اخراج روايتى ( هملت ) و ( روميو وجوليت ) على مسرح الأوبرا ، لأننى أعلم ، وأنا مصرى وأعمل للمسرح منذ خمسة عشر عاماً ، أن الجمهور المصرى ، بحكم مزاجه العام ، لا يتذوق هذا الاتجاه الفنى ، بل ولا يستطيع أن يفهمه ، بل إنه ليرى فيه ضرباً مما يخالف المعقول ، وذلك بحكم أنه جمهور غير مثقف فى أغلبيته تثقيفاً فنياً كاملاً ، ولأنه جمهور ( لاتينى ) من حيث ثقافته

وإذا كان المخرجون الانكليز والألمان أكثروا من استعمال هذا الصنف من المناظر فلأن ثقافتهم من ( الشمال ) ، وثقافة ( الشمال ) يعلوها الضباب والسحاب ، وليس فيها وضوح الثقافة

اللاتينية التي قامت في بلاد البحر الأبيض المتوسط ، حيث وهج النهار يكشف عن دقائق المرئيات . وإذا كان الجمهور الانكليزي يرتاح إلى مشاهدة هذا النوع من الاخراج فلأنه جمهور شكسبير وجمهور المسرح الثابت الستار الذي تجري في ساحته الواحدة معارك القتال ومعارك الغرام وغيرها ؛ ويكفي أن يرمز لكل منها بلوحة مكتوبة حتى يستقيم المنطق لدى النظارة وحتى يتزو كل خاطر من كمينه

وفوق هذا ، وعلى اعتبار أن الجمهور المصري يفهم ويستسيغ هذا النوع من الاخراج ، فانني ما كنت لأخرج رواية (السيد) وفاقاً لما يراه المستر ادواردز ويعتبر أنه قطرة العطر المختارة في سائر وسائل الاخراج ، لأنها رواية من صميم الأدب الكلاسيكي ، ولأنها من الأدب اللاتيني القائم على الوضوح والبساطة ، ولأنها رواية أساسها ( الكلم ) le verbe لا العرض le spectacle ، والمستر ادواردز يعرف حق المعرفة أن المخرج الحق ، المخرج الذي لا يقدم الشيء الغريب ليعرف بالغرابة ، مقيد بروح الرواية وبنوعها الأدبي ، ومن هذا المصدر يستوحي الاتجاه الفني ويتخير وسائله في الاخراج ، ولا سيما فيما هو خاص بالاطار المادي الذي تبرز فيه الرواية la mise en scène picturale ، وأعني به فيما أعني مناظر الرواية وأستارها

إذن فليسمح لي المستر ادواردز بأن أقول إنه تسرع في حكمه قبل أن يتعرف ذوق الجمهور المصري ، وأنه من أولئك النفر من المخرجين الذين يريدون أن يجعلوا من فن الاخراج فناً قائماً بذاته لا يحفل بروح الرواية ولا يحترم إرادة مؤلفها ولا يأبه بمكانها من الاتجاهات الأدبية ؛ وإنني أربأ به عن هذا النفر ذي السمعة المعروفة ، وأقول ، محسناً الظن بنقده ، إنه أخذ عليّ في الاخراج وسيلة لا يميل اليها شخصياً

أما إنني خرجت على المذهب الايحائي البسيط الذي يستطيع أن يتذوقه الجمهور المصري ، والذي يماشي روح الرواية ، فأمر لا يقره الواقع ؛ فالمستر ادواردز قد شاهد بعينيه أنني ركزت على جانبي مقدمة المسرح عمودين من النمط الذي كان شائعاً في القرن الحادي عشر ، وهو عصر الرواية في اسبانيا L'art roman ، عمودين يجمع بينهما ( قبو ) لا يرى النظارة منه سوى بدايته فوق كل عمود ، على حين أنني لم أكمل الباقي وأسدلت ستاراً من العلاء يغطي ما تعمدت اخفاءه ، وذلك بقصد الايحاء ، عمودين لا يحملان في قطعهما وتصويرهما جزئيات الحقيقة ، بل يبدوان وعليهما أهم مميزات النمط ، وذلك نزولاً على مبدأ المذهب الايحائي الذي أنا أول من قدمه في مصر ، ولا سيما في روايتي (تاجر البندقية) و (أهل الكهف)

وبذلك أحييت الصبغة الزمنية والمحلية بأسهل الوسائل

كذلك عمدت الى الأستار المخملية ذات اللون الواحد لتمثيل حجرة ابنة الملك وحجرة (شيمان) ؛ ستاران أحدهما رمادي والآخر بني اللون ، يهبطان الواحد خلف الآخر وراء العمودين ، واستعنت بالأثاث للتنبيه على الايحاء في احياء الصبغة المحلية ، فكان أثاث حجرة شيمان من الفن الأسباني في القرن الحادي عشر ، وكان أثاث حجرة ابنة الملك من الفن العربي باعتبار أنها من الأسلاب التي غنمها الأسبان من العرب بعد أن أكرهوهم على الجلاء عن قصورهم

ثم كان المنظر الذي يمثل ساحة أو ربوة بجوار المدينة حيث يتبارز الكونت والدون دياج ؛ هذا المنظر قد رسم وفاقاً لصميم المذهب الايحائي المتطرف ، بل لقد أمرت المصور الذي رسمه بألا يتبع قواعد المنظور في رسمه ؛ وكل هذا بقصد استثارة مخيلة النظارة ودفعهم إلى توليد لذة ذهنية تطالعهم بعد التفكير والامعان

ولكن حدث بعد ذلك أن شاهد المستر ادواردز منظر ساحة العرش في قصر الملك ، وهو منظر يمت بحق إلى (المذهب الواقعي) ويحطم بحق أيضاً الوحدة المسرحية Unité scénique التي يجب أن تسود سائر مناظر الرواية ، وكان أن صاح المستر ماك ليمور زميل المخرج الأرلندي النابه بأن المخرج قد أخطأ !!!

نعم لقد أخطأت ... ولكن ليس عن جهل بأيسر وبأولى قواعد فن الاخراج . وهنا أستطيع أن أروي ما قد يرسم ابتسامة الاشفاق على شفاه الزميلين العزيزين

المسألة وما فيها أن مصور المناظر لرواية (السيد) لم يتمكن من انجاز هذا المنظر في الوقت المناسب ، فاضطررت — أقول اضطررت — على الرغم مني ، وعلى الرغم مما يعمر رأسي من فنون الاخراج ، أن أستعير منظراً من مناظر دار الأوبرا الملكية

حتى لا يتأخر تمثيل الرواية ، وكان هذا الظرف المحرج الذى لم ينفع فيه على ، ويصح أن أقول للزميلين إن مناظر الأوبرا لم تعرف بعد المذهب الايحائى ؛ وقد ضحك منى رئيس الميكانيستية حينما وضعت ستار المؤخرة فى رواية (أهل الكهف) من القطيفة ، على حين أن بقية أجزاء المنظر كانت من الاطارات المرسومة الملونة

إذن ليعذرنى الزميلان ، وكان يجدر بهما — وهذا ما آخذه عليهما — أن يتريثا فى الحكم على زميل ، وألا يصدرا هذا الحكم بعد مشاهدة رواية واحدة خذلت برغمى فى الاحتفاظ بوحدتها المسرحية

وليعذرنى أيضاً الزميلان إذ أن مصورى المناظر فى مصر — ومن بينهم الأجانب — لا يعرفون شيئاً عن المذهب الايحائى ولم يسمعوا بعد عن سائر الاتجاهات الحديثة من symbolique و ,expressionniste و Cubiste ، وإننى أجاهد معهم متعبا و...

وإن البعض من الممثلين بل والنقاد ، عدوا المناظر التى قدمتها فى رواية تاجر البندقية وكلها ايحائية محضة ، نوعاً من التمرين الأولى فى فن التصوير والرسم مما يقدمه طالب بالمدارس الأولية

## الإضاءة

يقول المستر ادواردز « إننى لم أقصد من الاضاءة إلا أن أكشف المناظر والممثلين للنظارة ، وإننى لم أستخدم الاضاءة لغرض أو فكرة خاصة إلا فى موقف واحد فقط بين (السيد) وحبيبته » ومجمل هذا الاتهام يناقض بعضه بعضاً ، فهو يعترف أننى استخدمت الاضاءة لفكرة وغرض فى أحد المواقف ، ولكننى أهملتها فى مواقف أخرى ، أعنى أنه يعترف باننى أدرى أن الاضاءة المسرحية ليس الغرض منها فقط انارة المناظر والممثلين بل احياء الصبغة النفسية لأنها عاطفة تجتاح المشهد ، هذا مع خضوعها للمعقول وما يحتمه الزمان والمكان . وتكفينى هذه الشهادة ، ويرفه عنى هذا التناقض ، لأن من يعلم أن ١ + ١ = ٢ لا يرجع فيعطى نتيجة غير هذه ! ! ! . يعلم المستر ادواردز وقد شاهد الرواية — ولا أعرف ما إذا كان قرأها — أن كافة المناظر تجرى فى رابعة النهار ماعدا مشهدين أولها فى وسط الليل وثانيهما — وهو الذى أشار اليه — فى أول هبوطه ، وقد اعترف بدقة الاضاءة فيه

ماذا كان يريدنى أن أعمل للاضاءة المطلوبة فى باقى مناظر الرواية ، وكلها تجرى فى النهار ، أكثر من الانارة التامة للمسرح ؛ ثم غمر الأقسام الرئيسية التى يجرى فيها أهم مشاهد النظر بأشعة ناصعة تصبها مركزات للنور (بروجكتور) على جانبى المسرح ، وذلك بقصد اجتذاب أنظار الجمهور إلى أهم النقط التى يجرى فيها التمثيل ! ! !

أقول للمستر ادواردز إننى من المعجبين بتصوير المصور رامبراند Ramprandt وأعرف أننا معشر المخرجين الحديثين نستق من طريقته فى توزيع النور فى لوحاته الخالدة ، نستوحى أساليبنا فى اضاءة المسرح ، وفى هذا ما يكفى ليعلم أننى أعتقد فى الاضاءة المسرحية وأراها مصدراً غنياً فى الالهام يستوحى منه المخرج ، وأن الاضاءة المسرحية قد أخذت مكان المناظر فى إحياء الصبغة النفسية ، بل والمكانية أحياناً

بعد هذا أصرح أن ما قرأته فى (الرسالة) عن لسان المستر إدواردز لا يخلو من قسوة ومن تحرج لا أظن أن نفسية مفتن من طرازه تنطوى عليهما ! ! ...

ولكن أحقاً قال ذلك المستر إدواردز وزميله ؟ أم أن ناقل الحديث هو الذى قسا وتحرج ! ! !

لا يهمنى كثيراً ... وأشكر لصاحبى الحديث ولناقله هذه الفرصة الغالية التى أتاحت لى أن أناقش وأحاور فى فن أحبه كثيراً ، وأود أن ألمس مواطن الضعف منى فى تأدية رسالته

**زكى طليمات**

حريج مسرح الأوديون بباريس
وعضو جمعية المسارح الدولية

أؤكد للأستاذ زكى أنى كنت أميناً فى نقل الحديث بما فيه من رقة وقسوة

**يوسف تادرس**

# البريد الأدبي

## زجموند فرويد أيضاً (١)

قرأنا فى الصحف النمسوية الأخيرة طائفة من البحوث والنبذ الممتعة عن العلامة النمسوى الكبير زجموند فرويد ، فهو اليوم فى الثمانين من عمره ، وقد احتفلت الدوائر الرسمية والعلمية النمسوية بهذه المناسبة العلمية ، وأقيمت للعلامة الشيخ عدة حفلات تكريمية ، وحفلت الصحف النمسوية ، وصحف العالم كلها بمختلف البحوث والمقالات عن حياته وعن مباحثه ونظرياته . وقد غدا فرويد منذ بعيد أستاذاً ومفكراً عالياً يوجه بجهوده وبحوثه سير العلوم والمباحث النفسية والعصبية فى العالم كله ، وهو يعتبر اليوم إمام هذا الفن وحجته ؛ ومن الصعب أن نتحدث عن حياة فرويد ومباحثه فى مثل هذا المقام الضيق ؛ وإنما نذكر بهذه المناسبة عنه نبذة خبرية فقط هى التى يتسع لها هذا المقام

فقد ولد فرويد من أبوين يهوديين فى مايو سنة ١٨٥٦ ، فى فريبورج من أعمال مورافيا النمسوية ، ودرس فى فينا وباريس ؛ ودرس القانون أولاً ، ولكنه تحول عنه إلى العلوم الطبيعية ، ودرس على الأستاذ « بريكه » علامة عصره ؛ واشتغل فى سنة ١٨٨٤ طبيباً مساعداً فى أحد المستشفيات الكبرى ، وفى العام التالى درس مع الأستاذ شاركو العلامة الفرنسى فى علم الأعصاب ، وتلقى عنه بعض نظرياته فى « الهستريا » ؛ ثم عاد إلى فينا وبدأ مباحثه النفسية . وفى سنة ١٨٩٥ أخرج فرويد مع الأستاذ برور ثمرة مباحثه الأولى فى كتاب عنوانه «مباحث عن الهستريا » Studien ueber Hysterie وفيه يشرح آراءه فى أصل الهستريا وفى علاجها ؛ واستمر فرويد فى مباحثه النفسية والعصبية ، وطلع على العالم فى هذا الباب بآراء ومباحث مدهشة تمتاز بقوتها ومتانتها العلمية ؛ وفى سنة ١٩٠٠ نشر كتابه الشهير « تفسير الأحلام » Die Traumdeutung ؛ ثم أعقبه بكتابه «التحليل النفسى والباتولوجى للحياة اليومية » Psycho-pathologie des Alltagslebens ؛ ثم بكتاب « ثلاثة مباحث عن النظرية الجنسية » Drie Abhandlungen Zur Sexueltheorie . وقد فتح فرويد بكتابه عن الأحلام فتحاً جديداً مدهشاً ؛ وخلاصة نظريته أن تفسير الأحلام عامل هام فى التحليل النفسى ، وأن الأجزاء التى يتذكرها الذهن من الأحلام ، انما هى اعراض لنشاط العقل الباطن أثناء النوم ، حينما تفقد الارادة تأثيرها ، ويقف سير الضابط الحسى . وقد أثار فرويد بادئ بدء بنظرياته ولا سيما فى باب التحليل النفسى والباتولوجى كثيراً من الخصومات العلمية ، بل أثار سخرية بعض الدوائر ؛ ولكنه صمد لهذه الخصومات ، وصمدت نظرياته وبحوثه للحملات والآراء الخصيمة .

ومن أشهر نظريات فرويد أيضاً أن الغريزة الجنسية تبدأ فى الانسان عمولده ، وليس فقط عند البلوغ ؛ وأن ما يعانيه الطفل من خلل فى نمو الجنسى هو سبب الضعف العقلى ، وأن النزعات الجنسية يمكن اخضاعها بشىء من التوجيه الحسن ، وقد تغدو عندئذ قوى تبعث إلى أشرف النزعات

وفى سنة ١٩٠٣ أنشأ فرويد « جمعية التحليل النفسى » فى فينا ، ولم يمض بعيد حتى ذاعت فروعها فى جميع أوربا ؛ وعقد أول مؤتمر دولى للمباحث النفسية فى سالزبورج فى سنة ١٩٠٨ ومنذ بدء هذا القرن يشتد نفوذ فرويد ونفوذ نظرياته ومباحثه فى جميع أنحاء العالم

ويشغل فرويد منذ حقبة طويلة كرسى « العلوم العصبية » فى جامعة فينا إلى يومنا

ونستطيع أن نلاحظ بهذه المناسبة أن التفكير اليهودى ما زال يحدث أثره القوى فى سير التفكير العالى ؛ فاذا كان فرويد يقبض على ناصية التفكير النفسى ، فان الفيلسوف الفرنسى برجسون (وهو يهودى أيضاً) يقبض على ناصية التفكير الفلسفى ، ويوجه العلامة اينشتاين سير المباحث الرياضية العالمية ؛ وإذا تتبعنا تاريخ التفكير الحديث وجدنا لليهودية مثل هذا الأثر البعيد فى سيره وفى تطوره

(١) انظر البريد الأدبى فى العدد ١٤٩ من الرسالة

**الأستاذ هنري روبير**

نعت الينا الأنباء الأخيرة علماً من أعلام الكتابة والبيان الرائع هو الأستاذ هنري روبير المحامي الفرنسي الأشهر ، وعضو الأكاديمية الفرنسية ، توفي في الثالثة والسبعين من عمره بعد حياة باهرة في عالمي المحاماة والأدب . وكان مولده سنة ١٨٦٣ في باريس ، حيث تلقى تربيته ودراسته ؛ وفي سنة ١٨٨٥ قيد في جدول المحاماة ، وبدأ حياته العملية ، ولم يلبث أن لفت اليه الأنظار بحسن استعداده وكفايته ؛ وقدر الأستاذ دورييه نقيب المحامين يومئذ مواهبه وألحقه بمكتبه ، فلاقى هنالك فرصة لدراسة القضايا الكبرى ؛ وظهر لأول مرة في قضية « شامبيج » الشهيرة أمام محكمة الجزائر ، حيث اشترك مع استاذه دورييه في الدفاع عن « شامبيج » المتهم بقتل خليلته ؛ وكان دفاعه الرائع في تلك القضية مثار الاعجاب من كل صوب ؛ وكان فاتحة مجده ؛ وأوحت حوادث هذه القضية الشهيرة إلى الكاتب الشهير بول بورجيه موضوع قصته « التلميذ » . ومن ذلك الحين توالى ظهور هنري روبير في كثير من القضايا الجنائية الرنانة التي شغلت الرأي العام في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحاضر .

وتبوأ هنري روبير مقامه الرفيع كعلم من أعلام البيان والفصاحة القضائية بسرعة ؛ وفي سنة ١٩١٣ انتخب نقيباً للمحامين في دائرة باريس مكان الأستاذ لابوري ، وظل في هذا المنصب حتى سنة ١٩١٩ ؛ وما زال محتفظاً بزعامته ومكانته الرفيعة في عالم المحاماة والدفاع حتى خاتمة حياته .

وكان الأستاذ هنري روبير إلى جانب مواهبه القضائية والدفاعية كاتباً عظيما ، يمتاز أسلوبه بقوة وصفاء رائعين . ومن مؤلفاته رسالة قيمة ساحرة عن « المحامي » ، وكتاب « قضايا التاريخ العظمى » الذي بدأه في سنة ١٩٢٣ ، وظل يعمل فيه حتى العام الماضي ، حيث صدر منه الجزء العاشر ؛ وفي هذه الأجزاء العشرة يعالج هنري روبير طائفة من قضايا التاريخ الكبرى ، ولا سيما ما تعلق منها بالتاريخ الفرنسي ؛ ويعرضها بأسلوب بديع ساحر ، يجمع بين دقة الشرح القضائي ، وروعة البيان الأدبي .

وفي سنة ١٩٢٣ انتخب هنري روبير عضواً بالأكاديمية الفرنسية في الكرسي الذي خلا بوفاة الوزير ريبو .

وكان هنري روبير محامياً عظيما يمتاز بصفات باهرة ؛ فقد كان عالماً نفسياً ينفذ أحياناً إلى أعماق السرائر ؛ وكان خطيباً رائعاً يبهر بيانه ؛ وكانت مرافعاته في القضايا الكبرى أياماً مشهودة في ساحات القضاء . وقد بلغ الذروة في أواخر حياته من قوة التأثير والسحر ، حتى كان المحلفون في بعض الدوائر يخشون تأثيره ، ويقاومون هذا التأثير بشيء من عدم الثقة . وكان هنري روبير موجزا في العادة خلافا لكثير من زملائه الأعلام ، ولكنه كان في ايجازه دائماً قوياً مؤثراً .

**توفيق الحكيم في الفرنسية**

نقل الأستاذان ( ا . خضرى ) و ( موريك برن ) إلى الفرنسية رواية شهرزاد للأستاذ توفيق الحكيم ثم طبعاها ونشراها في باريس . وقد حافظا على روحها الشعرى الشرقي حتى سمياها « قصيدة درامية في سبعة مناظر » وقد صدرها بمقدمة بليغة الكاتب الفرنسي الكبير ( جورج لوكنت ) أحد أعضاء الأكاديمية الفرنسية حلل فيها الفكرة التي قامت عليها الرواية ثم قال : « كان لا بد من شاعر يقدم على معالجة إحدى درامتي(١) الانسانية العظيمتين في مثل هذا الاطار الضيق . ولكن كان لا بد من شاعر شرقي رقيق الحس خصب القريحة كالأستاذ توفيق الحكيم يحل العقدة في مثل هذا العمل بلباقة من الفن العربي البارع الذي ينال دائماً ذهننا الديكارتي بالدهشة قبل أن يرميه بالفتنة

« وكيف لا نحمد كذلك المسيو ( ا . خضرى ) والمسيو ( موريك برن ) على أن ترجما إلى الفرنسية لغة خلقت لتعبر قبل كل شيء عن العطر والشعر والسر ؟ »

**وفاة مارمدوك بكتال**

توفي المستر مارمدوك وليم بكتال القصصي المعروف بتضلعه في العلوم الاسلامية ، ولد في ٧ ابريل سنة ١٨٧٥ في شاورد بمقاطعة سفولك ، وكان أبوه قسيساً بها ؛ ثم تلقى دروسه في هارو وفي أوربا ، ثم قضى ثلاث سنين في الشرق الأدنى ، درس خلالها العربية ، وفقه العلوم الاسلامية ؛ وقضى وقتاً طويلا في لبنان وفي مصر ، ثم دخل في الاسلام وتسمى محمداً ، واتصل بسمو

(١) يريد بالدرامتين : تجدد الأمل ، وتبدد الوهم . والثاني هو موضوع شهرزاد

نظام حيدر أباد ، فتولى ادارة ( كلية حيدر أباد ) ورأس تحرير مجلة ( الثقافة الاسلامية ) التي تصدر هناك باللغة الانجليزية

وفي سنة ١٩٣٠ ترجم القرآن الكريم ترجمة توخى فيها الدقة وطبعها بمعونة الأمير بعد أن راجعها الأستاذ محمد أحمد الغمراوي ، وجعل عنوانها ( ترجمة معاني القرآن المجيد ) . وقد أرسل نسخاً منها إلى مصر ، وكان الشيخ الظواهري يومئذ شيخاً للأزهر ، فنبهه بعضهم إلى أن في الترجمة خطأ ، فطلب من الداخلية أن تصادرها فصودرت . وله غير ذلك مؤلفات قصصية وغير قصصية ، منها ( سعيد الصياد ) و ( عنيد ) و ( بيت الاسلام ) و ( حكايات عن الأرض المقدسة ) و ( أبناء النيل ) و ( وادي الملوك ) و ( النساء المحجبات ) و ( الترك في الحرب ) و ( فرسان عرابي ) وغير ذلك

## كننهام جراهام

نعت الينا الأنباء الأخيرة الكاتب الانكليزي الكبير روبرت كننهام جراهام ؛ توفي في مدينة بيونوس ايريس عاصمة الجمهورية الفضية ( أمريكا الجنوبية ) ، حيث كان يعيش منذ أعوام طويلة ؛ وهو اسكتلندي الأصل ، ولد سنة ١٨٥٢ ، وتخرج في كلية هارو الشهيرة ؛ وكان منذ حداثته يشغف بالسياسة وغمارها ، ويجنح للمبادئ الاشتراكية ؛ وفي سنة ١٨٨٦ تحققت آماله السياسية الأولى بدخوله مجلس النواب نائباً عن لانكشير ؛ وظهر في البرلمان بذلاقته وحملاته العنيفة ، واستمر نائباً حتى سنة ١٨٩٢ . وفي ذلك الحين كان جراهام قد خاض غمار الكتابة أيضاً ؛ وكان جوالة كثير الأسفار ، واستهوته اسبانيا وأمريكا الجنوبية فدرس شؤونهما ، واتصل بالبلاط الاسباني وكتب كثيرا عن اسبانيا وتاريخها وعظمائها ، وأنعم عليه ملك أسبانيا برتبة في النبل ( جراندي ) ؛ ومنذ سنة ١٨٩٨ يخرج لنا جراهام بالانكليزية كتباً عن الشؤون والصور الاسبانية وعن تاريخ أمريكا اللاتينية . ومن أشهر مؤلفاته Aurora la Cujini « ابنة عمي صبح » ( سنة ١٨٩٨ ) و « المغرب الأقصى » ( في نفس العام ) « إركاديا الذاهبة » A Vanished Arcabea ( سنة ١٩٠١ ) « والنجاح » Success ( سنة ١٩٠٢ ) و « ترجمة هرناندو دي سوتو » ( سنة ١٩٠٣ ) و الصدقة Charity ( سنة ١٩١٢ ) و « قرطاجنة وشواطئ سينو » Cartagena and Banks of Sinu ( سنة ١٩٢٠ ) و « أعمال بطولة » Doughty Deeds ( سنة ١٩٢٥ ) و « بيدرو دي فالديفيا فاتح شيلي » P. de Valdivia conquerer of Chili ( سنة ١٩٢٩ ) وخوزي انتونيو بيز Jose Antonio Piez ( سنة ١٩٢٩ ) وغيرها ؛ ومعظمها عن أمريكا اللاتينية

وتجول جراهام كثيراً في مدن أمريكا الجنوبية وثغورها ، ودرس كثيراً من شؤونها وأحوالها ، وأقام كثيراً في بيونوس ايريس ؛ وكان أثناء الحرب العالمية يشتغل بتجارة الخيل وتوريدها لجيوش الحلفاء ؛ وهو يعتبر في الواقع من كتاب أمريكا اللاتينية أكثر مما يعتبر من كتاب انكلترا ، وشأنه في ذلك شأن المؤرخ الانكليزي جورج فنلي الذي خصص حياته لليونان وتاريخها وآدابها ؛ وتوفي جراهام في نحو الثمانين من عمره

## مباراة أدبية دولية

نشر مكتب الصحافة الدولية السويدية بيانا عن مباراة أدبية دولية رصدت لها بعض دور النشر السكندنافية جائزة حسنة ، ووضعت لها موضوعا وشروطا خلاصتها :

أما الموضوع فهو : « هل يمكن أن يوضع معيار أدبي موضوعي في العصر الحاضر ؟ وإذا كان الجواب نعم ، فعلى أي أساس يمكن أن يقام ؟ »

ويجب ألا يزيد ما يكتب في الموضوع على ست عشرة صفحة من القطع المتوسط ، ويجب أن يكتب بوضوح وترتيب ؛ وقد ألفت لفحص الرسائل لجنة مؤلفة من الدكتور لانكوست أستاذ الفلسفة السويدي ( ممثلا للسويد ) والدكتور ونسنس النرويجي ( ممثلاً للنرويج ) والدكتور رون أستاذ الفلسفة الفنلندي ( ممثلا لفنلنده ) ؛ وستقوم هذه اللجنة بمهمتها مستقلة ، وتقبل دور النشر المذكورة أحكامها دون مناقشة

وستخصص للفائزين ثلاث جوائز ، الأولى قيمتها ( ٢٠٠٠ ) كرون سويدي ، والثانية قيمتها ( ١٠٠٠ ) كرون ، والثالثة ( ٥٠٠ ) ؛ ويدفع للفائزين فوق ذلك نسبة من أرباح نشر رسالاتهم ؛ وإذا لم يوجد من بين الرسائل المقدمة رسالة تستحق المكافأة ، فانه لا تمنح جوائز ما ، ويحتفظ الناشرون أيضاً بحقهم في نشر رسائل لم تنل شيئا من الجوائز

ويمكن كتابة الرسائل باللغات السويدية والدانماركية والانكليزية والألمانية ؛ ويجب أن تذيل بامضاء مستعار ، ومعها

غلاف به هذا الاسم المستعار مقروناً باسم صاحبه ؛ ويمكن الدخول في المباراة حتى أول يناير سنة ١٩٣٧ ، وتنتهي لجنة التحكيم من أعمالها في أول أبريل ، وتعلن النتيجة في خريف سنة ١٩٣٧ ، وترسل الرسائل الى إحدى دور النشر المشتركة في وضع المباراة ، وهي مجلات :

Natur och Kulbur, Stockholm. Johan Graunt-Taunn, Oslo Soderstron et—Co., Helsingfors

## كتاب جديد عن مصر القديمة

ظهر أخيراً بالإنكليزية كتاب عنوانه « بحث في مصر الخفية » A Search in Secret Egypt بقلم المستر بول برنتون P. Brunton . واسم الكتاب يدل على موضوعه . بيد أن مؤلفه ينحو في كتابته منحى غريباً لم يسبقه إليه أحد ، فهو لا يريد أن يتقيد في بحثه بما كتبه علماء الآثار المصرية أو استنتجوه من قراءة النقوش القديمة ، بل يؤثر أن يعتمد على مباحثه الشخصية وعلى وحي نفسه في فهم ما تدلي به المبيا كل والرموز من المقاصد والمعاني . وقد زار المستر برنتون مصر في العام الماضي وقضى بها بضعة أشهر يتجول بين آثارها وينقب ويبحث ويجمع لنفسه مواد كتابه ؛ وهو كاتب شاب واسع المعرفة متزن مستنير في آرائه وشروحه

ويرى مستر برنتون أن الحضارة المصرية القديمة قد نشأت في القارة المفقودة « الانلانتس » ، ويستشهد على رأيه بحلم رآه في ذلك ووحي نفذ الى نفسه ذات ليلة قضاها الى جانب أبي الهول ، وذات ليلة أخرى قضاها مع الأرواح بجانب الهرم الأكبر ، وثالثة قضاها في معبد الكرنك ؛ ويحاول فوق ذلك أن يدعم رأيه بمشاهدات أثرية شاهدها في أبيدوس ودندرة والأقصر

ويحمل مستر برنتون على مباحث علماء الآثار ، ويقول أنهم لم يصلوا الى لباب الحقائق ، وأن الأرواح الشريرة والضالة تنطلق كل مرة يجرى فيها الحفر في مقبرة أو معبد ، وأنه خير أن يوضع حد لاطلاق هذه الأرواح الخطرة التي كثر عددها

ويرى فيما يتعلق باللغة المصرية القديمة أن علماء الآثار لم يتوصلوا إلا الى معرفة المعاني التي كانت مستعملة على لسان الرجل العادي . أما المعاني والرموز الخفية التي كانت تجرى على ألسنة الكبراء والخاصة فما زالت سراً من الأسرار

ويسير الكاتب في عرض آرائه عن شؤون مصر القديمة وأسرارها على هذا النحو الخيالي . بيد أنه مما لا ريب فيه أنه يذهب بعيداً في تصوراته ، وأن كتابه لا يمكن أن يعتبر من النوع العلمي الذي يعتمد على شروحه ؛ أما إذا اعتبرناه قطعة من الخيال المجرد ، فانه يستحق القراءة على هذا الأساس ، ويغدو قطعة ممتعة من الأدب الروائي

## ذكرى أمير عالم

احتفل أخيرا في فينا بذكرى البرنس أوجين دي سافوى ، لمناسبة مرور مائتي عام على وفاته ، وقد كان هذا الأمير الشهير قائدا عظيما ، وكان فرنسي الأصل والمولد ، وكان مولده في باريس سنة ١٦٦٣ ولكنه هجر فرنسا وطنه ، لأن لويس الرابع عشر أبى عليه تحقيق بعض أمانيه ، والتحق بخدمة امبراطور النمسا ليوبولد الأول . وغنم ضد الترك عدة مواقع رفعت اسمه ومنزلته ، وانتهى بسحق الترك في المجر في معركة زنتا الشهيرة ، وحارب أيضاً ضد لويس الرابع عشر وهزم جيوشه في عدة مواقع ، وذاع اسمه في أوربا ، واعتبر أعظم قائد في عصره

بيد أن الذي يهم هنا هو أن هذا القائد الشهير كان فيلسوفا وكان عالما ، وكان شغوفاً بالتفكير والآداب ؛ وله صلات أدبية وثيقة بأقطاب التفكير في عصره مثل الفيلسوف الألماني ليبنتز ، والفيلسوف الفرنسي ڤولتير ، وغيرهما من أقطاب الفلاسفة والمفكرين ، وكانت له مكتبة عظيمة تغص بآلاف الكتب النفيسة ؛ ومع أنه كان في معظم أوقاته مشغولاً بأعمال الحرب والسياسة ، فانه لم يكن يترك فرصة للقراءة إلا انتهزها ؛ وكان واسع الاطلاع والمعرفة إلى حدود مدهشة ؛ وكان نصير للآداب والفنون يدعو أقطاب الكتابة والفن إلى البلاط النمسوى ويغدق عليهم عطفه ورعايته ؛ وما زالت مكتبته ومجموعاته الفنية تكون قسما عظيما من المكتبة النمسوية الوطنية ؛ وقد شمل الاحتفال بذكراه أخيرا في فينا عدة مناظر عسكرية وفنية ، فنظم استعراض عسكري فخم ، وأقيم احتفال تذكاري في القصر الذي توفي فيه (سنة ١٧٣٦) في شارع « همل بفورت » ، ويوجد في قصر بلفيدير الشهير حيث كان يقيم هذا الأمير العالم أثناء حياته معرض دائم يضم كثيرا من التحف والصور والتماثيل التي استطاع أن يجمعها طوال حياته

4 me Année, No. 152.

Lundi - 1 - 6 - 1936

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع المبدولي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
تكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٥٢ « القاهرة في يوم الاثنين ١١ ربيع الأول سنة ١٣٥٥ — أول يونيه سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

## فهرس العـــــدد



# النقـــد أيضا

للأستاذ أحمد أمين

أثار ما كتبه أخي الزيات في موضوع « النقـد » معاني أخرى في نفسي تتصل بتاريخ النقـد العربي في السنين الأخيرة ذلك أني أوازن بين النقـد من نحو عشرين عاما والنقد الآن ، فأجده ليس خاضعاً لسنة النشوء والارتقاء ، بل لسنة التدهور والانحطاط ، حتى وصل إلى حالة من العجز يرثى لها

فقد كان الكتـاب إذا ظهر هبت الصحف والمجلات لعرضه ونقده ؛ فاللغوي ينقده نقداً لغوياً ، والمؤرخ ينقده نقداً تاريخياً ، والأديب ينقده نقداً أدبياً ؛ وتثور معركة حامية بين أنصار الكتاب وأعداء الكتاب ، وتظهر في التأييد والتفنيد مقالات ضافية ، وبحوث عميقة شائقة . ولست أنسى ما كان يقوم به الأستاذ ابراهيم اليازجي من نقد « لمجاني الأدب » و « أقرب الموارد » ونحوهما من الكتب ، كما لست أنسى ما نقد به كتاب « التمدن الاسلامي » والأخذ والرد اللذين قاما حوله ؛ وكان شوقي أو حافظ يقول القصيدة ، فيقوم ناقد معترض يبين معايبها ، ومادح مقرظ يبين محاسنها ؛ ومن هذا وذاك يستفيد الأديب ،

ويرق الأدب ، وتتجلى حقائق كانت خافيــة ، وتتهذب أذواق كانت نابية . وكان يؤلَّف الكتاب الدينى مثــل كتاب « الاسلام وأصول الحكم » فتنشب معارك حامية ، وينقسم المفكرون إلى معسكرين ، وفى كل معركة شحذ للأذهان ، ودرس للمتعلمين ، وتمحيص للحقائق . قد كان فى نقدهم أحياناً هُجر وقذع ، وهجو وسباب ؛ ولكن كان بجانب ذلك حقائق تذاع ، وبحوث تنشر ؛ وكان كل من السباب والنقد المفيد علامة حياة أدبية ، وثورة فكرية ، وعقل باحث ، وقلم نشيط

تعال فانظر معى الآن إلى ما وصلنا اليه ! لقد كثرت الكتب يخرجها المؤلفون ، وأصبح الانتاج الأدبى أضعاف ما كان ، فى كل ناحية من نواحى الأدب ، من قصص وقصائد وموضوعات اجتماعية ، وكتب تاريخية ؛ وكثر الكلام فى الأدب ، وخصصت أكثر الصحف صفحات للمقالات الأدبية ، وكان معقولاً أن يساير النقد هذه الحركة فيرقى معها ، ويتسع باتساعها ، وتتعدد نواحيه بتعددها ، ولكن كان من الغريب أن تحدث هذه الظاهرة ، وهى رقى الأدب وانحطاط النقد

نعم ، أعتقد أن الأدب العربى ارتقى عما كان عليه منذ عشرين سنة فى جملته لا فى كل ناحية من نواحيه ، فقد يجوز أننا لم نجد من يخلف « شوقى » و« حافظاً » فى ناحيتهما الشعرية ، ولكن الأدب — بمعناه العام — أصبح خيراً مما كان ، فغزرت معانيه بعد أن كان لفظياً ، وعمق بعد أن كان سطحياً ، وجادت القصة فيه نوعاً ما ، واتسع أفقه وموضوعاته قدراً ما ، وتأثر الأدبَ الغربى وقلده فى مناحى رقيــه . أما النقد فانكمش وانــكمش حتى ضمر وذبل وأشفى على الهلاك

وحسبك دليلاً أن ترى أشهر الكتاب فى العالم العربى يخرجون الكتاب تلو الكتاب فلا تكاد تجد ناقداً يعتد به ، وتقرأ ما يكتب عن ذلك فى أشهر الصحف والمجلات فلا تجد إلا سراباً يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ؛ وأكثرها يكتفى باسم الكتاب وعرض موضوعه والاستعانة على ذلك بفهرسه ومقدمته ثم صيغة محفوظة متداولة من المدح والتقريظ . فإن كان نقد فظهر لا مخبر ، هو نتاج فقر عقلى وخمود ذهنى ، ثم ينتهى الأمر ويغلق الباب . فلا معارك ولا مساجلات ولا بحوث حول الكتاب ، ولا أخذ ولا رد ، ولا مظهر من مظاهر الحياة الأدبية . لا يشعر الناقد أن عليــه واجباً يؤديه للقراء ، وأن منصبه يتطلب منه قراءة عميقة ، وآراء صريحة ، وتقديراً دقيقاً ، وأن ذمتــه لا تبرأ إلا ببحث شامل واف ثم إبداء لرأيه فى غير تحيز ولا مواربة ، ولكن كل ما يشعر به أن المؤلف أهدى اليه الكتاب فهو يلقى عن عاتقه العبء بكتابة كلمة خاملة ، ووصف فاتر ، ونقد سطحى

ليس النقد مجرد استحسان الناقد أو استهجانه . فكل ما كان مبنياً على ذوق الناقد وحده ، ومجرد ادعائه أن هــذا بليغ وهذا ليس ببليغ وهذا راق وهذا غير راق لأنه يتذوقه أو لا يتذوقه ، واكتفاؤه أحياناً بأن يصوغ عبارته فى الاستحسان أو الاستهجان فى قالب جميل ، كل ذلك ليس من النقد فى شىء . إنما النقد ما عُلّل وبينت فيه أسباب الحسن والقبح ، وأسس على قضايا ثابتة . فبهذا يستفيد المنقود ، ويرقى الأدب ، ويسمو الذوق ؛ وبهذا وحده لا يكون النقد فتاتاً لموائد الأدب ، ولا متطفلاً على نتاجه ، إنما يكون هادياً للأديب ومرشداً للجمهور وموجهاً للأدب نحو الكمال

ولكن ما علة هذه الظاهرة فى الأدب العربى ، وليس من الطبيعى فى الأمم أن الأدب إذا رقى ضعف النقــد ، فاننا نرى الظاهرة فى الأدب الغربى أن يرقى الأدب فيرقى النقد ويؤثر كلاهما فى الآخر تأثيراً محموداً — فيجب أن تكون علة ضعف النقد العربى علة محلية لا علة طبيعية

يظهر لى أن هذا الضعف فى النقد يرجع الى أسباب عدة :

أهمها أن النقــد الصريح الصحيح يحتاج الى شجاعة أدبية قوية من الناقد ، ورحابة صدر من المنقود . وقد حدث فى تاريخ مصر الحديث أن جماعة تسلحوا بالشجاعة الأدبية فأظهروا آراءهم فى صراحة تامة ولم يبالوا الرأى العام سواء فى ذلك بحوثهم ونقدهم ؛ وكانت هذه البذرة الأولى للشجاعة الأدبيــة فى مصر ، فألفوا كتباً عبروا فيها عن آرائهم فى جلاء ووضوح ، وكتبوا مقالات تعبر عما يختلج فى نفوسهم وإن لم تكــن على هوى الجمهور ، ونقدوا أدب الأدباء وإن بلغوا القمة فى نظر الناس ، فكان صراع بين القديم والحديث ، وبين التفكير الحر والتقاليد ، وبين

الأدب الناشيء والأدب الموروث . ولكن هذا الصراع انتهى بهزيمة هذه الطليعة من المفكرين ، وتعرضوا للخطر فى مناصبهم وأرزاقهم ، ونالوا من العسف والعنت ما ليس فى طاقتهم . وهذا يحدث مثله فى كل أمة من الأمم الأوربيـة ، ولكن كان هناك فرق كبير بيننا وبينهم : ذلك أن أصحاب الرأى الجديد فى البلاد الراقية إذا أوذوا فى العصر الحديث رأينا من مقلديهم وأتباعهم فى الرأى من يمدونهم بالمال وبالمونة . وكم رأينا من المال يجمع ليستعين به من نكب فى منصبه بسبب رأيه أو بسبب سياسته ، يتبرع به أغنياء اعتقدوا صحة رأيه أو وجاهة سياسته ، فعطفوا عليه ، ويحول عطفهم الى اتخاذ وسائل لدرء الخطر عنه ، فاستمر فى خطر شجاعته ، وشعر بأن تضحيته يقابلها عطف ، وأنه إن ضحى بالكماليات لا يصاب فى الضروريات ؛ بل وإن أصيب فى الضروريات وبلغ ذلك فقدان القوت فقد ضربت له أمثلة عدة أيام الثورة الفرنسية وقبلها وبعدها ، فتأصلت الشجاعة الأدبية ، ونمت بذرتها وأصبحت غير قابلة للفناء . أما فى مصر فكانت بذرتها هى البذرة الأولى ، وشعر القائمون بهذه الحركة الجديدة أنهم أصيبوا فى سمعتهم وفى منصبهم وفى مالهم ، ثم رأوا أن أتباعهم تخلوا عنهم فى أوقات الضيق ؛ ومن عطف عليهم منهم فعطف أفلاطونى ، عطف يتبخر ، عطف لا يمكن أن يتحول الى مال أو مجهود . وكان الرأى العام قوياً مسلحاً فتغلب وانتقم وأصبحت له السلطة التامة ، وانهزم أمامه فريق المفكرين الصرحاء هزيمة منكرة ؛ ولم تكن له أمثلة كثيرة فى تاريخه القريب فاضطر الى التسليم ، بل وفى بعض الأحيان رجع عن رأيه الى آرائهم ، وعن منهجه الى منهجهم ، وتعود المجاراة بدل المقاومة ، والمداراة مكان الصراحة ، فلم يعـد هناك معسكران ولم يعد صراع ، إنما هو معسكر واحـد ولا قتال ..وتعلم الجيل اللاحق من الجيل السابق فاختط خطته ونهج منهجه وأخذ الدرس عن أخيه الأكبر ففضل السلامة .

وبذلك اختنق النقد الأدبى فى مهده ، وأصبح الأدب مدرسة واحدة يختلف أفرادها اختلافاً طفيفاً ، فى العرض لا فى الجوهر . لا مدارس متعددة تتناحر وتتعاون ، وتتعادى وتتصادق، وفى عداوتها وصداقتها الخير ؛ ولا أمل فى عودة النقد الصريح إلا ببذرة جديدة وروح جديد على شرط أن تكون البذرة صلبة تتحمل حوادث الدهر وعوادى الأيام

ويتصل بهذا أن الأدباء عندنا صنفان : صنف نضج وتكون واستوى على عرش الأدب ، وهؤلاء هم القادة ، وهم أفراد معدودون تسالموا وتهادنوا وحرمنا ما بينهم من خصومة أدبيـة وعلمية ، وأصبح كل منهم كالعُشَراء لا تميـل إلى النطاح ولا ترجو إلا السلامة . وصنف ناشئ هو فى طور التكون ، وهو يخشى أن يتعرض لمن استوى على العرش فيبطش به بطشة جبارة ترده إلى أسفل ، فلما جامل الكبراء بعضهم بعضاً وخاف الناشئون من الكبراء ، ضاع النقد بين هؤلاء وهؤلاء

ولعل من أسباب ضعف النقد أيضاً السياسة قاتلها الله ، فقد تدخلت أولاً فنصرت الجمهور على القادة ، وعاونت الرأى العام على المفكرين ؛ وما كان الجمهور والرأى العام ينتصران هذا النصر لو وقفت السياسة على الحياد ، ولو فعلت لكان الحرب سجالاً ، ولظل المعسكران فى قتال ؛ وفى هذا تمحيص كبير للآراء ، فيصد الرأىُ العام المتطرفين ، ويدفع القادةُ غلاة المحافظين ، والأمة من هذا وذاك فى استفادة دائمة . أما أن تدخل السياسة فتبيد معسكراً بأكمله ، فكان الضرر كل الضرر . ثم إن السياسة — ثانياً — دخلت فى الأدب وقومت الأديب بلونه السياسى ، ولم يستطع الناس التفرقة بين موازين الأدب وموازين السياسة ، فأفسد ذلك الأدب والنقد معاً . قد تقول إن السياسة تلعب هـذا اللعب فى الأمم المدنة ولم يكن لها هذا الأثر ، ولكنا نقول إن الأمم الناشئة تتضرر من تدخل السياسة أكثر مما تتضرر الأمم العتيدة ، وأكبر مظهر فى ذلك أنه ليس بين أحزابها تنافر كالذى بين أحزابنا ، ولا ينكل حزب بالأحزاب الأخرى كما يحدث بيننا ، فالخصومة السياسية عندهم لا تفقد الصداقة فى أغلب الأحيان ، وكذلك الشأن فى الخصومات الأدبيـة . أما الأمم الناشئة فلا تفهم من الخصومة السياسية والأدبية والعلمية إلا العداء العنيف ، وفى العداء العنيف قتل للحرية

وهناك أسباب أخرى غير ما ذكرت لعل الكُتّاب يعرضون لها فيكشفون عن أسباب هذا الداء الخطير ويصفون له ما يتطلب من دواء ناجع نا

أحمد أمين

# ٣ ـ العجوزان

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال المحدِّث : وتبين فى العجوز (ن) أثرُ التعب فتوجع وأخذ يئنُّ كأن بعضه قد مات لوقته ... أو وقع فيه اختلالٌ جديد أو نالته ضربةُ اليوم ؛ والشيخ متى دخل فى الهرم دخل فى المعركة الفاصلة بينه وبين أيامه

ثم تأفف وتململ وقال : إن أولَ ما يظهر على من شاخ وهرم ، هو أن الطبيعة قد غيرت القانون الذى كانت تحكمه به

قال الأستاذ (م) : إن صاحبنا كان قاضياً يحكم فى المحاكم ، وأرى المحاكم قد حكمت عليه بهذه الشيخوخة (مُطبِّقةً فيها) بعضَ المواد من قانون العقوبات ، فما خرج من المحكمة إلا إلى الحبس الثالث

فضحك (ن) وقال : قد عرفنا « الحبس البسيط » و« الحبس مع الشغل » فما هو هذا الحبس الثالث ؟

قال : هو « الحبس مع المرض » ...

قال (ن) : صدقتَ لعمرى فان آخر أجسامنا لا يكون إلا بحساب من صنعة أعمالنا ؛ وكأن كرسى الوظيفة الحكومية قد عرف أنه كرسيُّ الحكومة ، فهو يضرب الضرائب على عظام الموظفين ... أتدرى معنى قوله تعالى : « ومنكم من يُردُّ إلى أرذل العُمُر » ولِمَ سماه الأرذل ؟

قلنا : فلِمَ سماه كذلك ؟

قال : لأنه خَلَطُ الانسان بعضه ببعض ، ومسخُه من أوله إلى آخره ، فلا هو رجلٌ ولا شاب ولا طفل ، فهو أردأ وأرذل ما فى البضاعة ...

فاستضحك الأستاذ (م) وقال : أما أنا فقد كنت شيخاً حين كنت فى الثلاثين من عمرى ، وهذا هو الذى جعلنى فتًى حين بلغت السبعين

قال (ن) : كأن الحياة تصحح نفسها فيك

قال : بل أنا أكرهتها أن تصحح نفسها ؛ فقد عرفتُ من قبل أن سَعَةَ الانفاق فى الشباب هى ضائقة الافلاس فى الهرم ، وأيقنتُ أن للطبيعة (عدَّادا) لا يخطئُ الحساب ، فاذا أنا اقتصدتِ عدَّت لى ، وإذا أسرفتُ عدَّت علىَّ ؛ ولن تعطينى الدنيا بعد الشباب إلا مما فى جسمى ، إذ لا يعطى الكون حياً أراد أن ينتعى منه ، فكنت أجمل نفسى كالشيخ الذى تقول له اللذات الكثيرة : لستُ لك ، ومن ثم كانت لذاتى كلها فى قيود الشريعتين : شريعة الدين وشريعة الحياة

قال : وعرفت أن ما يسميه الناس وَهَنَ الشيخوخة لا يكون من الشيخوخة ولكن من الشباب ؛ فما هو إلا عملُ الانسان فى تسميم جسمه ثلاثين أو أربعين سنة بالطعام والشراب والاغفال والارهاق والسرور والحزن واللذة والألم ؛ فكنت مع الجسم فى شبابه ليكون معى بعد شبابه ، ولم أبرح أتعاهدُه كما يتعاهد الرجلُ داره ، يزيد محاسنها وينفى عيوبها ، ويحفظ قوَّتها ويتقى ضعفها ، ويجعلها دائماً باله وهمه ، وينظر فى يومها القريب لغدها البعيد ، فلا ينقطع حسابُ آخرها وإن بعُدَ هذا الآخر ، ولا يزال أبداً يحتاط لما يخشى وقوعه وإن لم يقع

قال العجوز (ن) : صدقت والله فما أفلح إلا من اغتنم الامكان ؛ وما نوع الشيخوخة إلا من نوع الشباب . وهذا الجسم الانسانى كالمدينة الكبيرة فيها (مجلسها البلدىُّ) القائم على صيانتها ونظامها وتقويتها ، ورئيس هذا المجلس الارادة ، وقانونه كله واجبات ثقيلة ، وهو كغيره من القوانين إذا لم ينفذ من الأول لم يُغن فى الآخر

قال الأستاذ (م) : وكل جهاز فى الجسم هو عضو من أعضاء ذلك (المجلس البلدى) ؛ فجهاز التنفس وجهاز الهضم والجهاز العضلى والجهاز العصبى والدورة الدموية ، هذه كلها يجب أن تترك على حريتها الطبيعية وأن تعان على سنتها ، فلا يحال بينها وبين أعمالها برشوة من لذة أو مفسدة من زينة أو مطمعة فى رفاهية أو دعوة إلى مدنية أو شىء مما يفسد حكمها أو يعطل عملها أو يضعف طبيعتها

والقاعدة فى العمر أنه إذا كان الشبابُ هو الطفولة الثانية فى براءته وطهارته ، كانت الشيخوخة هى الشباب الثانى فى قوتها ونشاطها . وما رأيت كالدين وسيلة تجمل الطفولة ممتدة بحقائقها

إلى آخر العمر فى هذا الانسان ؛ فسرُّ الطفولة إنما هو فى قوتها على حذف الفضول والزوائد من هذه الحياة ، فلا يطغيها الغنى ، ولا يكسرها الفقر ، ولا تذلها الشهوة ، ولا يفزعها الطمع ، ولا يهولها الاخفاق ، ولا يتعاظمها الضر ، ولا يخيفها الموت . ثم لا تملُّ وهى الصابرة ، ولا تبالغ وهى الراضية ، ولا تشك وهى الموقنة ، ولا تسرف وهى القانعة ، ولا تتبلد وهى العاملة ، ولا تجمد وهى المتجولة . ثم هى لا تتكلف الانسانية إلا العطف والحب والبشاشة وطبائع الخير التى علكها كل قلب ؛ ولا توجب شريعتها فى المعاملة إلا قاعدة الرحمة ، ولا تقرر فلسفتها للحياة إلا طهارة النظر ؛ ثم تتهكم بالدنيا أكثر مما تهتمُّ لها ، وتستغنى فيها أكثر مما تحتاج ، وتستخرج السعادة لنفسها دائماً مما أمكن ؛ قلَّ أو كثر

وبكل هذا تعمل الطفولة فى حراسة الحياة الغضة واستمرارها ونموها ؛ ولولا ذلك لما زها طفل ولا شبَّ غلام ولا رأت العيون بين هموم الدنيا ذلك الرُّواء وذلك المنظر على وجوه الأطفال يثبتان أن البراءة فى النفس أقوى من الطبيعة

وكل ذلك هو أيضاً من خصائص الدين وبه يعمل الدينُ فى تهذيب الحياة واطِّرادها على أصولها القوية السليمة ، ومتى قوى هذا الدين فى إنسان لم تكن مفاسد الدنيا إلا من وراء حدوده ، حتى كأنه فى أرض وهى فى أرض أخرى ؛ وأصبحت البراءة فى نفسه أقوى من الطبيعة

ثم قال : والعجيب أن اعتقاد المساواة بين الناس لا يتحقق أبداً بأحسن معانيه وأكملها إلا فى قلبين : قلب الطفل لأنه طفل ، وقلب المؤمن لأنه مؤمن

فقال العجوز (ن) : إنه لكما قلت ، ولعنة الله على هذه الشهوات الآدمية الباطلة . فان الشهوة الواحدة فى ألف نفس لتجعل الحقيقة الواحدة كأنها ألف حقيقة متعادية متنازعة . والطامسان فى امرأة واحدة قد تكون شهوة أحدهما هى الشهوة وهى القتل ، ولعنة الله على الملحدين والخادم ، يزرون على الأديان بأنها تكاليف وقيود وصناعة للحياة ، ثم لا يعلمون أن كل ذلك لصناعة الآلة النفسية التى تستطيع أن تحرك المختلفين حركة واحدة ، فاابتليت الانسانية بشىء كما ابتليت بهذا الخلاف الذى يفتح من كل نفس على كل نفس أبواب التجنى ، ويجعل النَّفرةَ وسوء الظن أقرب إلى الطبيعة البشرية من الألفة والثقة

لقد جاء العلم بالمعجزات ولكن فيما بين الانسان والطبيعة ، وبين الانسان ومنافعه ، وبين الانسان وشهواته ؛ فهل غير الدين يجىء بالمعجزات العملية فيما بين النفس والنفس ، وبين النفس وهمومها ، وبين ما هو حق وما هو واجب ؟

* * *

قال المحدِّث : ثم نظر إلىَّ العجوز (ن) وقال : صِلْ عملك يا بنى بالحديث الذى مضى ، فأين بلغنا آنفاً من أمر التجديد والمجددين وما ذا قلنا وما ذا قلت ؟ أما إن الحماقة الجديدة والرذيلة الجديدة والخطأ الجديد ، كل ذلك إن كان جديداً من صاحبه فهو قديم فى الدنيا ؛ وليس عندنا أبداً من جديد إلا اطلاق الحرية فى استعمال كل أديب حقه فى الوقاحة والجهل والخطأ والغرور والمكابرة

قال الأستاذ (م) : وليس الظاهر بما يظهر لك منه ولكن بالباطن الذى هو فيه ؛ فستشفى المجاذيب قصر من القصور فى ظاهره ولكن المجاذيب هم حقيقته لا البناء . وكل مجدد عندنا يزعم لك أنه قصر عظيم وهو فى الحقيقة مستشفى مجانين ، غير أن المجانين فيه طباع وشهوات ونزوات . وعلى هذا ما الذى يمنع الفجور المتوقح أن يسمى نفسه الأدب المكشوف ؟

قال (ن) : وإذا أنت ذهبت تعترض على هذه التسمية زعموا لك أن للفن وقاحة مقدسة .... وأن ( لأدبية ) رجل الفن هى (اللا أخلاقية العالية ) . . . .

قال الأستاذ (م) : فوقاحة الشهوة إذا استعلنت بين أهل الحياء وأهل الفضيلة ودعت الى مذهبها ، كانت تجديداً ما فى ذلك ريب . ولكن هذا المذهب هو أقدم ما فى الأرض إذ هو بعينه مذهب كل زوجين اجتمعا من البهائم منذ خلق الله البهائم .

قال (ن) : وقل مثل ذلك فى متسخِّط على الله وعلى الناس يخرج من كفره بين أهل الأديان أدباً جديداً ، وفى مغرور يتغفل الناس ، وفى لص آراء ، وفى مقلد تقليداً أعور ؛ كل واحد من هؤلاء وأشباههم مبتلى بعلة ، فمذهبه رسالة علته ؛ وأكثرهم

لا يكون ثباته على الرأى الفاسد إلا من ثبات العلة فيه

***

قال المحدِّث : وكنتُ من المجددين فأرمضني ذلك ، وقلت للعجوزين : إن هذا نصف الصحيح ؛ أما النصف الآخر فهو فى كثير من هؤلاء الذين ينتحلون الدفاع عن الدين والفضيلة . نعم إنهم لا يستعملون حقهم فى الوقاحة ، ولكن القروش تستعمل حقها . . .

فضحك العجوز ( ن ) وقال : يا بنى إن الجديد فى كل حمار هو أن يزعم أن نهيقه موسيقى ... فالحمار والنهيق والموسيقى كل ذلك لا جديد فيه ، ولكن التسمية وحدها هى الجديدة . ولو كان البرهان فى حلق الحمار لصح هـذا الجديد ، غير أن التصديق والتكذيب هنا فى آذان الموسيقيين لا فى حلق حمارنا المحترم . . .

قال ( م ) : وزعموا أن رجلا نصب فخا لصيد العصافير ، فجاء عصفور فنظر من هذا الفخ الى شيء جديد فقال : يا هذا ! مالك مطمورا فى التراب ؟ قال الفخ : ذلك من التواضع لخلق الله . قال : فمَّ كان انحناؤك ؟ قال الفخ : ذلك من طول عبادتى لله . قال : فما هـذه الحبة عندك ؟ قال الفخ : أعددتها لطيور الله الصائمين يفطرون عليها . قال العصفور : فتبيحها لى ؟ قال : نعم .

فتقدم المسكين اليها ، فلما التقطها وقع الفخ فى عنقه ، فقال وهو يختنق : إن كان العُبَّاد يخنقون مثل هذا الخنق فقد خلق ابليس جديد

قال ( ن ) : فالحقيقة أن إبليس هو الذى تجدد ليَصْلُح لزمن الآلات والمخترعات والعلوم والفنون وعصر السرعة والتحول . وما دام الرقى مطردا وهذا العقل الانسانى لا يقف عند غاية فى تسخير الطبيعة ، فسينتهى الأمر بتسخير إبليس نفسه مع الطبيعة .. لاستخراج كل ما فيه من الشر

قال ( م ) : ولكن العجب من ابليس هـذا . أتراه انقلب أوربيًا للأوربيين ؟ وإلا فما باله يخرج فيهم مجددين من جبابرة العقل والخيال ثم لا يؤتينا نحن إلا مجددين من جبابرة التقليد والحماقة ؟

قال المحدث : فقلت لهما : أيها العجوزان القديمان ، سأنشر قولكما هذا ليقرأه المجددون

قال الأستاذ ( م ) : وانشر يا بنى أن الربيع صاحب الامام الشافعى مرَّ يوماً فى أزقة مصر فنثرت على رأسه إجانة[1] مملوءة رمادا ، فنزل عن دابته وأخذ ينفض ثيابه ورأسه فقيل له : ألا تزجرهم ؟ قال : من استحق النار وصولح بالرماد فليس له أن يغضب . . .

***

ثم قال محدثنا : واستولى علىَّ العجوزان ورأيتِ قولهما يعلو قولى وكنت فى السابعة والعشرين وهى سن الجِدَّة العقلية فما حسبتُنى معهما إلا ثُلث عجوز . . . . مما أثرا على ، وانقلبت لا أرى فى المجددين الا كل سقيم فاسد ، واعتبرتُ كل واحد منهم بعلته ، فاذا القول ماقال الشيخان وإذا تحت كل رأى مريض مرضٌ ، ووراء كل اتجاه ابرة مغناطيسية طرفها إلى الشيطان ...

وفرغنا من هذا فقلت للشيخين : لقد حان وقت نزولكما من بين الغيوم أيها الفيلسوفان ؛ أما كنتما فى سنة ١٨٩٥ من الجنس البشرى . . ؟

( لها بقية — طنطا ) مصطفى صادق الرافعى

(١) قصعة

بعد انهيار الحبشة

# الخطـــــر الفاشستى

## والصراع بين الفاشستية والامبراطورية البريطانية

### لباحث دبلوماسى كبير

انتهت أعمال القرصنة الايطالية فى الحبشـة إلى نتيجة لم يتوقعها كثيرون من رجال الحرب والسياسة ؛ فقد انتهت بانهيار قوى الحبشة بسرعة ، وسقوط قواعدها فى يد العدو المغير بلا مقاومة ، ومثول عاهلها الأمبراطور إلى الخارج ، تاركا ملكه ووطنه وأمته إلى مصاير مجهولة . واستطاع موسولينى زعيم الفاشستية المتدية أن يعلن خلال مناظر مسرحية ضم الحبشة لايطاليا وتعيين ملك ايطاليا امبراطوراً للحبشة

ومن العبث أن نحاول التحدث هنا عن أسباب انهيار المقاومة الحبشية بتلك السرعة المدهشة بعد أن استطاعت أن تصمد فى وجه العدو أشهراً ، وأن تقف زحفه سواء فى الشمال أو الجنوب حتى شهر مارس الماضى ؛ ولكن المحقق أن هذا التطور الفجائى فى أقدار الحرب يرجع قبل كل شىء إلى التجاء الايطاليين ، بعد أن عجزوا عن التغلب بوسائل الحرب المشروعة إلى استعمال وسائل الحرب المحرمة كالغازات القاتلة وغيرها ؛ وهكذا استطاعوا بتلك الوسائل المجرمة أن يمزقوا صفوف الأحباش ، وأن يلقوا الروع فى نفس الشعب الحبشى بأسره ، هذا إلى ما يذاع من أنهم استطاعوا أن يبثوا بالرشوة والاغراء كثيرا من أسباب الشقاق بين مختلف الرؤوس والزعماء

على أن هـذا النصر المثير الملوث بأدران الجرعة ، والذى يعتبر بحق قرصنة استعمارية محضة ، لم يمنع الفاشستية الايطالية من أن تزفه إلى العالم نصرا رومانياً للحضارة والمسيحية المتمدنة ، على بلاد همجية تتوق إلى الانضواء تحت السـيادة الايطالية الظليلة ، والأخذ بأسباب الحضارة الايطالية الزاهرة ! ولم يمنع زعيم الفاشستية من أن ينوه بأسلوبه المسرحى بعظمة هذا النصر الفاشستى ، وبأنه عنوان ساطع لقوة ايطاليا الفتية ، وأن يتوعد أوربا والعالم كله بأنه على استعداد لأن يسحق أية قوة أو دولة تحاول أن تقف فى سبيله أو تحاول أن تحرمه من ثمار ظفره

ولو عبد موسولينى مغزاه ؛ ذلك أن إيطاليا تستقر الآن فى الحبشة بقوة الفتح فقط ، ولكن هذه الحقيقة الواقعة لا يمكن أن تعتبر حلاً نهائياً المسألة الحبشية ، وإنما تنتقل المسألة الحبشية الآن من ميدان الحرب إلى ميدان الحوادث الدولية والصراع الاستعمارى . ولنذكر دائماً أن ما أبدته عصبة الأمم من إقدام فى الحكم على إيطاليا بالاعتداء وتوقيع العقوبات الاقتصادية عليها يرجع قبل كل شىء إلى تدخل انكلترا ونفوذها ؛ وانكلترا لم تدخل ولم تعمل لتنظيم هذه الحركة الدولية تأييداً لميثاق العصبة ومبدأ السلامة المشتركة فقط ، ولكن لأن الانتصار الفاشستى فى الحبشة يهدد صرح الامبراطورية البريطانية ومصالحها الحيوية بأعظم الأخطار

وقد عقدت الآمال من قبل على تدخل العصبة وجهودها؛ وما زالت العصبة على موقفها من استنكار عمل ايطاليا وتأييد العقوبات الاقتصادية المفروضة عليها ؛ وربما اتخذت اجراءات أخرى فى هذا السبيل فى اجتماعها الذى سيعقد فى الخامس عشر من يونيه ؛ ولكنا نستطيع منذ الآن أن نضرب صفحاً عن الدور الذى يمكن أن تؤديه العصبة فى حل المشكلة الحبشية بعد أن انهار تدخلها ، ولم تستطع أن تنفذ كل ما يقضى به ميثاقها للتوسل إلى ارغام المتدى على وقف الاعتداء

والآن ينكشف النضال واضحاً عن معركة دولية ذات وجهين : أحدهما قد اتخذ حتى اليوم ستاراً للآخر ؛ فأما الوجه الأول فهو مبدأ السلامة المشتركة طبقاً لميثاق عصبة الأمم ، وهو المبدأ الذى انتهكته إيطاليا بغزو الحبشة ، وحاولت العصبة تأييده بفرض العقوبات ؛ فالدول الصغرى من أعضاء العصبة تتساءل اليوم ، هل فى وسعها أن تعتمد فى سلامتها الخاصة على تطبيق هذا المبدأ بعد الفشل الذى لحق العصبة فى وقف الاعتداء الايطالى ؟ أم هل يجب عليها أن تبحث عن وسائل عملية أخرى كعقد المواثيق المحلية لتأمين سلامتها ؟ إن ما ارتكبته إيطاليا فى الحبشة يمكن أن ترتكبه غداً فى تركيا ، أو فى اليونان ، ويمكن أن ترتكبه ألمانيا فى النمسا أو هولنده أو لتوانيا ، ويمكن على وجه العموم أن ترتكبه أية دولة قوية ضد أية دولة ضعيفة دون أن تجد وازعاً كافياً لوقف

عدوانها ؛ فأنصار عصبة الأمم يرون في هذا الطور الحاسم من تاريخ العصبة أن لا أمل في نجاح مبدأ السلامة المشتركة ما لم يعدل دستور العصبة في هذا الشأن تعديلاً وافياً ، وتنظم العقوبات الاقتصادية والعسكرية التي تطبقها العصبة على المعتدى تنظيما يكفل أثرها في وقف الاعتداء المسلح بسرعة ؛ وخصوم العصبة يرون أن التجربة الحبشية كانت حاسمة ، فعلى عصبة الأمم أن تعلن افلاسها ، وعلى الدول أن تعتمد على وسائلها الخاصة للدفاع عن نفسها ؛ وتقف الدول الصغرى فيما بين ذلك حيرى ، ولكنها تعمل من جهة أخرى على تنظيم وسائل الدفاع عن نفسها جهد المستطاع

وأما الوجه الثاني من هذه المعركة الدولية ، فهو نشوب النضال بين قوة عسكرية جديدة طامحة ، هي الفاشستية الايطالية ، وبين امبراطورية استعمارية عتيدة ، هي الامبراطورية البريطانية ؛ ولم يكن خافياً منذ البداية أن نشاط السياسة البريطانية في توجيه عصبة الأمم إنما هو مرحلة فقط من مراحل النضال الحقيقي ؛ والآن وقد انتهت هذه المرحلة بظفر العسكرية الفاشستية ، وهزيمة السياسة البريطانية ، فان النضال يوشك أن يدخل طوره الثاني ؛ وقد أدركت بريطانيا العظمى منذ البداية ما تهدد به تلك الفاشستية المضطرمة الطامحة ، سيادتها في البحر الأبيض ، وما يهدد به ظفرها في الحبشة سيادتها في وادي النيل وشرق أفريقية ؛ وسيادة الامبراطورية البريطانية ومواصلاتها ، صرح لا يتجزأ ، فأي صدع يصيبها يعرض البناء كله للخطر ؛ ولم تخف الفاشستية ولا سيما منذ ظفرها في الحبشة ، أنها تداعب حلماً امبراطورياً ضخماً ، وما فتئ زعيمها يتحدث عن احياء الامبراطورية الرومانية ؛ وليس من ريب في أن السياسة البريطانية ترى في هذه العسكرية الطامحة المتجنية ، المعتدة بقوتها ، المغترة بظفرها ، خطراً عظيماً على كيان صرحها الامبراطوري ، ترمع سحقه بأي الوسائل

— ٢ —

وليست انكلترا وحدها هي التي تستشعر ذلك الخطر العسكري الجديد الذي تهب ريحه على أمم البحر الأبيض بنوع خاص ، بل إن أمم أوربا كلها تستشعر به وتخشى تفاقمه ؛ وإذا كانت ثمت دول مثل فرنسا وألمانيا والنمسا تنظر إلى نهوض الفاشستية بعين الاغضاء ، وربما بعين الرضى ، فذلك لظروف خاصة مؤقتة لا تلبث أن تزول فتشعر هذه الأمم بنفس الشعور الذي يثيره ظهور عسكرية جديدة جامحة تحتقر العهود والمواثيق الدولية وتجعل شعارها القوة الغاشمة دون غيرها

وأمامنا التاريخ الأوربي الحديث ، يعيد نفسه دائماً ؛ وفي رأينا أنه سيعيد نفسه في القريب العاجل مرة أخرى

ذلك أن أوربا ، وانكلترا بنوع خاص ، لم تتسامح قط في أمر العسكريات القوية المعتدية ؛ ولم تنهض في أوربا أية عسكرية قوية طامحة ، خلال القرون الأربعة الأخيرة ، إلا اجتمعت أوربا على مقاومتها وسحقها

وقد كانت العسكرية البروسية آخر عسكرية من هذا النوع ، لقيت مصرعها في الحرب الكبرى

ومنذ القرن السادس عشر يعيد التاريخ الأوربي الحديث نفسه في هذا الميدان بصورة واضحة ؛ في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، كانت العسكرية التركية تجول ظافرة في جنوب شرق أوربا وأواسطها حتى حدود بولونيا ، وقد اجتاحت حوض الدانوب حتى أسوار فينا ، وحاصرت العاصمة النمسوية مرتين ، فما زالت أوربا حتى حطمت هذه النهضة العسكرية الخطرة في البر والبحر ، وردتها الى ما وراء الدانوب ، وحرمتها من كل ثمار ظفرها ؛ وفي القرن السابع عشر ، قام لويس الرابع عشر يهدد سلام أوربا الغربية بأطماعه ومغامراته العسكرية ، فما زالت الدول الخصيمة وفي مقدمتها انكلترا والنمسا حتى سحقت قواه العسكرية ، بعد سلسلة من الحروب الطاحنة ؛ وفي أوائل القرن الثامن عشر كان كارل الثاني عشر ملك السويد يجتاح بجيوشه ضفاف البلطيق وغرب روسيا ، ويهدد التوازن الأوربي في شرق أوربا ، فما زالت روسيا حتى سحقت مشاريعه وقواه

وربما كان أعظم مثل في التاريخ الحديث لذلك الصراع الخالد في سبيل التوازن الأوربي ، وسحق العسكريات الجامحة ، مثل نابليون بونابارت ؛ فقد ظل هذا الجندي العظيم الطامح يقود جيوشه الظافرة في جنبات أوربا مدى عشرين عاما ، ويبسط سيادته على معظم الدول الغربية والوسطى ، ويعمل بكل ما وسع لتحطيم سيادة انكلترا في البحر الأبيض ؛ ولكن انكلترا لبثت تطاوله وتصارعه وتؤلب عليه الدول الخصيمة ، حتى انتهت بسحقه وتحطيم ذلك الطغيان العسكري الشامل الذي بسطته

الأمبراطورية على أوربا زهاء عشرة أعوام

وقد رأينا كيف اجتمعت أوربا الغربية ، وفي مقدمتها انكلترا ، أثناء الحرب الكبرى ، لتحطيم العسكرية البروسية ، التي وثبت تهدد العالم بأطماعها الجائشة في السيادة والاستعمار ، وكيف لقيت مصرعها بعد حرب كانت أروع ما شهد التاريخ

والآن يبدو الخطر الفاشستي في الأفق ، وتنذر العسكرية الفاشستية الجامحة بتحطيم التوازن الأوربي في شرق أوربا وفي وسطها ، وتتحدى بالأخص سيادة انكلترا البحرية في البحر الأبيض ؛ وقد زادها انتصارها في الحبشة زهوا وتحديا ، فهل تصبر أوربا ، وهل تصبر انكلترا بنوع خاص حتى يتفاقم الخطر الفاشستي كما تفاقم الخطر البروسي قبيل الحرب ؟ هذا ما لا نعتقد ، وفي يقيننا أن الامبراطورية البريطانية تتأهب لخوض ذلك الصراع التقليدي الذي حرصت دائماً على خوضه لتحطيم ذلك الطغيان العسكري الجديد الذي يهدد سيادتها ومصالحها الحيوية في البحر الأبيض وفي شرق أفريقية ، وإذا كانت السياسة البريطانية ما زالت تبدي بعض الفتور والتردد في العمل الحاسم فذلك لأن مصاير الحرب والتسليحات الحديثة قد اتخذت وجهة جديدة ، ولم تعد السيادة البحرية وحدها كافية لأن تملي بريطانيا كلمتها ؛ ومن تقاليد بريطانيا المأثورة أنها لا تتعجل الحوادث ، ولا تسارع الى قبول التحدي الطائش ؛ وبريطانيا تزن اليوم أقدار الحرب والنضال بميزان جديد لم تستقر عوامله بعد ؛ وقد يمضي وقت آخر قبل أن تنزل بريطانيا الى ميدان العمل الحاسم

قد تستطيع الفاشستية الجامحة في نشوة ظفرها المزعوم ، أن تزعج أوربا وانكلترا ، مدى حين بمشاريعها ووعيدها ؛ ولكن الفاشستية تخطىء بلا ريب إذا هي اعتقدت أن الظفر ميسور في ميادين أخرى غير الحبشة ، وأنها تستطيع في مكان آخر من أوربا ، أو افريقية ، أن تستعمل وسائلها العسكرية المجرمة في تحقيق أحلامها الرومانية ، دون عقاب أو وازع ؛ وهنالك حقيقة لا ريب فيها ، وهي أن الفاشستية قد بثت بمسلكها وغرورها ووعيدها مخاوف ما كان اغناها عن بثها ، وأنها سترغم بلا ريب ، في القريب العاجل ، على خوض الصراع الحاسم ؛ وليس من ريب في أنها ستسحق في هذا الصراع ، كما سحقت كل عسكرية أوربية جامحة من قبلها

***

# امتزاج الاحاسيس

## للأستاذ عبد الرحمن شكري

---

قال المتنبي :

والذل يظهر في الذليل مودة وأود منه لمن يود الأرقم

وأحسب أن المتنبي إنما أراد أن يصف الذليل الداجي الذي يظهر المودة ويخفي الضغينة والعداء ، فيتودد ويتذلل حتى ينال من خصمه . وهذه صفة شائعة في ذوي الكيد والمكر والدهاء . ولكن هناك صفة أخرى في النفس الانسانية تشبه هذه الصفة بعض الشبه ، وهي صفة المحبة والمودة التي يحسها الخائف إحساساً حقيقياً لا مداجاة فيه إذا عجز عمن يخاف منه وألف الخوف فأزالت ألفة الخوف غلواءه ، وأزالت الرغبة في التخلص منه ، وأبعدت هي والعجز أمل الانتقام من أجله ، فتحول ارادة المحافظة على الحياة ذلك الخوف المألوف محبة أو مودة تحاول بها نيل الزلفى لدى الانسان المخوف من طريق الاحساس الصادق بالمحبة أو المودة ، وتحاول أن تسل بها من قدرة المخوف حمة البغض وسم الضغينة ، لأن إرادة المحافظة على الحياة تعلم أن مودة الرياء ومحبة النفاق قد لا تقنع ، وقد تنكشف ويشف ثوب الرياء عما تحته فينال الخائف المرائي شراً إذا انكشفت مداجاته وعرفت مداهنته ؛ ومن أجل ذلك تبالغ إرادة المحافظة على الحياة في الحيطة والحذر ، فتحول الخوف من الانسان المخوف الى حب له أو مودة كي تقمه وتتقي بوادر شره ، وهي أيضاً تحاول أن تقنع بتلك المودة نفس من يحسها ، وتفهمها أن لا داعي لليأس من الحياة كي لا يرهقها الخوف واليأس ؛ وهذا أمر مشاهد إذا قرأ الانسان سفر الحياة وتقصى البحث في تكون النفوس

وهذه المحبة قد تزول وقد تبقى بعد زوال أسباب الخوف ، وقد تقوى أواصرها بعد الرهبة ولا سيما إذا حلت الرغبة مكان الرهبة ، ووجدت النفس منفعة دنيوية أو نفسية لها عند من زالت أسباب الخوف منه ؛ وقد تنقلب تلك المحبة إذا زالت أسباب الخوف مقتاً ورغبة في الانتقام ، فيحسبها الباحث أنها لم تكن إلا مداهنة ونفاقا ، وهي قد تكون ذلك ، وقد تكون كما شرحنا محض المودة والشعور الصادق بها ؛ لأن احساسات

النفس تمتزج وتتحول وتتشكل أشكالاً وتتلون ألواناً في السرائر، فكأن في النفس البشرية سر الكيمياء الذي حاول الكيميائيون في القرون الوسطى معرفته كي يتمكنوا من تحويل معدن إلى معدن، فهذا التحول الذي وصفناه من كيمياء النفوس في معامل السريرة الخفية

وكما أن امتزاج الخوف والمحبة يشاهد في الأضداد البعداء من قوى مسيطر وضعيف ذليل، إذا تهيأت للأول أسباب القوة من جاه أو مال أو صحة، وخذلت تلك الأسباب الذليل الضعيف وقهرته على أن يعتمد على صاحب المال أو الجاه، فذلك الامتزاج يشاهد أيضاً في نفوس الأصدقاء والأوداء والأحباء والأقرباء. فكم من امرأة تحب زوجها حباً صادقاً أساسه الخوف منه؛ وكم من رجل يحب زوجه حباً صادقاً يخالطه الخوف؛ وكم من قريب يود قريباً، وصديق يود صديقاً وداً تمازجه الرهبة أو الخشية

وإذا تقصينا البحث وجدنا ماهو أعجب من ذلك، فقد يمتزج البغض والحب في النفوس، فقد يبلغ العاشق منزلة من العشق تشرف على البغض والمقت لمن يعشق، وقد تتذبذب نفس العاشق بين الحب والبغض أو قد تجمعهما في وقت واحد، فهي تارة تريد الخير لمن تحب، وتارة تريد الشر، وتارة تجمع بين إرادة الخير وإرادة الشر — ويمتزج الإخاء والجفاء في نفوس الأصحاب، ويمتزج الاحترام والاحتقار في نفوس الجلساء والمتعاشرين، كما يمتزج الحب والبغض في نفوس العشاق، أو كما يمتزج الخوف والود في نفوس الضعفاء، فترى الصاحب أو الجليس يبالغ تارة في إخائه لصاحبه وجليسه ومعاشره ويكثر من إكرامه وإجلاله، وتارة يظهر له الجفاء وقلة الاكتراث أو العبث به أو الحط منه، وتارة يجمع في مجلسه بين النقيضين

وكل إنسان يشتكي هذه الصفة في النفوس، ولكن إنسان نصيب منها قل أو كثر وإنما يفطن إلى ما في نفوس الناس ولا يفطن إلى نصيب نفسه منها. وينقسم الناس في تدبر هذه الصفات ثلاثة أقسام: أناس يأبون الرضاء بها فيعتزلون الناس ما استطاعوا إلى العزلة سبيلاً؛ وأناس ينقدونها ويودون لو تكون النفوس على حال واحدة، ولكنهم يعرفون استحالة هذه الودادة فيقنعون بما هو مستطاع من النفس والحياة، وأناس لا يرون إعنات أنفسهم بالسخط على هذه الصفات النفسية، ومنهم من يرى في تلون نفوس الناس وتقلبها وجمعها بين النقيضين رحمة أو تفكهة أو اراحة وترفيهاً، ويمقتون من لا يباشرهم على هذه الخلال، وربما كان في قولهم شيء من الحق والصواب، وربما كنا نزهد في الحياة لو كانت نفوس الناس على حال واحدة لا تتغير، فإن الحال التي لا تتغير مدعاة السأم والملل كسأم الذي يعيش في مكان قفر موحش لا يرى منه إلا مظهراً واحداً لا يتغير في أرضه أو سمائه

ولعل من أشد العقوبات وأقساها أن يحكم على انسان ألا يأكل طول حياته غير السكر، فهو قد يشتهيه في أول الأمر، فإذا طال به العهد اعتراه السأم والملل؛ وكذلك ربما كان الجفاء مدعاة إلى التمتع بالإخاء، وقلة الاكتراث مدعاة إلى التنعم بالإكرام، والبغض حافزاً إلى استمراء الحب، كما أن اللذة لا يحسها إلا من يستطيع الاحساس بالألم. وهذه فلسفة لا شك فيها، ولكن الكثير من أمزجة النفوس تأباها، إما لأنها مرهفة الحس فلا تنسيها اللذة الألم والإخاء الجفاء، وإما لأنها إذا أحست ألماً أو عانت جفاء أو قاست عداء لا تطمئن إلى زواله، وقد تستبطىء زواله فيدركها اليأس والحزن

والحزن من تقلب النفوس وتلونها واختلافها نفساً عن نفس وحالاً عن حال كثيراً ما يدرك الشاب القليل الخبرة بالحياة والنفس الانسانية، فهو لغرارته يحسب أن الحياة على مثل واحد يرتضيه، وأن النفس على خلة واحدة يحمدها، فاذا فطن إلى تقلب النفوس وتذبذبها وقلة استقرارها وجمعها بين الاضداد، وإذا راعه كل ذلك بسبب غدر صديق أو جفاء جليس أو عيث عشير أو شر رفيق أو كيد أليف أو بغض حبيب كاد ينفطر قلبه أو كادت تنهار دنياه، ولكن أكثر الشبان يستطيعون إذا طال بهم العمر ومد لهم فيه أن يوفقوا بين الحياة وبين مثلهم الأعلى، أو تطغى الحياة وما تدعو اليه على مثلهم الأعلى فتمحوه ويصير كل منهم في مودته مثل مقياس الحرارة (الترمومتر)، فتارة ترتفع مودته إلى درجة الغليان، وتارة تنخفض إلى ماهو تحت الصفر من درجات البرودة. وقس على الودة غيرها من الاحساسات

وإنما تصلح الحياة وترق وتحلو إذا لم يعج تذبذب النفوس المثل العليا منها. وخير خطة للمرء ألا يحزنه تقلب النفوس واختلاط خلال النفس، وألا يدع هذا الاختلاط والتذبذب يطغيان على كل شعور نبيل، فيجمع بين الاطمئنان ونشدان المثل العليا إذا استطاع ذلك

عبد الرحمن شكري

# فى حضرة الأمير فؤاد

جلالة الملك الراحل

للأستاذ عبد القادر المغربي

عضو مجمع اللغة العربية الملكى

لم يتح لى شرف المثول بين يدى جلالة الملك فؤاد الأول وأنا عضو فى مجمع اللغة العربية الملكى ، وإنما أتيح لى ذلك وهو أمير وأنا محرر فى جريدة ( المؤيد ) سنة ١٩٠٧ م

كتبتُ فى هـذه السنة عدّة مقالاتٍ فى الدين والأدب والأخلاق والاجتماع الاسلامى ؛ وكان مما كتبته سلسلة مقالات بعنوان ( حمامة الأزهر ) ، فكنتُ أروى عن تلك الحمامة — مستمداً من وداعتها ونزاهتها — وصفاً دقيقاً لأحوال الأزهر وأخلاق علمائه ومشارب طلابه وما يقع فيـه يوماً فيوماً من خير يتمدح أو شر يجتنب

واتفق يومئذ حدوث ما حدث بين السّيد على المرصفى ومشيخة الأزهر . وكان السيد يقرأ من كتب الأدب ( كاملَ المبرد ) . وللحجاج فيه كلمة نابية لا تكاد تذكر حتى يتبرأ منها المسلم . فنقلَ بعض الوُشاة إلى المشيخة خَبَرَ ورود هذه الكلمة فى درس الأستاذ ( المرصفى ) . فأكبرتْ أمرها . ودعت الأستاذ إليها وناقشته فى اختياره لهذا الكتاب من بين كُتُب الأدب الكثيرة ، وفيه تلك الكلمة . ثم أبَتْ المشيخة عليه إلا أن يقرأ مقامات الحريرى ، وأبى هو إلا أن يهجر الأزهر ويعكف على القراءة فى داره فى باب الشعرية ، وهكذا وقع .

على أثر ذلك زارنى فى إدارة تحرير ( المؤيد ) ثلاثة من مجاورى الأزهر الذين لم ينفضوا من حول شيخهم المرصفى . وقد ألفت بينهم حرّية فى الفكر ، وصراحة فى الرأى ، ونفوس وثابة إلى التجديد : فكانوا فى تاريخنا الحديث أشبه بجمعية إخوان الصفا فى تاريخنا القديم

وهم الأساتذة : طه حسين ، والزيات ( صاحب هذه الرسالة ) ، والزناتى

فأنستُ بهم وسررت بزيارتهم

وقد وصف لى الأستاذ طه حادثة أستاذهم المرصفى مع مشيخة الأزهر وتجنّيها وأبدى أشدّ العجب من موقف المشيخة إزاء هذا الحادث . ثم رغب إلىّ أن أستنطق ( حمامة الأزهر ) فهى تملى علىّ الخبر بأتمّ ممّا أملاه هو وأن أنشر ما تقوله فى ( المؤيد )

فقلت له — وأنا آسف واجم : إن الشيخ على يوسف دعانى اليه بالأمس وقال لى : إن سمو الخديو ( عباساً ) قال له : قل للشيخ المغربى ليدع (حمامة الأزهر) وشأنها ، ولا يرو منْ بعد الآن فى (المؤيد) خبراً عنها

ولما أردت أن أناقش صاحب المؤيد فى ذلك قطع على حبل المناقشة بلهجة البات الجازم . وقد بين السبب فى هذا البت بأن الخديو قال له : إن شيوخ الأزهر أنفسهم كلموه فى هذه القضية فوعدهم خيراً ، فلم يبق مناص من امتثال أمره

ثم قلت للاخوان الثلاثة : هذا ما جرى ، وكنت أحب أن يصلنى خبر حادثتكم هـذه قبل ما بلغت من أمر الخديو فيكون للحمامة إذ ذاك شأن فى وصف الحادثة والتعليق عليها . وما يدرينا أن يكون الشيوخ الذين كلموا الخديو فى الأمر إنما حسبوا حساب ( الحمامة ) التى اشتهرت بصـدق روايتها ، وإخلاصها فى نصيحتها ، فلجأوا إلى الخـديو . وبهذه الصورة قطعوا عليها طريق الكلام فى الحادثة

ثم أفضتُ مع ( إخوان الصفا ) فى أحاديث أخر . حتى وصلنا إلى ذكر ما أنشره فى ( المؤيد ) من مقالات ( أمالى أدب ) . فأنشدنى الأستاذ طه القصيدة التى اشتهرت باسم ( اليتيمة ) ومطلعها :

( هل بالطلول لسائلٍ ردُّ أم هل لها بتكلمٍ عهدُ )

وكنت نشرت فى ( أمالىّ ) أبياتاً من تلك القصيدة . فقال الأستاذ ( طه ) إن معظم القصيدة موجود فى مجموعة رسائل مخطوطة فى دار الكتب المصرية . وفى ثانى يوم أرسلها إلى بخط

بعض إخوانه ، وبقيت عندى حتى غلبنى عليها أحد الأصدقاء قبل بضع سنين

وفى تلك الأثناء زارنى صديق الأستاذ ( محمد الهراوى ) وقال لى : يحسن أن نزور معالى ( حسين رشدى باشا ) . وكان مديراً للأوقاف العمومية فى ذلك العهد . ولم أكن اجتمعت به من قبل ، أما الهراوى فقد كان على اتصال به

فزرناه فى دار سكنه فى ( المنيرة ) وهى الدار التى آلت ملكيتها بعد ذلك إلى الشيخ على يوسف

ولما دنونا من بابها رأينا عربة فخمة يقودها فرسان مطهمان . فقال لى رفيقى : يظهر أن أحد أمراء العائلة الخديوية فى زيارة الباشا

وهكذا كان : فاننا لم نكد نطأ البساط حتى خاطبنا الباشا مشيراً إلى صدر المجلس حيث زائره الكريم — قائلاً :

– سمو البرنس فؤاد

فدنونا وسلمنا ولم نكد نأخذ مجالسنا حتى التفت الباشا إلى الأمير وجعل يكلمه بالفرنسية ، وكان فى خلال الحديث يلتفت إلى ، فعلمت أنه إنما يقدمنى إلى سموه ، وبالطبع يكون قد قال له : إننى عالم سورى وأننى أحرر فى ( المؤيد ) رسائل حمامة الأزهر ، وأننى أسلك فى نقد العادات والأخلاق وطرائق التعليم الدينية الأزهرية مسلك المرحوم الشيخ محمد عبده . عرفت هذا من قول صاحب السمو للباشا بالفرنسية :

سل الشيخ ما هو رأيه فى الكرة الأرضية ؟ هل هى حقيقة محمولة على قرن ثور كما يقولون ؟

فكان لهذا السؤال وميض من الابتسام على شفاهنا جميعاً وشعرنا بشىء من الأنس والانبساط أفاضته علينا كلمة صاحب السمو بعد انقباض الاحتشام الذى غشينا من مهابته

فقلت للباشا قل لأميرنا المحبوب : إنه لولا الثور ( أبيس ) وبقية ثيران الدنيا التى كان يمثلها ذلك الثور فى هيا كل مصر – لما وجد فى الدنيا إنتاج زراعى ، ولما قام عمران فى العالم . فلا جرم أن كانت الدنيا القديمة محمولة على قرن الثور وحده وأن يكون أهلها عيالاً عليه : فهو الذى ( يحمل ) عبء الاهتمام بأمرهم ، والسعى فى تموينهم ، وتدبير الأقوات لهم

ففكرة حمل الدنيا على قرن الثور إذن فكرة شعرية خيالية سرت إلينا من المصريين القدماء بشكل جدىّ واقعى

فبرقت أسارير صاحب السمو من هذا الجواب . ثم أبدى أسفه الشديد لكثرة ما تسرب إلى الدين الاسلامى من تقاليد الأمم القديمة ومزاعمها ، حتى أصبحت تلك المزاعم كأنها جزء من تعاليم الاسلام . ثم ذكر لنا سموه أمراً استغربه جداً : وهو أن بعض علماء مراكش وفدَ على القاهرة فسأله بعض من سلمّ عليه من زملائه عما إذا كان سفره من المغرب الأقصى إلى القطر المصرى كان بطريق البر أو البحر . وقال سموه : إن العزلة التى تجعل صاحبها يجهل أبسط شأن من شؤون عصره لهى عزلة ضارة تجب مقاومتها والخروج من ظلمتها

وقد كان كلام سموّه يشفّ عن مبلغ غيرته على الاسلام ، وحرصه على تصفية علومه ، وعلى الأزهر وحرصه على ترقية شؤونه

رحم الله فقيدنا العظيم رحمة واسعة ، وجعل لنا من ابنه جلالة ( فاروق الأول ) خليفة صالحا يكشف الغمة ويجمع كلة الأمة — [illegible] —

(دمشق) المغربى

# النقد الأدبي

بقلم السيد عبد القادر صالح

بحث صاحب « الرسالة » الغراء في عددها الأسبق تهافت الأدباء الناشئين على النقد الأدبي ولما يأخذوا له عدته

ولم يعد الحق فيما سرده من العلل لتلك الظاهرة القوية بين كثير من ناشئتنا ، لأن منزلة الناقد الحق منزلة رفيعة تحتاج إلى سعة أطلاع ، وسلامة ذوق ، وصراحة من غير ما قسوة أو غرض

ذكرني مقال الأستاذ في « النقد المزيف » بقصيدة مشهورة لشاعر انكليزي نقادة اسمه ( بوب ) عاش في القرن الثامن عشر . ويتبوأ هذا الشاعر في الأدب الانكليزي مكانة « أبي الطيب المتنبي » في الأدب العربي من بعض الوجوه . كلاهما كان أمير الشعر في عصره ، وكلاهما كان يعتز برفعة نفسه وعدم امتهانها ، وكلاهما كان متين الأسلوب ، وأشعار كل منهما أصبحت أمثالاً سائرة

وتلك القصيدة التي أشرت اليها آنفاً ، والتي سأحاول أن أنقل لقراء « الرسالة » الذين لم يدرسوا بوب بعض آراء هذا الشاعر الواردة فيها ، هي : « مقال في النقد » نشرت والشاعر في الثالثة والعشرين من عمره ؛ ويظن أنه نظمها قبل نشرها بسنتين ، يستهلها بقوله :

« يتعذر على المرء أن يقول : أي الرجلين تنقصه المهارة أكثر : السيء النقد أم السيء الكتابة ؟ على أن ما يستنفد صبرك أقل خطراً مما يضلك

أحكامنا كساعاتنا ، قل أن يتفق منها اثنان . غير أن كلاً منا يعتقد أن رأيه هو الأصوب

يندر وجود العبقرية الحق في الشعراء ، كما يندر وجود الذوق السليم في الناقد . كل من الناقد والشاعر يجب أن يكون مطبوعاً . هذا خلق ليكون ناقداً وذاك ليكون شاعراً

قلة معارف البعض تفسد مؤهلاتهم البسيطة . فاذا ما أخفقوا في الكتابة انقلبوا نقدة ليدرأوا عن أنفسهم أثر الخيبة

العلم الناقص شديد الخطر ، فاما أن تتبحر في العلم وإما ألا ترد مناهله . لأن الاغتراف البسيط يسكر ، ولا يعيد الرشد إلا الامعان في الطلب

قبل أن تتعرض للنقد يجب أن تتأكد من نفسك أولاً ، وأن تعرف مدى ما لديك من المعرفة والعبقرية والذوق السليم .

الكبرياء من أقوى الأسباب التي تحول بين المرء ورؤية الحقائق . ومن شأن الطبيعة أن تزيد في كبرياء المرء بمقدار ما ينقصه من القدرة

في البدء يخيل إلى الشاب المتحمس أنه بمعلوماته البسيطة بلغ ذروة الفن ، ولكنه كلما أمعن في طلب العلم بدا له نقص أوضح . كالمصعد في جبال الالب يتراءى له في بدء تصعيده أنه يدنو من الذروة العليا ، فاذا ما استمر في تصعيده بدت لعينيه ذرى تعلوها ذرى

الناقد الكامل يقرأ الكتاب بنفس الروح التي كتب بها المؤلف . ينظر للكتاب ككل ، فلا يجعل همه اكتشاف الغلطات التافهة . وهل يحكم على جمال شخص بجمال العين أو الشفة على انفراد ؟

بعض النقدة همهم اللغة . يعجبهم من الكتب ما يعجب النساء من الرجال : حسن الثياب

سلاسة الاسلوب ليست وليدة المصادفة ، وإنما هي ثمرة الفن . جرس الكلمة يجب أن يكون صدى لمناها

بعض النقدة ينتقد أسماء المؤلفين لا مؤلفاتهم ، فيمتدح أو يذم الشخص لا كتابه . والبعض الآخر يمتدح القديم لأنه قديم ، أو الجديد لأنه جديد . فلا تكن أول من يجرب الجديد ولا آخر من يتخلى عن القديم

وهنالك من يمتدح في أول النهار ما يذمه في آخره ؛ وإذا سألته عن السبب أجابك : « أنا الآن أعقل مني في الصباح . » ولا ريب أنه سيكون في الغد أعقل منه الآن

والبعض إنما يقدر من كان من رأيه أو حزبه ، فيتخذ من نفسه مقياساً للنقد عاماً

لا يكفي أن يجتمع في الناقد الذوق والمعرفة وإصابة الرأي ، بل يجب أن ينضم إلى هذه الصفات الحق والصراحة

( البقية في ذيل الصفحة التالية )

من الموضوعات التي نالت الجائزة في المباراة الأدبية

# التربية الوطنية الاستقلالية
## وأثرها في بناء الأمة
### للأستاذ محمد عبد الباري

تتمة

وجملة القول هنا أنه لا بد من الشجاعة والإقدام لتنجاح في هذه الحياة، لأنهما يأبيان على المتحلي بهما الاعتماد على الغير، ويقودانه إلى الطموح والسعي والابتكار. وصفتا الشجاعة والإقدام لا تتأصلان إلا بالتربية الاستقلالية التي تبدأ من الطفولة الأولى، وتنمو في الوسط الحر المستقل وتتأثر بالقدوة والمثل.

وفي البيئات الحرة المستقلة يقل اعتماد الفرد على الجماعة فتخف أعباؤها. وفيها يشعر كل فرد بحقه وواجبه فيعمل الواجب، ويطالب بالحق، ويكره الضيم ولا ينام للظلم. وبهذا يفكر الظالمون والتعسفون كثيراً قبل أن يقترفوا الظلم والعسف، فيقل الاحتكاك وتسرع الجماعة في طريق البشرية لتحقيق مثل الإنسان الأعلى، دون فقدان كثير من قواها في احتكاك داخلي يوهن عزيمتها، ويفت في عضدها

عليك بالصمت التام عندما تكون غير واثق تمام الثقة من صحة رأي. وعليك أن تتواضع إذا كنت متمكناً من رأي، وأن تعترف بأغلاطك

لا يكفي أن يكون نقدك حقاً تقصد به الإرشاد، إذ كثر ما سببت الحقائق الجافة أضراراً أبلغ من الأخطاء. لأن الناس يحبون أن يُعلَّموا وهم لا يشعرون أنهم يعلمون، وأن تُذكر لهم الأشياء التي يجهلونها كأنها منسية لا مجهولة

لا تقس في نقدك ولا تكثر منه. ولكن يجب ألا يسوقك التسامح لإهمال العدل. ولكن أين الرجل الذي يستطيع أن يقدم النصح خالصاً حباً في الإرشاد لا رغبة في إظهار المعلومات؟ »

(نابلس — فلسطين) عبد القادر صالح

ولا شك أن أعمال الحكومة تؤدي كثيراً إلى تدعيم روح الحرية والاستقلال بمراعاة ما ذكر في النظم والقوانين، وفي كيفية تطبيق رجال القضاء والإدارة لهذه القوانين والنظم

فكفالة حرية الرأي تساعد كثيراً على نضوج الفكر ومن ثم على نضوج الحرية الاجتماعية وتقضي على الفوضى، ومن الواجب مراعاة هذا لدى التقنين

واختيار القضاة ممن عرفوا بالصلابة في الحق، والتمكن من القانون، واستنارة الفكر، تعاون الجماعة على ضمان سير العدالة؛ وبذا يشعر الناس بأن لا ضير عليهم ما قاموا بواجبهم في حدود القانون، فيعظم نشاطهم ويكثر انتاجهم

وتحلي رجال الإدارة كبارهم وصغارهم بصفات الاستقلال والحرية والشجاعة والإقدام يعمل كثيراً على سير أداة الحكم بلا عوج ولا غرض، فتشيع في الناس صفات الإباء والشمم، ويعمل الجميع بلا خشية ولا رهبة ولا احتكاك ولا شقاق، ويقضي على النفرة بين الحكام والمحكومين، ويشعر الجميع بأن بينهم غرضاً مشتركاً يقوم كل بواجبه لتحقيقه، فيسهل الوصول إلى الغاية المشتركة بالتعاون والتضافر

**الوطنية:**

لا بد في الحياة الاجتماعية أن تقترن التربية الوطنية بالتربية الاستقلالية منذ الحداثة الأولى. نعم حب الوطن طبيعة يستشعرها الإنسان منذ فجر التاريخ بغير تلقين ولا درس، ولكنها مع ذلك من المشاعر التي يجب تعهدها بالترسيخ والتقوية، وحمايتها مما يفسدها من المؤثرات الصناعية

لا عزة في وطن ذليل؛ ولا قيمة للجاه الفردي والغنى الفردي في جماعة تخضع لإرادة خارجية؛ والاستقلال الفردي لا يثمر في أرض تسخر فيها إرادة الأفراد لغير مصلحة بلادهم

ففي مهد الطفولة تمكن تنمية شعور الوطنية بقص قصص الوطنيين الأبرار وتمجيد أعمالهم وإثارة الإعجاب بها. وفي المكتب أو المدرسة يتغنى الأطفال بحب الوطن ومجده والتفاني في خدمته، وإذا لم تكن العقول الصغيرة غير المتفتحة تدرك المعاني حق إدراكها فإن الذاكرة تختزن الألفاظ لتفيض معاني ملهمة عندما يتسع الإدراك وتأتي المناسبات؛ وخيال الطفل القوي

يخلق من أبطال قصص والديه تمـاثيل ذهنية ناطقة تصاحبه ما عاش وتناديه وتناجيه ، تزجره إذا ما حاول العقوق ، وتدفعه إذا ما اعتزم العمل ، وتتوج هامه بأكاليل الفخار إذا ما أجاد شاباً وكهلاً . وما أعجب فعل العقيدة عن إيمـان ! !

هـذه الصور الخيالية تحفظ الشعور قويا وثابا . فاذا ما نضج الشخص بالتربية العقلية والجسمية والخلقية امتزج العقل بالعاطفة وكان في الفرد الوطنية الحية الرشيدة ، أقوى أسس الحياة الاجتماعية

دراســة التاريخ بصفة خاصة من أقوى العوامل على تنمية الشعور الفطرى بحب الوطن وتثبيته . فالصور الخيالية التى لزمت الطفل من البيت إلى المدرسة تزداد ثباتاً بدرس التاريخ كما ينبغى . التاريخ القديم والحديث حافلان بأعمال البطولة والشرف ، وفيهما أمثلة لأعمال الدناءة والخيانة . فمن واجب الأبوين والمعلمين عرض صور الشخصيات التاريخية البارزة عرضاً أخاذاً وتمجيد أعمـال البر بالوطن والتفانى فى خدمته وتحقير أعمال الخيانة والنذالة والجبن بذا ينشأ الوطنى طموحا إلى المجد ، مشمئزاً من الدناءة ، منكراً لذاته فى سبيل رفعة وطنه

ولا شك فى أن للمثل الصالح هنا كذلك قيمته العظيمة . فسلوك الأبوين والأقارب والمعلمين يفعل فى نفس الطفل العجائب ، بل إن هذا السلوك يؤثر فى الفتيان تأثيراً يخلق النفوس خلقاً آخر . فقيام كل من هؤلاء بواجبـه كوطنى يبث فى الناشئين روحا وطنية بلا تلقين أو وعظ ، ويشبون على أن العمل لمجد الوطن واجب الجميع يؤديه الكل سجية . فاذا ما توانوا فيه أو تخاذلوا دونه كان ذلك شذوذاً معيباً وسلوكاً ممقوتاً

للكتب والقصص ، تمثيلية وغير تمثيلية ، قيمة كبيرة فى هذه الناحية من نواحى تربية الفرد . فالتلقين الحـكيم الذى يزود به الـكاتب قراءه أو مشاهدى روايته لا يقـل كثيراً عن المثل والقدوة . يجب أن يكون فى الـكتب والقصص ما يكفى للإيحاء إلى القراء والنظارة بأن كلا منهم يستطيع أداء حق وطنه عليه باعداد نفسه الاعـداد الذى تحتمله ظروفه وطبيعته والذى تمكنه من أداء عمله ، مهما كان نوعه باخلاص وإتقان . وبأنه إذا قام كل فرد باداء عمله كما ينبغى فان الوطن يتقدم ويعتز . وبأن الانسان خلق حراً ، ولـكن لا سبيل إلى الاحتفاظ بهذه الحرية إلا إذا كان الوطن قويا بحيث يستطيع رد من يحاول التسلط عليه وفرض إرادته على أبنائه .

ومن خير وسائل إعـداد الشبان قرن الثقافة ببث روح الطموح فى الشبان وإثارتها فى كل مناسبة ، بل بخلق مناسبات لاثارتها . فالطموح المحب لوطنه يخصص حياته لتحقيق أمثلة عليا فى الحياة تعود حتماً بالخير على بلده . فما الأمة إلا أبناؤها . فاذا كانوا خاملين وقف تقدم البلاد بل تدهور . وإذا كانوا ذوى أمثلة عليا تقدمت البلد وعز جانبها

ومن سبل ترسيخ الروح الوطنية الاحتفال بالأعياد القومية وانتهاز ما تتيح من فرص لتمجيد أعمال البر بالوطن والتفانى فى خدمته ، وفى كل الطبقات يجب أن تنشأ جماعات يجتمع أعضاؤها يتباحثون ويتناجون فيما يعود على جماعتهم بالخـير . وينبغى أن تنشد الأناشيد الوطنية فى مبدأ الاجتماع وفى نهايته لتحية الوطن وإعلان الاخلاص له والتضحية فى سبيله

وهكذا يذكر الوطن فى المنزل وفى المـكتب والمدرسة ، وفى الاحتفال بالأعياد القومية ، وفى الاجتماع المتعلق بالشؤون الطائفية . فترسخ فى الجماعة عقيدة « الوطن فوق كل شىء » ويرخص كل شىء فى سبيل الوطن ، يرخص المـال والولد ، بل ترخص النفس كلـما تطلب مجد الوطن بذلاً فى الحرب والـلم على السواء

وإذا ما غلبت فى جماعة ما روح التربية الاستقلالية ونما فى الأفراد وقوى وثبت الشعور الفطرى بحب الوطن ، وأعد الجميع إعداداً صالحاً ليقوم كل بواجبه على خير وجه ، فلا بد أن تنجح هذه الجماعة فى شق طريقها الى الحياة الانسانية الـكريمة ، حياة العزة والشرف ممتعة بنعيم الحرية وبركة الاستقلال الصحيح .

(شبين الـكوم) محمد عبد البارى

## تصويب

ورد فى المقال الثانى من هذا البحث المنشور فى العدد ١٥٠ ما يأتى :

جـ فى آخر العمود الثانى من صفحة ٨٢٠ (عد) وصوابها عن

» » » الأول حرف a بدل s فى كلمة Syndicalism

» » » الثانى كلمة تغير بدل تبصير

من أدبنا المجهول – شاعر يرثى ولده برثوانه

# اقتراح القريح واجتراح الجريح

## لأبى الحسن على الحصرى

[ للأستاذ الزيات عزاء وسلوة ]

للأديب السيد أحمد صقر

— ٢ —

الحصرى المجهول : هناك بين طيات القرون الغابرة ، ثبت ضخم حافل بكثير من نوابغ الأدباء ، وعباقرة الشعراء ذوى الجد العاثر والطالع النكد ، الذين جار عليهم الزمان فطوى ذكرهم وطمر تراثهم . ولو عنى الناس بأمر هؤلاء المجدودين ، وبعثوهم من مراقدهم ونشروا آثارهم ، لكان للأدب من ذلك ثروة طائلة .

من هؤلاء الشعراء المجهولين أبو الحسن على بن عبد الغنى الفهرى الحصرى القيروانى الضرير ، صاحب كتاب « اقتراح القريح واجتراح الجريح » . والحصرى – بضم الحاء وإسكان الصاد – نسبة إلى عمل الحصر أو بيعها .

ويشترك مع أبى الحسن هذا فى لقبه شاعر معاصر آخر ، كانت بينه وبينه وشيجة نسب ، أعنى به ابن خالته الأستاذ « ابراهيم الحصرى » صاحب كتاب « زهر الآداب » المتوفى سنة ٤٥٣ من الهجرة ( ١٠٦١ م )

وقد اشتبه أمرهما على كثير من الناس فحسبوا ذاك هذا ، ونسبوا آثار هـذا لذاك ، وأرخوا لأحدهما بتاريخ الآخر ، ولكن الأمر لم يشتبه على الراسخين فى العلم ، فوضعوا الحق فى نصابه

اكتنف الغموض حياة أبى الحسن الحصرى من كل ناحية ، فلسنا نعرف نشأته ولا ثقافته ، وليس فيما بين أيدينا من المصادر ترجمة دقيقة شاملة نعتمد عليها فى تأريخنا له ، وكل ما وجدناه نتف متشابهة ، وشذرات مقتضبة ، لا تجدى نفعاً ؛ وقد أحببت أن أنقلها للقراء علها تلقى شيئاً – ولو ضئيلاً – من الضياء على حياة ذلك الشاعر العبقرى ، وترسم صورة – ولو شاحبة – لذلك الأديب المجهول

١ – ذكره ابن بسام فى ذخيرته ، فقال : « كان بحر براعة ، ورأس صناعة ، وزعيم جماعة ، طرأ على جزيرة الأندلس منتصف المائة الخامسة من الهجرة بعد خراب وطنه من القيروان ، والأدب يومئذ بأفقنا نافق السوق ، معمور الطريق ، فتهادته ملوك طوائفها تهادى الرياض بالنسيم ، وتنافسوا فيه تنافس الدار فى الأنس بالمقيم ؛ على أنه كان فيما بلغنى ضيق العطن ، مشهور اللسن ، يتلفت إلى الهجاء ، تلفت الظمآن إلى الماء ، ولكنه طُوِى على غَرِّه ، واحتمل بين زمانه وبُعْدَ قطره ، ولما خلع ملوك الطوائف بأفقنا ، اشتملت عليه مدينة طنجة ، وقد ضاق ذرعه وتراجع طبعه ... »(١)

٢ – وذكره ابن بشكوال فى الصلة فقال : « على بن عبد الغنى الفهرى المقرى الحصرى القيروانى يكنى أبا الحسن ، ذكره الحميدى وقال : شاعر أديب ، رخيم الشعر ، دخل الأندلس ولقى ملوكها ، وشعره كثير ، وأدبه موفور ، وكان عالماً بالقراءات وطرقها ، وأقرأ الناس القرآن بسبتة وغيرها . أخبرنا عنه أبو القاسم بن صواب بقصيدته التى نظمها فى قراءة نافع ، وهى مائتا بيت وتسعة أبيات قال لقيه عرسية سنة ٤٨١ ﻫ وتوفى بطنجة سنة ٤٨٨ ﻫ »(٢) الموافقة لسنة ( ١٠٩٥ ) ميلادية

٣ – وذكره ابن خلكان فى وفيات الأعيان ، فأورد قول ابن بسام ثم قال : « قلت وهذا أبو الحسن ابن خالة أبى اسحاق الحصرى صاحب زهر الآداب » ونقل كلام ابن بشكوال والحميدى ثم قال : « وله ديوان شعر . فمن قصائده السائرة قصيدته التى أولها :

يا ليل الصب متى غده  أقيام الساعة موعده ؟
رقد السمار وأرقه  أسف للبين يردده

إلى أن قال : وحكى تاج العلاء أبو زيد المعروف بالنسابة قال : حدثنى أبو أصبغ نباتة بن الأصبغ بن زيد بن محمد الحارثى عن جده زيد بن محمد قال : بعث المعتمد بن عباد صاحب أشبيلية إلى أبى العرب الزبيدى خمسمائة دينار وأمره بأن يتجهز بها ويتوجه اليه

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤٢
(٢) صفحة ٤٢٥ من المجلد الثانى طبع مجريط ١٨٨٣ م

وكان بجزيرة صقلية ، وبعث مثلها الى أبي الحسن الحصري وهو بالقيروان فكتب اليه أبو العرب :

لا تعجبن لرأسي كيف شاب أسى
واعجب لأسود عيني كيف لم يشب

البحر للروم لا يجري السفين به
إلا على غرر والبر للعرب

وكتب اليه الحصري :

أمرتني بركوب البحر أقطعه
غيري - لك الخير - فاخصصه بذا الداء

ما أنت نوح فتنجيني سفينته
ولا المسيح أنا أمشي على الماء

ثم دخل الأندلس بعد ذلك وامتدح المعتمد وغيره ، وتوفى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة بطنجة رحمه الله تعالى[1]

٤ - وذكره ابن العماد الحنبلي في كتاب شذرات الذهب في أخبار من ذهب عند كلامه على حوادث سنة ٤٨٨ ﻫ فقال : فيها أبو الحسن الحصري المقرىء الشاعر نزيل سبتة - علي بن عبد الغني الفهري . كان مقرئاً محققا ، وشاعرا مفلقاً ، مدح ملوكا ووزراء ، وكان ضريرا . ثم نقل قول ابن بسام المتقدم وعقبه بقول ابن خلكان ، ثم قال وله أيضاً :

أقول له وقد حيا بكأس
لها من مسك ريقته ختام

أمن خديك تعصر ؟ قال كلا
متى عصرت من الورد المدام[2]

ولما كان بمدينة طنجة أرسل غلامه الى المعتمد بن عباد صاحب أشبيلية - واسمها في بلادهم حمص - فأبطأ عنه وبلغه أنه ما احتفل به فقال :

نبه الركب الهجوعا
ولم الدهر الفجوعا

حمص الجنة قالت
لغلامي لا رجوعا

رحم الله غلامي
مات في الجنة جوعا

وقد التزم في هذه الأبيات لزوم ما لا يلزم رحمه الله تعالى[3]

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٤٣

(٢) يذكرني هذا البيت بقول المرحوم حافظ بك ابراهيم في وصف الصهباء :

خمرة قيل إنهم عصروها
من خدود الملاح في يوم عرس

(٣) شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٨٥

٥ - وذكره الصلاح الصفدي في كتابه نكت الهميان وكل ما أتى به منقول عن ابن خلكان وابن بشكوال ، وزاد عليهما فذكر البيتين اللذين ذكرهما ابن العماد . أقول له وقد حيا بكأس[1]

٦ - وذكره ابن الجزري في كتابه غاية النهاية فقال : « علي ابن عبد الغني أبو الحسن الفهري القيرواني الحصري أستاذ ماهر ، أديب حاذق ، صاحب القصيدة الرائية في قراءة نافع ، وناظم السؤال الدالي ملغزا : سألتكم يا مقرئي الغرب كله

وهي في سوات أجابه عنه الشاطبي ومن بعده

قرأ على « عبد العزيز بن محمد » صاحب أبي سفيان ، وعلى « أبي علي بن حمدون الجلولي[2] » والشيخ « أبي بكر القصري » وروى عنه « أبو القاسم بن الصواف » قصيدته ، وأقرأ الناس بسبتة وغيرها . توفي بطنجة سنة ثمان وستين وأربعمائة . ثم نقل قول ابن خلكان في وفيات الأعيان[3] » ، وقول ابن الجزري إن الحصري الأعمى توفي سنة ٤٦٨ ﻫ قول لم يشاركه فيه غيره من المؤرخين ، ولعله وهم أو تحريف من الناسخين

٧ - وذكره العماد الكاتب في كتاب خريدة القصر وجريدة أهل العصر ، فقال : الحصري الأعمى الرنبي . هو أبو الحسن علي بن عبد الغني من الأندلس ( ! ) صاحب تصنيفات واحسان في النظم ، قال في غلام اسمه هارون :

يا غزالا فتن النا
س بعينيه فتونا

أنت هاروت ولكن
صحفوا تاءك نونا

وقال يهجو أبا العرب الصقلي :

معجب كالمتنبي
وهو لا يحسن شيا

إن هذا يحيوي
أوتي العلم صبيا

وقال :

كم من أخ قد كان عندي شهدة
حتى بلوت المر من أخلاقه

كالملح يحسب سكراً في لونه
ومجسه ويحول عند مذاقه

(١) انظر نكت الهميان في نكت العميان ص ٢١٣

(٢) هو محمد بن حدون أبو الحسن الواسطي الحذاء ، وهم فيه صاحب التجريد فسماه علياً ، ووهم فيه المذلى فسماه عبدالله . كان من أهل الثقة والأتقان والضبط توفي سنة عشر وثلثمائة أو في التي بعدها ...

(٣) راجع غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ ص ٥٥١

وقال يرثي المعتضد أبا المعتمد :

مات عبـاد ولـكن | بقي الفرع الـكريم
فكأن الميت حي | غير أن الضاد ميم

وقال : أقول له وقد حيا الخ البيتين

وقال :

وشاعر من شعراء الزمان | يفخر عندي بالمعاني الحسان
وإنما أطيب أشـــعاره | نصف خراسان والقيروان (؟)

وقال :

إذا كان البياض لباس حزن | بأندلس فذاك من الصواب

وقال :

مما يبغضني في أرض أندلس | سماع معتصم فيها ومعتضـد
أسماء مملكة في غير موضـــعها | كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد(1)

وقوله إذا كان البياض الخ ذكره المقري في نفح الطيب وزاد عليه قوله :

ألم ترني لبست بياض شيبي | لأني قد حزنت على شبابي

وذكر أيضاً أن من عادة أهل الأندلس لبس البياض في الحزن بخلاف أهل المشرق . وذكر لبعضهم أبياتاً في ذلك (2)

ألا يا أهل أندلس فطنتم | بلطفكم إلى أمر عجيب
لبستم في مآتمكم بياضاً | فجئتم منه في زي غريب
صدقتم فالبياض لباس حزن | ولا حزن أشد من المشيب

٨ — وذكره المراكشي عرضاً عند كلامه على نزول المعتمد مدينة طنجة قال : « فأقام بها أياماً ولقيه الحصري الشاعر فجرى معه على سوء عادته من قبح الكدية ، وإفراط الإلحاف ، فرفع إليه أشعاراً قديمة كان مدحه بها ، وأضاف الى ذلك قصيدة إستجديها عند وصوله اليه ، ولم يكن عند المعتمد في ذلك اليوم مما زود به — فيما بلغني — أكثر من ستة وثلاثين مثقالا ، فطبع عليها وكتب معها بقطعة شعر يعتذر من قلتها ، سقطت من حفظي ، ووجه بها اليه فلم يجاوبه عن القطعة على سهولة الشعر على خاطره ، وخفته عليه . وكان هذا الرجل — أعني الحصري الأعمى — أسرع الناس في الشعر خاطراً إلا أنه كان قليل الجيد منه ، فحركه المعتمد على الله على الجواب بقطعة أولها :

قل لمن قد جمع العلـ | ـم وما أحصى صوابه
كان في الصرة شعر | فتنظرنا جـــوابه
قـد أثبناك فهلا | جلب الشعر ثوابه

ولما اتصل بزعانفة الشعراء وملحفي أهل الكدية ما صنع المعتمد — رحمه الله — مع الحصري تعرضوا له بكل طريق ، وقصدوه من كل فج عميق ، فقال في ذلك رحمه الله :

شعراء طنجة كلهم والمغرب | ذهبوا من الإغراب أبعد مذهب
سألوا العسير من الأسير وإنه | بسؤالهم لأحق فاعجب واعجب
لولا الحياء وعزة لخمـــية | طي الحشا ساواهم في المطلب (1)

هذه هي كل النتف والشذرات التي عثرت عليها في كتب التراجم لذلك العهد السحيق . وكل هذه التراجم — إن صحت تسميتها بذلك — لا تكشف لنا عن حياة الشاعر ، ولا تبين مقدار قوة شاعريته أو ضعفها ، ولا توضح أثره في الأدب ، ولا تتناول أدبه بالنقد والتحليل . والذي يستوقفني منها بصفة خاصة قول المراكشي : «كان هذا الرجل أسرع الناس خاطراً في الشعر» وقول ابن بشكوال نقلا عن الحميدي . « إن شعره كثير ، وأدبه موفور » ، فأين ذلك الأدب الموفور والشعر الكثير الذي واتاه به طبعه الدافق في يسر وسهولة ؟ أين قصائده في الهجاء الذي « كان يتلفت اليه تلفت الظمآن الى الماء ؟ » أين قلائده التي قلد بها ملوك الطوائف حتى تهادته تهادي الرياض بالنسيم ، وتنافسوا فيه تنافس الديار في الأنس بالقيم ؟ أين خرائده في الوزراء الذين أغدقوا عليه النعم ؟ أين أين ذلك الشعر الرخيم ؟ ؟ لقد غمره طوفان الفناء فيما غمر ، ولم يبق له جرس ولا أثر ، والمسؤول عن ذلك هو الحصري نفسه فهو الذي أهمل ولم يحسب لذلك الطوفان حساباً ، ولم يدون من شعره غير كتاب اقتراح القريح واجتراح الجريح . ولدينا مجموعة صغيرة من شعره في الغزل والنسيب اسمها « معشرات الحصري » سنتكلم عنها بعد أن نروي لك كثيراً من شعره في اقتراح القريح . . .

أحمد صقر

(1) أنظر الخريدة ص ٢٣ من النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٠٥ أدب

(2) نفح الطيب ج ٢ ص ٩٠٦ طبع بولاق .

( 1 ) انظر المعجب ص ٢٧ طبع مصر

الأدب بين الخاصة والعامة

# لامرتين ورنيه جارد

## للسيد اسكندر كرباج

( تتمة )

ثم يقول لامرتين : نبَّه فيَّ هذا الحوار فكرة وضع قصص شعبية إجابة لرغبة تلك الفتاة الكريمة . لقد عشت طويلاً في الأكواخ والحقول والثكنات وعلى ظهر البواخر وفي أعالي الجبال ، وعاشرت العمَّال والمزارعين والجنود والنوتية والرعاة والخدم الذين يؤلفون قسماً من عيالنا ؛ وتحدثت إلى هذه العقليات الساذجة الصالحة ، وخبرت عاداتها وميولها ولغاتها أكثر مما خبرت عادات رجال المجالس وميولهم ولغاتهم ؛ وكنت شاهداً بل أميناً لأسرار حياة ثماني شخصيات خاملة ولكنها حافلة بنوب وآلام خفية إذا دوِّنت بسذاجة كما رُويت كانت قصائد حقيقية طافحة بالشعور والاحساس ؛ وأعرف الأماكن والحوادث والأشخاص معرفة تامة ، فسأحاول كتابة هذه القصص ونشرها أجزاء متتابعة دون أقلّ اهتمام بفخامة الطبع والورق أو طرافة الأسلوب وإناقة الجمل وشحذ القريحة وكدّ الذهن ، لأن الطبيعة هي روح هذا النوع من الأدب ، والطبقات الوضيعة أقدر على إدراكها والاستلهام بها من الطبقات العالية ؛ فاذا وجدتها في هذه الرسوم العارية من زخارف الفنّ استراقتها واستزادت منها . عندئذ تتقدم أيدٍ أجد من يديَّ وأبرع لوضعها بصورة أفضل ، لأن الأدب الشعبي لا يكتمل إلاّ بالمؤلفات العاطفية التي هي من مميزات الطبقات الجاهلة ، وإنجيل العاطفة كإنجيل الدين يجب أن يُبشَّر به أولاً بين البسطاء بلغة سليمة كقلب الطفل

وأراد لامرتين أن يطلع رينيه على آرائه فيما يتعلّق بكتابة التاريخ الشعبي فقال لها : لا يزال رجال السلطة يمالئون الشعب ويتوددون اليه لاعتقادهم أنه مصدر القوة التي يجب أن يستمدوها في اسقاط الحكومات وابتلاع الوطنيات ، فيستغوونه بشتى الوسائل ، ويثملونه بقولهم إن قوته تولد الحق ، وارادته العدل ، ومجده يكتسب عفو التاريخ ، وانتصار قضيته يبرر كل الوسائط ، حتى الجرائم تخف أمام عظمة النتائج ، فيؤمن بهم ويتبعهم ويساعدهم بقواه المادية ، وبعد أن يتوصلوا بقوة سواعده وإهدار دمه وارتكاب جرائمه إلى اسقاط الطغاة وإثارة أوربا يصرفونه ويأمرونه بالعمل والصمت !

هذه هي الطريقة التي سلكوها إلى الآن في معاملة الشعب وكانت سبباً لانتشار شوائب البلاط بينه واستلذاذه التملق .

ليس هذا ما نريده للشعب ؛ نريد أن يقابلنا واقفاً ، ويخاطبنا وجهاً لوجه ، فهو كسائر عناصر الأمة لا يقل قيمة عنها ولا يزيد ؛ وإذا كان قد تعوَّد الكذب والملاَّة ، ففيه خلتان كبيرتان لا يجوز نسيانهما ، هما الصراحة والجرأة . لذلك هو يعرف أن يحترم مقاوميه ويحتقر متخوفيه . ففي الحيوانات مالا يفترس إلا من يهرب من أمامه ، والشعب كالأسد يجب ألا يجابه إلا من الأمام

يقوم التاريخ الشعبي على واحدة من هذه القواعد الأساسية الثلاث : المجد ، والوطنية ، والمدنية . فالمجد لا يرضى إلا أمة حربية تبهرها القوة فتعمى عن رؤية الحق ؛ والوطنية تضرم نار الحمية في الشعب فيطوح بنفسه في مهاوي الأثرة والطموح

أما المدنية المستدعة فهي الأصلح لقيادة الفكر البشري بين شعاب الشك وبلبلة الآراء والأهواء والأثرة الفردية أو الوطنية ؛ ولافهامه أن المجد والوطنية لا ينفعان الأمة والنوع البشري إذا فصلا عن الأدب العام ، لأن المجد لا يقاوم الصلاح ، والوطنية ليست عدوَّة الانسانية ، والفوز لا يمكن أن يكون خصماً للعدالة ؛ وأن التاريخ ليس هذا المزيج من الأفراد والأشياء المشوشة ، بل هو خطوة إلى الأمام في طريق الدهور ، إذ لكل أمة شأنها وعملها العظيم ، ولكل طبقة اجتماعية أهميتها في نظر الله . وفضلاً عن ذلك فقيام التاريخ على هذه القاعدة يعلم الشعب أن يحترم نفسه ، ويعرف مقدار قوته ونفعه ، وأنه فوق الأمبراطورية والسلطة ، وأن هذه تكون كما يريد ، فاذا وجد شعباً يشكو من حكومته فهو دليل على أنه لا يستحق غيرها ، هكذا كان تاسيت يفتكر في زمانه ، ولا تزال فكرته تجري مجرى الأمثال إلى اليوم

واعتزامي كتابة التاريخ على هذه القاعدة نبَّه فيَّ فكرة قديمة كنت عرضتها على الحكومة فلم تصادف القبول ، لأنها ليست آلة للحرب والتدمير بل للسلم والبناء . وهذه الفكرة هي أن حرية الصحافة وديموقراطية الحكومة وحركة الصناعة وانتشار التعليم في كل قرى البلاد وبين كل طبقات الشعب أثار الأذهان ورغب في المطالعة ، وبعد أن أوجدوا في الشعب هذا الميل إلى القراءة فما هي المؤلفات التي وضعوها له ؟ لا شيء !

إن لأبناء الطبقات الغنيَّة كثيراً من المدارس العالية حيث يسمعون شروح كبار الأساتذة في كل أنواع العلوم والفنون .

وإذا لم تكفهم المدارس فعندهم المكاتب الكبيرة والصحف التى تحمل بين دفاتها ما يغذّى العقل والفكر والروح من المواضيع الشائقة . أما أبناء الطبقات الفقيرة العاملة ومنهم الجيوش والبحّارة والرعاة والشيوخ والنساء والأولاد فكل ما عندهم لتثقيف عقولهم وتسلية نفوسهم فى أوقات الفراغ هو التعليم المسيحى وبعض الأناشيد المشوهة والقصص السخيفة ، فمن هذه الكتب القليلة التافهة تتألف مكتبة الشعب ومتحفه وفنّه !

فأردتُ ملء هذا الفراغ فى حياة الشعب الأدبية والعقلية بكتاب لا يقرأ إلا مرة واحدة ، ولكن لا أول له ولا آخر ، وأعنى به صحيفة يومية كبرى يتولى تحريرها نخبة من كبار علماء العصر وكتابه وشعرائه ، بلغة سهلة بسيطة ، وتعابير قريبة من أفهامه تطلعه على أهم أخبار الكون اليومية وسياسته وفلسفته وعلومه وفنونه . وتحقيق هذه الفكرة لا يكلف أكثر من مليون فرنك سنوياً يكفى لجمعها أن يكتتب مليون شخص بفرنك واحد فى السنة ؛ وإذا كنت لم أحقق هذه الفكرة فلأنى لست وحدى هذا المليون ، ولأنه لا توجد فى فرنسا حالاً فكرة تساوى فلساً واحداً ! . . .

هذه هى فكرتى يا رينيه فيما يختص بالتاريخ والأدب والشعر والعلوم والفنون التى يجب أن تكتب للشعب ؛ ولا أحب إلى الطبقات الفقيرة ولا أجمل وأبلغ من تحقيق هذه الفكرة . ولو أن لى ذكاء الكتاب المعاصرين وشبابهم واندفاعهم لقمت بأعمال عظيمة فى عالم الفكر والثقافة ، فأمامنا عالم جديد للاكتشاف لا يتطلب عبور المحيط ككولومبوس ، هو احساس الطبقات العاملة وعقلياتها ؛ فجغرافية العالم الأدبية لا تكتمل إلا متى اكتشفت هذه القارة الشعبية وملئت بمبادئ تجارة الفكر

فتقول له رينيه : لقد فهمت كل أفكارك يا سيدى على رغم سموها وجمالها . . .

فيجيبها : لم أخاطبك إلا كشاعرة ، والشعب شاعر أيضاً لأنه طفل الطبيعة العظيم ، والطبيعة كالقها لا تتكلم إلا بلغة الصور .

ثم تودعه رينيه وتودع زوجته شاكرة لها حسن الضيافة ، وتسافر إلى إكس فى مركبة المساء ، وقبل أن تصعد إلى المركبة يقول لها لامرتين : « إذا وضعت بعض القصص الشعبية فاسمحى لى أن أصدر أولاها باسمك »

اسكندر كرباج
من العصبة الأندلسية

للتاريخ السياسى :

# ٣ – اليوم السابع من مارس

## ضربة مسرحية فى برلين

للدكتور يوسف هيكل

### المعاهدة الفرنسية الروسية ولوكارنو

رأينا كيف أن حكومة برلين قد اتخذت المعاهدة الفرنسية الروسية سبباً لرفضها معاهدة لوكارنو واتخاذها قرار ٧ مارس . فهل النظرية الألمانية صحيحة من الوجهة الحقوقية ؟ أى هل المعاهدة الفرنسية الروسية لا تتمشى مع معاهدة لوكارنو ؟ . وقبل الاجابة على هذا السؤال يحسن بنا أن نعرض بايجاز المحادثات الديبلوماسية التى أدت إلى عقد هذه المعاهدة :

لم يكن هدف فرنسا بادئ ذى بدء ، إيجاد هذه المعاهدة ؛ بل كانت الديبلوماسية الفرنسية ترمى الى إيجاد « ميثاق شرقى » – لوكارنو الشرقية – بين بولونيا والروسيا وألمانيا وتشيكوسلوفاكيا ودول البلطيق وفنلاندا . ولقد تم الاتفاق على هذه الخطة بين فرنسا وانكلترا أثناء المحادثات السياسية التى دارت بينهما خلال ١١ و ١٢ من يوليه ١٩٣٤ . وزيادة على ذلك قررت الدولتان أن تتحمل الروسيا واجبات معاهدة لوكارنو ازاء فرنسا وألمانيا ، وأن تتعهد فرنسا نحو ألمانيا والروسيا ، فى حالة اعتداء إحداهما على الأخرى ، بمساعدة المعتدى عليه ، على أن تكون تلك المساعدة ضمن دائرة واجبات عصبة الأمم . وبعبارة أخرى أن تعقد معاهدة ثلاثية دفاعية بين فرنسا وألمانيا والروسيا ، يكون مفعولها سارياً فى حالة تعدى احداهن على دولة ثانية داخلة فى الميثاق ، على أن تكون الواجبات الناشئة عنها متمشية مع واجبات لوكارنو والعصبة . وقد تعهدت الحكومة البريطانية بأن توصى هذه الدول ولا سيما بولونيا وألمانيا بقبول هذه الاقتراحات . غير أن سعيها قد خاب . وقد أبانت ألمانيا بصراحة بأنها تفضل « المعاهدات الثنائية » – بين اثنين

على المعاهدات المشتركة المبنية على «المساعدة المتبادلة» — Pactes bilatéraux — Assistance mutuelle — وتم الاتفاق فى الاجتماع الفرنسى الانكليزى الذى عقد فى لندن فى ٣ فبراير سنة ١٩٣٥ على انشاء معاهدة لوكارنو الجوية ، وعلى متابعة المفاوضة مع ألمانيا للاتفاق معها على انشاء السلام فى أوروبا بواسطة عقد معاهدات بين دول شرق أوروبا توجب « المساعدة المتبادلة »

ولما زار السير جون سيمون برلين خلال شهر مارس التالى قدم إليه الهر هتلر معلومات عن المعاهدة الشرقية التى يحبذها مبنية على معاهدات عدم الهجوم الثنائية ، ومضافا إليها التحكيم والمصالحة وعدم مساعدة المتعدى . وقد صرح الهر هتلر بأن حكومته لا تنظر بعين الرضى إلى المعاهدات المبنية على « المساعدة المتبادلة » ولا يمكنها بأى وجه من الوجوه الاشتراك فى أى معاهدة من هذا النوع . وقد أعادت حكومة برلين هذا التصريح بوضوح أثناء انعقاد مؤتمر ستريزا . وعندما وقفت حكومة باريس على هذا التصريح وتيقنت بأن لا نجاح فى إدماج برلين ضمن نظام سلام قائم على المساعدة المتبادلة رأت أن لا سبب هناك يمنعها عن عقد محالفة بينها وبين روسيا ، لتساعد كل منهما الأخرى حين تعتدى ألمانيا على احداهما

وبعد بضعة أيام قابل سفير بريطانيا فى باريس مسيو لافال وأعلمه أن حكومة جلالته ترغب « بألا تمضى فرنسا أى معاهدة يمكن أن ترغمها على محاربة ألمانيا فى ظروف لا يجيزها البند الثانى من معاهدة لوكارنو » فأجابه مسيو لافال بأن « الحكومة الفرنسية وضعت شرطاً أساسياً بأن المعاهدة الفرنسية الروسية يجب أن تكون متمشية ليس فقط مع مبادئ العصبة بل مع معاهدة لوكارنو أيضاً » . وعلى هذا الأساس أمضيت هذه المعاهدة فى ٢ مارس سنة ١٩٣٥ ، وأرسلت إلى البرلمان الفرنسى فوافق عليها

* * *

وجاء فى خطاب الهر هتلر الذى ألقاه فى ٢١ مايو أن الحكومة الألمانية « ستقوم بجميع الواجبات الناجمة عن معاهدة لوكارنو مادامت الدول الأخرى المشتركة فى المعاهدة تريد القيام بها » . وتبع هذا الخطاب مذكرة ادعت فيها حكومة برلين أن المعاهدة الفرنسية الروسية لا تتمشى مع معاهدة لوكارنو

وفى شهر يونيه دحضت الحكومة الفرنسية ادعاءات ألمانيا . وفى خلال شهر يوليه صرح السير صمويل هور وممثلا إيطاليا وبلجيكا بأنهم متفقون مع الحكومة الفرنسية على أن المعاهدة الفرنسية الروسية تتماشى مع لوكارنو

ولما رأت حكومة برلين أن دول لوكارنو على اتفاق تام . لم تستطع القيام إذ ذاك بأى عمل لتمزيق المعاهدة ، بل أجلته إلى حين آخر ، واكتفت بارسال مذكرة إلى السير صمويل هور تقول فيها « بأنه ستكون مناسبات كافية لمناقشة هذه المسألة مع المفاوضات الأخرى المعلقة »

ولما وقع الخلاف بين دول لوكارنو من جراء اعتداء إيطاليا على الحبشة ، وانشغلت فرنسا بانتخابات مجلس النواب ؛ رأى الهر هتلر أن الفرصة سانحة ، فأعلن فى ٧ مارس ١٩٣٦ خروجه على لوكارنو واعتبارها لاغية ، وعلل ذلك بأن المعاهدة الفرنسية الروسية لا تتمشى مع لوكارنو ، ودعم هذا القول بأدلة أربعة ضمنها المذكرة التى أرسلها إلى دول لوكارنو ، وتنحصر فى أن المعاهدة الجديدة : (١) موجهة رأساً ضد ألمانيا (٢) وأن فرنسا بموجب معاهدتها مع الروسيا ، تعهدت بالقيام بواجبات لا تتفق مع الواجبات التى يلقيها على عاتقها صك العصبة ومعاهدة لوكارنو

فالادعاء الأول وهو أن « المعاهدة الفرنسية الروسية موجهة رأساً ضد ألمانيا » صحيح ، ولكن بالمعنى السلبى ، أى الدفاعى

إن المعاهدة التى نحن بصددها تقول بأنها تصبح نافذة فى حالة تعدى « دولة أوروبية » على إحدى المتعاقدتين ، وأن بروتوكولها يوضح بأن تنفيذ هذه المعاهدة يجب أن يكون فقط ضمن حدود « الاتفاق الثلاثى » الذى رفضت ألمانيا الموافقة عليه . وهذه النصوص تنفى مفعول المعاهدة فى حالة اعتداء أى دولة غير أوروبية أولاً ، ثم تحصر مفعولها فى حالة اعتداء ألمانيا فقط على إحدى الدولتين المتعاقدتين ؛ فهى إذن موجهة ضد ألمانيا ، ولكن يجب ألا يعزب عن الذهن بأنها لا تنفذ إلا حين تعدى ألمانيا على فرنسا أو الروسيا تعدياً غير محرض عليه ؛ ونصها صريح فى ذلك . والذين قاموا بنقدها يصرحون بذلك

تصريحاً كافياً ؛ فهي إذن من الوجهة القانونية والسياسية معاهدة دفاعية محضة ، وبدهي أن لا خطر على ألمانيا من هذه المعاهدة إلا حين تعديها على احدى الدولتين تعدياً غير محرض عليه . ولو كانت ألمانيا لا تفكر في أي تعد على احديهما لما وجدت فيها تهديداً ولا خطراً عليها ؛ وزد على ذلك بأن نص المعاهدة والبروتوكول يفسحان المجال لدخول ألمانيا فيها فتصبح معاهدة ثلاثية تضمن فيها فرنسا والروسيا الدفاع عن ألمانيا حين تعدى احداهما عليها

وردا على الادعاء الثاني يمكن القول بأن « المساعدة المتبادلة التي تعهدت بها كل من الدولتين المتعاقدتين لا تصبح نافذة إلا حين وقوع احداهما « ضحية هجوم غير محرض عليه » ، « ورغم نية البلادين الحسنة في المحافظة على السلام » . وهذه المساعدة يوجبها أيضاً صك العصبة . أما في الحالة التي لم تستطع فيها العصبة الوصول إلى قرار بالاجماع في ابانة الحق من الباطل في الاختلاف ، فمساعدة فرنسا للروسيا والروسيا لفرنسا لا يكون إلا إذا وضح بأن ألمانيا كانت المتعدية تعدياً غير محرض عليه على إحدى الدولتين ؛ ورغم أن مساعدة فرنسا للروسيا في هذه الحالة لم تكن نتيجة قرار العصبة ، فان مبدأ العصبة يوجبها ؛ إذ أن البند ٧ من المادة ١٥ ينص على أنه في الحالات التي لا تتمكن فيها العصبة من اصدار توصيات أو الوصول إلى قرار بالاجماع ، تصبح كل دولة طليقة اليدين ، ويحق لها اتخاذ قرار فردي والعمل منفردة ، ويظهر لنا أن كل ما جاء في المعاهدة الفرنسية الروسية التي أثارت ثائرة ألمانيا ، ما هو إلا ايضاح وتثبيت لهذا المبدأ

على أنه في حالة القرار والعمل الفردي من جهة ، وحين اعتداء ألمانيا على الروسيا من جهة ثانية ، لا يحق للروسيا مطالبة فرنسا بمساعدتها « أوتوماتيكيا » بل لفرنسا الحق وحدها في التقرير فيما إذا كانت ألمانيا المتعدية الأولى . وهذا الحق يمكن فرنسا من النظر فيما إذا كانت مساعدتها للروسيا مخالفة للمعاهدات التي عقدتها قبلاً وخصوصاً معاهدة لوكارنو . والبند الثاني من هذه المعاهدة ينص على أن « محتويات هذه المعاهدة لا تنفذ في الحالات التي يكون تنفيذها يوجب وقوع عقاب دولي الصبغة من جراء تضاربها مع واجبات معاهدات ، غير سرية ، عقدتها إحدى الدولتين مع فريق ثالث » . وينتج عن ذلك أنه لا حق لألمانيا (قبل تمزيقها للوكارنو) طلب مساعدة بريطانيا وإيطاليا فيما إذا هاجمتها فرنسا عملاً بمعاهدتها مع الروسيا ، لأن هجوم فرنسا عليها داخل ضمن دائرة المادة ١٦ أو البند ٧ من المادة (١٥) من صك العصبة

ولو فرضنا جدلاً بأن المعاهدة الفرنسية الروسية لا تتمشى مع معاهدة لوكارنو ، فلا يمكن أن يعد هذا الاختلاف ، بوجه من الوجوه ، سبباً لابطال معاهدة لوكارنو . والمسألة الوحيدة التي يمكن أن تنشأ عن التضارب بين المعاهدتين هي عدم قانونية المعاهدة الجديدة . وفي هذه الحالة لا يحق للحكومة الألمانية إلا الادعاء بعدم قانونية المعاهدة الفرنسية الروسية ، ورفع دعوى بذلك ، وليس اعتبارها غير قانونية حسب رأيها ومشيئتها فحسب ، لأنه لا يحق لأحد أن يكون قاضياً في دعواه

أما المبدأ الجديد في العلاقات الدولية الذي تبعه ويبشر به الهر هتلر وحكومته ، فيقول بأن لا قيمة لأي معاهدة دولية مادامت تخالف مصالح إحدى الدول التي وقعت عليها ، وأن لتلك الدولة المتضررة من المعاهدة الحق في تمزيقها وعدم اتباع موجباتها . وهذا المبدأ الجديد خطأ ويخالف لمبادئ الحقوق الدولية التي سارت عليها الدول حتى الآن ، إذ تصبح الدولة المتضررة الحكم الوحيد في دعواها . وان انتشر هذا المبدأ وعملت به الدول فمعنى ذلك القضاء على الحقوق والعدالة الدولية ، وإقامة « حق القوة » مكانها فتزول العلاقات الدولية المبنية على قدسية المعاهدات ويحل مكانها الفوضى ، وينتصر إله الحرب

يظهر من كل هذا أن فرنسا لم تأخذ على عاتقها في معاهدتها مع الروسيا واجبات تنافي الواجبات التي يفرضها عليها صك العصبة ، وأن هذه المعاهدة تتمشى مع مبادئ العصبة ومعاهدة لوكارنو . ويتضح جلياً بأن عمل ألمانيا في ٧ مارس ينافي الحقوق الدولية ويعتدي على قدسية المعاهدات منافاة تامة واعتداء صارخاً .

(لندن) يوسف هيكل
دكتور في الحقوق

# صرعى الأغراض

طرفة من الشعر الاجتماعي تعبر عن الآلام المكظومة للكفايات المظلومة

للشاعر الراوية الأستاذ أحمد الزين

يا للعزائم يثنى من مواضيها … أنّ الكفايات يُقضى بالهوى فيها
وللمواهب بالأغراض يقتلها … من يستمدّ حياةً من أياديها
وللجهود بأعشى الرأي يطفئها … ماضٍ على ضوئها سارٍ بهاديها
وللنوابغ يقضى في مواهبهم … بما يشاء هواه غيرُ قاضيها
جادوا بأعمارهم حتى لجاحدهم … إن المواهب سِلْمٌ في أعاديها
كالشمس تقبس منها عين عابدها … وترسل النور في أجفان شانيها
والنفس إن ملئت بالود فاض على … نفوس أعدائها بالود صافيها
كالسحب إذ ملئت بالغيث فاض على … جدب البلاد خلوف من هواميها
لا يدّعِ العدل قوم في عدالتهم … صرعى الكفايات تشكو ظلم أهليها
ولا المساواةَ والأفهامُ لو وزنت … مع الغباوة فيهم لا تساويها
ولا الحضارةَ من تجزى نوابغهم … وحشيةً تسكن البيداء والتيها
إذا البلاد تخلت عن حياطتها … يد النبوغ تداعت من صياصيها
دع الحديث عن القسطاس في عُصَبٍ … ما سودت بينها إلا مُرائيها
سوق النفاق بهم شتى بضائعها … ترجّى لمن يشتري إفكاً وتمويها
أرخصتمو غاليَ الأخلاق في بلد … لم تغلُ قيمته إلا بغاليها
يا رُبَّ نفس أضاء الطهر صفحتها … أفسدتموها فزلّت في مهاويها
وكم قلوب كساها الحسن نضرته … دنّستموها فعاد الحسن تشويها
أغلقتمو سبل الأرزاق لم تدعوا … لفاضل الخُلق سعياً في نواحيها
مدارس تغرس الأخلاق في نَشَأٍ … ومغلق الرزق بعد الغرس يذويها
لا تَلْحَ طالب رزق في تناقصه … إن الضرورات من أقوى دواعيها
ما أطهر الخُلُق المصري لو طَهُرت … تلك الرياسات من أهواء موحيها
يا آخذين بقتل النفس قاتلها … قتلى المواهب لم يُنْعَ لشاكيها
كم للنبوغ دماءٍ بينكم سفكت … باسم المآرب لا اسم الله مُجريها
هلا اقتصصتم لما من ظلم سافكها … وقلّ فيما جناه قتل جانيها
أَوْلى الورى بقصاصٍ منه ذو غرض … يخشى المواهبَ تخفيه فيخفيها
مِلْءُ المناصب منهومون قد جعلوا … من دونها سد ذي القرنين يحميها
على مناعة ذاك السد تنفذه … عصابة تتواصى في حواشيها
من كل أخرق تنسل الحظوظ به … إلى المراتب يسمو في مراقيها
خابي القُوَى عبقري الجهل يثقله … عبءُ الرياسة إذ يدعوه داعيها
يا حافرين تراب الأرض عن حجر … أو جثة في ظلام القبر يطويها
ومنفقين من الأموال طائلها … في البحث عن خِرَقٍ لم يُغْنِ باليها
مستبشرين بما يلقون من تحف … للقوم أو خزفات من أوانيها
ورافعين من البنيان شاهقه … فيه الذخائر قد صُفّت لرائيها
هلا عرفتم لمصر فضل حاضرها … يا عارفين لمصر فضل ماضيها
إن العصور التي جادت بمن سلفوا … على الحضارة لم تبخل أياديها
ذُخر المواهب في أحيائكم تحفٌ … بذّت متاحفكم وصفاً وتشبيها
ما إن يقال لها: لله صانعها … لكن يقال: تعالى الله باريها
هبوا النوابغ موتى فاجعلوا لهمُ … حظّ النواويس أكرمتم مثاويها
جعلتم الحيَّ يرجو حظ ميتكم … لحظ أحيائكم في مصر يشقيها
أيُحرَم النحلُ غضّ الزهر يلفظه … شهداً، وقد شبعت منه أفاعيها
ويُقتل الروض ذو الأثمار من ظمأ … والماء يروي مَواتاً من فيافيها
من يقتل الجهد يقتل فيه أمته … وأمة الجهد تحييه فيحييها
إن الشعوب إذا ماتت مواهبها … نُقاضة أعوزتها كف بانيها

**أحمد الزين**

# حرب العــلم

للأستاذ فخرى أبو السعود

لَلْجَهْلُ أَرْفَقُ فى دُجى أزمانِهِ ... بالمرء إنْ يَكُ ذَا مَدَى عرفانه

سقياً لعهد الجهــل فى أفيائِهِ ... نَعِمَ الجدودُ وفى رَضِيِّ جنانه

إذْ شِكَّةُ البطل المُقاتِل لهذمٌ ... يُصمى به الأقرانَ يوم طِعانه

لم يَبْغِ بالبُرَءاء عدواناً ولم ... يخصُصْ بصولته سوى أقرانه

يُولِي المُسالِمَ بِرَّهُ من بعدما ... أَوْلَى مُناجِزَهُ شَبَاةَ سنانه

فاليومَ سَوَّى العلمُ فى فتكاته ... بين الورى طرًّا وفى إثخانه

أمستْ بيوت الخلق مِن أهدافِهِ ... وغَدَتْ خدورُ الغيد من ميدانه

لا لِمُرْضَعٍ تنجو ولا مَنْ أرضعتْ ... من كيده يُعْفَى ومِنْ عدوانه

قد كان يحمى الحوضَ أمسِ رجالُه ... من خصمه إن جَدَّ يومُ رهانه

فاليوم أَوَّلُ ذائقٍ لِلَظى الوغى: ... أطفـــالُه ومُنَعَّماتُ حسانه

والشيخُ منحنياً على عكّازه ... والحَبْرُ مبتهلاً إلى رحمانه

العلمُ ليس بمانعٍ من خصمه ... بالمُقْدِمِ المغوار من فرسانه

يسعَى إلى الساعين فى أرزاقهم ... والآمنِ المأمونِ فى جدرانه

يا وَيْحَ إقليمٍ أتاه العــلم فى ... أجناده يسعَى وفى أعوانه

ينتابُه بســمومه ورجومه ... ويلفُّه فى ناره ودخانه

تطغى جحافله على أمواهه ... وفضــائه وسهوله وقنانه

بِسَوابحٍ تحتَ العباب وفوقه ... ومحلِّقات فى طِباق عنانه

وزواحفٍ فوق الأديم شتيمةٍ ... تطوى رَوابِيَهُ إلى ودیانه

حيــوانُه وزروعُه ودياره ... وقُرَاهُ والآلافُ من سكانه

بعضُ المشيم إذا أتاه العلم فى ... آلاته ليهــدَّ من أركانه

هيهات يَعصم مِنْ أذى غازاته ... حِرْزٌ ويحمى مِنْ لَظَى نيرانه

مَنْ فرَّ مِنْ غيلانه فإلى حِمَى ... حَيّاته وإلى رَدَى عقبانه

هذا جحيم العلم يُصليه الورى ... إن هاجت الأطماعُ من شيطانه

لم يعتصمْ شعبٌ أبيٌّ باسل ... بهضابه منــه ولا قيعانه

لمَّا رماه بناره وحديده ... ومشى يقدُّ الصَّلْدَ من صوانه

حَرَمُ السيادةِ رَدَّ قِدْماً دونه ... أعداءه وأعَزَّ فى شجعانه

قد فَضَّهُ العلمُ الخؤون بغدره ... وزها بما قد دَكَّ من بنيانه

قد بات يَخْشَى الكونُ يوماً مقبلاً ... فيــه يلجُّ العلمُ فى ثورانه

يَئِدُ الصروحَ الشُّمَّ فى زلزاله ... ويقوّض الأمصار فى بركانه

ويَرُدُّ قفراً موحشاً ما شاد من ... زاهى حضارته ومن عمرانه

فخرى أبو السعود

# يوم الرســالة

للأستاذ رفيق فاخورى

شدَّ ما بَرَّحت بى ! هل من رجاء ... أيها الشوق على الصبر العفاء

غلب المضنى على مجهوده ... وحماه راحة النفس العناء

وتعايا فى جراح فى الحشا ... قتل البين ! أساها فأساء

قل لمن أسرف فى تعنيفه ... سبق الداء ولم يُغْنِ الدواء

ويحه يقضى فلولا نفعت ... رحمة منك وآثرت الوفاء

يا أحباى دموعى بعدكم ... أعين تجرى وأشجانى ظماء

وحنينى لو علمتم جذوة ... فى الحنايا بلظاها يستضاء

جددوا عهد التصافى إنه ... نعمة عشنا بها قبل التنائى

وخذوا قلبى بما أعطيتمُ ... فِدية العانى وجودوا باللقاء

وبروحى من إذا مرت على ... خاطرى ذكراه كانت لى شفاء

عَلَمٌ من هاشم منبته ... كرم الآل الهداة السمحاء

ذروة السؤدد جيران السها ... لهمُ صيغت تجاويد الثناء

مجدهم ينسخ لألاء الضحى ... وعلاهم لا يدانيها علاء

* * *

سيد الخلق ونبراس الهدى ... وضياء بجلاء الشك جاء

وعظيما من بنى الدنيا ارتقى ... بجلال الروح أسباب السماء

وعماد الملة الغــراء ما ... جاورت قلبًا فجافاه الرجاء

ومنار الهائمين التبسوا ... بالدجى فى مجهل الأرض الفضاء

يومك المشهور فى طلعته ... كجبين الشمس حسنا وبهاء

مفرد يزهو على الأيام ما ... نصلت من صبغة الليل ذُكاء

طبّق الآفاق ميمون الخطا … وعلى الدهر تمشّى الخيلاء
وأعاد الكون بالبشرى فتى … رائع الغرة لماح الرواء

* * *

صبّح الهادين سعداً شاملاً … ورمى العادين بالخطب العياء
زلزل الشرك على أنصاره … فاستوى الحق عليها فأضاء
يومك المشهود يا خير الورى … غرة التاريخ عيد الحنفاء
لم يظل الناس يوماً قبله … ملأ الأفواه حمداً وثناء
وجرى كل لسان مقول … فيه شوطاً وتبارى الخطباء
جاءنا يحمل في أطوائه … سيرة المختار زين الأنبياء
فمشت في كل روع هزة … جلّ من فجّر ذياك الضياء
يا أبا الزهراء ما مثلي وقد … خانه المنطق يجزى الكبراء
آية الله تعالى قدرها … تفحم الشعر وتعيي الفصحاء
لك في كل جنان هيبة … ألفت بين قلوب الأتقياء
أنت من أسرار ذي العرش التي … لا يواريها مدى الدهر الخفاء

* * *

ربّ إني واسل بالمصطفى … فتقبل من صريحيك الدعاء
هيّئ الغوث لقوم أسرفوا … في الخطايا واهتدوا بالأشقياء
إن قومي ظلموا أنفسهم … وتظنوا في الأضاليل النجاء
جعلوا دينك ظهرياً ولم … يسمعوا من جانب الحق النداء
رغبوا عن سنة الهادي فهم … إن علا صوت المنادي غرباء
وهمُ في كل أرض وحمى … مركب للذل ما فيهم غناء
خذلوا الأخلاق وانهالوا على … زخرف الدنيا فعاشوا ضعفاء
أيها القوم اذكروا تاريخكم … إن فيه عبرة للبصراء
أين ما شاد لنا آباؤنا ؟ … أين ما قد خلفته الخلفاء ؟
أين آثار الميامين الأولى … ينسب العز إليهم والسناء ؟
أين للاسلام ملك باذخ … كالرواسي حصنته الكبرياء ؟
درج الدهر على أعيانه … فانطوى إثرهمُ ذاك اللواء
وبقينا خلفاً في أرضهم … أحمدوا السلوان واختاروا التواء
ضل قوم ضيعوا الميراث أو … سدلوا جهلاً على الماضي غطاء

(حمص) رفيق فاخوري

# انتظري بُغْضي ...

للأستاذ محمود محمد شاكر

حَبَبْتُكِ ، والأوهام فِكْرِي وحُجّتي … تؤالبُ بغضي — في هواكِ — على بغضي
إذا ما نقضْتُ الرأيَ بالرأيِ ، ردّني … إلى خطرات الوهم — مضٌّ على مضِّ
أصارعُ أهوالاً من الغيظِ والرّضَى … وما يتولّى الغيظَ فوقَ الذي يُرْضي
عجبتُ لمنْ راضَ النّساءَ ورُضْنَه … ويقتضينَ من إيلامِهِ دون ما يقضي
ويَرْمِينه بالسّهم ليس بطـــائرٍ ، … ويَرْمي بما يحمي الجفونَ عن الغمضِ
فكيف به قد ذَلَّ وَهُوَ مُكَرَّمٌ … وأغضَى ولو قَدْ ناصبَ الدهرَ لم يُغْضِ !
كفى بكِ ذُلاً أن تبيتَ على جَوًى … وتُصبِحَ في ذكرى ، وتُمسِي على رَمَضِ
كأنكَ لم تُخْلَقْ لِدُنْيا تَجُوبُها ! … وما أضيقَ الدنيا من الحَدَقِ المُرْضِ !
فهُنَّ اللواتي زِدْنَ في العيشِ لذّةً … فأقْصَيْنَ لذّاتٍ من الفرح المَحْضِ
شككْتُ ، وقد تُنْجِي من الشرِّ ريبةٌ … وتُبْدِلُ مُسْوَدَّ الخطوطِ بِمُبْيَضِّ
لقد كنتُ أمضي طائعاً غيرَ جامحٍ … وأرضَى بإطراقي على الرَّيْبِ أو غَضِّي
وينفضحُني فيكِ اقتحامي وغَيْرتي … وطرفي وما جَسَّ الأطباء من نبضي
ويأكُلُ قلبي ما أُكَتِّمُ راضياً .. … فما بكتِ العينُ الشبابَ الذي يمضي . !
وأنتِ .. ! لعمري في سرور وغبطة … يَسُرُّكِ بسطي في الحوادث أو قبضي
أأُنثى ووحشٌ ؟ جلَّ خالقُ خلقه ! … وسبحانَ كاسي الوحشِ من رونقٍ غضِّ !

# القصص

من الحياة

## الضحيـــة . . .

للأستاذ كامل محمود حبيب

انحسر الليل عن جبين الفجر ، والفتى لا يزال فى مجلسه يشهد ليلة تنطوى ، وفجراً يبزغ ؛ وكأن الليلة لم تكن فى فكره إلا ساعة ، وكأنه وقد جلس يرقب سير الكواكب فى أفلاكها كان ينتظر أن يقرأ فيها تتمة الرسالة التى قرأ أولى كلة منها أول الليل ، فوجد فيها ما وجد من لذة ونشوة وسحر . لم ير فى صفحة الكواكب السيارة ، ولا فى العالم الهادىء النائم المطمئن ، إلا شيئاً كان فى خياله هو وفى خواطره . جلس لا ليقرأ حظه فى كتاب السماء ، ولكن ليؤلف كتاباً من نفسه الطروب المرحة

وأعجبُ منه لذّتى ومسرّتى على حين تمشى فى المخالب أونغضى
فيا سوء ما أبقيتِ فى الدّم من لظى
وفى الفكر من كلمٍ وفى القلب من عضّ
أخافك فى سرى وجهرى ، ومشهدى
لديك وغيبى ، خوف أرقط منقضّ
لقد كنتِ أحلامى — إذا الليل ضمّنى ،
وكنتِ إذا ما الفجر ايقظنى — روضى
يناجيك طير فى الضلوع بلحنه
لقد عاش فى سحر ، وقدعشت فى خفض
وكنتِ على ورد الخمائل زينةً وكان بشيرَ الفجر فى الفنن الغض
فأصبحتِ ... لا خيراً فيُرْجى ، ولا لقى
فيُلقى ، ولستِ من سمائى ولا أرضى
تصاممتِ عن قلبى ورُمتِ منيتى وتنتظرين الحب ! انتظرى بُغضى

. . . . وذهب الى عمله وهو نشاط يشتعل ؛ فهو يجيء ويذهب ، ويقرأ ويكتب ، ويتكلم فيبين ، وكأنّ شيئاً فيه قد خلقه من جديد ليكون شخصا غير الذى يعرفه فى نفسه ، ويكون إنساناً سوى ذلك الذى عرفه صحابته ورفاقه . ودخل الى صديق يحدثه ، يريد أن يفضى اليه ببعض ما يفور فى نفسه ، ولكنه عاد فرأى أن ذلك الشيء الذى بعثه من جديد لم يكن إلاّ فى نفسه لنفسه ، فهو سره هو ، وهو له وحده . . . ثم رجع الى بيته ليطيل النظر الى نفسه فى المرآة يأمل أن تريه مرآته الشابّ الذى فى قلبه ، فلم ير إلاّ ما تريه المرآة كل يوم ، ولكن هندسة عقله الجديدة قد بدت على هندامه وزيّه فكان جديداً حتى فى هندامه وزيّه . أ كلّ ذلك لأنه رآها أمس وجلس اليها وقال لها وقالت له . . . ؟

ومضى الفتى على طريقه ، وفتاته أمامه تنير له ما أظلم ، وتفتح له ما استغلق ، وقلبه ماضٍ على أثرها ، وهو من وراء الاثنين : قلبه وفتاته ، طيّع منقاد

وأبعد فى السير ، فباعد بين الفتى الجديد والفتى الذى كان ، وعاد لا ينظر الى الوراء إلاّ ليرى ذاك العريش الذى جلسا تحته لأول ما قال لها وقالت له . . . وكأن عمره قد اختُصر فى هذه الأشهر القليلة ، ولكنه كان عمراً طويلاً

وخيّل الى الفتى حين اجتلى النور من وجه صاحبته ، وحين حاطه الشعاع الآسر من روحها ومن عينيها ، وحين رأى الأمل يترقرق على شفتيها من ابتسامة رقيقة ، خُيّل اليه حينذاك أنه عاش ماعاش من العمر أعمى لا يرى الحياة إلاّ مادة ؛ أما الآن فهى عنده روح من الروح ، وهى عنده شعاع يسطع فى قلبه ، فلا يزال يذكى روحه ، ويرهف حسّه ، ويشعره معنى الحياة الجميلة ، ويحبّب اليه أن يعيش عَيْشَه مغموراً فى هذا النور الالهى الذى ولّده السالب والموجب من قلبها ومن قلبه

وتلاقيا على ميعاد . ونظر ونظرت ، فاذا عصفوران يتساقيان

الهوى على فنن ؛ فقال فى نفسه : « ما أتعس الانسان ! يقيد نفسه بأغلال المادة والتقاليد ، ثم يزعم أنه طليق . ليتنا مثل هذين...!»

وقل لها وقالت له . وكان كلاماً لا تلتقطه الشفاه : من ذا يفهم لغة الطير ، أو يسمع نجوى العاشقين عينا الى عين ؟ إن هذين الطائرين يفهمان من فلسفة الحياة أكثر مما استوعبت عقول البشر . إنهما يملكان الحرية ، وفى أيدينا وأرجلنا قيود ذهبية...!

ومالت على زهرة نضرة من أزهار الحديقة تقطفها ، ونظر الفتى فما بدت لعينيه زهرة ، بل رمزاً من شفق ، وخد ، وعطر ، وخطرة دلال . وأسرع الى صاحبته : رويدك يا فتاتى ، إن هذه الأنامل الجميلة ما خُلقت إلا لتتملى هذا الجمال وترعاه !

ولما هما ليفترقا لم يقل لها : يا فتاتى التى أحب . بل قال لها : يا من حبتنى الخلود وأشعرتنى لذة السعادة على الأرض

* * *

ما أعجب ما يرى الانسان فى الحياة ! وهل يرى كل ما فيها إلا على ما رُكّبت عليه طبيعته المادية الجامدة ؟ حتى إذا ما لمست فتاة قلبه حالت كل مادة على الأرض شيئاً إلهياً نورانياً ، يتلألأ كما انفلق الاصباح عن ليل طويل دامس . وماذا فى الشباب إن لم يكن هذا الشباب فى القلب قبل أن يكون فى نضرة الوجه وتكتل العضل ؟ حتى الشيخ يرده الحب فتياً ! تلك حكمة الله فى الأرض

* * *

سار الفتى على سننه ؛ وذهبت نفسه وراء فتاته ، وهى من عقلها لا تحمد العاطفة بارحى الدائم ، ولا تبعث فى نفسه السأم بالغضب المستمر . وهو من كبريائه لا يندفع اندفاع الطيش ، ولا يُقْصر اقصار الملل . نفسان عُقِّدَتا ؛ ولكنهما عقدتا ليكون الحب فيهما عقدة ثالثة . فهى تفور ، وهو يتزّى ولكنهما هما . أراد أن يكون صريحاً فتعقدت له ، فلما أرادت أن تكون صريحة وجدته قد تعقد

ضلّ من يقول إن العقل والكبرياء كلاهما يذهبان برونق الهوى ، ويطفئان شعلة الحب . إنهما يجعلان من الهوى هوى مركباً لا ترقى اليه العقول الصغيرة ، ومن الحب حباً معقداً لا تبلغه العاطفة السقيمة

ثم انطلقا . . . والفتى سعيد بفتاته ، والفتاة سعيدة بفتاها فما يفترقان إلا على ميعاد ، وهما بين الميعادين كالظمآن يذكر آخر قطرة تذوقها ويرى فيها الحياة ، وينتظر أول قطرة تأتيه ليرى منها النور

على ضفة النهر ، وبين الخمائل ، وتحت ظلال الشجر ، وفى ضياء البدر ، فى صمت الطبيعة وجمالها ، طائران أغمض الدهر عنهما جفنيه ليرشفا من رحيق الحياة كأساً صافية ، ما كدّرها تخاصم ، ولا لوّثها عبث . عام انطوى ، فكان العمر ، وكان جمال العمر ، والصفحة البيضاء فى كتاب حياة الشاب والشابة . فما يكون جزاء هذا الحب إلا رباطاً لا تنفصم عروته ؟ وتلألأت الفكرة ، وتضاعفت سعادة العاشقين بهذا الأمل الجديد

والفتى والفتاة من أسرتين ترسفان من التقاليد فى أغلال ، وويل للحب إذا اعترضت سبيله التقاليد !

* * *

وكانت فكرة ، ثم استحالت الفكرة فاذا هى كلام ، وحار الكلام فاذا هو خطوات إلى غاية ؛ ولكن ... ولكن ما أحوج هذا السالك إلى من يرود له الطريق ! هؤلاء أهلها ، ماذا يعرفون من أمره ؟ وكيف يخطبها اليهم وماله عندهم اسم ولا رسم ؟ وهؤلاء أهله ، ماذا يعرفون من أمر فتاته ، وما حاول من قبل مرة أن يفض لهم أغلاق قلبه أو يقرأ عليهم سطراً من شبابه ؟ وهذا أبوه ، شيخ لا يؤمن بالحب ، ولا ينقاد لنزوات العاطفة ؛ وهو رباه ونشّأه واختار له فيما اختار فتاة من ذوى قرباه ، فما ينتظر له زوجاً غيرها ولا لها زوجاً غيره . فمن ذا يشفع له عنده ؟ وهذا عمه ، وإنه لرجل حد وكفاح لا يرى الحياة إلا من الناحية الصلبة الجافة ، فما اليه مشتكى ، ولا فيه شفاعة ! ولقد تلقى الفتى عن أبيه — فيما تلقى — دروساً فى الشجاعة والصراحة معاً ، فكيف تخذله شجاعته ، وكيف يلتوى لسانه وهو يطلب الحياة لنفسه ؟ وفى قلب الفتى نار لو لفحتْ الشجر الأخضر لتركته هشيما ، وفى رأسه شعلة لو نفخت على السائل لتركته يغلى ويفور . وابتدأ الفيلسوف الذى فى رأسه يفرض الفروض ، ويأتى بالمقدمات ، ولكن إلى غير نتيجة

لقد ملك اللذة وأراد أن ينعم بها ، ولمس السعادة وأمل أن يحتويها ، ولكن فكرتى اللذة والسعادة هما اللتان ذهبتا بشجاعته وصراحته

ماذا فى السعادة غير اطمئنان الخاطر ، وهدوء الضمير ، وإشراق الحياة ، وابتهاج النفس ، والرضى بكل ما يجيء به القدر ؟ ذلك هو الايمان ، والشعور به هو اللذة . فلا تنشدها من غير هذا السبيل

* * *

ونفخ الحب فى عزم الفتى ، ونفث من سحره فى لسانه ، فمضى بين الرجاء واليأس ينفض أمام أبيه جملة حاله . وكان أبوه قد قدّر حين رأى فى ابنه الذهول والصمت حيناً ، والانكباب على المطالعة حيناً آخر ، أن به شيئاً . وقالت له ذكريات شبابه : « ويحك أيها الشيخ ! إن فتاة قد سلبتك فتاك ، لأنه فقد النوع ، وإنه لشاب به من ثورة الفتاء ما بالرجل يوقد تحته بنار من حجارة ، فأمسك عليك ولدك بزوج تربطه بها وتربطها به ... ! » ووعى الشيخ ما سمع . فلما أذن للفتى أن يكشف لأبيه عن صدره ، قال له : « يا بنى ! إن حكمة الشيوخ غير طيش الشباب . يا بنى ! إنه أنا الذى رباك وأنا الذى يريد أن يعيش فى تاريخك جيلاً آخر . عقلك أولاً ثم عاطفتك ، وغداً تهدأ هذه الثورة ... ! » ولكن الثورة لم تهدأ بل زادت ضراماً ، وعاد الفتى إلى عمه يستعينه على رأى أبيه ، فما الأخ إلا صورة من أخيه ، ولما أرسل إلى أهلها قالوا : « حتى يرضى أهله »

وضاقت نفس الفتى بما رأى وسمع ، وما لبثت الفتاة أن سميت على غيره ، فأصبح الفتى يتوزعه الحب وقد أخفق فيه وصفرت منه يداه ، والكبرياء التى لا تطاوعه على أن ينقاد ، فصار همه همين ؛ وعض الحزن على قلبه فاستلبه من أمامه ، وخلفه يمشى بين الناس جسداً بلا روح .

وأحس الأب بمقدار قسوته على ولده ، على حين لم يكن يريد له إلا السعادة ، فانطلق يلتمس له الشفاء من ألمه ، ولكن أين له ما يريد وقد سميت الفتاة على غيره فخطبت . . . .

وكان الأب فى انطلاقه يفتش عن السعادة لابنه ، قد ترك وراءه شبحاً يجلس إلى مدفئه فى زاوية من الحجرة وقد نشر أمامه ورقة لا يكاد يتبين من سطورها إلا سطراً أسود يضطرب أمام عينيه ، وكأنه لم يكن ينظر كلاماً مكتوباً بل شريطاً عريضاً أسود يمثل له حظه فى الحب . لقد وعاه من طول ما كرره ، ولكنه ما يزال يقرأ ، ويعيد ما يقرأ ، كأن ألفاظه تمسح ببياضها هذا السواد السائل أمامه : « لقد تخليت عنى فى وقت أنا أحوج فيه اليك ، وقد كان بيننا ما كان . تخليت عنى ليعبث أهلى — بما لهم على من حق — فى مستقبلى . لقد أرغمونى حين ردوك »

ولما ارتد الأب خائباً ، وجد الابن قد أكلته الخيبة والتهمه اليأس ، فعاد يهمس بينه وبين نفسه : « ويلى ! لقد جنيت ! » ثم ابتدأ يلتمس لولده العزاء مما جنى عليه ، فقدر له أن يمضى أياما على شاطئ البحر ، عند الربيع الأزرق . هناك حيث يخلع الانسان همومه إذ يخلع ملابسه ، ويتحلل من أثقال الدنية وتقاليد الناس حين يرى نفسه كآدم وحواء قبل اتخاذ الثياب . وكان الفتى واسع الخيال دقيق الحس ، فآلمه أن يرى هذا الناس قد اجتمعوا ليقتسموا الصحة والعافية ، واللذة والسعادة ، وهو وحده يعيش فى جو بعيد عن كل ذلك ، هو جو قلبه ، وانصرم الصيف ، وما أفاد إلا هما على هم ، ووحشة كانت فى قلبه فعادت فى حسه وفى نفسه

وجلس الابن يقرأ — ذات ليلة — كتاباً فى تاريخ قدماء المصريين والأب ينصت ، وهو يتبين فى صوته رنين الأسى والحزن . فقال : إن لنا فى الشتاء لرحلة كما لنا فى الصيف رحلة زيارة آثار أجدادنا القدماء . وطرب الشاب لهذه الفكرة الطارئة

* * *

وطو"فا ما طوفا والفتى فى نهاره رفيق أبيه ، وفى الليل صديق همومه

وجلس الفتى إلى نضد ، وقد مضى الليل إلا أقله يكتب إلى التى أحبها : « ذهب عقلى واستقر هواك . وهأنذا أطوف فى بلاد وقرى لم أنزل بها من قبل ، ولم يزرها أبى من قبل أيضاً . يظن أبى أننى أفرج عن نفسى ، وأرانى شريداً لأننى أرغم على ذلك إرغاماً . يؤمر ليطيع كالانسان الصناعى لا يدرى ماذا يقال ، ولا ماذا يُفعل ؛ وهم يسخرون من الانسانية إذ يسمونه الانسان . أبى يرى فى كل ذلك لذة ، أما أنا فلا أرى هنا . يلذنى لأننى بعيد عنك . والآن وقد بلغنا أسوان بقى على أن أصف لك الخزان المظيم الذى يترك لأرض مصر جميعها فضلة ما عسك . إنه فى رأسى الآن يجيش ويضطرب ، وغداً كيف أراه أمام عينى ؟ سأذكرك هناك ، يا فتاتى ، وأذكرك . . . »

وعند انبثاق الفجر انفلت من الفندق ليضع بعض قلبه في صندوق البريد

***

وعلى خزان اسوان سار مطمئناً، وهو يعجب بما يرى؛ عن يمينه طود من الماء، وعن يساره رشاش الماء المنسكب، أمواجاً تتلاطم، كأنهما في مضمار، أيهما يبلغ الغاية أولاً؟ وعلى سور الخزان المبني من حجر الجرانيت، وقف يتكئ على حاجز قصير هناك يطل منه على الماء يتدفق من فتحات الخزان حياة، والخواطر تتدفق في أعماقه شجواً حزيناً يبعث الألم. وأخذت الفتى روعة ما رأى وأحس كأن الماء الذي يعترك في أسفل يجذبه ليحمله إلى من يحب. ورأى الرشاش المتطاير تنعكس عليه أشعة الشمس فترسم عليه قوساً ذات ألوان جميلة، كأن عروساً في ثوب زفاف تتراءى له بين مرآتين، ولكنه لم ير فيها إلا العروس التي فقد، تبتعد بها الأقدار في صحبة رجل غريب. ورأى الماء يتسرب من بين الصخور كما يتسلل القدر في تاريخ إنسان ليضع فيه مأساة أو يصنع حادثة

ومضى الفتى يتخيل فيمعن في الخيال، والماء تحت عينيه يموج ويضطرب ويزأر متدفقاً مكتسحاً في بطش وعنفوان؛ فما يرى الفتى بين الموج والزبد إلا صورة واحدة: صورة الفتاة التي بعد بها عنه عنف القدر وسلطان التقاليد.

ورجع الأب ليصحب ولده فيعودا، ولكنه انطلق يعدو حين رأى ابنه يوشك أن يتردى. فما بلغ إلا ليشهد آخر مأساة للشباب تتلقفه الأمواج.

يا يد الشيخ أنت التي دفعته الى هذه الهوة فما كان لك أن تنقذيه . . . !

يا تجارب الشيخوخة كم أنت قاسية! لقد أردت أن ترعى السعادة فجنيت الشقاء. لقد كنت كبيرة فلم تفهمي لغة الشباب، وكنت مادية فلم تفهمي حديث الروح، وكنت صلبة فلم تعقلي كلمات القلب. هل أنت يا تجارب الشيخوخة إلا خرف الهرم ونكسة الانسانية . . ؟

ألا ليت الشباب وليت الهرم . . . ولكن ماذا يجدي، ماذا يجدي؟ ليت شعري هل قُدّر للانسانية ألا تبلغ سعادتها إلا على جسر من الضحايا؟ فياويح الشباب وياويح الهرم!

كامل محمود حبيب

دراسة من اسخيلوس

٥٠

# ٣ـ الفرس

Persae

## للأستاذ دريني خشبة

تتمة

— ٧ —

« يظهر شبح دارا ويخاطب الجماعة »

— «أوه! أنتم هنا يارفاق الصبى ولِدات الشباب! مرحى! لقد ابيضت نواصيكم، وجلل هاماتكم وقار المشيب! ماذا؟! ما لكم واجمين هكذا؟ أي شجو يعقد أساريركم ياسادات فارس؟ ماذا أسمع؟ هناك! هناك في جميع آفاق المملكة؟ الجماهير العزيزة تئن وتبكي! ويح لكم يارعاياي؟ أباكية؟! تكلموا؟! إن قربان الخمر الذي أبقيتم ثرى رمسي قد روّى أعظمي وانتشت بحُمَيّاه نفسي؟ لشد ما أيقظتني أناشيدكم وأذكاركم تتغنونها على هذا القبر يا سادات، وتتغنونها معكم مليكتي!! تكلموا! تكلموا إذن! فيم جُؤاركم بي، وصلاتكم من أجلي، لأطوي الرحب إليكم من عالم الأشباح؟! إن الآلهة ترنو إليّ من بعد، وإنها تكاد تتخطفني ... لماذا تصمتون هكذا؟ تكلموا وإلا فالويل لي من أرباب الظلمات! ...»

— «لشد ما تفرق قلوبنا إذ نرى إلى هذه الهامة! كيف السبيل إلى الكلام؟ أي فزع يذوب كالموت في فرائصنا؟»

— «ليفرخ روعكم! إن صلاتكم الطيبة هي التي سمت بي إليكم! فيم هذا الجزع الذي يسيطر عليكم؟ وهذا الحزن لِمَهْ؟ تكلموا! البدار، أختصروا ما استطعتم فاني عجلان، والآلهة تحدجني من أعماق الدار الآخرة!»

— «نفْرَق أن تنبس أفواهنا بكلمة عما حاق بأعز الناس! إن حبنا له، وجزعنا عليه يمنعنا من أن نقول كلمة! ...»

— «هذا دأبكم دائماً ... طالما كنتم تخافون من لا شيء إذن، فتكلمي أنت يامن كنت شريكتي في أهنأ حياة؟ وأرجو أن توجزي ما استطعت.! ما هذه الصيحات التي ترتفع من رعاياي في البر والبحر؟ ما لهم يبكون في كل صوب!»

— «مولاي دارا! مليكي! يامن أقمت مجد الوطن ...

وكنت مُحَسَّداً من أندادك للأبهة التي شادت دعائمها يداك... كم أنت اليوم مُحَسَّد كذلك للراحة التي تنعم بها في جوار آلهتك ... ؟ قصتنا موجزة ، وتكاد ترويها كلها كلمة واحدة : الامبراطورية يا مولاي ؟ لقد نسج الزمان عليها عناكب الخراب وليس من يقيل عثرتها ! ! »

— « لِمَهْ ؟ هل طاعون سلطه عليها رب الشر ؟ أم ثورة جعلت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ؟ ؟ »

— « لا هذا ولا ذاك ! ولكن ... جيشنا ... لقد حطمه القضاء تحت أسوار أثينا ! »

— « جيشنا ؟ ومَن من أبنائي هذا التاعس الذي تأمر به ثمة ؟ »

— « الطائش إجزرسيس ! لقد أقفرت آسيا من روض شبابها بسبب تهوره ؟ »

— « في البر أم في البحر ؟ حاقت بهم النكبة النكباء ! »

— « فيهما معاً يا مولاي ! »

— « وكيف تم لهذا العسكر الجنز عبور البحر إلى هيلاس ؟ »

— « هندسوه يا مولاي أقاموا له جسراً عجباً ! »

— « وأي جسر هذا الذي يصبر لأمواج البوسفور وأواذيه ؟ »

— « كانت أرواح مخربة تنفخ في صدره طيلة ذلك اليوم ! »

« وأية ضربة لازب طاحت بجيش فارس وأسطولها ؟ أكان العدو أكثر عدداً وأعز قوة ! يا لتعسك يا إجزرسيس ! ترى ! كم شرذمة نجت من بطشة هذا القضاء ؟ »

— « ثلة في البر وثلة في البحر ... وكان هو ينطلق لا يلوى على شيء ! حتى عبر الى آسيا ! »

— « إيه يا آلهة ! هكذا تدرين رحى الخراب على من يديرها على نفسه ! إجزرسيس الطائش ! لقد كان شيطانه هواه ، فلم يرحم شبابه ولم يترفق بشباب فارس ! حسب المأفون أنه يسخر بالآلهة ، ليستطيع أن يكتب الأقضية ، ويحول مجرى المقادير .. الا قد حبط مكره ... وحاق به سوء تدبيره ... وبدد في حماقة كل ما ذخرت لفارس من قوة وعتاد ... وجعل خزائن سوس لأعداء الامبراطورية نهباً مُقَسَّماً ... ألا من أضلك يا أتعس الأبناء ! »

« أضلته نفسه ، وغلب عليه استبداده ، وسولت له تلك العُصبة من الحمقى والمأفونين »

« تعساً لهم من مُشيرى سوء ، وإخوان ضلالة ! وتعساً له من أُحَيمق ، هدم المجد الذي بناه أجداده فرفعوا عماده ، ومهدوا له وأرسوا في ساحات النصر أوتاده ... الشقي الذي نسي نصيحتي فوق سرير الموت ، إذ حذرته من محاربة الهيلانيين ! »

— « والآن يا مولانا ! أتنصح لنا نهتدي بك في ظلمات المستقبل »

— « هي نصيحتي أبداً ... لن تتغير ... لا تلتحموا في حرب مرة أخرى مع الهيلانيين ! حتى ولو كان جندكم أكثر من جندهم أضعافاً مضاعفة ! إنهم يحاربون من أجل وطنهم المفدى ! أما أنتم ... ففي سبيل أطماعكم تهرق دماء شبابكم ! هذا إلى هيلاس نفسها ... إنها تحارب بجنود لا ترونها في جانب أبنائها ! »

— « هيلاس تحارب بجنود لا نراها ؟ وكيف ؟ »

— « أجل ! إنها تحارب المغيرين بالمجاعات والأوبئة والطواعين ! انظروا ! إن شراذم مبعثرة منهم في الآفاق .. لا تلوى على شيء ... تفر من الميدان ! ويلاه ! إنها فلول أجنادكم ، أصبحت لا تقدر على شيء ! ... لقد تركها القائد الشقي تقاسي من الجوع والعري والزمهرير ... أشباح وسعادير ، يرنق فوقها الموت عند كل أكمة !! إجزرسيس ! يا أتعس الأبناء ! ذق إنك أنت العزيز الكريم ! فيم استباح جنودك معابد الآلهة وأقداس الأرباب ! لقد دنسوا هياكل القوم ، وسلبوا معابدهم ، وكسروا أوثانهم .. فليذوقوا إذن وبال أمرهم ، ولترو من دمائهم رماح الأسبرطيين ... وليؤدوا الدين من خزائن أرواحهم مهجاً غالية ! يا للآلهة ! ! ما أقساه درساً ألقيته على كبرياء بني الموتى وخيلائهم ! ! زيوس يا سيد الأولمب ! يا كبير الآلهة ذا الطول ، يا شديد الانتقام ! ما أهول بطشك حين تأزف ساعته ... وما أبلغ حلمك ! »

أيتها الملكة ! يا أم إجزرسيس ! يا أم ولدي التاعس ! هلمي فالبسي أبهى حللك ذات الأوشية ، وانطلقي فالقي ولدك المحزون ! رفهي عنه وواسيه بكلمة طيبة لن يحتملها إلا منك ، وبلغيه نصائحي ... »

أما أنتم يا رفاق صباي ! فالسلام عليكم ... لتثلج صدوركم ولتطب نفوسكم ... لقد فرغتم من زينة هذه الحياة الدنيا التي لا تسير في ركاب الموتى الى الدار الآخرة »

« يتبع البحث »

— ٨ —

ويرسل الأشياخ الفارسيون للنحيب زفرة كأنها لفحة من جهنم ، ويعبسون عبوسة سادرة حزينة لما يتجيف الوطن من أشجان ، ثم تمضى الملكة لتضفى عليها من أبهى وشى فارس ولؤلؤ بحرها العجيب ، ولتذهب فتاتى ولدها المقهور المنهزم ، الذى عاد من حلبة هيلاس يجرر أذيال الخيبة ، ويتهالك على نفسه فى أسمال الخزى والانكسار ... « ولدى إجزرسيس ! الذى لابد له فى هذه المحنة من قلب الأم يضمه ويحنو عليه ، ويقشع عن عينيه ديجور الهم ، ويعيد اليه مسرة الدنيا وحبور الحياة ! »

— ٩ —

أما الخورس — وهم أولئك الأشياخ الوقورون — فيهزجون بنشيد طويل يذرفون فيه دموعهم على مجد الأكاسرة الغابر ، ويبكون على أيام كانت فارس سيدة الأرض ومؤدبة الأمم ، ويذكرون الهزائم التى حاقت بجيوشهم فى البر والبحر ... « وشبح الخراب الذى ينوء بكلكله على المدائن والقرى ، واليتم والجزع والبكاء التى تغزو كل بيت ، وتمزق صدر كل أم » وإفلات الأيالات الفارسية فى غرب آسيا وشمال هيلاس من قبضة الفرس ... حتى لو شاء الهيلانيون غزو فارس نفسها لما استعصت عليهم (١)

— ١٠ —

« يدخل إجزرسيس متخاذلا »

— « واشجوى ! »

لقد جل الخطب ، وفدحت قاصمة الظهر ، واشتدت يد الحدثان إلى زهرتك يا فارس ، يا وطنى ، فقضت عليها فى ريعان ، وأذبلت غصنها إذ هو ناضر ريان ، وجعلتها قصة فى كتاب الزمان ! ويحى ! كيف لى أن ألقى ساداتك أيها الوطن وقد خذلت هيلاس قواى ، وخانت تجلدى واصطبارى ! ألا ليتنى لقى بين أشلاء جنودى ، ألا ليت كثيباً مهيلاً طوانى فى ساحة المجد ، فلم أعد اليك يا بلادى ! لقد كان ثمة عزاء لى بين القتلى من صناديدى ! »

— « أهذا أنت يا إجزرسيس ! ويلاه ! من للأبهة والمجد ! من للجيوش الجرارة والجنود المظفرة ! من للكواكب والرايات ! أين أين القادة الصيد ، والأبطال الصناديد والمغاوير المذاويد ؟ لقد انتفضت فارس تبكى أفلاذ أكبادها فأين تركتهم دون ولى ولا نصير ؟ أكانت تمدهم لهذا العبث الذى قذفت بهم فيه وهم زهرتها وذخيرتها وعتادها ؟ وبلاه ! يا للساعة ويا للحساب العسير ؟ لقد كان أجدر لو لم تلقك آسيا أيها الملك كسيرة القلب مهيضة الجناح ، لا حول لها ولا طول ، ولا مجير ولا هاد ! »

— « زه ! زه ! ياسادات فارس ! يا للحظ العاثر والمجد الغابر ! أو هكذا يارب تخزينى ملء رعيتى وبين جدران بيتى ؟ »

— « بل نحييك بالصراخ والعويل كما كان المارياندون يحيون موتاهم ... »

— « إذن ، فهلموا فابكوا ! لتنهمر دموعكم حتى ما تجف ، ولتشق السموات آهاتكم حتى ما تقف ! ألا ما حيلتى ؟ لقد اتحدت على الأقدار ، واسودت فى صحائف غيبى الحظوظ ! »

— « بل نحن نصرخ فى وجهك صرخة فرس التى كلها ألم وشجو ... »

— « وا أسفاه ! ماذا عسانى كنت صانعاً وقد اتحد مارس وملوه على ! »

— « بل قل لنا أيها الملك ! أين أين أكابرنا ؟ أين أين السوسيون والفرندسيون والبلاجيون وغيرهم وغيرهم من أشراف القبائل والبطون والأفخاذ ؟

— « غرق من غرق ، وغال الردى فى الميدان من غال فى يم سلاميس وبرية بلاتيه . »

— « بل أجب هذه الدموع وحرق الضلوع ! أين أين المظفر فرنوخوس وأربومارودوس الصالح ، وأمير الأمراء سيوالكوس ! وأين أين القنابل ذات الأيد من مازستراس وسيرأبيس وممفيس ! ...

— « ابتلعهم اليم ... ثم لفظهم الدأماء ! ودارت عليهم المنايا أغربة سوداً وغرابيب لا تبقى ولا تذر ! ... فلا قتيل اليوم ولا مفقود ! ! »

— « يا للنكبة ! يا للثمن الفادح ! يا زهرة شبابك يا فارس فى هذا الرزء الذى ليس كمثله رزء ، والمصاب الذى دونه كل مصاب ! ! إذن ماذا بقى للوطن أيها الرجل ؟ »

— « هذه الأسمال التى ترونها لا تكاد تستر جسد مولاكم ! »

— « أهى كل ما بقى من الغرق و ... الهزيمة ؟ »

— « وهذا البيت الخاوى على عروشه ... وكانت اليه خزائن الأرض من قبل ؟ ماذا بقى لنا ؟ لقد تفرق عنى جميع أعوانى أبادىد !

(١) صدق تقدير أسخيلوس فقد غزاها الاسكندر بعد ذلك وخضد شوكتها

# البريد الأدبي

## هنري دي رينيه

من أنباء باريس الأخيرة أن الشاعر والكاتب القصصي الكبير هنري دي رينيه قد توفي في الرابع والعشرين من مايو؛ وبذا يكون قد توفي في أيام قلائل عضوان من أسطع أعضاء الأكاديمية الفرنسية، هما الأستاذ هنري روبير المحامي الأشهر (وقد ترجمناه في العدد الماضي) وهنري رينيه، وخلا بذلك كرسيان في مجتمع الخالدين. وقد ولد هنري فرانسوا دي رينيه في ديسمبر سنة ١٨٦٤ في هونفلور من أعمال كالفادوس من مقاطعات الحدود؛ وكان أبوه هنري شارل دي رينيه مفتشاً في الجمارك؛ وتلقى الكاتب دراسته في كلية ستانسلاس، ودرس القانون؛ ولكنه انصرف منذ حداثته الى الأدب؛ وبدأ بقرض الشعر قبل أن يبلغ العشرين، وفي سنة ١٨٨٥، أصدر أول مجموعة شعرية، عنوانها «أيام الغد» Les Lendemains، فأصابت نجاحا وأتبعها بعد ذلك بعدة مجموعات أخرى نذكر منها: «أوسمة دارجيل» Les Médailles d'Argiles و«فستيا اللهبة» Vestigia flamme.

وعالج هنري دي رينيه كتابة القصص في نفس الوقت، وظهر منذ أواخر القرن الماضي بقصصه القوية الخصبة؛ ومن أشهر قصصه «عصا جاسب» La Canne de Oasps (سنة ١٨٩٥)، و«العشيقة المزدوجة» La Double Maitréesse (سنة ١٩٠٠) و«فراغ فتى عاقل» Vacances d'un Jeune Homme Sage (سنة ١٩٠٣)، و«الخوف من الهوى» La peur de L'Amour (سنة ١٩٠٧) و L'Amphisliene (سنة ١٩١٢) و«وهم تيتوباسي» L'illusion Heriquе de Tits Bassi (سنة ١٩١٦) و«الخاطئة» La Péchcresse (سنة ١٩٢٠) و«الفرار» L'Escapads، وغيرها

وكان هنري دي رينيه أيضاً صحفياً من الطراز الأول، يعالج المسائل الاجتماعية والأدبية في الصحف الكبرى بقوة وبراعة؛ وقد تبوأ كرسيه بين الخالدين في الأكاديمية الفرنسية منذ أعوام طويلة

## حياة لايدي هستر العجيبة

تتفوق حوادث التاريخ أحيانا على القصة في غرابتها وروعة ظروفها؛ ومن ذلك حياة «لايدي هستر ستانهوب» الانكليزية التي خاضت في أوائل القرن التاسع عشر غمار رحلات وحوادث مدهشة في تركيا ومصر وسوريا. وقد صدر أخيراً بالانكليزية كتاب عن هذه السيدة المغامرة عنوانه Lady Hester Stanhone بقلم السيدة جوان هاسلب J.. Haslip

وقد نشأت اللايدي هستر في أسرة نبيلة في أواخر القرن الثامن عشر، وهي ابنة أخت لوليم بيث الوزير الانكليزي الشهير، ولم تكن فتاة حسناء، ولكنها كانت تتمتع بجاذبية

---

— «ألا ما كان أشجع اليونانيين في هذه الحرب!

— «ألا ما كان أشجعهم حقاً! أبداً ما رأت عيناي أشجع منهم! لقد ظفروا بنا وأظهرتهم آلهتهم علينا، فلنا الخزي السرمدي، ولهم المجد الأبدي!

«ويلاه! إذاً سحقت كل قوة فارس!

— «عن بكرة أبيها! وليس لنا الآن إلا البكاء والنحيب!

فرددوا بكائي وأسعدوا يا سادات

— «أي إسعاد أيها الملك وقد قضت علينا ضربة لازب!

(يبكون . . . ثم يعولون)

— «رددوا آلامي، فما أشجاكم أشجاني!

— «ألا من يرثي لنا... يا للشجو ... يا للشجو!!

— «وبللوا تلك اللحى ... إذرفوا عبراتكم يا رفاق!

(يأخذ الأشياخ في البكاء، ويشتد عويلهم،

ثم يشقون جيوبهم ... ... ... ... ...)

— «غفرانك يا فارس! غفرانك يا دارة المجد، وهالة المظموت! هلموا يا سادة! هلموا إلى الهيكل ... إلى النار المقدسة.»

دريني خشبة

سموية غريبـــة ؛ ولم تصادف فى بدء حياتها نجاحا فى المجتمع الانكليزى ولا قبولا فى بلاط الملك جورج الثالث ؛ بيد أنها اتصلت صـلات غرامية ببعض رجالات العصر ، مثل اللورد جرانفيل لنيفنسون والسير جون مور القائد الشهير ؛ ثم عافت المجتمع الانكليزى ونقمت عليه لمـا لقيت فيـه من اعراض وخصومة ، وغادرت انكلترا فى سنة ١٨١٠ لكى لا تعود اليها الى الأبد . وبعد أن زارت جبل طارق ومالطه ذهبت الى اليونان وهنالك لقيت الشاعر بيرون ؛ ولـكنهما لم يتفاهما ؛ فسافرت الى استانبول ، وهناك اتصلت ببلاط السلطان محمود ، وتركت لنا وصفاً شائقاً عن بلاطه وحاشيته وحفلاته . واليك نبذة ظريفة تصف خروج السلطان الى السلاملك فى يوم الجمعة :

« يركض البستانية صائحين « افسحوا لجلالة السلطان أمير المؤمنين » وهم يلوحون بأسواطهم المعقودة ؛ بينما تنتظم فى الشارع فرق من جند الانكشارية ترد الجموع ؛ ويبدأ الموكب بالسقائين يرشون الشارع ، ثم كوكبة من الفرسان ذوى اللحى تحيط بها جماعة زاهية تحمل أدوات القهوة السلطانية وسيف السلطان وشبكه فى أوعية ساطعة »

وبعد أن لبثت لايدى هستر حيناً فى استامبول سافرت الى مصر ، واتصلت فى الحال بمحمد على ، وزارته فى قصره الفخم بالأزبكية فأكرمها ، وأنس بلقائها ؛ ونوهت اللايدى هستر فيما بعد بكرمه وذكرت أنه اعتاد أن يقف للقائها ؛ وفى ذات يوم نظم محمد على عرضاً عسكرياً إكراماً لها ، وعرض فيه الكولونل سيف ( سليمان باشا ) القوى البدوية ، وبعـد نهاية العرض قدم لها محمد على جوادين هدية منه

بيد أن اللايدى هستر رغم ذلك تصف مصر بأنها مريعة ، بأزقة ضيقة ، وروائح كريهة ، وشوارع متربة

وسافرت لايدى هستر بعد ذلك الى فلسطين ثم الى الشام ، وهنالك تعرفت بالامير الشهابى وتوثقت بينهما أواصر الصداقة ؛ ثم سارت الى تدمر حيث أعلنت نفسها ملكة على بعض قبائل البدو ، وحصنت قصرها فى جبل الياس ، والتف حولها كثير من الدروز والنيصرية ؛ ولما غزا ابراهيم الشام احترم قصرها ولم يهاجمها ، وبلغ حب بعض السوريين لها أن كانوا يعتبرونها شبه قديسة ، بل إن بعض الدروز اليوم يضعونها بين آلهتهم

وتوفيت تلك المرأة العجيبة فى يونيه سنة ١٨٣٩ ، ودفنت هناك فى روضة بديعة

هذا ملخص الحياة المدهشة التى خاضت غمارها اللايدى هستر ستانهوب ، والتى تصفها لنا المس هاسلب فى كتابها وصفاً بديعاً شائقاً

وتختتم المؤلفة كتابها بوصف بطلتها بأنها كانت « خاتمة ذوى الشذوذ والأطوار الغريبة فى القرن الثامن عشر ، وأول الممهدين للحياة الجديدة فى القرن التاسع عشر »

## العلم والدين

يقول الأستاذ هكسلى فى فصل نشره فى إحدى المجلات الكبرى إن أصحاب النظريات العقلية فى القرن التاسع عشر كانوا على يقين من أن ما يسمونه « النزاع بين العلم والدين » سينتهى حتماً بهزيمة الدين ، ولـكن تاريخ العصر الحديث أثبت أن هذه النظرية لا أساس لها . ذلك أن العلم لم يهدم الدين ، ولـكنه نقله فقط من ميـدان إلى آخر ؛ وقد كان من أخطاء أجدادنا أنهم كانوا يتصورون العلم والدين عدوين يحارب أحدهما الآخر ، وأن العلم أبقى أسلحة من الدين ، وأنه سيودى غير بعيد بالدين حتى يغدو جثة لا روح فيها ؛ وتلك صورة خاطئة . فالعلم والدين ليسا عدوين ، ولـكنهما قوتان عظيمتان من قوى الطبيعة

إن الانسان يفكر والله يدبر ؛ ولـكن المصلحين لم يظفروا بتحقيق المهمة التى رموا إلى تحقيقها ، وهى القضاء على الأوهام والخرافات التقليدية التى تدخل الدين بغير حق . وقد أحرزوا فى هذا السبيل نجاحا محدودا ؛ ولـكنهم هيأوا بجهودهم ميـدانا لأنواع أخرى من العادات والتعصب ، ربمـا كانت أسوأ من الخرافات الأولى ؛ فهنالك اليوم من ضروب العبادة القومية والتعصب القوى والجنسى ما لا يقاس فى حـدته وروعته بتلك العواطف الساذجة التى جهد المصلحون للقضاء عليها

## الحفريات الأثرية فى فلسطين

تعمل الآن فى فلسطين عدة بعثات علميـة فى الحفريات الأثرية ، بعضها يعنى بالعصر اليهودى ، وبعضها بالعصر الرومانى ، والبعض الآخر بعصر المسيح . وقد نشرت مجلة المباحث الأثرية الفلسطينية التى تصـدرها مطبعة جامعة اكسفورد فى عددها

الأخير بيانات جامعة عن النتائج الأثرية التي انتهت اليها جهود هذه البعثات ؛ ففي بيت لحم ، عثر المنقبون تحت كنيسة المهد على آثار كنيسة أخرى أقدم منها ، ووجدت بعض آثار للفسيفساء القديمة تحت بلاط الكنيسة الحالية ؛ ووجدت أقسام الكنيسة القديمة واضحة ، ولكن لم يبق منها سوى بعض جدران متهدمة ؛ بيد أن ما وجد من البناء والفسيفساء يكفي لتكوين فكرة حسنة عن هندسة هذه الكنيسة القديمة وطرازها

وكشفت الحفريات في تل حسن بالقرب من أريحا عن كنيسة بيزنطية قديمة قد أزيلت تماما ، ولكن أمكن إعادة معالمها من آثار الفسيفساء التي وجدت ؛ وقد كانت على ما يظهر من طراز البازيليكا القديمة ، ذات فناء متوسط ورواقين في الجانبين ، تفصلهما حنايا معقودة ؛ وقد كانت الفسيفساء في حالة حسنة ، وهي تشبه تلك التي وجدت تحت بلاط كنيسة المهد ؛ ويرى المكتشفون أنها ربما كانت الكنيسة التي خصصت للعذراء مريم ، وقام باصلاحها الامبراطور يوستنيان حسبما يذكر المؤرخ بروكوبيوس

ووجد هنا وهنالك كثير من الآنية الخزفية ؛ وقد أثارت هذه الآنية بين العلماء المكتشفين كثيراً من الجدل ؛ واعتقد بعضهم أنه ظفر من بينها بآنية ترجع الى عصر حرب طروادة الشهيرة التي نظم عنها هوميروس إليادته الخالدة

ويجرى في نفس الوقت حفريات متعددة في جهة الناصرة ، حيث يظن أن المسيح قضى حداثته وشبابه

## الاسلام في المجر

يطوف السيد حسين حلمي مفتي بودابست ببلاد الهند لجمع تبرعات تساعد مسلمي المجر على تشييد مسجد ومدرسة لتعليم أولاد المسلمين . وقد نشرت مجلة « الاسلام » التي تصدر بالانجليزية في سنغافورة حديثاً مع الأستاذ راسوليفتس محمد بك سكرتير الجمعية الاسلامية ببودابست عن حالة المسلمين في المجر ، فكان مما ذكره أن عدد المسلمين يبلغ الآن زهاء ثلاثة آلاف نسمة ومن المحزن أن حالتهم الاجتماعية في تدهور رغم أن البرلمان المجرى اعترف في عام ١٩١٦ بالاسلام كدين من أديان الدولة ، وأكثر المسلمين في حالة فقر مدقع ، وهم في حاجة ماسة الى عطف العالم الاسلامي واهتمامه بهم . فأولادهم يضطرون الى التعلم في مدارس المسيحيين والتزوج من بناتهم . ولا يوجد في كافة بلاد المجر مسجد لاقامة الصلاة مع العلم أنه كان في بودابست وحدها ٤٠ مسجداً أيام الدولة العثمانية

وتوجد اليوم في بودابست جمعية اسلامية تأسست في عام ١٩١٦ باسم « جمعية جول بابا » . وقد جعلت مهمتها السعي في بناء مسجد ببودابست ومدرسة لتعليم أولاد المسلمين وتثقيفهم في أصول دينهم ، وقد منحتها الحكومة قطعة أرض لتشييد المسجد ، لكنها لا تجد المال الكافي للبناء ، ومن المؤسف حقاً أن المسلمين يجتمعون لصلاة الجمعة في بهو فندق يستأجرونه خصيصاً لهذه الغاية . أما في الأعياد والمواسم فهم يجتمعون في ضريح ولي مسلم مدفون بأطراف بودابست واسمه « جول بابا »

## معهد فني للجنايات

من أنباء السويد أن معهد الجنايات الفني الملحق بجامعة ستوكهلم قد افتتح في بنائه الجديد المجهز بأحدث الوسائل والمخترعات الفنية ؛ ويقال إنه الآن أحدث معهد جنائي من نوعه إذا استثنينا معهد البوليس البريطاني

وقد كان هذا المعهد حتى اليوم منقسما الى عدة أقسام ؛ ومع ذلك فقد كان يجتذب اليه الطلبة والفنيين من كل صوب ليدرسوا في أقسامه المختلفة التي اشتهرت بدقة أبحاثها الفنية ؛ وكان يؤمه بالأخص رجال البوليس من السويد والنرويج والدانمارك وفنلندة وكذلك بعض رجال البوليس الانكليزي ( اسكتلنديارد ) لينتفعوا بتجاربه ومعلوماته

ويدرس الآن في هذا المعهد عدد كبير من المحامين لدى المحاكم الجنائية وضباط البوليس ؛ وفيه عدا ذلك نحو أربعمائة طالب يدرسون في أقسامه المختلفة طرق مكافحة الجرائم واستكشافها

## كشف طبي خطير في علاج البلهارسيا

الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك أستاذ علم الطفيليات بكلية الطب، ومدير معهد الابحاث بوزارة الصحة، قد عرف بأبحاثه واكتشافاته الطبية العديدة، وامتد الاعتراف بكفاءته إلى الدوائر العلمية الأجنبية، فسجلت اسمه في قاعة العلماء الباحثين

وقد حدث منذ شهرين أن وفد على معهد الأبحاث طفل في التاسعة من عمره مريض بالبلهارسيا، وقام المعهد بملاجه عن طريق الحقن بمركبات الأنتيمون، وهي الطريقة المتبعة في مثل هذه الحالات، ولكن الطفل عقب تناوله الحقنة الثامنة توفي بغتة، واتضح من تقرير الطبيب الشرعي أن حقن الطفل تم على حسب الأصول الفنية

ولقد شغل هذا الحادث ذهن الدكتور خليل بك، وما زال به اهتمامه وتفكيره حتى اهتدى إلى كشف السر فيه وفي أمثاله من الحوادث، فدعا جمهرة من الأطباء إلى قاعة المحاضرات بكلية الطب لشرح كشفه والمناقشة فيه

وقد انعقد الاجماع على أن هذا الاكتشاف قد وضع أساساً جديداً لعلاج البلهارسيا، وسيكون من أثره:

أولاً – انقاذ حياة ألفي مصاب بالبلهارسيا يموتون فجأة في كل عام، وقد كانت وفاتهم مبعث حيرة كبيرة بين الأطباء المعالجين والأطباء الشرعيين

ثانياً – ضمان الشفاء لعشرات الآلاف الذين كانوا فيما مضى لا يتمتعون به كاملاً حاسماً في أوجز وقت وبأقل تكاليف

ويقدر عدد المصابين بالبلهارسيا في ريف مصر وصعيدها بعشرة ملايين يتقدم منهم للعلاج سنوياً زهاء مليون ويموت منهم فجأة ألفان تقريباً، ولم يكن في مقدور العلم أن يتكهن بتلك الوفيات الفجائية التي أشرنا اليها، ولا كان في مقدوره ضمان القضاء على الداء الوبيل قضاء مبرماً. أما اليوم فقد توصل الدكتور خليل بك الى اكتشاف طريقة بسيطة كيميائية تمكن المرض أو مساعد الطبيب أن يجربها؛ وهي طريقة يعرف بها على وجه التحقيق المسائل الآتية:

١ – هل يفرز المريض أكثر الدواء الذي يعطى له، ولا يمكث في جسمه إلا قليل منه لا يكفي لقتل الديدان المسببة للبلهارسيا، وعلى ذلك يصعب شفاؤه بالجرعة المعتادة؟

٢ – هل المريض لا يفرز الدواء مطلقاً، أو يفرزه بمقادير ضئيلة، وعلى ذلك يتراكم في جسمه ويسممه، فيموت فجأة إذا بذل أقل مجهود عضلي؟

٣ – هل المريض يفرز الدواء بمقادير عادية، وعلى ذلك يشفى؟ والأكثرية من المرضى من هذا القبيل

وقد أثبت ذلك الاكتشاف أن تقدير الجرعات في علاج البلهارسيا بمركبات الأنتيمون ومنها الفوادين كان أساسه خاطئاً. إذ أن الجرعة كانت تقدر حسب السن أو وزن الجسم من غير مراعاة لتفاوت الأشخاص في سرعة إفراز الدواء ومقدار هذا الافراز. وليس مجهولاً أن القيمة الشفائية الفعلية لمثل هذه العقاقير لا تتوقف على مقدار مايدخل الجسم منها فقط، بل تتوقف أيضاً على ما يمكث منها فيه؛ ومن الطبيعي أنه إذا تفاوت الأشخاص في إفراز هذه العقاقير اختلف تأثيرها تبعاً لذلك، وهذا ما أثبته الدكتور خليل بك بتجارب كيميائية أجريت أمام الجمعية الطبية المصرية

ويتخلص الكشف الذي اهتدى اليه الدكتور لتعيين نسبة الافراز في كل جسم في أخذ تفسرة من بول المريض قبل الحقن لتعرف هل يحتوي البول على مادة مماثلة للمادة التي سيحقن بها أو لا؛ ثم يحقن المريض وتؤخذ تفسرة أخرى من بوله بعد نصف ساعة تقدر بخمسة سنتيمترات، ويضاف اليها مثلها من محلول كيميائي مركب من كلور الحديد يضاف اليه نشادر قوي مطهر. فاذا كان في البول إفراز من المادة المحقون بها احمر لونه، وإذا لم يكن هناك إفراز ظل اللون على حاله الطبيعية، ثم تؤخذ تفسرة أخرى بعد ثلاث ساعات وتكرر معها التجربة ذاتها

# من هنا ومن هناك

## من العلم الى الأدب

كثير من العلماء هجروا العلم الى الأدب ولم يستطيعوا الجمع بينهما كما فعل ابن سينا مثلاً حين جمع الأدب الى الطب والحكمة أو كما فعل الكندي والبيروني . . .

والعصور الحديثة ملأى بأمثلة ذلك

فذلك إبسن الكاتب النرويجي العظيم (١٨٢٨ - ١٩٠٦) وواضع الدعامة الأولى للأدب المسرحي الحديث قد نشأ ليكون أول أمره كيميائياً، ولكنه وجد هواه في كتابة الدرامة، فصبأ من الكيمياء الى الأدب . . . وفرغ له وبرع فيه

وجوته أيضاً كاد يكون عالماً يبحث في الألوان ويضع الأصول للرسم والنحت ويؤلف في الأزهار وفلاحة البساتين، فلما تفتح قلبه للحب قذفت به حبيباته الثماني عشرة الى الأدب فنبغ فيه نبوغاً يكفي لوصفه أن يقول فيه كارليل « إنه أعظم أدباء العالم » ولم يستثن حتى شاكسبير - وهذه مبالغة لا شك من صاحب كتاب الأبطال

والكاتب الانجليزي الكبير ه . ج . ولز هو الآخر، فلقد تعلم الكيمياء في صغره، ثم هجر المدرسة ليكون تاجراً، ولكنه أحس ميلاً ملحاً الى التعليم، فصارع ظروف الدهر وتصاريفه وانتسب الى جامعة لندن وكد وكدح حتى نال درجة في العلوم وعين بالفعل أستاذاً لعلم الحياة (بيولوجيا) ولبث في منصبه لمدة ثلاث سنوات، ثم شعر بشغف شديد الى الصحافة، فاعتزل منصبه واحترفها، ثم أيقن أن الله خلقه ليكون أديباً فهجر الصحافة واحترف الأدب، فها هو اليوم أكبر كاتب اجتماعي في العالم وكتبه تطبع بالملايين ! !

وكذلك الكاتب الأرلندي المعروف جورج مور، فانه كرس حياته في فجر شبابه ليكون فناناً، وفتنه الرسم والتصوير، ونال فيهما أعلى الدرجات من جامعات لندن وباريس، ولكنه بعد ذلك كله شعر بسحر الأدب ينفث في قلبه، وذلك بتأثير ادمانه قراءة الأديب الفرنسي العظيم أميل زولا فشرع يكتب قصصه الخالدة التي ينهج فيها نهج أستاذه

## جوركي وروسيا السوفيتية

اشتهر مكسيم جوركي في جميع أنحاء العالم بأنه أديب الصعاليك، وذلك لأنه يجيد الكتابة عن هذه الفئة اجادة لا يجاريه فيها أحد من الأدباء . وفي الحق أن جوركي يكتب عن الخدم وأوشاب الناس وأبناء الشوارع كأنه واحد منهم، حتى حياتهم وتخلق بأخلاقهم . وكان الأدب معواناً له على التغلغل في خبايا نفوسهم، فهو يصف لك خلجات العرابيد وقطاع الطرق والقتلة ومن إليهم، فتحس من وصفه أنك تجالسهم وتنغمس فيهم ! وكل ذلك بأسلوب أخاذ وعبارة رشيقة، تذكر القارئ بمواطنه البائس دستوفسكي

وقد كانت الحرب الكبرى وبالاً على جوركي، فلقد ذاق طوالها من ضروب الفاقة والعوز ما كان تصديقاً من الزمان الصارم على ما جاء في كتبه من وصف البؤس وذكر البائسين ! ولما وضعت الحرب أوزارها، وقام في روسيا هذا النظام البلشفي المنيف اشتد التنك بالناس هناك، وذاق الأهلون - ولا سيما الأدباء - ألواناً من الفاقة والعوز تنفطر من هولها القلوب ! وذهب أديب انجلترا الكبير ه . ج . ولز ليجول جولة في هذه البلاد التاعسة، وحل ضيفاً على صديقه جوركي ! !

وكانت حكومة الاتحاد السوفيتي قد أعدت له قصراً من أفخم قصورها لينزل فيه ... ولكنه آثر القرب من جوركي إعزازاً للصداقة وإيثاراً للأخاء ... فلما ذهب إلى منزله راعه هذا البؤس الذي خيم في منزل أكبر أدباء العالم، وهاله العوز الشديد الذي كان يعانيه صديقه ... فما كان منه إلا أن تولى هو النفقة على المنزل طيلة وجوده فيه !

وكان جوركى يلبس أسمالاً لفتت أنظار ولز ، فباسطه وسأله إن كان لديه ملابس ؟ فتبسم جوركى وذكر أنه لا يملك غير البذلة الممزقة التى يرى ! وكان مهمها الكاتب الروسى الكبير (أمفيتياتروف) فانتهز هذه الفرصة السانحة وسأل ولز أن ينزل له عن (طقم) من ملابسه حين يعتزم العودة إلى انجلترا ! وقد فعل ولز ، فانه أهدى أكثر ملابسه الخارجية إلى جوركى ، وأكثر ملابسه الداخلية إلى (أمفيتياتروف) ! ولم يفت ولز أن يذكر هذه الوقائع فى كتابه عن هذه الرحلة :

( Russian in the Shadows )

ولقد شب جوركى مع البؤس فى مهد واحد ، فلقد ولد سنة ١٨٦٨ ، ثم مات أبوه وهو يحبو على أربع ، وكفلته أمه الفلاحة القروية ، وعمل خادماً على ظهر سفينة من تلك السفن التى تمخر عباب الفلجا ، ثم صار خبازاً فجالاً فبائع تفاح ! وبسم له الحظ فالتحق بوظيفة كتابية فى مكتب محام ... وبرم بالعمل ثمة فهرب إلى جنوب روسيا يذرع الرحب ويطوى القياف ... ثم ظهرت مواهبه فجاة سنة ١٨٩٢ حين شرع يكتب أول قصصه ويبعث بها إلى المجلات

والعلاقة أكيدة موثقة بين الأدب الروسى والنظام البلشفى ، وهو يكاد يكون فى صميمه أدب الفقراء ... ومن هنا اعتزاز حكومة السوفييت بجوركى وغمرها إياه بالهبات والأعطيات حتى لقد كادت حياة الترف تتخمه عن أعز ما هيأته له الحياة ، ألا وهو أدب الصعاليك !

والمدهش أن يرضى جوركى عن الطاغية ستالين ، ويؤلف القصص محبذاً لسياسته التى هى سياسة تخريب العالم ... وهذا ما أفقده عطف أعضاء لجنة نوبل ، فلم يحظ بجائزتها إلى الآن ، مع أنه أحق بها ألف مرة من كثيرين من نكرات الأدباء والأديبات الذين نالوها

وسنفرد قصص جوركى بكلمة خاصة

### أدب التراجم

من المؤلم جداً أن يكون التاريخ العربى مليئاً بهذا العدد الوافر من الفلاسفة والعلماء والأدباء ولا تروج كتب التراجم عنهم بيننا ، أولا نجد من أدبائنا من يترجم لواحد منهم مع أن أحدهم جدير بأكثر من كتاب يؤلف عنه

إقرأ هذه الأسماء : الكندى . ابن سينا . ابن رشد . البيرونى . ابن منظور . القلقشندى . الأصمعى . ابن أبى أصيبعة . الجاحظ . النويرى . . . . . الخ . أفنحن قوم يقدرون تراثهم ؟ نحن لا ننكر أن غير واحد من أدبائنا طرق هذا الميدان البكر ، ولكننا إذا استثنينا أبا العلاء والغزالى وابن خلدون ورسالات مقتضبة عن الكندى والبهاء زهير والليث بن سعد وجدنا أننا فقراء جداً إلى كتب التراجم

### اللغة العربية منذ مائة عام

لما أنشأ المغفور له محمد على الكبير دار صناعة الاسكندرية لصنع السفن الحربية لم يمض غير قليل حتى صار لمصر أسطول عظيم مرهوب الجانب . وكانت كلما أنزلت إحدى القطع من دار الصناعة الى البحر أقيمت الحفلات وتبودلت الخطب على نحو ما يجرى هذه الأيام فى المآتم العظيمة مما نشاهد صوراً منه على الشاشة الفضية فى دور السينما . والآن اسمع هذه الكلمات فى وصف البارجة ( الاسكندرية ) عند نزولها الى البحر : (الوقائع المصرية عدد ٣٤٠ يناير سنة ١٨٣٢ )

« ان الغليون ذا الهيئة السنية ، المجلى باسم الاسكندرية ، تعريف انشاء آلاته البهية ، وعمل أدواته الحربية ، ووصف أبعاده الثلاثية ، قد تقدم ذكره الشائع ، واندرج فى سلك السطور والوقائع . والمراد ذكره الآن قطع حبال تعلقاته من القطر البرى ، ليطير بأجنحة العنقاء فى القطر البحرى ، وقد وافق هذا غرة شعبان المعظم فى الساعة الرابعة من النهار ، حيث تجلت مشاهد الأنوار . وكان ذلك بحضرة جميع الأمراء والعظماء ، وزمرة الصلحاء والعلماء ، وقناصل الدول المستأمنين ، وقاطبة الأهلين ، مع جملة أولادهم الكبار ، وعيالهم الصغار ، وكانوا لدى ساحة الترسانة الواسعة الأرجاء ، منتشرين كنجوم السماء . وأما سعادة أفندينا ولى النعم فانه ركب الفلك بحرا ، وهلم جرا ، واستصحب بمعيته أحد رجال الدولة العلية ... ... »

ومسكينة اللغة العربية فى (هلم جرا) التى حشرت هنا حشرا ! والآن ، ما رأى الأستاذ الزيات فى الطفرة التى طفرتها اللغة العربية فى العشرين سنة الأخيرة ؟ ألسنا قد شأونا عصر ابن المقفع وأحمد بن يوسف والهمذانى وعبد الحميد الكاتب ؟

## صموئيل بطلر والأسرة الإنجليزية

كانت الأسرة الانجليزية من قبل العصر الفكتورى إلى أواخر القرن التاسع عشر تشتهر بجمودها وركودها وتقديسها لسلطة الأب تقديساً هو إلى الرجعية أقرب منه إلى الاحترام. فلم تكن لأحد فى المنزل إرادة بجانب إرادته، وكانت الأم نفسها خادمة لا أكثر ... تكدح طول يومها فى المطبخ أو المغسل، أو تعد الحطب للمدفأ، وهى فى كل ذلك لا تألو جهداً فى تلقين الأطفال محبة الوالد، وكبت غرائزهم الثورية كلما بدرت منهم بوادر التململ أو التبرم بهذا التقديس الخانق لسلطة الأب ... وكان أكبر العبء واقعاً على الفتاة .. فلم يكن يسمح لها بتعرف الحياة ولا تشم نسيم الحرية المنعشة، وإذا تقدم أحد لخطبتها فما عليها إلا أن تنحنى خاضعة لمشيئته

ولقد كان الأدب فى العصر الفكتورى، برغم ما فيه من صور حلوة وطرف براقة يساعد على هذا الركود المنزلى، ويضاعف من سلطة الأب؛ ولكن حدث ما لم يكن فى الحسبان، فقد ظهر الكاتب النرويجى إبسن فجأة فى الميدان؛ وإبسن هو أكبر نصير للمرأة فى العصر الحديث؛ فقد ألف أكثر من عشرين دراما لنصرتها والاكبار من وظائفها المدنية التى تعدو الطبخ والغسل والخياطة وتفريخ الأطفال. وقد تأثر الأدباء الانجليز بإبسن النرويجى وأخذوا ينتهجون منهاجه. وكان الأديبان الكبيران جورج جسنج وصموئيل بطلر فى مقدمة المتأثرين به. فقد ألف الأول كتابه New Grub Street سنة ١٨٩١ وألف الثانى The poy of All Flesh سنة ١٩٠٣ على ضوء إبسن

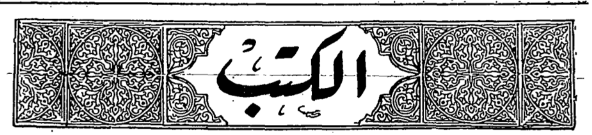
وصموئيل بطلر هو أستاذ الكاتب الكبير جورج برنردشو. وما زال شو يفخر بهذه التلمذة الى اليوم، بل ما زال يتغنى بمبادئ أستاذه العظيم ويرددها فى جميع قصصه. وأهم هذه المبادئ الثورة الصارمة على جمود الأسرة ومنح أعضائها - غير الأب - كل حرية العمل فى الحياة؛ فللفتاة أن تتزوج من تحب وليس لأبيها أن يحول بينها وبين مثلها العليا، فاذا شاء أن يقسرها على شىء فلها أن تثور عليه وتضرب بارادته عرض الأفق؛ وللولد كذلك أن يستقل بنفسه عن أبيه، ويعمل وحده، ويقوى شخصيته. وعلى العموم كان يرى وجوب التحلل من مبادئ الطهريين وإطلاق الحرية للفرد. وغلا بطلر فى ثورته على الآباء فسب أباه وهجاه فأقذع، وكأنه بذلك أفسح الطريق للشبان فقلبوا الأسرة فى انجلترا رأساً على عقب!

ومع أن نظرية التطور التى بهرت العالم أجمع كانت فى عنفوانها فى القرن التاسع عشر فقد وقف بطلر فى صف المعارضين لها؛ ولكنه لم يقف فى صف المتدينين دفاعاً عن الدين، بل وقف يدفع ايمان داروين بهذه المادية البحتة التى يرد اليها كل ما يحدث فى هذا العالم من جلى ورقى. وكان يغيظ بطلر ما كان يقوله داروين من تنازع البقاء وبقاء القوى المحتال، فكان بطلر نصيراً للروحيين من العلماء وفى مقدمتهم العالم الفرنسى الكبير هنرى برغسون ألد أعداء داروين

## صفة الفلاح

أوشك العام الدرسى أن ينتهى، وسيتبطل التلاميذ أربعة أشهر حتى يعودوا الى مدارسهم، فلو أنصفوا لصرفوها فى تعليم الفلاحين مبادئ القراءة والكتابة. إن فى مصر شعباً من الأميين لا يقل عن ٨٥٪ من مجموع سكانها، وليس فى الدنيا عار أشد من الأمية فى هذا العصر الذى نعيش فيه. فلو أن كل تلميذ مصرى أخذ على عاتقه أن يعلم فلاحاً مصرياً أو فلاحين فى الأجازة الصيفية القادمة لانخفضت نسبة الأمية فى وطننا العزيز الى ٨٠ أو ٧٥٪ ونكون قد اقتدينا بالهند التى تحاول أن تصلح من شأن المنبوذين وتنتفع بالبقرة!! فهل يفعل التلاميذ؟

د. خ



# شهرزاد

## فى اللغة الفرنسية

للأستاذ عبد الرحمن صدقى

نوهت (الرسالة) فى عددها الماضى بصدور ترجمة فرنسية لرواية شهر زاد للأستاذ توفيق الحكيم . وهذه شهادة ناصعة على مبلغ ازدهار حركة التجديد فى مصر وعلى المستقبل المنتظر للأدب المصرى بين آداب الأمم

ولما كانت الترجمة مصدرة بكلمة ليست على طراز المقدمات المألوفة بل هى من قلم عضو المجمع الفرنسى المسيو جورج ليكونت تناول فيها الرواية بالتعقيب فأحسن جلاء فكرتها . فانه ليسرنا أن ننشر تعريب هذه المقدمة فيما يلى :

« شهر زاد ! لا يتطلبن القارئ تحت هذا الأسم الحالم تلك المناظر المألوفة المعهودة فى ألف ليلة وليلة ، ولا أبهة الشرق كما اصطلح عليه العرف

طريق قفر . منزل منفرد فى جنح الظلام . خيال مخدع الملكة متراثيا فى حوض من الرمس . رمال الصحراء . وفى وسط هـذه الرسوم الرصينة عن تعمد وقصد تتجلى المأساة الخالدة : مأساة النفس الانسانية فى كل زمان ومكان —

هنا شهر زاد ، مجردة من بريق عقودها ومن أبرادها المذهبة تتبدى لنا فى جوهرها وكنه ذاتها . وما شأن اسمها وسماتها ؟ فلتكن لها طلعة امرأة أو طلعة الحظ أو العلم أو المجد ، فما هى بعد إلا الذروة اللامعة التى يتطلع إليها طماح الانسان ويستنفد جهده نحوها ؛ هى سراب بقيعة يهيج ظمأه ولا ينقع له غلة ؛ هى الملتقى المحتوم يتوانى عنده أبداً تلهف الرجاء وخيبة الأمل على لقاء موجع ووفاء فاجع

« لقد استمتعت بكل شىء ، وزهدت فى كل شىء » بهذا يهتف شهريار . لم يطفئ غليله ولم تطب نفسه بما سفكه من دم العذارى والعبيد ، وما ذاقه من سحر ألف ليلة وليلة من ليالى الحب والفتنة قضاها بين ذراعى شهرزاد . لقد استنزف كل شىء من حيث المتعة . والذى يضنى نفسه الآن إنما هو ظمأ جديد : « إنى براء من الآدمية . لا أريد أن أشعر . أريد أن أعرف »

ومنذ هـذه الساعة تطمّ المأساة ويعيىّ عبابها ، وتنحصر وتستحكم حلقاتها ، إلى أن يصبح شهريار وشهرزاد وجهاً لوجه لا يمثلان غير الصراع المحتدم بين لهفة الانسان وسر الأشياء المطوىّ دونه

يسألها شهريار : « من أنت ؟ هل تحسبينني أطيق طويلاً هذا الحجاب المسدل بينى وبينك ؟ »

فتغمغم شهرزاد كالمخاطبة نفسها بهذه الكلمات الخافية المشرقة : « وهل يحسبك — أيها الطفل — لو زال هذا الحجاب تطيق عشر تى لحظة ؟ »

وليس أصدق من قولها هـذا . فان موضع العظمة فى قلق الانسان أنه قلق عضال لا دواء له ؛ فضلاً عن أنه قد يكون ضرورياً للانسان باعتباره مدعاة لاستمراره فى البحث والطلب ، وعلة لهذه الغريزة التى تحفز كل جيل — بالرغم من هزائمه على أن يعهد للجيل اللاحق شعاره وهو الأمل

ولقد كان لا بد من شاعر ليقدم فى هـذا الحيز المحدود على إجمال لأحدى المأساتين العظيمتين للانسانية ؛ ولكنه كان لا بد من شاعر شرقى رقيق الحاشية دقيق الحس كالأستاذ توفيق الحكيم ليعالج صعوبة العمل بهـذا الافتتان فى التعابير المتراصفة النظم البارعة الوشى

ولا يسعنا أيضاً إلا الثناء الجميل على الأستاذين خضرى وموريك بران ؛ وكيف لا ، وهما قد ترجما الى اللغة الفرنسية المطبوعة على الوضوح والتعقل عن لغة أخرى جعلت قبل كل شىء للتعبير عن المطور والأشعار والأسرار

عبد الرحمن صدقى

# فى مدى استعمال حقوق الزوجية

## وما تتقيد به

### فى الشريعة الاسلامية والقانون المصرى الحديث

تأليف الدكتور السيد مصطفى السيد

### للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

أهدى الى صديق الدكتور السيد مصطفى السيد وكيل النائب العمومى بنيابة الاستئناف كتابه القيم (فى مدى استعمال حقوق الزوجية وما تتقيد به فى الشريعة الاسلامية والقانون المصرى الحديث) وهو رسالته التى نال بها عن جدارة إجازة الدكتوراه فى القانون. وقد اقتضت هذه الرسالة منه أن راجع فى موضوعها كتب الفقه فى مذاهب أهل السنة، وأهل الظاهر والشيعة، وكتب الأصول والتفسير وغيرها مما يتصل بموضوع رسالته، الى مراجع أخرى باللغتين الفرنسية والانجليزية

وهكذا دفع الدكتور السيد بفكره المثقف بثقافته العصرية فى متوننا الأزهرية وشروحها وحواشيها فخرج منها بتلك الدرة الغالية التى جمعت بين نبل القديم وجمال الحديث، فى حسن اجتهاد، ودقة نظر، واستيعاب بحث، وتقليب للمسألة على كل وجوهها حتى يقتلها بحثاً من جميع نواحيها الشرعية والقانونية، وهذا الى استيفاء ما يجب فى حسن التأليف من انسجام العبارة ومتانة الأسلوب، وسلامة اللفظ، وحسن الترتيب والتقسيم

وإنها لقوة ذكاء عجيبة يكفى فى تقديرها شهادة أستاذه الجليل الشيخ احمد ابراهيم وكيل كلية الحقوق فيما قدم به لرسالته، إذ يقول فى ذلك: «وما أشد ما كان موفقاً لفهم نصوص الفقهاء فى كتب جميع المذاهب المختلفة المطولة مع غرابة تعبيراتها عن أمثاله لعدم إلفه إياها»

ولم يتقيد المؤلف فى رسالته بمذهب معين من المذاهب المتعددة فى الشريعة الاسلامية، بل بحث موضوعه فى المذاهب المختلفة بقدر ما وسعه جهده، على اعتبار أن هذه المذاهب وإن اختلف بعضها عن بعض فى شىء من التفاصيل فأساسها واحد، وغايتها متفقة. وقد كان جهده فى ذلك غاية الجهد، وما أظن أحداً يتصدى لموضوعه فيأتى بأوفى مما أتى به فيه، وإنى لا أكاد أملك نفسى من السرور حين أجده تنتهى به دراسته لموضوعه إلى هـذه الغاية التى لو عمل فى سبيلها نظراؤه فى كلية الحقوق لكان لنا قضاء مستقل وقانون خاص بنا نباهى به غيرنا من الشعوب. ولندع المؤلف يحدثنا عن هذه الغاية التى وصل اليها فى دراسته، قال: (وقد تبين لنا أن تقييد الحقوق الفردية فى الشريعة الاسلاميـة كان أوسع مجالا وأبلغ أثراً مما يحاوله الفقه الحديث بنظرية سوء استعمال الحق، وإن هـذه النظرية الناشئة لم تبلغ ما بلغته مثيلتها فى الفقه الاسلامى منذ مئات السنين؛ وهذا طبيعى، فان النظرية التى تقرب أحكام القانون لقواعد الأخلاق - وكثيراً ما عمل فقهاء القانون الحديث على الفصل بينهما - يتسع لها المجال فى تشريع أساسه الدين، وهو يأمر بالعدل والاحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى)

ثم قال: (ويجدر بنا أن نختم بحثنا بالاشارة الى أننا أغنياء بفقهنا عن أن نستعين بغيره من مستحدثات القوانين. وإن الشريعة الاسلامية التى وسعت العالم الاسلامى فى أزهى عصوره وقضت حاجة بلادنا من التشريع مئات السنين، لا تقصر عن أن تكون أصلح مصدر للمشرع يأخذ منه أحكام قانون مدنى موحد)

وليعذرنى القراء بعد هذا إذا أنا سلكت فى كتابتى عن هذه الرسالة سبيل التقريظ، فان مؤلفها على ما بلغ فيها من البسط لم يدع فيها مجالاً للانتقاد ولا محلاً للمؤاخذة، اللهم إلا ما ذكره فى صفحة - ١٤٦ - من انتقاد تفسير الأستاذ الامام لقوله تعالى (فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة؛ ذلك أدنى ألا تعولوا) أى أقرب من عدم الجور والظلم؛ وقد جعل البعد من الجور سبباً فى هذا التشريع، فانتقده المؤلف بأن تأويل آية التعدد يؤدى إلى اعتبار التعدد مباحا فى الأصل، ويكون البعد من الجور قيداً لهذا الحق الأصيل، والقيد لا يكون سبباً فى تشريع الحق الذى يتقيد به، فانه يمكن أن يحمل كلام الأستاذ الامام على تشريع الاقتصار على واحدة عند خوف الجور، لا على تشريع التعدد الذى اعتبر البعد من الجور قيداً له

هذا وقد استفدت من قراءة هذه الرسالة أمراً أحب أن أنبه إخواننا الأزهريين اليه ليأخذوا له عدته، فقد رأيت بعد قراءة هذه الرسالة أنا سائرون الى فتح باب الاجتهاد بخطى سريعة، وأن الأستاذ الجليل الشيخ أحمد ابراهيم إذا ظفر بعدد من التلاميذ النبهاء مثل ما ظفر بتلميذه النابه المجتهد صاحب هذه الرسالة، فانه سيسبقنا بتلاميذه الى فتح هذا الباب المغلق. ولا يدرى إلا الله ماذا يكون إذا تم فتح هذا الباب على يد غيرنا، فلنفكر ولنتدبر؟

**عبد المتعال الصعيدى**

4 me Année, No. 153. | Lundi - 8 - 6 - 1936

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع البدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

| ص | |
|---|---|
| ٦٠ | فى مصر والسودان |
| ٨٠ | فى الأقطار العربية |
| ١٠٠ | فى سائر الممالك الأخرى |
| ١٢٠ | فى العراق بالبريد السريع |
| ١ | ثمن العدد الواحد |

مكتب الإعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٥٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ ربيع الأول سنة ١٣٥٥ — ٨ يونيه سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــــــدد



## فى النقد

# إلى صديقى أحمد أمين

للدكتور طه حسين بك

أخى العزيز :

قرأت فصلك الأخير الذى تناولت فيه النقد فصورت ما رأيت من ضعفه، والتمست له العلل والأسباب . وما أكثر ما يمكن أن يتصل بينك وبينى من الجدل لو أننى وقفت عند هذه القضايا التى أرسلتها إرسالاً ، وحكمت بها على النقد قبل عشرين سنة ، وعلى النقد الآن ؛ وعلى الأدب قبل عشرين سنة، وعلى الأدب الآن ! ولكن الفصل فصل صيف ، لا يسمح بالجدل الطويل والحوار المتصل ، لأننا مشغولون عن هذا وذاك بما تعلم من أعمالنا اليومية الثقيلة التى يقتضيها آخر النشاط الدراسى وأول هذه الأيام التى يفرغ فيها كل منا لنفسه ودرسه وراحته وراحة من يتصلون به ، فلن أجادلك فى أكثر هذه القضايا التى لا أكاد أقبل رأيك فيها . ولو أنى أرسلت نفسى على سجيتها لما جادلتك فى شىء مما ألممت به فى هذا الفصل ،

ولقرائه كما أقرأ كثيراً مما تكتب مستمتعاً دائماً ، عارفاً أحياناً ، ومنكراً أحياناً ، ومتحدثاً اليك بما أعرف من آرائك وما أنكر ثم لو أني أرسلت نفسي على سجيتها لاكتفيت بما كان بينك وبيني من حديث أول أمس ، ولكني مدفوع هذه المرة الى أن أتجاوز السجية ، وأخرج عن العادة المألوفة ، وأرد بعض الأمر الى نصابه ، لأنك تجاوزت فيه ما ينبغي من الانصاف .

وأنا أبرأ اليك من الغرور وأربأ بك عن الجور ، وما أشك في أن أمثالي من الكتاب الذين عرّضت بهم أو عرضت لهم في فصلك القيم يبرأون اليك مثلي من الغرور ويربأون بك مثلي عن الجور ، ويرون مثلي أنك عرضت لقضية النقد ولقضيتهم هم في النقد عرضاً سريعاً ، حظ اللباقة فيه أعظم من حظ التثبت والتدبر والأناة

وأظنك قد عرفت الآن القضية التي أريد أن أجادلك فيها ، والمذهب الذي أود لو أصرفك عنه . فأنت ترى أن جماعة النقاد الذين كانت اليهم قيادة الرأي الأدبي ، أو قيادة الحياة العقلية منذ حين ، قد اصطنعوا الشجاعة أول أمرهم ، وآثروا الصراحة أو كانت الصراحة لهم خلقا ، فكتبوا كما كانوا يرون ، وأخذوا بحظوظهم الطبيعية من الحرية ؛ لم يحفلوا بالجمهور ، ولم يخافوا الرأي العام ، ولم يحسبوا لمقاومة المحافظين حساباً . ونشأ عن شجاعتهم تلك ، وعن صراحتهم هذه ، أن بعثوا في الحياة العقلية نشاطاً لم تألفه مصر ، فكان الصراع العنيف بين القديم والجديد ، وكان الخصام الشديد بين الحرية والرجعية ، وألفت الكتب ونشرت المقالات وأذيعت الفصول ، وانتفع الأدب بهذا كله واستفاد النقد ، وكل هذا صحيح عندي لا شك فيه ، ولكنك ترى بعد ذلك أن هؤلاء الكتاب قد أوذوا في مناصبهم وفي أنفسهم وفي سمعتهم وفي أرزاقهم ، فلم يثبتوا للأذى ، ولم يمضوا في المقاومة ، ولم يعنهم أتباعهم وأولياؤهم على الثبات ، وإنما عطفوا عليهم عطفاً أفلاطونياً لا يشبه ما يجده أمثالهم في أوربا من الأتباع والأولياء ، فلانوا ودانوا ، وجاروا وداروا ، وآثروا العافية ومضوا مع الجمهور الى حيث أراد الجمهور ، ونشأ الجيل الجديد فاقتدى بأخوته الكبار وسار سيرتهم ، وأصبح النقد مصانعة ومتابعة ، وأصبح الأدب تملقا وتقليدا

وهذا أيها الأخ العزيز هو الذي أخالفك فيه أشد الخلاف ، وأنكره عليك أعظم الانكار ، يدفعني إلى ذلك أمران : أحدهما أن رأيك بعيد كل البعد عن أن يصور الحق ؛ والثاني أن رأيك يمسني ، وأؤكد لك أنه يحفظني كل الاحفاظ ويؤذيني كل الايذاء ؛ ولعله يحفظني ويؤذيني أكثر مما أحفظني وآذاني كل ما لقيت من ألوان المشقة والاعنات . فهل من الحق أن هؤلاء الكتاب الذين تشير اليهم قد أدركهم الضعف والوهن ، فالأوا الجمهور ، وصانعوا السلطان ، وآثروا العافية في أنفسهم وأموالهم ومناصبهم ؟ ومتى كان هذا ؟ أحين عصفت العواصف بمصر فأفسدت أمرها السياسي والعقلي وألغت نظامها الحر إلغاء ، وفرضت عليها نظاماً آخر مصنوعاً ألغيت فيه كرامة الأفراد والجماعات وتجاوز العبث فيه بالحرية كل حد معقول ؟ تعال أيها الأخ العزيز نبحث معاً عن هؤلاء الكتاب أين كانوا في ذلك الوقت ؟ وماذا صنعوا ؟ والى أي حد جاروا وداروا وآثروا العافية ؟ لست في حاجة الى آن أسميهم ، فأنت تعرفهم كما يعرفهم الناس جميعاً . لم يكن لأكثرهم منصب في الدولة ؛ ولعلي كنت من بينهم الوحيد الذي كان يشغل منصباً من المناصب ، فلما عصفت العاصفة أقصيت عن هذا المنصب فأدركت الزملاء ووقفت معهم حيث كانوا يقفون ، ومضينا جميعاً الى حيث كان يجب أن نمضي ، واحتملنا جميعاً ما كان ينبغي أن نحتمل من الأثقال . فكنا أيها الأخ العزيز ألسنة الساسة ، وسيوف القادة ، والسفراء بينهم وبين الشعب . وكنا سياطاً في أيدي الشعب يمزق بها جلود الظالمين تمزيقاً . وكنت ترى وكان غيرك يرى آثارنا في الظلم والظالمين ، وبلاءنا في مقاومة العدوان والمعتدين ، وحفاظنا لهذا الشعب الذي لم يكن له قوة إلا قوتنا يومئذ . وكنتم تعجبون منا بذلك وتحمدونه لنا وتؤيدوننا فيه . وكنتم تقومون على الشاطئ وتروننا ونحن نغالب الأمواج ونقاوم العواصف نظهر عليها حيناً وتظهر علينا أحياناً ، فكان بعض الناس يصفق لنا إذا خلا الى نفسه لا إذا رآه الناس ، ويعطف علينا إذا لم يحس السلطان منه هذا العطف . ولست أزعم أني قد استأثرت بهذا الفضل ، فقد كان نصيبي منه أقل من نصيب كثير من الزملاء . لم أدخل السجن وقد دخله منهم من دخله . أترى أن مواقفنا تلك كانت مواقف المنهزمين ؟ أترى أنا شغلنا عن النقد الأدبي بأنفسنا وأموالنا وإيثارنا للعافية ومجاراتنا

[ البقية على صفحة ٩٥٧ ]

# ذات الثوب الأرجواني

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

— ١ —

(ملاحظة — الكلام ليس شخصياً وإن كان بلسان المتكلم ، وذات الثوب المذكورة هنا لا وجود لها إلا في الخيال)

لم يكن الأرجواني ثوبها الوحيد — وكيف يمكن أن يكون ؟ — ولا كان كل ما تلبس حين تبرز ، ولكنه كان أحلى ما تكتسي وأشبهه بخديها — في رأى العين ، وفي احساس القلب أيضاً — وقد رأيتها في ثياب شتى وأردية متنوعة — في الشفوف والأفواف ، وفي السبائب المضلعة ، والمطارف المربعة ، وفيما عليه من الخطوط كأفاويق السهم ، ومن النقوش كهيئة الطير ، ومن الصور كرسم العيون ، وفي الأبيض والأخضر والأزرق ، ولكنه لم يقع من نفسي شيء من هذا كله كموقع هذا الثوب الأرجواني الذي لا نقش فيه ولا صور ولا ترابيع ولا تداوير ولا تضاليع ولا خطوط ولا وشي ولا نمنمة . ومن العسير أن يعلل المرء هذا الشعور بوقع ثوب معين ؛ وأحسب أني لو قلت ما يجول في خاطري ساعة أراها بادية فيه — أو مجلوة على الأصح — لظنني القارئ عربيداً مستهتكا ، وما أنا من هذا في قليل ولا كثير . وليصدق القارئ أو لا يصدق ، فما يعنيني ماذا يظن بي . وقديماً قلت — أيام كنت أقول الشعر — :

قد أفعل الشيء لا أبغي به أملا ولا أبالي الورى ماذا يقولونا
همي ضميري – فان أرضيته فعلى رأى العباد سلام المستخفينا

وما زلت كما كنت يوم قلت هذا ، بل لعلي أسرفت في قلة المبالاة ، حتى صرت إلى الاستخفاف المطلق

ولأرجع إلى ذات الثوب الأرجواني ، فانها أحق بالكلام وأولى به مني ، وكم قلت لنفسي وأنا أراعيها : « بأي شيء يا ترى عكن أن تتوسل إلى مثلها ؟ .... لا أنت جميل ولا محتمل .... ولا لك مال ... ولا في رأسك هذا عقل ... أوليس لو كنت تعقل أما كنت حرياً بالانصراف عن هذا العبث ؟ .... ماذا ترجو منها ؟ ... في أي شيء تطمع ؟ ... إنها دونك سناً ، وأنت دونها في كل شيء ... فلا خير فيك لها أو لمثلها »

ثم أعود فأقول لنفسي : « عن أي شيء تتكلم يا هذا ؟ ... الجمال ؟ .. سبحان الله العظيم ! إن الجمال هو سلاح المرأة ، فحظها منه ينبغي أن يكون موفوراً ، وإلا زهد فيها الرجال ، إذ كان لا مزية لها غير ذلك ... ولكن الرجل شيء آخر ، وسلاحه في الحياة قوته وقدرته على الكفاح ... لا هذه الأصباغ والألوان التي لا تلبث أن تحول .. فدع الجمال ، فانه شيء يطلب في المرأة ولا يطلب في الرجل ... وماذا غيره ؟ ... إنك غير محتمل ؟ ؟ .. لماذا بالله ؟ ؟ لماذا تظلم نفسك وتبخسها هذا البخس ؟ .. ومع ذلك هذا شيء يترك لتقدير الغير ولا يجوز أن تكون أنت الحكم فيه ... يعني ماذا ؟ ... أتراني أهرب بهذه السفسطة من التقدير ؟ ... لا ... ولكني ينقصني أن أعرف الرجل الذي يستحيل أن يهتدي إلى امرأة تحبه ، مهما بلغ من رأي الرجال فيه أو من سوء رأيه هو في نفسه ... أو لم تسمع بالمثل القائل : « كل فولة لها كيال ؟ » ، ألسنا نقول ذلك كلما رأينا رجلا ثقيلا تحبه امرأة جميلة كانت تستطيع أن تجد ألف عاشق لها غير هذا الجلف ، أو السمج ، أو ماشئت غير ذلك من الأوصاف التي لا تهون على النفس ؟ ومع ذلك هذه مبالغة ، فما أنا بحيث أحتاج إلى التعزي بأن كل فولة لها كيال ... أعوذ بالله ... بقي المال والعقل ... والكلام في هذا كلام فارغ ... فليس من الضروري أن يكون المرء ندًّا أو تشيلد لكي تحبه المرأة مهما بلغ من جمالها . وليت من يدري بماذا فاز روتشيلد من حب الجميلات في حياته ؟ ومتى كان المال يشتري الحب ؟ كذلك ليس من الضروري أن يكون المرء سقراطا أو غيره من أصحاب العقول الضخمة ليكون محبوباً .. ومع ذلك سل سقراط عن تعذيب امرأته له ، وتنغيصها حياته ، وتسويدها عيشه ! ... ماذا ترى نفعه عقله وفلسفته ؟ ... لا يا سيدي ! الحب شيء لا ضابط له إلا تقدير المرأة للرجل الذي تحس بغريزتها أنه أصلح لها من سواه ؛ وقد تكون مخطئة ، ولكن هذا هو العامل الموجه لها في اختيارها ... إذن هناك أمل ؟ ... بالطبع ! ... ما هذه الحماقة ! ... إنها ولا شك عادة التفكير الطويل في كل

أمر .... وهى عادة تضعف الثقة بالنفس ، وتفقدها الشجاعة اللازمة للاقدام ».

ودارت فى نفسى كلمة الاقدام بعد أن نطقت بها — فى سرى ، وهل أنا مجنون حتى أتكلم بصوت عال يسمعه من فى البيت فتكون النتيجة أن يخربوا بيتى ؟ — فلم يسعنى إلا أن أسأل نفسى : « الاقدام على أى شىء ؟ . . هذه فتاة أراها — وترانى هى أيضاً فما يسعها إلا أن ترى ، أعنى ترانى — ومن طول ما اعتدت أن أراها صرت أحس أنها أصبحت تشغل مكاناً فى نفسى ... مغالطة !! . كأن كل الذنب فى حبها أنى رأيتها مراراً .. ولولا ذلك لما حفلت نفسى بها !؟ ! أهـذا ما أريد أن أقوله أو أدعيه ؟؟ . لا يا سيدى ! . . يحسن ما دمت أناجى نفسى أن أكون صريحاً معها ، وإلا فما الفرق بين نجوى النفس ومحادثة الأغراب ؟؟ . وأعود إلى الاقدام . . وأسأل على أى شىء ؟ . . على أى شىء ؟؟ أو ليس الامر بديهياً ؟ . تشير اليها . . تظهر لها هذا الحب . . . كيف بالله ، تريد منها أن تعرف أنك تحبها وأنك تروم أن تبادلها هذا الحب ؟ ! . « تسم تغلى ظهر يدها » كما يقول المثل العامى ؟ ؟ . حسن . . . وصحيح هذا بلا شك ، ولكن ألا يمكن أن تعرف من نظرة العين وحـدها ؟؟ بلى ! . وإن للمرأة لقدرة على الاحساس بشعور الرجال نحوها ، ولو كان بينهم وبينها ألف سور وسور . . . ما هـذه المبالغة ؟ . مبالغة ؟ ! ألم أسأل امرأة هـذا السؤال فكان جوابها أنى أكون سائرة فى الطريق فأشعر بنوع النظرة التى يرمينى بها من يتفق أن يكون سائراً خلفى ؟ . . فاذا أسقطنا المبالغة من هذا الكلام كان مؤداه أن المرأة يسعها أن تدرك أتحبها أولا تحبها من نظرة عينك ؟ . بل هـذا يسع أى انسان لا المرأة وحدها . . . ولكن إذا اكتفينا بالنظر ودلالته ، فماذا يكون بعـد ذلك ؟ ! هل تروم منها أن تبدأك هى بالكلام وتقول لك : « يا سـيدى إنى أعرف أنك تحبنى فانا أشكرك على تشريفى بهذا الحب الذى لا أستحقه ، وأؤكد لك أنى لست أهلاً لحب رجل عظيم مثلك ؟ سبحان الله العظيم . . ما هـذا البرود ؟ . إن الرجل حين يحب امرأة يكون معنى هذا أنه يريد أن يستولى عليها — هـذا إذا كان رجلاً عادياً سليماً لا مريضاً — والرغبة فى الاستيلاء تجعل من واجبه هو أن يسعى للتغلب على ما عسى أن يكون هناك من مقاومة ، وليس ثم فرق بين غزو قلب وغزو مدينة ؛ والحقيقة الجوهرية فى كلتا الحالتين واحـدة ، وإن اختلفت المظاهر ؛ وكما أن هناك مدناً لا يكاد الجيش يزحف عليها حتى تسرع الى التسليم ، كذلك تجد قلوباً لا تكاد العين تفوق اليها سهما حتى تذعن وتفتح بابه . غير أن هناك قلوباً لا يسهل إخضاعها ولا بد من الكرّ عليها ، وليست كل امرأة ككل امرأة ، فالذى يجـدى مع هذه قد لا يجدى مع تلك لتفاوت الأمزجة واختلاف الطباع ؛ وما أظن صاحبتنا ذات الثوب الارجوانى بالعسيرة ، وإن لى لعواناً عليها من شبابها وغرارتها ومن حياة العزلة والحرمان التى تحياها . والشباب هو زمن الفورة والاضطرام فى العواطف ، والحرمان والعزلة يجعلان العواطف الطبيعية أشـد استعداداً للاضطرام السريع والتسعر لأقل اتصال . وهل طبيعى ألا تعرف الحياة فتاة فى عنفوان صباها إلا من النافذة وإلا من كتاب — أو رواية تقرأه وهى فى الشرفة ؟ . ماذا تعرف هـذه عن الحياة ؟ . . وماذا خبرت من أحوال الناس وأساليبهم ؟ . كيف تستطيع أن تقاوم ما يهدد به ؟ بل كيف تعرف أنهـا مهددة بشىء حتى تفكر فى المقاومة ؟ ؟ . هذه هى فى الشرفة واقفة تنظر من هذا الارتفاع الذى لا يمكن أن تستبين منه شيئاً . . . لماذا تلبس هذا الثوب الارجوانى الأنيق الذى يبدى للعين خطوط جسمها جميعاً وانحناءاته كلها ويجلو مفاتنها ولا يحجب شيئاً منها ؟ . . أليست تلبسه لتبدو فيه كأجمل ما تكون وفى أفتن صورة ؟ . . تعرض محاسنها هذا العرض البديع ولا تجد فى مكانها العالى هـذا من يقدرها ! ! . والناس لا يشعرون بالحرمان منهـا لأن غيرها فى الدنيا كثيرات . . . ولكن هى . . . هى . . . أليس المعقول — وهى تنظر إلى الرائحين والرائحات والغادين والغاديات — أن تشعر شعوراً حاداً بمـا هو مكتوب عليها من الحرمان ؟ . . ومع هذا الشعور المستمر ماذا تقدر أن تكون النتيجة إذا اتفق أن اتصلت أسبابها أو هى اتصال بأسباب رجل يصفو بوده إليها وتأنس هى منه هذا الميل ؟ . يخفق قلبها على الرغم منها . . وتلفى نفسها معنية بهـذا الرجل الذى يوليها العناية التى حرمتها فى حياتها ، ويظهر لها الحب الذى لا يستطيع أن يظهره لها أخوها

أو أبوها لأنه من نوع آخر ، ولا يغنى عنه حب الأم والأخت ومن إليهما ... وتشغل خواطرها بالتفكير فى هذا الانسان الذى لا يفتأ ينظر إليها وفى عينيه نور الحب . . . وقد يكون كاذباً أو مخادعاً ، ولكنها لا تستطيع أن تعرف هذا لأنها غريرة لم تجرب الناس ولم تعرف الحياة إلا من نافذة بيتها . . . فتراها تبدو فى حفل من الزينة — ولم تكن تعنى بأمر زينتها كل هــذه العناية — وتكون واقفة مع صاحبة لها تحدثها فتتحول عينها إليك وتخالسك النظر ... ويكون الكلام عادياً جداً لا يستدعى كل هذه الحركة ولا يستوجب هذه الضحكات المتوالية التى يميل لها الجسم كل مميل ... ولا تزال وهى تتكلم تهز رأسها وتسوى شعرها بيديها وتخرج وتدخل ولا شىء هنالك تدخل له ، ولكنه الشعور المتقد القلق ، والعواطف المشبوبة لأنها محبوسة تريد أن تنفجر من طول الكبت ... وهذا الدبوس الذى تشيله وتحطه لم يكن قلقاً فى موضعه من شعرها ولكن نفسها هى القلقة ، فيدها لا تهدأ ولا تسكن ولا تستطيع أن تكف عن الحركة ... وهذا الثوب الجديد الذى لم يفصل والذى تنشره فى الشرفة لزائرتها كان فى وسعها أن تعرضه عليها فى الغرفة ولكنها حركة عصبية تشى بالاضطراب النفسى ... وهذا النبات الذى اتصل بعضه ببعض على جانب الشرفة والذى يحجب من فيها عن عيون الجيران هل تظن أنه يحتاج إلى تسوية ؟ . لا . ولكن يدها مع ذلك لا تزال وأنت ناظر إليها تعبث بأوراقه النضيرة . وقد تنظر إليك عن عرض وهى تفعل ذلك ... ولا تحسب أنها تغازلك فما تفعل شيئاً من ذلك ولكنه لا يسعها إلا أن تنظر إليك خلسة من حين إلى حين ، لأنه يسرها أن تراك ناظراً إليها وأن تعلم أنك مشغول بها حتى ولو أبدت الضجر من ذلك أحياناً . وإذا لم ينظر الرجل إلى المرأة فاذا يكون مصيرها ؟ . وما ذا عسى أن تصنع بنفسها ! . . وهى تغيب عنك وتحتجب — يوماً كاملاً أو ساعات — لظنها أن احتجابها يسعر النار التى فى صدرك ويرق بألسنة اللهيب الى السماء . وهى تقضى على نفسها بهذا الاحتجاب وخواطرها كلها معك وان كانت تكلم أمها وأخاها وأباها كأنما خلت بها اللهيات الحاضرة التافهة عن كل ذكر لك . وليست المرأة بشىء إذا لم تكن قادرة على هذه المخادعة البريئة . والشرفة الأخرى ليست فى جانب غير هذا من البيت ، بل الاثنتان على صف واحد ، وليست إحداهما بأوسع أو آنق أو أحلى ، ولكنها تنتقل من هذه الى تلك لغير حكمة ظاهرة ، إلا أنها تريد أن تفهمك أنها لا تحب أن تراها ولا ترتاح لطول تحديقك فيها . . وليس هذا بصحيح ، ولكن المرأة هكذا أبداً . . . وتجلس فى الشرفة على الكرسى وفى يدها الكتاب وتتعمد أن توليك ظهرها وأن تجعل وجهها الى ناحية أخرى لتوهمك أنها غير راغبة فيما ترميها به من النظرات . . . ولا تقرأ شيئاً لأنها لا تقلب الصفحة إذ كان عقلها مشغولاً بك وهل لا تزال واقفاً ؟ . وهل تراك تنظر الى غيرها ؟ . وهل أنت ضاحك أو عابس ؟ . وما ذا كان وقع هذا الاعراض فى نفسك ؟ . هل آلمك جداً ؟ ؟ . هل أغضبك ؟ . أو زادك تعلقاً بها واقبالاً عليها ؟ . وتمد ساقها وتهزها لتلفت نظرك الى جمالها . وتنهض واقفة وتنحنى لتضع الكتاب على الكرسى ثم تخرج من الشرفة — لا لحاجة — بل لتريك خط ظهرها ورواءه وفتنته . . . ورفع رأسها قليلاً — وعلى مهل — حتى تحاذى عينها حافة الشرفة لتنظر أباق أنت أم مللت وذهبت ؟ ؟ . وتراك تتهيأ للخروج فتختفى وعينها عليك من وراء الأستار — وفى ظنها أنك لا تفطن الى ذلك — فاذا انحدرت الى الشارع برزت فى الشرفة لتلقى عليك نظرة أخيرة . . . ويجىء الليل فتجلس فى الظلام وأنت فى النور لتراك ولا تراها . . وإذا جاء وقت النوم أغلقت باب الشرفة بعنف لا تدعو إليه أى ضرورة سوى أنها تريد أن تؤذنك بذلك

هذه حياة السكينة وهذا ما يحوجها اليه ما هى فيه من العزلة والحرمان الدائم . وأى قدرة لمثلها أو عسى يمكن أن يكون فيها الا عسر السجن . . . كان الله فى عونها فانى أرانى أعطف عليها وأرثى لها فى محنتها هذه أكثر مما أرانى أحبها . وسلام عليها

ابراهيم عبد القادر المازنى

# المغـــالطة
## فى الوسائل والغايات
للأستاذ عبد الرحمن شكرى

كل انسان ظالم فى أمر واحد أو أكثر من أمر واحد من أمور الحياة ، فان المرء قد تميل به رغائب نفسه وحاجاتها وشعورها حتى يحسب غايته الدنيئة ، ومقصده الوضيع ، ورغبته الخسيسة ، غاية عالية ، ومقصداً نبيلا ، ورغبة شريفة ، وأسبابها لو فطن له الغرور والاعجاب بالنفس ، أو محاولة اخفاء نقائصها ، أو محاولة كسب الجاه ، أو المنفعة من حساب غيره ؛ ومتى تهيأ له قبول الغاية الدنيئة ، كأنها غاية نبيلة سهل عليه أن يغالط نفسه مغالطة أخرى ، فيزعم أن الغاية النبيلة تزكى الواسطة الدنيئة . ولا تجد بين الناس من لا يغالط نفسه هذه المغالطة أيضاً فى أمر واحد أو أكثر من أمر واحد من أمور الحياة .

وهذه المغالطة المزدوجة تجعل المرء يزكى الواسطة الدنيئة بالغاية الدنيئة ، لأنه أولا غالط نفسه فحسب الغاية الدنيئة غير دنيئة ، ثم غالط نفسه وحسب هذه الغاية تبرر الواسطة الدنيئة ؛ وقد يغالط المرء نفسه مغالطة ثالثة ، فيحسب الواسطة الدنيئة نبيلة ، وهذا من قبيل الاحتياط إذا لم يستطع أن يزكى عمله لدى الناس بمبدأ تبرير الواسطة بالغاية .

وهذه المغالطات الثلاث تصل بالمرء إلى حالة نفسية يرى فيها أنه يحاول بلوغ الغاية النبيلة بالوسيلة النبيلة ، وهو إنما يحاول بلوغ الغاية الدنيئة بالوسيلة الدنيئة . وقلما يفطن الناس إلى هذه المغالطات فى أنفسهم ، وقد يعمون عنها فى نفوس معاشريهم ، فالمرء قد يكون مدفوعاً فى سلوكه بما ركب فى نفسه من طبائع الشر ، أو لأنه يُمنى نفسه أن فى قوله أو عمله منفعة لنفسه ، أو لأنه يرى فيهما إعلاء لنفسه أو لرغبته فى الظهور بمظهر الغيرة على الخير والحق ومظهر كره الباطل والشر أو لسبب آخر من أسباب عديدة متنوعة ، ولكنه لا يزال يروض نفسه حتى يصرفها عن الأسباب الحقيقية وحتى تعتقد نبل غايتها ومقصدها ، وأن مطلبها الحق أو الفضيلة أو الخير أو الدين ، وقلما تجد فى الناس من يعجز عن أن يقنع نفسه أنه إنما يعادى أو يصادق من أجل هذه المطالب النبيلة الشريفة ، فاذا اقتنعت سهل عليها أن تتخذ الوسائل الدنيئة لمحاربة من ترى فى محاربته ظاهرة انتصار منها لهذه المطالب ، فتتخذ من وسائلها النميمة والكذب واستثارة الأحقاد بالنميمة والنية والكذب ، وكل هذه وسائل دنيئة ، وتحيل النفس على المبدأ المعروف الذى يقول أصحابه إن الغاية تبرر الواسطة ، فتكون النفس قد خطت خطوتين فى المغالطة والايهام : الأولى تحويلها الغاية الدنيئة إلى غاية نبيلة ، وهذه خطوة خطتها كى تخطو الخطوة الثانية وهى اعتناق مذهب المبررين للواسطة بنبل الغاية ، ولو أصبح هذا المذهب عقيدة عامة مقدسة لانهارت أركان الديانات وتفككت عن النفوس عرى الفضائل وانحلت قيودها وتسفلت النفوس ، ولكن النفوس تأخذ بهذا المبدأ عملياً وفى خفية أو تبته بطريق الايحاء وهو من أسباب تحول النفوس عن الخير والفضيلة حتى على خفاء العمل به والاحتيال لتزكيته بوسائل النفوس الجشعة المتعطشة للمكاسب كما هى نفوس أكثر الناس فى أحوال كثيرة

وأحسب أنه لولا المغالطة الأولى أى الوهم الذى يقلب الغاية الوضيعة ويجعلها غاية شريفة لما كثر أخذ الناس بالمبدأ الذى يبرر الواسطة بالغاية النبيلة ؛ إذ أن تلك المغالطة الأولى هى الأساس الذى يبنى عليه هذا المبدأ فى كثير من الأحوال والذى يبيح للناس كل وسائل الشر فيزاولونها وهم يحسبون أنهم على خير وإلى خير وفضل .

وإذا تتبعت غايات الناس فى مساعيهم المختلفة وجدت أن كلا منهم مهما سفلت غايته يزكيها ويرفع من شأنها ويلبسها لباس الفضيلة أمام نفسه وأمام الناس ، وهو يفعل ذلك إذا كانت غايته وضيعة أكثر مما يفعل إذا كانت غايته رفيعة ، لأن الغاية الرفيعة ليست فى حاجة إلى كل هذا الجهد ، وعلى قدر شعور المرء بحقارة غايته تكون رغبته فى مغالطة نفسه ، وعلى قدر تسفل تلك الغاية يكون غيظه وحنقه ممن يطلعه أو يطلع الناس على حقيقة غايته وأسبابه التى يخفيها . ومن العجيب أنه يحاول أن يستفيد أيضاً من هذا الغيظ الذى سببه الأنانية فيظهره بمظهر الغضب للحق أو الفضل أو الخير أو الدين ولا يزال بنفسه حتى يقنعها أن غيظها ليس غيظ الأنانى الحنق الذى اطلع أو كاد أن يطلع أو يخشى أن يطلع الناس على دناءة غاياته أو وسائله فيوهمها أنه غيظ مقدس نبيل وغضب شريف ، وهى إذا اقتنعت واعتقدت ذلك سهل عليها اقناع الناس بما اقتنعت به من باطل ، وهنا

منشأوهم كبير يقع فيه الناس ، فانهم إذا أبصروا إنساناً عظيم التأثير فى الناس تعديهم شدة اعتقاده واقتناعه حكموا أنه على حق ، ولا سيما إذا كان الحاكم هذا الحكم قليل الخبرة بالنفس الانسانية ، فاذا زادت خبرته بالنفس علم أن شدة اعتقاد الانسان وعظم اقتناعه وما ينشأ عنهما من عدوى تؤدى إلى شدة اعتقاد الناس وعظم اقتناعهم لا يدل على أن هذا الانسان على حق فيما يعتقد وفيما أعدى الناس اقتناعه به ، ولكنها سنة مألوفة لدى الباحث فى النفس وهى أن الاحساس الشديد ينتقل كالعدوى لشدته وكذلك الاقتناع العظيم ينتقل من نفس إلى نفس كالعدوى لعظمه لا لصوابه ، ولما كان الاقتناع المؤسس على الحقد أو الأنانية شديداً لأنه مؤسس على إحساس شديد وهو الحقد أو الأنانية سهل انتقاله إلى نفوس الناس شأن كل اقتناع مؤسس على إحساس شيء شديد آخر ، وأحسب أن الناس معذورون بعض العذر فى هذه المغالطات النفسية وفى بعض هذا الغيظ والحنق إذا كشف كاشف عن تسفل غاياتهم أو وسائلهم لأنه إذا أتيح لأكثر الناس فهم حقارة غاياتهم ووسائلهم والتأثر بهذا الفهم والتألم من أجل تلك الحقارة ضاعت ثقتهم بأنفسهم وضاعت ثقة الناس بهم واعتراهم الضعف فى معالجة أمور الحياة ومعالجة مطالبهم فيها ولا مراء أن بعض هذه النتائج محمود إذا بلغت بهم منزلة القصد والعدل والحق ولم تنحدر بهم إلى منزلة الضعف والعجز ولم تنل من عزائمهم كل منال ، ولكن الناس يعرفون أن نفوسهم قلما تنتقل من إحساس إلى إحساس إلا من نقيض إلى نقيض مثل رقاص الساعة من فعل إلى رد فعل ، ومن رأى إلى نقيضه ومن شعور إلى عكسه فتغيرهم النفسى يختلف عن تغير أمور الطبيعة . ومن أجل ذلك ترى أن الناس فى حياتهم وتاريخهم يسبقون سنة التغير فى الطبيعة فيحدث رد فعل ورجعة فى أمورهم كى يرجعوا إلى ما يناسب تغير أمور الطبيعة ، وهذا هو سبب كثرة ما يشاهد من فترات الرجعة ورد الفعل فى تاريخ البشر وفى حياتهم

وهذه الطفرة فى إحساس النفس مشاهدة بصفة خاصة فى العامة والصغار والجهلة والقليلى المدنية أكثر من مشاهدة الباحث لها فى الخاصة والكبار والمتعلمين والكثيرى المدنية . ومن أجل تردد النفس بين الاحساس ونقيضه يخشى الناس على عزيمتهم فى الحياة ويخشون النتائج التى يأتى بها اطلاعهم على حقيقة غاياتهم ووسائلهم ويخشون أن يعرفوا ضعتها بعد اعتقادهم نبلها فهذا أمر يفاجئهم مفاجأة قد تحدث هزة فى النفس وهذه الخشية تزيد غيظهم وحنقهم فيدفعون بالغيظ ذعرهم من أن تنأى بهم ضعة غاياتهم عن عزائم النجاح ومساعيه ، وهم يخشون الفشل والضيعة ، وما قد يكون فيهما من الذل أو فقدان وسائل الحياة نفسها ؟ ولا شيء يدعو إلى القسوة مثل ذعر المرء إذا خشى أن يفقد وسائل الحياة على اختلاف منافعها بفقد اعتقاده نبل غاياته ووسائله حتى ولو كان فقده وسائل الحياة من أجل ذلك بعيد الاحتمال

ولكن كثيراً ما يحصن المرء ضعة غاياته ووسائله بما يعتقد الناس فيه وما يعتقد هو فى نفسه من الفضل والجاه والنبل والصدق ، ولا تخلو نفس من شيء من هذه الصفات قل أو كثر ، وكلما كثر نصيب المرء من هذه الصفات كثرت حصانة غاياته ووسائله . ومن أجل ذلك ترى الرجل الذى يعتقد الناس فيه هذه الصفات أقدر على مغالطة الناس ومغالطة نفسه فتسهل هذه المغالطة بما له عند نفسه وعند الناس من ثقة بنصيبه من هذه الصفات ، وهذا الرجل أشد خطراً على الحق والخير إذا غالط نفسه أو غالط الناس لأنه يسهل تصديقه والاقتداء به ولا يحسب أحد أن له غاية حقيرة أو وسيلة دنيئة بجانب ما فى نفسه من صفات الفضل والصدق والحق أو بجانب ما اكتسب من جاه وثقة

وكما أنه يسهل أن تحول الغاية الدنيئة غاية رفيعة نبيلة وأن تعتقد أن تلك الغاية التى صارت نبيلة فى نظرها تبرر الواسطة الوضيعة يسهل أيضاً أن تستغنى النفس عن الخطوة الثانية وهى تبرير الواسطة الوضيعة أو تحويلها إلى واسطة نبيلة وإبرازها للناس كأنها واسطة شريفة سامية بدل تبريرها بالغاية والقصد ، وهذا من شدة احتياط النفس عند من قد يرفض ذلك التبرير ويأبى تلك التزكية ، ونظرة من الباحث المتقصى وسائل الناس تدل على أنهم يتعامون عن ضعة وسائلهم ويغالون فى إبرازها فى حلة الوسائل السامية وإنما الخلاف بينهم فى تزكية كل منهم وسائله واتهام وسائل غيره . وقد يعرض للباحث سؤالان هما هل يتاح للانسان عصر يكثر فيه من يحث نفسه وتقصى حقائقها ؟ وهل يرفع هذا التقصى من نفس الانسان ؟ ؟ أحسب أن هذا لا يكون ما دام ذعره خشية فقدانه وسائل الحياة على اختلاف أنواعها واقعاً محذوراً

عبد الرحمن شكرى

# المأساة الفلسطينية

## لباحث دبلوماسي كبير

أجل لم تعد قضية فلسطين مسألة من مسائل الاستعمار والسياسة ، ولكنها تغدو مأساة حقيقية

مضت إلى اليوم عدة أسابيع ، وفلسطين تجوز أحداثاً هائلة : أهوال الاضراب والمقاومة السلبية ، وأهوال القوة الغاشمة تميل عليها وتنكل بها من كل صوب ، وتحاول اخماد أصواتها وأنفاسها بكل وسيلة ، وتعمل على تجريدها من كل وسائل الاعتصام والمقاومة ؛ والسياسة المتجنية تشهد آلام شعب بأسره هادئة جامدة ، لا تحركها صرخات الألم ، ولا ازهاق الأنفس واهراق الدماء ، بل تؤكد هادئة أنها لن تحاول بديلا لخطتها ، وأنها ستمضى فيها إلى النهاية غير مكترثة بارادة شعب وحقوقه ، بل بحياته أو موته

والواقع أن فلسطين اليوم تجوز صراع الحياة والموت ؛ وهى تجوز هذا الصراع منذ تسعة عشر عاماً ، أعنى مذ قضت عليها السياسة الانكليزية فى سنة ١٩١٧ ، بأن تغدو وطناً قومياً لليهودية ؛ ولكن خطر الصهيونية على كيان فلسطين لم يبدُ فى أعوامه الأولى كما يبدو اليوم ؛ وكانت الأمة الفلسطينية ما زالت فى هذه الأعوام الأولى تهجس بشىء من الأمل ، أما اليوم فان الخطر الصهيونى يبدو فى ذروة روعته ، خطر فناء لا شك فيه ؛ وتفقد الأمة الفلسطينية كل أمل فى عدالة الاستعمار والعدالة الدولية ، وتدفعها اليوم إلى الكفاح نزعة يأس عميق ؛ وإذا بلغت الأمم حد اليأس ، هانت عليها كل سبل الاقدام والتضحية

وهذا ما يطبع كفاح الأمة الفلسطينية اليوم ، فانها تجوز غمار هذه الأحداث الهائلة التى نشهدها منذ أسابيع ، مقدمة غير مكترثة لبذل النفس والمال ، ونتابر على الكفاح بهمة الجلد المستميت

***

أسفرت الحرب الكبرى عن وقوع فلسطين تحت نير استعمار مزدوج ، فقد فرض عليها الانتداب البريطانى باسم عصبة الأمم ، والانتداب هو حماية أجنبية صريحة ؛ وقضت عليها السياسة البريطانية من جهة أخرى أن تكون وطناً قومياً لليهود ، وأدمج هذا العهد الذى قطعته انجلترا لليهودية فى نص الانتداب الذى أقرته عصبة الأمم ، وغدت فلسطين بذلك أرضاً بريطانية كما غدت ميداناً للاستعمار اليهودى الاقتصادى والاجتماعى

ومنذ سنة ١٩١٧ يتدفق سيل الهجرة اليهودية على فلسطين ، يدعمها تدفق الأموال اليهودية ، والنشاط اليهودى بسائر ألوانه ومناحيه ؛ ولا تدخر السياسة البريطانية من جانبها وسعاً لرعاية هذا الوطن اليهودى الجديد ، وتشجيع نمائه ورخائه ، وتذليل كل صعب فى سبيل الهجرة اليهودية ، وتنظيم الاستعمار اليهودى للبلاد ؛ وتفسح السلطة المنتدبة فى ذلك مجالاً كبيراً لآراء الوكالة التنفيذية اليهودية ، وهى الهيئة اليهودية الرسمية التى تقوم فى فلسطين بجانب سلطات الانتداب طبقاً لصك الانتداب ذاته ، وتتمتع بحق الاقتراح والمشورة فى كل ما يتعلق بالوطن القومى اليهودى

ومع أن اليهودية أقبلت من سائر أنحاء العالم على استعمار فلسطين بحماسة شديدة ، وحملت إليها مئات الملايين ، واشترت من أراضيها مساحات عظيمة ، حولتها إلى مستعمرات يهودية غنية ضخمة ، وانشأت مدينة يهودية عظيمة هى مدينة تل أبيب ، وعملت على إحياء اللغة العبرية وجعلها لغة الوطن القومى الجديد ، وانشأت جامعة عبرية كبيرة لتعمل على احياء التفكير اليهودى ؛ مع ذلك كله كانت اليهودية فى أعوامها الأولى تسير الى غايتها متعثرة ، ويزعجها سخط العرب وتبرمهم ؛ وكانت تخشى دائماً أن تميل السياسة البريطانية الى ارضاء الأمانى القومية العربية بوجه من الوجوه ، خصوصاً وأن تصريح بلفور ذاته ينص على احترام حقوق الطوائف غير اليهودية ، المدنية والدينية ؛ بل لقد مر باليهودية قبل بضعة أعوام فقط ساعات يأس حقيقى ، وخيل لها غير مرة ، أن حلم هرتسل[1] فى بعث الدولة اليهودية

(١) تيودور هرتسل الكاتب والصحفى النمسوى (١٨٦٠ — ١٩٠٤) ، وقد كان روح الحركة الصهيونية الحديثة ، وأعظم زعمائها ومنظميها

وإنشاء الوطن القومى اليهودى ، سينهار فى مهده ؛ وكادت الحكومة البريطانية فى سنة ١٩٣٠ بعد أن تبينت عدالة المطالب العربية فيما يتعلق بوقف الهجرة اليهودية ، ووقف بيع أراضى العرب ، وهى مطالب عززها تقرير اللجنة الانكليزية التى انتدبت لبحث هذه المسائل ، تجنح الى إرضاء بعض الأمانى العربية ، وصدرت فى مجلس العموم البريطانى تصريحات رسمية فى هذا الشأن ؛ ولكن سرعان ما تغلب نفوذ اليهودية مرة أخرى ، وسحبت الحكومة البريطانية تصريحاتها ووعودها للعرب ، بتصريحات معارضة ألقتها تأييداً لوجهة النظر اليهودية وعهد بلفور

وهكذا استطاعت اليهودية أن تخرج ظافرة من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى كادت تزعزع ايمانها فى حلمها وفى مثلها ؛ وذهبت جهود العرب سدى ، ولم يظفروا رغم ثوراتهم واحتجاجاتهم المتكررة بحمل السياسة البريطانية على أن تحيد ذرة عن خطتها

ثم لقيت الحركة الصهيونية ظرفاً جديداً لنشاطها واضطرامها ؛ ذلك أن ألمانيا جاشت بالخصومة السامية عقب قيام النظام الهتلرى ، ونظمت الحكومة الهتلرية لسحق اليهود فى ألمانيا مطاردة عنيفة رائعة ، فتوجست اليهودية فى أنحاء العالم شراً ، وهتفت كلها باخطار الخصومة السامية ، وألفت الصهيونية الفرصة سانحة لتؤكد لأبناء جنسها كرة أخرى أن الوطن القومى اليهودى هو ملاذ اليهودية وعصمتها من تلك النزعات الخطرة ؛ وهكذا تدفق سيل الهجرة اليهودية على فلسطين بعنف لم تعهده من قبل ، وزاد عدد اليهود فى فلسطين بسرعة حتى أنه بلغ الضعف تقريباً فى نحو ثلاثة أعوام ؛ ولبيان ذلك نقول إن اليهود بلغوا حتى سنة ١٩٣٢ نحو ثلثمائة ألف من مجموع سكان فلسطين وقدره مليون . وقد بلغوا فى سنة ١٩٣٦ حسب آخر إحصاء نحو خمسمائة ألف ، وبلغ السكان العرب من مسلمين ونصارى نحو سبعمائة وخمسين ألفاً ؛ وقد اجتمعت مرافق فلسطين الحيوية فى الأعوام الأخيرة فى يد اليهودية بسرعة ، وأحرزت اليهودية بالشراء السخى معظم أراضى فلسطين الخصبة ، وساعدتها السلطة المنتدبة على تحقيق سيطرتها الاقتصادية بجميع الوسائل التشريعية والادارية ، وما زالت هذه السيطرة تزداد توطدا وتمكيناً

* * *

والآن وقد رأى العرب أن بلادهم التى استوطنوها منذ الأحقاب ، وأراضيهم ومرافقهم الحيوية ، وتراثهم الدينى والاجتماعى ، كل ذلك يسير سراعا إلى التلاشى والعدم ، والدولة المنتدبة تؤازر اليهودية باستمرار على تمكين غزوها المروع ؛ وخطر الفناء القوى يلوح فى ثنية المستقبل ، فهل نعجب إذا رأيناهم ينفجرون سخطا ويؤثرون السقوط فى ميدان الجهاد الشريف على ذلك الاعدام البطىء المنظم ؟ وهل تعجب الحكومة البريطانية إذا كانت سياستها فى فلسطين قد أدت إلى مثل هذا الانفجار الخطير ، وهو الثالث من نوعه فى نحو عشرة أعوام ؟

إن مؤازرة السياسة البريطانية لليهودية وتعضيدها لانشاء الوطن القومى يرجعان إلى اعتبارات واضحة معروفة ؛ فالسياسة البريطانية تعرف مدى النفوذ اليهودى فى عالم المال والسياسة ، وقد حظيت بريطانيا فى الحرب العظمى بمؤازرة اليهودية ، ومازالت ترمى إلى الاحتفاظ بهذه المؤازرة ؛ وإنشاء الوطن القومى ضمان لاستمرار هذا التعاون بين السياسة البريطانية وبين اليهودية . بيد أن هنالك اعتبارات أخرى يلوح لنا أن السياسة البريطانية لم تقدرها حق قدرها . ذلك أن فلسطين هى قطعة من العالم العربى تحوطها الأمم العربية من كل صوب ، والأمة الفلسطينية هى عضو فى جماعة الأمم الاسلامية الكبرى ؛ وانكلترا التى تسيطر على عشرات الملايين من المسلمين ، فى افريقية وآسيا يجب عليها أن تحسب حسابا لعواطف المسلمين ومشاعرهم ؛ ومن المحقق أن العالم الاسلامى كله يعطف على فلسطين فى محنتها وكفاحها كل العطف ، ويأخذ على السياسة البريطانية مسلكها نحو فلسطين وأمانيها المشروعة ، ومن المحقق أن إصرارها على هذا المسلك سيكون له أسوأ الأثر فى العالم الاسلامى ، وفى عواطف الشعوب الاسلامية نحو انكلترا

وعلى اليهودية ذاتها أن تفطن لهذا الاعتبار ؛ فالوطن القومى اليهودى يقوم فى قلب العالم العربى والاسلامى ، متحديا عواطف العرب والمسلمين ، وهم من حوله كالبحر الزاخر ؛ ولتعلم اليهودية أن الحوادث قلب ، وأن مصاير التاريخ ليست فى يدها وأن هذا

البحر قد يطغى يوما فيغمر هذا الوطن القوى بما فيه ويصبح أثراً بعد عين.

والسياسة البريطانية لا يمكن أن يفوتها مثل هذا الاعتبار الخطير الذى تنوه به الصحف البريطانية؛ ولكن الظاهر أن عوامل أخرى تملى على السياسة البريطانية تشددها نحو بحث المسألة الفلسطينية؛ فنحن نعرف أن السياسة البريطانية قد منيت بالفشل الذريع فى محاولتها إحباط الغزوة الايطالية للحبشة، وأن ظفر الاستعمار الفاشستى يثير اليوم فى انكلترا مخاوف خطيرة بالنسبة لمستقبل سيادتها فى شرق افريقية ووادى النيل، وكذلك بالنسبة لمواصلاتها الامبراطورية فى البحر الأبيض المتوسط؛ وتخشى انكلترا أن تساهلها نحو أمانى فلسطين — وفلسطين تعتبر قاعدة حيوية فى مواصلاتها الامبراطورية — قد يحمل على نوع من الضعف والتسليم، ويعرض هيبتها الاستعمارية للانتقاض. وقد رأينا المندوب السامى فى فلسطين يرد على مطالبة العرب بوقف الهجرة الصهيونية باصدار تصريح جديد بمهاجرة أربعة آلاف وخمسمائة عائلة يهودية، متجاهلاً بذلك أن طغيان الهجرة من أهم أسباب الثورة القائمة. هذا إلى أن نفوذ اليهودية فى انكلترا يعمل عمله؛ وقد رأينا زعيم الصهيونية الدكتور وزمان يسارع بالعودة من فلسطين إلى انكلترا منذ بدء الثورة الفلسطينية؛ وقد كان لمساعى هذا الزعيم دائماً أثرها فى موقف السياسة البريطانية نحو فلسطين ونحو رعاية الوطن القومى اليهودى

على أن السياسة البريطانية لا يمكن أن تحتفظ طويلاً بهذا الموقف الشاذ؛ ففلسطين تقف اليوم موقف الحسم، وتصر على أن تبحث مطالبها وأمانيها بعين الانصاف، ومن ورائها عطف الأمم العربية والاسلامية كلها؛ وانكلترا تقدر بلا ريب مدى هذا العطف وآثاره؛ وبحث القضية الفلسطينية بروح الانصاف لا يمكن أن يعتبر ضعفاً أو تسليما كما يريد أن يفسره غلاة الاستعمار؛ أما الأصرار على تمكين اليهودية من أعناق فلسطين، ودفع الشعب الفلسطينى إلى منحدر التلاشى والفناء، والاكتفاء بارسال لجان التحقيق فسياسة خطرة؛ ولا ريب أنها تعرض مركز انكلترا فى الشرق الأدنى، وفى العالم الاسلامى كله لأشد الأخطار

***

# قصة المكروب

## كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكى

## الحصانة واليهودى الأفاق

— ١ —

ما أغرب هذا العلم علم المكروبات، وما أعجب ما كان من أمره فى يوم وُلد!

بدأ هذا العلم رجل قماش لم يثقف ثقافة مذكورة، ومع ذلك كان أول راءٍ رأى المكروبات، ثم جاء كيميائى فأوجد للمكروبات مكانة ذات بال فى خريطة الوجود، وأرعب الناس منها وأرعد. ثم تلاه طبيب قرية، فجعل من صيادة المكروب شيئاً منظماً قارب أن يكون علماً صحيحاً. وأراد فرنسى وألمانى أن ينجوا بالأطفال من سم مكروب من أقتل المكروبات، فجزرا فى سبيل ذلك أعداداً لا تحصى من الخنازير الغينية ومن الأرانب لو تراكمت لبلغت أكواماً كالجبال. إن تاريخ صيد المكروب تاريخ ملئ بالخاطرات الجميلة، والايحاءات النادرة؛ ولكن به كذلك كثير من النبوات المدهشة، والتناقضات المجنونة.

ولا يختلف تاريخ علم المكروب فى هذا عن تاريخ علم الحصانة immunity وهو العلم الذى لا يزال ناشئاً، وبه تفسر لنا مناعة الانسان من المكروب، فالذى بدأ هذا العلم، على نحو ما، هو رجل باحث كثير الاهتياج، قليل الاتزان، ذو جنة تعاوده كثيراً

وكان هذا الرجل يهوديا يدعى إيلى متشنيكوف Elie Metchnikoff، ولد فى جنوب روسيا عام ١٨٤٥، وقبل أن يبلغ العشرين قال لنفسه: «إنى ذو غيرة وذو مقدرة، وقد حبتنى الطبيعة مواهب راجحة، وأنا أطمع أن أكون بحاثاً كبيراً»

وذهب هذا الشاب إلى جامعة خركوف Kharkoff، واستعار من بعض أساتذته مجهراً، وكانت المجاهر عندئذ نادرة، وأخذ ينظر فيها نظرات لم تكن دائماً بينة واضحة، ومع هذا قام على

أثرها فكتب مقالات علمية طويلة ، وذلك قبل أن يعلم ما العلم وما كنهه وما جوهره ، وغاب أشهراً عن فصول الجامعة وعن دروسها ؛ ولم يكن للعب غاب ولكن للقراءة ؛ ولم تكن قراءة القصص والنوادر ، ولكن قراءة مؤلفات كبيرة في العلم مثل كتاب : « بلورات لأجسام زلالية » ، وغير ذلك كان يقرأ كُتَيِّبات ونشرات لو اطّلع عليها رجال الأمن لنفوه إلى مناجم سيبريا ؛ وكان يسهر الليالي ، ويكرع جالونات من الشاى ، ويخطب رفقاءه ، وهم أجدادُ بلاشفةِ اليوم ، خُطباً هائجة صاخبة جاحدة تنكر وجود الله حتى لقبوه « لا إله » ، وجاءت خاتمة السنة فقام إلى دروسه التي تراكمت في الأشهر السابقة فحفظها عن ظهر قلب ؛ وكانت له ذاكرة أشبه شيء باسطوانات الفونوغرافات منها بالعقل الانساني ، فجاز الامتحان وظهرت النتيجة فكتب إلى أهله يقول لهم إنه نجح وكان أول الناجحين ، وفوق ذلك نال وساماً من ذهب

وكان متشنيكوف شديد العجلة في أمره نفسه ، يود أن يسبق الزمن بها ، ويحملها على أشياء قبل أن يأتي أوانها . بعث بالمقالات العلمية وهو لا يزال في عقده الثاني ، وكان يكتبها في سرعة الهالع بعد ساعات قليلة من تحرير مجهره على بقة أو خنفساء ، ويصبح الصباح فيعود إلى مجهره ليراها مرة أخرى ، فاذا به يرى ما لم يكن رآه بالأمس فيسرع بالكتابة إلى رئيس تحرير المجلة يقول له : « أرجو ألا تنشر مقالة الأمس ، فقد وجدت نفسي مخطئاً . وأحياناً كان يرسل المقالة فلا تنشرها المجلة فيثور ويغضب ويصيح : « إن الدنيا تجهل قدري » ، ويذهب إلى غرفته يتأهب للموت وهو يصفّر صفير اليائس الحزين : « لو كنت في صِغَر الحلزون ، لطويت جسمي في صدفي »[1]

بكى وناح لأن أساتذته والناس لم يقدروا مواهبه حق قدرها ، ولكن لم يَفُتّ ذلك في عضده ولم يستطع أن يضعضع من أمله ، فنسي ما كان انتواه من قتل نفسه ، ونسي ما كان من ضيقه ووجع رأسه ، أنساه إياه حبه القيم لكل شيء حيّ . ولكنه أفسد على نفسه الفرصة كلما أمكنته من إجراء بحث علمي قيم متواصل ، ذلك بأنه كان دائماً يشاجر أساتذته وينازع معلميه . وأخيراً كتب إلى أمه ، وكانت تؤمن به وتعطف عليه وتفسده ، فقال لها : « إن أكبر همي أجده في دراسة البروتوبلازم Protoplasm ، في دراسة مادة الجسم الحية . . . ولكن روسيا خالية من العلم والعلماء » . وعلى هذا ذهب مسرعاً إلى جامعة فرتزبرج Würzburg بألمانيا ؛ فوجد أنه وصل قبل ابتداء العام الدراسي بستة أسابيع . فأخذ يبحث عن بعض الطلبة الروسيين فوجدهم ، ولكنهم لم يرحبوا به لأنه كان يهودياً ، فضاقت بنفسه مسالك الحياة ، وعاد راجعاً إلى بلده وهو يعتزم الموت . وكان في حقيبته بضعة من الكتب التي اقتناها ، وكان من بينها كتاب أصل الأجناس Origin of Species لصاحبه دارون ، وكان خرج إلى السوق حديثاً ، فقرأه ، وفي جرعة عقلية واحدة بلع كل الذي فيه ، وصار من أنصار نظرية النشوء الشديدين . ومن هذا الوقت دان بهذه النظرية إلى أن تهيأ له الوقت ليصطنع لنفسه من العلم ديانات جديدة يدين بها

نسي ما اختطه لهلاك نفسه ، وبدأ يخطط الخطط لأبحاث في هذه النظرية الجديدة ، ورقد الليل ولكن لم ينمه لأنه أخذ يتخيل الخيالات عن ساحات واسعة قد امتلأت بطوائف الأجناس الحيوانية من الصرصور الصغير إلى الفيل الكبير ، ثم تخيل إلى جانبها حيا بالغ الصغر هو جدها الكبير الأبعد

وكان هذا الانقلاب بدء حياة متشنيكوف الحق ، فانه عندئذ خرج يحاج ويشاجر من معمل إلى معمل ، ومن روسيا إلى ألمانيا إلى إيطاليا ، ومن إيطاليا إلى جزائر هيليجو لاند Heligoland وأدام هذا الشجار والحجاج عشر سنوات ، واشتغل في بحث نشأة الديدان ، واتهم لوكارت Leucart عالم الحيوان العلاّمة بسرقة بضاعته ؛ وكانت أصابعه لا تحسن العمل الدقيق ، وكان لا يرجى لها أن تتعلم إحسانه ، فذات مرة جاء بعظاية وضرب فيها بكلتا يديه ضربة المستقتل اليائس يريد أن يكشف في بطنها عن سر النشوء ، فلما أعجزه أن يعلم منه شيئاً رمى بالذي تبقى من الزاحفة عبر المعمل . كان متشنيكوف على نقيض كوخ ولوفن هوك ، فهذان الرجلان العظيمان عرفا كيف يتاطفان إلى الطبيعة فيسألانها عما يريدان وفازا منها بالجواب . أما صاحبنا فقرأ كتباً في نظرية النشوء ، فألهمته وحمسته ، فآمن بها

وأعلن إيمانه مسموعاً عالياً ، ثم جاء بعد ذلك يعالج التجارب لا ليمتحن بها عقيدته الجديدة ، بل ليفرضها على الطبيعة فرضاً ، وليدسّها في حلقها لتبلعها اغتصاباً . ولكن العجيب أنه أصاب

(١) هذه أغنية معروفة ، والحلزون دويبة من اللافقريات الرخوة تحمل فوق ظهرها صدفها وفيه تنكمش عندما تريد Snail

في هذا أحياناً ، وعندئذ كانت إصابته ذات خطر كبير . ولم يكن عندئذ يعلم شيئاً عن الـكروب ، أعني في آخر العقد الثامن من القرن الماضي . ولكن الحاحه كالمجنون في إثبات أن الأصلح هو الأبقى ، وأن الفاسد للذهاب ، هو الذي ساقه إلى تلك النظرية البديعة الخلابة نظرية الحصانة التي تصف كيف يصدّ الانسان هجمات الفاتكات من الـكروب . وهي نظرية صحيح بعضها برغم مظهرها الخيالي الذي لا يدعو إلى التطامن إليها

كانت السنوات الخمس والثلاثون الأولى من حياته كثيرة الاضطراب والصخب أشرف فيها على المهالك ، ولكنه سار من طريقها الخطر على جسر ضيق نفذ به في آخر الأمر إلى الشهرة الواسعة التي كانت تنتظره على شواطىء صقلية في البحر الأبيض المتوسط . وتزوج قبل أن يبلغ الثالثة والعشرين لدميلا فودوروفتشي Ludmilla Feodoaovitch وكانت مسلولة حتى كان لا بد من حملها في كرسيها إلى حيث يعقد زواجها . وتبع هذا الزواج أربع سنوات مضت عليهما في أبأس حال وأكثرها استدراراً للرحمة ، قضياها يجرّ بعضهما بعضاً عبْر أوربا يبحثان عسى أن يجدا لداء الصدر دواء . وفي أثناء ذلك ، وفي أثناء تمريضه هذه الزوجة العليلة المسكينة غريض عطوف حنان توتر عصبه وثقل قلبه كان يختطف سويعات يجري فيها تجارب يدرس بها تنشّؤ بقّ النبات والأسفنجيات والدود والعقارب ، يريد بذلك أن يقع على اكتشاف يهز الناس فتأتيه من ورائه أستاذيّة تدرّ عليه مالاً كثيراً . وهمس لنفسه وهو يكتب رسالاته العلمية ، وهمس لها وهو يبعث بالرسل ويدفع بالوسائط ويختط الخطط ويحاور ويداور في طلب الوظيفة ، قال : « إن البقاء ليس للأصلح ؛ وليس هو للأكثر طيبة وخيراً ، وإنما هو للأشد مكراً وللأنكى خبثاً

وماتت لدميلا . وكانت قضت أيامها الأخيرة تتخلص من آلامها بالمرفين ، فاقتبس زوجها عادة المرفين منها ، ولما نفض تراب قبرها عن يديه قام عنه هائماً يضرب في الأرض ، واخترق أسبانيا متوجهاً الى جنيفا وهو يزيد كل يوم مقدار العقار الذي يتعاطاه ، وساءت عيناه أثناء ذلك وآلمته ألماً كبيراً . وما الباحث في الطبيعة إذا لم يكن له عينان تبصران ؟ وصرخ : « ما الفائدة من هذا العيش ! » ، وأخذ جرعة كبيرة من المرفين أيقن أنها لا بد قاتلته ، ولكنها كانت أكبر مما تحتمله المعدة فقاءها . وصرخ مرة أخرى : « ما نفع هذه الحيـاة ! » ، واستحم استحمامة ساخنة وخرج منها يتعرض عامداً الى الهواء البارد الطلق عسى أن تصيبه من ذلك نيمونيا فتذهب بحياته ، ولكن يظهر أن الآلهة الحكيمة المزاحة التي تقوم بتجهيز البحاث لهذا الكوكب شاءت له غير الذي شاءه لنفسه ، أبقت عليه لحاجة في نفسها . وفي هذه الليلة عينها ساقته رجلاه الى حيث أبصر طائفة من الحشرات كالغمام تدور وتدوّم حول لهب مصباح . فاستوقفه هذا المنظر ووقف يتأمله بتعجب ظاهر وفم مفغور . صاح لنفسه : « إن هذه الحشرات لا تعيش إلا ساعات قليلة ، فليت شعري كيف يستفاد بها لدرس نظرية بقاء الأصلح ؟ » . وبهذا عاد فوصل من جديد تجاربه المقطوعة

حزن متشنيكوف على زوجه حزناً شديداً ، ووجد عليها وجداً مبرحا ، ولكن الأيام كانت سريعة في شفاء الوجد ولأم الجرح العميق . وتعين أستاذاً في جامعة أودسّا ، وفي هذه الجامعة علّم نظرية بقاء الأصلح ، وفيها وَضحَ علمه ، وارتفع قدْره ، وزاد في الناس إجلاله . ولم تمض سنتان على وفاة زوجته الأولى حتى التقى بفتاة في الخامسة عشرة ، في وجهها بشاشة ، وفي قلبها ذكاء . وكان اسمها أولجا ، وكانت ابنة رجل ذي يسار ، ونظرت اليه ، فأسرَت عينها إلى قلبها ، قالت : « إن وجهه كوجه المسيح في قدسيته ، لونه امتقاع ، وعليه سحابة من كآبة » . ولم يمض طويل من الزمن حتى تزوجها

ومنذ هذا الزواج هدأت حياته كثيراً ، وقلت نداءاته لعزرائيل كثيرا ، وأخذت بداه تتعلمان اجراء التجارب لتلحق بعقله الذي نضج قبل أوانه ، وأصبح العلم له ديناً ، وتعلّق به اعاناً ؛ وأدخله في كل أمر من أمور عيشه في تحمس لم يسمع بمثله ، وأخذ بيد أولجا يُدخلها في هذا الدين علماً وفناً ، وعلمها حتى علم الزواج وفنه ! وعبدت فيه ذلك اليقين المغرق الذي أعطاه العلم اياه ، ولو أنها قالت بعد ذلك بسنوات كثيرة : « إن الطريقة العلمية التي طبقها زوجي في غير هوادة على كل شيء جاز ألا تخلق لنا إلا شراً في تلك الساعة الخطرة من حياتنا ، والنفس دقيقة الحس في انتقالها من حال الى حال

(يتبع)

أحمد زكي

للتاريخ السياسي :

# ٤ – اليوم السابع من مارس

## ضربة مسرحية في برلين

للدكتور يوسف هيكل

---

### موقف دول لوكارنو وقرار مجلس العصبة

لنر الآن ماذا كان رد الفعل في عواصم دول لوكارنو ، وموقف فرنسا وبريطانيا وبلجيكا وإيطاليا إزاء حوادث ٧ مارس والمذكرة الألمانية :

كان وقع قرار ٧ مارس شديداً على باريس ، ولقد أهاج الدوائر الرسمية والرأي العام ، برغم أن هذه الحوادث كانت في الحسبان ، وأول عمل احتياطي قامت به حكومة باريس هو إبقاء الجنود الذين كانوا على أهبة الذهاب إلى بيوتهم تحت السلاح إلى أجل غير مسمى ، ثم إرسال جنود وقوى حربية لتحتل القلاع الواقعة على الحدود الألمانية

وفي الساعة السابعة والنصف من مساء يوم الأحد الموافق ٨ مارس ألقى مسيو سارو ، رئيس الوزارة الفرنسية ، خطاباً في الراديو على الشعب الفرنسي ، عرض فيه العلاقات الفرنسية الألمانية منذ الحرب والجهود التي بذلتها فرنسا للتوفيق بين الجارتين . . . وقد صرح بأن الحكومة عازمة على المحافظة على معاهدة لوكارنو التي هي شرط أساسي لسلامة فرنسا . . وأنها ترفض منهاج الهر هتلر لسببين : أولهما أن ألمانيا قدمت مثلين في تمزيق المعاهدات بقرار منها وحدها خلال سنة واحدة ، وهذا العمل المنافي للحقوق الدولية يدعو إلى نزع الثقة من المعاهدات المقبلة التي تعقد معها . والسبب الثاني وهو أشد قطاعة ، كون ألمانيا قد أرسلت قوى عسكرية إلى أراضي الرين خلافاً لكل قانون دون أن تعلم الدول بعزمها قبل تنفيذه ، ودون أن تفكر في المفاوضة مع دول لوكارنو للوصول إلى حل مرض ، بل جابهت هذه الدول « بالأمر الواقع » fait accompli في أبشع وأفظع صوره . وقال بأن فرنسا سترفع الدعوى إلى مجلس عصبة الأمم ، وأنها ستضع قواها المعنوية والمادية تحت تصرف مؤسسة جنيف . . .

وفي يوم الثلاثاء الموافق ١٠ مارس ألقى مسيو سارو « رسالة » الحكومة Message في مجلس النواب ، ومسيو فلاندان في مجلس الشيوخ ، وعرضت الحكومة فيها أعمال الحكومة النازية المخالفة للحقوق الدولية ، وتمزيقها المعاهدات المقدسة . . . وأبان بأن عمل الهر هتلر لا يضع على بساط البحث مشكلة الرين ، بل مسألة حرمة المعاهدات والعلاقات الدولية وكيان عصبة الأمم . وقال إنه إن أخذت كل أمة ترفض المعاهدات حسب إرادتها فلا سلام ولا حرمة للقانون ، بل تحل محل الحق القوة المادية . . .

وفي هذا الخطاب هدأت حكومة باريس ثورتها ، ولطفت رفضها البات في المفاوضات ، وقالت إنها لا ترفض العمل لحل المشاكل الحالية ولتحسين العلاقات الفرنسية الألمانية ، غير أن فرنسا لا تستطيع المفاوضة تحت ضغط القوة التي تمزق المعاهدات الموقع عليها عن طيب خاطر

وأخذت الصحافة تندد بأعمال الهر هتلر وتبين الخطر الذي سيواجه أوربا نتيجة لعدم احترام المعاهدات . . . وتلوم بريطانيا لاتباعها اللين مع ألمانيا ولمسايرتها لها . . .

أما في لندن ، فقد أخبر مستر ايدن السفير الألماني عندما تسلم منه مذكرة بأن حكومة جلالته غير راضية عن انتهاك ألمانيا حرمة المعاهدات . وقال في خطابه الذي ألقاه في مجلس العموم في ٩ مارس بعد أن أبان مخالفة عمل الهر هتلر للحقوق الدولية ، والخطر الذي ينجم عن اتباع مثل هذه السياسة ، إن عمل ألمانيا لا يعد تهديداً ، غير أن الحكومة البريطانية تصرح بأنها ستكون في صف فرنسا وبلجيكا فيما إذا هاجمت ألمانيا إحداهما . . . . .

وغريب أن يقول مستر ايدن بأن عمل ألمانيا لا يعد تهديدا ، ومعاهدة فرساي صريحة العبارة في قولها (البند ٤٤) بأنه في الحالة التي تخالف فيها ألمانيا مضمون البندين ٤٢ و ٤٣ « تعتبر قائمة بعمل عدائي نحو الدول الموقعة على هذه المعاهدة ومحاولة تعكير صفو السلام »

ولكي يتثبت مستر بلدوين من أن الأزمة الحالية سوف لا تقود بريطانيا إلى تطبيق سياسة « العقوبات » الاقتصادية على

ألمانيا أصر على أن يوافق اللورد هاليفاكس مستر ايدن في جميع اجتماعاته التي لها علاقة بحوادث الرين ، واللورد هاليفاكس صديق ألمانيا الحميم ...

وكان وقع حوادث ٧ مارس في الدوائر السياسية اللندنية نقيض ما كان عليه في باريس . وإن كان ساسة لندن غير راضين عن الطريقة التي اتبعها هتلر في الوصول إلى احتلال أراضي الرين ، غير أنهم وافقوا ضمناً على نتيجة عمله ، حتى أن بعضهم صرح بذلك ، والبعض الآخر أخذ يقول بأن عمل هتلر ما هو إلا فرصة مناسبة لحل المشكلة الأوربية ، وخصوصاً لازالة كل خلاف بين ألمانيا وفرنسا ، وكانت الصحافة ، وعلى رأسها « التيمس » تقول بهذا الرأي . ولا عجب في ذلك ، إذ أن الرأي العام في بريطانيا ناقم على معاهدة لوكارنو ، حتى أنها كانت سبباً في ضياع شهرة السير اوستن شمبرلين من جهة ، ولأن حكومة لندن تريد انعاش ألمانيا وإدخالها ضمن حلقة الدول ذات المكانة في السياسة الدولية ، لكي تتخذ منها سنداً ضد فرنسا التي أخذت تعاكس بريطانيا معاكسة ظاهرة في سياستها الخارجية ، من جهة ثانية ، ولقد رأينا الهر هتلر عرف كيف يستفيد من هذا الشعور البريطاني ويستغله

وموقف بلجيكا يشابه موقف فرنسا ؛ فالرأي في الدوائر السياسية والرأي العام ضد حوادث ٧ مارس على خط مستقيم . لا سيما وأن بلجيكا لم تكن عضواً في المعاهدة الروسية الفرنسية ، التي هي ، في رأي الهر هتلر ، سبب زوال لوكارنو ...

أما إيطاليا فلزمت الصمت ، ولم تبد صحافتها رأياً في ذلك . على أن ممثل إيطاليا صرح بأن حكومته تحترم لوكارنو ، غير أن ظروفها الحالية ترغمها على التحفظ ...

***

رفعت فرنسا وبلجيكا وحدها الدعوى إلى مجلس عصبة الأمم ، في حين أن معاهدة لوكارنو توجب ذلك على جميع الموقعين عليها ، إذ هي تعتبر احتلال أراضي الرين عملا عدائياً نحو كل من المتعاهدين ...

وكان مكان اجتماع مجلس العصبة عاصمة بريطانيا حسب اقتراح مستر إيدن . وعقدت الجلسة الأولى الساعة ١١ من صباح يوم السبت التالي لحوادث ٧ مارس ، في قصر « سنت جيمس » وكانت سرية ، وقال مستر إيدن في هذه الجلسة إنه يظهر له من المادة ١٧ من صك العصبة وجوب تمثيل ألمانيا في جلسات مجلس العصبة . وبعد جدال حول هذا التفسير للمادة ١٧ تقرر أن يرسل سكرتير مجلس العصبة برقيـة إلى الهر هتلر يقول فيها بأن « . . . مجلس العصبة يدعو حكومة ألمانيا بصفتها عضواً في معاهدة لوكارنو لتشترك في فحص مجلس العصبة للدعوى التي رفعتها حكومتا فرنسا وبلجيكا ... »

ولقد ذهب مساء يوم السبت السير اريك فيبس ، سفير بريطانيا في برلين لمقابلة بارون فون نيرات وزير خارجية ألمانيا ليعلمه بأن بريطانيا تعلق أهمية كبرى على قبول ألمانيا دعوة مجلس العصبة . وفي صباح الأحد زار السير إريك فيبس «الزعيم» وأوقفه على رأي حكومة لندن

وبعد أن استشار الهر هتلر مستشاريه أرسل إلى سكرتير العصبة يخبره بأن حكومة ألمانيا تقبل الدعوة مبدئياً على شرطين :

أولها : أن يكون لممثل حكومة ألمانيا حق المساواة مع بقية ممثلي أعضاء المجلس في المرافقات وقرارات المجلس

وثانيهما : أن تتسلم حكومة ألمانيا تأكيداً قطعياً بأن الدول المعنية — Concerned — مستعدة للدخول حالا — forthwith — في المفاوضة على « منهاج السلام الألماني » ؛ الذي يعتبرونه ( أي الدول ) وإعادة السيادة الألمانية في أراضي الرين كخطوة سياسية متحدة ، وجزأين متلازمين لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر

واعتبرت بريطانيا الشرط الأول معقولا ومقبولا ، وأن عزم بريطانيا كان ولا زال أن تكون ألمانيا في لندن على قدم المساواة مع الدول الأخرى . وأما الشرط الثاني فقد أغضب الدوائر السياسية وأثار الصحافة على حكومة برلين ، وكتبت مقالات رئيسية ناقشت فيها أعمال هتلر وجوابه الأخير ، حتى أن لهجة « التيمس » كانت غير مألوفة . ومما قالته في عددها الصادر في ١٠ مارس إنه يجب التذكير وإعادة القول بأن عمل ألمانيا كان مهيناً في أسلوبه ، و « إن دولة غير شريفة قادرة دائماً وأبداً على أعمال غير شريفة » . . وأنه حجر عثرة يحال قبوله ، ولا يمكن لفرنسا احتماله

وفي الواقع لقد أثار جواب الهر هتلر الرأي العام الفرنسي وأخذت الصحافة تهاجمه مهاجمة عنيفة ، واضعة اللوم كله على بريطانيا لمساعدتها ألمانيا وتشجيعها لها . ولقد صرح مسيو

فلاندان لمراسلى الصحف بأنه يرفض طلب الهر هتلر لسبب واحد فقط : هو أنه قدم لندن ليسجل الاعتداء على لوكارنو ؛ وهو لا يريد مناقشة أى شىء غير هذا ، حتى وإن كلفه ذلك مغادرة لندن وترك مجلس العصبة

ولما رأى الهر هتلر أن الرأى العام ناقم على جوابه ، خشى خسران عطفه عليه ، فعمل على تخفيف وقع جوابه ، فأرسل إلى حكومة لندن يخبرها بأن خطأ قد حصل فى ترجمة جوابه ؛ إذ أن المترجم قد ترجم كلمة « Alsbald » بكلمة « forthwith » أى « حالا » فى حين أنه يجب ترجمتها بعبارة « in due course » أى « فى أقرب وقت » ...

وتلى تلك الجلسة السرية أول جلسة علنية للدورة (٩١) غير العادية لمجلس العصبة الساعة ١١ والدقيقة ٤٥ من يوم السبت الموافق ١٤ مارس برياسة مستر بروس Bruce . وجلس عن يمينه مسيو فلاندان وسنيور جراندى ، وعن يساره مستر أفينول ومستر إيدن ، والرفيق ليتفينوف وكولونيل بيك ، وبقية الأعضاء على الجانبين

وبعد أن قرأ الرئيس اللائحة التى قدمتها فرنسا وبلجيكا ، قام مستر إيدن ورحب بأعضاء المجلس بالنيابة عن الحكومة البريطانية وقال إنه يترك الكلام إلى ممثلى فرنسا وبلجيكا ، وسيبدى وجهة نظر بريطانيا فى وقت آخر

ثم قام مسيو فلاندان وقرأ بيان فرنسا بصوت هادىء وجلى ، وقال بأن الواجب هو الذى دعا فرنسا إلى رفع الدعوى إلى مجلس العصبة لا حقها فى ذلك ، لأن لفرنسا الحق فى اتخاذ إجراءات مادية وعسكرية لاعادة كل شىء إلى ما كان عليه ، غير أنها فضلت ألا تزيد فى تعقيد المشكلة ، بل تريد الوصول إلى حل سلمى ومرضى ؛ وهى تثق فى عدالة مجلس العصبة ، وتطلب منه أن يضع قراراً مبينة فيه الاجراءات الفعالة التى يجب اتخاذها لوضع الحق فى نصابه ، وقال إن عمل ألمانيا يضع السلام وكيان عصبة الأمم فى خطر عظيم ... وأبان بأن معاهدة فرساى تعتبر احتلال أراضى الرين عملا عدائياً ، ومعاهدة لوكارنو تعتبره تعدياً على المعاهدة ؛ وإن فرنسا تطلب تسجيل هـذا التعدى فى السجل الرسمى ...

(يتبع) يوسف هيكل

# المتنبي يعشـــق ... !

## للأستاذ محمد سعيد العريان

« كل أدباء العربية على أن المتنبي نشأ نشأة السواد من أهل الكوفة ، وأن حياة الكفاح شغلته وملأت تاريخه حتى لم يكن فيها من الفراغ ما يهيء له أن يتذوق الحب فيترجم عن احساس العاشق

« ولكن صديقنا الأستاذ محمود محمد شاكر يرى رأيا غير ذاك ؛ فيزعم أن المتنبي علوى منكور النسب ، وأنه كانت له فى بلاط سيف الدولة قصة غرام بينه وبين خولة أخت الأمير ، كان لها أثر أى أثر فى شعره وحياته من بعد[1]

« وهو رأى جديد فى تاريخ المتنبي ، أحسب أن طائفة كبيرة من أدبائنا لا تطمئن إليه ولا تأخذ به ، حرصا على التقاليد ... أو حفاظا على القديم وحسب ...

« أما هذا الرأى عندى فهذه قصته ، تجلو غامضه ، وتؤلف غريبه ، وتكشف عنه على ضوء من الفن يهيء للباحث المنصف أن يجادل أو يقتنع ... »

مضى الفتى الفلوىُّ الثائر المتوثب (أبو الطيب المتنبى) تتقاذفه الفلوات من غربة إلى غربة ، وترامته الأحداث من بلد إلى بلد ، وتنوشه من كل جانب سهام البغى والشر والحسد ، ويقعد له فى كل مرصد كيدٌ يتربص ... .

ممن أبوك يا فتى ؟ وما بلدك ؟ ... وهل له أن يجيب ؟ أما الأولى فمن دونها سيوفُ (الأدعياء) تنكر عليه أن يجهر بعلويته ، وما له قبلٌ بأن ينازلهم فيثبت لهم ... !

وأما الأخرى ... وا أسفاه ... ! هذه جدته على الفراش محتضر ، وحيدةً منقطعة فريدة ، فيأبون عليه أن يدخل (الكوفة) ليتزود منها بالنظر الأخير ... !

* * *

لمن الملك اليوم ؟ إنه للروم والترك والعجم ، ولا سلطان لغير الروم والترك والعجم ... فى العراق ، وفى مصر ، وفيما بين العراق ومصر ... فى الشرق والغرب يبسط الأعاجم سلطانهم على الدولة العربية ، فأيان يلتفت الشاعر العربى لا يجد إلا الروم . ومن أين لأبى الطيب أن يسكن إلى ذاك أو يستقر اليه ؟ إنه

(١) المقتطف : يناير سنة ١٩٣٦

ليرى ببصره إلى هنا وهناك ، فلا يرى إلا ما يحزنه ويتهاوى بآماله ؛ لقد خرج إلى الدنيا طريداً يتيماً ، ينكرون عليه نسبه ، وينكرون عليه طموحه ؛ ثم ها هو ذاك وقد سلخ أربعاً وثلاثين يتلفت حواليه فما تزيده النظرة إلا شعوراً بالوحـدة واليتم والغربة ... ولكن فى أعراقه يفور دم العروبة ، وفى أعصابه تنبض أمانى الشباب ، وفى نفسه تهمس ألحان الشعر

« ستكون أميراً يا أبا الطيب ، فاجمع عزيمتك على الجهاد حتى تبلغ ، فتنال منالك من ( الشامتين ) ، وتديل للعربية من ( دولة الخدم ) . . . »

وانطلق الشاعر المتوثب يطوى البيداء مطوياً على هم وألم ، وفى نفسه أحقاد تثور ، وأمانى تصطرع . . . حتى انتهى الى بنى حمدان

***

هنا دولة العرب ، وهنا عز العروبة ، وهنا تستقر الأمانى لتستجم للجهاد . واجتمع الشاعر العربى الثائر ، بالمجاهد العربى الظافر ؛ وانعقـدت أواصر الود بين أبى الطيب المتنبى وسيف الدولة بن حمدان . وآثره الأمير وأدناه وفتح له بابه ... فاذا هو منه كبعض أهله ... وتراءيا قلباً لقلب ، فما بينهما سر ولا دونهما حجاب ؛ وتكاشفا رأياً لرأى ، فما هما الا فكرة واحدة تسعى إلى هدف ؛ وتنورا الأمل المشترك من بعيد ، فاذا هما على الخلوة يتذاكران الرأى ، ويتحايلان للظفر .

وصار شاعرُ الأمير صفيَّـه وخليـله وصاحب سرّه ، يلقاه أيان يريد بلا إذن ولا ميعاد ... وعرفه حاجب الأمير وأهله ، وعرفته ( خولةُ ) بنت حمدان ، فعرفتْ رَجُلَها وعرفَ ...

وقال أبو الطيب : « لله أنت يا ابنة المجد ! لعينيك كنت أطوى البيد وتتقاذفنى الفلوات ! »

وقالت خولة : « ومن أجلك أنتَ يا أبا الطيب ، كانت تخيِّل لىَ الأحلام ما ليس من دنياى ! »

وطوت آخر كلماتها فى ابتسامة ، وأطبق الشاعر شفتيه على كلام ؛ وقالت له عيناها . . . وقالت لها عيناه . . .

ودخل الشاعر فى تاريخ جديد . . .

***

وقال المتنبى لسيف الدولة : « أتُراك يا أميرى تعرف من أمرى ما يُقنعك بالرضا ... ؟ » فوعده سيف الدولة أن يُزوّجه خولة ...

وراح الشاعر يحلم ... ثم عاد يحاول أن يلقى صاحبته فيقولَ لها وتقول له ، ولـكن الباب كان محكم التَّـلَق ؛ فلَـوَى وجهه عن بابها وفى نفسه شوقٌ وحنين ، ولـكنه استمر يحلم ... !

ومضى ينشد أميره من شعره ... أذلك شعر المتنبى الثائر المتكبر ربيب الوحشة وطريد الفلوات ؟ أم هو الفنُّ النسوىّ البديع يهيء للشاعر مادته ويصنع له بيانه ....؟ أسمعْتَ وسوسة القُبَل ....؟

وسمع سيفُ الدولة وطرب ، وسمع جلساؤه فعرفوا الجرْس والرنين ؛ وهمس شاعر فى أذن صاحبه ، ومال صديق على من يليه ، وقال الخامس للسادس : « إن شاعر الأمير لعاشق ! » وامتدت للكلام أطراف وأذناب ....

وراح الشاعر ثانيةً يحاول أن يلقى صاحبته ، فاذا من دون الباب بوّاب ... وعاد إلى الأمير يستنجزه الوعد ، فاذا الأمير فى شغل عنه بالروم وحرب الروم ، فهو يستمهله إلى حين ... ورجع إلى نفسه يستلهمها الصبر فلا تلهمه ، ويستعينها على ما يجـد فلا تعينه ... ونظر حواليه فاذا عيون تنظر ، وإذا شفاهٌ تبتسم ، وإذا ألسنة فى أفواه تلجلج بكلام ...

كم يلقى العاشق من نأى الحبيب والدار قريب ... ؟

وقال الرجل لنفسه : « ما أنا والامير وأختَ الأمير : إن كانت لى فما يحول بينى وبينها ؟ وإن كانت عِدَةً بلا وفاء فما مُبقاى ؟ »

وقالت له نفســه : « هوِّن عليك يا صاحبى ، لا حبَّ بلا وجد ؛ إلا أن تكون نارٌ بلا احراق ! »

فعاد الشاعر ينتظر ويحلم ، ولـكن الأيام لا تنتظر ، ومضى شهر فى أذيال شهر ، وتصرم عام وراء عام ، والشاعر العاشق على صبره يرجو ويتق ...

وقال ( أبو فراس الحمدانى ) الشاعر لصاحبه : ما هذا الرجل بينى وبين خَولةَ ونحن أولاد عمومة ؟ أما كفاه مجلسه من الامير ؟ أبعدَنا وأدناه ، وحرمنا وأعطاه ، وأسكتنا واستمع

اليه ؟ أيطمع بعد ذلك فى نسب الأمير وصهره ... ؟ »

وجاءت مقالته تسعى إلى المتنبي فنالت منه ... !

« أبو فراس يطمع فى خولة ؟ ولكنها مسماة عليّ ؟ أيقف بين الأمير والوفاء بما وعد أن أبا فراس من عمومته ... ؟ ومن أكون إن كان ذلك موضى من نفس الأمير ... ؟ »

فعادت نفسه تقول : « بعض هذا يا صاحبي ، إن الحبّ حيلة الحياة ، فلست تبلغ منه بالكبرياء ما تبلغ منه بالصبر والحيلة ... ! »

ولكن العاشق المتكبر لم يستمع هذه المرة الى نفسه وهواه ؛ لقد غلبته الكبرياء فكفر بالحب ؛ وهل كان المتنبي أن يخضع للحب أو يتضرع ... ؟

وتوزّعه العشقُ والكبرياء ، وتقاسمته عزة الرجل ورقة العاشق ... وغدا على مجلس الأمير ينشده ، فاذا الحب المستور يستعلن ، واذا النفس الثائرة تفور ، واذا (أنت) على لسان الشاعر المادح تعود (أنا) ، واذا هو يفتخر وكان يريد أن يمدح ..

وفهم سيفُ الدولة ما يعني ، وفهم جلساءُ سيفِ الدولة ؛ ولكن حرمات الأمير الكريم ردّت الكلامَ الى الافواه ، فما استطاع أحد منهم أن يقول : إن فى بيت الأمير قصة غرام

ولكن (أبا العشائر الحمداني) لم يسكت ، فأرسل غلمانه يأخذون على العاشق الجرئ طريقه ... ونجا الشاعر من كيد كان يراد ، ولكنه لم ينتقم ، وشفع للعدو عند الشاعر أنه منتسب الى الحبيب

واستيأس المتنبي ونفد صبره ، فأزمع الرحلة الى بعيد لعله أن ينسى ...

وفارق سيفَ الدولة متكبراً عزيزاً أبياً ، ولكنه خلّف قلبه وراءه ، وخلّف الأمل فى الملك والجاه والسعادة ، وأيقظته الحقيقة بعد حُلم دام تسع سنين ؛ ومضى على غير وجه وقلبُه يتلفت إلى تلك التي خلّفها وراءه ؛ وعادت تتقاذفه البلاد ، وتترامى به القفار ، يساوم للمجد ، ويجاهد للامارة ، لعله أن يعود إلى من يحب وعلى رأسه تاج ... !

ومضت سنوات ، وقلب العاشق ما ينفكّ ينبض ، وما يبرح يذكر هواه ومن أحَبّ ؛ فما ينشد شعراً إلاّ وفيه لوعة من أثر الفراق ، أو حسرة من وحشة الحبيب النائى ... !

واأسفا لمشتاق بلا أمل ... تمضى لياليه بغير جديد ، وتنقضى أيامه على غير ميعاد ، مغيظاً على بعده « غيظ الأسير على القدّ ... ! »

ليت شعري . أ كان هو وحده المعذب المتاع بهذا الفراق الذى اختاره فراراً بكبريائه ... ؟

ودخل الكوفة يطلب العزاء فى الوطن الذى حرم دخوله منذ الشباب ، تتجاذبه الكبرياء والهوى ، وتتدافعه الأمانى والذكريات ، ويسترجع الماضى ويهتف بالغد . . . ولكن ما استقرت به النوى حتى جاءه النبأ ... ماتت خولة ... !

وتهاوت آمال الشاعر أملاً أملاً فما عاد يستمسك ، ونالت منه الحسرة والتفجع فانصدعت كبده . وسكت أمير شعراء العربية سنتين لا ينشد ، والشعر يترقرق دموعاً فى عينيه ويتصعّد زفرات . . . !

يا عجبا ! إن النفس لا تجيش بأبلغ الشعر إلا حين يتأبى البيان على اللسان ... !

واستنجزه الحبّ أن يفيَ فما تلبّث . وأصابته الطعنة القاتلة بعد عام ثالث... !

وسكت شاعر العربية الى الأبد ، ولكن الناس ما تزال تتحدث عنه بعد ألف سنة من عمر الزمان ولن تزال ...

وكتب فى تاريخ الأدب قصة غرام عجيبة ، لم يعرفها الناس إلا بعد ألف سنة ؛ لأن العاشق فيها كان أكبر وأعظم من أن يقول : « أنا أحب .. ! »

وظلت هذه القصة سراً فى ضمير الغيب كل هذا الزمان ، لتكون بهذا الكتمان العجيب رمزاً عجيباً لصبر هذا الشاعر العاشق : أبى الطيب المتنبي ...

محمد سعيد العريان

ضوء جديد على ناحية من الأدب العربي

# اشتغال العرب بالأدب المقارن

أو ما يدعوه الفرنج « littérature comparée »

## في كتاب تلخيص كتاب أرسطو في الشعر

لفيلسوف العرب أبي الوليد بن رشد*

— تلخيص وتحليل —

للأستاذ خليل هنداوي

مقدمة :

إن الانسان لولوع جداً باظهار الحقائق عن طريق المقارنة ، والمقارنة قد تكون مقارنة فرد بفرد أو شعب بشعب . أما الأولى فقد تكاد تكون شائعة في كل عهد لأنها رأس كل نقد . والأوائل لم يعمروا مثلاً امرأ القيس بما غمروه من فيض عبقريته إلا بعد أن قرنوا شاعرية غيره إلى شاعريته . والانسان مسوق بطبعه الموروث إلى مثل هذه المقارنة التي قد تكون غريزية في كل كائن يفكر ويشعر . أما المقارنة الثانية فهي حديثة النشأة ، لأن النقد لم يكن ليخطر في باله أن يقيم الأوزان بين أدباء أمتين مختلفتين ثقافة واتجاهاً وشعوراً . ومن كان يفكر في المقارنة بين شكسبير وراسين ، ودانتي وميلتون ، وبين ميزات الأدب الألماني والأدب الفرنسي ؟ وكل واحد منهم بعث بوسائله إلى أمة مستقلة في تطورها وبيئتها . ولكن الأدب — كما يبدو — له سلطان قاهر ، يرى بالحواجز التي تفصل بين الحدود الصناعية ويقتحم في عوالم الفكر والخيال دون أن يصد اقتحامه شيء لأنه الأدب . . .

* قد وقفنا على مقالات متفرقة من هذا الكتاب النفيس اعتمدنا عليها في دراستنا هذه . فنرجو الرسالة أن تحيطنا علما بهذا الكتاب وجدا لو تعمل لجنة التأليف والترجمة والنشر على نشر هذا الأثر الكريم

( الرسالة ) تلخيص كتاب أرسطو في الشعر لابن رشد طبع في مدينة فلورنسه سنة ١٨٧٢ ووقف على طبعه ( فوسطو لازينيو ) ومنه نسخة في الخزانة الزكية تحت رقم ١١٠٤

وهكذا نشأت الصلات الأدبية بين الأمم إلا ما شاء ربك ! . . وربطت بين الفكرين ربطا لا يقوم على مصالح سياسية أو مطامع مادية وانما يقوم على رفع منارة الفكر واعلاء كلمة الفكر . فما أطهر هذه الرابطة لو أنها تخرج من هذا العالم غير المحدود الى العالم الذي سودته الحدود ! فتجد الأديب الفرنسي يحلل الأديب الألماني دون أن تطغى على قلبه سورة الحقد . وتجد الأديب الألماني يكتب عن الأديب الفرنسي من غير أن تغلب عليه موجدة . ذلك أن عالم الفكر سما بهما فوق عالمهما المحدود الذي غمرته الحزازات وتقطعت بين وشائجه الأسباب . فهما يتفاهمان في ذلك العالم ويصافح بعضهما بعضاً

هذا هو الأدب بالمقارنة يعمل على درس ميزات أدب كل أمة بمقارنتها مع ميزات غيرها من الأمم . وهو أدب — كما قلت — حديث الخلق ، شجع على نشره شيوع رسالة الأدب الانساني . ولعل رسالة الفلسفة كانت أسبق من الأدب الى هذه الرسالة . لأنها تتحقق من قيود العاطفة ولا تتخذ مطيتها إلا الفكر . والفكر أصلب عوداً من العاطفة . والفلسفة وحدها كانت أبعد العلوم الفكرية شيوعاً وذيوعاً في كل عصر ، تكتسبها الأمم الغالبة من الأمم المغلوبة دون أن يلحقها عار الاكتساب ، ودون أن تتحوط له . كما نقل العرب الفلسفة اليونانية بحذافيرها ، وطبقوها على عقائدهم الفكرية والاجتماعية ، حتى غدا اليونان أساتذة العرب في الفلسفة . أما الأدب اليوناني فلم يكتب له حظ الانتقال في كثير ولا قليل . ولعل ذلك يعود الى اختلاف الاحساس والتعبير عند الأمتين . ومن عجب الأيام أن يمتزج المنطق اليوناني مع العقل ، ويتبدل حتى يغدو جزءاً من العقل العربي . والأدب اليوناني لا يكتب له إلا الخيبة

ألم يتدارس العرب الأدب اليوناني ، كما تدارسوا الفلسفة اليونانية ؟ قد يظن أنهم درسوا شيئاً منه وسمعوا ألحان هوميروس فيه ، ولكن ألحانه لم تطب لهم ، لأن هذه الأساطير التي يطفح بها أدبهم جاءت في العهد الذي كان يسيطر فيه المنطق اليوناني على العقل العربي ، فصموا عن هذه الألحان ولم يعيروها التفاتا . وقد يظن أن الأدب العربي الذي كانت معجزة البلاغة منه كان سيد نفسه ، لا يميل الى اقتباس قواعد البلاغة من غيره ، وما

فوق بلاغة الكتاب بلاغة . وقد يظن — وأرجح هذا — أن العرب طووا الأدب اليونانى — اعتماداً على الظن الثانى — ولم يلجوا فيه ، فلم ينم لهم ذلك الذوق اليونانى الذى يستطيع أن يحس لذة فهم وعبقريتهم كما يحس أهله ! وبذلك طغا العقل اليونانى على العرب . أما أدبه فلم يكن له فى الدائرة نصيب

على أن هذا الأدب الذى لم يترك له أثراً فى الأدب العربى قد شغل بعض أذهان رجال من العرب ؛ شغلها عن طريق الفلسفة لا عن طريق الأدب . فابن رشد والفارابى قد ناقشا الشعر اليونانى لا بالطريقة الفنية التى ينبغى لصاحبها أن يتبعها ويتخذ لها السبل المختلفة فى نفسها ، وإنما ناقشاه بالطريقة التى اتبعها أرسطو . فلولا أرسطو لم يتصد ابن رشد والفارابى للشعر اليونانى ، فهما فى ذلك متبعان لا مبتدعان . فإذا أثنى ابن رشد على هوميروس فهو لم يثن بلسان نفسه وفن نفسه ، وإنما يثنى لأن أرسطو أثنى عليه . وسبب ذلك واضح ، لأنهما قرآ تحليل أرسطو لهوميروس ولم يقرآ لهوميروس نفسه ؛ وبذلك ظل الأدب اليونانى بعيداً عنهما . وبالرغم من ذلك نرى ابن رشد قد استطاع أن يدرس قواعد شعرهم ويفيد من تلك القواعد ويعمل على تطبيقها فى آداب أمته . وعمله هذا هو ما نريد منه « الأدب بالمقارنة » وهذه المقارنة برغم نقصها الفنى جاءت مقارنة حسنة فى بابها مبتدعة وقتها . ألقت على الأدب العربى ضوء دراسة جديدة . على أن أدباء العرب الذين وقفوا على هذه المقارنة وشعروا بهذا التفاوت لم يجدوا فى أنفسهم ما يحملهم على مناقشة هذه القواعد والاستفادة منها ، وقد رأوا ما حل بإخوانهم الفلاسفة من الوشايات والمكائد التى كانت تنصب لهم ، وألوان الاضطهاد الذى نزل عليهم . أضف الى ذلك أن الألحان الوصفية والعاطفية فى الشعر اليونانى كانت تتمشى فى تضاعيفها العقيدة الوثنية والآلهة الكثيرة ، والعرب كانوا شديدى الغيرة على هذا الواحد زهوا به على الأمم ، فصرفتهم الأساطير عن تذوق ما فى الأساطير

تذوق هذان الرجلان بعض روائع الأدب اليونانى ولكن طبيعتهما الأدبية لم تكن لتخول لهما أن يكونا زعيمى مدرسة فى الأدب جديدة ، فلم يخرج تأثيرها عما اختصا به . وهيهات أن يضنع الفيلسوف ما يصنعه الأديب فى عالم أدبه . فلو أن ابن الرومى مثلاً تذوق هذه الروائع إلى حد بعيد لفعل أكثر مما فعل ، ولخلق للشعر أخيلة أخرى ونماذج أخرى ، ولكن ابن رشد ماعسى يستطيع أن يعمل وهو ليس بزعيم مدرسة أدبية ! إنه يجادل ويحدد ويهدى إلى مناهج ومناهج ولكنه لا يخلق شيئاً

إن فضل ابن رشد على الأدب العربى فى هذا الكتاب لفضل عظيم ، لأنه يدل على العربى الأول الذى كتب عن الأدب بطريق المقارنة ، ووفق فى هذه المقارنة كثيراً ؛ ويدل بعد ذلك على أن العرب جربوا أن يدرسوا الآداب الأجنبية ليستفيدوا ويفيدوا من قواعدها ، وإن دراستنا — اليوم — للأدب الأجنبى أكثر ضرورة منها بالأمس ، بعد أن امتزجت عوالم الفكر واتحدت مناهج الأدب ، وأصبح لا يليق بنا أن نترك الأدب العربى محصوراً فى عزلته بحجة صيانته ووقايته . وما الذى يخشى عليه ؟ وإنما صيانته ووقايته فى تعريضه للهواء والنور لا فى حجبه عنهما ، وفى تقريبه من الآداب العالمية حتى يساهم معها فى تأدية رسالتها لا فى تنفيره منها وتنفيرها منه ، على أن يبقى أدبنا محتفظاً بألوانه ، ويبقى أدبينا عاملاً على ابدائها لا على اخفائها ؛ وبهذا نحقق غاية من غايات الأدب ، ونفتح لنا زاوية فى عمارة الأدب ، ونكمل الخطوة الأولى التى خطاها الأوائل ولم يكملوها

## غرضه الكتاب وغرضه الشعر :

وقعت مصادفة على مقالات منثورة من هذا الكتاب ، وهى مقالات لا تكاد تؤلف المصنف كله ، وانما وجدت أنها تعطى فكرة عامة عن الكتاب ومنهج صاحبه ومترجمه فيه . وقد بينت أن المترجم انما عنى به لأنه أثر من آثار أرسطو ، ولأن قواعده فى الشعر ذهبت قوانين عامة ، لأن أرسطو الجبار الذى أراد أن يفرض سلطان العقل على كل سلطان أراد أن يوحد مملكة الشعر ويمسك على الاحساس كما أمسك على العقل ، جاهلاً أن الفرق بين هاتين المملكتين مملكة الاحساس ومملكة العقل فرق كبير ، ولكن الرجل استدرك وزعم أنه يذكر قوانين عامة للشعر ، وهو لا يخوض فى تولد الاحساس وملاءمة التعبير عن الاحساس ، لأن هذا مما يتفاوت فيه العباقرة أنفسهم . فألف هذا الكتاب ليكون له كتاب فى الشعر كما ترك كتاباً فى الخطابة والموسيقى ،

ولقد انتصر هذا العقل الى حد كبير فى هذه الميادين التى تختلف عن ميدانه الذى خلق له ، والتى لم يكن له مفر منها ليستطيع أن يمثل حق التمثيل ثقافة عصره . ولقد استطاع الى حد بعيد أن يكسو هذه الأشياء النافرة عنه بأردية عقله وتفكيره ، فتبيت تقرأ الشعر فكراً والتصور تفكيراً . ولم لا ينتصر وقد أدرك بعين التأمل عبقرية هوميروس وأثنى عليه الثناء الجميل ؟ وكيف يوفق الناقد بين رجلين خلدت الطبيعة هذا بعقله وذلك بقلبه ؟

كتب أرسطو كتابه عن الشعر لا كما يريد الشعر لأن أرسطو مكبل بعقله مقتحم بمنطقه . فالأقيسة والاسطقسات والبراهين لا تكاد تفارق ما أراد منه أن يكون قوانين عامة للشعر ، فجاءت قوانينه بذلك قوانين جافة قاسية يغلب عليها الذهن الرياضى ، لو مشى عليها الشعر ذاته لجاء ممسوخاً . وجميل أن تدخل الفلسفة الشعر بشرط أن تتنازل كثيراً عن أقيستها حتى يمكنها أن تتذوق الشعر

تناول ابن رشد هذا الكتاب وترجمه(١) وتصرف فيه كثيراً وأحسن فى هذا التصرف كثيراً ، فانه استغنى عن النماذج اليونانية التى يستشهد بها المؤلف وأحل محلها نماذج عربية أحسن انتقاءها واصطفاءها ودلت على ثقافة أدبية عالية فى ابن رشد لا تقل قيمة عن بقية الثقافات التى يتضلع بها الفيلسوف . ولكن عيب الترجمة فى أن ابن رشد طوى كل النماذج اليونانية ، ومن حقه أن يأتى بها ويضع ازاءها ما جاء به من نماذج العرب لتكون الترجمة والمقارنة فى الأمانة سواء ؛ وجاء تقسيمه للمقالات بحسب تقسيم أبواب الشعر عند العرب ، لأنه وقف درسه على هذه الأبواب ، وقد أضاف اليها دراسات مختلفة فى صناعة الشعر والغاية منها ، وفى ألحانه وأوزانه بالنظر الى التوقيع لا الى الأعاريض ، وفى العلل المولدة للشعر ، وفى التخييلات والمعانى ، وفى كيفية التخلص الى ما يراد محاكاته وأنواع المحاكاة المقبولة وغير المقبولة ، وفى صناعة الأشعار القصصية . وكان أكثر توسعاً وتصرفاً فى درس صناعة « المديح وأجزائها » ؛ لأن هذه الصناعة كانت أروج أبواب الشعر فى ذلك العهد ، وموضع التفات أكثر الشعراء ، ولسهولة المقارنة فيها ، واستخراج النماذج منها ، وقد غض عن ذكر « الهجاء » لأن قوانينه تنطبق على قوانين المديح . على أن ابن رشد ليلام لوما عنيفاً فى هذا الباب لاهماله باب الوصف اهمالاً كلياً . ولعل درسه له كان يعمل على خلق جديد فيه . ولا ريب عندى أن أرسطو قد عالج هذا الباب الواسع عندهم معالجته لغيره من الأبواب ، ولكن ابن رشد قد طوى كشحاً عنه كما ضرب صفحاً عن غيره

أما الغرض من هذا الكتاب فهو — كما يقول صاحبه — « تلخيص القوانين الكلية المشتركة لجميع الأمم أو للأكثر فى الشعر ونسبة الموجودة فى كلام العرب أو كلام غيرهم . والشعر عنده هو أقاويل تحتاج الى وزن ولحن ؛ ولا يسمى الشعر إلا ما جمع الى الأقاويل التى تسمى شعراً مع الألحان كهوميروس (ولعل هذا النوع هو ما يدعى الشعر القصصى ، وهو أول ما عرفه اليونان من ضروب الشعر) ، وقد أدخل على الصناعة الشعرية بعض أقيسة منطقية ، دأبها أن تكبل الشعر ، ولكنها تقوّم العقل ...

(البقية فى العدد القادم) خليل هنداوى

(١) ثبت أن ابن رشد لم يكن يحسن اليونانية وإنما كان ينقلها عن غيره .

# ٤ ـ العجوزان

## تتمة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال محدّثنا : وكنتُ قد ضِقْتُ بهذه اللجاجة الفلسفية ورأيتني مُضْطَغِناً على الشيخين معاً ؛ فقلت للعجوز (ن) : حدّثني (رحمك الله) بشيء من قديمكما فأنتما اختصار لكل ماضٍ من الحياة يُستَدَلُّ به على أصله الطوّل إلا في الحب... وما زلتما في جِدِّ الحديث تعبثان بي منذُ اليوم ، فقد عَدَلْتُما بي إلى شأنكما ورأيكما في القديم والجديد وبقي أن أميلَ بكما ميلة الى سنة ١٨٩٥ . وقد والله كاد ينتحر قلبي يأساً من خبر (كارينا ومرغريت) ؛ ولكأنك تخشى إذ أعلمتني خبرَ صاحبتك هذه وهي من وراء أربعين سنة — ما تخافه من رجل سَيَفْجَؤُك معها في الخلوة على حالٍ من الريبة فيأخذك « متلبِّساً بالجريمة » كما تقولون في لغة المحاكم . . . .

قال فضحك العجوزان وقال (ن) : لا والله يا بني ، ولكني أقول ما قال ذلك الحكيم العربي لقومه وقد بلغ مائتي سنة : « قلبي مُضْغَةٌ من جسدي ولا أظنه إلا قد نحل كما نحل سائر جسدي[1] واعلم يا بني أنه إذا ذهب الحب عن الشيخ بقي منه الحنان يعمل مثل عمله ؛ فيجب العجوز مكاناً أوشيئاً أو معنى أي ذلك كان ليُعيدَه ذلك إلى الدنيا أو يُبقيه فيها (بقدر الامكان)... »

فضحك الأستاذ (م) وقال : ولعل ثرثرة العجوز (ن) هي الآن معشوقة العجوز (ن)

ثم قال : وكل شيء يرقُّ في قلب الرجل الهرم ويحول وجهه كأنه لا يطيق أن ينظر الى معناه الغليظ ؛ ولا بد أن يخرج العجوز من معاني الدنيا قبل أن يخرج من الدنيا . ولهذا لا يهنأ الشيخ إلا إذا عاش بأفكار جسمه الحاضر وقدّر الأمور على ماهو فيه لا على ماكان فيه . واعرف بين جسمه الحاضر وبين جسمه الماضي أن هذا الماضي كانت تحمله أعضاؤه فهو مجتمع من أعمالها وشهواتها ماضٍ في تحقيق وجودها ومعانيها . أما الحاضر ، أما الجسم الهرم فهو يشعر أنه يحمل أعضاءه كلها وكأنها ملفوفة في ثيابه كمتاع المسافر قبل السفر ... وكأن بعضها يسلم على بعض سلام الوداع يقول تفارقني وأفارقك[1]

فتململ الأستاذ (م) وقال : أفٍّ لك ولما تقول ! لا جرَم أن هذه لغة عظامك التي لا صلابة فيها ، فمن ذلك لا تجيء معانيك في الحياة إلا واهنة ناحلة فقدت أكثرها وبقي من كل شيء منها شيء عند النهاية . أليس في الهرم إلا أن يبقى الجسم ليكون ظاهراً فقط كمُشْمُشِ المنقود[2] بعد ذهاب الحب منه يقول كان هنا وكان هنا ؟

ألا فاعلم يا (ن) أن هذه الشيخوخة انما هي غلبةُ روحانية الجسم على بشريته ، فهذا طورٌ من أطوار الحياة لا تدعه الحياة إلا وفيه لذته وسروره كما تصنع بسائر أطوارها ؛ غير أن لذاته بين الروح والجمال ، ومسراته بين العقل والطبيعة ، وكل ما نقص من العمر وجب أن يكون زيادة في ادراك الروح وقوتها وشدتها ونورها . وقد قيل لبعض أهل هذا الشأن وكان في مرض موته : كيف تجد العلة ؟ فقال سلوا العلة عني كيف تجدني ؟

وإنما تثقل الشيخوخة على صاحبها إذا هي انتكستْ فيه وكانت مراغمةً بينه وبين الحياة ، فيطمع الشيخ فيما مضى ولا يزال يتعلق به ويتسخط على ذهابه ويتصنع له ويتكلف أسبابه ، وقد نسي أن الحياة ردّته طفلاً كالطفل أكبر سعادته في التوفيق بين نفسه وبين الأشياء الصغيرة البريئة ، وأقوى لذته أن يتفق الجمال الذي في خياله والجمال الذي في الكون ؛ وإنه لكما قلت أنت : لا يهنأ الشيخ إلا إذا عاش بأفكار جسمه الحاضر

وما أصدقَ وأحكمَ هذا الحديثَ الشريف : « إن الله تعالى بعدله وقسطه جعل الرَّوْحَ والفرحَ في الرضى واليقين ، وجعل الهمَّ والحزنَ في الشك والسخط » . فهذه هي قاعدة الحياة ، لا تعاملك الحياة بما تملك من الدنيا ، ولكن بما تملك من نفسك ، وبذلك تكون السعادة في أشياء حقيقية ممكنة موجودة ، بل تكون في كل ما أمكنَ وكل ما وجد . وإذا كان الرضي هو الاتفاق بين

(١) هو أكثم بن صيفي حكيم العرب قالها لقومه في سفرهم إلى النعمان ابن المنذر كيلا يتكلوا عليه في حيلة ولا منطق . ويقال إنه عاش ثلثمائة وثلاثين سنة ، وفي معنى السنة عند العرب كلام ليس هذا موضعه

(١) في الحديث الشريف : إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض ؛ تقول : عليك السلام تفارقني وأفارقك الى يوم القيامة .

(٢) هو مايبقى من العنقود بعد أكل مافيه من الحب

النفس وصاحبها ، وكان اليقين هو الاتفاق بين النفس وخالقها ، فقد أصبح قانون السعادة شيئاً معنوياً من فضيلة النفس وإيمانها وعقلها ومن الأسرار التي فيها ، لا شيئاً مادياً من أعضائها ومتاعها ودنياها والأخيلة المتقلبة عليها

***

فأطرق العجوز (ن) قليلاً ثم قال : « ربِّ إني وهَنَ العظمُ مني » ، ألا ما أحكم هذه الآية ! فوالله إن قرأت ولا قرأ الناسُ في تصوير الهرَم الفاني أبدعَ منها ولا أدق ولا أوفى ؛ ألا تحس أن قائلها يكاد يسقط من تَجَفُّفٍ وهُزال وإعياء ، وأنه ليس قائماً في الحياة قيامَه فيها من قبل ، وأن تناقضَ هذه الحياة قد وقع في جسمه فأخلَّ به ، وأن معاني التراب قد تعلقت بهذا الجسم تعمل فيه عملها ، فأخذ يتفتَّت كأنما لبس القبر عظامَه وهو حي ، وأنه بهذا كله أوشك أن يتكسر انكسار العظم بلغ المبرد فيه آخر طبقاته ؟

قال محدثنا : فقلت له : أرى لو أن نابغةً من نوابغ التصوير في زمننا هذا ، تناول بفنه ذلك المعنى العجيبَ فكتبه صورةً وألواناً ، لا أحرفاً وكلمات ، فكيف تراه كان يصنع ؟

قال : كان يصنع هكذا : يرسم منظر الشتاء في سماءٍ تعلق سحائبُها كثيفاً متراكباً بعضُه على بعض يخيَّل أن السماء تدنو من الأرض ، وقد شحنت السحبُ الآفاقَ وأظلم بها الجو ظلامَه تحت النهار المغطَّى ، واستطارت بينها وشائعُ من البرق ، ثم يترك من الشمس جانبَ الأفق لمعةً كضوء الشمعة في فتق من فُتوق السحاب ؛ ثم يرسل في الصورة ريحاً باردةً هوجاءَ ، يدل عليها انحناءُ الشجر وتقلب النبات ؛ ثم يرسم رجالاً ونساءً يغلي الشباب فيهم غليانَه من قوة وعافية ، وحب وصبابة ، وتغلي فيهم أفكار أخرى ... وهم جميعاً في هيئة المسرعين إلى مرقص ؛ وهم جميعاً من المجددين ...

ثم يرسم يا بني في آخرهم (على بُعدٍ منهم) عمك العجوز (ن) ، يرسمه كما تراه ، منحلَّ القوة ، منحنيَ الصُّلب ، مُرعَشاً مُتزلزلاً متضعضعاً ؛ قد زعزعته الريح ، وضربه البرد ، وخنقته السحب ؛ وله وجه عليه ذبولُ الدنيا ، يُنبئ أن دمه قد وُضع من جسمه في برّادة ، والكونُ كله من حوله ومن فوقه أسباب رومانزم ...

ثم يصوره وقد وقف هناك ساهماً كئيباً ، رافعاً رأسه ينظر إلى السماء

***

قال المحدث : وضحكنا جميعاً ثم قال الأستاذ (م) : لعمري إن هذه الحياة الآدمية كالآلة صاحبها مهندسها ؛ فإن صلحت واستقامت فمن علمه بها وحياطته لها ، وإن فسدت واختلت فمن عبثه فيها وإهماله إياها ، وليس على الطبيعة في ذلك سبيل لائمة . والشيخ الضعيف ليس في هذه الدنيا إلا الصورة الهزلية لمفاسد شبابه وضعفه ولينه ودعَته تُظهرها الدنيا ليسخر من يسخر ويتعظ من يتعظ

قال (ن) : أكذلك هو يا أستاذ ؟

قال الأستاذ : بل هي الصورة الجدية من هذه الحياة الباطلة التي دأبُها ألا تصرح عن حقيقتها إلا في الآخر ، فتظهرها الدنيا ليُخجلَ الحقيقةَ من يجهلُها . وليس إلا بهذه الطريقة يعرف من خرابِ الصورة خرابُ المعنى .

قال العجوز (ن) : آه من إجلال الشيخوخة واحترام الناس إياها ! إنهم يرونه احتراماً للشيخ والشيخ لا يراه إلا تعزية . وما الأشياخُ الهرْمَى إلا جنازات قبل وقتها لا توحي إلى الناس شيئاً غير وحي الجنازة من مهابة وخشوع

قال الأستاذ : إنما أنت داعياً في حديث نفسك مع نفسك ، ولو كنت بَهِراً يا مُسْتَنْقَع لما كان في لثتك هذه الأحرف من النفوض

قال العجوز الظريف : إن هذا ليس من كلام الفلسفة التي تتنازعها بيننا تَردُّ علي وأردُّ عليك ، ولكنه كلام القانون الذي لك وحدك أن تتكلم به أيها القاضي

قال (م) : صرِّح وبَيِّن فما فهمنا شيئاً

قال العجوز : هذا كلام قلته قديماً في حادثة عجيبة . فقد رفعت إلى ذات يوم قضية شيخ هرم كان قد سرق دجاجة ؛ وتوسَّمته فاذا هو من أذكى الناس ، وإذا هو يجل عن موضعه من التهمة ، ولكن صح عندي أنه قد سرق وقامت البيِّنة عليه ووجب الحكم ، فقلت له : أيها الشيخ ما تستحي وأنت شائب أن تكون لصاً ؟

قال : ياسيدي القاضي كأنك تقول لي ما تستحي أن تجوع ؟

فَوَرَدَ عليَّ من جوابه ما حيَّرنى فقلت له : واذا جعت أما تستحى أن تسرق ؟

قال ياسيدى القاضى كأنك تقول لى : وإذا جعت أماتستحى أن تأكل ؟

فكانت هذه أشدَّ عليَّ فقلت له : وإذا أكلت أما تأكل إلا حراماً ؟

فقال : يا سيدى القاضى إنك اذا نظرت إلى محتاجاً لا أجد شيئاً ، لم ترني سارقاً حين وجدت شيئاً

فأفحمنى الرجل على جهله وسذاجته ، وقلت في نفسى لو سرق أفلاطون لكان مثل هذا ؟ فتركت الكلام بالفلسفة وتكلمت بالقانون الذى لا علك الرجل معه قولاً يراجعنى به ، فقلت : ولكنك جئت الى هذه الحكمة بالسرقة فلا تذهب من هذه الحكمة إلا بالحبس سنتين

* * *

قال محدثنا : وأرمضنى هذا العجوز الثرثار وملأ صدرى إذ ما برح يديرنى وأديره عن (كاترينا ومرغريت) ، ورأيت كل شيء قد هرم فيه إلا لسانه ، فحملنى الضجر والطيش على أن قلت له : وهب القضية كانت هى قضية (كاترينا) وقد رفعت إليك متهمة ، أفكنت قائلاً لها : جئت إلى الحكمة بالسرقة فلا تذهبين من الحكمة إلا بالحبس سنتين ؟

وجرت الكلمةُ على لسانى وما ألقيت لها بالاً ولا عرفت لها خطرا ؛ فاكفهرَّ القاضى العجوز وتربد وجهه غضباً وقال : يا بغيض ! أحسبتنى كنت قائلاً لها : جئت إلى الحكمة بالسرقة فلا تذهبين من الحكمة إلا بالقاضى ... ؟

وغضب الأستاذ (م) وقال : ويحك أهذا من أدبكم الجديد الذى تأدبتم به على أساتذة منهم الفجرة الذين يكذبون الأنبياء ولا يؤمنون إلا بدين الغريزة ويسوغونكم مذاهبَ الحمير والبغال فى حرية الدم ... ؟ أما إنى لأعلم أنكم نشأتم على حرية الرأى ولكن الكلمة بين اثنين لا تكون حرةً كلَّ الحرية إلا وهى أحياناً سفيهة كل السفاهة كهذه القولة التى نطقتَ بها

لقد كان الناس فى زمننا الماضى أناساً على حدة ، وكانت الآدابُ حالاتٍ عقليةً ثابتةً لا تتغير ولا يجوز أن تتغير ، وكان الأستاذ الكافر بينه وبين نفسه لا يكون مع تلاميذه إلا كالموس يجهد أن تربى بنتها على غير طريقتها

قال المحدث : فتجلجلتُ وذهبتُ أعتذر ، ولكن العجوز (ن) قطع عليَّ وأنشأ يقول وقد انفجر غيظه : لقد تمت فى هؤلاء صنعةُ حرية الفكر كما تمت من قبل فى ذلك الواعظ المعلم القديم الذى حدثوا عنه أنه كان يقصُّ على الناس فى المسجد كل أربعاء[1] فيعلمهم أمورَ دينهم ويعظهم ويحذرهم ويذكرهم اللهَ وجنته ونارَه ؛ قالوا فاحتبس عليهم فى بعض الأيام وطال انتظارهم له ، فبيناهم كذلك إذ جاءهم رسوله فقال : يقول لكم أبو كعب : انصرفوا فانى قد أصبحتُ مخمورا ... ...

هذا القاصُّ المخمور هو عند هؤلاء السخفاء إمام فى مذهب حرية الفكر ، وفضيلته عندهم أنه صريح غير منافق ... وكان يكون هذا قولاً فى إمام المسجد لولا أنه إمام المسجد ؛ غير أن حرية الفكر تبنى دائماً فى كل ما تبنى على غير الأصل ، وعندها أن المنطق الذى موضوعه ما يجب ، ليس بالمنطق الصحيح إذ لا يجب شىء ما دام مذهبها الاطلاق والحرية

كل مفتون من هؤلاء يتوهم أن العالم لا بد أن يمر من تفكيره كما مرَّ من إرادة الخالق ، وأنه لا بد له أن يحكم على الأشياء ولو بكلمة سخيفة تجعله يحكم ، ولا بد أن يقول (كن) وإن لم يكن إلا جهله . ومذهبه الأخلاقى : اطلب أنت القوة للمجموع أما أنا فألتمس لنفسى المنفعة واللذة . ويحسبون أنهم يحملون المجتمع ؛ فانهم ليحملونه ولكن على طريقة البراغيث فى جناح النسر

قال (م) : وكيف ذلك ؟

قال : زعموا أن طائفة من البراغيث اتصلت بجناح نسر عظيم واستمرأته وتمتعت فيه ، فصارها النسر زمناً ثم تأذى بها وأراد أن يرميها عنه فطفق يخفق بجناحيه يريد نفضها ، فقالت له البراغيث : أيها النسر الأحمق ! أماتعلم أننا فى جناحيك لنحملك فى الجو ... ؟

أما أساتذة هذه الحرية الدينية الفكرية الأدبية ، فقد قال الحكماء : إن بَعْرةً من البَعْر كانت معلِّمةً فى مدرسة

قال (م) : وكيف ذلك ؟

(١) هو أبو كعب القاص ذكره الجاحظ فى كتاب الحيوان وقال إنه كان يقص كل أربعاء فى مسجد عتاب بالبصرة

قال : زعموا أن بعرة كبش كانت معلمة فى مدرسة الحصى ، فألّفت لتلاميذها كتاباً أحكمته وأطالت له الفكرة ، وبلغت فيه جهدَ ما تقدر عليه لتظهر عبقريتها الجبارة ؛ فكان البابُ الأكبر فيه أن الجبل خرافة من الخرافات ، لا يسوغ فى العقل الحر إلا هذا ، ولا يصح غير هذا فى المنطق . قالت : والبرهانُ على ذلك أنهم يزعمون أن الجبل شىء عظيم ، يكون فى قدر الكبش الكبير ألفَ ألفِ مرة ؛ فاذا كان الجبل فى قدر الكبش ألف ألف مرة فكيف يمكن أن يَبْعَرَه الكبش ... ؟

قال الأستاذ (م) : هذا منطق جديد سديد لولا أنه منطق بعرة

قال (ن) : وكل قديم له عندهم جديد ، فكلمة (رجل) قد تخنثت ، وكلة (شاب) قد تأنثت ، وكلة (عفيفة) قد تدنست ، وكلة (حَياء) قد تنجّست . والزمن الجديد ألا يعرف الطالب فى هذا العام ماذا تكون أخلاقه فى العام القادم ... والحياة الجديدة أن تتقن الغش أكثر مما تتقن العمل ... والذمة الجديدة أنّ مال غيرك لا يسمى مالاً إلا حين يصير فى يدك ... والصدق الجديد أن تكذب مائة مرة ، فعسى أن يصدق الناس منها مرة ... ثم الانسان الجديد ، والحب الجديد ، والمرأة الجديدة ، والأدب الجديد ، والدين الجديد ، والأب الجديد ، والابن الجديد ؛ وما أدرى وما لا أدرى

قالوا (السوبرمان) : وتنطّعوا فى إخراج المخلوق الكامل بغير دينه وأخلاقه ، فسخرت منهم الطبيعة ، فلم تخرج إلا الناقص أخس النقص ، وتركتهم يعملون فى النظرية وعملت هى الحقيقة

* * *

قال محدثنا : ونهض العجوز (ن) وهو يقول : تباركتَ وتعاليت يا خالق هذا الخلق ؛ لو فهموا عنك لفهموا الحكمة فى أنك قد فتحت على العلم الجديد بالغازات السامة ...

قال : ولما انصرف العجوز ، قلت للأستاذ (م) : ولكن ما خبر ( كاترينا ومرغريت ) وسنة ١٨٩٥ ؟

فقال : أيها الأبله ، أما أدركتَ بعدُ أن العجوزين قد سخرا منك بأسلوب جديد ............ ؟

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

# ذكرى المولد الشريف

## للشاعر المطبوع الأستاذ أحمد محرم

مِنْ هيبةٍ يُغضى القريض ويُطرق ... ويميل فيك إلى السكوت المنطقُ
إيذن يَفِض هذا البيان فانه ... مما يُفيضُ بيانك المتدفقُ
ما فى النوابغ من لبيبٍ حاذقٍ ... إلا وأنتَ ألبُّ منه وأحذق
إن يلبس الشعرُ الجمالَ منوّراً ... عبقاً ، فأنتَ جماله والرونق
والقولُ مُستلَبُ المحاسن عاطلٌ ... حتى يقولَ العبقرىُّ المفلق
رُضْتَ الأوابد لى أقودُ صعابها ... ورَضيتنى ، إنى إذاً لموفق
هى مدحتى انطلقت إليكَ مشوقة ... والسُّبْل تسطع ، والمنازلُ تعبَق
أنت المجالُ الرحب تُعتصر القوى ... فيه ، وتمتحن العتاقُ السُّبَّق
(حسان) منبهرٌ و(كعب) عاجز ... و(الشاعر الجعدىُّ) عانٍ موثق
أطمعتهم فتنازعوا فيك المدى ... وأبيت فانقلبوا وكلٌّ مُخفق
لى عذرهم ، ما أنت من عدة المنى ... إلا وَراء مخيلةٍ ما تصدق
أنت احتملت الأمر تنصدع القوى ... مما يشق على النفوس ، وتصعق
وسننت للمتعسفين سَبيلهم ... متبلجاً سمحاً يُضىء ويُشرق
يمشى الهدى فيه على يدك التى ... هى للهدى عضُدٌ أبرُّ ومرفق
ذُعرت (قريش) هل يبدل دينها ... رجلٌ ضعيف فى العشيرة مُملق ؟
لا المال ينصره ، ولا هو إن دعا ... خفق اللواء له ، وخفّ الفيلق
ينهى عن الأصنام وهى بموضع ... تهجى حواليه النفوس وتمحق
المال والعِرض المنَّع سورُه ... والمجدُ والشرف الصميم المعرق
من وَصْفه الاسْد الضوارى تدعى ... والخيل تصهل ، والقواضب تبرق

* * *

الحقُّ أقبلَ فى لواءِ (إمامه) ... والحقُّ أولى أن يسود وأخلق
يرمى به سودَ الغياهب ساطعاً ... تنجاب حول سناه أو تتشقق
حارَ الظلام ، فما يلوذ بجانبٍ ... إلا يحيط به الضياء ويحدق
الوحى مطردٌ ، وبأس (محمد) ... جارٍ إلى غاياته لا يُلحق
لا الضعف يأخذ من قواه ولا الونى ... بأولئك الهمم الدوائب يَعلق

بغى الأولى خذلوه من أنصاره ... والبغى نصرٌ للهداة مُحقق
زعموا الأذى مما يفلّ مضاءه ... فمضى البلاء به، وجد المصدق
يأوى إلى النفر الضعاف وإنهم ... لأشد منهم فى النضال وأوثق
هم فى حمى (الوحى المنزل) صخرة ... تعيى الدُّهاة، وجذوة تتحرق
وهبوا لربهم النفوس كريمة ... لا تُفتدى منه، ولا هى تعتق
المؤمنون الثابتون على المدى ... والأرض ترجف، والشوامخ تخفق
رزقوا اليقين، فلا ذليلٌ ضارع ... يطوى الجناحَ، ولا جبانٌ مشفق
جند النبىّ، إذا تقدم أقبلوا ... والموتُ يفزع، والمصارع تفرق
صدعوا بناء الشركِ تحت لوائه ... فهوى، وطارَ لواؤه يتمزق

***

إن الذى جعـل الرسالة رحمةً ... لم يرحم الدم فى الغواية يهرَق
بعثَ الرسـولَ معلماً ومهذباً ... يبنى الحياةَ جديدةً يتأنق
يتخير الأخـلاق ينظم حسنها ... فى كلّ ركنٍ قائم ويُنسّق
عفت الرسوم وأخلقت فأقامها ... شماء لا تعفو ولا هى تخلق
قدسية الأرجاء، ما برحابها ... عنَتٌ، ولا فيها مكان ضيق
تسع الممالكَ والشُّعوبَ بأسرها ... وتفيض خيراً ما بقينَ وما بقوا
عرفت لحاجات العصور مكانها ... فلـكل عصرٍ سؤلُهُ والمرفق
مَنعت مغالقُها الشرورَ وما بها ... للخير والمعروف بابٌ مُغلق
فيها لدُنيا العـالمين مثابةٌ ... لولا التباعد والهوى المتفرق
(المصلح الأعلى) أتمّ نظامها ... فانظر أينقضه الغبىُّ الأخرق؟
أوْفى على الدنيا، وملءُ فجاجها ... بغى يزلزلها، وظلـم موبق
والناس فوضى فى البلاد يغرهم ... دينٌ من الخبل المضل ملفق
النفس مغلقـــةٌ على أوهامها ... والعقل مضطهدٌ يُضامُ ويُرهق
سَجدوا لما صنعوا! فأين حلومهم؟ ... ولمن جباهٌ بالمهانة تلصق؟
أهىَ التى رَفعوا وظنوا أنهم ... قوم لهم فوق السّماك مُحلّق؟؟
من يدعى شرَفَ الحياةِ لمعشرٍ ... كفروا بمن يهَب الحياةَ ويخلُق؟

***

إن تَنْب (مكةُ) بالرسولِ فما نبا ... عزمٌ تُهدّ بهِ الصعابُ وتُسحق
كذب الطغاة: أيُرجفونَ بقتله ... والوحى سُورٌ والملائك خندق؟؟
وَرَدَ (المدينةَ) زاخراً تجرى بها ... آذيُّه، وطما العُباب المفرق
بطلٌ توسّع فى ميادين الوغى ... لما تضايق عن مداه الأزرق
ساسَ الحوادثَ والنفوس، فتارة ... يَقِصُ الرقاب، وتارةً يترفّق
يدعو إلى الحسنى، فإن جمح الهوى ... فالسيف مسنون الغرار مذلق
يرمى العوان بكلّ أغلب باسلٍ ... يهفو إلى غمراتها يتشوق
لَمَسَ العروش فما يزال يهزها ... ذُعرٌ يطوف بها وهمٌّ مقلق
صدعتْ قُوى الاسلام شامخ عزها ... فاذا الملــــوك أذلة تتملق
وإذا الممالك ما يهلّ مغربٌ ... إلا استجاب له فكبّر مشرقٍ

***

هـذا تراث المسلمين، فبعضه ... يُرجى علانيةً، وبعض يسرق
عجز الحماةُ، فنائمٌ متقلّبٌ ... فوق الحشيّةِ، أو مغيظ مُحْنَق
عجزوا، فلا السلَب المباح كريمه ... يحمى، ولا العانى المكبل يُطلق
القوم صمٌّ فى السلاح، وقومنا ... مستصرخٌ يعوى، وآخرُ ينعق
إن كنت ذا حق فخذه بقوةٍ ... الحق يخذله الضعيف فيزهق
لغـةُ السيوف تحل كل قضية ... فدع الكلام لجاهل يتشدق
وَكُن اللبيب، فليس من كلماتها ... شرْعٌ يُداس، ولا نظامٌ يخرق
الخيل والرهج المثارُ حزونها ... والنارُ والدمُ والبلاء المطبق
فتشت ما بين السطور فلم أجد ... أن الأسود بصيدها تتصدق
أرأيت أبطالَ الكفاحِ وما جنى ... أملٌ بأجنحة الرياح معلق؟
لا يأسَ من نفحاتِ ربك إننى ... لأرى السنا خَللَ الدُّجى يتألق

**أحمد محرم**

# نشـــيد وطنى

## للأستاذ محمود الخفيف

مِصْرُ يا أرضَ الفراعين الأُولى    موطنَ العِزّةِ فى فجرِ الزّمنْ
اسلمى انا نزعنا للعلا    مُذْ دعانا للعلا داعى الوطنْ
وَحْيُ ماضينا جَلاَ المستقبلاَ
فتبيّنا المكانَ الأوّلا
وسئمنا فى الحمى طولَ الوسَنْ

درجتْ فى ظلِ وادينا الحياه    وبماضى عزمنا سارَ المثلْ
قلْ لمن يزهى بمجدٍ أو بجاه    نحن أهلُ السّبْقِ فى المجد الأوّلْ
نحن أبناء الميامين الغُزَاه
قد رفعنا اليومَ فى مصرَ الجباه
وتغنينا بألحان الأملْ

رُوحُنا أعيت على الدهر الفناء    وطوت فى صحبها طول الحِقَبْ
أبداً لن يفقد النيلُ الرجاء .. أو يرى واديه سوءَ المنقلَبْ
عادت الروحُ وإن طال الجفاء
فتطلّعنا إلى أوج العلاء
وطلبنا موضعاً فوق الشهبْ

سِرُّ وادينا وإن طال السكون    مستكنٌ فيه باقٍ مُدّخَرْ
خالدٌ يطفو على غمر القرون    نجتليه اليومَ محمودَ الأثرْ
فى غدٍ نُحيى به عهدَ الفنون
فى حمى النيل كما كُنّا نكون
نجتنى من غرسنا أحلى الثمرْ

يا وريدَ القلب فى الوادى الخصيب    أنت يا من وهبَ الوادى ثراه
سر، تدفق أيها النهرُ الحبيب    يا عباباً يبهرُ الفكرَ مداه
يا جديداً وَهْوَ للدهر ضريبْ
يتجلّى فيك لى معنى عجيب
فطن القلبُ إليـــه فوعاه

أنت كالمصرىّ فى نزعته    زاخر بالخير فياض المَعين
خالد تحكيه فى فطرته    وادع تنساب فى خفض ولين
حالم كابنك فى رقتـــه
ولقـــد تحكيه فى غضبته
باعتكار ثم تصفو بعـد حين

إيه يا رمز المعالى والخلود    قد شهدت المجد والدهر غلام
وصحبت العزّ فى كل العهودِ    فى هجير الحرب أو ظلّ السلام
قرّ عيناً أيها النهرُ الودود
قد صحونا بعد أن طال الهجود
وجمعنا بين رأى واعتزام

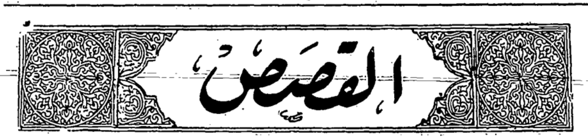
قد أبينا ذلة المستضعفين    فوثبنا وثبةَ الأسْد الغضابْ
قد كرهنا البحرَ مسلوب السفين    وملأنا البرّ موهون الجناب
فتآخينا على ضوء اليقين
وهتفنا نصرةُ الأوطان دين
قد دعت مصرُ فما أحلى العذاب !

لم ينل من عزمنا حرُّ الجهاد    لا ولن نخشى مع الحق الردى
قل لمن أعماه حقدٌ أو عناد    نحن بالأرواح أعززنا الفدى
لازم الجدُّ خطانا والسداد
ولغير الحق لم نُلقِ القياد
أقبـلَ الدهر علينا أو عدا

جنة الأرض رفعنا ذكرها    وملأنا باسمها سمعَ الأمم
أوَ لم ننشر لها دستورها    بالدّم المسفوح من طىّ العدمِ ؟
بُغية النيل عرفنا مهرها
فلمحنا بعد حين فجرها
وغداً نكشف عن مصرَ الظلَم

شيّع الليلَ فقد لاح الصباحْ    لم يقف يوماً عن الدأب الفلكْ
عهدُنا عهدُ جهاد وكفاحْ    بهما كلُّ عصىّ يُمتلكْ
فامتلىء من كبرياء وطماح
واتجهْ صوبَ السموات الفساح
يا ابن مصرٍ فالعلا والمجد لك

محمود الخفيف



قصة أندلسية واقعية

# محمد الصغير *

للأستاذ علي الطنطاوي

قال :

كنت يومئذ صغيراً ، لا أفقه شيئاً مما كان يجري في الخفاء ، ولكني كنت أجد أبي – رحمه الله – يضطرب ويصفر لونه كلما عدت من المدرسة فتلوت عليه ما حفظت من (الكتاب المقدس) ، وأخبرته بما تعلمت من اللغة الإسبانية ، ثم يتركني ويمضي إلى غرفته التي كانت في أقصى الدار ، والتي لم يكن يأذن لأحد بالدنو من بابها ، فيلبث فيها ساعات طويلة ، لا أدري ما يصنع فيها ، ثم يخرج منها محمر العينين ، كأنه قد بكى بكاء طويلاً ، ويبقى أياماً ينظر إليّ بلهفة وحزن ، ويحرك شفتيه فعل من يهم بالكلام ، فاذا وقفت مصغياً اليه ولاني ظهره ، وانصرف عني من غير أن يقول شيئاً – وكنت أجد أمي تشيعني كلما ذهبت إلى المدرسة حزينة دامعة العين ، وتقبلني بشوق وحرقة ، ثم لا تشبع مني فتدعوني فتقبلني مرة ثانية – ولا تفارقني إلا باكية ، فأحس نهاري كله بحرارة دموعها على خدي ، فأعجب من بكائها ولا أعرف له سبباً ؛ ثم إذا عدت من المدرسة استقبلتني بلهفة واشتياق ، كأني كنت غائباً عنها عشرة أعوام – وكنت أرى والديّ يبتعدان عني ويتكلمان همساً بلغة غير اللغة الأسبانية ، لا أعرفها ولا أفهمها ، فاذا دنوت منهما قطعا الحديث وحولاه ، وأخذا يتكلمان بالاسبانية فأعجب وأتألم وأذهب أظن في نفسي الظنون حتى إني لأحسب أني لست ابنهما ، وأني لقيط جاءا به من الطريق فيبرح بي الألم فآوي إلى ركن في الدار منعزل فأبكي بكاء مراً – وتوالت عليّ الآلام فأورثتني مزاجاً خاصاً يختلف عن مزاج الأطفال الذين كانوا في مثل سني ، فلم أكن أشاركهم في شيء من لعبهم ولهوهم ، بل أعتزلهم وأذهب ، فأجلس وحيداً أضع رأسي بين كفي ، وأستغرق في تفكيري ، أحاول أن أجد حلاً لهذه المشكلات . . . حتى يجذبني الخوري من قميصي لأذهب إلى الصلاة في الكنيسة . . .

وولدت أمي مرة ؛ فلما بشرت أبي بأنها قد جاءت بصبي جميل ، لم يبتهج ولم تلح على شفتيه ابتسامة ، ولكنه قام يجر رجله حزيناً ملتاعاً ، فذهب إلى الخوري فدعاه ليعمد الطفل ، وأقبل يمشي وراءه وهو مطرق برأسه إلى الأرض وعلى وجهه علائم الحزن المبرح واليأس القاتل ، حتى جاء به إلى الدار ودخل به على أمي . . . فرأيت وجهها يشحب شحوباً هائلاً ، وعينيها تشخصان ، ورأيتها تدفع إليه الطفل خائفة حذرة . . ثم تغمض عينيها ، فحرت في تعليل هذه الظاهرة ، وازددت ألماً على ألمي . .

حتى إذا كانت ليلة عيد الفصح ، وكانت غرناطة غارقة في العطر والنور ، والحمراء تتلألأ بالمشاعل والأضواء ، والصلبان تومض على شرفاتها ومآذنها ، دعاني أبي في جوف الليل ، وأهل الدار كلهم نيام ، فقادني صامتاً إلى غرفته ، إلى حرمه المقدس ، فخفق قلبي خفوقاً شديداً ، واضطربت ؛ لكني تماسكت وتجلدت ، فلما توسط بي الغرفة أحكم إغلاق الباب ، وراح يبحث عن السراج ، وبقيت واقفاً في الظلام لحظات كانت أطول عليّ من أعوام ؛ ثم أشعل سراجاً صغيراً كان هناك ، فتلفت حولي فرأيت الغرفة خالية ليس فيها شيء مما كنت أتوقع رؤيته من العجائب ، وما فيها إلا بساط ، وكتاب موضوع على رف ،

* أخذنا فكرة هذه القصة من السطور الأولى من مقدمة كتاب (الأنوار النبوية في آباء خير البرية ) لسيدي محمد بن عبد الرفيع الأندلسي المتوفى بالمغرب سنة ١٠٥٢ ، وهو كتاب مخطوط ، وقد قرأنا هذه المقدمة في الجزء الثاني في الصفحة (٢٤) من كتاب ( حاضر العالم الاسلامي ، طبع مصر ١٣٥٢ )

وسيف معلق بالجدار ، فأجلسني على هذا البساط ، ولبث صامتاً ينظر إلىّ نظرات غريبة ، اجتمعت علىّ هي ورهبة المكان ، وسكون الليل ، فشعرت كأني انفصلت عن الدنيا التي تركتها وراء هذا الباب ، وانتقلت إلى دنيا أخرى ، لا أستطيع وصف ما أحسست به منها . . . ثم أخذ أبي يديّ بيديه ، بحنو وعطف وقال لي بصوت خافت :

— يا بنيّ ! إنك الآن في العاشرة من عمرك ، وقد صرت رجلاً ، وإني سأطلعك على السر الذي طالما كتمته عنك . فهل تستطيع أن تحتفظ به في صدرك ، وتحبسه عن أمك وأهلك وأصحابك والناس أجمعين ؟ إن إشارة منك واحدة إلى هذا السر تعرض جسم أبيك إلى عذاب الجلادين من رجال « ديوان التفتيش » .

فلما سمعت اسم ديوان التفتيش ارتجفت من مفرق رأسي الى أخمص قدمي ، وقد كنت صغيراً حقاً ، ولكني أعرف ما هو ديوان التفتيش ، وأرى ضحاياه كل يوم وأنا غاد الى المدرسة ورائح منها — فمن رجال يصلبون أو يحرقون ، ومن نساء يعلقن من شعورهن حتى يمتن ، أو تبقر بطونهن ، فسكت ولم أجب

— فقال لي أبي : مالك لا تجيب ؟ أتستطيع أن تكتم ما سأقوله لك ؟

— قلت له : نعم

— قال : تكتمه حتى عن أمك وأقرب الناس إليك ؟

— قلت : نعم

قال : — فاقترب مني . أرهف سمعك جيداً . فاني لا أقدر أن أرفع صوتي . أخشى أن تكون للحيطان آذان تسمعني فتشي بي الى ديوان التفتيش فيحرقني حياً ...

فاقتربت منه ، وقلت له :

— إني مصغ يا أبت

فأشار الى الكتاب الذي كان على الرف . وقال :

— أتعرف هذا الكتاب يا بني ؟

— قلت لا

— قال هذا كتاب الله

— قلت الكتاب المقدس الذي جاء به يسوع ابن الله ؟

فاضطرب وقال :

— كلا . هذا هو القرآن الذي أنزله الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . على أفضل مخلوقاته وسيد أنبيائه ، سيدنا محمد بن عبد الله النبي العربي صلى الله عليه وسلم

ففتحت عيني من الدهشة . ولم أكد أفهم شيئاً

— قال : هذا كتاب الاسلام ، الاسلام الذي بعث الله به محمداً الى الناس كافة .. فظهر هناك ... وراء البحار والبوادي ... في الصحراء البعيدة القاحلة ... في مكة ، في قوم بداة مختلفين مشركين جاهلين ، فهداهم به الى التوحيد وأعطاهم به الاتحاد والقوة والعلم والحضارة ، فخرجوا يفتحون به الشرق والغرب ، حتى وصلوا إلى هذه الجزيرة ، الى أسبانيا ، وكان ملكها جباراً عاتياً ، وحكومتها ظالمة غاشمة ، وشعبها مظلوماً فقيراً جاهلاً متأخراً ، فقتلوا الملك الجبار ، وأزالوا الحكومة الظالمة ، وملكوا الأمر في أسبانيا ، فعدلوا بين الناس وأحسنوا اليهم وأمنوهم على أرواحهم وأموالهم ، ولبثوا فيها ثمانمائة سنة . . ثمانمائة سنة جعلوها فيها أرقى وأجمل بلاد الدنيا

نعم يا بني نحن العرب المسلمين ...

فلم أملك لساني من الدهشة والعجب والخوف ، وصحت به :

— ماذا ؟ نحن ؟ ... العرب المسلمين

— قال : نعم يا بني ، هذا هو السر الذي سأفضي به اليك ... نعم . نحن ... نحن أصحاب هذه البلاد ، نحن بنينا هذه القصور التي كانت لنا فصارت لعدونا ؛ نحن رفعنا هذه المآذن التي كان يرن فيها صوت المؤذن ، فصار يقرع فيها الناقوس ؛ نحن أنشأنا هذه المساجد التي كان يقوم فيها المسلمون صفاً بين يدي الله ، وأمامهم الأئمة يتلون في المحاريب كلام الله فصارت كنائس يقوم فيها القسس والرهبان يرتلون فيها الأناجيل ...

نعم يا بني ... نحن العرب المسلمين ، لنا في كل بقعة من بقاع أسبانيا أثر ، وتحت كل شبر منها رفات جد من أجدادنا ، أو شهيد من شهدائنا . نعم ... نحن بنينا هذه المدن ، نحن أنشأنا هذه الجسور ، نحن مهدنا هذه الطرق ، نحن شققنا هذه الترع ، نحن زرعنا هذه الأشجار ...

ولكن منذ أربعين سنة ... أسامع أنت ؟ منذ أربعين سنة خدع الملك البائس ، أبو عبد الله الصغير آخر ملوكنا في هذه الديار بوعود الاسبان وعهودهم فسلمهم مفاتيح غرناطة ، وأباحهم حمى أمته ومدافن أجداده ، وأخذ طريقه إلى بر المغرب ، ليموت

هناك وحيداً فريداً شريداً طريداً ، وكانوا قد تعهدوا لنا بالحرية والعدل والاستقلال . فلما ملكوا خانوا عهودهم كلها ، فأنشأوا ديوان التفتيش ، فأدخلنا في النصرانية قسراً ، وأجبرنا على ترك لغتنا إجبارا ، وأخذ منا أولادنا لينشئهم على النصرانية . فذلك سر ما ترى من استخفائنا في العبادة ، وحزننا على ما نرى من امتهان ديننا ، وتكفير أولادنا

أربعون سنة يا بني ونحن صابرون على هذا العذاب الذي لا تحمله جلاميد الصخر ننتظر فرج الله . لا نيأس لأن اليأس محرم في ديننا ، دين القوة والصبر والجهاد

هذا هو السر يابني فاكتمه واعلم أن حياة أبيك معلقة بشفتيك ؛ ولست والله أخشى الموت ، أو أكره لقاء الله ، ولكني أحب أن أبقى حتى أعلمك لغتك ودينك ، وأنقذك من ظلام الكفر إلى نور الايمان . فقم الآن إلى فراشك يا بني

***

صرت من بعد كلما رأيت بُرج الحمراء ، أو مآذن غرناطة ، تعروني هزة عنيفة ، وأحس بالشوق والحزن والبغض والحب يغمر فؤادي ؛ وكثيراً ما ذهلت عن نفسي ساعات طويلة ، فإذا تنبهت رأيتني أطوف بالحمراء أخاطبها وأعاتبها وأقول لها :

أيتها الحمراء . . . أيتها الحبيبة الهاجرة ، أنسيت بناتك وأصحابك الذين غذوك بأرواحهم ومهجهم ، وسقوك دماءهم ودموعهم ، فتجاهلت عهدهم ، وأنكرت ودهم . أنسيت الملوك الصيد الذين كانوا يجولون في أبهائك ، ويتكئون على أساطينك ، ويفيضون عليك ما شئت من المجد والجلال والأبهة والجمال ، أولئك الأعزة الكرام الذين إن قالوا أصغت الدنيا ، وإن أمروا لبى الدهر . أألفت النواقيس بعد الأذان ، أرضيت بعد الأئمة بالرهبان !

ثم أخاف أن يسمعني بعض جواسيس الديوان ، فأسرع الكرة إلى الدار لأحفظ درس العربية الذي كان يلقيه عليّ أبي ، وكأني أراه الآن يأمرني أن أكتب له الحرف الأعجمي فيكتب لي حذاءه الحرف العربي ، ويقول لي : هذه حروفنا ، ويعلمني النطق بها ورسمها ، ثم يلقي عليّ درس الدين ، ويعلمني الوضوء والصلاة لأقوم وراءه وهو يصلي خفية في هذه الغرفة الرهيبة

وكان الخوف من أن أزل فأفشي السر ، لا يفارقه أبداً ، وكان يمتحنني فيدس أمي إليّ فتسألني :

— ماذا يعلمك أبوك ؟

— فأقول : لا شيء

— فتقول : إن عندي نبأ مما يعلمك ، فلا تكتمه عني

— فأقول : إنه لا يعلمني شيئاً

حتى أتقنت العربية ، وفهمت القرآن ، وعرفت قواعد الدين ، فعرّفني بأخ له في الله ، فكنا نجتمع نحن الثلاثة على عبادتنا وقرآننا

***

واشتدت بعد ذلك قسوة ديوان التفتيش ، وزاد في تنكيله بالبقية الباقية من العرب ، فلم يكن يمضي يوم لا نرى فيه عشرين أو ثلاثين مصلوباً ، أو محرقاً بالنار حياً ؛ ولا يمضي يوم لا نسمع فيه بالمئات يعذبون أشد العذاب وأفظعه ، فتقلع أظافرهم وهم يرون ذلك بأعينهم ، ويسقون الماء حتى تنقطع أنفاسهم ، وتكوى أرجلهم وجنوبهم بالنار ، وتقطع أصابعهم وتشوى وتوضع في أفواههم ، ويجلدون حتى يتناثر لحمهم....

واستمر ذلك مدة طويلة ، فقال لي أبي ذات يوم : إني أحس يا بني كأن أجلي قد دنا ، وإني لأهوى الشهادة على أيدي هؤلاء ، لعل الله يرزقني الجنة ، فأفوز فوزا عظيما ؛ ولم يبق لي مأرب في الدنيا بعد أن أخرجتك من ظلمة الكفر وحمّلتك الأمانة الكبرى التي كدت أهوى تحت أثقالها ، فاذا أصابني أمر فأطع عمك هذا ولا تخالفه في شيء

***

ومرت على ذلك أيام . وكانت ليلة سوداء من ليالي السَّرار ، وإذا بعمي هذا يدعوني ويأمرني أن أذهب معه ، فقد يسر الله لنا سبيل الفرار إلى عدوة المغرب ، بلد المسلمين ؛ فأقول له : وأبي وأمي ؟ . . .

فيعنف عليّ ويشدّني من يدي ، ويقول لي : ألم يأمرك أبوك بطاعتي ؟

فأمضي معه صاغراً كارهاً ، حتى إذا ابتعدنا عن المدينة وشملنا الظلام ، قال لي :

— اصبر يا بنيّ . . . فقد كتب الله لوالديك المؤمنين السعادة على يد ديوان التفتيش . . . .

(دمشق) علي الطنطاوي

من اسخيلوس

# لايوس وأوديب

« دراماتان مفقودتان »

## للأستاذ دريني خشبة

مقدمة : كانت محنة بيت لايوس ملك طيبة ، من أعمال بووطيه إحدى مقاطعات هيلاس ، مرتعا خصيبا لأخيلة شعراء اليونان ، وقد اتخذوا منها مادة خالدة للمآسيهم ، وكتب فيها إسخيلوس ثلاثا من أروع مآسيه هي لايوس ، أوديبوس ، سبعة ضد طيبة . وقد فقدت الدرامتان الأوليان مع الأسف الشديد ، وبقيت الثالثة التي تنم بأسلوبها الرائع عما كانت عليه أختاها من الكمال والسمو . ومما يعزينا عن فقدتينك الدرامتين ما وصل إلينا من آثار سوفوكليس ؛ فقد ساهم هو الآخر في تخليد تلك المآسي وأبقت غير الأيام على درامتيه القويتين ( أوديبوس الملك ) و ( أوديبوس في كولوتوس ) ولما كنا لم ننسخ تقديم الدرامة الباقية من ثلاثية إسخيلوس وهي ( سبعة ضد طيبة ) دون التعريف بالدرامتين اللتين تقدمتاها فقد آثرنا تلخيص هاتين الدرامتين عن مصادر محترمة موثوق بها على أن نلخص الدرامة الباقية بعد ذلك

— ١ —

تزوج لايوس ملك طيبة من الأميرة الجميلة جوكاستا ، ومضت سنون والملكة لا تنجب ؛ فكان عقمها يشجي الملك ، ويكدر صفو حياته ؛ وكانت هي أيضاً تحس بما يحس زوجها من حرارة الحياة بلا ولد ، وإقفار القصر من بلبل غرد علوه موسيقى ويسمر ما أجدب روحي المليكين ، ويربط قلبيهما برباطه المقدس الذي لا ينفصم .

فكان الملك وقتاً ما شقياً ، وكانت الملكة وقتا ما شقية

— ٢ —

ثم أخذها المخاض فجأة ، وتحقق الأمل المنشود فوضعته غلاماً زكياً مشرق الوجه مفتر الثغر وضاح الجبين . يقبض كفيه الصغيرتين فكأنما يقبض بهما على نواصي المشرقين والمغربين !

وبدا للملك أن يرسل رسله إلى دلفي يستنبئون كهنة أبوللو عما سيكون من شأن الغلام ، وما يضمره له الغيب في صفحته

وا أسفاه ! لقد عاد الرسل من دلفي بأشأم نبوءة !!

« إذا عاش هذا الغلام فانه يقتل أباه ، ويتزوج من أمه ، ويجر على شعبه شقاء ما ينتهي حتى تفنى ذريته ! ! »

يا للهول ! لقد سمع الملك إلى النبوءة ، وكأنما انطفأت في عينيه شمس السعادة المشرقة ، وكأنما ران على قلبه من الهم ما يضنيه ، فما يدري ماذا يصنع ! ؟

أما الملكة ، فيالها من شقية مرزأة ! لقد أحست ، مذ عرفت النبوءة ، كأنما قد ولدته أفعوانا أرقم ، كهذه التنانين الخرافية التي تمتلئ بها أساطير قومها !

— ٣ —

وأسقط في يد الملك ، ثم اعتزم أن يقتل الغلام ، فعسى أن تبدله الآلهة خيراً منه : « إن نبوءات دلفي لا تكذب ولا تطيش ، وما دام هذا الولد سيقتلني إذا عاش ، فأني قاتله ، ومجنب أمه الفضيحة ، وشعبي الرزايا والأشجان ! »

ودعا اليه واحداً من خدمه المخلصين فأسر اليه بكلمات . . . واحتمل الخادم الغلام ومضى به إلى البرية ليذبحه ...

ونظر الرجل في وجه الطفل فرأى البراءة والطهارة والنقاء ، ورأى عينين صافيتين تطل منهما السماء بما فيها من آلهة ... كأنما تأمره ألا يفعل !

ورأى شفتين رقيقتين كأنما تكلمانه بلغة علوية في ألفاظ كالنسيم الحلو لا تبين ، ولكن تغمغم ... ولا تسمع ولكن تفهم ... تسترحمانه !

ورأى أذنين ترتعشان كالدينارين ، كأنما تقولان له : « أيها الرجل لقد سمعنا ما أسر إليك الملك فحذار أن تقتل هذا الطفل صاحبنا ! ... »

ثم نظر الرجل في السماء فرأى سحاباً رقيقاً ممزقاً تصبغه الشمس بأرجوان خفيف كالدم المطلول ، فيجفل قلبه ، وتراع نفسه ويقسم ألا يقتل الولد !

ولكن ماذا يقول للملك ؟ إذن : « لأربط الطفل من عقبيه في هذا الفرع الغليظ من تلك الشجرة ، ولأتركه للآلهة تصنع به ما تشاء ... فاذا حق عليه القتل ، سعت اليه وحوش البرية أو عقبان السماء فاغتذت به ... وإلا ، فليحي حياته التي تريدها الآلهة ... وليكن بعد ذلك ما يكون ! »

— ٤ —

وبكى الطفل ، وملأ البرية بصراخه المحزن ، ورددت الآكام ومشارف الجبال عويله المؤلم ، ثم مر به راع كان يتفقد أحد نعاجه الضالة فرثى له ، وتقدم لحل الرباط عن عقبيه ، وشدهه أن يجدهما متورّمين مما ألم بهما ، فسماه ( أوديپوس ! )(١)

وارتحل به إلى كورنثه ، فرآه معه من نم عنه إلى الملك الذي كانت امرأته عقيا لا تلد ، فحبب إلى پوليبوس أن يرى الطفل عسى أن يتخذه ولداً . فلما أحضر إليه أنس في عينيه بريقاً عجيبا وفي جبينه لألاء قويا ، وفي روحه الصغيرة روحا كبيرا يكاد يملأ الأكوان ... فقال للملكة : « إن لم يكن هذا الطفل ابن ملك ، فما أحسبه خلق إلا ليكون ملكا ... ألا نتخذه ولي عهد ؟ »

وشب أوديپوس ، أو أوديب ، وأحبه الملك ، وغمرته الملكة باعزازها ، وكان هو يهتف بالملك « أي أبي ! » وبالملكة « يا أمي ! » وهو لا يعرف مما أخفياه عنه شيئا !

— ٥ —

أما لايوس ، ملك طيبة ، فإنه تنفس الصعداء لما حسب من قتل الطفل ، وتنفست الملكة الصعداء كذلك ... أما الأقدار ، فما برحت تسخر منهما ، وتضحك ملء أشداقها عليهما ... وما برحت كذلك تعد العدة للمستقبل الرهيب !

— ٦ —

وترعرع أوديپوس ، ونشأ مفتول العضل هرقلي الصدر ، قويم الأخلاق ، فيه نخوة الملك ، ورفعة العرش ، إلى كرم أرومة وطيب محتد

وحُم القضاء ... وأقيم في القصر الملكي حفل فخم ، دعي إليه سادات طيبة وشبابها ... وقدمت الآكال والأشربات ... وقهقهت أباريق الخمر في الكؤوس ... وفي الرؤوس ، وذهبت أشوابها بوقار الشباب فتحرش بعضهم بأوديب ، الذي لم يكن ممن تأسر الخمر لبه ، فرده أوديب في حزم ، وفي أدب ؛ ولكن الشاب خاشن ولي العهد ، ثم لمزه ، وهو لا يدري ما يقول ، لمزةً نبهت غافل أوديب ؛ ذلك أنه عيره بأصله المجهول ...

(١) معناها في اليونانية ( ذوالقدمين المتورمتين ) وفي بعض المصادر أن ملك كورنثه هو الذي سماه هذه التسمية

— ٧ —

« أصلي المجهول ؟ ماذا يقول هذا المعتوه ؟ مجهول كيف ؟ أو لست ابن پوليبوس ملك كورنثه ؟ أو ليست هذه الملكة الجليلة أمي ؟ بلي ؟ ! لقد كنت أحس دائماً أنني لا أستنشق هواء الأبوة في هذا القصر ! ... ويلاه ! السر العجيب ... السر العجيب ... »

وانطلق المسكين إلى مخدعه يبكي وينتحب ... وانطلقت الملكة في إثره ترفه عنه وتواسيه ، وتحلف له بالأيمان المغلظة أنه ابنها ... وأنها أمه ... ولكن ... هيهات ! فلم يكن أوديب من البله والغفلة بحيث ينخدع بهذه الأيمان التي لا تصدر عن اخلاص الأم الحقيقية ، ولا يشف عن صدقها حب الأمهات الذي يدل على نفسه ...

« لا ! بل أنا أوديب التاعس ! أنا أوديب المسكين الذي لا يعرف له أماً ، ولا يدري له أباً ... الوداع أيها القصر المملوء بالخداع ... الوداع أيها الملك الذي أكرمتني كأنني ابنك ... إغفري لي أيتها الملكة التي أحببتني كأنني ابنها ... سأنطلق ... سأهيم على وجهي في القفار والفلوات ... لا بد أن أعرف ... لا بد أن أعرف من أنا ... من أبي ... من أمي ... الوداع ... الوداع ... »

وانطلق المسكين لا يلوي على شيء ... غير مزود من هذا الملك العريض والسلطان الواسع إلا بسيفه ... حتى إذا بلغ أفق طيبة ، وقف على ربوة عالية يلقي على ملاعب الصبي ومراتع الشباب نظرة باكية ... ثم مضى ..

— ٨ —

كانت الشكوك القاتلة تعصف بنفس أوديب ، وكان يحاول أن ينسى كلمة الشاب المفتون الذي لمزه ... ولكن عبثاً حاول ذلك ... وكان يجهد فيما بينه وبين نفسه أن يفسر تلك النظرات الصارمة التي تبادلها ضيوف القصر بعد أن قال الشاب قالته ، ولكنها كانت تعتاص بالمعاني السود في نفسه ، وتثير في أعماقه ألواناً من الرّيب تغلي بدمه في رأسه ...

وذكر أمه — أو الملكة — وهي تحاول أن تتغفله ، وذكر سمات الخداع في ألفاظها ، فوقر في نفسه أنه لا بد ابن

# البريد الأدبي

## المباحث المصرية والعلم الحديث

صدرت نشرة خاصة بمحاضرة ألقاها الأستاذ بلاكمان في جامعة ليفربول عن «قيمة المباحث المصرية في العالم الحديث»؛ وفيها يبسط التجارب الأولى التي قام بها الحكماء المصريون في الرياضة والفلك، وينوه بحقيقة تاريخية هامة فطن اليها الفراعنة وهي أنه من الخطر أن يسمح لدولة أجنبية أن تحتل فلسطين.

ويقول الأستاذ في رسالته إن دراسة الاقتصاديات المصرية في عصر البطالسة تفيد العالم الحديث، وأنه يمكن أن نلاحظ أن مثل هذه الظروف كانت موجودة بمصر منذ الأسرة الثامنة عشرة؛ وأن المهندس الحديث يستطيع أن يفيد من دراسة الآثار المصرية القديمة، ولاسيما الاهرام، وما تدل به من نظريات هندسية بارعة في شؤون الزوايا والمخروطات، وفي شؤون الزخارف البديعة التي تناسب دائماً أبنيتها. وإذا كان الذوق الحديث يتطلب التناسق بين الأبنية والزخارف، فانه لم تحرز أمة في التاريخ براعة المصريين القدماء في اتقان هذا التناسق

ويرى الأستاذ بلاكمان أيضاً أن المصريين كان لهم أثر كبير في نمو الحضارة الغربية، وذلك بتأثيرهم المباشر أو غير المباشر على الحضارة اليونانية، وأن حكمة المصريين كانت ذات أثر قوي في صوغ تعاليم «العهد القديم» بل كانت ذات أثر في صوغ التعاليم النصرانية ذاتها

## كشف جديد بصحراء الأهرام

وفق الأستاذ سليم بك حسن الى كشف جديد بصحراء الأهرام، وهو مقبرة كاهن من كهنة الأسرة الخامسة اسمه «نخت كا» كان رئيساً للمحفوظات الملكية وأميناً على مخازن الملك. وتقع المصطبة التي وجدت بها مقبرته جنوب مصطبة الأمير (جونوم بات)، وهي مبنية من الحجارة الجيرية، ولها مدخل يفتح الى جهة الشرق، ويفضي الى بهو ذي أعمدة من الحجر؛ وفي الحائط الجنوبي للبهو نافذة يدخل منها الضوء الى المكان

وفي الطرف الجنوبي الغربي مدخل يفضي الى حجرة زينت بنقوش ورسوم تمثل الحياة اليومية حينذاك

وهناك بابان وهميان نقشت عليهما تعاويذ وصيغ معروفة ومن خلف هذين البابين عثر الكاشف على بئر وجدت بعد تفريغها منتهية الى حجرة صغيرة منحوتة في الصخر، وفي هذه الحجرة عثر على تابوت من الصخر أيضاً فيه الهيكل العظمي للكاهن «نخت كا» ملفوفاً بالذهب

وقد عثر في هذه المقبرة على ١٥ آنية من النحاس بينها طست وابريق لا يختلفان عما يصنع منهما الآن، وكذلك عثر على أطباق ومعدات للأكل موضوعة على شكل مائدة استعداداً لتناول الطعام عند ما يبعث صاحب المقبرة، كما عثر بالقرب من هذه المائدة على عظام الثيران التي نحرت وأعدت للطعام

أين آخرين غير بوليبوس وزوجه

«إذن ... إلى دلفي! لأذهب إلى دلفي! لأستوح كهنة أبوللو، فعندهم الخبر اليقين»

وهام على وجهه حتى كان في دلفي، وحتى وقف في هيكل أبوللو يبكي ويستنبئ الكهنة!

وساد المعبد صمت رهيب، وانعقدت في أرجائه سحابة داكنة من بخور العنبر، ثم انقدحت ثمة شرارة هائلة هي التي تسبق كلمات الآلـه دائماً ... وإذا صوت مذبوح يتهدج قائلاً:

«ويح لك يا أوديب! أهو أنت؟ إذهب أيها التعس، قد قضي أن تقتل أباك، وتتزوج من أمك، وتجر التعاسة على شعبك ...»

وصمت الصوت، ومضى أوديب لطيته ... أو لغير طيته!

(لها بقية) دريني خشبة

وعلى جدران القبرة نقوش تمثل الحياة المصرية ، فمنها ما يمثل جوقات رقص وموسيقى ، وفى مقدمة الآلات الموسيقية القيثارة والصفارة وإلى جانب هذه النقوش الفنية ما يمثل نوعاً من أنواع التحية عند قدماء المصريين وهى التحية الخاصة بمقدمى القرابين الى الكاهن الأكبر ، فقد كان كل منهم يتقدم نحو الكاهن وهو يجر بيمناه الثور فى حين أنه يلتفت الى المكان ويضع يسراه على صدره بحيث تلمس الأصابع أعلى الكتف

## الى زميلنا المهذب صاحب (المكشوف)

شوهت — سامحك الله — فى ذهنى صورة جميلة كانت للمكشوف . فقد اعتقدت — وكنت على وشك أن أعلن هذا الاعتقاد — أن مجلة (العصبة) فى سان باولو ، وجريدة (المكشوف) فى بيروت ، تكتبان اليوم فصلاً قيماً فى تاريخ الأدب العربى الحديث ؛ وأن العصبة الأندلسية الكريمة التى تصدر تلك المجلة فى المهجر ، وعصبة العشرة التى تحرر هذه الجريدة فى الوطن ، إنما تجريان على تقاليد لبنان العربى فتتمان ما بدأ به آل اليازجى وآل البستانى وأضرابهم من رجال الفكر والترجمة والصحافة والتمثيل الذين عاونوا مصر على إحياء هذه النهضة ؛ وأن هؤلاء الأدباء الأوفياء انما هم حجة العربية والعروبة على هذا الأدب الدخيل الذى يستمد وجوده من فينيقية القديمة وفرنسا الجديدة ثم يزعم للأغرار أنه أدب لبنان !

نعم كنت أعتقد فى المكشوف ما أعتقد فى العصبة حتى قرأت فى عدده الأخير مقالاً وجهته الىّ فزعزع فى نفسى أساس هذه العقيدة !

ما رأيك فى رجل تكلمه فى موضوع عام فى الأدب فيقول لك : إنك شتمتنى فأنا أشتمك ؟! ان كنت تقول إن هذا الرجل لا يوجد فى الناس فتعال إذن أسألك : كيف فهمت من مقال ( النقد المزيف ) أنه رد عليك فقلت ما نصه : « يرد الأستاذ الزيات فى رسالته علينا ولا يسمينا مخافة أن يرى بالجود حين يحمل على دعاة الجديد والقائلين بأدب الحياة فيعمد الى اللف والدوران والتلميح . . . » ثم قلت بعد ذلك : « يقول صاحب الرسالة رداً على الحملة التى نحملها على أدب الألفاظ وشعر البكاء التكلف والرثاء الكاذب . . . ( إن هذا النقد إما أن ينبعث من مكامن الحقد فيرمى الى التجريح ، واما أن ينطلق من مواضع الغرور فيسعى الى الهدم ) ثم رتبت على هذا الفهم أو الوهم ماسوغه لك أدبك . إن كنت تقرأ ما فى السطور كما يقرأ الناس فالأمر إذن لمنطق الناس ، وان كنت تقرأ ما بين السطور فالأمر لك وحدك . وما حيلة المنطق فى (دون كيشوت) الذى يريد أن يبنى بطولته على معارك من الوهم ؟ على أننى كنت أحب أن ترمى جانب الأدباء الذين يعاونونك فى تحرير المكشوف فترباً بهم عن هذا الموضع الذى ارتضيته لنفسك . أما حملتك الهوجاء على الأستاذ الرافعى فهو أقدر الناس على ردها عليك إن شاء . . .

## عدد الطلاب الذين تقدموا هذه السنة للامتحانات العامة

بلغ عدد الطلبة والطالبات الذين تقدموا من المدارس المصرية للامتحانات العامة : ( البكالوريا ، والابتدائية ، وكفاءة التعليم الأولى ، والمعلمات الراقية ) فى السنة المكتبية الحالية ٢٣٫٢٠٨

فالذين تقدموا لامتحان شهادة الدراسة الثانوية قسم ثان ٤٫٤٤٥ طالباً ، منهم ١٫١٥٥ بالقسم الأدبى و٣٫٢٩٠ بالقسم العلمى . والذين تقدموا لامتحان شهادة الدراسة الابتدائية قد بلغ عددهم ١٦٫٣٣٩ . وعدد الذين تقدموا لامتحان شهادة كفاءة التعليم الأولى ١٫٣٦٤ منهم ٩٣٥ كفاءة المعلمين و٤٢٩ كفاءة معلمات

وبلغ عدد الطالبات اللائى تقدمن لامتحان شهادة المعلمات الاولية الراقية ٦٠ طالبة منهم ١٥ بالتعليم العام و١٧ بقسم التدبير المنزلى و١٥ بقسم رياض الأطفال والرسم و١٣ بقسم تخصيص تربية الصبيان

## أزفالد شبنجلر

نعت إلينا أنباء ألمانيا الأخيرة الكاتب والفيلسوف الاجتماعى الألمانى أزفالد شبنجلر O. Spengler توفى فجأة فى مدينة ميونيخ بالسكتة القلبية فى السادسة والخمسين من عمره ؛ وكان قبل أن يخوض ميدان الكتابة الحرة أستاذاً فى إحدى المدارس الثانوية ولكنه فى سنة ١٩١١ هجر التعليم ، ونزل ميدان الصحافة والكتابة الحرة وهو فى عنفوان شبابه ، واشتهر بكتاباته فى الموضوعات الاجتماعية والثقافية ؛ بيد أنه لم يبلغ الذروة فى عالم

الكتابة يومئذ؛ وإنما بلغ شبنجلر ذروة الشهرة والنفوذ كفكر وكاتب مبتكر بعد الحرب الكبرى حين أصدر كتابه الشهير: «انحلال الغرب» Untergang des Abendlands، الذي طبع مرات عديدة في وقت قصير وترجم إلى معظم اللغات الحية

وقد كان صدور هذا الكتاب حادثاً أدبياً وفكرياً عظيماً، بل يعتبر أعظم حادث فكرى وقع فى ألمانيا بعد الحرب. وفيه يدرس شبنجلر قوانين النمو والانحلال فى التاريخ، ويشرح التطورات التاريخية بطريق الدرس القارن للعلوم الطبيعية وأصول الحيوان والنبات، ويتناول فى بحثه كل ما يتصل بمصير الانسان وطالعه، سواء من ناحية الدولة أو المجتمع. ويعتقد شبنجلر أنه استطاع بهذا العرض أن يطلع مواطنيه على الحلقة التى تستأنف منها التاريخ سيره، وعلى واجبات المستقبل. وقد أحرز كتاب شبنجلر من الوجهة الأدبية والاجتماعية نجاحاً عظيماً، ولكنه اعتبر سقيماً من الناحية العلمية، ذلك أن شبنجلر لم يكن أستاذاً فى كل الموضوعات التى تناولها والأصول العلمية التى اعتمد عليها، وهو مشحون بالأخطاء من هذه الناحية؛ بيد أنه من ناحية العرض الاجتماعى يعتبر قطعة رائعة من الدعاية القومية، ويبسط شبنجلر آراءه بقوة وعنف وبساطة؛ ومن ثم كان النجاح الباهر الذى أحرزه كتابه، والأثر العظيم الذى أحدثته آراؤه فى الجيل الألمانى المعاصر

## مصادرة كتاب عن البلاط النمسوى

من أنباء النمسا الأخيرة أن الحكومة النمسوية قررت مصادرة كتاب صدر أخيراً بالألمانية وعنوانه «لما كنت أرشيدوقاً» «Als ich Erzherzog War»، ومنعه من التداول فى النمسا؛ وهذا الكتاب عبارة عن مذكرات عن البلاط النمسوى القيصرى بقلم ليوبولد ڤلفلينج، وهو الاسم الشعبى للأرشيدوق ليوبولد سالفاتور أحد أمراء آل هبسبرج السابقين، ومن أبناء عمومة القيصر السابق، وقد عاش هذا الأمير حيناً فى البلاط النمسوى، ولكنه كان من الأمراء الثائرين عليه وعلى سياسته ورسومه، فلم يمض غير قليل حتى أبعد عنه، وخاض مدى حين حياة مغامرات متواصلة؛ وتوفى فى العام الماضى فى فينا فقيراً مجهولاً وهو يقص فى كتابه المذكور كثيراً من أحوال البلاط النمسوى وأسراره وحوادثه مدى ثلاثين عاماً، وقد سبق أن نشر بعض فصول كتابه فى كبريات الصحف فأثارت يومئذ كثيراً من الاحتجاج والتعليق، لأن منها ما يتعلق ببعض الشخصيات الحية، ولهذا رأت الحكومة أن تمنع تداوله

وقد تكرر منع الحكومة النمسوية فى العهد الأخير لمؤلفات ومذكرات تتعلق بالبلاط النمسوى السابق وبأسراره ومثالبه؛ وهذا ما يفسره بعضهم بأن ذلك يرجع إلى ميول الحكومة الملكية، وإلى حرصها على استبقاء سمعة الملوكية النمسوية بعيدة عن التأثر بهذه الذكريات والقصص المثيرة

## ذكرى مخترع شهير

احتفل أخيراً فى ألمانيا بذكرى عالم مخترع هو أوتو فون جريكه، وهو أول من استطاع أن يطبق نظرية الضغط الهوائى بصورة عملية؛ وذلك لمناسبة مرور مائة وخمسين عاماً على وفاته وكان مولده سنة ١٦٠٢ فى مجد بورج؛ ودرس القانون والعلوم الطبيعية دراسة حسنة، وظهر أثناء الحرب الثلاثينية (حرب الثلاثين عاماً) واشترك فى عقد مفاوضات الصلح، ثم عين بعد ذلك حاكماً لمدينة مجد بورج؛ ولكنه لم ينس طوال حياته أن يشتغل بالعلوم والتجارب الطبيعية؛ وقد استطاع لأول مرة أن يجرى أول تجارب فى الطبيعة العملية؛ وكان ميدان بحثه فى الهواء، وماهيته ومؤثراته؛ فاستطاع بعد تجارب عديدة أن يصل الى تطبيق نظرية ضغط الهواء؛ ففى سنة ١٦٥٤، نظم فى مدينة ريجنسبرج أمام القيصر فرديناند الثالث تجربة عملية من هذا النوع، وخلاصتها أنه أتى بنصفى كرة من النحاس قطر كل منهما ٣٦ سنتيمتراً، وأطبقهما على بعضهما، واستخرج منهما الهواء بواسطة مضخة صغيرة؛ ثم رتب أن يجر كل منهما ثمانية من الخيل فى اتجاه معاكس، فلم تستطع الخيل أن تنتزع نصفى الكرة من بعضهما؛ وكانت هذه أول تجربة عملية ناجحة أثبتت بها قوة الضغط الهوائى، وحاول فون جريكه بعد ذلك أن يطبق تجاربه على صنع الآلات ولكنه لم يوفق فى محاولته، وكان التوفيق فى استخدام ضغط الهواء لصنع الآلات من نصيب مخترع انكليزى يدعى توماس نيوكومن، وذلك فى أوائل القرن الثامن عشر

# من هنا ومن هناك

## أشهر كتب الخلاصات الحديثة

كان مؤلفو العرب يعنون عناية فائقة بوضع كتب الخلاصات للعلوم والفنون والآداب؛ وكانت كتبهم تكبر وتكبر حتى تغدو موسوعات ضخمة تسعف القارئ بما يحتاج اليه من المعارف العامة والنبذ الخاطفة من كل علم وفن؛ ولعل كتاب الأغاني هو أول موسوعة عربية من نوعها. ومن الموسوعات العربية أيضاً كتاب نهاية الأرب للنويرى، وصبح الأعشى للقلقشندى ولسان العرب لابن منظور المصرى، والعقد الفريد لابن عبد ربه ومسالك الأمصار، وتاريخ بغداد ... الخ، وقد اقتبس الغرب هذه الطريقة الموسوعية عن أسلافنا العرب، فوضع ديدرو موسوعته الفرنسية، ثم كان للانجليز موسوعتهم كذلك، ونحسب أن الموسوعة الايطالية الحديثة التى اشترك فى وضعها الطاغية موسوليني هى أكبر موسوعات العالم قاطبة، وإن تكن لا تفضل الموسوعة البريطانية فى الدقة وتوخى الحقيقة فيما حفلت به من سائر المعارف العالمية، ولكن هذه الموسوعات غالية الثمن غالباً؛ ولا يستطيع الأفراد إلا الأقلون منهم اقتناءها لهذا السبب، فثمن الموسوعة البريطانية الرخيصة مثلاً (الطبعة الرابعة عشرة) خمسة وعشرون جنيهاً أو أكثر اذا دفع الثمن على أقساط؛ وثمن الطبعة الغالية أكثر من خمسة وسبعين جنيهاً مصرياً. وقد وضعت شركة الكتب الانجليزية Everyman دائرة معارف للأعلام على طريقة وفيات الأعيان لابن خلكان وجعلت ثمنها أربعة جنيهات

لذلك راجت كتب الخلاصات Ourlines فى أوربا عامة، وانجلترا خاصة، وكان الأديب الانجليزى الكبير هـ. ج. ولز هو المبتدع لهذه الطريقة الطريفة، وذلك حين وضع كتابه الجليل «خلاصة تاريخ العالم»، يستعرض فيه تاريخ الحياة فى هذه الدنيا منذ بدء الخليقة إلى اليوم، فأنت تقرأ فيه لمحة من كل علم، وطرفة من كل فن، وخطفة من كل أدب، وينتقل ولز من الجيولوجيا إلى الانثروبولوجيا، إلى البيولوجيا، إلى التاريخ، إلى الآداب، الى الفنون، الى العلوم، الى الحركات الفعالة التى تناولت الأمم بالهدم والبناء ... وكل ذلك بأسلوب طلى، وروح وثاب، وعبارة مشرقة غير مملولة. ولا يكاد القارئ يلتمس شيئاً فى خلاصة ولز هذه إلا وجدها، وهذه مهارة محمد المؤلف، والخلاصة على نفاستها رخيصة الثمن جداً بحيث يستطيع القارئ العادى اقتناءها دون أن يرهق جيبه

وقد وضع ولز خلاصة ثانية لا تقل فى قيمتها عن خلاصته الأولى، ولا تزيد فى ثمنها عليها، تلك هى كتابه القيم (الانسان، عمله، ثروته، سعادته)، ويعرض فيه لطائفة رائعة من فنون العمل والحياة لا تكمل ثقافة الانسان إلا اذا وعاها

وقد ألف الكاتب الشاعر الانجليزي (جون درنكووتر) خلاصته فى آداب العالم، وهى برغم ما فيها من الشوائب، وما يعتور بحوثها من القصور المعيب أحياناً، خلاصة قيمة عما حفلت به من تاريخ الأدب العالمى منذ فجر التاريخ إلى اليوم فى كل أمة ... إلا ... الشرق! وإن يكن قد تناول آداب الشرق القديمة بفصول مشوهة مبتورة، وإن يكن أيضاً قد خص الأدب الانجليزى بأكبر نصيب من خلاصته!

أما الخلاصة الأدبية القيمة حقاً فهى تلك التى كتبها الأديب المؤرخ الأمريكي الشهير رتن راسكو والتى سماها (جبابرة الأدب أو — أعاظم كتاب العالم)، وقد اختار لها رتن راسكو أربعين أديباً وشاعراً من أكبر أدباء التاريخ وشعرائه، بدأهم بهوميروس وختمهم بجورج مور، ثم ختم الخلاصة بلمحة عن الأدب العالمى فى الخمسين سنة الأخيرة. وبرغم هؤلاء الأربعين أديباً، فانك لا تكاد تذكر أديباً أو كاتباً فى كل عصور التاريخ إلا وجدت المؤلف حام حوله، وأعطاك لمحة عما يهمك جداً من فنه وطريقته

وأشهر مؤلفاته ، ومع ذلك فثمن كتابه زهيد جداً

لذلك انصرف الناس عن الموسوعات لغلائها ولاشتمالها على موضوعات لا تهم غالبيتهم إلى الخلاصات لرخص ثمنها ولتركزها في باب بعينه كما في خلاصة الفن وخلاصة الموسيقى

## بيكون بين النقص والكمال

يغلو بعض مؤرخي الأدب الانجليزي فيدعى أنه لا يوجد منذ أرسطاطاليس الى فرنسيس بيكون فيلسوف مثل بيكون ! ومع اعترافنا بما كان لهذا الرجل من الأثر الكبير في الذهن الانجليزي في عصر النهضة فاننا لا نفضله على كثيرين من أبطالها ولاسيما هارفي وكبلر وغاليليو . وقد اشتهر بيكون بتفضيله التجربة في العلوم على الاستدلالات النطقية العقيمة وأكثر المؤرخين على أنه ليس مبتدع تلك النظرية ، فقد سبقه اليها العرب ، ثم اقتبسها عنهم غير بيكون من علماء النهضة . وكان بيكون معروفاً دائماً بالشذوذ الغريب حتى إنه كان يؤلف أحسن كتبه باللاتينية وذلك لعدم إيمانه بالانجليزية في ذلك العصر ! !

على أن الذي يعنينا في هذه اللمحة عن بيكون هو خلقه الذي انحدر الى الحضيض الأسفل من اللؤم والضعة . قال بوب « بيكون فيلسوفنا المحترم ، هو أعظم بني الانسان وأعقلهم ، كما أنه أخسهم والأمهم ! ! » ولنذالة بيكون قصة مشجية تتلخص فيما يلي :

غداة ما عاد بيكون من باريس كان أبوه قد مات ، وكان أخوه الأكبر قد استولى على جميع التركة بحكم التقاليد الانكليزية البالية التي كانت سائدة وقتئذ في ذلك الشعب المحافظ العتيق . والتحق بيكون بوظيفة في أحد الفنادق ليعيش ، ثم أكب على دراسة القانون حتى نال اجازة الحقوق فانخرط في سلك القضاء فأبدى نبوغاً عظيما وعبقرية فذة . وكان اللورد بيرلي يعرف ما لهذا القانوني الشاب من خطر ، فشرع يقيم في سبيله العراقيل حتى لا يبذ ابنه روبرت سيسيل الذي كانت له مطامح وآمال في أكبر المناصب القضائية في انجلترا : فلما شغرت وظيفة ( الأفوكاتو العمومي ) رشح لها بيكون بعبقريته ورسوخ قدمه في القانون ، ثم روبرت سيسيل بحسبه ونسبه وضلع أبيه — اللورد بيرلي — في الحكومة ومنزلته السامية لدى الملكة اليزابث ، وكانت هذه المؤهلات كلها ( ! ) كفيلة بتعيينه في المنصب واطراح بيكون

وكان ( ايرل اسكس ) يعجب ببيكون ويميل الى تعيينه ، فلما ضاعت مجهوداته عبثا عز عليه أن يقتل اليأس نفس الشاب النابغة ، فحدب عليه وواساه مواساة طيبة ، ثم وهب له أرضا واسعة تغل له غلة كبيرة ، وقصرا من أفخم قصور لندن على نهر التاميز ! !

ودار الزمن دورته ، وساءت الأحوال بين الملكة وبين ايرل أسكس ، وقدم للمحاكمة بتهمة الخيانة العظمى ، فانتدبت الملكة أعز أصدقاء الأيرل ، فرنسيس بيكون ليكون عضوا في الهيئة التي تتولى الدفاع عنها ... فماذا جرى ؟ ! لقد كان بيكون أشد المستشارين حماسة للملكة ضد صديقه الذي حدب عليه ، وأبعد عنه شبح الفاقة ، برغم ما كان يبدو من براءة الأيرل ، وبرغم ما كان يبدو من ميل بقية المستشارين الى تبرئته . . . ولم يكتف بيكون بهذا الموقف الشاذ اللئيم ، بل قدم مذكرة مسهبة بادانة صديقه ، ثم طلب في نهايتها الحكم عليه بالأعدام !

وكافأته الملكة على حمايته ، فرفعته الى أعلى المناصب ، وأغدقت عليه أرفع الألقاب ، حتى غدا ( لورد بيكون ! )

ولما كتب بيكون كتابه في الأخلاق (Essays) عقد فيه فصلاً من أحط ما عرفت البشرية عن ( الحب والزواج والعزوبة ) وذكر فيه أن الحب هو علاقة جنسية خالصة ، وغريزة شهوية وضيعة ، وأن المرأة بذلك إن هي إلا متعة للرجل وأنها مطيته الى اللذة الحيوانية الطارئة . . . الخ . . . فلما تقدم الى ليدى هاتون يطلب يدها لم تستح هذه المرأة المثقفة أن تصفعه في وجهه بهذه الكلمة الخالدة « ليذهب الفيلسوف البهيم الى غابة قريبة فلينتق له بهيمة تكون مطيته الى لذة طارئة ثم ليلقنها فلسفته ! »

ودار الزمان دورته مرة ثانية ! وأخذت الألسن تلوك اشاعات مخزية عن رشا يأخذها النائب العمومي ( وكان هو بيكون في هذه الآونة ) واضطر مجلس العموم إلى أن يثور طالباً محاكمته أمامه . . . فلما مثل الرجل وشرع الأعضاء يقذفونه بالتهمة تلو التهمة ، لم يسعه إلا أن يعترف ، ولم يسعه الا أن يبكي . . . والتمس من المجلس أن يعامله برحمة . . . وحكم عليه بغرامة هائلة قدرت بأربعين الف جنيه ، ثم بالسجن المؤبد . . . ولكنه لم يحبس غير ليلة واحدة ، ثم عفت عنه الملكة ! !

هذه لمحة عن أخلاق الرجل الذى وضع كتاباً فى الأخلاق ذم فيه أخلاق نبينا ! ! !

وهذا هو الرجل الذى يخلط بعض مؤرخى الآداب فيدعى أنه كتب كثيراً من الدراسات التى تعزى الى شا كسبير ! !

### ترجمة القرآن

لا ندرى إذا كان على إمارة المسلمين فى زماننا هذا رجل مثل المأمون فماذا عساه كان صانعاً بمن يقولون بعدم جواز ترجمة معانى القرآن بعد ما أقرها أكثر العلماء ؟

ماذا كان يصنع المأمون بالأستاذ محمد سليمان بعد الذى صنعه بالامام الكريم ابن حنبل فى فتنة خلق القرآن ؟ !

لقد كنت أود لو أن الأستاذ محمد سليمان يجيد اللغة الانجليزية إذن لأرسلت اليه نسخة من ترجمة چورج سيل أو الاسكندر روس أو غيرهما ليقرأ بنفسه ما جاء فيها من الشطط فى ترجمة الآيات . وهو لو علم أن المسلمين ، غير العرب ، فى مشارق الأرض ومغاربها يتلون كتاب الله فى هذه التراجم ، ويكاد يصبأ بعضهم لما يلحظه من الضعف والسخف فيها ، لهتف حضرته مع الهاتفين بضرورة ترجمة معانى القرآن ...

### هافلوك أليس

ذكرنا فى العدد الماضى من « الرسالة » كلمة عن إباحيين من إباحيي الأدباء الانجليز هما لورانس وچيمس چويس ، وقد فاتنا أن نشير إلى العلاقة بين مذهبهما ومذهب المتحطين من مثل أوسكار ويلد وأضرابه . ونذكر فى هذا العدد العالم الكبير هافلوك أليس لا على أنه إباحى مثل لورانس أو مثل چويس ، وإن دعا هو الآخر إلى التنعم بلذائذ الحياة من ذهنية وحسية وعدم كبت الغرائز والتفريج عنها ... ولكن بالوسائل المشروعة

وهافلوك أليس عالم فى التناسليات ، ولكنه بكل أسف ليس أديباً ، ولكن الأدباء فى انجلترا يصلون بينه وبين جمهورهم لأنهم متأثرون به

ولأليس ضريب آخر هو برتراندرسل سنتكلم عنه فى العدد القادم

( د . خ )

# إلى صديقى أحمد أمين

[ بقية المنشور على صفحة ٩٢٢ ]

للسلطان ؟ أم ترى أنا شغلنا عن النقد الأدبى بالدفاع عن قوم لم يكونوا يدافعون عن أنفسهم لأنهم لم يحسنوا هذا الدفاع أو لم يقدروا عليه أو لم يريدوا أن يتورطوا فيه ؟ أليس أول ما يجب على المؤرخ الأدبى وعلى المؤرخ بوجه عام أن يكون منصفاً ؟ أترى من الانصاف أن تزعم أن الذين حفظوا للشعب المصرى مظهر مقاومته للظلم وأدوا اليه رسالة ساسته وقادته ، وأدوا الى ساسته وقادته ما كان يضطرب فى نفسه من الآمال والأمانى . وما كان يثور فى قلبه من العواطف ، كانوا منهزمين يدارون ويجارون ويؤثرون العافية ؟

مهلاً أيها الصديق فقد يفهم من الشعوب قصر الذاكرة ، ولكنه لا يفهم من خاصة الناس وقادة الرأى وحفظة التاريخ . والغريب أن رأيك هذا فى إخوانك الكتاب يظهر أنه قد أعجبك حتى ألهاك عن حقائق ما كان ينبغى أن تلهو عنها . فهؤلاء الكتاب المهزومون فى رأيك لم تشغلهم هذه السياسة العنيفة المنكرة عن الأدب ولا عن النقد ؛ وإنك لتعلم أنهم جميعاً كانوا يخاصمون فى السياسة وجه النهار ثم يفرغون لأدبهم آخره ؛ وكلهم قد أنتج فى الأدب أثناء المحنة ، وفى الأدب الخالص الذى لا يتصل بالسياسة ولا يمت اليها بسبب ؛ ومنهم من اتخذ السجن وسيلة إلى هذا الانتاج ؛ ومنهم من لم تصرفه ظلمة الحياة العامة وشدة الحياة الخاصة عن أن يجول فى عالم الفن جولات ثم يعود منه ومعه زهرات فى الشعر أو فى النثر يهديها اليكم لتلهوا بها وتستمتعوا بشذاها ، وتستعينوا بذلك على المضى فى أعمالكم الهادئة المطمئنة

مهلاً أيها الصديق فقد يخيل إلى أن هؤلاء الكتاب أنفسهم لم يهملوا النقد نفسه فى ذلك الوقت ولم يقصروا فى العناية به ؛ وإذا لم تكذبنى الذاكرة فانهم قد تقدوك أنت وتناولوا كتبك بما ينبغى لها من العناية والدرس ؛ وإذا لم تكذبنى الذاكرة فقد كانوا يفرضون على أنفسهم برغم السياسة وأثقالها وأهوالها ، وبرغم الحياة الشاقة التى كانوا يحيونها ، والتى عرفت منها شيئاً وغابت عنك منها أشياء ؛ كانوا يفرضون على أنفسهم أن يقرأوا ما يظهر من الكتب والدواوين وأن يقولوا رأيهم فيه ؛ كانوا يفرضون على أنفسهم صفحة أدبية فى الأسبوع يفرغون لها اليوم أو أكثر

من اليوم ، ويعرضون فيها للنقد كما تحبه وترضاه ، ولست أدرى كيف نسيت أن المقالات التى كانوا يذيعونها فى النقد أثناء هذه الأعوام الأخيرة قد كانت تثير من الخصومات شيئاً كثيراً ، منه ما يثور بينهم هم ، ومنه ما يثور بينهم وبين الأدباء الناشئين . ولعلك لم تنس بعد أن خصومة ثارت بينى وبين هيكل حول ثورة الأدب ، وأخرى بينى وبين العقاد حول اللاتينية والسكسونية ، وثالثة بينى وبين العقاد حول ديوان من دواوينه . فأنت ترى أن إخوانك لم يقصروا ولم يفتروا ، ولم يسالم بعضهم بعضاً . ولم يأمن بعضهم شر بعض . ولعلك لم تنس أنى قد اتخذت الراديو فى بعض الأحيان وسيلة من وسائل النقد ، فكنت أشتد حيناً على الكتاب الذين استمرت مربتهم وتم لهم النضج ، وأرق حيناً آخر للكتاب الذين لم تستقم لهم الأمور بعد ، وأنا أفهم أن تطالبنا بالمزيد وألا تكتفى منا بما نعطى ، فنحن نطالب أنفسنا بالمزيد ولا نكتفى من أنفسنا بما ننتج ، ولكن هذا شىء ووصفنا بالمداراة والمجاراة وإيثار العافية شىء آخر

وبعد فليس السبيل على الذين أدوا واجبهم الأدبى كما استطاعوا وما زالوا يؤدونه كما يستطيعون برغم ما يملأ حياتهم من الهموم وما يعترض طريقهم من الشوك ، وإنما السبيل على الذين يتاح لهم الهدوء ويستمتعون بالبال الرخى والحياة المستقيمة المطمئنة ثم لا ينقدون لأنهم لا يقرأون ، أو لا ينقدون لأنهم يقرأون ويشفقون إن أعلنوا آراءهم أن يتنكر لهم الناس وأن يسلقهم أصحاب الكتب بألسنة حداد

إلى هؤلاء أيها الصديق تستطيع أن تسوق الحديث ، وعلى هؤلاء أيها الصديق تستطيع أن تصب اللوم صباً

وأخرى لا أريد أن أختم هذا الفصل قبل أن ألم بها إلماماً . فأنت تذكر قوماً قد استووا على عروش الأدب وقد أمن بعضهم بعضاً وخافهم الناشئون ، فأنت إذن تعيد الخصومة بين من يسمون الشيوخ ومن يسمون الشباب جذعة . وأظنك توافقنى على أن التفكير فى هذه الخصومة لا يخلو من بعض الحزن . فقوام هذه الخصومة فيما أعلم أن الأدباء الناشئين ضعاف أيرون عجلون ، يخيل إليهم أن النقد يمحوهم من سجل الأدباء محواً ، مع أن النقد يثبتهم فيه إثباتاً . يريدون أن يبلغوا بالجهد اليسير ما بلغه أسلافهم بالمطاولة والمحاولة واحتمال الأذى وكثرة القراءة والدرس ، ويريدون أن يتم لهم ذلك ما بين طرفة عين وانتباهتها كما يقول القائل ؛ وفيهم كبرياء لا تخلو من سخف ، ومن سخف يذكر بأخلاق الأطفال ؛ فهم إن كتبوا رأوا لأنفسهم العصمة ، ولم ينتظروا من النقاد إلا ثناء وحمداً . فإن أدركهم بعض النقد قالوا : حسد وتكبر واضطهاد وأثرة وتثبيط للهمم . وفيهم غرور يخيل إلى كل واحد منهم أنه ممتاز من أترابه جميعاً . ومهما أنس فلن أنسى كاتباً أضاع مودة وصداقة وحباً وعطفاً لا لشىء إلا لأنى جمعت بينه وبين كاتب من معاصريه فى فصل واحد ، وكان ينبغى أن يمتاز فى رأيه ، وإلا لأنى دعوته إلى أن يستزيد من القراءة فعد هذا إسرافاً واعتداء

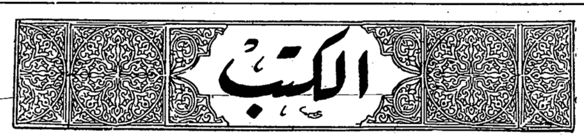
أمام هذا الجيل الرخو من الأدباء الناشئين يضيق الناقد المخلص بالنقد ويزهد فيه ويصد عنه صدوداً فى بعض الأحيان ، ولكنه لا يلبث أن يرى حق الأدب عليه فيستقبل من أمره ما استدبر ، ويثنى على قوم وهو يعلم أن ثناءه سيملؤهم غروراً وسيخرجهم عن أطوارهم ، ويعيب قوماً وهو يعلم أن عيبه إياهم سيدفعهم إلى اليأس إن كانوا أخياراً ، وسيدفعهم إلى القحة إن كانوا أشراراً .

ونحن برغم هذا بل من أجل هذا نمضى فى طريقنا لا نقف كما يظن بعض الناس ، ولا نرجع كما تظن أنت أيها الصديق ، لأننا فى أكبر الظن قد لا تتابعنا أحياناً ، وقد تطلب منا ما نطلب من أنفسنا وتحول ظروف الحياة بيننا وبينه

أما بعد ، فإنى أحب أن أؤكد لك أنى أنا خاصة ما زلت عند رأيك القديم فى ، صريحاً إلى أقصى حدود الصراحة ، جريئاً إلى أقصى حدود الجراءة ، مستعداً فى هذا العام إلى أن استأنف ما فعلت منذ عشر سنين ، وإلى أن استأنف ما فعلت منذ أربع سنين . وإنى لشديد الأسف أن كانت ثقة الأستاذ كراتشكوفسكى بى أقوى وأشد من ثقتك أنت ، فإنه لم يتردد فى مقدمة ترجمته للأيام أن يتنبأ بأن ما عرض لى من الخطوب ليس كل شىء ، وأنه ينتظر أن يعرض لى مثله ، ولكن الأمور مرهونة بأوقاتها فلا تتعجل ، فمن يدرى ؟

وأنا أرجو بعد هذا كله أن تتلقى هذا الفصل بصدر رحب ، فإنى أهديه إليك تحية صديق يضمر لك أصدق الحب وأوفاه

طه حسين



# بغداد أو المدينة المدورة

## في عهد الخلافة العباسية

للأستاذ ابراهيم الواعظ

---

كنت في صيف العام الماضي مصطافاً في سوريا ولبنان ولم يمنعني هذا الاصطياف من تتبع أعداد « الرسالة » وقراءتها ، وكنت قرأت في العدد (١١١) منها مقالة تحت عنوان ( أغراض الاستشراق ) بتوقيع أحد كتاب الرسالة الأستاذ « محمد روحي فيصل » كان قد كتبها إلى الأستاذ الكبير « محمد كرد علي » على أثر كلمة نشرها الثاني في العدد (١٠٨) من الرسالة بمناسبة نشر كتاب « المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط » لأبي عمر بن عثمان بن سعيد الداني ، وامتدح بها علماء المشرقيات لعنايتهم بكتب الاسلام ، وأنحى باللائمة على خاصة أهله لأنهم ساهون لاهون ، واستنهض بها همم علماء الأزهر وقادة الثقافة في الأقطار الاسلامية لأحياء السلف الصالح

وكنت قد هممت أن أكتب كلة ولكني وجدت في كلتي الأستاذ « محمد كرد علي » اللتين نشرتا في العددين ١١٤ و ١١٥ من الرسالة ما يكفيني مؤونة الكتابة والرد

هذا وقد سنحت لي الفرصة الآن بمناسبة كتاب طبع ببغداد في الآونة الأخيرة لأقول كلة في هذا الموضوع

إنني أتفق تمام الاتفاق مع الأستاذ « روحي فيصل » فيما كتبه عن علماء المشرقيات من ناحية ، وأختلف معه تمام الاختلاف من ناحية أخرى : أتفق معه على أن بين هؤلاء العلماء من كان قصده من الاستشراق هدم كيان الدين الاسلامي من جهة ، والتبشير بطريقتهم من الجهة الاخرى . ولا جدال أن مثل هذه الفئة من علماء المشرقيات مضرة تمام الضرر ، وجرثومة فتاكة يجدر بكل مسلم أن يسعى لمحقها بشتى الوسائل

على أننا إذا ما صرحنا برأينا في هذه الفئة لا يسعنا أن نغمط حقوق الفئة الاخرى من هؤلاء العلماء ، لان الغمط في مثل هذا المقام تجاوز على الحق والحقيقة معاً

إننا مهما حاولنا أن ننكر ما لهذه الفئة من فضل على الاسلام والعرب فالواقع يكذبنا ويدحض هذا الانكار . نظرة بسيطة نرسلها الى الآثار القيمة والأسفار العظيمة التي اعتنت بطبعها واخراجها تلك الفئة تدلنا على أنه لولا الجهود الجبارة التي قام بها هؤلاء العلماء لما أمكننا أن نعلم شيئاً عن الآثار المهمة ككتاب « الطبقات الكبرى » لابن سعد ، وهو الكتاب الفريد الذي يعد الآن من أكبر أمهات الكتب من جهة ، والمأخذ الوحيد للقضايا الهامة في التاريخ الاسلامي من جهة أخرى . وقل مثل ذلك عن بقية الآثار العظيمة التي نشروها

هذا كتاب الإنساب « للسمعاني » لولا هممهم لما طبع ولأصبح في زوايا الاهمال ؛ لقد طبع هذا الكتاب في لندن طبعة شمسية « فوتوغرافية » ولا يخفى ما تكلف هذه الطريقة للنشر من النفقات والجهود . وهناك كتاب « مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين » للامام الأشعري . فلولا همة الأستاذ « ريتر » المستشرق الألماني والبادرة بطبعه في الآستانة لكان نصيبه التلف في الخزانات . ولا ننس ما لمطبعة « ليدن » في « هولانده » من الفضل الأكبر في طبع أمهات الكتب التاريخية والأدبية واللغوية وغيرها ، كتاريخ الطبري ، واليعقوبي ، وتجارب الأمم لابن مسكويه ، وتاريخ الصابي ، والعيون والحدائق ، والمسالك والممالك لابن حوقل ، والاصطخري ، وكتاب التنبيه والاشراف للمسعودي ، والأعلاق النفيسة لابن رسته ، وكتاب مراصد الاطلاع لعبد المؤمن ، وغيرها من الكتب المهمة التي لم تحضرني أسماؤها . على أن مطابع لندن وباريس وليبزج وروما وغوتنفن وغريفزولد لا تقل خدمة عن بقية المطابع التي قامت بقسطها من الأعمال الجبارة في اخراج هذا التراث الثمين الخالد

ولا يفوتنا أن الكثير من هذه الكتب لم تكن مطبوعة في المطابع العربية إلا النزر القليل منها

إذن لولا هذه الجهود العظيمة الموجهة إلى خدمة العلم والأدب خاصة، لما أمكننا أن نتوصل إلى مشاهدة هذه الآثار إلا إذا تجشمنا معاعب السفر ومصاعبه، وفتشنا عنها في زوايا المكاتب في سائر الأقطار الأوربية والشرقية

لم تقف أعمال هؤلاء العلماء عند حد الإخراج بالطبع ونشر الآثار وإنما انصرف اهتمامهم إلى التحقيق والدرس، وأخيراً إلى التأليف، ذلك التأليف المنتج والمستند إلى الحقائق التاريخية. فمن هؤلاء الرجال العاملين المستشرق الانكليزي الأستاذ الكبير «لي سترنج» فإنه كتب كتاباً عن «بغداد» في عهد الخلافة العباسية ضمنه معلومات تاريخية منقطعة النظير لم يسبقه إليها سابق، ولم يلحقه في تحقيقها لاحق. والذي يجيل طرفه في قائمة المآخذ والمصادر التي استقى منها المؤلف وألف كتابه يعلم قيمة هذا التأليف ومزيته التاريخية. وهذه خلقة أخرى نسجلها لهذه الفئة الصالحة من علماء المشرقيات

وبعد، فإن الذي حداني لكتابة هذه الكلمة هو قيام أحد شبان العراق المخلصين الأستاذ بشير يوسف فرنسيس بترجمة هذا الكتاب ترجمة صالحة قيمة. وإني بدوري أكبره على اهتمامه، وأهنئه على هذا العمل الشاق، وأتوسل - كما توسل من قبلي الأستاذ الكبير «محمد كرد علي» - إلى ساداتنا العلماء أن يأخذوا باليمين آثار السلف الصالح يحمونها، ويخدمون بها الأمة الإسلامية خاصة، والعربية عامة

وأخيراً أتمنى للمترجم بشير يوسف توفيقاً وللترجمة رواجاً

(بغداد) إبراهيم الواعظ المحامي

# إصلاح خطأ المحدثين[1]

بقلم برهان الدين محمد الداغستاني

ذكرت في مقال عن أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي (عددي الرسالة ٩٨ و ٩٩) أن لأبي سليمان كتاباً باسم «إصلاح غلط المحدثين»، أورد فيه قرابة مائة وثلاثين حديثاً، رويها أكثر المحدثين ملحونة أو محرفة، أصلحها وبين الصواب فيها؛ وقلت في الحاشية إن منه نسخة قيمة في دار الكتب المصرية مكتوبة بخط محمد محمود التركزي الشنقيطي تحت رقم «١٥١٠» حديث، وقد قام صديقي السيد عزت العطار سكرتير لجنة الشبيبة السورية بالقاهرة بنشر هذا الكتاب فجاء صورة صحيحة لنسخة العلامة الشنقيطي المحفوظة في دار الكتب المصرية

ولأبي سليمان الخطابي مكانة عظيمة بين رجال الحديث الذين كتبوا في فقهه أو غريبه، وتتجلى منزلته في كلتا الناحيتين في كتابيه: «معالم السنن في شرح سنن أبي داود» المطبوع في حلب و«غريب الحديث» الذي لا يزال حبيس دور الكتب إلى الآن. والظاهر أنه بعد فراغه من كتابيه السالفين أراد أن يجمع في كتاب على حدة الكلمات التي يغلط فيها المحدثون والرواة، فجمع هذه الجمل في كتاب «إصلاح خطأ المحدثين»، ولكنه لم يضع لهذه المجموعة اسماً خاصاً، بل اكتفى بقوله في المقدمة: «هذه ألفاظ من الحديث يرويها أكثر الناس ملحونة، أصلحناها وأخبرنا بصوابها، وفيها حروف تحتمل وجوهاً اخترنا منها أبينها وأوضحها، والله الموفق للصواب لا شريك له»

ثم جاء بعد ذلك المؤرخون؛ فتبناه بعضهم «إصلاح غلط المحدثين»، وآخرون «إصلاح خطأ المحدثين»، واقتصر غير هؤلاء وأولئك على تسميته إصلاح الغلط أو إصلاح الخطأ

وجاء دور دار الكتب المصرية، فسمته في فهرسها بإصلاح الألفاظ الحديثية التي يرويها أكثر الناس ملحونة ومحرفة، وهذا الاسم مع طوله وخروجه على المألوف في الأسماء لم أجد من ذكره من المؤرخين. كذلك أحله منظمو الفهارس فيها غير محله، فوضعوه في فهرس الحديث وحقه أن يوضع في فهرس اللغة العربية

فلعل أولي الشأن في دار الكتب يولون هذه الملاحظات ما تستحق من الاعتبار، فيصححون اسم الكتاب ويردونه إلى حظيرته في فهرس اللغة والله سبحانه أسأل السداد والتوفيق؟



(١) هذا الكتاب مطبوع على ورق أبيض جيد في نحو ٣٥ صحيفة ويطلب من ناشره عزت العطار شباك بوسطة الأزهر

Lundi - 15 - 6 - 1936

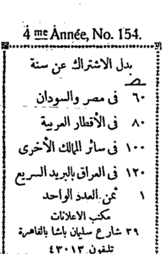
صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠




ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

4 me Année, No. 154.


بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

السنة الرابعة « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣٥٥ — ١٥ يونيه سنة ١٩٣٦ » العـــدد ١٥٤

فهرس العـــــدد



محنة فلسطين

# أيها المسلمون !

## للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

نهضت فلسطين تحلُّ العقدةَ التى عُقِدت لها بين السيف ، والمكر ، والذهب

عقدةٌ سياسية خبيثة ، فيها لذلك الشعب الحرّ قتلٌ ، وتخريبٌ ، وفقر

عقدةُ الحكم الذى يحكم بثلاثة أساليب : الوعدِ الكذب ، والفَناء البطئ ، ومطامع اليهود المتوحشة

أيها المسلمون ! ليست هذه محنة فلسطين ، ولكنها محنة الاسلام ؛ يريدون ألاّ يثبت شخصيته العزيزة الحرة

كل قرش يُدفع الآن لفلسطين ، يذهب إلى هناك ليجاهد هو أيضاً

* * *

أولئك اخواننا المجاهدون ؛ ومعنى ذلك أن أخلاقنا هى حُلَفاؤُهم فى هذا الجهاد

أولئك اخواننا المنكوبون ؛ ومعنى ذلك أنهم فى نكبتهم امتحانٌ لضمائرنا نحن المسلمين جميعاً

أولئك اخواننا المضطَهدون ؛ ومعنى ذلك أن السياسة التى أذلّتهم تسألنا نحن : هل عندنا اقرارٌ للذل ؟

ماذا تكون نكبةُ الأخ إلا أن تكون اسماً آخر لمروءة سائر إخوته أو مَذَلّتهم ؟

أيها المسلمون ! كل قرش يدفع لفلسطين يذهب إلى هناك ليفرض على السياسة احترام الشعور الاسلامي

* * *

إبتَلوْهم باليهود يحملون في دمائهم حقيقتين ثابتتين من ذل الماضي وتشريد الحاضر

ويحملون في قلوبهم نقمتين طاغيتين : إحداهما من ذهبهم والأخرى من رذائلهم

ويحملون في أدمغتهم فكرتين خبيثتين : أن يكون العربُ أقلية ، ثم أن يكونوا بعد ذلك خدمَ اليهود

في أنفسهم الحقد ، وفي خيالهم الجنون ، وفي عقولهم المكر ، وفي أيديهم الذهب الذي أصبح لئيماً لأنه في أيديهم

أيها المسلمون ! كل قرش يدفع لفلسطين يذهب إلى هناك ليتكلم كلمة ترد إلى هؤلاء العقل

* * *

ابتلوهم باليهود يعرفون بينهم مرور الدنانير بالربا الفاحش في أيدي الفقراء ؛

كل مائة يهودي على مذهب القوم يجب أن تكون في سنة واحدة مائة وسبعين . .

حساب خبيث يبدأ بشيء من العقل ، ولا ينتهي أبداً وفيه شيء من العقل :

والسياسة وراء اليهود ، واليهود وراء خيالهم الديني ، وخيالهم الديني هو طرد الحقيقة المسلمة

أيها المسلمون ! كل قرش يدفع لفلسطين يذهب إلى هناك ليثبّت الحقيقة التي يريدون طردها

* * *

يقول اليهود : إنهم شعبٌ مضطهَد في جميع بلاد العالم ، ويزعمون أن من حقهم أن يعيشوا أحراراً في فلسطين ، كأنها ليست من جميع بلاد العالم . . .

وقد صنعوا للانجليز أسطولا عظيما لا يسبح في البحار ولكن في الخزائن . . .

. . وأراد الانجليز أن يطمئنوا في فلسطين الى شعب لم يتعود قط أن يقول : أنا

ولكن لماذا كنستكم كلُّ أمة من أرضها بمكنسة أيها اليهود ؟

* * *

أجهلتم الاسلام ؟ الاسلامُ قوة كتلك التي تُوجِدُ الأنيابَ والمخالبَ في كل أسد

قوةٌ تُخرج سلاحها بنفسها لأن مخالوقها عزيزٌ لم يُوجد ليُؤكل ولم يُخلق ليَذِل

قوةٌ تجعل الصوتَ نفسه حين يُزمجر كأنه يعلن الأسديّةَ العزيزةَ الى الجهات الأربع

قوةٌ وراءها قلب مشتعل كالبركان تتحول فيه كلُّ قطرة دم ، الى شرارة دم

ولئن كانت الحوافر تهيّيء مخلوقاتها ليركبها الراكب ، إن المخالبَ والأنيابَ تهيّيء مخلوقاتها لمعنى آخر

لو سئلت ما الاسلام في معناه الاجتماعي ؟ لسألتُ : كم عدد المسلمين ؟

فان قيل ثلثمائة مليون ، قلت : فالاسلام هو الفكرة التي يجب أن يكون لها ثلثمائة مليون قوة

أيجوع اخوانكم أيها المسلمون وتشبعون ؟ إن هذا الشبع ذنب يعاقب الله عليه

والغِنَى اليومَ في الأغنياء المُمْسِكين عن اخوانهم ، هو وصف الأغنياء باللؤم لا بالغنى

كل ما يبذله المسلمون لفلسطين يدل دلالات كثيرة ، أقلها سياسة المقاومة

* * *

كان أسلافكم أيها المسلمون يفتحون الممالك ، فافتحوا أنتم أيديكم . . . .

كانوا يرمون بأنفسهم في سبيل الله غير مكترثين ، فارموا أنتم في سبيل الحق بالدنانير والدراهم

لماذا كانت القِبلةُ في الاسلام إلا لتقتاد الوجوه كلها أن تتحول الى الجهة الواحده ؟

لماذا ارتفعت المآذن إلا ليعتاد المسلمون رفع الصوت في الحق ؟

أيها المسلمون ! كونوا هناك . كونوا هناك مع إخوانكم بمعنى من المعاني

* * *

لو صام العالم الاسلامي كله يوماً واحداً وبذل نفقات هذا اليوم الواحد لفلسطين لأغناها

لو صام المسلمون كلهم يوما واحداً لاعانة فلسطين لقال النبي مفاخراً الأنبياء : هذه أمتي !

في النقد الأدبي أيضاً

# إلى أخي طه حسين

للأستاذ أحمد أمين

عرضت في مقالي السابق لضعف النقد الأدبي في مصر، وخاصة في السنوات الأخيرة، وذكرت أن رقى النقد لم يساير رقى الأدب، فقد كان الانتاج الأدبي قليلاً، وكان النقد يؤدي مهمته في هذا القليل ويعرّف جمهور القراء به، ويبين مزاياه وعيوبه، وتختلف أنظار النقاد فيه، ويعرضون له من وجوهه المختلفة؛ وفي كل ذلك فائدة للأدب وتبصرة للقراء؛ ثم كثر الانتاج وارتقى، وقلّ النقد وضعف، واكتفى جمهور النقاد بنقد الكتاب من فهرسه ومقدمته. واليوم أزيد هذا الرأي شرحا وبيانا، وحجة وبرهانا.

في كل عام يخرج هيكل وطه والعقاد والزيات والمازني وزكي مبارك وغيرهم كتباً عدة، ويخرج الشعراء قصائد كثيرة، ويخرج مؤلفو الروايات روايات تعد بالعشرات، ولكن قلّب الصحف والمجلات لترى نقدها نقداً صحيحاً فقلّ أن تعثر عليه. هذا أقرب كتاب إلينا وهو كتاب «محمد» لتوفيق الحكيم. هو من غير شك عمل جديد في بابه من حيث وضعه للسيرة النبوية في قصة؛ ولكن أين النقد الذي قوبل به الكتاب؟ وأين ما كان من البحث حول قيمة ما فيه من فن، وهل هذا العمل في فائدة التاريخ والأدب أم لا؟ وهل من الخير أن نشجعه أم لا؟ ثم هل هو صوّر محمداً (ص) صورة صحيحة أم لا؟ نعم إنه اعتمد في كل ما نقله على عبارات السيرة، ولكنه اختار أجزاء وحذف أجزاء، وألف بين هذه الأجزاء، وهذا التأليف بين أجزاء معينة وترك غيرها يجعل الصورة ذات ألوان خاصة يسأل عنها المؤلف كما يسأل عن كتاب كتبه بنفسه وعبر عنه بعبارته.

لم نجد شيئاً كثيرا من ذلك؛ ومرّ الكتاب بسلام. وأظن أنه لو ظهر من نحو عشر سنين لكان له شأن آخر، ولنال من النقد ما يستحقه. وليس يعنينا أن المؤلف يغضب من النقد أو لا يغضب، فالنقد ليس من حق المؤلف وحده، وإنما هو حق الناس جميعاً وحق الأدب والتاريخ.

وهل أتاك نبأ ما كان منذ شهرين، إذ نشر شاب في الاسكندرية رسالة في «الحديث»، تعرض فيها للرواية والرواة، ونقد بعض المحدّثين، وطعن في بعض الأسانيد، فاجتمع مجلس الوزراء وقرر مصادرة الرسالة؟ مع أن المعتزلة منذ ألف سنة قد أنكروا أكثر الأحاديث إلا ما أجمع الرواة على صحته، ولم يكفرهم من أجل هذا أحد، ولم يصادر كتبهم من أجل هذا أحد. ومنذ أكثر من ألف سنة حكى الشافعي في كتابه «الأم» حكاية قوم من المسلمين أنكروا حجية الأحاديث بتاتاً، ولم يشنع عليهم أحد، ولم يقل بكفرهم أحد، وجادلهم المجادلون في هدوء وثبات كما يجادل المؤمن المؤمن. ومنذ عشرين سنة على ما أذكر، كان ينشر المرحوم الدكتور صدقي في «مجلة المنار» مقالات ضافية متتابعة يدعو فيها إلى الرجوع إلى القرآن وحده، وينقد الرجوع الى الحديث، ورد عليه جماعة من العلماء، وطال الأخذ والرد والدفاع والهجوم، ولم يجتمع إذ ذاك مجلس الوزراء ويقرر مصادرة المنار كما اجتمع وقرر في هذه الأيام. ألا يدل هذا وأمثاله على أننا أصبحنا أضيق صدراً وأقل حرية؟ ومن الغريب أن أحداً لم يحرك لهذا ساكناً ولم يفه ببنت شفة! ولو وقع هذا الحادث من عشر سنين لقام له الكتاب الأحرار وقعدوا، ودافعوا ونقدوا

وهذه لجنة التأليف تصدر كل حين كتابا بل كتبا، وتهديها الى الأدباء والصحف والمجلات، ثم تنتظر من يقوّمها وينقدها ويبين مزاياها وعيوبها، ويشرح للجنة رأيه في مسلكها وفيما تخرجه من الكتب، ويرشدها إلى وجهة قد تكون خيرا من وجهتها، فلا تجد إلا القليل النادر والنتف القصيرة التي لا تجزئ

---

لو صام المسلمون جميعاً يوماً واحداً لفلسطين لقال اليهود اليوم ما قاله آباؤهم من قبل: إن فيها قوماً جبارين....

أيها المسلمون! هذا موطن يزيد فيه معنى المال المبذول فيكون شيئاً سماوياً

كل قرش يبذله المسلم لفلسطين يتكلم يوم الحساب يقول: يا رب أنا إيمان فلان!

٦٢ ٥ ٦

وسبب هذا أننا لا ننظر الى النقد النظر الذى يستحقه من الاجلال والاكبار ؛ فمنا من ينظر الى النقد على أنه اعلان عن الكتاب ؛ ومنا من ينظر اليه على أنه مجاملة لصديق أو تحية لصاحب أو استغلال لموقف ؛ وقليل جداً من ينظر اليه على أنه ميزان دقيق كميزان الذهب يوزن به النتاج الأدبى وزناً محكماً فلا يفوته شىء . وقد أجاد العرب كل الاجادة فى تسمية هذا المنحى الأدبى « نقداً » أخذاً من نقد الصيرفى الدراهم والدنانير ليعرف جيدها من زائفها .

وقد أدى هذا النظر الى أن الصحف والمجلات وكثيراً من الكتّاب عدّوا هذا العمل عملا ثانوياً يضاف الى أعمالهم الأساسية ، فهم معذورون إن أثقلوا بالاعمال وكان نقد الكتب آخذها فلم يولوها العناية اللائقة بها ، ولم يمنحوها ما يجب لها من وقت ودرس وتمحيص . وقد أدركت هذا الواجب الجرائد والمجلات الأجنبية التى تحترم نفسها فاختارت كتّاباً من خيرة الكتاب لا عمل لهم فيها إلا النقد ، ويقرأون الكتب والقصائد والقصص ونحوها ويدرسونها درساً عميقاً ، ثم يظهرون القراء على نتيجة جهدهم ومدى درسهم وقصارى بحثهم .

وشىء آخر كان له دخل كبير فى رقى النقد الأوربى وضعف النقد العربى ، وأعنى به « التخصص » ؛ وهذا ظاهر فى المجلات الأوربية وكتابها . فأما المجلات فتخصصت ، فمجلة للجغرافيا خاصة ، ومجلة للاجتماع ، ومجلة للأخلاق ، ومجلة للقصص ، ومجلة للسياسة ، ومجلة للثقافة العامة . فاذا ألف كتاب فى الجغرافيا أو الاجتماع أو الأخلاق فالمجلة الخاصة بذلك تنقده ؛ وإذا هى نقدته نقدته عن خبرة تامة بالموضوع وتخصص فيه . وبهذا يفخر المؤلف بأن مجلة كذا مدحت كتابه وأثنت عليه ، لأن المدح صدر من واسع الاطلاع عميق البحث يحترم نفسه وقراءه .

وأما الكتّاب فيشعرون هذا الشعور نفسه ، فلا يتعرض ناقد لكتاب ليس من موضوعه الخاص وإن كان مثقفاً فيه ثقافة عامة . فاذا عرض على أديب كتاب فى علم النفس احترم نفسه وقراءه فلم يكتب فيه ، وعد ذلك كأديب ينقد رياضياً ، أو شاعر ينقد فلكياً ، وأنه مهزلة لا يصح أن يقع فيها ، وأن الشأن فى المعارف كالشأن فى الطب ، فكما لا يصح أن يداوى طبيب عيون مرضاً باطنياً ولا طبيب الأذن مرض اللثة ، فكذلك لا ينقد أديب تاريخاً ولا قصصى جغرافيا ؛ إلا إذا تعرض للكتاب من ناحية الأسلوب . بل هم سائرون إلى أكثر من ذلك فيريدون أن يتخصص الأدباء فى فروع الأدب نفسه فلا ينقد قصصى كاتب رسائل ، ولا ناقد الرسائل والمقالات قصصاً

إن شئت فانتقل بدمعى الى الحال عندنا . هل يتعفف أكثر النقاد عن أن ينقدوا ما ليس من اختصاصهم ؟ فالكاتب الأدبى عندنا يرى أنه يستطيع أن ينقد فى يوم واحد كتاباً عن تاريخ نابليون ، وكتاباً عن جزيرة العرب ، وديوان شعر . وهو يرى أنه يستطيع أن ينقد كل شىء فلا يأتى بشىء . ومن أجل هذا قدر الناس أكثر النقد العربى بما يستحقه فقط . فدَحُ المجلة والصحيفة للكتاب لا يدل على شىء وراء هذه العبارة ، ولا يدل على أن للكتاب قيمة ذاتية . ولا يستطيع مؤلف عربى أن يتقدم الى هيئة محترمة ببحوثه ليقول إن مجلة كذا العربية قرظتها وقالت فيها كذا ، كما يفعل من يتقدم بمؤلف كتب بلغة أوروبية فيستدل على قيمة عمله بأن مجلة كذا نشرته ، ومجلة كذا قرظته .

ثم الناقد الحق قاضٍ عادل . والقاضى العادل لا يقضى حتى يدرس قضيته من جميع نواحيها فلا تفوته جزئية منها ؛ وهو عالم بالقانون وبالمواد التى تتصل بقضيته محيط بها ؛ وهو ماهر فى تطبيق المواد على قضيته محكم تطبيقها ، وكذلك الناقد . والقاضى الذى لا يرجع الى قانون إلا قانون العدالة المطلقة مخطئ ؛ والقاضى الذى يحكم ذوقه وحده مخطئ ؛ والقاضى الذى يدخل الشخصيات فى قضيته مخطئ ؛ وكذلك الناقد . وكل ما هناك من فرق أن القاضى يحكم وفق قانون موضوع ، والناقد الأدبى يحكم وفق قانون لم توضع كل أحكامه ولم تعرف كل مصادره ؛ وذلك راجع الى الفرق بين طبيعة القوانين العلمية والوضعية وقوانين الذوق ؛ ولكن على كل حال لا يصح للأديب أن يصدر حكمه بناء على أنه يستحسن أو يستهجن فقط ، وإلا كان فى استطاعة كل من أمسك القلم أن ينقد . إن كل فرع من فروع الأدب من قصة وشعر ونثر فنى له قوانين تبين رقيه وانحطاطه ؛ وكل عنصر من عناصر الأدب من خيال وعاطفة ونحوهما له مقاييس تقاس بها درجة قوته وضعفه ؛ وكل ما فى الأمر أن بعض هذه القوانين عرفت واستكشفت ، وبعضها غامض فى دور الاستكشاف . ويجب على الناقد أن يرجع إلى هذه الأسس فى صدور أحكامه كما يرجع

القاضي إلى قانونه؛ وهذا يسلمنا إلى القول بأن الناقد الحق يجب أن يكون مثقفاً ثقافة واسعة عميقة، وأن يبني حكمه على علل معقولة كما يبني القاضي حكمه على «حيثيات» واضحة، ولسنا ننكر أن الأديب يعتمد في حكمه على ذوقه وشعوره بالجمال والقبح، ولكن لا يعد هذا الذوق راقياً إلا إذا أسس على علم واسع ومعرفة بقوانين الأدب

وهذا ضرب لا نزال ينقصنا منه الشيء الكثير؛ فأكثر أحكامنا على النتاج الأدبي أحكام مجردة لا تعلل بعلل مقنعة، ولا يرجع فيها إلى قوانين ثابتة، وبذلك تفقد قيمتها ويقل احترامها

***

لقد قال قائلون إنك تعيب النقد العربي ولا تنقد، وتعيب قلة الجرأة ولا تجرؤ، وتدعي قلة النقد ولا تبني في بنائه الذي تنشده حجراً

قد يكون هذا صحيحاً؛ ولكن هل من العيب أن يشرح المريض مرضاً عاماً أصيب به هو وغيره؟ وهل من الشر أن يرفع صوته بالشكوى من كان هو وغيره سبب الشكوى؟ وهل يحجر على الانسان أن يقول إن هذا ليس بجميل إلا إذا كان جميلاً، وليس بعادل إلا إذا كان عدلاً، وليس أبيض ولا أسود إلا إذا كان هو أبيض أو أسود؟ إن مطالبة الانسان ألا ينقد إلا إذا كمل، وألا يعيب إلا إذا خلا من العيب يخنق في نفوس الناس آراءهم وقد تكون صالحة، ويسلبهم الحرية وقد يكون في حريتهم العلاج. على أن المريض قد يكون أصدق في وصف المرض من الصحيح، والجاني قد يصور الجناية بأحسن مما يصورها البريء

أما بعد، فقد شرحت وجهة نظري في بعض وجوه العيب في النقد العربي من ناحيتها العامة. فان أراد أخي طه أن يحورها من عمومها إلى شخصياتها، وينقل المسألة من النقد الأدبي إلى النقد السياسي، ويجعل الأمر يدور حول أنا وأنت ونقدتُ ولم تنقد، وكتبتُ ولم تكتب، وبئستُ ونعمتَ، وشقيتُ وسعدتَ، لم أجاره في ذلك، ووقفت حيث أنا إلا أن يعود إلى أساس النظرية، ويقرع حجة بحجة، وبرهاناً ببرهان؛ فأنا إذن أساجله القول في ذلك حتى ينجلي الحق ويظهر الصواب.

والسلام عليك من أخ يضمر لك من الحب والوفاء ما تضمر له.

**أحمد أمين**

# شخصيـــــة غامضة
## في التاريخ الأندلسي

للأستاذ محمد عبد الله عنان

---

شخصية غامضة وحادث غمض في التاريخ الأندلسي، في عصر الفتح، تقدم عنهما الرواية النصرانية كثيراً من التفاصيل الغامضة المتناقضة، وتمر عليهما الرواية الاسلامية بالصمت، وما زال البحث الحديث متردداً في شأنهما

أما هذه الشخصية الغامضة فهي شخصية ذلك الزعيم المسلم أو النصراني طبقاً لبعض الروايات، الذي تسميه الرواية الفرنجية «منوزا» أو «مونز»، والذي كان يتولى حكم بعض الأقاليم الشمالية في عهد عبد الرحمن الغافقي أمير الأندلس؛ وأما الحادث أو الحوادث الغامضة التي ترتبط باسم هذا الزعيم، فهي محالفته للدوق أودو أمير أكوتين الفرنجي، وزواجه من ابنته الأميرة لامبجيا التي اشتهرت برائع حسنها، ومشاريعه الغامضة التي نظمها مع الدوق، والتي انتهت بخروجه على حكومة الأندلس، ثم هزيمته ومقتله، وأسر زوجه الحسناء لامبجيا

وسنحاول في هذا البحث أن نعرف من هو «منوزا» صاحب هذه الشخصية الغامضة. ولقد كنت أعتقد، كما يعتقد كثير من الباحثين في التاريخ الأندلسي أن «منوزا» أو مونز انما هو تحريف لاسم «ابن أبي نسعة» العربي، وهو عثمان ابن أبي نسعة الخثعمي الذي تولى إمارة الأندلس في سنة ١١٠ هـ (٧٢٨ م)؛ وقد سرت على هذا الرأي فعلاً فيما كتبته عن تاريخ هذه الفترة في الفصل الذي خصصته لموقعة بلاط الشهداء في كتابي «مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام [1]»؛ ولكني اليوم أصبحت أشك في صحة هذا الرأي، وفي أن منوزا وابن أبي نسعة هما مسميان لشخص واحد

وتتفق الروايات النصرانية — ومنها الروايات المعاصرة — على هيكل الحوادث التي ترتبط باسم منوزا من تاريخ أسبانيا

(١) مواقف حاسمة ص ٤٧

السلمة ؛ ومعظمها على أن منوزا كان زعيا مسلماً ، يحكم بعض ولايات البرنيه الغربية وسبتمانيا فيما وراء البرنيه باسم حكومة الأندلس ؛ وكان ذلك حوالى سنة ٧٢٥ — ٧٣٠ م ؛ وكان الدوق أودو أمير ا كوتين الفرنجى فى ذلك الوقت يتلمس كل وسيلة لحماية مملكته من غزوات العرب ؛ وكان العرب قد غزوا أراضيه مراراً قبل ذلك وأثخنوا فيها ؛ وكان جل همه أن يتقرب من حكومة الأندلس أو يجمع الحلفاء من حوله لمقاومتها ، فلما تولى « منوزا » حكم الولايات الشمالية ، وهى التى تجاور إمارة ا كوتين من الشرق والجنوب ، سعى الدوق إلى التفاهم معه ؛ وكان منوزا ، كما تصفه الرواية زعيما قوى المراس ، كثير الأطماع نافذ الهيبة فى هاتيك الوهاد ؛ ولم يكن على اتفاق مع حكومة الأندلس ؛ ذلك لأنه كان من أقطاب البربر الذين عبروا الى الأندلس مع طارق بن زياد[1] ؛ ونحن نعرف أن البربر كانوا على خلاف دائم مع العرب ، يحقدون عليهم لأنهم استأثروا دونهم بغنائم الفتح والرياسة . فاذا صح أن « منوزا » كان زعيا بربرياً كما تصفه الروايات الفرنجية المعاصرة ، فيكون من المشكوك فيه إذاً أن يكون « منوزا » هو عثمان بن أبى نسعة الخثعمى ، الذى تولى إمارة الأندلس كما قدمنا ، ذلك أن عثمان كان زعيما عربياً ، ينتسب إلى خثعم إحدى البطون العربية العريقة[2] هذا إلى أن الرواية العربية تقدم الينا عن مصيره رواية أخرى غير تلك التى تقدمها الينا الرواية النصرانية عن مصير منوزا ، فهى تقول لنا إن أبى نسعة ولى الأندلس فى شعبان سنة ١١٠ (سنة ٧٢٨ م) واستمرت ولايته خمسة أشهر أو ستة ، ثم عزل وانصرف إلى القيروان فمات بها[3] . أما منوز فقد مات محارباً ومات قتيلاً كما سنرى

وعلى أى حال فقد تفاهم أميرا كوتين ومنوزا ؛ وقوت المصاهرة بينهما أواصر الصداقة والتحالف ؛ ذلك أنه كانت للدوق ابنة رائعة الحسن تدعى لامبجيا ( أو منينا أو نوميرانا على قول بعض الروايات ) فرآها منوزا أثناء رحلاته ( أو غاراته ) فى ا كوتين وهام بها حباً . تقول الرواية : « وكانت لامبجيا أجمل امرأة فى عصرها ، كما كان منوزا أقبح رجل فى عصره ، وكانت نصرانية متعصبة ، ولكن أطماع الوالد غلبت على كل شىء فارتضى مصاهرة الزعيم المسلم » . ويصف جيبون مؤرخ الدولة الرومانية هذا التحالف ، وتلك المصاهرة فى قوله : « ارتضى منوزا الزعيم البربرى محالفة دوق ا كوتين ، وأسلم أودو لباعث المصلحة الخاصة أو العامة ، ابنته الحسناء ، لقبلات الملحد الأفريقى وعناقه »

وتحيط الرواية النصرانية شخصية لامبجيا بكثير من الغموض أيضاً ، وتختلف فى ظروف زواجها من الزعيم المسلم ، فتقول مثلا : إن منوزا أسر لامبجيا فى إحدى غاراته على أراضى أكوتين ، ثم هام بها حباً وتزوجها ، وعمل بنفوذها وتأثيرها على محالفة أبيها الدوق ، ومناوأة حكومة الأندلس ؛ وأنه تزوجها طوعا كما تقدم ، وتقول أيضا إن ابنة دوق أكوتين التى تزوجها « منوزا » لم تكن لامبجيا ، وإنما كانت أختها « منينا » التى كانت من قبل زوجة لفرويلا القوطى أمير أوستورياس ، وتقول غير ذلك من الأنباء والتفاصيل التى يقع معظمها فى حيز الأساطير[1]

وتعى أمر هذا التحالف إلى حكومة الأندلس ، فلم تقره ، وارتابت فى أمره ؛ وأبدى منوزا من ضروب التمرد والاستثارة ما حملها على اعتزام تأديبه وتحطيمه ؛ وكان أمير الأندلس يومئذ عبد الرحمن الغافقى أعظم ولاة الأندلس ، فبعث لتأديب الخارج حملة قوية بقيادة ابن زيان ، فامتنع منوزا بمواقعه الجبلية ، وتحصن فى عاصمة اقليمه « مدينة الباب » الواقعة على منحدر البرنيه ، وكان يظن أنه يستطيع أن يتحدى الجيش الاسلامى ، وأن يعتصم بالصخر كما اعتصم به الزعيم القوطى بلاجيوس ؛ ولكنه كان مخطئاً فى تقديره ؛ فقد نفذ ابن زيان بجيشه الى مدينة الباب ، وحصر الثائر فى عاصمته ، ففر منها الى شعب الجبال الداخلية ؛ فطارده ابن زيان من صخرة الى صخرة ، حتى أخذ وقتل مدافعاً عن نفسه ؛ وتحطمت أطماعه ومشروعاته (١١٣ هـ — ٧٣١ م) وأسرت زوجه الحسناء لامبجيا ، وأرسل بها أمير الأندلس إلى بلاط دمشق ، فاستقبلها الخليفة ( هشام ) بحفاوة وإكرام ،

(١) هكذا تقول الروايات النصرانية المعاصرة والقديمة — راجع دوزى (الطبعة الجديدة ) ج ١ ص ١٦٠ و ج ٢ ص ١٠٢٩ — والهوامش — وينقل دوزى عن ايزيدور الباجى ، وهو راوية معاصر ؛ وعن سبستيان

(٢) راجع المقرى — نفح الطيب — ج ١ ص ١٣٩

(٣) راجع البيان المغرب لابن عذارى ج ٢ ص ٢٧

(١) راجع خلاصة الروايات الفرنجية فى موسوعة Bayle V. IV والتعليقات

وتزوجت هنالك من أمير مسلم لا تذكر لنا الرواية اسمه

والرواية العربية تمر على هـذه الحوادث كلها بالصمت ، ولا تذكر لنا أى تفصيل أو لمحة تلقى الضياء على شخصية منوزا ؛ بيد أن ابن عذارى المراكشي ينقل الينا نصاً يستوقف النظر فى حديثه عن ولاية أمير الأندلس الهيثم بن عبيـد الكلابى إذ يقول : « وهو الذى غزا منوسة » [1] ، فهل تـكون « منوسة » هى الافرنجيـة المحرفة « منوزا » Munuza ، أو بعبارة أخرى هل تنصرف هذه الكلمة إلى الشخص أو تنصرف إلى المكان ؟ يرى دوزى أنها تنصرف إلى الشخص ، وأن ابن عذارى يقصـد هنا « منوزا » صاحب المأساة التي أتينا عليها [2]

أما نحن فنرى بالعكس أن الكلمة هنا تنصرف إلى المكان ، وأنه لا علاقة بين كلة « منوسـة » ، وبين الزعيم « منوزا » ، ذلك أن الرواية العربية لم تعتد أن تعبر عن غزو الأشخاص بهذه الصورة ، وإنما تتحدث دائماً عن غزو المكان ، هـذا إلى أن الحديث هنا يتعلق بغزوات معروفة فى الرواية الاسلامية قام بها أمير الأندلس الهيثم بن عبيد الكلابى الذى تولى إمارة الأندلس فى أوائل سنة ١١١ هـ (٧٢٩ م) ؛ فقد عبر الهيثم جبال البرنيه غازياً ، واخترق ولاية سبتمانيا ، ثم وادى الرون ، وغزا ليون (لودون) ، وماسون ، وشالون الواقعة على نهر الساؤون ، واستولى على أوتون وبون ، وعاث فى أراضي برجونيه الجنوبية ؛ والمرجح لدينا أن مدينة « ماسون » التى غزاها الهيثم ، إنمـا هى « منوسة » التى يذكرها ابن عذارى ، حرفت بالعربية بطريق التقديم والتأخير فى الأحرف

هذا ، وهنالك رواية نصرانية أوردها ماريانا المؤرخ الاسبانى الـكبير ؛ فقد ذكر أن « منوزا » كان نصرانياً ، اختاره المسلمون لحكم المنطقة الواقعة فى غرب البرنيه ، ولـكنه كان صارماً شديد الوطأة يسوم النصارى سوء الخلق ؛ وأنه كانت للدون بلاجيوس زعيم جليقيـة القوطى أخت بارعة الحسن ، شغف بها منوزا حباً ؛ ولـكن بلاجيوس لم يوافق على زواجها منه ، فاحتال منوزا ، وبعثه فى مهمة إلى قرطبة ؛ وأسر الأميرة أثناء غيبته وتزوج منها قسراً . فأسر بلاجيوس وأخته هـذه الاهانة ، ولبثا يرقبان الفرص ، حتى استطاعت الأميرة فراراً من أسرها ، وسارت مع أخيها إلى جبال جليقية حيث اعتصم بلاجيوس مع أنصاره ، وأعلن الخروج والثورة . فأخطر منوزا حكومة قرطبة ؛ فأرسلت حملة لتأديب الثائر بقيادة « علقمة » ؛ ولـكن بلاجيوس استطاع مع أنصاره القـلائل أن يعتصم بشعب الجبال ، فارتد المسلمون منهزمين ، وقتـل علقمة ؛ وارتاع منوزا لفوز خصمه ، وخشى انتقام مواطنيه ، فحاول الفرار إلى الجنوب ، ولـكن وقع فى يد شرذمة من الفلاحين النصارى فقتلته ؛ ويضع ماريانا تاريخ هذه الحوادث فى سنة ٧١٨ م [1]

ولـكن رواية ماريانا هذه ظاهرة الضعف ؛ أولاً لأنه ليس بمعقول أن تعهد حكومة الأندلس المسلمة بحكم ولاية من ولاياتها إلى زعيم نصرانى ؛ وثانياً لأن هـذه الرواية تخالف فى مجموع تفاصيلها كل ما كتبته الرواية المعاصرة عن شخصية منوزا ، وعن مصاهرته لدوق أكوتين ؛ وثالثاً لأن تاريخ هذه الحوادث متأخر عن التاريخ الذى يعينه ماريانا بنحو عشرة أعوام

وعندئذ يبقى أمامنا فرض واحد يمكن التعويل عليه فى تعيين شخصية منوزا ، فهو زعيم مسلم بلاريب ؛ ولـكنه شخص آخر غير « ابن أبى نسعة » أمير الأندلس كما أوضحنا . ومن المعـقول جداً ، أن يكون ، كما تصفه الرواية النصرانية المعاصرة ، من زعماء البربر الذين دخـلوا الأندلس وقت الفتح ؛ وقد حرفت الرواية الفرنجية اسمه الى هذا الوضع ؛ وهنالك فى ظروف الأندلس عقب الفتح ، وفى عوامل الخصومة التى نشبت بين العرب والبربر ، وفى تنازعهما المستمر على مناصب الرياسة والحكم ، ما يؤيد انتماء منوزا إلى البربر ؛ وعلى ضوء هـذا الفرض وحده نستطيع أن نفهم موقف منوزا وتصرفاته فى محالفة دوق أكوتين ومصاهرته وفى محاولته الخروج على حكومة الأندلس ، تحقيقاً لأطماع جاشت بها نفسـه ، ونزولاً على عوامل الخصومة التى يضطرم بها البربر نحو العرب

محمد عبد الله عنان

(١) البيان المغرب — ج ٢ ص ٢٧

(٢) دوزى — ج ٢ ص ١٢٩ (الهامش)

(١) ماريانا — الترجمة الفرنسية — ج ٣ ص ٥ وما بعدها

# الصفات المحسودة

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

قال شوبنهور : إن حسد المرء للشيء يكون على قدر يأسه من نيل مثله ؛ وهذا اليأس سبب أساسي من أسباب الحسد ، فقد يُحسَدُ صاحب الضياع والعمارات والسيارات ، ولكن حاسده قلما يقصده بحسد كحسده لصاحب العقل الرجيح الأصيل الذي يستمد من العبقرية الموروثة صفاتها . فالأول قد يُحسَد في فترات غير متصلة ، لأن الحاسد يرجو أن ينال الخير على يديه مما لديه ، أو يرجو الخير من جاهه ووساطته لدى من تنفع شفاعته عنده . فالخير يرجى في التحبب إلى الغني والخضوع له والمهابة عند طلعته ؛ وهذه أمور قد تكون ظواهر تستر حسداً ، ولكن المرء إذا روض نفسه عليها واعتادها عاد بعضها حقيقة في نفسه يخالطها أو لا يخالطها النفاق . ومما يعين في تحويلها إلى حقيقة أن المرء مأخوذ بوسائل الحياة ، مفهوم بها من مال وعقار وجاه ، فهو يعدها أسباب الحياة الأولية أكثر مما يعد العبقرية من أسباب الحياة ؛ ولا يجل الناس عقلاً بلا مال قدر ما يجلون مالاً بلا عقل . فالموهوبات المادية لا يحسدها المرء قدر حسد الموهوبات العقلية ؛ لأنه يرجو الخير عند الأولى بالتحبب إلى صاحبها ، ولأنه يهابها ، والهيبة والاجلال تتغلب على الحسد للمرء المهيب . أما الثانية فإذا كانت استعداداً موروثاً من صفات العبقرية لا يجلبه التعليم ولا تخلقه التربية ، لم يكن للمحروم أمل في نيلها ؛ وهذا اليأس منها منشأ الغيظ والمقت والحقد والحسد . ولعل النفس تزكي نفسها بأن المرء المحسود لم ينل الاستعداد الموروث بجد واجتهاد وعمل فهو لا فضل له فيه ، وهذه مغالطة ، فإن الاجتهاد والجد والعمل صفات منشؤها استعداد موروث آخر

ولا يحسد المرء المال الموروث قدر حسده العقل الموروث ، لأن المال الموروث يوجد مثله في السوق ، وقد ينال الصعلوك مثله وأكثر منه فيغتني بعد فقر . فالأمل في كسبه موجود دائماً حتى وإن بعدت وسائل نيله ؛ وإذا وجد الأمل لطف من عدواء الحسد . أما الاستعداد العقلي الموروث فلا يناله أحد بالاجتهاد والعمل كما ينال العلم المكتسب الذي هو شيء آخر ، فليس عند المحروم أمل في نيل صفات العبقرية الموروثة مهما كان أمله عظيما في نيل العلم المكتسب ، فتراه يحسد على الاستعداد العقلي الموروث أكثر من حسده على الضياع والعقار ، وأكثر من حسده على العلم المكتسب ؛ وهو لا يحسد على الضياع والعقار والمال إلا إذا يئس من بلوغ الخير عند صاحبها ، أو إذا يئس من بلوغ مثلها بالجد والاجتهاد ، أو بالنصب والاحتيال ؛ وهو لا يحسد على العلم المكتسب إلا إذا حُرم صفات الجلد والمثابرة والقدرة التي ينال بها العلم المكتسب . فاليأس هو أساس الغيظ والحقد والحسد في كل حالة من الحالات الثلاث

ومما يحير الألباب أن ترى انساناً فقيراً لا حول له يُحسَد على صفات العبقرية التي هي فيه أو التي يحسبها الحاسد من صفاته أكثر من حسد الحاسد للغني صاحب المال والجاه ، فيحار الباحث المفكر في تعليل هذا التفاوت في الحسد ؛ وكان المعقول في رأيه أن يكون مقدار الحسد على عكس ما يرى لأن الناس تتقاتل على الذهب والفضة ، ولكن إذا عرف الباحث ما ذكر من نشأة الحسد وسببه زالت حيرته وزال عجبه

ولعل لهذا الانقلاب في مقادير الحسد الذي يقصد به صاحب المال وصاحب العقل الموروث سبباً آخر ، وهو أن وسائل القهر والدفاع والانتقام متوفرة عند صاحب المال وهي أمور يخشاها الحاسد ، والخوف منها يلطف من غلواء حسده لصاحب المال والجاه خشيـة أن يصيبه من قدرة الغني أو صاحب الجاه ومن انتقامه وبطشه ما يؤذيه فيردعه الجبن عن الحسد . فترى أن الرهبة من وسائل البطش عند صاحب المال والجاه تعمل أيضاً عمل الرغبة في الاستفادة من التحبب اليه ، وكلتاهما تضعف الحسد في نفس الحسود .

ومظاهر العقل المكتسب لا ينالها من حسد الحاسد قدر ماينال مظاهر العقل الموروث ، فالعلم الذي ينال بالاجتهاد هو من مظاهر العقل المكتسب الذي يستطيع كل مثابر أن يناله ، أما العبقرية في شتى مظاهرها فلا ينالها المحروم بالجد والاجتهاد ، ويأسه

منها واقع لا محالة ؛ وهذا اليأس هو منشأ غيظ المحروم منها ومنشأ حسده ، ولا يردعه عن كيد الحسد خوف البطش ، لأن العبقرى قلما تتوافر لديه أسباب البطش توافرها عند صاحب الجاه والمال . فالجبن الذى يحذر الحاسد من بطش المحسود إذا كان ذا مال وجاه يتطلب فى نفس الحسود ما يزكيه وما يداوى ألمه وما يخالط النفس عنه كى لا تعتريها الذلة والاحتقار من أجله بأن يتحول الجبن استطالة وكيداً لصاحب العبقرية الذى فقد وسائل البطش أو لمن خيلت فيه صفات العبقرية

ومن أجل ذلك ترى أن المرء قد يؤلف كتاباً فى الجبر أو الحساب أو الهندسة أو غيرها من العلوم فيروج ويقرأ فى شتى المدارس وينشر مؤلفه منه طبعة بعد طبعة حتى يثرى بسببه ويقتنى العقار والضياع ويحصل من أجله على مال كثير فلا يصيبه من حسد الحساد قدر ما يصيب فقيراً من ذوى الفنون أو الفكر الأصيل إذا لحت فيه مظاهر العبقرية أو خيلت فيه لأن العبقرية استعداد موروث لا أمل للمحروم فى نيله ، واليأس منشأ الغيظ والحسد . أما صاحب العلم المكتسب الذى يؤلف كتاباً يقتنى من أجله فقدرته قدرة مكتسبة يستطيع كل انسان أن ينال مثلها إذا انصرف إلى وسائل نيلها وخصص نفسه لها ، فلا يأس يدعو إلى الغيظ والحسد الشديد ؛ وإن كان يصيب صاحب العلم المكتسب حسد عليه كحسد الكسول الذى يستطيع بلوغ العلم المكتسب ولا يتخذ العدة لبلوغه ، وهذا حسد كسول مثل صاحبه الحسود . وإذا كان ذا نقص عقلى يمنع من بلوغ العلم المكتسب فالحسد فى هذه الحالة على العقل الموروث الذى نقص حظه منه .

وعلى هذا القياس ترى فى الفنون أستاذ الصنعة الذى حرم العبقرية واكتسب الصنعة بالجد والاجتهاد ، لا يحسد قدر ما يحسد الفنان الذى يرى الناس فيه مظاهر العبقرية ؛ فترى الأول ذا جاه وأصدقاء ومال ولا يحسد على كل هذه النعم قدر ما يحسد الثانى . ومما يزيد الحنق والحقد على ذوى العبقرية فى شتى مظاهرها العلمية والفنية أنهم أناس ذوو نظرات جديدة خاصة ، والناس من أجل كسلهم الفكرى ومن أجل خوفهم من الجديد المجهول غير المألوف يرون صلاح الحياة وضمانها فى الاستمساك بالمألوف ، حتى ترغمهم العدوى شيئاً فشيئاً على الأخذ بما لم يكن مألوفاً لديهم . ومما يزيد فى خوفهم شطط أهل الشطط ؛ وهذه الأسباب إذا علات جانباً من جوانب الحنق والحقد فانها لم تعلل كل جانب ، ولم تعلل الحسد الذى ينشأ من الرغبة فى شىء حال اليأس دونه .

وكثيراً ما يختفى الحسد وراء ستار فيحسب شيئاً آخر غير الحسد . وكثيراً ما يحسب فضيلة من الفضائل لأنه يستتر بستار الفضائل ويتخذ لباسها لباساً كى يخفى قبح نفسه ، وكى يكون أبلغ فى الكيد لأنه يبيح كل ضعة . والحسد ليس من صفات المحرومين وحدهم ، فان من الموهوبين من هو شديد الحسد . ومنشأ الحسد فى الموهوبين الرغبة فى التفرد بكل إجادة . والعبقرى الموهوب قد يحسد إذا يئس من حيازة شىء جليل أصيل وإن كان عنده مثله . فالرغبة فى حيازة كل فضل ، واليأس من تحقيق تلك الرغبة ، ينشئان الحسد فى صدره كما ينشأ فى صدر المحروم

وقلما يحسد أشباه العامة ذا العبقرية قدر حسد العلماء أو المتعلمين أو الحفاظ المجتهدين له ، فمن أخذ بنصيب من العلم قل أو كثر أحس فقدانه العقل الموروث إذا كان قد حرم صفاته فييأس منها مهما غالط نفسه وادعاها لها . فالمغالطة والحنق الناشئ من اليأس قد يتفق وجودهما فى وقت واحد . والعامة إذا أبغضوا ذوى العبقرية كان بغضهم بسبب جلب العبقريين لغير المألوف من المعانى فى بعض الأحايين وبسبب قلة فهم العامة ، وما ينشأ عنها من الغيظ والخوف والمقت ، فيستثمر الحسود المتعلم هذه الصفات فيهم كوسائل لأشباع حسده ؛ وقد يستثمرها كى يصرف نفوسهم عن أن يحسدوه على جاه أو مال أو كى تزكى نفسه بمعاوتهم فيما يحس من ضعف وجبن نشآ من اليأس والعجز عن الأمر المحسود الذى لا يستطاع نيله لأنه استعداد موروث

عبد الرحمن شكرى

# هل الأمريكيون مصريو الأصل ؟

## بقلم ابراهيم ابراهيم يوسف

مصر تكتشف أمريكا — رسالة أهل مصر — أقدم حل لمشكلة العاطلين — أقدم بعثة فى التاريخ — أول جامعة متنقلة — رحلة يتمها أحفاد الأحفاد

تقدم لنا العلوم بين آن وآن حقائق كنا نجهلها كل الجهل عن أثر قدماء المصريين فى بناء المدنيات . ولشد ما كنا نعجب حينا تنبثق من قبور أجدادنا الأقدمين أشعة من النور تبهر العقول قبل الأبصار ، فترينا أن المدنيات التى قامت فى العالم مدينة فى كثير أو قليل لمنتجات عقول سكان مصر الأقدمين .

واليوم تقف وبقية العالم فى ذهول وحيرة إزاء تلك الاكتشافات العديدة التى قام بها علماء العاديات وغيرهم فى البلاد الأمريكية ، والتى تثبت أن أول من استوطن أمريكا هم المصريون . كذلك ثبت لبعض علماء الأجناس أن المصريين كانوا نواة لبعض فصائل من البشر . ولما كان بعض هذه الحقائق يستند الى وثائق أثرية وآثار طبيعية يرجع عهد البعض منها الى ما قبل التاريخ ، فعلينا أن نلم إجمالا بالتطورات التى حدت بقدماء المصريين أن يسلكوا ذلك السبيل

يجزم كثير من علماء التاريخ القديم بأنه كان لمصر مدنية تفوق فى تقدمها وازدهارها وشيوعها كل ما عداها من المدنيات .

ومن الطبيعى أن هذه المدنية لم تكن إلا نتاجا لسابق جهود تمت خلال عشرات المئات من السنين واصل فيها شعب النيل الفكر والعمل مدفوعا بقوة روحانية يستمدها من مثله الأعلى الذى نصبه لنفسه ، والماثل فى تهذيب الطبيعة لتجميل الحياة

ولا عجب أن تكون العظمة طابع تفكيره ، وهو الذى آلى على نفسه أن يهذب الطبيعة ويجمل الحياة ، إذ لا شىء أعظم من الطبيعة أو أشمل للحياة من الحياة . ولو أن هذا الشعب لم يتصدر لأعظم حلم عرفه التاريخ ( وستمر بك تفاصيله ) ، ولم يبذل جهود الجبابرة لتحقيقه ، ثم لم يظفر ببغيته منه ، لما كان أهلا لرسالته

وكان المصريون بما لهم من عقول رياضية قد تحققوا أن هنالك بلادا شاسعة غنية بخيراتها ، زاخرة بثروتها الطبيعية ، لا زالت بكرا . فسموا اليها ليؤدوا رسالتهم فيها ؛ وكانت تلك البلاد هى التى أطلق عليها فيما بعد اسم « أمريكا » . وكان العلماء فى مصر قدروا إذ ذاك موضع أمريكا تقديرا لا خطأ فيه ، بدليل أن المصريين فى ترحالهم الى تلك البلاد لم يضلوا الطريق فى الوصول اليها ، ولم تبتلعهم صحارى ومجاهل آسيا . كذلك لم يغوهم بلد كالهند لوثيق معرفتهم أن الثروة الطبيعية فى أمريكا أوفر منها فى الهند وأعظم

وكانت المدنية المصرية وصلت إلى حد عرفت فيه مشكلة البطالة ، وتكاثر فى البلاد عدد العاطلين من العمال والمفكرين . ولم يك ذلك إلا نتاجا لسوء نظام الطبقات السائد إذ ذاك . وخشيت الطبقة الحاكمة أن يتصدى العاطلون لنظام الحكم والنظام الاجتماعى ، فأوعزت إلى العلماء بالدعاية لفكرة استغلال أغنى بقاع العالم : أمريكا . وكان الضيق قد حل بالعاطلين من أبناء مصر فتقبلوا الفكرة ونظموا جموعهم واستقر قرارهم على الرحيل إلى بلاد الأمل والرجاء . وانتظم فى سلك هذه الرحلة العمال والفلاحون والعلماء والفنانون — كل بعدته وأداته . ولم تكن هذه الحملة قاصرة على جحافل من رجال أشداء ، بل كان الشيوخ والنساء والبنات والبنون ضمن عناصرها : وهذه الحملة أو البعثة الجامعة إلى الدنيا الجديدة كانت أشبه ما تكون بأمة كاملة تحمل فى نفسها كل عوامل الحياة ووسائلها . وليس من المحتمل اليوم أن يجود التاريخ ببعثة تماثلها من حيث التكوين أو العظمة أو الغرض .

ولا بد لتنظيم هذه الرحلة والسهر على إنجاحها من عقول راجحة قد يصعب علينا اليوم تصور جبروتها وعتوها . وكان على الجحافل التى تنزح يوماً عن أرض النيل — وكلهم من العاطلين — أن تعمل منذ الساعة الأولى من الرحلة على الانتاج ، كل فيما اختص به . ولم يكن أساس حياتهم الجديدة حب الذات ، كما كان الحال فى مصر ، بل كان التفانى فى التضحية لخدمة المجموع رائد الكل ، فحل تعاون الجماعات محل الاستئثار ، وغلبت الاخوة بين الجميع على فوارق الطبقات ، وتمتع هؤلاء الرجل بحرية لم يعرفوا لها نظيرا على ضفاف النيل . وكان صدق حبهم وخالص نيتهم فى تحقيق حلمهم العظيم يغريهم بالتمادى فى التضحية . ولا تمكننا اليوم ونحن فى القرن العشرين وطرق المواصلات ميسورة وعديدة

وأغلب البلاد مأهولة وعامرة ، تقدر المشاق التى عاناها أجدادنا فى اجتياز تلك البقاع . ويرجع تذليل كل صعاب انتابتهم إلى الذهن المتقد وقوة الساعد والاعتداد بصدق الرسالة . ولا شك أن العزيمة واطمئنان النفس كانت تتملك تلك الجماعات من الناس منذ بدء الرحلة التى قاموا بها ، فاخترقوا صحراء سينا إلى فلسطين فسوريا فتركيا فالعراق فبلاد الكرد فايران فالتركستان فشمال الهند ، ومنها إلى سهول وصحارى سيبيريا الشاسعة حتى ظهر لهم البحر . ولقد قاومت هـذه الجماعات الجوع والعطش والقيظ والبرد والحيوانات المفترسة والطيور الجارحة والمتوحشين من الهمج وتغلبت عليها جميعاً . بل لقد اجتازت مناطق لم يكن للبشرية فيها من أثر . ولما أن وصلوا إلى أبعد نقطة من شرق آسيا أخذوا يصنعون الفلك الذى اجتاز بهم البوغاز المعروف باسم « طريق بيرنج » حتى وصلوا إلى شبه جزيرة السكا .

ويقول الأستاذ الدكتور هردليكا مدرس علم الأجناس فى معهد سميث سونيـان بأمريكا : « إن الطارقين الأولين للدنيا الجديدة اتخذوا جزيرة كودياك قاعدة لهم وجعلوها مركز اتصال بين من تخلفوا منهم فى آسيا ومن تقدموا منهم فى أمريكا ؛ وهؤلاء اجتازوا السكا ونزحوا إلى كولومبيا البريطانية فولايات واشنجطن وأوريجون وكاليفورنيا الواقعـة على المحيط الهادى . ولم يجد المصريون رواد أمريكا آدمياً واحداً أو أثراً لآدمى ، ولـكنهم وجدوا حيوانات مَرَدة متوحشة يعلوها الشعر الـكثيف المتهدل . ومن هذه الحيوانات الماموت والفيلة العاتية وغيرها مما كان يجتاز الأحراج والبرارى فى تلك الأرض البكر » .

ويسلم الباحثون بأن « رواد أمريكا الأول كانوا على جانب عظيم من الشجاعة والاقدام والمخاطرة » « وأنهم انقسموا إلى فريقين : فالفريق الأول ذهب إلى الشرق ، والفريق الآخر اتخذ طريقه إلى جانب مجرى الأنهار الـكبرى حتى وصـل هؤلاء المصريون الى المحيط الأطلنطى . وهكذا قطعوا ثلاثة آلاف من الأميال على أقل تقدير » . ويميل العلامة الأستاذ بنيت عضو المعهد الأمريكى للمباحث الخاصة بالهنود الحمر إلى « أن المصريين لم يقفوا عند الشاطئ بل ركبوا البحر حتى بلغوا الجزر المترامية فى المحيط والمعروفة اليوم باسم جزائر الهند الغربية » . ويتفق علماء الآثار الأمريكيون فى القول بأن « الفريق الآخر الذى سار جنوباً اخترق بلاد المكسيك وأواسط أمريكا وأحراج إستموس فى بناما . ثم تدرجوا إلى مجاهل أمريكا الجنوبية » . ومن أمد قريب رحل جماعة من علماء الأمريكان إلى بوليفيا لعلهم يقفون على أثر للجماعات الرحل التى تقدمت التاريخ ، « هؤلاء الرحل الذين قدموا من وادى النيل قبل أن يقدم أمريكا بأجيال عدة قبائل الآنكاس » على حد تعبيرهم . وسرعان ما وفقت هذه البعثة فى عملها ، فقد جاء فى تقرير الأستاذ بنيت : « إننا وجدنا حول بحيرات تيتيكاكا فى بوليفيا آثار مدنيات يرجع تاريخها إلى ما قبل عصر الأنـكاس » . وجاء فى هذا التقرير « وعلى مقربة من البحيرات وجدنا خرائب متفرقة . ولما أن كشفت عنها الأتربة ظهرت خمسة أبنية كانت على ما يظن معاهد دينية » . ولا زالت هذه البعثة مستمرة فى أبحاثها . والاعتقاد السائد بين أفرادها أنها سوف توفق الى اكتشاف مبان ومـدافن أخرى يرجع عهدها إلى ما قبل التاريخ

كذلك وفق الأسـتاذ هردليكا إلى اكتشاف فى كوبا يؤيد وجود اتصال ثقافى ومدنى بين الشعوب القديمة والشعوب الشمالية فى جزيرة كودياك وقبائل مايا فى أمريكا . ومن المسلم به « أن جميع السكان الشماليين ومن بينهم الاسكيمو هم من سلالات العنصر الذى نزح إلى البلاد الأمريكية عند بدء تعميرها » . ولما أن وجد الدكتور هردليكا جمجمة فى إحدى حفريات جزيرة كودياك مال الى رأيه كثير من العلماء وهو « أن تلك الجمجمة هى صلة الوصل بين جميع هذه الأجناس البشرية التى عمرت أمريكا » . وهى جمجمة لرئيس قبيلة كما يزعم الدكتور هردليكا ، ويضيف إلى زعمه هذا أن أتباع هذا الزعيم اقتطعوا من لحمه حياً والتهموه التهاماً لفرط اعجابهم بكفاءته وفضائله . وهـذه العادة كانت متبعة إذ كان يأكل الأتباع سيدهم وهو حى . وكذلك يفعلون مع زعيم أعدائهم اعتقاداً منهم أن مميزاته ومقـدرته سوف تتقلص فيهم بعد أكل لحمه . وقد وجدت فى جمجمة هذا الزعيم عين صناعية صنعت من سن الفيل وجعلت الحدقة حجراً كريماً . وكانت قبائل الاستكن والمايا تصنع مثل ذلك إبان ازدهار حضارتهما . وكان الدكتور بنيت أمضى عدة أسابيع

فى أبحاثه بمدينة بينار دل ريو من أعمال جزيرة كوبا فوجد فيها عثر عليه مائتى ملعقة من المحار وكثيرا من المطارق الحجرية والأوانى الفخارية المصنوعة من الخشب وغيرها من الأدوات التى تمثل فيها البساطة والفطرة . كذلك وجد فى هذه المدينة جمجمة يرجع عهدها إلى ما قبل التاريخ . ويرى فيها الدكتور بنيت حلقة الاتصال بين الهنود الحمر الأول وسكان جزائر الأنانيل ، وقد ثبت له كما ثبت لغيره من قبل أن موطن الآباء الأول للهنود الحمر من سكان أمريكا هو وادى النيل.

ومما لا شك فيه أن رحلة الملاحين المصريين هذه إلى أمريكا وكوبا وجزائر الهند الغربية دامت بضع مئات من السنين . وأن عدداً من الأطفال ولدوا أثناء السفر وشبوا وعاشوا وماتوا على بعد عشرات المئات من الأميال من الموضع الذى أبصروا فيه لأول مرة نور العالم من دون أن يصلوا إلى أرض الأمل والرجاء ، فورث الأبناء الرسالة وأخذوا على عاتقهم تحقيقها

وليس فى استطاعة أحفاد الأجداد بناء مدنية فى أمريكا تشبه كل الشبه المدنية التى أقامها المصريون على ضفاف النيل مع أنهم لم يحظوا بالعيش فى مصر يوماً لغز قط ، فقد كان هؤلاء الرحل من بدء رحالهم إلى الدنيا الجديدة يعدون العدة لتوفير أسباب إتمام الرحلة التالية . فان وجدوا الأرض خصبة والماء ميسوراً زرعوا التلال والفاكهة والخضر والزهور وحملوا معهم ما أرادوه ميرة لهم فى سفرهم . وكما أن بعضهم كان ينسج الصوف والكتان وغيرهما ملابس وأردية وخياماً ، كان البعض الآخر من أصحاب الحرف يلقن الصبية صناعته . وكانت تعقد قبل مسير كل يوم وفى الصباح من أيام الاقامة حلقات يدرس فيها العلماء علمهم ويقدم فيها الفنانون تجاربهم . وكان لكل علم وفن دراسات وحلقات وفصول أولية وإعدادية وعالية . فكانت كل أنواع الثقافات المعروفة فى ضفاف وادى النيل تقدم دون تمييز إلى كل الأفراد . وهكذا عرفوا كيف يضمنون بين حياة الفطرة وحياة أحفادهم سداً منيعاً . ولما كان لكل فرد فى القافلة حق تلقى العلم ودرس الفن الذى يميل اليه أصبح الجميع أحرار الفكر أحرار العمل ، خاصة وقد تخلصوا من سلطة رجال الدين . وكان على طلبة الأمس أن يعلموا صبية وبنات اليوم . وهكذا احتفظ بمستوى الثقافة

وقد وجه السؤال التالى الى بعض الهيئات :

إذا كان حقاً أن المصريين عرفوا موضع أمريكا الجغرافى وعلموا بتفوق ثروتها الطبيعية ، فلم لم يركبوا البحر اليها مباشرة من شواطىء البحر الأحمر ؟

وما أيسر الجواب على ذلك . إن المسافر فى البحر خاصة فى تلك السفن القديمة العهد ، كان مضطراً الى هجر صناعته وعدم مزاولته لها ولكثير من دعائم الثقافة وأسس المدنية . وكيف يزاول فى السفينة فلاحة الأرض وزراعتها ، ونحن نعلم أن المدنية المصرية كان أساسها الزراعة ؟ وإذا كان هذا حال الفلاح فكيف يكون حال أولاده وأحفاده . كذلك تدريس العلوم والفنون أثناء سفر السفينة بعيد الاحتمال ، فلا يرجى للناشىء أن يقف على مدنية جديدة عليه أن يبنيها من أساسها فى أرض جديدة . والأمر الثانى كيف يجوز لهؤلاء الملاحين وهم جماعات عدة أن يحفظوا على المواد الغذائية لمدد طويلة قد تربو على العام ؟ ولو أن المصريين الأقدمين ركبوا البحر الى أمريكا لما وصلوا إلى الدنيا الجديدة ولما وجدنا هنالك أهراما وتماثيل ومبانى تماثل ما نراه على ضفاف النيل للعهود القديمة . أما وقد أنشأوا مدنية جديدة فى أرض بكر ، وأدوا رسالتهم على الوجه الأكمل فأولى بنا أن نقتبس من روح نظام مجتمعهم الذى مكنهم من تحقيق أكبر حلم عرف فى التاريخ .

ابراهيم ابراهيم يوسف

مراجع البحث :

1) Hartman Pieper :
Die Gesetze der Welt geschichte : Aegypten

2) A Gessler :
Die aegypptische Fahrt hach Amerika

للتاريخ السياسي :

# ٥ – اليوم السابع من مارس

## ضربة مسرحية في برلين

### للدكتور يوسف هيكل

---

أما مسيو فان زيلاند، فقد ألقى خطاباً مرتب العبارة أنيق الأسلوب مؤثراً ، وقد مس في خطابه شعور كل من سمعه . . وقال إنه لا يوجد بلاد فيها الخوف أشد مما هو في بلجيكا ، وإن هذه البلاد الصغيرة لا تملك ما يطمئنها على سلامتها غير معاهدة لوكارنو . . . وقد اعتدى على حق بلجيكا التي تحترم المعاهدات والجيران اعتداء لا مبرر له . . . فبلجيكا لم تكن عضواً في المعاهدة الفرنسية الروسية التي اتخذها الهر هتلر حجة لتمزيق لوكارنو . ولا ينبغي أن تتوقف قيمة الامضاء على معاهدة على قيمة قوى الذي وقع على تلك المعاهدة ...

وبعد ظهر يوم الاثنين الموافق ١٦ مارس اجتمع مجلس العصبة اجتماعاً خاصاً ثم اجتماعاً سرياً داما مدى أربع ساعات ، ودام البحث خلال ذلك عن الجواب الواجب ارساله الى الحكومة الألمانية ، وعن الأصول الواجب اتباعها للوصول إلى القرار الذي يصدره المجلس . وبعد نقاش طويل تقرر ارسال برقية إلى الهر هتلر يخبره فيها بأن لألمانيا الحق في الاشتراك في مناقشة المجلس لطلب فرنسا وبلجيكا على قدم المساواة مع بقية الدول ؛ ولا اعتبار لأصوات دول لوكارنو الثلاثة في تقرير التصويت الاجماعي . أما فيما يتعلق بالشرط الثاني فليس من اختصاص المجلس إعطاء التأكيد الذي تطلبه الحكومة الألمانية

وقرأ مسيو فلاندان طلب حكومة فرنسا وبلجيكا الذي تقولان فيه بأن على مجلس العصبة أن يقرر بأن ألمانيا قد اعتدت على ميثاق لوكارنو ومعاهدة فرساي ، وأن يقف فوراً دول لوكارنو على القرار — وبعد نقاش قصير فضت الجلسة

***

وقبل أن تجيب حكومة برلين على برقية مجلس العصبة ، أرسلت صباح الثلاثاء ١٧ مارس الى حكومة لندن ، بواسطة سفيرها في برلين برقية تقول فيها بأن الحكومة الألمانية تأمل من حكومة جلالته بذل جهودها ، في الظروف الحالية ، للمفاوضة على المنهاج الألماني في الوقت المناسب مع الدول ذات الشأن فيه . فأسرع مستر ايدن في أخذ رأي ممثلي فرنسا وبلجيكا ثم أجاب حكومة برلين قائلاً : « إن حكومة جلالته باذلة كل جهدها للوصول الى حل سلمي مرض للمشاكل الحالية . وإن الحكومة البريطانية تؤكد بأن (اقتراحات المستشار) ستناقش في الوقت المناسب كغيرها من اقتراحات الدول ذات الشأن في الموضوع »

وفي اليوم عينه اجتمع مجلس العصبة في الساعة الثالثة والنصف وعقد جلسة سرية حسب اقتراح رئيسه ليسمع تصريحاً من ممثل بريطانيا . وقد أطلع مستر ايدن المجلس على برقية حكومة برلين وجوابه عليها . وبعد جدال عنيف حول الموضوع تقرر أن برقية الحكومة الألمانية لا تعد جواباً على برقية المجلس ، وأن على المجلس فتح المناقشة حول طلب فرنسا وبلجيكا . وقد حض ممثلا فرنسا وبلجيكا على النقاش الفوري ، وأخذ مسيو فلاندان يتكلم بحدة عن ضياع الوقت دون الوصول الى نتيجة

وبينما هم كذلك إذ سلمت برقية إلى مستر ايدن ، تفيد بأن الحكومة الألمانية قد قررت ارسال مبعوث الى لندن . وبعد بضع دقائق « تلفن » سفير ألمانيا في لندن الى رئيس المجلس ليقفه على الخبر . وعلى ذلك انفضت الجلسة ليقوم الممثلون باستشاراتهم الخاصة

وفي نفس اليوم عقدت الجلسة ثانية وكانت سرية أيضاً . ودار الحديث حول تأجيل المناقشة العامة حتى وصول ممثل بريطانيا ، فمارض مسيو زيلاند في ذلك ، وأخبر مسيو فلاندان المجلس بأنه يجب أن يؤخذ القرار صباح الخميس ، لأنه سيغادر لندن إلى باريس في ذلك التاريخ . وهكذا تقرر أخيراً افتتاح الجلسة العمومية والبحث في دعوى فرنسا وبلجيكا ، وكان ذلك في الساعة الخامسة والنصف

وتكلم في هذا الاجتماع ممثلو تركيا والروسيا وشيلي . وكان أهم ما جاء في الخطب انتقادات الرفيق لتفينوف الشديدة والصريحة لانتهاك ألمانيا ميثاق لوكارنو . وقرأ جملاً من كتاب

« كفاحى » توضح أن ألمانيا كانت مصرة على احتلال أراضى الرين عسكرياً وتسليحها لتتمكن من نشر نفوذها على أوروبا جميعها

وتابع مجلس العصبة اجتماعه فى اليوم التالى ، وتكلم جميع ممثلى الدول عدا الرئيس وممثل بلاد « الايكوادور » بسبب مرضه ، وأهم الخطب كانت خطب مستر إيدن والسنيور جرانْدى والكولونيل بيك Beck ، أما الهر ريبنتروب فلم يصل فى الوقت المحدد ، ولذلك ألقى خطابه يوم الخميس ١٩ مارس .

وبعد أن أبان مستر إيدن أن ألمانيا هدمت معاهدة لوكارنو بعملها فى ٧ مارس قال : « إن واجباتنا ليست فقط التصريح بأن اعتداء قد حصل ، بل يجب أن نضع نصب أعيننا غايتنا السامية ، ألا وهى الاحتفاظ بالسلام ، وإقامة حسن التفاهم بين أمم أوروبا على أساس متين ودائم . ماذا كان مقصد لوكارنو ؟ لقد كان لها مقصدان : أولهما الاحتفاظ بالسلام ، وثانيهما خلق ثقة دولية بتأمين السلام فى غربى أوروبا . وإننى أصرح بأن موضوعنا اليوم هو هاتان النقطتان » . واستمر يقول بأن الحالة الراهنة التى تولدت عن أعمال ٧ مارس حرجة جداً ، غير أن هذه الحالة تحتوى على شيئين مهمين يجب لفت النظر إليهما :

أولهما : أن تمزيق لوكارنو لم يحمل معه أى تهديد عدائى ، ولا يوجب العمل الفورى الذى توجبه معاهدة لوكارنو فى بعض الظروف .

ثانيهما : مهما تكن الحالة خطرة فإنها أوجدت فرصة سانحة لتوليد حسن التفاهم وبناء العلاقات الدولية على معاهدات يحترمها الجميع ويود بقاءها . . .

أما الأمر الأول الذى لفت مستر إيدن إليه النظر فيخالف نص معاهدة لوكارنو الذى يقول بأن احتلال أراضى الرين يعد عملاً عدائياً ، وللدول لوكارنو الحق فى اتخاذ إجراءات عاجلة فعالة . وأما النقطة الثانية فلا يستطيع مستر إيدن تأكيدها ، إذ هو لا يستطيع ضمان محافظة ألمانيا على المعاهدات التى ستعقد معها . ألا يمكن للحكومة النازى أن تقوم بعد سنين بمثل العمل الذى قامت به فى ٧ مارس بحجة أن المعاهدة التى وقعتها لم تعد تسير مع رغائب الأمة فلا قيمة لها ، وأن الحكومة الألمانية فى حل منها !

واجتمع مجلس العصبة صباح الخميس الموافق ١٩ مارس لسماع خطاب الهر فون ريبنتروب واتخاذ القرار . وفى بادئ الأمر عقد اجتماع خاص طلب فيه ممثل الهر هتلر ترك فاصل من الوقت بين نهاية خطابه وأخذ القرار للتفكير . فصرح مسيو فلاندان حالاً ، وبدون تردد ، بأنه يعضد هذا الاقتراح . وفى الساعة العاشرة والنصف عقد الاجتماع العام . وأومأ الرئيس إلى الهر ريبنتروب ، فقام وقرأ خطابه بالألمانية ( مع أن اللغتين الرسميتين فى عصبة الأمم هما الفرنسية والانكليزية ) ، وبصوت هادئ ودون إشارة مدة نصف ساعة ، ولم يأت فى دفاعه ببراهين جديدة تبرر أعمال ٧ مارس ، بل كان الدفاع مبنياً على أن حكومة فرنسا اعتدت على لوكارنو بعقدها مع الروسيا ميثاقاً آخر ؛ وأعاد تأكيد الهر هتلر بأن الحكومة الألمانية تود السلام

وبعد أن ترجم الخطاب إلى الفرنسية والانكليزية ، انفضت الجلسة ليجيل الأعضاء الفكر فيه

وعندما اجتمع أعضاء المجلس فى الساعة الثالثة والنصف ألقى الرئيس برومى كلمة كممثل الحكومة استراليا ، وأخبر بأنه سيصوت مع طلب فرنسا وبلجيكا .

ثم جرى التصويت على القرار — resolution — وهذا نصه :

« إن مجلس عصبة الأمم ، حسب دعوى فرنسا وبلجيكا ، المقدمة إليه فى ٨ مارس ١٩٣٦ ، يرى بأن الحكومة الألمانية قد خالفت المادة ٤٣ من معاهدة فرساى بارسالها فى ٧ مارس سنة ١٩٣٦ قوى حربية إلى الاقليم غير المسلح ، والمنوه عنه فى المادة ٤٢ والمواد التالية من تلك المعاهدة وفى معاهدة لوكارنو ، وإقامتها فيه . إنه يخبر السكرتير العام حسب نص البند ٢ من المادة ٤ من معاهدة لوكارنو لكى يرسل قرار المجلس هذا حالاً إلى الدول الموقعة على تلك المعاهدة »

وقد أخبر الرئيس بأن لجميع الممثلين حق التصويت ، غير أن أصوات المتخاصمين لا تعد لمعرفة ما إذا كان التصويت بالاجماع

وكان جواب ممثلى الدول إيجابياً « نعم » . أما جواب ممثل الهر هتلر فكان « لا » . ولم تكن حكومة اكوادور ممثلة فى هذا الاجتماع ؛ ولقد تغيب عن التصويت ممثل شيلى

وهكذا أخذ القرار بمخالفة أعمال ٧ مارس لمعاهدتى فرساى ولوكارنو بالاجماع ؛ وانتهت بذلك الدورة ٩١ غير العادية لمجلس العصبة ؟

يوسف هيكل

# بعض أبطال النقد

## وأثرهم فى نهضة الآداب الأوربية

عند ما قرأت مقال الأستاذ صاحب (الرسالة) فى فوضى النقد فى مصر، ثم قرأت فى الأسبوع التالى مقال الأستاذ أحمد أمين، بدا لى أن أقدم للقراء طائفة من النقاد الأوربيين كان لهم أكبر الأثر فى نهضة الآداب كل فى مملكته. وقد اشترك هؤلاء فى فضيلة واحدة جعلت لكتاباتهم قيمتها؛ تلك الفضيلة هى أنهم لم يقيموا من أنفسهم قضاة يصدرون أحكامهم على الأدباء، ولا اتخذوا من أنفسهم شتامين سبابين، يخرجون عن موضوع النقد إلى الخوض فى الأعراض وانتقاص الشاعر أو الكاتب بكل ما يضع من قدره، ويحط فى أعين القراء من شأنه... بل هم كانوا يعرضون بضاعة الأدباء على القراء ويعينونهم على تقديرها بالنقد والتحليل، ويلفتون أنظارهم إلى ما فيها من جمال أو قبح، ثم يتركونهم يصدرون أحكامهم من تلقاء أنفسهم. وأحسب أن لو اتبعت هذه الطريقة فى مصر لعادت على الأدب والأدباء بأكبر النفع، ولا سيما إذا لم تقحم السياسة والأحقاد والتعصب فى المسائل الأدبية التى ينبغى أن تظل بريئة خالصة لوجه الحق والأدب

أما هؤلاء النقاد الأوربيون فهم: لسنج الألمانى، وسانت بيف الفرنسى، وبلنسكى الروسى، ثم كولردج، وشارل لامب، وهازلت، وأرنولد الانجليز

### ١ – لسنج

كانت أوربا كلها إلى ما قبل القرن الثامن عشر تعير ألمانيا بالافلاس الأدبى، وكانت ألمانيا تنظر إلى خصيمتها فرنسا نظرة كلها حسد وكلها غيرة، وإن كان هذا الحسد وتلك الغيرة لم يمنعاها من أن تكون التليذة المؤدبة المعترفة بالجميل لفرنسا، ذلك لانتشار الأدب الفرنسى بين الألمان فى ذلك الوقت انتشارا كان يأخذ السبل على كل الآداب الأوربية، فما يستطيع أحدها النفاذ إلى ألمانيا، بما فى ذلك الأدب الانجليزى الذى كان بطبعه أقرب إلى ذوق الألمان. فلما ولد جوتهولد إفرايم لسنج Lessing سنة ١٧٢٩ دقت البشائر فى ألمانيا كلها، وأخذ الكابوس الذى كان يجثم على صدرها ينظر إلى هذا الطفل ويعد العدة للرحيل!

قضى لسنج أيامه الأولى متنقلاً بين ليبزج وبرلين؛ وكان أبواه قد نذراه للكنيسة، لما كان للرهبان فى تلك الآونة من عظيم الشأن فى ألمانيا؛ ومن هنا كان الصراع الهائل فى نفس الشاب بين ميوله الأدبية الفطرية وبين التزمت الدينى فى الفكر الذى يقسر عليه رجال الدين عادة، فصبأ من تلقاء نفسه، واحترف الأدب

وكان لسنج يبغض الأدب الفرنسى ويبغض الأدباء الفرنسيين وفى مقدمتهم ڤولتير؛ وأكبر الظن أنه كان يصدر عن عصبية وطنية صارخة لما كان بين الدولتين من منافسات وثارات. ولم يبرح يكتب ويكتب، ولم يبرح المسرح يجتذبه اليه، فعكف أول الأمر ينقد الدرامات الفرنسية التى كانت تكتسح المسرح الألمانى، ويظهر الناس على ما فيها من ليونة لا تتفق والقوة التى تنشدها ألمانيا. ولم يقف عند حد الكتابة فى الصحف والمجلات، بل ألف كتابه القيم (تاريخ المسرح) وأصدره سنة ١٧٥٠، وهو كتاب خطير جسن يلفت فيه لسنج أنظار قومه بشدة إلى روائع المسرح الإغريقى، ويقفهم به على أحسن ما جادت به قرائح إسخيلوس وسوفوكليس ويوريبيدز وأرسطوفان. ثم يدعوهم به إلى الاعجاب باليونان والكفر بفرنسا. وكان هذا الكتاب أول محاولة صادقة لاحياء الدرامة الكلاسيكية، وقد هرع اليه أدباء ألمانيا فتخذوا منه إنجيلا يبشر بأدب جديد؛ وافتتن به جوته فبشر به؛ وجعله شيلر ناموسه الأكبر الى أدب المجد والخلود

وكان لسنج يعجب أيما إعجاب بشاكسبير، فدأب على الدعوة له فى ألمانيا حتى أفلح أخيراً فى صرف الشباب الألمانى اليه. وقد حفظ له الانجليز هذا الجميل فنقلوا الى لغتهم كل ما كان يكتب ويؤلف

وقد تمت هزيمة الاتجاه الفرنسى فى ألمانيا حينما أصدر لسنج مأساته الخالدة (الآنسة سارة سامپسون) سنة ١٧٥٥ التى كانت بحق أولى ثمار الأدب القوى الألمانى المستقل. وبعد هذه الدرامة

فرغ لسنج للنقد فأرشد ألمانيا كلها لما فيه خيرها ولما فيه صلاح نهضتها .

وفى سنة ١٧٦٦ أصدر لسنج قصته البارعة (لاوكون) التى اتفق كل مؤرخى الآداب على أنها أعظم نتاج أدبى صدر فى القرن الثامن عشر بطوله . والقصة تدور على حوادث النبى الطروادى لاوكون الذى وعظ قومه ألا يقربوا الحصان الخشبى وألا يدخلوه الى مدينتهم لأنه سيكون شراً عليهم . وقد لخصت (الرسالة) هذه الحادثة فى باب القصص فى آخر جروب طروادة . ويحسب هذه القصة أن يقول فيها جوته : « يجب أن نرتد طفرة الى منية الشباب وحرارته كى ندرك حقيقة الأثر العميق الذى تركه فينا لسنج بقصته العبقرية (لاوكون) التى انتشلتنا من صفوف المتفرجين التاعسين البلداء الى صفوف المفكرين المنتجين العظماء ! » وقد عرض لسنج فى ثنايا القصة الى ضروب من النقد الحر المتدل البعيد من الصلف جعلها قانونا عاما لهذا الفن الذى هب أدباؤنا اليوم يشكون من الشكوى من المتطفلين عليه بغير الحق .

٢ — سانت بيف ( ١٨٠٤ — ١٨٦٩ )

لا يستغنى طالب الأدب الفرنسى عن كتاب Causeries du Lundi ( أحاديث الاثنين ) لسانت بيف ؛ بل لا نبالغ إذا جزمنا أنه لا غناء لمتأدب فى أى أمة عن هذا الكتاب الذى لا يعدله كتاب فى النقد الأدبى فى العالم . ولم يكن لورد مورلى مبالغاً حين قال إن من شاء استيعاب الأدب الفرنسى كله فحسبه أحاديث الاثنين لسانت بيف ، فهى ذوق وذخيرة وعدالة ومفتاح ذهبى لكل من يستغلق عليه شىء من هذا الأدب الحافل .

وقد عرض سانت بيف لطائفة كبيرة من الأدباء الانجليز والاغريق فى أحاديثه ، خلل آدابهم وعرضهم على قرائه عرضاً علمياً شائقاً شهد بعدالته وسموه كبار النقاد الانجليز أنفسهم ، وإن يكن قد قدح فى طريقة الناقد الانجليزى الكبير صمويل جونسون التى عرض بها لجمهرة من الشعراء فى كتابه (حياة الشعراء Lives of the Poets) . ولم يكن سانت بيف متعسفاً فى هذا القدح ، بل كان صائب الرأى فيه الى حد بعيد ؛ ويكفى أن تعلم أن كتاب جونسون هو مجموعة مقدمات لدواوين الشعراء كان يطلب منه تقديمها الى القراء بها ، فكان لا يعنى فيها إلا بإبراز محاسن الشاعر والاكبار من شأنه غاضاً الطرف عن عيوبه . يكفى أن تعرف هذا لتتفق مع بيف فى إقلاله من شأن جونسون

وكما قدح بيف فى طريقة جونسون فى نقد الآداب ، فكذلك لم ترضه طريقة مواطنه الكبير بوالو « Boileau » لأنه كان ينظر الى الأديب نظرة سطحية ، ثم سرعان ما يصدر حكمه عليه ؛ والناقد العادل ينبغى أن يستعرض حياة الأديب وعصره وبيئته وظروفه فيشرحها للقراء شرحاً مسهباً ثم يدعهم يصدرون أحكامهم ؛ فليس من وظيفة الناقد أن يكون قاضياً . . . »

وأحاديث الاثنين فصول ممتعة كان يحررها بيف فى إحدى المجلات الدورية ثم جمعها وأصدرها فى عدة مجلدات وأردفها بكتابه الرائع فى النقد والأدب والفلسفة Port Royal وقد تناول فيه الحركة الدهنية برمتها فى عهد لويس الرابع عشر

٣ — بلنسكى Belinsky ( ١٨١١ — ١٨٤٧ )

يرجع تاريخ النقد الأدبى فى روسيا إلى عهد الشاعر العظيم بوشكين ( ١٧٩٩ — ١٨٣٧ ) وذلك للفصول الممتعة القوية التى كان يوالى نشرها فى المجلة الروسية (الرسول الأوروبى) ينقد فيها الشعر والشعراء منذ فجر النهضة الروسية إلى زمنه . وقد أثارت هذه الفصول حماسة الشباب ولفتتهم إلى درر الآداب العالية ، وربت فيهم ذوقاً خالصاً شفافاً يزن بالنظرة الواحدة قيم الأدب بنوعيه فى ذلك العصر من شعر ونثر . وقد استجاب لفصول بوشكين زعماء الشباب من أدباء روسيا واجتذبت بعض أمراء البيت القيصرى وفى مقدمتهم الأمير الأديب فيازعسكى الذى نزل الى ميدان النقد بقلمه — على نهج بوشكين — فى مجلة (كارامزين) ( ١٨٠٨ — ١٨٧٨ ) — وانتظمت حركة النقد على صدى سانت بيف حين دخل عنصر الاحتراف فى الصحافة الروسية وقطعت شوطاً كبيراً على يد الصحافى القدير بولفوى Polevoy الذى لفت اليه الأنظار بفصوله الضافية فى نقد الأدب والحياة والتقاليد الروسية ، وإن أغضب الفئة الرجعية التى لا تخلو منها أمة ما . . .

بيد أن هذه الحركة المباركة لم تبلغ أوجها إلا حين تسلمها فتاها الأكبر فخر أدباء روسيا بلنسكى ، الذى وثب من وسط وضيع وأسرة فقيرة وتعليم ناقص مبتور ، فاستطاع أن يتسنم أسمى

ذروة بين مواطنيه ، وأن يرسم الخطط لما ينبغي أن يكون عليه الأدب والاجتماع في روسيا جميعاً . وكأننا به قد تسلم تراث أسلافه بوشكين ولرمونتوف وجوجول ليغربله ويسقط ما فيه من تفايات ، كما يخلق منه قادة الأدب العالمي الجديد : جوتشريف وهرزن ودستوئفسكي وتولوستوي وشيخوف وجوركي . ويحسبك أن تعلم أن الأربعة الأول قد تتلمذوا على بلنسكي ، ورضعوا لبانه ودرجوا في حجره ، وثقفوا عنه فلسفة هجل وجيته ، وطرائف شاكسبير وروائع الأدب الفرنسي ، وآمنوا عن سبيله ، بأن الفن للحياة ، وليس الفن للفن

ولشد ما كانت روسيا تشبه مصر اليوم من الوجهة الأدبية ، فكان فيها معسكران كبيران ينزع أحدهما الى التجديد والأخذ عن الغرب ، وتسموا باسم (الثائرين) وكان على رأسهم بلنسكي يعاونه ويشد أزره الناقد المعاصر الكبير يوسف لوما ستر ، ويساعدها الأديب الثقة والناقد المحقق هرزن . أما المعسكر الآخر فهم فئة السلافيين Slavophiles ، وكانوا يتعصبون لروسيا القديمة تعصباً أعمى ، وكان أدباؤهم ينقدون معسكر الثائرين نقداً كله شعوذة وكله رمي بالكفر والمروق من الدين والوطنية

وقد أخذ الأستاذ بركنر Brückner الألماني في كتابه (تاريخ الآداب الروسية) على بلنسكي وأضرابه من النقاد الروسيين ما كانوا يحيدون به أحياناً عن قوانين النقد التي وضعها سانت بيف ولسنج وأرنولد ، وقال إنهم حين كانوا يفعلون ذلك كان يجيء نقدهم سطحياً قليل الغناء . وقد رد الأستاذ بارنج (Maurice Baring) في كتابه (خلاصة الأدب الروسي) على هذا المأخذ بأن بلنسكي ومدرسته كانت تنشد قبل كل شيء خلق أدب قوى روسي بكل معنى الكلمة ينافس الآداب الأوروبية التي كانت تطغى على روسيا نفسها فتجتذب اليها جمهور القراء الروسيين ... لذلك كان يضطر أحياناً الى منازلة خصومه بأشد من أسلحتهم في المهاترة والثلب !

## ٤ — كولردج وشارل لامب

لو أن كولردج (١٧٧٢ — ١٨٣٤) قصر جهوده على النقد دون النظم لأفاد الأدب الانجليزي أكثر مما أفاده بشعره ، وإن يكن له في هذا الميدان جهده المشكور . ولقد كانت طريقته في النقد مثل طريقة مواطنه وصديقه شارل لامب (١٧٧٥ — ١٨٣٤) وإن اختص الأول بعرض أدب شاكسبير أكثر من أي شيء آخر . وكل النقاد الحديثين في انجلترا يحترمون آراءه في شاعرهم الأكبر ويعتمدون عليها . وشارل لامب هو صاحب النظرية العجيبة في نقد الآداب والتي تتلخص في « وجوب اعتماد الناقد على ذوقه كحاسة سادسة لا على عقله فقط في نقد الأدب ! » وهو يشرك الروح في النقد ، ويطلب من الشاعر أن يغني ويصور ، ويبكي ويتألم ، لا أن ينظم حقائق هذه الدنيا فيكون شعره جافاً ثقيلاً على القلب . فالروح عند شارل للشعر ، والعقل للعلم . وقد كان لامب يثير شغف القراء وإعجابهم بفصوله التي كان ينشرها في (London Magazine) بامضاء (إيليا) ؛ ولولا أثرته ومدحه لذاته في هذه الفصول لرفعته الى أسمى مراتب النقاد

## ٥ — هازلت (١٧٧٨ — ١٨٣٠)

لا تقل مكانة وليم هازلت في النقد عن مكانة سانت بيف ؛ ويعده الانجليز واضع أسس النقد الأدبي الحديث في انجلترا ، وهم يقبلون على قراءته إلى اليوم كما يقبل الفرنسيون على قراءة سانت بيف ، وكما يقبل الألمان على لسنج ، والروس على بلنسكي . ويذكر هازلت أن سبب شغفه بالأدب وبالنقد خاصة هو لقاؤه الأول بكولردج الذي كان صديق أبيه ، وكان زوره في منزله كأعز ضيف عليه . ولقد حاول هازلت مرة أن يهجر الأدب إلى الفنون ، وشغف فعلاً بالتصوير والرسم ولكنه فشل ، فحطم ريشته وامتشق يراعته ، وكان ذلك من حسن حظ الأدب

وما كاد هازلت ينشر فصوله الأولى في النقد في احدى المجلات حتى استرعى انتباه الدوائر الأدبية العليا ، وحتى دعته مؤسسة رسل لالقاء بضع محاضرات في « نشوء ورقي الفلسفة الحديثة » ، ثم في « الشعر والشعراء الانجليز » و « كتاب الكوميدى الانجليز » ، و « عصر إليزابث » . ودعته صحيفة المورننج كرونكل لتحرير قسم النقد المسرحي فيها . وأخذ بعد ذلك ينشر فصوله عن (الدائرة المستديرة) في صحف التيمس والشامبيون والأجزامينر ، واتصل بمجلة لندن فنشر فيها حديث المائدة وبحثه القيم عن (روح العصر) ، وغير ذلك من الموضوعات الشائقة . وقد شهد البروفيسير سينتسبري — ولم يغل — بأن فصول هازلت في النقد قد فاقت غيرها في جميع الأمم ، ولم يستثن سانت بيف — ولولا ما كان من اعجاب هازلت بنابليون لعبده الانجليز ولقدسوه تقديساً

ضوء جديد على ناحية من الأدب العربي

# اشتغال العرب بالأدب المقارن

أو ما يدعوه الفرنجة « littérature comparée »

## فى كتاب تلخيص كتاب أرسطو فى الشعر

لفيلسوف العرب أبى الوليد بن رشد

[ تابع المنشور فى العدد الماضى ]

— تلخيص وتحليل —

للأستاذ خليل هنداوى

أما غاية صناعة الشعر فلم تخرج عن غاية الفلسفة لأن المؤلف والمترجم فيلسوفان يقيسان كل شىء ، ويقدرانه بحسب فائدته الخلقية ، وهما يريدان من الشعر أن يكون عاملاً على تهذيب الأخلاق حاثاً على التخلق بالآداب السامية ( وهذا هو الشعر المدرسى قبل أن ينحت الفن أثلته ، وينحر غرسته ) لأن الفن قد ضرب بهذه السدود ، وحطمها أى تحطيم . والشعر الفنى — عند العرب — فى اعتقادى — يغشى على الشعر المدرسى لأن أكثره شعر لا يدل على أن أصحابه كانوا يتورعون فيه . ولعل هذا هو ما دعا أبا نصر الفارابى الى الحملة على هـذا النوع من الشعر الفنى بقوله : « إن أكثر شعر العرب فى النهم والكريه ؛ وذلك أن النوع الذى يسمونه النسيب انما هو حث على الفسوق ؛ ولذلك ينبغى أن يتجنبه الولدان ويؤدبون من أشعارهم بما يحث فيه على الشجاعة والكرم ، فانه ليس تحث العرب فى أشعارها من الفضائل على سوى هاتين الفضيلتين وإن كانت ليس تتكلم فيهما على طريق الحث عليهما ، وانما تتكلم فيهما على طريق الفخر ، لأن أكثر شعرهم من شعر المطابقة الذى يصفون به الجمادات كثيراً والحيوانات والنبات : وأما اليونانيون فلم يكونوا يقولون أكثر ذلك شعراً إلا وهو موجه نحو الفضيلة والكف عن الرذيلة ، وما يفيد أدباً من الآداب أو معرفة من المعارف » وقد بحث فى العلل المولدة للشعر ، فكان تعليله الاول إلى الفلسفة أدنى منه إلى الشعر . وقد بنى هـذه العلل على ميل الانسان إلى محاكاة الأشياء . وقد تكون — عندى — هذه المحاكاة علة صادقة مبنية على التحليل النفسى ، لأن الشاعر أقرب الناس إلى فهم الطبيعة والعمل على تحسينها وإكمالها « لأنه يلتذ بالتشبيه للأشياء التى قد أحسنها وبالمحاكاة لها ليلتذ باحسانها » فما أصدق هـذا الاحساس وما أبعده فى تعليل العلل المولدة للشعر . إن الشاعر يأتى الطبيعة ويستجليها ويستنطقها ويبث فيها الحياة ، ليجعل فيها القدرة على مشاركته فى بهجته . وجاء تعليله الثانى تعليلاً طبيعياً ، نشأ فى الانسان لالتذاذه بالطبع بالوزن والالحان ... وهو فى هذا لا يرى فى الوزن والألحان كل الشعر إن لم تنطو هذه الألحان على محاكاة الطبيعة ؛ ثم يذهب فى اختلاف طبائع الأمم ، فان الأمم التى تغلب الأخلاق عليها تميل إلى مديح الأفعال الجميلة ، والعكس بالعكس . ولا بد من ملاءمة الأوزان والألحان للمعانى ؛ فرب وزن يناسب غرضاً ولا يناسب غرضاً آخر . وعملهما فيه هو أنهما تعد النفس لقبول خيال الشىء الذى يقصد تخييله . وثمت علل كثيرة للشعر ، « وانما المحاكاة هى العمود والأس فى هذه الصناعة ، لأن الالتذاذ ليس يكون بذكر الشىء المقصود ذكره دون أن يحاكى . ولذلك

٦ — ماثيو أرنولد (١٨٢٢ — ١٨٨٨) ...

أرنولد من شعراء العصر الفكتورى المجيدين ، ولكنه خدم الأدب الانجليزى بكتابه القيم ( فصول فى النقد Essays in criticism ) أكثر مما خدمه بشعره ؛ ويكاد أرنولد يتفق وهازلت فى طريقته فى نقد الآداب ، غير أنه يمتاز من هازلت بأنه يخلق من القارئ نفسه ناقداً للموضوع أو الأديب الذى ينقده ، فما يكاد أحد يتلو فصولاً من كتابه حتى يحس من نفسه القدرة على النقد ، كأنما قد تقمصه أرنولد ! وهذا ما أفاض فى شرحه الأستاذ هربرت بول فى كتابه عن أرنولد ؛ ولولا تشكك أرنولد وكثرة حيرته ، وهما عيبان يبدوان كثيراً فى فصوله ، لما قل فى مرتبته عن هازلت وعن سانت بيف

وبعد ، فهذه لمحات خاطفة لسادتنا نقاد الآداب عن زملائهم (!) فى بعض الأمم الأوربيـة ، نرجو أن يهتموا بدراستهم فى المراجع التى أشرنا اليها ثم ينقدوا بعد ذلك ما يشاؤون (د . غ)

لا يلتذ الانسان بالنظر إلى صور الأشياء الموجودة أنفسها ، ويلتذ بمحاكاتها وتصورها بالأصباغ والألوان ؛ ولذلك استعمل الانسان صناعة الزواقة والتصوير . وهل كانت غاية المدح مثلاً إلا محاكاة الناس من قبل عاداتهم الجميلة وأمثالهم الحسنة واعتقاداتهم البعيدة ؟ ولعل أرسطو كان أكثر انصافاً لرسالة الشعر منه لرسالة الخطابة « فقد اعترف لها بأنها ليست مبنية على الاحتجاج والمناظرة ، وبخاصة صناعة المدح ، وبذلك ليس يستعمل المدح صناعة النفاق كما تستعملها الخطابة » ، وبهذا أحسن إلى الشعر ؛ وهل المادح يمدح إلا عن اعتقاد . . . . . وأساء إلى الخطابة — ولكن النفاق قد يدخل الشعر كما يدخل الخطابة ، وقد يبرأ الشعر منه كما تبرأ الخطابة منه بحسب قوة الاعتقاد وصدقه عند الشاعر والخطيب

## صناعة المديح وأجزاؤها

. قد أسهب ابن رشد في هذا الباب ما شاء له الاسهاب ، لأنه يراه أكثر انطباقاً على محاكاة الأخلاق الفاضلة . والفلسفة تكره المحاكاة لمجرد المحاكاة إلا أن يكون من ورائها غرض أو معنى شريف من معاني التهذيب . وقد تصدى لعلة في الشعر لا تزال فاشية في شعرنا ، هي علة « الاستطراد » في القصيدة الواحدة ، « ويشبه أن يكون جميع الشعراء لا يتحفظون بهذا بل ينتقلون من شيء إلى شيء ، ولا يلزمون غرضاً واحداً بعينه ما عدا (هوميروس) في اليونان . وأنت تجد هذا كثيراً ما يعرض في أشعار العرب والمحدثين وبخاصة عند المدح ، أعني أنه إذا عن لهم شيء ما من أسباب الممدوح مثل سيف أو قوس اشتغلوا بمحاكاته وأضربوا عن ذكر الممدوح . وبالجملة فيجب أن تكون الصناعة تتشبه بالطبيعة ، أعني أن تكون إنما تفعل جميع ما تفعله من أجل غرض واحد وغاية واحدة ، واذا كان كذلك فواجب أن يكون التشبيه والمحاكاة لواحد ومقصوداً به غرض واحد ، وأن يكون لأجزائه عظم محدود ، وأن يكون فيها مبدأ ووسط وآخر ، وأن يكون الوسط أفضلها

أما تعريفه للمحاكاة من حيث الخلق والابداع فهو تعريف نم عن إحساس عال بالشعر ، فليس الشعر يعتمد على التخييل بدون نظام ، ولا على تصوير الأشياء التي لا تجول في الذهن . « لأن المحاكاة التي تكون بالأمور المخترعة الكاذبة ليست من أعمال الشاعر — وهي التي تسمى أمثالاً وقصصاً مثل ما في كتاب كليلة ودمنة . لكن الشاعر إنما يتكلم في الأمور الموجودة أو الممكنة الوجود ؛ وأما الذين يعملون الأمثال والقصص فان عملهم غير عمل الشعراء وإن كانوا قد يعملون تلك الأمثال والأحاديث المخترعة بكلام موزون . فالفاعل للأمثال المخترعة والقصص إنما يخترع أشخاصاً ليس لها وجود أصلاً ويضع لها أسماء ؛ وأما الشاعر فانما يضع أسماء لأشياء موجودة . . . ولذلك كانت صناعة الشعر أقرب إلى الفلسفة من صناعة اختراع الأمثال »

وقد أبى ذهن أرسطو إلا أن يعطف على الشعر ويجعل رسالته مشتقة من رسالة الفلسفة . وإذا نصر الفيلسوف رسالة الشعر وخصها بفضله ، فقد رام — لقاء هذا الفضل أن يضيق عليها حدودها ، « فهو يرى أن الأشياء غير الموجودة يجب ألا توضع وتخترع لها أسماء في صناعة المدح ، مثل وصفهم الجود شخصاً ثم يضعون أفعالاً له ويحاكونها ويطنبون في مدحه . فهذا النوع من التخييل وإن كان قد ينتفع به فليس ينبغي أن يعتمد في صناعة المدح لأنه ليس مما يوافق جميع الطباع بل قد يضحك منه ويزدريه كثير من الناس . » ، وقد يكون اعتقاده على حق لو كان ينطق عن غير الشعر . لأن الشعر لا منصرف له عن خلقه لكثير من أنواع التخييل ، « ومن جيد ما في هذا الباب للعرب — وإن لم يكن على طريق الحث على الفضيلة » قول الأعشى :

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار باليفاع تحرّق
تُشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلّق
رضيعي لبان ثدي أم تحالفا بأسحم داج عوضُ لا نتفرق

وهو يريد من كل هذا أن ينزه رسالة الشعر عن النفاق وكذب التخييل والاختلاق . « إذ لا ينبغي للشاعر أن يأوي إلى ما يدعى نفاقاً فان ذلك إنما يستعمله الموهون من الشعراء ، أعني الذين يرون أنهم شعراء وليسوا بشعراء ؛ وأما الشعراء بالحقيقة فلا يستعملونه إلا عند ما يريدون أن يقابلوا به استعمال شعراء الزور له ، وأما إذا قابلوا الشعراء المجيدين فلا يستعملونه أصلاً . . على أن كثيراً من الأقاويل الشعرية تكون جودتها في المحاكاة البسيطة »

وقد تكون المحاكاة بسيطة مجردة ، وقد تكون مركبة تأتى بطريقة المقابلة . إذا أراد مثلاً أن يحاكى السعادة وأهلها ابتدأ أولاً بمحاكاة الشقاوة وأهلها ثم انتقل الى محاكاة أهل السعادة ، والمحاكاة الأولى هى الغالبة على شعر العرب

كقول أبى الطيب :

كم زورة لك فى الأعراب خافية
أدهى — وقد رقدوا — من زورة الذيب

فهذا البيت من نوع المحاكاة الأولى

وقوله :

أزورهم وسواد الليل يشفع لى
وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

فهذا من نوع المحاكاة الثانية المبنية على طريقة المقابلة

ولقد تكون المحاكاة وليدة الانفعالات النفسية كانفعالات الخوف والرحمة والحزن ، وهى تكون بذكر المصائب والرزايا النازلة بالناس . ويجب على الشاعر أن يلزم فى تخيلاته ومحاكاته الأشياء التى جرت العادة باستعمالها فى التشبيه ، وألا يتعدى فى ذلك طريقة الشعر .

أما هذه المحاكاة فهى عنده على أنواع : منها محاكاة لأشياء محسوسة بأشياء محسوسة من شأنها أن توقع الشك لمن ينظر إليها ؛ وكلما كانت هذه التوهمات أقرب الى وقوع الشك كانت أتم تشبيهاً . وجل تشبيهات العرب راجعة الى هذا الموضع ، وكلما كانت أبعد من وقوع الشك كانت أنقص تشبيهاً . وهذه هى المحاكاة البعيدة التى يجب أن تطرح ، كقول امرئ القيس فى الفرس :

« كأنها هراوة منوال »

ومنها محاكاة لأمور معنوية بأشياء محسوسة كقولهم فى المنة إنها طوق العنق ، وفى الاحسان إنه قيد . وهذا كثير فى شعر العرب كقول أبى الطيب :

« ومن وجد الاحسان قيداً تقيدا »

أو قول امرئ القيس :

« بمنجرد قيد الأوابد هيكل »

وما كان من هذه أيضاً غير مناسب ولا شبيه فينبغى أن يطرح ؛ وهذا كثيراً ما يوجد فى أشعار المحدثين وبخاصة فى شعر أبى تمام كقوله : « لا تسقنى ماء الملام » فان الماء غير مناسب للملام . وكما أن البعيد يجب طرحه كذلك ينبغى أن يكون التشبيه بالجنس الموجود مطرحاً أيضاً ، وأن يكون التشبيه بالأشياء الفاضلة

ومنها المحاكاة التى تقع بالتذكر كأن يرى الانسان خط إنسان فيتذكره إن كان حياً أو ميتاً ، وهذا موجود فى أشعار العرب بكثرة كقول متمم بن نويرة :

وقالوا أتبكى كل قبر رأيته
لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك

فقلت لهم إن الأسى يبعث الأسى
دعونى ! فهذا كله قبر مالك

وكقول المجنون :

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى
فهيج أحزان الفؤاد وما يدرى

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما
أطار بليلى طائراً كان فى صدرى

وكقول الخنساء :

يذكرنى طلوع الشمس صخراً
وأذكره لكل غروب شمس

وهذا النوع كثير فى شعر العرب ، ومنه تذكر الأحبة بالديار والأطلال . ويقرب من هذا الموضع ما جرت به عادة العرب من تذكر الأحبة بالخيال وإقامته مقام المتخيَّل كما قال شاعرهم :

وإنى لأستغشى وما بى نعسة
لعل خيالاً منك يلقى خياليا

وأخرج من بين البيوت لعلنى
أحدث عنك النفس فى السر خاليا

وتصرف العرب فيه كثير

ومنها الذى يستعمله السوفسطائيون من الشعراء وهو الغلو الكاذب ، وهو كثير فى أشعار العرب والمحدثين كقول النابغة يصف ضربة سيف :

تقد السلوقى المضاعف نسجه
وتوقد بالصفاح نار الحباحب

وهذا كله كذب .

(له بقية) خليل هنداوى

من الأدب الانكليزى

# پرسى شـــلى
## Percy - Shelley

بقلم خليل جمعه الطوال

لشلى فكرة متوقدة ، وعاطفة ذائبة ، بل قلب يجيش بالوجدان الحى ، ونبع يتفجر بالشعور الصادق ، فقد كان شاعراً من أفذاذ الشعراء مشبوب المخيلة ، وكاتباً متضلعاً من الكتابة ، نظم وكان لا يزال فى غضارة الصبى ، عدبد القصائد التى ما زلنا نطالعها ، فندرس فيها مثال الحياة الأعلى ، وكمال النفس الأسمى ، ونحن كثير المقالات التى ما زالت ، ونحن نتصفحها ، تحدث فى مشاعرنا ضروباً شتى من التأثير والانفعال ، فلا عجب إذا كتب لشعره الخلود والبقاء ، وسجل لاسمه صفحة حافلة بجليل الأثر فى سجل الزمن وتاريخ الأدباء

توفى شلى ، وكان لا يزال من العمر فى مقتبله ، وقد أقبل الأدباء على أشعاره يتـــدارسونها ، وهرع النقاد الى عيوبه وسقطاته يستقصونها ، فما كان لأولئك وإن أعياهم الدرس أن يبلغوا شأو غايتـه ، ولا لهؤلاء وإن أعماهم التعرض أن يضعوا من مقدار عظمته . لقد اختلفت فيه المذاهب وتناحرت عليه الآراء ، فمنهم من نسى أو تناسى وفاته الباكرة وحياته القصيرة ، وراح يبحث فى أشعاره عن آية القدر وأعجوبة الزمن ، فلما لم يجدها تناوله بألسنة حداد ورحضه بشتى الأحكام الجائرة ، بعد أن خضل جدثه بوابل من المثالب الجارفة ، التى يترفع عنها الأدباء وتنبو عن سماعها آذان الحكماء ، وبعد أن نال من سمعته وحط من مكانته ما شاءت له رغائبه وسولت له أهواؤه .

وتمثل لهذا النفر من الرجال الذين أعماهم التعرض المقوت « بوليم هزلت » ولوليم هذا مكانة فى الأدب ، مرموقة بالأنظار ، محفوفة بالاحـترام والوقار ، وخليقة بعدم التحامل السـفيه ، وبالأعراض عن التشيع الكريه . ومنهم من أسدل على هفواته — وجل من لا يهفو — ستر الجهل وقناع التجاهل تشـيعاً للرجل لا للحق ، وراح ينشد آيانه البينات ، ويتغنى بأشعاره النيرات ، كتوماس أرنولد ، وكان من معاصريه ومناصريه .. وهكذا فقد كانوا فيه جميعاً بين نائل من كرامته لم يسلم من الاسراف والتحذلق ، أو مطنب فى مدحه لم يسلم من آفة الغلو والاغراق

وكم نود لو أن لنا من صائب النظر فى مهنة النقد ما نمهد به الى مؤلفاته — وهى خير ما بقى لنا من آثاره التى تترجم عن آرائه ، وتتبين بين غثها وسمينها مقدار عبقريته ، وحقيقة نفسيته ، بعد أن بقى طيلة هذه المدة مجهول الهوية مكتوم الطوية ، ونرجع بذلك فيصل الحكم الى نصابه ، وحسام الحقيقة الى قرابه

أما وليس لنا من قدرة النقـد ما أسلفنا ، فلا أقل من أن نعرض لحياته الطافحة بالألغاز والمبهمات جهد المستطاع وغاية الميسور آملين فيما نقرره أن نبلغ جادة الصواب

## مولده وأخلاقه

ولد برسى شـلى فى الرابع من شهر أغسطس لعام ١٧٩٢ ، وقضى طفولته فى لندن تعصف به الهموم والأحزان ، وتنتاشه مخالب البؤس والأشجان ، وذلك لما كان يلقاه من فقر والده ونكد طالعه ، وكان — على ما يصفه لنا السير توماس هوج فى كتابه — برى الخلق سوى الخلق ذا عينين نجلاوين ، هزيل الجسم أزهره ، نائىء المفاصل كبيرها ، جعدى شـعر الرأس قصيره ، وضاء البشرة ، جميل الأنف ، مليح الفم ، أمرد باسر الوجه ، تعلو غضون حاجبيه القطبين من شدة ما تجرعه من كأس الحياة المريرة سحابة من الحزن ، ولذا كان يكره دور اللاهى وينفر من الحانات . ويروى أنه كان بالغاً من الطول حد التحدب ، ومن الجمال درجة التأنث ، حتى إن منظره ليملك القلب ويستهوى الخاطر . وكان دائماً يحدب على المستضعفين ويرفق بالفقراء والمساكين ، ويصبر على كيد أعدائه الظالمين .

## شلى والمعرى

جاء شلى فكأنما كان مجيئه ريحاً هادئة أذكت سعير تلك النار التى قدح المعرى زناده شرارها ، وتعهد بآرائه ضرامها ، والتى لا تزال تحدث ثورة فى الرأى واضطراباً فى العقيدة .

جاء شلي ، وكان ذلك الصوت الذي أهاب به المعري في ربوع بغداد ، وبطاح سورية ، وأرز لبنان — البلاد التي اختلف اليها المعري في أسفاره — لما يتلاشى ، فرجع في بلاد الغرب دوى صداه ، الذي امتد من جبال « بنسين » في انكلترا ، إلى جبال الألب في ايطاليا ، والذي انفجر في « ورنهام » — محل مولد شلي — فسار منها إلى مدينة روما ، ثم تلاشى بين أمواج خليج « بيزا » المصطخبة

لقد كان كلاهما روحاً سابحة في عالم الخيال ، ونفساً تضطرب بين أنواء الشك واليقين ، بل كان كلاهما ثورة شعواء على العرف والعادات والتقاليد ، ومن أشد الناس سخرية بالدين ، وزراية بما اطمأن اليه الخلق من إنابة الصالحين

لقد كان شلي ملحداً لا يؤمن بالوحدانية ولا بالحساب ، كما كان المعري يسخر من وعيد الآخرة والثواب ؛ وهل لغير الشك أن يملي على المعري قوله

لو جاءَ من أهل البلى مخبر  سألت عن قوم وأرخت
هل فاز بالجنة عمالها ؟ ؟  وهل ثوى في النار « نوبخت »

أو قوله :

زعموا أنني سأرجع شرخاً  كيف لي كيف لي وذاك التمادي
وأزور الجنان أحبر فيها  بعد طول الهمود في الأرماس ؟

أم هل كان شلي في كتابه الذي أرسله إلى « جون جسبورن » من بيزا عام ١٨٢٢ ، والذي جاءت فيه هذه العبارات الآتية (١)

It Seems to be a mere Superstition anol a fallacy That after siscty years, seffering here; we were to be Wasted alive far Sixty millian marè in hell. etc

أي : ( إنه لمن الخرافة ومحض السفسطة ، أن نعتقد بأن الانسان الذي يقضي ستين عاما من الحياة المريرة سيذهب ( بعد موته ) ليقضي ستين مليوناً من السنين وهو يشتوى حياً بنيران جهنم المؤلمة ) هل هذا إلا صورة عن المعري في قوله :

أموتٌ ثم حشر ثم نشر  حديث خرافة يا أمَّ عمرو ؟

أو عن قوله :

خذ المرآة واستعرض نجوماً  تمر بطعم الأرى الشور
تدل على الحمام بغير شك  ولكن لا تدل على النشور

وهل لغير روح أبي العلاء في قوله :

تحطمنا الأيام حتى كأننا  زجاج ولكن لا يعاد له سبك

وقوله :

لو كان جسمك متروكا بهيئته
بعد التلاف — طمعنا في تلافيه

أن تملي على شلي قصيدته الخالدة « Epipsychidion » التي ينكر في بعض أبياتها لا نشور الأجسام فحسب ، بل بقاء الروح أيضاً . إذ يقول (١) :

« إن روح الانسان تتلاشى داخل قلبه وهو في القبر كما يخبو نور مصباح طمر في باطن الأرض بين زجاجه . أما جوهر الخلود الذي ينير بسماتنا بشعاع الأمل ، فانه يتبدد ويتشعث في عالم الأزلية : واللانهاية . »

ولم نذهب بعيداً في المقابلة والاستدلال ونظرة واحدة إلى رسالة شلي التي نشرها عام ١٨١١ تحت عنوان ضرورة الالحاد The necessity of atheism فطرد من جامعة اكسفورد بسببها ، ترينا بأنها ليست إلا نسخة عن « رسالة الغفران » لأبي العلاء المعري ، لا تختلف عنها إلا في اللغة والأسلوب !

لقد أنكر كلاهما كثيراً من العقائد والمذاهب ، فنالا من مرارة النقد ولاذع التقريع ما لم تكسر الأيام من حدته

أضف إلى اشتراكهما في الرأي والعقيدة ائتلافهما في المزاج وفي نوع المعيشة الزاهدة الوادعة ، وترفعهما عن إيذاء الغير واشتراكهما في عمل البر . وكل ما يختلفان فيه — إن صح هذا الادعاء — هو أن المعري يعترف بالوحدانية وينكر البعث بينما شلي ينكر البعث والوحدانية

## شلي وبيرون

لا نكاد نمر بصفحة من حياة شلي إلا ويتردد فيها ذكر اللورد « بيرون » فقد كان رنده وصديقه ، ومن الذين شهدوا إحراق جثته على خليج بيزا . فلا ندحة لنا عن أن نعرض

(١) راجع كتاب Shelley prase صفحة ١٧٤

(١) راجع ص ٦٤ من كتاب Shelley poetry مطبعة : كلارندن اكسفورد سنة ١٩٣١

لسيرتهما معاً ولو بشيء من الايجاز

لقد كان كلاهما من شعراء العصر الفكتوري المجيدين ، ومن دعاة الحركة الابتداعية البرزين ، عاشا من الزمن في فترة واحدة ، الا أنهما لم يجريا في حلبة واحدة من ميادين الشعر والأدب فيعرف أي الاثنين محرز قصب السبق فيها ؛ فبينا نرى شلي ينزع في قصائده ، نزعة أبي العلاء المعري ، ويسير وإياه على غرار واحد في الحكم والهوى ، وفي التمرد على البيئة والتقاليد ، نرى أن اللورد بيرون في قصائده يتفق مع إمريء القيس في أشعاره ولا سيا في معلقته الشهيرة

فقد كان كلٌ منهما في جميع ما يكتب إنما يعبر قبل كل شيء عن عواطفه الخاصة ، ويسرد ما كان في حياته الماجنة من ضروب العبث والإستهتار ، ومن لذعات الغزل الفاحش والافتخار . حتى قيل في بيرون : « إن حياته كانت محور نظمه ، وقصائده فيها أحسن شعره » فشخصيته كأمير وابن أسرة عريقة في المجد والحسب تظهر في أشعاره ، ظهور شخصية إمريء القيس كملك وابن ملك ، وكشاب مسترسل في الشهوات والملذات في معلقته

وهناك فرق آخر بين شلي وبيرون : ذلك أن شلي كان يعتمد في نظمه على التصورات الخيالية : Imagination بينا كان بيرون يعتمد على ذوب عاطفته وادراكه للأمور العقلية Intelectual ولعل ما بينهما من هذه الاختلافات يعزى إلى تباين طريقة معيشتهما ، ناهيك ما للوراثة من كبير الأثر ، فقد نشأ بيرون تحت ظلال النعمة الوارفة ، وهو يتقلب على فراش السعادة والرخاء ، ويرتشف سلاف الخمر ورحيق الهناء . فانكب على الملاهي والمنكرات ، وتمرغ في حمأة الدعارة والموبقات ؛ حتى لقد كان يقاد من أهوائه بشعرة ، ويلبي لشهواته كل دعوة . وهكذا ترعرع دون أن يصطدم من الأيام بما يفثأ من جذوة جنونه المتوقدة ، أو يفل من شباة نفسه المتحفزة ، حتى ولا وجد من الأهل يداً صارمة حكيمة تقسو عليه وتكبح من جماح شهواته الثائرة ، وحياته الماجنة ، بينا نشأ شلي وهو يقاسي من شظف العيش ألواناً ، ومن الاهل ذلاً وهواناً ، ومن التعس أنواعاً وأشكالا ، ثم اصطدم من الأيام الكاسرة بما تشيب له النواصي وتهتز لهوله الجبال الرواسي . فشحنت المصاعب قلبه بتيار الثورة ، وبذرت المصائب في صدره بذور التمرد

شعره ودواوينه :

لم يكن شلي بالشاعر الذي يترقب هبوبَ العاطفة الشاعرية فينتضحها في قالب من السبك اللفظي ، وحسن الأداء ، يذكي بهما الحس ، ويرهف السمع ، ويجمل صدر القاريء أو السامع يجيش بتلك الحماسة التي اعتلج بها فؤاده وانماث لها قلبه ، بل كان كثيراً ما يعتسف النظمَ على غير استعداد من عواطفه ، ويستكره خياله استكراهاً ، على أن علي عليه قصيدة شعرية توائم رغبته وإرادته ، ولكنها لا تشبع حسه وخياله ، فكانت تجيء ملتوية المعنى ملتاثة التعبير ، لا شيء فيها من ابتكار الفكرة ، وجمال العاطفة . ولقد كان معظم أشعاره التي نظمها في ميعة الصبي وشرخ الشباب تدور في جلها حول محور من الخيال الفسل والمعنى المبتذل ، ولم يبلغ من الشعر درجة تثير كامن العواطف إلا في ضرب واحد من ضروبه ، أعني به باب الغناء ( Suries ) ولئن كان من أبطال هذا الباب وفرسانه ، فانه لم يبلغ ذروة الشاعرية العليا فيه إلا في قصيدتين غنائيتين فقط ، وهما : ملكة الجنيات « queen' mab » وبروميتس غير المحدود Promethus Tunbaund

أما الأولى — ملكة الجنيات — فقد نظمها عام ١٨١٣ وهي تحمل بين أسطرها جراثيم الثورة والتمرد على جميع النظم الدينية والمدنية ، إذ كان لا يراها إلا سداً منيعاً يحول دون تحقيق مثل الحياة الأعلى . وقد تنبأ فيها عن ذلك العصر الذهبي الذي يتكئ على أشرف الفضائل وأسمى المبادئ ، ودعا الناس اليه بقوة ، بعد أن حثهم على أن يهدموا جميع مايعترض طريقهم من التقاليد القديمة والعادات الذميمة

أما الثانية ، بروميتس غير المحدود « Promethus Unbaund فقد وضع لحمتها في انكلترا ونسج بردتها في روما بعد هجرته اليها بسنوات قلائل . وهي غرة قصائده ؛ وأبعلها في إذكاء الحس ، وصقل العواطف ، واستثارة كامن الشعور

( للبحث بقية ) خليل جمعة الطوال

# الحياة الأدبيـــة
## في المغرب الأقصى
### للأستاذ ع . ك

... أما وقد قرأت في مجلة (الرسالة) الغراء مقالين: أحدهما عن « الحياة الأدبية في دمشق » بقلم الأستاذ علي الطنطاوي ، والثاني عن الحياة الأدبية في بغداد بقلم عبد الوهاب الأمين ، ورأيت من صاحبيهما التبرم والتشكي من ضعف الحيـاة الأدبية كل في بلده ، ومن تصوير مظاهر الضعف في هاته الحياة التي كادت تزري بتقدم البـلاد من النواحي الأخرى ؛ أما وقد قرأت هذا فيحسن بي أن أضم صوتي إلى أخوي الدمشقي والبغدادي ، فأكتب كلمة عن الحياة الأدبية في المغرب ليعرف الإخوان والقراء أيضاً أن المغرب قد اغترف غرفة مما غرفت منه دمشق وبغداد ، وأن المغرب شريك القطرين العربيين في هذا الضعف المزري بهما

إذا نظرنا الى المغرب الحديث وأنعمنا النظر في ناحية من نواحيه المهمة ، تلك هي الناحية الفكرية والعلمية ، وأردنا أن نسبر غورها بمسبار لنعرف مدى ما بلغته من الرق والانحطاط ، من القوة أو الضعف ، من النهوض أو الجمود ، إذا أنعمنا النظر في هاته الناحية استطعنا أن نخرج بنتيجة لا ترضى . . . تلك النتيجة هي في صراحة — أن المغرب الأقصى يتخبط في ديجور من الجهل قاتم ، وفي بساطة فكر مفرطة ، وفي خمود وجمود لم يسبق لهما مثيل في عصوره التاريخية . اذا تساءلنا هل هناك حركة فكرية أو علميـة تسود المغرب الأقصى حتى يجتى من ورائها ما يزيح به هاته الظلمة التي تغمره من أقصاه إلى أقصاه وحتى تكون حداً فاصلاً بين هاته « الفترة » وبين الحياة العلمية المترقبة وذهبنا ، نلتمس الجواب عن هذا السؤال بالنظر في المغرب والبحث عن مظاهر هاته الحركة حتى وصلنا الى مهد حركاته العلميـة في عصوره السالفـة الى « كلية القرويين » التي أنجبت فطاحل علماء المغرب ، استطعنا أن نخرج بالنتيجة الآتية وهي : إن هاته الحركة التي نبتغي البحث عنها وعن مظاهرها هي شيء لم يوجد حتى الآن ، بل هي حلم لذيذ يطرق أفكارنا كطيف الخيال ، غير أن هناك شبح حركة علمية تغذيها كلية القرويين ونظامها الجديد ولكن . . على حال مشوهة لا ترضي ولن ترضي — إذا بقيت الحال كما ترى — فاذا ما أطلقنا عليها « حركة علمية » فقد عرضنا أنفسنا لظلم الحقيقة والتاريخ

هـذه كلمة مجملة أبنا فيها ضعف الحياة العلمية في المغرب وقدمناها بين يدي كلمتنا عن الحياة الأدبية لنعرف السبب الرئيسي لضعف الحياة الأدبية المغربية والعنصر الوحيد الذي يكون هذا الضعف وعده بسبب منه ... وإذا بحثنا عن الحياة الأدبية المغربية ، أعني وسط الأدب المغربي لنرى هل هو وسط راق أو منحط . .

وهل هناك ما ينتمي بالحياة الأدبية حقاً ، لم نجدها أحسن حالاً من الحياة العلمية ، بل نجدها أضعف منها وأحط بكثير ؛ ولم نجد هناك مايطلق عليه هذا الاسم ويسمى بالحياة الأدبية . فهذه ناحية تنقص المغرب من جملة النواحي التي تنقصه وتزري به وتظهره في العالم العربي أشل . تنظر إلى العالم العربي وتقيس المغرب بجانبه فيظهر لنا البون الشاسع بين حياته الأدبية وحياة العالم العربي . فهذه المطابع الشرقية تظهر علينا من حين لآخر بعشرات الكتب الجديدة الأدبية والعلمية بأقلام أدباء شرقيين وخاصة في مصر ، فأين هي آثار المطابع المغربية من ذاك ؟ وأين هي المجهودات الأدبية للأدباء المغاربة أمام مجهود الشرقيين على العموم والمصريين على الخصوص ؟ ! . .

وهذا العالم العربي يطلع علينا كل يوم بمئات الصحف والمجلات الأدبية والعلمية ويظهر فيها من المقدرة على البحث الأدبي والانتاج العلمي ما ينبئنا بقوة حياته الأدبية وبلوغها أوج الكمال ، فأين هي الصحف والمجلات المغربية الأدبية ؟ وأين هو انتاج المغاربة الأدبي وبحثهم العلمي ؟ وهذه الأندية الادبية في الشرق تخرج لنا كل يوم محاضرات قيمة تتغـذى بها أفكار الناشئين وتكون فيهم روحاً أدبية تعينهم على مضاعفة جهودهم حتى يبلغوا المستوى اللائق بأمتهم ، فأين هي الأندية الأدبية المغربية وأين هي آثارها نحو الناشئة المغربية . . ؟

إنا لنبحث عن عوامل تكوين هاته الحياة الأدبية المنشودة

فى الكتب والمجلات والأندية فلا نجد أثراً لهذه العوامل نفسها ، فما هو سبب هذا الضعف فى حياتنا الأدبية . . . ؟ ؟ إذا بحثنا عن السبب فى ضعف هاته الحياة بل فى اضمحلالها لم نجده ينحصر فى سبب واحد أو اثنين ، ولكنها أسباب تتراكم على من يحث عنها وقلب بين جوانبها وسنذكر أهمها فى هذه الكلمة

١ — ضعف التعليم

هذه ناحية مهمة وسبب قوى ، بل سبب رئيسى لضعف الحياة الأدبية فى المغرب ؛ فالتعليم هو قوام كل حياة ، وإذا بحثت فى الشعب المغربى وأحصيت مقدار المتعلمين وجدت عددهم لا يزيد على خمسة فى الألف من شعب عدد سكانه يربو على خمسة ملايين . وهذا القدر الضئيل من المتعلمين يرجع إلى عدم وجود المدارس الكافية فى أنحاء الشعب المغربى . أما مدارس الحكومة فهى على قلتها لا تضمن للمتعلم أى مستقبل ولا توجه نظره لأية جهة ، فضلاً عن عدم اعتنائها باللغة العربية وعلومها . فلم يبق بين أيدينا سوى كلية القرويين التى يتكفل برنامجها الجديد بتخريج أدباء بل أساتذة فى الأدب العربى — وهم الذين تخرجوا فى القسم العالى الأدبى — وهؤلاء يمكن أن نعلق عليهم الأمل فى بعث حركة أدبية فى المغرب ، لولا ما ينقص هذا القسم من عدم وجود أساتذة أكفاء يقومون بالمهمة التى نيطت بهم

إذن فأين هو الوسط الذى تنمو فيه هاته الحياة الأدبية وتزدهر ؟ إذا لم يكن وسط المتعلمين فأى وسط ؟ ؟

٢ — الصحافة

من عوامل بعث الحركات الأدبية ، بل جميع الحركات ، الصحافة . ومن البر بالأدب ألا ننسى فضل الصحافة عليه وعملها فى بعث الحياة الأدبية فى الأقطار العربية . فهذه مصر زعيمة الشرق العربى تتخذ الصحافة أداة لترويج سوق الأدب ونفاقه ، فإليها يرجع الفضل الكبير فى نقل نتائج الحركة الأدبية المصرية إلى الأقطار الشرقية الأخرى . فلننظر فى الحياة الأدبية المغربية ، ولنر حظها من الصحافة ، وعمل هذه الأخرى فى تكوينها وبعثها

المغرب الأقصى من جملة الشعوب التى لم تحظ حتى الآن بصحيفة — أدبية أو علمية — سوى جريدة (السعادة) لسان الحكومة الرسمى وناشرة أخبارها ومقرراتها . ويرجع هذا الفقر الصحفى فى المغرب إلى القانون الجائر الذى وضع للصحافة بالمغرب ، إن صح لنا أن نسميه قانوناً [1] . وقد أنشئت صحف فى منطقة النفوذ الاسبانى فطوردت فى منطقة النفوذ الفرنسى [2] . نعم هناك مجلة علمية تصدر شهرياً فى تطوان باسم « المغرب الجديد » فعليها نعلق آمالنا فى بعث الحياة الادبية فى المغرب . أما « مجلة المغرب » التى تصدر شهرياً فى رباط الفتح ، فليس يعنيها من الناحية الأدبية والعلمية شىء ، وإنما يهمها — الخبز والتعليم — على حد تعبيرها . فإذا علمنا هذا الفقر الذى يعانيه المغرب من الصحف والمجلات ، استطعنا أن ندرك بسهولة سبباً من الأسباب القوية فى خمود الحركة الأدبية فى المغرب . أما ما نسمع فيه الحين بعد الحين من طنطنة أدبية فيرجع الفضل فيه إلى الصحف الشرقية ، ولمجلة « الرسالة » الحظ الأوفر فى ذلك

٣ — المشارع الأدبية

لسنا نعنى بالمشارع الأدبية سوى تلك الحفلات التى يقيمها جماعة من الأدباء لتكون مسرحاً لمباراتهم الأدبية وحافزاً لهم على القول والكتابة ؛ وهى من دواعى النشاط الأدبى والانتاج الفكرى ورثها العرب الخلف عن سلفهم الذين كانوا يقيمون أسواقاً سنوية لقرض الشعر وانشاده ، فقد حدثنا الرواة كثيراً عن أسواق العرب فى الجاهلية وما أنشد فيها من شعر وأدب . ولقد اتبع هذه السنة أدباء العربية اليوم فأخذوا يقيمون الحفلات المتوالية لبعث الحركة

(١) يقضى قانون الصحافة فى المغرب ، والعربية منها بالخصوص ، أنه لا يتمكن إصدار جريدة أو مجلة عربية إلا بعد الحصول على الاذن من الصدر الأعظم ( رئيس الوزارة ) وله الرجوع فى هذا الاذن فى أى وقت شاء ، ولرئيس الجيش الأعلى تقديم تحرير يتبع الصحيفة فيتبع أمره بلا استثناء . هذا وعلى الخارجين عن قانون الصحافة عقوبات فادحة من شأنها أن تصرف الناس عن طلب الصحافة . ونلاحظ أن هذا القانون إنما هو صورى فقط ، وإلى الآن لم يتمتع المغرب بأية صحيفة رغم مطالبات عديدة

(٢) قسمت المطامع الأجنبية المغرب إلى ثلاث مناطق (١) المنطقة السلطانية أو منطقة النفوذ الفرنسى (٢) المنطقة الخليفية أو منطقة النفوذ الأسبانى (٣) المنطقة الدولية

الأدبية وإحيائها ؛ فهم بينما يحتفلون بالعلماء الأحياء الذين قطعوا مفازة كبيرة فى الجهاد العلمى ، إذا بهم يحتفلون بالأموات تقديراً لمجهوداتهم الأدبيـة أو العلمية أو غيرها . وفى هذه الحفلات الأدبية ترى ألسن الشعراء والخطباء تتنافس فى جيد القول ، وكفى بهذا فائدة للحياة الأدبية

وإذا نظرنا الى المغرب الأقصى وأردنا أن نعرف ما يؤديه لحياته الأدبية من ناحية هذه المشارع لم نجد له أى عمل فى ذلك ، وهذا ما سبب لحياته الأدبية هذا الضعف وهذا الجمود ، وأوقعه فى هذه الأزمة الأدبية التى يعانيها ويذوق من أجلها الأمرين . نعم حاول بعض الأدباء أن يخطوا بالمغرب خطوة فى هذا السبيل فكان من آثارهم حفلة ذكرى الأربعين لخالد الذكر « أحمد شوقى بك » وحفلة الذكرى الألفية لأبى الطيب المتنبى ( أقيمت بفاس فى ٢٥ رمضان الفارط ) وهى خطوة حميـدة فى هذا الباب كان لها أثر أدبى جيل . غير أن هذا العمل الضئيل الذى قام به هؤلاء الأدباء لا يكفى فى بعث الحركة الأدبية وإيقاظها ، إذ هو لم يعد حفلتين كانت أولاهما منذ ثلاث سنين أو تزيد ، وأخراهما فى هذه السنة ؛ وإنما الذى يتطلب أن تكون هناك حفلات أدبية منظمة يتكفل بها أدباء مثابرة حتى يستطيعوا أن يكونوا حياة أدبية وأن يبعثوها من مرقدها . وقد حاول طلبـة القرويين مراراً أن ينشئوا جمعية أدبية علمية يكون من أهم أغراضها تأسيس ناد لهذه الغاية نفسها فلم يظفروا بذلك من الحكومة

٤ — البخل على الأدب

وهذا سبب آخر قد يكون وصمة فى جبين الحياة الأدبيـة المغربية ومانعاً من الموانع التى تعوقها عن التقـدم وتدفعها نحو الضعف والجمود ، ذلكم السبب هو البخل على الأدب ، أعنى عدم وجود الناشرين لهذا الأدب الذى نود أن يبعث . فمن دواعى النشاط الأدبى أن يجد الأديب الذى يقف قسطاً من حياته على تأليف كتاب أدبى أو نظم ديوان شعر ناشراً يبرز مجهوداته إلى الوجود ويخرجها إلى الناس ليعرف مقدار عمله ، ويكون ذلك مشجعاً له على المضى فى سبيله والمثابرة — مع شديد الأسف — ليس فيهم من يشفق على هذه الحياة الأدبية ، وينظر إليها بعين العطف والحنان فيقف قسطا من ماله على نشر الكتب الأدبية والدواوين الشعرية ، أو يقدم جائزة — مثلاً — لمن يؤلف كتاباً فى الأدب ، مع أن فيهم الأغنياء الذين يستهلكون ثروتهم فى شهواتهم فقط . وكما لا يوجد أفراد من هذا النوع فى الوسط المغربى لا توجـد هناك شركات تجعل موضوع تجارتها نشر الكتب الأدبية المغربية . ولست أدرى لذلك من سبب سوى عدم الاشفاق على الأدب المغربى . أما لو وجد الناشرون لبرز شطر من الأدب المغربى المخبوء ، ولتكونت حركة أدبية فى المغرب ، فلعل السبب الوحيد الذى يدعو الشعراء المغاربة لعدم نشر دواوينهم هو فقدان هاته المساعدة المـادية . فهذا شاعر الشباب الأستاذ محمد علال الفاسى يود أن ينشر ديوانه ( روض الملك) ولكن أين هو الناشر ؟

هذه جملة الأسباب التى تعين على ضعف الحياة الأدبية فى المغرب أجملنا القول فيها اجمالاً ، لنعلل فقط هذا الضعف المزرى بحياتنا الأدبية ، وليظهر للقارئ السبب الداعى لجمود الحركة الأدبية فى المغرب .....

(فاس — المغرب الأقصى) ع . ك

دراسات أدبية

# في الأدب الايطالى الحديث

بقلم محمد أمين حسونه

— ٥ —

## حنة فيفانتي وروايتها عن مصر

تعد حنة فيفانتي Anna Vivanti أستاذة فن الخيال الواضح والأسلوب الرفيع ، وقد بدأت حياتها فى انجلترا ، ولم تر وطنها — ايطاليا — إلا فى الثانية عشرة من عمرها عند ما نزحت من انجلترا لتتعلم فن الغناء . فنى هذه السن المبكرة تتلمذت لطائفة من رجال الأدب وفى مقدمتهم كاردوتشى ، ونشرت ديوانا من الشعر الغنائى « ليريكا » يفيض بالعواطف الذاتية والخيال الراق ، فلم يلبث نجمها أن تألق فى سماء الأدب الحديث

والواقع أن غنى اللغة الايطالية خطر عليها من بعض الوجوه ، فان طبيعة هذه اللغة تساعد على التمادى فى الوصف والاستغراق فى الخيال : ولما كان كتاب هذا العصر فى ايطاليا أميل إلى التأنق فى موسيقية اللغة ، وإلى المزاج الفنى الصريح ، فان أسلوب فيفانتي الخلاب وجد البيئة التى ينمو فيها ، وانطلق فى الجو الحالم مرددا العواطف المشبعة بعناصر الجمال . فى روايات هذه الشاعرة نجد صفة نادرة الوجود عند كتاب الجيل المعاصر ، تلك هى غريزة الجمال . والانسان يشعر لدى مطالعته رواياتها بأن الطبيعة فى فنها تجاوزت منطقة الجلال ؛ وكما يفوق الناس بعضهم بعضاً فى المواهب وقوة الادراك السامية ، وتميز الألوان والأصوات ، فان لفيفانتي قدرة على هتك أسرار الطبيعة وابرازها فى إطار فنى جذاب

ولما كان أسلوبها الروائى ليس من النوع التحليلى فالنتيجة هى أن الشخصيات الثانوية فى رواياتها أغزر حياة وتأثيراً من البطل نفسه ، كما فى رواية الغجرية Eingaresca . ويمكن تقسيم أبطالها إلى قسمين : الفريق الأول وهم الأبطال الأقوياء الذين يتمتعون بالحياة إلى أقصى حد ، مع استفادتهم من ضعف الآخرين ؛ والفريق الثانى الفقراء الذين يحنون رؤوسهم أمام قسوة الحياة ذاكرين أنه من فعل القدر

وحنة فيفانتي صديقة وفية لمصر ، ويرجع تاريخ هذه الصداقة إلى يوم آزرت الوفد المصرى وهو واقف بباب مؤتمر الصلح فى باريس . وكانت من أخلص أصدقاء المغفور له سعد زغلول باشا ، وطالما أيدته فى صحف بلادها ؛ ولا عجب أن توحى اليها هذه الصداقة وتثمر فيها الضيافة التى لاقتها فى وادى النيل كتابة رواية « أرض كليوباترا Terra di Cleopatra » التى بدأتها بالرحيل إلى مصر ، إذ تقول :

حقاً إننى أحلم حلماً جميلاً من تلكم الأحلام الذهبية المترامية الأطراف ؛ فعند ما يستيقظ الانسان فى الصباح ، ويحاول أن يقربها إلى ذهنه تفر أشباحها بعيدة عنه ، ولا تلبث أن تختفى فى وادى النسيان . برهة وجيزة أستيقظ بعدها فاذا بى فى صحراء ليبيا ، فوق بعير يجوب بى الصحراء متجهاً نحو قبر الملك الشاب توت عنخ آمون . يقود زمامه أعرابى طويل القامة ، عريض الهامة ، وتتفتح عيناى عن هذه الصحراء الذهبية ، فاذا بسرب من الفلاحات المصريات يرتدين أردية سوداء ، وفوق رؤوسهن جرار الماء ، وعند ما أقترب منهن يحدقن فىَّ بعيونهن الدعجاء قائلات : « سعيدة ، نهارك لبن »

واستطردت الكاتبة فى وصف مشاهد الصحراء وأسواق القاهرة ، إلى أن أتت على مقابلتها المرحوم زغلول باشا فقالت :

« وفى غداة يوم وصولى إلى القاهرة قصدت إلى بيت « الرئيس الجليل » الذى استقبلنى واقفاً خلف مكتبه ، وعلى رأسه ذلك الطربوش الأحمر الذى لا يرفعه المصريون للتحية ، بل يبقونه فوق رؤوسهم كرمز للوقار . ويبدو لى الرئيس كما كنت أعرفه فى باريس منذ سنوات ، فلا المظلمة ولا الاضطهاد ، ولا النفى ولا الهتاف باسمه فى الشوارع ، استطاع أن يغير هذه الهامة الطويلة ، ويضعف من ضياء عينيه الوقادتين . وكانت تقف إلى جانبه ( صفية زغلول ) التى حيتنى باشة مبتسمة . ودار الحديث بيننا بالفرنسية إذ أنها لغة الأجانب الرسمية فى مصر ، ولأن البحث بالانجليزية أمر بغيض إلى قلوب المصريين . وما إن أبلغته

تحية أصدقائه من كتاب إيطاليا وصحفييها الذين أحاطوا قضية بلاده بعطفهم حتى قال :

— إنك كنت صديقة هـذه البلاد ، وقد أعطيتها عبتك قبل أن تريها ؛ فها هي ذي أمامك ! اذهبي إلى أي مكان تشائين ، عسى أن تتكشف لك نفسية هؤلاء الفلاحين الساكين ، فهي نفسية نبيلة شريفة لكنها مجهولة

وعندما ودعته ختم حديثه معي بأن قال :

— عودي إلينا ثانية ، ولا تحسبي أن هذه آخر زياراتك ، وعدينا بذلك

وغادرت منزل الزعيم الوطني ووجهتي مصر العليا عن طريق النيل ، لأشاهد الأقصر بحدائقها الغناء ، وطيبة ذات المائة باب ، وكوم امبو بأبنية المعابد ، وفيلى جوهرة مصر المكنونة

ها نحن أولاء في أسوان « مدينة الشلالات » التي يقصدها المسلولون طلباً للشفاء ، ويأتيها المكروبون عسى أن يفرجوا عن قلوبهم الحزينة أساها وبلواها ، هنا حيث الإقامة في بقعة هادئة عميقة ، تكتنفها الصحارى من كل جانب ، بحيد الإعان الصحيح طريقه إلى السماء

الله أكبر ، الله أكبر ! أدعية حارة صادرة عن قلوب عامرة بالإعان ، يرددها العرب في كل آن ، فيترجع صداها على شفاهنا المتبتلة بالتسبيح ، على حين يتوجه أبناء الصحراء شطر مكة ، وهم جاثون على الرمال ، يرددون اسم الله في تقوى وخشوع

أشرف على النيل ومياهه التي ينعكس عليها نور السماء الأزرق ، وعلى منظر الصخور التي تتراءى عن بعد كوحوش كاسرة ، رافدة تحت أقدام « اخنوم » إله الشلالات

وأخذ القارب ينساب بنا بين الجزر كالأفعى ، وترى الشمس تسقط رويداً رويداً عن الشفق ، فتلتهب السماء ، ويتغير لون الماء من سائل فضى إلى سبيكة من الذهب الابريز ، ثم تنحدر الشمس ككرة من نار ، والسماء تحترق فيقع ظلها التورد النارى على صفحة المياه حتى حسبنا أنفسنا نسير في بحر من دماء

ها نحن أولاء أمام قصر أنس الوجود ، أمام فيلى ، جوهرة مصر المكنونة ، ودرتها الباطعة ، عروس النيل وريحانته ؛ إيه أيتها الجزيرة الصامتة الحزينة ! أيتها الجوهرة الميتة ، يا زهرة اللوتس ، يا جزيرة السحر ومهبط الجمال ، أيتها الجزيرة التي تتربع فوق مندرك آخر معبد فرعوني ، لقد غمرتك المياه فغرقت وتواريت ، ورحت ضحية قحط الأرض وجوع الرجال !

والرواية مشبعة بأمثال هذه الصور الوصفية ، وتحت ستار شفاف من الحنين إلى الماضي ، والاشادة بمجد الفراعنة ، والتفاؤل بالمستقبل

## بابيني

وجيوفاني بابيني Giovanni Papini من أغرب الشخصيات في الأدب الايطالي الحديث ، وقد اشتغل بالنقد قبل أن يصبح روائياً ؛ على أن الانتقال من النقد إلى الأدب ، أو المسرح ، أو الرواية أمر مألوف في ايطاليا

قبل الحرب العظمى كان بابيني ألمع شخصية في سماء الأدب ، ومحور الحياة الفكرية في الأوساط الايطالية ؛ وقد ظفر بهذه الشهرة إثر المقالات النقدية العنيفة التي كان ينشرها بعنوان « التدمير » ، والدراسات الفلسفية التي تحدى بها شوبنهاور ونيتشه وهيجل ، وأساتذة مدرسة الفلسفة الألمانية . ثم بفضل المجلات الأدبية العديدة التي كان يصدرها لثلاثين عاماً خلت ، أي في الوقت الذي كانت الشبيبة الايطالية تلهف على التهام كل ما يقدم اليها من ألوان الثقافة الحديثة ، فوجدوا ضالتهم في بابيني ، ومجدوا من شأنه . ولكن شباب هذا الجيل سرعان ما حولوا اتجاههم الأدبي عن فنه ، إذ أنهم لم يجدوا شيئاً يتملونه في كتبه سوى فلسفة جامدة ، وفن جاف مضطرب ، وتبشير بأساليب الكثلكة مع الرجوع إلى أحضان الكنيسة

وتعد أقوى روايات بابيني على الاطلاق « مذكرات الله » التي تحدث فيها عن خلق العالم ونشأته ، فرواية « الرجل الذي انتهى » ، وقد رسم بين سطورها حياة المتاعب والآلام التي تنتاب طبقة المفكرين الذين يقضون نصف أعمارهم بين بطون الكتب ، والنصف الآخر في ظلال الفلسفة والنظريات السفسطائية

( البقية في العدد القادم ) محمد أمين حسونة

# يا ليـــل !

## للأستاذ فخري أبو السعود

يا ليلُ هل لك دوني صاحبٌ ثقة ... مثلي لقدرك صافي الود في الناس ؟
أغليتُ ساعَكَ حتى بتُّ راعيَها ... رَعْيَ الشحيح كريمَ الدرّ والماس
أغليت ساعك غيري من يبذِّرُها ... مثرثراً بين أصحاب وجُلاس
وصُنتُ آنك لا أنسى أضيّعها ... وقد صفتْ بين سِفْرٍ لي وقرطاس
لكنَّ في ملكوتِ الحسن منتجعي ... إذا دَجَوْتَ وإسرائي وتعساسي
في ملك حسنك ممتداً ومنبسطاً ... أحبُّ مسرى لمرتادٍ وجوّاس
تدعو فآتي أغذّ السيرَ تلبيةً ... ما بين دَوْحٍ رطيب الغصن ميّاس
راوي الأزاهر والأوراق ما برحت ... عليه آثارُ هامي المزنِ رجاس
تتلو صفوفٌ صفوفاً منه ماثلة ... كأنها في الدجى أشباح أحراس
أو فوق شط أتيّ الموج مرسلة ... أمواجُه خُلو أصداء وأنفاس
سالت عذوبتُهُ سيلاً ورقّتُهُ ... من مائه الملح أو من صخره الجاسي
يهتزُّ فيه شعاعُ النجم مؤتلقاً ... وآنة ضوء بدرٍ سابغٌ كاس
كم طالعتني المعاني فيك سافرة ... وأسلستْ لي القوافي أيَّ إسلاس
فرداً وحيداً أوافي ملك حسنك قد ... زهدتُ عندك في صحب وأحلاس
في وحدتي وسكون الكون لي طربٌ ... ووحشتي في الدجى يا ليلُ إيناسي
لا بل خدينيَ آمالي وعاطفتي ... أيانَ سرتُ وأفكاري وإحساسي
وما جلوتَ لعيني من خلالك ومن ... أُفْقٍ ونجمٍ وأزهارٍ وأغراس
حديث هاتيك أشهى لي وأعذب لي ... يا ليلُ من قول جهالٍ وأكياس
للنفس ثَمَّ حديثٌ كم تبثُّ به ... من ذكريات وتأميل وإيجاس
نجواك يا ليل كم تُذكي بها هماً ... وكم تجدّدُ من عزم ومن باس
تُحيي بها أنت آمالاً وترفعها ... عما بذا العيشِ من قبح وأرجاس
حتى أؤوبَ — إذا آنَ الإيابُ — كمن ... قد آب من موكبٍ أو عُرْس أعراس
مُمَتَّعَ اللبِّ والعينين راويَها ... مُنَزَّهَ النفسِ عن همٍّ وعن ياس
ما دام لي مُلكُ هذا الحسن مطرداً ... فما فؤادي على ما فات بالآسي
ولستُ أغبط من يا ليل قد جهلوا ... لديك فتنةَ أمساء وأغلاس

فخري أبو السعود

# يا فلســـطين . . . !

آفاقكِ الحمرُ أنتشت راياتها ... قد أقسمت ألا تظلَّ ذليلا
ثوري ولو فرش الذين طغوا على ... طرق الجهاد أسنةً ونصولا
لا بأس إن نضحت دماً جنباتها ... فاليوم لا يغدو دمٌ مطلولا
إيهٍ فلسطين أغضبي وتحرري ... ضاعت حقوقك بين قالَ وقيلا
مدي القلوب على الظُّبي وتبسمي ... تجدي على تلك الخدود فلولا
أملت ظالمك العتلّ وما درى ... أن التهامس يستحيل صليلا

* * *

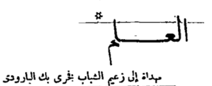
إيه فلسطين المجاهدة ابتغي ... فالظلم مرتعه يكون وبيلا
ها هم بنوك لووا أعنَّات الردى ... وأتوك لا يرضون منك بديلا
يتزاحمون إلى اللهيب كأنهم ... ظمأى وقد عدوا اللهيب النيلا
فلووا حديد الظالمين بمثله ... وبدونه لن تبلغي المأمولا
لا مجد إلا حيث يشتجر القنا ... فشيده مجداً أشم أثيلا
في كل ناحية شهيد خالد ... هو من ينادي : لا نريد دخيلا
قم يا شهيد القوم واخطب في الورى ... أصبحت حياً مذ غدوت قتيلا

* * *

جبل المكبّر[1] طال نومك فانتبه ... قم واسمع التكبير والتهليلا
فكأنما الفاروق دوّى صوته ... فجلا لنا الدنيا وهز الجيلا
جبل المكبر لن تلين قناتنا ... ما لم نحطم فوقك البستيلا

أبو سلمى

(١) الجبل الذي وقف عليه الخليفة عمر وكبر مع المؤمنين قبل دخول بيت المقدس



# العلم *

مهداة إلى زعيم الشباب فخرى بك البارودى

## بقلم عز الدين العطار

أيهذا الخفّاق رفرِفْ على الدهـ    ـرِ وتِهْ في العلاء زهواً وحسنا
الفضاء الرحيبُ محرابُك الزا    هرُ فاخفُق وأترعِ الجو لحنا
صورة أنت للربوع الغوالى    غلغلت فى الإطار داراً ومغنى
وطنى أجتليه فى رمزك السـ    ـمح وألقى الرفاق خدناً فخدنا

* * *

يا تراب الشآم يا عبقَ الخلـ    ـد ويا نفحة تناسمُ عدنا
فى تراثك القدسي يثوى الميامـ    ـينُ فيختالُ طيلساناً وردنا
ملأوا الكونَ بالهداية والنو    رِ وزانوا مغناه علماً وفنا
طلعوا فى دُجى الزمان شموساً    هى أبهى من الضياء وأغنى

* * *

الشبابُ الشبابُ ريحانة الخلـ    ـد وبأس على المدى ليس يفنى
عزمات كأنها وهج الشمـ    ـسِ تجوسُ السماء صحناً فصحنا
تتفرّى الدياجرُ السُّحمُ عنها    ويغيبُ الدجى ارتعاداً وجُبنا
ابتسمي يا ثغورُ قد أشرقَ الفجـ    ـرُ ومحّى السَّنا قتاماً ودَجنا
وثب الحق وثبةَ الأسد النا    جمِ يفرى الفلاةَ ضرباً وطعنا
تتهاوى من شدقه زأرةُ الهو    لِ فلا تملكُ الطرائدُ أمنا
رجفت من صيالِه ثورةُ الزيـ    ـغِ وريعَ الأنامُ إنساً وجنّا
الصحارى تشققت عن ليوثٍ    آدميّين زعزعوا الموت سكنا
عزفوا عن مناعمِ العيشةِ الرغـ    ـدِ وعبّوا الحياةَ رتناً وأجنا
عسلُ الذلّ يشبه العلقم المرّ    وصابُ العُلى من المزن أهنا
ليس يسمو إلى الخلود غبىٌّ    عاشَ فى ربقةِ الإسارِ مُعنَّى
يحسبُ العزَّ فى المهانةِ والعا    رِ ويعنو للخصم إما تجنّى

* * *

يا صحابى سيروا إلى المجد صفاً    والبسوا الحزم فى الحياة مجنّا
وتعالوا نردْ سبيلَ المعالى    ونعِدْ ماضياً من النجم أسنى
اذكروا أنكم سلائلُ صيد    أترعوا الأرض والسموات يُمنا
غمروا الناسَ بالمحبةِ والرِّفـ    ـقِ ونقَّوهمُ مقالاً وظنا
طاولوا الشهبَ من قِراعِ العوالى    وبنوا للفخار فى الزُّهر حصنا
ملكوا فى البيانِ ناصيةَ القو    لِ وصالوا يومَ التنافرِ لُسْنا

* * *

كفنٌ أنت يا شهيدِ رفيقٌ    تترامى عليه لَثماً وحزنا
رُبَّ قلبٍ على خفوقك وقفٍ    كلما رفّ بندُكَ الحلوُ حنّا
نامهُ طيفُك الحبيبُ فنادا    كَ وناجى بكَ العُلَى وتغنّى
لكَ هذى الأرواح منا حلال    فادعها تستبقِ الغمائمَ جَنْبا
نحنُ يومَ البلاء رمزُ التفادى    إنْ دعانا داعى الجهادِ أجبنا
بنفوسٍ لم تستكنْ لا وادى    وجسومٍ لم تعرفِ الدهرَ وهنا
تتنزّى كأنها النارُ وقداً    وترامى يومَ المزاحمِ مُزْنا
تمشى للمجدِ عطشَى إلى المو    تِ ولو عبّت الخضمّاتِ دنّا

* * *

قد وهبنا لك النفوسَ لتحيا    ليس منا من يخبأ النفسَ ضنّا
أنت منا الهوى وأنتَ الأمانى    كلُّ روحٍ ترى بك المتمنّى

دمشق    عز الدين العطار

---

# الرغام

## بقلم إلياس قنصل

اغنم العمرَ فهو أضغاث وهمٍ    تتلاشى بسرعةِ الأحلامِ
وترشفْ كؤوسه قبل أن تقـ    ـضى عليها زعازعُ الأيامِ
خُلِقَ المرء لا ليلقى على أسـ    ـمى اللذاذاتِ حلةً من ظلام
ثم يخشى الدنوَّ منها، ويدعو    خوفَه نفرةً من الاجرام
بل ليستقطر المسرّة حتى    من قتاد الهموم والآلام
ويبثّ الفتون فيما يراه    حوله من تجهم وقتام
أنت فى ميعةِ الشباب وهذا الـ    ـعهدُ، عهد المراح، عهد الغرام

---

* ألقيت فى حفلة تحية العلم التى أقامها معهد التجهيز والمعلمين فى دمشق

# القصص

وهو يدعوك فانتبه وتمتع    بالجمـــال المجسم البسام
إن ثغرى أحلى من الأمل العذ    ب وأشهى من بابلىّ المدام
تبعث القبلة الطويلة . . . منه    كلّ خافٍ من الأمانىّ سام
وعلى جسمى َ الرشيق تجلت    آيةُ الله فى بديع انتظام
هيكل من هيا كل السحر تروى    ضمة من كلٍّ قلب ظام
فرنا الشاعرُ الحزين إليها    بحنان ولوعةٍ واعتصام
طاوياً فى فؤاده حسرات    دغدغتْ ما يضمه من كلام
أنتِ لا تمنحين قلباً محبّاً    وأنا لستُ أرتضى بالرغام !

عاصمة الارجنتين    الياس قنصل

## قصـــة المفاتيح

### للقصصى الروسى مكسيم جوركى

Maxim Gorki

« هذه القصة تكشف عن شخصية هذا الكاتب العظيم ، وتؤرخ فترة قاسية من حياته ، فضلا عن أنها تصور حياة طائفة من الناس أغفل كثير من أدباء الغرب تصويرها »

كان ثلاثتنا : « زيومكا كارجوزا » و« أنا » و« ميشكا » عمالقة بلحى طويلة وعيون واسعة لها زرقة الماء ، نبتسم دائما بثغور فرحة ، ويخيل لمن يرانا أننا نترنح من الخمر أبدا . وكنا نأوى الى بناء قديم خارج المدينة ، يكاد من فرط قدمه أن ينقض ، ولا يعرف غير الله لم سمى بمصنع الزجاج ، ولعل ذلك لعدم وجود لوح زجاجى سليم به . وكنا نتقبل أى شىء دون أن يكون لنا شىء من الخيار ، وكنا نكنس ساحات البيوت وننظف الغبار ، ونتبش المقابر وأكوام القمامة ، ونهدم البيوت القديمة ، ونقطع الأسوار . وقد حاولنا مرة أن نبنى زريبة للعمالقة ، إلا أننا فشلنا فى ذلك . وكان زيومكا يسعى دائما للقيام بواجبه ، ويتشكك فى معرفتنا ببناء زريبة للعمالقة . ولهذا فقد أحضر بنفسه ظهر يوم وكنا فى غفوة كل المسامير وقطعتين من الخشب ومنشارا ، وكان ذلك كله لصاحب عمل كنا نعمل عنده ، وقد طردنا من أجل تلك الفعلة . ولما كنا لا نملك شيئاً يمكن سلبه منا لم يطالبنا بتعويض عن الأضرار التى لحقته بسببنا ؛ وكنا فى كفاف من العيش ؛ وكنا غير راضين بما قسم لنا — وهو أمر طبيعى فى مثل هذه الحالة . وتطور هذا الشعور بفعل الزمن فأصبح كراهية لكل ما يحيط بنا . وجرنا ذلك الى أعمال تهديدية توقعنا تحت طائلة قانون العقوبات . والواقع أننا عشنا فى ألم ، غير مبالين بالحياة ، مرغمين على البحث عن عمل وليس لنا من مظاهر الحياة المادى سوى تجاوب ضعيف .

وكنا قد تقابلنا فى ملجأ لمن لا مأوى لهم قبل أربعة عشر يوماً من الحادث الذى سأقصه عليك لأنه شائق فى نظرى ؛ وصرنا بعد يومين أو ثلاثة من تعارفنا أصدقاء نسير معاً إلى كل مكان ، ويفضى كل منا لصاحبه بآماله وأغراضه ، ويشاطر بعضنا بعضا كل شىء ؛ وبالاختصار عقدنا اتفاقا لا نص له على أن نكافح سواسية مداوين ومهاجين الحياة التى ناصبتنا العداء

وفى النهار كنا نبحث بجد عن عمل ، فى قطع الأحجار ، أو الهدم أو الحفر أو النقل ، وعند ما تتهيأ لنا فرصة مثل هذه كنا نعمل بجد ونشاط

ولما كان لكل منا غرض أسمى من وضع مواسير المجارى أو تنظيفها — وهو من أشق الأعمال — فقد سئمنا العمل فيها بعد يومين . ثم أخذ زيومكا يتشكك فى ضرورة الحياة .

ستصير هذه مجارىَ ، لأى شىء ؟ للقاذورات ؟ أليس فى وسع الانسان أن يلقى بها أمام داره ؟ كلا . هذا لا يصح عمله فانها تثير رائحة كريهة . هكذا ! القاذورات تثير رائحة كريهة . أعمال عظيمة من أجل أشياء تافهة ، ولو أن انسانا قذف مثلاً بخيارة

مخالة، غير كبيرة الحجم، فماذا تبعث هذه من رائحة؟ إنها تبقى يوماً ... ثم تختنق ... — تتعفن: لا، ولكن إذا قذف بجثة آدمي إلى موضع فيه الشمس فانها تتعفن حقاً، إلا أن ذلك عمل منكر!»

مثل هذه الأحاديث كانت تفت في عضدنا وتقلل رغبتنا في العمل. وكان ذلك يفيدنا كل الفائدة عندما نعمل بأجر يومي في الأعمال الجزئية. فقد كنا نتقاضى أجرنا دائماً قبل أن تتم ما عهد الينا به من عمل. وذهبنا مرة إلى مقاول وطلبنا منه أن نعمل في عمل، إلا أنه طاردنا وهددنا أن سوف يضطرنا بمعونة الشرطة إلى إتمام العمل الذي أنقدنا أجرنا عليه من قبل. وكنا نجيبه بأنه لا طاقة لنا على العمل وبطوننا خاوية. وتشبثنا مطالبين بالعمل، وكنا نحصل عليه في أغلب الأحيان

كان ذلك خطأ منا، ولكن لا نكران في أنه كان مفيداً لنا. ولم يكن في وسعنا أن نصلح شيئاً من نظام الحياة الذي فسد، حتى أصبح القيام بعمل والانتفاع به ضدين

وكان زيومكا في كل مرة يتولى المفاوضة مع أصحاب العمل، وكان يقوم بها بمهارة ولباقة. وكان يبرهن على صحة مطالبه بهدوء الرجل المهدود القوى الذي يرزح تحت عبء الأعمال التي لا طاقة له بها

وكان ميشكا يقف صامتاً الى جانبه، ويحملق بعينيه ويبتسم ابتسامة الرضا والسرور، كما لو كان في نيته أن يقول شيئاً ولكن خار عزمه. وكان يندر أن يتحدث، فاذا ما عمل أخذ في الكلام كمن يلقي خطاباً. ثم ناداه مبتسماً:

«أخي!» وكانت شفتاه ترتجفان عجباً، وبقي صوته محتبساً في حلقه، وبدا يسعل ليستر خجله، ثم أمسك رقبته بيده

وقال زيومكا، ولم يطق صبراً: «ما بالك؟»

فقال له: «أخي! إننا نعيش كالكلاب، بل أتعس منها.. ولم ذلك؟ لا أحد يدري! ولكن لا بد من أن الله عز وجل أراد ذلك، فكل شيء يسير بإرادته. أليس كذلك يا أخي؟ نعم هو كذلك. ولذا أقول إن ما نلقاه نحن التعساء هو العدل. أليس ذلك تفكيراً صحيحاً؟ وعلى ذلك أفلا يمكن أن تتحسن حالنا؟ يجب أن نرتضي حظنا صابرين... أليس كذلك؟»

ولكن زيومكا أجاب على أسئلة زميله المتعددة المثيرة للخواطر بكلمة مختصرة: «يا قليل العقل!»

فانكمش ميشكا وقد عرف خطأه، وابتسم خجلاً وبرقت عيناه المتفخختان من الخمر وسكت. ثم قال فجأة: «آه، لو أن لنا «خنزيراً»».

وكنا ذات يوم نتسكع في السوق نبتغي عملاً، فاصطدمنا بامرأة عجوز ضامرة قصيرة ذات وجه كثير التجاعيد؛ وكان رأسها يهتز فوق عنقها. وعلى أنفها منظار كبير محاط باطار غليظ من الفضة، يتأرجح يمنة ويسرة فتعمل يد العجوز لتثبيته في موضعه. أخذت تحدق فينا النظر؛ وقد وجهنا إليها أنظارنا طامعين في حديثها.

وسألتنا: أليس لكم عمل؟ أتبحثون عن عمل؟

ولما أجابها زيومكا في احترام بالإيجاب، قالت: «حسناً! عندي حمام قديم أريد هدمه. كما أريد أن تنظف النافورة... فكم من الأجر تطلبون؟»

فرد عليها زيومكا في احترام أيضاً قائلاً: «يجب أولاً يا سيدتي المحترمة أن نرى الإنسان حجم الحمام، وكذلك النافورة، فلكل نافورة شكلها الخاص، إذ منها ما هو عميق جداً و... »

وطلبت منا العجوز أن نرى النافورة. ولم تمض ساعة حتى كنا نعمل مجدين بالمناشير والمعاول في هدم الحمام. فلما انتهينا من عملية الهدم هذه وتنظيف النافورة تقاضينا مبلغاً قدره خمسة روبلات وهو الأجر الذي اتفقنا عليه. وكان الحمام مقاماً في ركن مهجور من الحديقة، وعلى مقربة منه كوخ خشبي تظلله أغصان شجر الكرز. وقد رأينا ونحن نهدم بناء الحمام العجوز جالسة في ذلك الكوخ عاكفة على قراءة كتاب كبير وضعته على ركبتها... وكانت من وقت لآخر ترمينا بنظراتها الحادة، وكان الكتاب يهتز فوق ركبتها فيلمع القفل الفضي للكتاب.

ليس بين الأعمال أسهل من التخريب والهدم. وقد استفرغنا جهدنا وسط سحابة من الغبار. وكنا نعطس ونسعل ونحك ونفرك أعيننا حين قد سقط الحمام وتناثرت أجزاؤه، فقد كان عتيقاً ناخراً كصاحبته.

«هيه يا شباب، فنجيبها: واحد، اثنان، ثلاثة، هوب!»
هكذا كان زيومكا يصدر أوامره. وهكذا تساقطت كتل البناء الواحدة تلو الأخرى.

وتساءل ميشكا وهو مطرق الرأس مستنداً إلى الفأس مجففاً

عرق جبينه : ماءساه يكون هذا الكتاب ؟ إنه لكتاب ضخم ؛ ولن يكون الانجيل إذ هذا أضخم منه . »

وسأله زيومكا مستفسراً : « وماذا يهمك من ذلك ؟ »

« يهمنى ؟ كلا ! إننى أميل لاستماع من يقرأ الكتب . . . أعنى الكتب الدينية . وكان فى قريتنا جدى اسمه آفريكان يقرأ كثيراً فى الاصحاح ، وكان وقع ذلك فى أذنى كالموسيقى — ما أجمل ذلك ! »

وسأله زيومكا ، وهو يشعل لفافة التبغ : والآن ؟ »

— لا شىء . لقد كان جميلاً ، على رغم أن الانسان لا يفقهه . إنه لكلام جميل . . . وقد لا يسمع الانسان كلاماً مثله فى الشارع . نعم إن الانسان لا يعرف له معنى ، ولكنه يشعر بأن ذلك له صلة بالروح .

وهزئ زيومكا منه قائلاً : هذا ما لا أفهمه ، إن الانسان ليرى فيك من جديد غباء الحذاء القديم

فأجاب الآخر قائلاً : « إننى واثق من أنك تميل إلى السباب »

« كيف السبيل إلى مخاطبة مثل هذا الحمار ؟ إنه لا يفقه شيئاً غير ذلك : هيا ، أعمل معولك هنا — انتبه . . . هوب »

وتقوض بناء الحمام شيئاً فشيئاً وكثرت الأنقاض ، وقد أحيطت بغمامة من الغبار كست أوراق الأشجار القريبة

وبدأ ميشكا ثانية : هذا الكتاب محلى بالفضة »

ورفع زيومكا رأسه . وصوب نظره إلى الكوخ . وقال فى اقتضاب :

— « هو كذلك على الغالب »

— « إنه لا شك الانجيل »

— « لكن ذلك . وما ذا يهمك من أمره ؟ »

— « لا شىء ! »

— « لا شىء هذه ملء جيوبى . ولكن إذا كنت تريد أن تستمع إلى ما فى الانجيل فاذهب إلى العجوز وقل لها : اقرئى لى ياسيدتى المحترمة شيئاً من الانجيل . إنه لا سبيل لنا غير ذلك ؛ إننا لا نذهب إلى الكنيسة لأن أبداننا قذرة وملابسنا بالية ، إلا أن لنا روحاً كبقية الناس .. هيا اذهب » .

— هل أذهب حقاً ؟ »

— « نعم ، إذهب »

وقذف ميشكا بمعوله وأصلح ثيابه ومسح الأقذار عن وجهه بكمه ، وقال زيومكا فى نفسه وابتسامة السخرية على فمه : « ستركلك برجلها كأحقر دب . » غير أنه تلهف على متابعة خطوات صاحبه بالنظر ، وسار هذا يخطى ثقيلة وابتسامة الخجل والهدوء مطبوعة على وجهه ، ورفعت العجوز رأسها وصوبت نظرها إلى ذلك المتسكع القادم اليها ، وكانت الشمس تضىء زجاج منظارها وإطاره الفضى فيومض

ولم تركله برجلها برغم أن زيومكا تنبأ بذلك ، وكان حفيف الشجر يحول دون سماع ما تحدث به ميشكا إلى صاحبة المنزل ، ولكنا رأيناه يخر فجأة أمام قدميها ويجلس على الأرض حتى يكاد أنفه يمس الكتاب ، وكان وجهه يدل على الهدوء والرزانة ، وقد رأيناه وهو يحاول ما استطاع أن ينفخ فى لحيته ليبعد عنه الغبار ، وأخيراً استقر فى مجلسه ومد عنقه ووجه نظره إلى يد العجوز التى أخذت تقلب صفحات الكتاب صفحة صفحة .

« أنظر اليه فهو كالكلب غير المهذب ! له الآن أن يستريح . فهل نذهب نحن كذلك ؟ وماذا نعمل هنا وحدنا ، وهو يجلس هادئاً بينما نحن نعمل من أجله ونهلك قوانا . هيا ، سر إلى الأمام » .

وبعد دقيقتين جلسنا إلى جواره واحداً عن يمينه والآخر عن يساره ؛ ولم تنبس العجوز بكلمة ساعة قدومنا ، ولكنها كانت تحدق فينا وتقلب صفحات الكتاب كمن يبحث عن شىء بعينه ، وكانت السماء صافية تشيع السرور فى النفس ، وكان النسيم العليل يهب من وقت لآخر مداعباً أوراق الشجر ، وانساب من هذا وذاك سحر إلى قلوبنا التى كانت تهيأ للمحبة والسلام ، وبدأ يستيقظ فينا الاحساس بأشياء غامضة مجهولة إلا أنها قريبة منا ، وأخذت أرواحنا تتحرر من الأدناس

« بولس ، خادم المسيح »

بهذا رن صوت العجوز ، وكانت ترتعش وقد هدها الكبر ، غير أنها كانت خاشعة ، ورسم مشيكا الصليب ، وأخذ زيومكا يتحرك من جنب إلى جنب ليجد مكاناً فى الأرض مريحاً ، وكانت العجوز ترمقه بعينيها دون أن تمسك عن القراءة

( البقية فى العدد القادم )

ا . ا . ى

من اسخيلوس

# لايوس وأوديب

« درامتان مفقودتان »

بقية المنشور في العدد الماضي

للأستاذ دريني خشبة

— ٩ —

« ويلاه ! لقد جئت أستجلي الحقيقة فضاعفوا الغموض في نفسي ! أبي من هذا الذي أقتله ، وأمي من تلك التي أتزوج منها ، وأي شعب هو ذاك الذي أتعسه وأشقيه ؟ أتكون المليكة صادقة وأكون ابن بوليبوس حقاً ؟ ! أتكون زلة لسان من هذا العربيد أرسلها وهو لا يدري ما هي ؟ إذن لأبعد في الأرض ، فأنا لا أطيق أن أراني أقتل بوليبوس ، أبي ، إن كان حقاً أبي ... وأنا لا أطيق أن أراني زوجاً لأمي المليكة ... إن كانت حقاً أمي ! ... »

وذهب المسكين لا يلوي على شيء ، يأوي إلى الكهوف والغيران إذا جنه الليل ، ويتغذى بقليل من البندق أو الجوز أو التين إذا ألح عليه الجوع ، ويبل غلته من الجداول والغدران

— ١٠ —

وبينا هو يطوي الفيافي والقفار ، إذا به يصل إلى ملتقى طرق ثلاث ، وإذا به يصل ثمة في الوقت الذي يصل ملأ كريم إلى المكان نفسه ، وقبل أن يعرف أوديب أي الطرق الثلاث يسلك إذا رجل طوال يبدو عليه من ملامحه أنه جندي أو قائد ، يأمره بصوت خشن أجش أن يتنحى ناحية حتى يمر الركب . وكانت لهجة الرجل من الجفاف والغلظة بحيث لم يحتملها أوديب ، فرفض أن يتزحزح خطوة واحدة ، بل زاد فاعترض طريق الركب كأنما يتحدى رجاله جميعاً . وكيف يراد من أوديب الناشئ في بيت ملك كورنثه والذي أعدته الأيام لتولي زمام الملك أن يصدع بأمر رجل عابر طريق ، مهما كان الرجل من حول وفي طول ؟ إذن ليلتحم أوديب مع كل هؤلاء القوم في عراك عنيف ، وليكن من الأمر ما يكون !

وصاح الرجل مرة أخرى ، وأرغى من الغضب وأزبد ... ولكن أوديب وقف مكانه كأنما سمر فيه ؛ وأخذ يحدج القائد بعينين تقدحان الشرر ، وتنفثان الموت الزؤام :

ولم يستطع القائد إلا أن يمتشق سيفه وينقض على أوديب كالصاعقة ... ولكنه سقط على الثرى قبل أن يصل اليه جثة هامدة ! « خذها ضربة من أوديب ! ! »

وذهل الجنود حينما شهدوا قائدهم معفراً بالتراب ... فتكاثروا على أوديبوس ... ولكنه صرعهم واحداً واحداً بضربات كأنها سنا برق يومض خلل السحاب في يوم عاصف !

ثم نزل من المركبة التي كانت تنهب الطريق في إثر الجنود رجل مسن قد وخط الشيب رأسه ؛ واقترب من أوديب وهو يهدج كالبعير الأبلق ، ثم أخذ يحذره من الموت الذي يتربص به ... « أنت شاب يا بني والحياة حلوة جميلة ، ورد الموت لا يخلق بمنفوانك ... فانتح ناحية ، ولا تركب رأسك ، ولا تحسب أنك تقدر على كما قدرت على هؤلاء ... » وكان الشيخ يهز في يمينه سيفاً كالمنية ... ولكن أوديب تبسم من قوله ضاحكاً ... وأعجله بضربة قدت رأسه وأضلاعه ... وغادره عند حيد الجبل جزر السباع ...

وا أسفاه ! ... لقد قتل أوديب والده ! ! ونفذ ثلث القضاء ! فمتى ينفذ شطراه الآخران ؟ !

— ١١ —

سلطت على مدينة طيبة هولة رائعة ما برحت تغتال أهلها وتعيث فيها فساداً ، وكلما لقيت أحداً عرضت عليه حجيا [(١)] ، فإن فسرها وقدر على تأويلها خلت سبيله ، وإن لم يستطع غالته واغتذت به ... وقد عز على لايوس الملك ألا يقوى أحد على هذه الهولة فيخلص طيبة منها ، ويريح من شرها العباد . فلما لم يستطع أحد أن يفسر حجياها اعتزم أن يذهب إلى دلفي مستخفياً في رهط من جنده ، عسى أن يؤول له الكهنة ذلك الطلسم وينقذ شعبه من ذلك البلاء المبين !

وكأنما سعى لايوس إلى حتفه بظلفه ! فقد لقيه ولده أوديبوس وقتله ومن معه على ما وصفنا !

— ١٢ —

وقبل أن يبلغ أوديب طيبة ، كان خبر مقتل الملك وجنوده قد ذاع فيها ، ولكن من كان أولئك القتلة ؟ فلم يكن أحد

(١) الحجيا هي ما يسميه العامة (الفزورة) وهي غير الأحجية بتشديد الياء

مدرى ... إشاعات فحسب ! فقائل إن الهولة هى التى أدركتهم وصرعتهم جميعاً ؛ وقائل إن عصابة من قطاع الطرق أحدقت بهم وذبحتهم وهم نائمون .......

وكان أوديب قد سار فى طريق طويلة شاقة انتهت به إلى طيبة . فلما كان ثمة لقيه واحد من الأهالى أنس اليه ، وتبسط معه وذكر له خبر تلك الهولة الفظيعة التى قتلت ربع سكان طيبة : « وإذا لم يرح المدينة منها أحد ، فقد تقتلنا جميعاً ! ! وهى تعرض على من تلقاه حجيّا يا صاح ، فاذا عرفها وأدرك تأويلها خلت سبيله ... وإلا ... فهى لا بد فاتكة به مهما كان سلاحه ، ومهما كانت قوته !! وها هى ذى قد فتكت وحدها بالملك وجنده فى طريقه إلى دلفى ... وقد أجمعت المدينة على أن من يخلصها من ذلك الشر المستطير فانها ترفعه إلى العرش فيكون ملكا على طيبة الخالدة . ثم يحظى بالملكة الأيم فتكون زوجة له ! ! »

— ١٣ —

وكان أوديب قد زهد فى حياة التشرد التى شقى بها بعد مغادرته كورنثه ، فصمم على أن يلقى الهولة ... فاما قتلها وفاز بعرش طيبة وبيد الملكة ... وبحياة ناعمة مخفرجة ، وإما قتلته فأراحته من شظف العيش ولؤم الزمان

ودله صاحبه على مكانها ... فذهب اليها وبيده جرازه ... أظمأ ما يكون إلى دم حار وسم زعاف ! ...

وقالت له : « مكانك أيها القادم ! أفتنى فى مخلوق غريب إذا انبلج الصبح درج على أربع ، فاذا انتصف النهار مشى على رجلين ، فاذا أرخى الليل سدوله سار على ثلاث ! قل ! فان لم تستطع ، فودع الحياة [1] »

وعبس أوديب عبسة قصيرة ، وقال : « أيتها الهولة ! أهذه حجياك ! ! إذن إسمى وعى ! ذلك المخلوق هو الانسان من غير ريب ! أليس يحبو على أربع إذ هو طفل ، فاذا شب سار على رجلين ، فاذا بلغ من الكبر عتياً توكأ على عصا ، فكانت له رجل ثالثة ؟ ! »

وما كاد يتم قولته حتى اربد وجه الهولة ، وحتى انثنت تأخذ طريقها إلى البحر لتغيب فى أحشائه ، ولكن أوديب الذى ملأه انتصاره بحل اللغز عُجْباً وكبرياء ... انقض عليها وخوّض فى صدرها بجرازه ... وتركها على الشاطئ جثة هامدة !

— ١٤ —

وفرحت طيبة بمخلصها العظيم ، ومنقذها الكريم ، ورفعت أوديب إلى عرشها ، ووضعت على ناصيته تاجها ، ووهبت له يد الملكة فتزوجها !

واأسفاه !

لقد تزوج أوديب أمه ! وتم الشطر الثانى من النبوءة الصارمة ، وأولدها ابنها أربعة أبناء أشقياء ، ولدين وابنتين ، كأشباح الأسى والردى ، والتعاسة والمنون ! !

— ١٥ —

وحكم أوديب فعدل ، واطمأنت إلى رحمته قلوب العباد ، وتقدمت طيبة واستقامت أمورها ، وبلغت من الأيد والقوة مبلغاً لم تكن تحلم به ...

غير أن النبوءة تأبى إلا أن تتم ، ولا بد أن ترث ذرية أوديب التعاسة عن أوديب . ذلك أن طاعوناً اجتاح طيبة ، فكان الناس يموتون بالمئين ! وكانت حيل الأطباء ، فأرسل الملك من يستبنى كهنة أبوللو فى دلفى عسى أن ترفع الآلهة غضبها بكشف هذا البلاء عن بلده الأمين ! وعاد رسل الملك يقولون : « يقول أبوللو ابحثوا عن قاتل لايوس وانتصفوا للملك منه ... يرفع عنكم ذلك الطاعون ! »

قاتل لايوس ! ! إذن يجمع أوديب شرطة طيبة ، ورجال القضاء فيها ، ويجرى تحقيق دقيق ينتهى بالحقيقة المؤلمة ...

« يا للخزى ! ! إذن أنت هو ابنى يا أوديب ! أنا أمك ! أنا أمك ! يا للعار »

وتنطلق الملكة إلى غرفتها الخاصة فتنتحر ! وقبل أن تفعل ترسل وراء الخادم الذى كان قد أخذ الطفل ليقتله ، فيحضر ، ويعترف بكل ما كان !

— ١٦ —

أما أوديب ، فانه لا يستطيع أن ينظر إلى أمه ... بل يجن جنونه ، ويتناول دبوساً فيسمل به عينيه ، وينطلق إلى البرية على غير هدى ، فتتبعه ابنته أنتيجونى ، تقوده إلى غاب كولونوس حيث تأوى ربات الذعر فيقتلنه ...

وينكشف الطاعون عن طيبة

ويقتتل ابنا أوديب على العرش ، فيقتل بعضهما بعضاً ، وتتم المأساة !

دريني خشبة

(١) الترجمة عن سوفوكليس

# البريد الأدبي

## مكسيم جوركي

وافتنا الأنباء الأخيرة بنعي مكسيم جوركي شيخ الأدب الروسي المعاصر . توفي بعد مرض طويل مضن في نحو الثامنة والستين من عمره . وبوفاة جوركي يختتم ثبت أكابر الكتاب الثوريين الذين مهدوا بكتاباتهم للثورة الاجتماعية الروسية الكبرى أعني الثورة البلشفية ، وسيادة الطبقات العاملة ، مثل ليون تولستوي ، والبرنس كورباتكين . وكان مولد جوركي ببلدة « نجني نفجرود » من أعمال الفولجا في سنة ١٨٦٨ . من أسرة عاملة فقيرة ، واسمه الحقيقي ألكسي مكسيموفتش بتشكوف ؛ ومات أبوه وهو طفل فكفلته جدته لأمه ؛ ولم يتلق لقفره تربية ، بل اضطر منذ حداثته أن يعمل ليعيش ؛ فالتحق في التاسعة من عمره بخدمة محل لصنع الأحذية . ولبث يتنقل من عمل إلى عمل ، وهو يعاني شظف البؤس ، ولا يكاد يثبت في عمل ما ، لأنه كان منذ حداثته يبدي مللاً مستمراً ونزوعاً إلى الثورة . وكان الفتى الكسي مع ذلك يختلس الأوقات للقراءة والاهتمام بشؤون السياسة والثورة . وفي سنة ١٨٩٢ ، استطاع جوركي أن يخرج كتابه الأول « ماكار شودرا » ، وفيه صور قصصية مؤثرة ؛ وفي العام التالي أخرج كتابه « شلكاش » على مثل كتابه الأول فصادف نجاحاً كبيراً . وتبوأ الفتى « جوركي » مكانته كأديب وكاتب يحسب حسابه ؛ وفي ذلك الحين أيضاً قبض على جوركي لما بدا في كتاباته من النزعة الثورية وأودع السجن ، ومرض فيه حتى كاد يموت ؛ ولكنه ما كاد يخرج حتى عاد إلى الكتابة ؛ وأخذ يطوف أرجاء روسيا متصلاً بزعماء المجاهدين والكتاب والثوريين . وفي سنة ١٩٠٠ ، أخرج جوركي قصته الكبيرة « توما جوردييف » ، فلقيت نجاحاً كبيراً . واتصل منذ أواخر القرن الماضي بفلادمير إلتش أو « لنين » زعيم الثورة البلشفية المستقبلة وصحبه ؛ واشتغل بالصحافة الثورية ؛ واستمر مع ذلك في إخراج كتبه ؛ وكانت معظم كتبه في ذلك الحين قصصاً ثورية تمثل بؤس الطبقات العاملة التي عرفها وعاني ويلاتها صغيرا ؛ وفي ذلك يصل جوركي إلى ذروة فنه ؛ بيد أنه لم يتمكن قط من وصف المجتمع الرفيع بمثل هذه البراعة ؛ وكان ذلك وقفاً على أقطاب درسوا الحياة الرفيعة مثل ليون تولستوي . وأحسن ما يصف جوركي تلك الشخصيات الناقمة التي تخرج على النظم والأغلال الاجتماعية المفروضة ، وهي في الواقع شخصية جوركي ذاته

وعرف جوركي ظلام السجن أكثر من مرة ؛ ولكنه كان في كل مرة يخرج أقوى نفساً وأثبت عزماً على الكفاح . وفي سنة ١٩٠٦ سافر إلى أمريكا موفداً من الجمعيات الثورية الروسية ليدعو إلى قضية الحرية الروسية . ولكنه لم يلق النجاح المرغوب ، لما عرف أن السيدة التي ترافقه هي صاحبته وليست زوجته ؛ وقام أيضاً بالتجوال في ألمانيا وفرنسا ليدعو ضد القرض الذي كانت تحاول القيصرية عقده ، وهو ينذر بأن الشعب الروسي لن يدفعه ؛ ولكن مساعيه خابت وعقدت روسيا هذا القرض في فرنسا قبيل الحرب ؛ ومع ذلك فقد صحت نبوءته ، وجاءت الحكومة البلشفية فأعلنت إلغاء ديون القيصرية كلها

وعاد جوركي إلى روسيا قبيل الحرب وأسس مجلة أدبية ثورية ؛ ثم كانت الحرب ، فتفرق زعماء الثورة في كل مكان ، ولبث جوركي في روسيا ، حتى كانت الثورة البلشفية ، فظهر عندئذ في طليعة زعماء الثورة ؛ وقربه لينين . وكان جوركي يحترم الرجل الذي حطم طغيان القياصرة ، وحقق سيادة الطبقات العاملة ، أعني لنين ، ويذهب في هذا الاحترام إلى حد التقديس والعبادة . وغدا جوركي من أقطاب النظام الجديد ، وغدا لسانه وزعيمه الأدبي ؛ وأغدقت عليه الحكومة البلشفية رعايتها . ومنذ نحو عشرين عاماً يقود جوركي الحركة الأدبية الحديثة في روسيا ، ويغذيها بروحه الثوري المضطرم

وأخرج جوركى فى تلك الفترة عدة كتب رائعة : منها « الشريدون » و « ذكريات الشباب » و « المتفرج » و « كوموفالوف » ، وهو أعظم كتبه ؛ و « الأعماق السفلى » وهى قطعة مسرحية قوية ؛ وغيرها .

والخلاصة أن جوركى يعتبر من أعظم زعماء الأدب الروسى المعاصر . وقد نوه البرنس كوروباتسكن فى كتابه عن الأدب الروسى بعبقرية جوركى الأدبية والفلسفية . (ع)

## جوركى أديب الصعاليك

كتبنا كلمة فى هذا الباب من أبواب (الرسالة) منذ أسبوعين عن حياة جوركى ؛ وها قد لفظ أديب الشيوعية الكبير آخر أنفاسه فى الأسبوع الثانى من هذا الشهر (٩ يونيه سنة ١٩٣٦) من أثر التدرن الذى كان يشكو منه دائماً والذى سافر من أجله إلى إيطاليا يستشفى منه ، ولكنه ما زال به حتى قضى عليه فى النهاية . وقد ذكرنا أن جوركى عمل فى حداثته عند خباز ، ونذكر اليوم أن هذا الخباز كان اسمه (راماس) من مدينة قازان ، وأنه كان ذا أثر كبير فى توجيه مكسيم جوركى ، فقد كان يعمل ليلاً فى مخبزه اتقاء لشبهة جواسيس القيصر ، ثم يبث فى عماله روح الانتقاض على ظلم القيصرية بما كان يلقيه عليهم من أحاديث ملتهبة ، وبما كان يقرئهم من كتب ويثقفهم به من معلومات . وكان الفتى جوركى أشد العمال تعلقاً براماس ، وكان يلتهم كتبه التهاماً حتى حدثوا عنه أنه كان يقضى نصف أوقات راحته ونومه مكباً على كتب راماس ! ولما علق جوركى الأدب ومهر فى الخطابة توجه إلى بطرسبرج ودعا الشعب إلى مطالبة القيصر بالدستور ، ثم جمع عدداً كبيراً من العمال وتوجه بهم إلى قصر القيصر فى مظاهرة صاخبة وهتفوا بحياة الدستور ، وما هى إلا لحظة حتى حصدتهم نيران البنادق والمدافع من كل صوب ، ونجا جوركى بأعجوبة . ولكنه قبض عليه وحوكم أمام محكمة عسكرية فقضت عليه بالسجن لمدة سنة وعلى الزعيم الآخر (الأسقف جابون) بسنة مثلها (١٩٠٥)

وكان جوركى يستشفى فى إيطاليا حينما هبت الثورة فى روسيا فعاد اليها ليلقى لينين وليكون هو وتروتسكى أشد أعوانه وأكبر مؤيديه ، وإن يكن جوركى كان يأخذ على طاغية روسيا وزعيمها الأكبر أخذه الناس بالشدة وسوقهم إلى نظمه بالعنف ، وكان يصارحه بعدم رضاه عن هذه الطرق التعسفية فى بث مبادىء الثورة مع علمه أن معنى معارضة لينين الشنق والقتل بالرصاص . والعجيب أن عطف جوركى هذا لم يستمر طويلا ، فقد حدث بعد موت لينين أن اختلف ستالين وتروتسكى من أجل تنفيذ مبادىء الثورة تنفيذاً حرفيا فكان من رأى تروتسكى أخذ الفلاحين بالعنف وإخضاعهم بالقوة لتعاليم لينين ، ولكن ستالين أبى ورأى فى الطفرة تمهيداً لثورة الفلاحين ففضل التدرج معهم فى جذبهم إلى حظيرة هذه التعاليم . واشتد الخلف بين أقطاب الشيوعية ، وملك ستالين زمام الأمور ، وفر تروتسكى خارج روسيا ، ولحق به جوركى ؛ ولكن جوركى عاد إلى روسيا بعد ذلك فشهد بعينه صدق نظر ستالين ، فرجع عن رأيه لما رأى من استقرار الأمور ، وعاد إلى سالف تشجيعه للاتحاد السوفيتى فغنينه فى مجلته التنفيذية .

وجوركى من أشد الملحدين الذين عرفهم التاريخ ؛ فهو يقول إن المعبود الذى تعنو له الجباه إن هو إلا خرافة ، أو هو مصدر الخرافات ! وتلك جراءة على الله سبحانه وتعالى من هذا الرجل الذى خبله البؤس وذهب بوجدانه العوز فى أكبر شطر من حياته . ويكاد يكون الفيلسوف الفرنسى برجسون أشد أعداء جوركى ؛ فبرجسون روحى بطبعه ، والناس فى فرنسا يصدقونه فى كل شىء حتى لو ادعى النبوة ، ولم يدافع أحد من الفلاسفة عن وجود الله فى عصرنا الحديث بمثل ما دافع عنه برجسون ، واليه وحده يرجع الفضل فى هزيمة داروين وجوركى ، وإن يكن جوركى ما زال منتصراً بقوة الحديد والنار داخل روسيا

وإلى جوركى يعود الفضل فيما لصق بالثورة الشيوعية من تهم الاباحية وما إليها ، لأنه هو نفسه ما كان يتورع أن يظهر أمام الملأ فى أعمر ميادين موسكو وبطرسبرج (لينينجراد) محاطاً بعشيقاته و (محظياته !) . وقصته (الاعتراف) هى نموذج خبيث من أدب المتحللين تبذ قصص لورانس وجويس وبلزاك ؛ وفيها يذكر حديثاً غير محتشم لغادة من الساقطات تدعوه إلى نفسها لترزق منه غلاماً . وفى ذلك شبه من قصة لورانس التى أشرنا إليها مرة فى هذا الباب (عشيق لادى شاترلى) . وتلك القصة ثالثة ثلاث ألفها إذ هو فى إيطاليا والاثنتان هما (الأم) و (الصيف)

ونرجىء الكلام عن بقية قصصه وكتبه ومجلاته إلى نبذة أخرى

د . خ

**في المباراة الأدبية**

اجتمعت لجنة المباراة الأدبية الخاصة بموضوع « أثر الحافز الشخصي في التطور الاصلاحي والاجتماعي والوسائل العملية لتوجيه الرأي العام » التي يرأسها معالي الأستاذ مكرم عبيد باشا فنظرت في البحوث المقدمة اليها وقررت :

١ — منح الجائزة الأولى وقدرها مائة جنيه للأستاذ عباس حافظ الموظف بوزارة الداخلية

٢ — منح الجائزة الثانيــة وقدرها خمسون جنيها للأديب جميل خانكي

٣ — منح الجائزة الثالثة وقدرها ٢٥ جنيها للآنسة زينب الحكيم الحائزة لدبلوم فروبل العليا بلندن

٤ — منح الجائزة الرابعة وقدرها ٢٥ جنيهاً للأستاذ حسن مظهر المحرر بمجلة اللطائف المصورة

وقد رأت اللجنة أن تتقدم إلى صاحب الدولة وزير الداخلية ليسمح بمنح هذه الجوائز برغم انقضاء الموعد المحدد لها

**بين السياسة والأدب**

تولى الحكم أخيراً سياسيان عظيمان ؛ هما في الوقت نفسه أديبان كبيران ؛ وهما مسيو ليون بلوم الزعيم الاشتراكي الفرنسي الذي فاز حزبه في الانتخابات الفرنسية الأخيـرة ، وانتهى بأن تولى زعيمه الحكم ؛ ثم السنيور مانويل ازانا دياز ، الذي انتخب أخيراً رئيساً للجمهورية الأسبانية ؛ فكلاهما أديب كبير ، وله مؤلفات تتبوأ مكانها الأدبي . ولنلاحظ أولاً أن مسيو ليون بلوم فوق كونه اشتراكيا ، هو يهودي ؛ وهذه أول مرة يتولى فيها الحكم في فرنسا يهودي منذ وزارة مسيو كابو الذي تولى الرياسة قبل الحرب . وكان مسيو بلوم منذ أواخر القرن المـاضي صحفياً وناقداً ، ففي سنة ١٨٩٧ ، كان يتولى تحرير « المجلة البيضاء » ، وكان يعرف يومئـذ بنقده اللاذع ؛ ثم تخلى عن تحرير هذه المجلة إلى الكاتب الشهير « أندريه جيد » . ثم تحول الى الكتابة السياسية منذ حمله تيار السياسـة ، وكانت مقالاته في جريدة « البوبولير » حتى العهد الأخيـر تثير أعظم الاهتمام في دوائر السياسة .

وأما المسيو ازانا رئيس جمهورية أسبانيا الجديد فهو مؤلف ذو شهرة واسعة وله عدة كتب في السياسة والأدب نذكرمنها : ( دراسات عن السياسة الفرنسية الحديثة ) ، و ( ترجمة جوان فالير ) وهو كتاب نال به الجائزة القومية الوطنية ؛ و ( الكتابة والقول ) و ( في الحكم وفي المعارضة ) ، ثم رسالة أدبية عن ( دون كيشوتي ) ، وقطعة مسرحية عنوانها ( التاج ) هذا عدا روايات وقصص ومقالات عديدة

**كتاب جديد لهافلوك أليس**

صدر أخيراً كتاب النقادة الانكليزي الشهير هافلوك أليس عنوانه : ( مسائل عصرنا ) Questions of our Day والذين يتتبعون حياة هافلوك اليس وكتاباته يعرفون أنه من أعظم المفكرين والنقدة في عصرنا ؛ وقد بلغ اليوم عهد الشيخوخة ، ولكنه ما زال قوي النشاط ، قوي الأثر في الشباب المتأدب ؛ وقد كانت كتاباته من أكبر العوامل في الترويج للأدب الجنسي الحديث ، وهو الأدب الذي كان يرفضه المجتمع الانكليزي من قبل . ويشتمل كتاب هافلوك أليس الجديد على مائة موضوع من الموضوعات التي سبق أن عالجها في ظروف ومناسبات مختلفة ، وهذه بعضها : « ما هو المجرم . بديل الحرب . مسألة الثورات . التربية في العالم المتطور . الحاجـــة الى سماء جديدة . مسألة التعقيم الاصلاحي » وغيرها

ومع أن معظم هذه الموضوعات قد كتب من قبل ، فان الكتاب يطبعه طابع واضح من الجدة ، ويبدو تعمق الكاتب وبعد نظره في معالجات موضوعه ، حتى إن القارىء ليشعر بأن كثيراً ممـا تنبأ به هافلوك اليس في كتاباته عن التطورات الاجتماعية يقع اليوم في العالم بالفعل

# العالم المسرحي والسينمائي

## بنكنــوت

### فيلم شركة لوتس على شاشة سينما ريويف

### لناقد «الرسالة» الفني

تدفع الأثرة الكثير من المصريين إلى الجمع بين صناعات متعددة ، وهذا في عقيدتهم وسيلة من وسائل الشهرة وارتفاع الذكر في حين أن العالم يسير عكس هذه الفكرة ، فهو يعمل على توزيع الأعمال بل وتوزيع العمل الواحد حتى يستطيع الفرد أن يتخصص في ناحية واحدة ، والتخصص سبيل الإتقان والتبريز

ولقد نقدنا في فلم شارلي شابلن «العصر الجديث» قيام صاحبه بجميع الأعمال الفنية ؛ وها نحن اليوم نعود فنكرر قولنا ، ففي رأينا أن زميلنا الأستاذ أحمد جلال يستحق اللوم الكثير لتقليده شارلي ، وجمعه بين مهمة تأليف الرواية وكتابة السيناريو وإدارة الفلم وإخراجه ثم تمثيله . ونحن إذا التمسنا الأعذار لشارلي لاعداده الفلم الواحد في خمس سنوات ، فان الأمر على العكس من ذلك مع جلال الذي رهقه العمل الصحفي الى جانب عمله السينمائي . ولو أنه وزع العمل واكتفى بمهمة واحدة أو اثنتين فربما تلافى الكثير من الأخطاء التي أفسدت الفلم ونزلت به الى مستوى لا نحبه ولا نرضاه لفلم مصري

إن مخرجي الأفلام المصرية يستغلون النظارة من المصريين أسوأ استغلال بعرضهم مثل هذه الأفلام التي تنقصها العوامل الفنية التي تتوفر في الأفلام الأمريكية والانجليزية . ولو أن هذه الأفلام تشبع عواطف المصريين ، وتصور ميولهم ونفسياتهم ، لما وجدنا مصرياً واحدا يقبل على هذه الألاعيب الصبيانية ، ولأحس يومئذ المخرجون أن القومية وحدها ليست كافية لأن تجتذب النظارة إلى دور السينما

وإذا كان الجمهور يقبل على هذه الأفلام ، فهو انما يقوم بواجبه حيال هذه الصناعة الجديدة ، وتشجيعاً لأهل الفن من أبناء بلاده ، وعسى أن يجد فيما تعرض ما يعبر عن عواطفه . على أن هذا الاستغلال سينكشف يوماً ، وسيعرف المصريون أنهم يسيئون إلى أنفسهم وإلى الفن ، إذ يقبلون على هذه الأفلام ؛ ويومئذ يدرك المخرجون مبلغ الهوة الساحقة التي حفروها بينهم وبين رواد السينما . ولا أظن هذا اليوم بات بعيدا

إن أول أساس لنجاح الفلم أن تكون القصة التي تعرض للنظارة صالحة للسينما ؛ ويشترط فيها الفن ، والصناعة ، وعلم النفس ، وغيرها من الشروط التي يجب أن تتوفر في كل عمل فني ، ولهذا فان الشركات الأجنبية تنتقي خيرة القصص العالمية وتقتبسها للسينما ، وتدفع من أجل ذلك ألوف الجنيهات ؛ أما في مصر ، فان الشركات تستغني عن المؤلف الأديب ، ولا تحفل كثيراً بموضوع القصة ، ولهذا فانك لا تجد بين أكثر الأفلام التي عرضت موضوعا سامياً ولا قصة رائعة ذات جمال وفن

### ملخص قصة الفلم

سلمى ، امرأة مبتذلة ، يعود زوجها فجأة فيجدها مع عشيق لها فيطردها من بيته ؛ وتخرج لتعيش في الأندية الليلية ، وتلتقي بها نجيب مفتش البوليس فيتزوجها وينجب منها طفلة

ويدخل شوكت يوما إلى مكتب نجيب فيراه يضع أوراقا مالية في مكتبه ؛ ويدعو شوكت نجيبا لقضاء السهرة في النادي ، وهناك نجد شوكت يخسر كل نقوده ويأخذ نجيب مكانه ، وينتهز شوكت الفرصة ويسرع الى بيت صديقه ليسرق الأوراق المالية . واذ هو في محاولته يعود نجيب ويخاف شوكت أن يضبطه متلبساً بالجريمة فيسرع إلى مخدع الزوجة ، ويدخل نجيب فيظن أن زوجته تخونه ويصوب مسدسه الى شوكت ولكن هذا يفلح في إسقاط المسدس من يده ! ؟ وتريد سلمى أن تنتقم من شوكت فتطلق عليه الرصاص ولكنها تصيب زوجها

ويحكم على الزوجة بالسجن ثلاث سنوات ، وفي هذه المدة

يتعرف بشوكت الى إحدى فتيات الشوارع فيتخذها عشيقة له ، ويمدُّها لتكون شريكة له ووسيلته الى السرقة والاحتيال . وتخرج سلمى من السجن وتعمل خادمة عند هذه العشيقة فتعرف سرهما وتحبط تدبيراتهما . ويوفق شوكت الى اغتصاب آلاف الجنيهات من مكتب مدير إحدى الشركات ( وكأن المدير لا يضع نقوده في المصارف !-) ولكن سلمى ترشد البوليس الى السارق ، ويجيء نجيب ليقبض على شوكت ، وإذ يحاول هذا الهرب مهددا نجيباً بالمسدس تطلق سلمى النار على شوكت

***

يرى القارئ أن الموضوع الذى عالجه الفلم تافه لا يحتاج الى كل هذا الحشو والتطويل والتعقيد والالتجاء الى الأمور غير المعقولة التى أغفلناها فى تلخيصنا لقصة الفلم ، وهذا مما يدل على جهل كاتب القصة بالحياة والخلق المصرى . فأين الرجل الذى لا يثور لمرأى عاشق زوجته فى بيته ؟ وأين الأندية الليلية التى يصحب فيها الرجال زوجاتهم ويلعبون الميسر مع الساقطات أمامهن ؟ ! وأين الرجل الذى لا تأخذه الريبة ولا الشكوك من وجود صديقه فى بيته أثناء غيبته ؟ ومدير الشركة الذى يولول ويكاد يتملكه الجنون لأن سيدة أغمى عليها فى مكتبه ، ثم هذه الطريقة المضحكة التى تتعرف بها عشيقة شوكت إلى تاجر الأقطان ومفتش البوليس الذى لا يعرف كيف يتقى شر المجرمين ولا يعرف كيف يستخدم مسدسه . . . هذه الأشياء تبين بجلاء جهل الكاتب بعلم النفس وبالحياة المصرية

وقد تكون الفكرة التى تقوم عليها القصة مما لا يصل اليه النقد ، كما صرح بعض الزملاء ، ولكن العلاج وما يحيط بالقصة من خواش وجو مَلئ بالأقذار والأدران مما لا ترتاح إليه النفس ،

أما تصوير الشخصيات فضعيف مضطرب ، وفى بعضها نزول عن المستوى الذى يليق أن يعرض على الجمهور ، والذى لا يتسق مع بقية الشخصيات ولا مع موضوع القصة ، مثل العشيق الأبله الذى يفتتح به أول مناظر الفلم ، أو مثل شخصية الخادم (البلدى) وتَسلكه مع مخدوميه ، والفتاة السارقة عند ما أخذها شوكت الى بيته لأول مرة ، وكذلك شخصية سلوى ففيها كثير من الابهام الذى لا ترتاح اليه النظارة

والحوار لا بأس به ؛ غير أنه فى كثير من المواقف يشبه الحوار المسرحى ، كما أن هناك اسفافاً فى الأحاديث بين شوكت وسلوى ، وبين الخادم البلدى ومخدومه ، وبين شوكت والفتاة السارقة . وقد يقول المؤلف إنه يحاول أن يرسم صورة واقعية ، ولكن الفن أسمى من هذا الواقع ، ثم إن الواقع فى حد ذاته لا قيمة له إلا إذا صقلته وأعدته يد مفتن ماهر

## التمثيل والتصوير

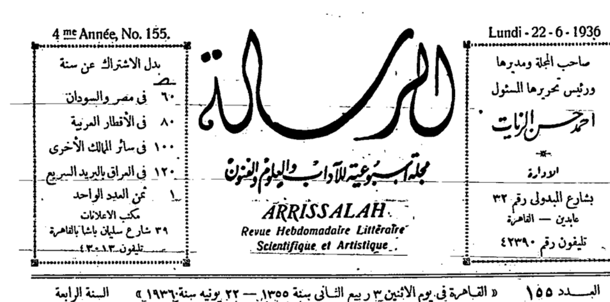
والتمثيل ضعيف ، وكثير من المواقف انقلبت الى مواقف مسرحية ، ولو أن المدير الفنى كان همه الأول قيادة الممثلين لعاد ذلك بالخير على الفلم ؟ وإننى من رأى صديقى الأستاذ أحمد بدرخان فى أن السيدة آسيا مواهب لو استغلت كما يجب لبرزت وعلا نجمها ، وهى جديرة بأن تسمى ( ماى وست ) مصر ، ولكنها مع الأسف لم تظهر فى فلم بلائمها ، ولم تعمل مع مدير فنى يستطيع أن يبرز مواهبها ، وإن ظهورها الدائم مع مارى كوينى ومع جلال مما يجعل التشابه كثيرا فى حركاتها وتمثيلها ؛ ونحن ننصح لها أن تبدل الشخصيات التى تعمل معها بين قصة وأخرى ، فللوجوه الجديدة أثر وأى أثر فى نفوس النظارة

أما تمثيل الآنسة مارى كوينى ، فماذا أقول ؟ إنها كانت تضحك فى أغلب أجزاء دورها ضحكا يتردد صداه ، حتى إننى لأذكر أنها كانت تضحك ضحكا متشابها يبعث السأم إلى النفس ، وتمثيل الرشيدى ( نجيب ) مسرحى أكثر منه سينمائياً ، أما جلال (شوكت) فكان يقوم بمغامراته كأنه لا يحفل بأحد وإذ هو يتسور حاجز الحديقة كأنه يقوم بلعبة فى وضح النهار لا يخشى رقيباً

كان المصور ينتقل فى بساطة لا أثر للفن فيها مما يدل على أن كاتب السيناريو والمدير الفنى لم يحافظا على الجو السينمائى . وكان يخرقان القواعد ، فهما يجهلان متى يجب أن يصور المنظر عن قرب أو عن بعد ، وكيف ينتقلان من منظر الى آخر . وعندى أن هذا أثر الحشو والتطويل . هذا وإنك لا تجد فى الفلم زوايا معبرة ، ولكن الضوء والصوت فى هذا الفلم جعلاه يفوق ما سبق أن قدمته الينا السيدة آسيا من أفلام

والشيء الوحيد الذى نذكره فى الفيلم هو أنه مع طوله الذى تستطيع بكل بساطة أن تحذف منه أكثر من الثلث دون أن تتأثر القصة لا تشعر أثناء عرضه بالملل والسأم اللذين كنت تحسهما أثناء عرض الأفلام السابقة لشركة ( لوتس ) ، وإن أحسست بثورة على المؤلف والمدير الفنى

يوسف




فهرس العـــــدد

صفحة



# يا شـــباب العرب !

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

يقولون إن فى شباب العرب شيخوخةَ الهِمَم والعزائم ؛ فالشبانُ يمتدُّون فى حياة الأمم وهم ينكمشون

وإن اللهوَ قد خفَّ بهم حتى ثقلت عليهم حياةُ الجد ، فأهملوا الممكنات فرجعت لهم كالمستحيلات

وإن الهزلَ قد هوَّن عليهم كلَّ صعبةٍ فاختصروها ؛ فاذا هزأوا بالعدوّ فى كلمة فكأنما هزموه فى معركة ...

وإن الشاب منهم يكون رجلاً تاماً ، ورجولةُ جسمه تحتجُّ على طفولة أعماله

ويقولون إن الأمر العظيم عند شباب العرب ألا يحملوا أبدا تَبِعَة أمر عظيم

* * *

ويزعمون أن هذا الشبابَ قد تمت الأُلفةُ بينه وبين أغلاطه ، فحياتُه حياةُ هذه الأغلاط فيه

وأنه أبرعُ مقلِّد للغرب فى الرذائل خاصة ؛ وبهذا جعله الغربُ كالحيوان محصوراً فى طعامه وشرابه ولذاته

ويزعمون أن الزجاجةَ من الخمر تعمل فى هذا الشرق

السكين عمل جندي أجنبي فاتح ...

ويتواصون بأن أول السياسة في استعباد أمم الشرق ، أن يترك لهم الاستقلال التام في حرية الرذيلة ...

ويقولون إنه لا بد في الشرق من آلتين للتخريب : قوة أوربا ، ورذائل أوربا

***

يا شباب العرب ! مَن غيركم يكذب ما يقولون ويزعمون على هـذا الشرق المسكين ؟

من غير الشباب يضع القوة بإزاء هـذا الضعف الذي وصفوه لتكون جواباً عليه ؟

من غيركم يجعل النفوس قوانين صارمة تكون المادة الأولى فيها : قدرنا لأننا أردنا ؟

ألا إن المعركة بيننا وبين الاستعمار معركة نفسية ، إن لم يقتل فيها الهزل قتل فيها الواجب !

والحقائق التي بيننا وبين هذا الاستعمار إنما يكون فيكم أنتم بحثها التحليلي ، تكذب أو تصدق

***

الشباب هو القوة ، فالشمس لا تعلو النهار في آخره كما تعلوه في أوله

وفي الشباب نوع من الحياة تظهر كلمة الموت عنده كأنها أخت كلمة النوم

وللشباب طبيعة أول إدراكها الثقة بالبقاء ، فأول صفاتها الإصرار على العزم

وفي الشباب تصنع كل شجرة من أشجار الحياة أثمارها ؛ وبعد ذلك لا تصنع الأشجار كلها إلا خشبا ...

يا شباب العرب : اجعلوا رسالتكم : إما أن يحيا الشرق عزيزاً ، وإما أن تموتوا

***

أنقذوا فضائلنا من رذائل هذه المدنيـة الأوربية تنقذوا استقلالنا بعد ذلك ، وتنقذوه بذلك

إن هذا الشرق حين يدعو إليه الغرب « يدعو لَمَن ضرُّه أقربُ من نفعه لَبِئْسَ المولى ولبئس العشير »

لبئس المولى إذا جاء بقوته وقوانينه ، ولبئس العشيرُ إذا جاء برذائله وأطماعه

أيها الشرق ! إن الدينار الأجنبي فيه رصاصة مخبوءة ، وحقوقنا مقتولة بهذه الدنانير

أيها الشرق ! لا يقول لك الأجنبي إلا ما قال الشيطان : « وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي »

***

يا شباب العرب ! لم يكن المسير يعسر على أسلافكم الأولين ، كأن في يدهم مفاتيح من العناصر يفتحون بها

أتريدون معرفة السر ؟ السرُّ أنهم ارتفعوا فوق ضعف المخلوق ، فصاروا عملاً من أعمال الخالق

غلبوا على الدنيا لما غلبوا في أنفسهم معنى الفقر ، ومعنى الخوف ، والمعنى الأرضي

وعلَّمهم الدين كيف يعيشون باللذات السماوية التي وضعت في كل قلب عظمته وكبرياءه

واخترعهم الإيمان اختراعاً نفسيًّا علامته المسجلة على كل منهم هذه الكلمة : لا يذل

***

حين يكون الفقر قلة المال ، يفتقر أكثر الناس ، وتتخذل القوة الانسانية ، وتهلك المواهب

ولكن حين يكون فقر العمل الطيب ، يستطيع كلُّ انسان أن يغتني ، وتنبعث القوة ، وتعمل كل موهبة

وحين يكون الخوف من نقص هذه الحياة وآلامها ، تفسر كلمة الخوف مائة رذيلة غير الخوف

ولكن حين يكون من نقص الحياة الآخرة وعذابها ، تصبح الكلمة قانون الفضائل أجمع

هكذا اخترع الدين انسانه الكبير النفس الذي لا يقال فيه : انهزمت نفسه

***

يا شباب العرب ! كانت حكمة العرب التي يعملون عليها : أطلب الموت توهب لك الحياة

والنفس إذا لم تخش الموت كانت غريزة الكفاح أول غرائزها تعمل

وللكفاح غريزة تجعل الحياة كلها نصراً إذ لا تكون

في النقد

# إلى الأستاذ أحمد أمين

## من الأستاذ توفيق الحكيم

يا صديقي العزيز ! حقيقة أذكر بعد قراءة فصلك الأخير في (الرسالة) أنك كنت عازماً على نقد كتابي (محمد)، فما الذي منعك ؟ وأذكر أيضاً أنك أفضيت إلى بخوفك من أن يسيء رجال الدين فهم مرادك فأشار أنا بذلك ؛ وهي عاطفة نبيلة حمدتها لك . على أني فيما أذكر أيضاً قد شجعتك على المضي في نقدك وهو في جملته لا يؤذيني . بل إني قد وافقتك عليه معجباً بفراستك مقدراً لبراعتك في الوقوع من فورك على المواطن التي يجوز فيها النقد والكلام . فأنت ترى أن المؤلف لم يغضب ، بل ابتسم واغتبط ليقظة الناقد ؛ في الواقع أني لست أومن كثيراً بتلك الأسطورة التي تروي عن غضب المؤلفين . واسمح لي أن أتكلم بلسانهم فأقول إن هذا الغضب لا يجد سبيلاً إلى نفس الكاتب إلا إذا شعر من ناقده بعزوف عن الحق والجد ، ونزوع إلى الحط من القدر مبطن بسوء القصـــد . فالناقد الذي يحترم شخصي ويهدم عملي لا يغضبني . لأني أعلم أن الأديب لا يهدمه النقد . فهو كائن ممتاز لا يُهدم ، ولا يُقبض إلا باذنه ، ولا يقضى عليه إلا بارادته . إن الأديب لا يموت مقتولاً ؛ بل يموت منتحراً .

ومع ذلك فاني لا أحب للمؤلفين أن يغضبوا على أي حال ، فان الغضب علامة الضعف الآدمي . ولا شيء في الوجود أقوى من الابتسامة . ولكن ، من ذا الذي أعطى القدرة على الابتسام الصافي الجميل في كل موقف وفي كل حين ؟ أهو الجبار وحده ؟ ألا ترى معي أن الجبروت إنما هو الصفاء ؟ ( إذا أردت أن تسلك طريق السلام الدائم ، فابسم للقــدر إذا بطش بك ، ولا تبطش بأحد ) تلك كلمة لعمر الخيام ، جعلتها في رأس كتابي ( من الشرق ) الذي لم أكتب منه في سنوات ثلاث أكثر من ثلاثة فصول . وانك لتعجب إذا قلت لك إن هذا البطء أو هذا العجز مرجعه علة واحدة قد انكشفت لبصيرتي آخر الأمر : عدم استكمال تلك الصفة العليا التي يرتديها بعض رهبان الفكر كما ترتدي المسوح : الصفاء

. . إن كنت من رأيي في كل هذا فان لي عندك حاجة : أن تنشر معي تلك الابتسامة بين الأدباء ، فان الأدب شيء جميل ؛ هو جنة لا صخب فيها ؛ وهو معبد لا تدخله الأحقاد . إن أعجب ظاهرة في أدبنا أنه لا توجد فيه صداقات عظيمة جديرة أن يتحدث عنها تاريخ الأدب ؛ تلك الصداقات التي نراها في آداب الحضارات الكبرى قد أنتجت من الرسائل والأخبار والآثار ما لا يقوم بمال . ما الذي يعوزنا نحن ؟ أهو شيء في الخلق ؟ أم هو ضعف في النفس ؟ أم هو نقص في الثقافة ؟ لست أعلم . انما الذي أعلمه أن الصداقة الخالصة بين رجال الأدب والفكر هي أظهر دليل على نضوج هذا الأدب وهذا الفكر

وبعد ، فاني أرجو أن تقبل أطيب التحية من المخلص

توفيق الحكيم

---

الفكرةُ مهما - إلا فكرةً - مقاتلة

عزيزة الكفاح يا شباب هي التي جعلت الأسد لا يُستسمَنّ كما تسمَّن الشاة للذبح

وإذا انكسرت يوماً فالحجرُ الصَّلْدُ إذا تَرَضرَضَتْ منه قطعة كانت دليلاً يكشف للتبين أن جميعه حجر صلد

* * *

يا شباب العرب ! إن كلمة (حتى) لا تحيا في السياسة إلا إذا وضع قائلُها حياتَه فيها

فالقوةَ القوةَ يا شباب ! القوة التي تقتل أول ما تقتل فكرةَ الترف والتخنث

القوة الفاضلة المتسامية التي تضع للأنصار في كلمة (نعم) معنى نعم

القوة الصارمة النفَّاذة التي تضع للأعداء في كلمة (لا) معنى لا

يا شباب العرب ! اجعلوا رسالتكم : إما أن يحيا الشرق عزيزاً ، وإما أن تموتوا !

(طنطا) مصطفى صادق الرافعي

# في النقد

## للدكتور محمد حسين هيكل بك

عزيزي الأستاذ الزيات :

أثرت في أعداد « الرسالة » الأخيرة حواراً طريفاً حول « النقد » بمقالك الذي نشرته في عددها الذي صدر في ١٨ مايو الماضي ، والذي عقب عليه الأستاذان أحمد أمين وطه حسين . وإنني أغبطك كصحفي لما صادف موضوعاً أثرته من هذا النجاح : وأي نجاح أكبر من أن يدخل حلبة الحوار صديقان من كبار كتاب مصر وأدبائها ، فيقلبان من المواضع في « النقد » ما كان ركد ، ويشيران إلى مواضع ضعف في كتابنا وأدبائنا ، شيوخاً وناشئين ، ويضفان علة ركود النقد مع يقظة الأدب ؛ وتدعوانني بذلك للاشتراك في حديث بعد النقد بيني وبينه ؛ وما كنت أظنني أعود من بعد إليه .

ولم يكن انصرافي عن النقد عن ايثار للسلامة ، أو مداراة للجمهور ، أو اندفاع في تيار هذا الجمهور بعد أن كنت أريد جذبه إلى تياري . كلا ! وإنما كان انصرافي عن النقد وعن ألوان غيره من الكتابة أنني أيقنت أن فيما أنا بسبيله اليوم من مباحث في سيرة النبي العربي وفي عصره ما هو أجدى على القراء وعلى الغرض الذي أرجو للجماعة الانسانية أن تبلغه مما كنت بسبيله من قبل . ولست أريد الآن أن أصف كيف حدث هذا التطور في نفسي ؛ فذلك أمر يطول بيانه . وإنما ذكرت منه ما ذكرت لأبين به السبب الذي انصرفت من أجله عن النقد وما يتصل به . وما أحسب منصفاً إلا يرى أن ما يستنفده البحث في السيرة والاتصال بعصرها وبيئتها من وقت وجهد كاف ليشغل الباحث عن غيره من الأمور ؛ هذا ولو أنه كان منقطعاً لهذا البحث . ما بالك إذا شغل بالصحافة وبغير الصحافة من شؤون لا تدع له فرصة التنقل من قراءة إلى قراءة ، وتدبر كل ما يقرأ تدبراً يسمح له بنقده وتقديره نقداً عادلاً وتقديراً نزيهاً ؟!

ولست أريد بهذا الذي قدمت أن أعتذر عن انصرافي عن النقد ورغبتي عنه . فأنا أرى هذا الانصراف طبيعياً في شأني وشأن كثيرين غيري ممن عنوا بالنقد وتوفروا عليه منذ عشرين أو خمس وعشرين سنة مضت ؛ أي في بدء حياتهم في الكتابة والأدب . وهو طبيعي إلى حد لا يجوز معه توجيه اللوم إلينا . فأكثر الكتاب يبدأون حياتهم في الكتابة بالنقد ثم ينصرفون عنه . هذا شأنهم في أوربا اليوم . وذلك كان شأنهم في غير أوربا من قبل . وهذا شأنهم لأنهم يقرأون يومئذ وهم شبان ليستزيدوا من العلم ، وهم ينقدون ليمحصوا هذا العلم ، وهم يفتنون في النقد ليكونوا لأنفسهم ملكة التقدير . لعلهم لا يفعلون ذلك متعمدين . لكن ذلك هو الواقع في أمرهم ؛ فشأنهم في ذلك شأن الشجر ، وشأن كل كائن حي أول نشأته ، هو يمتص من الغذاء كل ما حصل عليه أو اتصل به ، وهو يصفي هذا الغذاء ويتمثله لينمو بالبقية الصالحة منه للنمو ، وهو يفرز ما ينقده ولا يسيغه ؛ فإذا بلغ حد النمو قل ما يتناوله من الغذاء ، ودقق في اختيار هذا الغذاء القليل الذي يتناوله ، لأنه يكون في شغل عن النقد والتمحيص والافراز بالأثمار والانتاج ، وإن استنفذ بأثماره وإنتاجه قوته حتى ينتهي من ذلك إلى استنفاد حياته .

فالنقد الذي يبدأ به الناشئون من الكتاب والأدباء حياتهم هو هذا التمثل للغذاء الذي يتناولونه . وهم يعرضون هذا النقد على الجمهور ليسمعوا حكم الجمهور على تقدمهم ، وليطمئنوا إلى أنهم أحسنوا التمثل . والجمهور يطرب لما يراه من آثارهم طربه لترعرع الناشئ وفتوة شبابه . فإذا انقضت هذه الفترة من الحياة مال الكاتب أو الأديب مع سجيته ، واختار الطريق الايجابي الذي يسلكه في إنتاجه . وقد يتفق هذا الطريق وماضي حياته الأدبية ، وقد يكون اتجاهاً جديداً في هذه الحياة يحسبه بعضهم مناقضاً لها بينما هو أثر محتوم من آثارها ، لم يكن لصاحبه مفر من الاتجاه فيه ما دام سليم المنطق حسن التقدير .

صحيح أن من الكتاب من يجعل النقد رسالته الأدبية طيلة حياته ، وقد تتصل سائر آثاره بالنقد ولو بمقدار . ولقد كان من هؤلاء في فرنسا عدد غير قليل أمثال سانت بيف وجول لمتر . لكن هؤلاء إنما جعلوا النقد رسالتهم في الأدب غير مكتفين بما يظهر من الكتب في عصرهم . وهم قد جعلوا النقد رسالتهم

[ البقية على صفحة ١٠٣٩ ]

# ذات الثوب الأرجوانى

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

— ٢ —

( ملاحظة — الـكلام ليس شخصياً وكل ما فيه متخيـل ولا حقيقة لذات الثوب الأرجوانى )

لم يكن العزم أن أكتب هذا الفصل ولـكن « الرسالة » — جزاها الله خيراً — أبت إلا أن تستزيدنى فوضعت الرقم ( ١ ) تحت عنوان الفصل السابق ، فصار لا بد أن أكتب الثانى — أو اللاحق — وإلا عدنى القراء مقصراً أو مغالطاً أو فاتراً ، وأنا أقصر فى الأغلب عن الغاية أو دونها ؛ وقد تغرينى طبيعة الحياة أو مطالب الدنيا بالمغالطة ، ولـكنى والله لست بفاتر — والعياذ بالله ! — وإنى لحريص فى العادة على هدوء الظهر واتزان الأعصاب ، ولـكن فى جوفى ناراً « أحر نار الجحيم أبردها » كما يقول المتنبى رحمه الله — وكان فى عوننا — فقد كان يجيد المبالغة . وما أظن بذات الثوب الأرجوانى إلا أنها تحس نارى هذه وتجد لفحها وإن كان بينى وبينها بيدان : بعد طريق وبعد منال . وإذا لم يكن هذا هكذا فسلها بالله لماذا تلبسه لى !... أليست تلبسه لأنها تعلم أنه حبيب إلى ؟ ... ومن أدراها وأنا لم أقله بلسانى ولم أفض إلى أحـد بسر قلبى ؟ . . . وما أحسب أحداً سيزعم أنها رأت فىَّ مشابهَ من ثيران أسبانيا فهى تخايلنى لتهيجنى بهذا اللون ؟ !... ومما يدل على العمـد فى لبس هذا الثوب أنها تبدو ضاحكة مشرقة المحيا فى كل ما تكتسى خلافه ، فاذا ارتدت الأرجوانى قطبت وزوت ما بين عينيها وتـكلفت التجهم الشديد . وليس فى الثوب أو لونه أو تفصيـله أو حسن انسجامه على بدنها الرخص ما يدعو إلى الانقباض . وإن فى كثرة لبسها له لدليلاً على الرضى عنه ، ولو كانت تشعر بشىء من الضيق للبسه لما أكثرت من ارتدائه ، ولـكنها على عادة جنسها تفعل الشىء تبغى به رضى رجل معين ثم تذهب تغالط وتدعى غير ذلك . ومن هنا هذا العبوس التى لا تحسنه . وإنى لأعرف أنها قرأت بعض كتبى فقد رأيت معها « خيوط العنكبوت » — عرفته من غلافه وما عليه من الرسم ، ولـكنى أظنها لم تقرأ ديوانى لأنه قديم جداً ولأنه نفـد من زمن طويل ، ولو قرأته لوجدت فيه هذا البيت :

لا يحسن التعبيس أبلجُ واضح ضحك الجمال بوجهه وأضاءا

ولـكانت خليقة أن تـكف بعد ذلك عن عبوس لا تتقنه ؛ ولشد ما أتمنى أن أعود إلى النظم ولـكن هيهات ، فما تحركنى الحياة كما كانت تفعل ، ولو كان شىء يردنى الى الشعر لردنى هذا الثوب.. أأقول الثوب ؟ . يا للمغالطة ! . أترانى لو رأيت الثوب منشوراً فى الشرفة ولم تـكن هى فيه أكنت أحفله أو أباليه ؟ . كلام فارغ ! . ويحسن بى أن أدع الثوب وأن أكف عن ذكره فما أعرف له — بمجرده — قيمة . وإنها لجميلة فى الأبيض والأخضر والأزرق والبنفسجى والوردى ، وفى الطويل والقصير ، وفى الخفيف والـكثيف ، وفى المباذل والملاهل . ولـكنى أحب أن أجرب سلطانى عليها فأزعم أن الأرجوانى هو الثوب الأثير عنـدى . ثم إن صورة المرأة فى اللحظة التى تقع فيها من قلب الرجل هى التى تعلق بذهنه وتظل حاضرة ماثلة لا تبرحه ولا تنى تجود على غيرها من الصور ولو كانت أبرع وأفتن . وهذا فيما أعتقد — تعليل ما أراه من استبـداد هذا الثوب الأرجوانى بنفسى وخواطرى ، فلتلبس ما شاءت غيره ولتطمئن على حسنها فلن تـكون إلا جميلة ساحرة

وأحسب أن اتزانى المألوف قد خـدعها أول الأمر ، وأن ابتسامتى التى أرسمها على وجهى — بالألوان — هى التى حيرتها فما هكذا يكون المحب الولهان والعاشق المدنف فيما تصف الـكتب والروايات التى لا شك أنها قرأتها . وأين مظاهر الصبابة وآيات الوجد ودلائل الخبل الذى يورثه الحب ؟ أين الدموع الغزار التى لا تفتأ تفيض بها الجفون القريحة حتى يصبح المرء فى بركة من العبرات ؟؟ أين السهد الطويل الذى يترك الوجه مصفراً والجسم مطحوناً مهدوداً ؟؟ وأين الزفرات الحرى والشهقات العميقة التى تخرج من أخمص القدم ؟.. لا يا ستى . . لست من هذا الطراز وما أراك إلا مثـلى تحسنين أن تضبطى عواطفك كما يضبط المهندسون فيضان هذا النيل العظيم بالسدود والخزانات الضخمة ؛ ثم إن الحب جميل لا شىء فيـه يوجب الحزن والـكآبة ، وهو

علاَّ النفس حياة لا موتاً ، وينضر الروح ولا يذبلها ، وهو سبب عمران هذا الكون فكيف تخرب من جرائه نفس انسان ؟ وهو مبعث الوحي ومصدر الالهام وسبب الانتاج على العموم ، فكيف يجيء بالانقباض والعقم ؟.. لا يا ستى . . أقول لك مرة أخرى اضحكي . . اضحكي واتركي هذا القطوب الذي لا يوائم الجمال والصحة

ولم أرقط كمشيتها في المشي ... فيها دبة القوى الشاعر بقوته أو المتزن بها ؛ وقد تبدو لى أحياناً كأنها تدب كما يدب الصبي حين يذهب عنك مغيظاً محنقاً .. ولا داعي لغضبها أو حنقها ... وأين هذا الداعي وهي واقفة وحدها في الشرفة تطل منها على الطريق ؟ لا بد أن يكون الداعي شيئاً في رأسها أو نفسها هو الذي يحملها على هذه اللفتة السريعة العنيفة التي لا مسوغ لها مما حولها ، إذ كان لا شيء حولها إلا الهواء والا هالة هذا الحسن . . . وليتني أستطيع أن أنفذ إلى موضع التفكير أو الاحساس فأطلع على هذا الباعث الخفي ؛ فليس أفتن ولا أسحر من حركات النفس فيما وراء الوعي ؛ وأكبر الظن أنها هي لا تعرف ماذا يلقيها أحياناً على هذا النحو العنيف وإن كانت تحسب نفسها عارفة مدركة . ولو أنك قلت لها إن لفتتها هذه فيها عنف وسألتها عن علته لأنكرت ولكان الأرجح أن يسوءها منك ذلك

على أني لا أحب أن يتوهم القارئ أن مشيتها عنيفة أو أن فيها ما يعاب — حاشا لله — وإن لها لخطرة تجعل أهون حركة لها رقصاً . ومن النساء من تمشي كأنما تدفعهما أمامها ، ومنهن التي تتخلع وتتموج وتتقصع — تكلفاً أو طباعا — كأنما لا يمسكها شيء ، أو التي تطول وتقصر في مشيتها والتي ، تلوح بذراعيها فتزيدها طولاً — إلى آخر ذلك إن كان له آخر — ولكن ذات الثوب الارجواني حين تبرز لي في الشرفة صباحا — على سبيل التحية — وهي لا تزال في منامتها ، تنساب كالماء الرقراق ، فليس خطوها خطواً وإنما هو تموج . وإني لأراها ماشية من هذا البعد فأذكر بيتاً لابن الرومي هو قوله في وصف صانع الرقاق :

ما بين رؤيتها في كفه كرة وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا بمقدار ما تنداح دائرة في لجة الماء يلقى فيه بالحجر

ولا رقاق هناك ولا حجر ولا ماء تنداح فيه الدوائر ، ولست أذكر البيت لأن هذا وقت الصباح أي وقت الشعور بالجوع ، وإنما أذكره لأني أحس — بعيني وبقلبي معاً — أن حركة المشي تبعث في جسمها اللين اضطراباً خفيفاً كاضطراب الماء حين يصافحه النسيم الواني ؛ ويخيل إلى أن جسمها كله — حين تخطو — تتعاقب على بشرته الرقيقة موجات في إثر موجات تطير العقل وتردهف اللب . ولا أدري أهذا خيال أم هو الحقيقة ، ولكن الذي أدريه أنه بعض ما للمرأة من سحر . فقد ترى رجلا قده أعدل من قد المرأة ولكن مشيته لا يكون فيها هذا التموج ، ولا يمكن أن تحدث الحركة في حسمه — أو جلده — مثل هذا الاختلاج الخفيف الذي هو بعض سحر المرأة . واللين من خصائص الأنوثة — والنعومة والرقة والطراوة أيضاً — وليس أقبح ولا أبعث على النفور من المرأة المسترجلة كما ليس أقبح ولا أدعى الى الزراية من رجل تغلب عليه صفات الأنوثة ، وتخطىء فيه مظاهر الرجولة ومعانيها —

وفتاتي تنهض مثلي في البكرة الطلولة — أو أنا هكذا أتخيلها — خفيفة غير متثاقلة — فانها شيء صغير دقيق يخيل إلى أن في وسعي أن أطويها وأن كفّاً يغطيها — وتدفع باب الشرفة فأتنبه على الصوت — وتقف حاسرة الرأس منهدلة الشعر — وهل يغطي مثل هذا الشعر الذهبي ؟ — عارية الذراعين ، ثم تتهادى الى الحافة وتطوى ذراعيها عليها وتدير عينها في مجالي الحياة التي طلع عليها يوم جديد . فتبارك الله خالق هذا الوجه الصابح ومرقرق كل هذه الغضارة والنضارة فيه ! . وما أكثر ما وقعت على عيني عينها وأنا أحدق فيها من حيث أحسبها لا تراني ! ولشد ما أشعر ، حين يحدث ذلك ، بفتنة هذا اللحظ ، وما أصبحت على وجهها مرة إلا أحسست أن من حقي أن أستقبل يومي بصدر منشرح وقلب مستبشر مطمئن ، وما رأيتها إلا كان ظهورها إيذاناً لي بالاضطرام والفورة ، فيكون حسبي بعد ذلك أن أعالج نفسي حتى أردها إلى السكون وأفيء بها إلى الهدوء ؛ وليس هيناً أن ترغم اليد المرتعشة على الثبات ، والأعصاب المضطربة على الاتزان ، والعين المحملقة الرائعة على الفتور المألوف ، والقلب الذي يعلو ويهبط كأنه لعبة « اليويو » على العود إلى انتظام الدق واعتدال الخفق ؛ والساقين

المتخاذلتين على الصلابة والتماسك ، والنارَ التى تندلع فى الأحشاء على الخمود . . . كلا ليس هـذا بالهين . . ولـكنى رضت نفسى على القدرة عليه ، فلأرادتى الحكم لا لشعورى وعواطفى ؛ وعسير جداً أن يبدو على وجهى شىء مما يضطرب به جنانى ويجيش به صدرى ؛ وإن جوفى ليكون كالبركان الفائر أو البحر الهائج ، وتنظر إلى وجهى وتسمع كلامى وتتأمل حركاتى وإشاراتى فلا يخالجك شك فى أنى أفرغ الناس قلباً وأخلاهم بالاً ، ولم لا ؟... إن ما يدور فى نفسى شىء يعنينى وحـدى وليس من حق غيرى أن يحيط به ويطلع عليه فانه سرى ؛ ولا من الرجولة أن أعرضه على الناس كأنى ألتمس العون أو العطف منهم . وماذا يبقى لى مما يسعنى أن أقول إنه « لى وحـدى » إذا كنت أبيح الناس ما فى صدرى وأشركهم فى أمرى ؟.. ولست أستثقل أو أستسخف شيئاً كقول الشاعر — وأظنه أبا فراس — .

فيا حسرتا ! من لى بخل موافق      أقول بشجوى مرة ويقول

فان هذا ضعف وحماقة . والقول بالشجو يفضح ولا يجدى ؛ وإذا كان فى البث ترفيه ، فان الانتصار على النفس أجل وأكرم وأكبر متعة أيضاً ؛ والبث ثرثرة تليق بالمرأة ولا تليق بالرجل . وماذا ينفعك أن يعرف صاحبك أنك تحب أو تكره ، أو أنك غاضب ساخط أو راض مغتبط ؟ . . . ماذا يستطيع أن يصنع لك ؟ . لا شىء ! . وأجـدى من ذلك عليك أن تعالج أنت نفسك وأن تردها على مكروهها — إذا احتاج الأمر — وأن تحتفظ باعتدال المزاج وهدوء التفكير واستقامة النظر ودقة الوزن وحسن التقدير . ومن كان لا يملك نفسه فأحر به ألا يملك غيره . والحب حرب بينك وبين المرأة ، فاحرص على أن يبقى زمامك فى يدك وإلا ركبت منك جواداً مسرجا ملجماً تركضه حيث تشاء هى وحدها . وليس أطغى من المرأة إذا صار فى يدها زمام الرجل

ابراهيم عبد القادر المازنى



# تراثنا العربى القـــــديم

## ما يجب لتنظيم إحيائه

للأستاذ محمد عبد الله عنان

كان تراث العربية حتى أوائل القرن المـاضى لا يزال مغموراً محجوباً فى ظلمات المكتبات والمجموعات الخاصة ؛ وكانت المطابع قد ظهرت فى أوربا منذ أواخر القرن الخامس عشر ، وطبعت فى رومه بعد ذلك بنحو قرن بعض الكتب والوثائق العربية ، منها : مختصر كتاب « نزهة المشتاق » للشريف الأدريسى (سنة ١٥٩٨) ؛ وفى القرن السابع عشر طبعت فى مدينة ليدن التى ما زالت منذ أربعة قرون مركزا هاماً لنشر الآثار العربية ، عدة مراجع عربية تاريخية ، منها : « تاريخ المسلمين » لابن العميد (المكين) (سنة ١٦٢٥) ، وكتاب « عجائب المقدور فى أخبار تيمور » ، لابن عربشاه (سنة ١٦٣٦) ، وكتاب مختصر تاريخ الدول لابن العبرى (سنة ١٦٦٣) ، وظهرت هذه الكتب بالعربية لأول مرة مقرونة بتراجم لاتينية كانت منذ ظهورها مستقى خصباً لمؤرخى الغرب

ولم يظهر فى أوربا حتى أوائل القرن التاسع عشر من الكتب العربية سوى طائفة قليلة من الكتب قد لا تعدو عشرات ؛ وإلى أواخر القرن الثامن عشر لم تكن مصر قد عرفت المطبعة العربية ؛ وقد عرفتها لأول مرة فى سنة ١٧٩٨ ، حينما وفد نابليون على رأس حملته الفرنسية ، وحمل معه مطبعة عربية كاملة استعملت بالقاهرة لطبع البيانات والأوامر التى كانت تصدرها القيادة العليا ويصدرها الديوان الفرنسى لأهل مصر ؛ وكان فى مقدمة الكتب التى أصدرتها هذه المطبعة كتاب عن محاكمة سليمان الحلبى قاتل الجنرال كليبر يضم خلاصة التحقيقات والاجراءات بالعربيـة والتركية والفرنسية ، وذلك سنة ١٨٠٠

ولمـا بدأ محمد على فى تنفيذ برنامجه الاصلاحى لم تفته هـذه الناحية الهامة من تعضيد الحركة الفكرية والثقافية ، فأنشأ فى سنة ١٨٢١ مطبعة بولاق الأميرية ، وعنى باعدادها وتجهيزها عناية عظيمة ، فكانت أول وأعظم صرح للطباعة العربيـة

فى الشرق ؛ ولم تقتصر مطبعة بولاق على إخراج الجريدة الرسمية (الوقائع) التى أنشئت بعد ذلك ببضعة أعوام ، وإخراج الوثائق والمنشورات الرسمية ، بل أعدت منذ إنشائها لاخراج الكتب العربية ، فطبعت فيها لأول عهدها عدة من الكتب التى ترجمها بعض أعضاء البعثات العلمية فى مختلف العلوم والفنون التى درسوها ، فكانت باكورة أعمالها فى نشر الكتب العربية

على أن مطبعة بولاق لم تقف عند هذا الجد المتواضع فى إخراج الكتب العربية ؛ وكانت المطابع العربية الأوربية ، ولا سيما فى ليدن وباريس ، قد نشطت منذ أوائل القرن التاسع عشر لاخراج طائفة كبيرة من الآثار العربية النفيسة على يد جماعة من أعلام المستشرقين ، فاتجهت الأنظار فى مصر إلى العناية بهذه المهمة ؛ ونشطت مطبعة بولاق إلى إحياء التراث الاسلامى بهمة فائقة ؛ وعكفت طوال القرن التاسع عشر على نشر الموسوعات والآثار العربية الجليلة ، وأسدت فى ذلك أعظم الخدمات للآداب العربية والثقافة الاسلامية ؛ ونظرة واحدة إلى ثبت الآثار الحافلة التى أصدرتها مطبعة بولاق تدل على فداحة المهمة التى اضطلعت بها ، وإلى مدى التوفيق الباهر الذى حققته فى إنجازها

***

وإلى جانب مطبعة بولاق ، قامت مطابع أهلية كثيرة ، ونشطت أيضاً إلى إخراج الكتب العربية ؛ وقد كان ميداناً جديداً يغرى بالكسب ، فأقبل الكثيرون على استثماره ؛ وأخرجت هذه المطابع الأهلية ، إلى جانب بولاق ، مئات من الكتب والآثار العربية الضخمة فى كل أنواع العلوم والفنون ، وأعادت طبع كثير مما نشرته بولاق فى طبعات رخيصة يسهل اقتناؤها ؛ وساهمت بذلك مساهمة قيمة فى إحياء الآداب العربية ونشرها

وهذا ما نريد أن نعرض اليه فى هذا المقال ؛ فقد انقطعت مطبعة بولاق منذ أوائل هذا القرن عن نشر الآثار العربية القديمة ، وحلت محلها فى ذلك دار الكتب المصرية ؛ ولكن دار الكتب تقوم فى هذا السبيل بمجهود بطىء جداً ؛ أما المطابع ودور النشر الأهلية فما زالت على نشاطها القديم فى إخراج الموسوعات والآثار العربية ، ومنها كثير لم ينشر من قبل ؛ ومن المحقق أنها ما زالت تؤدى بذلك خدمات قيمة لأحياء الآداب العربية

ولكن هذا النشاط إذا كان يحمد من بعض الوجوه ، فانه يثير اليوم كثيراً من وجوه الاعتراض والمؤاخذة ، وإذا كان قد ترك فى الماضى حراً طليقاً من كل قيد ، فان الظروف تقتضى اليوم بضبطه وتنظيمه وتوجيهه بطريقة تحقق الغاية منه

بدأ هذا النشاط فى أواخر القرن الماضى ، والحركة الأدبية والثقافية فى مستهل نهضتها ، فكان هذا النشاط فى بعث الكتب العربية وإحيائها بالنشر والتداول من عوامل تعضيدها وتغذيتها ، ولم يكن من المستحسن يومئذ أن يعرض هذا النشاط لشىء من القيود التى يمكن أن تؤثر فى سيره ونمائه ، وذلك رغم ما كان يعتوره من أوجه النقص سواء فى اختيار الكتب التى يراد نشرها ، أو فى الصور المزرية التى كانت تنشر بها : ورق أصفر ردىء ، وطباعة حقيرة ، وأخطاء علمية ومطبعية لا حصر لها

أما الآن فقد تغيرت الظروف تغيراً واضحاً ، وازدهرت الحركة الفكرية ازدهاراً عظيما ، وظفرت مصر بطائفة كبيرة من المعاهد والمنشآت العلمية الراقية ، وغصت بالشباب المتعلم ، وأضحى مما لا يلائم ذوق العصر وأحواله ، بل مما يضر بسير الحركة الفكرية ذاتها ، أن يترك أمر نشر تراثنا العربى القديم فوضى دون ضابط ودون إشراف

فهنالك موسوعات وآثار قيمة سبق نشرها فى طبعات جيدة وأضحت نادرة لقدم عهدها ، وهنالك بدار الكتب المصرية مئات الآثار المخطوطة التى لم تنشر من قبل ؛ وهذه جميعاً يقوم على نسخها ونشرها جماعة من الناشرين المحترفين العاطلين من كل مؤهلات علمية أو أدبية ، والذين لا هم لهم سوى الكسب الوفير ، فيخرجونها فى نفس الأثواب والصور المزرية التى ألفناها منذ القرن الماضى ، ويتقاضون فيها أثماناً فاحشة لا مبرر لها ، منتهزين فرصة ندرتها إن كانت مما نشر ، أو ظهورها لأول مرة إن كانت مما لم ينشر من قبل

وقد اتسع نطاق هذه الحركة فى العهد الأخير اتساعاً واضحاً ؛ وألفى الناشرون المحترفون فيها سوقاً رابحة ؛ فكثر تهجمهم على الآثار النفيسة مخطوطة وغير مخطوطة ؛ وأخذوا ينشرونها فى استهتار وجرأة ، ممسوخة مشوهة ، مشحونة بالأخطاء الشائنة

لا يتكلفون فى إخراجها سوى الطباعة الرديئة ؛ ثم يبيعونها بأثمان فاحشة ، كأنهم هم الذين ألفوها وأجهدوا أنفسهم فى وضعها وكتابتها

ولا يخفى ما لهذا النشر المشوه لآثارنا القديمة من نتائج سيئة ، فهو خلو من كل ضمانة أو غاية علمية أو أدبية ، ولا تحدوه سوى روح الكسب المجرد ؛ ومن ثم كانت الصور المثيرة المزرية التى تصدر بها أجل آثارنا الأدبية ، والتى كثيراً ما تصد الشباب المتعلم عن تناولها ؛ وهو من جهة أخرى عامل كبير فى إحجام علمائنا وأدبائنا عن المساهمة فى هـذا المجهود مع رغبة الكثيرين منهم فى القيام على نشر بعض الآثار القـديمة التى توفروا على دراستها وتحقيقها ؛ ذلك لأن جهودهم العلمية الغالية ، وحرصهم على نشر هذه الآثار فى أثواب مقبولة لائقة ، وما ينفقونه فى هذا السبيل من الجهد والمال ؛ كل ذلك يقعد بهم عن مجاراة هذا النشاط التجارى المحض ، العارى عن كل درس وتحقيق

ونحن نعرف ما يتكبده العلماء المستشرقون من الجهود الفادحة فى إخراج آثارنا القديمة ، والتوفر على دراستها وتحقيقها والتعليق عليها بدقة تثير الاعجاب ، وإخراجها دائماً فى أثواب أنيقة محترمة

ولهذا كله نرى أن الوقت قد حان لتعنى السـلطات المختصة بالعمل على مراقبة حركة إحياء الآثار العربية القديمة ، وتوجيهها وتنظيمها تنظيما يتفق مع ما لتراثنا القديم من كرامة علمية ، ويلائم فى نفس الوقت حاجات العصر وذوقه وروحه . ويلوح لنا أن دار الكتب المصرية ، وهى وريثة بولاق فى الاضطلاع باحياء الآداب العربية ، هى أول سلطة أدبية يمكن أن تضطلع بمثل هذا الاشراف العلمى . ذلك أنها هى مستودع تلك الآثار الجليلة المخطوطة التى ترنو اليها أنظار الناشرين المحترفين من كل صوب ، فيقبلون عليها بالنسخ المحرف ، والنشر المشوه ، لا يتكلفون فى ذلك شيئاً ، ولا يصدهم قيد أو إشراف ؛ وقد تكون هذه الآثار مما حصلت عليه دار الكتب من الخارج بالتصوير ، وأنفقت فى سبيله كثيراً من الجهد والمال

ونحن لا نطلب أن تقوم دار الكتب بمنع النسخ والنشر ؛ ولكننا نطلب اليها فقط أن تقوم بالاشراف عليها إشرافاً فعلياً ، وأن تضع لذلك نظاماً يكفل تحققها من وجود بعض الضمانات العلمية والمالية فى الناشرين أنفسهم ، فاذا لم تتوفر الضمانات العلمية — وهى غالبا غير متوفرة — اشترط أن يقوم بالاشراف على النشر شخص تتوفر فيه مثل هذه الضمانات . ويجب أن تمتد هـذه الرقابة حتى صدور الكتاب ، وأن يراعى صدوره فى ثوب لائق ، وأن يحدد ثمنه بعد صدوره بنسبة معقولة من تكاليفه ؛ ويصح أن تتولى دار الكتب الاشراف العلمى على الكتاب ذاته لقاء أجر معين ، ويصح لهـا أن ترفض التصريح بالنسخ والنشر إذا لم تتوفر مثل هـذه الضمانات ؛ ويجب على أى حال أن يشمل هذا الاشراف كل أثر مخطوط ينشر فى مصر ، سواء استنسخ من دار الكتب ذاتها ، أو من أى مكتبة أخرى عامة أو خاصة ، فى الداخل أو الخارج ، لأن الغرض هو الاشراف العلمى على حركة إحياء الآداب العربية فى مصر ، ويجب أن يكون هـذا الاشراف كاملاً شاملاً

ويمكن من جهة أخرى أن تتعاون المعاهد العلمية مع دار الكتب فى هـذه المهمة ، فتشترك الجامعة المصرية والأزهر فى تنظيم هذا الاشراف

هذا ولا بأس أن تفرض الحكومة ضريبة معينة على نسخ الكتب المخطوطة التى لم تنشر من قبل ، وعلى نشرها إذا كان النشر لغاية تجارية ؛ وتقدر هذه الضريبة بحسب حجم الكتاب أو أهميته ؛ ويعفى العلماء من أدائها فى جميع الأحوال ؛ ويرصد دخلها لتوسيع حركة احياء الآداب العربية التى تقوم بها دار الكتب

إن الحق فى نشر آثارنا القديمة ملك للدولة ، وهى الأمينة عليها ؛ وإذا كان مما يرغب فيه دائماً أن يشجع الاقدام على نشر هذه الآثار ، فان مما يرغب فيه أيضاً ألا يكون هذا النشر بضاعة مبتذلة يستثمرها الجهلاء لغايات تجارية محضة ، وألا يحاط بكل الضمانات المعقولة التى تكفل تحقيقه على الوجه اللائق المرضى

هذه ملاحظات واعتبارات حان الوقت لبحثها ، وقد أصبح من واجب السلطات المختصة أن تنشط لحماية تراثنا الأدبى من تلك الفوضى المثيرة ، وأن تعمل لصونه من ذلك الابتذال الشائن ، وأن تقوم أخيراً على تنظيم نشره ، وتوجيهه بطرق موقرة مستنيرة

محمد عبد الله عنان

# من مسرات الحياة

## للأستاذ عبد الرحمن شكرى

قال ابن خفاجة الأندلسى الشاعر :

وشأن مثلى أن يُرى خالياً  بنفسه يبحث عن نفسه

وكنت كلما قرأت هذا البيت أعجب كيف لم ينظم قائله شعراً كثيراً فى بحث ميول النفس وأحاسيسها وتعليلها وتحليلها ، وقد ذكر فى بيته هذا أن من شأنه أن يخلو بنفسه يبحث عن نفسه . ومن كان هذا شأنه فحص النفس الانسانية على اختلاف نزعاتها ، وهذا عمل الغمر وأ كثر من الغمر ؛ وهو أيضاً لذة متجددة ، وإن أدى البحث إلى ما يؤدى اليه بحث قاع الجب أو قاع البحر وما فيه من در ولؤلؤ ومرجان وغابات بحرية وأعشاب وأحياء تقتتل ويفنى بعضها فى بعض ووحوش بحرية غريبة مجهولة ، وجيف ورمم ، وكنوز ثمينة فى بقايا السفن الغائرة ؛ فهكذا قاع النفس أيضاً لدى من يسبر غورها ويغوص فى أعماقها . وسطح النفس أيضاً مثل سطح البحر ، لج وخرير ، وشمس تتلألأ أشعتها ، ونسيم عليل ، ومنظر بهيج هادئ ، أو عواصف وأعاصير ، ومرأى رائع جليل . وإذا كانت بعض مظاهر النفس تبعث الرهبة ، فان بعض بواطنها أدعى إلى الرهبة ، ولكن من الرهبة ما يستصحب المسرة ، كالرهبة التى يحسها المرء وهو يستطلع الأمر الغريب الرائع المخوف المجهول ؛ ومن أجل ما تستصحب من المسرة تنشأ حب الاستطلاع لما يستدعى المخاطرة من مستطلعه

ولعل ابن خفاجة فى بحثه النفس كان ينظر اليها نظرة المستريح فى ظل الشجرة يفكر فيما حوله وكأنه لا يفكر ، فان فى مثل حالة هذا المستريح تفكيرا كلا تفكير ، وبحثاً كلا بحث ، فهو تفكير يقنع فيه المرفه نفسه بالنظر إلى المرئيات وألوانها وأجزائها من غير أن يعنى نفسه بالبحث عن سرها خشية أن تضيع لذة الراحة والدعة ؛ فشأنه شأن المسحور لإجراك له ، وفكره أيضاً لا حراك له ، ويخيل اليه فى مثل هذه الحال كأن الدهر قد أوقف دورته واستراح ، وكأنما يخشى أن يفك عنه الحراك سحر التأمل ولذته المطلقة التى لا تتقيد بتقصى الأسرار والمسببات ، ولا هى مثل لذة المُخَاطر الذى يرى فى مشقة استطلاع الغريب المخوف مسرة كما أوضحنا

على أن من الميسور أن ندرك ابن خفاجة فى حالة أخرى من حالات بحث النفس ، وهى الحالة التى يغوص الفكر على العويص النادر من أسرارها ، ويحس لذة فى غوصه تملأ جوانب نفسه حتى تشغله عن لذة التعبير عما رآه فى بحثه تعبيرا فنياً ، فانى لا أحسب ابن خفاجة رأى أن تتبع حركات النفس وخطراتها وأحاسيسها فى شعره غير لائق بشعره إذ أى شئ ألصق بالقريض من النفس وأحوالها وميولها وخطراتها ، فالشعر هولة النفس وموسيقاها ، ومقر كنوزها وحكمتها وأسرارها

ولكن للبحث فى النفس مسرات مختلفة ، قد تفترق وقد يتصل بعضها وينال فى وقت واحد ، فمسرة فيما يجلبه التعبير الفنى عن أحاسيس النفس من ارتياح الفنان الصانع فى صنعه ، ومسرة أخرى فيما تجلبه مشاهدة أطوار النفس والتأمل فى أحوالها من الارتياح كارتياح مشاهد القصة التمثيلية فى تتبع روعة فن القصة كما يبرزه الممثل

وهذا الارتياح غير ارتياح المسحور المأخوذ بما يراه من النظر الطبيعى أو الصورة الفنية النادرة ، وارتياح المسحور هذا هو أيضاً مسرة أخرى فى التأمل فى النفس البشرية

ولكل مسرة من هذه المسرات الثلاث قيمة فى الحياة ، وكل منها تعين المرء على تحمل متاعب الحياة وآلامها ، بل إنها لتعين اليائس بما فيها من لذة فن البحث والتقصى على تحمل ما يحس من يأس من النفس البشرية إذا لم يستطع غير اليأس منها . وكل إنسان له نصيب من هذه المسرات الثلاث ، فكل فنان ، وكل إنسان يعبر عما رآه فى أعماق النفس تعبيراً فنياً ، إما فى ثنايا ما يسلى به نفسه فى خلوته من الأغانى والأناشيد ، وإما فيما يفوه به من الأمثال العامية أو غير العامية ، وإما فى آهاته وأناته وأمانيه ، وإما فى ثنايا قصصه ونكاته وفكاهاته ، وفى مجالسه ومباذله ، وفيما يقول فى سخطه وحزنه وسروره ، أو فى نثره وشعره إن كان ناثراً أو شاعراً ، أو فى أدوات الفنون الأخرى من نحت أو تصوير أو موسيقى

وكما أن كل إنسان ينال نصيباً من لذة الفنان المعبر عن النفس تعبيراً فنياً ، فكل إنسان ينال أيضاً نصيباً من مسرة الشاهد

لقصة الحياة والنفس التى تمثل أمامه ، وكل نفس تحاول أن تحول كل ما يمر بها من الحوادث الى قصة وفن وإن لم يفطن أكثر الناس الى هذه المحاولة فى أنفسهم ، وكلما اضطر الانسان الى الخروج عن نشوة التأمل الشاهد لفن قصة الحياة والنزول الى ميدان الألم الممض والأحزان ، أدى واجبه من ألم الحياة وأحزانها مما لا مفر منه ، ورجع بأسرع ما يستطيع الى موقف المعبر عن الحياة والنفس ، أو الى موقف الشاهد لقصتها ، حتى إنه ليحول أو يحاول أن يحول آلامه وأحزانه الى قصة وفن وإن لم يشعر بتلك المحاولة من نفسه ، لأنها فى كثير من الأحوال محاولة طبيعية لا تعمد فيها ولا تصنع ، وإن كانت أحياناً تستلزم عملاً ظاهراً يلفت المرء الى مجراها من نفسه كما يكون شأنها عند الفنانين

وإذا لم يستطع المرء أن يسرع فى التنقل من موقف المؤدى واجبه المفروض من آلام الحياة وأحزانها الى مواقفه الأخرى التى ذكرت حاول أن يجمع بين الأمرين فى وقت واحد بأن يقف من آلامه التى يعانيها موقف الممثل من آلام الشخص الذى يمثله فى القصة ، فيجمع الانسان وقتئذ فى نفسه نفسين ، كما يجمع الممثل بين نفسه ونفس من يمثل ، سواء أكان هاملت أو الملك لير أو عطيل الخ

وترى المرء وهو فى هذه الحال وفى دموع حزنه معنى آخر مع ما فيها من معنى الحزن والألم

وإذا لم تستطع النفس أن تقف موقف الممثل من آلامها وشجونها التجأت الى موقف المسحور المأخوذ بصور الحياة ومناظر النفس سواء أكانت بهجة أو غير بهجة ، وقل أنها تسحر بها فى بعض الحالات كما تسحر بمناظر الجلال والروعة من مناظر الطبيعة الهائلة . وهذا أيضاً تحول من النفس والتجاء طبيعى لا تعمد فيه فهو قلما يحس ، وكلما كان نصيب المرء أوفر من ملكات التحول والالتجاء ، أو قل الهرب والنجاة من حوادث الحياة ، كانت سيطرته على آلام الحياة أعظم ، لأن هذا التحول إنما هو وسيلة من وسائل مكافحة آلام الحياة لا يحتاج المرء اليها إلا بعد الوسائل الأخرى

ومن الشاهد أن النفوس عند وقوفها موقف الممثل من آلامها وحوادث أيامها تختلف فى منحاها ، فنفوس يكون موقفها أشبه بموقف ممثل الجد ، ونفوس موقفها أشبه بموقف ممثل الهزل ،

والأولى قلما يفطن الناس إلى موقفها التمثيلى ، والثانية قد يفطن الناس إلى موقفها التمثيلى لبعد ما بين حقيقة حالها وهزلها . ولعل فطنة الناس إلى موقفها التمثيلى تكون فى الحالتين بمقدار قلة إتقانها لدورها أكثر مما يكون لميل موقفها الى الجد أو الهزل ؛ والمرء فى هذا الوقف النفسانى التمثيلى هو باحث متفهم لدوره دارس له كما يتفهم الممثل دوره ويدرسه حتى ولو كان ممن يجيدون التمثيل بالسليقة من غير طول عناء فى التفهم والدرس ؛ ومسرته إذن متصلة بمسرات البحث فى النفس والحياة

ولعل قائلاً يقول إن بحث النفس بحث معاد مملول يجلب السأم ، وإن النفس كالتاريخ الذى يعيد نفسه ؛ لكن النفس إذا أعادت تاريخاً من تواريخها لم تعده بالنص ، وقد يأتى التاريخ مع الأسباب والمسببات القديمة بحوادث جديدة تستدعى التأمل وربط المسببات بالأسباب ، وهذا ليس بالأمر الهين ولا هو بالأمر المعاد المملول ، ثم إن تحت ما هو معاد مملول من أطوار النفس وأسبابها أسباباً أخرى لا يصل إليها التقصى ، وأعماقاً يعجز الغائص عن سبر غورها وفيها مجال واسع لحب الاستطلاع الغريب حتى يأتى الموت فيسدل ستاره على لعب الحياة المقدس إلا إذا مل المرء البحث من اليأس والعجز عن بلوغ غور النفس لا من العرفان

والانسان فى رحلة الحياة كالمسافر الجواب للأقطار ؛ وترى بين ذوى الأسفار من يتعجب من كل أمر ، ومن يضحك من كل شىء ؛ ومنهم من يتأفف من كل أمر ، ومن يسخر من كل شىء ؛ ومنهم من يتحمل أشد مشقة من شغفه باستطلاع الغريب أثناء أسفاره . والناس أيضاً فى رحلة الحياة الدنيا يختلفون فى أهوائهم ؛ ومنهم من يتحمل أيضاً أشد مشقة وأمض ألم من شغفه باستطلاع الغريب مما تأتى به الأيام والليالى أو ما يراه فى بحث النفوس البشرية . ومن ذوى الأسفار فى أقطار الأرض من يحكم على قوم بحالة واحدة رآها فى أحدهم ، شأنه شأن الانسان فى رحلة الحياة الدنيا يحكم على النفوس بحالة واحدة يحولها إلى قاعدة ونظرية عامة . وذوو الأسفار فى الأقطار كالانسان فى رحلة الحياة قد يتعجب ويستغرب الطبيعى المألوف من عادات الناس أو أحوال نفوسهم وأخلاقهم لأن الانسان ذو خيال يتوقع به أن يرى الناس على ما يود من أخلاقهم وعاداتهم وعلى ما يسره ويرضيه وينفعه منها ،

أعلام الإسلام

# سعيد بن المسيب

بقلم السيد ناجي الطنطاوي

اسمه ونسبه ومولده

هو أبو محمد ، سعيد بن المسيّب بن حزْن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤيّ بن غالب القرشيّ المخزوميّ التابعيّ المدنيّ .

وأبوه المسيّب وجده حزْن صحابيان أسلما يوم فتح مكة .

والمسيّب بفتح الياء وكسرها ، والفتح هو المشهور ، ومذهب أهل المدينة الكسر . وقد روى عنه أنه كان يقول بكسرها ويقول : سيّبَ الله من يسيّب أبي

وأمه أم سعيد بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السُّلمي . وحدث سعيد بن المسيب أن جده حزناً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما اسمك ؟ قال : أنا حزن ، قال : بل أنت سهل . قال : يا رسول الله ؛ اسم سماني به أبواى فعرفت به في الناس . قال : فسكت عنه النبي عليه السلام . وكان سعيد بن المسيب يقول : ما زلنا نعرف الحزونة فينا أهل البيت

أما تاريخ ولادته فقد اختلف فيه المؤرخون ، وتنحصر زواياتهم بين سنة ١٣ هجرية ( بعد استخلاف عمر بن الخطاب بسنتين ) وسنة ٢١ هجرية ( قبل موت عمر بسنتين ) ، والمرجح أنه ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر ، أي سنة ١٣ هجرية لأن أكثر الروايات تؤيدها ويؤيدها قوله : ولدت لسنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطاب

واختلف المؤرخون أيضاً في ادراكه عمر ، فقد روى ابن سعد عن سعيد أنه قال : سمعت من عمر كلمة ما بقي أحد حي سمعها غيري : كان عمر حين رأى الكعبة قال : اللهم أنت السلام ومنك السلام .

وعنه أيضاً أنه قال : سمعت عمر بن الخطاب على هذا المنبر يقول : عسى أن يكون بعدي أقوام يكذبون بالرجم . يقولون لا نجده في كتاب الله ، لولا أن أزيد في كتاب الله ما ليس فيه ، لكتبت أنه حق ، قد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجم أبو بكر ورجمت . أما بكير بن الأشج فيروى أن سعيد بن المسيب سئل هل أدركت عمر فقال ؟ لا

ويقول الامام مالك : لم يدرك عمر ، ولكن لما كبر أكب على المسألة عن شأنه وأمره . ويقول ابن معين : رأى سعيد عمر وكان صغيراً ابن ثماني سنين ، وهل يحفظ ابن ثماني سنين شيئاً ؟

شيوخه وتلاميذه

أخذ سعيد بن المسيّب علمه عن أبي هريرة - وكان زوج ابنته - وجل روايته المسندة عنه . وسمع من عمر وعثمان وعلي . وسمع من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم : عائشة وأم سلمة . وكان يقال : ابن المسيّب راوية عمر ، قال الليث : لأنه كان أحفظ الناس لأحكامه وأقضيته ، وروى عن أبي ذر ، وجبير بن مطعم ،

---

فاذا اطلع على المألوف مما لا يود منها فاجأه مفاجأة غير المألوف ، وهذا من أثر أنانيته التي تغالط نفسه مغالطات مختلفة ، فمرة تغالطه حتى يتوقع من أخلاق الناس الحسن النافع له ، ومرة تغالطه حتى يتوقع السيء الذي يتباهى بالخلو منه ، وقد لا يكون ذلك الحسن ولا ذلك السيء من خصال أو عادات الذين يتعهم ، ولكنه يرجو النفع لنفسه في الحالين إما بتوقع الحسن منهم كي يستفيد ، وإما بتوقع السيء كي يعلو بمنزلة نفسه عنهم ؛ فليس كل بحث في النفس مصيباً ، فالناس في بحث النفوس كالعميان في القصة وقد تلمسوا الفيل من نواح وأطراف مختلفة ، فقال أحدهم وقد لمس ساقه إن الفيل كالدعامة المستديرة ؛ وقال آخر وقد لمس سنه إنه كالعصا الغليظة ؛ وقال ثالث وقد لمس أذنه إنه كالمروحة ؛ وأدى بهم الغيظ والغضب لما حسبوه حقاً إلى التقاتل كما يتقاتل الناس غضباً لما يحسبونه حقاً في الحياة . ولعل لذة المفاجأة المتجددة والتي تنفي الملل عن الانسان تعوضه من ألم الحسرة ، على أن الحياة والنفوس لا تأتي له بكل ما يرتضي ويشاء

عبد الرحمن شكري

وحكيم بن حزام ، ومعاوية ، وسعد بن وقاص ، وخولة بنت حكيم ، وغيرهم

وروى عنه جماعة من أعلام التابعين منهم عمر بن عبد العزيز ومحمد بن شهاب الزهرى ، وعمرو بن دينار ، وقتادة ، وابنه محمد ، وأبو الزناد ، وعطاء بن أبي رباح ، ومحمد الباقر ، ويحى بن سعيد الأنصارى ، وغيرهم كثير

**علمه وأقوال العلماء فيه**

قال سعيد : ما بقى أحد أعلم بكل قضاء قضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر منى . ( قال الراوى ابراهيم ابن سعد عن أبيه ) وأحسبه قال وعثمان ومعاوية

وقال يزيد بن مالك : كنت عند سعيد فحدثنى بحديث فقلت له : من حدثك بهذا ؟ فقال يا أخا أهل الشام خذ ولا تسأل فانا لا نأخذ إلا عن الثقات

وقال مالك : بلغنى أن سعيد بن المسيّب قال : إن كنت لأسير الأيام والليالى فى طلب الحديث الواحد

وقال قدامة بن موسى الجمحى : كان سعيد بن المسيّب يفتى وأصحاب رسول الله صلى الله عليه أحياء

وقالوا : كان سعيد جامعاً ، ثقة ، كثير الحديث ، ثبتاً ، فقيهاً ، مفتياً ، مأموناً ، ورعاً ، عالياً ، رفيعاً

وقال محمد بن يحيى بن حبّان : كان رأس من بالمدينة فى دهره ، المقدّم عليهم فى الفتوى سعيد بن المسيّب ، وكان يقال : هو فقيه الفقهاء

وقال مكحول : سعيد بن المسيّب عالم العلماء . وقال أيضاً : ما حدثتكم به فهو عن سعيد بن المسيب والشّعبى

وعن ابن أبي الحويرث أنه شهد محمد بن جبير يستفتى سعيد ابن المسيّب

وقال علىّ بن الحسين : سعيد بن المسيب أعلم الناس بما تقدّمه من الآثار وأفقههم فى زمانه

وقال ميمون بن مهران : أتيت المدينة فسألت عن أفقه أهلها فدفعت الى سعيد بن المسيّب فسألته

وقال شهاب بن عبّاد : حججت ، فأتينا المدينة فسألنا عن أعلم أهلها ، فقالوا سعيد بن المسيّب

وكان عبد الله بن عمر إذا سئل عن الشىء يشكل عليه قال : سلوا سعيد بن المسيّب فانه قد جالس الصالحين

وقال يحيى بن سعيد : أدركت الناس يهابون الكتب ، ولو كنا نكتب يومئذ لكتبنا من علم سعيد ورأيه شيئاً كثيراً

وقال قتادة : ما رأيت أعلم بالحلال والحرام منه ، وقال أبو حاتم : هو أثبت التابعين فى أبى هريرة

وقال الزهرى : العلماء أربعة : ابن المسيب بالمدينة ، والشعبى بالكوفة ، والحسن البصرى بالبصرة ، ومكحول بالشام

وقال القاسم بن محمد : هو سيدنا وأعلمنا . وقال ابن عمر : هو والله أحد المتقنين ، وقال ابن شهاب : قال لى عبد الله بن ثعلبة ابن أبى صعيران : كنت تريد هذا ، يعنى الفقه ، فعليك بهذا الشيخ سعيد بن المسيب

وقال مكحول : طفت الأرض كلها فى طلب العلم ، فما لقيت أعلم منه . وقال سليمان بن موسى : كان أفقه التابعين

وقال يحيى بن معين : مرسلات بن المسيّب أحب إلىّ من مرسلات الحسن

وقال أبو طالب : قلت لأحمد بن حنبل : سعيد بن المسيب ؟ فقال : ومن مثل سعيد ؟ ثقة من أهل الخير . فقلت له : سعيد عن عمر حجة ؟ قال : هو عندنا حجة ، قد رأى عمر وسمع منه ، وإذا لم يقبل سعيد عن عمر ، فمن يقبل ؟

وقال أحمد : مرسلات سعيد صحاح ، لا نرى أصح من مرسلاته

وقال ابن المدينى : لا أعلم فى التابعين أوسع علماً من سعيد ابن المسيب

قال : وإذا قال سعيد مضت السنة فحسبك به ، قال : هو عندى أجل التابعين

وقال الشافعى : إرسال بن المسيب عندنا حسن

وقال مالك : بلغنى أن عبد الله بن عمر ، كان يرسل إلى ابن المسيب ، يسأله عن بعض شأن عمر وأمره

وقال قتادة : كان الحسن إذا أشكل عليه شىء كتب إلى سعيد بن المسيب

وقال العجلى : كان رجلاً صالحاً فقيهاً

وقال أبو زرعة : مدنى قرشى ثقة إمام

وقال ابن حبان فى الثقات : كان من سادات التابعين فقهاً وديناً وورعاً وعبادة وفضلاً ، وكان أفقه أهل الحجاز

وقال الجاحظ : كان أبو بكر رضى الله عنه أنسب هذه الأمة ، ثم عمر ، ثم جبير بن مطعم ، ثم سعيد بن المسيب ، ثم محمد بن سعيد ابن المسيب

### منزلته عند الخلفاء والولاة

قال مالك بن أنس : كان عمر بن عبد العزيز لا يقضى بقضاء حتى يسأل سعيد بن المسيب . فأرسل إليه إنساناً يسأله ، فدعاه فجاء ، فقال عمر : أخطأ الرسول ، إنما أرسلناه يسألك فى مجلسك

وقال أيضاً : كان عمر بن عبد العزيز يقول : ما كان بالمدينة عالم إلا يأتينى بعلمه . وأوتى بما عند سعيد بن المسيب

### تعبيره الرؤيا

قال محمد بن عمر : كان سعيد بن المسيّب من أعبر الناس للرؤيا ، وكان أخذ ذلك عن أسماء بنت أبى بكر ، وأخذت أسماء عن أبيها

وقال عمر بن حبيب بن قليع : كنت جالساً عند سعيد ابن المسيّب يوماً ، وقد ضاقت علىّ الأشياء ورهقنى دين ، فجلست إلى ابن المسيّب ما أدرى أين أذهب ، فجاءه رجل فقال : يا أبا محمد إنى رأيت رؤيا . قال ما هى ؟ قال : رأيت كأنى أخذت عبد الملك بن مروان ، فأضجعته إلى الأرض ، ثم بطحته فأوتدت فى ظهره أربعة أوتاد . قال : ما أنت رأيتها . قال : بلى أنا رأيتها . قال : لا أخبرك أو تخبرنى . قال : ابن الزبير رآها وهو بعثنى اليك . قال : لئن صدقت رؤياه قتله عبد الملك بن مروان ، وخرج من صلب عبد الملك أربعة كلهم يكون خليفة . قال : فدخلت إلى عبد الملك بن مروان بالشام فأخبرته بذلك عن سعيد بن المسيب فسرّه ، وسألنى عن سعيد وعن حاله فأخبرته ، وأمر لى بقضاء دينى وأصبت منه خيرا

وقال رجل : رأيت كأنّ عبد الملك بن مروان يبول فى قبلة مسجد النبى أربع مرار ، فذكرت ذلك لسعيد بن المسيب ، فقال : إن صدقت رؤياك قام من صلبه أربعة خلفاء

وقال شريك بن أبى نمر : قلت لابن المسيب رأيت فى النوم كأن أسنانى سقطت فى يدى ثم دفنتها . فقال ابن المسيب : إن صدقت رؤياك ، دفنت أسنانك من أهل بيتك

وقال رجل لابن المسيب : إننى أرانى أبول فى يدى . فقال اتق الله ، فان تحتك ذات محرم ، فنظر فاذا امرأة بينها وبينه رضاع

وجاءه آخر فقال : يا أبا محمد إنى أرى كأنى أبول فى أصل زيتونة . قال : انظر من تحتك ، تحتك ذات محرم ، فنظر فاذا امرأة لا يحل له نكاحها

وقال له رجل : إنى رأيت حمامة وقعت على المنارة ، منارة المسجد ، فقال : اذبح اذبح . فقال : ذبحت . قال : مات ابن أمّ صلاء ، فما برح حتى جاءه الخبر أنه قد مات

وقال رجل من فهم لابن المسيب إنه يرى فى النوم كأنه يخوض النار ، فقال : إن صدقت رؤياك لا تموت حتى تركب البحر ، وتموت قتلاً . فركب البحر فأشفى على الهلكة ، وقتل يوم قُدَيْد بالسيف

وقال الحصين بن عبيد الله بن نوفل : طلبت الولد فلم يولد لى ، فقلت لابن المسيب : إنى أرى أنه طرح فى حجرى بيض . فقال ابن المسيب : الدجاج أعجمى ، فاطلب سبياً إلى العجم . قال : فتسرّيت فولد لى ، وكان لا يولد لى

وكان سعيد بن المسيب يقول للرجل إذا رأى الرؤيا وقصها عليه : خيراً رأيت . وقال ابن المسيب : التمر فى النوم رزق على كل حال ، والرُّطب فى زمانه رزق

وقال أيضاً : آخر الرؤيا أربعون سنة ، يعنى فى تأويلها

وقال أيضاً : الكبل[1] فى النوم ثبات فى الدين

وقال له رجل : يا أبا محمد ، إنى رأيت كأنى جالس فى الظلّ فقمت إلى الشمس . فقال ابن المسيب : والله لئن صدقت رؤياك لتخرجنّ من الاسلام . فقال : يا أبا محمد ، إنى أرانى أخرجت حتى أدخلت الشمس فجلست[2] ، فقال : تكره على الكفر . قال : فخرج فى زمان عبد الملك بن مروان فأسر فأكره على الكفر ، ثم قدم المدينة ، وكان يخبر بهذا

( يتبع ) ناجى الطنطاوى

(١) الكبل هو القيد الضخم
(٢) خسل الشىء رذل وردئ والمخسول المرذول

ضوء جديد على ناحية من الأدب العربي

# اشتغال العرب بالأدب المقارن

## أو ما يدعوه الفرنج « littérature comparée »

## فى كتاب تلخيص كتاب أرسطو فى الشعر

لفيلسوف العرب أبي الوليد بن رشد

[تابع المنشور فى العدد الماضى]

— تلخيص وتحليل —

للأستاذ خليل هنداوي

ومنه قول المتنبي :

عدوك مذموم بكل لسان ولو كان من أعدائك القمران

لو الفلك الدوار أبغضت سيره لعوّقه شيء عن الدوران

وهذا كثير موجود فى أشعار العرب ، ولا نجد فى الكتاب العزيز منه شيئاً ، إذ كان يتنزل من هذا الجنس من القول ، أعني الشعر ، منزلة الكلام السوفسطائي من البرهان ؛ ولكن قد يوجد للمطبوع من الشعراء منه شيء محمود كقول المتنبي :

وأنى اهتدى هذا الرسولُ بأرضه

وما سكنت مذ سرت فيها القساطل

ومن أي ماء كان يسقى جياده ؟

ولم تصف من مزج الدماء المناهل

وقوله :

لبسن الوشى لا مُتجملات ولكن كي يصن به الجمالا

وضفّرن الغدائر لا لحسن ولكن خفن فى الشعر الضلالا

وههنا موضع آخر مشهور من مواضع المحاكاة يستعمله العرب وهو اقامة الجمادات مقام الناطقين فى مخاطبتهم ومراجعتهم إذا كانت فيها أحوال تدل على النطق ، كقول الشاعر :

وأجهشت للتوباد لما رأيته وكبر للرحمن حين رآني

فقلت له : أين الذين عهدتهم حواليك فى أمن وخفض زمان

فقال : مضوا واستودعوني بلادهم ومن ذا الذي يبقى على الحدثان

ومن هذا الباب مخاطبتهم الديار والأطلال ومجاوبتها لهم كقول ذي الرمة :

وأسقيه حتى كاد مما أبثه تكلمني أحجاره وملاعبه

وقول عنترة

أعياك رسم الدار لم يتكلم حتى تكلم كالأصم الأعجم

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمى صباحا دار عبلة واسلمي

وذكر أرسطو أن هوميروس كان يعتمد هذا النوع كثيرا واجادة القصص الشعري والبلوغ به الى غاية التمام أن يكون متى بلغ الشاعر من وصف الشيء أو القضية الواقعة التي يصفها مبلغاً يرى السامعين له كأنه محسوس ومنظور اليه وهو كثير فى شعر الفحول ، لكن إنما يوجد هذا النحو من التخييل للعرب إما فى أفعال غير عفيفة ، وإما فيما القصد منه مطابقة التخييل فقط . مثال الأول قول امرىء القيس :

سموت اليها بعد ما نام أهلها

سمو حباب الماء حالاً على حال

فقالت : سباك الله إنك فاضحي

ألست ترى السمار والناس أحوالي

فقلت : يمين الله أبرح قاعدا

ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

ومثال الثاني قول ذي الرمة يصف النار :

وسقط كعين الديك عاودت صحبتي

أباها ، وهيأنا لموقعها وكرا

فقلت لها ارفعها اليك وأحيها

بروحك واقتته لها قيتة قدرا

وظاهر لها من يابس الشخت واستعن

عليها الصبا واجعل يديك لها سترا

والمتنبي أفضل من يوجد له هذا الصنف من التخييل ، ولذلك يحكى عنه أنه كان لا يريد أن يصف الوقائع التي لم يشهدها مع سيف الدولة ، على أن تعديد كل مواضع المحاكاة مما يطول ، وإنما أشار أرسطو بذلك الى كثرتها واختلاف الأمم فيها

نقد المحاكاة

أراد بهذا الباب أن يبدي المعايب التي يجب على الأديب أن يجتنبها لأنها من عيوب الانشاء . واستشهد على ذلك بهوميروس فقد كان يعمل صدراً يسيراً ثم يتخلص الى ما يريد محاكاته من

غير أن يأتى فى ذلك بشىء لم يُعتد لكن ما قد اعتيد ، فان غير المُعتاد مُنكر . ولعله دل بذلك على مظهر من مظاهر البساطة التى يزداد بها الكلام روعة وتسلسلاً . فكلما كان الكلام بسيطاً ممتنعاً كان أذهب فى البلاغة وأبعد فى الروعة . ولعل ابن رشد أراد أن يجد مغمزاً فى الشعراء الذين يحيدون عن غرضهم الموصوف الى أغراض مختلفة ليست من الموضوع فى شىء كالنسيب والغزل المتكلف البالى ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً . ثم يرى أن يكون التركيب على المشهور عندهم سهلاً عند النطق ، وهو عند العرب الفصاحة . وأما أنواع المحاكاة غير المقبولة فعدّ أشهرها :

منها أن يحاكى بغير ممكن بل ممتنع ، وهو الذهاب فى اغراب الصورة حتى لا تطابق الواقع وغير الواقع ، كقول ابن المعتز يصف القمر فى تنقصه :

أنظر اليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

وإن هذا لممتنع

ومنها تحريف المحاكاة عن موضعها كما يعرض للمصور أن يزيد فى الصورة عضواً ليس فيها ، أو يصوره فى غير مكانه ؛ وقريب منه قول بعض المحدثين يصف الفرس :

وعلى أذنيه أذن ثالث من سنان السمهرى الأزرق

ومنها محاكاة الناطقين بأشياء غير ناطقة ؛ وذلك أن الصدق فى هذه المحاكاة يكون قليلاً والكذب كثيراً ، إلا أن يشبه من الناطق صفة مشتركة للناطق وغير الناطق كتشبيه العرب النساء بالظباء وبقر الوحش

ومنها أن يشبه الشىء بشبيه ضده أو بضد نفسه ، كقول العرب « سقيمة الجفون » فى الحسنة الناضة النظر ، فان هذا ضد الصفة الحسنة ، وإنما آنس بذلك العادة

ومنها أن يأتى بالأسماء التى تدل على المتضادين . ومنها أن يترك الشاعر المحاكاة الشعرية ، وينتقل إلى الاقناع والأقوال التصديقية ، وبخاصة متى كان القول هجيناً قليل الاقناع كقول امرئ القيس يعتذر عن جبنه :

وما جبنت خيلى ولكن تذكرت
مرابطها من بَرْبعيص وميسرا

وقد يحسن هذا الصنف إذا كان حسن الاقناع أو صادقا كقول الآخر :

الله يعلم ما تركت قتالهم حتى رموا فرسى بأشقر مزبد
وعلمت أنى إن أقاتل واحداً أُقتل ، ولا ينكى عدوى مشهدى
فصددت عنهم والأحبة فيهم طمعاً لهم بعقاب يوم مفسد

فهذا القول إنما حسن لصدقه ، لأن التغيير الذى فيه يسير ، ولذلك قال القائل : يا معشر العرب لقد حسنتم كل شىء حتى الفرار

وأما أمثلة المحاكاة المبنية على التوبيخات فهى غير موجودة عندنا ، إذ كان شعراؤنا لم تتميز لهم هذه الأشياء ولا شعروا بها . ولا أدرى ما يريد ابن رشد بهذه التوبيخات ، فان كانت الاعتذاريات فللأدب العربى طائفة منها قد تكون قليلة ، ولكنها رائعة لطيفة المأخذ . وكفى باعتذاريات النابغة دليلاً ؛ ومن يجحد ما للمتنبى والبحترى من لطيف الاعتذار والتوبيخ والعتاب ؟

ثم ينتقل ابن رشد الى بحث صناعة الأشعار القصصية ، ويريد بها حوادث التاريخ فيقول : إن محاكاة هذا النوع من الوجود قليل فى لسان العرب (وكأنه يعترف ضمنا بوجود أنواع منه) وهوميروس هو أبرز من عندهم . ومن جيد ما فى هذا المعنى للعرب قول الأسود بن يعفر :

ماذا أؤمل بعد آل محرق ؟ تركوا منازلهم ، وبعد أياد
أرض الخورنق والسدير وبارق والقصر ذى الشرفات من سنداد
نزلوا بأنقرة يسيل عليهم ماء الفرات يجىء من أطواد
جرت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد
فأرى النعيم وكل ما يُلهى به يوماً يصير الى بلى ونفاد

وقد تدل هذه الأبيات الخالية من الروح القصصية على أن ابن رشد لم يتفهم جيداً ما أراد أرسطو بصناعة الأشعار القصصية . ذلك لأنه لم يتأت له أن يقف على هذه الصناعة ويعرف مناهجها . ولأن تكون هذه الأبيات الى باب العبر أحق من الحاقها بباب القصص . وما أكثر ما تتردد هذه النغمة فى شعر العرب ! وهى نغمة شاذة عن الألحان القصصية ، لأن الشاعر فيها يستلهم عاطفته ؛ والقصة لا يغنى فيها استلهام العاطفة وحدها . وكأن ابن رشد أراد أن يستنقذ حكمه كمؤرخ فاستطرد وقال : وقد أثنى أرسطو على هوميروس . وكل ذلك خاص بهم وغير موجود مثاله عندنا . إما لأن ذلك الذى ذكر غير مشترك للأكثر من الأمم ، وإما لأنه عرض للعرب فى هذه الأشياء أمر خارج عن الطبع وهو أبين !

(البقية فى العدد القادم) خليل هنداوى

من الأدب الانكليزي

# ٢ـ پرسى شلى

Percy - Shelley

بقلم خليل جمعه الطوال

كان بروميتس هذا ـ كما تحدثنا عنه الأساطير الاغريقية ـ شخصاً سولت له نفسه الشريرة أن يسرق من السماء قليلاً من النار ، ولما استجاب للتجربة وارتكب جريمة السرقة ، غضب عليه إله أولمب زيوس « Zeus » وهو عظيم آلهة اليونان وابن الآلهة « كرونس » والآلهة فيا Phera وشقيق نبتون . وكان من جراء غضبه عليه أن فصله عن زوجه آسيا Asia وأمر بشد وثاقه وتقييده إلى صخرة عظيمة ، حيث كانت العقبان تأتى فى كل يوم وتذيقه سوء فعلته وشر صنيعته بمخالبها المحددة ومناقيرها القوية . ثم ما لبث « زيوس » أن رجع عن غضبة لأسباب عديدة ، وأمر بحل وثاقه وبارجاع آسيا Asia اليه ثانية . وهكذا امتزجت روح المحبة فى الانسان بروح المحبة فى الطبيعة ، وتخلص كلاهما من الفناء الذى استحقاه بسبب جريمة بروميتس (١)

تناول شلى هذه الأسطورة Mythology فوضعها فى قالب شعرى ، وكان قد تناولها من قبله وليم وردزورث ، الا أنه بينا يمتاز سبنك وليم بما فيه من التحليل المنطقى وعمق الفكر الفلسفى ، يمتاز شلى باتساع أفق الدائرة التى يسرح فيها خياله

ولعل قصيدة بروميتس هذه هى خير القصائد من نوعها التى تمثل لنا فكرة هدى البشرية بعد ضلالها . كانت شائعة عند اليونان وكثيراً ما ضمنها الشعراء أشعارهم ، ناهيك بما فيها من الكنايات والاستعارات ومن التشابيه والمجازات التى رمى بها الشاعر من وراء ستر كثيف الى أغراض بعيدة تجنباً لما كانت تلاقيه حرية الأفكار فى العصر الفكتورى من الإرهاق والاذلال

وفى عام ١٨١٧ نظم قصيدة ثورة الاسلام The Revolt of Islam استفز فيها الشعور بن ذلك السبات الذى تسرب اليها عن طريق ما منيت به الأفكار الثورية من الاخفاق ، تلك الأفكار التى كان يعلق عليها تحقيق مثله الأسمى ، والتى كان ينظر من ورائها الى ذلك العصر الذهبى الذى كونه له خياله . تطالع هذه القصيدة فتشعر بتيار ألفاظها السحرية ، وبنبرات مقاطعها النارية ، تجرى فى مفاصلك بشدة وعنف ؛ وما ذلك إلا لأنه قد نظمها وعواطفه تنبثّ فى قلبه من شدة تأثر حسه ووثوب خياله

وفى عام ١٨١٥ طرق شلى باب الأساطير Mythology لا اعتقاداً منه بصحتها بل ليرفه عن نفسه من جد الدرس ، وليدفع عنها سأم الحياة . ونذكر له من أمثلة هذا الشعر قصيدتين غنائيتين هما غاية فى الابداع وحسن الأداء وهما : القبرة Skylark ، والغيوم

ومن قصائده الغنائية الاخرى : أبولو ، إلى النيل ، نابولى ، هيلين ، الريح الغربية ، الثور ، المتجولون فى العالم ، الوقت ، ثم هيلاس التى تمثل لنا يقظة اليونان وثورتهم على الاتراك واستقلالهم

وعندما توفى صديقه كيتس عام ١٨٢١ نظم فى رثائه قصيدة عامرة الأبيات ، ملأها بزفرات قلبه وفلذات كبده من شدة ما ناله من الحزن لفقده ، ولا يحسب من يقرأها إلا أن شلى كان صنبوراً من الدمع لا ينضب معينه على صديقه

الدرامة :

وقد حاول أن يؤلف درامة يصف فيها أحوال المجتمع ونظمه وعادات البيئة وطبقاتها ، فوضع لأول مرة رواية سنسى Cenci ، ثم رواية ريشارد الثانى ، إلا أن محاولته هذه باءت بالفشل وارتدت بالاخفاق ، ولا سيما إذا قيست بأولى محاولات شكسبير ونجاحها

ومع كثرة ما لشلى من الأشعار الغنائية ، فلا نكاد نجد له قصيدة واحدة تجمع إلى رقة العاطفة وقوة الخيال انتظام الفكرة وابتكار المعنى . ونستطيع أن نقول خلاصة لهذا الموضوع : إن خير ما نظمه شلى ظهر فى ست السنوات الأخيرة من حياته

أما القالب الذى كان يستوعب أفكاره وأخيلته ففى غاية السبك والابداع ، بل كثيراً ما كان يقوم من خياله المتكره الفسل ، ومن عواطفه النافرة المستعصية . ولقد شهد له بجمال الأسلوب وروعته وليم وردزورث بقوله : « كان شلى خيرنا

(١) لعل هذا تمثيل لخطيئة آدم وحواء الأصلية : راجع التوراة فصل ٣

أسلوباً وأكثرنا ملاءمة بين موسيقى اللفظ وجمال المعنى » .

وشعره الى جانب ذلك لا يكتظ بالكلمات اللاتينية التي يكتظ بها شعر ملتون وغيره . وهو أبعد الشعراء عن الأساليب الكلاسيكية ، وعن استعمال حوشى الكلام وغريب الألفاظ ومهجور التراكيب وأكثرهم جنوحاً إلى سهولة الاداء وإلى الألفاظ الجلية المخارج والموسيقية الجرس ، يتناولها فيجعل منها مع المعنى لحناً موسيقياً بديعاً .

وقد جمع معظم أشعاره في ديوان عنوانه Shelley Poelical Work ظهرت الطبعة الأولى منه سنة ١٨١٩ فنفدت لسنتها لما كان لها من الرواج . ثم ظهرت طبعته الثانية عام ١٨٢١ حاوية لقصيدته الشهيرة alastor ألستور ، وهي ترجمة دقيقة الوصف لحياته وعواطفه التي كانت تختلج في قلبه إذ يصف فيها مقدار ما يلقاه كل شاعر حر أمام نبوغه من العقبات الكأداء التي تفل من عزيمته وتحط من شاعريته . فهي صورة جلية نتعرف منها خبايا نفسه ومنبع شاعريته . وقد ضمن هذه الطبعة دفاعه عن الشعراء والشعر ضد مهاجمه « توماس بيكوك » أتى فيه على تعريف الشعر وتاريخه وفائدته في اجتثاث سوءات المجتمع وتهذيب النفوس وصقل الذوق ، بعد أن فند آراء بيكوك بلهجة علؤها الحماس ونبرات تصحبها الثورة .

وفي شلي يقول المؤرخ الشهور والكاتب المأثور ماكولي : « لم أر في حديث الشعراء من تقرأ أشعاره فتعلق بجملتها بشغاف قلبك إلا شلي . أما والله لقد جمع بين جزالة السلف ورقة الخلف ، وتعمد الاجادة فأصاب شأكلها وبلغ غايتها ، في حين أنه قصر دونها شعراء كثيرون من أترابه . » وميما يكن في هذه الشهادة من الغلو والاسراف ، فليس لنا سبيل إلى دفعها ودحضها ، ذلك لأن شلي قد توفي وهو في سن الثلاثين قبل أن تنضج مواهبه

## شلي والحركة الابتداعية :

ترجع هذه الحركة في تاريخها الى تلك البذرة التي بذرها السير فرنسيس باكون ( ١٥٦١ — ١٦٣٦ ) حين أهاب في الأدباء منادياً بأن نظم الحضارة الأرستقراطية تفسد عاطفة الأدب الصالحة ، وتبهم عبارة البلاغة الواضحة ، وأن ليس لهم إلا الخروج عليها واقتفاء أثر الطبيعة في جميع أغراض الأدب نظماً ونثراً ، بل وفي أنظمة الحياة الاجتماعية والسياسية ، إذ هي وحدها منبع جميع مشاعر الأديب الحسية ومستقر ملكاته الخيالية :

وإذ كان بيكون غارس بذرة هذه الحركة ، فقد كان جان جاك روسو هو الذي تعهد تربتها ، وترعرعت في عصره غرستها ، حتى آتت أكلها على يد وليم وردزورث ورفاقه ، وهم كيتس ، ووسلي ، وبيرون ، وشلي . وجميعهم يعني بجمال الأسلوب قبل الفكرة ، ويعتمد على الخيال أكثر من الحقيقة ، ويهتم في البحث عن أصول الأشياء واستجلاء غوامضها ، لا في ذاتها ، بل في الطبيعة على اعتبار أنها أجزاء منها ، وهم يجعلون موضوع دراستهم الرجل العادي لا الأرستقراطي ، ويمارسون الأدب على أنه من وسائل إصلاح المجتمع واجتثاث سوءاته لا على أنه فن قائم بذاته لا علاقة له بالهيئة الاجتماعية . وعلى هذا القياس فان درجة الشاعر تعظم في نظرهم بمقدار ما يكون لأشعاره من الاصلاح ومن بليغ الأثر في توجيه دفة الهيئة نحو هذا الاصلاح وتحويل الرأي العام إلى قبوله لا بمقدار ما تثيره من الشعور وتجلبه من عوامل اللذة الروحية المجردة . ويكره شلي من الشاعر خاصة أن يلجأ إلى بحوث عالجها الشعراء من قبله ، إذ لا يرى الى ذلك من ضرورة مطلقة لا سيما والطبيعة دائمة التحول والاستمرار .

( البقية في العدد القادم ) خليل جمعة الطوال

دراسات أدبية

# في الأدب الايطالي الحديث

تتمة

بقلم محمد أمين حسونه

وقد ذكر بابيني أن هذه الرواية هي قصة جيل كامل . والواقع أننا لا نلمس فيها سوى أثر الآلام التي يشكو منها جيل المثقفين من المرضى النورستانيين ، الذين تتسلط عليهم الأفكار السوداء ، فوقف تقدمهم الفكري دون الخلق والابداع . وقد حاول بابيني في هذه الرواية أن يطبق أصول الفلسفة العملية « البراجماتزم » ، وأن يخلط الجد بالهزل ليخرج لنا الحقائق الفاجعة ، والسخريات المرة اللاذعة

أما كتابه الذي أصدره في غضون الأعوام الأخيرة بعنوان « جوج » ففيه ينقد بقسوة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والدينية ناقماً على الثقافات التي تقود العالم إلى الدمار والخراب ما خلا الثقافة اللاتينية ، فهو يزعم أن في استطاعتها وحدها أن تنقذ العالم من الويلات التي يتردى في أعماقها

والواقع أن بابيني إنما يستقي فنه من تيار سابق لتفكير بيراندللو . والفرق بينهما أن بيراندللو استطاع أن يتخلص من آثار العقل الخصب ، وأن يخلع على أبطاله ظلاً من روح الفكاهة والمرح . أما بابيني فلفرط استغراقه في الفلسفة تراه يطبع رواياته بهذا الطابع الجاف الذي يباعد بينه وبين تفكير الجيل

وفي الوقت الذي بدأ الناس يميلون إلى الروح الهادئة في الفن القصصي وإلى الشخصيات التي تمثل التضحية أو الاخلاص أو المثل الأعلى ، يلجأ بابيني إلى غمر قصصه بالنظريات الفلسفية ، تاركاً للقراء حرية تفسيرها في ضوء الحوادث . ولذا نلمح أن معظم أبطاله يعيشون في جو مظلم ، ويقاومون أعاصير الحياة عن طريق المذاهب العقلية

ولعل في حياة بابيني الأدبية عظة بالغة ، فهو يحارب الشعراء لأنهم في نظره بلهاء كالأطفال ، وقد اتخذ لنفسه منذ نشأته صفة المجادل الذي يحاول مناقشة آراء خصومه عن طريق هدم مجدهم الأدبي تمهيداً لتشييد صرحه فوق أنقاضه ، لكنه لم يهدم في النهاية سوى نفسه ، حتى إن فلسفته أوشكت أن تموت في أذهان القراء

## المدرسة الاقليمية

وقبل التحدث عن أثر المدرسة الاقليمية في الأدب الايطالي الحديث يحسن بنا أن نتحدث عن خصائصها ومميزاتها ، فهي تلتمس أسلوبها في فن جيوفاني فرجا Giovanni Verga وتميل بعض الشيء إلى الرواية الهادئة التي تقوم على ذكريات خاصة خالية من روح التكلف ، وإلى الحياة الفطرية الساذجة ، والعودة إلى أحضان الطبيعة مع إحياء الطابع القوي الخاص في الأدب الايطالي الحديث

وإذا اعتبرنا أن المذاهب الأدبية في ايطاليا تقوم على الوجدانيات البالغ فيها ، والخيال الشعري ، والوطنية المتأججة ، أمكننا أن نوازن بين الفن الروائي القديم وبين الفن الذي ابتدعه فرجا ؛ فهو يقوم على الحس والمشاهدة الملونة مع تصوير العادات والأخلاق والحوادث التاريخية البارزة

وربما كان فن المدرسة الاقليمية يمت بأقوى الصلات إلى اسكندر دياس ، وأسلوبها الكتابي إلى جورج صاند التي سبق أن قضت فجر شبابها في ربوع ايطاليا ، وكان لجو البندقية الشعري أثر بليغ في روحها الغنائية

لقد نشأ ( فرجا ) في مدينة كتانيا بجزيرة صقلية ، وطوف بأنحاء ايطاليا بقصد التبشير بفنه الجديد ، وتكوين جمعيات أدبية في كل من فلورنسا وميلانو . وقد ساعده على ذلك أن عصره كان يسوده الهدوء الطبيعي وفتور القلاقل السياسية . ومن السهل أن نلتمس في روايات فرجا ظل الحياة الصقلية فهي مسرح فنه ومهبط وحيه . وقد رسم لنا في بعض رواياته الفذة « كالارادة السيئة » طغيان حكومات عهد الاقطاع على صقلية وأساليب جمعية المافيا الاجرامية التي ظلت تبسط سطوتها على الجزيرة زهاء ثمانية قرون . وكان رائده في كل ما يسرده من الوقائع الاخلاص والشعور المرهف . فرواياته من هذه الناحية ليست ذات قيمة أدبية فحسب ، بل يمكن اعتبارها من الوجهة التاريخية وثائق مشرفة للحياة الاجتماعية والسياسية وللأخلاق والعادات في الريف الايطالي

وعلى الرغم من أن هذه الرواية لا مغزى لها ، فاننا نلمح بين

سطورها آثار العقلية الايطالية الخصيبة ، ووصف الحروب الاستقلالية والمعارك البحرية في الأدرياتيك ، وأخلاق الطبقة الدنيا ، ومواقف غرامية مفجعة ، ونظريات أخلاقية ونفسية ، وتحليل دقيق لأفراد أسرة فقيرة تحترف صيد الأسماك ، ظلت تكافح في الحياة وتقاوم الحظ السيء الذي لازمها زهاء نصف قرن

لقد كان فرجا يردد العواطف الصادقة في فنه والحقائق القاسية ، وليس مذهبه في الأدب سوى رد فعل لمدرسة كاردوتشي ، وعلى رغم أن هذا الكاتب العظيم كان أميل إلى الصمت وإلى التحفظ في الكلام نراه متدفقاً كالسيل في رواياته حتى كتب نيفا وثلاثين رواية طويلة وعشرات الأقاصيص . وقد وصفه النقادة روبناس بقوله : « كان ينفر من الشهرة ، ولكن الشهرة سعت إليه من حيث لا يدري . وكان شعاره دائماً : في هو مجدي ، وكتبي تراثي في نظر الأجيال »

* * *

ومن كتاب المدرسة الإقليمية الذين اشتهروا خارج بلادهم عن طريق ترجمة أعمالهم الأدبية إلى اللغات الحية الكاتب الروائي ماريو بوتشي . ففي مؤلفاته يجد الجو الهادئ الحزين ، وبالأخص في حياة الريف . وهذه الصبغة التي تعطي رواياته طابعها الخاص تبين عبء الألم واليأس المنبعث منها . وقد حاول بوتشي في بعض رواياته « كالعبريون » أن ينجو من الجو المظلم الذي يخلع على أبطاله ظلا من الكآبة ، ولكن ما اتصف به من الركود والتأثرات النفسية والتعلق بأهداب الخيال وغرامه بتصوير حياة القسس والفلاحين والجنود جعله بمعزل عن كتاب الجيل المعاصر . والواقع أنه ليس في فن هذا الكاتب أي أثر للعنف أو الاندفاع ، إنما نحس من الأعماق أننا أمام شخصيات ابتدعها المؤلف في هدوء ودقة ، كما كان أهل وطنه يصنعون الدمى الخشبية بمجهود شاق في القرون الوسطى

وكان توتزي أقوى كتاب هذه المدرسة على الاطلاق ، ولكن الموت عاجله وهو في قمة مجده . وإذا حكمنا على تراثه الفني أمكننا أن نقول إنه أخرج أعظم روايات الأدب الحديث . وفي فنه تتجلى روح البساطة والسير بأبطاله في طريقهم الطبيعي ، ورسم مظاهر الانحطاط الانساني بأسلوب مؤثر . ومن أشهر رواياته « الصلبان الثلاثة » وهي قصة ثلاثة إخوة يدرس بعضهم أخلاق بعض ، وتتغلب الغريزة والأنانية والجشع على أعمالهم ، وينتهون أخيرا الى موت غير شريف ، ولا يبقى من آثارهم سوى صلبان سود ثلاثة في المقبرة

ولعل شيكونياني هو الكاتب الوحيد الذي يرتفع بفنه فوق مستوى المدرسة الاقليمية مما يذكرنا بالمدرسة التوسكانية التي ظهرت آثارها في القرن التاسع عشر . ويخيل اليك وأنت تطالع الصور الفذة التي يرسمها في قصصه أنك تسير في شوارع فلورانسا . وتعد روايته « فيليا » من أحسن الروايات التي ظهرت بعد الحرب العظمى . فالروح الواقعية التي رسم بها المؤلف شخصية بطلته على أنها فتاة من عامة الشعب محبة لنفسها ، مجردة عن الضمير ، تجر الى الهاوية جميع الذين يلتفون حولها ، من أروع حالات التعنور الاحساسي والتغلغل في أعماق النفس

أما بور جيزي مؤلف رواية « روبي » فهو من المؤلفين الذين توفروا على دراسة النظريات النفسانية الجديدة . وفي هذه الرواية ما يعطينا صورة واضحة من فنه ، فهي تحليل دقيق لنفسية رجل أناني مجرد من العواطف الانسانية ، معذب بالشكوك والأوهام ، ليس في مكنته مقاومة أعاصير الحياة ، فيقذف بنفسه في التيار الذي يفقده شيئاً فشيئاً عن حقيقة الحياة إلى أن تدفعه المصادفة السيئة إلى الانتحار . « فروبي » كما رسمه المؤلف رجل لا شباب فيه ولا عاطفة ؛ وهو لا يعرف الأخلاق ، وغير قادر على أن يحب حتى نفسه . وعلى الرغم من تراخيه وكسله يحلم بأن يصل إلى شيء ، وإن الصفتين الأساسيتين في خلقه هما ضعف الارادة ورغبته الدائمة في تحليل عواطفه ؛ وهذا التحليل هو الذي يشل روح حركته ، ويفقده توازنه ، ويقلب في نظره المقاييس الصحيحة للحياة ؛ فمرة يحاول أن ينسى نفسه في غمار الحرب ولكن دون حماسة ، ومرة يتزوج من امرأة دون أن يشعر بميل اليها ؛ وهو معتقد أنه تزوج زواجا صالحا . إنما هي المصادفة التي قادته إلى هذه المرأة وجعلته يقترن بها ثم يقتلها . ولكن الواقع أنه تركها تموت كمداً من سوء معاملته ؛ وقد صور له الوهم انه قتلها مع أن الشجاعة لا تؤاتيه لقتل حشرة حقيرة

## أدب المستقبل

أسس هذه المدرسة بونتمبلي مؤلف رواية « امرأة أحلامي » وكان الغرض منها مقاومة التحليل السادي في القصة ، ومناهضة أساليب المدرسة الأقليمية ؛ ويمكن أن نعتبر عصرها عصر النفور

# الدكتور محمد اقبال

## فلسفته

### معالم الاتفاق والاختلاف بينه وبين فلاسفة الغرب

للسيد أبو النصر أحمد الحسيني الهندي

إن من نابذ الأديان العداء في العصر الحاضر هو الطبيب النمساوي الفيلسوف سيجموند فرويد صاحب المذهب الخاص في علم النفس التحليلي وقد توفي حديثاً ، فهو قد رأى في حقيقة أعمال الانسان ، بل في جميع حركاته وسكناته رأياً غريباً ، وهو أن أساسها العاطفة الجنسية ، وأن الولد يولد وعنده تلك العاطفة ، وأن جميع خواطر الانسان وهواجسه من الطفولة إلى الشيخوخة ترجع اليها . وعلى هذا فالانسان عند سيجموند فرويد مجسم الشهوانية وكتلة العاطفة الجنسية ، ولا حقيقة عنده للامور المعنوية الأخلاقية البحتة التي كثيراً ما طمحت اليها نفس الانسان لتتسنم فيها ذروة الشرف ، ولا لنظم الروحانية المجردة عن تلك العاطفة مثل الأديان ، ولا لأمثالها التي طالما تطلعت اليها روحه فلم يأل جهداً في حيازة كمالها . فهكذا جرد فرويد الانسانية من أوصافها المميزة ، وحطها من مراتبها الروحانية السنية ، والدرجات الأخلاقية والمعنوية الرفيعة ، إلى حضيض الحيوانية والهمجية

قرر فرويد أن الدين عبارة عن وهم محض خُلِق من الهيجات والدوافع المرفوضة في نفسية البشر ، لتجد تلك الهيجات والدوافع في دائرة الدين حرية العمل غير المسدود ؛ وأن العقائد والمذاهب الدينية ليست إلا نظريات الطبيعة الابتدائية التي سعى بها الانسان لانقاذ الحقيقة من قبحها العنصري ، ولجعلها شيئاً أقرب الى رغبة القلب من غير أن تسمح بذلك حقائق الحياة . ومبنى هذا القرار هو نظريته التي أتى بها في علم النفس التحليلي ، وخلاصة تلك النظرية هي أننا حينما نقوِّم بيئتنا ونرتب ما حولنا نتعرض للمهيجات والدوافع المختلفة الكثيرة فنرد عليها . وعملية هذا الرد إذا تكررت كثيرا تتحول إلى العادة فتصبح نظاماً للرد أكثر ثباتاً مما لم يتكرر ؛ ثم هي تتقدم بالاستمرار في التعقيد ، وذلك لأننا عند الرد نقبل بعض تلك المهيجات ونهضمها ، ونرفض الأخرى التي لا توافق نظام ردنا الثابت ، فتتراجع الى منطقة من العقل مسماة « بالمنطقة اللاشعورية » ، أو « منطقة ما تحت الشعور » ، وتبقى فيها حتى تجد فرصة سانحة للانتقام من الذات المركزية والهجوم عليها ، وحينئذ تقدر أن تغير خططنا للعمل ، وتفسد أفكارنا ، وتشيد أحلامنا وأوهامنا ، أو تجرنا الى تصورات سيرتنا الأولى التي كنا تركناها طوع سنة الارتقاء على مسافة شاسعة . فالدين عند فرويد مخلوق هذه الهيجات والدوافع المرفوضة ، وثمرة اقتحامها الذات المركزية.

يخالف الدكتور إقبال هذا الرأي السقيم أشد المخالفة ؛ وقد وضح ذلك في محاضرة ألقاها بجامعة هندية ، إذ قال : « إن من تجرد الشيطانية عن سلطة الألوهية أن قام فرويد وأنصاره بخدمة للدين تفوق التقدير ؛ إنني لا أستطيع أن أمتنع عن القول بأن النظرية الأساسية في علم النفس الجديد هذا لا تظهر لي مؤيدة بدليل قطعي حاسم . فلو كانت مهيجاتنا ودوافعنا المتشردة تهاجمنا في الحلم أو في الأوقات الأخرى التي لسنا فيها في حالتنا الأصلية ، فلا يتأتى من ذلك الهجوم

---

من الزخرف اللفظي ، وتنمية النزعة الخيالية ، والتبشير بالأدب الرمزي

ويعد أمبرتو فراكيا من أدباء هذه المدرسة ، وقد كانت وفاته في غضون عام ١٩٣٠ ضربة أليمة في نفوس الجيل الجديد ، إذ كان دائم العطف على أدباء الشباب ، باذلاً جهده في تنمية الملكة الأدبية وإظهار المواهب المدفونة فيهم ، وبسبب ذلك أنشأ مجلة « سوق الأدب » لنشر رسائلهم والدعوة الى الالتفاف حول « أدب المستقبل »

ومنذ سنوات قلائل تزعم مارينتي هذه الحركة ، وأخذ ينشر أفكاره في مجلته « الشعر » ، وتدور دعوته حول التطلع إلى المستقبل ، وقطع الروابط الوشيجة التي تربطنا بالماضي ؛ فالمتاحف في نظره كدور المرضى ، والافتخار بمجد الجدود وآثارهم دليل العجز منا عن مجاراتهم والتفوق عليهم . ولما كان من الصعب أن نحكم على القيمة الفنية لأدب مارينتي ، فان هذا لا يمنعنا من الجهر بأن « أسلوبه التلغرافي » وجد البيئة الصالحة التي ينمو فيها في خارج ايطاليا ، حيث يقبل الفرنسيون على اعتناق كل فكرة أدبية طريفة ؟

محمد أمين حسونه

أنها تبقى مسجونة فى مكان يشبه مكان سقط المتاع وراء ذاتنا الطبيعية . إن هجوم هــذه المهيجات والدوافع المكبوتة على منطقة ذاتنا الطبيعية يفضى أكثر إلى تبين أن لنظام ردنا العادى عزقاً وقتياً من أن يثبت وجودها الدائمى فى زاوية مظلمة من العقل

« أما القول بأن المذاهب والعقائد الدينية ليست إلا نظريات الطبيعة الابتدائية التى سعى بها الانسان لانقاذ الحقيقة من قبحها العنصرى وجعلها شيئاً أقرب إلى القلب من غير أن تسمح بذلك حقائق الحياة ، فلا أنكر أن هناك أدياناً وأمثالاً من الفن تحث الانسان على الهروب من حقائق الحياة وتساعده عليه ، ولكن الذى أريد أن أقول هو إنه لا يصدق على جميع الأديان . فلا نزاع فى أن للمذاهب والعقائد مضامين تتعلق بما وراء الطبيعة ، ولكنه أيضاً بين أنها ليست تفسير مدلولات الاختبار الذى هو موضوع بحث العلوم الطبيعية . إن الدين غير علم الطبيعة ، وعلم الكيمياء اللذين يشرحان الطبيعة بقانون السبب والمسبب ، إنما الدين يقصد التعبير عن منطقة الاختبار الانسانى التى يختلف عن غيره تمام الاختلاف — الاختبار الدينى — التى لا يمكن أن تحول مدلولاته إلى مدلولات أى علم آخر . وفى الحق إنه يجب علينا أن نقول فى إنصاف الدين إنه أصر على ضرورة الاختبار المتين فى الحياة الدينية قبل أن يعرف ذلك العلم بكثير . فالخصام بين الدين والعلم ليس بقائم على أن لأحدهما وجوداً والثانى لا وجود له ، بل على الاختبار المتين . فكلاهما يقصدان الاختبار المتين كنقطة الافتراق بينهما ، وعلى هــذا فالخصام المفروض بينهما ناشىء عن سوء الفهم وهو أن كلا منهما يعبر عن مدلولات الاختبار الواحد . إننا ننسى أن الدين يتوخى الوصول إلى المضمون الحقيق لنوع خاص من الاختبار الانسانى »

« ولا يمكن أن نفسر مضمون الشعور الدينى بنسبته إلى عملية العاطفــة الجنسية . فان الشــعورين — الجنسى والدينى — فى الغالب متخاصمان أو على الأقل فى أوصافهما المميزة ، وفى غرضيهما وفى نوع الســيرة التى ينتجها كل منهما يختلفان كل الاختلاف . والحق أننا فى حالة العاطفة الدينية نعلم الحقيقة الواقعية بمفهوم أنها خارجة عن دائرة شخصيتنا الضيقة ، وللشدة التى تهز بهــا تلك العاطفة الدينية أعماق وجودنا تلوح للعالم بعلم النفس أنها ثمرة « منطقة ما تحت الشعور » . إن فى كل علم يوجد عنصر العاطفة ، ويزداد موضوع العلم وينقص فى قيمة موضوعيته على حسب الزيادة والنقص فى شدة تلك العاطفة . فان الشىء الذى يقــدر أن يهز جميع شخصيتنا هزاً شديداً أكثر حقيقة لنا

صنف فى ألمانيا الدكتور أسوالد اشبنجلر أحــد كبار الفلاسفة المعاصرين كتاباً سماه « انحطاط الغرب [١] » ونشره بعد الحرب العظمى مباشرة ، فلقى مع اشتماله على أدق الأفــكار الفلسفية إقبالا عظيما حيث بيع من الطبعة الأولى مائة الف نسخة . فى هذا الــكتاب سعى إشبنجلر لدحض الفــكرة السائدة من القرن المــاضى إلى الآن وهى أن الحضارة الغربية الحاضرة ثمرة التقدم المسلسل ، وأن مصيرها فى المســتقبل ايضاً التقدم المستمر كالخط اللامتناهى ، وأتى بنظرية وهى أن الدنية الانسانية ليست هى التقدم المسلسل ولا المستمر كالخط اللامتناهى بل هى عبارة عن سلسلة حلقات المدنيات المختلفة كل حلقة فيها مستقلة فى روحها عن الأخرى تمثل دور الثقافة والحضارة ثم تموت [٢] . ولا اتصال بين تلك الحلقات بتاتاً . وعليه فلــكل مدنية عند اشبنجلر طريق خاص للنظر إلى الأشــياء والعالم وعر الملتمس لأبناء مدنية أخرى

لاثبات هذه النظرية استقصى اشبنجلر فى كتابه « انحطاط الغرب » مدنيات العالم بحذافيرها فخصص بابين كبيرين للمدنية العربيــة رى اقبال أنهما يكونان جزءاً ذا أهمية عظمى لتاريخ آسيا الثقافى . غير أن ما جاء فيهما عن الاســلام هو ، فى رأى اقبال ، مبنى على سوء الادراك لطبع الاسلام كالحركة الدينية ،

(١) أى Der Untergang des Abendlanps

(٢) يوزع اشبنجلر كل مدنيــة فى دورين : دور الثقافة الذى بمثابة « الجسم الحى » لروح المدنية ؛ ودور الحضارة الذى هو « موميا » تلك الروح . ففى الأول يعيش الرجل حياة باطنية خصبة ، وفى الثانى حياة خارجية بارزة فى المكان بين ظواهر الأجسام والأمور الواقعية التى لا يدركها رجل الثقافة إلا انها أوامر القضاء والقدر ، بينما يدرك رجل الحضارة أنها نتائج الأسباب الخاصة . فالأول يعيش من دون الشعور عيشة مندفعة ، والثانى بالشعور عيشــة يقظة . وعلى هذا فالحياة للأول شىء بديهى لا تحتاج إلى معالجة العقل فهو يقبلها كقضاء الله وقدره ، ولكنها للثانى شىء غامض تحتاج إلى حل العقل وحكمه على ضوء مبدأ النفع والضرر . لذلك كان دور الثقافة عند اشبنجلر أزهى الأدوار فى حياة الشعب ذى المدنية إذ فيه يوجد عنده قوة الخلق للعلوم والمعارف والفنون والصناعات وتسيطر عليه روح الدين . وأما دور الحضارة فتهن فيــه تلك القوة فلا يقدر الشعب على خلق الجديد إلا تقليدا للغير أو شرحا لقديم وهو دور حكم العقل والمادية فى الشعب ؛ وعلى هذا فيرى اشبنجلر أنه فى المدنية الغربية قد بدأ هذا الدور من نهاية القرن الثامن عشر وأنها ستموت حوالى سنة ٢١٠٠ ميلادية

والتحول الثقافي العظيم الذي أتى به الاسلام في العالم . قال في محاضرة ألقاها في جامعة هندية : « إن اشبنجلر في اجتهاده لاثبات نظريته يسوق جيشاً عرمرماً من الحوادث والتراجم كالشواهد ليبين أن روح المدنية الأوربية مضادة لروح المدنية اليونانية واللاتينية ، وأن تضاد روح المدنية الأوربية هذا ناشئ عن طبع الذكاء الأوربي الخاص وليس عن أي الهام قد تكون استلهمته من الثقافة الاسلامية التي هي عنده « ماجية » في النوع والروح تماماً . إنني قد سعيت في محاضرتي السابقة لأثبت لكم أن تضاد روح العالم الحاضر هذا لروح المدنية اليونانية واللاتينية هو في الحقيقة ناجم عن ثورة الاسلام ضد الفكر اليوناني[1] ؛ وظاهر أن هذا الرأي لا يمكن أن يقبله اشبنجلر ، فانه لو قيل إن تضاد روح الثقافة الحاضرة للمدنية اليونانية واللاتينية ناجم عن استلهامها ذلك من الثقافة التي سبقتها مباشرة ، لانهارت نظريته من أساسها ، لأنه قد قرر فيها أن كل مدنية منفردة مستقلة لا اتصال بينها وبين ما قبلها وما بعدها . لذلك أخشى أن يكون جهد اشبنجلر لتأسيس نظريته هذه قد أفسد نظره في الاسلام كالحركة الثقافية افساداً تاماً . »

« يريد اشبنجلر ( بالثقافة الماجية ) الثقافة العامة المشتركة بين ما يسميه اشبنجلر « مجموعة الأديان الماجية » وهي عنده الديانة اليهودية ، والكلدانية القديمة ، والمسيحية القديمة ، والزرادشتية والاسلام . فلا أنكر أن النشاء الماجي نبت على الاسلام[2] ولكن مهمتي في هذه المحاضرة كما كانت في محاضراتي السابقة هي حماية صورة صحيحة لروح الاسلام الخالصة المجردة عن غشائها الماجي الذي في رأيي أضل اشبنجلر . إن جهل اشبنجلر للفكر الاسلامي في مسألة الزمان ، وكذلك جهله للطريق الذي به ظهرت الأنانية في الاختبار الديني الاسلامي كالمركز الحر للتجربة ، مدهش . فبدلا من أن يستفيد ويستنير من تاريخ الفكر الاسلامي وتجاربه هو يفضل أن يؤسس حكمه على عقائد العامة في بداية الزمان ونهايته . فكروا هنيهة ! في رجل ذي علم غزير كالجبل الشامخ وهو يستمد لاثبات الجبر المزعوم في الاسلام من القولات والأمثال العامة الشرقية مثل « قوس الوقت » أو « لكل شيء وقت » . إنني على كل حال قد بينت لكم في محاضراتي السابقة أصل فكرة الزمن في الاسلام وتقدمها كما شرحت لكم الأنانية الانسانية كالقوة المطلقة ، وأعتقد أنه واف بالغرض ؛ وأما انتقاد آراء اشبنجلر في الاسلام وفي الثقافة التي نجمت عنه انتقاداً وافياً فظاهر أنه يحتاج الى مجلد ضخم . غير أني زيادة على ما قلت أحب أن أقدم اليكم ملاحظة أخرى عامة »

يقول اشبنجلر « إن لب تعليم الأنبياء ماجي . فهناك إله واحد — سواء أيقال له يهوذا ، أم اهورامزدا ، أم مردوك بعل ، وهو الأصل للخير . وأما الآلهة الأخرى فجميعها إما عجزة أو شريرة ، وضم الى هذه العقيدة الأمل في ظهور المسيح الذي كان أكثر وضوحا في النبي ايشائيا ولكن ذلك الأمل ظهر في القرون بعده في كل مكان تحت ضغط الضرورة الباطنية بالشدة . وهذا الفكر فكر أساسي في الدين الماجي لأنه يشمل من دون النزاع تصور حرب العالم التاريخية بين الخير والشر مع سيادة قوة الشر في الأوقات المتوسطة وفوز الخير في الآخر في يوم القيامة . » لو أريد تطبيق هذه الصورة لتعليم الأنبياء على الاسلام فهو يحرفه تحريفاً تاماً ، فان الفرق الهام بينهما هو أن الرجل الماجي يقبل وجود الآلهة الباطلة وان لم يعبدها ، بينما الاسلام ينكر نفس وجودها انكارا تاماً . واشبنجلر يعجز في هذا الخصوص عن أن يقدر القيمة الثقافية لفكرة ختم النبوة في الاسلام حق قدرها . نعم مما لا شك فيه أن صفة واحدة مميزة في الثقافة الماجية هي موقف الأمل الأبدي ، هي الانتظار المستمر لمجيء أولاد زرادشت غير المولودين ، أو المسيح ، أو بارقليط الانجيل الرابع ، ولكني قد بينت لكم في محاضراتي السابقة الطريق الذي يجب لطالب الاسلام أن يسلكه في البحث عن المعنى الثقافي لفكرة ختم النبوة في الاسلام . وزيادة عليه أقول إنه يمكن أن تعتبر هذه الفكرة علاجا نفسياً للموقف الماجي للأمل المستمر الذي يفضي الى تقديم صورة كاذبة للتاريخ . لذلك لما رأى ابن خلدون أنه قد ظهرت في الاسلام تحت أثر الفكر الماجي فكرة — ظهور المهدي — التي تشابهها على الأقل في نتائجها النفسية ، وأنها تخالف نظره في التاريخ محقها بالانتقاد محقاً تاماً »

السيد أبو النصر أحمد الحسيني الهندي

(١) أثبت الدكتور اقبال في تلك المحاضرة أن روح تعليم القرآن ضد الفكر اليوناني ، فان الأهمية الكبرى عند القرآن للعمل بينما عند اليونان للنظر . والمسلمون استفادوا بادئ ذي بدء من الأفكار اليونانية ولكنهم أدركوا فيما بعد نضاد تعليم القرآن للفكر اليوناني فانتقدوه وثاروا عليه وصنفوا كتباً كثيرة في انتقاد جميع نواحيه وفروعه

(٢) يريد به تأثر المسلمين من الروايات والحكايات الاسرائيلية والمسيحية والمجوسية وادخالها في التفاسير والكتب الدينية الأخرى

موسم الاسكندرية

# الحول قد حال

للأستاذ فخرى أبو السعود

حُيِّيت يا بحرُ إن الحول قدحالا     فاستقبل اليوم أسراباً وأرسالا
تسعى إليك من البلدانِ ظامئةً     إلى الجمال على شطَّيك قد جالا
وللضياء على عطفيك مؤتلقاً     وللنسيم على الآذيِّ مختالا
وثَمَّ شمس على الآفاق مُنبسط     تعليه يوماً فيوماً كلما دالا
وزُبدِ فيك أشهى المناظر من
حَبابِ كأسٍ علا فى الكأسِ جريالا
ودافقٍ ترتوى الأرواح حائمةً     به وينقع للأجسام صلصالا
وناعس الرملِ قدمرّت بهِ حِقَبٌ     عِداده وسيطوى بعدُ أجيالا
وهائج اللج يغزو الشطَّ مجتهدا     لا يأتلى عنه إدباراً وإقبالا
دوماً يحاوِل أمراً ليس يبلغُهُ     وما يزال لما يبغيه محتالا
إذا تكسَّر من صخرٍ إلى حجر     شهدتَ فى كل صوبٍ منه شلالا
يشنُّ حرباً على الخلجان عاتية     دوماً ويعدو على الشطآن صوّالا
يشن حرباً ويهدى من نسائمه     خير التحايا كريم الفعلِ مفضالا
إذا النسيم تعالى من جوانبه     معطَّر الثوب أرداناً وأذيالا
حسبت روضاً وراء اللُّج ذا أرَج     حيَّا أزاهرَهُ الوسميُّ هطّالا
هذا النسيم بقلبى مُنبتٌ زَهَراً     وباعثٌ فيه عرْفاً كلما مالا
هذى المحاسنُ كم يبعثن فى خلدى     من ذكرياتٍ وكم يحيين آمالا
يُفتيجن عمر الفتى مهما أطاف بها     حتى تكون بها الساعاتُ آجالا
جَمعتَ عندك آى الحسن قاطبةً     وطبت يا بحر أسحاراً وآصالا
إن كنت لم تجلُ حُوراً فيك عارية     كما روى شاعرٌ قِدْماً وما خالا
فكم على جانبيك اليوم من فِتَنٍ     لم تحو أسطورةٌ منهن أمثالا
غِيدٌ بلُجِّكَ أو بالرملِ سارحةٌ     رَفلْنَ فى الحسن أعطافاً وأوصالا
هذى كنوزٌ على شطَّيك مزرِيةٌ     بما تُزَوِّدُ غوَّاصاً ولألّالا
كنوزُ حسنٍ إذا أصفى مَوَدَّته     فدَعْ كنوزاً لقارُون وأموالا
الطرفُ منهنَّ مُثرٍ مسرفٌ بذخاً     والقلبُ يندُب إعساراً وإقلالا
وكلما خاضَ طرْفى أنعماً وحُلَى     تجشَّمَ القلب أوجاعاً وأهوالا
سبحانَ من أرسلَ الأحداق فى طلَقٍ
وحمَّل القلبَ فى الأضلاع أغلالا
يا من عرضتُم فغادرتُم جوانحنا     حرّى وقد نال منها الشوقُ ما نالا
بالرغم منّى أن تمضوا على عجَل     ولا يكونَ وَدادٌ بيننا طالا
تمَّتْ لديكَ صِفاتُ الحُسْنِ واختلطت.
لديك يا بحرُ أشتاتاً وأشكالا
فلا كشطَّكَ للألباب مُنْتجَعٌ     ولا كأُفقكَ من وَحىٍ لمن قالا

(اسكندرية)     فخرى أبو السعود

من أحسن ما قيل فى (موسم الشعر)

# فى قريتى

للأستاذ أحمد الكاشف

جمعت فى العيد حولى سائر الآل     وملتقى الآل حولى كل آمالى
أبًا دعونى ومالى فيهمُ ولد     ولست للقوم غير العم والخال
كأننى وهمُ فى الدار مطلع     منهم على أمم شتى وأجيال
أعدهم لغــد والمقبلين غداً     فى هذه الأرض أجنادى وأبطالى
ما أحسن الشمل أرعاه وأشهده     لأمهات وآباء وأطفــال
فلا أرى فرقة فى الدهر قاطعة     لمطمئن وخفّــاق وجوال
ولا يصاب هديل فى أليفته     ولا الغضنفر فى غيل وأشبال
أقمت فى الريف لا أشقى بطاغية     من الرجال ولا لاهٍ وختال
وعشت بالرطب من بقل وفاكهة     فيما ملكتُ وماء فيه سلسال
أحرم اللحم لى زاداً وأحسبه     طعام مفترس فى القفر مغتال
وقد أقاتل للحىّ المسالم من     طير ومن حيوان كلّ قتال
لو كان للنبت إحساس رأفتَ به     وبت للنبت أيضاً غير أكال
كأنما قريتى مادمت ساكنها     ولاية وكأنى العمدة الوالى
أطلت فيها اعتزال العالمين ولى     بكل ناحيــة همى وأشغالى
لقيت فى عشرة الجهال عاطفة     لم ألقها فى رجال غير جهال
ولم أجد من وضيع الذكر خامله     ما ساءنى من رفيع الذكر مختال
حملت أثقال قومى وهى فادحة     عنهم وما شعروا يوماً بأثقالى
وهان شأنى حتى ليس يذكرنى     من استعان بأقوالى وأعمالى
وما حرصت على عينى وعافيتى     حرصى على الود فى حل وترحال

وما أبالي ونفسي في سلامتها ... طول اعتلالي بأعصابي وأوصالي
ومحنة لا عزاء أن أرى بلداً ... سوى بلاديَ أولى بي وأوفى لي
لو كان ما أشغلوا مني وماتركوا ... يعنيهمُ لم يطل تركي وإغفالي
ولو بُليتُ بجبارين ما بلغوا ... مدى الأحبة من قهري وإذلالي
أريد حرية الوادي السليب وبي ... منه جراحي وآلامي وأغلالي
والدهر يعجلني حيناً ويمهلني ... حيناً وسيانَ إعجالي وإمهالي
ولو بلغت من الآجال غايتها ... لما انتفعت بأعمار وآجال
شعري استوى فيه عاصيه وطيعه ... كما استوى فيه إكثاري وإقلالي
وما أفاد غناء فوق رابية ... ولا أفاد بكاء فوق أطلال
وقد تبينت ما في الناس زهدني ... وكان في الزهد إعزازي وإجلالي
ولست يوماً لموجود بمحترس ... ولا على رد مفقود بمحتال
ولو أتى بالنعيم الدهر ملء يدي ... لم يأت إلا لأعلالي وإملالي
ولست أسأل عن حق وقيمته ... ولو تولاه ميزاني ومكيالي
إن لم يكن ليَ ديوان وحاشية ... يوماً فحسبي محاريبي وأنوالي
ألست ممن دعا الأحزاب فأتلفت ... وردت الأمر من حال إلى حال
كفى من القوم بالزلفى رجوعهمُ ... إلى الذي فيه كانوا أمس عذالي
أرى المودة بالقنطار بينهمُ ... ولم أفز بينهم منها بمثقال
ولم أزل بينهم للخصم متقيا ... دخائلا هي في ذهني وفي بالي
أخشى على رسلهم نياته وهم ... منه أمام جلاميد وأدغال
وما تزال كما كانت سياسته ... يدور فيها بألوان وأشكال
وموضع الندّ أرجو عنده لهم ... لا موضع الصيد من أنياب رئبال
حق المصير تولوه بشملهمُ ... وهو الكفيل بتغيير وإبدال
إن لم يجئ يومهم بالخير أجمعه ... ففي غد كل إتمام وإكمال
والجو ينذر من نار بعاصفة ... حرباً وفي الأرض إنذار بزلزال
وقد يكون لهم من ضيقهم فرج ... كما تدافع أهوال بأهوال
يافتية الشعر هذا اليومَ موسمكم ... ومهرجان البيان القيم الغالي
أمانة الشعر أديتم ولم تجدوا ... ما تستحقون من عطف وإقبال
وحسبكم أن فيه إخوة لكم ... من أغنياء وأرباب وأقيال
تجاهدون بأذهان وأفئدة ... وترجعون بلا جاه ولا مال
وتملكون من الدنيا سرائرها ... ولا تحلون منها الموضع العالي
وما يتاح لكم في الأرض متسع ... كما يتاح لعراف ودجال
قالوا انقضى الشعر بعد (الشاعرين) ولم ... يأنس بغيرهما ميــــدانه الخالي
ولست وحدي له في مصر بعدهما ... فمصر ملأى بأشباهي وأمثالي
أيشغلنَّهمُ ركب مضى وثوى ... عما أمامهمُ والمقبل التالي
إن لم ير الحي بعد الميت منزلة ... منهم فلا خير في المحزون والسالي
وإن كل بناء لا يصير إلى ... أبناء بانيه لهو الدارس البالي
خير من البلد الخصب المباح حمى ... صعب الجوانب من جدب وإمحال
والملك بالجند والحصن الحصين به ... لا بالحقول ونهر فيه سيال

**أحمد الكاشف**

# أوبة الطيار

## للأستاذ أحمد رامي

في سكون المساء والبحر ساجٍ ... والسحاب الصبير في الجو سار
كنت أرنو إلى الغروب وأروى ... ناظري من صُبابة الأنوار
فإذا بي ألقى دخاناً ولا غيـ ... ـم وريحاً وليس من إعصار
فتبينت استشف جبين الـ ... أفق من بين هــذه الأستار
فإذا هي جماعة من بنات الـ ... ريح تطوى الفضاء عبر البحار
يتلاحقن ماضيات ويهويـ ... ـن هُويّ النسور للأوكار

يا حداة الرياح ماذا لقيتم ... من ركوب الأهوال والأخطار
كم جزعتم من الرياح السوافي ... وسهرتم مع النجوم الدراري
وصبرتم على المخاوف ترجو ... ن رضاء المهيمن الجبار
رفع الناس عنده درجات ... في مقام الجلال والإكبار
وقضى أمره فأرسل سرباً ... منكمُ في مسابح الأطيار

أيها الطائر المحلق في الجـ ... ـو سلام عليك فوق المطار
سهرت أعين ورفت قلوب ... تسأل الله رحمة الأقدار
تتمنى لك السلامة في مسـ ... ـراك ليلا وغادياً بالنهار
تسأل الريح هل ألمت خفافاً ... بجناحيك أو أطافت ضوار
تسأل البرق هل أضاء لك الأفـ ... ـق وأنجاك من مهاوى العثار

# القصص

## قصـــة المفاتيح

للقصصي الروسي مكسيم جوركي

Maxim Gorki

[ تتمة ما نشر في العدد الماضي ]

وكان زيومكا أثناء ذلك ، وهو اللحد الحقيق ، يتثاءب عالياً ، فنظر اليه صديقه نظرة احتقار ثم أطرق برأســه ؛ وحدقت العجوز بنظرها في زيومكا دون أن تمسك عن القراءة ، فخجل من ذلك ومسح أنفــه وأدار عينيه ليرى نتيجة تثاؤبه فلم تكن إلا تأوهاً خاشعاً

ومضت دقائق هادئة إذ كانت لصوت القارئة المرتل أثر في الطمأنينة :

« إن غضب الرب ينزل من السماء على كل غير رباني .. و .. »

وصرخت القارئة فجأة في وجه زيومكا : « أتريد . . . ؟ »

فأجاب في استكانة : « أنا . . . أنا . . . لا شيء ! تابعي القراءة ؛ إنني أستمع »

فسألته العجوز غضبى : « لماذا تلمس القفل بيديك القذرتين ؟ »

— « إنه يلهمني . . . إن صنعه جميل جداً . . . إنني أفهمه ، كنت قبلاً صانع مفاتيح ، وأردت أن أجسه . . . »

وقالت العجوز : « انتبهوا ، ماذا قرأت لكم ؟ »

وقال زيومكا : « إنني أستطيع أن أعيده . . . إنني أفهم »

وقالت العجوز : والآن ؟

« لقــد كنت ترتلين تعاليم الدين ، وتذكرين عدم الايمان بالرب . المسألة غاية في البساطة ؛ فكل شيء من ذلك حقيقي . لقد كان ذلك يحز في قلبي . »

ونظرت العجوز الينا وهزت رأسها وقالت :

« انكم مفقودون . . . كالحجارة . . . ارجعوا ثانية إلى عملكم »

وقال ميشكا وعلى فمه ابتسامة المعترف بذنبــه : « يظهر أنها غضبى »

وحك زيومكا رأســه وتثاءب والتفت إلى العجوز دون أن يراها وسار في طريقه وأطرق مفكراً : « إن قفل الكتاب من الفضة » وسرت في وجهه قشعريرة

وقضينا الليل في الحديقــة إلى جانب أنقاض الحمام الذى هدمناه عن آخره في ذلك اليوم . وفي ظهر اليوم التالي أتممنا تنظيف النافورة ، وقد ازدادت قذارتنا وتبللنا بالمــاء ، وانتظرنا أمام باب المنزل في انتظار أجرنا ، وكنا نتحدث عن غذاء وعشاء دسمين نتناولهما قريباً ؛ ولم يكن لواحد منا أي رغبة في الحديث عن شيء غير ذلك

وفرغ صبر زيومكا وقال بصوت أجش : والآن أين استقرت يا ترى هذه الغول الشمطاء ؟ لقد هلكت !

وقال ميشكا وقد هز رأسه معاتباً صديقه :

---

تسأل الفجر أين طالعك اليو | م وأين السبيل في الابكار
تسأل الليل هل أصاخ لنجوا | ك حنيناً إلى ربوع الديار

هذه مصر فانزل الدار أهلا | ناعماً في القلوب والأبصار
وأولاء الشباب حولك في مصـ | ـر يحيون أوبة الطيار
طار سرب منهم يخف إلى الفا | دي ويهدي إليه إكليل غار
وسرى في ركابه يتهادى | في جلال العلا وعز الفخار
وجرى النيل بين شطين يحتا | ل خلال النخيل والأشجار
وأبو الهول في الفلا كاد يقفو | ثم يرنو إليه بالأنظار

مشهد يبعث السمو إلى النفـ | ـس ويدعو إلى الأماني الكبار
فانهضوا أمة تتوق إلى المجـ | ـد وتبني منازل الأحرار

أحمد رامي

« لقد بدأ يسب من جديد . ولماذا يسب يا ترى ؟ هذه العجوز امرأة طيبة تخاف الله ، وهو يسبها — هذا هو خلق الرجال ! »

وابتسم زيومكا وقال له إنه شديد الحساسية نحو ذلك الطائر الشارد ، تلك العجوز . . . هذه . . .

وقضى ظهور العجوز على هذا الحديث الطريف . وتقدمت الينا وأخرجت النقود وقالت فى احتقار : « ها هى ذى نقودكم خذوها وارحلوا من هنا . كنت أريد أن أعطيكم أخشاب الحمام فتقطعوها قطعا صغيرة ، ولكنكم لستم أهلا لذلك »

وأخذنا نقودنا صامتين وذهبنا ولم نحظ بشرف تقطيع أخشاب الحمام الى قطع صغيرة للوقود

وقال زيومكا وقد خرجنا من باب الحديقة : أيها البشع العتيق أنظر الى هـذه ! ألا أستحقها يا قبيح الوجه ؟ الآن يمكنك أن تسبح باسم ذلك الكتاب

وأدخل يمينه فى جيبه وأخرجها بقطعتين من المعدن اللامع وأرانا إياها كن كتب له النصر

وجمد ميشكا فى موقفه ، واشرأب عنقه ليرى ما فى يدى زيومكا . وسأله حائراً : « هل خلعت القفل ؟ »

— « هذا ما فعلته ! إنه من الفضة الجيدة . ويمكن لأى انسان أن يحتاج اليها . وهى تساوى على الأقل روبلا »

— « هيه ، وما دمت قد فعلت ذلك فارمها بعيداً عنى ! يا للخجل ! »

— « سأفعل ذلك »

وتابعنا السير فى صمت . وقال ميشكا مفكرا فى الأمر . تمت بمهارة ، انتزعها ببساطة . ثم قال : « نعم لقد كان كتابا جميلا وستحقد العجوز علينا »

وقال زيومكا هازئاً : « إنها لن تسترجعنا مرة أخرى لتقدم لنا ثناءها »

— « وبكم تبيعها ؟ »

— « بتسمة أعشار الروبل — هذا أقل ثمن ، لا أقل من ذلك فلسا . إننى أخسر فيها . أنظر لقد انقصف لى ظفر »

وقال ميشكا فى حجل : « بعنى إياها »

— « أإياك أبيعها ؟ أتريد أن تجمل بها أزراراً لقميصك ؟ أنظر — إنها تكفى لعمل زوج جميل من الأزرار — وهى تليق بك على ثيابك الخلقة »

ثم أخذ ميشكا يستعطفه : « كلا إننى جاد غير هازل . بعنى إياها

— « اشترها ، كم تدفع ؟ »

— « خذ ما تشاء ، ما هو القدر الذى أحصل عليه من شركتى فى العمل ؟ »

— « روبل واحد وعشرون كوبكا »

— « وكم تريد أن تأخذ فيها ؟ »

— « يا مغفل ! ماذا تريد أن تفعل بها ؟ »

— « بعنى إياها . أرجو ذلك »

وانتهت عملية البيع فى النهاية ، وأصبح القفل ملكا لميشكا بعد أن دفع تسعين كوبكا

ووقف ميشكا فى مكانه وقلب القطعتين فى يده وحدق فيهما . ونصحه زيومكا هازئاً بأن قال : « علقهما فى أنفك ! »

وأجاب ميشـــكا جاداً : « ولم ذلك ؟ إننى لا أريدهما . سأرجعهما الى العجوز وأقول لها : هاك يا سيدتى العزيزة المحترمة . لقد أخذناها سهوا معنا ، فارجعيهما الى ما كانا عليه

— ولكنك انتزعتهما فكيف إصلاحهما ؟ »

وسأله زيومكا وقد فتح فاه : « أتريد حقاً أن تحملهما اليها يا شيطان ؟ »

— « نعم ولم لا ؟ أنظر إن مثل هذا الكتاب يجب أن يبقى كما هو . ولا يجوز للانسان أن ينزع منه قطعة . وسوف تغضب العجوز وتحزن . . . وسوف تموت عما قريب . هذا ما أردت . فانتظر لحظة يا أخى فسأعود سريعاً »

وقبل أن نتمكن من إيقافه اختفى وانعطف بخطوات سريعة

وقال زيومكا فى غضب وهو يفكر فى أثر هـذه الواقعة ونتائجها المحتملة : « ما أضعف هذا الرجل وما أكثر تغفيله ؟ »

ثم أخذ يؤكد لى فى كل جملة خطاه

ولكن الآن انتهى كل شيء . لقد أوقعنا في الشرك . ولعله الآن جالس متكئ أمام العجوز . وقد لا يغيب عنها أن تستنجد بالشرطة »

« هـذا مثل مما يتوقعه الانسان من مصاحبة هذا الوغد . إنه حقا يدخل الشخص إلى السجن من أجل شيء تافه . هـذا الكلب ! هل رأيت رجلاً له مثل هذه النفس الدنيئة ، يبغى أن يلقى بأصدقائه إلى التهلكة ، يا إلهى ! أهذا هو جيل اليوم ؟ هيا بنا ، لم هذا الانتظار ؟ أريد أن نبقى هنا ؟ انتظر إن شئت ، ليخطفك عفريت من الجن أنت وكل الأوغاد من أمثالك . ذلك الوغد ! ألا تريد أن تذهب معى ؟ هيا »

وتركنى زيومكا في جانبي وسبنى ومضى لسبيله

وكنت أريد أن أعرف ماذا جرى لميشكا عند صاحبة آخر عمل قمنا به . فذهبت ثانية إلى ذلك المنزل ، وكنت أعتقد أن لا خطر في ذلك ، وأن السوء لا يمسنى من جراء هذا . ولم يخب ظنى ، ووصلت المنزل وأخذت أنظر من خلال الحواجز وقد رأيت وسمعت ما يلى :

كانت العجوز جالسة على سلم المنزل ممسكة بقطعتى القفل الفضى بيدها وهى تنظر إلى ميشكا من خلال منظارها بدقة كما لو كانت تريد أن تتغلغل في صميمه . وكان لعينيها الحادتين بريق قوى . وقد ارتسمت على طرف فمها ابتسامة خفيفة رخوة تحاول اخفاءها : هى ابتسامة المغفرة .

وتبين من خلف العجوز ثلاثة رؤوس : امرأتان إحداها شديدة حمرة الوجه وعلى رأسها منديل زاهى الألوان ، والثانية عوراء ، وقد وقفت خلف رجل عريض المنكبين وأمارات وجهه تدل على أنه يريد أن يقول :

« أسرع من هنا يا صديقى ! أسرع بقدر ما يمكن »

وكان ميشكا يتحدث في ارتباك :

« لقد كان كتاباً عظيما !؟ إنهما نذلان ! أما أنا فقد كنت أذكر ربى . هذا هو الحق . وهـذا ما يجب قوله . إننا تعساء ورجال سوء أنذال — ثم كنت أعود فأفكر في المرأة العجوز الطاعنة في السن . ولربما كان سرورها الوحيد في كتابها هذا — ذلك ما ظننته . وأردت أن أهيىء للعجوز المتدينة سروراً وأن أرد اليها أشياءها : وقد اكتسبنا بحمد الله شيئاً نقتات به . فالوداع يا إخوتى . إننى أريد الذهاب الآن »

واستوقفته العجوز وقالت له : « انتظر ! هل عرفت ماقرأته لك البارحة ؟ »

« أنا ؟ أنَّى لى ذلك ؟ إننى استمعت اليك ولكن أى استماع ؟ فهل لآذاننا قدرة على استماع كلام الرب ؟ إننا لا نفهم مثل ذلك . »

وقالت العجوز : « أهكذا ؟ ألا تنتظر لحظة أخرى ؟ »

وتململ ميشكا وأخذ كالدب يضرب الأرض برجليه . فان مثل هذا الحديث لا طاقة له به

— « هل لى أن أقرأ لك شيئاً قليلاً ؟ »

— « ..... ولكن صديقىَّ ينتظران . »

— « دعهما ينتظران ، إنك رجل طيب . دعهما يسيران حيث شاءا . » وقال ميشكا بصوت خافت : « حسناً . »

— « إنك لن تسير معهما بعد الآن ؟ أليس كذلك ؟ »

— « لا . »

— « هذا هو الصواب . إنك طفل كبير على رغم ما لك من لحية تنزل إلى وسطك ! هل أنت متزوج »

— « بل أعزب . إن زوجتى توفيت . »

— « ولم تشرب الخمر ؟ إنك تشرب طبعاً ؟ »

— « نعم . »

— « ولماذا ؟ »

قال ميشكا متضجراً : « ولماذا أشرب الخمر ؟ لتغفيلى . إننى مغفل ولهذا أشرب . ولو كان للانسان عقل لما جرؤ على تحطيم نفسه بيده . »

— « إنك على حق . » فاعمل على أن تكون عاقلاً . حسن من سيرتك وأصلح من أمورك . اذهب إلى الكنيسة واستمع إلى كلام الرب ففيه كل الحكمة . »

وتأوه ميشكا وقال : « سأفعل »

— « هل لى أن أقرأ لك شيئاً ؟ »

— « نعم ، تفضلى »

وأتت العجوز بالانجيل ، وقلبت صفحاته ، وبدأ صوتها

يدوى ، ورمى ميشكا برأسه الى الوراء ، وحك بيده ذراعه اليسرى «وهل تظن أيها الانسان أن فى وسعك التهرب من حكم الرب ؟ »

وقاطعها ميشكا وكأنه يجهش بالبكاء : « سيدتى المحترمة ، دعينى أذهب ، أرجو ذلك محبة فى الله ، سآتى مرة أخرى عن طيب خاطر وأستمع . أما الآن فانى جائع جدا . إننا لم نتبلغ منذ أمس

ودقت العجوز صدرها ، وقالت : « اذهب ! ابتعد ! » ورن صوتها المزعج فى الفضاء ، واندفع ميشكا مسرعا نحو الباب بعد أن قال لها :

« أشكرك شكرا جزيلاً أيضا »

وتمتمت العجوز تقول : أرواح مغلقة ! قلوب غلف كالحجارة !

***

وبعد نصف ساعة جلسنا فى المطعم ، وشربنا الشاى وأكلنا الخبز الأبيض ، وقال ميشكا وهو يبتسم إلىّ بعينيه التى تشبه عيون الأطفال سذاجة وفرحا : « كنت أشعر كأن حمى قد انسابت فى جسمى ، وقد وقفت هنالك وفكرت فى القول : أى ربى لم جئت إلى هنا ؟ إنه العذاب ! وبدأت هى الحديث : هل هؤلاء آدميون ! اننا نريد أن نكون شرفاء معهم ونهيئ لهم ما توحى به ضمائرنا ، إلا أنهم يفكرون فى غير ذلك : يفكرون فى متاعهم . فقلت لها : يا سيدتى المحترمة ، هذا هو قفلك أرده اليك ولا تغضبى ... ولكنها قالت : انتظر ، ابق هنا ، أذكر لى أولاً لم أحضرته ؟ وبدأت تخزنى بكلماتها ، ولقد سئمت كثرة أسئلتها ... هذه هى الحقيقة »

وتابع الابتسام المادئ المريح

واهتاج زيومكا وقال له جادا :

« أولى لك ياصديقى أن تموت ! وإلا التهمك فى الغد الذباب من فرط سخف أفكارك »

— « إنك تتحدث بغباء دائماً . تعال ، نريد أن نشرب كأساً لنسدل على المسألة الستار » . وشربنا كأساً على نهاية هذه الحادثة العجيبة

من الألمانية ا . ا . ى

دراسة من اسخيلوس

# سبعة ضد طيبة

( الدرامة الثالثة الباقية من مأساة أوديب )

## للأستاذ دريني خشبة

---

خلاصة الدرامتين المفقودتين : ولد لملك طيبة الملك لايوس طفل جيل قالت النبوءة إنه إن عاش فيقتل أباه ويتزوج أمه ويجر البلاء على شعبه فأرسلة الملك مع واحد من خدمه ليقتله ويتخلص بهذا من شره ، ولكن الخادم خشى عقاب السماء إذا قتل الطفل فعلقه من عقبيه فى شجرة وعاد إلى المدينة . ومر راعى غنم بذلك المكان فأحزنه بكاء الطفل فأخذه وذهب به إلى ملك كورنثه الذى فرح به لعقم زوجته وجعله ولياً لعهده وسماه أوديبوس ( أى ذا القدمين المتورمتين ) . وكبر أوديب وأقيمت حفلة راقصة فى القصر وثمل المدعوون وحدث أن أحدهم اصطدم فى نشوة السكر بأوديب فلمزه فى أصله وأنه ليس ابن ملك كورنثه ، فثار أوديب وأظلمت الدنيا فى عينيه وترك من توه قصر الملك وهام على وجهه فى البلاد باحثاً عن والديه الحقيقيين . ولقى ركباً ملكياً فى طريقه إلى دلفى فأمره القائد أن يتنحى ناحية حتى يمر الموكب ولكنه أبى والتحم مع الجماعة فى معركة فقتلهم جميعاً وفيهم ملك طيبة — وبذلك تحقق شطر النبوءة الأول - لأنه قتل أباه — ثم سار إلى أن بلغ طيبة فوجد قومها فى حيرة من مقتل الملك ومن هولة بحرية فتكت بأهل المدينة لأنهم لم يستطيعوا تفسير أحجياتها ، وسمع أوديب أن مجلس المدينة قرر أن من يخلص الناس من هذه الهولة فانه يصبح ملكا عليهم ويتزوج الملكة الأرمل ، فذهب من فوره فلقيها وحل أحجياتها وقتلها وصار ملكا على طيبة وتزوج الملكة التى هى أمه وهو لا يعلم — وبذلك تحقق شطر النبوءة الثانى — وحدث وباء فى طيبة فتك بأهلها فتكا ذريعاً وقالت النبوءة إن الوباء لا يرتفع عن طيبة حتى يقتل قاتل الملك لايوس ... وأمر الملك بتحقيق مقتل سلفه فثبت عنده أنه هو القاتل وأنه ابن لايوس هذا وأنه تزوج أمه ونسل منها ولدين وفتاتين فجن جنونه وسمل عينيه وهام على وجهه إلى الغابة لتقتله ربات الذعر جزاء له ... أما ابناه فقد اقتتلا على العرش واستنجد أكبرهما بالأرجيف أعداء طيبة فثار الشعب عليه ... وفى المعركة التى الاخوان فقتل أحدهما الآخر وبذلك تحقق الشطر الأخير من النبوءة ...

— ١ —

اختلف الاخوان ، إتيوكليس ، وبولينيسز ، بعد مقتل أبيهما من اجل العرش ، ثم اتفقا على أن يحكم كل منهما سنة ، واتفقا على أن يحكم إتيوكليس ، الأخ الأكبر[1] قبل أخيه . فلما حال

(١) هكذا فى إسخيلوس ، أما سوفوكليس فيعد بولينيز الابن البكر لأوديبوس

الحول وأراد بولينيسز ارتقاء العرش بدوره ، أبى أخوه ؛ وألب عليه الشعب ، وأوغر صدور مجلس طيبة بما لفق على أخيه من المفتريات ، واضطر بولينيسز إلى ركوب الأسنة ، لما لم يرله حيلة إلا ركوبها !

— ٢ —

ولاذ بملك آرجوس ، أدراستوس ، فحل به أهلا ونزل عنده سهلا ، واتفق الملك على أن يزوج الأمير ابنته ، على أن يرسل جيشه العرمرم على طيبة لأذلالها ، يقوده سبعة من أشد قواده . وعلم أتيوكليز بما دبر أخوه فهاج هائجه ، وانطلق إلى شعبه يتظلم من خيانة بولينيسز ، ويقدم لهم دليلا جديداً « على هذا المارق الذي لفظه وطنه فلاذ بأعدائه يشترى الملك بالعبودية ، والتاج بالقيد الذي يعده لبلاده ، وسعادته الوضيعة بشقاء طيبة بأسرها . . . »

— ٣ —

« إتيوكليز يحرض الجند على الأسوار »

— « يا أبناء طيبة ! أيها القدميون[1] الشجعان ! يا ذادة الوطن ! الساعة خطيرة فانتبهوا ، وإيا كم وسنة من النوم تأخذكم والعدو محدق بكم . إنه إن يكن نصر فمن الآلهة التي ترعاكم ؛ فان تكن الأخرى ، وحاشا أن تكون ، فانى ، أنا إتيوكليز ابن أوديبوس الشقى ، أنا الرجل ملء الأفواه وملء الأسماع ، سأكون عرضة لحنقكم وسخطكم ، لأنى لم أستطع الدفاع عن ذماركم فلم أستحق محبتكم . وقانا الله عاقبة السوء ، ودفع عن طيبة هذا البلاء . يا أبناء الوطن ! إن كل نفس يتردد فوق تلك الأرض المقدسة حرى بأن يشترك فى الجهاد الأكبر ، شيبكم وشبابكم ، كبيركم وصغيركم ، قويكم وضعيفكم ، كل ينفخ فى أخيه من روح الوطن ، وكل تتدفق فى عروقه دماء النخوة حارة ترد بسواعدكم الغزاة العتاة المعتدين ! ... قد جدت الحرب بكم فجدوا ، ألا فافزعوا الى أسلحتكم فردوا بها عادية الأشرار عن وطنكم وعن آلهتكم ، وعن أطفالكم ، وأمهاتكم اللائى أرضعنكم لتكونوا بعون السماء الكماة الحماة الجاذم الصيد الصناديد ! أذكروا ما بعد النصر من عز وفخر ، واذكروا ما بعد الهزيمة من عار ودمار ومذلة وأسار !! لقد حدث واعظكم وصفى آلهتكم ، تيرزياس ، قال : إن قادة الأرجيف قد اعتزموا الكبسة ليلتهم هذه ، فمن لطيبة يا أبناءها غيركم !! هلموا !! تبوأوا مواقف للقتال فى كل شبر من أرضكم ، وقفوا بالمرصاد لعدوكم ، وسدوا الثغور فانها مفاتح بلادكم ، واستلئموا فى حديدكم ، ولا ينالن منكم غرة فتذهب ريحكم ، وخذوهم من فوق حصونكم ، ولا تهولنكم كثرتهم فلسماء معكم ، والآلهة من خلفكم ... ... »

— ٤ —

« يدخل رسول »

— « حيا الله مولاى الملك : الأخبار يا مولاى ! لقد شهدت بعينى رأسى : الأرجيف يا مولاى فى سبعة جيوش جرارة ، يقود كل جيش كمى صنديد . لقد ذبحوا قرابينهم من كل عجل جسد وثور سمين ، وغمسوا أيديهم فى الدماء ، ثم تقاسموا ليجعلن عالى طيبة الخالدة سافلها أو ليهلكن دونها . . . وكانوا يا مولاى يرمقونها بعيون تقدح الشرر إذ هم يأخذون مواقفهم ، وكانت شفاههم تلغط تحناناً ليوم النصر ، وفى قلوبهم نار تسعر ! وقد عجلت إليك يا مولاى وإنهم ليعبئون صفوفهم ، ويأخذون أهبتهم ، فخذوا عدتكم واثقفوهم قبل أن يثقفوكم ، ولتكن طيبة كلها يداً واحدة ، وإن لنا للكرة بمعونة السماء . . .

« يخرج الرسول »

— « يا زيوس العظيم ! يا مولاى ! يا رب هذا البلد ! احمه من الأعداء ، ولا تسلطهم عليه فيغتصبوا حريته ، ويهدروا كرامته ! كن فى عون عبادك من ذرارى قدموس ! إنهم يخبتون لك ويصلون من أجلك ! »

— ٥ —

ويشرف الطيبيات[1] من أعلى الأسوار ، فيرين الى جحافل الأعداء محدقة بمدينتهن فينفزعن فرقاً ، ويتغنين بآلام الوطن ، ويرسلن أنشودة طويلة مبللة بالدموع من أجل طيبة ، ويهتفن بالآلهة أن تنقذهن من ذل السبى وهوان الأسار ، فما يسمعهن إتيوكليز حتى يهرع اليهن

— « ألا خبرن أيتها المخلوقات اللائى لا يحتملكن قلب

(١) نسبة إلى قدموس الملك بانى طيبة ( عن كتاب وصف إغريقيا وتاريخها )

(١) هن ( خورس الدرامة )

ولا يسر برؤيتكن طرف : أعثل هذه الأصوات المنكرة تدفعن عن طيبة بلاء الأعداء ! ؟ أبهذا الصراخ وذاك العويل تكشفن الغمة عن الوطن الحزين ! ؟ تالله إنكن عليه بهذا العواء الذي يقذف الرعب في قلوب الجند ! أتحببن أن تحبسن ورجالكن في عقور دوركن ، وتكن بذاك قد دفعتن عن البلاد غائلة العدو المحدق بنا جميعاً ! مالكن تهرولن هنا وهناك باكيات منتحبات ؟ إنكن إذن بلاء هذا الوطن وشقاؤه ، ولستن أهله بل أعداءه ! إنكفئن إذن وخلين بين الرجال وبين واجبهم الأسمى من مجالدة الأرجيف ، والذود عن بيضة الوطن ! إنكفئن ! لا سمت بكن قدم ؟ ! »

— « ياحفيد لايوس العظيم ! إن قلوبنا لتنخلع من ضوضاء هذا الجيش اللجب المحيط بنا ؟ ! »

— « إذن خبرنني يا نساء طيبة ! أإذا أحيط بالسفينة في البحر اللجي ترك الربان سكانها وفزع إلى السارية لينجو من الغرق ؟ ! »

— « بل نحن قد فزعنا إلى هياكل الآلهة أن تحفظنا من الأسار ، وصلينا في كل معبد من أجل رجالنا وأطفالنا ! »

— « بل صلين للآلهة أن تقي أسوار المدينة ، وأن تنصر أبطالنا على خصومنا ! اهتفن بأبنائكن أن ادفعوا عن أوطانكم ، ولا تسمحوا لعدوكم أن يجوس خلال هذه المدينة ! إنهم وجدهم يقدمون القرابين من أرواحهم لهذه الديار ! اما أنتن فقرن في بيوتكن ، ولا تلقين الرعب في قلوب أبنائكن ! ! لقد كدتن تفعمنها جبناً وتوهنن سواعدهم ضعفاً وخوراً ! »

— « ويلاه ! إن العدو يأخذ المدينة من أساسها ! أسمع ! »

( أصوات شديدة وقرقعة )

— « أجل ! وإن للمدينة لأبناء كراماً ، وإنها لقعقعة سلاحهم تبيد صفوف الأعداء ! »

— « بل هم الأعداء يجرعون أبناءنا غصص الموت ! »

— « غصص موت تبيدكن جميعا ! أصمتن ! »

— « أنت سبب هذا البلاء ! كل هذا من أجل لباناتك : أنت جلبتهم على طيبة بالخيل والرَّجْل ! ! »

— « يازيوس الجبار ! أى شياطين بثثت في نفوس النساء ؟ »

— « النساء التاعسات مثل رجالك الذين أشقيتهم ! »

— « أصمتن يا شقاء الوطن ! لقد أزعجتن جنودنا بأصواتكن ! »

— « نصمت ! آه ! نصمت بأمر الملك »

— « يا آلهة الأولمب رفقاً بطيبة ! تقبلي صلواتنا من أجل هذا الوطن ! إني لن آلو جهدا في تخير ستة من شجعان قادتنا يدفعون قادتهم السبع .... باركي يا سماء وانصري يا آلهة »

( يخرج اتيوكليز )

— ٦ —

ويهوج الخورس بأناشيد يترجمن بها عن الفزع الذي يروعهن من هذه الحرب ، ثم يصلين من أجل طيبة ، ويدعين الآلهة ، ويحضر إليهن رسول ممن شهد المعارك فما يوشك يصف ما حدث عند البوابة الأولى من الطعن والضرب ، والتكبكب والانهزام ، والهجوم والارتداد ، حتى يجيء إتيوكليز فينفي كلام الرسول ، ويخبر أن القائد الطيبي فلانا قد دحرهم ، ومزق صفوفهم وخضد بأجناده شوكتهم . فإذا حدث الرسول عما كان من نزال وقتال عند البوابة الثانية رد إتيوكليز فبالغ في شجاعة الطيبيين ثمة ، وما أبدوا من صمود للهجمة ، وصبر في موقف الموت . . . وهكذا . . . فإذا بلغ الكلام عما كان عند البوابة السابعة وذكر الرسول أن بولينيسز نفسه هو قائد الأرجيف في تلك الجهة امتقع وجه إتيوكليز واربد جبينه ، وانعقدت فوقه سحائب من الهم والفكر ، ثم تلجلج لسانه بكلمة طويلة عن مصائر هذه الأسرة الشقية التاعسة ، وانطلق ليدافع عن البوابة السابعة ضد أخيه بنفسه . غير مصغ إلى تحذير الخورس إياه . ولا حافل بأمارات السوء التي كانت ترقص أشباحها في الميدان.

— ٧ —

ويتغنى المنشدات ، فيذكرن الأحداث القدامى التي تنبأ بها الكهنة في دلفي عن أوديب طفل لايوس ، ويوجسن خيفة أن يتم اليوم الفصل الأخير من المأساة

وما يكدن يفرغن من تغنيهن حتى يدخل إليهن رسول يزف إليهن بشرى نجاة طيبة وسلامتها !

— « نجاة طيبة ؟ هل انتصرت جيوشنا يا صاح ؟

— « كلا ، ولكن انتهى كل شيء ! لقد قُتلا ؟

— « قتلا ! مَن لعمركَ أيها الرسول !

— « هدئن من روعكن يا سيدات ! اتيوكليز وبولينيسيز !

لقد قتل كل منهما أخاه ، ووضعت الحرب أوزارها !

وتكاد الفتاتان المنكودتان : أنتيجونى وإسمنيه ، ابنتا أوديب تصعقان لهذا الخبر ، فهما أختا الأميرين المتحاربين ، والبقيــة الباقية من هذه الذرية الشقية ، وسيتألف من شقوتهما أسود فصل فى المأساة(١)

— ٨ —

وترثى الفتاتان أخويهما رثاء باكياً حزيناً ، وما تكادان تفرغان حتى يدخل القائد العام لجيوش طيبة فيقول :

— « قُضِى الأمر وانكشفت عن طيبة غمة الحرب التى جناها عليها السارق الأثيم . . . وسنفرغ الآن للاحتفاء بدفن إتيوكليز ، حبيب الوطن ، وصفى الآلهة ، وبطل الأبطال . . . سنقف طيبة كلها عند قبره لتريق عليه دموع المحبة والاخلاص والحزن . . . أما الشقى بولينيسيز ، فستنبذ جثته بالعراء ، جزء السباع وكل نسر قشعم . . . ستنوشه كلاب البرية بعد أن يجيف ، ويتنن ، جزاء له على خروجه من حظيرة الوطن ، وعقاباً له على لواذه بأعداء طيبــة ، وسوقه جيوشهم عليها يقتلون أبناءها ويطفئون جذوة الحياة فيها . . . لن يبكى عليه أحد . . . ولن نوقره أحد . . . ولن تؤدى له طقوس الموت لأنه لا يستحقها ، ولن يصب أحد على ترابه خمراً . . . اللئيم المنبوذ . . . بهذا قضى عليه مجلس طيبة الأعلى ، فليذق بعض ما قدمت يداه !! »

وما يكاد يفرغ حتى تثور ثائرة أنتيجونى حزناً على أخيها وتقول :

— « ماذا أيها القائد ؟ لن تقام الطقوس الدينيــة لأخى ! وسينبذ بالعراء تنوشه كلاب البرية وذؤبانها ؟ ها ها ! . . . أنت تحلم ورجالك أعضاء مجلس طيبة يحلمون ! بل أنا . . . أنا الفتاة العاجزة أنتيجونى . . . أخت هذين التاعسين ، وابنــة ذينك الأبوين البائسين . . . سأقوم لأخى بكل ما أباه عليه مجلسكم الموقر . . . سأدفنه وسأهيل التراب على جسمانه ، وسأضرب بقراركم عرض الأفق ! ولتفعل قوتكم بضعفى بعد ذلك ما تشاء !

— « أنصح لك يا فتاة أن تدعى لمجلس الأمة مصير هــذه المسألة !

— « بل أنا أنصح لمجلس الأمة ألا يأمر بمـا ليس فى مستطاعه !

— « أحــذرك ، فهنا شعب نجا الساعة فقط من أهوال الحرب ، وهو لذلك لا يعرف الرحمة !

— « ليكونوا غير رحماء ؟ ولكن لا بد مما ليس منه بد ! سيدفن أخى برغم الجميع !

— « وكيف ؟ إنك تتحدين الدينة بأجمعها ! إنها تكرهه !

— « لقد لقى حسابه من السماء ، فلم يعد لأهل الأرض حساب معه !

— « ولكنه عرض الوطن للبوار قبل كل شيء !

— « لقد أساء التصرف فيما لم يكن له فيه يدان ! وسأدفنه وحسبكم منى هذا . . . كفى . كفى !!

— « أنت حرة . . . تفعلين ما تشائين . . . ولكنى سأمنع الدفن بالقوة !

ويتغنى المنشدات ، ويصلى الجميع للآلهة

دريني خشبة



(١) سنبتدئ من الأسبوع المقبل تلخيص مآسى سوفوكليس وأولها مأساة Antigone التى تعتبر الفصل الأخير من ثلاثية أوديب لأسخيلوس

# من هنا ومن هناك

## سافو وليلى الأخيلية

لعل ليلى الأخيلية من بين شاعرات العرب هى أشبه الشاعرات بسافو شاعرة الأغريق منذ خمسة وعشرين قرناً. فأشعار ليلى تفيض بالحب، ويحس منشدها اللوعة، ويجرى فى أبياتها الصبابة؛ وكل هذه مزايا أشعار سافو. ولسافو بين الأغريق مكانة عالية لا يدانيها إلا هوميروس بين الرجال. وهى ثالثة ثلاثة بين شعرائهم الغنائيين: أولهم ألكيوس، وثانيهم أنكريون. وقد امتاز ألكيوس بأشعار الحماسة والوطنية؛ وامتاز أنكريون بقصائده التى تشبه قصائدنا العربية فى الوصف والبث والبكاء والحكمة. أما سافو فتمتاز بالغزل والنسيب والتشبيب، وقد تختلف من ليلى الأخيلية بالغزل الصارخ الذى لا تعرفه البدويات الرعابيب. وفى نسيب سافو ثورة متأججة من نشدان اللذة فى الحب، فهى لا تعرف هذا الهوى العذرى الذى نعرفه فى ليلى. هذا وإن لم يثبت التاريخ أن سافو كانت « عشيقة » Helaira يوماً ما؛ ومن يدرى؟

والأغريق مولعون بأشعار سافو، وكانوا يرددونها على كؤوس الخمر، لأنها أمتع أغانيهم الخمرية ( Skolia ). سئل صولون المشترع: « افرض أنك تموت الآن يا صولون. فماذا كنت تشتهى قبل موتك؟ » فقال: « أغنية من سافو أرددها ثم أموت!! »

## سيف الدولة وميسيناس

قال الثعالبى فى يتيمة الدهر: « إنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك، بعد الخلفاء، مثل ما اجتمع بباب سيف الدولة من الشعراء المفلقين! »

وميسيناس فى التاريخ الرومانى يشبه سيف الدولة فى التاريخ العربى، من حيث الميول الأدبية عند كل منهما واجتذاب الشعراء والأدباء بالمنح والعطايا الجزيلة. كان المتنبى شاعر سيف الدولة الفحل، وكان كُشاجم الشاعر الرقيق أحد خدمه، وأبو الفرج الببغاء، وصافة الحروب أحد كتبته ومواليه، والسرى الرفاء والواوى من شعرائه، وكان ابن عمه أبو فراس من بطانته، وكان سيف الدولة مع ذلك الشاعر الفحل والنقادة البارع؛ وربما — لو فرغ للشعر — فاق هؤلاء جميعاً. ويعزون له شعرا لا نعرف فى الشعر العربى كثيراً مما يشبهه رقة ودقة. يذكرون أنه خاف على إحدى جواريه فحجزها فى إحدى قلاعه، وقال فى ذلك:

راقبتنى العيون فيك، فأشفقـ ... ـت ولم أخل قط من إشفاق
ورأيت العـدو يحسدنى فيـ ... ـك مجداً بأنفس الأعلاق
فتمنيت أن تكونى بعيداً ... والذى بيننا من الود باق
رب هجر يكون من خوف هجر ... وفراق يكون خوف فراق

وقال يصف قوس قزح:

وساق صبوح للصبوح دعوته ... فقام وفى أجفانه سِنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم ... فمن بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت أيدى الجنوب مطارفاً ... على الجو دُكنا، والحواشى على الأرض
يطرزها قوس السحاب بأصفر ... على أحمر، فى أخضر، إثر مبيض
كأذيال خود أقبلت فى غلائل ... مصبّغة، والبعض أقصر من بعض

والذى يعنينا من عقد المقارنة بين سيف الدولة العربى وميسيناس الرومانى هو الوصول إلى أبى الطيب عن طريق سيف الدولة، وهوراس عن طريق ميسيناس. فلقد كان أبو الطيب المتنبى خاملاً حتى اتصل بسيف الدولة فنبه؛ وكان فقيراً فأعطاه سيف الدولة حتى اغتنى. وكان أبو الطيب يحب سيف الدولة بقدر ما يشعر له كما يقول الثعالبى، وكذلك كان هوراس الشاعر الرومانى الكبير من ميسيناس الرومانى الكبير

كان ميسيناس كبير مستشارى أكتافيوس « تلك

الشخصية الفذة التى تدور حولها وقائع الفصل الأخير من درامة الجمهورية الرومانية ، والذى ثأر من بروتس وشيعته قتلة قيصر ، وتخلص بلباقة من شراك كليوبطره ، والذى منحه مجلس الشيوخ لقب (أوغسطس) أى المعظم ؛ ولقب برنسبس Princeps أى المجلى أو أعظم أعضاء مجلس الشيوخ ، والذى صار فيما بعد ذلك طاغية رومة وأمبراطورها المعظم » ، وقد استطاع ميسيناس أن يكون موضع الثقة من الطاغية حتى أصبح مطلق اليد فى شؤون الأمبراطورية ، وأصبح فضلاً عن ذلك أكبر شخصية فى الدولة يزيدها التفاف الشعراء ومحبة الأدباء بهجة ورواء وتألقاً

عرف الشاعر فرجيل هوراس وسمع إليه فأعجب به وضمه إلى جماعة الشعراء الرومانيين المساة Vorius ثم وصله بحاشية ميسيناس فأغرم به المستشار وأغدق عليه النعم وصحبه معه فى حروب الدولة وحضر موقعة أكتيوم التى وصفها هوراس ووصف غيرها من الحروب الرومانية كما وصف أبو الطيب حروب سيف الدولة

وقد كان هوراس كما كان أبو الطيب يصبو إلى الحكم فى ظل الدولة ، فلما انتصر الرومانيون بقيادة أكتافيوس فى أكتيوم رأى ميسيناس أن يكافىء شاعره مكافأة تتناسب وقدمه العالية عنده ، فأقطعه إقطاعية واسعة فى الأراضى السابينية (وسط إيطاليا) قريباً من روما ، وهو ما لم ينله أبو الطيب لا من سيف الدولة ولا من المعتضد ، ولا من إمام الآبقين أبى المسك كافور ! ! والذى يقرأ ديوان هوراس يلفته اسم ميسيناس فى أكثر صحائفه كما يلفت القارئ اسم سيف الدولة فى ديوان أبى الطيب

وسنعود إلى شعر هوراس فى عدد آخر ؛ ولكن لا يفوتنا هنا أن نشير إلى براعة ميسيناس فى نقد الآداب وتمييز غثها من سمينها ؛ ثم إلى براعته فى الخطابة ومقدرته الهائلة فى التأثير على الجماهير . ولقد كان يفضل هوراس على فرجيل ويعتبره شاعر الرومان المعبر عن خلجاتهم ، والناطق بلسان الطبيعة فى جميع أنحاء الأمبراطورية . أما فرجيل فكان يعده شاعراً أسطورياً لأنه نسج على منوال هوميروس

## أوسكار وبلد وبرنرد شو

يعتبر أوسكار وبلد زعيم المنحطين فى الأدب الأنجليزى ، وهو قد نسج فى أدبه على طريقة بلزاك وجوتييه من حيث نشدان اللذة الجنسية ، ولكنه غلا حتى أجاز الشذوذ فى تحقيق هذه اللذة ، وقصته (صورة دوريان جراى) آية ذلك الشذوذ . وكما نسج فى أدبه على طريقة بلزاك وجوتييه فقد نسج فى فنه على مبادئ جون رسكن التى تدعو إلى محاربة الآلات ليرقى الفن وتقول بإخضاع الحياة للفن لا الفن للحياة ، وهى مبادئ خطيرة ما تزال بكل أسف تلاقى لها أنصاراً كثيرين فى سائر الأقطار . وقد كان لأدب أوسكار وبلد ولفنه فى انجلترا ثمرة مرة ، ولكنها مشتهاة ، فقد غنى على عوده كثيرون من رجال المدرسة الحديثة أمثال لورانس وجويس وألدوس هكسلى ورسل ، وإن يكن بعضهم ينهج فى قصصه من حيث الأدب الجنسى نهجاً علمياً قد لا ينافى الأخلاق وإن عظم أثره فى تكييف سلوك الشباب .

وبرنرد شو هو نقيض وبلد فى كل شىء ، إذ يكاد شو يكون صوفياً فى نظرته للأدب ، فى حين ينظر وبلد للأدب نظرة مادية كنظرة الأباحيين إلى تمثال من المرمر لامرأة غاوية خليعة تثير التشهى وتعمل لتحقيقه . وشو يدعو إلى حفظ الجسم بالاعتدال فى كل من شهوة البطن والفرج ، وقد يحتم الصوم لتحقيق مذهبه ، وقد امتنع هو عن أكل الأطعمة الحيوانية وتناول الأدوية لهذا السبب . وها هوذا يتمتع بكمال الصحة فى شيخوخته النشيطة الدائبة التى ما تنى ، على حين أغمض الموت جفنى وبلد فى غصص من الأمراض والتهدم الجسمانى . . . وشو محتشم فى كوميدياته ، يثير الضحك بتعرية حقائق الأخلاق ؛ أما وبلد فمهرج ، يتبع فى ملاهيه طريقة أرسطوفان الأغريقى الذى لا يرى بأساً من إظهار حمار على المسرح وإلباس رجل لبوس امرأة

ويتفق شو ووبلد فى ذكائهما النادر ومنشئهما الأيرلندى ، وفى أنهما خدما المسرح الأنجليزى خدمة لم تكن تقوم قائمته بدونهما

(د . خ)

# البريد الأدبي

## جلبرت تشسترتون

في الأنباء الأخيرة أن الكاتب الانكليزي الشهير جلبرت كايث تشسترتون G. K. Chesterton قد توفي في منزله الريفي في بيكونزفيلد في الخامس عشر من شهر يونيه الجاري. وتشسترتون كاتب وأديب من النوع العام أو النوع « الأنسيكلوبيدي » . فهو محقق ، وفنان ، وشاعر ، وروائي ، وكاتب مرح ، ومؤرخ ، وناقد ، وساخر ؛ وقد تبوأ مكانته في الأدب الانكليزي المعاصر منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، وكان مولده في شهر مايو سنة ١٨٧٤ في كامبدن هل من أعمال كنسنجتون ، وتلقى تربيته في مدرسة سانت بول ، ولكنه التحق بعد الفراغ منها بمدرسة « ملايد » الشهيرة ليدرس الفنون ، ولما غادر مقاعد الدرس بدأ الحياة أديباً ناقداً ينقد الكتب الفنية في بعض المجلات الشهيرة مثل « بوكمان » و « سبيكر » وغيرها ، ويشتغل في نفس الوقت في إحدى دور النشر ليكسب قوته . ومنذ سنة ١٩٠٠ يستقر تشسترتون في حياته الأدبية ويتخذها مهنة ومرتزقاً ؛ وظهر بسرعة في ميدان الصحافة ، وتولى التحرير والنقد في كثير من كبريات الصحف مثل « الديلي نيوز » و « البال مال » و « الديلي هرالد » و « الورلد » و « الفورتنيتلي » وغيرها ، وأخذ في نفس الوقت يخرج طائفة من الكتب الأدبية المختلفة ، نذكر منها « الفارس المتوحش » The Wild Knight وهو مجموعة شعرية ؛ وترجمة نقدية للشاعر برونتج Browning و « الاثنا عشر نموذجاً » Twelve Types و « نابليون صاحب نوتنهام » N. of Nottingham (سنة ١٩٠٤) ، و « نادي السلع المدهشة » Club of gueer Trades ( سنة ١٩٠٥ ) وترجمة الروائي دكنز Diekens ( سنة ١٩٠٦ ) و « الأرثوذكسية » ( سنة ١٩٠٨ ) و « المخافات الرائعة » Tremendoris Iriffes ( سنة ١٩٠٩ ) ، وتاريخ الأدب الفكتوري Ths Victorian age in Eng Litteratu ( سنة ١٩١٣ ) و « السحر » Msgic وهي قطع مسرحية ؛ وديوان شعر Poems ( سنة ١٩١٥ ) ، ومختصر تاريخ انكلترا A Short History of England ( سنة ١٩١٧ ) . و « خرافات الطلاق » Superstitions of Divorce (١٩٢٠) و « الرجل الخالد » The Everlasting Man (سنة ١٩٢٥) « وليم كوبيث » (١٩٢٥) و « محاكمة الدكتور جونسون » Judgement of Dr J. ، وهي قطعة مسرحية (١٩٢٧) والفصول الكاثوليكية Catholic Essays وغيرها

وتشسترتون كاتب وافر الانتاج والطرافة ، معاً يذهب في التحرر من الآراء والنظريات المقررة إلى أقصى حد ، وقد تأثر كثيراً بنظريات صديقه الحميم المؤرخ هلير بلوك في التشكك ؛ وهو ذو قراسة قوية في تفهم العوامل الاجتماعية وتكييفها ، وقد اعتنق تشسترتون الكثلكة في سنة ١٩٢٢ ، وسجل بذلك تمسكه « بالأرثوذكسية » في سائر النواحي ؛ في الأدب والسياسة والاجتماع وغيرها ؛ ومن رأيه أن الارادة البشرية هي مبعث كل الأعمال والتصرفات ، ولا بأس من أن يحيي المجتمع من الأنظمة القديمة ما يناسبه

وقد أنشأ تشسترتون منذ أعوام مجلة أدبية اجتماعية باسم G. K. S. Weekly أعني أسبوعية جلبرت تشسترتون مرموزا إليه بالحرفين الأولين من اسمه (ع)

## جلبرت كث تشسترتون أيضاً

توفي هذا الكاتب الشاعر الناقدة الصحافي الانجليزي الكبير فانَدك بموته صرح منيف من صروح الأدب الانجليزي المعاصر نشأ نشأة متوسطة ، ولم تعترضه ظروف قاسية كالتي تعترض لداته من الأدباء عادة ، ولذا عاش حياة كلها مرح ، وقضى عمره الفني الحافل في خدمة الأدب في جميع وجوهه ، ومال منذ حداثته إلى قرض الشعر فنظم قصائد متواضعة ثم اشتد باعه فنظم القصائد

الرائعة التي مكنت له في عالم الأدب ، ورفعت اسمه فوق أسماء الأدباء . وكل عارف بالشعر الانجليزي لا ينسى قصيدتي تشسترتون (نابليون نوتنج هل) ، و(الفندق الطائر) . وتشسترتون يشبه ردیارد كبلنج في شدة حبه للامبراطورية ، ويشبه جون درنكووتر في تفانيه لخدمة اللغة الانجليزية والأدب الانجليزي

بيد أن قيمة تشسترتون كأديب عظيم لا ترجع إلى أشعاره ، ولكن إلى كتاباته في نقد الأدب والحياة والاجتماع . فلقد جال جولات واسعة في أمريكا وفلسطين فنقد كل مرافق الحياة في الأولى في مجلد ضخم ، ثم كتب تاريخاً حافلاً للحروب الصليبية ضمنه موجزاً لتاريخ فلسطين . وقد آمن بعد تجواله في هذه الأقطار بوجوب استقلال الفلاحين وتدريبهم على حياة التعاون فيما بينهم بما ينفعهم ، ولم ينس أن ينصح بمثل ذلك للانجليز أنفسهم عندما كتب تاريخه المفيد ( Short History of England )

وبالرغم مما يدعيه هذا الكاتب الانجليزي من كرهه لطرائق السفسطائيين الأغريق فانه لم يكن سفسطائي أكبر منه في انجلترا ولا في العالم أجمع في العصر الذي نعيش فيه . وكان معروفاً عنه أنه متى تبنى رأياً ولو كان خطلاً في خطل فانه ما ينى عن سنده بالحجج وإقامته بالبراهين ، وإن تكن حججه وبراهينه دائماً أوهى من خيوط العنكبوت ، ولكن قارئه برغم ذلك يكب عليه إكباباً عجيباً ، ويشغفه منه هذا الزبرقى في سوق حججه ، وذلك البيان السهل ، والأسلوب الأخاذ ، والعبارة الطلية الهينة التي يغطي بها ضعف براهينه . وكان بطبعه هذا ميالاً إلى المبالغة والتهويل ، ولذا كان يقع في التناقض دائماً . واليك مثلاً من تناقضه العجيب في فصل عقده عن ( استقامة الرأي ) ، قال :

« لا ينشأ الجنون من ادمان التفكير ، ولكن من التعقل (!!) فقلما يصاب الشعراء بالخبل ، في حين يأفن لاعبو الشطرنج وتنتهي حياتهم إلى العته . والرياضيون والصيارفة كذلك طالما يصيبهم الجنون أو على الأقل اللوثة ، في حين يحيا الفنانون حياة سليمة برغم أنهم دائماً يعملون قرائحهم ويبتدعون ويخلقون . وأنا بقولي هذا لا أناقض النطق ولا أهاجم الناطقة ، ولكني أقرر أن الشر كل الشر في النطق والناطقة .. لا في التفكير ... »

وقد ساق درنكووتر في خلاصته عن الأدب أمثالاً أخرى عن تناقض تشسترتون (ص ٩١٦) نحيل اليها القارئ

والذي سيخلد من كتابات تشسترتون هي فصوله الممتعة في نقد الأدب والأدباء ؛ وسيبقى كتابه عن (دكنز) ثروة عظيمة للمتأدبين بالأدب الانجليزي (ح . ف)

### جريدة انكليزية لتأييد القضية الحبشية

تلقينا الأعداد الأولى من جريدة أسبوعية تصدر في لندن بعنوان « التيمس الجديدة وأخبار الحبشة » New Times & Ethiopia News وعنوانها يدل على موضوعها وغايتها فقد أنشئت أخيراً للدفاع عن القضية الحبشية أمام الرأي العام الانكليزي والأوربي ، واقناعه بفظاعة الاعتداء الايطالي . وتتولى تحرير الجريدة المذكورة السيدة سلفيا بنكهرست ؛ وقد صدرت عددها الأخير بصورة الأمبراطور هيلاسلاسي ، ومقال للدكتور مارتن وزير الحبشة في لندن عنوانه « انتظروا وتأملوا بينا يعمل القتل عمله » ، وفيه يحمل على المبدأ السياسي القائل بالانتظار والتأمل ، لأنه هو الذي أودى بحياة الحبشة ، ولو قامت عصبة الأمم بعمل حاسم لاستطاعت وقف الاعتداء الايطالي في الوقت المناسب ، وفيه تفاصيل عن مقدم الأمبراطور ، ومقال عنوانه « يجب أن تنقذ الحبشة » بقلم مستر هوكن ، ونبذ وأخبار أخرى عن الحبشة قبل الحرب الايطالية وبعدها

### مباراة أدبية عالمية

تنظم جمعية التاريخ الجديدة في نيويورك ، في الخريف القادم ، مباراة أدبية علمية ؛ وقد اختارت للكتابة موضوعاً دولياً عاماً هو « كيف تستطيع شعوب العالم أن تحقق نزع السلاح العام ؟ » How can the people of the world achieve universal disarmament ؛ وهذه المباراة مفتوحة لكل شخص من الجنسين ، ومن أي الأمم ، ومن أي المهن أو الثقافات ؛ وستوزع على الفائزين جوائز قدرها خمسة آلاف دولار ( نحو ألف جنيه )

وقد تأسست جمعية التاريخ الجديدة في نيويورك منذ سبعة أعوام ، ونظمت قبل ذلك عدة مباراة أدبية عامة وصدرت لها جوائز مالية حسنة ، وهي تعنى قبل كل شيء بتعرف آراء الشباب والجيل الجديد . ومن أغراضها أنها تدعو الى انشاء مجتمع أخوي عام من شعوب الأرض كلها ، وتدعو الى نزع السلاح ، ومؤاخاة الدول ، وعمل تشريع دولي انساني عام

وترسل الرسائل في المباراة المذكورة الى جمعية التاريخ الجديد بنيويورك : New History Society, 132, 65th Street, New York

## موسم الشعر

في الساعة السادسة من مساء الأحد ١٤ يونيو سنة ١٩٣٦ أقام (جماعة الشعراء) في دار جمعية الشبان المسلمين حفلة (موسم الشعر) رأسها صاحب المعالي العرابي باشا ، وافتتحها الأستاذ أنطون الجميل بك ، وتكلم عنها الأستاذ محمد الهراوي افندي ؛ وكان الشعراء قد أخذوا مجالسهم من المنصة وعليهم قداسة من جلال الشعر أشاعت في نظراتهم وحركاتهم دلائل الفخر والعزة . افتتحت الحفلة بكلام الله تخشعت لاعجازه الخالد شياطين الشعراء ، ثم قام الأستاذ الجميل بك فألقى كلمة رائعة رفعت رأس النثر في حضرة الشعر ، وتتابع بعده الشعراء فألقى كل قصيدته على منهاج معين ، وكان الجمهور شديد الحساسية للصور البيانية ، والمعاني المبتكرة ، والأغراض الجديدة ، والالقاء الجيد ، وجملة شعراء الموسم كانوا سبعة عشر شاعراً ، فرغوا من قصائدهم في ساعة ونصف ساعة ، وهم الأساتذة :

إبراهيم ناجي ، أحمد رامي ، أحمد الزين ، أحمد الكاشف ، أحمد محرم ، أحمد نسيم ، حسن القاياتي ، حسين شفيق المصري ، زكي مبارك ، سيد إبراهيم ، عزيز بشاي ، كامل كيلاني ، محمد الأسمر ، محمد الهراوي ، محمد الهياوي ، محمد عزيز رفعت ، محمود رمزي نظيم ، السيدة منيرة توفيق

وموسم الشعر أمنية من أماني الأستاذ الهراوي ظل يرصد لها الأهبة ثلاث سنين . ففي ربيع سنة ١٩٣٣ تألفت بسعيه وبسعي إخوانه ( جماعة موسم الشعر ) كما تتألف المجامع الأدبية ، ونشرت على الناس بياناً جعلت فيه وسائلها قرض الشعر الفصيح ، ووضع البحوث في الأدب ، وإلقاء المحاضرات في الموسم ؛ وحددت فيه أغراضها باقامة موسم عام للشعر العربي في القاهرة ، و (العمل للاحتفاظ في الشعر العربي بقوة الأسلوب ووضوحه ، والجرى على ما تقتضيه ضوابط اللغة من الصحة وما تتطلبه خصائص البيان من بعد الأساليب عما يضعفه أو يفنيه في غيره أو يقطع صلة حاضره بماضيه ، وتقريب ما بين الشعر العربي وغيره مع المحافظة على السنن العربي والعمل لتنوع أغراضه وفنونه ، وأخيلته ومعانيه ، وإبراز الحياة الحاضرة والدنية القومية في صورها الصحيحة ، والمحافظة في الشعر على الذوق العربي مع مماشاته لحاجات العصر وروحه ، وتوجيه الشعراء إلى القيام بحاجة العامة والتلاميذ من الشعر في أغانيهم وأناشيدهم ، وحفز مواهب الشعراء إلى تهيئة السبل لظهورها والانتفاع بها ، وخدمة اللغة العربية ونشر آدابها وتقويم ملكاتها وتنمية ثروتها من الألفاظ والمعاني والأخيلة ، وتوثيق الصلات الأدبية بين مصر والأقطار العربية الأخرى)

وقلنا يوم قرأنا هذا البيان إن (الرسالة)[1] تؤيد هذه الأغراض السامية من غير تحفظ ، وتدخر غبطتها بها وتصفيقها لها ليوم التنفيذ ، فإن صوغ الأماني ووضع الأنظمة وإذاعة العزم شيء ، وتجويد العمل وتنفيذ الفكرة وتحقيق الغرض شيء آخر . فاذا قرأت هذا ثم علمت أن الموسم ذا الغرض الضخم اختصر في حفلة واحدة ؛ وأن هذه الحفلة التي أقيمت بعد ثلاث سنين كانت مما يمكن أن يقام في كل أسبوع ، وأن ما قيل فيها كان كله من الشعر المطبوع على غرار واحد ، وأن أكثر هذا الشعر مما أنشد من قبل في الحفلات ونشر في الصحف ، وأن في هذا الأكثر ما لا يليق إلقاؤه في هذا الحفل ، ندمت على أن أسرفت في التصفيق ، وعلمت أن الشعراء يساعدون الزمن بكسلهم على إجماد الشعر . ولكن الأستاذين الهراوي والأسمر يقولان بعد ثلاثة أحوال ما قاله فند مولى عائشة بنت سعد : (تعست العجلة) . على أن البدء في كل عمل صعب ، وجمع الشعراء على أمر واحد شاق ، والخطوة الأولى على كل حال نصف الطريق

## جماعة البعث والتجديد

تكونت من بعض أبناء الجامعة المصرية جماعة أدبية باسم « جماعة البعث والتجديد » . وأغراضها كما يأتي :

١ — بعث الأدب العربي القديم ودراسته دراسات مستفيضة ، ليستسيغه الجمهور ويقبل على كنوزه الغوالي

٢ — خلق أدب جديد يمثل نزعاتنا النفسية ، وخوالجنا الروحية ، ومثلنا الاجتماعية . فيه حياة فوارة ، وخيال دقيق ، وفن عالي بكر

٣ — النقد النزيه الحر

٤ — اذاعة أروع ما ابتكرته القرائح العالية ، شرقية وغربية عن طريق التعريف والتلخيص والترجمة

(١) العدد الثالث عشر من الرسالة

٥ — رفع مستوى القارئ العادى الى استساغة الجمال والأسلوب الفنى

٦ — تنظيم مهرجان شعرى لشعراء الشباب والقاء سلسلة محاضرات ومناظرات وقراءات

٧ — لسان حال الجماعة « مجلة الشباب » والاتصال بها يومياً من السادسة الى السابعة مساء شخصياً أو بالمراسلة بعنوان « مجلة الشباب بميدان سوارس رقم ٣ بمصر »

والجماعة ترحب بكل من يحب الانتماء اليها للعمل بمبادئها من أدباء الشباب الموهوبين وأديباته الموهوبات من أبناء الجامعة المصرية

أما « مهرجان الشعر » فمام لشعراء الشباب جميعاً وسيعلن عن نظامه وموعده فيما بعد ، والاتصال بشأنه بعامر محمد بحيرى أفندى بادارة مجلة الشباب ؟

### تدهور التعليم العالى فى ألمانيا

من الحقائق المعروفة أن الحركة الفكرية والتعليمية فى ألمانيا قد اضمحلت فى ظل الحكم الهتلرى ؛ فقد طاردت الحكومة الهتلرية أكابر الكتاب الذين لا يتفقون معها فى الرأى السياسى وسيطرت على الصحافة وصفدتها بأغلال جعلت منها أداة حكومية للدعاية ، وغيرت برامج التعليم لتتفق مع غاياتها السياسية ، وبسطت نفوذها على الجامعات حتى جعلت منها منابر للدعوة النازية وهكذا

وقد اطلعنا أخيراً فى بعض الصحف الإنكليزية على إحصاء يدل الى أى مدى سحيق تدهورت الحركة التعليمية فى ألمانيا فى ظل الحكم النازي خلاصته أن طلبة الجامعة الألمانية بلغ عددهم فى العام الدراسى الحالى نصف ما كانوا فى صيف سنة ١٩٣٣ ، وهى السنة التى تولى فيها هتلر الحكم ، فقد كانوا يومئذ ١٤٠٠٠ ( أربعة عشر ألفاً ) ، وعددهم فى هذا العام ٧٩٣٤ فقط ؛ ولم يدخل الجامعات الألمانية فى أوائل العام الدراسى المنقضى من الطلبة الجدد سوى سبعة آلاف . وكان عدد طلبة الجامعات والمدارس العالية فى ألمانيا سنة ١٩٣٣ ، ١١٦٠٠٠ طالب ، فنزلوا هذا العام إلى ٧٧ ألفاً فقط ؛ وكانت الجامعات الصغيرة أشد تأثراً بهذا النقص الفادح ، وهذه الأرقام تنطق بنفسها ، وتدل دلالة واضحة على مبلغ التدهور الذى أصاب الحركة الفكرية فى ألمانيا فى عهد الهتلريين

وهذه النتيجة تعتبر من جهة أخرى طبيعية منطقية فى ألمانيا الهتلرية ؛ ذلك أن نظرية الهتلريين فى التربية تميل إلى الاسبارطية القديمة ، وتؤثر التربية العسكرية والرياضية على أى نوع آخر من التربية ، وتؤثر الأجسام القوية على العقول الزاجرة ، وعلى الرؤوس المستنيرة

على أنه مهما كان من رأى الهتلريين ونظرياتهم فى التربية ، فان هذه النتيجة التى انتهت إليها ألمانيا فى مثل هذا العهد القصير ليست مما يشهد للنظم الجديدة ، وليست مما يدعم عظمة الأمم

### جمعية هندية للمباحث الاسلامية

تقوم فى بومباى ( الهند ) منذ ثلاثة أعوام هيئة علمية اسلامية تسمى « جماعة البحث الاسلامى » ؛ وهى هيئة علمية محضة غير طائفية وغير حزبية يشرف على تعضيدها أكابر الزعماء والأمراء المسلمين ، وتضم جماعة من أعظم المفكرين المسلمين فى الهند وفى أوربا ، وقد صدر أخيراً تقريرها السنوى الثالث وفيه أنها تعنى بنشر البحوث العلمية الخالصة ، وأنها قد عملت لهذه الغاية باصدار كتب خمسة ، وأنها تعنى الآن بنشر طائفة أخرى ، ومن ذلك ترجمة هندية لكتاب « تاريخ فيروز شاهى » من الفارسية . وترجمة لمقدمة ابن خلدون من الغربية ، وكتاب عن مذهب الشيعة ؛ وتعنى هذه الجمعية العلمية بنشر المباحث الاسلامية الرفيعة فى الهند

# فى النقـــــد

بقية المنشور على صفحة ١٠٠٤

على أنه لون من ألوان التصوير لتاريخ الحياة الأدبية فى عصرهم وفيما سبقهم من العصور . فهم فى عصر النضوج أدنى إلى المؤرخين منهم إلى النقاد . وما كتبه سانت بيف عن القرن السابع عشر وعن (بور رويال) لا يطلق عليه عنوان النقد بمعنى النقد المعروف للآثار الفنية بمقدار ما هو تحليل تاريخى دقيق لصورة من صور الأدب وأسباب نشوئها ، وما تأثرت به فى نموها وحياتها . ولهذا السبب تختلف آثار هؤلاء النقاد فى أيام النضوج عنها فى أيام النمو ونشاط تمثل الحياة . نقدهم أيام النضوج أثر كامل لحياتهم ونضوجهم . أما نقدهم حين النمو ونشاط التمثل فشأنه شأن النقد حين يتناوله غيرهم من الشبان ؛ هو تناول لمواد الحياة العقلية والأدبية وهضم وتمحيص إياها ، وتمثل للصالح منها ، وافراز لزيفها .

وكما يعرف طائفة من كبار الكتاب فى فرنسا وفى غير فرنسا بدأوا حياتهم بالنقد ، ثم انصرفوا عنه لغيره من ألوان الأدب . ويكفى أن يذكر الانسان أناتول فرانس وبول بورجيه وهما من أعلام أدبها القصصى فى القرنين التاسع عشر والعشرين ليقدر أن الكاتب كثيراً ما ينصرف بعد فترة من حياته إلى ما يحسبه رسالته الصحيحة فى الحياة بعد أن يكون قد استقى بالنقد من رحيق الحياة صنوفاً وألواناً . وهؤلاء قد حمد الناس لهم ما اختصوا بالكتابة فيه ، ولم يطالبهم أحد بالعودة إلى ميدان النقد . ولو أنهم عادوا إلى هذا الميدان لعادوا مؤرخين ولم يعودوا نقادا على طريقة الشبان الناشئين

لهبوليت تين الفيلسوف الفرنسى الكبير فى القرن الماضى ثلاثة مجلدات فى النقد والأدب ، تناول فيها طائفة من معاصريه من الفلاسفة والكتاب تناولاً دقيقاً غاية الدقة ، بديعاً غاية الابداع . وهى مع ذلك ثمرات شبابه ، فلما تقدمت به السن شغل بكتابة تاريخ فرنسا وبوضع كتب فى الفلسفة والأدب ككتابه عن الذكاء ، وكتابه عن تاريخ الأدب الانجليزى . ولقد وضع كتاباً فريدا جعل عنوانه « مذكرات عن باريس » هو آية فى التهكم اللاذع بحياة عصره ، والنقد لطرائق أهل فرنسا فى مختلف ألوان حياتهم . وكم تمنى كتاب أن لو سلك تين هذا المسلك ووضع على هذا النحو كثيراً من الكتب . لكن أحداً لم يوجه اليه اللوم لأنه آثر الفلسفة أو التاريخ ، علماً من هؤلاء الكتاب بأن الفلسفة وبأن التاريخ هم جوهر الرسالة التى هيأ القدر ذهن هبوليت تين لادائها فى الحياة

ماذا بعد هذه المقدمات ؟ ... نتيجتها الطبيعية أنه إذا وجب أن يوجه اللوم عن فتور النقد فى هذه الآونة من حياتنا العقلية والأدبية ، فانما يوجه إلى شباب هذا العصر الذين لا يجدون من أنفسهم اقداماً على تمثل الآثار الأدبيـة وتمحيصها بنقـدها ، واشراك الجمهور بذلك فى الحياة الأدبيـة ، وحمل الشيوخ الذين ينتجون على تحرى الغاية من الاجادة ؛ ثقة منهم بذوق الشباب ، وحرصاً منهم على تقديم الغذاء الصالح لجمهور القراء . أما والشباب لا ينقد فمعنى هذا أنه لا يقرأ ، وأنه إذا قرأ لا يمحص ، وأنه إذا محص لا يثور فينقد . وقيمة الحياة الثورة بالحياة ، فهذه الثورة هى وحدها وسيلة التطور المادى . أما حيث لا تكون الثورة فالركود والجمود ، وهذا الذى يشكو منه الأستاذ أحمد أمين ، والذى يوجه اللوم من أجله إلى رجال قطعوا مرحلة النقد إلى مرحلة غيرها لعلها خير منها ولعلها شر منها

وإذا وجهنا اللوم الى الشباب فجدير بنا أن نوجه اللوم الى الذين يتولون تهذيب الشباب وإلى الذين يتولون تثقيفه . والساسة يتولون تهذيب الشباب والأساتذة المعلمون يتولون تثقيفه . أى هؤلاء أجدر بأن نوجه اللوم اليه ؟ لقد أصبح شبابنا لا يعنى بنقد أثر أدبى لأن نقد الأثر الأدبى قد يدل على علو الكعب فى العلم أو فى الثقافة أو فى التهذيب . ولكن ما قيمة ذلك فى مصر اليوم؟ ! .. أهو يجر مالاً ؟ ! أهو يجر جاهاً ؟! أهو يجر احتراماً وتقديراً ؟ ! سل الشـباب عن ذلك يجيبوك إنما يجر المال شىء آخر غـير العلم أو الثقافة أو التهذيب . والمال اليوم هو الذى يجر الجاه والاحترام والتقدير . ذلك رأى الشباب أو كثرته مع الشىء الكثير من الأسف . لذلك توجه الشباب الى أقرب الموارد الى المال وإلى الاستكثار منه . فبعد بذلك عن العلم وعن الثقافة وعن التهذيب ، وبعد عمن كان مهذباً أو مثقفاً من الشبان

عن النقد الذي يريد الأستاذ أحمد أمين أن يراه فتياً قوياً ناهضاً بعد بهؤلاء الشبان عن النقد واصطناعه ، لأن النقد أول شروطه الحرية ، الحرية العقلية والحرية العلمية والحرية الأدبية ؛ فهو لا يعرف الصداقة ، ولا يعرف الإكبار والاجلال ، ولا يعرف المجاملة والمداجاة ؛ وهي فضائل يجب أن يتحلى بها الشباب في كل أمر وفي كل عصر ؛ ويجب أن يتحلى بها الناس جميعاً وإن وجب أن تكون في الشباب أكثر وضوحاً وظهوراً . أفتريد هذا الشاب الناشئ أن ينقد كتاباً لهيكل أو لطه حسين أو لأحمد أمين أو للعقاد أو للمازني أو لغيرهم ممن شئت ، وهؤلاء قد يكونون وسيلته إلى الوظيفة وإلى مال الوظيفة وجاهها وما لها في أعين الناس من احترام وتقدير ؟ لذلك آثر الشباب الراحة وجرى وراء الدعة وتعلم المداجاة والرياء حتى في العلم والأدب . والراحة سم الشباب القتال . والدعة والمداجاة مرضان لا يقلان عن الراحة فتكاً بالشباب . فاذا اجتمعت هذه الأدواء فتكت بحرية الشباب وحالت بينه وبين نقد الآثار الأدبية لقعودها به عن الإيمان بالثورة . وهذا سبب العلة وموضع الداء .

فليلتمس الأستاذ أحمد أمين شباباً حراً يؤمن بالثورة وأنا ضمين له بعودة النقد إلى نهضته وفتوته . أما هؤلاء الشيوخ الذين يتوجه لهم بالنقد فقد رغبوا إلى لون من الأدب غير النقد . لم يبق منهم إلا صديقي وصديقه الدكتور طه حسين الحريص على أن يبقى مع الشباب حرصه على أن يكون في طليعة الشيوخ . ليلتمس الأستاذ أحمد أمين هؤلاء الشبان ، فان لم يجدهم فليلق التبعة عن ركود النقد على الذين يتولون تهذيبهم والذين يتولون تثقيفهم من الساسة والمعلمين . عند ذلك تنكشف له العلة فيما أصاب النقد من ركود ، وعند ذلك يكون أدنى إلى الانصاف إذ يلقي التبعة على من يجب أن تكون عليهم التبعة

محمد حسين هيكل

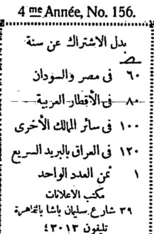
# أدبي

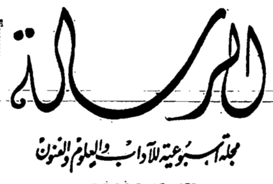
مجلة شهرية أدبية تظهر مؤقتاً مرة في كل ثلاثة شهور لصاحبها ومحررها الدكتور الشاعر أحمد زكي أبو شادي ، وبين يدينا الآن العدد الأول منها وهو باقة من شتيت الزهر النضير تفتحت عنه قريحة هذا الشاعر الواثق بجهده المخلص لفنه ، و ( أدبي ) مجلة للقراء لا للكتاب والشعراء ؛ فهي خاصة بقلم صاحبها « وما يدور حول آثاره من تعليق ونقاش ومساجلة للزملاء الأدباء » ، والدكتور أبو شادي مهما قال في إنتاجه النقد ، قوة عاملة مؤثرة ، وقريحة خصيبة مثمرة ، وصوت عال من أصوات النهضة الأدبية لا يزال أينما حل يدعو وينبه

كانت القاهرة تضطرب بالجدل الأدبي العنيف ، فرحل عنها فتولاها شيء من الخمول والصمت ، وكانت الاسكندرية تضيق بالحياة الأدبية ؛ فلما حل بها اعتراها نشاط أدبي عجيب لم تشهده منذ حين

نعتقد أن لو كان الدكتور أبو شادي صرف جهده المثابر في غير الأدب المعوق لكان له بين أقرانه شأن وأي شأن

4 me Année, No. 156.




ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 29 - 6 - 1936

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع البدولي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٥٦ « القاهرة في يوم الاثنين ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٥٥ — ٢٩ يونيه سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة


# أروع أيام سعد

لعل يوم الجمعة التاسع عشر من هذا الشهر كان أروع أيام سعد ! انتصر فيه وهو رفاتٌ وفكرة وذكرى على الحقد الذى طالما نبح المجد ، وعلى السلطان الذى طالما قهر الزعامة . كانت روعة أيامه الغُرّ التى أسفرت عنها ليالى مالطةَ وسيشيل وجبل طارق من شخصيته التى طاولت العروش ، وعزيمته التى صاولت الجيوش ، و بلاغته التى عاجزت القدر ؛ أما يوم نقل الرفات إلى الضريح الرسمى فكانت روعته من الفكرة التى ثبتت على الاضطهاد وغلبت على الاستبداد وظهرت على الإفك ظهور الدين على الشرك بالإيمان والإخلاص والتضحية .

وسر الجلالة العظمى فى سعد أنه كان وهو حى يمثل كبرياء الشعب ، ثم أصبح وهو مَيْتٌ يمثل سلطان الأمة . كان يمثل كبرياء الشعب لأنه خرج منه ونبغ فيه ، فكان حجة له على كبرائه الذين كانوا يتأبهون عنه ، و يلمزونه بالضعة ، و ينبزونه بالفلاحة ؛ ثم عاد يمثل سلطان الأمة لأن جهاده الباسل بها ولها جعل اسمه رمزاً للاستقلال وعلماً على الدستور وعنواناً على الديمقراطية .

فهرس العـــدد

فمظاهر الفرح المستطير ، أو الحزن المرمض ، أو العزة المستطيلة ، التى أعلنها الشعب يوم خرج من معتقله أو رجع من منفاه ، ويوم الاحتفال بوفاته أو بنقل رفاته ، كانت مظاهر صادقة لعواطفه المتحدة ، صدرت عنه بدافع من نفسه وباعث من شعوره ، لأن سعداً لم يعد رجلاً محدود الوجود بذاته ومميزاته ورغائبه ، وإنما أصبح معنى مقدساً من معانى الشمول يختصر فى نفسه خصائص جنسه ، ويجمع فى قلبه أمانىّ شعبه ؛ فهو علم يخفق بالأمل ، ومنارة تشع بالهداية ، ورسول من رسل القيادة الذين يبعثهم الله إلى الناس فى متاهة السبل وضلالة النفوس فيكونون رمزاً لرجاء الانسان فى الله ، ومثالاً لرحمة الله بالانسان

***

كانت النفس المصرية فى ذلك اليوم المشهود على حال عجيبة من شتى الأحاسيس ومختلف العواطف : سرور مزهو بفوز الإرادة القومية واستطاعتها بعد تسع سنين أن تصحح خطأ فادحاً من أخطاء الغرور الجاهل ، وحزن دخيل هادئ لاحتجاب الشعاع وقد غام الأفق واستعجم المسلك ، ثم شماتة حانقة تصيح بالجبابرة الضعاف من أفواه الطرق ومنافذ البيوت ، وعلى أطورة الشوارع وسوح الميادين : أنا الأمة ! أنا الإرادة الأولى ، وأنا الكلمة الأخيرة !

وكان فى موكب الرفات المنتصر قوم يمشون ، وجوههم إلى الأرض ، وأفكارهم الى الوراء ، يقولون فى أنفسهم : استعنا على كبت هذا المجد الثائر بقوة السلطان وضجة البرلمان وثروة الخزانة ، فاذا كل أولئك معناه هوج العاصفة ، ورهج الغبار ، وسرف المطر ؛ وإذا الشمس من فوق أولئك لا تزال ساطعة الشعاع دائبة الارتفاع لا يرتقى إليها صخب ، ولا يعلق بها قتم ! إن الموت نفسه قد اختزلت عنه قواه فلم يستطع طمسه فى عين الوجود ولا محوه من سمع الزمن . لا يزال ملء الحاضر وعدة المستقبل ، ومن الغناء الباطل أن يحاول الجبروت مهما طغى أن يدخله فى الماضى . هؤلاء هم الجند الذين طالما أكرهناهم على أن يطاردوه فى الأقاليم ، ويحاصروه فى العواصم ، ويصادروه فى الأندية ، ويضايقوه فى المنازل ، ويحولوا بينه وبين الشعب ، قد انقلبوا — بأى معجزة لا أدرى — فصاروا زينة لمجده وقوة لوفده وحراساً لمبدئه !

وكان بازاء الباشا المفكر طالب صادق الحدس ألمعى الفراسة ، لا يزال على وجهه الأبلج أثر من عصىّ الشرطة وبنادق الجند ، فرأى بين الحى المستذل الضارع ، وبين الميت المتجبر الشامخ ، عبرة من عبر الدهر ، وحكمة من حكم القدر ؛ فهب يصوغ من هذا المعنى هتافاً له ولرفاقه ؛ ولكنه تذكر أن الوطنى لا يحقد ولا يشمت ولا ينتقم ، فاكتفى أن يقول للزعيم الرجيم فى نفسه : لقد أدركت بعد الأوان أن المجد خير من الحطام ، وأن الشعب أبقى من الحكومة ! لقد بلغت كل عال غير المجد ، وربحت كل نفيس غير الشرف !

***

ذلك سعد مثال الزعامة الحق يا نواب الأمة ! كان فى مماته كما كان فى حياته موضع التداسة منها وموطن الرجاء فيها ، لأنه أول مصرى حكمها بأمرها ، وساسها برأيها ، ونقلها من نظام القطيع إلى نظام الشورى ، وحول خزاتها من المتاع الخاص إلى المتاع المشترك ، وجعل العلاقة بين الأمة والحكومة « علاقة الجندى بالقائد ، لا علاقة الطائر بالصائد »

كان سعد من الشعب وظل طول عمره مع الشعب . تجبر ، ولكن على طغيان الثروة ؛ وتكبر ، ولكن على صلف المحتد . أما علينا وعلى أمثالنا من سواد الناس فكان كالأخ العطوف والوالد الحدب

بهذه السيرة المجيدة فى الحياة يقتدى أصحابه البررة ؛ وبهذه العقلية السليمة فى الحكم يسير خليفته الى الفوز ؛ وبهذه الصفحة المشرقة فى التاريخ يضع سعد للخاصة دستور الزعامة ، ويضرب للعامة مثل البطولة ؛ وبهذه المنزلة الفريدة التى نزلها من شعبه يتولد فى النفوس الشابة الرغيبة طموح العظمة ، فيسعون لها بالحق . ويتنافسون فيها بالكفاية

هاتان سبيلان واضحتا المعالم بينتا الحدود فى سياسة الأمة . أدت أولاهما بسعد إلى حياة الموت ، وأسرعت أخراهما بفلان إلى موت الحياة ! فهل لأكياس الناس بينهما خيار ؟

احمد حسن الزيات

# ذات الثوب الأرجوانى

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

(تنبيه — كل ما هو مكتوب هنا متخيل . وأنا يوافقنى ويلائم مزاجى أن أجعل الكتابة على لسانى)

— ٣ —

سألنى صاحبى وهو يجلس : « إلى أين إن شاء الله ؟ »

قلت : « يا صاحبى ! العجلة من الشيطان . اجلس أولاً ، وتناول — ثانياً — شيئاً ، ثم سل ما بدالك بعد ذلك . على أنى أستطيع أن أريح فؤادك القلق ، فأقول لك إنا ذاهبون إلى القناطر الخيرية ؛ فهل ارتاح قلبك يامولاى ؟ »

فصاح بى وهو يخرج السيجارة : « القناطر ؟ ... ماذا أخطرها ببالك ؟ ... وماذا تصنع هناك فى هـذا الحر ؟ ... شىء غريب ! »

قلت : « يا أخى إنك تفاجأ بالخبر فتستغربه ، أما أنا فقد أطلت التفكير فى الأمر ، وعرضت لى آراء شتى نفيتها واحداً بعد واحد ، حتى استقر رأيى أخيراً على القناطر »

قال : « ولكن الجو حار الآن ... الساعة العاشرة ، وسنشتوى هناك ؛ وأين يمكن أن نجد طعاماً أو شراباً ؟ »

قلت : « لعلك تظن أن القناطر صحراء سينا ... ومع ذلك لا تخف أن تجوع ، فقد أعددت لمعدتك كل ما تحتاج اليه من طعام و ... »

قال : « ولكنى رأيت السيارة ونظرت فيها فلم أجد شيئاً ، وأخشى أن تكون — كعادتك — معتمداً على أنها مدينة عظيمة مقصودة من الناس ، ثم نذهب فلا نجد شيئاً »

قلت : « بل ستجد كل شىء . والآن دعنا من حديث المعدة واسمع : إذا رأيت منى ما تنكر ، أعنى ما يخالف المألوف من عاداتى فرجائى اليك أن تذكر قول الشاعر :

إن من ساءه الزمان بشىء  لحقيق إذن بأن يتسلى

« فهل أنت لبيب تكفيه الاشارة أم لا بد أن ... ؟ »

وفى هذه اللحظة أقبلت الفتاة — أم ترانى لم أخبر القارئ أن فتاة كانت ستقبل ؟ ؟ على كل حال ... المهم أنه — أعنى القارئ — قد عرف أن فتاة قد أقبلت ، ولا شك أنه استنتج من قولى هذا أنها وسيمة — ولا أبالغ فأقول جميلة — وأن الموعد كان مرتباً من قبل . ونظر صديقى اليها ثم إلىّ وهز رأسه ووقف استعداداً لاستقبالها وتحيتها . وكان وجهه كالطماطم — أعنى أحمر جداً — وليس هذا لونه فى العادة ، وإن كان صحيح الجسم . معافى البدن ؛ حسن اللون والشارة ؛ ولكنه شديد الحياء . فقلت للفتاة : « زوزو ... هذا صديقى الذى حدثتك عنه ؛ وفى وسعك أن تعديه صديقاً لك أيضاً .. هل جاءت ليلى ؟ ؟ »

قالت وهى تناوله يدها : « نعم ... وهى تنتظر فى الخارج »

قلت : « ولماذا لم تدخل ؟ .. هل أذهب وأدعوها ؟ »

قالت : « كلا . إن معها الأشياء .... والأفضل أن نذهب الآن »

ومضينا إلى القناطر على مهل ، وكانت السيارة جديدة ، ولا بد أن أقتصد فى السرعة حتى تلين وتكتسب آلاتها المرونة اللازمة وإلا فسدت وتخربت بسرعة وقصر عمرها . وكانت زوزو وليلى تنظران إلى السيارات الأخرى التى تخطف إلى جانبنا وتتركنا وراءها فتتحسران . وكانت زوزو لا تفتأ تقول لى : « ألا يمكن أن ندرك هذه السيارة ؟ » وتشير إلى واحدة من السيارات الكثيرة التى كانت تمرق كالسهم ، فأقول : « بالطبع نستطيع ، ولكن الثمن باهظ . ثم إن العجلة من الشيطان ؛ وقد كنت قبل مجيئك ألقى درساً على هذا الصديق فى وجوب التريث وتحاشى العجلة . والظاهر أنك لست خيراً منه ولا أقل حاجة إلى مثل هذه الدروس التى أعطيها للناس مجاناً »

فتصيح بى : « دروس ايه وعجلة ايه ؟ ؟ . كلام فارغ ! ! كيف تترك هذه السيارات تسبقنا ، مع أن سيارتك جديدة وجميلة ؟ »

فأقول : « أشكرك — بالنيابة عن السيارة . ولو كان لها لسان لأسمعتك المطرب المعجب من آيات شكرها وتقديرها لهذا الثناء الجميل ، ولكنها كما تعلمين خرساء بكماء لا تحسن إلا أن تجرى »

فتقاطعنى معترضة : « تجرى ؟ ؟ تقول تجرى ؟ ؟ إنها تزحف ! ! ألا ترى كيف سبقنا كل الناس ؟ .. هل تريد أن نصل إلى القناطر غداً ؟ »

فأتوكل على الله وأجازف بمستقبل السيارة وأعذر فى سرى

الشبان الذين يكونون مع الفتيات فينطلقون كالقنابل فتحطم سياراتهم ، وقد يلقون هم حتوفهم ؛ فإن وجود فتاة مع السائق يغريه بإهمال ما يشير به العقل والحكمة . وقد أركبت فتيات كثيرات فلم أر مبهن واحدة ترتاح إلى البطء ، وأحسب السبب أن السرعة مظهر من مظاهر القوة وأن السبق غلبة ، والمرأة تعجب بالرجل القوى السباق ، ولا تعجب بالرجل الضعيف الوانى ، وهى لا تدخل فى حسابها أن هذه سيارة وأن المعول عليها لا على الرجل ، وأن الذنب يكون ذنبها إذا قصرت وكانت بطيئة أو ضعيفة . وإنما كل ما تفكر فيه وتعنى به أن معها رجلاً ، وأن رجلها هذا ينبغى أن يكون الأقوى والأبرز والأسرع والأبرع ، إلى آخر ذلك . وهو عندها مسئول عن السيارة التى لم يصنعها ، ولعل منطقها أنه اشترى سيارة ، فلماذا لم يشتر سيارة قوية سريعة ؟ ؟ وقد يكون قليل المال ولكن هذا لا ينهض عذراً له ، إذ لماذا يكون قليل المال ؟ ؟ وقد تكون السرعة بغيضة اليه ، ولكن الأمر يرجع إلى تقديرها هى لا إلى تقديره ، ولا إلى ما يؤثر وما يكره . وإذا كان لابد أن يتوخى ما يشير به مزاجه ، فلماذا يستصحب امرأة ؟ ؟

من أجل هذا اضطررت أن أسرع على خلاف ما يقضى به الواجب والحزم وإلا ساء رأى صاحبتى فىّ ، ومن الذى يسره أن يسوء رأى المرأة فيه ؟ ؟ ولاسيا امرأة تكون معه ويكون همه فى هذه اللحظة على الأقل أن يرضيها .. وأدركنا بضع سيارات سبقناها ففرحت وأشرق وجهها وانبسطت أسارير محياها وكثر ضحكها — بل ضحكهما — بعد التقطيب والوجوم والاعتراض ، وصارت كلما مرقنا بجانب سيارة تصفق وتصيح « هيه ! ! » على سبيل الاعجاب بالسيارة التى هى فيها — أى الاعجاب بنفسها ، فإن إعجاب المرأة بشىء يكون لها مظهر لاعجابها بنفسها هى — والشماتة بالمسبوق والتعيير له والتحدى أيضاً ؛ والمرأة إذا أعجبت برجل جعلت وكدها أن تتحدى الرجال به على صور شتى بعضها أخفى من بعض . وما أكثر ما يكون استمرار إعجابها به رهناً باستمرار فوزه على الأقران وغلبته لهم فيما تورطه فيه

وبلغنا القناطر بعد نصف ساعة ؛ وكانت هذه أول مرة تراها فيها فأقبلت على تسألنى عن كل ما تأخذه العين هناك وجعلت أنا أحيلها على صديقى لا تفرغ للسير ومآزقه فى هذا الزحام الشديد حتى صرنا عند أول البساتين ، وكانت الاحالة على صديقى تغضبها لتوهمها أن ذلك مبعثه الملل أو الاعراض ، ولا ملل ولا إعراض منى وإنما هى مشاغل الطريق ؛ غير أن المرأة قل أن تقدر ذلك لأن خواطرها كلها دائرة حول نفسها وشخصها ، وهى تفسر كل شىء بأنه صادر عن حب أو كره ، وعن رغبة أو زهد ؛ وعن إقبال أو انصراف وإعراض ، وعن ارتياح أو ملل وسآمة

وقال لى صاحبى ونحن ندخل البساتين والفتاتان أمامنا : « والآن قل لى ماذا ساءك من زمانك ويوشك أن يخرج بك عن طورك ؟ »

قلت : « يا أخى إنى شاكر لك — وأنت تعلم صدق — هذه العناية بالاطمئنان علىّ ، ولكنى لو أفضيت إليك بهذا السر لما بقيت له لذة تخفف ألمه . انتظر حتى يفتر كل شىء — الألم واللذة جميعاً — فلا يعدو الكلام حينئذ أن يكون حديثاً عن شىء مضى ولا يكاد يعنينى »

فهز رأسه ومضى عنى إلى الفتاتين

وظللت طول النهار أضحك وألعب وأثب وأجرى وآكل وأشرب وأرسلت نفسى على سجيتها — وإن كان ينقصنى أن أعرف أن الخفة من سجاياى — وخلعت ثوب الاحتشام ورحت أكلم من لا أعرف وأدعو إلى طعامنا كل من غير بنا — رجلاً كان أو امرأة أو طفلاً — وأبدأ بالحديث من لم أر وجهه إلا فى ذلك اليوم ، وأخطف الكرة ممن يتقاذفونها ، وأجر رِجْلَ هذا ، وأشد أذنَ ذاك ، وأفعل ما يفعل الأطفال عادة إذا شجعتهم فأنسوا منك الارتياح إلى عبثهم ، حتى ضج صاحبى وضاق صدره ولم يعد يطيق هذا الخُلُقَ العظيم الذى حف بنا واندمج فينا وشاركنى وشاركته فى اللعب والضحك والجرى . فركبنا زورقاً صغيراً ؛ لكن هذا لم ينجه ولم يمنع أن أمضى فيما وطّنت النفس عليه فى ذلك اليوم ، فقد كانت هناك زوارق أخرى فصرت أدنو بالقارب منها حتى أحاذيها ، ثم أروح أعابث من فيها ، فنفد صبر صديقى وأمر النوتى أن ينأى بنا عن الخلق جميعاً فاستلقيت على ظهرى وأغمضت عينى وتظاهرت بالنوم

ولكنى لم أنم ، وإنما كنت أحدث نفسى وأسألها عن جدوى هذا الذى صنعت ؟ أتراه أنسانى شيئاً أو أذهلنى عما بى ؟؟ ولم يسعنى إلا أن أعترف بأن كل ما صنعت كان عبثاً . فقد كانت ذات الثوب الأرجوانى ماثلة أبداً أمام ناظرى لا تبرحه ولا تفتر صورتها التى تلازمنى ، وكنت أراها فى كل من أرى وما تأخذه

العين ، فأنا حين أنظر إلى واحدة من هاتين الفتاتين لا أراها وإنما أرى ذات الثوب الأرجواني ، ويفتنني منظر فأقول لمن معي : « أنظروا ... ما أبدع هذا » ويكون الذي يفتنني منه ذات الثوب الأرجواني التي تبدو لي في إطار من هذا المنظر . ولما ركبنا الزورق كان يخيل إليّ أنها سابحة في الماء كرائس البحر ، وما سمعت ضحكة ناعمة إلا قلت لنفسي لعل ضحكتها أرق وأسحر

وأعجب من هذا أني كنت أجدني وأنا أضاحك الناس وأحدثهم وألاعبهم وأسابقهم أفكر فيها وأسأل نفسي عنها — وكان حسبي ما أنا فيه مما يستغرق جهد النفس — وأقول — في سري وبيني وبين نفسي — هل أنت محبها ؟ ؟ أواثق أنت أن هذا هو الحب . . فتجيبني النفس أن نعم لا شك في ذلك ، فأكر عليها معترضاً على هذا التأكيد وأقول : ولكنك لا تعرفها.. لا تعرف حتى اسمها .. وما رأيتها إلا عن بعد فماذا تحب منها .. لا تستطيع أن تدعي أنك واجد فيها غير صورة جسمية هي التي تتراءى لك من هذا البعد . ولعلها لو دنت قليلاً لطالعك منها ما لا ترتاح اليه ، فالأرجح أنك تحب منها صورة ألفتها أنت من الألوان التي استعرتها منها . ولا شك أنك زدت هذه الألوان قوة وأضفت اليها من خيالك . ولو أنك كنت مصورا وحاولت أن ترسم لها صورة من ذاكرتك لما استطعت أن تثبت شيئاً من ملامحها ، ولجاء الرسم لمخلوق من مخلوقات خيالك أنت ، وإن كان لا يخلو من شبه بذات الثوب الأرجواني . ففي الصورة المادية — أو الجسمية — التي تبدو لك ليست ثابتة ولا مقررة في نفسك ، لأن الصور لا تثبت خطوطها وألوانها على مثل هذا البعد . ومن السهل أن تمّحي عليها وتمحوها صور أخرى تكون أثبت لأنها تكون أقرب فأقدر على التأثير وأنفذ بسبب القرب الى أعماق النفس والاستقرار فيها . ولو أن صورة ذات الثوب الأرجواني كانت عميقة الأثر في نفسك ومنقوشة بألوانها وخطوطها المميزة لها على صدرك ، أكنت تظن أن في وسعك أن تتسلى كما تتسلى الآن بهذه الفتاة أو تلك ممن تعرف ؟؟ أكان يمكن أن ترتاح الى وجود غيرها وإن كنت تزعم أنك تتسلى ؟ ؟ لا يا صاحبي !.. وحسبك أن تسأل نفسك بأي شيء تذكرها . . ماذا في نفسك منها غير صورتها في النافذة كما تستطيع أن تراها على بعد ثلاثين مترا ! ؟ لو كنت كلمتها !! لو كنت رأيت ابتسامتها ونظرة عينيها ومنطق وجهها وتعبير محياها ، وكيف تكون إذ ترق وتحنو ، وحين يسرها شيء ، وعند ما تبدو عليها اللهفة أو الجزع أو الاضطراب ، والزهد في شيء والرغبة في آخر ، وحينما تتدلل أو تسخو ، وإذ تضحك أو تتجهم !! لو كنت رأيت شيئاً من ذلك لأمكن أن تقول إنك عرفتها وأحببتها ، ولكان لحبك لها غذاء ومدد من ذكريات هذه الحالات المختلفة .. أما الآن فبماذا يتغذى حبك ؟ ؟ على أي شيء يعيش ؟ ؟ بأي شيء تذكرها إذا غابت عنك . . . بصورة هي أشد غموضاً من الرسم الفوتوغرافي وأخفى منه تعبيرا ؟ ؟ وهي مثلك ... أتزعم أنها توليك عناية واهتماما ، وأنها تفكر فيك ، وأنها لا تفتأ تنظر اليك ؟ فما يدريك أن هذا ليس من باب التطلع ومن قبيل الاستغراب أو اطاعة لرغبة نشأت في الوقوف على حالات غريبة تبدو من شخص يستحق عناية على كل حال لسبب من الأسباب التي تدعو الى العناية ؟ ؟ هبه ؟ ؟ وهبها — جدلا — أحبتك كما تظن أنك تحبها فان شأنها كشأنك ! . . ولعلكما لو تلاقيتما لكره كل منكما صاحبه ، أو نفر منه ، على الأقل ، أو إذا شئت ، لفتر ما يجده من الحب ، إذ كان لا أساس له إلا الصور الغامضة التي ينقصها البيان والتأثير الذاتي المباشر . . ويظهر أنها مثلك واسعة الخيال . . . وشبابها هو عذرها إذا جمح خيالها . فانها غريرة ساذجة لا تعرف الدنيا . وأكبر الظن أنها لم تجرب الحب فهي لهذا شديدة الحنين اليه . ولكن أنت ؟ . أنت ؟ . أنت المجرب الذي عرف المرأة ودرس وخبر كل ما يسع الرجل أن يخبر .. كيف يمكن أن تخدع نفسك وتغلط على هذا النحو في فهم شعورك ؟ إن هذا منك مضحك !

وقد اعترضت على نفسي ورأيت أن أسايرها إلى حيث تريد فاني أعرفها خبيثة شديدة المغالطة ، وقلت لها : « كيف تزعمين يا نفسي أن لا شيء عندي من الذكريات أغذي بها حبها ؟ ألم تسمعي صوتها في ضحكة فضية ؟ ( واها لهذا الرنين ) أليست تبدو — أكثر الوقت — في الثوب الأرجواني الذي تعرف أني أحبه ؟ أتسألين يا نفس كيف عرفت أني أحب هذا الثوب ؟ . قبحك الله ! . وما شأنك أنت ؟ . أعرف أنها تعرف والسلام ! وأنا على يقين من أنها تعرف . وبيني وبينها لغة لا تحتاج الى الكلام ولا الى النظر . . . لغة أفهمها وتفهمها وإن كان كلانا معرضاً عن صاحبه ، لأنها ذكية — مثلي ولا فخر — فهي تدرك أني حين أكف عن النظر اليها ، يلتفت قلبي إليها ، وإن كانت عيني قد تحولت عنها لسبب غير ارادة النفس وهوى الفؤاد .. ولا يخفى

عليها أنى حين أنظر الى ترام عابر أو سيارة تخطف فى الطريق أو زمرة مارة ، فانى إنما أفعل ذلك لأنى أخاف عليها الناس أن يلهجوا بنا . وليبقى حبى وحبها كنزاً لا يعرف سره غيرنا ، ولا يشاركنا فيه — بالعلم — ثالث . ولست أكلها — هذا صحيح — ولا أنا أشير اليها ، لأنى أعرف أنها تعرف أن الاشارة تحصيل حاصل . وماذا تأثون متراً بيننا ؟؟ إن قلبها كتاب مفتوح ؛ وهل تستطيع الزهرة الأرجة أن تكتم الشذى ؟؟ . نعم إنها حريصة كيسة ، ولكنى مع ذلك أعرف حين أراها مقطبة عابسة أن قلبها يضحك وإن كانت نظرتها صارمة الجد . . ولقد بدت منها إشارات تعمدت ألا أفهمها — لا لأنى لم أفهم بل لأنى خفت أن تكون قد صدرت عنها عفواً وعلى غير عمد ، فأكون قد تسرعت وأسأت التأويل . ولا أقول ما هذه الاشارات فانى حريص على الاستئثار بها والانفراد دون خلق الله بمعرفتها . وما أكثر ما أذكر من حالاتها حين تكون وحدها وحين يكون معها غيرها . . وهل أنسى أنها حين تغضب علىّ لبلادتى وبطء فهمى تذهب فتلبس ثوباً غير الأرجوانى ؟ ؟ هل أنسى كيف تلف على شعرها شريطاً وتترك خصله الوطفاء مرسلة على جانبى محياها الصابح يعبث بها النسيم فتهز رأسها لتردها وتضلع منها وتشوبها ؟؟ ؟ هل أنسى كيف تجلس وفى يدها الكتاب — على ركبتها — وظهرها إلىّ وهى مع ذلك ترانى وتعرف أنى ناظر إليها ومعجب بها ومتلهف على نظرة منها ؟؟ هل أنسى كيف تكايدنى وتهيجنى وتثير نفسى لتمتحن حبى وترى ما ذا يكون من أثر ذلك فى نفسى ؟؟ وما أعذب مكايدتها وأحلاها ! ! . وما أجهلها بى إذا كانت تظن أن شيئاً من ذلك يثيرنى ويغضبنى ! فانى فى وسعى — دائماً — أن أضع نفسى فى مكان الغير ، وأن أتصور ما يُعقَل أن يصدر عنه وأن أقدر البواعث على ما يبدر منه فاعذره فى الأغلب . . والحق أقول إنى أراها مقصرة فى مكايدتى لا مسرفة . ولا أنكر أنه يعز على أن تغيب عن عينى ، ولكنى أنا مضطر أن أغيب عنها وأنقطع عن النظر إليها ، وعزائى أنى لا أنعم بأكثر من مرآها وأنها لم تهبنى أكثر من منظرها من بعيد ، وأنها لم تولنى ما أتحسر على فقده إذا فقدته ؛ وما دام هذا هكذا فانى أستطيع أن أراها بعين الخيال كما أراها بعينى التى فى رأسى . ولو أنى كنت مكانها لعرفت كيف أكايدها ، فلتحمد الله الذى خلقنى رجلاً ولم يخلقنى امرأة .

ولو شئت لعذبتها ولكنى أوثر الترفق — بطبعى — وإن كنت لخبرتى بالطبيعة البشرية من أعرق الناس بوسائل التعذيب . وأنا أسأل نفسى دائماً « لماذا أعذبها وأنا أحبها ؟ » وبماذا تستحق التعذيب وهى لو وسعها أن ترضينى لأرضتنى ؟ لا شك فى ذلك ، وصحيح أنه يسعها أكثر مما تبدى ولكنى لا أحب أن أعجل باللوم . . ومن يدرى ؟ . لقد علمتنى حياتى أن اليأس سخافة ، وأن العجلة من الشيطان ، كما أقول لصديق ، وأن طول البال ينهل الأمل ، كما يقول المثل العامى ، وأن الغضب حماقة ، وأن العتاب عبث ، وهو فى النهاية يفتر الحب ، وأنا أحب هذه الارجوانية الثوب وأحب أن يطول حبها لى ، لأنى أعرف من نفسى أن حبى لا يفتر وإن كان فى وسعى — بفضل رياضتى لنفسى — أن أستر ناره بالرماد . كالذى أكايدها وسأصبر عليها وأملى لها وأمهلها لأرى ما يكون منها ولأختبر مبلغ حبها فانى على الرغم من الحب أوثر أن أقدّر لرجلى قبل الخطو موضعها . فاذا رأيت منها ما يطمئن خرجت عن هذا التحفظ الثقيل عليها وعلى أيضاً وإلا فانى قادر على خنق هذا الحب ولو كلفنى تقليع أحشائى من جذورها

فى هذا كنت أفكر ، وبهذا كنت أناجى نفسى ، وأنا ألاعب هذه الفتاة وتلك وأضاحكهما وأسابقهما وأسخط صديقى على بترك الاحتشام الذى ألفه منى حتى صار يستغرب منى الابتسام ، وليس أعجب من اشتغال النفس بأمرين فى وقت واحد . ولكنى لا أكتب مقالاً فى علم النفس وإنما أسوق حكاية وأصف حالة فيحسن أن أقتصر على ذلك

وقد عدت من القناطر بغير ما كنت أرجو أن أفوز به . نعم لهوت وضحكت وبدوت لمن لا يعرفنى كأسعد ما يكون إنسان . ومن ذا الذى يمكن أن يسمع ضحكتى ويرى وثبى وقفزى ويرتاب فى أنى سعيد موفق ؟ ؟ ولكن صديقى كان يعلم أن فى صدرى شيئاً أكتمه ، وأن ما أنطوى عليه ليس مما يهون حمله ، وإلا لما التمست التلهى ونشدت التعزى ، غير أنه كان على هذا يجهل — ومن أين يعرف ؟ — أن فى جوفى ناراً مضطرمة من القلق والشك والحيرة والاضطراب وقد خرجت من الحوار الذى دار بينى وبين نفسى بالشك وباعتقاد أنى جاهل ما فى ضمير الفؤاد — أو على الأقل أن الأمر فيه نظر كبير فالحق أن معرفة النفس أشق المعارف وأعسرها مطلباً . .

ابراهيم عبد القادر المازنى

# حلم الدولة اليهودية
## والوطن القومي اليهودي
### لمؤرخ كبير

مضى اليوم أكثر من شهرين منذ بدأت فلسطين ثورتها القومية المضطرمة ؛ وقد حسب الاستعمار يوم نشوبها أنه أمام حركة تذمر عادية يسهل قمعها بالوسائل المتعددة فاذا به أمام ثورة قومية عامة ، وعزم راسخ على النضال ، ومعركة حياة أو موت من شعب يؤثر السقوط في ميدان الكفاح الشريف ، على الاعدام البطيء المنظم

ولقد بسطت ( الرسالة ) قضية فلسطين في مقال سابق ، بين فيه كاتبه مبلغ ما ترزح تحته هذه الأمة الصغيرة الباسلة من صنوف الاستعباد المرهق ، السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، سواء من جانب السياسة البريطانية التي قضت باختيار فلسطين منزلاً للوطن القومي اليهودي أو من جانب الصهيونية التي تعمل لتوطيد دعائم هذا الوطن اليهودي بكل ما وسعت من وسائل الضغط المالي والثقافي متمتعة في جهودها برعاية السياسة البريطانية ومؤازرتها

وإذا كنا لانستطيع الآن أن نتنبأ عما تفيده السياسة البريطانية من هذا الدرس ، أو بما تزمع أن تتخذه من الخطط الجديدة في المستقبل نحو فلسطين ، فانا نستطيع من جهة أخرى أن نقول إن هذه الثورة المنينة التي قامت بها فلسطين سيكون لها أثرها العميق في صدع أركان الوطن القومي اليهودي ، وفي التدليل على ما في صياغته وتكوينه من أوجه الخيال والعوامل المصطنعة التي تتعارض مع الحقائق التاريخية والعملية

إن إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، هو الخطوة العملية الأولى في برنامج الصهيونية الحديثة ؛ وهو التمهيد لانشاء الدولة اليهودية التي هي غاية الصهيونية الحقيقية ؛ واليهودية تحلم بانشاء هذا الوطن القومي وتعمل له منذ أكثر من قرن ؛ ولكن برنامج اليهودية النهائي لانشاء الوطن القومي لم يوضع إلا في أواخر القرن الماضي ، حيث بدأ زعماء اليهودية يجمعون المال لانشاء المستعمرات في فلسطين ويبذلون جهودهم لدى الباب العالي . وحيث أذاع تيودور هرتسل ، رسول الصهيونية الحديثة وروحها المضطرم ، رسالته الشهيرة عن الدولة اليهودية : « Die Judenstaat » وهرتسل كاتب وصحفي يهودي نمسوي ، ظهر في أواخر القرن الماضي في ڤينا بكتاباته الملتهبة في سبيل القضية اليهودية ، فالفت صيحته أفقاً صالحاً لأن معظم الدول الأوربية كانت تجيش يومئذ بعوامل الخصومة السامية ، وتلقى اليهودية الاضطهاد المنظم في كل مكان . وفي كتاب « الدولة اليهودية » يعرض هرتسل فكرة الوطن القومي عرضاً قوياً ، ويرى أن يتخذ هذا الوطن صورة دولة يهودية في فلسطين تكون تحت سيادة الباب العالي ، وتؤدي له الجزية ، وتكون البقاع المقدسة منطقة مستقلة ذات نظام خاص ؛ فصادفت الدعوة نجاحاً عظيماً بين أقطاب اليهودية في أنحاء العالم كله ، وانتظمت الحركة تحت لواء هرتسل وزعامته . وفي أغسطس سنة ١٨٩٧ ، عقد مؤتمر يهودي عام في بازل (سويسرا) برياسة هرتسل ، ووضع فيه برنامج الصهيونية الرسمي ، وعرفت غاياتها ووسائلها على النحو الآتي :

« تسعى الصهيونية لتحقق للشعب اليهودي إنشاء وطن قومي في فلسطين يتمتع بالضمانات التي يقررها القانون العام ، ويرى المؤتمر أن يتذرع بالوسائل الآتية لتحقيق هذه الغاية :

(١) أن يشجع استعمار فلسطين بواسطة الزراع والعمال والصناع

(٢) ان ينظم العالم اليهودي باسره وان يحشد في الجماعات المحلية أو العامة طبقا لقوانين البلاد المختلفة

(٣) أن تقوى لدى اليهود عواطف الكرامة القومية والاعتزاز بالجنس

(٤) ان تبذل المساعي اللازمة للحصول على التصريحات الرسمية الضرورية لتحقيق غاية الصهيونية

هذا هو هيكل الصهيونية وبرنامجها العملي ؛ وقد تطورت ظروف العالم السياسية منذ عصر هرتسل ومؤتمر بازل ، واستطاعت الصهيونية بعد جهود ومحاولات عديدة أن تلقى فرصتها في الحرب الكبرى ، وان تظفر بتحقيق الشطر الأول من برنامجها بانشاء الوطن القومي في فلسطين ، ولكن لا تحت سيادة الباب العالي ، وانما تحت السيادة البريطانية ، وذلك بمقتضى عهد بلفور الذي قطعته الحكومة البريطانية على نفسها في نوفمبر سنة ١٩١٧

وقد مضى على قيام الوطن القومي اليهودي في فلسطين زهاء تسعة عشر عاماً ، وأصبح في ظل الانتداب البريطاني ، وطبقاً

لنصوص الانتداب ذاته ، من الوجهة الدولية ، نظاماً شرعياً معترفاً به من جميع الدول الكبرى ؛ وفى هذه الفترة بذلت اليهودية جهوداً جبارة لاقامة هذا الصرح القوى الذى تحلم به منذ الآماد ، فتدفقت الهجرة اليهودية إلى فلسطين حتى أصبح عدد اليهود فيها زهاء نصف مليون ، وأقيمت المستعمرات والمشاريع اليهودية الضخمة فى جميع انحاء البلاد ، وانشئت مدينة تل أبيب لتكون عاصمة الوطن الجديد ، وأقيمة جامعة عبرية لتعمل لأحياء التراث اليهودى الروحى والفكرى ؛ وعلى الجملة فقد استطاعت اليهودية أن تحقق فى فلسطين كثيراً من المظاهر المادية والاقتصادية والاجتماعية للوطن القومى اليهودى

ولكن هذه المظاهر على ضخامتها وقوتها تبدو اليوم ضئيلة واهنة أمام ثورة الشعب الذى يقام هذا الوطن فى أرضه ، وعلى أنقاض حقوقه وموارده ؛ فاليوم يهاجم الوطن اليهودى ، ويطعن من كل صوب ، وتقوض مستعمراته ومنشآته ، وتعطل جميع مرافقه ومصالحه ، وتشل جميع حركاته ومعاملاته ، ويكاد يغدو فى حالة حصار مطبق ؛ كل ذلك تحت بصر القوى الاستعمارية التى هرعت إلى فلسطين لحمايته . وقد شعرت الصهيونية من قبل غير مرة بخطر الفورات القومية الفلسطينية على صرحها ، ولكنها لم تكن تتصور أن الخطر قد يبلغ هذا المدى من الروعة ، أو أن هـذه الأمة العربية الصغيرة يمكن أن تضطلع بمثل هذا الكفاح الشاق الجلد ؛ وإذا لم يكن ثمـة ريب فى أن القوى الاستعمارية الغاشمة ستتغلب فى النهاية على الكفاح القوى الباسل ، فانه لا ريب أيضاً فى أن الوطن القوى اليهودى سيخرج من المعركة مثخناً بالجراح ، وقد وهنت قواه المادية والمعنوية ، وزادت شكوك الصهيونية وهواجسها نحو المستقبل الغامض

والواقع أن فكرة الوطن القوى اليهودى لم تكن بنت القرن التاسع عشر فقط ، ولكنها ترجع إلى أقدم العصور ؛ فذ حطمت مملكة أورشليم اليهودية منـذ نحو ألفى عام ، وشتت اليهود فى أنحاء الأرض ، تحلم اليهودية بالعود إلى أرض إسرائيل ؛ ومع أن الجماعات اليهودية قد استقرت فى الأراضى التى استوطنتها مدى القرون ، غير أنها لم تندمج قط فى الشعوب التى عاشت بين ظهرانيها ، ولبثت تكون دائماً مجتمعات مستقلة . وترجع اليهودية تلك الظاهرة إلى نظم الاضطهاد والعزلة التى كانت تفرض على اليهو د ، وحرمانهم من الحقوق السياسـية والمدنية طوال القرون ، حتى أنهم كانوا يرغمون على السكن والاحتشاد فى أماكن خاصة تسمى (الجيتو) . ولكن الحقيقة أن اليهودية هى التى اختارت لنفسها هذه العزلة ، وهذا الاستقلال الخالد عند الشعوب التى استقرت فيها . ذلك أن اليهودية كانت وما زالت تعتبر دائماً أن الدين هو جامعة الجنس بين اليهود ، وأن اليهودية هى ملاذ الشعب اليهودى أينما حل ، وبعبارة أخرى إن الدين والجنسية بالنسبة لليهود هما وحدة لاتتجزأ . وهذا هو الخطأ الخالد الذى وقعت فيه اليهودية ، والذى أثار عليها فى كل العصور ريب الشعوب وحقدها ، والذى هو فى الواقع أكبر عامل فى تحريك الخصومة السامية . وهذا هو الأساس الخاطئ الذى تبنى عليه فكرة الوطن القوى الذى يجتمع فيه اليهود من جميع الجنسيات واللغات

وقد فطن إلى هـذا الخطأ الذى هو عنوان التعصب الخالد بعض أقطاب اليهودية ، وحاولوا أن يدعوا إلى فصل الدين عن الجنسية ، وإلى تشبه اليهود بسائر الشعوب فى اعتبار الدين مسألة روحية محضة لا علاقة لها بالجنسية ؛ دعا إلى ذلك الفيلسوف الألمانى اليهودى موسى مندلزون فى القرن الثامن عشر ، ورأى أن تتخذ القومية اليهودية صبغة محلية ، فيغدو اليهود من أبناء البلد الذى استوطنوه مع احتفاظهم بتراثهم الروحى ؛ وآزر مندلزون فى هذه الدعوة بعض أكابر المفكرين الألمان من غير اليهود مثل الكاتب الشهير لسنج وغيره ؛ ولكن هذه القومية المعتدلة التى أملى بها جو التسامح الذى نعمت به اليهودية يومئذ لم تلق كبير تأييد ، ولم يطل أمدها ، واستمرت الفكرة الدينية القديمة على قوتها وحدتها

والوطن القوى اليهودى يقوم كما قدمنا على نفس هذا الأساس ، أى على جامعة الدين ؛ وهذه أكبر نقط الضعف المنوى فى بنائه ، فالقوميات والشعوب الحديثة لا تقام باسم الدين ؛ ولم يبق الدين فى بلد من بلاد العالم المتمدين أساساً للدولة ؛ ثم إن هذا الضعف المعنوى فى الوطن اليهودى يتخذ مظاهره المادية ، ففى فلسطين يجتمع الآن يهود من جميع الجنسيات والثقافات واللغات والنزعات السياسية ، ومن المحقق أن العمل الاجتماعى المتناسق بين هذه العقليات والبيئات المتباينة صعب التحقيق . والواقع أن معظم اليهود المهاجرين يفدون على فلسطين لبواعث اقتصادية قبل كل شئ ، ولكى يحققوا لأنفسهم بعض وسائل العيش التى يفتقدونها فى بلادهم الأصلية ؛ ومنهم من يفد فراراً من الاضطهاد الذى يفرض

# حادثة فلسـطين

للأستاذ علي الطنطاوي

... لئن كانت حادثة الحبشة فضيحة القرن العشرين ، فإن حادثة فلسطين – إن تمت – فضيحة الدهر ، وعار يلحق كل من يقول : أنا انسان ...

بيد أن الحبشة إن غلبت بملايينها وسلاحها وجيوشها ، فإن هذا الشعب الأعزل الذي لا يبلغ المليون الواحد لن يغلب على أرضه أبداً ، لأن وراءه سبعين مليوناً من العرب ، إن وراءه أربعمائة مليون من المسلمين ، إن وراءه ألف معركة منها أجنادين واليرموك وحطين ، إن وراءه القرآن الذي يقول عن اليهود : « وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ » صدق الله العظيم ؛ وكذبوا ... إن الذليل لا يعز ، والمسكين

لا يملك ، والمغضوب عليه لا يفلح أبداً !

* * *

إن حادثة فلسطين ، لو تدبرها العقل ، وفهمها على وجهها لما رآها إلا ... « جريمة » : أبطالها طائفة من اللصوص ، وشرذمة من الحرّاس ، لصوص يتسوّرون الدار ليطردوا صاحبها ، ويحتلوها ويشرّدوا أهلها ، وحراس يعينون اللص على المالك وينصرون على الحق الباطل ...

ولكنّ الجريمة لن تتمّ : إن الأسد في العرين ، وربّ الدار يعرف كيف يحمي الدار ... فيا أحفاد كعب بن الأشرف ، وسلاّم بن أبي الحقيق ، وعصماء وأبي عفك ، نحن أبناء محمد بن سلمة ، وعبدالله بن عتيك ، وعُمير بن عديّ ، وسالم بن عمير ... فاذا أغنى عن أجدادكم – إذا هم كانوا أجدادكم حقاً – إذا أغنى عنهم مالهم ، أو دفعت عنهم حصونهم ، أو نفعهم حلفاؤهم ، وما حزّبوا علينا من أحزاب ، أغنى ذلك عنكم :

« هوَ الذي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم من الله . فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهم بأيديهم وأيدي المؤمنين . فاعْتَبِرُوا يا أُولِي الأَبْصار »

* * *

ولئن اشتدت اليوم المصيبة وعظم الخطب ، فقد كانا يومئذ أشد وأعظم ، يوم قامت أوربة كلها على قدم وساق ، ثم سارت الينا بقضها وقضيضها ، يحدوها التعصب الأعمى ، وتسوقها عصا البغضاء والحقد والعداوة الدينية ، فأفسدت البلاد وعاثت في الحرم ، حتى إذا ظنت أنها قد ملكت وتمكنت ، وبنت فأسست ، وباضت وفرّخت ؛ جاءها رجل واحد فحطم جيوشها في حطين ، ثم ردّهم على أعقابهم خاسرين ، ثم أخرجهم منها مذءومين مدحورين

أفعيينا بأوربة كلها ، وعجزنا عنها حتى نعجز عن حفنة من شذّاذ الآفاق ونفايات الأمم وعباد الدرهم والدينار ؟ أم قد جفّ الدم الذي روّى عروق صلاح الدين ، وماتت الأمة التي

---

عليه ؛ وهنا نستطيع أن نقول إن الوطن القومي الحديث كان وليد الخصومة السامية ( حركة العداء ضد اليهود ) أكثر من أي عامل آخر ؛ وهذا أيضاً عامل مصطنع في بنائه ؛ وإذا كان الوطن القومي قد أحرز في فلسطين شيئاً من النجاح والتوسع من حيث الاحتشاد والاستثمار الاقتصادي ، فذلك يرجع قبل كل شيء إلى الأموال الطائلة التي تستثمرها الرأسمالية اليهودية ؛ والرأسمالية لا تعرف وطناً ولا ديناً ، ولا تعرف إلا الفوائد والمغانم المادية

والخلاصة أن الوطن القومي اليهودي يقوم على عوامل وأسس مصطنعة يكشف الزمن عن ضعفها شيئاً فشيئاً ؛ والزمن وحده كفيل بأن يبين لليهودية أن مشروع الوطن القومي والدولة اليهودية إنما هو حلم عظيم جاشت به أذهان بعض المتعصبين من أقطاب اليهودية ومفكريها ، وأنه لا يمكن أن يعتبر بوضعه الحاضر أكثر من مشروع اقتصادي تؤيده الحراب البريطانية ، فكل مايحرزه من نجاح أو يصيبه من فشل يرجع إلى قواعد الاقتصاد المادية دون غيرها ؛ وما جامعة الدين التي تستظل بها اليهودية ، إلا طلاء السياسة ، وهي أضعف من أن تقيم في عصرنا دولة أو وطنا

مؤرخ

أخرجته ، وعقمت النساء فلا يلدن شبيهه ؟ إن كل مسلم اليوم في فلسطين صلاحُ الدين ، وكل بقعة فيها حطين :

* * *

ضربت عليهم الذلة والمسكنة : فالذهب في صناديقهم والنظام جمياتهم ، والزيّ والخصب في أرضهم ، والسلاح في أيديهم ، والانكليز من ورائهم ، ثم لا يثبتون ساعة واحدة لهؤلاء العزل الفقراء . . . ولا يقدرون أن يقفوا في وجوههم ، ويرتجفون إذا سمعوا ذكر أسمائهم : « إذَا رأيتَهُمْ تُعجِبُكَ أجسامُهُمْ وإنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لقولِهِمْ كأنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كلَّ صَيْحَةٍ عليهمْ » أهؤلاء الذين لا يستطيعون أن يمشوا في الطرقات وحراب انكلترا تحميهم ، يستطيعون بعدُ أن يعتدوا على المسجد الأقصى وسادة فلسطين ، ويتملكوها — وحدهم — رغم أنف المسلمين أجمعين ؟ ولو نفخ عليهم المسلمون أربعمائة مليون نفخة لطيّروهم ، ولو مالوا عليهم لطحنوهم ، ولو بصقوا عليهم لأغرقوهم ، ولو صرخوا فيهم لقتلوهم ؟

أهؤلاء الذين ما عرفهم التاريخ إلا مغلوبين ، يتحرشون بمن لم يعرفهم التاريخ إلا غالبين منصورين ، ومن حكموا الدنيا فكانوا نعم الحاكمين ، وعلموا العالم فكانوا خير معلمين ؟

* * *

إن معهم وعداً ، وإن معنا لوعداً : معهم وعد بلفور . ومعنا وعد الله : « وَعَدَ اللهُ الذينَ آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليَسْتَخْلِفَنَّهُمْ في الأرضِ كما اسْتَخْلَفَ الذينَ من قبلِهِمْ ، ولَيُمَكِّنَنَّ لهمْ دينَهُمْ الذي ارتضى لهُمْ ، وليُبدلنَّهمْ من بعدِ خوْفِهِمْ أمنا »

ولكنّ الله يمتحن إيماننا وصبرنا واتحادنا وتعاوننا ، وينظر أنجاهد في سبيله بأموالنا وأنفسنا ، وننصر إخواننا ونكون في توادنا وتراحمنا كالجسد الواحد ، إذا تألم عضو منه تداعت له سائر الأعضاء بالحمّى والسهر ، أم قد فرقت بيننا السياسة ، وباعدت بيننا النعر ، ومزقتنا الأهواء والمطامع ، فأمسينا نتام في القاهرة ودمشق وبغداد على فرش الريش والديباج ، وإخواننا على شعفات جبال نابلس والقدس لا يغمض لهم جفن ، ونأكل الشواء والحلواء وإخواننا هناك قد لا يجدون ما يقوم بأودهم من الخبز ، ونبذر المال نقذف به إلى أوروبة ثمناً لهنات هينات ، فيصنعون منه مدافع تحصد إخواننا حصداً ، وبنادق تمزق صدورهم تمزيقاً ، وإخواننا لا يجدون ثمن الحاجات الضروريات ، ونلهو ونلعب آمنين مطمئنين ، وإخواننا في فلسطين قائمون على حد السيف ، بين النار والحديد ؟

فيا إخواننا في مصر والشام والعراق والحجاز والمغرب ، ويا إخواننا في الهند والصين وأينما بلغت مقالتي هذه . . .

إن الله جل وعز يقول : «وكان حقاً علينا نصر المؤمنين» فهل أنتم مؤمنون مسلمون بجوارحكم وقلوبكم ، مخلصون لله في أسراركم وأعلانكم ؟ أم أنتم مسلمون بالنسب والاسم وسجل الدولة ، لا تعرفون إلا أنفسكم ، ولا تبالون إلا بلذاتكم ، ولا تنظرون إلى أبعد من أنوفكم ؟

إذا كنتم مسلمين حقاً ، مؤمنين صدقاً ، تريدون أن ينصركم الله فانصروا فلسطين ما استطعتم ، انزعوا المال من أفواه عيالكم ، وأعناق بناتكم ، لتشتروا به حياة إخوانكم في فلسطين ، اسهروا الليالي تتسقطون أخبارها ، وتملون عليها ، أمسكوا عن لهوكم وأفراحكم فلا تفرج لكم سنّ حتى تنفرج أزمتها ، اجعلوا قضية فلسطين ، قضية كل واحد منكم . . .

أما أنتم يا إخواننا في فلسطين :

فاصبروا وصابروا « وَلا تَهِنوا وَلا تَحزَنوا وَأنتم الأعلَونَ إنْ كنتم مؤمنين . إنْ يَمْسَسْكم قَرْحٌ فقد مسّ القومَ قَرْحٌ مثلُه ، وَتلكَ الايّام نداولُها بَيْنَ الناس ، وَليَعْلَمَ اللهُ الذينَ آمَنوا وَيَتَّخِذَ منكم شُهَدَاء ، وَاللهُ لا يحبُّ الظالمين ، وَليمَحِّصَ الذين آمَنُوا وَيَمْحَقَ الكافرين . أمْ حَسِبْتُمْ أنْ تَدْخُلُوا الجنَّةَ وَلمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذينَ جاهَدُوا منكُمْ وَيَعلمَ الصابرين »

* * *

أما بعد ، فان حادثة فلسطين — ان هي تمّت — فضيحة الدهر ، وعار على الانسانية ... ولكنها لن تتمّ بحول الله وقوته ثم بقوة المسلمين . . .

علي الطنطاوي

# حماية الطالحين

## بحث علمي اجتماعي

للأستاذ اسماعيل مظهر

فى أواسط القرن التاسع عشر أصابت العلم هزة من تلك الهزات العنيفة التى تغير مجرى الفكر ، وتقلب آيات العلم بعد أن يخيل إلى الناس أن المعرفة قد قامت على قواعدها الرسيسة ، رأساً على عقب . فنى سنة ١٨٥٩ نشر العلامة شارلز روبرت دروين كتابه « أصل الأنواع » فأقام الحجة البالغة على أن الأنواع تنشأ فى الطبيعة بعضها منظور عن بعض على مر عصور متطاولة ، وأن نشوء الحياة من فوق الأرض موغل فى القدم

ولقد أقام دروين نظريته على ثلاث قواعد أولية ، هى التناحر على البقاء ، والانتخاب الطبيعى ، وبقاء الأصلح . أما التناحر على البقاء فاصطلاح مجازى يؤدى فى أوسع مدلولاته معنيين : فاما أنه يدل على العلاقة القائمة بين الأنواع الحية العائشة فى بيئة ما ، إذا ما اتجهت الأسباب العاملة على بقاء نوع إلى إبادة آخر أو إفنائه ، وإما أنه يدل على الجهد الذى يبذله الأحياء فى سبيل الحصول على مقومات الحياة ، كمقاومة العوامل والمؤثرات الفنية للأفراد أو المبيدة للأنواع . أما الانتخاب الطبيعى فحصله أنه يبقى من أفراد الأنواع أو السلالات أقدرها على الحياة فى بيئة ما وأن تفنى غير القادرة منها على البقاء . ولما كانت القدرة على البقاء وتخليف المثل ، انما ترجع إلى صفات حيوية تتأصل فى الأحياء ، نشأ بالانتخاب الطبيعى تدريجياً على مر الأزمان سلالات وأنواع جديدة ممتازة بصفات معينة ثابتة . وقصد باصطلاح بقاء الأصلح أن الأحياء تتكاثر بنسبة رياضية . أى بنسبة ٢ : ٤ : ٨ : ١٦ وهكذا ؛ فاذا لم يهلك معظم نتاجها بعوارض طبيعية ضاقت الأرض عن أن تسع الأحياء . ولذا لا يبقى من الأحياء إلا أصلحها أو أقدرها على البقاء ومقاومة العوارض . وما « بقاء الأصلح » فى الواقع إلا اصطلاح يراد به إيضاح عمل الانتخاب الطبيعى المقتضى أن الأحياء التى هى أكثر صلاحية للبقاء فى بيئة طبيعية تظل حية لتنتج أمثالها ، فى حين يفنى غير الصالح منها

على هذه القواعد الثلاث شرع دروين مذهبه الذى غير اتجاه العلم الطبيعى برمته فى أواسط القرن الماضى . أما الذين اكبوا على دراسة الاجتماعيات فقد تساءلوا : إذا كانت سنة الطبيعة الثابتة تقضى ، لخير النوع وبقائه واحتفاظه بمستوى خاص من الحيوية والقدرة على مجالدة الأعاصير والأعداء ، بأن يفنى الطالح من نتاجه وألا يبقى إلا الصالح ، فان المدنية الحديثة بما تحوط به الطالحين من أسباب الحماية من الهلاك والفناء ، إنما تقاوم سنة الطبيعة الثابتة ، تلك السنة التى تقضى بأحد أمرين : فاما هلاك يصيب الطالحين ليفوز الصالحون بتخليف النسل فيحتفظ النوع بحيويته وبمثله العليا من حيث القوة والجهد ، وإما فساد يصيب طبيعة النوع بالابقاء على الطالحين الذين يورثونه كل الصفات التى يدركها الاحيائيون بين الأطلح والأصلح

ولنضرب لذلك مثلاً نقتطعه من حالاتنا الاجتماعية . فلقد استطاع الفلاح المصرى أن يقاوم ثلاثة أشياء ، تسلط واحد منها على شعب غلت يد الطبيعة عن تزويده بمزايا الانتخاب الطبيعى ، كافية للقضاء عليه : فساد الحكومات ، والأمراض ، والحروب . فلقد توالت على هذا الفلاح دورات من استبداد الحكومات منذ عهد الفراعنة إلى الآن ، لا يروى تاريخ أية أمة من الأمم لها شبهاً . وازدياد عدد السكان فى مصر الى عشرين مليوناً فى عصر من العصور الى ثلاثة ملايين فى عصر محمد على ، دليل قاطع على عظم ما عانى هذا الشعب من عوامل الافناء ، وبرهان على ما فيه من حيوية استمدها من البيئة الطبيعية ومن حالاته الماشية التى ظلت متروكة لحكم الطبيعة فيه الآلاف من السنين . وليس لى هنا أن أتكلم فى الأمراض التى سكنت جسم هذا الفلاح منذ أقدم العصور وأخصها ( البلهارسيا ) وقد استدل على وجودها بالموميات المحنطة من أقدم العصور : أما الحروب فيكفى أن تعرف أن الجيش المصرى حارب فى خمس وأربعين وقعة تحت لواء قائدنا العظيم ابراهيم وحده فى فترة لا تزيد على ثلاثين عاماً . فما بالك بالعصور التى هدمت فيها الامبراطورية المصرية ثم بنيت على أكتاف هذا الفلاح منذ ستة آلاف خلون من الأعوام ؟

هذه الظاهرة تحملنا على أن نتساءل ما هو السر الذى جعل

هذا الفلاح على ما فى أسباب حياته من عوامل الافناء يصمد لعوادى الدهر والطبيعة فلا ينقرض ولا يبيد ، بل تراه اليوم وقد خرج من معارك التناحر على البقاء منصوراً ، وعلى ضفاف نيله المقدس سبعة عشر مليوناً يفلحون أرض مصر ويتطلعون الى أسمى المثل التى أوجدها التصور الديمقراطى الحديث ؟

قد يتفق أن يقول بعض الذين لا يقوون على وصل أسلوب التفكير العلمى بأسلوب التفكير الاستقرائى إن ذلك راجع الى صفات خص بها الشعب المصرى دون غيره من شعوب الأرض التى عاصرته . وقد يكون فى هذا الكلام بعض الحق ، فان للصفات الخلقية التى تتصف بها بعض الشعوب أثراً فى ذلك . ولكن إذا نظرنا فى الأمر من الوجهة الطبيعية الصرف ألفينا أن السبب راجع الى أن هذا الشعب قد ترك للطبيعة معرضاً لعواملها خاضعاً لقوانينها الحديدية منذ أبعد العصور . وظلت الطبيعة تتولى إنساله بالانتخاب الطبيعى فتفنى غير القادر منها على البقاء ، وتبقى فى خليها الصالحين للبقاء ، فاستطاعت بذلك أن تحفظ على هذا الشعب قدراً من الحيوية ظل ثابتاً على مدار العصور . وقد ترى هذا الفلاح اليوم بسحنته السفعاء وجسمه النحاسى ، فما تقرأ فيه من آية إلا آية الطبيعة خطت على ملامحه المادية ؛ أما وداعة أخلاقه وصبره واحتماله وحدة نظراته وذكائه الموروث ، فتحملك لأول وهلة إذا ما نظرت اليه أن تقول : هو ذا ابن من أبناء الطبيعة لم يدخل فى فطرته بعد شىء من تزوير المدنية

ولا شك عندى فى أن تزوير المدنية لابد من أن يدرك فلاحنا بعد عهد قصير . فقد علت الصيحة فى هذا العصر بوجوب النظر فى ترقية الفلاح اجتماعياً . أما إذا كان الذين يصيحون هذه الصيحة لا يقصدون بها إلا أن يخرج الفلاح من تلك البيئة التى نشأ فيها الى بيئة مزورة ندعوها المدنية ، بأن نغل يد الطبيعة عن أن تدرك منه أغراضها الانتخابية ، وأن نعمل على حماية أولئك الذين كتبت عليهم الطبيعة آية الفناء بأسباب اصطناعية ، فان ذلك سوف يكون أول عهد الفلاح بفقدانه الحيوية التى استمدها من الطبيعة على مدار العصور وعلى تتالى الأحقاب . ولم أدرس بعد كيف نستطيع أن نحمى فلاحنا من مفاسد المدنية التى تقضى بإبعاده عن حكم الطبيعة فيه ، وإنما أقول إن كل اصلاح اجتماعى لا يعوض على الفلاح ما سوف يسلب من فعل الطبيعة ، اصلاح هو الى الفساد أقرب شىء

ولقد بحث هذا الشكل الاجتماعى فحول من معاصرى الاجتماعيين . وركز بحوثهم فئة من كبار الاخصائيين فى أوروبا وأمريكا ، ولقد بان لهم بأجلى دليل أن الحماية المصطنعة التى حد بها العلم من فعل الطبيعة فى الطالحين ، أى غير القادرين على البقاء فى البيئة الطبيعية ، لولا تلك الحماية ، سبب من أكبر الأسباب التى ولدت ما يظهر على أكثر شعوب الأرض من مظاهر الهرم والضعف الحيوى ، حتى لقد لجأت ألمانيا وغيرها من ولايات أمريكا المتحدة والجزر البريطانية التى تعقر طبقات خاصة من المجرمين والمعتوهين والفاسدين توصلا الى طريقة عملية يعوضون بها على الأحياء شيئاً مما فقدت بالحماية المصطنعة من فعل الطبيعة والخضوع لسننها الثابتة

من هذه البحوث بحث ألقاه لورد « دوصن Dawzan » فى الجمعية الطبية بمدينة يورك نشر بعنوان « الطب والتقدم الاجتماعى » تساءل فيه عما إذا كانت النزعة التى تنزع بنا الى حماية كل الأطفال الذين يولدون من قضاء الطبيعة فيهم ، مهما كانوا طالحين غير قادرين على البقاء بغير حماية فعلية ، أمراً مناقضاً لما تنشد من ارتقاء السلالات البشرية وخيرها فى مستقبل العصور . ففى خلال ستين عاما انخفضت نسبة الوفيات بين الأطفال من ١٥٦ فى الألف الى ٦٠ فى الألف ، ونزلت فى الأطفال الذين هم فوق الخامسة من ٦٨ الى ١٨ فى الألف ، وزاد عدد السكان فى خلال هذه ( الفترة ١٨٧٠ – ١٩٣٤ ) خمسين فى المائة عما كان قبلا

على أننا نستطيع أن ندرس الظواهر التى تنشأ عن مثل هذه الحالات ، إذا رجعنا الى أنواع أخرى تعايشنا فى الطبيعة . فقد نرى أن الأنواع الأخرى ، غير النوع البشرى ، وغير الأنواع الداجنة التى يكثرها الانسان لأغراض له فيها ، تحتفظ بنسبة ثابتة فى الأعقاب ، أى فى تخليف النسل ، وأنه كلما أخذت نسبتها فى الزيادة العددية سلطت عليها الطبيعة عوامل تردها الى النسبة التى لا تسمح بأكثر منها ، فقد لحظ أن ازدياد عدد نوع من الأنواع يصحبه دائما ظهور أمرين : إما زيادة فى عدد الأنواع المفترسة ،

وإما ازدياد فى الأمراض . وفى هـذه الحالة لا يبقى من أفراد الأنواع إلا أقدرها على البقاء وأصلحها لأعقاب نسل يرث ما فيها من صفات تمكن النوع من الاحتفاظ بذاته ، فاذا صدت الطبيعة عن أن تقضى فى نوع بحكمها هذا ، ترتب على هذا انحطاط يظهر فى أعقاب هذا النوع

والمثل على هذا عديدة ، نقتصر على ذكر مثالين منها ، فقد حدث أن حاول أهل سويسرا أن يحموا نسل حيوان يكثر فى جبالهم يدعى (الشموا) Chamois وهو فصيلة من الانعاميات Ungulata لها قيمة تجارية ، فأسروا عدداً منه فى داخل مكان متسع أحيط بكل أنواع الحماية ، وبخاصة من الذئاب التى هى أنكى أعداء هذا الحيوان . فكانت النتيجة المحتومة أن ظهر فى هذا النسل المأسور صفات انحطاطية بينة ، وكثر فيه عدد الأفراد الهزولة الضعيفة ، وبدت عليه كل علامات الانحلال الحيوى ، حتى اضطر المربون فى النهاية أن يدخلوا إلى مكان الأسر عدداً محدوداً من الذئاب المفترسة ، فوجدت هـذه الذئاب فى الأفراد النحطة فرائس يسهل اقتناصها ؛ وبعـد قليل استعادت البقية الباقية كل الصفات المثالية التى يمتاز بها النوع فى مراتيه الطبيعية

أما فى زيلاندا الجديدة فقد تكررت هذه الظاهرة بينها ، والمعروف أن هذه الجزر من أمثل بقاع الأرض مناخاً وطبيعة لتربية الأنعام خاصة ، وذوات الثدى عامة ، ذلك بأنها خالية من الحيوانات المفترسة خلواً تاماً . فلما أن استوطنها الايقوسيون حسن لديهم أن يدخلوا إليها عدداً من الغزال الأحمر الذى يعيش فى جبالهم العليا ، فكانت لهذا الحيوان أمثل بيئة ، فتكاثر وا كثيراً ، ولكن بان لهم بعد قليل من الزمن أن النوع الذى جلب من أثيوبيا مملوء حيوية ، محتفظ بأسمى الصفات التى يتسم بها فى مراتيه ، قد ظهرت بينه أنواع انحرفت عن صفات النوع المثالية . فكانت أضعف بنية وأقل مقدرة على العـدو ، وقد شوه منظرها الخارجى بصفات لم يكن لها من وجود فى أسلافها ، أما الدواء فكان إدخال عدد من الذئاب المفترسة القوية إلى الجزر ، كانت عدة الطبيعة فى القضاء على الطالحين من نسل هذا الحيوان ، فاستردت البقية الصالحة ، بعد فناء غيرها ، كل الصفات الحيوية التى يتصف بها النوع فى مراتيه

أمام هذه الحقائق أخذ المصلحون يفكرون فى تلك الوسائل التى يحاول بها دعاة المدنيـة والانسانية أن يصلوا من طريقها إلى حماية كل الأطفال الذين يولدون ، أليس فى الافراط فى اللجوء إلى هذه الوسائل معاندة للطبيعة بأن نكثر من نسل أناس يتصفون بالضعف الأدبى والعقلى والطبيعى ؟ مثلنا فى ذلك مثل أولئك الذين أرادوا أن يغالبوا الطبيعة فى تربية الشموا والغزال الأحمر ؟

وحجة الذين يميلون إلى الأخذ بالميول الانسانية فى مثل هذه البحوث العلمية ، أن نسبة الزيادة فى عدد السكان آخذة فى التناقص شيئاً بعد شىء ، وقد تقف عند حد خاص بعد زمن وجيز ؛ فلا سبب إذن للانزعاج والتشاؤم ؛ غير أن هؤلاء لغاب تغيب عنهم حقيقة رئيسية ، هى أن نسبة زيادة عدد السكان إن كانت قد أخذت فى النقص ، فانه نقص معكوس الآية ، ففى منتصف القرن التاسع عشر كان التجار وأصحاب الحرف الفنية من ذوى الأسر العديدة الأفراد ، فى حين أن كبر أسرات رجال الدين كان مضرب المثل ، فاذا وعينا أن متوسط عدد أفراد الأسرة فى أمة تريد الاحتفاظ بكيانها لا ينبغى أن يقل عن أربعة أنفس ، ذاكرين أن هنالك أسراً قد تظل عقيما ، وأخرى تصاب بالثكل ، وعلمنا أن عدد الأسرة فى طبقتى الأطباء ورجال الدين لا يزيد عن اثنين ، علمنا أن اطراد النقص فى عدد السكان انما هو اطراد عكسى . ذلك بأن هذه النسبة تقيد الطبيعة من ناحيتين : الأولى اعقاب النسل بالنسبة الطبيعية ؛ والثانية عدم تزويد الطبيعة بمادة للانتخاب ، اذ تغربل الناتج لتبقى على الأصلح

هذه هى الحالات التى يقع تحت سلطانها انسان القرن العشرين ، فهل من سبيل إلى اتقائها ؟ يقول لورد « دوصن » إن اتقاءها مرهون على شرطين : الأول نشر المعلومات التى تتعلق بضبط النسل : والثانى التعقير الاختيارى . أما الشرط الأول ، وهو شرط قد تحقق منه شطر عظيم بذيوع الوسائل التى تضبط النسل ، فان عليه اعتراضاً ذا خطر عظيم ، هو أن الذين يجنحون إلى ضبط النسل إنما هم أولئك الذين تعتبرهم زهرة المجتمع الانسانى من أصحاب العقول الراجحة والمزايا الفذة ، فى حين أن غيرهم من الطبقات الدنيا والطالحين يتناسلون جهد ما تبلغ استطاعتهم . وفى ذلك مشكل هو بذاته أنكى من حماية غير القادرين على البقاء بالطرق الاصطناعية . فان قلة نسل الأولين وازدياد نسل الآخرين مفسدة سوف تسرع بيعض الجماعات إلى درجـة من الانحطاط

# قصة المكروب

## كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكى

## الحصانة واليهودى الأفاق

— ٢ —

كانت كشوف بستور وكوخ قد شاعت فى الناس فثاروا لها جنوناً ، فكان لا هم لهم الا بها ، ولا حديث الا فيها ، فلما جاء عام ١٨٨٣ انقلب متشنيكوف من باحث طبيعى Naturalist الى صائد مكروب ؛ وكان قد خاصم رجال السلطة فى جامعة أودسّا ، فترك الجامعة وذهب الى جزيرة صقلية ، وصحب معه زوجته أُلجا وإخوتها ؛ فلما حلوا جميعاً بها اتخذوا لأنفسهم فيها منزلاً صغيراً ذا طابق واحد يطل على المياه اللازوردية لشاطىء كلَبرية [1] ، وفى حجرة الجلوس هيأ متشنيكوف لنفسه معملاً مرتجلاً . وأوحت اليه نفسه بأن الشىء الرائج عندئذ فى العلوم هو علم المكروب ، فأخذ يحلم الأحلام ويأمل الآمال عن كشوف خطيرة لمكروبات جديدة يكتشفها ، وكان يلذ له العمل أيضاً فيها لذة صدق ؛ ولكنه لم يكن يدرى من طرائقها الخدّاعة شيئاً ، بل قل انه لم يكن رأى مكروبة واحدة ؛ وطال تجواله فى حجرة الجلوس هذه يشرح لألجا نظريات علم الحياة تارة ، أو هو يدرس نجوم البحر [1] Starfish وأسفنجياته تارة ، أو هو يحكى الحكايات لأخوة ألجا واخواتها ، واختصاراً كان يفعل كل شىء لا يمتُّ بصلة الى تلك الأبحاث المجيدة التى قام بها كوخ وبستور

وذات يوم أخذ يدرس كيف تهضم الأسفنجيات ونجوم البحر أطعمتها ، وكان قبل ذلك عثر فى داخل هذه الأحياء على خلايا غريبة هى بعض أجسام هذه الأحياء ، ولكنها مع ذلك تدور فيها دوران الحر الطليق ، وكانت هذه الخلايا الأفاقة التائهة تسبح فى مجاريها كما تسبح الخلايا الأشهر المعروفة بالأميبا Amoepa تضرب ببعض جسمها الرخو قُدُماً فى سائل الجسم ، فاذا برز منه ما يشبه اللسان جرّ ما تخلف من الجسم وراءه .

وجلس متشنيكوف من بيته فى غرفة الجلوس ، وقعد إلى النضدة وجاء بيرقات [2] من نجوم البحر ، وأدخل فى أجسامها شيئاً من صبغة الكرمين Carmine [3] ، وجاهد فى ادخالها جهاد الرجل الذى لا تستطيع يداه مجاراة عقله ، وضاق بهذه التجربة صدره للذى عانته أصابعه الثقيلة فى إجرائها ؛ وكانت تلك فكرة بارعة من بنات أفكاره الحسان ، لأن هذا العَلَق شفاف كالزجاج ، فكان فى استطاعة صاحبنا أن يتتبع بعدسته مايجرى فيه ؛ ونظر فوجد تلك الخلايا الأفاقة الطليقة تسبح إلى حبّات صبغته ، فاذا بلغتها التهمتها التهاماً ، ففرح وطَرِب ، وخال متشنيكوف الى تلك الساعة أنه يدرس كيف يهضم نجم البحر طعامه ؛ ولكن طافت فى حواشى فكره أشباح من افكار جديدة يتضاءل الى جانبها موضوع الهضم تضاؤلاً كبيراً ، أفكار رائعة مبهمة لا تتصل بمبحث الهضم من قريب أو بعيد

وفى الغد ذهبت أُولجا بالأطفال إلى السيرك circnus يشهدون ألعاب قردة بارعة التمثيل ؛ وبقى متشنيكوف حيث هو من غرفة الجلوس وعلى وجهه لحية كلحية القديسين ؛ وقد أخذ يشدّ شعرأتها شدا ؛ وقد أخذ ينظر الى نجم البحر فى مائه بوعائه . ولكن لا يرى منه شيئاً . وفى ساعة قصيرة جرى له مثل الذى جرى للقديس بولس وهو فى طريقه الى دمشق لما شعّ فى وجهه ذلك النور الباغت فأعماه . نعم فى ساعة قليلة ،

(١) المقاطعة الايطالية السفلى التى فى مقابلة مسينا

(١) نوع من السمك ذو جسم فيه رخاوة تشع منه أذرع كالمثلثات ، عدده فى الأغلب خمسة فصورته كالصورة التقليدية للنجم

(٢) صغار السمك قبل أن يتم خلقه

(٣) صبغ أحمر

---

يخشاها المصلحون ، أما التعقير الاختيارى فلا يعقل أن يكون دواء ناجعاً . ذلك بأن التعقير تشويه طبيعى لا يرضى به إلا اقلية من الناس لا يعتد بهم إذا قيسوا الى مجموع الأمة

ولست أرى أن فى هذين الأمرين منجى من الأخطار التى تحيق بالجماعات فى هذا الزمان ، ولا بد للمفكرين الذين يرغبون فى خير الانسانية ، ويودون أن يحتفظ النوع الانسانى بصفاته الرئيسية ، أن يقعوا على علاجات أخرى تكون ناجعة فى التعويض عن فعل الطبيعة فى الانتخاب مع فرض الحماية على المواليد أيا كانوا ومن أى طابع خرجوا الى هذه الدنيا

اسماعيل مظهر

في دقيقة قصيرة ، في ومضة برق ، أو لحظة عين نزل الوحى على متشنيكوف فتغيّر بغتة مجرى حياته

« إن هذه الخلايا الأفّاقة التوّاهة في أجسام نجوم البحر تأكل الطعام وتلتهم حبّات الصبغة — إذن هي لابد تأكل المكروبات أيضاً . وفي أجسامنا نحن ، في دمائنا نحن ، لابد أن كراتنا البيضاء هي التي تلتهم الجراثيم فتحمينا من غوازيها .. إن هذه الكرات البيضاء هي سبب حصانتنا من العدوى . . . إنها هي هي التي تقي الجنس البشريّ من فناء سريع تحمله اليه أجناس البشلاّت »

وهكذا ، وبدون أي دليل ، وبدون محاولة أي تجربة ، قفز متشنيكوف هذه القفزة الكبرى من هضم نجم البحر الى أدواء الانسان

كتب في مذكراته : « وبغتةً وجدت نفسي قد انقلبتُ عالمَ أمراض Pathologist . وهذا انقلاب كبير لا يَعْدِلهُ إلاّ انقلاب زمّار الى فلكيّ » . وكتب « وأحسست أن هذه الفكرة ستتمخض عن أمر كبير الخطورة ، فاضطربت نفسي واهتاجت فأخذت أغدو في الغرفة وأروح حتى ذهبت الى شاطىء البحر أستجمع فكري » . وكتب : « وقلت لنفسي لو صحّت هذه النظرية إذن لتوقعت إذا أنا أدخلت فلقة خشب في نجم البحر أن تتجمع هذه الخلايا الأفّاقة حول الفلقة دفعاً للسوء الطارىء . » وذكر بهذا أن الرجل تدخل في إصبعه الشوكة فينسى أن ينتزعها فلا تلبث أن تتجمع حولها المِدّة والقيح وما هما الا طوائف من الخلايا البيضاء التي تطوف في دم الانسان . ذكر هذا بهذا فهرول إلى الحديقة التي وراء بيته ، الى شجيرة ورد كان ذوقها وزخرفها من أجل إخوة أولجا ليحتفلوا بها في عيد الميلاد ، وانتزع منها بعض شوكها ، وعاد بالشوكات الى معمله ، وما هو بالمعمل ، وشكها جميعاً في جسم أحد نجوم البحر وكان شفافاً كالماء

وما طلع فجر الغد حتى استيقظ وقد امتلأ قلبه بكل أمل بعيد ، ولم يتمهل بعد يقظته طويلاً حتى عرف أن ظنه أصاب ، وأن خيال الأمس أصبح حقيقة اليوم . نظر الى شوكات الورد فوجد طوائف عدة من تلك الخلايا الأفاقة التائهة قد ازدحمت حولها وأخذت تتماوج في كثرتها وبطء حركتها . وكان فيما رأى الكفاية لاقناعه بأنه وجد تفسيراً للحصانة من جميع الأمراض ، وعادته في الطفرة الى الاستنتاجات السريعة معروفة مشهورة .

وخرج في هذا الصباح يخبر مشاهير أساتذة أوروبا بالذى وجده ، وكانوا اجتمعوا اتفاقاً بمدينة مسينا Messeina على القرب منه ، وقال لهم : « هذا هو السبب الذى من أجله يصمد الانسان لغائلة المكروبات » . وانطلق لسانه حديداً فصيحاً يشرح لهم كيف حاولت خلاياه التواهة أن تأكل الشوك أكلا لمّا ، واستطاع أن يريهم تلك التجربة الجلية مصداقاً لدعواه فصدقه العلماء ، حتى ذلك العالم الجليل المخوف الأستاذ الدكتور فرشو Virchow آمن به وقد كان سخر بكوخ Koch لما أتاه (١)

ومن هذا اليوم دخل متشنيكوف في زمرة صُيّاد المكروب

— ٣ —

ثم ترك أنجا والأطفال وراءه يعيشون وخدمهم على قدر ما يستطيعون ، وذهب الى فينّا Vienna ليعلنَ من فوق منبرها أن الانسان حصين من الجراثيم لأن بدمه كريات بيضاء تائهة عملها بلعُ هذه الجراثيم . وذهب توّاً الى معمل صديقه القديم الأستاذ كلاوس Claus ، وكان عالم حيوان ، وكان يجهل من أمر المكروب بقدر ما جهل متشنيكوف ، كذلك أعجب بالذى سمعه وقال لصديقه الضيف : « انه ليسرني ويشرفني كثيراً أن تنشر نظريتك في مجلتي » .

فقال متشنيكوف : « ولكن لا بد لي من اسم علمي لهذه الخلايا التي تلتقم المكروبات ، أعني اسماً إغريقياً ، فأي الأسماء تقترح ؟ »

فرفع الأستاذ يده الى رأسه يحكّها ، وحكّ الجهابذة العلماء رؤوسهم معه ، ونظروا المعاجم ثم أخبروه أخيراً : « ان الكلمة المُثلى هي فجوسة Phagocyte ، ومعناها بالاغريقية الخلية الملتهمة فهي اذن ضالّتك التي تنشُد »

فشكرهم متشنيكوف ، وأخذ هذه الكلمة وعلقها في أعلى ساريته ، ثم حل القلاع وبخر بسفينه بحار حياته المضطربة ، وهذه الكلمة دينه ، وبهذه الكلمة يفسر كل شيء ، وهي صرخته في حربه وفي سلمه ، وهي أداة عيشه وآلة رزقه . وصدّقني أو كذّب لقد كان لهذه الكلمة نصيب كبير في حفزنا إلى دراسة ما هي الحصانة . ومن هذه الساعة أخذ متشنيكوف يبشر بالفجوسات ويذيع من أمرها كل جميل ، ويدفع عنها مقالة السوء ، وأجرى

(١) راجع ترجمة كوخ

عليها أيماناً لها خطرها ، وعادى في سبيلها ، ولا شك أنه بذلك أدّى نصيبه في إحداث الحرب العالمية الكبرى حرب عام ١٩١٤ بما عكّرت جلاله الشديدة ما بين فرنسا وألمانيا من مودة لم تكن كثيرة الصفاء أبداً .

وذهب من فينا إلى أودسا ، وهناك ألقى خطاباً عظيماً في « القوّات العلاجية للكائن الحى » ، فدهش أطباء هذا البلد مما قال وأعجبوا به إعجاباً كبيراً ، فقد كان القاؤه غاية في الابداع ، وحرارة قلبه لا تدع للسامع شكا في إخلاصه ، ولكن لا يوجد في السجلات ما يفهم منه المطالع أنه أخبر جمهرة الأطباء بهذا البلد أنه لم يكن رأى إلى هذا العهد كرة دموية بيضاء واحدة تلتهم مكروبة واحدة من مكروبات الوباء . إن الناس جميعاً ومنهم الأطباء العلماء لا تقع أبصارهم على كائنين يتشاجران حتى تستوقفهم تلك الحرب الصغيرة فيتجمعون حولها إرواء للطبيعة وانتظاراً لمن تكون له الغلبة ، وكذلك كان الحال في أمر متشنيكوف فإن حكاية تلك الحروب الطاحنة الدائمة المتواصلة بين الفجوسات الجريئة الباسلة ، وهى تنهض إلى الثغور تدفع غزوة تلك المكروبات العادية القاتلة ، تلك الحكاية أثارت شوق الناس فأرهفت آذانهم لاستماع ، وفتحت قلوبهم لاقتناع .

ولكن متشنيكوف عرف أنه لا بد له من البحث عن حقائق ذات بال تقوم دليلاً على الذى يقول ؛ ولم يطل به الزمن حتى وجدها بيّنة كالشمس رائقة كالبلور ، وذلك في براغيث الماء[1] . ومضت عليه فترة من الزمن نسى فيها الخطابة ، وعكف فيها على صيد هذه البراغيث من البرك ومرابى الأسماك . وكان اختيارا عبقرياً أوحى اليه به لا شك شيطانه ، فهذه البراغيث كانت كمَلَق نجوم البخر شفافة ، فاستطاع بعدسته أن يرى ما يجرى في داخلها ، وأخذ يبحث في جَلَد شديد عن داء يكون في هذه البراغيث ، وجاءه صبر نادر على غير انتظار ، فعمل طويلاً ، وبحث كما يبحث البحّاثة القحّ وقليلا ما كانه

لعلك أيها القارئ أدركت من تاريخ المكروبات هذا أن الباحث كثيراً ما يعتزم البحث عن شىء فيبدأ بحثه فلا يلبث به طويلا حتى تقوده الطريق إلى أمور غير التى طلبها أولاً ؛ على أن هذا لم يكن من قِسمة صاحبنا ؛ فانه أخذ يرقب هذه البراغيث تضرب في حياتها العادية ضرباً غير ذى غاية ولا نهاية . فلم يلبث أن رآها من خَلَل عدسته تبتلع بزور حمائر فيها خطر على حياتها . وكانت بزوراً حادة كالإبر . فلما بلغت إلى ما يشبه المعدة من البرغوث نفذت فيه وأخذت تسير انزلاقا في جسمه . هنا رأى متشنيكوف ما خصّته الأقدار برؤيته . هنا نظر ما أتحفته الحظوظ الطيبة بنظرته : سارت خلايا البرغوث الأفّاقة التوّاهة : تلك الفَجُوسات التى تقى الجسم شرّ الدخيل ، سارت نافرة إلى تلك البزور الفاتكة العادية ، فتجمعت حولها ، وحلّقت عليها . فأذابتها ، وأ كلتها أ كلا ، وهضمتها هضما ...

ومما زاد نظريته ثبوتاً ، أن بعض البراغيث كانت تتخاذل فَجُوساتها أحياناً عن النفر الى العدوّ الغازى ، فكانت بزور تلك الخمائر تستقر في جسم البرغوث فتتنفس عن خمائر حية ناشطة تتكاثر تكاثرا ذريعاً فتسمم البرغوث فتقتله ثم هى تأكله

أطلّ متشنيكوف من خلال عدسته على هذه المعارك الجليلة تدور رحاها في هذه الميادين الصغيرة فعرف أول عارف سراً من أسرار الطبيعة خبأته عن الناس زمانا طويلاً ، عرف كيف تدفع بعض الخلائق عن نفسها غائلةً لو قعدت عنها لكانت قاتلة . وقد كان صادقا في الذى رآه ، وقد كان بارعا موفّقاً في الطريق الذى سلكه ، فأنّى يخطر على بال امرئ أن يبحث عن علّة الحصانة في مخلوق غريب بعيد كل البعد عن أذهان الناس كبرغوث الماء . وقنع بالذى وجد من بحثه ، وآمن كل الايمان بنظريته فلم يتابع دراسة تلك المعارك التى كان يقضى فيها كوخُ السنوات العديدة لو أنه اتفق له منها ما اتفق لمتشنيكوف . وأخيراً نشر مقالة نمّت عن علم جم وفضل كثير قال فيها : « إن حصانة براغيث الماء ترجع الى فُجُوساتها ، وهى مَثَل للأسلوب الطبيعى في الوقاية من الوباء . . . فإن بزرة الخميرة اذا لم تلتقها خلايا الجسم التوّاهة الدفّاعة فتبتلعها عند نفاذها في الجسم ، استطاعت تلك البزرة أن تنبت الخميرة واستطاعت هذه أن تتكاثر وأن تفرز سماً لا يصيد خلايا الجسم الدافعة فحسب ، بل يقتلها ويذيبها كما يذوب الملح في الماء »

(يتبع) احمد زكى

(١) تطلق على أصناف من الحيوانات القشرية التى تعيش في الماء وقد يبلغ طولها عشر البوصة وقد يبلغ جزءاً من المائة منها ، وهى شفافة الجسم فتتراءى أحشاؤها واضحة تحت الكرسكوب ، وهى تسير في الماء قفزا كالبرغوث « المترجم »

أعلام الإسلام

# ٢ - سعيد بن المسيب

## للأستاذ ناجي الطنطاوي

### ضربه وحبسه

قال عبد الله بن جعفر وغيره : استعمل عبد الله بن الزبير جابر بن الأسود بن عوف الزهري على المدينة ، فدعا الناس إلى البيعة لابن الزبير فقال سعيد بن المسيب : لا ، حتى يجتمع الناس ، فضربه ستين سوطاً ، فصاح به سعيد والسياط تأخذه : والله ما ربعت على كتاب الله ، يقول الله : انكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، وإنك تزوجت الخامسة قبل انقضاء عدة الرابعة ، وما هي إلا ليالٍ فاصنع ما بدالك ، فسوف يأتيك ما تكره . فما مكث إلا يسيرا حتى قتل ابن الزبير . وروى أن ابن الزبير لما بلغه ضرب ابن المسيب كتب إلى جابر يلومه ويقول : ما لنا ولسعيد ؟ دعه

وقال يحيى بن سعيد : كتب والي المدينة إلى عبد الملك بن مروان : إن أهل المدينة قد أطبقوا على البيعة للوليد وسليمان [١] إلا سعيد بن المسيب . فكتب أن اعرضه على السيف ، فان مضى وإلا فاجلده خمسين جلدة ، وطف به أسواق المدينة [٢] . فلما قدم الكتاب على الوالي ، دخل سليمان بن يسار ، وعروة بن الزبير ، وسالم بن عبد الله ، على سعيد بن المسيب ، فقالوا : إنا قد جئناك في أمر : قد قدم فيك كتاب من عبد الملك بن مروان إن لم تبايع ضربت عنقك ، ونحن نعرض عليك خصالاً ثلاثاً . فاعطنا إحداهن ، فان الوالي قد قبل منك أن يقرأ عليك الكتاب فلا تقل « لا » ولا « نعم » ، قال : فيقول الناس بايع سعيد بن المسيب ؛ ما أنا بفاعل . (قال) : وكان إذا قال : لا ، لم يطيقوا عليه أن يقول نعم . قال : مضت واحدة وبقيت اثنتان . قالوا : فتجلس في بيتك فلا تخرج إلى الصلاة أياماً ، فانه يقبل منك إذا طلبت في مجلسك فلم يجدك . قال : وأنا أسمع الأذان فوق أذني : حيّ على الصلاة ، حيّ على الفلاح ؟ ما أنا بفاعل . مضت اثنتان وبقيت واحدة . قالوا : فانتقل من مجلسك إلى غيره ، فانه يرسل إلى مجلسك فان لم يجدك أمسك عنك . قال : فرقاً لمخلوق [١] ؟ ما أنا بمتقدم لذلك شبراً ولا متأخر شبراً . فخرجوا وخرج إلى الصلاة ، صلاة الظهر ، فجلس في مجلسه الذي كان يجلس فيه ، فلما صلى الوالي بعث اليه فأتى به ، فقال : إن أمير المؤمنين كتب يأمرنا إن لم تبايع ضربنا عنقك ، قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيعتين [٢] فلما رآه لا يجيب أخرج إلى السدة فدّت عنقه وسلّت عليه السيوف ، فلما رآه قد مضى أمر به فجرّد ، فاذا عليه تبّان شعر فقال : لو علمت أني لا أقتل ما اشتهرت بهذا التبّان [٣] ، فضربه خمسين سوطاً ثم طاف به أسواق المدينة ، فلما ردّه [٤] والناس منصرفون من صلاة العصر قال : إن هذه لوجوه ما نظرت اليها منذ أربعين سنة

وروى أن سعيداً لما جرّد ليضرب ، قالت له امرأة : إنّ هذا لمقام الخزي ، فقال لها سعيد : من مقام الخزي فررنا

وقال قتادة : أتيت سعيد بن المسيّب ، وقد ألبس تبّان شعر وأقيم في الشمس فقلت لقائدي : أدنني منه فأدناني منه ، فجعلت أسأله خوفا من أن يفوتني وهو يجيبني حسبة والناس يتعجبون

---

(١) عقد عبد الملك لابنيه بالعهد بعد موت عبد العزيز بن مروان بمصر سنة ٨٤

(٢) روى رجاء أن عبد الملك كتب اليه : مالك ولسعيد ؟ ما كان علينا منه شيء نكرهه ، فأما إذ فعلت فاضربه ثلاثين سوطاً وألبسه التبان وأوقفه للناس لئلا يقتدي به الناس . وفي رواية أن هشاماً ضرب ابن المسيب من غير أن يستأذن عبد الملك في ضربه

(١) لعلها : من مخلوق

(٢) وروى أنه قال : لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فقيل ادخل من الباب واخرج من الآخر قال : والله لا يقتدي بي . وفي رواية أنه قال : لا أبايع وعبد الملك حي

(٣) وقيل إن هشاما ألبسه التبان وطاف به حتى بلغ رأس الثنية ، فلما كروا به قال : أين تكرون بي قالوا : إلى السجن . قال : والله لولا أني ظننت أنه الصلب ما لبست هذا التبان أبداً ، ورده إلى السجن وحبسه . وفي رواية أن الأيليين (نسبة لأيلة) الذين كانوا في شرطة المدينة قالوا : علمنا أنه لا يلبس التبان طائعا فقلنا له : يا أبا محمد ، إنه القتل فاستر عورتك تلبسه ، فلما ضرب قلنا له : إنا خدعناك . قال : يا معجلة أهل أيلة ، لولا أني ظننت أنه القتل ما لبسته (٤) إلى السجن

وقال عبد الله بن يزيد الهذلي : دخلت على سعيد بن المسيّب السجن ، فإذا هو قد ذبحت له شاة ، فجعل الاهاب على ظهره ، ثم جعلوا له بعد ذلك قضباً (١) رطباً ، وكان كلما نظر الى عضديه قال : اللهم انصرني من هشام

وقال أسلم أبو أمية مولى بني مخزوم وكان ثقة : صنعت ابنة سعيد بن المسيب طعاماً كثيراً حين حبس ، فبعثت به اليه ، فلما جاء الطعام دعاني سعيد فقال : اذهب الى ابنتي فقل لها : لا تعودي لمثل هذا أبداً ، فهذه حاجة هشام بن اسماعيل ، يريد أن يذهب مالي فأحتاج الى ما في أيديهم وأنا لا أدري ما أحبس ، فانظري الى القوت الذي كنت آكل في بيتي فابعثي اليّ به ، فكانت تبعث إليه بذلك ، وكان يصوم الدهر

وقال قتادة عن سعيد بن المسيّب إنه كان إذا أراد الرجل أن يجالسه قال : إنهم قد جلدوني ، ومنعوا الناس أن يجالسوني

وقال عبد الله بن جعفر وغيره : كتب هشام بن إسماعيل إلى عبد الملك بن مروان يخبره بخلاف سعيد بعد أن وضعه في السجن وما كان من أمره ، فكتب إليه عبد الملك يلومه فيما صنع به ويقول : سعيد كان والله أحوج إلى أن تصل رحمه من أن تضربه ، وإنا لنعلم ما عند سعيد شقاق ولا خلاف (٢)

وقال الواقدي : كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز يأمره أن يقف هشام بن اسماعيل للناس ، وكان فيه سيء الرأي ، فدعا سعيد ابنه ومواليه فقال : ان هذا الرجل يوقف للناس أو قد وقف فلا يتعرض له أحد ، ولا يؤذه بكلمة ، فانا سنترك ذلك لله وللرحم ، فإن كان ما علمت لسيء النظر لنفسه فأما كلامه فلا أكلمه أبداً !

وقال عمران : كان لسعيد بن المسيب في بيت المال بضعة وثلاثون ألفاً عطاؤه ، فكان يدعى إليها فيأبى ويقول : لا حاجة لي فيها حتى يحكم الله بيني وبين بني مروان !

**معاملته للخلفاء والولاة**

قال علي بن زيد : قيل لسعيد بن المسيب : ما شأن الحجاج لا يبعث إليك ، ولا يحركك ، ولا يؤذيك ؟ قال : والله لا أدري إلا أنه دخل ذات يوم مع ابنه المسجد ، فصلى صلاة ، فجعل لا يتم ركوعها ولا سجودها ، فأخذت كفاً من حصى فحصبته به ، زعم أن الحجاج قال : ما زلت بعد ذلك أحسن الصلاة

وقال عمران بن عبد الله بن طلحة بن خلف الخزاعيّ : حجّ عبد الملك بن مروان ، فلما قدم المدينة فوقف على باب المسجد ، أرسل الى سعيد بن المسيب رجلاً يدعوه ولا يحركه ؛ قال : فأتاه الرسول وقال : أمير المؤمنين واقف بالباب يريد أن يكلمك ، فقال ما لأمير المؤمنين الى حاجة ، وما لي إليه حاجة ، وإن حاجته إلي لغير مقضية ! قال : فرجع الرسول إليه فأخبره فقال له : أجب أمير المؤمنين ، فقال له سعيد ما قال له أولاً . فقال له الرسول : لولا أنه تقدم الى فيك ما ذهبت اليه إلا برأسك . يرسل إليك أمير المؤمنين يكلمك تقول له مثل هذه المقالة ؟ ! فقال : إن كان يريد أن يصنع بي خيراً فهو لك ، وإن كان غير ذلك فلا أحل حبوتي حتى يقضي ما هو قاض . فأتاه فأخبره فقال : رحم الله أبا محمد ، أبى الا صلابة

وقال عمرو بن عاصم : لما استخلف الوليد بن عبد الملك ، قدم المدينة فدخل المسجد فرأى شيخاً قد اجتمع الناس عليه ، فقال : من هذا ؟ فقالوا سعيد بن المسيّب ؛ فلما جلس أرسل اليه فأتاه الرسول فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال : لعلك أخطأت باسمي أو لعله أرسلك الى غيري ! قال : فأتاه الرسول فأخبره ، فغضب وهمّ به ، قال : وفي الناس يومئذ بقية ، فأقبل عليه جلساؤه فقالوا : يا أمير المؤمنين فقيه أهل المدينة ، وشيخ قريش ، وصديق أبيك ، لم يطمع ملك قبلك أن يأتيه . قال : فما زالوا به حتى أضرب عنه

وقال ميمون بن مهران : قدم عبد الملك بن مروان المدينة ، فامتنعت منه القائلة واستيقظ ، فقال لحاجبه : أنظر هل في المسجد أحد من حداثنا من أهل المدينة ؟ فخرج فاذا سعيد بن المسيّب في حلقة له ، فقام حيث ينظر اليه ، ثم غمزه وأشار اليه بأصبعه ثم ولى ؛ فلم يتحرك سعيد ولم يتبعه . فقال : ما أراه فطن ، فجاء فدنا منه ثم غمزه وأشار اليه وقال : ألم ترني أشير اليك ؟ قال :

(١) القضب : الرطبة ( وهي الفصفصة ) وقيل كل نبت اقتضب فأكل طريا (٢) وروى أن هشاماً جاءه كتاب من عبد الملك بن مروان يلومه في ضربه سعيد بن المسيب ويقول : ما ضرك لو تركت سعيداً ووضت ما قال ؟ فندم هشام بن اسماعيل على ما صنع بسعيد فخلى سبيله

وما حاجتك ؟ قال : استيقظ أمير المؤمنين ، فقال : أنظر فى المسجد أحد من حداثى ، فأجب أمير المؤمنين ، فقال ، أرسلك الىّ ؟ قال : لا ، ولكن قال اذهب فانظر بعض حداثنا من أهل المدينة ، فلم أر أحداً أهيأ منك . فقال سعيد : اذهب فأعلمه أنى لست من حداثه ! فخرج الحاجب وهو يقول : ما أرى هذا الشيخ إلا مجنوناً ! فأتى عبد الملك فقال له : ما وجدت فى المسجد إلا شيخاً أشرت اليه فلم يقم ، فقلت له إن أمير المؤمنين قال انظر هل ترى فى المسجد أحداً من حداثى فقال : إنى لست من حداث أمير المؤمنين . وقال لى : أعلمه ، فقال عبد الملك : ذاك سعيد بن المسيب ، فدعه

وقال هشام بن عروة : لما تزوج الحجاج ، وهو أمير المدينة بنت عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، أتى رجل سعيد بن المسيب فذكر له ذلك ، فقال . إنى لأرجو ألا يجمع الله بينهما ، ولقد دعا داع بذلك وابتهل ؛ وعسى الله ؛ فان أباها لم يزوج إلا الدراهم ، فلما بلغ ذلك عبد الملك بن مروان أبرد البريد الى الحجاج وكتب اليه يغلظ له ويقصر به ويذكر تجاوزه قدره ، ويقسم بالله لئن هو مسها ليقطعن أحب أعضائه اليه ، ويأمره بتسويغ أبيها المهر ، وبتعجيل فراقها ، ففعل فما بقى أحد إلا سره ذلك

وقال المطلب بن السائب : كنت جالساً مع سعيد بن المسيب فى السوق فمرّ بريد لبنى مروان ، فقال له سعيد : من رسل بنى مروان أنت ؟ قال : نعم . قال : كيف تركت بنى مروان ؟ قال : بخير . قال : تركتهم يجيعون الناس ويشبعون الكلاب ! فاشرأبّ الرسول ، فقمت اليه فلم أزل أرجيه حتى انطلق فقلت لسعيد : يغفر الله لك ، تشيط بدمك ؟ فقال : أسكت يا أحيمق ! فو الله لا يسلمنى الله ما أخذت بحقوقه

وقال صالح بن كيسان : حجّ الوليد بن عبد الملك ، فلما دخل المدينة غدا إلى المسجد ينظر إلى بنائه ، فأخرج الناس منه ، فما ترك فيه أحد ، وبقى سعيد بن المسيّب ما يجترىء أحد من الحرس أن يخرجه ! وما عليه إلا ريطتان ما تساويان إلا خمسة دراهم فى مصلاه . فقيل له : لو قمت ، قال : والله لا أقوم حتى يأتى الوقت الذى كنت أقوم فيه . قيل : فلو سلّمت على أمير المؤمنين ، قال : والله لا أقوم إليه ! قال عمر بن عبد العزيز فجعلت أعدل بالوليد فى ناحية المسجد رجاء ألا يرى سعيداً حتى يقوم ، فحانت من الوليد نظرة إلى القبلة فقال : من ذلك الجالس ؟ أهو الشيخ سعيد بن المسيّب ؟ فجعل عمر يقول : نعم يا أمير المؤمنين ، ومن حاله ، ومن حاله ، ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك ، وهو ضعيف البصر . قال الوليد : قد علمت حاله ، ونحن نأتيه فنسلم عليه فدار فى المسجد حتى وقف على القبر ، ثم أقبل حتى وقف على سعيد فقال : كيف أنت أيها الشيخ ؟ فو الله ما تحرك سعيد ولا قام ؛ فقال : بخير والحمد لله يا أمير المؤمنين . قال الوليد : خير والحمد لله . فانصرف وهو يقول لعمر : هذا بقية الناس . فقلت : أجل يا أمير المؤمنين

### رفضه أجر العطاء

قال عمران بن عبد الله : كان سعيد بن المسيب لا يقبل من أحد شيئاً لا ديناراً ولا درهماً ولا شيئاً ، وربما عرض عليه الأشربة فيعرض فليس يشرب من شراب أحد منهم

وقال العجلى وغيره : كان لا يقبل جوائز السلطان[1] ، وله أربع مائة دينار يتجر فيها بالزيت وغيره

(يتبع) ناجى الطنطاوى

(١) وقد مر أنه كان له فى بيت المال بضعة وثلاثون ألفاً عطاؤه كان يدعى إليه فيأبى ويقول : لا حاجة لى فيها ، حتى يحكم الله بينى وبين بنى مروان

ضوء جديد على ناحية من الأدب العربي

# اشتغال العرب بالأدب المقارن

أو ما يدعوه الفرنجة « littérature comparée »

## فى كتاب تلخيص كتاب أرسطو فى الشعر

لفيلسوف العرب أبى الوليد بن رشد

[تتمة المنشور فى العدد الماضى]

— تلخيص وتحليل —

للأستاذ خليل هنداوى

### بحث فنى فى التخيلات والمعانى والألفاظ والأجزاء

وقد بحث فى ماهية الأوزان ، فجعل من المعانى والتخييلات ما تناسبه الأوزان الطويلة ومنها ما تناسبه القصيرة ؛ وربما كان الوزن مناسباً للمعنى غير مناسب للتخييل ، وربما كان الأمر بالعكس ، وربما كان غير مناسب لكليهما . على أن أمثلة هذه مما يعسر وجوده فى أشعار العرب إذ تكون غير موجودة فيها ، إذ أعاريضهم قليلة القدر ، وألفاظ الشعر يجب أن تؤلف من الأسماء المبتذلة ومن الأسماء الأخر يعنى المنقولة الغريبة المغيرة والملقوبة ، لأنه متى تعرى الشعر كله من الألفاظ الحقيقية كان رمزاً ولغزاً . ويجب أن يكون الشاعر حيث يريد الايضاح وألا يخرج إلى حد الرمز كما لا يفرط فى الأسماء المبتذلة فيخرج عن طريقة الشعر إلى الكلام المتعارف . وأما موافقة الألفاظ بعضها لبعض فى المقدار ، ومعادلة المعانى بعضها لبعض ، وموازنتها ، فأمر يجب أن يكون عاماً ومشتركاً لجميع الألفاظ . وقد يستدل على أن القول الشعرى هو المغير أنه إذا غير القول الحقيقى سمى شعراً وقولاً شعرياً ووجد له فعل الشعر ، مثال ذلك قول القائل :

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح

وإنما صار هذا شعراً من قبيل أنه استعمل بيته الأخير بدل قوله « تحدثنا ومشينا » ، وكذلك قوله : « بعيدة مهوى القرط » إنما صار شعراً لأنه استعمله بدل قوله : « طويلة العنق » وكذلك قول الآخر :

يا دار أين ظباؤك اللعس ؟ قد كان لى فى إنسها أنس

إنما صار شعراً لأنه أقام الدار مقام الناطق وأبدل لفظ النساء بالظباء ، وأتى بموافقة الانس والأنس . وأنت إذا تأملت الأشعار المحركة وجدتها بهذه الحال ، وما عدا هذه التغييرات فليس فيه من معنى الشاعرية إلا الوزن فقط ، والتغييرات إنما تكون بجميع الأنواع التى تسمى عندنا مجازاً ، والفاضل من هذه الأشياء أن يستعمل من كل واحد منها ما هو أبين وأظهر وأنبه ، وهذا لا يوجد إلا فى النادر من الشعراء لأنه دليل المهارة .

وقد أتى المترجم على نموذج من نماذج قصائد المديح ، يريد أن يحلل الأجزاء التى تتركب منها القصيدة ، فأرجع تأليفها — عند العرب — إلى ثلاثة أجزاء : الجزء الأول الذى يجرى عندهم مجرى الصدر فى الخطبة كذكر الديار والتغزل ، والجزء المبنى على المديح ، والجزء الذى يجرى مجرى الخاتمة فى الخطبة . وهذا إما دعاء للممدوح أو تقريظ للشعر الذى قاله . والجزء الأول أشهر من هذا الآخر ، ولذلك يسمون الانتقال إلى الثانى استطراداً ، وربما أتوا بالجزء الثانى دون الجزء الأول كقول أبى تمام : « لهان علينا أن نقول ونفعلا »

أو قول أبى الطيب : « لكل امرىء من دهره ما تعودا »

ويرى خير المدائح المدائح التى يوجد فيها التركيب أى ذكر الفضائل والأشياء المحزنة المخوفة والمرققة . . . وكأنى بابن رشد لم يفصل هذه الأشياء لأن العرب لا يمزجون الأشياء المحزنة المخوفة والمرققة بمدائحهم . . . وإنما هى من صفات الشعر اليونانى ( وبخاصة الأوميروسى ) . ثم انتقل إلى ذكر الخرافة ، والخرافة تكاد تغلب على الأشعار اليونانية . . . ولكن أرسطو يرى أن الخرافة ينبغى أن يكون مخرجها مخرج ما يقع تحت البصر ، لأنه إذا كانت الخرافة مشكوكاً فيها لم تفعل الفعل المقصود بها ، وذلك أن ما لا يصدقه المرء فهو لا يفزع منه ولا يشفق له ، وفى هذا سر عميق من أسرار الابداع ، إذ ليس الشاعر من أغرب وأعجب ، وليس الشعر بالشعر الأذهب فى الغرابة والتخيل البعيد عن الصدق

كما يذهب إليه بعض الشعراء . والشاعر الموهوب قد يتناول ما بين يديك ، ويدخل في عالم نفسك ، ثم يحدثك عما تعرفه وتحسب أنك لا تعرفه ... لأنه أدرك بتعمقه وتأمله أشياء منك لم تدركها بنظراتك السطحية

ثم عرض للأشياء التي يجب أن تمدح في الممدوح محللاً إياها تحليل الفيلسوف الذي لا يسمح بعبث في الفضيلة ، ولا بتلاعب في الحقيقة . هو يريد من الشعراء أن يتبعوا هذه الحقيقة ، وأن يبرزوا من الممدوح الصفات التي يتحلى بها . . . وإنما تمدح العادات الخيرة والفاضلة ، والعادات اللائقة بالممدوح والصالحة له ، وذلك أن العادات التي تليق بالمرأة ليست تليق بالرجل . وأن تكون مما يشابهه وأن تكون معتدلة متوسطة بين الأطراف ،

ثم لا يورد الشاعر في شعره من المحاكاة الخارجة عن القول إلا بقدر ما يحتمله المخاطبون من ذلك حتى لا ينسب إلى الغلو والخروج عن طريقة الشعر . وكما أن المصور الحاذق يصور الشيء بحسب ما هو عليه في الوجود حتى إنهم قد يصورون الغضاب والكسالى مع أنها صفات انسانية ، كذلك يجب أن يكون الشاعر في محاكاته يصور كل شيء بحسب ما هو عليـه حتى يحاكي الأخلاق وأحوال النفس ومن هذا النوع من التخييل قول أبي الطيب يصف رسول الروم الواصل إلى سيف الدولة :

أتاك يكاد الرأس يجحد عنقه ... وتنقد تحت الذعر منه المفاصل
يقوّم تقويم السماطين مشيه ... اليك إذا ما عوّجته الأفاكل (١)

ينتهي ابن رشد من مقارناته ، ويذكر شذوذ العرب في كثير من هذه القوانين الشعرية . ويقول مع أبي نصر الفارابي : « وأنت تعلم من هذا أن ما شعر به أهل لساننا من القوانين الشعرية هو نزر يسير » وفي الحق يتبين لنا هذا الشذوذ كثيراً عند دراستنا للشعر العربي دراسة نقدية كما يتصورها ابن رشد ، وذلك عائد إما إلى جهل العرب لهذه القوانين ، وإما الى أن هذه القوانين لم تلائم طباعهم . .وهذا القول أرجح عندي لأن الأمة لا يمكنها أن تخلق لشعرها قوانين قبل أن يكون لها شعر !!! وأن شعرها الذي تسوقه هو الذي يخلق قوانين نقدها ! إلا إذا أرادت أن تحاكي أمثلة سواها ، وأن تقبل التأثر بقوانين غيرها ...

وإننا لن نغلو في التشيع لهذه القوانين لأننا نراها قوانين إذا أفادت مرة فقد لا تفيد كثيراً . .. والعبقرية في الشعر تستلهم نفسها ولا تستلهم قوانين . ولكن هذا لا يصرفنا عن القول بأن هنالك قوانين إذا لم يحترمها الشاعر عاد عليه ذلك بالفساد .

وإنما أبلغ سقراط حين شبه الشاعر بالمصور ، فليس المصور ذلك الذي يمنح صور الأشياء ، أو يخلق أشياء غريبة لا تناسق فيها ولا فكرة . وليس الشاعر بالذي يعطّل نظام الطبيعة الشامل ، ويعكس ألوان الأشياء بتخيله المضطرب ! ! ! إنما المصور من يساعد الطبيعة على ابداعها وتزيينها ، والشاعر هو من يكون أميناً على ما يتمثل له في الحياة . . .

وقد تكون قوانين سقراط في الشعر – صارمة قاسية لأنه يطلب من الشعر ما يطلب من الفلسفة ، اعتصام بالفضيلة ، واستمساك بالحقيقة ..! وقد يخرج عن هذه الحدود لأنه لا يطيق القيود ، وقد يرضى بأن يهذب نفسه ولكنه لا يرضى بأن يفادي بحريته . . . جناح الفن دائماً خفاق يبتغي السمو والعلو ، وويل للفن إذا استعان بجناحيه على الانحدار بدلاً من الارتفاع ، لأن روعة الفن في ارتفاعه لا في انحداره !

وقد كان ينبغي لمثل هـذه القوانين الشعرية أن تثير ضجة في الشعر العربي لأنها مقاييس غريبة ، منطقية في النقد ، ولكنها مرت هادئة كمر السحاب ، لا لأن الأدباء لم يفقهوها ، وقد قربها ابن رشد من الأفهام بعد أن عرّبها وأعربها بالنماذج والأمثلة العربية ، ولكن أهل البيان العربي ، وجدوا أن الأدب العربي الطافح بما يخالف هذه القوانين ، يستحيل عليه أن يحطم ماضيه وأن ينهج طريقاً جديداً يخطه بأيدي هذه القوانين الجديدة التي لا تلائم البيان العربي ! ! !

(دير الزور) خليل هنداوي

(١) يقول : أتاك وقد داخله الخوف مما رآه القتل نصب عينيه حتى يكاد رأسه ينكر عنقه لتوهمه أنه انفصل عنه وتكاد مفاصله تتقطع من الخوف وكان إذا تموج مشيه من الرعدة قومه تقوم السماطين (وهما صفان من الجند) عن جانبيه

# الحياة الأدبية فى تونس

للأستاذ محمد الحليوى

« يجب أن يصف أدباء كل قطر من الأقطار الحياة الأدبية فى قطرهم ، ومبلغ قوتها وضعفها ...... لنتعاون جميعاً على علاجها ومداواتها ...... »

على الطنطاوى (الرسالة ١٣٦)

الكلام عن الحياة الأدبية فى تونس يشمل الكلام عنها من ناحيتين مختلفتين . فان كان المراد بالحياة الأدبية كثرة المشتغلين بالأدب ، والمهتمين بالحديث عن رجاله ، والمقبلين على مجالسه ونواديه ، والمطالعين لكتبه ومجلاته ، ففى تونس حياة أدبية لا بأس بها ؛ والظاهرة البارزة فى الأوساط المثقفة هى حب الأدب ، والتطلع إلى كل ما يمت اليه بصلة . فالشباب التونسى يصرف هواه وجل نشاطه ومجهوده فى الاشتغال بالأدب ولواحقه ؛ ومجالس الشيوخ والكبراء يغلب عليها الحديث عن الأدب والأدباء ، والميل إلى الطارحات الأدبية ، والمساجلات الشعرية ؛ وكل فكرةٌ جديدة ، أو خبر أدبى ، أو كتاب ناجح تجد له صداه فى كل الأوساط المتعلمة .

ولكننا إذا أردنا بالحياة الأدبية الانتاج الأدبى والمجهود الفردى لخدمة الأدب بواسطة التأليف والنشر ، فتونس ليس لها حياة أدبية تليق بمكانتها التاريخية ومركزها الجغرافى فى أفريقية الشمالية . وإنه ليُعيى الباحث أن يدلّ دلالة واضحة ملموسة على القسط الذى ساهمت به تونس فى تكوين هاته النهضة الأدبية المعاصرة فى الشرق العربى ، وأن يبين أن للأدب التونسى ناحية خاصة تميزه ، ومعالم معروفة لا يمكن أن ينكرها مُنكر ، أو يتجاهلها متجاهل .

وها نحن أولاء نستعرض بعض مظاهر الحياة الأدبية فى تونس ، ونقول فيها كلمة الحق ، وإن كان من الحقائق ما هو مؤلم

***

## الشعر فى تونس

هناك فى تونس شعراء كثيرون ، ودواوين شعرية مطبوعة كديوان « خزنة دار » ، وديوان سعيد أبو بكر ، وديوان مصطفى آغه ، ومجموعة للأدب التونسى المعاصر فى أربعة أجزاء جمعها زين العابدين السنوسى صاحب مجلة « العالم الأدبى » ، وترجم فيها لما يزيد على ثلاثين شاعرا ، وانتخب من شعرهم منتخبات مطولة . ولكن الشعر التونسى فى مجموعه لم يبلغ من القوة والابتكار والاستقلال الفكرى والمميزات الفردية ، وظهور الشخصيات القوية ، ما يجعله يقوى على تحمل المقارنة بالشعر العالى أو ينعت بالأدب الرفيع . ومن سوء حظ تونس أن الفرد الوحيد الذى استطاع أن يعلو بشعره إلى مكانة الشعر الراقى ويضاهى به أنبغ شعراء العرب والغرب قد مات فى العام الماضى فى ريعان الشباب ؛ وبكته تونس فى حفلة رائعة اشترك فيها كثير من أدباء الأقطار العربية .

والشعر التونسى المعاصر يسيطر عليه تقريباً الشعراء الشيوخ وهم الذين يخضون فنون الشعر القديمة بجل عنايتهم ؛ وشعراء الشباب يغلب على شعرهم الميل الى التجديد فى المعانى والأغراض وحتى الأوزان والأساليب ، ولكن الذى يعاب عليهم هو غلبة تفكير الجرائد ومواضيعها على أدبهم ، وفقر شعرهم من المعانى القوية والصور الشعرية ، واحتياجهم إلى الثقافة العامة القائمة على سعة الاطلاع والاحاطة بتاريخ الحركات الأدبية والفكرية فى مختلف العصور ؛ ويعاب عليهم أيضاً هذا النوع من الأدب الباكى الذليل ، فلا يكاد أحدهم يشدو فى نظم الشعر حتى تراه ينظم فى البؤس وتوابعه ، ويتشاءم من كل شىء فى الحياة ؛ فنحن نقبل هذا النوع من الكهول والشيوخ الذين دخلوا معركة الحياة وتمرسوا بآفاتها ، ولكننا نرفضه من الشباب ، لأن الشباب أمل وعزيمة وحب للكفاح والغلبة

***

## الحياة الكتابية :

فنون الكتابة كثيرة ، فأية كتابة عندنا وأى كتّاب ؟ نقول فى الجواب إنه يوجد عندنا الكاتب الاجتماعى والمؤرخ

والصحف .... فقد نشر فى تونس فى هاته السنوات الأخيرة كتب بعضها فى التاريخ ككتب الأساتذة حسن حسين عبد الوهاب، وعثمان الكعاك، وأحمد توفيق المدنى؛ وبعضها فى الأدب والاجتماع، ككتاب أبى القاسم الشابى عن الخيال الشعرى، وكتاب الطاهر الحداد عن المرأة، وكتاب محمد المرزوقى عن مسائل من الفن والجمال. وهناك خمس صحف أسبوعية، وجريدتان يوميتان، ومجلة أدبية لم يستطع صاحبها أن ينفخ فيها الحياة. فهى محتضر منذ سنوات! وعدا ذلك فليس فى تونس من يمثل تمثيلاً مشرفاً أدب القصة والمسرح، وأدب الأطفال، والأدب القوى؛ وكذلك الناحية النقدية والعلمية فى الأدب. وتاريخ تونس لما يكتب.

فصفة الكاتب عنيت بها مايفهم من لفظها اجمالاً واطلاقاً، أما اذا عنينا بالكاتب رجلاً له نظريات خاصة، وأفكار فردية، يخصص حياته لنشرها والدفاع عنها حتى تنتصر، كلفه ذلك الدفاع ما كلفه، فهذا عزيز فى الناحية الأدبية. فاذا قلنا مثلاً إن طه حسين كاتب، فليس معنى ذلك فى مذهب العقل والتاريخ أنه يجيد رصف الجمل وتأليف الكتب، وانما معناه أنه رجل يفرض فكرته على الناس فرضاً، ويكتب ما يراه حقاً وإن خالف ما رآه غيره، ولا يضيره أن يواجه قراءه بغير ما ألفوا سماعه، ويصدمهم بآراء ليست هى آراءهم التى اقتنعوا بها؛ وبعبارة أشمل يرفعهم اليه، ويحملهم على التفكير والتأمل واعادة النظر فيما ناموا عليه من المبادئ والحقائق؛ وما يزال بهم حتى يكوّن من أنصار فكرته ومخالفيها مدرسة تنشر تعاليمها وتصادم تعاليم خصومها. فهذا هو الكاتب الذى يحيى الأدب ويجدد الأدب، وبهذا وحده يكون الكاتب مثقف عقول، ومغذى عواطف، وقائد أفكار

أما فى تونس فالقارئ هو الذى يقود الكاتب. فعلى الصحفى أن يصلح مايحب الرأى العام أن يصلح، ويجتنب ما يغضبه ويهيجه. وعلى الكاتب أن يكتب ما يريد قراؤه، وأن يتناول من المواضيع ما يسمحون له بتناوله؛ وحذار أن يكون له رأى خاص يخالف رأيهم — وإذا كتب فى نقد الأدب القديم فالواجب أن تكون كتابته تقديساً لأصحاب ذلك الأدب. وكلمة الالحاد وما اشتق منها ما تزال رائحة الاستعمال تلصق بكل من يظهر نوعاً من الاستقلال الفكرى فى الأدب؛ وجمهور القراء لم يحسن إلى الآن التفريق بين ما هو أدبى وماهو دينى، فكل أديب يقول بالتجديد الأدبى فهو متهم فى عقيدته. فكانت نتيجة هذه الحالة فقر أدبنا من الكتاب ومن كثير من فنون الكتابة

## معاهد الثقافة والمؤسسات

وأول مسؤول عن ركود الأدب فى تونس هى معاهده الثقافية ومؤسساته الأدبية، فانتشار الأدب لا يكون إلا بكثرة القراء، وعلى قدر نصيبهم من المعرفة والفهم يكون إقبالهم على تتبع الحركة الأدبية وتقويتها بشراء كتبها ومجلاتها. ونحن نريد أن ينتشر الأدب وتقرأ كتبه ونشراته، لأننا فى حاجة إلى تقويم العقلية التونسية وتثقيف ذهن سائر الطبقات، وتصحيح المقاييس التى تقيس بها كل شأن من شؤون الحياة؛ وليس شىء كالأدب يحيى ميت الهمم ويبعث خامل العزائم ويشذب شاذ الغرائز؛ وكل مدنية قامت فى التاريخ كانت منبعثة من نهضة أدبية أو مصاحبة لها.

فما هو نصيب معاهدنا فى هذا العمل وماذا نرجو منها؟

أما المدارس الابتدائية فلا رجاء فى أبنائها لأن المعلومات العربيـة التى يخرجون بها من هاته المدارس لا تؤهلهم لقراءة الكتب الجدية ومطالعة الصحف الراقية، وهم حين يغادرون المدرسة يرجعون إلى أشغال آبائهم فى القرى والبوادى، وليس لهم من الثقافة إلا ذلك النزر القليل الذى يمكنهم بعض التمكن من قراءة رسالة أو كتاب عامى سخيف من تلك الكتب المملوءة بالخرافات والأوهام

أما المعاهد الثانوية والعاليـة فهناك جامع الزيتونة الأعظم والمدرسة الصادقية والمدرسة العليا للآداب واللغـة العربية. فأما جامع الزيتونة فهو حصن العربية الأشم، وهو بمثابة الأزهر بمصر، وخريجوه هم صفوة العلماء والحكام والقضاة والعدول، وهم الطبقة الوحيدة ذات الثقافة العربيـة المحضة؛ وأما المدرسة الصادقية ومدرسة اللغة والآداب العربية، فان الدراسة تقع فيهما باللسانين، وربما غلبت فيهما الثقافة الفرنسية على العربية خصوصاً من ناحية الترجمة والعلوم الرياضية، ومن هاتين المدرستين تخرج جل كبار موظفى الادارة الفرنسـية ومترجميها، وعن طريقهما

سافرت البعثات العلمية التي تتكون اليوم منها نخبة طيبة من الأطباء والمحامين والمهندسين ، ولكن أطباءنا ومحامينا قلما يكتبون أو يؤلفون بالعربية . وكم كنا نود لو أن دكاترتنا كانوا كدكاترة مصر الذين قامت على سواعد أكثرهم نهضة مصر الأدبية والعلمية

أما المؤسسات الأدبية فهناك الجمعية الخلدونية ، وهي أقدم المؤسسات التونسية ، ثم جمعية قدماء تلامذة المدرسة الصادقية ، وأخيراً جمعية الكتاب والمؤلفين — فأما الخلدونية وقدماء الصادقية فأغلب نشاطهما منصرف إلى تنظيم المسامرات الأدبية والعلمية ، وإقامة الحفلات لاحياء ذكرى نوابغ الأمة العربية في القديم والحديث ، وأما جمعية المؤلفين والكتاب التونسيين فإنها افتتحت أعمالها باقامة حفلة ذكرى الشاعر العبقري المرحوم أبي القاسم الشابي . ثم لم تفعل بعدها شيئاً إلى الآن خصوصاً وقد علقت عليها آمال ضخام في انتشال البلاد من هذا الركود الأدبي بتوحيد جهود أدبائه وتسهيل نشر كتبهم بواسطة القروض التي تسبقها والدعاية التي تقوم بها للمؤلفات .

### أسباب ركود الأدب

إذن فأسباب ركود الأدب كثيرة ، ولكن يمكن تلخيصها في سببين :

الأول : قلة القراء في الأوساط الشعبية نظراً للأمية الغالبة على السواد . ثم جهل كثير من الشباب لغته القومية أو نزارة معارفه التي لا تسمح له بالاستفادة من الأدب والصحف الجدية

الثاني : عدم وجود من يأخذ بيد الأديب إذا هو أراد أن ينتج وينشر ، فطبقة القراء القليلة تزهد في كل عمل تونسي ، ولا تقبل على تأليف تونسي ، كما تقبل على التآليف المصرية والشامية ، والصحف اليومية لا تقوم بأي مجهود لاستكتاب الأدباء ، وحمل القراء على المطالعة الأدبية ، وإذا نشرت شيئاً من الأدب فالأغلب أن يكون من الأدب السهل الرخيص

والخلاصة أن الأدب في تونس لا يعدو كونه هواية من الهوايات ، ولا يوجد الأديب المحترف ، وإن وجد الصحافي . والمؤلف يقاسي الأمرين من فقدان الناشر والقارىء . وليس هناك من المشجعات للأدب ما يحمله ذائب الانتاج والعمل . فلا مكافآت ، ولا جوائز ، ولا مجلات لنشر آرائه ، ولا حرية لمن أراد أن يفكر باستقلال ؛ والأصوات التي ارتفعت في تونس وترقب منها كل مخلص أن تكون في يوم من الأيام داوية في العالم العربي خفتت وصمتت لتكاتف هاته العوامل عليها

### رجاء

على أنه لا يسعني أن أختم هاته الكلمة دون أن أنوه بما يبديه الشباب التونسي في هاته المدة الأخيرة من النشاط والحيوية . فهناك جمعيات للشبيبة لا زالت توالي الجهود في إقامة الحفلات المختلفة وإلقاء المسامرات في مختلف المواضيع ، ونشر النشرات التي يرى القارىء من خلال سطورها هاته القلوب الفتية التي تتقد إيماناً بمستقبل الأمة التونسية ، وحباً لأدبها ولغتها القومية . وإنه وإن كان نشاط هاته الجمعيات مقصوراً على العواصم وفي أوساط مخصوصة ، فإنا نرجو أن توفق إلى تعميم هاته الحياة في كامل البلاد بكل وسائل النشر والدعوة ؛ فإن الأمة التونسية لفي أشد الحاجة إلى حيوية شبابها وعزيمته الصادقة وإعانة القوى باسترداد مجد تونس الزاهر وعصرها الذهبي

(رادس — تونس) **محمد الحليوى**

من الأدب الإنكليزي

# ٣ - پرسي شلي
Percy - Shelley

تتمة

بقلم خليل جمعه الطوال

## تعريف للشعر والشاعر

لشلي نظرية في الشعر طويلة لا يتسع مقالنا هذا لاستيعابها بكاملها ، نقتطف منها إحاطة بالموضوع من جميع نواحيه ما يأتي :

ليس الشعر بالحدث الطارىء الجديد على عواطفنا ولا من صفاتنا المكتسبة بطول التمرين والمران ، بل هو فينا غريزة فطرية كغريزة الجوع والنوم والكلام والألم ، وليس ما نبديه من الحركات المبهمة والاشارات الغامضة ، أو ما نفوه به من الكلام ونجيش به صدورنا من العواطف المضطرمة إلا أنواعا من الشعر في أدنى مواضعه وأضيق حدوده . ولولا ما فينا من عواطف الشعر الهائجة الكامنة والثائرة الوادعة ، لما كنا نكتئب ونفرح لأوهى الصدمات وأدنى المؤثرات

وليس الشعر بعلم من العلوم التطبيقية كالهندسة والكيمياء وكالفلك والكهرباء وإلى ما هنالك من العلوم التي تعتمد على التجربة ولا تثبت إلا بالبرهان ، بل هو فن من الفنون الجميلة — وهي الرسم والموسيقى والرقص والغناء والشعر والبناء — التي تعنى بظواهر الأشياء وأشكالها دون باطنها ، وبجمالها وأعراضها دون جوهرها : وما الانسان إلا كآلة موسيقية تتعاقب عليها شتى الانفعالات الداخلية والمؤثرات الخارجية : فتتجاوب أوتارها لكل منها بنغمة خاصة تختلف عن سالفتها في الدرجة لا في النوع

لقد كان الانسان في بدء أطواره يقلد مختلف الظواهر الطبيعية بحركاته وسكناته ، فكان كل من هزيم الرعد ، وهزيز الريح ، وزمزمة النار ، وخرير المياه ، وحفيف الأشجار ، وقد غردت فوقها الأطيار الجميلة الألوان والشجية الألحان ، يحدث في نفسه انفعالات داخلية عديدة ، وشحنات كهربائية عنيفة ، لا يرى لها مخرجاً إلا في فن من الفنون الجميلة ، ولكن الناس ليسوا سواء في الاستجابة لهذه المؤثرات ، فهم وإن تشابهوا في نوع إحساساتهم إلا أن فيهم البليد الشعور ، وفيهم السريع الانفعال ، وهذا الأخير هو ما نسميه اصطلاحاً بالشاعر

والشعر يتكىء على الخيال كما يتكىء على الحقيقة ، ويعتمد على اللغة بمقدار ما يعتمد على الموسيقى والغناء . وليست هذه الأشياء في مجموعها إلا من مكونات الشاعر الأولية ، وبمقدار حظه منها يكون حظه من الشاعرية

على أن أسمى مظاهر الشعر وأبينها هي تلك العواطف والانفعالات المنضوحة في وعاء من الكلام الموزون الفني ؛ ذلك لأن جمال اللغة وموسيقى الألفاظ ، أقرب الى الخيال وأعمل في اذكاء النفس وارهاف الحس من التصوير والبناء ، ونغمة الآلة والرقص والغناء . ولكن هذه المفاضلة تحصر الشعر في دائرة ضيقة ، لا تتسع لاستيعاب ذلك الخيال المشبوب وتلك العاطفة الوثابة اللذين لا يجدان لهما من منفذ آخر عدا الشعر الفني إلا بالتلحين وبالحركات . ومن هنا كان تفرع الرقص والغناء عن الشعر الذي هو الأساس .

الشعر هو تلك المرآة التي تنعكس عنها شتى الانفعالات النفسية التي يجيش بها الصدر وينماث لها القلب ؛ وبمقدار ما يكون لهذه المرآة من دقة الصنعة والاتقان يكون للشاعر من جودة الفن وغايته في الابداع والاحسان

ولعل ضرورة الوزن والقافية للشعر انما جاءت من ضرورة الرقص والموسيقى للغناء . فأنت لا تكاد تنبس ولو ببيت من الشعر إلا وتختار لالقائه أجود التوقيع ، وتقرنه باشارات قد تكون في الغالب مبهمة ، إلا أنها مع كل ذلك تدل على عاطفة كانت مكبوتة فظهرت ، وكانت هادئة فاضطربت

الشعر هو صورة الحياة في حقيقتها الأزلية .

والشاعر هو تلك الريشة التي تظهر بواسطتها هذه الصورة

والشاعرية هي القدرة على ابرازها في أجمل ألوانها وأزهى أشكالها

الشعر هو الألم والسرور ، هو الكآبة والحبور ، والشاعر

هو ذلك الذى تضطرب نفسه بين موجات الحزن ونغمات الفرح . بل هو ذلك الشعاع الذى يصقل النفس ويرهف الحس ويهذب الشعور .

الشعر يهذب الأفراد والدرامة تصلح سوآت المجتمع ، ولذا أحسن تاسو الايطالى إذ يقول : ليس من مبدع إلا الله والشاعر(١) ، وليس من مدنية إلا بالدرامة

## ثورة شلى الفكرية

لقد تمرد شلى على الهيئة الاجتماعية وخرج على جميع نظمها وتقاليدها الدينية والمدنيـة ، فاثال على الدولة والكنيسة بحملة متطرفة شعواء ، نقضت ما كان لها فى نفوس الناس من الجلال والاحترام ، وكان يعلق كبير الأمل فى التخلص منهما وفى تحقيق مثله الأسمى على تلك الأفكار الثورية التى تلقحت بها عقول الناس من كتابات فولتير وروبيسبو ومنتسكيو ، والتى كظمت مدة ثم انفجرت بالثورة الفرنسية ، ولكن لشد ما أسف إذ رأى ما منيت به أفكار الثوار من الاخفاق

ولما اندلعت نيران الثورة فى أسبانيا ونابولى وأثينا ثانية بدت له — فى عالم الخيال — بارقة أمل جديدة فى تحقيق مثله الأسمى ، فأخذ يتغنى بهمة الثوار ويستفز حميتهم بشتى القصائد الرائعة كقصيدة « نابلى » وقصيدة « هيلاس » ولكن الثورة اشتدت ووضعت أوزارها ، دون أن تحقق له غرضاً من أغراضه التى مات وهو مصر عليها برغم ما لقيه من قوة السلطة وصدمة الحوادث

## فكرة شلى عن الله

يرى شلى أن فكرة الانسان عن الله تشوه جماله كما يشوه الزجاج الملون منظر الأجسام التى من ورائه . وأنها فكرة خاطئة تتناقض ومبادئ العدل والانسانية العليا . ويقول إن الله لم يخلقنا لكى يعبث بنا فى الآخرة أو يجزى شرورنا بمثلها لأنه رحيم لا حد لرحمته ، ولأن الانتقام من صفات الانسان وليس من صفاته فهو والحالة هذه يشبه عمر الخيام إذ يقول(٢) :

اذا كنت تجزى الذنب منى بمثله فما الفرق ما بينى وبينك يا ربى

ويستأنف فى قوله إلى أن ليس لله كيان مستقل بذاته بل هو متمثل فى جميع مظاهر الكون وكائناته من انسان وحيوان . فليس ما نشعر به فى عواطفنا من عوامل الخير والفضيلة والاحسان والشفقة أو ما نشاهده فى الدودة التى تعيش فى باطن الأرض من المحبة والاطمئنان إلا من مظاهر ذلك الآله العادل

لقد تصور شلى فى الإنسان اسمى ما يمكننا تصوره ، وراح يعرض هذه الصورة الجديدة على معاصريه المتزمتين بلسان عيى وخلق سرى ، بل بيد جذاء وكنانة جوفاء الا من ذخيرة الايمان بدعوته . ولذا فلا عجب إذا وقرت دونه آذانهم ، بعد أن أذاقوه من لاذع النقد ومن التقريع شأن ما يلقاه أصحاب البدع فى كل جمهور متزمت

وفى عام ١٨١١ نشر رسالة مطولة : عنوانها « حاجتنا الى الالحاد » دعا فيها جميع الأساتذة الى الالحاد أو الى تفنيد آرائه ودحضها بالمناقشة ، ولكنهم ألقوا بدعوته دبر آذانهم ثم طردوه من الجامعة هو و « السير توماس جفرسن » المتشرع المشهور لأنه استجاب لدعوته واعتنق جميع مبادئه

وفى عام ١٨٥٨ ألف « توماس جفرسن » كتاباً عظيما عن صديقه شلى أكسبه شهرة واسعة فى الأوساط الأدبية ، وقد نشره تحت عنوان ( Uncomplete life of Shelliy ) وهو يتضمن حياة شلى وتعاليمه مذيلة بشروح عظيمة لا نعثر عليها فى غيره

## آراء الأدباء فى شلى

يقول روبرت براونج : لقد هاجم شلى مبادىء المجتمع العظيمة دون أن يتحقق صحيحها من فاسدها ، وغثها من سمينها ، ونسب الى الكنيسة والحكومة الشىء الكثير ، مما نرى بشأنهما ويحط من مقامهما فى أعين الناس . ولقد كان فى حملته التى شنها على العرف والعادات ، وعلى الشرائع والديانات ، يقاد بتهور العاطفة لا بتمحيص العقل ، وبنشوة الشباب لا برصانة الفكرة ؛ وكان يلقى بأحكامه جزافاً قبل أن يعمل فيها مشرط العقل وقبل أن يعرضها على محك الاختبار

ويقول سوينبرن : إن إعجابى بشلى عظيم لا ينتهى ، وما ذاك إلا لفرط محبته الواسعة لجميع المخلوقات ، تلك المحبة التى تقرن اسمه بالمسيح ما دام فى الكون فقراء ومساكين . لقد درس آراء افلاطون — ولا سيما كتابه Symposism — وتغلغل فى ثناياها

(١) هكذا فى الأصل Non merita nome di creatore, de non Iddio ed il poeta

(٢) راجع رباعيات الخيام

بأسمى ما عرفه الانسان من المثل العليا ، تلك المُثل التى صرف فى تحقيقها ريق العمر وزهرة الشباب فما أفلح

ويقول أرنولد : ثلاثة ينبغى تقديسهم : بوذا لتضحيته ، والمسيح لمحبته ، وشلى لانسانيته

ويقول بيكوك : مهما يكن من الحاد شلى فانى أرى فيه مثال الدين الصحيح لاقباله على عمل البر وحدبه على الفقراء . فقد شهدته مرة وقد ابتاع من أحد التاجر مجوهراً ، فما لبث أن أودعه لساعته عند تاجر آخر وأخذ مقابله قليلاً من المال ، ورأيته يركض بعد ذلك بخطوات فسيحة لينقذ بائساً رآه فى وهدة الشقاء . وكانت تلك الكمية صبابة ما بقى لديه من المال .

حياته وزواجه :

دخل شلى مدرسة أتن عام ١٨٠٤ ، وكان لا يزال فى الثانية عشرة من العمر ، ثم تركها والتحق بجامعة أكسفورد حيث طرد منها عام ١٨١١ بسبب رسالته الالحادية . وفى شهر يونيه من السنة نفسها تزوج « هاريت وستبروك » وارتحل الى بلدة « كزوك » هرباً من تعنت والده ، وهناك التقى « بسوثى » أحد شعراء اقليم البحيرات البارزين . ثم أخذ يتعاطى مهنة الصحافة مع (وليم فودوين) السياسى الشهير فتشرب منه روح السياسة . وفى عام ١٨١٢ سافر الى ارلندا ودبلن حيث أخذ يؤلب الناس على الكنيسة الرومانية ، فاستجاب له خلق كثير وأعرض عنه الباقون

وفى سنة ١٨١٣ ولدت له هاريت صبية دعاها « لانث » . ثم ارتحل الى أدنبره وألقى هناك عصا التسيار مدة من الزمن ، كان يستجم فيها ويُعد العدة لحملة جديدة يحمل بها على الدين والمجتمع معاً . وفى مستهل عام ١٨١٤ برزت هذه الحملة الجديدة فى رسالته التى نشرها تحت عنوان « تفنيد وحدانية الله The refutation of deism » ، وفى العاشر من شهر ديسمبر اضطرب حبل مودته مع زوجه هاريت ، فطلقها وتزوج من عشيقته مارى ولستونكرافت ابنة الصحافى الكبير فودوين ، وبعدها سافر الى سويسرا ثم الى فرنسا ، وفى أثناء غيابه ولدت منه زوجه الأولى هاريت صبياً دعته شارل بيش ، وما ان رجع من رحلته هذه الا وقد توفى جده بيش شلى فورث عنه أموالاً طائلة

وفى عام ١٨١٦ ولدت له زوجه مارى ولداً سماه وليم شلى إلا أنه لم يُعمر طويلاً بل توفى بعد عامين من ولادته . وفى شهر ابريل التقى بكيتس لأول مرة ، وكانت قد اشتدت روابط الصداقة بينه وبين اللورد بيرون

وفى العاشر من شهر ديسمبر ألقت « هاريت بنفسها فى اليم وما أخرجت من الماء إلا وهى جثة هامدة . وهكذا أصبحت مارى ولستونكرافت زوجه الشرعية »

وفى عام ١٨١٧ سافر إلى إيطاليا وأقام هناك ، وكانت محكمة شانسرى قد حرمته من حضانة ولديه من زوجه الأولى (هاريت) . وفى ايطاليا تفرغ شلى لقرض الشعر ولدراسة الآداب دراسة جدية

وفى الثامن من شهر يوليو لعام ١٨٢٢ بينما كان يسبح فى خليج بيزا لقيه اليم بموجة عظيمة كان فيها حتفه إذ ألقته على الشاطئ جثة هامدة . ثم أحرقت جثته فوق رمال ذلك الشاطئ على مشهد من صديقه اللورد بيرون ووضع رماده فى قبر أعدّ له فى روما . وكان قد أوصى فى حياته بألا ينقش على ضريحه إلا تاريخ ولادته ويوم وفاته والكلمة الآتية : Désillusionné ومعناها غير مغرور.

وفى بعض المصادر نجد أنه أوصى بنقش هاتين الكلمتين لا الأولى وهما قلب القلوب Heart of Hearts ولعل الأولى أقرب إلى الصواب

وهكذا طوت الأيام تلك الصفحة المجيدة المملوءة بجليل المآثر والحافلة بعظيم الأعمال

(شرق الأردن) خليل جمعه الطوال

مصادر المقال


1— Shelley: I Adonais. II Revolt of Islam. III Promethus un baund
2— Maculay: Essay on Shelley
3— Becon: His Essays.
4— Harjlitt: Critic sms, of poetry aud drama
5— Stopford: English literature VI. II
6— Browing: Essay on Shelley
7— W. H. Stepheus: Introduction to the Study of English Literature
8— Bagchal: Essay on Shelley
9— Hughes: The Introduction to Shelley prose and poetry
10 رسالة الغفران للمعرى تأليف الكيلانى

# فاز ســـعد !

## للأستاذ عباس محمود العقاد

عرف النفىَ حياة ومماتا وأصاب النصر روحا ورفاتا
كلما أقصوه عن دار له رده الشعب إليها واستماتا
كيف يجزيه افتياتا وهو مَن كان لا يرضى على الشعب افتياتا
أصبحت دارك مثواك فلا تخش بعد اليوم يا سعد شتاتا
حبذا الخالد ثماراً للذى غرس المجد وتمّاه نباتا

***

كل أرض للمصلى مسجد غير أن الكعبة الكبرى مقام
هكذا قبرك مرفوع الذرى فى جوار البيت أو سفح الأمام
أرض مصر حيث أمسيت بها فبنو مصر حجيج وزحام
غير أن الذكر يبنى منسكاً مثلما يبغيه حج واستلام
فالتقِ فى قبرك خلاّ كلما مرّ عام تبعته ألف عام

***

اعبر القاهرة اليوم كما كنت تلقاها جموعاً ونظاما
ساعة فى أرضها عابرة بين آباد طوال تترامى
ساعة من عالم الفردوس لا تشبه الساعات بدءاً وختاما
كل من شاهدها زيدَ بها من معانيك جلالاً ودواما
قل لهم أبلغ ما قلت لهم أيها الواعظ صمتاً وكلاما

***

جرّدوا الأسياف من أغمادها ذاك يوم النصر لا يوم الحداد
ارفعوا الرايات فى آفاقها أين يوم الموت من يوم المعاد؟
لا يلاقى الخلد بالحزن ولا يكتسى الفتح بجلباب السواد
ذاك يوم ما تمناه العدى بل تمناه ولاء ووداد
فانفضوا الحزن بعيداً واهتفوا: فاز سعد وهو فى القبر رماد

***

الفراعين الأولى أجليتهم لتمنوا لو أجازوك الطريق
أنت أضفيت على أوطانهم سعة، وهى من الأسر مضيق
أنت أيقظت لهم تاريخهم وهو فى نومته لا يستفيق
فضلك اللاحق أحيا فضلهم فاستوى منه طريف وعريق
آية فى الحق لا ينسخها فى مدى الدهر عدو أو صديق

***

يا بنى مصر اجعلوا تقلته رمز أحياء وعزم ومضاء
وانظروه كيف حالت دونه غِيَرٌ شتى، وما حال القضاء
الميقون تنحوا جانبا آخر الأمر، وسعد فى البناء
كل ذى حق سيعطى حقه، ليس للمجد من الخلد نجاء
كل ما عارض سعيا باقيا عرض فان وزور ورياء

***

ترحل الشمس إلى نقلته بسفور غالب بعد حجاب
صرعت ليلين صبحاً فروت عن حضور ناصع بعد غياب
هو أيضاً قد طوى ليل الردى وطوى ليل الغواشى والكذاب
فى السموات وفى الأرض له أثر ينبئ عن يوم المآب
أثر الفجر إذا انجاب لنا عن ضحاه، بعد لأى وغلاب

***

دان يا سعد لك الذكر بما شيد الباني وما خط الزبور
قدر نادى قلبتــه على موعد الذكرى صخور وسطور
أنا بانٍ لك فى ملك النهى منزلاً يبقى ولا تبقى الصخور
من أسانيدك آساس له ومن الحق له حسن ونور
إن أنل شأوك فيه إننى بالذى شيّدت منه لفخور

***

فتية الوادى بسعد فاقتدوا إن تخيرتم له خير وفاء
أذكروه بالذى يعمله منكم العامل فى غير وناء
واذكروه بالذى امتاز به من مزاياه الأبيّات الوضاء
هكذا يخلد سعد بينكم بتماثيل حيــاة ورواء
كل ما يعظم من أعمالكم هو تخليد لذكرى العظماء

# كل بيت فيه سعد ماثل

## للأستاذ علي الجارم

اكشفوا الترب عن الكنز الدفين
وارفعوا الستر عن الصبح المبين
وابعثوه عسجداً مؤتلقاً ... زاد في لألائه طول السنين
واجتلوه درة ساطعة ... صدفُ الدهر بشرواها ضنين
وانتضوا من غمده سيف وغى ... كان إن صال يقد الدارعين
وقناة جسل من ثقفها ... للخفاظ المر والعزم المكين
لوت الدهر على باطلة ... وهي كالحق صفاة لا تلين
هزمت جيش الأباطيل فما ... غادرت غير جريح أو طعين
كتب الله على عاملها ... إنما الخلد جزاء العاملين

***

جدث ضم سناء وسنى ... ومُصاص الطهر في دنيا ودين
طاعة الأملاك فيه امتزجت ... في السموات بعز المالكين
فتشوا في الترب عن عزمته ... وعن الأقدام والرأي الرصين
واخفضوا أبصاركم في هيبة ... إن رأت أبصاركم نور اليقين
واخشعوا بالصمت في محرابه ... أفصح الألسن صمت الخاشعين
وانتحوا من قبره ناحية
واحذروا أن تزحموا الروح الأمين
وحناناً بضريح طالما ... صقلته قبلات الطائفين
وجثت مصر به خاشعة ... تذرف الدمع على خير البنين
صيحة قدسية إن سكتت ... فلها في مصر رجع ورنين
وعرين حل فيه ضيغم ... رحمة الله على ليث العرين
ومضاء عرفت مصر به ... إن للحق يميناً لا تمين
لا أرى قبراً ولكني أرى ... صفحة من صفحات الخالدين
أو أراه قصب المجد الذي ... دونه ينفق جهد السابقين
أو أراه علماً في فدفد ... لمعت أضواؤه للحائرين
أو أراه روضة إن نفحت ... خجل الورد وأغضى الياسمين
أو أراه دوحة وارفة ... نشرت أفياءها للاجئين
أو أراه قلب مصر نابضاً ... بمنى تمحو من القلب الأنين

***

نقلوا التابوت تحتفُّ به ... رحمات من شمال ويمين
ذاك بعث حييت مصر به ... من جديد تلك عقبى الصابرين
هل علمتم أن من واريتم ... في حنايا كل مصري دفين
ما لسعد حفرة واحدة ... هو ملء القلب ملء الأرضين
كل بيت فيه سعد ماثل ... في إطار من حنان وحنين
بسمة الآمال في بسمته ... وانبلاج الحق في ضوء الجبين
هو للأبناء عم وأب ... وهو للآباء خل وخدين
كان سعد علماً منفرداً ... هل يرى للشمس في الأفق تنين
إن أم المجد مقلاة فكم ... سوفت بين جنين وجنين
تبخل الدنيا بآساد الشرى ... أيها الدنيا إلى كم تبخلين
أنت قد أنجبت سعداً بطلاً ... وقليل مثله من تلدين
قاد للمجد مناجيد الحمى ... كلهم أروع منبتُّ القرين
تقرأ الأقدام في صفحته ... مثلما تقرأ خط الكاتبين
كلما مرت به عاصفة ... زعزع مرت على طود ركين
تقرع الأقدار منه عزمة ... أتمت صخرتها أن تستكين
حُشِدُ حول الرئيس (المصطفى) ... نبعة الاخلاص والخلق المتين
وجدت مصر به واحدها ... رب فرد بألوف ومئين
ومن الناس نضار خالص ... ومن الناس غثاء وغرين
ومن الناس أسود خدر ... ومن الناس ذباب ذو طنين
وضعت مصر به آمالها ... فاستقرت منه في حصن حصين
مسح الدمعة من أجفانها ... ومحا من لوعة القلب الحزين

***

أيها الربان أبحر آمناً ... وثق الركب بربان السفين
كل ما حولك رهو هادىء ... والبقيات على الله المعين
لاحت الفرصة في إبانها ... إنها لا ترتجى في كل حين
فتقدم بطلاً جم المنى ... أنت بالنصر حريٌّ وقمين
صدق الله تعالى وعده ... إنما الفوز ثواب المخلصين

علي الجارم

# القصص

قصة مصرية

## الأعمى . . .

بقلم محمود البـــدوى

عزبة الكامل بقرية «س» وهى قرية صغيرة من قرى الصعيد ، فتشطرها شطرين غير متساويين ، فقد جارت على الجانب الأيسر بقدر ما أضفت على الأيمن ، فاتسع هذا واستفاض حتى أصبحت منازله وبساتينه ونخيله وأعنابه لا يحدها البصر ولا يحصرها العين ، واشتد ذاك واستطال حتى قامت منازله الصغيرة على شط الترعة ذليلة منكسرة واجمة تشكو إلى الله ظلم الطبيعة بعد أن شكت جور الانسان الذى خلفها سوداء قذرة تمرح فيها الحشرات من كل لون وجنس

وإذا استقبلت القرية وأنت قادم على جسرها الطويل ، بصرت أول ما تبصر بمنزل صغير من هذه المنازل بنى بالطوب الأسود ، وخط جواره بستان ، ليس فيه سوى نخلتين ! مالت إحداها على الترعة ، حتى غرقت فروعها فى الماء ، وسمقت الأخرى فى الجو ، حتى ناطحت بسعفها السماء ، ولا تدر النخلتان ثمراً الآن ، ولا يرجى منهما شيء فى المستقبل ، فقد جف عودها وذهب شبابهما . وتقيم فى هذا المنزل منذ أكثر من تسعة أعوام أرملة فى الخمسين ، وهى امرأة دمثة الطبع — على خلاف المعتاد من مثيلاتها — ناحلة الجسم معروقة العظم واهية البناء ، تستريح فى بيتها معظم العام ، حتى يهل رمضان ، فاذا هل ، خرجت فى الهزيع الأول من كل ليلة حاملة على ذراعها صفيحة قديمة تطوف بها على منازل القرويين ، وهى تنقر نقراً خفيفاً ، وتغنى بأغنية قديمة ، قل من يدرك معناها ومبناها من سكان القرية ! على أنهم كانوا يهبون من مضاجعهم عند ما يصافح سمعهم إيقاعها وغناؤها ويبسطون موائد السحور ، وإن كان الليل لم ينتصف بعد !! وهذا العمل الضئيل لا يجلب لهـا فى الغالب رزق شهرين أو ثلاثة .

فكيف تقتات باقى العام ؟ وكيف تعيش ؟ هذا هو السؤال ! على أن الذين انحدروا من الريف ، يعرفون تمام المعرفة أن هناك الملايين من أمثالها يضعون دائماً أيديهم على بطونهم ليحفظوا بذلك التوازن الاجتماعى لتخمة الأغنياء . مثل هذه الأيم السواد الأعظم من الفلاحين الذين لا يعرفون وخير لهم ألا يعرفوا ، أنهم أتعس المخلوقات البشرية فى الدنيا جمعاء . إنهم مخلوقات ذليلة تاعسة ، لصقوا بالأرض حتى أكلتهم الأرض ، وأفنوا عصارة حياتهم فيها حتى استنفدت قوتهم واستفرغت جهدهم . ولو رأيتهم وهم عائدون من الحقول مع مغرب الشمس ، والصفرة الباهتة تعلو وجوههم ، والغبار القذر يملأ أعينهم ويسد أنوفهم ، لعلمت أنهم أتعس الناس فى الناس ، وأشق الطبقات العاملة على الاطلاق . إنهم مخلوقات مريضة فقدت بهجة الحياة ونعيمها واستسلمت صاغرة للمرض والفناء .

ويسكن مع هـذه الأيم أعمى فى الثلاثين من عمره ، وهو شاب أسمر فارع ضليع الجسم مفتول العضل وثيق التركيب ، وهو المؤذن لمسجد القرية منـذ أن شب عن الطوق وانخرط فى عداد الرجال . على أن الذى جمع بين هذه الأيم العجوز وهذا الأعمى الشاب ، لم يكن قرابة ولا نسبا ، وإن كان القرويون يسمون العجوز « أم سيد » وسيد هو الأعمى ؛ وكانت المرأة تمتعض وتهتاج لهذه التسمية فى أول الأمر ، وهى التى لا «سيد» لها ، ثم ما لبثت أن استراحت لها على مرور الزمن فقر هائجها وسكن ، حتى تعمدت ألا تدفع هذا القول بما يكذبه ، وهى المتيقنة بأن الجدل فى أمثال هذه الأمور غير مجد فى الواقع . فمن الذى يقف فى وجه التيار الجارف ؟ ومن الذى يمكنه أن يمنع ألسنة الناس الطويلة جداً إلى حلوقها ؟ لا أحد على التحقيق .

على أن المنزل لم يكن للعجوز والشاب فى الحقيقة ، وإنما هو لرجل ملاح يعمل فى النيل ويقضى فيه العام كله . ولا يهبط القرية إلا زمن التحاريق ، فاذا جاء ، بات فى سفينته ، فقد ألف الرجل النيل ، ونسى منزله على توالى السنين

وكان المسجد الذي يؤذن فيه الأعمى فى طرف القرية الشمالي . ولكي يبلغه لابد له أن يجتاز الترعة وعليها جسر ضيق ، يجوزه البصير وهو راجف حذر ، فكيف بالأعمى ، ثم يدور بعد ذلك فى دروب وينعطف فى منعطفات ، ويجتاز بساتين من النخيل يكثر فيها الحسك والشوك ، وعلى الرغم من هذا كله ، فان الرجل كان يبلغ المسجد وكأنه البصير الحديد البصر ، فلا يضل ولا يتباطأ فى سيره ؛ ولا يعتمد على حائط ، ولا يستند الى جدار . وشد ما تعجب لذلك وتدهش ؛ على أنك متى سمعت القرويين وهم يقولون إن الرجل يبصر بقلبه ذهب عنك العجب كله

وإذا طلع الفجر على القرية ، وهي غارقة في سبات عميق ، وكل شيء فيها ساكن هاجع ، فلا نأمة ولا حركة ، اللهم إلا سامقات النخيل وهي تترنح مع النسيم الواني ، وسيقان الزرع وهي تتمايل مع الريح الرخاء ، طلع الأعمى الى سطح المسجد ، وانطلق يؤذن فى صوت حلو النبرات عذب الرنين ، ينفذ الى كل قلب ، ويهفو الى كل أذن ، ومن الذي يسمعه وهو يقول : « حي على الصلاة ! » فيتأخر بعد ذلك عن الصلاة ؟ لقد كان صوته لينا شجياً يرن فى سكون الليل جميل اللحن عذب الرنين ، فيهب له القرويون من مضاجعهم ، ويخفون الى المسجد خاشعين صامتين

وكان الرجل محبوباً من أهل القرية جميعاً إلا النساء والأطفال . أما النساء فيكرهنه لأنه يزجرهن عن بئر المسجد ، ويمنعهن من ملء الجرار منها بقسوة وغلظة ، حتى ينقلب صوته الحنون عند محادثتهن الى صوت أجش خشن مرعب أحيانا ؛ والقرية لا تستغنى عن ماء البئر خصوصاً زمن الفيضان عند ما يصبح الماء عكرا نصفه طين . وكم تنفلنه مرارا ، وهو الأعمى وهن النجل العيون ؛ على أن سمعه المرهف دائماً كان يغيظهن أشد الغيظ ! ! فاذا أدلت إحداهن الدلو فى البئر وحركت « الجبيذ » ( البكرة ) ، وهو خشبي يحتاج للسقي بالزيت ليحبس صوته فى جوفه ، صر هذا ، فيمد الأعمى قامته ويقول بصوت حاف :

« مين ؟ »

فيتركن الدلو والجرار ويرحن يصلصلن بالحلي ، ويطرن على وجوههن هاربات ، وقد تقع إحداهن على وجهها ، فتخوض فيها الأخرى من فرط الرعب ، ويقمن وجلات مذعورات ضاحكات أيضاً ، على أن هذا لم ييئسهن من البئر اليأس كله . فهن يعلمن أنه يتروح بعد العشاء ، فاذا بصرن به خارجا من المسجد انطلقن الى البئر وهن راجفات أيضاً . فشد ما كانت تحيهن عصاه الغليظة وإن كانت لم تصافح إحداهن حتى الآن .

ومن هنا نشأت العداوة بينه وبينهن واشتدت مع الزمن

أما الأطفال فكانوا كلما بصروا به على الجسر ، وهو فى طريقه الى منزله . تقوده عصاه . وصدره الى الأمام ، وسمعه مرهف . ورأسه مستو ، وقامته منتصبة ، وخطواته ثابتة متزنة جروا وراءه يسبونه ، وقد يحصبونه بالحصى أو يرمونه بالحجارة ، وهو صامت باسم لا يلتفت اليهم ولا يكلم أحدا منهم ، حتى يقرب من بيته ، وهنا يطلع عليهم كلب للجيران أسود ضخم ربض دائما على الجسر ، فينطلق وراءهم حتى يشردهم فى الدروب .

وشد ما غاظ هذا الكلب الأطفال حتى تسمعهم يهمسون خوفا من أن يسمعهم الكلب « لولا هذا الكلب .. ابن الكلب .. لكان الأعمى ... » وإن كانوا يقررون بينهم وبين أنفسهم أنه قلما كانت تصيب الرجل حصاة واحدة من كل ما يرمونه من حصى وحجر

ولم يكن لهذه العداوة سبب ظاهر فى الحقيقة ، اللهم إلا الطبع الشرير الذي ينزع بالأطفال الى السوء ، ويحبب لهم أذى الضعفاء من الناس

* * *

تأخر الأعمى مرة فى المسجد حتى زحف الليل ، وتكاثف الظلام واشتد ، فسمع وهو راقد فى ركن من أركان المسجد صوت الدلو فى البئر ، فاستوى على قدميه ، ومشى على أطراف أصابعه كاتما أنفاسه ، وصدره يضطرب ، وجسمه كله يهتز ، حتى جاز صحن المسجد ، وتيامن الى البئر ، وقلبه واجف . وكان قد خفت صوت الدلو ، ووضح صوت « الجبيذ » فقال لنفسه ، لابد أن امرأة تجذب الدلو الآن وهي مشتغلة به فلا تسمع خطوات قادم ... ووقف برهة ثم صاح بصوت خشن :

« مين ؟ »

فاستدارت المرأة وحملقت فى الظلام . أواه . . . إنه سيد الأعمى على مدى ذراعين منها ، ورمت الدلو وأذهلها الموقف المرعب عن ابداء حركة ما ، فوقفت فاغرة فاها ، ثم أسعفتها غريزة الهرب بعد ثوان ، فولت هاربة . فسمع وقع أقدامها فجرى وراءها ، وسمعه إلى خطاها ، وجرت حتى جاوزت المسجد ، وبودها لو تصيح بأعلى صوتها ، ولكن من أين لها القوة على ذلك ؟ وكيف يطاوعها الصوت ؟ وعثرت قدمها بحجر فى الطريق فكبت على وجهها مذعورة ، وأنت عند ذلك أنة قوية ، فجرى

على الصوت وأهوى بيده العمياء ولمس كتفها ، وكان قد بلغ منه الجهد فوقف يلهث ويده ممسكة بكتفها ، ثم أنزل يده حتى قبض بعنف على رسغها ، وقامت المرأة متراجعة ، تود لو تفلت منه بكل ما تستطيع من قوة ، ولكنه ضغط على يدها بشدة ، وتحسس بيده الأخرى وجهها وقال في صوت متزن :

« جميلة . . . ؟ »

« . . . . . . »

ووقفت المرأة صامتة تهتز وترتجف

« لم لا تناديني لأملأ لك الجرة ؟ »

وقد رق صوته جداً ، فدهشت من تطور حاله وصمتت

« لماذا ؟ »

فشجعها صوته اللين وأجابت

« إنك لا تسمح لأحد بالدنو من البئر ... فكيف أناديك ؟ »

« ليس لواحدة أو اثنتين . . . وإنما عندما تجئن بالعشرات فتقطعن الحبل ، وتغرقن الدلو ، وتهشمن خشب الجنيد ... في البلد أكثر من أربع آبار قريبة ، فلماذا تجئن الى هنا دائماً . . . ؟ »

« لأن هذه أعذبها ماء . . . »

« هذا الماء العذب كثيراً ما ينزح . . . »

« النيل في فيضانه والماء كثير ... »

« أجل ... أ ... أ ... ولكن ... أملأت الجرة ؟ »

« نصفها . . »

« سأملأها لك »

وانقلب إلى البئر ، فمشت وراءه مطمئنة ، وأدلى الدلو وهو يحس ببعض الاضطراب ، فأخذ يدير الجنيد بسرعة ليملأ لها الجرة ويصرفها عنه ، ويبعدها عن وحدته وسكونه

وقال وهو يفرغ الدلو بصوت خافت لين المخارج :

« إذا جئت مرة أخرى ... ناديني لأملأها لك »

« كثر خيرك »

وساعدها على حمل الجرة ، وانطلقت بها الى بيتها ، ووقف ينصت إلى هزيم الريح القوية في الحقل البعيد

***

وأخذت جميلة بعد هذه الليلة تتردد على البئر دون خوف أو وجل ، كانت تجيء في كل يوم مرة ، عند مطلع الفجر أو بعد أذان العشاء ، لأن زوجها لا يسمح لها بالسير في طريق القرية إلا بعد أن ينام الناس ، وتنقطع الرجل . . فهي فتاة في رونق صباها رائعة الحسن غضة العود وزوجها يخشى عليها العين ! ولا يحب لها ملاقاة شبان القرية الذين يقفون على رأس الطريق في ساعات معينة من النهار ! وكانت تقابل سيد الأعمى في غالب الأوقات التي ترد فيها البئر ، وكثيراً ما أترع لها الجرة ، وأعانها على حملها ، أو ملأ لها الحوض الصغير الذي على يمين البئر لتغسل وجهها ورجليها قبل ذهابها الى بيتها ، وكانت تطوي كمها الى مرفقيها ، وتحسر شالها عن شعرها ، وترفع ثوبها الى ساقيها وهي منحنية على الحوض تغتسل . كانت تفعل ذلك ، دون خجل أو حياء لأن سيداً أعمى

واستراح سيد على مرور الأيام لمحضرها حتى أصبح يشعر في الأيام التي تتخلف فيها بالانقباض والوحشة . كان يحس ، من أعماق نفسه ، أن شيئاً ينقصه ، شيئاً يستريح معه ، وينشرح له صدره ، وتنتشي حواسه ، وتهدأ ثائرة أعصابه

وكانت جميلة تدفعها غريزتها أول الأمر إلى الخوف منه واتقاء شره كرجل ، بصرف النظر عن كونه أعمى ، ولكنها ما لبثت — بعد الانفراد معه مرة ومرات — أن استراحت واطمأنت ووثقت من عفته وخلقه ، حتى كانت تخرج معه إلى حد الدعابة ، كأن تخفي عكازته ، أو تخلع الدلو ، أو تقطع الحبل ، أو ترشه بالماء ، وكان يضحك لهذا حتى يرقص قلبه ، ويلوح لها بعصاه مهدداً

على أن هذا التآلف الذي أصبح بين سيد وجميلة ، لم يشجع غيرها من النساء على القرب من البئر ، لأنهن كن لا يعلمن بتغير حاله ، وإن علمن لا يصدقن ، ولم يكن هو يزجرهن عن البئر ، ويمنعهن من ملء الجرار منها ، لأنه كان يخاف على الماء فقط ، بل لأن شيئاً خفياً في أعماق نفسه ، كان يدفعه إلى النفور منهن وإبعادهن عن جوه ... دافع باطني عجيب كان يخرجه عن هدوئه وسكونه ، عندما يسمعهن يتحدثن على الماء أعذب حديث وأرقه ، كان يرجف له ويضطرب ، وهو الرجل وهن النساء ... شعور باطني غريب كان يحمله على فعل ذلك ولم يستطع تحليله ولا تعليله ، وهو الجاهل الذي لم يذهب إلى المدرسة ولم يدرس علم النفس . لقد قضى الرجل حياته بعيداً عن جو المرأة فأخرجها عن دائرة تفكيره ، بعد أن خرجت عن دائرة وجوده ، ولم يعد يفكر فيها مطلقاً ... لم يعد يفكر فيها ، ولا يحن إلى لقياها ، ولا يستريح لرفقتها

# البريد الأدبي

## المؤتمر الدولي لنادي القلم

يعقد المؤتمر الدولي الرابع عشر لنوادي القلم في مدينة بوينوس ايرس عاصمة الجمهورية الفضية (أمريكا الجنوبية) في شهر سبتمبر القادم، وتستمر دورة الانعقاد عشرة أيام من ٣ سبتمبر الى ١٣ منه . وقد اتخذ نادي القلم الأرجنتيني استعدادات عظيمة لعقد هذا المؤتمر، وسعى جهده لجمع أكبر عدد ممكن من مندوبي النوادي المختلفة في عاصمة الأرجنتين ولم يبخل في سبيل هذه الغاية بانفاق آلاف الجنيهات لتسهيل سفر المندوبين من بلادهم النائية الى أمريكا الجنوبية واضافتهم مدة انعقاد المؤتمر؛ وقد استأجر لهذه الغاية باخرة خاصة تقوم من مياه البحر الأبيض بجميع المندوبين الرسميين في أوائل شهر أغسطس القادم، ثم تعيدهم الى نفس المياه في أوائل شهر أكتوبر ومنها يتفرقون عائدين إلى بلادهم

وسيشهد نادي القلم المصري هذا المؤتمر الكبير؛ وقد اختار لتمثيله أحد أعضائه الدكتور محمد عوض الأستاذ بالجامعة المصرية وقد سبق أن مثل حضرته نادي القلم المصري في مؤتمر القلم الذي انعقد في مدينة ادنبورج باسكوسيا في صيف سنة ١٩٣٤

وسيعنى المؤتمر ببحث جميع المسائل المتعلقة بالأدب والكتابة وحقوق التأليف وحرية القلم ومسائل النشر وما إليها؛ وتلقى فيه عدا ذلك عدة مباحث عالية من بعض المندوبين . وسيلقى مندوب مصر ما يناسب المقام

وهذه بعض المسائل المبينة التي سيعنى ببحثها المؤتمر :

(١) مهمة الكاتب في المجتمع ، وما يستطيع نادي القلم أن يفعل في ذلك السبيل (٢) نشر المؤلفات الأدبية وتبادلها بين مختلف البلدان ، ومسألة التراجم ، والعلاقة بين المؤلفين والمترجمين ، والعلاقة بين المؤلفين والناشرين في الداخل والخارج (٣) مسألة إعانة الكتاب المعسرين .

ومسائل كثيرة أخرى تهم الأدب والكتاب

## تطور الفكرة التاريخية اليهودية

نشطت الخصومة السامية ، أعني حركة العداء ضد اليهود في الأعوام الأخيرة نشاطا ظاهرا وذلك لأسباب سياسية واجتماعية كثيرة لا محل لشرحها هنا . وقد أثارت هذه الحركة من جانبها نشاطا كبيرا في التفكير اليهودي والآداب اليهودية؛ ومما يلاحظ بنوع خاص أنه قد صدرت في الأعوام الأخيرة عدة كتب جديدة عن تاريخ اليهود أشرنا الى بعضها في فرص سابقة، وقد صدرت أخيرا ترجمة فرنسية لمختصر تاريخ اليهود الذي ألفه المؤرخ اليهودي الشهير سيمون دوبنوف بالروسية؛ وهذا التاريخ في الأصل ضخم جدا ، ويقع في عشرة أجزاء كبيرة، ويعتبر من أمهات التواريخ اليهودية التي صدرت في العهد الأخير؛ وقد وضع سيمون دوبنوف لمؤلفه مختصرا في مجلد واحد هو الذي ترجم أخيرا إلى الفرنسية تحت عنوان « مختصر التاريخ اليهودي منذ

وكان يتضايق حتى من وجود أم سيد معه في منزل واحد .... وإن كان ينام بعيداً عنها ، ولا يلاقيها إلا نادراً — غالباً في الأوقات التي كان يرجع فيها الى البيت مبكراً ليتعشى — فكان يتذمر ويضطرب لحضرها ، وإن كان بعدها أما ، كان يرجف لوجودها معه ، ويحس روحه تثور ، لأنه ما كان يحب أن يتصورها جالسة أمامه ترقبه وهو يمضغ الطعام ، ويقطع الخبز بأسنانه ، وكان لا يعود لهدوئه وسكونه إلا بعد أن يتنفس الصعداء في قاعته

ولما اعترضت جيلة طريقه أول مرة ، كان يحمل معه عصاه ليضربها ؛ ولكنه لما سمع صوتها عن قرب ، ووقف عند رأسها ، وأمسك بيده رسنها ، وصافحته أنفاسها ، تراجع . وأيقن أنه أمام مخلوق لا يستحق الضرب !

وأخذ بعد ذلك يترقب حضورها ، ويتأخر في المسجد عامداً ليعينها على حمل الجرة ، ويملأ أذنيه من صوتها

( لها بقية ) محمود البدوي

نشأته حتى سنة ١٩٣٤ « Précis d'histore jinre des origines à 1943 »

وأهمية هذا المؤلف الجديد وما تقدمه فى الأعوام الأخيرة عن تاريخ اليهودية ترجع الى تحول النظرية التاريخية اليهودية ، فقد كانت هذه النظرية تقوم من قبل على أسس دينية وينوه فيها دائما بالشعب الاسرائيلى من مركز دينى ممتاز ، وبما تذهب اليه التقاليد اليهودية القديمة من أن اسرائيل هو الوسيط بين الله والناس ، وأنه الشعب المختار ، الى غير ذلك من المزاعم الدينية القديمة ؛ أما هذه الكتب اليهودية الجديدة فقد كتبت من الناحية القومية ، ولوحظ فيها أن اليهودية هى جامعة قومية لا دينية ؛ ويرجع ذلك كما قدمنا الى انتعاش الفكرة القومية اليهودية إزاء اشتداد الخصومة السامية ، وما تلاقيه الصهيونية من المتاعب والمحن

وكتاب دوبنوف برغم ايجازه قوى واضح ، وقد ألم إلماما مدهشا بمواقف التاريخ اليهودى فى مدى ألفى عام

## موسم سالزبورج الموسيقى

يقام فى سالزبورج بالنمسا فى كل صيف موسم فنى عالمى للتمثيل والموسيقى . ومواسم سالزبورج شهيرة منذ أعوام طويلة ؛ وسالزبورج هى موطن موتسارت ، وما زالت بها أكاديمية موسيقية تحمل اسم الموسيقى العظيم . وسيكون موسم هذا الصيف الذى يعقد ما بين ٢٥ يوليه و ٣١ أغسطس من أبدع وأروع المواسم المسرحية والموسيقية التى عرفها العالم فى الأعوام الأخيرة . ويكفى أن تعلم أن المشرف على تنظيم برامج هذا الموسم هو أعظم الفنانين والموسيقيين المعاصرين : ماكس رينهارت ، وارتورو توسكانينى ، وبرونو ڤالتر ، وفيلكس فون فاينجارتنر . وسيشمل البرنامج المسرحى تمثيل عدة من القطع العالمية الخالدة مثل « فيجارو » وموسيقاها لموتسارت . و « فيديليو » وموسيقاها لبيتهوفن و « أقطاب الغناء فى نورمبرج » لڤاجنر ؛ و « تريستان وايزولدا » وموسيقاها له أيضاً و « اريفوس وايزولدا » وموسيقاها لجلوك . و « فالستاف » وموسيقا لفردى . وسيقود الفرق الموسيقية توسكانينى وڤالتر وڤاينجارتنر . ويشمل البرنامج الموسيقى عدة حفلات موسيقية بديعة لموتسارت وبيتهوفن ولزث وشوبرت وباخ وستقام فى نفس الوقت حفلات موسيقية دينية فى الكاتدرائية الكبرى

وتغص سالزبورج فى مثل هذا الفصل بالوافدين عليها من جميع أنحاء العالم . ولكن الأنباء الأخيرة تدل على أن احتشاد الوافدين فى هذا الفصل قد بلغ حداً لم تعرفه سالزبورج من أعوام بعيدة

## عضو جديد فى الأكاديمية الفرنسية

من أنباء باريس الأخيرة أن الأكاديمية الفرنسية قد استقبلت عضوا جديدا هو لوى چيليه ، وقد انتخب فى الكرسى الذى خلا بوفاة الكاتب الشهير ألبير بينار ، وترجم سلفه فى اجتماع حافل من أعضاء الأكاديمية طبقا للتقاليد المتادة . والعضو الجديد من طراز خاص من المفكرين يندر أن يوجد بين أعضاء الأكاديمية ، ذلك أن لوى چيليه رجل فن وناقد فنى فقط ، وهو منذ أعوام طويلة مدير لأحد المتاحف البارزية . وقد اشتهر فى العهد الأخير بعدة مؤلفات قيمة عن الفن وتاريخه منها « تاريخ التصوير فى أوربا فى القرن السابع عشر » Peinture en Europe au XVII e Siécle و « تاريخ الفنون فى فرنسا » Hist, dés Arts en France وغيرها ، وهو من أشهر النقدة الفنيين فى نوعه ينقد الصور والتماثيل الحديثة ، ويكتب عن معارض الفنون رسائل قيمة

## جوائز أدبية

منحت جمعية النقدة الفرنسيين المؤلفة من جماعة من أعظم الكتاب والنقدة « جائزة النقد » السنوية الى كاتبين كبيرين هما مسيو رنيه دومزنل ، ومسيو مارسل تيبو ؛ ولكل منهما فى النقد مواقف مشهورة ؛ وقد امتاز مسيو دومزنل بنوع خاص بدراساته لبعض أكابر كتاب الجيل المنصرم مثل موپاسان وهيسمان وفلوبير . ومما يؤثر عنه أنه كان طبيباً بالمهنة فاستهواه النقد وتدرج فيه حتى اعتزل الطب ؛ وأما مارسل تيبو فهو المحرر النقدى « لمجلة باريس » الشهيرة

ومنحت جائزة الأدب الشعبى الى ترستان ريمى ، وهو من كتاب « الصعاليك » والعوالم السفلى ، وقد اشتهر بقصته « حى سان انتوان » وله عدة قصص أخرى تدور حول حياة الطبقات الدنيا فى باريس

### الاقتصاد وسيلة لتحقيق السلام

يعانى العالم أزمات سياسية واقتصادية لا نهاية لها ؛ وتكاد النظم الاقتصادية فى بعض الأمم العظيمة تنهار ؛ وترى أمم عظيمة أخرى أن الحرب ربما كانت أفضل الوسائل للخروج من أزماتها ومتاعبها ؛ ويكد معظم الحكومات والساسة للخروج من هذه المآزق ، وقد نشر أخيراً أحد الكتاب الانكليز كتاباً طريفاً يدلى فيه برأى غريب لانقاذ الأمم من أزماتها ؛ وعنوان هذا الكتاب هو « فى وسع الأمم أن تعيش فى أرضها » Nations con liue at Home ومؤلفه هو المستر ولكوكس Willcox وهو عالم فى الاقتصاد الزراعى ، ويحاول المؤلف أن يرد فى كتابه على السؤال الآتى : « ما هو أكبر عدد يمكن أن يعيش من منتجات فدان أو ميل مربع من الأرض الصالحة ؟ » ويرى مستر ولكوكس أن الجواب على هذا السؤال تتوقف عليه نتائج اقتصادية وسياسية خطيرة ؛ وهذا هو ملخص رأيه :

« إن أنجع الوسائل لتحقيق السلام الدولى ، وتقليل خطر الحرب إن لم يكن إلغاؤها ، هو تحسين الانتاج الزراعى إلى حد يمكن الأمم من أن تعيش فى أرضها ، ويبعد عنها خطر الجوع أو الحرمان ، وأن تستغنى إذا اقتضى الحال عن الموارد الأجنبية وما يلزم للرفاهة والحياة الناعمة »

ولقد تنبأ العالم الاقتصادى ملتوس منذ أكثر من قرن عما سيعانى العالم من وفرة السكان ونادى بنظرية ضبط النسل ؛ ولكن العالم فى أنحاء كثيرة لم يصل فى وفرة السكان إلى الحد الذى يدعو إلى القلق . بيد أن هناك أمماً قد وصلت فى ذلك إلى حد مزعج مثل ألمانيا واليابان وإيطاليا ، ويرى مستر ولكوكس أن تقدم الانتاج الزراعى هو خير علاج لهذه الأزمة

والكتاب علمى فى أسلوبه ومناحيه ، ولكنه واضح بعيد عن ذلك التعقيد الفنى الذى يذهب بكثير من قيمة الشروح والبيانات القيمة

### الى الأستاذ محمد عبد الله عنان

لما استطردتم فى مقالكم القيم عن (البارون فون أوفنباخ) فى الرسالة ١٤١ إلى ذكر الماسونية وقلتم (إن لها أغراضاً خفية غير الأغراض الانسانية التى تتظاهر بها ، وإنها تعمل لغاية ثورية شاملة هى سحق الأديان والمعتقدات القائمة كلها ، وادماج الانسانية كلها فى نوع من التفكير الحر المطلق والمساواة الاجتماعية المطلقة ) قرت عيون جمهرة القراء عندنا وعدوها لكم منقبة ، وباتوا يرقبون عودة منكم إلى هذا الموضوع ، لأن الناس لا يشكون من شىء عندنا ما يشكون من الماسونية . ولا يرون ظلما ولا إلحاداً ولا رذيلة إلا وللماسونية صلة به ، ذلك أن الماسونية عندنا ليست — على الأكثر — إلا شركات نفعية مؤلفة من أشخاص ليس لهم مبدأ معروف ، ولا غاية نبيلة ، ولكن مبدأهم ومنتهاهم جلب النفع لأنفسهم ودرء الضرر عنها ، ولو كان فى ذلك ضرر المجتمع ، وذهاب الفضيلة وهدم الدين ؛ يتعاونون على الخير والشر ، ويتناصرون على الحق والباطل ، ويدوسون كل المقدسات فى طريقهم الى منفعتهم ، فيدافع القاضى عن المجرم ، ويتنكب سبيل العدل ، ويخون المعلم منهم فى الامتحان ، فينجح المقصر ، ويسقط المجتهد ، وإذا خلت وظيفة لم يعين العالم الكفء القدير ، ولكن يعين لها من له صلة بالماسونية التى يعتنقها من بيدهم أمر تعيينه ، ولو كان جاهلاً ، ولو كانت وظيفة رئيس المفتشين فى وزارة المعارف ، أو عضو الاستئناف فى وزارة الحقانية ، أو غير ذلك . . .

فهل هذه هى الماسونية ؟ وهل يتفضل سيدى الأستاذ فيجلو لنا غامضها ، ويكشف لنا خفيها ، فيبين منشأها وأصلها ومبادئها ، ويذكر لنا ما هى قيمتها اليوم فى أوربا وفى بلدان الشرق الأدنى ، وما هى علاقتها بالدين والوطنية فى فصل تخطه براعته البليغة ؟

(دمشق) (ع)

### ديوان حافظ ابراهيم

قررت وزارة المعارف العمومية طبع ديوان الشاعر الخالد حافظ بك ابراهيم . وقد ندب معالى الوزير لهذا العمل الخطير صديقنا الأستاذ أحمد أمين ، فكلفه أن يجمع أشعاره ثم يرتبها ويبوبها ويصححها ويشرحها ويقدم لها ويعلق عليها

وهذه مأثرة جميلة لوزارة المعارف نرجو أن يساعدها على إتمامها كل من عنده أثر من آثار الشاعر العظيم مما لم ينشر فى صحيفة أو يطبع فى ديوان فيرسل صورة إلى الأستاذ الشارح خدمة للأدب وبراً بالأديب

# من هنا ومن هناك

## آثار مصر القديمة منذ ٦٥٠ سنة

ألف الأديب الرحالة المصرى ابن فضل الله العمرى كتابه الموسوعى العظيم (مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار) منذ خمسين وستمائة سنة (هـ) فى عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وظل الكتاب مخبوءاً فى زوايا الاهمال حتى أتيح بعثه على يد فقيد العروبة الفاضل الأستاذ أحمد زكى باشا سنة ١٩٢٤، والكتاب ذخيرة ثمينة حقاً، وهو لا يقل فى قيمته عن الموسوعات المصرية الثلاث الأخرى (صبح الأعشى، ونهاية الأرب، ولسان العرب)

ولعل أطرف فصل عقده المؤلف فى كتابه (جـ ١) هو ذلك الفصل الذى يتكلم فيه عن آثار مصر القديمة، وما كان الناس يفترضونه من تاريخها، وما يعللون به تشييد تلك المبانى الضخمة والهياكل العتيدة!

وقد وصف ابن فضل الله أهرام الجيزة فقال: « .. وهى أشكال لهيبة، كأن كل هرم لهبة سراج، آخذة فى أسافلها على التربيع مساوية فى عمود الهواء، آخذة فى الجو حتى إلى التثليث، لولا استدارة أبلوج السكر (قمع السكر!) لشبهناها به، ويحتمل أن يكون هذا الشكل موضوعاً لبعض الكواكب لمناسبة اقتضته ..» وذكر قبل ذلك سبب بنائها قال: « قيل إنها هياكل للكواكب، وقيل قبور ومستودع مال وكتب، وقيل ملجأ من الطوفان، وهو أبعد ما قيل فيها!» ثم يعلل أنها لم تكن ملجأ للطوفان بأنه شاهد بعض الأهرام فى مصر العليا مبنية من اللبن! وبعد أن يذكر بعض أقوال الشعراء فى صفتها ينتقل إلى أبى الهول فيقول: « ... وهو اسم لصنم يقارب الهرم الكبير، وفى وهدة منخفضة تقع دونه شرقاً بغرب. لا يبين من فوق سطح الأرض إلا رأس ذلك الصنم وعنقه، أشبه شىء برأس راهب حبشى، عليه غفارية؛ على وجهه صباغ أحمر إلى حوّة، لم يحل على طول الأزمان وقديم الآباد، وهو كبير، لو كان شاخصاً كله لما قصر عن عشرين ذراعاً طوله فى غاية مناسبة التخطيط!! يقال إنه طلسم يمنع الرمل عن المزدرع ...»

ويسمى ابن فضل الله سلسلتى جبال العرب وليبيا (حائط العجوز!!) « وهو حائط يستدير بالديار المصرية ممتداً على جانب المزدرع بها كأنه جعل حاجزاً بين الرمل والمزدرع ...»

ويقول ... « إنه من بناء امرأة اسمها دلوك ...»

ومع هذا لا يرى ابن فضل الله أن يتورط فى ذكر الخرافات التى تقال فى سبب بناء دلوك لهذا الحائط فيقول: « وذكر فى تلك الكتب — بسبب بناء العجوز له — خرافة لسنا نرضى ذكرها!!»

ويسمى المؤلف تمثالى ممنون بالقرب من وادى الملوك (شامة وطامة!!) ثم يصف البرابى فيبدع إبداعاً تاماً، وينتقل إلى الاسكندرية فيصف عمود السوارى، والمنارة، والملعب الكبير وصفاً يدل على ذوقه الفنى الدقيق!!

## فلوبير وحديقة الكرمب

يعتبر جوستاف فلوبير (١٨٢١ — ١٨٨٠) الوارث الأكبر للمدرسة الابتداعية فى الأدب الفرنسى عامة، والوارث لبلزاك خاصة، وإن يكن هو من الكتاب الريالست، وإن يكن أيضاً يمتاز من بلزاك بطلاوة أسلوبه ونقاء عبارته وإشراق ديباجته، وعدم إسفافه ... وهى مزايا لم يكن بلزاك يعرف شيئاً منها

ويشبه فلوبير فى شدة عنايته بأسلوبه شاعرنا الجاهلى زهير ابن أبى سلمى المعروف بصاحب الحوليات. فلقد كان فلوبير يأرق الليالى الطوال من أجل لفظة واحدة؛ حتى إذا فاز بها، ثم مضى زمن يسير، رجع فحذفها من مقاله أو من كتابه، وقد يكون ذلك وقت الطبع، ومن هنا هذه الموسيقى الحلوة التى اشتهرت بها كتبه لاسيا فى (مدام بوفارى) و (سانت أنطونى وسلامبو)

وقد بلغ من شدة شغف فلوبير بتقرير الواقع فى قصصه أنه كان يجشم نفسه المشاق والأهوال ليصف منظراً عارضاً فى زاوية منسية من زوايا هذه القصص . من ذلك أنه أراد وصف مزرعة كرمب فى ليلة مقمرة مقرورة . . . فترك القصة بحذافيرها ، وانتظر حتى كان موسم الكرمب ، ثم رحل إلى ضاحية اشتهرت بنوع جيد من هذا المحصول ، وثمة تلبَّث حتى آذنت الليالى القمرة ... ولكن صاحبه البدر طفق يتدلل ويتستر وراء السحب القاتمة .. وكان الشتاء القارس يعذبه ببرده ولياليه الطوال ، وكان فلوبير ما يبرح واقفاً وسط المزرعة بقلمه وقرطاسه ، منتظراً إشراقة واحدة من جبينه القمر ليصف فيها منظر أشعته الفضية على أوراق الكرمب

ونال أمنيته بعد أن نال منه القمر كل أمانيه ! !

## روبرت أوين والعمال

تنتقل مصر رويدا رويدا من الطور الزراعى الذى لا يتفق ومدنية هذا العصر إلى الطور الصناعى ... طور المدنية والقوة والسيادة . وقد رأت انجلترا مثل هذا الانتقال ، ورأت فيه جملة ثورات اجتماعية كانت الاشتراكية أهمها جميعاً – والاشتراكية تعنى سعادة البشر ومكافحة الفقر ، ومن هنا انضواء غالبية المفكرين تحت لوائها وسهرهم على تعميمها فى كل مناحى الحياة حتى فى دور العلم ! ويعتبر روبرت أوين (١٧٧١ – ١٨٥٨) خالق الاشتراكية وواضع مبادئها بالعلم والعمل ، بل هو الذى استحدث هذه الكلمة Socialism فى النصف الأول من القرن التاسع عشر (١٨٣٥) . ومن العجيب أنه كان من أكبر غزالى القطن فى منشستر ، وله جملة ابتكارات فى صناعة الغزل تعتبر أسُساً لتقدمها

وكان أوين يحب الاختلاط بالعمال ، ودأب من كثب على دراسة أحوالهم ومعايشهم ، وكان يروعه فقرهم وقذارتهم وعدم قيام رواتبهم الضئيلة بحوائجهم ، فنذر ، إذا واتاه الحظ ، أن يحدث فى حياتهم ثورة تظفر بهم إلى السعادة ... وقد حققت الأيام مطامحه فأصبح من أغنياء منشستر ، وذكر نذره فأنشأ مصانعه المظيمة فى نيولانارك New Lanark على أحدث النظم وعلى أحسن القواعد الصحية ، وكان أهم ما عمله لترقية العمال تحسين أجورهم وتقليل ساعات العمل (وكانت ١٢ ساعة فخفضها إلى عشر ، ثم إلى ثمان ) ، وأنشأ لهم مساكن صحية ، وحرّم العمل على صغار الأطفال (أقل من عشر سنوات) ، وضمن التعليم الابتدائى بالمجان لأبنائهم ، وأنشأ لعماله مستشفى بجوار المصنع جلب اليه أمهر الأطباء وأحدث الآلات الطبية ، ووضع للطاعنين فى السن منهم نظاماً يكفل لهم شيخوخة سعيدة

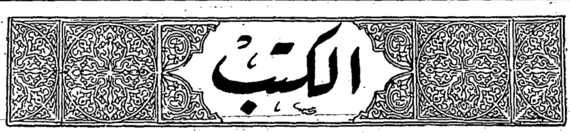
ولم يكتف أوين باستحداث هذه النظم لرفاهية العمال فى مصانعه فقط ؛ بل عمل على تعميمها فى المصانع الأخرى ... ولذلك ثار فى وجهه أصحاب هذه المصانع ، وكان أكثرهم من اليهود ، ممن لا هم لهم إلا امتصاص دماء الانسانية وصهرها ثم تحويلها إلى ذهب ! ولكن أوين العظيم صمد لهم ، وما زال بالشعب وبالعمال وبالحكومة حتى انتصرت مبادئه ، وأصبح العامل الانجليزى مدى قرن من الزمان أسعد ألف مرة من اخوانه فى جميع الآفاق

ولم يكن أوين صاحب مصانع فحسب ، بل كان كاتباً وخطيباً مفوهاً ، ولذا كانت خطبه تسحر العمال وتبعث فيهم الشعور بالكرامة وتشيع فى أعطافهم الكبرياء

## اليوجنيه الحديثة New Eugenics

اليوجنيه أو علم تحسين النسل هو علم حديث يرجع إلى سنة ١٨٨٥ فقط ، وموجده هو السير فرنسس جالتون المتوفى سنة ١٩١١ . وقد أوصى عند موته أن يرصد جزء كبير من دخله لانشاء كرسى لهذا العلم فى جامعة لندن ؛ وقد اشتغل السير جالتون كثيراً بعلوم الأحياء قبل أن يلتفت إلى هذا العلم . ومن رأيه قصر التناسل على الفئة العاقلة القوية ذات الفضائل من الناس لايجاد جيل راق يقود البشرية مرحلة كبيرة إلى السوبرمان ؛ وقد سمى هذه العملية من برنامجه positive eugenics ومن رأيه كذلك حرمان البلهاء والمرضى والمجرمين وأهل الرذائل من التناسل حتى لا يؤخروا موكب الانسانية عن التقدم والرقى ويسمى هذه العملية negative eugenics.

وسير جالتون يعنى عناية كبيرة بمذهب السلوكيين فى السيكولوجية الحديثة ، بل هو قد اتخذ من مباحثهم الطريفة نبراساً له فى وضع الدعائم لهذا العلم الجديد  د . خ




# البراجماتزم

للأستاذ يعقوب فام

أصدرته لجنة التأليف والترجمة والنشر

بقلم الأديب ت. الطويل

يقول الأستاذ الجليل أحمد أمين في المقدمة التي مهد بها لقصة الفلسفة اليونانية : « لا بد للأديب الحق من وقوف تام على علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الجمال وبالجملة على فروع الفلسفة ، فذلك يجعل نتاجه أقوم ، وتفكيره أعمق ، وأفقه أوسع ، ومنابع تفكيره أغزر ، ويحمله على أن يفلسف الأدب ؛ ولا يتسنى ذلك إلا إذا أدبنا له الفلسفة »

وقد أدب الأستاذ وزميله الفلسفة اليونانية فأحسنا تأديبها ، والتزما في عرضها مسلك الأديب في الكشف عن خواطره في أسلوب يجمع بين السلاسة والرصانة . واستفرغا الوسع في العمل على رفعة القارئ إلى مستوى الكاتب . . . ثم أخرج الأستاذ يعقوب فام كتابه في « البراجماتزم » وسلك فيه مسلك العلماء في تبيان خواطرهم وعرض آرائهم . وتبسيط المعقد من أفكارهم . لم يقف حيث هو في ذروته ويمد يده إلى القراء ليرفعهم إليه ويعلو بهم إلى مستواه . بل هبط إليهم وتبسط معهم وأخذ يتألفهم ويترضاهم في إسراف — قد يدعو إلى الملل أحياناً — رغبة منه في اكتساب مرضاتهم عنه حتى يقبلوا اصطحابه إلى حيث يعيش . . فأنت تقرأ الكتاب فلا تحس وأنت ماض بين صفحاته إلا أن الأستاذ يعقوب مدرس يلقي على تلامذته الصغار درساً في الفلسفة ، فهو مشفق عليهم من وعورة مسالكها وظلمة سراديبها ورحابة آفاقها ، يعرضها عليهم فكرة بعد فكرة في تفصيل وإطناب ، ولا يترك رأياً إلا دار حوله بعد الإسهاب في شرحه متوهماً أن بعض التلاميذ لا يزالون يعالجون الفهم فيستعصي عليهم ، ولكنه يعود فيتذكر أنه يكتب كتاباً ستتناوله أيدي فئات من القراء تتفاوت في المدارك قوة وضعفاً ، فيعتذر لقارئه عن الإطالة ويستأذنه في المضي إلى طريقه ؛ ويعود سيرته الأولى يوضح رأيه بأسلوب يمتاز بالسهولة والبساطة وإن لازمته الركاكة ، ويسوق لتلامذته الأمثلة المستمدة من حياتهم اليومية ، حتى إذا فرغ من شرحه عاد فلخص ما أسلف فيه القول ، ولم يبق عليه بعد هذا إلا أن يضع لهم طائفة من الأسئلة يتناول بها آفاق الموضوع شأنه في ذلك شأن المدرسين الذين يضعون لتلامذتهم مصنفات تتناول برامج الدراسة المقررة . . . !

والأستاذ أحمد أمين أديب عالم ، ولكنه قد سلك مسلك الأدباء في الكتاب الذي صنفه بالاشتراك مع زميله الأستاذ زكي نجيب مؤثراً هذه الطريقة مقتنعاً بها راضياً عنها . وكذلك قل في الأستاذ يعقوب وإيثاره للطريقة التي أسلفنا الإشارة إليها الآن ؛ وأكبر الظن عندي أنه لا يستطيع غيرها إن لم يكن مقتنعاً بها . وأنه غير نادم على عجزه عن « تأديب » الفلسفة . لأنه لا يحترم الأدب ولا يكبر أهله . فالأديب رجل محرف لا تعنيه إلا زخرفة اللفظ وبهرجة الأسلوب اللغوي . . ! فإن كان القارئ قد تملكه العجب لهذا التعبير فليسمع نص ما يقوله الأستاذ يعقوب فام ص ٧٢ :

« هل العقل الإنساني مرآة فقط ليس لها من عمل سوى أن تعكس الحقائق الخارجية دون تصرف أو تدخل من ناحية ؟ أم هو كالفنان الذي يتناول قطعة الحجر ويصنع منها تمثالاً جميلاً منظماً متناسباً ؟ أم هو لا هذا ولا ذاك وإنما يشبه الأديب الذي يخلق الأشخاص والحوادث والبيئة المحيطة بهذين خلقاً من العدم ؟ ( العفو ! ) على الإجابة عن هذا السؤال يتوقف الشيء الكثير . فلو قلنا إن العقل كالمرآة كنا من أتباع فلسفة الواقعيين ؛ وإن قلنا إن العقل كالأديب يخلق الكون خلقاً ، وإن الأشياء لا وجود لها في

ذاتها وانما وجودها يتوقف على العقل وحده كنا من أتباع الفكريين Ideabsts الذين يزعمون أن الحقيقة هي عقل أو فكر وأن المادة شيء وهمي لا وجود له . وأما إن قلنا إن العقل يكيف الحقائق الخارجية Facts of Experiences كما أن ..... الخ »

هذه هي نظرة الأستاذ الى الأدب وأهله . ولست أعرف في الأدب مذهباً يتيح لصاحبه أن يخلق من العدم أشخاصه وحوادثه وبيئته — ان كان في وسعه أن يفعل ذلك — والغريب أن يفرق الأستاذ الكريم بين الأدب والفن هذه التفرقة العجيبة التي لم أسمع بها على هذا النحو من قبل اليوم . ثم كيف يخلق الانسان من العدم بيئة تعج بالحوادث والأشخاص ؟ أبالخيال ؟ إن عجبك لشتد وينمو حتى تملأ شعاب نفسك حين ترى الأستاذ يقول ص ٨٣ ما نصه :

« هذا الشعور الخفي بالحق ( عند المتصوفة ) يقابل الخيال عند الرجل العادي . فالخيال ينتج من التفاعل بين مجموعة الاختبارات التي جازها الفرد في حياته اليومية ، ومن نشاطه بين أفراد نوعه ، ومن الغرائز الموروثة . هذا التفاعل بين الاختبارات والدوافع الموروثة عند الفرد هو الذي ينتج الخيال . ومع أن النتيجة قد تكون واحدة إلا أن الفرق بين التصوف والخيال واضح ، فالأخير مبني على العقل والاختبار ، والأول مبني على القوى الخارقة للطبيعة التي تلقي بالمعارف الى الانسان إلقاء . الخيال إنما هو قفزة يقفزها الانسان إلى الامام ، والتصوف هو الاستسلام للاتصال الخفي بين الفرد وعالم الأرواح ، أو الفرق بين الرجل العادي ذي الخيال الخصب ، والرجل الصوفي هو هذا : الأول منهما متصل بالحياة وبالاختبار وبنشاط الجسد من مشاهدة وحس بأنواعه ... »

هذا هو الخيال عند الرجل العادي كما يفهمه الأستاذ يعقوب ، أما الخيال عند الأديب كما قال ، فهو توهم ما لا وجود له ، وتصور ما لم تره عين ، ولم تسمع به أذن ، ولم يدركه حس ؛ هو نوع من الرجم بالغيب والحدس باللامعلوم ! لا تقل إن الأديب في عرف الأستاذ رجل مجنون ، فان المجنون لا يفعل في تصرفاته أكثر من أن يستعيد صورا ذهنية عن مدركات حسية في شكل مبالغ فيه الى حد يتجاوز حدود العقل ويتخطى نطاق العرف . فالمجنون أقرب الى الحياة من الأديب في رأي

الأستاذ ..! ولهذا ارتقى الى ذهني الظن بأن الأستاذ غير نادم على أنه لم يكن أديباً .. كما أشرت الى هذا قبلاً

وأكبر الظن أن الأستاذ يعقوب قد اختلط عليه معنى Idealists في الفلسفة ومعناها في الأدب . ففي الفلسفة يراد باللفظة « التصوريون » — وأنا أوثر هذه الترجمة على « الفكريين » التي يستعملها الأستاذ حتى لا يختلط معناها بالعقليين Rationalists — وهم الذين يظنون أن الحقيقة فكر ، وأن المادة لا وجود لها ، كما أبان الأستاذ ، ثم يراد بلفظة الـ Idealists في الأدب « المثاليين » ، وهم الذين ينزعون الى تصوير المثل العليا ، والتحدث الى الناس عما ينبغي أن يكون . فهي في الفلسفة مشتقة من Idea أي فكرة أو صورة ذهنية . وهي في الأدب مشتقة من Ideal أي مثل أعلى .

والأديب المثالي لا يخلق من العدم شيئاً ، وإنما يدرس « الكائن » في هذه الدنيا فلا يعجبه ولا يروقه فيجنح الى كمال يعوض هذا النقص ، ويصور المثل الأعلى الذي يحقق ما ينبغي أن يكون . وهو في تصوره إنما يعتمد على المدركات الحسية في أرحب معانيها ، وخياله لا يؤلف له الصور الحبيبة الى النفس إلا بالاعتماد على ما يعرفه من مدركات الحس . فان كان المذهب التصوري وجاهته في الفلسفة فهو بمعناه الفلسفي هراء في عرف الأدب وأهله

على أن هذا الكلام لا يراد به الطعن في الطريقة التي سلكها الأستاذ يعقوب . فان تأليف كتاب يتناول هذه الآفاق الرحيبة في الفلسفة وعلاجها على هذا النحو البسيط السهل الميسور لكل قارىء لقدرة ومهارة تستحقان كل ثناء وإعجاب . فان كنت في شك من هذا فقارن ما كتبه الأستاذ بما يكتبه أغلب الذين ينقلون الى الجمهور نظريات علم النفس ، تر العجز البين عن تمصير ما يكتبون حتى في نقل الأمثلة التي قرأوها في المراجع الأجنبية . . . ! أما الأستاذ يعقوب فهو يحدثك عن أحدث مذاهب الفلسفة وأقدمها فتحس كأن أصحابها مصريون تحبين فهمهم وتجيد تقديرهم ولا تجد بينك وبينهم هوة في فكر أو روح . . !

وقد انتهى الأستاذ إلى هذا التوفيق بعد جهد كان أبرز آياته الاتئاد عند كل فكرة والاطناب في شرحها حتى يطمئن على سهولة فهمها ويسر إدراكها . على أن هذا الاتئاد وإن لازمه في « شرح »

الكتاب منذ بدايته حتى نهايته ، فان فى بعض الفصول التى أضافها الأستاذ توضيحاً للمذاهب أو تمهيداً لذكرها أحكاماً يشوبها الضعف أو نقصاً فى استيفاء الموضوع . أو هكذا يخيل إلىّ . . .

فتراه يكتب فصلاً يدلل فيه على أن الناس خاصتهم وعامتهم يتفلسفون وإن أنكر بعضهم أنه يتفلسف . . ! ذلك لأنهم يعيشون فى الدنيا ويضربون فى زحمتها متأثرين بآراء قد تولت الفلسفة البحث فيها وانتهت منها إلى نظريات ومذاهب قد يعرفها طغام الناس . وهذا رأى غريب ، لأن الفلسفة ليست « لجناوين » من عرفها كان من حقه أن يكون فيلسوفاً ، وإنما هى « بحث » يتناول الآفاق المجهولة فى رحاب الحياة ، هى « بحث » مجهول للناس يتناول ما تجهله العلوم وأهلها — ونهجها فى ذلك توضحه هذه الجملة : أنى وقف التفكير العلمى بدأ التفكير الفلسفى — فالناس عامتهم وخاصتهم لا يتفلسفون وإنما تبلغهم آراء يوحى بها الدين أو عليها العرف — بما يؤلفه من مختلف العناصر — فيعملون بها ويسيرون على نهجها من غير تفكير فى أمرها ؛ فان تناولوها بالجدل حيناً فسرعان ما ينحرفون عنه مقتنعين ولو بلا شىء . وليس هذا شأن التفلسفة فى أى زمان أو مكان . . . أو ترى الأستاذ يكتب فصلاً ممتعاً يتناول فيه وظيفة العلم وطريقته فى البحث ويلخص لك ما ينتهى اليه ويثبته فى أرقام مسلسلة ليتيسر للقارىء معرفة الفوارق بينه وبين الفلسفة ، ولكنه ينسى أن يتحدث فى هذا الفصل عن أولى الخواص التى لا يستطيع الانسان فى العصر الحديث أن يتصور العلم من دونها ، وهى أن العلم يمتاز من سائر آفاق المعرفة الانسانية فى أنه « يبحث الشىء من حيث هو شىء » وليست تعنيه علاقة هذا الشىء بغيره من الناس . ولهذا كان العلماء آخر من يفكر فى الانسانية ويعطف عليها ، لأن التفكير فى صالحها يدخل فى باب العاطفة ، وبين العلم والعاطفة عداء مستحكم الحلقات . فمخترع الغازات السامة أو الغواصات أو الدبابات وما اليها عالم موفق قد تهيأت له أسباب النجاح فى تطبيق نظريات العلم — وإن ساء فيه رأى المجتمع وجزع الناس لما اخترع — وإن قلت له إن عملك يشقى الناس أجابك على الفور : أنا عالم ، أبحث الشىء من حيث علاقته بذاته ، ولا شأن لى بعد هذا بما تفضى اليه نتائج البحث وتطبيقها خيراً كان أو شراً »

على أن من العدل أن نقول إن قيمة الكتب لا يحددها اتفاق الرأى بين الكاتب والقارىء ، وإن خلوها من المآخذ التى يتصورها الناقد لا يصلح أن يكون مقياساً للاعجاب بها والرضا عنها ، لأن مدارك الناس فى تفاوت ، ثم إن خلوهم من النقص محال

وقد تثير هذه الكلمة فى نفسك سؤالاً تطلب الى فيه أن ألخص لك « البراجماتزم » ولكنى لن أجيبك الى مطلبك إشفاقاً على نفسى من الاضطلاع بهذا العمل . وأمامك كتاب الأستاذ يعقوب فاقرأه تعلم أن لجنة التأليف والترجمة والنشر قد أنصفت فى اختيار هذا الرجل للقيام بتأليف هذا الكتاب ، فهو عالم يكثر الاطلاع ، ويحسن الفهم ، ويجيد العرض ؛ ويحب أمريكا ! ومن أقدر على الكلام فى « البراجماتزم » من رجل تتوفر له هذه الصفات . . ؟

ت . الطويل
ليسانسيه فى الفلسفة

# فهرس الموضوعات للمجلد الأول من السنة الرابعة للرسالة

# فهرس الكتاب للمجلد الأول من السنة الرابعة .

## (ج)



## (ح)



## (خ)



## (د)



## (ر)



## (ز)



## (س)



## (ط)



## (ظ)

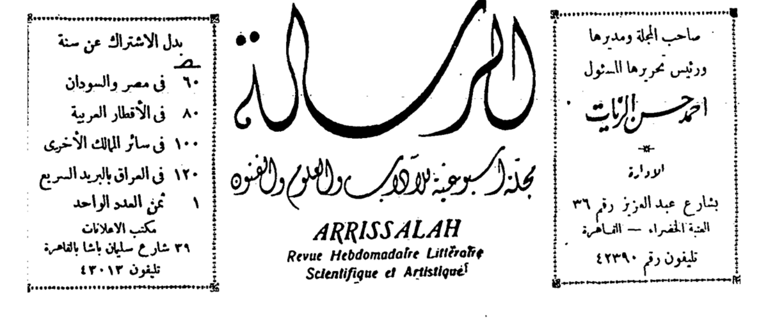


## (ع)

FIN

DU

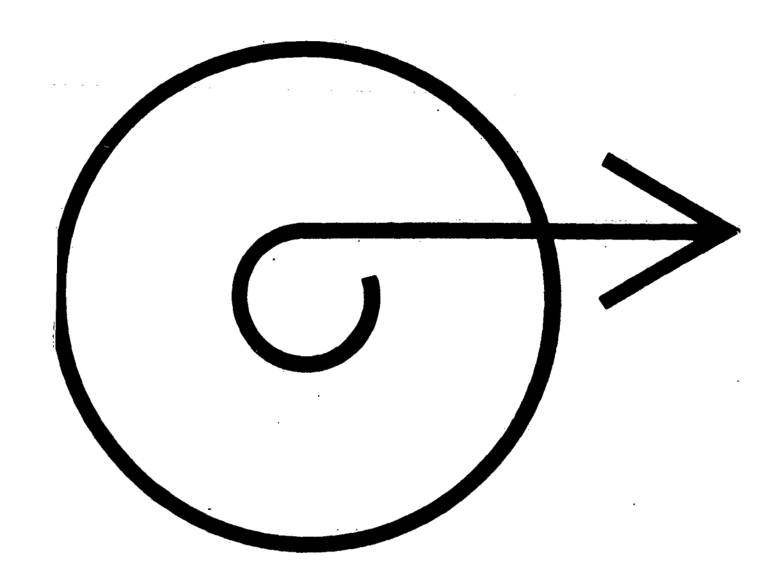
DOCUMENT




# 1936

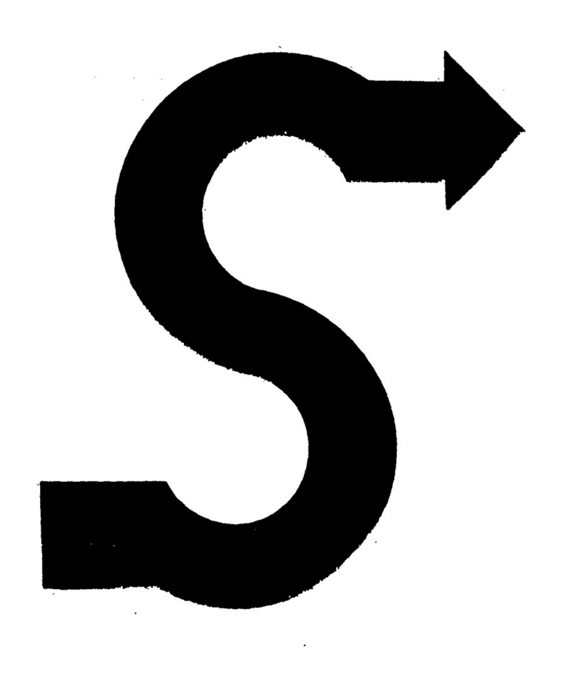
## 6 janvier - 29 juin

## (n° 131 - 156)



Fin de bobine

**NF Z 43 120 3**



Suite sur une autre bobine

NF Z 43-120-6